مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ – ١٩٥٠]

الجزء الأول

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم ـ خلفاء

تقديم مكتبة الجاحظ

عمر الله باليَقين قلبَك ، وأفاض عليك مِنَ الخير ، وعقَد بيننا وبينك سبباً من الرِّضا ، وحبَّب إلينا كما حبَّب إليك الحقَّ ، وأمتعَ عينَك وقلبَك ، بما سيطالعك من عَجَب الجاحظ ، وما افتنّ فيه وأبدع ؛ وأضفى عليك البشاشة وأسبغَ ظلَّ العافية(١) .

١ — بيان الجاحظ

وبعد فالجاحظُ إمامٌ فذٌّ من أئمة البيان فى العربيَّة ، وليس من الإسراف والمغالاة أن نعدَّه زعيمَ البيانِ العربىّ ، نطلق القولَ فى ذلك إطلاقا .

هو زعيمٌ للبيان العربىّ فى قوَّته وأسره ، وفى دقَّته وصحَّته ، وحلاوته وجمالِه وفنِّه .

كان الجاحظ زعيماً للبيان العربىّ ، وهو كذلك أحد زعماء المكتبة العربيَّة ، التى كانت فى الصدر المقدَّم من مكتبات الدنيا ، فيما أسدتْ للإنسانية والفكر العربىّ واللِّسان العربىِّ من خَير ، وما بسطتْه على ظلام المدنيات المتهافتة من نور .

٢ — عصر الجاحظ

كان الجاحظ فى العصر الذهبىّ للأمة العربية : عصر هارون والمأمون ؛ والعلومُ والآدابُ والفنون يومئذٍ تزخر بها معاهد البَصرة وبغدادَ والكوفة

(١) للجاحظ مذهب فى البيان ، من سار فى أوله دفعه الإعجاب إلى أن يحاول السلوك إلى غايته . وقد أبى على فضله ، إلا أن أجعل صدر تقديمى له فى مثل صورة بيانه .

وقُرطبةَ ، وسائر عواصم الإسلام ، وكان المعين فيّاضا مُترَعاً ، والعقولُ فى نشاط وفَورة ، والتَّأليفُ والتَّرجمةُ لهما دَوىّ النَّحل فى كلّ صُقع . الدِّينُ يدعو إلى العلم والنُّور ، والمالُ تلمع وجوهُه فى عيون أهل الفضل ، فيُذكى العزائمَ ، ويُبرِم العَقْد . والعلمُ وَلودٌ ، وصاحبُه كلَّما ارتوى منه عادَ به فى سبيل الظَّمأ ، وحيثُما شبِع منه رجع به فى سبيل الجوع .

٣ ـ التآليف فى عصر الجاحظ

عاصر الجاحظُ ثلاثةً ممَّن ضربوا بسهمٍ كبيرٍ فى وفارَةِ الإنتاج الفكرى والتَّأليف ، واستَوَوْا على غايةٍ قصَّر عنها من عداهم :

أحدهم : أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنَّى (١١٠ ـ ٢٠٩) ، وكان من أهل البصرة ، وُلد وتوفِّى بها[١] . قال صاحب الوفيات : « وتصانيفه ، تقارب مائتى مصنف[٢] » . وقد سرد منها ابن النديم فى فهرسه مائة وخمسة[٣] ، وقال فيه الجاحظ : « لم يكن فى الأرض خارجىٌّ ولا جَماعىٌّ أعلمُ بجميعِ العلم منه[٤] » .

والثانى : أبو الحسن علىٌّ بن محمَّد المدائنىُّ (١٣٥ ـ ٢٢٥) له نحو مائتين وأربعين مصنفاً ، على ما أحصيت فى فهرس ابن النديم ، وقد روى الجاحظُ عنه فى البيان وفى الحيوانِ رواياتٍ كثيرة .

وثالث هذه الجماعة : هشام بن محمد الكلبى الكوفى (٠٠٠ ـ ٢٠٦) عددت كتبَه فى الفهرس فألفيتُها نحو مائة وتسعةٍ وثلاثين مؤلفاً[٥] .

---

(١) جلس إليه الجاحظ كما فى البيان (٣ : ٢٦٥) .
(٢) الوفيات (٢ : ١٠٦) .
(٣) الفهرس ٧٩ مصر ، ٥٣ ليبسك .
(٤) البيان للجاحظ (١ : ٣٤٧) .
(٥) ١٤٧ مصر ، ١٠١ ليبسك . ولم يمكنى تحديد العدد فى هذا الموضع والذى قبله لمرونة عبارة ابن النديم .

كان للجاحظ فى هؤلاء الرَّهط أُسوةٌ ، وحافز فى المسابقة والمنافسة ؛ إلى ماوهبه الله من لَسَنٍ واقتدار ، ومن ذكاءٍخارق ونَفاذ ، وذاكرة — فى العلم — قوية[1] ، واستهتار بالمعرفة والتبيُّن .

حدّث أبو هفّان[2] قال : « لم أر قطُّ ولا سمعتُ مَن أحبّ الكتبَ والعلومَ أكثرَ من الجاحظ ، فإنّه لم يقع بيده كتابٌ قطُّ ، إلا استوفى قراءتَه ، كائناً ما كان ، حتى إنه كان يكترى دكاكين الورّاقين ، ويثبت[3] فيها للنَّظر » .

وللجاحظ فى صدر الجزء الأول من الحيوان ، نعتٌ للكتب ، يقع منه الدَّليلُ على ما ملأ الله به صدرَ هذا الرَّجل من إيمانٍ بما للعلم والكتاب من شرفٍ وجاه ، وما للتفهُّمِ والقراءة من مكانٍ عالٍ ، ومنزل كريم .

والعجَبُ أنَّ تلك الأسفارَ التى عُنى بها صاحبُنا ، لم تبرَّ به ولم تبادلْه الوفاء ، فَغَدرتْ به ، « وكان موته بسقوط مجلَّدات العلم عليه[4] ! ! » .

٤ — مؤلفات الجاحظ

خرج الجاحظَ عن زُهاءِ ثلاثمائة وستِّينمؤلَّفاً فى ألوانٍ شتَّى من المعرفة ، رأى أكثرها فى مشهد أبى حنيفة النعمان ببغداد ، سبطُ ابن الجوزىّ[5] المتوفَّى سنة ٦٥٤ .

---

(١) ذكر الجاحظ ، كما فى تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) ومعجم الأدباء (٦ : ٥٦) مرجليوث ، أنه نسى كنيته ثلاثة أيام ثم ذهب إلى أهله فقال : بمن أكنى ؟ فقالوا : بأبى عثمان ! ! وهكذا طغت ذاكرته فى العلم على ذاكرته فى غيره .

(٢) كان أخباريا راوية مصنفا . الفهرست ٢٠٧ مصر ، ١٤٤ ليبسك .

(٣) فى الأصل : « يبيت » .

(٤) شذرات الذهب (٢ : ١٢٢) .

(٥) مرآة الزمان الورقة ٥٨ من المجلد الثالث من الجزء العاشر (مصورة دار الكتب =

ذاك أقصى تقدير وصلت إليه كتب الجاحظ ، الذى يقول فيه المسعودىّ(١) : « ولا يعلم أحدٌ من الرواة وأهل العلم أكثر كتباً منه » . على أنّ أدْنى ماتنزلُ إليه فى التقدير ، أن تكونَ مائةً ونيّفاً وسبعين كتاباً . قال ابن حجر فى لسان الميزان(٢) : « وسرد ابنُ النَّديم كتبه ، وهى مائة ونيِّف وسبعون كتابا » .

وياقوت فى معجم الأدباء(٣) قد ذكر فهرست كتبه ورسائله ، فأثبت منها مائةً وثمانية وعشرين مصنفاً .

وليس بنا أن نحقق مبلغَ عددِ هذه الكتب ، ولكنَّ ما نريد أن نقول ، أنَّ الجاحظ فى الرّعيلِ الأول من مؤلفى عصرِه وكتّابه .

والآن نَسْأل : أين ذهبت هذه الكتبُ جميعاً ، وفى أىّ مطْرح طوّح بها الزّمان ! ! لقد ضرب الدَّهرُ على كثيرها ، فعادت فى مثل صنعة الساحر ، لمعتْ حيناً ثم انكفأت .

أفنقول : إنّ أعاصيرَ الخلافِ المذهبىِّ عَصَفَتْ بها ، فلم ضاعتْ آثارُ غيرِه من أهل السنّة والجماعة ؟ !

الحقُّ أنّ الجمودَ الذهنِىَّ وهبوط الهمم ، كان لهما معظم الأثر فى ضياع هذه النفائس وفقدِها ، والحقُّ أنَّ الفَوضى السياسيَّةَ التى مُنيت بها الأممُ الإسلاميةُ فى مَسائها الأول ، والتى كانت قائمةً — فى أكثر ما تقوم — على التدمير والتخريب والانتقام — جعلت تهدم فى هذا الصَّرح الفكرى ، حتى أتت على كثير من قواعده ، ولم تُبق إلا وشلاً من محيط ! !

= المصرية) . والنص فيها : «أما مصنفاته فثلثمائة وستون مصنفا ، ووقفت على أكثرها فى مشهد الإمام أبى حنيفة » .

(١) فى مروج الذهب ٤ : ١٣٥ .

(٢) لسان الميزان (٤ : ٣٥٧) .

(٣) معجم الأدباء (٦ : ٧٥ — ٧٨) مرجليوث .

ومهما أحزننا فقدُ كثيرٍ من آثار الجاحظ ، فإنَّ ممّا يجلب إلينا العزاء ، أن تبقىَ الأيّامُ منها قدراً لايستهان به ولا بنفاسته ، قد سار بعضُه بين الأدباء فكان له فضلٌ كبير فى تقويم ألسنتهم ، وتأدُّبهم ،وحمتْ بعضَه الآخرَ خزائن متناثرةٌ فى أرجاءِ المعمورة ،سأعمل جهدى على إخراج مايمكن منها ،بعون الله ، مامُدَّ لى فى الحياة .

٥ ــ ابن النديم والجاحظ

والعجَب أن الناظر فى فهرس ابن النديم لايكاد يرى فيه شيئاً عن الجاحظ ، إلا عرَضاً واستطراداً ، مع أن ابنَ النّديم كان من أساطين الوراقة ، وأبرعَ مختصٍّ بفن الكتب والمكتبات .

لقد عجبت ، ووجدت شيخ العروبة وفقيدها « أحمد زكى باشا » قد سبقنى بهذا فى أثناء تحقيقه لكتاب التاج ، وكشف السرَّ عن ذلك ، بما أقام من دليل قاطع ، أن النسخة المطبوعة من الفهرس مبتورة ناقصة [١] . وقد أسلفتُ قريباً [٢] نصًّا من لسان الميزان ، يؤيد ماذهب إليه شيخ العروبة .

٦ ــ منحى الجاحظ فى التأليف

صنع الجاحظ هذه الكتبَ جميعاً . ولم يكن همُّه همَّ غيره من المؤلِّفين ، فى الجمع والرِّواية والحفظ ، وإنَّما كان وُكدُه أن يبتكرَ وأن يُطرف ، وأن يخلُق للنَّاس بديعاً ، يمسح على جميعها بالدُّعابة والهزْل ، ويُشيع الفكاهةَ

(١) مقدمة التاج ٤٣ — ٤٤ .
(٢) انظر ص ٦ من هذا التقديم .

فى أثناء الكلام . فجمع بذلك قلوبَ القارئين إليه ، واستولى منهم بذلك على شتّى ميولهم إلى مايكتب ، فصَبَوْا إليه وأغرموا بهغَراما !

وطرق الجاحظُ فى كتابته أبواباً عجيبية ، وتقرَّب إلى العامّة[1] وحَرَص أشدّ الحرْص على استرضائهم . ولم ينسَ فى ذلك أن يستميل إعجاب الخاصة فى المعارف العالية ، والسياسات الرفيعة .

٧ — قيمة كتب الجاحظ

قال أبو حيّان[2] : « ومن عجيب الحديث فى كتبه ، ماحدَّثنا به علىٌّ ابنعيسى النحوىُّ الشيخ الصالح ، قال : سمعتُ ابن الأخشاد شيخَنا أبا بكر يقول : ذكر أبو عثمان فى أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ، ليكون ذلك كالفهرست . ومرّ بى فى جملتها : الفرق بين النبى والمتنبى ، وكتاب دلائل النبوة ، وقد ذكرهما هكذا على التفرقة ، وأعاد ذكر الفرق فى الجزء الرابع[3] لشيءٍ دعاه إليه فأحببتُ أن أرى الكتابين ، ولم أقدرْ على واحدٍ منهما . وهو كتاب دلائل النبوة ، وربما لُقِّب بالفَرْق خطأ . فهمَّنى ذلك وساءنى ، فى سوء ظفرى به . فلمَّا شخَصت من مصرَ ودخلتُ مكَّة —

---

(١) قال الجاحظ فى البيان ١ : ١٣٧ : « وإذا سمعتمونى أذكر العوام فإنى لست أعنى الفلاحين والحشوة ، والصناع والباعة ، ولست أعنى الأكراد فى الجبال ، وسكان الجزائر فى البحار ، ولست أعنى من الأمم مثل الببر والطيلسان ، ومثل موقان وجيلان ، ومثل الزنج وأمثال الزنج . وإنما الأمم المذكورون من جميع الناس أربع : العرب وفارس ، والهند ، والروم ، والباقون همج وأشباه الهمج .
وأما العوام من أهل ملتنا ودعوتنا ولغتنا وأدبنا وأخلاقنا فالطبقة التى عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منا » . فهذا مايعنى الجاحظ بهذه الكلمة .

(٢) انظر معجم الأدباء (٦ : ٧٢ — ٧٣) مرجليوث .

(٣) الحيوان (٤ : ٣٧٨) س ٩ .

– حرسها الله تعالى – حاجًّا، أقمت منادياً بعرفاتٍ ينادى – والناسُ حضورٌ من الآفاقِ على اختلاف بُلدانهم وتنازُح أوطانهم، وتباينُ قبائلهم وأجناسهم، من المشرق إلى المغرب، ومن مهبِّ الشّمال إلى مهبِّ الجنوب، وهو المنظر الذى لايشابهُهُ منظر – : رحم الله من دلَّنا على كتاب الفرق بين النبى والمتنبى لأبى عثمان الجاحظ، على أى وجه كان !

قال : فطاف المنادى فى ترابيع عرفات وعاد بالخيبة وقال: حجّت الناس مِنِّى ولم يعرفوا هذا الكتاب، ولا اعترفوا به !

قال ابن الأخشاد : وإنما أردت بهذا أن أُبْلغ نفسى عذرَها ».

قال ياقوت : « وحسبك بها فضيلةً لأبى عثمانَ، أن يكون مثلُ ابن الأخشاد – وهو من هُو، فى معرفة عُلوم الحكمة، وهو رأسٌ عظيم من رءوس المعتزِلة – يُستهام بكتب الجاحظ حتى ينادى عليها بعرفات والبيت الحرام. وهذا الكتاب موجودٌ فى أيدى النَّاس اليوم لاتكاد تخلو خزانةٌ منه. ولقد رأيت أنا منه نحو مائةِ نسخةٍ أو أكثر ».

والمسعودىُّ، وهوممن يُعدُّ فىخصوم الجاحظ، يقول فىمروج الذهب(١) فى نعت كتب الجاحظ : « وكتب الجاحظ مع انحرافه المشهور(٢)، تجلو صدأ الأذهان، وتكشف واضح البرهان؛ لأنّه نظَمَها أحسن نظْم، ورصَفها أحسنَ رصْف، وكساها من كلامه أجزَلَ لفظ. وكان إذا تخوَّفَ ملَلَ القارئ، وسآمةَ السَّامع، خرج من جِدٍّ إلى هزْل، ومن حكمةٍ بليغةٍ إلى نادرة طريفة. وله كُتُب حِسان، منها كتاب البيان والتبيين، وهو أشرفها؛ لأنه جمع فيه بين المنثور والمنظوم، وغُرر الأشعار، ومستحسن الأخبار، وبليغ الخطب؛

(١) مروج الذهب (٤ : ٤٧).
(٢) يريد ما كان عليه من الاعتزال وعداوة الشيعة. وكان المسعودى شيعيا.

مالو اقتصر عليه مقتصرٌ لاكتفى به ، وكتاب الحيوان ، وكتاب الطفيليين والبخلاء . وسائر كتبه فى نهاية الكمال ، مالم يقصد منها إلى نصب ، ولا (صوابها أو) إلى دفع حقّ » .

وهذا حديث آخر ، تعرف به مكانة كتب الجاحظ ، وما أدركت من شأو وغاية :

قال أبو القاسم السيرافى[1] : « حضرْنا مجلسَ الأستاذ أبى الفضل ابن العَميد ، فجرى ذكرُ الجاحظ ، فغضَّ منه بعضُ الحاضرين، وأزرى به ، وسكت الوزيرُ عنه . فلمَّا خرج الرّجلُ قلت له: سكتَّ أيُّها الأستاذُ عن هذا الرَّجل فى قوله ، مع عادتك فى الردِّ على أمثاله ! فقال : لم أجدْ فى مقابلته أبلغَ من تَركه على جَهله . ولو واقفتُه وبيَّنْتُ له ، لنظر فى كتبه وصار بذلك (إنساناً) ياأبا القاسم . فكتُب الجاحظِ تعلِّم العقلَ أوّلاً ، والأدبَ ثانياً ! ! ولم أستصلحه لذلك » .

والخليفة المأمون العباسى ، كان من قُرَّاءِ الجاحظ ، ومن المقدِّرين لعلمه وفضْله فى كتبه .

قال الجاحظ ــ وهو يسرد طائفة من بلاغات المأمون[2] : « ولما قرأ المأمون كتبى فى الإمامة ، فوجدها على ما أمر به ، وصرتُ إليه ــ وكان قد أمر اليزيدى بالنَّظر فيها ليخبره عنها . قال لى : قد كان بعضُ مَن نرتضى عقله ، ونصدِّق خبره ، خبَّرنا عن هذه الكتب بإحكام الصنعة وكثرة الفائدة فقلت : قد تُربى الصِّفةُ على العِيان ، فلما رأيتها رأيت العِيان قد أربَى على الصِّفة ، فلما فَليتها أربَى الفلى على العيان كما أربى العِيان على الصِّفة ! ! » .

(١) الحديث فى وفيات الأعيان (١ : ٣٨٩) .
(٢) البيان (٣ : ٣٧٤) .

٨ ــ ذيع كتب الجاحظ

وكانت كتب الجاحظ تذيع وتنتشر ، وتطير إلى الآفاق ، فى حياته ، للرَّغبة الملحة فيها ، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير .

وإليك صورةً تُنبيك عن مبلغِ هذا الذَّيع ، وتَقِفُكَ على مقداره :

روى الخطيب البغداديُّ فى كتابه(١) عن يحيى بن علىّ ، أنه قال : حدثنى أبى قال : قلت للجاحظ : إنى قرأت فى فصل من كتابك المسمَّى كتاب البيان والتبيين(٢) : إن ممّا يستحسن من النِّساءِ اللحنَ فى الكلام ، واستشهدتَ ببيتى مالك بن أسماء ــ يعنى قوله(٣) :

وحديث ألذُّه هو ممّا   يَنْعَتُ النَّاعِتونَ يُوزَنُ وَزْنا
منطق صائب وتلحَن أحيا   ناً وخير الحديث ماكانَ لحنا

قال : هو كذاك . قلت : أفما سمعتَ بخبر هندٍ بنت أسماءَ بنِ خارجة مع الحجاج ، حين لحنت فى كلامها ، فعاب ذلك عليها فاحتجّت ببيت أخيها ، فقال لها : إن أخاك أراد أن المرأة فَطِنة ، فهى تلحن بالكلام إلى غير المعنى فى الظَّاهر ، لتستر معناه وتورِّىَ عنه، وتُفهِمه من أرادت بالتَّعريض ، كما قال الله تعالى : ﴿ ولتَعْرِفَنَّهُمْ فى لَحْنِ القَوْلِ ﴾ ولم يُرد الخطأ من الكلام . والخطأ لايُستحسَن من أحد ؟ ! فوجَم الجاحظ ساعة ثم قال : لو سقط إلىَّ هذا الخبرُ لما قلت ما تقدم ! فقلت له : فأصلحه . فقال : الآن وقد سار الكتاب فى الآفاق ! ! هذا لايصلح ! » .

---

(١) تاريخ بغداد (١٢ : ٢١٤) . وانظره كذلك فى معجم الأدباء (٦ : ٦٥) مرجليوث .

(٢) انظر البيان (١ : ١٤٧) .

(٣) فى استملاح اللحن من بعض نسائه .

وصورةً أخرى[1] : قيل لأبى هفّان وقد طال ذكر الجاحظ لأبى هفان — : لم لاتهجو الجاحظ ، وقد ندَّد بك ، وأخذ بمخنَّقِك ؟ ! فقال : أمثلى يُخدَع عن عقله ؟ ! والله لو وَضَع رسالةً فى أَرنبة أنْفى ، لما أمْسَت إلا بالصِّين شهرة !

على مثل ذلك كانت كتبُه تغزو الآفاق ، وتطيرُ فى الدُّنيا ، إلى أن كُتب لها ما كُتب .

٩ — ورّاقو الجاحظ

لم يكن بدٌّ للجاحظ ، وقدمنحه الله فى القراءة والتأليف ، اقتداراً نادراً وصبراً عجيباً ، من أن يستعين بمن يأنس فيه العون ، ليتمكَّن من تحقيق مطمحه ، فكان له ورّاقون[2] ، يكتبون له ويكتبون عنه .

عثرت على اسم أحد هؤلاء الورّاقين فى موضعين : أحدهما أمالى القالى[3] حيث نجد هذا النص : وقرأت على أبى بكر بن دُريد ، لليلى الأخيلية — وقال لى : كان الأصمعىُّ يروِيها لحميد بن ثور الهلالى — قال أبو على : فكذا وجدته بخط ابن زكريا « ورّاق الجاحظ » فى شعر حميد :

يأيها السَّدِم الملوِّى رأســه ليقود من أهل الحجاز بريما »

والموضع الثانى : معجم الأدباء[4] ، حيث ذكر ياقوتُ كتابى « النساء »

---

(١) معجم الأدباء (٦ : ٧١) مرجليوث .

(٢) ما كان أجدربكلمة الوراق أن تستعمل فى معنى « السكرتير » التى حيرت اللغويين .

(٣) أمالى القالى ١ : ٢٤٨ .

(٤) معجم الأدباء (٦ : ٧٥) مرجليوث .

لا تفكر كثير

و « النعل » وقال : « قال ابن النَّديم : ورأيت أنا هذين الكتابين بخطّ زكريّاء بن يحيى ، ويكنى أبا يحيى ، ورّاق الجاحظ » .

وقد عرّف ابن النَّـــديم باسم ذلك الوراق فذكر والده وكنيته ، على حين ذكره القالىُّ غُفلاً ، ممّا يرجّح لدينا أنْ يكون الصواب فى اسم هذا الورّاق ، مانقل ياقوتٌ عن ابن النَّديم .

وللجاحظ وراق آخر ، هو عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة الورّاق . وقد ينسب إلى جدّه . رَوى عن إسحاق بن إسرائيل ويعقوب بن أبى شيبةَ . قال الزبيدى[1] نقلا عن الحافظ : « وكان وراقا للجاحظ ، وعاش إلى رأس الثلاثمائة » .

وفى تاريخ بغداد [2] أنه عبد الوهاب بن عيسى بن عبد الوهاب ابن أبى حيّة . وكنيته أبو القاسم . سمع إسحاق بن أبى إسرائيل ، ومحمد بن معاوية ابن مالج ، ويعقوب بن إبراهيم الدَّورقى ، ومحمد بن شجاع الثَّلجىّ ، ويعقوب بن شيبة السدوسى . روى عنه أبو عمرو بن حيويه ، والدارقطنى ، وابن شاهين ، وأبو حفص الكنانىّ ، وكان صَدوقاً فى روايته ، ويذهب إلى الوقف فى القرآن . أخبرنا الأزهرىّ أخبرنا أبو الحسن الدارقطنى قال : عبد الوهاب بن عيسى بن أبى حيّة ثقة يُرمى بالوقف . أخبرنا السِّمسار أخبرنا الصفّار ، حدثنا ابن قانع ، أن أبا القاسم بن أبى حيَّة مات فى شعبان من سنة تسع عشرة وثلثمائة .

---

(١) تاج العروس ١٠ : ١٠٨ س ٣ — ٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٥٦٩٥ .

تقديم كتاب الحيوان

١ — كتب الحيوان

سبق اليونانيُّون أسلافَنا العَرب ، إلى التَّأليف فى علم الحيوان . قال صاحب كشف الظنون فى حديثه عن علم الحيوان [١] : « وفيه كتبٌ قديمة وإسلامية : منها كتاب الحيوان لديمقراطيس ، ذكر فيه طبائعه ومنافعه . وكتاب الحيوان لأرسططاليس ، تسع عشرة مقالة ، نقله ابن البطريق من اليونانى إلى العربى . وقد يوجد سريانيًّا نقلاً قديماً ، أجود من العربى . ولأرسطو أيضاً كتاب فى نعت الحيوان الغير الناطق ، وما فيه من المنافع والمضارّ » . وذكر بعد ذلك كتاب الحيوان للجاحظ ، ومختصره لأبى القاسم هبة الله بن القاضى الرشيد جعفر [٢] المتوفى سنة ٨٠٦ ، وللموفق البغدادى أيضاً .

ونستطيع أن نقول : إنّ الجاحظَ أوّلُ واضعٍ لكتاب عربىٍّ جامعٍ فى علم الحيوان . وقد كان قبلَه وفى عصره محاولاتٌ شتَّى لطائفةٍ من العلماء ، يتحدَّثون فيها عن الحيوان ، نذكر منها :

كتب الإبل

لأبى حاتم السِّجِستانى (٠٠٠ — ٢٤٨) ، وللأصمعىّ (١٢٢—٢١٦) ، ولأبى عُبيدة (١١٠— ٢٠٩) ، وللنَّضر بن شُميل (١٢٢ — ٢٠٣) ،

---

(١) كشف الظنون ١ : ٤٥٦ .

(٢) وسماه روح الحيوان . ابن خلكان ٢ : ١٨٨ .

ولأبى زيادٍ الكلابىّ[1] ، ولأحمد بن حاتم الباهلىّ (٠٠٠ — ٢٣١) .

كتب الخيل

لابن قُتيبة (٢١٣ — ٢٧٦) ، وابن الأعرابى (١٥٠ — ٢٣١) ، وأبى عُبيدة ، وأبى جعفر محمَّد بن حبيب البغدادىّ (٠٠٠ — ٢٤٥) وأبى محلِّم محمّد بن هشام الشيبانىّ (٠٠٠ — ٢٤٥) ، ولأحمد بن حاتم .

كتب الغنم والشاء

لأبى الحسن الأخفش (٠٠٠ — ٢١٥) ، وللنَّضر بن شميل ، وللأصمعىّ .

كتب الوحوش

للأصمعى ، ولأبى زيد أستاذ الجاحظ (١١٩ — ٢١٥) ، ولأبى حاتم السِّجستانى .

كتب الطير

لأبى حاتم السجستانىّ ، والنَّضر بن شميل ، وأحمد بن حاتم الباهلىّ .

كتب البازى والحمام والحيات والعقارب

لأبى عبيدة .

---

(١) اسمه يزيد بن عبد الله بن الحر ، أعرابى بدوى . قال دعبل : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد فأقام بها أربعين سنة ، وبها مات . وكان شاعرا من بنى كلاب . ابن النديم ٦٧ مصر ، ٤٤ ليبسك .

كتاب الفرس

للأصمعي .

كتابا النحل والحشرات

لأبي حاتم السجستاني . وللأصمعيّ كتاب في النَّحل والعسل[1] .

* * *

وهذه الكتب لم تؤلَّفْ للقصد العلميّ الخالص ، وإنما أريد بها أن تكون باحثةً في اللُّغة أوّلاً ، فهي بمثابة مُعجمات لغويَّة خاصّة بما أُلِّفت له ، فهي لاتبحث في طبع الحيوان وخصائصه بحثاً ، ولا تعنى بدقائقه وغرائزه وأحواله وعاده ، وإنّما تجعل همَّها الأوّلَ والثانيَ هو اللغة ،وقد يكون منها أن تبحث البحثَ العلمي ، ولكن على سبيل الاستطراد ومشايعة القول .

وأسوق إليك نموذجاً من نصوص تلك الكتب ، لتنكشف أمامك صورةُ ماأسلفت .

فهذا أوّلُ كتاب الإبل للأصمعي[2] :

« قال أبوسعيد عبد الملك بن قُرَيبٍ الأصمعيّ : أجودُ وقتٍ يُحمل فيه على النَّاقة أن تَجَمَّ سنةً ويحملَ عليها . فيقال : قد أُضربت الفحلَ ، وأضْرَبَها الفحلُ . فإذا حمل عليها في كلِّ عام فذلك الكِشاف . يقال ناقة كَشُوفٌ ، وقد أَكشَفَ بنو فلان العام فهم مُكشِفون : إذا لقحتْ إبلُهم على هذا الوجه . قال رؤبة :

(١) اعتمدت في استخراج هذه الكتب على وفيات الأعيان ، وبغية الوعاة ، ونزهة الألباء ، وفهرس ابن النديم ، وكشف الظنون ، ومعجم الأدباء .

(٢) ص ٦٦ — ٦٧ من مجموعة الكنز اللغوى المطبوع في بيروت ١٣٢٢ .

وإليك نصًّا آخر من خلاله[1] :

« ومّما يذكر من ألوان الإبل ، يقال بعير أحمر وناقة حمراء، وإذا بُولغ في نعت حُمرته قيل: كأنه عِرْق أرطاة . ويقال أجلَدُ الإبلِ وأصبرُها الُحمْر . فإذا خَلَط الحمرةَ قُنوءٌ فهو كُميت . فإذا خلطَ الحمرةَ صفرةٌ قيل : أحمر مدَمًّى . قال حُميد بن ثَور :

وصار مدمَّاها كُميتاً وشُــبِّهت   قروحُ الـكُلى منها الوِجَار المهدَّما »

وهذا آخر كتاب الإبل للأصمعي[2] :

« أسماء عدد الإبل : الذَّود : ما بين الثّلاثة إلى العشرة . والصِّرمة: القطعة التى ليست بالـكثيرة . والصُّبَّة : فوق ذلك إلى العشرين إلى الثلاثين ، إلى الأربعين .

والعكَرة : إلى الخمسين ، إلى السِّتِّين إلى السَّبعين .

والهجْمة : المائة وما داناها . والُهنيدة : مائة . والعرْج : الإبل إذا كثرت فبلغت مائتين قيل عرج . والبَرْك : إبل القوم جميعاً ، التى تروح عليهم . قال متمِّم :

ولا شارف حبشاء ريعت فرجّعتْ   حنيناً ، فأبكى شجوُها البركَ أجمعا

٢ — كتاب الحيوان للجاحظ

هذه صورة من صور كتب القوم فى الحيوان . أمّا الجاحظ فأمامك

(١) ص ١٢٧ من الـكتاب السابق .

(٢) ص ١٥٧ . وكتاب الوحوش للأصمعى طبع فى فينا سنة ١٨٨٨ ، والخيل له فى فينا ١٨٩٥ ، والشاء له فى بيروت ١٨٩٦ .

كتابُه ، ينطقُ بين يديك بالقصد العلمى التفصيلى للحيوان جميعاً ، ولكلِّ مملكةٍ من ممالكه ، ولكلِّ جنسٍ من أجناسه . وهو فضلٌ للجاحظ على جميع من سبقه أو عاصره ممّن كتب فى الحيوان . وإن أعوزه بعضُ الترتيب والتهذيب فهو شأنُ كلِّ كتابةٍ جديدة ، فى أمرٍ متشعِّبِ الأطراف ، ممدودِ النواحى .

٣ – مرجع الجاحظ فى تأليف الحيوان

والآن نسأل : ماذا كان مرجع الجاحظ فى هذه الموسوعة العظيمة ، وأين أصاب هذا الفيض المتدافع ؟

لقد استفتيت كتاب الحيوان نفْسَه ، بإدمان قراءته ، وتقليب صفحاته فوضح لى أنّ صاحبَه اعتمد فى تأليفه على أمور خمسة رئيسة :

أولها : الينبوع الذى لاينضب من القرآن وحديث الرسول .

والثانى : وعليه كان أكثر اعتماده – : (الشعر العربى) فالشعر العربىُّ وبخاصةٍ البدوىُّ منه ، قد تحدَّث عن الحيوان حديثاً طويلا ، تحدَّث عن الأنيس منه ولم يهمل الوحشىّ ، بل أشرك بين هذا وذاك .

فالعرب تحدَّثوا عن الإبل فى شعرهم وأطالوا الكلام ، تحدَّثوا فى نعتها فلم يذَرُوا دقيقةً من دقائقها ، وتكلَّموا فى حملها ونتاجها ، ورأْمها وحنينها ، وحلْبها وألبانها ، وألوانها ونِجارها ونسبها ، وأصواتها ودُعائها ، ورعيها وشربها وسَيرها وسُراها(١) .

وكان لهم فى الخيل نعتٌ مفصَّل ، وعنايةٌ بمثل مااعتَنوا به فى الإبل .

---

(١) مما أقوم به الآن إعداد كتاب يبحث فى أثر الإبل فى حياة العرب وأدبهم ولغتهم ، أرجو الله العون فى إتمامه .

ووفوا كذلك لكلابهم وشائهم . ولا تكاد تجد قصيدة معدودةً للعرب إلاَّ وللحيوان الأنيس فيها شأن .

أما الوحشيّات — وفلواتُهم مواطنُ غنيّةٌ بها — فلم يُغفلوها ، ونطق شعرهم بالأسد[1] ، والنَّمر ، والذئب[2] ، والثعلب ، والضبّ ، وغيرها .

وذكروا من الطيور النُّسورَ والعِقبان والرَّخَم ، والحِدأ والقطا والحَجَل .

ولو أردتُ أن أستقصىَ سائرَ مانعتوا من الحيوان ، فى شعرهم وحَديثهم وأسمارهم — مااستطعتُ . ولو استطَعْتُ لامتدَّ القول وفاض .

والجاحظ يرى أنَّ العرب — والأعراب منهم خاصة — قد ثَقِفوا معرفة الحيوان ، وبرعوا فى ذلك البراعَةَ ، واستوعبُوا حالَه وعادَه . وهو يقول فى ذلك[3] :

« وقلَّ معنًى سمعنَاه فى باب معرفة الحيوان من الفلاسفة وقرأناه فى كتب الأطباء (والمتكلّمين) إلا ونحن قد وجدناهُ أَو قريباً منه فى أشعار العرب والأعراب » .

وقال فى الكلام على السِّباع المشتّركة الخلْق[4] : « وقد ذكرنا منها ما كان مثل الضَّبع والسِّمع والعسبار ؛ إذ كانت معروفةً عند الأعراب ، مشهورة فى الأخبار ، منوَّها بها فى الأشعار » .

---

(١) أشهر عربى وصف الأسد هو أبو زبيد الطائى . انظر خبره فى الأغانى وطبقات ابن سلام ومعجم الأدباء .

(٢) كانوا يفخرون أحيانا بإشراكهم الذئب فيما يطعمونه . وممن عرف بذلك الفرزدق . وله خبر مع الذئب فى إطعامه لحم شاة له . خمسة دواوين العرب ١٦٠ .

(٣) الحيوان (٣ : ٢٦٨) .

(٤) الحيوان (٦ : ٢٨) .

وهو يُظهر السَّببَ فى جَودةِ معرفةِ الأعرابِ للحيوان ، بقوله[1] :

« وربّما ، بل كثيراً مايُبْتلَوْن بالنّاب والمخلب ، واللّدْغ واللّسع ، والعضّ والأكل . فخرجت بهم الحالُ إلى تعرُّف حالِ الجانى والجارح والقاتل ، وحالِ المجنىّ عليه والمجروح والمقتول ، وكيف الطّلبَ والهرب ، وكيف الدّاءُ والدّواء ؛ لطول الحاجة ، ولطول وقوعِ البصر . مع مايتوارثون من المعرفة بالدّاء والدّواء » .

والكتابُ مفصّل بكثير من الشعر العربى ، موشّع بعيون مانظم العرب والأعراب فى الحيوان من شعر .

وللجاحظ ثقة تامة فى الشِّعر العربى ، فهو يصدِّره فى الردِّ على أرسطو ، ويحتجُّ به عليه. قال بعد أن سرد قول أرسطو فى عقوق العُقاب[2] : « هذا قول صاحب المنطق فى عقوق العقاب وجفائها لأولادها .

فأمّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دريد بن الصِّمّة[3] :

وكلّ لجوج فى العنان كأنها إذا اغتمست فى الماء فتْخاءُ كاسرُ

لها ناهض فى الوكر قد مَهَدَتْ له كما مَهَدَتْ للبَعْلِ حسناءُ عاقرُ »

* * *

والمادة الثالثة من مواد الكتاب ، هى (كتاب الحيوان لأرسطو[4]) .

وقد نقل عنه الجاحظ نصوصاً ليست من الكثرة بمكان ، ولكنها من القيمة والنَّفاسة بمكان عظيم .

وصاحبنا رجلٌ جرىء العقل ، عنيفُ الفكر ، فهو لايقبل هذه النُّصوص

(١) الحيوان (٦ : ٢٩) .
(٢) الحيوان (٧ : ٣٧) .
(٣) فى الأغانى (١٠ : ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٣٨) أنه معقر بن حمار البارقى .
(٤) سبق التعريف بهذا الكتاب ص ١٤ .

بعلاّتها ، بل يطرحها على الممتحَن ، ولا يطأطئ بفكره لها ، وإنما يصعد به عالياً ليرى وجه الحق فيها . وقلَّما ترك واحداً منها إلاّ تكلم فيه ، وعرضَه على الحجّة .

فمن ذلك ماقال[1] : « وقد ذكر صاحبُ المنطق أنّه قد أبصر ثوراً وثب بعد أن خصى ، فنزا على بقرة فأحبلها » ، وعقب ذلك بقوله : « ولم نجد هذا عن معاينة ، والصدور تضيق بالردِّ على أصحاب النظر ، وتضيق بتصديق هذا الشكل » .

ذلك . وقد رأيت فى الكلام الذى أسلفتُ ، ردَّه عليه بالشعر العربى .

وقال أرسطو فى الفيل[2] : « هو أجرد الجلد ؛ فلذلك يشتد جزعه من البرد » ، فقال الجاحظ : « فإن كان أجرد الجلد ، فما قولهم فى أحاديثهم : طلبوا من الملك الفيل الأبيض ، والفيلَ الأبقع ، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود ؟! » .

وقال الجاحظ فى ردّه على أرسطو[3] : « وقد سمعنا ماقال صاحب المنطق من قبل . وما يليق بمثله أن يخلِّد على نفسه فى الكتب شهاداتٍ لا يحققها الامتحان ، ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء » .

وأحياناً يعتذر صاحبنا عن أرسطو ، بأن المترجمين لكتابه لم يحسنوا النّقل ، ولم يتوخوا الدقة والمطابقة . فهو يقول[4] : « ولعل المترجم قد أساء فى الإخبار عنه » ويقول[5] : « فكيف أسكن بعد هذا إلى أخبار البحريين

(١) الحيوان (٥ : ٥٠٢) .
(٢) الحيوان ٧ : ٢٢٨) .
(٣) الحيوان ١ : ١٨٥) .
(٤) الحيوان ٢ : ٥٢) .
(٥) الحيوان (٦ : ١٩) .

وأحاديث السماكين ، وإلى مافى كتاب رجل – يعنى أرسطو – لعلَّه إن وجد هذا المترجم أن يقيمه على المِصْطبة ، ويبرأ إلى الناس من كذبه عليه ، ومن إفساد معانيه ، بسوء ترجمته » .

وله نحوٌ من هذا الكلام فى الردّ على صاحب المنطق فى مواضع أخر من كتابه[1] نكتفى بالإشارة إليها .

* * *

والمادة الرابعة من مواد الكتاب ، هى تلك المحاولة ، وذلك (الكلام الذى ولّده المعتزلة) . وقد دفع بهم ذاك التيَّار العارم ، إلى مواطنَ شتَّى من نواحى الحجاج والجَدَل . وكأنّما خلق اللهُ كلَّ رجل من أهل الاعتزال لساناً دائب التصرُّف والعمل . فهم إن فَرَغوا من الكلام فى الصفات والخالق ، وفى التعديل والتجوير ، وفى الوعد والوعيد ، فزِعوا إلى الكلام فى السّانحة والخاطرة ، وفيما يَظهَر للعَين أنَّه دَقيقٌ مَهين .

والكتاب معرِض طريفٌ لهذه المنازعات الكلاميّة ولا سيَّما الجزأين الأوَّل والثانى منه . فكثيراً مايمرُّ على بصرك : « قال صاحب الكلب » و : « قال صاحب الديك » و : « قال صاحب الحمام » و . .

ويبدو أيضاً ، أنَّه كان فى عصر الجاحظ نزاعٌ كلامى خاصّ ، فى المقايسة بين الكلب والديك ، يتقدَّم الفريقَ الأوَّلَ أبو إسحاق إبراهيم النّظام ، ويتزعَّم الرَّهط الآخر مَعبد[2] .

كما أنَّ بعضَ الناس كانوا ينظرون إلى هذا النَّمَط وإلى هذا الضَّرْب من الجدل يتداوله اثنان من رؤساء المتكلّمين ، بعين الاستغراب والاستنكار .

---

(١) انظر منها الحيوان : ٣ : ٥١٧ ، ٤ : ١٥٦ ، ٥ : ٥٤١ ، ٦ : ١٧ ، ٧ : ١٢٤ .

(٢) انظر الحيوان : ١ : ٣٥٦ . وانظر كذلك ٢ : ١٥٣ .

وقد ردّ عليهم الجاحظ ردًّا مسهباً ، صدَّره بقوله[1] : « فإن قلت : وأى شىء بلغ من قدر الكلب وفضيلة الديك ، حتى يتفرَّغ لذكر محاسنهما ومساويهما ، والموازنة بينهما ، والتَّنْويه بذكرهما ، شيخان من عِليَة المتكلِّمين ومن الجلَّة المتقدمين . . . » ثم هو ينشئ بعد ذلك دِفاعاً صادقاً ، يستغرق نحو عشر صفحات . وفيه يحاول أن يقول : إنَّ البحث فى شأن الحيوان ، ضربٌ من ضروب التعبُّد ، ولونٌ من ألوان البحوث الدينية ، التى تنتهى بصاحبها إلى معرفة عظمة الله ، وعظم ماأبدع وبَرَا .

وقد بلغ الأمر بأحد كبار المعتزلة ، فى عنايته بالحيوان والحديث فيه ، أن صنع قصيدتين ، ذكر فيهما الحيوان وعجائبه ، « وقد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفوائد ، ونبّه بهذا على وجوه كثيرة من الحكمة العجيبة ، والموعظة البليغة[2] » .

ذلك الرجل هو بشر بن المعتمر ، وكان رأساً لفرقةٍ من المعتزلة ، سمِّيت بالبشرية[3] وتوفى سنة ٢١٠هـ .

وقد تصدّى أبو عثمان لشرح القصيدتين فى الجزء السادس من الحيوان ، وتكلَّم فيهما كلاماً طويلا ، استغرق نحو نصف الجزء .

* * *

والمادة الخامسة من موادِّ الكتاب هى تلك الخبرة الشخصية ، وذلك الوَلوعُ الذى كان يدفَع بصاحبنا إلى السؤال ممَّنْ يتوسَّم فيه العلم . وكان الجاحظ

(١) الحيوان ١ : ٩٣ - ١٠٤ ساسى .
(٢) العبارة للجاحظ نفسه فى الحيوان ٦ : ٢٨٤ .
(٣) مفاتيح العلوم ١٩ ومعجم الزركلى ١٤٧ .

بطبعه شعبياً ، مع أنّه كان مقرّباً نافذَ الكلمة عند الوزراء والخلفاء[1] . فهو قد جالس الملاّحين مراراً ، وسمع من أحاديثهم . فمن ذلك مايقول[2] : «وسمعت حديثاً من شيوخ ملاّحي الموصل ، وأنا هائب له ، ورأيت الحديث يدور بينهم . . »

وهو يتحدّث مع صائد العصافير ويقول[3] : « وخبّرني من يصيد العصافير . . » .

وأحياناً يخالط الحوّائين ، ويقف منهم موقفَ المستمِع إلى الشّكوى . وفي ذلك يقول[4] : « وشكا إليّ حوّاءٌ مرةً فقال : أفقرني هذا الأسودُ ومنعَني الكسبَ ؛ وذلك أنّ امرأتي جهِلت فرمَتْ به في جُونةٍ فيها أفاعي ثلاثٌ أو أربع ، فابتلعهنّ كلّهن — وأراني حيّة منكرة ! »

وله نِقاش في شأن الفيل مع عبدٍ يدعى « غانما[5] » . وما حدا به إلى الحديث معه إلا أنه من ذوي الخصام والجدل كما عرفت .

٤ – متى ألف كتاب الحيوان

قيل لأبي العيناء : ليت شعري ، أيّ شيء كان الجاحظ يحسن ؟ فقال : ليت شعري ، أيّ شيء كان الجاحظ لايحسن[6] ؟! .

---

(١) انظر لذلك تاريخ بغداد ١٢ : ٢١٩ : حيث يقول الجاحظ : « حالي أن الوزير يتكلم برأيي ، وينفذ أمري ، ويؤاثر (صوابها : يواتر) الخليفة الصلات إلي » .

(٢) الحيوان ٢ : ١٢٦ .

(٣) الحيوان ٢ : ٣٢٩ .

(٤) الحيوان ٦ : ٤٠١ وانظر ٤ : ٤١٩ .

(٥) الحيوان ٧ : ١٠٩ .

(٦) جمع الجواهر للحصري ١٦٥ .

نعم ، كان الجاحظ أعجوبةَ الدنيا ، تعرف ذلك إذا قرأتَ كتاب الحيوان ولمستَ مايحتاج إليه من جُهد ، وما يتطلبه من وَعيٍ واسع ، وانتباه دقيق ثم عرفتَ بعد ذلك كلّه أن تلك المعلمةَ الخالدةَ ، صنعها صاحبُها وأتمَّ حوكَها ، وهو فى سنٍّ عاليةٍ ، مفلوجٌ يقول فى شِكاية مرضه : « أنا من جانبى الأيسر مفلوج ، فلو قُرض بالمقاريض ماعلمت به ، ومن جانبى الأيمن مُنقْرَس ، فلو مرّ به الذُّبابُ لأَلِمت ! ![1] » .

قال الحُصْرىّ[2] : « ومن إحدى عجائبه ، أنه ألّف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال » ، يعنى السنَّ العالية ، والفالج الشديد .

وما بالنا نذهب بعيداً والجاحظ نفسه يقول[3] : « وقد صادف هذا الكتاب منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغ الإرادة فيه : أوَّل ذلك العلّة الشديدة . . » .

وهنا مشكلةٌ تطلعُ علينا من ثنايا نصوصٍ عدّة ، فقد قالوا إنّ الجاحظ فُلج فى آخر أيامه[4] وقالوا كذلك إنّه ألَّف كتابَه الحيوان باسم محمد ابن عبد الملك الزّيات[5] المتوفى سنة ٢٣٣ ، وأنّه أهداه إليه فأعطاه خمسة آلاف دينار[6] ، فهل نقول إنَّ الجاحظَ ظلَّ مفلوجاً ثنتين وعشرين سنة[7] فى الأقل ؟ ! ذلك ماتنفيه العادة ، ويحيله الكثير من الواقع فيما يرى الناس .

---

(١) ابن خلكان .

(٢) فى جمع الجواهر ١٦٥ .

(٣) الحيوان ٤ : ٢٠٨ .

(٤) الوفيات وتاريخ بغداد وشذرات الذهب ٢ : ١٢٢ .

(٥) معجم الأدباء ٦ : ٧٥ مرجليوث .

(٦) معجم الأدباء ٦ : ٧٦ مرجليوث .

(٧) هى فرق مابين وفاة ابن الزيات سنة ٢٣٣ ووفاة الجاحظ سنة ٢٥٥ فى أصح الروايات .

ولكنّنا نرجع إلى تاريخ علّته من المراجع التى بين أيدينا فنجد أن صاحب « سرح العيون[1] » قد عنى بذكر ذلك ، حيث قال :

« وكانت سبب علّة الجاحظ أنّه حضر مائدةَ ابن أبى دواد ، وفى الطّعام سمكٌ ولبن ، وكان ابن بَخْتِيَشُوعَ الطَّبيبُ حاضراً ، فنهاه عن الجمْع بينهما ، فقال الجاحظ : إنَّ السمكَ إن كان مضادًّا للّبن فإنِّى إذا أكلتهُما دفَعَ كلٌّ منهما ضررَ الآخر . وإن كانا متساويين فكأنِّى أكلتُ شيئاً واحداً ! فقال ابن بختيشوع : أنا لاأحسن الكلام ، ولكن إن شئت أن تُجَرِّب فكُلْ . فأكل فأصابه فالجٌ عظيم » .

فإذا عرفنا أنَّ أحمد بن أبى دوادٍ قد توفّى سنة ٢٤٠[2] وابتُلى بالفالج بعد موت عدوِّه ابن الزيات بسبعة وأربعين يوماً فى سنة ثلاث وثلاثين[3] . إذا عرفنا ذلك أمكننا أن نقول إنَّ مرض الجاحظ كان قبل سنة ٢٣٣ ، سنة وفاة ابن الزيات ، وأنه استمر مريضاً بالفالج أكثر من اثنتين وعشرين سنة ، وأن المعنىّ بقولهم : « آخر أيامه » هو الشطر الأخير من حياته .

وأحبُّ أن أشير هنا إلى أنَّ الجاحظ ابتدأ فى تأليف كتاب الحيوان ، قبل أن يبدأ فى صنوه الآخر فى الذّيع والشهرة : البيان والتبيين . وقد عثرت بنصٍّ قاطعٍ فى البيان[4] يدلّ على ذلك . قال : « كانت العادة فى كتب الحيوان أن أجعل فى كلِّ مصحف من مصاحفها عشر ورقات من

(١) سرح العيون ص ١٣٦ . وانظر مثل هذا النص مضطرباً فى عيون الأنباء ١ : ١٨١ .

(٢) مروج الذهب ٤ : ٩٧ وشذرات الذهب ٢ : ٩٣ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٩٧ .

(٤) البيان ٣ : ٣٠٢ .

مقطّعات الأعراب ونوادر الأشعار ؛ لِما ذكرت من عَجَبِك بذلك . فأحببت أن يكون حظُّ هذا الكتاب فى ذلك أوفر ، إن شاء الله تعالى » .

كما أودُّ أن أشير أيضاً إلى أنَّ الجاحظ كان يسمِّى كلَّ جزء من أجزاء الحيوان مصحفاً . وفى النسخة الشنقيطية من الحيوان نجد مكتوباً فى نهاية كل جزء : « تم المصحف . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . » .

٥ - جهد الجاحظ فى تاليف الحيوان

هو يحدثنا بذلك فيقول[١] : وقد صادف هذا الكتاب منى حالات تمنع من بلوغ الإرادة فيه : أوّل ذلك : العلّة الشّديدة . والثانية : قلّة الأعوان . والثالثة : طول الكتاب . والرابعة : أنّى لو تكلّفت كتاباً فى طوله وعدد ألفاظه ومعانيه ، ثمّ كان من كتب العرض والجوهر ، والطّفرة والتوليد والمداخلة ، والغرائز والنّحاس[٢] لكان أسهلَ وأقصر أيّاما وأسرعَ فراغا ؛ لأنّى كنت لأفزع فيه إلى تلقّط الأشعار وتتبُّع الأمثال واستخراج الآى من القرآن ، والحجج من الرواية ، مع تفرُّق هذه الأمور فى الكتب » .

بهذا شرح صاحبنا جهده فى تأليف الكتاب ، وبيَّن مابذل فى تأليفه وجمعه ، من عنَتٍ ومشقّة .

(١) الحيوان ٤ : ٢٠٨ وانظر ص ٢٠٩ منه أيضاً .

(٢) النحاس هنا بمعنى الطبيعة .

٦ — عدد أجزاء الكتاب

جرى بعضُ الناسخين والطابعين ، على ألاّ يتقيَّدوا فى النَّسخ أو الطَّبع بتقسيم المؤلِّف لكتابه ، وكنت خشيتُ أن يكون وقَعَ هذا التَّصرُّف فى كتابنا هذا ، وأدركنى الرَّيبُ فى ذلك . ولكنِّى وجدتُ من نصوص الكتابِ مايشهد بأنّ تقسيم المطبوعةِ الأولى من الحيوان هو نفسُه تقسيم الجاحظ . ففى الجزء السابع بالصفحة التاسعة ، نجد هذا النصّ . « قد كتبنا من كتاب الحيوان ستَّة أجزاء . وهذا الكتاب السابع هو الذى ذكرنا فيه الفيل بما حضرنا . . . » .

ونجد فى ثنايا الكتاب نصوصاً أخر تشهد بصحة هذا التقسيم[1] .

وإنّ فى مطابقة نهايات أجزاء المطبوعة الأولى ، لنهايات أجزاء المخطوطة الشنقيطية المرموز إليها برمز « س » التى يصرِّح فيها بختام كلِّ جزء بهذه العبارة : « تمّ المصحف . . . من كتاب الحيوان ويليه المصحف . . . » — إن فى ذلك لدليلا آخر على صحة التقسيم التى سنتبعه .

٧ — قيمة كتاب الحيوان

لايعرف فضلَ هذا الكتاب ، إلاَّ من نظر فيه طويلا ، وتناولَ نواحِيَه بالدَّرس والتبيُّن .

وقد يُوهم اسمُه أنّه قد خصِّص بالحيوان وما يمتُّ إليه بسبب . ولكنّ

(١) الحيوان ٤ : ٥ ، ٥ : ٥ ، ٦ : ٥ — ٦ ومما يضم إلى ذلك قول ياقوت فى معجم الأدباء : « كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء » .

الحقَّ أنَّ الكتاب معلمة واسعة ، وصورة ظاهرة لثقافة العصر العبَّاسى ، المتشعِّبة الأطراف .

فقد حوى الكتابُ طائفةً صالحةً من المعارف الطبيعيّة[1] ، والمسائل الفلسفيَّة ، كما تحدَّث فى سياسة الأقوام والأفراد ، وكما تكلَّم فى نزاع أهل الكلام وسائر الطوائف الدينية .

تحدَّث الكتاب فى كثير من المسائل الجغرافية ، وفى خصائص كثيرٍ من البلدان ، وفى تأثير البيئة فى الحيوان والإنسان والشجر ، كما تناول الحديثَ فى الأجناس البشرية وتبايُنها ، وكما عَرَض لبعض قضايا التاريخ .

وفيه كذلك حديثٌ عن الطب والأمراض : أمراضِ الحيوان والإنسان وبيان لكثيرٍ من المفردات الطبِّيَّة ، نباتيّها وحيوانيّها ومعدنيّها .

تحدَّث فيه الجاحظ عن العرب والأعراب ، وأحوالهم وعادِهم ،ومزاعمهم وعلومهم ؛ كما أفاضَ القولَ فى آى الكتاب العربىّ ، وحديث الرسول العربىّ ، وكما فصَّل بعضَ مسائل الفقه والدين .

والكتاب كذلك ديوانٌ جمَعَ الصَّفوةَ المختارةَ من حُرِّ الشعر العربى ونادره . وناهيك باختيار أبى عثمان ! وإن أردت الأمثالَ فهو قد جمع لك منها القدرَ الكبير ، أو أحببت الحديث فى البيان ونقد الكلام و الشِّعر ، وجدتَ ماترتاح إليه نفسُك وتطمئن .

أمَّا فُكاهة الجاحظ فهذه قد نثُرت فى الكتاب نثرا ، وإنَّها لتطالعك بين الفَينة والأخرى ، متمثِّلةً فيما يَروى من نادرةٍ ، أو يحكى من قصَّة ،

(١) ولعل هذا ماحدا بالمغفور له أحمد تيمور باشا ، أن يضع نسخته الخطية فى قسم الطبيعيات من مكتبته .

وأما المجون فلا عليك أن تمر به لتظهر لك ناحية من النواحى التى غلبت على كثير من متأدبى عصر الجاحظ ، التى لم يكن فيها حَرج حينئذٍ ولا خشية .

هذه صفةٌ للكتاب مجملة ، أوجَزْتها إيجازاً ولم أُردْ تفصيلَها ، فذلك إنَّما يكون فى كتاب .

على أنَّ الفهرس الذى ابتدعته وأسميته « فهرس المعارف » سوف يجلِّى للقارئ أشياءَ وأشياءَ غيرَ ماذكرت ، وبه يظهر كثيرٌ ممَّا كمن فى جَنَبات ذلك الكنْز القَيِّم .

تصحيح الكتاب

١ – قراءة الكتاب

كان أوّل عهدى بدراسة هذا الكتاب منذُ أربع سنوات مضين ، وكنت أجدُنى أمضى فى الكتاب وأتابع قراءته ، رغمَ ماكان يحفل به من خطأ وتحريف وتصحيف ، وأنه لم يكن بحال تشجّع قارئه على المتابعة ؛ ممّا كان عليه من سوء نظام واستعجام .

وكنت أثناء قراءتى أكتب تصحيحاتٍ على جوانبه بقدر ما استطاعه جهدى ، كما عنيت بوضع عنوانات وأرقام تربط أجزاءه بعضها ببعض .

والذى يقرأ للجاحظ يرى فيه طبيعة التكرار ، وهو يحرص بذلك على تثبيت مايريد القارئ على وعيه وفهمه ، فالجاحظ معلّمٌ حريص على إفادة تلميذه ؛ ولكنّ تلميذه لايجلسُ بين يديه ، أو يسايرُه ليتلقّى عنه المعرفة ، بل يؤلِّف له أستاذُه الكتابَ جامعاً ، ويدعُه يُفيد ممّا يقرأ ويتفهّم . وللجاحظ كلام فى هذا المعنى بالجزء الأول من الحيوان[١] . ولقد نفعنى هذا التّكرار فى مقارنة النُّصوص وتصحيحها .

---

(١) ص ٨٥ .

٢ ـ البدء فى تحقيقه

وعُدْت لقراءة الحيوان فى الصّيف الماضى ، فطلب إلىّ حضرات ناشرى هذا الكتاب أن أقومَ بإعداده للطَّبع .

فبسطنى لهذا الأمر ما كنت قد أثبت من تصحيحات ، ووجدت أنّ من الضرورى أن أنتفع بالنسخ الخطيّة والمصورة المودعة دارَ الكتب المصرية ، حتى يخرج الكتابُ للنَّاس أقربَ ما يكون إلى السَّلامة .

شرعتُ فى مقارنة النُّصوص بالنُّسخ . فهالنى الأمرُ واستعظمت التَّبِعة التى أُلقيت على عاتِقى ؛ للتَّخالُف الشَّديدِ مابين النسخة والأخرى فى صور الألفاظ ، وفى الزيادة والنقص ، والإعجام والإهمال . وحاولت أن أنكِصَ وأرتدَّ عن الميدان الذى هابه قبلى رجلٌ ورجل .

لولا أن شدَّ من عزمى تشجيع حضرة الأخ الجليل ، فخر أهل الحديث فى مصر غيرَ مدافَع ، « الأستاذ الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر » ، فقد قرّبَ ـ حفظه الله ـ إلىَّ الأمرَ ، واستنهضنى ، وبسط لى من عَونه الأدبىّ ، ماهوّن على ، ماكنت أعدُّه فى المحال .

وإنى لأسجّل له هنا شكرًا صادقا ، واعترافاً بما أسدى وأرشد ، وما أعان وعضد . فجزاه الله خير مايجزَى به عالمٌ فاضل !

٣ ـ مراجع التحقيق

ولجأت بعد مقابلة النسخ إلى الانتفاع بالكتب الأخرى ، فكنت أجد بها تصحيحاتٍ عجيبةً لتحريفات عجيبة وقعت فى الكتاب . ووجدت فى البيان والتبيين تصحيحات كثيرة للشعر والنصوص ، وفى كتب ابن

قتيبة : « عيون الأخبار » و « المعارف » و « تأويل مختلف الحديث » تحقيقاتٍ جمّةً للأخبار والأعلام ، وما قيل فى الحيوان[1] . ولعل السرَّ فى ذلك أن الجاحظ كان قد أجاز ابن قتيبة برواية بعض كتبه[2] ، وأنه كان معاصراً له[3] .

ولست أغمِط سائر الكتب ، التى أفردْتُ لها ثَبَتا ، حقَّها من الاشتراك فى إقالة عثرة هذا الكتاب الجليل .

٤ ـ تنظيم الكتاب

كان لابدَّ لى وأنا أخرج هذا الكتاب أن أعرضه على النّاس فى ثوبِ عصرهم ، وأن أخرُج به من ظلام الماضى إلى نور هذا الزَّمن . فاستقصيتُ جهدى فى أن أرتِّبه ترتيباً حديثاً لا يُخلُّ بوضعه الأوّل ، ولا يعتدى على حقِّ مؤلِّفه . فلم أبتدعْ فيه إلا الضَّبْطَ والتَّرقيم ، بعد عرْض كلماته على المعجمات .

وثانيةً أنِّى فصلت أثناءه بعنوانات تميِّز مسائله ، وتظهرها أعلاماً لطريقه المهيع الممتدّ ، ولم أشأْ أن أجعلَها معوجّة اللهجة مسايرةً لما طرأ على لغة هذا الزَّمن من أساليب الأعاجم ، بل قرّبتَها تقريباً من لغة الجاحظ نفسه ؛ واقتبستها اقتباساً من تضاعيف كلامه ؛ ليكون بذلك التَّساوُقُ والتَّناسب . وقد ميَّزْت هذه العنوانات الإضافيَّة بأقواس خاصة ، وتركت الأصيلة منها مجرّدة من الأقواس . فهذا فصْلُ مابين هذه وتلك .

---

(١) فى عيون الأخبار : ٢ : ٦٢ – ١٠٤ كلام فى الحيوان نجد مثله فى أجزاء متفرقة من كتاب الحيوان ، وسيمر عليك ذلك فى حواشى الكتاب .

(٢) انظر عيون الأخبار ٣ : ١٩٩ ، ٢١٦ ، ٢٤٩ حيث صرح ابن قتيبة بإجازة الجاحظ له .

(٣) ولد ابن قتيبة سنة ٢١٣ ، وتوفى سنة ٢٨٦ .

ولما كان من أسلوب تصحيح هذا الكتاب ، أن يُعارَض بعضه ببعض ، وأن يقارَنَ بين نصوصه المتشابهة — وذلك يقتضى الإشارةَ إلى صفحاتٍ من أجزاء قد تتلو الجزء الذى يطبع ، فقد رأيتُ أن أثبت على جوانب طبعتنا هذه ، أرقامَ صفحات الطبعة الأولى . كما أن لذلك مزيّةً ثانية ، هى تمكين القارئ من الانتفاع بكل الإشارات ، التى يشار بها فى الكتب المختلفة إلى مواضع خاصّة من هذا الكتاب .

٥ — أسقاط الكتاب

وقد وضعتُ أسقاطَ الكتاب بين إشارات الزيادة : [ ] ، ونبّهت فى كل منها على مصدر التكميل ، أما ماورد من هذه الإشارات مهملاً من التنبيه فهو ما كان من أجود نسخة من نسخ الكتاب : وهى مصورة «كوبريلى» المرموز إليها برمز « ل » وقد انفردت هذه النسخة بإثبات سقط كبير وقع فى جميع النسخ (١) .

٦ — النسخ المعتمدة فى هذه المطبوعة

هذه المطبوعة الحديثة من كتاب الحيوان نتاجُ مابين المطبوعة الأولى وعدة نسخ مختلفة ، بعضها مخطوط ، وبعضها مصور .

١ — فأوّل تلك النسخ ، هى المصورة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٤٢٨٥ ، وأصلها فى مكتبة كوبريلى ، وهذه النسخة جيِّدة مقروءة، وعلى صدرها تاريخ يرجع إلى سنة تسع وخمسين وثمانمائة . والموجود منها أربع

(١) انظر لذلك الجزء الأول من الحيوان ٩٧ — ١٠٦ .

مجلدات هى الأول والثالث والخامس والسابع . وقد رمزت إليها فى التحقيق بالرمز « ل » .

٢ — وثانيها النسخة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية برقم ٩ ش وهى نسخة كاملة فى مجلّدين ، مكتوبة بخطوط مختلفة ، وهى فى جودتها تتلو سابقتها . وقد رمزت إليها بالرمز « ش » .

٣ - وثالثها النسخة الخطية التى تحمل رقم ٥٦، فى دار الكتب المصرية ، وتبتدئ بأول الكتاب وتنتهى بالصفحة الثمانين من الجزء الثانى من النسخة المطبوعة ، وكتب فى صدرها : « مشترى من قومسيون حصر الأملاك بالضبطية فى ٢٣ يونية سنة ٨٨٣ » وقد رمزت إليها بالرمز م .

٤ — ورابعها النسخة المخطوطة المحفوظة برقم ١٠ ش بدار الكتب المصرية . خطها محمد جاد القماش الأشمونى سنة ألف وثلثمائة وخمسة . وهى فى بدئها وانتهائها مثل سابقتها وقد رمزت إليها برمز « ١٠ ش » .

٥ — وخامسها النسخة التيمورية ، برقم ٤٥ طبيعيات ، كتب على صدرها :

« مشترى من تركة المرحوم عبد الحميد بك دقيق مصر كان سنة ١٢٨٠ وصار فى ملك سعادتلو أفندى حسن باشا سرى يكن زاده دامت معاليه واستقامت مساعيه ، طالعه كاتبه الفقير على الليثى خادم الإمام ، وفيه مافيه فليتأمل قاريه » وفى نهايتها : « برسم كتبية العبد الحقير موسى بن جرجس ابن أبى نوفل الطرابلسى الكاتب اشتراه من الشاكر الشاعر فى سنة ١١٥٧ هجرية ، ثم انتقل بالشراء الشرعى إلى ملك حضرة الأستاذ الشيخ على الليثى » .

وهذه النسخة مثل سابقها فى البدء والانتهاء . وهذه لم أرمز إليها ، بل صرحت باسمها .

٦ — والسادسة النسخة المطبوعة فى المطبعة الحميدية، ثم مطبعة التقدم من سنة ١٣٢٣ إلى سنة ١٣٢٥ . وقد قام بطبعها الوراق المعروف المرحوم « محمد ساسى » . وهى فى سبعة أجزاء . ولم يمكنى الاهتداء إلى معرفة الأصول التى طبعت عنها . ولكن يظهر مما أثبت فى أسفل صفحاتها من تعليقات أنها طبعت من عدة نسخ خطية ؛ فقد ورد فى أسفل (٢ : ٥) عبارة : « كما فى النسخ التى بأيدينا » وقد رمزت إلى هذه النسخة بالرمز « ط » .

٧ — مخطوطة مكتبة امبروزيانا رقم ١٤٠ R,F, D . وهى تحتوى على ٨٧ ورقة وبها تاريخ تمليك يرجع إلى سنة ١٠٢٤ وقد قام أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم بجامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ بنشر ٢٤ صفحة ، من هذه الصفحات . ووقعت إلى نسخة من ذلك المنشور المصوّر ، وراجعت عليه مايقابله من نصوص .

٧ - تيسير الانتفاع بالكتاب

لقد عنيت جمهرة المستشرقين عناية خاصة بوضع الفهارس لما ينشرون من كتب العرب ، وابتدعوا ذلك ابتداعاً ، فلهم فضل السبق .

ولا ريب أن الفهارس للكتب العربية ، ولا سيّما القديم منها ، هى بمكان الحيا للأرض الطيبة ، به تؤتى نفعها وثمرتها ، وبخاصّةٍ فى هذا العصر ، الذى أصبح الوقت فيه نهباً مقسما بين مطالب المدنية وتعقيدات الحضارة ، فلا يبقى لراغب العلم فيه والثقافة ، إلا اليسير من زمنه ، ليفرغ فيه لما نصب نفسه له . فأصبح بذلك فى حاجةٍ ملحّة إلى مايمكّنه من تحصيل الكثير فى اليسير من الزمن ، وإلى مايذلل له الاضطلاع بالبحث الطويل الدقيق فى الوجيز من الوقت .

لذلك ولما تضمنه هذا الكتاب من غزارة خير ، ووفارة فضل ، أنشأت طائفة من الفهارس لجملة الكتاب هى كما ترى :

١ — فهرس تفصيلي لأجناس الحيوان .

٢ — فهرس لأعلام الحيوان .

٣ — فهرس لأعلام الناس .

٤ — فهرس للقبائل والطوائف ونحوها .

٥ — فهرس للبلدان والأماكن ونحوها .

٦ — فهرس للأمثال .

٧ — فهرس للشعر .

٨ — فهرس للأرجاز .

٩ — فهرس للغة .

١٠ — فهرس للكتب .

١١ — فهرس لأيام العرب .

١٢ — فهرس للمعارف العامة .

وقد أفردت لها مجلدا كبيراً ، يلحق بالكتاب فى نهايته إن شاء الله . وآثرت ذلك ابتعاداً عن التكرار والإعادة .

والفهرس الأخير منها ، وهو فهرس المعارف ، قد قسمته على أجزاء الكتاب ، فجعلت لكل جزء نصيباً منه ، كى يتمكن القارئ من متابعة الانتفاع بالكتاب إلى أن يتم نشره ، ثم أضم أطرافه فأجعل منها ، فهرساً واحداً .

وسيجد القارئ فى نهاية كل جزء ، فهارس خاصة به ، جعلتها على نمط طريف ، مقتبساً ثانيها وثالثها ورابعها ، من عنوانات الكتاب : أصيلها والإضافىّ منها .

* * *

وبعد ، فأقولها صريحةً بيّنة : أنْ ليس يوجد فى عصرنا هذا من يستطيع أن يخرجَ هذا الكتاب الذى أخرجتُه ، مبرّاً من العيب ، سليمًا من التحريف ؛ فهذا عصر قد انقطعت دونه الرواية ، وأوصد أمامه بعض أبواب العلم ، واختفى عن النّاس فيه كثيرٌ من أعلام الثقافة العربية فى عصرها الأوّل .

أقول : ليس يُوجَد الفرد ، وأقول : ليست توجد الجماعة . ولست هنا بسبيل التّمثيل بفرد أو جماعة ، فذلك يعرفه من نظر فيما يُحيى الناشرون من أثر الأسلاف .

وأمَّا أنا فلستُ بمكان من يدَّعى العصمة ، أو يَخال السلامة ، فليس يكون ذلك إلاّ لمن ذهب عن نفسه ، وتعلق بالباطل .

ولـكنّنى يعجبنى أنِّى بذلتُ فيه غاية الجهد ، وأنى الّتزمتُ جانبَ الأمانة ، فلم أُسقط حرفاً ولم أزِدْ حرفاً ، إلا استأذنت القارئ ، ولا أبدلت حرفاً بآخر إلا نبَّهت القارئ إلى ماصنعت .

وجعلت من دأبى فى الشرح والتحقيق أن أشير إلى المصادر دالاًّ على مواضع النصوص منها ، بذكر أرقامها ؛ ليطمئنّ القارئ ، وليكون شريكاً فى النَّظر والتأمُّل .

وعسى أن أكون قد أصبت فى عملى هذا بعض التوفيق ، وظهرتُ على كثير من الحقّ .

ومن الله أستمدّ العون فى هــذا العمل ، الذى أستهِمُ به فى بعث الآثار الفكرية ، الخالدة على الدهر ، وفى خدمة هـــذه اللغة الكريمة القوية .

وأدعو اللهَ جاهداً ، أن أكون أبداً فى طريق الإخلاص ، وعلى نهج الحقّ والإنصاف .

عبد السلام محمد هارون

منشية البكرى
فى يوم الاثنين ١٠ من رجب سنة ١٣٥٧

تقديم الطبعة الثانية

لم أكن أتوقع عند ظهور الطبعة الأولى أن عملى هذا سيلقى تقديرا ، فقد كنت أهونَ على نفسى فى مقام العلم وجلاله ، أن يسوقنى هذا العمل إلى أن أغترّ أو أُخدَع عن قدرى كما يغترّ بعض الناس أو يُخدع . ومن نعمة الله علىّ — وله الفضل — أننى وقد علتْ بى السنُّ لاأزال ، كما كنت فى صدر الشَّباب ، أسخر ممن يضعون أنفسهم فوق أقدارهم ، ولا أزال أشعر فى صدقٍ بما يشعر به طالب العلم من حاجةٍ إلى الاستزادة ، ومن الرجوع إلى الحق حينما يلمع نوره ، ومن الاعتراف بالفضل لمن أفاد علماً أو علَّم حرفاً .

وقد دأبت منذ ظهور الجزء الأول من الطبعة الأولى — وذلك نحو من سبعة وعشرين عاما — أن أراجع بين الفينة والأخرى نصوص الكتاب وما يظهر من أجزائه ، وأعنى بتنقيحه وإصلاح مايبدو فيه من هنات .

وأتاحت لى فرصة إخراجى وتحقيقى لكثير من كتب التراثِ العربىّ أن تظهر فى أثناء ذلك تصحيحات وتعليقات كنت أدوّنها على جوانب نسختى ، انتظارا لليوم الذى أتمكن فيه من إعادة طبع هذه المعلمة الضخمة .

وكنت قد اعتمدت فى إخراج النشرة الأولى على ست مخطوطات بيّنت خمساً منها فى تقديم النشرة الأولى [1] ، أما السادسة فهى النسخة المحفوظة بدار الكتب

(١) ص ٣٤ — ٣٦ .

الأزهرية تحت رقم (٤٨٤ أباظة) . وقد كنت عارضت بها ابتداء من الجزء الرابع ورمزت لها بالرمز (هـ) كما أشرت إلى ذلك فى ملحقات الجزء الرابع من النشرة الأولى بالصفحة ٥٢٢ . وهى نسخة حديثة فى ثلاث مجلدات بقلم النسخ بخط محمد بن عبدالله الزمرانى سنة ١٣١١ . وقد انتفعت بما فيها من تصحيحات توافق كثيراً مما أجده فى نسخة الشنقيطى مع خلاف يسير جدا . وذلك ابتداء من الجزء الرابع إلى نهاية الكتاب . وكنت أتمنى أن أتمكن من إتمام معارضة هذه النسخة ابتداء من الجزء الأول إلى الثالث، ولكن لم أجد ذلك فى الإمكان لصعوبة تصوير المخطوطات فى هـذه الفترة من إخراج الطبعة الثانية ، ولأنى لا أومن بأن يكل المحقق إلى غيره معارضة المخطوطات ، وكنت فيما قبلُ أنتقل بنفسى إلى مواضع المخطوطات لمعارضتها .

ومنذ ثمانى سنوات عثرت على نسخة سابعة ، هى ٢٤ صفحة مصورة عن مخطوطة من الحيوان محفوظة فى مكتبة الأمبروزيانا ، بميلانو فى إيطاليا برقم R.F:D ١٤٠ وقام بنشر هذه الصفحات مصورة كل من الأستاذين أوسكار لوفجرين وكارل جون لابوم فى نشريات جامعة أبسالا سنة ١٩٤٦ فعارضت بتلك الصفحات المصورة مايقابلها من الجزأين الأول والثانى من هذا الحيوان وكانت معارضة غير كاملة لأنى كنت أتوقع أن أتمكن من العثور على صورة المخطوطة كاملة فيما بعد . وقد ظهرت آثار تلك المعارضة فى بعض صفحات هذه النشرة من الجزء الأول[١] .

ولم أعلم بأن معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية قد اجتلب صورة تلك المخطوطة كاملة إلا بعد الفراغ من طبع هذا الجزء ، فرجعت إلى تلك

---

(١) انظر ص ١٣٢، ١٣٥، ١٤٢، ١٤٩، ١٨٧

المصورة التى وجدت أنها تشمل ٨٨ لوحا وهى مختلّة الترتيب اختلالا بيّناً ، وحاولت أن أعيدها سيرتها الأولى ، وبعد لأى شديد واستعانة عريضة بالفهارس الفنية التى وضعتها لكتاب الحيوان استطعت ترتيبها والاستفادة منها استفادة كاملة فى المعارضة . وقد أذن لى معهد المخطوطات فى إجراء ذلك الترتيب العلمى فأصلحت وضع النسخة بعد أن بينت على كل جزء من أجزاء الألواح ما كان عليه قبل الترتيب وما صار إليه بعد الترتيب .

والمصورة كما ذكرت فى ٨٨ لوحا تمثل ٨٧ ورقة من أصلها المخطوط اختلطت فيها أوراق من الجزء الأول بأوراق من الجزء الثانى، وتاريخ تمليكها سنة ١٢٠٤ وتجليدها سنة ١٠٢٥ وقد كتبت بخط قديم يرجع إلى القرن السابع الهجرى ، وهى دقيقة الضبط وإن كان بها بعض التحريف والنقص، وبالصفحة ١٧ سطرا ماعــدا الصفحات التى تظهر فيها بعض صور الإنسان والحيوان والنبات الذى يرد له ذكر فى الكتاب ، ومنها صور بعض علاقات الجنس . وتبدو فى تلك الصور جميعا سمة الفن الفارسى .

وقد أجريت معارضة لهذه النسخة فيما يخص هذا الجزء الأول وأثبتها مع دراسة وتحقيق فى أواخر هذا الجزء الأول .

أما معارضة ماعثرت عليه من نصوص الجزء الثانى فقد احتل مكانه الطبيعى بين نصوص وحواشى ذلك الجزء وقد رمزت لها بالرمز « مب » .

وإليك بيانين :

أحدهما للوضع الذى كانت عليه النسخة المصورة قبل ترتيبها، وهو الترتيب القائم الآن بمخطوطة الأمبروزيانا فى مكتبتها .

والآخر للوضع الصحيح الذى مكننى البحث من أن أظهره فأردَّ به النسخة إلى نصابها .

١ — الترتيب الذى عليه مخطوطة الأمبروزيانا

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
	١ ـ قطعة من الجزء الأول
١ ب	٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١
٢ ا	٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥
٢ ب	٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢
٣ ا	٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٣
٣ ب	٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦
٤ ا	٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١
٤ ب	٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦
٥ ا	٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١
٥ ب	٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠
٦ ا	٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧
٦ ب	٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣
٧ ا	٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٢
٧ ب	١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠
٨ ا	١٩٣ : ١٠ — ٢٩٤ : ١٢
٨ ب	١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤
٩ ا	١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩
٩ ب	١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣
١٠ ا	١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦
١٠ ب	١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣
١١ ا	١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧
١١ ب	٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩
١٢ ا	٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١
١٢ ب	٢٠٣ . ١ — ٢٠٤ : ٤
١٣ ا	٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨
١٣ ب	٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣
١٤ ا	٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣
١٤ ب	٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧
١٥ ا	٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠
١٥ ب	١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧
١٦ ا	١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢
١٦ ب	١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤
١٧ ا	١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢
١٧ ب	١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١
١٨ ا	١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢
١٨ ب	١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥
١٩ ا	١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢
١٩ ب	١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧
٢٠ ا	١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١
٢٠ ب	١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧
٢١ ا	١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢
٢١ ب	١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦
٢٢ ا	١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣
٢٢ ب	١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات	رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٢٣ ا	١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢	٣٥ ب	١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨
٢٣ ب	١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢	٣٦ ا	١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣
٢٤ ا	١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦	٣٦ ب	١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤
٢٤ ب	١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦	٣٧ ا	١٢٢ : ٤ — ١٢٣ : ١٠
٢٥ ا	١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩	٣٧ ب	١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨
٢٥ ب	١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨	٣٨ ا	١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠
٢٦ ا	١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥	٣٨ ب	١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢
٢٦ ب	١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤	٣٩ ا	١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨
٢٧ ا	١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤	٣٩ ب	١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣
٢٧ ب	١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١	٤٠ ا	١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤
٢٨ ا	١٤٥ : ١٢ — ١٤٧ : ٢	٤٠ ب	١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ٣
٢٨ ب	١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧	٤١ ا	١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢
٢٩ ا	١٤٨ : ٨ — ١٤٩ : ٤	٤١ ب	١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣
٢٩ ب	١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢	٤٢ ا	١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤
٣٠ ا	١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢	٤٢ ب	١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩
٣٠ ب	١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٧	٤٣ ا	١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤
٣١ ا	١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١	٤٣ ب	١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩
٣١ ب	١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦	٤٤ ا	١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٧
٣٢ ا	١٥٥ : ٧ — ١٥٧ : ٢	٤٤ ب	١٤١ : ٣ — ١٤٢ : ٧
٣٢ ب	١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ٨	٤٥ ا	١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣
٣٣ ا	١٥٨ : ٨ — ١٥٩ : ١٦	٤٥ ب	٧٦ : ١٤ — ٧٧ : ١٩
٣٣ ب	١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤	٤٦ ا	٧٧ : ١٩ — ٧٩ : ٣
٣٤ ا	١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩	٤٦ ب	٨٢ : ١٠ — ٨٤ : ٦
٣٤ ب	١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦	٤٧ ا	٨٤ : ٨ — ٨٥ : ١١
٣٥ ا	١٠٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٦	٤٧ ب	٨٥ : ١٢ — ٨٧ : ٣

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٤٨ ا	٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧
٤٨ ب	٩٢ : ٦ — ٩٣ : ١٠
٤٩ ا	٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١
٤٩ ب	٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢
٥٠ ا	٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧
٥٠ ب	٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢
٥١ ا	١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤

٢ — قطعة من الجزء الثانى

٥١ ب	١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١
٥٢ ا	١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١
٥٢ ب	١١٤ : ١١ — ١١٥ : ١٦
٥٣ ا	١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨
٥٣ ب	١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣
٥٤ ا	١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣
٥٤ ب	١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠
٥٥ ا	١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢
٥٥ ب	١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠
٥٦ ا	١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١
٥٦ ب	١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨
٥٧ ا	١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤
٥٧ ب	١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨
٥٨ ا	١٣٤ : ٨ — ١٣٦ : ١
٥٨ ب	١٣٦ : ١ — ١٣٧ : ٦
٥٩ ا	١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢
٥٩ ب	١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١

رقم اللوح	ما يقابله من الصفحات
٦٠ ا	١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ٧
٦٠ ب	١٤٢ : ٧ — ١٤٤ : ٥
٦١ ا	١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠
٦١ ب	٣٥ : ٢ — ٣٧ : ٤
٦٢ ا	٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠
٦٢ ب	٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣
٦٣ ا	٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤
٦٣ ب	٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢
٦٤ ا	٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢
٦٤ ب	٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧
٦٥ ا	٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠
٦٥ ب	٥٩ : ١ — ٦٢ : ١
٦٦ ا	٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤
٦٦ ب	٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤
٦٧ ا	٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠

٣ — قطعة من الجزء الأول

٦٧ ب	٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤
٦٨ ا	٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦
٦٨ ب	٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠
٦٩ ا	٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥
٦٩ ب	٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠
٧٠ ا	٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣
٧٠ ب	٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥
٧١ ا	٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤
٧١ ب	٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢

رقم اللوح	مايقابله من الصفحات	رقم اللوح	مايقابله من الصفحات
٧٢ ا	٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥	٨٠ ب	٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧
٧٢ ب	٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠	٨١ ا	٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥
٧٣ ا	٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩	٨١ ب	٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦
٧٣ ب	٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣	٨٢ ا	٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨
٧٤ ا	٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢	٨٢ ب	٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣
٧٤ ب	٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣	٨٣ ا	٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١
٧٥ ا	٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥	٨٣ ب	٤٠ : ١ — ٤١ : ٥
٧٥ ب	٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣	٨٤ ا	٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨
٧٦ ا	٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧	٨٤ ب	٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢
٧٦ ب	٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤	٨٥ ا	٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤
٧٧ ا	٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤	٨٥ ب	٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١٨
٧٧ ب	٢٣ : ١٤ — ٢٥ : ٣	٨٦ ا	٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥
٧٨ ا	٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣	٨٦ ب	٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠
٧٨ ب	٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨	٨٧ ا	٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣
٧٩ ا	٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١	٨٧ ب	٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨
٧٩ ب	٣٠ : ١ — ٣١ : ٧	٨٨ ا	٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣
٨٠ ا	٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤		

٢ — الترتيب الصحيح لنسخة الأمبروزيانا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
الجزء الأول	
٢٠ : ١٤ — ٢٢ : ٨	٨٧ ب
٢٢ : ٩ — ٢٣ : ١٣	٨٨ ا
٢٣ ١٤ — ٢٥ : ٣	٧٧ ب
٢٥ : ٣ — ٢٦ : ١٣	٧٨ ا
٢٦ : ١٣ — ٢٨ : ٨	٧٨ ب
٢٨ : ٨ — ٣٠ : ١	٧٩ ا
٣٠ : ١ — ٣١ : ٧	٧٩ ب
٣١ : ٧ — ٣٢ : ١٥	٨١ ا
٣٣ : ١ — ٣٤ : ٦	٨١ ب
٣٤ : ٦ — ٣٤ : ١٤	٨٠ ا
٣٥ : ١ — ٣٦ : ٧	٨٠ ب
٣٦ : ٧ — ٣٧ : ٨	٨٢ ا
٣٧ : ١٠ — ٣٨ : ١٣	٨٢ ب
٣٨ : ١٣ — ٤٠ : ١	٨٣ ا
٤٠ : ١ — ٤١ : ٥(١)	٨٣ ب
٤٠ : ١٥ — ٤٢ : ٨	٨٤ ا
٤٢ : ٨ — ٤٣ : ١٢	٨٤ ب
٤٣ : ١٢ — ٤٤ : ١٤	٨٥ ا

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٤٤ : ١٤ — ٤٥ : ١٨	٨٥ ب
٤٥ : ١٩ — ٤٧ : ٥	٨٦ ا
٤٧ : ٥ — ٤٨ : ١٠	٨٦ ب
٤٨ : ١٠ — ٤٩ : ١٣	٨٧ ا
٤٩ : ١٤ — ٥١ : ٤	٦٧ ب
٥١ : ٤ — ٥٢ : ٦	٦٨ ا
٥٢ : ٦ — ٥٣ : ١٠	٦٨ ب
٥٣ : ١١ — ٥٥ : ٥	٦٩ ا
٥٥ : ٥ — ٥٦ : ١٠	٦٩ ب
٥٦ : ١١ — ٥٧ : ١٣	٧٠ ا
٥٧ : ١٣ — ٥٩ : ٥	٧٠ ب
٥٩ : ٦ — ٦٠ : ١٤	٧١ ا
٦٠ : ١٥ — ٦٢ : ٢	٧١ ب
٦٢ : ٢ — ٦٣ : ٥	٧٢ ا
٦٣ : ٥ — ٦٤ : ١٠	٧٢ ب
٦٤ : ١٠ — ٦٥ : ٩	٧٣ ا
٦٥ : ١٠ — ٦٦ : ١٣	٧٣ ب
٦٧ : ١ — ٦٨ : ٢	٧٤ ا
٦٨ : ٣ — ٧٠ : ٣	٧٤ ب

(١) هذا نتيجة لاضطراب نصوص النسختين .

صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٧٠ : ٣ — ٧١ : ٥	٧٥ ا	١٣١ : ٤ — ١٣٢ : ٣	٤٠ ب
٧١ : ٥ — ٧٢ : ١٣	٧٥ ب	١٣٢ : ٣ — ١٣٣ : ٢	٤١ ا
٧٢ : ١٣ — ٧٤ : ٧	٧٦ ا	١٣٥ : ٢ — ١٣٥ : ١٣	٤١ ب
٧٤ : ٨ — ٧٥ : ١٤	٧٦ ب	١٣٥ : ١٤ — ١٣٦ : ١٤	٤٢ ا
٧٥ : ١٤ — ٧٦ : ١٤	٧٧ ا	١٣٦ : ١٥ — ١٣٧ : ١٩	٤٣ ب
٧٦ : ١٤ — ٧٧ : ١٩	٤٥ ب	١٣٧ : ١٩ — ١٣٨ : ١٧	٤٤ ا
٧٧ : ١٩ — ٧٩ : ٣	٤٦ ا	١٣٩ : ١ — ١٣٩ : ٩	٤٢ ب
٨٢ : ١٠ — ٨٤ : ٦	٤٦ ب	١٣٩ : ١٠ — ١٤١ : ٤	٤٣ ا
٨٤ : ٨ — ٨٥ : ١١	٤٧ ا	١٤١ : ٤ — ١٤٢ : ٧	٤٤ ب
٨٥ : ١٢ — ٨٧ : ٣	٤٧ ب	١٤٢ : ٧ — ١٤٢ : ١٣	٤٥ ا
٨٧ : ٣ — ٨٨ : ٧	٤٨ ا	١٤٢ : ١٤ — ١٤٣ : ٤	٢٦ ب
٩٢ : ٦ — ٩٣ : ١٠	٤٨ ب	١٤٣ : ٤ — ١٤٤ : ٤	٢٧ ا
٩٣ : ١٠ — ٩٤ : ١١	٤٩ ا	١٤٤ : ٤ — ١٤٥ : ١١	٢٧ ب
٩٤ : ١٢ — ٩٥ : ١٢	٤٩ ب	١٤٥ : ١٢ — ١٤٧ : ٢	٢٨ ا
٩٥ : ١٣ — ٩٧ : ٧	٥٠ ا	١٤٧ : ٢ — ١٤٨ : ٧	٢٨ ب
٩٩ : ٣ — ١٠٠ : ٢	٥٠ ب	١٤٨ : ٧ — ١٤٩ : ٤	٢٩ ا
١٠٠ : ٢ — ١٠١ : ٤	٥١ ا	١٤٩ : ٤ — ١٤٩ : ١٢	٢٩ ب
١٢١ : ٧ — ١٢٢ : ٤	٣٦ ب	١٤٩ : ١٢ — ١٥١ : ٢	٣٠ ا
١٢٢ : ٤ — ١٢٣ : ١٠	٣٧ ا	١٥١ : ٢ — ١٥٢ : ٧	٣٠ ب
١٢٣ : ١٠ — ١٢٥ : ٢	٣٨ ب	١٥٢ : ٩ — ١٥٤ : ١	٣١ ا
١٢٥ : ٢ — ١٢٦ : ٨	٣٩ ا	١٥٤ : ١ — ١٥٥ : ٦	٣١ ب
١٢٦ : ٨ — ١٢٧ : ٨	٣٧ ب	١٥٥ : ٧ — ١٥٧ : ٢	٣٢ ا
١٢٧ : ٨ — ١٢٨ : ١٠	٣٨ ا	١٥٧ : ٢ — ١٥٨ : ٧	٣٢ ب
١٢٨ : ١٠ — ١٢٩ : ١٣	٣٩ ب	١٥٨ : ٧ — ١٥٩ : ١٦	٣٣ ا
١٢٩ : ١٣ — ١٣١ : ٤	٤٠ ا	١٥٩ : ١٦ — ١٦١ : ٤	٣٣ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح	صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١٦١ : ٤ — ١٦٢ : ٩	٣٤ ا	١٨٩ : ١٦ — ١٩١ : ٧	١٥ ب
١٦٢ : ٩ — ١٦٣ : ١٦	٣٤ ب	١٩١ : ٧ — ١٩٢ : ١٢	١٦ ا
١٦٣ : ١٦ — ١٦٤ : ١٧	٣٥ ا	١٩٢ : ١٢ — ١٩٣ : ١٠	٧ ب
١٦٤ : ١٧ — ١٦٥ : ١٨	٣٥ ب	١٩٣ : ١٠ — ١٩٤ : ١٢	٨ ا
١٦٥ : ١٨ — ١٦٧ : ٣	٣٦ ا	١٩٤ : ١٢ — ١٩٥ : ٤	٨ ب
١٦٧ : ٣ — ١٦٨ : ٤	١٦ ب	١٩٥ : ٤ — ١٩٦ : ٩	٩ ا
١٦٨ : ٤ — ١٦٩ : ٢	١٧ ا	١٩٦ : ٩ — ١٩٧ : ٣	٩ ب
١٦٩ : ٥ — ١٧٠ : ١١	١٧ ب	١٩٧ : ٣ — ١٩٨ : ٦	١٠ ا
١٧٠ : ١١ — ١٧٢ : ٢	١٨ ا	١٩٨ : ٧ — ١٩٩ : ٣	١٠ ب
١٧٢ : ٤ — ١٧٢ : ١٥	١٨ ب	١٩٩ : ٤ — ٢٠٠ : ٧	١١ ا
١٧٢ : ١٥ — ١٧٤ : ٢	١٩ ا	٢٠٠ : ٧ — ٢٠١ : ٩	١١ ب
١٧٤ : ٢ — ١٧٥ : ٧	١٩ ب	٢٠١ : ٩ — ٢٠٣ : ١	١٢ ا
١٧٥ : ٨ — ١٧٦ : ١	٢٠ ا	٢٠٣ : ١ — ٢٠٤ : ٤	١٢ ب
١٧٦ : ٢ — ١٧٧ : ٧	٢٠ ب	٢٠٤ : ٤ — ٢٠٥ : ٨	١٣ ا
١٧٧ : ٧ — ١٧٧ : ١٢	٢١ ا	٢٠٥ : ٨ — ٢٠٦ : ١٣	١٣ ب
١٧٧ : ١٣ — ١٧٩ : ٦	٢١ ب	٢٠٦ : ١٣ — ٢٠٨ : ٣	١٤ ا
١٧٩ : ٦ — ١٨٠ : ١٣	٢٢ ا	٢٠٨ : ٣ — ٢٠٩ : ٧	١٤ ب
١٨٠ : ١٣ — ١٨٢ : ٦	٢٢ ب	٢٠٩ : ٧ — ٢١٠ : ١٠	١٥ ا
١٨٢ : ٧ — ١٨٣ : ٢	٢٣ ا	٢٢٢ : ٢ — ٢٢٣ : ١	١ ب
١٨٣ : ٣ — ١٨٤ : ٢	٢٣ ب	٢٢٣ : ١ — ٢٢٤ : ٥	٢ ا
١٨٤ : ٢ — ١٨٤ : ١٦	٢٤ ا	٢٢٤ : ٦ — ٢٢٥ : ١٢	٢ ب
١٨٤ : ١٦ — ١٨٦ : ٦	٢٤ ب	٢٢٥ : ١٢ — ٢٢٧ : ٢	٣ ا
١٨٦ : ٧ — ١٨٧ : ٩	٢٥ ا	٢٢٧ : ٣ — ٢٢٨ : ٦	٣ ب
١٨٧ : ١٠ — ١٨٨ : ٨	٢٥ ب	٢٢٨ : ٦ — ٢٢٩ : ١١	٤ ا
١٨٨ : ٨ — ١٨٩ : ١٥	٢٦ ا	٢٢٩ : ١١ — ٢٣٠ : ٦	٤ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
٢٣٠ : ٧ — ٢٣١ : ١١	٥ ا
٢٣١ : ١١ — ٢٣٢ : ١٠	٥ ب
٢٣٢ : ١٠ — ٢٣٣ : ١٧	٦ ا
٢٣٣ : ١٧ — ٢٣٥ : ٣	٦ ب
٢٣٥ : ٣ — ٢٣٦ : ٣	٧ ا
الجزء الثانى	
٣٥ : ٢ — ٤٧ : ٤	٦١ ب
٣٧ : ٤ — ٣٩ : ١٠	٦٢ ا
٣٩ : ١١ — ٤٢ : ٣	٦٢ ب
٤٣ : ٢ — ٤٦ : ٤	٦٣ ا
٤٩ : ١٣ — ٥٠ : ١٢	٦٣ ب
٥٠ : ١٢ — ٥١ : ٢	٦٤ ا
٥٢ : ١٦ — ٥٣ : ٧	٦٤ ب
٥٣ : ٧ — ٥٥ : ١٠	٦٥ ا
٥٩ : ١ — ٦٢ : ١	٦٥ ب
٦٢ : ٢ — ٦٦ : ٤	٦٦ ا
٦٦ : ٥ — ٦٩ : ٤	٦٦ ب
٦٩ : ٤ — ٧١ : ١٠	٦٧ ا
١١١ : ٩ — ١١٢ : ١١	٥١ ب

صفحات المطبوعة	رقم اللوح
١١٣ : ٢ — ١١٤ : ١١	٥٢ ا
١١٤ ، ١١ — ١١٥ : ١٦	٥٢ ب
١١٥ : ١٦ — ١١٧ : ٨	٥٣ ا
١١٧ : ٨ — ١١٩ : ٣	٥٣ ب
١١٩ : ٣ — ١٢٠ : ١٣	٥٤ ا
١٢٠ : ١٣ — ١٢٢ : ١٠	٥٤ ب
١٢٢ : ١٠ — ١٢٤ : ١٢	٥٥ ا
١٢٤ : ١٢ — ١٢٦ : ١٠	٥٥ ب
١٢٦ : ١٢ — ١٢٩ : ١	٥٦ ا
١٢٩ : ١ — ١٣٠ : ٨	٥٦ ب
١٣٠ : ٨ — ١٣٢ : ٤	٥٧ ا
١٣٢ : ٤ — ١٣٤ : ٨	٥٧ ب
١٨٤ : ٨ — ١٣٦ : ١	٥٨ ا
١٣٦ : ١ — ١٣٧ ـ ٦	٥٨ ب
١٣٧ : ٧ — ١٣٨ : ١٢	٥٩ ا
١٣٨ : ١٢ — ١٤٠ : ١١	٥٩ ب
١٤٠ : ١١ — ١٤٢ : ٧	٦٠ ا
١٤٢ : ٧ — ١٤٤ : ٥	٦٠ ب
١٤٤ : ٥ — ١٤٥ : ١٠	٦١ ا

وقد عنيت فى هذه النشرة بإضافة تحقيقات وتعليقات وتخريجات لم تكن من قبل ، كما أبدلت أرقام الإشارة إلى صفحات الحيوان بأرقام نشرتى الأولى التى حرصت فى هذه النشرة الثانية أن أحتفظ بنظامها وعددها كى لا تختل الفهارس ، بعد أن كنت أشير فى الحواشى إلى أرقام صفحات مطبوعة الساسى .

وكذلك أبدلت أرقام البيان والتبيين بأرقام نشرتي الثانية له ، وصنعت مثل ذلك في بعض الكتب التي تعددت طبعاتها لأعيدها إلى أرقام موحدة . وحذفت الفهارس التي كنت ألحقها بكل جزء لأنني استنفدتها فيما بعد في صنع الفهارس الفنية العامة ولم أستبقِ إلا فهرس الأبواب لكل جزء .

وأما بعد فإني أحمد الله أن أمكنني من تحقيق أمنية طال عليها العهد ، وأحمده كذلك لما أعان ووفّق ، فإنه بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير .

مصر الجديدة في { ٢٠ من ربيع الثاني سنة ١٣٨٥
١٧ من أغسطس سنة ١٩٦٥ }

عبد السلام محمد هارون

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الأول

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٤ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه ثقتى

جَنَّبَكَ اللهُ الشُّبْهة ، وعَصَمك من الحَيرة ، وجَعَل بينك وبين المعرفة ٢
نسباً ، وبين الصدق سَبَباً ، وحبَّب إليك التثبُّت ، وزيَّن فى عينك الإنصاف ، وأذاقك حلاوةَ التقوى ، وأشعرَ قلبك عِزَّ الحقّ ، وأودَعَ صدرَك بَرْدَ اليقين[1] وطرد عنك ذلَّ اليأس ، وعرَّفك مافى الباطل من الذلَّة ، وما فى الجهل من القِلَّة .

ولعمرى لقد كان غيرُ هذا الدعاء أصوبَ فى أمرك ، وأدلَّ عَلَى مقدارِ وزنك ، وعلى الحال التى وضعْتَ نفسك فيها ، ووَسمت عرضَك بها ، ورضيتها لدينِك حظًّا[2] ، ولمروءتك شِكْلا ؛ [فقد انتهى إلىَّ مَيلُكَ على أبى إسحاق ، وحَمْلُك عليه ، وطعنُك على مَعْبَدٍ ، وتنقّصك له فى الذى كان جَرَى بينَهما فى مساوى الديكِ ومحاسِنِه ، وفى ذكرِ منافع الكلب ومضارِّه ، والذى خرجَا إليه من استقصاءِ ذلك وجمْعِه ، ومن تتبُّعِه ونظمِه ، ومن الموازَنَة بينَهما ، والحُكْمِ فيهما . ثم عبتَنى بكتاب حيل اللصوص ، وكتاب غِشّ الصناعات ، وعبتَنى بكتاب المُلَح والطُّرَف ، وما حَرَّ من النوادر وبَرُد ، وما عاد بارده[3] حارًّا لفَرْط برده حتى

(١) فى ط : « البر واليقين » . وما أثبته فى ل ، ١٠ س وهو الصواب .
(٢) كذا فى ل ، ١٠ س وهو تصحيح مافى ط « ورضيتها لعرضك حظا » .
(٣) فى ل : « وعاد باردها » وما هنا عن م .

أمتَعَ بأكثرَ من إمتاع الحارّ ، وعبتَنى بكتاب احتجاجات البخلاء ، ومناقضَتِهم للسُّمَحاء ، والقولِ فى الفرق بين الصدق[1]] إذا كان ضارًّا فى العاجل ، والكذب إذا كان نافعاً فى الآجِل ، ولِمَ جُعل الصدقُ أبداً محموداً ، والكذبُ أبداً مذموماً ، والفرق بين الغَيرة وإضاعة الحُرْمة ، وبين الإفراط فى الحميّة والأنَفَة ، وبين التقصير فى حفظ حقِّ الحرمة ، وقلّة الاكتراثِ لِسوء[2] القالَة ؛ وهل الغيرة اكتساب وعادة ، أم بعض مايعرض من جهة الديانة ، ولبعض التزيُّد فيه والتحسن به ، أو يكون ذلك فى طباع الحريّة ، وحقيقة الجوهريّة ، ما كانت العقولُ سليمة ، والآفات منفيَّة[3] والأخلاطُ معتدلة .

وعبتَنى بكتاب الصُّرَحاء والهُجَناء ، ومفاخرة السُّودان والحمران ، وموازنةِ مابين حقِّ الخئولة والعمومة ؛ وعبتَنى بكتاب الزرع والنخل والزيتون والأعناب ، وأقسام فضول الصناعات ، ومراتب التجارات ؛ وبكتاب فضل مابين الرجال والنساء ، وفرقِ مابين الذكور والإناث ، وفى أىِّ موضع يَغلبن ويفضُلْن ، وفى أى موضع يكنَّ المغلوباتِ والمفضولات ، ونصيب أيِّهما فى الولد أوفَر ، وفى أىِّ موضع يكون حقُّهنّ أوجب ، وأىّ عملٍ هو بهنَّ أليق ، وأىّ صناعةٍ هنّ فيها أبلغ .

وعبتَنى بكتاب القحطانيّة و [كتاب] العدنانيّة فى الردّ على

---

(١) سقطت هذه العبارة من جميع النسخ الخطية أيضا ماعدا ل و م .

(٢) فى ط : « بسوء » وتصحيحه من ل . قال فى القاموس « ما أكترث له : ماأبالى به » وقال الزبيدى : الأصل فيه ألا يستعمل إلا فى النفى وشذ، استعماله فى الإثبات .

(٣) هذا مافى ل . وفى ط : « منيفة » وبذلك يفسد المعنى .

القحطانية ، وزعمتَ أنِّى تجاوزتُ فيه حدَّ الحميَّة إلى حدِّ العصبيَّة ، وأنِّى لم أصل(١) إلى تفضيل العدنانيّة إلا بِتنقُّص(٢) القحطانيّة . وعبتَنى ٣
بكتاب العرب والموالى ، وزعمتَ أنِّى بَخَسْت الموالىَ حقوقَهم ، كما أنِّى أعطيتُ العربَ ما ليس لهم . وعبتَنى بكتاب العرب والعجم ، وزعمت أنّ القولَ فى فرقِ مابين العرب والعجم ، هو القولُ فى فرقِ مابين الموالى والعرب ؛ ونسبتَنى إلى التكرار والتردادِ ، وإلى التكثير ، والجهل بما فى المُعادِ من الخَطَل ، وحَمْلِ الناسِ المؤن .

وعبتَنى بكتاب الأصنام ، وبذكر اعتلالات الهند لها ، وسبب عبادة العرب إيّاها ، وكيف اختلفا فى جهة العِلَّة(٣) مع اتّفاقهما على جملة الديانة ، وكيف صار عُبَّاد البِدَدَة(٤) والمتمسكون بعبادة الأوثان المنحوتة ، والأصنام المنجورة ، أشدَّ الديّانين إلْفاً لما دانوا به(٥) ، وشغفاً بِماَ تعبَّدوا له(٦) ، وأظهَرَهم جِدًّا ، وأشدَّهم على من خالفهم ضِغنا ، وبما دانوا ضِنًّا(٧) ، وما الفرق بين البُدِّ والوثَن ، وما الفَرق بين الوثَن والصنم ، وما الفرق بين

---

(١) فى ل : « أصر » ومؤداهما واحد .

(٢) فى ط : « بتنقيص » والمثبت هنا فى ل . وفى القاموس « وهو يتنقصه : يقع فيه ويذمه » .

(٣) فى ط : « العلسة » وتصحيحه من ل .

(٤) فى ط : « عبادة البدرة » وهو تصحيف صوابه مافى ل . والبددة : جمع بد — بضم الباء — وهو الصنم ، معرب « بت » ، وجمعه بددة وأبداد .

(٥) فى ل : « أشد الناس إلفا لما دانوا به » .

(٦) فى ط : « وشغفا لما » وصوابه ماأثبته عن ل . يقال شغف بالشىء إذا علق قلبه به .

(٧) فى ل : « صبابة وعجبا » .

الدُّمية والجثَّة ، ولِمَ صوَّروا فى محاريبهم وبيوت عباداتهم ، صوَرَ عظمائهم ورجالِ دعوتهم ، ولم تأنَّقوا فى التصوير ، وتجوَّدوا[١] فى إقامة التركيب ، وبالغوا فى التحسين والتفخيم ، وكيف كانت أوَّليَّة تلك العبادات ، وكيف اقترفت تلك النِّحل ، ومن أىّ شكل كانت خُدَع تلك السدنة ، وكيف لم يزالوا أكثرَ الأصنافِ عدداً ، وكيف شمل ذلك المذهب الأجناسَ المختلفة .

وعبتَنى بكتاب المعادن ، والقولِ فى جواهر الأرض ، وفى اختلاف أجناس الفِلِزّ والإخبار عن ذائبها وجامدها ، ومخلوقها ومصنوعها ، وكيف يسرع الانقلاب إلى بعضها ، ويُبطىء عن بعضها ؛ وكيف صار بعضُ الألوان يَصبُغ ولا ينصبغ ، وبعضها يَنْصَبِغُ ولا يصْبُغ ، وبعضها يصبُغ وينصبغ ، وما القولُ فى الإكسير والتلطيف .

وعبتَنى بكتاب فرق ما بين هاشمٍ وعبد شمس ، وكتاب فرق ما بين الجنّ والإنس ، وفرق ما بين الملائكة والجنّ ، وكيف القولُ فى معرفة الهدهد واستطاعة العفريت[٢] ، وفى الذى كان عنده عِلْمٌ من الكتاب ، وما ذلك العلم[٣] ، وما تأويل قولهم : كان [عنده اسم الله الأعظم]

(١) فى ط : « تجردوا » بالراء . وصوابه مافى ل . وتجود : فعل الجيد .
(٢) فى ط : « وكيف القول فى استيلاء العفريت على سليمان وفى الهدهد »، وهو كلام مشوه محرف وضعت بدله مافى ل . ومعرفة الهدهد هى التى يشير إليها القرآن الكريم بآية « وجئتك من سبأ بنبأ يقين » . وأما استطاعة العفريت فهو مافى قوله تعالى « قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك » . يعنى عرش بلقيس .
(٣) فى ط : « وما الذى هو ذلك العلم » وهو تحريف صوابه فى ل .

وعبتنى بكتاب الأوفاق والرياضات ، وما القولُ فى الأرزاق والإنفاقات [وكيف أسباب التثمير والترقيح[١]] ،وكيف يَجتلب[٢] التجار الحُرَفاء ، وكيف الاحتيال للودائع ، [وكيف التسبُّب إلى الوصايا ، وما الذى يوجب لهم حسن التعديل ، ويصرف إليهم باب حسن الظن ؛ وكيف ذكرنا غشّ الصناعات والتجارات ، وكيف التسبُّب إلى تعرف ما قد ستروا وكشف ما موَّهوا ؛ وكيف الاحتراس منه والسلامة من أهله . وعبتنى برسائلى] وبكلّ ماكتبت [به] إلى إخوانى وخُلَطائى ، من مَزْح وجِدٍّ ، ومن إفصاح وتعريض ، ومن تغافُل وتوقيف ، ومن هجاء لايزال مِيسَمه باقياً ، ومديح لا يزال أثرُه نامياً ؛ ومن مُلَح تُضحِك ، ومواعظَ تُبكى . ٤

وعبتَنى برسائلى الهاشميّات ، واحتجاجى فيها ، واستقصائى معانيَها ، وتصويرى لها فى أحسَن صورة ، وإظهارى لها فى أتمّ حلية . وزعمتَ أنّى قد خرجتُ بذلك من حدِّ المعتزلة إلى حدِّ الزيديّة ، ومن حدّ الاعتدال فى التشيُّع والاقتصاد فيه ، إلى حدِّ السرف والإفراط فيه . وزعمتَ أنّ مقالة الزيدية خطبة مقالةِ الرافضَة[٣] ، وأنّ مقالة الرافضة خطبة مقالة الغاليَة[٤] . وزعمتَ أنّ فى أصل القضيّة والذى جَرَتْ عليه العادة ، أن كلّ كبير فأوَّلُه صغير ، وأنَّ كلّ كثير فإنما هو قليل جُمع [مِنْ] قليل ، وأنشدت قول الراجز[٥] :

---

(١) ترقيح المال : إصلاحه والقيام عليه .

(٢) فى ط : « تجرد » وصوابه فى ل .

(٣) فى ط : « خطيئة مقالة الرافضية » وتصحيحه من ل .

(٤) فى ط : « خطيئة مقالة الغالية » وصوابه مافى ل .

(٥) أنشد الجاحظ هذا الرجز فى المحاسن والأضداد ٤٤ .

قد يَلحَق الصغيرُ بالجليلِ　　وإنّما القَرْمُ من الأَفِيلِ
وسُحُقُ النخلِ من الفَسيلِ

وأنشدتَ قول الشاعر (١) :

ربَّ كبير هاجَه صغيرُ　　وفى البُحور تَغرَق البحورُ

وقلتَ : وقال يزيدُ بن الحكم (٢) :

فاعلم بُنَىَّ فإنّه　　بالعلم يَنتفِع العليم
إنّ الأمورَ دقيقُها　　مما يَهيج له العظيم

وقلتَ : وقال الآخر :

صار جِدًّا ما مزحتَ به　　ربَّ جِدٍّ ساقه اللعبُ

وأنشدت قول الآخر (٣) :

ما تَنْظُرون بحقِّ وَردةَ فيكمُ　　تُقضَى الأمورُ ورَهطُ وَردةَ غُيَّبُ (٤)
قد يبعثُ الأمْرَ الكبيرَ صغيرُه　　حتَّى تظلَّ له الدماءُ تَصَبَّبُ

وقالت كَبْشة بنت مَعْدِ يكَرِب :

---

(١) البيت فى المحاسن والأضداد ص ٤٤ .

(٢) يزيد هذا ، شاعر إسلامى عاصر جريرا والفرزدق . مر الفرزدق به يوما فقال : من هذا الذى ينشد شعرا كأنه من أشعارنا ؟ فقالوا : يزيد بن الحكم ، فقال : نعم أشهد أن عمّى ولدته ! والبيتان من أبيات له اختارها أبو تمام فى الحماسة ٢ : ٤٥ وهو يخاطب بهذه الأبيات ولده بدرا .

(٣) فى ط : « قول الآخر وهو قول عنترة » ، وعبارة « وهو قول عنترة » دخيلة على الكتاب بدليل أنها فى ل مثبتة بخط مخالف . كما أن البيتين لطرفة بن العبد مثبتان فى ديوانه طبع ١٩٠٩ ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ٢٧ ، وخزانة الأدب ١ : ٤١٧ ، ومعاهد التنصيص ١ : ١٢٣ .

(٤) وردة : هى أمه ، وكان أبو طرفة قد مات وهو غلام ، فلما اقتسم أعمامه المال ظلموا أمه . ماتنظرون : أى تنتظرون .

جَدعَمْ بعبد الله آنُفَ(١) قومِه بنى مازن أنْ سَبَّ راعى المحَزَّم(٢)

وقال الآخر(٣) :

أيّةَ نارٍ قَدَحَ القادحُ وأىّ جِدٍّ بَلَغَ المازحُ

وتقول [العرب]: « العَصَا من العُصَيَّة ، ولا تلد الحيّةَ إلا حَيَّةٌ(٤) » .

وعبتَ كتابى فى خلْق القرآن ، كما عبتَ كتابى فى الردِّ على المشبِّهة وعِبْتَ [كتابى] فى القول فى أصول الفتيا والأحكام ، كما عبتَ كتابى فى الاحتجاج لنظم القرآن وغريب تأليفه وبديعِ تركيبه . وعبتَ معارضَتى للزيديّة وتفضيلى(٥) الاعتزالَ على كلِّ نِحْلة ، كما عبتَ كتابى فى الوعد والوعيد ، وكتابى على النصارى واليهود(٦) ثمَّ عبتَ جملةَ كتبى فى المعرفة والتمست تهجينَها بكلِّ حيلة ، وصغَّرت من شأنها ، وحطَطت من قدرها ، واعترضت على ناسخيها والمنتفعين بها ، فعبتَ كتاب الجوابات ، وكتاب المسائل ، وكتابَ أصحابِ الإلهام ، وكتابَ الحجَّة فى تَثْبِيت النبوّة ، وكتابَ الأخبار ، ثمّ عبتَ إنكارى بصيرةَ غنام المرتدّ ، وبصيرةَ كلِّ جاحد وملحد، وتفريقى بين اعتراض الغُمْر(٧) ، وبين استبصار المحقّ ، وعبتَ

(١) فى ط : « آناف » وأثبت ما فى ل ، س ، ١٠ س . وأنف يجمع على أنوف وآنف وآناف .
(٢) فى ط ، ل س ، ١٠ س : « المخزم » بالخاء ، وتصحيحه من الخزانة بضبط البغدادى ٣ : ٧٧ . والبيت من أبيات ستة رواها البغدادى وذكر لها قصة طويلة طريفة .
(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما فى البيان والتبيين ٣ : ١٩٨ .
(٤) فى ط : « حيية » ويغلب أن يكون تصحيف طبع .
(٥) فى ط : « تفضيل » والوجه ما فى ل .
(٦) فى ط : « النصرانى واليهودى » وأثبت ما فى ل .
(٧) هذا ما فى ل ، س ، ١٠ س . وفى ط « القمر » وهو تحريف . والغمر : الجاهل الذى لم يجرب الأمور .

كتابَ الردِّ على الجَهْمِيّة فى الإدراك ، وفى قولهم فى الجَهالات[1] ، وكتاب الفرقِ ما بينَ النبيِّ والمتنبى ، والفرقِ ما بينَ الحِيَل والمخاريق[2] ، وبينَ الحقائقِ الظاهرة والأعلام الباهِرة[3] . ثمّ قصدتَ إلى كتابى هذا بالتصغير لقدره والتهجين لنظمه ، والاعتراض[4] على لفظه ، والتحقير لمعانيه ، فزَرَيت على نحْتِهِ وسَبكه ، كما زَرَيت على معناهُ ولفظِه ، ثمّ طعنتَ فى الغرض الذى إليه نزعْنا ، والغاية التى إليها قَصَدنا[5] . على أنّه كتابٌ معناهُ أنبَهُ من اسمِهِ ، وحقيقتهُ آنَقُ من لفظه ، وهو كتابٌ يحتاجُ إليه المتوسِّط العامى ، كما يحتاجُ إليه العالم الخاصى[6] ، ويحتاج إليه الرَّيِّض كما يحتاج إليه الحاذق : أما الرّيض فللتعلُّم والدرْبة ، وللترتيب والرياضة ، وللتمرينِ وتمْكين العادة ؛ إذْ كان جليلُه يتقدم دقيقه ، وإذ كانت مقدِّماته مرتبةً وطبقاتُ معانيه منزّلة . وأما الحاذقُ فلكفايةِ المُؤنة ؛ لأن كلَّ من التقط كتابا جامعاً ، وباباً من أمَّهات العلم مجموعا ، كان له غُنْمه ، وعلى مؤلِّفه غُرمُه ، وكانَ له نفعُه ، وعلى صاحِبِهِ كَدُّه ، معَ تعرُّضِهِ لمطاعِن البُغَاة ، ولاعتراض المنافِسين ، ومع عرْضِهِ عقلَه المكدودَ على العقولِ الفارغة ، ومعانيه على الجهابِذة ، وتحكيمِه فيه المتأوِّلين والحسَدَة . ومتى ظَفِر بمثله صاحبُ علم ، أو هجَمَ عليه طالبُ فقه ، وهو وادعٌ رافِه ، ونَشِيط جَامٌّ ،

---

(١) ماعدا ل : « الجهات » تحريف . وانظر ٢ : ١٣٩ و ٤ : ٢٨٨ .

(٢) فى ط : « المخارق » .

(٣) فى ل : « القاهرة » وفى ط « الباصرة » » وصوابهما مافى س ، ١٠ س .

(٤) فى ط : « والاغماض » .

(٥) فى ل : « أجرينا » .

(٦) هذا مافى ل . وفى ط : « كما يحتاج إليه الخاص » .

ومؤلِّفه مُتعَبٌ مكدود ، فقد كُفِى مؤُونَة جمعه وخزنِه ، وطلبِهِ وتتبُّعِه ، وأغناه ذلك عن طول التفكير ، واستنفادِ العمر وفَلِّ الحدّ ، وأدرَك أقصى حاجتِه وهو مجتمعُ القُوَّة . وعلى أنّ له عند ذلك أن يجعَلَ هُجومَه عليه من التوفيق ، وظفَره به باباً من التسديد .

وهذا كتابٌ تستوى فيه رغبةُ الأُمم ، وتتشابَه فيه العُرْبُ والعَجَم ، لأنه وإن كانَ عَرَبيًّا أعرابيًّا ، وإسلاميًّا جَماعيًّا ، فقد أخَذَ من طُرَفِ ٦
الفلسفة ، وجمع بين معرفةِ السماعِ وعلْمِ التجرِبة ، وأشرَكَ بين علمِ الكتاب والسنة ، وبينَ وِجْدان الحاسَّة ، وإحساس الغريزة . ويشتهيه الفِتيان كما تشتهيه الشيُوخ ، ويشتهيه الفاتِكُ كما يشتهيه الناسِك ، ويشتهيه اللاعبُ ذو اللَّهوِ كما يشتهيه المجِدّ[1] ذو الحَزْم ، ويشتهيه الغُفْلُ كما يشتهيه الأريب ، ويشتهيه الغبىُّ كما يشتهيه الفَطِن .

وعبتَنى بحكاية قولِ العثْمانِيَّة[2] والضِّرَارية ، وأنت تسمعنى[3] أقول فى أوَّل كتابى : وقالت العثمانية والضراريَّة ، كما سمعتَنى أقول : قالت الرافضة والزيدية ، فحكمتَ علىَّ بالنصْب لحكايتى [قول العثمانية] ، فهلاَّ حكمتَ على بالتشيُّع لحكايتى [قول الرافضة] ! ! وهلا كنتُ عندَك من الغالِيَة لحكايتى حجج الغالية ، كما كنتُ عندك من الناصِبَة لحكايتى قولَ الناصِبة ! ! وقد حكينا فى كتابنا قولَ الإباضيَّة والصُّفْرية ، كما حكينا قولَ الأزارِقة والزيدية . وعلى

---

(١) فى ل : « الجدى » نسبة إلى الجد ضد الهزل .

(٢) فى ط : « بحكاية سر قول العثمانية » ، وكلمة « سر » هذه لاوجود لها فى جميع النسخ المخطوطة .

(٣) كذا فى ل . وفى ط : « كما سمعتنى » .

هذه الأركان الأربعة بُنِيَت الخارجية ، وكلُّ اسمٍ سواها فإنما هو فرعٌ ونتيجةٌ ، واشتقاقٌ منها ، ومحمولٌ عليها . وألاَّ كنَّا عندَك من الخارجية ، كما صرنا عندَك من الضِّراريَّة والناصِبَة . فكيف رضيتَ بأن تكون أسرَعَ من الشيعة ، أسرع إلى أعراض الناس من الخارجية[1] ، اللهم إلاَّ أن تكون وجدتَ حكايتى عن العثمانيَّة والضِّراريَّة أشبعَ وأجمعَ ،وأتمَّ [وأحكم]،وأجود [صنعة ، وأبعد غاية . ورأيتنى قد وهَّنت حقَّ أوليائك ، بقدر ما قوَّيتُ باطل أعدائك ؛ ! ولو كان ذلك كذلك ، لكان شاهدك من الكتاب حاضراً ، وبرهانك على ماادعيت واضحا] .

وعبتَنى بكتاب العباسية ، فهلاَّ عبتَنى بحكايةِ مقالةِ مَن أبى وجوبَ الإمامة ، ومَنْ يرى الامتناع من طاعة الأئمة الذين زعموا أنّ تركَ النَّاس سُدًى بلا قيِّم أردُّ عليهم ، وهملاً بلا راع أربحُ لهم ، وأجدَرُ أنْ يجمع لهم ذلك بين سلامَةِ العاجل ، وغنيمة الآجل ، وأنَّ تركَهم نَشَراً لا نظامَ لهم ، أبعدُ من المَفاسِد ، وأجمعُ لهم عَلَى المراشد ! ! بل ليس ذلك بك ، ولكنَّه بهرَك ما سمعتَ ، وملأَ صدرَك الذى قرأت ، وأبعَلكَ وأبْطَرَك ، فلم تتَّجه للحجَّة وهى لك معرضة ، ولم تعرف المقاتل وهى لك بادية[2] ، ولم تَعرِف بابَ المخرج إذ جهلتَ بابَ المدخَل ، ولم تعرِفِ المصادر إذ جهلتَ الموارد .

رأيتَ أنَّ سبَّ الأولياء أشفى لدائك ، وأبلغَ فى شفاء سَقَمك ؛ ورأيتَ أن إرسالَ اللسان أحضَرُ لَذَّةً ، وأبعدُ من النَّصَب ، ومِن إطالة الفكرة ، ومن الاختلافِ إلى أرباب هذه الصناعة .

---

(١) فى ل : « فكيف رضيت بأن تكون الشيعة إلى أعراض الناس أسرع من المارقة » .
(٢) فى ط : « وهى لك معوضة ، ولم تعرف المقابل وهى لا بادية » .

ولو كنتَ فطِنت لعجْزك ، [و[١]] وصَلْتَ نقصَك بتمامِ غيرِك ، واستكفَيْتَ من هو موقوفٌ على كفايةِ مثلك ، وحَبيسٌ على تقويم أشباهك ٧
كان ذلك أزينَ فى العاجِل ، وأحقَّ بالمثُوبة فى الآجل ، وكنتَ إنْ أخطأَتكَ الغنيمةُ لم تُخْطِك السلامة ، وقد سَلِم عليك المخالفُ بقدر ما ابتُلِى [به] منكَ الموافِق . وعلى أنَّه لم يُبتَل منك إلا بقدْرِ ما ألزمتَه من مُؤْنَةِ تثقيفك ، والتشاغُلِ بتقويمك . وهل كنتُ فى ذلك إلاّ كما قال العربىُّ :

« هَلْ يَضُرُّ السَّحابَ نَبْحُ الكلابِ » .

وإلاّ كما قال الشاعر :

هل يَضُرُّ البحرَ أمسى زَاخِراً أَنْ رَمَى فيهِ غُلامٌ بحَجَرْ[٢]

وهل حالُنا فى ذلك إلاّ كما قال الشاعر[٣] :

ماضرَّ تغلِبَ وائلٍ أَهجَوْتَها أمبُلْتَ حَيْثُ تَنَاطَحَ البَحْرَانِ

وكما قال حسَّانُ بنُ ثابت[٤] :

ما أُبالِى أَنَبَّ بالحَزْنِ تَيسٌ أم لَحاَنِى بظهْرِ غَيْبٍ لَئِيمُ

وما أشكُّ أنَّكَ قد جعلت طول إعراضنا عنك مَطِيَّةً لك ، ووجَّهتَ حِلمَنا عنك إلى الخوف منك ، وقد قال زُفَر بنُ الحارث لبعضِ مَنْ لم يرحقَّ الصفح ، فجعل العفْوَ سبباً إلى سوء القول :

---

(١) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام .

(٢) البيت رواه الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٤٨ . والرواية هناك « مايضير » .

(٣) هو الفرزدق ديوانه ٨٨٢ والبيان ٣ : ٢٤٨ والخزانة ٢ : ٥٠١ .

(٤) ديوانه ٣٧٨ .

فإنْ عدتَ وَاللهِ الذى فوقَ عَرْشِهِ   مَنَحْتُكَ مسنون(١) الغِرَارَيْنِ أزْرَقا
فإنَّ دواءَ الجهل أن تُضْرَبَ الطُّلَى   وأن يُغْمس العِرِّيضُ حتى يغرّقا (٢)

وقال الأوّل :

وضَغائنٍ داوَيتُها بضغائنٍ   حتَّى شَفَيتُ وبالحُقُودِ حُقُودا

وقال الآخر :

وما نَفى عنك قوماً أنت خائفُهم   كَمِثل وَقمك جُهَّالاً بجُهّالِ (٣)
فاقْعَسْ إذا حَدِبوا واحدَبْ إذا قعسوا   وَوَازِنِ الشَّرَّ مثقالاً بمثقالِ

فإنّا وإن لم يكن عندنا سِنَانَ زُفَرَ بنِ الحارث ، ولا معارضةُ هؤلاء الشرَّ بالشرِّ ، والجهلَ بالجهل ، والحِقد بالحِقد ، فإن عندى ما قال المسعوديُّ (٤) :

فمُسَّا تراب الأرضِ منه خُلِقتُما   وفيه المعادُ والمصيرُ إلى الحشر
ولا تأنفا أن تَرْجِعا فتسلِّما   فما كسيَ الأفواهَ شرًّا من الكِبْرِ (٥)

---

(١) فى ط : « مصقول » . وغرار السيف أى حده لايوصف بالصقل ، وإنما يوصف بالحدة . فالوجه (مسنون) كما فى ل وكما فى البيان ٤ : ٥٦ .

(٢) فان من الجهل أن تضرب الطلى   وأن تلمس العريض حتى يغرقا
هكذا ورد البيت فى ط وهو تحريف أصلحته من ل ومن البيان للجاحظ . والطلى : الأعناق أو أصولها ، جمع طلية أو طلاة ، بضم الطاء فى كل منهما . والعريض كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٣) جاء البيت فى ط على هذه الصورة :
وما تمى عنك قوما أنت خائفهم   كثل رقمك جهالا بجهال
وصححناه من البيان ٣ : ٣٣٤ ومن ل ، س والروض الأنف ١ : ١٧٠ ومجالس ثعلب ٤٩١ . والوقم : القهر والإذلال والكبح .

(٤) هو عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود . وهذه الأبيات من عشرة أبيات رواها المرتضى فى أماليه ٢ : ٦٠ ، ٦١ وذكر قصة لها ، انظر لها أيضا جمع الجواهر ص ٣ .

(٥) فى الأمالى : « فما حشى الأقوام » وفى جمع الجواهر : « فما حشى الإنسان » . وفى ل ، س « ولا تعجبا أن ترجعا » . يخاطب عمر بن عبد العزيز وعبد الله بن عمرو بن عثمان ، كما فى المحبر ٢٩٧ .

فلو شئتُ أدْلَى(١) فيكما غير واحد علانيةً أو قالَ عندى فى السِّرِّ
فإنْ أنا لم آمُرْ ولم أنْهَ عنكُما ضَحِكْتُ له كيما يَلجَّ ويَسْتَشْرِى(٢) ٨

وقال النَّمِر بن تَولَب :

جزَى اللهُ عنِّى جَمْرَةَ ابنةَ نوفلٍ جَزَاءَ مُغِلٍّ بالأمانةِ كاذِبِ(٣)
بما خَبَّرَتْ عنِّى الوُشاةَ ليكذِبوا علىَّ وقد أوليتُها فى النوائِبِ

يقول : أخرجتْ خبَرَها ، فخرج [إلى(٤)] من أحبُّ أن يعابَ عندها .

ولو شئتَ أن نعارضَك لعارضناك فى القول بما هو أقبحُ أثراً وأبقى وَسْما ، وأصدقُ قِيلاً ، وأعدلُ شاهداً . وليس كلُّ مَن تَرَكَ المعارَضَة فقد صفح ، كما أنَّه ليس من عارَضَ فقد انتصرَ ، وقد قال الشاعر قولاً ، إن فهمتَه فقد كفَيتَنا مَئُونَةَ المُعارَضَة ، وكفيتَ نفسَك لزومَ العارِ ، وهو قوله(٥) :

إن كنتَ لاترهَبُ ذمِّى لِمَا تَعْرِفُ مِنْ صَفْحِى عن الجاهِلِ
فاخشَ سُكُوتِى إذ أنا منصت فيكَ لمسموعِ خَنَا القائلِ(٦)
فالسامعُ الذمِّ شريكٌ لهُ ومُطعِمُ المأكولِ كالآكِلِ

---

(١) فى ط : «أولى» ، وصوابه مافى ل ، س ، ١٠ س والأمالى . وفسرها المرتضى بقوله : معناه لو شئت اغتابكما عندى غير واحد .

(٢) فى ط « يلح » بالحاء ، وأثبت ماهو فى أمالى المرتضى و ل ، ١٠ س والبيان .

(٣) كذا فى ل ، ١٠ س . وغل وأغل بمعنى خان . . وفى ط « مقل » وتحريفه ظاهر . وفى س : « مخل » . وجمرة بالجيم اسم زوجته ، كما فى الأغانى ١٩ : ١٥٨ .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . والمعنى أنها أظهرت سر الحب ، فذاع حتى وصل إلى الوشاة الذين يتمنى هو أن يعابوا عندها .

(٥) نسب إلى العتابى فى الأغانى ١٢ : ١٠ ولباب الآداب ٣٦٠ ورسالة فصل مابين العداوة والحسد . ونسب إلى كعب بن زهير فى الخزانة ٤ : ١٢ .

(٦) كذا فى الخزانة وجمع الجواهر ٣ وشرح بانت سعاد ٣ والشريشى ٢ : ١٥٠ . وفى ل ، س « فاخش سكوتى آذنا منصتا » . وآذنا : مصغياً .

مقالةُ السُّوءِ إلى أهلها أسرَعُ من مُنْحَدِر سائلِ
ومن دعا الناسَ إلى ذمِّه ذمُّوه بالحقِّ وبالباطل
فلا تَهِجْ إنْ كنتَ ذا إربَةٍ حرْبَ أخي التجربةِ العاقل
فإنَّ ذا العَقل إذا هِجْتَه هجتَ به ذا خبَلٍ خابل
تُبْصرُ في عاجلِ شَدَّاته عليك غِبَّ الضرَرِ الآجلِ

وقد يقال : إنّ العفوَ يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم ، وقد قال الشاعر :

والعَفوُ عندَ لبيبِ القومِ موعِظةٌ وبعضهُ لسَفيهِ القومِ تدريبُ

فإنْ كنّا[1] أسأنا في هذا التقريعِ والتوقيفِ ، فالذى لم يأخُذ فينا بحُكم القرآنِ ولا بأدَب الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم يَفزَع إلى مافى الفِطَن الصحيحة ، وإلى ما توجبهُ المقاييسُ المطَّردةُ ، والأمثالُ المضرُوبة، والأشعار السائرة ، أولَى بالإساءَة وأحقُّ باللائمة ، قال الله عزَّ وجل: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ . وقد قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام : « لا تَجْنِ يمِينُكَ عَلَى شِمَالك » .

وهذا حكمُ الله تعالى وآدابُ رسوله والذى أُنْزِلَ به الكتابُ ودلَّ

٩ عليه من حُجَج العقول .

فأمَّا ما قالوا في المثل المضروب [« رَمَتْنِي بِدَائِهَا وانسَلَّتْ » ، وأمّا] قولُ الشعراءِ ، وذمُّ الخطباء لِمَنْ أخَذَ إنساناً بذنْب غيره، وما ضَرَبُوا في ذلك من الأمثال ، كقول النابغة حيث يقول في شعره :

وكَلَّفْتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ وترَكْتَه كذِي العُرِّ يُكوَى غيرُه وهو رَاتِعُ

(١) في ط : « فانا كنا » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س .

وكانوا إذا أصابَ إبلَهُم العرّ كَوَوُا السليمَ ليدفعَه عن السقيم ، فأسقمُوا الصحيحَ من غير أن يُبْرِئوا السقيم .

وكانوا إذا كثُرتْ إبلُ أحدِهم فبلَغتِ الألف ، فقَئُوا عَيْنَ الفحْل ، فإنْ زادَت الإبلُ على الألْف فقئوا العينَ الأخرى ، وذلك المفقَّأ والمعمَّى اللذان سمعتَ فى أشعارِهم .

قال الفرزدق :

غلبتك بالمفقئ والمعنَّى وبيتِ الُمحْتَبِى والخافقاتِ[1]

[وكانوا يزعمون أن المفقأ يطرد عنها العين والسواف[2] والغارة ، فقال الأوّل :

فقأتُ لها عَيْنَ الفَحِيل عِيَافَةً وفيهنّ رَعْلاءُ المسامع والحامى[3]

---

(١) هذا البيت دخيل على الكتاب ، ويبعد من مثل الجاحظ أن يفكر فى الاستشهاد به فى هذا الموضع إذ لا علاقة له به ، وإنما يشير الفرزدق بكلمة « المفقئ » إلى قصيدته التى يقول فيها مهاجيا لجرير :

ولست وإن فقأت عينك واجدا أبا لك إن عد المساعى كدارم

وبكلمة « المعنى » إلى قوله :

وإنك إذ تسعى لتدرك دارما لأنت المعنى ياجرير المكلف

و « بيت المحتبى » إشارة إلى قوله :

بيتاً زرارة محتب بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

و « الخافقات » يريد قوله :

وأين تقضى المالكان أمورها بحق وأين الخافقات اللوامع

انظر ابن سلام ٣٢٩ — ٣٣٠ والنقائض ٧٦٨ ليدن ولسان العرب (عنى) .

وقد ورد البيت مصحفاً على الوجه الآتى :

غلبتك (بالمفقأ والمعمى) وبيت (المجتبى) والخافقات

(٢) السواف : الموتان يقع فى الإبل ، يقال بالفتح وبالضم .

(٣) البيت فى البيان ٣ : ٥٤ . والفحيل : المنجب فى ضرابه ، وعنى بالعيافة التفاؤل .

الرعلاء : التى تشقّ أذنها وتترك مدلّاة ، لكرمها] .

وكانوا يقولون فى موضع الكفّارة والأُمْنِيَّة ، كقول الرجل : إذا بلغَتْ إبلى كذا وكذا وكذلك غنَمى ، ذَبحْتُ عند الأوثان كذا وكذا عتيرة . والعتيرة من نُسُك الرَّجبيّة والجمع عتائر — والعتائر من الظباء — فإذا بلغتْ إبلُ أحدِهم أو غنمُه ذلك العددَ ، استعملَ التأويلَ وقال : إنَّما قلتُ إنّى أذبحُ كذا وكذا شاة ، والظباء شاء كما أنّ الغنم شاء ، فيجعل ذلك القربانَ شاءً كلَّه ممَّا يَصيد من الظباء ، فلذلك يقول الحارثُ بن حِلِّزَةَ اليشكُرىُّ :

عَنَتاً باطلاً وظُلْماً كما تُعْـــتَرُ عَنْ حَجْرَةِ الرَّبيضِ الظِّباءُ

بعد أن قال :

أمْ عَلَينا جُناحُ كِنْدَةَ أن يَغْـ ـنَمَ غَازِيهُمُ ومِنَّا الجزاءُ

وكانوا إذا أوردُوا البقرَ فلم تشربْ ، إمَّا لكَدَر المـاء ، أو لقلَّةِ العطَش ، ضرَبوا الثورَ ليقتَحِم الماء ، لأنَّ البقــرَ تَتْبَعه كما تتْبع الشَّوْلُ الفحل ، وكما تتبع أُتُنُ الوحشِ الحِمار . فقال فى ذلك عَوْفُ بن الخرِعِ (١) :

تَمنَّتْ طيِّئٌ جَهْلاً وجُبْناً وقد خالَيْتُهم فَأَبَوْا خِلائى (٢)

هَجَوْنى أنْ هَجَوْتُ جِبَال سَلمى كضَرْبِ الثَّورِ للبقرِ الظِّماء

وقال فى ذلك أَنَس بن مُدْرِك فى قتله سُلَيك بنَ السُّلَكَة :

إنّى وقَتْلى سُلَيْكًا ثمَّ أعْقِلَهُ كالثَّورِ يُضرَب لمَّا عافَتِ البَقَرُ (٣)

أنِفْتُ لِلْمَرءِ إذْ نِيكتْ حَليلتُه وأن يُشَدَّ على وجعائها الثَّفَرُ (٤)

---

(١) فى ط : « عوض بن اجزع » ، وهو على الصواب الذى أثبته ، فى ل ، س ١٠ س .

(٢) خاليتهم : تركتهم .

(٣) عافت : امتنعت عن شرب المـاء .

(٤) الوجعاء : الاست . والثفر بالتحريك : السير فى مؤخر السرج .

وقال الهَيَّبانُ الفهميّ(١) :

كما ضُرِبَ الْيَعْسُوب أَنْ عافَ بَاقِرٌ وما ذَنْبُهُ أَن عافَتِ المــاءَ بَاقِرُ

ولمّـا كان الثورُ أميرَ البقر ، وهى تطيعُه كطاعة إناث النحل لليعسوب ، سمّاه باسم أميرِ النحْلِ .

وكانوا يزعمون أنَّ الجنَّ هى التى تصُدُّ الثِّيرانَ عن الماءِ حتى تُمْسِكَ البقرُ عن الشرب حتى تهلِك ، وقال فى ذلك الأعشى :

فإنِّى وما كلَّفتُمونى — وربِّكم — لأعلَمُ مَنْ أمْسَى أعقَّ وأَحوبا(٢)

لَكالثَّور والجنِّىُّ يَضرِبُ ظَهرَه وما ذنْبُه أن عافَتِ الماءَ مَشرَبا

وما ذنْبُه أَنْ عافَتِ المــاءَ باقِرٌ وما إن تَعَافُ الماءَ إلاَّ لِيُضْرَبا(٣)

كأنّه قال : إذا كان يُضْرَبُ أبداً لأنها عافت الماء ، فكأنَّها إنما عافَتِ الماءَ ليُضْرَب .

وقال يحيى بن منصور الذُّهْلِىّ فى ذلك :

لَكالثَّور والجنىّ يَضرِبُ وَجْهَه وما ذَنْبُه إن كانَتِ الجنُّ ظالِمه

وقال نَهْشَلُ بنُ حَرِّيٍّ(٤) :

أَتُتْرَكُ عارضٌ وبنو عَـدِىٍّ وتَغْـرَمَ دارِمٌ وهُم بَرَاءُ

كدأْبِ الثَّوْرِ يُضْرَبُ بالهَراوَى إذا ما عَافَتِ البَقَرُ الظِّمَاءُ(٥)

وكيف تـكلّفُ الشِّعرَى سُهيلاً وبينَهما الـكواكبُ والسَّماءُ

---

(١) فى الأصل : « الهيتان ». وانظر الإصابة ج ٢ ص٩ والقاموس « هيب » . وفى ط ، س : « الفقمى » صوابه فى ل .

(٢) فى ط ، س ، ١٠ س : « أحربا » بالراء . . وما أثبته عن ل .. يقال حاب بكذا : أثم ، والمصدر الحوب بفتح الحاء وتضم . وفى القرآن الكريم « إنه كان حوبا كبيرا » .

(٣) باقر : اسم جمع للبقر . ومثله بقير وبيقور وباقور وباقورة .

(٤) له ترجمة فى خزانة البغدادى ١ : ٢٨٤ بولاق .

(٥) فى الأصل : « بالبرارى » ، صوابه من حماسة البحترى ٣٥٣ .

وقال أبو نُوَيرة بن الحصين ، حين أخذه الحكم بن أيُّوب بذَنْب العَطرَّق [1] :

أبا يُوسُفٍ لو كنتَ تَعلمُ طاعَتِى ونُصْحِى إذَنْ ما بِعتَنى بالمحلَّق [2]

ولا ساقَ سَرّاق العِرَافة صالحٌ [3] بَنِىَّ ولا كُلِّفْتُ ذَنْبَ العطرق [1]

وقال خِداش [4] بن زُهير حين أُخِذ بِدماء بنى محارب [5] :

أُكلفُ قَتْلَى مَعْشر لستُ مِنهمُ ولادارُهُمْ دارِى ولانصرُهُم نَصْرِى

أُكَلَّفُ قَتلَى العِيصِ عِيصِ شُواحِط وذلك أمرٌ لم تُثَفّ لَهُ قِدْرِى [6]

وقال الآخر :

١١ إذا عَرَكت عِجْلٌ بنا ذَنْبَ طَيِّئٍ عَرَكْنا بتَيم اللاتِ ذنبَ بَنِى عِجْلِ

ولما وَجَدَ اليهودِىُّ أخا حنبض [7] الضبابىّ فى منزله فَخصَاه فمات ، وأخَذَ حنبض بنى عَبْسٍ بجنايَة اليهودىّ ، قال قيسُ بن زُهَيْر : أتأخذُنا بذنْبِ غيرِنا ، وتسألنا العَقلَ والقاتلُ يهودىٌّ من أهل تيماء ؟ فقال : واللهِ أنْ لو قتلَتْه الريح ، لودَيْتُمُوه ! فقال قيس لبنى عَبْس : الموتُ فى بنى ذُبيانَ خَيْرٌ من الحياةِ فى بَنِى عامر ! ثم أنشأ يقول :

أُكلَّفُ ذا الُحصَيْنِ إن كانَ ظَالماً

وإن كنتُ مظلوماً وإن كنتُ شاطنا [8]

---

(١) فى ط « العطرف » بالفاء ، وصوابه فى ل ، س ، ١٠ س .

(٢) ماعدا ل و ١٠ س « إذن هاديتنى » . تحريف . وانظر الخزانة ٣ : ٢١٥ . وفى الخزانة : « والمحلق الضبى ولاه الحكم بن أيوب سفوان » .

(٣) فى ط : « سراف العرافة » وتصحيحه من ل ، س ، ١٠ س.

(٤) فى ط : « خراش » وما هنا عن ل . وخداش شاعر جاهلى ، من أشراف بنى عامر

(٥) فى ط : « بذنب ابن محارب » وتصحيحه من ل وكما يتضح من الشعر .

(٦) فى ط : « عيص شواهد » وهو تحريف مافى ل ، س ، ١٠ س . وفيها كذلك « لم يكلف له » وصوابه مافى ل ، س ، ١٠ س . وثفى القدر : وضع لها الأثافى وانظر معجم البكرى ٨١٥ وجمهرة أشعار العرب ١٠٩ .

(٧) ماعدا ل « أبا حنبض» ، صوابه فى ل والميدانى ٢ : ٥٩

(٨) شاطنا : بعيدا نائيا .

خصاه امرؤٌ من آلِ تيماءَ طائر
ولا يَعْدمُ الإنسيُّ والجنُّ كائنا[١]
فَهَلاَّ بنى ذُبيانَ - أمُّكَ هَابِلٌ -
رَهَنْتَ بفَيفِ الرِّيحِ إن كُنْتَ رَاهِنا[٢]
إذا قلتُ قد أفلتُّ من شَرِّ حنبض
أتانى بأُخْرَى شرُّه مُتَباطِنـــــا
فقد جَعَلَتْ أكبادُنا تجتويكُمُ
كما تجتَوِى سُوقُ العِضاهِ الكرازِنا[٣]

(قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته)

ولما قَتَل لُقمانُ بنُ عادٍ ابنتَه - وهى صُحْرأختُ لُقَيم - قال حين قتَلها: ألَسْتِ امرأة ! وذلك أنّه قد كان تزوج عِدَّةَ نساء ، كلُّهنَّ خُنَّهُ فى أنفُسهنّ ، فلمَّا قَتَلَ أُخراهنَّ ونزل من الجبل ، كان أوَّلَ من تلقّاه صُحْر ابنته ، فوثَبَ عليها فقتلها وقال : وأنت أيضاً امرأة ! وكان قد ابْتُلِى بأنَّ أختَه كانت مُحْمِقة[٤] وكذلك كان زوجُها ، فقالتْ لإحدَى نساءِ لُقْمان : هذه ليلةُ طُهْرِى وهى ليلتُك ، فدَعِينى أنامُ فى مَضجَعِك ، فإنَّ لقمانَ رجلٌ مُنْجِب ،

---

(١) فى ل : « من آل يتماء طابن » وفيها « طابنا » موضع « كائنا » .

(٢) فى الأصل : « بهيف الريح » تحريف . وانظر خبر يوم فيف الريح فى الأغانى ١٥ : ٧٠ وأمثال الميدانى ٢ : ٣٥٨ والكامل لابن الأثير ١ : ٣٨٧ .

(٣) الكرزن وقد يكسر والكرزين : الفأس الكبير .

(٤) المحمقة والمحمق أيضا : المرأة تلد الحمق . قال السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٦٧ : وكانت تحت رجل أحمق .

فعَسَى أن يقَع عليَّ فأُنجِبَ . فوَقَعَ على أُختِه فحَمَلَتْ بلُقَيْم . فهو قولُ النَّمرِ بن تَولَب (١) :

لُقيمُ بنُ لُقمانَ من أُختِهِ فكانَ ابنَ أُختٍ لهُ وابنَا
ليالِيَ حمّقَ فاستحصنَتْ عليه فغُرَّ بها مُظْلِما (٢)
فأحبَلَهَا رَجُلٌ مُحكِمٌ فجاءت به رجلاً مُحْكِماَ (٣)

فضربت العربُ فى ذلك المثلَ بقتل لقمانَ ابنتَه صُحرًا ، فقال خُفافُ ابن نَدْبة فى ذلك :

وعَيّاش يُدِبُّ لى المنايا وما أذنَبْتُ إلّا ذَنْبَ صُحْر (٤)

وقال فى ذلك ابن أُذَيْنَة (٥) :

١٢ أتجمَع تَهياماً بليلَى إذا نأتْ وهِجْرانَها ظُلماً كما ظُلِمَتْ صُحْرُ

وقال الحارثُ بن عُبَاد :

قَرِّبا مربطَ النعامةِ مِنِّى لَقِحَتْ حربُ وائلٍ عَنْ حِيالِ (٦)
لم أكنْ من جُنَاتِها عَلِمَ اللّـ ـهُ وإنِّى بحَرِّها اليومَ صالِي

وقال الشاعر ، وأظنُّه ابنَ المقفَّع :

---

(١) شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم وحسن إسلامه ، ووفد إلى النبى صلى الله عليه وسلم وكتب له كتابا ، وروى عنه حديثا ، وكان أحد أجواد العرب المذكورين وفرسانهم .

(٢) فى ط « فعربه » . وغربها: خدع بها. ومظلما: فى الظلام .

(٣) المحكم : المنجب الذى يلد حكيما ، ويقابله المحمق : الذى يلد الحمق .

(٤) فى ثمار القلوب ٢٤٥ « وعباس يمهد لى المنايا » وفى ل « وعياش يدب إلى » . وأدبها : جعلها تدب .

(٥) هوعروة بن أذينة ، وأذينة لقب لأبيه ، واسم أبيه يحيى. شاعر مقدم من أهل المدينة ويعد فى الفقهاء والمحدثين أيضا، ولكن غلب عليه الشعر، وله ترجمة مستفيضة فى الأغانى ٢١ : ١٠٥ — ١١١ .

(٦) النعامة : فرس الحارث . وعن حيال : أى بعد انقطاع عن الحمل . والمعنى أنه قد جد الجد .

فلا تَلُمِ المرءَ فى شـأنِهِ فربَّ مـلومٍ ولَمْ يُذْنِبِ

وقال آخر :

لعلَّ لَهُ عُذْراً وأَنتَ تَلُومُ وكم لائمٍ قد لَامَ وهْوَ مُليم[١]

(حديث سنَّمار)

وقال بعض العرب ، فى قتل بعضِ الملوكِ[٢] لِسِنِّمار الرومى ؛ فإنه لما علا الخَوَرْنَق ورأى بُنْياناً لم يرَ مثله ، ورأى فى ذلك المستشرف ، وخاف إن هو استبقاه أن يموت فيبنى مثلَ ذلك البنيانَ لرجُلٍ آخرَ من الملوك ، رمَى به من فوق القصر ، فقال فى ذلك الكلبى[٣] فى شيءٍ كان بينَه وبين بعضِ الملوك :

جَزَانى جَزَاهُ ٱللَّهُ شَرَّ جزائِهِ جَزَاءَ سِنِمَّارٍ وما كان ذَا ذنبِ

سِوَى رَصِّه البنيانَ سَبعين حِجَّةً يُعَلِّى عليه بالقَرَاميدِ والسَّكْبِ[٤]

فلما رأى البُنْيانَ تَمَّ سُحُوقُه

وآضَ كمِثْلِ الطَّوْدِ ذِى الباذِخ الصَّعْبِ[٥]

وظنَّ سِنِمَّارٌ به كُلَّ حبوة وفازَ لَدَيْهِ بالمودَّةِ والقُرب[٦]

---

(١) كذا ، وحفظى أن الشعر الأول عجز ، صدره كما فى الميدانى ٢ : ١٢٦ :
تأن ولا تعجل بلومك صاحباً

(٢) قال الهيثم بن على : إنه النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن على. وقال ابن الكلبى : هو بهرام جور بن يزدجرد .

(٣) فى ثمار القلوب ص ١٠٩ أنه شراحيل الكلبى . وفى أمالى ابن الشجرى ١ : ١٠٢ أنه عبد العزى بن امرئ القيس .

(٤) القراميد : مفرده قرمد كجعفر وهو الآجر. والسكب: النحاس أوالرصاص ، ويحرك . وفى ثمار القلوب« عشرين حجة » وفى معجم البلدان « ستين حجة » .

(٥) فى معجم البلدان « كمثل الطود والشامخ الصعب » .

(٦) فى ل : «حبرة » بمعنى السرور .

فقال اقذِفُوا بالعِلْجِ مِنْ رأسِ شاهقٍ   فذاكَ لعَمْرُ اللهِ مِنْ أعظَمِ الخَطْب

وجاء المسلمونَ ، يروى خَلَفٌ عن سَلَف ، وتابعٌ عن سابِق ، وآخَرُ عنْ أوّل ، أنَّهمْ لم يختلِفُوا فى عيبِ قول زِياد(١) : « لآخُذَنَّ الوَلِىَّ بالوَلِىِّ ، والسَّمِى بالسَّمِىِّ ، والجارَ بالجارِ » ، ولم يختلفُوا فى لَعْن شاعِرِهم حيث يقول :

إذا أُخِذَ البَرِىءُ بِغَيْرِ ذَنْبٍ   تجَنَّبَ ما يُحاذِرُه السقيمُ

قال : وقِيل لِعَمْرو بن عُبَيد : إنّ فلاناً لما قدَّم رجلاً لِيُضْرَبَ عُنُقه ، فقيل له : إنَّه مجنون ! فقال : لولا أنَّ المجنونَ يَلِدُ عاقلا لخلَّيت سبيلَه . قال :

١٣ فقال عَمْرو : ماخَلَقَ اللهُ النَّارَ إلاّ بالحقّ !

ولَمّا قالت التغلَبِيَّةُ للجَحَّاف ، فى وَقْعَة البِشْر(٢) : فضَّ اللهُ فاكَ وأعماك ، وأطالَ سُهادَك ، وأَقَلَّ رُقادَك ، فوَاللهِ إنْ قَتَلْتَ إلاّ نساءً أعالِيهنَّ ثُدِىٌّ ، وأسافِلُهُنَّ دُمًى ! ! فقال لِمَنْ حَولَه : لولا أن تَلِدَ هذِه مثلَها لخلَّيتُ سَبيلَها ! فبلغ ذلك الحسنَ فقال : أمَّا الجَحَّاف فجَذْوةٌ من نارِ جهنَّم .

قال : وذمَّ رجلٌ عند الأحنَفِ بنِ قيس الكَمْأةَ بالسَّمْنِ ، فقال عند ذلك الأحنَف : « رُبَّ مَذْمومٍ لاذَنْبَ لَه(٣) » .

فبهذِه السيرةِ سرتَ فينا .

وما أحسنَ ما قال سعيدُ بنُ عبدِ الرحمن(٤) :

وإنّ امرأً أمْسَى وأصْبَحَ سالمًا   مِنَ النَّاسِ إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ

---

(١) هو ابن أبيه . والكلام فى خطبته البتراء المعروفة . انظر البيان ٢ : ٦٣ .

(٢) فى ط : « البسر » وهو تصحيف ، والبشر : جبل يمتد من الشام إلى الفرات . وانظر المعجم والأغانى ١٩ : ١٣٠ .

(٣) الخبر فى البيان والتبيين ٢ : ٣٤٤ ، ٣٧٤ .

(٤) هو سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت .

(عناية العلماء بالملح والفكاهات)

وقلتَ : وما بالُ أهلِ العلمِ والنظرِ ، وأصحابِ الفكرِ والعِبَر ، وأربابِ النِّحَلِ ، والعلماءِ وأهلِ البصر بمخارجِ المِلَل ، وورثةِ الأنبياء ، وأعوانِ الخلفاء ، يكتُبُون كتبَ الظُّرَفاءِ والمُلَحَاء ، وكُتب الفُرَّاغِ والخُلَعاء ، وكتبَ الملاهى والفُكَاهات ، وكتبَ أصحابِ الخصوماتِ ، وكتبَ أصحابِ المِراءِ ، وكتبَ أصحاب العصبيَّةِ وحَمِيَّةِ الجاهليّة ! ! ألأنَّهُمْ لايحاسِبون أنفسهم ، ولا يُوازِنون بينَ ما عليهم ولهم ، ولا يخافُون تصفُّحَ العلماءِ ، ولا لائمة الأربَاءِ[1] ، وشنف الأَكْفاء ، ومَشْنأة[2] الجُلَساء ! ؟

فهلاّ أمسكتَ — يَرْحَمُكَ الله — عَنْ عَيْبِها والطَّعْنِ عليها ، وعن المَشُورَةِ والموعِظة ، وعن تخويفِ مافى[3] سوء العاقبةِ ، إلى أنْ تبلغَ حالَ العلماء ، ومراتبَ الأَكْفاء ؟ !

فأمَّا كتابُنا هذا ، فسنذكرُ جُمْلَةَ المذاهب[4] فيه ، وسَنَأْتِى [بعد ذلك] على التفسير ، ولَعلَّ رأيَك عند ذلك أنْ يتحوَّل ، وقولَك أن يتبدل ، فتُثْبِتَ أو تكونَ قد أخذتَ من التوقُّفِ بنصيب ، [إن شاء الله] .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط « ولائمة الأدباء » .

(٢) فى ط : « شنأة » وصوابه شناءة ، وأثبت مافى ١٠ س وأما فى ل فهى « مساءة » . والشنف بالتحريك وكذا المشنأة بمعنى ، هو البغض .

(٣) فى ل : « مافيه » .

(٤) فى ط : « المذاهب » والوجه ماأثبته من ل ، س .

(أقسام الكائنات)

وأقول : إنّ العالَمَ بما فيه من الأجسام على ثلاثة أنحاء : متَّفق ، ومختلف ، ومتضادٌّ ؛ وكلُّها فى جملةِ القول جمادٌ ونامٍ . وكان حقيقةُ القولِ فى الأجسام من هذه القِسْمة ، أن يقال : نامٍ وغيرُ نام . ولو أنَّ الحكماءَ وضعُوا لكلِّ ما ليس بنامٍ اسماً ، كما وضعُوا للنامى اسماً ، لاتبّعنا أَثرَهُمْ ؛ وإنما ننتهى إلى حيثُ انتهوا . وما أكثَرَ ما تكونُ دلالةُ قولِهِمْ جماد ، كدَلالةِ قولهم مَوَات . وقد يَفترِقان فى مواضِعَ بعضَ الافتراق . وإذا أخرجت[1] من العالَمِ الأفلاكَ والبروجَ والنجومَ والشمسَ والقمر ، وجدتَها غيرَ نامية ، ولم تجدْهم يسمُّون شيئاً منها بجَماد ولا مَوات ، وليس لأنَّها تتحرَّكُ من تِلقاءِ أنفُسِها لم تُسَمَّ مواتاً ولا جماداً .

وناسٌ يجعلونها مدبِّرة غير مدبَّرة ، ويجعلونها مسخِّرة غير
مسَخَّرة[2] ، ويجعلونها أحْيَا من الحيوان ؛ إذْ كان الحيوانُ إنَّما يَحْيا ١٣
بإحيائها له ، وبما تُعطيه وتُعيره . وإنما هذا منهم رأى ، والأُمَمُ فى هذا كلِّه على خلافِهم ، ونحنُ فى هذا الموضعِ إنَّما نعبِّر عن لُغَتنا ، وليس فى لُغتنا إلاّ ما ذكرنا .

والناسُ يسمُّون الأرضَ جماداً ، وربّما يَجعلونها مَوَاتاً إذا كانتْ لم

---

(١) فى ط : « خرجت » .

(٢) ماعدا ل و س : « مدبرة وناس غير مدبرة ويجعلونها مسخرة وغير مسخرة » وما هنا صوابه .

تُنْبِتْ قديماً ، وهى مَوَات الأرض ، وذلك كقولهم : مَنْ أحيَا أرضاً مواتاً فهى له .

وهم لايجعلون الماءَ والنارَ والهواءَ ، جماداً ولا مَوَاتاً ، ولا يسمُّونَها حيواناً ما دامت كذلك ، وإن كانت لاتضاف إلى النَّماء والحسّ .

والأرضُ هى أحدُ الأركانِ الأربعة ، التى هى الماءُ والأرضُ والهواءُ والنار ، والاسمانِ لايتعاوَرَانِ عندَهم إلاّ الأرض .

(تقسـيم النامي)

ثمَّ النامِي على قسمين : حيوان ونبات ، والحيوانُ على أربعة أقسام : شيءٌ يمشى ، وشيء يطير ، وشيء يسْبَحُ ، وشيءٌ يَنْسَاح[1] . إلاّ أنّ كلَّ طائرٍ يمشى، وليس الذى يَمْشى ولا يَطِير يسمى طائراً . والنوعُ الذى يَمشى على أربعةِ أقسام : ناس ، وبهائم ، وسباع ، وحشرات . على أنّ الحشَرَاتِ راجعةٌ فى المعنى إلى مشاكلةِ طباع البهائمِ والسباع . إلاّ أنّنا فى هذا كلِّه نتبع الأسماءَ القائمة[2] المعروفة ، البائِنات بأنفُسِها، المتميِّزاتِ عند سامعيها، مِنْ أهلِ هذه اللغةِ وأصحاب هذا اللسان ، وإنّما نُفْرِد ما أفْرَدوا ، ونَجْمَع ما جَمَعوا[3] .

---

(١) ينساح : يمشى على بطنه .

(٢) فى ط « الفارقة » .

(٣) فى ط « وإنما يفرد ماأفردوا ويجمع ماجمعوا » .

(تقســـيم الطير)

والطيرُ كلٌّ سَبُعٍ وبَهيمة وهَمَج . والسباعُ من الطير على ضَربَيْن : فنها العِتاقُ والأحرارُ والجوارحَ ، ومنها البغاث[١] وهو كلُّ ماعظمَ من الطير : سبعاً كان أو بهيمة ، إذا لم يكنْ من ذواتِ السلاحِ والمخالبِ المعقَّفة ، كالنُّسورِ والرَّخَم والغِربان ، وما أشبهها مِنْ لئامِ السباع .

ثم الخشَاش ، وهو ما لطُف جِرمُه وصَغُر شخصه ، وكان عديمَ السلاحِ [ولا يكون[٢]] كالزُّرَّقِ[٣] واليُؤيُؤ[٤] والبادنجار[٥] .

فأما الهَمَج فليس من الطير ، ولكنَّه ممَّا يطير . والهمَجَ فيما يطيرُ ، كالحشراتِ فيما يمشى .

والحيّاتُ من الحشرات ، وأىُّ سبعٍ أَدخَلُ فى معنى السَّبُعيَّة مِنَ الأفاعى والثعابِين ؟ ولكن ليس ذلك من أسمائها ، وإن كانتْ من ذوات الأنيابِ وأكَّالة اللُّحوم وأعداءِ الإنسِ وجَميعِ البهائم ، ولذلك تأكلُها الأوعَال[٦] والخنازيرُ والقَنافِذُ والعِقبان[٧] والشاهْمُرك[٨] والسنانير ، وغير ذلك من البهائم والسباع . فمَنْ جَعَلَ الحيَّاتِ سِباعاً ، وسمَّاها بذلك عندَ بعضِ القولِ والسببِ فقدْ أصابَ ، ومن جَعلَ ذلك لها كالاسمِ الذى هو العلامةُ

---

(١) فى القاموس ، البغاث مثلثة : طائر أغبر جمعه كغزلان ، وشرار الطير .

(٢) كلمة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزرق : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق ، وفيه ختل وخبث .

(٤) اليؤيو : من جوارح الطير يشبه الباشق .

(٥) كذا فى ط وس و ١٠ س . وفى ل « الباذنجان» . وأراها محرفة عن « الباشق ». انظر الحيوان ٢ : ١٨٨ .

(٦) فى ط « الأوغال » وتصحيحه من ل ومن الحيوان للجاحظ ٢ : ٥٢ و ٦ : ٥٥ .

(٧) فى ط « الغربان» .

(٨) الشاهمرك : الفتى من الدجاج قبل أن يبيض بأيام قلائل ، وهو معرب شاه مرغ ، ومعناه ملك الطير . الدميرى .

كالكَلْبِ والذئب والأسَد فقد أخطأ :

ومن سِباعِ الطيرِ شكلٌ يكون سِلاحُه المخالبَ كالعُقابِ وما أشبهها ، وشيءٌ يكونُ سِلاحُه المناقيرَ كالنُّسُورِ والرَّخَمِ والغِرْبان ، وإنَّما جعلْناها سباعاً لأنّها أكَّالةُ لحوم .

ومِنْ بهائم الطير ما يكون سلاحُه المناقيرَ كالكَرَاكِيِّ وما أشبهها ، ومنه ما يكونُ سلاحُه الأسنانَ كالبُومِ والوَطْوَاطِ وما أشبهها ، ومنه ما يكون سلاحُه الصياصى كالدِّيَكَة ، ومنه ما يكون سلاحه السَّلْح[1] كالحُبارى[2] والثعلب أيضا كذلك .

والسَّبع من الطير : ما أكل اللحمَ خالصاً ، والبهيمةُ : ما أكلت الحبَّ خالصاً . وفى الفنِّ الذى يجمعها من الخلْقِ المركَّبِ والطبع المشترَك ، كلامٌ سنأتى عليه فى موضعه إن شاء الله تعالى .

والمشترَك عندهم كالعصفور ؛ فإنَّه ليس بذى مِخْلَبٍ معقَّف ولا مِنْسَر[3] وهو يلقط الحبَّ ، وهو مع هذا يصيد النَّمْل[4] إذا طار ، ويَصِيد الجرادَ ، ويأْكُلُ اللحم ، ولا يَزُقُّ فِرَاخَه كما تزقُّ الحمامُ ، بل يُلْقِمها كما تُلْقِمُ السباعُ من الطير فراخَها . وأشباهُ العصافيرِ من المشترَك كثيرٌ ، وسنذكُر ذلكَ فى موضِعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) السلح والسلاح كغراب : النجو .

(٢) فى ط « كالجارى » والصـواب « كالحبارى » كما فى ل . وهى من الطيور التى سلاحها سلاحها .

(٣) المنسر كمجلس ومنبر : منقار الطير الجارح .

(٤) فى ط « النحل » والصواب « النمل » كما فى ل فان النحل طائر بطبعه ، وأما النمل فيعرض له الطيران حين الكبر ، قال أبو العتاهية :

وإذا استوت للنمل أجنحة حتى يطير فقد دنا عطبه

وليس كلُّ ما طار بجَناحينِ فهو من الطير ؛ قد يطير الجِعْلانُ والجَحْلُ واليَعاسِيبُ والذّبابُ والزّنابِيرُ والجَرادُ والنمْل والفَراشُ والبَعوضُ والأرضَة والنحلُ وغيرُ ذلك، ولا يسمَّى بالطير . وقد يقال ذلك لها عند [بعض] الذكرِ والسبب . وقد يسمُّون الدجاجَ طيراً ولا يسمُّون بذلك الجراد ، والجرادُ أَطْيَر[1] ، والمثلُ المضروبُ به أشهر ، والملائكةُ تَطِيرُ ، ولها أجنحةٌ وليستْ من الطير . وجَعفر بن أبى طالب ذو جناحين يَطِير بهما فى الجنَّة حيثُ شاء ، وليس جعفرٌ من الطير .

واسم طائرٍ يقَع على ثلاثة أشياء : صورة ، وطبيعة ، وجَناح . وليس بالريشِ والقَوادِمِ[2] والأباهِرِ[3] والخوافى[4] ، يسمَّى طائراً ، ولا بعدمه يسْقط ذلك عنه . ألا ترى أنَّ الخفَّاشَ والوَطواطَ من الطير ، وإن كانا أمْرَطَينِ ليس لهما رِيشٌ ولا زَغَبٌ ولا شَكِيرُ ولا قَصَبٌ[5] وهما مشهورانِ بالحمل والولادة ، وبالرَّضاع ، وبظهور حَجْمِ الآذان ، وبكثرة الأسنان . والنعامة ذاتُ ريشٍ ومِنقارٍ وبَيضٍ وجَناحين ، وليست من الطير .

وليس أيضاً كلُّ عائمٍ سمكة ، وإن كان مناسباً للسمك فى كثير من معانيه . ألا تَرَى أنّ فى المــاء كَلْبَ الماء ، وعنْزَ المــاء ، وخِنزِيرَ الماء ؛ وفيه الرِّقُّ[6] والسُّلَحْفاة ، وفيه الضِّفْدَع وفيه السرطان ، والبَيْنيبُ[7] ،

(١) فى ط « طير » والصواب ما فى ل . وأطير : أشد طيرانا .
(٢) القوادم والقدامى — كحبارى — أربع أو عشر ريشات فى مقدم الجناح . الواحدة قادمة.
(٣) الأبهر : الجانب الأقصر من الريش ، جمعه أباهر .
(٤) الخوافى : ريشات إذا ضم الطائر جناحيه خفيت .
(٥) الزغب : الريش القصير . والشكير : صغار الريش بين كبارها . والقصب : ضرب من صغار الريش .
(٦) قال الدميرى : بكسر الراء وبالقاف : ضرب من دواب المــاء يشبه التمساح . والرق أيضاً : العظيم من السلاحف، وجمعه رقوق .
(٧) ورد هذا الاسم محرفا فى جميع النسخ فهو فى ط « التبتل » وفى ل « البنيل » وفى س « الثبتل » وصوابه فى الدميرى قال : « على وزن فيعيل سمك بحرى معروف عند أهل البحر » . وانظر معجم المعلوف ٢٥١ .

والتِّمساح والدُّخس والدُّلْفين واللَّخْمُ والبنبك[١] ، وغيرُ ذلك من الأصناف . والكَوسَج والد اللُّخم ، وليس للكوسج أبٌ يُعرَف . وعامَّةُ ذا يَعيش فى الماء ، ١٦
ويبيت خارجاً من الماء ، ويَبِيضُ فى الشطِّ ، ويَبيض بيضاً له صُفْرَةٌ ، وقَيْضٌ وغِرْقِئٌ ، وهو مع ذلك ممّا يكون فى الماء مع السمك .

(تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم)

ثمَّ لا يخرج الحيوان بعد ذلك فى لغة العرب من فصيح وأعجم ، كذلك يقال فى الجملة ، كما يقال الصامت لما لا يَصْنَع صمتاً قطُّ ولا يجوز عليه خلافه ، والناطق لِمَا لَمْ يتكلَّمْ قطُّ ، فيحملون ما يرغو ، ويَثغو ، ويَنهَق ، ويَصْهِل ، ويَشْحَج ، ويَخُور ، ويَبْغَم ، ويَعوِى ، ويَنبَح ، ويَزْقُو ، ويَضْغُو ، ويَهْدِر ، ويَصْفِر ، ويُصَوْصِى ، ويُقَوْقِى ، ويَنْعَبُ ، ويَزْأَر ، ويَنْزِبُ[٢] ، ويكِشُّ ، ويَعِجُّ[٣] ، على نطقِ الإنسان إذا جمع بعضه على بعض . ولذلك أشباهٌ ، كالذكور والإناث إذا اجتمعا ، وكالعِيرِ التى تسمَّى لَطِيمة ،

(١) فى الأصل : « البلبل » والصواب ما كتبته عن القاموس وعن معجم المعلوف ٢٢٥ قال الفيروزبادى « والبنبك ، كقنفذ وجندل : دابة كالدلفين ، أو سمك يقطع الرجل نصفين فيبلعه » .

(٢) فى ط « يترب » وفى ل « ينبر » وهو تحريف ماأثبت .

(٣) الرغاء للإبل ، والثغاء الشاء ، والنهيق للحمير ، والصهيل للخيل ، والشحيج للبغال ، والخوار لثيران ، والبغام للظباء ، والعواء للذئاب ، والنباح للكلاب ، والزقاء للديكة ، والضغاء للسنانير ، والهدير للفحول ، والصفير للنسور ، والصوصأة للجراء ، والقوقأة للدجاج ، والنعيب للغربان والبوم ، والزئير للأسد ، والنزيب للظباء أو ذكورها خاصة ، والكشيش للأفاعى تحدثه بجلودها . والعجيج : الصياح ، وأحسب هذه الكلمة « يفح » والفحيح صوت الأفاعى تحدثه بأفواهها .

وكالظُّعُن ؛ فإنَّ هذه الأشياءَ إذا وجد بعضُها إلى بعض ، أو أَخَذ بعضُها من بعض ، سُمِّيَتْ بأنَبه النوعَين ذِكْرًا ، وبأقْواهما . والفصيحُ هو الإنسان ، والأعجم كلُّ ذى صوتٍ لا يفهَمُ إرادتَه إلاّ ما كان من جنسه . ولعمرى إنا نفهم[١] عَن الفرَس والحمارِ والكلبِ والسِّنَّور والبعير ، كثيراً من إرادته وحوائجه وقصوده[٢] ، كما نفهم إرادةَ الصبىِّ فى مَهْده ونعلم[٣] — وهو من جليل العلم — أنَّ بكاءَه يدلُّ على خلافِ ما يدُلُّ عليه ضَحِكُه . وحَمْحَمَةُ الفرَس عند رؤية المخلاة[٤] ، على خلاف ما يدلُّ عليه حَمحمتُه عند رؤية الحِجْر ، ودُعاء الهِرَّةِ الهرَّ خلافُ دعائِها لولدها ، وهذا كثير .

والإنسانُ فصيح ، وإنْ عبَّرَ عن نفسِه بالفارسيّة أو بالهنديّة أو بالروميّة ، وليس العربىُّ أسوأ فهماً لِطَمْطَمَةِ الرومىِّ [من الرومى] لبيانِ لسان العربىّ . فكلُّ إنسانٍ من هذا الوجه يقال له فصيح ، فإذا قالوا : فصيح وأعجَم ، فهذا هو التأويل فى قولهم أعجم ، وإذا قالوا العرب والعجم ولم يلفظوا بفصيح وأعجم ، فليس هذا المعنى يريدون ، إنّما يَعنُون أنّه لايتكلَّم بالعربيَّة ، وأنَّ العربَ لا تفهم عنه . وقال كُثَيِّر :

فبُورِكَ ما أعطَى ابنُ لَيلَى بنِيَّةٍ   وصامتُ ما أعطَى ابنُ ليلى وناطقُه

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط « إن التعميم » .

(٢) فى الأصول « وقصوره » بالراء ولم يظهر معناه ، فكتبت مكانه « قصوده » جمع قصد .

(٣) فى ط : « ونفهمه » . وانظر البيان ١ : ١٦٢ .

(٤) فى ط « الفحل » وليس بالوجه . والوجه مافى ل ، وورد فى ط زيادة « من » قبل « حمحمة » وإثباتها يفسد التركيب .

ويقال « جاء بما صَأى [1] وصمت » . فالصامت مثل الذهب والفضّة ، وقوله صَأى [1] يعنى الحيوانَ كلَّه ، ومعناه نطق وسكَت ؛ فالصامت فى كلِّ شىءٍ سِوَى الحيوان .

ووجدْنا كونَ العالَم بما فيه حكمةً ، ووجدْنا الحِكمةَ على ضربَين : شىءٌ جُعِلَ حكمةً وهو لا يَعقِل الحِكمةَ ولا عاقبةَ الحِكمة ، وشىءٌ جُعِل حكمةً وهو يَعْقِل الحِكمة وعاقبةَ الحِكمة . فاستوى بذاكَ الشىء العاقلُ وغير العاقل ١٧
فى جهةِ الدَّلالةِ على أنَّهُ حكمة ، واختلفا من جهةِ أنَّ أحدهما دَليلٌ لا يَسْتَدِلّ ، والآخر دليل يستدل ، فكلُّ مُسْتَدِلٍّ دليل وليس كلُّ دليل مستدلا ، فشارك كل حيوانٍ سوى الإنسان ، جميعَ الجمادِ فى الدَّلالة ، وفى عدم الاستدلال [2] ، واجْتَمَع للإنسان أنْ كان دليلاً مستَدِلاًّ .

ثُمَّ جُعِل للمستدِلِّ سببٌ يدلُّ به على وجوهِ استدلاله ، ووُجوهِ ما نتج له الاستدلال ، وسمَّوا ذلك بياناً .

(وسائل البيان)

وجُعِل البيانُ على أربعة أقسام : لفظ ، وخطّ ، وعَقْد [3] ، وإشارة ،

---

(١) فى ط « ضأى » بالضاد ، وهو تصحيف صوابه مافى ل ، س .
(٢) فى ط « وفى عدم الاستدلال وسموا ذلك بيانا » . و « وسموا ذلك بيانا » عبارة إضافية لامعنى لها .
(٣) تحدث الجاحظ عن العقد فى البيان ١ : ٢٧ ، ٧٦ ، وقال : إنه الحساب دون اللفظ والخط ، وقد علق الجاحظ عليه أهمية كبرى إذ يقول « وفى عدم اللفظ وفساد الخط ، والجهل بالعقد فساد جل النعم ، وفقدان جمهور المنافع » . فيظهر أن ذلك الضرب من الحساب كان شائعا فى عصره . ووجدت للبغدادى كلاماً فى (العقد) ٣ : ١٤٧ بولاق ، قال « واعلم أن العقود والعقد نوع من الحساب يكون بأصابع اليدين يقال له : حساب اليد ، وقد ورد منه فى الحديث : وعقد عقد تسعين . وقد ألفوا فيه كتبا وأراجيز » . وانظر الخزانة .

وجُعِل بيانُ ٱلدليل ٱلذى لا يستدِلُّ تَمْكِينَهُ المستدِلَّ من نفسه ، واقتيادَه كلَّ من[1] فكَّر فيه إلى معرفةِ ما استُخْزِنَ من البرهان ، وَحُشِىَ[2] من ٱلدَّلَالة ، وأُودِع مِن عَجيب الحكمة . فالأجسامُ الخُرْسُ الصامتة ، ناطقةٌ مِن جهة ٱلدَّلالة ، ومُعْرِبةٌ من جهة صحَّة الشهادة ، على أنَّ ٱلذى فيها من التدبير والحِكمة ، مخبرٌ لمن استخبَرَه ، وناطقٌ لِمَنْ استنطقه ، كما خبَّر الهُزَالُ وكُسُوف اللونِ ، عن سُوءِ الحال ، وكما ينطق السِّمَنُ وحُسْنُ النَّضْرَة ، عن حسن الحال . وقد قال الشاعر [وهو نصيب] :

فعاجُوا فأثنَوا بالذى أَنْتَ أَهلُه ولو سكتوا أثنتْ عليكَ الحقائبُ

وقال آخر :

مَتى تَكُ فى عدوٍّ أو صديقٍ تُخَبِّرْكَ العيونُ عن القلوبِ

وقد قال العُكْلِىُّ[3] فى صِدق شمِّ ٱلذئب وفى شدّةِ حسِّه واسترواحه :

يَستخبِرُ الريحَ إذا لم يَسْمَعِ بمثل مقراعِ الصَّفا الموقَّعِ[4]

وقال عنترة ، وهو يصف نَعِيبَ غُراب :

حَرِقُ الجَنَاحِ كأنّ لَحْيَىْ رأسه جَلَمانِ بالأخبار هَشٌّ مُولَع[5]

---

(١) فى ط « واقتياده فكل » وأصلحت العبارة من ل .

(٢) فى ط « وحتى » وهو تصحيف ظاهر توجيهه فى ل .

(٣) هو أبو الردينى العكلى ، كما فى البيان ١ : ٨٢ . وانظر اللسان (مخر) .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : المقراع : الفأس التى يكسر بها الصخر . والموقع : المحدد .

(٥) فى ط « خرق » بالخاء وهو تصحيف ، صوابه فى ل وفى البيان . قال الجاحظ فى البيان ١ : ٨٢ : « الحرق : الأسود ، شبه لحييه بالجلمين لأن الغراب يخبر بالغربة والفرقة ، ويقطع كما يقطع الجلمان » . وقد ذكر ابن رشيق هذا البيت فى العمدة ١ : ٢٠٢ وجعله من التشبيهات العقم ، التى لم يسبق أصحابها إليها ولا تعدى أحد بعدهم عليها .

وقال الفضل بن عيسى بن أبان فى قصصه[١] : سَلِ الأَرْضَ ، فقلْ : مَنْ شقَّ أنهارَكِ ، وغَرَسَ أشجارَكِ ، وجَنَى ثِمـارَكِ ؛ فإِنْ لم تُجبكَ حِواراً ، أجابتْكَ اعتبارا .

فموضوعُ الجسم ونَصْبته ، دليلٌ على مافيه وداعيةٌ إليه، ومنبهة[٢] عليه . فالجمادُ الأبكمُ الأخرسُ من هذا الوجه ، قد شارَكَ فى البيان الإِنسانَ الحىَّ الناطق. فمَنْ جَعَلَ أقسام البيانِ خمسة، فقد ذهَبَ أيضاً مذهباً له جوازٌ فى اللغة ، وشاهدٌ فى العقل . فهذا أحدُ قِسمَى الحـكمة ، وأحَدُ مَعْنَيَىْ[٣] ما استخزنها[٤] ١٨
ٱللّٰه تعالى من الوديعة .

(ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان)

والقسمة الأُخرى ما أودَعَ صدورَ صنوفِ سائرِ الحيوان ، مِنْ ضُرُوبِ[٥] المعارف ، وفَطَرها عليه من غريب[٦] الهداياتِ ، وسخَّر حناجِرَها لَهُ من ضروبِ النَّغَم الموزونة ، والأَصواتِ الملحَّنـة ، والمخارِجِ الشجيَّـة ، والأَغانى المطربة ؛ فقد يقال إنَّ جميعَ أصواتها معدَّلة ، وموزونة موَّقعة ، ثمَّ ٱلذى سهَّل لهـا من الرفق العجيبِ فى الصنعة ، مما ذَلَّله ٱللّٰه تعـالى لمناقيرها وأكُفِّها ، وكيف فَتَحَ لها من باب المعرفةِ على قدر ما هَيَّأَ لهـا من الآلة ، وكيفَ أَعطَى كثيراً مِنها مِنَ الحسِّ اللطيفِ ، والصنْعـةِ البديعة ، من غير تأديبٍ وتثقيف ، ومن غيرِ تقويمٍ وتلقين ، ومن غير تدريج وتمرين ، فبَلَغَتْ بِعفوها وبمقـدار قوى فِطرتها ، من البَديهةِ

---

(١) انظر البيان ١ : ٨١ .

(٢) فى ط « ومهيمنة » والوجه مافى ل .

(٣) فى الأصل « معنى » والصواب التثنية .

(٤) فى الأصل « استخزنهما » والضمير راجع إلى « الحـكمة » .

(٥) فى ط « ضرب » وصوابه فى ل .

(٦) فى ط « غيريب » وهو تصحيف ظاهر .

والارتجال ، ومن الابتداءِ والاقتضاب ، ما لا يَقْدِرُ عليه حُذّاقُ رجالِ الرأي ، وفلاسفةُ علماءِ البشر ، بِيَدٍ ولا آلة . بل لا يبلغ ذلك من الناسِ أكملُهُمْ خصالا وأَتمُّهُمْ خلالاً ، لا مِن جهة الاقتضاب والارتجال ، ولا من جِهة التعسُّف والاقتدار ، ولا من جهة التقدُّم فيه ، والتأنِّي فيه ، والتأتِّي له . والترتيبِ لمقدِّماته ، وتمكين الأَسباب المُعينةِ عليه . فصار جهد[1] الإنسا ن الثاقبِ الحسِّ ، الجامعِ القُوى ، المتصرِّفِ في الوجوه ، المقدَّم في الأُمور ، يَعجِز عن عَفْوِ كَثيرٍ منها ؛ وهو ينظرُ إلى ضروب ما يجيء منها ، كما أعطيت العنكبوتُ ، وكما أعطِيَت السُّرْفَة ، وكما عُلِّم النحْل ، بل[2] وعُرِّفَ التُّنَوِّطُ مِن بديعِ المعرفة ، ومِن غَريبِ الصنعة ، في غير ذلك مِن أصناف الخلق . ثم لم يوجب لهم[3] العجزَ في أَنْفُسِهِمْ في أكثر ذلك ، إلاّ بما قوى عليه الهَمَجُ والْخشَاشُ وصِغارُ الحشرات ، ثم جعل الإنسان ذا العقلِ والتمكينِ[4] ، والاستطاعة والتصريف ، وذا التكلُّفِ والتجربَة ، وذا التأنِّي والمنافَسَة ، وصاحبَ الفهْمِ والمسابَقَة[5] ، والمتبصِّرَ شأنَ العاقبة ، متى أحسَنَ شيئا كان كلُّ شيءٍ دونَه في الغُمُوض عليه أسهلَ ، وَجَعَل سائرَ الحيوانِ ، وإن كان يحسنُ أحدُها ما لايحسنُ أحذَقُ الناس متى أحسنَ شيئاً عجيبا ، لم يمكنْهُ أن يُحسِن ما هو أقربُ منه في الظنّ ، وأسهلُ منه في الرأي ، بل لا يحسِنُ ما هو أقرب منه في الحقيقة . فلا الإنسانُ جَعَلَ

---

(١) في ط « جملة » وصوابه في ل .
(٢) هذا الحرف ليس في ل .
(٣) في ط ، ل « يوجدهم » موضع « يوجب لهم » وماأثبته هو الوجه .
(٤) في ط « ليعلم الإنسان أن ذا العقل والتمكين » ووجهه ما في ل لتتم المقارنة بقوله بعد : « وجعل سائر الحيوان . . الخ » .
(٥) في الأصل « السابقة » وكتبت ما هو أشبه بالكلام .

نفسه كذلك ، ولا شىء من الحيوان اختارَ ذلك ، فأحسنَتْ هذه الأجناسُ
بلا تعلُّم ، ما يمتَنِع على الإنسان وإن تعلَّم ، فصار لا يحاوله ؛ إذْ كان ١٩
لاَ يطمع فيه ، ولا يحسُدُها ؛ إذ لا يؤمِّل اللَّحاقَ بها . ثمّ جعل تعالى وعزَّ ،
هاتين الحكمتين بإزاء عُيونِ الناظِرين ، وتُجاهَ أسماعِ المعتَبِرين ، ثمَّ حثَّ
على التفكير والاعتبار ، وعلى الاتّعاظ والازدِجار ، وعلى التعرُّفِ والتبيُّنِ ،
وعلى التوقُّفِ والتذكُّر ، فجَعَلَها مذكِّرةً منبِّهة ، وجَعَلَ الفِطر تُنْشِئُ[1]
الخواطرَ ، وتجُولُ بأهلها فى المذاهب. ذَلِكَ ٱللهُ رَبُّ العالَمِينَ ، ﴿فَتَبَارَكَ ٱللهُ
أَحْسَنُ الخالِقِينَ﴾ .

(مزج الهزل بالجدّ فى الكتاب)

وهذا كتابُ موعظةٍ وتعريفٍ وتفقُّهٍ وتنبيه . وأراكَ قد عِبتَه قبل أن
تقفَ على حُدودِهِ ، وتتفكَّرَ فى فصوله ، وتَعتبِرَ[2] آخرَه بأوله، ومَصَادِرَه
بموارده ، وقد غلّطَك فيه بعضُ ما رأيتَ [فى أثنائه] من مزحٍ لم تعرف
معناه ، ومن بَطالةٍ لم تطّلِعْ على غورها ؛ ولم تدرِ لم اجتُلِبت ، ولا لأىِّ
علّةٍ تُكُلِّفت ، وأىّ شىءٍ أُرِيغَ بها ، ولأىِّ جِدٍّ احتُمِل ذلك الهزل ،
ولأىِّ رياضةٍ تُجُشِّمتْ تلك البَطالة ؛ ولم تَدْرِ أنَّ المزاحَ جِدٌّ إذا اجتُلِب
ليكون علّةً للجِدِّ ، وَأنَّ البَطالة وَقارٌ ورَزانة ، إذا تُكُلِّفت لتلك العاقبة .
ولـمَّا قال الخليلُ بن أحمد : لا يصل أحدٌ من علم النحو إلى ما يحتاجُ إليه .

(١) هذا ما فى ل . وفى ط « وجعل الفكر ينشئ » .
(٢) فى الأصل « تتفكر » والوجه : « تعتبر » .

حتَّى يتعلَّم ما لا يحتاج إليه . قال أَبو شمر : إذا كان لا يُتوصَّل إلى ما يحتاج إليه إلاّ بما لا يحتاج إليه ، فقد صار ما لا يُحتاج إليه يُحتاج إليه . وذلك مثل كتابنا هذا ؛ لأنّه إن حَمَلْنَا جميعَ من يتكلَّف قراءةَ هذا الكتابِ على مُرِّ الحق ، وصُعوبة الجِدّ ، وثِقل المئونة ، وحِلية الوقار ، لم يصبر عليه مع طوله إلاّ من تجرَّدَ للعلم ، وفهم معناه ، وذاق من ثمرته ، واستشعر قلبه من عزِّه ، ونال سروره على حسب ما يُورث الطولُ من الكَدّ ، والكثرةُ من السآمة . وما أكثر مَن يُقَاد إلى حظِّه بالسواجير[1] ، وبالسوق العنيف ، وبالإخافة الشديدة .

(نعت الكتاب)

ثم لم أرَكَ رضِيتَ بالطعن على كلِّ كتاب لى بعينه ، حتَّى تجاوزتَ ذلك إلى أنْ عبت وضْعَ الكتبِ كيفما دارت بها الحالُ ، وكيفَ تصرفَتْ[2] بها الوجوه . وقد كنتُ أعجَب من عيبك البعضَ بلا علم ، حتَّى عِبتَ الكلَّ بلا علْم ، ثم تجاوزْت ذلك إلى التشنيع ، ثم تجاوزتَ ذلك إلى نصب الحربِ فعبتَ الكِتَابَ ؛ ونعم الذخر والعقدة[3] هو ، ونعم الجليس والعُدَّة ، ونعم النشرة والنزهة ، ونعم المشتغل والحرفة ، ونعم الأنيس لساعة الوحدة ، ونعم المعرفةُ ببلاد الغربة ، ونعم القرين والدخيل ، ونعم الوزير والنزيل . والكتاب وعاءٌ مُلِئَ علماً ، وَظَرْفٌ حُشِي ظَرْفاً ، وإناءٌ شُحِن مُزَاحاً وجِدًّا ؛

---

(١) الساجور : خشبة تعلق فى عنق الكلب . وسجره : شده به كسوجره . وانظر البيان ٣ : ٥٠ .

(٢) فى الأصل : « تصرف » .

(٣) العقدة ، بضم العين : مافيه بلاغ الرجل وكفايته .

إنْ شئتَ كان أبيَنَ من سَحْبانِ وائل ، وإن شئت كان أعيا من باقِل ، وإن شئتَ ضَحِكْتَ مِنْ نوادِرِهِ ، وإن شئتَ عَجِبتَ من غرائبِ فرائِده ، وإن شئتَ ألهتْك طرائِفُه ، وإن شئتَ أشجَتْك مواعِظُه . وَمَنْ لكَ بِواعِظٍ مُلْهٍ ، وبزاجرٍ مُغرٍ ، وبناسكٍ فاتِك ، وبناطقٍ أخرسَ ، وببارِدٍ حارّ . وفى البارد الحارِّ يقولُ الحسنُ بن هانئٍ(١) :

قُلْ لزُهيرٍ إذا انتحَى وشدا   أَقْلِلْ أَوَ اكْثِر فأَنْتَ مِهْذَارُ(٢)
سَخُنْتَ مِنْ شِدَّةِ البُرُودَةِ حَـ   ـتَّى صِرْتَ عِنْدِى كأَنَّكَ النارُ(٣)
لَايَعْجَبِ السامعُون مِنْ صِفَتِى   كذلك الثلجُ بارِدٌ حارُ(٤)

وَمَنْ لَكَ بطبيب(٥) أعرابىّ ، وَمَنْ لَكَ برُومىٍّ هِنْدِىّ ، وبفارسى(٦) يُونَانِىّ ، وبقَديمٍ مولَّد ، وبميِّتٍ ممتَّع(٧) ، وَمَنْ لَكَ بشىءٍ يَجْمَعُ لكَ الأَوَّلَ والآخِر ، والناقص والوافر ، والخفىَّ والظاهر ، والشاهدَ والغائبَ ، والرفيعَ والوضيع ، والغَثَّ والسمين ، والشَّكْلَ وخِلافَه ، والجنسَ وضدَّه .

وبعد : فمتى رأيتَ بستاناً يُحَمل فى رُدْن(٨) ، وروضةً تُقَلُّ(٩)

(١) الأبيات فى الديوان ١٨١ وعيون الأخبار كذلك ٢ : ٧ والعقد ٦ : ٧٥ .

(٢) فى ط « إذا انتحى لشدا » وتصحيحه من ل والديوان ، وعيون الأخبار . وفى ط « مهدار » بالدال .

(٣) فى أخبار أبى نواس لابن منظور ١٤ : « هذا شىء أخذه أبو نواس من مذاهب حكماء الهند ، فإنهم يقولون : إن الشىء إذا أفرط فى البرودة انقلب حارا . وقالوا : إن الصندل يحك منه اليسير فيبرد ، فإذا أكثر منه سخن » .

(٤) خفف راء (حار) لضرورة الوزن .

(٥) فى ط « بطيب » وأصلحته من ل ومن المحاسن ٤ .

(٦) فى ط «بفارس» وصوابه فى ل والمحاسن ٤ .

(٧) فى ط « ممتنع » وفى المحاسن : « ونجيب ممتع » .

(٨) الردن : أصل الكم . ويظهر أنهم يستعملونه كذلك فى الكم نفسه .

(٩) فى ط « تقلب » ، والوجه « تقل » لتتلاءم مع « يحمل » إذ هما بمعنى . وفى المحاسن « تنقل » .

فى حِجْرٍ ، وناطقاً ينطِق عن الموتَى ، ويُترجمُ عن الأحياء ! ! وَمَنْ لكَ بمؤنس لاينام إلاّ بنومِك ، ولا ينطق إلاّ بما تهوَى ؛ آمَنُ مِنَ الأرض ، وأكتمُ للسرِّ من صاحب السرِّ ، وأحفَظُ للوديعةِ من أرباب الوديعة ، وأحفَظ لما استُحْفِظَ من الآدميِّين ، ومن الأعْرَابِ المعربين(١) ، بل مِنَ الصِّبيانِ قبلَ اعتراضِ الاشتغال ، ومن العُميانِ قبلَ التمتُّع بتمييز الأشخاص ، حينَ العنايةُ تامَّةٌ لم تَنْقُص ، والأذهانُ فارغةٌ لم تنقَسِم ، والإرادَةُ وافرةٌ لم تتشعَّب ، والطِّينَةُ ليِّنة ، فهى أقبلُ ماتكون للطبائعِ ، والقضيبُ رطبٌ ، فهو أقربُ مايكون من العُلوق ، حينَ هذه الخصالُ لم يَخْلُق جديدُها ، ولم يُوهَنْ غَرْبُهَا ، ولم تتفرَّق قُواها ، وكانت كما قال الشاعر(٢) :

أتانِى هواها قبل أَنْ أَعرِفَ الهَوى فصادفَ قلباً خالياً فتمكّنا

وقال عَبْدة بن الطَّبيب(٣) :

لاتأمَنوا قوماً يَشِبُّ صبيُّهم بَيْنَ القوابِلِ بالعَدَاوةِ يُنْشَعُ(٤)

ومن كلامهم : التعلُّمُ فى الصِّغَر كالنقشِ فى الحجر. وقد قال جِرَانُ العَودِ(٥) :

[تُركْنَ برجلة الروحاء حتَّى تنكّرتِ الديارُ على البَصيرِ]
كَوَحْيٍ فى الحِجارةِ أو وُشُومٍ بأَيْدِى الرُّومِ بَاقِيَةِ النَّئُور ٢١

وقال آخر ، وهو صالحُ بن عبد القُدُّوس :

وإنّ مَن أدَّبتَه فى الصِّبَى كالعُود يُسْقَى الماءَ فى غَرْسِهِ

---

(١) فى ط « المتعربين » وإنما يتعرب الأعاجم . وهو تحريف صوابه فى ل .
(٢) هو مجنون بنى عامر كما فى بيان الجاحظ ٢ : ٤٢ .
(٣) البيت ساقط من ل . وفى ط « نميرة بن الطبيب » والتصحيح من س .
(٤) نشع الصبى وأنشعه : أوجره . والنشوع : الوجور .
(٥) شاعر نمرى اسمه عامر بن الحارث ، لقب بذلك لقوله يخاطب امرأتيه :
خذا حذرا ياجارتى فإننى رأيت جران العود قد كاد يصلح
وله ديوان طبعته دار الكتب .

حَتَّى تَرَاهُ مُورِقاً ناضِرًا   بعدَ الذى قد كان فى يُبْسِهِ[١]

وقال آخر :

يُقَوِّمُ مِنْ مَيلِ الغُلامِ المؤدِّبُ   ولايَنْفَعُ التأديبُ والرأسُ أشيَبُ

وقال آخر :

وَتَلُومُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ   وَمِنَ العَنَاءِ رِياضَةُ الهَرِمِ

وقد قالَ ذو الرُّمَّةِ[٢] لعيسى بن عمر[٣] : اكتبْ شِعرى ؛ فالكتابُ أحبُّ إلىَّ من الحفظ . لأنَّ الأعرابىَّ ينسى الكلمةَ وقد سهِر فى طلبها ليلَته ، فيضَعُ فى موضعها كلمةً فى وزنها ، ثم يُنشِدها الناسَ ، والكتاب لايَنْسى ولا يُبدِّلُ كلاماً بكلام .

وعبتَ الكتابَ ، ولا أعلَمُ جاراً أبرَّ ، ولا خَليطاً أنصف ، ولا رفيقاً أطوعَ ، ولا معلّما أخضعَ ، ولا صاحباً أظهرَ كفايةً ، ولا أقلَّ جِنايَةً ، ولا أقلَّ إمْلالاً وإبراما ، ولا أحفَلَ أخلاقاً ، ولا أقلَّ خِلافاً وإجراماً ، ولا أقلَّ غِيبةً ، ولا أبعدَ من عَضِيهة[٤] ، ولا أكثرَ أعجوبةً وتصرُّفاً ، ولا أقلَّ

---

(١) المحفوظ « من يبسه » .

(٢) فى ط « ذو الرومة » وواضح تحريفه .

(٣) عيسى بن عمر الثقفى ، أبو عمر ، مولى خالد بن الوليد ، نزل فى ثقيف فنسب إليهم ، إمام فى النحو والعربية، أخذ عن أبى عمرو وعبد الله بن أبى إسحق ، وروى عن الحسن البصرى والعجاج ورؤبة ، وعنه الأصمعى ، ويقال إنه له نيفا وسبعين مصنفا ذهبت كلها ، وكان يتقعر فى كلامه . حكى عنه الجوهرى فى الصحاح وغيره ، أنه سقط عن حمار فاجتمع إليه الناس فقال : « مالى أراكم تكأكأتم على كتكأكئكم على ذى جنة ؟ ! افرنقعوا عنى » . واتهمه عمر بن هبيرة بوديعة ، فضربه نحو ألف سوط ، فجعل يقول : « والله إن كانت إلا أثيابا فى أسيفاط قبضها عشاروك ! » . وانظر بغية الوعاة ٢٧٠ .

(٤) العضيهة : الكذب والإفك والبهتان .

تصلُّفاً وتكلُّفاً، ولا أبعَدَ مِن مِراءٍ، ولا أترَك لشَغَب، ولا أزهَدَ في جدالٍ، ولا أكفَّ عن قتالٍ، من كتاب. ولا أعلمُ قريناً أحسنَ مُوافاةً، ولا أعجَل مكافأة، ولا أحضَرَ مَعُونةً، ولا أخفَّ مَئُونَة، ولا شجرةً أطولَ عمراً، ولا أجمعَ أمراً، ولا أطيَبَ ثمرةً، ولا أقرَبَ مُجتَنى، ولا أسرَعَ إدراكاً، ولا أوجَدَ في كل إبَّانٍ، من كتاب. ولا أعلمُ نِتاجاً في حَدَاثةِ سنِّه وقُرْب ميلادِه، ورُخْص ثمنه، وإمكانِ وُجوده، يجمَعُ من التدابيرِ العجيبَة والعلومِ الغريبة، ومن آثارِ العقولِ الصحيحة، ومحمودِ الأذهانِ اللطيفة، ومِنَ الحِكَم الرفيعة، والمذاهب القويمة[1]، والتجارِبِ الحكيمة، ومِنَ الإخبارِ عن القرون الماضية، والبلادِ المتنازحة، والأمثالِ السائرة، والأمم البائدة، مايجمَعُ لك الكتابُ. قال الله عزّ وجلّ لنبيه عليه الصلاة والسلام ﴿ إقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ. ٱلَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فوَصَفَ نَفْسَهُ،
٢٣ تبارك وتعالى، بأنْ علَّمَ بالقَلَم، كما وصف نفسَه بالكرَم، واعتدَّ بذلك في نِعَمه العِظام، وفي أياديه الجِسام. وقد قالوا: القَلَمُ أحدُ اللسانَين، وقالوا: كلُّ مَنْ عَرَف النِّعمةَ في بَيان اللسانِ، كان بفضل النِّعمة في بيانِ القلم أعرَف. ثمَّ جعَلَ هذا الأمرَ قرآناً، ثمَّ جعلَه في أوّل التنزيل ومستَفْتَح الكتاب.

(كون الاجتماع ضروريا)

ثمَّ اعلمْ، رحِمَك الله تعالى، أنّ حاجةَ بعضِ الناس إلى بعضٍ، صفةٌ لازمةٌ في طبائِعهم، وخِلقةٌ قائمةٌ في جواهِرِهم، وثابتةٌ لاتُزايلُهم، ومُحيطةٌ بجماعَتِهم، ومشتملةٌ على أدناهم وأقصاهم، وحاجَتُهُمْ إلى ما غاب عنهم —

(١) في الأصل « القديمة » بالدال.

مما يُعيشُهم ويُحْييهم ، ويُمسك بأرْماقِهم ، ويُصلِحُ بالهم ، ويَجْمَع شملَهم ، وإلى التعاوُنِ فى دَرْكِ ذلك ، والتوازُرِ عليه — كَحَاجَتِهم إلى التعاون على معرفة مايضرُّهم ، والتوازرِ على مايحتاجون من الارتفاق بأمورهم التى لم تَغِبْ عنهم ، فحاجَةُ الغائبِ مَوصُولةٌ بحاجةِ الشاهد، لاحتياج الأدنَى إلى معرِفة الأقصى ، واحتياجِ الأقصى إلى معرفَةِ الأدنى ، معانٍ متضمّنةٌ ، وأسبابٌ متّصلة ، وحبالٌ منعقدة . وجعل حاجتنَا إلى معرفة أخبارِ مَنْ كان قبلَنا ، كحاجةِ [من كان قبلنا إلى أخبار مَنْ كان قبلهم ، وحاجةِ] من يَكُونُ بعدَنا إلى أخبارِنا ؛ ولذلك تقدَّمت فى كتب الله البِشارات بالرُّسل ، ولم يسخِّر لهم جميعَ خلْقه ، إلاّ وهم يحتاجُون إلى الارتفاق بجميع خلْقه . وجعلَ الحاجَةَ حاجَتَين : إحداهما قِوامٌ وقُوت ، والأخرى لذّةٌ وإمْتاعٌ وازديادٌ فى الآلَة ، وفى كلٍّ ما أجذَلَ النفوس ، وجمع لهم العَتاد[1] . وذلكَ المقدارُ مِنْ جميع الصِّنْفَين وفقٌ لكثرةِ حاجاتِهم وشَهَوَاتِهم ، وعلى قدْر اتّساعِ معرفتِهم وبُعْدِ غَوْرِهم ، وعلى قَدْرِ احتمال[2] طبع البشريَّة وفِطرةِ الإنسانيَّة . ثم لم يقطعِ الزيادةَ إلا لعجْزِ خلقِهم عن احتمالها ، ولم يجز أن يفرق بينهم وبين العجْز ، إلاّ بعدَم الأعيان ، إذ كان[3] العجزُ صفةً من صفاتِ الخلق ، ونعتاً من نُعوتِ العبيد .

لم يخلق الله تعالى أحداً يستطيعُ بلوغَ حاجتِه بنفسه[4] دونَ الاستعانة

---

(١) فى ط : « المعتاد » وصوابه فى ل .

(٢) فى ط : « اعتبار » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط : « إذا » وهو تحريف يقع كثيرا فى مواضع تشبه هذا .

(٤) فى ط : « بنسفه » والوجه ماأثبت عن ل .

ببعضٍ من سخَّرَ له ، فأدناهم مسخَّرٌ لأقصاهم ، وأجلُّهم ميسَّر لأدقِّهم . وعلى ذلك أحوَجَ الملوكَ إلى السُّوقة فى بابٍ ، وأحوَجَ السُّوقَةَ إلى الملوك فى باب ، وكذلك الغنىُّ والفقير ، والعبدُ وسيِّدُه . ثُمَّ جَعلَ الله تعالى كلَّ شيءٍ للإنسان خَوَلاً ، وفى يَدِه مُذَلّلاً مُيَسَّرًا[1] إمّا بالاحتيالِ له والتلطُّفِ فى إراغَتِه واستمالتِه ، وإمّا بالصَّوْلةِ عليه ، والفتكِ به ، وإمّا أَنْ يأْتِيَهُ سهواً ورهواً . على أَنّ الإنسانَ لولا حاجَتُهُ إليها ، لما احتالَ لها ، ولا صَالَ

٢٣ عليها . إلاّ أَنّ الحاجةَ تفترِق فى الجنس والجهةِ والجِبْلَّة ، وفى الحظِّ والتقدير .

ثُمَّ تعبَّدَ الإنسانَ بالتفكُّرِ فيها ، والنظرِ فى أُمورِها ، والاعتبارِ بما يَرَى ، ووَصَلَ بينَ عُقولهم وبَيْنَ معرفةِ تلك الحكَم الشريفة ، وتلك الحاجاتِ اللازمة ، بالنظرِ والتفكير ، وبالتنقيب[2] والتنْقير ، والتثبت[3] والتوقُّف ؛ ووَصَلَ معارفَهم بمواقعِ حاجاتِهم إليها ، وتشاعُرِهم بمواضع الحكم فيها بالبيانِ عنها .

(البيان ضرورى للاجتماع)

وهو البيانُ الذى جعلَه الله تعالى سبباً فيما بينَهم ، ومعبِّراً عن حقائق حاجاتِهم ، ومعرِّفاً لمواضع سدِّ الخلَّة ورفْع الشبهة ، ومداواةِ الحيرة ، ولأنّ أكثرَ الناسِ عن الناس أفهمُ منهم عن الأَشباحِ الماثلة ، والأجسامِ الجامدة ، والأجرامِ الساكنة ، التى لايُتَعَرَّفُ ما فيها من دَقائق الحكمةِ

(١) فى ط : « مذ ، إلا ميسرا » والوجه مافى ل .

(٢) كذا فى ل : وهو الصواب . وفى ط : « والتنقب » .

(٣) كذا فى ل وهو الوجه . والذى فى ط : « والتشبث » .

وكُنوزِ الآداب ، وينابيعِ العلم ، إلاّ بالعقلِ الثاقب اللطيف ، وبالنظرِ التامِّ النافذ ، وبالأداةِ الكاملة ، وبالأسبابِ الوافرة ، والصبرِ على مكروه الفكر ، والاحتراسِ من وُجوه الُخدَع ، والتحفُّظِ مِن دواعى الهوى ؛ ولأنَّ الشِّكْلَ أفهَمُ عن شِكله ، وأسكَنُ إليه وأصَبُّ به . وذلك موجودٌ فى أجناسِ البهائم ، وضُروبِ السباع . والصبيُّ عن الصبيِّ أفهمُ له ، وله آلفُ وإليه أنزَع ، وكذلك العالِمُ والعالم ، والجاهل والجاهل ، وقال الله عزّ وجلّ لنبيِّه عليه الصلاة والسلام ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلاً ﴾ لأنَّ الإنسان عن الإنسان أفهم ، وطباعَه بطِباعه آنس ؛ وعلى قدْر ذلك يكونُ موقعُ ما يسمع منه .

ثمَّ لم يرضَ لهم من البنيان بصِنفٍ واحد ، بل جَمع ذلك ولم يفرِّق ، وكثَّر ولم يقلِّل ، وأظهَرَ ولم يُخْفِ ، وجعَل آلة البيانِ التى بها يتعارَفُون معانِيَهُم ، والتَّرْجُمانَ الذى إليه يرجِعون عند اختلافِهم ؛ فى أربعة أشياء ؛ وفى خَصْلةٍ خامسة ؛ وإن نقصت عن بلوغ هذه الأربعة فى جهاتها ، فقد تُبدَّل بجنسها الذى وُضِعت له وصُرِفتْ إليه ، وهذه الخصال هى : اللفظ ، والخطّ ، والإشارة ، والعَقْد ؛ والخصلة الخامسة ما أوجَدَ من صحَّة الدَّلالةِ ، وصدقِ الشهادة ووُضوحِ البرهان ، فى الأَجْرَامِ الجامدة والصامتة ، والساكنة التى لاتَتَبيَّن (١) ولا تحسُّ ، ولا تَفهَم ولا تتحرَّك إلّا بداخلٍ يدخل عليها ، أو عندَ مُمْسِكٍ خلّى عنها ، بعد [أَنْ] كان تقييده لها .

ثمَّ قسّم الأقسامَ ورتّب المحسوسات ، وحصَّل الموجوداتِ ، فجعل اللفظَ للسامع ، وجعل الإشارةَ للناظر ، وأشرَك الناظرَ واللامسَ فى معرفة

---

(١) فى ل : « لاتتبس » ، أى تنطق . والتبين هنا معناه التفهم .

٢٤ العَقْد ، إلّا بما فضّل الله به نصيبَ الناظرِ فى ذلك على قدْرِ نصيبِه اللامس . وجَعَلَ الخطّ دليلاً على ما غابَ من حوائجه عنه ، وسبباً موصُولاً بينه وبين أعوانه ؛ وجعله خازناً لما لا يأمَن نسيانَه ، ممَّا قد أحصاه وحفِظه ، وأتقنه وجَمعه ، وتكلف الإحاطة به ؛ ولم يجعل للشامِّ والذائِق نصيبا .

(خطوط الهند)

ولولا خطوطُ الهِندِ لضاع من الحساب الكثيرُ والبسيط ، ولبطلت[1] مَعرِفةُ التضاعيف ، ولعَدِموا الإحاطةَ بالباورات وباورات الباورات[2] ، ولو أدرَكوا ذلك لَمَا أدْرَكُوه[3] إلّا بعد [أَنْ] تغلُظَ المُؤُونة ، وتنتَقِضَ المُنّةُ ، ولصارُوا فى حالِ مَعْجَزَةٍ وحسور ، وإلى حالِ مَضيعَةٍ وكَلالِ حدّ ، مع التشاغُلِ بأمورٍ لولا فقدُ هذه الدَّلالةِ لكان أربحَ لهم ، وأردَّ عليهم ، أن يُصرَف ذلك الشغلُ فى أبوابِ منافع الدين والدنيا .

(نفع الحساب)

ونفع الحساب معلوم ، والخَلَّةُ فى موضعِ فقدِه معروفة . قال الله تعالى : ﴿ الرَّحْمٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ . ثم قال : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ . وبالبَيَانِ عرَفَ الناسُ القرآنَ . وقال الله تباركَ وتعالى

---

(١) فى ط : « ولبلطت » .

(٢) رسمت هذه الكلمات باثبات ألفات بعد واواتها فى ط : ورسمت فى ل بحذفها .

(٣) فى ط : « ولو أدكروا ذلك لما أدكروه » وهو تحريف أصلحته من ل .

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ، وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ ، لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ فأجْرَى الحسابَ مُجرَى البيان بالقرآن . وبحُسْبان منازلِ القمر ، عرَفنا حالاتِ المدِّ والجزْر ، وكيف تكونُ الزيادةُ فى الأهِلَّة وأنصافِ الشهور[1] ، وكيف يكونُ النقصانُ فى خلال ذلك ، وكيف تلك المراتبُ وتلك الأقدار .

(فضل الكتابة)

ولولا الكتبُ المدوَّنة والأخبار المخلَّدة ، والحكم المخطوطة التى تُحصِّنُ الحسابَ وغيرَ الحساب ، لبَطَل أكثر العلم ، ولغلَب سُلطانُ النِّسيانِ سلطانَ الذكْر ، ولَمَا كان للناس مفزعٌ إلى موضعِ استذكار . ولو تمَّ ذلك لحرِمْنا أكثرَ النفع ؛ إذ كنَّا قد علمْنا أنَّ مقدار حفْظ الناسِ لعواجلِ حاجاتهم وأوائلها ، لايَبلغ من ذلك مبلغًا مذكوراً ولا يُغْنِى فيه غَنَاء[2] محمودا . ولو كُلِّفَ عامّةُ مَن يطلب العلمَ ويصطَنِع الكتب ، ألاّ يزال حافظا لفهرست كتبه لأعجزه ذلك ، ولكلِّفَ شططاً ، ولَشَغله ذلك عن كثيرٍ ممّا هو أولى به . وفهمُك لمعانى كلامِ الناس ، ينقطع قبل انقطاعِ فهْمِ عين الصوتِ مجرَّدا ، وأبعَدُ فهمِك لصوتِ صاحبك ومُعامِلك والمعاونِ لك ، ما كان صياحًا صرفا ، وصوتًا مصمتًا ونداءً خالصا ، ولا يكون ذلك إلاّ وهو بعيدٌ من المفاهمة ، وعُطْلٌ من الدّلالة . فجعل اللفظَ

---

(١) انظر الحيوان ٧ : ٤١ .

(٢) فى ط : « غنا » وصوابه المدكما فى ل .

لأقرَبِ الحاجاتِ ، والصوتَ لأنفَسَ من ذلك قليلا ، والكتابُ للنازح
٢٥ من الحاجاتِ . فأمّا الإشارة فأقربُ المفهومِ منها : رَفْعُ الحواجبِ ، وكسرُ الأجفان ، وليُّ الشِّفاهِ وتحريك الأعناق ، وقبْض جلدةِ الوجه ؛ وأبعدُها أن تلوى بثوبٍ على مقطع جبل ، تُجاهَ عينِ الناظر ، ثمَّ ينقطع عملُها ويدرُس أثرها ، ويموت ذكرها ، ويصير بعدُ كلُّ شيءٍ فضَل عن انتهاء مدَى الصوت ومنتهى الطرف ، إلى الحاجة وإلى التفاهم بالخطوطِ والكتب . فأيُّ نفعٍ أعظمُ ، وأيُّ مِرْفَقٍ أعوَنُ من الخطِّ ، والحالُ فيه كما ذكرنا ! ! وليس للعَقْد حظُّ الإشارةِ فى بُعد الغاية .

(فضل القلم)

فلذلك وضع الله عزّ وجلّ القلم فى المكان الرفيع ، ونوّه بذِكره فى المَنْصِب الشريف حين قال ﴿ نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ فأقسَمَ بالقَلَم كما أقسمَ بما يُخَطُّ بالقلم ؛ إذ كان اللسانُ لا يتعاطى شأوَه ، ولا يشُقُّ غبارَه ولا يجرى فى حلبته ، ولا يتكلف [بُعْدَ] غايتِه . لكنْ لما أنْ كانت حاجات الناسِ بالحَضْرة[١] أكثرَ مِنْ حاجاتهم فى سائر الأماكن ، وكانت الحاجَةُ إلى بيانِ اللسانِ حاجةً دائمة واكدة ، وراهِنةً ثابِتة ، وكانت الحاجةُ إلى بَيانِ القلم أمراً يكونُ فى الغَيبة وعند النائبة ، إلاَّ ما خُصَّت به الدواوين ؛ فإنّ لسانَ القلم هناك أبسَطُ ، وأثرَهُ أعَمُّ ، فلذلك

---

(١) الحضر بالتحريك والحضرة والحاضرة والحضارة بالكسر ويفتح : خلاف البادية .

قدَّموا اللسانَ على القلم . فاللسانُ الآنَ إنَّما هو فى منافع اليدِ[١] والمرافق التى فيها ، والحاجاتِ التى تبلُغها .

(فضل اليد)

فمن ذلك حظُّها وقِسْطُها من منافع الإشارة ، ثم نَصِيبُها فى تقويم القلم ، ثم حَظُّها[٢] فى التصوير ، ثم حَظُّها فى الصناعات ، ثم حَظُّها فى العَقْد ، ثم حَظُّها فى الدَّفْع عن النفس ، ثمَّ حَظُّها فى إيصال الطعام والشراب إلى الفم ، ثم التوضُّؤ والامتساح[٣] ، ثم انتقادِ الدنانيرِ والدراهمِ ولُبسِ الثِّياب ، وفى الدفع عن النفس ، وَأَصْنافِ الرَّمْى ، وأصنافِ الضرْب ، وأصناف الطعْن ، ثم النَّقْرِ بالعُود وتحريكِ الوتر ؛ ولولا ذلك لبَطَل الضرْبُ كلُّه أو عامَّتُه . وكيف لا يكون ذلك كذلك ولها ضَرْبُ الطبْل والدُّفّ ، وتحريكُ الصفَّاقَتين[٤] ، وتحريك مخارِق خروق المزامير ، وما فى ذلك من الإطلاق والحبس . ولو لم يكنْ فى اليدِ إلاَّ إمساكُ العِنان والزِّمام والخِطام ، لكانَ من أعظمِ الحظوظ .

وقد اضطرَبوا فى الحكْم بين العَقْد والإشارة ، ولولا أنّ مغْزانا فى هذا الكتابِ سوى هذا الباب ، لقد كانَ هذا ممَّا أُحِبُّ أن يعرفَه إخوانُنا

(١) فى ل « إنما يوفى منافع اليد » .

(٢) هذه الكلمة ومكرراتها هى فى ط : « خطها » وهو تصحيف أصلح من ل .

(٣) فى ط : « والتمسح » .

(٤) الظاهر أنها آلة موسيقية تشبه تلك التى يستعملها أصحاب الموسيقى النحاسية : قرصين نحاسيين يضرب أحدهما بالآخر .

وخلطاؤنا . فلا ينبغي لنا أيضاً أن نأخذ فى هذا الباب من الكلام ، إلاّ بعدَ
٢٦ الفَراغ ممَّا هو أولى بنا منه ، إذ كنتَ لم تنازِعْنى ، ولم تَعِبْ كتبى ، من طريقِ
فضل[١] ما بين العَقْد والإشارة ، ولا فى تمييز ما بين اللفظ وبينهما ، وإنَّما
قَصَدْنا بكلامنا إلى الإخبار عن فضيلة الكتاب .

(فضل الكتاب)

والكتابُ هو الذى يؤدِّى إلى الناس كتبَ الدين[٢] ، وحسابَ الدواوين مع خفَّة نقلِه ، وصِغَر حجمه ؛ صامتٌ ما أسكتَّه ، وبليغٌ ما استنطقته . ومَن لك بمسامر لا يبتديك فى حالِ شُغْلك ، ويدعُوك فى أوقاتِ نشاطِك ، ولا يُحوِجك إلى التجمُّل له والتذمُّم منه . ومَن لكَ بزائرٍ إن شئتَ جعل زيارتَه غِبًّا ، ووِرُوده خِمْسا ، وإن شئت لَزِمَك لزومَ ظلِّك ، وكان منك مكانَ بعضِك .

والقلمُ مكتفٍ بنفْسه ، لا يحتاج إلى ما عندَ غيرِه ؛ ولا بدَّ لبيان اللسانِ من أمور : منها إشارة اليد ، ولولا الإشارةُ لَمَا فهموا عنك[٣] خاصَّ الخاصِّ إذا كان أخصُّ الخاصِّ قد يدخل فى باب العامّ ، إلاّ أنّه أدنى طبقاته ؛ وليس يكتفى خاصُّ [الخاصّ] باللفظ عمَّا أدّاه ، كما اكتفى عامُّ العامّ والطبقاتُ التى بينه وبين أخصِّ الخاصّ .

والكتابُ هو الجليس الذى لا يُطريك ، والصديق الذى لا يغْريك ،

(١) كذا . ولعلها « فصل » .
(٢) فى ل : « كتب علم الدين » .
(٣) فى ط « عن » وتصحيحه من ل .

والرفيقَ الذى لا يمَـلُّكَ ، والمستَميح الذى لا يستَريثُك[١] ، والجارُ الذى لا يَسْتَبْطِيك ، والصاحبُ الذى لا يريد استخراجَ ما عندَك بالملَق ، ولايعامِلُك بالمَـكر ، ولا يخدَعك بالنِّفاق ، ولا يحتالُ لك بالكَذِب . والكتابُ هو الذى إنْ نظرتَ فيه أطالَ إمتاعَك ، وشحَذَ طباعَك ، وبسَط لسانَك ، وجوَّدَ بَنانك ، وفخَّم ألفاظَك ، وبجَّح[٢] نفسَك ، وعَمَّر صدرك ، ومنحكَ تعظيمَ العوامِّ وصَداقةَ الملوك ، وعَرفتَ به فى شهر ، ما لا تعرفُه من أفواهِ الرجال فى دهْر ، مع السلامةِ من الغُرم ، ومن كدِّ الطلب ، ومن الوقوفِ بباب المـكتسِب بالتعليم ، ومِن الجُلوس بين يدَىْ مَن أنت أفضلُ منه خُلُقاً ، وأكرمُ منه عِرْقا ، ومع السلامةِ من مجالَسَة البُغَضاء ومقارنةِ الأغبياء . والمـكتابُ هو الذى يُطِيعُك بالليل كطاعتِه بالنهار ، ويطيعُك فى السفر كطاعته فى الحضر ، ولا يعتلُّ بنومٍ ، ولا يعتَريه كَلالُ السهرِ . وهو المعلِّمُ الذى إن افتقرتَ إليه لم يُخفِرْك ، وإن قطعتَ عنه المادّة لم يقطعْ عنك الفائدة ، وإن عُزِلتَ لم يدَعْ طاعتَك ، وإن هبَّتْ ريحُ أعاديك لم ينقلبْ عليك ، ومتى كنتَ منه متعلِّقاً بسبب أو معتصِما بأدْنى حبْل ، كان لك فيه غنًى من غيره ، ولم تَضْطَرَّك [معه] وحشةُ الوَحدةِ إلى جليس السوء . ولو لم يكن مِن فضْله عليك ، وإحسانِه إليك ، إلاّ منعُه لكَ من الجلوس على بابك ، والنظرِ إلى ٢٧
المـارَّةِ بك ، مع ما فى ذلك من التعرُّض للحقوقِ التى تَلزَم ، ومن فُضولِ

(١) المستميح : طالب العرف . واستراثه : استبطأه . وفى ط : « يشتريك » . وفى ل : « يستزيدك » وهما تحريف ماأثبت .

(٢) البجح محركة : الفرح ، وبجح به كفرح ، وبجحته تبجيحا فتبجح : أى أفرحته ففرح .

النظَر ، ومن عادةِ الخوض فيما لا يعنيك(١) ، ومِن ملابسةِ صغارِ الناس ، وحضورِ ألفاظهم الساقطة ، ومعانيهم الفاسِدة ، وأخلاقهم الرديَّة ، وجَهالاتهم المذمومة ، لكان فى ذلك السلامة ، ثم الغنيمةُ ، وإحرازُ الأصل ، مع استفادةِ الفرع . ولو لم يكن فى ذلك إلاّ أنّه يشغَلُك عن سُخْف المُنَى وعن اعتياد الراحة ، وعن اللعب ، وكلِّ ما أشبهَ اللعب ، لقدكان على صاحبه أسبَغَ النعمةَ وأعظَمَ المِنَّة .

وقد علمنا أنَّ أفضلَ ما يقطع به الفُرَّاغ نهارَهم ، وأصحابُ الفُكاهات ساعاتِ ليلِهم ، الكتاب . وهو الشيء الذى لا يرى لهم فيه مع النيل أثرٌ فى ازدِياد تجربةٍ ولا عقلٍ ولا مروءة ، ولا فى صونِ عرض ، ولا فى إصلاحِ دِين ، ولا فى تثمير مال ، ولا فى رَبِّ صنيعة(٢) ولا فى ابتداء إنعام .

(أقوال لبعض العلماء فى فضل الكتاب)

وقال أبو عبيدة ، قال المهلَّب لبنيه فى وصيَّتِه : يا بَنِيَّ لا تقوموا فى الأسواقِ إلاّ على زرَّادٍ أو ورَّاق(٣) .

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : قرأتُ على شيخٍ شامىٍّ كتاباً فيه مِن مآثر غطفان فقال : ذهبَ المكارمُ إلاّ من الكتب .

وسمعتُ الحسن اللؤلؤى(٤) يقول : غَبَرت أربعين عاما ما قِلْتُ

(١) بدل هذه الجملة فى ط « ومن عادة الحرص » .

(٢) رب الصنيعة : تعهدها .

(٣) الزراد : صانع الدروع . والمهلب يوصى بنيه باستكمال أسباب الفروسية والعلم .

(٤) فى ط « أبا الحسن اللؤلؤى » والصواب ماأثبته . والحسن هذا هو ابن =

ولا بِتُّ] ولا اتكأت] إلاّ والكتابُ موضوعٌ على صدرى(١) .

وقال ابن الجهْم : إذا غشِيَنى النعاس فى غير وقتِ نوم — وبئس الشىءُ النومُ الفاضِلُ(٢) عن الحاجة — قال : فإذا اعترانى ذلك تناولتُ كتاباً من كُتب الحِكَم ، فأجدُ اهتزازى للفوائِد ، والأريحيَّة(٣) التى تعترينى عند الظفَر ببعض الحاجة ، والذى يغشَى قلْبى من سرور الاستبانة وعزِّ التبيين(٤) أشدَّ إيقاظاً مِن نَهيق الحمير وهَدَّةِ الهدْم .

وقال ابن الجهم : إذا استحسنتُ الكتابَ واستجدتُه ، ورجوتُ منه الفائدة ورأيتُ ذلك فيه — فلو ترانى وأنا ساعةً بعدَ ساعةٍ أنظرُكم بقى من ورقِهِ مخافةَ استنفاده ، وانقطاعِ المادَّة من قَلْبِه ، وإن كان المصحفُ عظيمَ الحجم كثير الورق ، كثير العدد — فقد تَمَّ عيشى وكَمُلَ سرورى .

وذكر العتبى(٥) كتاباً لبعض القدماء فقال : لولا طولُه وكثرةُ ورقه

= زياد اللؤلؤى الكوفى ، قاض فقيه من أصحاب أبى حنيفة ، أخذ عنه وسمع منه ، وكان عالما بمذهبه بالرأى . وله عدة كتب فى الفقه . عن معجم الأعلام للزركلى . . وقد روى الجاحظ فى البيان ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٣٧٨ أن الحسن اللؤلؤى كان فى بعض الليالى بالرقة يحدث المأمون ، والمأمون يومئذ أمير ، إذ نعس المأمون ، فقال له اللؤلؤى : نمت أيها الأمير ؟ ففتح المأمون عينه وقال : سوقى والله ! خذ ياغلام بيده ! !

(١) إشارة إلى التزامه القراءة وعدم هجرها إلا وقت النعاس . وغبرت : مكثت . وقال يقيل : نام وقت الظهيرة .

(٢) فى ط : « الفاصل » والصواب مافى ل .

(٣) فى الأصل « الأريحة » والوجه ماأثبت .

(٤) كذا . ولعلها « التبين » .

(٥) فى ل : « القينى » وهو تصحيف مافى ط . وقد اشتهر بهذا اللقب ثلاثة رجال أحدهم محمد بن أحمد بن عبد العزيز الأموى القرطبى الأندلسى وكان قاضيا وتوفى سنة ٢٥٤ هـ . . وثانيهم محمد بن عبد الجبار العتبى أبو نصر ، مؤرخ من الكتاب الشعراء ، أصله من الرى ونشأ فى خراسان ثم استوطن نيسابور وانتهت إليه رياسة الإنشاء فى خراسان والعراق وتوفى سنة ٤٢٧ . وثالثهم هذا الذى يعنيه الجاحظ =

لنسختُه . فقال ابن الجهم : لكنِّي ما رغّبني فيه إلاّ الذى زهّدك فيه ؛ وما قرأتُ قطُّ كتاباً كبيراً فأخْلانى من فائدة ، وما أُحصِى كم قرأتُ من صغارِ الكتب فخرجتُ منها كما دخلت .

٢٨ وقال العتبي ذاتَ يومٍ لابن الجهم : ألا تتعجَّبُ من فلانٍ ! نَظَر فى كتابِ الإقليدس مع جارية سَلْمَويه[1] فى يومٍ واحد ، وساعة واحدة ، فقد فرغتِ الجاريةُ من الكتابِ وهو بعدُ لم يُحكِم مقالةً واحدة ، على أنّه حُرٌّ مخيَّر ، وتلك أمَةٌ مقصورة ، وهو أحرصُ على قراءةِ الكتاب مِن سَلْمَوَيه على تعليمِ جارية . قال ابن الجهم : قد كنت أظنُّ أنّه لم يفهم منه شكلاً واحداً ، وأُرَاك تزعم أنّه قد فرغ من مقالة ! ! قال العتبي : وكيف ظننتَ به هذا الظنَّ ، وهو رجلٌ ذو لسانٍ وأدب ؟ قال : لأنِّى سمعتُه يقول لابنِه : كم أنفقتَ على كتابِ كذا ؟ قال : أنفقت عليه كذا ، [قال[2]] : إنّما رَغّبَنى[3] فى العلم أنّى ظننتُ أنّى أنفق عليه قليلاً وأكتسِب كثيراً ، فأمّا إذ صرتُ أنفِق الكثيرَ ، وليس فى يدى إلاّ المواعيدُ ، فإنِّى لا أريد العلمَ بشىء ! !

= وهو محمد بن عبد الله من بنى عتبة بن أبى سفيان . أديب كثير الأخبار ، له شعر حسن من أهل البصرة ووفاته فيها . وله تصانيف حسان منها « أشعار النساء اللاتى أحببن ثم أبغضن » و « الأخلاق » و « الخيل » . قال ابن النديم ١٧٦ : «كان العتبى وأبوه سيدين أديبين فصيحين » وانظر حواشي البيان ٢ : ١٨٢

(١) هو سلمويه بن بنان طبيب فاضل، خدم المعتصم واختص به حتى إن المعتصم لما مات سلمويه قال « سألحق به ، لأنه كان يمسك حياتى ويدبر جسمى » وكان سلمويه قد اكتسب من خدمة الخلفاء سياسة اقترنت بعقله ، فحدث له منها حسن الرأى والنظر فى العواقب لنفسه ولغيره ممن يستنصحه ، وتوفى سنة ٢٢٥ انظر القفطى ١٤١ وابن أبى أصيبعة ١ : ١٦٤ والزركلى ١ : ٣٨٠ .

(٢) حرف يستقيم به الكلام

(٣) فى الأصل « رغبتنى »

(السماع والكتابة)

فالإنسان لا يعلمُ حتى يكثُرَ سماعُه ، ولا بُدَّ من أن تكون كتبُه أكثرَ من سَمَاعِه ؛ ولا يعلمُ ، ولا يجمع العلم ، ولا يُخْتَلَف [إليه][1] ، حتى يكون الإنفاقُ عليه من ماله ، ألذَّ عندَه من الإنفاق من مال عدوِّه . ومَن لم تكن نفقتُه التى تخرج فى الكتب ، ألذَّ عنده مِن إنفاق عُشَّاق القيان ، والمستهتَرِين بالبنيان[2] ، لم يبلغ فى العلم مبلغاً رضِيًّا . وليس يَنتفِع بإنفاقه ، حتَّى يؤْثِر اتِّخاذَ الكتبِ إيثارَ الأعرابى فرسَه باللبن على عياله ، وحتَّى يؤَمِّل فى العلم ما يؤَمِّل الأعرابى فى فرسه .

(حرص الزنادقة على تحسين كتبهم)

وقال إبراهيم بن السندىّ مرة : وِدِدْتُ أنَّ الزنادقة لم يكونوا حرصاء على المغالاة[3] بالورق النقىِّ الأبيض ، وعلى تخيُّر[4] الحبرِ الأسودِ المشرِق البرَّاق ، وعلى استجادةِ الخطِّ والإرغاب لمن يخطّ ، فإنِّى لم أَرَ كورَق كتبِهم ورقاً ، ولا كالخطوط التى فيها خطًّا . وإذا غرِمتُ مالاً عظيماً — مع حبِّى للمال وبُغْضِ الْغُرْم — كان سخاءُ النفس بالإنفاق على الكتب ، دليلاً على تعظيمِ العلمِ ،

---

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليظهر المعنى . والمراد أن يختلف إليه تلاميذه .

(٢) المستهتر : المولع بالشىء المنهمك فيه . وفى ط : « ألذ عنده من عشق القيان وإنفاق المستهزئين بالبيان » ، وهى عبارة مضطربة أبدلتها بما فى ل لتصح .

(٣) فى ط « حرصى على المقالات » وصوابه ما فى ل . وحريص إنما يجمع على حراص — كرمان ، وحراص ، بكسر الحاء ، وحرصاء .

(٤) فى ط : « تحلل » والتصحيح من ل .

وتعظيمُ العلم دليلٌ على شرف النفس ، وعلى السلامَة من سُكْر الآفات .
قلت لإبراهيم : إنّ إنفاقَ الزنادقةِ على تحصيل الكتب ، كإنفاق النصارى على البِيَع ، ولو كانت كتبُ الزنادقةِ كتبَ حكمٍ وكتبَ فلسفة ، وكتبَ مقاييسَ وسُنَنٍ [و] تبيُّنٍ وتبيين (١) ، أولو كانت كتُبهم كتباً تُعرِّف الناسَ أبوابَ الصِّناعات ، أو سُبُلَ التكسُّب والتجارات ، أوكتبَ ارتفاقاتٍ ورياضاتٍ ، أو بعض ما يتعاطاه الناسُ من الفطن والآداب — وإنْ كان ذلك لا يقرِّب من غِنًى ولا يُبْعِد من مأثَم — لكانوا ممّن قد يجوز أن يُظَنَّ بهم تعظيمُ البيان ، والرغبةُ
٢٩ فى التبيُّن (٢) ، ولكنَّهم ذهبوا فيها مذهبَ الدِّيانة ، [و] على طريقِ تعظيمِ المِلّة ، فإنّما إنفاقهم فى ذلك ، كإنفاق المجوس على بيت النار ، وكإنفاقِ النصارَى على صُلْبان الذهب ، أوكإنفاق الهند على سَدَنةِ البِدَدَة . ولو كانوا أرادوا العلمَ لكان العلمُ لهم مُعرضاً ، وكتبُ الحكمةِ لهم مبذولةً ، والطرقُ إليها سهْلةً معروفة . فما بالُهُم لايصنعون ذلك إلاّ بكتُب دياناتهم ، كما يزخرفُ النصارى بيوتَ عباداتهم ! ولو كان هذا المعنى مستحسَناً عند المسلمين ، أوكانوا يرون أنّ ذلك داعيةٌ إلى العبادة ، وباعثةٌ على الخشوع ، لبلَغُوا فى ذلك بعَفْوهم ، ما لا تبلُغُه النصارى بغاية الجهْد .

(مسجد دمشق)

وقد رأيتُ مسجدَ دِمَشْق ، حين استجاز هذا السبيل ملِكٌ من ملوكها ، ومَنْ رآه فقد علم أنّ أحداً لا يرومه ، وأنّ الرومَ لاتسخوا أنفُسهم

---

(١) فى الأصل « نبيين وتبيين » وصححته بما ترى .
(٢) فى ط : « التبيين » .

به ، فلمّا قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، جَلَّله بالجِلال ، وغَطّاه بالكرابيس(١) ، وطبَخَ سلاسلَ القناديلِ حتّى ذهب عنها ذلك التلألؤُ والبريق ؛ وذهب إلى أنّ ذلك الصنيعَ مجانِبٌ لسنَّة الإسلام ، وأنَّ ذلك الحُسنَ الرائعَ والمحاسنَ الدِّقاق ، مَذهَلةٌ للقلوب ، وَمشغَلةٌ دونَ الخشوع ، وأنّ البالَ لايكون مجتمِعاً وهناك شيء يفرِّقه ويعترض عليه .

(صفة كتب الزنادقة)

والذى يدلُّ على ما قلنا ، أنّه ليس فى كتبهم مثلٌ سائر ، ولا خبرٌ طَريف ، ولا صنعةُ أدبٍ ، ولا حكمةٌ غرِيبة ، ولا فلسفةٌ ، ولا مسألةٌ كلاميَّة ، ولا تعريفُ صِناعة ، ولا استخراجُ آلة ، ولا تعليمُ فِلاحةٍ ، ولا تدبير(٢) حرب ، ولا مقارَعة(٣) عن دِين ، ولا مناضَلة عن نِحْلة ، وجُلُّ ما فيها ذِكر النور والظلمة ، وتناكُحُ الشياطين ، وتسافُدُ العفاريت ، وذكر الصنديد ، والتهويل بعمود السنخ(٤) ، والإخبار عن شقلون ، وعن الهامة [والهامة] . و [كلُّه] هَذْرٌ وعِيٌّ وخُرافة ، وسُخْريَة وتكذُّب ، لاترى فيه موعظةً حسنة ، ولا حديثاً مُونِقا ، ولا تدبيرَ مَعاشٍ ، ولا سياسةَ عامة ، ولا ترتيبَ خاصَّة(٥) . فأىُّ كتابٍ أجهلُ ، وأىُّ تدبيرٍ أفسدُ من كتابٍ

---

(١) الكرباس بالكسر : ثوب من القطن الأبيض ، معرب فارسيته بالفتح ، غيروه لعزة فعلال . والنسبة كرابيسى ، كأنه شبه بالأنصارى .

(٢) فى ط : « تدبر » والوجه مافى ل .

(٣) ماعدا ل : « منازعة » .

(٤) فى ط « الصبح » .

(٥) فى ط « ولا سياسة عاملة ولا ترتيب خاصية » والعبارة مشوهة أصلحتها من ل .

يوجِب على الناس الإطاعة ، والبخوع[١] بالديانة ، [لا[٢]] على جهة الاستبصار والمحبَّة ، وليس فيه صلاحُ مَعاشٍ ولا تصحيحُ دين ! ؟ والناسُ لايحبُّون إلا ديناً أو دنيا : فأمَّا الدنيا فإقامةُ سوقها [وإحضار نفعها . وأما الدِّين فأقلُّ مايُطمع فى استجابة العامة] ، واستمالة الخاصَّة ، أنْ يصوَّر فى صورةٍ مغلِّطة ، ويموَّهَ تمويهَ الدِّينارِ الْبَهْرَج ، والدرهمِ [الزائف] الذى لايغلط فيه الكثير ، ويعرفُ حقيقته القليل[٣] . فليس إنفاقُهم عليها من حيثُ ظننت . وكلُّ دين يكون أظهر [آختلافاً وأكثرَ] فساداً ، يحتاج من الترقيع والتمويه[٤] ، ومن الاحتشاد له والتغليظ[٥] فيه إلى أكثر . وقد علمْنا أنَّ النصرانيَّةَ أشدُّ انتشاراً من اليهوديَّة تعبداً ، فعلى حسب ذلك يكون تزيُّدُهم فى توكيده ، واحتفالُهم فى إظهار تعليمه .

(فضل التعلم)

وقال بعضهم : كنتُ عندَ بعضِ العلماء ، فكنتُ أكتب عنه بعضاً وأدَعُ بعضاً ، فقال لى : اكتبْ كلَّ ماتسمعُ ، فإن أخسَّ ماتسمعُ خيرٌ من مكانه أبيض[٦] .

---

(١) فى ط : « والتخرج » .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) فى ط : « ويموه تمويه (الدنيا والبهرج) والدرهم الذى (لا) يغلط فيه الكثير ويعرف (حقيقة) القليل » . ووجهت العبارة من ل ، بعد أن حذفت (لا) .

(٤) فى ط : « احتاج من الترقيع والتمويه » وتصحيحه من ل .

(٥) ماعدا ل « والتغليط » بالطاء المهملة .

(٦) هذا مافى ل . ويطابقه مافى المحاسن والمساوى ١ : ٩ وانظر الحيوان ٥ : ٢٤٨ . وفى سائر النسخ « فإن مكان ماتسمع أسود خير من مكانه أبيض » لكن فى ط : « من مكان » .

وقال الخليل بن أحمد : تـكثَّرْ من العلم لتعرف ، وتقلَّلْ منه لتحفَظ .

وقال أبو إسحاق : القليل والـكثير للـكتب ، والقليلُ وحدَه للصدر .

وأنشَدَ قول ابن يَسير [١] :

أما لو أعِي كلَّ ما أسمَعُ وأحفَظُ من ذاكَ ما أجمعُ
ولم أستفِدْ غيْرَ ماقد جمعـــتُ لَقيلَ هوالعالِمُ المِصقَع [٢]
ولـكنَّ نفسى إلى كلِّ نوعٍ من العلم تسمعُه تنزِعُ
فلا أنا أحفظُ ما قد جَمعــتُ ولا أنا مِن جَمعه أشبعُ
وأَحصَرَ بالعِيِّ فى مجلسى وعِلمى فى الـكُتْبِ مستودَعُ
فمن يكُ فى علمِه هكذا يكنْ دهرَهُ القهقَرَى يرجِعُ
إذا لم تـكنْ حافظاً واعياً فجمعُك للـكتبِ لاينفع

(التخصص بضروب من العلم)

وقال أبو إسحاق : كلَّفَ ابنُ يسـيرٍ الـكتبَ ما ليس عليها . إن الـكتبَ لا تحيِي الموتَى ، ولا تحوِّل الأحمقَ عاقلا ، ولا البليد ذكيًّا ، ولـكنَّ الطبيعةَ إذا كان فيها أدنى قَبُول ، فالـكتبُ تشحَذُ وتفتِق ، وتُرهِف وتَشفى . ومن أرادَ أن يعلمَ كلَّ شيء ، فينبغى لأهلهِ أن يداووه !

---

(١) هو محمد بن يسير الرياشى ، يقال إنه مولى لبنى رياش الذين منهم العباس بن الفرج الرياشى الأخبارى الأديب . وكان شاعرا ظريفا من شعراء المحدثين ، متقللا ، لم يفارق البصرة ، ولا وفد إلى خليفة ولا شريف منتجعا ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجنا هجاء خبيثا ، وكان من بخلاء الناس . انظر الأغانى ١٢ : ١٢٤ - ١٣٦ . والشعر نسبه الجاحظ فى المحاسن ص ٨ إلى الأصمعى ولـكنه هنا يؤكد - بتعقيبه الشعر - أنه لابن يسير . وهو بدون نسبة فى المحاسن والمساوى ١ : ٩ .

(٢) فى الأصول « خبر ماقد جمعت » والصواب ماأثبته .

فإنّ ذلك إنما تصوَّرَ له بشيء اعتراه ! ! فَمَنْ كان ذكيًّا حافظاً فليقصِد إلى شيئين ، وإلى ثلاثة أشياء ، ولا ينزِع عن الدرس والمطارَحَة ، ولا يدعُ أن يمرَّ على سمعه وعلى بصره وعلى ذهنه ، ما قدَر عليه من سائر الأصناف ، فيكون عالماً بخواصّ ، ويكون غيرَ غفلٍ من سائرِ ما يجرى فيه الناسُ ويخوضون فيه . ومن كان مع الدرس لايحفظ شيئاً ، إلّا نسيَ ما هو أكثرُ منه ، فهو من الحفظ من أفواه الرجال أبعد .

(جمع الكتب)

وحدَّثني موسى بنُ يحيى قال : ما كان في خِزانةِ كتبِ يحيى ، وفي بيت مدارسه[1] كتابٌ إلّا وله ثلاثُ نسخ .

وقال أبو عمرو بنُ العَلاء : ما دخلتُ على رجل قطُّ ولا مررتُ ببابه ،
٣١ فرأيتُه ينظرُ في دفترٍ وجليسُه فارغُ اليد ، إلّا اعتقدتُ أنَّه أفضلُ منه وأعقل .

وقال أبو عمرو بن العلاء : قِيل لنا يوماً : إنّ في دار فلانٍ ناساً قد اجتمعوا على سَوءة ، وهم جُلوسٌ على خَيرة لهم[2] ، وعندهم طُنبُورٌ . فتسوَّرنا عليهم[3] في جماعةٍ من رجالِ الحيِّ ، فإذا فتًى جالسٌ في وسط

(١) في ل : « مدراسه » وهو تحريف صوابه في ط . والمدارس : جمع مدرس كمنبر ، وهو الكتاب . وأما المدراس فهو الموضع الذي يقرأ فيه القرآن ، ومنه قالوا : مدراس اليهود . فالوجه ماأثبته عن ط .

(٢) في ط : « على خيرة » وما هنا عن ل و س . فإن ضبطت بضم الخاء كان معناها الخمر (بعد تصغيرها) وإن ضبطت بفتح الخاء كان المراد بها الحصيرة الصغيرة من السعف . ولكل وجه . وانظر ثمار القلوب ٤٧ والأغاني ٧ : ١٧٥ .

(٣) في ل : « فذمرنا عليهم » . صواب هذه « فدمرنا » بالدال المهملة ، أى دخلنا بغير إذن . انظر اللسان (دمر) وما سيأتي في ص ٢٩٦ .

الدار ، وأصحابُه حوله ، وإذا همْ بِيضُ اللِّحَى ، وإذا هو يقرأ عليهم دفتراً فيه شعر . فقال الذى سعى بهم : السَّوءة فى ذلك البيت ، وإنْ دخلتموه عثَرتم عليها ! فقلت : والله لا أكشفُ فتًى أصحابُه شيوخ ، وفى يده دفترُ علم ، ولو كان فى ثوبه دمُ يحيى بنِ زكريَّاء ! !

وأنشد رجلٌ يُونُسَ النحويَّ :

استودَعَ العلمَ قرطاساً فضيّعَه فَبِئْسَ مستودَعُ العلمِ القراطيسُ

قال ، فقال يونس : قاتَلَه الله ، ما أشدَّ ضَنانَتَه بالعلم ، وأحسنَ صِيانته له ، إنَّ علمَكَ مِن روحِك ، ومالَكَ مِن بدنك ، فضعْه منكَ بمكان الرُّوح ، وضعْ مالَكَ بمكان البدن ! !

وقيل لابن داحة — وأخرجَ كتابَ أبى الشمقمق ، وإذا هو فى جلود كوفيَّة ، ودَفَّتَين طائفيّتَين (١) ، بخطٍّ عجيب — فقيل له : لقد أُضِيع من تجوَّدَ بشعر (٢) أبى الشمَقْمق ! فقال : لاجرم والله ! ! إنَّ العلمَ ليُعطيكم على حسابِ ما تعطونه ، ولو استطعتُ أن أودِعَه سُويداءَ قلبى ، أو أجعلَه محفوظاً على ناظرى ، لفعلت .

ولقد دخلت على إسحاقَ بن سليمان فى إمْرته ، فرأيتُ السِّماطَين والرجالَ مُثُولًا كأنَّ على رءوسهم الطير ، ورأيتُ فِرْشَتَه وبِزَّته ؛ ثم دخلتُ عليه وهو معزول ، وإذا هو فى بيتِ كتبه ، وحوالَيه الأسفاطُ والرُّقوق ، والقماطِرُ والدفاتِر والمَساطر والمحابر ، فما رأيتُه قطُّ أفخمَ ولا أنبلَ ، ولا أهيبَ

(١) فى ط : « طائفيين » والصواب مافى ل ، نسبة إلى الطائف .
(٢) فى ل : « لشعر » باللام بدل الباء .

ولا أجزَلَ منهُ في ذلك اليوم ؛ لأنَّه جمعَ مع المهابَة المحبَّة ، ومع الفَخامة
الحَلاوة ، ومع السُّودَد الحِكْمة .

وقال ابن داحة : كان عبدُ الله بنُ عبدِ العزيز بنِ عبد اللهِ بن عمر
ابن الخطَّاب ، لايجالِسُ الناسَ ، وينزلُ مَقْبُرَةً من المقابر ، وكان لايكادُ
يُرى إلَّا وفى يده كتابٌ يقرؤه . فسُئِل عن ذلك ، وعن نزولِه المقبُرة فقال :
لم أرَ أَوْعظَ من قبر ، ولا أمنَع (١) من كتاب ، ولا أسلَمَ من الوَحدة .
فقيل له : قد جاء فى الوَحدة ما جاء ! فقال : ما أفسَدَها للجاهِل [وأصلحها
للعاقل !] .

(ضروب من الخطوط)

وضروبٌ من الخطوطِ بعد ذلك ، تدلُّ على قدرِ منفَعَة الخطِّ . قال
الله تبارَك وتعالى ﴿ كِرَامًا كَاتِبِينَ . يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾ وقال الله
عزّ وجلّ ﴿ فِى صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ . مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ . بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴾
وقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴾ وقال ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ ٣٢
كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴾ وقال ﴿ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ
عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ .

ولو لم تكتب أعمالُهم لكانت محفوظةً لا يدخلُ ذلك الحفظَ نسيانٌ ،
ولكنَّه تعالى وعزَّ ، علم أنّ كتابَ المحفوظِ ونسخَه ، أوكَدُ وأبلغُ
فى الإنذار والتحذير ، وأهيبُ فى الصدور .

---

(١) كذا فى ط : وفى المحاسن ص ٤ « ولا آنس » فلعل صحة ماهنا « أمتع » من الإمتاع .

وخط آخر، وهو خطُّ الحازى والعرَّاف(١) والزَّاجِر . وكان فيهم حليس(٢) الخطَّاط الأسدىّ ، ولذلك قال شاعرهم فى هجائهم :

فأنتم عضاريط الخميسِ إذا غزَوْا   غَناؤكم تِلْكَ الأخاطيطُ فى التُّرْبِ(٣)

وخُطوطٌ أخر، تكون مستراحًا للأسيرِ والمهموم والمفكِّر ، كما يعترى المفكِّرَ من قَرْع السنِّ ، والغضبانَ من تصفيقِ اليد وتجحيظِ العين . وقال تأبَّطَ شرًّا :

لتَقْرَعَنَّ عَلَىَّ السنَّ مِنْ نَدَمٍ   إذا تذكَّرتِ يومًا بعضَ أخلاقى

وفى خطِّ الحزينِ فى الأرض يقول ذو الرُّمَّة(٤) :

عَشِيَّةَ مالِى حِيلةٌ غيرَ أنَّنِى   بِلَقْطِ الحَصَى والخطِّ فى الدارِ مُولَعُ(٥)

أخطُّ وأمحو الخطَّ ثم أُعِيدُهُ   بكفِّىَ والغِرْبانُ فى الدارِ وُقَّعُ

وذكر النابغةُ صنيعَ النساءِ ، وفزَعهنَّ إلى ذلك ، إذا سُبِين واغترَبْن وفكَّرن ، فقال :

---

(١) فى ط : « الحادى والقراف » وتحقيقه من ل . والحازى : صاحب الكهانة فى العرب . والعراف : الكاهن أو الطبيب . قال عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه   وعراف حجر إن هما شفيانى

(٢) كذا فى س : ورسائل الجاحظ طبع الساسى ص ١٣٠ . وورد فى ل برسم « حلبس » وفى ط برسم « جلس » .

(٣) العضاريط : جمع عضرط كقنفذ ، وعضارط كعلابط ، وعضروط كعصفور ، قال فى القاموس : «هو الخادم على طعام بطنه ، والأجير ، واللئيم» . والشعر لأبى نواس فى ديوانه ١٥٩ يهجو به تميما وأسدا .

(٤) قال الثعالبى فى الثمار ٢١٤ « ابناعيان ضرب من الزجر ، وهو أن يخط الناظر فى أمر بأصبعه ، ثم بأصبع أخرى ويقول : ابنا عيان ! أسرعا البيان !! ثم يخبر بما يرى. وهو مشتق من قولك : أريانى ماأريد عيانا . وهذا معنى قول ذى الرمة :

عشية مالى حيلة غير أننى   بلقط الحصى والخط فى الدار مولع »

وانظر العقد ٦ : ١٤٩ .

(٥) فى الثمار كما كتبت « بلقط » بالقاف بدل الفاء ، وفى الأصل : « بلفظ » وانظر تفسير الجاحظ الآتى .

ويَخطُطْنَ بالعِيدانِ فى كلِّ منزلٍ ويَخبأنَ رُمَّانَ الثُّدِىِّ النواهدِ

وقد يفزع إلى ذلك الخَجِلُ والمتعلِّل، كما يفزع إليه المهمومُ وهو قولُ القاسم ابن أميَّةَ بنِ أبى الصَّلْت :

لاينقرون الأرضَ عند سُؤالِهم لتلمُّسِ العِلّاتِ بالعِيدانِ (١)
بل يبسُطُون وجوهَهم فترَى لها عندَ اللقاء كأحسَنِ الألوانِ

وقال الحارث بن الكِنْدِىّ ، وذكرَ رجلًا سأله حاجةً فاعتراه العبثُ بأسنانه ، فقال :

وآضَ بكَفِّهِ يحتَكُّ ضِرساً يُرِينَا أنَّهُ وَجِعٌ بضِرْسِ

وربما اعترَى هؤلاء عدُّ الحصى ، إذا كانوا فى موضعِ حصى ، ولم يكونوا فى موضع تراب ، وهو قول امرئ القيس :

ظِلْتُ رِدَائِى فوقَ رَأسِىَ قاعداً أعدُّ الحصَى ما تَنْقَضِى حَسَرَاتِى

٣٣ وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

نَهَرًا جَارِيًا وبيتاً عَلِيًّا يعترِى المعتَفِين فضلُ ندَاكا
فى تراخ من المكارِمِ جَزْلٍ لم تعلِّلهمُ بلَقْطِ حَصا كَا (٢)

وقال الآخر ، وهو يصِف امرأةً قُتِل زوجُها ، فهى محزونةٌ تلقُط الحصى :

وبيضاءَ مكسال كأنَّ وشاحَها على أمِّ أحوى المُقْلَتَين خَذُولِ (٣)

---

(١) فى ط : « ينكثون » ، وهو تصحيف ، وفى س « ينكتون » ، وفى ل وكذلك عيون الأخبار ٣ : ١٥٢ ومعجم المرزبانى ٣٣٢ « لاينقرون » كما أثبت . وانظر مجالس ثعلب ١٧٣ والعمدة ٢ : ٢٣٦ ولباب الآداب ٢٥٧ .

(٢) « تراخ » لعلها « براح » كسحاب ، وأصل معناه الفسيح من الأرض . و « تعللهم » هى فى ط : « تعلقهم » وليس بشىء . وفى ل « تعلل لهم » وهو خطأ كتابى .

(٣) فى ط : « المقتلين » وهو تصحيف عجيب . وأحوى المقلتين يعنى به الظبى . والخذول من وصف أمه ، وهى التى خذلت أصحابها فانفردت عنهم قائمة على ولدها ، فهى فزعة ولهة على خشفها ، وهى تمد عنقها وترتاع ، وذلك أحسن لها .

عَقَلتَ لهـا مِنْ زَوجِهَا عَدَدَ الحصى
مع الصُّبح ، أو فى جُنح ِ كلِّ أصيلِ

يقول : لم أُعْطِهَا عقْلاً عن زوجها ، ولم أُورثْهَا إلّا الهمَّ الذى دعاها إلى لقط الحصى . يخبر أنّه لمنعَتِه ، لا يُوصَل منه إلى عقلٍ ولا قَوَد .

(أقوال الشعراء فى الخط)

ومّما قالوا فى الخطّ ، ما أنشدنا هشامُ بن محمد بن السائب الكلبى قال : قال المقنَّع الكندىّ فى قصيدةٍ له ، مدح فيها الوليدَ بنَ يزيد :

كالخطِّ فى كُتُبِ الغلام أجادَه(١) بِمداده ، وأسَدَّ من أقلامه(٢)
قلمٌ كخُرطوم الحمامةِ مائلٌ مُستَحفِظٌ للعـلم من علّامه
يَسِم الحروفَ إذا يشاءُ بناءَها لبيانها بالنَّقْط من أرسامه
مِن صُوفةٍ نَفثَ المداد سُخامه حتى تغـيَّرَ لونُها بسُخامه
يَحْفَى فيُقْصَمُ من شَعيرة أنفِه(٣) كقُلَامة الأُظْفُورِ من قلّامه
وبأنفه شَقٌّ تلاءَم فاستوَى سُقِىَ المـدادَ ، فزاد فى تلآمه
مُسْتعجِمٌ وهو الفصيحُ بكلِّ ما(٤) نطق اللسانُ به على استعجامه

---

(١) فى ط : « كتف » وفى ل « كف » والوجه ما كتبته من س .

(٢) فى ط : « بمراده » وهو تصحيف ظاهر .

(٣) فى ط : « يخفى » وإنما هو « يحفى » بالحاء كما فى ل ، أى يرق سنه ، فيتعثر فى الكتابة . وهو مأخوذ من حفا القدم والخف والحافر .

(٤) فى ط : « متعجم » وأثبت مافى ل ؛ لأنه الوجه . واستعجم : سكت ، ومنه قول النابغة :

فاستعجمت دار نعم ماتكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار

وله تراجِمةٌ بألســـنةٍ لهمْ تبيانُ ما يَتلُونَ من تَرجَامِه
ما خــطَّ من شيء به كتّابه ما إن يبوحُ به على استكتامِه
وهجاؤه قاف ولام بعــدها ميم معلَّقةٌ بأســـفلِ لامِه

ثم قال :

قالتْ لجارتها الغزَيِّلُ إذ رأت وجهَ المقنَّع من وراءِ لِثامِه
قد كان أبيضَ فاعتراه أُدْمَةٌ فالعينُ تُنكره من ادْهِيامِه
كم من بُويزِل عامِها مهرّية سُرُحِ اليدينِ ومن بُويزِل عامِه
٣٤ وَهَبَ الوليدُ برَحْلها وزمامِها[1] وكذاكَ ذاكَ برَحلِه ، وزِمامِه
وقويرحٍ عتــد أُعِدَّ لِنيِّهِ لبنُ اللَّقُوحِ فعادَ مِلءَ حِزامِه[2]
وهبَ الوليدُ بسَرْجها ولجامها وكذاك ذاك بسَرجه ، ولِجَامِه
أهدَى المقنّع للوَليدِ قصيدةً كالسيفِ أُرهِف حدُّه بحُسامِه
وله المآثرُ فى قريشٍ كلِّها وله الخلافةُ بعد موتِ هشامِه

وقال الحسن بن جماعة الجُذامِيُّ[3] فى الخطِّ :

---

(١) فى ط : « وزماعها » والصواب ما كتبت من ل .
(٢) النى بالكسر : الشحم . القويرح : مصغر قارح ، وهو من ذى الحافر ، بمنزلة البازل من الإبل . العتد محركة وككتف : المعد للجرى ، أو الشديد التام الخلق . اللقوح : الناقة قد لقحت . . وكان العرب يسقون كرائم الخيل ألبان الإبل . قال الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ماتزال تفجع تلوم وما أدرى علام توجع
تلوم على أن أمنح الورد لقحة وما تستوى والورد ساعة تفزع
إذا هى قامت حاسرا مشمعلة نخيب الفؤاد رأسها مايقنع
وقمت إليه باللجام ميسرا هنالك يجزينى بما كنت أصنع

وقال قبيصة بن النصرانى الجرمى (الحماسة ١ : ٢٤٦) :

هاجرتى يابنت آل سعد أأن حلبت لقحة للورد
جهــلت من عنانه المتــد ونظرى فى عطفــه الألــد

(٣) كذا فى ل و س . . وقد ورد « جماعة » بالخاء فى ط .

إليكَ بِسِرِّى بَاتَ يُرقِلُ عالمٌ
أصمُّ الصدى مُحرورِفُ السِّنِّ طائع (١)

بَصيرٌ بمـا يُوحَى إليه ومالَهُ لسانٌ ولا أُذْنٌ بها هُوَ سامعُ
كأَنَّ ضميرَ القلبِ باح بِسِرِّه لديه ، إذا ماحَشْحَتْهُ الأصابع
له رِيقةٌ من غـير فرثٍ تمدُّه ولامِنْ ضُلوعٍ صِدَّقتها الأضالِعُ (٢)

وقال الطائىُّ ، يمدح محمَّدَ بن عبدِ الملك الزَّيات :

وما برِحَتْ صُوراً إليكَ نَوازعاً أعنَّتُها مُذْ راسلَتْك الرسائلُ
لكَ القلمُ الأعلى ٱلذى بشباته يُصَابُ من الأمرِ الكُلَى والمفاصلُ (٣)
لك الخلَواتُ اللاءِ لولا نجيُّها لما احتفلت للمُلْكِ تلك المحافلُ (٤)
لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابهُ وأَرْىُ الجَنَى ٱشتارَتْه أيدٍ عَواسِلُ
له رِيقَةٌ طَلٌّ ولـكنَّ وقعَها بآثارها فى الشرقِ والغرب وابلُ
فصيحٌ إذا استنطقْتَه وهو راكبٌ وأعجمُ إن خاطبتَه وهو راجِلُ
إذاماامتطى الخمسَ اللِّطَافَ وأُفرغت عليه شِعابُ الفكرِ وهى حَوافِلُ
أطاعتْه أطرافُ القَنا وتقوَّضَتْ لنَجواه تقويضَ الخيامِ الجَحافلُ
إذا استغزر الذهن الجلىّ وأقبلتْ أعالِيه فى القِرطاس وهى أسافلُ (٥)

---

(١) فى ط : « إليك سرى » وتصحيحه من س . الصدى : جسد الآدمى بعد موته . فهو بذلك يعنى أن القلم عجيب فى وعيه للسر مع صممه . والصدى كذلك : رجع الصوت ، فكأن القلم ينطق فى القرطاس ، دون أن يبين صدى صوته .

(٢) فى ل و س : « ضمنتها » . وفى البيت تحريف كما ترى .

(٣) فى ط : « بشباته » موضع بشباته ، وهو تحريف صوابه فى ل والديوان .

(٤) فى ط : « لولا تجيئها لما اختلفت » وتصحيحه من ل والديوان .

(٥) فى ط : « إذا استشعر الذهن المجلى » وأثبت مافى ل .

وقد رفدته الخِنْصَرانِ وسدَّدت ثلاثَ نواحِيه الثلاثُ الأناملُ[١]

رأيتَ جليلاً شأنُهُ وهو مُرْهَفٌ ضنى وسميناً خَطْبُه وهو ناحلُ[٢]

أرى ابنَ أبي مروانَ أمَّا لِقاؤُه فدانٍ وأمَّا الحكمُ فيه فعادلُ

٣٥ وقد ذكر البُحتُرىُّ فى كلمةٍ له ، بعضَ كهولِ العسكر[٣] ، ومن أَنْبَلِ أبناء كتّابهم[٤] الجِلّة فقال :

وإذا دجَتْ أقلامُه ثم انتحَتْ برقَت مصابيحُ الدُّجَى فى كتبه

(الكتابات القديمة)

وكانوا يجعلون الكتاب حفراً فى الصخور ، ونقشاً فى الحجارة ، وخِلْقة مُرَكَّبةً فى البُنْيان ؛ فربَّما كان الكتابُ هو الناتِئَ ، وربَّما كان الكتابُ هو الحفر ، إذا كان تاريخاً لأمر جَسيم ، أو عهداً لأمرٍ عظيم ، أو مَوعظةً يُرتَجى نفعُها ، أو إحياءَ شرفٍ يريدون تخليد ذكره ، [أو تطويل مدته] ، كما كتبوا على قُبَّة غُمْدَان[٥] ، وعلى باب القَيرُوان[٦] ،

(١) فى ط : « وقد رمزته الخنصران وشددت » وهو تحريف ما أثبته من ل والديوان .

(٢) فى ط : « نضى » وصوابه من الديوان و ل .

(٣) هو الحسن بن وهب ، وليت شعرى لم لم يصرح الجاحظ باسمه ، مع أن الجاحظ له رسالة إلى الحسن بن وهب ، فى مدح النبيذ وصفة أصحابه ، ذكر صدرا منها عبيد الله ابن حسان ، فى كتابه « الفصول المختارة » انظر هامش الكامل ١ : ٩٧ . والبيت المذكور من قصيدة فى ديوان البحترى ٦٧ مطلعها :

من سائل لمعذل عن خطبه أو صافح لمقصر عن ذنبه

(٤) فى ط : « أنيل ابنا كتابهم » وتصحيحه من ل .

(٥) غمدان : قصر بين صنعاء وطيوة ، واختلف فى اسم بانيه ، وله صفة عجيبة فى معجم البلدان .

(٦) هى المدينة المعروفة فى إفريقية ، مصرت فى الإسلام فى أيام معاوية .

وعلى باب سَمَرْقَند[١] ، وعلى عمود مأرِب[٢] ، وعلى ركن المشقَّر[٣] ، وعلى الأبلَق الْفَرْد[٤] ، وعلى باب الرها[٥] ؛ يعمِدُون إلى الأماكن المشهورةِ ، والمواضع المذكورة ، فيضعون الخطَّ فى أبعدِ المواضع من ٱلدُّثور ، وأمنَعِها من ٱلدروس ، وأجدرَ أَنْ يراها من مرَّ بها ، ولا تُنسى على وجه ٱلدهر .

(فضل الـكتابة وتسجيل المعاهدات والمحالفات)

وأقول : لولا الخطوطُ لبَطَلت العهودُ والشروطُ والسِّجِلاَّتُ والصِّكاك ، وكلُّ إقطاعٍ ، وكلُّ إنفاق ، وكلُّ أمان ، وكلُّ عهدٍ وعَقْدٍ ، وكلُّ جِوارٍ وحِلف . ولِتعظيمِ ذلك ، والثقةِ به والاستنادِ إليه ، كانوا يَدْعُونَ فى الجاهليَّةِ مَنْ يكتبُ لهم ذكرَ الحِلْف والهُدْنة ؛ تعظيماً للأمر ، وتبعيداً من النسيان ، ولذلك قال الحارثُ بن حِلِّزة ، فى شأنِ بكرٍ وتغلب[٦] :

واذكرُوا حِلْفَ ذِى المَجَاز وما قُـــ ـــدِّمَ فيه العهودُ والـكفلاءُ

---

(١) بلدة عظيمة فى التركستان ، والأصمعى يروى أنه كتب على بابها بالحميرية . انظر المعجم .

(٢) مأرب : بين صنعاء وحضرموت من بلاد اليمن .

(٣) المشقر : حصن كان بالبحرين . وفى ط : « الركن المشقر » ، وأصلحته من ل والمحاسن ٣ .

(٤) قال ياقوت : هو حصن السموءل بن عادياء اليهودى ، مشرف على تيماء ، بين الحجاز والشام ، على رابية من تراب ، فيه آثار أبنية من لبن ، لاتدل على مايحكى عنها من العظمة والحصانة ، وهو خراب .

(٥) مدينة بالجزيرة .

(٦) البيتان من معلقة الحارث المشهورة ، التى مطلعها :

آذنتنا ببينـها أسمـاء رب ثاو يمل منه الثواء

وقد رواهما الجاحظ فى البيان ٣ : ٧ وقال فى البيت الثانى : « الحـون : الخيانة . ويروى : الجور » .

حَذَرَ الَجورِ والتَّعدِّى ، وهلْ يَنْـــقُضِ ما فى المَهارِقِ الأهواءُ !

والمهارق ، ليس يراد بها الصُّحُفُ والـكتب ؛ ولا يقال للكتب مَهارقُ حتّى تكونَ كتبَ دينٍ ، أو كتبَ عهودٍ ، ومِيثاقٍ ، وأمان .

(الرقوم والخطوط)

وليس بين الرُّقومِ والخطوط فَرق ، ولولا الرقوم لهلكَ أصحابُ البَزِّ والغُزول ، وأصحابُ الساجِ وعامَّةِ المتاجر ، وليسَ بينَ الوُسومِ[1] التى تكون على الحافر كلِّه والخفِّ كلِّه والظِّلفِ كلِّه ، وبين الرقومِ فرق ، ولا بينَ العقودِ والرقوم فرق ، ولا بين الخطوط والرقوم كلِّها فرق ، وكلُّها خطوط ، وكلها كتابٌ ، أو فى معنى الخطِّ والـكتاب ، ولا بين الحروف المجموعةِ والمصوَّرَةِ من الصوت المقطَّع فى الهواء ، ومن الحروف المجموعة المصوَّرة من السواد فى القرطاس فرق .

٣٦ واللسان : يصنَع فى جَوبة[2] الفمِ [وهوائه الذى فى جوفِ الفمِ] وفى خارجه ، وفى لَهاته ، وباطنِ أسنانه ، مثلَ ما يصنع القلمُ فى المدادِ واللِّيقةِ والهواءِ والقرطاسِ ، وكلُّها صورٌ وعلاماتٌ وخَلْقٌ مواثل ، ودَلالات ، فيعرف منها ما كانَ فى تلك الصُّوَر لـكثْرةِ تَردادها على الأسماع[3] ، ويعرف منها ما كان مصوَّراً من تلك الألوان لطول تـكرارها على الأبصار ، كما استدلُّوا بالضَّحك على السرور ، وبالبـكاءِ على الألم . وعلى مثلِ ذلك عرفوا معانىَ الصوتِ ، وضروبَ صورِ الإشارات ، وصورِ جميع الهيئآت ،

---

(١) فى الأصل « الرسوم » بالراء وإنما هى « الوسوم » جمع وسم .

(٢) ماعدا ل : « جوية » .

(٣) كذا فى ل . ووردت محرفة فى ط برسم « الأسماء » .

وكما عرف المجنون لقَبه ، والكلبُ اسْمَه . وعلى مثل ذلك فهِم الصبىُّ الزجرَ والإغراء ، ووعى المجنون الوعيد والتهدُّد[١] ، وبمثل ذلك اشتدَّ حُضْرُ الدابّة مع رفع الصوت ، حتّى إذا رأى سائسَه حمحم . وإذا رأى الحمامُ القيِّمَ عليه انحطَّ للقطِ الحبّ ، قبل أن يُلقِىَ له مايلقطه . ولولا الوسومُ[٢] ونُقُوش الخواتم ، لدخل على الأموالِ الخللُ الكثير ، وعلى خزائنِ الناس الضررُ الشديد .

(الخط والحضارة)

وليس فى الأرض أمّةٌ بها طِرْق[٣] أَوْ لها مُسْكَة ، ولا جيلٌ لهم قبضٌ وبسْط ، إلاّ ولهم خطٌّ . فأمّا أصحاب الملك والمملكة ، والسلطانِ والجِباية ، والدِّيانة والعبادة ، فهناك الكتابُ المتقَن ، والحساب المحكَم : ولا يخرج الخطُّ من الجزْم والمسنَد المنمنم والسمون[٤] كيف كان ، قال [ذلك] الهيثمُ [ابن عدى] ، وابنُ الكلبى .

(تخليد الأمم لمآثرها)

[قال] : فكلُّ أمّةٍ تعتمدُ فى استبقاءِ مآثِرها ، وتحصين مناقبها ، على ضربٍ من الضروب ، وشكل من الأشكال .

---

(١) فى ل : « وودع المخنوق الوعيد والتهدد » وفى ط : « وردع المجنون الوعيد والتهدد » أما كلمة « المخنوق » . فواضحة التحريف وكذلك « ودع » . وكتبت « وعى » موضع « ردع » لتتناسب مع « فهم » فى الفقرة السابقة .

(٢) فى الأصل « الرسوم » وصوابه « الوسوم » .

(٣) الطرق بالكسر : معناه هنا القوة .

(٤) بدله فى ط ، س : « كذا » ويبدو أنها من النساخ . وانظر رسائل الجاحظ ١٣٨ ساسى .

(تخليد العرب لمآثرها)

وكانت العربُ في جاهليَّتها تحتال في تخليدها ، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون ، والكلام المقفَّى ، وكان ذلك هو ديوانها . وعلى أنّ الشعرَ يُفيد فضيلةَ البيانِ ، على الشاعر الراغبِ ، والمادح ، وفضيلةَ المأثُرة ، على السيِّد المرغوبِ إليه ، والممدوحِ به . وذهبت العجَم عَلَى أن تقيِّد مآثرَها بالبُنيان ، فبنوا مثلَ كرد بيداد[1] ، وبنى أرْدشير بيضاء إصطَخْر ، وبيضاء المدائن ، والَحضْر ، والمدن والحصون ، والقناطر والجسور ، والنواويس . قال : ثمَّ إنّ العربَ أحبَّتْ أن تشاركَ العجمَ في البناءِ ، وتنفردَ بالشعر ، فبنوا غُمدان ، وكعبةَ نَجْرَان[2] ، وقصرَ مارد ، وقصر مأرِب ، وقصر شعوب[3] والأبلق الفرد ؛ و [فيه وفي[4]] ما رد ، قالوا « تمرَّدَ ما رِدٌ وعزَّ الأبلق » وغيرَ ذلك من البُنيان . قال : ولذلك لم تكن الفرسُ تبيح شريفَ البُنيان ، كما لا تبيح شريف الأسماء ، إلاّ لأهل البيوتات ، كصنيعهم في النواويس والحمَّامات والقِباب الخضر ، والشُّرَف
٣٧ على حيطان الدار ، وكالعَقْد على الدِّهليز وما أشبهَ ذلك ، فقال بعض من

---

(١) كذا في ط . ومكانه في ل « كرد بنداذ » .

(٢) كعبة نجران : بيعة بناها بنو عبد المدان بن الديان الحارثي ، على بناء الكعبة ، وعظموها مضاهاة للكعبة ، وكان فيها أساقفة معتمون ، وهم الذين جاءوا إلى النبي ، صلى الله عليه وسلم ، ودعاهم إلى المباهلة . انظر ياقوت .

(٣) شعوب : قصر باليمن معروف بالارتفاع . كذا قال ياقوت .

(٤) زيادة ضرورية لاستقامة الكلام ، وصاحب هذا القول هو الزباء ، فيما روى ياقوت في رسم (مارد) قال في مارد : « حصن بدومة الجندل ، وفيه وفي الأبلق قالت الزباء ، وقد غزتهما ، فامتنعا عليها : تمرد مارد وعز الأبلق . فصارت مثلا لكل عزيز ممتنع .

حضر « كُتُبُ الحكماءِ وَما دَوَّنت العلماءُ من صنوف البلاغات والصِّناعات، والآداب والأرفاق[١] ، من القرون السابقة والأمم الخالية ، ومن له بقيّة ومن لا بقيّة له ، أبقى ذكراً وأرفعُ قدراً وأكثر ردًّا ، لأنَّ الحكمةَ أنفعُ لمن ورثها ، من جهة الانتفاع بها ، وأحسنُ فى الأحدوثة ، لمن أحبَّ الذكر الجميل » .

(طمس الملوك والأمراء آثار من سبقهم)

والكتبُ بذلك أولَى من بُنيان الحجارة وحِيطان المدَر ؛ لأنَّ من شأن الملوك أنْ يطمِسوا على آثارِ مَن قبلَهُم ، وأن يُميتوا ذكرَ أعدائهم ، فقد هدَموا بذلك السببِ [أكثرَ] المدنِ وأكثرَ الحصون ، كذلك كانوا أيَّامَ العجَم وأيَّامَ الجاهليّة ، وعلى ذلك همْ فى أيّام الإسلام ؛ كما هدم عُثمانُ صومعةَ غُمدان ، وكما هدمَ الآطامَ[٢] التى كانت بالمدينة ، وكما هدم زيادٌ كلَّ قصر ومصنَع كان لابن عامر[٣] ، وكما هدم أصحابُنا بناءَ مدن الشامات[٤] لبنى مروان .

---

(١) الأرفاق : جمع رفق بالكسر ، وهو مايستعان به .

(٢) الآطام : جمع أطم بضمة وبضمتين وهو القصر ، أو الحصن المبنى بالحجارة ، أو كل بيت مربع مسطح .

(٣) هو عبد الله بن عامر بن كرز بن حبيب بن ربيعة ، أمير فاتح ، ولد بمكة وولى البصرة فى أيام عثمان . وافتتح سجستان صلحا ومدنا كثيرة فى الشرق . وكان شجاعا سخيا، وصولا لقومه ، رحيما محبا للعمران . وتوفى سنة ٥٩هـ . ولما بلغ نبأ وفاته معاوية ، قال : يرحم الله أبا عبد الرحمن ، بمن نفاخر ونباهى ؟ وانظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٤) الشامات ، فسرها ابن عبد ربه فى العقد ٦ : ٢٥١ — ٢٥٢ بأنها خمس : فلسطين ومدينتها بيت المقدس ، والأردن ومدينتها طبرية ، والغوطة ومدينتها دمشق ، وحمص، وقنسرين ومدينتها حلب .

(تاريخ الشعر العربى)

وأما الشعرُ فحديثُ الميلاد ، صغيرُ السنِّ ، أوّلُ من نَهَجَ سبيلَه ، وسهَّل الطريقَ إليه : امرؤُ القيس بن حُجْر ، ومُهَلْهِل بنُ ربيعة . وكُتُبُ أرِسطاطاليسَ ، ومعلِّمِه أفلاطون ، ثم بَطْلَيموس ، وديمقراطس[(١)] ، وفلان وفلان ، قبلَ بدءِ الشعر بالدهور قبلَ الدهور[(٢)] ، والأحقاب قبلَ الأحقاب .

ويدلُّ على حداثةِ الشعر ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

إنَّ بنى عوفٍ ابتَنَوا حسناً ضيَّعه الدُّخلُلُون إذ غَدَرُوا[(٣)]
أدَّوا إلى جارهم خـفارته ولم يَضِعْ بالمَغيب مَنْ نَصَرُوا[(٤)]
لا حِمْـيَرِىٌّ وَفَى ولا عُدَسٌ ولا است عَيرٍ يحكها الثَّفر[(٥)]
لـكنْ عُوَيرٌ وَفَى بذمَّتِه لا قِصَر عابَهُ ولا عَوَرُ[(٦)]

فانظُرْ ، كم كان عمرُ زُرارةَ ! وكم كان بين موت زُرارة ومولدِ النبى عليه الصلاة والسلام ؟ ! فإذا استظهرنا الشعرَ ، وجدنا له — إلى أن جاء اللهُ بالإسلام — خمسين ومائةَ عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام[(٧)] .

قال : وفضيلة الشعر مقصورةٌ على العرب ، وعلى من تـكلَّم بلسان

---

(١) فى ط : « ذى بقراط » ، وما أثبته فى ل . وانظر القفطى (حرف الدال المهملة ثم حرف الذال المعجمة) .

(٢) فى الأصل : « وقبل الدهور » .

(٣) جاءت (حسنا) بالنون فى الأصل ، ويظهر أنه تصحيح مافى الديوان ١٥٩ . والمراد به المعروف والجميل . والدخلل ، كما قال أبو بكر : الذى يداخل الرجل فى أمره ويصاحبه عليه.

(٤) الخفارة : الذمة والعهد ، والخاء مثلثة .

(٥) حميرى وعدس : رجلان من بنى حنظلة .

(٦) أبو بكر شارح الديوان : كان عوير قد أجار هندا بنت حجر أخت امرئ القيس ، فوفى لها حتى أتى بها نجران ، فدحه بوفاء الذمة ، ونزهه من كل عيب يشين غيره.

(٧) انظر لتوضيح هذا ماأثبت فى الاستدراكات .

العرب ، والشعر لايُستطاع أن يترجَم ، ولا يجوز عليه النقل ؛ ومتى حوِّل تقطَّع نظمُه وبطلَ وزنُه ، وذهب حسنُه وسقطَ موضعُ التعجب ، [لا] كالكلامِ المنثور . والكلامُ المنثور المبتدأُ على ذلك أحسنُ وأوقعُ من المنثور [الذى تحوّل من] موزون الشعر . ٣٨

قال : وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم فى الدين ، والحكم فى الصناعات ، وإلى كلٍّ ما أقام لهم المعاشَ وبوَّب لهم أبوابَ الفِطَن ، وعرَّفهم وجوهَ المرَافق ؛ حديثُهم كقديمِهم ، وأسودُهم كأحمرِهم ، وبعيدُهم كقريبهم ؛ والحاجة إلى ذلك شاملةٌ لهم .

(صعوبة ترجمة الشعر العربى)

وقد نُقلَتْ كتبُ الهند ، وتُرجمت حكمُ اليونانيّة ، وحُوِّلت آدابُ الفرس ؛ فبعضُها ازدادَ حُسنا ، وبعضها ما انتقص شيئاً ، ولو حوّلت حكمة العرب ، لبطل ذلك المعجزُ الذى هو الوزن ؛ مع أنَّهم لو حوَّلوها لم يجدوا فى معانيها شيئاً لم تذكرْه العجم فى كتبهم ، التى وضعت لمعاشهم وفِطَنهم وحِكَمهم . وقد نُقِلَتْ هذه الكتبُ من أمَّةٍ إلى أمّة ، ومن قَرن إلى قرن ، ومِن لسانٍ إلى لسان ، حتى انتهت إلينا ، وكنَّا آخرَ مَنْ ورِثها ونظَر فيها . فقد صحَّ أنَّ الكتبَ أبلغُ فى تقييدِ المآثر ، من البُنيان والشعر .

(قيمة الترجمة)

ثم قال بعضُ مَنْ ينصر الشـــعر ويحوطُه ويحتجُّ له : إنَّ التَّرجُمانَ لايؤدِّى أبداً ما قال الحكيمُ ، على خصائِص معانيه ، وحقائِق مذاهِبه ،

ودقائِق اختصاراته ، وخفيَّاتِ حدوده ، ولا يقدِر أَنْ يوفيَها حقوقَها ، ويؤدِّيَ الأمانة فيها ، ويقومَ بما يلزمُ الوكيلَ ويجبُ على الجَرِيّ[1] ، وكيف يقدِر على أدائها وتسليمِ معانيها ، والإخبار عنها على حقِّها وصدقها ، إلّا أَنْ يكونَ فى العلم بمعانيها ، واستعمالِ تصاريفِ ألفاظِها ، وتأويلاتِ مخارجِها ، مثلَ مؤلِّف الكتاب وواضـــعِه . فمتى كان رحمه الله تعالى ، ٱبنُ البِطرِيق ، وٱبن ناعمة ، وابن قرَّة ، وٱبن فِهريز ، وثيفيل[2] ، وٱبن وهيلى ، وٱبن المقفَّع ، مثلَ أرِسطاطاليس ؟ ! ومتى كان خالدٌ[3] مثلَ أفلاطون ؟ !

(شرائط الترجمان)

ولا بدَّ للتَّرجُمان من أن يكون بيانهُ فى نفس الترجمة ، فى وزْن علمه فى نفسِ المعرفة ، وينبغى أن يكون أعلمَ الناس باللغة المنقولة والمنقولِ إليها ، حتَّى يكون فيهما سواءً وغاية . ومتى وجدناه أيضاً قد تكلَّم بلسانين ، علمنا أنَّه قد أدخلَ الضيمَ عليهما ؛ لأنَّ كل واحدةٍ من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذُ منها ، وتعترضُ عليها . وكيف يكونُ تمكُّنُ اللسان منهما مجتمعين فيه ، كتمكُّنِه إذا انفرد بالواحدة ، وإنَّما له قوَّةٌ واحدة ، فإنْ تكلَّمَ

(١) فى الأصل « المجرى » وإنما هو « الجرى » وهو فى معنى الوكيل ، كما فى القاموس .

(٢) ابن فهريز هو حبيب ، أو عبد يشوع بن فهريز . ابن النديم ٢٤ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ . وأما ثيفيل : فهو تيوفيل بن توما أحد المترجمين لأرسطو . مجلة الثقافة العدد ٢٨ .

(٣) هو خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان ، ولى الخلافة ثلاثة أشهر . . وقد قام بأول نقل فى الإسلام ، قال الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٨ : « وكان خالد بن يزيد بن معاوية خطيبا شاعرا ، وفصيحا جامعا ، وجيد الرأى كثير الأدب ، وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء » . توفى خالد سنة ٨٥ هـ .

بلغةٍ واحدة استُفْرِغَتْ تلك القوَّةَ عليهما ، وكذلك إنْ تكلَّم بأكثرَ مِنْ لغتين ، على حساب ذلك تكون الترجمةُ لجميع اللغات . وكلَّما كانَ البابُ من العلم أعسرَ وأضيق ، والعلماءُ به أقلَّ ، كان أشدَّ على المترجِم ، وأجدرَ أن يخطئ فيه . ولن تجد ألبتَّةَ مترجماً يفِي بواحدٍ من هؤلاء العلماء . ٣٩

(ترجمة كتب الدين)

هذا قولُنا فى كتب الهندسة، والتنجيم ، والحسابِ ، واللحون ؛ فكيف لو كانت هذه الكتبُ كتبَ دِينٍ وإخبار عن الله — عزَّ وجلَّ — بما يجوز عليه مَّما لايجوز عليه ، حتَّى يريد أَنْ يتكلَّم على تصحيح المعانى فى الطبائع ، ويكون ذلك معقوداً بالتوحيد ، ويتكلَّمَ فى وجوهِ الإخبار واحتمالاته للوُجوه ، ويكونَ ذلك متضمِّنا بما يجوز على الله تعالى ، ممَّا لايجوز ، وبما يجوزُ على الناس مما لايجوز ، وحتَّى يعلمَ مستقرَّ العامِّ والخاصّ ، والمقابلاتِ التى تَلقَى الأخبارَ العامِّيةَ المخرَج فيجعلَها خاصيَّة ؛ وحتَّى يعرفَ من الخبر ما يخصُّه الخبر الذى هو أثر ، ممَّا يخصُّه الخبر الذى هو قرآن ، وما يخصُّه العقل مما تخصُّه العادة أو الحال الرادَّةُ له عن العموم ؛ وحتَّى يعرفَ ما يكونُ من الخبر صِدقًا أو كذبا ، وما لايجوز أن يسمَّى بصدقٍ ولا كذب ؛ وحتَّى يعرفَ اسمَ الصدق والكذب ، وعلى كم معنًى يشتمل ويجتمع ، وعند فقد أيِّ معنًى ينقلب ذلك الاسم ؛ وكذلك معرفة المُحالِ من الصحيح ، وأىّ شيءٍ تأويلُ المحال ؛ وهل يسمَّى المحال كذبا أم لايجوز ذلك ، وأىّ القولين أفحشُ : المُحال أم الكذب ، وفى أىِّ موضع يكون المحالُ أفْظَع [1] ، والكذب أشنع ؛ وحتَّى يعرف المثلَ والبديع ، والوحى

---

(١) فى الأصل « أقطع » .

والكناية ، وفصْل ما بين الخطَلِ والهَذْر ، والمقصورِ والمبسوط والاختصار ، وحتّى يعرف أبنيةَ الكلام ، وعاداتِ القوم ، وأسبابَ تفاهمِهِم ، والذى ذكرنا قليلٌ من كثير . ومتى لم يعرفْ ذلك المترجمُ أخطَأَ فى تأويل كلامِ الدين . والخطأُ فى الدين أضرُّ من الخطأ فى الرياضة والصناعة ، والفلسفةِ والكِيْمِيَاء ، وفى بعض المعيشة التى يعيش بها بنو آدم .

وإذا كان المترجِم الذى قد تَرجَم لايكمل لذلك ، أخطأ على قدْرِ نقصانه من الكمال . وما عِلْمُ المترجِم بالدليل عن شبه الدليل ؟ وما علْمه بالأخبار النجوميّة ؟ وما علمه بالحدود الخفيّة ؟ وما علمه بإصلاح سقطات الكلام ، وأسقاط الناسخين للكتب ؟ وما علمُه ببعض الخطرفة لبعض المقدّمات ؟ وقد علمنا أنَّ المقدَّمات لابدَّ أنْ تكون اضطراريّة ، ولا بدَّ أن تكون مرتَّبةً ، وكالخيط الممدود[1] . وابنُ البِطريق وابن قرّة[2] لايفهمان هذا موصوفاً منزَّلا ، ومرتَّباً مفصَّلا ، من معلِّمٍ رفيقٍ ، ومن حاذقٍ طَبٍّ ؛
٤٠ فكيف بكتابٍ قد تداولتْـــه اللغاتُ واختلافُ الأقلام ، وأجناسُ خطوطِ المِلل والأمم ؟ !

ولو كان الحاذقُ بلسان اليونانيِّين يرمى إلى الحاذق بلسان العربيّة ، ثم كان العربىُّ مقصِّرًا عن مقدار بلاغة اليونانىّ ، لم يجد المعنى والناقل التقصير ، ولم يَجِد اليونانىُّ الذى لم يرضَ بمقدار بلاغته فى لسان العربيّة بُدًّا من الاغتفار والتجاوز ، ثمّ يصير إلى ما يعرض من الآفات لأصناف الناسخين ؛ وذلك أن نسختَه لا يَعدَمها الخطأ ، ثمَّ ينسخُ له من تلك النسخة

---

(١) فى ط : « كالخط المنثور » وقد كتبت بدله ما فى ل .
(٢) فى الأصل : « وأبو قرة » .

مَن يزيده من الخطأ الذى يجده فى النسخة ، ثمّ لاينقص منه ، ثم يعارِض بذلك مَن يترك ذلك المقدار من الخطأ على حاله ، إذا كان ليس من طاقته إصلاحُ السَّقَط الذى لايجدُه فى نسخته .

(مشقة تصحيح الكتب)

ولربَّما أراد مؤلِّف الكتاب أن يصلِح تصحيفاً ، أو كلمةً ساقطة ، فيكون إنشاء عشرِ ورقاتٍ [(١)] من حرِّ اللفظ وشريفِ المعانى ؛ أيسَرَ عليه من إتمام ذلك النقص ، حتى يردَّه إلى موضعه من اتِّصال الكلام ؛ فكيف يُطيق ذلك المعارض المستأجَر ، والحكيمُ نفسهُ قد أعجزه هذا الباب ! وأعجب من ذلك أنَّه يأخذ بأمرَين : قد أصلحَ الفاسدَ وزاد الصالحَ صَلاحا . ثم يصير هذا الكتاب بعد ذلك نسخةً لإنسانٍ آخَر ، فيسير فيه الورَّاقُ الثانى سيرةَ الورَّاق الأوّل ؛ ولا يزال الكتابُ تتداوله الأيدى الجانية ، والأعْرَاض المفسِدة [(٢)] ، حتَّى يصير غَلَطًا صِرفاً ، وكذِبا مصَمتا ، فما ظنُّكم بكتابٍ تتعاقبه المترجمون بالإفساد ، وتتعاوره الخطَّاط بشرٍّ من ذلك أو بمثله ، كتابٍ متقادِمِ الميلاد ، دُهْرِىّ الصنعة !

(بين أنصار الكتب وأنصار الشعر)

قالوا : فكيف تكون هذه الكتبُ أنفعَ لأهلها من الشعر المقفَّى ؟

قال الآخر : إذا كان الأمرُ على ما قلتم ، والشأنُ على ما نزَّلتم ، أليس

---

(١) فى ط : « أنشأ عشر ورقات » وتصحيحه من ل .

(٢) فى ط : « الأغراض المفسدة » وتوجيهه من ل .

معلوماً أَنَّ شيئاً هذه بقيَّتُهُ وفضلتُه وسُؤرُه وصُبَابته ، وهذا مظهرُ حاله على شدَّة الضيم ، وثبات قوته على ذلك الفسادِ وتداوُلِ النقص ، حريٌّ بالتعظيم ، وحقيقٌ بالتفضيلِ على البنيان[١] ، والتقديمِ على شعرٍ إن هو حُوِّل تهافَتَ ، ونفعُه مقصورُ على أهله ، وهو يُعدُّ من الأدب المقصور ، وليسَ بالمبسوط ؛ ومن المنافع الاصطلاحيَّة وليست بحقيقة بيِّنة[٢] : وكلُّ شيءٍ في العالم من الصناعات والأرفاق والآلات ، فهي موجودات[٣] في هذه الكتبِ دونَ الأشعار ، وهاهنا كتبٌ هي بينَنَا وبينكم ، مثل كتاب أُقليدِس ، ومثل كتاب جالينوس، ومثل المجسْطي[٤] ، ممَّا تولَّاه الحجَّاج[٥] ،
٤١ وكتبٌ كثيرةٌ لا تحصى فيها بلاغٌ للناس ، وإن كانت مختلفة ومنقوصة مظلومة ومغيَّرة[٦] ، فالباقي كافٍ شافٍ ، والغائب منها كان تكميلاً لتسلُّط الطبائع الكاملة .

فأما فضيلة الشعر فعلى ما حكينا ، ومنتهى نفعِه إلى حيث انتهى بنا القول[٧] .

---

(١) في ط : « على البيان » وإنما هو « البنيان » كما يفهم من سياق الكلام وكما في ل .
(٢) في ط : « وليست بحقيقته بينة » وصوابه في ل .
(٣) في ط : « فهي جودات » وأصلحت تشويه العبارة من ل .
(٤) في ط : « المجشطي » بالشين، وإنما هو « المجسطي » كتاب بطليموس ، وقد قام بترجمته كثير من النقلة قالوا : وصحح المأمون كثيرا من حسابه وأقيسته لمحيط الأرض والدرجة الأرضية ، فكان أرصاد علمائه أول أرصاد في الإسلام ، وسموا مجموع أرصادهم « الرصد المأموني » .
(٥) هو الحجاج بن يوسف بن مطر الكوفي ، كما في إخبار العلماء للقفطي ٤٦ — ٤٧ .
(٦) في الأصل : « ومفسرة » .
(٧) في ط « بناء القول » وصحته في ل .

وحسْبُك ما فى أيدى الناس من كتب الحساب، والطبّ ، والمنطق ، والهندسة ، ومعرفةِ اللُّحون ، والفِلاحة ، والتِّجارة ، وأبواب الأصباغ ، والعِطر ، والأطعمة ، والآلات . وهم أتوكم بالحكمة ، وبالمنفعة التى فى الحمّامات وفى الأصطرلابات ، والقَرِسطونات (١) وآلات معرفة الساعات ، وصنعة الزجاج والفُسَيفِساء (٢) ، والأسرنج (٣) والزنجفور (٤) واللازَوَرد (٥) والأشربة ، والأنْبَجَات (٦) ، والأيارجات (٧) ولكم المينا ، والنشادر

(١) هذا اللفظ وجدته فى رسالة الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك (هامش الكامل ١ : ٢٦٢) قال : « وصاغوا من المنافع كالقرسطونات والقبانات . . » الخ ووجدته فى كتاب التربيع والتدوير له أيضا ص ١٣٨ طبع الساسى قال : « وخبرنى عن القرسطون كيف أخرج أحد رأسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك أم نقص ووزن جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك أو نقص » ويفهم من قرنه بكلمة (القبان) وهى الميزان ومن وصفه فى العبارة الثانية ، أنه ضرب من الموازين ، وهو الذى يسميه العامة عندنا فى مصر (القبانى) . وانظر النزهة المبهجة لداود ١ : ١٥ .

(٢) الفسيفساء : ألوان من الخرز تركب فى حيطان البيوت من داخل .

(٣) قال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٤٩ : الأسرنج : أسرب يحرق ، ويشب عليه النار حتى يحمر .

(٤) رسمت هذه الكلمة فى القاموس وفى مفاتيح العلوم برسم « الزنجفر » جاء فى الأول : صبغ معروف . وجاء فى الثانى : أنه يتخذ من الزئبق والكبريت ؛ يجمعان فى قوارير ، ويوقد عليها ، فيصير زنجفرا . . قال الخوارزمى : والوزن أن تأخذ واحدا من زئبق ، وواحدا من كبريت .

(٥) الخوارزمى ١٤٨ : هو حجر فيه عيون براقة يتخذ منها خرز .

(٦) الأنبجات : جمع أنبج ، قال الخليل : حمل شجرة بالهند، يربب بالعسل على خلقة الخوخ ، محرف الرأس ، فى جوفه نواة كنواة الخوخ. وقال الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٠٤ : فمن هنا تسمى الانبجات ، وهى التى ربيت بالعسل من الأترج والإهليلج ، ونحو ذلك . اهـ وهى فى ط « الأنبجاث » بالثاء وهو تصحيف .

(٧) فى الأصل « الافشارجات » وإنما هى « الأيارجات » قال فى القاموس : والأيارجة بالكسر وفتح الراء ، معجون مسهل معروف ، جمعه أيارج معرب إيارة، وتفسيره الدواء الإلهى . وانظر مفاتيح العلوم للخوارزمى ١٠٤ س ٤.

والشَّبَه[١] وتعليق الحيطان والأساطين ، وردُّ ما مال منها إلى التقويم . وهم صبُّ الزردج ، واستخراج النَّشَا سْتَج[٢] ، وتعليق الخَيش ، واتِّخاذ الجمَّازات[٣] ، وعمل الحَرَّاقات[٤] ، واستخراج شراب الداذيّ[٥] وعمل الدّبابات[٦] .

(ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحامل)

وكان الحجَّاجُ أوّلَ مَن أجرى فى البحر السفن المقيَّرة المسمَّرة غيرَ المخرَّزة ، والمدهونة والمسطّحة ، وغيرَ ذواتِ الجؤجؤ ؛ وكان أوَّلَ مَن عمِل المحامل ، ولذا قال بعضُ رُجَّاز الأكرياء[٧] :

أوّل خَلْقٍ عَمِلَ المحامِلا ... أخزَاهُ ربِّى عاجلاً وآجِلا

وقال آخر :

شَيَّبَ أصداغِى فهُنَّ بيضُ ... مَحَامِلٌ لِقدِّها نَقيضُ[٨]

وقال آخر[٩] :

---

(١) فى ط : « الشب » وتصحيحه من ل . والشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر . هذا قول الفيروزبادى . وانظر التفسير الآتى .

(٢) فى ط : « النستاستج » وهو تحريف مافى ل . قال فى القاموس « والنشا وقد يمد: النشاستج معرب حذف شطره » والنشا معروف .

(٣) سيفسرها الجاحظ قريبا .

(٤) الحراقات : سفن فيها مرامى نيران ، يرمى بها العدو .

(٥) قال الفيروزبادى ، الداذى : شراب للفساق .

(٦) فى ل « الزرياب » وهو الذهب أوماؤه معرب . وأما الدبابات فجمع دبابة ، قالوا إنها آلة تتخذ للحرب ، فتدفع فى أصل الحصن فينقبونه وهم فى جوفها .

(٧) مثل هذا الكلام فى البيان ٢ : ٣٠٣ .

(٨) الرجز وسابقه فى البيان ٢ : ٣٠٤ .

(٩) هو رجل من فقيم ، كما فى اللسان (فرض) .

شيَّب أصداغِى فهن بيَّضُ   مَحَامِلٌ فيها رجال قبَّضُ
لو يتكون سنة لم يغرضوا

وقال القوم : لولا ما عرَّفوكم من أبواب الُحمْلانات[١] لم تعرفوا صنعة الشَبَه ، ولولا غَضارُ الصين على وجه الأرض لم تعرفوا الغَضار . على أَنَّ ٱلذى عَمِلْتُم[٢] ظاهرٌ فيه التوليد، منقوصُ المنفعة عن تمام الصِّينى . وعلى أن الشَّبَهَ لم تستخرجوه ، وإنَّما ذلك من الأُمور التى وقعت اتّفاقاً ، لسقوط الناطف[٣] من يد الأجير فى الصُّفْر ٱلذائب ، فَخِفتم إفساده ، فَلَمَّا رأيتم ما أعطاه من اللون عَمِلْتم[٤] فى الزيادة والنقصان ، وكذلك جميعُ ما تهيَّأ لكم ، ولستم تخرُجون فى ذلك من أحدِ أمرَين : إمَّا أن تكونوا استعملتم الاشتقاق من علمِ ما أورثوكم ، وإمّا أن يكون ذلك تهيَّأ لكم من طريق الاتِّفاق ! !

(الجمازات)

وقد علمتم أَنَّ أَوَّلَ شأن الجَمَّازَاتِ ، أَنَّ أُمَّ جعفر أمرت الرحَّالِينَ أن يَزيدُوا فى سيرِ النجيبة[٥] التى كانت عليها ، وخافت فوتَ الرشيد ، ٤٢
فلما حُرِّكت مشَت ضروباً من المشى ، وصنوفا من السير[٦] ، فجَمزت فى

(١) فى القاموس : الحملان فى اصطلاح الصاغة : مايحمل على الدراهم من الغش .
(٢) فى ط : « علمتم » وهو تحريف .
(٣) الناطف : ضرب من الحلوى. انظر حواشى ٣ : ٣٧٦ .
(٤) فى ط : « علمتم » .
(٥) فى ل : « البختية » .
(٦) فى ل : « وضروبا من المرفوع » .

خلال ذلك ، ووافقت امرأةً تحسن الاختيار ، وتفهم الأمور ، فوجدت لذلك الجمزِ راحةً ، ومع الراحة لذَّة ، فأمرتْهم أن يسيروا بها فى تلك السِّيرة ، فما زالوا يقرِّبون ويبعِّدون ، ويخطئون ويصيبون ، وهى فى كلِّ ذلك تصوِّبهم وتخطئُهم على قدر ما عرفتْ ، حتى شَدَوا من معرفة ذلك ما شَدَوا ، ثمَّ إنّها فرّغتهم لإتمام ذلك حتى تمَّ واستوى . وكذلك لا يخلو جميعُ أمركم ، من أن يكون اتِّفاقاً ، أو اتِّباعَ أثر .

(الترغيب فى اصطناع الكتاب)

ثم رجع بنا القولُ إلى الترغيب فى اصطناع الكتاب ، والاحتجاجِ على مَنْ زَرَى[1] على واضِع الكتب ، فأقول : إنّ من شكر النعمة فى معرفة مغاوى الناس ومَرَاشدِهم ، ومضارِّهم ومنافِعهم ، أن يُحْتَمَلَ ثِقْلُ مئونتهم فى تقويمهم ، وأن يُتَوَخَّى إرشادُهم وإن جهِلوا فضلَ ما يُسْدَى إليهم ؛ فلن يُصَانَ العلمُ بمثل بذْله ، ولن تُستَبقى النعمةُ فيه بمثل نشره . على أَنَّ قراءةَ الكتبِ أبلغُ فى إرشادهم من تلاقيهم ؛ إذ كان مع التلاقى يشتدُّ التصنُّع ، ويكثُر التظالُم ، وتُفرط العصبيّة ، وتقوَى الحَمِيَّة ؛ وعند المواجَهةِ والمقابلَة ، يشتدُّ حبُّ الغلَبة ، وشهوةُ المباهاةِ والرياسة ، مع الاستحياء من الرجوع ، والأنفةِ من الخضوع ؛ وعن جميعِ ذلك تحدُث الضغائن ، ويظهرُ التباين . وإذا كانت القلوبُ على هذه الصِّفةِ وعلى هذه

---

(١) أثبت ما فى ل ، وهى فى ط : « ذرى » مصحفة . وزرى عليه كأزرى : عابه ، والأول أكثر .

الهيئة ، امتنعتْ من التعرُّف ، وعمِيت عن مواضع الدلالة ، وليست فى الكتب عِلَّةٌ تمنَع من دَرْك البُغْية ، وإصابة الحجَّة ؛ لأنَّ المتوحِّد بِدَرْسها[١] ، والمنفرد بفهم معانيها ، لا يباهى نفسَه ولا يغالب عقلَه ، وقد عَدِم مَنْ له يُباهى وَمِنْ أجله يغالب .

(الكتاب قد يفضل صاحبه)

والكتابُ قد يفضُل صاحبَه ، ويتقدَّم مؤلِّفَه ، ويرجِّح قلمَه على لسانِه بأمور : منها أنّ الكتابَ يُقرأ بكلِّ مكان ، ويظهرُ ما فيه على كلِّ لسان ، ويُوجَد مع كلِّ زمان ، على تفاوُتِ ما بينَ الأعصار ، وتباعُدِ ما بين الأمصار ؛ وذلك أمرٌ يستحيل فى واضع الكتاب ، والمنازع[٢] فى المسألة والجواب . ومناقلةُ اللسان وهدايته لا تجوزان[٣] مجلسَ صاحبه ، ومبلغَ صوتِه . وقد يذهب الحكيمُ وتبقى كتبُه ، ويذهب العقلُ ويبقى أثره . ولولا ما أودعت لنا الأوائلُ فى كتبها ، وخلَّدت من عجيبِ حكمتها ، ودوَّنت من أنواعِ سِيَرِها ، حتَّى شاهدنا بها ما غاب عنَّا ، وفتحنا بها كلَّ مستغلق كان علينا ، فجمَعنا إلى قليلِنا كثيرَهم ، وأدركْنا ما لم نكن ٤٣
ندركُه إلاّ بهم ، لقد خسَّ[٤] حظنا من الحكمة ، ولضعف سببُنَا إلى المعرفة . ولو لجأنا إلى قدر قوَّتنا ، ومبلغ خواطرِنا ، ومنتهى تجارِبنا

---

(١) فى ط : « بدرسها » و « يفهم » والوجه ما كتبت من ل .
(٢) فى ط : « والمتنازع » .
(٣) فى ط : « لايجوزان » .
(٤) فى ط : « لما حسن » والعبارتان صحيحتان ، ولعل أفضلهما ماأثبته من ل .

لمـا تدركه حواسُّنا ، وتشاهدُه نفوسنا ، لقلَّت المعرفةُ ، وسَقَطت الهمّة ، وارتفعت العزيمة ، وعاد الرأيُ عقيماً ، والخاطِر فاسـدا ؛ ولـكلَّ الحدُّ وتبلَّد العقل .

(أفضل الـكتب)

وأكثرُ مِنْ كتبِهم نفعاً ، وأشرف منها خَطَرا ، وأحسنُ موقعا ، كتُبُ ٱللهِ تعالى ، فيها الهُدَى والرحمة ، والإخبارُ عن كلِّ حكمة ، وتعريفُ كلِّ سيِّئةٍ وحسَنة . وما زالت كتبُ ٱللهِ تعالى فى الألواحِ والصُّحُف ، والمهارِق[1] والمصاحِف . وقال ٱللهُ عزَّ وجلَّ ﴿ الم ذَٰلِكَ الْـكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . وقال ﴿ مَا فَرَّطْنَا فىالْـكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ . ويقال لأَهل التَّوراةِ والإنْجيل : أهلُ الـكِتاب .

(مواصلة السير فى خدمة العلم)

وينبغى أن يكونَ سبيلُنا لِمَـنْ بعدَنا ، كسبيلِ مَن كان قبلنا فينا . على أنَّا وقد وجدْنا من العبرة أكثرَ ممَّا وجدوا ، كما أنَّ مَن بعدَنا يجدُ من العِبرة أكثرَ ممَّا وجدْنا . فما ينتظر العالمُ بإظهار ما عندَه ، وما يمنَع الناصرَ للحقِّ من القيامِ بما يلزمُه ، وقد أمكن القولُ وصلَح الدهرُ وخَوى نجم التَّقِيَّة[2] ،

---

(١) فى ط : « المحار » وهو تحريف صوابه فى ل .

(٢) فى ل : « حوى نجم التقية » وفى ط « حوى نجم التقيد » وقد أصلحت العبارتين بما ترى. وخوى النجم : اختفى وذهب ، وأصله من خوت الدار : تهدمت . والتقية : الحذر والخوف .

وهَبَّتْ رِيحُ العلماء ، وكسَدَ العِيُّ والجهل ، وقامت سوقُ البيان والعلم ؟ !

وليس يجدُ الإنسانُ فى كل حينٍ إنساناً يدرِّبه ، ومقوِّما يثقِّفه . والصبرُ على إفهام الريِّض شديد ، وصرفُ النفسِ عن مغالبة العالم أشدُّ منه ، والمتعلِّم يجدُ فى كلِّ مكانٍ الكتابَ عتيداً ، وبما يحتاج إليه قائما وما أكثرَ مَن فرَّط فى التعليم أيَّام خُمولِ ذكره ، وأيَّام حَداثةِ سنِّه ! ! ولولا جِيادُ الكتبِ وحسَنُها ، ومُبَيَّنُها ومختَصَرها ، لَمَا تحرَّكت هممُ هٰؤلاءِ لطلب العلم ، ونزعت إلى حبِّ الأَدب ، وأَنِفَتْ من حالِ الجهل ، وأَن تكون فى غِمار الحَشْو ، ولَدخل على هٰؤلاء من الخللِ والمضرَّة ، ومن الجهل وسوء الحال ، ما عسى ألا يمكن الإخبارُ عن مقداره ، إلّا بالكلام الكثير ، ولذلك قال عمرُ رضى الله تَعالى عنه : « تفقَّهوا قبلَ أن تسودوا » .

(كتب أبى حنيفة)

وقد تجدُ الرجلَ يطلبُ الآثارَ وتأويلَ القرآن ، ويجالس الفقهاءَ خمسين عاماً ، وهو لايُعدُّ فقيهاً ، ولا يُجعَل قاضيا ، فما هو إلّا أن ينظرَ فى كتبِ أبى حنيفة ، وأشباه أبى حنيفة ، ويحفَظَ كتبَ الشروط فى مقدارِ سنةٍ أو سنتين ، حتى تمرَّ ببابه فتظنَّ أنَّه من بعضِ العُمَّال[١] ، وبالحَرا[٢] ٤٤
ألّا يمرَّ عليه من الأيّام إلّا اليسير ، حتَّى يصير حاكماً على مصرٍ من الأمصار ، أو بلدٍ من البلدان .

---

(١) فى ل : « باب بعض العمال » والعبارتان سليمتان .

(٢) وسمت هذه الكلمة بالياء المشددة فى المطبوعة وهو خطأ . وإنما هى « الحرا » بالألف . قال صاحب القاموس « والحرا : الخليق . ومنه بالحرا أن يكون ذاك ، وإنه لحرى بكذا وحرى كغنى وحر ، والأولى لاتثنى ولا تجمع » .

(وجوب العناية بتنقيح المؤلفات)

وينبغي لمن كَتَبَ كتاباً ألا يكتُبَه إلّا على أَنَّ النَّاس كلَّهم له أعداء ، وكلُّهم عالمٌ بالأمور ، وكلُّهم متفرِّغ له ؛ ثمَّ لا يرضى بذلك حتى يدع كتابه غُفْلا ، ولا يرضى بالرأى الفطير ؛ فإنَّ لابتداءِ الكتابِ فتنةً وعُجْباً ، فإذا سكنت الطبيعةُ وهدأت الحركة ، وتراجَعَتِ الأَخلاطُ ، وعادت النفسُ وافرة ، أعاد النَّظرَ فيه ، فيَتَوَقَّفُ عند فصوله توقُّفَ من يكونُ وزنُ طمَعُه[1] فى السلامة أنقصَ من وزنِ خوفِه من العيب ، ويتفهَّم معنى قولِ الشاعرِ[2] :

إِنَّ الحديثَ تَغُرُّ القومَ خلوتُه حتَّى يَلِجَّ بهم عِيٌّ وإكثارُ

ويقفُ عند قولهم فى المثل : « كلُّ مُجْرٍ فى الخلاءِ يُسَرُّ[3] » فيخاف أن يعترَيه ما اعترى مَنْ أجرى فرسَه وحدَه ، أو خلا بعلمه عند فقدِ خصومه وأهلِ المنزلةِ من أهل صناعته .

(تداعى المعانى فى التأليف)

وليعلم أنَّ صاحبَ القلمِ يعتريه ما يعترى المؤدِّبَ عند ضربه وعقابه ،

---

(١) فى الأصل : « طبعه » .

(٢) هو ابن هرمة كما فى رسالة الوكلاء للجاحظ ١٧١ ساسى والبيت كذلك فى البيان ١ : ٢٠٣ وأدب الكتاب للصولى ١٥٧ . وقد رواه الصولى برواية أخرى فانظره .

(٣) جاء فى البيان ١ : ٢٠٣ « وفى المثل المضروب كل مجر فى الخلاء مسر ، ولم يقولوا مسرور . وكل صواب » . والوجه فى المثل « يسر » كما هو هنا وكما فى الميدانى ٢ : ٧٣ وانظر أصل المثل فيه .

فَمَا أكثر من يَعزِم على خمسةِ أسواط فيضرب مائة ؟ ! لأنّه ابتدأ الضربَ وهو ساكنُ الطباع ، فأراه السكونُ أنَّ الصواب فى الإقلال ، فلما ضرب تحرَّك دمُه ، فأشاع فيه الحرارةَ فزادَ فى غضبه ، فأراه الغضبُ أنّ الرأى فى الإكثار . وكذلك صاحب القلم ؛ فَمَا أكثرَ من يبتدئ الكتابَ وهو يُريد مقدارَ سطرين ، فيكتب عشرة ! والحفظُ مع الإقلال أمكَن ، وهو مع الإكثار أبعَد .

(مقايسة بين الولد والكتاب)

واعلم أَنَّ العاقلَ إنْ لم يكن بالمتتبِّع ، فكثيراً مايعتريه ما يعتريه من ولده ، أَنْ يحسُنَ فى عينه منه المقبَّحُ فى عين غيره ، فليعلمْ أَنَّ لفظَه أقربُ نسباً منه مِن ابنه ، وحركَتَه أمسُّ به رِحْماً من ولَده ؛ لأَنَّ حركتَه شىءٌ أحدثَه من نفسه وبذاته ، ومن عين جوهرِه فَصَلت[1] ، ومن نفسه كانت ؛ وَإِنَّما الولدُ كالمَخْطَةِ يتمخَّطها ، والنُّخَامةِ يقذفها ، ولا سواءٌ إخراجُك مِنْ جزئك شيئا لم يكن منك ، وإظهارُك حركةً لم تكن حتَّى كانت منك . ولذلك تجِدُ فتنةَ الرجُل بشِعرِه ، وفتنتَه بكلامِه وكتبِه ، فوقَ فتنته بجميعِ نعمته .

(ما ينبغى أن تكون عليه لغة الكتب)

وليس الكتابُ إلى شىءٍ أحوجَ منه إلى إفهام معانيه ، حتَّى لايحتاج

---

(١) فى ط : « وبداءته من عين جوهره فصلت ». وإصلاح العبارة وإتمامها من ل .

السامع لما فيه من الرويَّة ، ويحتاجُ مِنَ اللفظ إلى مقدارٍ يرتفع به عَنْ ألفاظ السِّفْلَةِ والحَشْو(١) ، ويحطُّه من غريب الأعراب ووَحْشِيِّ الكلام ، وليس له أَنْ يهذِّبَه جدًّا ، وينقِّحَه ويصفِّيه ويروِّقه ، حتى لاينطِقَ إلّا بِلُبِّ اللُّبِّ ، وباللفظ الذى قد حذف فُضُولَه ، وأسقَطَ زوائِدَه(٢) ، حتَّى عاد خالصاً لاشَوْب فيه ؛ فإنَّه إنْ فعل ذلك ، لم يُفْهَمْ عنه إلّا بأن يجدِّد لهم إفهاماً مِرَارا وتَكراراً ، لأنَّ النَّاسَ كلَّهم قد تعوَّدُوا المبسوطَ من الكلام ، وصارت أفهامُهم لاتزيد على عاداتهم إلّا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها . ألا تَرَى أَنَّ كتاب المنطق الذى قد وُسم بهذا الاسم ، لو قرأتَه على جميعِ خطباء الأمصار وبلغاءِ الأعراب ، لما فهموا أكثرَه ، وفى كتاب أُقليدِسَ كلامٌ يدور ، وهو عربىٌّ وقد صفِّى ، ولو سمعه بعضُ الخطباء لما فهمه ، ولا يمكن أن يفهِّمه من يريد تعليمه ، لأنَّه يحتاج إلى أن يكون قد عرَف جهةَ الأمر ، وتعودَّ اللفظ المنطقىَّ(٣) الذى استُخرِج من جميع الكلام .

(قول صحار العبدى فى الإيجاز ، ونقده)

قال معاويةُ بن أبى سفيان ، رضى الله تعالى عنهما ، لصُحَارٍ العبدى(٤) :

---

(١) فى ط : « الحشوة » وكلاهما صحيح ومعناها : صغار الناس وأسقاطهم .

(٢) فى ل : « وتعرف زوائده » .

(٣) فى ط : « وتعود للفظ المنطق » وهو تحريف .

(٤) هو صحار بن عياش — وقيل ابن عباس — بن شراحيل بن منقذ العبدى من بنى عبد القيس . خطيب مفوه كان من شيعة عثمان ، له صحبة وأخبار حسنة ، وكان نسابة ، توفى نحو سنة ٤٠ هـ . الإصابة ٤٠٣٦ والاشتقاق ٢٠١ .

ما الإيجاز ؟ قال : أَنْ تجيبَ فلا تبطئ ، وتقولَ فلا تخطئ . قال معاوية : أوكذلك تقول ! ! قال صحار : أَقِلْني يا أميرَ المؤمنين ! لا تخطئ ولا تبطئ .

فلو أَنَّ سائلاً سأَلك عن الإيجاز ، فقلت : لا تخطئ ولا تبطئ ، وبحضرتك خالدُ بنُ صفوان[١] ، لماَ عرَف بالبديهة وعندَ أَوَّلِ وهلة ، أَنَّ قولَك « لا تخطئ » متضمِّنٌ بالقول ، وقولَك « لا تبطئ » متضمِّن بالجواب . وهذا حديثٌ كما ترى آثروه ورَضُوه ، ولو أن قائلاً قال لبعضنا : ما الإيجاز ؟ لظننتُ أنّه يقول : الاختصار .

(حقيقة الإيجاز)

والإيجاز ليس يُعنَى به قلَّةُ عددِ الحروفِ واللفظِ ، وقد يكونُ البابُ من الكلام مَنْ أتى عليه فيما يسع بطن طُومارٍ[٢] فقد أوجز ، وكذلك الإطالة ، وإنَّمَا ينبغى له أن يحذف بقدرِ مالا يكون سبباً لإغلاقه ، ولا يردِّد وهو يكتَفى فى الإفهام بشِطره[٣] ، فما فضَل عن المقدار فهو الخطل .

(استغلاق كتب أبى الحسن الأخفش)

وقلتُ لأَبى الحسن الأَخفش : أنت أعلمُ الناسِ بالنَّحو ، فلم لا تجعَلُ

---

(١) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأهتم التميمى المنقرى ، كان يجالس عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك ، نشأ بالبصرة ، وكان أكثر أهلها مالا ، ولم يتزوج ، توفى نحو سنة ١١٥ ﻫ .

(٢) الطومار والطامور : الصحيفة ، جمعه طوامير .

(٣) فى ط : « ولا لترداده وهو يكتفى من الإفهام بشطره » وعدلت القول من ل .

كتبَك مفهومة كلَّها ، وما بالُنا نفهمُ بعضَها ولا نفهم أكثرها ، وما بالُك تقدِّم بعضَ العويصِ وتؤخِّر بعض المفهوم ؟ ! قال : أنا رجلٌ لم أضَعْ كتبى هذه لله ، وليست هى من كتبِ الدين ، ولو وضعتُها هذا الوضع[1] الذى تدعُونى إليه ، قلَّت حاجاتُهم إلىَّ فيها ، وإنَّما كانت غايتى المَنالة ، فأنا أضعُ بعضَها هذا الوضع[1] المفهومَ ، لتدعوَهم حلاوةُ ما فهِموا إلى التماس فهْمِ مالم يفهموا ، وإنَّما قد كسَبتُ فى هذا التدبير ، إذ كنتُ إلى التكسُّب ذهبت ، ولكنْ ما بالُ إبراهيمَ النظَّامِ ، وفلانٍ وفلان ،
٤٦ يكتبون الكتبَ لله بزعْمِهم ، ثم يأخذُها مثلى فى مواقفته[2] ، وحُسْنِ نظَره ، وشدَّةِ عنايته ، ولا يفهمُ أكثرَها ؟ !

وأقول : لو أنَّ يوسفَ السَّمْتىَّ ، كتب هذه الشروطَ ، أيَّامَ جلسَ سَلمان ابن رَبيعة[3] شهرينِ للقضاء ، فلم يتقدَّم إليه رجُلان ، والقلوب سليمةٌ والحقوقُ على أهلِها موفَّرة ، لكان ذلك خطلاً ولغوًا ؛ ولو كتبَ فى دهره شروطَ سَلمان ، لكان ذلك غَرارةً ونقصاً ، وجهلاً بالسياسة ، وبما يصلحُ فى كلِّ دهر .

(مواضع الإسهاب)

ووجدنا الناسَ إذا خطبُوا فى صلحٍ بين العشائر أطالوا ، وإذا أنشدوا

---

(١) بدلها فى ط : « الموضع » والوجه ماأثبت من ل .

(٢) فى ط : « موافقته » والوجه مافى ل . والمواقفة : الخصومة والجدال .

(٣) هو سلمان بن ربيعة بن يزيد الباهلى الصحابى ، من القادة القضاة ، استقضاه عمر على الكوفة ، ثم ولى غزو أرمينية فى زمن عثمان ، وقتل فيها سنة ٣٠ هـ .

الشعر بين السِّماطين فى مديح الملوك أطالوا . وللإطالة موضعٌ وليس ذلك بخطَل ، وللإقلال موضعٌ وليس ذلك من عَجْز .

ولولا أنِّى أتّكل على أنَّك لا تملُّ بابَ القولِ فى البعير حتَّى تخرجَ إلى الفيل ، وفى الذَّرَّة(١) حتَّى تخرجَ إلى البعوضة ، وفى العقربِ حتَّى تخرجَ إلى الحيَّة ، وفى الرجل حتَّى تخرجَ إلى المرأة ، وفى الذِّبان والنحل(٢) حتى تخرج إلى الغِرْبان والعِقْبان ، وفى الكلبِ حتَّى تخرجَ إلى الديك ، وفى الذئب حتَّى تخرجَ إلى السبُع ، وفى الظِّلفِ حتَّى تخرجَ إلى الحافر ، وفى الحافر حتَّى تخرجَ إلى الخُفّ ، وفى الخفِّ حتَّى تخرجَ إلى البُرْثُنِ ، وَفى البرْثُنِ حتَّى تخرجَ إلى المِخلَب ، وكذلك القول فى الطيرِ وعامَّةِ الأَصناف ، لَرأيتُ أنَّ جملة الكتاب(٣) ، وإنْ كثُر عددُ ورقهِ ، أَنَّ ذلك ليس مما يُمِلُّ ، ويُعتَدُّ علىَّ فيه بالإطالة ، لأنَّه وإن كان كتاباً واحداً فإنَّه كتبٌ كثيرة ، وكلُّ مُصحَفٍ منها فهو أمٌّ على حِدَة ، فإنْ أرادَ قراءةَ الجميع لم يَطُل عليه الباب الأَوَّلُ حتَّى يهجمَ على الثانى ، ولا الثانى حتَّى يهجمَ على الثالث ؛ فهو أبداً مستفيدٌ ومستَطْرِف ، وبعضُه يكون جامًّا لبعض ، ولا يزالُ نشاطُه زائداً . ومتى خرج مِنْ آى القرآن صارَ إلى الأَثر ، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر ، ثم يخرج من الخبر إلى شعر ، ومن الشعرِ إلى نوادر ، ومن النوادر إلى حكمٍ عقليّة ، ومقاييس سِداد(٤) ، ثم لا يترك هذا البابَ ؛ ولعلَّه

(١) فى ط : « الدرة » بالدال وإنما هى « الذرة » بالذال كما فى ل . والذر : ضرب من النمل صغار .

(٢) كذا فى ل . . وفى ط : « وفى الذباب » فقط .

(٣) فى ط : « فرأيت أن جملة الكتاب » .

(٤) فى الأصل : « شداد » والمقياس ينعت بالسداد لا بالشدة .

أن يكون أثقلَ ، والملالُ إليه أسرع ، حتّى يفضِيَ به إلى مزحٍ وفكاهة ، وإلى سُخْفٍ وخُرافة ، ولستُ أراه سُخفا ، إذ كنتُ إنما استعملتُ سِيرة الحكماء ، وآدابَ العلماء .

(مخاطبة العرب و بنى إسرائيل فى القرآن الكريم)

ورأينا ٱلله تبارك وتعالى ، إذا خاطب العربَ والْأَعْرَابَ ، أخرجَ الكلامَ مُخْرَجَ الإشارة والوحى والحذف ، وإذا خاطَبَ بنى إسرائيل أو حكَى عنهم ، جعلَه مبسوطا ، وزاد فى الكلام . فأصوبُ العمل اتّباعُ
٤٧ آثار العلمَاء ، والاحتذاءُ على مثالِ القدماء ، والأَخذُ بما عليه الجماعة .

(أقوال لبعض الشعراء فى الكتب)

قال ٱبن يسير [١] فى صفةِ الكتب ، فى كلمةٍ له :

أقبلْتُ أهرُب لا آلو مُباعدةً ... فى الأَرض منهمْ فَلم يُحْصِنِّىَ الهربُ
بقصر أوسٍ فَما والت خنادقُه ... ولا النواويسُ فالماخورُ فالخَرب [٢]
فأَيَّمَا موئلٍ منها اعتصمتُ به ... فمِن ورائى حثيثاً منهمُ الطلبُ
لمَّا رأيتُ بأنى لستُ معجزَهم ... فوتاً ولا هَرَبًا ، قرَّبت أحتجبُ

---

(١) تقدمت ترجمته ص ٥٩ .

(٢) يبتدئ البيت فى ط بكلمة : « فقصر » وينتهى بكلمة « فالخرب » وقد أبدلتهما بما فى ل . وقصر أوس ، كان بالبصرة ، منسوب إلى أوس بن ثعلبة ، أحد الولاة الأمويين .

فصرتُ فى البيت مسروراً بهم جَذِلا جَارَ البراءة لا شكوَى ولا شَغَبُ (١)
فرداً يحدِّثنى الموتى وتنطِقُ لى عن علمٍ ما غاب عنِّى منهمُ الكتبُ
هم مُؤْنِسون وأُلَّاف غَنِيتُ بهمْ فليس لى فى أنيسٍ غيرهم أَرَبُ
لِلّهِ من جُلَسَاءٍ لا جَلِيسهمُ ولا عشيرهُمُ للسُّوءِ مرتقِبُ
لا بادراتِ الأَذَى يخشَى رفيقُهمُ ولا يُلاقِيه منهمْ مَنْطِقٌ ذَرِبُ (٢)
أبقَوا لنَا حِكماً تبقى منافِعُهَا أُخرَى اللّيالِى على الأَيَّام وانشعبوا (٣)
فأيّما آدبٍ منهم مددتُ يدى إليه فهو قريبٌ من يَدِى كَثَبُ (٤)
إن شئتُ من مُحكَم الآثارِ يرفعُها إلى النبىِّ ثِقَاتٌ خِيرةٌ نُجُبُ
أو شئتُ من عَرَبٍ علماً بأوَّلِهم فى الجاهليَّةِ أنبتْنى به العرب (٥)
أو شئتُ مِنْ سِيَرِ الأَملاكِ مِنْ عَجَمٍ تُنْبِى وتُخْبِرُ كيف الرأىُ والأَدبُ
حتَّى كأنِّىَ قد شاهدتُ عصرَهُمُ وقد مضَتْ دونهم من دَهرِهم حِقَبُ
يا قائلاً قصُرَت فى العلم نُهْيَتُهُ (٦) أمسى إلى الجهل فيما قال ينتسِبُ
إنَّ الأَوائلَ قد بانوا بعلمهم خلافَ قولِك قد بانوا وَقدْ ذهبوا (٧)

---

(١) فى الأصول « به جذلا » والصواب « بهم » . وابن يسير هنا قد جعل للكتب ضمير جماعة العقلاء كما فى الأبيات الأول . وأما « جار البراءة » فهى ماصح لى من مقارنة مافى الأصول فهى فى ط : « جار البوأة » وفى س « جار البواءة » وفى ل « حاز البراءة » .

(٢) منطق ذرب : كلام حاد مزعج .

(٣) فى ط « والشعب » وصوابه فى ل .

(٤) فى ط «كتب » وهو تصحيف مافى ل . وكثب : قريب .

(٥) فى ط : « بها العرب » والضمير عائد إلى العلم .

(٦) النهية والنهى : العقل . وقد تستعمل النهى جمعا للنهية .

(٧) كذا فى ل . وفى ط :

إن الأوائل قد بانوا بعلمهم خلاف قولك مابانوا وما ذهبوا

وهذا البيت مقول القول فى البيت السابق ، والبيت الآتى رد على قول هذا القائل .

ما مات منا امرؤ أبقَى لنا أدباً نـكونُ منه إذا ما مات نـكتسبُ(١)

وقال أبو وَجْزة(٢) وهو يصف صحيفةً كُتب له فيها بستِّينَ وَسْقًا :

راحَتْ بِستِّينَ وَسْقًا فى حقيبتِها ما حُمِّلَتْ حِمْلَها الأَدنى ولا السَّدَدا

ما إنْ رأيتُ قلوصاً قبلَها حَمَلَتْ سِتِّينَ وَسقاً وما جابت به بلدَا(٣)

وقال الراجز :

٤٨ تَعَلَّمَنْ أَنَّ ٱلدواة والقـلَمْ تبقى ويُفْنِي حادثُ ٱلدَّهر الغَنَمْ(٤)

يقول : كتابُكَ ٱلذى تـكتبُه علىَّ يبقى فتأخذنى به ، وتذهب غنمى فيما يذهب .

(نشر الأخبار فى العراق)

وممَّـا يدلُّ على نفع الـكتاب ، أنَّه لولا الـكتابُ لم يجُزْ أن يعلمَ أهل الرَّقَّةِ والموصِلِ وَبغدادَ ووَاسط ، ما كان بالبصرة ، وما يحدث بالـكوفةِ

(١) فى ط : « مامات مثل امرئ » والوجه مافى ل .

(٢) فى ط : « أبو وجرة » بالراء وإنما هو بالزاى ، واسمه يزيد بن عبيد ، من بنى سعد بن بكر بن هوازن ، أظـآر النبـى صلى الله عليه وسلم ، وكان شاعرا مجيدا ، وهو أول من شبب بعجوز . كذا قال ابن قتيبة فى ترجمته فى الشعراء ٦٨٤ . توفى أبو وجزة بالمدينة سنة ١٣٠ هـ .

(٣) فى ط : « جاءت » وصـواب الرواية ما أثبته من ل ، س ومن الـكامل ١٠٧ ليبسك ، وقد زاد المبرد بيتاً قبل الأول ، وآخر بعد الثانى . . قال المبرد فى شرح البيت الأول : « إنما أراد مايوجب ستين وسقا ، لا أن الناقة حملت ستين وسقا » . وحديث الشعر فى الـكامل ، ويفهم منه أن أبا وجزة امتدح آل الزبير ، فـكتبوا إليه بستين وسقا من تمر وقالوا : هى لك عندنا فى كل سنة .

(٤) فى ط : « تعلمى أن » وصوابه فى ل .

فى بياضِ يوم ، حتَّى تـكونُ الحادثةُ بالـكوفةِ غُدوةً ، فتعلمُ بها أهلُ البَصرة قبلَ المَساء .

[وذلك مشهورٌ فى الحمام الهدى، إذا جُعِلت بُرُدا(١)، قال الله جلّ وعزّ ـ وذكر سليمانَ وملـكَه الذى لم يؤتِ أحداً مثلَه ـ فقال ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ ﴾ إلى قوله ﴿ أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلمْ يلبثْ أن قال الهُدْهُدْ ﴿ جِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ، إِنِّى وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شىء، وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ قال سليمان ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِى هٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ﴾ وقد كان عندَه مَن يبلِّغ الرسالةَ على تمامها ، مِن عِفريت ، ومِن بعض مَن عنده علمٌ من الـكتاب ، فرأى أنَّ الـكتابَ أبهى وأنبلُ وأكرمُ وأفخَمُ من الرسالة عن ظهر لسان ، وإن أحاطَ بجميعِ ما فى الـكتاب . وقالت مَلكةُ سَبَأ ﴿ يَا أَيُّهَا المَلَأُ إِنِّى أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴾ فهذا مما يدلّ على قدْر اختيار الـكتب .

(استخدام الـكتابة فى أمور الدين والدنيا)

وقد يريد بعضُ الجِلَّةِ الـكبارِ ، وبعضُ الأدباءِ والحـكماءِ ، أن يدعوَ بعضَ مَن يجرى مَجْراه فى سـلطانٍ أوْ أدبٍ ، إلى مأدُبةٍ أو نِدام(٢) ، أو خُروجٍ إلى متنزَّه ، أو بعض ما يشبهُ ذلك ، فلو شاءَ أن يبلِّغهُ الرسـولُ

(١) جمع بريد . والـكلام من مبدأ هذه الفقرة إلى ص ١٠٦ ساقط من جميع النسخ ، وأثبته من ل .

(٢) مصدر نادمه ، بمعنى جالسه على الشراب . والندام أيضا ، جمع للنديم . ولـكنه ليس مرادا هنا .

إرادتَه ومعناه ، لأَصابَ مَن يُحسن الأَداء ، و يصدُق فى الإبلاغ ، فيرى أنَّ الـكتاب فى ذلك أسرَى وأنبَه وأبلغ .

ولو شاءَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، ألاّ يكتبَ الـكتبَ إلى كسرَى، وقَيْصَرَ، والنَّجَاشيِّ، وَالمقوقِس ، وإلى ابنى الجُلَنْدَى(١) ، و إلى العباهلة من حمير، و إلى هوذَة بن على ، و إلى الملوك والعظماء ، والسادة النجباء ، لفعل ، ولوجد المبلِّغَ المعصوم من الخطأ والتبديل ، ولـكنّهُ عليه الصلاة والسلام ، عَلِم أنَّ الـكتابَ أشبهُ بتلك الحال ، وأليق بتلك المراتب ، وأبلغُ فى تعظيم ماحواه الـكتاب .

ولو شاء الله أن يجعَل البشارات على الأَلسنة بالمرســلين ، ولم يودعها الـكتب لفعل ، ولـكنه تعالى وعزّ ، علم أن ذلك أتمُّ ، وأكمل ، وأجمع ، وأنبل .

وقد يكتب بعضُ من له مرتبةٌ فى سلطان أو ديانة ، إلى بعضِ من يشاكله ، أو يجرى مجراه ، فلا يرضى بالـكتاب حتَّى يخزمه ويختمه ، وربَّما لم يرض بذلك حتى يُعَنْوِنه و يعظمه . قال اُللّه جلّ وعزّ ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّى ﴾ فذكرَ صحفَ موسى الموجودة ، وصحفَ إبراهيم البائدة المعدومة ، ليعرف الناس مقدارَ النفع ، والمصلحة فى الـكتب .

(نظام التوريث عند فلاسفة اليونانية)

قالوا ، وكانت فلاسفة اليونانيّة ، تورث البنات العَين ، وتورث البنين الدين ، وكانت تصل العجز بالـكفاية ، والمئونة بالـكلفة . وكانت تقول :

(١) الجلندى : اسم ملك عمان . وفى الأصل « بنى الجلندى » والصواب ما أثبته عن الإصابة ١٣٠٥ والسيرة ٩٧١ . وابنا الجلندى هما جيفر — بوزن جعفر — وعياذ (أوعباد) .

لاتورثوا الابنَ من المـال ، إلاّ ما يكونُ عوناً له على طلب المـال ، واغذُوه بحلاوة العلم ، واطبَعوه على تعظيم الحـكمة ، ليصير جمْع العلم أغابَ عليه من جمع المـال ، وليرى أنّه العُدَّة والعَتاد ، وأنّه أكرم مستفاد .

وكانوا يقولون : لاتورثوا الابنَ من المـال إلاّ مايسد الخلة ، ويكون له عونا على درك الفضول ، إن كان لابُدَّ من الفضول ؛ فإنَّه إن كان فاسداً زادت تلك الفضول فى فساده ، وإن كان صالحا كان فِيمَا أورثتموه من العلم وبقّيتم له من الـكفاية ، ما يكسبه الحال ، فإنَّ الحال أفضل من المال ، ولأنَّ المالَ لم يَزَلْ تابعاً للحال ، وقد لايتبع الحال المـال . وصاحب الفضولِ بعرَض فساد ، وعلى شفا إضاعة ، مع تمام الحنكَة ، واجتماع القوّة ، فما ظنُّـكم بها مع غَرارة[1] الحداثة ، وسوء الاعتبار ، وقلة التجربة .

وكانوا يقولون : خير ميراثٍ ما أكسبك الأركان الأربعة ، وأحاط بأصول المنفعة ، وعجَّل لك حلاوة المحبَّة ، وبقِى لك الأحدوثة الحسنة ، وأعطاك عاجل الخير وآجله ، وظاهره وباطنه .

وليس يجمع ذلك إلاّ كرامُ الـكتب النفيسة ، المشتملة على ينابيع العلم ، والجامعة لـكنوز الأدب ، ومعرفةِ الصناعات ، وفوائدِ الإرفاق ، وحجج الدين الذى بصحته ، وعند وضوح برهانه ، تسكن النفوس ، وتثلج الصدور ، ويعود القلب معمورا ، والعزُّ راسخاً ، والأصل فسيحاً[2] .

وهذه الـكتب هى التي تزيد فى العقل وتشحذه ، وتداويه وتصلحه ، وتهذبه ، وتنفى الخَبَث عنه ، وتفيدك العلم ، وتصادق بينك وبين الحجَّة ، وتعوّدك الأخذ بالثقة ، وتجلب الحالَ ، وتـكسب المـال .

---

(١) الغرارة : الغفلة وقلة التجريب . وفى الأصل الغزارة وهو تحريف .
(٢) كذا .

(وراثة الكتب)

ووراثة الكتب الشريفة، والأبواب الرفيعة ، منبهة للمورِّث ، وكنز عند الوارث ، إلا أنه كنز لا تجب فيه الزكاة ، ولا حقُّ السلطان . وإذا كانت الكنوز جامدة ، ينقصها ما أخذ منها ، كان ذلك الكنز مائعا يزيده ما أخذ منه ، ولا يزال بها المورِّث مذكوراً فى الحكماء ومنوَّها باسمه فى الأسماء ، وإماماً متبوعاً وعَلَمًا منصوبا ، فلا يزال الوارث محفوظاً، ومن أجله محبوبا ممنوعا ، ولا تزال تلك المحبَّة نامية ، ما كانت تلك الفوائد قائمة ؛ ولن تزال فوائدها موجودةً ماكانت الدار دار حاجة ، ولن يزال من تعظيمها فى القلوب أثر ، ماكان من فوائدها على الناس أثر .

وقالوا : من[١] ورَّثه كتابا ، وأودعته علما ، فقد ورثته ما يُغِل ولا يَستَغِلّ ، وقد ورثته الضيعة التى لا تحتاج إلى إثارة[٢] ، ولا إلى سقى ، ولا إلى إسجال بإيغار[٣] ، ولا إلى شرط ، ولا تحتاج إلى أكّار[٤] ، ولا إلى أن تُثار[٥] ، وليس عليها عُشر ، ولا للسلطان عليها خَرْج . وسواء أفدته علما أو ورثته آلة علم ، وسواءٌ دفْعُك إليه الكفايةَ ، أو ما يجلب الكفاية . وإنما تجرى الأمور وتتصرف الأفعال على قدر الإمكان ، فمن لم يقدر إلاّ على دفع السبب ، لم يجب عليه إحضار المسبَّب . فكتُب الآباء ، تحبيب للأحياء ، ومحى لذكر الموتى .

---

(١) فى الأصل : « متى » والوجه ماأثبت .

(٢) الإثارة هنا بمعنى الحرث .

(٣) أسجل له الأمر : أطلقه . وأوغر الملك الرجل الأرض : جعلها له من غير خراج .

(٤) الأكار هنا بمعنى الخبير من المخابرة (والمخابرة أن يزرع الرجل أرض غيره ، على أن يكون له النصف ونحوه مما تغل الأرض) .

(٥) قد سبق قوله « لاتحتاج إلى إثارة » فهو تكرار ، أو فى الكلام تحريف .

وقالوا : ومتى كان الأديب[١] جامعاً بارعا ، وكانت مواريثه كتبا بارعة وآدابا جامعة ، كان الولد أجدر أن يرى التعلُّم حظا ، وأجدر أن يسرع التعليمُ إليه ، ويرى تركه خطأ ، وأجدرَ أن يجرى من الأدب على طريق قد أُنهج له ، ومنهاج قد وطئ له ، وأجدرَ أن يسرى إليه عِرقُ مَن نَجلَه ، وسقى من غرسه ، وأجدر أن يجعل بدل الطلب للكسْب[٢] ، النظر فى الكتب ، فلا يأتى عليه من الأيَّام مقدارُ الشغل بجمع الكتب ، والاختلاف فى سماع العلم ، إلا وقد بلغ بالكفاية وغاية الحاجة . وإنَّما تُفسد الكفاية من [له][٣] تمت آلاته[٤] ، وتوافت إليه أسبابه . فأما الحدَث الغرير ، والمنقوص الفقير ، فخير مواريثه الكفاية إلى أن يبلغ التمام ، ويكمل الطلب . فخير ميراثٍ وُرِّث كتبٌ وعلم ، وخير المورِّثين من أورث ما يجمع ولا يفرِّق ، ويبصِّر ولا يُعمى ، ويُعطى ولا يأخذ ، ويجود بالكلِّ دون البعض ، ويدع لك الكنزَ الذى ليس للسلطان فيه حقّ ، والرِّكازَ[٥] الذى ليس للفقراء فيه نصيب ، والنِّعمةَ التى ليس للحاسد فيها حيلة ، ولا لِلُّصُوصِ فيها رغبة ، وليس للخصم عليك فيه حجَّة ، ولا على الجار فيه مَئونة .

(قول ديمقراط فى تأليف كتب العلم)

وأما ديمقراط فإنه قال : ينبغى أن يعرَف أنه لابدَّ من أن يكون لكلِّ كتابِ علمٍ وضعَه أحدٌ من الحكماء ، ثمانيةُ أوجه : منها الهمَّة ، والمنفعة ، والنسبةُ ، والصحَّة ، والصِّنف ، والتأليف ، والإسناد ، والتدبير ، فأَوَّلها أن

(١) فى الأصل : « الأدب » .
(٢) فى الأصل : « الكتب » .
(٣) زيدت هذه الكلمة فى الأصل بخط مخالف .
(٤) فى الأصل « آدابه » وإنما هى « آلاته » بمعنى أسبابه .
(٥) الركاز بمعنى الكنز .

تكون لصاحبه هِمَّة ، وأن يكون فيما وضع منفعة ، وأن يكون له نسبة يُنْسَب إليها ، وأن يكون صحيحاً ، وأن يكون على صِنف من أصناف الكتب معروفا به ، وأن يكون مؤتلفاً من أجزاء خمسة ، وأن يكون مسندا إلى وجه من وجوه الحكمة ، وأن يكون له تدبير موصوف .

فذُكِر أن أبقراط قد جمع هذه الثمانية الأوجه فى هذا الكتاب ، وهو كتابه الذى يسمى (أفوريسموا) ، تفسيره كتاب الفصول.

(مقاولة فى شأن الكلب)

وقولك: وما بلَغ من قدر الكلب مع لؤم أصله، وخُبث طبعه، وسقوط قدره ، ومهانة نفسه ، ومع قلَّةِ خيره وكثرة شره ، واجتماع الأمم كلِّها على استسقاطه ، واستسفاله ، ومع ضربهم المثل فى ذلك كلِّه به ، ومع حاله التى يعرف بها ، من العجز عنْ صولة السِّباع واقتدارها، وعَن[1] تمنُّعها وتشرُّفها، وتوحُّشها وقلة إسماحها ، وعن مسالمة البهائم وموادعتها ، والتمكين من إقامة مصلحتها والانتفاع بها ، إذ لم يكن فى طبعها دفع السباع عن أنفسها ، ولا الاحتيال لمعاشها ، ولا المعرفة بالمواضع الحريزة من المواضع المخُوفة ، ولأنَّ الكلب ليس بسبع تام ، ولا بهيمة تامة ، حتّى كأنه من الخلْق المركَّب والطبائع الملفَّقة ، والأخلاط المجتلبة ، كالبغل المتلوِّن فى أخلاقه ، الكثير العيوب المتولِّدة عن مزاجه .

وشرّ الطبائع ما تجاذبته الأعراق المتضادَّة ، والأخلاق المتفاوتة[2] ، والعناصر المتباعدة ، كالراعبىِّ من الحمام ، الذى ذهبت عنه هداية الحمام ،

(١) فى الأصل: « ومن » .
(٢) فى الأصل: « المتفاوة » .

وشكل هديره وسرعة طيرانه ، وبطل عنه عمر الورَشان ، وقوّة جناحه وشدة عصبه ، وحسنُ صوته ، وشَحْو[١] حلقه ، وشكل لحونه ، وشدّة إطرابه ، واحتماله لوقع البنادق وجرح المخالب . وفى الراعبى أنّه مُسرْوَل مثقل ، وحدث له عِظَمُ بدن ، وثقل وزن لم يكن لأبيه ولا لأمّه .

وكذلك البغل ، خرج من بين حيوانين يلدان حيوانا مثلهما ، ويعيش نتاجُهما ويبقى بقاءهما ، وهو لايعيش له ولد وليس بعقيم ، ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر ، فلو كان البغل عقيما ، والبغلة عاقراً ، لكان ذلك أزيَدَ فى قوتهما ، وأتمَّ لشدتهما ؛ فمع البغل من الشَّبَق والنَّعظ ما ليس مع أبيه ، ومع البغلة من السَّوَس[٢] ، وطلب السفاد ، ما ليس مع أمّها . وذلك كلُّهُ قدح فى القوّة ، ونقص فى البنية[٣] . وخرج غرموله أعظم من غراميل أعمامه وأخواله ، فترك شبههما ، ونزع إلى شىء ليس له فى الأرض أصل ، وخرج أطول عمراً من أبويه ، وأصبرَ على الأثقال من أبويه .

أو كابن المذكَّرة من النساء ، والمؤنث من الرجال ، فإنه يكون أخبث نتاجا من البغل ، وأفسد أعراقاً من السِّمع ، وأكثر عيوبا من العِسبار ، ومِنْ كلّ خلقٍ خلق إذا تركب من ضِدّ ، ومن كل شجرة مُطَعَّمَةٍ بخلاف .

وليس يعترِى مثلُ ذلك الخِلاسىّ من الدجاج ، ولا الوردانى[٤] من الحمام .

---

(١) الشحو : الاتساع . وفى الأصل « وشجى » وليس له وجه .

(٢) يقال سوست الدابة سوسا ، بمعنى اغتلمت ، كما فى كتاب البغال للجاحظ ص ٣٢٠ . وفى الأصل : « الشوس » تصحيف .

(٣) فى الأصل « فى للبنية » .

(٤) الدميرى : طائر متولد بين الورشان والحمام ، وله غرابة لون .

وكلٌّ ضعف دخل على الخلقة ، وكل رقّة عرضت للحيوان ، فعلى قدر جنسه . وعلى وزن مقداره وتمكنه ، يظهر العجزُ والعيب .

وزعم الأصمعيُّ ، أنّه لم يسبق الحلبةَ فرسٌ أهضم قط .

وقال محمد بن سلاّم : لم يسبق الحلبة أبلق قط ولا بلقاء(١) .

والهداية فى الحمام ، والقوّة على بعد الغاية(٢) ، إنما هى للمصْمَتَة من الخضر(٣) .

(الشيات فى الحيوان ضعف ونقص)

وزعموا أنَّ الشِّياتِ كلَّها ضعف ونقص - والشِّيَة : كلُّ لون دخل على لون - وقال الله جلّ وعزّ ﴿إنَّهُ يَقُولُ إنَّهَا بَقَرَةٌ لَاذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَاشِيَةَ فِيهَا﴾ .

(ابن المذكرة من المؤنث)

وزعم عثمان بن الحكم(٤) أنَّ ابن المذكرة من المؤنث ، يأخذ أسوأ خصال أبيه ، وأردأ خصال أمه ، فتجتمع فيه عظامُ الدواهى ، وأعيان المساوى ، وأنَّه إذا خرج كذلك ، لم ينجع فيه أدب ، ولا يَطمع فى علاجه طبيب ، وأنَّه رأى فى دور ثقيف ، فتًى اجتمعتْ فيه هذه الخصال ، فما كان فى الأرض يومٌ ، إلّا وهم يتحدثون عنه بشيءٍ ، يصغُر فى جنْبِه أكبَرُ ذنبٍ كان يُنسَب إليه !

---

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٦٦ .

(٢) الغاية : المدى الذى يرسل إليه حمام الزاجل .

(٣) المصمتة : التى لايخالط لونها لون آخر .

(٤) هو عثمان بن الحكم بن صخر الثقفى ، له خبران فى الأغانى (٩ : ٢٣ ، ١٧ : ١٧)

وزَعَمْتَ أنَّ الكلب في ذلك كالخنثى ، الذى هو لا ذكر ولا أنثى ، أو كالخصى الذى لمَّا قُطِع منه ما صار به الذَّكَر فحلا ، خرجَ من حدِّ كمال الذكَر بفقدان الذكَر ، ولم يكمُلْ لأن يصير أنثى ، للغريزة الأصلية ، وبقيّةِ الجوهريّة .

وزَعَمْتَ أنَّه يصير كالنبيذ الذى يفسده إفراطُ الحرّ ، فيخرجه من حدِّ الخل ، ولا يدخلُه في حدِّ النبيذ .

وقال مرداس بن خذام(١) :

سَقَينا عِقالاً بالثَّوِيّةِ(٢) شَرْبَةً ... فمالت بلُبِّ الكاهِلِيِّ عِقالِ
فقُلتُ اصطبِحْها يا عِقالُ فإنّما ... هى الخمرُ خيَّلْنا لها بِخَيالِ
رَمَيْتُ بأُمِّ الخلِّ حبَّةَ قلبِه ... فلم ينتعش منها ثلاثَ ليالِ

فجعل الخمر أُمَّ الخلّ قد يتولد عنها . وقد يتولّد عن الخل — إذ كان خمراً مرة — الخمرُ .

وقال سعيد بن وهب(٣) :

هَلاَّ وأنت بماءِ وجهِك تُشْتَهَى ... رَوْدَ الشَّبابِ قليلَ شَعْرِ العارض!
فالآن حين بدَتْ بخدِّك لِحية ... ذهبَتْ بملحك مثل كفِّ القابض
مثل السلافة عادَ خمرُ عصيرها ... بعدَ اللَّذاذة خَلَّ خمرٍ حامضٍ

ويصير أيضاً كالشعر الوسط ، والغناء الوسط ، والنادرة الفاترة ، التى لم

---

(١) فى الأغانى (١٠ : ٨٧) جذام . وفى ثمار القلوب ٢٠٧ : « جزام » وانظر قصة الشعر فى المخصص ١٣ : ١٨٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ومعجم المرزبانى ٣٧٠ .

(٢) الثوية : موضع بالكوفة أو قريب منها . وانظر نسبة البيت فى معجم البلدان .

(٣) سعيد بن وهب ، هو أبو عثمان مولى بنى سامة بن لؤى ، شاعر مطبوع ، أكثر شعره فى الغزل والتشبيب بالمذكر ، وكان من كتاب البرامكة ، متقدما عندهم ، قالوا : وكان ذا فجور ومجون ، ثم تاب وأقلع ، وكانت وفاته فى أيام المأمون . انظر الأغانى ٢١ : ٦٩ — ٧٢ وفهرس ابن النديم ١٧٨ ، ٢٣٦ مصر .

تخرج من الحرّ إلى البرد فتضحك السِّن ، ولم تخرُج من البرد إلى الحر فتضحك السِّن(١)] .

باب

ذكر مايعترى الإنسان بعد الخصاء وكيف ما كان قبل الخصاء

قالوا : كلُّ ذى ريحٍ مُنتِنةٍ ، وكُلُّ ذى دَفْرٍ وصُنَانٍ كريهِ المشَمَّةِ(٢) ، كالنَّسر وما أشبهه ، فإنّه متى خُصى نقَص نتنُه وذهبَ صُنانه ، غيرَ الإنسان ، فإنَّ الخصىَّ يكون أنتنَ ، وصنانُه أحدَّ ، ويعمُّ أيضاً خبْثُ العرقِ سائرَ جسَده ، حتى لَتُوجَد لأجسادهمْ رائحةٌ لا تكون لغيرهم . فهذا هذا .

وكلُّ شىءٍ من الحيوان يُخصَى فإنَّ عظمَه يدِقُّ ، فإذا دقَّ عظمُه استرخَى لحمه ، وتبرَّأ من عظمه ، وعاد رَخْصاً رطْبا ، بعد أن كان عَضِلا(٣) صُلْباً ، والإنسان إذا خُصِىَ طال عظمُه وعرُض ، فخالف أيضا جميعَ الحيوان من هذا الوجه .

وتعرض للخصيان أيضا طول أقدامٍ ، واعوجاج فى أصابع اليد ، والتواءٌ فى أصابع الرِّجْل ، وذلك مِن أوَّلِ طعْنهم فى السنِّ . وتعرِض لهم سرعة التغيُّر والتبدُّل ، وانقلاب من حدِّ الرطوبة(٤) والبضاضة وملاسة الجلد ، وصفاءِ اللون ورقَّته ، وكثرةِ الماء وبريقه ، إلى التكرُّش والكمود ،

---

(١) هذه نهاية السقط الذى ابتدأ من ص ٩٧ .

(٢) فى ط : « وقيل ذى ذفر وصنان وكريه المشمة » وهو كلام محرف .

(٣) فى ل : « عضلا » والوجه ما كتبت من ط .

(٤) فى ل : « والانقلاب من حد الرطوبة » .

وإلى التقبُّض والتخدُّد[١] ، وإلى الهُزال ، وسوء الحال ، فهذا الباب يعرِض للخصيان ، ويعرض أَيضاً لمعالجى النبات من الأكرة[٢] مِن أهل الزرع والنخل ، لأنَّكَ ترى الخصيَّ وكأنَّ السيوفَ تلمع فى لونه[٣] ، وكأنَّه مِرْآةٌ صينيَّة ، وكأنه وَذيلة مجلوَّة ، وكأنه جُمَّارَة رَطْبة ، وكأنه قضيبُ فِضَّةٍ قد مسَّهُ ذهب ، وكأن فى وجناته الورد ، ثم لا يلبثُ كذلك إلا نُسَيْئاتٍ[٤] يسيرةً ، حتى يذهبَ ذلك ذَهابا لا يعود ، وإن كان ذا خِصبٍ ، وفى عيش رَغَد ، وفى فراغ بالٍ ، وقلَّةِ نصَب .

(من طرائف عبد الأعلى القاصّ)

وكان من طرائف ما يأتى به عبد الأعلى القاصّ ، قوله فى الخصى ، وكان لغلبة السلامة عليه يُتوهَّم عليه الغفلة ، وهو الذى ذكر الفقيرَ مرة فى قصصه فقال : الفقير مرقته سُلْفة ، ورداؤه عِلْقة ، وجَرْدَقته فِلْقة ، وسمكته شلقَة[٥] ، [وإزاره خرقة] .

قالوا : ثمَّ ذكر الخصيَّ فقال : إذا قُطِعت خُصيته ، قَوِيت شَهوتُه وسخُنت مَعِدته ، ولانَتْ جِلدتُه ، وانجردت شَعْرته ، واتَّسعت فَقْحته ، ٤٩
وكَثُرتْ دمعته ! !

---

(١) فى الأصل : « التحدد » وإنما هو « التخدد » بمعنى التقبض .

(٢) فى ط : « ويعرض أيضا لبنات الأكرة » وتصحيحه من ل .

(٣) فى مفاخرة الجوارى والغلمان : « تلمع فى وجهه » .

(٤) النسأة بالضم والنسيئة بمعنى النظرة — بكسر الظاء — وتصغر النسأة وتجمع ، فتكون نسيئات ، والمراد بها الوقت القليل .

(٥) (السلفة) : ما يتعلل به قبل الغداء . ويسميها العامة اليوم « تصبيرة » . . وأما (العلقة) فهو قميص بلا كمين ، أو ثوب يجاب ولايخاط جانباه ، تلبسه الجارية وهو إلى الحجزة . . وأما (الفلقة) فبمعنى النصف . والجردقة : الرغيف ، معرب كرده . وأما (الشلقة) بالكسر أو بفتح الأول وكسر الثانى فهى واحدة الشلق : ضرب من صغار السمك .

وقالوا ، الخصىُّ لا يصلَع كما لا تصلَع المرأة ، وإذا قطع العضوُ الذى كان به فحلاً تامًّا ، أخرجه ذلك من أكثرِ معانى الفحول وصفاتهم ، وإذا أخرجه من ذلك الكمال ، صيَّره كالبغل الذى ليس هوحماراً ولا فرساً ، وتصيرُ طباعُه مقسومةً على طباعِ الذكر والأنثى ، وربما لم يَخْلُص له الخلقُ ولم يَصْفُ ، حتّى يصير كالخلق من أخلاق الرجال ، أو يلحق بمثله من أخلاق النساء ، ولكنَّه يقع ممزوجا مركبا ، فيخرج إلى أن يكون مذبذبا ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء . وربما خرجت النتيجة وما يولّده التركيب ، عن مقدار معانى الأبوين ، كما يجوزُ عمرُ البغْل عمرَ أبويه ، وكذلك ما عددنا فى صدر هذا الكلام[١] .

(طلب النسل)

وقالوا[٢] : وللإنسان قوًى معروفةُ المقدارِ ، وشهواتٌ مصروفةٌ فى وجوهِ حاجاتِ النفوس ، مقسومةٌ عليها ، لا يجوزُ تعطيلُها وتركُ استعمالِها ، ما كانت النفوسُ قائمةً بطبائعها ومِزاجاتها وحاجاتها . وبابُ المنكَح مِن أكبرِ ها ، وأقواها ، وأعمِّها :

ويدخل فى باب المنكَح ما فى طبائِعهم من طلبِ الولد ، وهو بابٌ من أبوابهم عظيم ؛ فمنهم من يطلبه للكثرة والنُّصرة ، وللحاجة إلى العدد والقوّة ، ولذلك استلاطت العربُ الرجالَ ، وأغضتْ[٣] على نسب المولود

---

(١) فى ط : « الكتاب » وهو تحريف .

(٢) فى ط : « قال » والوجه ما فى ل .

(٣) أغضى على الشيء : سكت . وفى ط : « وأغضبت » والوجه ما كتبته من ل .

على فراش [أبيه](١) ، وقد أحاط علمُه بأنَّه من الزوج الأوَّل. قال الأشهب ابن رُمَيلة(٢) :

قال الأقاربُ لا تغرُرْكَ كثرتُنا ... وأَغْنِ نفسَكَ عنَّا أيها الرجُلُ
علَّ بَنِيَّ يشدُّ اللهُ كثرَتَهم ... والنَّبْعُ يَنْبُتُ قُضْباناً فيكتهل(٣)

وقال الآخَر(٤) :

إنَّ بَنِيَّ صِبْيَةٌ صَيْفِيُّونْ ... أَفْلَحَ مَنْ كان لَهُ رِبْعِيُّونْ

يشكو كما ترى صِغَر البنين ، وضعف الأسر(٥) .

وما أكثر ما يطلب الرجل الوَلَدَ نفاسةً بماله على بنى عمِّه ، ولإشفاقه من أن تليه القضاةُ وترتع فيه الأمناء ، فيصيرَ مِلكًا للأولياء ، ويقضىَ به القاضى الذِّمامَ ويصطنع به الرجال .

وربما همَّ الرجلُ بطلب الولد لبقاء الذكْر ، وللرغبة فى العقب ، أو على جهة طلَبِ الثواب(٦) فى مباهاة المشركين ، والزيادةِ فى عدد المسلمين ، أو للكسب والكفاية ، وللمدافعة والنُّصْرة ، وللامتناع ، وبقاء نوع الإنسان ، ولما طبع اللهُ تعالى بنى آدم عليه ، من حبِّ الذُّرِّيَّةِ وكثرةِ النسل ، كما طبع ٥٠

(١) فى الأصل : « على فراشه » وبذلك لا يكون للضمير فى كلمة (علمه) الآتية مرجع . وعلى الأصل أيضا لا نجد لضمير (فراشه) مرجعا مناسبا .

(٢) وقيل الشعر لنهشل بن حرى كما فى البيان ، والبيتان فيه ٣ : ٩٦ .

(٣) فى البيان : « أعظمهم » بدل « كثرتهم » . وفى ط « النبغ » بالغين ، والصواب ما أثبت من ل والبيان . والنبع : شجر تعمل منه القسى والسهام .

(٤) هو أكثم بن صيفى ، كما فى نوادر أبى زيد ٨٧ قال أبو زيد « يقال أصاف الرجل إذا ترك النساء شابا لم يتزوج ، ثم تزوج بعد ماأسن ، ويقال لولده صيفيون . . . والربعيون : الذين ولدوا وآباؤهم شباب فهم رجال » . و « إن » هى فى ط « عسى » وتصحيحه من ل : والنوادر .

(٥) فى ط : « السن » .

(٦) فى ط : « الصواب » وهو تحريف ظاهر .

الله تعالى الحمام والسنانير على ذلك ، وإن كان إذا جاءه الولد زاد فى همّه ونصبه ، وفى جُبْنِه وبخله ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْوَلَد مَجْبَنَةٌ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ » فيحتمل فى الولد المُؤَن المعروفة ، والهموم الموجودة لغير شىء قصَد له . وليس فى ذلك أكثرُ من طلب الطباع ، ونزوعِ النفس إلى ذلك .

وذكر أبو الأخزَر الحِمَّانى عَير العانة[1] بخلاف ما عَليه أصحابُ الزِّواج من الحيوان ، فقال عند ذكر سِفاده :

لا مُبتَغِى الذرْء ولا بالعازِل[2]

لأنَّ الإنسانَ من بين الحيوان المُزَاوِج ، إذا كرِهَ الولدَ عزَل ، والمزاوج من أصناف الحيوانات إنّما غايتُها طلبُ الذرْء[3] والولد . لذلك سُخِّرت ، وله هُيِّئت ، لِماَ أراد اللهُ تعالى من إتمامِ حوائِج الإنسانِ . والحمارُ لا يطلبُ الولدَ ، فيكون إفراغه فى الأتان لذلك ، ولا إذا كان لا يريد الولد عزَل كما يعزل الإنسان ، غير أنّ غايتَه قضاءُ الشهوة فقط ، ليس يَخْطُر[4] على باله أنّ ذلك الماء يُخلَق منه شىء .

[وروى ابن عون عن محمد بن سيرين عن عبيدة قال « ليس فى البهائم شىء يعمل عمل قوم لوط إلا الحمار »] .

وعامَّة اكتساب الرجال وإنفاقهم ، وهمِّهم وتصنُّعهم ، وتحسينهم لما يملكون ، إنّما هو مصروفٌ إلى النساء والأسباب المتعلقة بالنساء ، ولو لم يكن إلاّ التنمُّص[5] والتطيُّب والتطوُّس[6] [والتعرُّس[7]] والتخضُّب ،

(١) فى ط : « وذكر أبو الأخزر الحمام غير العافة » وهو مثل من أمثلة التحريف الشنيع .
(٢) فى ط : « لامبتغى الذر ولا بالعازل . وفى ل : « الذرء ولاالعازل » والوجه ما أثبت .
(٣) فى ط : « الذر » .
(٤) فى الأصل : « يذكر » .
(٥) النمص : نتف الشعر . والتنمص : التزين بذلك الأسلوب .
(٦) التطوس : التزين . وبدل « التطوس » فى ط : « التطرز » وليس بشىء .
(٧) التعرس : التحبب .

والذى يُعَدُّ لها من الطيب والصِّبغ ، والَحلْيِ ، والكِساء ، والفُرُش ، والآنية ، لكان فى ذلك ماكنى . ولو لم يكن له إلاّ الاهتمامُ بحفظها وحراستها ، وخوفُ العارِ من جنايتها والجناية عليها ، لكان فى ذلك المؤْنةُ العظيمة ، والمشقة الشديدة .

(قول فى الغرائز وبيان سبب شره الخصى)

فإذا بَطل العضوُ الذى، من أجله يكون اشتغالُ النفس بالأصناف الكثيرة ، من اللذّة والألَم ، فباضطرارٍ أنْ تعلَمَ أنَّ تلك القوَى لم تَبطل من التركيب ، ولم تَعدَمْها الخلقة ، وإنّما سُدَّ دونَها بسدٍّ ، وأدخل عليها حجاب ، فلا بدَّ لها إذا كانت موجودةً من عمل ، لأنَّ عملَ كلِّ جوهرٍ لا يُعدَم إلاّ بعدَم ذاته ، فإذا صُرِفَتْ من وجهٍ فاضَتْ[١] من وجه ، ولا سيما إذا جمَّت ونازعتْ ، ولا بُدَّ إذا زخَرت وغَزُرت ، وطغت[٢] وطَمَتْ ، من أن تفيضَ أو تفتح لنفسها باباً ، وليس بعد المنكح بابٌ له موقعٌ كموقعِ المطعم ، فاجتمت تلك القوى التى كانت للمنكَح وما يشتمل عليه باب المنكح ، إلى القوّة التى عنده للمطعم ، فإذا اجتمعت القوّتان فى بابٍ واحد كان أبلغ فى حكمِه ، وأبعدَ غايةً فى سبيله ، ولذلك صارَ الخَصىُّ آكَلَ من أخيه لأمِّه وأبيه ، وعلى قدر الاستمراء يكون هضمه ، وعلى قدر حاجةِ طبعه [وحركة نفسه و][٣] الحرارةِ المتولّدةِ عن الحركة يكونُ ٥١ ه

(١) كذا على الصواب فى ط . وفى ل : «غاضت» .

(٢) فى ط : « طفت » وتصحيحه من ل .

(٣) فى ط : « على قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة » وأصلحت الكلام من ل .

الاستمراء ، لأن الشهوة من أمتن[1] أبواب الاستمراء ، والحركةَ من أعظم [أبواب] الحرارة .

(تفوق رغبة الإناث على الذكور فى الطعام)

ودوامُ الأكل فى الإناثِ أعمُّ منه فى الذكور ، وكذلك الحِجْرُ دون الفَرَس ، وكذلك الرَّمَكة دونَ البِرذَون ، وكذلك النعجة[2] دونَ الكبش ، وكذلك النساءُ فى البيوت دونَ الرجال . وما أشكُّ أنَّ الرجلَ يأكلُ فى المجلسِ الواحدِ ما لا تأكل المرأة ، ولكنَّها تستوفِى ذلك المقدارَ وتُربِى عليه مقطَّعاً غيرَ منظوم ، وهى بدوامِ ذلك منها ، يكون حاصلُ طعامِها أكثرَ . وهنَّ يُناسِبْن الصبيانَ فى هذا الوجه ، لأنَّ طبعَ الصبىِّ سريعُ الهضم ، سريعُ الكلَب ، قصيرُ مدَّةِ الأكل ، قليلُ مقدارِ الطُّعْم ، فللمرأةِ كثرةُ معاودتها ، ثمَّ تَبِينُ بكثرةِ مقدارِ المأكول . فيصير للخَصىِّ نصيبان : نصيبُه من شِبْه النساء ، ثم اجتماعُ قوى شهوتيه فى بابٍ واحد ، أعنى شهوةَ المنكَح التى تحولت ، وشهوةَ المطعم .

قال ، وقيل لبعض الأعراب : أىُّ شىء آكَلُ ؟ قال : بِرْذَونَةٌ رَغُوث[3] .

ولشدَّةِ نَهَمِ الإناثِ ، صارت اللبؤة أشدَّ عُرَاماً وأنزقَ ، إذا طلبت الإنسانَ لتأكله ، وكَذلك[4] صارت إناثُ الأجناس الصائدة [أصيَدَ] ،

---

(١) فى الأصل : « أنتن » وهو تحريف ما كتبت .

(٢) فى ط : « الرمكة » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) رغوث : مرضعة . والخبر فى البيان ٣ : ٢١٢ .

(٤) فى الأصل : « ولذلك » .

كالإناثِ من الكلاب [والبُزاةِ] وما أشبهَ ذلك ، وأحرصَ ما تكون عندَ ارتضاع جِرائها [من أطبائها] ، حتَّى صار ذلك منها سبباً للحرص والنَّهم فى ذلك .

(صوت الخصى)

ويعرض له عند قطع ذلك العضوِ تغيُّرُ الصوت ، حتى لايخفى على من سمِعه من غير أن يرى صاحبَه أنَّه خَصِيٌّ ، وإن كان الذى يخاطبه ويناقله الكلام أخاه أو ابنَ عمِّه ، أو بعضَ أترابه مِن فُحولة جنسه ، وهذا المعنى يعرض لخِصيان الصقالِبَة أكثر ممَّا يعرِض للخراسانية ، وللسودان من السِّنْد والحُبْشان . وما أقلَّ مَن تجده ناقصا عن هذا المقدار ، إلّا وله بيضة أو عِرْق ، فليس يُحتاج فى صِحَّةِ تمييزِ ذلك ، ولا فى دقة[1] الحسِّ فيه ، إلى حِذقٍ بقيافة ، بل تجد ذلك شائعا فى طباع السِّفلة والغَثْراءِ[2] ، وفى أجناس الصِّبيان والنساء .

(شَعر الخصى)

ومتى خُصى قبلَ الإنباتِ لم يُنْبِتْ ، وإذا خُصِى بعد استحكام نباتِ الشعر فى مواضعه ، تساقط كله إلَّا شعرَ العانة ، فإنه وإن نقَص من غَلَظه ومقدارِ عَدده فإنَّ الباقىَ كثير . ولا يعرِضُ ذلك لشعر الرأس ، فإنَّ شعرَ

(١) فى ط : « رقة » وما كتبت من ل أشبه بكلام الجاحظ .

(٢) كذا فى ط ، وهو الصواب . وفى ل: «العتر» . وفى القاموس: « الغثرة محركة، والغثراء، والغثر بالضم ، والغيثرة : سفلة الناس » .

الرأس والحاجبين وأشفار العينين يكون مع الولادة ، وإنما يعرض لما يتولد من فضول البدن .

وقد زعم ناسٌ أنَّ حكمَ شَعرِ الرأس خلافُ حكم أشفار العينين ، وقد ذكرنا ذلك فى موضعه من باب القول فى الشعر ، وهذه الخصال من أماكن شَعر النساء ، والخصيان والفحولة فيه سواء ، وإنما يعرض لسوى
٥٢ ذلك من الشعر الحادثِ الأصول ، الزائدِ فى النبات . ألا ترى أن المرأة لاتصلَعُ ، فناسبها [الخصىُّ] من هـذا الوجه ، فإنْ عرضَ له عارضٌ فإنما هو من القرَع ، لامن جهة النَّزَع والجَلَح ، [والجَلَه] والصَّلَع (١) وكذلك النساء فى جميع ذلك .

والمرأة ربَّما كان فى قُصَاص مقاديم شعرِ رأسها ارتفاع ، وليس ذلك بنزَعٍ ولا جلَح ، إذا لم يكن ذلك حادثا يُحدثه الطعنُ فى السنّ .

وتكون مقاطعُ شعر رأسه ومنتهى حدود قُصاصه ، كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قُصاصها ، وليس شعرُها كلما دنا من موضع الملاسَة والانجراد يكون أرقَّ حتى يقلَّ ويضمحلَّ ، ولكنه ينبُت فى مقدارِ ذلك الجلد على نبات واحد ، ثم ينقطع عند منتهاه انقطاعا واحداً . والمرأة ربَّما كانت سبلاء ، وتكون لها شَعَراتٌ رقيقة زَغَبِيَّةٌ كالعِذار موصولا بأصداغها ، ولا يعرض ذلك للخَصى إلا من علة فى الخصاء ، ولا يرى أبداً بعد مقطَع من صُدْغَيه شىءٌ من الشَّعر ، لا من رقيقه ولا من كثيفه .

---

(١) النزع : انحسار الشعر من جانبى الجبهة . والجلح : انحساره عن جانبى الرأس . والجله والصلع : انحسار شعر مقدم الرأس .

(ذوات اللحى والشوارب)

وقد توجد المرأة ذات لحية . وقد رأيت ذلك ، وأكثرُ ما رأيته في عجائز الدَّهاقين ، وكذلك الغَبَب والشارب ، وقد رأيت ذلك أيضاً . وهي ليست في رأى العين مُخْنثى ، بل [نَجِدها] أنثى تامَّة ، إلا أن تكون لم تضرِب في ذلك بالسبب الذي يقوَى، حتى يظهر في غير ذلك المكان . [ولا تعرض اللحى للنساء ، إلا عند ارتفاع الحيض]، وليس يعرض ذلك للخَصى .

وقد ذكر أهلُ بَغداد ، أنَّه كان لابنةٍ من بناتِ محمَّدِ بنِ راشدٍ الخنَّاق ، لحيةٌ وافرة ، وأنّها دخلت مع نساءٍ متنقِّباتٍ إلى بعض الأعراس لترَى العُرس وجَلْوَةَ العَرُوس ، ففطِنت لها امرأة فصاحت : رجلٌ والله ! وأحال[1] الخدم والنساءُ عليها بالضرب ، فلم تكن لها حيلةٌ إلا الكشفَ عن فرْجِها ، فنزَعن عنها[2] وقد كادت تموت .

ويفضل أيضاً الخصيُّ المرأةَ في الانجراد والزَّعَر ، بأن تجدَ المرأة زَبَّاءَ الذراعين والساقين ، وتجد رَكَب[3] المرأة في الشعْر كأنَّه عانةُ الرجل ، ويعرض لها الشعر في إبطيها وغير ذلك .

ولا يعرِض للخصيِّ ما يعرض للديك إذا خُصى : أن يذبُلَ غُصروفُ عُرْفِه ولحيته .

والخصاءُ ينقُص من شدَّة الأسر ، وينقُض[4] مُبْرَمَ القُوَى ، ويُرْخِي مَعاقِدَ العَصَب ، ويقرِّب من الهرَم والبِلى .

---

(١) في ل : « فأقبل » .

(٢) في ل : « فكففن » .

(٣) الركب بالتحريك : العانة أو منبتها أو الفرج أو ظاهره .

(٤) في ط : « وينقص » بالصاد . وصوابه في ل .

(مشى الخصى)

ويعرِض للخصىِّ أن يشتدَّ وقعُ رجله على أرض السَّطح ، حتى لو تفقَّدتَ وقعَ قدمه وقدَم أخيه الفحل [الذى هو أعبلُ[١] منه] لوجدتَ لوقْعِه ووطْئه شيئاً لاتجده لصاحبه . وكأنَّ العضوَ الذى كان يشدُّ
٥٣ توتير النَّسَا[٢] ، ومَعاقد الوركين[٣] ومعاليق العصب ، لَمَّا بطل وذهب الذى كان يمسكُه ويرفعه ، فيخفّ لذلك وقْعُ رجلِه ، صار كالذى لايتماسَكُ ولا يحمل بعضه بعضا .

(أثر الخصاء فى الذكاء)

ويعرض له أنَّ أخوين صَقْلَبِيَّيْنِ مِن أمّ وأبٍ ، لو كان أحدهُما توأمَ أخيه ، أنَّه متى خُصِيَ أحدُهما خرَج الخصىُّ منهما أجوَدَ خِدمةً ، وأفطن لأبواب المعاطاة والمُناولةِ ، وهو لها أتقَنُ وبها أليق ، وتجده أيضاً أذكى عقلا عند المخاطبة ، فيُخصُّ بذلك كلِّه ، ويبقى أخوه على غثارة[٤] فطرته ، وعلى غباوة غريزته ، وعلى بلاهة[٥] الصَّقْلَبيَّة ، وعلى سوءِ فهم العجَميّة .

ويدُ الإنسان لاتكون [أبداً] إلا خرْقاء ، ولا تصير صَناعا مالم تكنْ

---

(١) أعبل منه : أضخم منه .

(٢) فى ط : « وكان العضو الذى به يشتد يشد توتير النسا » وفى ل : « وكأن العضو الذى كان يشد توتير عرق النساء » وقد أصلحت العبارة بما ترى . ولا يقال عرق « النسا » وإنما هو « النسا » بدون إضافة . قال الزجاج : لأن الشيء لا يضاف إلى نفسه .

(٣) فى ط : « ومعاليق الوركين » وليس بشىء .

(٤) فى ط : « غشاوة » وفى ل : « عثارة » بالعين ولعل صوابهما ماأثبت . والأغثر : الأحمق الجاهل .

(٥) فى ط : « بلاهته » وأبدلتها بما فى ل ؛ ليتم تساوق الكلام .

المعرفةُ ثِقافاً لها . واللسان لا يكون أبرأ ، ذاهباً فى طريق البيان ، متصرفاً فى الألفاظ ، إلا بعد أن تكونَ المعرفةُ متخلِّلَةً به ، منقّلة له ، واضعةً له فى مواضع حقوقِه ، وعلى أماكن حظوظِه ، وهو علَّةٌ له فى الأماكن العميقة ، ومصرِّفةٌ له فى المواضع المختلفة .

فأوّلُ ماصنع الخِصاءُ بالصَّقْلَبِىِّ تزكيةُ عقلِهِ ، وإرهافُ حدِّه ، وشحْذُ طبعِهِ ، وتحريكُ نفسه . فلما عرَف كانت حركته تابعةً لمعرفته ، وقوَّته على قدر ما هيَّجه[١] .

فأمَّا نساءُ الصقالبة وصبيانهم ، فليس إلى تحويل طبائعهم ، ونقْلِ خَلْقهم إلى الفطنة الثاقبة ، وإلى الحركَة الموزونة ، وإلى الخدمة الثابتـة الواقعة بالموافقة ، سبيلٌ . وعلى حسَب الجهْل يكون الخُـرْق ، وعلى حسب المعرفة يكون الِحذق . وهذا جملةُ القول فى نسائهم ، وعلى أنّهنَّ لا حظوظَ لهنَّ عند الخلوة ، ولا نفاذَ لهنَّ فى صـناعة ؛ إذ كنَّ قد مُنِعن فهمَ المعاطاة ومعرفةَ المناولة .

والخِصيانُ معَ جـودة آلاتهم ووَفَارة طبائعهم فى معرفـةِ أبوابِ الخِدْمة ، وفى استواءِ حالهم فى باب المعاطاة ، لم تر أحداً منهم قطُّ نفَذَ فى صناعةٍ تُنسَب إلى بعضِ المشقَّة ، وتضافُ إلى شىءٍ من الحكمة ، ممَّا يُعرَف ببُعْد الرَّوِيَّةِ ، والغوصِ بإدامة الفكرة ، إلا ما ذكرُوا من نفَاذ ثقف[٢] فى التحريك للأوتار ، فإنّه كانَ فى ذلك مقدَّماً ، وبه مذكورا .

---

(١) فى ط : « ماهجه » وأثبت ما فى ل .

(٢) كذا فى ل وفى ط : « دامة » وفى س : « نقف » .

إلاَّ أنَّ الخصيَّ من صباه ، يُحسِن صنعة الدَّبُوق(١) ، ويُجيد دُعاءَ الحمام الطوُّرِىِّ(٢) ، وما شئتَ من صغار الصناعات .

وقد زعم البصريُّون أَن حَديجاً(٣) الخصىّ ، خادمَ مُثَنَّى بن زُهَير ، كان يُجارى(٤) مُثَنًّى فى البصَر بالحمام ، وفى صحّـة الفِراسة ، وإتقان المعرفة ، وجودة الرياضة . وسنذكُر حالَه فى باب القول فى الحمام إن شاء الله تعالى .

٥٤ هذا قولهم فيمن خُصى من الصقالبة . وملوكُنا لعقول خِصـيان خُراسانَ أحمد ، وهم قليل ، ولذلك لم نأتِ من أمرهم بشىءٍ مشهور ، وأمر مذكور .

(خصيان السند)

وأما السِّـند ، فلم يكن فيهم أيضاً من الخِصيان إلاّ النَّفرُ الذين كان خصاهم موسى بنُ كعب ، وقد رأيت أنا بعضَهم ، وزعم لى أنَّه خَصَى أربعةً هو أحدهم ، ورأيتُ الخِصاء ، قد جذبَه إلى حبِّ الحمام ، وعمل التكك(٥) ، والهراش بالديوك ، وهذا شىءٌ لم يُجْرِ منه على عِرق ، وإنما قاده إليه قطعُ ذلك العضو .

---

(١) الدبوق ، هنا : جمع دبق بالكسر ، وهو والدابوق والدابوقاء : غراء يصاد به الطير . والدبوق كتنور قال فى القاموس : لعبة معروفة . . وليست مرادة فى هذا الكلام .

(٢) فى ط : « الضوارى » وفى ل : « الصوار » وصوابهما « الطورى » وهو الوحشى .

(٣) فى ط : « خديجا » بالخاء . وقد كتبت مافى ل و س .

(٤) فى ط : « يجرى » .

(٥) التكة : رباط السراويل والجمع تكك ، ويبدو لى أنها معربة ، كما صرح بذلك الخفاجى فى شفاء الغليل ، ولم يتعرض صاحب القاموس لذلك .

(خصيان الحبشة والنوبة والسودان)

فأمّا الخصيان من الُحْبشان والنُّوبة وأصناف السودان ، فإنّ الخصاء يأخذُ منهم ولا يعطيهم ، وينقُصهم ولا يزيدهم ، ويحطُّهم عن مقادير إخوانهم ، كما يزيد الصقالبةَ عن مقادير إخوتهم ، لأن الحبشيّ متى خُصِي سقطَتْ نفسه ، وثقُلت حركته ، وذهب نشاطه ، ولا بدّ أن يعرض له فساد ، لأنه متى استُقْصى جِبابُه لم يتماسك بوله[١] ، وسلُس مخرجه ، واسترخى الممسك له ، فإن هم لم يستقصوا جِبابه ، فإنما يُدخل الرجل منزله مَن له نصفُ ذلكالعضو[٢] . وعلىأنك لاتجد منهم خَصِيا أبداً ، إلاّ وبِسُرّته بُجْرَةٌ ، ونفخة[٣] شنيعة ، وذلك عيبٌ شديد ، وهو ضرب من الفتق ، مع قُبحِه فى العَين ، وشُنْعَته فى الذّكْر . وكلُّ ماقَبُح فى العين فهو مؤلم ، وكل ماشنُع فى النفس فهو مؤذٍ . وما أكثَرَ ماتجد فيهم الألطَع[٤] ، وذلك فاشٍ فى باطن شفاههم . ومتى كانت الشفاه هُدْلا ، وكانت المشافرُ منقلبة ، كانت أظهر للَّطَع ، وهو ضرب من البرص . والبياض الذى يعرض لغَراميل الخيل وخُصَاها[٥] ، ضربٌ أيضاً من البرص ، وربما عَرَض مثل ذلك لحشفةِ قضيب المختون ، إمّا لطَبَع الحديد ، وإمّا لقرب[٦] عهده بالإحداد وسقْيِ الماء ، إلاّ أنّ ذلك لا يعدُو مكانه .

---

(١) فى ط : « ولم يتماسك بوله » والوجه حذف الواو كما فى ل .

(٢) فى الكلام نقص وتحريف ولعل صواب العبارة : « فأما من لم يستقص جبابه فقلما يدخل الرجل منزله منهم ... الخ » .

(٣) فى ط : « وبخة » وليس بشئ . وقد أبدلتها بما فى ل . والبجرة : العقدة فى البطن والوجه والعنق .

(٤) اللطع : بياض فى باطن الشفة . وأكثر مايعترى ذلك السودان .

(٥) فى ط : « وخصاؤها » وليست مرادة . وما هنا جمع خصية .

(٦) فى ط و س : « لقدم » وهو خطأ صوابه فى ل . ويؤيده ماكتبه الجاحظ فى الحيوان ٧ : ٢٦ . « ومن أن تكون الموسى حديثة العهد بالإحداد » . وطبع الحديد : وداءته .

وكلما عظُمت الحشفةُ انبسَطَ ذلك البياضُ على قدر الزيادة فيها ، وإنّما ذلك كالبياض الذى يعرِض من حَرْق النــار وتشييطها[١] ، وكالذى يعرض للصقالِبَة من التّعالُج بالكىّ . وربّما اشــتدّ بياضُه حتى يفحُشَ ويُردِيه[٢] ، إلا أنّه لا يفشو ولا ينتشر ، إلاّ بقدر ما ينبسط مكانه ، ويتحوَّل صاحبه رجُلاً ، بعد أن كان صبيًّا[٣] . وليس كالذى يعرِض من البلغم ومن المِرَّة . وبعضُ البرص يذهب حتى كأنه لم يكن ، وبعضُــه لا يذهب ولا يقف ، بل لا يزال يتفشَّى ويتَّسع حتى ربّما سلخه ، ولا يذهب إلاّ بأنْ يذهب به نبى[٤] ، فيكون ذلك علامةً له . ومن البهق الأبيض مايكاد يلحق بالبَرَص[٥] ، ولكن الذى هوَّن أمره الذى ترونَ من كثرةِ بُرءِ الناس منه .

٥٥ ثمَّ الخصاءُ يكونُ على ضروبٍ ، ويكون فى ضروب ، فمن ذلك ما يعرِض بعدَ الكِبَر للأحرار ، كما يعرض للعبيد ، وللعرب كما يعرض للعجم ، كما خَصَى بعضُ عَبَاهلةِ اليمن[٦] علقمةَ بنَ سهلٍ الخَصىّ .

(علقمة الفحل وعلقمة الخصى)

وإنما قيل لعلقمةَ بن عَبَدَةَ الفحلُ ، حين وقعَ على هذا اسمُ الخصى .

---

(١) فى ط : « وتشييطه » .

(٢) هو تسهيل « يردئه » أى يجعله رديئا ويفسده .

(٣) كذا . ولعل صوابه « رجلا » بكسر الجيم من الرجلة بضم الراء : بياض فى إحدى رجلى الدابة . أما « صبيا » فلعلها « مصمتا » . والمصمت : الذى لا يخالط لونه لون آخر .

(٤) فى ط : « شىء » وقد أبدلته بما فى ل . وكان عيسى عليه السلام يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله .

(٥) فى ط : « مايكون ملحقا بالبرص » .

(٦) عباهلة اليمن : أقيالهم .

وكان عبداً صالحا ، وهو كان جَنَبَ الجديل(١) وداعراً ، الفحلين الكريمين ، إلى عمان ، وكان من نازليها . وهو كان أحدَ الشهودِ على قُدامة ابنِ مَظْعونٍ فى شرب الخمر ، وهو الذى قال لعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه : أتقبَلُ شهادةَ الخصىِّ ؟ قال : أما شهادتك فأقبَلُ .

وهو عَلقمةُ بن سهْلِ بن عمارة ، فلمَّا سمّوه الخصىّ ، قالوا لعلقمةَ بن عبَدة : الفحل . وعلقمةُ الخصىّ الذى يقول :

فلن يَعْدَمَ الباقون قبراً لجثَّتى(٢) ... ولن يعدَم الميراثَ منِّى المواليا
حِراصٌ على ما كنت أجمعُ قَبْلَهم ... هَنيئاً لهمْ جَمْعِى وما كنتُ والِيا
ودُلِّيتُ فى زَوْراءَ ثُمَّتَ أعنَقوا ... لشأنِهِمُ قَدْ أفْرَدُونى وشانِيا
فأصبح مالى من طريفٍ وتالدٍ ... لغيرى ، وكانَ المالُ بالأمس ماليا

وكما عرَض للدَّلال ونَومَةِ الضُّحى ، مِن خصاءِ عُثمانَ بن حيّان [المرّىّ] والى المدينة لهما ، بكتابِ هشام بن عبد الملك(٣) .

(أثر تحريف كتاب هشام بن عبد الملك)

فمِنْ بنى مرْوان من يدَّعى أنَّ عاملَ المدينةِ صحَّف ، لأنه رأى فى الكتاب : «أَحصِ مَنْ قِبلَكَ مِنَ المخنَّثين » فقرأها : « اخْصِ مَنْ قِبلَكَ من

(١) فى ط : « الجزيل » وصوابه « الجديل » كما فى ل والقاموس ، قال : فحل للنعمان ابن المنذر . وأما داعر فهو فحل منجب . وجنب البعير : قاده إلى جنبه .

(٢) تختلف الروايات اختلافا كثيرا فى هذا الشطر . انظر الخزانة ٢ : ١٧٦ — ١٨٠ وذيل أمالى القالى ١٣٥ والعقد ٣ : ٣٥٧ حيث توجد قصيدة هذه الأبيات ، منسوبة إلى مالك بن الريب .

(٣) عند الجهشيارى ٥٤ أنه كتاب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر محمد بن عمرو بن حزم .

المخَنَّثِين . وذكر الهيثمُ عن الكاتب الذى تولّى قراءة ذلك الكتاب ، أنَّه قال : وكيف يقولون ذلك ! ؟ ولقد كانت الخاء معجمةً بنقطةٍ ، كأنها سُهيل [أو تمْرةٌ صيحانيّة[1]] فقال اليقطرى[2] : ما وجْهُ كتابِ هشامٍ فى إِحصاءِ عدَدِ المخَنَّثين ؟ وهذا لامعنى له ، وما كان الكتابُ إلاّ بالخاء المعجمة دون الحاء المهملة . وذُكِرَ عن مشايخَ من أهل المدينة أنهم حكَوا عنهما أنهماقالا : الآنَ صِرنَا نساءً بالحقّ !! كأنَّ الأمرَ لو كان إليهما لاختارَا أن يكونا امرأتين ! قال : وذُكِر أنهما خرجا بالخَصلتين من الخصاء والتخنيث ، من فُتورِ الكلام ولِين المفاصل والعظام ، ومن التفكُّك والتثنِّى ، إلى مقدارٍ لم يرَوا أحداً بلغه ، لامن مخنَّثات النساء ، ولا من مؤنَّثى الرجال .

(أبو همام السنوط)

وكما عرَض لأبى همام السَّنُوط[3] مِن امتلاخِ اللُّخْم مذاكيرَه وخصيَيه[4] ، أصابَه ذلك فى البحر فى بعضِ المغازى[5] ، فسقطت لحِيتُه ، ولقِّب بالسَّنُوط ، وخرَج لذلك نَهِماً وشَرِهاً .

---

(١) الصيحانى : ضرب من التمر أسود صلب المضغة . وسمى صيحانيا لأن صيحان اسم كبش كان ربط إلى نخلة بالمدينة فأثمرت تمرا فنسب إلى صيحان .

(٢) فى ط ، ل ، س « البقطرى » بالباء وإنما هو بالياء كما فى مواضع متعددة من الحيوان والبيان .

(٣) ذكره الجاحظ فى البخلاء ١٧٦ وجاء محرفا بالمسوط ، والسنوط بالفتح والتخفيف : من لا لحية له أصلا ، أو الخفيف العارضين .

(٤) فى ط «من امتلاخ لحم مذاكيره وخصييه» وهو تحريف صوابه فى ل وجاء فى القاموس : اللخم بالضم : سمك بحرى . وقد ضبط فى معجم المعلوف ص ٢٢٥ بالفتح سهوا ، قال : وهو يعرف بالقرش فى سواحل البحر الأحمر .

(٥) فى ل « أصابه ذلك فى البحرسمكة فى بعض المغازى » .

وقال ذات يوم : لو كان النخلُ بعضُه لا يحمل إلاَّ الرُّطَب ، وبعضُه لايحمل إلاّ التمرَ ، وبعضُه لا يحملُ إلاّ المجزَّع[١] ، وبعضُه لايحمل إلاّ البُسرَ، وبعضُه لايحمل إلا الخَلاَل ، وكنَّا متى تناولْنا من الشِّمْراخِ بُسْرَةً ، خلقَ ٥٦
اللهُ مكانها بُسرَتين ، لَمَا كان بذلك بأس ! ثم قال : أستغفرُ الله ! لو كنتُ تمنَّيتُ أن يكونَ بدل نواةِ التمر زُبدة كان أصوَب ! !

ومنه ما يعرض من جهة الأوجاع التى تعرِض للمذاكير والخصيتين ، حتى ربما امتلخَهما طبيبٌ ، وربَّما قطَع إحداهما ، وربما سقطتا جميعًا من تلقاءِ أنفسهما .

(نسل منزوع البيضة اليسرى)

والعوامُّ يزعمون أنَّ الولدَ إنّما يكونُ من البيضة اليسرى[٢] ، وقد زعمَ ناسٌ من أهل سليمان بن عليٍّ ومواليهم ، أنَّ ولدَ داود بن جعفر الخطيب المعتزِليّ ، إنَّما وُلِد له بعد أن نُزِعت بيضتُه اليُسرى ، لأمرٍ كانَ عرض له .

والخصيَّ الطيّان ، الذى كان فى مسجدِ ابن رَغبان[٣] ، وُلِدَ له غلام ، وكان ليس له إلاَّ البيضةُ اليُمنى ، فجاء أشبهَ به من الذُّباب بالذُّباب ، والغرابِ بالغراب ، ولوأبصرَه أجهلُ خلقِ الله تعالى بفِراسةٍ ، وأبْعدُهم من قِيافةٍ ، ومن مخالَطَةِ النخَّاسين ، أومن مجالسةِ الأَعراب ، لعلِمَ أنَّه سُلالتُه

(١) فى ط ، س « المخزع » و ل « المنصف » وصواب الأول « المجزع » وهو البسر أرطب إلى نصفه .
(٢) لهذا كلام فى البيان ١ : ٢١٥ .
(٣) فى ط « ابن زغبان » بالزاى وأبدلته بما فى ل وما فى معجم البلدان ، وقال ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٦ «ابن رغبان الذى ينسب إليه المسجد ببغداد ، هو مولى حبيب بن مسلمة .. وكان حبيب عظيم القدر، يلى الولايات زمن عثمان ومعاوية » .

وخلاصته ، لا يحتاج فيه إلى مجزِّز المُدْلجِى[1] ، ولا إلى ابن كريز[2] الخزاعى .

(خصاء الروم)

ومن أهل الملل من يَخْصِى ابنَه ويقفُه على بيت العبادَة ، ويجعله سادناً ، كصنيع الرُّوم ، إلا أنهم لا يُحدثون فى القضيب حدثاً ، ولا يتعرضون إلا للأنثيين ، كأنهم إنما كرهوا لأولادهم إحبالَ نسائهم ورواهبهم[3] فقط ! ! فأما قضاءُ الوَطَر وبلوغُ اللذة ، فقد زعموا أنهم يبلُغون من ذلك مبلغا لا يبلُغه الفحل ، كأنهم يزعُمون أنه يستقصى جميعَ ما عِندها ويستَجْلبه ، لفَرْط قوَّته على المطاولة .

(الروم أول من ابتدع الخصاء)

وكلُّ خصاءٍ فى الدنيا فإنما أصلُه من قِبَل الروم ، ومن العجب أنهم نصارى ، وهم يدَّعون مِن الرأفة والرحمة ، ورقَّة القلبِ والكَبِد ، مالا يدَّعيه أحد من جميع الأصناف ، وحسبك بالخِصاء مُثْلةً ! وحسبك بصنيع الخاصى قسوة ! ولا جَرَم أنهم بعثوا على أنفسهم من الخِصيان ، من طَلَب الطوائل وتذكُّر الأحقاد ، مالم يظنُّوه عندهم ، ولا خافوه من قِبَلِهم ،

---

(١) فى ط : « محرز » وإنما هو « مجزز » كما فى ل ، والقاموس والإصابة . وهو صحابى له ذكر فى الصحيحين . وكان الرجل قائفا .

(٢) فى ل : « كرز » .

(٣) فى ط : « ودواهيهم » وتصحيحه من ل . والرواهب : جمع راهبة .

فلا هم ينزِعون ، ولا الخِصيانُ يَنْكِلون ، لأنَّ الرِّمايةَ فيهم فاشية ، وإن كان الخصيُّ أسواراً بلغَ منهم[١] ، وإن كان جمع معَ الرماية الثَّرْوة ، واتخذ بطَرَسُوس ، وأذَنَة ، الضِّياعَ واصطنعَ الرجال ، واتخذ العُقَد المُغِلَّة[٢] فمضرَّةَ كلِّ واحدٍ منهم عليهم ، تَفِي بمَضَرَّةِ قائدٍ ضخم . ولم ترَ عَداوةً قطُّ تجوز مقدارَ عداوتهم لهم ، وهذا يدلُّ على مقدار فرطِ الرغبة فى النساء ، وعلى شهوةٍ شديدةٍ للمباضَعة ، وعلى أنهم قد عرفوا مقدار ما فقدوا ، وهذه ٥٧ خصلةٌ كريمة مع طلب المثوبة ، وحسن الأحدوثة .

(خصاء الصابئة)

فأما الصابئون ، فإنَّ العابدَ منهم ربَّما خصى نفْسَه ، فهو فى هذا الموضع قد تقدم الروميَّ ، فيما أظهرَ من حُسْنِ النيَّة ، وانتحل من الديانةِ والعبادة ، بخصاء الولد التامِّ[٣] ، وبإدخاله النقصَ على النَّسلِ ، كما فَعَل ذلك أبو المبارك الصابى . وما زال خلفاؤنا وملوكنا يبعثون إليه ، ويسمعون منه ، ويَسمَر عندَهم ، للَّذى يجدونه عنده من الفهم والإفهام ، وطُرَف الأخبار ، ونوادر الكتب ، وكان قد أربى على المائة ، ولم أسمعْ قطُّ بأغزَلَ منه ، وإنْ كان يصدُق عن نفسه فما فى الأرض أزنى منه .

---

(١) ط : « وإن كان الخصى أسود أبلغ منهم » وتصحيحه من ل . والأسوار بالضم وبالكسر : قائد الفرس والجيد الرمى بالسهام .

(٢) فى ط : « واتخذ العقد والعبيد المغلة » . والعقد : جمع عقدة ، وهى الضيعة .

(٣) فى ط : « بخصلة الولد التام » .

(حديث أبى المبارك الصابى)

حدَّثنى محمد بن عباد قال : سمعتُه يقول — وجرى ذكرُ النساءِ ومحلِّهن من قلوب الرجال ، حتَّى زعموا أنَّ الرجلَ كلما كانَ علىٰ ن أحرصَ كان ذلك أدلَّ على تمامِ الفُحولة فيه ، وكان أذهبَ له فى الناحيــة التى هى فى خلقتِه ومعناهُ وطبعِهِ ، إذ كان قد جُعِل رجلاً ولم يُجعل امرأة — قال ابن عبّاد ، فقال لنا : ألستمْ تعلمون أنِّى قد أربَيتُ على المائة ، فينبغى لمن كان كذلك أن يكون وهْنُ الـكِبَرِ ، ونفادُ الذِّكْرِ (١) ، وموتُ الشهوة ، وانقطاعُ ينبُوع النطْفة ، قد أماتَ حنينه إلى النساء وتفكيرَه فى الغزَل ؟! قال : قلنا : صَدقتَ . قال : وينبغى أن يكون مَن عوَّد نفسه تركَهنَّ مُدداً ، وتخلى عنهن سنِينَ ودَهراً (٢) ، أن تكون العادة وتمرينُ الطبيعة ، وتوطينُ النفسِ ، قد حطَّ من ثقل منازعة الشهوة ، ودواعى الباءة ، وقد علمتمْ أنَّ العادَةَ [التى] هى الطبيعة الثانية ، قد تستحكم ببعض عمــدِ هَجْرٍ لملامسةِ النساء (٣) . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكونَ مَن لم يذُقْ طعمَ الخَلوة بهنَّ ولم يجالسهنَّ متبذلات ، ولم يسمَعْ حديثَهنَّ وخِلاَبتهنَّ للقلوب ، واستِمالتهن للأهواء ، ولم يَرَهُنَّ منكشفاتٍ عارياتٍ ، إذا تقدم له ذلك معَ طولِ التَّرك ، ألا يكون بقى معه من دواعيهن شيء ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغى أن يكون لِمَنْ قد علِم أنه مجبوبٌ ، وأنَّ سببه إلى خِلاطهنَّ محسوم ، أن يكون اليأسُ من أمتن أسبابه إلى الزهد

---

(١) الذكر هنا فى معنى التذكار .

(٢) فى ل : « زهدا » بدل « مددا » وفى ط « منهن » موضع « عنهن » .

(٣) فى ل : « عمر » موضع « عمد » و « هجرانى » موضع « هجر » .

والسلوة ، وإلى موت الخواطر . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي أن يكونَ من دعاةُ الزُّهــدُ فى الدنيا ، وفيما يحتويه النساءُ مع جمالهنَّ وفتنةِ النُّسَّاكِ بهنّ ، واتخاذِ الأنبياء لهنّ ؛ إلى أن خَصَى نفسه ، ولم يُكْرِهْه عليه أبٌ ولا عدوٌّ ، ولا سَباه سابٍ ، أن يكون مقدارُ ذلك الزهدِ هو المقدار الذى يُميت الذِّكْرَ لهنَّ ، ويُسَرِّى عنــه ألم فقد وُجودِهنَّ[١] ، وينبغي لمن ٥٨
كان فى إمكانه أن ينشئ العزم[٢] ويختارَ الإرادة التى يصير بها[٣] إلى قطع ذلك العضوِ الجامع لكبار اللذّات ، وإلى ما فيه من الألم ، ومع ما فيه من الخطر ، وإلى ما فيه من الْمُثلة والنَّقصِ الداخل على الخِلقة ، أن تكون الوساوس فى هذا الباب لا تعرُوه ، والدواعى لا تقْروه[٤] . قال : قلنا : صدقت . قال : وينبغي لِمَنْ سَخَتْ نفسه عن السَّكَن وعن الوَلد ، وعن أن يكون مذكوراً بالعقب الصالح ، أن يكون قد نسىَ هذا البابَ ، إنه كان قد مرَّ منه على ذُكْر . هذا وأنتم تعلمونَ أنِّى سَمَلْتُ عينى يومَ خصَيت نفسى ، فقد نسيتُ كيفية الصُّوَرِ وكيف تَرُوع ، وجَهِلت المراد منها ، وكيف تُراد ، أفمــا كان[٥] [مَنْ كان كذلك] حَرِيًّا أن تكون نفسُه ساهيةً لاهيةً مشغولةً بالبابِ الذى احتمل له هــذه المكاره ؟! قال : قلنا : صدقت . قال : أوَ لوْ لم أكنْ هَرِماً[٦] ، ولم يكن ها هنا طولُ اجتنابٍ ، وكانت الآلةُ قائمةً أليس فى[٧] أنِّى لم أذُقْ حيواناً منذُ ثمانينَ

---

(١) فى ل : « ويستوى عندهن فقدهن ووجودهن » .
(٢) فى ط : « وينبغي لمن كان فى مكانه ألا ينمى العزم » .
(٣) فى ط : « يصيب بها » .
(٤) قراه يقروه : قصده . وفى الأصل « تطروه » .
(٥) فى ط : « فما كان ذلك » وتصحيحه من ل .
(٦) فى الأصل : « أوليس لولم أكن هرما » .
(٧) فى الأصل : « ألا » .

سنة ولم تمتلِ عُروقى[1] من الشرابِ مخافةَ الزيادة فى الشهوة ، والنقصانِ من العزم — أليسَ[2] فى ذلك ما يقطع الدواعى ، ويُسْكِن الحركة إن هاجت ؟ ! قال : قلنا : صدقت . قال : فإنِّى بعدَ جميعِ ما وصفتُ لكم ، لأَسْمَعُ نغْمةَ المرأةِ فأظنُّ مرَّةً أنّ كَبِدى قد ذابت ، وأظنُّ مرّةً أنَّها قد انصدعت ، وأظنُّ مرّةً أنّ عقلى قد اختُلِس ، وربَّما اضطرَب فُؤادِى عند ضَحِك إحداهُنّ ، حتَّى أظنَّ أنَّه قد خرجَ من فمى ، فكيف ألومُ عليهنَّ غيرى ؟ !

فإن كان — حفظك الله تعالى — قد صدَق على نفسه فى تلك الحال ، بعد أن اجتمعت فيه هذه الخصال ، فما ظنُّك بهذا قبل هذا الوقت بنحو ستِّين سنة أوْ سبعين سنةً ؟ ! وما ظنُّك به قبلَ الخصاء بساعة ؟ ! وليس فى الاستطاعةِ ولا فى صفةِ الإمكان ، أن يحتَجز عن إرادة النساء ، ومعَه من الحاجةِ إليهنَّ والشهوةِ لهنَّ هذا المقدارُ ! الله تعالى أرحمُ بخلقِه ، وأعدَلُ على عباده ، من أن يكلِّفَهم هِجرانَ شىءٍ ، قد وصلَه بقلوبهم هذا الوصلَ ، وأكَّدَه هذا التأكيد .

وقد خصى نفسَه من الصابئين رجالٌ ، قد عرَفناهم بأسمائهم وأنسابهم ، وصفاتهم وأحاديثهم . وفى الذى ذكرنا كفايةٌ إن شاء الله تعالى .

(استئذان عثمان بن مظعون فى الخصاء)

وقد ذُكِر أَنَّ عثمانَ بن مَظْعونٍ ، اَسْتَأْذَنَ النبيَّ صلى اللّٰهُ عليه وسلم فى السياحة فقال : « سِيَاحَةُ أُمَّتِى الْجَمَاعَة » . واستأْذَنَه فى الخصاءِ فقال :

(١) فى ط : « تشمل » وماأثبته من ل .
(٢) فى الأصل : « لكان » .

« خِصاء أمّتى الصوم ، والصوم وِجاء » . فهذا خِصاءُ الديانة .

(خصاء الجلب وقسوته) ٥٩

فأمّا من خصى الجَلَب[١] على جهة التجارة ، فإنه يَجُبُّ القضيبَ ، ويمتلخ الأنثيين ، إلاّ إن تقلّصت إحداهما من فَرْط الفَزَع[٢] ، فتصيرُ إلى موضعٍ لا يمكن ردُّها إلاّ بعلاج طويل ، فللخاصى عند ذلك ظلمٌ لا يفى به ظُلم ، وظلم يُربى على كلّ ظلم[٣] ، لأنّه عندَ ذلك لا يحفِل بفوت المتقلّص[٤] ، ويقطع ما ظهر له ؛ فإن برئ مجبوبَ القضيب أو ذَا بيضةٍ واحدة ، فقد تركه لا امرأةً ولا رجُلا ولا خَصِيًّا ، وهو حينئذٍ مِمَّن تخرُج لحيتُه ، ومِمَّن لا يدعه الناسُ فى دُورهم ومواضعِ الخصوص من بيوتهم ، فلا يكونُ مع الخصيان مقرَّباً ومكرَّما ، وخَصِيبَ العَيش منعَّما ، ولا هو إذا رُمِى به فى الفحول ، كان له ما للفحول من لَذَّةِ غِشيان النساء ، ومِن لذّةِ النسل والتمتُّعِ بشم الأولاد ؛ فلم يزَل عندَ الفحولِ مستضعَفاً محتقراً ، وعند الخصيان مجرَّحا مطرحا[٥] ، فهو أسوأُ حالا من السَّدِمِ المعنَّى[٦] فلا أعلم قتْلَهُ — إذا كان

---

(١) الجلب : ماجلب من خيل وغيرها .

(٢) ط : « القرع » والصواب مافى ل .

(٣) ل : « وظلم يربى على الظلم الأول وعلى كل ظلم » .

(٤) ط : « بموت المقلص » وصوابه فى ل .

(٥) ل : « مخرجا مطردا » .

(٦) اللسان : السدم : الذى يرغب عن فحلته ، فيحال بينه وبين ألافه ، ويقيد إذا هاج ، فيرعى حوالى الدار ، وإن صال جعل له حجام يمنعه عن فتح فمه . قال الوليد بن عقبة :

قطعت الدهر كالسدم المعنى تهدر فى دمشق وما تريم

القتلُ قِتلةً صريحة(١) مُرِيحة — إلاّ أصغرَ عند الله تعالى ، وأسهلَ على هذا المظلوم من طول التعذيب . والله تعالى بالمرصاد .

(خصاء البهائم)

وأمّا خصاءُ البهائم ، فمنه الوِجاءُ ، وهو أن يشدَّ عصَبُ مجامع الخُصيةِ من أصل القضيب ، حتَّى إذا نَدَرت البيضة ، وجَحَظت الخُصية ، وجأَها حتى يرضَّها ، فهى عند ذلك تذبُل وتنخسف ، وتنوِى وتستَدِقّ ، حتى تذهبَ قُواها ، وتنسدَّ المجارى إليها ، ويسرىَ ذلك الفسادُ إلى موضع تربيةِ النُّطْفة ، فيمنَعها من أن تكثُر أو تعذب أو تخثُر .

ومنها ما يكون بالشدِّ والعصْب ، وشدَّةِ التحزيق ، والعَقْدِ بالخيط الشديد الوَتير الشديد الفتل ، فإذا تركه على ذلك عمِل فيه وحزَّ ، أو أكلَّ ومنعَه من أن يجرىَ إليه الغذاءُ ، فلا يلبثُ أن ينقطعَ ويسقط .

ومنه الامتلاخ ، وهو امتلاخ البيضتين .

(خصاء الناس)

فأمّا خصاءُ الناس ، فإنّ للخاصى حديدةً مرهَفَةً مُحْماة ، وهى الحاسمة ، وهى القاطعة . قال أبو زيد : [يقال] خصَيت الدابة أَخصِيها خِصاءً ، ووجأتها أجَؤُها وِجاءً . ويقال : برئتُ إليك من الخصاء أو الوجاء ، ولا يقال ذلك إلاّ لمـا كان قريبَ العهد لم يبرأ منه ، فإذا برِئ لم يُقَل له(٢) .

(١) ل : « سريحة » .
(٢) فى الأصل : « لم يقله » وهو خطأ فى الرسم أوجبه تكرار اللام ، والوجه ما كتبت .

وأما الخِصاءُ فهو أنْ يسلَّ الُخصيتين ، والوجاء أن توجَأ العروقُ والخصيتان على حالها . والمعصوب من التيوس الذى تُعصَب خُصيتاه حتى تسقطا . والواحد من الخصيان خَصِىٌّ ومخصىّ . ويقال ملست الخصيتَين أملُسهما ملْسا ، ومتَنْتُهما أمتنهما متْنا ، وذلك أن تشقّ عنهما الصَّفَن فتسلَّهُما بعروقهما . والصَّفَن : جلدة الُخصيتين .

(خصاء البهائم والدِّيكة)

والخِصاءُ فى أَحداثِ البهائم ، وفى الغنم خاصةً ، يدع اللَّحمَ رَخْصاً وندِيًّا عذبا ؛ فإنْ خَصَاه بعد الكبر ،لم يقو خِصاؤُه — بعدَ استحكامِ القوّة — على قلْب طباعه . وأجود الخِصاء ما كانَ فى الصِّغَر ، وهو يسمَّى بالفارسية ثربخت[١] يُعنَى بذلك أنّه خُصِىَ رطبا . والخصىُّ من فحولها أحمَلُ للشحم ، لعدم الهيْج والنَّعْظ ، وخروج قواه مع ماء الفِحْلة[٢] . وكثرةُ السِّفاد تورث الضَّعْفَ والُهزالَ فى جميعِ الحيوان . وقد ذُكِر لمعاوية كثرة الجماع فقال : ما استُهتِرَ به أحدٌ إلّا رأيت ذلك فى مُنَّته[٣] .

والديك يُخصى ليَرطب لحمُه ويطيب ويحمِل الشحم .

(خصاء العرب لفحولة الإبل)

وكانت العربُ تَخصِى فُحولَةَ الإبل لئلَّا يأكلَ بعضُها بعضاً ، وتستبقى ما كان أجودَ ضِراباً ، وأكثرَ نسْلا ، وكلَّ ما كان مئناثا[٤]

---

(١) ط : « برنجت » .
(٢) ط : « عما يجامع الفحلة » وهو تحريف .
(٣) ط : « متنه » . والمنة : القوة . والخبر فى البيان ٢ : ٨١ وكتاب البغال ٣٠٤ .
(٤) ط : « ماسا » وهو تحريف صوابه فى ل .

وكان شابًّا ولم يكن مِذكارا ، وهم يسمُّون الإذكار المحْقَ الخفيّ(١) ، وما كان منها عَيَاياءَ طَبَاقاءَ ، فمنها ما يجعل السَّدِمَ المعنَّى . وإذا كان الفحلُ لا يُتَّخذ للضِّراب ، شدُّوا ثِيلَه شدًّا شديداً ، وتركوه يهدِر ويُقَبقِب فى الهَجْمة ، ولا يصل إليهنَّ وإن أردنَه ، فإذا طلبْنَ الفحلَ جِيءَ لهنَّ بفحلٍ قَعْسرىٍّ(٢) ويقولون: « لَقْوَةٌ لاقَتْ قَبِيسا ! » . والقَبِيس من الجِمال : السريع الإلقاح ، واللَّقوة : السريعة القَبولِ لماءِ الفحلِ .

وشكت ٱمرأةٌ زوجَها ، وأخبرتْ عن جهلِه بإتيانالنساء ، وعِيِّه وعجْزِه ، وأنَّه إذا سقط عليها أطبَقَ صدرَه ـــ والنساءُ يكرهْنَ وقُوعَ صدورِ الرجال على صدورهنَّ ـــ فقالت : زَوْجِى عَيَاياءُ طَباقاء ، وكلُّ داءٍ لَهُ داءٌ !!

وقال الشاعر :

طَباقَاءُ لم يَشْهدْ خُصوماً ولم يَقُدْ رِكاباً إلى أكوارِها حينَ تعكف(٣)

(خصاء العرب للخيل)

وكانوا يخْصُون الخيل لشبيه بذلك(٤) ، ولعلَّة(٥) صهيلها ليلةَ البيَات ، وإذا أكمنوا الكُمَناء أوْ كانوا هُرَّابا .

---

(١) ط : « وهم يسمون المذكار المحق الخفى » وهو تحريف ما فى ل .

(٢) القعسرى : الضخم الشديد . وفى الأمبروزيانا : « نحى وجىء لهن بفحل قبيس » .

(٣) ط : « لم يكن » و « حين تعلف » وفى ل والامبروزيانا « لم ينخ » و « حين تعكف » وأصلحت البيت كما ترى من ل والبيان ١ : ١١٠ .

(٤) ط : « للتشبه بذلك » .

(٥) ل : « ولقلة » .

(القول فى كلمة خنذيذ)

ويزعم من لا علم له ، أنَّ الخنذيذ[١] فى الخيل هو الخصىُّ . وكيف يكون ذلك كما قال ، مع قول خُفَاف بن نَدْبَة :

وخناذيذ خصيةً وفُحولا[٢]

وقال بشرُ بنُ أبى خَازم :

وخنذيذٍ تَرَى الغُرْمُولَ منهُ   كَطَىِّ البُرْدِ يَطويه التِّجَارُ[٣]

وليس هذا أرادَ بِشر ، وإنَّما أراد زمانَ الغزو ، والحالَ التى يعترى الخيلَ فيها هذا المعنى ، كما قال جد الأحيمر[٤] :

لا لا أعقُّ ولا أحُو   ب ولا أُغِيرُ على مُضَرْ
لكنَّما غزوِى إذا   ضجَّ المطىُّ من الدَّبَرْ ٦١

وإنَّما فخَر بالغزْوِ فى ذلك الزمان .

وأما الخنذيذ فهو الكريم التامُّ ، وربَّما وصفوا به الرجل . وقال كثير :

على كل خنذيذ الضُّحَى متمطِّر   وخَيْفانةٍ قد هذَّب الجرى آلَهَا[٥]

وقال القطامى :

---

(١) يتكرر فى ط رسم هذه الكلمة ومشابهاتها برسم « خنزير » و « خنازير » وهو تصحيف أصلحته من ل ، ومن اللسان ، ومن البيان ٢ : ١١ - ١٢ وأدب الكاتب ١٦٣ والاقتضاب ٣٦٢ وصحاح الجوهرى .

(٢) البيت منسوب فى البيان ٢ : ١١ إلى البرجمى ، وهو فى اللسان خفاف بن عبد قيس من البراجم ، وفى الصحاح خفاف بن قيس ، فيكون غير خفاف بن ندبة ، إذ أن ابن ندبة من بنى الشريد ، وهو ابن عم الخنساء ، وليس بنو الشريد من البراجم . وصدر البيت المذكور هو كما فى اللسان : وبراذين كابيات وأتنا .

(٣) البيت فى البيان ٢ : ١١ .

(٤) فى الأصل « جد الأحيمز » وتصحيحه من بيان الجاحظ ٣ : ٢٠٠ والأحيمر السعدى شاعر كان من لصوص العرب مثل عبيد بن أيوب العنبرى . وله ترجمة فى الشعراء لابن قتيبة . وأما جده فهو الحارث بن يزيد كما فى البيان .

(٥) المتمطر : السريع . وهى فى الأصل « متمطرا » وليس بشىء . وآلها : شخصها .

[على] كلِّ خنذيذ السَّراة مُقلِّصٍ   تخنَّثَ منــــه لحمُه المتكاوسُ(١)

ومن الدليل على أنَّهم ربما جعَلوا الرجلَ إذا ما مدحوه خنذيذا ، قولُ بعضِ القيسيين(٢) ، مِن قيسِ بنِ ثعلَبة :

دعوتُ بنى سعدٍ إلىَّ فشمَّرتْ   خناذيذُ مِن سعدٍ طِوالُ السواعدِ

(عبد الله بن الحارث وعبد الملك بن مروان)

وقال عبدُ الله بن الحارث ، وكتب بها إلى عبدِ الملكِ بن مرْوان ، حين فارقَ مُصعَبا :

بأىِّ بلاءٍ أم بأيَّةِ علَّــــةٍ   يُقدَّم قبلى مُســـلِمٌ والمهلَّبُ

وَيُدعَى ابنُ منجوف أمامى كأنَّه   خَصِىٌّ دنا للماءِ من غير مَشْرَبِ(٣)

فقلت ليونس : أقوى ! فقال : الإقواءُ أحسَنُ من هذا ! قال : فلمَّا أخذتْه قيسٌ نصبُوه ، فجَعلوا يرمُونه بالنبل ويقولون : أذاتَ مغازل(٤) ترَى؟! [يريدون بيت ابن الحرّ(٥)] :

ألم تر قيساً ـ قيسَ عَيلانَ ـ برقعت   لِحاهَا وباعت نبلهـــا بالمغازل

فلما أُتى مُصعبٌ برأسِه ، قال لسُويد : يأبا المِنهال ! كيف ترى ؟ قال : أيُّهَا الأمير ! هو واللهِ الذى أتَى المــاءَ من غير مَشْرَب .

---

(١) الزيادة من ل .

(٢) ط : « القسيسين » وهو تحريف . والبيت فى البيان ٢ : ١٢ منسوبا إلى العبسى ، فصوابه القيسى .

(٣) ط : « ويدعى ابن منجوت » والصواب « ابن منجوف » واسمه سويد ، وله أخبار فى البيان والأغانى .

(٤) ط : « منازل » بالنون .

(٥) هو عبيد الله بن الحر الجعفى ، قائد من قواد العرب ، كان من أصحاب عثمان ، وبعد مقتله انحاز إلى معاوية ، وشهد صفين . وكان له منازعات مع مصعب بن الزبير ، ولما خاف من الأسر ، ألقى بنفسه فى الفرات ، فمات غريقا سنة ٦٨ .

وقال أعشى هَمْدان :

وأبو بُرِيذِعةَ الذى حُدِّثْتَهُ فينا أذَلُّ مِن الخصىِّ الدَّيزجِ[١]

وتعرِض للخصىِّ سُرعةُ الدَّمعة ، وذلك مِن عادةِ طبائع الصبيان ثم النِّساءِ ، فإنَّه ليس بعدَ الصبيان أغزَر دَمعةً من النســاء ، وكفاك بالشيوخ الهرمين .

(أخلاق الخصى)

ويعرض للخصىِّ العبثُ واللَّعِبُ بالطير ، وما أشبهَ ذلك من أخلاق النساء ، وهو من أخلاق الصبيان أيضاً .

ويعرض له الشَّرَه عندَ الطعام ، والبخلُ عليه ، والشحُّ العامُّ فى كلِّ شىء ، وذلك مِن أخلاق الصِّبيانِ [ثم النِّساء[٢]] .

وقال الشاعر :

كأنَّ أبا رُومان قيساً إذا غدَا خَصِىٌّ بَراذينٍ يُقَاد رَهيصُ

له مِعْدَةٌ لايشتكى الدهرَ ضَعْفَها وحَنجرةٌ بالدورقين قَمُوصُ

٦٢ ويعرض للخصىِّ سرعةُ الغضبِ والرضا ، وذلك من أخلاق الصِّبْيان والنِّساء . ويعرض له حبُّ النميمة ، وضيقُ الصدر بما أُودِع من السرّ ، وذلك من أخلاق الصبيان والنساء . ويعرض له دون أخيه لأُمِّه وأبيه ، ودون ابنِ عمِّه وجميعِ رهطِه ، البصَرُ بالرَّفْع والوضْع ، والكنسِ والرشِّ ، والطَّرحِ والبسْطِ ، والصبرُ على الخدمة ، وذلك يعرِض للنساء .

---

(١) ط : « الريذج » والصواب ما أثبت من ل . والديزج : قال ابن قتيبة فى أدب الكاتب ١٠٥ : « الأخضر هو فى كلام العجم الديزج » . وقال الإسكافى فى مبادئ اللغة ١٢٣ : « والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديزج » .

(٢) التكملة من نسخة الأمبروزيانا .

ويعرض له الصبرُ على الرُّكوب ، والقوَّة على كثْرةِ الركْض حتَّى يجاوز في ذلك رجالَ الأتراكِ وفرسانَ الخوارِج . ومتى دفَع إليه مَولاه دابَّتَه ودخل إلى الصلاة ، أو ليغتسل في الحمام ، أو ليعودَ مريضاً ، لم يترُكْ أن يُجرِيَ تلك الدابَّةَ ذاهباً وجائياً ، إلى رجوعِ مولاه إليه .

ويعرض له حبُّ الرمى بالنُّشَّاب ، لِلَّذِى يدور في نفسه من حبِّ غزوِ الرُّوم.

ويعرض له حبٌّ أن تَمْلكَه الملوك ، على ألَّا تقيمَ له إلَّا القوتَ ، ويكونُ ذلك أحبَّ إليه من أنْ تملكَه السُّوقةُ ، وإن ألحقتْه بعيشِ الملوك ! !

ومن العجب أنَّهم مع خروجِهم من شَطْر طبائع الرجال ، إلى طبائع النساء ، لا يعرِض لهم التخنيث . وقد رأيت غيرَ واحدٍ من الأعرابِ مخنَّثاً متفكِّكا ، ومؤنثا يَسِيلُ سيلاً ، ورأيتُ عدّةَ مجانينَ مخنَّثين ، ورأيتُ ذلك في الزِّنج الأقْحاح . وقد خبَّرنى من رأى كُردِيًّا مخنثاً ، ولم أَر خَصيًّا قط مخنَّثاً[١] ، ولا سمعتُ به ؛ ولا أدرى كيف ذلك ولا أعرف المانعَ منه . ولو كان الأمرُ في ذلك إلى ظاهِر الرأى ، لَقَدْ كان ينبغى لهم أن يكونَ ذلك فيهم عامًّا[٢] !

ومما يَزيدنى في التعجُّب من هذا الباب ، كثْرةُ ما يعرِض لهم من الُحلاَق[٣] ، مع قلّةِ ما يعرِض لهم من التخنيث ، مع مفارقتِهم لشطرِ معانى الرجال إلى شبه النساء .

ويزعم كثير من الشيوخ المعمَّرين ؛ وأهلِ التجرِبة المميِّزين ، أنّهم اختبروا أعمارَ ضُروبِ الناس ، فوجدوا طُولَ[٤] الأعمارِ في الخصيان أعمَّ

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .
(٢) في الأصل : « ولكن كان الأمر . . . ولقد . . . الخ » وقد قومت العبارة بما ترى .
(٣) الحلاق ، كغراب : أن يفسد متاعه ، فينعكس ميله الجنسى .
(٤) ط : « أطول » وتصحيحه من ل . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان ١٢٤ .

منه فى مثلِ أعدادهم[1] من جميع أجناس الرجال، وأنّهم تفقدوا أعمارَهم وأعمارَ إخوتِهم وبنى أعمامهم الذين لم يُخصَوْا، فوجَدُوا طول العُمُر فى الخِصيان أعمَّ؛ ولم يجدوا فى عمومِ طوال العمر فيهم واحداً نادراً؛ كفلانٍ وفلانٍ من الفحول.

وزعموا أنّهم لم يجدوا لطول أعمارِهمْ علّةً إلّا عدَمَ النِّكاح، وَقلّة استفراغِ النُّطَف لقُوى أصلابهم.

قالوا: وكذلك لم نجدْ فيما يعايشُ الناسَ فى دُورهم، من الخيل والإبل، والحمير، والبقر، والغنم، والكِلابِ، والدَّجاج، والحمام، والدِّيَكة، والعصافير؛ أطول أعماراً من البغال. ٦٣

وكذلك قالوا: وجدْنا أقلّها أعماراً العصافيرَ. وليس ذلك إلّا لكثْرةِ سفادِ العصافير وقلّةِ سِفادِ البغال.

وجعل هؤلاء القومُ زيادةَ عمر البغلِ على عمرِ أبوَيه دليلا على أنّ قول الناسِ: لا يعيشُ أحدٌ فوق عمر أبويه خطأ. وأولئك إنما عنوا الناسَ دونَ جميع الحيوان.

(النتاج المركب)

وقالوا: قد وجدنا غُرمولَ البغل أطولَ من غرمول الحمار والفرس والبرذون؛ وهؤلاء أعمامُه وأخواله؛ فقد وجدْنا بعض النِّتاجِ المركَّبِ، وبعضَ الفروعِ المستخرجة، أعظمَ من الأصل؛ ووجدنا الحمام الرَّاعِبى[2] أعظمَ من الوَرَشان الذى هو أبوه، ومن الحمامةِ التى هى أمُّه؛ ولم نجدْه أخذَ من عمر الوَرَشان شيئا؛ وخرج صَوْتُه من تقديرِ أصواتهما؛ كما خرج شَحِيج البغْل مِن نهيق الحمار وصهيل الفرَس. وخرَج الرَّاعِبى مُسروَلاً؛

(١) الأعداد: جمع عد بمعنى الند وزنته، فالأعداد: الأنداد.
(٢) ط: «الزاغبى»، والصواب مافى ل. قال فى المجمل: الحمامة الراعبية: ترعب فى صوتها ترعيبا، وذلك قوة صوتها. تاج العروس.

ولم يكن ذلك فى أبويه ؛ وخرج مُثْقَلاً سيِّئَ الهداية . وللوَرَشان هداية ، وإن كان دونَ الحمام ؛ وجاء أعظمَ جُثّة من أبويه ؛ ومقدارُ النَّفَس مِن ابتداءِ هَديله إلى منقطَعِه ، أضعافُ مقدارِ هديل أبويه .

وفَوالجُ البُخْتِ إذا ضرَبت فى إناث البُخْت ، لم يخرُج الحُوَارُ إلّا أدَنّ(١) قصيرَ العُنق ، لا ينال كلأً ولا ماءً إلّا بأنْ يُرْفَعا إليه ؛ فيصيرُ — لمكانِ نُقْصان خلقه — جَزورَ لحم ؛ ولا يكون من اليعمَلات ولا من السابقة ؛ ولو عالُوه وكفَوه مُؤْنة تكلف(٢) المأكولِ والمشروب ، ثم بلغَ إلى أنْ يَصيرَ جملاً يمكنُه الضِّراب . وكذلك [الأنثى التى هى] الحائل إلى أن تصيرَ ناقة ؛ فلو ألقحها الفحلُ لجاء ولدُها أقصرَ عنقا من الفيل ، الذى لو لم يجعل اللهُ تعالى له خُرطوما يتناولُ به طعامَه وشرابه ، لمات جُوعا وهُزالا ؛ وليس كذلك العِرَاب . وإذا ضربت الفوالجُ فى العراب جاءت هذه الجوامز(٣) والبُخْت الكريمة التى تجمع عامَّة خصال العراب وخصالِ البُخْت ؛ فيكونُ ما يُخرِج التركيبُ من هذين الجنسين أكرمَ وأفخمَ وأنفس وأثمن . ومتى ضربت فحولُ العرَاب فى إناث البُخْت جاءت هذه الإبل البَهْوَنيَّة(٤) [والصَّرصرانية(٥)] فتخرج أقبح منظراً من أبويها ، وأشدَّ أسْراً من أبويها . [وقال الراجز : ولا بهونى من الأباعر]

---

(١) ط : « أتانا » وهو تصحيف عجيب ، أبدلته بما فى ل . والدنن ، محركة : انحناء فى الظهر ، ودنو وتطامن فى الصدر والعنق . وهو أدن ، وهى دناء .

(٢) ط : « تكليف » . (٣) ط : « الجواميز » .

(٤) ط : « اليهوتية » . ل : « اليهونية » وكلاهما تحريف ، وقد جاء فى القاموس « والبهونية من الإبل مابين الكرمانية والعربية ». وجاء فى المخصص ٧ : ١٣٥ واللسان « والبهنوى — بتقديم النون — من الإبل : مابين الكرمانية والعربية ، وهو دخيل فى العربية » .

(٥) فى القاموس والمخصص : « الصرصرانيات : بين البخاتى والعراب ؛ أو الفوالج » وفى الأصل : «وهى الصرصرانية » ، وإنما هما ضربان .

وبعد ؛ فإنّ هذه الشِّهريَّة الخراسانية ؛ يخرج لها أبدانٌ فوقَ أبدانِ أمّهاتِها وآبائها من الخيل والبراذين ؛ وتأخذ من عِتْق الخيل ، ومن وثاجة(١) البراذين ؛ وليس نِتاجها كنتاج البِرذَونِ خالصاً والفرس خالصا .

وما أشبهَ قرابةَ الحمارِ بالرَّمكة والحِجْرِ ؛ من قرابةِ الجمل الفالج ٦٤ البُخْتيِّ بقرابةِ القَلوص الأعرابيَّة .

(الحمر الوحشية)

ويقال إن الحمرَ الوحشيَّة ؛ وبخاصَّةٍ الأخدريَّة ؛ أطولُ الحمير أعماراً وإنما هى من نِتَاج الأخدَر ؛ فرس كانَ لأَرْدَشير بن بابَك صار وحشيًّا(٢) فحمَى عِدَّةَ عاناتٍ فضرب فيها ، فجاء أولادُه منها أعظمَ مِن سائر الحمر وأحسنَ ، وخرجَتْ أعمارُها عن أعمارِ الخيل وسائر الحُمُر — أعنى حمر الوحش — فإنَّ أعمارَها تزيد على الأهليَّة مِراراً عدَّة .

(عير أبى سيارة)

ولا يعرفون حماراً وحشيًّا عاشَ أكثر وعُمِّر أطول من عير أبى سيَّارَة عُمَيلة بن أعزل(٣) ؛ فإنهم لايشكُّون أنّه دَفَع عليه بأهلِ الموسم أربعين عاما ! ! قال الأصمعيُّ : لم يكن عيراً وإنما كان أتانا .

---

(١) ط : « وشاجة » وإنما هى « وثاجة » كما فى ل . والوثاجة : الاكتناز .

(٢) ط : « صار حمارا وحشيا » والصواب ما أبدلت من ل و س .

(٣) ط : « غميلة بن أعزل » وإنما هو « عميلة » بالعين كما فى ل والبيان ١ : ٣٠٧ وفيه قال عيسى بن حاضر : لو أراد أبو سيارة عميلة بن أعزل أن يدفع بالموسم =

(لهج ملوك فارس بالصيد)

وزعموا — وكذلك هو فى كتبهم — أنَّ ملوكَ فارسَ ؛ كانت لهجة بالصيد ؛ إلا أنَّ بهرام [جور] هو المشهورُ بذلك فى العوامّ .

وهم يزعمون أنّ فيروز بن قباذ[١] الملك الفارسىّ ؛ ألحَّ فى طلبِ حمار أخدرى ؛ وقد ذُكِر له ووُصف ؛ فطاوَله عند طلبه والتماسه ؛ وجدَّ فى ذلك فلجَّ به عند طلبه الاغترام ؛ وأخرجته الحفيظةُ إلى أن آلى ألَّا يأخذَه إلا أسراً ؛ ولا يطاردَه إلا فرداً ؛ فحمل فرَسه عليه[٢] ؛ فحطَّه فى خَبَار[٣] فجمع جَراميزه وهو على فرسه ووثَب ؛ فإذا هو على ظهره ؛ فقمَص به ، فضم فخذيه فحطّم بعض أضلاعه ؛ ثم أقبل به إلى معظم الناس ؛ وهم وقوف ينظرون إليه وهو راكبه .

قالوا : وكان الملك منهم إذا أخذ عَيراً أخدريًّا وغيرَ ذلك ؛ فإذا وجدَه فتيا[٤] وسَمَه باسمه[٥] وأرَّخ فى وسمِه يومَ صيده وخلَّى سبيله ؛ وكان كثيراً إذا ما صاده الملكُ الذى يقوم به بعدَه ؛ سار فيه مثلَه تلك السِّيرةَ وخلَّى سبيله ؛ فعرَف آخرُهم صنيعَ أوّلِهم ؛ وعرفوا مقدارَ مقاديرِ أعمارها .

= على فرس عربى أو جمل مهرى لفعل ، ولكنه ركب عيرا أربعين عاما ، لأنه كان يتأله اه . وقد أفاض الثعالبى فى ثمار القلوب فى الحديث عنه ص ٢٩٥ .

(١) ط : « فيروز بن قبار » وتصويبه من ل .

(٢) ط : « إلا فردا (اقتداراً لخيار الأرض الرخوة) فحمل عليه » بإقحام الجملة الموضوعة بين قوسين كبيرين ، وواضح أنها تعليق لأحد الكتاب ، حيث فسر الخبار بأنه الأرض الرخوة ، وصحفها آخر فجعلها « لخيار » .

(٣) ط : « خيار » وصوابه فى ل .

(٤) ط : « متينا » .

(٥) ط : « وسمه باسم » .

(الحكمة فى تخالف النزعات والميول)

ولولا أنَّ ناساً من كلِّ جيل ، وخصائصَ من كلِّ أمَّة ، يلهجون ويَكْلَفون بتعرُّف معانى آخرين لدرستْ ، ولعلَّ كثيراً من هؤلاء يُزْرى على أولئك ، ويعجِّب الناسَ من تفرُّغهم لما لايجدى ، وتركهم التشاغلَ بما يُجْدِى . فالذى حبَّب لهذا أن يرصُدَ عمر حِمار أو وَرَشانٍ أو حيَّة أو ضبٍّ ، هو الذى حبَّب إلى الآخَر أن يكون صيَّاداً للأفاعى والحيَّات ، يتتبَّعُها ويطلُبها فى كلِّ وادٍ وموضِع وجَبَلٍ للترياقات . وسخَّرَ هذا ليكون سائسَ الأُسْدِ والفُهود والنُّمُور والببور [1] ، وتركَ من تِلقاء نفسِه أن يكونَ راعىَ غنم ! !

والذى فرَّق هذه الأقسامَ ، وسخَّر هذه النفوسَ ، وصَرف هذه العقول
٦٥ لاستخراجِ هذه العلوم من مدافِنها ، وهذه المعانى من مخابِئها ، هو الذى سخَّر بَطْليمُوسَ مع مُلْكِه [2] ، وفلاناً وفلاناً للتفرُّغِ للأمور السماويَّة ، ولِرعايةِ النجوم واختلافِ مَسير الكواكب . وكلٌّ ميسَّرٌ لِما خُلِق له ، لتَتِمَّ النعمة [3] ولتكمُل المعرفة ، وإنما تأبَّى التيسير للمعاصى [4] .

فأمَّا الصناعاتُ فقد تقصُر الأسبابُ بعضَ الناس على أن يصير حائكا ، وتقصُر بعضَهم على أن يكون صَيْرَفيًّا ، فهى وإن قصَرتْه على الحِياكةِ ، فلم تقصُرْه على خُلْف المواعيد وعلى إبدال الغُزُول ؛ وعلى تشقيق العملِ دونَ الإحكام والصدق وأداءِ الأمانة ؛ ولم تقصر الصيرفىَّ على التطفيف [5] فى الوزنِ والتغليط

---

(١) فى الأصل : « البيور » وإنما هى « الببور » جمع ببر ، وللفريق المعلوف كلام جيد فى التعريف بهذا الحيوان ص ٢٤٨ من معجمه .

(٢) يرى الجاحظ - كما يرى بعض المؤرخين - أن بطليموس كان ملكا من ملوك البطالسة اليونانيين ، وللقفطى تحقيق دقيق فى هذا الوهم فى كتابه ص ٦٨ .

(٣) ط : « لتم النعمة » .

(٤) ل : « وإنما نأبى التيسير للعاصى » . والمعتزلة يربئون به تعالى عن نسبة الشر أصلا

(٥) ل : « التقطيف » .

فى الحساب ؛ وعلى دسِّ المموَّه ؛ تعالى الله عزَّ وجلَّ عن ذلك علواً كبيراً .

(خضوع النتاج المركب للطبيعة)

ولو كان أمرُ النِّتاج وما يحدث بالتراكيب ويخرج من التزاويج ؛ إلى تقدير الرأى وما هو أقربُ إلى الظنِّ ؛ لكانت الأظْلاف[1] تجرى مَجْرَى الحوافر والأخفاف . ألا ترى أنَّ قرابة الضأن من الماعز ؛ كقرابة البُخْت من العراب ؛ والخيل من الحمير ! !

وسبيل نتائج الظِّلْف على خلافِ ذلك ؛ لأنَّ التيسَ — على شدَّة غُلمته — لا يعرض للنعجة [إلاّ بالقليل الذى لا يُذكر . وكذلك ما يحدث بينهما من الولد كذلك : إمّا ألاّ يتمّ خَلقُه ، وإما ألاّ يعيش[2]] ؛ وكذلك الكبشُ والعنز فضلا عن أن يكون بينهما نتاج[3] لأنه قد يضرِب الجنسُ فى الجنس الذى لا يُلْقحه ؛ ولا يكون اللِّقاح إلا بعد ضراب .

وطَلَب التيسِ للنعجة قليل[4] وأقلُّ من القليل ؛ وكذلك الكبش للعنز ؛ وأقلُّ من ذلك أنْ تتلاقح[5] ولا يبقى ذلك الولد ألبتة[6] .

وقد تجاسَرَ ناسٌ على توليدِ أبوابٍ من هذا الشكل ؛ فادَّعوا أموراً ؛ ولم يحفِلوا بالتقريع والتكذيبِ عند مسألة البرهان ! !

(زعم فى الزرافة)

زعموا أنَّ الزرافة خلقٌ مركب من بين الناقة الوحشية وبين البقرة الوحشية

(١) ط : « الأخفاف » .
(٢) التكملة من الأمبروزيانا .
(٣) ط : « فيهما نتائج » .
(٤) ماعدا الأمبروزيانا : « ويطلب التيس للنعجة قليلا » .
(٥) فى معظم النسخ : « ألا تتلاقح » صوابه من الأمبروزيانا .
(٦) الكلام من « وطلب » الخ ساقط من ل . ما عدا الأمبروزيانا : « ولا يمنع ذلك » تحريف .

وبين الذِّيخ وهو ذكر الضباع ؛ وذلك أنهم لمَّا رأوا أنَّ اسمها[١] بالفارسية (أشتر كاو بلنك[٢]) ؛ وتأويل « أشتر » بعير ، وتأويل « كاو » بقرة ، وتأويل « بلنك »[٣] الضبع ؛ لأن الضباعَ عُرْج ؛ كذلك الذكر والأنثى يكون بهما خُمَاع ؛ كما عرض للذئب القزَل — وكلُّ ذئبٍ أقزَل — وكما أنَّ كلَّ غرابٍ يحجِل كما يحجِل المقيَّد من الناس ؛ وكما أنَّ العصفورَ لا يمشى ؛ ومشيُه أن يجمَع رجليه أبداً معاً فى كلِّ حركةٍ وسكون . وقولهم للزرافة أشتر كاو بلنك[٢] اسم فارسىٌّ ؛ والفُرس تسمِّى الأشـياءَ بالاشتقاقات ؛ كما تقول للنعامة : اشتر مرغ ؛ وكأنَّهم فى التقدير قالوا : هو طائر وجمل ؛ فلم نجد هذا الاسمَ أوجبَ أن تكون النعامةُ نِتاجَ ما بين الإبل والطير ؛ ولكن القوم لما ٦٦
شبهوها بشيئين متقارِبين ؛ سَمَّوها بذينك الشيئين . وهم يسمون الشىء المرَّ الحلو « تَرْش شِيرِين » وهو فى التفسير حلوٌ حامض . فجسَر القومُ فوضعوا لتفسير اسم الزرافة حديثاً[٤] ؛ وجعلوا الخلِقَة ضرْبا من التراكيب ؛ فقالوا : قد يعرض الذيخ فى تلك البلاد للناقة الوحشية فيسفدها ، فتلقَح بولدٍ يجىء خَلقُه ما بين خلْق الناقةِ والضبع ؛ فإن كان أنثى فقدْ يعرض[٥] لهـا الثور الوَحشى فيضربها ؛ فيصير الولد زرافة ؛ وإن كان ولدُ الناقة ذكراً عَرَض للمهاة فألقحها فتلد زرافة . فمنهم من حجر ألبتَّةَ أن تكون الزرافة الأنثى تلقَح من الزرافة الذكر ؛ وزعموا أنَّ كلَّ زرافةٍ فى الأرض ، فإنّمـا[٦] هى

---

(١) ط : « أسماءها » وهو تحريف ظاهر .
(٢) ط : « اشتركا ويلنك » .
(٣) ط : « يلنك » .
(٤) ط : « فوضعوا التفسير اسما للزرافة حديثا » .
(٥) ط : « فيعرض لها » .
(٦) ط : « إنما » .

من النِّتاج الذى ركَّبوا ؛ وزعموا أنَّ ذلك مشهورٌ فى بلاد الحبَشة ؛ وأَقاصى اليمن . وقال آخرون : ليس كلُّ خلقٍ مركَّب لا ينسِل ولا يبقَى نجلُه ولا يتلاقَح نسله ؛ على ما حكينا من شأن الوَرشان والرّاعبى [١] . وهؤلاء وما أشبههم يُفسدون العلم ، ويتَّهمون الكتب ، وتغرُّهم كثرةُ أتباعهم ممَّن تجدُه مستهتَراً بسماع الغريب ، ومُغرَماً بالطرائف والبدائع . ولو أُعطُوا معَ هذا الاستهتارِ [٢] نصيباً من التثبُّتِ ، وحظًّا من التوقى ؛ لسَلِمت الكتبُ من كثير من الفساد .

(النتاج المركب فى الطيور)

وأنا رأيتُ طائراً له صوتٌ غير حسن ؛ فقال لى صاحب الطيور : إنّه من نِتاج ما بين القُمْرىِّ [٣] والفاختة [٤] .

وقُنَّاص الطيرِ ، ومَن يأتى كلَّ أُوقة [٥] وغيضةٍ فى التماس الصيد ؛ يزعمون أنّ أجناساً من الطير الأوابد والقواطعِ ، تلتقى على المياه فتتسافد ؛ وأنَّهم لا يزالون يرون أشكالاً لم يروها قطُّ ؛ فيقدِّرون أنَّها من تلاقح تلك المختلفة .

---

(١) ط ، ل : « الوردانى والزاغبى » وهو تحريف صوابه ما كتبت كما فى ص ١٣٧ من هذا الجزء .

(٢) ط : « ولو أعطوا بدلا من هذا الاستهتار » .

(٣) ابن سيده : « القمرى : طائر صغير من الحمام » .

(٤) الدميرى : « الفاختة: واحدة الفواخت من ذوات الأطواق » . ابن سيده: « ضرب من الحمام المطوق ، واشتقاق الفاختة من الفخت وهو القمر أول ما يبدو للونها » .

(٥) ط : « أودية » وهو تحريف صوابه فى ل . والأوقة بالضم : محضن الطير على رءوس الجبال .

(زعم بعض الأعراب فى الحرباء)

وقال أَبو زيدٍ النحوىّ ، وذكر عمّن لقى من الأعراب أَنَّهم زعموا أَنَّ ذكرَ أمِّ حُبَين هو الحرباء . قال : وسمعت أَعرابيًّا من قيسٍ يقول لأمِّ حُبين حُبينة ، والحُبينة هو اسمها . قال : وقيسٌ تسمِّى ذكر العَظاءة العَضْرفوط .

وقال يحيى الأغرّ : سمعتُ أعرابيا يقول : لا خيرَ فى العَظاءة ، وإنْ كان ضبًّا مَكُونا . قال : فإذاً سامٌّ أبرَص ، والوَرَل ، والوَحَر ، والضَّبُّ والحَلَكاء ، كلُّها عندَه عَظاءة .

(ولد الثعلب من الهرّة الوحشية)

وزعم يحيى بن نُجَيم(١) أنَّ الثعلب يسفد الهرة الوحشية ، فيخرج بينهما ولدٌ . وأنشد قول حسان بنِ ثابت رضى ٱلله تعالى عنه :

أبوك أبوك وأنتَ ٱبنُه فبئس البُنَىُّ وَبئس الأبُ ٦٦
وأمُّكَ سَوْدَاءُ نُوبِيَّةٌ كأنَّ أناملها العنظب(٢)
يبيتُ أبوكَ بها مُغْدِفا(٣) كما ساورَ الهرَّةَ الثعلبُ

---

(١) ط و س : « عليم » .

(٢) العنظب : الذكر من الجراد . ويروى « الحنظب » كما فى الدميرى ٢ : ٣٩٦ والديوان ٦١ . والحنظب : الذكر من الجراد ، أو الخنفساء ، أو ضرب آخر من الخلق المركب . وفى الأصول « سوداء ما دونه » وتصحيحه من الدميرى والديوان .

(٣) ل : « مغدقا » وفى الدميرى : « سافدا » وصواب أولاهما بالفاء كما أثبت فتكون بذلك مساوية للثانية فى المعنى . وفى ط : « معرسا » كما فى الديوان ، أى سافدا .

وأنشد أبو عبيدة قولَ عبد الرحمن بن الحكَم :

ألا أبلغْ مُعاوية بنَ حربٍ مُغلغلَةً عن الرجُل اليمانى
أتغضَبُ أنْ يقال أبوك عَفٌّ وتَرضى أن يُقالَ أبوك زَانى
فأشهد أنّ رِحْمَكَ مِن قُرَيشٍ كَرِحْمِ الفيل مِنْ وَلَدِ الأَتَانِ[1]

قال كَيسان : ولأى شى قال :

كرحم الفيل من ولد الأَتان

إنما كان ينبغى أن يقول : كرِحْمِ الفِيل من الخنزير . قال أبو عبيدة : أَراد هو التبعيدَ بعينه ، وأَنت تُريد ما هو أَقرب .

(زعم بعض المفسرين والأخباريين فى حيوان سفينة نوح)

وزعم بعض المفسِّرين وأصحابِ الأخبار ، أنَّ أهلَ سفينةِ نوحٍ كانُوا تأذَّوا بالفأْر ، فعَطَس الأسدُ عَطْسةً فرمى من مِنْخَريه بزوجِ سنانير ؛ فلذلك السِّنَّوْرُ أشبهُ شيءٍ بالأسدِ . وسلَح الفيلُ زوجَ خنازير ؛ فلذلك الخنزيرُ أشبهُ شيءٍ بالفيل . قال كيسان : فينبغى أن يكون ذلك السِّنَّورُ آدَمَ السنانير ، وتلك السِّنَّورَة حَوَّاءَها . [قال أبو عبيدة لكيسان : أولم تعلمْ أنت أنّ لكل جنس من الحيوان آدم وحواء ؟ !] وضحك [فضحك] القوم .

---

(١) فى ط « فأشهد أن آلك » و « آلك » محرف « إلك » ، والرواية المشهورة : « من زياد » وأثبت ما فى ل ... والأبيات فى الحيوان ٧ : ٧٣ والخزانة ٢ : ٥١٨ بولاق منسوبة كذلك إلى عبد الرحمن بن الحكم أخى مروان بن الحكم . وهى فى الشعراء لابن قتيبة ٧٩ والموشح ٢٧٣ منسوبة إلى يزيد بن مفرغ . وفى الأغانى ١٢ : ٧١ « والناس ينسبونها إلى ابن مفرغ لكثرة هجائه لزياد . وذلك غلط » .

(شرح سعد القرقرة)

ولمَّا رأى أبو قُرْدُودةَ سعدَ القرقرة ، أكلَ عنــد النُّعمان مسلوخاً بعظامه قال :

بين النعامِ وبينَ الـكلبِ مَنْبِتُه   وفى الذئاب له ظئر وأخْوالُ(١)

يقول : إنَّ سعداً ضرب فى أعراقه نجر النعام (٢) الذى يلتهم الجمر ، ويلتقم الحجارة ، فيطفئ الجمرَ ويُميع الصخرَ(٣) ، وضرب فى أعراقه [نَجْرُ(٤)] الـكلبِ الذى يرضُّ كلَّ عظم ، ولا يقبِض عليه بكفِّه إلاّ هو واثق بفتِّه ، ولا يسيغه إلاّ وهو على ثقةٍ من استمرائه(٥) . فأمَّا الذئب فإنَّه لا يروم بفكَّيه شيئاً إلاّ ابتلعَه بغير معاناةٍ ، عظماً كان أو غيرَه ، مصـمتاً كان أو أجْوفَ . ولذلك قال الراجز(٦) :

أَطلَسُ يُخْفِى شخصَه غُبَارُه   فى فِـهِ شَـــفْرتُه ونارُه

فأبو قُردُودةَ لم يُرِدْ أنَّ الذئب والـكلبَ خالاه ، وأنَّ النعام نَجَـلَه ، وإنما قال ذلك على المثَل والتشبيه ، ولم يردْ أنَّ له ظئراً من الـكلاب ، وخالا من الذئاب . وشَبيهُ ذلك(٧) قول أَمير المؤمنين المأمون لبعض الناس : يا نُطَفَ ٦٨

(١) ط : « وفى الذئاب ظئيرات وأخوال » .
(٢) فى الأصول : « نجل » باللام ، وإنما هو « نجر » بالراء بمعنى الطبع .
(٣) ط : « يميغ » وإنما هى « يميع » بمعنى يسيل كما فى ل .
(٤) زيادة يفتقر إليها الـكلام .
(٥) فى ل زيادة بعد هذا الـكلام لم أر إثباتها فى الصلب لانبهامها وهى : « ما كان يمكنه أن يأكل فى مقعد ما أكل » .
(٦) البيتان فى البيان ١ : ١١٤ مضافا إليهما بيتان آخران هما :
هو الخبيث عينه فراره   بهم بنى محارب مزداره
وقد تـكلم كثير من العلماء فى هذا الشعر . انظر الأمالى (٣ : ١٢٩) والـكامل ٢٠٨ والعمدة (١ : ١٦٨) وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) .
(٧) فى الأصل : « وليس ذلك على » وهو تحريف .

الحمَّارين[١] ، ونزائع الظُّؤورة ، وأشباه الخُؤولة .

وعلى شبيهٍ بذلك قال سلم بن قُتَيبة[٢] لبعض من ذَكره ، وهو عند سليمان بن عليٍّ : أيُّها الأمير ، إنَّ آلَ فلانٍ أعلاجُ خلقِ الله وأوباشُه ، لئامٌ غُدُر ، شرَّابون بأَنْقُع[٣] ، ثمَّ هذا بعدُ فى نفْسه ، نُطفةَ خَمَّار فى رَحِم صَنَّاجة .

(زواج الأجناس المتباينة من الناس)

وقال لى أبو إسحاق : قال لى أبوالعباس — وأبو العباس هذا كانَ ختَنَ إبراهيمَ على أخته ، وكان رجلاً يَدِين بالنجوم ، ولا يقرُّ بشىءٍ من الحوادث إلاّ بما يجرى على الطباع . قال أبو إسحاق : وقال لى مرَّة : أتعرفُ موضِع الحُظْوةِ من خَلْوة النساء ؟ . قُلْتُ : لا واللهِ لاأعرفُه . قال : بل أعلمْ أن لايكونُ الحظُّ إلاّ فى نِتاج شِكلين متباينين ، فالتقاؤهما هو الإكسير المؤدِّى إلى الخلاص : وهو أن تُزاوِج بينَ هِنديَّةٍ وخُراسانىٍّ ، فإنها لا تلد إلاَّ الذهبَ الإبريز . ولكن احرُس ولدَها ؛ إن كان الولدُ أنثى فاحذَر عليها من شدَّة لِواطِ رِجال خُراسانَ وزناء نساءِ الهند ، واعلمْ أن شهوتَها للرجال على قدرِ حُظْوتِها عندَهم ، واعلمْ أنَّها ستساحق النساءَ على أعراقِ الخراسانيَّة ، وتَزْنى بالرجال على أعراق الهند ، واعلمْ أنّه ممّا يزيد فى زِناها ومساحَقتها معرفتُها بالحُظوة عند الزُّناة ، وبالحظِّ عند السحاقات[٤] .

---

(١) فى الأصول « الخمار » والوجه الجمع .

(٢) ط : « سلام بن قتيبة » وإنما هو « سلم » كما فى ل . وله أخبار فى الأغانى .

(٣) ط : « شرابون ما نقع ثم » والصواب ما فى ل . والكلام مثل . والنقع بالفتح الماء المستنقع ، جمعه أنقع ، فيقال فى المثل : إنه لشراب بأنقع . يضرب لمن جرب الأمور أو للداهى المنكر ، لأن الدليل إذا عرف الفلوات حذق سلوك الطرق إلى الأنقع .

(٤) ل : « عند النساء » .

(مما زعموا فى الخلق المركب)

وقالوا فى الخلق المركَّب ضُروباً[١] من الحقِّ والباطل ، ومن الصدق والكذب . فمن الباطِل زعْمُهم أنَّ الشَّبُّوط ولد الزَّجْر[٢] من البُنِّىّ ، وأنَّ الشَّبُّوط لا يُخْلَق من الشَّبُّوط ، وأنَّه كالبغلِ فى[٣] تركيبِه وإنسالِه . ورووا ذلك عن أبى واثِلة إياسِ بنِ معاوية [بن قرّة] .

وزعموا أنّ أمَّ جعفر بنت جعفر بن المنصور ، حصَرت[٤] فى حوضٍ لهـا ضخمٍ أو بركةٍ كبيرةٍ عددا كثيراً من الزجر والبُنِّىّ ، وأنَّها لم تخلِطْ بهما غيرَهما ، فمات أكثرُه وبقيتْ بقيـةٌ كانت الصميمَ فى القوَّة ، وفى احتمال تغيُّر المكان فلم تحمل البيضَ حِيناً ، ثمَّ إنّها[٥] حملت بالشبابيط .

(مطر الضفادع والشبابيط)

وزعم حُريثٌ أنّه كان بأيذَج[٦] ، فإذا سحابة [دهماء] طخياء[٧] تكاد تمسُّ الأرض ، وتكاد تمسُّ قِممَ رُءوسهم ، وأنَّهم سمعوا فيها كأصواتِ المجانيق[٨] ، وكَهدير الفحول فى الأشوال ؛ ثم إنَّها دفعَت بأشدِّ مطر رُئى أو سُمِع به ، حتى استسلَموا للغرق ؛ ثمَّ اندفعتْ بالضفادع العظام[٩] ، ثم

---

(١) الأمبروزيانا : « بضروب » .
(٢) ط : « الزخر » بالخاء وإنما هو الزجر كما فى ل . قال الفيروزبادى : سمك عظام .
(٣) ما عدا الأمبروزيانا : « وتركيبه » .
(٤) ط : « حضرت » .
(٥) ط : « فلم تحمل البيض حمائم إنما » وتصحيحه من ل .
(٦) فى القاموس « أيذج كأحمد بلدة من كور الأهواز ، وقرية بسمرقند » .
(٧) ط : « ضحياء » وصوابه ما فى ل . والطخياء : الشديدة السواد .
(٨) ل : « المجاش » وهى جمع مجش أو مجشة ، وهى الرحى .
(٩) انظر الاستدراكات .

اندفعت بالشبابيط السِّمان الخِدال[1] فطبخوا واشتَوَوا ، وملَّحوا وادَّخَروا .

(غرور أبى واثلة والخليل بن أحمد)

ورووا عن أبى واثلة أنَّه زعمَ أنَّ من الدليلِ على أنَّ الشَّبُّوط كالبغل ،
٦٩ أنَّ الناسَ لم يجدوا فى طولِ ما أكلوا الشبابيطَ فى جوفِها بَيْضاً قطٌّ . فإن كان هَذا الخبرُ عن هذا الرجُلِ المَذكُورِ بشدَّةِ العقل ، المنعوتِ بثُقُوب الفِراسة ودِقَّةِ الفطنة صحيحاً ، فما أعظَمَ المصيبةَ علينا فيــه ، وما أخلَقَ الخبرَ أن يكون صحيحاً ؛ وذلك أنِّى سمعتُ له كلاماً كثيراً من تصنيف الحيــوانِ وأقسامِ الأجناس ، يدلُّ على أنَّ الرجلَ حينَ أحسَنَ فى أشياء وَهِمَه العُجْبُ بنفسِه أنَّه لا يَروم شيئاً فيمتنعُ عليه ، وغرَّه مِن نفسِــه الذى غرَّ الخليلَ ابنَ أحمد ، حينَ أحسَنَ فى النحوِ والعَرُوض ، فظنَّ أنَّه يُحسِن الكلامَ وتأليفَ اللُّحون ، فكتبَ فيهما كتابَينِ لا يُشِير بهما ولا يدلُّ عليهما إلاَّ المِرَّةُ المحترقة ، ولا يؤدِّى إلى مثل ذلك إلاَّ خِذلانٌ من الله تعالى ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لا يُعجزه شىء .

(بيض الشبوط وتناسله)

والشَّبُّوط — حفظك الله تعالى — جِنسٌ كثيرُ الذكور قليلُ الإناث ، فلا يكون إناثه أيضاً يجمعْن البيض ، وإذا جمعنَ فلو جمعتَ بيضَ عشرٍ منهنَّ

---

(١) ط : « الخزال » والصواب « الخدال » كما فى ل . والخدال : جمع خدلة ، وهى الممتلئة الأعضاء لحما فى رقة عظام .

لمَـا كان كشَطْر بَيضٍ بُنِّيَّةٍ واحدة . وقد رأيتُ بَيْضَ[1] الشَّبُّوط وذقتُه للتعرُّف فوجدتُه غيرَ طائل ، ولا مُعجِبٍ . وكلُّ صيَّادٍ تسـألُه فهو يُنْبيك أنّ له بيضاً ، ولـكنَّه إذا كانَ يكونُ ضئيلاً قليلا ، لأنَّ الشبابيطَ فى أصلِ العدد من أقلِّ السمك ، وكذلك الجنس منه إذا كانت الأنثى منه مِذكارا .

(موطن الشبوط)

على أنَّه رُبَّ نهرٍ يكونُ أكثرُ سمَـكه الشَّبُّوط ، وذلك قليل ، كنهر رَامَهُرْمز . والشَّبُّوط لا يتربَّى فى البحـار ، ولا يسكن إلاّ فى الأوديةِ والأنهار ؛ ويكره الماءَ الملحَ ويطلبُ الأَعذبَ فالأَعذب ؛ ويكون فى المـاء الجارى ، ولا يكون فى الساكن . وسنذكر شأنَه فى موضعه من هـذا الـكتاب إن شاء الله تعالى .

(رد على ما زعموا فى الزرافة)

ولم يصب أبو واثلة ، وكذَبوا على أمِّ جعفر . فإذا[2] قالوا فى الزَّرافةِ ما قالوا[3] فلا تأمَنْهم على ماهو دُونَه . وإن كان مَن كذَب على الموتى واستشهد الغُيَّبَ أحذَق ، فصاحبُ الزرافة قد استعمل بعض هـذه الحيلة ، وصاحبُ الشَّبُّوط يكذِب على الأحياء ، ويستشهد الحضور . وإن كان الذى دعا إلى القول فى الزرافة أنهم جعلوا تركيب اسمه دليلا على تركيب

(١) فى الأصل : « فقد » والوجه ما أثبت . ماعدا ل « بعض » .

(٢) ل : « وإذ » .

(٣) انظر ص ١٤٢ .

الخلق . فالجاموس بالفارسية كاوماش ، وتأويله ضأنىّ بقرىّ ؛ لأنهم وجدوا فيه مشابهةَ الكبش وكثيراً من مشابهة الثور ، وليس أنّ الكِباشَ ضربت فى البقر فجاءت بالجواميس .

(رأى للفرس فى تقسيم الحيوان)

وزعم الفرسُ أنّ الحيوان كلَّه الذى يلد حيوانا مثلَه ممَّا يمشى على
٧٠ أربع قوائم ، لا تخلو أجناسها من المعز والضأن ، والجواميسُ عندهم ضأن
البقر ، والبُخْت عندهم ضأن الإبل ، والبَراذين عندهم ضأن الخيل .

(زعم فى الإبل)

والناس يقولون فى الإبل أقاويلَ عجيبةً : فمنهم مَن يزعمُ أن فيها عِرقاً من سِفاد الجنّ ، وذهبوا إلى الحديث : أنهم إنما كرهوا الصلاة فى أعطان الإبل لأنها خُلِقَتْ من أعنان الشياطين [1] فجعلوا المثلَ والمجاز على غير جهته . وقال ابن ميّادة :

فلما أتانى ما تقول مُحارِبٌ   تغنَّتْ شياطين وجُنَّ جُنونُها

(١) ط : « أعناق » وهو تحريف صوابه فى ل واللسان وابن الأثير . ذكر ابن منظور أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن الإبل فقال : « أعنان الشياطين لاتقبل إلا مولية ولا تدبر إلا مولية » . قال ابن منظور : فإنه أراد أنها على أخلاق الشياطين ، وحقيقة الأعنان النواحى . قال ابن الأثير : كأنه قال كأنها لكثرة آفاتها من نواحى الشيطان فى أخلاقها وطبائعها . وفى حديث آخر : « لاتصلوا فى أعطان الإبل لأنها خلقت من أعنان الشياطين » .

قال الأصمعى : المأثور من السيوف الذى يقال : إنّ الجنَّ عمِلته .

وهم يسمُّون الكِبر والخُنزُوانةَ والنَّعَرة التى تضاف إلى أنف المتكبِّر شيطانا ، قال عمر : حتى أنزِعَ شيطانَه ، كما قال : حتى أنزِع النَّعَرة التى فى أنفه[١] . ويسمُّون الحيَّةَ إذا كانت داهية منها شيطانا ، وهو قولهم : شيطان الحَماطة[٢] . قال الشاعر :

تعـــالج مَثْنَى حَضْرمىٍّ كأنه ... تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بذى خِروعٍ قَفْرِ[٣]

شبَّه الزِّمامَ بالحيَّة . وعلى مثل ذلك قال الشاعر :

شـناحية فيهـا شـناح كأنها ... حباب بكف الشأو من أسطع حشر[٤]

والحباب : الحية الذكر ، وكذلك الأيم[٥] . وقد نُهى عن الصلاةِ عند غيبوبة الشمس ، وعند طلوع القرص إلى أن يتتامّ ذلك . وفى الحديث : « إنّها تطلُع بين قرْنَى شيطان » .

(ضرورة حذق اللغة للعالم والمتكلم)

فللعرب أمثالٌ واشتقاقاتٌ وأبنية ، وموضعُ كلام يدُلُّ عندهم على

---

(١) ابن الأثير : النعرة بالتحريك : ذباب أزرق له إبرة يلسع بها ويتولع بالبعير ويدخل أنفه فيركب رأسه . سميت بذلك لنعيرها . ثم استعيرت للنخوة والكبر . وصاحب القاموس يضبط الكلمة إذا كانت بمعنى الكبر كهمزة وبالتحريك ، وإذا كانت بمعنى الذباب كهمزة فقط .

(٢) الحماطة : شجر شبيه بالتين أحب شجر إلى الحيات ، أو التين الجبلى أو الأسود الصغير أو الجميز . عن القاموس .

(٣) ط : « تعامج متنا » والصواب ماأثبت من ل ومن المخصص ولسان العرب (شطن) . ونسبه الجاحظ فى ٤ : ١٣٣ إلى طرفة .

(٤) الشناحية : الطويلة . وفى ل : « أسطع جسر » ولعل فى البيت تحريفا .

(٥) الأيم كـكيس والإيم بالـكسر : الحية الأبيض اللطيف ، أو عام ، جمعه أيوم . وانظر معجم المطوف ٢٦٩ .

معانيهم وإرادتهم ، ولتلك الألفاظ مواضعُ أُخَرُ ، ولها حينئذ دَلالات أخر ؛ فمن لم يعرفْها جَهِل تأْويلَ الكتابِ والسُّنّة ، والشاهدِ والمثلِ ؛ فإذا نظَر في الكلام وفى ضروب من العلم ، وليس هو من أَهلِ هذا الشأْن ، هلك وأهلك .

(الإبل الوحشية)

وزعم ناسٌ أنَّ من الإبل وحشيًّا وكذلك الخيل ، وقاسوا ذلك على الحمير والسَّنانير والحمام وغيرِ ذلك[١] ، فزعموا أنَّ تلك الإبلَ تسكنُ أرض وَبَارِ ؛ لأنَّها غيرُ مسكونة ، ولأنَّ الحيوانَ كلَّما اشتدَّت وحشيَّته كان للخَلاء أطلب . قالوا : وربَّما خرجَ الجملُ منها لبعضِ ما يعرِض ، فيضرب فى أدنى هَجْمةٍ من الإبل الأهلية . قالوا : فالْمَهْرِيَّةُ من ذلك النِّتاج .

وقال آخرون : هذه الإبلُ الوحشيَّة هى الحُوش ، وهى التى مِن بقايا إبل وَبَار ، فلمَّا أهلكهم الله تعالى كما أهلك الأمَم مثلَ عادٍ وثمودَ والعمالقة وطَسْمٍ

٧١ وجَدِيسَ وجاسم ، بقِيَتْ إبلُهم فى أماكنهم التى لا يَطُورها إنْسِيٌّ[٢] فإن سقَطَ إلى تلك الجِيزة بعض الخلعاء[٣] ، أَوْ بَعْضُ من أضلَّ الطريق حثَت[٤]

---

(١) ط : « وقاسوا ذلك على الحمير والسنانير وما سوى ذلك من الحمير والسنانير والحمام وغير ذلك » . وفى ل : « وقاسوا ذلك على الحمير ، والسنانير وغير ذلك » . وقد سردت القول كما ترى .

(٢) كذا فى ل . وطار المكان يطوره طوراً وطورانا : حام حوله . وفى ط : « لايطردها أحد » . قال فى القاموس : « وطردتهم : أتيتهم وجزتهم » فالعبارتان سليمتان .

(٣) ط : « الجزيرة » موضع « الجيزة » و « الخلفاء » موضع « الخلعاء » . وما فى ط : تصحيف . والجيزة : الناحية .

(٤) ط : « حثا » .

الجنُّ فى وجهِه ؛ فإنْ ألحَّ خبَلته ، فضَربَتْ هذه الحوش(١) فى العُمَانيّة ، فجاءَت هذه المَهْرِيَّة ؛ وهذه العسجديَّة التى تسمى الذهبيَّة .

وأنشدنى سعدان المكفُوف(٢) عن أبى العميثل قول الراجز(٣) :

ما ذمَّ إبْلِى عَجَمٌ ولا عَرَبْ   جُلودُها مِثلُ طَواويسِ الذَّهَبْ

وقال الآخر(٤) :

إذا اصطكَّتْ بضيق حَجْرَتاها   تَلاقَى العَسجديَّةُ واللَّطِيمُ

والعسجد من أسماء الذهب .

قالوا : وإنَّما سُمِّيتْ صاحبةُ يزيد بن الطَّثَرِيَّة حُوشِيَّةً على هذا المعنى(٥) .

وقال رؤبة :

جرت رحانا من بلاد الُحوش(٦)

---

(١) ط : « الوحوش » .

(٢) ط : « وأنشد ابن سعدان المكفوف » وكتبت مافى ل و س . . وسعدان هذا هو ابن المبارك أبو عثمان الضرير النحوى . له ترجمة فى البغية للسيوطى ٤ : ٢ وتاريخ بغداد ٤٧٨١ ، ونزهة الألباء ٢٠٦ ، وهم يذكرونه فى رواة العلم والأدب ويقولون : إنه روى عن أبى عبيدة . وأما ابن سعدان ، فهو أبو جعفر محمد بن سعدان الضرير النحوى ، كان من أكابر القراء وله كتاب مصنف فى النحو ، وتوفى سنة ٢٣١ ، وله ترجمة فى البغية ٤٥ ، وتاريخ بغداد ٢٨٤٦ ، والنزهة ٢١٢ . ورواية الجاحظ عن كل منهما محتملة .

(٣) ل : « عن أبى العميثل الراجز » ولم ينعته واحد ممن ترجموا له بهذا الوصف انظر فهرس ابن النديم ٤٨ ليبسك و ٧٢ مصر وابن خلكان ١ : ٢٦٢ ومعجم الزركلى ٢ : ٥٥٥ . وأبو العميثل هو عبد الله بن خليد الأعرابى الشاعر ، وتوفى سنة ٢٤٠ .

(٤) هو عاهان بن كعب بن عمرو بن سعد كما فى اللسان (لطم) قال : العسجدية إبل منسوبة إلى سوق يكون فيها العسجد ، وقال ابن برى : العسجدية التى تحمل الذهب . وقال : اللطيم جمع لطيمة وهى العير التى تحمل المسك .

(٥) فى الأصل : « على المعنى هذا » .

(٦) كذا فى س و ل وهو الصواب . والرحى : جماعة الإبل . وفى ط والعمدة ٢ : ٢٠٥ « رجالا » . ورواية اللسان :   إليك سارت من بلاد الحوش

(رد على ما زعموا من مطر الضفادع والشبابيط)

وأما الذى زعم أنَّهم مُطِروا الشَّبوط ، فإنه لما ظنّ أنَّ الضفادعَ التى تُصابُ بعَقِبِ المطر ؛ بحيثُ لا ماءٌ ولا وحلٌ ولا عينٌ ولا شريعة — فإنهم ربَّما رأَوها وسط الدَّوِّ والدَّهناء والصَّمَّان[1] — ولم يشُكَّ أنَّها كانت فى السحاب وعلم أنَّها تكون فى الأنهار ومنابع المياه ، وليس ذلك من الذكر والأنثى ؛ قاسَ على ذلك الظنِّ السمك ؛ ثم جسَرَ فجعلَ السمكَ شَبُّوطا . وتلك الضفادعُ إنما هى شيءٌ يُخلَق تلك الساعة ، من طباع الماء والهواء والزمانِ وتلك التُّرْبة ؛ على مقاديرَ ومقابلات ، وعلى ما أجرى الله تعالى عليه نشأة الخلق .

(امتناع التلاقح بين بعض الأجناس المتقاربة)

وقد تُعرف القرابةُ التى تكون فى رأى العين بين الشكلين من الحيوان فلا يكون بينهما تسافُدٌ ولا تلاقُح ؛ كالضأن والمعز ، وكالفأر والجُرْذان ، فليس بالعجَب فى البقر والجواميس أن تكون كذلك . وقد رأينا الخِلاسىَّ من الدجاج والدِّيَكة ؛ وهو الذى تخلَّقَ من بين المولَّدات والهِنديَّات ؛ وهى تحمل اللحم والشحم .

وزعم لى مسعود بن عثمان ، أنه أهدى إلى عمرو بن مَسْعَدة ؛ دجاجة ووُزِنَ فيها سبعة عشرَ رِطلا بعد طرح الأسقاط وإخراج الحشوة .

---

(١) ط : « اللور » موضع « الدو » ، « السنان » موضع « الصمان » والصواب ما كتبت من ل . والدو : الفلاة . والدهناء : الفلاة أيضا . والصمان : كل أرض صلبة ذات حجارة إلى جنب رمل .

(أثر زواج الأجناس المتباينة من الناس)

ورأينا الخِلاسيَّ من الناس ، وهو الذى يتخلَّق بين الحبشيِّ والبيضاء ، والعادةُ من هذا التركيب أنّه يخرج أعظمَ من أبوَيه وأقوى من أصلَيه ومُشْمِرَيه . ورأينا البَيْسَرِيَّ(١) من الناس ، وهو الذى يُخلَق من بين البيض والهند ؛ لا يخرج ذلك النِّتاجُ على مقدار ضخم الأبوين وقوّتهما ، ولكنه يجىءُ أَحسنَ وأملح . وهم يسمُّونَ(٢) الماءَ إذا خالطته الملوحة بيسراً(٣) قياساً على هذا ٧٢ التركيب الذى حكَينا عن البيض والهنديّات . ورأينا الخِلاسيَّ من الكلاب ؛ وهو الذى يُخْلَق بين السَّلُوقيِّ وكلب الراعى ؛ ولا يكون ذلك من الزِّئنى والقلطى(٤) ، ومن كلاب الدُّور والحرَّاس . وسنقول فى السِّمْع(٥) والعِسبار ؛ وفى غيرِهما من الخلْقِ المركَّب إن شاء الله تعالى .

(أطول الناس أعماراً)

وذكروا أنَّهم وجدوا أطولَ أعمار الناس فى ثلاثة مواضع : أوَّلُها سَرْوحمير ، ثم فَرغانة ، ثم اليمامة ، وإنّ فى الأعراب لأَعماراً أطول ، على أنَّ لهم فى ذلك كِذْباً كثيراً ، والهندُ تُربى(٦) عليهم فى هذا المعنى . هكذا يقول علماء العرب .

---

(١) البياسرة : جيل بالسند تستأجرهم النواخذة لمحاربة العدو ، والواحد بيسرى .

(٢) ط : « يسمونه » .

(٣) كذا فى ل ، ولعل صوابه « بيسريا » وفى ط : « يسرا » .

(٤) الزئنى : القصير القوائم ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى الحيوان ٢ : ١٧٩ . والقلطى : القصير جداً .

(٥) ط : « السملع » وهو تحريف مافى ل .

(٦) ط : « تزرى » .

(أثر النبيذ فى عمر الإنسان)

وكان عثمانُ ماش ويزال وجذعان[١] ، يذكرون أنّهم عدُّوا أربعينَ فتًى مِنْ فتيانِ قريش وثَقيف أعذارَ عامٍ واحد فأحصَوْا عشرينَ من قريش ، وعشرين من ثقيف ، وتوخَّوا المتجاوِرين فى المحلَّة والمتقارِبين فى الدُّور من الموفَّرين على النبيذ ، والمقصورين على التنادُم ، وأنّهم أحصَوا مثلَ ذلك العدد وأشباهَ أولئك فى السِّن ممَّن لا يذوق النبيذَ ولا يعرفُ شراباً إلا المَاءَ ، فذكَرُوا أَنَّهُمْ وجدُوا بعدَ مرورِ دهرٍ عامَّةَ من كان يشربُ النبيذَ حيًّا ، ومن لا يشربه قد مات عامَّتُهم ، وكانوا قد بلغوا فى السنِّ . أما عثمان ويزال[٢] فكانا من المعمَّرين ، وقد رأيتهما جميعاً ولم أسمع هذا منهما ، وسنأتى على هذا البابِ فى موضعه من ذكر المعمَّرين ، ونميِّز الصدقَ فيه من الكذب ، وما يجوز وما لا يجوز إن شاءَ الله تعالى .

(بعض ما يعرض للخصيان)

وما أَكثر ما يعرض للخصيان البولُ فى الفراش وغيرِ ذلك ، ولا سيَّما إذا بات أحدُهم ممتلئا من النبيذ .

ويعرض لهم أيضاً حبُّ الشراب والإفراط فى شهوته وشدَّة النَّهم .

ويعرض لهمْ أيضاً إيثار المُخْفِس[٣] وحبُّ الصِّرْفِ ، وذلك أيضاً

---

(١) ل : « وبذال وجدعان » .

(٢) ل : « وبذال » .

(٣) ط : « المحبس » وليس بشىء . وفى ل : « المخفش » وهما تحريف ما كتبت . والمخفس : الشراب السريع الإسكار .

ممّا يعرض للنساء ، والإفراط فى شهوتهنَّ وشدَّة الهمَّة لهُنَّ والغيرة عليهنَّ ، ويحتلمون ، ويَجنُبون ويغتسلون ، ويرون الماء غَير الرائق ولا الغليظ ، الذى له ريح طلع الفُحَّال[1] .

ويعرض للخصىِّ شدَّةُ الاستخفاف بمن لم يكن ذا سلطان عظيم أو مال كثيرٍ أو جاهٍ عريض ، حتَّى ربمَّا كان عند مولاه بعضُ من عسى أن يتقدَّم هؤلاء المذكورين الذين يكون الخصىُّ كلِفاً بهم وبتعظيمهم ، ومُغرَماً بخدمتهم ، فى الأدبِ والحسب ، وفى بُعْدِ الهمَّة وكرم الشِّيمة ، فيعمِد عندَ دخولِ ذلك الرجلِ الذى له السلطانُ والجاهُ والمالُ إلى متَّكإ ٧٣
هذا الأديبِ الكريم ، والحسيبِ الشريف ، فينزِعه من تحت مِرْفَقِهِ ، غيرَ محتفل بذلك ولا مكترثٍ لما فيه ، ويضعُه له من غير أَنْ يكونَ موضع المرافق بعيداً ، أوْ[2] كان ذلك ممَّا يفُوت بعضَ الفوت ، ويفعل ذلك وإن كان يعاشر هذا الأديب الكريم مولاه وهو على يقين أنه لا يرى ذلك الموسرَ وصاحبَ الجاهِ أبداً[3] .

(أقوال فى منع خصاء الخيل وإباحته)

وقد حرَّم بعضهم خِصاءَ الخيل خاصَّة ، وبعضُهُم زاد على ذلك حتَّى حَرَّم خِصاء البهائم . وقال بَعْضُهُمْ : إذا كان الخصاءُ إنَّما اجتلبه فاعلَه أَوْ تَكَلَّفهُ صاحبُهُ على جهة التماسِ المنفعَة ، أَو على طريقِ التجارة ،

(١) ط : « النخل » .
(٢) ط : « إذا » .
(٣) ط : « وهو على يقين أنه ليس من حكم الخصاء أن يرى . . . الخ » وهذبت القوله من ل .

فذلك جائز ، وسبيلُه سبيل المِيسَم ، فَإنّ المِيسم نار ، وألمه يجوزُ كلَّ ألم . وقد رأينا إبلَ الصدَقة موسُومة ، ووسَمت العربُ الخيلَ وجميعَ أصنافِ النَّعَم فى الإسلام ، على مِثل صنيعِها فى الجاهليَّة . وقد كانت القَصواءُ ناقة النبى صلى ٱلله عليه وسلم موسومة ، وكذلك العضْباءُ .

(أقوال فى وسم الحيوان)

وقال آخرون : الخِصاء غيرُ شبيه بالمِيسم ؛ لأنَّ فى الخصاء من شدَّة الألمِ ، ومن المُثْلة ، ومن قطْع النَّسْل ، ومن إدخال النقصِ على الأعضاء ، والنقصِ لموادِّ القوى ، ما ليسَ فى المِيسم وغيرِه ، وهو بقطع الأَلية أشبَه ، والسِّمَةُ إنَّمَا هى لَذْعة ، والخصاءُ مجاوِزٌ لكلِّ شديدة[١] .

قال القوم : ولا بأسَ بقطع الأَليةِ إذا مَنعت بِثِقلِهَا أو عِظَمِها الشاةَ من اللَّحاقِ بالقطيع وخِيف عليها من ٱلذئب . وقطعُ الألية فى جواز العقول[٢] أشبهُ من الميسم ؛ لأنَّ المِيسمَ ليس للبعير فيه حظٌّ ، وإنَّمَا الحظُّ فيه لربِّ المال ، وقطعُ الأليةِ من شكل الخِتان ، ومن شكل البَطِّ[٣] والفصْد ، ومن جنس الوَجُور والبيطرة ، ومن جنس اللَّدُود[٤] والحِجامة ، ومن جنس الكىِّ عند الحاجة ، وقطعِ الجارحة إذا خِيف عليها الأَكِلَة .

(١) ط : « شلة » .
(٢) ط : « القول » .
(٣) البط : الجرح . والمبطة : المبضع .
(٤) اللدود كصبور : مايصب بالمسعط من الدواء فى أحد شق الفم .

(وسم الابل)

قال الأوَّلون : بل(١) لعمرى إنَّ للإبل فى السِّمات لأعظمَ المنافع ؛ لأنَّها قد تشْرَب بِسماتها ولا تُذَاد عن الحوض إكراماً لأربابها ؛ وقد تضِلُّ فتُؤْوَى ؛ وتُصاب فى الهُوَاشات(٢) فترُدّ .

قالوا : فإنا لانسألكم إلّا عن سماتِ الخيل والبغالِ والحمير والغنم . وبعدُ فكيف نستجيز أنْ نَعمَّها بالإحراق بالنار ؛ لأمر عسى ألَّا يحتاج إليه من ألفِ بعيرٍ بعيرٌ واحد ؛ ثم عسى ألَّا يحتاج [من جميعَ] ذلك فى جميع عمره [إلّا] إلى شَرْبةٍ واحدة .

وقال القوم : إنَّمـا المياسم فى النَّعَم السائمة كالرُّقوم فى ثياب البزَّاز ؛ ومتى ارتفعت الرقومُ ومُنِعت المياسم ، اختلَطَت الأموال ، وإذا اختلطت ٧٤
أمكَنَ فيها الظلم ، والمظلومُ باذلٌ نفسَه دونَ المعيشة(٣) والهَضيمة .

وقالوا : ليس قطعُ الأليةِ كالمجثَّمة وكالشيء المصبور ، وقد نُهينا عن إحراق الهوامِّ ، وقيل لنا : لاتعذِّبوا بعذاب الله تعالى ، والميسمُ نار ، وقطعُ الأَلية من شكل قَطْعِ العروق ، وصاحبُ المجثَّمة يقدِر أن يرمِىَ — إن كان به تعلُّم الرماية — شيئاً لا يألم ولم يُنْهَ عن تعذيبه ، فَمـا(٤) يَردُّ الشىء المصبور من العذاب مَرَدًّا بوجه من الوجوه .

---

(١) ط : « قل » وهو تحريف مافى ل .
(٢) الهواشات بالضم : الجماعات من الناس والإبل .
(٣) كذا ولعلها « النكيثة» بمعنى الخطة الصعبة .
(٤) فى الأصل : « فيما » .

(القول فى نقص بعض أجزاء الحيوان أو نقضها أو إيلامها)

وقال آخرون : ليس لك أن تُحدِث فى جميع الحيوانِ حدَثاً من نقْضٍ أو نقص أو إيلام ، لأنك لاتملك النشأة [١] ، ولا يمكنك التعويضُ له ؛ فإذا أذِن لك مالك العين ، بل مخترعه ومنشئ ذاته والقادر على تعويضه ، وهو الله عزَّ وجلَّ ، حلَّ لك من ذلك ما كان لايحلّ . وليس لك فى حُجَّة العقل أن تصنعَ بها إلّا ما كان به مصلحةٌ ، كعلاج الدَّبَر [٢] وكالبيطرة .

وقال آخرون : لنا أن نصنعَ كلَّ ما كان يُصنَع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعدَه ، ممّا لم يكن مدفوعا [٣] عندَ بعضِهم ، إلّا أن يكون نَهْيُ ذلك البعضِ من جماعتهم [٤] ، فى طريق الخلافِ والردِّ والمفارقَة ولا يكونِ عندهم قولًا من الأقاويل ؛ فإنَّ ذلك فى سبيل العلاج بعد أن كان المتكلِّف يَعْرِفُ وجهَ الملام . والمذهب فى ذلكَ معروف [٥] ، وإن كان خارجا من ذلك الحدِّ ، فقد علمنا أنَّه أُبيح من طريق التعبُّد والمحنة ، كما جعل الله تعالى لنا ما أحلَّ ذبحَه من البهائم ، وكما جعَل لنا أن نقتُل القملَ والبراغيثَ والبعوض ، وإن لم يكن منها إلّا مقدارُ الأذى فقط . والقتل لايكون قصاصا من الأذى ، ولكن لمَّا أباح لنا خالقُ الشىء

---

(١) ل : « الشىء » .

(٢) ط : « كصلاح الدين » وهو تحريف عجيب صوابه فى ل .

(٣) ط : « مرفوعا » وتصحيحه من ل .

(٤) فى الأصل : « عن جماعتهم » .

(٥) ل : « يعرف وجه العلاج فالمذهب ... الخ » .

والقادرُ على تعويضه قتلَه ، كان قتلُه أسوغَ فى العقل مع الأذى ، مِنْ ذبح البهيمة مع السلامة من الأذى .

قال : وليس كل مؤذٍ ولا كل [ذى] أذى(١) حكم الله تعالى فيه بإباحة القتل ، والله عزَّ وجلَّ ، بمقادير الأمورِ وبحكم المختلِف والمتَّفِق ، والقليلِ من ذلك والكثير ، أحكَمُ وأعلم .

وقد أمرَ الله تعالى إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام ، بذبح إسحاق أو إسماعيل عليهما الصلاة والسلام ، فأطاع الوالدُ وطاوع الولد .

والجواب الماضى إنما هو(٢) قول من قال بالتعويض ، [و] هو قول النظَّام . وأكثرُ المتكلِّمين يعترِضون عليه فيه .

(منع خصاء الإنسان وإباحته)

ولا يزال – يرحُمك الله تعالى – بعضُ الملحِدين من المعاندين ، أو بَعْضُ
٧٥ الموحِّدين من الأغبياء المنقوصين ، قد طعَن فى مِلْكِ الخصىِّ وبيعِه
وابتياعه ، ويذكرون الخصىَّ(٣) الذى كان المقوقِس عظيمُ القِبط أهداه إلى
النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، مع ماريةَ القِبطيَّة أمِّ إبراهيم عليه السلام .

قالوا : فقد ملك عليه الصلاة والسلام خَصِيًّا بعد أن عرَفه وأحاط علمُهُ بأنَّه خصىٌّ ، وأنتم تزعمون أنَّ الخِصاءَ حرام ، وأنَّ من اشترى من الخاصى خَصِيًّا ثم زاد على قيمته وهو فحل ، فقد أعان على الخصاءِ وحثَّ عليه ، ورغَّب فيه ، وأنَّه من أفحش الظلم وأشدِّ القسوة ، وزعمتم أنَّ من فعَل ذلك

(١) ط : « وليس كل ضرر ولا كل أذى » .
(٢) ط : « على » موضع « إنما هو » .
(٣) ذكر فى كتاب البغال ٣٥٦ أنه أخو مارية القبطية .

فهو شريكُ الخاصى فى الإثم ، وأنَّ حالَه كحال المعروفين بالابتياع من اللصوص . وقلتم : وكذلك من شهد القِمار(١) وهِراشَ الكلاب ، ونِطاحَ الكِباش وقتالَ الديوك ، وأصحاب المجارحات(٢) وحرب الفئتين الضالَّتين . وقلتم : لأنَّ هذه المواضعَ لو لم تحضرها النَّظَّارةُ لما عمِلوا تلك الأعمال ، ولو فَعلوها ما بَلغوا مقدارَ الشَّطر ، لغلَبة الرياءِ والسُّمعة على قلوبِ الناس ، فكذلك الخاصى ، والمشترى ، والمبتاع من المشترى ، شركاءُ متعاوِنون ، وخُلَطاءُ مترادفون . وإذا كان المبتاع يَزيد فى السِّلْعة لهذه العلَّة ، والبائع يزيد فى السَّوْم لهذا السبب ، وقد أقررتم بأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قد قَبِل له من المقوقس ، كما قبلَ مارية ، واستخدمه ، وجرى عليه ملكُه وأمرُه ، فافهمْ ــ فهّمك الله تعالى ــ ما أنا مجيبٌ به فى هذه المسألة . والله الموفِّقُ ، وعلى الله قَصْدُ السبيل .

أقول : قبلَ كلِّ شيء لايخلو هذا الحديث الذى رويتموه من أنْ يكون مرضىَّ الإسناد ، صحيحَ المخرج ، أو يكونَ مسخوط الإسناد ، فاسدَ المخرج . فإن كان مسخوطاً ، فقد بطلت المسألة ، وإن كان مرضيًّا ، فقد علمنا أنّه ليس فى الحديث أنَّه قَبِله منه بعد أنْ علِم أنَّه خصىٌّ ، وعلى أنَّ قبولَ الهديّة خلافُ الابتياع ؛ لأنَّ بائعَ الخصىِّ إنَّما يحرُم عليه التماسُ الزيادة ، وكذلك المبتاعُ إنَّما يحرم عليه دفعُ الزيادة إذا كان لو سلم إليه بذلك الثمن فحلاً أجملَ منه وأشبَّ وأخدمَ منه لم يزِدْه ، والبائع أيضاً لا يَستام بالفحل سَومَه بالخصى . وقبول الهديَّة ، وقبول الهِبَة ، وسبيلُ البيع والابتياع

(١) ل : « السعايين » .
(٢) ط : « المخارجات » .

لا بأس به إذا كان على ما وصفنا ؛ وإنَّما هديَّة الخصيِّ كهديَّة الثوب والعِطر ، والدابَّةِ والفاكهة . ولأَنَّ الخصيَّ لايحرم مِلكُه ولا استخدامُه ، بل لايحلُّ طرده ونفيُه ، وعتقُه جائز ، وجوازُ العِتق يوجب الملك . ولو باعه المالك على غير طلبِ الزيادة ، أو لو تاب من الخِصاء أو استحلَّه مما أتى ٧٦
إليه ، لَمَا حرم على الخاصى نفسه استخدامه . والخصيُّ مالٌ وملك ، واستخدامه حسَنٌ جميل ؛ ولأَنَّ خِصاءه إيّاه لايَعتِقه عليه ، ولا يُزيل عنه ملكه إلا بمثل ما وَجَبِ به مِلكُه(١) .

وأخرى : أنَّ فى قَبول هديَّةِ ذلك الملِكِ ، وتلقِّى كرامتِه بالإكرام تدبيراً وحكمة . فقد بطلت المسْألة ، والحمدُ لله كما هو أهله .

وقد رووا مع ذلك أيضا : أنَّ زِنباعاً الُجذَامىّ ، خصَى عبداً له ، وأنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أعتقَه عليه فيما بلغنا. والله أعلم .

وربَّما سألوا عن الشيء وليس القولُ فيــه يقَع فى نسق القول فى الخصىّ ، وفى الخلْق المركَّب ، ولكنْ إذ قد أجبْنا فى مسألةٍ كلاميَّة من مسائل الطعْن فى النبوَّة ، فلا بأسَ أن نُضيف إليها أخرى ، ولا سيَّما إذا لم تَطُلْ فتزَيدَ فى طُولِ الكتاب .

وقد لايزال الطاعنُ يقول : قد علمْنا أنَّ العربَ لم يَسِمُوا حروب أيّام الفِجار بالفجور(٢) وقريش خاصّة ، إلّا أنّ القتال فى البلدِ الحرام ، فى الشهر الحرام كان عندهم فجورا ، وتلكحروبٌ قد شهدها النبىُّ صلى الله عليه وسلم

(١) ل : « إلا مثل مايوجب له به ملكه » .
(٢) ط : « بالعجور » .

وعلى آله ، وهو ابن أربعَ عشرةَ سنةً ، وابن أربعَ عشرة سنة يكونُ بالغا ، وقال : « شَهِدْتُ الفِجارَ فكنْتُ أنبُلُ على عمومتى » .

وجوابنا فى ذلك : أنَّ بنى عامر بن صعصعة ، طالبوا أهلَ الحرَم من قريشٍ وكِنانة ، بجريرة البرَّاض بن قيس ، فى قتله عروة الرحَّال ، وقد علموا أنَّهم يُطالِبون مَنْ لم يجنِ ومن لم يعاونْ ، وأنَّ البرَّاض بنَ قيس كان قبلَ ذلك خليعاً مطرودا ، فأتوَهم إلى حَرَمهم يُلزِمونَهم ذنبَ غيرهم ، فدافعوا عن أنفسِهم ، وعن أموالهم ، وعن ذراريهم ، والفاجر لايكون المسْعِيَّ عليه ، ولذلك أشهدَ الله تبارك وتعالى نبيَّه عليه الصلاة والسلام ذلك الموقف ، وبه نُصروا كما نُصِرت العربُ على فارسَ يومَ ذى قارٍ ، به عليه الصلاة والسلام وبمخرجه . وهذان جوابان واضحان قريبان ، والله الموفِّق للصواب ، وإليه المرجع والمآب .

(محاسن الخصى ومساويه)

ثم رجَعَ بنا القولُ إلى ذكرِ محاسِنِ الَخصيّ ومساويه[١] .

الخصيُّ يَنْكِحُ ويتّخذ الجوراىَ ويشتدُّ شغفه بالنساء ، وشغفُهنَّ به ، وهو وإن كان مجبوبَ العضو فإنّه قد بقى له ما عسى أن يكون فيه من ذلك ما هو أعجبُ إليهنّ . وقد يحتلم ويَخرجُ منه عند الوطء ماءٌ ، ولكنَّه قليلٌ ، متغيِّر الريح ، رقيقٌ ضعيف . وهو يباشِرُ بمشقّة ، ثم لايمنعه من المعاوَدة الماءُ الذى يخرج منه إذْ كان قليل المقدار[٢] لايخرجه من القوّة إلى الضعف ، ٧٧

(١) انظر المحاسن والمساوى للبيهقى ٢ : ٢٠٧ - ٢١٣ .
(٢) فى الأصول : « إذا كان قليل المقدار » .

مثل الذى يعترى من يخرج منه شيء يكون من إنسان، وهو أخثرُ ، وأكثر، وأحدُّ ريحا ، وأصحُّ جوهراً .

والخصىُّ يجتمع فيه أُمنيَّةُ المرأة، وذلك أنّها تبغض كلَّ سريعِ الإراقة، بطيءِ الإفاقة ، كما تكره كلَّ ثقيلِ الصدر ، وخفيف العَجُز ، والخصىُّ هو السريع الإفاقة ، البطيء الإراقة، المأمونُ الإلقاح، فتقيمُ المرأةُ معَه،وهى آمِنة العار الأكبر ، فهذا أشدُّ لتوفير لذَّتها وشهوتها . وإذا ابتذلن الخِصيان ، وحَقَرن العبيد ، وذهبت الهيبةُ من قلوبهنّ ، وتعظيمُ البعول، والتصنُّع لذوى الأقدار باجتلاب الحياء وتكلُّفِ الخجل ، ظهَر كلُّ شيءٍ فى قوى طبائِعهنّ وشَهوَاتهنّ ، فأمكنَهَا النَّخير(١) والصِّياح ، وأن تكون مَرَّةً من فوقُ ، ومرَّةً من أسفل ، وسمحت النفسُ بمكنونِها ، وأظهرَت أقصى ما عِندها .

وقد تجد فى النساء مَنْ تؤْثِر النساءَ ، وتجدُ فيهنَّ من تُؤثِر الرجال ، وتجد فيهنَّ مَنْ تؤْثرُ الخِصيان ، وتجد فيهنَّ من تجمَعُ ولا تفرِّق ، وتعمُّ ولا تخصُّ ، وكذلك شأنُ الرجال فى الرجال ، وفى النساء والخصيان . فالمرأة تنازِع إلى الخصىِّ لأنَّ أمرَه أسترُ وعاقبتَه أسلم ، وتحرِص عليه لأنَّه ممنوعٌ منها ، ولأنَّ ذلك حرام عليها ، فلها جاذبان : جاذبُ حرصٍ كما يُحْرَص على الممنوع ،وجاذبُ أَمْنٍ كما يُرغَب فى السلامة . وقال الأصمَّعى : قال يونس ابن عُبَيد(٢) : لو أُخِذْنا بالْجزَعِ لصبَرنا(٣) . قال الشاعر :

---

(١) ط : « الشخير » .

(٢) يونس بن عبيد من أصحاب ابن سيرين ، وكان بينهما مداعبة . روى فى عيون الأخبار ٣ : ٤١ أن يونس بن عبيد قال : أتيت ابن سيرين فدعوت الجارية فسمعته يقول : قولوا له إنى نائم – يريد سأنام – فقلت : معى خبيص . فقال : مكانك حتى أخرج إليك ! .

(٣) انظر البيان ٣ : ١٣١ وعيون الأخبار ٢ : ٢ .

وزادها كَلَفاً بالحبِّ أَنْ منعَتْ   وحَبُّ شيءٍ إلى الإنسان مامُنِعا (١)

والحرصُ على الممنوعِ بابٌ لايَقْدِر على الاحتجاز منه ، والاحتراسِ من خُدَعه ، إلّا كلٌّ مبرِّز في الفطنة ومتمهِّل [في] العزيمة ، طويلِ التجارب ، فاضِل العقل على قُوَى الشهوات . وبئس الشيءُ القرينُ السوء . وقالوا : صاحب السُّوءِ قِطعةٌ من النار .

وبابٌ من هذا الشكل ، فَبِكم أعظُم حاجةٍ إلى أن تعرفوه وتقِفُوا عندَه ، وهو مايصنع (٢) الخبَرُ السابق إلى السمع ، ولا سيّما إذا صادفَ من السامع قلّةَ تجرِبة ، فإنْ قرَن بين قلّة التجربةِ وقلّةِ التحفُّظِ ، دخل ذلك الخبر السابقُ إلى مستقرِّه دُخولًا سهلًا ، وصادفَ موضعاً وطيئا ، وطبيعة قابلة ، ونفسا ساكنة ؛ ومتى صادفَ القلبَ كذلك ، رسَخَ رسوخاً لاحيلة في إزالته . ومتى أُلقِيَ إلى الفِتيان شيءٌ من أمور الفَتيات ، في وقت الغَرَارةِ ، وعند غلَبةِ الطبيعة ، وشبَابِ الشهوَةِ ، وقلَّة التشاغُل ؛ وكذلك ٧٨
متى أُلقِيَ إلى الفِتيان شيءٌ من أمورهنَّ وأُمُورِ الغِلْمان ، وهناك سُكْر الشَّباب ، فكذلك تكون حالهم . وإنَّ الشُّطّار لَيخلُو أحدُهم بالغلام الغَرير فيقول له : لايكون الغلامُ فتًى أبداً حتّى يصادِقَ فتًى [وإلّا فهو تِكش ، والتكش عندهم الذى لم يؤدّبه فتًى ولم يخرِّجه] ، فما الماءُ العذْبُ البارد ، بأسرعَ في طباع العطشان ، من كلمته ، إذا كان للغُلام أدنى هوًى في

(١) ط : « أحب » . ومشهور الرواية وما في ل هو ماأثبت . وفي عيون الأخبار ٢ : ٣ : « وزاده » موضع « وزادها » وصواب الرواية « وزادني » ؛ فإن البيت للأحوص كما في الأغاني ١١ : ٢٢ . وقبله :

كم من دنى لها قد صرت أتبعه   ولو صحا القلب عنها كان لى تبعا

(٢) ط : « يضع » .

الفتوّة[١] ، وأدنَى داعيةٍ إلى المنالة[٢] . وكذلك إذا خلَت العجوز المدربة[٣] بالجارية الحَدَثة [كيف تخلبها . وأنشدنا :

فأتتْها طَبَّةٌ عالمةٌ ... تخلط الجِدَّ بأصناف اللعبْ

ترفعُ الصوتَ إذا لانت لها ... وتَنَاهى عند سَورات الغَضَب]

وقال الشاعر[٤] فيما يشبهُ وقوعَ الْخَبَرِ السابق إلى القلب :

نقِّلْ فؤادَك حيثُ شِئْتَ مِن الهوى ... ما الحبُّ إلاَّ للحبيبِ الأوَّلِ

كم منزلٍ في الأرضِ يألَفُه الفتَى ... وحنينُه أبدا لأوَّلِ مَنْزِلِ

وقال مجنون بني عامر :

أتاني هَواهَا قَبْلَ أنْ أعرِفَ الهوَى ... فصادفَ قلباً خالياً فتمكَّنَا

(أثر التكرار في خلق الإنسان)

وبابٌ آخر ممَّا يدعو إلى الفساد ، وهو طولُ وقوعِ البصرِ على الإنسان الذي في طبعه أدنى قابلٍ ، وأدنى حركةٍ عند مثله . وطولُ التداني ، وكثرةُ الرؤيةِ هما أصلُ البلاء ، كما قيل لابنة الُخسّ : لم زَنيتِ بعبْدِك ولم تزني بحرٍّ[٥] ، وما أغْرَاك به ؟ قالت : طُولُ السِّوَاد ، وقُرْبُ الوِساد .

ولو أنَّ أقبحَ الناسِ وجهاً ، وأنتنَهم ريحاً ، وأظهرَهم فقراً ، وأسقطَهم

(١) ط : « الفتنة » .

(٢) ط : « الشطارة » .

(٣) ط : « المذربة » .

(٤) هو أبو تمام كما في الأغاني ١٧ : ١٤٦ . والبيتان في ديوانه ٤٥٧ .

(٥) في الأصل « ولم تزن بحر » والوجه ما كتبته . . وابنة الخس هي هند . ولها أخبار كثيرة في البيان .

نفساً ، وأوضعَهم حسَباً ، قال لامرأةٍ قد تمكَّنَ من كلامِها ، ومكَّنته من سَمْعِها : وٱللهِ يامولاتى وسيِّدتى ، لقد أسهَرْتِ ليلى ، وأرَّقْتِ عَينى ، وشغلْتِنِى عن مُهِمِّ أمرى ، فما أعقِلُ أهلاً ، ولا مالاً ، ولا ولداً ؛ لنَقَض طِباعَها ، ولفسَخ عَقْدَها ، ولو كانتْ أبرعَ الخلْقِ جمالاً ، وأكملَهم كمالاً ، وأملحهم مِلحا . فإنْ تهيَّأَ مع ذلك مِن هذا المتعشِّق ، أَنْ تدمَع عينهُ ، احتاجت هــذه المرأة أن يكون معها وَرَعُ أمِّ ٱلدرداء ، ومُعاذة العدويّة ، ورابعةَ القيسيَّة ، والشجَّاء[1] الخارجيَّة .

(زهد الناس فيما يملكونه ورغبتهم فيما ليس يملكونه)

وإنَّمَا قال عمر بن الخطَّاب رضى ٱلله تعالى عنــهُ : « اضربُوهنَّ بالعُرْى » لأَنَّ الثيابَ هى المدعاةُ إلى الخُروج فى الأَعراس ، والقيامِ فى المَناحات ، والظهورِ فى الأَعياد ، ومتَى كثر خروجُها لم يعدَمها أن ترى من هو من شكل طبعها . ولو كان بعلُها أتمَّ حسنا ، وٱلذى رأتْ أنقصَ حسنا ، لكان مالا تملكه ، أطرفَ ممَّــا تملكُه ، ولكان مالم تنلْه ، ولم تَستكثر منهُ ، أشدَّ لها اشتغالا وأشد لها اجتذابا . ولذلك قال الشاعر :

٧٩ ولِلعين مَلْهًى بالتِّلادِ ولم يقُدْ هوى النفسِ شيءٌ كاقتيادِ الطرائِفِ[2]

وقال سعيد بن مسلم : لأَنْ[3] يرى حرمتى ألفُ رجل على حالٍ تكشَف

(١) ل : « الشبجاء » وصوابه « الشجاء » كما فى ط . ولها حديث مع زياد فى الأمالى ٣ : ١٧٤ .

(٢) ط : « ولم يقد » بدل « لم يقد » و « كافضياد » موضع « كاقتياد » .

(٣) ط : « لئن » .

منها وهى لا تراهم ، أحبُّ إلىّ من أن ترى حُرْمتِى رجلاً واحداً غيرَ منكشف .

وقال الأوّل : لا يضرُّك حُسْنُ من لم تعرف ؛ لأنّك إذا أتبعتها بصَرك ، وقد نقضت طبعك ، فعلمْتَ أنّك لا تصل إليها بنفسك ولا بكتابك ولا برسولك ، كان الذى رأيت منها كالحلم ، وكما يتصور للمتمنِّى ، فإذا انقضى ما هو فيه مِنَ المنى [1] ، ورجعت نفسُه إلى مكانها الأوّل ، لم يكن عليه من [فقدها إلاّ مثلُ] فقد ما رآه فى النوم ، أو مثَّلته له الأمانىّ [2] .

(عقيل بن علفة وبناته)

وقيل لعَقِيل بن عُلَّفة [3] : لو زوَّجْتَ بناتِك ! فإنَّ النساءَ لحمٌ على وَضَمٍ إذا لم يكنَّ غانيات ! ! قال : كلا ، إنِّى أُجِيعُهنَّ فلا يأشَرْنَ ، وأُعْرِيهنَّ فلا يظهرْن [4] ! ! فوافقت إحدى كلمتيه قولَ النبى صلى ٱلله عليه وسلَّم [ووافقت الأخرى قول عمر بن الخطاب ؛ لأن النبى صلى ٱلله عليه وسلّم قال] : « الصَّوْمُ وِجَاء » . وقال عمر : استعينُوا عليهنّ بالعُرْى . وقد جاء [فى الحديث : « وفِّروا أشعارهن فإنَّ] ترك الشعر مَجْفَرة [5] .

---

(١) ط : « . . . كالحلسة إذ كان ذلك يقضى مافيه من المنى » وهو تحريف .

(٢) ط : « الأمانى مؤنسة » .

(٣) ط : « علقمة » وهى على الصواب فى ل . ولعقيل أخبار طريفة فى الأغانى ١١ : ٨١ - ٨٩ .

(٤) ط : « يأثرن » موضع « يأشرن » و « يظهرهن » بدل « يظهرن » وما فيها تحريف .

(٥) مجفرة : قال أبو عبيد : يعنى مقطعة للنكاح ونقصا للماء . وانظر اللسان (جفر)

وقد أتينا على هذا الباب في الموضع الذى ذكرنا فيه شأن الغَيرة ، وأوَّلَ الفسادِ ، وكيف ينبُت ، وكيف يُحصَد .

(بعض ميول الخصيان)

وقد رأيتُ غيرَ خَصيٍّ يتلوَّط ، ويطلب الغلمان [في المواضع ، ويخلو بهم ويأخذهم] على جِهة الصداقة ، ويحمل في ذلك الحديد ، ويقاتل دون السخول(١) ، ويتمشى مع الشطَّار .

وقد كانَ في قطيعةِ الربيعِ خصيٌّ أثيرٌ عندَ مولاه ، عظيم المنزلة عنده ؛ وكان يثِق به في مِلْكِ يمينِه ، وفي حُرَمه من بنتٍ وزوجَةٍ وأختٍ ، لا يخصُّ شيئاً دونَ شيء ، فأشرَفَ ذاتَ يومٍ على مِرْبَدٍ له ، وفي المربد غنمٌ صفايا ، وقد شدَّ يدَى شاةٍ وركبها من مؤخَّرها يكُومُها ، فلمَّا أبصره بَرِقَ وبَعِل(٢) وسُقِطَ في يديه ، وهجم عليه أمرٌ لو يكون رآه من خصيٍّ لعدوٍّ لَهُ(٣) لَمَا فارقَ ذلك الهولُ أبداً قلبَه ، فكيف وإنَّما عاينَ الذى عاين فيمَن كان يخلُفُه في نسائه مِن حُرَمه ومِلْكِ يمينه . فبينا الرجلُ وهو واجم [حزين(٤)] ، وهو ينظر(٥) إليه [وقد تحرَّق عليه غيظاً] إذْ رَفَع الخصيُّ رأسَه ، فلمَّا أثبَتَ مولاهُ مَرَّ مُسرِعا نحوَ باب الدار ليركَبَ رأسَه ، وكان المولى أقربَ إلى الباب منه ، فسبقه إليه ، وكان الموضعُ الذى رآه منه

---

(١) ط : «السجون» .

(٢) كذا في ل . وفي ط « بعد » ولا وجه له . . وأما (بعل) فهى بمعنى دهش وفرقه فلم يدر مايصنع .

(٣) ط : « لعدوه » .

(٤) موضع هذه الكلمة في ط : « قد برق » .

(٥) ط : « ينتظر » وهو تحريف .

موضعاً لا يُصعَد [إليه]، فحدَثَ لشقائِهِ أمرٌ لم يجد مولاه [معه](١) بُدًّا من صُعودِه ، فلبثَ الخصىُّ ساعةً ينتفِض من حُمَّى كِبتْه ثم فاظ ، ولم يُمسِ إلاَّ وهو فى القبر .

ولفرْط إرادتِهم النساء ، وبالحسرة التى نالتهم ، وبالأسف الذى دخلَهم ، أبغَضُوا الفحولَ بأشدَّ مِنْ تباغُضِ الأعداءِ فيما بينهم ، حتَّى ليس بين الحاسدِ الباغى وبينَ أصحابِ النِّعَم المتظاهرة ، ولا بين المَاشى المعنَّى وبينَ ٨٠
راكب الهِمْلاجِ الفارِه ، ولا بين ملوكٍ صاروا سُوقةً ، وبينَ سُوقةٍ صاروا ملوكا ، ولا بينَ بنى الأعمام مع وقوع التنافسِ، أو وقوعِ الحربِ، ولا بين الجِيرانِ والمتشاكلين فى الصناعات ، من الشنف والبغضاء ، بقدرِ ما يلتحف عليه الخصيانُ للفحول(٢) .

وبُغضُ الخصىِّ للفَحل من شكل بُغض الحاسِدِ لذى النعمة ، وليس مِنْ شكل ما يولِّده التنافسُ وتُلحِقُه الجنايات .

(نسك طوائف من الناس)

ولرجالِ كلِّ فَنٍّ وضربٍ من الناس ، ضربٌ من النسك ، إذْ لابدَّ لأحدِهم من النزوع ، ومن تركِ طريقته الأولى : فنسك الخصىِّ غزْو الروم ، لِمَا أَنْ كانوا هم الذين خَصَوهم ، ولُزُومُ أَذَنة والرِّباطُ بطَرَسُوسَ وأَشباهِها . فظنَّ عند ذلك أهلُ الفِراسة أَنَّ سببَ ذلك إنّما كان لأنَّ الرُّومَ لِما كانوا هم الذين خَصَوهم ، كانوا مغتاظين عليهم(٣) ، وكانت

---

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٢) ط : « المتشاكسين » موضع « والمتشاكلين » و « التنفير » موضع « الشنف » و « يلتحق » موضع « يلتحف » وما فيها محرف .

(٣) ط : « متغايظين عليهم » .

متطلِّبةً إلى التشفِّى منهم ، فأخرج لهم حبُّ التشفِّى شدَّةَ الاعتزام على قتلهم ، وعلى الإنفاقِ فى كلِّ شىء يَبلُغ منهم . ونُسكُ الخراسانىِّ أن يُحجَّ : ونسكُ البنوى[١] أن يَدَع الديوان . ونسكُ المغنِّى : أن يُكثر التسبيحَ وهو يشربُ النبيذ ، والصلاةَ على النبى صلى الله عليه وسلم ، والصلاة فى جماعة . ونسك الرافضىِّ : إظهارُ تَرْك النبيذ . ونسك السَّوادىِّ تَرْكُ شرب المطبوخ فقط . ونسكُ اليهودىِّ : إقامة السبت . ونسك المتكلِّم : التسرُّع إلى إكفارِ أهل المعاصى ، وأنْ يرمَى الناسَ بالجبْر ، أو بالتعطيلِ ، أو بالزندقة ، يريد أن يوهم أموراً :

منها أنَّ ذلك ليس إلاّ من تعظيمه للدِّين ، والإغراق فيه ، ومنها أن يقال : لو كان نَطِفا ، أو مرتابا ، أو مجتنحا على بليَّة[٢] ، لما رمى الناسَ ، ولرضى منهم بالسلامة ، وما كان ليرميَهم إلاّ للعزِّ الذى فى قلبه ، ولو كان هناك من ذُلِّ الرِّيبة شىء لقطَعَه ذلك [عن][٣] التعرُّض لهم ، أو التنبيه على ما عسى إنْ حرَّكهم له أنْ يتحرَّكوا . ولم نجدْ فى المتكلِّمين أنْطفَ ولا أكثرَ عيوبا ، ممَّن يرمى خصومَه بالكفر .

(أبو عبد الله الجماز وجارية آل جعفر)

وكان أبو عبد الله الجمَّاز ، وهو محمد بن عمرو[٤] ، يتعشَّق جاريةً

---

(١) فى القاموس : « الأبناء قوم من العجم سكنوا اليمن والنسبة أبناوى وبنوى محركة ». وفى رسائل الجاحظ ١٥ ساسى مايفيد أنهم من خراسان . . وهى فى ط : « الجندى » تحريف . وانظر حواشى البيان ٣ : ١١٤ وفيها تفصيل .

(٢) « النطف » : الرجل المريب . . وفى ل : « محتجنا » بدل « مجتنحا » .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) من أهل البصرة شاعر أديب ، كان ماجنا خبيث اللسان ، دخل بغداد أيام الرشيد =

لآلِ جعفر يقال لها طُغْيان ، وكان لهم خصِيٌّ يحفظُها إذا أرادتْ بيوتَ المغنِّين ،
وكان الخصىُّ أشدَّ عشقاً لها من الجمَّاز ، وكان قد حال بينَه وبينَ كلامِها ، ٨١
والدنوِّ منها ، فقال الجماز [وكان اسم الخادم سنانا] :

ما للمَقيتِ سِـنانٍ وللظِّبـاءِ المِـلاح
لَبئْسَ زانٍ خَصِيٌّ غازٍ بغيرِ سلاح[1]

وقال أيضاً فيه وفيها :

نَفْسِى الفداءُ لظبيٍ يحبُّنى وأُحبُّـهْ
من أجلِ ذاكَ سِـنانٌ إذا رآنى يَسُبُّـهْ
هَبْـهُ أجابَ سِـناناً يَنيكهُ أين زُبُّه

وقال أيضاً فيهما :

ظبىٌ سـنانُ شريكى فيـه فبئسَ الشريكُ
فلا يَنِيكُ سِـنانٌ ولا يَدَعْـنا نَنيكُ

(ما قيل من الشعر فى الخصاء)

وقال الباخَرزىّ[2] يذكرُ محاسِنَ خِصال الخصيان :

ونساء لمطمئنٍّ مُقيمٍ ورجال إن كانت الأسفار

= وفى أيام المتوكل . وأعجب به المتوكل وأمر له بعشرة آلاف درهم ، فأخـذها وانحدر فمات فرحا بها . تاريخ بغداد ١١٤٣ .

(١) ط : « ليس خصى بزان » وفى ل : « أليس زان خصى » ورأيت الصواب فيما كتبت . وانظر المحاسن والمساوى ٢ : ٢٠٩ .

(٢) ماعدا ل والأمبروزيانا : « الماخورى » .

[وقال حميد بن ثور يهجو امرأته :

جُلُبَّانةٌ ورهاء تَخصى حمارها بفِي من بغَى خيراً إليها الجلامدُ(١)]

وقال مزرِّد بن ضِرار :

[فجاءتْ كخاصي العَيرِ لم تَحْلَ عَاجةً ولا جَاجَةٌ منها تلُوحُ على وَشْمِ(٢)

وقال عمرو الخارَكى(٣)] :

إذا لامَ على المرد نصيحٌ زادَنى حرصا
ولا والله ما أقْلِع ما عمِّرت أو أُخْصىَ

وقال آخر(٤) :

رَمَاك اللهُ من أيْرٍ بأفعَى ولا عافاكَ من جَهْد البَلاءِ
جَزَاكَ اللهُ شَرًّا من رفيقٍ إذا بلغت بى رَكَبَ النساء
أجُبْناً فى الكريهة حين نلقى وما تنفكُّ تُنعِظ فى الخلاَءِ
فلا والله ما أمسَى رفيقى ولولا البولُ عُوجِل بالخصاء

---

(١) الجلبانة : الصخابة السيئة الخلق . والورهاء : الحمقاء .

(٢) فى اللسان : « أبو زيد : الجاجة الخرزة التى لا قيمة لها . غيره : مارأيت عليه عاجة ولا جاجة . وأنشد لأبى خراش الهذلى يذكر امرأته وأنه عاتبها فاستحيت وجاءت إليه مستحيية » . وأنشد البيت ثم قال : « يقال جاء فلان كخاصى العير : إذا جاء مستحييا وخائبا أيضا . والعاجة : الوقف من العاج تجعله المرأة فى يدها » . والبيت فى ديوان الهذليين ٢ : ١٢٩ . وجاء فى الأصل هكذا :

فجاءت كخاصى العير لم تحل حاجة ولا حاجة منها تلوح على وشم

وتصحيحه من اللسان فى مادتى (جوج) و (عوج) ومن الصحاح (جوج) ، ومن أمثال الميدانى (١ : ١٥٠) مع نسبته إلى أبى خراش الهذلى ، كما فى اللسان .

(٣) ياقوت فى (خارك) : « منهم الخاركى الشاعر فى أيام المأمون أو مايقاربها » . والشعر فى معجم المرزبانى ٢١٩ برواية محرفة .

(٤) الأبيات فى المحاسن للجاحظ ١٧٥ .

وقال بعض عبد القيس :

ما كان قَحذَمُ ٱبنُ واهِصَة الْخُصى   يرجو المناكحَ فى بنى الجارودِ(١)
ومِن انتكاس ٱلدهرِ أن زُوِّجتَها   ولـكلِّ دهرٍ عَـثْرةٌ بجُدُود(٢)
لو كان منذرُ إذ خطبت إليهم   حيًّا لـكان خَصَـاك بالمغمود ٨٢

وقال أبو عبيدة : حدَّثنى أبو الخطاب قال : كان عندنا رجلٌ أحدبُ فسقَط فى بئرٍ فذهبت حَدَبته وصار(٣) آدَر فقيل له : كيف تجِدك(٤) ؟ [فقال] : ٱلذى جاءَ شرٌّ من ٱلَّذِى ذهب !

وأبو الحسن عن بعض رجاله(٥) قال : خرج معاويةُ ذاتَ يومٍ يمشى ومَعه خَصِىٌّ له ، إذ دخلَ على ميسونَ ٱبنة بحدل(٦) وهى أمُّ يزيد ، فاستترت منـه فقال : أتستترين منه ، وإنَّما هو مثلُ المرأة ؟ قالت : أتُرَى أنَّ المثلة به تُحِلُّ ما حرَّم ٱللّٰه تعالى ؟ !

ذكر ما جاء فى خصاء الدوابّ

ذكر آدمُ بن سليمان عن الشعبىّ قال : قرأت كتابَ عمر رضى ٱللّٰه

---

(١) ط : « مخدم » وهما تحريف ماأثبت من ل . و « واهصة » تصحيح مافى ل ، وهو « وابصة » . وجاءت هذه الـكلمة فى ط : « راضخة » والوهص والرضخ بمعنى ، وهو الدق . وانظر اللسان (وهص) .
(٢) ل : « وجدود » ط : « بهجود » والصواب ماأثبت . والجد : الحظ .
(٣) ط : « صاد » وصوابه من ل .
(٤) ط : « نجدك » وهو تحريف مافى ل .
(٥) ط : « رجال الأدب » .
(٦) ط : « بجدل » وإنما هو « بحدل » بالحاء كما فى ل والأغانى والخزانة (٣ : ٥٩٣ بولاق) .

تعالى عنه إلى سعد ، يَنْهَى عن حذْف أذناب الخيل وأعرافها ، وعن خصائها ، ويأمره أن يُجْرِيَ من رأس المائتين . وهو أربعة فراسخ .

وسُفيان الثَّورى عن عاصم بن عبد ٱلله بن عمر (١) أنَّ عمر رضى ٱلله تعالى عنه كان ينهى عن خِصَاء البهائم ويقول : هل الإنماء إلاّ فى ٱلذكور .

وشَريك بن عبد ٱلله ، قال : أخبرنى إبراهيم بن المهاجر ، عن إبراهيم النَّخَعى أنّ عمرَ رضى الله تعالى عنه نَهَى عن خصاءِ الخيل .

وسفيان الثورى عن إبراهيم بن المهاجر قال : كتب عمرُ بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لبعض عماله : لا تُجْرِيَنَّ فرساً إلاَّ من المائتين ، ولا تَخْصِينَّ فرسا .

قال : وسمعتُ نافعاً يقول : كان عبد الله بن عمر يكرَه خِصاءَ الذكورِ من الإبل ، والبقر ، والغنم .

وعبيد الله بن عمر عن نافع : أنَّ ٱبن عمر رضى الله تعالى عنهما كان يكره الخصاء ويقول : لا تقطعوا نامية خَلْقِ اللهِ تعالى .

وعبد الله وأبو بكر ٱبنا نافع عن نافع قال : نهى رسول الله صلى الله عليهِ وسلمِ عن أن تُخصَى ذكورُ الخيلِ ، والإبلِ ، والبقر ، والغنم ، ويقول : فيها نشأة الخلق ، ولا تصلح الإناث إلاَّ بالذكور .

---

(١) فى ل : « عن عاصم بن عبيد الله بن عاصم ، عن سالم بن عبد الله ، عن عبد الله ابن عمر » . وعاصم الذى يروى عنه الثورى هو عاصم بن سليمان الأحول البصرى المتوفى سنة اثنتين — أو ثلاث — وأربعين ومائة . كما فى تاريخ بغداد ٩ : ١٥٢ ، ١١ : ٢٤٣ . ففى الإسناد نظر .

ومحمد بن أبى ذئب[1] قال : سألت الزُّهرىَّ : هل بخِصاء البهائم بأس ؟ قال : أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عُتبة بن مسعود ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهِرين ، نهى عن صَبْرِ الروح . قالَ الزُّهرىُّ : والخِصاءُ صبرٌ شديد .

وأبو جعفَر الرَّازىّ قال : حدَّثنا الرَّبيعُ بن أنس ، عن أنس بن مالك فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : هو الخِصاء . ٨٣

وأبو جرير عن قتادة عن عِكرِمة عن ابن عبَّاس نحوه .

أبو بكر الهذلىّ قال : سألتُ الحسنَ عن خِصاء الدواب فقال : تسألنى عَن هذا ؟ لعن الله من خَصَى الرجال .

أبو بكر الهذلىُّ عن عِكرِمة فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : خصاء الدواب . قال : وقال سعيد بن جبير : أخطأ [عكرمة] ، هو دين الله .

نَصر بن طريف قال : حدَّثنا قَتادة عن عِكرمة فى قوله تعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : خصاء البهائم . فبلغ مجاهداً فقال : كذَبَ هو دين الله .

فمن العجب أن الذى قال عكرمة هو الصواب ، ولو كان هو الخطأ لما جاز لأحد أن يقول [له : كذبت . والناسُ لا يضعون هذه الكلمة

---

(١) ط : « ذؤيب » موضع « ذئب » ، وهو تحريف ماأثبت من ل . ومحمد هو ابن عبد الرحمن بن أبى ذئب . وأبو ذئب هو هشام بن شعبة . وترجمة محمد فى تاريخ بغداد ٢ : ٢٩٦ — ٣٠٥ والمعارف لابن قتيبة ٢١٣ . وانظر تأويل مختلف الحديث ص ١١ .

فى موضِع خطأ الرأى ممَّن يُظَنُّ به الاجتهاد ، وكان ممَّن له أن يقول] . ولو أنَّ إنساناً سمِع قولَ الله تبارك وتعالى : ﴿ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قال : إنَّما يعنى الخِصاء ، لم يقبل ذلك منه ؛ لأنَّ اللفظ ليست فيــه دلالةٌ على شيءٍ دونَ شيء ، وإذا كان اللفظُ عامًّا لم يكن لأحدٍ أن يقصِد به إلى شيءٍ بعينه[1] إلاَّ أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قال ذلك مع تلاوةِ الآية ، أو يكونَ جبريلُ عليهِ السلام قال ذلك للنبى صلى الله عليــه وسلم ؛ لأنَّ الله تبارك وتعالى لا يضمر[2] ولا ينوى ، ولا يخصُّ ولا يعمُّ بالقصد ؛ وإنَّمـا الدلالةُ [فى] بِنيةِ الكلام نفسِــه ، فصورة[3] الكلام هو الإرادة وهو القصد ، وليس بينــه وبين الله تعالى عملٌ آخر كالذى يكون من الناس ، تعالى اللهُ عن قول المشبِّهة علوًّا كبيراً .

أبو جرير[4] عن عمار بن أبى عمار[5] أَنَّ ٱبنَ عباسٍ قَالَ فى قوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ ﴾ قَالَ : هو الخصاء .

وأبو جرير عن قَتادة عن عِكرمة عن ابن عبَّاسٍ مثله .

أبو داود النَّخَعِىّ ، عن محمَّدِ بن سعيدٍ عن عبادة بن نسىّ ، عن إبراهيم بن محيريز قال : كان أحبَّ الخيلِ إلى سَلَفِ المسلمين ، فى عهد عمر ، وعثمان ، ومعاوية ، رضى الله تعالى عنهم ، الخِصْيان ؛ فَإِنَّها أخفى للكَمين والطلائع ، وأبقَى على الجَهْدِ .

---

(١) ط : « بعيد » والوجه ما فى ل .
(٢) ط : « لا يصر » .
(٣) ط : « فصار » .
(٤) ط : « جزء » فى كل موضع يذكر فيه « جرير » .
(٥) ل : « عن عمار بن عمار » .

أبو جرير قال : أخبرنى ابن جُريج عن عطاء أنَّه لم يرَ بأساً بخصاء الدواب .

وأبو جرير عن أيُّوبَ عن ابن سيرين ، أنَّه لم يكن يرى بأساً بالخصاء ، ويقول : لو تُرِكت الفحولةُ لأكل بعضُها بعضاً .

وعمر ويونس عن الحسن : أنّه لم يكن يرى بأساً بخصاءِ الدواب .

سفيان بن عُيينة عن ابن طاوس عن أبيه : أنّه خَصى بعيراً .

[وسفيان بن عيينة عن مالك بن مِغوَل عن عطاء ، أنه سئل عن خصاء البغل فقال : إذا خفت عِضاضه] .

(أقوال فى النتاج المركب) ٨٤

ولْنَصِلْ هذا الكلام بالكلام الذى قبل هــذا فى الخلق المركب [وفى تلاقح الأجناس المختلفة . زعموا أن العِسبارَ ولد الضبع من الذئب ، وجمعه عسابر و] . قال الكميت :

وتجمَّــــع المتــــفرِّقُو نَ من الفَراعِلِ والعَسابِر (١)

يرميهم بأنَّهم أخلاطٌ وَمُعَلْهَجُونَ .

(السمع ولد الذئب من الضبع)

وزعموا أنّ السِّمع ولد الذئب من الضبع ، ويزعمون أنّ السِّــمع

(١) روى صاحب اللسان هذا البيت وقال : « فقد يكون — يعنى العسابر — جمع العسبر (كقنفذ) وقد يكون جمع عسبار وحذفت الياء للضرورة . والفرعل : ولد الضبع من الضبعان » يعنى الذكر من الضباع .

كالحيَّةِ لا تعرف العِلَل ، ولا تموتُ حَتْفَ أنفِها ، ولا تموت إلاّ بِعَرَض يَعْرِض لها . ويَزْعمون أنّه لا يَعدو شيءٌ كعدو السِّمع ، وأنّه أسرعُ مِنَ الريح والطَّير .

وقال سهم بن حنظلة يصف فرسه :

فاعْصِ العواذل وارْمِ اللَّيلَ فى عرض
بذى شـــبيب يُقاسِى لَيْلَهُ خَبَبَا
كالسِّمع لم يَنقب البَيْطَار سرّته ... ولم يَدِجْه ولميَغمِز له عَصَبَا[١]

وقالَ ابن كُناسة[٢] يصف فرسا :

كالعقاب الطلوب يَضْرِبُها الطْـ ... ـلُّ وقد صَوَّبَتْ على عِسبار[٣]

وقال سؤر الذئب[٤] :

هو سِمْعٌ إذا تمطَّرَ شيئاً ... وعُقابٌ يحثُّها عِسْـــبارُ

يقول : إذا اشتدَّ هربُ المطلوبِ الهاربِ من الطالب الجادّ ، فهو أحثُّ للطالب ؛ وإذا صار كذلك صار المطلوبُ حينئذٍ فى معنى من يحثُّ الطلب ، إذ صار إفراط سرعَتِه سببا لإفراط طلبِ العُقاب .

وقال تأبط شرًّا[٥] ، [أو أبو محرز خلف بن حيَّان الأحمر] :

---

(١) ط : « ولم يرجه » موضع « ولم يدجه » والودج : قطع الودج : عرق فى العنق . وانظر معجم المرزبانى ٣٤١ .

(٢) ط : « أبو كناسة » وصوابه فى ل . وله ترجمة فى فهرست ابن النديم ٧١ ليبسك ، ١٠٥ مصر . توفى سنة ٢٠٧ .

(٣) ط : « والعقاب » .

(٤) البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « ابن أخت تأبط شرا » . . والقصيدة فى حماسة أبى تمام (١ : ٣٤١ – ٣٤٧) .

مُسْبِلٌ بالحيِّ أحوى رِفَلٌّ وإذا يَغْدُو فسِمْعٌ أَزَلٌّ

وإنَّما قال أَزَلّ وجعَلَه عاديا ووصفهُ بذلك ، لأنَّه ابن الذئب .

وقال الأصمعى :

يدير عينى لمظةٍ عِسبارَه[١]

وقال فى موضع آخر :

كأن منها طرفه استعارَه[٢]

وقال آخر :

تَلقى[٣] بها السِّمْعَ الأَزَلَّ الأطلَسَا

(الديسم ولد الذئب من الكلبة)

وزعموا أَنَّ ولدَ الذئب من الكلبة الدَّيْسَم ، ورووا لبشَّارِ بنِ بُرْد فى دَيْسَمٍ العَنزِىّ أنّه قال :

أَدَيْسَمُ يا ابنَ الذئبِ مِنْ نسلِ زارعٍ
أَتَرْوِى هِجائى سادراً غيْرَ مُقْصِرِ

وزارع : اسم الكلب ، يقال للكلاب أولاد زارعٍ .

(زعم لأرسطو فى النتاج المركب)

وزعم صاحب المنطق أنّ أصنافاً أُخَرَ من السباع المتزاوِجات

(١) ط : « لاطة » موضع « لمظة » ولعل صوابهما « لظة » بمعنى ملمحة ، كما يظهر أن هناك كلاما ساقطا بعد « قال الأصمعى » ، تقديره « يقال عسبار وعسبارة . وأنشد » وأن عبارة « وقال فى موضع آخر » مقحمة على الكتاب .

(٢) ل : « شباة » موضع « منها » .

(٣) ط : « يلقى » .

٨٥ المتلاقِحات مع اختلاف الجنس والصورة ، معروفة النتاج مثل الذئاب التى تسفَد الكلابَ فى أرض رُومِيَة . قال : وتتولَّد أَيضا كلابٌ سَلوقيةٌ من ثعالبَ وكلاب . قال : وبين الحيوان الذى يسمَّى باليونانيَّة طاغريس[1] وبين الكلب ، تحدث هذه الكلابُ الهندية . قال : وليس يكون ذلك من الولادة الأولى .

[قال أبو عثمان : عن بعض البصريين عن أصحابه قال : وزعموا] أَنَّ نِتاجَ الأُولَى يخرُج صعباً وحشيًّا لايلقَّن[2] ولا يؤلَّف .

(تلاقح السبع والكلبة)

وزعم [لى بعضهم عن رجلٍ من أهل الكوفة من بنى تميم] أنَّ الكلبةَ تعرِض لهذا السبع حتَّى تلقَح ، ثم تعرض لمثله مراراً حتى يكون جرو البطن الثالث قليلَ الصعوبة يقبلُ التلقين ، وأنَّهم يأخذون إناثَ الكلاب ، ويربِطونها فى تلك البرارىّ ، فتجىءُ هذه السباعُ وتسفَدُها ، وليس فى الأرض أنثى يُجتَمَع على حبِّ سفادها ، ولا ذكرٌ يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناسِ المختلفة ، أكثرَ فى ذلك من الكلب والكلبة .

قال : وإذا ربَطوا هذه الكلابَ الإناثَ فى تلك البرارى ، فإن كانت هذه السباع هائجةً سفِدَتها ، وإن لم يكن السبع هائجاً فالكلبة مأكولة . وقال أبو عدنان[3] :

---

(١) كذا فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٦ و ل . وفى ط : « طاعويس » .

(٢) كذا فى ل ونهاية الأرب . وفى ط « يألف » .

(٣) قال الجاحظ فى شأنه : « وما كان عندنا بالبصرة رجلان أدرى بصنوف العلم ، ولا أحسن بيانا من أبى الوزير ، وأبى عدنان المعلمين ، وحالهما من أول ماأذكر =

أيا باكىَ الأطلالِ فى رَسْمِ دمنةٍ
تَرُودُ بها عِينُ المَهَا والجآذرُ
وعانات جَوّال وهَيْقٌ سَفَنَّجٌ وسنداوة فضفاضة وحَضَاجِرُ[1]
وسِمْعٌ خَفِىُّ الرِّزِّ ثِلْبٌ ودَوْبَلٌ
وتَرْمَلَةٌ تعتادها وعَسابرُ[2]

وقد سمعنا ما قال صاحبُ المنطق من قبل ، وما نظنُّ بمثله أن يخلِّد على نفسه فى الكتب شهاداتٍ لايحقِّقُها الامتحان ، ولا يعرِف صدقَها أشباهُه من العلماء ، وما عندَنا فى معرفةِ ما ادَّعى إلّا هذا القول .

وأمَّا الذين ذَكروا فى أشعارهم السِّمْع والعِسبار ، فليس فى ظاهر كلامهم دليلٌ على ما ادَّعى عليهم الناسُ من هذا التركيب المختلف ، فأدَّينا الذى قالوا وأمسكْنا عن الشهادة ، إذ لم نجد عليها بُرهانا .

(أولاد السعلاة)

وللنَّاس فى هذا الضَّرْب ضروبٌ من الدعوى ، وعلماءُ السوء يُظهِرون تجويزَها وتحقيقَها ، كالذى يدَّعون من أولاد السَّعَالِى من الناس ، كما ذكروا عن عمرو بن يربوع ، وكما يروى أبو زيدٍ النحوىُّ عن السِّعلاة

= من أيام الصبا » البيان ١ : ٢٥٢ ، وقد عده ابن النديم ممن صنف فى غريب الحديث . الفهرست ٨٧ ليبسك ، ١٢٩ مصر .

(١) السنداوة : الذئبة ، كما فى الدميرى . والفضفاضة : اللحيمة الجسيمة . وبدلها فى ط : « تصبى به » . وحضاجر : اسم للضبع أو لولدها ، معرفة لا ينصرف لأنه اسم لواحد على بنية الجمع .

(٢) ط : « ثبت » مكان « ثلب » . وفى القاموس : الثلب بالكسر وككتف : المعيب .

التى أقامت فى بنى تميم حتى وَلَدت فيهم ، فلمَّا رأتْ برقاً يلمعُ من شقِّ بلاد السَّعالِى ، حنَّت وطارت إليهم ، فقال شاعرهم[١] :

رأى بَرْقاً فأوْضَعَ فَوْقَ بَكْرٍ   فَلَا بِكِ ما أسَالَ وما أغاما[٢]

٨٦ وأنشدنى أن الجنَّ طرقوا بعضَهم فقال[٣] :

أتَوا نارى فَقُلْتُ مَنُونَ أنتمْ   فقالوا الجنُّ قلتُ عِمُوا ظَلاَمَا

فقلتُ إلى الطَّعام فقال منهم   زعيمٌ نَحْسُدُ الإنسَ الطَّعاما

ولم أعِبِ الرواية ، وإنَّما عبتُ الإيمانَ بها ، والتوكيدَ لمعانيها . فما أكثَرَ من يَروِى هذا الضربَ على التعجُّبِ منه ، وعلى أن يجعَلَ الرواية [له] سبباً لتعريفِ النَّاس حقَّ ذلك من باطِلِه ، وأبو زيدٍ وأشباهُه مأمونون على النَّاس ؛ إلّا أنَّ كلَّ من لم يكن متكلِّما حاذقاً ، وكان عند العلماء قدوةً وإماما ، فما أقرَبَ إفسادَه لهم من إفسادِ المتعمِّد لإفسادهم !

وأنشدوا فى تثبيتِ أولاد السعلاة :

تقول جمع من بُوان ووَتِدْ   وحَسَنٌ أنْ كَلَّفْتِنِى مَا أجِدْ[٤]

وَلَمْ تقل جِىء بأبَانٍ أو أُحُدْ[٥]   أو ولدِ السِّعلاةِ أو جِروِ الأسَدْ

أو ملكِ الأعجام مأسوراً بقِدّْ[٦]

---

(١) هو عمرو بن يربوع بن حنظلة ، كما فى نوادر أبى زيد ١٤٦ .

(٢) ط : « فلأيا » موضع « فلا بك » وما أثبته من ل ومن النوادر .

(٣) الشعر لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبى كما فى النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق . وانظر الخزانة ٣ : ٦ .

(٤) ط : « أقول » مكان « تقول » وفى ل : « وحسن كلفتنى . . . » ، وفى كلتيهما « مالم أجد » وهو تحريف .

(٥) ط : « مالم تقل » موضع « ولم تقل » .

(٦) ل : « الأعجم » . ابن منظور : رجل أعجم وقوم أعجم ، قال :

سلوم لو أصبحت وسط الأعجم   فى الروم أو فى فارس أو فى الديلم

إذا لزرناك ولو بسلم

وقال آخر [١] :

يا قاتَلَ اللهُ بَنِي السِّعلاةِ عمراً وقابوساً شِرَارَ النَّاتِ

(ما زعموا فى جرهم)

وذكروا أَنَّ جُرُهُماً كان من نِتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، وكان الملَكُ من الملائكة إذا عصى ربَّه فى السماء أهبَطَه إلى الأرضِ فى صورةِ رجل ، وفى طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأنِ الزُّهَرة ، وهى أناهيد [٢] ما كان ، فلمَّا عصى اللهَ تعالى بعضُ الملائكة وأهبطَه إلى الأرض فى صورةِ رجل ، تزوَّج أمَّ جُرهمٍ فولدتْ له جُرهما ، ولذلك قال شاعرهم [٣] :

لاهُمَّ إنَّ جُرُهُما عِبادُكا الناس طِرْفٌ وهُمُ تِلادُكا [٤]

(ما زعموا فى بلقيس وذى القرنين)

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب والنجل [٥] كانت بِلْقِيسُ ملكةُ

(١) هو علباء بن أرقم كما فى النوادر ١٠٤ .. والبيت الثانى يروى بدله فى الأمالى ٢ : ٦٨ :

عمرو بن يربوع شرار النات

(٢) هذه الكلمة وماقبلها ساقطتان من ل . وقد ذكر الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ١٢٢ أسماء الكواكب بالفارسية ، فقال : « كيوان ، هرمز ، بهرام ، خور ، ناهيد ، تير ، ماه » ، بمعنى زحل ، المشترى ، المريخ ، الشمس ، الزهرة ، عطارد ، القمر .

(٣) هو عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ، كما فى شرح الأنبارى للقصائد السبع ص ٢٥٥ .

(٤) ماعدا ل والأمبروزيانا : « طارف » .

(٥) ط : « النحل » وصوابه « النجل » كما فى ل .

سبأ ، وكذلك كان ذو القرنين كانت أُمُّه فيرى آدميَّة وأبوه عبرى[١] من الملائكة . ولذلك[٢] لما سمع عمرُ بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه رجلاً ينادى : ياذا القرنين ، فقال : أفَرَغْتُمْ من أسماءِ الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة ؟ .

وروى المختارُ[٣] بن أبى عبيد أنَّ عليًّا كان إذا ذَكَر ذا القرنين
٨٧ قال : ذلك المَلِكُ الأمرط .

(ما زعموا فى تلاقح الجن والإنس)

وزعموا أنَّ التناكُح والتلاقُح قد يقع بين الجنِّ والإنس ، لقوله تعالى : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾ . وذلك أن الجِنِّيَّاتِ إنَّما تعرض لصَرْع رجالِ الإنس على جهة التعشُّق وطلبِ السِّفاد[٤] ، وكذلك رجال الجنِّ لنساء بنى آدم ، ولولا ذلك لعرض الرِّجالُ للرِّجال ، والنساءُ للنساء ، ونساؤهم للرجال والنساء .

ومن زعَم أن الصَّرْعَ من المِرَّة ، ردَّ قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ وقال تعالى : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾ . فلو كان الجانُّ لا يفتضُّ

(١) فى ل : « قبرى » بدل « فيرى » وهى فى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى « قيرى » . و « عبرى » بدلها فى الرسائل : « عيرى » .
(٢) ط والأمبروزيانا « وكذلك » .
(٣) هو المختار الثقفى من زعماء الثائرين على بنى أمية ، وكان يقال له كيسان ، وإليه تنسب الطائفة الكيسانية . توفى سنة ٦٧ .
(٤) ل : « الفساد » وليس بشىء .

الآدَميَّاتِ ، ولم يكنْ ذلك قطُّ ، وليس ذلك فى تركيبه ، لمـا قال الله تعالى هذا القول .

(ما زعموا فى النسناس وغيره)

وزعموا أنّ النَّسْنَاسَ تركيبُ ما بين الشِّق والإنسان . ويزعمون أنَّ خلقاً من وراء السدِّ تركيبٌ من النَّسْنَاسِ ، والناس ، والشقِّ ، ويأجوج ومأجوج . وذكروا عن الوَاقِواق والدوَال باى[1] أنهُمْ نِتاجُ مابين بعض النَّباتِ والحيوان. وذكروا أنَّ أمَّةً كانت فى الأرض ، فأمرَ الله تعالى الملائكة فأجلوَهم ؛ وإيَّاهم عَنَوا بقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . ولذلك قال الله عزَّ وجلَّ لآدم وحواء : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . فهذا يدلُّ على أن ظالما وظُلماً قد كان فى الأرض .

قال الأصمَعىُّ — أو خلفٌ — فى أرجوزة مشهورة ، ذكرَ فيها طُولَ عمر الحيَّة :

أرْقَشُ إنْ أسبَطَ أو تَثَنَّى حَسِبْتَ وَرْساً خالَطَ اليرَنَّا[2]
خالَطَهُ مِنْ هاهُنَا وَهَنَّا إذا تراءاهُ الحواةُ آستَنَّا[3]

قال : وكان يقال لتلك الأمَّة مهنا[4] .

---

(١) ط : « الدوال » ل : « الدوال بأى » وانظر حواشى البغال ص ٣٧٤ .

(٢) الورس : نبت أصفر يزرع باليمن ويصبغ به . وقيل : صنف من الكركم . كذا فى المصباح . واليرنأ : الحناء .

(٣) ط : « إذا أتى إد الحداة استنا » . واستن : أسرع .

(٤) ط : « يهنا » ، وفى رسائل الجاحظ ٩٩ « بهيا » .

(قول المجوس فى بدء الخلق)

وزعم المجوس أنَّ الناسَ من ولد مهنة ومهنينة ، وأنَّهما تولدا فيما بينَ أرحام الأرَضين ، ونطفتين ابتدرتا[١] من عينَى ابن هُرمُز حين قتله هرمز . وحماقات أصحابِ الاثنَين كثيرةٌ فِى هذا الباب . ولولا أنِّى أحببْتُ أن تسمَعَ نوعا من الكلام ، ومبلغَ الرأى ، لتُحدِثَ لله تعالى شكراً على السلامة ، لما ذكرتُ كثيراً من هذا الجنس .

(عبد الله بن هلال صديق إبليس وختنه)

وزعم ابن هيثم أنَّه رأى بالكوفة فتًى من ولد عبد الله بن هلال الحميرى[٢] ، صديق إبليس وخَتَنِه ، وأنَّهم كانوا لا يشكُّون أنَّ إبليسَ جَدُّه من قِبَل أمَّهاتِه . وسنقولُ فى ذلك بالذى يجبُ إن شاء الله تعالى . وصِلَةَ هذا الكلام تجيءُ بعد هذا إن شاء الله تعالى .

(حوار فى الكلب والديك)

٨٨ وقالت : ولو تمَّ للكلب معنى السبع وطباعه ، لما ألف الإنسانَ ، واستوحش من السبع ، وكرِه الغياض ، وألِف الدُّور ، واستوحَشَ من البرارِى وجانب القفار ، وألِفَ المجالسَ والدِّيار . ولو تمَّ له معنى البهيمة

---

(١) ط : « انتدرتا » .

(٢) كان فى زمن الحجاج ، وكان صاحب شعبذة ونيرنجات ، يدعى أن إبليس يتراءى له ويصادقه ويكاتبه ويطلعه على أسراره . ثمار القلوب ٥٧ .

فى الطبع والخلق والغذاء ، لما أكل الحيوانَ ، وكَلِب على النّاس . نعمْ حتَّى رُبَّما كلِب وَوَثَبَ على صاحبه وكابَ على أهله . وقد ذكر ذلك طرفةُ فقال :

كُنْتَ لَنَا والدُّهورَ آونةً تَقْتُلُ حالَ النَّعيم بالبُؤْسِ
ككَلْبِ طَسْمٍ وقد تربَّبه(١) يَعُلُّه بالحليبِ فى الغَلَسِ
ظلَّ عليه يوما يُفَرْفِرُه إلاَّ يَلَغْ فى الدماءِ يَنْتهِسِ

وقال حاجب بن دينار(٢) المازنىُّ فى مثل ذلك :

وكم من عدُوٍّ قد أعنتمْ عليكمُ بمالٍ وسُلطانٍ إذا سَلِمَ الحبْل
كذِى الكلبِ لمَّا أسمَنَ الكَلْبَ رابَهُ
بإِحدى الدَّواهى حينَ فارَقه الجهلُ

وقال عوف بن الأحوص(٣) :

فإِنِّى وقيساً كالمسمِّنِ كَلْبَه تُخَدِّشُه أَنْيابُه وأظافِرُه

وأنشد ابن الأعرابى لبعضهم(٤) :

وهُمْ سَمَّنُوا كلباً ليأ كُلَ بعضَهمْ ولو ظَفِروا بالحزْمِ مَا سُمِّنَ الكَلْب

وفى المثل(٥) : « سمِّن كَلْبَكَ يأْكُلْكَ » .

---

(١) ط : « يربيه » . والأبيات ليست فى ديوان طرفة . والبيت الثانى والثالث فى ثمار القلوب ٣١٤ وفيه حديث عن كلب طسم . وانظر أيضا السهيلى ٢ : ٦٣ .

(٢) ط : « ذبيان » وإنما هو « دينار » كما فى ل والبيان ٢ : ١٨٣ .

(٣) انظر يوم الفروق فى مجمع الأمثال ٢ : ٥٧ . وقيس المذكور فى البيت هو قيس بن زهير . والرواية فى مجمع الأمثال ، وفى ثمار القلوب ٣١٥ « فخدشه أنيابه وأظافره » .

(٤) هو مالك بن أسماء ، كما فى الثمار ٣١٥ .

(٥) ط : « الأثر » .

وكان رجلٌ من أهل الشام مع الحجَّاج بن يوسف ، وكان يحضُر طعامَه ، فكتب إلى أهله يخبرُهم بما هو فيه من الخِصْب ، وأنه قد سَمِن فكتبت إليه امرأته[1] :

أتُهدِى لِىَ القِرطاسَ والخبزُ حاجَتِى وأنتَ على بابِ الأميرِ بَطِينُ
إذا غِبْتَ لم تَذْكُرْ صَدِيقاً وإن تقمْ فأنتَ على ما فى يَدَيك ضَنِينُ
فأنت ككَلْبِ السَّوْءِ فى جُوعِ أهلِه فيُهْزَلُ أهلُ الكلب وهو سَمِينُ

وفى المثل : « سمن كلب فى جوعِ أهلِه » ، وذلك أنه عند السُّواف[2] يصيب المال ، والإخداجِ[3] يعرض للنُّوق ، [يأكُلُ الجِيفَ فيسمَن[4]] . وعلى أنه حارِسٌ مُحترَسٌ منه ، ومؤنسٌ شديد الإيحاش من نفسه ، وأليفٌ كثير الخيانةِ على إلفِه . وإنما اقتنوه على أنْ ينذِرَهم بموضع السارق ،
٨٩ وتركوا طَرده لينبهُهم[5] على مكان المبيِّت . [وهو أسرقُ من كل سارق ، وأدومُ جنايةً من ذلك المبيِّت] . ويدلُّ على أنَّه سروقٌ عندَهم ، قولُ الشاعر :

أَفِى أَنْ سرَى كلبٌ فبيَّت جُلَّةً وجَبْجَبةً للوَطب لَيْلَى تُطلَقُ[6]

---

(١) الخبر والأبيات فى أمالى القالى ٢ : ١٣٦ مع اختلاف فى الرواية .
(٢) ط : « الصواف » وإنما هو « السواف » كما فى ل . والسواف كغراب : الموتان فى الإبل .
(٣) أخدجت الناقة : أتت بولد ناقص .
(٤) زدتها ليتم الكلام ، اعتمادا على مافى نوادر أبى زيد ٢٤٨ ، وأمثال الميدانى (٢ : ٢٦٣) .
(٥) فى الأصل : « لينبئهم » ولم يعهد تعدية هذا الفعل بعلى . وأثبت مافى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ .
(٦) ط : « أخى » بدل « أفى » ، و « حلة » مكان « جلة » . وتصحيح البيت من ل واللسان (جبب) . وفيه « سلمى » موضع « ليلى » . والجلة ، بالضم : وعاء يتخذ من الخوص يوضع فيه التمر ويكنز . والجبجبة ، بفتح الجيمين أو ضمهما : الكرش يجعل فيه اللحم المقطع يتزود به فى الأسفار . وقال ابن الأعرابى : هو جلد جنب البعير يقور ويجعل فيه اللحم الذى يدعى الوشيقة . والوشيقة : لحم يغلى إغلاءة ثم يقدد ، فهو أبقى مايكون .

فهو سَرَّاق ، وصاحب بَيات ، وهو نَبَّاشٌ ، وآكلُ لحومِ النَّاس . ألا إنّه يجمعُ سِرقة الليل مع سرقة النّهار ، ثم لا تجده أبداً يمشى فى خِزانةٍ ، أو مطبَخ ، أو عَرْصةِ دار ، أو فى طريقٍ ، أَو فى بَرارىَّ ، أَو فى ظهرِ جَبل ، أو فى بَطْن وادٍ ، إلاَّ وخطمُه فى الأرض يتشمَّم ويسترو ح ، وإنْ كانت الأرضُ بيضاءَ حَصَّاءَ[1] ودَوِّيَّة ملساءَ ، أو صخرةً خلقاءَ ؛ حرصاً وجشعاً، وشرها وطمعا . نعم حتَّى لا تجده أيضا يرى كلبا إلاَّ اشتمَّ استَه ، ولا يتشمَّم غيرهَا منهُ ، ولا تراه يُرمَى بحجر أيضاً أبداً إلاَّ رجَع إليه فعضَّ عليه ؛ لأنَّه لمَّا كان لا يكاد يأكلُ إلاَّ شيئا رمَوا به [إليه] صار ينسَى لِفَرْط شرَهِه وغلَبة الجشع على طبعه ، أنَّ الرامىَ إنَّما أراد عقْره أو قتلَه ، فيظنّ لذلك أنَّه إنَّما أراد إطعامه والإحسانَ إليه . كذلك يخيِّل إليه فرْطُ النَّهم وتُوهمُه غلبَةُ الشَّرَه ، ولـكنَّه رمَى بنفسِه على الناس عجزاً ولؤماً ، وفُسولةً ونقصاً ، وخافَ السباعَ واستوحش من الصَّحارى .

ولَمَّا سمِعوا بعضَ المفسرِّين يقول فى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ فِى أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ. لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾ إنَّ المحروم هو الـكلب، وسمِعوا فى المثل : « اصنَعُوا المعروفَ ولو إلى الـكلب » عَطفُوا عليه واتَّخَذُوه فى الدُّور . وعلى أنَّ ذلك لا يكون إلاَّ من سِفْلتهم وأغبيائهم ، ومن قلَّ تقزُّزُه[2] وكثُر جهلُه، وردَّ الآثارَ إمَّا جهلاً وإمَّا معانَدة .

وأما الديك فمِن بهائم الطير وبغاثها ، ومن كَلاوِلهـا والعِيال على

---

(١) ط : « وحصباء » والوجه ماأثبت من ل ، كما فى نهاية الأرب ٩ : ٢٥٧ نقلا عن الحيوان . والحصاء : الجرداء .

(٢) ط : « تقذره » .

أربابها ، وليس مِنْ أحرارها ولا مِنْ عِتاقِها وجوارحها ، ولا ممَّا [١] يطرِب بصوته ويُشجِي بلحنه ، كالقَماريِّ وٱلدَّباسيِّ والشَّفَانين [٢] والوراشِين والبلابل والفواخت ، ولا ممَّا يُونِق بمنظره ويمتع الأبصارَ حسنُه ، كالطواويس والتَّدارِج ، ولا مما يعجِب بهدايته ويُعقَد الذمام بإِلْفه ونِزاعه ، وشدَّةِ أُنسه وحنينه ، وتُريده بإرادته لك ، وتَعطِف عليهِ لحبِّهِ إياك ، كالحمام ، ولا هو أيضاً من ذوات [٣] الطيران منها ، فهو طائرٌ لايطير ، وبهيمةٌ لا يَصيد ، ولا هو أيضاً ممَّا يكون صيداً فيمْتِع من هذه الجهة ويُراد لهذه اللَّذة .

والُخفَّاش أمرَطُ ، وهو جيِّدُ الطيرَان ، والدِّيكُ كاسٍ وهو لا يطير .

وأيُّ شيءٍ أعجبُ من ذى ريشٍ أرضيٍّ ، ومن ذى جلدةٍ هوائىّ .

٩٠ وأجمعُ الخلق لخصال الخير الإنسان ، وليس الزِّواجُ إلاّ فى الإنسان وفى الطير ، فلو كان الديك من غير الطير ثمَّ كان ممن لا يزاوج ، لقد كان قد مُنِع هذه الفضيلة وعَدِم هذه المشاكَلَة الغريبة ، وحُرِم هذا السَّببَ الكريم والشِّبْه المحمود . فكيف وهو لا يزاوج ، وهو من الطيرِ الذى ليس الزواجُ والإلْف وثباتُ العهْد ، وطلَبُ الذرء وحبُّ النَّسل ، والرجوعُ إلى السكن والحنين إلى الوطن — إلاَّ له وللإنسان . وكلُّ شيء لا يزاوج فإنَّما دخله النقصُ وخسِر هذه الفضيلَة من جهةٍ واحدة، وقد دخل الديكَ النقص

---

(١) ط : « ممن » وكذلك يتكرر هذا الخطأ فى كل موضع أتت فيه « مما » . وقد جاء على الصواب الذى أثبته ، فى ل .

(٢) ط : « الشغانين » وصوابه بالفاء كما فى ل . وهو جمع شفنين بالكسر ، وقد تحدث عنه الجاحظ فى ٣ : ١٤٦ ، ٥١٦ و ٧ : ٦٩ ، ١٨٧ من الحيوان وكذلك الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ذوى » ولا يكون ذلك إلا للعاقلين، والوجه ما أثبت .

مِنْ جهتين . ووصف أبو الأخزَر الحِمَّانيُّ الحمارَ وعَيْر العانةِ خاصَّة[١] ، فإنَّه أمثلُ فى باب المعرفة من الأهْليّ ، فذكر كيف يضرِب فى الأُتُن ، ووصَفَ استبهامَه عن طلب الولد ، وجهلَه بموْضِع الذَّرْء ، وأنَّ الولدَ لم يجئ منه عن طلبٍ له ، ولكن النُّطفة البريئة من الأسقام ، إذا لاقت الأرحام البريئةَ مِن الأسقام حَدَث النِّتاج على الخلقة ، وعلى ما سوِّيت عليه البِنية[٢] . وذكر أنّ نزوَه على الأتان ، من شكل نَزْوه على العير ، وإنَّما ذلك على قدْر ما يحضُره من الشَّبَق ، ثمَّ لا يلتفِت إلى دُبرٍ من قُبُل ، وإلى ما يَلقَحُ [من مثلِه ممَّا لا يُلقَحُ] فقال :

* لا مُبْتَغِى الضِّنْءِ ولا بالعازلِ[٣] *

يقول : هو لا يريد الولَد ولا يعزل .

والأشياء التى تألفُ الناسَ ولا تريدُ سِواهم ، ولا تحنُّ إلى غيرهم ، كالعصفور والخُطّاف والكلْب والسِّنَّور . والدِّيك لا يألَفُ منزِلَه ولا رَبْعه ولا يُنازع[٤] إلى دجاجته ولا طَرُوقته ، ولا يحنُّ إلى ولده ، بل لم يَدرِ قطُّ أنّ له ولداً ؛ ولو دَرَى لكان على دِرَايتهِ دليل ، فإذ قد وجدناه لبيضِه[٥] وفراريجِه الكائنةِ منه ، كما نجدُه لما لم يلدْه ولِماَ ليسَ من شَكلهِ ولا يرجِع إلى نسبه ، فكيف تُعرَف الأمور إلاّ بهذا وشبهه . وهو مع ذلك

---

(١) ط : « وغير العانة خاصة » وصوابه فى ل . وانظر ص ٥٠ .

(٢) ط : « عن » بدل « على » .

(٣) ط : « لضنىء » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « يحن » فتضعف العبارة بالتكرار .

(٥) ط : « فإذا وجدناه لبيضه » والوجه مافى ل .

أبلَهُ لا يعرِف أهلَ دارِه ، ومبهوتٌ لا يُثْبِتُ وَجهَ صَاحِبه ، وهو لم يُخْلَق إلاَّ عندَه وفى ظلِّه ، وفى طعامِه وشرابِه ، وتَحْتَ جناحه .

والـكلْبُ على ما فيه يعرف صاحبَهُ ، وهو والسِّنَّور يعرِفان أسماءهما ، ويألَفَان موضعَهما ، وإن طُردا رَجعا ، وإن أُجِيعا صَـبَرَا ، وإن أُهِينا احتملا .

والديك يكون فى الدار من لَدُنْ كانَ فَرُّوجاً صغيراً إلى أن صار ديكاً كبيراً ، وهو إن خرَج من باب الدار ، أوسقط على حائط من حيطان الجيران ، أو على موضعٍ من المواضع ، لم يعرِفْ كيف الرُّجوعُ ، وإن كان يُرَى

٩١ منزلُه قريباً ، وسهل[١] المطلبِ يسيراً ، ولا يَذ كُر ولا يتذَكَّر ، ولا يهتدى ولا يتصوَّر لَه كيف يكونُ الاهتداء ، ولو حنَّ لَطَلَبَ ، ولو احتاج لالتمس . ولوكان هذا الخبْرُ فى طباعه لظَهَر ، ولـكنَّها طبيعةٌ بلهاءُ مستبهمة ، طامحة[٢] وذاهلة ، ثمَّ يسفَدُ الدَّجاجةَ ولا يعرفُها ، هذا مع شدَّةِ حاجته إليهنَّ وحِرصِه على السِّفاد ، والحاجةُ تفتِقُ الحِيلَة ، وتَدُلُّ على المعرفة ، إلاَّ ما عليه الديك ؛ فإنَّه مع حِرصِهِ على السِّفاد ، لايعرفُ التى يسفَد ، ولا يقصِد إلى ولدٍ ، ولا يحضُن بيضاً ولا يعطِفُه رَحِمٌ ، فهو من هاهنا أحمقُ من الحبارَى وأعقُّ من الضبِّ .

وقال عثمان بن عفَّان رضى الله تعالى عنه : « كلُّ شىءٍ يحبُّ ولدَه حتى الحبَارى » . فضرَب[٣] بها المثلَ كما ترى فى المُوقِ والغفْلة ، وفى الجهل والبَلَه . وتقول العرب : « أعَقُّ من الضبِّ » ؛ لأنَّه يأكلُ حُسُولَه .

---

(١) ط : « وسبيل » .
(٢) لعلها « جامحة » .
(٣) الأمبروزيانا : « يضرب » .

(أكل الهرة أولادها)

وكرُمَ عند العرَب حظُّ الهِرَّة ، لقولهم : « أَبَرُّ مِنْ هِرَّة ، وأعقُّ مِنْ ضَبٍّ » فوَجَّهوا أكلَ الهِرَّةِ أولادَها على شدَّة الحبِّ لها ، ووجَّهوا أَكْلَ الضبِّ لها على شدَّةِ البغْض لها ، وليس ينجو مِنْهُ شيءٌ منها إلاّ بشَغْلِه بِأَكْل إخْوته عنه ، وليس يحرُسُها ممَّا يأكلُها إلاَّ ليأكلَها . ولذلك قال العَمَلَّسُ ابن عَقيل ، لأبيه[1] عقيل بن عُلَّفَة :

أكلْتَ بَنيِك أكْلَ الضَّبِّ حتَّى ... وَجدتَ مَرارةَ الكَلَإِ الوبيلِ
فلو أَنَّ الأُلَى كانوا شهوداً ... منعْتَ فِناءَ بيتك من بَجيلِ

وقال أيضاً[2] :

أكلْت بَنِيك أَكل الضَّبِّ حتَّى ... ترَكت بَنِيك لَيْسَ لَهُمْ عديدُ

وشبَّه السَّيِّدُ بن محمَّد الحميريُّ ، عائشةَ رضى الله تعالى عنها فى نصبِها الحربَ يوم الجملِ لقتال بنيها ، بالهِرَّةِ حين تأكلُ أولادَها ، فقال :

جَاءَتْ معَ الأَشْقَينَ فى هَوْدَجٍ ... تُزْجِى إلى البَصْرَةِ أجْنَادَها
كأنَّها فى فِعلِها هِرَّةٌ ... تُريدُ أن تأكُلَ أولادَهَا

(رعاية الذئبة لولد الضبع)

وتقول العرب أيضاً : « أحمَقُ مِنْ جَهِيزَة » ، وهى عِرس الذئب ؛ لأنَّها تدعُ ولدها وترضع ولد الضبع .

قال : وهذا معنى قولِ ابن جِذْل الطِّعَان[3] .

كَمُرْضِعَةٍ أولادَ أُخرَى وضَيَّعَتْ ... بَنِيهاَ فلم تَرْقَع بذلك مَرْقَعا ٩٢

---

(١) ل : « لابنه » والصواب ما فى ط . وفى الأغانى ١١ : ٨٩ أن الشعر لأرطاة ابن سهية .

(٢) هذه الجملة والبيت بعدها ، ليسا فى ل . وانظر العقد ٦ : ٤٩ .

(٣) ط : « ابن جزل الطعان » وتصحيحه من ل . والبيت فى الثمار ٣١٣ والرواية فيه : « فلم تحسن بما فعلت صنعاً » . وانظر حماسة البحترى ١٧٠ .

(رعاية الذئب لولد الضبع)

ويقولون : إنَّ الضبعَ إذا صِيدَت أو قُتلت ، فإنَّ الذئب يأتى أولادَها باللحم . وأنشد الكُميت :

كما خَامَرَتْ فى حِضْنِها أمُّ عامرٍ لِذِى الحبل حتى عَالَ أوسٌ عِيالَها(١)

وأوس هو الذئب . وقال فى ذلك :

فى كلِّ يومٍ من ذُؤَالَه ضِغْثٌ يَزيد على إبَالَه

فلأَحْشَأَنَّك مِشْقَصاً أوساً أُوَيسُ من الهباله(٢)

الأوس : الإعطاء ، وأويس هو الذئب . وقال فى ذلك الهذلىّ(٣) :

يا ليتَ شعرى عنك والْأَمْرُ أَمَمْ ما فَعَلَ اليومَ أُويسٌ فى الغنمْ

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

وأبو اليتامى كانَ يُحْسِنُ أوسهم ويَحُوطُهم فى كلِّ عامٍ جامدِ(٤)

(حمق النعامة)

ويقولون : « أَحْمَقُ مِنْ نَعَامة » كما يقولون : « أَشْرَدُ مِنْ نعامة » قالوا ذلك لأنّها تدَعُ الحضْن على بيضِها ساعةَ الحاجة إلى الطُّعم ، فإن هى

---

(١) ل : « لذى الحبل » وهى رواية ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٢ : ٧٩ . وبرواية ابن منظور للبيت فى مادة (أوس) « غال أوس » ، وتفسيرها بقوله : « أكل جراءها » بذلك لايصح الاستشهاد لما استشهد له الجاحظ .

(٢) ط : « فلأحشونك » والصواب مافى ل . انظر أدب الكاتب ٥٧ والاقتضاب . وحشأه : رماه . والمشقص : سهم طويل أو عريض . والبيتان لأسماء بن خارجة كما فى اللسان (أبل) .

(٣) الشعر فى اللسان (رخم) منسوب إلى عمرو ذى الكلب . وهو هذلى كما فى الأغانى .

(٤) ط : « جاحد » . والعام الجامد : عام الجدب والقحط وامتناع الغيث .

فى خروجها ذلك رأتْ بيضَ أخرى قد خرجت للطُّعم ، حضَنت بيضَها ونسِيت بيضَ نفسها ، ولعلَّ تلك أن تُصادَ فلا ترجعُ إلى بيضها بالعَرَاء حتَّى تهلِك .

قالوا : ولذلك قال ٱبن هَرْمة (١) :

فإنِّى وتَرْكى نَدَى الأكرَمِينَ ... وقَدْحِى بكَفِّىَ زَنْدًا شَحَاحا
كتاركةٍ بيضَها بالعَرَاء ... ومُلبِسةٍ بَيضَ أُخْرَى جناحا

وقد تحضُن الحمامُ على بيض الدَّجاج ، وتحضُن الدَّجاجةُ بيضَ الطاوُس ، فأمَّا أن يَدَعَ بَيضَه ويحضُنَ بيضَ الدَّجاجة ، أو تدَعَ ٱلدجاجةُ بيضَها وتحضُن بيضَ الطاوس فلا . فأمَّا فرُّوجُ ٱلدَّجاجة إذا خرج من تحت الحمامة ، فإنَّه يكونُ أكيسَ . وأمَّا الطاوُس ٱلذى يخرج من تحت الدَّجاجة فيكون أقلَّ حسناً وأَبْغَضَ صوتاً .

(الفرخ والفروج)

وكلُّ بيضةٍ فى الأرض فإنَّ ٱسمَ ٱلذى فيها وٱلذى يخرُج منها فرخ ، إلاَّ بيضَ ٱلدَّجاج فإنَّه يسمى فرُّوجا ، ولا يسمَّى فرخا ، إلاَّ أنَّ الشعراءَ يجعلون الفَرُّوج فَرخاً على التوسُّع فى الكلام ، ويجوِّزون فى الشعر أشياءَ لايجوِّزونها فى غير الشعر ، قال الشاعر :

لَعَمْرِى لَأَصْواتُ المَكَاكِىِّ بالضُّحَى ... وسَودُ تَدَاعى بالعشىِّ نَواعِبُه (٢) ٩٣
أحبُّ إلينا من فِراخِ دَجاجةٍ ... ومِنْ دِيكِ أنباطٍ تَنُوسُ غباغِبُه (٣)

(١) تكلم فى هذا الشعر الثعالبى فى الثمار ٣٥٣ والدميرى ٢ : ٥٠٢ . ولابن طباطبا كلام جيد فيه انظر له الموشح ٢٣٧ .

(٢) السود ، بالفتح : سفح مستو كثير الحجارة السود . وفى ط : « وسوء » وتصحيحه من ل .

(٣) ل وكذا فى المخصص ١٦٧ : « صغار ومن ديك تنوس عباغبه » .

وقال الشَّمَّاخ بن ضِرار [١] :

ألا مَنْ مُبلغٌ خاقانَ عنِّى تأمَّلْ حِينَ يَضرِبُك الشِّتاءُ
فتجعل فى جنابك من صغير [٢] ومن شيخٍ أضرَّ به الفَناءُ
فراخ دَجاجةٍ يَتْبَعْنَ دِيكاً يَلُذْنَ به إذا حَمِس الوَغاءُ

[فإنْ] قلت : وأىُّ شىء بلَغَ من قدْر الكلبِ وفضيلةِ الديك ، حتَّى يتفرَّغ لذكر محاسِنهما ومساويهما ، والموازنةِ بينهما والتنويه بذكرهما ، شيخان من عِلْيةِ المتكلِّمين ، ومن الجلة [٣] المتقدِّمين . وعلى أنَّهما متى أبرما هذا [٤] الحكمَ وأفصحا بهذه القضيَّة ، صار بهذا التدبير بهما حظٌّ وحكمة وفضيلة وديانة ، وقلدهما كلُّ مَن هو دونَهما ؛ وسيعودُ ذلك عذراً لهما إذا رأيتهما يوازيان بين الذِّبَّان [٥] وبناتِ وَرْدانَ ، وبين الخنافس والجِعْلان ، وبين جميع أجناس الهمَج وأصناف الحشراتِ ، والخشاش ، حتَّى البعوض والفَراش والديدان والقِردان [٦] فإن جاز هذا فى الرأى وتمَّ عليه العمل ، صار هذا الضَّربُ من النظر عِوضاً من النَّظَر فى التوحيد ، وصار هذا الشكلُ من التمييز خَلَفا من التعديل والتجوير ، وسقَط القولُ فى الوعد والوعيد ، ونُسى القياسُ والحكم فى الاسم ، وبطَلَ الردُّ على أهلِ الملل ، والموازنةُ بين جميع النِّحَل ، والنظرُ فى مراشد الناس ومصالحهم ، وفى منافِعهم ومَرافقهم ؛ لأنَّ قلوبَهم لا تتَّسع للجميع ، وألسنَتَهم لا تنطلِق بالكلِّ . وإنَّما الرأىُ أن تَبدأ من الفتق بالأعظم ، والأخوف فالأخوف .

---

(١) فى (٧ : ٨٥) أنه شماخ بن أبى شداد .
(٢) ل : « حبالك » موضع « جنابك » .
(٣) ل : « جلة » .
(٤) ط : « مدعا » .
(٥) ل : « رأيناهم يوازنون .. الخ » . ط : « الذباب » موضع « الذبان » .
(٦) القردان : جمع قراد ، وهو دويبة تنتشر فى أعطان الإبل .

وقلتَ : [و] هــذا بابٌ من أبوابِ الفراغِ وشكلٌ من أشكالِ التطرُّف(١) وطريق من طرق المزاح ، وسَبيلٌ من سُبُلِ المضاحك . ورجالُ الجِدِّ غير رجالِ الهزْل ، وقد يحسُن الشيءُ بالشَّبابِ ويقبُح مثلُه من الشيوخ ، ولولا التحصيلُ والموازَنة ، والإبقاء على الأدب ، والدِّيانة بشدَّة المحاسبة ، لمـا قالوا : لـكلِّ مقامٍ مَقال ، ولـكلِّ زمانٍ رجالٌ ، ولـكلِّ ساقطةٍ لاقطة ، ولـكلِّ طعامٍ أكلة(٢) .

(تنوع الملـكات وقوتها وضرورة ظهورها)

قد زعم أناسٌ أنَّ كلَّ إنسانٍ فيــه آلة لِـمَرْفِقٍ من المرافق ، وأداةٌ لمنفعةٍ(٣) من المنافع ، ولا بدَّ لتلك الطبيعة من حركةٍ وإنْ أبطأَت ، ولا بدَّ لذلك الـكامنِ من ظهورٍ ؛ فإنْ أمكنَهُ ذلك بعثَه ، وإلاَّ سَرَى إليه كما ٩٤
يسري السمُّ في البدن ، و [نمَى] كما يَنْمِي العرق ؛ كما أنَّ البُزور البرِّيَّةَ ، والحبَّةَ الوحشيَّةَ الـكامنةَ في أرحام الأَرَضين ، لا بدَّ لهـا من حركةٍ عندَ زمانِ الحركة ، ومن التفتُّق والانتشار في إبَّانِ الانتشار . وإذا صارت الأمطارُ لتلك الأرحامِ كالنُّطفة ، وكان بعضُ الأرض كالأُم الغاذية(٤) فلا بدَّ لـكلِّ ذي قوىٍّ أن يُظهِر قُوَّتَه ، كما قال الأوَّلُ :

* ولا بدَّ للمصدورِ يوما من النَّفْث(٤) *

---

(١) ط : « التطرق » .
(٢) ل : « آكل » .
(٣) ط : « آلة المرفق من المرافق وأداة المنفعة» وهو تحريف ما في ل .
(٤) ل : « ولا بد للمصدور من النفث » .

[وقال[1]] :

* ولا بدَّ من شَكوَى إذا لم يكنْ صَبر *

ولذلك صارَ طلبُ الحسابِ أخفَّ على بعضهم، وطابُ الطِّبِّ أحبَّ إلى بعضهم. وكذلك النِّزاع إلى الهندسة، وشغَفُ أهلِ النُّجوم بالنُّجوم. وكذلك أيضاً ربَّما تحرَّك له بعدالكَبْرَة، وصَرَف[2] رغبتَه إليه بعد الكهولة، على قدرقوَّة العِرْق فى بدنه، وعلى قدْر الشَّواغلِ له وما يعترضُ عليه، فتجد واحداً يَلهج بطلب الغِناء واللحون، وآخر يلهج بشهوة القتال، حتى يَكْتَتِبَ مع[3] الجُند، وآخر يختار [أن يكون] ورّاقا، وآخر يختارُ طلبَ الملك، وتجِدُ حرصَهم على قدر العلل الباطِنة المحرِّكة لهم، ثمَّ لا تَدْرِى كيف عرضَ لهذا هـذا السّببُ دونَ الآخَرِ إلاَّ بجملة من القول، ولا تجـدُ المختارَ لبعض هذه الصناعات على بعضٍ يعلَمُ لم[4] اختارَ ذلك فى جملةٍ ولا تفسير، إذْ كان لم يَجْرِ منه عَلَى عِرْق، ولا اختارَه على إرْث.

(من سار على غير طبعه)

وليس العجبُ من رجلٍ فى طباعه سببٌ يَصِل بينه وبينَ بعض الأمور ويحرِّكه فى بعض الجهات، ولـكنَّ العجبَ ممَّن يموت مغنِّيا وهو لا طبعَ

---

(١) جعل هذا الشطر والكلام الذى قبله بيتا واحدا، وذلك لايستقيم. والزيادة رأيتها ضرورية لاستقامة الكلام. والآتى عجز بيت صدره كما فى البيان ٣ : ٢٢٠ و٤ : ٦٣ :

* وما كثرة الشكوى بأمر حزامة *

(٢) ط : « وأصرف ».

(٣) ل : « يكتب » وصوابه ما أثبت من ط. واكتتب : كتب نفسه فى ديوان السلطان.

(٤) ط : « لما ».

له فى معرفة الوزن، وليس له جِرمٌ حسَن[١]، فيكون إن فاته أن يكون معلِّما ومغنِّيَ خاصَّة أنْ يكون مُطرباً ومُغَنِّيَ عامّة . وآخر قد ماتَ عَلَى أن يُذكَر بالجود ، وأن يسخَّى على الطعام ، وهو أبخلُ الخلق طبعاً ، فتراه كلفاً باتِّخاذ الطيِّبات ومستَهتَراً بالتكثير منها ، ثمّ هو أبداً مفتَضِحٌ وأبداً منتقِض الطباع ، ظاهرُ الخطإِ ، سيِّئُ الجزع عندَ مؤاكلةِ من كان هو الداعيَ له ، والمرسِلَ إليه ، والعارفَ مقْدارَ لَقْمِه ونهايةَ أكله .

فإنْ زعمتم أنَّ كلَّ واحدٍ من هؤلاء إنَّما هو رهنٌ بأسبابه ، وأسيرٌ فى أيدى عِلَله ، عذَرتم جميعَ اللئام وجميع المقصِّرين ، وجميعَ الفاسقين والضالِّين . وإن كان الأمر [إلى] التمكينِ دونَ التسخير ، أفَليس من أعجبِ العجَب ومن أسوإِ التقدير التمثيل[٢] بين الدِّيَكة والكِلاب . ٩٥

قَدْ عرَفنا قولَك ، وفهِمْنا مذهبَك .

فأمّا قولُك : « وما بلَغ من خَطَر ٱلديك وقدر الكلب » فإنَّ هذا ونحوَه كلامُ عبدٍ لم يفهَمْ عن ربِّه ، ولم يَعقِل عن سيِّده ، إلاَّ بقدْر فهمِ العامَّةِ أو الطبقةِ التى تلى العامَّة . كأنَّكَ ، فهَّمك ٱلله تعالى ، تظنُّ أنَّ خَلْقَ الحيَّةِ والعقرَب ، والتدبيرَ فى خلقِ الفَراش وٱلذباب ، والحكمةَ فى خلْق ٱلذئاب والأسدِ وكلِّ مبغَّضٍ إليك أو محقَّر عندك ، أو مسخَّرٍ لك أو واثبٍ عليك ، أنَّ التدبير فيه مختلِفٌ أو ناقص ، وأنَّ الحكمةَ فيه صغيرةٌ أو ممزوجة .

---

(١) الجرم ، بالكسر : الصوت ، والحلق .
(٢) ط « والتمثيل » والواو هنا لاموضع لها .

(مصلحة الكون ، فى امتزاج الخير بالشر)

اعلم أنَّ المصلحةَ فى أمرِ ٱبتداء ٱلدنيا إلى انقضاءِ مُدَّتها امتزاجُ الخيرِ بالشرِّ ، والضارِّ بالنافع ، والمكروهِ بالسارِّ ، والضَّعَةِ بالرِّفعة ، والكَثْرة بالقِلَّة . ولو كان الشرُّ صِرْفاً هلكَ الخلقُ ، أو كان الخيرُ مَحْضاً سقَطت المِحْنة وتقطَّعَتْ أسبابُ الفِكرة ، ومع عَدَم الفِكرةِ يكون عَدَمُ الحكمة ، ومتى ذهب التخيير ذهب التميز ، ولم يكن للعالِم تثبُّتٌ وتوقُّف وتعلُّم ، ولم يكن علم ، ولا يُعرف بابُ التبيُّن ، ولا دفعُ مضرةٍ ، ولا اجتلابُ منفعة[1] ، ولا صَبْر على مكروهٍ ولا شكْرٌ على محبوب ، ولا تفاضُلٌ فى بيانٍ ، ولا تَنَافس فى درجةٍ ، وبطلَت فَرحةُ الظَّفَر وعزُّ الغلبة ، ولم يكن على ظهرها مُحِقٌّ يجد[2] عزَّ الحق ، ومُبْطِلٌ يجد ذِلَّة[3] الباطل ، وموقنٌ يجد[4] بَرْدَ اليقين ، وشاكٌّ يجد[2] نقصَ الحَيرةِ وكَرْبَ الوُجوم ؛ ولم تكن للنفوس آمالٌ ولم تتشعَّبْهَا الأطماع . ومَن لم يعرف كيف الطَّمعُ لم يعرِف اليأس ، ومن جَهِل اليأسَ جهِلَ الأمنَ ، وعادت الحالُ من الملائكة ٱلذين هم صفوة الخلق ، ومن الإنس الذين فيهم الأنبياءُ والأولياءُ ، إلى حالِ السبُعِ والبهيمة ، وإلى [حال] الغباوةِ والبلادة ، وإلى حال النجوم فى السُّخْرة ؛ فإنها أنقص من حالِ البهائم فى الرَّتْعَةِ . ومَنْ هـذا الذى يسرُّه أن يكون

---

(١) ط : « التدبير » موضع « التبين » ، و « المضرة » موضع « مضرة » ، و « المنفعة » موضع « منفعة » .

(٢) ط : « بحد » وهو تصحيف .

(٣) ط : « بحد ذل » وهو تحريف كذلك .

(٤) ط : « وموفق بحد » وهو تحريف .

الشمسَ والقمرَ والنَّارَ والثلج ، أو برجًا من البروج أو قطعةً من الغيم ؛ أو يكونَ المجرَّةَ بأسْرها ، أو مكيالًا من الماء أو مقداراً من الهواء ؟! وكلُّ شيءٍ فى العالم فإنما هو للإنسان ولكلِّ مختبَرٍ ومُختار ، ولأهل العقول والاستطاعة ، ولأهل التبيُّن[1] والرويَّة .

وأين تقعُ لَذَّة البهيمة بالعَلُوفة ، ولذَّة السبع بلَطْع الدَّمِ وأكل اللحم — مِن سرورِ الظَّفَر بالأعداء ؛ ومِن انفتاحِ بابِ العلم بعد إدْمان القَرْع ؟ وأين ذلك من سرورِ السُّودَد ومن عزِّ الرياسة ؟ وأين ذلك من حال النُّبوَّةِ والخِلافة ، ومِن عزِّهما وساطعِ نورهما . وأينَ تقعُ لذَّةُ درْك الحواسِّ الذى ٩٦
هو ملاقاةُ المطعَم والمشرب ، وملاقاةُ الصوتِ المُطرِبِ واللَّونِ المونق ، والملمسة[2] اللَّيِّنة — مِن السرور بنَفاذ الأمرِ والنَّهى ، وبجواز التوقيع ، وبما يُوجب الخاتَمُ من الطاعة ويُلزِم من الحجَّة ؟ ! .

ولو استَوت الأمور بطَلَ التمييزُ ، وإذا لم تكن كلفةٌ لم تكن مَثوبة ، ولو كان ذلك لبطلتْ ثمرةُ التوكُّلِ على الله تعالى ، واليقينِ بأنَّه الوَزَرُ والحافظ ، والكالئُ والدافع[3] ، وأَنَّ الذى يحاسِبُك أَجْوَدُ الأَجْوَدِين ، وأرحَمُ الراحمين ، وأنه [الذى] يقبلُ اليسيرَ ويَهَبُ الكثير ، ولا يهلِك عليه إلّا هالك . ولو كان الأمرُ على ما يشتهيه الغَرِير والجاهلُ بعواقبِ الأمور ، لبطلَ النَّظَرُ وما يشحذ عليه[4] ، وما يدعو إليه ، ولتعطَّلت

(١) ط : « التبين » .
(٢) ط : « واللبسة » .
(٣) ط : « والكافى والرافع » .
(٤) الشحذ : السوق العنيف .

الأرواحُ من معانيهـا ، والعقولُ من ثِمارها ، ولعَدِمت الأشـياءُ حظوظَها وحقوقَها .

فسبْحَان من جعل منافعَها نعمةً ، ومضارَّها ترجع إلى أعظم المنافع ، وقسّمها بين مُلِذٍّ ومُؤلم ، وبين مؤنِسٍ ومُوحش ، وبين صَغيرٍ حقير وجليل كبير ، وبين عدوٍّ يرصُدُك وبين عقلٍ يحرسك ، وبين مُسَالمٍ يَمْنَعُكَ ، وبين مُعينٍ يعضُدك ، وجعَل فى الجميع تمامَ المصلحة ، وباجتماعها تمّ النعمة ، وفى بطلانِ واحدٍ منها بُطلانَ الجميع ، قياساً قائماً وبرهاناً واضحاً . فإنّ الجميع[١] إنّما هو واحدٌ ضُمّ إلى واحدٍ وواحدٌ ضُمَّ إليهما ، ولأنّ الـكلَّ أبعاضٌ ، ولأنّ كلَّ جُثَّةٍ فمن أجزاء ، فإذا جوَّزتَ رفْعَ واحدٍ والآخرُ مثلُه فى الوزن وله مثلُ علَّتِه وحظِّه ونصيبِه ، فقد جوَّزْتَ رفعَ الجميع ؛ لأنّه ليس الأوّلُ بأحقَّ من الثانى فى الوقت[٢] الذى رجوتَ فيه إبطالَ الأوّل ، والثانى كذلك والثالث والرابع ، حتَّى تأتىَ على الـكلّ وتستفرِغ الجميع . كذلك الأمورُ المضمَّنة والأسباب المقيَّدة[٣] ؛ ألا ترى أنّ الجبلَ ليس بأدلَّ على الله تعالى مِنْ الحصاة ، وليس الطاوسُ المستحسنُ بأدَلَّ على الله تعالى مِنْ الخِنزير المستقبح . والنارُ والثلج وإنْ آختلفا فى جِهَة البرودة والسُّخونة ، فإنّهما لم يختلفا فى جهة البرهان والدّلالة .

وأظنُّك ممّن يرى أنّ الطاوسَ أكرمُ على الله تعالى من الغراب ، وأن

---

(١) من كلمة « قياسا » سقط الـكلام فى ل إلى هنا .

(٢) ط : « فالحق » وهو تحريف .

(٣) ط : « المطمئنة » مكان « المضمنة » ، و « المفيـدة » مكان « المقيـدة » وهو تحريف .

التُّدْرُجَ[1] أعزُّ على الله تعالى من الحِدَأةِ ، وأنّ الغزالَ أحبُّ إلى الله تعالى من الذئب . فإنّما هذه أمور فرّقها الله تعالى فى عيون الناس ، وميّزها فى طبائع العباد ، فجعَلَ بعضها بهم أقربَ شبها ، وجعل بعضَها إنسيًّا ، وجعل بعضَها وحشيًّا ، وبعضها غاذِياً ، وبعضها قاتلا . وكذلك الدُّرَّة وَالْخرَزة والتمرة[2] والجمرة . ٩٧

فلا تَذْهَبْ إلى ما تريك العينُ واذهَبْ إلى ما يريك العقل .

(الاعتماد على العقل دون الحواس)

وللأُمور حكمان : حكم ظاهرٌ للحواس ، وحكم باطنٌ للعقول . والعقل هو الحجَّة . وقد علمْنا أنَّ خزَنَة النارِ من الملائكة ، ليسوا بدون خزَنَةِ الجنَّة ؛ وأنَّ ملك الموت ليس بدُونِ ملَكِ السَّحاب ، وإن أتانا بالغَيث وجلب الحيَاء[3] ؛ وجبريلُ الذى يَنْزِل بالعذاب ، ليسَ بدونِ ميكائيل الذى ينزِل بالرحمة ؛ وإنَّما الاختلاف فى المطيع والعاصى ، وفى طبقاتِ ذلك ومواضعه . والاختلاف بين أصحابنا أنّهم إذا استووا فى المعاصى استَووا فى العقاب ، وإذا استَووا فى الطاعة استووا فى الثواب ، وإذا استووا فى عدم الطاعة والمعصية استووا فى التفضل . هذا هو أصل المقالة ، والقُطْب الذى تدورُ عليه الرحى .

---

(١) للفريق أمين المعلوف بحث طيب فى التعريف بهـذا الحيـوان ص ٩٨٧ من معجمه .

(٢) فى الأصل : « الثمرة » والوجه ما كتبت .

(٣) ط : « احياة » وهو تصحيف ما فى ل . والحيا : الخصب والمطر ، ويمد .

(التين والزيتون)

وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ﴾ فزعم زَيدُ بنُ أسلم أَنَّ التِّين دمشق ، والزيتون فِلَسطين . وللغاليةِ فى هذا تأويلٌ أرغبُ بالعِتْرة عنه[١] وذكره . وقد أخرجَ اللّٰه تبارك وتعالى الكلامَ مُخرَجَ القسم . وما تُعرَف دِمَشق إلّا بدِمَشق ، ولا فِلَسطين إلّا بفلسطين . فإن كنتَ إنَّما تقف من ذكرِ التين على مقدار طعمِ يابسِه ورَطْبه ، وعلى الإكتنانِ بورَقِه وأغصانه ، والوَقود بعِيدانه ، وأنّه نافعٌ لأصحاب السُّلِّ ، وهو غذاءٌ قويٌّ ويصلُح فى مواضعَ من الدواء ، وفى الأضْمدةِ ، وأنَّه ليس شىءٌ حلو إلّا وهو ضارٌّ بالأسنانِ غيره ، وأنَّه عند أهلِ الكتاب الشَّجرةُ التى أكَلَ منها آدمُ عليه السلام ، وبورقها سترَ السَّوءَة عند نزولِ العقوبة ، وأنّ صاحبَ البواسيرِ يأكله ليزْلِقَ عنه الثفل ، ويسهلَ عليه مخرج الزِّبل[٢] ؛ وتقف من الزيتون على زيتِه والاصطباح به ، وعلى التأدُّم بهما والوَقود بشجرهما ، وما أشبه ذلك من أمرهما ــ فقَدْ أسأتَ ظَنًّا بالقرآن ، وجهِلتَ فضلَ التأويل . وليس لهذا المقدارِ عظَّمهما الله عزَّ وجلَّ ، وأقسَمَ بهما ونوّه بذكرهما .

(التأمل فى جناح البعوضة)

ولو وقفْتَ على جَناحِ بَعوضةٍ وُقوفَ معتبِرٍ ، وتأمَّلتَه تأمُّلَ متفكِّرٍ بعد

---

(١) ط : « أرغب عن التعبير عنه » .
(٢) ط : « الثقل» موضع « الثفل »، و «البول » بدل « الزبل » وأثبت ما فى ل .

أن تكونَ ثاقبَ النَّظرِ سليمَ الآلة ، غوَّاصاً على المعانى ، لايعتريك من الخواطر إلّا على حسب صحَّةِ عقلك ، ولا من الشواغل إلّا مازادَ فى نشاطِك ، لملأت ممَّـا تُوجِدك العِبرةُ من غرائب الطوامير الطِّوال ، والجلود الواسعةِ الكِبار ، ولرَأَيتَ أنَّ له من كثرة التصرُّف فى الأعاجيب ، ومن تقلُّبه فى طبقات الحكمة ، ولرأيتَ له من الغُزْر والرَّيع ، ومن الحلَب والدَّرِّ والتبَجُّسَ عليك[1] من كوامِنِ المعانى ودفائِنها ، ومن خَفِيَّاتِ الحكم 98
وينابيعِ العلم ، مالا يشتدُّ معه تعجُّبُك ممَّن وقَفَ على مافى الدِّيك من الخصالِ العجيبة ، وفى الكلابِ من الأمور الغريبة ، ومن أصنافِ المنافع ، وفنون المرافق ؛ وما فيهما[2] من المِحَن الشِّداد ، ومع ما أودِعا من المعرفة ، التى مَتى تجلَّت لك تصاغرَ عندك كَبيرُ ما تستعظم ، وقلَّ فى عينك كثير ما تستكثر . كأنَّك تظنُّ أنَّ شيئاً وإنْ حسُن عندك فى ثمنِه ومنظره ، أنَّ الحكمةَ التى هى فى خلْقه إنَّما هى على مقدارِ ثمنه ومنظَره .

(كلمات الله)

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ مَا فِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ ﴾ والكلماتُ فى هذا الموضع ، ليس يُريد بها القولَ والكلامَ المؤلَّفَ من الحروف ، وإنَّما يريد النِّعَم والأعاجيب ، والصفات[3] وما أشبه ذلك ، فإنَّ كلًّا من هذه الفنون

(١) ط : « ولا ينحبس » .
(٢) ط : « فيها » .
(٣) ط : « الصلاة » ، وليس بشىء .

لو وقَف عليه رجلٌ رقيقُ اللسان صافى الذهن ، صحيحُ الفِكْر تامُّ الأَدَاة ، لما بَرِح أن تحسره[1] المعانى وتَغْمرَه الحِكَمَ .

وقد قال المتكلمون والرؤساء والجِلَّةُ العُظماءُ فى التمثيل بين الملائكةِ والمؤمنين ، وفى فرقِ ما بين الجنِّ والإنس . وطباعُ الجنِّ أبعدُ من طباع الإنس ، ومن طباعِ الديك ، ومن طباع الكلب . وإنّما ذهبوا إلى الطاعة والمعصية . ويخيَّل إلىَّ أنك لو [كنت] سمعتَهما يمثِّلان مابين التُّدْرُج والطاوُس ، لَمَا اشتدَّ تعجُّبُك . ونحن نرى أنَّ تمثيلَ ما بينَ خصالِ الذَّرَّة والحمامة ، والفيل والبعير ، والثَّعلبِ والذيب أعجَب . ولسنا نعنى أنَّ للذَّرَّة ما للطاوس من حسنِ ذلك الريش وتلاوينه وتعاريجه[2] ، ولا أنَّ لها غَناءَ الفرَس فى الحرب والدَّفْعِ عن الحريم ؛ لكنَّا إذا أردنا مواضعَ التدبير العجيبِ من الخلْق الخسيس ، والحسِّ اللطيفِ من الشىء السخيف[3] ، والنَّظرِ فى العواقب من الخلق الخارج من حدود الإنس والجنِّ والملائكة ، لم[4] نذهب إلى ضِخَم البدَن وعِظَم الحجم ، ولا إلى المنظر الحسَن ولا إلى كثرة الثمن . وفى القرد أعاجيبُ وفى الدُّبِّ أعاجيب ، وليس فيهما كبير مَرْفِقٍ إلّا بقدْرِ ما تتكسَّب به [أصحاب[5]] القردة ، وإنما قصدنا إلى شيئين يَشِيعُ القولُ فيهما ، ويكثُرُ الاعتبار ممّا يستخرِج العلماءُ من خفِىّ أمرهما . ولو جمعْنا بين الدِّيك وبين بعضِ

(١) ط : « تحشره » ، ويكون صوابها « تحشر له المعانى » . وأثبت ما فى ل . يقال : حسر البعير : ساقه حتى أعياه .

(٢) يقال ثوب معرج : أى مخطط فى التواء . وفى ل : « تقاريحه » . وانظر ٥ : ١٥٠ .

(٣) ط : « والحسن اللطيف فى الشىء السخيف » ، وهى عبارة مشوهة .

(٤) فى الأصل : « ولم » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ما ذكرت ، وبين الكلب وبين بعض ماوصفت ، لانقطع القولُ قبل أن يبلغَ حدَّ الموازنةِ والمقابلة .

وقد ذكرتَ أنَّ بعضَ مادعاك إلى الإنكار عليهما والتعجُّبِ من أمرهما ، سقوطُ قدرِ الكلب ونذالتُه ، وبَلَهُ الدِّيكِ وغباوتُه ، وأنَّ الكلبَ لابهيمةٌ ٩٩
تامَّة ولا سبعٌ تامٌّ ، وما كان ليخرجَه من شيءٍ من حدود الكلاب إلى حدود الناس ، مقدارُ ماهو عليه من الأُنس بهم ، فقد يكون فى الشيء بعضُ الشبه مِنْ شيء ولا يكون ذلك مُخرِجًا لها من أحكامِهما وحدودِهما .

(تشبيه الإنسان بالقمر والشمس ونحوهما)

وقد يشبِّه الشعراءُ والعلماءُ والبلغاءُ الإنسانَ بالقمر والشمس ، والغيثِ والبحر ، وبالأسد والسيف ، وبالحيَّة وبالنَّجم ، ولا يخرجونه بهذه المعانى إلى حدِّ الإنسان . وإذا ذمُّوا قالوا : هو الكلب والخنزير ، وهو القِرد والحمار ، وهو الثور ، وهو التَّيس ، وهو الذيب ، وهو العقرب ، وهو الجُعَل ، وهو القرنْبَى ؛ ثم لايُدخِلون هذه الأشياءَ فى حدود الناس ولا أسمائِهم ، ولا يُخرجون بذلك[1] الإنسانَ إلى هذه الحدودِ وهذه الأسماء . وسمَّوا الجاريةَ غزالا ، وسمَّوها أيضاً خِشْفاً ، ومُهْرةً ، وفاختِةً ، وحمامةً ، وزهرةً ، وقضيباً ، وخيزرانا ، على ذلك المعنى . وصنَعوا مثلَ ذلك بالبروج والكواكب ، فذكَروا الأسدَ والثور ، والحَمَل والجدى ، والعقربَ والحُوت ، وسمَّوها بالقوس والسُّنبلة والميزان ، وغيرها . وقال فى ذلك ابن عَسَلة الشيبانىّ[2] :

---

(١) ط : « ذلك » .

(٢) هو عبدالمسيح ، شاعر جاهلى ، روى له صاحب المفضليات ثلاث قصائد برقم ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ . والبيت روايته فى البيان ١ : ٢٢٩ مطابقة لهذه . والرواية فى المفضليات : « لصحوت » وقبله : =

فَصَحَوتَ والنَّمَرِىُّ يحسَبُها عَمَّ السِّماكِ وخَالَةَ النَّجْمِ[1]

ويُروى عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « نِعْمَتِ العَمة لَكُم النَّخلة [خُلقت مِنْ فضلة طينةِ آدم] » . وهذا الكلام صحيحُ المعنى ، لايَعيبه إلّا مَن لايعرِف مجاز الكلام . وليس هذا مِمّا يطَّرِد لنا أن نقيسَه ، وإنّما نُقدِم على ما أقدَموا ، ونُحجم عما أحجموا ، وننتهى إلى حيثُ انتهوْا .

ونراهم يسمُّون الرجلَ جملًا ولا يسمُّونه بعيراً ، ولا يسمُّون المرأةَ ناقة ؛ ويسمُّون الرجلَ ثوراً ولا يسمُّون المرأةَ بقرةً ، ويُسَمُّونَ الرجلَ حمارا ولا يسمون المرأة أتاناً ؛ ويسمُّون المرأة نعجةً ولا يسمُّونها شاة . وهم لايضعون نعجةً اسماً مقطوعا ، ولا يجعلون [ذلك[2]] علامةً مثلَ زيد وعمرو ، ويسمُّون المرأة عنْزا .

(تسمية الإنسان بالعالم الأصغر)

أوَ ما علمتَ أنّ الإنسان الذى خُلقت السمواتُ والأرضُ وَمَا بينَهما مِن أجْله[3] كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ سَخَّرَ لَكُمْ مَافى السَّمَوَاتِ وَمَا فى الْأَرْضِ جَميعاً مِنْهُ ﴾ إنّما سمَّوه العالَم الصغير سليلَ العالَمَ الكبير ، لِمَا وجَدوا فيه من جَمع أشكالِ مافى العالم الكبير ، ووجدْنا له الحواسَّ الخمسَ ووجدُوا فيه المحسوساتِ الخمس ، ووجدُوه يأكل اللّحمَ والحبَّ ، ويجمعُ

= يا كعب إنك لو قصرت على حسن الندام وقلة الجرم
وسماع مدجنة تعللنا حتى ننام تناوم العجم

(١) صوابه « لصحوت » كما فى المفضليات ٢٧٩ .

(٢) زيادة يتطلبها الكلام .

(٣) فى الأصل : « والأرض من أجله وما بينهما » ، وسويت القول كما ترى .

بينَ ما تقتاته البهيمةُ والسبع ، ووجَدوا فيه صَولةَ الجمل ووُثوبَ الأسد ، وغدْرَ الذئب ، وروَغان الثعلب ، وجُبْن الصِّفْرِد ، وجَمْعَ الذَّرَّةِ ، وصنْعةَ ١٠٠ السُّرْفة(١) وجُودَ الدِّيكِ ، وإلفَ الـكلب ، واهتداءَ الحمام . وربَّمـا وجدوا فيه ممَّـا فى البهائم والسباع خُلُقَيْن(٢) أو ثلاثة ، ولا يبلغُ أن يكون جمـلاً بأن يكون فيه اهتداؤه وغَيرته ، وصَولته وحِقدُه ، وصبرُه على حَمْل الثِّقْل ، ولا يلزَم شبهُ الذئبِ بقدْر ما يتَهَيَّأُ فيه من مِثل غدْرِه ومكْرِه ، واسترواحِه وتوحُّشه ، وشدَّة نُكْره . كما أن الرجلَ يصيبُ الرأيَ الغامضَ المرّةَ والمرَّتين والثَّلاثَ ، ولا يبلغُ ذلك المقدارُ أن يقال له داهيةٌ وذو نَكراء أو صاحبُ بَزْلاء(٣) ، وكما يخطئُ الرجل فيفحُش خَطَاؤُه(٤) فى المرَّة والمرَّتين والثلاث ، فلا يبلغ الأمرُ به أن يقال له غبىٌّ وأبلهُ ومنقوص .

وسمَّوه العالمَ الصغيرَ لأنَّهم وجدُوه يصوِّر كلَّ شىءٍ بيده ، ويحكى كلَّ صـوتٍ بِفَمه(٥) . وقالوا : ولأنَّ أعضـاءه مقسومةٌ على البروج الاثنى عشر والنجوم ِالسبعة ، وفيه الصفراء وهى من نِتاج النار ، وفيه السوداء وهى من نِتاج الأرض ، وفيه الدَّمُ وهو من نِتاج الهواء ، وفيه البلغَمُ وهو من نِتاج المـاء . وعلى طبائعه الأربع وضعت الأوتاد الأربعة(٦) .

---

(١) ط : « وصفة السرفة » وصوابه فى ل . ويقال فى المثل : « أصنع من سرفة » . الدميرى : دويبة سوداء الرأس وسائرها أحمر تتخذ لنفسها بيتا مربعا من دقائق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناوس ثم تدخل فيه وتموت .

(٢) فى ثمار القلوب ٢٨٠ حيث نقل هـذا الـكلام : « خلتين » وهو الأشبه بـكلام الجاحظ .

(٣) ط : « نكر » بدل « نكراء » وكلاهما صحيح . والنكراء ، والنكر بالضم : الدهاء والفطنة . والبزلاء : الرأى الجيد والشدائد .

(٤) الخطاء : الخطأ . والجاحظ يميل إلى استعمال الـكلمة الأولى .

(٥) ط : « يعيه » والوجه مافى ل .

(٦) ل : « وجدت الأوتار الأربعة » .

فجعَلوه العالَمَ الصغير ، إذ كانَ فيــه جميعُ أجزائِه وأخلاطِهِ وطبائعه . ألا تَرَى أنَّ فيه طبائعَ الغضبِ والرضَا ، وآلة اليقين والشكِّ ، والاعتقاد والوقف[1] وفيه طبائعُ الفِطنةِ والغَباوة ، والسلامة والمكر[2] ، والنصيحةِ والغِشِّ ، والوَفاء والغدر ، والرياء والإخلاص ، والحبِّ والبُغْض ، والجِدِّ والهزْل ، والبخْل والجُود ، والاقتصادِ والسَّرَف ، والتواضع والكبر ، والأُنسِ والوحشة ، والفكرة[3] والإمهال ، والتميــيز والخبْط ، والجبْن والشجاعة ، والحزم والإضاعة ، [والتبذير والتقتير] ، والتبذل والتعزز[4] ، والادِّخار والتوكُّل ، والقَناعة والحِرْصِ ، والرغبة والزُّهْد ، والسُّخْط والرِّضا ، والصــبر والجزَع ، والذِّكر والنسيان ، والخوفِ والرجاء ، والطَّمَعِ واليأس ، والتنزُّه والطَّبَع ، والشكِّ واليقين ، والحياء والقِحَة ، والـكِتْمانِ والإشاعة ، والإقرار والإنـكار ، والعلم والجهل ، والظلم والإنصاف ، والطلب والهَرب ، والحِقْد وسرْعة الرضا ، والحِــدَّةِ وبُعْدِ الغَضب ، والسُّرور والهمّ ، واللَّذَّةِ والألَمَ[5] والتأميلِ والتمنِّي ، والإصرارِ والنَّدَم ، والجِمَاحِ والبَدَوات[6] ، والعيِّ والبلاغَة ، والنُّطْق والخرَس ، والتصميمِ والتوقف[7] والتغافُلِ والتفاطُن ، والعفــوِ والمكافأة ، والاستطاعةِ والطبيعة[8] وما لا يحصى عدده[9] ، ولا يُعرَف حَدُّه .

---

(١) ط : « والتمنى » .

(٢) ط : « والنكر » .

(٣) لعلها « الطفرة » ليصح قرنها بالإمهال .

(٤) ط : « والتبذل والتعزز » وهو تحريف ما فى ل .

(٥) ط : « والآلام » والوجه ما فى ل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « البذات » .

(٧) ل : « والتكفى » .

(٨) كذا .

(٩) ط : « عده » .

فالكلبُ سبع وإن كانَ بالناس أنيساً ، ولا تخرِجُه الخصلة والخصلتان ١٠١
ممَّا قاربَ بعضَ طبائع الناس ، إلى أن يخرجَه من الكَلْبيَّة . قال : وكذلك الجميع . وقد عرَفت شبَه باطنِ الكلب(١) بباطن الإنسان ، وشبَه ظاهِر القرد بظاهر الإنسان : ترى ذلك فى طَرْفِه وتغميضِ عينه ، وفى ضِحْكه وفى حكايته ، وفى كفِّه وأصابعه ، وفى رفعِها ووضعِها ، وكيف يتناولُ بها ، وكيف يجهز اللُّقمة إلى فيه وكيف يكسِر الجَوْزَ ويستخرج لبَّه(٢) وكيف يَلْقَنُ كل مَا أُخِذَ به(٣) وأُعيدَ عليه ، وأنَّه من بينِ جميعِ الحيوان إذا سقط فى الماء غرِق مثلَ الإنسان ، ومع اجتماعِ أسبابِ المعرفة فيه يغرق ، إلاّ(٤) أن يكتسب معرفةَ السباحة ، وإن كان طبعُه أوفى وأكمل فهو من هاهنا أنقص وأكلُّ . وكلُّ شيءٍ فهو يسبَح من جميع الحيوانات ، ممَّا يوصف بالمعرفة والفِطنة ، وممَّا يوصَفُ بالغَباوة والبَلادة ؛ وليس يصير القردُ بذلك المقدار من المقارَبَة إلى أن يخرُج من بعض حدود القرود إلى حدود الإنسان .

(عود إلى الحوار فى شأن الكلب والديك)

وزعمتَ أنَّ ممَّا يمنعُ من التمثيل بين الديك والكلب أنّه حارسٌ محترسٌ منه . وكلُّ حارسٍ من الناس فهو حارسٌ غيرُ مأمونٍ تَبدُّلُه .

ولقد سأل زيادٌ ليلةً من الليالى : مَنْ على شُرطتكم ؟ قالوا : بَلْجِ بنُ نُشْبَة الجُشَمىّ . فقال :

وساعٍ مع السلطانِ يَسعى عليهمُ ... ومحترَسٍ مِن مثلِه وهو حارس

(١) ط : « باطن شبه الكلب » .
(٢) ل : « سره » وهما بمعنى .
(٣) ط : « يلق كلما أخذ به » وهو تحريف . وفى ثمار القلوب ٣٢٤ « يتقن » .
(٤) ط : « إلى » .

ويقال : إن الشاعر(١) قال هذا الشعرَ فى الفلافس النَّهشَلىّ(٢) ، حين ولِىَ شُرطةَ الحارث بن عبد الله [فقال] :

أقلِّى علىَّ اللومَ يا ابنةَ مالكٍ وذُمِّى زماناً سادَ فيه الفُلافسُ
وساعٍ مع السلطان يَسعَى عليهمُ ومُحترسٍ من مثلِه وهو حارسُ

وليس يُحكَمَ لِصغار المضارِّ على كبارها(٣) بل الحكمُ للغامر على المغمور(٤) والقاهِر على المقهور . ولو قد حكَينا ما ذكر هذا الشَّيخُ من خِصال الكلب وذكَرَ صاحبُه من خصالِ الديك ، أيقنتَ أنَّ العجَلةَ من عمل الشيطان ، وأنَّ العُجْبَ بئس الصاحب .

وقلتَ : وما يبلغُ من قدْر الكلب ومِن مقدارِ الديك ، أن يتفرَّغ لهما شيخان من جِلَّة المعتزِلة ، وهم أشراف(٥) أهلِ الحكمة ؛ فأىُّ شىءٍ بلغ ، غفر الله تعالى لك ، من قدْرِ جزءٍ لايتجزَّأ من رمْل عالج ، والجزءِ الأقلِّ من أوَّل قطْع الذَّرَّة للمكان السحيق ، والصحيفة التى لا عمقَ لها ، ولأىِّ
١٠٢ شىء يُعنَوْن بذلك ، وما يبلغ من ثمنِه وقدْرِ حجْمه ، حتَّى يتفرَّغَ للجدالِ فيه الشُّيوخ الجِلَّة ، والكهولُ العِلْية ، وحتَّى يختاروا النَّظرَ فيه على التسبيح والتهليل ، وقراءةِ القرآن وطولِ الانتصابِ فى الصلاة ؛ وحتَّى يزعم أهلُه

---

(١) هو عبد الله بن همام السلولى . ترجم له ابن قتيبة فى الشعراء ٦٣٣ . وانظر عيون الأخبار ١ : ٥٧ والمحاسن والمساوى للبيهقى ١ : ١٢٦ .

(٢) قال ابن قتيبة : كان الفلافس هذا على شرطة الكوفة من قبل الحارث بن عبد الله ابن أبى ربيعة المخزومى أخى عمر بن أبى ربيعة . . وخرج الفلافس مع ابن الأشعث فقتله الحجاج .

(٣) ل : « على كبار المنافع » .

(٤) ل : « للعامر على المعمور » وما أثبته من ط أشبه .

(٥) ل : « شراف » .

أنّه فوقَ الحجِّ والجهاد ، وفوقَ كلِّ برٍّ واجتهاد[1] . فإنْ زعمتَ أنَّ ذلك كلّه سواءٌ ، طالت الخُصومةُ معَك ، وشغلْتنا [بهما] عمَّا هو أولى بِنا فيك . على أنَّك إذا عَمَمْتَ ذلك كلَّه بالذمِّ ، وجَلَّلته بالعيب ، صــارت المصيبةُ فيك أجلَّ ، والعزاءُ عنها أعسر . وإن زعمتَ أنَّ ذلك إنَّمـا جاز لأنَّهم لم يذهبُوا إلى أثمـان الأعيان فى الأسواق ، وإلى عظم الحجم ، وإلى ما يروقُ العينَ ويلائمُ النفس ، وأنَّهم إنَّمـا ذهبوا إلى عاقبة الأمر فيــه ، وإلى نتيجتِه ، وما يتولَّد عنه من علم النِّهايات ، ومن باب الـكلِّ والبعْض ، وكان ويكون ، ومن باب ما يحيط به العلم أو ما يفضل عنه ، ومن فَرقِ [ما[2]] بين مذاهب الدُّهريَّة ومذاهب الموحِّدين . فإن كان هــذا العذْرُ مقبولاً ، وهذا الحـكم صحيحاً ، فكذلك نقول[3] فى الـكاب ، لأنَّ الـكابَ ليس له خطرٌ ثمين ولا قَدْر فى الصدر جليل ؛ لأنَّه إن كان كابَ صيد فديتُه أربعون دِرهما ، وإن كان كلب ضَرْعٍ فديتُه شاة ، وإن كان كلبَ دارٍ فديتُه زِنبيلٌ من ترابٍ ، حُقّ على القاتل أن يؤدِّيَه ، وحُقَّ على صاحبِ الدار أن يقبلَه ، فهذا مقدارُ ظاهِر حاله [ومُفتَّشِه] . وكوامِنُ خِصاله ، ودفائنُ الحـكمةِ فيه . والبرهاناتُ على عجيب تدبير الربِّ تعالى ذكرُه فيه ، على خلاف ذلك ؛ فلذلك استجازُوا النَّظَر فى شأنه ، والتمثيلَ بينَه وبين نظيره .

وتعلم أيضاً مع ذلك أنَّ الـكلبَ إذا كانَ فيه ، مع خُمـوله وسقوطِه ، مِن عجيبِ التدبير والنِّعمةِ السابغةِ والحـكمةِ البالغة ، مثلُ هــذا الإنسان

---

(١) ل : « كل أثرة وإجهاد » وليس بشيء .

(٢) زيادة يقتضيها الـكلام .

(٣) ط : « يقول » وهو تحريف .

الذى له خلق الله السموات والأرض وما بينهما ، أحقُّ بأنْ يُفكرا فيه ، ويُحْمَدَ اللهُ تعالى على ما أودَعَه من الحكمةِ العجيبةِ ، والنِّعمة السابغة .

وقلت : ولو كان بدلُ النظرِ فيهما النظرَ فى التوحيدِ ، وفى نفى التشبيه ، وفى الوعد والوعيد ، وفى التعديل والتجوير ، وفى تصحيح الأخبار ، والتفضيلِ بين علم الطبائع والاختيار ، لكان أصوبَ .

(دفاع عن المتكلمين)

والعجبُ أنَّك عَمَدْتَ إلى رجالٍ لا صناعةَ لهم ولا تجارةَ إلاَّ الدعاءُ إلى ما ذكرت ، والاحتجاجُ لما[1] وصفت ، وإلاَّ وضْعُ الكتبِ فيه والولايةُ والعداوةُ فيه ، ولا لهمْ لَذّةٌ ولا هَمٌّ ولا مذهبٌ ولا مجازٌ إلا عليهِ وإليه ؛

١٠٣ فحين أرادُوا أن يُقَسِّطُوا بينَ الجميعِ بالحِصص ، ويَعْدِلوا بينَ الكلِّ بإعطاء كلِّ شىء نصيبه ، حتَّى يقعَ التعديلُ شاملاً ، والتقسيطُ جامعًا ، ويظهرَ بذلك الخفىُّ من الحِكَمَ ، والمستورُ من التدبير ، اعترضْتَ بالتعنُّتِ والتعجُّب ، وسطّرت الكلامَ ، وأطلتَ الخطب ، من غير أنْ يكون صوَّبَ رأيَكَ أديبٌ ، وشايَعَك حكيم .

(نسك طوائف من الناس)

وسأضرب لك مثلاً قد استوجبتَ أغلظَ منه ، وتعرَّضتَ لأشدَّ منه ولكنَّا نستأنِى بك وننتظِرُ أوْبَتَك . وَجَدْنَا لجميعِ أهلِ النَّقص ، ولأهلِ كلِّ صِنفٍ منهم نُسْكاً يعتمِدون عليه فى الجَمَال ، ويحتسِبون به فى الطاعة وطلَب المثُوبة ، ويفزَعون إليه ، على قدْرِ فسادِ الطِّباع ، وضعفِ الأصل ،

(١) فى الأصل : « بما » .

واضطرابِ الفرْع ، مع خبْث المنشإِ ، وقلّةِ التثبُّتِ والتوقُّفِ ، ومع كثرة التقلُّب والإقدام مَعَ أوّلِ خاطر : فنُساك المريبِ المرتابِ من المتكلِّمين أنْ يتحلَّى برمْى الناسِ بالرِّيبة ، ويتزيَّنَ بإضافةِ ما يجدُ فى نفسه إلى خَصمه ، خوفاً من أن يكونَ قد فطِن له ، فهو يستُرُ ذلك الداءَ برمْيِ الناس به .

ونُسكُ الخارجيِّ الذى يتحلَّى به ويتزيَّا بجماله ، إظهارُ استعظامِ المعاصى ، ثم لايَلتفِت إلى مجاوزَة المقدارِ وإلى ظُلْمِ العباد ، ولا يقِف على أنَّ الله تعالى لايحبُّ أن يَظْلِمَ أظلمَ الظَّالمين ، وأنَّ فى الحقِّ ما وسِعَ الجميع .

ونسْك الُخراسانيِّ أن يَحُجَّ وينَام على قفاه ، ويعقد[1] الرِّياسة ، ويتهيَّأ للشَّهادة ، ويبسُطَ لسانَه بالحِسْبة . وقد قالوا : إذا نَسَك الشَّريفُ تواضَعَ ، وإذا نسَكَ الوضيعُ تكبَّر . وتفسيرُه قريبٌ واضح .

ونُسْك البَنَوى[2] والجنديِّ طرحُ الديوانِ ، والزِّرايةُ على السُّلطان[3] . ونسك دَهاقِين السَّوادِ تركُ شُرْب المطبوخ[4] . ونُسْك الخصِيِّ لُزُومُ طَرَسُوس وإظهارُ مجاهَدَةِ الروم . ونُسك الرافضيِّ تركَ النبيذ . ونسك البستانيِّ تركُ سَرِقة الثَّمر . ونُسْك المغنِّى الصَّلاةُ فى الجماعة وكثرةُ التسبيح ، والصلاةُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم .

ونسك اليهودِيِّ التشدُّدُ فى السَّبْت وإقامته .

والصوفىُّ المظهرُ النُّسكَ من المسلمين ، إذا كان نسلًا يبغض العمل

---

(١) ط : « يفقد » وليس بشىء .

(٢) ط : « الكوفى » .

(٣) ط : « والزيارة للسلطان » ل : « والزيارة على السلطان » وقد جعلت القول كما ترى .

(٤) فى القاموس : « الطبيخ ضرب من المنصف » . وفى مادة نصف « وكمعظم : الشراب طبخ حتى ذهب نصفه » .

تطرف(١) وأظهر تحريمَ المكاسب، وعاد سائلًا ، وجعل مسألتَه وسيلة إلى تعظيم الناسِ له .

وإذا كان النَّصرانيُّ فسلًا نذْلا مبغِضاً للعمَل، ترهَّب ولَبِس الصُّوف ؛ لأنَّه واثقٌ أنَّه متى لبِس وتزيَّا بذلك الزِّيِّ وتحلَّى بذلك اللِّباس ، وأظهر تلك السِّيما ، أنَّه قد وجَبَ على أهل اليُسرِ والثَّروة منهم أن يعُولُوه ويَكْفُوه ، ثمَّ لايرضى بأنْ رَبحَ الكِفاية باطلًا حتّى استطال بالمرتبة .

١٠٤ فإذا رمى المتكلِّمُ المريبُ أهلَ البراءة ، ظنَّ أنَّه قد حوَّل ريبتَه إلى خَصمه ، وحوَّل براءةَ خصمِه إليه . وإذا صار كلٌّ واحدٍ من هذه الأصناف إلى ما ذكرنا ، فقد بلغ الأمنيَّة ، ووقَفَ على النِّهاية . فاحذَر أن تكونَ منهم واعلَمْ أنَّك قد أشبهتهم فى هذا الوجه ، وضارعتَهم فى هذا المذهب .

باب

ممّا قدَّمْنا ذكرَه ، وبينَه وبينَ ما ذكرنا بعضُ الفرْق .

يقال : أجرأ من الليث ، وأجبَنُ من الصِّفْرِد ، وأسخَى مِنْ لافِظة ، وأصبرُ على الهُونِ(٢) من كَلب ، وأحذر من عَقْعَق ، وأَزهى مِن غراب ، وأصنَع من سُرفَة(٣) وأظلم من حيَّة ، وأغدَر من الذئب ، وأخبَث من ذئبِ خَمَرَ(٤) وأشدُّ عداوةً من عقرب ، وأروغُ من ثعلب ، وأحمقُ من حُبارى ، وأهدى من قطاة ، وأكذَبُ مِن فاختة ، وألأمُ من كلبٍ على جيفة ،

(١) ط : « بين » بدل « من » ، و « ببعض » موضع « يبغض » . وفى ل : « تصوف » موضع « تطرف » .

(٢) ل : « الهوان » وهما بمعنى .

(٣) ط : « واضع من شرفة » . وانظر الحاشية رقم (١) ص ١٠٠ .

(٤) ط : « ضمر » وهو تحريف . والخمر ، بالتحريك : ماواراك من شجر وغيره .

وأجمَعُ من ذَرّة ، وأضلُّ من حِمار أهلى[١] ، وأعقُّ من ضَبٍّ ، وأبرُّ من هِرَّة ، وأنْفَر من الظليم ، وأضَلّ من وَرَل[٢] وأضلُّ من ضبٍّ ، وأضلُّ من الحيَّة .

فيعبِّرون عن هذه الأشياء بعبارةٍ كالعبارة عن الناس ، فى مواضع الإحسان والإساءة ، حتَّى كأنَّهم من الملومِين والمشكورين ، ثم يعبِّرون فى هذا البابِ الآخَر بدونِ هذا التعبير ، ويجعلونَ خبَرَهم[٣] مقصوراً على مافى الخِلقة من الغريزة والقُوى فيقولون : أبصرُ من عُقاب ، وأسمعُ من فرَس ، وأطولُ ذماءً من ضبٍّ ، وأصحُّ من الظليم .

والثانى يشْبِه العبارةَ عن الحمد والذمِّ ، والأوَّل يُشبِه العبارةَ عن اللائمةِ والشكر[٤] . وإنَّما قلنا ذلك ، لأنَّ كلّ مشكورٍ محمود ، وليس كلُّ محمودٍ مشكورا ؛ وكلَّ ملومٍ مذموم وليس كلُّ مذمومٍ ملوما . وقد يحمدون البَلدةَ ويذمُّون الأخرى ، وكذلك الطعام والشراب ، وليس ذلك على جهة اللّوم ولا على جهة الشكر ؛ لأنَّ الأجْر[٥] لايقع إلَّا على جهة التخيُّر والتكلُّف ، وإلَّا على مالا يُنال إلّا بالاستطاعة[٦] والأوَّلُ إنَّما يُنالُ بالخِلقة وبمقدارٍ من المعرفة ، ولا يبلغ أنْ يسمَّى عقْلا ، كما أنّه ليس كلُّ قُوَّةٍ تسمَّى استطاعة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) ل : « أهله » .

(٢) ل : « أشرد من ورل » .

(٣) ط : « خيرهم » والصواب مافى ل .

(٤) ط : « السلامة والشكر » والوجه مافى ل .

(٥) ط : « الأخر » وهو تصحيف .

(٦) ط : « مالا يقال التمنى بالاستطاعة » وهى عبارة مشوهة .

باب

ما ذكر صاحبُ الديك من ذمِّ الكلابِ وتعدادِ أصنافِ معايبها[١] ومثالبها ، مِن لؤمها وجبنها[٢] وضعْفها وشرَهها ، وغدْرِها وبَذائها ، وجهْلها وتسرُّعِها ، ونتْنها وقذَرها ، وما جاء فى الآثار من النَّهْى عنِ اتخاذها
١٠٥ وإمساكها ، ومن الأَمْر بقتْلِها وطردها ، ومن كثرةِ جناياتها وقلَّة رَدِّها[٣] ومِن ضرب المثَل بلؤمها ونذالتها ، وقبحِها وقبْحِ معاظلتِها[٤] وَمِن سماجة نُباحِها وكثرة أذاها ، وتمذُّر المسلمين من دنوِّها[٥] [وأنّها تأكل لحومَ الناسِ] ، وأنَّها كالخلْق المركّبِ والحيوان الملفّق : كالبغْل فى الدوابِّ وكالراعِبِىِّ فى الحمام[٦] ، وأنّهـا لاسبعٌ ولا بهيمة ، ولا إنسـيَّةٌ ولا جِنِّيَّة ، وأنَّها من الحِنِّ[٧] دون الجِنّ ، وأنّها مطايا الجِنِّ ونوعٌ من المِسْخ ، وأنَّها تنبُش القبورَ وتأكُلُ الموتى ، وأنَّها يعتريها الكَلَبُ مِن أكل لحوم الناس .

فإذا حكَيْنَا ذلكَ حكَينا قولَ من عدَّد محاسنَها ، وصنَّف مناقبها ، وأخذْنا مِنْ ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال إيَّاها[٨]

---

(١) ط : « معائبها » بالهمز وهو خطأ صوابه فى ل ، إذ المعايب جمع معاب أو معابة بمعنى العيب ، فياؤه فى الجمع أصيلة غير زائدة فلا يصح قلبها همزة ، مثلها فى ذلك مثل معيشة ومعايش .

(٢) ط : « وخبثها » والكلب يوصف بالجبن .

(٣) الرد : النفع . ماعدا ل : « ودها » ، تحريف .

(٤) ط : « معاطاتها » وهو تحريف . والعظال : الملازمة فى السفاد من الكلب ونحوه .

(٥) ط : « درنها » .

(٦) ط : « والزاغبى من الحمام » وهو تصحيف نبهت على صوابه فيما سبق .

(٧) ط : « الجن » وصوابه فى ل .

(٨) ط : « وتغذية الرجال إياها » وهو تحريف .

واستهتارهم بها ، وذكر كسْبِها وحراستها ، ووفائها وإلْفها وجميعِ منافعها ، والمرافقِ التى فيها ، وما أُودِعت من المعرِفة الصحيحةِ والفِطَن العجيبة والحسِّ اللطيف[١] والأدب المحمود . وذلك سِوى صِـدق الاسترواح وجَودَةِ الشمِّ ، وذِكْر حفظها ونَفَاذها واهتدائها ، وإثباتِها لصُوَر أربابها وجيرانها ، وصبرِها ، ومعرفتِها بحُقوق الكرام ، وإهانتها اللئام ، وذكر صبْرها على الجفا ، واحتمالها للجوع ، وذكر ذِمامها وشدَّةِ مَنْعِها مَعَاقِدَ الذِّمَارِ منها[٢] ، وذكر يَقَظَتِها وقِلَّة غفلتِها[٣] وبُعْدِ أصواتها ، وكثرة نسْلها وسرعة قَبولها وإلقاحها وتصرُّفِ أرحامِها فى ذلك ، مع اختلاف طبائِـع ذكورها والذكور من غير جنسها ، وكثرةِ أعمامِها وأخوالها ، وتردُّدها فى أصناف السِّباع ، وسلامتها من أعراق البهائم ، وذكر لَقَنِها وحكايتِها ، وجودة ثقافتِها ومَهْنِها[٤] وخِدمتِها ، وجِدِّها ولِعْبِها وجميعِ أمورها ؛ بالأشعارِ المشهورةِ والأحاديث المأثورة ، وبالكُتُبِ المنزَّلة والأمثالِ السائرة ، وعن تجربةِ النَّاس لها وفِراستِهم فيها ، وما عايَنوا منها ؛ وكيف قال أصحابُ الفأل فيها ، وبإخبار المتطيِّرين عنها ، وعن أسنانها[٥] ومنتهى أعمارها وعدد جرائها ، ومدَّةِ حملها ، وعن أسمائها وألقابِها ، وسِماتِها وشِياتها ، وعن دوائها وأدوائها

---

(١) ط : « والحسن اللطيف » وليس بشىء .

(٢) ل : « منتها » موضع « منعها » . ط : « الذمام » مكان « الذمار » . والذمار : مايلزمك حفظه وحمايته ، وأما الذمام فهو الحق .

(٣) ل : « وكثرة غفلتها » وبذلك يفسد المعنى .

(٤) ط : « ثقافها » موضع « ثقافتها » والوجه فى الثانى . إذ الثقاف : هو الجلاد والخصام وماتسوى به الرماح . ولا وجه له هنا . وأما الثقافة فهى من ثقف ككرم وفرح صار حاذقا خفيفا فطنا . . . وفى ل : « وفهمها » بدل « مهنها » .

(٥) ط : « أسنادها » وليس بشىء .

وسياستها ، وعن اللاتى لا تلقَنُ منها[١] وعن أعراقِها والخارجيِّ منها[٢] وعن أصول مواليدها ومخارج بلدانها .

وذكر صاحبُ الديك ما يحفظ من أكلِ الكلابِ للحُوم النَّاس فقال : قال الجَارود بن أبي سَبْرَة[٣] فى ذلك :

ألم تر أنَّ اللهَ ربِّى بحَوْلِه   وقوَّتِه أخزى ابنَ عَمْرَةَ مالكا
١٠٦ فَمَنْ كانَ عنه بالمغيَّبِ سائلاً   فقد صارَ فى أرض الرُّصافةِ هالكا
تظلُّ الكلابُ العادياتُ يَنُشْنَه   إذا اجتَبْنَ مُسْوَدًّا مِنَ الليلِ حالكا[٤]

وقال نُفَيع بن صفَّار المحاربى[٥] من ولد مُحارِب بن خُصَفة[٦] فى حرب قيسٍ وتغلِب :

أفنَتْ بَنِى جُشَم بن بكرٍ حَرْبُنا   حتى تعادَلَ مَيلُ تَغلِب فاستَوَى
أكَلَ الكلابُ أنوفَهم وخُصَاهُمُ   فلتَبْكِ تَغْلِبُ للأُنوفِ وللخُصى

وقال أبو يعقوب الُخرَيْمى ، وهو إسحاق بن حسَّان بن قوهى[٧] فى قتلَى حربٍ ببغداد :

---

(١) ط : «لاتلق منها» وهو تحريف .
(٢) الجاحظ يجعل « الخارجى » مقابل «العريق » كما فى البيان ١ : ٣٠، ٩٠ .
(٣) ط : « سمرة » وهو تحريف . قال الجاحظ فى البيان ١ : ٣٢٩ . « وكان الجارود بن أبي سبرة – ويكنى أبا نوفل – من أبين الناس وأحسنهم حديثا . وكان راوية علامة شاعرا مفلقا . وكان من رجال الشيعة ولما استنطقه الحجاج قال : ماظننت أن بالعراق مثل هذا ! ! » . توفى سنة ١٢٠ كما فى تقريب التهذيب ص ٢٨ .
(٤) ل : « ينبنه » مكان «ينشنه » ط : « إذا اجتن مستورا » .
(٥) ط : « نقيع بن الصفار المحاربى » وأثبت ما فى ل .
(٦) ط : « خضعة » والصواب « خصفة » كما فى نهاية الأرب ١ : ٣٣٤ .
(٧) ط : « ابن يعقوب الخزيمى . وهو إسحاق بن حسان بن موسى » والصواب ما أثبت من ل ومن تاريخ بغداد ٣٣٦٩ . قال الخطيب : « وأصله من خراسان من بلاد السغد ، وكان متصلا بخريم بن عامر المرى وآله فنسب إليه . وقيل كان اتصاله بعثمان بن خريم =

وهَل رأيتَ الفتيانَ فى باحة الْمعْــرَكِ مَعفورةً مَنَاخِــرُها[١]

كلّ فــتًى مانعٍ حقيقَتَه يشقَى به فى الوَغَى مَساعِرُها

باتَتْ عليه الكلابُ تنهَشُه مخضوبةً من دمٍ أظافرُها

وقال أبو الشمقمق (وهو مَرْوان بن محمد ، مولى مرْوان بنِ محمَّد ، ويكنى أبا محمَّد)[٢] :

يُوسفُ الشاعرُ فَرْخٌ وجَــدُوه بالأُبُلَّه

حَلَقِيٌّ قَــدْ تُلقِّى كامناً فى جَوف جُلَّه[٣]

خيَّطوها خشْيَةَ الكلــبِ عليْهِ بمِسَلَّه

وذُكر لى عن أبى بَـكر الهُذَلىِّ ، قال : كنَّا عندَ الحسن إذ أقبل وكيع ابن أبى سُود فجلس ، فقال يا أبا سعيد : ما تقولُ فى دم البراغيث يُصيب الثوب : أيصلَّى فيه ؟ فقال : يا عجبا ممَّن يلَغ فى دماءِ المسلمين كأنَّه كلبٌ ، ثم يسألُ عن دم البراغيث !! فقام وكيعٌ يتخلَّج فى مِشيتِه كتخلُّج المجنون ، فقال الحسن : إنَّ لله فى كلِّ عضوٍ منه نعمةً فيستعين بها على المعصية ، اللَّهمَّ لا تجعلْنا ممَّن يتقوَّى بنعمتِك على معصيتك ! !

= وأبوه خريم الموصوف بالناعم » ، ثم قال : « وله مدائح فى محمد بن منصور ابن زياد ويحيى بن خالد وغيرهما . ه . السجستانى : الخريمى أشعر المولدين » . وانظر لخريم الناعم قاموس الزركلى ١ : ٢٩٠ ، وأمثال الميــدانى ٢ : ٢٨١ . والقصيدة فى تاريخ الطبرى ١٠ : ١٧٦ — ١٨٠ .

(١) ط : « ساعة » — ولعلها « ساحة » — موضع « باحة » .

(٢) ترجمتــه فى تاريخ بغــداد ٧١٢٨ وابن خلــكان ، فى تضاعيف ترجمة يزيد ابن مزيد ، ولم يفرد له ترجمة . وأبو الشمقمق اجتمع ببشار وأبى نواس ، ودخل بغداد فى أيام الرشيد ، وهو بصرى .

(٣) ط « حلق بلق » . وانظر شفاء الغليل للخفاجى فى تفسـير الحلق . والبلق لعله منسوب إلى البلق بالتحريك بمعنى الحمق ، و« كامنا » هى فى الأصل « كامن » والوجه النصب .

(ما أضيف من الحيوان إلى خبث الرائحة)

وقال صاحب الديك : أشياءُ مِنَ الحيوانِ تُضافُ إلى نتْنِ الجُلُود وخُبث الرائحة ، كريح أبْدان الحيَّات ، وكنتْن التُّيوس وصُنانِ عرَقها ، وكنتن جِلدِ الكلب إذا أصابه مطر . وضروبٌ من النَّتن فى سوى ذلك نحنُ ذاكروها إن شاء الله تعالى .

وقال رَوح بن زنباع الجُذَامىّ فى امرأته ، وضرب بالكلب المثل :

رِيحُ الكرائمِ معروفٌ لَهُ أَرَجٌ ... وريحُها ريحُ كلْبٍ مَسَّهُ مَطَرُ

قال : وكانت امرأةُ رَوح بن زِنباع أمَّ جعفر بنتَ النُّعمان بن بشير ،

١٠٧ وكان عبدُ الملك زوَّجه إيّاها ، وقال : إنَّها جاريةٌ حسناء ، فاصبرْ على بَذَاءِ لسانِها .

وقال الآخر :

وريحُ مَجْروبٍ وريح جُلَّه ... وريح كلبٍ فى غَدَاةٍ طَلَّهْ (١)

وأنشد أبو زيد فى ذلك :

كأنَّ رِيحَهُمُ من خُبْثِ طُعْمَتِهِمْ ... ريحُ الكلاب إذا ما بلّها المطر (٢)

ومما ذُكر به الكلبُ فى أكله العَذِرة ، قولُ الراجز :

* أَحرَصُ من كلبٍ على عِقْىِ صَبِى (٣) *

وقال مثل ذلك حَنْظَلة بن عَرَادة [فى ذكره] لابنهِ السَّرَنْدَى :

---

(١) ط : « كلة » وتصحيحه من ل .

(٢) ط : « إذا مامسها مطر » . والبيت لحسان بن ثابت فى ديوانه ص ٢٢٧ .

(٣) ط : « عقى » والصواب بالقاف كما فى ل . والعقى بالكسر : ما يخرج من بطن الولد حين يولد .

ماللسَّرَنْدَى أطالَ اللهُ أَيْمَتَهُ   خَلَّى أباه بقفر البِيد وادَّلجا[١]

مُجْعٌ خبيثٌ يُعاطِى الكَلْبَ طُعْمَتَه   وإن رأى غفلةً من جارِه ولجا[٢]

رَبَّيْتــه وهو مثــلُ الفَرْخِ أَصْرُبُهُ

والـكلبُ يلحَسُ من تحتِ استِه الرَّدَجا[٣]

يقال للذى يخرُج من بطن الصبىِّ حين يخرُج من بطن أمه عِقى بكسر العين ، ويقال عقَى الصبى يعقِى عَقْياً ، فإذا شُدَّ بطنُه للسِّمن قيل قد صُرِبَ ليسمَن[٤] . والعِقى وهو العَقْية الغيبة ، وإيَّاه عَنَى ابنُ عمر حين قيل له : هلاَّ بايعت أخاك ابن الزُّبير ؟ فقال : إنَّ أخى وضَعَ يده فى عَقْيَةٍ[٥] ودعا إلى البَيعة . إنِّى لا أنزَع يَدِى مِن جماعةٍ وأَضعُها فى فُرقة[٦] .

وفى الحديث المرفوع : « الراجعُ فى هِبَتِه كالرَّاجِع فى قَيئِه » . وهـذا المثلُ فى الـكلب .

ويقالُ : « أبخَلُ من كلبٍ على جِيفة » . وقال بعضُهم فى الـكلب : الجِيفة أحبُّ إليــه من اللّحم الغريض ، ويأكل العَذِرة ويرجِـع فى قيئه ، ويشغَر ببَوله فيصير فى جوفِ فيه وأنفه ، ويحذفه تِلقاءَ[٧] خَيشومه .

---

(١) ط : « بغبر البيد » .
(٢) ط : « ريح خبيث » وهو تحريف . والمجـع بالكسر : الأحمق ، إذا جلس لم يكد يبرح من مكانه ، والجاهل ، وفيها « جارة » وهو تصحيف .
(٣) ط : « أعظمه » موضع « أصربه » وفى ل « أطعمه » وأثبت مايقتضيه كلام الجاحظ الآتى .
(٤) فى الأصل « اشتد » موضع « شد » ، وهو تحريف . وفى ط : « ضرب » مكان « قدصرب » وتصحيحه من ل .
(٥) ط : « قيئة » وبذلك يفوت الاستشهاد . والصواب فى ل .
(٦) ط : « واضعا فى فرقة » .
(٧) ل : « ويسدده » .

وقال صاحب الكلب : إنْ كنتُم إنَّما تستسقطون الكلب[١] وتستسفلونه بهذا وأشباهه ، فالجيفةُ أنتنُ من العذرة ، والعَذرة شرٌّ من القيء ، والجيفة أحبُّ إلى أشراف السباع ورؤسائها من اللحم العبيط الغريض الغضِّ .

(مأكل السبع)

والأسَد سَيِّد السباع ، وهو يأكل الجِيفــةَ ، ولا يعرِض لشرائع الوحش وافتراس البهائم ، ولا للسابلة من الناس ، ما وَجَدَ فى فريسته فَضْلة . ويبدأ بعدَ شُرْب الدَّم فيبقُر بطنَه ويأكل ما فيــه من الغثيثة والثفل[٢] والحَشْوة والزِّبل ، وهو يرجع فى قيئه ، وعنه[٣] ورِث السِّنَّور ذلك .

(ما قيل فى السبع من الأمثال)

وهو المضروبُ به المثلُ فى النَّجدة والبسالة ، وفى شِــدَّة الإقدام[٤]
١٠٨ والصَّولة ، فيقال : « ما هو إلاّ الأسد على براثنه » و «هو أشدُّ من الأسد» و « هو أجرَأ من الليث العادى » و « فلان أســدُ البلاد » و « هو الأسد الأسود[٥] » . وقيل لحمزة بن عبد المطَّلب أسدُ الله . فكفَاك من نُبْل الأسد أنَّه اشتُقَّ لحمزةَ بن عبد المطَّلب من اسمه . ويقال للملك أَصْيَد إذا أرادوا

---

(١) ط : « تستسفطون » وهو تصحيف .
(٢) ط : « القيئة » والتفل » وهو تحريف مافى ل .
(٣) ط : « وعند » وتصحيحه من ل .
(٤) ط : « وهو فى شدة الاقدام » وكلمة « هو » مقحمة .
(٥) ط : « الأسور » ولعله « وهو أسد الأسود » .

أن يصِفوه بالكِبْر وبقلَّةِ الالتفات ، وبأنَّ أنفَه فيه أسلوب[1] ولأنَّ الأسد يلتفت معاً لأنَّ عنقه من عظم واحد . وقال حاتم[2] :

هَلاَّ إذا مَطَرَ السماءُ عليكُمُ[3]   ورفعتَ رأسَك مثلَ رأسِ الأصْيَدِ

وقال الآخر :

يَذُودونَ كلباً بالرِّماحِ وطَيِّئاً   وتَغلِبَ والصِّيدَ النواظرِ من بَكر

وقال الآخر :

وكم لى بها من أبٍ أصْيَدٍ   نَمَاه أب ماجدٌ أصيَدُ[4]

وبعدُ فإنّ الذى يأكل الجيفةَ لم يبعُد من طبعِ كثيرٍ من الناس ؛ لأنَّ من الناس من يشتهى اللحمَ الغابَّ ، ومنهم من يشتهى النَّمَكْسُود[5] . وَلَيْسَ بَيْنَ النَّمَكْسُودِ وبين المصلوب اليابس كبيرُ فرق ، وإنَّما يذبحون الدِّيَكَةَ والْبَطَّ وٱلدَّجاجَ والدُّرّاج من أوّلِ الليل ، ليسترخىَ لحمُها ، وذلك أول التَّجييف[6] .

فالأسد أجمعُ لهذه الخصال من الكلب ، فهلاَّ ذكرتمْ بذلك الأسد وهو أنبهُ ذِكراً وأبعدُ صيتاً .

وأمَّا ما ذكرتم من نَتْن الجِلد ومن استنشاق البول ، فإنَّ للتيسِ فى ذلك ما ليس للكلب ، وقد شاركه فى الحذْفِ ببوله تلقاءَ أنفـه ، وباينَه بشدَّةِ الصُّنان ؛ فإنَّ الأمثالَ لَه أكثرُ ذِكراً . وفى العنز أيضاً عيوب .

---

(١) ل : « وبأن أنفه أسلوب » ط : « . . . فى أسلوب » وسويت العبارة كما ترى . والأسلوب : الشموخ فى الأنف .

(٢) فى الأصل « أبو حاتم » وإنما هو حاتم الطائى ، والبيت من أبيات ستة لها خبر فى آخر ديوانه بخمسة دواوين العرب ١٢٨ .

(٣) ط : « مطرت سماؤكم بها » ، وفى الديوان :

* ها إنما مطرت سماؤكم دما *

(٤) ط : « نماه لمجد أب أصيد » .

(٥) انظر للنمكسود ماورد فى تذكرة داود .

(٦) ماعدا ل والأمبروزيانا « التجيف » .

وفى توجيــه التيس ببوله إلى حاقٍّ خَيشومه قال الشاعرُ لبعض من يهجُوه :

دُعِيتَ يَزِيدَ كى تَزِيدَ فلم تَزِدْ فعادَ لك المُسْمِى فأَسْمَاك بالقحر (١)
وما القَحْرُ إلاَّ التيسُ يَعْتِك بولُه عَلَيْهِ فيمذى فى لَبَانٍ وفى نحر (٢)

وقال آخر فى مثل ذلك (٣) :

أَعثمانُ بنُ حَيَّانَ بن لؤم عَتُودٌ فى مفارِقِه يَبولُ
ولو أَنِّى أشافِهُه لشالت نَعامَتُه ويفهــم ما يقول

١٠٩ وبعد فما يُعلَم من صنيع العنز (٤) فى لبنها وفى الارتضاع من خلفها إلاَّ أقبحَ .

وقال ابن أحْمَرَ الباهلىُّ فى ذلك :

إنّا وجَدْنا بَنِى سَهْمٍ وجاملهم كالعنز تعطِفُ روْقَيها وترْتَضِعُ (٥)

وقلتم : هَجَا ابْنُ غادية السلمى (٦) بعضَ الكِرام ، حينَ عُزِل عن يَنْبُع ، فقال لمن ظنَّ أنَّه إنَّما عُزِل لمكانه :

رَكِبوك مُرتَحَلاً فظهرُك منهمُ دَبِرُ الحراقفِ والفَقَارِ مُوقَّعُ
كالكلبِ يَتْبَعُ خانِقِيهِ وينتحى نحوَ الذين بهــم يَعِزُّ ويمنعُ

---

(١) ط : « بالفجر » وهو تصحيف مافى ل ، والقحر أصل معناه البعير المسن .
(٢) ط : « الفجر » موضع « القحر » و « يعتل » مكان « يعتك » . يقال عتك عليه يضربه أى لم ينهنهه عنه شىء . . . وفى ل : « ويمذى فى اللبان وفى النحر » .
(٣) هو المرار الفقعسى . انظر حواشى٥ : ٤٦٤ .
(٤) ل : « فانعلم صنيع » .
(٥) ط : « وجاهلهم » ل : « وحاملهم » وتصحيحه مما سيأتى فى هــذا الجزء ص٣٥٤ و من عيون الأخبار ٢ : ٧٥ . والجامل : قطيع الإبل معه رعيانه وأربابه .
(٦) ط : « السلمحا » وفى ل : « عادية » بالعــين . وأثبت ما فى س و م .

وقال ابن هَوْمة الفِهرىّ :

فما عادَت لذِى يمنٍ رءوسا ولا ضَرَّت بفُرْقتها نِزارَا
كعَنْز السَّوْءِ تَنْطَحَ مَنْ خلَاهَا وتَرْأَمُ مَنْ يُحِدُّ لها الشِّفارَا

وما نعلم الرُّجوعَ فى الجِرَّة ، وإعادةَ الفرثِ إلى الفم ليُستقصَى مضغُه إلَّا أسمجَ(١) وأقذرَ من الرُّجوعِ فى القَىْء . وقد اختار الله عزَّ وجلَّ تلك الطبيعةَ للأنعام ، وجعل الناسَ ليسوا لشىءٍ من اللُّحمان أشدَّ أكلًا ولا أشدَّ عَجباً بِهِ منكم(٢) ، ولا أصلحَ لأبدانهم ولا أغْذَى لهم من لُحُومِ هذه الأنعام أفتائِهَا ومَسَانِّهَا .

وقال صاحبُ الديك : ما يشبه عَوْدُ الماشيةِ فى الجِرَّة ، ورجوعُها فى الفرث تطحَنُه وتُسيغه ، الرجُوعَ فى القَىء . وقد زعمتم أنَّ جِرَّةَ البعيرِ أنتنُ مِن قَىءِ الكلاب لطول غُبُوبها(٣) فى الجوف ، وانقلابها إلى طباع الزِّبل ، وأنَّها(٤) أنتن من الثلط . وإنَّما مثل الجِرَّة مثل الرِّيق الذى ذكره ابنُ أحمر فقال :

هذا الثناءُ وأجْدِرْ أن أُصاحبه وقَدْ يدوِّمُ رِيقَ الطَّامِعِ الْأَمَلُ(٥)

فإنَّما مَثلُ القَىءِ مَثَلُ العَذِرَة ؛ لأنَّ الرِّيق الذى زعمتم ، مادامَ فى فمِ

---

(١) ط : « إلى السمع » وهو تحريف مافى ل .
(٢) وضعت كلمة (به) فى ط بعد أكلا . وتصحيحه من ل .
(٣) ط : « غيوبها » والغيوب صحيحة ، والأشبه « غبوبها » بالباء كما مضى قريبا وكما فى ل .
(٤) فى ط : « وأنه » وفى ل : « وأنهما » والوجه ما أثبت لأن الضمير راجع إلى الجرة .
(٥) ط : « يصاحبه » و « يداوم » وتصحيحه من ل ومن البيان ١ : ١٨٠ .

صاحبه ، ألذُّ من السلوى ، وأمتعُ من النسيم ، وأحسنُ موقعاً من الماء البارد من العطشان المسهوم . والريقُ كذلك مالم يزايِل موضعَه ، ومتى زايل فمَ صاحبِه إلى بعض جِلْده اشتدّ نتْنه وعادَ فى سبيل القَىء .

١١٠ فالرِّيق والجِرَّةُ فى سبيلٍ واحد ، كما أنَّ القىء والعَذِرة فى سبيل واحد . ولو أن الكلبَ قَلَسَ حتَّى يمتلئ منه فمه ، ثم رجع فيه من غير مباينةٍ له ، لكان فى ذلك أحقَّ بالنظافة من الأنعام فى جِرَّتها ، وحشيِّها وأهليِّها ، وإنَّ الأرانبَ لَتَحيضُ حيضاً نَتِناً ، فما عاف لحمَهاَ أصحابُ التَّقذُّرِ[١] لمشاركَتِهاَ الأنعامَ فى الجِرَّة .

فقال صاحب الكلب : أمَّا ماعبتموه من أكْلِ العَذِرة ، فإنَّ ذلك عامٌّ فى الماشيةِ المتخيَّرِ لحمُها على اللُّحْمان ؛ لأنَّ الإبل والشياه[٢] كلّها جلّالة وهُنَّ على يابسِ ما يخرُجُ من الناسِ أحرَصُ ؛ وعلى أنّها إذَا تعوَّدت أكلَ ما قد جفَّ ظاهرُه وداخلُه رطبٌ ، رَجَع أمرُها إلى ما عليه الكلب . ثم الدَّجاج لا تَرْضَى بالعَذِرة ، وبما يَبْقَى من الحبوبِ التى لم يأتِ عليها الاستمراء والهضْم ، حتَّى تلتمِس الديدانَ التى فيها ، فتجمع نوعين من العذرة[٣] لأنها إذا أكلت ديدان العَذِرَةِ فقد أتَتْ على النَّوْعين جميعاً . ولذلك قال عبد الرحمن بن الحَكَمَ[٤] فى هجائِه الأنصار بخبيث الطعام ،

---

(١) ط والأمبروزيانا : « التقزز » وهو الاشمئزاز . والتقذر من تقذر الشىء : عده قذرا .

(٢) فى الأصل : « الشاة » والوجه الجمع كما صنعت .

(٣) ط : « فيجتمع نوعان » .

(٤) ط : « ابن أم الحكم » والصواب ما أثبت من ل . وعبد الرحمن بن الحكم هذا شاعر إسلامى متوسط الحال فى شعراء زمانه . وكان يهاجى عبد الرحمن ابن حسان بن ثابت الأنصارى فيقاومه ، وينتصف كل واحد منهما من صاحبه . له ترجمة فى الأغانى ١٢ : ٦٩ - ٧٣ . وأما عبد الرحمن بن أم الحكم فهو ممن ولى الكوفة وأساء بها السيرة ، وولاه خاله معاوية عدة أعمال فذمه أهلها ، وتظلموا منه فعزله واطرحه . الأغانى ١٣ : ٣٢ .

فضرب المثلَ بالدَّجاج من بين جميع الحيوان ، وترَكَ ذِكر الكلاب وهي له مُعْرِضة فقال :

ولَلأَنْصارُ آكَلُ في قُرَاها لُخبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ[1]

ولو قال :

وللأَنْصَارُ آكَلُ في قُرَاها لُخبْثِ الأَطْعِمَاتِ مِنَ الْكِلَابِ

لكانَ الشِّعْر صحيحاً مُرضياً .

وعلى أنَّ الكلابَ متى شبِعت ، لم تعرض للعَذِرة . والأنعامُ الجَلَّالةُ وكذلك الحافِر ، قد جعلت ذلك كالحَمْضِ إذا كانت لها خَلَّةٌ ؛ فهي مَرَّة تتغذَّى به ومرة تتحمَّض . وقد جاء في لُحوم الجَلَّالة ماجاء .

(رغبة الملوك والأشراف في الدجاج)

وملوكُنا وأهلُ العيشِ مِنَّا ، لايرغبون في شيءٍ من اللُّحمان رغبَتَهم في الدَّجاج ، وهم يقدِّمونها على البطِّ والنواهض ، والقَبَجِ والدُّرَّاج . نعم وعلى الجِداء والأَعْنُقِ الحُمْرِ من بَنَاتِ الصَّفَايا . وهم يعرفُون طبعها وسوء قُوتِها[2] ، وهم مع ذلك يأكلون الرَّواعِيَ كما يأكُلون المسمَّنات .

(الشبوط أجود السمك)

وأطيبُ مافي الأنهار من السمك ، وأحسنُها قُدوداً وخَرْطاً ، وأسبطُها سُبُوطا[3] ، وأرفعُها ثمنا وأكثرُها تصرُّفا في المالح والطريّ ، وفي

---

(١) ل : « كخبث » وهو تحريف .

(٢) ط : « وشهوتها » .

(٣) ل : « سباطة » يقال سبط سباطة وسبوطة وسبوطا .

القَرِيسِ والنَّشوطِ الشَّبُّوطُ[١] ، وليس فى الماء سمكةٌ رفيعةَ الذكر ولا ذاتَ خمول ، إلَّا وهى أحرصُ على أكْل العَذِرة منها ، وإنّها [فى ذلك[٢]] لأَشدُّ طلباً لها من الخنزير فى البرِّ ، والجِرِّىِّ فى البحر .

(لحم الخنزير)

وقد عَلِم الناسُ كيفَ استطابةُ أكلِ لُحومِ الخنازير ، وأكلُ
١١١ الخنازيرِ لها ، وكيف كانت الأَكاسرة والقياصرةُ يقدِّمونها ويفضِّلونها .
ولولا التعبُّدُ لَجَرى عندنا مَجْرَاه عندَ غيرِنا .

وقد علم النَّاسُ كيف استطابةُ أكل الجِرِّىِّ لأذنابها[٣] .

(ما قيل فى الجرى)

وفى الجِرِّىِّ قال أبو كَلْدة : هو أُدْم العُميان ، وجيِّدٌ فى الكَوْشَان[٤] ودواءٌ للكليتين[٥] ، وصالحٌ لوجَع الظهر وعَجْبِ الذَّنب ، وخِلافٌ على اليهود ، وغيظٌ على الروافض ؛ وفى أكله إحياءٌ لبعض السُّنن ، وإماتةَ بعضِ البِدَع ، ولم يُفْلَجْ عليه مُكثِرٌ منه قطُّ ، وهو محنةٌ بين المبتدِع

(١) فى القاموس : سمك قريس : طبخ وعمل فيه صباغ وترك حتى جمد . وفى مبادئ اللغة ٧٤ : « والقريس : لحم يطبخ بخل ثم يبرد » . وهى فى ط « القريش » وفى ل : « القريص » وهما كلمتان محرفتان . . وأما النشوط فهى كلمة ساقطة من ط . والنشوط : سمك يمقر فى ماء وملح .

(٢) التكملة من الأمبروزيانا .

(٣) فى ط : « لأذنابها محشوا » وفى ل : « لأذنابها محسيا » ومحسيا ومحشوا كلمتان مقحمتان فأسقطتهما . واللام فى « لأذنابها » بمعنى إلى .

(٤) الكوشان : طعام لأهل عمان من الأرز والسمك .

(٥) ط : « فى الكليتين » وهو تحريف .

والسُّنِّى ، هلك فيه فِتَتَان[1] مذْ كانت الدنيا : محلِّلٌ ومحرِّم .

وقال أبو إسحاق : هو قبيح المنظر ، عارى الجلدِ ، ناقصُ الدّماغِ ، يلتهم العَذِرة ويأكل الجرذان[2] [صحاحاً والفأرَ] ، وزَهِمٌ لا يُستَطاعُ أكلُه إلّا محسيًّا[3] ولا يتصرَّفُ تصرُّفَ السمك ، وقد وقع عليه اسم المِسْخ ، لا يَطيب مملوحاً ولا ممقوراً ، [ولا يؤكل] كباباً ، ولا يُختارُ مطبوخاً ، ويُرمَى كلُّه إلّا ذنَبه[4] .

والأصناف التى تَعرض للعَذِرة كثيرة ، وقد ذكرنا الجلّالاتِ من الأنعامِ والجِرِّىِّ والشَّبُّوطِ من السمك . ويعرِض لها من الطير الدَّجاجُ والرَّخَمُ والهَداهِد .

(الأنوق وما سمى بهذا الاسم)

وقد بلغ من شَهوة الرَّخَمة لذلك ، أنْ سَمَّوها الأنوق ، حتى سمَّوا كلَّ شىْءٍ من الحيوان يعرِض للعذِرة بأنوق ، وهو قول الشاعر :

حتَّى إذَا أضحى تَدَرَّى واكتحل بجارتَيـــه ثم ولَّى فنثلْ

* رِزقَ الأُنُوقَينِ القَرَنْبَى والجُعَل[5] *

---

(١) ط : « فتيان » وليس بشىء .

(٢) ط : « يلتقم العذرة ويبتلع الجرذان » .

(٣) هذا ما فى ل . وانظر ماسيأتى فى ٥ : ٤٥٢ و ٦ : ٣٥٩ ، وكتاب الطبيخ للبغدادى ٦٤ حيث ذكر صفة المحسى . وفى سائر النسخ « محسوا » .

(٤) ل : « بكله إلا ذنيبه » .

(٥) فى الأصل : « ذرق » صوابه من ٣ : ٥٠٣ .

(ما قيل من الشعر فى الجُعَل)

ولشدَّة طلب الجعل لذلك قال الشاعر :

يبِيت فى مجلس الأقوام يَربَؤُهم كأنَّه شُرَطىٌّ بَاتَ فى حَرَس

وكذلك قال الآخر (١) :

إذا أتَوه بطعامٍ وأكلْ (٢) باتَ يعشِّى وَحْدَه ألفَىْ جُعَل

هذا البيتُ يدلُّ على عِظَم مقدار النَّجْو ، فهجاه بذلك ، وعلى أنَّ الجُعَل يقتات البَراز .

وفى مثل ذلك يقول ابن عَبْدَل — إن كان قاله — وإنما قلت هذا لأنَّ الشعر يَرتفِع عنه .

والشعر قوله :

نِعْم جارُ الخنزيرةِ المرضعُ الغر ثى إذا ما غدا أبو كلثومِ (٣)
ثاوياً قد أصابَ عند صديقٍ من ثَريدٍ ملبَّقٍ مأدُوم (٤)
ثم أنحى بجَعره حاجبَ الشم سِ فألقَى كالمِعْلَفِ المَهْدُوم (٥)
بضَرِيطٍ ترى الخنازير منه عامداتٍ لتلِّهِ المركوم

١١٢ وقال الراجز [فى مثل ذلك] :

قد دقَّهُ ثارِدُهُ وصَوْمَعَا (٦) ثُمَّتَ ألبَانَ البَخاتِى جَعْجَعَا

(١) ط : « ولذلك قال الشاعر » وهو تحريف .
(٢) هذا البيت ساقط من ل .
(٣) ط : « نعم جاز الخنزيرة المرضع الفرثى » ، وتصحيحه من ل ومن البيان ٣ : ٣١١ .
(٤) ثريد ملبق : ملين بالدسم .
(٥) ط : « ثم أنحى بجمده » وهو على الصواب فى ل والبيان .
(٦) ط : « فردقة ثاردة » وهو تصحيف مافى ل . فى القاموس : ثريدة مصومعة : مدققة الرأس .

جَعْجَعَةَ العَوْدِ ابْتَغَى أنْ يَنْجَعا[١] ثُمَّتَ خوّى بارِكاً واسْتَرْجَعا

* عَن جاثِمٍ يُحْسَبُ كلباً أبقعا[٢] *

وفى طلب الُجعَل للزِّبْلِ قال الراجز (وهو أبو العُصْن الأسَدى) :

ما ذا تلاَقى طَلَحاتُ الحرجه من كل ذات بُخْنقٍ غمَلَّجه[٣]

ظَلّ لها بَيْنَ الحلال أَرَجَه[٤] مِنَ الضُّرَاطِ والفُسَاءِ السمجه[٥]

فجئتُها قاعِدَةً منشجه[٦] تعطيه عنها جُعَلاً مُدحرجَه

وقال يحيى الأغرّ : تقول العرب « سَدِكَ به جُعَلُه[٧] ». وقال الشاعر :

إذا أتيتُ سُليمَى شَبَّ لى جُعَلٌ إنَّ الشقيَّ الذى يُغْرَى به الُجعَلُ[٨]

يضرب هذا المثلُ للرَّجل إذا لَصِقَ به من يكره ، وإذا كان لايزال يراه [وهو] يهرُب منه .

قال يحيى : وكان أصلُه ملازمةَ الُجعَل لمن بات فى الصحراء ، فكلَّما قام لحاجةٍ تبِعه ؛ لأنَّه عنده أنَّه يريد الغائط .

(القرنبى)

وفى القَرَنْبَى يقول ابنُ مقبل :

---

(١) ط : « جعجعة العواء تبغى تنجعا » وهو كلام مشوه تصحيحه من ل .

(٢) فى القاموس : « البقع محركة فى الطير والـكلاب كالبلق فى الدواب » وفيه : « البلق : سواد وبياض » وفى ل : « كبشا أبقعا » والوجه ماأثبت من ط .

(٣) ط : « نجنق » ولا معنى له وصوابه فى ل . والبخنق : خرقة تتقنع بها الجارية .

(٤) ل : « بين الحجال » .

(٥) ل : السمهجة » .

(٦) ل : « مفسحة » .

(٧) ط : « سرك به جعله » وإنمـا هى سدك – بمعنى لزم – كما فى ل . وفى الأمثال : « ألصق من جعل » .

(٨) شب ، أى أتيح . وعنى بالجعل الواشى . أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ .

ولا أطرُق الجارات بِاللّيل قابعاً قبُوعَ القَرَنْبَى أخلَفَتْه مجاعره (١)

والقبوع: الاجتماع والتقبض. والقَرَنْبى: دويْبَّةٌ فوق الُخنْفَساء ودونَ الجعل، وهو والجعل يتْبعان الرَّجلَ إلى الغائط.

(الهدهد وخبث ريحه)

ومن الطَّير الذى يُضارِع الرَّخمة فى ذلك الهدهدُ، منتنُ البَدَن وإن لم تجدْه ملطخاً بشىءٍ من العَذِرة؛ لأنَّهُ يبنى بيته ويصنع أُفحوصَه من الزِّبل، وليس اقتياتُه منه إلاَّ على قدْر رغبتِه وحاجته فى ألاّ يتَّخذ بيتاً ولا أُفحوصاً إلاَّ منه، فخامَرَه [ذلك] النَّتنُ فعَلِق ببدنه وجرى فى أعراق أبويه؛ إذ كان هذا الصنيع عامًّا فى جنسه (٢).

وتعترى هذه الشَّهْوةُ الذِّبان، حتَّى إنَّها لو رأتْ عسلاً وقذَرا، لكانت إلى القذَر أسرعَ. وقال الشاعر (٣):

قَفاً خَلْفَ وَجْهٍ قَدْ أُطِيلَ كأنَّه قفاماِلكٍ يُقْصِى الهُمومَ عَلَى بَثْقِ (٤)
وأعظمُ زهوًا من ذُبابٍ على خِرًا (٥) وأبخَلُ من كَلْبٍ عَقُورعلى عَرْقِ (٦)

ويزعمون أَنَّ الزُّنبورَ لهِجٌ بصيد الذِّبان، ولا يكاد يصيده (٧) إلاَّ وهو

---

(١) ط وأمثال الميدانى ٢ : ١٨٠. « مجاعره » وأثبت مافى ل.
(٢) ط : « إذ كان هذا التضيع عاما فى جنبه » وهو تحريف مافى ل.
(٣) هو أبو نواس الحسن بن هانئ كما سيأتى وكما فى البيان ٣ : ٣٥٤ وعيون الأخبار ١ : ٢٧٣ والشعراء ٧٦٠. والشعر فى هجاء جعفر بن يحيى البرمكى.
(٤) البثق : منبعث الماء. ماعدا ل : « ثبق ».
(٥) ل : « خر ».
(٦) العرق بالفتح : العظم بلحمه. فإذا أكل لحمه فعراق – كغراب – أو كلاهما لكليهما.
(٧) ط : « يصيد » والوجه مافى ل.

ساقطَ على عذرة لفَرْط شَهْوتِه لها [ولا ستفراغها]، فيعرِف الزُّنبور ذلك ، ٩١٣
فيجعل غَفلتَه فُرصة ونُهْزة . قالوا : وإنَّما قلنا ذلك لأنّا لم نجِدْه يرومُ صيدَه
وهو ساقِطٌ على ثمرةٍ ، فما دونها فى الحلاوة .

(شعر فى الهجاء)

وقال أبو الشَّمقمق فى ذلك :

الطَّرِيقَ الطَّرِيقَ جاءكمُ الأحـــمقُ رأس الأَنتانِ والقَـذِره
وابْنُ عمِّ الحمارِ فى صورةِ الفِيـــلِ وخالُ الجاموسِ والبقَره
يمشى رُويداً يريد خَلْقتكم كمشى خِنزيرةٍ إلى عَذِره[1]

وقال حَمَّادُ عَجْرَد فى بشَّارِ بْنِ بُرْدٍ العُقَيلىّ :

ما صَوَّرَ الله شِبْهاً لَه مِنْ كلِّ مَنْ مِنْ خَلْقِه صَوَّرا
أَشْبَهَ بِالخِنزيرِ وجهاً ولا بالكلب أعراقاً ولا مَكْسِرا[2]
ولا رأينا أحداً مثله أنجسَ أو أطْفَسَ أو أقذرا[3]
لو طُلِيتْ جِلدتُه عنبراً لنتَّنت جِلْدتُه العَنْبرا[4]
أو طُلِيت مِسكاً ذَكِيًّا إذَنْ تَحوَّلَ المِسْكُ عليه خِرَا

وقال أبو نُواس فى هِجَاء جَعْفرِ بْنِ يحيى بن خالد البرمَكىّ :

إذا ما مدحتُ فتًى من خِرَا أَليس جَزَائى أنْ أعْطَى الخرَا[5]

وقال أعرابىٌّ يهجو رجلاً يقال له جُلمود بن أوس ، كان مُنْتِنَ العرق :

(١) ط : « يريد خلعتكم مشى » والوجه مافى ل .
(٢) المكسر – كمنزل – : الأصل والخبر .
(٣) الطفس بالتحريك : قذر الإنسان إذا لم يتعهد نفسه . وطفس كقذر وزنا ومعنى .
(٤) فى شرح المقامات للشريشى ٢ : ١١٤ : « لأفسدت » .
(٥) ط : « من خرى » ل « من خر » . وفى ط : « أعطى الخرا » .

إنّى إذا ما عارضى تألّقا[1] ورَعَدت حافته وبَرَقا
أهلكتُ جُلمودَ بنَ أوس غرَقا كانَ لحمقاءَ فصارَ أحمقَا

* أخبث شيءٍ عرَقاً وخِرَقاً[2] *

وقال حمّادُ عَجْرَدٍ فى بَشّار :

يا ابنَ بُرْدٍ اخسَأ إليك فمثلُ الـ كلبِ فى الخلق أنتَ لا الإنْسَانِ[3]
بَلْ لَعَمْرى لأنتَ شرٌّ من الكلـ ـبِ وأولَى مِنه بكلِّ هَوَانِ
ولَرِيحُ الخِنْزِيرِ أطيبُ مِنْ رِيـ ـحِكَ يا ابْنَ الطّيان ذى التُّبّانِ

وقال بعض الشعراء فى عبد الله بن عُمير :

١١٤ غزَا ابنُ عُميرٍ غَزْوةً تركَتْ له ثَناءً كَرِيحِ الجَوْرَبِ المتخرقِ

وقال حمّادُ عَجْرَدٍ فى بشّار[4] :

قُلْ لشَقِىِّ الجَدِّ فى رَمْسِه ومَن يفِرُّ الناسُ من رِجْسِه[5]
لِلقردِ بَشّارِ بْنِ بُردٍ ولا تَحْفِل برغم القرد أو تَعسه[6]
للقِرْدِ باللّيْثِ اغترارٌ به فَما الّذى أدناك من مَسِّه[7]
يا ابنَ استِها فاصبِرْ على ضَغْمةٍ بنابِهِ يا قِردُ أَوْ ضِرْسِهِ
نهارُه أخبثُ من ليلِه ويومُه أخبثُ من أمسِهِ

---

(١) ط : « إذا عارضنى تألقا » .
(٢) ط : « أحرقا وعرقا » .
(٣) فى ط نقصان كلمة (إليك) وبذلك يختل البيت . والشعر من الخفيف لحقه التشعيث فى البيت الأول والثالث . وانظر الأغانى ٣ : ٢١ .
(٤) الشعر فى أمالى المرتضى ١ : ٩٣ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٠ .
(٥) ل : « . . . فى رمسه وأمه الشلافة الرجسة » وهو تحريف .
(٦) ط : « نخسه » ولعلها « نحسه » وأثبت مافى ل .
(٧) ل : « ماالذى أدناك » .

وليس بالمُقْلِعِ عن غَيِّه(١) حتى يُدلَّى القِردُ فى رَمْسِه
ما خَلَقَ اللهُ شبيهاً له من جِنِّهِ طُرًّا ومن إنْسِهِ
واللهِ ما الخِنزيرُ فى نَتْنِه من رُبْعه بالعُشْر أو خُمْسِهِ
بل ريحُه أطيبُ من ريحِهِ ومسُّه ألينُ مِن مسِّهِ
ووجهُه أحسنُ من وَجهِه ونفسُه أنبَلُ من نفسهِ
وعودُه أكرمُ من عُودِه(٢) وجِنسُه أكرمُ من جِنسهِ

وأنا حفظك الله تعالى أستظرِف وضعَه الخنزيرَ بهذا المكان وفى هذا الموضع ، حين يقول : وعُودُه أكْرَمُ من عُودِه .

وأَىُّ عودٍ للخنزير(٣) ؟ ! قبَّحه الله تعالى ، [وقبح من يشتهى أكله] .

وقال حمَّادُ عجرد فى بشَّارِ بن بُرد :

إنَّ ابنَ بُردٍ رأى رُؤيا فأوَّلَها(٤) بلا مَشُورةِ إنسانٍ ولا أَثَرِ
رأَى العَمَى نِعمةً لله سابغة عليه ، إذ كانَ مكفوفاً عن النَّظرِ
وقال : لولَمْ أكُنْ أعَمى لكنتُ كما قد كانَ بُرْدٌ أَبى فى الضِّيقِ والعُسُرِ
أكدُّ نفسىَ بالتطيين مجتهِداً إمَّا أجيراً وإمَّا غيرَ مُؤتَجِرِ
أو كنتُ إنْ أنا لم أقنَعْ بفعلِ أبى قَصَّابَ شاءٍ شَقِىَّ الجَدِّ أو بَقَرِ
كإخوتى دائباً أشقَى شقاءَهُمُ فى الحرِّ والبردِ والإدلاجِ وَالْبُكَرِ
فقد كفانى العَمَى من كلِّ مَكْسَبَةٍ والرِّزقُ يأتِى بأسبابٍ من القَدَرِ(٥)

(١) كذا فى معاهد التنصيص . وفى ط : « غيله » و ل : « فعله » .
(٢) ط : « أحسن » وارتضيت ما فى ل ومعاهد التنصيص .
(٣) ط : وعوده أكرم من عوده أين عود الخنزير من الكرم » . ووضع الكلام بهذه الصورة من تلاعب النساخ . وقد رددت الأمر إلى نصابه ، معتمدا ما فى ل .
(٤) ل : « فقال بها » .
(٥) ط : « بأنواع من القدر » .

فصرتُ ذا نَشَبٍ من غير ماطلب … إلاَّ بمَسْألتى إذ كنت فى صِغَرِى[١]
أضمُّ شيئاً إلى شىءٍ فأذخره[٢] … ممَّا أجمِّع من تمرٍ ومن كِسَرِ
مَن كان يعرِفُنى لو لم أكن زَمِناً … أو كان يبذُل لى شيئاً سِوى الحَجَرِ؟!
فقُل له لا هَداه اللهُ من رجُلٍ … فإنَّها عُرَّةٌ تُربِى على العُرَرِ[٣]
لقد فطِنتَ إلى شىءٍ تعيش به … ياابنَ الخبيثة قد أدقَقْتَ فى النظر[٤]
ياابنَ التى نَشَزَت عن شيخ صِبْيَتِها … لِأَيرِ ثوبانَ ذى الهامات والعُجَرِ[٥]
أما يكفُّكَ عن شَتْمى ومنقَصَتى … ما فى حِرامِّك من نَتْنٍ ومن دَفَرِ[٦]
نفَتْكَ عنها عُقَيلٌ وهى صادقة … فسل أسيداً وسل عنها أبا زُفَرِ[٧]
ياعبدَ أمِّ الظباء المستطبِّ بها … من اللَّوَى، لستَ مولى الغُرِّ من مُضَرِ
بل أنتَ كالكلب ذُلاًّ أو أذلُّ وفى … نَذَالةِ النفس كالخنزيرِ واليَعَرِ[٨]
وأنتَ كالقردِ فى تشويه منظرِه … بل صورةُ القرد أبهى منك فى الصُّوَرِ

ووصف ابنُ أبى كريمة حُشًّا له، كان هو وأصحابه يتأذَّون بريحه فقال:

ولى كَنِيفٌ بِحَمْدِ اللهِ يطرقنى … أرواح وادى خبال غير فَتَّارِ[٩]

---

(١) ط : « إلا بمسئلتى إن كنت فى صفر » وهو تحريف.
(٢) ط : « فأحرزه ».
(٣) العرر : المساوى والمثالب. فى ط : « لاهداك الله ».
(٤) ط : « لاقد » وهو تحريف، وفيها « قد وفقت فى النظر ».
(٥) ط : « عن شيخ مبيتها لايرميان يذى » وهو تحريف.
(٦) كذا فى ل. وفى ط : « ذفر » بالذال. وهما بمعنى. فى أدب الكاتب ١٥٧ : « الذفر : شدة ريح الشىء الطيب والشىء الخبيث ».
(٧) ط : « فسل أسيد أو فاسأل ».
(٨) اليعر، ساكنة العين : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد. ومن أمثالهم : « هو أذل من اليعر ». وقد جاء محركا فى هذا الشعر. وفى ط : «وفى نذالة النفس والخنزير والنقر ».
(٩) كذا فى ل. وفى ط : « وارى خيال »، وفى س : « وادى خيال » وفى م : « واد خبال ».

له بدائعُ نَتْنٍ ليس يَعرِفها(١) … من البَرِيَّةِ إلاَّ خَازِنَ النَّـارِ
إذا أتانى دَخِيلٌ(٢) زَادَنِى بِدَعاً … كَأَنَّهُ لَهِجٌ عَمْـداً بإِضْرَارِى
قد اجتوانِى له الخُلاَّنُ كلُّهُم … وباعَ مَسْكَنَه من قُرْبِه جارى
فمن أرادَ من البِرْسَـامِ أقتلَهُ … أو الصُّدَاعِ فمرْه يدخُلَنْ دارى
استكثَفَ النَّتْنُ فى أنفى لكثرتِه … فليس يوجِدُنيه غيرُ إضمارى(٣)

(ثروة المحلول من الشعر)

وقيل للمحلول(٤) : ويلكَ ، ما حفظتَ بيتَ شعرٍ قط ؟ فقال : بيتاً واحداً اشتهيته فحفظتُه . فقيل له : فهاته . فقال : أمَا إنِّى(٥) لا أحفَظُ إلاَّ بيتاً واحداً . قيل : فكيف رزق منك هذا البيت ؟ فَأَنْشِدْهُ ، فَأَنْشَدَهم :

كأنَّما نَكْهتُهَا مِدَّةٌ … تَسِيلُ من مَخْطَةِ مَجْذُومِ

وزعم أصحابنا أنّ رجُلاً من بنى سعد — وكان أنتنَ الناس إبطاً — بلَغه أن ناساً من عبد القيس يتحدَّثونَه برجلٍ منهم ، فمضى إليهم شدًّا ، فوافاهم ١١٦ وقد أَزْبَدَ(٦) إبطاه ، وهو يقول :

أقبلتُ مِنْ جَلْهَةِ ناعتينا(٧) … بِذِى حُطاطٍ يُعطِسُ المخْنُونا(٨)

---

(١) كذا فى ط . وفى ل : « يعجزها » وليس بشئ .
(٢) ط : « بخيل » موضع « دخيل » .
(٣) يوجدنيه : يجعلنى أشعر بوجوده . وفى ط : « يوجد فيه » وهو تحريف .
(٤) روى الجاحظ خبرا له فى البيان ٣ : ٢٢٦ . وفى البخلاء ٩٩ مايفيد أن المحلول مولى لتمام بن جعفر .
(٥) فى الأصل : « أما أنا » .
(٦) ط : « زيد » .
(٧) فى معجم البلدان والقاموس أن « ناعتين » موضع ؛ ولم يعينه واحد منهما .. وفى ط : « باعثينا » محرفة .
(٨) الحطاط بالضم : الرائحة الخبيثة . والمخنون : المزكوم ، وأصله من الخنان فى الإبل وهو لها كالزكام للناس . وفى ط : « بـذى حضيض يعطش المجـنونا » وهو تحريف .

يَزْوِى له من نَتْنِه[1] الجَبِينا حتَّى تَرَى لوجهِهِ غُضُونا

* نُبِّئْتَ عبدَ القيس يَأبِطونا *

قال : ومتَح أعرابىٌّ على بئرٍ وهو يقول :

يارِيَّها إذا بَدا صُنَانِى كأنَّنِى جانى عُبَيْثُرانِ[2]

وقال آخر :

كَأنَّ إبطىَّ وقد طالَ المدى نَفْحَةُ خُرْءٍ من كَوَامِيخ القرى[3]

ويقال إنّهُ ليس فى الأرض رائحةٌ أنتنُ ، ولا أشَدُّ على النفس ، من بَخَر فمٍ أو نَتْنِ حِرٍ ، ولا فى الأرض رائحةٌ أعصمُ لرُوحٍ من رائحة التفاح .

وقال صاحب الكلب : فما نرى النَّاسَ يَعافُون تسميدَ بُقولِهم قبل نُجومِها وتفتُّقِ بزورها[4] ولا بعد انتشارِ ورقها وظهورِ موضع اللُّبِّ منها حتَّى ربَّمَا ذَرُّوا عليها السَّمادَ ذَرًّا ، ثُمَّ يُرسَل عليها الماءُ حتى يَشْرَبَ اللُّبُّ[5] قُوى العذِرة ، بل مَن لهمْ بالعَذِرة ؟! وعلى أنَّهُم ما يصيبونها إلاّ مغشوشةً مُفْسَدَة . وكذلك صنيعُهم فى الريحان . فأمَّا النَّخْلُ فلو استطاعوا[6] أن يَطْلُوا بها الأجذاعَ طلياً[7] لفعلوا . وإنّهم لَيُوقدون بها

(١) ط : « من شمه » .

(٢) العبيثران . قال ابن سيده : « هو من ريحان البر طيب الريح ، قريب الشبه من القيصوم ونوره مثل نوره وهو أطيب منه . . . وقيل هو أغبر شبيه بالقيصوم إلا أن له شمراخا مدلى ، عليته نور أصفر شبيه بالذى يكون فى وسط الأقحوان . ويوضع فى المجالس مع الفاغية فلا يفوقه ريحان » . وهى فى ط : « عبيثرانى » محرفة .

(٣) النفحة : الدفعة . . وهى فى ط : « لقحة ». وانظر عيون الأخبار ٣ : ٦٣ .

(٤) ل : « بذورها » بالذال ، وهما بمعنى .

(٥) ط : « يشرب موضع اللب » و « موضع » مقحمة .

(٦) ط : « استطالوا » وهو تحريف ما فى ل .

(٧) ط : « طلبا » وهو تحريف ظاهر .

الحَمَّامات وأَتاتينَ المِلاَل[١] ، وتنانير الخبز . ومن أكرم سَمادهم الأبعارُ كلُّهَا والأخثاءُ إذا جفَّت . وما بينَ الثَّلط جَافا والخثاء يابساً ، وبين العَذِرة جافَّةً ويابسةً فرق . وعلى أنَّهم يعالِجون بالعَذِرة وبُخْرءِ الكلب ، من الذُّبحة والخانُوق[٢] فى أقصى مواضِع التقزُّز[٣] وهو أقصى الحلق ، ومواضع اللهاة[٤] ، ويضعونَها على مواضع الشَّوكة ، ويعالجون بها عُيونَ الدَّوابّ .

(أقوالٌ لمسبِّحٍ الكنَّاس)

وقال مسبّح[٥] الكنَّاس: إنَّمَا اشتُقَّ الخير من الخُرْءِ . والخرء فى النوم خير . وسَلْحَةٌ مُدرِكَةٌ ألذُّ مِن كَوْمِ العَروس ليلةَ العُرس . ولقد دخلتُ على بَعْضِ الملوك لبعض الأسباب ، وإذا به قُعاصٌ وزُكام وثِقَلُ رأس ، وإذا ذلك قد طاولَه ، وقد كان بلغنى أنَّه كان هجَر الجلوس على المقعدة وإتيانَ الخلاء ، فأمرتُه بالعَود إلى عادته ، فما مَرَّت به أيامٌ حتى ذهب ذلك[٦] عنه .

وزعم أنَّ الدنيا مُنتِنة الحِيطان والتُّرْبةِ ، والأنهار والأودية ، إلاّ أنَّ النَّاسَ قد غمرهم ذلك لنتْن المحيط بهم ، وقد مَحَقَ حِسَّهم له طولُ مُكثِه ١١٧
فى خياشيمهم . قال : فمن ارتابَ بخبرى ، فليقِفْ فى الرَّدِّ إلى أن يمتحنَ ذلك فى أوَّل ما يخرجُ إلى الدنيا ، عَنْ بيتٍ مطيَّب ، وليتشَمَّمْ[٧] تشمُّمَ

---

(١) المليل : الخبز واللحم وضعته فى الملة . والملة : الرماد الحار . وفى ل : « القلال » .
(٢) الذبحة : وجع فى الحلق أو دم يخنق فيقتل . وفى ط : « الخاثوق » موضع الخانوق .
(٣) ط : « التفزر » وهو تصحيف مافى ل .
(٤) ط : « ومواضع اللهات » وهو تحريف .
(٥) ط : « مسيح » .
(٦) ط : « حتى ذهبت عنه » .
(٧) ط : « ليشم » .

المتشبِّث . عَلَى أنّ البقاعَ تتفاوت في النتن . فهذا قولُ مسبّح[١] الكنّاس .

(عصبية سلمويه وابن ماسويه)

وزعم لى سَلْمَوَيه وابن ماسَوَيه مُتطبِّبا الخلفاء[٢] ، أنّه ليس على الأرض جِيفةٌ أنتنُ نَتْناً ولا أَثْقَبُ ثُقوباً مِن جيفةِ بعير ، فظننتُ أنّ الذى وهّمهما ذلك عَصَبِيَّتُهُمَا عليه ، وبغضُهما لأربابه ، ولأنّ النّبىّ صلى الله عليه وسلم وعلى آله ، هو المذكورُ فى الكتب براكب[٣] البعير . [ويقال إن الحجّاج قال لهم : أىُّ الجيَفِ أنتن؟ فقيل : جِيَف الكلاب . فامتحِنَتْ فقيل له : أنتن منها جيف السنانير ، وأنتن جيفها الذكورُ منها . فصلب ابن الزُّبير بين جِيفَتَىْ سنّورين ذكرين[٤]] .

(أطيب الأشياء رائحة وأخبثها)

وأنا أقول فى النتن والطِّيب شيئاً ، لعلّك إن تفقّدتَه أن توافقَنى عليه وترضى قولى . أمّا النتن فإنّى لم أشمَّ شيئاً أنتنَ من ريحِ حُشٍّ مقيَّر ، يبول فيه الخِصيان ولا يُصَبُّ عليه الماء ؛ فإنّ لأبوالهم المترادفة المتراكبة[٥] ولريح القار وريح هواءِ الحشِّ[٦] وما ينفصل إليه من ريح

---

(١) ط : « مسيح » .

(٢) سلمويه هو ابن بنان ، خدم المعتصم . ترجم له القفطى ١٤٣ ، وابن النديم ٢٩٦ ليبسك ، ٤١٢ مصر . . وأما ابن ماسويه فهو أبو زكريا يحيى أو يوحنا . خدم المأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، كما فى الفهرست ٢٩٥ ليبسك ، ٤١١ مصر . وفى ط : « مطيب الخلفاء » وصحته فى ل .

(٣) ط : « بركوب » .

(٤) فى المعارف ٩٩ أنه صلب حيث أصيب .

(٥) ط : « لأبوالهم المتراكبة » .

(٦) ط : « ولريح الغار وريح هوائه » وهو كلام محرف .

البالوعة — جِهةً من النَّتْن ومذهباً فى المكروه ، ليس بينه وبين الأبدان عمل ، وإنَّما يقصِد إلى عين الرُّوح وصميمِ القلب ، ولا سيَّما إذا كان الخلاءُ غيرَ مكشوف ، وكان مغموماً غيرَ مفتوح . فأمَّا الطِّيب فإنى لم أشْمَمْ رائحةَ قطُّ أحيا للنفس ولا أعصَمَ للرُّوح ، ولا أفتَقَ ولا أغنج ، ولا أطيب خِمرة من ريحِ عَروس(١) ، إذا أُحكِمت تلك الأخلاط ، وكان عَرْف [بَدَنها] ورأسِهاَ وشعرها سالماً . وإن كانت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإنّك ستجد ريحاً تعلَمُ أنّهُ ليس فوقَها إلاّ ريحُ الجنة .

(ما قيل فى الظربان)

ومما قالوا فى النَّتْن ، وفى ريح جُحْرِ الظَّرِبان خاصَّة ، قول الحكم ابن عَبْدَل :

ألقيتَ نفسَكَ فى عَرُوضِ مَشَقّةٍ ... ولحَصْدُ أنفِكَ بالمنَاجِل أَهْوَنُ(٢)

أنت امرؤٌ فى أرضِ أمِّكَ فُلفلٌ ... جَمٌّ وفُلفُلنا هُناك الدِّنْدِنُ(٣)

فبحقِّ أمِّك وهى منك حقيقةٌ ... بالبرِّ واللَّطَفَ الذى لا يُخْزَنُ

لا تُدْنِ فاكَ من الأَميرِ ونحِّه ... حتَّى يُداوِىَ مابأنْفِكَ أَهْرَنُ(٤)

إن كان للظَّرِبانِ جُحْرٌ مُنتِنٌ ... فلَجُحْر أنفك يا محمَّدُ أنتَنُ

---

(١) ل : « مشطة امرأة » .

(٢) العروض : الناحية ، والطريق فى عرض الجبل فى مضيق .

(٣) الدندن : ماا سود من نبات أو شجر ، وأصل الصليان .

(٤) هو أهرن القس بن أعين . الفهرست ٢٩٧ ليبسك ، ٤١٣ مصر ، والقفطى ٥٧ وفى ط : « أهون » والصواب فى ل وفيما سيأتى قريبا ، وفى عيون الأخبار ٤ : ٦٢ . وانظر الأغانى ٢ : ٤٢٤ دار الكتب ، والشعر فيه محرف .

وقال الربيع بن أبى الحُقَيق – وذكر الظَّرِبان – حينَ رمى قوماً بأنّهم
يَفسُون فى مجالسهم ، لأنّ الظَّرِبان أنتنُ خلْقِ الله تعالى فَسْوةً . وقد عَرَفَ
الظَّرِبانُ ذلك فجعَلَه من أشَدِّ(١) سِلاَحِهِ ، كما عرَفَتِ الحُبارَى مَافى
١١٨ سُلاَحِها من الآلة ، إذا قرب الصقر منها . والظَّربانُ يدخل على الضبِّ
جُحرَه وفيه حُسوله أو بيضُه ، فيأتِى أضيقَ موضعٍ فى الجُحر فيسدُّه
بيديه ، ويحوِّل استَه فلا يفسو ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُدَارَ بالضبِّ فيخِرَّ(٢)
سكرانَ مغشيًّا عليه ، فيأكله ، ثم يقيم فى جُحره حتَّى يأتِىَ على آخِرِ حُسوله .

وتقول العرب : إنّه ربَّما دخَل فى خِلال الهَجْمة فيفسو ، فلا تتِمُّ له ثلاثُ فَسَواتٍ حتى تتفرّق الإبل عن المبْرَك، تتركه وفيه قِرْدان فلا يردُّها الراعى ، إلاّ بالجَهْدِ الشديد .

فقال الربيع ، وهجاهم [أيضا] بريح التُّيوس :

قَليلٌ غَناؤُهُمُ فِى الهِياجِ إذَا مَا تَنَادَوْا لأمرٍ شديدِ
وأنتمْ كِلاَبٌ لَدَى دُورِكم تهِرُّ هريرَ العَقور الرَّصُودِ(٣)
وأنتم ظَرَابِىُّ إذ تجلسونَ وما إنْ لنا فيكمُ من نَدِيدِ(٤)
وأنتم تيوسٌ وقد تُعْرَفونَ بريحِ التُّيوسِ وقُبْحِ الخدودِ(٥)

قال : ويقال : « أفسى من الظَّرِبان » ويسمّى مفرِّقَ النَّعَمِ ، يريدون من نتْن ريحِ فُسَائه . ويقال فى المثل – إذا وقعَ بين الرجُلين

---

(١) ط : « أحد » .
(٢) ط : « فيحز » وصوابه فى ل وثمار القلوب ٣٣٣ .
(٣) ط : « الصرود » .
(٤) نديد : مثيل ، وفى ط : « مزيد » وهو تحريف مافى ل وثمار القلوب .
(٥) ط : « الجدود » وفى الثمار : « ونتن الجلود » .

شرٌّ فتباينَا وتقاطَعَا — : « فسَا بَيْنَهُمَا ظَرِبَان » . ويقال : « أنتَن مِنْ ظربان » لأنَّ الضبّ إنَّما يخدع[١] فى جُحْره ويُوغِل فى سِرْبه لشدَّة طلب الظَّرِبان له . وقال الفرزدق فى ذلك :

ولو كنتُ فى نارِ الجحيم لأصبَحَتْ   ظَرَابِىٌّ من حِمَّانَ عنِّى تثيرها[٢]

وكان أبو عُبيدة يُسمِّى الحِمَّانِىَّ صاحِبَ الأصَمِّ : الظَّرِبان[٣] ، يريد هذا المعنى ، كما يسمى كل حِمَّانِىٍّ[٤] ظَرِبَانا .

وقال ابن عَبدَلٍ :

لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّه   حتَّى يداوِىَ ما بأنْفِك أهْرَنُ
إن كانَ للظَّرِبان جُحرٌ مُنتِنٌ   فلَجُحر أنفِك يا محمَّدُ أنتن

فى شعره الذى يقول :

ليتَ الأميرَ أطاعَنِى فشفيتُه   من كلِّ مَن يُكْفِى القصيدَ ويَلْحَنُ
متُكَوِّرٌ يَحْثُو الكلام كأنَّما   باتَتْ مناخِرُهُ بدُهْنٍ تُعْرَنُ[٥]
وبَنَى لهم سِجناً فكنتُ أميرَهم   زَمناً فأضربُ مَنْ أشاءُ وأسجُنُ
قل لابنِ آكِلة العِفَاصِ محمَّدٍ   إن كنتَ من حبِّ التقرُّب تجبُنُ[٦]
ألقيْتَ نفسَك فى عَروضٍ مَشقَّةٍ   ولَحَصْدُ أنفِك بالمناجِلِ أهْوَنُ ٩١٩
أنتَ امرؤٌ فى أرضِ أمِّك فلفلٌ   جَمٌّ وفلفلنا هناك الدِّنْدِن

(١) خدع الضب فى جحره : دخل . وفى ط : « ينخذع » وهما بمعنى .
(٢) البيت فى النوادر لأبى زيد ٢١١ . وفى ط : « تشير » فقط بدل « تثيرها » وليس بشىء .
(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يسمى الحمانى صاحب الأحم » فقط.
(٤) فى الأصل « حمان » والوجه ماأثبت .
(٥) كوره فتكور : صرعه فصرع؛ أو هو من تكور : سقط . ويحثو : يلقى . وفى ط : « متكورا » محرفة . وفى ط : « يحسو » محرفة .
(٦) ل : « قد كدت من حب التعزب تختن » وهو تحريف مافى ط وما فى م .

فبحقِّ أمِّكَ وهى منك حقيقَةٌ بالبرِّ واللَّطَفِ الذى لا يُخْزَنُ[١]
لا تُدْنِ فاكَ من الأميرِ ونحِّهِ حتَّى يُداوِىَ ما بأنفك أهْرَنُ
إنْ كانَ للظَّربانِ جُحْرٌ منتِنٌ فلَجُحْر أنفِك يا محمَّدُ أنتَنُ[٢]
فسَلِ الأميرَ وأنْتَ غيرُ موفَّقٍ وبَنُو أبِيهِ للفَصاحة مَعْدِنُ
وسَلِ ابْنَ ذَكْوانٍ تَجِدْهُ عالماً بسَليقةِ العُرْب التى لا تحزُن[٣]
إذْ أنتَ تجعَلُ كلَّ يومٍ عفصةً[٤] فتجيدُ ما عملت يَداك وتحسِنُ
أشبهتَ أمَّكَ غيرَ بابٍ واحدٍ أنْ قد خُتِنْتَ وأنَّهَا لا تُخْتَنُ
فلَئِن أصبتَ دراهماً فدفنتَها وفُتِنت فيها ، وابنُ آدمَ يُفتَنُ
فبما[٥] أراك وأنتَ غيرُ مُدَرْهِمٍ إذْ ذاك تَقْصِف فى القِيان وتَزْفِنُ
إذ رأسُ مَالِكَ لُعْبَةً بصريَّةً بَيْضَاءُ مُغْرِبَةٌ[٦] عليها السَّوْسَنُ

وقال ابن عبدل أيضاً :

نَجَوت[٧] محمداً ودخانُ فيه كريح الجَعْر فوقَ عَطِينِ جِلْدِ
ركبتُ إليه فى رَجُلٍ أتانى كريمٍ يطلبُ المعروفَ عِندى
فقلتُ له ولم أعجَل عليه ، وذلكَ بعدَ تقريظى وحَمْدى
فأعْرَضَ مُكْمَحًا عنِّى كأنِّى أكَلِّمُ صَخْرَةً فى رَأْسِ صمْدِ[٨]

---

(١) ط : « لايحزن » وهو تحريف .
(٢) محمد هذا هو ابن حسان بن سعد كما فى الأغانى ٢ : ٤١٢ طبع دار الكتب وعيون الأخبار ٤ : ٦٢ .
(٣) من الحزونة وهى الصعوبة . وفى الأصل : « تخزن » .
(٤) ط : « غمصة » .
(٥) ل : « لبما » وهما سيان .
(٦) المغربة : الشديدة البياض . ط : « معرية » بالعين .
(٧) ل : « فقدت » محرف ، يقال نجوت فلانا ، إذا استنكهته . والبيت فى اللسان (نجا) بدون نسبة . والقصيدة فى معجم الأدباء ١٠ : ٢٣٢ — ٢٣٣ .
(٨) المكمح : من يرفع رأسه من الزهو . وفى ط : « مكفحا » وتصحيحه من ل . والصمد : المكان المرتفع الغليظ . وفى ط : « همد » وفى ل : « ضمد » بالضاد ولايتجه أحدهما .

أقرِّبُ كل آصِرَةٍ[1] ليدنو ... فما يزْداد منِّى غيرَ بُعْدِ
فأقسِمُ غيرَ مستثنٍ يميناً ... أبا بَخَرٍ[2] لتسَّخِمَنَّ رَدِّى
فلو كنتَ المهذّبَ من تميم ... لخفتَ ملامَتى ورجوتَ حَمدى
بَجَوتُ[3] محمداً فوجدتُ ريحاً ... كريح الكلبِ ماتَ قريبَ عَهْدِ
وقد ألْذَعتَنِى[4] ثعبانَ نَتْنٍ ... سيبلغ إنْ سلِمْنا أهلَ نَجْدِ
وأدنَى خَطْمَه فودِدتُ أنِّى ... قَرَنْتُ[5] دنوَّه منى ببُعْدِ
كما افتَدَتِ المعاذةُ من جَواهُ[6] ... بخِلْعَتِها ولم تَرجِع بزَنْدِ
وفارقَها جواه فاستراحَتْ ... وكانتْ عندَه كأسيرِ قِدٍّ[7]
وقد أدنيتُ فاه إلىَّ حتَّى ... قتلتُ بذاك نفسى غيرَ عَمْدِ
وما يدنُو إلى فيه ذُبابٌ ... ولو طُلِيت مَشافِرُه بقَنْدِ[8]
يَذُقن حلاوةً ويَخفْن موتاً ... زعافا إنْ هَمَمْنَ له بِوِردِ[9]
فلما فاحَ فُوه علىّ فَوْحًا ... بمثل غَثيثَةِ الدَّبِر المُغِدِّ[10]
فقلت له : تنحَّ بفيك عنِّى ... فما هذا بريحِ قُتَارِ رَنْدِ[11]

(١) الآصرة : الرحم والقرابة . وفى ل : « ذى صر » وليس بشىء .
(٢) البخر ، بالتحريك : نتن الفم . وفى ل : « بحر » والوجه مافى ط .
(٣) ماعدا ل : « نحوت » بالحاء ، وهو تحريف . وانظر ماسبق وكذا المخصص ١١ : ٢٠٩ واللسان (جلد ، نجا) .
(٤) ط : « لذعتنى » .
(٥) كذا فى ط . وفى ل : « فديت » .
(٦) ط : « كما افتدت المعادن من حواه » .
(٧) هذا البيت فى الأصول متأخر عن البيت الذى بعده ، وقد قدمت موضعه ليستقيم الشعر .
(٨) القند : عسل قصب السكر إذا جمد . معرب .
(٩) الزعاف والذعاف : السم القاتل . وفى ل: « ذعافا » وفيها كذلك « يرين حلاوة ».
(١٠) الغثيثة : القيح . والمغد : المصاب بالطاعون . وفى ط : « المفد » وهو تحريف.
(١١) الرند : نبت طيب الرائحة . وفى ل : « وقلت له » ، وفى ط : « بعيد عنى » وتصحيحه من ل .

وما هذا بريح طِلاً ولكنْ يفوحُ خِرَاكَ منه غير سَرْدِ(١)
فحدِّثْنى فإنَّ الصِّدقَ أدنى لبابِ الحقِّ من كذبٍ وجَحْدِ
أباتَ يجولُ فى عَفَجٍ طحور فأعلم أمْ أتاكَ به مُغَدِّى(٢)
[نكهتَ علىَّ نكهة أخدَرِىٍّ شتيمٍ أعصلِ الأنياب وَرْدِ]
فإن أهديتَ لى من فيكَ حتْفى فإنِّى كالذى أهديتَ أهدى(٣)
لكم شُرُداً يَسرِن مغنِّياتٍ تكونُ فنونُها من كل فِندِ(٤)
أما تخزَى خزيت لها إذا ما رَوَاها النَّاسُ من شِيبٍ ومُرْدِ(٥)
لأَرجُو إن نجوت ولم يُصبْنى جَوًى إنِّى إذن لَسعيد جَدِّ
وقلتُ له : متى استطرفْتَ هذا فقال أصابنى من جَوفِ مَهْدِى
فقلت له : أما دَاويتَ هذا فتعذر فيه آمالا بجَهْدِ(٦)
فقال : أمَا علمت له رِقَاءً فتسديَه لنا فيما ستُسْدى(٧)
فقلت له : ولا آلوه عيا له فيما أسرُّ له وأُبدى(٨)
عليكَ بقيئةٍ وبجَعْرِ كَلْبٍ ومثلُ ذاك من نونٍ كَنَعْدِ(٩)
وحِلتيتٍ وكُرَّاثٍ وثُومٍ وعُودَى حَرْمَلٍ ودِماغِ فَهْدِ(١٠)
وحَنْجَرَةِ ابنِ آوى وابنِ عِرسٍ ووزنِ شَعيرةٍ من بَزْر فَقْدِ(١١)

(١) الطلاء، بالكسر : الخمر . وفى ط : « فيه غير سرد » .
(٢) العفج : ماينتقل إليه الطعام بعد المعدة . والطحور : السريع . وفى ط :
أبت تجول فى عفج طحون فاعلم إذا أتاك به معدى (كذا)
(٣) ل : « مهد » .
(٤) الفند، بالكسر : النوع . وفى ط : « قند » ولا وجه له .
(٥) ط « خزيت له إذاما » والوجه مافى ل . ل : « رآها الناس » والوجه مافى ط .
(٦) كذا .
(٧) فى الأصل : «تسدى » ولايستقيم بها القول .
(٨) هذا البيت والأبيات الأربعة السابقة له، ساقطة من ل . وفى البيت كلمة « عيا »وهى محرفة .
(٩) كذا فى ل . وفى ط : « من لون كعمدى » .
(١٠) ط : « وحنتيت » والصواب باللام كما فى ل .
(١١) فى القاموس : « الفقد نبات » ولم يفسره . وفى ل : « قفد » بتقديم القاف وهو تصحيف . وفى ط : « وحنجرة ابن آوى ثم دفلى » .

وكَفِّ ذُرُحْرُحٍ(١) ولسانِ صَقر ومثقالين من صوّان رَقْدِ(٢)

يُدَقُّ ويُعجَن المنخول منه ببولٍ آجِن وبَعْرِ قِرد

وتدفِنُه زماناً فى شعـــيرٍ وترقبه فلا يَبدُو لبَرْدِ(٣) ١٢١

فدخِّن فاكَ ما عتَّقت منـه ولا يعجن بأظفار ونَدٍّ(٤)

فإنْ حضَرَ الشتاءُ وأنتَ حىٌّ ، أراك اللهُ غَيَّكَ أمرَ رشدِ(٥)

فدَحْرِجْها بنــادِقَ وازدرِدْها متَى رُمْتَ التكلُّمَ أىَّ زَرْدِ

فتقذف بالمِصَلِّ على مِصَلٍّ ببلعومٍ وشِدْقٍ مُسْمَعِدِّ(٦)

وويْلَك ما لِبَطْنِك مذْ قعَدْنا كأنَّ دوِيَّهُ إرزام رَعد(٧)

فإنَّ لِحكَّةِ الناسور عندى دواءً إن صبرتَ له سيُجدِى

يُميت الدُّودَ عنكَ وتشتهيه إن أنتَ سَنَنْتَهُ سنَّ المقدِّى(٨)

به ، وطليتَه بأصولِ دِفْلَى وشىءٍ من جنَى لَصَفٍ ورَنْدِ(٩)

أَظُنُّ ميِّتًا مِنْ نَتْنِ فيهِ أهانَ اللهُ من ناجاهُ بَعْدِى

---

(١) الذرحرح : دويبة حمراء منقطة بسواد ، تطير ، وهى من السموم . وهى فى ط : « زرحرح » و ل : « ذرائح » محرفتان . وفى ط : « ومثالين » محرف« ومثقالين » .

(٢) رقد : جبل تنحت منه الأرحية ، كما فى القاموس . وفى معجم البلدان اختلاف فيه وفى ط : « رفد » محرفة .

(٣) فى الأصل : « وترميه فلا يبدو لبرد » وكتبت بدلها « ترقبه » ليتجه القول .

(٤) ل : « ولا تعجن بأظفار وسعد » صوابه فى ط . والأظفار والند : ضربان من الطيب .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « أزال الله عنك أمور رشد » .

(٦) مصل : له صليل كثير. والمسمعد : المنتفخ ورما ، ومثله المصمغد والمسمغد . وفى ل : « مصمغد » .

(٧) ط : « كأن رويه » وهو تحريف .

(٨) السن : الصب فى سهولة . والمقدى : ضرب من الشراب غليظ ، وفى ل : « المعد » وفى ط « المقد » محرفتان .

(٩) الدفلى : نبت مر قتال زهره كالورد الأحمر وحمله كالخرنوب . واللصف : نبت ورقه كورق لسان الحمل أوأدق . والرند : نبت طيب الرائحة . وفى ط « سعدى » موضع « دفلى » وهو تحريف ، و « نصف » موضع « لصف » وهو تحريف أيضا . وفى ل: « زبد » وليس بشىء .

(أشعار العرب فى هجاء الكلب)

وقال صاحب الديك : سنذكُر أشعار العرب فى هجاء الكلب مجرَّدا على وجهه ، ثمَّ نذكُر ما ذمُّوا من خلالهِ وأصنافِ أعماله ، وأموراً من صفاته ، ونبدأ بذكرِ هجائه فى الجملة . قال بشَّار بن بُرْد :

عددتَ سويداً إذ فخرتَ وتَوْلَبًا ... وللكَلْبُ خيْرٌ من سُويدٍ وتَولبِ

وقال بشَّارٌ أو غيرُه :

أتَذْكُرُ إذ تَرْعَى على الحىِّ شاءَهُمْ ... وأنتَ شريكُ الكلب فى كلِّ مَطْعَمِ

وتلحَسُ مافى القَعْبِ من فَضْلِ سُؤْرِهِ ... وقد عاثَ فيه باليدَين وبالفمِ

[وقال ابن الذئبة :

من يجمع المال ولا يَتُبْ به[1] ... ويترك المالَ لِعَامِ جِدْبِه

* يهُنْ عَلَى النَّاسِ هَوانَ كلبِه] *

وقال آخر :

إنَّ شَرِيبى لَا يغبُّ بوجهه ... كُلُومى كأنْ كلباً يُهارِش أكْلُباً[2]

ولا أَقْسِمُ الأعطان[3] بينى وبينَه ... ولا أتوقَّاه وإن كان مُجْرِبا

وهجا [أبو] الأحوص[3] ابناً له فشبَّهه بجرْوِ كَلْبٍ فقال :

أقبِحْ به من ولدٍ وأَشْقِحْ ... مثل جُرَىِّ[4] الكلب لم يُفَقِّحْ

---

(١) كذا فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٣ : وفى ل : « يثبه » وهو تحريف إملائى . وفى البخلاء ١٥٥ : « يثبته » وليس بشىء . وانظرهما .

(٢) ط : « إن شرابى لاتغيب بوجهه كلوم » وهو قول محرف صوابه فى ل .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب، وفى ط : «الأعكان» .

(٤) جرى : مصغر جرو . وفى ل: «جرىُ» .

إن يَرَ سُوءًا مَا يَقُمْ فينبِحْ(١) بالبابِ عند حاجةِ المستفتِحْ(٢)

وقال أبو حُزَابة(٣) : ١٢٢

يا ابنَ عليٍّ بَرِح الخفاءُ أنتَ لغَيْرِ طَلْحَةَ الْفِدَاءُ(٤)

قد علِمَ الأشرافُ والأكفاءُ أنَّك أنت النَّاقصُ اللَّفَاءُ(٥)

حَبلَّقَ جَدَّعه الرِّعاء(٦) يغُمُّه المِئزَرُ والرِّدَاءُ

بنو عليٍّ كلُّهمْ سواءُ كأنَّهم زِينِيَّةٌ جِراءُ(٧)

وقال عبدُ بنى الحَسْحاس ، وذَكر قُبْحَ وجهِه [فقال] :

أتيتُ نِساءَ الحارثِيِّينَ غُدْوَةً بوجهٍ بَرَاهُ اللهُ غيرِ جميلِ(٨)

فشبَّهنَنى كلباً ولسْتُ بفَوقِه ولا دونَه إن كان غيرَ قليلِ

---

(١) ط : « إن يرسوءا لم يقم فينبح » .

(٢) ط : « خلقة المستقبح » .

(٣) كـذا فى ل وهو الصواب ، وفى ط : « أبو خدانة » . وأبو حزابة هو الوليد ابن حنيفة، أحد بنى ربيعة بن حنظلة، شاعر من شعراء الدولة الأموية . بدوى حضر وسكن البصرة ثم اكتتب فى الديوان وضرب عليه البعث إلى سجستان فكان بها مدة وعاد إلى البصرة وخرج مع ابن الأشعث لما خرج على عبد الملك . قال أبو الفرج : وأظنه قتل معه . وكان شاعرا راجزا فصيحاً خبيث اللسان هجاء . انظر الأغانى ١٠ : ١٥٢ — ١٥٦ والمشتبه للذهبى ١٦٠ ليدن وتاج العروس (حزب) .

(٤) الفداء هنا بمعنى البدل . وفى ل : « أنت لقبر طلحة الفداء » وفى الأغانى ١٩ : ١٥٣ : « أنت لعين طلحة القذاء » . وابن على هذا هو عبد الله بن على بن عدى ولى سجستان بعد طلحة . وطلحة هذا هو ابن عبد الله بن خلف ، الذى يقال له طلحة الطلحات ، وكان واليا على سجستان قبل عبد الله بن على . وكان طلحة يحبو ابن حزابة ، وكان عبد الله شحيحا ممسكا .

(٥) اللفاء ، كسحاب : الخسيس الحقير . وفى ل : « اللقاء » وهو تحريف .

(٦) الحبلق : غنم صغار لاتكبر أو قصار المعز ودمامها . وفى ط « الدعاء » موضع « الرعاء » وهو تحريف .

(٧) الزينية : كلاب قصيرة القوائم . وفى الأغانى « بنو على » . . . الخ .

(٨) كذا فى ل وعيون الأخبار ٤ : ٣٥ بمعنى خلقه غير جميل . وفى ط : « يراه الله » .

وقال أبو ذُبَابٍ السَّعْدىّ(١) فى هَوَان الكلب :

لِكِسْرَى كانَ أعقلَ من تميمٍ ليالىَ فرَّ من أرْضِ الضَّبابِ
وأسكنَ أهلَه ببلاد رِيفٍ وأَشجارٍ وأنهارٍ عِذَابِ
فصار بنُو بَنيه لها مُلوكاً وصرنا نحنُ أمثالَ الكِلَابِ
فلا رَحمَ الإلهُ صدَى تميم فقد أزْرَى بنا فى كلّ بابِ

وأراد اللّعين(٢) هجاءَ جريرٍ — وجَريرٌ من بنى كُليب — فاشتقَّ هجاءَه من نسبه فقال :

سأقْضِى بين كلبِ بنى كُليبٍ وبين القَينِ قَينِ بنى عِقالِ
فإنَّ الكلبَ مَطعَمُه خبيثٌ وإنَّ القينَ يَعمَل فى سَفالِ
كِلَا العَبدين — قد علمتْ مَعَدٌّ — لئيمُ الأصلِ من عمٍّ وخالِ
فما بُقيَا علىَّ تركتُمانى ولكنْ خِفتُما صَرَدَ النبالِ

وقال رجلٌ من همْدان ، يقال له الضَّحَّاك بن سعد(٣) ، يهجو مَرْوان بن محمد ابن مروان بن الحكم ، واشتقَّ له اسماً من الكلب فجعلَه كلبا فقال :

لجَّ الفِرَارُ بمرْوانٍ فقلتُ له عادَ الظلوم ظليماً همُّهُ الهربُ(٤)
أينَ الفِرارُ وتركُ المُلْك إن قبلت منك الهُوَيْنَى فلا دينٌ ولا أدبُ(٥)

---

(١) أبو ذباب السعدى : صحابى شاعر ، من سعد العشيرة . له فى إسلامه خبر طريف ، وهو ممن عرف بكنيته فقط ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة أول قسم الذال من باب الكنى وهو فى ط : « ابن دب » وفى ل : « ابن دواب» . ولعل صوابهما ما أثبت . والأبيات أعادها الجاحظ فى الحيوان ٦ : ١٠١ ونسبها فى الحنين إلى الأوطان إلى الفرزدق.

(٢) هو منازل بن زمعة المنقرى ، من بنى منقر . وكان ممن قضى بين جرير والفرزدق فأصابه الشر . قال ابن قتيبة : وكان اللعين هجاء للأضياف قال :

وليس أبغض مابى جل مأكله إلا تنفجه عندى إذا قعدا
ما زال ينفج كتفيه وحبوته حتى أقول لعل الضيف قد ولدا

(٣) نسبه العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ١٩٦ إلى سعيد بن العاصى .

(٤) ط : « عاد الظليم ظليما » . والظليم : الذكر من النعام .

(٥) ديوان المعانى : « إذ كشفت عنك » . الطبرى ٩ : ١٣١ : « إذ ذهبت عنك » .

فَرَاشَةَ الحلمِ فِرعونُ العذابِ ، وإن يُطلَب نَدَاهُ فكلبٌ دونَه كَلبُ

وقال آخر وجعل الكلبَ مثلا فى اللُّؤم : ١٢٣

سَرَتْ ماسَرَتْ من ليلِها ثمّ عرّسَتْ على رجلٍ بالعَرْجِ أَلْأَمَ مِنْ كلْبِ

وكذلك قول الأسود بن المنذر(١) ، فإنّه قال :

فإنّ امرأً أنتمُ حولَه تحُفُّون قُبَّتَه بالقِبابِ (٢)
يُهِينُ سَرَاتَكمُ جاهداً ويقتُلكم مثلَ قتْلِ الكلابِ

وقال سحيمة بن نعيم :

ألستَ كليبيًّا لِكَلْبٍ وكلبةٍ لها عندَ أطْنَابِ البُيوتِ هَرِيرُ

وقال النَّجْرانىُّ فى ذلك :

مِن منْزِلى قد أخرجَتْنِى زوجتى تَهِرُّ فى وجهى هَرِيرَ الكَلبةِ
زُوِّجتُها فقيرةً من حِرْفَتى قلت لها لمّا أراقتْ جَرّتى
أُمَّ هِلالٍ أَبْشِرِى بالحسرةِ وأَبشِرِى منك بقُربِ الضَّرَّةِ

(الفلحس والأرشم)

ويقال للكلب « فلحَس » ، وهو من صفات الحِرْص والإلحاح . ويقال : « فلان أسأَلُ مِنْ فَلْحَس » . وفَلْحَسٌ : رجلٌ من بنى شيبان(٣) كان حريصاً رغيبا ، ومُلحِفا مُلِحًّا . وكلُّ طُفَيلىٍّ فهو عندهم فَلْحَسٌ .

والأرشَم :(٤) الكلب والذئب ، وقد اشتقّ منه للإنسان إذا كان يتشمَّم الطعام ويتْبع مواضعه . قال جريرٌ فى بعضهم :

(١) فى الأغانى ١٩ : ١٣٠ نسبة البيتين إلى لقيط بن زرارة يعير بنى مالك بن حنظلة فى أخذ عمرو بن هند لهم وقتله كثيرا منهم .

(٢) فى عيون الأخبار ١ : ١٩٢ « بأن » ، وقبله :

فأبلغ لديك أبا مالك * على نأيها وسراة الرباب

(٣) ط : « من ابنى شيبان » . وانظر أمثال الميدانى (١ : ٣١٧) .

(٤) ل : « الأرسم » وهو تصحيف . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه .

لَقًى حَمَلتْهُ أمُّه وهى ضَيفة فجاءَتْ بيَتْنٍ للضِّيافةِ أرْشَما(١)

وقال جريرٌ فى استرواح الطعام(٢) :

وبنو الهُجَيم سَخيفةٌ أحلامُهم ثُطُّ اللِّحَى مُتشابِهُو الألوانِ
لو يَسمَعون بأكلةٍ أو شَرْبةٍ بعُمَانَ أضحى جمعُهم بعُمانِ
متأبِّطين بنيهمُ وبناتِهمْ صُعرَ الخدودِ لريحِ كلِّ دُخانِ(٣)

وقال سَهمُ بن حنْظَلَة الغَنَوىُّ فى ذلك :

وأمّا كلابٌ فمثلُ الكِلا ب لا يُحسِنُ الكلبُ إلّا هريرَا
وأمّا نُميرٌ فمثلُ البِغا ل أشبهْنَ آباءهُنَّ الحَميرا(٤)
124 وأمّا هِـــلالٌ فعَطَّارَةٌ تَبيع كِباءً وعِطْرًا كثيرا(٥)

(بين جرير والراعى)

ومرَّ جريرٌ يوماً بالمِرْبَد ، فوقف عليه الراعى وابنه جنْدَل ، فقال له ابنه جندل : إنَّه قد طال وقوفُك على هذا الكلب الكُلَيبىّ ، فإلى متى ؟ ! وضرب بغلَته، فمضى الراعى وابنه جندل ، فقال جرير : والله لأُثْقِلنَّ

---

(١) ل : « أرسما » مصحف . وفى ط : « فتى » محرفا . والبيت على الصواب فى اللسان (ضيف، رشم، يتن) وأدب الكاتب لابن قتيبة ١٢٧ والاقتضاب ٣٤٦ . وقد نسب فى كل تلك إلى البعيث . ابن منظور (رشم) : قال ابن سيده : وأنشد أبو عبيد هذا البيت لجرير . قال : وهو غلط .

(٢) الأبيات فى البيان ٣ : ٣٢٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٢٥ .

(٣) البيت ساقط من ل .

(٤) يبتدئ هـــذا البيت والذى قبله فى ل ، بكلمة « فأما » مع الفصل بين البيتين بكلمة « وقال » وفى ط : « وأما تميم فمثل البغال » .

(٥) الكباء ككتاب : عود البخور أو ضرب منه . وبدله فى ل « ملابا » وهو كسحاب عطر أو الزعفران . والشعر فى كتاب البغال ٣٤٣ .

رواحلك ! فلما أمسى أخذَ فى هجائه ، فلم يأته ما يريد ، فلما كان معَ الصبح انفتَح له القولُ فقال :

فغُضَّ الطَّرْفَ إنّكَ من نُميرٍ فلا كعباً بلغتَ ولا كِلابا
ولو جُعِلت فِقاحُ بنى نُميرٍ على خَبَثِ الحديدِ إذاً لذَابا

ثم وقف فى موقفه ، فلمَّا مرَّ به جندلٌ قبض على عِنان فرسِه ، فأنشده قوله ، حتى إذا بلغ إلى هذا البيت :

أَجنــدلُ ما تقول بنو نُميرٍ إذا ما الأَيرُ فى استِ أبيك غابا

قال : فأدبَرَ وهو يقول : يقولون والله شرًّا[١] .

وقال الشاعر — وضرب بالكلب المثلَ فى قُبْح الوجه — :

سَفَرتْ فقلتُ لها هَجٍ فَتبرقَعَتْ فذكرتُ حين تبرقعت ضَبَّارا[٢]

وضَبَّار : اسم كلب له[٣] .

(أمثال فى الكلاب)

وقال كعب الأحبارِ لرجل وأراد سفراً : إنّ لكلّ رُفقةٍ كلباً ، فلا تكنْ كلبَ أصحابِك .

وتقول العرب : « أحبُّ أهلى إلىّ كلبهم الظاعن[٤] » . ومن الأمثال « وقَع الكلبُ على الذِّئب ليأخذَ منه [مثل] ما أخَذ » . ومن أمثالهم :

---

(١) سقط الكلام فى ل من « ثم وقف » إلى هنا .

(٢) فى الصحاح : « هج مخفف زجر للكلب ، يسكن وينون » وأنشد البيت فى (هجج وهبر) برواية « هبارا » ، وكذلك فى اللسان (هبر) ولكن فى (هجج وضبر) : « ضبارا » كما فى ٢ : ٢١ من الحيوان .

(٣) ل : « لهم » .

(٤) فى عيون الأخبار ٢ : ٨١ : « الكلب أحب أهله إليه الظاعن » . وانظر أمثال الميدانى ١ : ١٨٣ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ .

« الـكلابَ على البَقَر(١) » . ومن أمثالهم فى الشؤم قولهم : « على أهْلِها دلَّتْ بَرَاقِشُ » . وبراقش : كلبةُ قومٍ نبحَت على جيشٍ مرُّوا ليلا وهمْ لايشعُرون بالحىِّ ، فاستباحوهم واستدلُّوا على مواضعهم بنباحها . قال الشاعر :

ألم تَرَ أنَّ سيِّد آلِ ثورٍ نُباتة عضَّهُ كلبٌ فماتا(٢)

(قتيل الـكبش وقتيل العنز)

وقال صاحب الـكلب : قد يموت الناسُ بكلِّ شيء ، وقد قال عبد الملك بن مروان : ألا تتعجبون من الضحَّاك بن قيس يطلب الخلافة ونطح أباه كبش فوُجِد ليس به حَبَضٌ ولا نَبَض(٣) . وقال عَرفجة بن شريك يهجو أسلَم بن زُرْعة — ووطئتْ أباه عنزٌ بالمربد فمات — فقال :

١٢٥ ولم أستطع إذْ بانَ(٤) منِّىَ معشرى مكانَ قتيلِ العنز أنْ أتـكلَّما
فيا ابنَ قتيلِ العنْز هل أنت ثائرٌ بزُرعةَ تيساً فى الزَّريبةِ أزنما(٥)

وقال أبو الهول يهجو جعفر بن يحيى(٦) :

أصبحتُ محتاجاً إلى الضَّرْبِ فى طلَب العُرْف إلى الـكلْبِ

---

(١) فى الأصل : « الـكلاب كل البقر » والمثل معروف . ولصاحب القاموس ، وكذلك للدميرى فى حياة الحيوان كلام كثير فيه. وانظر المزهر ١ : ٦٥ .

(٢) ط : ألم تر أن سيد آل شور بنابه عضه كلب فماتا

(٣) فى القاموس : مابه حبض ولا نبض : حراك .

(٤) ط : « بات » وهو تحريف مافى ل .

(٥) الأزنم : ذو الزنمة ، وهى هنة معلقة فى حلقه تحت اللحية . وفى ط « أزرما » .

(٦) أبو الهول الحميرى شاعر مقل لـه شـعر يبلغ خمسين ورقة . ابن النـديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر . وفى ط « أبو الغول » محرفا . والشعر فى العمدة ١ : ٤٠ والبيان ٣ : ٣٥١ واسمه عامر بن عبد الرحمن. تاريخ بغداد ٦٦٨٢ والشعر منسوب لإسماعيـل بن بشر اللاحق فى الأوراق للصولى أخبار الشعراء ص ٧٣ .

قد وقَّح السَّبُّ له وجهَه   فصــار لا ينحاش للسَّــبِّ
إذا شَــكَا صبٌّ إليه الهوَى   قال لهُ مــالى وللصبِّ
أعْنِي فتًى يُطعَن فى دينــهِ   يشِبُّ مَعَهُ خَشَبُ الصُّلْبِ (١)

قال : وقلتُ لأبى عبيدة : أليس بُقْعُ الكلاب أمثلها ؟ قال : لا . قلت : ولم قال :

وخِفْتُ هجاءهم لـمــا تَوَاصَــــــوْا
كخَوْفِ الذِّئبِ من بُقْعِ الكِلابِ (٢) ؟

قال : ليس هكذا قال ، إنما قال :

* كَخَوْفِ الذِّئب من سُودِ الكِلابِ *

ألا ترى أنّه حين أراد الهجاء قال :

كأنَّك بالمبَارَكِ بعدَ شهرٍ   تَخُوضُ غُمورَه بُقْعُ الكِلابِ (٣)

ويدل على ذلك قول الجَدَلِيِّ (٤) :

لَعَمرِى لَجَوٌّ مِنْ جِواء سُوَيقَةٍ   أسافلُه مَيْثٌ وأعلاه أجْرَعُ
أحبُّ إلينا أن نجاوِرَ أهلَه   ويصبحَ منَّا وهو مرأًى ومسمعُ
مِن الجَوْسَقِ الملعونِ بالرَّىِّ لا يَنِى   على رأسه داعى المنيَّةِ يلمَعُ
يقولون لى صبراً فقلتُ لَطَالَمَا   صَبَرتُ ولكنْ لا أرى الصَّبرَ ينفعُ

---

(١) ل : « . . دبره يشب منه » وهو تحريف .
(٢) ل : « وخفت هجيئهم » .
(٣) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبد الله القسرى لهشام بن عبد الملك . وفى ط : « بالمنازل » وهو تحريف . والغمور : جمع غمر ، وهو الماء الكثير . وفى ط : « غمورة » وفى ل : « عموره » وصوابهما ما أثبت . وانظر معجم البلدان رسم (المبارك). والبيت فيه للفرزدق ، وقد أعاده الجاحظ فى ٢ : ٧٨ .
(٤) نسبه ياقوت إلى الغطمش الضبى فى رسم (الجوسق) .

فليتَ عطائى كانَ قُسِّمَ بَيْنَهُمْ ... وكان لى الصَّمَّان والحزْنُ أجمعُ(١)

وكان لهم أجْرى هنيئاً وأصبحَتْ ... بىَ البازلُ الكَوماءُ بالرمل تَضْبَع

أأجعَلُ نفسى عِدْلَ علجٍ كأنَّما ... يموتُ به كلبٌ إذا ماتَ أبقعَ

قال : فقد بيَّن كما ترى أنَّ الأبقعَ شرُّها .

قال : وقلت : فلِمَ قال الشاعر :

أرسلْتَ أُسداً على بُقْعِ الكلاب فقد

أمسى شَرِيدُهم فى الأرض فُلَّالَا(٢)

قال : فكيف يقول ذلك وهو يمدحهم ؟ وإذا صغَّر شأنَ من هزَموا

١٢٦ فقد صغَّر شأنَ الممدوح . بل إنَّما قال « أرسلتَ أسداً على سود الكلاب » .

قال : وإنَّما جاء الحديثُ فى قتل سُود الكلاب ، لأنَّ عُقُرَها أكثرُ ما تكون سوداً ، وذلك من غلَبة أنفسها .

وليس فى الأرض حيوانٌ من بقرةٍ وثورٍ وحِمارٍ وفرس وكلبٍ وإنسان ، إلاّ والسُّودُ أشدُّها أَسْرًا وعَصَبا(٣) ، وأظهرُها قُوَّةً وصبْرًا .

وقال أبو سعد المخزومى(٤) فى هجائه دِعبلا :

---

(١) ط : « وكان لى الكتّان » .

(٢) فى اللسان : وهم قوم فل : منهزمون ، والجمع فلول وفلال . وللأخفش فى هذه الكلمة بحث جيد فى اللسان .

(٣) فى لأصل : « شرا وعصيا » . وانظر ٢ : ٧٩ .

(٤) أبو سعد المخزومى ممن عرف بكنيته ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة العباسية . وقد عاصر دعبلا وله معه مهاجاة وإقذاع . وقد نعته الجاحظ فى البيان ٣ : ١٤٧ بأنه دعى بنى مخزوم . وفى ط : « أبو سعيد » والصواب مافى ل . ويؤيد ذلك قول ابن أبى الشيص فيه (الأغانى ١٨ : ٥٤) :

أنا بشرت أبا سعد فأعطانى البشاره

وقول دعبل :

إن أبا سعد فتى شاعر يعرف بالكنية لا الوالد

يا ثابتَ بن أبي سـ‍ـعيدٍ إنَّها دُوَلٌ وأحْرِ بها بأَنْ تتنقَّلا
هلاَّ جعلتَ لها كحُرْمَةِ دِعْبِلٍ في است [امِّ] كلبٍ لايساوي دِعبلا

[وقال ابن نوفل] :

وجئتَ على قَصْواءَ تنقلُ سَوءةً إلينا وكم من سوءةٍ لا تَهابُها[1]
وتزعمُ أَنْ لم تخز سَلْمُ بنُ جنْدَلٍ وقدخَزِيت بعدَ الرِّجال كلابُها[2]

وقال الحسن بن هانئ يهجو جعفرَ بنَ يحيى :

قفاً خلف وجه قد أطيل كأنَّه قفا مالك يقضي الهموم على بثق[3]
وأعظم زهواً من ذباب على خِرًا[4] وأبخَلُ من كَلْبٍ عَقُورٍ على عَرْق

وقال أبو الشَّمقمق :

أهلُ جودٍ ونائلٍ وفَعالٍ غلَبُوا الناسَ بالنَّدى والعطيَّهْ
جئتُه زائراً فأدنَى مكاني وتلقَّى بِمرْحَبٍ وتحيَّهْ
لا كمِثْلِ الأصَمِّ حارثةِ اللؤ مِ شبيهِ الكُلَيبة القَلَطيَّهْ
جئتُه زائراً فأعرضَ عنِّي مثلَ إعراض قحبةٍ سُوسيَّهْ[5]
وتولَّى كأنَّه أير بغلٍ غابَ في دُبْر بَغلةٍ مِصريَّهْ

وقال أيضاً :

ألا قُولا لسرّان المخازِي ووجهِ الكلب والتَّيْسِ الضروطِ[6]

---

(١) ط : « جنبت على قصواء » وهو تحريف .
(٢) ل : « سلمى بن جندل » وهو تحريف .
(٣) ط : « تثق » . وانظر الشعراء ٧٩٠ وما سبق في ص ٢٣٨ .
(٤) ل : « خر » .
(٥) ط : « سرسية » .
(٦) ط : « ألا قولا لشران » .

له بطنٌ يَضلُّ الفيلُ فيه ودُبرٌ مثلُ رَاقود النَّشوط(١)
وأَيْرٌ عارمٌ لا خيرَ فيه كدَوْرِ سفينةٍ فى بَثْق رُوط(٢)
ولحيَةُ حائكٍ من باب قلب(٣) مُوَصَّلَةِ الجوانبِ بالُخيوطِ
له وجهٌ عليه الفقرُ بادٍ مُرقَّعة جوانبُه بِقوطِ(٤)
إِذَا نَهَضَ الْكِرَامُ إِلَى المَعَالِي تَرَى سَرَّانَ يَسْفُلُ فِى هَبُوط

١٢٧ وقال أيضاً فى ذلك :

يا رازقَ الكلبِ والخنزيرِ فى سعةٍ والطيرِ والوحش فى يهماءَ دوَّيَّهْ(٥)
لو شئتَ صيَّرتَه فى حالِ فاقته حتى تُقِرَّ بتلك الحالِ عينيَّه(٦)

وقال جرير بن عطية ، يهجو الصَّلَتان العبدىّ(٧) :

أقول لها والدَّمعُ يغسِل كُحلَها متى كان حكمُ اللهِ فى كَرَبِ النخلِ

فأجابه الصَّلَتَانُ فقال :

تُعيِّرنا أن كانت النَّخْلُ مالَنا ووَدَّ أبوكَ الكلبُ لوكان ذا نَخْلِ

يعيِّره جريرُ بأنَّه كان هو وأبوه من أصحاب النَّخْل(٨) .

---

(١) الراقود : دن كبير أو طويل الأسفل يسيع داخله بالقار . والنشوط : سمك يمقر فى ماء وملح .

(٢) عارم ، من يوم عارم : نهاية فى البرد . والروط بالضم : النهر ، معرب . وبثق النهر : كسر شطه لينبثق الماء . وفى ل : « زوط » وليس بشىء .

(٣) ل : « قلبا » .

(٤) ط : « بغوط » وقد كتب هذا البيت تاليا للذى بعده فى ط ، ورددته إلى موضعه سابقا له كما فى ل .

(٥) ط : « فى يهما روية »، وهو تصحيف . وفى ل : « من سعة » .

(٦) ل : « حتى يقر » .

(٧) ل : « قال الصلتان العبدى يهجو جريرا » وهو خطأ صوابه فى ط ، وفى الخزانة ٢ : ١٥٥ ، والشعراء لابن قتيبة ٤٧٨ .

(٨) ل : « يعير جريرا وأباه بأنهما كانا أصحاب نخل » ، وهو خطأ انظر له المراجع السابقة .

وقال وضّاحُ اليمن :

وأكتم السِّرَّ غضباناً وفى سكرى حتى يكون له وجهٌ ومستمعُ
وأتْرُكُ القولَ عن علمٍ ومَقْدِرَةٍ حتى يكون لذاك النَّجْدِ مُطَّلَع [1]
لاقُوَّتى قُوَّة الراعى ركائبَه يبيتُ يأوى إليه الكلبُ والرُّبَع [2]
ولا العَسيفِ الذى تشتدُّ عُقْبَتُهُ حتّى يَئُوبَ وباقى نعْلِه قِطَع [3]

وقال محمَّد بن عبَّاد الكاتب مولى بجيلة، وأبوه[4] من سبى دابق وكاتب زهير، وصديق ثُمامة، يهجو أبا سعد[5] دعىَّ بنى مخزوم، وبعد أن لقى منه ما لَقى :

فعلَتْ نزارُ بك الذى اســتأهَلْتَه نفياً وضَرْبَا
فهجوتَ قحطانا لأهـ جُوَهم مكايَدةً وإرْبا[6]
وأردتَ كيما تشتَفى بهجاءهم منهم فتَرْبَا
ووثقت أنَّك مَا سببـ ـتَ حَماكَ لؤمُك أن تُسَبَّا
كالكلب إن ينبح فليـ ـس جوابه إلَّا أخْسَ كَلْبَا[7]
خفِّض عليك وقَرْ مكا نَك لاتطفْ شرقاً وغربا
واكشِفْ قِناعَ أبيك فالـ آباءُ ليس تُنال غَصْبا

---

(١) ط : « حتى يكون بذاك » .

(٢) الربع : ولد الناقة فى الربيع ، وفى ط : « الولع » وصوابه فى ل ، وفى الحماسة ١ : ٢٦١ . والشعر فى الحماسة غير منسوب .

(٣) العسيف : العبد أو الأجير . وعقبته : مرفوع على الفاعل ، أو منصوب على الظرف (برواية : يشتد) أى وقت عقبته ، والعقبة من المعاقبة وهى النوبة . وفى ط : « وباقى فعله » وتصحيحه من ل ، ومن الحماسة . وانظر التبريزى (٢ : ٩٧) .

(٤) كلمة « وأبوه » ساقطة من ل : والصواب إثباتها كما فى الأغانى ٦ : ١٤ . وانظر البيان ١ : ٤٤ . وفى ط : « من سبى وابق » وتصحيحه من ل ، ومن البيان .

(٥) ط : « أبو سعيد » وهو تحريف نبهت عليه ص ٢٦٢

(٦) ل : « لأهجوكم » . ط : « مكابرة وإربا » .

(٧) ل : « كالكلب » .

١٢٨ وقال آخر يصف كلباً :

وَلَذٍّ كطَعْم الصَّرْخَدِىِّ تركتُه ... بأرض العِدَا من خَشية الحَدَثَانِ
ومُبْدٍ لىَ الشَّحناءَ بينى وبينه ... دعوتُ وقد طال السُّرى فدعانى

فوصفه كما ترى أنَّه يبدى له البغضاء .

وقال آخر :

سَرَتْ ماسَرَتْ من ليلها ثم عرَّست ... عَلَى رجُلٍ بالعَرْج ألأمَ من كلْبِ

وقال راشِد بن شِهاب اليشكُرىُّ :

فلستُ إذا هبَّتْ شَمالٌ عَرِيَّةٌ ... بكَلْبٍ على لحم الجزورِ ولا بَرَمْ

وقال كُثَيِّر بن عبد الرحمن ، وهو يصف نعلاً من نِعال الكرام[1] :

إذا طُرِحَتْ لم يَطَّبِ الكلبَ ريحُها ... وإن وُضِعت فى مجلس القَوم شُمَّتِ

وقال اللّعين فى بعض أضيافه[2] ، يخبر أنّه قراه لحمَ كلب . وقد قال ابنُ الأعرابى : إنَّما وصف تيساً :

فقلتُ لعَبْدَىَّ اقْتُلا داءَ بطنِه ... وأعفاجِه اللائى لهنَّ زوائدُ[3]
فجاءَا بخِرشاوَى شَعير عليهما ... كَرَادِيسُ من أوصالِ أعقَدَ سافِدِ

وقال خُلَيد عَيْنَين[4] وهو يهجو جرير بن عطية ويردّ عليه :

وعيّرتَنا بالنخل أن كان مالَنا ... وودَّ أبوك الكلب لو كان ذا نخل

---

(١) للبغدادى كلام فى البيت الآتى . الخزانة ٤ : ١٤٧ بولاق . وهو مع بيتين سابقين له فى البيان ٣ : ١٠٩. ولبشار مثل هذا المعنى إذ يقول :

إذا وضعت فى مجلس القوم نعلها ... تضوع مسكا ماأصابت وعنبرا

وروايته فى اللسان (نعل) : « له نعل »، وقال : « حرك الحلق لانفتاح ماقبله ».

(٢) انظر ترجمة اللعين ص ٢٥٦ .

(٣) فى هذا البيت إقواء . وقد روى ياقوت فى معجم البلدان برسم (حلامات) سبعة أبيات من قصيدة اللعين هذه ، اثنان منها مضموما القافية يليهما خمسة مكسورات القوافى . وهذا البيت هو الرابع فى روايته . وقد روى عجزه هكذا :

* وأعفاجه العظمى ذوات الزوائد *

(٤) هو من ولد عبد الله بن دارم ، وكان ينزل أرضا بالبحرين يقال لها « عينين » فنسب إليها . وقد أجازه زياد لمناسبة طريفة . الشعراء ٤٣٤ .

وقال دِعبل بن عليّ :

ولو يُرزَق الناسُ عن حيلة لما نال كفًّا من التُّرْبهْ

ولو يشربُ الماءَ أهلُ العفا ف لما نال من مائهم شَرْبَهْ

ولـكنَّه رزقُ مَنْ رِزْقُه يعمُّ به الـكلبَ والـكلبهْ

باب

(ذكر من هُجِىَ بأكلِ لحوم الـكلاب ولحومِ الناس)

قال سالم بن دَارة الغطَفانيُّ (١) :

يافقْعَسِيُّ لِمْ أكلته لِمَـهْ لو خافَكَ اللهُ عليه حرَّمه

* فما أكلتَ لحمَه ولا دَمه *

وقال الفرزدق فى ذلك :

إذا أسديٌّ جاعَ يوماً ببلدةٍ وكان سميناً كلبُه فهو آكلُه

وقال مساور بن هند : ١٢٩

إذا أسدِيَّةٌ ولدَتْ غُلَاماً فبشِّرها بلؤمٍ فى الغلامِ

يخرِّسها نساءُ بنى دُبَير بأخبثِ مايجدن من الطَّعام(٢)

ترى أظفارَ أعقَدَ مُلقيَاتٍ براثنُها على وَضَم الثُّمامِ(٣)

فهذا الشعر وما أشبهَه يدلُّ على أنَّ اللعين إنَّما قراهم كلباً ولم يَقْرِهم تيساً ، وأنَّ الصوابَ خلافُ ما قال ابْنُ الأعرابيِّ .

وقال مُساوِر بن هند أيضاً :

بنى أسدٍ أن تُمحل العامَ فَقْعسٌ فهذا إذنْ دَهْرُ الـكلابِ وعامُها

---

(١) هو سالم بن مسافع . ودارة أمه ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان رجلا هجاء ، وله ترجمة مسهبة فى الخزانة ٢ : ١٢٥ — ١٣٠. والشعر فى البخلاء ١٩٧ وانظر الحيوان ٢ : ٥٨ ، ٤ : ١٤ .

(٢) ط : « مايكون من الطعام » وأثبت مافى ل والبخلاء ١٩٧

(٣) وضم الثمام : مثل للقلة والهون . وفى ط : « الشمام » وصوابه فى ل والبخلاء ١٩٧ .

وقال شَرَيح بن أوس يهجو أبا المهوّش الأسدى(١) :

وعيَّرْتنا تمرَ العراق وبُرَّه ... وزادُك أير الكلْب شيَّطه الجمْرُ

(أكل لحوم الناس وما قيل فى ذلك من الشعر)

وقال معروفٌ الدُّبيرىّ(٢) فى أكلِهم لحومَ الناس :

إذا ماضِفْتَ يوماً فقعسيًّا ... فلا تَطعَمْ له أبدا طعاما

فإنَّ اللحم إنسانٌ فدَعْهُ ... وخيرُ الزَّادِ مَا مَنَع الحراما

وقد هُجِيت هذيلٌ وأسد وبَلعَنْبَر وباهلة بأكلِ لحوم الناس ، قال حسَّان بن ثابت يذكر هذيلا :

إنْ سرَّك الغَدْرُ صِرفاً لامِزَاجَ له ... فأت الرجيع وسل عن دارِ لِحْيانِ

قومٌ تواصَوا بأكل الجار بينهم ... فالكلبُ والشَّاةُ والإنسانُ سِيَّانِ

وقال الشاعر فى مثل ذلك فى هذيل :

وأنتمْ أكلتُمْ شحمة بن مخدَّم ... زباب فلا يأمنْكمُ أحدٌ بعدُ(٣)

تداعَوا له من بين خَمسٍ وأربعٍ ... وقدنصل الأظفارُوانسبأ الجِلْدُ(٤)

---

(١) أبو المهوش الأسدى : هو حوط بن رئاب ؛ أو ربيعة بن وثاب ، من المخضرمين الذين أدركوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يروه . وانظر الخزانة ٣ : ٨٦ بولاق والإصابة ٢٠١٥ . وفى ط : « المهوس » وصوابه فى الخزانة و ل ، والبخلاء ١٩٨ .

(٢) ط : « الأسدى » وأثبت مافى ل والبخلاء ١٩٩ .

(٣) ل : « شخفة بن مخدم » . وفى البخلاء ١٩٨ : « سخفة بن محدم » وفى ط : « زمانا » موضع « زباب » . والزباب : ضرب من الفأر ، وهو مما يهجى به . قال :

وهم زباب حائر لا تسمع الآذان رعدا

(٤) ط : « نسل » وليس بشىء وصوابه فى ل والبخلاء .

ورَفَّعتم جُردَانَه لرئيسكم مُعاوية الفلحاء يالكَ ما شُكْدِ[١]

وقال الشاعر فى ذلك فى باهلة :

إنَّ غفاقاً أكلَتْه باهله تمشَّشوا عظامَه وكاهلَه

* وأصبحتْ أم غفاق ثاكِلَه[٢] *

وهجا شاعر آخر بَلْعَنبر، وهو يريد ثَوْبَ بن شَحْمَة[٣]، وكان شريفاً وكان ١٣٠
يقال له مجير الطير. فأمَّا مجير الجراد فهو مدلج بن سويد بن مرشد بن خيبرى[٤]
فعيَّر الشاعرُ ثوب بنَ شحمة[٣] بأكل الرجلِ العنبرىِّ[٥] لحمَ المرأة إلى أن أتى
ثوبٌ[٦] من الجبَل فقال :

عجِلتُمُ ما صادَكم عِلاجْ من العُنُوق ومن النِّعاجْ

* حتى أكلتمْ طَفْلَةً كالعاجْ *

فلما عيَّره قال ثوب[٧] :

يا بنتَ عمِّىَ ما أدراكِ ما حسبى إذ لا تجنُّ خبيثَ الزاد أضلاعى[٨]

إنِّى لذو مِرَّةٍ تُخْشَى بوادِرُه عِنْدَ الصِّياحِ بِنَصْلِ السَّيْفِ قَرَّاعِ

ومن ظريف الشعر قول أبى عدنان[٩] :

---

(١) ط : ودفعتم جيرانه لرئيسكم معاوية الفساء يالك ماشكد
والصواب فى ل والبخلاء . و « يالك ما » كذا وردت والوجه « يالك من ».

(٢) ط : « عفاقا » و « أم عفاق » بالعين، وأثبت ما فى ل والبخلاء .

(٣) كذا فى القاموس والبخلاء ١٩٨. وفى ط: « ثور بن شحمة » وفى ل : « ثوب ابن سحمة » وكلاهما محرف . وكان ثوب سيداً شريفاً قد أجار الطير فكان لايثار ولا يصاد بأرضه ، فسمى مجير الطير. ثمار القلوب ٣٥٥ .

(٤) ط : « جبير » . وانظر خبر مجير الجراد فى أمثال الميدانى (١ : ٢٠٢) وبلوغ الأرب (١ : ١٤٤) .

(٥) ل : « القينى »، وفى البخلاء « بأكل الفتى » .

(٦) ط : « ثورا » وصوابه فى ل .

(٧) ط : « ثور » .

(٨) ط « ما يدريك » وهما سيان ، ط : « لاتجر » ل : « لايجز » وتصحيحه من البخلاء .

(٩) سبقت ترجمته ص ١٨٤ .

فما كلبة سوداءُ تفرى بنابِها عُراقاً من الموتى مِرَاراً وتَـكدِمُ[1]
أُتِيح لها كلبٌ فضنَّتْ بعَرْقِها فهارشَها وهى على العَرْق تَعْذِمُ[2]

فقفْ على هذا الشعر فإنّه من أعاجيب الدنيا .

وقال سُنَيح بن رباح شار الزِّنجى[3] :

مَا بالُ كلبِ بنى كُليبٍ سبَّنا أن لم يُوازِنْ حَاجِبا وعِقالا

(قتيل الـكلاب)

وتنازع مالك بن مِسْمَع وشقيق بن ثور ، فقال له مالِك : إنّما رفعك قَبْرٌ بتُسْتَرَ[4] فقال شقيق : حينَ وضعَك قبرٌ بالمشقَّر ، يا ابن قتيلِ النساء وقتيل الـكلاب !! .

قال : وكان يقال لمسمع بن شيبان قتيلُ[5] الـكلاب ، وذلك أنَّه لجأ فى الردة إلى قومٍ من عبد القيس ، فـكان كلبُهم ينبحُ عليه فخاف أن يدلَّ على مكانه فقتَلَه فقُتِلَ به .

(أمثال أخرى فى الـكلب)

قال : والعرب تقول : « أسرَعُ من لَحَسَةِ كلبٍ أنفه » . ويقال :

---

(١) ط : « تغرى بنابها » وهو تحريف . وفيها « مراداً وتـكدم » وصوابهما فى ل.
(٢) تعذم : تعض أو تأكل بجفاء .
(٣) ط : « وقال الشاذيرجى » ل « وقال السارزنجى » وهـذا تحريف كتبت بدله مافى رسائل الجاحظ ٦١ ساسى . وفى الـكامل ٤١٥ ليبسك « رياح بن سنيح الزنجى » وانظر الرسائل ٦٢ وكامل ابن الأثير ٤ : ١٦١ .
(٤) ط : « بتشير » .
(٥) فى ثمار القلوب ٣١٨ : « مسمع بن سنان » .

« أحرصُ من لَغْوة » وهى الكلبة ، وجمعها لِعاء[1] . وفى المثل : « ألأم من كلبٍ على عَرْق » ، و « نَعِم كلبٌ فى بؤس أهله » . وفى المثل : « اصنع المعروف ولو مَعَ الكلب » .

(رؤيا الكلب وتأويلها)

وقال ابن سِيرِين : الكلبُ فى النوم رجلٌ فاحش ، فإن كان أسودَ فهو عربىٌّ ، وإن كان أبقَعَ فهو عجَمىّ .

وقال الأصمعىّ عن حمّاد بن سلمة عن ابنِ أخْتِ أبى بلال مِرْدَاسِ ابن أُدَيَّة[2] قال : رأيتُ أبا بلالٍ فى النوم كلباً تذرِف عيناه ؛ وقال : إنّا حُوِّلنا بعدَكم كلاباً من كلاب النار .

قال : ولمّا خرج شَمِر بن ذى الجَوشَن [الضِّبابى] لقتال الحسين بن على رضى الله تعالى عنهما ، فرأى الحسينُ فيما يرى النائم أنَّ كلباً أبقعَ يلغُ فى ٩٣١
دمائهم ، فأوَّلَ ذلك أن يقْتُلهم[3] شمر [بن ذى الجوشن] . وكان مُنْسلخاً بَرَصاً[4] .

قال : والمسلمون كلُّهم يسمُّون الخوارجَ : كلابَ النار[5] .

---

(١) فى ط : « لقوة » و « لقاء » وصوابهما فى ل .
(٢) ط : « أبى بـلال بن مرادس بن أدية » . وأبو بلال كنية مرداس نفسه كما فى الأغانى وجمهرة ابن حزم ٢١١ .
(٣) ط : « فأول ذلك بقتلهم شمر » .
(٤) ل : « متسلخا برصا » .
(٥) ل : « أهل النار » والصواب مافى ط وثمار القلوب ٣١٥ .

(شعر فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان ليس بينها الكلب)

وقال صاحب الديك : صاحب الكلب[١] يصِفُه بالسُّرعةِ فى الُحضْر ، وبالصّبر على طول العَدْو ، وبسَعة الإهاب ، وأنّه إذا عدا ضَبَع وبسَط يديهِ ورجليه حتى يمسَّ قَصَصُهُ الأرْض ، وحتى يشرط أذنيه بشَبَا[٢] أظفاره ، وأنَّه لا يحتشِى ريحاً مع ما[٣] يصيب الكلاب من اللَّهَث . فإن كان كما تقولون فلِمَ وصفت الشعراءُ الفرسَ وشبّهته بضروب من الخلق ، وكذلك الأعضاءُ وغير ذلك من أمره ، وتركوا الكلب فى المنْسَأ[٤] لا يلتفت أحَدٌ لِفْتَهُ[٥] ؟ !

وقال أبو دُواد الإيادِىُّ فى ذلك :

عن لسانٍ كجثَّة الوَرَل الأحـــمر مجَّ النَّدى عليه العَرارُ[٦]

ولم يذكره فى شىء . وقال خالد بن عجرة الكلابى[٧] :

كأن لسانَه وَرَلٌ عليه بدار مضية مج العرار

وقال امرؤ القيس :

وخدٌّ أسيلٌ كالِمسَنِّ وبِرْكَةٌ كجُؤجؤ هَيقٍ دَفُّه قد تموَّرا

---

(١) ط : « لصاحب الكلب » وصوابه فى ل .

(٢) شبا : جمع شباة : وهى الحد . وفى ط : « بسباء » محرفا .

(٣) ل : « لايحتسى ريحا مع ما » و ط : « لايحتشى ريحا مما » وسويت القول كما ترى .

(٤) المنسأ : المزجر . وفى ل : « المنسى » وفى ط : « المنسا » .

(٥) لفته : جهته . وفى ط : «لايلتفت إليه أحد » .

(٦) الورل : ضرب من الوزغ . قال ابن منظور : « ولون الورل إلى الصحمة ، وهى غبرة مشربة سواداً وإذا سمن اصفر صدره » ، وروى البيت برواية : « كجثة الورل الأصفر » ونسب البيت إلى عدى بن الرقاع .

(٧) ط : « حماد عجرد الكلابى » . والبيت فى النوادر لأبى زيد ١١٦ غير منسوب وبهذه الرواية :

كأن لسانه ورل عليه بدار مضنة مج العرارا

وفى ل : « ندى رمصيه » .

ولم يذكره فى شيءٍ. وقال عُقْبة بن سابق :

عريض الخدِّ والجبهَـــــةِ والصَّهوةِ والجنبِ

ولم يذكره فى شيء . وقال امرؤ القيس :

وسامعتان تعرِف العتقَ فيهما   كسامعتَى مذعورة وسطَ ربرب

ولم يذكره فى شيءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق :

ولهـا بِركةٌ كجؤجؤ هَيقٍ   ولَبَانٌ مضرّجٌ بالخضَابِ

ولم يذكره فى شيء . وقال خُفاف بن نَدبة :

عَبل الذِّراعين سليم الشَّظا   كالسِّيدِ يَومَ القرَّةِ الصاردِ (١)

[ولم يذكره فى شيء من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

سليمالشَّظا عبْل الشَّوى شَنِـجِ النَّسا   أقبَّ كتَيسِ الُحلَّبِ الغَذَوانِ (٢)

ولم يذكره فى شيءٍ من ذلك . وقال عقبة بن سابق .

وأرساغ كأعناقِ   ظِباءٍ أربع غُلْبِ ١٣٢

ولم يذكره فى شيءٍ من ذلك . وقال الجَعْدىُّ :

كأن تماثيلَ أرساغهِ   رِقابُ وُعُولٍ لَدَى مَشْرَبِ

ولم يذكره فى شيء من ذلك . وقال امرؤ القيس :

لهـا متْنَتَانِ خَظَاتَا كما   أكبَّ عَلَى ساعديه النَّمِرْ

ولم يذكره فى شيء من ذلك . وقال أبو دُواد :

(١) ط : « يوم نفرة الصادر » وهو تحريف مافى ل . وفى ل : « أمين الشظا » .
(٢) الحلب : نبت تعتاده الظباء ، يخرج منه شئ شبيه باللبن إذا قطع . والغذوان : النشيط المسرع ، وفى ط : « العدوان » من العدو ، وهو الجرى . وهما روايتان . الديوان ١٢٣ .

يمشى كمشى نعامتَين تُتابِعانِ أشقَّ شاخِصْ

ولم يذكره فى شيء من ذلك . وقال ابن الصَّعِق (١) :

بمحنَّبٍ مثلِ العُقا بِ تخالُه للضُّمرِ قِدْحا (٢)

ولم يذكره فى شيءٍ من ذلك .

وقال رَبيعة بن جُشم [النمرى]، ويروى لامرئ القيس (٣) :

وساقانِ كعباهما أصمَعَا نِ لحمُ حَمَاتَيهما منبتِرْ

ولم يذكره فى شيء من ذلك .

وقال عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت الأنصارى :

كأنَّ حَمَاتَيْهِما أَرنبانِ تقبَّضتا خيفةَ الأجدلِ (٤)

ولم يذكره فى شيء من ذلك .

وقال خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك (٥) :

كأنَّ حَماتَها كردوس فحْلٍ مقلِّصةٌ على ساقَى ظليمِ

ولم يذكره فى شيء من ذلك .

وقال الأعشى :

أمَّا إذا استقبلتَه فكأنَّه جِذْعٌ سَمَا فوقَ النَّخيلِ مشذَّبُ
وإذا تصفَّحَه الفوارسُ معرضاً فتقولُ سِرحانُ الغَضَا المتصوِّبُ (٦)
أما إذا استدبرته فتسوقُه ساقٌ يقمِّصها وظيفٌ أحدَبُ

---

(١) هو يزيد بن عمرو بن خويلد . له ترجمة فى الخزانة ١ : ٣٨٨ .

(٢) المحنب : المعوج الساقين . وفى : ط « بمجنب » وليس بشىء .

(٣) جملة « ويروى لامرئ القيس » ساقطة من ل . وانظر ديوان امرئ القيس أول قصيدة منه .

(٤) الحماة : عضلة الساق . وفى ط : « كأن حمايتها » وهو تحريف . والأجدل : الصقر .

(٥) جملة « خالد بن عبد الرحمن فى مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٦) ط : « وإذا تصفحه الفوارس مغضبا » .

منـــهُ وجاعرة كأنّ حماتها لما كشفت الجُلَّ عنه أرنبُ (١)

ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك . وقال الأسعر الجُعْفى (٢) :

أما إذا اســـتقبلْتَه فكأنّه بازٍ يكفكِفُ أن يطيرَ وقد رأى
أما إذا استعرضتَه متمطِّرا فتقول هذا مثلُ سِرحان الغَضا
أمَّا إذا اســـتدبرته فتَسُوقه ساقٌ قُموصُ الوَقْعِ عاريةُ النَّسَا ١٣٣

ولم يذكره فى شىءٍ . وقال أبو دواد :

كالسِّيد ما استقبلتَه وإذا ولَّى تقول مُلَمْلَمٌ ضَرْبُ (٣)
لأمٌ إذا استعرضتَه ومشَى متتابعاً ما خانَه عَقْبُ
يمشِى كمشىِ نعامةٍ تبِعتْ أُخرى إذا هى راعَها خطْبُ

[ولم يذكره فى شى من ذلك] . وقال امرؤ القيس :

له أيطلاَ ظَبى وساقَا نعامةٍ وإرخاءُ سِرحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ

[ولم يذكره فى شىءٍ من ذلك] . وقال ابن سِنانٍ العبْدىّ :

أما إذا ما أقبلت فُطارةٌ كالجِذع شذّبهُ نفىُّ المِنْجَلِ
أما إذا ما أعرضَتْ فنبيلة ضخمٌ مكانُ حِزامِها والمِرْكَلِ (٤)
أما إذا تشتدُّ فهى نعامةٌ تنفى سنابكُها صِلابَ الجَنْدَلِ (٥)

(قول أبى عبيدة فى تشبيه الفرس بضروب من الحيوان)

قال أبو عبيدة : ومما يشبِه خلْقُه من خَلْق النعامة طولُ وظيفِها وقصرَ

---

(١) الجل : غطاء الفرس . وفى ط : « الحبل » محرفا . وفى ل : « هنة وجاعرة » .
(٢) الأبيات فى الخزانة ٤ : ٢٢ بولاق بتقديم الثالث على الثانى .
(٣) الضرب : الخفيف اللحم . وفى ل : « صرب » .
(٤) ط : « فقليلة » .
(٥) ل : « أما إذا ماأدبرت فنعامة »

ساقيها وعُرى نَسَيها[1] . وممَّا يشبه من خلقه خلْقَ الأرنب صِغَر كعبَيها . وممَّا يشبه من خلْقه خلْق الحمار الوحشىِّ غِلظ لحمه ، وظمأ فصوصِه وسَراتِه ، وتمحص عصَبِه[2] ، وتمكُّن أرساغه ، وعَرض صهوته .

قال صاحب الكلب : قد قال أبو عبيدة : إنّ مما يشبه من خلقه خلْقَ الكلب هَرَت شدقِه ، وطول لسانه ، وكثرة ريقه ، وانحدار قصِّه[3] ، وسبوغ ضُلوعِه ، وطول ذراعيه ، ورُحْب جلده ، ولحوق بطنه .

وقال طُفيل الغَنَوىّ ، يصف الخيل :

تبارِى مَراخِيها الزِّجاج كأنّها ... ضِرَاءٌ أحسَّتْ نبأةً من مكلِّبِ[4]

وقال طُفَيل أيضاً :

كَأَنَّ عَلَى أعطافِهِ ثوبَ مائِحٍ ... وإن يلق كلب بين لحييه يَذْهَبِ[5]

وقال صاحب الديك : وأين يقع البيتُ والبيتان والثلاثة ، من جميع أشعار العرب ؟ !

وقال صاحب الكلب : لعلّنا إن تتبَّعنا ذلك وجدناه كثيراً ، ولكنك تقدَّمت فى أمر ولم تُشْعِر بالذى تعنى ، فَنَلتقط[6] من الجميع

١٣٤ أكثرَ مما التقطت . والإنسان شريف الأعضاء وقد تشبه مواضعُ منه مواضع من الفرس العتيق . وما حضرنا من الأشعار إلّا قوله :

---

(١) ط : « نسيها » وليس بشىء .

(٢) تمحص العصب : شدته . وفى ط : « تمحيص » .

(٣) القص والقصص : الصدر . ل : « قصبه » ط : « قصه » محرفتان .

(٤) يقول : إن هذه الخيل المراخى – وهن المسرعات واحدها مرخاء – تبارى الزجاج : جمع زج . أى تكاد تسبق مايحمله أربابها من سلاح . مثله قول لبيد :

يطرد الزج يبارى ظله ... بأسيل كالسنان المنتخل

وفى ط ، ل : « تبادى » . وفى ط « مراحيها » . وذلك تحريف . انظر الحيوان (٢ : ٨١) .

(٥) المائح : الذى ينزل البئر فيملأ الدلو ، والماتح : الذى يجذب الدلو ليخرجها . وفى ل « كأن على أعطافها ثوب ماتح » وفى ط : « كأن على أعطافه ثوب مائج » . وانظر أدب الكاتب ٨٧ والاقتضاب ٢٢٧ .

(٦) فى الأصل : « فتلتقط » .

وترى الكميتَ أمامَه وكأنّه رجلٌ مُغاضِبْ ١٣٤

وقال الشاعر فى ذلك :

خُوصٌ تَرَاحَ إلى الصراخ إذا غدت فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاح للكلّابِ (١)

وقد شبهوا بالكلب كلّ شيء .

وكان اسم فرس عامر بن الطفيل ، الكلب ، والمزنوق ، والوَرد .

(شعر فى وصف الناقة و نشاطها)

قال صاحب الديك : قد قال أوس بن حجر ، ووصف الناقةَ ونشاطها والذى يَهيجها فقال :

كَأَنَّ هِرًّا جَنِيباً عند مَغْرِضها والتفَّ ديكٌ برجليها وخِنْزِيرُ (٢)

فهلّا قال : والتف كلبٌ كما قال : والتفّ ديك ! ! وقال أبو حيَّة :

[و] تزاورَتْ عنه كأن بدفِّها هِرًّا ينشِّبُ ضَبْعَها بالأظفر (٣)

وقال الأعشى :

بِجُلالةٍ سُرُحٍ كَأَنّ بدَفِّها (٤) هرًّا إذا انتعل المطيُّ ظلالَهَا

وقال عنترة بن شدّاد العَبْسى :

وكأنَّما ينأى بجانب دَفِّها الـــوحْشِيِّ من هَزِج العشىِّ مؤوَّمِ (٥)

(١) ل : « إلى الصياح » وكذلك فى اللسان مادة (روح) .

(٢) لابن طباطبا نقد فى هذا البيت ذكره المرزبانى فى الموشح ٨٦ ، ولابن رشيق كلام فيه فى العمدة ٢ : ٢٢٥ ، وانظر معاهد التنصيص ١ : ٤٧ .

(٣) ينشب : يعلق به . وفى ط : « تنشب » .

(٤) ل : « بغرزها » . والغرز : ركاب من جلد . والدف : الجانب .

(٥) فى الأصل : « دفها الوحشى فى هزح . . » . وانظر التبريزى ١٨٧ .

هرٌّ جَنيبٌ كلّما عطَفَتْ له غَضْبَى اتقاها باليدين وبالفمِ[(١)]

وقال المثقِّب العَبْدىّ :

فسلِّ الهمَّ عنك بذاتِ لَوْثٍ عُذَافِرةٍ كَمِطْرَقةِ القُيُون

وبِصادقةِ الوَجِيفِ كأنّ هرًّا يُبارِيها ويأخُذُ بالوَضِين[(٢)]

قال صاحب الكلب : إنما يذكرون فى هذا الباب السِّباعَ المنعوتة بالمخالب وطولِ الأظفار ، كما ذكر الهرَّ وابن آوى . والكلبُ ليس يوصف بالمخالب ، وليس أَنَّ الهر أقوى منه . ألا ترى أنّ أوسَ بن حجرٍ قال فى ذلك :

* كأنّ هرًّا جَنِيباً عِنْدَ مغرِضِها *

فذكر الموضع الذى يوصف بالخلْبِ والخدْش والخمش والتظفير ، فلما أراد أن يفزِّعها ويثوِّرَها حتى تذهبَ جافلة فى وجْهِها[(٣)] ، أو نادَّة ،

١٣٥ أو كأنّها مجنونة من حاقِّ المرح والنشاط[(٤)] قال :

* والتفَّ دِيكٌ برجلَيها وخِنزِير[(٥)] *

وقال أبو النجم :

لو جُرَّشَنَّ وسطها لمْ تُجْفِلِ[(٦)] من شهوةِ الماءِ ورِزٍّ معضل[(٧)]

[ويروى: تحفل] . ولو قال أوس :

---

(١) ط : « التقاها » .

(٢) ط : « وصادقة الوجيف » وانظر المفضليات ٢٩٠ .

(٣) ل : « وجهه » وهو تحريف .

(٤) حاق المرح : صادقه . وفى ط : « حال المرح » .

(٥) البيت لأوس بن حجر كما سبق قريباً . وصدره :

* كأن هرا جنيبا عند مغرضها *

(٦) ط : « لو جرشن خلفها لم يحفل » .

(٧) البيت ساقط من ل . والرز : الصوت ، وعنى به الوجع ، كما فى اللسان (رزز) عند إنشاد الرجز . وفى الأصول : « رزه » ، تحريف .

* والتفّ شَنٌّ برِجليها وخِنزير *

لكان جائزاً ، لولا يُبْس الشنّ وقحُوله ، وأنّه ليس مما يلتوى على رجليها . وقال آخر :

كأنَّ ابنَ آوى مُوثَقٌ تحت غرْزِها إذا هو لم يَكْلِمْ بنابَيهِ ظَفَرا

وقال صاحب الديك : حديث عمرو بن شُعيب عن عبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَحِلُّ لرجلٍ [أَنْ](١) يُعطِيَ عَطِيَّةً ويرجِع فيها ، إلاّ الوالد فيما يعطى ولده . ومثل الذى يُعطى العطيَّةَ ثم يرجِعُ فيها كمثل الكلب يأكل ، حتى إذا شَبِع قاءَ ثم عاد فى قيئه »(٢) .

وعن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يرجع فى هِبَته إلاّ الوالد من ولده . والعائِدُ فى هبتِه كالعائد فى قيئه » .

وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن عبد الله بن جعفر ، أنّ أبا بكرٍ أمر بقتل الكلاب . قال عبد الله بن جعفر : وكانت أمِّى تحتَ أبى بكر ، وكان جروٌ لى تحت سريره(٣) فقلت له : يا أبتِ ، وكلبى أيضاً ؟ فقال : لا تقتلوا كلبَ ابنى ، ثمّ أشار بإصبعه إلى الكلب — أى خذوه من تحت السرير — وأنا لا أدرى ، فقتل .

وإسماعيل بن أُميَّة قال : أُمَّتـان من الجنِّ مُسِختا ، وهما الكلاب والحيَّات .

ابن المبارك قال : إذا عرف الرجلُ قدْرَ نفسه صار عِند نفسه أذلَّ من الكلب .

---

(١) ليست بالأصل .
(٢) ل : « قاءه ثم عاد فى قيه » .
(٣) ط : « تحت السرير » .

(لؤم الكلب)

قال صاحب الديك — وذَكَرَ الكلب فقال —: من لؤمه أنَّه إذا أسمنْتَه أكلك ، وإن أجعْتَه أنكرك . ومن لؤمه اتّبَاعه لمن أهانه ، وإلفُه لمن أجاعَه ؛ لأنه أجهلُ من أن يأنس بما يؤنس به[١] وأشره وأنهَمُ وأحرصُ وألجُّ من أن يذهب بمطمعته[٢] ما يذْهَب بمطامع السباع .

ومن جهله أيضا أنّا لم نجدْه يحرُس المحسنين إليه بنباحه ، وأربابَهُ الذين ربّوه وتبنّوه[٣] إلا كحراسته لمن عَرفه ساعةً واحدة ، بل لمن أذلّه وأَجاعَه وأعطشه . بل ليس ذلك منه حراسةً ، وإنَّما هو فيه من فضل البَذَاء أَو النُّحْش ، وشدَّة التحرُّش والتسرُّع . وقد قال الشاعر فى ذلك :

١٣٦ إذا تخازَرْتُ وما بى من خَزَرْ ثم كسَرت العينَ من غير عَوَر[٤]
أَبْذَى إذا بُوذيت من كلبٍ ذَكَرْ[٥] أَسودَ قَزَّاحٍ يُعوِّى فى السَّحَر[٦]

وإنَّما ذلك شكل من شكل الجبن ، وكالذى[٧] يعترى نِسَاءَ السِّفْلة من الصخَب .

(جبن الكلب)

والكلب جبانٌ وفيه جرأة ولؤم . ولو كان شجاعاً وفيه بعض التهيُّب

---

(١) ل : « منه » .
(٢) مطمعته : طمعه . وفى ط : « بمطمعه » .
(٣) ط : « وواسوه » والوجه ما فى ل .
(٤) ل : « الطرف » موضع « العين » .
(٥) أبذى ، من البذاء . ط : « أبزى إذا بوزيت » صوابه فى ل . وانظر الأمالى (١ : ٩٦) وأمثال الميدانى (٢ : ١٢٧) . والرجز منسوب إلى عمرو بن العاص عند الدميرى (١ : ٤١٠) .
(٦) القزاح : الذى يدفع ببوله دفعا . وفى ط : « فراع » . وفى ط : « تعوى فى السحر » وفى ل : « يغضى فى السحر » .
(٧) ط : « ولاالذى » وهو تحريف .

كان أمثل . ومن فرط الجبن أنّه يفزَع من كلِّ شيء وينبحَه .

والبرذون ربّما رمَح البرذونَ مبتدئا ، وقلق وصهل صَهيلا فى اختلاط ، وليس ذلك من فضْل قوّةٍ يجدُها فى نفسه على المرموح ، ولكنَّه يكون جبانا ، فإذا رأى البرذون الذى يظنُّ أنَّه يعجِز عنه أراه الجبنُ أنَّه واقعٌ به ، فعندها يقلَق وإذا قلِق رمَح . وهذه العلَّة تعرض للمجنون ؛ فإنَّ المجنونَ الذى تستولى عليه السَّوداء ، ربما وثَب على من لايعرفه . وليس ذلك إلاّ لأنَّ المِرَّة أوهمتْه أنّه يريده بسوء ، وأنّ الرأى أن يبدأه[1] بالضرب . وعلى مثل ذلك يرمى بنفسه فى الماءِ والنار .

(مما حدث للنظام)

فأمَّا الذى شهدت أنا من أبى إسحاق بن سيَّار النظّام ، فإنّا خرجنا ليلةً فى بعض طرقات الأبُلَّة ، وتقدَّمتُه شيئاً ، وألح عليه كلبٌ من شكل كلاب الرِّعاء ، وكره أن يعدوَ فيغريَه ويُضَرِّيه[2] ، وأنف أيضاً من ذلك — وكانَ أنِفاً شديدَ الشَّكيمةِ أبّاء للهَضيمة — وكرِه أن يجلسَ مخافةَ أن يشغَر عليه[3] أو لعلَّه أن يعضَّه فيَهرِتَ ثوبَه ، وألحَّ عليه فلم ينله بسوءٍ[4] . فلمَّا جُزْنا حدَّه وتخلّصنا منه ، قال إبراهيم فى كلامٍ له كثير ، يعدِّد خصالَه المذمومة ، فكان آخر كلامه أن قال : إن كنت سَبُعْ فاذهبْ مع السِّباع ، وعليك بالبرارِى والغِياض ، وإن كنت بَهيمة فاسكتْ عنّا سكوت البهائم !

---

(١) ط : «أنه يبدأه» .

(٢) يضريه : يغريه . وفى الأصل : « ويضربه » .

(٣) فى ط : « يشر عليه ببوله » وهو تحريف .

(٤) ل : « أن يأكله فهرت ثوبه وألح عليه ولم يرد سواه » .

ولاتنكر قولى وحكايتى عنه بقولٍ ملحون . من قولى « إن كنت سَبْعْ » ولم أقُلْ « إن كنت سبعاً »! .

(إفساد الإعراب لنوادر المولدين)

وأنا أقول : إنّ الإعرابَ يفسد نوادر المولَّدين ، كما أنّ اللحنَ يُفْسِد كلام الأعراب[١] ؛ لأنّ سامعَ ذلك الكلام إنَّما أعجبْته تلك الصورة[٢] وذلك المخرَج، وتلك اللغة وتلك العادة؛ فإذا دَخَّلْت على هذا الأمر ـ الذى إنما أضحك بِسُخْفه وبعضِ كلام العجميَّة التى فيه[٣] ـ حروفَ الإعراب والتحقيق والتثقيل[٤] وحوَّلتَه إلى صورةِ ألفاظ الأعراب الفصحاء ، وأهلِ المروءة والنجابة[٥] انقلب المعنى مع انقلاب نظْمِه، وتبدَّلَتْ صورته .

١٣٧ ثم قال أبو إسحاق : إنْ أطعمَه اللصُّ بالنهار كسرةَ خُبْزٍ خلاّه ، ودارَ حولَه ليلا . فهو فى هذا الوجه مرتشٍ وآكلُ سُحت ؛ وهو مع ذلك أسمجُ الخلْقِ صوتاً ، وأحمق الخلق يقَظَةً ونوما ، ينام النّهارَ كله على نفس الجادَّة ، وعلي مدقِّ الحوافر ، وفى كل سوقٍ وملتقَى طريق ، وعلى سبيل الحَمُولة[٦] وقد سهر الليلَ كله بالصياح والصَّخَب ، والنَّصَب والتَّعب ، والغيظ والغضب ، وبالمجىء والذَّهاب ، فيركبه من حبِّ النوم

(١) ل : « يفسد كلام المولدين كما أن اللحن يفسد نوادر كلام الأعراب » .
(٢) ل : « أضحكته » بدل « أعجبته » .
(٣) ط : « فيها » والوجه مافى ل .
(٤) ط : « والتخفيف والتثقيل » والوجه مافى ل :
(٥) ل : « والثخانة » .
(٦) الحمولة بالفتح : ما احتمل عليه القوم من بعير وحمار ونحوه . وفى الأصل : «الخمولة» بالخاء مصحفة .

على حسب حاجته إليه ، فإن وطئتْه دابّةٌ فأسوأُ الخَلْقِ جزَعاً وألأمه لؤما ، وأكثره نُباحا وعُواءً ، فإن سلِم ولم تَطَأْهُ دابّةٌ ولا وطئه إنسان ، فليست تتمُّ له السلامة ؛ لأنَّه فى حالِ متوقِّعٍ للبليَّةِ . ومتوقِّعُ البليَّةِ فى بَليَّة . فإنْ لم يسلم فليس على ظهرها مبتلى أسوأُ حالاً منه ؛ لأنَّه أسوؤُهم جزَعاً وأقلُّهم صبرا ، ولأنَّه الجانى ذلك على نفسه ، وقد كانت الطُّرق الخالية له معرّضة ، وأصول الحيطان له مباحة .

و بعد فإنَّ كلَّ خلْقٍ فارقَ أخلاقَ الناس فإنّه مذموم . والناس ينامون بالليل الذى جعله الله تعالى سكَنا ، و ينتشرونَ بالنّهار الذى جعله الله تعالى لحاجات الناس(١) مَسْرحا .

قال صاحب الكلب : لوشئنا أن نقول : إنّ سهره بالليل ونومَه بالنهار خصْلَةٌ ملوكيَّة لقلنا ، وَلو كان خلافُ ذلك ألذّ لكانت الملوك بذلك أولى . وأمّا الذى أشرتمْ به من النوم فى الطرق الخالية ، وعبتُموه به من نومه على شارعاتِ الطُّرق والسِّكَكِ العامرة(٢) وفى الأسواق الجامعة ، فكلُّ امرئٍ أعلم [بِشَأْنِهِ]. ولولا أنّ الكلبَ يعلمُ مايَلقَى من الأحداث والسُّفهاءِ وصِبيان الكتّاب ، من رضِّ عظامِه بألواحهم إذا وجدوه نائماً فى طريق خالٍ ليس بحضرته رجالٌ يُهابُون(٣) ، ومشيخةٍ يرحمون و يزجرون السفهاءَ ، وأنّ ذلك لايعتريه فى مجامع الأسواق ــ لقلّ خلافه عليك ، ولما رقد فى الأسواق . وعلى أنّ هذا الخُلُق إنّما يعترى كلاب الحرّاس ، وهى

(١) ل : « النفوس » .
(٢) شرع المنزل : صار على طريق نافذ . وفى ل : « على مربعات السكك العامرة »
(٣) فى الأصل « فى طريق ليس خال بحضرته .. الخ » وكلمة « خال » مزحزحة عن موضعها .

التى فى الأسواق مأواها ومنازلها .

وبعد فمن أخطأُ وأظلمُ ممَّن يكلِّف السباعَ أَخلاقَ الناس وعاداتِ البهائم ! ! وقد علمْنا أنّ سباعَ الأرض عن آخرها إنَّما تَهِيج وتَسرح وتلتَمس المعيشةَ وتتلاقَى على السفاد والعظال ليلاً ؛ لأنها تبصر بالليل .

(سبب اختيار الليل للنوم)

وإنما نام الناسُ بالليل عن حوائجهم ، لأنّ التمييز والتفصيل والتبيُّن[(١)] لايمكنهم إلاّ نهارا ، وليس للمتعَب المتحرِّك بدٌّ من سكون يكون جَماماً له . ولولا صرفُهم[(٢)] التماسَ الجمام إلى الوقت الذى لو لم يناموا فيه والوقتُ مانع
١٣٨ من التمييز والتبيُّن[(٣)] ، لكانت الطبائعُ تنتقض . فجعلوا النَّوم بالليل لضربين : أحدهما لأنّ الليلَ إذ كان من طبعه البرد والرُّكود والخُثورة ، كان ذلك أنزَعَ إلى النوم وما دعا إليه ، لأنّه من شكله . و [أمّا][(٤)] الوجه الآخر فلأنّ الليلَ موحِشٌ مخُوف الجوانب من الهوامِّ والسباع ، ولأنّ الأشياء المبتاعةَ والحاجات إلى تمييز الدنانير ، والدراهم ، والحبوب ، والبزور ، والجواهر ، وأخلاط العطر ، والبَرْبَهار[(٥)] وما لا يحصى عدده . فقادتهم طبائعُهم وساقتهم غرائزهم إلى وضعِ النوم فى موضعه ، والانتشار

(١) ط : « والتفصيل والتبيين » والوجه ما فى ل .
(٢) ل : « فصرفهم » .
(٣) ط : « التبيين » .
(٤) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٥) البربهار : الأدوية التى تجلب من الهند من الحشيش والعقاقير ونحوها ، يقول البحرية وأهل البصرة لها : البربهار . أنساب السمعانى ٧١ . وانظر ماسيأتى فى حواشى ٣ : ٤٣٥

والتصرف[١] فى موضعه على ماقدَّر الله تعالى من ذلك وأحبَّه . وأمَّا السباع فإنها تتصرَّف وتبصر بالليل ، ولهـا أيضاً عللٌ أخرى يطول ذكرُها .

(نوم الملوك)

وأمَّا ماذكرتموه من نوم الملوك بالنّهار وسهرهم بالليل، فإنّ[٢] الملوكَ لم تجهلْ فضلَ النوم بالليل والحركةِ بالنهار ، ولكنَّ الملوك لكثرة أشغالها فضلَت حوائجها عن[٣] مقدار النهار ولم يتّسع لها ، فلما استعانَت بالليل ولم يكن لها بدٌّ من الخلوة بالتدبير المكتوم والسرِّ المخزون ، وجمعت المقدارَ الفاضلَ عن اتِّسَاع النهار إلى المقدارِ الذى لابدَّ للخلوة بالأسرار منه ؛ أخذتْ من الليل صدراً صالحاً . فلمَّا طال ذلك عليها أعانها المِران[٤] ، وخفَّ ذلك عليها بالدُّربة .

وناسٌ منهم ذهبوا إلى التناول من الشراب وإلى أن سَماع الصوت الحسن مما يزيد فى المُنّة ، ويكون مادَّةً للقوة . وعلموا أنّ العوامَّ إذا كانت لاتتناول الشّرابَ ولا تتكلّف السماع على هذا المعنى ، أن ظنّها سيسوءُ[٥] ، وقولَهَا سيكثُر ؛ فرأوا أنّ الليل أسترُ وأجدرُ أن يتمَّ به التدبير[٦] ، وقال الراجز :

* اللَّيلُ أخفَى والنَهارُ أفْضَحُ *

وقالوا فى المثل : « اللَّيلُ أخفَى[٧] للويل » .

---

(١) ط : « والانتشار بالتصرف » وهو تحريف .
(٢) فى الأصل : « وإن » والوجه ما أثبت .
(٣) ط : « على » موضع « عن »
(٤) ط : « المرات » وهو تحريف .
(٥) ط : «متيسر » وهو تحريف مافى ل .
(٦) ط : « به باقى التدبير »
(٧) ط : « أنى للويل » . وانظر أمثال الميدانى (٢ : ١٢٧) .

(تلهى المحزون بالسماع)

وما زالت ملوكُ العجَم تلهِّى المحزون بالسماع ، وتعلِّل المريض ، وتَشغله عن التفكير ، حتَّى أخذت ذلك ملوكُ العرب عن ملوك العجم . ولذلك قال ابن عَسَلة الشيبانى(١) :

وسماع مُدْجنةٍ تعلِّلُنا ... حتَّى نَنَامَ تناوُمَ العُجْمِ
فصحوت والنَّمَرِىُّ يحسَبُها ... عَمَّ السِّماكِ وخالةَ النَّجْمِ (٢)

النجم : واحد وجمع ، وإنَّما يعنى فى البيت الثريَّا . ومدجنة : يعنى سحابةً دائمة .

(قول أم تأبط شرا فى ولدها)

وفيما يحكى عن امرأةٍ من عقلاء نساءِ العرب — وإذا كان نساءُ العرب
١٣٩ فى الجملة أعقلَ من رجال العجَم ، فما ظنُّكَ بالمرأةِ منهم إذا كانت مقدَّمة فيهم(٣) — فروَوا جميعاً أنَّ أمَّ تأبَّط شرًّا قالت : «والله ماوَلَدْتُه يَتْناً ، ولاسقَيته غَيْلاً ولا أبتُّه على مَأْقة » .

فأمَّا اليتن فخروج رِجل المولود قبلَ رأسِه ، وذلك علامة سُوءٍ ، ودليلٌ على الفساد . وأما سَقى الغَيْل ، فارتضاع لبن الحبلى ، وذلك فسادٌ شديد .

---

(١) سبق هذا الشعر ص ٢١٢ كما سبقت ترجمة ابن عسلة .
(٢) صواب روايته : « لصحوت » كما سبق فى حواشى ٢١٢ .
(٣) ل : « عندهم » .

(ماينبغى للأم فى سياسة رضيعها حين بكائه)

وأما قولها فى المأقة ، فإنَّ الصبىَّ يبكى بكاءً شديداً متعِباً موجِعاً ، فإذا كانت الأمُّ جاهلةً حرّكته فى المهد حركةً تورثه الدُّوار ، أو نوّمته بأن تضرب يدَها على جنبه . ومتى نام الصبىُّ وتلك الفزْعةُ أو اللَّوعة أو المكروه قائمٌ فى جوفه ، ولم يعلَّلْ ببعضِ مايلهيه ويُضحكه ويسرُّه ، حتى يكون نومه على سرورٍ ، فيسْرِى فيه ويعمَل فى طباعه ، ولا يكون نومه على فزعٍ أو غيظ أو غمٍّ ؛ فإنَّ ذلك ممَّا يعمل فى الفساد . والأمُّ الجاهلةَ والمرقِّصة الخرقاء ، إذا لم تعرف فرقَ مابين هاتين الحالتين ، كثُر منها ذلك الفساد ، وترادَفَ ، وأعان الثانى الأوّلَ والثالثُ الثانىَ حتَّى يخرجَ الصبىُّ مائقا . وفى المثل : « صاحبى مَئِق وأنا تئقٌ »، يضرب هذا المثل للمسافر الأحمق الرَّفيقِ والزَّميل، وقد استفرغه الضَّجر لطول السفر[1] فقلبُه ملآن ، فأوَّلُ شيءٍ يكون فى ذلك المئق من المكروه لم يحتمله[2] بل يَفيض ضجره عليه ، لامتلائه من طول ماقاسى من مكروه السفر .

(مايحتاج إليه الملوك)

فاحتاج حُذَّاق الملوكِ وأصحابُ العنايات التامَّةِ ، أن يداووا أنفسَهم بالسماع الحسن ، ويشدُّوا من متْنِهم بالشراب ، الذى إذا وقعَ فى الجَوف حرَّك الدَّم ، وإذا حرك الدَّم حرَّك طباعَ السرور ، ثمَّ لايزالُ زائداً

---

(١) ل : « بطول السفر »

(٢) ط : « ولم يحتمله » ، والواو مقحمة .

فى مِكيالِ الدم ، زائداً فى الحركة المولِّدة للسرور . هذه صفةُ الملوك . وعليه بنوا أمرَهم ، جهل ذلك مَنْ جهله ، وعَلِمه من علمه .

وقال صاحب الكلب : أمَّا تركُه الاعتراضَ على اللِّصِّ الذى أطعمه أيَّامًا وأحسنَ إليه مِراراً ، فإنَّما وجب عليه حفظُ أهله لإحسانهم إليه ، وتعاهدهم[(١)] له . فإذا كان عهده ببرِّ اللص أحدَثَ من عهده ببرِّ أهله[(٢)] ، لم يكلَّف الكلبُ النظرَ فى العواقب ، وموازنة الأمور[(٣)] . والذى أَضمر اللصُّ من البَيات غَيْبٌ قد سُتِر عنه ؛ وهو لايَدرى أجاء ليأخذَ أم جاء ليعطىَ ، أوهم أمروه أو هو المتكلِّف لذلك ؛ ولعلَّ أهله أيضاً [أن] يكونوا قد استحقُّوا ذلك منه بالضَّرب والإجاعة ، وبالسبِّ والإهانة .

وأمَّا سماجة الصَّوت فالبغل أسمجُ صوتاً منه ، كذلك الطاووس على
١٤٠ أنَّهم يتشاءمون به . وليس الصَّوت الحسنُ إلاّ لأصناف الحمام من القَمارىِّ والدَّبَاسىّ ، وأصناف الشَّفانين[(٤)] والوراشين . فأمّا الأسد والذئب ؛ وابن آوى والخنزير ، وجميعُ الطيرِ والسباع والبهائم فكذلك . وإنَّما لك أن تذمَّ الكلبَ فى الشىء الذى لايعمّ . والناس يقولون : ليس فى الناس شىءٌ أقلَّ من ثلاثةِ أصناف : البيان الحسن ، والصوت الحسن ، والصورة الحسنة ؛ ثمّ النَّاس بعدُ مختلِطون ممتزجون . وربّما كان مِنَ الناسِ بل كثيراً ماتجِدُه وصوته أقبحُ من صوت الكلب ، فلم تخصُّون الكلبَ بشىءٍ عامَّةُ الخلق فيه أسوأ حالاً من الكلب ؟ !

وأما عُواؤه مِن وَطْء الدَّابّة وسوءُ جزَعه من ضرب الصِّبيان ، فجزعُ

(١) ل : « وتعهدهم له » وهما بمعنى .
(٢) ط : « فإذا كان عهده بين اللص وبينه أحدث من عهده بينه وبين أهله » وأثبت مافى ل ، مع إبدال « بينه وبين » بكلمة « ببر » .
(٣) ط : « وموازنة الأمور » .
(٤) ط : « الشغانين » وهو تحريف سبق التنبيه عليه ص١٩٤ .

الفرَس من وقْع عذَبة السَّوط ، أسوأ من جزَعه من وقع حافر بِرذون ؛ وهو فى هذا الموضع للفرس أشدُّ[1] مناسبةً منه للحمار .

على أنَّ الدِّيكَ لايُذكَر بصبرٍ ولا جزَع .

(نوادر ديسيموس اليونانى)

قال صاحب الديك : حدَّثنى العُتْبى[2] قال : كان فى اليونانيِّين ممرورٌ له نوادرُ عجيبة ، وكان يسمَّى ديسيموس[3] ، قال : والحكماء يروون له أكثرَ من ثمانين نادرة [مامنها] إلاّ وهى غُرَّةٌ وعينٌ من عُيون النوادر : فمنها أنَّه كان كلَّما خرجَ من بيته مع الفجر إلى شاطئ الفرات للغائط والطهور ، ألقَى فى أصل باب دارِه وفى دُوَّارته حجراً ، كى لاينصفق الباب ، فيحتاج إلى معالجة فتحه ، وإلى دفعه[4] كلَّما رجَع من حاجته ، فكان كلَّما رجع[5] لم يجد الحجرَ فى موضعه ، ووجد البابَ منصفقاً . فكَمَن له فى بعضِ الأيَّام[6] ليرى هذا الذى يصنع[7] مايصنع . فبينا هو فى انتظاره إذْ أقبَل رجلٌ حتَّى تناوَلَ الحجر ، فلمَّا نحَّاه عن مكانه انصفق

(١) ل : « إلى الفرس » وفى الأصل : « أشد منه » . وكلمة « منه » مقحمة .

(٢) ل : « القينى » وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة العتبى ص ٥٤ .

(٣) كتابة هذا العلم بالدال هى الصواب كما فى ل ، ورسائل الجاحظ ١٤٣ . وهو علم يونانى متداول ؛ وحرف بالراء فى ط والبخلاء ١٥٨ ، والبيان ٢ : ٢٢٥ : ٢٢٦ .

(٤) ط : « رفعه » والوجه مافى ل .

(٥) ل : « إذا رجع » .

(٦) ط : « فى بعض الأمكنة فى بعض الأيام » .

(٧) ط : « الباب يصنع » وهو تحريف .

البابُ ، فقال له : مالَك ولهذا الحجر ؟ ومالك تأخذه ؟ فقال : لم أعلمْ أنَّه لك . قال : فقد علمتَ أَنَّه ليس لك !

قال : وقال بعضهم : مابال ديسيموس يعلِّم الناسَ الشِّعرَ ولا يقول الشعر ؟ قال : ديسيموس كالمِسَنِّ الذى يشحَذ ولا يقطع .

ورآه رجلٌ يأكل فى السُّوق فقال : أتأكل فى السوق ؟ فقال : إذا جاع ديسيموس فى السُّوق أكلَ من السوق .

قال : وأسمعه رجلٌ كلاما غليظا وسطاَ عليه ، وفحش فى القول ، وتحلَّم عنه فلم يجبه ، فقيل له : مامنعك من مكافأته وهو لك مُعرِض ؟ قال : أرأيتَ لو رمَحك حِمارٌ أكنتَ ترمَحُه ؟ قال : لا . قال : فإن ينبح عليك كلب تنبح[1] عليه ؟ قال : لا ، قال : فإنَّ السفيهَ إمّا أن يكون حماراً ، وإما أن يكون

١٤١ كلبا ؛ لأنَّه لايخلو من شَرارَةٍ تكون فيه أو جهل ، وما أكثر مايجتمعان فيه[2] .

(أمثال أخرى فى الكلب)

وقال صاحب الديك : يقال للسفيه إنَّما هو كلب ، وإنَّما أنتَ كلبٌ نبَّاح ، وما زال ينبَح علينا منذُ اليوم ، وكلبُ مَن هذا ؟ ويا كلب ابن الكلب ، واخسَأْ كلباً[3] .

وقالوا فى المثل : « احتاج إلى الصُّوف مَنْ جزَّ كلبَه » ، و « أجِعْ كلبَك يتبَعْك » ، و « أحبُّ شىء إلى الكلبِ خانقهُ » ، و « سمِّن كلبَك يأكلْك »

---

(١) ل : « فإن نبح عليك الكلب » الخ . . .
(٢) ط : « من يجتمعان فيه » والوجه ما فى ل .
(٣) ل : « ويا كلب ابن الكلبة واخس كلبا » .

و « أجوَعَ من كَلْبة حَومَل »[١] ، و « كالكلب يربِض فى الآرِىِّ فلا هو يأكل ولا يدَعُ الدابَّة تعتلف » .

(براقش)

وفى أمثالهم فى الشؤم : « على أهلها دلَّتْ بَراقِشُ » .

وبَراقش : كلبة نبحتْ على جيشٍ مرُّوا فى جوف الليل وهم لايشعُرون بموضع الحىِّ ، فاستدلُّوا عليهم بنُباح الكلبة فاستباحوهم[٢] .

(الجن والحن)

وقال صاحب الدِّيك : روى إسماعيلُ المكىّ عن أبى عَطاءٍ العُطارِدى قال : سمعت ابن عبَّاس يقول : السُّود من الكلاب الجِنّ ، والبُقْع منها الحنّ . ويقال إنَّ الحنَّ ضَعفة الجنِّ ، كما أنَّ الجنىَّ إذا كفر وظَلَم وتعدَّى وأفسد ، قيل شيطان ؛ وإن قوى على البنيان والحمل الثقيل ، وعلى استراق السمع قيل مارد ، فإنْ زاد فهو عِفريت ، فإن زاد فهو عبقرىّ . كما أنَّ الرجلَ إذا قاتل فى الحرب وأقدم ولم يحجم فهو الشجاع[٣] ، فإن زاد فهو البطل ، فإن زاد قالوا : بُهْمة ، فإن زاد قالوا : أَلْيَس[٤] . فهذا قول أبى عبيدة .

وبعض النَّاس يزعم أنَّ الحِنّ و الجنَّ صِنفان مختلفان ، وذهبوا إلى قول الأعرابى حينَ أتى بعضَ أبواب الملوك ليكتتَب فى الزَّمْنَى ، فقال فى ذلك :

إن تكتُبوا الزَّمْنَى فإنِّى لَزَمِنْ ... مِن ظاهر الدَّاءِ وداءٍ مُستَكِنّْ

---

(١) انظر ثمار القلوب ٣١٥ والتمثيل والمحاضرة ٣٥٥ والميدانى ١ : ١٦٩ — ١٧٠ .

(٢) انظر تحقيقا طريفا للمثل فى إكليل الهمدانى ٨ : ١٢٦ .

(٣) ل : « ولم يخم . . » وهما بمعنى .

(٤) الأليس من الليس بمعنى الشجاعة . وفى ط : « ليث » وهو تحريف » .

أبيتُ أهوِى فى شياطينَ تُرِنّْ مختلفٍ نجارُهمْ جِنٌّ وجنّ

(ماورد من الحديث والخبر فى قتل الكلاب)

وعن أبى عَنبسة[١] عن أبى الزُّبير عن جابر :[٢] قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، حتى أن المرأة لتقدم بكلبها من البادية فنقتله ، ثم نهانا عن قتلها وقال : « عليكم بالأسود البهيم ذى النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

وعن أبى الزبير عن جابر قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتل الكلاب ، فكنا نقتلها كلها حتى قال : « إنها أمة من الأمم ؛ فاقتلوا البهيم الأسود ذا النكتتين على عينيه ؛ فإنه شيطان » .

١٤٢ وعبدالله وأبو بكر ابنا نافع[٣] عن ابن عمر ، ونافع عن أبى رافع قال : أمرَنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنْ أقتلَ الكلاب ، فكُنَّا نقتلُها ؛ فانتهيت إلى ظاهر بنى عامر ، وإذا عجوزٌ مسكينة معها كلب وليس قربها إنسان[٤] فقالت : ارجعْ إلى النبىِّ صلى الله عليه وسلم فأخبِرْه أنَّ هذا الكلبَ يُؤنِسنى ، وليس قربى أحد . فرجع إليه فأخبره ، فأمر أن يقتلَ كلبها فقتله . وقال فى حديث آخر[٥] : إنَّه لمَّا فرَغ من قتل كلاب المدينة وقتلِ كلْب المرأة قال : الآنَ استرحْت . قالوا : فقد صحَّ الخبرُ عن قتل جميع الكلاب ، ثمّ صحَّ الخبر بنسخ بعضه وقتل الأسود البهيم منها ، مع الخبر بأنَّها من الجنّ والحنّ ، وأنَّ أمَّتين مُسِختا ، وهما الحيَّات والكلاب .

---

(١) ل : « ويحيى بن أبى أنيسة » .

(٢) فى ل بعد هـذا زيادة : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها فاقتلوا منها كل أسود بهيم . وعن أبى الزبير عن جابر » . كما أن الحديث الآتى فى ل روى بعد الذى يليه هنا .

(٣) ماعدا ل : « أنبانا نافع » .

(٤) ط : « يقربها إنسان » .

(٥) ل : « قال وفى حديث » .

ثم روى الأشعث عن الحسن قال : ما خطَب عثمانَ خُطبةً إلاّ أمرَ بقتْل الـكلاب وذبح الحمام .

وعن الحسن قال : سمعت عثمانَ بن عفَّانَ يقول : اقتلوا الـكلابَ واذبحوا الحمام .

قال : وقال عطاءٌ : فى قتل كَلْب الصيد إذا كان صائداً أربعُون درهما ، وفى كلب الزرع شاة .

(ما ورد من الحديث والخبر فى دية الـكلب)

والحسن بن عمارة عن يعلى بن عطاءٍ عن إسماعيل بن حسان عن عبد الله بن عمر[1] قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كلب الصَّيدِ بأربعين درهما ، وفى كلب الغنم بشاة ، وفى كلب الزرع بفَرَق من طعام[2] ، وفى كلب الدار بفَرَق من تراب ، حَقٌّ على القاتل أن يؤدِّيَه ، وحُقَّ على صاحب الدار أن يقبِضه .

قالوا : والتراب لا يكون عقلا إذا كان فى مقدار الفَرَق .

وفى قوله : وحُقَّ على صاحب الدار أن يقبضه ، دليلٌ على أنّه عقوبة على اتخاذه[3] وأن ذلك على التصغير لأمر الـكلب وتحقيره ، [و] على وجه الإرغام لمالـكه . ولو كان عوضاً أو ثوابا ، أو كان فى طريق الأموال المحروص عليها ، لما أُكْرِه على قبضه أحد ، ولـكان العفو أفضل .

---

(١) فى الأصل : « حسان بن عبد الله بن عمر » .

(٢) الفرق ، بالفتح ، وبالتحريك : مكيال ضخم لأهل المدينة يقال إنه يسع ستة عشر رطلا . وفى ل : « من الزرع » .

(٣) ط : « على النهى عن اتخاذه » ، وتصحيحه من ل .

(ما ورد من الحديث والخبر فى شأن الكلب)

قال : وسئل عن الكلب يكون فى الدار وفى الدار مَن هو له كاره .

ابن أبي عَروبة عن قَتادة عن أبي الحكم : أنّ ابنَ عمر سئل عن ذلك فقال : المأثمُ على ربِّ الدَّار الذى يملكها .

وعن ابن عُمر قال : من اتَّخذ كلباً ليس بكلب زَرْع ولاضَرْع ولاصَيد نَقَص من أجره كلَّ يوم قيراط . فقال رجل : فإن اتخذه رجلٌ وهو كاره ؟ قال : إنّما إثمه على صاحب الدار .

وصَدَقة بن طَيْسَلة[1] المازنىّ قال : سألت الحسن قلت : إنَّ دورَنا فى الجبّان[2] وهى مُعْوِرة وليس عليها أبواب ، أفترى أن نتَّخذ فيها كلابا ؟ قال : لا لا .

١٤٣ وعن ابن أبي أُنيسة[3] عن سالم عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من اقتَنَى كلباً إلاَّ كلب صيدٍ أو كلب ماشية ، نقص من أجره كلَّ يوم قيراطان » .

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « من اقتنى كلبا[4] فإنَّه ينقص من عمله كلَّ يوم قيراط » .

ويونس عن أبيه عن إسحاق[5] قال : حدثنا هُنَيدَةُ بن خالد[6] الخزاعى قال : انطلقت مع نفرٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، نعودُ رجلاً من

---

(١) ط : « طيلسة » وأثبت ما فى ل .

(٢) الجبان والجبانة : المقبرة والصحراء . وفى ط : « الجنان » وهو تحريف .

(٣) اسمه يحيى . ماعدا ل : « ابن أبي شيبة » تحريف .

(٤) ل : « من أمسك كلبا » .

(٥) ل « ويونس عن أبي إسحاق وإسرائيل بن يونس عن أبي إسحاق قال : حدثنا أبو إسحاق قال : حدثنا هبيرة » .

(٦) ط : « هنيرة » ، وهو تحريف صوابه فى ل والإصابة ٩٠١٠ .

الأنصار ، فلمَّا انتَهوا إلى باب الدار ثارت أكلُبٌ فى وجوه القوم ، فقال بعضهم لبعض : ما يُبقى هؤلاءِ من عمل فلانٍ شيئا ، كلُّ كلبٍ منها ينقُص قيراطاً فى كل يومٍ .

هشام بن حسان عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « من اتخذ كلباً ليسَ بكلبِ صيدٍ ولا زرْع ولا ضَرْع ، فإنه ينقُص من أجره كلَّ يوم قيراطٌ ، والقيراطُ[1] مثلُ جبل أُحُد » .

يونس عن أبى إسحاق[2] عن مجاهد[3] قال : أقبل عبد الله بن عمرو بن العاص حتَّى نزل ناحية مكَّة ، وكانت امرأةُ عمٍّ له تهاديه ، فلما كانت ذاتَ يوم قالت له : لو أرسلتَ إلىَّ الغنمَ فاستأنستُ برعائها وكلابها فقد نزلتُ قاصية ! فقال : لولا كلابُها لفعلتُ ؛ إنَّ الملائكةَ لا تدخلُ داراً فيها كلب .

الثورىُّ عن سماك بن حرب ، أنَّ ابنَ عباس قال على مِنبر البصرة : إنَّ الكلاب من الحِنّ[4] وإنّ الحِنّ من ضَعفة الجن ، فإذا غشيكم منها شىءٌ فألقُوا إليها شيئاً أو اطردوه[5] ، فإنَّ لها أَنفُسَ سوء .

وهُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قالوا : لم يكونوا ينهَونَنا عن شىء من اللعب ونحنُ غلمان[6] إلاَّ الكلاب .

قال صاحب الديك : روى إبراهيم بن أبى يحيى الأسلمىّ ، عن محمّد ابن المنكدِر ، عن ربيعة بن أبى عبد الرحمن قال : تقامر رجُلان على عهد

---

(١) ل : « وقيراط » .

(٢) ل : « يونس بن أبى إسحاق » .

(٣) ل : « عن أبيه عن مجاهد » .

(٤) ط : « الجن » بالجيم ، والصواب بالحاء كما فى ل .

(٥) كذا جاء فى الأصل بتغاير الضميرين .

(٦) ط : « وعن غلمان » وليس بشىء وانظر الجزء الثانى ص ٢٩٢ .

عُمر بديكين ، فأمر عمر بالديكة أن تُقْتَل[١] فأتاه رجلٌ من الأنصار فقال : أمرتَ بقتل أمّةٍ من الأمم تسبِّح الله تعالى ؟ ! فأمر بتركها .

وعن قَتادة أنّ أبا موسى قال : لا تتّخذوا الدّجاج فى الدُّور فتكونوا أهل قرية ، وقد سمعتم ماقال الله تعالى فى أهل القرى : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ .

وهذا عندى من أبى موسى ليس على ما يظنُّه الناس ، لأنّ تأويله هذا ليس على وجه ، ولكنّه كرِه للفُرسان ورجالِ الحرب[٢] اتخاذَ ما يتّخذه الفلاّح وأصحابُ التعيُّش ، مع حاجته يومئذ إلى تفرُّغِهم لحروب العجم ، وأخْذهم فى تأهُّب الفُرسان وفى دُرْبة رجال الحرب . فإن كان ذهب إلى الذى يظهَرُ فى اللفظ فهذا تأويلٌ مرغوب عنه .

١٤٤ وقال صاحب الكلب لصاحب الديك : فقد أمر عُمَر بقتل الدِّيَكة ولم يستثنِ منها شيئاً دون شيء ، ونهى أبو موسى عن اتخاذ الدجاج ولم يستثن منها شيئاً دون شيء ، والدِّيكةُ تدخل فى هذا الاسم ، واسم الدَّجاج يجمعها جميعا . ورويتم فى قتل الحمام مثلَ روايتكم فى قتل الكلاب ، ولم أركم رويتم أنّ الحمام مِسْخ ، ولا أنّ بعضَه من الجن وبعضه من الحِن ، ولا أنّ أمتين مسختا وكان أحدهما الحمام . وزعمتم أنّ عمر إنّما[٣] أمر بقتل الدِّيَكة حين كره الهِراش بها والقمار بها . فلعلّ كلابَ المدينة فى تلك الأيّام كثُر فيها العَقُور[٤] وأكثر أهلُها من الهِراش بها والقمار فيها . وقد علمتم أنّ ولاة المدينة ربّما دَمَروا على صاحب الحمام[٥] إذا خيف قِبَلَه

(١) ط : « نقل » ، وهو تحريف .
(٢) ل : « وللرجال » .
(٣) فى الأصل « لما » والوجه ما كتبت .
(٤) ل : « العقر » وهو جمع عقور .
(٥) دمروا عليه : دخلوا عليه وهجموا فجأة .

القِمار[١] وظنُّوا أنه الشَّرَف[٢] . وذكروا عنه الرَّمْىَ بالبُندق وخديعةَ أولادهم بالفراخ . فما بالـكم لم تُخرِّجوا للكلابِ من التأويل والعذْر ، مثلَ الذى خرَّجتم للحمام والديكة .

(المسخ من الحيوان)

ورويتم فى الجرِّىِّ[٣] والضِّباب أنهما كانتا أُمَّتين مُسختا . وروى بعضهم فى الإرْبيانة أنَّها كانت خيَّاطة تسرِق السُّلوك ، وأنَّها مُسِخت وترك عليها بعضُ خيوطها لتكون علامةً لها ودليلا على جِنْس سرقتها . ورويتم فى الفأرة أنَّها كانت طحَّانة ، وفى سُهيل أنَّه كان عشَّارًا باليمن[٤] وفى الحيَّة أنَّها كانت فى صورة جَمَل ، وأنَّ الله تعالى عاقبها حتَّى لا طَها بالأرض ، وقسم عقابَها على عشرة أقسام ، حين احتملت دخولَ إبليس فى جوفها حتَّى وَسوَس إلى آدم مِنْ فِيها . وقلتم فى الوَزَغة وفى الحكاأة[٥] ما قلتم . وزعمتم أنَّ الإبل خُلِقَت من أعنان الشياطين[٦] وتأوّلتم فى ذلك أقبحَ التأويل . وزعمتم أنَّ الكلابَ أمّةٌ من الجنّ مُسخت . والذئبُ أحقُّ بأن يكون شيطاناً من الكلب ، لأنَّه وحشىٌّ وصاحبُ قِفار ، وبه يُضرَب

---

(١) ط : « من قبل القمار » والصواب ما فى ل .

(٢) الشرف : الإشفاء على خطر من خير أو شر . وفى ل : « به التشرف » ، وفى ط : « أنه السرف » .

(٣) الجرى : ضرب من السمك . وفى ط : « الجدى » وهو تحريف .

(٤) العشار : من يأخذ العشر .

(٥) الحكاأة : عظاءة مخططة بخمسة خطوط سود ، تعرف فى مصر بالسحلية الخضارى . معجم المعلوف ١٥٥ . وفى ط : « الحدأة » وهو تحريف .

(٦) الأعنان : النواحى والجوانب . وفى الأصل : «أعناق» وهو تصحيف نبهت عليه ص ١٥٢ . وانظر تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ١٦٣ .

المثل فى التعدِّى ، والكلب ألوفٌ وصاحبُ دِيار ، وبه يُضرَبُ المثل . والذئب خَتُور غدّار ، والكلب وفىٌّ مناصح . وقد أقام الناسُ فى الدِّيار الكلابَ مُقامَ السَّنانير للفأر[1] . والذئب مضرَّةٌ كلُّه ، والكلبُ منافعُه فاضلةٌ على مضارِّه ، بل هى غالبةٌ عليها وغامرةٌ لها ، وهذه صفة جميعِ هذه الأشياء النافعة .

والناس لم يُطبِقوا على اتِّخاذها عبَثاً ولاجهْلا ، والقضاة والفقهاءُ والعُبَّاد والوُلاة والنُّسَّاك ، الذين يأمرون بالمعروف وينهَون عن المنكر ، والمحتَسِبة وأصحاب التكلُّف والتسليم جميعاً ، لم يطبقوا على ترك النَّكير على[2]

١٤٥ ما يشاهدونه منها فى دورِ مَنْ لا يعصيهم ولا يمتنِع عليهمْ إلاّ وقد عَلِموا أنَّه قدْ كان لقتلِ الكلابِ بأعيانها فى ذلك الدَّهر ، معنى . وإلاَّ فالنَّاسُ فى جميع أقطارِ الأرض لا يُجمِعون على مسالمةِ أصحاب المعاصى ، الذين قد خلعوا عُذُرَهم وأبرزوا صَفحتَهم[3] . بل ما ترى خصماً يطعن على شاهدٍ عندَ قاض بأنَّ فى داره كلباً ، ولا تَرَى حَكَمًا يردُّ بذلك شهادة . بل لو كان اتِّخاذُ الكلاب مأموراً به ، لَما كان إلاّ كذلك .

ولو أنَّكم حملتم حكم جميع الهَداهد على حكم هدهد سليمان ، وجميعَ الغربان على حكم غُراب نوح ، وجميعَ الحمام على حكم حمامة السفينة[4] ، وجميعَ الذئاب على حكم ذئب أُهبان بن أوس ، وجميعَ الحميرِ على حكم حمار عُزَير — لكان ذلك حكماً مردودا .

---

(١) ل : « من الفأر » .

(٢) فى الأصل : « وعلى » والواو مقحمة .

(٣) ط : « ضجتهم » وهو تحريف .

(٤) فى الأصل « حمام السفينة » ، وهو تحريف . انظر الحيوان ٢ : ٣٢١ والثمار ٣٦٧ .

(ما لا يحدث إلا فى دهر الأنبياء ونزول الوحى)

وقد تعرِض لخصائص الأمور أسبابٌ فى دهر الأنبياء ونزول الوحى ، لا يعرض مثلُها فى غير زمانهم : قد كان جبريل عليه السلام يمشى فى الأرض على صورة دِحيةَ الكَلبىّ ، وكان إبليس يتراءى فى السِّكك[1] فى صورة سُراقة المُدْلِجى ، وظهر فى صورة الشيخ النَّجْدى . ومثل هذا كثير .

(ما يسمى شيطانا وليس به)

فإنْ زعمتم أنّ النبى صلى الله عليه وسلم نظَر إلى رجلٍ يتبع حماماً طيَّارا فقال : « شيطانٌ يتبع شَيطاناً » ، فخبِّرونا عمن يتخذ الحمام[2] من بين جميع سكان الآفاق ونازلةِ البُلدان من الحرميِّين والبصريِّين[3] ومن بنى هاشم إلى من دونَهم ، أتزعمون أنَّهم شياطينُ على الحقيقة ، وأنَّهم من نجل الشياطين ؛ أو تزعمون أنَّهم كانوا إنساً فمُسِخوا بعدُ جِنًّا ؛ أم يكون قوله لذلك الرجل شيطان ، على مثل قوله ﴿شَيَاطِينَ الجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ وعلى قول عمر : لأنزِعنَّ شيطانَه من نُخرتِه[4] ، وعلى قول منظور بن رواحة[5] :

فلما أتانى ما تقولُ ترَقَّصَتْ شياطينُ رأْسِى وانتَشَيْنَ من الخمْرِ

---

(١) ل : « يتخرق السكك » .

(٢) ط : « يتبع الحمام » .

(٣) ل : « الحرمين والمصرين » .

(٤) النخرة، بالضم وكهمزة : مقدم الأنف . ط : « نعرته » تصحيف . وانظر ٦ : ١٩٣ .

(٥) ط : « منصور بن رواحة » . وانظر ص ٣٠١ .

وقد قال مَرّةً أبو الوجيه العُكْلى : « وكان ذلك حين ركبنى شيطانى »
قيل له : وأىَّ الشياطينِ تعنى ؟ قال : الغضب .

والعرب تسمِّى كلَّ حيّةٍ شيطانا . وأنشد الأصمعى :

تُلاعب مثنى حَضْرَمىٍّ كأنَّهُ تعمُّج شَيطانٍ بذى خِرْوَعٍ قَفْرِ (١)

وقالت العرب : ما هو إلاَّ شيطانالحَماطة . ويقولون : «ماهو إلاَّشيطان» يريدون القبح ؛ و « ما هو إلاّ شيطان » ، يريدون الفِطنة وشدّة العارضة . وروى عن بعض الأعراب فى وقعة كانت : والله ما قتلْنا إلاَّ شَيطَانَ بَرِصاً (٢)
١٤٦ لأنَّ الرجل الذى قاتلهم كان اسمه شيطان ، وكان به برص .

وفى بنى سعد بنو شيطان . قال طفيلٌ الغنوى :

* وشيطان إذ يدعوهم ويُثوِّب (٣) *

وقال ابن ميّادة :

فلما أتانى ما تَقُول محاربٌ تغنَّت شياطينى (٤) وجُنَّ جُنونُها

وقال الراجز :

إنِّى وإن كنتُ حديثَ السِّنِّ وكانَ فى العين نُبوٌّ عنِّ
فإنَّ شيطانى كبيرُ الجنِّ

وقال أبو النَّجم :

إنِّى وكلَّ شاعرٍ من البَشَرْ شَيطانُه أُنثى وشَيطانِى ذَكَرْ

وهذا كلُّه [منهم] على وجه المثل ، وعلى قول منظور بن رَوَاحَة :

أتانى وأهلى بالدِّماخ فغَمْرَةٍ مسبُّ عُويفِ اللؤمِ حىَّ بنى بَدْرِ (٤)

(١) تعمج : تلوى . وفى ط : « تنعج » وهو تحريف ، وانظر ص ١٥٣ .

(٢) ل : « شياطينا برصا » والوجه ما فى ط .

(٣) شيطان هو ابن الحكم ، فارس الخذواء . وصدر البيت كما فى اللسان (شطن ، شيط ، خذا) :
* وقد منت الخذواء منا عليهم *

(٤) ط : « شياطين » وصوابه فى ل . وانظر ص ١٥٢ وثمار القلوب ٥٧ .

(٥) ط : «بالرماح » ل : ب«الدماح» . وانظر ياقوت (دماخ ، غمرة) . ل : « خى بنى بدر » .

فلمـا أتانى ما يقولُ ترقَّصتْ شياطينُ رأسى وانتشَيْنَ من الخمْر

(خرافةُ العذرىُّ)

وقد رويتم عن عبد الله بن فايد بإسنادٍ له يرفعه قال : خرافة رجل من بَنى عذرة استهوته الشياطين ، فتحدَّث رسول الله صلى الله عليه وسلم [يوما] بحديث فقالت امرأةٌ من نسائِه : هذا من حديثِ خُرافة قال : « لا وَخُرَافَة حقٌّ » .

(حديث عمر مع الذى استهوته الجن)

ورويتم أنَّ شريك بن خُناسة دخَلَ الجنَّة وخرجَ منها ومعه ورقةٌ من وَرَقِها ، [1] وأنَّ عمر سأل الرجل المفقود الذى استهوته الجنُّ فقال : ما كان طعامهم[2] ؟ قال : الفول والرِّمَّة .[3] وسأل عن شرابهم فقال : الجدَف[4] .

وقال الأعشى :

وإنى ومَا[5] كلفتمونى وربِّكم لأعلمُ من أمسَى أعقَّ وأحْوَبا

لكالثَّورِ والجنىّ يضرِب ظَهْرهُ[6] وما ذنبه أنْ عَافت المـاءَ مَشْرَبا

---

(١) « من ورقها » ساقطة من ل .

(٢) ط : « طعامكم » .

(٣) ط : « البعر والبول والرمة » .

(٤) الجدف بالتحريك : نبات يكون باليمن لايحتاج آكله معه إلى شرب ماء . ابن الأثير . وفى ط : « الجدق » وهو تحريف .

(٥) ط . س : « وإن » وتصحيحه من ل وهذا الجزء ص ١٩ .

(٦) ط : « ظهرة » وهو تحريف .

(من خنقته الجن ، ثم عود إلى الحوار)

وزعمتم أنَّ الجنَّ خنقت حرْبَ بن أمية ، وخنقت مِرداسَ بن أبى عامر ، وخنقت الغَريض المغنِّى ، وأنَّها قتلت سعد بن عبادة ، واستهوت عمرو بنعدى واستهوت عمارة بن الوليد ؛ فأنتم أمْلياءُ بالخرافات[1] أقوياءُ على ردِّ الصحيح وتصحيح السقيم ، وردِّ تأويل الحديث[2] المشهورِ إلى أهوائكم . وقد
١٤٧ عارضْنا كم وقابلنا كم وقارضْنا كم .

وقالوا : فى الحديث أنّه « من اقتنى كلباً ليسَ بكلْب زرْعٍ ولا ضرْع ولا قَنص فقد أَثِم[3] » . فهاتوا شيئاً من جميع الحيوان يصلح للزرْع والضَّرْع والقنص . وبعد فهل اتخذوا كلبَ الضَّرْع إلاّ ليحرسَ الماشيةَ وأولادَها من السباع ؟ وهل عند الكلبِ عند طُروق الأسد والنمر والذئاب وجميع ما يقتات اللُّحمانَ من رؤساء السباع ، إلاَّ صياحَه ونباحَه وإنذاره ودلالته ، وأنْ يشغلَها بعضَ الشُّغْل ، ويُهجهِج بها بعض الهجهجة ، إلى أن يلحق بها من يحميها ، ويتوافى إليها[4] من يذود عنها ، إذ ليس فى هذا القياس أنا متى وجدنا دهراً تكثُر فيه اللصوص ويفشو فيه السُّرَّاق ، وتظهر فيه النُّقوب ، ويشيع فيه التسلُّق ، ممَّن إذا أفضى إلى منزلِ القوم لم يرضَ إلا بالحريبة[5] ليس دونها شىء ، أو يأتى على الأنفس ، وهو لا يصل إلى ما يريدُ حتى يمرَّ على النساء مكشَّفات ، ومَن عسى إذا أخذ المرأةَ أخذَ يدٍ ألاَّ يرضى أن يتوعَّد بذبح الأولاد [و] أن يُتَّقى بالمال ،[6] حتَّى يذبح ،

(١) ل : « ملآء بالخرافات » وهما بمعنى .
(٢) ط : « ورد بأن التنزيل والحديث » والصواب فى ل .
(٣) ط : « فهو أثم » .
(٤) ل : « إليه » .
(٥) الحريبة : المال الذى يعيش به الإنسان ، أو المال الذى يسلب منه . وفى ط : «بالحربية» .
(٦) ل : « وإن لم يتق بالمال » والوجه ما فى ط .

ومن عسى إن تمكّن شيئاً أو أمِنَ قليلا ، أن يركب الْحُرَم بالسَّوءة العظمى وبالتى لاشَوَى لها[١] . فهذا الحال أحقُّ بالحِراسة من تلك الأحوال .

وبعد فلِمَ صار نساءُ الحرمَين يتزاوَرْنَ ليلا ، ونساء المصرَين[٢] يتزاورن نهاراً ، ونساء الحرمين لايرين نهاراً ، ونساء المصرَين[٢] لا يُرَيْنَ ليلا ؛ إلَّا للمكابرات ولمكانِ كثرةِ من يستقفى ويتحوّب[٣] للنقب والتسلُّق . وإذا كان الأمر كذلك فأيُّ الأمورِ أحقُّ بالتحصين[٤] والحياطة ، وأيُّهما أشبه بالتغرير والإضاعة : اتّخاذ الكلاب التى لاتنام عند نوم من قد دأب نهاره ، أو ترك اتّخاذها ؟ ويقَظة السُّرَّاق على قدر نوم المسروقين .

وعلى أنّا لو حُلنا[٥] بين حَرس الأسواق وما تشتمل عليه من حرائب الناس[٦] ، وبين اتِّخاذ الكلاب ، لامتنعوا من ضَمان الحراسة ، ولامتنع كلُّ محروس من إعطائهم[٧] تلك الأجرة ، ولوجَد اللصوصُ ذلك من أعظم الغُنْم وأجود الفُرص[٨] .أوما تعلمون أنَّ هذا الحريم،وهذه الحرمات[٩] وهذه العقائل من الأموال ، أحقُّ بالمنْع والحِراسة والدَّفع عنها بكلِّ حيلة ، منْ حفظ الغنم وحريمِ الراعى وحُرمة الأجيرِ ؟ !

وبعد فإنَّ الذئابَ لاتجتمع على قطيعٍ واحد ، والذى يُخاف من الذئب السَّلَّة والخطفة[١٠] ، والاستلابُ والاختلاس . والأموالُ التى فى حوانيت

---

(١) يريد بالإصابة التى لاتخطئ .

(٢) ط : « المصريين » وهو تحريف .

(٣) ط : « ومن يتخوف » .

(٤) ط : « بالتحصيل » وهو تحريف .

(٥) ط : « جعلنا » وهو تحريف .

(٦) ط : « جراءة الناس » وهو تحريف .وسبق قريباً تفسير الحريبة .

(٧) فى الأصل : « إعطائه » والضمير ضمير الحرس . فالصواب ما كتبت .

(٨) فى الأصل : « الغرض » .

(٩) ط : « الحريمات » .

(١٠) ل : « والخطف » وهما بمعنى .

١٤٨ التجار وفى منازل أهلِ اليسار يأتيها من العدد والعُدَّة ، ومن نُجب أصحاب النجدة ، من يحتملها بخذافيرها ، مع ثقل وزنها وعظم حجمها ، ثمَّ يجالدون دون ذلك(١) بسيوف الهند وبالأذرع الطوال . وهم من بين جميع الخليقة لَوَلاَ(٢) أنّهم قد أحسُّوا من أنفسهم الجراءة وثباتَ العزيمة ، بما ليس من غيرهم ، لكانوا كغيرهم ، ولولا أنَّ قلوبَهم أشدُّ من قلوب الأسْد لما خَرَجوا ، على أنّ جميع الخلق يطالبونهم ، وعلى أنّ السلطانَ لم يُوَلِّ(٣) إلَّا لمكانهم . و [الكلابَ لم تُتَّخَذْ إلا لِ] لإنْذَارِ بهم ، وعلى أنَّهم إن أُنذرَ بهم قاتلوا قتالَ من لاينجيه إلَّا القِتال ، وعلى أنَّهم إذا أُخذوا ماتوا كراما .

ولعلَّ المدينةَ قد كانت [فى] ذلك الدهر مأموناً عليها من أهل الفساد(٤) وكان أكثرُ كلابها عَقورا ، وأكثرُ فِتيانها من بين مُهارشٍ أو مقامرٍ . والكلبُ العَقورُ والكلْب الكلبُ أشدُّ مضرَّةً من الذئب المأمورِ بقتله .

وقد يعرض للكلاب الكلَب والجنون لأُمور : منها أن تأكلَ لحوم الناس ، ومنها كالجنون الذى يعرِض لسائر الحيوان .

(قتل العامة للوزغ)

وجُهَّالُ النَّاسِ [اليوم] يقتلون الوَزَغ ، على أنَّ آباءها وأمهاتها(٥) كانت تنفُخ على نار إبراهيم ، وتنقُل إليها الحطب . فأحسَب أنَّ آباءها

(١) ط : « على ذلك » .
(٢) ل : « أولى » والصواب فى ط .
(٣) ط : « يولهم » .
(٤) ل : « مأمونة من أهل الفساد » وأثبت ما فى ط .
(٥) ط : « أباها وأمهاتها » والوجه ما فى ل .

وأمّهاتِها قد كنّ يعرفن فصْل(١) مابين النبيّ والمتنبِّي ، وأنّهن اعتقدْن عداوةَ إبراهيم ، على تقصيرٍ فى أصل النظر ، أو عن معاندةٍ بعد الاستبانة حتّى فعلنَ ذلك ــ كيف جاز لنا أن تَزِر وازرةٌ وِزْرَ أخرى ؟ ! إلّا أن تدّعوا أنَّ هذه التى نقتلها هى تلك الجاحدةُ للنبوّة ، والكافرةُ بالربوبيّة ، وأنّها لاتتناكح ولا تتوالد .

وقد يستقيم فى بعض الأمرِ(٢) أن تقتلَ أكثر هذه الأجناس ، إمّا من طريق المحنة والتعبُّد(٣) وإمّا إذ(٤) كان الله عزّ وجلّ قد قضى على جماعتها الموتَ ، أن يجرىَ ذلك المجرى على أيدى الناس ، كما أجرى موت جميع الناس على يد ملك واحد ، وهو ملك الموت .

وبعد فلعلَّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم قال هذا القول [إن] كان قاله ، على الحكاية لأقاويل قوم . ولعلَّ ذلك كان على معنًى كان يومئذٍ معلوما فترَك النَّاسُ العِلَّة ورووا الخبر(٥) سالماً من العِلل ، مجرَّداً غير مضمّن(٦) . ولعلَّ مَن سمع هذا الحديث شهد آخرَ الكلام ولم يشهد أوّلَه ، ولعلّه عليه الصلاة والسلام قصَد بهذا الكلام إلى ناسٍ من أصحابه قد كان دار بينهم وبينه فيه شىء . وكلُّ ذلك ممكنٌ سائغٌ(٧) غير مستنكَر ولا مدفوع .

---

(١) فصل : فرق . وفى الأصل : « فضل » .

(٢) ل : « فى البدى الأمر » .

(٣) ط : « المحبة والتعبد » ووجهه فى ل .

(٤) ط : « وإما إذا » .

(٥) ط : « وردوا الخبر » وهو تحريف .

(٦) ط : « غير مميز » .

(٧) ل : « شائع » وهو تحريف مافى ط .

وقد رويتم [فى الفواسق ما قد رويتم فى[1] الحيَّة والحدأة والعقربِّ والفأرة والغراب ، ورويتم] فى الكلب العقور ، وكيف يُقتلنَ[2] فى الحِلِ والحرَم . فإنْ كنتم فُقهاءَ فقد علمتم أنَّ تسمية الغراب بالفِسق ، والفأرة

١٤٩ بالفُويسِقة ؛ أنّ ذلك ليس من شكل تسمية الفاسق[3] ، ولا من شكل تسمية إبليس .

وقد قالوا : مافجرها إلّا فاجر ، ولم يجعلوا الفاجر اسماً له لايفارقه . وقد يقال للفاسق من الرجال : خبيث . وقد قال صلى الله عليه وسلم : « من أكَلَ من هذه الشَّجَرَةِ الخَبِيثَةِ[4] فَلَا يَقْرَبَنَّ مُصَلَّانَا » وهو على غير قوله عزّ وجلّ ﴿ الخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ . وقد قال بعضُ الرُّجَّاز وذكر ذئباً :

أما أتاكَ عَنِّىَ الحديثُ   إذْ أنَا بالغائِطِ أَسْتَغِيثُ
والذئبُ وَسْطَ غَنَمِى يَعِيثُ   وصِحْتُ بِالْغَائِطِ ياخَبِيثُ

وهذا الباب كثير ، وليس هذا موضعه ، وقد ذكرناه فى كتاب الاسم والحكم .

وقد يشبه الاسمُ الاسمَ فى صورةِ تقطيع الصوت ، وفى الخطِّ فى القرطاس ، وإن اختلفت أماكنُه ودلائله . فإذا كان كذلك فإنَّما يعرف فضلُه بالمتكلِّمين به ، وبالحالات والمقالات ، وبالذين عُنُوا بالكلام . وهذه جملةٌ ، وتفسيرها يطول .

---

(١) فى الأصل : « من » .
(٢) ط : « يقتل » والوجه ما فى ل .
(٣) ط : « القاذق » . ل : « القاذف » والوجه ما أثبت .
(٤) قال ابن الأثير : يريد الثوم والبصل والكراث .

(القتل والقصاص)

وقالوا : قد أُمِرْنا بقتل الحيَّة والعقرب ، والذئب والأسد ، على معْنًى ينتظم معنَيْين[١] : أحدهما الامتحان والتعبُّد بفكر القلب وعمل الجارحة ، لا على وجه الانتقام والعقوبة . وأُمرنا بضرب الباغى بالسيف إذا كانت العَصَى لاتُغنى فيه على جهة الدَّفْع وعلى جهة العقاب ، ولم نُؤمَرْ بالقصد إلى قتله ، وإنَّما الغاية فى دفع بأسِه عنا ، فإن أتى إلى ذلك المقدار عليه ، كان كسارقٍ ماتَ من قطع يده ، وقاذفٍ ماتَ عن جَلد ظهره[٢] . وقد أُمِرْنا بالقصد إلى قتْل الحيَّات والعقارب وإن لم تعرض لنا فى ذلك الوقت ؛ لأنَّ جنسَها الجنسُ المتلف متَى همَّ بذلك . وليس لنا أن نضربَ الباغىَ بالسَّيف إلَّا وهو مقبلٌ غيرُ مدبر ، ولنا أن نقتل الحيَّة مقبِلةً ومدبرة ، كما يُقتل الكافرُ مقبِلا ومدبراً ؛ إلَّا أنَّ قتلَ الكافر يجمع الامتحان[٣] والعقوبة ، وليس فى قتل الحيَّة إلّا الامتحان . وقد كان يجوز أن تمتَحَن بحبسها[٤] والاحتيالِ لمنعها ، دونَ قتلها . وإذا ولَّى الباغِى من غير أن يكون يريد الرجوع إلى فئة ، فحكمه الأسر والحبس [أبداً] إلى أن يُؤْنَسَ منه النُّزوعُ . وسبيل الأحناشِ والسِّباع وذواتِ السموم من الهمَج والحشرات ، القتلُ مقبلةً ومدبرة . وقد أبيح لنا قتلُ ضروبٍ من الحيوان عند مايبلُغ

---

(١) فى الأصل : « بمعنيين » ، وهو تحريف .
(٢) ط : « من جلد ظهره » .
(٣) ط : « الانتقام » .
(٤) ط : « يمتحن لجنسها » وهو تحريف .

من جناياتها علينا الخدش ، فضلاً عن الجرح والقتل ، كالبعوض والنمل ، والبراغيث والقمل .

والبعيرُ قتلهُ فسادٌ ، فإن صال على الناس كان قتلُه صلاحًا . والإنْسان قتلُه حرام ، فإن خيفَ منه كان قتلُه حلالا .

(طائفة من المسائل)

والحديث عن مسخ الضَّبِّ والجِرِّىِّ ، وعن مسخ الكلاب والُحكَأَةِ وأنَّ الحمامَ شيطان ، من جنس الُمزاح الذى كنَّا كتبنا به إلى بعض إخواننا[1] ممَّن يدَّعى علمَ كلِّ شىء ، فجعلنا هذه الخرافاتِ وهذه الفِطنَ الصغارَ ، من باب المسائل .

فقلنا له : ما الشِّنِقْناقُ والشَّيْصَبانُ[2] وتنكوير[3] ودركاذاب[4] ومَن قاتل امرأة ابنِ مقبل ؟ ومن خانق الغَريض[5] ؟ ومن هاتف سعد[6] ؟

(١) هو أحمد بن عبد الوهاب الذى صنع فيه الجاحظ رسالة « التربيع والتدوير » .

(٢) الشنقناق والشيصبان – زعموا – : رئيسان عظيمان من الجن . وسيتحدث عنهما الجاحظ فى الجزء السادس. وانظر الثمار ص ٥٥ . وفى ل : « الشيصمان » محرفا .

(٣) ل : « تنكوير » وفى رسائل الجاحظ ١٠٦ : « بركوير » .

(٤) ل : « ركازات » وفى الرسائل: « دركاداب » .

(٥) الغريض هو عبد الملك ، كان مولدا من مولدى البربر، وولاؤه للثريا صاحبة عمر ابن أبى ربيعة ، وكان من رؤساء الغناء أخذ عن ابن سريج . وانظر حديث قتل الجن له فى الأغانى ٢ : ١٤٣ .

(٦) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة الخزرجى ، صحابى كان سيد الخزرج ، وكان يلقب فى الجاهلية بالكامل ، لمعرفته الكتابة والرمى والسباحة . توفى سنة ١٥ وزعموا أن الجن قتلته ، وسمع هاتفهم يقول :

قد قتلنا سيد الخزر ج سعد بن عباده
ورميناه بسهمين فلم نخط فؤاده

وخبّرنا عن بنى أُقيش[١] وعن بنى لبنى ، ومَن زَوْجُها ؟ وعن بنى غَزْوان ومَن امرأته ؟ وعن سملقة وزَوبعة[٢] ، والميدعان[٣] ، وعن النقار ذى الرقبة[٤] وعن آصف ، ومن منهم أشار بأصفر سليم[٥] ، وعن أطيقس اسم كلب أصحاب الكهف ، وكيف صارت الكلابُ لاتنبح من سمّاه[٦] ؟ وأين بلغ كتَابُ شَرطهم ؟ وكيف حدَّثوا عن ابن عباسٍ فى الفأر والقرد والخنزير والفيل والأرنب والعنكبوت والجِرِّىِّ ، أنّهنّ كلّهنّ مِسخ [وكيف خُصَّت هذه بالمسخ ؟] وهل يحلُّ لنا أن نُصدِّق بهذا الحديث عن ابن عبّاس ؟ وكيف صارت الظباءُ ماشيةَ الجنّ ؟ وكيف صارت الغِيلان تُغيّر كلّ شىء إلّا حوافرَها ؟ ولم ماتت من ضربةٍ وعاشتْ من ضربتين[٧] ؟ ولم صارت الأرانب والكِلاب والنَّعامُ مراكبَ الغيلان ؟ ولم صارت الرواقيد مطايا السَّواحر ؟ وبأى شىء زوَّج أهلُ السّعلاة ابن يربوع ؟ وما فرق مابينه وبين عبد الله بن هلال ؟ وما فعلت الفتاة التى كانت سميت بصبر على يد حرمى

---

(١) ط : « ابن أقييش » ! وبنو أقيش : حى من الجن .

(٢) زوبعة ، هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحاممردا منقوارير. التيجان ١٦١ . وانظر ٦ : ٢٣١ .

(٣) ط : « والميدعات » .

(٤) ل : « النقاد ذى الرقبة » .

(٥) أصفر سليم . قال الثعالبى فى ثمار القلوب ١١٩ : « كان سليم صيدلانيا بالبصرة ، وقد عجن دواء أصفر لكل ماشرب له، فكان يستشفى به كل مبرود ومحرور ، فصار مثلا فى البركة وحسن الموقع » اهـ . وقال ابن قتيبة فى المعارف ٢٦٥ : « كان لعبيد الله بن أبى بكرة ثلاثة وكلاء : يقال لهم سليم الناصح ، وسليم الغاش ، وسليم الساحر ، وهذا هو الذى عمل أصفر سليم » . فى ط : « أشعار بأصغر سليم » وهو تحريف صوابه فى ل ، س و م .

(٦) ط : «أطيغش» . وفى ل : « من سماها » وهو تحريف . وانظر قول الدميرى فى كلب أصحاب الكهف ٢ : ٤٢٨ .

(٧) سيتحدث الجاحظ عن هذا فى الجزء السادس ص ٢٣٣ — ٢٣٥ .

وأبى منصور[١] ؟ ولم غضِب من ذلك المذهب ؟ ولم مضى على وجهه شفشف[٢] ؟ وما الفرق بين الغِيلان والسّعالى ، وبين شيطان الخضراء[٣] وشيطان الحَماطة ؟ ولم عُلِّق السمك المالح بأذنابه [والطرىّ بآذانه][٤] وما بالُ الفراخِ تُحمَل بأجنحتها والفراريج بأرجلها ؟ وما بال كلِّ شيء أصلُ لسانه ممّا يلى الحلق[٥] وطرفه ممَّا يلى الهواء ، إلَّا لسان الفيل ؟ ولم قالت الهند : لولا أنَّ لسانه مقلوب لتكلَّم ؟ ولم صار كلُّ ماضغٍ وآكلٍ يُحرِّك فكَّه الأسفل ، إلا التمساح [فإنه[٦]] يحرِّك فكَّه الأعلى ؟ ولم صار لأجفان الإنسان الأشفار ، وليس ذلك للدواب إلّا فى الأجفان العالية ؟ وما بالُ عين الجَرادة وعين الأفعى لاتدوران ؟ وما بيضة العُقْر[٧] وما بيضة الديك ؟ ولم امتنع بيض الأنوق ؟ وهل يكون الأبلق العقوق[٨] وما بال لسانِ سمكِ البحر [عديما] ؟ وما بال الغريقِ من الرِّجال يطفو على قفاه ، ومن النساء
١٥٤ على وجهه[٩] ؟ ولم صار القتيل إذا قُتل يسقط على وجهه ثم يقلبه ذكَرُه ؛

---

(١) ل : « سمية نصير على يد جرمى . . الخ » .

(٢) ل : « سفسف » .

(٣) ط : « الحصر » .

(٤) ط : « المليح بأذنابه » . وتعليق السمك الطرى بآذانه عبارة تهكمية ، فليس للسمك أذن ظاهرة .

(٥) ط : « مما يلى الفم » ل : « مما يلى داخل » .

(٦) حرف يحتاج إليه الكلام .

(٧) ل : « العصفور » وهو تحريف . وبيضة العقرقيل هى التى تمتحن بها المرأة عند الافتضاض أو أول بيضة للدجاجة ، أو آخرها ، أو بيضة الديك يبيضها فى السنة مرة .

(٨) الأبلق : الفرس فيه سواد وبياض ، وهو ذكر . والعقوق : الحامل أو الحائل ، وهى أنثى . ولايكون الذكر أنثى .

(٩) ل : « يظهر على قفاه » . ط : «ومن النساء على وجهها » .

وأين تذهب(١) شِقشِقة البعير وغُرمول الحمار [والبغْل] وكبِدُ الكوسج بالنهار ، ودَمُ الميت ؟ [ولم انتصب خَلْق الإنسان من بين سائر الحيوان]؟ وخبِّرنى عن الضفادع ، لم صارت تنقُّ بالليل(٢) وإذا أُوقدت النارُ أمسَكَت(٣) ؟ .

وقالوا : قد عارضناكم بما يجرى مجرى الفساد والُخرافة . لنردَّكم إلى الاحتجاج بالخبَر الصحيح المخرج للظاهر(٤) .

فإن أعجبتك هذه المسائلُ ، واستطْرَفتَ هذا المذهب ، فاقرأ رسالتى(٥) إلى أحمد بن عبد الوهاب الكاتب ، [فهى مجموعةٌ هناك] .

(أصناف الكلاب)

والكلاب أصنافُ لايحيط بها(٦) إلّا من أطالَ الكلام . وجملة ذلك أنَّ ما كان منها للصيد فهى الضِّراء ، وواحدها ضِروة(٧) ، وهى الجوارح والكواسب ، ونحن لانعرفها إلَّا السَّلُوقيّة ؛ وهى من أحرار الكلاب وعتاقها(٨) ، والخِلاسية(٩) هجنها ومقاريفها . وكلابُ الرعاءِ من زينيّها

(١) ط : « وما بال » .
(٢) النقيق : صوت الضفدع . وفى ط : « تنعق » ، والنعيق إنما هو للبوم والغربان .
(٣) ل : « إذا أبصرت النهار أمسكت » وهو تحريف ، صوابه فى ط وفى الحيوان ٤ : ٤٨٦ .
(٤) هذه الفقرة دخيلة وليس هذا موضعها .
(٥) فى الأصل : « فاقدر رسالتى » والوجه « فاقرأ » .
(٦) ل : «لايحصيها» .
(٧) ط : « ضار » وهو تحريف .
(٨) فى الأصل : « وهى فى أحرار الكلاب وعتاقها » وصححته كما ترى .
(٩) ط : « الجلاسية » وهو تصحيف .

وكرديها فهى كرادتها(١) .

وقد تَصيد الـكلابُ غيرُ السَّلوقيّة ، ولـكنّها تقصّر عن السَّلوقيّة بعيداً . وسَلوق من أرض اليمن كان لها حديدٌ جيِّد الطبع ، كريم العنصر حرُّ الجوهر. وقد قال النابغة (٢) :

تَقدُّ السَّلوقىَّ المضاعَفَ نسجُه وتوقِد بالصُّفَّاح نارَ الُحباحِبِ

وقال الأصمعىّ : سَمعتُ بعضَ الملوك وهو يركض خلفَ كلْبٍ وقد دنا خَطمه من عَجْب ذنب الظبى (٣) وهو يقول : إيه فدتكَ(٤) نفسى ! !

وأنشد لبعض الرجاز (٥) :

* مفدّيات وملعَّنات(٦) *

قال صاحب الديك : فلمَّا صار الـكلبُ عندهم يجمع خصالَ اللؤم والنَّذالة ، والحرصِ والشَّره(٧) ، والبَذاء والتسرُّع وأشباه ذلك ، صاروا يشتقُّون من اسمه لمن هجَوه بهذه الخصال . وقال بشَّار :

واستغْنِ بالوجَبات عن ذَهبٍ لم يَبقَ قبلَك لامرئٍ ذَهبُهْ(٨)

يرِدُ الحريص على متالفه والليثُ يبعثُ حَيْنَه كَلَبُهْ

---

(١) كذا وفى ل : « حوادبها ومحامرها » .

(٢) ط : « الشاعر » . والبيت من قصيدة النابغة الذبيانى التى مطلعها :

كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطىء الـكواكب

(٣) ط : « الظباء » وهو تحريف .

(٤) ل : « إيها » .

(٥) ط : « الرجال » .

(٦) ط : « مفديات ومحميات » .

(٧) فى الأصل : « الشده » ، وإنما هو الشره قرين الحرص .

(٨) المرتضى فى أماليه ٢ : ٢٩ قبل ذكر هذا البيت : « قال ابن السكيت : يقال فلان يأكل الوجبة إذا كان يأكل فى اليوم والليلة وجبة » . وفى ل : « الوجنات » وهو تحريف .

(ما اشتق من اسم الكلب)

قال صاحب الكلب : لمَا[١] اشتقُّوا من اسمه للأشياء المحمودة أكثر . قال عامر بن الطفيل[٢] :

ومدجَّجٍ يسعَى بشِكَّتِهِ محمرَّةٍ عيناهُ كالكلْبِ[٣]

ومن ولد ربيعة بن نزار كلب[٤] بن ربيعة ، وكلاب بن ربيعة ، ومكالب بن ربيعة ، ومكلبة بنو ربيعة [بن نزار] . وفيهم من السباع أسَد ، وضُبيعة ، وذئب ، وذؤيب ، وهم خمسة عشر رجلا ثمانية من جميع السباع ، ومن الثمانية أربعة مشتقَّة من اسم الكلب . ومن هذا الباب كليب[٥] بن يربوع ، وكلاب بن ربيعة ، وكلب بن وَبرة . ومنه بنو الكلبة ، قال الشاعر :

١٥٢ سَيَكْفِيك من ابنى نزارٍ لراغبٍ بنو الكلبةِ الشمُّ الطوالُ الأشاجعِ[٦]

والكلبة لقب ميَّة بنت عِلاج بن شَحْمة العنبرىّ . وبنوها بنو الكلبة الذين سمعتَ بهم — تزوَّجها خُزيمة بن [النعمان] من بنى ضُبَيعة بن ربيعة بن نزار ، فهى أمُّهم . وفيها يقول شُبَيل بن عَزْرة[٧] الضُّبَعى

---

(١) فى الأغانى (١٢ : ٥٠) أن الشعر للحارث بن الطفيل .
(٢) فى الأصل : « كلما » والوجه ماأثبت .
(٣) المدجج عنى به القنفذ ، للشوك الذى عليه . اللسان (دجج) والمخصص ٨ : ٩٥ .
(٤) ل : « أكلب »
(٥) ل : « كلب » .
(٦) ماعدال : « لواغب » . وانظر الاشتقاق ١٩٣ .
(٧) هذا العلم كثيرا مايقع فيه التحريف والتصحيف ؛ فقد ورد فى خزانة الأدب (انظر ١ : ٩٢) برسم (شبل بن عمرو) ، وفى الأمالى (١ : ٤٨) (شبيل بن عروة) وفى فهرست ابن النديم ٦٨ مصر (شبيل بن عرعرة) وفى القاموس (شبيل ابن عروة) وفى ط من الحيوان (شبيل بن غزرة) ، وصواب هذا كله ماأثبته من ل ، ومانبه عليه الزبيدى فى تاج العروس ، وكما ضبطه ابن دريد فى الاشتقاق ١٩٣ جوتنجن . وقد نبهت على ذلك فى تصحيحى للخزانة . =

صاحب الغريب — وكان شِيعيًّا من الغالية [1] ، فصار خارجيًّا من الصُّفرية — :

بنو كلبةٍ هرَّارة وأبُوهُمُ خُزَيمةُ عبدٌ خاملُ الأصل أوكَسُ

وفى مَيَّة [الكلبة] يقول أبوها ، وهو عِلاج بن شحمة [2] :

إنْ تكُ قد بانت بميَّةَ غربة فقد كان مِمّا لا يُمَلُّ مَزارُها [3]

دعتْها رجالٌ من ضُبَيعة كَلْبَةً وما كان يُشكى فى المحول جِوارُها [4]

ومما اشتقَّ له من اسم الكلب من القُرى والبُلدان والناس وغير ذلك ، قولهم فى الرقْعة التى كانت بإرمِ الكلبة [5] . ومن ذلك قولهم : حين نزلنا من السَّراة صرنا إلى نجد الكلبة .

وكان سبب خروج مالك بن فَهم بن غَنْم بن دَوس إلى أزد شنوءة من السراة [6] أنّ بنى أخته قتلوا كلبةً لجاره ، وكانوا أعَدَّ منه [7] فغضب ومضى ، فسمِّى ذلك النجد الذى هَبط منه نَجْد الكَلْبة .

[وبطَسُّوج بادُوريا نهر يقال له : نهر الكلبة] .

ويقولون : كان ذلك عند طلوع كوكب الكلب . ومن ذلك قولهم :

= وشبيل هذا من خطباء الخوارج وعلمائهم ، وله قصيدة فى الغريب ؛ وكان أولا رافضيا ثم انتقل إلى الشراة وبرئ من الروافض ، ومات بالبصرة . هذه ترجمة ابن النديم له ، وهى تشبه ترجمة الجاحظ .

(١) ط : « من كبار الشيعة » ومثله فى س .

(٢) ل : « سحمة » .

(٣) ط : « ميالا يمل » وهو تحريف .

(٤) ل : « فى المحل » .

(٥) إرم الكلبة : موضع قريب من النباج بين البصرة والحجاز ، وللعرب فيه يوم قتل فيه بجير بن عبد الله بن سلمة ، قتله قعنب الرياحى . معجم البلدان .

(٦) ل : « من أزد شنوءة بالسراة » .

(٧) أعد منه : أكثر عددا . وفى ل : « أنجد » . وفى ط : « لجارهم » موضع « لجاره » .

عبَّاد بن أنْف الكلب . ومن ذلك أبو عُمَرَ الكلبُ الجَرمىّ النحوى[١] ، وكان رجلا من العِلية عالماً، عَروضيًّا [نحويًّا] فرضيًّا . وعلُّويه[٢] كلب المطبخ ، وكان أشربَ الناس للنبيذ ، وقد راهنوا بينه وبين محمَّد بن علىّ .

والكلب : كلب الماء ، وكلب الرحى[٣] والضبة التى يقال لها الكلب . وكذلك الكُلْبة والكَلْبتان ، والكُلاّب والكلُّوب .

وقال راشد بن شِهابٍ فى ذلك المعنى :

أُمكِّن كُلاَّب القنا من ثغورها ... وأخضِب مايبدومنَ استاهها بِدَمْ[٤]

[وقال] :

فسوفَ يرى الأقوامُ دينى ودينَكم ... إذا كلْبتا قَينٍ ومِقْرَاضُهُ أَزَمْ[٥]

وقال الراجز :

مازالَ مذْكَان غُلامًا يستتر[٦] ... له على العَيرِ إكافٌ وثَفَرْ

* والكَلْبَتَانِ والعَلاةُ والوَتَرْ *

وقال أشهب بن رُميلة ، وكان أوّلَ من رمى بنى مجاشع بأنّهم قُيون : ١٥٣

ياعجبًا هل يركبُ القَيْنُ الفَرَسْ ... وعَرَقُ القَينِ على الخَيلِ نَجَسْ[٧]

وإنَّمــا أداتُه إذا جَلَسْ ... الكلبتان والعَــلاةُ والقَبَسْ

وكان اسم المزنوق فَرَسِ عامر بن الطفيل : الكلب .

---

(١) هو صالح بن إسحاق الجرمى، مولى جرم بن ربان ، أخذ عن الأخفش ويونس وأبى عبيدة ، وحدث عنه المبرد ومات سنة ٢٢٥ . وفى الأصل : « أبو عمرو » وهو تحريف . انظر نزهة الألباء ١٩٨ وبغية الوعاة ٢٦٨ ووفيات الأعيان ١ : ٢٢٨ .

(٢) ط : « علمويه » . محرف . وانظر الحيوان ٢ : ٢٢٨ .

(٣) ط : « الرجاء » وهو تحريف .

(٤) ط : « من نحوره » .

(٥) ط : « كلبت قين » وهو تحريف . وفى ل : « بدم » بدل « أزم » وهو تحريف .

(٦) ل : « تستبر » .

(٧) ل : « لحس » وهو تحريف ، وأشهب يهجو بهذا الشعر الفرزدق . وانظر خبر الشعر فى خزانة الأدب ٢ : ٥١٠ بولاق .

وقد زعمت العلماء أنَّ حرب أيَّام هَراميت[١] إنَّما كان سببه كلب.

قال صاحب الديك: قد قيل للخوارج: كلاب النار، وللنوائح: كلاب النار.

وقد قال جَندلُ بن الراعى [لأبيه] فى وقوفِه على جرير: مالكَ تُطيل الوقوفَ على كلبِ بنى كليب؟!

وقال زفر بن الحارث:

ياكلبُ قد كَلِبَ الزَّمانُ عليكُمُ ... وأصابكمْ مِنَّا عذابٌ مُرسَلُ
إنَّ السَّماوة لاسماوةَ فالحقى ... بمَنابِتِ الزَّيتونِ وابْنِي بَحْدلُ[٢]
وبأرض علكٍّ فى السواحلِ إنَّها ... أرضٌ تذوبُ بها اللِّقاحُ وتُهزَلُ

وقال حُصين بن القعقاع[٣] يرثى عُتيبة بن الحارث:

بكَرَ النَّعيُّ بخيرِ خِنْدِفَ كلِّها ... بعُتيبةَ بنِ الحارثِ بن شِهابِ
قتلُوا ذُؤَاباً بعد مقتلِ سَبْعةٍ ... فشَفَى الغليلَ وريبةَ المرتابِ
يوم الحليس بذى الفَقَارِ كَأَنَّه ... كَلِبٌ بِضرب جماجِم ورِقابِ

وقال آخر[٤]:

لله درُّ بنى الحَدّاءِ مِنْ نَفَرٍ ... وكلُّ جارٍ على جيرانه كَلِبُ
إذا غَدوْا وعِصِيُّ الطَّلْحِ أرجُلُهم ... كما تَنَصَّبُ وسَطَ البِيعة الصُّلُبُ

وإذا كان العُود سريع العُلوق فى كلِّ زمانٍ أوْكلِّ أرض[٥]، أو

---

(١) يوم الهراميت كان بين الضباب وجعفر بن كلاب، وهو من أيام العرب فى الإسلام. وكان فى زمن عبد الملك بن مروان. معجم البلدان (هراميت) والعمدة لابن رشيق ٢ : ١٦٧. والحرب مؤنثة، وقد تذكر. القاموس.

(٢) ط: « جحدل » وكذلك فى ل. وأثبت مافى س والأغانى ١٧ : ١١٣.

(٣) ط: « حصين بن القا ».

(٤) هو بشر بن أبى خازم كما فى البيان ٣ : ٧٥. وانظر كلام الجاحظ فى هذا الشعر.

(٥) فى الأصل: « وكل أرض » والوجه ماأثبت.

فى عامّة ذلك قالوا : ما هو إلاّ كلب .

وقالوا : قال النبى صلى الله عليه وسلم [فى وزَرِ بنْ] جابر [1] حين خرجَ من عنـدِه واستأذنه إلى أهله : « نعم إن لم تدركْه أمُّ كلْبــة » يعنى الحمَّى .

وممَّا ذكروا به العضو من أعضاء الـكلب والـكلبة والخلق منهما أو الصفة الواحدة من صفاتهما ، أو الفعل الواحد من أفعالهما ، قال رؤبة :

* لاقيت مَطْلاً كَنُعَاسِ الْـكَلْبِ [2] *

يقول : مطلا مُقَرْمَطاً [3] دائما . وقال الشاعر فى ذلك :

يكون بها دليــلَ القومِ نَجمٌ   كَعينِ الـكلب فى هُبَّى قِبَاعِ [4]

قال : هذه أرضٌ ذات غبرة من الجدب [5] لا يبصر القوم فيها النجم ١٥٤ الذى يُهتَدى به إلاّ وهو كأنّه عين الـكلب ، لأنّ الـكلب أبداً مُغمِضٌ غير مطبق الجفون ولا مفتوحها . والهُبّى : الظلمة واحدها هابٍ ،والجمع هُبَّى مثل غازٍ وغُزَّى . والقِباع : التى قَبعت فى القتام ، واحدها قابع ، كما يقبَع القنفذ وما أشبهه فى جُحره . وأنشد لابن مقبل :

ولا أطرقُ الجاراتِ باللّيل قابعاً   قُبُوعَ القَرنْبى أخلفته مجاعره [6]

والقبوع : الاجتماع والتقبُّض . والقَرنْبَى : دُوَيْبَّة أعظم من الخُنَفساء .

(١) كان ممن وفد مع زيد الخيل إلى الرسول . وانظر الحيوان ٢ : ٣٠٨ .
(٢) للثعالبى قول فى هـذا البيت بثمار القلوب ٣١٦ ، وانظر أمثال الميدانى (أنوم من كلب) ٢ : ٢٨٠ .
(٣) فى ط : « مقرطقا » وليس له معنى يصح . وأصل القرمطة : مقاربة الخطو .
(٤) ط : « هبا » والصواب فى ل. وانظر الميدانى (كعين الـكلب الناعس) .
(٥) ط : « الحر » .
(٦) فى الأصل : « أسلمته مجاحره » وانظر ص ٢٣٨ من هذا الجزء .

(شعر فى الهجاء له سبب بالكلب)

وقال الآخر فى صفة بعض ما يعرض له من العيوب :

ما ضَر تغلبَ وائلٍ أهجوتَها أم بُلتَ حيثُ تناطَحَ البحرانِ
إنّ الأَراقم لا ينالُ قديمَـها كلبٌ عَوَى متهتِّم الأسْنانِ [1]

وقال الشاعر فى منظور بن زَبَّان :

لبئس ما خلَّفَ الآباءُ بعدَهُمُ فى الأُمَّهاتِ عِجَانُ الكَلْبِ مَنْظورُ

ومن هذا الضرب قول الأعرابىّ [2] :

لقد شَانَ صغرى والياها وزَيَّنَا لصغرى فتًى من أهلها لا يَزينها
كلاب لعاب الكلب [3] إن ساق هَجْمة يعـذِّب فيها نفسَـه ويُهينُها

وقال عمرو بن معديكرب [4] :

لحا اللهُ جَرْمًا كلَّما ذَرَّ شارِق وجوهَ كِلابٍ هارشَتْ فازبأَرَّتِ

وقال أبو سفيان بن حرب :

ولو شئتُ نجَّتنى كُميتٌ طِمِرَّةٌ ولم أجْعَل النَّعماءَ لابن شَعوب
ومازال مُهرى مَزْجَرَ الكلبِ مِنهمُ لدنْ غدوةً حتّى دنَتْ لِغُروبِ

وقال عبد الرحمن بن زياد :

---

(١) ل : « لن ينال قديمها » . والشعر للفرزدق كما فى البيان ٣ : ٢٤٨ . وقد سبق البيت الأول ص ١٣ .

(٢) من هنا يبتدئ سقط كبير فى ل ، وسأنبه على نهايته .

(٣) كذا

(٤) له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٣٨٨ - ٣٩٠ والبيت من أبيات فيها . وانظر تنبيه البكرى ٤٢ وحماسة أبى تمام ١ : ٤٣ ومعجم البكرى ٢٨ - ٢٩ .

دعَتْه بمسرُوق الحديث وظالعٍ … من الطرف حتى خاف بَصبصةَ الكَلبِ

وقال شريح بن أوس(١) :

وعيَّرْتَنا تمْرَ العراقِ ونخْلَه … وزادُك أير الكَلْبِ شيَّطه الجمرُ

وقال آخر(٢) وهو يهجو قوما : ١٥٥

فجاءا بخرشاوَى شعيرٍ عَلَيْهما … كراديسُ من أوصالِ أعقدَ سافدِ

وقال الحارث بن الوليد :

ذهب الذين إذا رأونى مُقبِلاً … هَشُّوا وقالُوا : مَرحباً بالمقْبِلِ

وبقيتُ فى خَلْفٍ كأنَّ حديثَهم … وَلْغُ الكلاب تهارَشَتْ فى مَنْهَل

وقال سَبْرة بن عمرو الفقعسىّ ، حين ارتشى ضَمْرة النهشلى ، ونفر عليه عباد بن أنف الكلب الصيداوىّ(٣) فقال سبرة :

يا ضَمْرُ كيف حكمتَ أُمُّك هابلٌ … والحكْمُ مَسئول به المتعمَّدُ

أحفِظتَ عهداً أم رَعيت أمانةً … أم هل سمعتَ بمثلها لا يُنشدُ

شَنعاءَ فاقِرة تجلِّلُ نهشلاً … دَنَساً تَغُور به الرفاق وتُنْجِد

إنَّ الرِّفاقَ أمال حكمك حبُّها … فلك اللقاء وراكبٌ متجرِّد

فضح العشيرةَ واستمرَّ كأنّه … كلبٌ يبصبِص للعِظال ويَطْرُدُ

لا شيءَ يعدِلُها ولكنْ دونَها … خَرْطُ القَتادِ تَهابُ شوكَتَها اليدُ

جوْعانُ يلحَس أَسكَتَا زيفيَّة … غَلِمٌ يشورُ على البراثن أَعْقَدُ

وقال مزرِّدُ بن ضرار :

وإنَّ كناز اللَّحْمِ من بَكَرَاتِكمْ … تَهِرُّ عليها أُمُّكمْ وتُكالِبُ

(١) الشعر فى هجاء أبى المهوش الأسدى . وقد سبق القول فيه ص ٢٦٨ .

(٢) هو اللعين المنقرى كما فى ص ٢٦٢ .

(٣) ط : « عبادة » . وفى أمالى المرتضى ٣ : ٤٠ « عباد بن أنف الكلبى » ، محرفة .
وفى الأصل : « الصيدانى » ، وإنما هو منسوب إلى بنى الصيداء . المعمرين ٤٣ .

وليتَ الذى ألقى فناؤك رحلَه   لتَقرِيَه بالتْ عليـه الثَّعالبُ

وهذان البيتان من باب الاشتقاق لامن باب الصفات وذِكْرِ الأعضاء .

وقال :

ياسـبْرُ ياعبدَ بنى كِلابِ   يا أيرَ كلبٍ مُوثَقٍ بِبابِ
أكان هـذا أوّلَ الثّوابِ   يا وَرَلاً رَقْرَقَ فى سرابِ
* لا يَعْلِقَنْـكُمْ ظُفرى ونَابِى *

وقال الآخر (١) :

كأنّ بنى طُهَيّةَ رهطَ سَلْمَى   حجارةُ خارِئٍ يَرمى الـكِلابَا

١٥٦ وقال صاحب الـكلب : ومما اشتقّ من اسم الـكلب فى موضع النباهة ، كليب بن ربيعة ، هو كليب وائلٍ . ويقال إنّه قِيل فى رجلين من بنى ربيعة مالم يُقَلْ فى أحدٍ من العرب ، حتَّى ضُرب بهما المثل ، وهو قولهم : « أعزُّ من كليبِ وائل » ، والآخر : « لا حرَّ بوادِى عَوْف » .

قالوا : وكانت ربيعة إذا انتجعت معه لم توقد ناراً ولم تحوِّضْ حوضاً ، وكان يحمى الـكلأ ولا يُتَـكَلَّمُ عندَهُ إلاَّ خفضا ، ويجير الصـيد ويقول : صيدُ أرضِ كذا وكذا فى جوارى لايباح . وكان له جرو كلب قد كَتَعه (٢) فربما قذَف به فى الروضة تعجبُه ، فيحميها إلى منتهى عوائه ، ويلْقيه بحريم الحوض فلا يرِدُه بعير حتَّى تصدُرَ إبله .

---

(١) هو جرير كما فى البيان ٢ : ٢٥٠ . وللبيت حديث فيه . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .
(٢) كتعه بمعنى شد قوائمه . وانظر أمثال الميدانى ١ : ٤٤٦ والثمار ٧٧ .

(ما قيل من الشعر فى كليب)

وفى ذلك يقول معبَد بن شعبة التميمى[١] :

أظنَّ ضِرارٌ أنَّنى سأُطيعه ... وأنِّى سأُعطيه الذى كنتُ أمنعُ

إذِ اغرورقت عيناه واحمرّ وجهُه ... وقد كادَ غيظاً وجهُه يتبضَّع[٢]

تقدَّم فى الظلم المُبيِّن عامِداً ... ذراعاً إذا ماقُدِّمَتْ لك إصبع[٣]

كفعلِ كُليبٍ كنت أنبئت أنَّه ... يخلط أكلاءَ المِياه ويَمنَعُ[٤]

يُجير على أفناءِ بكرِ بن وائل ... أرانب ضاح والظباءَ فترتَعُ

وقال دريد بن الصمة :

لعمرُكَ ما كُليبٌ حين دلّى ... بحبلٍ كلبَه فيمن يميحُ[٥]

بأعظمَ من بنى سفيان بَغْياً ... وكلٌّ عدوِّهم منهم مريح[٦]

وقال العبّاس بن مرداس :

كما كان يبغيها كليبٌ بظلمِه ... من العزِّ حتى طاح وهو قَتيلُها

على وائل إذْ يُنزِل الكلب مائحا ... وإذ يُمنَع الأكلاءَ منها حلولُها[٧]

وقال عباس أيضاً لكُليب بن عهمة الظفرىّ[٨] :

---

(١) هنا ينتهى السقط فى ل .

(٢) ط : « يتبتع » .

(٣) ل : « إذا ماأرخيت لك إصبع » .

(٤) (يخلط) لعلها (يحلىُ) .

(٥) ط : «كليبة فيمن يميح » .

(٦) ط : « منه » .

(٧) ط : « يبرك الكلب » وتصحيحه من ل . وفى ل : « فيها حلولها » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط : « عيمة » وفى الإصابة ٧٤٤٨ : « عميمة » .

أ كُليبُ إنَّكَ كلَّ يوم ظالمٌ والظلمُ أنكدُ وجْهُه ملعونُ
تبغِى بقَومِك ما أرادَ بوائل يومَ الغديرِ سَمِيُّكَ المطعونُ
وإخالُ أنَّك سوفَ تَلْقَى مثلَها فى صَفْحتَيك سنانُه المسنونُ(١)

١٥٧ وقال النابغة الجعدى :

كليبٌ لَعمرى كان أكثرَ ناصِراً وأيسرَ ذنباً منك ضُرِّجَ بالدَّمِ
رمَى ضَرْع نابٍ فاستمر بطَعْنةٍ كحاشيةِ البُرد اليمانى المسهَّم

وقال قَطِران العبشَمىُّ ، [ويقال العبشى(٢)] :

ألم تر جسَّاسَ بن مُرَّة لم يَرِدْ حِمَى وائلٍ حَتَّى احتداه جَهولُها(٣)
أجرَّ كليباً إذ رمى النابَ طعنةً جدَت وائلا حتَّى استخفَّت عقولها(٤)
بأهون مما قلت إذ أنت سادِرٌ وللدَّهرِ والأيَّامِ والٍ يُديِلها(٥)

وقال رجل من بنى هلال بن عامر بن صعصعة(٦) :

نحن أَبَسْنَا تغلبَ ابنةَ وائلٍ بقتل كُليبٍ إذ طغى وتَخيَّلا(٧)
أبأناه بالنَّابِ التى شقَّ ضَرعها فأصبحَ موطوءَ الِحمى متذلِّلا(٨)

وقال رجل من بنى سَدوس :

وأنت كليبىٌّ لـكلبٍ وكلبةٍ لها حولَ أطنابِ البيوتِ هَريرُ

---

(١) ل : « سنانها مسنون » .
(٢) كذا . ولعله « العبسى » .
(٣) ط : « اعتداه » .
(٤) ط : « حدت وائلا » .
(٥) ط : « دال » .
(٦) فى الأغانى ١٤ : ١٤١ : « وقال رجل من بنى بكر بن وائل فى الإسلام ، وهى تنسب للأعشى » .
(٧) أبسنا : قهرنا وأذللنا . وفى ط : « تحوز النساء » وهو تحريف .
(٨) أبأناه : جعلناه عدلا فقتلناه بها . وفى ط : « أثابته بالناب » وليس بشىء .

وقال ابن مقبل العَجلانى :

بكتْ أمُّ بكرٍ إذْ تبدَّدَ رهطُها ... وأَنْ أصبحوا منهم شَريد وهالك
وإنَّ كلا حيَّيكِ فيهم بقية ... لوَ انَّ المنايا حالهُـا متماسك (١)
كلاب وكعب لايبيت أخوهم ... ذليلاً ولا تَعيِى عليه المسالك (٢)

وقال رجل من بنى كلاب من الخوارج (٣) ، لمعاوية بن أبى سفيان :

قد سِرتَ سَيْرَ كُليبٍ فى عشيرتِه ... لوكان فيهم غلامٌ مثلُ جسَّاسِ
الطاعن الطعنة النجلاء عانِدُها ... كطرّة البرد، أعيافتقُها الآسى (٤)

(أهون من تبالة على الحجاج)

وقال أبو اليقظان فى مثل هذا الاشتقاق : كان أوَّل عمل وليه الحجّاج بن يوسف تَبالة ، فلما سار إليها وقرُب منها قال للدليل : أين هى ، وعلى أىّ سمت هى ؟ قال : تسترك عنها هذه الأكمة . قال : لا أُرانى أميراً إلاَّ على موضعٍ تسترنى منه أكمة ، أهوِنْ بها علىّ ؟ ! وكرَّ راجعا ، فقيل فى المثل : « أهْوَنُ مِنْ تَبَالَةَ عَلَى الحَجاج » .

والعامة تقول : لهو أهونُ عَلَىَّ من الاعراب على عركوك (٥) . ١٥٨

---

(١) ل : « وإن كلى حييك منهم » وهو تحريف .
(٢) ل : « ولا تعيا عليه المسالك » .
(٣) فى نوادر أبى زيد ١٥١ أن قائل الشعر هو بشير بن أبى العبسى .
(٤) العائد : العرق يسيل فلا يرقأ . وفى ط : « عائذها » وهو تحريف ، وفى ل : « عن عرض » . وفى النوادر : « يعيا فتقها » بنصب « فتقها » ، قال : أراد يعيا بفتقها . بهذا ينتهى الجزء الأول من النسخة التى رمزت إليها بحرف ل ، وتستمر المقابلة على النسخة س .
(٥) كذا .

(الحجاج والمنجّم حينما حضرته الوفاة)

قال : ولمّا حضرت الحجاجَ الوفاةُ وقد ولىَ قبل ذلك ما ولىَ ، وافتتح ما افتتح ، وقتل من قتل ، قال للمنجِّم : هل ترى مِلكًا يموت ؟ قال : نعم ولستَ به ، أرى مِلكا يموتُ اسمه كُليب ، وأنتَ اسمُك الحجَّاج. قال : فأنا والله كليبٌ ، أُمّى سمَّتْنى به وأنا صبىّ . فمات ، و [كان] استخْلَفَ على الخراج[1] يزيد بن أبى مسلم ، وعلى الحرب يزيد بن أبى كبشة .

(ما كان العرب يسمُّون به أولادهم)

قال : والعرب إنَّما كانت تسمِّى بكلب ، وحمار ، وحجر ، وجُعَل ، وحنظلة ، وقرد ، على التفاؤل بذلك . وكان الرجل إذا وُلد له ذكر خرج يتعرّض لزجر الطير والفأل ، فإن سمع إنساناً يقول حجراً ، أو رأى[2] حجراً سمَّى ابنَه به وتفاءل فيه الشدَّة[3] والصلابة، والبقاء والصبر ، وأنَّه يحطم ما لقى . وكذلك إن سمع إنساناً يقول ذئباً أو رأى ذئبا ، تأوَّل فيه الفطنة والخِبَّ والمكرَ والكسب . وإن كان حماراً تأوَّل فيه طولَ العُمر والوقاحة والقوَّة والجَلَد . وإن كان كلباً تأوَّل فيه الحِراسة واليَقَظة وبُعْدَ الصوت ، والكسبَ وغير ذلك .

---

(١) فى الأصل : « الخوارج » وهو تحريف . انظر المعارف لابن قتيبة ١٧٤ . وقد زدت كلمة كان ليستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « ورأى » .

(٣) لعلها « بالشدة » فإن الفعل يتعدى بالباء . وانظر الاشتقاق ٤ — ٦

ولذلك صوَّر عبيد الله بن زياد فى دِهليزه كلباً وكبشاً وأسداً، وقال : كلب نابح ، وكبش ناطح ، وأسد كالح . فتطيَّر إلى ذلك فطارت عليه .

وقال آخر : لو كان الرجل منهم إنَّمـا كان يسمِّى ابنَه بحجر وجبل ، وكلب ، وحمار ، وثور ، وخنزير ، وجُعَل ، على هذا المعنى فهلاَّ سَمَّى ببِرْذون(١) ، وبغل ، وعُقاب ، وأشباه ذلك ؛ وهذه الأسماء من لغتهم .

قال الأوّل : إنَّما لم يكن ذلك ، لأنَّه لا يكاد يرى بغلا وبِرذونا ، ولعلَّه لا يكون رآهما قط ، وإن كانت الأسماء عندهم عتيدة لأمورٍ لعلّهم يحتاجون إليها يوما ما .

قالوا : فقد كان يسمع بفرس وبعير ، كما كان يسمع بحمار وثور ، وقد كان يستقيم أن يشتقَّ منهما اشتقاقات محمودة . بل كيف صار ذلك كذلك ونحن نجده يسمِّى بنجم ولا يسمِّى بكوكب ! إلاَّ أنَّ بعضَهم قد سَمَّى بذلك عبداً له ، وفيه يقول :

كَوْكَبُ إنْ مُتُّ فَهْىَ مِيتَتِى لا مُتّ إلاَّ هَرِماً يا كَوْكَبُ

ووجدناهم يسمون بجبل وسَنَد ، وطَود(٢) ، ولا يسمُّونَ بأُحُد ولا بثَبير وأجإٍ وسلمى ورَضوى ، وصِنْدِد وحِميم(٣) ، وهو تلقاء عيونهم متى أطلَعوا رءُوسَهم من خيامهم . ويسمونَ ببُرْج ولا يسمون بفَلَك ، ويسمون بقَمر وشمس عَلَى جهة اللقب أو على جهة المديح، ولم يسمُّوا بأرض وسماء ، وهواءٍ ١٥٩ وماء ، إلاَّ على ما وصفنا . وهذه الأصول فى الزجر أبلغ ، كما أنَّ جبلاً أبلغُ

---

(١) فى الأصل : « سمى برذون » والوجه ما أثبت .

(٢) فى ط : « طور » وهما بمعنى .

(٣) لعله « حنين » وجبال حنين يقول فيها القائل :

سقونى وقالوا لاتغن ولو سقوا (جبال حنين) ماسقيت لغنت

من حجر ، وطودا[١] أجمع من صخر . وتركوا أسماءَ جبالهم المعروفة .

وقد سمَّوا بأسد وليث وأُسامةَ وضِرغامة[٢] . وتركوا أن يسمُّوا بسبع وسبعة . [وسبع][٣] هو الاسم الجامع لكلٍّ ذى ناب ومخلب .

قال الأوّل : قد تسمَّوا أيضاً بأسماء الجبال ، فتسمَّوْا بأبَان وسَلْمَى .

قال آخرون : إنَّما هذه أسماء ناسٍ سمَّوا بها هذه الجبال ، وقد كانت لها أسماءٌ تركت لثقلها ، أو لعلَّة من العلل ؛ وإلاَّ فكيف سمَّوا[٤] بسلمى وتركوا أجأ ورَضوى .

وقال بعضهم : قد كانوا ربَّما فعلوا ذلك على أن يتَّفق لواحدٍ وَلودٍ ولمعظَّمٍ جليل ، أن يسمع أو يرى حمارا ، فيسمِّى ابنه بذلك ؛ وكذلك الكلب والذئب ، ولن يتفق فى ذلك الوقت أن يسمع بذِكر فرس ولا حِجْر أو هواء أو ماء ؛ فإذا صار حمار ، أو ثور ، أو كلب اسمَ رجل معظَّم ، تتابعت عليه العرب تَطِيرُ إليه ، ثم يكثر ذلك فى ولده خَاصَّةً بعده . وعلى ذلك سمَّت[٥] الرعية بنيها وبناتِها بأسماء رجال الملوك ونسائهم ، وعلى ذلك صار كلُّ علىٍّ يكنى بأبى الحسن ، وكل عُمَر يكنى بأبى حفص ، وأشباه ذلك. فالأسماء ضروب ، منها شىء أصلىٌّ كالسَّماء والأرض والهواء والماء والنار ، وأسماءٌ أخَرُ مشتقَّاتٌ منها على جهة الفأل ، وعلى شكل اسم الأب ، كالرجل

---

(١) فى ط : « وطور » وهما بمعنى .

(٢) الضرغام والضرغامة والضرغم كجعفر : الأسد .

(٣) زيادة يقتضيها الكلام .

(٤) ط : « بسموا » وصوابه فى س .

(٥) فى الأصل : « سميت » وهو تحريف ما أثبته .

يكون اسمه عمر فيسمى ابنَه عميرا ، ويسمِّى عميرٌ ابنَه عِمران ، ويسمِّى عمرانُ ابنَه مَعْمَرًا . وربَّما كانت الأسماء بإسماء الله عزَّ وجلّ مثل ما سمى الله عز وجل أبا إبراهيم آزر ، وسمَّى إبليس بفاسق ، وربّما كانت الأسماء مأخوذةً من أمورٍ تحدثُ فى الأسماء ؛ مثل يوم العَرُوبة سمِّيت فى الإسلام يوم الجمعة ، واشتُقَّ له ذلك من صلاة يوم الجمعة .

(ما ترك الناس من ألفاظِ الجاهلية)

وسنقول فى المتروك من هذا الجنس ومن غيره ، ثم نعودُ إلى موضعِنا الأوّلِ إن شاء الله تعالى .

ترك النّاسُ مما كان مستعملاً فى الجاهلية أموراً كثيرة ، فمن ذلك تسميتُهم للخَراج إتاوة ، وكقولهم للرشوة ولما يأخذه السُّلطان : الُحملان والَمكْس . وقال جابر بن حُنَىّ(١) :

أفى كلِّ أسواقِ العِراقِ إتاوةٌ ... وفى كلِّ ما باع امرؤٌ مَكْسُ دِرهَمِ

وكما قال العبدىُّ فى الجارود(٢) :

أيا ابن المعلَّى خِلتَنا أم حسبتَنا ... صَرَارِىَّ نُعطِى الماكسِينَ مُكوسا(٣)

---

(١) فى الأصل : « خارجى » وهو تحريف عجيب . والبيت فى اللسان (مكس) ، وقصيدته فى المفضليات ٢٠٩ — ٢١٢ .

(٢) العبدى هو يزيد بن خذاق : كما فى المفضليات ٢٩٨ . والجارود هو ابن المعلى ، صحابى كان سيد عبد القيس ، قدم على الرسول فى وفد عبد القيس الأخير سنة عشر وأسلم وحسن إسلامه ، وابنه المنذر بن الجارود ، وحفيده الحكم بن المنذر بن الجارود الذى يقول فيه الأعشى :

ياحكم بن المنذر بن الجارود ... سرادق المجد عليك ممدود

قتل الجارود سنة إحدى وعشرين فى خلافة عمر . الإصابة ١٠٣٨ .

(٣) ط : « أكابر » ، س : « أكابن » . وانظر المفضليات .

١٦٠ وكما تركوا انْعَمْ صباحاً، وانْعَمْ ظلاما، وصاروا يقولون: كيف أصبحتم؟ وكيف أمسيتم ؟

وقال قيس بن زُهير بن جذيمة، ليزيد بن سنان بن أبي حارثة: انعَمْ ظَلاماً أبا ضَمْرة! قال: نعمتَ فمن أنت؟ قال: قيس بن زهير.

وعلى ذلك قال امرؤ القيس:

ألا عِمْ صَباحاً أيُّها الطَّلَلُ البالِي ... وهَلْ يَعِمَنْ مَن كان في العُصُرِ الخالِي

وعلى ذلك قال الأوَّل[1]:

أتوْا نَارِي فقلتُ مَنُونَ قالوا ... سَرَاة الجنِّ قلتُ عِمُوا ظَلَامَا

وكما تركوا أن يقولوا للملك أو السَّيِّد المطاع: أبيت اللعن، كما قيل[2]:

* مَهْلاً أبيتَ اللّعنَ لا تأكُلْ مَعَهْ *

وقد زعموا أن حُذَيفةَ بنِ بدرٍ كان يُحَيَّا بتحيَّة الملوك ويقال له: أبيت اللّعن. وتركوا ذلك في الإسلام من غير أن يكون كفراً.

وقد ترك العبْد أنْ يقول لسيده ربِّي، كما يقال ربُّ الدار، وربُّ البيت. وكذلك حاشية السيِّد والمِلك تركوا أن يقولوا ربّنا. كما قال الحارث بن حلّزة:

ربُّنا وابننا وأفضَلُ مَنْ يمـ ... ـشِي ومَن دُونَ مَا لدَيهِ الثّناءُ

---

(١) البيت لشمير (أو سمير) بن الحارث الضبى كما في النوادر ١٢٣ وخزانة الأدب ٣ : ٣ بولاق.

(٢) البيت للبيد من أبيات لها خبر في الأغاني (١٤ : ٩١ - ٩٢).

وكما قال لبيد حين ذكر حُذَيفة بن بدر :

وأهلكْنَ يوماً ربَّ كِنْدَةَ وابنَه ... وربَّ معَدٍّ بين خَبْت وعَرْعَرِ

وكما عيّر زيدُ الخيل حاتماً الطائىّ فى خروجه من طيِّئ ومن حرب الفساد ، إلى بنى بدر ، حيث يقول[1] :

وفرَّ من الحَرْبِ العَوانِ ولم يكُنْ ... بها حاتم طَبًّا ولا متطبِّبا

وريب حصنا بعْدَ أن كان آبياً ... أبُوّة حِصْنٍ فاستقالَ وأعتَبَا

أقِمْ فى بنى بدر ولا ما يهمنا ... إذا ماتقضَّت حربُنا أنْ تطربا

وقال عوف بن محلَّم[2] ، حين رأى الملك : إنّه ربى وربّ الكعبة . وزوجُه أمُّ أناس بنت عَوف .

وكما تركوا أن يقولوا لقُوّام الملوك السَّدَنة وقالوا الحَجَبَة[3] .

وقال أبو عُبيدة مَعْمر بن المثنَّى عن أبى عبد الرحمن يونس[4] بن حبيب النحوى حين أنشدَه شعر الأسدىّ :

٩٦١ ومركضة صريحى أبوها ... تُهان لها الغلامة والغلامُ[5]

---

(١) حرب الفساد كانت فى الجاهلية بين جديلة والغوث . وانظر خمسة دواوين العرب ١٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٧) وأمثال الميدانى (٢ : ٣٥٨) .

(٢) هو الذى يقال فيه : « لاحر بوادى عوف » . أمثال الميدانى ٢ : ١٦٧ . وهو من بنى ذهل بن شيبان ، ومن أشراف العرب فى الجاهلية توفى نحو ٤٥ ق . ه . قاموس الأعلام ٧٤٧ . وهو غير عوف بن محلم الخزاعى ، فإن هذا إسلامى كان ينادم طاهر بن الحسين وابنه عبد الله ، وفارقه بقصيدته المشهورة التى فيها :

إن الثمانين وبلغتها ... قد أحوجت سمعى إلى ترجمان

(٣) فى الأصل : « بالسدنة وقالوا لجحية » وهو تحريف .

(٤) فى الأصل : « عن أبى عبد الرحمن بن يونس » وكلمة « ابن » مقحمة ، فإن أبا عبد الرحمن كنية يونس بن حبيب كما فى بغية الوعاة ٩٣٥ والمعارف ٢٣٥ وقد أخذ عنه أبو عبيدة كما فى البغية ٣٩٥ . توفى يونس سنة ١٨٢ عن ثمان وثمانين سنة .

(٥) الجوهرى : صريح : اسم فحل منجب . وأنشد هذا البيت .

قال: فقلت له : فتقول : للجارية غلامة ؟ قال : لا ، هذا من الكلام المتروك، وأسماؤه زالت مع زوال معانيها، كالمِرباع ِ والنَّشيطة وبقى [1] الصَّفايا ؛ فالمرباع : رُبع جميع الغنيمة الذى كان خالصاً للرئيس ، وصار فى الإسلام الخمس ، على ماسنَّه الله تعالى . وأما النَّشيطة فإنَّه كان للرئيس أن ينشِط عند قِسمة المتاع العِلْقَ النفيسَ يراه إذا استحلاه . وبقى [1] الصَّفِيّ وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من كل مَغْنَم ، وهو كالسيف اللَّهذَم [2] والفرسِ العتيق ، والدرع الحصينة ، والشيء النادر .

وقال ابن عَنَمة الضبّى [3] حليف بنى شَيبان ، فى مرثيته بِسطام ابن قيس :

لك المِرباعُ منها والصَّفايا وحُكمُك والنَّشِيطَةُ والفُضولُ

والفُضول : فضول المقاسم ، كالشىء إذا قسم وفضَلت فَضلةٌ استهلكت ، كاللؤلؤة ، والسيف ، والدِّرْع ، والبيضة ، والجارية ، وغير ذلك .

(كلمات إسلامية محدثة)

وأسماءٌ حدثت ولم تكن ، وإنَّما اشتقَّت لهم من أسماءٍ متقدِّمة ، على التشبيه ، مثل قولهم لمن أدركَ الجاهليَّة والإسلام مُخَضرم كأبى رجاءٍ العُطاردىِّ [4] ، بن سالمة [1] ، وشقيق بن سالمة ؛ ومن الشعراء النابغة الجعدىُّ

---

(١) كذا ولعلها «نق» .

(٢) س : « الهذام » وهما بمعنى .

(٣) ط : « ابن غنمة » وصوابه فى س . وابن عنمة هذا هو عبد الله ، وهو ممن شهد القادسية ، والبيت من أبيات ثمانية رواها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٤٢٠ .

(٤) لأبى رجاء ترجمة فى الإصابة ج ٧ : ٧٢ واسمه عمران بن ملحان أو ابن تيم .

وابن مقبل ، وأشباههم من الفقهاء والشعراء . ويدلُّ على أنَّ هذا الاسم أحدث فى الإسلام ، أنَّهم فى الجاهليَّة لم يكونوا يعلمون أنَّ ناساً يسلمون وقد أدركوا الجاهليَّة ، ولا كانوا يعلمون أنَّ الإسلام يكون .

ويقال إنَّ أوَّلَ من سمَّى الأرضَ التى لم تُحفَر قطُّ ولم تحرثْ إذا فعل بها ذلك مظلومة ، النابغةُ حيث يقول :

إلّا الأواريَّ لَأْيًا ما أبيِّنُها والنؤىَ كالحوضِ بالمظلومَةِ الجَلَدِ

ومنه قيل سِقاءٌ مظلوم إذا أعجل عليه قبل إدراكه . وقال الحادرة :

ظلَمَ البِطاحَ له انهلالُ حَرِيصةٍ فصفَا النِّطافُ له بُعيْدَ المَقْلَعِ

وقال الآخر :

قالتْ له ميٌّ بأعلَى ذِى سَلَمْ لو ما تَزُورُنا إذا الشعْبُ أَلمّْ

* ألا بلَى يامىّ واليومُ ظلَمْ[1] *

يقول ظلم حين وضعَ الشيءَ فى غير موضعه . وقال الآخر : ١٦٢

* أنا أبو زينب واليومُ ظلَمْ[2] *

وقال ابن مقبل :

عادَ الأذلَّةُ فى دارٍ وكان بها هرُتُ الشَّقَاشِق ظَلَّامُونَ للجزُرِ

وقال آخر :

وصاحبِ صدقٍ لم تَنلنى أذاته ظلَمْتُ رفى ظُلْمِى له عامدًا أجْرُ

وقال آخر :

لايَظلِمون إذا ضِيفوا وِطابَهُمُ وهم لجودهمُ فى جُزْرِهم ظلمُ

---

(١) اليوم ظلم : أى حقا كما تقول لاجرم أى حقا . وانظر اللسان (ظلم) والرجز فيه .
(٢) فى الأصل : « والنوم ظلم » ، وانظر التنبيه السابق .

وظلم الجزور: أن يعرقبوها ، وكان فى الحقّ أن تُنحر نحراً . وظلمهم الجزُر[١] أيضا أن ينحروها صِحاحا سماناً لاعلَّة بها .

قال : ومن ذلك قولهم: الحرب غَشوم ؛ وإنّما سمِّيت بهذا لأنّها تنال غير الجانى .

قال : ومن ذلك قولهم : « مَنْ أَشْبَهَ أباه فما ظَلَم » ، يقول : قد وضع الشبه فى موضعه .

ومن المحدَثِ المشتقِّ ، اسم منافق لمن رَاءَى بالإسلام واستسرَّ بالكفر أُخذ ذلك من النافقاء والقاصعاء والدامَّاء[٢] ، ومثل المشرك والكافر ، ومثل التيمُّم . قال الله تعالى : ﴿ فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ أى تحرَّوْا ذلك وتوخَّوْه . وقال : ﴿ فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ ﴾ فكثُر هذا فى الكلام حتَّى صار التيمُّم هو المسح نفسُه . وكذلك عادتهم وصنيعهم فى الشيءِ إذا طالتْ صُحبتهم وملابستهم له[٣] .

وكما سمَّوا رَجيع الإنسان الغائط ، وإنّما الغيطان البطون التى كانوا ينحدرون فيها إذا أرادوا قضاءَ الحاجة للستر .

ومنه العَذِرة ، وإنّما العذِرة الفناءُ ، والأفنية هى العَذِرات ، ولكن لما طال إلقاؤهم النَّجْو والزِّبل فى أفنيتهم ، سمِّيت تلك الأشياء التى رَموا بها ، باسم المكان الذى رميت به . وفى الحديث : « أَنْقُوا عَذِرَاتكم » . وقال ابن الرقيَّات :

رَحِمَ اللهُ أَعْظُمًا دَفَنُوها بِسِجِسْتَان طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ[٤]

---

(١) فى الأصل : « الجزور » والوجه الجمع .

(٢) هى من أسماء جحرة اليربوع السبع . انظر اللسان (دمم) .

(٣) فى الأصل : « صحبته وملابسته له » .

(٤) طلحة الطلحات ، هو طلحة بن عبد الله الخزاعى ، أحد أجواد العرب توفى سنة ٦٥ . وانظر ص ٢٥٥ .

كان لا يحجُبُ الصديقَ ولا يع   تَلُّ بالبخلِ طيِّبَ العَذِرَاتِ

ولكنَّهم لكثرةِ ما كانوا يُلقون نجوَهم فى أفنيتهم سموها باسمها .

ومنه النَّجو : وذلك أنّ الرجل كان إذا أراد قضاءَ الحاجة تستَّر بنجوة. ١٦٣

والنَّجو : الارتفاع من الأرض، قالوا من ذلك : ذهب يَنْجُو، كما قالوا ذهب يتغوّط إذا ذهب إلى الغائط لذلك الأمر ، ثمَّ اشتقوا منه فقالوا إذا غسل موضع النجو قد استنجى .

وقالوا : ذهب إلى المخرَج ، وإلى المتوضَّأ ، وإلى المذهب، وإلى الخلاءِ ، وإلى الُحشّ ، وإنَّما الحشّ القطعةُ من النَّخل وهى الحِشّان . وكانوا بالمدينة إذا أرادوا قضاءَ الحاجة دخلوا النخل ؛ لأنَّ ذلك أستر ، فسموا المتوضأ الحشّ ، وإن كان بعيداً من النخل ؛ كلّ ذلك هربا من أن يقولوا ذهب للخَرْءِ، لأنَّ الاسم الخرءُ، وكل شيءٍ سواه من(١) ورجيع وبراز وزِبل وغائط فكله كناية .

ومن هذا الباب المَلَّةُ ، والمَلَّة موضع الُخبْزة، فسموا الُخبْزة باسم موضعها. وهذا عند الأصمعىِّ خطأ .

ومن هذا الشكل الراوية ، والراوية هو الجمل نفسه ، وهو حامل المزادة فسمِّيت المزادة باسم حامل المزادة . ولهذا المعنى سمَّوا حاملَ الشعر والحديث راوية .

ومنه قولهم : ساق إلى المرأة صَداقها . قالوا : وإنَّما كان يقال ذلك

---

(١) فى الأصل فراغ يتسع لكلمة واحدة .

حين كانوا يدفعون فى الصَّدَاق إبلا ، وتلك الإبل يقال لها النافجة.

وقال شاعرهم :

وليس تِلادى من وِراثةِ والدى ولا شادَ مالِى مُستَفاد النوافِجِ

وكانوا يقولون : تَهنِيك النافجة . قال : فإذا كانوا يدفَعون الصَّدَاقَ عينا ووَرِقا فلا يقال ساق إليها الصَّداق .

ومن ذلك أنَّهم كانوا يضربون على العروس البناء ، كالقبَّة والخيمة والخيام[1] ، على قدر الإمكان ، فيقال بنى عليها ، اشتقاقاً من البناءِ ، ولا يقال ذلك اليومَ . والعروس إمَّا أن تكون مقيمةً فى مكانها أَوْ تتحوّل إلى مكان أقدم من بنائها .

قال : ومن ذلك قولهم فى البَغىّ المكتسِبة بالفُجور : قَحْبة ، وإنَّما القُحَاب السعال . وكانوا إذا أرادوا الكناية عن من زنَتْ وتكسَّبت بالزنى ، قالوا قحبت أى سعلت ، كناية . وقال الشاعر :

* إنَّ السُّعَالَ هُوَ القُحَاب *

[وقال[2]] :

وإذا ما قحَبت واحـــدةٌ جاوبَ المبعِدُ منها[3] فَخَضَفْ

وكذلك كان كنايتهم فى انكشاف عورة الرجل ، يقال كشف علينا متاعَه وعَورته وشواره . والشّوار : المتاع[4] . وكذلك الفرج وإنَّما [يعنون[5]] الأَير والحِرَ والاسْت .

(١) كذا فى ط ، س ، م .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام .

(٣) ط : « فقحب » وأثبت ما فى س و م . ومعنى خضف ضرط .

(٤) فى القاموس : « والشوار مثلثة : متاع البيت » .

(٥) زيادة يقتضيها الكلام .

(كلمات للنبى صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدمه فيهن أحد)

وكلمات النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، لم يتقدَّمْه فيهنَّ أحد[١] : من ذلك ١٦٤
قوله : « إذاً لاينتَطِح فيها عَنْزان » . ومن ذلك قوله : «ماتَ حتْف أنفه » . ومن ذلك قوله : « ياخيلَ الله اركَبِى » ومن ذلك قوله : «كلُّ الصيَّدِ فى جَوفِ الفَرا » ، وقوله : « لايُلسَعُ المؤمنُ من جُحْرٍ مرتين » .

(شنشنة أعرفها من أخزم)

وقال عُمر رضى الله تعالى عنه : « شِنْشِنَةٌ أعرِفها من أخزمَ » ، يعنى شبه ابن العبَّاس بالعبَّاس . وأخزَم : فحل معروف بالكرم .

(مايكره من الكلام)

وأما الكلام الذى جاءت به كرَاهيةٌ من طريق الروايات ، فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « لايقولَنَّ أحدُ كم خَبثت نَفسى ولكن ليقلْ لَقِسَت نفسى » ، كأنه كره صلى الله عليه وسلم أن يضيف المؤمنُ الطاهرُ إلى نفسه الخُبث والفساد بوجهٍ من الوجوه .

وجاء عن عمر ومجاهد وغيرهما النهىُ عن قول القائل : استأثَر اللهُ بفُلان ، بل يقال مات فلان . ويقال[٢] استأثرَ الله بعلم الغيب واستأثر الله بكذا وكذا .

---

(١) انظر البيان ٢ : ١٥ — ١٦ وكتاب البغال ٢٢٣.

(٢) ط : « ولا يقال » وصوابه فى ل .

قال النَّخَعيّ : كانوا يكرهون أن يقال : قراءة عبد الله، وقراءة سالم وقراءَة أُبَيّ ، وقراءَة زيد . وكانوا يكرهون أن يقولوا سنَّة أبي بكر وعمر ، بل يقال سنَّة الله وسنَّة رسوله ، ويقال فلان يقرأ بوجْه كذا ، وفلان يقرأ بوجه كذا .

وكره مجاهد أن يقولوا مُسيجِد ومُصيحِف ، للمسجد القليل الذَّرْع ، والمصحف القليل الورق . ويقول : هم وإن لم يريدوا التصغير فإنَّه بذلك شبيه .

(وجوه تصغير الكلام)

وربَّما صغَّروا الشيء من طريق الشَّفَقة والرِّقَّة ، كقول عمر : أخافُ على هذا العُريب . وليس التصغير بهم يريد . وقد يقول الرجل : إنَّما فلانٌ أخَيِّي وصُدَيِّقي ؛ وليس التصغير له يريد . وذكر عمرُ ابنَ مسعود فقال كُنَيْفٌ مُلِئ علما[1] . وقال الحباب بن المنذر[2] يوم السَّقيفة : أنا جُذَيْلها المحكك ، وعُذَيقُها المرجَّب . وهذا كقول النبيّ صلى الله عليه وسلم لعائشة : الحُميراء ، وكقولهم لأبي قابوسَ الملك : أبو قُبيس . وكقولهم : دبَّت إليه دوَيْهِيَة الدهر ، وذلك حين أرادوا لطافة المدخل ودقَّة المسلك .

---

(١) كنيف : تصغير كنف ، بالكسر ، بمعنى الوعاء .

(٢) فى الأصل : « سلمة بن سلامة بن وقش » وقائل القول الآتى هو الحباب بن المنذر كما هو معروف ، وكما كتبه الجاحظ فى البيان ٣ : ٢٩٦ فى حديث يوم السقيفة . وانظر تاريخ الخضرى ١ : ٢٥٣ .

ويقال إنَّ كلَّ فُعيل فى أسماء العرب فإنَّما هو على هذا المعنى ، كقولهم المُعَيْدِىّ ، وكنحو سُليم ، وضُمَير ، وكليب ، وعُقير ، وجُعيل ، وحُميد ، وسُعيد، وجُبير؛ وكنحو عُبيد، وعُبيد الله، وعُبيد الرماح[1] . وطريق التحقير والتصغير إنَّما هو كقولهم : نُجيل ونُذيل . قالوا : ورُبَّ اسمٍ إذا صغَّرْته كان أملأَ للصَّدْر ، مثل قولك أبو عبيد الله ، هو أكبر فى السماع من أبى عبد الله ، وكعب بن جُعَيل ، هو أفخم من كعب بن جعل . وربَّما كان التصغير خِلقة ١٦٥
وبنية ، لايتغيَّر ، كنحو الحُمَيَّا والسُّكَيْتِ ، وجُنَيدة ، والقطيعا ، والمريطاء ، والسُّميراء ، والمليساء — وليس هو كقولهم القُصَيْرى ، وفى كبيدات السماء والثريّا .

وقال علىٌّ بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه : دققت البابَ على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : أنا ! كأنَّه كرِه قولى أنا .

وحدّثنى أبو علىٍّ الأنصارى ، وعبد الكَريم الغِفَارىّ قالا : حدَّثنا عيسى بن حاضر قال : كان عمرو بن عُبيد[2] يجلس فى دَاره ، وكان لايَدَع بابَه مفتوحا ، فإذا قرعَه إنسان قامَ بنفسه حتَّى يفتحه له . فأتيتُ الباب يومًا فقرعتُه فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا . فقال : ماأعرف أحداً يسمَّى أنا . فلم أَقُلْ شيئا وقمتُ خلفَ الباب ، إذ جاءَ رجلٌ من أهل

---

(١) كذا .

(٢) ط : « عبيدة » وصوابه فى س . وعمرو هذا من شيوخ المعتزلة ، وأحد الزهاد المشهورين وله أخبار مع المنصور ، توفى بمران سنة ١٤٤ ، ورثاه المنصور . قالوا ولم يسمع بخليفة رثى من دونه سواه . تاريخ بغداد ٦٦٥٢ والمعارف ٢١٢ .

خراسان فقرَع الباب ، فقال عمرو : مَن هذا ؟ فقال : رجلٌ غريبٌ قدِم عليك ، يلتمس العلم . فقام له ففتح له الباب . فلمَّا وجدْتُ فرجةً أردت أن ألجَ الباب ، فدفَع البابَ فى وجهى بعنُف ، فأقمتُ عنده أيَّاما[1] ثم قلت فى نفسى : والله إنِّى يومَ أتغضَّب على عمرو بن عُبيد ، لَغَيرُ رشيدِ الرأى . فأتيتُ البابَ فقرعته عليه فقال : من هذا ؟ فقلت : عيسى بن حاضر . فقام ففتح لى الباب .

وقال رجل عند الشَّعبىّ : أليس الله قال كذا وكذا ! قال : وما عَلَّمَك ؟ وقال الربيع بن خُثَيم : اتَّقُوا تكذيب الله ، ليتّق أحدكم أن يقولَ قال الله فى كتابه كذا وكذا ، فيقول الله كذبتَ لم أقلْه .

وقال عمر بن الخطَّاب رضى الله تعالى عنه : لايقل أحدُكم أهرِيقُ الماء ولـكن يقول أبول .

وسأل عمرُ رجلا عن شىء ، فقال : الله أعلم . فقال عمر : قد خَزينا إن كُنَّا لانعلم أنَّ الله أعلم ؛ إذا سُئِلَ أحَدُكم عن شىءٍ فإن كان يعلمه قاله ، وإن كان لايعلمه قال : لاعلم لى بذلك .

وسمعَ عمر رجلاً يدعو ويقول ؛ اللهمَّ اجعلْنى من الأقلِّين ! قال : ماهذا الدعاءُ ؟ قال : إنِّى سمعت الله عزّ وجلّ يقول : ﴿وقليلٌ مِنْ عِبادِىَ الشَّـكُور﴾ وقال : ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلاَّ قَلِيلٌ﴾ . قال عمر : عليك من الدعاءِ بما يُعرَف .

وكره عمر بن عبدالعزيز قولَ الرجل لصاحبه : ضعْه تحت إبطِك ، وقال :

---

(١) كذا .

هلاَّ قلتَ تحت يدِك وتحت مَنكِبك ! وقال مَرَّةً — وراثَ فرسٌ بحضْرة سليمان —[1] فقال : ارفَعوا ذلك النَّثِيل . ولم يقل ذلك الرَّوث .

وقال الحجَّاج لأمِّ عبد الرحمن بن الأشعَث[2] : عَمَدْتِ إلى مَالِ الله فوَضَعْته تحْتَ . كأنَّه كره أن يقول على عادة النـاس : تحت استك ، ١٦٦
فتلجلج خوفاً من أن يقول قَذَعاً أو رَفَثا ، ثمّ قال : تحتَ ذيلِك .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لايقولَنَّ أحدُكم لمملوكه عَبْدِي وأَمَتِي ، ولـكنْ يقول : فتَايَ وفتاتي ، ولا يقول المملوكُ ربِّي وربَّتِي ، ولـكن يقول سيِّدي وسيِّدتي » .

وكره مُطرِّف بن عبد الله ، قولَ القائل للـكلب : اللّهُمَّ أخْزِه .

وكره عِمران بن الحُصين ، أن يقولَ الرَّجلُ لصاحبه : «أنعَمَ اللهُ بك عيناً» ؛ و«لا أنعَمَ اللهُ بك عيناً » .

وقد كرهوا أشياءَ ممَّا جاءت في الروايات لا تُعرَف وجوهها ، فرأيُ أصحابنا : لايكرهونها . ولا نستطيع الردَّ عليهم ، ولم نسمع لهم في ذلك أكثرَ من الـكراهة . ولو كانوا يروون الأمورَ مع عللها وبرهاناتها خفَّت المؤنة ، ولـكنّ أكثر الروايات مجرّدة ، وقد اقتصروا على ظاهر اللفظ دونَ حكاية العلة ، ودون الإخبار عن البرهان . وإن كانوا قد شاهدوا النوعين مشاهدةً واحدة .

---

(١) هو سليمان بن عبد الملك ، وكان سليمان استوزر عمر ، وولى عمر الخلافة بعده بعهد منه .

(٢) في الأصل : « الأشعب » وهو تحريف . وكان لعبد الرحمن حروب قاوم فيها الحجاج وانتهت بقتل عبد الرحمن سنة ٨٥ هـ كان أهمها وقعة دير الجماجم التي دامت مائة وثلاثة أيام .

قال ابن مسعود وأبو هريرة : « لا تسمُّوا العِنَب الكَرْم ؛ فإنَّ الكَرمَ هو الرجلُ المسلم » .

وقد رفعوا ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وأمَّا قوله : « لا تسبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الدهر هو الله » فما أحسن ما فسَّر ذلك عبد الرحمن بن مهدي[1] قال : وجهُ هذا عندَنا ، أنَّ القوم قالوا : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ﴾ فلما قال القوم ذلك ، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : «ذلك الله». يعني أنَّ الذي أهلك القرونَ هو الله عزَّ وجلَّ ، فتوهم منه المتوهِّم أنَّه إنَّما أوقع الكلام على الدهر .

وقال يونس : وكما غلطوا في قول النبي صلى الله عليه وسلم لحسَّان : « قُلْ ومَعَك رُوح القُدُس » فقالوا : قال النبي صلى الله عليه وسلم لحسَّان : قُلْ ومَعَك جِبريل ؛ لأنَّ روح القدس أيضاً من أسماءِ جبريل . ألا ترى أنّ موسى قال : «ليتَ أنّ رُوحَ الله مع كلّ أحد»، وهو يريد العصمة والتوفيق . والنصارى تقول للمتنبِّي : معه روح دكالا[2] ، ومعه روح سيفرت[3] . وتقول اليهود : معه روح بَعلزَبول[4] ، يريدون شيطانا . فإذا كان نبيا قالوا : روحه روح القدس ، وروحه روح الله ، وقال الله عزَّ وجلّ : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ ، يعني القرآن .

---

(١) هو أبو سعيد عبد الرحمن بن مهدي بن حسان العنبري البصري، من أئمة حفاظ الحديث . قال الشافعي : لا أعرف له نظيراً في الدنيا . توفي بالبصرة ١٩٨ .

(٢) في رسائل الجاحظ ١٠٤ : « دلالا » .

(٣) في الرسائل : « شيقرة » .

(٤) في الأصل : « بلعربوث » وصوابه من إنجيل متى ١٠ : ٢٥ و ١٢ : ٢٤ ومرقس ٣ : ٢٢ ولوقا ١١ : ١٥ . وهو رئيس الشياطين . وفي الرسائل : « بلعد بوث » .

وسمع الحسن رجلاً يقول : طلع سُهيل وبَرُد الليل . فكره ذلك وقال : إنّ سهيلاً لم يأتِ بحرٍّ ولا ببردٍ قطُّ . ولهذا الكلام مجازٌ ومذهب ، وقد كره الحسنُ كما ترى .

وكره مالك بن أنس أن يقولَ الرجُلُ للغيم والسحابة : ما أخلقها للمطر ! وهذا كلام مجازه قائم ، وقد كرهه ابن أنس . كأنّهم من خوفهم عليهم العودَ
فى شىءٍ من أمر الجاهليّة ، احتاطوا فى أمورهم ، فمنعوهم من الكلام الذى فيه ١٦٧
أدنى متعلّق .

ورووا أنّ ابنَ عبّاسٍ قال : لا تقولوا والذى خاتَمه على فمى ، فإنّما يختِم الله عز وجل على فم الكافر . وكره قولهم : قوس قُزَح . وقال : قزح شيطان ، وإنّما ذهبوا إلى التعريج والتلوين ، كأنّه كره ما كانوا عليه من عادات الجاهليّة . وكان أحَبَّ أن يقال قوس الله ، فيرفع من قدره ، كما يقال بيت الله ، وزُوّار الله ، وأرض الله ، وسماء الله ، وأسد الله[1] .

وقالت عائشة رضى الله عنها : «قولوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاتَم النبيين ، ولا تقولوا : لا نَبيَّ بعده » . فإلاّ تكنْ ذهبتْ إلى نزول المسيح فما أعرف له وجهاً إلاّ أن تكون قالت لا تغيِّروا ماسمعتم ، وقولوا كما قيل لكم ، والفِظوا بمثله سواء .

وكره ابن عمر رضى الله عنهما قول القائل : أسلمت فى كذا وكذا ، وقال : ليس الإسلام إلاّ لِله[2] عزّ وجلَّ . وهذا الكلام مجازُه عند الناس سهل ، وقد كرهه ابنُ عمر ، وهو أعلم بذلك .

---

(١) انظر مثل هذا الكلام فى الحيوان ٢ : ١٨١ وكذا ثمار القلوب ٨ — ٢٨ حيث فسر الثعالبى ماأضيف إلى لفظ الجلالة .

(٢) فى الأصل : « الله » .

وكره ابنُ عبَّاسٍ رضى الله عنهما قولَ القائل : أنا كسلان .

وقال عمر : لا تسمُّوا الطريق السِّكَّةَ .

وكره أبو العالية قول القائل : كنت فى جِنازة ، وقال : قل تبِعت جنازة . كأنّهُ ذهب إلى أنّه عنى أنّه كان فى جوفها ، وقال قل تبعت جنازة . والناس لا يريدون هذا ، ومجاز هذا الكلام قائم ، وقد كرهه أبو العالية ، وهى عندى شبيهٌ بقول من كره أن يقول : أعطانى فلان نصف درهم . وقال : إذا قلت : كيف تكيل الدقيق ؟ فليس جوابه أن تقول : القَفِيز بدُنَينير ، ولكن يتناول القفيز ثم يكيل به الدقيق ، ويقول : هكذا الكيلة . وهذا من القول مسخوط !

وكره ابن عبَّاس قول القائل : الناس قد انصرفوا ، يريد من الصلاة ، قال بل قولوا : قد قَضَوُا الصلاة ، وقد فرَغوا من الصلاة ، وقد صلَّوْا ؛ لقوله : ﴿ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ﴾ قال : وكلام الناس : كان ذلك حين انصرفنا من الجنازة ، وقد انصرفوا من السُّوق ، وانصرف الخليفة ، وصرف الخليفةُ الناسَ من الدار اليومَ بخير ، وكنت فى أوّل المنصرفين . وقد كرهه ابن عبّاس . ولو أخبرونا بعلّتِه انتفعنا بذلك .

وكره حَبيب بن أبى ثابت ، أن يقال للحائض طامِث ، وكره مجاهد قول القائل : دخل رمضان ، وذهب رمضان ، وقال : قولوا شهر رمضان ، فلعلّ رمضان اسم من أسماء الله تعالى .

قال أبو إسحاق : إنما أتى من قِبل قوله تعالى : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى

أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ ﴾ فقد قال النـاس يوم التَّروية ، ويوم عَرَفة ولم ١٦٨
يقولوا عرفة .

(رأى النظَّام فى طائفة من المفسرين وصور من تـكلُّفهم فى التأويل)

كان أبو إسحاق يقول : لاتسترسلوا إلى كثير من المفسِّرين ، وإن نصَبوا أنفسَهم للعامَّة ، وأجابوا فى كلِّ مسألة ؛ فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس ، وكلَّما كان المفسِّر أغربَ عندَهم كان أحبَّ إليهم ، وليكن عندكم عِكْرِمةُ ، والـكلبىُّ ، والسُّدّى ، والضَّحاك ، ومقاتل بن سليمان ، وأبو بكر الأصمّ ، فى سبيل واحدة . فـكيف أثق بتفسيرهم[1] وأسكن إلى صوابهم ، وقد قالوا فى قوله عزَّ وجلّ : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلهِ ﴾ : إنّ الله عزَّ وجلَّ لم يعن بهذا الـكلام مساجدَنا التى نصلِّى فيها ، بل إنَّما عنَى الجبَاهَ وكل ما سجد الناس عليه : من يدٍ ورجلٍ ، وَجَبْهَةٍ وأنفٍ وثَفِنَة .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ أَفَلاَ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴾ : إنَّه ليس يَعنى الجمال والنُّوقَ ، وإنَّما يَعنى السحاب .

وإذا سُئلوا عن قوله : ﴿ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ ﴾ قالُوا : الطلح هو الموز .

وجعلوا الدليلَ على أنَّ شهر رمضانَ قد كان فرضاً على جميع الأمم وأنّ الناس غيَّروه ، قولَهُ تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ ﴾ .

---

(١) فى الأصل : « بتفسير » .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِى أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً ﴾ قالوا : يعنى أنّه حَشَرَهُ بِلاَ حجَّة .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴾ : الويل وادٍ فى جهنم . ثم قَعَدُوا يصِفون ذلك الوادى . ومعنى الويل فى كلام العرب معروف ، وكيف كان فى الجاهليَّة قبل الإسلام ، وهو من أشهر كلامهم !

وسئلوا عن قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ قالوا : الفلَق : وادٍ فى جهنم ، ثمَّ قعدوا يصِفونه . وقال آخرون : الفلق : المِقْطَرة[1] بلغة اليمن .

وقال آخرون فى قوله تعالى : ﴿ عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾ قالوا : أخطأ من وصَلَ بعض هذه الكلمة ببعض . قالوا : وإنّما هى : سَلْ سبيلاً إليها يا محمد . فإن كان كما قالوا فأين معنى تسمَّى ، وعلى أىِّ شىءٍ وقع قوله تسمَّى فتسمّى ماذا ، وما ذلك الشىء ؟

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا ﴾ قالوا الجلود كناية عن الفروج . كأنه كان لا يَرَى أنّ كلام الجلد من أعجب العجب !

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ كَانَا يَأْكُلاَنِ الطَّعَامَ ﴾ : إنّ هذا إنّما كان كنايةً عن الغائط . كأنه لا يرى أنّ فى الجوع وما ينال أهلَه من الذِّلَّة والعجزِ والفاقة ، وأنّه ليس فى الحاجة إلى الغذاء — ما يُكتفَى به فى الدّلالة على أنّهما مخلوقان ، حتّى يدَّعىَ على الكلام ويدّعى له شيئاً قد أغناه الله تعالى عنه .

---

(١) فى القاموس : المقطرة : المجمرة ، وخشبة فيها خروق على قدر سعة رجل المحبوسين .

وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ : إنّه إنما عنَى قلبه . ١٦٩

ومن أعجب التأويل قول اللّحيانى : (الجبّار) من الرجال يكون على وجوه : يكون جبّاراً فى الضِّخَم والقوّة ، فتأوّل قوله تعالى : ﴿ إنّ فِيهاَ قَوْماً جَبَّارِينَ ﴾ قال : ويكون جبَّاراً على معنى قتّالا ، وتأوّل فى ذلك : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴾ ، وقولَه لموسى صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ تُرِيدُ إلاّ أَنْ تَكُونَ جَبَّاراً فى الْأَرْضِ ﴾ أى قتَّالاً بغير حقّ . والجبارُ : المتكبِّر عن عبادة الله تعالى ، وتأوّل قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّاراً عَصِيًّا[1] ﴾ ، وتأوّلَ فى ذلكَ قول عيسى : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴾ أى لم يجعلْنى متكبِّراً عن عبادته ، قال الجبَّار : المسلَّط القاهر ، وقال : وهو قوله ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ أى مسلّط فتقهرهم على الإسلام . و الجبَّار : الله .

وتأوَّل أيضاً (الخوف) على وجوهٍ ، ولو وجدَه فى ألفِ مكانٍ لقال : والخوفُ على ألف وجه ، وكذلك الجبَّار . وهذا كله يرجع إلى معنًى واحد ؛ إلاّ أنّه لا يجوز أن يوصَف به إلاّ الله عزَّ وجلَّ .

(تكلف بعض القضاة فى أحكامهم)

وقال رجل لعُبيد الله بن الحسن القاضى[2] : إنّ أبى أوصى بثُلث مالِه فى الحصون . قال : اذهبْ فاشترِ به خيلاً ، فقال الرجل : إنّه إنّما ذكَر الحصون ! قال : أما سمعتَ قول الأسعَر الجُعْفِىّ :

---

(١) فى الأصل : « ولم أك » وليس فى الكتاب آية بهذا الرسم . مريم ١٤ .

(٢) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبرى ، قاض من الفقهاء العلماء بالحديث ، من أهل البصرة ، وتوفى بها سنة ١٦٨ .

ولقد علمتُ على تجنُّبِىَ الرَّدى(١) أنّ الحصونَ الخيلُ لا مَدَرُ القُرَى

فينبغى فى مثل هذا القياس على هــذا التأويل ، أنّه ما قيل للمدن والحصون حصون إلاّ على التشبيه بالخيل .

وخبَّرنى النُّوشِروانىّ قال : قلت للحسن القاضى : أوصى جدِّى بثلث ماله لأولاده ، وأنا من أولاده . قال : ليس لك شىء . قلت : ولم ؟ قال : أو ما سمعت قول الشاعر(٢) :

بنُــونا بنو أبنائِنا وبنــاتُنا بنُوهُنَّ أبناءُ الرِّجالِ الأباعِدِ

قال : فشكوت ذلك إلى فلان فزادنى شرًّا .

وقالوا فى قوله : مَاسَاءَكَ ونَاءَك : [ناءك] : أبعدك . قالوا : وساءك(٣) أبرصك. قال : لقوله تعالى : ﴿ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾. وبئس التكلُّف .

وقال ابن قميئة(٤) :

وحمَّـال أثقال إذا هى أعْرَضت على الأصل لا يَسطِيعُها المتكلِّفُ

وقال الله وهو يخبر عن نبيِّه صلى الله عليه وسـلم : ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ .

وليس يُؤْتَى القوم إلاَّ من الطمع ، ومن شدَّةِ إعجابهم بالغريب من التأويل .

---

(١) فى ط : « الورى » وهو تحريف ما فى س .

(٢) هذا البيت الآتى مع كثرة الاستشهاد به فى كتب العربية وفى كتب الفروض ، لم يعرف له قائل ، كما صرح بذلك العينى ، والسيوطى فى شرح شواهد المغنى ٢٨٧ . لكن وجــدت البغدادى فى الخزانة ١ : ٤٠٢ قد نقــل عن الكرمانى أن قائله هو الفرزدق .

(٣) ط : « ماساءك وثاءك » وتصحيحه من س . وقد زدت الكلمة التى بين معكفين ليستقيم الكلام . وفى ط : « برصك » وصوابه فى س .

(٤) ط : « ابن قمئة » وصوابه : « ابن قميئة » والبيت فى البيان ٢ : ١٨ .

(رأى فى أبى حنيفة)

وسئل حَفص بن غِياث ، عن فقه أبى حنيفة ، فقال : أعلم الناس بما لم يكنْ ، وأجهلُ الناس بما كان[1] !

١٧٠ وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾ قالوا : النعيم : الماءُ الحارُّ فى الشتاء ، والبارد فى الصيف .

(الصَّرورة)

ومن الأسماء المحدَثة التى قامت مقامَ الأسماء الجاهليَّة ، قولهم فى الإسلام لمنْ لم يحجّ : صَرورة .

وأنتَ إذا قرأتَ أشعارَ الجاهليَّة وجدتَهم قد وضعوا هذا الاسمَ على خلافِ هذا الموضع . قال ابن مَقرومٍ الضَّبّىّ[2] :

لو أنَّها عَرَضَتْ لأَشْمَطَ رَاهبٍ عَبَدَ الإله صَرُورةٍ مُتَبَتِّلِ
لدنا[3] لبَهْجَتِها وحُسْنِ حَدِيثِها ولَهَمَّ من تَامُورِه بتنزُّل

والصرورة عندهم إذا كانَ أرفعَ الناسِ فى مراتب العبادة ، وهو اليومَ اسمٌ للذى لم يَحجَّ إمَّا لعجزٍ ، وإمَّا لتضييعٍ ، وإمَّا لإنكار[4] . فهما مختلفان كما ترى .

---

(١) انظر ٣ : ١٩ .
(٢) هو : ربيعة بن مقروم بن قيس الضبى ، من مخضرمى الجاهلية والإسلام ، وهو من شعراء الحماسة ، وشهد وقعة القادسية سنة ١٦ وتوفى نحو سنة ٢٠ .
(٣) هى فى شعر شبيه بهذا للنابغة « لرنا » .
(٤) فى الأصل : « وأما الإنكار » .

(ألفاظ القرآن الـكريم)

فإذا كانت العرب يشتقُّون كلاماً من كلامهم وأسماءً من أسمائهم ، واللغة عاريّة فى أيديهم ممَّن خلقَهم ومكَّنهم وألهمهم وعلَّمهم ، وكان ذلك منهم صواباً عند جميع الناس ؛ فالذى أعارهمْ هــذه النِّعمةَ أحقُّ بالاشتقاق وأوجبُ طاعةً . وكما أنَّ له أن يبتدئَ الأسماءَ ؛ فـكذلك له أن يبتدئها ممَّـا أَحَبَّ . قد سمَّى كتابَه المنزلَ قرآناً ، وهذا الاسم لم يكنْ حتى كان ، وجعل السجودَ للشمس كفراً ، فلا يجوز أن يكون السجود لهـا كفراً إلاّ وترك ذلك السجود بعينه يكون إيماناً ، والترك للشىء لا يكون إلاّ بالجارحة التى [1] كان بها الشىء ، وفى مقداره من الزمان ، وتـكون بدلاً منه وعَقِبا . فواحدةٌ أن يسمَّى السجود كفراً ، وإذا كان كفراً كان جحوداً وإذا كان جحودا كان شركاً ، والسجود ليس بجَحْد ، والجحد ليس بإشراك إلاَّ أن تصرفه إلى الوجه الذى يصير [به[2]] إشراكا .

(ما اشتق من نباح الـكلابِ وما قيل من الشعر فيه)

وقال طُفيل الغَنَوِىّ[3] :

عَوَازِبُ لَمْ تَسْمَعْ نُبُوحَ مقامةٍ ولم تَرَ نَاراً تِمَّ حَولٍ مجرَّمِ

وإنَّما أُخذ ذلك للجميع من نباح الـكلاب .

---

(١) فى الأصل : « حتى » .

(٢) كلمة يحتاج إليها القول .

(٣) البيت فى الشعراء لابن قتيبة ٢٨٨ منسوب إلى ابن مقبل . وفى ثمار القلوب ٤٦٢ :

* عوازب لم تسمع بنوح حمامة *

وذكروا أن الظَّبيَ إذا أسنَّ ونبتَتْ لقرونه شُعَبٌ نَبَح ، وهو قول أبي دُوَاد(١) :

وقصرَى شَنِـج الأَنْسَا ء نبَّاح من الشعب

يعني من جهة الشعب ؛ وأنشد بعضهم :

وينبَحُ بينَ الشعبِ نبحًا كأنّه نُبَاحُ سَلُوقٍ أَبصَرَتْ مايُرِيبُها

وبَيَّضها الهُزْل المسوِّدُ غيْرَها كماابيضَّعن حَمْضِ المراحم نِيبُها(٢) ١٧١

لأن الظَّبيَ إذا هُزل ابيضّ ، والبعير يَشِيب وجهُه من أكل الحَمْض .

وكذلك قال ابن لجَأ(٣) :

* شابَتْ ولمَّا تَدْنُ من ذَكَائها(٤) *

كما قال الآخر :

أَكلْن حمضاً فالوُجُوه شِيبُ شَرِبن حتّى نزح القَلِيبُ

وقد تصير النَّاقة الحمراء إذا أتمَّت حبشيّة . ولذلك قال الشاعر :

* حمراء لاحَبَشيّة الإتمام *

وما أشبه ذلك بقول العَبديّ(٥) :

وداويتُها حتَّى شتَتْ حَبَشِيَّةً كأنَّ عليها سُنْدُسا وسَدُوسا

---

(١) في الأصل : « ابن داود » وإنما هو أبو دواد كما في اللسان (نبح) . والقصرى : أول الأضلاع أو آخرها . وكان البيت محرفا على الوجه الآتي فصححته منه :

وقصرى سح الأتشا نباح من الشعب

(٢) انظر رواية البيتين في المعاني الكبير ص ٦٩٥ .

(٣) هو عمر بن لجأ من بني تيم بن عبد مناة بن أد بن طابخة ، وكان قد لج الهجاء بينه وبين جرير لتنافس حدث بينهما في الشعر ، فكانت خصومتهما أدبية في أول الأمر ثم استحالت إلى خصومة الفخر بالنسب ، والقبيلة . ابن سلام ٣٦٢ وابن قتيبة ٢٦٢ .

(٤) الذكاء : علوالسن . وفي الأصل : « من ركابها » . وانظر المعاني الكبير .

(٥) هو يزيد بن خذاق . الاقتضاب . ٤ والمفضليات ١٤٣ وانظر أدب الكاتب ٣١٧

والدَّواء : اللبن ، فلذلك تصير الفرس إذا ألقت شعرها وطرّت ، تستديل هذا اللون .

وقال خالد بن الصَّقْعب النَّهدىّ (١) :

هَبَطْنَا بعدَ عهدِك بَطْنَ خَبْتٍ تَظَلُّ حمامُه مثلَ الخُصُومِ
كأنَّ عرينَ أيكتِه تلاَقَى به جَمْعَانِ من نَبَطٍ ورُومِ (٢)
نُباحُ الهدْهدِ الحَوْلِيِّ فيه كَنَبْحِ الكَلْبِ فى الْأَنَسِ المقيمِ (٣)

ويقال إنَّ الهدهد ينبَحُ . وربَّما جعلوا الهُدْهُدَ ، (الذى ينبح) ، الحمامَ الذكر . قال الشاعر — وهو يصف الحمام الذَّكَرَ كيف يصنع فيها — :

وإذا استترن أَرَنَّ فيها هُدْهُدٌ مِثْلُ المَدَاكِ خَضَبْتَهُ بجِسادِ (٤)

وقال طُفيل فى النُّبوح والمجاعات (٥) :

وأشْعَثَ تَزْهَاه النُّبوح مُدَفَّعٍ عن الزّادِ ممَّا جَلّفَ الدهرُ مُحْثَلِ (٦)

وقال الجعدىّ (٧) :

فلما دَنونا لصَوتِ النُّباح وَلا نُبْصِرُ الحىَّ إلاّ التماسَا

وقال ابن عبدل :

آليتُ إذ آليتُ مجتهِدًا ورفعتُ صوتًا مابه بَحَحُ
لايُدْرِكُ الشعراءُ منزلَتى فى الشعر إنْ سكَتوا وإنْ نَبَحُوا

١٧٢ وقال عمرو بن كلثوم :

---

(١) قصيدة هذا الشعر رواها ابن الشجرى فى حماسته وفسرها (٢٨٩ — ٢٩١) .
(٢) فى الأصل : « عريك » و « تلاع » و « قبط » وتصحيحه من الحماسة .
(٣) هذه فى ط . وليست فى س .
(٤) ط : « وإذا استترن » . والمداك : حجر يسحق عليه الطيب . والجساد : الزعفران .
(٥) فى الأصل : « الجماعات » .
(٦) المحثل : السيئ الحال ، ورواية اللسان : « ممن حرف الدهر » . وفى الأصل : « خلف الدهر » ، صوابه بالجيم كما فى المخصص ٢ : ١٣٦ .
(٧) هو النابغة الجعدى . وانظر الأغانى (٤ : ١١٩) .

وَقَدْ هَرَّتْ كلابُ الحَيِّ مِنَّا وشَذَّبْنا قَتَادَةَ مَنْ يَلِينا

وقال بعض العلماء : كلاب الحيّ شعراؤهم ، وهم الذين ينبحون دونَهم ، ويحمون أعراضَهم . وقال آخرون : إن كلابَ الحَيِّ كلُّ عقورٍ ، وكلُّ ذى عُيون أربع [1] .

وأما قوله [2] :

لَعَمْرُكَ ماخَشِيتُ على أُبَىٍّ رِماحَ بنى مقيِّدةِ الحمارِ [3]
ولــكنِّى خَشِيت على أُبَىٍّ رِمَاحَ الجنّ أو إيَّاكَ حارِ [4]

فالطَّواعين [5] هى عند العرب رماح الجن . وفى الحديث : « إنَّ الطاعونَ وَخز مِنَ الشيطان » .

وقال أبو سلمى [6] :

لابدَّ للسُّودَد من أرماحِ ومن سفيهٍ دائمِ النُّباحِ
ومن عَدِيدٍ يُتَّـقَى بالرَّاحِ

وقال الأعشى :

مِثْــلِ أيَّامٍ لَنَا نعْرِفُهَا هَرَّ كلبُ النَّاسِ فيها ونَبَحْ
رُزُنُ الأحْلاَمِ فى مجلِسِهِمْ كلّما كَلْبٌ من الناسِ نَبَحْ

---

(١) كذا .
(٢) الشعر فى الحيوان (٦ : ٢١٩) منسوب إلى « الأسدى » يقوله للحارث الغسانى وفى آكام المرجان ١٦ إلى « الأزدى » وفى ثمار القلوب ٥٣ إلى امرأة .
(٣) بنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها أكثر ما تكون فى الحرة . اللسان (رمح ، حمر) .
(٤) ط : « رماح الحى » . وتصحيحه من س ، والمراجع المتقدمة فى التنبيه السابق .
(٥) فى الأصل : « والطواعين » .
(٦) الرجز فى البيان ٣ : ٣٣٥ وسيعاد فى ٣ : ٧٩ .

وقال :

سيَنْبَحُ كلبى جاهدًا مِن ورائكم وأغنى غَنائى عنكمُ أن أؤنَّبا

وقال أبو ذؤيب :

ولا هَرَّها كَلبى ليبعد تعْرها (١) ولو نَبَحَتْنى بالشَّكاةِ كلابُها

كلابها : شعراؤها ، وهو قول بشر بن أبى خازم :

وإنِّى والشَّكاةَ لآلِ لأمٍ كذاتِ الضِّغْنِ تَمشى فى الرِّفاقِ

وقال أبو زُبَيْد (٢) :

ألم تَرَنى سكَّنْتُ لأيًا كلابَهُم وكفكفت عنكم أكلُبى وَهى عُقَّرُ

(هجاء ضروب من الحيوان)

١٧٣ قال صاحب الكلب : قد علمنا أنَّكم تتبَّعتم على الكلب كلَّ شىءٍ هُجِى به ، وجعلتم ذلك دليلا على سقوط قدْره وعلى لؤم طبعه ؛ وقد رأينا الشعراءَ قد هَجَوا الأصنافَ كلَّها ، فلَمْ يُفلت منهم إنسان ولا سبع ، ولا بهيمةٌ ولا طائر ولا هَمج ولا حشَرة ، ولا رفيع من الناس ولا وضيع ،

---

(١) تعر ، كمنع : صاح . وفى ط : « ثعرها » محرفة .

(٢) هو أبو زبيد الطائى ، واسمه حرملة بن المنذر ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وكان لسنا فصيحا بليغ الوصف : وصف الأسد بحضرة عثمان وصفاً بلغ فيه الغاية . الأغانى ١١ : ٢٣ – ٢٥ وقد ترجم له البغدادى فى الخزانة ٤ : ١٤٣ والسجستانى فى المعمرين ٩٨ ليدن ، وابن حجر فى الإصابة ٤٨٠ قسم الكنى وزبيد بهيئة التصغير .

إلاّ أن يَسلم بعضُ ذلك عليهم بالخمول ، فكفاك بالخمول دِقّةً ولُؤماً وقِلّة ونَذالة . وقال أميَّة بن أبي عائذ لإياس بن سهم :

فأبْلِغْ إياساً أَنَّ عِرضَ ابنِ أُختِكمْ
رِداؤُك فاصطَنْ حسنه أو تبذَّلِ[1]
فإن تكُ ذا طَوْلٍ فإنى ابنُ أُختكم
وكلُّ ابنِ أختٍ من نَدَى الخالِ مغتلِى[2]
فكنْ أسداً أو ثعلباً أو شبيَهه
فمهما تكنْ أُنسَبْ إليك وأُشكل
فما ثعلبٌ إلاَّ ابن أختِ ثُعالةٍ[3]
وإنَّ ابنَ أختِ اللَّيثِ رِيبالُ أشبُلِ
ولن تجد الآسادَ أخوالَ ثعلبٍ إذا كانت الهيجا تَلوذُ بمدخلِ

فهذا من الثعلب . وقال مزرّد بن ضرار[4] :

وإنّ كناز اللّحمِ من بَكَراتِكمْ تهرُّ عليها[5] أُمُّكُمْ وتكالب
وليتَ الذى ألقى فناؤُك رحله لتَقرِيَه بالتْ عليه الثعالبُ

فقد وضع الثعلب كما ترى بهذا الموضع الذى كفاك به نذالة . قال ابن هرمة :

فما عادت بذى يَمَن رُءُوساً ولا ضَرَّت لفرقتها نِزارَا

---

(١) فى الأصل : فاصبر خشية و تبدل » ، وتصحيحه من عيون الأخبار ٣ : ٨٩ .
(٢) فى الأصل : « مغتل » والصواب « مغتلى » كما فى أشعار الهذليين أو « معتلى » كما فى عيون الأخبار . واعتلى واغتلى : ارتفع.
(٣) فى عيون الأخبار : « ثعالب » .
(٤) فى ط : « مزر بن ضرار » وإنما هو « مزرد بن ضرار » أخو الشماخ .
(٥) فى الأصل : « علينا » .

كعنزِ السَّوءِ تنطَحُ من خلاها[١] وترْأَمُ من يُحِدُّ لهـا الشِّفَارا

وهذا قول الشاعر فى العنز . وقال ابن أحمر :

إنا وجدْنَا بنى سهْمٍ وجامِلَهم كالعنْزِ تَعْطِف رَوقيها فترتضِعُ

وقال الفرزدق :

على حينَ لمأترك علىالأرضِ حَيّة ولا نابحاً إلا استقرَّ عَقُورها
وكان نُفَيع إذ هجانى لأهْلِه كباحثةٍ عن مُدْيةٍ تستثيرُها

فهذا قولهم فى العنز . ولا نعلم فى الأرض أقلَّ شرًّا ولا أكثر خيراً من شاة .

وقال الخُرَيمىُّ[٢] :

يا لَلرجال لقومٍ قد مَلِلتُهم أرى جِوارَهمُ إحدى البليَّات
١٧٤ ذئبٌ رضيع وخِنزير تُعارِضُها عَقارِبٌ وُجِنَتْ وَجْنًا بِحَيَّاتِ[٣]
ما ظنُّكم بأناس خَيْرُ كسبهمُ مُصَرَّح السُّحتِ سمَّوه الأَمَانات

فهذا قولهم فى العقارب والحيَّاتِ والضِّباع والخنازير .

وقال حماد عَجْردٍ فى بَشَّار :

قد كان فى حيٍّ غزالةَ شاغِلٌ للقرد عن شَتْمى وفى ثوْبَانِ
أو فى سميعةَ أُختِها وشِرادِها لمجونها مع سِـفْلة المُجّانِ
أو بيت ضيق عرسه وركوبها شرّ البِغاء بأوكَسِ الأثمانِ[٤]

---

(١) ط : « فلاها » وتصحيحه من س . والشعر سبق فى ص ٢٣١ .
(٢) فى الأصل : « الخزيمى » وهو « الخريمى » كما سبق التنبيه فى ص ٢٢٤ .
(٣) أصـل الوجن : الدق ، ومنه ميجنة القصار ، وجعله الشاعر هنا للخلط .
(٤) فى الشعر تحريف .

هذا قول حماد فى القرد . وقال حمّاد فى بشّار بن بُرد أيضاً :

ولـكنْ مَعاذَ الله لستُ بقاذِفٍ بَريئاً لسوَّاق لِقَومٍ نوائحِ
وما قلتُ فى الأعمى لجَهل وأمّه ولـكِنْ بأمرٍ بيِّنٍ لىَ واضحِ
سأُعرِضُ صفحاً عن حُصينٍ لأمِّه ولست عن القِرد ابن برْدٍ بصافِحِ

وقال الآخر :

لـمَّـا أتيت ابنَى يزيدَ بْن خَثْعَمٍ أرى القردَ والخنْزِيرَ مُحْتَبِيانِ
أمَامَ بُيوتِ القومِ من آل خَثْعَمٍ وراءَ قَبيحاتِ الوجوه بطانِ

وقال العتَّابى :

اسْجدْ لقِرْد السَّوءِ فى زَمَانِه وإن تَلقَّاكَ بِخَنْزَوانِه[1]
* لا سيَّما ما دام فى سلطانه *

وقال أبو الشمقمق :

إن رِياحَ اللُّؤمِ من شحِّه[2] لا يَطمَع الخنزير فى سَلْحِهِ
كفَّاه قُفل ضلّ مِفتاحهُ قد يَئِس الحدَّاد مِن فَتْحِهِ

وقال خلف بن خليفة[3] :

فسبحانَ من رِزقُه واسـع يَعُمُّ به القِرْدَ والقِرْدَهْ

(١) الخنزوان بفتح الخاء : القرد ، وذكر الخنازير ؛ وبضمها : الكبر . وانظر اللسان (قرا ص ٣٦) والمعرب للجواليقى ٢٢٧ .
(٢) فى ط : « شمه » وهو تحريف صوابه فى س .
(٣) شاعر إسلامى مجيد محسن مقل ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان يقال له الأقطع لأنه قطعت يده فى سرقة ، وهو من شعراء الحماسة .

وهذا كثير . ولعمرى لو جُمِع كلُّه لكان مثلَ هِجاء الناس للكلب، وكذلك لو جمع جميعُ ما مُدِح به الأسدُ فما دُونه ، والأمثالُ السائرةُ التى وقعت فى حَمد هذه الأشياء، لما كانت كلُّها فى مقدارِ مديح الكلب . فهذه حُجَّتُنا فى مَرتبةِ الكلب على جميع السباع والبهائم .

١٧٥ ولما قال معبدٌ فى قتل الكلب ، وتلا قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فاقْصُصِ الْقَصَصَ ﴾ قال أبو إسحاق : وإن كنتَ إنَّما جعلتَ الكلب شرّ الخلق بهذه العلَّة ، فقد قال على نسق هذا الكلام : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ﴾ فالذى قال فى الإبل والبقَر والغنَم أعظم، فأَسْقِطْ من أقدارها بقدر معنى الكلام . وأدنى ذلك أن تُشرِكَ بين الجميع فى الذمّ فإنّك متى أنصفتَ فى هذا الوجه ، دعاك ذلك إلى أن تُنْصِفها فى تتبُّع مالها من الأشعار والأمثال والأخبار والآيات ، كما تتبَّعت ما عليها .

(الشرف والخمول فى قبائل العرب)

وقال صاحب الكلب : سنضرب مثلا بيننا يكون عَدلا : إذا استوى القبيلان فى تقادم الميلاد ثم كان أحد الأبوين كثير الذرء[١] والفُرسان والحكماءِ والأجواد والشعراء ، وكثيرَ السادات فى العشائر ، وكثيرَ الرؤساء [فى] الأرحَاء[٢] وكان الآخر قليل الذَّرء[١] والعدد ، ولم يكن فيهم خير كثيرٌ ولا شر كثير ، خملوا أو دخلوا فى غمار العرب ، وغَرِقُوا فى معظم الناس[٣] ، وكانوا من المغمورين ومن المنسيِّينَ ، فسَلموا من ضروب الهجاء ومن أكثرِ ذلك ، وسلموا من أنْ يُضرَبَ بهم المثل فى قِلَّةٍ ونذالة إذا لم يكن شرٌّ ، وكان محلُّهم من القلوب محلّ من لايَغْبِط الشعراءُ[٤] ، ولا يحسدهم الأكفاءُ ؛ وكانوا كما قال حُميد بن ثور :

وقُولا إذا جَاوزتمـا أرْضَعامرٍ ... وجاوزتُمـا الحيَّينِ نَهْدًا وَخَثْعَمَا
نَزيعانِ من جَرْمِ بن رَبَّان إنَّهم ... أَبَوْا أن يُرِيقوا فى الهَزاهِزِ مِحْجما[٥]

وإذا تقادم الميلاد ولم يكن الذّرْءُ[١] وكان فيهم خيرٌ كثيرٌ وشرٌّ كثير ، ومثالِب ومناقب ، لم يَسلَموا من أن يُهجَوا ويُضْرَبَ بهم المثل ، ولعلَّ أيضا أن تتفق لهم أشعار تتصل بمحبة الرواة ، وأمثال تسير على ألسنة

---

(١) الذرء : النسل . وفى الأصل : « الدرء » محرفة .

(٢) الأرحاء : جمع رحى ، وهى القبيلة المستقلة . وفى الأصل « وكثير الرؤساء والأرجاء » . وقد صححت المصحف : واجتلبت الكلمة التى بين معكفين ليستقيم الكلام .

(٣) فى ط : « غرفوا » وفى م : « عرقوا » ، وصوابهما ماأثبت من س.

(٤) أى يغبطهم الشعراء . وفى الأصل : « من لايغيظ الشعراء » .

(٥) ط : « نزيعان من جرم بن رياف » س : « تريعان من جرم بن ربأن » .

العلماء ، فيصيرُ حينئذٍ من لاخير فيه ولا شرّ ، أمْثلَ حالاً فى العامَّة ، ممَّن فيه الفضلُ الكثيرُ وبعضُ النقص ، ولا سيَّما إذا جاوَروا من يأكُلهم
١٧٦ وحالَفوا من لاينصفهم ، كما لقيت غنيّ أو باهلة .

ولو أنَّ عبْسًا أقامت فى بنى عامر ضِعفَ ما أقامت ، لذهب شَطْرُ شرفها ؛ ولكنَّ قيسَ بن زُهير لمَّا رأى دلائل الشرِّ قال لأصحابه : الذلُّ فى بنى غَطفَان خير من العزِّ فى بنى عامر !

وقد يكون القوم حُلولاً مع بنى أعمامهم ، فإذا رأوا فضْلهم عليهم حَسدوهم وإن تركوا شيئا من إنصافهم اشتدَّ ذلك عليهم وتعاظَمَهم ، بأكثر من قدره ، فَدَعاهم ذلك إلى الخروج منهم إلى أعدائهم . فإذا صاروا إلى آخرين نهكوهم وحملوا عليهم ، فوقَ الذى كانوا فيه من بنى أعمامهم ، حتى يدْعُوَهم ذلك إلى النَّدم على مفارقتهم ، فلا يستطيعون الرُّجوع ، حميةً واتقاء[1] ، ومخافَةَ أن يعودوا لهم إلى شيء مما كانوا عليه ، وإلى المقام[2] فى حلفائهم الذين يرون من احتقارهم ، ومِن شدَّة الصَّولة عليهم .

(بكلِّ وادٍ بنو سعد)

وقد خرج الأضبَط بن قُريع السَّعْدِىُّ من بنى سعد ، فجاوَرَ ناساً ، فلما رأى مذْهَبَهم وظُلمهم ونَهْكهم[3] ، قال : « بكلِّ وادٍ بَنُو سعد ! » فأرسلها مثلا .

---

(١) لعلها : « حمية وإبقاء » .

(٢) فى الأصل : « ولا المقام » .

(٣) فى الأصل : « وتهكمهم » وهو تحريف .

وقد كان عبَّاس بن ريطة الرِّعلى سيِّد بنى سُليم ، وقد ناله ضيم فى بعض الأمر ، فأبى الضَّيم ، فلما حاولَ مفارقتَهم [إلى] بنى غَنْم عزَّ عليْه[1] فقال فى كلمة له :

وأُمُّكم تُزْجِى التؤام لبَعْلِها وأمُّ أخيكم كزَّةُ الرِّحْم عاقِرُ

وزعموا أنَّ أبا عمرو أنشد هذا الشعر[2] ، وخبّر عن هذه القصّة فى يومٍ من أيامه ، فدمعت عينُه ، فحلف شُبَيل بن عَزرة[3] بالطلاق : إنَّه لَعَرَبىٌّ فى الحقيقة لغيَّةٍ أو لرِشْدة !

(قبائل فى شطرها خير كثير

وفى الشطر الآخر شرف وضعة)

فمن القبائل المتقادمة الميلاد التى فى شِطرها خير كثير ، وفى الشطر الآخر شرف وضَعة ، مثل قبائل غطفان وقيس عيلان ، ومثل فزارة ومرَّة وثعلبة. ومثل عبس وعبد الله بن غطفان ، ثم غَنِىّ[4] وباهلة ، واليعسوب والطفاوة فالشرف والخطر فى عَبس وذبيان ، والمبتلى والملقَّى والمحروم والمظلوم ، مثل[5] باهلة وغنىّ ، ممّا لقيت من صوائب سهام الشعراء ، وحتّى كأنّهم آلة[6] لمدارج الأقدام ، ينكب فيها كلُّ ساعٍ ، ويعثُر بها كلُّ ماش .

---

(١) فى الأصل : « فلما حاول منافرتهم بنى غنم أعز منه » .
(٢) فى الأصل : « وزعم أن أبا عمرو أنشده هذا الشعر » وليس بشىء .
(٣) فى ط : « عروة » وتصحيحه من س : وانظر التنبيه رقم ٦ ص ٣١٣ .
(٤) فى الأصل : « يحيى » وإنما هو « غنى » وسيتكرر الحديث عن غنى وباهلة.
(٥) فى الأصل : « ومثل » والوجه حذف الواو .
(٦) كذا .

وربّما ذكروا اليَعسوب والطفاوة ، وهاربة البقعاء[1] وأَشجَع الخنثى ببعض الذِّكر . وذلك مشهور فى خصائص العلماء ولا يجوز ذلك صدورَهم . وجلُّ معظم البلاء لم يقع [إلّا][2] بغنيٍّ وباهلة ، وهم أرفع من هؤلاء وأكثر فضولًا ومناقب ، حتى صار من لاخير فيه ولا شرَّ عنده أحسنَ حالا ممّن فيه الخير الكثير وبعض الشرّ ، وصار مثلهم كما قال الشاعر[3] :

١٧٧ اضرب نَدَى طَلْحَةِ الطَّلْحَات مبتدئا
بِبُخْل أشْعثَ واستَثْبِتْ وكُنْ حكما[4]
تخرج خُزاعة من لؤم ومِن كرمٍ
ولا تعُدَّ لها لؤمًا ولا كرمًا[5]

وقد ظرف فى شعره فظلم خُزاعةَ ظُلما عبقريًّا .

وقال فى مثل ذلك الأشعر الرَّقَبان[6] الأسدىّ :

---

(١) هاربة البقعاء هى هاربة بن ذبيان ، انظر القاموس (هرب) ومعجم البلدان (الهاربية) مع المعارف لابن قتيبة (نسب ذبيان بن بغيض) ص ٣٧ .

(٢) حرف يصلح به الكلام .

(٣) هو دعبل بن على الخزاعى كما فى الأغانى ١٨ : ٤٤ ، ٤٨ ، وزهر الآداب ٤ : ٢٠٦ .

(٤) فى ط : « بذى طلحة » ، وتصحيحه من س ، ومن الأغانى . والرواية فيها :
* بلؤم (مطلب) فينا وكن حكما *
والمطلب الذى يعنيه هو ابن عبد الله بن مالك ، كان واليا على مصر . وقد كان ولى دعبلا على أسوان ، فلما سمعه يهجوه بهذا الشعر المتقدم عزله عنها .

(٥) فى الأصل : « ولا تغركها » وليس بشىء وصوابه فى الأغانى .

(٦) فى ط : « وقال فى ذلك الشعر الرقيان » وفى س : « وقال فى مثل ذلك الشعر الرقبان » والوجه ما أثبت . والأشعر لقب للرقبان ، وهو شاعر جاهلى . والشعر فى نوادر أبى زيد ٧٣ وعيون الأخبار ٢ : ١٩٥ ، ٣ : ٢٦٨ وأمالى القالى ٢ : ٢١١ . وانظر اللسان وتاج العروس (ضرر ، مسخ) .

بحسْبِك فى القوْمِ أن يعْلموا بأنّك فيهم غنىٌّ مُضِر
وأنت مليخ كلحْم الْحُوَارِ فلا أنت حُلْوٌ ولا أنت مُرٌّ

وكما قال الشاعر فى علباء بن حبيب حيث يقول :

أرى العِلباء كالْعِلْبَاءِ لا حـــلوٌ ولا مُرٌّ
شُيَيْخٌ من بنى الجـارو دِ لا خـــير ولا شرٌّ

فهذا ونحوه من أشدِّ الهجاءِ .

والحمول اسمٌ لجميع أصناف النَّقْصِ كلِّها أو عامَّتها ، ولـكنَّه كالسَّرْو عند العلماء . وليس ينفعك العامَّةُ إذا ضرّتك الخاصَّة .

ومن هذا الضرب تميم بن مرّ ، وثور وعُكل ، وتيم ومزينة . ففى عُـكل وتَيم ومزَينة من الشرف والفضل ، ما ليس فى ثور ، وقد سلِم ثور إلَّا من الشى اليسير ، مما لايرويه إلَّا العلماء ، ثم حلَّت البليَّةُ وركَدَ الشرُّ ، والتحف الهجاء على عُـكْل وتيم ، وقد شعّثوا بين مزينة شيئاً ، ولـكنَّهم حبَّبهم إلى المسلمين قاطبةً ما تهيأ لهم من الإسلام ، حين قلّ حظٌّ تيم فيه . وقد نالوا من ضبَّة ، مع مافى ضبَّة من الخصال الشريفة ؛ لأنَّ الأبَ متى نقص ولَدُه فى العدد عن ولد أخيه[1] فقد ركبهم الآخَرون بكلِّ عظيمة ، حتى يروا تسليمَ المرباع إليهم حظًّا ، والسير تحت اللواء ، والحمل على أموالهم فى النوائب ؛ وحتَّى ربَّما كانوا كالعضاريط والعُسَفاء ، والأتباع ، وفى الأتباع والدخلاء ، ثم لايجدون من ذلك بدًّا ؛ كأنهم متى امتنعوا خذَلوهم ، فاستباحوهم ، فرأوا أن النِّعمة أربحُ لهم .

(١) فى الأصل : « متى نصر ولده فى العدد على ولد أخيه » ، وأصلحته كما ترى .

وقد أعان غيلان(١) على الأحنف بكلمة ، فقال الأحنف : عبيدٌ في الجاهليَّة ، أتباعٌ في الإسلام .

فإن هربوا تفرّقوا فصاروا أشلاءً في البلاد ، فصار حكمُهم حكم من درج ، وحكمُ أبيهم كحكم من لم يُعقِب . وإن هم حالفوا القرباء فذلك حيث لا يرفعون رءُوسهم من الذلّ والغرم .

(الحلف عند العرب)

والحِلْف (٢) ضربان : فأحدهما كانضمام عبس وضبَّة ، وأسد وغطفان فإنَّ هؤلاءِ أقوياءُ لم يُنْهكوا كما نُهكت باهلة وغنيّ ، لحاجةِ القوم إليهم ،
١٧٨ ولخشونة مسِّهم إن تذكّروا(٣) على حال ؛ فقد لقِيت ضبَّةُ من سعدٍ ، وعَبسٌ من عامر ، وأسدٌ من عيينة بن حصن ما(٤) لقُوا .

وقد رأيت مشقَّةَ ذلك على النابغة ، وكيف كرِه خروج أسد من بني ذبيان .

وعيينةُ بن حصن وإن كان أسود من النابغة وأشرف ، فإنَّ النابغةَ كان أحزم وأعقل .

---

(١) لعلها : « عال غيلان » بمعنى جار وجاوز الحد . فإن غيلان هذا هو غيلان بن خرشة . انظر حديثه مع الأحنف في البيان ٢ : ٨٨ و ٣ : ٩٨ .
(٢) ط : « الخلف » وصوابه في س .
(٣) كذا .
(٤) في الأصل : « مما » .

وقد سلمت ثور وابتُليت عُكل وتيم ، ولولا الربيع بن خُثَيم [١] وسُفيان الثَّورى ، لما علمت العامَّةُ أنَّ فى العرب قبيلةً يقال لها ثور . ولَشَريفٌ واحدٌ ممَّن قبَلت [٢] تيم أكثرُ من ثور وما ولد .

وكذلك بَلْعَنبر ، قد ٱبتُليت وظلمت وبُخست ، مع ما فيها من الفُرسان والشُّعراء ، ومن الزُّهاد ، ومن الفقهاء ، ومن القضاة والوُلاة ، ومن نوادر الرِّجال إسلاميِّين وجاهليِّين .

وقد سلمت كعب بن عمرو ؛ فإنه لم ينلها من الهجاء إلّا الخمش [٣] والنُّتف .

وربَّ قومٍ قد رضُوا بخُمولهم مع السلامة على العامَّة ، فلا يشعرون حتَّى يصبَّ الله تعالى على قممِ رءوسهم حجارةَ القذف ، بأبياتٍ يسيِّرها شاعر ، وسوطَ عذابٍ يسير به الراكبُ والمثل ، كما قال الشاعر :

إن مَنَافاً فَقْحَةٌ لدارِمِ [٤] ... كما الظليمُ فَقْحَةُ البراجِمِ

وقال الشاعر [٥] :

وجَدْنَا الُحمْرَ مِنْ شَرِّ المطَايَا ... كما الَحبِطاتُ شرٌّ بنى تميمِ

فما الميسم فى جِلد البعير ، بأعلق من بعض الشعر .

---

(١) فى الأصل : « خيثم » . وانظر الاشتقاق ١١٢ ، ١١٣ وتقريب التهذيب .

(٢) فى الأصل : « قتلت » ، وجعلتها « قبلت » من قبلت القابلة الولد : أخرجته .

(٣) الخمش بمعنى الخدش . وفى الأصل : « الخمس » .

(٤) فى الأصل : « إن منا فقحة لدارم » .

(٥) البيت من أبيات ثلاثة لزياد الأعجم أوردها العينى ، ونقلها عنه البغدادى فى خزانة الأدب ٤ : ٢٨٠ ، وهى – وفى البيت الأوسط إقواء :

وأعلم أننى وأبا حميد ... كما النشوان والرجل الحليم
أريد حباءه ويريد قتلى ... وأعلم أنه الرجل اللئيم
فإن الحمر من شر المطايا ... كما الحبطات شر بنى تميم

(أثر الشعر فى نباهة القبيلة)

وإذا كان بيت واحد يربطه الشاعر فى قوم لهم النباهة والعَدد والفَعال ، مثل نُمير ، يصير أهلُه إلى ما صارت إليه نُمير وغير نمير ، فما ظنُّكَ بالظُّلَيم وبمناف وبالحَبِطات ، وقد بلغ مضرَّةُ جرير عليهم حيثُ قال :

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنَّكَ مِن نُمير فلا كعباً بلغتَ ولا كلابا

إلى أن قال شاعر آخر وهو يهجو قَوْمًا آخَرين :

وسَوفَ يزيدُكم ضَعةً هِجَائى كما وضعَ الهِجاءُ بَنِى نُميْرِ

وحتّى قال أبو الرُّدَيْنِىّ :

أَتُوعِدُنِى لِتَقْتُلَنِى نُمَيْرٌ مَتى قَتَلَتْ نُميْرٌ مَنْ هَجَاهَا

(بكاء العرب من الهجاء وذكر بعض من بكى منهم لذلك)

ولأمر مَّا بكت العربُ بالدموع الغِزار من وقعِ الهجاءِ ، وهذا من أوَّل كرمها ، كما بكى مخارقُ بن شِهاب[١] ، وكما بكى عَلقمة بن عُلاثة ،
١٧٩ وكما بكى عبد الله بن جُدعان من بيتٍ لخداش[٢] بن زهير . وما زال يهجوه من غير أن يكون [رآه، ولو][٣] كان رآه ورأى جماله وبهاءه ونبله [و][٤] الذى يقع فى النفوس من تفضيله ومحبته [و[٤]] من إجلاله والرقة عليه — أمسك . ألا

---

(١) الذى أبكاه هو محرز بن المكعبر العنبرى ، وانظر الحديث فى البيان ٤ : ٤١ — ٤٢ .
(٢) فى الأصل : « لخراش » .
(٣) زيادة يتطلبها الكلام وليست بالأصل .
(٤) ليس بالأصل .

ترى أن النَّبيت وغسَّان بن مالك بن عمرو بن تميم[١] ، ليس يعرفهم بالعجز والقلَّة إلاَّ دَغفل بن حنظلة[٢] ، وإلاَّ النخَّار العُذرىّ وإلا الكيِّس النمرىّ[٣] ، وإلاَّ صُحار العبدى ، وإلاَّ ابن شَرِيَّة وأبو السَّطَّاح[٤] وأشباههم ومن شابه طريقهم والاقتباس من مواريثهم ، وقد سلموا على العامة وحصلوا نسب العرب فالرجل منهم عربى تميمى ، فهو يعطى حقّ القوم فى الجملة ولا يقتضى ماعليه وعلى رهطه فى الخاصّة . والحرمان أسوأ حالا فى العامة من هذه القبائل الخاملة وهم أعدّ وأجلد .

(ماتبتلى به القبائل فيصيبها بالخمول)

وبليَّة أخرى : أنْ يكون القبيلُ متقادِمَ الميلاد ، قليل الذلة قليل السيادة ، وتهيَّأ أن يصير فى ولدِ إخوتهم الشرف الكامل والعدد التامّ ، فيستبين لمكانهم منهم من قلتهم وضعفهم لكلٍّ من رآهم أو سمع بهم ، أضعافُ الذى هم عليه لو لم يكونوا ابتُلوا بشرف إخوتهم .

ومِنْ شؤم الإخوة أنّ شرفهم ضعةُ إخوتهم ، ومن يُمن الأولاد أنّ شرفهم شرفُ من قَبْلهم من آبائهم ومن بعدهم من أولادهم : كعبد الله بن دارم وجرير بن دارم . فلو أنَّ الفقَيم لم يناسب عبد الله بن دارم وكان جارًا ، كان خيرًا له .

---

(١) فى الأصل : « نمير » . وانظر الاشتقاق ١٢٤ .

(٢) فى الأصل : « من حنظلة » وقد جمع ابن النديم تراجم النسابين فى فهرسته ١٣١ .

(٣) فى الأصل : « النميرى » وتصحيحه من المعارف لابن قتيبة ٢٣٣ والفهرست ١٣٢ .

(٤) فى الأصل : « ابن أبى السطاح » وانظر البيان (١ : ٣٦٢) وماسيأتى فى ٣ : ٢٠٩ .

ولقد ضعضعتْ قُريش – لما جاءتْ به من الخصال الشريفة التامّة ؛ مِنْ أركان كنانة – سَنامَ الأرض وجبلها[1] وعينَها التى تبصر بها ، وأنفَها التى بها تعطس ، فما ظنُّك بمن أبصر بنى زيد بن عبد الله بن دارم ، وبنى نهشل بن دارم ، وبنى مجاشع بن دارم ، ثمَّ رأى بنى فقيم بن جرير ابن دارم ؟ !

وكذلك كلُّ أخوَين إذا برَع أحدُهما وسبق وعلا الرِّجال ؛ فى الجود والإفضال ، أو فى الفُرُوسة[2] أو فى البيان ، فإن كان الآخر وسَطاً من الرجال ، قصدُوا بحسن مآثره فى الطبقة السفلى لتَبِين البراعةُ فى أخيه ، فصارت قرابُته التى كانت مفخرةً هى التى بلغت به أسفَل السافلين . وكذلك عَنَزَة بن أسد فى ربيعة . ولو كان سودد ربيعة مرَّةً فى عَنَزَة ومرّة فى ضُبَيعة أضْجَمَ ، لكان خيراً لهم اليوم ، ولودَّ كثير من هؤلاءِ القبائل التى سامت على الشعراءِ أو على العوامِّ أن يكون فيهم شَطْرُ ماللعنَزيِّين من الشرف ، ولو أنَّ الناس وازنوا بين خصال [هذه[3]] القبائل خيرها وشرِّها لكانوا سَوَاءً[4] .

١٨٠ وقال صاحب الكلب : ذكرتَ عيوبَ الكلب فقلتَ : الكلب إذا كان فى الدار محَق أُجُور أهل الدّار حتى يأتىَ على أقصاها ، لأنَّ الأجور إذ أُخِذ منها كلَّ يوم وزنَ قيراط ، والقيراط مثل أحد ، لم يلبث على ذلك أن يأتىَ على آخرها . وقلتَ : فى الكلب أشدُّ الأذى على الجار والضيف

(١) كذا .
(٢) الفروسة والفروسية : الحذق بركوب الخيل .
(٣) ليست بالأصل .
(٤) فى الأصل : « سعداء » وليس بشىء .

والدخيل ، يمنعه النَّومَ ليلاً والقائلَة نهاراً ، وأن يسمَعَ الحديث . ثمّ الذى على سامع النُّباح من المؤنة من الصوت الشديد .

ولو لم يكن فى الكلب ما يؤذى بشدَّة صوتِه إلاَّ بإدامة مجاوبة الكلاب لكانَ فى ذلك ممّا ينغِّص العيش ، ويمنع من الكلام والحديث .

(شعر فى النباح والاستنباح)

وقال أرطاة بن سُهَيّة فى بعض افتخاره :

وإنِّى لَقَوَّام إلى الضَّيف موهنا ... إذا أغدف السِّترَ البخيلُ المواكلُ[1]

دعَا فأجابَتْهُ كلاب كَثيرَةٌ ... على ثقةٍ منِّى بما أنا فاعلُ

وما دونَ ضيفى ، من تلادٍ تحوزُه ... يدُ الضيف ، إلَّا أنْ تُصانَ الحلائِلُ

وقال ابن هَرْمة :

ومستنبحٍ نبَّهتُ كلبى لصوتِهِ ... وقلتُ له قُمْ فى اليَفاعِ فجاوِبِ

فجاءَ خَفِىّ الصوتِ قد مسَّهُ الضَّوى ... بضربَةِ مسنونِ الغِرارَيْن قاضِبِ

فرحَّبت واستبشرت حتَّى بسطتهُ[2] ... وتلك التى ألقَى بها كلَّ آئبِ

وقال آخر :

هجمنا عليــه وهو يَكْعَمُ كلبَهُ ... دعِ الكلب يَنْبحْ إنَّما الكلبُ نابحُ[3]

---

(١) ط : « إلى الضعيف » ، « إذا أغدق » . وتصحيح البيت من س . وعيون الأخبار (٣ : ٢٣٩) .

(٢) ط : « بسطه » وصوابه فى س .

(٣) قال المرتضى فى أماليه : ٣ : ١١٤ : « يكعم كلبه : يشد فاه خوفا من أن ينبح ، فيدل عليه » . والبيت للراعى كما فى العمدة ٢ : ١٥١ يهجو به الحطيئة ، وانظر ماسيأتى فى نهاية هذا الجزء من الحيوان .

وقال مزرِّد بن ضرار :

نشأتُ غلاما أَتَّقى الذمَّ بالقِرى إذا ضاف ضيفٌ من فَزارةَ راغبُ

فإن آبَ سارٍ أَسمَعَ الكلبَ صوتَه أتى دون نَبْحِ الكلبِ ، والكلب دائبُ

وقال بشّار بنُ برْد :

سقَى الله القِباب بتلِّ عبدى وبالشرقين أَيَّامَ القِبابِ[1]

وأياماً لنا قَصُرَتْ وطالتْ على فُرعان نائمَةَ الكلابِ

١٨٤ وقال رجل من بنى عبد الله بن غَطفان[2] :

إذ أنتَ لم تستَبْقِ وُدَّ صحابةٍ على دَخنٍ أكثرت بثَّ المعاتِبِ[3]

وإنِّى لأستبقى آمرأ السَّوءِ عُدَّةً لعدْوَةِ عرِّيضٍ من الناس جانبِ[4]

أخاف كلابَ الأبعدين ونبحهَا إذا لم تجاوبْها كلابُ الأقارِب

وقال أُحيحة بن الجُلاح[5] :

ما أَحْسَنَ الجيدَ من مُليكةَ واللَّـ ـبَّاتِ إذ زانهـا ترائبُها

يا ليتنى ليلة إذا هجع الـ ـنَّاسُ ونامَ الكلابُ صاحبُها

وقلتَ : وفى الكلب قذارةٌ[6] فى نفسه ، وإقذاره أهله لكثرة سُلاحه وبوله ، على أنّهُ لا يرضى بالسُّلاح على السطوح ، حتّى يحفر ببراثنه وينقب بأظافره ، وفى ذلك التخريب .

---

(١) فى الأصل : « أثار القباب » ، صوابه من ديوان بشار ١ : ٢٤٩ .

(٢) نسب فى حماسة البحترى ٣٩٤ إلى النعمان بن حنظلة العبدى .

(٣) الدخن : الحقد وسوء الخلق ، ومعناه قريب من الدخل .

(٤) العريض ، كسكيت : الذى يتعرض للناس بالشر .

(٥) انظر الشعر فى الخزانة ٣ : ٣٢١.

(٦) فى الأصل : « قذرة » .

ولو لم يكن إلاّ أنّهُ يكون سبب الوكف ، وفى الوكف من منع النَّوم ومن إفساد حُرِّ المتاع ، ما لا يخفى مكانه ، مع ما فيه من عضٍّ الصبيان وتفزيع الوِلدان ، وشقِّ الثياب ، والتعرُّض للزوّار ؛ ومع مافى خلقه أيضاً من الطبع المستدعى للصبيان إلى ضربه ورجْمه وتهييجه بالعبث ، ويكون سبباً لعقْرهم والوثوبِ عليهم[1] .

وقلت : وبئس الشيء هو فى الدار ، وفيها الُحرَم والأزواج ، والسَّرارىُّ والحظِيَّات المعشوقات ؛ وذلك أن ذَكَره أَيَرُّ ظاهر الحجم ، وهو إما مُقْبَع وإمّا قائم ، وليس معه ما يواريه ، وربما أَشَظَّ[2] وأنعَظ بحضرتهنَّ ، ولعلّهنَّ يكنَّ مُغيبات[3] أو محتاجاتٍ إلى ما يحتاج إليه النساءُ عند غيبة فحلهنّ ، وإذا عجزَ عن أن يَعُمَّهن .

(وفد قرحان)

وقد رمى ضابئُ بن الحرث البُرجُمىُّ أمّ أناس من العرب ، أنّ الكلب الذى كان يسمَّى قُرْحان[4] ، كان يأتى أمَّهم ، حتّى استعدَوا عليه ، وحبسه فى ذلك عثمان بنُ عفّان رضى الله تعالى عنه . ولولا أنّ المعنى الذى رماهم به

---

(١) جواب لو محذوف ، وذلك من دأب الجاحظ .

(٢) أشظ الرجل : أنعظ . وفى الأصل : « انتشط » .

(٣) مغيبات : غاب عنهن أزواجهن .

(٤) انظر قصة « قرحان » فى الخزانة ٤ : ٨٠ بولاق والنقائض ٢١٩ ليدن ومعاهد التنصيص ١ : ٦٦ والشعراء ٣٠٩ .

كان مما يكون ويجوز ويُخافُ مثلُه ، لَما بلغ منه عثمانُ ما بلغ ، حتّى مات في حبسه[١] . وفي ذلك يقول ضابئ بن الحارث :

تجشَّم نَحوى وَفْدُ قُرحانَ شُقَّةً تَظَلُّ بها الوَجناءُ وهى حَسِيرُ
١٨٢ فزوّدتُهم كلباً فراحوا كأنما حَباهم بتاجِ الهرمزان أميرُ[٢]
فأمَّكم لا تتركوها وكلبَكم فإنَّ عقوقَ الوالداتِ كبيرُ
إذا عَثّنَتْ من آخر الليل دُخْنة يبيت له فوقَ السريرِ هَرِيرُ[٣]

(قصص تتعلق بالكلاب)

وزعم اليقطريُّ أنّهُ أبصرَ رجلاً يكُومُ كلبةً من كِلاب الرعاء ، ومرَّ بذلك الزُّبِّ العظيمِ فى ثفرها — والثَّفرُ منها ومن السبع ، كالحِرِ من المرأة والظَّبْية من الأتان والحِجر ، والحياء من الناقة والشاة — فزعم أنّها لم تعقِد عليه ، ولا ندرى أمكّنته أم اغتصبَها نفسَها .

وأما النَّاس ففى مُلح أحاديثِهم : أَنّ رجلاً أشرفَ على رجل وقد ناك كلبةً فعقَدت عليه ، فبقى أسيرا مستخْزِيا[٤] يدورمعهاحيث دارت . قال : فصاح به الرجل : اضربْ جَنبَيها . فأطلقته ، فرفَعَ رأسه إليه ، فقال : أَخزاه الله أىُّ نيَّاكِ كلْباتٍ هو !

---

(١) كتب مصحح الطبعة الأولى من الحيوان : « اتفق أهل الأخبار أن ضابئاً كسر ضلع عثمان يوم الدار وأن الحجاج قتل ضابئاً لما ولى العراق » .

(٢) فى الخزانة والنقائض : « بتاج الهرمزان » ، وفى الأصل : « بتاج المرزبان » ، والتاج لايكون إلا للملك وما المرزبان إلا رئيس من الرؤساء . وفى الطبرى ٥ : ١٣٧ : « ببيت المرزبان » .

(٣) عثنت : دخنت ، وفى الأصل : « عاينت » وصوابه فى الخزانة والنقائض .

(٤) ط : « مستحذيا » وصوابه فى س .

وخبّرنى من لا أردُّ خبره ، أنّه أشرفَ من سطحٍ له قصير الحائط ، فإذا هو بسَوادٍ فى ظِلِّ القمر فى أصل حائط ، وإذا أنينُ كلبة ، فرأى رأسَ إنسان يدخل فى القمر ، ثم يرجع إلى موضعه من ظِلِّ[1] القمر ، فتأمّل فى ذلك[2] فإذا هو بحارس ينيك كلبة . قال: فرجمتُه وأعلمته أنّى قد رأيتُه ، فصبَّحنى من الغد يقرَع الباب علىّ ، فقلت له : ما حاجتك ؟ وما جاء بك ؟ فلقد ظننتُ أنّك ستركب البحر أو تمضى على وجهك إلى البرارى . قال : جُعِلتُ فِداك ، أسألك أن تستُر علىّ ، ستَرَ الله عليك ، وأنا أتوب على يديك ! قال : قلت ويلَك ، فما اشتهيتَ مِن كلبة ؟ ! قال : جُعلت فداك ،كلُّ رجلٍ حارسٍ ليس له زوجةٌ ولا نجل[3] ، فهو ينيك إناثَ الكلاب[4] إذْ كنَّ عِظامَ الأجسام . قال : فقلت : فما يخاف أن تعضّه ؟ قال : لو رَامَ ذلك منها غيرُ الحارس التى هى له وقد باتتْ معه فأدخلها فى كِسائه فى ليالى البرد والمطر ، لما تركته . وعلى أنّه إن أراد [أن][5] يوعبه كلَّه لم تستقرّ له . قال : ونسيتُ أنْ أسألَه : فهل تعقِد على أيور النّاسِ كما تعقِد على أيور الكلاب ؟ فلقيته بعدَ ثلاثين سنة ، فقال : لا أدرى لعلّها لا تعقد عليه ، لأنَّهُ لايُدْخِلُهُ فيها إلى أصله ، ولعلّ ذلك أيضاً إنّما هو شىءٌ يحدث بين الكلب والكلبة ، فإذا اختلفا لم يقع الالتحام . قال : فقلتُ : فَطَيِّبٌ هو ؟ قال : قد نكْت عامَّة إناثِ الحيوانات فوجدتُهُنّ كلَّهنّ أطيَبَ من النساء . قلتُ : وكيف ذلك ؟ قال :

---

(١) فى الأصل : « ظلمة » والوجه ماأثبت .
(٢) فى الأصل : « فتأمل إنسان فى ذلك » .
(٣) كذا .
(٤) ط : « إناثا الكلاب » .
(٥) الزيادة من س .

ما ذاك إلاّ لشدَّة الحرارة . قال : فطال الحديث حتى أَنِس فقلتُ له : فإذا
١٨٣ دار الماء فى صُلْبك وقرُبَ الفراغ ؟ قال : فربّما التزمتُ الكلبةَ وأهوَيتَ إلى تقبيلها . ثم قال : أمَا إنَّ الكلابَ أطيبُ شيءٍ أفواهاً ، وأعذَبُ شيءٍ رِيقا ؛ ولكن لايمكن أنْ أنيكها من قُدَّامٍ ، ولو ذهبتُ أن أنيكها من خلف وثَنيتُ رأسَها إلى أنْ أقبّلها ، لم آمَنْ أنْ تظنَّ بى أنى أريدُ غيرَ ذلك فتُكدِّم فى ووجهى . قال : فقلت : فإنّى أسألُك بالذى يستُرُ عليك ، هل نَزَعت عن هذا العمل مُنْذُ أعطيتَنى صفقةَ يدِك بالتَّوبة ؟ قال : ربّما حنَنتُ إلى ذلك فَأَحتبسُ(١) بعهدك . قال : وقلتُ : وإنَّك لتحنُّ إليها ؟ قال : والله إنى لأَحِنُّ إليها ، ولقد تَزَوَّجتُ بعدَك امرأتين ، ولى منهما رجالٌ ونساء ، ومن تعوّد شيئاً لم يكد يصبِرُ عنه ! قال : فقلت له : هل تَعرف اليومَ فى الحُرّاس مَن ينيك الكلبات ؟ قال : نعم ، خذ محموَيه الأحمر ، وخذ يشجب الحارس ، وخذ قفا الشاة ، وخذ فارسا الحَمّامىّ فإنّ فارساً كان حارساً وكان قيِّم حَمّام ، وكان حَلَقيًّا ، فزعم أنّه ناكَ الكلابَ خمسين سنة ، وشاخ وهُزِلَ وقبُح وتشنَّج ، حتّى كان لا يُنيكه أحد . قال : فلم يزَلْ يحتالُ لكلب عندَه حتى ناكه . قال : وكان معه بخير حتَّى قتله اللصوص، ثمَّ أشرفَ على فارسٍ (٢) ، هذا المحتسِبُ الأحدبُ ، وهو ينيك كلبةً فرماه بحجر فدمَغَه(٣) .

قال : فالكلاب كما ترى تُتَّهم بالنساءِ ، وينيكها الرجال ، وتنيك الرجال ، وليس شيءٌ أحقّ بالنفى والإغراب والإطراد وبالقتل منها . ونحن

---

(١) لعلها : « فأخيس » .
(٢) فى الأصل : « فاس » وصوابه ماأثبت .
(٣) دمغه : أصاب دماغه .

من السباع العادِيَة الوحشيَّة فى راحة ، إلاّ فى الفَرْط(١) فإنّ لها عُرامًا على بعض الماشية ، وجناية على شرار العامَّة(٢) وكذلك البهائم . وما عسى أن يبلغ من وطْءِ بعير ونطح كبش ، أو خمش سِنّورٍ أو رَمْح حمار ، ولعلّ ذلك يكون فى الدهر المرّةَ والمرّتين ، ولعلّ ذلك أيضاً لا ينال إلاّ عبداً أو خادماً أو سائسا ، وذلك محتَمل . فالكلاب مع هذه الآفات شركاءُ الناس فى دورهم وأهاليهم ! !

قال صاحب الكلب : إنْ كنتم إلى الأذى بالسُّلاح تذهبون ، وإلى قَشرِطِين السطوح بالبراثن تميلون ، وإلى نتن السُّلاح وقذَر المأكول والمشروب تقصدون ، فالسِّنَّورُ أكثر فى ذلك . وقد رويتم عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك أنّه قال : « هُنَّ مِنَ الطَّوَّافاتِ عليكم ». فإذا كان ذلك فى السنانير مغتفراً ، لانتفاعهم بها فى أكل الفأر ، فمنافع الكلاب أكثرُ ، وهى بالاعتقاد أحقّ . وفى إطلاق ذلك فى السنّور دليلٌ على أنّه فى الكلاب أجْوَز .

وأمَّا ما ذكرتم من إنعاظه ، فلعمرى إنّه ما ينبغى للغَيورِ أن يُقيم الفرسَ
ولا البِرذونَ والبغلَ والحمارَ والتَّيس فى المواضع التى تراها النساءُ . والكلبُ ١٨٤
فى ذلك أحسنُ حالا . وقد كرِه ناسٌ إدخال منازلهم الحمامَ والدِّيكةَ والدجاج والبطّ خاصة ؛ لأنّ له عند السفاد قضيبا يظهر ، وكذلك التيس من الظباءِ ، فضلا عن تُيوس الصفايا . فهذا المعنى الذى ذكرتمْ يجرى فى وجوهٍ كثيرة

---

(١) الفرط : الندرة . وفى ط : « الفرق » .

(٢) كذا .

وعلى أنّ للحمام[١] خاصَّةً من الاستشارة[٢] ، والكَسْم بالذنب ، والتقبيل الذى ليس للناس[٣] مثلُه ، ثمَّ التقبيل والتغزّل والتنفُّش[٤] ، والابتهاج بما يكون منــه بعدَ الفراغ ، وركوب الأنثى للذكر و [عدم][٥] إمكانها لغير ذكرها ، ما يكونُ أهيجَ للنساء مِمَّا ذكرتم[٦] . فلِمَ أفردتم الكلب بالذِّكر دونَ هــذه الأمورِ ، التى إذا عاينت المرأة غُرمُولَ وَاحِدٍ منها ، حقَرت بعلَها أو سيِّدَها ، ولم يزل ظلُّ ذلك الغرمول يعارضها فى النوم ، وينبِّهها ساعةَ الغفلة ، ويُحدِث لها التمنِّيَ لما لا تقدر عليه ، والاحتقارَ لما تقدر عليه ، وتركتم ذكر ما هو أجلُّ وأعظمُ إلى ما هو أخسُّ وأصغر ؟!

فإنْ كنتم تذهَبون فى التشنيع عليه إلى ما يعقر من الصبيان[٧] عنــد العَبث والتعرُّض ، والتَّحَكك والتهييج[٨] والتحريش ، فلو أنّ الذى يأتى صبيانُكم إلى الكلب ، من الإلحاح بأصناف العَبَث — والصِّبيانُ أقسى الخلْقِ وأقلهم رحمةً — أنْزَلُوهُ بالأحنف بن قيس ، وقيس بن عاصم ، بل بحاجب بن زُرارة وحِصن بن حُذَيفة ، لَخَرَجُوا[٩] إلى أقبحَ ممَّا يخرج إليه الكلب . ومَن ترك منهم الأخذَ فوق يدِ ابنه ، فهو أحقُّ باللائمة .

---

(١) ط : « الحمام » وصوابه فى س .
(٢) الاستشارة : إظهار الحسن . من استشارت الإبل : سمت وحسنت .
(٣) فى الأصل : « الناس » .
(٤) فى الأصل : « والتنفس » .
(٥) زيادة يقتضيها الكلام وليست فى الأصل .
(٦) ط : « ماذكرتم » وصوابه فى س .
(٧) س : « يعقره الصبيان » ط : « يعقرن الصبيان » والوجه ماأثبت .
(٨) فى الأصل : « والتهيج » والوجه : « التهييج » .
(٩) ط : « يخرجوا » وصوابه فى س .

وبعدَ فما وجدْنَا كلباً وثبَ على صبىٍّ فعقَره مِنْ تلقاءِ نفسه ، وإنّه ليتردَّد عليه وهو فى المهد ، وهو لحمٌ على وضَم ، فلا يشَمُّه ولايدنو منه . وهو أكثرُ خلقِ الله تعالى تشمُّماً واستروَاحا ؛ وما فى الأرضِ كلبٌ يلقى كلباً غريباً إلاَّ شمّ كلُّ واحدٍ منهما استَ صاحبِه ، ولا فى الأرضِ مَجوسىٌّ يَموت فيُحْزَن على موتِه ويحمل إلى الناوُوس إلاَّ بعد أن يُدنى منـه كلبٌ يشَمُّه ، فإنّه لا يخفى عليه فى شمِّه عندَهم ، أحىٌّ هو أم ميِّتٌ ؛ للطافَةِ حِسِّه ، وأنّه لا يأكل الأحياء[١] . فأمَّا اليهود فإنّهم يتعرَّفون ذلك من الميّت ، بأن يدهُنوا استَه. ولذلك قال الشاعر[٢] وهو يرمى ناساً بدين اليهودية :

إذا مات منهم ميِّتٌ مَسَحُوا اَسْتَهُ   بدُهنٍ وحَفُّوا حَوْلَه بقرَامِ

(جنايات الديك)

وقالوا : فإذا ذكرتم جناياتِ الكلاب ، فواحدٌ من جنايات الدِّيَكة أعظمُ من جنايات الكلاب ؛ لأنّ عبد الله بن عثمان بن عفّان ، ابنَ بنت ١٨٥
رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنّمـا مات من نقرِ ديكٍ فى دار عثمان ، نقر عينه فكان سبَبَ موته . فقتْلُ الديك لعِتْرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أعظمُ من كثيرٍ ممّـا تستعظمونَه من جنايات الكلاب .

وقد نقر ديكٌ عينَ ابن حَسَكة بن عَتَّاب[٣] ، أو عين ابن أخته .

---

(١) ط : « الأحيا » .

(٢) هو سالم بن دارة يهجو طريف بن عمرو ، كما فى اللسان (حمم) . وقبل البيت :

إنى وإن خوفت بالسجن ذاكر   لشتم بنى الطماح أهـل حمام

(٣) فى الأصل : « عباد » صوابه فى الاشتقاق ٣٢٩ والبيان ٤ : ٣٦ .

وقد نقر ديك عين ابن الريان بن أبى المسيح وهو فى المهد فاعورّ ، ثمّ ضربته الحُمرة فمات .

ووثب ديك فطعن بصِيصَته عين[1] بنتٍ لثمامة بن أشرس ، قال ثمامة : فأتانى الصّريخ ، فوالله ماوصلتُ إليها حتى كَمَد وجهُها كلُّه واسوَدَّ الأنفُ والوَجْنتان وغارت العينان . وكان شأنُ هذا الديك - فيما زعم ثمامة - عجباً من العجب : ذكر أنَّ رجلا ذكر أنَّ ديكاً عند بقّالٍ لهم ، يقاتل به الكلاب ، قال : فأتيت البقّال الذى عنده فسألتُه عن الديك ، فزعم أنّه قد وجّه به إلى قتال الكلاب ، وقد تراهنوا فى ذلك . فلم أبرحْ حتَّى اشترَيْتُهُ ؛ وكنتُ أصونُه وجعلته فى مَكَنّة ، فخرجت يومًا لبعض مصلحةٍ وأقبلت بنتى هذه لتنظر إليه ، فكان هذا جزائى منه !

قال : وديكٌ آخر أقبل إلى رأس زيد بن عمر : حتَّى وطئَ فى ذؤابته ثمّ أقبَلَ ينقرُ دماغه وعينيه . فقال رجل من قريش ، لمن حضر ذلك من الخدم :

اطردوا الديك عن ذؤابة زيد طالما كان تَطَاهُ الدَّجاجُ[2]

(نفع الكلب)

والكلب إن كان كما يقول ، فإنَّ له يدًا تشجُّ[3] وأخرى تأسُو ، بل مايدفَعُ الله بحراسته ويُجلب من المنافع بصيده[4] أكثرُ وأغمر ، وهو

(١) فى الأصل : « فى عين » .

(٢) جاء هذا البيت فى الأصل كلاما منثورا . وانظره فى الكامل ٧١٠ ليبسك . وفى الاصل أيضاً « لاتطؤها » وتصحيحه من الكامل ،

(٣) فى ط : « تسبح » وهو تحريف مافى س .

(٤) ط : « بعبده » وتصحيحه من س وم .

الغامر لا المغمور ، والفاضل لا المفضول . والديك يفقأ العُيونَ و ينقرُ الأدمغة و يقتل الأنفس ، و يشُجُّ ولا يأسو ؛ فشرُّه صِرف وخيره ممزوج . إلاَّ أنْ يزعموا أنّه يحرس من الشيطان ، فيكون هذا من القول الذى يحتاج إلى البرهان . و[من][1] عارض منافعَ الكلاب وحراستَها أموالَ الناس من اللصوص ، ومنعَ السِّباع من الماشية ، وموضعَ نفع الكلب فى المزارع — وذلك عيان ونفعه عامٌّ وخطبه عظيم — بما يُدَّعَى من حراسة الدِّيكة للشيطان ؛ لم يكايل ولم يُوازن ولم يَعرف المقايسة ، ولا وقَف قطُّ على معنَى المقابلة[2] ودَلَّ بذلك على أنَّ مبلغَ رأيِه لايجوز رأىَ النساء .

(العواء وما قيل من الشعر فيه)

ويكون العُواء للكلب والذئبِ والفصيل . وقال النابغة[3] :

ألم أكُ جارَكم فتركتمونى ... لِكلبى فى ديارِكمُ عُواءُ ١٨٦

وقال الشاعر :

و إنِّى امرؤٌ لاتقشعِرُّ ذؤابتى ... من الذئب يَعوِى والغرابِ المحجَّلِ

وقال الشاعر[4] :

ومستَنْبحٍ تَستَكشِط الريحُ ثَوْبَه ... ليَسقُطَ عنهُ وهو بالثوب مُعْصِمُ

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل « المقاتلة » وليس له وجه .

(٣) كذا . والبيت للحطيئة مثبت فى ديوانه بشرح السكرى من قصيدة مطلعها :

ألا أبلغ بنى عوف بن كعب ... وهل قوم على خلق سواء

(٤) الأبيات فى الحماسة ٢ : ٢٦٠ .

عَوى فى سوادِ الليل بعدَ اعتسافِه ... لينبَحَ كلبٌ أو ليفزَعَ نُوّمُ

فجاوبَهُ مستسمِعُ الصوتِ للقِرَى ... له مع إتيان الُمهبِّينَ مَطْعَمُ

يَكَادُ إذا ماأبصر الضيفَ مُقْبِلاً ... يكلِّمهُ من حبِّهِ وَهوَ أعجَمُ

وقال ذو الرُّمَّة :

به الذئبَ محزوناً كأنَّ عواءَه ... عواءُ فصيل آخرَ الليلِ مُحْثَلِ

وقال آخر :

ومنهلٍ طامسة أعلامُـــــه ... يَعوِى به الذئبُ وتَزقُو هامُه

وقال عَقيل بن عُلّفة يهجو زبَّان بن منظور .

لا باركَ اللهُ فى قومٍ يسودهمُ ... ذئبٌ عَوى وهومشدود على كُورِ

لم يبقَ من مازنٍ إلاَّ شرارُهُم ... فوقَ الحصَى حولَ زبّان بنِ منظورِ

وقال غَيلان بن سلمة (١) :

ومعرِّس حين العشاء به ... الحبس فالأنواء فالعقل (٢)

قد بثَّه وهنــاً وأرّقنى ... ذئب الفلاةِ كأنّه جِذلُ

فتركته يعوِى بقَفرتِه ... ولكلِّ صاحِب قفرةٍ شكلُ

بتَنُوفةٍ جــرداءَ يجزعها ... لِحَب يلوحُ كأنّه سَحْل (٣)

وقال مغلّس بن لقيط (٤) :

عوى منهُمُ ذئبٌ فطرَّب عادياً ... على فعليات مُسْتَتَارٍ سخيمها (٥)

---

(١) كان من حكماء العرب فى الجاهلية وحكامهم . انظر الإصابة ٦٩١٨ والأغانى ١٢ : ٤٣-٤٧ .

(٢) كذا فى الأصول .

(٣) يجزعها : يقطعها ، وفى ط : « لجب » وصوابه بالحاء كما فى س و م .

(٤) مغلس بن لقيط : شاعر من شعراء الجاهلية ، له ترجمة فى الخزانة ٢ : ٤١٩ بولاق .

(٥) ط : « مستشار » .

إذا هُنَّ لم يلحَسْنَ من ذى قرابةٍ　　دماً هُلِستْ أجسادُهـا ولحومُها[١]

وقال الأحيمرُ السعديُّ[٢] : ١٨٧

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئبِ إذ عوى

وصوَّتَ إنسان فكِدتُ أطيرُ

وقال آخر[٣] :

وعاوٍ عوَى واللّيْلُ مستحلس الندى

وقد زَحَفَتْ للغور تالية النَّجِم[٤]

وذلك أنَّ الرجلَ إذا كانَ باغياً أو زائرا ، أو ممَّن يلتمِس القرَى ، ولم يرَ بالليل نارًا ، عوى ونبح ، لتجيبَه الكلاب ، فيهتدى بذلك إلى موضع الناس .

وقال الشاعر :

ومُستَنبِحٍ أهلَ الثَّرى يَلمَس القِرى

إلينا ومَمساه من الأَرض نازح

وقال عمرو بن الأهتم :

ومستنبحٍ بعدَ الهُدُوِّ دعوتُه　　وقد حانَ من سارِى الشِّتاء طُروق

فهذا من عواء الفصيل والذئب والكلب .

---

(١) فى معجم المرزبانى ٣٩١ :

إذا هن لم يولغن من ذى قرابة　　دما هاست أبدانها ولحومها

(٢) ط : « الأحمر » وصوابه فى س . وهو شاعر من لصوص العرب .

(٣) البيت لحميد الأرقط كما فى البخلاء ٢٠٠ .

(٤) ط : « للفور » وصوابه فى س . وفى الأصل : « مستجلس الندى » وصوابه فى البخلاء ٢٠٠ . استحلس الندى : تراكم .

(ما قالوا فى أنس الكلب وإلفه)

وقال صاحب الكلب : ومما قالوا فى أنْس الكلب وإلفه ، وحبّه لأهله ولمن أحسَنَ إليه قول ابن الطّثريّة [١] :

يا أُمَّ عمرٍو أنجِزِى الموعودا وارعَىْ بذاكِ أمانةً وعُهُودا
ولقد طرقْتَ كلابَ أهلِكِ بالضُّحَى حتّى تركتُ عَقُورَهُنَّ رُقُودا
يضرِبْنَ بالأذنابِ مِن فرحٍ بنا متوسِّداتٍ أذرُعاً وخـدودا

وقال الآخر [٢] :

لو كُنْتُ أحمِلُ خمرًا يومَ زرتُكم لم يُنكِرِ الكلبُ أنِّى صاحب الدّارِ
لكنْ أتيتُ وريحُ المِسْكِ يفعمنى والعنبرُ الوَرْدُ أُذكيه على النار [٣]
فأنكر الكلب ريحى حين أبصرنى وكان يعرف ريح الزِّقِّ والقار

وقال أبو الطّمَحان القينىّ فى الإلف ، وهو يمدح مالك بن حمار الشَمْخى [٤] :

سأمدَحُ مالكاً فى كلِّ رَكب لقيتُهمُ وأتركُ كلَّ رَذْلِ

---

(١) فى الأصل : « وقال ابن الطثرية » والوجه ماأثبت . والشعر فى البخلاء ٢٠٣ .

(٢) الشعر فى البيان ٣ : ٣١١ منسوب إلى بعض الحجازيين ، وانظر البخلاء ٢٠٢. وهو فى الحماسة ٢ : ٢٣٣ منسوب إلى مالك بن أسماء الفزارى ، وهو شاعر إسلامى غزل ، وأخته هند بنت أسماء زوج الحجاج ، وهو ممن عرف بالجمال فى العرب . ترجم له أبو الفرج فى أغانيه ١٦ : ٤٠ - ٤٦ .

(٣) فعمه الطيب وفغمه : ملأ خياشيمه . وفى الأصل : « ينعمنى »، وصوابه فى البخلاء ٢٠٢. وفى الحماسة ٢ : ٢٣٣ : « يفغمنى » بالغين ، وفيها « وعنبر الهند أذكيه » .

(٤) هو قتيل خفاف بن ندبة ، وله أخبار فى الأغانى والاشتقاق ١٧٢ .

فما أنا والبكارَةُ من مخاضٍ عِظامٍ جِلَّةٍ سُدُسٍ وبُزْلِ
وقد عرفَتْ كلابُهمُ ثيابى كأنِّى منهمُ ونسيتُ أهلى
نَمَتْ بك من بنى شَمْخٍ زِنَادٌ لها ما شئتَ مِن فرعٍ وأصلِ

وقال الشاعر فى أنَس الكلاب وإلفها ، يذكر رجلا : ١٨٨

عنيف بتَسْواقِ العِشارِ ورَعْيِها ولكنْ بتَلْقَامِ الثَّرِيدِ رفيقُ
سَنِيد يظَلُّ الكلب يمضَغُ ثوبَه له فى ديارِ الغانيات طرِيق

وقال الآخر :

بات الحويرثُ والكلاب تَشَمُّه وسَرت بأبيضَ كالهلال على الطَّوَى

وقال ذو الرمة :

رأتنى كلابُ الحى حتَّى ألِفَننى ومُدَّت نُسوجُ العنكبوت على رحلى (١)

وقال حسَّان بن ثابت :

أولاد جَفْنَةَ حولَ قبرِ أبيهمُ قبرِ ابْنِ ماريةَ الكريمِ المُفْضِلِ
بيض الوجوهِ نقيَّةٌ حُجزاتُهمْ شمُّ الأنُوفِ من الطِّرازِ الأَوَّلِ (٢)
يُغشَوْنَ حتَّى ما تَهِرُّ كلابهم لا يَسألونَ عن السَّوادِ المقبِلِ

وفى هذا المعنى قال الشاعر :

وبوَّأت (٣) بيتك فى مَعلمٍ رَحِيب المَبَاءةِ والمسْرحِ
كفيتَ العُفاةَ طِلابَ القِرَى ونَبْحَ الكلاب لمستَنْبِحِ (٤)

---

(١) فى الأصل : « رأيت » والوجه « رأتنى » كما فى البخلاء ٢٠٢ . وفى الديوان ٤٩١ : « أتتنى » . وفى ط : « على رحل » وصوابه فى س والديوان .
(٢) الحجزة : معقد الإزار . وفى الأصل : « حجراتهم » وليس بشىء .
(٣) فى الأصل : « وبوات » تحريفه ، وأصله من بوأته فى المنزل : أنزلته به .
(٤) فى الأصل : كلاب الضرام « وقبح » ، صوابه فى الحيوان ٥ : ١٣٥ . وانظر اللسان ٢ : ٢١٩ س ٨ .

تَرَى دَعْس آثَارِ تلك المطىِّ أخادِيدَ كاللَّقم الأفيَحِ
ولو كُنْتَ فى نفق زائغٍ لكُنْتَ على الشرك الأوضَحِ(١)

وفى مثل ذلك ، وليس فى ذكر إلف الكلاب ، ولكِنَّه مما ينبغى أن يكون مجموعاً إلى هذه الأشعار ، وبك إلى ذلك حاجة شديدة ، قال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْت :

لا الغيَايَاتُ مُنتَــواكَ ولكنْ فى ذُرَى مُشْرِفِ القُصورِ ذرَاكا

وقال البزَّار الحلِّىّ ، فى المعنى الأول :

ألِفَ الناسَ فما ينبَحُهُمْ مِنْ أسيف يبتغى الخيرَ وحُرّْ(٢)

وقال عِمران بن عصام :

١٨٩ لِعَبْدِ العزيزِ على قَوْمِه وغَــيرهِمُ مِنَنٌ غَامِرَهْ(٣)
فبابك ألينُ أبوابهــم ودارُك آهِــلَةٌ عامِــرهْ
وكلبُك آنس بالمعتفِين من الأُمِّ بابنتها الزَّائرهْ
وكفُّك حين ترى السائلين أندَى من اللَّيلةِ الماطرهْ
فمِنك العَطاءُ ومنَّا الثَّناءُ بكلِّ محــبَّرةٍ سائرهْ

وقال هلال بن خثعم(٤) :

إنِّى لَعَفٌّ عن زيارة جارَتى وإنِّى لَمَشْنوءٌ إلىّ اغتيابُها

---

(١) ط : « ولو كنت فى نفع » والوجه مافى س و م .

(٢) فى الأصل : « فيما » ولا يستقيم بذلك معنى الوزن ووزنه ، صوابه فى البخلاء ٢٠٢ مع نسبة الشعر فيه إلى المرار الحمانى .

(٣) الشعر فى الأغانى ١ : ١٢٩ منسوب إلى نصيب . وعبد العزيز هذا هو ابن مروان.

(٤) كذا نسب الشعر فى البخلاء ٢٠٢ . ويروى لقيس بن الخطيم . وقد رواه ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ١٨٣ وكذا ابن الشجرى فى الحماسة ١٣٥ لبشار بن بشر .

إذا غابَ عنها بعلها لم أكنْ لها ... زَءُوراً ولم تأنَسْ إلىَّ كلابُها
وما أنَا بالدَّارِى أَحاديثَ سِرِّها ... ولا عالِمٍ مِنْ أىِّ حوكٍ ثِيابُها[1]
وإنَّ قِرابَ البطنِ يكفيك ملؤهُ ... ويَكفيك سوءاتِ الأمورِ اجتنابُها

وقال حاتم الطائى ، وهو حاتم بن عبد الله ، ويكنى أبا سَفّانة ، وكان أسره ثوب بن شَحمة العنبرىّ مُجير الطير[2] :

إذا ما بخيلُ النَّاس هَرَّتْ كلابُه ... وشَقَّ على الضَّيفِ الغريبِ عَقُورُها
فإِنِّى جبانُ الكلب بيتى موطَّأٌ ... جَواد إذا ما النَّفسُ شَحَّ ضميرُها
ولكن كلابى قد أُقِرَّت وعُوِّدت ... قليل على مَن يعتريها هَريرُها

(هجو الناس يهجو كلابهم)

وقال صاحب الكلب : إنَّ كثيراً من هجاءِ الكلب ، ليس يراد به الكلب ، وإنَّما يراد به هِجَاءُ رجلٍ ، فيجعل الكلب وُصلةً فى الكلام ليبلغ ما يريدُ من شتمه . وهذا أيضاً ممـا يرتفق الناسُ به من أسباب الكلاب . ولذلك قال الشاعر[3] :

مِن دونِ سَيبك لونُ ليل مظلمٍ ... وحَفيف نافجةٍ وكلب مُوسَدُ[4]
وأخوكَ محتمل عليك ضغينة ... ومُسِيفُ قومِك لائم لا يَحْمَدُ

---

(١) فى الأصل : « حول » وأثبت ما فى عيون الأخبار .
(٢) فى الأصل : « ثور » وانظر التنبيه رقم (٣) ص ٢٦٩ .
(٣) هو حسيل بن عرفطة ، شاعر جاهلى . النوادر لأبى زيد ٧٥ . وانظر الحيوان ٤ : ٨٢ وديوان المعانى ٢ : ١٠٦ .
(٤) النافجة : الريح تجىء بقوة . وفى الأصل : « نافخة » وإنما الحفيف للريح . وتصحيحها من النوادر لأبى زيد . ويقال أوسد كلبه : أغراه بالصيد ، فهو موسد .

والضّيفُ عِنْدَكَ مثلُ أسودَ سالخ لا بلْ أحبُّهما إليك الأَسودُ

فهذا قول الشاعر . وقال الآخر :

وما يكُ فىَّ مِن عيبٍ فإنِّى جَبَانُ الكلبِ مَهْزولُ الفصيلِ

فهو لم يردْ مدحَ الكلب بالجبن ، وإنَّما أراد نفسه حين قال :

* وحفيف نافجة وكلب موسد[1] *

فإن كان الكلبُ إنما أسرَه أهلُه ، فإنَّما اللوْم على من أسرَه . وإنما هذا الضّرب كقوله[2] :

قوم إذا استنبَحَ الأَضيافُ كلبهمُ قالوا لأُمِّهمُ بُولى على النَّارِ

ومعلوم أنّ هذا لا يكون ، ولكن حقَّر أمرهم وصغَّرهم .

وقال ابن هَرْمة :

وإذا تنوَّرَ طارِق مستنبِح نبحَتْ فَدَلَّتْهُ علىّ كلابى[3]

وقال ابن مهية :

جَلبنا الخيلَ من شُعَبَى تَشَكَّى حوافِرَها الدوابرَ والنُّسورا
فلما أنْ طَلَعن بعين جعدى وأهل الجوف ان قتلوا غرورا
ولم يكُ كلبُهم ليفيق حتَّى يُهارِشَ كلبُهم كلبا عَقورا

ومعلوم أنَّ هذا لا يكون ، إنما هو مثل . وقال أعرابىّ :

---

(١) فى الأصل : « نافخة » ، وانظر التنبيه السابق .
(٢) البيت للأخطل يهجو به جريرا . وفيه قالت بنو تميم : « ماهجينا بشعر هو أشد علينا من هذا البيت ! » . ديوان المعانى ١ : ١٧٥ .
(٣) فى الأصل : « كلاب » .

أخو ثقةٍ قَدْ يحسبُ المجدَ فُرصةً إلى أهله أو ذِمَّةً لا تُخَفَّرُ
حبيبٌ إلى كلبِ الكريمِ نباحُه كريهٌ إلى الكوماءِ والكلبُ أبصَرُ

وقال ابن هَرْمة :

وفرحة من كلابِ الحيِّ يتبَعُها شَحمٌ يَزِفُّ به الداعِي وتَرعِيبُ

فهذا قول هؤلاء . وقال الآخر :

هَجَمْنَا عليه وهو يَكعَمُ كلبَه
دَعِ الكلبَ يَنْبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ[1]

وقال الآخر :

وتَكْعَم كلبَ الحيِّ مِن خَشيةِ القِرى
ونارُكَ كالعَذْراءِ مِنْ دُونها سِتْرُ[2]

وقال أعشى بنى تغلب :

إذا احتلَّت معاوية بن عمرو على الأطواء خَنَّقَتِ الكلابا

فالكلاب مرَّةً مكعوم[3] ، ومرّة مخنوق ، ومرّة مُوسَد ومحرَّش ، ومرةً يجعله جبانا ، ومرَّةً وثَّابا ، كما قال الراعى فى الحطيئة :

ألاَ قبَّحَ اللهُ الحطيئةَ إنّه على كلِّ ضيفٍ ضافَه فهو سالحُ
وقعنا إليه وهو يخنُقُ كلبَه دَع الكلبَ ينبَحْ إنَّما الكلبُ نابحُ

وقال أعشى بنى تغلب :

---

(١) ط ، س : « يطعم » وصوابه فى م . وانظر التنبيه رقم ٣ ص ٣٦٧

(٢) فى الأصل : « وتطعم » صوابه فى اللسان (كعم) .

(٣) فى الأصل : « مطعوم » ، والوجه ماأثبت .

بكَيْتَ على زادٍ خبيثٍ قَرِيتَه ألا كلُّ عَبْسىٍّ على الزادِ نابحُ(١)

وقال الفرزدق :

ولا تنزع الأضياف إلّا إلى فتًى إذا ما أبَى أن ينبَحَ الكلبُ أوقدا

(وقال الآخر :

* دَع الكلبَ ينبَحْ إنّما الكلبُ نابحُ *

وقال الآخر :

* ألا كلُّ كلبٍ لا أبا لَكَ نابحُ *

وقال الفرزدق :

* إذا ما أبى أن ينبَحَ الكلبُ أوقَدَا(٢)) *

ومتى صار الكلب يأبى النباح ؟ ! فهذَا يدُلُّ على أنّهم يتشفّون بذكر الكلب ، ويرتَفِقُونَ به ، لا على أنّ هذا الأمرَ الذى ذكروه قد كانَ على الحقيقة :

وقال الآخر ، وهو جرير(٣) :

ولوكنت فى نَجْرَانَ أو بِعَمَايةٍ إذن لأَتانى من رَبيعة راكبُ(٤)

---

(١) البيت فى العمدة ٢ : ١٥١ منسوب إلى الراعى . وقد رواه تاليا للبيت السابق ، برواية :

* ألا كل عبسى على الزاد نائح *

وانظر البخلاء ٢٠٣ .

(٢) ماوضع بين قوسين هو تكرار لأعجاز أبيات سابقة، ولست أدرى لم أعيدت .

(٣) « وهو جرير » ، الأرجح أن تكون مثل هذه الزيادة من أقلام الناسخين أو القارئين . والأبيات فى ديوان جرير ص ٤٢ طبع ١٣٤٥ .

(٤) نجران : مخلاف باليمن . وعماية : جبل بالبحرين . ورواية الديوان : « ولو كنت فى غمدان » .

يُثير الـكلابَ آخرَ اللّيلِ وَطؤُه   كضَبٍّ العرَادِ خَطْوُه متقارِبُ[١]

فباتَ يُمَنِّينَا الربيعَ وصَوْبَه   ويَنْظُرُ من لُقَّاعةٍ وهو كاذب[٢]

فذكر تقارُبَ خطوه ، وإخفاءَ حركته ، وأنَّه مع ذلك قد أثار[٣] الـكلاب من آخر الليل ، وذلك وقت نومها وراحتها ، وهذا يدلُّ على تيقُّظها ودِقَّة حسِّها .

وفيما ذكروا مِن حالة الـكلب لسبب القرى من البرد ، والذى يلقى ، وكيف الشأن فى ذلك ، قال أعشى باهلة :

وأجْحَرَ الـكلبَ مُبْيَضٌّ الصَّقِيع بِهِ

وأَلجأ الحىَّ من تنفاحه الُحجَرُ[٤]

---

(١) العراد : شجر صلب العود منتشر الأغصان . والعرب تقول : قيل للضب وردا وردا ، فقال :

أصبح قلبي صردا   لايشتهى أن يردا

إلا عرادا عردا   وصـليانا بردا

وعنكثا ملتبدا

وفى الأصل : « كضب العرار » وهو تحريف ، جاء على الصـواب الذى أثبت فى الديوان .

(٢) اللقاعة : الـكثير الـكلام . ورواية الديوان : « يسطر من لقاعة »، وفى تاج العروس : « وتنظر من لقاعة » .

(٣) ط : « آثر » وصوابه فى س .

(٤) يقول : إنه لاينقطع عن إطعام الطعام فى شدة البرد ، حينما يضطر الـكلب مايتلبد على شعره من الجليد الأبيض إلى الدخول فى الجحر ، وحينما تـكون الحجر ملجأ للحى يتقون بها تنفاح الصقيع أى ضربه . . وقصيدة الأعشى هذه مشروحة فى الخزانة ٢ : ١٧٨ - ١٨٦ ، وشرحها كذلك الشيخ حمزة فتح الله فى المواهب .

وقال الحطيئة :

إذا أجْحر الكلبَ الصَّقيعُ اتَّقَيْنَه
بأثباجٍ لا خُورٍ ولا قَفِراتٍ(١)

وقال ابن هَرْمة :

وسلِ الجارَ والمعصِّب والأضـ ياف وَهْناً إذا تَحَيَّوْا لديّا(٢)
كَيف يَلْقَوْنَنى إذا نبَحَ الكلـ بُ وراءَ الكُسُورِ نَبْحاً خَفيّا
ومَشَى الحالبُ المُبِسُّ إلى النَّا بِ فلم يَقر أصفر الحىّ ريّا
لم تَكُنْ خارجيَّةً من تراثٍ حادثٍ ، بل وَرِثتُ ذاكَ عَليّا

وقال الأعشى :

وتَبْرُد بَرْدَ رِداءِ العَرو
سِ فى الصَّيْفِ رَقرقتَ فيه العبيرا(٣)
وتسخن ليلـةَ لا يستَطيـ عُ نُباحاً بها الكلب إلا هريراً

وقال الهذلى(٤) :

وليلةٍ يَصطَلى بالفَرثِ جازِرُها يختصُّ بالنَّقَرى المُثرِينَ داعيها
لا ينبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشِّتاءِ ولا تَسرِى أفاعيها

---

(١) أجحره وجحره : أدخله فى الجحر . وفى ط : « أحجر » وصوابه فى س ، والبيت من قصيدة فى ديوان الحطيئة ٥٦ .

(٢) فى ط : « أصل الجار » ، وصوابه فى س و م ، والحيوان ٢ : ٧٢ . المعصب : الذى يتعصب بالخرق جوعا ، والرجل الفقير . وفى الأصل : « الجار المعصب » وتصحيحه من الحيوان (٢ : ٧٢) . وفى الأصل : « تحبوا » بباء موحدة وهى على الصواب فى الجزء الثانى

(٣) ط : « فيها البعيرا » وصوابه فى س و م .

(٤) انظر ماسيأتى من تعليق فى ٣ : ٧٥

وقال الفرزدق (١) :

إذا احمرَّ آفاقُ السَّماء وهتَّكتْ
كُسُورَ بُيوتِ الحيِّ نَكْباءُ حرْجَفُ

وجَاءَ قريعُ الشَّولِ قبلَ إفالِها يَزِفُّ وجاءتْ خَلفَه وهى زُحَّفُ (٢)

وهتَّكتِ الأطنابَ كلُّ ذِفرَّةٍ لها تامكٌ من عاتق النَّىِّ أعرَفُ (٣)

وباشرَ راعيها الصَّلَى بلبانه وكَفٍّ لحرِّ النار ما يتحرّفُ

وقاتلَ كلبُ الحيِّ عن نارِ أهلِه ليربِضَ فِيها، والصِّلا متكنَّفُ (٤)

وأصبَحَ مبيَضٌّ الصَّقيعِ كأنّه على سَرَواتِ النِّيبِ قُطْن مُندَّفُ (٥)

تمّ الجزءُ الأول

ويليه الجزءُ الثانى (٦)

وأوله : باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة

---

(١) من قصيدته الفائية المشهورة ، التى مطلعها :

عزفت بأعشاش وماكدت تعزف وأنكرت من حدراء ماكنت تعرف

(٢) فى الأصول : « قبله » وتصحيحه من الديوان ٥٥٩ . وفى ديوان جرير (والقصيدة فيه) : « بعده » .

(٣) الذفرة : الناقة النجيبة . والتامك : السنام العظيم . والأعرف : المرتفع .

(٤) يقول : صار كلب الحى لشدة البرد يدافع أهله عن النار ، ليقع فى موضع يدفئه ، وقد أحاط القوم بالنار وتكنفوها ليظفروا بالدفء . وفى الأصل :

« ليربض منها والصلا متكشف » وليس بشىء ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) يقول : قد وقع الثلج على أسنمة هذه الإبل المسان فأضحى كأنه القطن قد ندف . ويروى : « موضوع الصقيع » كما فى الديوان .

(٦) فى نهاية س « تم المصحف الأول ويتلوه المصحف الثانى من كتاب الحيوان » .

معارضات على نسخة الأمبروزيانا

ص	س	
٢٠	١٨	: « وإن كان شاطنا » ، وهو الوجه .
٢١	١ ــ ٢	: « طابن ولا يعدم الإنسى والجن طابنا » . وهى توافق رواية ل ، وهى الصواب . والطابن : الخدّاع الخِبّ .
	٨	: « شوك العضاه » .
	١٣	: « قد ابتلى أيضا بأنّ أخته » .
٢٢	٨	: « وعبّاس » .
٢٣	٨	: « فأمر به فرمى به من فوق القصر » .
	١٤	: « وظن سمار به كل خيرة » .
٢٤	٥	: « بغير جرم » . (١٠) : « وأقلّ رَمادك » .
	١٧	: « يمسى ويصبح سالما » .
٢٥	٨	: « ومساءة الجلساء » .
٢٦	١١ــ١٢	: « ويجعلونها متخيّرة غير مسخَّرة » .
٢٧	٤	: « لاتضاف إلى النمو والحسن » .
٢٨	٧	: « والباذنجان » كما فى ل . وجاء فى لسان العرب [حرر ٢٥٦) : « الأزهرى عن شمر ، يقال لهذا الطائر الذى يقال له بالعراق باذنجان ، لأصغر مايكون : جُمِّيل حُرّ » .
٢٩	١	: « كالـكلب والفهد] والذئب والأسد » .
	٧	: « مايكون سِلاحه سُلاحَه » ، كما فى ل .

ص	س	
٣٠	٢	: « واليعاسيب والذبان والعقارب والجراد »
	١١	: « مشهوران بالحبَل » .
	١٦	: « والبنبد » بدل « البينيب » .
٣١	١	: « والبلبل » ، وقد نبّهت على خطئه فى الحاشية .
	١٠	: « ويصرصر » بدل « ويصوصى » ، وهو الصواب .
	١٠	: « ويزئر » بدل « ويزأر » ، وهما لغتان .
	١١	: « وينبر » بدل « وينزب » ، كما فى ل .
	١١	: « ويفحّ » بدل « ويعجّ » كما اقترحت فى الحواشى .
٣٢	١ ، ٢	: « إذا وجد بعضها مع بعض سمّيت بأنبه النوعين ذكرا » .
	٨	: « خلاف دعائها [عند المائدة] لولدها » .
٣٤	٥ ــ ٦	: « والحكمة يلوحان لمن استخبرهما وينطقان لمن استنطقهما كما يخبر الهُزال وكمود اللون عن سوء الحال ، وكما ينطق السمن والنضرة » .
٣٦	٦	: « المتقدم فى الأمور » .
	١٠	: « ثم لم يوجدهم » ، كما فى ط ، ل .
	١٢	: « وصاحب الحسد والمشانفة ، والمتفقّد لشأن العاقبة » .
٣٧	٥	: « وعلى الاتعاظ والانزجار » .
	٦	: « وجعل الفكر تنشىء » .
	١٢	: « مارأيت فى أثنائه من مزح » .
	١٦	: « لأن يكون علّةً للجِدّ ، وأن البطالة وقار وزمانة » .

ص	س	
٣٨	١	: « إلا بما لايحتاج إليه ، قال أبو شمر : إذا كان لايصل » .
	٥ ــ ٦	: « إلا من قد تجرّد للعلم وفهم معناه على حسب مايورث الطول من الكد » ، مع إسقاط مافى أثناء الكلام .
	١٤	: « ونعم الجليس والقعدة » .
٣٩	٢ ــ ٣	: « من غرائب فوائده ، وإن شئت ألهتك بوادره » .
	١٣	: « أو روضة تتقلّب » .
٤٠	١	: « ويترجم كلام الأحياء » .
	٦	: « حين العناية تامة لم تنتقص ، والأذهان فارغة لم تقتسم » .
	٧	: « فهى أقبل ماتكون للطابع » ، وهو الوجه .
	٨ ــ ٩	: « حين هذه الخصال لم يُلبَس جديدها ، ولم يفل غربها » . ولُبِس ، فى معنى أخْلَقَ . وفى اللسان : « وثوب لبيس ، إذا كثر لبسه ، وقيل قد لُبِس فأخلق » .
٤١	١	: « بعد الذى أبصرتَ من يبسه » .
	٥	: « أدّبت عرسى » .
	٨	: « فى طلبها ليلةً » .
	١٢	: « ولا أحفل أخلاقا » ، سقطت من النسخة .
٤٢	٢	: « أحسن مواتاة » .
	٨	: « والمذاهب القديمة » .
	١٩	: « لازمة لطبائعهم » .
٤٣	١	: « ويأخذ بأرماقهم أو يصلح بالهم » .

ص	س	
	٣	: « معرفة مايحضرتهم ، والتوازر على مايحتاجون [إليه] من الارتفاق » .
	٤ ـ ٦	: « واختلال الأدنى إلى معونة الأقصى ، معان متضمّنة ، وأسباب متصلة ، وحبال متقيدة » .
		والتكملة التى فى س٧ لم ترد فى النسخة .
٤٤	٤	: « مذالاً ميسرا » ، وهـذا يوجّه مافى ط . والمذال : المهان الممتهن .
	١٠-١١	: « وبالتقليب والتنقيب ، وبالتوقيف وبالتثبت » .
	١٥	: « ومعرفا لمواقع سد الخلة ودفع الشبهة » .
	١٦	: « الأشباح المثول » .
٤٥	٤	: « وأسكن إليه وأضبُّ به » ، بالضاد المعجمة .
	١٤	: « تـكمل بجنسه الذى » .
	١٧	: « والساكنة الثابتة التى لاتنبس ولا تفهم ، ولا تحس ولا تتحرك » .
٤٦	٤	: « والذائق [فى ذلك] نصيبا » .
	١٠	: « هذه الآلة لـكان » .
٤٧	٢	: « مجرى البيان ؛ [وألحق البيان] بالقرآن » .
	١٠-١١	: « لعواجل حاجاتهم وأواجلها» ، وهو الوجه .
٤٨	٥	: « فضل على انتهاء » .
	٦	: « إلى الحاجة بالتفاهم بالخطوط » .

ص	س	
٤٩	١	: « فالشأن الآن فى منافع اليد » ، فقط .
	٩	: « لبطلَ الطَّرَب كلّه » .
	١٢	: « لكان [ذلك] من أعظم الحظوط » .
٥٠	٣	: « فصل » ، بالصاد المهملة كما نبهت فى الحاشية .
	٦	: « والكتاب هو الذى قيد على الناس » .
	٧	: « خفة ثقله » .
٥١	١	: « والمستميح الذى لايستزيدك » .
	١١-١٢	: « إن افتقرت لم يَحقِرك » ، وبإسقاط « إليه » .
٥٢	٧	: « وأصحاب الكفايات » ، بدل « الفكاهات » .
	٨ ـ ٩	: « ليلهم هو الشىء الذى لايرى له فيهم مع الليل أثر فى ازدياد ولا فى تجربة ولا فى عقل ولا فى مروءة » .
	١٥	: « ذهبت المكارم » ، موضع « ذهب » .
٥٣	١	: « ولا اتكأت » ساقطة من النسخة .
	٩	: « وانقطاع المادة من قِبَله » ، وهو الوجه .
	١٠	: « وكان الورق كثير العدد » ، ومع إسقاط باقى السطر .
	١١	: « القينى » بدل « العتبى » فى كل موضع ورد فيه هذا العلم ، كما هو الشأن فى نسخة ل .
٥٤	١	: « إلا [الشىء] الذى زهّدك فيه » .
	١٠	: « به هذا الظن [كله] » .
	١١	: « كذا [وكذا] » ، فى الموضعين .

ص	س	
	٤	: « كما يعترى النادم من قرع السن » .
	٦	: « إذا تذكرت منى » .
	٧	: « الحزين فى الأرض » .
٦٤	١	: « يخطِّطن » .
	٥	: هذا البيت الثانى ساقط من النسخة .
	٦	: « وقال الحزين الكندى » .
	١١	: « ماتنقضى عبراتى » .
	١٤	: « فى نواح »، و « لم تَعَلَّلْ لهم» ،أى لم تتعلَّل بعلّة .
	١٥	: « تتلقّط الحصى » .
٦٥	٧	: « يمتدح فيها » .
	١٠	: « إذا تشابَه آيُها » ، وهو الوجه .
٦٦	١	: « من ترشامه» ، لعل صوابها « من ترسامه » تفعال من الرسم .
	٢	: عجزه فى النسخة : « فهو الصواب به على استبهامه » .
	٨	: لم يرد هذا البيت فى النسخة فى هــذا الموضع ، وإنما ورد بعد البيت التالى بالرواية المثبتة بعد ذلك البيت .
	١١	: « حده لحسامه » .
	١٣	: « فى الحط [والقلم] : » .
٦٧	١	: « يرقل عامدا » .
	٢	: « مخلولف السن » .
	١١	: « بآثاره » بدل « بآثارها » ، وهى رواية الديوان ٢٥٧ .

ص س

١٥ : « إذا استغزرت ذهن الجلى » ، وهو تحريف سمعى مخالف لمــا فى ل والديوان . انظر للتحريفات السمعية تحقيق النصوص ونشرها لعبد السلام هارون ص ٦٢

٦٨ ٤ـ٦ : ساقط من النسخة . ويبدو أنه نص دخيل ، فإنه الموضع الوحيد ، الذى ذكر فيه الجاحظ البحترى فى كل من الحيوان والبيان ، وإن كان قد ورد ذكر البحترى فى رسائل الجاحظ ٢ : ٥٠ بتحقيق عبد السلام هارون .

٨ : « نقراً » بدل « حفراً » .

٩ : « هو الحفر » مكان « هو الناتئ » .

١٠ : « هو الناتئ » مكان « هو الحفر » .

١٢ : هذه التكملة ليست فى النسخة .

٦٩ ٣ ــ ٤ : « وأمنعها للدروس ، وأجدر أن يراها من مر » .

٧ : « وكل إيغار » بدل « وكل إنفاق » . والإيغار : أن يوغر الملكُ لرجلٍ الأرضَ يجعلها له من غير خراج .

٩ : « ذكر [حق] الحلف والهُدنة ، تعظيما للأمر ، وتبعيداً [له] من النسيان » .

٧٠ ٦ ــ ٧ : « ولا بين العقود و [بين] الرقوم والخطوط فرق » .

١٠ : « وبين الحروف المجموعة [و] المصورة من » .

١٨ : « عرفوا معانى ضروب صور الإشارات » .

٧١ ٢ : « وردع المجنون الوعيد والتهديد » .

ص	س	
	٨	: « أو بها مُسكة » .
	١١	: « والمسند والسيمون كيف كان ، كذلك قال الهيثم » .
	١٤	: « وقال أبو عبيدة : كل أمة تعتمد فى استبقاء مآثرها ، وحصر مناقبها » .
	٤ ــ ٥	: « يقيد فضيلة اللسان ، على الشاعر الراغب ، والمادح ، وفضيلة السيد المرغوب إليه الممدوح به . قال : وذهبت العجم » .
	٦	: « مثل كرديناذ وبناء أردشير وبيضاء إصطخر » .
	١٠	: « والأبلق الفرد ، وفى الأبلق الفرد ومارد » .
٧٣	٢	: « من القرون السابقة ، والأمم البائدة » .
	١٢	: « كل قصر وصنيع كان لابن عامر ، وكما هدم أصحابنا مدن » .
٧٤	١٢-١٣	: « فإذا استظهرنا للشعر وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، إذا استظهرنا له بغاية الاستظهار » مع سقوط « فمائتى عام » بعدها .
٧٥	٢ ــ ٣	: « موضع التعجب [منه] ، وصار كالكلام المنثور » مع سقوط « والكلام المنثور » بعده .
	٤	: « المنثور الذى حول عن موزون » مع سقوط كلمة « الشعر »
	١٢	: « لبطل ذلك المفخر » ، وهو الوجه .
	١٣	: « لمعايشهم » بدل « لمعاشهم » .
٧٦	٦ ــ ٧	: « وابن بهريز ووهيلى » مع سقوط مابين ذلك من كلمات :

ص	س	
٧٧	١	: « بلغة واحدة استفرغت تلك [اللغة] القوة ، [وإن تـكلم بلغتين انقسمت القوة] عليهما » .
٧٨	٤ ــ ٥	: « أضر من الخطأ فى [بعض] الصناعة والرياضة والفلسفة ، وفى بعض المعيشة » ، مع سقوط سائر ألفاظ النص .
	١٦ــ١٧	: « لم يجد المعين والرافد [بدًّا من] التقصير » .
٧٩	١ ــ ٢	: « من الخطأ ، ولا ينقص منه ، ثم يعارض به له من يترك »
٨٢	١٢	: ساقط من النسخة .
٨٣	١ ــ ٢	: ساقطان كذلك من النسخة .
	٤	: « وجه الدهر » ، وهو الوجه .
	١٤	: « فى سير البُخْتية » ، كما فى ل .
	١٥	: « وضروبا من المرفوع » ، كما فى ل .
٨٤	٢٢	: « فأمرتهم أن يسيروها تلك السيرة » .
	٤	: « حتى شدَوْا من معرفة ذلك شَدْواً » .
	٥	: « وكذلك جميع أمركم لا يخلو » .
	٩	: « على من أزْرى على واضع الكتب » .
	١١	: « مئونتهم فى تعريفهم » .
٨٥	٦	: « ويرتجح قلمه » .
	١١	: « ويفنى العقل ويبقى أثره » .
	١٢	: « ولولا مارسمت لنا الأوائل »
	١٦	: « ولو ألجئنا »

ص	س	
٨٦	١ — ٢	: « لقد قلت المعرفة ، وقصرت الهمة ، وانتقضت المُنّة » .
	٦	: « الله التي فيها الهدى والرحمة ، والإخبار عن كل عبرة » .
	١٢	: « فينبغي أن يكون سبيلنا فيمن بعدنا » .
٨٧	٢	: « وليس يجد الإنسان فى كل حال إنسانا يدرِّسه » . صوابه ضبطه « يَدْرسه » ، يقال درسَه الكتاب وأدرسه إياه ، كما فى اللسان(درس ٣٨٢)،وانظر رسائل الجاحظ ١ : ٧٧ بتحقيقنا ففيه : « ويَدرُسهم مناقبهم » .
	٧	: « ونازعت إلى حب الأدب ، وأنفت من حالة الجهل» .
	١٥	: « فتظن أنه باب بعض العمال » ، كما فى ل .
٨٨	٤	: « يدع كتابه يغبّ ويختمر ، ولا يثق بالرأى بالفطير » .
	٦	: « وتوقّفعندفصوله» .
٩٣	٩	: « فرأيت » بدل « لرأيت » ، وقبله فى النسخة عبارة لايدرى صلتها ، وهى : « الفترة المانعة من البلوغ فى الفهم وتعرف مايحتاج إلى التعرف منه » .
٩٤	٣	: « ودربة العلماء »
	١٢	: « إلى النواويس فالماخور » .
٩٥	٩	: « علما بأولها» . وس ١٢ : « فى العلم همته » .
	١٣	: « خلاف قولك ماماتوا ولا ذهبوا » .
٩٦	١	: « يكون منه إذا مامات يُكتَسَب » .
٩٧	١	: « فيعلمها أهل البصرة » .

ص	س	
	٣	: « التكملة التى تبدأ هنا من ل تشاركها فيها نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٧ عند « ولها عرش عظيم » ، ثم تنفرد نسخة ل بالتكملة إلى ص ٩٩ س ٣ عند « وليرى أنه » ، ثم يتفقان فى مقدار التكملة إلى كلمة « يسرى » فى ص ١٠١ س ٤ ، ثم يسقط الكلام من نسخة الأمبروزيانا إلى نهاية س ٦ من صفحة ١٢١
٩٩	٨	: « وصاحب المال بعرض فساد » .
	١٦	: « تسكن النفس ويثلج الصدر »
	١٧	: « والأمل فسيحا » ، وهو تصحيح لما أثبت من نسخة ل .
١٠٠	١٠	: « وقالوا : ومتى ورثته كتابا »
١٠١	١	: « مابعد كلمة « حظًّا » إلى كلمة « خطأ » ساقط من النسخة .
	٤	: « طريق قد نهج له » .
١٢١	٧	: « لن يعدم البانون » ، وهى رواية جيدة وإن كان فيها الخرم .
	١١	: كلمة « المرى » ليست فى النسخة .
١٢٢	١	: كلمة « المخنثين » ساقطة من النسخة .
	٢ ــ ٣	: « كأنها تمرة فقال اليقطرى » ، مع إسقاط مابين هذا الكلام .
	٤ ــ ٥	: « إلا بالحصاء دون الإحصاء » .
	١٣	: « وسمى بالسنوط » بدل « ولقب » .
١٢٣	١	: « وقال يوما » .
	٢ ــ ٣	: « لايحمل إلا التمر ، وبعضه لايحمل إلا المنصف ، وبعضه لايحمل إلا الخلال » .

ص	س	
	٦	: « والخصى » بدل « والخصيتين » .
	١١	: « وقد زعم لنا ناس »
	١٢	: « إنما ولدوا له بعد أن نزعت بيضته اليسرى »، وهو الوجه .
	١٨	: « محالسة الأعراب » بالحاء المهملة
١٢٤	١	: « ونضاضته » ، بدل : « وخلاصته » ، وفى اللسان : ونضاضة الرجل : آخر ولده . وفى السطر نفسه « محزز » بالحاء المهملة ، و « ابن كرز » كما فى ل .
	٧	: « فقد يزعمون أنهم »
	٨	: « كأنهم يذهبون إلى أنه يستقصى » .
	٩	: « بفرط قوته » .
	١٢	: « و [من] رقّة الكبد والقلب » .
١٢٥	٢	: « وإن كان الخصىّ أسوأ وأبلغ منهم ، وإن جمع » .
	٣	: « بطرسوس وبادية » ، تحريف
١٢٦	٦	: « قد أرميت على المائة » ، وأربى وأرمى بمعنى .
	٧	: « وهْى الكبرة »
	٩ — ١٠	: « تركهن زهدا ، وتخلّى منهن سنين ودهرًا »
	١٢	: « هجرانى لملابسة النساء »
	١٥	: « ولم يرهن متكشفات عاريات أن يكون إذا تقدم » .
١٢٧	١	: « موت الخاطر »
	٢	: « وفيما تحويه من النساء »

ص	س	
	٨	: « من الخطار »
	٩	: « والدواعى لاتطوره » .
١٢٨	١	: « ولم تمتلئ عروق »
	٥	: « ولربما نزا فؤادى عند ضحك إحداهن » .
	١٨	: « وقد كان عثمان بن مظعون »
١٢٩	٣	: « فأما خصاء الجلب على وجه التجارة » .
	٤	: « ويمتلخ البيضتين إلا أن تقلص إحداهما من إفراط الفزع » .
	٥	: « لايمكن ردها [إلى مكانها] إلاّ بعلاج طويل » .
	٦	: « وظلم يربى [على الظلم الأول و] على كل ظلم » .
	٧	: « فإذا برأ وهو مجبوب القضيب ذو بيضة واحدة » .
	٩	: « موضع الخاص من بيوتهم » .
	١٠	: « مقربا [ومن لذة الإنسال والتمتُّع] وخصب العيش منعما » .
	١١	: « ومن لذة الإنسال والتمتُّع بشم » .
	١٢ـ١٣	: « فلا يزال عند الفحول محقرا ، وعند الخصيان مخرجا مطردا » .
١٣٠	١	: « قتلة سريحة » ، كما فى ل
	٤	: « مجامع [جلد] الخصية » .
	٦	: « وتتحشّف » بدل « تنخسف » ، وهو الوجه .
	٩ ـ ١٠	: « وبشدة التحزيق والعقد بالخيط الشديد التوتير الشديد الفتل » .
	١٥ ـ ١٦	: « [و] قال أبو زيد: خصيت الدابة أخصيه خصاء، ووجأته أجؤه وجاء » والدابة . يذكر ويؤنث .

ص	س	
١٣١	١	: « أما الحصاء فهوسل الحصيتين . والوجاء : أن توجأ العروق والحُصيانِ ». يقال خُصْىٌ كما يقال خُصية.
	٢ ــ ٣	: «حتى تسقط الحصيتان والخُصْيان . الواحد خصية . ويقال ملست الحصيتين أملسهما » .
	٨	: « وقَدِيًّا غَذِيًّا » . القدِىُّ : الطيب الطعم والرائحة .
	١١ــ١٢	: « وأكثر السفاد يورث الضعف والهزال » .
١٣٢	٧	: « وخبرت عن جهله بإتيان النساء وعجزه » .
	١٤	: « وإذا كمنوا الكمائن »
١٣٥	٣	: « عادات » بدل « عادة »
	٥	: « الهرمَى » موضع « الهرمين » .
١٣٦	١	: « على طول الركوب » .
	١٨ــ١٩	: « من أهل التجربة المميزين، أنهم اعتبرو أعمار ضروب الناس »
١٣٧	٣	: « ولم يجدوا مع طول العمر فيهم » .
	٦ ــ ٧	: « قالوا : ولذلك لم نجد فيما يعايش الناس فى دورهم [وضياعهم] من الخيل والحمير والإبل والبقر والغنم والدجاج والكلاب والحمام والديكة » .
١٣٨	٥	: « إلا رديا قصير العنق » .
	٧ ــ ٨	: « تكلف المأكل والمشرب ، ثم بلغ إلى أن يصير جملا [لم] يمكنه الضِّراب »
	١١	: « وهُزْلا » بدل « وهزالا »

ص	س	
	١٥	: « [وهى الصرصرانية] » بزيادة كلمة « هى » على مافى ل :
١٣٩	٧	: « [أنها] أطول الحمير أعماراً » .
	٩ ـ ١٠	: « فجاءت أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن ، وخرجت أعمارها على أعمار الخيل وسائر الحمير » .
	١٣	: « ولا يعرفون حمارا أهليا » . فلعلها « أهليا أو وحشيا » .
١٤٠	٤ ـ ٦	: « وهم يزعمون أن فيروز بن قباذ طلب حماراً أخدريا فطاوله ، فلجّ به الاعتزام » مع سقوط مابين ذلك من ألفاظ ، وكلمة « الاعتزام » هى الوجه فى « الاغترام » .
١٤١	١	: سقطت كلمة « لدرست » .
	٤	: « و [من] تركهم التشاغل » .
	٥	: « حبب إلى هذا »
	٦ ـ ٧	: « صياد أفاعى يبيعها للترياقات ، وسخّر هذا لأن يكون من سواس الأسد » ، مع سقوط مابين ذلك من كلام وسقوط كلمة « والفهود » ، وإظهار (أن) بعد لام التعليل كثيرا مايستعمله الجاحظ انظر ص ٣٩٢
	١٣	: « وإنما نأبى التيسير للمعاصى » كما فى ل
١٤٢	٧	: « وسبيل تناتج الظلف على خلاف ذلك ؛ لأن التيس مع شدة غلمته »
	١٠	: « فضلا على أن يكون بينهما تنائج »
١٤٣	٢	: « يلند » موضع « بلنك » فى كل موضع ، وهو تحريف .

ص	س	
	٩	: « اشتر مرك »
	١٠	: « بشيئين متفاوتين » ، وهو الصواب .
	١٣	: « للناقة من الحوش فيسفدها »
	١٦	: « فمنهم من جحد البتة أن تكون الزُّرافة » . ومما لحظته أن « الزرافة » حيثما وردت فى النسخة ضبطت بضم الزاى ، وهى إحدى لغات فيها ، وفى اللسان : « وهى الزَّرافة والزَّرافَّة ، والفتح والتخفيف أفصحهما » . ثم قال : « وقيل هى بفتح الزاى وضمها مخففة الفاء »
١٤٤	٣	: « من شأن الوردانى والراعبى »
	٥	: « بسماع الغرائب »
	٥ ـ ٦	: « ولو أعطوا مع هذا الاستهتار من التثبت نصيبا والتوخى حظا سلمت الكتب »
١٤٥	٩	: « يحيى بن لجيم » ، و « فيخرج [من بينهما] ولد » .
١٤٦	١	: « عبد الرحمن بن [أم] الحكم » . وهو خطأ انظر له حواشى ٢٣٢ وكذا ص ٤٢٤
	٨	: « أراد هو التبعيد به » بدل « بعينه »
	١٤	: « [هو] آدم السنانير وتلك السنورة [أن تكون] حواء السنانير ، قال أبو عبيدة لكيسان [وضحك منه] : أو لم تعلم » .

ص	س	
١٤٧	٧	: « ولا يقبض عليه بفكه » ، بدل « بكفه » ، وهو الصواب .
	٩	: « عظما كان أم غيره ، [و] مصمتا كان أم أجوف » .
	١١	: « فى شدقه شفرته وناره » .
	١٤	: « وليس على ذلك [تأويل] قول أمير المؤمنين المأمون » ، تحريف .
١٤٨	١	: « الحمار » بدل « الحمارين » .
	٢	: « لبعض من [نكره] ذكره » .
	٤	: « بعده فى النسخة « يعنى عبد الرحمن بن يزيد » !
	٩	: « من خلوة النساء [من جميع الأجناس ، قال] : قلت لا والله لا أعرفه ، قال : بلى اعلم أنه لا يكون » .
	١٥	: « زناها وسحقها » .
١٤٩	٢	: « بضروب » موضع « ضروبا » .
	٤	: « فى تركيبه و [فى] إنساله » .
	٧	: « لها عظيم » .
	١٣	: « المجانّ » موضع « المجانيق » ، كما فى ل .
١٥٠	١	: « دفعت » بدل « اندفعت » و « فاطَّبَخوا واشتووا و [مَلُّوا ، و] ملَّحوا وادَّخروا » .
	١٤-١٥	: « قليل الإناث ، ولا يكَدنَ أيضا يجمعن البيض » .
١٥١	١٢-١٣	: « وإذْ قالوا فى الزُّرافة ماقالوا فلا نأمنهم » .
	١٦	: « الذى دعا إلى القول فى الزُّرافة تركيب اسمه ، [فجعلوا تركيب الاسم] دليلا على تركيب » .

ص	س	
١٥٢	١	: « كاوماش ، كأنه قال : ضأن بقرى » .
	٢	: « فيه شبه الكبش وكثيراً من مشابه الثور ، ليس أنّ » .
	١١	: « من أعناق الشياطين ، فجهلوا المثل والمجاز ، [وحملوا الكلام] على غير » .
	١٣	: « تغنت شياطيني وجن جنونها » .
١٥٣	٤	: « إذا كانت داهية شيطانا » .
	٨	: « من أسطع جسر » . وانظر ٤ : ١٣٤ .
١٥٤	١٤	: « إلى تلك الجزيرة » بدل « الجيزة » .
١٥٥	١	: « فإن لجّ خبلته »
	٢	: « وأما الذين زعموا »
	٥	: « وعلم أنها [كانت] تكون فى الأنهار ومناقع المياه ، من الذكر والأنثى » ، وكلمة « مناقع » ، هى الصواب فى « منابع »
	٧	: « إنما هو شىء يخلق تلك الساعة من طباع المطر والهواء والزمان » .
١٥٧	٢	: « وهو الذى يخلق » بدل « يتخلق »
	١٢	: « وجدوا طُول أعمار الناس »
	١٣	: « وإن فى الأعراب لأعماراً » بإسقاط كلمة « أطول » بعدها .
١٥٨	٢ ، ٨	: « وبذال » بدل « ويزال » .
	٥	: « الموقوفين على النبيذ »

ص	س	
	٧ ــ ٨	: « من كان يشرب النبيذ حيا ، وعامة من كان لايشرب النبيذ قد مات » ، وبإسقاط كلمة « عامتهم » .
	٩	: « فقد كانا من المعمَّرين »
	١٠	: « ونميِّز الصدق فيه من الكذب »
	١٦	: « إيثار المُخْفِس » ، مطابقاً لما أثبت من تصحيح .
١٥٩	١	: « مابعد كلمة « للنساء » إلى نهاية السطر ساقط من النسخة .
	٢	: « ويرون الماء غير الدافق ولا الغليظ » ، و « الدافق » تصحيح « الرائق ».
	٩	: « والحيى الشريف » .
	١٢	: « وإن كان يقايس هذا الأديب الكريم » .
١٦٠	٢	: « وقد كانت إبل الصدقة موسومة»
	٨	: « والنقض لمرائر القوى » ، وهو الصواب . والمرائر : جمع مريرة ، وهى القوة من قوى الحبل ، تُمرّ وتُفتَل .
	١٣	: « ومن جنس البط »
١٦١	٤	: « فتؤدّى ، وتصاب فى الهُواشة فترد » .
	٦	: « أن نعمَّها بالحرق بالنار » .
	٧ ــ ٨	: « من ألف بعير بعير ، ثم عسى أن يحتاج إلى ذلك فى جميع عمره إلى شربة واحدة » .
	١٥ ــ ١٦	: « فيما يرد على الشيء المصبور من العذاب مردا بوجه من الوجوه »

ص	س	
١٦٢	٣	: « لاتملك الشيء »، كما فى ل .
	١١ـ١٢	: « فإن [كان] ذلك فى سبيل العلاج بعد أن يكون ذلك المتكلف يعرف وجه العلاج ، فالمذهب فى ذلك معروف ». وهو الصواب
١٦٣	٣	: « وليس كل مؤذ ولا كل أذى »
	١٧	: « ثم زاده على قيمته » .
١٦٤	١ ـ ٢	: « المعرُوفين بابتياع متاع اللصوص» .
	٢	: « من شهد السعانين » ، وهو تصحيح ماورد فى ل : « السعايين» . والسعانين : عيد من أعياد النصارى .
	٣	: « وأصحاب المخارجات » كما فى ط .
	٧	: « وخلطاء مترافدون » ، وهو الوجه .
	٩	: « قد قبل من المقوقس [الخصى] كما قبِل مارية ، و [أنه] استخدمه » .
	١٨	: « أجمل منه وأشفّ وأخدم لم يزده » .
١٦٥	٣	: « لايحل اطراده ونفيه » .
	٦ ـ ٧	: « ولا يزيل عنه ملكه إلا مثل ماوجب به له ملكه » .
	٩	: « تدبيراً أو حكمة » .
١٦٦	٦	: « مطردا » مكان « مطروداً » .
	٧ ـ ٨	: « فالفاجر لايكون المبغيَّ عليه » ؛ وهو الوجه .
	٢١	: بدل عبارة « وهو يباشر بمشقة » : « ولكن ذلك الماء لايخرج منه إلاّ بعد جهد شديد وعلاج طويل » .

ص	س	
١٦٧	١	: « شيء يكون منه إنسان » ، وهو الوجه .
	٧	: « وتعظيم البعولة »
	٩	: « مرة فوق ومرة أسفل ، وأسمحت النفس بمكنونها ، وأظهرت النفس ماعندها »
١٦٨	٥	: « الصاحب السوء »
	١١	: « ومتى ألقى إلى الفتيات شيء من أمور النساء » ، وهو الوجه .
	١٢ــ١٣	: « و [عند] قلة التشاغل ، وكذلك متى ألقى إلى الفتيان شيء من أمور الغلمان » .
	١٥ ــ ١٦	: « التكملة المقتبسة من ل ليست فى النسخة » .
١٦٩	١	: «داعية إلى الميرائية» !!
	٢ ــ ٤	: سقطت هذه التكملة ، وجاء بدلها : « وقال الشاعر فيما يشبه هذا المعنى :

لا تحقرنَّ من الأشرار ذا صغر ... فالذئب ليس بمأمون على الغنم

ولا عجوزا على أهل فتفسدها ... ولا خصيًّا على مال ولا حَرَم

ص	س	
	٩	: « فصادف قلبى فارغا فتمكنا » .
١٧٠	١ ــ ٢	: « لامرأة [و] قد تمكن من كلامها ومكنته من سمعها ثم قال : قد والله يامولاتى وسيدتى ، أسهرتِ ليلى » .
	١٤	: « أشد لها إشغالا » .
	١٥	: « ملهى فى النساء » .
	١٦	: « وقال سعيد بن سلم » ، وهو الصواب كما فى ٥ : ١٦١ .

ص س

١٧١ ١ : « غير متكشّف »

٦ ـ ٧ : « لم يكن عليه من فقد مارآه فى النوم أو مثلته له الأمانى مؤونة » .

١٧٢ ٤ : « ولقد رأيت » ، مع سقوط التكملة التى بعدهذا الكلام ، وسقوط قوله « ويتمشى مع الشطار » .

١٠ - ١١ : « فلما أبصر ذلك بزق وثفل وسقط فى يده ، وهجم عليه أمرٌ لو كان رآه » .

١٣ : « ممن كان يخلفه »

١٤ : « قد حرق » بدل « [حزين] » ، مع سقوط التكملة الثانية فى هذا السطر .

١٧٣ ١ : سقطت التكملتان من النسخة .

٦ : « الماشى المعْيى » .

٩ : « من الشنو والبغضة »

١٢ : « وتلقِحه الجنايات » ، وهو الأوفق .

١٤ـ١٥ : « إذا بدا لأحدهم فى النزوع وفى ترك الطريقة الأولى » ، وهو الوجه .

١٧٤ ١ : « فخرج لهم حب التشفى شدة الاعتزام على قتالهم » .

٢ : « أن يحج [البيت] » .

٩ : « من تعظيمه للدين ، و [من] الاحتراق فيه » .

١١ : « ولرضى منهم بالمسالمة » .

١٧٥ ١ : « لآل جعفر » موضع « لآل سليمان » .

ص	س	
	٣	: التكملة ساقطة من النسخة .
	٥	: « أليس زان خصىّ » .
	١٢	: « فلا سنان ينيك ولا يدعنى أنيك »
١٧٦	١	: « يهجو امرأته » ساقطة من النسخة .
	٧	: « ولا والله لا والله لا أقلع أو أُخصَى
	١٠	: « بلَّغتنى رَكَبَ النساءِ » ، وهو الوجه .
	١١	: « حين تلقى » .
	١٢	: « عجِّل بالخصاء » .
١٧٧	٣	: « عثرة وجدودُ » .
	١١	: « أترى أن المثلة تحل له ما حرم الله » .
١٧٨	٣	: الذى فى النسخة يوافق ما أثبت فى الحاشية عن نسخة ل .
	١٤	: « عن نافع [بن عمر] » ، صوابه : « [مولى ابن عمر] » .
١٨٠	٧	: « ولا يخص ويعم بالقصود »
	١١، ١٣	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
١٨١	١، ٣	: « أبو جزى » بدل « أبو جرير » .
	٥	: « وعمرو ويونس عن الحسن » .
١٨٢	١، ٢	: « إلاّ بعرض لها ، ويزعمون أنه ليس شىء له عدْو كعدو السِّمع » .
	٥، ٦	: « عن عُرَضٍ بذى سبيبٍ » ، وهو الوجه . والسبيب : شعر الذنب والعرف والناصية» . ويقال خرجوا يضربون الناس عن عُرض ، أى عن شق وناصية لا يبالون من ضربوا . اللسان (عرض ٣٨ ــ ٣٩) .

ص	س	
	٨	: « وقال ابن كنانة [وهو] يصف فرسا » .
	١٥	: « التكملة كذلك فى النسخة ، مع إسقاط « خلف بن حيان الأحمر » .
١٨٣	٦	: « كأن شبا طرفه » .
	١١	: « فى ديسم الغيرى » ، تحريف . وانظر الأغانى ٣ : ٢٧ حيث روى البيت برواية « من نجل زارع » .
١٨٤	٦	سقط الكلام من أول السطر إلا كلمة « وزعموا » فإن بدلها «وزعم» .
	٧	: « لايَلقَن ولا يألف » ، وهو الوجه .
١٨٥	٣	: « وسنداوة تصأى به وحضاجر » . تصأى : تصيح . ويقال أيضا صأى يَصِئُ . وهذا يوجه رواية ط «تصبى به » ، إذ صوابها « تَصِئُ به » .
	١٥	: « ذكروا [ذلك] عن عمرو بن يربوع ، وكما روى أبو زيد » .
١٨٦	٤	: « وأنشد » فقط ، أى بإسقاط باقى العبارة .
	٥	: « منون قالوا سراة الجن » .
	١٤	: « ولم تقل جئ » .
	١٥	: « أو ملك الأعجَم » .
١٨٧	٢	: « عمرا وقابوس » .
	٤	: « جرهما من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم ، [قالوا] : وكان » .

ص	س	
	١٢	: « ومن هذا النسل ومن هذا الضرب من النجل »
١٨٨	١	: « وأبوه غيرى » .
	٣	: « ينادى [رجلاً ويقول]: ياذا القرنين، فقال: فرغتم » .
	١٠	: « على جهة العشق » .
١٨٩	٥	: « تركّب من الناس والنسناس » .
	٦	: « والدوال » بإسقاط « باى » كما فى ط .
	١٦	: « يَهَنَّا » بدل « مهنا » .
١٩٠	١	: « من ولد مَهَنَّة ومُهَيْنَنَة » .
	٦	: « ذكرت [لك] كثيرا » .
	٨	: « وزعم ابن مِيثم » .
١٩١	٢	: حتى « [إنه] ربما وثب على صاحبه » .
	٧	: « حاجب بن ذبيان » .
	٨	: « إذا أُسلِمَ الحبلَ » .
	١٠	: « حين فارقه الهزْل » ، وهو الصواب ، والهزل بالضم ، الهُزال .
١٩٢	٦	« فيهزل أهل البيت » .
	٧	: « وذلك عند السواف » باسقاط « أنه » .
	٨	: التكملة التى فى آخر السطر ليست فى النسخة .
	١٠	: « كثير الجناية على إلفه ، وإنما قبلوه حِين قبلوه على أن ينذرهم موضع السارق » .

ص	س	
	١١	: « وتركوا طراده » .
١٩٣	٤	: « إلا وخطمه فى الأرض [أبداً] يتشمم » .
	١٣	: « وفى أموالهم » . وهذا تحريف قرآنى . انظر تحقيق النصوص ونشرها من تأليف عبدالسلام هارون ص٤٥ . وهى الآية ٢٤ من المعارج. وفى الآية ١٩ من الذاريات : « وفى أموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم » . فمن هنا وقع اللبس .
١٩٤	١	: « وليس من أحرارها [وكواسبها] ، ولا من عتاقها وجوارحها » .
	١٢	: « ثم كان مما لا يزاوج » .
	١٣	: « وحرم هذا النسب »
١٩٥	١٣	: « ولا ينازع إلى دجاجِهِ وطروقته »
١٩٦	١	: « ولو لم يُخلَق » .
	٧ـ٨	: « أو سقط على حائط الدار لم يعرف كيف الرجوع » .
	٩	: « يسيراً ، ولا يتذكر ولا يهتدى » .
	١٢	: « وذاهلة طامحة » ، موضع « طامحة وذاهلة » .
	١٤و١٥	: « لا يعرف التى سفد ، ولا يقصد إلى ولد ، ولا يحضن بيضه » .
١٩٧	٩ـ١٠	ساقط من النسخة .
١٩٨	٢	: « إذا اصطيدت أو قتلت ».

ص	س	
	٣	: « وأنشدوا قول الكميت » .
	٤	: « لدَى الحبل » .
	١١	: « عام جاحد » .
١٩٩	٤	: « وقدحى بكفّىَّ » .
	١٨	: « صغار ومن ديكٍ تنوسُ غبا غبه » كما فى ل .
٢٠٠	١	: « وقال شماخ بن أبى شداد » كما فى ٧ : ٨٥ .
	٣	: « فتجعل فى حبالك » كما فى ل .
	٥	: « سقطت كلمة « فإن » .
	١١	: « والأجناس » بدل « والخشاش » .
	١٧	: « وألسنتهم لا تنطق » .
	١٨	: « من الفتق بالأعظم [فالأعظم] » ، وهو الوجه
٢٠١	١	: « وقلتُ وهذا باب » .
	٢	: « من طرق المراء » .
	٦	: « ولكل طعام آكل » .
	٨	: « [و] قد زعم ناس أن كل إنسان ففيه » .
	١١	: « فى البدن ، وكما ينمى العرق » .
	١٢	: « من الحركة » .
	١٤و١٥	: « ولابد لكل ذى قوى من أن تظهر قوته » ، وهو الوجه .
	١٦	: « لا بد للمصدور من النفث » ، وبإسقاط الواو من أوله .
٢٠٢	٤	، « وشغف بعض النفوس بالتنجيم » .

ص	س	
	٦–٧	: « فنجد واحداً يلهج بشهوة القتال حتى يكتتب مع الجند ، وآخر يختار أن يكون خبازا أو مَرَّاقا ، وآخر يطلب الملك » .
٢٠٣	٣	: « وأن يسخو على الطعام » . يقال سخِيَ يَسخَى ، وسَخُو يسخُو ، وسَخَا يَسخُو ، لغات ثلاث .
٢٠٤	٤	: « والمكروه بالمحبوب » .
	٦	« ومتى بطل التخيُّر ذهب التمييز » .
	١٣	: « ومن جهل اليأس جهل الأمر » .
	١٥	: « وإلى الغباوة والبلادة أو حال النجوم » .
٢٠٥	١	: « الشمس أو القمر أو النار أو الثلج » .
	٤	: « ولأهل التمييز والروية » .
	٥	« والسبع من لطع الدم » .
	١٠	: « والملمس اللين » .
٢٠٦	٣	: « منافعها هنيئة » .
	١١	: « بأحق من الثانى فى الحق الذى جوزت فيه » .
	١٣	: « والأسباب المتقيدة » .
	١٥	: « بأدل عليه من الخنزير » . «وإن اختلفا من جهة » .
	١٦	: « لم يختلفا من جهة البرهان والدلالة » .
٢٠٧	١	: « أعز عليه من الحدأة ، وأن الغزال أحب إليه » .
	٣–٤	: « فجعل بعضها إنسيا وبعضها وحشيا » .
	١٠و١١	: « وإن أتى بالغيث » .

ص	س	
	١٣	: « ولا اختلاف بين أصحابنا » ، وهو الصواب .
٢٠٨	٥	: « وما نعرِف »
	٧	: « وأنه صالح لصاحب السِّلّ »
	٩	: « شيء من الحلواء إلا وهو ضار بالأسنان غيره » .
	١١	: « وليسهل مخرج »
	١٢	: « ومن الزيتون على زيته والاصطباغ به » ، أي الائتدام به ، والصِّبغ والصِّباغ : مايصطبغ به من الإدام ، وفى قوله تعالى « وصِبْغ للآكلين »
	١٣	: « والوقود بشجرتهما و [على] ماأشبه ذلك » .
٢٢٢	٥	: « بقتلها وإطرادها »
	٧	: « وتقزز المسلمين من دنوها » ، مع سقوط التكملة التى بعدها
	١٤	: « وأخذنا فى ذكر أسمائها وأنسابها وأعراقها ، وتفدية الرجال لها »
٢٢٣	٤	: « حفظها وإتقانها » .
	٥	: « وإهانة اللئام »
	٦	: « وذكر [طول] ذَمائها » ، وهو الوجه .
	٦	: « وشدة مُنَنها ومعاقد الذمار » !
	٨ ــ ٩	: « ذكورتها والذكورة من غير جنسها »
	١١	: « وفهمها وخدمتها » :

ص	س	
	ص	س
	١٤	: « وإخبار المتطيرين عنها ، وعن أسبابها ومنتهى أعمارها وعدد أجزائها » ، و « أسبابها » تحريف ، و « أجزائها » صوابها « أجرائها » بالراء المهملة
٢٢٤	١	: « وسياستها ، والتى لاتلقن منها »
	٦	: « فمن يك عنه » .
	٧	: « تظل الكلاب العاويات »
	٨	: « من ولد محارب بن خصفة » ساقط من النسخة .
	١٢-١٣	: « وقال الخريمى ، وهو إسحاق بن قوهى فى قتلى حرب بغداد» .
٢٢٥	٥	: «ويكنى أبا محمد [فى يوسف الشاعر] » .
	٧	: « حلقىّ بلقىّ كاهن »
	١١	: « فقال الحسن : أيا عجبى ممن يلغ » .
	١٢-١٣	: « فقام وكيع فجعل يتخلج فى مشيته كما يتخلج المجنون ، فقال الحسن : لله فى كل عضو منه نعمة ، اللهم » .
٢٢٦	٣	: « وكصنان عرقها »
	٦	: « وضرب بالكلب فى ذلك مثلا فقال » .
	٩	: « إنها امرأة حسناء »
	١٠	: « بذىّ لسانها»
	١٧	: «وقال [فى] مثل ذلك » .
٢٢٧	١	: « بغَبر البيد » .
	٣	: « مثل الفرخ أعظمه »

ص	س	
	٦	: « فإذا اشتد بطنه ليسمن قيل : قد ضرب بطنه » .
	٧	: « والعِقْى هو القَقَّة » مع إسقاط كلمة « الغيبة » بعدها ، وقد أورد الخبر فى اللسان (ققق) وقال : « القَقَّة : العِقْى الذى يخرج من بطن الصبىِّ حين يولد »
	٨ ــ ٩	: « إن أخى وضع يده فى قَقَّةٍ ، إنى لاأنزع يدى من جماعة وأضعها فى فرقة » ، مع إسقاط مابين ذلك من كلام
	١٤	: « ويشغر ببوله فى جوف أنفه ، ويسدِّده تلقاء خيشومه » .
٢٢٨	٢	: « وتستقلونه بهذا وأشباهه » .
	٣ ــ ٤	: « من اللحم الغض الغريض »
	١١ــ١٢	: « لهو أشد من الأسد ، ولهو أجرى من الليث الغادى » .
٢٢٩	١	: « وبأن أنفه فى أسلوب »
	٧	: « نماه لمجد أبٌ أصيد»
	٨	: « لم يبعد من طبائع كثير من الناس»
	١٠	: « وليس بين [مسلوخ] النمكسود وبين المصلوب اليابس كبير فرق » ، وكلمة « مسلوخ » صوابها « مملوح » . وفى معجم استينجاس ١٤٢٧ أن النمكسود هو المملح
٢٣٠	٣	: « فسمّاك بالقحر » .
	٤	: « ويَمذى فى لبان »
	٧	: « ولو أنى أشاء قد ارفأنت نعامته ويفهم ماأقول » ، وهو الوجه ، ارفأنت : سكنت

ص	س	
	٨	: « فما نعلم صنيع العنز » .
	٩	: « وقال ابن أحمر » فقط .
٢٣١	١	: « ابن هرمة » مع إسقاط « الفهرى » .
٢٣٢	٦	: « وحشيها وإنسيّها » .
	٧	: « حيضا بيِّنا » ، وهو الوجه .
	١٠	: « لأن الإبل والشاء » ، وهو الأولى مما اقترحته من تصحيح .
	١٢	: « ما قد قَبَّ ظاهُره » . وقبَّ بمعنى يبس .
	١٤	: « الاستمراء والقضم ، حتى تتلمس الديدان » .
	١٥	: « القذر » بدل « العذرة » .
	١٦	: « قال عبد الرحمن بن الحكم » مطابقا لما أثبته من ل على الصواب . وانظر ص ٤٠٨ .
٢٣٣	١٣	: « والعُنق الحمر » ، والأعنق والعُنُق كلاهما جمع للعَناق ، وهى الأنثى من المعز ، ومثلهما « العُنوق » .
	١٣ـ١٤	: « طبعها وشهوتها » ، مع إسقاط « قوتها » ، والمعنى شهوة الدجاج لخبث الأطعمات .
	١٧	: « سباطة » بدل «سبوطاً» .
٢٣٤	١	: « القريس النشوط والشبوط » .
	٨	: « لأذنابها [محسيا] » كما فى ل .
	١٠	: « قال أبو كلدة : أدم العميان » بإسقاط صدر الكلام وكلمة « هو » .

ص	س	
	١٣	: « لبعض البدع » .
٢٣٥	١	: « هلك فيه فتيان منذ كانت الدنيا » .
	٣	: « يلتقم العذرة ، وزهما لايستطاع أكله » ، وفيه تحريف ونقص .
	٥	: « لايطيب مالحاً ولا ممقوراً » .
	١١	: « وقد بلغ من شُهرة الرخمة بذلك ــ واسمها الأنوق ــ حتى سمّوا كل شيء يعرض من الحيوان للعذرة بأنوق » . وهو الوجه ، فإن الرخمة إنما سميت بالأنوق لأنها تختار أوكارها فى رءوس الجبال والأماكن الصعبة البعيدة ؛ ولم تسمَّ بالأنوق لشهوتها للعذرة .
	١٤	: « رزق الأنوقين قرنبا وجُعَل » .

وهذه نهاية المقابلة على ما وجد فى مخطوطة الأمبروزيانا من الجزء الأول من كتاب الحيوان .

صواب أخطاء الطبع

ص	س	الخطأ	الصواب
٤٥	١٠	من البنيان	من البيان
١٦٥	٦	لا يَعتقه	لا يعتِقه
١٧٣	٢	من حمى كبته	من حمى ركبته
٢٣٤	١	ولا ذاتَ	ولا ذاتُ
٢٥٤	١٣	أكلباً	أكلبَا
٢٧٧	٣	تَراحَ	تَرَاحُ
٣٣٥	٢	النبيِّ	للنبيِّ
٣٦٠	٩	ولا كرماً	ولا كرمَا
٣٦١	١	مُضر	مُضرْ

استدراك وتذييل

ص	س	
٧٤	١١	فى العبارة شيء من الغموض لوجازة ألفاظها ، فلتوضيحها يقال : إن امرأ القيس ، وهو من أقدم شعراء العرب ، قد ذكر « عدسا » ، و « عدس » هو والد « زرارة » ، وزرارة كان قريب العهد من مولد الرسول ؛ إذ أنه مات يوم أُوارة الثانى، وكان ذلك فى أيام عمرو بن هند اللخمى ، الذى ولد الرسول فى أيامه . فنخلص مما تقدم إلى أن أقدم شعر عربى لايبعد عهده عن الإسلام كثيراً . انظر مجمع الأمثال ٢ : ٣٥٨ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ والعمدة ٢ : ١٦٨ ومعجم البلدان (أوارة) .
١٤٩	١١	(مطر الضفادع) . تصديقاً لما أورده الجاحظ منذ أكثر من ألف سنة . عثرت فى صحيفة (الأخبار) العدد ٢١٨٩ بتاريخ الأربعاء ٩ من محرم سنة ١٣٧٩ و ١٥ من يولية سنة ١٩٥٩ مانصه :

« دهش السكان فى ضواحى أنقرة عندما تساقطت عليهم الضفادع خلال نزول المطر . فسَّر إخصائيو الأرصاد الجوية هذه الظاهرة بأنه يحدث فى بعض الأحيان أن تقترب السحب إلى درجة كبيرة من الأرض ويصاحبها رياح قادرة على رفع بعض الحيوانات إلى ارتفاع قد يبلغ خمسة آلاف متر » .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم ـ خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

باب

٢ احتجاج صاحبِ الكلب بالأشعارِ المعروفةِ والأمثالِ السَّائرة ، والأخبار الصحيحة والأحاديثِ المأثورة ، وما أوجد العِيانُ فيها ، وما استخرَجَت التجاربُ منها من أصناف المنافع والمرافق ، وعن مواضع أخلاقها المحمودة وأفعالها المرادة .

ونبدأ بقول العرب : إنَّ دماءَ الملوك شِفاءٌ من داء الكلَب ، ثُمَّ نذكر الأبوابَ لِمَا قدَّمنا فى صدرِ كلامنا هذا . قال بعض المُرِّيِّين[١] :

أَرَى الخلاَّنَ بعد أبى عُمَير[٢] ... بِحُجْرٍ فى لقائِهِمُ جَفاءُ

مِنَ البِيضِ الوُجوهِ بنى سنان ... لوَ انَّك تَستضىء بهم أضاءوا

لهم شمسُ النَّهارِ إذا استقلَّتْ ... ونُورٌ ما يغيِّبُه العَماءُ[٣]

بُناةُ مَكارمٍ وأُساةُ كَلْمٍ[٤] ... دِماؤهمُ مِنَ الكَلَبِ الشفاءُ

(١) هو أبو البرج القاسم بن حنبل المرى ، والشعر يقوله فى زفر بن أبى هاشم ابن مسعود بن سنان ، عامل اليمامة. (الحماسة ٢ : ٣٠٤) و (المؤتلف والمختلف ٦٢) و (معجم المرزبانى ٣٠٣) . وأبو البرج قال فيه صاحب القاموس : إنه شاعر إسلامى . والبيت الأخير مروى فى عدة أبيات منسوبة إلى أمية بن أبى الصلت فى ديوانه ص ١٧ . و « المريين » هى فى الأصل : « المزنيين » محرفة ، إذ أن « أبو البرج » من بنى سهم بن مرة .

(٢) فى ديوان الحماسة ، والمؤتلف ، والمعجم : « أبى حبيب » ، وهى كنية زفر كما فى المؤتلف.

(٣) استقلت الشمس : ارتفعت ، وهى مثل استقل الطائر إذا ذهب عالياً فى الجو . العماء : السحاب المرتفع ، وقيل الكثيف . وقال أبو زيد : هو شبه الدخان يركب رءوس الجبال .

(٤) فى الأصل : « حلم » وإنما هو « الكلم » بمعنى الجرح ، كما فى الحماسة والمؤتلف والمعجم . والأساة : جمع آس ، والآسى : الذى يداوى الجرح ، أو هو الطبيب .

وقال الفرزدق :

مِنَ الدارميِّين الذين دِماؤهم شِفاءٌ من الدَّاء المجنَّة والخبْلِ (١)

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرُّقَيَّات (٢) :

عاوَدَنى النُّـكسُ فاشتفَيت كما تَشفى دِماء الملُوكِ من كَلَبِ (٣)

وقال ابن عَيَّاش (٤) الـكندىُّ لبنى أسَد فى قتلهم حُجْرَ بنَ عمرو :

---

(١) فى اللسان : ويقال به جنة وجنون ومجنة . وأنشد البيت ولم ينسبه . والبيت فى عيون الأخبار : ٢ : ٧٩ منسوب إلى الفرزدق ، وهو فى الأغانى ١٤ : ٧٢ منسوب إلى المتلمس . وفى مروج الذهب ٢ : ٩٥ منسوب إلى البعيث .

(٢) كان لقيس ولدان ، عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا فى الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد فى « الـكامل » : هو عبد الله ، وقال المرزبانى فى « معجمه » : هو عبيد الله بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول : الشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الـكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس ، وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعى وغيره ، ومنهم الـكلبى ، وكذلك قال المصعب الزبيرى فى أنساب قريش . هذا ما كتبه البغـدادى فى تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير . وكتب له ترجمة مسهبة فى الأغانى ٤ : ١٥٤ — ١٦٦ وأما البغدادى فقد ترجم له وكتب تحقيقا مسهبا فيمن لقبه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سبب اللقب . وانظر الخزانة ٣ : ٢٦٦ — ٢٦٩ وانظر كذلك ابن قتيبة فى الشعراء ٥٢٣ — ٥٢٥ .

(٣) كذا جاء البيت ، ولم أجده فى ديوان ابن قيس الرقيات ، ورأيت بيتا آخر شبيها به ص ٨١ من الديوان :

فدلها الحب فاشتفيت كما تشفى دماء الملوك من كلبه

قال السكرى : « الهاء للـكلب — يريد بكسر اللام — وإن لم يذكره » أى تشفى دماء الملوك المـكلوب من كلبه .

(٤) كذا فى م . وفى ط و س : « ابن عباس » ولعله « حـكيم بن عياش » الذى ترجم له ياقوت فى معجمه ١٠ : ٢٤٧ وذكر أنه كان بينـه وبين الـكميت ابن زيد الأسدى مفاخرة .

عبَيد العصا جئتم بقتلِ رئيسكُمْ   تُريقون تاموراً شفاءً من الكلَبْ (١)

وقال الفرزدق : ٣

ولو تَشرَبُ الكَلْبى المِرَاضُ دماءَنا   شَفَتْها وذو الخَبْلِ الذى هو أدْنَفُ (٢)

وذاك أنهم يزعمون أنّ دماءَ الأشرافِ والملوكِ تَشفى من عَضّةِ الكلْبِ الكلَبِ ، وتَشفى من الجنون أيضاً ، كما قال الفرزدق :

ولو تشربُ الكَلْبَى المِرَاضُ دماءنا   شفتها . . . .

ثم قال : « وذو الخَبْلِ الذى هو أَدْنَفُ (٢) » .

وقد قال ذلك عاصم بن القِرِّيَّةِ (٣) ، وهو جاهليّ :

وداويتُهُ مما بِهِ من مَجَنَّةٍ   دمَ ابنِ كُهالٍ والنِّطاسىُّ واقفُ (٤)

وقَلَّدْتُه دهراً تَميمةَ جَدِّه   وليس لِشيءٍ كادَهُ اللهُ صارفُ (٥)

وكان أصحابنا يزعُمون أنّ قولهم دماء الملوك شفاءٌ من الكلب ، على

---

(١) عبيد العصا : لقب لزم بنى أسد ، قال ابن قتيبة : « ولما ملك حجر على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئا معلوما ، فامتنعوا منه ، فسار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى » . كذا فى خزانة البغدادى ١ : ٣٠٠ سلفية . والميدانى فى الأمثال ١ : ٤٢٦ يروى لهذا المثل سببا طويلا ويقول : « هذا المثل يضرب للذليل الذى نفعه فى ضره ، وعزه فى إهانته » . أما الثعالبى (فى الثمار ٥٠٤) فيرى أن هذا مثل يضرب للقوم إذا استذلوا . . والتامور : دم القلب أو هو كل دم .

(٢) الكلبى : جمع كليب ، وهو المصاب بداء الكلب . وأما الكلب بكسر اللام فجمعه كلبون . والأدنف : من الدنف ، وهو المرض . وفى الأصل : « أدلف » ولم أجد له وجها . وأثبت رواية الديوان ٢ : ٥٦٣ .

(٣) كذا فى س ، م — وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء . . ولم أقف له على خبر .

(٤) المجنة : الجنون . وفى س : « دم ابن الكهال » .

(٥) كاده الله : أراده . ومثله قول الأفوه الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة   وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

معنى أنَّ الدَّمَ الكريم هو الثأرُ المُنِيم ، وأنَّ داء الكلب[1] على معنى قول الشاعر[2] :

كَلِبٌ مِن حِسٍّ ماقد مسَّهُ ... وأفانين فُؤَاد مُحْتَبِلْ[3]

وعلى معنى قوله[4] :

* كلِبٌ بِضرْبِ جَماجمٍ ورِقابِ[5] *

فإذا كلِبَ من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلَب ، وليس أنَّ هناك دمًا فى الحقيقة يُشرَبُ .

ولولا قول عاصم بن القِرِّيَّة[6] : « والنِّطاسىُّ واقفُ » . لكان ذلك التأويلُ جائزاً . وقول عوف بن الأحوص[7] :

(١) فى ط : « الكلاب » ، وصوابه فى س ، م .

(٢) هو النابغة الجعدى ، كما فى اللسان (حمل) والمعانى الكبير ١٣٣ .

(٣) أفانين فؤاد : أى ضروب نشاطه . ورواية اللسان : « محتمل » قال ابن منظور : « احتمل الرجل - بالبناء للمجهول - : غضب » .

(٤) فى الأصل : « قولهم » . والآتى عجز بيت لحصين بن القعقاع يرثى عتيبة بن الحارث ابن شهاب . كما مر فى الجزء الأول ص ٣١٦ ، وصدر البيت :

* يوم الحليس بذى الفقار كأنه *

(٥) فى ط : « كلب يضرب » ، وصوابه فى س .

(٦) كذا فى س ، م - وفى المطبوعة : « الفرية » بالفاء .

(٧) هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد سماه لبيد بن ربيعة « صاحب ملحوب » فى قوله :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته ... وعند الرداع بيت آخر كوثر

انظر السيرة ٢٦١ جوتنجن ، ومعجم البلدان برسم (ملحوب) . ولعوف هذا خبر فى يوم شعب جبلة ، الأغانى ١٠ : ٣٣ . ويوم شعب جبلة كان قبل الإسلام بأربعين سنة ؛ وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم (العقده : ١٤١ لجنة التأليف) . وصواب إنشاد البيت الآتى « أو العنقاء » لأن قبله كما فى المفضليات ١٧٥ :

فهل لك فى بنى حجر بن عمرو ... فتعلمه وأجهله ولاء

ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو دِماءُ القَومِ للـكَلْبَى شِفاءُ

وفى الـكلَب يقول الأعشى :

أُرانِى وعَمْرًا بيننَا دُقَّ مَنْشِمٌ(١) فلم يبق إلاّ أنْ يُجَنَّ وأَكلَبا(٢)

ألا ترى أنّه فرّق بينهما ، ولو كان كما قال لبيد بن ربيعة :

يَسْعَى خُزيمةُ فى قومٍ ليهلِـكهمْ على الحمالة هل بالمرء مِن كلَبِ(٣)

لـكان ذلك على تأويل ماذهبوا إليه جائزاً . وقال الآخر :

وأمْرَ أميرى قد أَطَعتمْ فإِنّما كَواه بَنارٍ بينَ عَينيه مُكلبُ(٤)

وهذا عندى لايدخل فى الباب الأوّل ، وقد جعلوه منه . ٤

(من طباع الـكلب العجيبة)

قال صاحبُ الـكلب : وزعمتم أنّه يبلغُ من فضل قوّة طباع الدِّيك فى الإلقاح ، أنّه متى سَفِد دجاجةً وقد احتشت بَيضاً صِغاراً من نِتاج الرِّيح

(١) ط : « رق منسم » ، وصوابه فى س ، م والديوان ٩٠ . مثل قول زهير :

تداركتما عبسا وذبيان بعد ما تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم

الثعالبى فى الثمار ٢٤٦ « الأقاويل فيه كثيرة . قال ابن قتيبة : أحسن ماسمعت فيه أن منشم امرأة كانت تبيع العطر والحنوط فقيل للقوم إذا تحاربوا وتفانوا : دقوا بينهم عطر منشم » . انظر الميدانى فى الأمثال ١ : ٨٣ ، ٣٤٨ وشرح القصائد السبع الطوال ٢٦١ .

(٢) كذا فى م ، س وفى ط : « وأكلب » وهو تحريف . والبيت من قصيدة فى ديوان الأعشى ٨٨ — ٩١ مطلعها :

كفى بالذى تولينه لو تجنبا شفاء لسقم بعد ما كان أشيبا

(٣) الحمالة : الدية يحملها قوم عن قوم . وفى ط : « الجهالة » وصوابه فى س ، م .

(٤) إنما يكوى بين عينى الـكلب إذا أصابه الكلب ، وهو داء يأخذ الجراء خاصة يصيبها منه قىء وإسهال ، فإذا كوى ذهب عنه ذلك . انظر اللسان (كدا) وهذا الجزء من الحيوان ص ٤٩ .

والتراب ، قلبها كلَّها حيواناً ولو لم يكنْ سفِدها إلاَّ مرَّةً واحدة ، وجعلتموه فى ذلك بغاية الفِحْلة ، فطباعُ الكلب أعجبُ إلقاحاً وأثقَبُ ، وأقوى وأبعد ؛ لأنَّ الكلبَ إذا عضَّ إنساناً ، فأوَّل ذلك أنْ يُحيله نَبَّاحا مثلَه ، وينقلَه إلى طباعه ، فصار ينبح ، ثم يُحبِله ويُلقحه بأجراءٍ صغار يَبولُها عَلقاً فى صُوَر الكلاب ، على بُعد مابين العُنصرينِ والطَّبعين والجنسين . والذى يتولَّد فى أرحام الدجاج ، أقرب مشاكلة إلى طباع الدِّيك . فالكلب هو[1] العجبُ العجيب ، لأنّه أحبَلَ ذكراً من خِلاف جنسه ، ولأنّه مع الإحبال والإلقاح ، أحاله نبَّاحا مثلَه . فتلك الأَدراص[2] وتلك الكلاب الصغار ، أولادٌ ونتاِج ، وإن كان لايبقى .

وقد تعلمون أنَّ أولادَ البغْلات من البغال لاتبقى ، وأن اللِّقاح قد يقع ، وإنّما مُنع البغل من البغلة بهذه العلّة .

(أسرة تتوارث دواء الكلب)

قال أبو اليقظان[3] وغيره : كان الأَسود بن أوس بن الحُمَّرة ، أتى النَّجاشيَّ ومعه امرأته ، وهى بنت الحارث أحد بنى عاصم بن عبيد بن

---

(١) فى الأصل : « والكلب وهو » وذلك تحريف .

(٢) الأدراص : جمع درص بفتح الدال وكسرها ، وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها .

(٣) هو عامر بن حفص ، ولقبه سحيم ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ فى البيان فى مواضع كثيرة . والمدائنى فى كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ ليبسك و ١٣٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالما بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، وتوفى سنة ١٩٠ .

ثعلبة ، فقال النَّجاشيُّ : لأُعطينَّك شيئاً يَشفى من داءِ الكلب(١) . فأقبَلَ حتَّى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت ، فأوصى امرأتَه أن تتزوَّج ابنَه قُدامة ابنَ الأسود ، وأن تعلِّمه دواءَ الكلَب ؛ ولا يخرُجَ ذلك منهم إلى أحد ، فتزوّجته نِكاح مَقْت(٢) ، وعلّمته دواءَ الكلَبِ ، فهو إلى اليوم فيهم .

فولَدَ الأَسود قُدَامةَ ، وولد قُدامةُ المُحِلَّ ــ وأمُّه بنت الحارث ــ فكان المحِلُّ يُداوِى من الكلَب. فولد المحلّ عُقبةَ وعمراً ؛ فداوى ابنُ المحلّ(٣) عُتَيبة(٤) بن مِردَاس ؛ وهو ابن فَسوة الشاعر(٥) فبال مثلَ أجراءِ الكلب عَلَقا ، ومِثلَ صوُر النَّمْل والأَدرَاص(٦) فقال ابن فسوْة حين برئَ :

ولولا دواءُ ابنِ المُحِلِّ وعلمُه هَرَرتُ إذا ماالنَّاس هَرَّ كلابُها

(١) مثل هذا الكلام عند ابن قتيبة فى العيون ٢ : ٨٠ والشعراء ٣٣٢ .
(٢) نكاح المقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، وقد نص القرآن الكريم على تحريمه فى قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » ، وقد سرد ابن قتيبة فى المعارف ص ٥٠ أسماء طائفة من الرجال الذين خلفوا على زوجات آبائهم، منهم كنانة بن خزيمة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعمرو بن نفيل .
(٣) فى عيون الأخبار أنه (المحل) ، وفى الشعراء وفق ما هنا .
(٤) فى الأصل: « عيينة»، وتصحيحه من العيون والشعراء .
(٥) قال أبو الفرج : هو أحد بنى عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر مقل غير معدود فى الفحول ، مخضرم ممن أدرك الجاهلية والإسلام، هجاء خبيث اللسان بذىء . وكان لايزال يأتى أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه . وقد روى أبو الفرج حديثاً طويلا له مع ابن عباس وهو عامل على البصرة لعلى ابن أبى طالب . وكان حليفا لجميل بن معمر ، وفيه يقول :

فلو كنت من زهران لم ينس حاجتى ولكننى مولى جميل بن معمر

وترجمته مسهبة فى الأغانى (١٩ : ١٤٢ ــ ١٤٦) .
(٦) فى الأصل : « الأضراس » ، وإنما هى « الأدراص » كما سبق فى ص ١٠ .

وأخرَج عبدُ الله أولادَ زارعٍ[١]   مُوَلَّعَةً أكتافها وجنوبُها[٢]

وأولاد زارع : الكلاب .

وأمّا قوله :

ولولا دواء ابن المُحِلِّ وعلمه هررتُ . . . .

فإنّما ذهبَ إلى أنَّ الذى يَعَضُّه الكلْبُ الكلِبُ ، ينبَح نُباح الكلاب ويَهِرُّ هريرها .

(أعراض الكلب)

وقال محمَّد بن حفص ، وهو أبو عبيد الله بن محمد ؛ ابن عائشة[٣] : عضَّ رجلاً [من بَلْعَنْبرِ][٤] كلبٌ كلب فأصابه داءُ الكلب ، فبال عَلَقا فى صورةِ الكلاب ؛ فقالت بنت المستَنْثر[٥] :

---

(١) فى الأصل : « وأجزع » وليس له وجه ، وصوابه فى العيون والشعراء . وفيهما كذلك : « بعد الله » موضع : « عبد الله » .

(٢) المولعة : التى بها سواد وبياض مستطيلان .

(٣) فى الأصل : « وهو أبو محمد بن محمد بن عائشة » وهو تحريف وخطأ ، صوابه فى البيان (١ : ١٠٢ ، ٢٣٩) وفى المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ . وابن عائشة : كنية متنازعة بين الوالد وابنه ، يقال لكل منهما « ابن عائشة » . وللوالد خبر طريف فى البيان . أما ابنه فقد عده ابن قتيبة فى المحدثين أى رجال الحديث ، وقال : « توفى بالبصرة سنة ثمان وعشرين ومائتين » . ويقول فيه الجاحظ (١ : ١٠٢) « وكان كثير العلم والسماع . متصرفا فى الخبر والأثر . وكان من أجود قريش ، وكان لا يكاد يسكت ، وهو فى ذلك كثير الفوائد » . يريد أنه من الفصحاء الأبيناء الذين فى كثرة كلامهم فائدة وخير .

(٤) الزيادة من س ، م وعيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٥) فى العيون : « فقالت امرأته » .

أبا لكَ أدراصاً وأولادَ زارعٍ وتلكَ لعمْرى نُهيَةَ المتَعجِّبِ (١)

وحدَّثنى أبو الصَّهباءِ عن رجالٍ من بنى سعد ، منهم عبد الرحمن ابن شَبيب ، قالوا :

عضّ سنجيرَ الـكلبُ الـكِلب، فكان يعطَشُ ويطلُبُ الماءَ بأشدِّ الطلب، فإذا أتوه به صاح عند معاينته : لا ، لا أريد !

وهكذا يصيب صاحبَ تلك العضَّة. وذلك أنَّه يعطش عنها أشدَّ العطش ويطلب الماءَ أشدَّ الطلب ، فإذا أتوه به هرَب منه أشدَّ الهرب ، فقال دَلَم (٢) وهو عبدٌ لبنى سعد :

لقد جئت ياسنجير أجلو ملقة إباؤك للشىءِ الذى أنت طالب (٣)

وهى أبياتٌ لم أحفظ منها إلاّ هذا البيت .

(نشرة طبِّيَّة لزياد)

وذكر مَسْلَمَة بن محارب ، وعلىُّ بن محمّد عن رجاله ، أنَّ زياداً كَتب دواءَ الكلب ، وعلَّقه على باب المسجد الأعظم (٤) ، ليعرفه جميع الناس .

---

(١) ط : « نهبة المتنجب » ، وفى م : « نهية المتنجب »، وصوابه من س وعيون الأخبار . والنهية بالضم : غاية الشىء وآخره كالنهاية .

(٢) اشتقاق هذا العلم من « الدلم » بالتحريك ، وهو شىء شبه الحية يكون فى الحجاز ومنه المثل ، وهو « أشد من الدلم » .

(٣) فى م : « احلو فلقة » وفى س : « احلوملقة »، وفى البيت تحريف .

(٤) هو مسجد البصرة . وكان فى أول أمره مبنيا بالقصب ، ولما ولى البصرة أبو موسى الأشعرى بناه باللبن . ولما استعمل معاوية زيادا على البصرة بنى زياد المسجد بالجص وسقفه بالساج ، وجعل له سوارى اجتلبها من الأهواز . وكانت أرض المسجد تربة فكانوا إذا فرغوا من الصلاة نفضوا أيديهم من التراب ، فلما رأى زياد ذلك قال لا آمن أن يظن الناس على طول الأيام أن نفض اليد فى الصلاة سنة . فأمر بجمع الحصى وإلقائه فى المسجد .

(ردٌّ على مازعموا من أعراض الكلب)

وأنا، حفظك الله تعالى ، رأيتُ كلباً مرّةً فى الحَىِّ ونحنُ فى الكتّاب ، فعرَض له صبىٌّ يسمَّى مهديًّا من أولاد القصَّابين ، وهو قائم يمحو لوحَهُ فعضّ وجهه فنقع ثَنِيَّته دونَ موضع الجفن من عينه اليسرى ، فخرق اللحمَ الذى دون العظم إلى شطر خدّه ، فرمى به ملقيًّا على وجهِه وجانبِ شِدقه ؟ وترك مُقلتَه صحيحة ؛ وخرَجَ منه مِن الدَّم ما ظننتُ أنَّه لايعيش معه ، وبقى الغلامُ مبهوتاً قائما[1] لاينبِس ، وأسكته الفزَع وبقى طائرَ القلْب ، ثمَّ خِيط ذلك الموضعُ ؛ ورأيته بعد ذلك بشهر وقد عاد إلى الكُتّاب ، وليس فى وجهه من الشَّتْر[2] إلاّ موضعُ الخيط الذى خِيط ؛ فلم ينبَحْ إلى أنْ برئَ ، ولا هرَّ ، ولا دعا بماءٍ ، حتَّى إذا رآه صاح : رُدُّوه ! ولا بال جرواً ولا عَلقا ، ولا أصابه ممَّا يقولون قليل ولا كثير . ولم أجدْ أحداً من تلك المشايخ ؛ يشكّ أنَّهم لم يَروا كلباً قطُّ أكْلَبَ ولا أفْسَدَ طبعاً منه . ٦
فهذا الذى عاينت .

وأما الذى بلغنى عن هؤلاء الثقات فهو الذى قد كتبتُه لك .

---

(١) كذا . ولعلها « غائبا » .
(٢) الشتر : القطع .

(مما قيل فى الكلب الكَلِب)

وفى الكلب الكلب أنشد الأعرابى :

حيَّاكُمُ اللهُ فإنِّى منقلبْ   وإنَّما الشاعرُ مجنون كلبْ

* أكثرُ ما يأتى على فِيه الكَذِبْ *

إمّا أن يكون الشعر لِهِمْيان[1] وإما أن يكون للزَّفيان[2]. وأنشدنى :

فإن كنتُم كَلْبَى فعندى شِفاؤكم   وفى الجنِّ إن كانَ اعتراك جُنُونُ[3]

وأنشدنى :

وما أدرى إذا لاقَيتُ عَمْرًا   أكَلْبَى آلُ عمرٍو أمْ صِحاحُ

قال : فأمّا المُكْلب الذى يصيب كلابَه داءٌ فى رُءُوسها يسمَّى الجُحَام[4] فتُكْوى بينَ أعينها .

(مسألة كلامية)

وسنذكر مسألة كلاميَّة ، وإنَّما نذكرها لكثرةِ من يعترض فى هذا ممَّن ليس له علم بالكلام .

ولو كان أعلمُ الناس باللغة ، لم ينفعْك فى باب الدين حتَّى يكون عالماً بالكلام .

وقد اعترض معترضون فى قوله عزّ وجلَّ : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى

---

(١) هو هميان بن قحافة ، راجز محسن إسلامى ، وكان فى الدولة الأموية . المؤتلف والمختلف للآمدى ١٩٧ .

(٢) ط : «للرقيات » وهو تصحيف ، صوابه فى س . والزفيان شاعر إسلامى ، واسمه عطاء ابن أسيد، وله ترجمة فى المؤتلف والمختلف ١٣٣ وفى معجم المرزبانى ٢٩٨ .

(٣) البيت لجرير فى ديوانه ٥٨٩ والخزانة ٢ : ٣٩٥ بولاق.

(٤) الجحام كغراب : داء يصيب الإنسان فى عينه فترم ، وقيل داء يصيب الكلب ، وقيل يصيب الكلب فى رأسه . وفى الأصل : « الحجام » بتقديم الحاء . وهو تصحيف .

آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْها فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فزعَموا أنَّ هذا المثَلَ لايجوزُ أن يُضرَب لهذا المذكور فى صدر هذا الكلام ، لأنه قال : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى آتَيْنَاهُ آيَاتِنا فَانْسَلَخَ مِنْهَا﴾ . فما يُشبَّه حالُ من أُعطِىَ شيئاً فلم يقبله ــ ولم يذكر غير ذلك[1] ــ بالكلب الذى إن حملتَ عليه نَبَح وولّى ذاهباً ، وإن تركته شدَّ عليك ونبح . مع أنَّ قوله : يلهث ، لم يقع فى موضعه ، وإنما يلهث الكلب من عَطشٍ شديد وحرٍّ شديد ، ومن تعب ؛ وأما النُّباح والصِّياح فمن شىء آخر .

قلنا له : إن قال ﴿ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ فقد يستقيم أن يكون الرادّ[2] لايسمَّى مكذِّبا ، ولا يقال لهم كذَّبوا إلاّ وقد كان ذلك منهم مِراراً ، فإن لم يكن ذلك فليس ببعيد أن يشبَّه الذى
٧ أوتِىَ الآياتِ والأعاجيبَ والبرهاناتِ والكرامات ، فى بدء حرصه عليها وطلبه لها ، بالكلب فى حرصه وطلبه ؛ فإنَّ الكلبَ يُعطى الجِدَّ والجُهْد من نفسه فى كلِّ حالةٍ من الحالات . وشبَّه رفضه وقذفه لها من يديه ، وردَّه لها ، بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها ، بالكلب إذا رجع ينبح بعد

---

(١) م : « ولم نذكر غير ذلك » وليس بشىء ، والمعنى أنه لم يذكر من حال المشبه فى الآية غير صورة عرض الآيات عليهم وعدم قبولهم إياها .
(٢) فى ط : « المراد » ، وصوابه فى س ، م .

إطْرادك له . وواجبٌ أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة فى وزن طلبها والحرصِ عليها .

والكلبُ إذا أتعب نفسه فى شدّة النُّباح مقبلاً إليك ومدبراً عنك ، لِهث واعتراه ما يعتريه عند التَّعب والعطش .

وعلى أنَّنا ما نرى بأبصارنا إلى كلابنا وهى رابضةٌ وادعة ؛ إلّا وهى تلهث ؛ من غير أن تكون هناك إلّا حرارةُ أجوافها ، والذى طُبعت عليه من شأنها ، إلّا أنّ لَهْثَ الكلبِ يختلف بالشدَّة واللِّين !

(كرم الكلاب)

وقال صاحب الكلب : ليس الدِّيكُ من الكلب فى شىء ، فمن الكلاب ذواتُ الأسماءِ المعروفةِ والألقابِ المشهورةِ . ولكرامها وجوارحِها وكواسبها ، وأحرارِها وعِتاقِها ، أنسابٌ قائمةٌ ، ودواوينُ مخلّدة ، وأعراقٌ محفوظة ، ومواليد مُحْصاة ، مثل كلب جذعان[1] ، وهو السَّلْهبُ بن البراق ابن يحيى بن وثّاب بن مظفَّر بن مُحارِش .

(شعر فيه ذكرٌ لبعض أسماء الكلاب)

وقد ذكر العرب أسماءَها وأنسابها .

قال مزرِّد بن ضرار :

---

(١) لعله : « جدعان » .

فعَدِّ قَريضَ الشِّعر إن كنت مُغْزِراً فإن غزير الشعر ما شاء قائل[١]
لنعت صُبَاحيٍّ طويلٍ شقاؤه له رَقَمِيَّاتٌ وصَفـراءُ ذابل[٢]
بَقِينَ لَه مما يبرِّى وأكلبٍ تَقَلْقَلُ فى أعناقهنَّ السَّلاسلُ[٣]
سُخَامٌ، ومِقلاء القَنِيص، وسلْهبٌ وجدْلاءُ، والسِّرْحان، والمتناولُ[٤]
بنات سلُوقِيَّين كانا حياتَه فماتا فأودى شخصُه فهو خاملُ[٥]
وأيقن إذْ ماتا بجُوع وخَلَّـةٍ وقال لَهُ الشَّيطانُ: إنَّك عائلُ[٦]
فطوّفَ فى أصحابه يستثيبهمْ فآب وقد أكْدَتْ عليه المسائلُ[٧]
إلى صبيةٍ مثل المغَالى وخِرملٍ رَوَادٍ، ومن شرِّ النساءِ الخرامِلُ[٨]
فقال لها: هَلْ من طعامٍ فإنَّنى أذمُّ إليكِ الناسَ، أمُّكِ هابلُ[٩]

---

(١) أغزر الشيء: جعله غزيرا. وفى ط: « معذرا ».

(٢) الصباحى: رجل من بنى صباح كان ضيفاً له. وفى ط، م: « ضباحى». والرقميات: سهام منسوبة إلى « الرقم » بالتحريك: موضع بالمدينة. « وصفراء ذابل »: قوس قطع عودها وطرحت فى الشمس حتىَّ ذهب ماؤها.

(٣) تقلقل: تتقلقل. وأراد بالسلاسل القلائد. « بقين » هى فى الأصل: « يقين » وتصحيحها من المفضليات بشرح ابن الأنبارى ١٨٠.

(٤) ط: « ومقلا والقنيص » وتصحيحه من القاموس و س، م — وفى ط: « وجذلان » وصوابه من س والقاموس.

(٥) فى الأصل: « فات فأودى». الخ، والوجه ماأثبت من المفضليات بشرح ابن الأنبارى. قال: كانا حياته: أى كانا يصيدان له فى حياته. وأرى أنه عنى أنهما سبب حياته ومصدر رزقه.

(٦) الخلة: الفقر والحاجة. والعائل: الفقير.

(٧) يستثيبهم: يطلب ثوابهم ومعروفهم. وأكدى: طلب فلم يجد.

(٨) قال ابن الأنبارى: المغالى: سهام يغلى بها فى الهواء لانصال لها. يريد أن صبيانه فى ضعفهم وسوء حالهم ونحولهم مثل هذه السهام. أما الخرمل فهى العجوز المتهدمة. والرواد: الحمقاء الهوجاء، من قولهم: ريح رواد: هوجاء تجئ وتذهب.

(٩) هبلته أمه: ثكلته وفقدته.

فقالتْ : نَعمْ ، هذا الطَّوِىُّ وماؤه   ومُحترَقٌ من حائل الجلد قاحِلُ(١) ٨
فلما تناهَتْ نفسُه مِن طعامِهِ   وأمسى طَليحاً ما يُعانيه باطِلُ(٢)
تَغشَّى ، يريدُ النَّوْم ، فضْل ردائِهِ   فأعيا على العينِ الرُّقاد البلابلُ(٣)

ففكَّرْ فى هذا الشعر ، وقِفْ(٤) على فصوله ، حتّى تعرِف غَناء الكلاب عندهم(٥) ، وكسبَها عليهم ، وموقعها منهم .

وقال لبيدٌ فى ذِكرها وذِكَر أسماءَها :

لتذودهنَّ وأيقَنَتْ إن لم تَذُدْ   أَنْ قد أَحمَّ مِنَ الحتوفِ حِمامُها(٦)
فتقصَّدتْ منها كَسَابِ وضُرِّجتْ   بدمٍ وغُودِرَ فى المَكَرِّ سخامها(٧)

---

(١) الطوى : البئر . ومحترق : بال عتيق ، يعنى السقاء . والحائل : المتغير ، أو الذى أتى عليه الحول . وفى ط : « خائل » وليس بشىء .

(٢) تناهت نفسه من طعامه : قطع أمله منه ، إذ لم يجد إلا الماء . والطليح : المهزول المجهد . مايعانيه باطل : يقول كأن سعيه عبث عابث .

(٣) تغشى رداءه : تغطى به .

(٤) فى الأصل : « ووقف » .

(٥) ط : « عنهم » وهو تحريف صوابه فى س ، م .

(٦) لتذودهن : لتدفعهن . وفى ط : « لتزودهن » وصوابه فى س، م ، وشرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٢ ، قال التبريزى : حان حمامها وحتفها من بين الحتوف .

(٧) تقصدته : قصدته أو قتلته . من قولهم : رماه فأقصده أى قتله مكانه . وكساب : اسم كلبة ، وهذا الاسم يصح فيه البناء على الكسر ، والإعراب مع منع الصرف ، وهو مذهب سيبويه كما نقل التبريزى . وأما سخام فاسم كلب ، والهاء فى سخامها راجعة إلى الكلاب فى بيت قبل السابق ، وهو :

حتى إذا يئس الرماة وأرسلوا   غضفا دواجن قافلا أعصمها

وسخامها هى فى ط ، م : « سجامها » وفى س : « سحامها » وصوابهما فى القاموس وشرح القصائد .

(عادة الشعراء حين يذكرون الكلاب والبقر فى الشعر)

ومن عادة الشعراء إذا كان الشعرُ مَرثِيَةً أو موعظةً ، أن تكون الكلابُ التى تقتلُ بقرَ الوحش . وإذا كان الشعرُ مديحاً ، وقال كأنّ[1] ناقتى بقرة من صفتها كذا ، أن تكون الكلابُ هى المقتولة ، ليس على أنّ ذلك حكايةٌ عن قصّةٍ بعينها ، ولكنّ الثِّيرانَ ربّما جرحت الكلاب وربّما قتلتْها ، وأمّا فى أكثر ذلك فإنّها تكون هى المصابةَ ، والكلاب هى السالمةَ والظافرة ، وصاحبها الغانم .

(شعر آخر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقال لبيدٌ فى هذا القول الثانى غير القولِ الأوّل ، وذلك على معنى ما فسَّرتُ لك ، فقال فى ذلك وذكر أسماءها :

فأصبَحَ وانشقَّ الضَّبابُ وَهَاجه ... أخُو قَفرةٍ يُشْلِى رِكاحاً وسائلا[2]

---

(١) فى ط : «كانت» ، وصوابه فى س ، م .

(٢) ينعت لبيد فى هذا الشعر ثوراً . انشق الضباب : تبدد . وأخو القفرة : عنى به الصائد ، وأشلى الكلب : دعاه ، قالوا : ومما يغلط فيه الناس تأويل أشلى بمعنى أغرى ، نص على ذلك ابن قتيبة فى أدب الكاتب ص ٣٦ ، واستشهد بقول الراجز :

* أشليت عنزى ومسحت قعبى *

يريد أنه دعا عنزه ليحلبها . فأما إغراء الكلب بالصيد فهو الإيساد ، تقول : آسدته وأوسدته : إذا أغريته ، لكن فى اللسان بحثاً طويلا فى تصحيح هذه الكلمة ، يجيز أن يكون أشلى بمعنى أغرى الكلب بالصيد ، مع تخريج واستشهاد ، فانظر . وهى فى الأصل : «يسلى» وتصحيحه من الديوان ص ٢٠ . و «ركاح» بوزن كتاب ، وهى فى الأصل : «وكاحا» وصوابه فى الديوان والقاموس .

عوابس كالنُّشَّاب تَدمَى نحورُها(١) يرَيْنَ دِمَاءَ الهـاديات نوافلا(٢)

ومن أسمائها قولهم : « على أهلها جنَتْ بَرَاقش » .

ومن أسمائها قول الآخر(٣) : ضَبَّار :

سفَرتْ فقلت لهـا هَجٍ فتبرقَعَتْ فذ كَرْتُ حينَ تبرقَعتْ ضَبَّارا(٤)

وقال الـكُميت الأسديّ :

فباتَ وباتتْ عليه السَّما ءُ من كلِّ حَابيَةٍ تَهْطُلُ(٥)

مُـكِبًّا كما اجتنح الهـالـكيّ على النَّصْل إذ طُبع الْمُنْصُلُ(٦)

ثم ذكر أسماءَ الـكلاب فقال :

وفى ضِبْن حِقفٍ يرى حِقْفَه(٧) خَطَافِ وسَرْحَةُ والأحْدلُ(٨)

---

(١) شبهها بالنشاب ، وهى السهام ، لصدق إصابتها وسرعتها . وفى الأصل : « عرائس كالنشاب ترى نحورها » ، وهو تحريف ظاهر ، صوابه فى الديوان .

(٢) الهاديات : أوائل الوحش . والنوافل : الغنائم . و « يرين » هى فى ط ، س « برى » وصوابها فى الديوان ، م .

(٣) هو الحارث بن الخزرج الخفاجى، كما فى تاج العروس . وانظر الجزء الأول ص ٢٥٩ .

(٤) هج : زجر للـكلب ، يقال : هج هج بتسكين الجيم ، وبكسرها مع التنوين ، وهجاهجا بترك التنوين . وبعد هذا البيت :

وتزينت لتروعنى بجمالها فـكأنما كسى الحمار خمارا

فخرجت أعثر فى قوادم جبتى لولا الحياء أطرتها إحضارا

(٥) الحبو : امتلاء السحاب بالماء . حبا يحبو : امتلأ . ويقال حبا يحبو : إذا دنا وقرب. وفى ط ، س : « جانبة »، وفى م : « جانية » والصواب ماأثبت .

(٦) الهالـكى : الحداد ، قال ابن قتيبة فى أدب الـكاتب ص ٥٤ :« لأن أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة ، ولذلك قيل لبنى أسد القيون » .

(٧) الضبن ، بالكسر : الناحية . وفى الأصل : « ضين حقف تراجعنه » ، صوابه فى ٧ : ٢٠١ .

(٨) فى الأصل : « والأجذل » وتصحيحه من القاموس .

٩ وأربعـةٌ كقِداح السَّرَا ءِ لا عانياتٌ ولا عُبَّلُ[١]

وقال الآخر :

بتْنا وباتَ جليدُ اللَّيلِ يَضرِبُنا بينَ البُيوتِ قِرَانا نَبْح دِرواسِ[٢]
إذا مَـلاَ بطنَه ألبانُها حَلَباً باتَتْ تغنِّيه وضْرَى ذاتُ إجراسِ[٣]

ودِرواس : اسم كلب . والوضرى : استه . وغناؤها : الضُّراط .

وقال ضابئُ بنُ الحارث فى ذلك :

فترمَّلَتْ بدمٍ قَدَامِ وَقدْ أوفَى اللَّحاقُ وحانَ مصرَعه[٤]

وقال الآخر[٥] :

ولو هيَّا له اللهُ مِن التوفيقِ أسبابا
لسمَّى نفسَــه عَمراً وسَمَّى الـكلبَ وثّـابا

ومثل هذا كثير .

---

(١) القدح بالـكسر : السهم قبل أن يراش وينصل . والسراء : ضرب من الشجر تتخذ منه القسى والسهام . قال زهير :

ثلاث كأقواس السراء ومسحل قد اخضر من لس الغمير جحافله

و « السراء » هى فى الأصل « السواء » بالواو ، محرفة .

(٢) فى اللسان (ندل) : « عند الندول » ، وهى المرأة الوسخة .

(٣) الإجراس : التصويت . وفى ط ، م : « ملا بطنها » وتصحيحه من س .

(٤) ترملت : تلطخت . و « قدام » : اسم كلبة ، وهى فى الأصل « فراح » محرفة وتصحيحها من اللسان (قدم) . والـكلام هنا فى تعداد أسماء الـكلاب .

(٥) هو أبو محجن كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٥) قاله فى رجل يسمى وثابا ويسمى كلبه عمراً . والشعر سيعيده الجاحظ فى ص ١٩٤ من هذا الجزء . وقد ذكر الراغب الشعر أيضـاً فى ٢ : ١٥٣ منسوبا إلى ابن أبى عتيق ، فهما روايتان فى النسبة .

(أحرص الكلاب)

والكلبُ أشدُّ ما يكونُ حِرصاً إذا كان خطْمُه يمسُّ عجْبَ ذَنب الظَّبى والأرنب والثَّور وغير ذلك ، ممـا هو من صيده . ولذلك قال الشاعر (١) :

رُبَّمـا أغْدُو مَعى كلبى طالباً للصَّيدِ فى صحبى (٢)
فسمَونا للقَنيص معاً فدفَعناه إلى أظْبِ (٣)
فاستـدرَّتْه فدرّ لهـا يَلْطُمُ الرُّفْغين بالتُّربِ (٤)
فادَّرَاها وهى لاهيـةٌ فى جميم الحاجِ والغَرْبِ (٥)
ففرَى جُمَّاعهنَّ كما قُدَّ مخلولان من عَصْبِ (٦)

(١) هو أبو نواس . والقصيدة فى ديوانه (ص ٢١٢) .

(٢) فى الأصل : « صحب » ، والأشبه ماأثبت من الديوان .

(٣) السامى : هو الصائد ، أو الصائد الذى يلبس جوربى شعر ، ويعدو خلف الصيد نصف النهار ، ليقيه الجوربان حر الرمضاء ، فذلك معنى « سمونا » . وفى ط : « شمرنا » وفى س ، م : « سمرنا » والوجه ماأثبت من الديوان ، والرواية فيه « فسمونا للحزيز به » . والحزيز : ماغلظ من الأرض . . والأظبى : جمع ظبى .

(٤) « فاستدرته فدر لها » أى استدرت جريه هو بشدة عدوها فهو يتبعها شدا ليلحق بها ، وهو يضرب رفغيه ، أى إبطيه، بالأرض ، يريد كأنه يسبح فى الأرض من شدة عدوه .

(٥) ادراها : ختلها ومكر بها . والجميم : الكثير المتكاثف . والحاج : شجر . انظر اللسان (حيج) وتأويل مختلف الحديث ١٧٣ . والغرب : شجرة حجازية ضخمة شاكة ، قيل : ومنه « لايزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » وقد جاء البيت مصحفاً كما يأتى — وأثبت صوابه من الديوان — :

فادرا وهى لاهيـة فى حمير الحاج والقرب

(٦) فرى جماعهن : شق جمعهن وفرقه وجعلهن كثوبين يمنيين مشقوقين قطعهما قاطع .

ثم قال[١] :

غـير يَعفورٍ أُهِلّ به جاف دَفَّيهِ عن القَلْبِ[٢]
ضمّ لْحَيَيـهِ بمَـخْطِمِهِ ضَمَّك الـكَسرَينِ بالشعْبِ[٣]
وانتحى للباقياتِ كما كَسرَتْ شَغْوَاءُ من لِهْبِ[٤]
فتعايا التَّيسُ حين كباَ ودنا فُوهُ من العَجْبِ[٥]
ظـلَّ بالوعساء ينفُضـه آرِماً منـه على الصُّلْبِ[٦]
تلكَ لَذّاتِي وكنتُ فتًى لم أقُلْ من لذّةٍ حسْبِي

(الإهلال والاستهلال)

وأما قوله : « غير يعفور أُهِلَّ به » ، فالإهلال الذى ذكر هو شئٌ يعتريه فى ذلك ، يخرُج من جوفه صوتٌ شبيه بالعُواءِ [الخفيف][٧] ، وهو

(١) الشعر متصل فى الديوان ، فالبيت الآتى لايفصل بينه وبين السابق شعر .

(٢) اليعفور : الظبى ، أو ولده . والدفان : الجنبان . وجاف : بلغ بالطعنة الجوف . وفى الديوان : « جاب » ، وهى رواية اللسان (مادة هلل) .

(٣) الشعب : إصلاح المكسور ونحوه .

(٤) الشغواء : العقاب ، وفى الديوان : « فتخاء » وهما بمعنى . وفى ط : « شفواء » وهو تصحيف « شغواء ». وكسرت : ضمت جناحيها للهبوط . واللهب : مهواة مابين كل جبلين .

(٥) التيس : عنى به هنا الذكر من الظباء . وكبا : سقط لوجهه . والعجب : أصل الذنب .

(٦) الوعساء : رابية من رمل لينة . ينفضه : يحركه ، وفى الديوان « ينغضه » . و « آرما » من أرم عليه : عض . وفى الديوان : « آزما » وهما بمعنى .

(٧) الزيادة من اللسان .

ما بين العُواءِ والأنين ، وذلك من حاقِّ الحرصِ (١) ، وشدَّة الطلب ، وخَوف الفوات . ويقال : أهلّت السماءُ ، إذا صبَّت ، واستهلت : إذا ارتفع صوت وقْعِها ؛ ومنه الإهلالُ بالحج. وقال ابن أحمر (٢) :

يُهِلُّ بالفرقد رُكبانُها كما يُهِلُّ الراكبُ المعتمِرْ (٣)

ومنه استهلال الصبي . ولذلك قال الأعرابيُّ : أرأيتَ من لا شربَ ولا أَكَلَ (٤) ولا صاح واستهل ، أليس ذلك يُطَلّ (٥) ؟ !

---

(١) فى الأصل : « من خلق الحرص » ، وما أثبت هو الوجه وهو الأشبه بلغة الجاحظ ، ولهذه العبارة شبيه فى نهاية ص ٥٥ . وحاق الحرص : شدته وقوته . ثم وجدت صاحب اللسان قد نقل تفسير الجاحظ للإهلال من أوله إلى كلمة « الفوات » ولم يصرح بنسبة القول إلى الجاحظ . وفى اللسان : « حاق الحرص » كما أثبت .

(٢) فى اللسان (مادة هلل) : « وقال الراجز » ؟ ! وليس الكلام رجزاً وإنما هو شعر ، فما هنا صوابه ، وقد جاء البيت فى (مادة عمر) منسوبا إلى ابن أحمر .

(٣) قال ابن منظور : « فيه قولان : قال الأصمعى : إذا انجلى لهم السحاب عن الفرقد أهلوا أى رفعوا أصواتهم بالتكبير كما يهل الراكب الذى يريد عمرة الحج ؛ لأنهم كانوا يهتدون بالفرقد . وقال غيره : يريد أنهم فى مفازة بعيدة من المياه فإذا رأوا فرقداً – وهو ولد البقرة الوحشية – أهلوا أى كبروا لأنهم قد علموا أنهم قد قربوا من الماء » اهـ . وانظر اللسان (ركب) . والفرقد فى القول الأول هو الفرقدان : نجمان فى السماء لايغربان ، وقيل كوكبان قريبان من القطب ، وقيل كوكبان فى بنات نعش الصغرى . قال ابن منظور : « وقد قالوا فيهما الفراقد . . . وربما قالت لهما العرب الفرقد » .

(٤) فى الأصل : « من لا أكل ولا شرب » وبذلك يفوت السجع . وكلام الأعرابى هذا سجع ، وقد ذكره الجاحظ فى باب السجع من البيان ١ : ٢٨٧ . والأعرابى قال هذا القول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قضى فى الجنين إذا سقط ميتا بغرة – الغرة : عبد ، أو أمة – وقد قال له الرسول الكريم بعد أن سمع كلامه : « أسجعا كسجع الجاهلية » .

(٥) فى الأصل : « يطل » . وإنما هو « يطل » أى يذهب دمه هدراً ، كما فى البيان ١ : ٢٨٧ واللسان ونهاية ابن الأثير .

(تخريق الكلب أذنيه)

وإذا ضَبَع الكلبُ ، وهو أن يمدَّ ضَبْعَه كلَّه ، ولا يكون كالحمار الضيِّق الإبطيْنِ – والكلبُ فى افتراش ذراعيه وبَسْط رجليه حتَّى يصيب قَصُّه الأرضَ ، أكثر من الفرس – وعند ذلك ما يَنْشِط أذنيه حتَّى يُدمِيَهما . ولذلك قال الحسنُ بن هانئ ، وقد طال سانعتَ بهما[1] :

فانصاعَ كالكوكَب فى انحداره لَفْتَ المشير مُوهِناً بناره[2]
شَدًّا إذا أحْصَفَ فى إحضاره[3] خرَّقَ أذنيه شَبَا أظفارِه

وأوّل هذه الأرجوزة :

لما غَدَا الثَّعلبُ من وِجارِه يَلتَمِس الكَسْبَ على صغارِه

---

(١) كذا .

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . قال الزبيدى فى تاج العروس « والموهن كمحسن » وقد ضبط بفتح الميم ضبطا بالقلم لا بالنص فى نسخ القاموس واللسان وأساس البلاغة . و « بناره » هى فى الأصل : « بشاره » وصوابه فى الديوان ٢١٢ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٣ والصناعتين ٧٩ ، وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ .
ولأبى نواس من طردية أخرى فى صفة حمام يعمور البصرى (الديوان ٢٣٣) :
* أو لفت نار بيد المشير *

(٣) الإحضار : شدة العدو . وأحصف : اشتد وأسرع . وهى فى ط : « أخصف » وهما بمعنى عند الليث ، وأبو منصور الأزهرى يرى « أخصف » بالخاء من تصحيف الليث . وهى بالحاء فى س ، م ، وبالخاء فى نهاية الأرب والديوان . والرواية فيه : « حتى إذا أخضف » .

(معرفة أبى نواس بالكلاب ، وجودة شعره)

وأنا كتبتُ لك رجَزَه فى هذا الباب ، لأنَّه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زماناً ، وعرَفَ منها ما لا تعرفه الأعراب . وذلك موجود فى شعره ، وصفاتُ الكلاب مُستَقصاة فى أراجيزه. هذا مع جودة الطبع وجودة السبك ، والحذق بالصنعة . وإن تأمَّلتَ شِعرَه فضَّلتَهُ ، إلاَّ أن تعترِض عليك فيه العصبيّة ، أو ترى أنّ أهلَ البدْو أبداً أشعرُ ، وأنّ المولَّدين لا يقاربونهم فى شىء . فإن اعترَض هذا البابُ عليك فإنّك لا تُبصِر الحقَّ من الباطل ، ما دمتَ مغلوباً .

(طرديّة لأبى نواس)

قال الحسن بن هانئ :

لما غدا الثعلبُ من وِجارِه يلتَمِس الكسبَ على صغاره
عارضَهُ فى سَنَن امتياره[1] مضمَّرٌ يَمُوجُ فى صِداره[2]

---

(١) امتياره : طلبه للميرة ، أى الطعام . والسنن بالتحريك : الطريق . وفى ط : « شتن » وفى س : « ستن » .

(٢) فى الأصل : « سداره » وإنما هى « صداره » ، ويعنى بالصدار هنا : جلده الواسع . وسعة الجلد محمودة فى الكلاب كما فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . ورواية « شواره » كما فى الديوان ، صحيحة جيدة . والشوار : اللباس ، عنى به أيضاً الجلد . و « يموج » هى فى الأصل : « يملح » وفى الديوان : « يمرح » . وقال أبو نواس فى طردية أخرى (الديوان ٢١٧) :

* بأغضف يموج فى شواره *

فى حَلَقِ الصُّفْر وفى أسيارِه منضمَّةٌ قُصْرَاهُ من إضمارِه[١]

١١ قد نَحَتَ التسهيمُ من أقطارِه[٢] من بعد ما كان إلى أَصْبَارِه[٣]

غَضًّا غَذَتْهُ الُخورُ من عِشَارِه[٤] أيَّام لا يُحجَب عن أظآره

وهو طَلاً لم يَدْنُ من إشغاره[٥] فى مَنْزِلٍ يُحجَبُ عن زُوَّاره

يُساسُ فيــه طَرَفَىْ نهارِه حتَّى إذا أَحْمَـدَ فى اخْتِبَاره[٦]

وآضَ مثل القُلْب من نُضاره[٧] كأنَّ خلفَ ملتقى أشْفارِه[٨]

جَمْـرَ غضًى يدمِنُ فى استعاره كأنَّ لحَيَيه لدى افتراره

---

(١) القصرى : أسفل الأضلاع ، كما القصيرى أعلى الأضلاع .

(٢) التسهيم : الضمور . وفى الديوان : « التلويح »، وهما بمعنى . وأقطاره : نواحيه.

(٣) كان إلى أصباره : كان ممتلئا بدينا . هو من قولهم : ملأ الكأس إلى أصبارها : أى رأسها .

(٤) الخور : النوق الغزيرات اللبن ، مفردها خوارة . وهذا المثبت هو رواية الديوان وفى ط ، م :

* نحتا كسته الحور من عشاره *

وفى س : نحتا كسنه . . . الخ .

و « غذته » هى فى الديوان « كسته » والصواب ما أثبت . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى من طردية أخرى :

* غذته أظآر من اللقاح *

(٥) طلا : صغير . وفى الأصل « طلى » وهو خطأ كتابى إذ الكلمة واوية . والإشغار فسره الجاحظ فى ص ٣٢ . وفى الأصل : « أشفاره » وفى الديوان : « شفاره » وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أحمد : استحق الحمد . و « اختباره » هى فى الأصل « اختياره » ، وفى الديوان : « ابتياره » . والابتيار والاختبار بمعنى . وأما الاختيار فلا وجه له .

(٧) القلب بالضم : السوار . والنضار : الذهب . . فى س : « فى نضاره » .

(٨) الأشفار : حافات الجفون . وفى الأصل : « أشعاره » وهى على الصواب الذى أثبت فى الديوان . وفى ط : « خلق » موضع : « خلف » وتصحيحه من س ، م والديوان . وقد شبه عينى الكلب فى البيت التالى بجمر الغضى حمرة وبصيصاً .

شَكَّ مَساميرَ على طَواره(١) يضمُّ قُطرَيه من اضطباره(٢)
وإن تمطّى تمّ فى أشباره(٣) عَشْرٌ إذا قَدّر فى اقتداره(٤)
سِمْعٌ إذا استرْوَحَ لم تُماره(٥) إلا بأن يُطْلَقَ من عِذاره
فانصاعَ كالكوكب فى انحداره لَفْتَ الُمشيرِ مُوهِناً بناره(٦)
شَدًّا إذا أحْصَفَ فى إحضاره(٧) خرَّق أذنيـه شبا أظفاره(٨)
حتّى إذا ما انسابَ فى غُباره(٩) عافَرَهُ أَخْرَقُ فى عِفاره(١٠)

(١) الشك بمعنى النظم . وفى الأصل : « سك » ، وتصحيحه من الديوان ونهاية الأرب (٩ : ٢٦٢) . وطواره : أراد بها حده .
(٢) اضطباره : من الضبر ، وهو أن يجمع قوائمه ويثبت . والكلمة بهذا الرسم فى م فقط ، وفى الديوان : « انضباره » . وفى س ، ط : « اضطراره » . وهذا تحريف . وفى الوساطة ٣٠٠ : « انضباره » . وقطريه : طرفيه . ويرى صاحب الوساطة أن المتنبى أخذ هذا المعنى فقال :

يكاد فى العدو من التفتل يجمع بين متنه والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل

(٣) م : « نم فى أشياره » .
(٤) كذا فى الديوان ، وفى الأصل :

عشرا إذا أقدر فى اقتداره

يقول : إذا تمطى تم له من الطول عشر أشبار ، وذلك إذا ضيق فى قدرته على التمطى ، فما بالك به إذا ترك لنفسه العنان فى ذلك ؟ !
(٥) السمع : ولد الذئب من الضبع . والاسترواح : أن يتشمم الهواء بحثاً عن الفريسة . والمماراة : التكذيب . يقول : هو كالذئب فى قوة شمه — زعموا أنه يدرك المشموم من فرسخ — وأنه فى ذلك صادق لا تخطىء فراسته .
(٦) فى الأصل : « بثاره » ، قد تقدم التنبيه على تصحيحه ص ٢٧ .
(٧) سبق شرح هذا البيت وتصحيحه ص ٢٧ .
(٨) فى الأصل : « عينيه » وهو تحريف . وقد سبق البيت صحيحا ص ٢٧ .
(٩) فى الديوان : « انشام » ، بمعنى دخل .
(١٠) عافره : غالبه ليجعله فى العفر أى التراب ، وما أثبت هو رواية الديوان . وفى التيمورية : « عافره أخرق فى غضاره » . وفى ط ، س ، م : « عافره ما خرق فى عفاره » .

فَتَلْتَلَ المَفْصِلَ من فَقَارِه(١)   وشَقَّ عنه جانِبَيْ صِدارِه

* ما خِيرَ للثَّعلب فى ابتكاره(٢) *

(طرديَّة ثانية لأبى نواس)

وقال فى كلب سُليمان بن داودَ الهاشميّ — وكان الكلبُ يسمى زُنبوراً :—

إذا الشياطِينُ رأتْ زُنبورَا   قدْ قُلِّدَ الحلْقَةَ والسُّيورا

دَعَتْ بخِزَّانِ الفلا ثُبُورا(٣)   أدفَى ترى فى شِدقِه تأخيرا(٤)

تَرَى إذا عارضْتَه مفرورا(٥)   خَناجِراً قد نبتتْ سُطورا(٦)

---

(١) تلتل هنا : فى معنى شد ونزع .

(٢) يقول : لم يوفق الثعلب فى خروجه مبكراً، لأنه سيكون غنيمة لهذا الكلب .

(٣) الثبور : الهلاك ، ودعا الثبور قال : واثبوراه ! . وهذه العبارة قرآنية قال تعالى : « لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيرا » . والخزان جمع خزز بضم ففتح ، وهو الذكر من الأرانب . و « الفلا »: جمع فلاة . وهى فى ط: « الغلا » وصوابها فى س ، م والتيمورية والديوان . و « دعت » هى فى جميع الأصول « بكت » وأثبت رواية الديوان الصحيحة ، وإنما تدعو الشياطين الثبور لفقد الأرانب التى صرعها الكلب شماتة بها . وذلك أن الأرانب فيما تزعم الأعراب — ليست من مطايا الجن ، وأن الجن تهرب منها (الحيوان ٦ : ٤٦ ، ٢٣٨) والدميرى (١ : ٣٠) .

(٤) الأدفى : الذى أقبلت إحدى أذنيه على الأخرى حتى تكاد أطرافهما تماس فى انحدار قبل الجبهة . أو الأدفى الذى يمشى إلى جانب، وذلك أسرع له . وفى الأصل. « أدمى » وأثبت ما بالديوان . و « فى شدقيه تأخيرا » يقول هو واسع الفم .

(٥) مفرورا : من فر الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ماسنها . وفى ط : « مضروراً » وفى الديوان « مغروراً » وهما تحريف ما أثبت من س ، م .

(٦) إنما اختار « نبتت » ليدل على أصالتها وشدة تمكنها ، وأما « ثبتت » بأى وضع من أوضاعها كان، فلا تنال قوة « نبتت » .

مُشتبكاتٍ تَنْظِمُ السُّحُورا(١) أُحْسِنَ فى تأديبــه صغيرا

حتَّى توفَّى السَّبْعةَ الشهورا(٢) من سِنِّهِ وبَلَغَ الشُّغُورا(٣)

وعَرَف الإيحاءَ والصَّفــيرا والــكفَّ أنْ تومئَ أو تُشيرا

يُعطيك أقصى حُضْره المذْخورا(٤) شَدًّا ترَى من هَمْزِهِ الأُظفُورا(٥)

مُنْتَشِطا من أُذنه سيُورَا(٦) فما يَزالُ والغًا تامــورا(٧) ١٢

مِن ثعلب غادَرَه مجزُورا أو أَرنب كوَّرَها تـكويرا(٨)

أو ظبيةٍ تقرو رَشاً غريرا(٩) غادَرَها دون الطَّلاَ عَقيرا(١٠)

فأمتَعَ اللهُ به الأميرَا رَبِّى، ولا زالَ به مسرورا(١١)

وقد قال كما ترى :

شدًّا ترى من هَمْزه الأظفورا مُنتشِطاً من أُذنه سيُورا

---

(١) السحور : جمع سحر بالفتح أو التحريك أو الضم ، وهو الرئة ، وأراد سحور الصيد .

(٢) توفى الأشهر : أكملها وأتمها .

(٣) كذا فى الديوان ، وفى الأصل : « من سنة » . و « الشغور » سيفسره الجاحظ قريبا .

(٤) الحضر بالضم : شدة الجرى ، وفى ط : « حصره » محرفة ، و « المذخورا » هى فى الديوان : « الموفورا » . ومثله قول ذى الرمة فى ديوانه ٣٣ وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ :

لايذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى بينها الأهب

(٥) الهمز : الضغط والغمز .

(٦) يقول : هو ينتزع بأظفاره سيورا من أذنه .

(٧) والغا تامورا : شاربا للدم بطرف لسانه . وفى ط : « والفا » وهو على الصواب فى س ، م والديوان .

(٨) كورها : صرعها . وفى الديوان : « وجورها » ، وهما بمعنى واحد وزنة واحدة .

(٩) تقروه : تقصد إليه . وفى ط : « تغرو » وهو تصحيف ما فى س ، م . والرشأ الغرير : الظبى الصغير .

(١٠) الطلا : ولد الظبية . عقيراً : صريعاً . وفى الديوان : « عفيراً » .

(١١) فى الديوان : « ولايزال فرحا مسروراً » .

بإثر قوله[١] :

حتَّى توفَّى السبعةَ الشهورا[٢] من سِنِّهِ وبلغ الشغورا[٣]

فإنّ الكلب إذا شَغَر برجله وبالَ ، فذلك دليلٌ على تمام بلوغه للإلقاح ، وهو من الحيوان الذى لايحتلم[٤] .

(أمارات البلوغ فى الغلمان والجوارى)

وأما احتلام الغلام فيعرف بأمور : منها انفراقُ طَرَف الأرنبة ، ومنها تغيُّر ريح إبطيه ، ومنها الأنياب[٥] ، ومنها غلظ الصوت .

ومن الغلمان من لا يحتلم ، وفى الجوارى جَوارٍ لا يَحِضْن ، وذلك فى النساء عيب ، وليس مثله من الرجال عيبا . وقد رأيت رجالاً يوصَفون بالقوّة على النساء ، وبعضهم لم يحتلم إلاَّ مرةً أو مرتين ، وبعضهم لم يحتلمْ ألبتّة .

(طردية ثالثة لأبى نواس)

وقد قال الحسنَ بنُ هانئٍ مثلَ ذلك ، فى أرجوزة أخرى :

يَمْـرِى إذا كان الجِرَاءُ عَبْطا[٦] براثِنا سُحْمَ الأثافى مُلْطَا[٧]

---

(١) فى الأصل : « يأبى قوله » .

(٢) فى الأصل : « حتى يوفى » .

(٣) فى الأصل : « من سنة ».وقد سبق التنبيه عليه ص ٣١ .

(٤) فى الأصل : « لم » .

(٥) كذا .

(٦) مرى الشيء : استخرجه وأظهره ، وفى الديوان : « يفرى » . والجراء مصدر كالجرى . وهذه رواية الديوان . وفى الأصل : « الجزاء » . والعبط : أن يجرى الرجل الدابة حتى تعرق .

(٧) الأثافى : عنى بها الهنات الناتئة فى كف الكلب . والسحم : السود ، جمع أسحم . والملط : الخالية من الشعر ، جمع أملط .

* يَنْشِط أُذنيه بهنّ نَشْطا *

وهذه الأرجوزة أوّلها :

عَدّدْت كلبًا للطِّرادِ سَلْطَا (١) ... مقلَّداً قلائداً ومَقْطا (٢)

فهو الجميلُ والحسيب رهْطاَ (٣) ... ترى له شِدقين خُطّا خَطًّا (٤)

يَمرى إذا كان الجِرَاء عَبْطا (٥) ... براثناً سُحْمَ الأثافِي مُلْطَا

ينشِط أُذْنَيه بهنّ نشطًا ... تخالُ ما دَمِينَ منها شرطاَ (٦)

ما إنْ يقَعنَ الأرض إلا فَرْطا (٧) ... كأنّما يُعجلِنَ شيئاً لقْطاَ

أعجَلَ من قولِ قَطاةٍ قَطًّا (٨) ... فاجتاحَ خِزّانَ الصحارى الرُّقْطاَ (٩)

(١) عددته ، بالتشديد : جعلته عدة . وفى الديوان : « أعددت » ، بمعنى هيأت . والسلط : الشديد .

(٢) المقط : الحبل .

(٣) عنى بالرهط هنا العشيرة . وفى الديوان : « فهو النجيب » الخ .

(٤) فى الديوان : « ترى له خطين خطا خطا » .

(٥) سبق القول فيه ص ٣٢ ، وكذلك فى البيتين التاليين .

(٦) رواية الديوان : « تخال مأزمين منه شرطاً » ، وما هنا صوابه . ودمى : ظهر منه الدم .

(٧) إلا فرطاً : إلا فى النادر ، فهو كأنه سابح فى الهواء . وقد أخذ المعنى من قول أبي النجم :

* فما يمس الأرض منه حافره *

(٨) « قطا » هى حكاية صوت القطاة . وفى الموشح ٢٧٣ : « أخذ على بن المبارك على أبي نواس فى شعره حرفين : قوله :

* أسرع من قول قطاة قطا *

كان ينبغى أن يقول : « قطا » بالتخفيف . وقوله :

كمن الشنآن فيه لنا ... ككمون النار فى حجره

وإنما كان ينبغى أن يقول : فى حجرها اهـ . وفى الأصل : « من قول قطاء » وليس بشىء .

(٩) اجتاحها : أهلكها واستأصلها . وفى الأصل : « احتاج » وليس يتجه . وفى الديوان : « يكتال » . والخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرانب . والرقط : جمع أرقط ، وهو الأسود يخالط لونه نقط بيض .

يَلْقَين مِنه حَـكماً مشْتَطًّا[1] للعظْم حطاً والأدِيم عَطّا[2]»

(شعر فى نعت سرعة القوائم)

١٣ والشعراء إذا أرادوا سرعةَ القوائم قالوا كما قال[3] :

يخفِى التُّرابَ بأظْلاف ثمانية ومَسُّهن إذا أقْبلن تَحَلِيلُ[4]

وقال الآخر[5] :

---

(١) مشتطا : جائراً . وفى الديوان : « يلقين منه حاكما »، والحكم والحاكم بمعنى .

(٢) الأديم : الجلد . والعط : الشق بلا بينونة . وفى الديوان : « عبطا » موضع « عطا »، وهما سيان .

(٣) القائل هو عبدة بن الطبيب يذكر ثوراً يحفر كناسا ويستخرج ترابه فيظهره (المفضليات ١٤٠ والأضداد ٨٠ والصناعتين ٧٨ ونوادر أبى زيد ٩) .

(٤) يخفى : حرف من الأضداد يكون بمعنى الستر والتغطية ، ويكون بمعى الإظهار ، والإبداء كما فى هذا البيت ، وكما فى قول امرئ القيس بن عابس الكندى :

فإن تكتموا الداء لا نخفه وإن تبعثوا الحرب لا نقعد

وأخفى الشيء يخفيه هو كذلك حرف من الأضداد . وقرئ قوله تعالى : « إن الساعة آتية أكاد أخفيها » بفتح الهمزة وضمها ، مع تأويل الفعل فى كل من القراءتين بمعنى الإظهار مرة ، وبمعنى الإخفاء أخرى . والتحليل من تحلة اليمين أى الاستثناء فى الحلف ، وهى أن يقول الحالف إثر حلفه : إن شاء الله . قال العسكرى : يقول إن مواصلة هذا الثور بين خطواته كمواصلة الحالف بالتحلة يمينة من غير تراخ . وقال ابن منظور فى شرح هذا البيت : إن « تحليل » بمعنى قليل هين يسير . . والرواية المشهورة فى عجز البيت :

* فى أربع مسهن الأرض تحليل *

يريد بثمانية أظلاف فى أربع قوائم .

(٥) هو خلف الأحمر كما فى الصناعتين ٧٩ ، وديوان المعانى ٢ : ١٣٤ . والبيت الآتى فى وصف ثور .

وكأنَّما جَهَـدَتْ أليَّتُهُ أن لاتَمَسَّ الأرضَ أربَعُهُ[١]

فأفرط المولَّدون[٢] فى صفة السرعة — وليس ذلك بأجود — فقال شاعرٌ منهم يصف كَلْبَةً بسرعة العَدْو :

* كأنَّما ترفَعُ مَا لم يُوضَعِ[٣] *

وقال الحسن [بن هانىء[٤]] :

* ما إنْ يقَعْن الأرض إلاّ فرْطا *

(طردية رابعة لأبى نواس)

وقال الحسن بن هانىء فى نعت كلب[٥] :

أنعَتُ كلباً أهلُه فى كَدِّه[٦] قد سَعِدتْ جدودُهم بِجَدِّه[٧]

---

(١) جهد ، من باب قطع : جد وبالغ . والألية : اليمين والقسم . و « أربعه » أى قوائمه الأربع . وهى فى الأصل : « أربعة » ، وهو تحريف . وقبل البيت :

كالـكوكب الدرى منصلتا شدا يفوت الطرف أسرعه

(٢) فى ط : « الولد » ، وصوابه فى س ، م .

(٣) هذا مافى مب . وفى سائر النسخ : «يرفع مالايضع » ، تحريف . و الرواية فى الصناعتين ٧٩ وكذا فى محاضرات الراغب ٢ : ٢٨٥ .

* كأنما يرفعن ما لم يوضع *

وقد جعله الراغب فى نعوت الخيل لاالـكلاب .

(٤) التكملة من مب .

(٥) فى نعث كلب ، ساقط من مب .

(٦) « فى كده » : من كده . وفى ط : « فى وده » ، وصوابه فى س ، م ، مب . وفى الديوان : « من كده » ورواية الدميرى ٢ : ٤٠٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٦ « فى كده » .

(٧) الجدود : جمع جد ، بفتح الجيم ، وهو الحظ والرزق ، والجد بالـكسر : الاجتهاد .

فكلُّ خيرٍ عندهمْ من عِنده   يظلُّ مولاه له كعَبْدِه
يبيتُ أدنَى صاحب من مَهْدِه[١]   وإن عرَى جلَّله ببُرْدِه[٢]
ذو غُرَّةٍ محجّلٌ بزَنْدِه[٣]   تَلَذُّ منه العَيْنُ حُسنَ قدِّه[٤]
ياحُسْنَ شِدقيه وطولَ خدِّه   تَلْقَى الظِّباءُ عنَتاً من طَرْدِه[٥]
يشربُ كأساً شدُّها فى شدّه   يالَكَ مِنْ كلب نسيجِ وَحْدِه[٦]

(طردية خامسة لأبى نواس)

وقال فى صفاتها [وأسمائها][٧] وسِماتها، وأنسابها، وألقابها ، وتفدية[٨] أربابها لها كما ذكرنا قبل ذلك — :

قد أغْتدِى والطَّيرُ فى مَثْواتِها[٩]   لم تُعْرِب الأفواهُ عن لُغاتِها[١٠]

---

(١) يقول : يبيت صاحبه شديد الدنو من موضع نومه .

(٢) جلله : غطاه . وفى « عرى » ضرورة تسكين الياء ، أو هو بفتح الراء على لغة طيىء فى فتح عين الفعل المعتل اللام . وهى رواية الديوان . وفى مب : « عدا » وفى سائر النسخ : « غدا » . وقد جاء مثل هذا المعنى فى طردية أخرى لأبى نواس ، يقول فيها (الديوان ٢١٧) :

* وإن عرى جلل فى ردائه *

(٣) مب : « ذا غرة محجلا ».

(٤) ماعدا مب : « يلذ » .

(٥) عنتا : شدة وهلاكا . وفى الديوان : « عبثا » . والطرد : الصيد والقنص .

(٦) نسيج وحده ، يضرب مثلا لكل من بولغ فى مدحه ، كقولك لا نظير له ، قال ابن منظور مبينا أصل المثل : « ومعناه أن الثوب إذا كان كريما لم ينسج على منواله غيره لدقته ، وإذا لم يكن نفيسا دقيقا عمل على منواله سدى عدة أثواب » .

(٧) التكملة من مب .

(٨) ط : « تغذية » والصواب فى س ، م ، ومب .

(٩) أراد بالمثواة الموضع التى تسكن فيه وتقيم .

(١٠) يقول : هى نائمة فلا يبين صوت أحدها .

بأكلب تمرحُ في قِدّاتها(١) تَعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أقواتِها(٢)

قد نَحَتَ التقريح وارِياتها(٣) من شِدَّة التسهيم واقتياتها(٤)

وأشفَقَ القانصُ من حُفاتها(٥) وقلتُ قد أحكمتَها فهاتِها

وأذْنِ للصَّيدِ مُعَلَّمَاتِهاَ وارفعْ لنا نسبةَ أمَّهاتِها(٦)

فجاء يُزجِيها على شِياتها(٧) شُمَّ العَراقيبِ مؤنَّفاتها(٨)

غُرَّ الوجــــوه ومحجَّلاتِها مُشرِفَةَ الأكنافِ مُوفِياتِها(٩)

---

(١) القدة ، بكسر الأول وتشديد الثانى : سير يقد من جلد غير مدبوغ ، جمعه قدات . وهذه الكلمة جاءت محرفة فى الأصل فهى فى ط : « فراتها » وفى س : « قراتها » وفى م : « قذاتها » . والصواب فى مب والديوان .

(٢) العين : جمع أعين ، وهو الواسع العين . وعنى به هنا البقر . وفى الموشح ٢٨٢ كلام فى هذا البيت .

(٣) التقريح : أثر انهماكها فى الصيد . والواريات : السمينات . ورواية الديوان :

قد لوح التقديح وارياتها

(٤) التسهيم : الضمور . و « اقتياتها » طلبها القوت . ورواية الديوان :

من شدة التلويح و « افتياتها »

(٥) الحافى : الذى رق قدمه من كثرة السير والعدو . جمعه حفاة . وفى الديوان : « من حقاتها »، وهو تصحيف . وهذا البيت فى الديوان متقدم على سابقه .

(٦) يقول : اذكر لنا نسبها .

(٧) كذا فى مب والديوان وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « فجاء يزجيها » بمعنى « يسوقها » . وفى سائر النسخ : « يزهيها » . والشيات : جمع شية ، وهى الأثر والعلامة .

(٨) العرقوب من الدابة فى رجلهـــا بمنزلة الركبة فى يدها . شم : مرتفعات . والمؤنف : المحدد أو المسوى . وهذه رواية مب والديوان وديوان المعانى ٢ : ١٣٣ . وفى سائر النسخ : « موثقاتها» .

(٩) مشرفة الأكناف : عالية النواحى . و « مشرفة »رواية مب ، والديوان وديوان المعانى . وفى سائر النسخ : « مشرقة » تحريف . وفى الديوان وديوان المعانى : « الأكتاف » تحريف . والموفيات : المشرفات .

قُود الخراطيمِ مُخْرَطِمَاتِها(١) سوداً وصُفْراً وخَلَنْجِيَّاتِها(٢)
مُسَمَّيــاتٍ ومُلَقَّبــاتِها(٣) حُمْـرًا وبِيضاً ومطوَّقاتها
١٤ مختَبَراتٍ من سَلُوقيَّاتِها كأنَّ أقماراً على لَبَّاتِها(٤)
تَرَى على أفخاذِها سِمَاتِها مُفَـــدَّياتٍ ومُحَمَّيَاتِها(٥)
مفروشة الأيدِى شَرَنْبَثَاتِها(٦) شُمَّ العَرَاقِيب مؤلفاتها(٧)
حِيدَ الأظافيرِ مُـكَعْبَراتِها(٨) زُلَّ المآخِــير عَمَلَّساتِها(٩)
* تَسْمَعُ فى الآثَارِ مِنْ وَحَاتِها(١٠) *

(١) قود : جمع أقود : أى طويل . هى فى ط ، م : « فوذ » محرفة ، وعلى الصواب فى س ومب والديوان . والمخرطم ، قال أبو هلال العسكرى فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : خرطوم مخرطم مثل ليل أليل اه . يعنى الشدة . وانظر نظائر (ليل أليل) فى فقه اللغة ٢٥٦ . والأشطار بعده إلى « مكعبراتها » ساقط من مب .

(٢) الخلنجى : أصفر خفيف تعلوه غبرة . مبادئ اللغة ١٤٢ .

(٣) فى ط ، س والديوان : « مقلباتها » ،وفى م : « ملقياتها » ؛ والصواب من مب . وانظر مثل هذا البيت فى ص ٢٠٢ .

(٤) وصفها ببياض النحور .

(٥) المفدى : الذى يفديه صاحبه . وفى الديوان : « منديات » ، وهو تحريف . والمحميات من الحماية والحفظ .

(٦) مفروشة الأيدى : مبسوطتها . والشرنبث : الغليظ .

(٧) هذا البيت مكرر معاد، وفيه تحريف . وانظر الحاشية رقم ٨ من ص ٣٧ .

(٨) الأحيد : المائل أو المقوس ، جمعه « حيد » . وفى الأصل : «حد» ، والصواب ما أثبت. والبيت ليس فى ديوان أبي نواس . والمكعبرات : الشديدة .

(٩) المآخير : جمع مؤخر ، وهى فى الأصل : « المواخير » ولا وجه له ، والصواب فى الديوان وديوان المعانى . وزل : جمع أزل ، بمعنى الخفيف اللحم . وفى الديوان : « ذل » وماهنا صوابه . العملس : القوى السريع . وقد وقع بعد هذا البيت فى الأصل هذا البيت الآتى ، ولأنه مكرر حذفته . وهو :

* تعد عين الوحش من أقواتها *

(١٠) يقول : إن صوتها يسمع بعد مرورها وجريها كما يسمع وقت جريها ، وذلك لظهوره . والوحاة : الصوت ، مثل الوحى بإسكان الحاء ، والوحى بالقصر . وفى الأصل : « راحاتها »، وأثبت رواية الديوان .

مِنْ نَهَمِ الحرص ومن خَوَاتِها(١) لتَفْثَأ الأرنبَ عَنْ حياتِها(٢)
إنَّ حياةَ الكلبِ فى وفاتها حتَّى ترَى القِدرَ على مَثْفَاتِها(٣)
كثيرةَ الضِّيفانِ من عُفَاتِها(٤) تقذِفُ جَالَاها بجَوْزَىْ شاتِها(٥)

فقد قال كما ترى :

تسمعُ فى الآثار مِنْ وَحَاتِها(٦) من نَهَم الحِرص ومن خَوَاتِها(٧)

وهذا هو معناها الأوّل . وأما قوله :

* تعُدُّ عِينَ الوَحْشِ من أقواتِها *

فعلى قول أبى النَّجم :

* تعُدُّ عاناتِ اللِّوى من مَالِها(٨) *

وزعموا أنَّ قوله :

[كطلعة الأشمط من جلبابه

(١) هذا ما فى مب والديوان . وفى سائر النسخ : « من نهم الصيد » . والخوات ، بالفتح : الدوى والصوت .

(٢) الأرنب : اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وقد عنى به هنا الأنثى . والجاحظ يرى أن « أرنب » لاتطلق إلا على الأنثى ، كما أن « العقاب » لايكون إلا للأنثى (الدميرى ٢ : ٣٠) . وتفثأ الأرنب عن حياتها : تكفها وتمنعها ، أى تقتلها . وفى الأصل : « تقشأ » ، وصوابه فى الديوان ، وديوان المعانى .

(٣) عنى بالمثفاة موضع الأثافى ، وهى الحجارة تنصب عليها القدر . وفى الديوان : « على شفاتها» محرفة .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو الضيف وطالب الرزق .

(٥) الجال : الجانب . والجوز : وسط الشيء أو معظمه . وقد نطق بالمثنى وأراد الجمع عنى أجوازها. انظر همع الهوامع ١ : ٥٠. وفى الديوان : « بجوز شاتها » ، على الإفراد .

(٦) سبق الكلام فى هذا الشطر قريبا ، وكذلك فيما بعده .

(٧) ماعدا مب : « نهم الصيد » .

(٨) العانات : جماعات حمر الوحش ، وقد ذكر البيت السابق أبو عبيد الله المرزبانى فى الموشح ٢٨٢ وقال : أخذه من قول أبى النجم . ولم يذكر بيت أبى النجم ، فلعل ماهنا ساد لسقط هناك .

هو قول الأوّل[١]] :

* كطَلْعَةِ الأشمَطِ من كسائه *

وهو كما قال الآخر :

* كطَلْعة الأشمَطِ من بُرْد سَمَلْ[٢] *

(طردية سادسة لأبى نواس)

وقال الحسن بن هانئ :

لمَّا تَبدَّى الصُّبحُ من حِجابِه كطَلْعَةِ الأَشْمَطِ من جلبابه

وانعدلَ اللَّيلُ إلى مآبِه هِجْناَ بكلبٍ طالما هِجْنا به[٣]

خَرَّطَهُ القانِصُ واغْتَدَى به[٤] يَعزُّه طوراً على استصعابه[٥]

[وتارةً ينصَبُّ لانصبابِه][٦] فانصاع للصَّوتِ الذى يعنى به[٧]

كلَمَعَان البرقِ من سحابه

---

(١) التكملة من مب ، ونحوها فى الموشح ٢٨٢ وما فى أخبار أبى نواس لابن منظور ٧٤ مع التصريح بأن الشطر التالى لأبى النجم .

(٢) السمل : الخلق البالى .

(٣) فى الأصل : « هجناه كلب » ، وله وجه لو كان فى سوى هذا الشعر . وأثبت رواية مب والديوان والراغب الأصفهانى فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٢ . ولأبى نواس مثل هذا المعنى فى طردية أخرى (الديوان ٢٠٧) وهو :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

(٤) خرطه : أرسله ، ولم يرو هذا البيت وكذا السبعة التالية حمزة بن الحسن الأصبهانى جامع ديوان أبى نواس .

(٥) عزه يعزه : غلبه . واستصعب : صار صعب المقادة .

(٦) ينصب : ينحدر ، يقول : هو حينا يغلب كلبه ويستطيع قوده إلى حيث يريد ، وحينا يهزمه الكلب ويجذبه إلى حيث يريد هو . وقد زدت هذا البيت من الحيوان ص ٦٦ ليكمل المعنى .

(٧) ما عدا مب : « عنى به » .

كأنَّ عينيه لدى ارتيابِه　　فَصًّا عَقيقٍ قد تقابَلَا به

حتَّى إذا عفَّرَه هاَها به[١]　　بأَبَا به يابعـــد ما بأَبَا بِه[٢]

يَنْتَسِفُ المِقْوَد من جِذابه[٣]　　مِنْ مَرَحٍ يَغْلُو إذا اغلَوْلَى به[٤]

ومَيْعَةٍ تُعرَف من شَبابِه[٥]　　كأنَّ متْنَيهِ لدى انسلابِه[٦]

مَتْنَا شُجاعٍ لَجَّ فى انسيابِه[٧]　　كأنَّما الأُظفور فى قِنابه[٨]

---

(١) عفره : جذبه ، وهاها به : مخفف هأهأ به : زجره .

(٢) بأبأ به : فداه تفدية وقال : بأبى أنت . وهذا الشطر والشطر قبله ساقط من مب .

(٣) ينتسف : ينتزع . وفى س : « ينتفس » وفى ط : « ينتسس » ، وفى المحاضرات : « ينشف » ، وأثبت مافى م والديوان ، وهو صواب هذه المحرفات . و « من جذابه » : بسبب مجاذبته ، فالباء سببية . وهذه هى رواية الديوان والنويرى فى نهاية الأرب (٩ : ٢٦٢)) ومحاضرات الراغب . وفى س : « جزابه » ، وفى ط : « جرابه » ، وفى م : « جدابه » » وكل ذلك تحريف ما أثبت من مب .

(٤) يغلو المرح : يزداد ويرتفع ، ومنه قول ذى الرمة :

فمـا زال يغلو حب مية عندنا　　ويزداد حتى لم نجد مانزيدها

وفى جمهور النسخ : « يعلو » وهما بمعنى ، وأثبت رواية مب والديوان ، لتساوقها مع بقية البيت . واغلولى : ارتفع . ماعدا مب : « غلا به » ، من غلا بالسهم يغلو ، إذا رفع يده به يريد به أقصى الغاية . والضمير فى « غلا » عائد إلى القانص . وأثبت رواية مب والديوان .

(٥) ميعة الشباب : أوله .

(٦) متنا الظهر : مكتنفا الصلب ، س : « انسرابه » . وفى ط : و م : « اسرابه » وفى المحاضرات : « أسلابه » ، وهذه تحريف ما أثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب. وانسلابه ، بمعنى إسراعه فى السير .

(٧) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات ، وقد شبه أحمد بن زياد بن أبى كريمة متون الكلاب بالخيزران فقال (الحيوان ٢ : ٣٧١) :

كأن غصون الخيزران متونها　　إذا هى جالت فى طراد الثعالب

(٨) القناب : غطاء الظفر . وفى الأصل : « قرابه » والوجه ماأثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب ومحاضرات الراغب والموشح ٢٧٣ وديوان المعانى (٢ : ١٣٣) .

مُوسى صناعٍ رُدَّ فى نِصابِه (١) يثْرُدُ وَجْهَ الأرض فى ذَهابه (٢)
كَأَنَّ نَسْراً ماتَوَكَّلْنا بِه (٣) يَعفُو على ما جرَّ من ثيابه
إلَّا الذى أثَّرَ من هُدَّابِه (٤) تَرَى سَوَام الْوَحْشِ يُحْتَوَى بِه (٥)
* يَرُحْنَ أَسْرَى ظُفْرِهِ ونَابِه (٦) *

(١) قال المظفر بن يحيى : غلط أبو نواس فى قوله يصف الكلب :
* كأنمـا الأظفور فى قنابه *
* موسى صناع رد فى نصابه *
لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذى ينستر إذا أرادا حتى لايتبينا ، وعند حاجتهما تخرج المخالب حجنا محددة يفترسان بها . والكلب مبسوط اليد أبداً غير منقبض . انظر الموشح .

(٢) يثرد وجه الأرض : يشقه ويمزقه ، وهى فى جمهور النسخ : « يثرط » وفى مب والديوان : « يترك » . وفى الديوان : « إلهابه » موضع « ذهابه » والإلهاب : شدة العدو . . ولأبى نواس مثل هذا المعنى فى طردية أخرى (الديوان ٢٠٨) :
* يقشر جلد الأرض من بلاطه *
والبلاط بالكسر : الفرار أو الاجتهاد فى السباحة .

(٣) يقول : كأن هذا الكلب الذى اعتمدنا عليه فى صيدنا نسر من النسور . والنسر أشد الطيور طيرانا وأقواها جناحا . وفى الأصل : «كأن نسرانا » وفى مب ، والديوان : « نشوانا » ، والأول تحريف ، والثانى لايصح إلا بتكلف شديد ، تكلفه شارح ديوان أبى نواس . وأبو نواس يشبه الكلب كذلك بالصقر ، قال :
* ومر كالصقر على الصيد اشتمل *
وقال :
* كالصقر ينقض على غطاطه *

(٤) يقول : هو يعفو أثر سيره بجسمه على الأرض فلا يبقى إلا أثر يسير كأثر هداب الثوب ، فإن الهواء المندفع خلفه يسوى الأرض التى مزقها ولا يعجز إلا عن القليل . و « أثر » هو مافى مب ، م ، وفى ط : « أشر » وهو تصحيف ، وفى س والديوان : « آثر » ، ولم أجد له وجها .

(٥) سوامُ الوحش : مايرعى فى الفلوات . وتحتوى به : تجمع وتحرز . وما أثبت هو رواية الديوان . وفى الأصل : « يرى سوام الوحش . . » الخ . ورواية النويرى فى نهاية الأرب :
* ترى سوام الوحش إذ تحوى به *

(٦) هذا الشطر ليس فى الديوان ، وهو والذى قبله ساقطان من مب . وهو فى الأصل محرف هكذا :
* وعين أسد ظفره ونابه *
والصواب ماأثبت من نهاية الأرب .

(صفة أبي نواس لثعلبٍ أفلت منه مراراً)

وقال فى ثعلب [كان قد[١]] أَفْلَتَ منهُ مِرارًا :

قد طالَمَا أفلتَّ يا ثعالا[٢] وطالمـا وطالمـا وطالا
جُلتَ بكلبى يومَكَ الأجوالا[٣] ما طَلْتَ مَنْ لَايسأمُ المِطالا[٤]
[حتَّى إذا اليومُ حَدَا الآصالا[٥] أتاكَ حَيْنٌ يقدمُ الآجَالا[٦]]

(طردية سابعة لأبى نواس)

وقال أبو نواسٍ أيضاً :

ياربَّ بيتٍ بفضاءٍ سَبْسَبِ[٧] بَعيدِ بَيْنَ السَّمْكِ والمطنَّبِ[٨]
لِفِتْيةٍ قد بَكَّرُوا بأكلُبِ[٩] قد أدَّبوها أحسنَ التأدُّبِ

---

(١) التكملة من مب .
(٢) ثعالا : ترخيم ثعالة ، والألف للإطلاق . وثعالة : علم جنس للثعلب ، كما أن أسامة علم للأسد . وهى فى ط ، م : « ثعلالا » وصوابه فى س ، مب والديوان ٢١٤ .
(٣) كذا فى مب والديوان ، وفى سائر النسخ : « المجالا » . وفى مب : « خلفك » .
(٤) المطال هنا : بمعنى المراوغة .
(٥) الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد العصر إلى المغرب ، وحدا اليوم الآصال كناية عن حلول وقت الأصيل ، فيما أرى .
(٦) الحين : الهلاك ، والأجل : العمر . يقول : إن الكلب قد قضى على حياة الثعلب الذى سبق هلاكه أجله . وهذا البيت وماقبله ليسا بالأصل ، وقد كتبتهما من الديوان .
(٧) السبسب : الأرض المستوية البعيدة . وفى جمهور النسخ : « لفضاء سبسب » ، والوجه ماأثبت من مب ، والديوان .
(٨) السمك ، بالفتح : السقف . والمطنب : موضع الطنب ، والطنب بضمتين : حبل يشد به سرادق البيت ، أو الوتد .
(٩) فى ط ، م : « لقيته » ، وصوابه فى س ، ومب والديوان .

مِنْ كلِّ أدفى مَيَسَانِ المنْكِبِ [١] يشبُّ فى القَوْدِ شِبَابَ المُقرَبِ [٢]
ينشِطُ أذْنيه بجِذْ المِخْلَبِ [٣] فَمَا تَنِي وشيقَةٌ مِنْ أرنَبِ [٤]

---

(١) الأدفى : هو مثل عقاب دفواء : معوجة المنقار، فالمراد به أنه معوج الخطم، وهو مقدم الأنف والفم . واعوجاج الخطم من صفة الكلاب الجياد ، ومنه قول الراجز (أنشده أبو زيد فى النوادر ٥١) :

قد أغتدى قبل طلوع الشمس للصيد فى يوم قليل النحس
بأحجن الخطم كى النفس

النحس : الغبار . والأحجن : المعقف . و « أدفى » هى فى جمهور النسخ « أوفى » محرفة ، وهى على الصواب الذى أثبت فى مب والديوان . ولأبى نواس من طردية أخرى سبقت قريباً :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

ورواية العسكرى فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « أخدى » ، وهى تصحيف « أخذى » بمعنى المسترخى الأذن . والميسان : المتبختر . قال العسكرى : أى من سعة جلده يميس منكبه . والبيت فى الأصل هكذا :

* من كل أوفى مستبان المنكب *

واعتمدت فى إصلاحه على مب ، والديوان وديوان المعانى .

(٢) يشب : يرفع يديه . والمصدر الشباب بالكسر والشبوب بالضم ، وجاءت الرواية بالأخير فى الديوان وديوان المعانى . والقود : نقيض السوق . وهى فى جمهور النسخ : « الغور » وليس له وجه ، والوجه فى مب ، والديوان وديوان المعانى. والمقرب : الكريم من الخيل، يشد لكرمه بقرب البيوت . وهو فيما عدا مب : « المعرب » ، وهو تحريف ما أثبت من مب ، والمرجعين السابقين.

(٣) ينشط : يجذب . وفى ديوان المعانى والديوان : « يلحق » .

(٤) يقال : لاينى يفعل كذا وكذا ، بمعنى لايزال ، كما فى قول الشاعر :

فما ينون إذا طافوا بحجهم يهتكون لبيت الله أستارا

ماعدا مب : « فما ثنى » ، والوجه ما أثبت من مب ، و الديوان . والوشيقة : لحم يقدد حتى ييبس ، أو يغلى إغلاءة ثم يقدد ويحمل فى الأسفار ، وهو أبقى قديد . وفى ط : « وثيقة » ، وصوابه فى سائر النسخ والديوان .

وجلدةَ مسلوبةُ من ثعلبِ(١)   مَقلوبةُ الفَرْوَة أوْ لَمْ تُقْلَبِ(٢)
وعِيْرُ عاناتٍ وأُمُّ التَّوْلَبِ(٣)   ومِرجَلُ يهدِر هَدْر المُصْعَبِ(٤)
[يَقذف جالاهُ بجوز القَرهَب(٥)]

(صفة ما يستدَلُّ به على فرَاهِيَة الكلابِ وشِياتها وسياستها)

قال بعضُ مَنْ خَبَر ذلك(٦) : إنَّ طولَ ما بينَ يدَى الكلبِ ورجلَيه — بعدَ أن يكونَ قصيرَ الظهر — مِنْ علامة السُّرعة .

---

(١) البيت ساقط من مب ، كما سقط من الطبعة الأولى ، وهو فى سائر النسخ .

(٢) فى الديوان :

وفروة مسلوبة من ثعلب   مقلوبة الجلدة أو لم تقلب

ولا تنافر بين الروايتين ، وهما يؤديان مؤدى واحداً . وأنا أستحسن رواية الجاحظ .

(٣) العير : الحمار الوحشى. والعانات: جماعات الحمر الوحشية . وفى الأصل : « وجحش عانات »، والجحش : الصغير من الحمر . والعرب لا تقول جحش عانة ، وإنما تقول عير عانة ، يعنون بذلك أنه رئيسها « الذى يوردها ويصدرها وتنهض بنهوضه ويقعن بوقوعه » . الحيوان ٥ : ٤٢٢ حيث تكلم الجاحظ فى رؤساء الحيوان . وقد جاءت الرواية على الصواب الذى أثبته فى ديوان أبى نواس . و « أم التولب » هى الأتان : أنثى الحمار الوحشى ، والتولب ولدها . وفى الأصل: « لأم التولب »، والوجه ما كتبت من الديوان .

(٤) المرجل : القدر يطبخ فيها . يهدر : يظهر له صوت من شدة غليان ما فيه . والمصعب : الفحل من الإبل .

(٥) التكملة من مب ، وليست فى الديوان . وجالا المرجل : جانباه . والجوز : الوسط . والقرهب من الثيران : الكبير الضخم .

(٦) مب: « غير » ، وفى سائر النسخ : « يجيد » ، ولعل الصواب ما أثبت .

قال : ويصفونه بأنْ يكونَ صَغيرَ الرأس ، طويلَ العُنُق غليظَها[١] ، وأن يُشبه بعضُ خَلْقِه بعضاً ، وأن يكونَ أغضَفَ [الأذنين][٢] مُفْرِطَ الغضَف ، ويكونَ بعيدَ ما بينهما[٣] ، ويكونَ أزرقَ العينَين ، طويلَ الُمقْلتين[٤] ، ناتىء الحدَقة[٥] ، طَوِيل الَخطم[٦] ، واسعَ الشِّدقين ، ناتىَ الَجبْهة عريضَها ، وأن يكونَ الشَّعْرُ الّذى تحتَ حَنَكه كأنَّهُ طاقة[٧] ويكون غليظا ، وكذلك شعرُ خدَّيه ، ويكونَ قصيرَ اليدين ، طويلَ الرجلين ؛ لأنّه
١٦ إذا كان كذلك كان أسرَع فى الصعود بمنزلة الأرنب .

قالوا : ولا يكاد يلحَق الأرنبَ فِى الصَّعود ، إلاَّ كلُّ كلبٍ قصيرِ اليدين ، طَويلِ الرِّجلين .

وينبغى أن يكونَ طويلَ الصدر غليظا ، ويكونَ ما يلى الأَرضَ من صدره عريضا ، وأنْ يكونَ غليظ العضُدين ، مستقيمَ اليدين ، مضمومَ الأصابع بعضِها إلى بعض ، إذا[٨] مشى أو عدا ، وهو أجْدَرُ ألاَّ يصيرَ بينها من الطِّين وغيرِ ذلك ما يفسُدها[٩] ، ويكون ذَكىَّ الفؤادِ نشيطا ؛ ويكونَ عريضَ الظَّهْر ، عريضَ ما بين مفاصل عظامه ، عريضَ ما بينَ

(١) فى الأصل : « غليظهما » وصوابه من عيون الأخبار (٢ : ٨٠) .
(٢) كلمة يحتاج إليها الكلام . والأغضف : المسترخى الأذن .
(٣) وذلك بأن يكون عريض الجبهة . وانظر نهاية الأرب (٩ : ٢٦٠) .
(٤) المقلة : شحمة العين التى تجمع البياض والسواد .
(٥) الحدقة : سواد العين .
(٦) الخطم : مقدم الفم والأنف .
(٧) الطاقة : الحزمة من الريحان ونحوه . وفى عيون الأخبار : « وأن يكون الشعر الذى تحت حنكه طاقة طاقة » .
(٨) فى الأصل : « وإذا » .
(٩) فى ط : « أو هوى جدرانا لا يصير » الخ ، والصواب فى س ، م .

عَظمَىْ أصلِ الفَخذين اللذين يصيبان أصل الذنب ، وطويلَ الفخذين غليظَهما شــديدَ لحمِهما ، ويكونَ رزينَ المَحْزِم[1] ، رقيقَ الوسط طَويلَ الجلدَةِ التى بين أصل الفخذين والصــدر ، ومستقيم الرجلين ، ويَكونَ فى ركبته انحناء[2] ويصير قصير الساقين دقيقَهما ، كأنَّهما خشَبة من صَلابتهما .

وليس يُكرَه أن تكونَ الإناثُ طوالَ الأذناب . ويكره ذلك للذكور . ولِينُ شعرهما يدلُّ على القوّة .

وقد يرغب ذلك فى جميع الجوارح من الطير وذوات الأربع ، من لِين الرِّيش لذوات الريش .

ولينُ الشَّعْر لذوات الشعرِ من عِتاق الخيل علامةٌ صالحة .

قال : وينبغى أن يكونَ الـكلبُ شديدَ المنازَعة للمِقْوَدِ والسِّلسِلة، وأن يكونَ العظمُ الذى يلى الجَنبَيْنِ من عظام الجنبين صغيراً فى قدر ثلاثِ أصابع .

وزعم أنَّهم يقولون : إنَّ السُّودَ منها أقلُّها صبراً على البرد والحر ، وإنَّ البيضَ أفرَهُ إذا كنَّ سُودَ العيون .

قال : ومن علامة الفرَه التى ليس بعدها شىء ، أن يكونَ على ساقيه

---

(١) المحزم : موضع الحزام من الدابة . وهى فى الأصل : « المحمل » وليس لها وجه . والرزين : الثقيل .

وعنترة بن شداد قد جعل هذه الصفة أيضا من نعت الفرس الجيد ، قال فى معلقته :

وحشيتى سرج على عبل الشوى ... نهــد مراكله نبيل المحزم

(٢) فى ط ، م : « ولا يكون فى ركبته إغناء » ، وفى س : « ولا يـكون فى ركبته انحناء » ، وأصلحت العبارة بما ترى من عيون الأخبار (٢ : ٨١) .

أو على إحداهُما[١] أو على رأس الذنب مخلب ، وينبغى أن يُقطَع من السَّاقين ، لئلا يمنعَه[٢] من العدْو .

(خير غذاء للكلب)

وذكرَ أنَّ خير الأشياءِ التى تُطْعمُها الكلبَ[٣] الخبزُ الذى قد يَبِس ، ويكُونَ الماءُ الذى يُسْقَاه يُصَبُّ عليه شىءٌ من زيت ، فإنَّ ذلك كالقَتِّ[٤] المحض للخيل ، ويشتدُّ عليه عدوُه .

(خير طعام لإسمان الكلاب)

وقال : خير الطعام فى إسمان الكلاب رأسٌ مطبوخٌ ، وأكارعُ بشعرها ، من غير أن تُطْعَمَ من عظامها شيئاً . والسَّمنُ إذا طَعِمَ منه قدرَ ثلاثِ سُكُرَّجات[٥] مرَّتَين أو ثلاثَ مَرَّاتٍ فإنَّ ذلك مما يسمِّنه ، ويقال إنَّهُ

---

(١) فى الأصل وكذا فى عيون الأخبار : « أحدهما » . والساق مؤنثة .

(٢) فى ط : « ما يمنعه » وفى س، م : « لا يمنعه » ، وصوابهما ما أثبت . والذى يقطع من الساقين هو المخلب .

(٣) فى الأصل : « تطعمه الكلاب » .

(٤) فى اللسان والقاموس : « القت الفصفصة » . وقد رجعت فى تفسير « الفصفصة » إلى تذكرة داود الطبيب فوجدته يقول : إنها تعرف فى مصر بالبرسيم اهـ . وفى ط : « كاللفت » وهو تحريف صوابه فى س .

(٥) قال الخفاجى فى شفاء الغليل : « سكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء المشددة ، ومنهم من ضمها والصواب الفتح ، معرب . ومعناه مقرب الخل » وفى اللسان : « إناء صغير يؤكل فيه الشىء القليل من الأدم ، وهى فارسية ، وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ » . وقد ذكر لها الإسكافى (فى مبادىء اللغة ٥٧) اسما عربيا هو « المصبغة » التى يجعل فيها الصبغ بالكسر ، أى الإدام .

يُعِيد الهَرِم شابًّا ، حتَّى يكونُ ذلك فِى الصَّيدِ وفِى المنظرِ . والعظمُ والثَّريدُ من أردإ ما تأكله للعَدْو .

(من علاج الكلب)

وممَّا يكونُ غذاءً ومِنْ خيرِ شيءٍ يُدَاوى به الكلبُ من وَجع البطن والديدان ، أن يُطْعَمَ قِطعةَ أَليةٍ وصوفَ شاةٍ معجوناً بسمن البقر ، فإنَّهُ ١٧
يُلقِى كلَّ دُودٍ وقَذَرٍ فِى بطنه .

وخير ما يعالج به الحَفاَ[١] أن يُدْهَنَ اَسْتُه ثلاثَةَ أيَّام ، ويُجَمَّ فيها ولا يستعمَل ؛ أو يمسَحَ على يديه ورجليه القَطِرانُ .

وذُكِرَ عن خزيمة بن طَرْخَان الأسدىّ ، من أهل هَمَذَان[٢] ، أنَّه قال : ليس من علاج الكلب خير من أن يُحْقَن .

(كدِى ، وأكدى ، والكُدْية)

وقال : يقال كَدِىَ الجروُ يكدَى كَدًى[٣] وهو داءٌ يأخذ الجِراء خاصَّةً ، يصيبُها منه قىءٌ وسعال ، حتَّى تكوَى بينَ عينيها[٤] . ويقال أكدَى

(١) فى الأصل : « للحفا » ، وفى عيون الأخبار (٢ : ٨١): « وإذا حفى دهنت استه » والحفا : رقة القدم .
(٢) فى الأصل : « همدان » ، وهمدان : قبيلة يمنية . وإنما هو « همذان » بلد بديع الزمان .
(٣) ط : « كداء » وتصحيحه من س والمخصص ٨ : ٨٢ .
(٤) مب : « يكوى بين عينيه » .

الرجلُ إكداء : إذا لم يظفَر بحاجته . والكُدْيَة من الأرض : ارتفاعٌ فِى صلابة . ويقال فى الماء : حفرَ فأكدى .

(علاج الكلاب لأنفسها)

وزعم صاحبُ المنطق أَنَّ الكلابَ إذا كان فى أجوافها دُود ، أكلت سنبلَ القمح فتبرأ .

وزعم أنَّ الكلابَ تمرض فتأتى حشيشةً [١] تعرفُهَا بعينها ، فتأكل منها فتبرَأ .

(عداوة بعض الحيوان لبعض)

وزعم صاحب المنطق أَنَّ العُقابَ تأكلُ الحيَّاتِ ، وأَنَّ بينَهما عداوةً ؛ لأنَّ الحيَّةَ أيضاً تَطلبُ بيضَها وفراخها .

قال : والغُداف يقاتل البُومة ، لأنَّ الغُدافَ يَخْطِف بيضَ البومة [٢] نهاراً . وتشدُّ البومةُ على بيض الغُداف ليلاً فتأكله ؛ لأنَّ البومةَ ذليلةٌ بالنهار رديَّةُ النظر [٣] ، وإذا كانَ ٱللَّيلُ لم يَقْوَ عليها شيءٌ من الطير . والطير كلُّها تعرِف البومةَ بذلك وصنيعَها [بالليل [٤]] ، فهى تطير حولَ البومةِ [٥] وتضربُها وتَنْتِف ريشها . ومن أجْلِ ذلك صارَ الصيَّادُون ينصِبونها للطير [٦] .

والغداف يقاتل ٱبنَ عِرْسٍ ؛ لأنه يأكل بيضَه وفراخَه [٧] .

---

(١) هذا ما فى مب . وفى سائر النسخ : « أن الكلاب تأتى حشيشة » .
(٢) مب : « والغداف يخطف بيض البومة » فقط .
(٣) فى مب : « البصر » .
(٤) ط : « وضيعها فإذا رأيتها » وتصحيحه من س ، ومب .
(٥) ط : « حولها البومة » وصوابه فى س ، ومب .
(٦) مب : « ولحرصها ذلك صار الصياد ينصب للطير بالبومة » .
(٧) هذا الصواب من مب . وفى سائر النسخ : «ليأكل بيضه وفراخه » .

قال : وبين الحِدَأة والغُداف قتالٌ ؛ لأنَّ الحِدأة تخطَف بيضَ الغُداف ؛ لأنَّها أشدُّ مخالبَ وأسرَعُ طيراناً .

وبين الأُطْرُغُلَّة(١) والشَّقْرَاق(٢) قتال ؛ لأنَّه يقتل الأُطْرُغُلَّة(١) ويُطالبها(٣) .

وبين العنكبوت والعَظَاية(٤) عداوة ، والعَظاية تأكل العنكبوت .

وعصفور الشَّوك يعبَثُ بالحمار ، وعبَثه ذلك قتَّال له ؛ لأنَّ الحمارَ إذا مَرَّ بالشَّوك وكانت به دَبَرَة(٥) أو جَرَبٌ تحكَّكَ بِهِ ، ولذلك متَى نَهِق الحمار سقطَ بيضُ عصفور الشوك ، [وجعلتْ (٦)] فراخُه تخرج من عشِّها . ولهذه العِلَّة يطيرُ العصفورُ وراءَ الحِمْار وينقُر رأسه .

والذئب مخالفٌ للثَّور والحمارِ والثعلبِ جميعاً ، لأنَّه يأكل اللحم النِّيء(٧) ولذلك يقع على البقر والحمير والثعالِبِ .

---

(١) الأطرغلة : اسم يقع على الدبسية، والقمرية ، والفاختة المطوقة . انظر القاموس (الأطرغلات) و (صلل) .

(٢) الشقراق بفتح الشين وكسرها : طائر صغير يسمى الأخيل ، وهو أخضر مليح بقدر الحمامة ، وخضرته حسنة مشبعة ، وفى أجنحته سواد ، والعرب تتشاءم به . وقال الجاحظ : إنه نوع من الغربان ، وفى طبعه العفة عن السفاد ، وهو كثير الاستغاثة ، إذا ضاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب . الدميرى .

(٣) فى الأصل : « ويطالبه » .

(٤) قال الأزهرى : هى دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيرا ، تشبه سام أبرص، إلا أنها أحسن منه ولاتؤذى ، وتسمى شحمة الأرض . الدميرى .

(٥) الدبرة بالتحريك : قرحة الدابة والبعير ، والجمع دبر وأدبار ، مثل شجرة وشجر وأشجار . وهى فى ط : « بدرة » ، وصوابها فى س . وانظر نهاية الأرب ١٠ : ١٧ .

(٦) أحسب هذه الكلمة ساقطة من الأصل .

(٧) فى الأصل : « النيء » ، وإنما هو « النيء » .

وبين الثعالبِ والزُّرَّق(١) خــلافٌ لهذه العلّة ؛ لأنّهما جميعاً يأكلان اللحم .

١٨ والغراب يُخالف الثَّورَ ؛ ويُخالف الحمار جميعاً ، ويطير حولَهما ، وربّما نَقَرَ عيونَهما . وقال الشاعر :

عَادَيْتَنَا لا زلت فى تبَابِ عَــدَاوَةَ الحِمَارِ للغُرابِ

ولا أعرف هذا من قول صاحب المنْطِق ؛ لأنَّ الثعلبَ لا يجوزُ أن يُعَادِىَ مِنْ بينِ أحرار الطَير وجَوارِحِها الزُّرَّقَ وحدَه ، وغيرُ الزُّرَّق آكِلُ اللَّحم . وإن كان سببُ عداوته له اجتماعَهُما على أَكْلِ اللَّحم ، فليُبْغِض العقابَ من الطير ، والذِّئْبَ من ذوات الأربَع ؛ فإنّهما آكَلُ لِلّحم . والثَّعلَبُ إلى أَنْ يحسُدَ ما هو [كذلك] أقربُ ، وأولَى فى القياس(٢) ، فلو زعم أنّه يَعُمُّ أكَلَةَ اللّحمِ بالعداوة ، حتّى يُعْطِى الزُّرَّق من ذلك نصيبَه ، كان ذلك أجْوَزَ(٣) . ولعلَّ المترجِم قد أساء فى الإخبار عنه .

قال : والحيَّة تقاتل الخنزيرَ ، وتقاتِل ابنَ عِرْس ، وإنَّما تقاتلُ ابنَ عِرْسٍ إذْ كان مأواهما فى بيتٍ واحد ، [وتقاتِلُ الخنزير](٤) لأنَّ الخنزير يأكلُ الحيَّات . ويزعمون أنّ الذى يأكلُ الحيَّاتِ القنافذُ ، والأوعالُ ، والخنازيرُ ، والعِقْبان .

قال : فالحيَّة تعرف هذا من الخنزير ، فهى تُطَالبه .

---

(١) الزرق ، كسكر : طائر يصاد به ، بين البازى والباشق .

(٢) فى الأصل : « والثعلب إلى أن يحسد ماهو أقرب وذلك أولى فى القياس » ، وقد عدلت القول وأكملته بما ترى .

(٣) ط ، م : « أجور » ، والصواب فى س .

(٤) زدت هذه الجملة ليتزن الكلام .

قال : والغراب مصادقٌ للثَّعلب ، والثَّعلبُ مصادقٌ للحيَّة[١] ، والأسد والنمر مختلفان .

قال : وبين الفِيَلةِ اختلافٌ شديد ، وكذلك ذكورها وإناثها ، وهى تَستعمِل الأنيابَ إذا قاتَل بعضُها بعضاً ، وتعتمد بِهاَ على الحيطان فتهدِمُها ، وتزحُمُ النَّخلةَ بجنبها فَتَصْرَعُهاَ .

(تذليل الفيل والبعير)

وإذا صعُب من ذكورتها شيء احتالوا له حتَّى يكُومَه[٢] [ذ كرٌ] آخر ، فإذا كامَهُ خضَع أبداً . وإذا اشتَدَّ خُلُقُه وصعُب عصَبُوا رِجلَيه فسكن .

ويقال إنَّ البعيرَ إذا صعُب وخافَه القوم ، استعانوا عليه فَأَبرَكُوه[٣] وعَقلوه حتَّى يكومَه فحل آخر ، فإذا فُعلَ ذلك به ذَلَّ !

(الفيل والسنّور)

وأمّا أصحابنا فحكَوا وجوهَ العداوةِ الَّتى بين الفيل والسِّنَّور — وهذا أعجب — وذهبوا إلى فزع الفيل من السِّنَّور ، ولمْ يرَوه يفزَع ممَّا هو أشدُّ وأضخم . وهذا البابُ على خلاف الأوّل ؛ كأنَّ أكثرَ ذلك الباب بُنِىَ على عداوة الأكْفاء .

(١) ماعدا مب : « الثعلب . . . الحية » .
(٢) يكومه : يعتليه اعتلاء ذكورة الحيوان لإناثها . والتكملة بعده من مب .
(٣) فى الأصل : « فبركوه » .

(الشاة والذئب)

والشاةُ من الذئب أشدُّ فَرَقا منها من الأسد ، وإن كانت تعلم أنْ الأسدَ يأكلها .

(الحمام والشاهين)

وكذلك الحمام يَعتريه من الشَّاهينِ ما لا يعتريه من العُقاب والبازى والصقر .

(أعداءُ الفأرة)

وكذلك الفأرة من السِّنّور ، وقد يأكلها ابْنُ عِرْس . وأكثر ذلك [أن [1]] يقتلها ولا يأكلها . وهى من السِّنَّورِ أشدُّ فرَقاً .

(الثعلب والدجاج)

١٩ والدَّجاجةُ تأكلها أصناف من السباع ، والثعلبُ يطالبها مُطالبةً شديدة ، ولو أنَّ دجاجاً على رفٍّ مرتفع ، أو كُنَّ على أغصان شجرةٍ شاهقة ، ثمّ مرَّ تحتَها كلُّ صِنفٍ مِمَّا يأكلها ، فإنَّها تَـكونُ مستمسكةً بها معتصمةً بالأغصان التى [هى] عليها . فإذا مرَّ تحتها ابنُ آوى وهُنَّ ألْفٌ ، لم تَبْقَ واحدةٌ منهنَّ إلاّ رمَتْ بنفسها إليه [2] .

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل .

(٢) انظر ماسيأتى فى ٦ : ٣٧٦ .

(ما يأباه بعض الحيوان من الطعام)

والسبع لا يأكل الحارَّ ، والسِّنَّور لا يذوقُ الحموضة ، ويَجْزَع من الطَّعام الحارِّ . والله تعالى أعلم .

(ما أشبه فيه الكلب الأسود والإنسان)

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى مفاخر الكلب ، ونبدأ بكلٍّ ما أشبه فيه الكلبُ الأُسُودَ والإنسان ؛ وبشيءٍ من صفات العظَال [1] .

قال صاحب المنطق (فى كتابه الذى يقال له الحيوان ، فى موضعٍ ذكَرَ فيه الأسد) قال : إذا ضربَ الأَسَدُ بمخالبه ، رأيتَ موضعَ آثار مخالبهِ فى أقدار شرط الحجَّام أو أزْيدَ قليلا ، إلاّ أنَّه من داخلٍ أوسعُ خرْزاً ، كأنَّ الجِلدَ ينضمُّ على سم مخالبه [2] ، فيأكل ما هنالك . فأمَّا عضَّته فإنَّ دواءَها دواءُ عضَّةِ الكلب .

قال : وممَّا أشبه فيه الكلبُ الأسدَ انطباقُ أسنانه . وممَّا أشبَهَ فيه الكلب الأسدَ النَّهَمُ ، فإنَّ الأسدَ يأكل أكلاً شديداً ، ويَمْضَغُ مَضْغاً متدارِكاً ، ويبتلع البَضْع الكبار [3] ، من حاقِّ الرغبة [4] ومن الحرص ،

---

(١) العظال : الملازمة فى السفاد من الكلاب والجراد وغيره مما ينشب .

(٢) كذا .

(٣) البضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات : جمع بضعة بالفتح وقد تكسر ، وهى القطعة من اللحم .

(٤) حاق الرغبة : شدتها وصدقها . وفى ط : « خاق » ، وصوابها فى س .

وكالذى يخاف الفوت . ولَمَّا نازعَ السِّنَّورَ من شَبَهِهِ[١] صار إذا ألقيت له قِطعة لحم فإمَّا أنْ يحملها أو يأكلها حيثُ لاتراه ؛ وإمَّا أن يأكلها وهو يكثر التلفُّت ، وإنْ لم يكنْ بحضْرته سِنَّور ينازعُه . والكلبُ يعَضُّ على العَظمِ ليُرضَّه ، فإنْ مانَعَه شيءٌ وكان مما يُسيغه ، ابتلَعَه وهو واثق بأنّه يستَمريه ويُسيغه .

والنَّهِم يعرِض للحيَّات ، والحيَّة لاتمضَغُ ، وإنما تبتلعُ ذواتُ الرَّاسات[٢] ، وهى غير ذوات الأنياب ، فإنّها تمضَغ المضْغة والمضغتين ٥ وإن ابتلعت شيئاً فيه عظم أتَتْ عُودًا شاخصاً فالتوت عليه ، فحطَمت العظم . والحيَّةَ قويّةٌ جدًّا .

قال : والأسد وإن كان ممَّا لايفارق الغِياض [و][٣] لايفارق الماء فإنّه قليلُ الشرب للماء ، وليس يُلقى رَجْعَه إلاّ مرةً فى اليوم ، وربَّما كان فى اليومين والثلاثة . ورجعُه يابس شديد اليُبْس متعلِّق ، شبيه برجيع الكلب . ويشبهه أيضاً من جهة أخرى وذلك أنّهما جميعاً إذا بَالاَ شَغَرا[٤] .

والكلب من أسماء الأسد ، لقرابةِ مابينه وبينَ الكلب .

والكلبُ يُشبه الخنزير ، فإنَّ الخنزير يسمَن فى أسبوع ، وإن جاع أيّاماً ثم شبِع شَبعةً تبيَّن ذلك تبيُّناً ظاهراً . ألا تراهُ ينزع إلى محاسن الحيوان ، ويُشبه أشراف السباع وكرائم البهائم ؟!

---

(١) ط : « شبه » ، وأثبت مافى س . والمعنى يصح بكل منهما .
(٢) لم أر هذا الجمع إلا للجاحظ . والرأس يجمع على رءوس وأرؤس .
(٣) زدتها ليستقيم الكلام .
(٤) شغر : رفع إحدى رجليه .

(عظال الكلاب)

ويقال : ليس فى الأرض فحلٌ من جميع أجناسِ الحيوان لِذَكَرِه حجمٌ ظاهر إلاَّ الإنسان والكلب . وليس فى الأرض شيئان يتشابكانِ من فَرْط إرادةِ كلٍّ واحدٍ منهما لطباع صاحبه ، حتى يلتحم عضوُ الذكر بعضو الأنثى حتَّى يصير التحامُهما التحامَ الخلقة والبِنْية ، لاَ كالتِحامِ الملامَسَة والملازمة[(١)] ، إلاّ كما يُوجَد [من[(٢)]] التحام قضيبِ الكلب بثَفْر[(٣)] الكلبة .

وقد يلزَق القُراد ، ويَغْمِس العَلس[(٤)] مقاديمه فى جوف اللحم ، حتَّى يُرَى صاحبُ القُراد كأنَّه [صاحِبُ] ثُؤلُول[(٥)] . وما القُراد المضروبُ به المثلُ فى الالتحام إلاَّ دونَ التحامِ الكلبين . ولذلك إذا ضربوا المثل للمتباضِعين بالسُّيوف ، والملْتَقِيَين للصِّراع ، فالتفّ بعضُهم ببعض ، قالوا :

---

(١) فى الأصل : « كالالتحام الملامسة والملازمة » ، وهو تحريف .

(٢) حرف يتطلبه الكلام .

(٣) فى الأصل : « لثفر » .

(٤) العلس ، بالتحريك : القراد الضخم ، وهى فى الأصل : « العلق » . والعلق : دود أسود وأحمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم ، وهو من أدوية الحلق والأورام الدموية . كذا قال الدميرى . قلت : ولايزال كثير من العامة بمصر فى زمنناهذا يعالجون أنفسهم به . وليس مراداً هنا .

(٥) الثؤلول : بثر صغير صلب مستدير على صور شتى . وفى الأصل : « حتى يرى صاحب القراد أنه ثؤلول » . والقراد لايصيب الناس ، وهو موكل بالإبل . وانظر القول فى ولوعها بالإبل فى الحيوان ٦ : ٤٣٨ و ٧ : ١٥ .

كأنهم الكِلاب المتعاظِلة[1] . وليس هذا النَّوعُ من السِّفادِ إلاَّ للكلاب . وزعم[2] صاحبُ المنطق وغيرُه ، أنَّ الذُّبابَ في ذلك كالكلب .

(إسماعيل بن غزوان وجارية مويس بن عمران)

وكان إسماعيل بن غَزْوان[3] قد تعشَّقَ جاريةً كانت لمُوَيْس بن عمران[4] ، وكانت إذا وقَعَتْ وقعةً إليه لم تمكثْ عندَهُ إلاَّ بقدرِ مايقعُ عليها ، فإذا فَرَغ لبِستْ خفُّها وطارت ، وكان إسماعيلُ يشتهى المعاوَدَةَ

---

(١) من أيام العرب المعروفة يوم العظالى ، وهو يوم بين بكر وتميم ، سمى بذلك لركوب الناس فيه بعضهم بعضاً . وقال الأصمعى : ركب فيه الثلاثة والاثنان الدابة الواحدة . وقيل : سمى بذلك لأنه تعاظل فيه على الرياسة بسطام بن قيس ، وهانئ بن قبيصة ، ومفروق بن عمرو ، والحوفزان .

(٢) فى الأصل : « فزعم » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا ممن ردد الجاحظ ذكرهم فى كتابه « البخلاء » ، وكثيرا مايقرنه بسهل بن هارون ، وكان ممسكا شديد البخل ، يحتج للبخل بكلام عجيب ، فمن ذلك قوله للأسخياء : « تنعمتم بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب الرقيق ، وبالغناء المطرب ، وتنعمنا بعز الثروة ، وبصواب النظر فى العاقبة ، وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز عن مصلحة العيال ، فتلك لذتكم وهذه لذتنا» . (البخلاء ١٣٠) . ومن كلامه : « لاتنفق درهما حتى تراه » (البيان ٣ : ٢١٢) . وكان إسماعيل يوصف بحسن الفهم وجودة الاستماع . (البيان ٣ : ١٦٣) .

(٤) مويس بن عمران ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتج للبخل ، وهو من معاصرى الجاحظ ، « سئل عنه أبو شعيب القلال ، فزعم أنه لم ير قط أشح منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لايريد أن يمس . وكيف يجترئ الضرس على إفساد ذلك الحسن ، ونقض ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك التأليف . . فلو كان سخيا لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجنن ، فحول إحسانه إساءة ، وبذله منعا ، واستدعاءه إليه نهيا » . البخلاء ٥٨ . وفى الأصل : « موسى بن عمران » وإنما هو « مويس » كما فى ستة مواضع من البخلاء ، وكما فى القاموس . وكان مويس من المتكلمين .

وأنْ يُطيلَ الحديث ، ويُرِيدُ القَرْص والشمَّ والتقبيلَ والتجريد ، ويعلم(١) أنّه فى الكَوْم الثانى والثالث أجدَرُ أن يُنْظَرَ(٢) ، وأجدر أن يَشْتَفِىَ . فكان رُبَّما ضَجِرَ ويذكرُها بقلبه وهو فى المجلس ، فيقول : ياربِّ امسَخْنِى وإيّاها كلبَين ساعةً من الليل أو النَّهار(٣) ، حتَى يشغَلَها الالتحامُ عن التفكيرِ فى غضَب مولاتِها إن احتبَسَتْ !!

(من أعاجيب الكلاب)

وفى الكلبة أعجوبةٌ أخرى : وذلك أنّه يسفَدُها كلبٌ أبقعُ وكلب أسودُ وكلب أبيضُ وكلب أصفَرُ ، فتؤدِّى إلى كلٍّ سافدٍ شِكْلَهُ وشِبْهه ، فى أكثر مايكُونُ ذلك .

(تأويل الظالع فى شعر الحطيئة)

وأمّا تأويل (الظالع) فى قول الحطيئة :

تسدَّيتُها مِنْ بَعْدِ مَانَام ظَالِعُ الْ ... كلابِ وأخْبَى نارَهُ كلُّ مُوقِدِ(٤)

---

(١) فى ط ، س : « وليعلم » ، والوجه ماأثبت من م .

(٢) هو بالبناء للمجهول ، من أنظره بمعنى أمهله . وهو يعنى بذلك المطاولة .

(٣) فى الأصل : « والنهار » ، والوجه ما أثبت .

(٤) تسداها : علاها. ولم أجد هذا البيت فى ديوان الحطيئة برواية السكرى ، وهو فى أمثال الميدانى ١ : ٢٤ برواية : « ألا طرقتنا بعد . . . » . وقال الميدانى : « يضرب مثلا فى تأخير قضاء الحاجسة » . والرواية فى اللسان (ظلع) : « تسديتنا » بتاء المخاطب ، وقال : « يخاطب خيال امرأة طرقه » .

قال الأصمعيّ : يظلَع الـكلبُ لِبعضِ مايعرض للـكلاب ، فلا يمنعه ذلك مِنْ أن يهيجَ فى زمن هَيْج الـكلاب ، فإذا رأى الـكلبة المستحرِمة[١] لم يطمَع فى معاظلتها والـكلابُ منتبهةٌ تنبَح ، فَلاَ يَزَال ينَتَظِرُ[٢] وقتَ فَتْرةِ الـكلاب ونومها ، وذلك مِن آخر الليل .

وقال أُحَيْحَة بن الجُلاَح[٣] :

[ياليتَنى ليلةً إذا هَجع الـــنَّاسُ ونام الـكلابُ صاحِبُها][٤]

(طردية ثامنة لأبى نواس)

ومِمَّا قِيل فى الـكلاب من الرَّجز [قول أبى نواس[٥]] :

---

(١) استحرمت الـكلبة : اشتهت .

(٢) فى الأصل : « فلا تزال تنتظر » ! وصوابه ماأثبت .

(٣) كان أحيحة سيد الأوس فى الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم تحته ، وهى كانت لاتنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لشىء كرهته منه فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحا عليه ، يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئرا . هذا موجز مما فى الخزانة ٣ : ٣٢٧ سلفية والأغانى ١٣ : ١١٤ - ١٢٢ .

(٤) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبته اعتمادا على مافى الحيوان (١ : ٣٦٨) والخزانة (٣ : ٣٢١ سلفية) والأغانى (١٣ : ١١٥) . والعبارة فى الأصل : « وقال أحيحة بن الجلاح مما قيل فى الـكلاب من الرجز » ! !

(٥) زيادة يقتضيها الـكلام ، وسيتبع الجاحظ هذه الأرجوزة بعبارة « وقال أيضاً » ثم يروى أرجوزتين أخريين لأبى نواس مرويتين فى ديوانه . أما هذه الأرجوزة الأولى فليست مما اختار حمزة بن حسن الأصبهانى .

وفِتية من آلِ ذُهلٍ فى الذرى مِن الرَّقاشِيِّينَ فى أعْلى العُلا [١] ٢١
بِيضٍ بهالِيلَ كرامِ المُنْتَمَى باتُوا يَسِيرون إلىصُوحِ اللوى [٢]
ينفُونعن أعيُنِهِمْ طِيبَ الكَرَى إلاَّ غِشاشاً بعد ماطالَ السُّرى [٣]
يعدين إبلاء الفتى على الفتى [٤] حتى إذا ماكوكبُ الصُّبحِ بدَا
مَاجُوابِغُضْفٍ كاليَعاسيبِ خَساً [٥] ثلاثَةٍ يقطعن حُزَّان الصُّوَى [٦]

(١) قال أبو الفرج فى الأغانى ٢٠ : ٧٣ : « بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش . وهم مالك ، وزيد مناة ، وعامر ، بنو شيبان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل » . ويدور فى الكتب ذكر الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، وهو شاعر أديب ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغانى ١٥ : ٣٤ . وقد لج الهجاء بينه وبين أبى نواس ، انظر الديوان ص ١٧٦ - ١٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ والبخلاء ١٩١ . وفى هجو أبى نواس للرقاشيين نعت قدورهم بالنظافة والبياض والصغر حتى ضرب بها المثل فقيل « قدر الرقاشى» . انظر ثمار القلوب ٤٩١ ، والوساطة ٣١٧ . ولا مناقضة بين رفع أبى نواس من شأن الرقاشيين فى هذا الرجز ، وهجوه إياهم أقذع الهجاء ؛ فأبو نواس لايكاد أحد من اصحابه يسلم من هجائه ، والفضل الرقاشى هذا كان من خلطائه وندماه ، كما فى أخبار أبى نواس لابن منظور ١٢٨ - ١٣٣ .

(٢) الصوح : جمع صاحة ، وهى الأرض لاتنبت شيئاً . واللوى : ماالتوى من الرمل . وفى س ، م :

* باتوا بعيران إلى صوح اللوى *

(٣) الغشاش : النوم القليل ، والسرى : سير عامة الليل . (٤) كذا .

(٥) ماجوابها : جعلوا يعدون بها بين ارتفاع وانخفاض ، فيكون لذلك شبه الموج ، أو لعل صوابها « هاجوا » بمعنى ثاروا . وأبو نواس يستعمل هذه الكلمة فى مثل هذا الموضع : قال فى طردية له سبقت فى هذا الجزء من الحيوان ص ٤٠

* هجنا بكلب طالما هجنا به *

وقال فى طردية أخرى بالديوان ٢٠٧ :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

وقال فى غيرها بالديوان ٢٢٢ :

* هجنا به فهاج للنزال *

واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو أمير النحل . وشبههن باليعاسيب فى دقة خصورهن . وخسا : أى فردا ، أراد عددا فرديا ، فسره بالثلاثة فى البيت بعده . وفى اللسان : وتخاسى الرجلان : تلاعبا بالزوج والفرد ، يقال خسا أو زكا : أى فرد أو زوج ؛ وروى شواهد للكميت ورؤبة .

(٦) الحزان بضم الحاء وكسرها : جمع حزيز ، وهو الأرض الصلبة الغليظة المرتفعة قليلا =

رحيبةِ الأشداقِ غُضْفٍ فى دَفاَ(١) تَلوى بأذنابٍ قليلاتِ اللِّحا(٢)
سَمَعْمَعاتِ الضُّمْرِ من طُولِ الطَّوَى(٣) من كلِّ مَضبُورِ القَرَاعارِى النَّسا(٤)
مُحَمْلَجِ المَتْنَيْنِ مَنْحُوضِ الشَّوى(٥) شَرَنبَثِ البُرثُنِ خَفّاقِ الحشا(٦)

= وقال أبو نواس من طردية سبقت له ص ٢٣ :

فسمونا للحزيز به فدفعناه على أظب

والصوى : ماغلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وفى ط : « تقلص حزان الصوى » . وقلص فى جميع صوره واشتقاقاته فعل لا يتعدى ، فصوابه ماأثبت من س ، ومب .

(١) رحيبة : واسعة ، وفى ط ، م : « وحيبة » وفى س : « رجيبة » تحريف ماأثبت من مب . والغضف : جمع الأغضف ، وهو المسترخى الأذن . وهى فى الأصل : « عصف » ، صوابه فى مب . والدفا : إقبال إحدى الأذنين على الأخرى حتى تكاد أطرافهما تتماس فى انحدار قبل الجبهة . وهى فى الأصل : « رقا » ، وفى مب : « رفا » ولا وجه له . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى قوله (ص ٣٠ من هذا الجزء) :

* أدفى ترى فى شدقه تأخيرا *

(٢) ألوت الكلاب بأذنابها : حركتها . واللحا : مقصور اللحاء . وعنى به هنا مايحيط بعظم الذنب من اللحم . وانظر الحيوان ٢ : ١٦٨ .

(٣) السمعمع : الخفيف اللحم . و « الضمر » أى بسبب الضمر . والطوى : الجوع . وكان العرب يجوعون كلاب الصيد ليكون ذلك أضرى لها . قال امرؤ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضرس

مغرثة : مجوعة . وقال عبدة بن الطبيب كما فى المفضليات ١٣٩ :

يشلى ضوارى أشباها مجوعة فليس منها إذا أمكن تهليل

(٤) المضبور : المكتنز اللحم . والقرا : الظهر من مركب العنق إلى علوة الذنب . والنسا ، قال ابن قتيبة : عرق يستبطن الفخذين حتى يصير إلى حافر الدابة ، فإذا هزلت الدابة ماجت فخذاها فخفى ، وإذا سمنت انفلقت فخذاها فجرى بينهما واستبان كأنه حية . ومثل ذلك فى اللسان عن الأصمعى .

(٥) يقول : هو مكتنز اللحم الذى يكتنف صلبه ، كما أنه قليل لحم اليدين والرجلين .

(٦) الشرنبث : الغليظ . والبرثن : الكف مع أصابعها . وخفاق الحشا : ضامر البطن .

تخالُ منه القصّ من غير جَناَ(١) مَسَنَّتا صَفواء فى حَيَدىْ صَفا(٢)
يلتهب الغائِطُ مِنْهُ إن عدا(٣) يُقادح المَرْوَ وشَذّان الحَصاَ(٤)
حتَّى إذااستسحَرَ فى رَأْد الضُّحى(٥) بمربَإٍ أوْفَى به على الرُّبا(٦)
أرانباً من دونها سِربًا ظِبا(٧) نواشزاً من أنَسٍ إلى خَلاَ(٨)

---

(١) القص والقصص : الصدر أو عظمه . والجنأ : انكباب الصدر إلى الظهر .

(٢) المسنة : اسم مكان من السن بمعنى الصب . مب : « مشبتا » ، وفى سائر النسخ : « مسنة » والوجه ماأثبت من الجمع بينهما . الصفواء : الملساء . وهى فيما عدا مب : « صفراء » ، تحريف . وأبو نواس حين شبه صدر الكلب فى صلابته وملاسته بالمسنة الصفواء ، نظر إلى امرئ القيس فى تشبيهه متن فرسه بالصفواء ، إذ يقول فى معلقته :

كميت يزل اللبد عن حال متنه كما زلت الصفواء بالمتنزل

ماعدا مب : « جيد صفا » تحريف . والحيد ، بوزن سهم : ماشخص من الجبل . والصفا : الحجارة الملساء .

(٣) الغائط : المطمئن الواسع من الأرض . و « منه » هى فى ط ، م : « من غد » ، وهو تحريف . وفى س موضع هذه الكلمة بياض ، وإثباته من مب .

(٤) المرو : حجارة بيض براقة تورى النار ، والكلب يقادح المرو : أى يجعل بعضه يحك بعضاً فتظهر لذلك نار . وشذان الحصى ، بالفتح وتشديد الذال : ماتطاير منه . ولأحمد بن زياد بن أبى كريمة فى مثل هذا المعنى :

إذا افترشت خبتا أثارت بمتنه عجاجا وبالكذان نار الحباحب

وقول أبى نواس أشرف وأقوى .

(٥) ماعدا مب : « استحس » وهو تحريف لا وجه له . ورأد الضحى : الوقت بعد انبساط الشمس ، وارتفاع النهار .

(٦) المربأ : المرقب . والربوة : ما ارتفع من الأرض، جمعها « ربا ». وأوفى به على الربا : أشرف عليها . والبيت فى الأصل محرف ، فهو فى ط :

* مر بأوفى علم به الربا *

وفى س ، م : « بمربأ أوفى به على الربا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) « أرانبا » هو مفعول « استسحر » .

(٨) نشز من المكان : خرج منه . وفى ط ، م : « نواشطا » . والوجه فيه ما كتبت . وفى مب : « نواشرا » ، وهو تحريف . والأنس بالتحريك : الجماعة الكثيرة ، أو الحى المقيمون . والخلا : مقصور الخلاء . يقول: لما أحس الصيد بقرب الأنس منه ، عن له أن يخلص بنفسه إلى الخلاء ، فنشط إلى ماحسبه مأمنا له .

فوضَى يُدَعْثِرنَ أفاحيصَ القطا(١) لَعلَعنَ واستلْهثْن من غيْرِ ظما(٢)
مبالغاتٍ في نَهيمٍ وصأًى(٣) كأَنَّما أعينُها جمر الغَضى(٤)
ثمَّ تطَلّعنَ معًا كالبرقٍ لا في الأرض يَهوِينَ ولا لوح الهوا(٥)
كأَنّها في شَرطها لمـا انبرى(٦) كواكبٌ يُرمَى الشّياطِينُ بها

---

(١) فوضى : متفرقات أو مختلط بعضها ببعض . يدعثرن : يهدمن ويفسدن . وأفاحيص القطا : جمع أفحوصة ، وهي مجثم القطاة تضع فيه بيضها ، يكون في التراب ، سمي بذلك ، لأنها تفحصه أي تبحثه وتحفره . والأفحوص خاص بالقطاة ، قال ابن سيده : وقد يكون الأفحوص للنعام .

(٢) يقول : قد أدلعت هذه الكلاب ألسنتها وأخرجتها ، فعل الظمآن ، وما بها من ظمأ ، وإنما هو فرط رغبتها في الصيد .

(٣) النهيم : الصوت . وفي اللسان : « صأى الطائر ، والفرخ ، والفأر ، والخنزير ، والسنور ، والكلب ، والفيل ، بوزن صعى ؛ يصأى صئيا وصئيا — أي بفتح الصاد وكسرها مع تشديد الياء — وتصاءى أي صاح » وزاد في القاموس صئيا بضم الصاد ، إذ جعله مثلث الصاد . ولم أجد فيهما « الصأى » .

(٤) الغضى : شجر دائم الخضرة ينبت بالرمل . وجمره — أي ناره — بطيئة الانطفاء . ومن نعت الكلب الجيد أن يكون أزرق العين ، والزرقة : الخضرة في سواد العين . أما نعتها بالحمرة ، كما في هذا البيت ، وكما في قول امرئ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيساد نوار عضرس

ونوار العضرس أحمر قانئ . وكما في قول أحمد بن زياد بن أبي كريمة :

تدير عيونا ركبت في براطل كجمر الغضى خزرا ذراب الأنايب

وقول أبي نواس أيضاً :

كأنما يطرف من بين الهدب بجمرتى نار بكف مختضب

فليس يتنافى مع وصفها بالزرقة ، فإنما تلك الحمرة في بياض العين لا في سوادها وتزداد الحمرة وتشتد حينما يهاج الكلب ويغرى بالصيد .

(٥) في ط : « في أرض يهوى » وصوابه في س ، م ، مب . وفي اللسان : « اللوح بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال اللحياني : هو اللوح ، واللوح لم يحك فيه الفتح غيره » . جعلها في عدوها كأنما تسبح فوق سطح الأرض ، فلا هي تمس أديم الأرض ، ولا هي تعلو في الجو ، يخيل ذلك للناظر من شدة سرعتها وهذا تصوير دقيق عجيب .

(٦) في ط ، م : « من شرطها » ، صوابه في ش ، ومب .

يذْمَرْنَ بالإيسادِ ذَمْرًا وَأَيـاَ(١) حتى إذا ماكنَّ منهنَّ كهما(٢)
دارتْ عليهنّ من الموت رَحَى تجذبهنَّ بحديداتِ الشَّبا(٣)
شَوَامِذٌ يلعَطْن مَعْبُوط الدِّما(٤) بين خليع الزَّورِ مرضُوضِ الصَّلاَ(٥)
وبينَ مفْرِىٍّ النِّياطِ قد شَصَا(٦) كأنّه مبتهـلٌ إذا دَعا

---

(١) ذمر الكلب : حضه على الصيد . ماعدا مب : « يدمرن » ، وهو تحريف. والإيساد : إغراء الكلب بالصيد ، وفى ط : « بالإيسار » وهى على الصواب فى س ، م ؛ مب . و « ذمرا » هى فى الأصل : « زمرا » وصوابه ماأثبت . و « أيا » كلمة يزجر بها . وفى مب : « من مرباوبا » .

(٢) « كهما » بمعنى مثلها . ودخول الكاف على مثل هذا الضمير ضرورة شعرية . انظر سيبويه ١ : ٢٧٤ والخزانة ٤ : ٢٧٤ بولاق .

(٣) الشبا : جمع شباة ، وهو الحد . ماعدا مب : « مخربين ومحدين » .

(٤) شوامذ : رافعات أذنابها من شدة المرح والنشاط . وقد جاءت هذه الكلمة فى ط برسم « نوامذ » ؛ وفى مب : « شوامدا » . وهو تحريف صوابه فى س ، م . و « يلعطن » من اللعط وهو اللحس ؛ ولم أجد نصا صريحا لمعنى هذه الكلمة ؛ إلا مايفهم من عبارة القاموس فى مادة (لعط) قال : « وكقعد : كل مكان يلعط نباته أى يلحس » . وأما « اللطع » بتقديم الطاء فقد صرح ابن منظور والفيروزبادى بأنه اللحس . وهى فى ط ، م : « يطلعن » وفى مب : « ينطقن » ولا وجه له ؛ والوجه ماأثبت من س . والدم العبيط والمعبوط : الطرى اللين .

(٥) الزور : وسط الصدر ؛ أو ماارتفع منه إلى الكتفين ؛ أو ملتقى أطراف عظام الصدر حيث اجتمعت . وفى جمهور النسخ : « الروض » ولا وجه له ، وفى مب : « حريق الروق » . وأبو نواس فى طردية أخرى يقرن بين الزور والعجب — والعجب أصل الذنب . والصلا المذكور فى البيت : مكتنفا الذنب — قال أبو نواس :

حتى انثنى مختضبا وما اختضب من مغرز الزور إلى عجب الذنب

(٦) مفرى : مشقوق . ماعدا مب « مغرى » محرفة . والنياط : القلب ؛ أو العرق من العروق الرئيسة . وشصا : قطعت رجله فارتفعت مفاصله . وفى ط ، م : « فلسطا » ، وفى س : « سطا » ، وكلاهما تحريف ماأثبت من مب .

ومائلِ الفَوْدَيْنِ مجلوز القَفا[١] يُقْفِينَ بالأكبادِ منها والكُلَى[٢]

٢٢ * وبالقلوبِ وكَرَادِيس الطُّلى[٣] *

(طردية تاسعة لأبى نواس)

وقال أيضاً :

لمَّا تبَدَّى الصُّبْحُ من حِجَابِه وانعدلَ الليلُ إلى مآبِه

خرَّطه القانصُ واغتدَى به[٤] فى مِقودٍ يَردَعُ من جذَابه[٥]

يَعُزُّهُ طورًا على استصعابِه[٦] وتارةً ينصبُّ لانصِبابه

كأنَّما يفترُّ من أنيابِه عن مُرهَفات السِّنِّ من حِرابِه[٧]

يَرْثُم أنفَ الأرضِ فى ذَهابِه[٨] حتَّى إذا أشْرَفَ مِنْ حِدَابِه[٩]

---

(١) الفودان : جانبا الرأس . والجلز : الطى ، أو اللى ، أو المد ، أو النزع .
و « القفا » هى فيما عدا مب : « القنا » تحريف ؛ وفى مب : « محلوق القفا » .

(٢) يقفين ، من قولهم : أقفاه بطعام : آثره به . ش ، م : « يقعر » ، وفى ط : « يعقر » ؛ صوابهما فى مب .

(٣) الكردوس ، بضم الكاف والدال : كل عظمين التقيا فى مفصل . وفى س ، م : « كواديس » محرفة صوابها فى ط ، مب . والطلى : جمع طلية بالضم ، وهى العنق أو أصلها .

(٤) خرطه : أرسله .

(٥) جذابه : جذبه . وفى الأصل : « جدابه » ؛ والوجه ماأثبت .

(٦) سبق شرح هذا البيت ومابعده فى ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٧) عنى بالمرهف السيف القاطع . ماعدا مب : « عن مرهف ألس » تحريف . ط ، م : « من جرابه » صوابه فى ش ، ومب .

(٨) رثم أنفه : كسره ؛ وعنى أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه .

(٩) أشرف : علا شرفا ، أى مكانا مرتفعا . والحداب بالكسر ، والأحداب كذلك : جمع حدب بالتحريك ؛ وهو الأكمة ، أو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

بعد انحدار الطَّرْف وانقلابِه ... بروضةِ القاعِ إلى أعجابِه (١)
أرسَلَهَ كالسَّهْمِ إذْ غالَى بِه (٢) ... يكادُ أن ينسَلّ من إهابه (٣)
كلَمَعانِ البرقِ فى سَحابِه ... حتَّى إذا ما كادَ أو حَدَا بِه (٤)
وانصاتَ للصَّوتِ الذى يُدْعَى به (٥) ... كأنَّما أُدْمِجَ فى خِضابِه (٦)
مابين لَحْيَيْـه إلى أقْرَابِه (٧) ... مشَهَّر الغُدُوِّ فى إيابه (٨)

---

(١) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . وروضة القاع : الموضع الذى يجتمع إليه المـاء فيكثر نبته . وأعجاب القاع : أطرافه ونهاياته ، مفرده عجب بالفتح . و « بروضة » هى فى ط : م : « بروضته » ، والصواب فى س ، ومب .

(٢) الرواية فى الصناعتين ص ٨٠ :

* أرسله كالسهم إذ غلا به *

يقال غلا بالسهم ، وغالاه ، وغالى به : رمى به أبعد ما يقدر عليـه . فالروايتان صحيحتان .

(٣) ينسل من إهابه : يخرج من جلده . قال العسكرى فى الصناعتين : مأخوذ من قول ذى الرمة :

لايذخران من الإيغال باقية ... حتى تكاد تفرى عنهما الأهب

وقول كثير :

إذا جرى معتمداً لأمـه ... يكاد يفرى جلده عن لحمـه

(٤) فى ط : « حارابه » وفى س ، م : « حادى به » ، صوابهما فى مب .

(٥) انصات للصوت : أجابه . ماعدا مب : « فانصاع » .

(٦) ماعدا مب : « إحصابه » ، وإنما المراد خضابه من دماء الصيد .

(٧) الأقراب : جمع قرب بالضم وبضمتين ، وهو الخاصرة ، أو من الشاكلة إلى مراق البطن .

(٨) المشهر : المعروف المتعالم . ماعدا مب : «مستهتر الغدوة» تحريف .

(طردية عاشرة لأبى نواس)

وقال أيضاً[1] :

ماالبرقُ فى ذِى عارضٍ لَمّاحِ[2] ولاانقضاضُ الكوكبِ المُنْصَاحِ[3]
ولا انبتاتَ الدَّلو بالمتَّاحِ[4] ولا آنسيابُ الحُوتِ بالمُنْدَاحِ[5]

(١) هذه الطردية مثبتة فى ديوان أبى نواس ٢١٦ . وقبلها سبعة أشطار منها لم يروها الجاحظ ، وهى :

قد أَغتدى فى فَلَق الإصباحِ
بمطعَم يوجر فى سراحِ
مؤيَّدٍ بالنَّصْرِ والنَّجاحِ
غذته أظآرٌ من اللِّقاحِ
فهو كميشٌ ذَرِبُ السِّلاحِ
لا يسأمُ الدَّهْرَ من الضُّباحِ
منجَّــذٌ يأشَرُ للصِّياحِ

الـكميش : السريع . والذرب : الحاد . والضباح : الصياح ، وهو فى الأصل للثعلب . والمنجد والمنجذ أيضاً : المجرب ، بتشديد الراء المفتوحة . يأشر للصياح : ينشط عند صياح الصائد به .

(٢) العارض : السحاب يعترض الأفق .

(٣) المنصاح : المستنير .

(٤) انبتات الدلو : انقطاع حبلها . والمتاح : الذى ينتزع الدلو .

(٥) المنداح : عنى به البحر الواسع . وبدل هذا الشطر مع سابقه فى مب :

* إلا انثناء الحوت بالمنداح *

حين دناَ من راحةِ السَّبَّاحِ[١] أجدَّ فى السُّرعةِ من سِرياحِ[٢]
يَـكادُ عِنْدَ ثَمَـلِ المِرَاحِ[٣] إذا سَماَ الخاتلُ للأَشْباحِ[٤]
يَطيرُ فى الجوِّ بلا جَنَاحِ[٥] يفترُّ عن مِثلِ شَبَا الرِّماحِ[٦]
فـكَمْ وكَمْ ذِى جُدَّة لَيَاحِ[٧] ونازِبٍ أعْفَرَ ذى طِماحِ[٨]

---

(١) أى حين قرب من كف السابح . و « حين » هى فيما عدا مب : « حتى » ، وقوة المعنى تستدعى « حين » ، إذ المراد سرعة الحوت حين يشتد فى فراره من يد السابح . و « السباح » هى كذلك فى س ، م والتيمورية . وفى ط : « السياح » وفى مب : « الممتاح » محرفة ، وهذا الشطر والشطر قبله هما فى الديوان اثنان فحسب ، والرواية فيه هكذا :

ولا انبتاتُ الحَوْأبِ المنداحِ
حين دنا من راحة المتَّاحِ

والحوأب المنداح : الدلو الواسع .

(٢) سرياح بالـكسر : اسم كلب ، وهى فى الأصول : « سرباح » بالباء ، وتصحيحه من الديوان والقاموس مادة (سرح) .

(٣) « يكاد » فيما عـدا مب « فكاد » ، والوجه ما أثبت مطابقاً للديوان . والثمل ، بالتحريك : السكر ونشوته. ماعدا مب : « نمل » محرفة . والمراح بالـكسر : النشاط والأشر ، وهى فى الأصل : « المزاح » ، ولا وجه له ، والصواب ماأثبت من مب ، والديوان .

(٤) سما للصيد : خرج طالباً له يتعين شخوصه . والخاتل : الخادع . ماعدا مب : «أرى الخاتل» وفى مب : « سنا الحايل » ، وفى الديوان: « سما الخايل » ولعل الوجه ماأثبت . والأشباح : الشخوص ، يعنى شخوص الصيد .

(٥) الجو : الهواء. مب : « جو » ماعدا مب : « الجد » والصواب من الديوان .

(٦) شبا الرماح : حدودها، جمع شباة .

(٧) الجدة : الخطة السوداء فى متن الحمار . واللياح ، كسحاب وكتاب : الأبيض .

(٨) النازب : عنى به الظبى ، والنزيب : صوته . والأعفر من الظباء : مايعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرابه بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض . والطماح بالكسر : الجماح .

* غادَرَهُ مضرَّجَ الصِّفاحِ[1] *

بابـ آخر فى الكلب وشأنه ٢٣

(تفسير بعض ما قيل من الشعر فى الكلاب)

قال طُفيلٌ الغَنَوىّ :

أناس إذا ما أنكر الكلبُ أهْلَهُ حَمَوْا جارَهُمْ مِن كلِّ شنْعاءَ مُظْلِع[2]

يقول : إذا تكفَّروا فى السِّلاح لمْ تَعْرِفْهُم كلابُهُم .

ولم يَدَّعِ جميعُ أصحابِ المعارفِ إلَّا أنَّ الكلبَ أشدُّ ثِباتاً[3] ، وأصدقُ حِسًّا . وفى ذلك يقول الآخر :

فلا تَرفَعى صوتاً وكُونى قَصِيَّةً إذا ثَوَّبَ الدَّاعِى وأنكرَنِى كَلْبى[4]

يقول : إيّاكِ والصُّراخَ[5] إذا عايَنْتِ الجيش .

---

(١) يقول : تركه مضرج الجوانب بالدم .

(٢) هذا البيت رواه أبو على فى الأمالى (١ : ٥٥) بهذه الرواية : مطابقا لديوانه ٢٨ :

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله حموا جارهم من كل شنعاء مضلع

قال أبو على : « ويروى مفظع » قال : ومضلع : شديدة ، يقال أضلعنى الأمر : إذا اشتد على وغلبنى اه . وقال فى اللسان ، ولم يرو البيت : « وداهية مضلعة تثقل الأضلاع وتكسرها » . فيظهر أن ماهنا عن س ، م رواية ثالثة فى البيت ، وفى ط : « تطلع » وهى ظاهرة التحريف . و « مظلع » : تجعل صاحبها يظلع : أى يعرج . وجاء فى الحديث : « الحمل المضلع ، والشر الذى لاينقطع ، إظهار البدع » فقال ابن الأثير : « ولو روى بالظاء من الظلع : العرج والغمز ، لكان وجها » . و « الشنعاء » قال أبو على : هى الداهية المشهورة .

(٣) مب : « ولم يدع ذكر جميع » . وحسبت أن « ثباتا » محرفةعن « إثباتا » — والإثبات بمعنى المعرفة — ثم وجدت فى القاموس واللسان : « وثابته وأثبته : عرفه حق المعرفة » . فكلمة « ثباتا » مصدر « ثابته » كما أن « إثباتا » مصدر « أثبته » .

(٤) القصية : البعيدة . والداعى : الذى يدعو الناس إلى القتال . ثوب : دعا مرة بعدأخرى . ماعدا مب : « صوت » .

(٥) ماعدا مب : « الصياح » .

وقوله : « أنكرنى كلبى » ، يخبر أنَّ سلاحَهُ تامٌّ من الدِّرع والمِغْفَر والبَيضَة[١] . فإذا تكفَّر بسلاحه أنكره كلبُه فنبحَه[٢] .

وأمَّا قوله :

إذا خَرِس الفَحل وسطَ الُحجورِ[٣] وصاحَ الكلابُ وعُقَّ الْوَلد

فأمَّا قوله : إذا خرِسَ الفحل ، فإنَّ الفحلَ إذا عايَن الجيشَ وبوارِقَ السيوف ، لم يلتفت لِفتَ الُحجورِ[٣] .

وأمَّا قوله : وصاح الكلاب ، فإنَّ الكلابَ فى تلك الحالة تنبَح أربابَها كما تنبح سَرَعَانَا الخيل إليهم[٤] ؛ لأنَّها لا تعرفهم من عدُوِّهم .

وأمَّا قوله : وعُقَّ الولد ، فإنّ المرأةَ إذا صبَّحتهم الخيل ، ونادى الرجال يا صباحاه ! ذُهِلت عن ولدها ، وشغَلها الرُّعبُ عن كلِّ شىء . فجعَلَ تركَها احتمالَ ولدها والعطفَ عليه فى تلك الحالة ، عقوقاً منها ، وهو قولهُم : نزلتْ بهم أمور لا يُنادَى وليدُها[٥] ، وإنَّما استعاروا هذه الكلمة فصيَّروها فى هذا الموضع من هذا المكان .

وقد ذكر ذلك مزرِّد بن ضِرَارٍ وغيرُه ، فقال :

---

(١) المغفر ، كمنبر وسحاب وكتابة : زرد يلبس تحت البيضة ويغطى العنق ، وقيل حلق يتقنع به المتسلح . والبيضة : غطاء حديدى للرأس .

(٢) تكفر بسلاحه : دخل فيه فاستترت هيئته ، ماعدا مب : « فينبحه » .

(٣) ماعدا مب : « الحجون » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . والحجور كالحجورة والأحجار : جمع حجر بالكسر ، وهى الأنثى من الخيل .

(٤) سرعان الخيل بالتحريك : أوائلها ، وقد يسكن .

(٥) وقال أبو عبيد : معناه أمر عظيم لاينادى فيه الصغار ، وإنما يدعى فيه الكهول والكبار . وقال الكلابى : هذا مثل يقوله القوم إذا أخصبوا وكثرت أموالهم ، فإذا أهوى الصبى إلى شىء ليأخذه لم ينه عن أخذه ، ولم يصح به ، لكثرته عندهم . الميدانى (٢ : ٣١٢) . وقال أبو العميثل : الصبيان إذا رأوا شيئاً عجيبا تحشدوا له ، مثل القراد والحاوى ، فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون . أدب الكاتب ٤٨ — ٤٩ .

تَبَرَّأْتُ مِن شَتْمِ الرجالِ بتوبةٍ ... إلى اللهِ مِنى لا يُنادَى وَلِيدُها[١]

وقال الآخر :

ظَهَرتُم على الأحرار من بَعْدِ ذلَّةٍ ... وشِقْوَةِ عَيشٍ لا يُنادَى وَلِيدُها[٢]

٢٤ والذى يُخرِسه إفراطُ البَرد ، وإلحاحُ المطر ، كما قال الهذلىُّ[٣] :

وليلةٍ يَصْطَلى بالفَرْثِ جَازِرُها ... يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى المُثرِينَ دَاعِيها[٤]

لا يَنبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ ... من الصَّقِيعِ ، ولا تَسْرِى أفاعيها

وقال ابن هَرْمة :

واسألِ الجارَ والمعصِّب والأضيا ... فَ وَهْناً إذا تَحيَّوْا لديَّا[٥]

كيف يَلقَونَنى إذا نَبَحَ الكل ... بُ وراءَ الكُسورِ نَبحاً خَفيًّا

وقال آخر :

إذا عمِىَ الكلبُ فى دِيمةٍ ... وأخرسهُ اللهَ مِن غير صِرّْ[٦]

يقول : الكلبُ وإن أخرَسَه البردُ الذى يكون مع المطر والرِّيح التى تمرُّ[٧] بالصَّحارى المطيرة فتَبرُدُ ، فإنَّ الكلب وإن ناله ذلك فإنَّ ذلك من خِصبٍ ؛ وليس ذلك من صِرّ[٨] .

---

(١) مثل هذه الرواية فى اللسان (ولد) مع النسبة إلى ضرار . والبيت فى الميدانى (٢ : ٣١٣) غير منسوب ، والرواية فيه هكذا :

فأقصرت عن ذكر الغوانى بتوبة ... إلى الله منى لاينادى وليدها

(٢) ومن هذا المعنى ماأنشده الميدانى (٢ : ٣١٣) من قول الآخر :

لقد شرعت كفا يزيد بن مزيد ... شرائع جود لاينادى وليدها

(٣) هو جنوب أخت عمرو ذى الكلب. ديوان الهذليين (٣ : ١٢٦) . وقد سبق فى ١ : ٣٨٨.

(٤) يقال دعا النقرى : إذا خص بدعوته ، والجفلى : إذا عم فى دعوته .

(٥) سبق الكلام فى هذا الشعر بالجزء الأول ص ٣٨٨ .

(٦) الديمة : المطر الدائم . والصر : البرد الشديد . وهذا البيت فى الأصل مقحم ظلماً بين بيتى « تبرأت من شتم الرجال » و « ظهرتم على الأحرار » فى أول هذه الصفحة . فرددته إلى موضعه الطبيعى ، والكلام الآتى خاص بمعنى هذا البيت .

(٧) ط : « تمطر » والوجه ماأثبت من س .

(٨) قد يرى القارئ تناقضا فى هـذا القول ، وليس به ، وبخاصة إذا عرف أن الصر أقوى من البرد .

(نبح الكلاب السحاب)

والكلب إذا أَلَحّت عليه السحائب بالأمطار فى أيام الشتاء لقىَ جِنّة[(١)] فمتى أبصَرَ غيماً نبحه ؛ لأنَّه قد عرَف ما يُلَقَّى من مِثله . وفى المثل : « لَا يَضُرُّ السَّحَاب نُبَاحُ الكلاب[(٢)] » ، فقال الشاعر :

وماليَ لا أغْزَو وللدَّهر كَرَّة ... وقد نَبحتْ نحوَ السماءِ كلابُها

يقول : قد كنت أدعُ الغَزْو مخافةَ العطش على الخيل والأنفس ، فما عُذرِى اليوم والغُدرانَ كثيرة ، ومَناقع المياه موفورة[(٣)] .

والكلابُ لاتنبَح السحاب إلّا من إلحاح المطر وترادُفه .

وقال الأفوه الأودِىّ ، فى نبح الكلاب السحاب ، وذلك من وصف الغيم :

له هَيْدَبٌ دانٍ ورعْد ولَجّةٌ ... وبرق تراهُ ساطعاً يتبلّجُ[(٤)]

فباتَت كلاب الحىِّ ينبَحْنَ مُزْنَهُ ... وأضْحَتْ بَنَاتُ الماءِ فيها تعمَّجُ[(٥)]

---

(١) الجنة : الجنون . وواضح أن هذا القول غير القول الأول ، فلعل وجه الكلام « وقيل : الكلب إذا ألحت عليه السحائب . . . » الخ .

(٢) المثل عند الميدانى (٢ : ١٤٨) وقال : « يضرب لمن ينال من إنسان بما لايضره » .

(٣) فى الأصل : « موجودة » ، وما كتبت أشبه بالكلام .

(٤) الهيدب : السحاب المتدلى ، أو ذيله . واللجة ، بالفتح : الجلبة .

(٥) تعمج : تسبح فى الماء أو تتثنى . وهذا مافى س . وفى ط : « تمعج » أى تلتوى وتتثنى . وبنات الماء عنى بها السمك . وهناك ضرب من السمك يسمى « بنات الماء » وهو عجيب الخلقة — زعموا — وليس يريده الشاعر . انظر الدميرى .

(قول أبى حيَّة النميرىّ فى الكلب)

وقال أبو خالد النميرىّ : وذكروا[١] فرعون ذا الأوتاد عند أبى حيَّة النميرىّ ، فقال أبو حيَّة : الكلبُ خير منه وأحزم ! قال : فقيل له كيف خَصَصْتَ الكلبَ بذلك ؟ قال : لأنَّ الشاعر يقول :

وماليَ لا أغزُو وللدَّهرِ كَرَّة ... وقد نبحت نحوَ السماءِ كلابُها

وقال الفرزدق :

فإنّك إن تهجو حنيفةَ سادرًا ... وقبلك قد فاتوا يَدَ المتناوِل[٢]
كفِرعَوْنَ إذ يرمى السَّماءَ بسهمِهِ ... فرُدَّ عليه السهم أفوقَ ناصِلِى[٣]

فهذا يرمى السماءَ بجهله ، وهذا ينبَح السحابَ من جَودَة فِطنته .

(تعصّب فهد الأحزم للكلب)

وزعم فهدُ الأحزم[٤] أنّ الكلبَ إنَّما عَرَف مخرَج ذلك الشيء المؤذى له حتَّى نبحه بالقياس ، لأنَّه إنما نبَحه بعد أن توالى عليه الأذى من تلك الجهة . وكان فهد[٥] يتعصَّب للكلب ، فقلت له : وكذلك الحمار

---

(١) فى الأصل : « وذكر » ، والوجه ماأثبت .
(٢) لم أجد البيتين فى ديوان الفرزدق . وفيهما إقواء .
(٣) س : « ناصل » . ط ، م : « ناضل » صوابهما من التنبيه على الحماسة لابن جنى (مصورة معهد المخطوطات) عند قول الحماسى : * كساق الجرادة أو أحشى * والسهم الأفوق : المكسور الفوق بالضم ، وهو موضع الوتر من السهم . والناصل : الذى خرج سهمه . قال ابن جنى : «أى أفوق ناصليا » .
(٤) هـذا مافى س . وفى م : « الأخرم » موضع « الأحزم » وفى ط : « فهذا جزم » وهو تحريف ظاهر .
(٥) ط : « وكان فهذا » ، وهو تحريف مافى س و م .

إذا رفعت عليه السّوط مرّ من تحتك مَرًّا حثيثاً . فالقياس عَلَّمَهُ[١] أنّ السّوط متى رُفِع حُطّ ، ومتى حُطّ أصابَه ، ومتى أصابه ألِمَ . فما فضْلُ الكلب فى هذا الموضوع على الحمار ، والحمارُ هو الموصوف بالجهل ؟ !

(مما قيل فى نباح الكلاب)

قال الفرزدق :

وقد نَبَحَ الكلبُ السحابَ ودُونَها مَهامِهُ تغْشِى نَظْرَةَ المتأمِّلِ

وقال الآخر :

مالَكَ لاتَنبحُ يا كَلْبَ الدَّوْمْ قد كنتَ نَبَّاحًا فما بالُ اليَوْمْ

قال : كان هذا رجلٌ ينتظر عِيرًا له تَقدَمْ ، فكان إذا جاءت العِيرُ نبح ، فاحتبست عليه العيرُ ، فقال كالمتمنِّى وكالمنتظر المستبطئ : مالك لاتنبح ؟ أى ماللعِيرِ لاتأتى .

(فراسة إياس بن معاوية فى الكلاب)

وقال : خرج[٢] إياس بن معاوية ، فسمع نُباح كلب فقال : هذا كلبٌ مشدود . ثم سمع نباحَه فقال : قد أُرسِل . فَانتهوْا إلى الماء فسألوهم فكان كما قال . فقال له غيلان أبو مروان[٣] : كيفَ علمتَ أنَّه موثَق وأنَّه أُطلق ؟ قال :

(١) فى الأصل : « علم »

(٢) فى الأصل : « حج » .

(٣) قال ابن النديم فى شأنه : « وقد استقصيت خبره فى مقالة المتكلمين فى أخبار المرجئة. ولرسائله مجموع نحو ألفى ورقة » . والظاهر أن ابن النديم لم يف بوعده أو لعل كلامه ضاع فيما سقط من الكتاب ، وقد عده فى الكتاب المترسلين بعد عبد الحميد الكاتب . وقد قرنه الجاحظ فى البيان بابن المقفع وسهل بن هارون وعبد الحميد (البيان ٣ : ٢٩) . وهو القائل : « إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب » البيان ٢ : ١٦٤ . وقد أثبت له ابن قتيبة نموذجا من رائع كلامه فى عيون الأخبار ٢ : ٣٥٤ . وانظر ترجمته فى المعارف ٢١٢ وآراءه فى « الفرق بين الفرق » .

كان نباحُه وهو موثَق يُسمَع من مكانٍ واحد ، فلما أُطلِق سمعتُه يقرُب مرّةً ويبعُد مرّةً ، ويتصرّفُ فى ذلك .

وقالوا : مرَّ إياس بنُ معاويةَ ذاتَ ليلةٍ بماء ، فقال : أسمَعُ صوتَ كلبٍ غريب . قيل له : كيفَ عرفتَ ذلك ؟ قال : بخُضوع صوتِه وشِدَّة نُباح الآخر . فسألوا فإذا هو غريب مربوطٌ والكلابُ تنبَحه .

(استطراد لغوىّ)

وقال بعض العلماء : كلب أبقَع ، وفرس أبلَق ، وكبش أملح[1] ، وتيسٌ أبرق ، وثور أشْيَه[2] .

ويقال كلب وكلاب وكَليب ، ومَعْز وماعِز ومَعيز . وقال لبيد :

٢٦ فبِتْنَا حيثُ أمسَيْنا قَرِيباً على جَسَدَاءَ تَنْبَحنا الكليبُ[3]

---

(١) الأملح : الأبيض يخالط لونه سواد . وفى س: « أخرج » وهما بمعنى ، وجاء فى فقه اللغة ص ٥٧ مايأتى : « فصل فى تقسيم السواد والبياض على مايجتمعان فيه : فرس أبلق ، تيس أخرج ، كبش أملح ، ثور أشيه ، جبل أبرق ، آبنوس ملمع ، سحاب أنمر ، أفعوان أرقش ، دجاجة رقطاء» .

(٢) لا تجد هذه الكلمة فى مادة « شيه » أو « شوه » وإنما هى من مادة « وشى » . قال فى اللسان : » والشية سواد فى بياض أو بياض فى سواد ، الجوهرى وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من الوشى ، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله ، كالزنة والوزن ، والجمع شيات . ويقال ثور أشيه ، كما يقال : فرس أبلق ، وتيس أذرأ » .

(٣) « جسداء » قال ياقوت : بالتحريك والمد ، ويروى بضم الجيم . وفى القاموس: « جسداء » وضبطت بالقلم فقط بفتح الأول . وهو موضع ببطن جلذان ، وجلذان : موضع قرب الطائف . وفى الأصل : « جسدين » وهو تحريف صوابه فى الديوان ص ٤٩ ومعجم البلدان . و « تنبحنا » هى فى الأصل : « تتبعنا » وصوابها فى المصدرين السابقين . وروايته فى معجم البلدان و اللسان (ثأد ، فرم) « الكلاب » ، صوابه ماهنا وهو مافى الديوان ٢٤٩ و نوادر أبي زيد ص ٦٨ . وبعده فى النوادر والديوان :

نقلنا سبيهم صرما فصرما إلى صرم كما نقل النصيب

وقال عَلْقَمَة بن عَبَدة(١) :

وتُصْبِحُ عن غِبِّ السُّرَى وكأَنَّها مُوَلَّعَةٌ تخشى القَنِيص شَبُوبُ(٢)
تَعَفَّقَ بالأَرْطى لها وأرادَها رجالٌ فبَذَّتْ نَبْلَهمْ وكَلِيب(٣)

وقال عُبادة بن مُحَبَّرٍ السعدى(٤) :

فَمَنْ للخَيلِ بَعْدَ أبى سرَاجٍ إذا ما أشنج الصِّرُّ الكَلِيبا(٥)

وهؤلاء كلهم جاهليّون .

---

(١) من قصيدته المشهورة التى اختارها المفضل الضبى فى المفضليات ٣٩١ – ٣٩٦ . وهى فى الديوان ص ١٣١ من خمسة دواوين العرب . وهذه القصيدة مدح بها علقمة الحارث الوهاب ، سيد بنى غسان وملك الشام ؛ وهى وقصيدة أخرى عرضهما علقمة على قريش فى عامين متتاليين فقالوا : هاتان سمطا الدهر . ومطلعها :

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

(٢) يقول : هذه الناقة فى نشاطها بعد سراها الليل ؛ كأنها بقرة وحشية تتوثب نشاطا .

(٣) أبو حنيفة : « الأرطى : هو شبيه بالغضى ، ينبت عصيا من أصل واحد يطول قدر قامة » اه . يقول : قد لاذ هؤلاء الرجال بالأرطى من المطر والبرد . كذا فى اللسان . وعندى أنهم لاذوا بالأرطى لتحين الفرصة لصيدها . وبذت نبلهم : سبقت سهامهم .

(٤) فى ط : « عباد بن مجبر » وفى م : « عباد بن بجير » وفى س : « عباد بن مجير » وصوابها ما أثبت من نوادر أبى زيد ٦٩ . وهو فيما روى أبو زيد : « عياذ ابن محبر » ؛ وصححه أبو حاتم فى روايته بما كتبت . وعبادة هذا : شاعر جاهلى كما فى النوادر .

(٥) « الصر » بمعنى البرد الشديد كما فى النوادر ؛ وهى فى الأصل : « الضر » . و « أشنج » هى فى النوادر « أجأ » ؛ وفى س : « أشجا » ؛ وهذه تحريف مافى النوادر .

(رأى لحمّوية الخريبى فى بقع الكلاب وسودها)

وقال حمُّويَة الُخرَيْبى [١] وأنشَدُوه [٢] :

كَأَنَّكَ بالُمبَارَكِ بَعْدَ حينٍ ... تَخُوض غِماره بُقْع الكِلَابِ [٣]

وأنشدوه :

أرسلت أُسْدًا على سُودِ الكلاب فقدْ ... أَمْسَى شريدُهُمُ فى الْأَرْضِ فُلّالا [٤]

فقال : لاخير فى بُقْع الكلابِ ألبتة ،وسُود الكلاب أكثرها عَقُورًا.

(خير الكلاب والسنانير)

وخيرُ الكِلاب ما كان لونُه يذهب إلى ألوان الأسد من الصُّفْرةِ والُحمرَة . والتبقيع هُجْنة .

وخيرُ السنانير الَخلَنْجِيَّة ، وخير كلاب الصَّيد البِيض .

قَالوا: إنّ الأسَدَّ لِلهراشِ الُحمر والصُّفر؛ والسُّودُ لِلذِّئاب،وهى شرُّها،

(١) الخريبى : نسبة إلى الخريبة : موضع بالبصرة . وفى ط : الخرسى » وفى س : « الحربى » ، وصوابهما ماأثبت من م .

(٢) فى الأصل : «وأنشدنى »، وسياق الكلام يطلب ما أثبت .

(٣) المبارك : نهر بالبصرة احتفره خالد القسرى لهشام بن عبد الملك . والغمار : جمع غمر بالفتح ، وهو الماء الكثير ، وفى ط ، م : « عمارة » ، وهو تصحيف صوابه فى س ، ومعجم البلدان . وقد سبق هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٦١. وبقع الكلاب : جمع أبقع ، وهو ماخالط بياضه سواد .

(٤) سبق الكلام فى هذا البيت بالجزء الأول ص ٢٦٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لولَا أنّ الكلابَ أُمّةٌ من الأممِ لأَمَرْتُ بقتلها . ولكن اقتلوا مِنها كلَّ أسودَ بَهيم » .

(القوّة فى السُّود من الحيوان)

وكلُّ شيءٍ من الحيوان إذا اسودَّ شعرُه أو جلدُهُ ، أو صوفه ، كان أقوَى لبَدَنه ولم تكن[1] معرفته بالمحمودة .

(خير الحمام)

وزعم[2] أنّ الحمام الهُدّاءَ[3] إنما هو فى الخُضرِ والنمر[4] ، فإذا اسودَّ الحمام حتَّى يدخل فى الاحتراقِ صارَ مثلَ الزِّنجىِّ الشديدِ البطش ، القليل المعرفة . والأسوَدُ لايجىء من البعد ؛ لسوء هدايته . والأبيض وما ضرَبَ فيه البياض لايجىء من الغاية ، لضَعْف قواه . وعلى قدر ما يعتريه من البَياض يعتريه من الضّعف .

---

(١) فى الأصل : « ولا تكن » . وانظر ١ : ٢٦٢ .

(٢) لعله : « وزعم مثنى بن زهير » ، وقد كان أخبر الناس بالحمام ، والجاحظ يروى عنه كثيرا فيما يختص بالحمام .

(٣) كذا فى المخصص ٨ : ١٧٠وقال : « الواحد الهادى » : ويقال هداه فاهتدى وهدى أيضاً : أى صار مهتديا . وهذه الكلمة فى الأصل رسمت هكذا « الهدا » . وقد سبقت فى الجزء الأول ص ٩٧ برسم « الهدى » كما سيأتى فى الجزء الثالث ص ٢١٣ ، ٢١٧ . ويظهر أن القصر والمد لغتان جائزتان فيها . وهى من الجمع الشاذ ، فإن فاعلا معتل الياء لايجمع على « فعل » بضم الفاء وتشديد العين ، ولا « فعال » بالضم وتشديد العين ؛ وإنما قياسه أن يجمع على « فعلة » بضم الفاء وفتح العين كقضاة ورماة ، فى قاض ورام . التوضيح ٢ : ٢٢٤ — ٢٢٥ . قال ابن سيده : « وهن اللائى يدربن ويرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجئن من البعد من بلاد الروم وعريش مصر ودون ذلك ، من مواضع كثيرة مسماة » . وأقول : هو حمام الزجل أو الزاجل . وانظر له الحيوان ٣ : ٢١٢ — ٢٢٧ .

(٤) النمر : أجمع أنمر ، وهو مافيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

فالـكلب هو الأصفَر والأحمر ، والحمام هو الأخضر والأَنْمَرَ ، والسِّنَّور هو الخَلَنْجِيُّ العسَّال ، وسائر الألوان عيب .

وقد يكون فيها ومنها الخارجيُّ[١] كما يكون من الخيل ، ولـكنَّه لايكادُ ينجب ، ولا تعدُو الأمورُ المحمودةُ منه رأسَه ، وقد يكون رُبَّما أشْبَهَ وقرب من النَّجابة ؛ فإذا كان كذلك [كان][٢] كهذه الأمهات والآباء المُنجبة[٣] ، إلّا أنّ ذلكَ لايتمُّ منها إلّا بَعْدَ بطون عِدَّةٍ . ٢٧

(استطراد لغوى)

وقال أبوزيد : قال ردَّاد[٤] : أقول للرجُلِ الَّذِى إذاركب الإبلَ فَعَقَرَظُهُورَها من إتعابه ، هذا رجل مِعْقَرٌ ، وكذلِك السَّرْج والقتَب ، ولا يقال للـكلب إلّا عقُور . ويقال هو ضِرْوٌ لِلـكلب الضارى على الصيد ؛ وضِروة للـكلبة[٥] ، وهذا ضِرَاءٌ كثيرة ، وكلب ضارٍ ، وكلاب ضَوَارٍ . وقد ضرِيتْ أشدَّ الضراوة . وقال ذو الرُّمَّة :

مقزَّع أطلس الأطمارِ ليس له … إلّا الضِّراءَ وإلا صَيْدَها نَشَبُ[٦]

وقال طفيل الغنوى :

---

(١) الخارجى : المجهول النسب .

(٢) زدتها ليستقيم الـكلام .

(٣) فى الأصل : « المسنجبة » .

(٤) هو رداد الـكلابى . من فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، ذكره ابن النديم فى الفهرس ٤٧ ليبسك ، ٧٠ مصر .

(٥) فى الأصل : « وضروة الكلبة » .

(٦) المقزع : السريع الخفيف . وأطلس الأطمار : خلق الثياب . والنشب : المال ناطقه وصامته . وقد عنى ذو الرمة بقوله صفة صائد يصيد بالـكلاب . والبيت أنشده صاحب اللسان فى ثلاثة مواضع (قزع ، طلس ، ضرو) .

تُبارِى مَرَاخِيها الزِّجاجَ كأَنَّها ضِرَاءٌ أَحسَّتْ نَبأةً من مكلِّبٍ (١)

ومنهقيل : إناء ضار (٢)

وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : « إيَّاكُمْ وهذِهِ المجازِرَ فإنَّ لها ضرَاوَةً كضرَاوَةِ الخمر (٣) » .

وقال الأصمعىّ : كلب أبقَعُ وكلبةٌ بقعاء، وفرس أبلقُ وفرس بَلقاء، وتَيس أبْرَقُ وعَنْزٌ بَرْقاء ، وكذلك جَبَل أبرقُ وكساءٌ أبرق وكلب أبرق .

---

(١) سبق الكلام على هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٧٦ . وفى ط : « الدجاج » مكان « الزجاج » وتصحيحه من س وما سبق فى الجزء الأول . ونحوه قول المثلم البلوى فى المؤتلف والمختلف ١٨٢ :

تبارى مراخيها الرياح كأنها ضراء دوان من جداية حلب

(٢) جاء فى اللسان : « وفى حديث على كرم الله وجهه : أنه نهى عن الشرب فى الإناء الضارى ، هو الذى ضرى بالخمر وعود بها ، فإذا جعل فيه النبيذ صار مسكراً ، وأصله من الضراوة وهى الدربة والعادة » . و « إناء » هى فى الأصل : « أتاء » وهو تصحيف كما رأيت . . . وكما يقال « إناء ضار » يقال « سقاء ضار باللبن » أى باق فيه أثر اللبن ، فإذا وضع فيه لبن حديث اكتسب منه طعماً ورائحة خاصة . ويقال « جرة ضارية بالخل والنبيذ » كذلك .

(٣) المجازر : مواضع الجزارين التى تنحر فيها الإبل وتذبح البقر والشاة وتباع لحمانها . قال فى اللسان : « وإنما نهاهم عنها لأنه كره لهم إدمان أكل اللحوم . وجعل لها ضراوة كضراوة الخمر : أى عادة كعادتها ؛ لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف فى النفقة ، فجعل العادة فى أكل اللحوم كالعادة فى شرب الخمر ، لما فى الدوام عليها من سرف النفقة والفساد » . وقال الجوهرى فى الصحاح : « قال الأصمعى : المجازر يعنى ندى القوم ، وهو مجتمعهم ، لأن الجزور إنما تنحر عند جمع الناس » . وقال ابن الأثير فى النهاية : « نهى عن أماكن الذبح لأن إلفها ومداومة النظر إليها ومشاهدة ذبح الحيوان ، مما يقسى القلب ويذهب الرحمة منه ، وقيل إنما أراد بالمجازر إدمان أكل اللحوم ، فكنى عنها بأمكنتها » .

(الغلام الشاعر)

وقال ابن داحة[١] : نزل عندنا أعرابيٌّ ومعه ابنان له صغيران ، وكان أحدهما مستهترا[٢] باللَّعب بالكلاب ، وكان الآخر مسْتَهْتَرًا[٢] بالحُملان ، فقال الأعرابيُّ لصاحب الكلب :

مالى أراكَ مَع الكلاب جَنِيبةً ... وأرَى أخاكَ جَنِيبةَ الحُمْلان[٣]

قال : فردَّ عليه الغلام :

لولا الكلابُ وهَرْشُها مَنْ دُونَها ... كَانَ الوقيرُ فَريسةَ الذُّؤبانِ[٤]

والوقير : اسم للغنم الكثيرةِ السائمةِ مع ما فيها مِنَ الحمير وغير ذلك[٥] .

وقال الشماخُ بنُ ضرارٍ :

فأوْرَدَهُنَّ تَقْرِيباً وشَدًّا ... شَرائعَ لم يكدِّرْها الوَقيرُ[٦]

---

(١) لم أعثر على ترجمة له . وقد ذكره الجاحظ فى البيان ١ : ٨٤ باسم إبراهيم بن داحة مع جماعة من الرجال ، ثم قال : « وهؤلاء جميعا من مشايخ الشيع » أى الشيعة ، وهو فى الأصل بالراء . وأثبت ما فى البيان والحيوان ٢ : ١٥٣ .

(٢) استهتر بالشئ - بالبناء للمجهول - : أولع به ، فهو مستهتر . وفى الأصل : « مشتهرا » من الشهرة . وهو تحريف .

(٣) الجنيبة : الدابة تقاد . وعنى بقوله استهتاره بالحملان .

(٤) الهراش : تحريش الكلاب . . . فى ط : « فراسة لذئاب » وفى م : « فراسة الذؤبان » وصوابهما ، ما أثبت من س .

(٥) فى اللسان : « قال الرمادى : دخلت على الأصمعى فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت يا أبا سعيد ، ماالوقير ؟ فأجابنى بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها . لايكون وقيرا إلا كذلك » فهذا يفسر ماعنى الجاحظ .

(٦) عنى حماراً من حمر الوحش ، قد تقدم جماعة الحمر ليوردها الماء الصافى ، وهو فى ذلك يعلو ويشتد فى عدوه . وحمر الوحش من الحيوانات التى تعتقد الرياسة لأحدها . انظر الحيوان ٥ : ٤١٩ .

(مما قيل من الشعر فى نفع الكلاب)

وقال الشاعر ــ فى تثبيت ما قال الغلام ــ :

تَعدُو الذِّئَابُ على مَنْ لا كلابَ له   وتتَّقى صَوْلَةَ المُسْتَأْسِدِ الضارِى [١]

وقال الآخر :

إنَّ الذئاب تَرَى مَنْ لا كلاب له   وتتّقى حَوْزَةَ المستثفِرِ الحامِى [٢]

(عفّة عمر بن أبى ربيعة وابن أبى عتيق) ٢٨

وقال محمَّد بن إبراهيم : قَدِمَتِ امرأة إلى مَكَّةَ ، وكانتْ ذات جمالٍ وعَفافٍ وبَراعةٍ وشارة ، فأعجبَتِ ابن أبى ربيعة ، فأرْسَل إليها فخافت شِعْرَه ، فلما أرادت الطَّوافَ قالت لأخيها : اخْرُج معِى . فَخَرَجَ معَهَا ، وعَرَضَ لها عُمر فلمَّا رأى أخاها أعْرَض عنها ، فأنشدت قولَ جَرير [٣] :

تعْدُو الذِّئاب على مَنْ لا كلاب له   وتَتَّقى حَوزَةَ المستأسِد الضّارى [٤]

---

(١) كذا فى ط ، م . وفى س : « مربض المستثفر الحامى » .

(٢) الاستثفار ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذيه ملويا ثم يخرجه فيشد طرفيه فى حجزته ، وذلك حين الصراع . وفى ط ، م : « المستشفر » وتصحيحه من س .

(٣) كذا ، ومثله فى الأغانى ١ : ٣٥ . والخبر فيه عن الهيثم بن عدى وفيه بسط وزيادة .

(٤) والخبر كذلك فى عيون الأخبار ٤ : ١٠٩ عن محمد بن على . ورواية البيت فيه :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له   وتتّقى مربض المستأسد الحامى

والبيت برواية ابن قتيبة هذه منسوب إلى النابغة ، كما فى اللسان وحماسة البحترى ٢٦٤ وشرح الأشعار الستة للشنتمرى مخطوطة دار الكتب من قصيدة مطلعها :

قالت بنو عامر خالوا بنى أسد   يابؤس للجهل ضرارا لأقوام

وفى س : « وتتّقى حوزة المستثفر الحامى » . والبيت فى شعر الزبرقان بن بدر أيضاً كما فى المؤتلف والمختلف ص ١٢٨ . قال يونس : « هو للنابغة : أظن الزبرقان استزاده فى شعره كالمثل » ، انظر المزهر ١ : ١١٠ .

هذا حديثُ أبى الحسن ، وأمّا بنو مَخْـزومٍ فيزعُمونَ أنّ ابن أبى رَبيعةَ لم يَحُلَّ إزارَه على حَرامٍ قَطُّ ، وإنما كان يذهب فى نسيبه إلى أخلاقِ ابن أبى عَتيق ؛ فإنَّ ابن أبى عَتيقٍ كان مِن أهل الطَّهارة والعفاف ، وكان مَن سمعَ كلامَه توهَّم أنّه من أجرإ الناس علٰى فاَحشة .

وما يُشبِه الذى يقولُ بنو مَخزومٍ ماَذكروا عن قريش والمهاجرين ؛ فإنّهم يقولون : إنّ عمرَ بن عبد الله بن أبى ربيعة إنّما سُمِّى بعمر بن الخطّاب[١] وإنّه ولد ليلةَ ماَتَ عمر . فلما كان بعد ذلِك ذكروا فسادَ هذا وصلاحَ ذلِك فقالوا : أىُّ باطِلٍ وُضع ، وأىُّ حقٍّ رُفع ! !

ومثلُ هذا الكلامِ لايقاَلُ لمن يُوصَف بالعفّة الثابتة .

(وصية شريح لمعلم ولده)

ولبُغض[٢] المُزاح فى لعب الصبيان بالكِلاب واستهتارِهم بها ، كَتَبَ شريح إلى معلِّمِ ولَدٍ له كان يَدَع الكُتّابَ ويَلعب بالكلاب[٣] :

تَرَكَ الصَّلاة لأكلبٍ يَلهو بها   طَلَبَ الهِراشِ مع الغُوَاة الرُّجَّسِ[٤]

---

(١) ط : « يسمى » ، والوجه مافى س .

(٢) فى الأصل : « لبعض » ، والوجه ماأثبت .

(٣) الأبيات الآتية فى ثمار القلوب ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والعمدة ١ : ١٧ والعقد ١ : ٣٦٣ والمحاسن للبيهقى ٢ : ٢١٦ والشريشى ٢ : ٣٨١ .

(٤) فى المراجع : « يسعى بها » موضع « يلهو بها » . وفى الثمار أيضاً : « نحو الهراش » وفى العقد : «طلب الهراش» .

وليأتينّك غادياً بصحيفةٍ يَغْدُو بها كصحيفة المتلمِّسِ (١)
فإذا خلوتَ فعَضَّه بمَلامَةٍ أو عِظْه موعِظةَ الأديبِ الأكيس (٢)
وإذا هممت بضربِهِ فبِدِرَّةٍ وإذا ضرَبت بها ثلاثاً فاحْبِس (٣)
واعلمْ بأنّك ما فعلت فإنَّه مَعَ مَا يُجرِّعُنى أعزُّ الأنفُس (٤)

وهذا الشعر عندنا(٥) لأعشى بنى سُليم فى ابنٍ له . وقد رأيتُ ابنه هذا شيخاً كبيراً ، وهو يقُول الشعر(٦) وله أحَاديثُ كثيرةٌ ظريفة .

---

(١) هذا البيت لم يروه ابن عبد ربه ولا ابن قتيبة فى كتابيهما . وصحيفة المتلمس مثل فى الشؤم . وأصله أن المتلمس ، وابن أخته طرفة بن العبد ، كانا ينادمان عمرو ابن هند ، فنمى إليه أنهما يهجوانه ، فاحتال لقتلهما بأن دفع إلى كل منهما كتابا إلى عامله بالبحرين ، وأوهمهما أنهما بالكتابين يحصلان على الجوائز ، فمضيا حتى إذا كانا بنهر الحيرة مرا على غلمان يلعبون ، فأما المتلمس فدفع كتابه إلى غلام فقرأه ففهم منه الشر الذى أضمره الملك ، وألقى كتابه فى الماء ، وأما طرفة فقد لعب برأسه الطمع فاحتفظ بكتابه ، ومضى بكتابه إلى العامل ، فقادته إلى الحين رجلاه .

(٢) فى عيون الأخبار فقط : « فإذا خلوت » . وفى الثمار فقط : « فحضه بملامة » . وأما الشطر الثانى للبيت فهو فى الثمار : « وأنله موعظة اللبيب » ، وفى العيون : « وعظنه وعظك للأريب » ، وفى العقد : « وعظنه موعظة الأديب » .

(٣) الدرة بالكسر : السوط ، كما فى المصباح . وهى فى ط : « بذرة » محرفة وصوابها فى س والمراجع المتقدمة . وفى الأصل أيضاً : « وإذا ضربت به » والضمير عائد إلى « الدرة » فالصواب ماأثبت من الثمار . وفى العقد : « وإذا بلغت ثلاثة لك » ،وفى العيون : « وإذا بلغت بها ثلاثا » ، وفى الشريشى : « وإذا بلغت به ثلاثا » .

(٤) « فإنه » هى فى معظم المراجع : « فنفسه » . وما هنا سائغ لابأس به .

(٥) ط فقط : « عندى » .

(٦) ط : « بشعر » وصوابه فى س ، م .

(من دلائل كرم الكلب)

وقال صاحب الكلب : وممَّا يدلُّ على قَدْرِ الكلب كثرةُ[١] ما يجرى على ألسنةِ النَّاس من مَدْحِه بالخير والشرّ ، وبالحمد وبالذمّ ، حتَّى ذكر فى القرآن مَرَّةً بالحمد ومَرَّةً بالذمّ . وبمثل ذلك ذكِر فى الحديث ، وكذلك
٢٩ فى الأشعار والأمثال ، حتى استُعمل فى الاشتقاقات ، وجرى فى طريق الفأل والطِّيَرة ، وفى ذكر الرؤيا والأحلام ، ومع الجِنّ والحِنِّ[٢] والسِّباع والبهائم . فإن كنتمْ إنَّما قضيتُمْ عليهِ بالشر وبالنقص ، وباللُّؤم وبالسقوطِ لأنَّ ذلك كلَّه قد قِيلَ فيهِ ، فالَّذى قِيلَ فِيهِ من الخير أكثرُ ، ومن الخصال المحمودة أشهرُ .

ولَيْسَ شيءٌ أجمعَ لخصال النقص من الخمول ؛ لأنَّ تلك الخصالَ المخالِفةَ لذلك ، تُعطى من النَّباهةِ وتُقيم من الذكر على قَدْرِ المذْكورِ من ذلِك . وكما لاتكون الخِصالَ التى تُورث الخمول مورثةً للنباهة فكذٰلك[٣] خِصَال النّباهة فى مجانبة الخمول ؛ لأنَّ الملومَ أفضلُ من الخامل .

---

(١) ط : «كثيرا» ، والصواب فى س ، م .

(٢) قالوا : الحن : ضعاف الجن .

(٣) ط : «كما لا تكون . . . فلذلك» ، والتعديل من س .

(الترجمان بن هريم والحارث بن شريح)

وسمع التَّرجمانُ بن هُرَيْم(١) [عند يزيد بن عمر(٢)] بن هبيرة ، رجلاً يقول : ما جاء الحارث بن شريحٍ بيومِ خَيْرٍ قَطّ. قال التَّرجمان : إلا يكنْ(٣) جاء بيومِ خَيرٍ فقد جاء بيومِ شرّ(٤) .

(سياسة الحزم)

وبعدُ فأيُّ رئيسٍ كان خيرُهُ محضاً عَدِمَ الهَيْبَةَ . ومَن لم يَعْمَل بإقامة جزاءِ السيئة والحسنة ، وقتل فى موضع القتل ، وأحْيَا فى موضع الإحياء ، وعَفَا فى موضع العفو ، وعاقبَ فى موضع العقوبة ، ومَنَع ساعةَ المنع ، وأعطى ساعة الإعطاء ، خالَفَ الرَّبَّ فى تدبيره ، وظنَّ أن رحمته فوق رحمةِ ربه .

---

(١) الترجمان بن هريم : قال ابن قتيبة فى المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز ؛ وعلى بنى حنظلة فى فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبى طحمة كان شجاعا كيسا ، وكان مع المهلب فى قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرطاة فى قتال يزيد بن المهلب . وكبر هريم فحول اسمه فى أعوان الديوان ، فقيل له : إنك لاتحسن أن تكتب ! فقال : إلا أكتب فإنى أمحو الصحف ! فى الأصل : « الترجمان بن مريم » وتصحيحه من المعارف والبيان ١ : ١٩٩ .

(٢) التكملة من البيان . ويزيد هذا أمير قائد من ولاة الدولة الأموية . ولى قنسرين للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية العراقين فى أيام مروان بن محمد . ولما ظهر أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه فأعياه أمره . ثم بعث إليه السفاح من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ .

(٣) فى الأصل : « إن لايكون » ، صوابه من البيان .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : ذهب الترجمان إلى مثل معنى قول الشاعر :

وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلق الناس طرا
وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شرا

أقول : زمان بكسر الزاى وتشديد الميم قبيلة منها الفند الزمانى الشاعر .

وقد قالوا : بعضُ القتل إحياءٌ للجميع . وبعضُ العفو إغراء ، كما أنَّ بعضَ المنع إعطاء ، ولا خَيْر فيمن كان خيرُهُ محْضاً ، وشَرٌّ منه مَن كان شرُّه صرفاً . ولكن اخلِطِ الوعدَ بالوعيد ، والبِشرَ بالعبوس ، والإعطاء بالمنع ، والحِلمَ بالإيقاع ؛ فإنَّ الناسَ لا يَهابون ولا يصلُحون إلَّا على الثّواب والعقاب ، والإطماع والإخافة . ومَنْ أخافَ ولم يُوقِعْ[1] وعُرِفَ بذلك ، كانَ كَمَنْ أطمَعَ ولم يُنْجِز وعُرِف بذلك ، ومَنْ عُرِف بذلك دخلَ عليه بحسَب ما عُرف منه . فخيْرُ الخيرِ ما كان ممزُوجاً ، وشرُّ الشرِّ ما كانَ صرفاً ، ولو كانَ النّاس يصلُحون على الخيرِ وحدَه لكانَ الله عزّ وجلَّ أولى بذلك الحكم .

وفى إطباق جميع الملوك وجميع الأئمةِ فى جميع الأقطار وفى جميع الأعصار على استعمال المكروه والمحبوب ، دليل على أنَّ الصواب فيه دونَ غيره .

وإذا كان الناس إنما يصلحون[2] على الشِّدَّةِ واللين ، وعلى العفو والانتقام وعلى البذْل والمنع ، وعلى الخير والشرِّ ، عاد ذلك الشرُّ خيرًا وذلك المنع إعْطاء وذلِك المكروه محبوباً . وإنَّما الشأنُ فى العَوَاقب ، وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أدْوَم ، ومن الانقِطاع أبعَدُ .

---

(١) فى ط : « يقع » ، والصواب فى س .

(٢) فى الأصل : « يصطلحون » والوجه ما أثبت .

٣٠ (شعر فى الحزم)

وقال الشاعر ، وَهو يمدح قَوماً(١) :

إن يُسأَلوا الخيرَ يُعطُوه وَإن جُهِدُوا فالجَهْدُ يُخرج منهم طِيبَ أَخبارِ (٢)

وإن توَدَّدتَهم لانوا وإن شُهِموا كَشفْتَ أذمَارَ حَرْبٍ غيرَ أغمارِ (٣)

وقال العتبى (٤) :

ولكن(٥) بنو خيرٍ وشر كلَيهِما جمِيعاً ومَعروفٍ ألَمَّ ومُنْكرِ

(١) الشاعر هو عبيد بن العرندس الكلابى ، كما فى الكامل ٤٧ وتنبيه البكرى ٧٣ . والشعر رواه أبو تمام فى الحماسة ٢ : ٢٦٩ والقالى فى الأمالى ١ : ٢٣٩ والمرزبانى فى المعجم ٣٠٦ ، ونسبه كل منهم إلى العرندس الكلابى لا إلى عبيد . وقد نبه البكرى على هذا الخطأ . والشعر رواه أيضاً العسكرى فى ديوان المعانى ١ : ٤١ غير منسوب . أما القوم الذين مدحهم عبيد بن العرندس فهم بنو عمرو الغنويون . وكان أبو عبيدة يقول : « هذا المحال ، كلابى يمدح غنويا ! » . قال البكرى فى تفسير ذلك : « وإنما أنكر أن يكون كلابى يمدح غنويا ، لأن فزارة كانت قد أوقعت ببنى أبى بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ، ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طيىء قيس الندامى الغنوى ، وقتلت عبس هريم بن سنان الغنوى ، استغاثت غنى ببنى أبى بكر وبنى محارب ليكافئوهم بيدهم عندهم ، فقعدوا عنهم فلم يجيبوهم ، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين » .

(٢) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

(٣) تودّدتهم : طلبت مودتهم . شهموا ، بالبناء للمفعول : من شهمت الفرس إذا حركتها لتسرع . يقول : إذا حركوا على سبيل الإخافة لم يكن عندهم لين . التبريزى فى شرح الحماسة ٤ : ٧٢ . . والأذمار : جمع ذمر بالكسر ، وهو الشجاع . والأغمار : جمع غمر بالتثليث ويحرك ، وهو الذى لم يجرب الأمور .

(٤) سبقت ترجمته فى شرح الجزء الأول ص ٥٣ — ٥٤ .

(٥) كذا فى ط . وهى فى س ، م : « أولاك » بمعنى « أولئك » .

وقال بَعْضُ من ارتجز يوم جَبَلة[1] :

أنا الْغُلَامُ الأعسَرْ   الخيرُ فىَّ والشرّ

* والشرُّ فىَّ أكثرْ *

وقال عبدُ الملك بن مروانَ لزُفَر بن الحارث ـ وقد دخل عليه فى رجالاتِ قيس : ألستَ امرأً مِن كندة ؟ قال : وما خيرُ مَن لا يُتَّقى حَسَدا ، ويُدْعَى رغبة .

وقال ثُمامة : الشُّهرة بالشرّ خيرٌ من أن لا أُعرَفَ بخير ولا شرّ

(أُمارات النباهة)

وكان يقال : يُستَدَلُّ على نباهة الرَّجلِ من الماضين بتبَايُنِ الناس فيه .

وقال : ألا ترى أنَّ عليًّا ـ رضى الله تعالى عنه ـ قال : يَهلك فىَّ فئتان[2] : محبٌّ مُفْرِط ، ومبغِض مُفرط .

وهذه صفةَ أنبَهِ الناس، وأبعدِهم غايةً فى مراتب الدِّين وشرَفِ الدنيا ؛ ألا ترى أنَ الشاعر يقول :

---

(١) يوم جبلة أحد الأيام الثلاثة العظيمة عند العرب ، وهى : يوم الكلاب ، ويوم جبلة ، ويوم ذى قار . وهو مفصل فى الأغانى ١٠ : ٣٣ - ٤٥ . وكان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما فى العقد ٣ : ٣٠٧ . وقائل الشعر هو معاوية بن عبادة بن عقيل ، وكان أعسر ، كما فى الأغانى . والأعسر : الذى يعمل بشماله .

(٢) فى الأصل : « فتيان » .

أرَى العِلبـاء كالعِلبـا ءِ لا حُـلوٌ ولا مرٌّ[١]
شُيَيْخٌ مِن بنى الجارُو دِ لا خـــير ولا شَرٌّ

وقال الآخر :

عَيَّرتنى يا ثـكلتْنى أمِّى[٢] أسْود مثل الُجعَل الأحمِّ[٣]
ينطَحُ عُرْضَ الجَبَلِ الأصمِّ ليس بذى القَرْنِ ولا الأجمِّ

وإذا كان الرجلُ أبرعَ الناس بَراعةً ، وأظهَرهم فضلاً ، وأجمعهم لخصال الشرف ، ثمَّ كانت كلُّ خَصلةٍ مساويةً لأختها فى التَّمامِ ، ولم تغلِب عليه خَصلة واحدة ، فإنَّ هذا الرَّجلَ لا يكادُ يوصف إلَّا بالسيادة والرياسة خاصَّة إذا لم يكن له مسندٌ عما[٤] يكون هو الغالب عليه .

وقالوا فيما يشبِه ما ذكرنا ، وإن لم يكن هو بعينه . قال الشاعر[٥] :

---

(١) كلمة « العلباء » الأولى ، المراد بها « علباء بن حبيب » كما سبق فى الجزء الأول من الحيوان ص ٣٦١ . وأما « العلباء » الثانية فالمراد بها عصب عنق البعـير . يقول : هو تافه فسل . والعلباء بكسر العين .

(٢) ثكلته أمه : فقدته : وفى ط : « شكلتنى » وصوابه فى س ، م . وقد حذف الراجز المنادى هنا بعد الياء ، كما فى بيت الشماخ :

ألا ياسقيانى قبل غارة سنجال وقبل منايا قد حضرن وأوجال

أى ياصاحبى اسـقيانى . وكقـول الآخر ، وهو من أبيات الـكتاب ١ : ٣٢٠ بولاق :

يا ، لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

أى ياقوم ، أو ياهؤلاء . ولعنة الله ، بالرفع على الإبتداء .

(٣) الجعل : دويبة تألف الأماكن القـذرة . وفى ط : « الحمل » ، وصـوابها فى س ، م .

(٤) كذا فى س ، ط . وفى م : « مسندهما » ، وفى العبارة اضطراب .

(٥) هو عبيد بن العرندس الـكلابى . وقد سبق بيتان من قصيدة الشعر الآتى فى ص ٨٩ من هذا الجزء .

٣١ هَيْنُون لَيْنُونَ أيسارٌ ذوُو يُسُرٍ سُوَّاس مَكرُمَةٍ أبناءُ أيسارِ(١)
مَنْ تَلْقَ مِنهمْ تَقُل لا قَيْتُ سَيِّدَهم مثلُ النُّجومِ التى يسرِى بها السارى

وقد قال مثلَ الذى وصَفْنا جعفرٌ الضبىُّ(٢) فى الفضل بن سهل(٣) : أيُّها الأمير أسْكَتنِي عن وَصفك تَساوِى أفعالك فى السُّودَد ، وحيَّرنى فيها كثْرَةُ عددها ، فليسَ إلى ذكر جميعِها سبيلٍ ، وإن أردتُ وَصفَ وَاحدةٍ اعترضَتْ أختها ؛ إذْ لم تـكن الأُولى أحقَّ بالذكر . ولست أصفُها إلاّ بإظهار العَجْز عن وَصفها .

ولذلك قالوا : « أحلم من الْأَحْنف » ، و « ما هو إلَّا فِى حلم معاوية » و « أحلم مِن قَيس بن عاصم » ، ولم يقولوا : أحلمَ من عبد المطَّلب ، ولَا هو أحلم من هاشم ؛ لأنَّ الحلم خَصلة من خصاله كتمام حلمه ، فلمَّا كانت خصالُه متساوِيَةً ، وخلالُه مشرفة(٤) متوازِيَة ، وكلُّها كَان غالباً ظَاهراً ، وقاهراً غامراً ، سمِّى(٥) بأجمعِ الأَشياء ولم يُسمَّ بالخصلة الْوَاحدة ، فيستدلَّ بذلك على أنَّهاَ كانت أغلب خصال الخيرِ عليه .

---

(١) المشهور فى رواية البيت « ذوو كرم » ، وماهنا رواية صحيحة كما فى شرح التبريزى للحماسة ٤ : ٧٢ قال : « يعنى فى أخلاقهم يسر » . وقال أيضاً : « سواس مكرمة : أى يروضـون المكارم ويلون أمرها » . وقال إنهم أيسار أبناء أيسار أى إنهم عريقون فى الكرم . والأيسار ، جمع يسر بالتحريك ، وهو المقامر . والقمار مما يتمدح به العرب ، وكانوا يسمون من لا يدخل فى الميسر « برما » ، قال : ولا برما تهدى النساء لعرسه إذا القشع من بردالشتاء تقعقعا
(٢) فى البيان ٢ : ١٧٣ و ٣ : ١٦٠ والأغانى ٧ : ٥ ، ١١ من يدعى « جعفر ابن سليمان الضبعى »، فلعله هذا .
(٣) هو الفضل بن سهل السرخسى ، كان وزيراً للمأمون ، اتصل به فى صباه وأسلم على يده سنة ١٩٠ هـ . وصحبه قبل أن يلى الخلافة ، فلما وليها جعل له الوزارة وقيادة الجيش ، فكان يلقب بذى الرياستين . ولد سنة ١٥٤ وتوفى سنة ٢٠٢ .
(٤) يعنى عالية ظاهرا علوها . (٥) فى الأصل : « تسمى » .

(هجاء الشعراء للأشراف)

وإذا بلغ السَّيدُ فِي السُّودَدِ الكمالَ ، حسده من الأَشراف من يُظنُّ أنَّه الأَحقُّ به ، وفخرَتْ به عشيرته ، فلا يزال سفيهٌ[1] من شعراء تلك القبائل قد غاظه ارتفاعُه على مرتبةِ سيِّد عشيرَته فَهجاه . ومن طَلب عيباً وجَدَه . فإن لم يجدْ عيباً وجدَ بعضَ ما إذا ذكره ، وجَد مَن يغلط فيه ويحمله عنه . ولذلك هُجِيَ حِصنُ بن حذيفةَ ، وهُجِيَ زُرارة بن عُدَس ، وهُجِيَ عبدُ الله ابن جُدعان ، وهُجِيَ حاجب بن زرارة .

وإنَّما ذَكرتُ لك هؤلاءِ لأنَّهم من سُودَدِهم وطاعةِ القبيلةِ لهم ، لم يذهبوا فيمَنْ تحت أيديهم من قومِهِمْ ، ومن حلفائهم وجيرانهم ، مَذْهَبَ كُليبِ بن ربيعة ، ولا مذهبَ حذيفةَ بنِ بدر ، ولا مذْهبَ عيينةَ بنِ حصن ، ولا مذهبَ لقيط بن زُرارة ؛ ولأنَّ لقيطاً لم يأمر بسحب ضَمْرة بن ضمرة[2] إلَّا وهو لو بَقِي لجَاوز ظلم كليب وتهكم عيينة[3] ، فإنَّ هؤلاء وإن كانوا سادةً فقد كانوا يَظلمون ، وكانوا[4] بين أن يَظلموا وبين أن يحتملوا ظلما مِمَّن ظلمهم . ولا بدَّ من الاحتمال كما لَا بُدَّ من الانتصار .

وقد قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وإلى هذا المعنى رجَع قولُ الحكيم الأوَّل : « بعضُ القَتلِ إحياءٌ للجميع » .

---

(١) ط ، م : « سيفه » ، والصواب من س .

(٢) فى الأصل : « صخرة بن ضمرة » ، تحريف . وانظر البيان ١ : ١٧١ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٩٠ .

(٣) التهكم : التكبر ، واشتداد الغضب والحمق .

(٤) فى ط : « وكان » ، والصواب فى س ، م .

(حزم السادة)

وعامَّةُ هؤلاءِ السَّادة لم يكنْ شأنهم أن يردُّوا الناسَ إلى أهوائهم ،
٣٢ وإلى الانسياق لهم بعُنْف السَّوق ، وبالحَرْبِ فى القَوْدِ . بل كانوا لا يؤثرون التّرهيبَ على الترغيب . والخشونةَ على التليين . وهم مع ذلك قد هُجُوا بأقبَح الهجاءِ .

ومتى أحبَّ السَّيِّدَ الجامعَ ، والرئيسَ الكاملَ قومُه أشدَّ الحبِّ وحاطَهمْ عَلَى حسب حبه لهم ، كان بُغْضُ أعدائهم له على حسَب حبٍّ قومه له . هذا إذا لم يَتوثَّب إليه ولم يعترض عليه من بنى عمِّه وإخوته مَن قد أطمعتْه الحال باللَّحاقِ به . وحَسَدُ الأقارِبِ أشدُّ ، وعداوتهم على حسَب حسدهم .

وقد قال الأوَّلون : رِضا الناس شىءٌ لا ينال .

وقد قيل لبعض العرب : مَن السَّيِّدُ فيكم ؟ قال : الذى إذا أقبل هِبناه ، وإذا أدْبَرَ اغتبناه !

وقد قال الأَوَّل : بَغْضاَء السُّوَق[١] موصولة بالملوك والسادة ، وتجرى فى الحاشية مجرى الملوك .

(صعوبة سياسة العوام)

وليس فى الأرضِ عملٌ أكدّ لأهله من سِياسة العوامّ . وقَدْ قال الهذَلىُّ[٢] يصف صُعوبة السياسة :

(١) السوق : جمع سوقة . والسوقة : الرعية . وفى ط : « السوء » ، والوجه مافى س ، م .
(٢) هو الأعلم الهذلى ، كما فى حواشى البيان .

وإن سِياسةَ الأقوامِ فاعلمْ لهـا صَعْدَاءُ مَطلَبُها طويل (١)

وقال آخرُ فى شبيهٍ (٢) بهذا المعنى :

ودونَ النَّدى فى كلِّ قلبٍ ثَنِيَّةٌ لها مَصْعَدٌ حَزْنٌ ومُنْحَدَرٌ سَهْلُ
ووَدَّ الفَتى فى كلِّ نيلٍ يُنِيلُه إذا ماانقضى ، لَوْ أنَّ نائله جَزْلُ

وقال عامر بن الطُّفيل (٣) :

وإنِّى وإنْ كُنتُ ابنَ سيِّدِ عامرٍ وفَارسها المشهور فى كلِّ مَوكبِ
فما سوَّدَتنى عامر من وراثة (٤) أبى اللهُ أنْ أسمو بأمٍّ ولا أبِ
ولـكنَّنى أحمى حِماها وأتَّقى أذاها وأرْمى مَن رماها بِمَنْكِبِ

وقال زياد بن ظَبْيان لابنه عُبيد الله بن زياد (٥) وزيادٌ يُغرغِر بنفسه (٦) :

---

(١) وهذه الرواية أيضاً هى رواية اللسان . وقد رواه الجاحظ فى البيان (١ : ٢٧٥ و ٢ : ٣٥٢ و ٣ : ٢٨١) وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار (٥ : ٢٢٦) : « وإن سيادة الأقوام فاعلم » . والصعداء ، بالفتح : المشقة .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهى ، كما فى البيان ٢ : ٣٥٢ .

(٣) س فقط : « عباس بن الطفيل » وهو تحريف . والأبيات فى العقد (٢ : ٢٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٢٢٧) وأمالى القالى (٣ : ١١٨) وأمالى المرتضى ١ : ١٠ . وهذا الشعر مما تحتج به الشعوبية على العرب . انظر العقد .

(٤) المشهور فى الرواية : «عن وراثة» كما فى المراجع المتقدمة .

(٥) لم أهتد إلى ترجمة زياد بن ظبيان . وأما ابنه عبيد الله فقد كان فاتكا من الشجعان وكان مقربا من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحمل رأسه إلى عبد الملك ، ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود ، فلما قتل ابن الجارود لجأ إلى عمان حيث لاقى منيته سنة ٧٥ . كذا فى معجم الزركلى عن كتاب لمصنف مجهول يظن أنه أنساب الأشراف للبلاذرى . ووجدت النويرى ذكر فى المؤتلف والمختلف من رجال التاريخ عبيد الله هـذا مع عبيد الله بن زياد ابن أبيه ، وقال : وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار ، والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) . وانظر الخبر برواية أخرى فى أمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٦) يقال غرغرت الروح : ترددت فى الحلق عند الموت .

ألاَ أُوصى بكَ الأمير ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم [يكنْ](١) للحى إلاّ وَصِيَّةُ(٢) الميِّت ، فَالحىُّ هو الميِّت .

وقال آخر فى هذا المعنى :

* والعزُّ لايأتى بَغير تطلُّبِ *

وقال بَشامة بن العَدير(٣) فى خلاف ذلك ، وأن يثبت أن يكون . منه كان(٤) :

وجَدْت أبى فيهم وَجَدِّى كليهما يُطاعُ ويؤتَى أمرُه وهو مُحْتَبِي

٣٣ فـلم أتَعَمَّل للسِّيادَة فِيهِمُ ولـٰكِنْ أَتَتنى طائعاً غيرَ مُتْعَبِ

(بحث فى السعادة)

ومِن الناس من يقول : إن العيشَ كلّه فى كثرة المال ، وصحةِ البدن ، وخمولِ الذكر .

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ، م ، وقد ترك لها فراغ ، وبدلها فى س : « أوص » ويغلب على ظنى أنها من وضع الناسخ ، إذ بها لايتناسق الكلام . واعتمدت فى إثبات ماأثبت على مافى عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٢) فى الأصل : « بوصية » .

(٣) بشامة بن الغدير هو خال أبى سلمى والد زهير ، وكان زهير منقطعا إليه ، معجبا بشعره . وكان بشامة أحزم الناس رأيا ، وكانت غطفان تستشيره وتصدر عن رأيه . (الأغانى ٩ : ١٤٩) . و « الغدير » هى فى ط ، م : « القدير » ، وهو تصحيف مافى س .

(٤) كذا .

وقال مَن يخالفه : لايخلو صاحب البدَن الصَّحيحِ والمال الكثير ، مِنْ أن يكونَ بالأُمور عالماً ، أو يكونَ بها جاهلاً . فإن كانَ بها عالماً فعلمُه بها لايتركه حتَّى يكون له من القول والعمَل على حسب علمه ؛ لأنَّ المعرفة لاتكون كعدمها ؛ لأنَّها لو كانت موجودةً غيرَ عاملة لكانت المعرفة كعدمها ، وفى القول والعملِ ما أوجَبَ النَّباهةَ ، وأدنى حالاته أنْ تُخرِجه من حدِّ الخمول ، ومتى أخرجتْه من حدِّ الخمول فقد صار معرَّضاً لمن يقدِر على سلبه .

وكما أنَّ المعرفَةَ لابدَّ لها من عملٍ ، ولا بدَّ للعمل من أن يكون قولا أو فعلا ، والقولَ لايكونُ قولاً إلاَّ وهناك مَقُول له ، والفعلَ لايكون فعلاً إلاّ وهناك مفعول له ، وفى ذلك ماأخْرَج من الخمول وعُرِف به الفاعل .

وإذا كانت المعرفَةُ هذا عملُها فى التنبيه على نفسها ، فالمالُ الكثيرُ أحقُّ بأنَّ عملَه الدَّلاَلةُ على مكانه ، والسِّعايةُ على أهله . والمالُ أحقُّ بالنميمة ، وأولى بالشكر ، وأخدع لصاحبه ، بل يكون له أشدّ قهرا ، ولحيه أشدَّ فساداً[1] .

وإن كانتْ معرفتُه ناقصةً فبقدْر نقصانها يجهل مَواضعَ اللذة . وإن كانت تامَّةً فبقَدْر تمامها يُنْـفِى الخمول ويُجلَبُ الذِّكر .

وبعدُ فليس يَفْهَم فضيلةَ السلامة ، وحقائقَ رُشْدِ العافية ، الذين ليس لهمْ من المعرفة إلاَّ الشَّدْو ، وإلاَّ خلاَقَ أوساطِ الناس[2] . ومتى كان ذلك

---

(١) كذا .

(٢) الشدو : القليل من كل كثير . وهى فى ط : « التشدق » وفى س : « الشد » وصوابهما من م . والخلاق : الحظ والنصيب . وفى الأصل : « والأخلال » ، وقد أراد بأوساط الناس : مادون الخاصة .

كذلك ، لم يُعرَف المَدْخَل الذى من أجله يَكره ذو المال الشُّهرة . ومن عَرَفَ ذلك على حقِّهِ وصدقِهِ ، لم يدَعْه فهمُهُ لذلك حتّى يدلَّ على فهمه . وعلى أنَّه لايفهم هذا الموضعَ حتَّى يفهم كلَّ ماكان فى طبقته من العلم . وفى أقلَّ مِن ذلك مايَبِين به حالُه مِن حال الخامل .

وشروط الأمانىّ غيرُ شروط جوازِ الأفعال وإمكانِ الأمورِ . وليس شىء ألذُّ ولاَ أسرُّ مِن عِزِّ الأمرِ والنهى ، ومن الظَّفَرِ بالأَعداء ، ومن عَقْدِ المِنَنِ فى أعناق الرجال ، والسُّرورِ بالرِّياسة وبثمرة السيادة ؛ لأنَّ هذه الأُمورَ هى نصيبُ الرُّوح ، وحَظُّ الذهن ، وقِسْمُ النَّفس[١] . فأمَّا المطعم والمشرب والمنكَح والمشَمَّة ، وكلُّ ما كان من نصيب الحواسّ ، فقد علمْنا أنَّ كُلَّ ماكانَ أشَدَّ نَهَماً وأرغبَ ؛ كانَ أتمَّ لوجدانه الطعم . وذلك قياسٌ

٣٤ على مواقع الطُّعْم من الجائع ، والشرابِ من العطشان[٢] .

ولكنَّا إذا ميَّلْنا[٣] بين الفضيلة التى مع السُّرور ، وبين لذّة الطعام ، وما يُحْدِثُ الشَّرهُ له من ألَمِ السهر والالتهابِ والقَلَق وشدَّةِ الكَلَب ، رأينا أنَّ صاحِبَهُ مفضولٌ غيرُ فاضل . هذا مَعَ مايُسَبُّ به[٤] ، ومع حمله له على القبيح ، وعلى أنَّ نعمَتَهُ متى زالتْ لم يكن أحدٌ أشقى منْهُ . هذا مع سرور العالِمِ بما وهَبَ الله لَهُ[٥] من السلامة من آفة الشَّرَه ، ومِن فَسادِ الأَخلاط .

وبعدُ فلا يخلو صاحِبُ الثَّروةِ والصامتِ الكثيرِ[٦] ، الخاملُ الذكر مِن أن يكونَ ممَّن يَرغَب فى المركَب الفارِه ، والثوبِ اللِّينِ ، والجاريةِ

(١) القسم ، بالكسر : النصيب والحصة .
(٢) فى الأصل : « وبين لذة الطعام وبين مايحدث له الشره » .
(٣) ميل بين الأمرين : رجح ووازن . وفى الأصل : «مثلنا» .
(٤) تحتمل أن تكون « يسببه» أى يحدثه .
(٥) ط ، م : « لهم » ، والصواب ماأثبت من س .
(٦) الصامت من المال : الذهب والفضة . والناطق منه : الإبل .

الحسنةِ ، والدار الجيّدة ، والمطْعَم الطيِّب ؛ أو يكون ممَّن لايرغب في شيء من ذلك . فإن كان لايرغب في هذا النوع كلِّه ، ولا يعمل في ماله للدَّار الآخرةِ ، ولا يُعجَب بالأُحدوثَة الحسَنة ، ويكونُ ممَّن لاتعْدو لذَّتُهُ أن يكون كثيرَ الصامت ؛ فإنّ هذا حمارٌ أو أفسَدُ طبْعاً من الحمِار ، وأجْهَل من الحمار ؛ وقَدْ رضى أن يكونَ في مَاله أسوأَ حالا من الوَكيل .

وبعدُ فلا بُدَّ للمال الكثير من الحِراسةِ الشَّديدة ، ومن الخوف عليه ، فإن أعمَلَ الحِراسةَ له ، وتَعب في حفظه [وَ][1] حسَبَ الخوف ، خرجَ عليه فضْلٌ . فإنْ هو لم يَخَفْ عليهِ — ولاَ يكون [ذلك][2] في سبيل التوكُّل[3] — فهو فِي طباع الحمار وفي جهْله . والذى أوجب لَهُ الحمول ليؤدِّيه إلى سلامة المَال لَهُ ، قَدْ أعْطاهُ من الجهلِ[4] مَالاَ يكُونُ معَهُ إلاّ مثْلُ مقْدَار لذة [البهيمةِ[5]] في أكل الخبَط[6] .

وإنْ هو ابتاع فُرَّهَ الدواب ، وفُرَّهَ الخَدَم والجَوارِى ، واتّخَذَ الدارَ الجَيِّدَة ، والطعَامَ الطيِّب والثَّوْبَ الليِّنَ وأشباهَ ذلك ، فقَدْ دلَّ على مَالِهِ . ومَن كانَ كَذٰلِكَ ثُمَّ ظَهرتْ لَهُ ضَيْعَةٌ فاشية ، أو تجارَةٌ مُرْبِحة ، يحتمل مثلَ ذلكَ الذى يظهَر من نفقته . وإلاّ فإنّه سيُوجَدُ فِي اللُّصُوص عنْدَ أوَّل مَن يقطع عليْهِ ، أو مكابرة تكُون ، أو تَعب يؤخذ لأهله[7] المَال العظيم .

---

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليستقيم القول .
(٢) كلمة يحتاج إليها .
(٣) فإن التوكل المطلوب في الدين ما كان معه الحيطة والأخذ بأسباب السلامة ، على نحو ماجاء في الحديث : « اعقلها وتوكل » انظر هذا الجزء ص ١١٥ .
(٤) في الأصل : « قد أعطاه الله تعالى من الجهل » ، وعدلت العبارة بما ترى .
(٥) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها ، أو إلى مثلها .
(٦) الخبط ، بالتحريك : ورق الشجر يخبط بالعصا فتأكله الدواب والإبل .
(٧) العبارة من مبدإ « وإلا فإنه سيوجد » بها اضطراب .

ولو عنى بقوله الخمول وصحةَ البدنِ والمال ، فذَهب إلى مقدارٍ من المال مقبولا[١] ولـكن مالمن كان مالُه لايجاوز هذا المقدارَ يتهيَّأ[٢] الخمول[٣] .

(طبقات الخمول)

ولعمرى إنّ الخمولَ لَيكونُ فى طبقاتٍ كثيرة ، قال أبو نُخيلة[٤] :

شكرتُك إنَّ الشُّكْرَ حَبْلٌ من التُّقى
وَمَا كلُّ مَن أقْرَضْتَــه نِعمةً يَقْضِى
فأحييتَ من ذكرى وما كان خامِلاً
ولـــكنَّ بعض الذكرِ أنبَه من بَعْضِ

قالوا : ولسقوط الخَاملِ من عُيون الناس ، قالت الأعرابيَّةُ لابنها : إذا جلستَ معَ الناسِ فإنْ أحسَنْتَ أنْ تقولَ كما يقولون فَقُلْ ، وإلاَّ فخالِفْ تُذْكَر !

---

(١) لعل العبارة « مقدار من المــال يسير كان ذلك مقبولا » .
(٢) فى ط : « متهيئ » وهو تحريف صوابه فى س ، م .
(٣) لعل العبارة «مالمن كان ماله يجاوز هذا المقدار » . . الخ .
(٤) هو أبو نخيلة الراجز السعدى . قال أبو الفرج (الأغانى ١٨ : ١٣٩) : « أبو نخيلة اسمه لا كنيته » وقال ابن قتيبة فى الشعراء : « اسمه يعمر » . كان أبو نخيلة من صنائع مسلمة بن عبد الملك بالشام ومدح الأمويين ، ثم انقطع إلى الهاشميين فهجا الأمويين . وقد صنع فى المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدى ، فوصله المنصور بألفى درهم ، وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى ففعل ، فطلبه عيسى ، فأدركه مولى له فى طريق خراسان فقتله . وأخباره مسهبة فى الأغانى . والشعر الآتى فى مديح مسلمة بن عبد الملك كما فى الأغانى (١٨ : ١٤٠) وحماسة ابن الشجرى ١١٧ وأول الشعر :

أمسلم إنى ياابن خــير خليفة ويافارس الهيجا وياجبل الأرض

وأمَّا الأصمعىُّ فزعَمَ أنَّها قالت : فخالفْ ولو بأنْ تعلَّقَ فى عنُقك أيرَ حمار .

وليس يقول هذا القولَ إلاّ مَنْ ليسَ يعرِف شَكَر[١] الغِنى ، وتقلُّبَ الأموال إلى مَاخُلِقتْ لَهُ ، وقَطْعَها عُقُلَها ، وخَلْعَها عُذُرَها ، وتِيهَ أصحابِها ، وكثرةَ خُطاهم فى حفظِها وسترْها ، وعجزَهم عن إمَاتةِ حركتِها ومنعِها من جميع مَاتُنازع [إليه وتحمل عليه[٢]] .

(ملحة من الملح)

وقد روينا فى المُلَح أنَّ رجلاً قال لصاحبٍ لهُ : أبُوكَ الذى جهل قدْرَهُ ، وتعدَّى طَورَه ، فشقَّ العَصَا ، وفارَقَ[٣] الجماعة ؛ لاجَرَمَ لقد هُزِم ثم أُسر ثمَّ قتلَ ثمَّ صُلب ! قال لَهُ صاحبهُ : دَعْنى مِن ذكر هزيمةِ أبى ، ومن أسْرِهِ وقتلِه وصلبِهِ . أبُوكَ هلْ حدَّثَ نفسَه بشىء من هذا قطُّ ؟ !

(حكم الأسباب فى همم الناس)

وليس إلى النَّاس بُعْدُ الهمم وقِصَرُها ، وإنمــا تجرى الهمَمُ بأهلها إلى الغايات ، على قدر مَايعرِض لهم من الأسباب . ألا تَرى أنَّ أبعدَ النَّاس هِمَّة فى نفسهِ ، وأشدَّهم تلفتاً إلى المراتب ، لاتُنازعه نفسهُ إلى طلب الخلافة ، لأن ذلك يحتاجُ إلى نسب ، [أ][٤] وْ إلى أمر قد وُطِّىء لَهُ

---

(١) أراد بالشكر النمو . وهو من شكرت الشجرة ــ من باب فرح ــ : خرج منها الشكير ، وهو ما ينبت حول أصلها .

(٢) ط ، م : « من جميع ما تنازع العمل عليه » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٣) فى الأصل : « فرق » ، والوجه ما كتبت .

(٤) زدتها ليتجه الكلام .

بسبب ، كسبَب طلبِ أوائل الخَوارج الخلافة بالدِّين وحدَه دونَ النَّسب . فإن صارَ من الخوارج فقد حدثَ له سببُ إمكانِ الطَّلب ، أكْدَى أم نجح .

وقد زعمَ ناسٌ من العلماء أنَّ رجـالاً حُظِيت للسِّيادة والنَّباهة والطَّاعةِ فى العشيرة .

(سلطان الحظ على نباهة القبيلة)

وكذلك القبيلة ربّما سَعِدت بالحظّ ، وربّما حظيت بالجَدِّ ؛ وإنَّما ذلك على قدر الاتِّفاق ، وإنَّما هو كالمعـافَى والمبتلَى ، وإنَّما ذلك كما قال زهير :

وَجَدْتُ المنايا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ
تُمِـتْهُ ومَنْ تُخْطِئْ يعمَّرْ فيَـهْرَمِ

(سلطان الحظ على الآثار الأدبية)

وكما تَحْظَى بعض الأشعار وبعض الأمثال ، وبعضُ الألفاظ دون غيرها ، ودونَ مايجرى مجراها أو يكونُ أرفَعَ منها .

قالوا : وذلك موجودٌ فى المرزوق [و (١)] المحروم ، وفى المُحارَف (٢)

(١) لا يكون المرزوق محروما ، فزدت الواو ليصح الكلام .
(٢) المحارف : المحدود المحروم .

والذى تجوز عليه الصَّدَقَةُ . [وكم](١) مِن حاذقٍ بصناعته ، وكثير الجَوَلان فى تجارته ، وقد بلغ فَرغانَةَ(٢) مرَّةً ، والأندلُس مرّة ، ونقَّب فى البلاد ، وربَع فى الآفاق(٣) ؛ ومن حاذقٍ يُشاوَر ولا يُستَعْمَل ، ثمَّ لاتجدهما ٣٦ يَستَبِيذان ، من سُوءِ الحال وكثرة الدَّين . ومن صاحب حربٍ منكوب ، وهو اللَّيثُ على براثنه ، معَ تمَامِ العزيمةِ وشدَّة الشَّكيمة ، ونَفَاذ البصيرة ، ومع المعرفة بالمكيدة والصَّبْرِ الدَّائمِ على الشدّة .

[وبَعْدُ](٤) فكَمْ من بيت شعر قد سار ، وأجودُ منه مقيمٌ فى بطون الدَّفاتر ، لاتزيده الأيّامُ إلاّ خمولا ، كما لاتزيد الذى دونَه إلاّ شُهرةً ورِفعةً . وكم من مَثلٍ قد طار به الحظُّ حتّى عرَفَته الإماءُ ، ورَوَاه الصبيّان والنِّساء .

(أثر الحظ فى نباهة الفرسان)

وكذلك حظوظ الفُرسان . وقد عُرِفتْ شهرةُ عنترة فى العامَّة ، ونباهةَ عمرو بن مَعْدِ يكَرِب ، وضَرَبَ الناسُ المثلَ بعبُيد الله بن الحُرّ(٥) ، وهم

(١) ليست بالأصل ، والكلام يحتاج إليها .

(٢) فرغانة ، بالفتح : بلاد فى حدود التركستان .

(٣) نقب فى البلاد : ذهب فيها . وربع فى الآفاق : أقام فى مواضع كثيرة .

(٤) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ ، ولحاجة القول إليها .

(٥) عبيد الله بن الحر الجعفى : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب ابن الزبير منافسة ، وقد صمد عبيد الله لرجال مصعب صمداً ، ولكن أصحابه تفرقوا عنه ، فخاف أن يؤسر ، فألقى نفسه فى الفرات ، فمات غريقا . وكان عبيد الله شاعراً فحلا . انظر ابن الأثير حوادث سنة ٦٨ .

لا يعرفون ، بل لم يسمَعوا قطُّ بعتُيَبة بنِ الحارث بن شهاب [١] ، ولا بِبسطامِ ابن قيس [٢] ، وكان عامرُ بن الطفيل أذكرَ منهما نسباً .

ويذكُرون عُبيدَ الله بنَ الحُرِّ ، ولا يَعرفونَ شُعبة بن ظُهير [٣] ولا زُهيرَ ابنَ ذُؤيب ، ولا عَبَّادَ بنَ الحصين [٤] . ويذكرون اللسن والبيان والخطيب ابن القِرِّيَّة [٥] ولا يعرفون سَحبانَ وائل .

والعامَّة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم [٦] إلاَّ من قِبَل الخاصَّة ، والخاصَّةَ لم تَذْكُر هؤلاء دون أولئك ، فتركَتْ تحصيلَ الأمورِ والموازنَةَ بين الرجال وحكَمتْ بالسَّابق إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيبته ؛ ثمَّ استوت عِلل العامَّة فى ذلك وتشابهت .

والعامَّة والباعَة والأغنياء [٧] والسِّفْلةُ كأنَّهم أعذارُ عامٍ واحد . وهم

(١) كان فارس بنى تميم ، وفيه يقول عمرو بن معد يكرب : « ما أبالى أى ظعينة لقيت على ساء من أمواه معد ، مالم يلقنى دونها عبداها أو حراها » : ويعنى بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، وعنى بالعبدين : عنترة والسليك بن السلكة . (الأغانى ١٤ : ٢٧) .

(٢) بسطام بن قيس بن مسعود الشيبانى ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب فى الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبى يوم الشقيقة .

(٣) كذا فى س ، م وفى ط : « زهير » .

(٤) كان يكنى أبا جهضم ، وكان فارس بنى تميم . وولى شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وكان مع مصعب أيام قتل المختار . قال الحسن : « ما كنت أرى أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عباداً » . المعارف ص ١٨٢ .

(٥) قال ابن قتيبة فى المعارف ٢٥٨ : « منسوب إلى أمه ، وهو أيوب بن زيد » . وكان ابن القرية أحد بلغاء الدهر ، خطيبا يضرب به المثل . وكان أعرابيا أميا . (ابن خلكان ١ : ٨٤) . وجاء فى الأغانى ٢ : ١٦٣ : « عن عوانة قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا : ابن أبى العقب صاحب قصيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بنى عامر » . وهذه رواية غريبة . قالوا : قتل ابن القرية سنة ٨٤ ، أمر بقتله الحجاج .

(٦) ط : « إليهما » وتصحيحه من س .

(٧) لعلها « الأغبياء » .

فى باطنهم أشدُّ تشابهاً من التوأمين فى ظاهرهما ، وكذلك هم فى مقادير العقول وفى الاعتراض والتسرُّع ، وإن اختلفت الصُّوَر والنَّغَم[١] ، والأسْنان والبلدان.

(تشابه طبائع العامّة فى كلّ بلدة وفى كلّ عصر)

وذكر الله عزَّ وجلّ ردَّ قريشٍ ومُشركى العَرَبِ على النبىّ صلَّى الله عليه وسلَّم قولَهُ ، فذكر ألفاظَهم ، وجَهْد معانيهم ، ومقاديرَ هِممهم التى كانت فى وزن مايكون من جميع الأمم إلى أنبيائهم ، فقال : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلوبُهُمْ ﴾ وقال : ﴿ أَتَوَاصَوْا بِهِ ﴾ ، ثم قال: ﴿ وَخُضْتُمْ كَالَّذِى خَاضُوا ﴾. ومثلُ هذا كثير ، ألا تَرَى أنَّكَ لا تَجِدُ بُدًّا فى كلِّ بلدةٍ وفى كلِّ عصر للحاكة من أن يكونوا على مقدارٍ واحد[٢] وجهة واحدةٍ ، من السَّخَط والحمق ، والغَباوة والظلم ؛ وكذلك النخّاسون[٣] على طبقاتهم ، من أصناف مايبيعون . وكذلك السماكون والقَلاّسون[٤] وكذلك أصحابُ الخُلقان[٥] كلُّهم ، فى كلِّ دهرٍ وفى كلِّ بلدٍ ، على مثال واحد ، وعلى جهةٍ واحدَة .

وكلُّ حجَّامٍ فى الأرض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ ، وإن اختلفوا فى البُلدان والأجناس والأسنان .

٣٧

(١) يريد اللغات واللهجات .
(٢) فى الأصل : « للحاكة فيهم على مقدار واحدة » .
(٣) النخاس : بياع الدواب والرقيق ، وفى ط ، م « النحاسون » وهى على الصواب فى س .
(٤) القلاس : الضارب بالدف . وفى ط « السماكون الغلاسون » وفيه تصحيف وتحريف أصلح من س ، م .
(٥) الخلقان من الثياب : جمع خلق ، وهو البالى ، والمراد تجارها . انظر رسائل الجاحظ (١ : ٥٢) بتحقيقنا .

ولا ترى مسجوناً ولا مَضْروبا عندَ السُّلطان إلاّ وهُو يقول : إنِّى مظلوم!

ولذلك قال الشاعر :

لم يَخلقِ اللهُ مَسْجُوناً تسائلُهُ   مابالُ سِجْنِك إلاّ قالَ مَظلومُ[١]

وليس فى الأرض خَصمانِ يتنازعان إلى حاكم ، إلاّ كلٌّ واحدٍ منهمُا يدَّعِى عدمَ الإنصاف والظُّلم على صاحبه .

(مبالغة الإنسان فى تقدير ماينسب إليه)

وليس فى الأرض إنسانٌ إلاّ وهُوَ يطرَب من صوتِ نفسه ، ويعتريه الغَلَط فى شعرِه وفى ولده . إلاَّ أنَّ الناسَ فى ذلك على طبقاتٍ من الغَلط : فمنهم الغرق المغمور[٢] ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطإِ ، ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسَنَ حالَهُ مالم يُمتَحَنْ بالكشف . ولذلك احتاج العاقل [فى العُجْبِ بولده ، و[٣]] فى استحسان كتبه وشعره ، من التحفظ والتوقِّى ، ومن إعادة النظَر والتُّهمة إلى أضعَاف مايحتاج إليه فى سائر ذلك .

---

(١) وكذا فى البيان (٣ : ١٦٩) . ورواية البيت فى عيون الأخبار (١ : ٧٩ ، ٢ : ١١٦) :

ما يدخل السجن إنسان فتسأله   ما بال سجنك إلا قال مظلوم

(٢) الغرق والغارق والغريق بمعنى .

(٣) الزيادة من س .

(جود حاتم وكعب بن مامة)

والعامّة تحكم أنَّ حاتماً أجودُ العرب ، ولو قدَّمتْه على هَرِمِ الجَوادِ لما اعترَضْتَه عليهم . ولكنَّ الذى يُحدَّثُ [به][1] عن حاتم ، لايبلُغ مقدارَ ماروَوْهُ عن كعبِ بن مامة ؛ لأنَّ كعباً بذَلَ نفسَه فى أعطِيَة الكرم وبَذْل المجهود فساوى حاتما من هذا الوجه ، وبايَنَه ببذْل المُهجة[2] .

ونحن نقول : إنَّ الأشعارَ الصحيحةَ [بها][3] المقدارُ الذى يوجبُ اليقين بأنَّ كعباً كان كما وصفوا . فلو لم يكن الأمرُ فى هذا إلى الجُدود والحُظوظِ والاتِّفاقات[4] ، وإلى عللٍ باطنةٍ تجرى الأمورُ عليها ، وفى الغَوصِ عليها وفى مَعْرِفتِها بأعيانِها عُسر ، لَمَا جرت الأمورُ على هذه

---

(١) زيادة يحتاج إليها الكلام .

(٢) يشير الجاحظ إلى ماروى من أن كعبا هذا خرج فى ركب ، فيهم رجل من النمر بن قاسط ، فى شهر ناجر ، فضلوا فتصافنوا ماءهم — وهو أن يطرح فى القعب حصاة . ثم يصب فيه الماء بقدر مايغمر الحصاة ، فيشرب كل إنسان بقدر ذلك — فقعدوا للشرب ، فلما دار القعب فانتهى إلى كعب ، أبصر النمرى يحد النظر إليه ؛ فآثره بمائه وقال للساقى : اسق أخاك النمرى ؛ فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ؛ وحدث فى غدهم ماحدث فى أمسهم ؛ ونال النمرى نصيب كعب . وارتحل القوم وقالوا : ياكعب ارتحل ! فلم يكن بكعب قوة للنهوض ؛ وكانوا قد قربوا من الماء ؛ فقيل له « رد كعب إنك وراد » فعجز عن الجواب ؛ فتركوه مكانه ففاظ (أى هلك) . أمثال الميدانى ١ : ١٦٧ والعقد ١ : ١٤٧ وبلوغ الأرب ١ : ٨١ .

(٣) ليست بالأصل ؛ والكلام فى حاجة إليها .

(٤) فى الأصل : « فلو كان الأمر » الخ ؛ والوجه ماأثبت .

المجارى . ولو كان الأمرُ فيها مفوَّضاً إلى تقدير الرأى ، لـكان ينبغى لغالب ابن صعصعةَ[١] أن يكونَ من المشهورين بالجود ، دون هرِمٍ وحاتم .

(كلف العامة بمآثر الجاهلية)

فإنْ زعمتَ أنَّ غالباً كان إسلاميًّا وكان حاتمٌ فى الجاهلية ، والناسُ بمآثر العرب فى الجاهليّة أشدُّ كلفاً ، فقد صدقْت . وهذا أيضاً يُنبئك أنَّ الأمورَ فى هذا على خلافِ تقديرِ الرأى ، وإنّما تجرى فى الباطن على نسقٍ قائم ، وعلى نظر صحيح ، وعلى تقدير محكم ، فقد تقدَّم فى تَعْبِيتهماَ[٢] وتسويتهما مَنْ لاتخفى عليه خافية ، ولا يفُوتُه شيءٌ ولا يُعْجزه . وإلاّ فما بالُ أيّامِ الإسلام ورجالها لم تكنْ أكبرَ فى النفوس ، وأحلَّ[٣] فى الصدور مِن رجال الجاهليّة ؛ مع قُرب العهد وعِظَم خَطرِ ماملـكوا ، وكثرة ماجادت به أنفسُهم ؛ ومع الإسلام الذى شملهم ، وجعله الله تعالى أولى بهم من أرحامهم. ٣٨

ولو أنَّ جميعَ مآثر الجاهليَّة وُزنت به ، وبما كان فى الجماعات اليسيرة[٤] من رجالات[٥] قريش فى الإسلام لأربت [هذه[٦]] عليها ، أو لـكانت مثلها .

---

(١) كان من وجوه تميم ؛ وهو والد الفرزدق الشاعر ؛ أدرك النبى صـلى الله عليه وسلم ؛ ووفد على على . وأبوه صعصعة له صحبة . وأختـه هنيدة بنت صعصعة زوج الزبرقان بن بدر ؛ أدركت النبى صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٦٩٢٥ وكتاب النساء منها ١١١٥ . وتوفى غالب فى نحو سنة ٤٠ .

(٢) التعبية : التهيئة والإعداد ؛ ومنه تعبية الجيش بمعنى تهيئته فى مواضعه ، وفى ط : « تعيينهما » وهوتحريف ماأثبت من س، م .

(٣) كذا بالحاء : ولها وجه .

(٤) ط ، م : « اليسر » . وفى س : « اليسير » وأرى الصواب فيما كتبت إذ هى صفة « الجماعات » .

(٥) فى الأصل : « حالات » ؛ وإنما المراد الجماعات من الرجال .

(٦) ليست بالأصل .

(دلالة الخلق على الخالق)

فليس لقَدْر الكلب والدِّيك فى أنفسهما وأثمانهما ومناظرهما ومحلِّهما من صُدور العامَّةِ أسلفنا[١] هـذا الكلام ، وابتدأنا بهذا القول . ولسنا نقِف على أثمانهما من الفضّة والذّهب ، ولا إلى أقدارهما عند الناس ، وإنما نَتَنَظَّرُ[٢] فيما وضع الله عزَّ وجلّ فيهما من الدَّلالة عليه ، وعلى إتقان صُنْعه ، وعلى عجيب تدبيره ، وعلى لطيفِ حكمته ؛ وفيما استخْزَنَهُما[٣] من عجائب المعارف ، وأودعهما من غوامض الأحساس[٤] ،وسخّر لهما من عِظام المنافع والمرافق ، ودلَّ بهما على أنَّ الذى ألبَسهُما ذلك التَّدبيرَ ، وأودَعَهُمَا تِلك الحِكم ، يحبّ[٥] أن يفكَّر فِيهما ؛ ويعتَبَر بهما ، ويسبَّح الله عزَّ وجلّ عندهما . فغَشَّى ظاهرهما بالبرهان ، وعمَّ باطنَهما بالحِكم ، وهيَّج عَلَى النظر فيهما والاعتبار بهما ؛ ليعلم كلُّ ذى عقل أنّه لم يَخْلق الخلق سُدًى ؛ ولم يترك الصُّور هَمَلا ؛ وليعلموا أنَّ الله عزّ وجلّ لم يَدَع شيئاً غُفْلا غير موسوم[٦] ، ونثرا غير منظوم ، وسُدًى غير محفوظ ؛ وأنّه لايخطئه من عجيب تقديره ، ولا يعطله من حلْى تدبيره[٧] ، ولا من زينة الحكم وجلال قدرة البرهان .

---

(١) ط ، م: « أسبقنا » و س : « سقنا » ، وما كتبت تصحيح الأول .
(٢) التنظر : التأمل وإطالة التفكير . وفى الأصل : « ننتظر » من الانتظار ، وهو تحريف .
(٣) استخزنهما : استودعهما . وفى الأصل : « استخرجهما » ، وليس بشىء .
(٤) الأحساس : جمع حس .
(٥) فى الأصل : « يجب » ، ولعل الصواب فيما كتبت .
(٦) الغفل بالضم : ما ليس به سمة تميزه . ويقابله « الموسوم » . وهى فى الأصل « مرسوم » .
(٧) ط : « حل تدبيره » ، والصواب من س .

ثمَّ عمَّ ذلك بين الصُّؤابةِ (١) والفَراشة ، إلى الأفلاك السبعة وما دونَها من الأقاليم السبعة .

(تأويل الآية الكريمة : ويخلق مالا تعلمون)

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ . وقد يتَّجه هذا الكلامُ فى وجوه : أحدها أنْ تكون هاهنا ضروبٌ من الخلق لايعلم بمكانهم [كثيرٌ] (٢) من الناس ، ولابدَّ أن يعرف ذلك الخَلْقُ معنى نفسه ، أو يعلمه صفْوة [جنُودِ] (٣) الله وملائكته ، أو تعرِفَه الأنبياء ، أو يعرِفَه [بعضُ (٤)] الناس ، لايجوز إلاّ ذلك . أو يكون الله عزَّ وجلَّ إنما عنى أنّه خلق أسباباً ، ووهب عِلَلا ، وجعل ذلك رِفدًا لما يظهرُ لنا ونظاما .

وكان بعض المفسِّرين يقول : من أراد أن يعرف معنى قوله : ﴿ وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ ﴾ فَلْيُوقِدْ نارا فى وسط غَيضة ، أو فى صحراء بريّة (٥) ثمَّ ينظر إلى مايغشى النارَ من أصناف الخلق من الحشرات والهمج فإنّه سيرى صُورا ، ويتعرَّف خلقاً لم يكن يظنُّ أنَّ الله تعالى خلق شيئاً من ذلك العالم (٦) . وعَلَى أنَّ الخلق الذى يغْشى نارَهُ [يختلف (٧)] عَلَى قدر اختلافِ مواضعِ الغياض والبحار والجبال . ويعلم أنَّ مَالم يبلغه أكثرُ

(١) الصؤابة : بيضة القملة أو البرغوث . وهى فى ط : « الضآبة » وفى س ، م : « الضوابة » ، وكلاهما تحريف .

(٢) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام . وجنود الله : فى معنى ملائكته .

(٤) زيادة ضرورية .

(٥) لعلها « أو برية » .

(٦) لعلها « خلق شيئاً منه فى ذلك العالم » .

(٧) الزيادة من س .

وأعجب . ومَا أردُّ هذا التأويل ، وإنّه ليدخل عندى فى جملةِ مَاتدلُّ عليه الآية . ومَنْ لَمْ يَقل ذلك لم يفهَمْ عن ربِّهِ ولم يفقَهْ فى دينه . ٣٩

(ديدان الخل والملح)

كأنّك لاترى أنَّ فى دِيدانِ الخــلِّ والملحِ ، والدِّيدَانِ التى تتولد فى السُّموم إذا [عَتقت[١]] وعرض لها العفن — وهى بَعْدُ[٢] قواتل — عبرةً وأُعجوبة ، وأنَّ[٣] التفكّر فيها مَشحذةٌ للأذهان ، ومَنْبَهةٌ لذَوى الغفْلة ، وتحليلٌ لعقدة البُلْدة[٤] ، وسببٌ لاعتياد الرويّة وانفساح الصدور ، وعزٌّ فى النفوس ، وحلاوةٌ تقتاتُها الرُّوح ، وثمرةٌ تغذّى العقل ، وترَقٍّ فى الغايات الشريفة ، وتَشَرُّفٌ إلى معرفَة الغايات البعيدة .

(فأرة البيش والسمندل)

وكأنّك لاترى أنَّ فى فأرة البيش[٥] وفى السمنْدَل[٦] آيَةً غريبة ، وصفةً عجيبة ، وداعيةً إلى التفكُّر ، وسبباً إلى التعجُّب [والتَّعجيب[٧]] .

---

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد ترك لهـا فراغ فى كل من س ، م والتيمورية ، ولم يترك لها فى ط . وقد سددت هذا الفراغ مما نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ص ٣٤٤ عند كلامه فى (دودة الخل) . وعتق الشيء ، من باب ضرب وكرم ونصر : قدم وطال عليه العهد .

(٢) فى ثمار القلوب : « تعد » وما هنا أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فى الأصل : « ولأن » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) البلدة بالضم ، وبالفتح ، والبلادة أيضاً : ضد النفاذ والذكاء والمضاء فى الأمور . وفى الثمار : « البلادة » . وقد عرفت أنهما بمعنى .

(٥) فأرة البيش : دويبة تغتذى بالسموم فلا تضرها ، وليست بفأرة ولــكن هكذا تسمى . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٣١٧) .

(٦) السمندل : طائر يسقط فى النار فلا يحترق ريشه — زعموا . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٤٣٤) .

(٧) التكملة من مب .

(الجُعَل والورد)

وكأنَّك لاترى أنّ فى الجُعَل ، الذى متى دفنتَه فى الورد سكنَتْ حركته وبطلتْ(١) فى رأى العَين رُوحُه ، ومتى أعدْتَه إلى الرَّوث انحلّت عُقدته(٢) ، وعادت حركتُه ، ورجَع حسُّه — أعجَبَ العجَبِ ، وأحكمَ الحكم !

(حصول الخلد على رزقه)

وأىُّ شىء أعجبُ من الخُلْد(٣) ! وكيف يأتيه رزقه ، وكيف يهيِّئ [الله (٤)] له مايقوته(٥) ، وهو أعمى لايبصر ، وأصمُّ لايسمَع ، وبليدٌ لايتصرَّف ، وأبلهُ لايعرِف ! ومع ذلك أنّه لايجوز بابَ جُحره ، ولا(٦) يتكلّف سوى مايجلبُ إليه رازقُه ورازقُ غيره .

[وأىُّ شىءٍ أعجبُ من طائرٍ ليس له رزقٌ إلاَّ أن يخلِّل أسنانَ التِّمساح ، ويكون ذلك له(٧)] .

---

(١) ما عدا مب : « وبطل » .

(٢) مب : « عقده » .

(٣) الخلد بالضم ، وقد تفتح الخاء ، وقد تكسر : دويبة عمياء صماء لا تعرف ما يدنو منها إلا بالشم ، تخرج من جحرها ، وهى تعلم أن لاسمع لها ولا بصر لها ، فتفتح فاها وتقف على باب جحرها ، فيجىء الذباب فيسقط على شدقيها ويمر بين لحييها ، فتسد فمها عليها ، وتستدخلها بجذبة النفس ، تعلم أن ذلك هو رزقها وقسمها . (الحيوان ٦ : ٤١١) والدميرى برسمه . وقال داود الأنطاكى فى التذكرة ١ : ١٤٧ « حيوان فى حجم ابن عرس . وليس له بصر . . . وهو أقوى الحيوانات سمعاً » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) س ، م : « يفوته » بالفاء ، تحريف .

(٦) ما عدا مب : « ولأنه » .

(٧) تكملة من مب . وانظر ٤ : ٢٢٨ و ٦ : ٣٤٤ .

(الطائران العجيبان)

وأيُّ شيءٍ أعجبُ من طائرين ، يراهما الناسُ من أدنى جُدود البحر[١] من شِقِّ البصرة ، إلى غاية البحر من شِقّ السِّند ، أحدهما كبيرُ الجُثّة يرتفع في الهواء صُعُدًا[٢] ، والآخَر صغير الجثَّةِ يتقلَّب عليه ويعبَث به ، فلا يزال مرَّةً يرفرِفُ حَولَه ويرتقي على رأسه ، ومرَّةً يطيرُ عند ذُناباه ، ويدخلُ تحتَ جَناحه ويخرُج من بينِ رجليه ، فلا يزال يغُمُّه ويكرُبه[٣] حتَّى يتّقيه بذرقِهِ ، فإذا ذَرَق شحا له فاه[٤] فلا يخطئ أقصى حلقِه حتَّى كأنّه دحا[٥] به في بئر ، وحتَّى كأنَّ ذَرْقَه مِدحاةٌ بيد أسوار[٦] ، فلا الطائر الصغير يخطئ في التلقِّي ، وفي معرفته أنّه لارزق له إلاّ الذي في ذلك المكان ؛ ولا الكبير يخطئ التَّسديد[٧] ، ويعلمُ أنّه لاينجيه منه إلا أنْ يتّقِيَه بذرْقِه ، فإذا أوعى ذلك الذَّرْق[٨] ، واستَوْفى[٩] ذلك الرِّزق ، رجع

---

(١) الجدود : جمع جد بالفتح ، وهو الشاطئ . والجد بالكسر والجدة بالكسر أيضا ، بمعنى الجد : الشاطئ .

(٢) ماعدا مب : « مصعدا » .

(٣) ط : « بغمه ويكربه » ، وصوابه في س ، م . وفي مب : « يغصه ويكربه » .

(٤) شحافاه : فتحه . ماعدا مب : « يذرق فإذا ذرق شحا فاه » .

(٥) ط : م : « رما » ، وأثبت مافي س . و « رما — وصوابهما رمى — » و « دحا » بمعنى . وفي مب : «كأنه راد في بئر » .

(٦) المدحاة : آلة الدحو ، أي الرمى . الأسوار بالضم والكسر : الجيد الرمى بالسهام . مب : « مد حاسد اسوار » ، محرفة .

(٧) التسديد : إصابة الهدف . ماعدا مب : « التشديد » .

(٨) الذرق : نجو الطائر . أوعاه : استوعبه . مب : « وعى » .

(٩) ط : «استوى في» ، وصوابه في س ، مب .

شبعانَ رَيَّانَ بقُوتِ يومه ، ومضى الطائرُ الـكبير لِطِيَّتِه . وأمرهما مشهورٌ وشأنهما ظَاهر ، لايمكن دفُعه ولا تُهَـمَةُ المخبِرين عنه .

(التخالف بين الحيوان فى الطباع)

فجعل تعالى وعزَّ بعضَ الوحوش كَسُوباً محتالا ، وبعضَ الوحوش
٤٠ متوكِّلا غيرَ محتال ، وبعضَ الحشرات يدَّخِر لنفسه رِزْقَ سنَتِه ؛ وبَعضاً يتَّكل على الثِّقةِ بأنَّ له كلَّ يوم قَدْرَ كِفايتِهِ ، رزقاً معَدًّا وأمرًا مقطوعا . وَجَعَلَ [بعضَ[1]] الهمَج يدَّخر ، وبعضَه يتكَسَّب ، وبعضَ الذكورة يعُولُ وَلده ، وبعض الذكورة لايعرف وَلده ، وبعضَ الإناث تُخَرِّج ولدها[2] ، وبَعض الإناث تضيِّع ولدَها وتـكفلُ وَلدَ غيْرِ ها ، وبَعْضَ الأجناس معطوفَةً على كل وَلَدٍ من جنسها ، وبعض الإناث لاتعرف وَلدَها بعد استغْنَائهِ عنها ، وبعض الإناث لاتزال تعرِفُه وتعطفُ عليْهِ ، وبعضَ الإناث تأكلُ وَلدهَا ، وكذلك بعض الذكُورة . وبعضَ الأجناس يُعادى كُلَّ مايكسر بيضَها[3] أو يأكل أولادَهَا . وجعل يُتْمَ بعضِ الحيوان من قِبَل أمَّهاتها ، وجعل يُتْمَ بعضها من قِبَل آبائها ، وجعل بعضَها لايلتمس الولد وإن أتاه الولد ، وجعل بعضها مستفرِغَ الهمِّ فى حُبِّ الذَّرءِ[4] والتماس الولدِ ؛ وجعل بعضها يُزَاوِج وبعضها لايزاوِج

---

(١) التكملة من مب .
(٢) التخريج : التربية والتأديب . ويصح أن تكون « تخرج » من الإخراج . كما نقل الجاحظ عن أرسطو فى الحيوان (٦ : ٣٣٨) : أن العقاب لابد أنه تخرج واحدا من أولادها ، وربما طردتهن جميعا . اهـ لـكن المقابلة ترجح الضبط الأول . وفى مب : « تبغض ولدها » .
(٣) ماعدا مب : « كل شيء ويكسر بيضها » .
(٤) الذرء : النسل .

ليكونَ للمتوكل من الناس جهةٌ فى [توكُّله ، وللمتكسِّب جهةً فى[١]] تكسُّبه وليُحضِرَ[٢] على بالهم أسباب البِرِّ والعُقوق ، وأسبابَ الحظْر والتربية ، وأسبابَ الوَحشة من الأرحام الماسَّة .

(افتراق المعانى واختلاف العلل)

ولمكانِ افتراق المعانى[٣] واختلافِ العلل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعضهم : «اعقِلْهَا وتَوَكَّلْ[٤] » . وقال لبلال : « أَنفِقْ بلالَ ، ولا تخشَ مِنْ ذى العَرْش إقْلالا ! » .

[فافهموا هذا التدبيرَ ، وتعلَّموا هذه الحكم ، واعرفوا مداخلَها ومخارجَها ومفرَّقَها ومجموعَها ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلَّ لم يُرَدِّد فى كتابه ذِكرَ الاعتبارِ ، والحثَّ عَلَى التفكير ، والترغيبَ فى النظر وفى التثبُّت والتعرُّف والتوقُّف[١]] ، إلاّ وهو يريد أن تكونوا علماءَ من تلك الجهة ، حكماءَ من هذه التعبئة[٥] .

(المعرفة والاستدلال)

ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنَّه لولا الاستدلال بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى . ولولا تمييزُ المضارِّ من المنافع[٦] ، والرديِّ من الجيِّد بالعيون المجعولة لذلك ، لما جعَل الله عزَّ وجلَّ العيونَ المدرِكَةَ . والإنسانُ الحسَّاس[٧] إذا كانت الأمور المميَّزة عنده ، أخذ مايحتاج إليه وترك مايستغنى عنه وما يَضُرّ أخذه[٨] ، فيأخذ مايحبُّ ويدَعُ مايكره ، ويشكر

---

(١) التكملة من مب . (٢) ماعدا مب : « ولتحظر » .
(٣) ماعدا مب : « اقتران المعانى » .
(٤) رواه الترمذى عن أنس . وقال السيوطى : حديث ضعيف . الجامع الصغير ١١٩١ .
(٥) التعبئة : الإعداد . مب : « بهذه التعبئة » . (٦) كذا . ولعلها : «الضار من النافع» .
(٧) فى الأصل : «ولولا أن الإنسان الحساس » . (٨) ماعدا مب : « ومايضر من أخذه » .

على المحبوب ويصبر على المكروه ، حتى يذكر بالمكروه كيفيَّةَ العِقاب ، ويَذكُر بالمحبوب كيفيّةَ الثواب ، ويعرفَ بذلك كيفيَّة التضاعيف ، ويكون مايغمُّه رادِعًا له ، وممتَحَناً بالصَّبْر عليه، وما يسرُّه باسطاً له ومُمْتَحَنا بالشكر
٤١ عليه . وللعقل فى خِلال ذلك مجال ، وللرأى تقلب ، وتَنْشَقُّ[١] للخواطر أسبابٌ ، ويتهيّأ لصواب الرأى أبواب . ولتكون المعارف الحسيَّة[٢] والوِجدانات الغريزيّة ، وتمييز الأمور بها ؛إلى مايتميز عند العقول[٣] وتحصره المقاييس . وليكون عملُ الدُّنيا سُلَّما إلى عمل الآخرة ، وليترَقّى من مَعْرفة الحواس إلَى مَعْرِفَةِ العُقول ، ومن معْرِفَة الروِيّة من غايةٍ إلَى غايةٍ ؛ حتَّى لاَ يرضى من العِلم والعَمَل إلاّ بما أدّاه إلَى الثَّواب الدائم ، ونجَّاه من العِقاب الأليم[٤] .

(مايحسن الكلب مما لايحسنه الإنسان)

سنذْكُرُ طَرَفا ممَّا أودَعَ الله — عزَّ وجلَّ — الكلبَ ممَّا لاتحسنُه أنت أيُّها الإنسان ، مع احتقارِك له وظلمِك إيَّاهُ .

وكيف لاتكون تلك الحِكَمُ لطيفةً ، وتلك المعانى غَريبةً ، وتلك الأَحساسُ دقيقة ، ونحنُ نَعلم أنَّ أدقَّ الناس حِسًّا وأرقَّهُم ذِهناً وأحضَرَهم فَهْماً ، وأصَحَّهم خاطِراً وأكملَهُمْ تَجْرِبَة وعلما ، لَوْ رَامَ الشىءَ الذى يحسنُه الكلبُ فِى كثيرٍ منحالات الكلب لَظَهَر [له[٥]] منعجزه وخُرْقه، وكلال

---

(١) فى س : ، م : « وتنشر » . وفى ط : « تنشؤ » . وأثبت مافى مب .
(٢) ط : « الحبيبة »، وتصحيحه من س .
(٣) ماعدا مب : « عنه العقول » تحريف .
(٤) ماعدا مب : «الدائم » . (٥) التكملة من مب .

حدِّه وفَساد حسِّهِ ، ما [لا [١]] يعرف بدونه أنَّ الأمورَ لم تُقسَم على مقدار رأيه ، ولا عَلَى مبلغِ عقلِه وتقديره ، ولا على محبَّتِه وشهوته ؛ وأنّ الذى قسم ذلك لايحتاج إلى المشاورَة والمعاوَنة ، وإلى مكانَفةٍ ومُرافدة [٢] ، ولا إلى تجرِبة وروِيّة . ونحن ذاكرون من ذلك جملا إن شاء الله تعالى .

(خبرة الكلب فى الصيد)

أعلم أنَّ الكلب إذا عاين الظِّباءَ ، قريبةً كانت أو بعيدةً ، عرف المعْتَلَّ وغير المعْتل [٣] وعرَف العَنز من التَّيس . وهو إذا أبصرَ القطيعَ لم يقصِد إلاّ قصدَ التَّيس — وإنْ علم أنّه أشدُّ حُضراً ، وأطولُ وثْبةً ، وأبعدُ شوطاً — ويَدَعُ العنز وهو يرى مافيها من نقصان حُضْرها وقصرقابِ خَطوها ، ولكنَّه يعلم أنّ التَّيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حَقِبَ ببوله [٤] !!

(مايعترى الحيوان عند الفزع)

وكلُّ حيوانٍ [٥] إذا اشتدَّ فزعه ، فإنّه يَعرِض [٦] له إمَّا سَلَس البول والتقطير ، وإمَّا الأُسْرُ [٧] والحَقَب . وكذلك المضروب بالسياط على الأَكتاف ، وبالعصِىِّ على الأَستاه . وما [٨] أكثر مايعتريهم البول والغائط .

(١) بهذه الزيادة يستقيم الكلام .
(٢) ماعدا مب : « مكاتفة ومرادفة » .
(٣) ط : « المقتل وغير المقتل » . وما أثبت من س ومب . وفى الدميرى — وأحسب أنه نقل عن الجاحظ — « عرف المقبل من المدبر » .
(٤) حقب ببوله : تعسر عليه البول . (٥) ماعدا مب : « وكل الحيوان » .
(٦) ماعدا مب : « سيعرض » .
(٧) الأسر ، بالضم : احتباس البول .
(٨) ط : « وأما » ، وصوابه فى س . وفى مب : « فما » .

وكذلك صار بعضُ الفُرسان الأَبطال إذا عايَنَ العدُوّ قطَّرَ إلى أن يذهب عنه ، لِهَولِ الجَنان(١) .

وإذا حَقِبَ التَّيس(٢) لم يستطع البَول مع شدَّة الحُضر ، ومع النَّفْزِ والزَّمَع(٣) ، ووضع القوائم معًا ورَفعِها مَعاً ، في أسرَعَ من الطَّرْف(٤) فيثقُل عَدْوُهُ ، ويقصُر مَدَى خُطاه(٥) ، ويعتريه البُهْر حتَّى يلحقه الكلبُ فيأخذه .

والعنز من الظِّباء إذا اعتراها البولُ من شدَّة الفزَع لم تجمعه ، وحذفت
٤٣ به كإيزاغ المَخَاض الضَّوارِبِ(٦) ، لسَعَةِ السَّبِيل وسهولةِ المخرج ، فتصير لذلك أدومَ شَدًّا ، وأصبرَ على المطاولة .

فهذا شيءٌ في طبعِ الكلب معرفتُه ، دونَ سائر الحيوان .

والكلب المجرِّب لايحتاجُ في ذلك إلى مُعاناةٍ ، ولا إلى تعلُّم ، ولا إلى رويّة ولا إلى تكلف ، قد كفاه ذلك الذى خَلَق العَقل والعاقل والمعقُول ، والداءَ والدواءَ والمداواةَ والمداوِى ، وقَسَم الأُمور على الحكمة ، وعلى تَمام مصلحة الخليقة .

(ذكاء الكلب ومهارته في الاحتيال للصيد)

ومن معرفة الكلب ، أنَّ المكلِّب يُخرجه إلى الصيد في يومٍ ، الأَرضُ فيه ملبَسة من الجليد ، ومغشَّاةٌ بالثّلجِ ، قد تراكم عليها طبقاً علَى طبَق ،

---

(١) ماعدا مب : «هول الجنان» . (٢) حقب : احتبس بوله . ماعدا مب : « تعب » .
(٣) النفز : وثب الظبى خاصة ، ويقال ظبى ينفوز . وفى ط ، س : « النفر » بالراء . وفى مب : « البعر» . وفيما عدا مب : « والجزع » . والزمق : القلق والخرق .
(٤) كذا فى س ، مب ، وهو الصواب . وفى ط : « فما أسرع فى الطرف » .
(٥) ماعدا مب : «فيقصر خطوه » .
(٦) الإيزاغ : دفع الناقة ببولها . والمخاض : النوق الحوامل ، وهى فى ط « المحاض » محرفة ، وصوابها فى س ، مب . والضوارب : التى تضرب بأرجلها إذا أرادها الفحل ، تفعل ذلك لأنها حامل . والجاحظ ينظر إلى قول النابغة :

بضرب يزيل الهام عن سكناته   وطعن كإيزاغ المخاض الضوارب

حتَّى طبَّقها واستفاض فيها[١] ، حتَّى ربَّمَا ضربتْه الريح ببَرْدها ، فيعود كلُّ طبَقٍ منها وكأنّه صفاةٌ ملساء ، أو صخرةٌ خلْقاء[٢] ، حتى لايثبت عليها قَدَمٌ ولا خُفٌّ ، ولاحافر ولاظِلف ، [إلاَّ][٣] بالتثبيت الشديد ، أو بالجَهْدِ والتَّفريق ــ فيمضى[٤] الكلاَّبُ بالكلب ، وهو إنسانٌ عَاقل ، وصيَّادٌ مجرِّب ، وهو مع ذلك لايدرى أينَ جُحر الأَرنب من جميع بَسائِطِ الأَرض[٥] ، ولا موضعَ كُناس ظبىٍ ، ولا مَكْوِ ثعلب[٦] ، ولا غيرَ ذلك من موَالج[٧] وحوشِ الأَرضِ ؛ فيتخرَّق الكلب[٨] بينَ يديه وخَلفَهُ ، وعن يمينه وشماله ويتشمَّمُ ويتبصّر ، فلا يزال كذلك حتَّى يقِف على أفواه تلك الجِحَرة ، وحتى يُثير الذى فيها بتنفيس الذى فيها[٩] ، وذلك أنَّ أنفاسها وبُخارَ أجوافهاَ وأبدانِها ، وما يخرج من الحرارة المستكنّةِ[١٠] فى عمق الأرض ــ ممّا يُذيب مالاقاهاَ[١١] من فَمِ الجُحْر ، من الثَّلجِ الجامد ، حتى يرقَّ ويكاد أن يثقبه[١٢] وذلك خفىٌّ غامض ، لايقع عليه قانص[١٣] ولا راعٍ ، ولا قائف ولا فلاّح ، وليس يقع عليه إلاّ الكلب الصائد الماهر .

---

(١) ط : « استغاض فيها » ؛ وصوابه فى سائر النسخ .
(٢) الخلقاء من الصخور : المصمتة الملساء التى لايؤثر فيها شىء .
(٣) التكملة من مب .
(٤) ماعدا مب : « فضى » ، تحريف .
(٥) مب : « بسيط الأرض » .
(٦) مكو الثعلب : جحره ؛ ماعدا مب : « مكمن ثعلب » .
(٧) موالج : مداخل .
(٨) يتخرق : يشتد عدوه . وبين يديه : أمامه .
(٩) بتنفيس الذى فيها ؛ ليس فى مب .
(١٠) ط : « المستكمنة » ، وأثبت مافى س ، م ، مب .
(١١) ط : « ملاقاها » ، والصواب المثبت من س ، مب .
(١٢) ماعدا مب : « وإن لم يثقب » .
(١٣) ط : « ناقص » ؛ وهو تحريف صوابه فى س ، مب . والقانص : الصائد .

وعلى أنّ لِلكلب(١) فى تَتَبُّع الدُّرَّاج(٢) والإصعادِ خَلْفَ الأرانب فى الجبَل الشاهق ، من الرِّفق وحسن الاهتداء والتأنِّى(٣) مايخفى مكانُه على البيازرة(٤) والكلاّبين .

(الانتباه الغريزى فى الكلب)

وقد خبَّرنى صديقٌ لى أنّه حبس كلباً له فى بيتٍ وأغلَقَ دونه الباب فى الوقت الذى كان طبَّاخُه يرجع فيه من السوق ومعَه اللحم ، ثمَّ أحدَّ سِكِّيناً بسكين ، فنبَح الكلب [وقَلق(٥)]، ورام فتحَ الباب ؛ لتوهُّمه أنَّ الطبَّاخ قد رجَع من السوق بالوظيفة(٦) ، وهو يحد السِّكِّين ليقطع اللَّحم !!

قال : فلما كان العشىُّ صنَعْنا به مثلَ ذلك ، لنتعرَّف حالَه فى معرفة الوقت ، فلم يتحرَّكْ !!

قال : وصنعتُ ذلك بكلبٍ لى آخرَ فلم يَقْلَقْ إلاَّ قلقاً يَسيرا، فلم يلبث أَنْ رجَع الطبّاخُ فصنَع بالسِّكِّين مثل صنيعى ، فقلِق حتَّى رام فتحَ الباب!!

٤٣ قال فقلت : والله لَئِنْ كان عرفَ الوقتَ بالرَّصْد(٧) فتحرَّك له ، فلما لم يشَمَّ ريحَ اللحم عرَف أنَّه ليس بشىء ، ثمَّ لما سمع صوتَ السِّكِّين

---

(١) فى الأصل : « الكلب » ؛ والصواب ما كتبت .

(٢) الدراج : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما ؛ أغبر على خلقة القطا ؛ إلا أنه ألطف . و « تتبع » هى فى الأصل : « تنبيح » وفى مب : « تبنيج » ، والوجه ما أثبت .

(٣) مب : «التأنى» ؛ وفيما عداها : « التأتى » ؛ والوجه ما أثبت . والتأتى : حسن الاحتيال .

(٤) ماعدا مب : « لايخفى » و « لا » مقحمة ؛ و البيازرة : جمع بيزار بفتح الباء ؛ وهو الصائد بالبازى . ماعدا مب : « البياز » ؛ وهو تحريف ما أثبت من مب .

(٥) التكملة من مب .

(٦) الوظيفة : مايقدر من طعام أو رزق فى اليوم ، وكذا فى السنة والزمان المعين .

(٧) الرصد : الارتقاب .

والوقتُ بَعْدُ لم يَذْهب ، وقَدْ جيء باللحم [فشمَّ رِيحَ اللَّحم] من المطبخ[(١)] وهو فى البيت ، أو عرف فَصْل[(٢)] مابين إحدادِى السِّكِّينَ وإحدادِ الطباخ ، إنّ هذا أيضاً لَعَجَب .

وإنّ اللحمَ ليكونُ بينى وبينَه الذراعان والثلاث الأذرع ، فما أجدُ رِيحه إلاّ بَعْدَ أنْ أُدْنِيَه من أنفى . وكلُّ ذلك عجب .

ولم أجِدْ أهل سكّة أَصطَفانُوس[(٣)] ، ودار جاريَةَ ، وباعَةَ مُرَبَّعَةِ بنى مِنْقَرٍ[(٤)] يشُكُّون أنَّ كلباً كان يكونُ فى أعلى السكة ، وكان لا يجوز مَحْرَس الحارس أيامَ الأسبوع كلِّه ، حتَّى إذَا كان يومُ الجمعة أقبلَ قَبْلَ صلاة الغداة ، من موضعه ذلك إلى بابِ جاريَة ، فلا يزال هناكَ مادام على مِعْلاقِ الجزَّارِ شيءٌ من لحم . وبابُ جاريَةَ تُنحر عندَه الجُزُر فى جميع أيَّام الجمع خاصَّة ، فكان ذلك لهذا الكلب عادةً ، ولم يره أحدٌ [منهم] فى ذلك الموضع فى سائر الأيَّام[(٥)] ، حتَّى إذا كان غداةَ الجمعة أَقبَل !

فليس يكونُ مِثلُ هذا إلّا عن مقداريَّةٍ[(٦)] بمقدار ما بين الوقتين .

ولعلَّ كثيراً من الناس ينتابون بعْض [هذه[(٧)]] المواضع فى يومِ الجمعةِ ،

---

(١) ط ، م : « الطبخ » ، وصوابهما فى س ، مب . والتكملة قبله من مب .

(٢) المراد بالفصل الفرق .

(٣) موضع فى البصرة ، مسماة باسم كاتب نصرانى كان فى أيام زياد أو ماقاربها . روى عن ابن عباس أنه قال « الحظوظ مقسومة ، لايقدر أحد على صرفها ونقلها عن أماكنها . ألا ترى إلى سكة أصطفانوس كان يقال لها سكة الصحابة ، نزلها عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تضف إلى واحد منهم ، وأضيفت إلى كاتب نصرانى من أهل البحرين – يريد أصطفانوس – وتركوا الصحابة » . معجم البلدان (أصطفانوس ، وسكة أصطفانوس) .

(٤) الباعة : جمع بائع . والمربعة : الموضع المربع . وفى ط : « مربعة بين منقر » ، وهو تحريف ماأثبت من س ، م ، مب والتيمورية . وهى وسابقتها موضعان بالبصرة .

(٥) التكملة من مب . و « فى سائر الأيام » ساقط من مب . وفى سائر النسخ : « فى سائر أيام الجمعة » ، تحريف .

(٦) مقدارية : بمعنى تقدير ، وهو مصدر صناعى من كلمة « مقدار » . مب : « عن معرفة »

(٧) زدتها للحاجة إليها .

إمّا لصلاةٍ ، وإما لغير ذلك ، فلا يَعْدِمُهُم[١] النِّسيان من أنفسهم ، والاستذكار بغيرهم[٢] . [وهذا[٣]] الكلبُ لم ينسَ من نفسه ، ولا يستذكر بغيره[٤] .

وزعم هؤلاء بأجمعهم أنَّهم تفقَّدوا شأنَ هذا الكلب منذ انتبهوا لصَنيعِه هذا[٥] ، فلم يجِدُوه غادرَ ذلك يوماً واحداً . فهذَا هذا .

(قصّة فى وفاء الكلب)

وأنشد أبو الحسن بن خالويه[٦] عن أبي عُبيدة لبعض الشعراء :

يُعَرِّدُ عنهُ جارُهُ وشقيقُه ... وينبِشُ عنه كلبُهُ وهو ضارِبُهْ[٧]

قال أبو عبيدة[٨] : قيل ذلك لأنَّ رجلاً خرج إلى الجَبّان ينتظر رِكابَه فأتبعه كلبٌ كان له ، فضرب الكلبَ وطردَه ، وكره أن يتبعه ، ورماه بحجر ، فأبى الكلبُ إلَّا أن يذهب معه ، فلما صار إلى الموضع الذى يريد فيه الانتظار ، ربضَ الكلبُ قريباً منه ، فبينا هو كذلك[٩] إذ أتاهُ أعداءٌ لَهُ يطلبونه

(١) يقال مايعدمنى هذا الأمر : أى مايعدونى . ويقال أيضا : أعدمنى الشيء : إذا لم أجده . وفى ط : « لايعد فيهم » ، وهو تحريف مافى س ، مب .

(٢) ماعدا مب : « لغير » .

(٣) التكملة من مب . (٤) ماعدا مب : « ولم يتذكر » .

(٥) كلمة «هذا» من مب فقط . وفيما عدا مب : « لصنعه » . (٦) مب : « بن حلوه » .

(٧) التعريد : الإحجام والفرار . وفى الأصل : « يعود » ، وليس لها وجه يصح . والصواب ما كتبت من تأويل مختلف الحديث ص ١٦٦ .

(٨) قصة البيت رواها ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث عن أبي عبيدة أيضا ، ولكنها تباين ماهنا ، قال : « وقد كان أبو عبيدة يذكر أن رجلين سافرا ومع أحدهما كلب له ، فوقع عليهما اللصوص فقاتل أحدهما حتى غلب وأخذ فدفن وترك رأسه بارزاً ، وجاءت الغربان وسباع الطير فحامت حوله ، تريد أن تنهشه وتقلع عينيه ، ورأى ذلك كلب كان معه ، فلم يزل ينبش التراب عنه حتى استخرجه ، ومن قبل ذلك قد فر صاحبه ، وأسلمه » .

(٩) ماعدا مب : « قريبا فبينما هو كذلك » .

بطائلةٍ لهم عنده ، وكان معه جار لَهُ وأخوه دِنْياً[١] ، فأسلماه وهربا عنه ،
فجرح جِراحاتٍ ورُمى بهِ فى بئرٍ غيرِ بعيدة القعر ، ثم حَثَوْا عليه من التراب
حتَّى غَطَّى رأسَه[٢] ثم كُمِّمَ فوقَ رأسِه منه[٣] ، والكلبُ فى ذلك يَزجُم[٤]
ويَهِرُّ ، فلمَّا انصرفوا أتى رأسَ البئر ؛ فما زال يَعوى وينبث[٥] عنه ويحثو
التُّرابَ بيده ويكشف عن رأسه حتى أظهر رأسَه، فتنفّسَ ورُدَّتْ إليه الرُّوح[٦] ٤٤
وقد كاد يموتُ ولم يبق منه إلّا حُشاشة، فبينا هو كذلك إذْ مَرّ ناس
فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنّه يحفِر عن قبر ، فنظروا فإذا هم بالرَّجُلِ
فى تلك الحال ، فاستشالوه[٧] فأخرجوه حيًّا ، وَحملوه حتَّى أدَّوه إلى أهله ،
فزعم أنّ ذلك الموضعَ يُدْعَى ببئر الكلب . وهو مُتيامِن عن النَّجف[٨] .

وهذا العملُ يدل عَلَى وَفَاءٍ طبيعى[٩] وإلفٍ غريزى ومحاماةٍ شديدة ، وعلى معرفةٍ وصبرٍ ،وعلى كرم وشكر ،وعلى غَناءٍ عجيب ومنفعةٍ تفوق المنافع ؛ لأَنّ ذلك كلَّه كان من غير تكلف ولا تصنُّعٍ .

---

(١) قال الوزير أبو بكر البطليوسى : « إذا كسر أوله جاز فيه التنوين ، وإذا ضم لم يجز فيه إلا ترك الصرف ؛ لأن فعلى لايكون إلا للمؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون كما تقول : هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إن كان ألفه للتأنيث » . ودنيا بمعنى الأدنى من القرابة . انظر ص ٤ من خمسة دواوين العرب . ويفهم من صنيع صاحب اللسان أن هذه الكلمة لا تقال إلا فى ابن العم أو العمة أو ابن الخال ، أو الخالة ، أو ابن الأخ ، أو الأخت .

(٢) ماعدا مب : « ثم حثى عليه التراب ثم غطى رأسه » .

(٣) كممه : غطاه . و « ثم كمم فوق رأسه » ساقط من مب .

(٤) يزجم : يصوت . والغرب : جمع غراب . مب : « يزحم » . وفى سائر النسخ : « يرحم » ، والوجه ماأثبت .

(٥) نبث الأرض : نبش ترابها . ماعدا مب : « ينبش » .

(٦) مب : « ويبحث التراب عن رأسه حتى تنفس ووصل إليه الروح » .

(٧) استشالوه : رفعوه . (٨) مب : « النحيت » .

(٩) مب : « على طبيعة » .

(مؤمن بن خاقان والأعرابى)

وقال مؤمَّل[١] بن خاقان، لأعرابيٍّ من بنى أَسد، وقد أَكَلَ جَرْوَ كلب: أتأكل لحم الكلب وقد قال الشاعر[٢] :

إذا أسدىٌّ جاعَ يوماً ببلَدةٍ وكان سميناً كلبُه فهو آكلُه

أَكُلَّ هذا قَرَماً إلى اللحم ؟ ! قال : فأنشأ[٣] الأسدىُّ يقول :

وصَبًّا بحظِّ اللَّيثِ طُعْماً وشَهْوَةً فسائِل أخا الحَلْفَاءِ إن كنتَ لاتدرى[٤]

(طلب الأسد للكلب)

قال : وذلك لأنَّ الأسَدَ[٥] لايحرِص على شىءٍ من اللُّحمانِ حِرصَه على لحم الكلب . وأمَّا العامَّة فتزعُم أنَّ لُحوم الشاءِ أحبُّ اللُّحمانِ إليه، قالُوا : ولذلك يُطيف الأسدُ بجَنَبَاتِ القُرى ؛ طلباً لاغترار الكلب ؛ لانَّ وثبة الأسد تُعجِل الكلب عن القيام وهو رابض . حتَّى رُبَّما دعاهم ذلك إلى إخراج الكلب من قُراهم ؛ إلاَّ أنْ يَكون بقرب ضِياعهم خنازيرُ ، فليس حينئذٍ شىءٌ أحبَّ إليهم من أن تكثُر الأُسد عندهم . وإنَّما يُخرجون عنهم فى تلك الحالات الكلاب[٦] ، لأنَّهم يخافونها على ماهو عندهم أنفَسُ

(١) ماعدا مب : « مؤمن » ، صوابه من مب ، والبيان ١ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٥٥.
(٢) هو الفرزدق كما فى البخلاء ١٩٨ والمعانى الكبير ٢٥٤ .
(٣) ماعدا مب : « فأنشد » .
(٤) ماعدا مب : « الخلعاء » وفى ط : « أخى » ، صوابه فى مب والمعانى الكبير . قال ابن قتيبة : « وأخو الحلفاء : الأسد ، لأنه يسكن الحلفاء فى الغياض » .
(٥) ط : « وذلك الأسدى » ، والصواب ماأثبت من س ، م . وفى مب : «وذلك أن الأسد» .
(٦) مب : « وإنما يخرجون فى تلك الحال الكلاب » .

من الكلب ، وهذه مصلحةٌ فى الكلب(١) ، ولا يكون ذلك إلّا فى القُرى التى يِقُرْبِ الغَيْضَةِ أو المأسَدة(٢) .

(علة طلب الأسد للكلب)

فزعملى(٣) بعض الدَّهاقِين قولاً لا أدرى كيف هو ، ذكر(٤) أنَّهم لا يشكُّونَ أنّه إنَّما يطلبُ الكلبَ لَحَنَقه عليه ، لا من طريقِ أنّ لحمَه أحبُّ اللُّحمان إليه . وإنّ الأسدَ ليأتى مَناقِع المياه ، وشطوطَ الأنهار ، فيأكل السَّراطين والضفادع ، والرَّق(٥) والسلاحف ، وإنَّه أَشرَهُ مِنْ أَنْ يختارَ لحما على لحم . قال : وإنَّما يكون ذلك منه إذا أرادَ المتطرِّفَ من حمير القرية وشائها وسائِر دوابِّها . فإذا لَجَّ الكلبُ فى النُّباح انتبهوا ونذِروا بالأسَد(٦) . فكانوا بَيْنَ أنْ يحصِّنوا أموالَهم وَبينَ أن يهجهجوا به(٧) . فيرجعَ خائبا . فإذا أراد ذلك بدأ بالكلب ؛ لأنْ يأمَنْ [بذلك] الإنذار(٨) ، ثمَّ يستولى على القرية(٩) بما فيها . فإنَّما يطالب الأسدُ الكلابَ لهذه العلّة . ٤٥

---

(١) هذه الجملة ساقطة من مب .

(٢) المأسدة : الأرض الكثيرة السباع . ما عدا مب : « التى تقرب » .

(٣) ما عدا مب : « وقال » .

(٤) ما عدا مب : « غير » .

(٥) الرق : العظيم من السلاحف . وفى الأصل : « الزق » بالزاى ، محرفة .

(٦) نذروا به : علموا . يقال أنذرتهم فنذروا ، بفتح النون وكسر الذال. مب : «فألح الكلب فى النباح انتبهوا وبدروا بالأسد » .

(٧) هجهج بالكلب : صاح به ليبعد فقال له : هج ! هج ! .

(٨) أى لكى يأمن الإنذار . ما عدا مب : « لأنه يأمن الإنذار » .

(٩) ط : يبيتون فى أعلى القرية . س ، م : « ثم يستوفى على القرية » ، صوابها من مب .

(من حيل الأسد فى الصيد)

وسمعتُ حديثاً من شُيُوخ مَلَّاحِى الموصل ـ وأنا هائب له ـ ورأيتُ الحديثَ يدُور بينهم ، ويتقبّله جميعُهم . وزعموا أنّ الأسدَ رُبَّما جاء إلى قَلس السفينة[١] ، فيتشبَّث به ليلا ، والملَّاحون يمدُّون السفينةَ فلا يشكُّون أنَّ القَلْس قد التفَّ عَلَى صخرة ، أو تعلَّق بجذْم شجرة[٢] . ومن عاداتهم أنْ يبعثوا الأوَّل من المدّادين ليحلَّه[٣] . فإذا رجع إليه الملاّح ليمدّه تمدّد الأسدُ بالأرض ، ولزِق بها[٤] وغمّض عينيه كى لايُبصَر وبيصُهما بالليل[٥] ، فإذا قرُب منه وثب عليه فخطِفه[٦] ، فلا يكون للملّاحين همٌّ إلّا إلقاءَ أنفُسهم فى الماء وعبورَهم إليه ؛ وربما أكاه إلّا مابقىَ منه ، ورُبما جرَّ فريسته إلى عِرِّيسهِ وعرينه[٧] ، وإلى أجرائه وأشبالِهِ ، وإنْ كانَ ذلك عَلَى أميال[٨] .

(سلاح الكلب وسلاح الدِّيك)

قالوا : فليس الدِّيك من بابَةِ الكلب ؛ لأنَّهُ إنْ ساوَرَهُ قَهَرَهُ قَهْرًا ذرِيعا . وسلاحُ الكلب الذى هو [فى[٩]] فيه ، أقوى من صِيصة[١٠]

---

(١) القلس ، بالفتح : حبل غليظ من حبال السفن . ماعدا مب : « جلل قلس السفينة » .
(٢) جذم الشجرة : أصلها .
(٣) ط : « أول المدادئن » ، محرفة . وفى م : « أول المدادين » ، وأثبت ما فى س ، مب . وفيما عدا مب : « ليحله » .
(٤) مب : « فإذا رجع إليه الملاح تمدد الأسد ولصق بالأرض » .
(٥) الوبيص : البريق . (٦) مب : « فحطمه » .
(٧) العريس والعريسة : مأوى الأسد . وفى م : « عريشته » وفى مب : « إلى عريسته وعرسه » .
(٨) ما عدا مب : « وإن ذلك على أميال » .
(٩) زيادة ضرورية .
(١٠) الصيصة : شوكة فى رجل الديك ، كما فى اللسان والقاموس . وقيل : صوابه « الصيصية » وقيل : تلك مخففة من هذه . انظر تاج العروس . مب : « صيصيته » .

الديك التى [١] فى رجله [٢] ، وصوته أنْدَى وأبعَد مَدَى [٣] ، وعينه أيقظ .

(دفاع من الكلب)

والكلب يكفى نفسه [٤] ويحمى غيره ، ويعُول أهلَه ، فيكون لصاحبه غُنمه وليس عليه غُرمه . ولَمَا يَرمَحُ [٥] الدوابُّ من الناس ، ولَمَا يَحرن ويجمَح ، وتنطَح وتقتُل أهلها فى يومٍ واحد ، أكثَرُ ممَّا يكونُ من جميع الكلاب فى عام .

والكبش يَنْطَحُ فيعقِر ويقتل ، من غير أن يُهاج ويُعبَث به .

والبرذَون يَعضُّ ويرمَح من غير أن يُهاج به ويُعبَث .

وأنت لاتكادُ ترى كلباً يعَضُّ أحداً إلّا من تهييج شديد ، وأكثر ذلك أيضا إنّما هو النُّباح والوعيد .

---

(١) فى الأصل : « الذى » ، والوجه ماأثبت .

(٢) قرأت فى نثار الأزهار لابن منظور ٩٦ : « وفى الديك الصيصة ، وهى طرف عرفه الحاد ، وهى سلاحه الذى يقاتل به ، وبها سمى قرن الثور صيصة » ، فقد جعل الصيصة فى العرف كما ترى .

(٣) أندى فى معنى أبعد . وفى ط : « الذى أبعد » ، تحريف صوابه فى س . وكلمة « مدى » من مب .

(٤) ماعدا مب : « يحمى نفسه » .

(٥) الرمح : الرفس .

(٦) ماعدا مب : «ولما تحذف وتجنح » .

(معرفة الكلب صاحبه وفرحه به)

والكلب يعرف وجهَ ربِّه [(١)] [من وجه عبده] وأمَتِه ، ووجهَ الزائر . حتَّى ربَّما غاب صاحب الدار حولاً مجرَّماً [(٢)] ، فإذا أبصرَه قادِماً اعتراه من الفرَح والبصبصة ، والعُواء [(٣)] الذى يدلُّ على السرور ، وعلى شدَّة الحنين ، مالا يكون فيه شيءٌ فوقه [(٤)] .

(قصّة فى وفاء كلب)

وخبَّرنى صديقٌ لى قال : كان عندنا جروُ كلب ، وكان لى خادمٌ لهِجٌ بتقريبه ، مولعٌ بالإحسان إليه ، كثيرُ المعاينــة له ، فغاب عن البَصرة أشهراً [(٥)] ، فقلت لبعضِ مَنْ عِنْدى : أتظنون أنّ فلانا (يعنى الكلب) يُثبت اليومَ صورةَ فلان (يعنى خادمَه الغائب) وقد فارقَه وهو جرو ، وقد صار كلباً يشغَر ببوله؟ قالوا : مانشكُّ أنّهقد نسىَ صورتَه وجميعَ برٍّ كان به [(٦)] . قال : فبينا أنا جالسٌ فى الدار إذ سمعت من قِبَلِ بابِ الدار نُباحَه ، فلم أَرَ شِكْلَ نباحه من التأنُّب [(٧)] والتعثيث [(٨)] والتوعّد ، ورأيت فيه بَصبصةَ

---

(١) ماعدا مب : « صاحبه » . والتكملة بعده من مب .

(٢) مجرما : كاملا . ط : « نعم ربما غارب عند صاحبه حولا كاملا » وفى س : « نعم ربما غاب عنه صاحبه حولا كاملا » ، صوابه فى مب .

(٣) ط : « والالتواء » .

(٤) ماعدا مب : « بما لاشىء فوقه » .

(٥) ماعدا مب : « فغاب عنها إلى البصرة أشهرا » .

(٦) ماعدا مب : « وجميع بر كان يبره » .

(٧) كذا . وفى س : « التونب » وفى مب « من شكل التوثب » .

(٨) التعثيث : الترجيع فى الصوت . والكلمة ساقطة من مب .

السُّرور ، وحَنين الإلْف . ثمَّ لم أَلبَث أن رأيتُ الخادمَ طالعاً علينا ، وإنَّ الـكلبَ ليلتَفُّ على ساقيه ، ويرتفِع إلى فخذيه ، وينظر فى وجهه ، ويصيح صياحاً يستَبِين فيه الفرحُ . ولقد بلَغ من إفراط سُروره أنِّى ظَننتُ أنّه عُرِض[1] . ثمَّ كان بعد ذلك يغيب الشَّهرين والثلاثة ، أوْ يمضى إلى بغدادَ ثم يرجع إلى العسكر[2] بعد أيَّام ، فأعرِف بذلك الضَّرْب من البصبصة ، وبذلك النوع من النُّباح ، أنَّ الخادمَ قدِم . حتّى قلتُ لبعض من عندى[3] : ينبغى أن يكون فلان قد قدم ، وهو داخل عليكم مع الـكلب . ٤٦

وزعم لى أنّه ربَّما أُلْقِيَ لهذا الجرو إلى أن صار كلبا تامًّا ، بعضُ الطعام فيأكل منه ما أكل ، ثم يَمضى بالباقى فيخبؤُه[4] . وربَّما أُلْقِيَ إليه الشىءُ وهو شَبْعان فيحتمله ، حتَّى يأتِيَ به بعضَ المخابئ فيضعه هناك ، حتّى إذا جاع رجَع إليه فأكله .

(أدب الـكلب)

وزعم لى غِلمانى وغيرُهم من أهل الدَّرب ، أنَّه كان ينبح على كلِّ راكبٍ يدخل الدرب إلى عراقيب برذونه ، سائساً كان أو صاحبَ دابّةٍ إلّا أنَّه كان إذا رأى محمدَ بن عبدِ الملكِ داخلاً إلى باب الدربِ أو خارجاً منه ، لم ينبَحْ ألبتَّةَ ، لا عليه ولا على دابَّته ، بل كان لا يقف له على الباب ولا على الطريق ، ولـكنَّه يدخل الدِّهليز سريعاً ، فسألتُ عن ذلك فبلغنى

(١) عرض : أصابه الجنون . مب : « ظننت له قد عرض له » .

(٢) هو عسكر المهدى ، المعروف بالرصافة ، سمى بذلك لأن المهدى عسكر به حين شخص إلى الرى . معجم البلدان .

(٣) ماعدا مب : « لبعضهم عندى » .

(٤) ماعدا مب : « ليخبأه » .

أنه كان إذا أقبل صاحَ به الخادم، وأهوَى له بالضَّرب(١) ، فيدخل الدِّهليز، وأنه مافعل ذلك بهِ إلّا ثلاثَ مِرارٍ(٢) ،حتَّى صارإذا رأى محمَّدَ بنَ عبدِ الملك، دخل الدِّهليزَ من تلقاء نفسه ، فإذا جاوزَ وثب عَلَى عراقيب دوابِّ الشاكريَّة(٣) . ورأيتُ هذا الخبرَ عندَهم مشهوراً .

قال : وكُنَّا إذا تَغَدَّيْنَا دنا من الخِوان فزجرناه مرَّةً أو مرَّتين، فكان لايقرَبُنا ، لمكان الزَّجر(٤) ، ولا يَبْعُدُ عن الخوان ، لعلَّةِ الطمع ، فإن ألقينا إليه شيئاً أكلَه ثَمَّ ، ودنا من أجل ذلك بعضَ الدُّنوِّ . فكُنَّا نستظهِرُ عليه(٥) ، فنرمى باللُّقمة فوقَ مَربِضِه بأذرُع . فإذا أكلها ازداد فى الطَّمَع ، فقرَّبهُ ذلك من الخِوان ، ثمَّ يجوز موضعَه الذى كان فيه . ولولا ما كنا نقصِد إليه من امتحان ما عندَه ، ليصيرَ مايظهرُ لنا حديثاً ، لكان إطعام الكلب والسِّنَّور من الخِوان خطأً من وجوه : أوَّلُهَا أن يكون يصير له به دُرْبة(٦) ، حتَّى إنَّ منها ما يمــدُّ يَده إلى ما على المائدة(٧) حتّى

(١) ماعدا مب : « وهوله بالضرب » .

(٢) ماعدا مب :« مرات » .

(٣) فى القاموس « الشاكرى : الأجير المستخدم ، معرب چاكر » ، والجاحظ يستعملها بمعنى الجند ، قال فى رســالته إلى الفتح بن خاقان فى مناقب الترك (رسائل الجاحظ ١ : ٣٠ بتحقيقنا) : « وقد ظن ناس كثيرون أن أسماء أصناف الأجناد لمــا اختلفت فى الصورة والخط والهجاء أن حقائقها ومعانيها على حسب ذلك . وليس الأمر على حسب ماتوهمه ، ألا ترى أن اسم الشاكرية وإن خالف فى الصورة والهجاء اسم الجند ، فإن المعنى فيهما ليس ببعيد ، لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعلم واحد » . فيظهر أن المراد بهذا اللفظ هو الجند المستأجرون .

(٤) ماعدا مب : « فرجمناه » ، و « لمكان الرجم » .

(٥) يريد نحاول التغلب عليه ، من ظهر عليه بمعنى غلبه .

(٦) ماعدا مب : « أن يكون تضرية مضرية له تدربة » ، والوجه مافى مب .

(٧) ماعدا مب : « الخوان » .

ربما تناول بفيه ماعليها(١) ، وربّما قاء الذى يأكل(٢)[وهم يرَونه]، وربّما لم يرضَ بذلك حتّى يعُودَ فى قيئه . وهذا كله ممّا لاينبغى أن يحضُرَهُ الرئيس، ويشهدَه ربُّ الدار . وهو علَى الحاشية أجوز .

(الأكل بين أيدى السباع)

٤٧ فأمّا علماءُ الفرسِ والهند ، وأطبَّاءُ اليونانيِّينَ ودُهاةُ العرب ، وأهلُ التَّجربة مِن نازِلة الأمصار وحُذّاق المتكلّمين(٣) ، فإنهم يكرهون الأكلَ بين أيْدِى السِّباع ، يخافون نفوسَها وأعينَها ، لِلَّذى فيها من الشَّرَه والحِرص ، والطَّلَب والكَلَب ، [ولِماَ(٤)] يتحلَّلُ عند ذلك من أجوافها من البخار الردِىء ، وينفصل مِن عيونها من الأُمور المفسِدة ، التى إذا خالطتْ طباعَ الإنسان نقضَتْه(٥) .

وقد رُوى مثلُ ذلك عن الثَّورى عن سِماك بن حَرْبٍ عن ابن عبّاس أنّه قال على مِنبر البَصرة : إنّ الكلاب من الجنّ ، وإنّ الجنّ من ضَعَفَةِ الجنّ ، فإذا غشِيَكم منها شيءٌ [فألقوا إليه شيئاً(٦)] واطردوها ، فإنّ لها أنفسَ سوء .

ولذلك كانوا يكرَهون قِيامَ الخدمِ بالمذَابِّ والأشربةِ على رُءُوسهمْ وهم يأكلون ؛ مخافةَ النّفس والعَين . وكانوا يأمرون بإشباعهم قبلَ أنْ

---

(١) ماعدا مب : « فإنما تناول بفيه ما عليها » .
(٢) ماعدا مب : « أكله » . والتكملة بعده من مب .
(٣) « وحذاق المتكلمين » ليست فى مب .
(٤) التكملة من مب ، وبعدها فى مب : « ينحل » بدل « يتحلل » .
(٥) ماعدا مب : « طبائع الإنسان نقضتها » . والطباع : الطبيعة .
(٦) الزيادة من س ، م ، مب . وفى تأويل مختلف الحديث ١٦٧ : « فإذا غشيتكم عند طعامكم فألقوا لها ، فإن لها أنفسا » ، قال ابن قتيبة : « يعنى أن لها عيونا تصيب بها . والنفس العين » .

يأكُلوا ، وكانوا يقولون فى السِّنَّور والـكلب : إمَّا أنْ تطردَهُ قبل أن تأكلَ وإمَّا أن تشغَلَهُ بشىء يأكله ، ولو بعظم .

ورأيتُ بعضَ الحـكماء وقد سقَطت من يده لقمةٌ فَرَفَعَ رأسه ، فإذا عينُ غلامٍ له[١] تحدِّق نحوَ لُقمته ، وإذا الغلامُ يزدَرِدُ ريقَه لتحلُّب فِه من الشَّهوة . وكان ذلك الحكيمُ جيِّدَ اللَّقْم[٢] ، طيِّبَ الطعام ، ويضيِّق على غلمانه .

فيزعمون أنّ نُفوسَ السِّباع وأعينَها فى هذا الباب أردأ[٣] وأخبَث . وبينَ هذا المعنى وبين قولهم فى إصابة العينِ الشىء العجيبَ المستحسَنَ شِرْكَةٌ وقَرَابَة ؛ وذلك أنَّهم قالوا : قد رأينا رجالاً ينسب[٤] ذلك إليهم ، ورأيناهم ، وفيهم من إصابة العَين مقدارٌ من العدد ، لانستطيع أن نجعل ذلك النَّسَق من باب الاتِّفاق . وليس إلى ردِّ الخبر سبيل ؛ لتواتره وترادُفِه ، ولأنّ العِيانَقد حقّقه ، والتجربة قد ضُمّت إليه .

(العين التى أصابت سهل بن حنيف)

وفى الحديث المأثور فى العين التى أصابت سَهْل بن حُنيف[٥] فأمرَ

---

(١) ماعدا مب : « غلامه » .

(٢) اللقم : الأكل السريع .

(٣) فى ط ، مب : « أردى » محرفة ، لأنها من الرداءة لا الإرداء ، ولا تكون من الثانى لأنه فوق الثلاثة ، والصواب فى س .

(٤) ط : « رجال لاينسب » ، بزيادة « لا » وصححته من س ، مب .

(٥) سهل بن حنيف من أهل بدر ، وممن ثبت يوم أحد ، حين انكشف الناس ، ونفح عن رسول الله ، وشهد الخندق والمشاهد كلها ، واستخلفه علىّ على البصرة بعد الجمل ، ثم شهد معه صفين . وهو من الأنصار . وعند ماآخى الرسول بين المهاجرين والأنصار جعل سهلا أخا لعلى بن أبى طالب . ومات بالـكوفة سنة ثمان وثلاثين . الإصابة ٣٥٢٠ والمعارف ١٢٦ . وقد جعله ابن قتيبة « سهيلا » بالتصغير . والمعروف « سهل » كما فى الإصابة وسيرة ابن هشام فى غير ماموضع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك بالذى أَمَرَ ، وذلك مشهور (١) .

(كلام فى العين والحسد)

قالوا : ولولا فاصل ينفصل من عين المستحسِن إلى بدن المستحسَن ، حتَّى يكون ذلك الداخلُ عليه هو الناقضَ (٢) لقُواهُ لَماَ جاز أن يلقى [مكروها البتَّةَ . وكيف يلقى (٣)] المكروه من انساقَ فى (٤) حَيِّزه وموضِعه (٥) ،[والذى أصابته العين فى حيّزه أيضاوموضعه (٣)]، من غير تماسٍّ ولا تصادُم ،ولا فاصل (٦) ولا عاملٍ لاقى معمَولا فيه . ولا يجوز أنْ يكون المعتل بعد صحّته يعتلُّ

(١) كنت قد كتبت بشأن هذا الحديث إلى المغفور له الأستاذ المحدث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر ، فكتب إلى رحمه الله بما يأتى : « أما حديث سهل بن حنيف فلا يمكننى جمع طرقه الآن ولكنه فى الموطأ (٣ : ١١٨ — ١١٩) وتيسير الوصول (٣ : ١٥٩) طبع التجارية فى كتاب الطب . وهو فى الموطأ بروايتين ، أولاهما « مالك عن محمد بن أبى أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبى ، سهل بن حنيف ، بالخرار ، فنزع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر . قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد . قال : فقال له عامر ابن ربيعة : ما رأيت كاليوم ولا جلد عذراء ! — فى الرواية الأخرى : ولا جلد مخبأة ! — قال : فوعك سهل مكانه واشتد وعكه . فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك وأنه غير رائح معك يارسول الله . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره سهل بالذى كان من أمر عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام يقتل أحدكم أخاه ! ألا بركت ؟ ! إن العين حق : توضأ له . فتوضأ له عامر ، فراح سهيل مع رسول الله ليس به بأس » . والحديث أخرجه النسائى وصححه ابن حبان ، ورواه الحاكم فى المستدرك من طرق أخرى (٣ : ٤١٠ — ٤١٢ ، ٤ : ٢١٥ — ٢١٦) بعضها مختصر وبعضها مطول .

(٢) ما عدا مب : « الناقص » ، تحريف .

(٣) التكملة من مب .

(٤) ما عدا مب : « من إنسان فى » .

(٥) حيزه : أى حده ومكانه المحدود . ط : « خيره » ، تحريف .

(٦) ط : « مناضل » ، صوابة فى س ، مب .

من غير معنًى بدنه[١] . ولا تنتقض الأخلاط ولا تتزايل إلّا لأمرٍ يعرِض ، لأنه حينئذٍ يكونُ ليس بأولى بالانتقاض من جسمٍ آخر . وإن جاز للصحيح أنْ يعتلّ من غير حادثٍ، جاز للمعتلّ أن يبرأ من غير حادث.

٤٨ وكذلك القولُ فى الحركة والسكون . وإذا جاز ذلك كان الغائبُ قياساً على الحاضر الذى لم يدخل عليه شيءٌ من مستحسِنٍ له . فإذا كان لابدَّ من معنًى قد عَمِل فيه ، فليس لذلك المعنى وجه إلّا أنْ يكونَ انفصل إليه شيءٌ عَمِل فيه . وإلّا فكيف يجوزُ أن يعتلّ من ذاتِ نفسه ، وهو على سلامتِه وتمام قوّتِه ، ولم يتغيَّرْ ولم يحدُث عليه ما يغيِّره . فهو وجسم غائب[٢] فى السَّلامة من الأعراض سواءٌ . وهذا جواب المتكلِّمين [الذين يصدِّقون بالعين ، ويُثبتون الرُّؤيا[٣]] .

(صفة المتكلمين)

[وليس يكونُ المتكلمُ[٣]] جامعاً لأقطار الكلام متمكِّناً فى الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتّى يكونَ الذى يُحسِن من كلام الدِّين فى وزن الذى يُحسِن من كلام الفلسفة . والعالِمُ عندنا هو الذى يجْمَعهما ، والمصيب [هو[٣]] الذى يجمَع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال . ومن زعم أنّ التوحيدَ لايصلح[٤] إلا بإبطال حقائق الطبائع ، فقد حمل

---

(١) ماعدا مب : « بعد صحة معنى بدنه » .

(٢) هذا ما فى س ، مب ، وهو الحق . وفى ط : « فهو جسم ثابت » ، وفى م : « فهو وجسم نائب » .

(٣) التكلة من مب ، وفى أصلها « الرواية » بدل « الرؤيا » . وانظر ص ١٣٩ .

(٤) ماعدا مب : « لايصح » .

عجْزَه على الـكلام فى التوحيد . وكذلك إذا زعمَ أنّ الطبائعَ لاتصحُّ إذا قرنتَها بالتوحيد . ومن قال فقد حمل عجزَه على الـكلام فى الطبائع .

وإنّما يَيْأس[١] منك الملحد إذا لم يَدْعُكَ[٢] التوفُّر على التوحيد إلى بَخس[٣] حقوقِ الطبائع ؛ لأنّ فى رفع أعمالها رفعَ أعيانها . وإذا كانت الأعيان هى الدالَّة على الله فرفعْتَ الدّليلَ[٤] ، فقد أبطلتَ المدلول عليه . ولعمرى إنّ فى الجمع بينهما لَبعضَ الشِّدّة .

وأنا أعوذُ بالله تعالى أنْ أكون كلّما غمزَ قناتى باب من الـكلام صَعْبُ المدخل ، نقضْتُ ركناً من أركان مقالتى ! ومن كان كذلك لم يُنتفَعْ به .

(الفاصل الذى يفصل من العين ونحوها)

فإن قال قائل : وما بلغ من أمر هذا الفاصِل الذى لايشعر بِهِ التموم الحضورَ ولا الذى انفصل منه ، ولا المارّ بينهما ، ولا المتلقِّى له ببدنِه وليس دونهُ شيء ، وكيف لم يَعْمَلْ فى الأقربِ دونَ الأبعد ، والأقربُ إنسان مثله ، ولعلَّه أن يكون طبعُهُ أشدَّ اجتذاباً للآفات !

وبعد ، فكيف يكون شيءٌ يصرَع الصحيحَ ويُضجِع القائم ، وينقُض القُوى ، ويُمرِض الأصحَّاء ، ويصدَع الصَّخْر ويهشِم العظْم ،

(١) فى الأصل : « يأنس » ، ولا وجه له .
(٢) ط ، م : « يرعك التوقير » ، وفى مب : « يدعك التوفير » والتصحيح من س .
(٣) ط ، م : « تحسن » والصواب من س ، مب .
(٤) ماعدا مب : « وإذا كانت الأعمال الدالة على ذلك قد رفعت الدليل » .
(٥) ماعدا مب : « ولا المار بينهما الملتق » ، تحريف

ويقْتُل(١) الثَّور ، ويَهدُّ(٢) الحمار ، ويجرى فى الجماد مَجراه فى النبات ، ويجرى فى النَّبات(٣) مجراه فى الحيوان ، ويجرى فى الصّلابة والملاسة جريهُ فى الأشياء السخيفة الرِّخوة؛ وهو ممَّا ليس له صدم كصدْم الحجر ، أو غَرْب كغرْب السَّيف ، أو حدٌّ كحدِّ السِّنان ؛ وليس من جنس السمّ [فيحملّ على نفوذ السُّمّ(٤)] ؛ وليس من جنس الغذاءِ فيُحمَل على نفوذ الغِذاء ، وليس من جنس السِّحر فيقال إنَّ العُمَّار(٥) عملوا ذلك من طريق طاعتهم للعزائم . فلعلَّ ذلك إنَّما كان شيئاً وافقَ شيئاً .

قيل لهم : قد تعلمون كيف مقدارُ سَمِّ الجرَّارة(٦) أو سمّ الأفْعى ، وكيف لو وزنتم الجَرّارة(٦) قبل لسعِها وبعده لوجدتموها على حالٍ واحدة . وأنت ترى كيف تفسَخ عقْدَ بدن الفيل ، وكيف تنقض(٧) قُوى البعير ، من غيرصدم [كصدم(٨)] الحجر ، [وغربٍ كغرب السَّيف(٤)] ، وحدٍّ كَحَدِّ السنان .

فإنْ قلت : فهل نابُ الأفْعَى وإبرةَ العقرب إلَّا فى سبيلِ حدِّ السنان ؟ قلنا : إنَّ البعيرَ لو كان إنما يتَفَسَّخ لطعْن العَقرب بإبرتها لَما كان ذلك يبلغ منها مقْدار النَّخس(٩) فقَط ، ولـكنَّه لَابُدَّ أن يكون ذلك

(١) ط : « يقل » ، والصواب من س .
(٢) ط : « يهدى » ، وهو تحريف ماقى س . وفى مب : « ويقتل » .
(٣) ماعدا مب : « الموات » .
(٤) التكملة من مب .
(٥) العمار : سكان البيوت من الجن . س : « العمال » محرفة . وفى مب : « فعلوا » .
(٦) الجرارة : نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وقد تحدث عنها الجاحظ فى الحيوان ٤ : ٢١٩ - ٢٢٠ . وفى ط : « الجرادة » ، وهو تحريف مافى س ، م ، مب .
(٧) فى الأصل : « تنقص » بالصاد .
(٨) التكملة من س ، م ، مب .
(٩) ط : « التحسن » ، مب : « الحسن » . والصواب من س ، م .

لأحد أمرَين : إمَّا أن تكون العقربُ تمجُّ فيه شيئاً من إبرتها ، فيكون طبع ذلك وإن قلَّ يفسخ الفيلَ والزَّنديبيل(١) ، وإمَّا أن يكون طبعُ ذلك الدّم إذا لاقاهُ طبعُ ذلك الناب وتلك الإبرة أن يُجمد(٢) فيقتل بالإجماد، أو يذيب فيقتل بالإذابة . فأيَّهما كان فإنَّ الأمرَ فيه على خلاف ما صدَّرتم به المسألة(٣) .

ولا تنازعَ بين الأعراب — والأعرابُ ناس إنّما وَضعوا بيوتَهم وأبنيتَهم وسطَ السِّباع والأحناش والهمَج، فهم ليس يعبُرون إلّا بها ، وليس يعرفون سواها — وقد أجمعوا على أنّ الأفعَى إذا هرِمت فلم تَطعَمْ ، ولم يبقَ فى فمها دم أنَّها تنكز بأنفها، وتطعن به ، ولا تعضُّ بفيها ، فيبلغ النَّكزُ لها ما كان يبلغُ لها قبلَ ذلك اللَّدغُ . وهل عندنا فى ذلك إلَّا تكذيبُهم أوالرجوعُ إلى الفاصل الذى أنكرتموه ؛ لأنَّ أحداً لايموت من تلك النَّخسة ، إن كان ليس هناك أكثر من تلك الغمْزة .

وقال العجَّاج ، أوابنُه رؤبة :

كنتم كَمَنْ أدخَلَ فى جُحْرٍ يدًا فأخطأ الأفْعَى ولَاقَى الأسودا

ثم قال :

* بالشمِّ لا بالسَّمِّ منه أقصدا(٥) *

وقال الآخر(٦) :

---

(١) الزندبيل : الفيل الكبير . ماعدا مب : « فيكون طبع ذلك السم كالصل والزندنيل » .
(٢) ط ، م : « يحمل »، وتصويبه من س ، مب .
(٣) ماعدا مب : « فإن الأمر على ماصدرتم به المسألة » .
(٤) نكزت الحية : لسعت بأنفها . ماعدا مب : « لم تطعم ولايبقى » إلخ .
(٥) ط : « بالشم إلا بالسم » ، وتصحيحه من س ، م .
(٦) البيت فى الحيوان ٤ : ٢٨٢ منسوب إلى يحيى بن أبى حفصة ، وانظر كذلك الحيوان ٤ : ١٨٣ .

أصمَّ ماشمّ من خَضْرَاءَ أيبسها   أو مسَّ من حجرٍ أوْهَاهُ فانصدَعا

وقد حدَّثنى الأصمعِىُّ بِفَرْق ما بينَ النَّكْز وغيره عندالأعراب[١] .

وههنا أمثالٌ نَضْرِبُها ، وأمور قد عايَنْتموها ، يذلِّلُ بها هذا المعنى عندكم ويسهُل بها المدخَل . قولوا لنا : ما بالُ العجينِ يكون فى أقصى الدار ويفلق إنسان بِطِّيخة[٢] فى أدنى الدار ، فلا يفلح ذلك العجين أبداً ولا يختمِر ؟ فما ذلك الفاصلُ[٣] ؟

وكيف تقولون بصدمٍ كان[٤] ذلك كصدم الحجر ، أو بغَرب كغرب السيف !! وكيف لم يعرِض ذلك الفساد فى كلِّ معجون هو أقربُ إليه من ذلك العجين .

وعلى أنَّ نكْز الحيَّةِ التى يصفُه[٥] الشُّعَراء بأنَّ المنكوزَ ميِّت لامحالة ، فى سبيل ماحدّثنى به [حاذقٌ من[٦]] حذّاق الأَطباء ، أنّ رجلا يضرب الحيّة[٧] مِن دواهى الحيّات بعصاه فيموت الضّاربُ[٨] ؛ لأنهم يرون أنّ شيئاً فَصَل من الحيَّةِ فجرى فيها حتَّى داخَلَ الضارب فقتَله . والأَطباء أيضاً والنَّصارى

(١) كذا والكلام ناقص . وانظر الحيوان ٤ : ١٤٩ .

(٢) ط : « ويقلق إنسان بطبخه » وتصحيحه من س ، و مب . وقد ذكر مثل هذا فى تأويل مختلف الحديث ٤٣٩ قال : « وقد يفسد العجين إذا قطع فى البيت الذى هو فيه البطيخ » .

(٣) ماعدا مب : « فما ذلك الفصل » .

(٤) ط : « يصدم ذلك » ، وأثبت مافى س . وفى مب : « انصدم كان » .

(٥) ماعدا مب : « تصف » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) ماعدا مب : « أن الرجل يصيب الحية » .

(٨) قال ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث : « وقد زعم صاحب المنطق أن رجلا ضرب حية بعصا فمات الضارب » . فيظهر أن محدث الجاحظ روى له مأثر عن أرسطو .

أجْرَا على دفع الرُّؤْيا[١] والعين ، وهذه الغَرائبِ التى تحكى عن الحيَّات وصرْعِ الشيطانِ الإنسانَ ، من غيرهم .

فأمَّا الدُّهريّة فمنْكِرة للشياطين والجنِّ والملائكة والرُّؤيا والرُّقى ، وهم يرون أنَّ أمرَهم لايتمُّ لهم إلاّ بمشارَكةِ أصحاب الجَهالات[٢] .

وقد نجدُ الرجُل ينقف شحم الحنظل[٣] ، وبينه وبين صاحبه مسافة صالحة ، فيجد فى حلقه مَرارة الحنظل ، وكذلك السُّوس إذا عولج بهِ وبينه وبين الإنسانِ[٤] مسافة متوسِّطة البعد ، يجدُ فى حلقهِ حلاوةَ السوس . وناقف الحنظل لاتزال عينه تهمُل مادام ينقفه ؛ ولذلك قال ابن حُمام ، قال أبو عبيدة : وهو الذى يقول[٥] :

كأنِّى غداةَ البَينِ يومَ تحمَّلوا   لَدَى سَمُرَاتِ الحىِّ ناقفُ حنْظل

يخبر عن بكائه ، ويصِف دُرُورَ دَمعتِه فى إثْر الحمول ، فشبَّه [نفسه][٦] بناقف الحنظل ، [وقد[٦]] ذكره امرؤ القيس فى قوله[٧] :

---

(١) أى الاعتقاد بصحة تأويلها وإنبائها عن المستقبل . وأجرا ، أى أجرأ ورسمت فى مب : « أجرى » وفى سائر النسخ : « أجراء » .

(٢) ماعدا مب : « الجهات » . وانظر ١ : ١٠ و ٤ : ٢٨٨ .

(٣) شحم الحنظل : مافى جوفه سوى حبه ، كما أن شحم الرمان مابين حبوبه . ونقف الحنظل : شق الحنظل عن الهبيد . والهبيد : حب الحنظل .

(٤) فى الأصل : « الأسنان » .

(٥) ط : « ولذلك قال أبو عبيدة وهو الذى يقول » وفى س ، م : « ولذلك قال ابن حذام قال أبو عبيدة هو الذى يقول » . وأثبت مافى مب .

(٦) التكملة من مب .

(٧) ماعدا مب : « فى شعره » .

عوجَا على الطَّلَلِ القديم لعَلّنا
نَبْكِي الدِّيارَ كما بـكى ابنُ حُمامِ [١]

ويزعمون أنّه أوَّل مَن بـكى فى الدِّيار [٢] .

وقد نجِدُ الرَّجُلَ يقطَع البصل ، أو يُوخِفُ الخَرْدل [٣] فتدمع عيناه . وينظر الإنسان فيديمُ النَّظرَ فى العينِ المحمرة [٤] فتعترى عينَه حُمرة .

والعرب تقول : « لَهُو أعدَى من الثُّوَباء ! » ، كما تقول : « لَهُو أعدى من الجَرَب ! » ، وذلك أنَّ مَن تثاءَب مِراراً ، وهو تُجاه عينِ إنسان ، اعترى ذلك الإنسانَ التثاؤب .

ورأيت ناساً من الأطباء وهم فلاسفة المتكلِّمين ، منهم مَعْمر ، ومحمد ابن الجَهْم ، وإبراهيم بن السِّنْدىّ ، يكرهون دُنُوَّ الطامثِ [٥] من إناءِ اللبن لتَسُوطه [٦] أو تعالجَ منه شيئاً ، فكأنّهم يرونَ أنَّ لبدَنِها مادام ذلك العَرَضُ يعرِض لهـا ، رائحةً لهـا حِدَّةٌ وبخار غليظ ، يكون لذلك المَسُوط مُفسِدا .

---

(١) البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، بديوانه شرح الوزير أبي بكر ص ١٦٠ — ١٦٥ . ويروى « لأننا » موضع « لعلنا » . وهما لغتان فى معنى واحد . ماعدا مب : « المحيل لعلنا » ، و « كما بـكى ابن خذام » .

(٢) مب : « الدار » .

(٣) ط : « الحروب » ، وتصحيحه من س ، مب . وفى ط ، س : « ويكسر » صوابها فى مب وفى تأويل مختلف الحديث : « . . . وكذلك موخف الخردل وقاطع البصل » . أوخفه : صب عليه الماء وضربه بيده .

(٤) ماعدا مب : « الحمرة » ، صوابه فى مب وتأويل مختلف الحديث .

(٥) الطامث : الحائض . وانظر الاستدراكات فى آخر هذا الجزء .

(٦) السوط : الخلط والمزج .

(من أثر العين الحاسدة)

ولا تُبْعِدَنَّ هذا من قلبك تباعدا يدعُوك إلى إنكاره ، وإلى تكذيب أهله . فإنْ أبيتَ إلاّ إنكارَ ذلك ، فما تقول فى فَرسٍ تحَصَّن تحتَ صاحبه[١] ، وهو فى وسط موكبه ، وغبارُ الموكب قد حالَ بين استبانةِ بعضهم لبعض ، وليس فى الموكِب حِجْر[٢] ولا رَمَكة ، فيلتفتُ صاحبُ ٥١
الحِصان فيرى حِجرًا أو رمكةً ، على قاب غَرَضٍ أو غَرَضين[٣] ، أو غَلوة أو غَلوتين[٤] . حدِّثنى ، كيف شمَّ هذا الفرس ريحَ تلك الفرسِ الأنثى ، وما بالُه يدخل دارًا من الدُّور ، وفى الدَّار الأخرى[٥] حِجْرٌ ، فيتحَصَّن[٦] مع دخوله من غير معاينة وسَمَاعِ صهيل !!

وهذا الباب سيقع فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال أبو سعيد عبد الملك بن قَريب[٧] : كان عندنا رجُلان يَعينان الناس ، فمرَّ أحدهما بحوضٍ من حجارة ، فقال : تالله مارأيتَ كاليوم قطْ ! فتطاير الحوض فِلقَين[٨] ، فأخذه أهلُه فضبَّبوه[٩] بالحديد ، فمرَّ عليه ثانيةً فقال : وأبيك لَقلَّما أضرَرْتُ أهلَكَ فيك ! فتطاير أربعَ فِلَق .

---

(١) يريد : بدا عليه ميل الفحول .
(٢) الحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . ومثلها « الرمكة » . والرمكة أيضاً : البرذونة . والبراذين من الخيل : ماكان من غير نتاج العراب .
(٣) الغرض : قدر رمية السهم إلى الهدف . اللسان (غرض ٦٠) . ماعدا مب : « عرض أو عرضين » ، تحريف .
(٤) الغلوة : قدر ماتصل الرمية بالسهم . (٥) ماعدا مب : « وفى الدار ذكر » .
(٦) أى يبدو عليه ميل الفحول . وفى ط : « يتخصى » وهو تحريف ماأثبت من س .
(٧) هو الأصمعى .
(٨) ط ، م « فبطل الحوض فرقتين » وفى س : « فنصل الحوض فرقتين » وأثبت مافى مب . والفلق ، بالكسر : الفلقة من الشىء .
(٩) فى اللسان : « ضببت الخشب ونحوه : ألبسته الحديد » . (١٠) ماعدا مب : « فرق » .

قال : وأمَّا الآخر ، فإنَّه سمعَ صوتَ بَولٍ من وراء حائط فقال : إنَّك لشَرٌّ الشَّخب[١] ! فقالوا له : إنه فلانٌ ابنك ، قال : واانقطاع ظهراه ! قالوا : إنه لابأسَ عليه[٢] . قال : لايبولُ والله بَعْدَها أبداً ! قال : فما بال حتَّى مات .

قال الأصمعىّ : ورأيت أنا رجلاً عَيُونا فدُعىَ عليه فعَوِرَ[٣] ، قال : إذا رأيتُ الشيء يُعجبنى ، وجدتُ حرارةً تخرجُ من عَينى .

قال : وسمع [رجلٌ[٤]] بقرةً تحُلَب فأعجبه صوتُ شَخْبها ، فقال : أيتّهن هذه ؟ فخافوا عينَه فقالوا : الفلانيّة -لِأخرى وَرَّوابها عنها- فهلكتا جميعاً : الُموَرَّى بها والمورَّى عنها .

وقد حَمَل[٥] النَّاسُ كما ترى على العين مالا يجوز ، ومالا يسوغ فى شىء من المجازات . وقولُ الذىاعورَّ[٦] : إذا رأيتُ الشيء يعجبنى وجدتُ حرارةً تخرج من عينى ، مِنْ أعظم الحجج فى التناصل من صاحب العين إلى المعين

(استطراد لغوى)

قال : ويقال إنَّ فلانا لَعَيون : إذا كان يتشوَّف للناس ليصيبَهم بعين . ويقال عِنْتُ فُلاَنا أَعِينه عيْنًا : إذا أصبتَه بعينٍ ، ورجل مَعِين ومعيون : إذا أصيب بالعين . وقال عبّاس بن مِرداس :

قد كان قومُك يحسَبونكَ سيِّدًا ... وإخال أنك سيِّدٌ مَعيونُ[٧]

---

(١) ماعدا مب : « بول وراء حائط فقال إنه لبن الشخب » .

(٢) ماعدا مب : « عليك » . (٣) ماعدا مب : «يدعى عليه بقود » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) ماعدا مب : « جعل » . (٦) ماعدا مب : « الذى عان » .

(٧) ماعدا مب « وأخاك » . وانظر الأغانى (٤ : ٨٩) ومعاهد التنصيص (١ : ١٣) ودرة الغواص ٣٦ وشرحها ٩٣ . والبيت من أبيات رواها أبوالفرج وصاحب معاهد =

ويقال للعَيون : إنّه لَنُفوسٌ ، وما أنفسَه ؛ أى ماأشدَّ عينه ؛ وقد أصابته نَفْس أو عين

(دفاع عن الـكلب)

وأمّا قول القائل : إنَّ من لؤم الـكلب وغدرِه أنَّ اللصَّ إذا أراد دارَ أهله أطعَمَ الـكلبَ الذى يحرسهم قَبْــلَ ذلك مِراراً ليلاً ونهاراً ، ودنا منه ومسح ظهرَهُ ، حتى يُثبت صورتَه ، فإذا أتاه ليلاً أسْلَمَ إليه الدارَ بما فيها — فإن هــذا التأويل لايكونُ إلاّ من نتيجةِ سوءِ الرأى ؛ فإنَّ سوءَ الرأى يصوِّر لأهله الباطلَ فى صورة الحقِّ . وفيه بعضُ الظُّلم للـكلب وبعض المعاندة للمحتجّ عن الـكلب وقد ثبَتَ للـكلب استحقاقُ المدح من ٥٢

= التنصيص ، وقد ذكرا سبب الشعر فى حديث دخلت فيه الجن والهواتف ! : وهو أن حرب بن أمية جد معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مر بالقرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لايرام ، فقال له مرداس والد العباس : أما ترى هذا الموضع ! قال : بلى فاله ؟ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك فى أن تكون شريكى فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم . فأضرما النار فى الغيضة ، فلما اسطتارت وعلا لهبها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعتها وخرجت منها . . . ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاها بعد ذلك كليب بن أبى عهمة الظفرى ، فقال فى ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالما … والظلم أنكد وجهه ملعون
عجبا لقومك يحسبونك سيداً … وإخال أنك سيد معيون
فإذا رجعت إلى نسائك فادهن … إن المسالم رأسه مدهون
وافعل بقومك ماأراد بوائل … يوم الغدير سميك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلها … فى صفحتيك سنانها المسنون
إن القرية قد تبين أمرها … إن كان ينفع عندك التبيين
حين انطلقت تخطها لى ظالما … وأبو يزيد بجوها مدفون

أبو يزيد كنية مرداس . . وللخفاجى كلام فى (معيون) فانظره . ورواه ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١١٣ : « مغيون » بالغين المعجمة .

حيثُ أرادَ أن يهجوَه منه ، فإن كان الكلبُ بِفرط[1] إلفِه وشكرِه كفَّ عن اللصِّ عندَ ذِكر إحسانه ، وإثبات صورتِهِ ، فما أكثرَ منْ يُفرِط عليه الحياءُ حتَّى ينسب إلى الضَّعف والكرم وحتَّى ينسَب إلى الغفلة . ورُبَّما شاب الرَّجُلُ بعضَ الفطنة[2] ببعض التَّغافل ، ليكون أتمَّ لكرَمه ؛ فإنَّ الفطنة إذا تمَّت منعت من أمورٍ كثيرة ، مالم يكن الحِيمُ كريماً والعِرْق سليما .

وإنَّكَ أيُّها المتأوِّل ، حينَ تكلِّف الكلبَ ــ مع ماقد عَجَّلَ إليه اللصُّ من اللَّطَف والإحسانِ ــ أنْ يتذكَّرَ نعمةً سالفة ، وأنْ يحترس من خديعة المحسِن إليه ، مخافةَ أنْ يكونَ يُريغُ[3] بإكرامه سوءًا[4] ــ لحَسَنُ الرأيِ فيه ، بعيدُ الغايةِ فى تفضيله

ولو كان للكلب آلة يعرِف بها عواقبَ الأمورِ وحوادثَ الدهور ، وكان يوازن بينَ عواجلها وأواجلها ، وكان يعرف مصادرها ومواردَها ، ويختار أنقص الشرَّين وأتمَّ الخيرين ، ويتثبَّتُ فى الأمور ، ويخاف العَيْب[5] ويأخذ بحجَّةٍ [ويُعطى بحجَّة[6]] ، ويعرف الحُجَّة من الشُّبهة ، والثِّقَةَ من الرِّيبة ، ويتثبَّت فى العلَّة ، ويخاف زَيغ[7] الهوى وسرَف الطبيعة ــ لكانَ من كبارِ المكلَّفين ، ومن رُءُوس الممتَحنين

---

(١) ماعدا مب : « لفرط إلفه » . (٢) مب : « وربما شيع الرجل بعض الغفنة » تحريف .

(٣) يريغ بمعنى (يريد) كما جاءت الرواية فى ط . وفى س : « بريع » ، وفى م : « بديع » والصواب فيهما ماأثبت من مب .

(٤) ط ، س ، مب « سوء » ، وتصحيحه من م ، أو لعله جار على الكناية القديمة

(٥) ماعدا مب : « الغيب » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) الزيغ : الميل . وفى ط : « زيع » ، ولا وجه له ، والصواب من س ، مب .

(اختيار الأشياء والموازنة بينها ، لدى العارفين العاقلين)

والعادةُ القائمة ، والنَّسَقُ الذى لايُتَخَطَّى[١] ولا يغادَرُ ، [و[٢]] النظامُ الذى لاينقطع ولا يختلط ، فى ذوى التمكين والاستطاعة ، وفى ذوى العقول والمعرفة ، أنَّ أبدانَهم متَى أحسَّت بأصناف المكروه والمحبوب ، وازَنوا وقابَلوا ، وعَايَرُوا[٣] وميَّزوا بين أتمِّ الخيرين وأنقَص الشرَّين ، ووصلوا كلَّ مضرةٍ ومنفعةٍ فى العاجلِ [بكلِّ مضرَّةٍ ومنفعةٍ فى][٤] الآجل[٥] وتَتبعوا مواقعها ، وتدَّبروا مساقطَها ، كما يتعرَّفونَ مقاديرَها وأوزانها[٦] ، واختاروا بعدَ ذلك أتمَّ الخيرين وأنْقَصَ الشَّرين . فأما الشر صرفا والخير محضاً فإنَّهُم لايتوقَّفون عندهما ، ولا يتكلَّفون الموازنَةَ بينهما ، وإنَّما ينظرون فى الممزوج[٧] وفى بعض مايخشى فى معارضته ، ولا يوثقُ بمَعَرَّاهُ ومُكَشَّفِه[٨] ، فيحملونه[٩] على خلاص الذِّهن ، كما يحمَلُ الذَّهب على الكِير .

---

(١) ماعدا مب : « والسن » . و « يتخطى » هى فى الأصل « يخطى » محرفة . ويتخطى — ومثله يختطى — : يتجاوز .

(٢) التكملة من مب .

(٣) عايروا ، أى وازنوا . والكلمة ساقطة من س ، مب . وفى ط : « غيروا » .

(٤) التكملة من مب .

(٥) ماعدا مب : « والآجل » .

(٦) ماعدا مب : « كيما يعرفوا أوزانها » .

(٧) ماعدا مب : « وإنما ينتظرون فى المكروه » .

(٨) ط : « بعراه ومكتشفه » س : « بمغزاه وبمكشفه » ، والوجه ماأثبت من مب .

(٩) إلى هذه الكلمة ينتهى ماوجد من نصوص الحيوان فى نسخة الأمبروزيانا .

وأمّا ذوات الطّبائع المسخّرة والغريزةِ المجبولة[١] فإنما[٢] تَعمَل من جهة التسخير والتنبيه ، كالسمّ الذى يقتل بالكَمِّيَّة ولا يغذو ، وكالغذاء الذى يغذو ويقتلُ بالمجاوَزة لمقدار[٣] الاحتمال .

وإن هيَّأ الله عزّ وجلّ أصنافَ الحيوان المسخَّرة لدرْك مالا تبلغه العقولُ اللطيفة ، بلغَتْه بغير معاناةٍ ولا رويّة ولا توقُّف ، ولا خوفٍ من عاقبة .

٥٣ ومتى تقدَّمتْ [إلى الأمور التى يعالجها][٤] أهلُ العقول المبسوطة ، المتمكِّنة بطبائعها ، المقصورةِ غير المبسوطة ، لم يمكنْها أن تعرفَ من تلك الطبيعة ماكان موازيًا لتلك الأمور ببديهةٍ ولا فكرة . وإذا كانت كذلك فليس بواجب أن تكون كلَّما أحسنَتْ أمراً أمكنَها أن تُحْسنَ ماكان فى وزنه فى الغُموض والإلطاف ، وفى الصَّنعةِ التى لاتمكِنُ ، إلاّ بُحسن التأتِّى وببُعد الرويّة ، وبمقابلِة الأمورِ بَعضِهاَ ببعض . وهذا الفنُّ لايُصابُ إلاّ عند من جِهتُه العقل ، ويمكنُه الاستدلالُ ، والكفُّ عنه والقطعُ له إذا شاء ، وإتمامُه[٥] إذا شاء ، وبلوغُ غايته ، والانصرافُ عنه إلى عَقيبهِ من الأفعال ؛ ومَنْ جهتُهُ تعرّفُ العِلل ، ويُمكنُهُ إكراه نفسِهِ على المقاييس والتكلُّف والتأتِّى[٦] .

(١) ط : « المجهولة » ، وتصحيحه من س .
(٢) فى الأصل : « إنما »
(٣) فى الأصل : « بمقدار » .
(٤) ليست بالأصل ، والقول فى حاجة إلى مثلها . والكلام فى ذوات الطبائع المسخرة .
(٥) فى الأصل : « وباتمامه » .
(٦) فى الأصل : « التأنى » بالنون ، فى هذا الموضع وسابقه .

ومتى كانت الآلة موجودةً فإنّها تُنبيك[١] على مكانها ، وإلاّ كان وجُودَها كعدمها . وبالحسِّ[٢] الغريزيّ تُشعِر صاحبَها بمكانها ، لايحتاج فى ذلك إلى تلقينٍ وإشارة ، وإلى تعليم وتأديب ، وإن كان صاحبُ الآلة أحمقَ من الحُبارى ، وأجهلَ من العقرب .

(الإلهام فى الحيوان)

والعاقل الممكَّن لايفضُل فى هذا المكان على الأشياء المسخَّرة ، ولا ينفصل منها فى هذا الباب . وليس عند البهائم والسباع إلاَّ ماصُنعت له ، ونُصبت عليه ، وأُلهمتْ معرفتَه وكيفيَّةَ تكلُّفِ أسبابِها والتعلُّمِ لها من تلقاء أنفسها . فإذا أحسَنَ العنكبوتُ نسْجَ ثَوِيِّهِ[٣] وهو من أعجب العجب ، لم يحسن عملَ بيت الزنبور . وإذا صنع النَّحلُ خلاياه مع عجيب القِسْمة التى فيها ، لم يحسنْ أن يعملَ مثلَ بيتِ العنكبوت . والسُّرْفة — التى يقال : « أصنعُ من سُرْفة » لاتُحسن أن تَبنى[٤] مثلَ بيتِ الأَرَضَة ، على جفاءِ هذا العمل وغِلظِهِ ، ودقَّةِ ذلك العمل ولطافته .

وليسَ كذلك العاقلُ وصاحبُ التميز ، وَمَن مَلك التصرُّفَ ، وخُوِّل[٥] الاستطاعة ؛ لأنّه يكون ليسَ بنجَّارٍ فيتعلَّم النِّجارة ، [ثمَّ

---

(١) لعلها « تنبهك » .

(٢) ط ، م : « بأحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) الثوىّ : البيت . وفى الأصل : « ثوبه » وهو تصحيف .

(٤) فى الأصل : « لايحسن أن يبنى » .

(٥) خوله الشيء : ملكه إياه وأعطاه . فى ط : « حول » بالحاء ، وتصحيحه من س .

يبدو له[١]] بعدَ الحذقِ الانتقالُ إلى الفِلاحةِ ، ثمَّ ربّما ملَّها بعد أن حذَقها ، وصار إلى التجارة .

(أسمح من لافظة)

وقال صاحب الكلب : وزعمتَ أنَّ قولهم « أسمَحُ مِنْ لافِظة » أنّ اللافظة الدِّيك ، لأنّه يَعَضُّ على الحبَّةِ بطرَفى منْقاره ، ثمّ يحذفُ بها قُدَّامَ الدَّجاجة . وما رأينا أحداً من العلماء ومِن الذين روَوا هـذا المثلَ يقول ذلك . والناسُ فى هذا المثل رجلان : زعم أحدُهما أنَّ اللافظة العنز ؛ لأن العنز تَرعى فى رَوضةٍ وتأكل من مَعْلَفها وهى جائعة ، فيدعوها الراعى
٥٤ وصاحبُها باسمِها إلى الحلْب ، فتترك ماهى فيه حتى تُنْهَك حلبا . وقال الآخر : اللاّفظة الرَّحَى ، لأنّها لاتمسك فى جَوْفها شيئاً ممَّا صار فى بطنها .

وكيف تكون اللافظة الديكَ ! وليس لنا أن نلْحِق فى هـذه الكلمة تاء التأنيث فى الأسماء المذكَّرةِ[٢] . واللافظة مع هاء التأنيث أشبه بالعنز والرّحَى[٣] ، وإنّما سمَّينا الجملَ راويةً ، وحاملَ العلمِ راويَةً ، وعلاّمة ، حين احتجَّ أهلُ اللغةِ على ذلك ولم يختلفوا فيه[٤] ، وكَيفَ ولا اختلافَ

---

(١) الزيادة من س ، وبدلها فى ط : « وله » .

(٢) كذا . ولعل وجه الكلام : « تاء التأنيث وهى لاتلحق فى الأسماء المذكرة » .

(٣) أى هذا اللفظ أليق بهما .

(٤) ط : « ولا يختلفوا فيه » ، والصواب فى س .

بينهم أنّ الديك خارجٌ من هــذا التأويل ، وإنّ اختلافهم بين العنْزِ والرَّحى(١) .

وبعد فقد زعم ثُمامة بن أشرَس(٢) رحمه الله تعالى : أنَّ دِيَكة مَرْو تطرُد الدَّجاجَ عن الحبِّ(٣) ، وتنزِع الحبَّ من أفواه الدَّجاج .

وقال صاحب الديك : قولهم : « أسمَح من لافظة » ، لا يليق بالرَّحى ، لأنَّ الرَّحَى صَخْرَةٌ صمَّاء ، والذى يُخرج مافى بطنها المُدِير(٤) لها ، والعربُ إنَّما تمدح بهذه الأسماء الإنسانَ وما جَرَى مجراه فى الوجوه الكثيرة ، ليكون ذلك مَشحذَةً للأذهانِ ، وداعيةً إلى السِّباق وبلوغ الغايات .

وأمَّا ترْك الشَّاة للعلَف فليس بلفظٍ للعلَف ، إلاَّ أنْ يحملوا ذلك على المجازات البعيدة ، وقد يكون ذلك عنــد بعض الضَّرورة . والشَّاة ترضع من خِلفِها حتَّى تأتىَ على أقصى لبن فى ضرعها ، وتنثُر العلَفَ ، وتقلبُ

---

(١) أى فى تسمية إحداهما لافظة . فى المزهر للسيوطى ١ : ٢٩٧ نقلا عن أمالى القالى « يقال أجرد من لافظة ، أى البحر » . ومثله فى أمثال الميدانى ١ : ٣٢٢ ، وفيها أيضاً « وقال بعضهم : هى الحمامة ، لأنها تخرج مافى بطنها لفرخها » .

(٢) ثمامة بن أشرس أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصــل بهارون وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادر يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ . وقال الجاحــظ فى شأنه : « وماعلمت أنه كان فى زمانه قروى ولا بلدى ، كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة المخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه فى وزن إشارته ، ومعناه فى طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك ، بأسرع من معناه إلى قلبك» البيان ١ : ١١١ . « قال رجل لثمامة : إن لى إليك حاجة ، قال ثمامة : ولى إليك حــاجة . قال : وما هى ؟ قال : لا أذكرها حتى تتضمن قضاءها . قال : قد فعلت . قال : حاجتى ألا تسألنى هذه الحاجة ؟ ! قال : رجعت عما أعطيتك ! قال ثمامة : لكنى لا أرد ما أخذت ! ! ». عيون الأخبار ٣ : ١٣٧ .

(٣) انظر معجم البلدان (مرو) .

(٤) ط : « المدبر » وصوابه من س .

المِحْلَب(١) ، وتنطَح من قام عليها وأتاها بغذائها . وهى من أمْوَق البهائم(٢) ، وزوجُها شَتيم المحيَّا ، منتِنُ الريح ، يبولُ فى جوف فيه وفى حاقّ(٣) خياشيمه

وتقول العرب : « ماهُو إلاَّ تيسٌ فى سفينةٍ(٤) » ، إذا أرادوا به الغَبَاوة و « مَا هُوَ إلاَّ تيس » ، إذا أرادوا بِهِ نَتْنَ الريح .

والعنْزُ خَرقاءُ ، وأبوها وهو التَّيْسُ أخرَقُ منها .

وَأمرُ الدِّيكِ وشأنهُ ، وكيْفَ(٥) يلفِظُ ماقَدْ صَارَ فى منقاره ، وكيف يُؤثِرُ به طَرُوقَته مِن ذَاتِ نفسهِ — شيءٌ يراهُ الناسُ ، ويرَاهُ جَميعُ العباد

وهذه المكرمة ، وهذا الغَزَل(٦) ، وهذا الإيثار ، شيءٌ يراهُ الناس لم يكنْ فى ذَكَرٍ قَطُّ ممَّن يزاوِج إلاَّ الديك ، والدِّيكُ أحقُّ بهذا المثل . فإنْ كنتُمْ قد صَدَقتم على العرب فى تأويل هذا المثل(٧) فهذَا غلطٌ من العرب وعصبيَّة للَّبَنِ ، وعشق للدَّقيقِ(٨) .

والمثلُ إنَّما يلفِظ به رجلٌ من الأعراب ، وليس الأعرابىُّ بقُدْوةٍ

---

(١) المحلب والحلاب ، بكسرهما : إناء يحلب فيه .
(٢) من أموقها : من أحمقها .
(٣) حاق الشيء : وسطه . وفى الأصل : « حلق » ، ولا وجه له.
(٤) قال أبو الشمقمق فى هجاء بشار (انظر الخبر فى الأغانى ٣ : ٤٦ ، ٦٩ ونكت الهميان ١٢٦):

هللينه هللينه طعن قناة لتينه
إن بشار بن برد تيس اعمى فى سفينه

(٥) ط : « كيف » ، وزيادة الواو من س .
(٦) ط : « التعزل » ، وتصحيحه من س .
(٧) أى إن كانت روايتكم عن العرب صادقة .
(٨) ط : « عشق الدقيق » ، وأثبت ما فى س فهو أشبه بالكلام .

إلاّ فى الجرِّ والنصب والرفع وفى الأسماء(١) ، وأمَّا غير ذلك فقد يخطئ فيه ويصيب . فالدِّيك أحقُّ بهذا المثل الذى ذكرنا ، وسائرِ خصاله الشريفة .

والذى يدُلُّ على أنَّ هذا الفعلَ فى الدِّيك ، إنَّما هو من جهة الغزَل لا غير ، أنّه(٢) لا يفعلُ ذلك إذا هرِم وعجَزَ عن السِّفاد ، وانصرفت رغبتُه ٥٥
عنهنَّ وهو فى أيَّامِ شَبابهِ أنْهَمُ وأحرَصُ على المأكول ، وأضنُّ على الحَبِّ ؛ فما لَهُ لم يُؤْثِرهنّ به عنْدَ زهده ، ويُؤْثِرهُنَّ عند رغبته ؟ ! وما بالُهُ لمْ يفعل ذلك وهو فرُّوج صغير ، وصنَع ذلك حين أطاقَ السفاد ؟ ! فترْكه لذلك فى العجز عنهنَّ ، وبذلُه فى أوقات القوة عليهنَّ(٣) دليل على الذى قلنا(٤) . وهذا بَيِّن لا يرُدُّه إلاّ جَاهل أو معاند .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب : لسنا نُنكِر خِصالَ الدِّيك ومناقبَه من الأخبارِ المحمودة ، ولولا ذلك ما ميَّلْنا بينَه وبين الكلب(٥) . ومَنْ يميِّلُ بين العسَل والخلِّ فى وجه الحلاوة والحموضة ؟ ! وكيف يفضَل شئٌ على شىء وليسَ فى المفضولِ شئٌ من الفضل ؟ ! والذى قُلتم من قذْفِه الحبّ قُدَّامَ الدَّجاج صحيح ، وليس هذا الذى أنكرْنا ، وإنّما أنكرْنا

(١) المراد بالأسماء هنا الكلمات .

(٢) ط : « وأنه » ، والوجه حذف الواو كما فى س .

(٣) ط : « فى الأوقات القوت عليهن » ، والصواب ما أثبت من س .

(٤) ط : « ذلك قلنا » ، وهو تحريف ما فى س .

(٥) يقال ميل بين الشيئين تمييلا : رجح ووازن . وفى الأصل : « ما مثلنا » وبعده : « ومن يمثل » ، والوجه ما اثبت . اللسان (ميل ١٦٠) .

موضعَ المثل الذى صرفتموه إلى حجّتكم(١) ، وتركتم [الذين] ما زال الناس يقلّدونهم [فى] الشاهد والمثل(٢) . وإن جاز لكم أن تردُّوا عليهم هذا المثلَ جاز لكلٍّ مَن كرِهَ مثلاً أو شاهداً أنْ يردَّ عليهم كما رددتمْ ؛ وفى ذلك إفْسَادُ أمرِ العَرَبِ كله .

فإنْ زعمتَ أنّ الديك ، كانَ أحقَّ به ، فخصومُك كثير ولسنا نحيط بأوائل كلامهم ، على أىِّ مقاديرَ كانوا يضعونها ، ومن أىِّ شىء اشتقُّوها ، وكيف كان السبب . ورُبَّ شىءٍ أنكرْنَاهُ فإذا عرفنا سبَبه أقررنَا به

وقال أبوالحسن : مرّ إياسُ بنُ معاوية بديكٍ ينقُرحبًّا ولايفرقُهُ ، فقال : يَنْبَغِى أن يكون [هـذا](٣) هرِماً ؛ فإنَّ الهرِم(٤) إذا أُلقى له الحبُّ لم يفرقْهُ ليجتمع الدَّجَاجُ حولَهُ . والهرِم قد فِنيتْ رغبتهُ فيهنَّ ، فليس هَمُّهُ إلاّ نفسَهُ

ورووا عنهُ أنّهُ قال : اللافظة الديك الشابُّ ، وإنَّهُ يأخذ الحبَّة يؤْثِر بها الدَّجَاجَ ، والهرِمُ لايفعل ذلك ، وإنَّما هو لافظةٌ مادام شابًّا .

وقال صاحب الكلب : وذكر ابن سِيرِينَ عن أبى هُريرة : « أن كلباً مرَّ بإمرأةٍ وهو يلهَثُ عند بئر ، فنزعَتْ خُفَّها فسقَتْه ، فغَفَرَ الله تعالى لها » .

وعنه قال : « غفَرَ الله لبَغِىٍّ أو لمؤمنة مرَّ بها كلبٌ فنزَعت خُفَّها فسقته » .

---

(١) فى الأصل : « محبتكم » .
(٢) فى الأصل : « وتركتم مازال الناس يقلدونهم الشاهد والمثل » .
(٣) الزيادة من س .
(٤) ط : وإن الهرم » .

وقال صاحب الكلب : وقال ابن دَاحَة(١) : ضرب ناسٌ من السُّلطاء(٢) جارا لهم ، ولبَّبوه وسحبوه وجرُّوه ، وله كلبٌ قد ربَّاه ، فلم يزَلْ ينبَحُ عليهم ويشقِّق ثيابَهم ، ولولا أنَّ المضروبَ المسحوبَ كان يكفُّه ويزجُره ، لقد كان عقَر بعضَهم أو منعَه منهم .

قال إبراهيمُ النَّظَّام : قدَّمتم السِّنَّور على الكلب ، ورويتم أنّ النبىّ صلى الله عليهِ وسلم أمرَ بقتل الكلابِ واستحياءِ السنانير وتقريبِها وتربيتها ، كقوله عند مسألته عنها : « إنَّهُنَّ من الطَّوَّافَاتِ عليكُمْ ». وكلُّ ٥٦
منفعةٍ عندَ السِّنَّوْرِ إنَّمَا هى أكلُ الفأر فقط ، وعلى أنَّكُمْ قلَّما تجدون سنّوراً يطلُب الفَأْر ، فإن كان ممَّا يَطلُبُ ويأكلُ الفأرَ ، لم يعدمكم(٣) أن يأكلَ حمامَكُمْ وفِراخَكُمْ والعَصافِيرَ التى يتلهَّى بهاَ أولادُكُمْ ، والطائرَ يُتَّخَذُ لِحسنهِ وحُسنِ صَوْته . والذى لابُدّ منه الوثوبُ على صِغار الفراريج . فإنْ هو عفّ عَن أموالكُمْ لم يَعفّ عَن أموال جيرانكُمْ . ومنافعَ الكلب لا يحصيهاَ الطَّوامير(٤) . والسِّنَّور مع ذلك يأكل الأوزاغَ والعقارب ، والخنافيس(٥) ، وبنات وَرْدان(٦) ، والحيّات ، ودخَّالاتِ الآذان(٧) والفأرَ والجُرْذان ، وكلَّ خبيثةٍ وكلَّ ذاتِ سمّ ، وكلَّ شىءٍ

(١) ط : « راحة » ، وأثبت ما فى س . وانظر ما سبق فى ص ٨٢ .
(٢) السلطاء : جمع سليط ، وهو الصخاب البذىء اللسان . وفى الأصل : « السلطان » ! .
(٣) ط : « ولم » ، والصواب من س .
(٤) الطوامير : جمع طومار بالضم ، وهو الصحيفة .
(٥) هو جمع خنفس بضم الخاء وفتح الفاء أو كسرها ، أو جمع خنفسة بضم الخاء والفاء ، أو ضم الخاء وفتح الفاء . وزيادة الياء فى هذا الجمع مذهب الكوفيين . انظر همع الهوامع (٢ : ١٨٢) . وأما الخنفساء فجمعها خنفساوات .
(٦) ضرب من الحشرات التى تألف الحشوش ، ومن أنواعه « الصراصير » .
(٧) دخال الأذن : دويبة ذات قوائم كثيرة ، يسميها العامة فى مصر « أم أربعة وأربعين » . انظر معجم المعلوف ٥٤ والحيوان ٦ : ٥٤ .

تعافه النفس . ثمَّ قلتم فى سؤر السِّنّور وسؤر الكلب ماقلتم . ثمَّ لم ترضوا به حتَّى أضفتموه إلى نبيِّكُمْ صلى الله عليه وسلم[١] !!

(أطيب الحيوان أفواها)

ولا يشُكُّ الناس أنْ ليس فى السباع أطيبُ أفواهاً من الكلاب ، وكذلك كلُّ إنسانٍ سائِل الريق سائِل اللعاب . والخُلوف[٢] لايعرض للمجانين الذين تسيلُ أفواههم . ومن كان لايعتريه الخلوف فهو من البخَر أبعَدُ. وكمَاَ أنَّ طولَ انطباق الفم يُورث الخلوف ، فكَثْرَةُ تَحَلُّبِ الأفواه بالريق تنفى الخُلوف . وحتَّى إنَّ من سال فُوه من اللعاب فإنَّما قضَوا له بالسلامةِ من فيهِ ، وإن استنكَهوه مع أشباهِهِ وجَدُوه طيِّبا ، وإن كان لايقرَبُ سِواكاً[٣] على الريق . وكذلك يقال ، إنّ أطيبَ النَّاسِ أفواهاً الزِّنج ، وإنْ كانت لاتعرفُ سَنُوناً ولا سِواكاً[٤] .

على أنَّ الكلبَ سبُع ، وسباعُ الطيرِ وذواتِ الأربع موصوفَةٌ بالبخَر ، والذى يضْرَب به فى ذلك المثلَ الأسَدُ ، وقد ذكره الحكَمُ[٥] بن عبدل فى هِجَائِهِ محمَّدَ بنَ حسَّان فقال :

---

(١) بعد هذا فى الأصل عبارة دخيلة على الكتاب ، وهى : « ولا رحم الله إبراهيم النظام ولا من قال بقوله » ، وهى من زيادة الناسخين . ولعل الذى ألجأ الناسخ إلى ذلك ما يوهمه ظاهر العبارة السابقة وهى : « حتى أضفتموه إلى نبيكم » .

(٢) الخلوف ، بالضم : تغير رائحة الفم .

(٣) ط . « سواء كان » ، وتصحيحه من س .

(٤) السنون : ما يستاك به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان . وفى ط : « لا تعرف سنوها سواكا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٥) فى الأصل : « محمد » ، والصواب ما أثبت . وللحكم ترجمة مسهبة فى الأغانى : (٢ : ١٤٤ — ١٥٣) .

فنَكْهَتُه كنَكْهَةِ أَخْدَرِىٍّ شتيمٍ شابِكِ الأنْيَاب ورْدِ[١]

وقال بشَّار :

وأَفسَى من الظَّرْبان فى ليلةِ الكرَى

وأَخْلَفُ مِنْ صقرٍ وإنْ كانَ قد طعِمْ

يهجو بها حمادَ عجْرَد .

ويقال : ليس فى البهائم أطيبُ أفوَاهاً من الظباء .

(رضيعٌ مُلهَم)

وزعم علماءُ البَصريِّين ، وذكر أبو عبيدة النحوىُّ ، وأبو اليقظان سُحيم بن حفص[٢] ، وأبو الحسن المدائنى ، وذكر ذلك عن محمَّدِ بن حفص ٥٧
عن مَسْلمَةَ بن محارب ، وهو حديثٌ مشهورٌ فى مشيخة أصحابنا من البصرِّيين ، أنَّ طاعوناً جارفاً جاءَ عَلَى أهلِ دار ، فلم يشكَّ أهلُ تِلك المَحلَّةِ أنّه لم يَبْقَ فيها صَغيرٌ ولا كبير ، وقد كان فيهاَ صَبِىٌّ يرتضع ، ويحبو ولا يقوم على رجليهِ ، فعمَد مَن بقِى من المطعونين من أهل تلك المَحلَّةِ إلى باب تلك الدار فسدَّهُ ، فلمَّا كان بعد ذلك بأشهرٍ تحوَّل فيهاَ بعضُ ورَثَةِ القوم ، ففتح البابَ ، فلمَّا أفضَى إلى عَرْصة الدَّار إذا هو بصبِىٍّ يلعبُ مع

(١) يقول : رائحة فيه تشبه رائحة فم الأسد الفظيع المنظر ، المشتبك الأنياب ، الجرىء وانظر قصيدة ابن عبدل فى الحيوان (١ : ٢٥٠ — ٢٥٣) . وخبرها فى الأغانى (٢ : ١٤٨) .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٠ من هذا الجزء من الحيوان .

أجراءِ كلبةٍ ، وقد كانت لأهل الدار ، فراعَهُ ذلك ؛ فلم يلبَثْ أنْ أقبلتْ كلبةٌ كانت لأهلِ الدار ، فلمَّا رآها الصبيُّ حبا إليها ، فأمكنتْه من أطبائها فمصَّها ، فَظَنُّوا أنّ الصَّبِيّ لما بقي في الدارِ وصارَ منسيًّا واشتدَّ جوعُهُ ، ورأى أجراءَها تستقي من أطبائها ، حَبَا إليها فعطفت عليه ، فلمَّا سقَتْهُ مرَّةً أدامتْ ذلك لَهُ ، وأَدَامَ هو الطلب .

والذي أَلْهَمَ هذا المَوْلودَ مَصَّ إبهامه سَاعَةَ يُولَدُ من بطنِ أُمّهِ ، ولم يعرف كيفيَّةَ الارتضاع ، هو الذي هداه إلى الارتضاع منْ أطباءِ الكلبةِ . [وَلَوْ][1] لم تكُن الهدايَةُ شيئاً مجعولاً في طبيعته ، لما مَصَّ الإبهَامَ وحلمَةَ الثّدْي ، فلمّا أفرطَ عليهِ الجوعُ واشتدَّت حالُهُ ، وطلبَتْ نفْسُهُ وتلكَ الطبيعةُ فيهِ ، دعَتْهُ تلك الطبيعةُ وتلكَ المَعْرِفَةُ إلى الطلب والدنوّ . فسبحانَ مَنْ دبَّرَ هٰذا وألهمهَ وسَوّاهُ ودلَّ عَلَيْهِ !!

(إلهام الحمام)

ومثلُ هذا الحديث ماخُبِّرَ به عن بابويه صاحب الحمَام . ولو سمعت بقصَصه في كتاب اللُّصوص ، علمتَ أنَّه بعيدٌ من الكذب والتّزُّيد . وقد رأيته وجالسته ولم أسمعْ هــذا الحديثَ منه ، ولكنْ حدَّثني به شيخٌ من مشايخ البصرة ، ومن النُّزول بحضرة مسجد محمد بن رَغبان[2] . وقال بابويه : كان عندي زوجُ حمامٍ مقصوص ، وزوجُ حمام طيّار ،

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل : « زغبان » ، بالزاي . وتصحيحه من الحيوان (١ : ١٢٣) وانظر التحقيق هناك . وكلمة « محمد » ليست في س .

وفرخانِ مَن فراخ الزّوج الطيار . قال : وكان فى الغُرفة ثَقْبٌ فى أعلاها وقد كنتُ جعلت قُدَّام الكوَّة[١] رفًّا ليكون مَسقطاً لما يدخلُ ويخرج من الحمام ، فتقدَّمتُ فى ذلك مخافةَ أن يعرضَ لى عارضٌ فلا يكونَ للطَّيار منفذٌ للتكسُّب ولورود الماء . فبيناَ أنا كذلك إذْ جاءنى رسولُ السلطان ، فوضَعَنى فى الحبْس ، فنسيت قدْر الزَّوج الطيَّار والفرخين ، وما لهما من الثمن ، وما فيهما من الكرم ، ومُتٌّ من رَحمةِ الزَّوْج المقصوص ، وشغلنى الاهتمامُ بهما[٢] عن كثير ممَّا أنا فيه ، فقلت : أمَّا الزَّوْجُ الطيَّارُ

٥٨ فإنَّهماَ يخرُجان ويرجِعان ويزُقّان ، ولعلَّهما أن يَسْلَما ولعلَّهما أن يذهبا — وقد كنتُ ربَّيتهما حتى تحصَّنا ووَرَّدَا[٣] — فإذا شبَّ الفرخان ونهضا مع أبويهما ، وسقطا على المعلاة ، فإمّا أن يثبُتا وإمَّا أنْ يذهبا . ولكنْ كيفَ يكونُ حَالُ المقصوصَيْنِ ، ومَنْ أسوأُ حالاً منهماَ ؟! فَخلِّى سَبِيلى بَعْدَ شهر ، فلم يكن لى همٌّ إلاَّ النَّظَر إلى ماخلَّفت خلْفى من الحمام ، وإذا الفرخان قد ثَبتاَ وإذا الزَّوْجَانِ قد ثبتا ، وإذا الزَّوجان الطيَّاران ثبتا على حالهما ، إلاّ أنِّى رأيتهما زاقَّين ، إذ علامةُ ذلك فى موضع الغَبَبِ ، وفى القِرطِمَتَين[٤] ، وفى أصولِ المناقير ، وفى عيونهماَ ، فقلت : فكيف يكونان زاقَّين مع استغناء فرخَيهما عنهماَ ؟! ولاأشكُّ فى موت المقصوصين. ثمَّ دخلتُ الغرفة فإذاهما على

---

(١) الكوة : الخرق فى الحائط ، والنقب فى البيت .

(٢) فى الأصل : « بها » .

(٣) هى من وردت الشجرة : إذا خرج نورها . فالمعنى اكتملا نموا .

(٤) قرطمتا الحمام : نفطتان على أصل منقاره ، أى أعلى منقاره .

أفضَلِ حال ، فاشتدَّ تعجُّبى من ذلك ، فلم ألبَثْ أن دَنَوا إلى أفواه الزَّوج الكِبار يصنعان كما يصنع الفرْخ فى طلب الزَّقِّ ، ورأيتهماحين زقَّاهما ، فإذا هما لمّا اشتَدّ جوعُهماَ ، وكاناَ يريانهماَ يزقّان الفَرخَين ويَرَيانِ الفرخَين كيفَ يستطعماَن ويستزِقَّانِ ، حملَهُماَ الجوعُ وحبُّ العيش ، وتلَهُّبُ العطش ، وما فى طبعهِماَ من الهدايَةِ ، على أَنْ طلباماَيطلَبُ الفرْخُ ، فَزَقَّاهما ثمّ صار الزَّقُّ عادةً فى الطيَّار ، والاستطعاَمُ عادةً فى المقصوص .

(من عجائب الحمام)

ومِن الحمام حمامٌ يزُقُّ فراخه ولا يزقُّ شيئاً من فِراخ غيره ، وإن دنا منه مع [فراخِهِ فرخٌ مِنْ[١]] فراخ غيره ، وشا كَلَ فرخيه فى السِّنِّ واللَّون طردهما ولم يزقَّهما . ومن الحمام مايزقُّ كلَّ فرخٍ دنا منه ، كما أنَّ من الحمام حماما[٢] لايزُقُّ فراخَه ألبتّةَ حتَّى يموت . وإنَّما تعظُم البليّةُ على الفَرخ إذاكان الأبُ هو الذى لايزقّ ، لأنَّ الوِلادةَ وعامَّة الحضْن والكَفْل على الأمّ ، فإذا ظهر الولد فعامَّةُ الزَّقِّ على الأب ، كأنه صاحب العِيال والكاسِب عليهم ، وكالأمِّ التى تلد وتُرضِع .

(١) ليست بالأصل ، وأرى الكلام فى حاجة إليها .
(٢) ط : « حمام » .

(الطائر العجيب : كاسر العظام)

وأعجبُ من هذا ، الطائرُ الذى يقال له كاسر العظام[١] ، فإنّه يبْلُغُ من بِرِّ الفراخِ كلِّها[٢] بعد القيامِ بشأن فراخ نفسه ، أنّهُ يتعاهد فرخَ العُقَاب الثالث ، الذى تخرجه من عُشِّهاَ ؛ لأنّهاَ[٣] أشرَهُ وأرغَبُ بَطناً ، وأقسى قلباً وأسوأُ خُلقاً مِنْ أن تَحْتَمِلَ[٤] إطْعامَ ثلاثَة .

وهى مَعَ ذلك سريعة الجَزَع ، فتخرج مافَضَلَ عن فرخين ، فإذا أخرجتْه قبله كاسرُ العِظَام وأطْعَمَهُ ؛ لأَنّ العُقابَ من اللائى تبيض ثلاثَ بيضات فى أكثر حالاتها[٥] .

(دفاع أسدى عن أكل قومه لحوم الكلاب)

قال : وعُيِّر رجلٌ من بنى أسدٍ بأكل لحوم الكلاب ، وذهَبَ إلى قوله[٦] :

٥٩ * يا فَقْعَسِىُّ لمْ أكلته لِمهْ *

(١) كاسر العظام : طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب ، يحمل كل عظم فيه مخ حتى إذا كان فى كبد السماء أرسله على صخرة فينكسر ، فيهبط فيأكل مخه ، ويسمى البلح والبلت — كلاهما كزفر — وستل ، بالتحريك ، والمكلفة . انظر معجم المعلوف ١٤٣ — ١٤٥ .

(٢) ط : « كليهما » ، والصواب من س .

(٣) فى الأصل : « لأنه » ، والعقاب مؤنثة ، وقيل تذكر وتؤنث . وقد أنثها الجاحظ هنا بقوله : « عشها » .

(٤) فى الأصل : « يحتمل » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) انظر القول فى عقوق العقاب أو برها فى الجزء السابع ص ٣٧ .

(٦) هو سالم بن دارة ، كما فى اللسان (روح) وكما سبق فى ١ : ٢٦٧ .

* لو خافكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَهْ *

* فَمَا أَكَلْتَ لحمَهُ ولا دَمَهْ *

قال : فقال الأَعرابى : أمَا علِمت أنّ الشِّدَّة والشجاعة ، والبأْسَ والقوة من الحيوان ، فى ثلاثَةِ أصنافٍ : العقابِ فى الهواء ، والتمساحِ فى ساكن الماء ، والأَسَد فى ساكن الغياض .

وليس فى الأرض لحمٌ أشهى إلىالتمساح ولا إلى الأَسد من لحم الكلب . فإن شئتمْ فعُدُّوه عدُوًّا لهما ، فإنّهُما يأكلانِهِ من طريق الغَيظ وطلب الثأر ، وإن شئتم فقولوا غير ذلك .

(الطبيعة الأسدية فى بنى أسد)

وبنو أسَدٍ أُسْد الغياض[٢] ، وأشبهُ شيءٍ بالأسد ، فلذلك تشتهى من اللُّحمَان أشباهَا إلى الأَسد . والدَّليلُ على أنّهُمْ أُسْد ، وفى طباعِ الأُسْد ، أنّكَ لو أحصَيْتَ جميعَ القتلى من سادات العرب ومِنْ فُرسانهم ، لوَجَدْتَ شَطْرَهَا أو قَرِيباً من شَطرها لبنى أسد .

---

(١) قال ابن الأنبارى : معناه لو علم الله ذلك منك . (الأضداد ١١٩) . وقال الجاحظ فى الحيوان (٤ : ٤٢) : « جعل بدل قوله أمن الكلب على أكل لحمه ، أن الله هو الذى لم يخف ذلك فيحرمه » . وقال الجاحظ فى البخلاء ١٩٧ : « وتهجى أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس . والعرب إذا وجدت رجلا من القبيلة قد أتى قبيحا ألزمت ذلك القبيلة كلها » .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « الغياش » ! ولعل صوابهما « للناس » . وجاء فى مساءلة الحجاج لابن القرية : « قال فأخبرنى عن مآثر العرب فى الجاهلية . قال : كانت العرب تقول : حمير أرباب الملك ، وكندة لباب الملوك ، ومذحج أهل الطعان ، وهمدان أحلاس الخيل ، والأزد آساد الناس » . ابن خلكان (١ : ٨٣) . وانظر العمدة (٢ : ١٦٥) .

(أنفة الكلب)

قالوا : ثمَّ بعدَ ذلك كلِّه أنَّ الكلبَ لا يرضى بالنوم والرُّبوض على بَياض الطريق ، وعلى عَفَرِ التراب ، وهو يرى ظَهْر البِساط ، ولا يرضَى بالبِساط وهو يجد الوِسادة ، ولا يرضى بالمطارح دون مرافق المطارح[١] .

فمن نُبْله فى نفسه أن يتخيَّر أبداً أنبلَ موضِع فى المجلس ، وحيثُ يدَعُه ربُّ المجلس صيانةً له وإبقاء عليه — إلاَّ أن يتصدَّر[٢] فيه مَنْ لا يجوز إلاَّ أنْ يكون صدراً ، فلا يقصِّر الكلب دونَ أن يرقَى عليه .

وقد كان فى حُجج معاوية فى اتِّخاذ المقصورة بعد ضرب [البُرَك[٣]] إيّاه بالسيف ، أنّه أبصرَ كلباً على منبره .

هذا على ما طُبِع عليه من إكرام الرَّجُل الجميل اللباس ، حتَّى لا ينبحُ عليه إن دنا من باب أهله ، مع الوُثوب على كل أسوَد ، وعلى كلِّ رثِّ الهيئة ، وعلى كلِّ سفيهٍ تشبهُ حالُه حالَ أهل الرِّيبةِ .

---

(١) المطارح : جمع مطرح ، وهو بكسر الميم : المفرش .

(٢) فى الأصل : « يتصور » ، وإنما هو « يتصدر » أى يجلس فى الصدر .

(٣) الزيادة من س . والبرك ، كصرد : اسمه الحجاج بن عبد الله الصريمى ، وكان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمرو فى ليلة واحدة ، ثانيهم : عبد الرحمن ابن ملجم الذى تكفل بقتل على ، وثالثهم : زاذويه الذى نصب نفسه لعمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصليا فأصاب مأكته (الكامل ٢ : ١٣٥ — ١٤٥) . وانظر البيان (٢ : ٢٠٦) والطبرى (٦ : ٨٦) .

ومِن كِبْره وشدَّة تجبُّره ، وفَرْط حَمِيَّته(١) وأنفته واحتقاره ، أنَّه متى نبح على رجُلٍ فى الليل ، ولم يمْنعه حارسٌ ولم يمكنه الفوت ، فدواؤه عند الرجل أنَّه لاينجيه منه إلاّ أن يقعُدَ بين يديه مستخزيا مستسلما ، وأنه إذا رآه فى تلك الحال دنا منهُ فشَغَر عليه(٢) ولم يَهجْه . كأنَّه حينَ ظفر به ، ورآه تحت قدرته ، رأى أنْ(٣) يسِمَه بميسَمِ ذُلٍّ ، كما كانت العربُ تجزّ نواصِيَ الأسرى من الفُرسان ، إذا رامت أنْ تخلِّيَ سبيلَها وتمُنَّ عليها ، ولو كَفَّ العربيُّ عن جزّ ناصيته ، لوسَمَه الأسْرَ من الشِّعر والقوافى الخالداتِ البواقى ، التى هى أبقى من المِيسَم ، بما هو أضرُّ عليه من جَزّ ناصيتِه ،
٦٠ ولعلَّهُ لايبلُغُ أهلَه حتَّى تستوىَ(٤) مع سائر شعرِ رأسه ، ولكنَّ ذُلَّ الجزّ لايزال يلُوح فى وجهه ، ولا يزال له أثرٌ فى قلبه .

(تقدير مطرف للكلب)

وذُكر أنَّ مطرِّف بن عبد الله(٥) كان يكره أنْ يقال للكلب اخسأ ، وما أشبه ذلك ، وفى دعائه على أصحاب الكلب الذى كان

---

(١) الحمية : الأنفة . وفى الأصل : « حمايته » بمعنى الدفاع والمنع ، ولا وجه له .

(٢) شغر عليه : رفع رجليه فبال . وفى ط : « فثفر » ، وصوابه فى س .

(٣) فى ط : « تحت قدرته أنه » ، وفى س : « رءا أن » وصحتهما بما ترى .

(٤) فى الأصل : « يستوى » ، والكلام فى « الناصية » .

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان لأبيه صحبة . قال الجاحظ فى شأنه : وكان خطيبا بينا صاحب أخبار وآثار — وذكره فى جملة القصاص ، ثم قال : وقص ابنه مطرف بن عبد الله بن الشخير فى مكان أبيه (يريد بمسجد البصرة) . البيان ١ : ٣٦٧ . وقال الجاحظ : =

أربابُه لايمنعونه من دُخول مُصَلاَّه ، قال : اللهمَّ امنعهْم بركة صيدِه ! ! دليلٌ على حسْنِ رأيه فيه .

(من أقوال المسيح عليه السلام)

قالوا : ومرَّ المسيحُ بن مريم فى الحَوارِيِّين بجِيفة كلب ، فقال بعضهم : ماأشدَّ نتنَ ريحه ! قال : فهلاَّ قلتَ : ماأشدَّ بياضَ أسنانه ! !

قالوا : وقال رجلٌ لـكلب : اخسأْ،ويْلكَ ! فقال هَمَّام بن الحارث [1] : الويلُ لأهلِ النَّار .

(هراش الـكلاب)

والهِـراش الذى يجرى بينها وهو شَرٌّ ، يكونُ بينَ جميع الأجناس المتَّفِقة ، كالبرذون والبرذون ، والبعير والبعير ، والحمار والحمار ، وكذلك جميع الأجناس . فأمَّا الذى يفرط ويتمُّ ذلك فيه ، ويتمنّع ناس من النّاس ،

= « وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة » . البيان ١ : ٢٤٢ . « وكان مطرف بن عبد الله يقول: لا تطعم طعامك من لايشتهيه . يقول : لاتقبل بحديثك على من لايقبل عليك بوجهه » البيان ١ : ١٠٣ . وقد روى الجاحظ كثيراً من أقواله فى البيان . قال ابن قتيبة: « ومات عمر ومطرف ابن عشرين سنة ، كأنه ولد فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ومات فى خلافة عبد الملك بن مروان بعد سنة سبع وثمانين » . المعارف ١٩٣ .

(١) فى البيان ٣ : ١٩٣ : « زهاد الـكوفة : عمرو بن عتبة ، وهمام بن الحارث ، والربيع بن خثيم ، وأويس القرنى »

ويقع فيه القِمار ، ويتَّخذ لذلك ، وينفقَ عليه ، ويُغالَى به ، فالكلبُ والكلب ، والكبشُ والكبش ، والدِّيكُ والدّيك ، والسُّمانَى والسُّمانَى[١] .

(التحريش بين الجرذان)

فأمَّا الجُرَذ[٢] فإنَّه لايقاتل الجُرَذَ[٢] حتَّى يشدَّ رجل أحدهما فى طرف خيط ، ويشدّ الجُرَذ[٢] الآخر بالطرف الآخر ، ويكون بينهما من المساواة[٣] والالتقاء[٤] ، والعضِّ والخمش ، وإراقة الدَّم وفَرْى الجلود ، مالا يكون بين شيئين من الأنواع التى يُهارَش بها .

والذى يُحدث للجُرْذان[٥] طبيعةَ القتالِ ، الرِّباطُ نفسُه ، فإن انقطع الخيْطُ وانحلَّ العَقْد ، أخذَ هذا شرقاً وهذا غرباً ، ولم يلتقِيا[٦] أبداً .

وإذا تقابلت جِحَرَة الفأر ، وخَلا لَهَا الموضعُ ، فبيْنَهَا شرٌّ[٧] طويل ، ولكنَّه لايعدُو الوعيد والصخَب ، ولا يلتقى منهما اثنانِ أبداً .

---

(١) فى الأصل : «والسهان والسهان » ، صوابه ماأثبت . وانظر ٥ : ٢٤٦ .

(٢) ط : « الجراد » ، س ، م : « الجرد » ، وصوابهما ماأثبت .

(٣) لعلها « المساورة » بمعنى المواثبة ، أو « المشارة » بمعنى تبادل الشر .

(٤) فى الأصل : « الالتفات » . وانظر ماسيأتى من الكلام .

(٥) ط : « للجراد » . س ، م : « الجردان » والوجه ماذكرت .

(٦) فى الأصل : « يلتفتا » وانظر سياق الكلام .

(٧) الجحرة : جمع جحر . و « لها » و « بينها » هى فى الأصل « لهما » و « بينهما » وهو تحريف ، إذ الضميران راجعان إلى الفأر ، والفأر جمع فأرة .

(قصة ثمامة فيما شاهده من الفأر)

وحدَّثنى ثمامة بن أشْرَس قال : كان بقىَ فى الحبس جُحْر فأر(١) ، وتِلْقاءه جُحرٌ آخر ، فيَرَى لكلِّ واحدٍ منهما وعيداً وصياحاً ووثوباً ، حتَّى يُظَنَّ أنَّهُما سيلتقيان ثم لايحتجزان حتَّى يقتُلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبَه . فبينا كلٌّ واحدٍ منهما فى غاية الوعيد ، إذ مرَّ هارباً حتَّى دخل جُحره ، فما زالا كذلك ، حتَّى أتى الله تعالى بالفرَج وخُلِّىَ سبيلى .

(جودة الشم عند الكلاب السلوقية)

وزعم أنَّ السَّلوقيَّةَ الطويلةَ المناخر أجودُ شَمّاً ، والشمُّ العجيبَ والحسُّ(٢) اللطيف من ذلك(٣) ، إلاَّ أنَّ ذلك فى طلب الذكور للإناث والإناثِ للذُّكور خاصة . وأمَّا شمُّ المأكول ، واسترواحُ الطُّعم ، فللسِّباع فى ذلك ماليس لغيرها . وإنَّ الفأرَ لَيَشَمُّ ، وإنَّ الذَّر والنمل لَيَشَمُّ ، وإنَّ السَّنانير لتشَمُّ ، وكذلك الكلب ، وله فى ذلك فضيلة ، ولا يبلغُ مَايبلغ الذئب . ٦١

وقال أعرابىّ :

كانَ أبو الصّحيم من أربابها   صَبَّ عليه الله من ذِئابها
أطلسَ لاينحاشُ مِن كلابها   يلتهِمُ الطائرَ فى ذَهابِها

---

(١) كذا ، ولعل الكلام « قال إنه كان فى الحبس جحر فأر » .

(٢) ط : « الحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) أى من طول المناخر .

* فى الجَرْيَةِ الأولى فلا مَشْى بها *

ألا تراه يجتهد فى [الدّعاء عليها] بذئبٍ[١] لاينحاشُ من الكلاب .

باب

ما يُشَبَّه بالكَلْبِ وليس هو منْه

وإذا جرى الفرَس المحجَّل ، شبَّهوا قوائمَه بقوائم الكلب إذا ارتفعت فى بطنه ، فيصير تحجيلُها كأنَّه أكلُبٌ صغارٌ تعدو ، كما قال العُمانىُّ[٢] :

كأنَّ تحت البَطْن منه أكلُبَا   بِيضاً صِغاراً ينتهِشْنَ المَنْقَبا[٣]

وقال البدرىّ :

كأنَّ أجراءَ كلابٍ بِيضٍ   دونَ صِفاقَيْه إلى التَّغْرِيضِ[٤]

---

(١) فى الأصل : « ألا تراه يجتهد فى ذئب » ، وأصلحت القول بما ترى .

(٢) العمانى هو محمد بن ذؤيب الحنظلى ، وقيل له العمانى وهو بصرى ، ولم يكن من أهل عمان ، ولكن نظر إليه دكين الراجز فقال : من هذا العمانى ؟ وذلك أنه كان أصفر مطحولا ، وكذلك أهل عمان ، قال الشاعر :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله   ويغبط بما فى بطنه وهو جائع

وكان شاعراً راجزا متوسطا ، من شعراء الدولة العباسية ، ليس من نظراء الشعراء الذين شاهدهم فى عصره مثل أشجع ، وسلم ، ومروان ، ولكنه كان لطيفا داهيا مقبولا ، فأفاد بفعله أموالا جليلة ، وكان العمانى مقربا لدى الرشيد . الأغانى (١٧ : ٧٨ — ٨٣) والشعراء لابن قتيبة ٧٣١ — ٧٣٢ .

(٣) انظر ديوان المعانى (٢ : ١١٤) والشعر والشعراء ٣٧٢ .

(٤) الصفاق ، جلد البطن .

وقال الآخر :

كَأَنَّ قِطًّا أو كلاباً أربَعَا   دون صِفاقيه إذا ما ضَبَعا[١]

ويصفون الطَّلْعَ أوَّلَ ما يبدو صغاراً بآذانِ الكلابِ البِيضِ . وقال في ذلك الرَّاجزُ :

أنعَتَ جُمَّاراً على سحيض[٢]   يَخرِج بعد النَّجْم والتبعيض[٣]

* طَلْعاً كآذانِ الكلابِ البيضِ *

ويُوصَف صوتُ الشَّخْب في الإناء بهرير هراش الكلاب .

وقال أعرابيّ :

كأنَّ خِلفيها إذَا ماهرَّا   جروَا كلابٍ هُورِشا فهَرَّا[٤]

وقال الآخر :

كأنَّ صوتَ شَخْبِها المسحنْفِرِ[٥]   بينَ الأباهِيمِ وبين الخِنْصرِ[٦]

* هِراشُ أجراءٍ ولما تُشْغِرِ[٧] *

---

(١) ضبع : أسرع . وضبع وضبع بالتشديد : مد ضبعيه في السير ، والضبع : العضد .

(٢) كذا ، ولعلها « نضيض » ، وهو الماء القليل .

(٣) كذا ولعلها « التبريض » ، وهو من ظهور النبت في أول أمره .

(٤) يقول : كأن صوت لبنها حين الحلب صوت جروين من أجراء الكلاب أغرى أحدهما بالآخر ، فكان منهما نباح .

(٥) الشخب : ماخرج من الضرع من اللبن . والمسحنفر : الكثير الغزير .

(٦) الأباهيم : جمع إبهام، وقد جمعه ولم يرد جمعه ، وإنما أراد الواحد . انظر ص ٣٩ .

(٧) أي صوت هراش أجراء . وتثغر : تبدو أسنانها . ولعلها « تشغر » بمعنى ترفع إحدى رجليها حين البول ، وهذه أمارة من أمارات بلوغ الكلاب كما في الحيوان (٢ : ٣٢) .

وقال أبو دُوَاد[١] :

٦٢ طَـويل طامِـح الطَّرْفِ إلى وَهَوْهَــةِ الـكلب[٢]

(جواب صبيّ)

وزعم الهيثم بن عدى[٣] قال : كان رجل يسمَّى كلباً ، وكان لهُ بُنَيٌّ يلعبُ فى الطريق ، فقال له رجلٌ : ابن مَنْ ؟ فقال : ابن وَوْ وَوْ وَوْ ! !

(ما يستحبّ فى ذنب كلب الصيد)

ويحبُّون أن يكون ذنَب الـكلْبِ الصَّائِدِ يابساً ، ليس له من اللحم قليل ولا كثير ، ولذلك قال :

(١) فى الأصل : « أبو داود» ، وإنما هو « أبو داود » . والبيت الآتى فى أدب الـكاتب ٨٦ والأمالى ٢ : ٢٥٠ والأضداد ٢٦٦ منسوب إلى أبى دواد . لـكن قال أبو عبيد البكرى فى التنبيه : إن هذا البيت ليس لأبى دواد ولا وقع فى ديوانه ، وإنما هو لعقبة بن سابق الهزانى . قلت : وانظر قصيدة عقبة بن سابق فى الأصمعيات ٣٩ ، وانظر كذلك الاقتضاب ٣٢٤ .

(٢) الرواية فى المراجع المتقدمة : « إلى مفزعة الـكلب » : أى نظره طامح إلى أقصى موضع يسمع منه الـكلب إيساد صاحبه أى إغراءه » . والبيت فى صفة فرس . وأما الوهوهة هنا فصوت الـكلب عنـد جزعه . والبيت يروى برفع « طويل » وخفضه ، فمن خفضه جعله من صفة الفرس المذكور فى البيت الذى قبله وهو :

وقد أغدو بطرف هيـــ كل ذى ميعة سكب
أشم سلجم المقـــ ل لا شخت ولا جأب

ومن رفع فعلى خبر مبتدأ مضمر . انظر الاقتضاب ٣٢٥ .

(٣) كذا فى س ، وهو الصــواب . وفى ط : عرابى » ، وفى م : « عربى » وكلاهما تحريف . كان الهيثم عالما بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب. وكان يرى رأى الخوارج . توفى سنة سبع أو تسع ومائتين . وانظر الخبر فى ٥ : ٢٨٨ .

* تَلوِى بأذنابٍ قليلاتِ اللِّحَا(١) *

وقال الشاعر(٢) :

إنِّى وطَلْبَ ابنِ غلّاقٍ(٣) ليَقرِيَنِى(٤)
كالغابط(٥) الكلبَ يبغى الطِّرْقَ فى الذَّنب(٦)

الطِّرْق : الشحم اليسير ، يقال : ليس به طِرْق .

(طيب لحم أجراء الكلاب)

ويقال : ليس فى الأرض فَرخٌ ولا جرو ولا شىءٌ من الحيوان أسمنَ ولا أرطبَ ولا أطيبَ من أجراء الكلب . وهى أشبهُ شىءٍ بالحمام ؛ فإنَّ فِراخَ الحمام أسمنُ شىءٍ ما دامت صغاراً من غير أن تسمَّن ، فإذا بلغَتْ لم تقبل الشحم ، وكذلك أولادُ الكلاب .

---

(١) ط : « اللحام » س : « اللحى » وصوابهما من م ، ومن الحيوان ٢ : ٦٢ حيث توجد أرجوزة البيت مشروحة مفصلة . وأراد باللحا — وهو مقصور اللحاء — مايكسو الذنب من اللحم . وفى المقصور والممدود لابن ولاد ٩٥ : « ويقال للتمرة إنها قليلة اللحاء ، وهو ما كسا النواة » .

(٢) هو رجل من بنى عمرو بن عامر يهجو قوما من بنى سليم ، كما فى اللسان (غبط) .

(٣) فى أمثال الميدانى ٢ : ٢٠ : « إنى وإن ابن علاق » ، وفى اللسان : « إنى وأتى ابن غلاق » . والطلب : هو الطلب سكنت لامه للشعر .

(٤) ط : « ليقربنى » وتصحيحه من س ، م وأمثال الميدانى واللسان .

(٥) الغابط : الذى يجس الحيوان ليعرف سمنه من هزاله . وفى م : « كالغائط » وفى ط : « كالطالب » . وفى الأمثال : « كعابط » ، وذلك تحريف ماأثبت من س . وفى اللسان : « كغابط » .

(٦) ط ، م : « الذيب » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . وقبل هذا البيت فى اللسان :

إذا تحليت غلاقا لتعرفها لاحت من اللؤم فى أعناقها الكتب

قال الميدانى : يضرب هذا المثل لمن يطلب المعروف عند اللئيم .

وقال الآخر :

وأغضَفِ الأُذْن طاوى البَطْنِ مُضْطَمِرٍ

لِوَهْوَهٍ رَذِمِ الخيشـومِ هَرَّارِ[١]

الأصمعيّ قال : قال أعرابىٌّ : أصابتنا سَنة شديدة ، ثم أعقبتْها سنةٌ تتابَعَ فيها الأمطارُ فسمِنت الماشية ، وكثُرت الألبان والأسمان ، فسَمِن وِلْدان الحيِّ ، حتَّى كأنَّ استَ أحدهم جرو يتمطَّى !

(طلب أبى دلامة)

أبو الحسن قال : قال أبو العبَّاس أميرُ المؤمنين[٢] لأبى دُلامة : سَلْ ! قال : كلباً . قال : ويلَك ! ما تصنع بالكلب ؟ ! قال : قلت أصيدُ به . قال : فلك كلب . قال : ودابَّةً . قال : ودابّة . قال: وغلاماً يركَب الدابة ويَصيد . قال : وغلاماً . قال : وجاريَةً . قال : وجارية . قال : يا أمير المؤمنين ! كلبٌ وغلامٌ وجاريَةٌ ودابّة، هؤلاء عِيال ، ولا بدَّ مِن دار . قال: ودار . قال : ولا بدَّ لهؤلاءِ من غَلَّةِ ضَيعة . قال : أقطعناك مائَةَ جَرِيبٍ عامرةً ومائَةَ جريبٍ غامرة . قال : وأيُّ شيء الغامرة ؟ قال : ليس فيها

(١) لوهوه : أى أبوه وهوه ، والوهوه : النشيط الحريص على الجـرى . والرذم: الذى يقطر أنفه ، وفى اللسان : « رذم أنفه يرذم ويرذم - أى كيدخل ، ويضرب - رذما ورذمانا : قطر » . وهى فى الأصل : « ردم » وليس لها معنى يتجه . والهرار : الـكثير الهرير ، وهو النباح .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد ، الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية (١٠٤ - ١٣٦) . والحديث فى الأغانى ٩ : ١١٦ مع اختلاف فى الألفاظ حيث توجد ترجمة أبى دلامة ٩ : ١١٥ - ١٣٣ . وانظر جمع الجواهر ٩٠ .

نبات . قال : أَنَا أُقْطِعك خمسمائةِ جريب من فيافى بنى أسد غامرةً . قال : قد جعلنا لك المائتين عامِرتين كُلَّهاَ(١) ، ثمَّ قال : أبقيَ لك شيء ؟ قال : نعم ، أقبِّل يدك . قال : أمَّا هذه فدعْها . قال : مامنعتَ عيالى شيئاً أهونَ عليهم فقْداً منه ؟ !

(علّمه حيلة فوقع فى أسرها)

أبو الحسن عن أبى مريم قال : كان عندنا بالمدينة رجلٌ قد كثُر عليه الدَّين حتَّى توارى من غرمائه ، ولزِم منزله ، فأتاه غريم له عليه شيءٌ يسيرٌ ، فتلطَّفَ حتَّى وصل إليه ، فقال له : ما تجعلُ لى إنْ أنا دللتك
على حيلةٍ تصيرُ بها إلى الظُّهورِ والسَّلامةِ من غرمائك ؟ قال : أقضيكَ ٦٣
حقَّك ، وأزيدُك ممَّا عندى ممَّا تقَرُّ به عينك . فتوثَّقَ منه بالأيمان ، فقال له : إذا كان غداً قبْلَ الصَّلاةِ مرْ خادمَك يكنُسْ بابَك وفِناءك ويرشَّ ، ويبسُطْ على دكَّانك حُصراً ، ويضَعْ لك متَّكأ ، ثمّ أمهِل حتى تصبح(٣) ويمرَّ الناس ، ثمّ تجلس ، وكلُّ مَن يمرُّ عليك ويسلّم انبح له فى وجهه ، ولا تزيدَنَّ على النُّباح أحداً كائنا مَن كان ، ومَنْ كلّمك من أهلك أو خدمك أو من غيرهم ، أو غريمٍ أو غيره ، حتَّى تصير إلى الوالى فإذا كلَّمك فانبَحْ له ، وإيَّاك أن تَزيدَه أو غيرَه على النُّباح ؛ فإنَّ الوالىَ

---

(١) ط : « كلهما » .

(٢) فى الأغانى عقب هذه القصة « قال الجاحظ : فانظر إلى حذقه بالمسألة ولطفه فيها ، ابتدأ بكلب فسهل القصة به ، وجعل يأتى بما يليه على ترتيب وفكاهة حتى نال مالو سأله بديهة لما وصل إليه » .

(٣) ط : « يصبح » .

إذا أيقَنَ أنَّ ذلك منك جِدٌّ لم يشُكَّ أنَّه قد عرَض لك عارض من مَسٍّ فيخلِّيَ عنك ، ولا يغرى عليك . قال : ففعَل ، فمرَّ به بَعضُ جيرانه فسلَّم عليه ، فنبَح فى وجهه ، ثم مرَّ آخرُ ففعل مثلَ ذلك ، حتّى تسامع غرماؤه فأتاه بعضهم فسلَّم عليه فلم يزِدْه على النُّباح ، ثمَّ آخرُ ، فتعلَّقوا به فرفعوه إلى الوالى ، فسأله الوالى فلم يزِدْه على النُّباح ، فرفَعه معهم إلى القاضى ، فلم يزِده على ذلك ، فأمَرَ بحبسه أيَّاماً وجعلَ عليه العيون ، وملَكَ نفْسَه وجعَلَ لاينطِق بحرفٍ سوى النُّباح ، فلمَّا رأى القاضى ذلك أمَرَ بإخراجه ووضعَ عليه العيونَ فى منزله ، وجعل لاينطِق بحرفٍ إلاَّ النباحَ ، فلما تقرَّرَ ذلك عند القاضى أمر غرماءه بالكفِّ عنه ، وقال: هذا رجلٌ بِهِ لَمَمٌ . فمكث[1] ما شاء اللهُ تعالى . ثمَّ إنَّ غريمَه الذى كان علَّمه الحيلة ، أتاه متقاضياً لِعِدَتِه[2] فلمَّا كلمه جعل لايزيدهُ على النُّباح ، فقال لَهُ : ويلَكَ يافلان ! ! وعليَّ أيضا ، وأنا علَّمتك هذه الحيلة ؟ ! فجعل لايزيدُه على النُّباح ، فلمَّا يئس منه انصرف يائساً مما يطالبه بِهِ .

(اتحاد المتعادين فى وجه عدوِّهما المشترك)

قال أبو الحسن عن سلمة بن خطّاب الأزدىّ ، قال : لمَّا تشاغل عبدُ الملك بنُ مرْوانَ بمحاربةِ مُصعَبِ بنِ الزُّبير ، اجتمَعَ وجوهُ الرُّوم إلى ملكهم فقالوا له : قد أمكنَتْك الفُرْصةُ من العَرب ، بتَشاغُل بعضهم

---

(١) اللمم : الجنون . و « مكث » هى فى ط : « مكثت » محرفة ، وإصلاحها من س .

(٢) لعدته : لما كان وعده به .

مع بعض ، لوقوع بأسهم بينهم ، فالرأىُ لك أن تغزوَهم إلى بلادهم ، فإنَّك إن فعلتَ ذلك بهم نلتَ حاجتَك ، فلا تدَعْهم حتَّى تنقضىَ الحربُ التى بينهم فيجتمعوا عليك ! فنهاهم عن ذلك وخطَّأ رأيَهم ، فأبوا عليه إلاَّ أن يغزُوا العربَ فى بلادهم . فلما رأى ذلك منهم أمَرَ بكلبَين فحرَّش بينهما ، فاقتتلا قتالا شديداً ، ثمَّ دعا بثعلبٍ فخلاَّه ، فلما رأى الكلبان الثعلبَ ، تركا ما كانا فيه ، وأقبلا عليه حتَّى قتلاه ، فقال ملك الروم : كيف ترون !؟ هكذا العربُ ، تقتتلُ بينها ، فإذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا ، ٦٤ فعرَفُوا صدقه ، ورجَعوا عن رأيهم .

(كرم الكلاب)

قال : وقال المغيرةُ لرجلٍ خاصم إليه صديقاً لهُ ، وكان الصديقُ توعَّدَه بصداقة المغيرة ، فأعلمه الرجلُ ذلك ، وقال : إنَّ هذا يتوعَّدنى بمعرفتك إيَّاه ، وزعم أنَّها تنفعه عندَك . قال : أجَلْ ! إنَّها والله لتنفَع ، وإنَّها لتنفَعُ عند الكلبِ العقور !

فإذا كان الكلبُ العقورُ كذلك ، فما ظنُّك بغيره ؟ وأنت لا تصيب من الناس مَن تنفع عنده المعرفةُ من ألفٍ واحداً[1] .

وهذا الكرمُ فى الكلاب عامٌّ . والكلبُ يحرُس ربَّه ، ويحمى حريمَه شاهداً وغائباً ، وذاكراً وغافلاً ، ونَائماً ويقظان ، ولا يقصِّر عن ذلك وإن جفَوه ، ولا يخذُلهم وإن خذَلوه .

---

(١) فى الأصل : « من ألف واحد » .

(نوم الكلاب)

والـكلبُ أيقَظُ الحيوانِ عيناً فى وقتِ حاجتهم إلى النوم ، وإنّما نومه نهاراً ، عند استغنائهم عن حراسةٍ ، ثمَّ لا ينـام إلاَّ غِراراً وإلا غِشَاشاً[1] . وأغلبُ ما يكوم النّومُ عليه وأشدُّ [ما يكون[2]] إسكاراً له ، أنْ يكونَ كما قال رؤبة :

* لاقيت مَطْلاً كنُعاسِ الـكَلْبِ [3] *

يعنى بذلك القَرْمَطَة فى المواعيد .

وكذلك فإنَّهُ أنْوَمُ ما يكونُ أنْ يفتَحَ عينَه بقدْر ما يكفيه للحراسة ، وذلك ساعةً ، وهو فى هذا كلِّه أسْمَعُ من فرَس ، وأحذَرُ من عَقْعَق[4] ، مع بُعد صوته

---

(١) الغرار والغشاش : النوم القليل .

(٢) الزيادة من س .

(٣) سبق الـكلام فى هذا البيت ص ٣١٧ من الجزء الأول .

(٤) العقعق – كثعلب – طائر على قدر الحمامة ، فى شكل غراب ، وهو ذو لونين أبيض وأسود . وكما يضرب المثـل بالعقعق فى الحذر ، يضرب به أيضـاً فى السرقة والخيانة ، قال :

إذا بارك الله فى طائر فلا بارك الله فى العقعق
قصير الذنابى طويل الجناح متى مايجد غفلة يسرق
يقلب عينيه فى رأسه كأنهما قطرتا زئبق

(قول رجل من العرب فى الجمال)

وقيل لرجُل من العرب : ما الجمال ؟ فقال : غُؤور العينَين ، وإشراف الحاجبين ، ورُحْب الأشداق ، وبُعْدُ الصوت .

(صبر الكلب واحتماله)

هذا مع قلة السآمة ، والصَّبْرِ على الجفوة ، واحتمالِ الجراحات الشِّداد ، وجوائف الطعان[1] ونوافذِ السهام . وإذا ناله ذلك لم يَزَلْ ينظِّفه بريقه ؛ لمعرفته بأنَّ ذلك هو دواؤه حتَّى يبرأ ، لا يحتاج إلى طبيب ، ولا إلى مِرْهم ولا إلى علاج .

(طول ذماء الضب والكلب والأفعى)

وتقول العرب : « الضبُّ أطولُ شيءٍ ذَمَاء[2] » ، والكلبُ أعجبُ فى ذلك منه . وإنَّما عجبوا من الضَّبِّ ، لأنَّه يَغْبُر[3] ليلتَه مذبوحا مفرِيَّ الأوداج ، ساكنَ الحركة ، حتَّى إذا قَرِّب من النار تحرّك . كأنَّهم يظنُّون أنَّه قد كان حيًّا ، وإن كان فى العين ميّتاً .

والأفعَى تبقى أيَّاماً تتحرَّك .

---

(١) الجائفة : طعنة تبلغ الجوف .

(٢) الذماء : بقية الروح . وفى ط : « أطول شيئا » ، وهو على الصواب فى س ، م .

(٣) يغبر : يمكث . وفى ط ، م : « يغير » ، وهو تحريف ماأثبت من س .

(ما يعتريه الاختلاج بعد الموت)

فأمَّا الذى يعتريه الاختلاج بعد جُموده[١] ليلةً ، فلحْمُ البقر والجُزُر[٢] ، تختلج وهى على المعاليق اختلاجاً شديداً .

والحيَّة يُقطَعُ ثلثها الأسفل ، فتعيش وينبُت ذلك المقطوع .

(حياة الكلب مع الجراح الشديدة)

قال : والكلب أشدُّ الأشياء التى تعيش على الجراح ، التى لا يعيش عليها شىء إلاَّ الكلبُ ، والخنزيرُ ، والخُنْفَساء .

(قوة فكّ الكلب وأنيابه)

والكلبُ أشدُّ الأشياء فَكًّا ، وأرْهفها ناباً ، وأطيَبُها[٣] فماً ، وأكثرها ريقاً ، يُرمَى بالعظم المدْمَج[٤] ، فيعلم بالغريزة أنَّه إن عضَّه رضَّه ، وإن بلعَه استمرأه[٥] .

---

(١) الجمود : كناية عن الموت ، تقول : مازال يضربه حتى جمد .

(٢) الجزر : الإبل المذبوحة ، جمع جزور .

(٣) ط ، م : « أخيبها » ، وتصحيحه من س .

(٤) المدمج : الصلب . وفى س : « يرى العظم المدمج » .

(٥) سيأتى نحو هذا الكلام بعبارة أكثر تفصيلا فى ص ١٩٤ من هذا الجزء .

(إلف الكلب وغيره من الحيوان للإنسان)

وهو ألوفٌ للناس ، مشاركٌ من هذا الموضع العصافيرَ والخطاطيفَ والحمامَ والسنانير ، بل يزيد على ذلك فى باب الخاصِّ وفى باب العامِّ . فأمَّا باب الخاصِّ ، فإنَّ من الحمام[(١)] ما هو طُورانىٌّ[(٢)] وحشىٌّ ، ومنه ما هو آلفٌ أهلى . والخُطَّاف من القواطع غير الأوابد ، إذا قطع إلى الإنس لم يَبْنِ بيتَه إلاَّ فى أبعدِ المواضع ، من حيثُ لا تناله أيديهم . فهو مقسومٌ على بلاده وبلادِ من اضطرَّته إليه الحاجة . والعصافير تكون فى القرب حيثُ تمتنع منهم فى أنفسها . والكلاب مخالطةٌ لها ملابِسة ، ليس منها وحشىٌّ ، وكلُّها أهلى . وليس من القواطع [ولا][(٣)] من الأوابد ما يكون آنس بالناس — من كثير ممَّا يوصف بالأنس والإلف — من الكلاب دون سواها[(٤)] . وفى السَّنانير الوحشيَّةُ والأهليةُ .

وعلى أنّ إلفَ الكلب فوقَ إلف الإنسان الألوف[(٥)] ، وهو فى الكلب أغرَبُ منه فى الحمام والعصفور ؛ لأنَّه سبع ، والحمام بهيمة ، والسبع بالسباع أشبه ، فتركَها ولم يناسبها ، ورغِب عنها . وكيف ، وهو يصيد الوُحوشَ ويمنَع جميعَ السِّباع [من[(٦)]] الإفساد ؟ ! فذلك أحمَدُ له

---

(١) ط ، م : « من » ، س : « منه » ، والصواب فى ذلك ماأثبت .

(٢) فى معجم البلدان : طرآن : جبل فيه حمام كثير ، إليه ينسب الحمام الطرآنى . . . قال : والعامة تقول طورانى ، وهو خطأ » . وفى اللسان : « وحمام طورانى وطورى منسوب إليه» . أى إلى طور سيناء . قال : « وقيل هو منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ » .

(٣) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٤) فى الأصل : « من الناس دون سواهم » .

(٥) ط : « الألوق » ، وصوابه من س ؛ م .

(٦) الزيادة من س .

وأوجَبُ لشكره . ثمَّ يصيرُ فى كثيرٍ من حالاته ، آنَسَ بالنَّاس منه بالكلابِ دِنيَّةً وقُصْرةً[١] ، ولا تراه يلاعبُ كلباً ما دام إنسانٌ يلاعبه . ثمَّ لم يرْضَ بهذه القرابة وهذه المشاكلة ، وبمقدار ما عليه من طباع الخُطَّاف والحمام والعصفور ، وبمقدار ما فضَّلها الله تعالى بِهِ من الأُنس ، حتَّى صار إلى غايةِ المنافع سُلَّماً ، وإلى أكثر المرافق[٢] .

(الحاجة إلى الكلاب)

[وليس[٣]] لحارس الناس ولحارسِ أموالهم بُدٌّ من كلب ، وكلَّما كان أكبَرَ كان أحبَّ إليه . ولا بدَّ لأقاطيع المواشى من الكلاب ، وإلَّا فإنَّها نهبٌ للذئاب ولغير الذئاب ثمَّ كلابِ الصّيد ، حتَّى كان أكثرُ أهل البيت عِيالاً على كلٍّ كلب .

(مقلدات الإنسان من الحيوان)

وقد صار اليومَ عندَ الكلب من الحكايات وقَبول التلقين ، وحُسْن التصريف فى أصناف اللّعِب ، وفى فِطَن الحكايات [ما ليس[٤]]

(١) يريد الكلاب القريبة إليه فى النسب .

(٢) يصح أن تكون هنا كلمة ساقطة تقديرها « وسيلة » أو « سبباً » أو نحو ذلك . ويصح أن يكون اكتفى بالخبر المتقدم « سلما » .

(٣) ليست بالأصل والكلام فى حاجة إليها . وفى س : « لمحارس » بدل « لحارس » .

(٤) بدله فى الأصل : « وفى » ، والوجه ماأثبت .

فى الجوارح المذلَّلةِ لذاك ، المصرَّفةِ فيه ، [و(١)] ما ليس عند الدبِّ والقرد والفيل ، والغَنَم المكِّيَّة ، والبَبْغَاء .

(الكلب الزينى)

والكلب الزِّينىّ الصِّينىّ(٢) يُسرَج على رأسه ساعاتٍ كثيرةً من اللَّيْل فلا يتحرَّك . وقد كان فى بنى ضَبَّةَ كلب زينىٌّ صينىّ ، يُسرَج على رأسه ، فلا ينبِض فيه نابِض ، ويدعونه باسمه ويُرمى إليه بِبَضْعَةِ لحم والمِسْرَجةُ على رأسه ، فلا يميل ولا يتحرَّك ، حتَّى يكونَ القومُ هم الذين يأخذون المصباح من رأسه ، فإذا زايَلَ(٣) رأسَه وثَب على اللحم فأكله ! . دُرِّب فدَرِب ، ٦٦
وثُقِّف فثَقِف ، وأُدِّب فقَبِل . وتعلَّق فى رقبته الزنْبلة(٤) والدَّوْخَلَّة(٥) وتوضع فيها رُقعة ، ثم يمضى إلى البقَّال ويجىء بالحوائج .

(تعليم الكلب والقرد)

ثمَّ صار القَرَّادُ وصاحبُ الرُّبَّاح(٦) [مِنْ(٧)] ثمَّ يستخرِجُ فيما بين الكلْب والقِرد ضُروبا من العمَل ، وأشكالاً من الفِطَن ، حتَّى صاروا يطحنون

---

(١) ليست بالأصل .
(٢) ضرب من الكلاب قصير القوائم ، شديد الذكاء ، يقال بالهمز وترك الهمز .
(٣) ط : « أزيل » وصوابه فى س .
(٤) كذا ، ولعلها « الزبيل » أو « الزنبيل » .
(٥) الدوخلة ، بفتح الدال وتشديد اللام المفتوحة وتخفف ، أصل معناها : سفيفة من خوص يوضع فيها التمر والرطب .
(٦) الرباح : القرد الذكر ، وفى الأصل : « الرياح » ! .
(٧) تكملة يفتقر إليها الكلام .

عليه ، فإذا فرغ من طحنه مضوا بهِ إلى المُتمعَّك[١] ، فيُمعَّكُ كما يُمعَّك حمار المُكارِى وبغلُ الطحَّان .

وقرابةٌ أخرى بينه وبين الإنسان : أنّه ليس شئٌ من الحيوان لذكرِه حجْمٌ بادٍ إلاّ الكلبُ والإنسان .

(ما يسبَحُ من الحيوان وما لا يسبح)

والكلبُ بعد هذا أسبحُ من حيّة ، ولا يتعلَّق بهِ فى ذلك الثَّور ، وذلك فضيلةٌ له على القِرد ، مع كثْرةِ فِطَن القِرْد وتشبُّههِ بالإنسان ؛ لأنّ كلَّ حيوانٍ فى الأرض فإنَّه إذا ألقى فى الماء الغَمْر سبح ، إلاّ القردَ والفرسَ الأعسَر ، والكلبُ أسبحُها كلِّها ، حتّى إنّه ليُقَدَّم فى ذلك على البقرة والحيَّة .

(مافى إناث الكلاب من الأعاجيب)

وفى طباع أرحامِ الكلاب أُعجوبَة ؛ لأنَّها تَلقَح من أجناس غير الكلاب ، ويُلقحها كما يلقح منها ، وتلقح من كلابٍ مختلفة الألوان ، فتؤدِّى شبَه كلِّ كلب ، وتمتلئ أرحَامُها أجراءً من سِفاد كلبٍ ، ومن مرّةٍ واحدة ، كما تمتلئ من عدَّةِ كلابٍ ومن كلبٍ واحد . وليست هذه الفضيلة إلاَّ لأَرحام الكلاب .

---

(١) المتمعك : مكان تمعك الدابة فى التراب .

(فخر قبيلتين زنجيتين)

قالوا : والزِّنج صِنفان ، قبيلة زنجيَّة فوق قبيلة ، وهما صِنفان : النمل والـكلاب ، فقبيلةٌ هم الكلاب ، وقبيلةٌ هم النمـَّل ، ، فخر هؤلاء بالكثرة ، وفخر هؤلاء بالشدَّة(١) . وهذان الأسمان هُمَا ما اختارَاهما لأنفسِهما ولم يُـكرَها عليهما .

(حديث : « أكلك كلب الله »)

قال : ويقال إنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال لعُتْبة(٢) بن أبى لَهب : « أكلك كلبُ الله » فأكله الأسد . فواحدةٌ : قد ثبت بذلك أنَّ الأسد كلبُ الله(٣) . والثانية : أنّ الله تبارك وتعالى لا يُضاف إليه إلاَ العظيمُ ،

(١) الإشارة بهؤلاء الأولى إلى قبيلة النمل ، وبالثانية إلى قبيلة الـكلاب ، وللقبيلتين حديث فى البيان ٣ : ٥١ .

(٢) فى الأصل : « قال يالهب » . وفى ثمار القلوب ١٩ وفقه اللغة ٢٤٨ — وقد نقل الثعالبى فيهما نص الجاحظ — « عتيبة » بالتصغير . والصواب « عتبة » كما فى الأغانى (١٥ : ٢ — ٣) وكما فى المعارف ٦٢ وسيرة ابن هشام ٤٦٥ جوتنجن . وفى الأغانى عن عكرمة قال : « لما نزلت : والنجم إذا هوى ، قال عتبة للنبىصلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك ! » قال ابن عباس : « فخرج إلى الشام فى ركب ، فيهم هبار بن الأسود، حتى إذا كانوا بوادى القاصرة، وهى مسبعة ، نزلوه ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة : أتريدون أن تجعلونى حجرة ! لا والله لا أبيت إلا وسطكم ! فبات وسطهم . قال هبار : فما أنبهنى إلا السبع يشم رءوسهم رجلا رجلا ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه فى صدغيه فصاح : أى قوم ! قتلنى دعوة محمد ! فأمسكوه فلم يلبث أن مات فى أيديهم » . وانظر لتحقيق الخبر ما ورد فى حواشى الاشتقاق ٢٢ بتحقيقنا . وانظر الاستدراك فى آخر الـكتاب هنا .

(٣) فى فقه اللغة : « أن الأسد كلب » .

من جميع الخير والشرّ[١] . فأمَّا الخير فقولك : بيت الله ، وأهل الله ، وزُوَّار الله ، وكِتاب الله ، وسماء الله ، وأرض الله ، وخليل الله ، وكَلِيم الله ، وروح الله ، وما أشبه ذلك[٢] . وأمَّا الشرُّ فكقولهم : دعْه فى لعنةِ الله وسخَط الله ، ودعْه فى نار الله وسَعيره[٣] ، وما أشبه ذلك . وقد يسمِّى المسلِمون والنَّاسُ كلباً .

(تسمية بنات آوى والثعالب والضباع بالكلاب)

وقد زعم آخرون : أنَّ بناتِ آوى ، والثعالبَ والضِّباعَ ، والكلابَ ، كلَّها كلاب ، ولذلك تَسافَدُ وتَلاَقَح[٤] .

وقال آخرون : لَعمرى إنَّها الكلاب إذا أردتم أن تشبِّهوها ، فأمَّا أن تكونَ كلاباً لعِلَّةٍ أو عِلَّتين — والوجوهُ التى تخالف فيها الكلاب أكثر — فإنَّ هذا ممّا لايجوز .

٦٧ وقول مَنْ زعم أنّ الجواميس بقرٌ وأنّ الخيلَ حُمُرٌ ، أقربُ إلى الحقِّ من قولِكم ، وقولِ من زعَم أنّ الجواميس ضأنُ البقر . والبقَر ضأنٌ أيضاً ، ولذلك سمَّوا بقرَ الوحْشِ نِعاجا ، كأنهم إنما ابتغوا اتِّفاق الأسماء .

وما بالُ من زعم أنَّ الأسَد والذئب والضبع والثعلبَ وابنَ آوى كلابٌ أحقُّ بالصواب ممَّن زعم أنَّ الجواميس ضأنٌ والبقر ضأنٌ

(١) فقه اللغة : « من الأشياء فى الخير والشر » ، وفى الثمار « من جميع الأشياء من الخير والشر » .

(٢) انظر ماسبق فى ١ : ٣٤١ .

(٣) فقه اللغة : « وحر سقره » ، وفى الثمار : « وسقره » .

(٤) أراد : « تتسافد وتتلاقح » فحذف إحدى التاءين .

[و](١) الماعزُ كلها شيء واحد . وهذا أقربُ إلى الإمكان ؛ لتشابهها فى الظِّلف والقُرون والكروش(٢) وأنَّها تجترُّ . والسِّنَّور والفهد والنمر والبَبْر والأسد والذئب والضبع والثّعلبُ إلى أنْ تكونَ شيئاً واحداً أقرب . وعلى أنَّنا لم نتبينْ إلى السَّاعة أنَّ الضِّباعَ والكلابَ وبناتِ آوى والذئابَ تتلاقح ؛ ومارأينا(٣) على هذا قط [سِمْعا(٤)] ولا عِسْباراً ، ولا كلَّ ما يعُدُّون . وما ذِكْرهم لذلك إلاَّ من طريق الإخبار عن السُّرعة ، أو عن بعضِ ما يُشبه ذلك . فأمَّا التلاقُح والتركيب العجيب الغريب ، فالأعرابُ أفطنُ — والكلام عندَهم أرخص(٥) — منْ أن يكونوا وصَفُوا كلَّ شيءٍ يكون فى الوحش ، وكلَّ شيءٍ يكون فى السَّهل والجبل ، مما إذا جمع(٦) جميعُ أعاجيبه لم يكنْ أظرفَ ولا أكثرَ مما يدَّعون من هذا التَّسافُد والتَّلاقُح والتراكيب فى الامتزاجات . فكيفَ يَدَعُون ما هو أظرَفُ ، والذى هُو أعجبُ وأرغب ، إلى ما يستوى فى معرفته جميعُ الناس ؟ !

(تتمَّة القول فى الحديث السابق)

وقال آخرون : ليس الكلبُ من أسماء الأسد ، كما أنْ ليس الأسد من أسماء الكلب ، إلاّ على أنْ تمدحُوا كلبَكم فيقول قائلكم : ما هو إلاَّ

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ط : « الكبوش » ، والوجه ما أثبت من س .

(٣) ط « ما رأيناها » ، وهو تحريف ما فى س .

(٤) الزيادة من س . وقد سبق الكلام على « السمع » فى الجزء الأول ص ١٨١ — ١٨٣ .

(٥) س : « أدحض » .

(٦) ط : « أجمع » . وتصحيحه من س .

الأَسَد ؛ وكذلك القول فى الأسَد إذا سَمَّيتموه كلباً ، وذلك عند إرادة التصغير والتحقير ، والتأنيب والتقريع ؛ كما يقال ذلك للإنسان على جهة التشبيه. فإن كان النبى صلى الله عليه وسلم [قال ذلك فإنَّ ذلك على بعض ما وصفْنا لك . ويقول أهـل حمص : إنهم لا يُغلَبون ؛ لأن فيها نورَ الله فى الأرض[١] . وما كلبُ الله إلا كنُور الله . والله ، تبارك وتعالى عُلوًّا كبيرا ، لا تُضافُ إليه الـكلابُ والسنانيرُ والضِّباعُ والثعالب . والنبى صلى الله عليه وسـلم][٢] لم يقل هذا قطُّ . وإنْ كان قالَه فعلى صلةِ كلامٍ أو على حكايةِ كلام .

وقال صاحب الـكلب : قد وضَح الأمر ، وتلقَّاه الناس بالقَبول ، فى أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « أ كَلَكَ كلبُ الله » وهو يعنى الأسد . ومن دفع[٣] هذا الحديثَ فقد أنـكرَ علاماتِ الرسول صلى الله عليه وسلم .

(التسمية بمشتقات الـكلب)

والنَّاسُ قد سمَّوا الناسَ بكلبٍ وكُليب وكِلاب وأكلُب ومكاليب ومكالبة بنو ربيعة[٤] ، وكليب بن ربيعة بن عامر . وفى العرب من

---

(١) لعلهم كانوا يعنون بذلك ما بها من قبور أولاد جعفر الطيار ، كما فى معجم البلدان (حمص) . وقال ياقوت : « إن أشد الناس على على رضى الله عنه ، بصفين مع معاوية كان أهل حمص ، وأكثرهم تحريضاً عليه وجدا فى حربه ، فلما انقضت تلك الحروب ، ومضى ذلك الزمان ، صاروا من غلاة الشيعة ، حتى إن فى أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية ، وأصلهم الإمامية ، الذين يسبون السلف . فقد التزموا الضلال أولا وأخيرا » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ط : « رفع » ، وتصحيحه من س .

(٤) قارن هذا بما فى الجزء الأول ص ٣١٣ — ٣١٧ .

القبائل كلب ، وبنو الكلْبة ، وبنو كلاب[١] ، وأكلبُ بن ربيعةَ بنِ نزار عِمارةٌ ضخمةٌ[٢] . وكلْب بن وَبْرة جِذْمٌ من الأجذام[٣] وهم نفر جُمجُمة[٤] ، وكلّ سادات[٥] فهو يكنى أبا كليب ، ومن ذلك عمرو ذو الكلب[٦] ٦٨ وأبو عمرو الكلب الجرمى[٧] وأبو عامر الكلب النحوى . وكيف لايجوز مع ذلك أنْ يسمَّى الأسد بالكلب ، وكلٌّ هؤلاء أرفَعُ من الأسد؟ !

وقد قالوا : كلب المـاء ، وكلبُ الرحى . والضَّبَّة[٨] التى فى الرحل يقال لها الكلب ، والكلب : الخشبة التى تمنع الحائطَ من السُّقوط

(١) فى ش بعد هذا زيادة « وبنو كلب » .
(٢) العمارة : أصغر من القبيلة ، أو الحى العظيم .
(٣) الجذم : الأصل .
(٤) كذا فى ط ، م . وفى س : « وهم بعد جمجمة » .
(٥) كذا فى ط . وفى س : « شاداب » . وفى م : « شادات » .
(٦) اسمه عمرو بن العجلان بن عامر ، وهو من بنى هذيل . قال ابن الأعرابى : سمى ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه . وقال أبو عبيدة : وإنما خرج غازيا ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : ياذا الكلب ! فثبتت عليه . وكان يغزو بنى فهم غزوا متصلا . فنام ليلة فى بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكلاه ، فادعت فهم قتله ، وقالت أخته ريطة ترثيه بقصيدة أولها :

كل امرئ لمحال الدهر مكروب   وكل من غالب الأيام مغلوب

تقول فيها :

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها   مثعنجر من نجيع الجوف أسكوب
والتارك القرن مصفرا أنامله   كأنه من رجيع الجوف مخضوب
تمشى النسور إليه وهى لاهية   مشى العذارى عليهن الجلابيب
والمخرج العاتق العذراء مذعئة   فى السبى ينفح من أردانها الطيب

الأغانى ٢٠ : ٢٢ — ٢٣ .
(٧) انظر الجزء الأول ص ٣١٥ .
(٨) الضبة هنا يراد بها الحديدة العقفاء التى تكون فى طرف الرحل ، تعلق فيها المزاود والأداوى .

وتُشخَص فى القناطر والمسنَّيات (١) .

والكلب الذى فى السماء ذو الصُّوَر (٢) .

ويقال : داء الكَلَب ، وقد اعتراه فى الطعام كلب ، وقد كلب عليهم فى الحرب ، و « دِمَاءُ القوم للكَلْبى شفاء » (٣) .

ومنه الكلْبة والكلْبتان (٤) والكُلَّاب (٥) والكلُّوب (٦) ثمَّ المكلِّب والمكلب (٧) وهذا مختلف مشتقٌّ من ذلك الأصل .

ومنه عَلُّويَهْ (٨) كلب المطبخ ، وحمويه كلب الجنّ .

---

(١) المسناة : السد يعترض به الوادى ليحبس الماء .

(٢) الصورة : مجموعة من الكواكب من الثابتة . وللكلب ثلاث صور : الصورة الأولى ، صورة العواء وهى من الصور الشمالية . والصورة الثانية : صورة الجبار وهو الكلب الأكبر ، وهو الشعرى العبور والشعرى اليمانية . والثالثة صورة الكلب الأصغر ، وهو الشعرى الشامية . وهاتان الصورتان من الصور الجنوبية . انظر مفاتيح العلوم ١٢٣ — ١٢٤ ونثار الأزهار ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٣) هو عجز بيت لعوف بن الأحوص ، وصدره كما فى ص ٨ — ٩ من هذا الجزء :

* ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو *

(٤) الكلبتان : آلة للحداد يأخذ بها الحديد المحمى ، وهو لفظ ملازم للتثنية .

(٥) الكلاب ، بضم الكاف وتشديد اللام : الحديدة التى على خف الرائض للدابة ، وجمعها كلاليب . وتسمى المهماز أيضاً .

(٦) الكلوب : المنشال أى آلة نشل الشىء ورفعه . وقال اللحيانى : الكلاب والكلوب : السفود لأنه يعلق الشواء ويتخلله .

(٧) المكلب ، بكسر اللام المشددة : الرجل الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . والمكلب ، بفتح اللام المشددة : الكلب قد عامه صاحبه أخذ الصيد ، أو أحد اللفظين هو (المكلب) كمحسن ، وهو الرجل الذى كلبت إبله : أى أصابها الجنون .

(٨) ط : « علوبة » ، وتصحيحه من س .

(بين أبي علقمة المزني وسوار بن عبد الله)

ولما شهدَ أبو علقمة المُزَنيُّ عند سوّار بنِ عبد الله[١] أو غيره من القضاة [و[٢]] توقَّفَ في قَبول شهادته ، قال له أبو علقمة : لم توقَّفتَ في إجازة شهادتي ؟ قال : بلغني أنَّك تلعَب بالكلاب والصُّقور . قال : مَنْ خبَّرك أنِّي ألعب فقد أبْطَل ، وإذا بلغك أنِّي أصطادُ بها فقد صدَقَك مَنْ أبلغك ، وإنِّي أخبرك أنِّي جادٌّ في الاصطيادِ بها غيرُ لاعبٍ ولا هازئٍ ، فقد وقَفَ المبلِّغ بك على فرقِ مابينَ الجدِّ واللَّعب . قال : ماوقَفَ ولا وقَّفته عليه . فأجازَ شهادتَه .

(قوله تعالى : يَسْأَلونَكَ ماذَا أُحِلَّ لَهُمْ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ فقال لنبيِّه : ﴿ قَلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الجَوَارِح مُكلِّبين ﴾ . فاشتقَّ لكلِّ صائدٍ وجارحٍ كاسب مِنْ بازٍ ، وصقرٍ ، وعُقاب ، وفَهْد ،

---

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، أبو عبد الله العنبري البصري ، نزل بغداد ، وولي بها قضاء الرصافة ، وكان فقيها فصيحا ، أديبا شاعرا ، وقد وثقه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل ، وتوفي سنة خمس وأربعين ومائتين . (تاريخ بغداد ٤٧٨٨) .

ومن بلاغاته وورعه ما قالوا ، إنه دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، إني جئتك في حاجة رفعتها إلى الله قبل رفعها إليك . فإن قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك ! فقضى جميع حوائجه .

(٢) ليست بالأصل .

وشاهِينٍ ، وزرَّقٍ ويؤيؤ ، وباشق ، وعَناق الأرض[١] ، من اسم الكلب . وهذا يدلُّ على أنّه أعمُّها نفعاً ، وأبعدها صِيتاً ، وأنبهها ذكراً . ثمَّ قال : ﴿ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ فذكر تعليمَهم لها إذ أضافَ ذلك إلى نفسه ، ثمَّ أخبرَ عن أدَبها وأنَّها تُمسِك على أربابها لاعلى أنفسها . وزعَم أصحاب الصَّيْد أنْ ليس فى الجوارح شيءٌ أجدرُ أن يُمسِك على صاحبه ولا يُمسِكَ على نفسه من الكلب .

(تأويل آية أصحاب الكهف)

قال الله تعالى لنبيِّه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ[٢] أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهفِ فَقَالُوا : رَبَّنا آتِنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَدًا ﴾ . فخبَّر كما ترى عن دعائهم وإخلاصهم ، ثمَّ قال جلّ وعزَّ : ﴿ فَضَرَبْنا عَلَى آذانِهِمْ فى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَداً . ثُمَّ بَعَثْناهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِما لَبِثُوا أَمَداً ﴾ ثمَّ قال عزَّ وجلّ : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ
آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْناهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قامُوا فَقالُوا : ٦٩
رَبُّنا رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلٰهًا لَقَدْ قُلْنَا

---

(١) عناق الأرض : دويبة أصغر من الفهد ، طويل الظهر ، يصيد كل شيء حتى الطير .

(٢) ليست بالأصل .

إذًا شَطَطاً﴾ ثم قال : ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾ ثمّ قالَ بعدَ هذه الصِّفة لحالهم ، والتمكين لهم من قلوب السَّامعين ، والأعجوبةِ التى أتاهم بها : ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ ثُمّ قَال : ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ فخبَّر أنَّهم لم يستصحبوا مِن جميع مَن يألف الناس ويرتفقون به ، ويسكنون إليه ، شيئاً غيرَ الكلب ؛ فإنّ ممّا يألفُ النَّاس ويرتفقون به ، ويسكنون إليه : الفرسَ والبعيرَ ، والحمار والبغل ، والثّورَ والشاة ، والحمامَ والدِّيكة ، كلّ ذلك مما يرتفق [به [1]] ، ويُستصحب فى الأسفار ، وينقَل من بلدٍ إلى بلدٍ .

والناس يصطادون بغير الكلب ، ويستمتعون بأمور كثيرة ، فخبَّر عنهم بعد أن جعلهم خياراً أبراراً ، أنّهم لم يختاروا استصحابَ شيءٍ سوى الكلب ، وليس يكون ذلك من الموفّقين المعصومين المؤيَّدين ، إلّا بخاصّةٍ فى الكلب لاتكون فى غيره .

ثمَّ أعاد ذكر الكلب ، ونبَّأ[2] عن حاله ، بأنْ قال عزَّ وجلَّ : ﴿إذ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَايَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ . فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ

---

(١) ارتفق يتعدى بالباء ، فزدت هذه .

(٢) فى الأصل : « ونبه » .

إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ وفى قولهم فى الآية : ﴿ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْماً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الكلبَ رفيعُ الحال ، نبيه الذِّكر ، إذ جُعِل رابعَهم ، وعُطف ذِكرُه على ذكرهِمْ ، واشتقَّ ذكْره من أصل ذكرهمْ ، حتَّى كأنَّه واحدٌ منهم ، ومن أكفائهم أوْ أشباههِم ، أو ممَّا يقاربهم . ولولا ذلك لقال : سيَقُولون ثلاثَةٌ معهم كلبٌ لهم . وبينَ قول القائل معهم كلبٌ لهم ، وبين قوله رابعهم كلبهم — فرقٌ بيِّن ، وطريق واضح .

فإنْ قلتم : هذا كلام لم يحكه الله تعالى عن نفسه ، وإنَّما حكاه عن غيره ، وحيث يقول : ﴿ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ وَقَدْ صَدَقتم ، والصِّفة على ما[1] ذكرتم ؛ لأنَّ الكلامَ لو
٧٠ كان منكراً لأنكره الله تعالى ، ولو كان معيباً لعابه الله ، فإذْ[2] حكاه ولم يَعِبْهُ ، وجعله قرآناً وعظّمه بذلك المعنى، ممّا لا ينكَر فى العقل ولا فى اللغة ، كان الكلام إذا كان على هذه الصفة مثلَه ؛ إذ كان الله عزّ وجلّ المنزِل له .

(الاستطاعة قبل الفعل[3])

ومثلَ ذلك مثَّلَ بعضُ المخالفين فى القدَر ، فإنّه سأل بعضَ أصحابنا فقال : هل تعرفُ فى كتاب الله تعالى أنَّه يُخبِرُ عن الاستطاعة ، أنّها قبلَ

---

(١) س ، ط : « من » ، وتصحيحه من م .

(٢) فى الأصل : « فإذا » .

(٣) للقول بالاستطاعة قبل الفعل أصل من أصول المعتزلة ، ينافحون عنه . ولابن حزم بحث قوى فى هدم هذا الأصل وتفنيده . الفصل (٣ : ٢٦ — ٤٣) .

الفعل ؟ قال : نعم ، أتى كثيرٌ ، مِنْ ذلك قولُه تعالى : ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ . قال المخالف : سألتك أنْ تخبرنى عن الله ، فأخبرتنى عن عفريتٍ لو كان بينَ يدىَّ لبَزَقتُ فى وجهه ! قال صاحبُنا : أمّا سليمانُ النبىُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقد تركَ النَّـكيرَ عليه ، ولو كان مثلُ هذا القول كفرًا وافتراءً على الله ، ومغالبةً وتفويضاً للمشيئة إلى نفسه ، لـكان سليمانُ ومَن حضره من المسلمين من الجنِّ والإنس أحقَّ بالإنكار ، بل لم يكن العِفريتُ فى هذا الموضع هو الذى يسرع فيه ويذكر الطاعة ، ولا يتقرَّب فيه بذكر سرعة[١] النفوذ ، ويبشر فيه[٢] بأنّ معه من القوَّة المجعولة مايتَهَيأ لمثله قضاءُ حاجته ، فيكذب ثمَّ لايرضى بالـكذب حتَّى يقول قولا[٣] مستنـكراً ، ويدَّعى[٤] قوَّة لاتُجعَل له ، ثمّ يستَقبل بالافتراء على الله تعالى والاستبدادِ عليه ، والاستغناء عنه ــ نبيًّا[٥] قدْ ملك الجنَّ والإنس ، والرِّياحَ والطير ، وتسْييرَ الجبال ، ونطقَ كلِّ شىء ، ثمَّ لايزجره فضلًا عن أنْ يضربَه ، ويسجُنه فضلًا عن أن يقتله .

وبعدُ ، فإن الله تبارك وتعالى لم يجعل ذلك القولَ قرآنا ، ويترك التنبيه على ما فيه من العَيب ، إلّا والقول كان صِدقًا مقبولا .

---

(١) ط : « بساعة » ، وتصحيحه من س .

(٢) س : « ويشر » !

(٣) « ولا » ، وصوابه فى س .

(٤) ط : « مستنكر أو يدعى » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « وبيننا من » ، وصوابه من س .

وبعد ، فإن هذا القولَ قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلاهُ على الناس ، وما زالوا يتلونه فى مجالسهم ومحاريبهم ، أفَما كان فى جميع هؤلاء واحدٌ يعرف معرفتك ، أو يغضَبُ لله تعالى غضبك ؟ !

(دفاع عن الكلب)

قال صاحب الكلب : لو اعترضْتَ جميعَ أهل البدو فى جميع الآفاق من الأرض ، أنْ تُصِيبَ[1] أهلَ خيمةٍ واحدة ، ليس عندهُمْ كلبٌ واحد فما فوقَ الواحد لَما وجدته . وكذلك كانوا فى الجاهليَّة ، وعلى ذلك هم فى الإسلام . فمن رجَع بالتخطئة على جميع طوائف الأمم ، والتأنيبِ والاعتراض على جميع اختيارات الناس ، فليتَّهم رأيَه ؛ فإنَّ رأىَ الفردِ ولا سيّما الحسودُ ، لايَفِى برأى واحد ، ولا يرى الاستشارة حظا[2] وكيف
٧١ بأنْ يَفِىَ بجميع[3] أهل [البدو][4] من العرب والعجم . والدليل على أنَّ البَدْوَ قد يكون فى اللُّغة لهما[5] جميعاً قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾ ولو ابتُلى صاحبُ هذا القول بأنْ يَنزل البادية ، لتحوَّل رأيُه ، واستبدَلَ به رأىَ

---

(١) ط : « يصيب » ، وأثبت الصواب من س .
(٢) كذا ولعل الكلام « ولا سيما الحسود الذى لايرى الاستشارة حظا لايفى برأى واحد » .
(٣) فى الأصل : « لجميع » ، والوجه ماأثبت .
(٤) التكملة من س .
(٥) ط : « لها » ، والوجه ماأثبت من س . ومعاد الضمير إلى العرب والعجم .

من قد جرّب تقريبَ الكلب وإبعادَه . [وقد قال أبو عبَّادٍ النميرى : لا يكون البُنْيَان(١) قريَةً حتى ينبحَ فيه كلبٌ ، ويزْقوَ فيه ديك(٢)] .

[ولَمَّا](٣) قال أحمدبنُ الخارَكى(٤) : لاتَصير القريةُ قريَةً حتَّى يصيرَ فيها حائكٌ ومعلِّمٌ ، قال : أبو عبَّاد(٥) : يا مجنونُ ! إذا صارتْ إلى هذا فقد صارت مدينة .

وللكلب(٦) إثباتُه وجهَ صاحبِه ، ونظرُه فى عينيه وفى وجهه ، وحبُّه له ، ودنُوُّه منه ، حتَّى ربَّما لاَعبه ولاعب صبيانَه بالعضِّ الذى لا يؤثِّر ولا يُوجِع ، وهى الأضراسُ التى لو نشَّبها(٧) فى الصخر لنَشِبت ، والأنيابُ التى لو أنحى بها(٨) على الحصَى لرضَّها .

---

(١) فى الأصل : « البستان » ، والوجه ما أثبت وهو الموافق لما سيأتى فى ص ٢٤٢ من هذا الجزء .

(٢) الزيادة من س .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام .

(٤) فى الأصل : « الخاركنى » . وفى البخلاء ١٠٥ ، ١٠٦ « أحمد بن الخاركى » والصواب ما أثبت ، وهو منسوب إلى (خارك) جزيرة فى وسط البحر الفارسى ، كما فى معجم البلدان . وهو أحمد بن إسحاق الخاركى البصرى . وانظر طبقات ابن المعتز ٣٠٦ وفيه « الخارجى » ، تحريف ، والفهرست ٢٣٣ وحواشى معجم المرزبانى ٤٣١ .

(٥) هو أبو عباد الكاتب ، كاتب أحمد بن أبى خالد . وأبو عباد هو القائل : إذا أنكر القائل عينى المستمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذى أجرى ذلك القول له ، فإن وجده قد أخلص له الاستماع ، أتم له الحديث ، وإن كان لاهيا عنه ، حرمه حسن الحديث ، ونفع المؤانسة ، وعرفه بفسولة الاستماع والتقصير فى حق المحدث » . انظر البيان ٢ : ٤١ ، ٩١ .

(٦) فى الأصل : « والكلب » ، والوجه ماأثبت .

(٧) أنشبه ونشبه بمعنى .

(٨) ط : « أنحا بها » ، والصواب من س .

وقد تراه وما يصنع بالعظْم المدمَج ، وبالفِقْرة من الصُّلب القاسى الذى ليس بالنَّخِر البالى ، ولا بالحديثِ العهدِ بالودَك الذى يلين معه بالمضْغ ويَطيب ، فتراه كيف يرضُّه ويفتّته ، ثمَّ إن مانَعَه بعضَ الممانعةِ ، ووافقَ منه بعضَ الجوع ، كيف يبتلِعه وهو واثق بِاستمرائه وهضْمه ، أو بإذابته وحَلِّه .

وله ضروبٌ من النَّغَم ، وأشكال من الأصوات ، وله نوح وتطريب ، ودُعاء وخُوار[١] ، وهَرِير وعُواء ، وبَصبصة ، وشيءٌ يصنَعه عند الفرح ، وله صوتٌ شبيهٌ بالأنينِ إذا كان يَغْشَى الصيد ، وله إذا لاعَبَ أشكالَه فى غُدُوات الصَّيفِ شيءٌ بينَ العُواء والأنين .

وله وَطءٌ للحصى مثله بأن لو وطئ الحصى على أرض السطوح لايكون مثله وطء الكلب يربى على وزنه مرارا[٢] .

وإذا مرَّ على وادٍ جامدٍ ظاهرِ الماء ، تنكّبَ مواضعَ الخرير فى أسفله .

قال الشاعر — ورأى رجلاً اسمُه وثَّاب واسم كلبِه عمرو — فقال :

ولو هَيَّا له الله مِن التَّوفيق أسبابا[٣]
لسمَّى نفسَه عَمْرًا وسمَّى الكلبَ وَثّابا

---

(١) فى القاموس : « الخوار بالضم : من صوت البقر والغنم والظباء والسهام » . فاستعماله هنا فى غير موضعه الأصيل .

(٢) كذا ، ووجه العبارة عندى : « وله وطء للحصى مثله (بعضهم) بأن لو وطئ (الخصى) على أرض السطوح لا يكون (وطؤه) مثل وطء الكلب أو وزنه — أى وزن الخصى — يربى على وزنه مراراً » . ووطء الخصى للأرض يوصف بالشدة لأسباب طبيعية ذكرها الجاحظ فى الجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) سبق الكلام فى هذا الشعر وصاحبه ص ٢٢ من هذا الجزء .

(أطْباء الـكلبة والخنزيرة والفهدة)

قال : والـكلبة كثيرةُ الأطْباءِ ، وكذلك الخنزيرة . وللفَهدة أربعة أطباء من لَدُنْ صدرِها وقرب إبِطيها إلى رُفغيها[١] . وللفيل حلمتان تصغُران[٢] عن جثّته . وهما ممّا يلى الصَّدر مثل الإنسان ، والذّكرُ فى ذلك يشبَّه بالرجل ؛ لأنّ للرجل ثديَين صغيرَين عن جثّته .

(واقية الـكلاب)

ويقال : إنَّ [على[٣]] الـكلابِ واقيةً من عبَث السُّفهاء والصِّبيان بها . قال دُريد بن الصِّمَّة ، حين ضرَبَ امرأتَه بالسيف ولم يقتلْها[٤] : ٧٢

أقَرَّ الْعَينَ أَنْ عُصِبَت يداها وما إن يُعصَبان على خِضَابِ

(١) الرفغ بالفتح ويضم : أصل الفخذ .

(٢) فى الأصل : « حلمان يصغران » ! .

(٣) التـكملة من س .

(٤) فى الأغانى ٩ : ٩ عن ابن الأعرابى : « تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجدها ثيبا وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضربها ، فتلقته أمها لتدفعه عنها ، فوقف يديها — أى حزهما ولم يقطعهما — فنظر إليها بعد ذلك وهى معصوبة فقال : أقر العين » البيتين . ثم قال « قالوا : يريد أن الـكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ » . والميدانى فى الأمثال ٢ : ٢٨٩ يقـول : إن الواقية مصـدر كالعاقبة ، والـكاذبة ، وذكر المثل « واقية كواقية الـكلاب » وقال : « أى وقايـة كوقاية الـكلاب على ولدها . وهى أشـد الحيوانات وقاية لأولادها » . وقال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣١٨ : « يضرب مثلا للخسيس إذا كان موقى » .

فأبقاهُنَّ أنَّ لهنَّ جدًّا(١) وواقية كواقية الكلاب

وقال الآخر :

إنْ يَقِنَا اللهُ مِنْ شَرِّها فإنَّ الكلابَ لها واقيَه(٢)

ويروى :

* سيُنْجِيه مِنْ شرِّها شرُّه *

وقال غيره(٣) :

ولقدْ قتلتُك بالهجاءِ فلم تمُتْ إن الكلاب طويلةُ الأعْمارِ

وقال بِشر بن المعْتمر :

الناسُ دَأباً فى طلاب الثَّرَا(٤) فكُلُّهم من شأنه الخَتْرُ(٥)

كأذؤبٍ تنهَشها أذْؤبٌ لها عُواءٌ ولها زَفرُ(٦)

---

(١) فى الأصل : « جلدا » ، وإنما هو « جدا » بمعنى حظا كما فى الأغانى . وفى ثمار القلوب : « لؤما » . والبيت السابق لهذا يروى لحسان بن ثابت فى جملة أبيات رواها ابن هشام فى السيرة ٥٧٠ جوتنجن ، برواية : « أقر العين أن عصبت يداه » .

(٢) ط : « فإن الكلب » وتصحيحه من س .

(٣) فى المستطرف ٢ : ٧١ أنه أبو زيد العبدى .

(٤) فى الأصل وكذا فى اللسان : « الثرى » بالياء . وإنما هى مقصور « الثراء » بمعنى « الغنى » .ويؤيد ماأثبت رواية البيت فى الجزء السادس بلفظ « الغنى » .

(٥) ط : « رأى الناس رأيا » وفى س ، م : « أرى الناس دأبا » وهو تحريف صوابه من الحيوان ٦ : ٩٢ حيث توجد القصيدة جميعها ، ومن اللسان (مادة ربح) حيث يروى ابن منظور تسعة أبيات منها . و « دأبا » مصدر لفعل محذوف تقديره « يدأبون » ، وهذا الفعل المحذوف وفاعله خبر للمبتدإ « الناس » . وحذف عامل المصدر إذا كان خبراً عن أسماء الأعيان جائز . انظر التصريح ١ : ٣٣٢ .

(٦) فى الأصل : « تنهشها أكلب » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان ومن اللسان . قال الجاحظ فى تفسير ذلك فإنها – يعنى الذئاب – قد تتهارش على الفريسة ولا تبلغ القتل ، فإذا أدمى بعضها بعضاً وثبت عليه فزقه وأكلته . وقال الراجز :

فلا تكونى يا ابنة الأشم ورقاء دمى ذئبها المدمى

وقال الفرزدق :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحال على الدم

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قَزَح الكلب ببوله يقزَح قزْحاً ، إذا بال . قال : وقال أبو الصَّقر : يقزَح ببوله حين يبول ، وشغَر الكلب يشغَر إذا رفَع رجْلهُ ، بال أو لم يبل . ويقال شغرتُ بالمرأة[١] أشغرُها شغْرًا[٢] إذا رفعتَ رِجلَها للنِّكاح . قال : ويقال عاظَل الكلبُ مُعاظَلةً ، يعنى السِّفاد ، قال أبو الزحف[٣] :

كمِشْيَةِ[٤] الكلبِ مَشَى للكلبَةِ   يَبغى العِظالَ مُصْحرًا[٥] بالسَّوءَة

قال : ويقال كلبٌ عاظِل وكلابٌ عُظّل وعَظَالى .

وقال حسّان بن ثابت الأنصارى :

ولَست بخَيرٍ من يَزِيدَ وخَالدٍ   ولست بخيْرٍ من معاظلة الكلبِ[٦]

---

(١) مثله شغرتها وأشغرتها كما فى اللسان .

(٢) الوجه « أشغر بها شغرا » ، أو « شغرتها أشغرها شغرا » .

(٣) أبو الزحف هو ابن عطاء بن الخطفى — ابن عم جرير بن الخطفى — وعمّر أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس . وهو القائل :

أشكو إليك وجعاً بركبتى   وهدجانا لم يكن من مشيتى

كهدجان الرأل خلف الهيقة   مزوزيا لما رآها زوزت

انظر الشعراء لابن قتيبة ٦٦٩ — ٦٧٠ .

(٤) فى الأصل : « كشية » .

(٥) فى الأصل : « مصخرا » وإنما هو « مصحرا » . والإصحار : المجاهرة .

(٦) هذا البيت ليس فى ديوان حسان . ووجدته فى العمدة (١ : ١١٦) . قال ابن رشيق : « والتصريع يقع فيه من الإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء ، والسناد ، والتضمين — ما يقع فى القافية . فمن الإقواء ما أنشده الزجاجى وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مهراق   سحا فلا غارب منها ولا راقى

ومن الإكفاء قول حسان بن ثابت . أنشده الجاحظ :

ولست بخير من أبيك وخالكا   ولست بخير من معاظلة الكلب

وانظر الاستدراكات :

قال مالكُ بن عبد الله الجَعْدىّ ، يوم فيفِ الرِّيح[١] : حدَّثنى أبى ، لقدْ نظرتُ يَوْمَئِذٍ إلى بنى عبد الحارث. بن نمير ، فما شبَّهتُهم إلاَّ بالـكلاب المتعاظلة حَوْلَ اللواء .

وقال أبو بَرَاء عامرُ بن مالكٍ ملاعبُ الأَسِنَّة[٢] ـ لا عبه الحارث واليوم قال فقال[٣] منذ يومئذ .

قال : والسَّلوقيّة منسوبةٌ إلى سَلوقَ من بلاد اليَمَن ، لها سلاحٌ جيِّد وكلاب فُرَّه[٤] . وقال القَطَامىُّ :

معه ضَوَارٍ مِنْ سَلوقَ له طَوْرًا تُعانِدُه وتنفعه[٥]

(تعفير البهائم والسباع أولادها)

قالُوا : وليس فى الأَرض بهيمةٌ [ولا سبع أنثى تريد فِطامَ ولدها وإخراجَه من اللَّبَن إلى اللحم ، أو من اللبَنِ إلى العُشْب ، إن كانت بهيمةً

---

(١) كذا . ولعل الـكلام « وقد ذكر يوم فيف الريح » .

(٢) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب ، فارس قيس ، وسمى ملاعب الأسنة لقول أوس بن حجر فيه :

ولاعب أطراف الأسنة عامر فراح له حظ الـكتيبة أجمع

وهو عم لبيد الشاعر ، وهو كذلك عم عامر بن الطفيل . وفى العامرين قالوا : « أفرس من ملاعب الأسنة » و « أفرس من عامر » . انظر الأغانى (١٤ : ٩٠) وأمثال الميدان (٢ ، ٢٩) وقالوا : أخذ ملاعب الأسنة أربعين مرباعا فى الجاهلية ــ والمرباع : ربع الغنيمة يأخذه رئيس القوم لنفسه . (بلوغ الأرب ٢ : ١٢٧) وتوفى ملاعب الأسنة فى نحو سنة ١٠ من الهجرة.

(٣) كذا جاء النص ، وفيه اضطراب . وفى س : « قال فقالوا » بدل « قال فقال » .

(٤) فره : جمع فاره ، مثل راكع وركع .

(٥) لم أجد هذا البيت فى ديوان القطامى ، ووجدت شبيها به ، من قصيدة نونية ص ١٧ وهو :

معهم ضوار من سلوق كأنها حصن تجول تجرر الأرسانا

إلاَّ وهى تعفر ولدَها . والتعفير : أن ترضعَه وتمنعه حتّى يجوع ويطلب اللحمَ إن كان سبعاً ، والعُشْبَ إن كان بهيمة[(١)]] ، فلا تزالُ تنوِّله وتُماطله ، [وكلما[(٢)]] مرَّتْ عليه الأيَّامُ كان وقتُ منعِها له أطولَ ، حتَّى إذا قوىَ على أكْل اللَّحْمِ أو العُشْب فطمته . قال لبيدٌ فى مثل ذلك :

أَفَتِلْكَ أَمْ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ   خُذِلَتْ وَهَادِيَةُ الصِّوَارِ قِوَامُهَا[(٣)] ٧٣
خَنْسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلم يَرِمْ   عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفُهَا وَبُغَامُهَا[(٤)]
لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ   غُبْسٌ كَوَاسِبُ لاَ يُمَنُّ طَعَامُهَا[(٥)]
صَادَفْنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصَبْنَهَا   إنَّ المنايا لا تَطِيشُ سِهامُها[(٦)]

لأنَّ البقرة إذا كانت بحضْرة ولدها لم تضيِّعه ومَنعت السِّباعَ منه ، وقاتلَتْ دونَهُ بقُرونها أشدَّ القتال ، حتَّى تُنجيَه أو تعطَب .

---

(١) هذه الزيادة من س .

(٢) الزيادة من س .

(٣) وحشية مسبوعة : بقرة من بقر الوحش أكل السبع ولدها . والسبع كل حيوان مفترس . وأراد بالهادية الفحل الذى يتقدم الصوار أى القطيع . فالتاء فيه للمبالغة كعلامة ونسابة . يقول جعلت هذه البقرة الهادية قوام أمرها ، فانطلقت وراءه ترعى وتركت ولدها فأفرده السبع فأكله ، فلما آبت لتفقده أضلته فانصرفت هائمة ثائرة فى طلبه .

(٤) الخنساء : القصيرة الأنف المتأخرته . والفرير : ولدها . والشقائق : جمع شقيقة ، وهى الأرض الصلبة بين رملتين . والطوف : الذهاب والمجىء . والبغام : صوتها . ولم يرم : لم يبرح .

(٥) المعفر : الذى ألقى على العفر وهو التراب ، أو المعفر : الذى تدرجت أمه معه فى فطامه ، كما سبق فى كلام الجاحظ . والقهد : الأبيض . والشلو : الجسد ، أو بقيته . والغبس : الكلاب ، أو الذئاب لها لون شبيه بالغبرة . وكواسب : تكسب الصيد . وما يمن طعامها : ما ينقص ، مثله قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون » .

(٦) صادفن : يعنى الكلاب أو الذئاب .

(بعض من كنى بالكلاب)

[قال : و](١) كان ابنُ لِسَانِ الحُمَّرَة(٢) يكنَى أبا كلابٍ(٣) . وكان زوجُ حُبَّى المدَنيَّة يقال له ابن أمٍّ كِلاب ، وقَال الشَّاعر يذكرُها(٤) :

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ابن لسان الحمرة اسمه عبيد الله بن الحصين أو ورقاء بن الأشعر ، كما فى القاموس والمعارف ٢٣٣ (وفى الفهرست ٩٩ ليبسك ، ١٣٢ مصر « ورقاء » وهو تحريف) وهو أعرابى من بنى تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتيبة « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصراً . دخل الكوفة ، وعليها المغيرة ابن شعبة ، وسألة المغيرة فى طبائع قبائل من العرب ، وفى خلق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، تجدها فى الأغانى ١٤ : ١٣٨ . وسأله معاوية يوما فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول ! انظر الدميرى برسم (الحمرة) وفى البيان ٣ : ١٦٢ « إذا سمعت حديث أبى نضرة وكلام ابن أبى بكرة فكأنك مع ابن لسان الحمرة» . والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٣) فى الأصل : « أبو كلب » ، وتصحيحه من الحيوان ٢ : ٢٠٦ والمعارف ، والدميرى ، وفهرست ابن النديم .

(٤) الشاعر هو هدبة بن خشرم العذرى ، كما فى أمثال الميدانى (١ : ٣٥٣) . وحبى هذه امرأة كانت مزواجا ، فتزوجت على كبر سنها فتى يقال له ابن أم كلاب فقام ابن لها (كهل !) فمشى إلى مروان بن الحكم — وهو والى المدينة — وقال : إن أمى السفيهة ، على كبر سنها وسنى ، تزوجت شابا مقتبل السن ، فصيرتنى ونفسها حديثاً . فاستحضرها مروان وابنها ، فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت إلى ابنها وقالت : يا برذعة الحمار ! أما رأيت ذلك الشاب المقدود العنطنط ، والله ليصرعن أمك بين الباب والطاق فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه ! ولوددت أنه ضب وأنى ضبيبته وقد وجدنا خلاء ! فانتشر هذا الكلام عنهما ، فضربت بهما الأمثال . وقد حضرت حبى مصرع هدبة بن الخشرم حين قدم للقتل ، وهو فى ذلك ينشد الأشعار فقالت له : ما رأيت أقسى قلبا منك ! أتنشد الأشعار وأنت يمضى بك لتقتل ، وهذه خلفك كأنها ظبى عطشان تولول ؟ ! تعنى امرأته . فوقف ووقف الناس معه ، فأقبل على حبى فأنشد البيتين الآتيين . انظر أمثال الميدانى والكامل ٧٦٦ ليبسك .

وَمَا وَجَدَتْ وَجْدى به أمٌّ واحدٍ ولا وجْدُ حُبَّى بابنِ أمِّ كِلابِ
رأتْهُ طويلَ السَّاعدين شَمَرْدَلاً كما انبعثتْ من قوّةٍ وشَبَابِ[1]

(صفة عيون الكلاب)

وقال آخر[2] يصِفُ عيونَ الكلاب إذا أبصرت الصَّيد :

مجزَّعَةٌ غُضْفٌ كأنَّ عيونَهَا
إذا آذَنَ القُنَّاصُ بالصَّيد عَضْرَسُ

مجزَّعة : فى أعناقها جَزْع ، وهو الودَع يُجعَل فى القلائد . يقول : تبيضُّ عيونُها حينَ تختِلُ الصَّيد . والعَضْرَس هاهنا : البَرَد[3] .

وقَال الآخر :

خُوصٌ تَرَاح إلى الصُّراخ إذا غَدَتْ
فِعْلَ الضِّراء تَرَاحُ للكَلَّابِ[4]

وقال آخر وذكر الضِّراء ، وهو يصف الشَّيخ وضعْفَه :

ومنها أنْ يُقادَ به بَعيرٌ ذَلُولٌ حينَ تَهتَرِشُ الكِلابُ

---

(١) فى الميدانى : « عنطنطا » موضع « شمردلا » .

(٢) هو البعيث كما فى اللسان (عضرس) . وأنشده ، فى (حرج) بدون نسبة .

(٣) بمثل ذلك فسره الجوهرى ، لكن عقب عليه ابن برى بقوله « والعضرس ههنا نبات له لون أحمر تشبه به عيون الكلاب لأنها حمر ، وليس هوهنا حب الغمام كما ذكر – يعنى الجوهرى – إنما ذلك فى بيت غير هذا وهو :

فباتت عليه ليلة رجبية تحيى بقطر كالجمان وعضرس

قلت : ولامرئ القيس بيت يليق بتأويل ابن برى ، وهو كما فى الديوان ١٤٧ :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضرس

(٤) ط : « الكلاب » وتصحيحه من س والحيوان ٥ : ٣٤٣ .

قال : وهُم عند الحاجة يُعِدُّون الـكلبَ والمطيَّة ، وأنشد(١) :

فأعقَبَ خيراً كلُّ أهوج مِهْرَجٍ وكلُّ مُفـدَّاةِ العُلالة صِلْدِمِ(٢)

وقَال الآخر :

* مُفدَّيات وملقَّبات(٣) *

وأنشد قول أبى ذُؤَيب(٤) فى شبيهٍ بالمعنى الأوّل :

شغِفَ الـكلابُ الضّـاريات به فإذا يَرَى الصُّبْحَ الُمصَدَّقَ يَفْزَعُ

يقول : هذه الثِّيران لما قد لُقِّينَ(٥) مع الصبح والإشراق من

---

(١) البيت لأوس بن حجر فى ديوانه ١٢٠ تحقيق نجم وأمالى القالى ١ : ١٨٩ .

(٢) قال أبو على : « أهوج يعنى فرساً . أى أعقب خيراً ، مما أقاموا عليه وصنعوه . والأهوج : الذى يركب رأسه فيمضى » . والمهرج والهراج : الكثير الجرى . وفى الأصل : « مبرج » ، ولا وجه له ، وتصحيحه من الأمالى . والعلالة : الجرى بعد الجرى الأول . ومفداة العلالة : التى يقال لها إذا طلبت علالتها ويهاً ، فداء لك ! ! وفى ط : « معدات » وتصحيحه من س ومن الأمالى . والصلدم : الشديدة .

(٣) ط : « معديات وملقيات » . وانظر تائية أبى نواس المتقدمة ص ٣٨ .

(٤) ط : « ابن ذؤيب » ، س : « ابن أبى ذؤيب » وتصحيحه . من م . والبيت من قصيدة أبى ذؤيب الهذلى المشهورة التى مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهى قصيدة مفضلية ، اختارها ابن عبد ربه فى العقد ٢ : ١٦٤ وقد رثى بها أبو ذؤيب أولاده وكانوا سبعة فماتوا كلهم إلا طفلا . ومنها البيت السائر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لاتنفع

وقال فيها فى الطفل الذى بقى له :

والنفس راغبة إذا رغبتها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقد روى صاحب اللسان (مادة شعف) وكذا الراغب فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ :

شعف الـكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

قال ابن منظور : « يقول : ذهبت بقلبه الـكلاب فإذا نظر إلى الصبح ترقب الـكلاب أن تأتيه » . والشطر الأول فى رواية الجاحظ عروضه حذاء .

(٥) فى الأصل : « لبسن » .

الكلاب ، صار [أحدها حين(١)] يَرَى ساطع الصبح يَفْزَعُ(٢) ؛ وذلك أنّها تمطُرُ ليلتَها فتَشَرَّقُ فى الشمس(٣) ، فعندها تُرسَل عليها الكلاب . ٧٤

(صولة الذئب على الغنم مع الصبح)

ويقال إنَّ أكثرَ ما يعرِض الذّئبُ للغنم مع الصُّبْح ، وإنَّما رقَب فتْرة الكلب وكلالَه ؛ لأنّه باتَ ليلتَه دائباً يحرس .

وقَال أعرابىٌّ وكسَرَ ذئب شاةً له مع الصُّبح(٤) ، فقال :

أودَى بوَردةَ أُمِّ الوَرْدِ ذو عَسَلٍ　　مِن الذِّئاب إذا ماراحَ أو بَكَرَا(٥)
لولا ابنُها وسَلِيلاَتٌ لها غُرَر　　ما انفكَّتِ العَينُ تُذْرِى دمعَها دِرَرَا(٦)
كأنَّما الذِّئبُ إذْ يعدو على غنَمى　　فى الصُّبح طالبُ وِترٍ كان فاتَّأرا(٧)
اعتامَها اعتامَه شَثْنٌ براثِنُه　　من الضَّوارِى اللّواتى تقصِمُ القَصَرا(٨)

(١) زدت الكلمة الأولى ليستقيم الكلام . وأما الثانية فهى من س ، م .
(٢) فى الأصل : « فزع » .
(٣) كذا فى س ، ط . وفى م : « فتتشرق » . وبالرواية الأولى تكون إحدى التاءين قد حذفت تخفيفاً ، وذلك جائز وورد به القرآن قال تعالى : « ولا تيمموا » « ولاتبرجن » ، « ولقد كنتم تمنون » . ويتشرق : يجلس فى الشمس .
(٤) وكان يسمى هذه الشاة وردة ويجعل كنيتها أم الورد كما سيأتى فى ص ٢٧٦ من هذا الجزء حيث يعاد هذا الشعر .
(٥) يقال عسل الذئب يعسل - كيضرب - عسلا بالتحريك وعسلاناً : إذا اضطرب فى عدوه وهز رأسه .
(٦) أراد بالدرر الدموع الغزيرة ، وهى جمع درة بالكسر .
(٧) اتأر : أدرك وتره .
(٨) اعتامه : اختاره . ومنه قول طرفة فى معلقته :
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى　　عقيلة مال الفاحش المتشدد
والشثن البراثن : الغليظها ، وعنى به السبع . وتقصم القصر : تقطع الرقاب ، وهى جمع قصرة بالتحريك .

(مسألة زيد الخيل للرسول الكريم)

ولما قال النبيُّ عليه الصلاة والسلام لزيدِ الخيل مِن الخير ما قَال ، وسمَّاه زيدَ الخير ، ما سأله زيدٌ شيئاً ، ولا ذكر له حاجة ؛ إلاَّ أنَّه قال : يا رسول الله ، فينا رجُلان يقال لأحدهما ذَرِيح[1] ، والآخر يكنى أبا دُجانة ، ولهما أكلب خمسة تَصِيد الظباء ، فما ترى فى صيدهم[2] ؟ فأنزلَ اللهُ عزَّ وجلّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ .

فأوّلُ شيءٍ يعظِّم فى عينِك شأنَ الكلب ، أنَّ هذا الوَافدَ الكريمَ الذى قِيل له ما قيل ، وسُمِّى بما لم يسمَّ به أحد — لم يسأَلْ إلاَّ عن شأن الكلب .

وثانية وهى أعظمها : أنَّ الله تعالى أنزل فيه عند ذلك آياً مُحْكماً [فقال[3]] : ﴿ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ ﴾ فسمَّى صيدَها طيِّباً ، ثم قال : ﴿ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ مخبراً عنْ قَبولها للتعليم[4]

---

(١) روى الحديث برواية أخرى فى تفسير ابن أبى حاتم ، وهى أن على بن حاتم وزيد الخيل الطائيين جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يارسول الله إنا قوم نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والظباء . قال ابن حجر فى الإصابة ٢٤٣٩ : « فهذا يدل على أن ذريحاً بطن من طيىء . لااسم رجل بعينه » .

(٢) كذا .

(٣) التكملة من س .

(٤) ط : « للتعيم » ، وهو خطأ مطبعى فيما أحسب ، صوابه فى س .

والتأديب . ثمّ قال : ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللهُ ﴾ ولولا أنَّ ذلك البابَ من التعليمِ والعلمِ مَرْضيٌّ عند الله عزّ وجلّ ، لَمَا أضافه إلى نفسه . ثم [قال[١]] : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ ﴾ فأوّلُ شيءٍ يعظُم به فى عينك إمساكُه عليك . وهكذا يقول أصحابُ الصيَّد، إنَّ كلَّ صائدٍ فإنّما يُمسِك على نفسه إلاّ الكلبَ فإنّه يُمسِك على صاحبه .

ولوكان الجوابُ لزيدِ الخيل سُنَّةً من سُنَن النبى صلى الله عليه وسلم لَكانَ فى ذلك الرِّفعةُ ، فكيفَ والكتابُ فوقَ السُّنَّة .

وقد روى هشام أنّ ابنَ عبَّاسٍ سمَّى كِلابَ ذَريحٍ هذه وكلابَ أبى دُجانة فقال : المختلِس ، وغلاَّب ، والقَنيص ، وسَلهب ، وسِرْحان ، والمتعاطِس[٢] .

(دواء الذُّبحة والخانوق)

وزعم الأطبَّاء أنَّ من أجودِ أدويَةِ الذُّبحة والخانوق[٣] أنْ ينفح[٤] فى حلق مَن كان ذلك به ، ماجَفّ من رَجيع الكلاب . وأجودُ ذلك أنْ يكون يتغرغر به وربّما طلوْه على جلد المحموم[٥] الحديدِ الحُمَّى[٦] .

---

(١) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٢) ط : « المغناطيس » ، وأثبت مافى س . وانظر ماسبق فى ص ١٨ س ٤ .
(٣) الخانوق : داء يأخذ فى الحلق .
(٤) ينفح : بمعنى يدفع .
(٥) ط : « لحوم » وهو تحريف ما أثبت من س .
(٦) الحديد الحمى : الشديدها . وفى الأصل : « الحديد المحمى » .

(رجيع الكلاب)

٧٥ وأجود رجيع الـكلابِ أنْ يشتدَّ بياضُه . وليس يعتريه البَياضُ إلاّ عن أكْل الطعام ، وذلك ردىءٌ للقانص منها .

والجعور[١] قد تبيَضُّ إذا كان قوتُ صاحبها اللبن ، ولذلك قال أبو كلاب — وهو ابن لسان الحمَّرة[٢] — ومرَّ به رجلٌ من بنى أسد فقال : قد علمت العربُ يامعشَرَ بنى أسدٍ أنّـكم أشدُّها بَياضَ جُعور ، فعكفَ عليه فضرَبه بالسَّيف حتى بَرَد[٣] .

وذلك أنّه عيّره بأنّهم لايعرفون البَقْل ، ولا يعرفون إلاّ اللبن .

وقال الشاعرُ يهجو ناساً منهم :

عَراجِلةٌ بيضُ الجُعُورِ كأنّهمْ بمنْعَرَجِ الغِيطَانِ شُهْبُ العَنَاكِبِ[٤]

والعرب تقول : اللّحم أقلُّ الطّعامِ بَخَرا .

---

(١) س : « الجعر » بالإفراد . والجعر : مايبس من العذرة فى المجعر أى الدبر ، أو نجو كل ذات مخلب من السباع .

(٢) سبقت ترجمته فى ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٣) برد : انقضت حياته .

(٤) عراجلة : أى جماعة مشاة .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب: وما للدِّيك وللكلاب، والكلابُ ينزِّل فيها القرآنُ ويُحْدَث فيها السنَن، ويُشتَقُّ من أسمائها للنَّاس وللأُسد، ولها أسماءٌ معروفةٌ وأعراق منسوبة، وبُلدان مشهورة، وألقَابٌ وسِمات، ومناقِبُ ومَقامات !!

وما للدِّيك إلاّ ماتقول العوامّ: أنّه إذا كان فى الدارِ ديكٌ أبيضُ أفرَق[1] لم يدخله شيطان. وليس يقومُ خَـيْرٌ[2] ذلك، ولو كان ذلك حقًّا، بشؤمه؛ لأنَّ العـوامَّ تقضى على مَن كان فى داره ديكٌ أبيض أفرق[3] بالزندقة.

والذين يقولون إنّ الدار إذا كان فيها ديكٌ أفرقُ لم يدخُلْها شيطان، هم الذين يقولون مَنْ أكلَ لحم سِنّورٍ أسودَ لم يَضِرْه سحر، وإذا دُخِّنت الدار بالدُّخنة[4] التى سمَّوها بدُخنة مريم، أو باللُّبان، لم يكنْ عليها لعُمَّار الدَّار سبيل، فإن مَرَّت ساحرة[5] تطير سقَطت. وهم الذين لايشكُّون أنّ مَن نام بين البابَين تخبَّطَه العُمَّارُ وخَبَلته الجنّ.

---

(١) ديك أفرق: عرفه مفروق.

(٢) فى الأصل: « خبر »، والوجه ماأثبت.

(٣) ط: « أقرق » بالقاف، وتصحيحه من س.

(٤) للدخنة: ذريرة تدخن بها البيوت.

(٥) لعلها: « فإن مرت عابرة ». وفى م: « فإن موت ساحرة ». وانظر تأويل مختلف الحديث ٢٣١ - ٢٣٢.

(ما يقال له : جرو)

قال : ويقال لولد الكلب والذِّئبِ والسِّنَّور وأشباه ذلك : جرو . ويقال للصغير من الحنْظل على مِثل ذلك : جرو . وقَال النَّمِرُ بنُ تَوْلَب :

بجرْوٍ يُلقَّى فى سِقاءٍ كأنّه   مِنَ الحَنْظَل العامِىِّ جَرْوٌ مفلَّقُ

(من قول صاحب الكلب)

ومِمَّا زادَ فى ذِكْر الكلب قولُ السَّيِّد بن محمد[1] فى شأن عائشة فى الحديث الذى رَوَوه[2] ــ وكان السَّيِّد رافضِيًّا غالياً ، وليس فى ذكره شرَف ، ولكنَّه أجمعُ للفنِّ[3] ــ :

---

(١) السيد لقبه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميرى . وجده يزيد بن ربيعة شاعر مشهور ، وهو الذى هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب ، وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . قال أبو الفرج فى الأغانى ٧ : ٢ : يقال إن أكثر الناس شعراً فى الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار وأبو العتاهية ، والسيد . ثم قال : وإنما مات ذكره – يعنى السيد – لما كان يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فى شعره . قال الصلاح الكتبى فى الفوات ٢٣ : « كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه كان رافضياً . . . وكان مقيماً بالبصرة » . وفى الفوات أيضاً : « ومات أول أيام الرشيد سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة » .

(٢) يشير إلى ماروى : من أن عائشة لما أرادت المضى إلى البصرة فى وقعة الجمل مرت بالحوأب – وهو موضع بئر قريب من البصرة – فسمعت نباح الكلاب فقالت : ماهذا الموضع ؟ فقيل لها هذا موضع يقال له الحوأب . فقالت : إنا لله ، ماأرانى إلا صاحبة القصة . فقيل لها : وأى قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعرى ، أيتكن تنبحها كلاب الحوأب سائرة إلى الشرق فى كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس الحوأب . انظر معجم البلدان برسم (الجوأب) .

(٣) س : « الفن » .

تَهْوِى من البَلَدِ الحرَامِ فنبَّهتْ بَعْدَ الهُدُوِّ كِلابَ أَهْلِ الحوْءَبِ

قال : ويقال صرَفت الكلبة صِرَافاً وصُروفاً ، وظَلَعت تظْلَع ظُلوعاً .

(قولهم : لا أفعل حتى ينام ظالع الكلاب)

قال : ومن الأمثال فى ذلك : « لاأفعَلُ حتَّى يَنامَ ظالِعُ الكلاب » . قال
الأصمعىُّ : هذا باطل ، إنَّما ذلك إذا أصابَ الكلبَ ما يظلَع منه لم يُطِق ٧٦
سِفاد الكلبة حتَّى تهدأ الرِّجْل ، وحتَّى تملَّ الكلابُ النُّباح[1] وتَفترِقَ ،
وتحتاجَ إلى النَّوم لطول التعب[2] ، وإذا كان فى ذلك الوقت يلتمس[3] الظالع
ورامَ سِفاد الكلبة ، لم يعرف ظَلَعه إلاّ الكلبة . وأنشد فقال[4] :

تسدَّيتُها مِنْ بَعْدِ ما نام ظالِعُ الْكلابِ وأخْبَى نارَه كلُّ مُوقِدِ

وأنشد غيرَه لجِرَان العَوْدِ :

وكانَ فُؤادى قدْ صَحَا ثمَّ هاجَه[5] حَمائمُ . وُرْقٌ بِالمَدائِنِ هُتَّفُ

كأنَّ الهديلَ[6] الظّالِعَ الرِّجْلِ وَسْطَهَا مِنَ البغْى شِرِّيبٌ يُغَرِّدُ مُتْرَفُ[7]

---

(١) ط : « تفوق » ، وصوابه فى س .

(٢) ط : «أطول التعب » ، وتصحيحه من س .

(٣) س ، م : « تلتمس » .

(٤) البيت للحطيئة ، وقد سبق الكلام فيه فى ص ٥٩ من هذا الجزء .

(٥) الرواية فى الديوان ١٣ : « ثم هاجنى » .

(٦) ط : « الهزيل » ، وهو تحريف صححته من س والديوان . والهديل عنى به هنا الفرخ أو الذكر من الحمام .

(٧) شريب يغرد : سكران يصيح . والمترف : المنعم . ويروى : « مُنزف » وبفتح الزاى وكسرها ، فالأول من أنزف الرجل : إذا سكر ، والثانى من أنزفه السكر : ذهب بعقله . انظر أدب الكاتب ١٤٩ والاقتضاب ٣٥٢ .

(ماقيل من الشعر فى إشلاء الكلب على الضيوف)

وقالوا أبياتاً فى غير هذا الباب ، قال الأعرابىّ :

نزلْنا بعَبّاد فأشلَى كلابَه ‏ ‏ عَلينا فكِدْنَا بين بابَيْهِ نُؤْكَلُ[١]

فَقُلْتُ لأصحابى أُسرُّ إليهمُ ‏ ‏ أَذَا اليَومُ أو يومُ القِيامةِ أطولُ

وقال آخر[٢] :

أعدَدْتُ للضِّيفانِ كلباً ضارياً ‏ ‏ عِندى وفضلَ هِراوَة مِنْ أَرْزَنِ[٣]

وقال فى خلاف ذلك مالكُ بن حَريم[٤] الهمْدانىُّ :

وواحــــدةٌ إلّا أبيتَ بغرَّةٍ ‏ ‏ إذا ماسَوَامُ الحىِّ بات مصرَّعا[٥]

---

(١) البيتان رواهما الجاحظ فى البخلاء ٢٠٠ . ورواية البيت الأول فيه : « نزلنا بعمار ».

(٢) هو وبر بن معاوية الأسدى ، وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بحقوقهم . حماسة البحترى ٤١٥ .

(٣) كذلك الرواية فى البخلاء ٢٠٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٤٢ . وفى حماسة البحترى : « أعددت للغرماء سيفا صارما » وهى الرواية الجيدة . وبعد هذا البيت فى حماسة البحترى :

عجراء ظاهرة الحيود متينة ‏ ‏ أعددتها لتجار أهل المعدن .

وروى ابن قتيبة بدل البيت الثانى هذا البيت ، وهو :

ومعاذرا كذبا ووجها باسرا ‏ ‏ متشكيا عض الزمان الألزن

ومثل هذا فى اللسان .

وقد روى البحترى لوبر هذا بيتين شبيهين بالمتقدمين وهما :

إنى وجدك ماأقضى الغريم إذا ‏ ‏ حان القضاء ولا تأوى له كبدى

إلا عصا أرزن طارت برايتها ‏ ‏ تنوء ضربتها بالكف والعضد

(٤) فى الأصل : « خرتم » والصواب : « حريم » كما فى القاموس ونوادر أبى زيد وأمالى القالى . ومالك : شاعر جاهلى . انظر شرح المرزوقى للحماسية رقم ٤٣٥ والعمدة ٢ : ٣٠ .

(٥) صواب روايته : « فواحدة » . انظر العمدة ٢ : ٣٠ لأن قبله :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى ‏ ‏ أبيت على نفس مناقب أربعا

وثانيــةٌ أَلَّا تفزَّع جَارَتى إذا كان جَارُ القوم فيهم مفزَّعا
وثالثــة أَلَّا أُصمِّتَ كلبَنَا إذا نزَل الأضيافُ حِرصاً لتُوزَعا

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لِحَزَ الـكلبُ الإناءَ ، فهو يلحَزه لَحْزًا ، ولِحسَه فهو يلحَسه لَحْسا . قال أبو يزيد[1] : وذلك إذا لحِس الإناءَ من باطنه . والقَرْو : مِيلَغة الـكلب ، فإذا كان للـكلب فإنَّما هو من أسفَل كُوزٍ أو ما أشبه ذلك ، وإلَّا فالقَرْوُ أسفلُ نخلةٍ يُنْجَر ويقوَّب ويُنْتَبَذُ فيه .

وقال الأعشى :

أرمِى بها البِيدَ إذا أعرَضَتْ وأنتَ بينَ القَرْوِ والعاصِر[2]
فى مِجْــدَلٍ شُيِّد بُنْيَانُهُ يزِلُّ عنْــه ظُفرُ الطَّائِر[3]

(أحجيَّة فى الـكلب)

ومِمَّا يُحاجِى به النَّاسُ بعضُهم بعضاً أن يقولوا : أتعرفون شيئاً إذا قام كان أقصرَ منه إذا قعد ؟ يريدون الـكلب ؛ لأنَّ الـكلب قعودُه

(١) كذا فى ط ، س . وفى م : « أبو يزن » ولعل الصواب : « أبو زيد » وهو أستاذ الجاحظ .

(٢) س : « أرمى به » وصوابه فى ط ، والضمير للناقة فى بيت قبل هذا ، وهو :
لقد أسلى الهم حين اعترى بجسرة دوسرة عاقر

(٣) المجدل ، كنبر : القصر المشرف ، سمى مجدلا لوثاقة بنيانه . والقصيدة فى ديوان الأعشى ١٠٤ - ١٠٨ . وانظر منه ص ٢٤٥ . وهى من خير شعر الأعشى .

٧٧ إقعاؤه ، وهو إذا أقعَى كان أرفَعَ لسَمْكه ، وأرفعَ فى الهواء طولًا منه إذا قام . وقال عُمر[1] بن لجإٍ :

عليــه حيوف مستقدم[2] مُقْعٍ كإقعا[3] الـكلبِ بالمعصم

ويقال أقعى الـكلبُ إقعاء ، ولا يقال قعَد ولا جلَس . وفى الحديث : « أنَّه نَهَى أَنْ يُقْعِيَ أحدُهم فى الصلاة إقعاءَ الـكلب » .

(معرفة سنِّ الـكَلْبِ)

قال صاحب الـكلب : يُعرَف فَتاء الـكلب وهَرَمُهُ بالأسنان ، فإذا كانت سوداء[4] كانت دليلًا على كبره ، وإذا كانت بِيضاً[5] حادّة دلّت على الفتاء والحداثة . وقال : أسنان الذَّكر أكثر .

(أصناف الحيوان المشقوقة الأفواه)

وأصناف الحيوانِ المشقوقةُ الأفواه كالـكلب والأسد والفهْدِ موصُوفاتٌ بشدَّة المَاضيغ والفكّ والخراطيم ، كالـكلب والخنزير والذئب ؛ فأشبَهَ الـكلبُ الأسدَ فى شَحْو الفم واتِّساعه ، وعلى أنَّ شَحْوَ فمه على مقدار

(١) ط : « عمرو » وهو على الصواب فى م . وعمر بن لجإ : شاعر إسلامى كانت له مهاجاة مع جرير . انظر لها ابن سلام ٣٦٣ — ٣٦٧ .

(٢) كذا ورد هذا الشطر .

(٣) ط ، س : « كإقعاء » ، وبذلك يختل الوزن ، وصوابه فى م .

(٤) ط : « سوءا » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « بيضاء » .

جسمه ، وأشبَه الذِّئبَ والخنزيرَ فى طول الخَطم وامتداد الُخرطوم ؛ ولذلك كان شديدَ القلب ، جيِّدَ الاسترواح . فجمع الكلب دون هذه الأصناف ما يصلُح للرضِّ والحطم ، كما جمع مايصلُح للابتلاع والالتهام والخطم[1] [و[2]] الاستمراء .

(بعض ما قيل فى الأسد)

والأسد حريصٌ واسع الشَّحْو ، فهو يبتلع البَضْعَةَ التى لو رآها الإنسان لم يظنَّ أنَّ حلقَه يتَّسع لمرورِ ذلك . ويقال إنّ عنقَه عظمٌ واحد واللُّقَم لاتجول فيه[3] ، وهو فى ذلك قليلُ الرِّيق ، فلا يسلُس فى حلْقه مايمرُّ فيه ، بل يبتلع لفرْط نَهمه وشحْوِ لَحيه ضِعفَى ذلك المقدار .

وقد زعم ناسٌ أنّ الذى يدلُّ على أنَّ عنقَ السبُع عظمٌ واحدٍ ، ضعفُه عن تصريفه عنقَه ، فلا يلتفت إلَّا معاً ، فيسمَّى الأصيد[4] .

وقال جِرانُ العَوْدِ فى صفة الذئب :

شدَّ المماضغَ منه كلَّ مُلْتَفَتٍ   وفى الذِّراعين والُخرطومِ تسهيلُ[5]

---

(١) ليست هذه الكلمة فى س .

(٢) التكملة من س .

(٣) اللقمة بالضم وتفتح : مايهيأ للقم أى الابتلاع . وجرى العامة فى مصر على تخصيصه بكسرة الخبز .

(٤) انظر مثل هذا الكلام فى الجزء الثالث ص ٣٠٦ .

(٥) يريد : أن هذا الذئب شد ماضغه على ولد البقرة الوحشية ، التى ذكرها جران العود فى بيت متقدم من قصيدته ص ٤٠ من ديوانه ، وهو :

أو نعجة من إراخ الرمل أخذلها   عن إلفها واضح الخدين مكحول

وكل ملتفت ظرف مكان ، عنى به كل ناحية . والخرطوم : الخطم ، وهو مقدم الفم والأنف . وأراد بالتسهيل هنا الطول .

(أسنان الذئب وبعض الحيات) .

وقالوا فى أسنان الذئب وفى أسنان بعض الحيَّاتِ بأنّها مَطُولة[١] فى الفكّين ، يُذْهَبُ إلى أنّه[٢] عظمٌ مخلوق فى الفك ، وأنّه لايُثْغِر[٣] . وأنشدوا :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيينِ مَطلا إلى رأسٍ وأشداقٍ رحيباتِ[٤]

والحيَّاتُ توصَف بسعة الأَشداق ، والأفاعى خاصَّةً هى المنعوتة بذلك .

وقال الشاعر — وهو جَاهلى[٥] — :

[خُلِقَتْ لَهَازِمُهُ عِزِينَ وَرأْسُهُ
كالقُرص فُلطحَ من طحِينِ شَعِيرِ[٦]]

---

(١) مطولة : أى ممتدة داخلة ، أو بمعنى مطبوعة طبعا .
(٢) ط : « بأنه » .
(٣) أثغر : ألقى ثغره ، والثغر : الأسنان .
(٤) انظر الحيوان ٤ : ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٨٢ حيث توجد سوابق هذا البيت ولواحقه .
(٥) كذا ، والصواب أن صاحب الشعر إسلامى ، فقد نسبه صاحب المؤتلف والمختلف ، وكذا صاحب اللسان (عزا ، فرطح) إلى ابن أحمر البجلى . قال صاحب المؤتلف والمختلف ص ٣٧ : « وابن أحمر هذا إسلامى قديم ، وشاعر مجيد ، وصاف للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء » . وهو فى الأصمعيات منسوب إلى ابن مهدى وهو أعرابى صاحب غريب روى عنه البصريون ، وعنه روايات فى أمالى القالى وقد جاء برسم (أبو مهدى) . وابن النديم يعرفه بأبى مهدية ، ومثله فى الحيوان ٥ : ٣٠٩ . وقبل هذا الشعر كما فى الأصمعيات :

قد كاد يقتلنى أصم مرقش من حب كلثم والخطوب كثير
حتى أصد الله عنى رأسه والله بالمرء المضاف بصير

(٦) هذا البيت ساقط من ط وأثبته من س ، م . لهازمه : أصول حنكيه . عزين : متفرقات ، وفى اللسان بمادة فرطح : « فرطح » بدل « فلطح » وهما بمعنى ، يقال فرطح القرص وفلطحه إذا بسطه . وفى الأصمعيات : « فلطح من عجين شعير » . ومثل هذا قول الراجز (اللسان كثب) :

كأن قرصا من طحين معتلث هامته فى مثل كثاب العبث

ويُدِيرُ عَيناً للوِقاعِ كأنّها سمْراءُ طاحت من نَفيضِ بَرِيرِ (١)
وكأنّ شِدقيه إذا استعرضته شِدْقَا عَجُوزٍ مَضْمضَتْ لطَهُورِ (٢)

(مما أشبه فيه الكلبُ الإنسان والأسد)

٧٨ وممّا أشبَه فيه الكلبُ الإنسان والأسد ، أنّ كلّ واحدٍ من هذه الأجناسِ إنّما له بطنٌ واحد ، وبعدَ البطن المِـعَى ، إلّا أنّ بعضَ بطنها أعظمُ من بعض ، ويناسبها فى الذى ذكرنا الذئبُ والدُّبّ ، فما أكثَرَ ما يناسبان الكلب ، فلذلك صارا يتناكحان ويتلاقحان . وهذا قول صاحب المنطق . قال : وأمعاء الكلب أشبهُ شيءٍ بأمعاء الحيّة . وهذا أيضاً مما يزيدُ فى قدره ؛ لأنّه إمّا أن يشبه الإنسان ، وإمّا أنْ يشبِه رؤساء السباع ودواهى الحشرات ، وكلّما كانت هذه المعانى فيه أكثر كان قدره أكبر .

---

(١) فى اللسان (مادة فرطح) : « ويدير عينا للوداع » ! وسمراء عنى بها الواحدة من البرير ، وهو ثمر الأراك إذا اسود وبلغ . والنفيض (بالفاء) : المنفوض . وفى الأصل : « نقيض» بالقاف ، وفى اللسان : « نقيص » . والوجه ما أثبت كما فى الأصمعيات. وقد قال طرفة :

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن مظاهر سمطىْ لؤلؤ وزبرجد

والمرد : هو البرير .

(٢) رواه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) : « فكأن شدقيه . . » الخ . وفى الأصمعيات : « وكأن شدقيه إذا ما أقبلا » ، وفى اللسان : « وكأن شدقيه إذا استقبلته » .

(ما يحلم من الحيوان وما يحتلم)

قال : والكلب يحلُم ويحتلم ، وكذلك الفرس والحمار ، والصبىُّ يحلم ولا يحتلم ، والثَّور فى هذا كله كالصبىّ . ويعرف ذلك فى الكلب إذا تفزَّعَ[١] وأنعَظ .

وزعم أنَّ الاحتلامَ قد عُوين من الفَرس والبِرذون والحمار .

(بعض الأمور التناسلية لدى الحيوان)

قالوا : وَليس العِظال والتحامُ الفرجين إلّا فى الكلب والذئاب، ومَن أراد أن يُفرِّق بينَ الكلاب إذا تعاظَلت وتسافدت رامَ أمْرًا عسيراً .

قالوا : والحيوان الذى يطاوِل عند السِّفاد معروف ، مثل الكلب والذئب[٢] والعنكبوت والجمل ، وإن لم يكن هناك التحام . وإذا أراد العنكبوت السفادَ جلَبت الأُنثى [بعض[٣]] خيوطِ نسْجها من الوسط ، فإذَا فعلت ذلك فعَل الذكَر مثلَ ذلك ، فَلَا يزالانِ يتدانيان حتى يتشابكا[٤] فيصير بطنُ الذَّكر قُبالَةَ بطنِ الأنثى . وذلكَ شَبيهٌ بعادات الضفادع .

---

(١) قبل هذه الكلمة موضع أبيض فى كل من س ، م . وهذه الكلمة جاءت برسم « تفرغ » فى كل من ط ، م. وهو تصحيف .

(٢) فى الأصل : « والديك » وإنما عرف الديك بسرعة السفاد . ورأيت الصواب فيما كتبت ، معتمدا على السياق الآتى .

(٣) الزيادة من س .

(٤) فى الأصل : « فلا يزالا يتدانيان حتى يتشابكان » وصوابه ما أثبت .

وقال أبو الحسن عنْ بعض الأَعراب ، قال : إذا هَجَم الرَّجلُ على الذِّئب والذِّئبةِ وهما يتسافدان ، وقد التحَمَ الفَرْجان ، قتلَهما ذلك الهاجمُ عليهما كيف شاء ؛ لأنَّهما قليلاً ما يُوجَدان كذلك ؛ لأَنَّ الذئبَ وحشيٌّ جدًّا وشَهِيٌّ[١] جدًّا ، صاحبُ قفرة[٢] وخلوة ، وانفرادٍ وتباعد ، وإذا أراد الذِّئبةَ توخّى موضِعا من القِفار لا يطؤه الأَنِيس ؛ خوفاً على نفسه ، وضنًّا[٣] بالذى يَجد فى[٤] المطاولة مِن اللّذة .

(حديث أحمد بن المثنَّى)

وحدَّثنى أحمد بن المثنَّى قال : خرجتُ إلى صحراء خوخ[٥] لجنايَةٍ جنيتها وخِفتُ الطّلب ، وأنا شابٌّ ، إذْ عرض لى ذئبٌ فكنْتُ كلّما دُرْت من شِقّ استدارَ بى ، فإذا دُرْت له دَارَ من خلْفى ، وأنا وسْطَ بَرِّيّةٍ لا أجدُ مُعيناً إلاّ بِشيء[٦] أسند إليه ظهْرى ، وأصابَنى الدُّوار ، وأيقنْتُ بالهَلَكة . فبينا أنا كذلك وقد أصابنى ما أصابنى — وذلك هو الذى أراده الذِّئبُ وقدَّره — إذا ذئبةٌ قد عرَضت ، وكان من الصُّنع وتأخِير الأَجَل أنَّ ذلك كان فى زمن اهتياجِها وتسافُدها ، فلما عايَنَها تركَنى وقصَدَ نحوها ، فما

(١) شهى هنا : بمعنى شديد الشهوة ، يقال رجل شهى : إذا اشتدت به شهوته . كما يقال فى غير هذا : ماء شهى ، وطعام شهى : أى لذيذ سائغ .

(٢) س : « قفوة » .

(٣) ط : « ومنعا » وفى س ، م : « وضعا » ، وصوابهما ما أثبت .

(٤) س : « من » وما كتبت من ط أشبه بلغة الجاحظ .

(٥) لم أجد هذا الموضع فيما لدى من المراجع .

(٦) لعلها : « ولا أعثر بشىء » .

٧٩ تَلَعْثَمَ أنْ رَكِبَها[١] . وقد كنتُ قرأتُ في بعض الكتب أنَّها تلتحم ، فَفَوَّقت سهْمِي[٢] وهما ينظران إليَّ ، فلمَّا لم أرَ عندهما نكيراً حقَّق ذلك عندى ما كان فى الكتاب من تلاحُمِهما ، فَمَشَيْت إليهما بسَيفى حتَّى قتلتهما .

(لقاح الكلاب والخنازير)

قال : ومما يُعَدُّ للكلاب أنَّها كثيراً[٣] ما تَلقحُ وتَلقَح لحال الدِّفء أو الخِصب ، والكلبُ والخنزير فى ذلك سواء ، ولا يكاد غيرُهما من الأصناف يتلاقح فى ذلك الزمان. فالكلبُ كما ترى ينازع أيضاً مواضع الإساءة والمحاسن فى جميع الحيوان .

(أسوأ ما يكون الحيوان خلقاً)

قال : وإناثُ الكلاب تصعُب أخلاقُها إذا كانَ لها جِراء . وكلُّ شىء له بَيضٌ أو جِراء أو فِراخٌ فأسوأُ ما يكون خُلقا وأنزقُ وأكثرُ ما يكون أذًى[٤] وأعْرَمُ — إذا كان كذلك[٥] ، إلاَّ إناثَ البقَر .

والكلْب كلما كان أسنَّ كانَ صوتُه أجهرَ وأغلظ .

---

(١) ما تلعثم : ما لبث . مثلها : ما ثلبث ، وما تلوم ، وما عتم ، وكثير غيرها .

(٢) ط ، م : « فقومت سهمى » وفى س : « ففومت سهمى » ، والوجه ما أثبت ، يقال فوق سهمه : جعل له فوقا . والفوق : موضع الوتر من السهم .

(٣) ط : « ومما يعد الكلاب أنها كثير » ، وتصحيحه من س .

(٤) فى الأصل : « إذا » .

(٥) فى الأصل : « وإذا كان كذلك » .

(تناسل الكلاب)

قال : والكلب ينزو إذا تمّت له ستّةُ أشهر ، وربّما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية أشهر . والكلبةُ الأنثى تحمِل واحداً وستين يوماً ، أطولَ ما يكون ، ولا تضعُ قبل أن يتمّ لحملها ستُّون يوما ، ولا يبقى الجرْو ولا يتربّى إذا قصَّر عن ذلك ، والأنثى تصلح أن يُنزَى عليها بعد ستّة أشهر .

(ولد البكر من الحيوان والإنسان)

والكلبة والحِجْر[1] والمرأةُ وغير ذلك ، يكون أوّلُ نِتاجها أصغرَ جُثّة ، وكذلك البَيْضُ إذا كان بكرًا ، وكذلك ما يخرُج منه من فرُّوج أو فرخ .

(بقية القول فى تناسل الكلاب)

وذُكور الكلاب تَهيج قبل الإناث فى السّنّ ، والإناث تهيج قبلها فى وقت حركتها . وكلما تأخّر وقت الحدث إلى تمام الشّباب كان أقوى لولده .

---

(١) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل .

والـكلابُ لا تريد السِّفاد عُمرَها كلَّه ، بل إلى وقت معلوم .

وهى تلقح إلى أن تبلغ ثمانىَ عشرة سنة ، وربما انْتَدَرت[١] الـكلبة فبلغت العشرين .

والـكلاب أجناسٌ كثيرة : الـكلب السلوقىُّ يَسفَد إذا كان ابن ثمانية أشهر ، والأنثى تطاب ذلك قبل الثمانية ، وذلك عند شُغُور الذكر ببوله . والـكلبة تحمِل من نزْوٍ واحد . وقد عرف ذلك الذين عرفوا الـكلاب وحضروا ليعرفوا ذلك . قال : والـكلبة السَّلوقيَّة تحمِل سُدْس السنة ستِّين يوماً ، ورُبَّما زادت على ذلك يوماً أو يومين . والجرو إذا وُضع يكون أعمى اثنَىْ عَشر يوماً ثمَّ يبصر ، والـكلبة تسفَد بعد وضعِها فى الشهر الثانى ، ولا تسفد قبل ذلك .

٨٠ ومن إنَاث الـكلاب ما تحمل خُمس السنة ، يعنى اثنين وسبعين يوماً ، وإذا وضَعت الجراء تـكون عمياءَ اثنين وعشرين يوما .

ومن أصناف الـكلاب ما يحمل رُبع السنة ، أعنى ثلاثة أشهر ، وتضع جراء وتبقى كذلك[٢] سبعة عشر يوما ؛ ثمَّ تُرضع جِراءَها على عدد أيَّامِها التى لا تبصر فيها .

وزعم أنَّ إناث الـكلاب تحيضُ فى كلِّ سبعة أيام ، وعلامة ذلك وَرَم أثفارِها ، ولا تقبَل السفاد فى ذلك الوقت ، بل فى السبعة التى بعدها ليـكون ذلك تمامَ أربعةَ عشرَ يوماً أكثرَ مايكون ، وربما كان كذلك لتمام ستَّةَ عشرَ يوماً[٣] .

---

(١) كذا فى س . فى ط « ابتدرت » وهو تصحيف .
(٢) أى عمياء .
(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤١ لجنة التأليف .

قالوا : وإناث الكلاب تُلقى بَعْدَ وضْع الجراءِ رُطوبَةً غليظةً بلغميَّة ، وإذا وضَعَتْها بعدَ الجراء اعتراها هُزال ، وكذلك عامَّة الإناث . ولبنُها يظهَر فى أطبائها قبل أن تضَعَ بخمسة أيام أكثر ذلك ، وربما كثُر اللبنُ فى أطبائها قبل ذلك بسبعة أيام ، وربّما كان ذلك فى مقدارِ أربعة أيام . ولبنُها يظهَر ويجود إذا وَضَعَتْ من ساعتها . قال : فأمَّا السلوقيّة فيظهر لبنُها بعد حملها بثلاثين يوماً ، ويكون لبنُها أوَّلَ ماتضعُ غليظاً ، فإذا أزمن رقَّ ودقَّ . ولبنُ الكلابِ يخالف لبن سائرِ الحيوان بالغلظ ، بعد لبن الخنازير والأرانب .

وقد تكون علامةُ مبلغِ سِفادها مثلَ مَايعرِض للنِّساءِ من ارتفاع الثَّديين(١) . ومعرفة ذلك عسيرة ، وهذه علامَات تظهر لإناث الكلاب . وذكورةُ الكلاب ترفع أرجلَها وتبول لتمام ستَّةِ أشهر ، ومنها مَالا يفعل ذلك إلى أن يبلغ ثمانية أشهر ، ومنها مَا يعجِّل قبل ذلك . قال : ونقول بقولٍ عامٍّ إنَّ الذكورَ تفعلُ ذلك إذا قوِيت ؛ فأمَّا الإناث فهى تبول مُقْعِية ، ومنها مَا تشغَر .

وأكثرُ(٢) ما تضعُ الكلبةُ اثنا عَشَر جروا ، وذلك فى الفَرْط ،

---

(١) ألمح فى الكلام نقصا .

(٢) بعد هذه الكلمة كلام فى النسخة م ليس فى ط ، س . وهو ركيك دخيل على الكتاب لاجرم . وأنا أثبته هنا إثباتا تاريخيا فحسب : « الثعالب ربما عرفت منهم هذه الحالة كما قيل : الثعالب كلاب إلا أنهم مجهولون النسب وقال ابن عوف فى ثعلب بن بدر حيث يقول :

وكرهت أن قال الميم ثعلب   يرجى وإنى عند ذلك مرتجى
ما ثعلب إلا ابن عاوية الفلا   ناهيك من كلب ولكن أهوجا

وإلى هنا تنتهى النسخة م . وستكون مقابلتنا بعد هذه الكلمة على النسخة س فى تحقيق ومراجعة هذا الجزء من كتاب الحيوان .

وأكثر ذلك الخمسة والسّتة ، وربّما وضعت واحداً . فأمّا إناث السلوقيّة فهى تضعُ ثمانيةَ أجراء ، وإناثُها وَذكورُها تسفَد ما بَقِيَتْ[1] . وَيعرِض للكلاب السلوقيَّة عَرَض خاصٌّ : وَهى أنَّها كلَّما بقيت كانت أقوى على السِّفاد .

(أعمار الكلاب)

وذكورة السلوقيَّة تعيش عشرَ سنين ، والإناث تعيش اثنتى عشرة سنة[2] ، وَأكثر أجناس الكلاب تعيش أربعَ عشرة سنة ، وَبعض الأجناس[3] تبقى عشرين سنة .

قال : وإناث الكلاب أطولُ أعماراً من الذكور ، وكذلك هى فى الجملة ، وليس يُلقى الكلب من أسنانه سنًّا ما خلا النَّابين ، وإنما يلقيهما إذا كان ابنَ أربعة أشهر .

قال : ومن أجْل أنَّ الكلابَ[1] لاتُلقِى غيرَ هذين النَّابين يشكُّ بعض الناس أنَها لاتلقى سِنًّا ألبتّة .

---

(١) ط : « ماتقت » وتصحيحه من س .

(٢) ط : « اثنى عشر سنة » ، وهو على الصواب المثبت فى س .

(٣) فى الأصل : « والخاص » .

(٤) ط : « ومن أجل ذلك أن الكلاب ، والوجه حذف « ذلك » كما فى س .

(أمراض الكلاب)

٨١ قال : وللكلاب ثلاثة أصنافٍ من المرض ، وأسماؤها[1] : الكلب بفتح اللام ، والذُّبْحَة ، والنقرس[2] . والكَلَب جُنون ، فإنْ عرَض لشيء من الحيوان كَلَبٌ أيضاً أماته ، ماخلا الإنسان . وهو داءٌ يقتل الكلاب ، وتقتُل به الكلابُ كلَّ شيءٍ عضّته ، إلاّ الإنسان فإنّه يعالج فيسْلَم .

(أدواء بعض الحيوان)

قال : وداء الكلَب يعرِض للحمار ، فأمّا الجنون وذَهابُ العقل فإنّه يصيبُ كلَّ شيء ، فمن ذلك مايصيب الدوابَّ ، فإنَّ منها مَايُصرَع كما يُصرع المجنون . والسائس[3] من الدوابّ : الذاهب العقل .

(صرع أعين الطبيب)

وقد كان شأن أَعين الطبيب عَجَباً ؛ وذلك أنّه كان يُصرع ، واتّفق أنّه كان له بغلٌ يصرَع ، فكان ربَّما اتّفق أن يُصرَعا[4] جميعاً ! وقد رأى ذلك كثير من أصحابنا البصريِّين .

---

(١) ط : « وأسماؤهم » ، وهى على الصواب فى س .

(٢) النقرس بالكسر : ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين . وفى ط : « النفوس » ، وفى س : « النفوس » بالفاء ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) س : « السائسى » .

(٤) انظر كتاب البغال ٢٦٤ من رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

(الصَّرْعُ عند الحيوان)

والصَّرْع عامٌّ فى الحيوان ، ليس يسلم منه صِنف منها حتّى لايعرض له منه شيء . والإنسان فوق جميع الحيوان تعذيباً[(١)] ، وكذلك هو[(٢)] فى العقل والمعرفة والاحتيال له ، مع دفع المضرّة واجتلاب المنفعة ، ومَا أكثر مَايعتريهم ذلك . ومن ذلك مَايذهب ، ومن ذلك مالا يذهب .

(بعض من عرض لهم الصرع من الفضلاء)

وقد كان بَخْتِيَشوعُ المتطبِّب عرَض له ذلك ، وقد كان عرض لعبد الملك بن قُريب[(٣)] فذهب عنه . وربّما عرض للرّجل الذى لايُظَنُّ به ذلك فى بيان ولا تبيين ، ولا فى أدبٍ ، ولا فى اعتدالٍ من الأخلاط ، والصحَّةِ من المزَاج ، ثُمَّ لا يعرض من ذلك إلاَّ مالا حيلةَ له فيه ، كما [كان][(٤)] يعرض لبشر بن أبى عمرو بن العلاء النحوىِّ

---

(١) كذا

(٢) س : « وذلك » .

(٣) هو الأصمعى إمام اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر . روى عن أبى عمرو ابن العلاء وقرة بن خالد ونافع بن أبى نعيم وشعبة وحماد وغيرهم . وكان يتقى أن يفسر الحديث كما يتقى أن يفسر القرآن ، وهو ممن أكثر التأليف . وكان من أهل البصرة . توفى سنة ست عشرة أو خمس عشرة ومائتين ، عن ثمان وثمانين سنة . والجاحظ يروى عنه كثيراً فى كتبه .

(٤) زدتها مساوقة للقول .

المـازنيّ[1] وكما عرض لعبد الرحمن ومنصور الأسديَّين ، فما زالا كذلك حتَّى ماتا ، ولم يبلغنا أنهما صُرِعا .

(الموتَة)

والمُـوتَة[2] جنسٌ من الصَّرْع ، إلاَّ أنَّ صاحبَه إذا أفاقَ عاد إلى كمال عقله كالنائم والسكران والمغشيِّ عليه ، وإن عاش صاحبُ المُـوتة فى ذلك مائة عام .

وليس يلقى شيءٌ من الحيوان فى هذا الباب كما يلـقى الوَرَشان .

(اختلاف درجات السُّـكْر لدى الحيوان كتباينها لدى الإنسان)

وأمَّا السُّـكْر فليس شيءٌ من الحيوان إلاَّ وهو يسكر ، واختلافُ سكره كاختلاف سكر الإنسان ؛ فإنَّ من الناس مَن تراه يتحدَّث وهو يشرَب فلا تنكر منه شيئاً ، حتَّى يغلب عليه نوم السُّـكر ضربةً واحدة ،

---

(١) أبو عمرو بن العلاء كان إمام أهل البصرة فى القراءات والنحو واللغة . قالوا : وكانت دفاتره تملأ بيته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها . اختلف فى أسمه على واحد وعشرين قولا سردها السيوطى فى البغية ٣٦٧ قال : « وسبب الاختلاف فى اسمه أنه كان لجلالته لايسأل عنه » . توفى أبوعمرو سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة . وأما ابنه بشر فلم أعرف عنه إلا خبراً واحداً تجده فى الأغانى (٢٠ : ١٨٣) .

(٢) فى القاموس : « الموتة بالضم : الغشى والجنون » .

ومنهم من تراه والنبيذ يأخذُ منه الأوّلَ فالأوّل ، وتراه كيفَ تَثقُل حركتهُ ، ويغلُظُ حسُّه ويتمحَّق ، حتى يَطيش عليه السُّكرُ بالعبث ، ويطبقَ عليه النوم . ومنهم مَن يأخذُه بالعبَث لايعدُوه . ومنهم من لايرضى بدون السَّيف ، وإلاَّ بأن يضرب أمَّه ويطلِّق امرأته . ومنهم مَن يعتريه البكاء ، ومنهم مَن
٨٢ يعتريه الضَّحِك ، ومنهم مَن يعتريه الملَق والتَّفدِيةُ ، والتَّسليمُ على المجالس ، والتَّقبيلُ لرءوس الناس . ومِنهم من يرقصُ ويثِب ، ويكون ذلك على ضربين : أحدهما من العَرْض[١] وفضْل الأشَر[٢] ، والآخر تحريك المرارة ، وهي علَّةُ الفساد وهيَجان الآفة .

وكلُّ هـذه الحالات والصُّور ، والنعوت ، والأجناس ، والتوليدِ ، الذي يختلف في طبائع الناس ، وطبائع الأشربة ، وطبائع البُلدان والأزمان والأَسنان ، وعلى قدر الأَعراق والأَخلاق ، وعلى قدر القلَّة والكثرة ، وعلى قدر التصريف والتوفيق ، قد[٣] وجدوه في جميع أصناف الناس والحيوان ، إلاَّ أنَّ في الناس واحدةً لم تُوجَد في سائر الحيوان قطُّ ؛ فإنَّ في الناس من لايسْكَر ألبتَّة ، كان[٤] محمد بن الجهْم[٥] وأبو عبد الله العَمِّيُّ[٦] .

---

(١) العرض هنا بمعنى الجنون وذهاب العقل ، يقال عرض كعنى .

(٢) الأشر : المرح .

(٣) في الأصل : « وقد » . والصواب ما أثبت ، فإن جملة « قد وجدوه » خبر لكلمة « كل » في صدر هذه الفقرة .

(٤) لعلها « كما كان » أو « كذلك كان » .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكي ، ولاه الخليفة المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج في الأغاني (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة في الأدب والشعر وجهها إليه المأمون ، فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختبار الأدبي سبباً لحصوله على هذه الولايات . وروى له الجاحظ أخباراً في البيان .

(٦) سيأتي في ص ٢٤٠ من هذا الجزء أنه من المعتزلين .

وكان بين عقل زبيد بن حُميد إذا شرب عشْرة أرطال ، وبين عقله إذا ابتدأ الشرب ، مقدارٌ صالح .

(سكْرُ العمّىّ)

وأمَّا العَمّىّ فإنَّ بنى عبد الملك الزياديِّين دعَونى مرَّةً ليعَجِّبونى منه ، ولم ينبِّهونى على هذه الخاصَّة التى فيه ، لأَكون أنا الذى أنتبه عليه ، فدخلت على رجلٍ ضخمٍ فَدْمٍ[1] غليظِ اللسان ، غليظ المعانى ، عليه من الكلام أشل المؤنة[2] ، وفى معانيه اختلافٌ ، ليس منها شىءٌ يواتى صاحبَه ولا يعاونُه ولا يشاركُهُ ولا يناسبه ، وحتَّى ترى أنَّ أذنه فى شِقٍّ ولسانَه فى شقٍّ ، وحتَّى تظنَّ أنّ كلامه كلامُ محمومٍ أو مجنون ، وأنَّ كلَّ واحد منهما يقطع نظام المعانى[3] ، ويخلط بين الأَسافل والأَعالى . فشرب القومُ شُربَ الهيم[4] ، وكانت لهم أجسادٌ مدْبرة ، وأجوافٌ منكَرة ، وكنتُ كأَنِّى رجلٌ من النَّظَّارة . فما زال العمِّىُّ يشرَب رِطْلًا بعد رِطل ، ويرقُّ لسانُه ، وينحلُّ عَقْده[5] ، ويصفو ذهنُهُ ، ويذهب كدره . ولو قُلْتُ إنِّى لم أرَ مثلَه حُسْنَ نفسٍ كنتُ صادقا . فالتفت إلىَّ القومُ أجمعُهم فقالوا : لولا هذا العَجَب مَاعَجَّبْنَاك[6] اليومَ معَ حداثةِ عهدنا بك .

---

(١) الفدم : الأحمق الجافى .

(٢) كذا فى الأصل .

(٣) فى الأصل : « المعالى » .

(٤) الهيم : الإبل العطاش .

(٥) العقد ، هنا ، بمعنى القوة .

(٦) فى الأصل ، « ما عساك » .

وزعم العمِّيُّ وكان كثيرَ المنازَعة عند القضاة ، أنَّه كان إذا قارب العشرةَ الأرطالِ ثمّ نازَعَ الخصومَ ، كان ذلك اليومُ الذى يفوت فيه ذَرْعَ الخصوم لِلَحَنٍ بحجَّته[1] ، ويستميل فيه رأىَ القاضى المنعقد فى مجلسه الطويل ، القطوبِ فى وجْهِ مَن نازع إليه .

وقال الشاعر[2] :

وجدتُ أقلَّ النَّاس عقلاً إذا انتشى أقلَّهُمُ عقلا إذا كانَ صاحِيا
تزيدُ حُسَى الكاس السَّفيهَ سَفاهةً وتَتْرُكُ أخْلاقَ الرِّجَالِ كما هِيا[3]

٨٣ قال : وهذا شعر بعضِ المولَّدين ، والأعاريبُ لا تُخطِئ هذا الخطأ ؛ قد رأينا أسْفَهَ الناسِ صاحياً أحلمَ الناس سكران؛ وهو مِرداسٌ صاحب زهير ، ورأينا أحسنَ النَّاس خُلقاً وأوزنَهم حلماً ، حتَّى إذا صار فى رأسه رِطلٌ كان أخفَّ من فَراشة ، وأكثرَ نزواً من جَرادةٍ رَمِضَة[4] ؛ فإنَّ المثَلَ بها يُضرَب .

(سبب ما لَه عرَفَ المعتزلة سكرَ البهائم)

وكان سببُ مالَهُ عرَف أصحابُنا سكْر البهائم ، أنَّ محمَّدَ بنَ علىِّ بنِ سليمانَ الهاشمىَّ لمَّا شرب على علُّويَه كلب المطبخ ، وعلى الدُّهمان ، وعلى شُرَّاب

(١) فات ذرعهم : غلبهم وتجاوز مداهم . واللحن ، بالتحريك : أن يفطن المرء لحجته .
(٢) هو أبو نواس . ديوانه ٣٥٨ . وأنشدهما فى ديوان المعانى ١ : ٣٢٤ .
(٣) الحسى بالضم : جمع حسوة بالضم ، وهى المرة من الحسو . وأراد بالرجال هنا : الكاملين فى معنى الرجولة . وفى ديوان المعانى : « أخلاق الكريم » .
(٤) الرمضة : التى أصابها الرمض ، وهو شدة الحر . والنزو : الوثب . وانظر فى أمثال الميدانى : « أنزى من جراد » .

البصريِّين ، وعلى كُلِّ من نزَع إليه من الأَقطار ، وتحدَّاه من الشْرَّاب الجَوَادُ من الشُّرَّاب ، أحَبَّ أن يشْرَب على الإبل من البَخاتىِّ والعِراب ، ثُمَّ عَلَى الظِّلف من الجواميس والبقر ، ثم على الخيل العِتاقِ والبَرَاذين ، فلمّا فرَغ من كلِّ عظيمِ الجثة واسع الجُفْرَة[1] ، صار إلى الشاءِ والظِّباء ،ثمّ صار إلى النُّسور والكلب وإلى ابن عِرس ، وحتَّى أتاهم حاوٍ[2] فأرغبوه ، فكان يحتال لأفواه الحيَّات حتَّى يصبَّ فى حاقِّ[3] أجوافِها بالأَقماع المدنيّة ، وبالَمسَاعط ، ويتَّخذ لكلِّ شيء شكله . وكان ملكاً تواتيه الأُمور ،وتُطيعه الرجال[4] ، فأَبصَرُوا تلك الاختلافاتِ فى هذه الأجناس المختلفة .

(نعت النّظام)

فخبَّرنى أبو إسحاقَ إبراهيمُ النَّظام ، وقد كان جالسَهُ حيناً ـــ وكان إبراهيمُ مأمونَ اللِّسان ، قَلِيلَ الزَّلَل والزَّيغ فى باب الصدق والكذب . ولم أزعمْ أنَّه قَلِيلُ الزَّيغ والزَّلَل على أنَّ ذلك قد كان يكونُ منه وإن كان قليلاً ، بلْ إنَّما قُلتُ عَلَى مثل قولك : فلانٌ قَلِيلُ الحياء ، وأنتَ لستَ تريد هناك حياءً ألبتة ، وذلك أنَّهم ربَّما وَضعوا القليلَ فى موضعِ ليس . وَإنماكان عيبُهُ الذى لايفارقه سوءَ ظنِّهِ ، وجَودةَ قياسِهِ عَلَى العارض

(١) الجفرة ، بالضم : ما يجمع البطن والجنبين . وفى الأصل : « الحفرة » بالحاء ، وهو تصحيف ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « حاوى » ، والوجه حذف الياء .

(٣) حاق بمعنى وسط .

(٤) فى الأصل : « وقطيعة الرجال » ، ووجهه ما أثبت .

والخاطر والسابق الذى لايُوثَق بمثله . فلو كان بدَلَ تصحيحِه القياسَ الملتمسَ[1] تصحيحَ الأصل الذى كان قاس عليه أمرَه على الخلاص[2] ، ولـكنَّه كان يظنُّ الظنَّ ثمَّ يقيس عليه وينسى أنَّ بدءَ أمره كان ظنًّا . فإذا أتقنَ ذلك وأيقنَ ، جَزَم عليهِ ، وحكاهُ عن صاحبه حكايةَ المستبصر فى صحَّة معناه . ولـكنَّه كان لايقول سمعت ، ولا رأيت . وكان كلامُه إذا خرج مخرج الشَّهادةِ القاطعة لم يشُكَّ السامعُ أنَّه إنَّما حكى ذلك عن سماعٍ قد امتحنه ، أو عن معاينةٍ قد بهرته .

(حديث النظام فى تجربة إسكار البهائم والسباع)

فحدَّثنى إبراهيمُ قال : شهدتُ أكثرَ هـذه التَّجربةِ التى كانت منهم فى إسكار البهائمِ وَأصنافِ السباع ، ولَقَدْ احتالَ لأسدٍ
٨٤ مقلَّم الأَظفار يُنادى عليه : العجَب العجَب !! حتَّى سقاه وعرَف مقدارَه فى الاحتمال ، فزعمَ ، أنَّه لم يجِدْ فى جميعِ الحيوان أملحَ سُكْرًا من الظَّبى . ولولا أنَّه من الترفُّه لـكنتُ لايزال عندى الظَّبىُ حتَّى أُسكِره وَأرى طرائفَ مايكون منه :

---

(١) فى الأصل : « التمـاس » .
(٢) كذا بحذف جواب الشرط ؛ وهو كثير فى كلامهم .

(القول فى سرعة التعلم والجرأة عند بعض الحيوان)

قال : وإناث الـكلابِ السَّلُوقيَّة أسرعُ تعلُّما من الذُّكورة[١] .

قال : وجميع أصناف السباع ذُكورتُها أجرأُ وَأمضى[٢] وأقوى ، إلاَّ الفَهْدة[٣] والذِّيبَةَ .

والعامَّة تزعم أنَّ اللَّبُؤَّة أجرأُ من الأسد ، وليس ذلك بشىء ، وهو أنزَقُ وأحَـدُّ ، وأفرَقُ من الهَجْهجَة[٤] ، وأبعدُ من التصميم وشِدَّة الصَّولة .

(بين عروة بن مرثد وكلب حسبه لصًّا)

قال بِشر بن سعيد : كان بالبَصرة شيخٌ من بنى نَهشَلٍ يقال له عُروة ابن مَرْثد ، نزل ببنى أختٍ له فى سكَّة بنى مازن ، وبنو أخته من قُريش ، فخرج رجالُهم إلى ضياعهم وذلك فى شهرِ رمضان ، وبقِيت النِّساءُ يصلِّين فى مسجدهم ، فلم يبق فى الدار إلاَّ كلب يعُسُّ[٥] ، فرأى بيتاً فدخل وانصفق الباب ، فسمِع الحركَةَ بعضُ الإماءِ فظنُّوا أنَّ لصًّا دخل الدار ، فذهبتْ إحداهنَّ إلى أبى الأعزّ[٦] ، وليس فى الحىِّ رجلٌ غيره ، فأخبرتْهُ

---

(١) الذكورة : جمع ذكر . وهى فى ط : « المذكورة » وتصحيحها من س .

(٢) ط : « أمضا »، وتصحيحه من س .

(٣) فى الأصل : « الفهود » .

(٤) أى أن خوفه من صياح الناس به أشد من خوفها .

(٥) عس واعتس : طاف ليلا .

(٦) س : « أبو الأغر »، وكذلك فى كل موضع ترد فيه هذه الـكلمة من القصة. وانظر عيون الأخبار ١ : ١٦٧ — ١٦٨ .

فقال أبو الأعزِّ : مايبتغي اللصُّ مِنَّا ؟! ثمَّ أخذَ عصاهُ وجاء حتَّى وقفَ على بابِ البيت فقال : إيه يامَلْأَمَان(١) ! أَمَا واللهِ إنَّك بي لَعارف ، وإنِّى بك أيضاً لعارف ، فهل أنتَ إلاَّ من لُصوصِ بنى مازن ، شربتَ حامضاً خبيثاً ، حتَّى إذا دارت الأقداحُ فى رأسك منَّتْك نفسُك الأمانىَّ ، وقلتَ دُورَ بنى عمرو(٢) ، والرِّجالُ خُلوف ، والنِّساء يصلِّين فى مسجدهنَّ ، فأسرقهنَّ ! سَوءَةٌ واللهِ ، مايفعلُ هذا الأحرارُ ! لبئسَ(٣) واللهِ مامنَّتك نفسُك ! فاخرجْ وإلاَّ دخلتُ عليك فَصَرَمَتْك(٤) منِّى العُقوبة ! لأَيمُ(٥) اللهِ لتَخرُجَنَّ أو لأهتفَنّ هتْفةً مشئومةً عليك ، يلتقى فيها الحيَّانِ : عمرو وحنظلة ، ويصيرُ أمرُك إلى تباب ، ويجىء سعْدٌ بعَدَدِ الحصى ، ويَسيل عليك الرِّجالُ من هاهنا وهاهنا ! ! ولئن فعلتَ لتكونَنَّ أشأمَ مولودٍ فى بنى تميم ! ! فلما رأى أنَّه لايجيبُه أخَذَهُ باللِّين وقال : اخرجْ يابُنَىَّ وأنتَ مستور ، إنِّى والله ما أُرَاك تعرفُنى ، ولو عرفتَنى لقد قنِعتَ بقولى واطمأننت إلىَّ ، أنا عُروة بن مَرثد أبو الْأَعَزِّ المَرْثَدِىُّ ، وأنا خالُ القومِ وجِلدةُ مابينَ أعينهم(٦) لايعصُونَنى فى أمر ، وأنا لك بالذِّمة كفيلٌ خفير ، أصيِّرك

---

(١) الملأمان : اللئيم ، ويقابله المكرمان بوزنه .

(٢) عامل المفعول محذوف يدل عليه المقام ، تقديره « آتى » أو « أقصد » .

(٣) فى الأصل : « ليس » .

(٤) يقال : عقوبة صارمة : أى قاطعة شديدة . وفى الأصل : « صدمتك » .

(٥) فى الأصل : « لأيم » بهمزة القطع ، والأصح أن تكون ألفها ألف وصل . وكتبت فى القاموس واللسان وكتاب سيبويه ٢ : ٢٧٣ برسم « ليم » . وانظر ما كتب ابن منظور فى اللسان (يمن) .

(٦) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف ، أى هو مثلها فى مكان العزة والقرب . قال عبد الله بن عمر — وكان يلام فى شدة حبه لابنه سالم :

يديروننى عن سالم وأديرهم ... وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر الكلام عليه فى اللسان (حرز ، سلم) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠ .

بين شحمةِ أذنى وعاتقى لاتُضارّ ، فاخرج فأنتَ فى ذِمَّتى ، وإلاَّ فإنَّ عندى قَوْصَرَّتَين [1] إحداهما إلى ابنِ أختى البارّ الوَصُول ، فخذْ إحداهما فانتَبِذْها ٨٥
حلالاً من الله تعالى ورسولِهِ صلى الله عليه وسلم . وكان الكلبُ إذا سمعَ الكلامَ أطرقَ ، وإذا سكت وثَب يُريغُ [2] المخرج ، فتهافت الأعرابىُّ ، أىْ تساقط [3] ، ثمَّ قال : يا ألأمَ الناسِ وأوضَعَهم ، ألا يأْنِى لك أنَّا منذُ الليلة فى وادٍ وأنتَ فى آخر ، إذا قلتُ لك السَّوداءَ والبيضاءَ تسكتُ وتطرِق ، فإذا سكتُّ عنكَ تُريغ المخرج ؟! والله لتخرُجَنَّ بالعَفو عنك أو لأَلِجَنَّ عليك البيتَ بالعُقوبة ! فلما طال وقوفُه جَاءَتْ جَاريةٌ من إماء الحىِّ فقالت : أعرابىٌّ مجنون !! والله ماأرى فى البيتِ شيئاً ! ! ودفعت البابَ فخرج الكلبُ شدًّا ، وحادَ عنه أبو الأعزّ مستلقياً ، وقال : الحمدُ لله الذى مَسَخكَ كلباً ، وكفانى منك حربا ! ! ثم قال : تالله مارأيتُ كاللَّيلةِ ، ماأُراه إلاَّ كلباً !! أمَا والله لو علمتُ بحالِه لولجَت عليه .

(بعض خصال الديك)

قال صاحب الديك : فى الدِّيك الشّجاعَةُ ، وفى الديك الصَّبرُ عند اللِّقاء ، وهم لايجدون الصَّبرَ تحت السِّياط والعصا ، إلاّ أنْ يكون ذلك موصولاً بالصَّبر فى الحرب على وقع السِّلاح .

---

(١) القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه التمر .

(٢) يريغ : يريد .

(٣) فى الأصل : « تضاحك » ولا تكون هذه الكلمة من معانى « تهافت » . وتساقط : تخاذل ودب فيه الضعف .

وفى الدِّيَك الجَوَلان ، وهو ضرب من الرَّوَغان ، وجنسٌ من تدبير الحرب ، وفيه الثَّقافةُ والتسديد[١] ؛ وذلك أنَّه يقدِّر إيقاع صِيصِيَتِه[٢] بعين الديك [الآخر[٣]] ، ويتمرّب إلى المذبح فلا يخطئُ .

وهم يتعجَّبون من الجَزَّار ، ويضرِبون به المثل إذْ كان لا يخطئُ اللَّبَّة ، ومن اللحَّام إذا كان لا يخطئُ المَفْصِل ، ولذلك قالوا فى المثل : « يطبِّق المحزَّ[٤] ولا يخطئ المَفْصِل ! » . وهذا القولُ يذمُّون به ويَمدحون . والديك فى ذلك أعجبُ ، وله مع الطَّعنة سرعةُ الوَثْبة ، والارتفاع فى الهواءِ . وسلاحه طَرِير[٥] ، وفى موضعٍ عجيب ، وليس ذلك إلاَّ له ، وبه سمَّى قَرْن الثور صِيصِيَة ، ثمَّ سمَّوا الآطام[٦] التى كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداء صياصِيَ ، قال الله عزَّ وجَلَّ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ ﴾ . والعَرَبُ تسمِّى الدَّارع وذا الجُنَّة[٧] صاحبَ سلاح ، فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به صِيصِيَة ، سمَّوا قرنَ الثور الذى يجْرَح صيصِيَة . وَعلى أنّه يشبَّه فى صورته[٨] بصيصِية الديك

---

(١) الثقافة : الحذق . والتسديد : صدق الإصابة .

(٢) سبق الكلام فى هذا اللفظ فى ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الزيادة من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٠ نقلا عن الحيوان .

(٤) المحز : موضع الحز ، مثل المفصل : موضع الفصل . وفى الأصل : « الحز » والوجه ماأثبت .

(٥) سلاح طرير : محدد ماض .

(٦) الآطام : جمع أطم بضم وبضمتين ، وهو الحصن يبنى من الحجارة .

(٧) الدارع : لابس الدرع ، وهو القميص الحديدى . والجنة : مايلبســه المرء أو يحمله ليقى به نفسه . وفى الأصل: « الجارح وذا الجثة » وليس بشىء .

(٨) فى الأصل: « فى صيصية صورته » . وكلمة « صيصية » مقحمة .

وإن كان أعظم . ثمَّ لمَّا وجدوا تلك الآطامَ معاقِلهم وحصونَهم وجُنَنَهم ، وكانت فى مَجرى التُّرس والدرع والبَيضة ، أجروهَا مُجْرَى السلاح ، ثم سمَّوها صياصى . ثمَّ أسمَوْا شوكةَ الحائك التى بها تهيَّأُ السَّدَاة واللُّحمة صِيصِيةً ؛ إذْ(١) كانت مشبَّهة بها فى الصورة ، وإنْ(٢) كانتْ أطولَ شيئاً ؛ ٨٦
ولأنَّها مانعةٌ من فساد الحَوْك والغَزْل ؛ ولأنَّها فى يده كالسلاح ، متى شاءَ أن يجأ به إنساناً وجأه به(٣) .

وقال دُرِيد بن الصِّمَّة(٤) :

نَظَرْتُ إِلَيْـهِ والرِّمَاحُ تَنُوشُـهُ
كَوَقْعِ الصَّيَاصِى فى النَّسيجِ المُمَدَّدِ

(استطراد لغوى)

وقد تسمِّى العربُ إبرة العقرب شوكة ، كما تسمِّى صيصِيَةَ الديك شوكة ، وهى من هذا الوجه شبيهةٌ بشَوك النَّخل .

---

(١) فى الأصل : « إذا » وإنما هى « إذ » التعليلية ، وقد نبهت فيما مضى على كثرة تحريف هذه الكلمة .

(٢) فى الأصل : « فإن » .

(٣) وجأه : ضربه وطعنه .

(٤) البيت الآتى من قصيدة اختارها أبو تمام فى الحماسة ١ : ٣٣٦ ، مطلعها :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدى

يرثى بها دريد بن الصمة أخاه عبد الله بن الصمة . والبيت المستشهد به قال فيه أبو هلال العسكرى ديوان المعانى ٢ : ٥٨ : « أحسن ماقيل فى سرعة وقع الرماح وتداركه » .

ويقال لمن ضربته الحُمْرة . قدْ ضربته الشَّوكة ؛ لأنَّ الشَّوكةَ إذا ضربت إنساناً ، فما أكثرَ ما تعتريه من ذلك الحمرةُ .

وقد قال القَطامىُّ فى تسميةِ إبرة العقرب شَوكة :

سرى فى جَليدِ الأرْضِ حتَّى كأنّما تَخزم بالأطراف شوكَ العَقارِبِ[1]

وتُوصف الحِجْر[2] وتشبَّه بالشَّوكة ؛ لأنَّ الشَّوكة غليظةُ المـآخِرِ[3] ، لطيفة المَـقادم . والشَّوكُ والسُّلاَّءُ سواءٌ . وقال فى ذلك عَلْقمة بن عبَدة يصف الحِجْر :

سُلاَّءَة كعَصَا النَّهْدِيِّ غُلَّ لها ذُو فَيئةٍ مِنْ نَوَى قُرّانَ مَعْجومُ[4]

ومن سمَّى إبرة العقرب حُمَـة فقد أخطأ . وإنَّما الحُمة سمومُ ذواتِ الشعر كالدَّبْرِ[5] والزَّنَابير ، وذوَاتِ الأنياب والأسنان كالأفاعى وسائر

(١) هذا البيت فى ديوان القطامى ٥٢ واللسان (وكع ، خزم) ، وصدره فيهما :

* سرى فى جليد الليل حتى كأنما *

وروى عجزه فى مادة (وكع) : « وكع العقارب » بمعنى ضربها ولدغها . وفى (حزم) : « شوك العقارب » كما فى الديوان ورواية الجاحظ . وقال : « تخزم الشوك فى رجله : شكها ودخل فيها » .

(٢) الحجر ، بالكسر : الأنثى من الخيل .

(٣) فى الأصل : « المتأخر » وماكتبته أشبه بالكلام .

(٤) فى اللسان (غلل) : « النهدى : الشيخ المسن ، فعصاه ملساء » . وأراه أنا المنسوب إلى نهد ، وهى قبيلة يمنية . وغل للدابة : خلط لها النوى بالقت — والقت هو مايعرف فى مصر بالبرسيم . عن داود الأنطاكى — وفى الأصل : « عل بها » وتصحيحه من اللسان (فيأ ، غلل) والبيان ٣ : ١٢٠ والكامل ٤٩٦ ليبسك وخمسة دواوين العرب ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ . وقوله « ذو فيئة » أى ذو رجعة ، يريد أن النوى علفته الإبل ثم بعرته فهو أصلب . و « قران » : قرية باليمامة مشهورة بالنخل الجيد . معجوم : ممضوغ .

(٥) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل .

الحيات ، وسموم[١] ذوَاتِ الإبر من العَقارب . فأمّا البِيشُ[٢] وما أشبهه من السُّموم ، فليس يقال له حُمَـة .

وها هنا أمور[٣] لها سمومٌ فى خراطيمها ، كالذِّبَّان والبَعوض . وأشياءُ من الحشرات تَعَضُّ وربَّما قتلت ، كالشَّبَث[٤] وسامِّ أبرَصَ . والطَّبُّوعُ[٥] شديد الأذى ، والرُّتَيْلاء[٦] ربما قتلت ، والضَّمج[٧] دون ذلك ، وعقارب طيَّارةٌ . ولم نرهم يسمُّون جميع السُّموم بالحُمة ، فقلْنا مثلَ ما قالوا ، وانتهينا إلى حيثُ انتهوا .

(بعض من تقتل عضّته)

وقد يُعرفُ بعضُ النّاس بأنّه متى عضّ قَتَل ، كان منهم صفوان أبو جشَم الثّقَفىّ ، وداودُ القرّاد .

وسيقَع هذا البابُ فى موضعه على ما يمكننا إن شاء الله تعالى .

---

(١) ط : « وسموا » وتصحيحه من س .

(٢) البيش ، بالكسر : نبات سام يكثر فى تخوم الهند والصين . وفى الأصل : « فإنما البيش » .

(٣) كذا .

(٤) فى معجم الحيوان : « شبث : جنس من الرتيلاء كبير يلسع . اسمه عند عرب السودان أبو شبث ، وفى مصر أبو صوفة » .

(٥) الطبوع : صغار القردان : جمع قراد .

(٦) الرتيلاء : ضرب من العناكب ، يمد ويقتصر .

(٧) الضمج ، بالفتح : دويبة منتنة تلسع ، وهى ماتسمى فى مصر باسم « البق » . وفى الأصل : « الصحيح » ، وصوابه ما أثبت .

(استطراد لغوى)

والناس يسمُّون الرَّجلَ إذا بلغ مِنْ حرصه ألاّ يدعِ ذكراً ، غلامًا كان أو رجلاً ، وخَصيًّا كان أو فحلاً ، إلاّ نكحه مِن فَرْط غُلْمته ، ومن قوّة فِحلَتهِ : صِيصِيَة . ويقولون : مافلانٌ إلا صِيصيَة ، وهو عندهم اسمٌ لمن اشتدَّ لِواطه ؛ تشبيهاً منهم بصيصِية الديك فى الحدَّة والصَّلابة .

(بعض مزايا الديك)

وللديك انتصابُهُ إذا قام ، ومباينتُه صورَةً فى العين لصُورة الدجاجة ،
٨٧ وليس هذا الفرقُ الواضحُ من جميعِ الإناث والذكور موجوداً إلاّ فيه ، وليس ذلك للحمام والحمامة ، ولا للحمار والحمارة ، ولاللبِرذَون والرَّمَكة[١] ، ولا للفرس والحِجْر ، ولا للجمَل والنَّاقة ؛ وليس ذلك إلاَّ لهذه الفحولة لأنّها كالرَّجل والمرأة ، والتَّيس والظبية[٢] ، والدِّيك والدَّجاجة ، وكَالفُحَّال والنخلة المطعمة[٣] . ألا ترى أنّك لو رأيتَ ناقةً مقبلة لم تدر

---

(١) الرمكة ، بالتحريك : البرذونة ، وهى الأنثى من الخيل الأعجمية ، وتعرف الخيل الأعجمية باسترخاء آذانها .

(٢) فى الأصل : « والضائنة » وإنما هى « الظبية » لتصح المقابلة ، فإن المراد بالتيس هنا الذكر من الظباء .

(٣) أطعمت الشجرة : دنا إثمارها ، أو أثمرت . ويقال اطعمت الشجرة - بوزن افتعلت - إذا أدركت ثمرتها ، أى أخذت طعما وطابت . فكلمة « مطعمة » يصح أن تقرأ بإسكان الطاء أو تشديدها . ولكل وجه . وأما الفحال - كرمان - فهو الذكر من النخل . وفى الأصل : « وكالنخلة والفحال والنخلة المطعمة » بتكرار « النخلة » ، وأصلحت القول بما ترى . وانظر الحيوان ٣ : ١٣٧ و ٥ : ٢٠٩ .

أنَاقةٌ هى أم جمل ، حتى تنظر إلى موضع الثِّيل والضَّرْع ، وإلى موضع الحيا. وكذلك العنز ، وكذلك جميع ما وصفت ، إلاّ أنْ يدّعوا أن للعامة أو لبعض الخاصة فى ذلك خصوصيَّة . ولذلك ضربوا المثل بالتّيس والنخلة والفُحّال ، فاشتقوا من هذا الفحل . وهذا أيضاً من خصال الدِّيك .

ثُمَّ للديك لحية ظاهرة، وليست تكون اللِّحى إلاّ للجمل فإنّه يوصف بالعثنون ، وإلا للتَّيس وإلاّ للرَّجل . وقال الرَّاجز فى الجمل :

مختلط[١] العُثنونِ كالتّيسِ الأحَمّْ

سامٍ كأنّ رأسَه فيه وَذَم

* إذْ ضمَّ من قَطرَيه هياج قَطِم *

ثمَّ الديك بعدُ صاحب اللِّحية والفرَق[٢] . وقالت امرأةٌ فى ولدها وزوجها[٣] :

* أشْهَبَ ذِى رَأسٍ كرأسِ الديكِ *

أمّا قولها أشهب ، فإنّها تريد أنّ شعرَ جسده قد ابيضَّ من الكِبَر، وإنّما جعلتْ شعرَ رأسِهِ كرأس الديك لأنّه كان مخضوبَ الرأس واللِّحية بالحُمْرة ، ثُمَّ لم ترضَ له بشبه الرجَال من هذا الوجه حتَّى جعلتْ رأسه

(١) ط : « مخلتط » وهو تغيير مطبعى .

(٢) للفرق : انفراق العرف .

(٣) فى ص ٣٠٣ من هذا الجزء : وقالت امرأة فى زوجها وهى ترقص ابنا لها منه :

وهبته من سلفع أفوك ومن هبل قد عسا حنيك

* أشهب ذى رأس كرأس الديك *

أفرقَ ، وذلك شيءٌ من الجمال والوقار والفضل ، لا يتَهيَّأ للناس مع كمالهم وتمامهم إلاّ بالتكلف والاحتيالِ فيه .

ثُمَّ يبلغ من شدّة تعجله ومن قوَّته على السِّفاد ؛ وعلى الباب[1] الذى يفخر به الإنسان إذا كان ذا حظٍّ منه وهو ممّا يُذْكِى النَّفس — كنحو[2] ما ذكر عن التّيس المراطىّ[3] ، وكنحو مَا تراهم يُبركون للبُخْتِىّ الفالج عدّة قِلاص[4] ، فإذا ضَرَبَ الأُولى فخافوا عليها أن يَحْطِمها وهو فى ذلك قد رمى بمائهِ مِراراً أفْلَتَه الرِّجَالُ على التى تليه فى القرب ، حتى يأتى على الثَّلاث والأربعِ على ذلك المثال . وما دعاهم إلى تحويله عن الثالثة إلى الرابعة إلاّ تخوفهم من العجز منه .

وزعم أبو عبد الله الأَبرص العَمِّىُّ ، وكان من المعتزلين ، أنّ التَّيس المراطى قرَع فى أول يومٍ من أوَّل هَيْجِه نَيِّفًا وثمانين قَرعة .

والنّاسُ يحكون ما يكون من العُصفور فى الساعة الواحدةِ من العَدَد
٨٨ الكثير . والنّاس يُدخلون هذا الشكل فى باب الفضْل ، وفى باب شدَّة العجلة وتظاهرِ القوَّة . والديك يكون له وحدَه الدّجاج الكثيرُ ، فيُوسِعها قمطا وسفاداً .

---

(١) لعلها « الباه » .

(٢) فى الأصل : « لأنه كنحو » وليس الكلام فى حاجة إلى « لأنه » . وكلمة « كنحو » صفة لمصدر محذوف من الفعل « يبلغ » المتقدم .

(٣) كذا . وقد جاء فى (٥ : ٢١٩) برسم « المسرطى » ، و « المشرطى » .

(٤) البختى : الواحد من الإبل البختية ، وهى الخراسانية . والفالج : الضخم ذو السنامين . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الناقة الشابة .

وقد قلنـا فى حالة البيض الـكثير التُّرابى وقلبِه إيَّاه بسفادٍ إلى الحيوانيّة[١] . وعلى [أنّ[٢]] الذى يَخصيه إنَّما يُخرج له من بين الزِّمِكَّى[٣] ومَوضِع القطاة[٤] بيضَتين عظيمَتين معروفتين .

وأنا رأيتُ ديكا هِنديًّا تسنَّم دَجاجَةً هِنديّة فلم يتمكَّنْ منها ، فرأيت نطفتَه حينَ مجَّها — وقد زَلِق عن ظهرها — على مَدَرة[٥] ، وكانت الدار مُثارَة[٦] لتُجعَل بُستانا ، فإذا تلك المجَّـة كالبَزْقة البيضاء ، فأخذها بعضُ مَن كان معنا فشمَّها حين رأى بياضَها وخُثورتها وكُدرتها ، ليعلم هل تناسب ريحُها ريحَ نُطفة الإنســان ، ورِيحَ طَلع الفُحَّال ، فلم يجدْ ذلك .

ثمَّ معرفةُ الدِّيك باللَّيل وساعاته ، وارتفاقُ بنى آدم بمعرفته وصوته: يعرفُ آناء الليل وعددَ السَّاعات ، ومقاديرَ الأوقات ، ثمَّ يقسِّط أصواتَه على ذلك تقسيطا موزُونا لا يُغادر منــه شيئاً . ثمَّ قد علمنا أنّ اللَّيل إذا كان خمسَ عشْرَةَ ساعَةً أنّه يقسِّط أصواتَه المعروفةَ بالعَدد عليها ، كما يقسطها والليل تسعُ ساعات ، ثمَّ يصنع فيما بين ذلك من القسمة وإعطاء

(١) انظر ج ٣ : ١٧٧ حيث يسميه الجاحظ بيض الريح .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الـكلام .

(٣) الزمكى ، بكسر الزاى والميم وتشديد الـكاف مقصوراً : أصل ذنب الطائر ، أو منبته. وكتبت فى الأصل بالألف .

(٤) القطاة : مابين الوركين ، أو العجز .

(٥) المدر : قطع الطين اليابس ، واحدته مدرة . وفى ط : « عن مذرة » وفى س : « عن مدرة » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أرضى مثارة : محروثة .

الحصَص على حساب ذلك . فليعلم الحـكماءُ أنّه فوقَ الأَسطَرْلاب[١] ، وفوق [مقدار[٢]] الجزْر والمدِّ على منازل القمر ، وحتَّى كأنَّ طبْعَه فَلَكٌ على حِدَة . فجمَعَ المعرفةَ العجيبةَ والرِّعاية العجيبة .

وربَّ معرفةٍ تكون نبيلةً وأخرى لا تكون فى طريق النَّبالة . وإنْ كانت المعارفُ كلُّها مفصَّلة مقدَّرة ، إلاّ أنّها فى منازِلَ ومراتب . وليس فى الأَرض معرفةٌ بدقيقٍ ولا جليل وهى فى نفسها شريفةً كريمةٌ .

والمعرفةُ كلُّها بَصر ، والجهْل كله عمًى ، والعمى كلّه شَيْنٌ ونقص ، والاستبانة كلُّها خيرٌ وفضْل .

ثمّ له بعد ذلك ارتفاق الناس بهذا[٣] المعنى منه .

ومن ذلك بُعدْ صوته ، وأنّه يدلُّ على أنّ موضعَه مأهُولٌ مأنوس ، ولذلك قالوا : لا يكون البُنْيان قريةً حتَّى يصقَع فيها ديك .

وليس فى الأَرض طائر أملح مِلْحاً[٤] من فرُّوج ، وليس ذلك الاسم إلاّ لولد الديك ، وإلاّ فكلُّ شىءٍ يخرج من البيض فإنّما هو فرخ[٥]

---

(١) الأسطرلاب أو الأصطرلاب : مقياس النجوم . وهو باليونانية « أصطرلابون » . وأصطر : وهو النجم ، ولابون هو المرآة . وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاقات فى هذا الاسم بما لا معنى له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر . وهذا اسم يونانى ، اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف . مفاتيح العلوم ١٣٤ . قلت : وقد وقع صاحب القاموس فى هذا الوهم الذى نبه عليه الخوارزمى (مادة لوب) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٢٠) حيث نقل النويرى عن الجاحظ

(٣) فى الأصل : « لهذا » . يقال ارتفق بالأمر : انتفع به .

(٤) الملح هنا : بمعنى الملاحة .

(٥) فى الأصل « فروج » وهو تحريف يفسد المعنى . والوجه ما أثبت .

والفَرُّوج حين تنصدِع عنه البَيضة ، يخرج كاسباً عارفاً بموضع لقْط الحب وسدِّ الخَلَّة ، وهو أصيَدُ للذُّباب من السُّودانىّ[١] ، ويدرُج مع الولادة بلا فَصْل .

و [هذا[٢]] مع ما أعطى من محبَّة النِّساء ، ورحمة الرجَال ، وحُسْن الرَّأى من جميع الدار[٣] ، ثم اتِّباعه لمن دَعَاه ، وإلفُه لمن قرَّبه . ثمّ ملاحةُ صوته وحُسن قَدِّه ، ثمَّ الذى فيه ممَّا يصحُّ له الفروج ويتفرَّج فيه[٤] . ٨٩

(قول جعفر بن سعيد فى تفضيل الديك على الطاوس)

وكان جعفر بن سعيد ، يزعم أنَّ الدِّيك أحمدُ من الطاوس ، وأنَّه مع جماله وانتصابه واعتداله وتَقلُّعه[٥] إذا مشى ، سَليمٌ من مقابح الطاوس [ومن مُوقه وقبح صورته[٦]] ، ومن تشاؤم أهل الدار [به ، و[٧]] من قُبح رجليه ، ونَذَالة مَرْآته[٨] . وزعم أنَّه لو ملك طاوساً لألبَسَ رجليه خُفًّا .

---

(١) السودانى : طائر من فصيلة الزرازير .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى الديك .

(٣) كذا . ويصح أن تكون « من جميع من فى الدار » أو « من جميع أهل الدار » .

(٤) كذا .

(٥) تقلع فى مشيته : مشى كأنه ينحدر . وفى الحديث فى صفته صلى الله عليه وسلم « أنه كان إذا مشى تقلع » . وفى الأصل « تعلقه » بتقديم العين ولا وجه له . واعتمدت فى تصحيحها على نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٣٧٣ .

(٦) التكملة من ثمار القلوب ٣٧٣ . والموق ، بالضم : الحمق .

(٧) التكملة من ثمار القلوب .

(٨) المرآة ، بالفتح : المنظر .

وكان يقول : وإنَّما يُفخَر له بالتَّلاوين ، وبتلك التعاريج[١] والتهاويل التى لألوانِ ريشه . وربَّما رأيتَ الدِّيك النَّبَطىَّ وفيه شبيهٌ بذلك[٢] . أَلاَ إنَّ الدِّيك أجملُ من التَّدْرُج[٣] ؛ لمكان الاعتدال والانتصاب والإشراف ، وأسلمُ من العيوب من الطاوس .

وكان يقول : ولو كان الطاوس أحسنَ من الدِّيك النَّبَطى فى تلاوين ريشه [فقط[٤]] لكان فضلُ الديك عليه بفضل القدِّ والخَرْط ، وبفضل حُسْن الانتصاب وجودة الإشراف [أكثرَ[٥]] مِن مقدارِ فضْل حُسنِ ألوانِهِ على ألوان الديك ، ولكانَ السليمُ من العيوب فى العين أجمل[٦] لاعتراض تلك الخصال القَبيحة على حسن الطاوس فى عينِ الناظر إليه . وأوَّل منازل الحمد السلامة من الذَّمِّ[٧] .

وكان يزعم أنَّ قول [الناس[٨]] : فلانٌ أَحسن مِن الطاوس[٩] ، وما فلان إلاّ طاوس[١٠] ، وأنَّ قولَ الشاعرِ :

---

(١) التعاريج : الخطوط الملتوية . وفى ثمار القلوب : « التفاريج » .
(٢) فى الثمار : « شبه بذلك » .
(٣) فى الثمار : « الدراج » . والتدرج : ضرب من الدراج ، وهو طائر شبيه بالحمام ، حسن الصوت مبارك ، كثير النتاج يبشر بالربيع .
(٤) الزيادة من ثمار القلوب . وجملة « فى تلاوين » هى فى الأصل « وتلاوين » وتصحيحها من الثمار .
(٥) الزيادة من الثمار .
(٦) فى الأصل : « ولكان السليم من العيوب فى العين ، والعين فيه أعمل » وأثبت ما فى الثمار .
(٧) فى الأصل : « الذنب » والوجه ما أثبت من الثمار .
(٨) الزيادة من الثمار .
(٩) فى الثمار : « فلانة أحسن من الطاوس » .
(١٠) فى الأصل : « إلا طاوسا » وليس له وجه ، إذ أن من شروط عمل ما الحجازية ألا ينتقض نفيها بإلا ، وهى على الصواب فى الثمار .

* جلودُها مثلُ طواوِيسِ الذَّهب[١] *

وأنّهم لمّا سمّوا جيشَ ابن الأشعث[٢] الطواويس لكثرةِ مَن كان يجتمع فيه من الفِتيان المنعوتين بالجمال ، إنما[٣] [قالوا ذلك[٤]] لأنّ العامّة لاتبصر الجمال . ولَفَرسٌ رائعٌ كريم أحسنُ من [كلِّ[٥]] طاوسٍ فى الأرض ، وكذلك الرَّجُل والمرأة . وإنما ذهبوا من حسنه إلى حسن ريشه فقط ، ولم يذهبوا إلى حسن تركيبه وتنصُّبه ، كحسن[٦] البازى وانتصابه ، ولم يذهبوا إلى الأعضاء والجوارح ، وإلى الشِّيات[٧] والهيئة ، والرأس والوجه الذى فيه .

وكان جعفر يقول : لمّا لم يكن فى الطاوس إلاّ حسنُه فى ألوانه ، ولم يكن [فيه[٨]] من المحاسن ما يزاحمُ ذلك ويجاذبُهُ وينازعه ويَشغل عنه — ذُكِرَ وتبيّنَ وظهر . وخصال الديك كثيرة ، وهى متكافئة فى الجمال . ونقول : لم يكن لعبد المطّلب فى قريش نظير ، كما أنّه ليس فى العرب لقريش نظير ، وكما أنّه ليس للعرب فى النّاس نظير[٩] ؛ وذلك حين لم تكن فيه خصلةٌ أغلبَ من أختها ، وتكاملت فيه وتساوت ، وتوافت إليه

---

(١) انظر الجزء الأول (ص ١٥٥) .

(٢) هو عبد الرحمن بن الأشعث الخارج على الحجاج . انظر ثمار القلوب ٣٨٠ .

(٣) فى الأصل : « وأما » وتصحيحه من الثمار .

(٤) ليست بالأصل . وفى الثمار : « قال ذلك » .

(٥) الزيادة من الثمار .

(٦) فى الأصل : « لحسن » وتصحيحه من الثمار .

(٧) الشيات : جمع شية ، وهو اللون المخالف . وفى الأصل : « الثياب » .

(٨) كلمة يحتاج إليها القول .

(٩) ط : « ليس فى العرب للناس نظير » وتصحيحه من س .

فكان الطَّبع فى وزن المعرفة ، فقالوا عند ذلك : سيِّد الأبطح[1] وسيِّد الوادى ، وسيِّد قريش . وإذا قالوا سيِّد قريش فقد قالوا سـيِّد العرب ،
٩٠ وإذا قالوا سيِّد العرب فقد قالوا سيِّد الناس .

ولو كان مثل الأحنف الذى برع فى حلمه وبرَع فى سـائر خصاله لذكروه[2] بالحلم ؛ ولذلك ذكر قَيس بن زُهير فى الدَّهاء ، والحارث بن ظالم فى الوفاء، وعتيبة بن الحارث فى النَّجدة والثّقافة .

ولو أنّ الأَحنَفَ بن قيس رأى حاجبَ بن زُرارة،أو زُرارة بن عُدَس ، أو حِصْن بن حذيفة، لقدَّمهم على نفسه . وهؤلاء عيونُ أهلِ الوبر لايُذكَرون بشىءٍ دونَ شىءٍ ، لاستواءِ خِصال الخير فيهم .

وفى منحول شعر النابغة :

فألفيتُ الأَمانة لم تخُنْها كذلك كانَ نوحٌ لا يخُونُ

وليس لهذا الـكلام وجهٌ ، وإنَّما ذلك كقولهم كان داودُ لا يخون ، وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام ؛ وهم وَإن لم يكونوا فى حالٍ من الحالات أصحابَ خِيانةٍ وَلا تجوزُ عليهم ، فإنّ النَّاسَ إنَّمـا يضربون المثلَ بالشىء النادر من فِعل الرجال ومن سائر أمورهم ، كما قالوا : عيسى ابن مريم رُوح الله ، وموسى كليم الله ، وإبراهيمُ خليلُ الرحمن ، صلى الله عليهم وسـلم .

ولو ذكر ذاكرٌ الصبرَ على البلاءِ فقَال : كذلك كان أيُّوب لا يجزع

---

(١) س : « الأباطح » .
(٢) فى الأصل : « لذكره » .

كان قولاً صحيحاً . ولو [قال[١]] : كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع لم تكن الكلمةُ أعطِيت حقَّها .

ولو ذكر الاحتمال[٢] وتجرُّع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسفهُ ، وكان حاتم[٣] لا يفحُش ، لكان كلاماً مصروفاً عن جهته . ولو قال : كذلك كان حاتم لا يبخَل لكان ذلك كلاماً معروفاً ، ولكان القول قد وقع موقعَه ، وإن كان حاتمٌ لا يُعرَف بقلّة الاحتمال وبالتَّسَرُّع إلى المكافأة .

ولو قال : سألتك فمنعتنى وقد كان الشَّعبىُّ لا يمنع ، وكان النَّخعِىُّ لا يقول « لا » ، لكان غيرَ محمودٍ فى جهة البيان ، وإن كان ممَّن يُعطِى ويختار « نعم » على « لا » . ولكنْ لمَّا لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما لم تُصرَف الأمثال إليهما ، ولم تضرب بهما .

قال جعفر : وكذلك القول فى الديك وجمالِه ؛ لكثرة خصاله ، وتوازُن خلاله ، ولأنَّ جمال الديك لا يلهَج بذكره إلاَّ البُصراء بمقادير الجمال والتوسُّطِ فى ذلك ، والاختلاط والقصد ، وما[٤] يكون ممزوجا [وما يكون[٥]] خالصاً . وحُسن الطاوس حسنٌ لا تعرف العوامُّ غيرَه ، فلذلك لهِجت بذكره .

---

(١) زدتها ليستقيم الكلام .
(٢) فى الأصل : « الاحتيال »، والوجه ما أثبت .
(٣) فى الأصل : « الأحنف » ، والكلام يقتضى ما أثبت .
(٤) فى الأصل : « وما » .
(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ومن الدَّجاج الخِلاسىُّ[١] والهندىّ ، ومن الدَّجاج الزِّنجى[٢] ومنها الكَسْكَرِىّ[٣] ، ومن الدِّيَكة ما يُخصَى فلا يبلغه فى الطِّيب والسِّمن
٩١ شىء وإن اشتدَّ لحمه . وإن كان غير خَصىٍّ فقد يُمدح ذلك من وجهٍ هو أَردُّ عليه فى باب الفخر[٤] ، من رَخاوة اللَّحم واستطابة الأكل . وعلى أنَّه لو كان أدناه من بعضِ سباع الطَّير ، أو عدا خَلْفَه إنسانٌ ، فكان يريد أَخْذَه حتَّى إذَ فسخه البهر ارتدَّ فى موضعه لا يبرحُه ، ثم ذبحه على المكان ، لجَمَع به الخصالَ كلَّها .

ولو علِّقَ فى عنقه حَجَرٌ ليلتَه بعد أنْ ذبحه ، أو أولج بطنَه شيئاً من حلْتيت[٥] لجَمَع بهِ الخصال ؛ فإنّه أَعْمَلُ فيه من البُورَق[٦] وقشورِ البِطِّيخ فى اللحم المفصَّل[٧] .

وهو بعدُ غيورٌ يحمى دَجاجَه[٨] . وقال الرَّاجز :

* يغارُ والغَيرةُ خُلْقٌ فى الذَّكَرْ *

---

(١) الخلاسى ، بالكسر : ما تولد بين الهندى والنبطى . كتاب البغال ص ٢٩٨ .
(٢) س « الزنجرى » !
(٣) الكسكرى منسوب إلى كسكر، قال ياقوت : « كورة واسعة ينسب إليها الفراريج الكسكرية ، لأنها تكثر بها جداً ، رأيتها أنا تباع فيها أربعة وعشرون فروجا كباراً بدرهم واحد » . وقال الثعالبى فى الثمار ٤٢٦ : « كسكر إحدى كور السواد من ريف دجلة والفرات ، ودجاجها موصوف بالجودة والسمن ، ومذكور فى أطايب الأطعمة . وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدى والحمل » . وهى فى الأصل : « السكسركرى » تحريف ما أثبت .
(٤) أرد : أنفع . وفى الأصل : « رد علية من باب الفخر ومن رخاوة اللحم » .
(٥) قال داود : « هو صمغ الأنجدان » .
(٦) فى الأصل « فإنه من أعمل فيه البورق » ! والبورق : النطرون ، أو النطرون ضرب من ضروب البورق .
(٧) المفصل : المقطع . وفى الأصل : « المفضل » وهو تصحيف .
(٨) ط « دجاجته » وأثبت ما فى س .

وقال الآخر :

* الفحل يَحْمِى شَوْلَهُ مَعْقُولا[1] *

(لحم الدجاج)

ولحمُ الدَّجاج فوق جميع اللُّحمان فى الطِّيب والبياض ، وفى الحسن . والملوك تقدِّمه على جميع الفراخ والنواهض[2] ، والبطِّ ، والدُّرَّاج ، وهم للدُّرّاج آ كَلُ منهم للجِداء الرُّضَّع ، وللعُنُق الحُمر[3] من أولاد الصَّفايا .

والدَّجاجُ أكثر اللُّحــوم تصرُّفاً ، لأنَّها تطيب شِواءً ، ثم حارًّا وبارداً ، ثمَّ تطيب فى البَزْمَاوَرْد[4] ، ثم تطيب فى الهرائِس[5] ،

---

(١) الشول : النوق التى خف لبنها وارتفع ضرعها وأتى عليها من نتاجها سـبعة أشهر ، أو ثمانية ، والواحدة شائلة ، والشول جمع على غير قياس . يريـد أن الحر يحتمل الأمر الجليل فى حفظ حرمه وإن كانت به علة . أمثال الميدانى (٢ : ١٦) .

(٢) النواهض: جمع ناهض ، وهو فرخ الطائر الذى وفر جناحه وتهيأ للطيران ، وتعرف فى لغة عامة مصر بالزغاليل .

(٣) العنق : جمع عناق بالفتح ، وهى الأنثى من أولاد المعز . انظر الحيوان (١ : ٢٣٣) .

(٤) فى القاموس « الزماورد بالضم : طعام من البيض واللحم ، معرب ، والعامة يقولون بزماورد ، وفى التاج : « وقوله بزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم . قال شيخنا : وفى كتب الأدب هو طعام يقال له لقمة القاضى . ولقمة الخليفة ، ويسمى بخراسان نواله ، ويسمى نرجس المائدة وميسر ومهنا » قلت : يبدو أن هذا الاسم تنقل بين هذه المسميات ، فضاع أصل مسماه . وانظر ما سيأتى فى ٦ : ٩١ .

(٥) الهرائس : جمع هريسة ، وهى طعام يتخذ من الحنطة واللحم ، وأجوده المتخذ من الحنطة النقية المقشورة ولحم الدجاج . وصنعتها أن يغلى اللحم حتى تنزع رغوته ثم يرمى معه كنصفه من الحنطة ، أو أقل ، والمـــاء مثلاهما ، وتغلى مكشوفة حتى يذوب ما فى اللحم من الدهن فينزع ، ويقوم الملح ، وتفوه بنحو الدارصينى والقرنفل وتسد بالعجين إلى نحو عشر ساعات ثم ترفع وتضرب وتسقى دهنها المنزوع أولا . تذكرة داود ١ : ٣٤٣ . وهى فى ط « الهرائيس » وأثبتها ما فى س . وانظر الأشعار والأخبار التى وردت فيها بالمحاضرات (١ : ١٩٣) .

ويحدث لَهَا به نفحةٌ لا تُصاب مع غيرها ، وتَطيب طبيخاً ، وتَطيب فُصوصها ، وإنْ قطَّعتَها مع اللحم دَسِمَ ذلك اللحم . وتصلح للحَشاوى ، وللملاقسطى[١] ، وتصلح فى الاسفرجَات[٢] وسمينُها يقدَّم فى السِّكباجة[٣] على البطّ ، إلاّ أنها تُطْعَمُ المَفْصُودَ[٤] وليس ذلك للبطّ .

(لفظ : الدجاج)

قال : والدِّيَكة دَجَاج إذا ذكرت فى جملة الجنس ، وهذا الباب ممَّا تغلَّب فيه الإناث على الذُّكورة . وقال آخرون : لا ، ولكنَّ الدِّيكَ نفسه دَجَاجة ، إلاَّ أنَّهم أرادوا إبانَته بانَّه ذكرٌ فقالوا : ديك ، كما يسمُّون الذَّكر والأنثى فرساً بلا هاء ، فإذا أرادوا أن يُثبتوا إناثَها قالوا حِجْر ، وإن كانت حِجْراً فهى فرس . وقال الأخطل :

نازعْتُه فى الدُّجَى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ
صاحَ الدَّجَاجُ وحانتْ وَقْفةُ السَّارِى[٥]

---

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعلها « الأسفيذباجات » . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٣٢ .

(٣) يقال للسكباج الخلية والمخللة والصفصافة . ويبدو أنه اللحم يعالج بالخل والتوابل ويضاف إليه أحيانا الزعفران والسذاب . انظر المحاضرات (١ : ٢٩٢) .

(٤) أى يصح للمفصود أن يأكل منها ، بخلاف البط ، فإنه كما قال داود فى تذكرته ١ : ٨١ « يولد دما كثيرا » . وفى الأصل: « المقصود » وأصلحته بما ترى.

(٥) السارى : الذى يسير ليلا . وإنما تحين وقفته للراحة من آخر الليل إذا اقترب الفجر . والدجاج يطلق على المذكر والمؤنث ، وقد أراد الأخطل به هنا الديكة والتاء فى الدجاجة ليست للتأنيث ، بل هى للإفراد من الجنس . انظر اللسان (دجج) وشرح شواهد المغنى ٦١ .

وقد بيَّن ذلك القرشيُّ [١] حيث يقول :

اطرُدوا الدِّيكَ عن ذُؤابةِ زيـدٍ   كانَ مَا كانَ لاتطاُهُ الدَّجَاجُ [٢]

وذلك أنّه كان رأى رأسَ زيدِ بن على [٣] فى دار يوسفَ بن عمر [٤] ، فجاء ديكٌ فوطئ شعْرَه ونقَره فى لحمه ليأكله .

(حوار فى صياح الديكة)

قالوا : قد أخطأ مَن زعم أنّ الدِّيـكة إنَّما تتجاوب ، بل إنّما ذلك منها شيءٌ يتوافق فى وقت ، وليس ذلك بتجاوُبٍ كنباح [٥] الـكلاب ؛ ٩٢
لأنّ الـكلبَ لاوقتَ له ، وإنَّما هو صامتٌ ساكت مالم يحسَّ بشيء يفزَع منه ، فإذا أحسَّ به نبَح ، وإذا سمع نُباح كلبٍ آخر أجَابَ ثم

(١) هو قرشى وشيعى . انظر الـكامل . ٧١ ليبسك .

(٢) الرواية فى الـكامل : « طالما كان لا تطأه الدجاج » .

(٣) فى الأصل: « زيد بن عمر » وهو خطأ صوابه ما أثبت من الـكامل ، ومعجم البلدان (كناسة) ، وهو زيد بن على بن الحسين ،وكان خرج على هشام بن عبد الملك ، وقتله يوسف بن عمر الثقفى وصلبه بالـكناسة — هى موضع بالـكوفة — عريانا . . . وكان زيد يلقب بالمهدى . فقال شاعر أموى (انظر الـكامل) :

صلبنا لكم زيداً على جذع نخلة   ولم نر مهديا على الجذع يصلب

(٤) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحـكم الثقفى ، ولى اليمن لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٦ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١ ، فاستخلف ابنه الصلت على اليمن وقصد العراق ، فقتل خالدا القسرى (أمير العراق قبله) ؛ وأقام بالـكوفة إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه ، وحبسه فى دمشق إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بثأر أبيه سنة ١٢٧. ابن خلـكان (٢ : ٣٦٠ — ٣٦٥) . ويوسف هذا هو ابن ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحـكم

(٥) فى الأصل : « بتجاوب نباح » .

أجابَ ذلكَ آخرُ ، ثمَّ أجابهما الكلبُ الأوَّلُ ، وتبيَّن أنّه المجاوِب جميع الكلاب . والدِّيك ليس إذًا من أجْل أنّه أنكر شيئاً استجاب[1] ، أو سمع صوتاً صقع[2] ، وإنَّما يصقع[3] لشيءٍ فى طبعه ، إذا قابل ذلك الوقتَ من اللَّيل هيَّجه . فعَدَدُ أصواتِهِ فى الوقتِ الذى يُظَنُّ أنّه تتجاوبُ فيه الدِّيكة ، كعدَدِ أصواتِهِ فى القريةِ وليس فى القريَةِ ديكٌ غيره ، وذلك هو فى المواقيت . والعلَّةُ التى لها يصقَع فى وقتٍ بعينه شائعةٌ فيها فى ذلك الوقت . وليس كذلك الكلاب ! قد تنبح الكلاب فى الخُرَيْبة[4] وكلابٌ فى بنى سعد غير نابحة ، وليس يجوز أن تكون دِيَكة المهالبة تصقع[5] ، وديكة المسامِعة ساكتة[6] .

فإنْ أراد مريدٌ بقوله إنّ الدِّيكة تتجاوب ، على مثل قول العرب : هذه الجبال تتناظَر ، إذا كان بعضُها قُبالة بعضٍ ، وإذا كان الجبلُ من صاحبه بالمكان الذى لو كان إنسانٌ رآه — جَاز ذلك . وعلى هذا المثال قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم فى نارِ المشركين ماقال ، حيث قال : « لاتَتَرَاءَى نارَاهما[7] » ، ومع قول الشاعر :

---

(١) فى الأصل : « ليس من أجل أنه أنكر شيئا إذا استجاب » .

(٢) فى الأصل : « صفع » وإنما هى « صقع » بمعنى صاح .

(٣) فى الأصل : « يصفع » .

(٤) الخريبة ، بهيئة التصغير : موضع بالبصرة .

(٥) فى الأصل : « تصفع » .

(٦) المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بنى مسمع بن شهاب بن عمرو . معجم البلدان فلعل « المهالبة » أيضاً محلة أخرى بها منسوبة إلى بنى المهلب بن أبى صفرة .

(٧) الرواية فى اللسان والنهاية وأمثال الميدانى (٢ : ١٦٢) : « لاتراءى » بإسقاطه إحدى التاءين . قال الميدانى : « يعنى نارى المسلم والمشرك ، أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد الشرك فيكون معهم بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه ، فجعل الرؤية للنار ، والمعنى أن تدنو هذه من هذه . وأراد : لاتتراءى ، فحذف إحدى التاءين . وهو نفى يراد به النهى » .

* لاتتراءى قبورهما (١) *

وقال ابن مُقْبِلٍ العَجْلانيّ (٢) :

سَــلِ الدَّار من جنْبَى حِبِرٍ فَواهــبٍ
وحيثُ يَرَى هَضبَ القَليبِ المضَيَّحُ (٣)

وتقول العرب : إذاكنتَ بمكان كذا وكذا ، حيثُ ينظُر إليك الجبُل فخُذْ عَن يسارِك أو عن يمينك .

وقال الرَّاجز :

* وكما يرى شَيْخ الجبالِ ثَبِيرا (٤) *

وشيخ الجبال عنده أبو قبيس .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار : « أنا برىءٌ من كلِّ مسلمٍ مع كلِّ مشرك » . قيل : ولِمَ يارسولَ الله ؟ قال : « لاتتراءى ناراهُما » .

---

(١) كذا . ولعلها « لاتراءى قبورها » .
(٢) فى الأصل : « ابن مقبر العجلانى » ، وصوابه « ابن مقبل » . وهو تميم بن مقبل ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان ، كما فى الإصابة ٨٥٨ ، أو هو تميم ابن أبي مقبل . . . الخ كما فى الخزانة (١ : ٣١٤ سلفية). أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم ، وله خبر مشهور مع عمر بن الخطاب فى استعدائه على النجاشى الشاعر . الإصابة والخزانة والعمدة (١ : ٢٧) .
(٣) فى الأصل : « جبير » موضع « حبر » ، وتصحيحه من اللسان (رأى) ومعجم البلدان (حبر) و (واهب) . وكلمة « فواهب » هى فى الأصل « فراهب » وتصحيحه من المعجم فى الموضعين . و « يرى » هى فى الأصل « ترى » مصحفة. و « المضيح » هى فى الأصل « المصبح » كما فى اللسان محرفة . والصواب ما أثبت من المعجم فى موضعيه . وحبر ، وواهب ، والمضيح : أمكنة متقاربة فى ديار بنى سليم . ويرى المضيح هضب القليب ، أى يقابله .
(٤) فى الأصل : « وكما ترى » ، والوجه ما أثبت .

وقال الكسائىّ : تقول العرب : دارى تنظُر إلى دار فلان ، ودورنا تتناظر . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

وإنّما قال القوم فى تجاوُب الدِّيكة ببيتِ شعرٍ سمعوه للطِّرِمَّاح ، جهلوا معناه ، وهو :

فيا صُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللّيلِ مُصْعِدًا ... بِبَمٍّ ونَبِّهْ ذَا العِفاءِ الموَشَّحِ (١)

إذا صاحَ لم يُخذَلْ وجَاوبَ صوتَه ... حِمَاشُ الشَّوى يَصْدَحن من كلِّ مَصْدَحِ (٢)

٩٣ وكذلك غلِطوا فى قول عَبْدة بن الطَّبيب (٣) :

إذ صفّق الدِّيك يدعو بعضَ أسرتِه ... إلى الصَّباح وهم قوم معازيل (٤)

وإنّما أرادَ توافىَ ذلك منها معًا ؛ فجعلها دعاء وتجاوبا على مافسرناه.

---

(١) كمش : أسرع وعجل . وغبر الليل : بقيته . وبم : أرض من كرمان . وذو العفاء : الديك . والعفاء ، بالكسر : ما كثر من الوبر والريش ، الواحدة عفاءة . وفى اللسان : « وديك موشح : إذا كان له خطتان كالوشاح » وأنشد عجز هذا البيت . فبذلك يكون جر « الموشح » على المجاورة . وأنا أراه وصفا للعفاء ، كما يوصف الثوب فيقال : ثوب موشح : إذا كان فيه وشى . حكاه ابن سيده عن اللحيانى ، كما فى اللسان . والبيت فى الأصل محرف ، فصدره فى ط ، س : « فياصبح كهش عبر الليل مصعدا » وعجزه فى ط : « يبم وينها كالعفاء » و س : « يبم وينه كالعفاء » وتصحيحه من ديوان الطرماح ٦٩ واللسان .

(٢) حماش الشوى : دقاق الأرجل ، وعنى بهن الديكة . وفى س : « يصدحن منهن مصلح » وهو تحريف .

(٣) ط : « عبد الله بن الطيب » س : « عبادة بن الطيب » وهما تحريف ما أثبت . والبيت الآتى من قصيدة له مفضلية ، مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصولى ... أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

انظر المفضليات ١٤٣ .

(٤) قد جعل للديك أسرة ، والأسرة للناس . وأراد بقوله « وهم قوم » جماعة الدجاج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . انظر اللسان (عزل) .

(تفضيل صاحب الكلب الحمار على الديك)

قال صاحب الكلب : لولا أنّا وجدنا الحمار المضروبَ به المثلُ فى الجهل ، يقومُ فى الصَّباح وفى ساعات اللّيل مقامَ الدّيكة ، لقد كان ذلك قولاً ومذْهبًا غيرَ مَرْدُود . ولو أنَّ متفقدًا يتفقَّد ذلك من الحمار لوجدَه منظومًا يتبع بعضُه بعضاً على عددٍ معلوم ؛ ولوجَدَ ذلك مقسوماً على ساعات الليل ، ولكان لقائلٍ أن يقول فى نهيق الحمار فى ذلك الوقت : ليس على تجاوبٍ ، إنَّما ذلك شىء يتوافى معاً ، لاستواء العلة ، ولم تكن للدِّيك الموصوفِ بأنّه فوق الأَسْطَرلاب فضيلةٌ ليست للحمار .

وعلى أنّ الحمار أبعدُ صوتاً ، وقد بلغ من شدَّة صوتِه ما إن حلَفَ أحمدُ بن عبد العزيز : إنَّ الحمار ماينام ! قيل له : وما ذاك ؟ قال : لأنِّى أجدُ صياحَه ليس بصياح شىءٍ انتبه تلك الساعة ، ولا هو صياحُ من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه ! .

هذا والحمارُ هو الذى ضَرب به القرآنُ المثلَ فى بُعد الصوت ، وضَرب به المثلَ فى الجهْل ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ . فلو كان شىءٌ من الحيوان أجهلَ بما فى بطون الأسفار مِن الحمار ، لضرَب الله المثلَ به دونَه .

(عشرة أمثال فى شأن الحمار)

وعلى أنّ فيه من الخصال ماليس فى الديك ، وذلك أنّ العربَ وضعته من الأمثال التى هى له فى عشرة أماكن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« كلُّ الصَّيْدِ فى جوْفِ الفَرَا »[١] وكفاك بِهِ مثلاً إذا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفضيل هدايةِ أبى سفيان .

وقالت العرب : « أنْـكَحُ من الفَرَأ » . والفَرَأُ مهموز مفتوحة الفاء مجموعُهُ فِرَاءٌ[٢] ، قال الشاعر[٣] :

بِضَرْبٍ كآذانِ الفِرَاءِ فُضُولُه   وطَعْنٍ كإيزاغ المخَاضِ تَبُورُها[٤]

وتقول العرب : « العَيْرُ أوْقى لِدَمِه[٥] » . وقولهم : « مَنْ يَنِك العَيْرَ يَنِك نَيَّاكاً[٦] » . وقالوا : « الجَحْشَ إذا فاتَتْكَ الأعيار[٧] » وقالوا :

---

(١) الفرا بالفتح ، يقصر ويهمز ويمد ، هو الحمار الوحشى . والحديث مثل تمثل به رسول الله . وانظر أصل المثل فى الميدانى (٢ : ٧٤) . والسبب فى هذا الحديث أن أبا سفيان استأذن النبى فحجبه ثم أذن له فقال له : « ما كدت تأذن لى حتى تأذن لحجارة الجلهتين » – وكان قد أدخل غيره من الناس قبله – فقال « ياأبا سفيان أنت كما قال القائل : « كل الصيد فى جوف الفرا » أراد أن يقول له إنه فى الناس كحمار الوحش فى الصيد ، كلها دونه ، يتألفه بذلك على الإسلام . وقال أبو العباس المبرد : معناه إذا حجبك قنع كل محجوب ورضى ، لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشى ، فكل صيد لصغره يدخل فى جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره . اللسان (فرأ) وكذا ابن الأثير فى النهاية . وانظر كامل المبرد ١٨١ ليبسك والدميرى (فرأ) .

(٢) فى الأصل : « مجموعة فراء » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو مالك بن زغبة الباهلى كما فى اللسان (فرأ ، بور). وانظر ٦ : ٤١٢ .

(٤) س : « كايزاغ المخاض بواعا » ، ط : « كايزاع المخاض النوازع » . وكلاهما محرف وتصحيح البيت من اللسان (فرأ) و (بور) والكامل ١٨١ ليبسك والمعانى (٢ : ٧٣) . يقول : إن ضربه لخصمه يترك لحمه معلقا يتحرك ، من شدة تمزقه . والإيزاغ : دفع الناقة ببولها . تبورها : تختبرها ، تعرضها على الفحل لتنظر ألاقح هى أم حامل ، وهى إذا كانت حاملا بالت فى وجه الفحل .

(٥) يضرب للموصوف بالحذر ، وذلك أنه ليس شىء من الصيد يحذر حذر العير إذا طلب . وفى الأصل : « أوفى » بالفاء . والوجه ماكتبت من أمثال الميدانى (١ : ٤٢٠) . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٩٥) .

(٦) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٢) . وانظر الحيوان (٣ : ٤١) .

(٧) الجحش نصب بفعل مضمر ، أى اطلب الجحش ، وهو ولد الحمار قبل أن يفطم . =

« أصبَرُ من عَير أبي سيَّارة »(١) ؛ لأنَّه كان دفعَ بأهْلِ الموسم على ذلك الحمار أربعينَ عامًا .

وقالوا : « إن ذَهَب عيرٌ فعَيْرٌ في الرِّباط »(٢) . وقالوا في المديح لصاحب الرأى : « جُحَيش وَحْدِهِ » ، و « عُيَير وحده »(٣) ، و « العَيْرُ يَضْرِط والمِكواةُ في النَّار »(٤) ؛ وقالوا : « حمارٌ يحمل أسفارًا »(٥) ، و « أضلُّ من حمارِ أهله »(٦) ، و « أخزى الله الحِمارَ مالاً لا يُزَكَّى ولا يُذَكَّى »(٧) ، ٩٤
و « قد حِيلَ بين العَيْر والنَّزَوان »(٨) .

= والمثل يضرب لمن يطلب الأمر الكبير فيفوته ، فيقال له اطلب ما دون ذلك . اللسان (جحش) والميدانى (١ : ١٤٩ - ١٥٠) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(١) انظر الحيوان (١ : ١٣٩) .

(٢) الرباط : حبالة الصائد ، يقال للصائد : إن ذهب عير فلم يعلق فى الحبالة فاقتصر على ماعلق . يضرب فى الرضا بالحاضر وترك الغائب . الميدانى (١ : ٢٣) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(٣) يضربان لمن يعتزل الناس ويستبد برأيه . اللسان (جحش) والميدانى (١ : ٤٢١)

(٤) يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٣٧) بلفظ : « قد يضرط العير والمكواة فى النار » .

(٥) مثل قرآنى ، والأسفار : جمع سفر ، وهو الكتاب . وأصله قوله تعالى « مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا » ، يعنى اليهود فى تركهم استعمال التوراة وما فيها . والحمار يحمل الكتب وهو لايعرف ما فيها ولا يعيها . يضرب مثلا للذى يحوز الشىء الجليل ولا يستطيع الانتفاع به ، أو لمن يعلم ولا يعمل بعلمه .

(٦) لم أهتد إلى مرجع لهذا المثل وانظر (١ : ٢٢١) .

(٧) لايزكى : لاتجب فيه الزكاة ، فإن الحمير والبغال والحملان والفصلان والعجاجيل لاتجب فيها الزكاة . ولا يذكى : من التذكية ، وهى الذبح ؛ فإن الحمار مما لايحل أكله فى أصح الأقوال . وهذا المثل فى الدميرى (١ : ٣٧٣) بلفظ : « شر المال ما لا يذكى ولا يزكى » قال الدميرى : « أشاروا بذلك إلى الحمار »

(٨) قالوا : أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وقد كان طعن فى =

فالذى مُدح به أكثر ؛ فقد وجدنا الحمار أبعدَ صوتاً ، ووجدناه يعرف من أوقات الليل ويميِّز عددًا معــلومًا إلى الصبح ، إلاّ أنّ له فى الأسحار فضيلة .

والحمارُ أجهلُ الخلق ، فليس ينبغى للدِّيك أن يُقضَى له بالمعرفة والحمار قد ساواه فى يَسِير[1] علمه ، ثم بايَنَه أنّ الحمار أحسنُ هداية . والدِّيك إن سقط على حائط جارِه لم يُحسن أن يهتدى إلى داره ، وإن خرج مِن باب الدار ضلَّ ، وضلالُه من أسفل كضلالِه من فَوق .

(ما روى صاحب الديك من أحاديث فى الديك)

قال صاحب الديك : حدَّثونا عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة ، قال : « صرخَ ديكٌ عندَ النبى صلى الله عليه وسـلم فسبَّه بعضُ أصحابه ، فقال : لا تَسبَّهُ فإنّه يدعُو إلى الصلاة » .

وعن ابن الماجِـشُونِ ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة بن مسعود ، عن يزيد بن خالد الجُهَنى : « أنّ رَسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهَى عن سبِّ الديك وقال : إنّه يؤذِّن للصَّلَاة » .

= غزوة فرض حولا ، فلته زوجه وبرمت به ، وأظهرت غدراً ، حتى لقد هم بقتلها ، وطلب السيف ليقطعها فإذا يده لا تقله ، فقال فى ذلك منوها بر أمه (الميدانى ٢ : ٣٨) والكامل ٧٤٦ ليبسك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى وملت سليمى مضجعى ومكانى
فأى امرئ ساوى بأم حليلة فلا عاش إلا فى شقا وهوان
أهم بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

(١) فى ط : « سيد » وتصحيحه من س .

الحسن بن عمارة ، عن عمرو بن مرَّة ، وعن سالم بن أبي الجعد[1] ، يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إنَّ مّما خلق الله تعالى لَدِيكاً عُرْفُه تحتَ العرش وبَرَاثِنُهُ فى الأرض السُّفلى ، وجَناحاه فى الهواءِ[2] ، فإذا ذهب ثُلثا الليل وبقي ثلثُه ضربَ بجناحه ثم قال : سبِّحوا الملِكَ القُدُّوس ، سُبُّوح قُدُّوس — أىْ أَنَّهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ — فعند ذلك تضرِب الطَّيرُ بأجنحتها وتصيحُ الدِّيَـكة» .

وأبو العلاء عن كَعب : « إنَّ لِلهِ تَعالَى دِيكاً عنُقُهُ تَحْتَ العرش ، وبراثنهُ فى أسفل الأرَضين ، فإذا صاحت الدِيكةُ يقول : سبحانَ الملِكِ القُدُّوس الملِك الرَّحمٰن ، لا إله غيره » . قال : والدِّيَكة أكيسُ شيءٍ

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ الدِّيكَ الأبيضَ صديقى ، وعدوٌّ عدوِّ الله ، يحرس دارَ صاحبِهِ وسبعَ دُور » .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيِّته معه فى البيت .

ورُوى أنَّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يسافرون بالدِّيكة .

(ذبح الديك الأفرق)

وزعم أصحابُ التَّجربةِ أنَّه كثيراً ما يَرون الرَّجلَ إذا ذبح الدِّيك الأبيضَ الأفرق[3] ، أنّه لا يزال يُنْـكَب فى أهله وماله .

---

(١) فى الأصل : « سالم مولى أبى الجعد » ، صوابه فى تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٠.

(٢) فى الأصل : « الهوى » .

(٣) الأفرق : المفروق العرف .

(كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً)

ومما فى المحاجاة أن يقال : كيف تعرف الدِّيك من الدجاجة إذا كان صغيراً حين يخرجُ من البيضة ؟ فقالوا : يعلّق بمنقاره ، فإنْ تحرَّكَ فهو ديك وإن لم يتحرَّك فهو دجاَجة .

(بعض ما قيل من الشعر فى حسن الدجاجة ونبل الديك)

قال الشاعر [1] فى حُسن الدَّجاجة ونَبل الديك :

٩٥ غَدَوْتُ بشَربةٍ من ذاتِ عِرْقٍ   أبا الدَّهناء من حَلَبِ العصير [2]
وأُخرى بالعقَنْقَل ثم رُحنا   نرى العُصفورَ أعظمَ من بَعيرِ
كأنَّ الدِّيكَ دِيكَ بنى نُمير   أميرُ المؤمنين على السَّريرِ [3]
كأنَّ دجاَجَهم فى الدَّار رُقطاً   بناتُ الرُّوم فى قُمُصِ الحريرِ [4]
فبتُّ أُرَى الكواكبَ دانياتٍ   يَنَلنَ أناملَ الرَّجُلِ القَصيرِ [5]
أُدافعُهنَّ بالكفَّين عنِّى   وأمسح جاَنبَ القمر المنير [6]

(١) انظر الشعر فى هذا الجزء ص ٣٥٦ وديوان المعانى (١ : ٣٣٠) ، و (٢ : ١٣٦) ونثار الأزهار ٩٧ ، ونهاية الأرب (١٠ : ٢٢٧) وحماسة ابن الشجرى (٢٧٨) والعقد (٦ : ٣٤٧ لجنة التأليف) .

(٢) ذات عرق : هو الحد بين نجد وتهامة . والحلب : الشراب .

(٣) السرير هنا : عرش الخلافة ، أو هو الملك والإمارة .

(٤) الرقط : جمع رقطاء ، وهى ذات اللون الأسود يشوبه نقط بيض أو العكس . ورواية النهاية والنثار : « وفود الروم » .

(٥) أرادتنا لهن أنامل الرجل القصير ، ففى الكلام قلب . انظر الصاحبى ١٧٣ .

(٦) الرواية فى ديوان المعانى : « وأمسح عارض القمر المنير » .

(طعن صاحب الكلب فى الديك)

وقال صاحب الكلب : الأشياءُ التى تألفُ الناس لا تريد سواهم كالعصفور والخطَّاف والكلب والسّنورِ . والدِّيكُ مِمَّا يتّخذه الناس ، وليس مِمّا يحنُّ إليهم فيقطَع البلادَ نِزاعًا ، فيكون كالقواطع من الطير التى تريدهم كالخطّاف ، ولا هو من الأوابد كالعصفور الذى حيثُما دار رجع إليهم ، ولا هو كالكلب الذى [لا[1]] يعرف سواهم ، ولا هو كالأهلىِّ من السنانير التى متى ألِفتهم لم تفارقْهم ، وتعُسُّ باللَّيل ، وتطوف فى القبائل من دار إلى دار ثمَّ لا يكون مرجعُها إلاَّ إليهم . والدِّيك فى خلافِ ذلك كلِّه ، ثمّ لا يألف منزله ولا يعرف رَبْعه ، ثم لا يحنُّ إلى دجاجهِ ، ثمَّ لا تتوق نفسُه إلى طَروقته[2] ، ولا يشتاق إلى ولده ، ولا يعرفُ الذين غذَوه وربَّوه ، بل لم يدر قطُّ أنَّ له ولدًا ، ولو كان درَى لكان على درايته دليل ، فإذْ قدْ وجدناهُ لفراريجه وبيضهِ المخلوقة منه ومِنْ نجْلِه ، كما نجده لما لم يلدْ ولما ليس مِن شكله أيضًا ولا يرجعُ إلى نسبه ، فكيف لا نقضى عليه بالنَّقص ، إذكانت الأمور لا تعرف إلاَّ بهذا وشبهه ! ! .

وهو لا يعرف أهلَ دارِه ، ولا يُثبت وجهَ صاحبه الذى لم يُخْلقْ إلاّ عندَه ، وفى ظلِّه وتحتَ جناحه ، ولم يزلْ فى رزقه وعِياله . والحمام ترجع إليه من مائتى فرسخ ، ويُصطاد فيتحوَّل عن وطنه عشْرَ حِجَج ، ثمَّ هو

---

(١) التكملة من س .
(٢) طروقته : أنثاه .

على ثباتِ عهده وقوّةِ عقْده ، وعلى حِفاظه وإلفه ، والنِّزاع إلى وطنه . فإن(١) وجد فُرجة ووافق جناحَه وافيًا وافاه وصار إليه ، وإن كان جناحُه مقصوصاً جَدَف(٢) إلى أهله ، وتكلَّف المضىَّ إلى سكَنه ، فإمّا بَلَغ وإمّا أعْذَر(٣) .

والخُطّاف يقطع إليهم من حيث لا يبلغه خبر ، ولا يطؤه صاحب سفر ؛ على أنّا لا نراه يتّخذ وكرَه إذا صار إليهم إلاّ فى أحصَنِ موضع ،
٩٦ ولا يحمله الأُنْس بهم على ترك التّحرُّز منهم ، والحزم ِ فى مُلابَستهم ، ولا يحمله الخوفَ منهم على منْع نفسه لذّةَ السُّكونِ إليهم ، ولا يبخس الارتفاق بهم حظّه .

والعصافير لا تقيم فى دار إلاّ وهى مسكونة ، فإن هجرها الناسُ لم تُقِمْ فيها العصافير .

(قول صاحب الكلب فى السنّور والهرة)

والسِّنَّور يعرف ربَّةَ المنزل ، ويألف فرخَ الحمام ، ويُعابِث فراريج الدار . إن سُرق ورُبط شهراً عاد عند انفلاَته ، وانحلال رباطه .

والهِرَّةُ تعرف ولدَها وإن صار مثلَها ، وإن أُطعِمت شيئاً حملته إليه وآثرته به . وربّما أُلْقِى إليها الشىءُ فتدنو لتأكلَه ، ويُقبلُ ولدها فتُمسِك

(١) س : « فتى » .
(٢) جدف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجدافاه : جناحاه . وفى الأصل : « حذف » وهو تصحيف . وانظر الحيوان (٣ : ٢٢٩).
(٣) أى كان له عذر فى عدم استطاعته الوصول .

عنه ، وترضُّه له . وربّما طُرح لها الشيءُ وولدها غائبٌ عنها — ولها ضروبٌ من النَّغَم ، وأشكالٌ من الصِّياح — فتَصيح ضرباً من الصِّياح يعرفُ أهلُ الدَّارِ أنّه صياحُ الدُّعاء لا غير ذلك . ويقال : « أبَرُّ مِنْ هِرَّة[١] » .

ومتى أرادتْ ما يريدُ صاحبُ الغائط ، أتت مواضعَ ترابٍ فى زاويةٍ من زوايا الدَّار فتبحثه ، حتَّى إذا جعلتْ له مكانا كهيئة الحفرة جعلَتْه فيها ثمَّ غطّتهُ من ذلك التُّراب ، ثمَّ تشمَّمتْ أعلى ذلك التراب وما ظهرَ منه ، فإنْ وجدَتْ شيئًا من الرائحة زادت عليها تراباً ، فلا تَزال كذلك حتّى تعلم أنّها قد أخفت المرئىّ والمشموم جميعًا . فإنْ هى لم تجدْ تراباً خَمَشت وجهَ الأرض ، أو ظَهْرَ السَّطح ، حتَّى تبلغَ فى الحفر المبلغَ ، ومن ستر ذلك المجهودَ[٢] .

وزعم ناسٌ من الأطبَّاء أن السِّنَّورَ يعرفُ وحدَه ريحَ رجْعهِ ، فإنما يستره لمكان شمّ الفأر لَهُ ، فإنها تفرُّ من[٣] تلك الرائحة . أو يُغطِّيه لما يكون [فيه] من خلُق من أخلاق الأسد[٤] . [و[٥]] مايشاكل فيهِ الأسدَ فى الخُلُق ، على قدر ما يشاكله فى الخَلق . وتعداد ذلك كثيرٌ .

---

(١) قال الدميرى : « أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم » . قلت : ليس ذلك أرادوا ، وإنما عنوا مابها من خلة الإيثار لولدها على نفسها كما هنا . والدميرى تبع فى قوله مافى أمثال الميدانى (١ : ٤٥١) فى كلامه على « أعق من ضب » ، ومثله لابن قتيبة فى عيون الأخبار (٢ : ٧٢) . وانظر الحيوان (١ : ١٩٦) .

(٢) أى وحتى تبلغ غاية جهدها فى ستر ذلك .

(٣) فى الأصل : « إلى » ، ووجهه ما أثبت . والفأر : جمع فأرة ، وضمير « تفر » راجع إليها .

(٤) فى الأصل : « وتغطيه لما يكون من خلق من أخلاق الأسد » .

(٥) تكملة يحتاج إليها الكلام .

(سُلاح الديك)

والدِّيكُ لا تراه إلاَّ سالحًا ، ثمَّ لا يتوقَّى ثوبَ ربِّ الدار ولا فِراشه ولا بِساطه . هذا ، وحياتُه التُّراب ، ولذا[1] يدفن نفسَه فيهِ ، ويُدخله فى أصولِ ريشهِ .

ثمَّ لا ترى سُلاحًا أنتن من سُلاحهِ[2] ، لا يشبه ذَرْق الحمام ، وصَوْم النَّعام ، وجَعْر الكلب . ثم مع ذلك لا تراه إلاَّ سائلاً رقيقًا . ولو كان مُدَحرَجًا كأبعار الشاءِ والإبل والظباء ، أو متعلقًا[3] يابسًا كجَعْر[4] الكلب والأسد ، ثمَّ لو كان على مقدار نتنه لكان أهونَ فى الجملة .

وقال أبو نُواسٍ فى ديكٍ بعض أصحابه :

آذيتَنا بديكِكَ السَّلاَّحِ ... فنجِّنا مِنْ مُنْتِنِ الأرْوَاحِ[5]

(استخدام الخناقين للكلب)

وقال صاحب الكلب : ومن مَرافق الكلب أنّ الخنَّاقين[6] يظاهر
٩٧ بعضُهم بعضًا ، فلا يكونون فى البلاد إلاّ معًا ، ولا يسافرون إلاّ معا ؛

(١) فى الأصل : « ولم » .
(٢) فى الأصل : « منه » . والسلاح بالضم : النجو .
(٣) فى الأصل : « ومتعلقا » .
(٤) فى الأصل : « كبعر » ، تحريف .
(٥) الأرواح هنا : جمع ريح .
(٦) الخناقون هم من المنصورية ، أصحاب أبى منصور الكسف الذى كان قال لأصحابه : « فى نزل قوله تعالى : وإن يروا كسفا من السماء ساقطا » . والمنصورية من الروافض ، انظر خبرهم فى عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) وتأويل مختلف الحديث (٨٦) ، والحيوان أيضاً (٦) والعقد (١ : ٣٥٠) . وانظر المقارنة بينهم وبين اليهود فى العقد (١ : ٣٥٣) . وتعليل لجوئهم إلى هذا الضرب من القتل فى الفصل (٤ : ١٨٥) .

فربّما استولَوا على دربٍ بأسْره ، أو على طريقٍ بأسره . ولا ينزلون إلاّ فى طريق نافذ ، ويكون خلف دُورهم : إما صحارى وإمَّا بساتين ، وإما مزابِلُ وأشباهُ ذلك . وفى كلِّ دارٍ كلابٌ مربوطة ، ودُفوف وطُبول . ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلِّمَ كُتّابٍ منهم ، فإذا خنق أهلُ دارٍ منهم إنسانًا ضربَ النِّساءُ بالدُّفوف ، وضربَ بعضهم الكلابَ فسمع المعلِّم فصاحَ بالصِّبيان : انبَحُوا ! وأجابهم أهْلُ كلِّ دَارٍ بالدفوف والصُّنوج ، كما يفعل نساءُ أهْلِ القرى ، وهَيَّجوا الكلاب . فلو كان المخنوقُ حمارًا لما شعَر بمكانه أحد[١] ، كما كان ذلك بالرَّقَّة .

و [انظرْ[٢]] كيف أخذُوا أهْلَ دَرْبٍ بأسره ! ! وذلك أنّ بعضهم رغِب فى ثُوَيب كان على حمّال ، وفيهِ دريهمات معَهُ ، فألقى الوَهَق[٣] فى عنقهِ فغُشى عليهِ ولم يمتْ ، وتحرَّك بطنهُ فأتى المتوضَّأ وتحرَّك الحمَّال والسَّاجور[٤] فى عنقهِ ، فرجَعت نفْس الحمال ، فلمّا لم يحسّ بأحَدٍ عندَه ، قَصَدَ نحوَ باب الدار ، وخرج وزِيارةُ[٥] فى عنقهِ ، وتلقّتهُ جماعَتُه[٦] فأخبرهم الخبر ، وتصايح النَّاس فأُخِذوا عن آخرهم .

---

(١) الحمار أجهر الحيوان صوتا .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) الوهق : حبل مفتول يرمى فيه أنشوطة ، فتؤخذ به الدابة . والأنشوطة : عقدة تمد بأحد طرفيها فتنحل .

(٤) الساجور : أصله القلادة أو الخشبة توضع فى عنق الكلب .

(٥) الزيار : — هو فى الأصل — شناق يشد به البيطار جحفلة الدابة . وما أثبت من س . وفى ط : « وزيادة » ، وهو تحريف ما فى س .

(٦) فى ط : « جماعة » وأثبت ما فى س .

(بعض الخبر والشعر فى الخناقين)

وقد كان بالكوفة شبيهٌ بذلك ، وفى غيرها من البلدان . فقال حمادٌ الرَّاويةُ ، وذكر المرميِّين بالخنق من القبائل وأصحاب القبائل والنِّحَل ، وكيف يصنع الخُنَّاق ، وسمَّى بعضَهم فقال :

إذا سرتَ فى عِجْلٍ فسِرْ فى صَحابةٍ ... وكِنْدَةُ فَاحْذَرْها حِذارَكَ للخَسْفِ
وفى شيعة الأعمى زيار[1] وغِيلَةٌ ... وقَشْبٌ وإعمالٌ لجَنْدلة القَذْفِ[2]
وكلُّهم شَرٌّ عَلَى أنَّ رأسَهم ... حميدةُ والميلاءُ حاضِنَةُ الكِسْفِ[3]
متى كنتَ فى حَيَّىْ بجَيلَةَ[4] فاستمعْ ... فإنَّ لهم قَصْفًا يدُلُّ على حَتْفِ[5]
إذا اعتزموا يومًا على خنْقِ زائرٍ ... تداعَوْا عَلَيْهِ بالنُّباح وبالعزف[6]

---

(١) فى الأصل وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) : « زياد » ، وصوابه ما أثبت وانظر التنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٢) القشب : خلط السم بالطعام ، ويقال قشبه : سقاه سما . والجندلة : واحدة الجندل ، وهو الحجارة . وفى الأصل : « وأعمال مخذلة القذف »، وفى الحيوان (٦ : ١٢٩) حيث يكرر هذا الشعر : « وأعمال لخندلة القذف » ، وتصحيحه من عيون الأخبار . وكان من هؤلاء المنصورية من يشدخ رءوس الناس بالحجارة وهم الشداخون ، كما سماهم ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث (٨٧) .

(٣) فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « وأما حميدة فكانت من أصحاب ليلى الناعظية ، ولها رياسة فى الغالية » . قلت : وقد عد الجاحظ « ليلى » هذه فى البخلاء (ص ٣١) . والكسف هو – كما سبق – أبو منصور صاحب المنصورية ، وكانت الميلاء حاضنته . وفى الأصل : « والميلا وصاحبة الكسف » وهو تحريف صوابه فى الحيوان (٦ : ٣٨٩) وعيون الأخبار .

(٤) ط : « حيى بجيلية » س : « حى بجيلة » وكلاهما تحريف ما أثبت من المرجعين المتقدمين . قال ابن قتيبة : « كان المغيرة بجليا ، مولى لهم » .

(٥) أى صوتا مدوياً يدل على هلاك ، وكانوا يدقون الدفوف والطبول ويحدثون ضروبا من الجلبة ، ليستروا أمرهم ، كما تقدم فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « بالعرف » وتصحيحه من ط والمرجعين السابقين .

وأمّا ذِكره لبنى عجل فلمكان ذى الضفرتين وغيره من بنى عجل .

وأمّا ذكره كِندة ، فقد أنشدنا سُفيان بن عيينة ، وأبو عبيدة النحوىُّ :

إذا ما سرَّكَ العيشُ فلا تأخذ عَلَى كِنْدَه[١]

ومن كِندة أبو قصبة[٢] أُخذ بالكوفة وقُتِل وصُلب .

وكان بالكوفة ممّن يأكلُ لحومَ النّاس عَدِيَّةُ المدَنية الصَّفراء[٣] . وكان بالبَصرة رَادَوَيه صاحب قصاب رادويه .

98 وأمّا الأعمى فى بنى ضبَّة الذى ذكره فهو المُغيرة بن سعيد صاحب المُغيرِيَّة ، وهم صِنْفٌ ممّن يعمل فى الخنق بطريق المنصوريَّة[٤] .

والمغيرة هذا من موالى بَجيلة ، وهو الخارج عَلَى خالد بن عبد الله القَسْرِىّ ، وعِند ذلك قال خالد وهو عَلَى المنبر[٥] : أطعِمُونى ماءً !

وفى ذلك يقول يحيى بن نوفل[٦] :

---

(١) كذا فى الأصل وعيون الأخبار . وفى الحيوان (٦ : ٣٨٩) : « فلا تمرر » .

(٢) فى الجزء السادس من الحيوان : « أبو قطنة » وفى عيون الأخبار : « أبو قطبة » . وفى البخلاء (٩٥) من يدعى « أبو قطبة » ، فلعله هو .

(٣) فى الأصل : « الصغرى » وأثبت ما فى الجزء السادس من الحيوان .

(٤) وقد أخذه خالد بن عبد الله فقتله وصلبه بواسط . عيون الأخبار (٢ : ١٤٨) .

(٥) وعند ذلك : أى عند خروجه عليه . وقد تبدو هذه العبارة غريبة ، ولكنها صحيحة ، مثلها فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « ومن أجل خروجه عليه قال : أطعمونى ماء » .

(٦) فى الأصل : « بحر بن نوفل » وإنما هو « يحيى » كما فى الجزء السادس من الحيوان والبيان فى مواضع متعددة ، وقد قال يحيى فى خالد — غير الشعر الآتى — (البيان ١ : ١١٢) .

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جد فى الهرب
وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

ومن العجيب فى أمر خالد هذا أنه كان بليغا من الأبيناء ، وهو كذلك من رماهم الناس باللحن وكثرة الخطأ . (البيان ٢ : ٢٢٠) .

وقلتَ لِما أصابَك أطعِمونى شراباً ثمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِير
لأعلاجٍ ثمانيةٍ وشَيْخٍ كَبيرِ السِّنِّ ذى بَصرٍ ضرير[١]

وأما حميدة فقد كانت لها رياسة فى الغالِية ، وهى مِمَّن استجاب لليلى السبائية[٢] الناعِطية[٣] ، والميلاءُ[٤] حاضِنة أبى منصور[٥] صاحب المنصوريَّة ، وهو الكِسْف . قالت الغالية : إيَّاه عَنَى اللهُ تبارك وتعالى ﴿ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴾ . وقد ذَكَرَه أبو السرِىِّ مَعْدَانُ الأَعمى الشُّمَيطى[٦] فى قصيدته الّتى صنّف فيها الرَّافضة ثمَّ الغالية ، وقدَّم الشُّميطيَّة[٧] عَلَى جميع أصناف الشيعة[٨] ، فقال :

---

(١) الشعر يروى بروايات مختلفة عند الجاحظ فى البيان (٢ : ١٩٣) و (٣ : ١٢٢) والحيوان (٦ : ١٣٠) . ويروى قبل البيت الثانى :

وكنت لدى المغيرة عير سوء تصول من المخافة للزئير

والمغيرة هو الأعمى صاحب المغيرية ، وإياه عنى بقوله : « وشيخ كبير السن ذى بصر ضرير » .

(٢) ط : « الشبابية » س : « السبابة » والصواب ما أثبت . يقال سبائية وسبئية كما فى اللسان ، نسبة إلى عبد الله بن سبأ ، وهم فرقة من الغلاة .

(٣) فى البخلاء ٣١ : « الباعطية » .

(٤) فى الأصل : « والميلى » ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « صاحبة أبى منصور » .

(٦) فى الأصل : « السميطى » وصوابه ما أثبت . وانظر التنبيه الآتى .

(٧) الشميطية : فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، نسبت إلى أحمر بن شميط ، وكان صاحب المختار ، وقد قتلهما معا مصعب بن الزبير . انظر الفرق ٣٦ ، ٣٩ ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٦٤٣ ليبسك ، والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٨) قد روى الجاحظ فى البيان (١ : ٢٣) ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة ، وفى (٣ : ٧٥) بيتين آخرين وفى (٣ : ٣٥٦) ستة أخر .

إنَّ ذا الكِسْفَ صَدَّ آل كُمَيلٍ   وكُمَيْلٌ رَذْلٌ من الأَرْذالِ[١]
تركا بالعراق[٢] داءً دويّا   ضلَّ فيه تلطُّفُ المحتالِ
منهم جاعلُ العَسيبِ إماماً   وفريقٌ يرض زَنْد الشّمال
وفريقٌ يقول إنّا براءٌ   مِن عَلِيٍّ وجُنْدُبٍ وبِلاَلِ[٣]
وبرَاءٌ مِنَ الذى سَلّمَ الأمْـ   ـرَ عَلَى قدرةٍ بغير قتالِ[٤]
وفريقٌ يدين بالنصِّ[٥] حَتْماً   وفريقٌ يدِينُ بالإهمالِ

لأَنَّ الكميليَّة لا تجيز الوَكالة فى الإمامة ، وتقول لابُدَّ من إمَامٍ صامتٍ أو ناطِقٍ ، ولا بدَّ من عَلَم يمدُّ الناسُ إليهِ أعْناقَهم . وأبو منْصُورٍ يقولُ بخلاف ذلك .

وأمَّا قوله :

وفى شِيعة الأعمى زِيارٌ[٦] وغيلة   وقشب وإعمالُ لجَنْدَلَةِ القَذْفِ[٧]

---

(١) فى الأصل : « زول من الأزوال » وصوابه ما أثبت ، كما فى الحيوان (٦ : ٣٩١) حيث أعيد هذا الشعر . والرذل : الدون الخسيس . وأما الزول فهو الخفيف الظريف الفطن ، وليس هذا مرادا .

(٢) فى الأصل : « بالعراء » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان .

(٣) جندب هذا هو ابن زهير بن الحارث ، كان مع على بصفين ، وكان على الرجالة يومئذ ، وكان هو والأشتر أقوى رجلين من أصحاب على فى يوم الجمل . انظر الإصابة ١٢١٤ .

(٤) قالوا : إن عليا كفر إذ سلم الأمر إلى أبى بكر ثم عمر ثم عثمان . (الفصل ٤ : ١٨٣) .

(٥) النص ، أى النص على الإمام ، بأن ينص كل إمام على الإمام الذى يخلفه . انظر الفرق ص ٤٥ . وفى الأصل : « بالنصر » وهو تحريف . وانظر الكلام على (النص) فى الملل والنحل (١ : ٢٢٣) .

(٦) فى الأصل : « زياد » . وانظر التنبيه الخامس من (ص ٢٦٥) .

(٧) فى الأصل : « مجزلة القذف » . وانظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .

فقد قال مَعْدان :

حبشىٌّ وكافر سبيانى حَربىٌّ وناسخ قَتَّالُ[1]
تلك تيميَّةٌ وهاتيك صمت[3] ثمَّ دين المغيرة المغتالِ
خنق مرَّةً وشَمٌّ بخار ثمَّ رضْخٌ بالجندَلِ المتوالى[4]

لأَنَّ من الخنّاقين من يكون جامعاً ، وبذلك يسمُّونه إذا جمعَ الخنْق ٩٩
والتشميم ، وحمل معـه فى سَفَرِهِ حَجَرَين مستديرين مُدمْلَكين وململمين فإذا خلاَ برجلٍ من أهل الرُّفقة استدبره فرَمى بأحدهما قَمَحْدُوَتَه[5] ، وكذلك إن كان ساجِداً . فإن دمغه الأَوّل سلبَهُ ، وَإنْ هُوَ رفعَ رأسَهُ طبّق بالآخر وَجْهَهُ . وَكذلك إنْ ألفاه نَائِماً أو غافِلاً .

ولقد صَحِبَ منهم نَاسٌ رجلاً خرج من الرَّىِّ ، وفى حَقوه هِمْيَانٌ[6] ، فـكان لاَ يفارق مُعْظَمَ النَّاس ، فلمَّا رأوهُ قد قَرُب مِنْ مفرِق الطَّريقين ، ورأوا احْتراسَهُ ، وهم نزولٌ إمَّا فِى صحراء وَإمَّا فِى بَعْضِ سُطوحِ الخانَات ، والنّاس مُتشاغلون بأمُورهِمْ ، فلم يشعُرْ صاحِبُ الهِمْيان نهاراً والنّاس حَوْلَهُ إلاّ والوَهَقُ[7] فى عنقِهِ ، وطرحَهُ الآخر حين ألقاه فى عنقِهِ ، ووَثَبَ إليهِ وجلَسَ علَى صَدره ، ومَدَّ الآخَر برجْليهِ وألقى عليهِ ثَوْباً وأذَّنَ فِى أذْنه

(١) كذا . وفى البيت إقواء . و « حبشى » لعلها « خشبى » . والخشبية : فرقة من المنصورية يقتلون بالخشب فقط . الفصل (٤ : ١٨٥) ومفاتيح العلوم ص ٢١.
(٢) كذا .
(٣) ط : « وشنق » ، ولعلها « نشق » ، وأثبت ما فى س .
(٤) انظر التنبيه الثانى من (ص ٢٦٦) .
(٥) القمحدوة : الهنة الناشزة فوق القفا وأعلى القذال خلف الأذنين ، وإصابة هذا الموضع قاتلة .
(٦) الهميان : وعاء للدراهم يشد إلى الوسط .
(٧) الوهق مر تفسيره فى (ص ٢٦٥) .

فقام إليهم بعضُ أهل الرُّفقة كالمعين والمتفجِّع ، فقالوا له : مكانَك ؛ فإنّه إنْ رآك خجِل واستحَى . فأمسك القومُ عنهم ، وارتحل القوم ، وأعجلوا بصاحبهم ، فلمَّا خَلَوا به أخذوا ما أحَبُّوا ، وتركوا ما أحَبُّوا ، ثمَّ حملوه عَلَى أيديهم ، حتى إذا برزوا رمَوه فى بعض الأَودية .

(شعر أعشى همدان فى السبئية)

وقد ذكر أعشَى هَمْدانَ السَّبئيَّةَ(١) وشأنَهم فى كرسيِّ المختار(٢) :

شهِدتُ عليكم أنَّكم سبَئيَّة(٣) ... وإنِّى بكم يا شُرْطَة الكُفْر عارفُ
وأُقسِمُ ما كرسيُّكم بسَكِينةٍ ... وإنْ كانَ قد لُفَّتْ عليهِ اللفائف
وأنْ لَيْسَ التّابُوتُ فُتْناً وإن سَمتْ ... حمامٌ حواليهِ وفيكم زخارف(٤)
وإنِّى امرؤٌ أحببتُ آلَ محمَّدٍ ... وآثَرْتُ وَحْياً ضُمِّنَتْهُ المصاحِفُ

---

(١) فى الأصل : « السبيلية » ، وصوابه ما أثبت . والسبئية : فرقة من غلاة الرافضة. قال صاحب الفرق بين الفرق (ص ٣٤) : « ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ! وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاها عند خواصه، وزعم أن الوحى ينزل عليه وسجع . . . » . وقال (ص ٣٥) : « واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة . . . » .

(٢) المختار هذا هو ابن أبى عبيد الثقفى ، وكان أبوه من خيار الصحابة ، استشهد يوم الجسر فى خلافة عمر (لسان الميزان ٦ : ٦) . وكان يقال للمختار « كيسان » وإليه تنسب فرقة « الكيسانية » من الرافضة ، أو هو أخذ المقالة من كيسان مولى على وقد قام بثأر الحسين بن على وقتل أكثر الذين قتلوا حسينا بكربلاء . انظر أخباره وآراءه فى الفرق بين الفرق (ص ٢٦ — ٢٧) والملل والنحل (١ : ١٩٧) . والطبرى (٧ : ١٤١) وابن الأثير (٤ : ١٠٩) . قتل المختار سنة ٦٧ .

(٣) فى الأصل : « سبلية » ، تحريف .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وإن شاكراً طافتْ به وتمسَّحَتْ ... بأعواد ذاوٍ دبرت[١] لا تساعف
ودَانَتْ بِهِ لابن الزُّبيرِ رقابُنا ... ولا غَبْنَ فيها أو تُحَزُّ السَّوالِفُ
وأحسبُ عُقباها لآلِ محمَّدٍ ... فيُنْصَرُ مَظلومٌ ويأمنَ خائفُ
ويجمَعُ ربى أُمَّةً قَدْ تَشَتَّتَتْ[٢] ... وهاجتْ حُروبٌ بينَهُمْ وحَسَائِفُ

أبو عبيدة : الحسيفة[٣] الضغينة ، وجمعها حسائف .

(من قتل نفسه بيده)

وما أكثر من قتل نفسَهُ بيده ، إمَّا لخوف المُـثْلة ، وإمَّا لخوف التعذيب والهوان وطولِ الأَسر .

١٠٠ وقد كان الحكمُ بن الطُّفيل، أخو عامر بن الطفيل، وأصحابُه خنَقُوا أنفسَهم فى بعض الأيام[٤] ، فعُيِّروا بذلك تعيراً شديداً ، فقال خُراشة ابن عامر بن الطفيل :

وقُدْتَهم للموت ثُمَّ خذَلْتَهُمْ ... فَلاَ وألتْ نفسٌ عليك تحاذرُ[٥]
فهلْ تَبلِغَنِّى عامراً إنْ لَقِيتَه ... أسَلِّيتَ عن سلمان أم أنتَ ذاكرُ

---

(١) كذا . وفى س : « بأعواد داود برت » .
(٢) ط : « تشتت » : وتصحيحه من س .
(٣) ط : « الحسيفية » ، وتصحيحه من س .
(٤) هو يوم ساحوق كما فى الكامل لابن الأثير (١ : ٣٩٤) . وانظر العقد الفريد (٣ : ٣١٨) .
(٥) وألت : نجت .

فإنَّ وراءَ الحيِّ غِزْلانَ أيْكةٍ ... مُضَمَّخَةً آذانُها والغدائرُ [١]

وإنَّكم إذ تخنُقون نفوسَكم ... لكمْ تحتَ أظْلالِ العِضاهِ جرائرُ

وقال عُروة بن الوَرد في يوم ساحوق [٢] ، ويذكر خنْق الحكم بن الطُّفيل وأصحابِه أنفسَهم ، فقال :

ونحنُ صبَحْنا عامراً فى دِيارِها ... عُلالَةَ أرماحٍ وعَضْبا مُذَكَّرا [٣]

بكلِّ رقيقِ الشَّفْرتين مُهَنَّدٍ ... ولَدْنٍ من الخَطِّيِّ قد طَرَّ أسمَرَا [٤]

عجِبت لهم إذ يخنُقُون نفوسَهم ... ومَقْتَلُهمْ عند الوغَى كانَ أعذرا [٥]

يَشُدُّ الحليمُ منهم عَقْدَ حبله [٦] ... ألاَ إنَّما يأتى الذى كان حُذِّرَا [٧]

---

(١) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة .

(٢) هو يوم لبنى ذبيان على بنى عامر . انظر تفصيله فى كامل ابن الأثير .

(٣) صبحوهم علالة الأرماح : سقوهم وأشبعوهم طعنا بالرماح . العضب المذكر : السيف القاطع .

(٤) س : « لكل » والوجه ما فى ط وابن الأثير والديوان ٩٧ ، والرواية فى الأخيرين « بكل رقاق الشفرتين » . والرقاق ، بضم الراء ، هو الرقيق ، واللدن : اللين . والخطى : الرمح منسوب إلى الخط : أرض بالبحرين . قد طر : قد سن . أسمر ، نضجت قناته فى منبتها ويبست فاكتسبت هذا اللون .

(٥) أى كانوا ذوى عذر بين ، لو أنهم جاهدوا فى الحرب وقتلوا ، أما الآن فليس لهم عذر بين الرجال فى خنقهم أنفسهم . ورواية العقد (٣ : ٣١٨) : « كان أجدرا » .

(٦) فى الأصل : « اشد الحليم منهم عقد حلة » ، وهو تصحيف ما أثبت من الديوان وخزانة الأدب (٤ : ٢١٨ بولاق) . وإنما يشد عقد الحبل ليتعجل خنق نفسه .

(٧) أى إنما يأتى الذى كان حذر منه وهو الموت . وفى الأصل : « ألا يأتى الأمر الذى كان أعذرا » ، وأثبت ما فى الديوان والخزانة .

(رثاء أبى زبيد الطائى كلبا له)

وقال أبو زُبَيْدٍ[١] فى كلبٍ لَهُ ، كان يُساور الأسدَ ويمنعه من الفساد ، حين حطمه[٢] الأسد ، وكان اسمه أكدر ، فقال :

أخَال أكْدَرُ مختالا كعادتِه[٣] حتى إذا كان بينَ الحَوْضِ والعَطَنِ[٤]

لاقى لَدَى ثُلَلِ الأطْوَاءِ داهِيَةً[٥] أسْرَتْ وأكدَرَ تحتَ الليل فى قَرَنِ[٦]

---

(١) فى الأصل : « أبو زيد » وإنما هو « أبو زبيد » كما فى الأغانى (١١ : ٢٤) ومعجم الأدباء (١٠ : ٢٠٠) وهو أبو زبيد الطائى . واسمه حرملة بن المنذر وهو شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة — فيما زعموا — وعداده فى المخضرمين ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات نصرانيا ، وكان عثمان بن عفان يقربه ويدنى مجلسه . واشتهر أبو زبيد بكثرة وصفه للأسد وتجويده فى ذلك ، وقد نعته نعتاً طويلا عجيباً فى مجلس عثمان (الأغانى ، والمعجم) فلما أطال قال له عثمان : اسكت قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين ! ! . ومن طريف مايروى فى أمر كلبه « أكدر » أنه كان قد أعد له سلاحا يلبسه إياه ، فيمتنع على الأسد ولا يقوم له . وفى الليلة التى قتل الأسد فيها الكلب ، كان الكلب قد خرج ولم يلبس سلاحه ، فتمكن منه الأسد .

(٢) س : « حطه » ، وتصحيحه من ط .

(٣) أخال ، لعله يريد مشى فى اختيال ، والرواية فى المعجم : « أحال أكدر مشيا لا كعادته » وفى الأغانى : « أحال أكدر مشيا لالعادته » . وفى البغال ٣١١ : « فجال أكدر مشتالا كعادته » .

(٤) الرواية فى الأغانى والمعجم والبغال « بين البئر والعطن » . والعطن : مبرك الإبل حول الحوض .

(٥) الثلل : جمع ثلة بالفتح ، وهو ما أخرج من تراب البئر . والأطواء : جمع طوى كغنى ، وهو البئر المطوية بالحجارة . وما أثبت هو رواية الأغانى والمعجم وفى الأصل : « لاقى الذى جلل الأطواد داهية » .

(٦) يقول : سرت الداهية مع أكدر فى قرن واحد ، والقرن : الحبل . وقد أثبت رواية الأغانى والمعجم . وفى الأصل : « أشوت وأكدر تحت الليل فى قرن »

حطَّتْ بِهِ سُنَّةٌ ورْهاءُ تَطْرُدُه (١) حتَّى تَنَاهى إلى الأهوال فى سَنَنِ (٢)
إلى مُقارب ِ خَطْوِ الساعِدَينِ (٣) لَهُ فوق السَّراةِ كَذِفْرَى القارِحِ الغَضِنِ (٤)
رِيبالُ ظَلْماءَ (٥) لاقَحْمٌ (٦) ولاضَرَعٌ كالبغل خطَّ به العجلان فى سكن (٧)
فأسرَيا وهما سنَّا همومهما إلى عرين كعُشٍّ الأرمَلِ اليَفَنِ (٨)
هـذا بما علقت أظفاره بهم وظنٌّ أكدَرَ غيرُ الأفْنِ والحَتَنِ (٩)

---

(١) يقول : دفعت به خطة حمقاء جعلت تسوق به . ورواية الأغانى : « حطت به شيمة ورهاء تطرده » والشيمة فى معنى الطبيعة . ويتجه المعنى بها أيضا . ورواية المعجم : « حفت به شيمة ورهاء تطرده » .

(٢) رواية الأغانى والمعجم : « حتى تناهى إلى الجولان . . . » . والجولان بفتح الجيم : التراب . وفى الأغانى : « فى السنن » .

(٣) فى الأغانى والبغال : « إلى مقابل خطو الساعدين » . وفى المعجم : « إلى مقابل فتل الساعدين » .

(٤) السراة ، بالفتح : الظهر ، وأعلى كل شىء . والذفرى : ما بين المقذ إلى نصف القذال . والمقذ : ما بين الأذنين من خلف . والقذال : القفا . والذفرى أيضاً : العظم الشاخص خلف الأذن . وأرى أبا زبيد أراد المعنى الأول . و « القارح » : الفرس فى سن الخامسة . والرواية فى الأغانى والمعجم : « كذفرى الفالج القمن » ، وفى البغال : « الفالج الغضن » . والفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

(٥) ط : « ظلمى » ، وصوابه فى س . وبدله فى الأغانى والمعجم والبغال : « غاب فلا » .

(٦) فى الأصل : « فخم » ، وهو تحريف تصحيحه من الأغانى والمعجم . والقحم : الكبير السن ، يقابله الضرع ، بالتحريك ، وهو الصغير السن . ومثله قول لقيط الإيادى :

حتى استمرت على شزر مريرته مستحكم الرأى لاقحما ولا ضرعا

(٧) كذا . وفى البغال : « حطمن المحلين فى شطن » وفى المعجم « كالفيل يختطم الفحلين فى شطن » . وفى الأغانى : « كالبغل يحتطم العجلين فى شطن » ! وإلى هنا تنتهى الرواية فى الأغانى والمعجم .

(٨) فأسريا ، يعنى الأسد والكلب . وسنا همومهما : وجها همهما . وفى س : « وهما مبنا همومهما » ، محرف . والأرمل : الفقير المحتاج ، أو العزب . واليفن : الشيخ .

(٩) بهم لعلها « نهم » . والأفن : ضعف الرأى . والحتن : الباطل ، وحرك التاء للشعر . وفى الأصل : « الأمن والحسن » .

حتَّى إذا ورد العِرزالَ وانتبهت … لِحِسِّهِ أمُّ أجْرٍ ستَّةٍ شُزُنِ (١)

بادٍ جناجِنها حصَّاء قد أفلت … لهن يبهرن تعبيراً عَلَى سدن (٢)

وظنَّ أكدرُ أن تموا ثمانية … أن قد تجلَّل أهلُ البيت باليُمَنِ (٣)

١٠١ فخافَ عزَّتهمْ لما دنا لهمُ … فحاص أكدَرُ مشفيًّا من الوَسَنِ (٤)

بأربَع كلُّها فى الخلق داهية (٥) … غُضُفٍ عليهنَّ ضافى اللحم واللبن (٦)

ألفاه متَّخِذَ الأنيابِ جُنَّتَه … وكانَ باللَّيلِ وَلاَّجًا إلى الجَنَنِ

(رثاء أعرابى شاة له أكلها ذئب)

وقال صاحب الكلب : قال أعرابىٌّ وأكل ذيبٌ شاةً لَهُ تسمّى وردة ، وكُنْيَتها أم (٧) الوَرد :

---

(١) العرزال : عريسة الأسد ومأواه . وفى الأصل : « الغروال » ، تحريف. أجر : جمع جرو ، وأم أجر عنى بها اللبؤة . شزن : جمع شزن ، بالتحريك ، وأصله الغليظ من الأرض. والشطر الثانى من البيت فى ط : « لحسنه أن إحدى سنه سدن » وفى س : « لحسنه أم أحر سنه سدن » وأصلحته بما ترى .

(٢) ط : « بادى جناحهما » س : « باد جناحها » والصواب ما أثبت . والجناجن : عظام الصدر . مفردها جنجن وجنجنة ، بكسرهما ويفتحان . والحصاء : القليلة الشعر . وباقى البيت محرف .

(٣) يقول : قد حسب أكدر — لتمام عدد هذه الفرائس ثمانية — أنه بصيدها يجلب لأهله نعيما وعزا . وتجلل : اكتسى . واليمن : جمع يمنة ، كغرفة وهو ضرب من برود اليمن . والبيت فى الأصل هكذا :

أتين أكدرا أن تموا ثمانية … أن قد تحلل أهل البيت باليمن

(٤) س : « فخاف غرتهم » . وحاص : جال جولة يطلب المهرب والمحيص .

(٥) فى هامش س : « آمنة » رواية فى « داهية » .

(٦) كذا .

(٧) فى الأصل : « وردة » ، والوجه ما أثبت ، كما فى الشعر الآتى .

أودَى بِوَرْدَةَ أمِّ الوَرِدِ ذُو عَسَل　　من الذئاب إذا ماراحَ أو بَكَرَا
لولا ابنُها وسَليلاتٌ لهـا غرُرٌ　　ما انفكَّت العَيْنُ تَذْرِى دَمْعها دِرَرَا
كأنَّما الذِّئبُ إذ يَعْدُو عَلَى غَنَمى　　فى الصُّبحِ طالبُ وِترٍ كانَ فاتَّأرا
اعتامَها اعتامَهُ شَثْنٌ براثِنهُ　　من الضَّوارِى اللَّواتى تقصِمُ القَصَرَا[1]

قال : فى هذا الشعر دَليلٌ أنَّ الذِّئب إنَّما يعدو عليها مع الصبح ، عند فُتورِ الكلْب عن النُّباح ؛ لأنَّه باتَ ليلَتهُ كلَّها دائباً يقظانَ يحرُس ، فلمَّا جاءَ الصُّبحُ جاءَ وَقتُ نَوْم الكلاب وما يعتريها من النُّعاس . ثم لم يَدْعُ[2] اللهَ عَلَى الذِّئبِ بأن يأكله الأَسدَ حتَّى يختاره ويعتامه ، إلاَّ والأَسدُ يأكل الذئاب ، ويختار ذلك . وإنَّما استطابَ لحمَ[3] الذِّئبِ بفضل شهوتِهِ للحم الكلب .

(قول صاحب الديك فى إجازة الشعراء بالدجاج)

وقال صاحب الدِّيك : لم نر شريفاً قطُّ أجازَ شاعراً بكلْب ، ولا حَبا بِه زائرا ، [و][4] قد رأيتَهم يجيزون الشُّعَراء بالدَّجاج . وأَعْظَمُ من

---

(١) سبق شرح هذه الأبيات فى ص ٢٠٣ من هذا الجزء .
(٢) ط : « يدعوا » ، س : « يدعو » ، والوجه ما أثبت .
(٣) فى الأصل : « لهم » .
(٤) من س .

ذلك أن لقيمَ الدَّجَاجِ[١] ، لما قال فى افتتاح خيبر ، وهو يعنى النبى صلى الله عليه وسلم :

رُمِيَتْ نَطاةُ[٢] من النبيِّ بفَيْلَقٍ   شهْباءَ ذاتِ مَناكِبٍ وفَقَارِ[٣]

وهَب لَهُ دَجاج خَيبَرَ عن آخرها . رواه أبو عمرو[٤] ، والمدائنى عن صالح بن كَيْسان ، ولتلك الدَّجَاج قيل : لقيم الدَّجَاج .

(إياس بن معاوية وأخوه)

وقال صاحب الكلب : قال أبو الحسن : كانَ إياسُ بنُ معاويَة وهو صغيرٌ ، ضعيفاً دقيقاً دميماً[٥] ، وكانَ لَه أخٌ أشدُّ حركَةً منْهُ وَأقوى ، فكان معاويَةُ [أبوه][٦] يقدِّمهَ علَى إياس ، فقال لَهُ إياسٌ يَوْماً : يا أبتِ ! [إنَّك][٧] تَقَدِّمُ أخى عَلَىّ ، وسأضربُ لك مثلى ومثلَه : هو مثل الفَرُّوج

(١) فى السيرة ٦٥٦ ، ٧٦٧ « ابن لقيم ». وقد نقل الحافظ ابن حجر فى الإصابة ٧٥٥٤ كلام الجاحظ فى « لقيم » وقال فى تعليل الخلاف بين السيرة والحيوان : « فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه » ، يريد أن من المحتمل أن يكون اسمه « لقيم بن لقيم » .

(٢) ط : « قطاة » وفى الإصابة « مطاة » وصوابهما ما أثبت من س والسيرة ، وهى اسم لأرض خيبر ، أو عين من عيون قرية من قرى خيبر ، كما فى المعجم .

(٣) وصف الفيلق - وهو مذكر - بشهباء ، لما ضمنه من معنى الكتيبة . والشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . وبعد هذا البيت أبيات سبعة فى السيرة .

(٤) ط : « أبو عمر » ، وصوابه من س والإصابة ، وهو أبو عمرو الشيبانى ، كما فى الإصابة .

(٥) س : « ذميما » ، والأشبه ما فى ط .

(٦) من ثمار القلوب ٧٢ نقلا عن الجاحظ .

(٧) من الثمار .

حين تنفلق عنه البَيضة ، يخرج [كاسيا] كافياً نَفْسَهُ(١) ، يلتقط ، ويستخفُّه النَاس ، وكلّما كبر انتَقص ، حتى إذا تَمَّ فصار دجاجةً ، لم يصلحْ إلاّ للذبح . وأنا مثلُ فَرخِ الحمام حين تنفلق عنه البيضةُ عن ساقطٍ لايقدر عَلَى حركة ، فأبَواه يغذُوانِه حتّى يقوى ويثبتَ(٢) ريشُهُ ، ١٠٢
ثمَّ يحسُن بعد ذلك ويطير ، فيَجِدُ به الناس(٣) ويكرمونَهُ ، ويرسل من المواضع البعيدة فيجيء ، فيُصان لذلك ويُكْرَمُ ، [ويُشْتَرى بِالْأَثمانِ الغالية(٤)] . فقال أبوه : لقد أحسنت المثل ! ! فقدَّمه عَلَى أخيهِ ، فوجَد عِنْدَهُ أكثرَ ممَّا كانَ يظنُّ فيه .

قال صاحب الكلب : وقد أغفل إياسٌ فى هذا القول بعضَ مصالح(٥) الدَّجاج ، وذلك أنّ الدَّجاج مِنْ لدُنْ(٦) يخرج من حَدِّ الصِّغَر والكَيْس إلى أن يدخل فى حَدِّ الكبر واحتمالِ اللَّحمِ والشَّحم ، يكون أخبثَ حالاً لأنَّهُ لا يصلح فيه للذَّبح ، وقد خرج من حدِّ الكَيْس والاستملاح .

وإياسٌ هو الذى يقول : لستُ بخِبٍّ(٧) والخِبُّ لا يخدعنى ، ولا يَخدَعُ ابن سيرِينَ وهو يخدَع أبى ويخدَع الحسَن .

---

(١) فى الأصل : « يخرج كافيا بنفسه » ، وأثبت ما فى الثمار .
(٢) فى الأصل : « وينبت » ، والوجه ما نقلت من الثمار .
(٣) يقال وجد به أى أحبه شديداً . وفى س : «فيجده الناس » . وفى الثمار : « ويتخذونه الناس » ، وهما تحريف ما أثبت من ط .
(٤) من الثمار .
(٥) كذا
(٦) فى الأصل : « من له أن » .
(٧) الخب ، بالكسر : الذى يخدع الناس . والخبر فى البيان (١ : ١٠١) .

باب

ما يحتاج إلى معرفته

يقال فَرْج المرأة والجمع فُروج ، وهو القُبُل ، والفَرْجُ كِناية ، والاسم الحِرُ ، وجمعه أحْراح . وقال الفرزدق :

إنّى أقودُ جمـــلا مِمْرَاحَا   فى قُبَّـــةٍ مُوقَرةٍ أحْرَاحَا[١]

قالوا : وإنّما جمعوه عَلَى أحراح ، لأَنَّ الواحد حِرْح[٢] . هكذا كان أصله . وقد يستعار ذلك وهو قليل ، قَال الشاعرُ[٣] :

تراها الضَّبْعَ أعْظَمَهنّ رَأسًا   جُرَاهِمَةً لها حِرَةٌ وثِيـــلُ[٤]

فلم يرض الاستعارة حتَّى ألحق فيها الهاء .

وهو الـكَعْثَب ، وقال الفرزدق :

إذا بَطِحت فوقَ الأَثافِى رَفعنها[٥]   بثديين مَعْ نحر كريمٍ وكَعْثَبِ

وقال الأغلب[٦] :

---

(١) فى اللسان (حرح) : « ذا قبة » ، وفى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣٨): « وقد أقود ... ذا قبة مملوءة » .

(٢) انظر فى اللسان تصريف هذه الـكلمة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية ، كما فى اللسان (جرهم) .

(٤) عنى بالجراهمة الضخمة الثقيلة . وقوله : « لها حرة وثيل » عنى به مايزعمون من أن كل ضبع خنثى . اللسان .

(٥) س : « رفعتها » . وانظر ديوان المعانى ١ : ٢٨١ والعقد ٤ : ١٦٥

(٦) هو الأغلب بن جشم بن سعد العجلى ، من رجاز العرب ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وقتل بنهاوند . قالوا : وهو أول من أطال الرجز ، - كما أن أول من طول القصيد امرؤ القيس ومهلهل - وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين من الرجز، إذا فاخر أو شاتم ، وقال العجاج الراجز مفتخراً :

إنى أنا الأغلب أضحى قد نشر

(الشعراء ٥٩٥) . وانظر أخباره فى الأغانى (١٨ : ١٦٤ - ١٦٧) .

* حَيَّاكة عن كَعْثبٍ لم يُصْمِحِ[١] *

وهو الأجمّ[٢] ، وقال الرَّاجز :

[جارية أعظمها أَجَمُّها قد سَمَّنتْها بالسَّويق أُمُّها[٣]]

* بائنة الرِّجْلِ فما تَضمُّها *

وقال : وقد يسمّى الشَّكْر ، بفتح الشِّينِ وإسكان الكاف ، وأنشدوا :

وكنتَ كليلة الشَّيْبَاء هَبَّتْ بمَنْعِ الشَّكْرِ أتأَمَها القَبيلُ[٤]

[أتأمها[٣]] : أفضاها . وأمَّا قوله :

قد أقبلَتْ عَمْرَةُ من عِرَاقِها مُلْصَقَةَ السَّرْجِ بخَاقِ باقها

قال : وهو إن أرادَ الحِرَ فليس ذلك من أسمائه ، ولكنَّه سَمّاه بذلك ١٠٣

على المزاح .

---

(١) امرأة حياكة تتحيك فى مشيها ، تمشى مفرجة ما بين رجليها . ويصمح من الصماح بالضم ، وهو العرق الكريه الرائحة .

(٢) ط : « الأخثم » وفى سائر النسخ : « الأحم » ، صوابه بالجيم كما فى اللسان (جمم) والمخصص ٢ : ٤٠ . والأجم : قبل المرأة .

(٣) الزيادة من س . وأجمها هى فى الأصل « أحمها » ، والوجه ما أثبت .

(٤) البيت لعروة بن الورد ، كما فى اللسان (شيب وتأم) ولم أجده فى ديوانه بشرح ابن السكيت . يقال : باتت بليلة شيباء : إذا افترعت ليلة زفافها ، ويقال : باتت بليلة حرة : إذا لم تفترع فى تلك الليلة . وفى الأصل : « الشهباء » وهو تحريف صوابه فى اللسان (شيب وتأم) . وانظر المثل فى الميدانى (١ : ٩٠) وثمار القلوب ٥١١ . وفى اللسان : « همت » بدل « هبت » .

قالوا : والظَّبْيَةُ اسم الفَرْج من الحافر ، والجمع الظَّبيات . وقد استعاره أبو الأخزر[1] فجعله للخُفّ فقال :

ساوَرَها عنـدَ القَرُوءِ الوحم في الأرض ذات الظّبيات الجحم

وقد قال الأوَّل :

فجاء بغُرمولٍ وفلك مُدَمْلَك فَخَرَّقَ ظَبْيَيْها الحِصانُ المُشبِّقُ

وهو من الظِّلف والخُفّ الحيا ، والجمع أَحيية . وهو من السبع ثَفْر ، وقد استعاره الأَخطلُ للظِّلْف فقال :

جَزَى الله عنّا[2] الأَعْوَرَيْنِ مَلامَةً وعبلة[3] ثَفرَ الثّوْرَةِ المتَضاجِمِ[4]

فلم يرضَ أن استعاره من السَّبُع للبقرة حتَّى جعل البقرة ثورة .

وقد استعاره النَّابغةُ الجَعْـديُّ للحافر ، كما استعاره الأَخطل للظِّلف ، فقال :

بُرِيذنَةٌ بَلَّ البَرَاذين[5] ثَفْرَها وقد شَرِبتْ مِنْ آخر الليل أُيَّلاَ

(١) ط : « الأحرز » س « الأحزر » وصـوابه ما أثبت . وهو أبو الأخزر الحمانى، أحد رجاز العرب، واسمه (قتيبة) كما فى اللسان (مادة قجر) .

(٢) كذا . ورواية الديوان ٢٧٧ والكامل ١٥٩ ليبسك والثعالبى فى فقه اللغة ٧٦ : « فيها ».

(٣) فى الكامل : « عبدة » وفى فقه اللغة واللسان - مادة ضجم - « فروة » قال ابن منظور : « وفروة : اسم رجل » .

(٤) المتضاجم : المعوج الفم ، كما فى اللسان : وقال أبو الحسن فى شرح الكامل : « المتضاجم : المتسع » ، ولم يزد على ذلك . وفى الأصل : « المتضاخم » وتصحيحه من المراجع المتقدمة .

(٥) « بريذنـة » مصغـر « برذونة » تصغير ترخيم . ويروى « بريذينـة » كما فى اللسان . وفى س « بل البراذن » . والأيل : جمع آيل ، وهو اللبن الخاثر . ورواية اللسان والمخصص ١٦ : ٩٩ : « وقد شربت من آخر الصيف أيلا » . والبيت يقوله النابغة الجعدى فى هجاء ليلى الأخيلية ، وقبله :

ألا يا ازجرا ليلى وقولا لها هلا وقد ركبت أمراً أغر محجلا

وقد قالوا بِرذونةٌ ، وقال الرَّاجز :

تزَحْزَحى إليك يا بِرذَوْنهْ   إنَّ البراذِينَ إذَا جَرَيْنَهْ(١)

* مَعَ الجيادِ ساعةً أعيَيْنَهْ *

وقد استعاره آخرُ فَجَعَلَهُ للنعجة فقال :

وما عمرُو إلاَّ نَعْجَةٌ ساَجِسِيَّةٌ(٢)   تَحرَّكُ تَحتَ الكَبْشِ والثَّفْرُوَارِمُ

والسَّاجِسِيَّةُ(٣) : ضأنٌ فى تغلب .

وقد استعاره آخرُ فجعله للمرأة فقال :

نحن بنو عَمْرَة فى انتِسابِ   بنتِ سُويدٍ أكْرَمِ الضِّبابِ(٤)

* جِلْدَتَنا من ثَفْرِها المِنْجَابِ(٥) *

ويقال لجُردان الحمار غرمول ، وقد يقال ذلك للإنسان وقضيبِ البعير ، وهو لكلِّ شىء ، ومِقْلم الجمل فقط . ومن السباع العقدة(٦) ، وأصله للكلب والذِّئب . وقال جرير :

إذا رَوِينَ عَلَى الخنزيرِ من سَكَرٍ   نادَينَ ياأعْظَمَ القَسِّينَ جُرْدَانا(٧)

ويقال : صرفت الكلبة صرافا وصِروفا ، وظلعت تظلع ظلوعا .

---

(١) الرجز فى البغال ٣٤١ .

(٢) فى الأصل « شاخسية » والصواب ما أثبت . انظر اللسان (سجس وثفر) والمخصص (٨ : ٢١) . والبيت فى اللسان (ثفر) برواية « تخزل تحت الكبش والثفر وارد » .

(٣) فى الأصل : « والشاخسية » وانظر التنبيه السابق .

(٤) الضباب ، بالكسر : أربعة بطون من بنى كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسل ، وحسيل . العمدة (٢ : ١٥٧) والمعارف ٣٩ .

(٥) جلدتنا : قبيلتنا . المنجاب : المنجب . ورواية اللسان (مادة ثفر) : « جاءت بنا من ثفرها المنجاب » .

(٦) ط « العقرة » وهو تحريف ما أثبت من س . وفى القاموس عند تفسير « العقدة » : « ومن الكلب قضيبه » .

(٧) السكر ، بالتحريك : الخمر أو النبيذ . والقسين : جمع قس بالفتح ، وهو الرئيس من =

١٠٤ وقالوا فى الأمثال: «لا أفْعَلُ حتَّى ينامَ ظالِعُ الـكلاب» أى الصارف. ولم يعرف الأَصمعِىُّ ظلعت الـكلبة بمعنى صَرَفت . واستحرمت ، وأجْعَلت[١] واستجعلت ، واستطارت[٢] . والذئبة فى ذلك كالـكلبة .

قال : ويقال فى السِّباع : قد وَضَعت ، وولَدت ، ورمصَت[٣] مثلَ ما يقالُ للنَّاس والغنم .

(بحث فى المذكر من الحيوان ومؤنثه)

قال : ويقــال كلبة وكلب[٤] ، وذئبة وذئب ، وبِرذون وبرذَونَة . وأنشد :

= رؤساء النصارى فى الدين والعلم . والبيت من قصيدة لجرير ، مطلعها :

بان الخليـل ولو طوعت مـابانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا

يهجو بها الأخطل . وقبل البيت :

ياخزر تغلب ماذا بال نسوتـكم لايستفقن إلى الديرين تحنـانا

(١) فى ط : «جعلت» ، وهى على الصواب فى س .

(٢) يقال «استطارت» كما يقال «استظأرت» . وفى اللســان (طير) : «ويقال أجعلت الـكلبـة ، واستطارت ، إذا أرادت الفحل» . وفى مادة (ظأر) — : «قال أبو منصور : قرأت فى بعض الكتب استظأرت الكلبة بالظاء أى أجعلت واستحرمت» .

(٣) فى الأصل : «رمضت» والصواب ما أثبت . وفى القاموس: رمصت السباع : ولدت . أنظر مادة (رمص) . واست تجد هذه الـكلمة بهذا المعنى فى اللسان .

(٤) فى الأصل : «ويقال فى السباع كلبة وكلب» . . . الخ . وكلمتا «فى السباع» من زيادة الناسخين لاشتباه أول هذه الفقرة بسابقتها .

أَرَيْتَ إذا ما جالت الخَيْلُ جَوْلَةً   وأنتَ على بِرْذَوْنَةٍ غيرِ طائِلِ (١)

ويقال رجل ورجال ، وامرأة ونساء ، وليس لها جمعٌ من واحدها . ويقال بعير وناقة وجمل ، ولا يقال جملة ولا بعيرة ، وقد قالوا رجل ورجلة وشيخ وشيخَة . ويقال كبش ونعجة ، ولا يقال كبشة ، كما لا يقال أسدة (٢) ويقال أسد ولبوة ولبوات ، ويقال ذئبة وذئب (٣) ، وقال الشاعِرُ :

كأنَّهما ضِبْعانَةٌ في مَفَازَةٍ   وذِئْبَةُ مَحْلٍ أمُّ جِرْوَينِ تعسلُ (٤)

ويقال إنسان وإنسانَةٌ ، وسبع وسبعة ، وحمام وحمامة ، وحمار وحمارة ، وسِرْحان وسرحانَة ، وسِيدٌ وسِيدة ، وهِقل وهِقلة ، وإلق وإِلْقَة (٥) ، وقال رؤبة :

* جَدَّ وَجدَتْ إلقَةً من الإلق (٦) *

وزعم أنّه يقال ضبع وضبعة ، وثعلب وثعلبة . وأصحابُنا لا يقولون هذا ويضحكون ممَّن يقولون : ضَبُعة عرجاء . ويقال ثُرمُلة (٧) .

---

(١) أريت بمعنى أرأيت . وفي س « أرأيت » وهو خطأ ، به يبطل الوزن . صوابه في ط . ورواية اللسان : (برذن) « رأيتك إذ جالت » . وفي البغال ٣٤١ : « أريتك » ويقال للشيء الخسيس الدون : غير طائل ، الذكر والأنثى فيه سواد .

(٢) قلت : ذكر صاحب القاموس « الأسدة » في مادتي (لبأ ، ولبو) .

(٣) في الأصل : « ويقال لبوات وذئبة وذئب » ، وقد جعلت نظم الكلام كما ترى . واللبوة مخففة من اللبؤة بالهمز .

(٤) الضبعانة بالكسر : الأنثى من الضباع . وفي ط « مغارة » موضع « مفازة » وفي س « غنسل » مكان « تعسل » . وتعسل : تضطرب في عدوها وتهز راسها . وأما « غنسل » فهو مصحف « عنسل » وهو في الأصل الناقة القوية السريعة .

(٥) السرحان : الذئب ، وكذلك السيد بالكسر . والهقل بالكسر : الفتى من النعام . وفي الأصل : « مقل ومقلة » وهو تحريف . والإلق بالكسر : الذئب .

(٦) ديوان رؤبة ١٠٧ . وانظر الحيوان ٦ : ٣١٤ وأراجيز البكري ص ٣٣ .

(٧) الثرملة : الأنثى من الثعالب .

ويقال من الفراخ فرخ وَفرخة ، ومن النمور نَمِرو نَمِرة . قال : ويقال ذِيخٌ وذِيخَةٌ(١) ، وضِبْعان وَضِبْعانَةٌ ، وجيأل وجَيْألة(٢) . ويقال عقرب وعَقرَبَة . والعُقْرُبان الذَّكر وحدَه . وقال الشاعِرُ(٣) :

كأنَّ مَرْعى أُمِّكُمْ إِذْ غَدَتْ عَقْرَبَةٌ يكُومُها عُقْرُبان(٤)

ومن الضفادع ضفدَع وَضفدَعَة ، ومن القنافذ قُنفُذ وقُنفذة ، وشَيْهَم وشَيهمةٌ(٥) ، ومن القرود قرد وقردة .

ويقال إِلْقة وقِشَّة(٦) ، ولا يقال إِلْق وقِشّ ، ويقال لولد القرد رُبَّاح والأُنثى إلقة . وقالَ الشَّاعِرُ(٧) :

وإِلْقَــةٌ تُرغِث رُبَّاحَهَا والسَّهْلُ والنَّوفَلُ والنَّضْرُ(٨)

---

(١) هما الذكر والأنثى من الضباع .

(٢) هما فى معنى سابقتيهما .

(٣) هو إياس بن الأرت الطائى كما فى الحيوان (٤ : ٢٥٩) والحماسة (٢ : ٢٠٢) واللسان (عقرب) .

(٤) مرعى : اسم أمهم ، كما فى اللسان . ويكومها : يخالطها . و « إذ غدت » هى فى الأصل : « إذا غدت » وبهذا يختل الشعر ، وهو من السريع . ويروى « إذ بدت » كما فى اللسان والحماسة . ويروى : « سوءة » كما فى الحيوان (٤ : ٢٥٩) . وانظر ياقوت (رسم العقربة) . وبعد البيت :

إكليلها زول وفى شولها وخز أليم مثل وخز السنان

كل عدو يتقى مقبلا وأمكم سورتها بالعجان

(٥) الشيهم : العظيم من القنافذ .

(٦) الإلقة : الذئبة . والقشة ، بالكسر : الصغيرة من إناث القرود .

(٧) هو بشر بن المعتمر . وستأتى قصيدة البيت فى (٦ : ٢٨٤ - ٢٩١) .

(٨) ترغث : ترضع . وهى فى ط : « نزعت » وفى س « نزغت » وهما محرفتان . وانظر اللسان (ربح) . السهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . وهذه الأخيرة هى فى الأصل « النمر » وتصحيحها من اللسان والحيوان (٦ : ٢٨٥ ، ٣١٣) .

ومِن النعام هِقل وَهِقلة[١] ، وهَيق وهَيقَةٌ[٢] ، وصَعل وصَعلة[٣] ، وسفَنَّج وسفَنَّجة[٤] ، ونعامٌ وَنعامة[٥] ، والواحد من فراخها الرأل والجمع رئال [ورِئلان[٦]] وأرآل[٧] وأرؤل ، والأُنثى رألة ، وحفّانَةٌ والجمع حَفّان ، وقد يكون الحَفّان[٨] أيضًا للواحد . ويقال لها قِلاص والواحدة قلوص[٩] ولايقال قَلوصة ، ويقال ظليم ولا يقال ظَليمة ، ويقال نِقْنِق ولا يقال نِقنِقة[١٠] . ١٠٥

ويقال من الأَرانب أرنب ولا يقال أرنبة ، والذكر خُزَز . ويقال للأُنثى عِكْرِشة ولولدها خِرْنِق . ويقال هذه أرنب وهذه عقاب ، ولا يقال هذا الأَرنب ولا هذا العقاب . وقال الشَّمَّاخ :

فما تنفكُّ بين عُويرِضـــاتٍ تجرّ برَأسِ عِكْرِشَةٍ زَمُوعِ[١١]

---

(١) انظر التنبيه رقم (٦) من ص ٢٨٥ .

(٢) هما بمعنى سابقتيهما .

(٣) الصعل من النعام : الدقيق الرأس والعنق .

(٤) السفنج : الخفيف من النعام .

(٥) نعام : يقع على الجنس وعلى الواحد أيضا ، كما هنا وكما فى القاموس .

(٦) الزيادة من س . ومثله فى القاموس والدميرى واللسان .

(٧) ط : « رال » وتصحيحه من س .

(٨) وردت هذه الكلمة وأختاها بالقاف فى ط ، وصوابه بالفاء كما فى س .

(٩) القلوص يقال للإبل كما يقال للنعام .

(١٠) النقنق : الظليم . أى الذكر من النعام . وفى الأصل: « ويقال نفيق ولا يقال نفيقة » وهو تصحيف ما أثبت .

(١١) يصف عقابا تقتنص الأرانب اقتناصاً . والزموع : الأرنب قد تدلت فى أرجلها الزمعات : شعرات فى مؤخر أرجلها . وقد استعمل (بين) وهى لاتكون إلا بين اثنين أو أكثر ؛ لأنه أراد بين نواحى ذلك المكان المسمى « عويرضات » وقد أتى الجاحظ بالبيت شاهداً على تأنيث كل من الأرنب والعقاب .

قال ويقال لولد الكلب جروٌ والأُنثى جروة ، وهو دِرْص والجمع أدراص، ويقال لمن عضّه الكلْبُ الكَلِبُ : بالَ كأدراص الكلاب .

(بدء الإبصار عند أولاد السباع)

وجرو الكلب يكون أعمى عَشرةَ أيّام وأكثَر ، وقد يعرِض شبيهٌ بذلك لكثيرٍ من السِّباع .

(استطراد لغوى)

ويقال بصبص الجروُ وفقّح[1] وجصّص ، إذا فتح عينيه شيئاً . وصأصأ إذا لم يفتح عينيه[2] . ولذلك قَال عبد الله بن جحش[3] ، والسَّكران ابن عمرو[4] ، للمسلمين ببلاد الحبشة : « إنّا فَقّحنا وصأصأتم[5] ». قَال بعض الرُّجاز[6] فى بعض الصِّبيان :

---

(١) ط : « وفتح » وصوابه فى س .

(٢) فى القاموس : « صأصأ الجرو : حرك عينيه قبل التفتيح أو كاد يفتحهما » .

(٣) س : « عبيد الله بن جحش » . وعبد الله وعبيد الله أخوان هاجرا معا إلى بلاد الحبشة . السيرة ٢١٠ جوتنجن ، وقد ترجم ابن حجر لعبد الله فى الإصابة . وقد تزوج الرسول أختهما زينب بنت جحش . وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه .

(٤) هاجر السكران إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فمات بها ، فتزوج الرسول بعده زوجته سودة بنت زمعة . الإصابة ٣٣٣٠ والسيرة ١٠٠١ جوتنجن .

(٥) انظر اللسان (صأصأ) ومقاييس اللغة (صأ) .

(٦) ط : « ثم قال بعض الرجاز » ، والوجه ما أثبت من س . وفى الأغانى (٤ : ٤٢) أن صاحب الرجز الآتى هو الأحوص . يهجو نفسه ويذكر حوصه — أى ضيق عينيه — وفى الحيوان (١ : ٢٥٤) أنه أبو الأحوص .

أَقبِحْ بِهِ مِنْ وَلَد وأَشْقِحِ مثْلَ جُرَىِّ الكلْبِ لم يفقِّح(١)
إِنْ يَسْرِ سارٍ لم يَقُمْ فيَنْبَحِ(٢) بالبابِ عِنْدَ حاجةِ المستَفْتِحِ

ويقال لولد الأَسد جرو وأجراء وجِراء ، وهي لجميع السباع ، ويقال له خاصَّةً : شِبْل . والجمع أشبال وشُبول . وقال زُهير :

ولَأَنتَ أَشْجَعُ حِينَ تتَّجِهُ الـ ـأبطالُ مِنْ لَيْثٍ أبى أَجْرٍ(٣)

(خبث الثعلب)

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : تعجَّبَ أخٌ لنا من خُبث الثَّعلب ، وكان صاحبَ قَنص ، وقالَ لى ما أعجب أمر الثعلب ! يفصل بين الكلب والكلّاب ، فيحتالُ للكلَّاب بما يعلم أنّه يَجوز عليهِ ، ولا يحتال مثل تلك الحيلة للكلب ؛ لأنّ الكلب لا يَخفى عليه الميِّت من المغشِيِّ عليه . ولا ينفع عنْدَه التَّماوُت . ولذلك لا يُحمل مَن مات من المجوس إلى النَّار(٤) حتى يُدْنَى منه كلبٌ ؛ لأنّه لا يَخفى عليه مغْمُور الحِسِّ أحَيٌّ هُوَ أو ميت(٥). وللكلب عند ذلك عملٌ يستَدِلُّ بِهِ المجوس .

---

(١) فى الأصل : « مثل جرو » ، والوجه ما أثبت من الأغانى والحيوان (١ : ٢٤٤) .
(٢) انظر الرواية فى الجزء الأول من الحيوان . والشعر يصح فيه أن يقرأ بإسكان الروى أو كسره .
(٣) أجر : جمع جرو .
(٤) فى الجزء الأول ص ٣٧٥ : « إلى الناووس » ، بمعنى القبر .
(٥) ط : « أهوحى أو ميت » وأثبت مافى س .

قال : وذلك أنِّى هَجَمْتُ على ثعلبٍ فى مَضيق ، ومعى بُنَىٌّ لى ، فإذا هو ميِّتٌ منتفِخٌ ، فصدَدْت عنه ، فلم ألبَثْ أن لحِقتنى الكلاب ، فلمَّا أحسَّ بها وثَب كالبرق ، بعد أن تحايَدَ[1] عن السَّنن ، فسألت عن ذلك فإذا ذلك من فِعــلِه معروفٌ ، وهو أنْ يستلقىَ وينفخَ خواصرَه ويرفعَ

١٠٦ قوائمه ، فلا يشكُّ مَن رآه من الناس أنَّه ميِّت منذُ دهر ، وقَدْ تَزكَّرَ بالانتفاخِ بدنُه ، فكنتُ أتعجَّب مِنْ ذلك[2] ، إذْ[3] مررْتُ فى الزُّقاق الذى فى أصل دار العبّاسيّة ومنفَذه إلى مازن ، فإذا جرو كلبٍ مهزولٌ سَيِّئُ الغذاء ، قد ضربه الصِّبيان وعقَروه ففرَّ منهم ودخل الزُّقاق ، فرمى بنفسه فى أصل أُسطُوانة[4] وتبِعوه حتَّى هَجَمُوا عليه ، فإذا هو قد تَمَاوَتَ[5] فضربوه بأرجلهم فلم يتحرَّكْ فانصرفوا عنه . فلمَّا جاوَزُوا تأمَّلت عينَه فإذا هو يفتَحُها ويُغمِضها ، فلمَّا بعدُوا عنه وأمِنَهم عدَا ، وأخذَ فى غير طريقهم فأذهَبَ الذى كان فى نفسى للثَّعلب ؛ إذ كان الثَّعلب ليس فيه إلاَّ الرَّوَغانُ والمكر ، وقد ساواه الكلبُ فى أجودِ حِيلِهِ .

---

(١) فى الأصل : « تحاير » .

(٢) تزكر : عظم . وفى ط : « وقد أتذكر انتفاخ بدنه فأتعجب من ذلك » وأثبت ما فى س .

(٣) ط : « إذا » .

(٤) فى الأصل : « أصطوانة » ، وإنما هى بالسين كما فى اللسان والقاموس .

(٥) فى الأصل : « تمرد » ووجهه ما أثبت .

(مقايسة بين الثعلب والكلب)

ومع الكلب بعدُ ماليس مَعَهُ ، إلاَّ أنْ يُفخَر بفروته[١] فى موضع انتفاع النّاس به ؛ فجعْر الكلب للذُّبحة أنفع منه ، إذ كان فى الذُّبحة الموت وليس يقوم مقامه شىءٌ . وجلد الثّعلب منه عِوَض[٢] .

(قول صاحب الديك فى الكلاب)

قال صاحب الديك : شِرارَ عِباد الله مَن قتلَ أولادَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، ولم نجدْ شعراءَ النّاس شبّهوا أولئك القاتلين بشىءٍ سوى الكلاب . قال أبو نضلة الأبّار ، فى قتل سلم بن أحوز المازنىّ ، صاحب شرطةِ نَصْرِ بن سيّار اللّيثى ، يحيى بنْ زَيدٍ[٣] وأصحابَه ، فقال :

ألم تر لَيثاً ما الذى خَتَمتْ بهِ ... لها الوَيْلُ فى سُلطانِها المتخاذلِ[٤]
كلابٌ تعاوَتْ لاهَدَى الله سُبْلَها ... فجاءتْ بصَيدٍ لا يحلُّ لآكل[٥]
بنفسى وأهلى فاطمىٌّ تقنَّصوا ... زَمانَ عَمًى مِنْ أمّةٍ وتخاذُل
لقد كشفت للنّاس ليثٌ عن استها ... وغابَ قَبيلُ الحقِّ دُونَ القبائِلِ

---

(١) أى فروة الثعلب .

(٢) أى يستعاض عنه بجلد غيره .

(٣) هو يحيى بن زيد بن على بن الحسين ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار على بنى مروان وقتل فى الجوزجان سنة ١٢٥ : أصابه سهم من رجال سلم بن أحوز فأرداه قتيلا ، فصلب بالجوزجان ، ولم يزل مصلوبا ، حتى ظهر أبو مسلم واستولى على خراسان ، فأنزله وصلى عليه ودفنه .

(٤) أراد بليث القبيلة .

(٥) يعنى قتلى العلويين .

قال صاحب الديك : وروى هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : لم يكونُوا ينْهَوْنَناَ عن شيءٍ من اللعب ونحنُ غِلمانٌ إلاَّ الـكلاب .

(التقامر بالبيض)

وذكر محمَّد بن عجلان المدنىّ[1] عن زيد بن أسلم[2] ، أنّه كان لا يرى بأساً بالبيض الذى يتقامر بِهِ الفتيان ، أن يُهدَى إليــه منه شيء أو يشتريَه فيأكله .

وهشام بن حسَّان[3] قال : سئل الحسن عن البيض يلعَب بِهِ الصِّبيان يشتريه الرجل فيأكله ، فلم ير بِهِ بأساً وإن أطعموه أن يأكل منه ، والجوز الذى يلعب بِهِ الصِّبيان .

وحاتم بن إسماعيلَ الـكوفىُّ قال : حدّثنا عبـد الرحمن بن حَرْمَلة ، عن سعيـد بن المسيّب ، أنّه لم يكن يرى بأسًا بالبيض الذى يلعب به الصِّبيان .

(١) ط : « محمد بن العجلان المدائنى » ، وهو تحريف ، وإنما هو مدينى . ذكره ابن حجر فى تقريب التهذيب وقال : « صدوق إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبى هريرة . . . مات سنة ثمان وأربعين » ، أى ومائة ، كما هو اصطلاح ابن حجر . وفى النسبة إلى مدينة رسول الله كلام ذكره ياقوت فى معجمه .

(٢) زيد بن أسلم العدوى مولى عمر ، أبو عبد الله ، أو أبو أسامة المدنى ، ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب .

(٣) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدى القردوسى ، روى عن الحسن ومحمد بن سيرين وعكرمة وهشام بن عروة ، وعنه سعيد بن أبى عروبة والحمادان والسفيانان . توفى سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب .

(قتل الحيات والكلاب)

قال : وحدَّثنى ابن جُريج قال ، وأخبرنى عبد الله بن عُبيد بن عمير ١٠٧
قال : أخبرنى أبو الطفيل أنّهُ سمع عليَّ بنَ أبى طالب يقول : اقتُلوا [من][(١)] الحيَّات ذا الطُّفْيتين[(٢)] ، والكلبَ الأسودَ البهيم ذا الغُرَّتين[(٣)] .

قال : والغُرَّةُ[(٤)] : حُوَّة تكون بعينيهِ[(٥)] .

(قول صاحب الكلب فى صقاع الديك)

قال صاحب الكلب : قد أخبرنى أبو حرب عن منصور القصَّاب ، قال : سألت الحسن عن البيض الذى يتقامرون بِهِ ، فكرِههُ .

وما رأينا قطُّ أحَدًا يريد الادِّلاج ينتظر صُقَاعَ الدِّيك[(٦)] . وإنَّما يوالى الدِّيك بين صياحه قُبيل الفجر ثمَّ مع الفجر إلى أنْ ينبسط النهار ؛ وفيما بين الفَجْر وامتدَادِ النهار لايحتاج النَّاس إلى الاستدلال بأَنْ يصوِّت الديك[(٧)] . ولها فى الأسحار أيضاً بالليل الصَّيْحة والصَّيحتان ، وكذلك

---

(١) زيادة يقتضيها الكلام .

(٢) الطفيتان : خطان أسودان فى ظهر الحية . وانظر ٦ : ٢٢٤ .

(٣) فى الأصل : « العزتين » ، والصواب ما أثبت ، كما فى النهاية لابن الأثير ، واللسان .

(٤) فى الأصل : « والعزة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى النهاية واللسان ، أن الغرتين نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

(٦) الادلاج : افتعال من ادلج بتشديد الدال ، أى سار من آخر الليل ، وهو المراد هنا . والإدلاج : إفعال من أدلج السير من أول الليل ، وليس مراداً . وصقاع الديك : صياحه .

(٧) فى الأصل : « لأن يصوت الديك » وصوابه ما أثبت .

الحمار . عَلَى أنّ الحمارَ أبعدُ صوتاً ، وأجدر أنْ ينبِّه كلَّ نائمٍ لحاجةٍ إن كانتْ له[١] . وما رأينا صاحبَ سَحُورٍ يستعمله[٢] ، وكذلك صاحب الأذان ، وما رأيناه يتَّكل فى وقتِ أذانِه عَلَى صياحِ الدِّيك ، لأَنّ صورَةَ صوتِه ومقدارَ مَخرجِهِ فى السَّحَر الأَكبر كصياحِهِ قبلَ الفجر . وصياحَهُ قبلَ الفجر ؛ كصياحِهِ وقد نوَّر الفجْرُ وقدْ أضاء النهار . ولو كان بين الصيحتين فرقٌ وعلامةٌ كانَ لعمرى ذلك دليلاً . ولـكِنَّهُ مَن سمع هُتافهُ وصُقاعَهُ فإنَّما يفزع إلى مواضع الـكواكب ، وإلى مطلع الفجر الكاذب والصادق .

والديك له عِدَّةُ أصواتٍ بالنَّهار لايغادر منها شيئاً ؛ ولتلك أوقاتٌ لايحتاج فيها النَّاس إليهِ . وملو كُنا وعلماؤنا يستعملون بالنَّهار الأَسْطُرلابات[٣] وبالليل البَنكامات[٤] ، ولهم بالنّهار سوى الأسطرلاباتِ[٥] خطوطٌ وظلٌّ يعرفون بِهِ مامَضى من النهار وما بقى . ورأيناهم يتَفَقَّدُون المطالع والمجارِىَ . ورأينا أصحابَ البَساتين [و][٦] كلّ مَنْ كان بقُرب الرِّياض ، يعرفون ذلك بريح الأَزهار . ورأينا الرُّومَ وَنَصَارى القُرى يَعرفُون ذلك بحركاتِ الخنازير وبِبُكُورها وغدوِّهَا وَأصواتها ؛ ولذلك قالوا فى وَصف الرجل : له

---

(١) فى الأصل : « وأجدر على أن ينبه » الخ . والوجه حذف « على » .

(٢) أراد بصاحب السحور من يتـكفل إيقاظ الناس للسحور .

(٣) مر القول فى الأسطرلاب ص ٢٥٥ من هذا الجزء . وفى س : « الأصطرلاب » .

(٤) فى الأصل : « المنكابات » . وانظر الاستدراكات .

(٥) فى الأصل : « الأصطرلابات » .

(٦) زدتها لحاجة القول إليها .

وَثْبة الأسد، وروَغان الثعلب، وانسلاب الذِّئب(١) وَجمْع الذرّة(٢) وبُكور الخِنزير. والرَّاعى يعرف ذلك فى بكور الإبل وفى حنينها وغيرِ ذلك من أمرها.

وللحَمام أَوقاتُ صياحٍ ودُعاءٍ مع الصُّبح وقُبيلَ ذلك على نسَق واحد، ولـكنَّ النَّاس إنَّما ذكروا ذلك فى الدِّيك والحمار، لامتداد أصواتهما.

(هديل الحمام)

وهديلُ الحمامِ ودعاؤه لايجُوزُ بعيداً(٣)، إلاَّ ماكان من الوراشين(٤) والفَواختِ فى رءُوس النَّخل وأعالى الأشجار، فلَعمرْى إنَّ ذلك لمـا يُسمَع من موضعٍ صالح البعد. ١٠٨

(مايصيح من الطير مع الفجر والصبح)

وللعصافير والخطاطيفِ وعامَّة الطَّير، ممَّا يصفِر أو يُصرصِر(٥)، وممَّا يهدِل مع الفجر إلى بُعيدِ ذلك — صِياحٌ كثير. ثمَّ الذى لايدع الصِّياح

---

(١) انسلاب الذئب: انفلاته وسرعة عدوه. وفى س: «استلاب الذئب» من السلب بمعنى النهب، وهو الموافق لما فى الجزء الأول ص ٣٠٣.

(٢) ط: «الذر». والذرة: الواحدة من الذر، وهن ضرب من النمل أحمر صغير.

(٣) لايجوز بعيداً: لاينتهى إلى مدى بعيد.

(٤) الوراشين: جمع ورشان، وهو ضرب من الحمام. وفى ط: «الوارشين» وهو على الصواب فى س.

(٥) فى اللسان: «صرصر الطائر: صوت. وخص بعضهم به البازى والصقر».

فى الأسحار مع الصبُّح أبداً الضُّوَع[1] ، والصَّدَى[2] ، والهامَة ، والبُومةوهذا الشَّكلُ من الطَّير . وقد كتبْنا فى غير هــذا الموضعِ الأشعارَ فى ذلك[3] .

قال : وقد يصيح مع الصُّبح البُوم ، والصدى[2] والهام ، والضُّوَع[1] والخطاطيف ، والعصافير ، والحُمَّرُ[4] فى ذلك الوقت أكثَرَ من الدِّيَكة .

قال الوليدُ بن يزيدَ فى ذلك :

سُلَيمى تِيكَ[5] فى العــير ... قفى إنْ شئتِ أوْ سِيرِى
فلما أنْ دَنا الصُّبحُ ... بأصــواتِ العَصَـافــيرِ

وقال كلثوم بن عمرو العَتّابىّ[6] :

ياليلةً لى بحُوّارِينَ ساهرةً ... حتَّى تكلَّمَ فى الصُّبْحِ العَصافيرُ[7]

---

(١) ط : « الصوع » س : « الصوغ » ، وإنما هو « الضوع » ، وهو طائر ليلى من جنس البوم .

(٢) الصدى ، بالقصر : ذكر البوم . وفى الأصل : « الصداء » بالمد ، وهو تحريف ، وقد جاء على الصواب فى الصفحة التالية .

(٣) انظر ص ٢٩٩ — ٣٠٠ من هذا الجزء .

(٤) الحمر : ضرب من الطير كالعصفور . وفى الأصل : « الحمير » ، وهو تحريف لاوجه له .

(٥) ط : « تبك » والصواب فى س . و « تيك » بمعنى « تلك » .

(٦) كلثوم بن عمرو العتابى : شاعر مترسل بليغ مطبوع مقدم ، من شــعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة فوصفوه للرشيد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . وهو من أحفاد أحفاد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . انظر الأغانى ١٢ : ٢ — ٩ وتاريخ بغداد ٦٩٦١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ — ٣١ . وفى ط : «كلثوم أبو عمرو العتابى»، وهى على الصواب فى س .

(٧) حوارين بالضم وتشديد الواو ، من قرى حلب ، وحصن من ناحية حمص . وفى ط : « فى حوران » وهى بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد أثبت رواية س . وقد استعمل الكلام فى معنى الصياح . مثله قول الآخر :

فصبحت والطير لم تكلم ... جابية حفت بسيل مفعم

فالعَصافير والخطاطيف والحُمَّر(١) والحمام والضُّوعان(٢) وأصناف البوم كلُّهاتقوم مَقام الديك . وقال ثَعْلبة بن صُعَير المازنىّ(٣) :

أُعُمَيْرَ مايُدريكِ أنْ رُبَّ فِتْيةٍ بيضِ الوَجوهِ ذوى ندًى ومآثرِ(٤)
حَسَنِى الفُكاهةِ لاتذمُّ لحامُهُم سَبْطِى الأكُفِّ لدى الحروب مساعرِ(٥)
باكرْتُهُمْ بسِباء جَوْنٍ مُتْرَعٍ قَبْلَ الصَّباحِ وقَبْل لغوِ الطائرِ(٦)

(صوت الديك وما قيل فيه من الشعر)

قال : ويقال لصوت الدِّيَكة الدُّعاء ، والزقاء ، والهُتاف ، والصُّراخ ، والصُّقاع . وهو يهتِف ويَصقَع ويزْقُو ويصرُخ . وقال جِرانُ العَوْد(٧) :

---

(١) فى الأصل : « والحمير » . وانظر الصفحة السابقة .

(٢) فى الأصل : « الصوغان » ، وهو تحريف ، وأراد بالضوعان جمع الضوع : الطائر الليلى ؛ والقياس فى الجمع « ضيعان » كما فى اللسان والقاموس .

(٣) ثعلبة بن صعير شاعر جاهلى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة . والأبيات الآتية من قصيدة مفضلية (المفضليات ١٢٨) مطلعها :

هل عند عمرة من بتات مسافر ذى حاجة متروح أو باكر

(٤) قد خفف باء « رب » كما ترى . والرواية فى المفضليات : « أسمى مايدريك » والوجه رواية الجاحظ . « وعمير » تصغير ترخيم لـ « عمرة » .

(٥) فى الأصل : « حسن الفكاهة » والوجه ماأثبت من المفضليات . وفى ط : « لاتذم كما هم » وهو تحريف صوابه فى س ، والمفضليات ، وهذا كناية عن الكرم وطيب القرى . وفى الأصل : « سبط الأكف » وتصحيحه من المفضليات . والمساعر : جمع مسعر ، وهو الذى يوقد نار الحرب ويؤرثها . وفى المفضليات : « وفى الحروب مساعر » فيكون فى البيت إقواء .

(٦) سباء : شراء . جون مترع : يعنى زقا أسود ممتلئا خمراً . ويصح أن يكون السباء فى معنى الخمر نفسها ، فالسباء الخمر كما فى القاموس .

(٧) من قصيدة مطولة مثبتة فى ديوانه ١٣ - ٢٤ والأبيات الآتية فى ص ١٧ . وقبل هذه الأبيات ما يرتبط بمعناها :

وقالت لنا والعيس صعر من البرى وأخفافها بالجندل الصم تقذف
وهن جنوح مصغيات كأنما براهن من جذب الأزمة علف
حمدت لنا حتى تمناك بعضنا وأنت امرؤ يعروك حمد فتعرف
رفيع العلا فى كل شرق ومغرب وقولك ذاك الآبد المتلقف
وفيك إذا لاقيتنا عجرفية مراراً وما نستيع من يتعجرف

تميلُ بك الدنيا ويَغْلُبك الهوى كما مَالَ خَوَّارُ النَّقا المتقصف[1]
ونُلْغَى كأنَّا مَغْنَمٌ قد حويته وترغَبُ عن جَزْلِ العَطاءِ وتَصْدِفُ[2]
فموعِدُكَ الشَّطُّ الذى بينَ أهلِنا وأهلِكَ حتَّى تسمَعَ الديكَ يهتِفُ

وقال المزَّقُ العَبْدىُّ :

وقَدْ تَخِذَتْ رجلاىَ فى جَنْبِ غَرْزِها
نَسِيفاً كأُفحوصِ القَطَاةِ المطرِّقِ[3]
أُنيختْ بجوٍّ يصرُخ الديك عندَها وباتَتْ بِقاعٍ كادِئ النبت سَمْلَقِ[4]

١٠٩ وقال لَبيد :

لَدُنْ أن دعا ديكُ الصَّباح بسُحرَةٍ إلى قدر وِرْدِ الخامِس المتأوِّبِ

(طيور الليل)

ويقال للطائر الذى يخرجُ من وَكره باللَّيل البومة والصَّدَى والهامة والضُّوَع[5] والوَطواط والخُفَّاش ، وغُراب اللَّيل ، ويصيدُ بعضها الفأرَ[6]

---

(١) خوار النقا المتقصف : الرمل اللين السهل ، الذى ينهاث من لينه ونعومته . وفى الأصل : « جوان الفتى المتقصف » وهو تحريف أصلحته من الديوان .

(٢) فى الديوان : « ونلقى » ، قال العسكرى : « من اللقاء » . وفيه « وتسرف » موضع « وتصدف » ، ورواية الجاحظ هنا أشبه .

(٣) الغرز : ركاب الرحل من جلد . والنسيف : أثر ركض الرجل بجنبى البعير إذا انحص عنه الوبر . والقطاة المطرق : التى حان خروج بيضها . والأفحوص : مجثمها .

(٤) الجو : المنخفض من الأرض . وكدأ النبات : أصابه البرد فلبده فى الأرض ، أو أصابه العطش فأبطأ نبته . وفى الأصل : « كارى النبت » ، والوجه ماأثبت . والقاع السملق : الأرض المستوية الجرداء .

(٥) س : « الصوغ » ، وهو تصحيف .

(٦) فى الأصل : « يصيد بعضها والفأر » .

وسامَّ أبرصَ والقَطا وصِغارَ الحشرات ، وبعضُها يصيد البعوضَ والفرَاش وما أشبَه ذلك . والبُوم يدخل بالليل على كل طائرٍ فى بيته ، ويُخرجه منه ويأ كُلُ فِراخه وبَيضَه . وهذه الأسماء مشترَكة .

(ماقيل من الشعر فى الهامة والصدى)

وقال خزيمة بن أسْلم :

فلا تَزْقُوَنْ لى هامةٌ فوقَ مَرْقَبٍ فإنَّ زُقاءَ الهامِ أخبَثُ خابِثِ (١)

وقال عَبد الله بن خازم (٢) أو غيره (٣) :

فإنْ تكُ هَامَةً بهَـرَاةَ تَزْقُو فَقَدْ أزْقَيْتَ بالمَرْوَينِ هَاما (٤)

وقال تَوْبَة بن الحمير (٥) :

ولو أنَّ ليلَى الأخْيَلِيَّةَ سَلَّمتْ عَلَيَّ ودُونى جَنْدَلٌ وَصفائحُ

لَسلَّمتُ تسليمَ البَشاشةِ أوزَقا إليها صَدًى مِنْجَانبِ القَبْرِ صائحُ

---

(١) انظر مثل هذا البيت مع قرين له فى بلوغ الأرب (٢ : ٣١٢) .

(٢) هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمى البصرى ، أمير خراسان ، ولى إمرتها لبنى أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ، فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . فى الأصل : « عبد الله بن حازم » ، مصحف . والبيت يقوله فى ابنه محمد الذى قتله شماس ابن دثار العطاردى بهراة . (المخصص ٨ : ١٦٢ والأمالى ٣ : ٣١) .

(٣) يروى البيت لابن عرادة ، كما فى الأمالى .

(٤) المروان يعنى بهما مرو الشاهجان ومرو الروذ بخراسان .

(٥) هو صاحب ليلى الأخيلية . كان بينهما حب مشهور ، ولما قتل رثته بمراث كثيرة جيدة . انظر لها الأغانى (١٠ : ٧١ — ٧٤) وحماسة البحترى (٤٢٣ — ٤٢٦) .

وقال الرَّاجز :

وِمَنْهَــلٍ طامِسَـــةٍ أَعْلاَمُهُ يَعْوِى بِهِ الذِّئْبُ وَيَزْقُو هامُه

وأنشدنى فى الصَّدَى(١) :

تجشَّمتُ مِنْ جرَّاكِ والبُومُ والصَّدَى

له صائح أنْ كنْتِ أسْرَيتِ مِنْ أَجْلى

وقال سُوَيد بن أبى كاهل(٢) فى الضَّوَع(٣) :

لَنْ يَضِرْنى غيْرَ أنْ يَحْسُدَنِى فَهْوَ يَزْقُو مِثْل مَا يزْقُو الضَّوَعْ

قال : فى قراءة ابن مسعود : ﴿إنْ كانتْ إلاّ زَقْيَةً وَاحِدةً(٤)﴾ ﴿وَنفخَ فى الزَّقية﴾ يريد الصُّور .

وصَوْتُ الدجاجَةِ القوقأة ، تقول هى تقوقئ .

(شعر فى الدجاج)

وقال أعرابىٌّ :

أَلَيْسَ يَرَى عَيْنَىْ جُبَيرة زَوْجُها وَمَحْجِرَهَا ، قامَتْ عليهِ النَّوائحُ

تنجَّبَها لا أ كْثَرَ اللهُ خَيْرَهُ رُميصاءَقَدْشابَتْعليهاالمَسائـح(٦)

لها أنْفَ خِنزِيرٍ وساقَا دَجَاجَةٍ ورُؤيتها تَرْحٌ من العَيْشِ تارِحُ

---

(١) فى الأصل : « الصداء » ، وهو تحريف نبهت عليه قريباً . ويبدو أن هنا سقطا بعد « وأنشدنى » .

(٢) سويد بن أبى كاهل اليشكرى : شاعر مخضرم ، ترجمته فىابن سلام والأغانى ١١ : ١٦٥ والخزانة ٢ : ٥٤٦ والإصابة ٣ : ١٧٢ والشعراء ٣٨٤ وقصيدته هذه فىالمفضليات ١٩١ .

(٣) س : « الصوغ » وهو تصحيف نبهت عليه . والبيت الآتى من قصيدة مفضلية

(٤) فى المفضليات : « لم يضرنى » .

(٥) أى صيحة واحدة . انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩ .

(٦) تنجبها : اختارها واصطفاها . وفى الأصل : « تجنبها » وهو عكس ما أريد . والرميصاء : التى رمصت عيناها ، أى ظهر بهما القذى . والمسائح : جمع مسيحة وهى الضفيرة ، أو شعر جانبى الرأس .

وقال العُجَير السَّلُولىّ :

لانَوْمَ إلاَّ غِرَارُ العَيْنِ ساهرةً حتَّى أُصيبَ بغيظ آلَ مَطلوبِ [١] ١١٠

إن تَهْجُرونى فقد بدَّلْتُ أيكتَكم ذَرْقَ الدجاج بحفّاز اليَعاقِيبِ [٢]

وقال أبو الأسود الدُّئِلىّ :

ألم تعلما يا ابنَى دَجاجةَ أنَّنى أَغُشُّ إذا ما النُّصْحُ لم يُتَقبَّلِ [٣]

(شعر فى هجاء الدجاج وهجاء من اتخذها)

وقال صاحب الكلب : وسنروى فى الدَّجاج ونذكرُ كلَّ من هجاهَا وهَجا مَنِ اتَّخَذَها وأشبَهَها فى وجهٍ من الوجوه ، قال الراجز :

أقْبَلْنَ من نِيرٍ ومن سُوَاجِ [٤] بالحىِّ قد ملّ من الإدْلاَجِ [٥]

فَهُمْ رَجاجٌ وعلى رَجَاجِ [٦] يمشُون أفْوَاجاً إلى أفْواجِ

---

(١) مطلوب : ماء كان لخثعم ، جنوبى مكة ، وكان العجير دل عبد الملك عليه فاتخذ ذلك الماء ضيعة . وقد يسمى هذا الموضع المعمل . ياقوت (مطلوب ، ومعمل) والأغانى (١١ : ١٤٦) .

(٢) ياقوت : الأيكة : جماعة الأراك، وذلك أنه نزع ووضع مكانه الفسيل . وذرق الدجاج : نجوه ، وفى الأصل « زرق » وصوابه ما أثبت من المعجم والأغانى . واليعاقيب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل . يريد أن الدجاج حل موضع اليعاقيب لتحول تلك الأيكة إلى قرية .

(٣) فى ديوان الفرزدق ٧٠٧ : وقال الفرزدق لعوف بن القعقاع وأخيه :

ألم تعلما يا ابنى أمامة أننى أغش إذا ما النصح لم يتقبل

(٤) النير : جبل . وكذلك سواج . وفى الأصل : « من بر » وتصحيحه من اللسان (رجج ونير) ومعجم البلدان (سواج) حيث يوجد فيهما الرجز . وفى الدميرى (فروج) : « من بئر » محرفة .

(٥) يروى : « بالقوم قد ملوا » .

(٦) الرجاج بالفتح : الضعفاء من الناس والإبل . وفى ط : « فهم دجاج على دجاج » و س : « فهم دجاج وعلى دجاج » وهو تحريف عجيب ، وتصحيحه من اللسان (رجج). قال : أى ضعفوا من السير وضعفت رواحلهم .

* مَشْىَ الفَراريجِ إلى الدّجاجِ (١) *

وقال عبد الله بن الحجّاج (٢) :

فإن يُعْرِضْ أبو العبَّاسِ عَنِّى ويركبْ بى عَرُوضاً عن عَرُوضِ (٣)
ويجعلْ ودَّهُ يوماً لغيرى ويُبْغِضْنى فإنِّى من بَغِيضِ (٤)
فَنَصْرُ اللهِ يأسُو كلَّ جُرْحٍ ويَجْبُر كسْرَ ذى العَظْمِ المهيض (٥)
فِدًى لكَ مَنْ إذا ماجئْتُ يوماً تلقانى بجامعةٍ رَبُوض (٦)
لدى جَنْبِ الخِوان وذاك فُحشٌ وبِئْستْ خُبْزَةَ الشَّيخِ المريض (٧)
كأنِّى إذ فزِعت إلى أُحَيْحٍ فزِعْتُ إلى مُقَوْقِيَةٍ بَيوض (٨)

---

(١) « إلى» هنا بمعنى « مع » ، وبالأخيرة جاءت الرواية فى اللسان والدميرى .

(٢) عبد الله بن الحجاج : شاعر فاتك شجاع ، من معدودى فرسان مضر ، فكان من خرج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً ، خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء الى عبد الملك متنكرا واحتال عليه حتى أمنه ، وهو القائل :

رأيت بلاد الله وهى عريضة على الخائف المطرود كفة حابل
تؤدى إليه أن كل ثنيـة تيممها ترمى إليه بقاتل

الأغانى ١١ : ٢٤ — ٣٢ .

(٣) أبو العباس ، يعنى به الوليد بن عبد الملك ، وكان حبس عبد الله فقال قصيدته هذه فى الحبس .

(٤) يريد بغيض بن ريث بن غطفان ، وهو من أجداد عبد الله ، ولهذا البيت خبر فى الأغانى ١١ : ٢٧ .

(٥) المهيض : المكسور بعد أن كان جبر .

(٦) الجامعة الربوض : السلسلة الضخمة . وفى ط : « ربوص » و س : « ويوض » محرفتان . وهما على الصواب الذى أثبت فى الأغانى .

(٧) فى الأغانى : « دسست بخفة الشيخ المريض »، صواب هذه « وبئست تحفة » .

(٨) أحيح هذا هو ابن خالد بن عقبة بن أبى معيط ، وكان عبد الله قد لجأ إليه ، فسعى به إلى الوليد فأخذه من دار أحيح فحبسه . س : « إذ دخلت على أحيح » ، والوجه ماأثبت من ط والأغانى . ط : « مقوقية ربوض » ، والوجه ما كتبت من س والأغانى . وعنى بالمقوقية الإوزة .

إوَزَّة غَيْضةٍ لَقِحت كشافاً لِفَقْحَتِهَا إذا بَرَكَتْ نَقِيضُ[1]

وقالت امرأة فى زوجها وهى ترقِّص ابناً لها منه :

وُهبتُه من سَلْفَعٍ أَفُوكِ[2] ومن هِبَلٍّ قَدْ عَساَ حَنيكِ[3]

* أَشْهَبَ ذِى رأسٍ كرأسِ الدِّيكِ *

تريد بقولها « أشهب » أنّه شيخ وشعر جسده أبيض وأنّ لحيته حمراء .

وقد قال الشاعِرُ ، وهو الأعشى :

وبنى المُنْذِرِ الأشاهِبِ بالحِيـ ـرَةِ يَمْشُونَ غُدْوَةً كالسُّيوفِ ١١١

وإنما أراد الأعشى أنْ يعظِّم ويفخِّم[4] أمرَهم وشأنهم ، بأنْ يجعلهم شيوخا . وأمّا قولها : « ذى رأس كرأس الدِّيك » فإنّما تعنى أنّه مخضوبُ الرَّأس واللِّحية .

وقال الآخر[5] :

حَلَّتْ خُوَيلةُ فى حَىٍّ مجاوِرَةً أهلَ المدائنِ فيها الدِّيكُ والفيلُ

يقارِعُون رؤُوس العُجْمِ ضَاحِيةً منهم فَوَارِسُ لاعُزْلٌ ولا مِيلُ[6]

---

(١) أصله من لقحت الناقة كشافا : إذا حملت بعد نتاجها . والنقيض : الصوت. ورواية أبى الفرج : « لقحقحها إذا درجت » . والقحقح ، بضم القافين : العظم المطيف بالدبر .

(٢) السلفع : الشجاع الجرئ الجسور . وهو فى الأصل : « سلفك » ، وتصحيحه من اللسان (حنك) .

(٣) الهبل : الثقيل المسن الكبير . وفى الأصل : « هبتل » ، وصوابه فى اللسان . وعسا : كبر . والحنيك : الشيخ . وانظر هذا الجزء ص ٢٣٩ .

(٤) ط : « يفخر » ، س : « يفحم » وهما تحريف ما كتبت .

(٥) هو عبدة بن الطبيب من قصيدة له (فى المفضليات ١٣٥) مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

(٦) العزل : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ، وهو من لا ترس معه ، أو لا سيف ، أو لا رمح ؛ أو الجبان .

قال ابن أحمر :

فى رأس خَلْقَاء من عَنْقَاءَ مُشْرِفَةٍ ... لا يُبْتَغَى دُونَها سَهْلٌ ولا جَبَلُ[(١)]
إلَّا كمثلك فينا غير أنّ لنا ... شوقاً وذلك ممَّا كلّفت جَلَلُ
هَيهاتَ حَىٌّ غَدَوْا من ثَجْرَ مَنْزِلُهُمْ
حَىٌّ بنجرانَ صاحَ الدِّيكُ فاحتملوا[(٢)]

وقال :

أَبَعدَ حُلولٍ بالرِّكاء وجَامِلٍ ... غداً سارحاً مِنْ حَوْلنا وتَنَشَّرا[(٣)]
تبدَّلْت إصطبلا وتَلاًّ وَجَرَّةً ... ودِيكًا إذاما آنسَ الفَجْرَ فرفرا[(٤)]
وبستانَ ذى ثَوْرَيْنِ لا لِينَ عنده ... إذا ما طَغَى ناطُورُه وتَغَشْمَرا[(٥)]

وقال أوس بن حجَر :

كأنَّ هِرًّا جَنِيبًا عِنْدَ مَغْرِضِها ... والتفّ دِيكٌ بِرِجْليها وخِنْزِيرُ[(٦)]

---

(١) الخلقاء : الصخرة الملساء . والعنقاء : الأكمة فوق جبل مشرف .

(٢) ط : « هيهات حتى » و « حتى بنجران » وتصحيحه من س . وفى ط أيضاً : « من بحر » وفى س : « من تجر » ، وصوابهما « ثجر » بالثاء ، وهو ماء قرب نجران ، كما فى معجم البلدان والقاموس . ونجران : موضع من بلاد اليمن .

(٣) الركاء ، بالفتح أو بالكسر : اسم موضع . الجامل : الجمال . وتنشر : تفرق .

(٤) الفرفرة ، بالفاء : الصياح .

(٥) ذو الثورين ، أراد به الزارع . والناطور : حافظ الزرع والكرم والتمر . وتغشمر : بدا منه العنف والجفاء .

(٦) انظر هذا البيت فى الجزء الأول ص ٢٧٧ . وفى الأصل : « وألف ديك » ، وهو من عجيب التحريف .

وقال الحكَم بن عَبْدل :

مَرَرْتَ على بَغْلٍ تَزُفُّكَ تِسعةٌ (١)   كأنَّك ديكٌ مائلُ الرَّأسِ أعوَرُ

تخـيَّرتَ أثواباً لِزِينةِ مَنْظَرٍ   وأنتَ إلى وجهٍ يَزِينُك أَفْقَرُ

وقال النَّمِر بن تَولب :

أَعِذْني رَب مِنْ حَصَرٍ وعِيٍّ   ومِنْ نَفْسٍ أُعالِجُهَا عِلاجَا

ومن حاجاتِ نفْسى فاعصِمَنّى   فإنَّ لمُضْمَراتِ النَّفْسِ حَاجَا (٢)

وأنتَ وليُّها وبرئتُ منها   إليكَ وما قَضَيْتَ فلا خِلاجَا (٣)

وأنتَ وَهَبْتَها كُومًا جِـلاداً   أرجِّى النَّسْلَ منها والنِّتاجَا (٤)

وتأمرُني رَبيعةُ كلَّ يومٍ   لأشرِيَها وأقتَنِيَ الدَّجاجَا (٥)

وَما تُغْنِي الدَّجَاجُ الضَّيفَ عنِّى   وليس بنافِعِي إلَّا نِضَاجَا (٦) ١١٢

أأُهْلِكُها وقد لاقَيتُ فيها   مِرَارَ الطّعنِ وَالضَّرْبَ الشِّجَاجا (٧)

---

(١) ط : « تزفك نعسة »، وأثبت ما فى س وكتاب البغال للجاحظ . ورواية اللسان (زين) :

أجئت على بغل تزفك تسعة   كأنك ديك مائل الزين أعور

والزين : العرف ، كما فى اللسان .

(٢) الحاج : جمع حاجة .

(٣) الخلاج هنا : بمعنى الاعتراض .

(٤) الكوم : جمع كوماء ، وهى الناقة العالية السنام . والجلاد : الصلاب الكبار .

(٥) لأشريها : لأبيعها . وهى فى الأصل : « لأشربها » ، مصحفة . وفى الخزانة ٤ : ٣٧٦ بولاق : « لأهلكها »، بفتح لام التعليل ، لغة لبنى العنبر .

(٦) رواية اللسان : « ولاينفعنى إلا نضاجا » . والنضاج : جمع نضيج .

(٧) ط : « الشجاجا » .

وتَذْهَبَ باطلاً غَدَوَاتُ صُهْبَى على الأعداء تختلِجُ اختِلاجَا(١)
جَمُومِ الشدِّ شائـلةُ الذُّنابَى تخال بياضَ غُرَّتها سِراجَا(٢)
وشدِّى فى الـكريهة كلَّ يومٍ إذا الأصوات خالطت العَجَاجَا(٣)

وقال عبد الرحمن بن الحكم(٤) :

ولِلأَنْصَارُ آكَلُ فى قُرَاهَا لُخبْثِ الأطْعِماتِ من الدَّجَاجِ(٥)

وقال الآخر(٦) لصاحبه :

آذيتَنا بديكك السَّـــلَّاحِ فَنَجِّنا مِن مُنْتِنِ الأرْواحِ

وقالوا : « هو أسلح من حُبارَى » ساعة الخوف ، ومن « دجَاجَةٍ » ، ساعةَ الأمن .

وقال عقيل بن علَّفة :

وهَلْ أَشْهَدَنْ خَيلًا كأنَّ غُبارَهَا بأسفَلِ علْـكَدٍّ دَواخِنُ تَنْضُبِ(٧)
تَبيتُ عَلَى رَمْضٍ كَأنَّ عُيُونَهم فِقَاحُ الدَّجَاجِ فى الوَدِىِّ المعصبِ(٨)

---

(١) صهبى : فرس النمر بن تولب ، كما فى صحاح الجوهرى ولسان العرب والاقتضاب ٣٣١ ونهاية الأرب ١٠ : ٤٧ والعمدة ٢ : ١٨٢ . وهى فى ط : « صحبى » محرفة ، وعلى الصواب فى س . وفى (صهبى) يقول النمر أيضاً :

لقد غدوت بصهبى وهى ملهبة إلهابها كضرام النار فى الشيح

(٢) قال ابن قتيبة فى أدب الـكاتب ٨٩ ، « ويستحب فى الخيل أن ترفع أذنابها فى العدو » . واستشهد بهذا البيت .

(٣) ط : « وشد » س : « وشدو » . والوجه ماأثبت .

(٤) انظر ترجمته فى الجزء الأول ص ٢٣٢ .

(٥) فى الأصل : « فخبث » وتصحيحه من الجزء الأول ص ٢٣٣ .

(٦) هو أبو نواس كما مر فى ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

(٧) علـكد : موضع لم يذكره ياقوت وصاحبا القاموس واللسان . وفى س : « علكيد » . والدواخن : جمع دخان ، وهو جمع شـاذ ، مثله عثان وعواثن . والتنضب : شجر ضخام ليس له ورق ، وهو يسوق ، ودخانه أبيض فى مثل لون الغبار ، ولذلك شبهت الشعراء الغبار به . وقال النابغة الجعدى :

كأن الغبار الذى غادرت ضحيا دواخن من تنضب

اللسان (دخن) وسيبويه ٢ : ١٣٨ .

(٨) عنى بالرمض القلق . ط : « ربض » . والودى المعصب : صغار النخيل المتجمع .

(كلب الرفقة)

وقال صاحب الديك : حدَّث الأصمعىُّ قال : أخبرنى العَلاء بن أسلم قال : أردت الخروج إلى مكّة المعظّمة ، شرَّفها الله تعالى ، فجاءنى هشامُ ابنُ عقبة — وهو أخو ذى الرُّمة — فقال لى : يا ابن أخى ، إنَّك تريد سفراً يحضُر الشّيطانُ فيهِ حُضُورًا لا يحضره فى غيره، فاتّقِ الله وصَلِّ الصَّلوات لوقتها فإنّك مصلّيها لا مَحالة ، فصلِّها وهى تنفعك ، واعْلم أنّ لكلّ رُفقةٍ كلباً ينبَحُ عليهم ، فإن كان نهبٌ شَرِكُوه فيه ، وإن كان عارٌ تقلّده دونَهم فلا تكنْ كلبَ الرُّفقة[1] ! !

وقد رووا شبيهاً بذلك عن تبيع بن كعب[2] .

(أم كلبة)

وقال زيد الخيل :

يا نَصْرَ نَصْرَ بنى قُعَيْنٍ إنّما   أَنْتُمْ إماءٌ يَتَّبعْنَ الأشْـتَرَا[3]

---

(١) مثل هذا الخبر فى ثمار القلوب ٣١٥ . وقد عزا الميدانى المثل إلى لقمان الحكيم انظر الأمالى ٢ : ٢٣٤ .

(٢) هو ابن امرأة كعب الأحبار ، لا ابن كعب . ترجم له ابن حجر فى الإصابة ٨٥٦ ، وهو كما فى القاموس تبيع بن عامر ابن امرأة كعب الأحبار .

(٣) فى الأصل : « نصر أبى قعين » ، وليس كذلك . وقعين : بطن من أسد . وفى اللسان : « وسئل بعض العلماء أى العرب أفصح ؟ فقال : نصر قعين » .

يَتْبَعْنَ فَضْلَةَ أَيْرِ كَلْبٍ مُنْعِظٍ عضَّ الكلابُ بعَجْبِهِ فاسْتَثْفَرَا[1]

قال : فلمَّا قَدِم زيد من عند النبي صلى الله عليه وسلم قال « أَبْرَحَ فَتًى إنْ لَمْ تُدْرِكْهُ أُمُّ كَلْبَة[2] » ، يعنى الحُمَّى .

(الكلب بين الهجاء والفخر)

وقال جرير فى البَعِيث :

إذا أنتَ لاقَيت البَعِيثَ وجَدْتَه أشَحَّ على الزَّادِ الخبيثِ من الكلب

١١٣ وقال صاحب الكلب : وقد قال عمرو بن مَعْدِ يكَرِب :

وقــد كنتُ إذا ما الحـ ىُّ يوماً كَرِهُوا صُلْحى

أَلُفُّ الخيْــلَ بالخَيْلِ وأكْفِى النَّبْحَ بالنَّبْح

(استعارات من اسم الكلب)

قال ومن الاستعارات من اسم الكلْب قولُ الرَّجل منهم ، إنْ أوْطَنَ نفسَهُ على شيء : قد ضَرَبت جَرْوَتى ، وضَرَبت عليه[3] . وقال أبو النَّجْم :

---

(١) استثفر الكلب : أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه .

(٢) أبرح فتى : أى ما أعجبه فتى . و « فتى » تمييز . مثله قول الأعشى الخزانة ٣ : ٢٧٥ :

تقول ابنتى حين جد الرحيـ ـل أبرحت ربا وأبرحت جارا

وانظر للخبر السيرة ٩٤٧ جوتنجن (وفد طيٌ) والجزء الأول من الحيوان ٣١٧ والأغانى ١٦ : ٤٧ — ٤٨ . والإصابة ٩١٣٤ وقد حم زيد منصرفه من عند الرسول ومات ببلده . الخزانة ٢ : ٤٤٨ بولاق .

(٣) الجروة بمعنى النفس ، كما فى اللسان (جرا) وكما فى أمثال الميدانى ١ : ٣٨٣ . و « ضربت عليه » يريد : « ضربت عليه جروتى » . وفى الأصل : « ضربت جروه وضربت عليه » وهو تحريف . قال ابن برى : وأنشد أبو عمرو :

=

حتّى إذا ما ابيضَّ جرو التّنْفُل(١) وبُدِّلتْ والدَّهْرُ ذو تَبَدُّلِ

وقال(٢) :

من الحنْظَلِ العامىِّ جروٌ مفلَّقُ

وقال عُتبة الأعور(٣) :

ذهبَ الذين أحبُّهم وبَقِيت فيمَنْ لا أُحِبهْ
إذْ لايزال كريمُ قو مى فيهمُ كلبٌ يسُبُّه

(احتقار العرب للصيد)

[قال صاحب الديك(٤)] :

فخرتم علينا بصَيْد الـكلْب ، وهَجوتم(٥) الديك إذْ كان ممَّا لايصيد ولا يُصاد به ، وقد وجدْنا العربَ يستذلُّون الصَّيدَ ويحقِرون الصَّيَّاد ، فمن ذلك قولُ عمرو بن معد يكرب :

= ضربت بأكناف اللوى عنك جروتى وعلقت أخرى لاتخون المواصلا
أى اطمأنت نفسى . ويقال أيضاً - كما فى اللسان - : ضرب جروة نفسه . قال الفرزدق :

فضربت جروتها وقلت لها اصبرى وشددت فى ضنك المقام إزارى

ويقال أيضاً : ألقى جروته ، بمعنى ماتقدم . اللسان والميدانى .

(١) التنفل : الثعلب ، أو نبات أخضر فيه خطبة ، أى غبرة ؛ وهو آخر مايجف من النبات . وهذا المعنى الأخير هو المراد . والجرو : الثمر ، واحدته جروة .

(٢) القائل هو النمر بن تولب . وانظر صدر البيت فى هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) عتبة الأعور ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليبسك ، ٢٣٢ مصر ، قال : « عتبة الأعور الكوفى ، مقل » . ووجدت فى معجم المرزبانى ص ٢٦٥ « عتبة ابن أبى عاصم الحمصى الأعور ، هجا بنى عبد الكريم الطائى من أهل الشام ، فعارضه أبو تمام الطائى وهجاه ومدحهم » .

(٤) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٥) ط : « وهجرتم » وتصحيحه من س .

ابنى زيادٍ أنتمُ فى قَوْمِكُمْ ذَنَبٌ ونحنُ فروعُ أصل طَيِّبِ
نَصِلُ الَخمِيس إلى الَخميس وأنتمُ بالقَهْرِ بين مربِّق ومكلِّبِ[1]
لايحسَبَنَّ بنو طُليحَةَ حَرْبَنَا سَوْقَ الحَمير بحانة فالـكَوْكَبِ[2]
حِيدٌ عن المعرُوفِ سَعْىُ أبيهمُ طَلَبُ الوُعول بوَفْضَةٍ وبأكلُبِ[3]
حتَّى يكهَّنَ بعْدَ شَيبٍ شامِل ترحاً له من كاهن متكذِّبِ

(الاشتفاء بدماء الملوك والأشراف)

وأما قولُ زهير :

وإن يُقتلوا فَيُشْتَفَى بدمائهم وكانوا قَدِيماً مِنْ مَنَاياهمُ القتْلُ[4]

فهذا البيت نفسُه ليس يَدُلُّ على قولهم أنَّ كُلَّ مَن كان بهِ جُنُونٌ أو كلَبٌ ثمَّ حسَا من دمِ ملكٍ أو سيِّدٍ كريم أفاقَ وبرئ .

(فرار الـكَلْبِ الـكَلِبِ من الماء)

وقَدْ ضربُوا لصاحب الـكلَب أمثالاً فى شدَّة طلبهِ الماء ، وفى شِدَّة فِرارِه منهُ إذا عاينه .

---

(١) الخميس : الجيش . والقهر : الذل . والمربق : أراد به الصائد بالربقة ، وهى العروة فى الحبل . والمكلب : الصائد بالكلاب .
(٢) لعل فى البيت تحريفا .
(٣) الوفضة : جعبة السهام إذا كانت من أدم .
(٤) يقول : هم أهل حروب فلا يموتون على فرشهم حتف أنوفهم .

وقالوا وقلتم : فالماءُ المطلوبُ إذا عايَنه من غير أن يمسَّه ، وهو الطالب له ولم يحرص عليه إلاَّ من حاجة إليه . فكيف صار إذا رآه صاح [١] ؟ !

قالوا : وقد يعترى النَّاظرَ إلى الماء ، والذى يديم التَّحديقَ إليه وهو
يمشى على قنطرةٍ أو جُرُف أو جسْر الدُّوَارُ ؛ فإنَّه ربَّما رمى بنفسه من ١١٤
تلقاء نفسه إلى الماء ، وإن كان لا يحسن السباحة . وذلك إنَّما يكون على قدر ما يصادف ذلك من المِرَار [٢] ، ومن الطِّباع .

فممَّن فعل ذلك بنفسه أبو الجهجهاه محمَّد بن مسعود ، فكاد يموت حتى استُخرِج . ومنهم منصور بن إسماعيل التَّمار ، وجماعةٌ قد عُرفت حالُهم .

(ما يعترى المختنق والممرور)

وهذا كما يعترى الذى يصيبه الأسَنُ [٣] من البخار المختنق فى البئر إذا صار فيها ؛ فإنَّه [ربَّما] [٤] استقى واستخرِج وقد تغيَّر عقله . وأصحاب الرَّكايا [٥] يرون أنَّ دواءَه أن يُلقوا عليه دِثاراً ثقيلا ، وأن يزَمَّل تزميلاً [٦] وإن كان فى تمُّوزَ وآب [٧] ، ثم يحرس وإن كان قريباً من رأس البئر ؛ فإنَّه

---

(١) ضمير : « قالوا » عائد إلى العرب . وضمير « قلتم » راجع إلى أنصار الكلب وجملة « فكيف إذا رآه صاح ؟ ! » اعتراض عليهم من صاحب الديك . وضمير : « قالوا » الآتية لأنصار الكلب .

(٢) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن .

(٣) الأسن : مصدر أسن كفرح : دخل البئر فانتشق هواء فاسداً فغشى عليه .

(٤) التكلة من س .

(٥) الركايا : جمع ركية وهى البئر .

(٦) يزمل : يلف فى ثوب .

(٧) شهران من الشهور الرومية ، وفيهما يشتد الحر . انظر عجائب المخلوقات ٧٥ – ٧٦ .

إنْ لم يُحَلْ بينَه وبينَها طرَح نفسَهُ فى تلك البئر ، أتاها سعياً فى أوَّلِ ما يفتح عينَه ويرجعَ إليه اليَسيرُ من عقله ، حتَّى يُكفِىَ[1] نفسَه فيها من ذات نفسِه ، فى الموضع الذى قد لَقِىَ منه ما لقى ، وقد كان عنده معلوماً أنَّ القومَ لو تركوه طَرْفَةَ عينٍ لهلَك . هكذا كان عنده أيَّامَ صحَّةِ عقله ، فلمَّا فسد أراه الفسادُ أنَّ الرَّأى فى العَود إلى ذلك الموضع .

وكما يعترى الممرورَ[2] حتَّى يرجُم النَّاس ؛ فإنَّ المِرَّة تصوِّر له أنَّ الذى رَجَمه قد كان يريدُ رجمه ، فيرى أنَّ الصَّواب أن يبدأه بالرَّجْم . وعلى مثلِ ذلك تُريه المِرَّةُ أنَّ طرْحَه نفسَه فى النَّار أجودُ وأحزم .

وليس فى الأرض إنسانٌ يذبح نفسَه أو يختنق أو يتردَّى فى بئر ، أو يرمى نفسه من حالقٍ ، إلاَّ من خوف المـُثْلة أو التعذيب أو التعيير[3] وتقريع الشامتين ، أو لأنَّ به وجعاً شديداً فيحرِّكُ عليه المِرَّة فيحمَى لذلك بدنُه ويسخنُ جوفُه ، فيطير من ذلك شىءٌ إلى دِماغه أو قلبِه ، فيوهمه ذلك أنّ الصَّواب فى قتلِ نفسه ، وأنّ ذلك هو الرَّاحة ، وأنّ الحزم مع الرَّاحة .

ولا يختار الخنقَ الوادعُ الرابح[4] الرافه ، السليمُ العقلِ والطِّباع . وللغيظ ربَّما رَمى بنفسه فى هذه المهالك ، وقَذف بها[5] فى هذه المهاوِى . وقد يعترى الذى يصعَد على مثل سنسيرة أو عَقَرْقُوفَ[6] أو خضراء

---

(١) مخفف « يكفئ » بمعنى يقلب .

(٢) الممرور : من غلبت عليه المرة ففسد عقله .

(٣) ط : « التعبير » ووجهه ماأثبت من س .

(٤) كذا .

(٥) فى الأصل : « به » والضمير للنفس .

(٦) عقرقوف : قرية بينها وبين بغداد أربعة فراسخ ، إلى جانبها تل عظيم يرى من خمسة فراسخ كأنه قلعة عظيمة » . وفى الأصل : « عقرقوب » .

زوج[١] ، فإنّه يعتريه أن يرمى[٢] بنفسه ِن تلقاء نفسه ، فيرون عند ذلك أن يَصعَد إليه بعضُ المعاودين المجرّبين ، ولا يصنع شيئاً حتّى يشُدَّ عينَيه[٣] ، ويحتال لإنزاله . فهذا المعنى عامٌّ فيمن[٤] كانت طبيعته تثور عندَ مثلِ هذه العلَّة . وما أكثر من لايعتريه ذلك .

وقد قال النّاسُ فى عذر هؤلاء ولأنّ فيهم[٥] ضروباً من الأقاويل .

وإنّما تكلمنا على المغلوب . فأمّا من كانت هذه العوارضُ لا تُفسِد ١١٥
عقلَه ، ولا تنقُضُ[٦] استطاعته ، فليس بيننا اختلافٌ فى أنّه ملوم . على أنّ إلزامَه اللائمةَ لا يكونُ إلاّ مِن بَعْدِ خُصومةٍ طويلة ، لا يصلُح ذكرُها فى هذا الباب .

(لؤم الغراب وضعفه)

وقال صاحب الكلب[٧] : الغراب من لئام الطير وليس من كِرامها ، ومن بغاثها وليس من أحرارها ، ومن ذوات البراثنِ الضعيفة والأظْفار

---

(١) لم يذكره ياقوت .

(٢) ط : « يرميه » ، وصوابه من س .

(٣) ط : « حتى ليسد عينيه » ، وفى س : « حتى يسد عينيه » والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فن » وهو تحريف .

(٥) كذا . وفى س : « ولأن منهم » ولعل صواب ذلك : « ولهم فيهم ضروب من الأقاويل » .

(٦) فى الأصل : « تنقص » ، وما كتبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٧) سيتحدث صاحب الكلب عن الغراب ليبين أن الغراب مع لؤمه واتضاعه ، قد أمكنه أن يخدع الديك ويسخر منه . كما سيظهر ذلك فيما يأتى ص ٣١٩ . وليس الحديث فى الغراب مقصوداً لذاته .

الـكليلة ، وليس من ذوات المخالب المعقَّفة والأظفار الجارحة[١] ، ومن ذوات المنـاقير وليس من ذوات المناسر[٢] . وهو مع أنّه[٣] قوىُّ النَّظَر[٤] . لا يتعاطى الصَّيد . وربّما راوغَ العصفور ، ولا يَصيد الجرادةَ إلاّ أن يلقاها فى سُـدٍّ من الجراد[٥] . وهو فَسْلٌ إن أصاب جِيفةً نال منها وإلاّ مات هُزالا ، ويتقمّم كما يتقمم بهائم الطير وضعافُها ، وليس ببهيمةٍ لمكانِ أكْلِه الجِيف ، وليس بسَبع لعَجْزه عن الصَّيد .

(ألوان الغربان)

وهو مع ذلك يكون[٦] حالكَ السَّوادِ شديدَ الاحتراق ، ويكون مثلُه من النّاس الزِّنجَ فإنّهم شِرارُ الناس ، وأردأُ الخلق تركيباً ومزاجاً ، كَمَنْ بردت بلادُه فلم تطبخه[٧] الأرحام ، أو سخنت فأحرقته الأرحام . وإنّما صارت عقولُ أهل بابَل وإقليمِها فوقَ العقول ، وجمالهم فوق الجمال[٨] لعلّةِ الاعتدال .

---

(١) ط : « الـكلية » وتصحيحه من س . وفى س ، ط : « القصار » موضع « الأظفار » ولاوجه له . وأثبت ماتقتضيه المقابلة .

(٢) المناسر : جمع منسر ، كمنبر ، وهو المنقار لسباع الطير .

(٣) فى الأصل : « ذلك » ، وكذلك فى نهاية الأرب ١٠ : ٢١٠ حيث نقل النويرى عبارة الجاحظ .

(٤) فى الأصل : « البطن » ، وفى النهاية : « البدن » . وأثبت مافى هامش س ، حيث كتب « ن : النظر » ، إشارة إلى كلمة (نسخة) .

(٥) السد ، بالضم : جماعة الجراد تسد الأفق .

(٦) س : « ذلك أن يكون » وفى النهاية : « ذلك إما أن يـكون » والأول تحريف ، والثانى تصرف من النويرى حيث أوجز النقل إيجازاً .

(٧) الدميرى حيث نقل كلام الجاحظ : « تنضجه » .

(٨) الدميرى : « وكمالهم فوق الـكمال » .

والغراب إمّا أن يكونَ شديدَ الاحتراق فلا يكون له معرفةٌ ولا جمال ، وإمّا أن يكونَ أبقعَ فيكونَ اختلافُ تركيبه وتضادُّ أعضائهِ دليلاً على فسادِ أمْره . والبُقْع ألأَمُ من السُّود وأضْعَف .

(أنواع الغربان)

ومن الغِرْبان غُراب الليل ، وهو الذى ترك أخلاقَ الغِربان وتشبَّه بأَخلاق البوم .

ومنها غُراب البَيْنِ . وغراب البَيْنِ نوعان : أحدهما غِربانٌ صِغارٌ معروفةٌ بالضَّعف واللُّؤم ، والآخَر : [كُلُّ غُرَابٍ يُتَشَاءَمُ به[1] . و] إنّما لزمهُ هذا الاسمَ لأنّ الغرابَ إذا بانَ أهْلُ الدّارِ للنُّجعة ، وقَعَ فى مرابض[2] بيوتهم يلتمس[3] ويتقمَّم ، فيتشاءمون به ويتطيَّرون منه ؛ إذْ كان لا يعترى منازلهم إلاّ إذا بانوا ، فسمَّوه غراب البين . ثمَّ كرهوا إطلاق ذلك الاسم له مخافة الزَّجْر والطِّيَرَة[4] ، وعلموا أنّه نافذ البصر صافى العين — حتّى قالوا « أصفَى مِنْ عَيْنِ الغراب » ، كما قالوا : « أصفَى مِن[5] عين الدِّيك » —

---

(١) الزيادة من ثمار القلوب ٣٦٢ حيث نقل الثعالبى كلام الجاحظ .

(٢) فى النهاية : « مواضع » ، وكذلك فى الدميرى وثمار القلوب .

(٣) ط : « ويتملس » وتصحيحه من س وثمار القلوب . وفى النهاية : « يتلمس » ، وكذلك فى أمثال الميدانى (١ : ٣٤٩) حيث نقل عن الجاحظ ، ولو أنه لم يصرح بذلك .

(٤) الطيرة ، كعنبة : التشاؤم .

(٥) فى الأصل : « عن » .

فسمّوه الأعور [كنايَةً[1]] ، كما كنَوا طيرةً عن الأعمى فكنوه أبا بَصِير[2] . وبها اكتنى الأعشَى بعـد أنْ عمى . ولذلك سمّوا الملدوغ[3] والمنهوش سليما، وقالوا للمهالك[4] من الفيافى : المفاوز . وهذا كثير .

والغِدْفان[5] جنس من الغِربان ، وهى لئام جدًّا .

(التشاؤم بالغراب)

[و] منْ أجْل تشاؤُمِهم بالغراب اشتقُّوا من اسمـه الغُربة ، والاغتراب ، والغريب .

١١٦ وليس فى الأَرض بَارحٌ ولاَ نَطيح[6] ، ولا قَعيد ، ولا أَعضب[7] ولا شيءٌ مما يتشاءمون به إلاّ والغرابُ عندَهم أنكدُ منـهُ ، يرون أَنّ صِيَاحَهُ[8] أكثر أخبارا ، وأَنّ الزَّجْر فيه أَعمُّ . وقال عنترة :

حَرِق الجناح كَأَنّ لَحيَيْ رأسِهِ   جَلَمانِ ، بالأَخْبار هَشٌّ مُولَع[9]

---

(١) الزيادة من أمثال الميدانى .

(٢) فى الأصل : « كما كنوا عن الطير الأعمى بالبصير » وهو تحريف عجيب اعتمدت فى تصحيحه على مافى أمثال الميدانى (١ : ٣٥) .

(٣) ط : « الملد » ، وتصحيحه من س وأمثال الميدانى .

(٤) المهلكة : المفازة ، جمعها مهالك .

(٥) الغدفان ، بالكسر : جمع غداف بالضم ، وهو الأسود الضخم من الغربان .

(٦) البارح : مامر من الطير من ميامنك إلى مياسرك ، يقابله السانح . والنطيح : مايأتى إليك من أمامك من الطير والوحش .

(٧) القعيـد : ما أتى إليك من ورائك من ظبى ، أو طائر . والأعضب : المكسور القرن .

(٨) فى الأصل : « صاحبه » ، وهو على الصواب الذى أثبته فى أمثال الميدانى .

(٩) فى الأصل : « خرق الجناح » ، وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٤) .

(التعاير بأكل لحم الغراب)

وهو عندهم عار ، وهم يتعايرون بأكل لحمه . ولو كان ذلك منهم لأنّه يأكل اللحوم ، ولأنّه سبع ، لكانت[1] الضّوارِى والجوارحُ أحقَّ بذلك عندهم . وقد قال وَعْلَة الجَرْمى[2] :

فما بِالعار ما عَيَّرْتُمونا شِواءَ الناهِضاتِ مع الخبيص[3]
فما لَحمُ الغُرابِ لنا بزادٍ ولا سَرَطانُ أَنْهارِ البرِيص[4]

(فسق الغراب وتأويل رؤياه)

قال : والغِربانُ جنسٌ من الأجناس التى أُمر بقتلها فى الحِلِّ والحرم ، وسمِّيت بالفسق وهى فواسق ، اشتقَّ لها من اسم إبليس .

وقالوا : رأى [فلان][5] فيما يرى النّائمُ أنه يُسقِطُ أعظمَ صومعةٍ بالمدينة غرابٌ . فقال سعيدُ بن المسيِّب : يتزوج أفسَقَ الفاسقين امرأةً من أهل المدينة . فلم يلبثوا إلاَّ أيّاماً حتى كان ذلك .

---

(١) ط : « فكانت » ، وتصحيحه من س .

(٢) هو وعلة بن الحارث الجرمى . ذكره صاحب المؤتلف ص ١٩٧ . وفى العرب وعلة بن عبد الله الجرمى ، أحد فرسان قضاعة ، وله خبر فى يوم الكلاب الثانى . الأغانى (١٥ : ٧١) .

(٣) الناهضات : أرادبها الفراخ الناهضات ، وهى التى وفرت أجنحتها وقويت على الطيران وعنى الدجاج والحمام وما أشبهه ، وليس كما وهم بعضهم فزعم أنها جمع ناهضة بمعنى الأنثى من فرخ العقاب . فى ط : « سواء » وتصحيحه من س ونهاية الأرب (١٠ : ٢١١) . والخبيص : ضرب من الحلوى ، ذكر له البغدادى (فى كتاب الطبيخ ٧٣ — ٧٤) ست صنعات . وفى الأصل : « المبيض » ، وصوابه فى النهاية .

(٤) البريص : نهر دمشق . وفى الأصل : « البريض » محرفة ، صوابها فى النهاية ومعجم البلدان (البريص) واللسان (برص) .

(٥) الزيادة من س .

(غراب نوح)

وقالوا فى المثل : « لايرجعُ فلانٌ حتَّى يرجعَ غرابُ نوح » ، وأهل البصرة يقولون : « حتَّى يرجِعَ نَشِيطٌ من مَرْو[١] » ، وأهل الكوفة يقولون : « حتَّى يرجِعَ مَصقَلة[٢] من سِجِستان » . فهو مثلٌ فى كل موضعٍ من المكروه .

(قبح فرخ الغراب وفرخ العقاب)

وزعم الأصمعىُّ عن خلفٍ الأحمر ، أنَّه قال : رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أقبحَ ولا أسمجَ ولا أبغضَ ولا أقذرَ ولا أنتنَ منه . وزعم أنَّ فِراخ الغِربان أنتنُ من الهدهد — على أنَّ الهُدهدَ مَثَلٌ فى النَّتْن — فذكر عِظَمَ رأسٍ وصِغَر بدن ، وطولَ منقار وقِصرَ جناح ، و [أنَّه[٣]] أمْرَطُ أسود ، وساقط النَّفْس ، ومُنتِن الرِّيح .

---

(١) قال هذا المثل زياد ، وكان « نشيط » قد بنى له داراً وهرب إلى مرو قبل إتمامها ، وكلما قيل لزياد : تمم ، قال : حتى يرجع نشيط من مرو ! . وكان زياد لايرضى إلا عمله . القاموس والميداني (١ : ١٩٨) .

(٢) فى الأصل : « مسعر » ، وهو تحريف صوابه فى ثمار القلوب ٣٠ حيث نقل الثعالبى كلام الجاحظ ، وكذا فى المعارف ١٧٧ ومعجم البلدان (رسم طبرستان) . وفى المعجم والمعارف (طبرستان) : ومصقلة هذا هو مصقلة بن هبيرة كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة فضرب الناس به مثلا . انظر المثل فى المراجع المتقدمة والحيوان (٥ : ٥٢٩) .

(٣) ليست بالأصل .

وصاحب المنطق يزعُم أنَّ رؤيَةَ فَرْخ العُقاب أمرٌ صعب ، وشيءٌ عسير . ولست أحسنُ أنْ أقضيَ بينهما[١] .

والغِربان عندنا بالبَصرة أوابدُ غير قواطع ، وهى تُفرخ عندناَ فى رءوس النَّخل الشَّامخة ، والأشجار العالية .

(أسطورة خداع الغراب للديك)

فالغرابُ عند العرب مع هذا كلِّه ، قد خدع الدِّيك وتلعَّب به ، ورَهَنَه عند الخمَّار[٢] وتخلَّص من الغُرْم ، وأغلقه[٣] عند الخمَّار ، فصار له الغنم وعلى الدَّيكِ الغُرم ، ثم تركه ترْكًا ضُرب به المثل .

فإن كان معنى الخبر على ظاهر لفظه ، فالدِّيك[٤] هو المغبون والمخدوع والمسخور به ، ثمَّ كان المتلعِّب به أنْذلَ الطير وألأمَه .

وإن كان هذا القولُ منهم يجرى مَجرى الأمثال المضروبة ، فلولا أنَّ عُلْيَاَ ١١٧
الدِّيك فى قلوبهم[٥] دونَ محلِّ الغُراب — على لؤم الغراب ونذالته ومُوقه وقلّة معرفته — لَمَا وضعوه فى هذا الموضع .

---

(١) أى بين خلف وصاحب المنطق .

(٢) انظر الصفحة الآتية ، ثم ٣ : ٤١٠ وتأويل مختلف الحديث ٣٦٤ .

(٣) أغلقه كما يغلق الرهن : إذا لم يستطع فكاكه .

(٤) فى الأصل : « والديك » .

(٥) كذا فى ط . وفى س : « على الديك من قلوبهم » ، ولعل صوابهما « محل الديك فى قلوبهم » .

(دهاء أمية بن أبى الصّلت)

فإن أردتمْ معرفةَ ذلك فانظروا فى أشعارهم المعروفة، وأخبارهم الصحيحة ثمّ ابدءوا بقول أُميَّة بن أَبى الصَّلت ؛ فقد كان داهيةً من دواهى ثَقيف ، وثَقيفٌ من دُهاةِ العرب ، وقد بلغ من اقتداره فى نفسه أنَّه قد كان همَّ بادِّعاد النُّبوة ، وهو يعلم كيف الخصالُ التى يكون الرجل بها نبيًّا أو متنبِّياً إذا اجتمَعتْ له . نعمْ وحتَّى تَرَشَّحَ[1] لذلك بطلب الرِّوايات ، ودرْس الكُتُب . وقد بَان[2] عنـدَ العرب علاّمةً ، ومعروفاً بالجوَلان فى البلاد ، راويةً[3] .

(حديث العرب فى الغراب والديك وطوق الحمامة)

وفى كثيرٍ من الروايات مِن[4] أحاديث العرب ، أنّ الدِّيك كان نديمًا للغراب ، وأَنَّهما شربا الخمر عنـد خمَّارٍ ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغرابُ ليأتيَه بالثَّمنِ حين شرب ، ورَهن الدِّيك ، فخاس به[5] ، فبقى محبوساً .

(١) ترشح : تقوى ، من ترشح الفصيل ، إذا قوى على المشى .
(٢) بان بمعنى : برز ونبغ . وفى س : «كان» .
(٣) فى الأصل : « رواية » .
(٤) فى الأصل : « مع » .
(٥) خاس به : غدر به .

وأَنَّ نوحا صلَّى الله عليه وسلم حينَ بقى فى اللُّجَّة أَيّامًا بعث الغرابَ ، فوقع على جيفةٍ ولم يرجع ، ثمّ بعث الحمامة لتنظرَ هل ترى فى الأرض موضعًا يكون للسفينة مَرفأً ، واستجْعَلت على نوحٍ الطَّوق الذى فى عنقها[1] ، فرشاَها بذلك ــ أى فجعَلَ ذلك جُعْلاً لها .

وفى جميع ذلك يقول أميّة بن أَبى الصَّلت .

بآيةِ قامَ ينْطِقُ كلُّ شيءٍ　　وخانَ أَمَانَةَ الدِّيكِ الغرابُ

يقول : حين تركه فى أيديهم وذهب وتركه .

والعامّة تضرب به المثل وتقول : « ما هُوَ إلاّ غرابُ نوح » .

ثمّ قال :

وأُرْسِلتِ الحمَامَةَ بَعْدَ سَبْعٍ　　تَدُلُّ على المهالك لاتَهابُ

تَلمَّسُ هَلْ تَرَى فى الأرضِ عيناً　　وغايته من المـاء العُبابُ[2]

فجاءَتْ بَعْدَ ما رَكَضَتْ بقِطْفٍ　　عليه الثَّأط والطين الكُبابُ[3]

فلما فرَّسُوا الآياتِ صَاغُوا　　لها طَوْقًا كما عُقِدَ السِّخابُ[4]

---

(١) استجعل : طلب الجعالة – كسحابة – وهى الرشوة . والرشوة : العطاء فى مقابل نفع .

(٢) كذا . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) : « وعاينه من المـاء العباب » ولعل صوابهما مافى الديوان ١٨ : « وغايته بها المـاء العباب » أى أن المـاء العباب غايته وانتهاؤه إلى الأرض . والعين هنا : الناحيـة . جاء فى اللسان : « والعين : الناحية » .

(٣) الركض هنا بمعنى الطيران . والثأط : الطين الأسود المنتن . وفى ط : « عليها الشاة » و س : « عليها الشاط » ، وأثبت ما فى اللسان والديوان ١٨ . وفى أصل نهاية الأرب : « عليها الناط » . والكباب ، بالضم : الطين اللازب .

(٤) السخاب ، بالكسر : القلادة . وفى ثمـار القلوب ٣٦٨ : « فلمـا فتشوا الآيات » .

إذا ماتت تورِّثُه بنيهـا وإنْ تقْتل فليس لها استلابُ[1]
كذِى الأفعَى يربِّبها لديه وذى الجِنِّىِّ أرسله يتابُ[2]
* فلا ربٌّ المنيــة يأمَنْها ولا الجِنّىُّ أصبَــح يُستَتابُ

الجنّىّ : إبليس ؛ لذنوبه . والأفعى هى الحيَّة التى كلم إبليس آدَمَ
١١٨ من جَوفها . ومَنْ لاعِلْمَ عندَه يروى أيضاً أنَّ إبليس قد دخل جوفَ الحمار مرَّة ؛ وذلك أنَّ نوحا لمَّا دخل السفينة تمنَّع الحمار بعسره ونَـكَدِه ، وكان إبليسُ قد أخذَ بذَنَبه . وقال آخرون : بل كان فى جوفِه فلمَّا قال نوح للحمار : ادخل ياملعون ! ودخل الحمار ، دخَل إبليس معه ؛ إذْ كانَ فى جوفه . قال : فلمَّا رآه نوحٌ فى السفينة قال : يا ملعون من أدخلك السَّفينة ؟ قال : أنتَ أمرتَنى . قال : ومتى أمرتك ؟ قال : حينَ قلتَ ، ادخل ياملعون ، ولم يكن ثَمَّ ملعونٌ غيرى .

(شعر أمية فى الديك والغراب والحمامة)

قال أميَّة بن أبى الصَّلت :

هو أَبْدَى مِن كلّ ما يأْثُرُ النَّا سُ أماثيلَ باقياتٍ سُفُورا[3]
خَلَقَ النَّخْلَ مُصْعِداتٍ تراها تقصف اليابساتِ والخضُّورا[4]

(١) أى فلا يستلب منها ذلك الطوق . وأجود من هذه الرواية المثبتة هنا ، وفى نهاية الأرب — رواية الثعالبى فى الثمــار : « فليس له استلاب » .
(٢) كذا فى س . وفى ط : « تباب » .
(٣) فى الأصل : « هو أبدى كل » . والشعر من الخفيف .
(٤) كذا . وفى الديوان : « المخضورا » . وفى اللســان : « والخضر والمخضور اسمان للرخص من الشجر إذا قطع وخضر » .

والتّماسيح والتماثيل والأَ يِّلَ شَتّى والرِّيمَ واليَعْفُورا(١)
وصواراً من النّواشطِ عِيناً ونعَاماً خَواضباً وحَميرا(٢)
وأُسُوداً عـواديأ وفيولاً وذِياباً والوَحْشَ والخـنْزِيرَا
ودُيوكًا تدعو الغرابَ لِصُلْحٍ وإوَزِّينَ أخرجتْ وصقُورَا(٣)

قال : ثم ذكر الحمامة فقال :

سمـع الله لابنِ آدمَ نُوحٍ ربُّنا ذُو الجـلال والإفْضالِ
حِينَ أوفَى بذى الحمامـة والنَّا س جميعاً فى فُلْـكِهِ كالعِيال
فأتَتْهُ بالصِّدْقِ لمّـا رشَاها وبقِطْفٍ لما غـدا عِثْكالِ(٤)

ووصف فى هذه القصيدة أمرَ الحمامة والغراب صفةً ثانية ، وغيرَ ذلك ، وبدأ بذكر السفينة فقال :

تَرفَّعُ فى جَرْىٍ كأَنَّ أَطِيطَه صَريف مَحَالٍ تَستعيد الدّواليا(٥)

---

(١) « التمـاثيل » لعلها « الشياتيل » : جمع ثيتل . وبدلهـا فى الديوان : « السنادل » وفى اللسان : « السندل : طائر يأكل البيش » . والبيش : نبات سام . والريم : الظبى الخالص البياض . واليعفور : الظبى لونه كلون العفر .

(٢) الصوار بضم الصاد وكسرها : قطيع بقر الوحش . والنواشط : التى تنشط من بلد إلى آخر . والعين : الواسـعات العيون . والخواضب : جمع خاضب ، وهو من النعام الأحمر الساقين :

(٣) الإوزون : جمع إوزة ، وهو من نادر الجمع . وجاء مثل هذا فى قول القائل : (اللسان وزز ، دور) :

تلقى الإوزين فى أكناف دارتها فوضى وبين يديها التين منثور

(٤) ومثـل هذه الرواية فى الديوان . وفى نهـاية الأرب ١٠ : ٢٧٨) : « لمـا بدا » .

(٥) ترفع : تترفع ، أى تسرع فى جريها . والأطيط : الصوت ، وكذلك الصريف . والمحال بالفتح : جمع محالة ، وهى المنجنون أو البكرة العظيمة . وفى الأصل : « يستعيد الدواليا » ، ووجهه بالتاء .

على ظَهْر جَوْنٍ لم يُعَدَّ لراكبٍ سرَاهُ وغَيمٍ ألبس الماءَ دَاجيا(١)
فصارتْ بها أيَّامَها ثَمَّ سَبْعَةً وستَّ ليالٍ دائباتٍ غَواطيا(٢)
تشُقُ بهم تهوى بأحسن إمرةٍ كأنَّ عليها هَادياً ونَوَاتِيا(٣)
وكان لها الجُودِىُّ نهيًا وغَايةً وأصبح عنـه مَوجُه متراخيا

[ثم قال](٤) :

١١٩ وما كان أصحابُ الحمامةِ خيفة غَدَاةً غدَتْ منهم تضمُّ الخوافيا(٥)
رسولًا لهم والله يُحكِمُ أمرَه يُبِينُ لهم هل يُونَسُ الثّوبُ باديا(٦)
فجاءتْ بقِطفٍ آيةً مستبِينَةً فأصبحَ منها موضِعُ الطِّين جاديا(٧)
على خطْمِها واستوْهَبَتْ ثَمَّ طَوقَها وقالتْ ألا لاتجعلِ الطّوقَ حَاليا
ولا ذهَبًا ، إنِّى أخافُ نِبالَهم يخالونه مالى وليسَ بماليا(٨)
وزِدْنى على طَوْقى من الحَلْىِ زينةً تُصيب إذا أتبعت طَوْقى خِضابِيا

---

(١) الجون : أراد به البحر ، وجعله أسود لكثرة مائه . ط : « راجيا » وتصحيحه من س ، والديوان .

(٢) فى الأصل : « عواطيا » ، ولا وجه له . وفى اللسان (غطا) : « وغطاه الليل وغطاه — أى بالتشديد — : ألبسه ظلمته » .

(٣) الإمرة ، بالكسر : اسم من أمر عليهم إذا ولى . وفى الأصل : « أمره » وتصحيحه من الديوان . والنواتى ، مخفف النواتى : جمع نوتى ، وهو الملاح .

(٤) الزيادة من س .

(٥) كذا فى نهاية الأرب والديوان . وفى ط : « جيفة » وفى س : « حيفة » .

(٦) كذا فى الأصل والديوان . ويونس : مخفف يؤنس : يرى . والرواية فى النهاية « برنس الترب » .

(٧) الجادى : الزعفران . والمعنى : صارلون خطمها كالزعفران . وفى الأصل : « جاريا » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٨) كذا فى الأصل والنهاية . وفى الديوان : « ولا ذاهبا » .

وزِدنى لطَرْف العَينِ منك بنعمةٍ وأرِّث إذا مامتٌّ طَوقى حماميا[1]

يكون لأولادى جمالًا وزينةً ويهوين زينى زينة أن يرانيا[2]

ثم عادَ أيضاً فى ذكر الدِّيك فقال :

[ولا غروْ إلّا الدِّيكُ مدمن خمرةٍ نديم غرابٍ لايملُّ الحوانيا][3]

وَمَرْهَنُــهُ عن الغُراب حبيبَهُ فأوفيت مرهونا وخلفا مُسَابِيا[4]

أدل علىَّ الدِّيك إنّى كما ترى فأقبِلْ على شأْنى وهاكَ رِدائيا

أمنتك لاتلبَثْ من الدَّهر ساعةً ولا نِصفَها حتّى تئوب مآبيا[5]

ولا تدركنْك الشّمسُ عندَ طلوعها فأعلقَ فيهم أو يَطولَ ثَوَائيا[6]

فردَّ الغُرابُ والرداء يحوزه إلى الدِّيك وعدًا كاذبا وأمانيا

بأيَّةِ ذنبٍ أو بأيَّةِ حُجَّةٍ أدَعلْكَ فلا تدعو علىَّ ولا لِيا

فإنِّى نذرتُ حَجَّةً لن أعوقها فلا تدعونِّى مرَّة من ورائيا[7]

---

(١) كذا فى الديوان والأصل . وفى النهاية : « لطرف الطين » وبها أيضاً : « وورث » كما فى الديوان . وهما لغتان .

(٢) هذه رواية الأصل والديوان . وفى النهاية : « وعنوان زينى زينة من ترابيا » .

(٣) زدت هذا البيت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٢ ، وقد نقل النويرى هذا البيت ومابعده من كتاب الحيوان . الحوانى : الحانات ، مفردها الحانية ، وهذه مثل الحانوت والحاناة .

(٤) كذا فى الديوان والأصل . وفى النهاية :

ومرهنه عنــد الغراب جبينه فأوفيت مرهونا وخان مسابيا !

(٥) فى الأصل : « ولاتصفها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٦) كذا فى الأصــل والديوان . وفى النهاية : « فأغلق » ، من غلق الرهن إذا لم يفك وآل إلى المرتهن .

(٧) فى الأصل : « أن أعوقها » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية . وفيهما : « دعوة » مكان « مرة » .

تطيَّرت منها والدُّعاءُ يَعُوقنى وأزْمَعْتُ حَجًّا أنْ أطير أماميا

فلا تيأسَنْ إنّى مع الصُّبح باكرٌ أُوافى غداً نحوَ الحجيج الغواديا (١)

لحبِّ امرئٍ فاكهتُه قبلَ حَجَّتى وآثرْتُ عَمْداً شأنَه قبلَ شانيا

هنالك ظنَّ الدِّيك إذ زال زَوْلُهُ وطالَ عليه اللَّيلُ ألّا مُفاديا (٢)

فلما أضاءَ الصُّبحُ طرَّبَ صَرْخةً ألا يا غرابُ هل سمعتَ نِدائيا

على ودِّه لو كان ثَمَّ مجيبَه وكان له نَدْمانَ صِدقٍ مُوَاتيا

وأمسى الغُرابُ يضرِبُ الأرضَ كلَّها

عتيقاً وأضْحَى الدِّيكُ فى القِدِّ عانيا (٤)

١٢٠ فذلك ممّا أسْهَبَ الخمرُ لُبَّهُ ونادمَ نَدماناً من الطَّير عاديا (٥)

---

(١) ط : « تبتئس » س : « ييأسن » ، وصوابهما ماأثبت من النهاية والديوان . وفى النهاية : « مع الصبح باكراً » .

(٢) زال زوله : فارقه شخصه ، من الذعر والفرق . والمعروف فى هذا : زال زويله وزواله ، كما فى القاموس واللسان وأمثال الميدانى ١ : ٢٩٦ . وفى ط : « زل دولة » و س : « زل دوله » ، وأثبت مافى النهاية .

(٣) رواية النويرى : « لو كان ثم يجيبه » وهما بمعنى . والندمان المواتى : النديم الموافق .

(٤) عتيقاً : طليقا حرا ، يقابله « عانيا » : أسيراً . والقد ، بالكسر : السير يقد من جلد غير مدبوغ .

(٥) أسهبه الخمر وأسهبته : ذهبت بلبه . والمعروف فى هذا الفعل أن يكون بالبناء للمفعول . والرواية فى النهاية « أسهت » . وفى س : « عاريا » مكان « عاديا » وفى نسخة من أصل نهاية الأرب : « غاويا » . هذا وأبيات هذه القصيدة كما رأيت بها كثير من التحريف والتصحيف ، وهى عزيزة فى المراجع . ولست تجد فى شواهد كتب اللغة والنحو منها إلا قدراً ضئيلا . وقد اجتهدت قدر الطاقة فى تخريج ما استطعت تخريجه ، وتصحيح ماقدرت على تصحيحه .

(ما يلقم فراخه وما يزقها)

قال : ومن الطَّير ما[1] يُلقِم فِراخه مثل العصفور ؛لأنَّ العصفور لا يزُقّ. وكذلك أشباه العصفور .

ومن الطير ما يَزُقُّ فراخَه ، مثلُ الحمام وما أشبه ذلك كبهائم الطير الخالصة ؛ لأنَّ الدَّجاجةَ تأْكل اللَّحم ، وتلَغُ فى الدم ، وولدها حين يخرج من البيض يخرج كاسبًا مليحا ،كيساً بصيراً بما يُعيشه ويقُوته ، ولا يحتاج إلى تلقيم سباع الطيرِ والعصافيرِ لأولادها ؛ لأنَّ أولادها إذ لم ترضع[2] ولم تلقط الحبَّ كالفراريج أوّلَ ماتخرج من البيض ولم تزقَّها الآباءُ ولا الأُمهات كأجناس الحمام ــ فلا بدَّ لها من تلقيم .

(ماله طبيعة مشتركة من الطير)

والفَرُّوج مشترك الطبيعة ، قد أخذ من طبائع الجوارح نصيباً ، وهو أكْلُه للحم ، وحَسْوه للدَّم ، وأكلُه للديدان وما هو أقذر من الذُّباب . والعصفور أيضاً مشارِك الطِّباع ؛ لأنَّه يجمع بين أكل الحبوب واللُّحمان ، وبين لقْط الحبوب وصيدِ أجناسٍ كثيرة من الحيوان ، كالنمل إذا طار[3] ،

(١) فى الأصل : « من » .
(٢) فى الأصل : « إذا لم » ، وهو تحريف . وفى س : « ترتضع » .
(٣) يريد أنه يصيد النمل الطائر . وقد سبق الكلام فى طيران النمل فى الجزء الأول ص ٢٩ . وانظر الجزء الرابع ص ٣٢ ، ٣٥ ــ ٣٦ .

وكالجراد ، وغير ذلك . وليس فى الأرض رأسٌ أشبهُ برأس الحيَّة من العصفور .

(هداية العصفور)

والعصفور يتعالى ويطير ، ويهتدى ويستجيب . ولقد بلغنى أنّه قد رجع من قريبٍ من فرسخ . وهى تكون عندنا بالبصرة فى الدُّور ، فإذا أَمكنت الثمارُ[1] لم تَجِدْ منها إلاّ اليَسير ، فَتصير[2] من القواطع إلى قاصى النَّخْل ؛ وذلك أَنّها إذا مرّت بعصافير القرى وقَدْ سبقتْ إلى ماهو إليها أَقرب ، جاوزَتْها إلى ماهو أَبْعَدُ ، ثمَّ تقربُ الأَيَّامَ الكثيرةَ إلى ماهو أَبعد ، ثمَّ تقربُ الأَيَّامَ الكثيرةَ المقدار ، فى المسافة [إلى] أَكثَرَ ممَّا ذكرتُ من الفَرْسَخ أَضعافاً .

(تحنّن العصافير وتعطفها)

والعَصافير لا تقيم فى دُورِ الأمصار إذا شخص أهلها عنها ، إلاّ ما كان منها مقيماً على بَيض أَو فِراخ ؛ فإِنّه ليس فى الأَرض طائرٌ أحنَى[3] علِى ولده ولا أَشدُّ تعطفاً من عصفور . والذى يدلُّ على أَنّ فى طبعها من ذلك ما ليس

---

(١) أمكنت الثمار : نضجت وصار فى الإمكان أكلها .

(٢) ط : « فيصير » وتصحيحه من س .

(٣) فى الأصل : « أحن » ، والوجه ماأثبت من ه : ٢١٠ .

فى طبعِ سواها من الطَّير ـــ الذى تجدُ من إسْعادِ[١] بَعضِهِنَّ لبعض ، إذا دخلت الحيَّةُ إلى جُحر بعضِهِن لتأكلَ فرخاً ، أَو تبتلعَ بيضاً ؛ فإنَّ لأَبوَى الفَرْخ عند ذلك صياحاً وقلقاً وطيراناً، وتدفيفاً وترنيقاً[٢] فوق الجُحْرِ ودونَه وحوالَيه ، فلا يبقى عصفورٌ من حيثُ يسمع صياحَهما أَو يسمع أَصواتَهما إلاّ جئنَ أَرْسَالاً[٣] مُسْعِدَاتٍ ، يصنعن معهما كما يصنعان .

(حذر العصفور)

وليس فى الأرض أَصدقُ حَذَرًا منهُ . ويقال إنّه فى ذلك لأَكثر من العَقْعَق[٤] والغراب . ١٢١

وخبَّرنى من يصيد العصافيرَ قال : ربما كان العصفور ساقطا على حائطِ سطح بحذائى ، فيغمُّنى صِياحُهُ وَحدَّةُ صوتِه ، فأصيح وَأُومِئُ إليه بيدى[٥] ، وَأُشير كأنِّى أَرميه ، فما يطير . حتَّى ربَّما أَهويت إلى الأرض كأنى أَتنَاوَلُ شيئاً ، كُلَّ ذلك لا يتحرَّك له . فإنْ مسَّت يدى أَدنى حصَاة أَو نَواةٍ وَأَنَا أُرِيدُ رميهَا ، طَارَ قبل أَن تستمكن منها يدى .

(١) الإسعاد : الإعانة . وفى الأصل : « إشعار » ، والسياق يقتضى ماأثبت .

(٢) فى الأصل : « وترفيفا » صوابه من ٥ : ٢١١ . والترنيق : أن يخفق بجناحيه فى الهواء ولا يطير .

(٣) الرسل ـــ بالتحريك ـــ : الطائفة ، جمعها أرسال .

(٤) العقعق ـــ كثعلب ـــ طائر فى قدر الحمامة وشكل الغراب ، طويل الذنب ؛ وهو يخفى بيضه بورق الدلب .

(٥) فى الأصل : « فأصيح إليه وأومىُ بيدى » ، ووجهه ماأثبت .

(سفاد العصفور وأثره فى عمره)

وليس فى الطَّير أكثرُ عَددَ سِفادٍ من العصافير ، ولذلك يقال إنَّها أقصر الطَّير أعمارًا . ويقال إنّه ليس شىءٌ ممّا يألَفُ النَّاسَ ويعايشهم فى دُورِهم أقصرَ عمرًا منها . يعنون : من الخيل والبغال والحمير ، والبقر والغنم ، والكلاب والسَّنانير ، والخطاطِيفِ والزرازير ، والحمام والدَّجاج .

(نقزان العصفور)

ولا يقدر العصفورُ على المشى ، وليس عنده إلا النَّقَزَان(١) ، ولذلك يسمَّى النَّقَّاز ، وإنَّما يجمع رجليه ثمَّ يثِب ، وذلك فى جميع حركاته ، وفى جميع ذَهابه ومجيئه . فهى الصَّعْو ، والعصافير ، والنقاقيز(٢) . وإن هو مشى هذه المشيةَ ــ التى هى نَقَزان ــ على سَطحٍ وإن ارتفع سَمْكه، فكأنَّك تسمع لوطئه وقْعَ حجرٍ ؛ لشدَّة وطئـهِ ، ولصلابة مشيه . وهو ضدُّ الفيل ؛ لأنَّ إنساناً لو كان جالساً ومن خلف ظهره فيلٌ لما شعَرَ به ، لخفَّة وقَع قوائمه ، مع سرعةِ مَشى وتمكينٍ فى الخطَا .

---

(١) النقزان : الوثب .

(٢) النقاقيز : جمع نقاز . وكلمة « فهى » تفيد المساواة فى إطلاق تلك الألفاظ على العصافير . لكن الصعو – كما ذكروا – ضرب من صغار العصافير . وفى ط : « فهى الصقور العصافير » ، وهو تحريف صوابه فى س .

(سبُعِية الرَّخم والنسر)

والرَّخَم والنَّسر سِباع ، وإنَّما قصَّر بها عدمُ السلاح . فأمَّا البدن والقوَّة ففوقَ جميعِ الجوارح ، ولكنّها فى معنى الدَّجاج ؛ لمكانِ البَرَاثِنِ ولعدم المخالب[1] .

(وفاء العصافير)

ولقد رأيتُ سِنَّورا وثب على فرْخ عصفورٍ فأخطأَه[2] فتناولَ الفرخَ بعضُ الغِلمان فوضعه فى البيت ، فكان أبوه يجىء حتّى يطعمه ، فلمَّا قوىَ[3] وكاد يطير جعله فى قفص ، فرأيت أباه يجىء يتخرَّق السَّنانير وهى تهُمُّ به ، حتَّى يدخل إليه من أعلى فتح الباب ، وهى تهُمُّ بالوثوب والاختطاف له ، حتَّى يسقُط على القفص فينازعه ساعة ، فإذا لم يجدْ إلى الوصول سبيلا طارَ فسقط خارجاً من البيت ، ثمَّ لا يصبر حتَّى يعود . فكان ذلك دأبَه . فلمّا قوى فرخه أرسلوه معه فطارا جميعاً .

وعرفنا أنَّه الأبُ دونَ الأمِّ لسوادِ اللِّحية .

---

(١) النسر من سباع الطيور ، وليس من جوارحها ، فهو لايصيد إلا فى الندرة ، ولا مخالب له بل له أظفار ، ولايقوى على جمع أظفاره وحمل فريسته كما تفعل العقاب بمخالبها . انظر معجم المعلوف ٢٦٠ . والرخمة تشبهه فى ذلك ، كما يفهم من صنيع الجاحظ . والمخلب هو ظفر الطائر الصائد .

(٢) ط : « فأخصاه » ، وصوابه فى س .

(٣) ط : « قرب » ، وتصحيحه من س .

(القول فى سماجة صوت الديك)

قال : والدليلُ على أنَّ صوت الدِّيك كريهٌ فى السَّماع ، غيرَ مطربٍ ، قولُ الشاعر[١] :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بسُحْرَةٍ فارتَاحَا ... وأَمَلَّهُ دِيكُ الصَّبَـاحِ صِياحَا

أَوفَى على شُرَف[٢] الجِدَارِ بسُدْفةٍ ... غَرِداً يصفِّقُ بالجَنَاحِ جَنَـاحَا

(صغر قدر الدجاج)

١٢٢ قال : ويدلُّ على صِغَر قدْر الدَّجاج عندهم قولُ بشَّارِ بْنِ بُردٍ الأعمى :

بجدِّك يا ابنَ أقْرَعَ نِلتَ مالاً ... ألا إنَّ اللِّئامَ لهم جُدُودُ[٣]

فمن نذر الزِّيادة فى الهـدايا ... أقمتَ دَجاجة فيمن يَزِيدُ[٤]

(أثر كثرة الدجاج فى عدد بيضها وفراريجها)

قال : وإذا كثر الدَّجاج فى دارٍ أو إصطبل أو قريَة ، لم يكن عددُ بيضِها وفراريجها على حسَب ما كان يبيض القليل منهنَّ ويُفرخه[٥] . يعرف ذلك تُجَّار الدَّجاج ومَن اتخذها للغَلَّة .

---

(١) هو أبو نواس . وهذه الخمرية فى ديوانه ٢٥٦ .

(٢) الشرف : جمع شرفة ، كغرفة ، وهو مايوضع فى أعلى القصر . وفى الأصل : « سعف » : ولا وجه له . وأثبت مافى الديوان .

(٣) الجد : الحظ ، جمعه جدود .

(٤) س : « فمن حدر الزيادة . . . . » .

(٥) انظر تعليل هذه الظاهرة فى ص ٣٣٥ الآتية .

(رعى الدجاج فى مصر)

وهى بِمِصرَ تَرْعَى كما يَرْعَى الغنم ، ولها راعٍ وقيِّم .

(فراخ الدجاج وفراخ الحمام)

والموتُ إلى الدَّجاج سريعٌ جدًّا ، والعادة فى صِغار فراريجها خلاف ماعليها نتوُّ فراخ الحمام[١] ؛ لأنَّ الفرُّوج تتصدَّع عنه البَيضة فهو كيِّسٌ ظريف ، مليح مقبول ، مُحَبٌّ ، غنىٌّ بنفسه ، مكتفٍ بمعرفته ، بصيرٌ بموضع معيشته من لَقْط الحب ، ومن صَيْد الذُّباب وصغار الطير من الهوامّ . ويخرج كاسياً حتى كأنَّه من أولاد ذواتِ الأربع . ويخرج سريعَ الحركة شديدَ الصوت حديده[٢] ، يُدْعى بالنَّقْرفيُجيب ، ولا يقال له : قَرْ ، قَرْ ، ثلاثَ مرّات — حتى يَلقنَه . فإن استدبره مستدْبرٌ ودعاه عطفَ عليه ، وتَّبع الذى يطعمه ويلاعبه ، وإن تباعد من مكانه الأوَّل . فهو آلفَ شىء . ثمَّ كلما مرَّت عليه الأيامَ ماق وحمق ، ونقص كيسه ، وأقبل قبحُه وأدبر مِلْحُه[٣] . فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميعِ ما كان يُحَبُّ له إلى ضدِّ ذلك ، ويصير من حالة إلى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضه وفراريجه[٤] ، وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه . ولا يكاد يقبل الشَّحم

---

(١) ط : « . . . فراريجها على ماعليها نتن فراخ الحمام » ، وأصلحته من س . والنتو : مخفف النتوء أى الظهور .

(٢) حديده : مرادف شديده . وفى الأصل : « حنينه » ، ولا وجه له .

(٣) الملح ، بالكسرة : الملاحة .

(٤) كذا .

حتى يلحقَ بأبيه ، وكذلك إن كانت أنثى ، لا تقبل السِّمن ، ولا تحمل اللَّحمَ حتَّى تكادَ تلحقُ بأُمِّها فى الجثّة .

والفرخ يخرج حارضاً[1] ساقطاً ، أنقصَ مِن أنْ يقالَ له مائق ، وأقبحَ شىء . وهو فى ذلك عارى الجلد مختلف الأوصال[2] متفاوت[3] الأعضاء ، ضعيفُ الحوصَلة[4] ، عظيم المنقار . فكلّما مرَّت به الأيَّام زادت فى لحمه وشحْمه ، وفى معرفته وبصره ، حتى إذا بلغ خرجَ منه مِن الأُمور المحمودةِ ماعسى لو أنَّ واصفاً تتبَّع ذلك لَملأَ منــهُ الأجْلاد الكثيرة[5] . ثم إذا جَاز حدَّ الفِراخ إلى حَدِّ النواهض[6] ، إلى حَدِّ العُتّق والمخالب[7] ، قلَّ لحمُه وذهب شحمُه على حساب ذلك ينقص . فإذا تمّ وانتهى لم تكنْ فى الأرض دابَّةٌ ولا طائرٌ أقلَّ شحماً ولا أخبثَ لحماً منــه ، ولا أجدرَ ألاَّ يقْبلَ شيئاً من السِّمَن

١٢٣ ولو تخيّروا له فؤارَة[8] المسْمِنات وما يسمّن به — ما سمِن .

---

(١) الحارض : الضعيف المريض .

(٢) الأوصال : الأعضاء . وفى صفة الرسول الكريم أنه كان « فعم الأوصال » وفى اللسان : أى ممتلئ الأعضاء .

(٣) فى الأصل : « متقارب » .

(٤) فى الأصل : « ضعيف القوة » ! واعتمدت فى تصحيحه على ما سيأتى من مثل هــذا الكلام فى ٣ : ١٥٢ .

(٥) مبالغة جاحظية .

(٦) الناهض : الفرخ الذى قد وفر جناحاه ونهض للطيران .

(٧) العتق : جمع عاتق ، وهو فوق الناهض ، حين ينبت له ريش شديد . و « المخالب » هكذا جاءت ، ولعلها « الجوازل » .

(٨) الفؤارة والفئرة والفيرة : حلبة وتمر يطبخ للنفساء . فى الأصل : « فوراة » محرفة .

(علة قلة البيض والفراخ إذا كثر الدجاج)

وسألت عن السَّبب الذى صار له الدَّجَاجُ إذا كثُرن قلّ بيضهُنّ وفراخهنّ ، فزعموا أنّها فى طباع النَّخْل ، فإن النَّخلَة إذا زَحَمت أختها ، بل إذا مسّ طرَفُ سعَفِها طرفَ سعفِ الأُخرى وجاورتْها ، [و][1] ضيَّقت عليها فى الهواء ، وكذلك أطراف العُروق فى الأرض — كان ذلك كرباً عليها وغمًّا .

قالوا : فتَدَانيها وتضاغُطُها ، وأنفاسها وأنفاسُ أبدانها ، يحُدث لها فساداً .

قال : وكما أنّ الحمامَ إذا كثُرت[2] فى الكُنّة والشريحة[3] احتاجتْ إلى شمس وإلى ماء تغتسِل فيهِ فى بعض الأحايين، وإلى أن تكون بيُوتُها مكنوسة[4] فى بعض الأوقات ومرشوشة ، وإلّا لم يكنْ لها كبيرُ بيض . على أنّه إذا كان لها [فى الصميمين[5]] الدِّفءُ فى الشتاءِ والكِنُّ فى الصيّف ، لم تُغادِر الدهْر كلَّه أنْ تبيض .

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : « كثر » .

(٣) الكنة ، بالضم : جناح يخرج من حائط ، أو سقيفة فوق باب الدار ، أو رف فى البيت . والشريحة : بيت من قصب يتخذ للحمام . وفى الأصل : « الشريعة » ، وليس لها وجه .

(٤) ط : « مكنونة » ، وتصحيحه من س .

(٥) الصميمان يراد بهما الصيف والشتاء فى أشد حالتيهما . وهذه التكملة من س .

(فخر صاحب الديك بكثرة مااشتق من البيض)

قال صاحب الدِّيك : فخرتم للكلب بكثرة مااشتقّ للأَشياء من اسم الكلب ، وقد اشتُقّ لأكثر من ذلك العدد من البيض ، فقالوا لقَلانس الحديد : بَيْضٌ ، وقالوا : فُلاَنٌ يَدْفع عن بَيضة الإسلام ، وقالوا : قال علىٌّ ابن أبي طالبٍ رضى الله عنه : أنا بَيضَةُ البَلَدِ . وفى موضع الذمِّ من قولهم[١] :

تأْبى قضاعة أن تدرى لكم نَسَباً ... وابنا نزارٍ وأنتمْ بَيْضَةُ البَلَدِ

ويسمّى رأس الصَّوْمَعة والقُبَّةِ بَيضة . ويقال للمجلِسِ إذا كان معمُورا غير ءطوّل بَيْضٌ جاثمة[٢] ، ويقال للوعاءالذى يكون فيه الحِبْنُ[٣] والخُرَاج[٤] وهُوَ الذِى يجتمع فِيهِ القَيح — بيضة . وقال الأشتر بن عُبادة :

يكفُّ غُرُوبَها وَيَغضُّ منها ... وَراء القَوم خشية أن يلامُوا

مُظاهِرُ بَيْضَتَين على دِلاَصٍ ... بِهِ من وَقْعةٍ أُخرى كِلاَمُ

وقال النّابعة :

فَصَبّحَهُمْ مَلْمَلَمَةً رَدَاحاً ... كَأَنَّ رُؤوسهُمْ بَيْضُ النعام

---

(١) أى قول شاعرهم ، وهو الراعى كما فى الحيوان ٤ : ٣٣٦ واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة ٢ : ١٥٣ ، يهجو عدى بن الرقاع العاملى .

(٢) كذا .

(٣) الحبن ، بكسر الحاء : الدمل . وفى الأصل : « الجبن » ، وهو تصحيف .

(٤) الخراج ، كغراب ، ورم قرح يخرج بدابة أو غيرها من الحيوان .

وقَال العُجيرُ السَّلولى (١) :

إذا البَيْضَةُ الصَّمَّاء عضّت صفيحةً ... بِحِرْبَائِها صاحَتْ صِياحاً وصَلَّت (٢)

(شرط أبى عباد فى الخمر)

ولما أنشدوا أبا عبَّاد النَّمَرِىَّ (٣) قولَ ابنِ مَيَّادة ، وهو الرَّمَّاح :

ولقد غدَوْتُ على الفَتَى فى رحله ... قبْلَ الصَّباحِ بمُتْرَعٍ نَشَّاجِ (٤)

جادَ القِلالُ له بدَرٍّ صبابة ... حمراءَ مثل سخينة الأوداجِ (٥) ١٢٤

حُبِسَتْ ثلاثةَ أحْرُسٍ فى دَارةٍ ... قَوْراءَ بَيْنَ جَوازِلٍ ودَجاجِ (٦)

تَدَعُ الغوىَّ كأنّه فى نفسه ... مَلِكٌ يعصَّبُ رأسَهُ بالتَّاجِ (٧)

---

(١) العجير السلولى : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مقل . ويصح أن يقرأ اسمه بضم العين وفتحها . (الخزانة ٢ : ٢٩٨ بولاق) . وعده ابن سلام فى الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . وانظر الأغانى ١١ : ١٤٦ – ١٥٤ . وفى الأصل : « العجيز » ، محرفة .

(٢) يقول : إذا ضرب السيف مسمار تلك البيضة بدا لها صوت عال وصليل .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٩٣ .

(٤) المترع أراد به قدح الخمر . والنشاج : الذى يغلى مافيه من الخمر حتى يسمع صوته .

(٥) القلال : جمع قلة ، بالضم ، وهى الجرة العظيمة .

(٦) الأحرس : جمع حرس بالفتح ، وهو الدهر . وفى الأصل : « أخرس » وهو تصحيف . والدارة : الرملة المستديرة. والقوراء : الواسعة .

(٧) الغوى : الضال . وفى ط : « القوى » .

ويظَلُّ يحسِب كلَّ شيءٍ حولَه ... نُجبَ العراق نزَلْنَ بالأحْداجِ

فحين سمعه أبو عبّاد يقول :

حُبست ثلاثَةَ أحْرُسٍ فى دَارةٍ ... فوراءَ بَيْنَ جَوازل ودَجاجِ[٢]

قال : لو وجدْتُ خمراً زيتيّة ذهبية[٣] ، أصفى من عين الديك ، وعَين الغراب، ولعابِ الجُندب وماء المفاصل[٤] ، وأحسنَ حمرةً من النّار ، ومن نَجيع غزال[٥] ، ومن فُوَّةِ الصَّباغ[٦] — لَمَا شربتُها حتّى أعلمَ أنَّها من عصير الأرجل ، وأنَّها [من][٧] نبات القرى ؛ ومالم تكدر فى الزِّقاق[٨] ،

(١) النجب هنا: جمع نجيبة، وهى الناقة الكريمة . وهذه اللفظة مهملة من الأعجام فى س .

(٢) فى الأصل : « حسبت ثلاثة أخرس » وانظر الصفحة السابقة . والأحداج : جمع حدج بالكسر : مركب للنساء . والمعنى أنه يخال الشىء الدقيق عظيما ، مما لعبت برأسه الخمر ، مثله قوله :

وأخرى بالعقنقل ثم رحنا ... نرى العصفور أعظم من بعير

(٣) س : « لو وجدت حمراء . . . » و « زيتية » : لونها لون الزيت . ومنه قول أبى نواس (انظر أخبار أبى نواس ٢٠٨ ، ٢٢١) :

فجاء بها زيتية ذهبية ... فلم نستطع دون السجود لها صبرا

(٤) المفاصل هى منفصل الجبل من الرملة يكون بينها رضراض وحصى صغار ، فيصفو ماؤه ويرق . (٥) نجيع الغزال : دمه .

(٦) الفوة : جاء فى المعتمد نقلا عن كتاب ابن جزلة : « وتعرف بفوة الصباغين » . وفى تذكرة داود : « الفوة وتسمى عروق الصباغين » . وقد جاء هذا اللفظ فى كل من اللسان والقاموس بمادتى (ف وو) و (ف و ه) ، فعلى الأولى يكون منتهيا بتاء مثل قوة ، وحوة . وعلى الثانية يكون منتهيا بالهاء على وزن سكر . والحق أنه من المادة الأولى بدليل الاشتقاق منه ، تقول : ثوب مفوى : مصبوغ بها ، كما تقول شىء مقوى من القوة . وتقول أيضاً : أرض مفواة : ذات فوة ، أو كثيرة الفوة . وجاء فى صحاح الجوهرى من المادة الأولى فقط . والفوة ، كما قال أبو حنيفة : عروق ولها نبات يسمو دقيقا فى رأسه حب أحمر شديدة الحمرة ، كثير الماء ، يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جرت بها الريح أذيالا مظاهرة ... كما تجر ثياب الفوة العرس

والصباغ : من يلون الثياب . وفى الأصل : « قوة الضباع » وهو تحريف ، صوابه ما أثبت .

(٧) التكملة من س . (٨) س : « ومما لم تكدر فى الزقاق » .

وأنَّ العنكبوت قد نسَجَت عليها ، وأنَّها لم تصرْ كذلك إلاَّ وسْطَ دَسكرةٍ ، وفى قرية سَوادِيَّة[١] وحولَها دَجاجٌ وفراريج . وإن لم تكنْ رقطاءَ أو فيها رُقْط فإنَّها لم تتمَّ كما أريد . وأعجَب من هذا أنِّى لا أنتفع بشُربها حتَّى يكون بائعُها على غير الإسلام ، ويكونَ شيخاً لايُفصح بالعربيَّة ، ويكونَ قميصُه متقطِّعاً[٢] بالقار . وأعجب من هذا أنّ الذى لابدَّ منه أنْ يكون اسمه إنْ كان مُجوسيًّا شهريار ، ومازيار ، وَما أشبه ذلك ، مثل أدير ، واردان ، ويازان . فإن كان يهوديًّا فاسمه مانشا ، وأشلوما ، وأشباه ذلك . وإن كان نصرانيًّا فاسمه يُوشع وشِمعون وأشباه ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال حَمِسَ الشرُّ وأحْمَسَ إذا اشتدّ . ويقال قد احتَمَسَ الدِّيكان احتماساً ، إذا اقتتلا اقتتالا شَديداً . ويقال وقَعَ الطائر يقَع وُقوعا . وكلُّ واقعٍ فمصدره الوقوع ، ومكانه موقَعَةٌ[٣] ، والجمع مواقع . وقال الرَّاجز[٤] :

كأنَّ متنيْهِ من النَّفِىِّ[٥] مواقعُ الطير على الصُّفِىِّ

(١) سوادية : منسوبة إلى سواد العراق ، أى قراه .

(٢) أى ملوثا به فى مواضع مختلفة . س : « منقطا » .

(٣) فى الأصل : « موقعه » وتصحيحه من الأمالى ٢ : ٨ واللسان والقاموس (وقع ، وهى بفتح القاف وتكسر .

(٤) هو الأخيل كما فى اللسان (وقع ، صفى ، نفى) . يصف ساقيا يستقى ماء ملحا . (الأمالى ٢ : ٨) .

(٥) المتنان : مكتنفا الصلب . وفى ط : « متنيه » وصوابه فى س ، وما سبق من المراجع . وفى اللسان : (قال ابن سيده : كذا أنشده أبو على . وأنشده ابن دريد فى الجمهرة : « كأن متنى » ، قال : وهو الصحيح لقوله بعده :

* من طول إشرافى على الطوى *)

يقال صَفاً وصُفِيّ . والنَّفِيُّ : ماننى الرِّشاء من الماء ، وما تَنفيه مشافرُ الإبل من المـاء المَـدِير[١] . فشبَّه مكانَه على ظهر الساقى والمستَقى بِذَرْق الطَّير علَى الصَّفا .

ويقال «وقع الشيءُ من يدى وُقوعا ، وسقط من يدى سُقوطا » . ويقال وقَع الربيع بالأرض ، ويقال سقَط . وقال الرّاعى :

وقَعَ الربيع وقَدْ تقاربَ خَطْوُهُ ورأى بعَقْوَتِهِ أزلَّ نَسُولا

(لؤم الفروج)

١٢٥ قال : وكان عِنْدَنا فرُّوجٌ ، وفى الدار سنانيرُ تُعابث الحمامَ وفراخه ، وكان الفرُّوج يهرُب منها إلى الحمام ، فجاءُونا[٢] بدُرَّاج ، فترك الحمامَ وصار مع الدُّرَّاج ، ثمَّ اشترينا فَروجاً كَسْكَريًّا[٣] للذَّبح فجعلناه فى قفص ، فترك الدُّرّاج ولزم قُرْب القفَص ، فجئْنا بِدَجَاجَةٍ فترك الدِّيك وصارمع الدَّجاجة ، فَذَكَرتُ قولَ الفِزْر[٤] عبد بنى فَزَارة — وكانت بأُذنِهِ خُربة[٥] — :

---

(١) الماء المدير : الذى به المدر ، وهو الطين اليابس .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « فجاءنا » !

(٣) سبق القول فى الدجاج الكسكرى ص ٢٤٨ .

(٤) ش : « العرز » وسائر النسخ : « الغرير » ، صوابه من رسائل الجاحظ ٥٤ ساسى .

(٥) الخربة ، بالضم : ثقب شحمة الأذن . فى الأصل : « ضربة » تحريف . قال ذوالرمة :

كأنــه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب

إنَّ الوئام يتبرَّع في جميع الطَّمْش[١] ، لايقرب العنزُ الضَّأن ماوجدت المعز ، وتنفر من المِخْلَب ولا تتأنّس بالخفّ . فجعلَها كما ترى تنفر ولا تأْنس منزله

وكذلك حدّثنا الأصمعيُّ قال : قلتُ للمنتَجِع بن نبهان — وكانت بأُذنِهِ خربة[٢] — أكان تميمٌ مسلماً ؟ قال : إن كان هو الذى سمَّى ابنَه زَيْدَ مناةَ فما كان مُسلِماً ، وَإلاَّ يكنْ هو الذى سمَّاه فلا أدرى . ولم يقلْ : وإلاّ يكنْ هو سمَّاه فقد كان مسلماً .

(الوئام)

والوئام : المشاكلة. وقالوا: تقول العرب: « لولا الوئامُ لهلك الأنام[٣] » . وقال بعضهم : تأويلُ ذلك : لولا أنَّ بعضَ الناس إذا رأى صاحبه قد صنَع خيراً فتشبَّه بِهِ لهلك الناس . وَقال الآخرون : إنَّما ذهب إلى أُنسِ بَعْض الناس ببَعض، كأنّه قال: إنَّما يتعايشون عَلى مقادِير الأُنس الذى بينهم ؛ ولو عمَّتهم الوَحْشة عمَّتهم الهَلَكة . وقال قَوم بن مَالك ، في الوئام :

عَلاَمَ أُوَائِم البخلاءَ فيها فأقعد لاأزُورُ ولاَ أُزارُ

(١) في الأصل : « إن اللؤم يسرع في جميع العطش » . صوابه من رسائل الجاحظ ١ : ١٧٧ بتحقيقنا . والمراد بالطمش الخلق من إنسي ووحشي . والتنزع : التسرع .

(٢) في الأصل : « ضربة » . وانظر رسائل الجاحظ ١ : ١٩٨ .

(٣) ويروى : « لهلك اللئام » و : « لهلكت جذام » . قال الزمخشرى في الأساس (وأم): « أى لولا أن الكرام وأهل الخير يحكيهم غيرهم ويتشبهون بهم لكان الهلاك » . وانظر المثل في الميداني ٢ : ١١١ والمخصص ١٢ : ١٥١ .

وقال الأخْطل :

نازعتهُ فى الدُّجَى الرَّاحَ الشَّمُولَ وقدْ
صاحَ الدَّجاَجُ وحانتْ وقفة السَّارِى(١)

وقال جرير :

لَمَّا مَررْتُ على الدَّيرَينِ أرَّقنَى صَوْتُ الدَّجاجِ وقرْعٌ بالنواقيسِ(٢)

(شعر فى الديكة والدجاج)

قالوا : وقد وجدنا الدِّيَكةَ والدَّجاجَ وأفعالَها، مذكوراتٍ فى مواضعَ كثيرة ، قال ذو الرُّمة :

كأنَّ أصواتَ من إيغالهنَّ بنا أواخِرِ المَيْسِ أصواتُ الفَرَاريجِ(٣)

وقال الهذلى(٤) :

ومن أينها بعد إبدانها ومن شحم أَثْباجها الهابط(٥)

---

(١) ط : « وقعة السارى » .

(٢) هذا البيت من الشواهد المتنازعة فى كتب اللغة والأدب والنحو . والرواية المشهورة فيه : « لما تذكرت بالديرين » . وصاحب العقد يرى أنه أراد ديرا واحدا هو دير الوليد بالشام (العقد ٤ : ١٠) . وصاحب معجم البلدان يصرح بأنه أراد ديرين وهما « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق . وروى بيتاً آخر لجرير فى رثاء ولده ، وهو :

إلا تكن لك بالديرين باكية فرب باكية بالرمل معوال

(٣) قد فصل بين المتضايفين — وهما أصوات ، وأواخر — بالجار والمجرور . يريد : كأن أصوات أواخر الميس — بسبب إيغال هذه الإبل بنا — أصوات الفراريج . والميس : شجر تتخذ منه الرحال . وانظر الكلام على هذا البيت فى الخزانة ٤ : ٨٠ سلفية وكتاب سيبويه ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ بولاق .

(٤) هو أسامة الهذلى . ديوان الهذليين ٢ : ١٩٥ وفى اللسان (هبط) .

(٥) كذا فى ط : واللسان (مادة هبط) . وفى س : « بعد إبدائها » . والأثباج : الأعالى .

تَصِيحُ جنادِبُهُ رُكَّداً صِياحَ المساميرِ فى الواسط(١)
فهو على كلٍّ مستوفز سقوط الدَّجاجِ على الحائط

وقال مَرْوان بن محمد(٢) : ١٢٦

ضيَّع ماوُرِّثَه راشدٌ مِن كيلَةِ الأكداسِ فى صفِّهِ(٣)
غربَ كُدْسٍ قد علا رمسَه كالدِّيك إذ يعلو عَلَى رَفِّه

(بيضة الديك وبيضة العقر)

ويقال فى المثل للذى(٤) يعطى عطيّةً لايعودُ فى مثلها : «كانَتْ بَيْضَةَ الدِّيك» . فإن كان معروف له قيل : «بَيْضة العُقْر(٥)» .

(استطراد لغوى)

ويقال دجاجة بَيُوض فى دَجاجٍ بيضٍ وبُيُض ، بإسكان موضع العين من الفعل من لغة سفلى(٦) مضر ، وضمٍّ موضع العين من نظيره من الفعل مع الفاء من لغة أهل الحجاز .

---

(١) واسط الرحل : وسطه .

(٢) هو الشاعر المعروف بأبى الشمقمق . انظر ترجمته فى الجزء الأول ٢٢٥ .

(٣) الأكداس : جمع كدس بالضم ، وهو الحب المحصود المجموع . ط : « ضبع ماورثه راشد » .

(٤) فى الأصل : « الذى » .

(٥) أى فإن كان قد سبق معروف له قبل هذه المرة التى قطع فيها معروفه . قال أبو عبيد : يقال للبخيل يعطى مرة ثم لايعود : كانت بيضة الديك . فإن كان يعطى شيئاً ثم قطعه قيل للمرة الأخيرة : كانت بيضة العقر . انظر اللسان وأمثال الميدانى ١ : ٨٦ وثمار القلوب ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٦) فى الأصل : « سفل » .

ويقال عمد الجرح يَعمَد عَمَداً ، إذا عُصر[١] قبل أن ينضجَ فورِم ولم يُخرِج بَيضَته[٢] ، وذلك الوِعاء والغِلاف الذى يجمع المِدَّة يسمّى بيضة . وإذا خرجَ ذلك بالعصر من موضع العَين فقد أفاق صاحبُهَ .

ويقال حضَن الطائر فهو يحضن حِضاناً[٣] .

(السفاد والضراب ونحوهما)

ويقال هو التَّسافُد[٤] من الطير ، والتعاظل من السِّباع . ويقال قَمَط الحمام الحمامة وسفِدَها . ويقال قَعَا الفحلُ يقعو قَعْوا ، وهو إرساله بنفسه عليها فى ضرابه . والفحل من الخفِّ يَضرِب ، وهو القَعْو والضِّراب . ومن الظِّلف والحافر ينزو نزْوا ، وكذلك السنانير . والظليم يقعو ، وكلّ الطير يقعو قعوا . وأما الخفّ والظِّلف فإنّه يقعُو بعد التسنُّم . وهو ضرابٌ[٥] كلُّه ماخلا التسنُّم . وأما الظِّلف خاصَّة فهو قافط ، يقال قفط يقفُط قفْطا . أو القفْط نزْوةٌ واحدة . وليس فى الحافر إلاّ النَّزو .

(حضن الدجاج بيض الطاوس)

قال : ويُوضع بيضُ الطاوس تحتَ الدّجاجة ، وأكثرُ ذلك لأنَّ الذَّكر يعبَثَ بالأنثى إذا حَضَنت . قال : ولهذه العلَّة كثيرٌ من إناث

(١) ط : « أعصر » ، وتصحيحه من س .
(٢) فى اللسان : « ولم تخرج بيضته » .
(٣) وكذا حضنا ، وحضانة بالكسر ، وحضونا .
(٤) فى الأصل : « السافد » .
(٥) ط : «ضرابه» ، وأثبت ما فى س .

طير الوحش يهرِّبن بيضهُنَّ من ذكورتها ، ثمَّ لاتضعه بحيث يشعر به ذكورتهُنّ .

قال : ويُوضَع (١) تحتَ الدجاَجةِ بيضتان من بيض الطاوس ، لاتقوى على تسخينِ أكثرَ من ذلك . عَلَى أنَهم يتعهّدون الدّجاجة بجميع حوائجها خوفاً من أن تقوم عنه فيفسده الهواء .

(خصى ذكور الطير)

قال : وخُصَى (٢) ذكورِ أجناس الطَّير تكونُ فى أوان أوّل السفاد أعظم . وكُلَّما كانَ الطيرُ أعظم سِفاداً ، كانت خصيتَه أعظمَ ، مثلُ الدِّيك ، والقَبَج ، والحَجَل .

وخُصية العصفور أعظمَ من خُصيةِ مايساويه فى الجثّة مرَّتين .

(بيض الدجاج)

قال : وكلُّ ما كان من الدَّجاَج أصغرَ جثَّةً يكونُ أكبر لبيضه (٣) .
وبعض الدَّجاَج يكون يبيض بيضاً كثيراً ، وربما باض بَيضتين فى يومٍ واحد ؛
وإذا عرض له ذلك كان من أسباب موته ١٢٧

(١) ط : « ترضع » وتصحيحه من س .
(٢) فى الأصل : « وخصا » .
(٣) كذا بالأصل . وهو تحريف ، انظر لتصحيحه ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(شعر فى صفة الديك)

وقَال آخر [1] فى صفة الديك :

ماذا يؤرِّقنى والنومُ يُعْجِبُنى
مِنْ صوتِ ذِى رَعَثاتٍ ساكِنِ الدَّار [2]
كَأنَّ حُمَّاضةً فى رأسهِ نبتَتْ من آخر الليل قد همَّتْ بإثمارِ [3]

وقال الطِرِمَّاح :

فياصبحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللَّيلِ مُصْعِداً بِبَمّ ونَبِّهْ ذا العفاءِ الموشَّحِ [4]
إذا صاحَ لم يُخذَلْ وَجاوَبَ صَوْتَهُ
حَمَاشُ الشَّوَى يَصْدَحْنَ منْ كُلِّ مَصْدَحِ [5]

---

(١) البيتان فى اللسان (حمض) والحماسة ١٨٨٣ بشرح المرزوقى ومحاضرات الراغب ٢ : ٣٠١ بدون نسبة . والبيت الأول فى اللسان (رعث) منسوب إلى الأخطل .

(٢) فى اللسان : « ورعثة الديك : عثنونه ولحيته » .

(٣) قال أبو حنيفة : « الحماض من العشب ، وهو يطول طولا شديدا ، وله ورقة عظيمة وزهرة حمراء . وإذا دنا يبسه ابيضت زهرته ، والناس يأكلونه » . ورواية اللسان : « من آخر الصيف » ، ورواية الراغب : « من أول الضيف » .

(٤) سبق البيتان فى ص ٢٥٤ ، وفى الأصل : « غير الليل » محرف . وفى ط : « يتم » وتصحيحه من س والديوان . وفى الأصل : « وفيه ذا العفاء » ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) انظر ص ٢٥٤ . وفى س : « يصرخن من كل مصرخ » .

(حضن الحمام بيض الدجاج)

قال : والفرُّوج إذا خرج من بيضه عن حَضن الحمام ، كان أكيسَ له .

(بيض الطاوس)

وبيضُ الطَّاوس إذا لم تحضنه الأنثى التى باضته خرج الفرخ أَقمأَ[١] وأصغر .

(بيض الدجاج)

قال : وإذا أُهْرِمَت[٢] الدَّجاجة فليس لأواخر ماتَبيض صُفْرة . وقد عايَنوا للبَيضَة الواحدة مُحَّتين ، خبَّرنى بذلك جماعةٌ ممَّن يَتَعَرَّف[٣] الأُمور . وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلق من البيضة فرُّوج ولا فرخ ؛ لأنَّه ليس له طعام يغذوه ويُرْبِيه . [والبيض[٤]] إذا كان فيه مُحّتان وكان البياض وافراً – ولا يكون ذلك للمسِنَّات – فإذا [كان كذلك[٤]] خلق الله تعالى من البَياض فَرُّوجين ، وتربَّى الفَرُّوجان[٥] ، وتمَّ الخلق ؛ لأنَّ الفرْخ إنَّما يخلق من البَياض ، والصفرة غذاء الفروج .

---

(١) أقمأ : من القماءة ، بمعنى الصغر .

(٢) هى صحيحة . يقال : أهرمه الدهر وهرمه بالتشديد .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « يعرف » .

(٤) زدت هذا لحاجة الكلام إليه .

(٥) فى الأصل : « وهناك محتين (كذا) تربى الفروجان » .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قفَط الطائر يقفُط قفْطا ، وسفِد يسفَد سفاداً ، وهما واحد. ويكون السِّفاد للكلب والشاة . ويقال قَمط الحمام يقمُط قمطا .

ويقال ذَرق الطائر يذرُق ذرْقا ، وخزَق يخْزِق خَزْقا ، ويقال ذلك للإنسان . فإذا اشتقّ له من الحذقة نفسه ومن اسمه الذى هو اسمه[١] قيل خرِئ ، وهو الخُرءُ والخِراءُ[٢] . ويقال للحافر راث يرُوث ، وللمعْز والشاء[٣] : بعر يبعُر . ويقال للنَّعام: صام [يَصُوم]، وللطير : [نجا] ينجو[٤] واسم نجْو النَّعام الصَّوم ، واسم نجو الطَّير العُرَّة . وقال الطِّرِمّاح :

فى شَــناَظِى أُقَنٍ بَيْنَهَا عُرَّة الطِّيرِ كَصَوْمِ النَّعامْ[٥]

ويقال للصبى عَقَى[٦] ، مأخوذ من العِقْى.

ويقال لحمت الطير . ويقال ألحِم طائِرَك إلحاماً[٧] ، أى أطعمْه لحما واتّخذ له . ويقال هى لحُمة النَّسب . ويقال ألحمت الثَّوب إلحاما ، وألحمْت الطائر إلحاماً ، وهى لحمة الثَّوب ، ولحمة ، بالفتح والضمّ .

---

(١) عبارة مبهمة . ومبلغ الظن أنها محرفة .

(٢) فى الأصل : « والخراة » .

(٣) فى الأصل : « والشاة »، ووجهه ما أثبت.

(٤) زدت الكلمتين السالفتين ليلتئم الكلام . و « ينجو » هى فى الأصل : « نجو » .

(٥) فى اللسان : « شناظى الجبال : أعاليها وأطرافها ونواحيها ، واحدتها شنظوة » . و « الأقن » : حفر تكون بين الجبال ينبت فيها الشجر ، واحدها أقنة » و « عرة الطير : ذرقها » . وصدر البيت محرف فى س هكذا : « فى شناطى أمر بها » . وانظر ديوان الطرماح ٩٧ و اللسان (شنظ وأقن) .

(٦) فى الأصل : « عقىٌ » ، وتصحيحه من اللسان والقاموس .

(٧) فى الأصل : « لحم طائرك لحاما » .

(صفاء عين الديك)

ومن خصال الدِّيك المحمودةِ قولهم فى الشراب : « أصفَى مِنْ عَيْنِ الدِّيك » وإذا وصفوا عَين الحمام الفَقيع (١) بالحمرة ، أو عينَ الجرادِ قالوا : كأنَّها عينُ الدِّيك . وإذا قالوا : « أصفى من عين الغراب » فإنّما يريدون حِدَّته ونفاذَ البصر . ١٢٨

(ما قيل فى عين الديك)

وفى عين الديك يقول الأعشى :

وكأسٍ كعَينِ الدِّيكِ باكَرْت حَدَّها
بغـرتها إذ غابَ عنها بُغاتُها (٢)

وقال آخر (٣) :

وكأس كعين الديك باكرتُ حَدَّها
بفتيانِ صِدق والنّواقِيسَ تُضربُ

(١) الفقيع : جنس من الحمام أبيض .

(٢) فى ديوان الأعشى ٦٠ : « كماء النى ء » . وقالوا : حد الخمر : صلابتها . الصحاح واللسان . والمراد بالصلابة قوة تأثيرها . وانظر لوصف الخمر بالصلابة محاضرات الراغب ١ : ٣٢٨ . وفى الديوان : « إذا غاب عنى » .

(٣) هو الأعشى أيضا ، فى الصحاح واللسان . وانظر ديوانه ١٣٧ .

وقال آخر (١) :

قَدَّمَتهُ على عُقارٍ كَعين الدِّيـ ... ـك صفَّى زُلاَلَهـا الرَّاوُوقَ

وقال الآخر (٢) :

ثلاثَةَ أحوالٍ وشَهْـرًا مُجَرَّما ... تضىء كَعيْنِ العُتْرُفَان المجاوِبِ

والعُتْرُفان من أسماء الدِّيك ، وسماه بالمجاوب كما سمَّاه بالعُتْرُفان .

(وصف المـاء الصافى)

وإذا وصفوا المَـاءَ والشَّرابَ بالصَّافى قالوا ، كأنَّه الدَّمع ، وكأنَّه ماء قَطْر ، وكأنّه [ماء](٤) مَفْصِل ، وكأنَّه لعاب الجندب . إلاّ أنّ هـذا الشاعر قال :

مطبقـةٌ ملآنة بابليَّـــة ... كأنَّ حُمَيَّاها عُيُونُ الجَنادِبِ (٥)

---

(١) هو عدى بن زيد العبادى كما فى الأغانى ٥ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ و ٦ : ١١٩ ، ١٢٨ . والرواية فيما عدا الموضع الثالث :

قدمته على عقار كعين الـ ... ـديك صفى سلافها الراووق

وفى الموضع الثالث :

قدمته على سلاف كريح الـ ... ـمسك صفى سلافها الراووق

وقبل البيت :

ثم ثاروا إلى الصبوح فقامت ... قينة فى يمينها إبريق

(٢) هو عدى بن زيد العبادى كما فى اللسان (عترف) وحياة الحيوان ٢ : ١٥٧ برسم (عترفان) .

(٣) فى الأصل ، وكذا فى اللسان : « محرما » بالحاء ، وهو تصحيف ماأثبت . يقال حول مجرم ، وسنة مجرمة وشهر مجرم ، ويوم مجرم ، أى تام . انظر اللسان والقاموس و (العترفان) شرحه الجاحظ .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) حميا الخمر : أثر إسكارها ، أو شدتها . فى ط : « حلياها » وتصحيحه من س .

وقال آخر [١] :

وَمَا قَرْقَفٌ من أَذْرِعاتٍ كأنَّها إذا سُكِبَتْ مِنْ دَنِّها ماءُ مَفْصِلِ [٢]

(المفاصل وماء المفاصل)

والمفاصل : ماءٌ بين السَّهل والجَبَل . وقال أبو ذُؤيب :

مَطافيلَ أبكارٍ حَدِيثٍ نِتاجُها تُشَابُ بماءٍ مِثْلِ ماءِ المَفاصِلِ [٣]

وقال ابن نجيم [٤] : إنَّما عنَوا مفاصل فَقَارِ الجَمَل ؛ لأنّ لكلِّ مَفْصِلٍ حُقًّا ، فيستنقع فيه مَاءٌ [٥] لاتجد مَاءً أبداً أصفى ولا أحسن منه وإن رقّ [٦] .

---

(١) هو كثير ، كما فى ثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) أذرعات : بلد فى أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر . ياقوت .

(٣) المطافيل : جمع مطفل ، وهى ذات الولد . والأبكار : جمع بكر ، بالكسر ، وهى الناقة التى ولدت بطناً واحداً ، وولدها بكرها أيضاً . وقبل هذا البيت :

وإن حديثاً منك لو تبذلينه جنى النخل أو ألبان عوذ مطافل

وانظر الحديث عنه فى البيان ١ : ٢٧٨ وأمالى المرتضى ١ : ١٨٧ وثمار القلوب ٤٤٦ والمخصص ٧ : ٢٨ .

(٤) هو يحيى بن نجيم ، قال الجاحظ فى شأنه (البيان ٤ : ٢٣) « وقد جلست إلى أبى عبيدة والأصمعى ويحيى بن نجيم وأبى مالك عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فما رأيت أحدا منهم قصد إلى شعر فى النسيب فأنشده » . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست (١٧٠ ليبسك ، ٢٤٢ مصر) مع أصحاب القصائد التى قيلت فى الغريب . وفى أصل الحيوان : « أبو نجيم » محرف .

(٥) ط : « ما » ، وأثبت مافى س .

(٦) س : « إن روق » ، والوجه ما أثبت من ط . وفى ط بعد هذا زيادة ليست فى س فحذفتها ، وهى : « ولاقول أصحابنا » .

(ثقوب بصر الكلب وسمعه)

وقال مَرَّةً قطربٌ ، وهو محمد بن المستنير[١] النحويٌّ : « والله لَفلانٌ أبصرُ من كلب ، وأسمعُ من كلب ، وأشمُّ مِن كلب » ! . فقيل له : أنشدْنا فى ذلك ما يُشبِه قولَك . فأَنشد قوله[٢] :

يا ربَّة البَيتِ قومى غيرَ صاغرة حُطِّى إليك رِحال القَوْم فَالقُرُبا[٣]
١٢٩ فى ليلةٍ من جُمادَى ذاتِ أَنْدِيَةٍ لايُبصِرُ الكلبُ مِنْ ظَلْمَائِها الطُّنُبا[٤]
لا يَنْبَحُ الكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ حتَّى يجرَّ على خَيشُومِه الذَّنَبا[٥]

(١) فى الأصل : « المنتشر » وصوابه ماأثبت . لازم محمد بن المستنير سيبويه ، وكان يدلج إليه ، فإذا خرج رآه على بابه فقال : « ما أنت إلا قطرب ليل ! » . وكان قطرب يرى رأى المعتزلة النظامية ، واتصل بأبى دلف العجلى وأدب ولده . توفى قطرب سنة ست ومائتين . بغية الوعاة ، ونزهة الألباء ١١٩ .

(٢) هو مرة بن محكان التميمى السعدى ، كما فى الحماسة ٢ : ٢٥٣ والأغانى ٢٠ : ١٠ ومعجم المرزبانى ٣٨٣ ، وكما سيأتى بعده .

(٣) القرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف أو جفن غمده . ورواية الحماسة :

* ضمى إليك رحال القوم والقربا *

وسئل أبو عبيدة عن معنى هذا الشطر فقال : « كان الضيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا إليهم رحله، وبقى سلاحه معه لايؤخذ ، خوفا من البيات . فقال مرة يخاطب امرأته : ضمى إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم؛ فإنهم عندى فى عز وأمن من الغارات . (الأغانى ٢٠ : ١٠) .

(٤) الأندية : جمع ندى . والطنب : حبل البيت .

(٥) أى لاينبح غير نبحة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجر ذنبه إلى خيشومه ليستدفئ به . ورواية الحماسة :

* حتى يلف على خيشومه الذنبا *

وأنشد هذا البيت فى ثُقوب بصره، والشِّعر لمرَّة بن مِحْكَان السعدىّ[(١)] :

ثمَّ أنشدَ فى ثُقوب السّمع :

خَفِىّ السُّرَى لا يَسْمَعُ الكَلْبُ وَطْأَهُ
أتى دُونَ نَبْحِ الكلبِ والكلبُ دابب[(٢)]

(خصال القائد التركى)

قال أبو الحسن : قال نصْر بن سيَّارٍ اللَّيْثى[(٣)] : كان عظماءُ التُّركِ يقولون للقائِد العظيم القِيادة : لابدَّ أن تكونَ فيه عشرُ خصالٍ من أخلاق

(١) مرة بن محكان : شاعر إسلامى مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان فى عصر جرير والفرزدق فأخملا ذكره لنباهتهما فى الشعر . كان مرة شريفاً جوادا ، وكان أنهب ماله الناس فحبسه زياد ، فقال فى ذلك الأبيرد الرياحى :

حبست كريما أن يجود بماله ستعرف مافى قومه من مفاقم

وقتله مصعب بن الزبير. وذلك أن الحارث بن أبى ربيعة كان واليا على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه مرة بن محكان رجلا ، فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ يقول :

أحار تثبت فى القضاء فإنه إذا ما إمام جار فى الحكم أقصدا
وإنك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا
فإنى مما أدرك الأمر بالأنى وأقطع فى رأس الأمير المهندا

فلما ولى مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال : أما والله لأقطعن السيف فى رأسك قبل أن تقطعه فى رأسى ، فأمر به فحبس ، ثم دس إليه من قتله (الأغانى ٢٠ : ١٠) والشعراء ٦٦٧ .

(٢) كذا . ولعلها « دائب » أى دائب النباح .

(٣) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ولاه هشام بن عبد الملك . ثم غزا ماوراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيرا ؛ وأقام بمرو ، وقد انتبه إلى استفحال الدعاوة العباسية ، فكتب إلى بنى مروان بالشام ، فلم يأبهوا للخطر ، وظل يكافح هو حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرو إلى قومس ، واستمر فى كفاحه إلى أن لحقه المرض فى مفازة بين الرى وهمذان ، ومات بساوة سنة ١٣١ .

الحيوان : سخاء الديك ، وتحنُّن الدجاجة ، وقلب الأسد ، وحملة الخنزير(١) وروَغان الثعلب ، وختْل الذئب ، [وصبر الكلب على الجراحة ، وحذَر الغراب ، وحِراسة الكُركىّ ، وهداية الحمام(٢)] .

وقد كتبْنا هذا فى بابٍ ما للدَّجاج والدِّيك ؛ لأنَّ صاحبَ هذا الكلامِ قسّم هذه الخصال ، فأعطى كلَّ جنسٍ منها خَصْلةً واحدة وأعطى جنس الدجَاج خَصلتين .

(بعض ماورد من الحديث والخبر فى الديك)

وعبّاد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن زيد قال : كان مكحولٌ يسافر بالدِّيك .

وعنه فى هذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدِّيكُ صدِيقى ، وصديق صديقى ، وعدُوُّ عدوِّ الله ، يحفَظ دارَه وأربَعَ دُور من حواليه » .

والمسيب بن شريك عن الأعمش نحسبه عن إبراهيم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَذْبَحُوا الدِّيك ؛ فإنَّ الشَّيْطَان يُفْرَحُ بِهِ(٣) » .

(١) أصل معنى الحملة : الكرة فى الحرب . قال الثعالبى فى ثمار القلوب ٣٢١ : « يضرب المثل بحرص الخنزير وقبحه وقذره ، وحملته ، وصعوبة صيده ، وشدة الخطر فى طرده » .

(٢) الزيادة من ثمار القلوب ٣٠٦ والإمتاع والمؤانسة ١ : ١٤٤ وجمهرة العسكرى ٨٥ والفخرى ٥١ حيث يوجد هذا النص . وبها تتم الخصال العشر .

(٣) يفرح به : يغم . وهذا الحرف من الأضداد : يقال أفرحه إذا سره ، وأفرحه إذا غمه وأثقل عليه .

(ريش جناح الطائر)

قال : وليس جناح إلاَّ وفيه عشرون ريشةً : فأربعٌ قوادم ، وأربعٌ مناكب ، وأربع أباهر ، وأربع كُلًى[(١)] ، وأربعٌ خَوَافٍ . ويقال : سبعٌ قوادم ، وسبعٌ خَوافٍ ، وسائره لقب .

(الكف والركبة لدى الإنسان وذوات الأربع)

قال : وكلُّ شيء من ذوات الأربع فركبتاه فى يديه ، وركبتا الإنسانِ فى رجليه ، قال : والإنسان كفُّه فى يده ، والطائر كفه فى رِجله .

(أسنان الإنسان)

قال : وفى الفم ثَنِيَّتان ورَبَاعِيَتان ونابان وضاحكان وأربعةُ أَرحاءٍ سوى ضِرْس الحُكْم[(٢)] . والنَّواجذ والعوارض سواء . ومثلها أسفل[(٣)] .

---

(١) فى الأصل : « أربع أباهن وأربع طلى » ، وهو تحريف ماأثبت . انظر أدب الكاتب ١١٩ والمخصص ٨ : ١٣٠ ناقلا عن ابن قتيبة ، ومبادئ اللغة ١٦٩ ، واللسان (بهر) .

(٢) الحكم والحلم بمعنى ، وهذا هو الضرس المعروف بضرس العقل ، وجاء فى أدب الكاتب ١١٦ : « والناجذ: ضرس الحلم» .

(٣) أى مثل ماذكر .

(التفاؤل بالدجاجة)

قال صاحب الدِّيك : والدَّجَاجةُ يُتفاءَل بذِكرها ، ولذلك لمَّا ولد لسعيد بن العاص عَنْبَسَةُ بن سعيد ، قال لابنه يحيى : أىَّ شىءٍ تَنْحَلُه[1] ؟ قال : دَجَاجةً بفراريجها ! يريد احتقاره بذلك ، إذ كان ابنَ أَمَةٍ ولم يكن ابنَ حرّة . فقال سعيد — أو قِيلَ له — : إن صدَقَ الطَّيْرُ لَيكونَنَّ أكثرَهُمْ ولداً !

فهم[2] اليومَ أكثرُهُمْ وَلَداً ، وهم بالكوفة والمدينة .

(شعر فى الدجاج)

وقال الشاعر[3] :

غدَوتُ بشَرْبةٍ مِنْ ذات عِرْقٍ ... أبا الدَّهناءِ من حَلب العصيرِ
وأُخرى بالعَقَنْقَل ثمَّ سِرْنا ... نرى العُصفورَ أعظمَ مِن بَعيرِ
كأنَّ الدِّيكَ دِيكَ بنى نُميرٍ ... أميرُ المؤمنين على السَّريرِ
كأَنَّ دَجَاجَهُمْ فى الدَّار رُقطاً ... بناتُ الرُّومِ فى قُمُصِ الحريرِ
فبتُّ أرى الكَوَاكبَ دانياتٍ ... يَنَلْنَ أنَامِلَ الرَّجُلِ القصيرِ
أُدافعهنَّ بالكَفَّينِ عنِّى ... وأمسَحُ جَانبَ القَمَرِ المُنيرِ

---

(١) نحله ينحله : أعطاه . والمصدر : النحل ، بالضم ، كقفل .

(٢) أى فأولاده . وانظر نهاية الأرب ٢ : ١٤٣ .

(٣) انظر الشعر ومراجعه فى هذا الجزء ص ٢٦٠ .

(نطق الدجَاج)

قال : ويوصف بالدُّعاءِ وبالمنطق ، قال لَبيد بن ربيعة :

وصدَّهُمْ مَنطِقُ الدَّجَاجِ عن القَصْـ ـد وضَرْبُ النَّـاقوس فاجتنبا

وقَال :

لَدُنْ أنْ دعا ديكُ الصباح بسُحْرةٍ إلى قَدر وِرد الخامِس المتأوِّبِ

(دعابة أعرابى ، وقسمته للدجاج)

قَال أبو الحسن : حدَّثنى أعرابىٌّ كان ينزل بالبَصْرة قال : قدِم أعرابىٌّ من البادية فأَنزلته ، وكان عندى دَجَاجٌ كثير ، ولى امرأةٌ وابنان وابنتان منها ، فقلت لامرأتى : بَادِرى واشوى لنا دَجَاجةً وقدِّميها إلينا نتغدَّاها[(١)] فلمَّا حضر الغـداء جلسنا جميعاً أنَا وامرأتى وابناى وابنتاى والأعرابىّ . قال : فدفعنا إليه الدَّجَاجة فقلنا له : اقسِمها بيننا ـ نريد [بذلك[(٢)]] أنْ نضحك منه ـ فقال : لا أحسنُ القِسمة ، فإن رضيتم بقسمَتى قسمْتُها بينكم . قلنا : فإنَّا نرْضَى . فأخَذَ رأسَ الدَّجَاجة فقطعه[(٣)] فناوَلَنيهِ وقال : الرَّأس للرّأس[(٤)] . وقَطَعَ الجناحين وقال : الجنـاحان

(١) رفع هذا الفعل على الاستئناف ، وقد نقل النويرى فى نهاية الأرب هـذه القصة ١٠ : ٢٢٣ وفيها : « نتغدها » بالجزم على جواب الأمر . وفى أخبار الظراف ٦٧ : « نتغدى بها » .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب .

(٣) فى الأصل : « فقطعها » والرأس مذكر . فالصواب ماأثبت من نهاية الأرب .

(٤) فى النهاية : « للرئيس » والرأس والرئيس بمعنى .

للابنين . ثمَّ قطع السَّاقين فقال : السَّاقان للابنتين . ثمَّ قطعَ الزِّمِكَّى وقال : العجز للعُجُز[1] . وقال : الزَّور للزَّائر[2] قال : فأَخذَ الدَّجاجة بأَسْرها وسَخِر بنا . قال : فلما كان من الغد قلتُ لامرأتى : اشوى لنا خَمْسَ دَجاجَاتٍ . فلما حضر[3] الغداءُ . قلت : اقسم بيننا . قَال : إنِّى أظنُّ أنَّكم وجَدْتم[4] فى أنفسكم ! قلنا : لا ! لم نجد فى أنفسنا فاقْسِم . قَال : أقسِمُ شفعاً أو وِتراً ، قلنا : اقسِم وِتراً . قالَ : أنت وامرأتك ودَجاجة ثلاثة . ثمَّ رمى إلينا بدجاجة . ثُمَّ قَالَ : وابناك ودجاجة ثلاثة . ثمّ رمى إليهما بدجاجة . ثمَّ قَال : وابنتاك ودجاجة ثلاثَة . ثمَّ رمى إليهما بدجاجة . ثمَّ قَالَ : أنَا ودجاجتان ثلاَثَةٌ . وأخذ دَجاجتين وسخِر بنا . قَالَ : فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تنظرون ! لعلَّكم كرهتم قسمَتِي[5] الوِتر لا يجىء إلاَّ هكذا ، فهل لكُمْ فى قِسمَة الشَّفع ؟ قلنا : نعم . فضمَّهنَّ إليه ، ثم قال : أنتَ وابناك ودجاجة أربعة . ورمى إلينا بدجَاجَة ، ثمَّ قال :
١٣١ والعجوز وابنتاها ودجَاجة أربعة ، ورمى إليهنَّ بدَجَاجةٍ ، ثمّ قالَ : أنَا

---

(١) العجز : جمع عجوز . وفى نهاية الأرب : « للعجوز » . والزمكى : أصل الذنب .

(٢) هكذا جاء فى الأصل ونهاية الأرب . ومقتضى الكلام : ثم قطع الزور وقال . . . الخ .

(٣) فى الأصل : « حضرا » ، وتصحيحه من النهاية .

(٤) وجدتم هنا بمعنى غضبتم .

(٥) فى الأصل : « قسمة » ، وأثبت مافى نهاية الأرب .

وثلاث دَجَاجَات أربعة ، وضمَّ إليه الثَّلاَث ، ورفَعَ يديه إلى السماء وقال : اللهم لك الحمد ، أنتَ فَهَّمتنيها !

(قول صاحب الكلب فى كيس الفروج)

قال صاحب الكلب : [أمَّا قولهمْ(١)] : من أعظم مَفاخِرِ الدِّيك والدَّجَاج على سائر الحيوان ، أنَّ الفَرُّوج يخرُج من البيضة كاسيا يكفِى نفسه ، ثمَّ يجمع كيْس الخِلقة وكيْس المعرِفة ، وذلك كلُّه مع خُروجه من البيضة ــ فقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ولد العنكبوت يأخذُ فى النَّسج ساعةَ يُولد . وعملُ العنكبوتِ عملٌ شاقٌّ ولطيفٌ دقيق ، لا يبلغه الفَرُّوجُ ولا أبو الفرُّوج ! !

على أنّ مامدَحوا الفرُّوج به من خُروجه من البَيضة كاسياً ، قد شركه فى حاله غيرُ جِنسه . وكذلك ذَوات الأربَع كلها تُولد كواسِيَ كواسب ، كولد الشاء .

وفِراخ القَبج والدُّرَّاج ، وفِراخ البطِّ الصِّينيِّ فى ذلك كلِّه لاحقةٌ بالفراريج ، وتزيدُ على ذلك أنَّها تزداد حُسناً كلَّما كبرت . فقد سقط هذا الفخر .

---

(١) ليست بالأصل ، وزيادتها ضرورية .

(شعرٌ هزليٌّ فى الديك)

ومن الشِّعر الذى قيل فى الدِّيك ، ممَّا يُكتَب للهزْل وليس للجِدِّ والفائدة ، قولُ أبى الشَّمَقْمَق :

هَتَفَتْ أمُّ حُصَينٍ ثمَّ قالت : مَن يَنيكْ
فَتحتْ فَرْجاً رَحِيباً مِثلَ صَحراء العَتيكْ
فيه وَزٌّ فيه بَطٌّ فيه دُرَّاجٌ ودِيكْ

(حديث صاحب الأهواز عن العرب)

قال : وممَّا فيه ذِكْرُ الدَّجَاج وليس من شِكْل ما بَنَينا كلامَنا عليه ، ولكنَّه يُكتَب لما فيه من العجب . قال : قال الهامَرز . قال صاحب الأهواز(١) : ما رأينا قوماً أعجب من العَرَب ! أتيتُ الأحنفَ بنَ قيسٍ فكلَّمته فى حاجةٍ لى إلى ابن زياد ، وكنتُ قد ظلمت فى الخَراج ، فكلَّمَه فأحسَنَ إلىّ وحطّ عنِّى ، فأهدَيْتُ إليه هدايا كثيرةً فغَضِب وقال : إنَّا لا نأخُذُ على مَعُونَتِنا أجراً ! فلمَّا كنتُ فى بعضِ الطريق سقطَتْ من ردائى دَجاجةٌ فلحِقَنى رجلٌ منهم فقال : هذهِ سقطتْ من ردائك . فأمرتُ له بدِرْهَمٍ ، ثمَّ لحِقَنى بالأُبُلَّة(٢) فقال : أنا صاحبُ الدَّجاجة ! فأمرْتُ لَهُ

(١) فى القاموس : « الهامرز بفتح الميم من ملوك العجم » . فلعل وجه الكلام : « قال الهامرز صاحب الأهواز » . والأهواز : كورة بين البصرة وفارس .
(٢) الأبلة : بلد بالعراق على شاطىء دجلة .

بدراهم ؛ ثمَّ لحقنى بالأهواز فقال : أنا صاحب الدَّجاجة ! فقلت له : إن رأيتَ زادى بعد هذا كلِّه قد سقَط فلا تُعْلِمنى ، وهُوَ لك ! !

(جرو البطحاء)

قال صاحب الكلب : كان يقال لأبى العاصى بن الربيع بن عبد العُزَّى ابن عبد شمس[١] ، وهو زوج زَينبَ بنتِ رسول الله — صلى الله عليه وسلَّم ولأخيه كنانة بن الرَّبيع[٢] : جِرْوُ البطحاء[٣] .

(الموريانى وأسطورة البازى والديك)

قال صاحب الديك لصاحب الكلب : وسنضرب لك المثلَ الذى ضَرَبه المورِيانىُّ[٤] للدِّيك والبازى : وذلك أنَّ خلاَّد بن يزيدَ[٥] الأرقط ١٣٢

(١) كان أبو العاصى قبل البعثة مواخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان يكثر غشيانه فى منزله ، وزوجه زينب أكبر بناته ، ولم يسلم إلا بعد الهجرة . وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة . ومات فى خلافة أبى بكر سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، الإصابة (باب الكنى ٦٨٤) .

(٢) انظر خبرا طريفاً له فى السيرة ٤٦٦ — ٤٦٨ جوتنجن .

(٣) أى بطحاء مكة ، وهو مسيل واديها . وفى ط : « البطاء » وتصحيحه من س : والإصابة .

(٤) هو سليمان بن مخلد ، المكنى بأبى أيوب ، ونسب إلى موريان : قرية من قرى الأهواز . كان أبو أيوب وزير المنصور العباسى بعد خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان فى أول أمره مقربا لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله. وتوفى سنة ١٥٤ . وفيات الأعيان ١ : ٢١٥ — ٢١٦ .

(٥) خلاد بن يزيد الأرقط : أحد الرواة للأخبار والقبائل والأشعار . انظر الفهرست لابن النديم ١٠٧ ليبسك و ١٥٦ مصر . وفى ط : « زيد » ، وتصحيحه من س والفهرست .

قال : بينما أبو أيُّوب المورِيانيُّ جالسٌ فى أمْره ونهيه ، إذ أتاه رسولُ أبى جعفرٍ فانْتُقِـع لونُه[١] ، وطارت عصافيرُ رأسِه[٢] ، وأَذِن بيومِ بأسه[٣] ، وذعِر ذعرًا نقَضَ حُبْوته[٤] ، واستطار فؤاده[٥] ، ثمَّ عاد طلقَ الوجْه ، فتعجَّبنا من حالَيه وقلْنا لَهُ : إنَّك لطيفُ الخاصَّة قريبُ المنْزلة ، فلمَ ذهب بك الذُّعرُ واستفرَغك الوَجل[٦] ؟ فقال : سأَضرب لكم مثلاً مِن أمثال الناس .

زعموا أنَّ البازىَ قَال للديك : ما فى الأرض شىءٌ أقلُّ وفاءً منك ! قَال : وكيف ؟ قَال : أخذَكَ أهلكَ بيضةً فحضَنوك ، ثمَّ خرجتَ على أيديهم فأطعمُوك عَلَى أكفِّهم[٧] ، ونشأتَ بينهم ، حتَّى إذا كبرتَ صرتَ لا يدنو منك أحدٌ إلاَّ طرتَ هاهنا وهاهنا وضَجِجْتَ وَصِحت . وأُخِذتُ أنا من الجبال [مُسِنًّا[٨]] فعلَّمونى وألَّفونى[٩] ، ثمَّ يخلَّى عَنِّى فـآخذُ صيدى

---

(١) انتقع لونه وامتقع ، بالبناء للمجهول فيهما : تغير .

(٢) يضرب للمذعور ، أى كأنما كانت على رأسه عصافير عند سكونه ، فلما ذعر طارت . الميدانى (١ : ٣٩٦) .

(٣) البأس : العذاب . وأذن به : علمه . وفى التنزيل العزيز : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » أى كونوا على علم .

(٤) أصل الحبوة أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ، وكذلك كانوا يفعلون فى جلوسهم ، ولا ينقضونها إلا لأمر هام .

(٥) ط : « فؤاه » ، وصوابه فى س . واستطار بمعنى انتزع . وفى اللسان : « استطار فلان سيفه : إذا انتزعه من غمده مسرعا » .

(٦) استفرغه الوجل : أخذ منه قواه وذهب بها . وفى ط : « استفزعك » وأثبت مافى س .

(٧) فى الدميرى وقد روى هذه القصة ١ : ١٦٢ : فيطعمونك بأكفهم » . وفى الوفيات ١ : ٢١٦ : « وأطعموك فى أكفهم » .

(٨) الزيادة من الوفيات . وفى الدميرى : وقد كبرت سنى » .

(٩) ألفه ، بالتشديد : جعله أليفا . وفى الوفيات : « وألفوا بى » ، محرفة . وفى الدميرى: « وأونس » .

فى الهواء فأجىءُ بِهِ إلى صاحبى . فقال له الدِّيك : إنَّك لو رأيتَ من البُزاة فى سَفافيدهم مثلَ مارأيتُ من الدُّيُوك لكنتَ أنفرَ منِّى !

ولـكنَّـكم أنتمْ لو علمتم ما أعلَم ، لم تتعجَّبوا من خوْفى ، مع ماتَرونَ من تمكُّنِ حالى[١] .

(استجادة الخيل والـكلاب)

قال صاحب الكلب : ذكر محمَّد بن سلاَّمٍ عن سعيد بن صَخْر[٢] قال : أرسل مسلمَ بنَ عمرو[٣] ، ابنَ عَمٍّ لَهُ إلى الشَّام ومِصر يشترى لَهُ خيلاً ، فقال له : لاعلم لى بالخيل — وكان صاحبَ قنْص — قال : ألستَ صاحبَ كلاب ؟ قال : بلى . قال : فانْظرْ كلَّ شيءٍ تستحسنُهُ فى الكلب فاستعملْه فى الفَرَس . فقدِم بخيلٍ لم يكنْ فى العرَب مثلُها[٤] .

---

(١) الفقرة الأخيرة من كلام أبى أيوب . وقد سبق فى ترجمته أنه كان متمكن الحال لدى المنصور . وقد وقع ماكان يترقبه أبو أيوب ، فقد عذبه المنصور وأخذ أمواله ، كما مر .

(٢) سعيد بن صخر : أبو أحمد الدارمى ، روى عن حماد بن سلمة ، مجهول . وولده أحمد من كبار الحفاظ . روى عنه البخارى ومسلم ، لسان الميزان ٣ : ٣٤ .

(٣) مسلم بن عمرو : قائد عربى ، كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعى صاحب مصعب بن الزبير . أصيب مسلم بجراحات شديدة فى حرب « مسكن » التى كانت بين مصعب وبين عبد الملك بن مروان فى سـنة ٧٢ هـ ومات بهـا . (انظر الأغانى ١٧ : ١٦١ — ١٦٤) . وقال يزيد بن الرقاع العاملى يذكره هو ، ومصعبا ، وابن الأشتر :

نحن قتلنا ابن الحوارى مصعبا أخا أسد والمذحجى اليمانيا
ومرت عقاب الموت منا لمسلم فأهوت له طير فأصبح ثاويا

(٤) انظر هذا الخبر فى العقد ١ : ٧٩ .

(حاجة الديك إلى الدجاجة)

قال محمَّد بن سلاّم . استأْذنَ رجلٌ عَلَى امرأةٍ فقالت له : مَالهُ من حاجةٍ [١] . قالت الجارية : يريدُ أن يذكر حاجة . قالت : لعلها حاجة الدِّيك إلى الدَّجاَجَة !

(هرب الكميت من السجن متنكرا بثياب زوجه)

محمَّد بن سلاّم عن سَلاّم أبي المنذر [٢] قَالَ : حبس خالدُ بن عبد الله [٣] الكميتَ بنَ زَيْد ، وكانت امرأتُه تختاف إليه فى ثيابٍ وهَيئة ، حتَّى عرَفها البوّابُونَ ، فلبسَ يَوْماً ثيابَها وخرج عليهم . فسمَّى فى شِعره البوّابينَ النَّوابحَ ، وسمّى خالداً المشْلِى [٤] :

---

(١) كذا .

(٢) هو سلام بن سليمان ، ويكنى أبا المنذر ، وهو من أصحاب القراءات غير السبع . ابن النديم (٣٠ ليبسك ، ٤٥ مصر) والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم فى عداد المجبرة ، وقال : « ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة) أبا المدبر » وروى خبرا له فى الإجبار : أنه أصاب غلامه على جاريته ، فقال له : ماهذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال له : أنت حر لعلمك بالقضاء والقدر . وزوّجه الجارية. ابن النديم (١٨٠ ليبسك و ٢٥٦ مصر) .

(٣) هو خالد بن عبد الله القسرى ، والخبر الآتى مفصل تفصيلا فى الأغانى ١٥ : ١١٤ — ١١٥ .

(٤) المشلى : الذى يغرى الكلاب بالصيد .

خرجت خروجَ القِدْحِ قدحِ ابنِ مُقْبِلٍ [١]

على الرَّغْم من تِلْكَ النَّوابحِ والمُشْلِى

علىَّ ثِيابُ الغانِياتِ وتحتَها صَرِيمةُ عَزْمٍ أشْبَهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ [٢]

(فتيا الحسن فى استبدال البيض)

قال : وأخبرنا خَشْرَم قال : سمعتُ فلاناً البقَّالَ يسأل الحسنَ [٣] قَالَ : إنَّ الصبيان يأتُونَنى ببيضَتين مكسورتين ، يأْخذون منِّى صحيحةً واحدة . قال : ليس به بأْس .

(أرحام الكلاب)

محمّد بن سلاَّم عن بعض أشياخه قال : قال مُصعَب بن الزُّبير على ١٣٣
منبر مسجد البصرة ، لبعض بنى أبى بكْرة [٤] : إنما كانت أُمُّكم مثلَ الكلبة ، ينزُو عليها الأَعفر والأسودُ والأبقَع ، فتؤدى إلى كلِّ كلب شِبْهَه .

(١) هو قدح من قداح الميسر ، كان لبنى عامر بن صعصعة ، لا يجعل فى القداح إلا خرج فائزا أبدا . انظر الميسر والقداح ص ٦٦ . وقال ابن قتيبة ص ٣١ فى الحديث عن الشعراء : « ولم أجد فيهم أحدا ألهج بذكر القداح من ابن مقبل ، ثم الطرماح بعده » . والبيتان اللذان اشتهر بهما قدح ابن مقبل هما ، كما فى الأمالى ١ : ١٥ وثمار القلوب ١٧٣ :

غدا وهو مجدول وراح كأنه من المش والتقليب بالكف أفطح

خروج من الغمى إذا صلك صكة بدا والعيون المستكفة تلمح

(٢) سل النصل : أخرجه . والنصل : حديدة السيف . وفى س : « صلة النصل » . وفى الأغانى :

عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

(٣) هو الحسن البصرى .

(٤) هو نفيع بن الحارث ويقال ابن مسروح ، وقيل اسمه مسروح ، كان من فضلاء =

هذا فى هذا الموضع هِجاء ، وأصحابُ الكلاب يرون هذا من باب النَّجابة ، وأنَّ ذلك من صِحّة طِباع الأرحام ، حين لاتختلط النُّطَف فتجىء جوارحُ الأولاد مختلفةً مختلطة .

(من وصية عثمان الخياط للشطار)

وقال صاحب الكلب : فى وصيَّة عثمانَ الخيَّاطِ للشُّطَّار اللُّصوص : إيَّاكم إيَّاكم وحبَّ النِّساء وسماعَ ضربِ العود ، وشربَ الزَّبيب المطبوخ، وعليكم باتِّخاذ الغِلْمان ؛ فإنَّ غلامَك هذا أنفعُ لك من أخيك ، وأعونُ لك مِن ابنِ عمِّك ، وعليكم بنَبيذ التَّمر ، وضرب الطُّنْبور[1] ، وماكان عليه السلف واجعلوا النّقل باقلاّء ، وإن قدَرتم على الفُستقِ ، والرَّيحان شاهَسْفَرَم[2] ،

= الصحابة وسكن البصرة وأنجب أولادا لهم شهرة . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة – أى خشبة مستديرة فى وسطها محز للحبل تدور على محور – لما قال رسول الله لأهل الحصن : أيما عبد نزل إلى فهو حر . فاشتهر لذلك بأبى بكرة . توفى أبو بكرة عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، فى خلافة عمر . الإصابة ٨٧٩٤ – وانظر ١٤٣ من باب الكنى والمعارف ١٢٥ والروض الأنف ٢ : ٣٠٤ – ٣٠٥ .

(١) الطنبور : آلة موسيقية .

(٢) شاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السلطانى . شفاء الغليل ١١٩ ، وجاء فى اللسان : شاهسفرم : ريحان الملك . قال أبو حنيفة : هى فارسية دخلت فى كلام العرب ، قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس ... يصبحنا فى كل دجن تغيما

وقد وصفه داود (فى تذكرته ١ : ٢١٢) بقوله : « وهو الأخضر الضارب إلى الصفرة ، الدقيق الورق » . وفى الأصل : « وشاهبتر » ، وهو تحريف ما أثبت .

وَإن قدرتم على الياسمين[١] . ودَعوا لُبس العمائم وعليكم بالقِناع . والقَلَنسوة كُفْر ، والخف شِرك واجعل لهوَك الحَمَامَ ، وهارِش الكلابَ وإيَّاك والكباشَ واللَّعِب بالصُّقورة والشَّواهين ، وإيَّاكم والفهودَ .

فلما انتهى إلى الديك قال : والدِّيكَ فإنَّ لَهُ صبراً ونجدة ، ورَوَغانا وتدبيراً ، وإعمالاً للسِّلاح ، وهو يبهر بهر الشُّجاع .

ثم قال : وعليكم بالنَّرد ودعوا الشِّطْرَنج لأهلها ، ولا تلعبوا فى النَّرْد إلا بالطويلتين . والودَعُ رأس مال كبير ، وأوَّلُ منافعه الحذق باللَّقف .

ثمَّ حدَّثهم بحديث يزيد بن مسعود القَيسيّ .

(مايصيده الكلب الأسود البهيم)

وقال صاحب الديك : ذكر محمَّد بن سلاَّم عن يحيى بن النضر ، عن أبى أميّة عبد الكريم المعلِّم قال : كان الحسنُ بن إبراهيم يكرَهُ صيدَ الكلبِ الأسودِ البهيم .

(قصيدة ابن أبى كريمة فى الكلب والفهد)

وأنشد صاحبُ الكلب قولَ أحمد بن زياد بن أبى كريمة[٢] فى صفة صَيْدِ الكلب ، قصيدةً طويلةً أوَّلُهَا :

(١) ط : « ثم إن قدرتم على الياسمين » ، س : « تم إن قدرتم على الياسمين » وكلمة « ثم » أو « تم » هى تحريف الميم الذى كان ينقص كلمة « شاهسفرم » فى الصفحة السابقة . وقد جعلت بدلها هنا حرف الواو ، ليتساوق القول .

(٢) ابن أبى كريمة من معاصرى الجاحظ . وانظر خبرين طريفين له مع الجاحظ فى الحيوان ٣ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

وغِبَّ غمامٍ مَزَّقتْ عن سمائه شاميَّةٌ حصَّاءُ جُون السَّحائبِ (١)
مُواجِهِ طَلق لم يرِدَّدْ جَهامَــه تذاوُبَ أرْواح الصَّبا والجنائب (٢)
بعثْتُ وأثوابُ الدُّجى قد تقلَّصَتْ لغُرَّة مشهور من الصُّبح ثاقب (٣)
وقد لاح ناعِي الليل حتَّى كأنَّه لسَارى الدُّجَى فى الفجر قِنديلُ راهب (٤)
بهاليلَ لا يَثنيهم عن عزيمةٍ وإنْ كان جَمَّ الرشْدِ، لوْمُ القرائب (٥)
بتَجْنِيب غضْفٍ كالقِداحِ لطيفةٍ مُشرَّطــةٍ آذانهــا بالمخَالبِ (٦)

---

(١) غب غمام : أى بعده . والشآمية : الريح الشمالية التى تهب من ناحية الشام . والحصاء : الصافية بلا غبار .

(٢) يقول : هــذا الغمام واجه هواء طلقا : لا حارا ولا باردا . وأن الرياح لم تتذأب أى لم تجئ من هنا ومن هنا ، فلذلك لم يتردد جهام هــذا الغام . وجاء البيت محرفاً على الوجه التالى — وأثبت صــوابه من نهاية الأرب ٩ : ٢٦٦ حيث توجد هذه القصيدة — :

مواجه طلق لم يرد رجامها تذاب بأرواح الصبا والجنائب

(٣) الغرة : أصلها البياض فى الجبهة . وعنى بها أول النهار ووجهه . والرواية فى النهاية : « بغرة » وماهنا أجزل . وفى س : « لعزة » وهو تحريف . والصبح المشهور : الظاهر الساطع . وفى الأصل : « مشهوب » ، ولا وجه له وتصحيحه من النهاية .

(٤) قنديل الراهب يعنى به أبدا ويتفقده ، فهو زاهر منير . وقد نظر ابن أبى كريمة إلى امرئ القيس فى قوله :

يضىء سناه أو مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل

(٥) البهلول ، بالضم : العزيز الكريم ، جمعه بهاليل . وهذه معمول « بعثت » فى البيت الذى قبل السابق ، والقرائب : جمع قريبة . وهذه الرواية أجود من رواية : « الأقارب » فى نهاية الأرب . فإنما يلوم الرجل على عزمته الجريئة ، ويخشى عليه الخطار أهله من النساء .

(٦) الغضف : الكلاب المسترخية الآذان . وتجنيب الكلاب : أراد به قيادتها ، كما يجنب الرجل البعير : أى يقوده إلى جنبه . وتشريط الكلاب آذانها بالمخالب أمارة من أمارات فراهتها ونشاطها وقوتها فى العدو . ومثله قول أبى نواس فى ص ٢٩ من هذا الجزء :

* خرق أذنيه شبأ أظفاره *

وقوله فى ص ٣١ من هذا الجزء :

* منتشطا من أذنه سيورا *

وقوله فى ص ٣٣ :

* ينشط أذنيه بهن نشطا *

تخالُ سِياطاً فى صـلاها مَنُوطَةً ... طوالَ الهوادى كالقداحِ الشوازبِ (١) ١٣٤

إذا افترَشَتْ خَبتاً أثارتْ بمتنِهِ ... عجاجاً وبالكَذَّان نارَ الحَباحِبِ (٢)

يفوتُ خُطاها الطَّرْفَ سبقاً كأنَّها ... سِهامُ مُغالٍ أو رُجومُ الكواكبِ (٣)

طِرادُ الهَوادى لاحَها كلَّ شَتْوَةٍ ... بطامسةِ الأرجاءِ مَرْتِ المساربِ (٤)

تكادُ من الأَحراجِ تنسَلُّ كُلَّما ... رأتْ شَبَحاً لولا اعتِراضُ المناكبِ (٥)

تسُوفُ وتُوفى كلَّ نَشْزٍ وفَدفدٍ ... مرابِضَ أبناءِ النِّفاقِ الأَرانبِ (٦)

كأنَّ بها ذُعراً ، يُطِير قُلوبَها ... أنينُ المَكاكى أوصريرُ الجنادبِ (٧)

---

(١) منوطة فى صلاها : معلقة فى مغرز ذنبها ، ولعله عنى وجود حافز دائم يحفزها على العدو . وبالأصل : « من سلاها » وهو تحريف صوابه من النهاية . والهوادى : الأعناق . والشازب من قداح الميسر : الذى ضمر من كثرة المداولة والتقليب . وفى الأصل : « الشواذب » بالذال ، وتصويبه من نهاية الأرب .

(٢) الخبت : البطن الواسع من الأرض . وفى ط : « جبتا » وفى س : « جتنا » والأولى لاوجه لها . وليس للثانية معنى . والعجاج : الغبار . والكذان ، بالفتح : حجارة فيها رخاوة . وفى الأصل : « بالكدان » . ونار الحباحب : الشرر يحدث من تصادم الحجارة .

(٣) المغالى بالسهم : الرافع يده به يريد أقصى الغاية .

(٤) يقول : مطاردتها للهوادى ، أى أوائل الوحش ، قد غيرتها وأضمرتها . وطامسة الأرجاء : أراد فلاة متباعدة النواحى ، أو لاأثر بها لسالك لما يسفى عليها من الريح . ومرت المسارب : قفرة المسالك . وفى الأصل : « بطامية الأرجاء » . وهو تحريف ، إذ أن الطمى إنما يكون مع الخصب . وهى على الصواب الذى أثبت فى نهاية الأرب .

(٥) الأحراج : قلائد الكلاب ، واحدها حرج بالكسر . وفى الأصل : « الأخراج » وليس بشىء . و « تنسل » هى فى الأصل : « تسأل » وتصحيحه من النهاية .

(٦) تسوف المرابض : تشمها لتتعرف مابها . وتوفى النشز : أى تأتى المكان المرتفع . والفدفد : الفلاة لاشىء بها . والنفاق: جمع نفق وهو الجحر .

(٧) المكاكى : جمع مكاء ، بضم الميم وشد الكاف ، طائر من القنابر ، له صفير حسن ، وتصعيد فى الجو وهبوط ، وهو فى ذلك يمكو أى يصفر ، وهو من الطيور الجواثم التى تبنى أفاحيصها فى الأرض . انظر معجم المعلوف ١٤٧ - ١٤٨ وقد خففت الياء هنا للشعر .

تديرُ عيوناً رُكِّبت فى بَراطِلٍ كجَمْرِ الغَضَى خُزْراً ذِرَابُ الأنائب (١)
إذا مَا استُحِثّت لم يُجِنّ طَرِيدَها لهنّ ضَراءٌ أو مجارِى المَذَانبِ (٢)
وإنْ باصهاصَلْتاًمدَى الطّرفِ أمسكَتْ عليه بدُون الجُهد سُبلَ المذاهب (٣)
تـكادُ تَفَرَّى الأُهبُ عنها إذا انتحت
لنبْأة شَخْتِ الجِرْم عارى الرَّواجبِ (٤)

---

(١) البرطيل بالكسر : حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ينقر به الرحى ، أو هو المعول . وجمعه براطيل ، وحذف الياء فى نحو ذلك هو مذهب الكوفيين . انظر همع الهوامع ٢ : ١٨٢ . شبه محاجر عيون هذه الكلاب فى شدتها بالبراطيل . وخزرا : جمع خزراء أى ضيقة صغيرة . وفى الأصل : « خزر » وإنما هى صفة « عيونا » . و « ذراب الأنائب » : حداد الأنياب ، و « ذراب » هى فى النسختين : « دواب » محرفة تصحيحها من النهاية . والأنائب أصلها « الأناييب » حذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين ، ثم أبدلت الياء الباقية بهمزة وهى لغة شاذة . والرواية فى نهاية الأرب : « الأنايب » .

(٢) يقول : إذا أهيب بهذه الكلاب لتدرك الصيد ، فإن ذلك الصيد لا يمهل حتى يستتر بذلك الشجر الملتف ، أو بتلك المجارى . « يجن » هى فى الأصل : « يحن » محرفة . ويقال « جنه » من باب نصر ، و « أجنه » أيضا . و « المذانب » جمع مذنب – كمنبر – وهو المسيل ، أو المسيل فى الحضيض ، أو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وهى فى الأصل : « المقانب » ولا وجه له . وصوابه من نهاية الأرب .

(٣) باصها : سبقها ، يريد الصيد . صلتا : ركضا ، وأصل الصلت بمعنى الركض فى الخيل . مدى الطرف : غاية امتداد العين . وفى الأصل : « باصها صلت مدى الدهر » وتصحيحه من النهاية .

(٤) يقول : إذا سمعت هذه الكلاب صوتا خفيا من صاحبها ، كادت أن تشقق جلودها من شدة نشاطها . وقد أخذ هذا المعنى من ذى الرمة حيث يقول :

لايذخران من الإيغال باقية حتى تـكاد تفرى عنهما الأهب

والشخت : الضامر الدقيق لامن هزال . والرواجب : مفاصل أصول الأصابع ، أو قصب الأصابع ، وقيل غير ذلك . الواحدة راجبة أو رجبة بالضم . وعارية : ليس عليها لحم .

كأنّ غصونَ الخيزُرانِ مُتُونُها إذا هي جالَت في طِرادِ الثّعالب (١)
كواشرُ عن أنيابهنَّ كوالحٌ مُذَلّقة الآذان شوس الحواجب (٢)
كأنّ بناتِ القَفْرِ حِينَ تفرّقتْ غَدَونَ عليها بالمنايا الشّواعبِ (٣)

ثم وصفَ الفهود :

بذلك أبغي الصّيدَ طوراً وتارة بمُخْطَفَةِ الأكْفالِ رُحْبِ التّرائب (٤)
مرقّقَة الأَذنابِ نُمْرٍ ظهورُها مخطّطةِ الآماق غُلبِ الغَواربِ (٥)
مُدَنّرةٍ وُرْقٍ كأنّ عيونها حَواجِلُ تستَذْمى متونَ الرّواكب (٦)

---

(١) متونها : ظهورها ، مفرده متن .

(٢) كشر عن نابه : أبداه . وكوالح : عوابس . مذلقة : محددة . وفي س : « مذللة » .

(٣) بنات القفر : عني بها الوحوش . وجاء في س : « غدوت عليها بالمنايا » ، ومثل هذه الرواية في الحيوان ٦ : ٤٧٥ . والشواعب : المفرقات .

(٤) في الأصل : « أبقي الصيد » وهو تحريف صوابه في النهاية . وفي الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « بذلك يبغي » ولها وجه . ومخطفة الأكفال : ضامرة الأعجاز صغيرتها . وأجود من هذه الرواية مافي الجزء السادس : « بمخطفة الأحشاء » . والترائب : عظام الصدر .

(٥) نمر : جمع أنمر ، وهو الذي فيه نمر ، بضم ففتح أي نكت بيضاء وسوداء . وفي ط : « ثم » وتصحيحه من س ونهاية الأرب والجزء السادس من الحيوان . والآماق : جمع موق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف . ومثل هذه الرواية في الجزء السادس . وفي النهاية : « الآذان » . وغلب الغوارب : غلاظها . والغارب : مابين العنق والظهر .

(٦) مدنرة : بها نكت كأنها الدنانير . وفي الأصل : « مذربة » وتصحيحه من مباهج الفكر . والورق : مفرده أورق ، وهو الذي في لونه سواد وبياض . والحواجل : جمع حوجلة ، وهي القارورة الصغيرة الواسعة الرأس ، قال العجاج :

كأن عينيه من الغئور قلتان في لحدى صفا منقور
صفران أو حوجلتا قارور

والرواكب : جمع راكب ، وهو رأس الجبل . وتستذمى : تتتبع . وإنما تتتبع لتتعرف الصيد ، وتبحث عنه . وفي الأصل : « تستدمى » ولا يصح إلا بتكلف وتعمل ؛ فإن معنى استدمى : استخرج من غريمه الدين في رفق .

إذا قلَّبتَها فى الفِجاج حسبتها سَنا ضَرَمٍ فى ظُلمةِ اللّيل ثاقبِ (١)
مُوَلّعة فطح الجِباهِ عوابسٍ تَخالُ على أشداقِها خطَّ كاتبِ (٢)
نَواصِب آذان لِطَافٍ كأنّها مَداهنُ، للإجْراسِ من كلِّ جانبِ (٣)
ذوات أشافٍ رُكّبت فى أكفّها نَوَافِذَ فى صُمِّ الصُّخورِ نَواشِبِ (٤)
ذِراب بلا ترهيفِ قَينٍ كأنّها تعقربُ أصداغِ المِلاحِ الكواعِبِ (٥)
١٣٥ فوارسُ مَالم تلق حَرْباً، ورَجْلَةٌ إذا آنسَتْ بالبِيد شُهبَ الكتائبِ (٦)

---

(١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين . ورواية نهاية الأرب : « فى الحجاج » وهو بكسر الحاء وفتحها : العظم المستدير حول العين .

(٢) المولعة : المستطيلة البلق ، وهو سواد وبياض ، أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين . و « فطح الجباه » : عريضتها . ومفرد « فطح » : أفطح . فى ط : « قبح » وفى س : « فتح » وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « قطع » وذلك كله تحريف ماأثبت . والرواية فى نهاية الأرب : « فطس الأنوف » .

(٣) المداهن : جمع مدهن بضم الميم والهاء ، وهو آلة الدهن أو قارورته ، وأراد هنا آلة الدهن . والإجراس : استماع الجرس ، بفتح الجيم ، وهو الصوت . وفى الأصل : « للأحراس » وليس بشىء . يقول : قد نصبت هذه الفهود آذانها الصغيرة الشبيهة بالمداهن ، لتتسمع الأصوات من شتى الجوانب .

(٤) الأشافى : جمع إشفى ، وهى مثقب الإسكاف ، وقد عنى بها الأظافر ، وفى الأصل : « أثاف » جمع أثفية ، ولا وجه له هنا . والصخرة الصماء : الصلبة المصمتة .

(٥) القين : الحداد ، والترهيف : ترقيق الحد . والصدغ ، بالضم : الشعر المتدلى بين العين والأذن . وتعقرب الصدغ : تلويه وتعطفه .

(٦) رجلة : جمع راجل ، وهو الماشى على رجليه . قال أبو عمرو : وليس فى الكلام فعلة جاء جمعاً غير رجلة جمع راجل . وكمأة جمع كم‌ء . وفى الأصل : « رحله » وصوابه ما أثبت ، لتتم مقابلته لكلمة « فوارس » . ومما يحسن الإشارة إليه أن الفهود تركب الخيل ، جاء فى نهاية الأرب ٩ : ٢٤٧ عند الكلام على الفهد : « وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبى سفيان » . ومثل ذلك عند الدميرى فى رسم (الفهد) ، ومحاضرة الأوائل للبنسوى ص ١٢١ . ولابن المعتز فى هذا المعنى (انظر الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢١٥ وديوانه ٢ : ١٠٢) :

يلاحق الوثبة ممتد النفس نعم الرديف زاننا فوق الفرس =

تَرَوٍّ وَتَسْكِينٌ يَكُونُ دَرِيئَةً ... لهنَّ بِذِى الأَسْرابِ فى كلِّ لاحِبِ (١)

تضاءَلُ حتّى لاتـكادُ تُبِينُها ... عُيُونٌ لدى الصَّرَّاتِ غيرُ كواذبِ (٢)

حِراصٌ يَفُوتُ البرقَ أمكَثُ جَرْيِها ... ضِراءٌ مُبَلَّاتٌ بطول التَّجارِب (٣)

تُوَسِّدُ أَجْيادَ الفَرائِسِ أذرعا ... مرمّلةً تحـكى عناق الحَبائبِ (٤)

= ولأبي نواس فى صفة الفهد (الديوان ٢٢٣) :

فجاء يزكيه على سمنده

والسمند : الفرس ، كلمة فارسية .

وشهب الـكتائب : عنى بها جماعة الوحش التى تتصيدها هذه الفهود . والـكتيبة الشهباء : هى العظيمة الـكثيرة السلاح .

(١) يقول : قد جعلن التروى وتسكين الجوارح دريئة لهن . وأصل الدريئة ماتستتر به من الصيد لتختله . و « بذى الأسراب » أى بتلك الطرق ، مفردها سرب بفتح السين وبكسرها . فى ط : « بذى الأسوار » ، ولا وجه له ، وأثبت مافى س . واللاحب : الطريق الواضح .

(٢) يقول : هـذه العيون التى لاتـكذب صاحبها عند صرها وشدها ، لاتستطيع مع مابها من القوة والحدة أن تبصر هـذه الفهود عند ماتتضاءل وتجتهـد فى إخفاء أشخاصها . « الصرات » هى فى الأصل : « الضرات » . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « الصراب » والوجه فيهما ما كتبت .

(٣) يقول : إن سرعة البرق لاتـدانى أبطأ جرية هـذه الفهود . ضراء : معتادة الصيد ، واحـدها ضرو بالـكسر . والمبـل ، بكسر المـيم وفتـح الباء : الثبت الجرئ .

(٤) يقول : هى تمسك بفرائسها بين أذرعها المرملة – أى الملطخة بالدم – وتضمها فلا تفلت منها ، وهى فى ذلك تحـكى صنع المحب يعانق حبيبه ، فهو أشـد التزام وأقـوى ضم . (الفرائس) : هى فى الأصل : (الفوارس) وليس يكون منها أن تفعل ذلك بالفرسان . ولابن المعتز فى مثل المعنى الذى وجهنا به البيت ، يصف فهدة :

تضم الطريد إلى نحرها ... كضم المحبة من لايحب

أى أن طريدها لايحبها ولـكنها تحبه فهى تضمه ، ومهما حاول الخلاص ضمته . و (مرملة) هى فى الأصل : « مزملة » بالزاى ، وليست تتجه ، وتصحيحها من نهاية الأرب ٩ : ٢٥٢ . وفى ط : « عتاق الجنائب » وهو تحريف ، صوابه فى س ونهاية الأرب .

(سهل بن هارون وديكه)

قال دِعْبلٌ الشاعر[1] : أقمنا عند سهل بن هارونَ فلم نبرحْ ، حتَّى كدنا نموتُ من الجوع ، فلما اضطررناه قال : ياغلام ، ويْلَكَ غدِّنا ! قال : فأُتِينا بقَصعةٍ فيهامرقٌ فيهِ لحمُ ديك [عاسٍ هرم[2]] ليس قبلَها ولا بعدَها غيرُها لاتحزُّ فيه السكين ، ولا تؤثِّر فيه الأضراس . فاطّلع فى القصعة وقلَّب بصرَه فيها ، ثمّ أخذ قِطْعةَ خبزٍ يابس فقلَّب جميع مَافى القَصعة حتَّى فقد الرأس من الدِّيك وحده ، [فبقى مطرِقاً ساعةً[3]] ثمَّ رفع رأسه إلى الغلام فقال : أين الرَّأس ؟ فقال : رميتُ به . قال : ولم رميت به ؟ قال : لم أظنّك تأ كُله ! قال : ولأَىِّ شىءٍ ظَننتَ أنِّى لا آ كُلُه ؟ فوالله إنِّى لَأَمقتُ مَن يرمى برجليهِ [فكيف من يرمى برأسه[4]] ؟ ! ثم قال لَهُ : لولم

---

(١) هو دعبل بن على بن رزين الخزاعى ، شاعر متقدم مطبوع هجاء خبيث اللسان ، لم يسلم عليه أحد من الخلفاء ولا من وزرائهم ولا أولادهم ، ولا ذو نباهة . وكان شديد التعصب للقحطانية على النزارية ، وكان شيعيا ، وكان يتشطر ويصحب الشطار . وأخباره مسهبة فى الأغانى ١٨ : ٢٩ — ٦١ . ومن خير شعره الأبيات المشهورة :

أين الشباب وأية سلكا لا أين يطلب ضل بل هلكا
لاتعجبى ياسلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكى
ياليت شعرى كيف يومكما ياصاحبى إذا دمى سفكا
لاتأخذا بظلامتى أحدا قلبى وطرفى فى دمى اشتركا

كان دعبل يتنقل فى البلاد ، وأقام ببغداد مدة ثم خرج منها هاربا من المعتصم لما هجاه ، وعاد إليها بعد ذلك . ولد سنة ثمان وأربعين ومائة ، وتوفى سنة ست وأربعين ومائتين . تاريخ بغداد ٤٤٩٠ .

(٢) التكملة من عيون الأخبار ٣ : ٢٥٩ نقلا عن الجاحظ . والعاسى : الذى أسن حتى صلب وجف .

(٣) التكملة من عيون الأخبار .

(٤) من عيون الأخبار . وفى العقد الفريد ٤ : ٢١٧ مثل هذا المعنى .

أكرهْ مَاصنَعتَ إلاّ للطِّيَرةِ والفأل ، لـكَرِهْتُه[1] ! الرأس رئيسٌ وفيهِ الحواسُّ[2] ، ومنهُ يصدَح الديك ، ولولا صوتُه ماأرِيدَ ؛ وفيهِ فَرقُه[3] الذى يُتبرّك به ، وعَينُهُ التى يضرب بها المثل ، يقال : « شرابٌ كعين الديك »[4] ، ودِمَاغُه عجيب لوجَع الكلية ، ولم أرَ عَظما قَطُّ أهشَّ تحت الأَسنانِ من عَظْم رأسِهِ ، فهَلاّ إِذْ ظننتَ أنِّى لا آكلُه ، ظننتَ أنّ العِيال يأْكُلُونه ؟ ! وإنْ كانَ بلَغَ من نُبْلِك أنّك لاتأْكله ، فإنّ عِنْدَنا من يأْكُلُه . أوَ ماعلمتَ أنّه خيرٌ من طَرَف الجَناحِ ، ومن السَّاق والعنق ! انظرْ أين هو ؟ قال : والله ما أدرى أينَ رميتُ بِهِ ! قال : لـكنِّى أدرى أنّك رمَيت بِهِ فى بطنك ، واللهُ حَسيبك !

كمل المصحف[5] الثانى من كتاب الحيوان بحمد الله تعالى وحسن عونه

ويتلوه فى الثالث إن شاء الله ذكر الحمام[6]

---

(١) أى لـكرهت ماصنعت .

(٢) فى عيون الأخبار وكذا فى العقد : « الحواس الخمس » وليس بشىء ، إذ أن فى الرأس أربعا من الحواس ، هن السمع والبصر والشم والذوق . وفى وفيات الأعيان ١ : ١٧٩ : « والرأس رئيس وفيه الحواس الأربع » .

(٣) فرق الديك : انفراق عرفه ، وقد أسلف الجاحظ . فى ص ٢٠٧ من هذا الجزء كلاما فى التبرك بالديك الأفرق وانظر كذلك ص٢٥٩ . وفى ط : « وفيه قرنه » وهو تحريف ما أثبت من س . وفى عيون الأخبار : « عرفه » .

(٤) أى فى الصفاء ، وقد سبق كلام الجاحظ فى هذا المثل ص ٣٤٩ .

(٥) هذا ماأثبت من س . وفى ط : « تم الجزء » .

(٦) هذا مافى س . وفى ط : » ويتلوه الجزء الثالث إن شاء الله أوله ذكر الحمام » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

١٤٠ ١١ مثل هذه العقيدة فاشٍ بين النساء إلى اليوم ، فهنّ يعتقدن أن المرأة إذا قامت أثناء الحيض بعمليــة حفظ الفواكه أو الخضراوات ، فإنَّها تتلف . كمايعتقدن أنّ الحائض يتلف عجينها ولا يختمر . كما لوحظ أن الزَّهرة تذبل بعد ساعات قليلة إذا قبضت عليها حائض أو تأبطتها بضع دقائق . وقد فسّرت هذه الظاهرة تفسيرا علميا ؛ إذ أن إفراز الحيض ، المكون من الزرنيخ ، والجليكوكين ، والليبوئيد ، وبعض الخمائر والفسفور ، والمغنزيا ، والكبريت ، والجير — له أثره الذى لا ينكر . انظر مجلة الرياضة البدنية ، ديسمبر سنة ١٩٣٨ .

١٤٣ ٨ ش كليب بن أبي عهمة الظفرى . كذا فى الأغانى ومعاهد التنصيص . وقد عده ابن حجر فى الإصابة ٧٤٤٨ من الصحابة ، وجعل اسمه « كليب بن عميمة » . أما ابن الشجرى فى أماليه (١ : ١١١) فقد جعله « كليب بن عييمة » وقد ضبطه وذكر اشتقاقه فقال : « عييمة : منقول من محقر العيمة ، وهى شهوة اللبن : أومحقر العيمة ، بكسر العين ، وهى خيار المال » . فلعل هذا صوابه .

١٨١ ٨ قد استغل الشيعة مثل هذا الخبر فنسبوا مثله إلى عبد الله ابن جعفر . جاء فى معجم الأدباء (١٠ : ٢٤٨ — ٢٤٩) : « وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يابن رسول الله ، هذا

صفحة سطر

حكيم الكلبيّ ينشد الناس هجاءكم بالكوفة ! فقال : هل حفظت منه شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده :

صَلَبنا لكم زيدًا على جِذْعِ نخلةٍ ولم نرَ مهديًّا على الجذع يُصْلَبُ

وَقِسْتم بعثمانٍ عليًّا سفاهة وعثمانُ خيرٌ من عليٍّ وأطيبُ

فرفع عبد الله يديه إلى السماء ، وهما ينتفضان رعدة فقال : اللهم إن كان كاذبا فسلط عليه كلبا ! فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله » .

٢٧١ ٨ السكينة معناها الاطمئنان . وجاء فى القرآن الكريم : ﴿ وَقَالَ لَهمْ نَبِيُّهُمْ إنَّ آيَة مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ والكلام فى بنى إسرائيل . والنبى هذا هو يوشع ، أو شمعون ، أو اشمويل . والملك : طالوت . والتابوت : صندوق التوراة ، قالوا : رفع بعد موسى إلى السماء ، ثم نزل من السماء تحمله الملائكة ، علامة على ملك طالوت . وكان بنو إسرائيل يحملونه فى حروبهم ليكسبهم طمأنينة . انظر الكشاف ، وتفسير الفخر . قدّمت هذا لألقى ضوءاً عَلَى الشعر ؛ فقد كان المختار اتخذ كرسيًّا قديم العهد ، غشّاه بالدّيباج ، وزيّنه بأنواع الزينة ، وقال : هذا الكرسى من ذخائر أمير المؤمنين عَلِيّ بن أبى طالب رضى الله عنه ، فضعُوه فى حومة القتال وقاتلوا عنه ؛ فإن محلّه فيكم محل التابوت والسكينة فى بنى إسرائيل . انظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) وثمار القلوب ٧١ .

صفحة سطر

٢٧١ ٩ « فُتْنا » جمع فِتان بالكسر ، وأصل معناه غشاءٌ يجعل للرحل من أدم . وأما أمر الحمام ، فإنّ المختار لمّا وجّه إبراهيم بن الأَشتر لحرب عبيد الله بن زياد ، دفع إلى قوم من خاصّته حماماً بيضاً ضخاماً ، وقال لهم : إن رأيتُم الأمر علينا فأَرسلوها فى المعركة . وقال للناس ، إنى أجد فى محكم الكتابِ ، وفى اليقين والصَّواب ، أنّ اللهَ ممدُّكم بملائكةٍ غِضاب ، تأتى فى صور الحمام دون السحاب ! فلما التقت الفئتان وكادت الدائرة تكونُ عَلَى عسكر ابن الأشتر ، أرسلت الحمام البيض ، فتصايح النَّاس : الملائكة ! الملائكة ! فتراجعوا ، فأَسرع القتل فى أصحاب عبيد الله ، ثم انكشفوا ، ووضعُوا السيُوف فيهِم ثم أفنوهم. ثمار القلوب ٧١. وانظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) . وكانَ البيت فى الأصل محرَّفا عَلَى الوجه الآتى :

وأن ليس كالتابوت فينا وأن سعت

سنام حواليه ، وفيهم زخارف

٢٩٤ ١٠ « المنكابات » فى شفاء الغليل « بنكام : لَفظ يونانى ، مايقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرّب عرَّبه أهل التوقيت ، وأرباب الأوضاع ، ووقع فى شعر المحدثين فى تشبيه الخصر :

* وخَصرهُ شُدَّ ببَنْكامِ * »

ثم قال : « وتقلبه العامة فتقول : منكاب ، وهو غلط ». فما ذكره الجاحظ هو عامية هذا الاسم ، وقد وجدت فى العمدة (٢ : ٢٣١) وصفاً شعريا للبنكام ويفهم منه أنه آلة مائية ، لا رملية كما قال الخفاجى .

صفحة سطر

٣٦٦ ٥ عثمان الخياط هذا زعيم عصابة للّصوص، كانت فى عصر الجاحظ . وإنّما سمّى خيّاطا لأنّه نقب على أحذق الناس وأبعدهم فى صناعة التلصّص ، وأخذ ما فى بيته وخرج ، وسدّ النّقب كأنّه خاطه ، فسمّى بذلك . ويظهر أنّه قد شاع فى هذا العصر اتّخاذ التلصص مهنةً لكسب العيش ، وجعل اللصوص لها نُظما ، وأنشئوا لأنفسهم ألقابا ومراتب مختلفة ، فمنهم العين ، والمؤْنىّ ، والشاغل والطرّار . فالعين : الذى يلزم الصيارف ، ويتأمّل كلّ مالٍ محمول ، ويأتى السفن فيتعرّف موضع الحرز ، ويأتى دار قوم فيطلب أن يتوضّأ ، فيتعرّف خزائنهم والموضع الذى يقصدون منه . والمؤْنىّ : الذى يتولّى البيع والابتياع لهم ، ويجعل عند ذلك كأنّه أمير قرية ، أو زعيم محلّة . والشاغل : هو الذى يشغل القومَ عن اللصِّ والطرّارِ ، إذا ظفروا به ، يجىء اللصّ فيضربه ما لا يضربه السلطان ، ويقول : هذا والله صاحبى ، هو الذى ذهب بمالى ، ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم ، فإذا تشاغلوا عنه أفلتَه وتأسّف مع القوم . والطرّار : الذى يقطع الهمايين ويشقها .

والعجب أن تلك العصابات ، كانت فى أكثر أمرها تلتزم ضربًا من ضروب الشهامة والنُّبل ، ورووا عن عثمان الخيّاط أنه قال : « ما سرقت جارًا وإن كان عدوًّا ، ولا كريماً ، ولا كافأت غادرًا بغدره ! » .

وكانوا يحسّنون لأنفسهم هذه الصناعة ، ويحتجّون لها . قال عثمان

صفحة سطر

الخيّاط : « لم تزل الأمم يسبى بعضُها بعضا ، ويسمُّون ذلك غزوا وما يأخذونه غنيمة ، وذلك من أطيب الكسب ! ! وأنتم فى أخذ مال الغَدَرَة والفجَرة أعذر ! فسمُّوا أنفسَكم غُزاةً ، كما سمّى الخوارجَ أنفسَهم شُراة ! ! » .

وقالوا : « اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشى ، والقاضى الذى يأكل أموال اليتامى ! » .

وتجد أخبار هؤلاء القوم ونوادرهم ، مسهبة مفصَّلة ، فى محاضرات الراغب (٢ : ٨١ — ٨٤) .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٥ / ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥ }

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثالث

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم ٢

باب

ذكر الحمام[١]

وما أودَعَها الله عزَّ وجلَّ[٢] من ضُروبِ المعرفة ، ومِن الخِصال المحمودة ، لِتعرفَ[٣] بذلك حكمةَ الصّانِع ، وإتقانَ صُنْعِ المدبِّر[٤] .

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كُنَّا قد أملَلْناك بالجِدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمرَوَّجة[٥] ؛ لتكثُّر الخواطر ، وتشحَذَ العقول — فإنّا سننشِّطكَ[٦] ببعض البَطالات ، وبذكر العلل الظَّريفة ، والاحتجاجاتِ الغريبة ؛ فربَّ شعرٍ يبلُغُ بفَرْطِ غباوةِ صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، مالا يبلغه [حشدُ] أحرِّ النوادر ، وأجمَعِ[٧] المعاني .

---

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وماأودعه الله جل ذكره » .

(٣) فى الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفى س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروجة : التى روجها صاحبها ، وجعلها تسير فى الناس . ويقال : روج الدراهم : جعلها تنفق فى السوق . وفى ط ، س : « الممزوجة » . والأشبه ماأثبت من ل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « فاستنشطتك » . وفى س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وماكتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرِفُ أمرَين استظرافاً شـديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخَر احتجاجُ متنازِعَينِ فى الـكلام ، وهما لا يحسنانِ منه شيئاً ؛ فإنَّهما يُثيرانِ من غَريبِ الطِّيب[١] ما يُضحِك كلَّ ثَـكْلانَ وإن تشدَّد ، وكلَّ غضبانَ وإن أحرقَه لَهيبُ الغضَب . ولو أنَّ ذلك لا يحلّ[٢] لـكان فى باب اللَّهو والضَّحِك والسُّرورِ والبَطالة والتشاغُل ، مايجوز فى كلِّ فنّ[٣] .

وسنذكر من هذا الشكل عِللاً ، ونُورِدُ عليك من احتجاجاتِ الأغبياءِ حُجَجاً . فإنْ كنتَ ممَّن يستعمِل الملالةَ ، وتَعْجَل إليه السآمة ، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلْبك ، وجَماماً لقوَّتك . ولنبتدِئ النَّظرَ فى باب الحمام وقد[٤] ذهب [عنك] الـكَلالُ وحدَثَ النشاط .

وإن كنْتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ ، وكنت[٥] ممرَّناً موقَّحاً ، وكنتَ إلفَ تفـكيرٍ وتنقيرٍ ، ودراسةِ كتُب ، وحِلفَ تبيُّن[٦] ، وكان ذلك عادةً لك لم يضِرْكَ مكانُه من الـكِتاب ، وتَخطِّيه[٧] إلى ما هو أولى بك .

---

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفـكاهة ، كما فى هذا الجزء ص ٣٩ . وفى القاموس « وفاكه : طيب النفس ضحوك » ، ويقال : طايبه : أى مازحه وجاء فى البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فتى طيب من ولـد يقطين لايصحو » وطيب بمعنى فـكه مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك ليحل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « مايجوز كل فن » .

(٤) كذا فى س . وفى ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الـكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبين : التفهم . وفى ط ، س : « تبيين » . وما أثبت من ل أشـبه بكلام الجاحظ .

(٧) التخطى : مصـدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنويع فى التأليف)

وعلى أنِّى قد عزمتُ ــ واللهُ الموفِّق ــ أنِّى أوشِّح هذا الكتابَ وأفصِّلُ أبوابَه ، بنوادرَ من ضُروبِ الشِّعر ، وضروبِ الأحاديث ؛ ليخرج قارئُ
٣ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فإنِّى رأيتُ الأسماعَ تملُّ الأصواتَ المطْرِبَة والأغانىَّ الحسنة والأَوتارَ الفَصيحة ، إذا طال ذلك[1] عليها . وما ذلك إلاَّ فى طريق الراحة ، التى إذا طالت أورثت الغفلة .

وإذا كانت الأَوائلُ قد سارتْ فى صغارِ الكتب هذه السِّيرةَ ، كان هذا التَّدبيرُ لِمَا طالَ وكثُر أصلَحَ ، وما غايتُنا مِن ذلك كلِّه إلاَّ أن تَستَفيدُوا خيراً .

وقال أبو الدَّرداء : إنِّى لأُجمُّ نفسى ببَعْض الباطل ، كراهةَ أنْ أحمِل عليها من الحق ما يملُّها !

(ادّعاء أبى عبد الله الكرخىّ الفقه)

فمن الاحتجاجات الطيِّبة[2] ، ومن العِلل الملهيــة ، ما حدَّثنى به ابن المــدينى[3] قال : تحوَّل أبو عبد الله الكرْخىُّ اللِّحيــانىُّ إلى

= وأماطه . وإذا حــلت غيرك على أن يخطو قلت أخطيته . وكلمة « تخطيــه » هى فى س : « تخطيته »، وهو تحريف ماأثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ماسبق فى ص ٦ . وهذه الكلمة هى فى ط ، ل : « الطبية » مصحفة .

(٣) هو على بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدى ، مولاهم =

الحَرْبيّة(١) فادَّعى أنّه فقيه ، وظنَّ أنَّ ذلك يجوزُ له ؛ لمكانِ لحيته وسَمْته . قال : فألقى على باب داره البواريّ(٢) ، وجلس [وجلس] إليه [بعضُ] الجيران ، فأتاه رجلٌ فقال : يا أبا عبدِ الله ! رجلٌ أدخل إصبَعَه فى أنفه فخرَج عليها دمٌ ، أىَّ شيءٍ يصنع(٣) ؟! قال : يحتجم . قال : قعدتَ طبيباً أو قعدتَ فقيهاً ؟

(جواب أبى عبد الله المروزىّ)

وحدَّثنى شمئون(٤) الطبيب قال : كنتُ يوما عند ذى اليَمينين طاهرِ ابن الحسين(٥) فدخل عليه أبو عبد الله المروَزِىّ فقال [طاهر] : يا أبا عبدِ الله

= ويعرف بابن المدينى ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث فى عصره ، والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحمد بن حنبل ، وكان لايسميه ، إنما يكنيه تبجيلا له . اتصل بالقاضى أحمد بن أبى داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد سنة إحدى وستين ومائة ، وتوفى سنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الحربية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى الراوندى ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضا فى البيان ٢ : ٣٢١ . س : « الحربية » ل : « الحريبة » صوابهما فى ط . ونحو هذا الخبر للشعبى فى العقد ٦ : ١٥٢ .

(٢) البورى ، والبورية : والبارى ، والبارية والبارياء والبورياء : الحصير المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شبيهة بهذه فى أخبار الظراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف فى هذا الاسم : « شمعون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعى ، من كبار الوزراء ، كان أديبا حكيما شجاعا ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى ، وهو الذى قتل الأمين ، وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله واليا على خراسان ، فحدثته =

مذْ كَمْ دخلتَ العراق ؟ قال : منذ عِشرين سنةً ، وأنا صائم منذ ثلاثين سنة[1] . قال : يا أبا عبدِ الله ، سألناك عن مسألةٍ فأجبتَنا عن مسألتين !

(جواب شيخٍ كندى)

وحدَّثنى أبو الجهجاه[2] قال : ادَّعى شيخٌ عندنا أنّه من كندة ، قبلَ أن ينظرَ فى شىءٍ من نسبِ كِنْدة ، فقلت له يوماً وهو عندى : ممن أنت يا [أبا] فلان ؟ قال : من كندة . قلت : من أيِّهم أنت ؟ قال : ليس هذا موضعَ [هذا] الكلام ، عافاك الله !

(جواب خَتَنِ أبى بكر بن بريرة)

ودخلتُ على خَتَنِ [أبى بكر بن][3] بريرة ، وكان شيخاً ينتحل قول الإباضيَّة ، فسمعتُه يقول : العجبُ ممن يأخذه النَّومُ وهو [لا] يزعم [أنَّ] الاستطاعة مع الفعْل[4] ! قلت : ما الدليل على ذلك ؟ قال : الأَشعار الصحيحة . قلت : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

= نفسه بالاستقلال بها ، وحالت دون ذلك منيته . وسمى ذا اليمينين لأنه ضرب شخصا فى وقعته مع على بن ماهان بالسيف فقده نصفين ، وكانت الضربة بيساره فقال فيه بعض الشعراء :

* كلتا يديك يمين حين تضربه *

فلقبه المأمون : ذا اليمينين . انظر وفيات الأعيان . وفى ثمار القلوب ٢٣٢ - ٢٣٣ تعليلان آخران . وانظر الطبرى ١٠ : ١٤١ و ١٥٥ فى حوادث ١٩٥ والديارات للشابشتى ٩١ - ٩٢ . وولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ .

(١) ل : « وأنا أصوم الدهر منذ ثلاثين سنة » .

(٢) س : « أبو الجهجا » وهو تحريف . ولأبى الجهجاه حديث فى البخلاء ص ٣٦ .

(٣) الزيادة من مثل هذا الموضع ص ٢٢ س : ٣

(٤) من أصول المعتزلة أن استطاعة الفعل تسبق الفعل ، وجمهور الإباضيين على أن =

* مَا إِنْ يقَعْنَ الأَرْضَ إلاّ وفقا[١] *

ومثل قوله :

* يَهوِين شــتَّى ويقعْن وفقــا *

ومثل قولهم فى المثل : « وقَعَا كعِكْمَىْ عَير[٢] »]

وكقوله[٣] أيضاً :

مِكرّ مِفَــرٍّ مُقْبلٍ مُــــدْبرٍ معاً
كَجُلمودِ صَخْر حَطّه السَّيلُ من علِ[٤]

وكقوله :

أكفُّ يدى عن[٥] أنْ تمسَّ أكفهم
إذا نحنُ أهوَينــا وحاجتنا[٦] مَعَا

ثم أقبل علىَّ فقال : أما فى هذا مقنع ؟ قلت : بلى ، وفى دون هذا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . الفرق ٨٤ . وكلمة « الفعل » هى فى ط ، س : « العقــل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون الأخبار ٢ : ٥٦ حيث يوجد هذا الخبر .

(١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ماأثبت من ل .

(٢) العكم ، بالكسر : العــدل بكسر العين . والعير : الحمار . ووقعا : أى حصلا ، فهما فى التوازن والتعادل ســواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن العــكمين فى الأكــثر إذا حل أحدهمـا سقطا معا . والمثــل يضرب للمتساويين . أمثال الميدانى ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرعان عكمى عير وكعكمى عــير : وقعا معاً لم يصرع أحدهمـا صاحبه . لسان العرب. وفى الأصل ، وهو هنا ل : « كعظمى عير » وهو تحريف .

(٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتى من معلقته المشهورة .

(٤) هذا الشطر ليس فى ل .

(٥) ل ، س : « من » .

(٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمَّدُ بنُ سلاَّم عن أبانِ بنِ عثمانَ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لهشامِ بن الحكم[١] : أتُرَى اللهَ عزَّ وجلّ فى عدْله وفضلِه كلَّفنا مالا نطيقُ ثمَّ يعذِّبُنا ؟ ! قال : قدْ واللهِ فعل، ولكنَّا لانستطيع أنْ نتكلَّم به ! ٤

(سؤال ممرور لأبى يوسف القاضى)

وحدَّثنى محمَّد بن الصباح قال : بينا أبو يوسفَ القاضى يسيرُ بظَهْر الكوفة — وذلك بعدَ أن كتبَ كتابَ الحِيَل[٢] — إذ عرضَ له ممرورٌ عندنا أطيب الخلْق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنتَ فى كتاب الحيل[٢] ، وقد بقيتْ عليكَ مسائلُ فى الفِطَن ، فإنْ أذِنت لى سألتُك عنها . قال : قد أذنتُ لكَ فَسَلْ . قال : أخبرْنى عن الحِرِ كافرٌ هو أو مؤمن ؟ فقال أبو يوسف : دينُ الحرِ دينُ المرأة ودينُ صاحبةِ الحِر : إن كانت كافرةً فهو كافر ، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن . قال : ماصنعت

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستانى ، ومن المشبهة عند الخوارزمى فى مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والتشبيه ، وآراؤه مفصلة فى الفرق ٤٧ – ٥٣ ، والملل والنحل ٢ : ٢١ – ٢٣ .

(٢) هى الحيل الشرعية ، التى يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ماكتبه ابن دريد فى كتابه « الملاحن » المطبوع فى مصر سنة ١٣٤٧ . وفى س : « الخيل » وهو تصحيف .

شيئاً . قال : فقل أنت إذَنْ ، إذْ لم ترض بقولى[1] . فقال : الحرُ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأةَ إذا ركعَتْ أو سجَدت استدبر الحِرُ القِبلةَ واستقبلت هى القبلة ، ولو كان دينُه دينَ المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدةٌ يا أبا يوسف . قال : صدقت . [قال] : فتأذن[2] لى فى أخرى ؟ قال : نعم . قال : أخبرنى[3] عنك إذا أتيتَ صحراءَ فهجمْتَ على بَول وخِراء كيف تعرف أبولُ امرأةٍ هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدرى ! قال أجل والله ما تدرى ! قال : [أ] فتعرف أنت ذاك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخِراء وبين يديه فهو بولُ امرأة ، وخِراء امرأة . وإذا رأيت البولَ بعيداً من الخِراء فهو بول رجل وخِراء رجل . قال : صدقت !

قال : وحكى لى جوابَ مسائلَ فنسيت[4] منها مسألةً ، فعاودته فإذا هو لا يحفظها .

(جواب الحجاج العبسى)

وحدَّثنى أيُّوبُ الأعورُ ، قال قائل للحجاج العبْسى[5] : ما بال شعر الاسْتِ[6] إذا نبتَ أسرع والتفّ ؟ قال : لقربه من السَّماد[7] والماء هَطِلٌ عليه[8] ! !

---

(١) ط ، ل : « فقل أنت إذا لم ترض بقولى ».
(٢) أراد الاستفهام .
(٣) ل : « خبرنى » .
(٤) ل : « نسيت » .
(٥) ل : « لحجاج العبسى »، ويظهر أنه من المخنثين .
(٦) ل : « است المرأة » .
(٧) السماد ، بالفتح : أصله سرقين الدواب . وأريد به هنا النجو ، وفى ط : « السماء » وهو تحريف مافى ل .
(٨) ماء هطل : متتابع القطر عظيمه . وفى ل : « ويسقى من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدَّثنى محمَّد بن حسَّان قال : وقفتُ على نوفلٍ عَريفِ الكنَّاسين ، وإذا مُوسْوَس قد وقف عليه ، وعندَه كلُّ كنَّاس بالكَرْخ ، فقال له الموسوَس : ما بال بنتِ وردان[١] تدعُ قعرَ البئر وفيه كُرٌّ[٢] خِراء وهو لها مُسْلَمٌ وعليها موفر ، وتجىء تطلب اللُّطاخة التى فى آست أحدنا وهو قاعدٌ على المَقْعَدة[٣] ، فتلْزم نفسها الكُلفةَ الغليظة ، وتتعرَّض للقتل ، وإنَّما هذا الذى فى أستاهنا قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدِّرهم [وافيا][٤] وافراً . قال : فضحك القوم ، فحرَّك نوفلٌ رأسَه ثم قال : أتضحكون ؟ ! قدْ واللهِ سأل الرجل[٥] فأجيبوا ! وأمَّا أنا فقد — والله — فكَّرت فيها منذ ستِّينَ [سَنَةً][٦] ، ولكنَّكم لاتنظرون فى شىءٍ من أمر صناعتكم . لاجَرَمَ أنَّكم لاترتفِعُون أبداً ! [قال له الموسوَس : قلْ — يرحمُك الله — فأنتَ زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أنَّ الرُّطَب

= الحجاج هذا ساقط من س . وتجد فى محاضرات الراغب ٢ : ١١٧ — ١١٨ حديثا مثله يروى عن « مخنث » .

(١) بنت وردان يقال لها فى مصر « خنفس » . معجم المعلوف ٣٦ .

(٢) الكر : بالضم : مكيال للعراق ، أو ستة أوقار حمار ، أو ستون قفيزا ، أو أربعون إردباً . وفى ط : ل : « كل » وهى تصحيف . وأثبت مافى س .

(٣) المقعدة : عنى بها ما وضع له اسم « المرحاض » فى عصرنا هذا . وفى ط ، س : « المقعد » . وأثبت مافى ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود .

(٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم وافراً » وهو تحريف .

(٥) ط : « الراجل » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س وفى ط : « منذ سنين » .

أطْيَبُ من التَّمر ، والحديثَ أطرف[١] من العتيق ، والشيءَ من مَعْدنِه أطيَب ، والفاكهةَ من أشجارِها أطرف[٢] . قال : فغضب شريكُه[٣] مسبِّح[٤] الكنَّاس ثم قال : والله لقد وبَّختنا ، وهوَّلتَ علينا ، حتى ظنَنَّا أنَّك ستُجيب بجوابٍ لايحسنُه أحد ، ما الأمرُ عندنَا وعند أصحابنا هكذا . قال : فقال لنا الموسوس : ما الجواب عافاكم[٥] الله ؛ فإنِّى ما نمتُ البارحةَ من الفِكرَة[٦] فى هذه المسألة ؟ قال مسبِّح[٧] : لو أنَّ لرجلٍ ألفَ جاريةٍ حسناء[٨] ثم عتَقْنَ عندَه لبَرُدَتْ شهوتُه عنهنَّ وفترت ، ثمَّ إن رأى واحدةً دونَ أخسِّهن فى الحُسْن صبا إليها[٩] وماتَ من شهوتها . فبنت وردانَ تستظرف[١٠] تلك اللطاخة[١١] وقد ملَّت الأولى[١٢] ؛ وبعضُ الناسِ

---

(١) كذا فى ط ، س وفى ل : « أطرا » .

(٢) ل : « ألذ » .

(٣) ط ، س : « شريك » ، وهو تحريف صوابه من ل .

(٤) كذا ضبط الاسم فى ل . وجاء فى ط ، س : « مسيح » . ولمسبح هذا حديث فى الجزء الأول من الحيوان ص ٢٤٥ .

(٥) س : « فقال له الموسوس : ماالجواب عافاك » .

(٦) ل : « الفكر » .

(٧) انظر التنبيه رقم ٤ من هذه الصفحة .

(٨) ط : « جوارى حسانا » وهو تحريف ، إذ أن تمييز الألف مفرد مجرور . وصوابه فى ل ، س .

(٩) ل : « واثبها » مكان : « صبا إليها » .

(١٠) كذا بالأصل . ولعلها « تستطرف » .

(١١) س : « اللطافة » . وهو تحريف ماأثبت من ط ، ل .

(١٢) ل : « الأول » .

الفطيرُ أحبُّ إليه[١] من الخمير . وأيضاً إنّ الكثيرَ يمنَع الشّهوة ، ويورث الصُّدوف[٢] . قال : فقال الموسوس — واستحسَنَ جوابَ مسبِّح ، بعد أن كان لايرى جواباً إلّا جواب نوفل[٣] — : لاتعرفُ مِقدارَ العالمِ حتّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدَرة ، ولقد[٤] سألتُ علماءَها عنهُ منذُ عشرينَ سنةً فما تخلّصَ أحدٌ منهم إلى مثلِ ماتخلّصْتم إليه . وقدْ والله — أنعَمْتُم عيني ، وطابَ بكم عيشي ! وقد علمنا أنّ كلّ شيءٍ يُستَلَبُ استلابا أنّه ألذ وأطيب . ولذلك صارَ الدَّبيبُ إلى الغِلمان ونيكُهم على جهة القهر[٥] ألذ [وأطيب] ، وكلُّ شيءٍ يصيبهُ الرَّجلُ فهو أعزُّ عليه من المال الذى يرثه أو يوهب[٦] له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحدَّثنى أبانُ بن عثمانَ قال : قال الحجَّاجُ بنُ يوسفَ : واللهِ لَطاعتى أوجَبُ مِنْ طاعةِ الله ؛ لأنَّ الله تعالى يقول : ﴿ اتَّقُوا اللهَ مَااستَطَعْتُمْ ﴾

---

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يراعى فيه الإفراد ، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجمعية مما أضيف إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :

إذا بعض السنين تعرقتنا   كفى الأيتام فقد أبى اليتيم

انظر الكامل ٣١٢ — ٣١٣ ليبسك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ سلفية) وسيبويه ١ : ٢٥ بولاق .

(٢) الصدوف : العزوف عن الشىء والانصراف عنه . وفى ط ، س : « الصدود » وهو بمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لاجواب إلا جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ماأثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذى يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةً[١] ؛ وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يَجْعَلْ فيها مثنَوِيَّة[٢] ! ولو قلتُ لرجل : ادخل مِن هذا الباب، فلم يدخل، حَلَّ لى دمُه!

(احتجاج مدنى وكوفىّ)

قال : وأخبرنى محمَّد بن سليمانَ بنِ عبد الله النوفلىُّ قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحنَ أشدُّ حبًّا لِرَسولِ الله ــ صلى الله عليه وسلم وعلى آلِه ــ مِنْكُم يا أهلَ المدينة ! فقال المدنىّ : فما بَلَغَ مِنْ[٣] حُبِّكَ لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قال : ودِدت أنِّى وَقيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم ــ وأنَّه لم يكنْ وصَلَ إليه يومَ أُحُدٍ ، ولا فى غيره من الأيَّام شىءٌ من المكروه[٤] يكرهه إلا كان بى دونَه ! فقال المدنىُّ : أفَعِنْدَكَ غيرُ هذا ؟ قال : وما يكونَ غيرُ هذا ؟ قال : ودِدْتُ أنَّ أبا طالبٍ كانَ آمَنَ فسُرَّ به النبىُّ صلى الله عليه وسلم وأنِّى كافر[٥] !

---

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « مااستطعتم » .

(٢) فهم الحجاج أن المراد طاعة أولى الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسمعوا المواعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسمعوا لله ولرسوله ولكتابه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشرى ، والرازى ، والبيضاوى .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شىء يكرهه » . وفى ط : « بشىء يكرهه » ، ولاتصح هذه الأخيرة إلا ببناء « وصل » للمفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنى » هى فى ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدَّثنى أبانُ بنُ عثمان قال : قال ابنُ أبى ليلى[١] : إنّى لأُسَايرُ رجلاً من وُجوهِ أهل الشَّام ، إذْ مرَّ بحمَّالٍ معَه رُمَّان ، فتناولَ منه رُمَّانَةً فجعَلها فى كُمِّه . فَعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعت إلى نفسى وكذَّبت بصرى ، حتَّى مرَّ بسائلٍ فقير[٢] ، فأخْرجها فناوَله إيَّاها . قال : فعلمتُ أنِّى رأيتُها ، فقلتُ له : رأيتُك قَدْ فعلتَ عجباً[٣] . قال : وما هو؟ قلت : رأيتُك أخذْتَ رُمَّانَةً مِنْ حَمَّال وأعطيتَها[٤] سائلاً ؟ قال : وإنَّك ممَّن يقولُ هذا القولَ ؟ أما علِمتَ أنِّى أَخَذْتُها وكانت سيِّئَةً وأعطيتُها فكانت عشْرَ حَسَنَاتٍ ؟ قال : فقال ابنُ أبى ليلَى : أمَا علِمتَ أنَّكَ أخذْتَها فكانتْ سيِّئةً وأعطيتَها فلم تُقْبَلَ منك ؟ !

---

(١) ابن أبى ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، واسم أبى ليلى يسار . ولى محمد القضاء لبنى أمية ، ثم وليه لبنى العباس . وكان فقيها مفتيا بالرأى . انظر أصحاب الرأى فى المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عينى حتى مر به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجبا » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع [١] : قلت لأعرابيٍّ : أتَهْمِزُ إسرائيل [٢] ؟ قال : إنِّى إذاً لَرَجُلُ سَوْء ؟ قلت : أتجُرُّ [٣] فِلَسطين ؟ قال : إنِّى إذاً لَقَوِىٌّ .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وحدَّثنا حمَّادُ بنُ سلَمَة قال : كان رجلٌ فى الجاهليَّة معه مِحْجَنٌ [٤] يتناوَلُ به مَتاعَ الحاجِّ [٥] سَرِقة ، فإذا قيل له : سرقت ! قال : لمْ أسرِق ، إنَّما سَرَق مِحْجنى ! قال : فقال حماد : لو كانَ هذا اليومَ حَيًّا لـكانَ من أصحاب أبى حَنيفة !

(الأعمش وجليسه)

قال : وحدَّثنى محمَّد بن القاسم قال : قال الأعمشُ لجليسٍ له : أما تَشتَهى بنانىَّ [٦] زُرْقَ العُيونِ نَقيَّةَ البطونِ ، سُودَ الظُّهور ، وأرغفةً

---

(١) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمى ، كما فى البيان ٢ : ٢٢٠ .

(٢) ط : « أتهمز أم إسرائيل » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٣) ط : « فتجر » وأثبت ما فى ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناهما الاصطلاحى وفهم الأعرابى من الهمز الغمز ، أو النخس ، أو الدفع ، أو الضرب ، أو العض ، كما فهم من الجر معناه اللغوى .

(٤) المحجن : العصا المعوجة .

(٥) الحاج : الحجاج إلى البيت الحرام . وقد جاء على لفظ المفرد .

(٦) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامة فى مصر يكسرون باءه . وجمعه « بنانى » . وجاء فى ط : « بناتى » وفى ل : « بنانيا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حارّةً ليِّنة ، وخَلاًّ حاذقا ؟ قال : بلى ! قال : فانهض بنا . قال الرَّجلُ : فنهَضْتُ معه ودخل منزِلَه . قال : فأومأَ إلَيّ : أنْ خُذْ تِلك السَّلّة . قال : فكشَفها فإذا برغيفين يابسين[1] وسُكُرَّجة كامَخٍ[2] شِبْثٍ[3] . قال : فجعل يأكل . قال : فقال لى تَعالَ كُلْ . فقلت : وأينَ السمك ؟ قال : ماعندى ، [سمك] ، إنما قلت لك : تشتهى !

(رأى حفص بن غياث فى فقه أبى حنيفة)

قال : وسُئل حفْصُ بن غِياث[4] عن فِقه أبى حنيفة ، قال : كانَ أجهَلَ النَّاسِ بما يكون[5] ، وأعرفَهم بما لايكون .

---

(١) ل : « فإذا فيها رغيفان يا بسان » .

(٢) الكامخ ، بفتح الميم : ضرب من مشهيات الطعام ، قوامه البقول والملح واللبن ، وقد تضاف إليه بعض الأبازير . انظر كتاب الطبيخ للبغدادى ص ٦٨ وشفاء الغليل ١٧٠ .

(٣) الشبث ، بالكسر : ضرب من البقول . وجاء فى ل : « شبت » . وفى القاموس : « الشبت كطمر : هذه البقلة المعروفة » . وفى تذكرة داود : « شبت بالمثلثة ويقال بالمثناة » ، فهما لغتان .

(٤) هو حفص بن غياث بن طلق ، وكنيته أبو عمرو . ولاه هارون القضاء ببغداد بالشرقية ، ثم ولاه قضاء الكوفة ، فمات بها سنة ١٩٤ . وكان مثلا فى الزهد والعفة ؛ رووا أنه مرض خمسة عشر يوما فدفع إلى ابنه مائة درهم ، وقال له : أمض بها إلى العامل وقل له : هذه رزق خمسة عشر يوما ، لم أحكم فيها بين المسلمين ، لا حظ لى فيها ! وقد سبق الخبر فى ١ : ٣٤٧ . وانظر البيان : ٢ : ٢٥٣ حيث المسئول هناك « شريك » .

(٥) ل : « كان » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشْنَامَ[١] بن هند ، فإنَّ خشنام بن هِندٍ كان شيخا من الغاليةِ[٢] ، وكان ممَّن إذا أراد أنْ يسمِّىَ أبا بكر وعُمرَ قال : الجِبْتُ والطَّاغوت ، ومُنْكر ونكير ، وأُفٌّ وتُفٌّ ، [وكُسَير] وعُوَير[٣] . وكان لا يَزال يُدخِل دارَه حمارَ كسَّاح[٤] ويضربه مائَةَ عصاً[٥] على أنَّ أبا بكر وعمرَ فى جوفه . ولم أر قطُّ أشدَّ احترافًا[٦] منه . وكان مع ذلك نبيذِيًّا وصاحبَ حمَام[٧] . ويُشبه فى القَدِّ والخَرْط شُيوخَ الحربيَّة[٨] . وكان من [بنى] غُبَر[٩] [من] صميمهم . وكان له بُنَىٌّ يتبعه ، فكان يزنّى أمَّه عند[١٠] كلِّ حقٍّ وباطل ، وعِنْدَ كلِّ جِدٍّ وهَزْل . قلت له يوماً — ونحن

---

(١) فى القاموس : « خشنام : علم ، معرب خوش نام ، أى الطيب الاسم » .

(٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية . والغالية ، أو الغلاة : هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الإلهية ، فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله ، وربما شبهوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .

(٣) انظر الاستدراكات فى نهاية هذا الجزء .

(٤) الكساح : الكناس . والمكسحة : المكنسة . والكساحة ، بالضم : الكناسة

(٥) ط ، ل : « عصى » . والوجه كتابته بالألف كما فى س .

(٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفى ط ، س : « احتراقا » .

(٧) أى يلعب بالحمام ويقامر به .

(٨) الحربية : محلة كبيرة ببغداد ، تنسب إلى حرب بن عبد الله البلخى . انظر ص ٨٠ .

(٩) غبر ، كزفر : قبيلة من يشكر ، كما فى تاج العروس . وفى ط ، س « غير » وتصحيحه من ل .

(١٠) ل : « فى » . يزنيها : يقذفها بالزنى .

عند بنى رِبْعِىّ : وَيْحَكَ ، بأىِّ شىءٍ تستحلُّ أنْ تقذِفَ أُمَّه بالزِّنَا ؟ فقال : لو كانَ علىَّ فى ذلك حَرَجٌ لمــا قذَفْتهَا ! قلت : فلِمَ تزوَّجتَ امرأةً ليس فى قذْفِها حرج ؟ قال : إنِّى قد احتَلتُ حِيلةً حتَّى حلَّ لى من أجلها ما كان يحرم . قلت : وما تلك الحيلة ؟ قال : أنا رجلٌ حديدٌ ، وهذا غلامٌ عارم ، وقد كنت[1] طلَّقت أمَّه فكنتُ إذا افتريتُ عليها[2] أثمت ، فقلت فى نفسى : إن أرَغْتها[3] وخدَعتُها حتَّى أنيكَها مَرَّةً واحدةً حلّ لى بعدَ ذلك افترائى عليها[2] ، بل لا يكونُ قولى حينئذٍ فِرْية ، وعلِمتُ أنَّ زَنْيَةً واحدةً لا تَعْدِل عشرة[4] آلافِ فِرْية . فأنا اليَوْمَ أصدُقُ ولستُ أ كْذِب . والصَّادِقُ مأجور. إنِّى واللهِ ما أشكُّ أَنَّ اللهَ إذا علم أنِّى لم أزْنِ بها تلك المرَّة[5] إلاّ مِن خوف الإثم ٧
إذا قذفتها[6] — أنَّهُ سيجعَلُ[7] تلك الزَّنيةَ له طاعة[8] فقلت : أنتَ الآنَ على [يقين] أنّ زناكَ طاعةٌ لله تعالى ؟ قال : نعم .

---

(١) ل : « قد » .

(٢) ل : « عليه » ، والمعنى يصح بكلتا العبارتين .

(٣) أرغتها : أردتها وطلبتها أو خادعتها . وفى ط : « أعبث بها » وفى س : « أعبتها » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(٤) فى الأصل : « عشر » . والألف مذكر .

(٥) س : « المرأة » ، وتصح بتكلف .

(٦) ل : « قذفته » ، ويصح المعنى بالعبارتين .

(٧) ل : « فتجعل لى » ، وهو تحريف .

(٨) ط ، س : « طاعة لله » ، وهو تحريف ما فى ل .

(حجة الشيخ الإباضى فى كراهية الشيعة)

قال الشَّيخُ الإباضى [وقد ذهب عنى اسمُه وكنيتُه] وهو خَتَن أبى بكر ابن بَرِيرة[١] - وجرى يوماً [شيءٌ من] ذِكرِ التشيُّع والشِّيعة ، فأنكر ذلك واشتدَّ غضبُه عليهم ، فتوهَّمْتُ أنَّ ذلك إنّما اعتراه للإباضيّة التى فيه ، [وقلت][٢] : وما علىَّ إن سألته ؟ فإنَّه يُقال : إنَّ السائل لا يعْدمُه أنْ يسمَعَ فى الجواب حُجَّةً أو حِيلةً [أو مُلحة][٣] - فقلتُ : وما أنكرت من التشيُّع و [من ذكر] الشِّيعة ؟ قال : أنكرتُ منه مكان الشِّين التى فى أوّل الكلمة ؛ لأنِّى لم أجد الشِّين فى أوَّل كلمةٍ قطُّ إلاَّ وهى مسخوطة[٤] مثل : شؤم ، وشرٌّ ، وشيطان ، وشغب ، وشحّ[٥] ، وشمال ، وشجَن[٦] ، وشيب ، وشين[٧] ، وشراسة ، وشَنَج[٨] ، وشَكّ ، وشوكة ، وشَبث ، وشرك ، وشارب[٩] ، وشطير ، وشطور ، وشِعرة[١٠] وشانى[١١] ، وشتْم ،

---

(١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما فى ل . انظر ص ٩ س ٩ .
(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .
(٣) الزيادة من ل ، س .
(٤) ل : « إلا مسخوطة » .
(٥) كذا فى س ، ط . وفى ل : « وشيخ » .
(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفى ل : « وشخت » .
(٧) بدل هاتين الكلمتين فى س ، « وشيب وشتيت » وفى ل : « وشتيت وشيب » .
(٨) الشنج ، بالتحريك : تقبض الجلد . وبدله فى ل : « وشح » .
(٩) فى ل مكان الكلمات الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفى ط أعيدت كلمة « شوكة » بين « شبث » و « شرك » . الشبث ، محركة : العنكبوت ، أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التى وردت فى ل ، هو الخشن ، أو الضامر اليابس .
(١٠) كذا فى ل . ويراد بها شعر العانة . وفى ط ، س : « شعر » محرفة .
(١١) الشانى ، مخفف الشانئ : المبغض العدو . وفى ط : « شنانى » . وفى ل « شابستى » وأثبت ما فى س . وقد جاء اللفظان معا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتيم [١] ، وشِيطَرْج [٢] ، وشنعة ، وشَناعة ؛ وشأمة [٣] ، وشوصة ، وشتر وشجوب [٤] وشَجَّة ، وشَطُون ، وشاطن [٥] ، وشنّ [٦] ، وشلَل ، وشِيص [٧] وشاطر ، وشاطرة [٨] ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ متكلِّمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلُغه ، ولا يقومُ لهؤلاء القَوم قائمةٌ بعد هذا [٩] !

---

(١) الشتيم : الكريه الوجه .

(٢) الشيطرج : نبت يوجد بالقبور الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . وفى س ، ط : « شطرنج » ، وهو تحريف مافى ل .

(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشأمة والمشأمة ، من الشؤم ، ضد اليمنة والميمنة ، من اليمن .

(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع فى البطن ، أو ريح تعتقب فى الأضلاع ، أو ورم فى حجابها . والشتر ، بالفتح : القطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسفله . وهاتان الكلمتان موضعهما فى ل بعد كلمة : « شاطرة » .

(٥) الشطون : البعيدة . والشاطن : الخبيث .

(٦) الشن ، بالفتح : القربة الخلق الصغيرة .

(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ التمر ، ووجع الضرس أو البطن .

(٨) الشاطر : الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وقد يراد بها اللص . وفى ل : « وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطراً .

(٩) هذا الخبر الذى ساقه الجاحظ — حديثا بينه وبين الشيخ الإباضى — تجده فى العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضا حديثا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبا مع التاجر فى سفينة . ولست أدرى من أى كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدرا بعبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لى ذاكر عن شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبى كعب القاص)

قال : وتعشَّى أبو كعبٍ القاصُّ بطفشيل[١] كثير اللّوبيا ، وأَكثَر مِنه ، وشرِب نبيذَ تمر ، وغَلَّس إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله ، إذ[٢] انفتل الإمامُ من الصلاة فصادف زحامًا كثيرًا ، ومسْجِدًا مَستورًا بالبَوارىِّ[٣] من البَرْدِ والرِّيح والمَطر ، وإذا محرابٌ غائرٌ فى الحائط ، وإذا الإمامُ شيخٌ ضعيف ؛ فلمَّا صلّى استدْبرَ المحرابَ وجلسَ فى زاويَةٍ منه يسبِّح ، وقام أبو كعبٍ فَجَعل ظهْرَه إلى وجه الإمام وَوجهه إلى وُجوه القوم[٤] ، وطبَّق وجه المحراب بجِسمه وفَروته وعمامته وكسائِه ، ولم يكن بين فَقحته وَبين أنف الإمام كبيرُ شىء ، وَقصّ وتحرَّك بطنُه ، فأَرَاد أنْ يتفرَّج بفَسوةٍ وَخاف أنْ تصير ضراطا[٥] ، فقال فى قَصصه : قولوا جميعاً : لا إلٰه إلاَّ الله ! وارفَعوا بها أصواتكم : وَفسا فَسوةً فى المحراب فدارت فيه وَجثَمت[٦] على أنف الشيخ وَاحتَملها ، ثمَّ كدَّه بطنُه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلاَّ الله ! وَارفعوا بها أصواتكم . فأَرسل فَسوةً أخرى فلم تُخْطِئْ أنْفَ الشيخ ،

---

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جعله (طفيشل) وزان سميدع ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبيخ فقد جعل الطفشيل ضربا من التنوريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطانى ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان ، وما أشبه ذلك » . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٦ .

(٢) فى الأصل : « إذا » .

(٣) البوارى : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضرطة » . وفى س : « ينفرج » بدل : « يتفرج » .

(٦) جثمت : لزمت مكانها . وفى ط : « جشمت » ، والوجه مافى ل ، س .

واختَنقَتْ[١] فى المحراب . فخمَّر الشَّيخُ أنفَه[٢] ، فصار لا يدرى ما يصنع . إنْ هو تنفَّس قتلَتْه الرائحة ، وإنْ هو لم يتنفَّس مات كَرْبا . فما زَالَ يُدارِى ذلك ، وأبو كعب يقصُّ ، فلم يلبَثْ أبو كعبٍ أن احتاجَ إلى أخرى . وكلما طالَ لُبْثُه تولَّد فى بَطْنِه من النَّفخ على حَسَب ذلك . فقال : قولوا جميعاً : لا إلٰه إلا الله! وارفَعوا بها أصواتكم . فقال الشيخ مِنَ المحراب ـ [وأطْلَعَ ٨
رأسَه وقال] ـ : لا تقولوا ! لا تقولوا ! قد قَتلنى ! إنَّما يريد أن يفسوَ ! ثم جذب إليه ثوبَ أبى كعبٍ وقال : جئت إلى ها هنا لتفسوَ[٣] أو تقصّ ؟ فقال : جئنا لنقص[٤] ، فإذا نزلت بليَّةٌ فلا بدَّ لنا ولكم من الصَّبر ! فضحك الناسُ ، واختَلَط المجلس .

(جواب أبى كعب القاصّ)

وأبو كعبٍ هذا هو الذى كان يقصُّ فى مسجد عتَّابٍ كلَّ أرْبعا[٥] فاحتبَسَ عليهم فى بعض الأيَّام وطال انتظارُهم له . فبينما هُمْ كذلك إذ جاء رسوله فقال : يقول لكم أبو كعب : انصرفوا ؛ فإنِّى قد أصبحتْ [اليوم] مخموراً !

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « اختفت » .
(٢) خمر أنفه : غطاه .
(٣) ل : « تفسو » .
(٤) ل : « نقص » .
(٥) هو مقصور : « أربعاء » .

(علة عبد العزيز)

وأمّا علة عبدِ العزيز بشكست فإنَّ عبدَ العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاءَ وقتُ الزَّكاة وجاء القَوّادُ بغلامٍ مؤاجَر[١] ، قال : يا غلام ألك أمٌّ ؟ ألك[٢] خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خُذْ هذه العشرة الدراهم — أو خُذْ هذه الدَّنانير — مِن زكاةِ مالى ، فادفَعْها إليهنَّ ، وإنْ شئتَ أن تُبْرِكنى[٣] بعد ذلك على جهة المكارمة ، [فافعل] ، وإنْ شئتَ أنْ تنْصَرِف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغُلامَ لا يمنَعُه بعد أخْذ الدراهم ، وهو يعلم أنه لن[٤] يبلغ مِن صلاحِ طباع المؤاجَرين أن يؤدُّوا الأمانات . فَغَبر[٥] بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاةٌ إلاّ عند أمَّهات المؤاجَرين وأخَوَاتهم وخالاتهم .

---

(١) لفظة عباسية ، يقصد بها من يستأجره اللاطة . انظر كنايات الجرجانى ص ١٢٠ س ١١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .

(٢) يقال أبركه : جعله يبرك . وقد كنى بقوله . وفى ط « تلزمنى » وأثبت . مافى س ، ل .

(٣) ل : « لم » .

(٤) ط : « فعبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت مافى ل ، س ، وغبر . بمعنى بقى وظل .

(احتجاج طيِّب كوفى للتسمية بمحمد)

وحدثنى محمَّد بن عبَّاد بن كاسب قال : قال لى الفضل بن مروان[١] شيخ من طِيَاب[٢] الكوفيِّين وأغْبيَائهم[٣] : إنْ وُلِدَ لك مائَةُ ذكرٍ فسمهم كلَّهم محمداً ، [وكنِّهم بمحمد] ؛ فإنَّك سترى فيهم البركة . أوَ تَدْرى لأىِّ شىءٍ كثُر مالى ؟ قلت : لا والله ما أدرى . قال : إنَّما كثُر مالى لأنِّى سمَّيتُ نَفْسى فيما بينى وبَيْنَ اللهِ محمداً ! وإذا كان اسمى عندَ الله محمداً فما أُبالى ما قال الناس !

(جواب أحمد بن رياح الجوهرى)

وشبه هذا الحديث قول المرْوَزى[٤] : قلت : لأحمد بن رياح الجوهرى اشتَريتَ كساءً أبيضَ طبَريًّا بِأَربعمِائَةِ درهم ، وهو عند الناس — فيما ترى عيونُهم قُومَسىٌّ[٥] يساوى مائَةَ درهَمٍ ؛ قال : إذا علم الله أنَّه طبرىٌّ فما علىَّ ممَّا قال الناس ؟ !

---

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطياب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيب : الفكه المزاج . انظر البيان ٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٢١١ . و ماسبق فى ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغنيائهم » واعتمدت مافى ل . انظر ص ٦ س ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومسى : نسبة إلى قومس ، بضم القاف وفتح الميم : كما فى القاموس . أو بضم القاف وكسر الميم كما فى المعجم . وهى صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاجُ حارسٍ يكنى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارسٌ يكنى أبا خَزيمة ، فقلت يوماً — وقد خطَر على بالى — : كيفَ اكتنَى هذا العِلْجُ الأَلْكَنُ بأبى[1] خزيمة ؟ ثمّ رأيتُه فقلت له : خبِّرنى عنك ، أكان أبوك يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فجدُّك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنُ يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان لك مولًى يسمى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان فى قريتِك رجلٌ صالح أو فقيهٌ يسمى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فلِمَ اكتنيت بأبى[1] خزيمة ، وأنتَ عِلجٌ ألْكَن ، وأنتَ فقيرٌ ، وأنت حارس ؟ قال : هكذا اشتهيت . قلت : فلأَىِّ شىءٍ اشتَهيتَ هذه الكنيةَ من بينِ جميع الكنى ؟ قال : ما يُدرينى . قلتُ : فتَبيعُها السَّاعَة بدينارٍ ، وتَكتَنِىَ بأىِّ كنيةٍ شئت ؟ قال : لا وَاللهِ ، ولا بالدُّنْيا[2] وما فيها !

(جواب الزيادىّ)

٩ وحدثنى مَسْعَدَةُ بن طارق ، قال للزيادِىِّ — ومررتُ به وهو جالسٌ فى يوم غمِق[3] حارٍّ ومِدٍ[4] ، على باب داره فى شروع نهر

---

(١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف فى « اكتنى » أن يتعدى بالباء كما فى اللسان . وأما الذى يتعدى بنفسه أو بالباء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .

(٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) يوم غمق ، كفرح ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خمة وفساد . وفى ط ، س : « يوم غيم » . والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لكلمة « ومد » الآتية .

(٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الندى يجىء فى صميم الحر من قبل البحر .

الجُوبار[١] بأَردية[٢] ، وإذا ذلك البحر يبخر فى أنفه[٣] — قال : فقلت له بعتَ دارك وحظَّكَ مِن دارِ جدِّك زيادِ بن أبى سفيان ، وتركتَ مجلِسَك فى ساباط غَيث[٤] ، وإشرافَك على رَحبة بنى هاشم ، ومجلسَك فى الأبواب التى تلى رَحبة بنى سليم ، وجلستَ على هذا النَّهر فى مثل هذا اليوم ، ورضِيت بِهِ جارا ؟ قال. نلتُ أُطولَ آمالى فى قرب هؤلاء [البَزّازين]. قلت له : لوكنت بقُرْبِ المقابر فقلت نزلت[٥] هذا الموضع للاتِّعاظ به والاعتبار كان ذلك وجهاً . ولو كنتَ بقُرْب الحدّادين فقلت لأتَذَكَّرَ بهذه النِّيران والكِيران[٦] نار جهنَّم ، كان ذلك قولا . ولو كنت اشتريت داراً بقرب العطَّارين فاعتَلَت بطَلَبِ[٧] رائحةِ الطِّيب كان ذلك وجهاً

---

(١) الجوبار : بضم الجيم : محلة بأصبهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر الصغير ؛ وبار كأنه مسيله . فمعناه على هذا مسيل النهر الصغير » قال صاحب الألفاظ الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن بار ، وهى من الأدوات التى تدل على الكثرة » . وفى ط ، س « الحونان » ، وتصحيحه من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست فى ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « ينجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » هى فى ل : « النهر » .

(٤) الساباط : السقيفة بين دارين تحتها طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب الألفاظ الفارسية : « مأخوذة من سايه بوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث » هى فى ط ، س : « عيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ماأثبت من ط ، س .

(٦) جمع كير : وهو الزق ينفخ فيه الحداد .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، ل : « بطيب » .

فأمّا قُرْبُ البزّازِين[1] فقط فهذا ما لا أعرفه . أفلكَ فيهم دارُ غَلَّةٍ ، أو هلْ لك عليهم دُيُونٌ حالَّةٌ ، أو هلْ لك فيهم أو عِندَهم غِلمانٌ يؤدُّون الضَّريبة ، أو هلْ لكَ معَهم شِرْكة مُضارَبةٍ ؟ قال : لا . قلت : فما ترجو إذًا من قربهم[2] [فلم يكن عنده إلاّ : نلت آمالى[3] بقُرب البزّازين] .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وحدثنى ثمامة بن أشْرس قال : كان رجلٌ ممرور يقوم كلَّ يومٍ فيأتى داليةَ لقوم ، ولا يزالُ يَمْشى مع رجال الدالية على ذلك الجذع[4] ذاهباً وجائياً ، فى شدَّة الحرِّ والبرد . حتَّى إذا أمسى نزل إليهم وتوضَّأ وصلَّى ، وقال : اللَّهُمَّ اجعلْ لنا مِنْ هذا فَرجاً ومَخْرجاً ! ثمَّ انصرف إلى بيته . فكان كذلك حتَّى مات .

(بين أعمى وقائده)

وحدَّثنى المكّىّ قال : كان رجلٌ يقود أعْمَى بِكراء[5] ، وكان الأعمى ربَّما عَثَرَ العَثْرَة ونُكِب النّكبة ، فيقول : اللَّهمَّ أبْدِل

(١) البزاز : بائع البز بفتح البـاء ، وهو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب . والبزار : بياع بزر الكتان ، أى زيته بلغة البغاددة . وفى ط : « البزارين » وأثبت ماقى س ، ل .

(٢) ل : « قرب البزازين » .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « قنت إمالى » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ط « الجزع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الكراء : الأجرة .

لى[1] بِه قائداً خيراً منه ! قال : فقال القائد : اللَّهُمَّ أبْدِلْ لى[1] بهِ أعمى خيراً لى منه .

(حماقة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنّا فى منزل صاحب لنا ، إذْ خرج واحدٌ من جماعتنا ليَقِيلَ فى البيت الآخر[2] ، فلم يلبث إلّا ساعةً حتى سمِعناه يَصيح : أوْهِ[3] أوه ! قال : فنهَضْنا بأجمعنا إليه فَزِعين ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائم على شقِّهِ الأيسر ، وهو قَابضٌ على خصيته بيده[4] فقلت له : لم صحت؟ قال : إذا غمزت خُصْيتى اشتكيتها ، وإذا اشتكيتُها صحت . قال : فقلنا له : لاتَغْمِزْها بعدُ حتى لاتشتكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حماقة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن علىٍّ مَولاةٌ عجوزٌ خُرَاسانيةٌ تصرُخ بالليل من ضَرَبان ضرس لها ، فكانت قد أرَّقت الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنَّها مع ذلك لاتَدَع أكْلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أتأكلين التَّمر بالنَّهار وتَصِيحينَ باللَّيل ؟ فقالت : إذا اشتهيتُ أكلت وإذا أوجعَنى صِحت !

---

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد الخبر : « أبدلنى » .

(٢) قال يقيل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .

(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزبادى .

(٤) ل : « بيديه » .

(حكاية ثمامة عن ممرور)

وحدثنى ثمامةُ قال : مَررتُ فى غبِّ مطرٍ والأرضُ نَدِيَّة ، والسَّماءُ متغيِّمة ، والرِّيح شَمالٌ ، وإذا شَيخٌ أصْفَرُ كأنَّه جَرادَة ، وقدْ جلسَ على قارعة الطَّريق ، وحَجّامٌ زِنجىٌّ يَحْجُمُهُ ، وقد وضع على كاهِله وأخْدَعَيْه محاجِم ، كل مِحْجَمةٍ كأنَّها قَعْب ، وقدْ مَصَّ دَمَهَ حتَّى كادَ أنْ يَستَفْرِغَه. قال : فوقَفتُ عليه فقلت : ياشيخُ لِمَ تَحْتَجِم فى هذا البرد[1] ؟ قال لمكانِ هذا الصُّفار[2] الذى بى .

(صنيع ممرور)

وحدثنى ثمامة قال : حدَّثَنى سعيد بن مسلم[3] قال : كُنا بخُراسانَ فى منزل بعض الدَّهاقين ونحن شَبابٌ ، وفينا شيخ . قال : فأتانا رَبُّ المنزل بدُهن طيبٍ فدَهَنَ بعضُنا رأسَه ، وبعضنا لحيته ، وبعضُنا مَسَح

---

(١) الزيادة من العقد ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصفار ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع فى البطن ، أو دود فيها . كذا فى القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتى « اليرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر فى عيون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا فى ط ، ل . وفى س : « سلم » . وهذا الحديث الآتى تجده أيضا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شارِبه ، وبعضُنا مَسَح يديه وأَمَرَّهُما على وجهه ، وبعضُنا أَخَذَ بطَرَف إصبعه فأدخَلَ فى أنفه ومَسَح به شارِبَه . فَعَمَد[١] الشيخُ إلى بقيَّةِ الدُّهن فصبَّها فى أذنه ، فقلنا له : ويحك ، خالفت أصحابكَ كُلَّهُم ! هل رأيْتَ أحداً إذا أَتَوْهُ بِدُهن طِيبٍ صبَّه[٢] فى أذنه ؟ قال : فإنّه مع هـذا يضرُّنى[٣] ؟

(أمْر عيصٍ ، سيّد بنى تميم)

وحدَّثنى مَسْعَدَةُ بنُ طارقٍ [الذَّرَّاع][٤] قال : واللهِ إنَّا لَوُقُوفٌ على حدودِ دار فلان للقِسمة ، ونحنُ فى خصومةٍ ، إذْ أقْبَلَ [عِيصٌ][٥] سيِّدُ بنى تميمٍ وموسرهم[٦] والذى يصلِّى على جنائزهم . فلمَّا رأيناهُ مقبِلاً إلينا أمسَكْنا عن الكلام ، فأقبل علينا فقال : حدِّثونى عن هذه الدَّار ، هَلْ ضمَّ منها بعضها إلى بعض أحد[٧] ؟ ! قال مسعدة : فأنا مُنْذُ سنين[٨]

---

(١) عمد : قصد . وفى ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود « إلى » ، وصوابها فى ل .

(٢) ل : « فصبه » وهو تحريف مافى ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنها مع ذلك تضرنى » ولها وجه ، أى فان تلك الفعلة ، وقد أثبت مافى ل .

(٤) عنى بكلمة : « الذراع » من يذرع الأرض ، أى يقيسها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) موسرهم : غنيهم . وفى ط « مؤسرهم » محرفة .

(٧) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أحدنا » وبهذه يخف انبهام الكلام ، مع ان الغاية من الحديث بيان شدة انبهام حديث التميمى . وكلمة « بعضها » هى فى ل : « بعض » . وفى العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك فى العقد .

أفكِّرُ في كلامه ما أدرى ماعَنَى به . [قال : وقال لى مرّة : مامن شر من ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون] .

وحدّثنى الخليلُ بنُ يحيى السَّلُولىُّ قال : نازَع التيميُّ بعضَ بنى عمِّه في حائطٍ ، فبَعَث إلينا لنَشهد على شَهادتهِ(١) ، فأتاه جماعةٌ منهم(٢) الحميرىُّ والزهرىُّ ، والزِّيادىُّ ، والبكراوى . فلمَّا صِرْنا إليه وقفَ بنا على الحائط وقال : أُشهِدُكم جميعاً أنَّ نِصفَ هذا الحائط لى !

(جواب ممرور)

قال : وقدِم ابنُ عمٍّ له إلى عمر بن حبيب ، وادَّعَى عليه ألفَ دِرهم فقال ابنُ عمِّه : ما أعرِفُ ممَّا قالَ قليلاً ولا كثيراً ، ولا له علىّ شىء ! قال : أصلحك الله تعالى ! فاكتُبْ بإنكاره . قال : فقال عمر : الإنكار لايفوتك(٣) ، متى أردْتَه فهو بَينَ يديك !

(أمنية أبى عتَّاب الجرَّار)

قال : وقلت لأبى عتّاب الجرَّار(٤) : ألا ترَى عبدَ العزيزِ الغَزَّال وما يتكلّمُ به فى قَصَصه؟قال : وأىُّ شىء(٥) قاله؟ [قلت]: (٦) قال : ليت الله تعالى

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .
(٢) ل : « فيهم » .
(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .
(٤) فى الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما فى البيان (٢ : ٣١٨) وعيون الأخبار ٢ : ٤٨ والعقد ٤ : ١٩٧ . و « الجرار » هى كذلك فى ط ، س ، وفى ل : « الخزان » وفى البيان : « الجزار » . واسمه إبراهيم بن جامع كما فى الحيوان ٥ : ١٦٧ .
(٥) فى الأصل : « قلته » .
(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لم يَكُن خلقَنى وأنا السَّاعةَ أعور ! قالَ أبو عتّاب[١] : [وقد قصَّرَ فى القول، وأساءَ فى التمنى . ولكنّى أقول] : ليتَ الله تعالى لم يكُنْ خلقنى وأنا الساعة أعمى مقطُوعُ اليدين والرجلين !

(تعزية طريفة لأبى عتَّاب الجرار)

ودخل أبو عتّاب على عمرو[٢] بن هدّاب وقد كُفَّ بَصرُه، والناس يُعزّونهُ ، فمَثَلَ بينَ يديه، وكان كالجمل المحجُوم[٣]، [و] له صوتٌ جهير، فقال: ياأبا أسيد، لايسوءنّك[٤] ذهابُهما، فلو رأيتَ ثوابَهما فى مِيزانك تمنّيتَ أنّ الله تعالى قد قَطَع يديك ورجليك ، ودَقَّ ظَهْرَك ، وأدْمى ضِلْعَكَ![٥] .

(داود بن المعتمر وبعض النساء)

وبينا داودُ بن المعْتَمر الصُّبَيرىّ جالسٌ معى ، إذ مرت به امرأةٌ جميلة لها قَوَامٌ وحُسْن ، وعينان عجيبتان ، وعليها ثيابٌ بيض ، فنهَضَ دَاودُ 11

(١) ط : « ابن عقاب » س : « ابن عتاب » وصـوابه من ل . وانظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة .

(٢) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما فى س وعيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب البغال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذى وضع على فه الحجام – ككتاب – لئلا يعض ؛ فصوته أقوى صوت . وجاء فى حديث ابن عمر – وذكر أباه – : « كان يصيح الصيحة يكاد من سمعها يصعق ، كالبعير المحجوم » . فى ط : ل : « الحجوم » . وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسؤك » وهى صحيحة . وأثبت مافى ل وعيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلعك » وفى ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبى بمنزلة القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨ .

فلم أشُكَّ أنّه قام ليَتْبَعها ، فبعثْتُ غلامى ليَعرف ذلك ، فلمّا رجع قلت له: قد علمت [أنّك][1] إنما قُمتَ لتكلِّمها ؛ فليس ينفعُكَ إلّا الصِّدق ، ولا ينْجيك منِّى الجُحود ، وإنما غايتى أنْ أعرف كيفَ ابتَدأتَ القول[2] ، وأىَّ شىءٍ قلتَ لها — وعلمت أنّه سيأتى بآبدة . وكان مليًّا بالأوابد[3] — قال : ابتدأتُ القول[4] بأنْ قلتُ [لها] : لولا ما رأيتُ عليكِ[5] من سيماء الخيْر لمْ أتبعْك . قال : فضَحِكتْ حتى استنَدَتْ إلى الحائط ، ثمَّ قالت : إنما يَمْنَع مِثلَكَ مِن اتّباعِ مِثلى والطَّمَع فيها[6] ، ما يَرَى من سِيماء الخير فأمّا إذْ قد صار سيماءُ الخير هو الذى يُطمِعُ فى النِّساء فإنا لِلّهِ وإنا إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة[7] ، فلم يزلْ يُطريها[8] حتى أجابت ، ودَلَّها على المنزل الذى يمكنها[9] فيه مايريد ، فتقدمت الفاجرةُ وعرض له

---

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س: « ابتدئت القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « مليا » وفى ل : « مليئا » . قال ابن منظور : « الملىء بالهمز : الثقة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء » . فالروايتان صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهى الكلمة أو الفعلة الغريبة .

(٤) ط : ، س : « ابتدئت » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ماعليك » ل : « لولا مارأيت » وفى عيون الأخبار (٢ : ٥١) : « لولا مارأيت عليك » وقد أثبت مافيها جامعا بين الروايتين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطريها : يبالغ فى الثناء عليها ، وهن يغتررن بذلك . وفى ط : « يطربها ». وليس بشىء . وفى ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت مافى س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما سيان .

رجلٌ فشغَلَهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القَوْمُ حوائجهُمْ وأخَذَتْ حاجتها ، فلم تنتظره(١) . فلما أتاهُمْ ولم يرَها قالَ : أين هى ؟ قالوا : واللهِ قد فرَغْنا وذَهَبت ! قال : فأىَّ طريقٍ أخَذَتْ ؟ قالوا : [لا] والله ماندرى ؟ قال : فإنْ عَدَوْتُ فى إثْرِها حتَّى أقُومَ على مجامع الطرُق(٢) أتُرَوْنى ألحقها ؟ قالوا : [لا] واللهِ ماتَلحقها ! قال : فقد فاتَتِ الآن ؟ قالوا : نعم . قال : فعسى أن يكون خيراً ! فلم أسمَعْ قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أنّ السَّلامة من الذنوب خير [غيره](٣) .

(قول أبى لقمان الممرور فى الجزء الذى لايتجزَّأ)

وسأل بعضُ أصحابنا أبا لُقمان الممرور عن الجزء الذى لايتجزَّأ : ماهو؟ قال : الجزءالذى لايتجزأ هوعلىُّ بن أبى طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد(٤) :

---

(١) ل : « وأبت أن تنتظره » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى جامع الطريق » محرفة .

(٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضا ويجزل كما فى ط . وفى ل : « فلم أسمع قط بأن إنسانا مسلما شك فى أن السلامة من الذنوب خير من غيرها » .

(٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمى بالولاء ، مولى أبى جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد والعتبى . وكان فصيحا ظريفا لسنا . دخل على المتوكل فى قصره المعروف بالجعفرى فقال له : ماتقول فى دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ! ولقيه بعض الكتاب فى السحر فقال متعجبا منه ومن بكوره : ياأبا عبد الله ، أتبكر فى مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أتشاركنى فى الفعل وتنفرد بالتعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيبه بأبى العيناء مذكور فى وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفى سنة ٢٨٢ . انظر نكت الهميان ٢٦٥ .

أفليس في الأرض جزءٌ لايتجزأ غيرُه ؟ قال: بلى حَمزةُ جزءٌ لايتجزّأ، وجَعْفَرٌ جزءٌ لايتجزأ ! قال فما تقول في العباس؟ قال: جزء لايتجزأ . قال : فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ . قال: فما تقول في عثمان؟ قال: يتجزّأ مَرّتين ، والزُّبير يتجزّأ مرّتين . قال : فأيَّ شيءٍ تقولُ في معاوية؟ قال : لايتجزأ [ولا لايتجزأ] .

فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الإمام(1) جزْءًا لايتجزأ(2) إلى أيِّ شيءٍ ذهب ، فلم نقع عليه إلاّ أن يكون كان أبو لقمان إذا سمعَ المتكلِّمين يذكرون الُجزْءَ الذى لايتجزّأ ، هاله ذلك وكبُر في صدره ، وتوهَّمَ أنَّه البابُ الأكبرُ مِن عِلمِ الفلسفة ، وأن الشيءَ إذا عظُم خَطَرُه سموه بالجزء الذى لايتجزأ .

وقد تسخَّفْنا في هذه الأحاديث ، واستجزْنا ذلك بما تقدَّم من العُذر وسنَذْكر قَبْلَ ذِكرِنا [القول] في الحمام جملاً من غُرَرٍ ونَوَادِرَ وأشْعَارٍ ونُتفٍ وفقَرٍ مِن قصائِدَ قصار وشوارِدَ وأبياتٍ ، لنُعطِيَ قارئ الكِتاب من كلِّ نوعٍ تذْهَبُ إليه النُّفوسُ نصيباً إن شاء الله .

---

(1) المراد بالإمام : على بن أبي طالب . وفي ط ، س : « الأنام » بمعنى الخلق ، وأثبت مافي ل .

(2) كذا في س ، ل . وفي ط : « أجزاء لاتتجزء » فيكون صواب مافي ط : « جعل الأنام أجزاء لاتتجزأ » والمراد بالجزء الذى لايتجزأ ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لايمكن ألبتة أن يكون لها جزء . وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه ، وهكذا إلى غير نهاية . وقد تبعهم في ذلك النظام وبعض المعتزلة ، فنفى الجزء الذى لايتجزأ . انظر الفصل ٥ : ٩٢ — ١٠٨ والفرق ص ١٢٣ . وقد صنف جعفر ابن حرب المعتزلى كتابا في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذى لايتجزأ . الفرق ١١٥ .

(3) الزيادة من س .

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكلِّ ضربٍ من الحديث ضَرْبٌ من اللفظ ، ولكلِّ نوعٍ مِن المعانى ١٢
نوعٌ من الأسماء : فالسَّخيفُ للسخيف ، والخفيفُ للخفيف[1] ، والجزلُ
للجَزل ، والإفصاحُ فى موضع الإفصاح ، والكِناية فى موضع الكناية ،
والاسترسال فى موضع الاسترسال .

وإذا[2] كان مَوْضِعُ الحديثِ على أنّهُ مُضْحِكٌ ومُلْهٍ[3] ، وداخِلٌ
فى باب المزَاح والطِّيب[4] ، فاستَعْمَلْتَ فيه الإعراب ، انقَلَبَ عن جِهَتِه .
وإنْ كان فى لفظه سُخْف وأبْدَلْتَ السَّخافَة بالجزالة ، صارَ الحديثُ الذى
وُضِع على أنْ يسُرَّ النُّفوسَ يُكْرِبُها ، ويأْخُذُ بِأكظامها[5] .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت مافى ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ماأثبت من ل .

(٤) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة . وفى ل : « المزح الطيب » . وأثبت مافى ط ، س . وانظر التنبيه الأول من ص ٦ .

(٥) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس . والكلام فى استعمال الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للجاحظ مثله فى الجزء الأول ص ٢٨٢ .

(الوقار المتكلف)

وبعضُ النَّاسِ إذا انتهى إلى ذِكْرِ الحِرِ والأيرِ والنَّيك ارتَدَعَ وأظهرَ التقَزُّز (١) ، واستَعْمَل بابَ التَّوَرُّع . وأكثَرُ مَنْ تجده كذلك فإنَّما هو رجلٌ ليس مَعَه من العَفافِ والكَرَم ، والنُّبْل والوَقار ، إلَّا بقَدْر هذا الشَّكل من التَّصنع . ولم يُكْشَفْ قطُّ صاحِبُ رياءٍ ونِفاقٍ ، إلّا عن لؤمٍ مُسْتَعْمَل ، ونذالةٍ متمكِّنة .

(تسمُّح بعض الأئمة فى ذكر ألفاظ)

وقد كان لهم فى عبدِ الله بن عباسٍ مَقْنَع ، حينَ سَمِعه بعضُ الناس (٢) يُنشد فى المسجد الحرام (٣) :

وهُنَّ يَمشِينَ بنا هَمِيسَا إنْ تَصْدُقِ الطَّيرُ نَنِكْ لميسَا (٤)

---

(١) التقزز : التباعد من الدنس . وفى ط ، س : « التعزز » بمعنى التكبر والتشدد ، كما فى اللسان ، وأثبت ما فى ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما فى عيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) فى العقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز فى الطريق بالبيت الآتى فى طريقه إلى مكة . وفى العمدة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من رفث القول ؟ فأنشد البيت وقال : « إنما الرفث عند النساء » ثم أحرم للصلاة . وليس فى الخبر عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل تمثل به كما فى اللسان (همس) .

(٤) الهميس : المشى الخفى الحس . لميس : اسم امرأة .

فقيل له فى ذلك ، فقال : إنّما الرَّفَثُ ما كان عند النساء .

وقال الضَّحَّاك : لو كان ذلك القولُ رَفَثاً لـكان قطْعُ لسانِه أحبَّ إليه مِنْ أن يَقُولَ هُجْرا[1] .

قال شَبِيبُ بن يزيد الشيبانى[2] ، لَيْلَةَ بَيَّتَ[3] عتَّابَ بنَ ورَقاء[4] :

* مَنْ يَنِكِ الْعَيْرَ يَنِكْ نَيَّاكَا *

وقال علىٌّ بنُ أبى طالبٍ ـ رضى الله عنه ـ حينَ دخَلَ على بعض الأمراء فقال له : مَن فى هذه البيوت ؟ فلما قيل له : عقائلُ من عقائل

---

(١) الكلام من مبدإ « وقال الضحاك » : كان فى الأصل متأخرا عن مكانه ، بعد نهاية خبر شبيب الآتى . وقد رددته إلى موضعه الطبيعى . والضحاك هـذا هو الضحاك بن عبد الله الهلالى ، وهو أحد من انضم إلى عبد الله بن عباس فى خروجه على على بن أبى طالب . انظر تفصيل هذا فى العقد ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هو شبيب بن يزيد بن نعيم الخارجى ، كان مع صالح بن مسرح رأس الصفرية . خرج شبيب بالموصل ، وبعث إليه الحجاج خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد . وفى إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيـل - دجيل الأهواز لادجيـل بغداد - فغرق فيه وكانت تشترك معه زوجه غزالة وكذا أمه جهيزة فى مقاومة الحجاج . ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج فى الكوفة ، تحصن منها وأغلق عليه قصره ، فكتب إليه عمران بن حطان - وقد كان الحجاج لج فى طلبه - :

أسـد على وفى الحروب نعامة ربداء تجفل من صفير الصافر !

هلا برزت إلى غزالة فى الوغى بل كان قلبك فى جناحى طائر !

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفى سنة ٧٧ . انظر المعارف ١٨٠ ، ووفيات الأعيان ، والأغانى ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « ليلة فى بيت » ل : « ليلة بيته » ، والصواب ماأثبت من المعارف ١٨٢ . وبيت العدو : أوقع به ليلا .

(٤) عتاب بن ورقاء ، كان يكنى أبا ورقاء ، وكان من أجواد العرب ، ولى عدة ولايات ، وقاد عدة جيوش .

(٥) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل فى أمثـال الميدانى ٢ : ٢٣٢ - ٢٣٣ . وقد سبق فى الجزء الثانى ص ٢٥٦ .

العرب ، قال علىٌّ : « مَنْ يَطُلْ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطق به[١] » .

فعَلَى علىٍّ رضى الله تعالى عنه ــ يعوَّل[٢] فى تنزيه اللفظ وتشريف المعانى[٣] .

وقال أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ حين قال بُدَيل بنُ ورقاء[٤] للنبىّ صلى الله عليه وسلم : جئتَنا بعجرائك وسودانك ، ولو قد مَسَّ هؤلاء وخْزُ[٥] السِّلاحِ لَقَدْ أسْلَمُوك ! فقال أبو بكر ــ رضى الله عنه ــ : عَضِضْتَ ببَظْر اللَّات !

---

(١) قال الميدانى فى الأمثال ٢ : ٢٢٨ : « يريد من كثر إخوته اشتد ظهره وعزه بهم » . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ بتحقيقنا .

(٢) ط ، س : « يقدم » وتصحيحه من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « تشريف » هى فى ط ، س : « شرف » وأثبت مافى ل .

(٤) بديل بن ورقاء : صحابى ، ترجم له ابن حجر فى الإصابة ١ : ١٤٦ وكان من الرجال البارزين فى يوم الفتح وبعده . انظر سيرة ابن هشام . والمعروف فى كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفى . جاء فى سيرة ابن هشام ، عند الكلام فى أمر الحديبية : « فخرج – يعنى – عروة بن مسعود الثقفى – حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يامحمد ! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لاتدخلها عليهم عنوة أبدا ! وايم الله لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امصص بظر اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يامحمد ؟ قال : هذا ابن أبى قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندى لكافأتك بها ، ولكن هذه بها ! » . وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس ٢ : ١١٦ وكذلك ابن كثير فى البداية والنهاية . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٣ .

(٥) الوخز : الطعن الخفيف الضعيف . وفى ل : « حر » .

وقد رَوَوْا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعْذِرُنى من [ابن] أمّ سباع[١] مُقَطِّعَة البُظور ؟ » .

(لِـكلٍّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضعُ موضعَ كناية هى المستعملة . وبعد فلو لم يكن لهذه الألفاظِ مواضعُ استعملها أهلُ هذه اللُّغة وكان الرأىُ ألَّا يُلفَظَ بها ، لم يَكُنْ لأوَّل كونها معنًى إلّا على وجه الخطإ ، ولكان فى الحزْم والصَّوْنِ لهذه اللُّغة أنْ تُرْفَعَ هذه الأسماء منها .

وقد أصاب كلَّ الصَّوابِ الذى قال : « لِكُلِّ مَقَامٍ مَقال[٢] » .

(صورٌ من الوقار المتـكلِّف)

ولقد دخل علينا فتًى حَدَثٌ كان قَدْ وقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد ابن زيد[٣] ونحنُ عند مُوسى بن عِمْران ، فدارَ الحديثُ إلى أن قال الفتى : ١٣
أفطرتُ البارحةَ على رغيفٍ وزيتونة [ونصف ، أو زيتونَة وثلث ، أو زيتونَة وثُلُثَى زيتونة ، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونَة] ، وما علم الله من

(١) يقال : أعذره منه : أمكنه « وتروى مثل هذه الكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب . انظر مفاخرة الجوارى والغلمان وسيرة ابن هشام ٥٦٣ — ٥٦٤ جوتنجن وتاريخ الطبرى القسم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغبشانى . وفى س : « سياع » مصحفة . وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد . السيرة ٦١١ وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر المثل فى كتاب الميدانى (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخا للصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى[١] ، فقال موسى : إنّ مِن الورع ما يُبغِضُه الله، عِلمَ الله ؛ وأظُنُّ ورَعَكَ هذا من ذلك الورع .

وكان العُتْبى[٢] ربّما قال : فقال لى المأمون كذا وكذا ، حينَ صارَ النَّجْمُ على قِمَّة الرأس ، أو حينَ جازَنِى[٣] شيئاً ، أو قبل[٤] أن يوازىَ[٥] هامتى . هكذا هو عندى ، وفى أغلَبِ ظنِّى ، وأكرَهُ أنْ أجزِمَ على شىء وهُوَ كما قلت إن شاء الله تعالى ، وقريباً ممّا نقلت . فيتوقف فى الوقتِ الذى ليسَ من الحديث فى شىء . وذلك الحديث إن كان مَعَ طلوعِ الشمسِ لم يَزِدْه ذلك خيراً ، وإن كان مَعَ غرُوبِها لم ينقُصه ذلك شيئاً . هذا ولعلَّ الحديثَ فى نفسه لم يكُنْ قَطُّ ولم يَصلْ هو فى تلك الليلة ألبتّة . وهو مع ذلك زعم أنّه دخَل على أصحابِ الكَهف فعَرَف عَدَدَهم ، وكانت عليهم ثيابٌ سَبَنيّة[٦] وكلبهم مُمَعَّط الجلد. وقد قال الله عزَّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وسلم : ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ .

= قال حصين بن القاسم : لو قسم حديث عبد الواحد على أهل البصرة لوسعهم . ولكنه كان متهما فى حفظه ، كثير الوهم . لسان الميزان (٤ : ٨٠) . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٦٠ مصر ١٨٣ ليبسك ، ضمن العباد والزهاد . وانظر خبرين من أخبار أصحابه فى البيان (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أى من ريتونة أخرى . وهذه الكلمة هى فى ط : « أمرى » محرفة صوابها فى س ، ل .

(٢) العتبى هو محمد بن عبد الله . سبقت ترجمته فى الجزء الأول ص ٥٤ . وفى ل : « القينى » محرفة ، صوابها فى س ، ط .

(٣) ط : « جازبى » ، والوجه ماأثبت من ل ، س .

(٤) ل : « قبيل » .

(٥) ط : « يوارى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ثياب سبنية : نسبة إلى سبن ، بالتحريك ، وهو موضع لم يعينه ياقوت . =

(بعض نوادر الشعر)

وسنذكرُ من نوادرِ الشِّعر جملةً ، فإن نشطت لحفظِها فاحفَظها ؛ فإنّها من أشعار المذاكرة . قال الثَّقفى[١] :

مَنْ كَانَ ذَا عَضُدٍ يُدرِكْ ظُلَامَتَهُ
إن الذَّليلَ الَّذِى لَيْسَت لَهُ عضُد
تَنْبُو يَدَاهُ إِذَا مَا قــلَّ نَاصِرُهُ   ويَأنف الضَّيمَ إنْ أثْرى لَهُ عَدَدُ[٢]

وقال أبو قيس بن الأسلت[٣] :

= والفيروزبادى جعله قرية ببغداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها ، فمن قائل إنها القسية ، أى الثياب صنعت من كتان مخلوط بحرير . ومن قائل إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاقة الكتان أغلظ مايكون . وهذا المعنى الأخير هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هى فى ط ، س : « الشثنية » تحريف ماأثبت من ل .

(١) الثقفى هذا ، هو الأجرد الثقفى كما فى الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من الشعراء الذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ فى البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار ٣ : ٢ .

(٢) ط : « وتأنف » وتصحيحه من ل ، س : والبيان وعيون الأخبار . وأثرى عدده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .

(٣) أبو قيس ، قال صاحب الأغانى ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه . والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهى نسبه إلى الأوس . وأبو قيس شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبى : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم فى يوم بعاث إلى أبى قيس بن الأسلت ، فقام فى حربهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبث أشهرا لايقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فدق على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ماعرفتك حتى تكلمت ! فقال فى ذلك أبو قيس ، القصيدة التى أولها : =

بزُ امرئٍ(١) مُسْتَبْسِلٍ حَاذِرٍ(٢) ... للدّهر ، جِلْدٍ غيرِ مِجْزَاعِ
الكَيْسُ(٣) والقُوَّةُ خيرٌ مِنْ الـ ... إشْفَاقِ(٤) والفهةِ والهَاعِ(٥)

وقال عَبْدَةُ بنُ الطَّبيب :

رَبٌّ حَبَانَا بأمْوَالٍ مُخَوَّلةٍ ... وكلُّ شيءٍ حَبَاهُ اللهُ تَخويلُ
والمرءُ ساعٍ لأمر لَيْسَ يُدْرِكه ... والعيْشُ شُحٌّ وإشْفَاقٌ وَتأمِيلُ

وكان عمرُ بنُ الخطَّاب ــ رضى الله تعالى عنه ــ يردِّد هذا النصف الآخرَ ، ويَعجَبُ مِنْ جَودَة ماقسَم(٦) .

= قالت ولم تقصد لقيل الخنا ... مهلا فقد أبلغت أسماعى
استنكرت لوناً له شاحباً ... والحرب غول ذات أوجاع

قلت : والقصيدة من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر فى الإصابة (٩٣٥ من باب الكنى) فقال : « مختلف فى اسمه : فقيل صيفى ، وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف فى إسلامه » . وانظر الخزانة ٣ : ٣٧٥ — ٣٧٨ .

(١) البز : السلاح ومثلها البزة . وجاءت الرواية فى ط ، س : « إنى امرؤ » وأثبت رواية ل . وهى الموافقة لما فى المفضليات .

(٢) الحاذر : المتأهب الشاكى السلاح ، وجاء مثل هذا فى قول القائل :

وَبِزَّةٍ فَوْقَ كَمِيٍّ حاذِرٍ ... وَنَثْرَةٍ سَلَبْتُها عَن عَامِرِ

وجاء فى ط : « حازر » بالزاى ، وهو تحريف صوابه فى س ، ل ، والمفضليات .

(٣) رواية المفضليات : « الحزم » .

(٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : اللين . والإشفاق : الخوف .

(٥) الفهة : العى . وجاء فى ط ، س : « القمية » وهى إن صحت فى اللغة كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفكة » والفكة : استرخاء الرأى . والهاع : سوء الحرص مع الضعف . وهذه هى رواية ل ، والمفضليات . وفى ط ، س : « العاع » وجاء فى اللسان والقاموس: عيع بالتشديد ، بمعنى عىّ . ولم ترد فيهما لفظة « العاع » .

(٦) انظر العقد ٣ : ٣٨٧ والبيان ١ : ٢٤٠ — ٢٤١ والصناعتين ٣٣١ .

وقال المتلمِّس :

وأعْلَمُ عِلْمَ حَقٍّ غَـيْرَ ظَنٍّ   وتَقْوَى اللهِ مِنْ خيْرِ العَتَاد

لِحَفْظُ المَـال أيسر من بُغاهُ[1]   وضربٍ فى البِلادِ بِغَيْرِ زَادِ

وإصْلَاحُ القَليلِ يزيدُ فيه   ولا يَبْقَى الـكثيرُ مَعَ الفَسادِ ١٤

وقَال آخر :

وحِفْظُكَ[2] مَالًا قَدْ عُنِيتَ بجمعهِ

أَشَدُّ من الجمْع[3] الذى أَنت طالبُه

وقال حُميد بن ثَور الهِلالىّ :

أتشْغَلُ عنَّا يَابْنَ[4] عمٍّ فلن[5] ترى

أخا[6] البخل إلَّا[7] سوف يعتلُّ بالشغل

وقال ابن أحمر :

هذا الثناء وأَجْدِرْ أنْ أصاحبه   وقد يدوِّم رِيقَ الطامِعِ الأملُ[8]

(١) يقال : بغى الشيء يبغيه بغاء وبغى وبغية ، بضمهن . وماأثبت هو مافى س . وفى ل : « خير من بغاة » ، وهى رواية البحترى فى حماسته ص ٣٤٣ . وفى ط : « أيسر من فناه » وهذه رواية العقد ٢ : ٤١ . وفناه : فناؤه ، وقصر لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية فى المغنى رواية البغدادى فى الخزانة ٣ : ٧٢ :

* لحفظ المال خير من ضياع *

وقد خصص البحترى الباب الثلاثين والمائة لما قيل فى إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية فى س : « حفظك » بخرم البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ماأثبت من ل ، والبخلاء ١٤٢ . قال الجاحظ : « وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « بابن » ولعل الوجه ماأثبت من ط ، س . وهو الأشبه بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ماأثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفى ط ، س : « سوف تعتل » وتصحيحه من ل .

(٨) « الثناء » جاءت فى ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهرُ إلّا تارَتان ، فمِنهما
أموت وأُخْرَى أبْتَغِى العَيْشَ أكْدَحُ[1]

وكلتاهما قد خُطَّ لى فى صحيفة
فلا المَوْتُ أهْوَى لى ولا العيش أروحُ[2]

وقال عمرو بن هند :

وإن الذى ينْهاكمُ عن طلابِها يُناغى نِساءَ الحىِّ فى طُرَّةِ البُردِ[3]
يُعَلَّلُ والأيَّامُ تنقُصُ عُمْرَه[4]
كما تنقصُ[5] النِّيران[6] من طرف الزَّند

= والبيان ١ : ١٨٠ واللسان (مادة دوم) . وجاء فى س : « فأجدر » . وكلمة « أصاحبه » هى فى الأصل « صاحبه » محرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان . قال ابن برى فى هذا البيت : « يقول : هذا ثنائى على النعمان بن بشير ، وأجدر أن أصاحبه ولا أفارقه . وأملى له يبقى ثنائى عليه ، ويدوم ريق فى فى بالثناء عليه » .

(١) الرواية المشهورة فى البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ و الكامل ٥٣٨ ليبسك وحماسة البحترى ١٨٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٧٦ . واستشهد به المبرد وسيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فمنهما تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى فى حماسة البحترى : « فلا الموت أهواه » وما هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفه .

(٤) ط ، س : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت مافى ل ، والبيان ٣ : ٣٤ وما سيأتى فى ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقض » وله وجه . س : « تنقض » وليس بشىء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف ماأثبت من س ، ل ، والبيان .

وقال أُمَيَّة — إن كانَ قالها [١] — :

رُبَّما تَجْزَعُ النُّفُوس مِنَ الأَمْـ ـرِ لهُ فَرْجَةٌ كَحَلِّ العِقَال

(شعر فى الغزل)

وقال آخر [٢] :

رَمَتْنِي وَسِـتْرُ اللهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِـيَّةَ آرَام الـكِناسِ رَمِيمُ [٣]

ألاَ رُبَّ يومٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا ولـكِنَّ عَهْدِى بالنِّضَالِ قديمُ [٤]

رَمِيمُ الَّتِي قالتْ لجَارَات بَيْتِهَا ضَمِنْت لَـكُمْ أَنْ لاَيَزَالُ يَهِيمُ [٥]

وقال آخر :

لم أَعْطُهَا بِيَدِى إِذْ بِتُّ أَرْشُفُهَا إلاَّ تطاوَلَ غُصْنُ الجيـدِ للجِيدِ [٦]

---

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النميرى كما فى الكامل ١٩ ليبسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان ١ : ٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رمتنى بطرفها . وعنى بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » وهو اسم موضع . انظر الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكناف الحجاز » . ورميم هى خليلته .

(٤) قال المبرد فى شرح هذا البيت : « لو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفتنت كما فتنت ، ولكن قد تطاول عهدى بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح فى « أن » أن تكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها الفعل .

(٦) فى اللسان : عطا الشىء يعطوه : إذا أخذه وتناوله .

كما تَطَاعَمَ فى خَضْرَاءَ نَاعِمَــةٍ   مطوّقَانِ أصَاخَا بعــد تغريدِ (١)

فإنْ سَمِعتَ بهلْكٍ للبَخيلِ فقُلْ   بُعداً وسُحْقاً له مِنْ هَالكٍ مُودِى

(شعر فى الحِكَم)

وقال أبو الأسود الدؤلىّ (٢) :

المرءُ يَسْــعَى ثمَّ يُدْرِكُ مَجْـدُهُ   حَتَّى يُزَيَّنَ بالَّذِى لم يَفْعــلِ (٣)

وتَرَى الشقىَّ إذا تَكامَلَ غَيُّه (٤)   يُرْمى ويقْذَفُ بالَّذِى لم يَعْمَــلِ

[وقال دريد :

رئيسُ حروب لا يزال ربيئــةً   مشيحٌ على محقوقف الصُّلب مُلْبَدِ (٥)

صَبور على رزء المصائب حافظٌ   من اليوم أعقاب الأحاديث فى غدِ (٦)

وهَوَّن وجدى أننى لم أقــلْ له   كذَبتَ ولم أبخَلْ بما ملكتْ يدى]

---

(١) خضراء ، عنى بها شجرة أو أيكة . والناعمة : الخضراء الناضرة . نعم العود : اخضر ونضر . والمطوقان : حمامتان مطوقتان . وتطاعمهما : أن يدخل الذكر فمه فى فم أنثاه . وفى ط ، ل : « مطوقات أصاخت » ، والوجه ما أثبت من ل ، واللسان (طعم) .

(٢) الدؤلى : نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزيمة . يقال فى النسبة إليه دؤلى ودولىّ بفتح عينهما ، وديلى بكسر الدال ، ودئلى بكسرتين . وجاء فى س « الديلى » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان عاقلا ، حازما ، بخيلا . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعرا مجيدا ، وشهد صفين مع على ، وولى البصرة لابن عباس ومات بها — وقد أسن — سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أى يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيبه » .

(٥) يقال احقوقف ظهر البعير والفرس : إذا طال واعوج ، وعنى بالمحقوقف فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه اللبد .

(٦) الرواية فى الحماسة : « قليل التشكى للمصيبات حافظ » . والأبيات من قصيدة يرثى بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام فى الحماسة (١ : ٣٣٦ — ٣٤٠) .

وقال سعيدُ بن عبد الرحمن (١) :

وإنَّ آمرأً يُمسى ويُصْبِحُ سَالِما ... مِنَ النَّاس إلاَّ ما جَنَى لَسَعِيدُ (٢)

(شعر فى الزهد)

وقال أكثمُ بنُ صيفىّ :

نُربِّى ويَهْــلِكُ آباؤنَا ... وبَيْنَــا نُربِّى بَنِينَا فَنِينَــا

وقَال بعضُ المحدَثين :

فالآنَ أَسْمحْتُ للخطوبِ فَلاَ ... يُلْفَى فُؤادِى مِنْ حَادِثٍ يَجِبُ (٣)

قَلَّبنى الدَّهرُ فى قوالبِــه ... وكُلُّ شىءٍ ليومِــه سَبَبُ

وقال آخر (٤) :

لِدُوا للمَوْتِ وابْنُوا للخَرَابِ ... فَكُلُّكُمُ يَصِيــرُ إلى ذَهاب (٥)

ألاَ ياموتُ لم أَرَ مِنْكَ بُدًّا ... أَبَيتَ فمــا تَحِيفُ ولا تُحَابى (٦)

كأنَّكَ قَدْ هجمت على مَشيبى ... كما هَجَمَ المشيب عَلَى شبابى (٧)

---

(١) هذا مافى ل ، ومثله فى الحيوان ١ : ٢٤ ونهاية الجزء الثانى من البيان . وفى س ، ط : « وقال آخر » . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعرا لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٢) إلا ماجنى ، يريد إلا جزاء ماجنى . وجاءت هذه الكلمة فى س : « عنى » وفى ط : « جنا » وهما تحريف ما أثبت من ل والبيان وعيون الأخبار .

(٣) أسمح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب القلب وجبا ووجيبا ووجباناً : خفق .

(٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً فى ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت فى الأغانى ٣ : ١٥٥ إلى أبى العتاهية . وهى فى ديوان أبى العتاهية أيضا ص ٢٣ - ٢٤ .

(٥) الرواية فى ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت ما فى ل والديوان ، وهو الموافق لما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .

(٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفى ط ، س « تخيف » وهو تصحيف مافى ل . وفى الديوان : « قسوت فما تكف وما تحابى » .

(٧) ط والديوان : « على الشباب » وفى الديوان أيضاً : « هجمت على حياتى » .

وقال آخر[١] :

يانفس خوضى بحارَ العلمِ أوغوصى فالنَّاس مِنْ بَيْنِ مَعْموم ٍ ومَخْصوص ِ[٢]
لاشىء فى هـذه الدنيا يُحاط به إلاَّ إحَاطَـةَ مَنقوص بمنقـوص ِ

(شعر فى التشبيه)

وأنشدنا للأحيمر[٣] :

بأقَبَّ منْطَلِقِ اللَّبـانِ كأنَّه سِيد تَنَصَّل من حُجور سَعالى[٤]

وقال الآخر[٥] :

أراقب[٦] لمحاً من سهيلٍ كأنَّه إذَا مابَدَامِنْ دُجْية اللَّيل يطرفُ[٧]

وقالوا[٨] قال خلفٌ الأحمر : لم أَرَ أجمَعَ مِن بيتٍ لأمرئ القيس ، وهو قوله :

---

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما فى ل . وجاء فى أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وأنشد الرشيد عن المهدى بيتين وقال : أظنهما له » ثم روى البيتين .

(٢) ط : « بين مغموم » وصوابه فى س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س «وأنشد الأحيمر » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضامر البطن ، عنى به فرسا . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفى الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح وليس يـكون ذلك . والسيد ، بالـكسر : الذئب . تنصل من حجور السعالى : خرج منها . والسعلاة — فيما يزعم العرب — : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو . جاء فى ل : « تنصل فى » .

(٥) هو جران العود . والبيت من قصيدة مثبتة فى ديوانه ١٣ — ٢٤ .

(٦) هذا مافى ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفى ط ، س « يراقب »

(٧) الرواية فى الديوان ص ١٤ وكذا فى ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة وجمعها دجى . ويطرف : أى كما تطرف العين .

(٨) هذه الـكلمة ساقطة من ل .

أفادَ وجَادَ وسَـــاد وزَادَ وقاد وذاد وعادَ وأفضــل[١]

ولاَ أجمعَ مِنْ قوله[٢] :

لهُ أَيْطَلاَ ظَبْيٍ وسَاقَا نَعَامَةٍ وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيبُ تَتْفُل

وقالوا : ولم نر[٣] فى التشبيه كقوله ، حينَ شبَّه شيئين بشيئين فى حالَتين مختلفين فى بيتٍ واحدٍ ، وهو قوله : ١٦

كأنَّ قلوبَ الطَّــيرِ رَطْباً ويَابساً لدَى وكْرهَا العُنَّابُ وَالحَشَفُ البَالِي

(قطعة من أشعار النساء)

وسنذكرُ قِطعة من أشعارِ النساء . قالتْ أعرابيَّة[٤] :

رَأَتْ نِضْوَ أَسْفارٍ أُميمَةُ شاحباً على نِضْوِ أسفارٍ فجنَّ جُنُونها

فقالتْ : مِنَ أىِّ الناس أنتَ ، ومَنْ تَـكُنْ

فإنَّكَ مَــوْلى فِرْقَـــةٍ لا تَزينُها

---

(١) كذا فى ل ومثله عند العكبرى ٢ : ٧٢ . وجاء فى ط ، س :

أفاد وجاد وساد وقاد وعاد وزاد وزاد وأفضل

وقد جرى على طريقة امرئ القيس أبو العميثل الأعرابى فقال :

اصدق وعف وبر واصبر واحتمل واصفح ودار وكاف وابذل واشجع

ثم المتنبى فى قوله :

أقل أنل اقطع احمل علّ سلّ أعد زد هشّ بشّ تفضل ادنسرّ صل

انظر الوساطة ٢٥٣ والعكبرى .

(٢) كذا فى ل وفى ط ، س : : « وقالوا : وقال خلف الأحمر : لم أر أجمع من بيت امرئ القيس » .

(٣) س : « يرى » .

(٤) كذا . والشعر كما ترى ، ينطق بأن قائله رجل .

(٥) الفرقة ، بالكسر : الجماعة . ط ، س : « وقرينها » صوابه فى ل ونقد الشعر ٧٣ واللسان (ضحا ٢١٢) حيث أنشد خمسة أبيات .

وقالت امرأةٌ من خثعم :

فإنْ تسـألونى مَنْ أُحِبُّ فإنَّنِي
أُحِبُّ ، وبَيتِ الله ، كَعْبَ بْنَ طارقِ

أحبُّ الفتَى الجَعْدَ السَّلولِيَّ ناضلا[1] على النَّاس مُعتاداً لضَرْبِ المَفارقِ

وقالت أخرى :

وما أحسَنَ الدُّنيا وفى الدَّارِ خالدٌ وأَقبَحَها لَمَّا تجَهـزَ غادِيا

وقالت أُمُّ فَروة[2] الغطَفانيَّة :

فمـا ماءُ مزْنٍ أىُّ ماءٍ تقَولَهُ تحَدَّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالَ الذَّوَائب[3]
بمُـنْعَرَجٍ أو بَطْنِ وَادٍ تحدَّرَتْ عليه رِياحُ الصَّيفِ مِن كلِّ جانبِ[4]
نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ القَذَا عنْ متونِه فما إنْ بِهِ عَيبٌ يكونُ لعائبِ[5]
بأطْيبَ مِمَّن يقصُرُ الطَّرْفَ دُونَه تُقَى اللهِ واستحياءُ بعْضِ العَواقب

---

(١) يقال نضله ، إذا غلبه فى الرمى . وجاء فى ل : « فاضلا » وأثبت ما فى ط ، س .

(٢) كذا فى س والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفى ط « أم فرق » وفى ل : « امرأة فروة » . والشعر الآتى قد نسب فى زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى عاتكة المرية فى ابن عم لها راودها عن نفسها . وفى أمالى القالى (٢ : ٨٧) شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المرية ، تقوله فى ابن عم لها يقال له المغيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أى ماء تقوله » . وعنى بالغر السحائب ، وبذوائبها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفى الجزء الخامس من الحيوان : « تحدبت » موضع « تحدرت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفى الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بعضُ العُشاقِ(١) :

وأنتِ الّتى كلّفتِنِي(٢) دَلَجَ السُّرَى وجُونُ القَطَا بالجَلْهَتَينِ جُثُومُ(٣)
وأنتِ الّتى أَوْرَثتِ قَلبى حَرارةً وقرّحتِ قَرحَ القَلب وهو كليم(٤)
وأنتِ التى أسخطت قومى(٥) فكلُّهُمْ بَعيدُ الرِّضَا دانِى الصُّدُودِ كَظِيمُ(٦)

فقالت المعشوقة :

وأنتَ الّذِى أخْلَفْتَنِي ما وَعَدْتَنِي وأشمتَّ بى مَنْ كان فِيكَ يَلومُ
وأبرَزتَنِي للنّاسِ حتّى(٧) تركْتَنِى لَهُمْ غَرَضاً أُرْمى وأنتَ سَليمُ
فلوْ أنَّ قوْلاً يكلِمُ الجسْمَ قد بَدَا بجِلْدِىَ مِنْ قوْلِ الوُشاة كُلومُ

وقال آخر(٨) :

شهدْتُ وبَيتِ اللهِ أنّكِ غادةٌ رَدَاحٌ وأَنَّ الوجهَ منكِ عَتيقُ(٩) ١٧
وأنّكِ لا تجـزِينِي بمـــوَدَّةٍ ولا أنا للهجْـرانِ منكِ مُطيـقُ

---

(١) هو ابن الدمينة ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أميمة » فهام بها مدة فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعاتبا طويلا ، وتحدثا بالشعر الآتى . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحماسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن الدمينة ٣٦ — ٣٧ . والأبيات الثانية فى البيان ٣ : ٣٧٠ والأغانى ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفنى » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) عنى بالجلهتين ناحيتى الوادى . وفى س : « بالجبهتين » وهو محرف .

(٤) فى الحماسة والديوان ، « قطعت قلبى حزازة » والحزازة : الوجد . وفيهما أيضا « وقرقت » مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرفت » بقاف ثم فاء ، يقال قرف الجرح وقرفه : قشره ولما يبرأ . وجاء فى المعاهد : « ومزقت » وفى المعاهد والحماسة : « فهو كليم » وفى الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أحفظت قلبى » وهو تحريف . والرواية فى المعاهد والحماسة والديوان : « أحفظت قومى» . وأحفظه : أغضبه .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالغضب .

(٧) الرواية فى جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو قيس لبنى ، كما فى تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقيلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِدْت وبيتِ اللهِ أنَّكَ بارِدُ الـ ثَّنَايا وأنَّ الحصْرَ مِنكَ رَقيقُ(١)
وأنَّكَ مَشْبُوح الذِّرَاعين خَلجَمٌ(٢) وأنَّك إذْ تَخْلو بهنَّ رفيق(٣)

(شعر مختار)

[وقال آخر :

الله يعلم يا مغيرة أننى قد دُستها دَوس الحصان الهيكل
فأخذتها أخْذَ المقصِّب شاتَهُ عَجلانَ يَشويها لقومٍ نُزَّلٍ(٤)]

وقال كعبُ بنُ سعدٍ الغَنَوىّ(٥) :

وحَدَّثتمانى أنَّمـا الموتُ بالقُرَى فكَيفَ وهاتَا هَضْبَةٌ وقَلِيبُ

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الكشح منك لطيف » وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاوبة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسيم العظيم . وفى ط ، س : « حلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) فى ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر للعجاج ، كما فى اللسان (فتخ) .

(٥) كعب بن سعد الغنوى شاعر إسلامى ، وهو أحد بنى سالم بن عبيد بن سعد ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنى بن أعصر . كذا قال أبو عبيد البكرى فى شرح أمالى القالى فى موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء لابن قتيبة وكتاب الأغانى وغيرها فلم أجد ترجمته فى أحدها إلا ما قاله أبو عبيد المذكور ، والظاهر أنه تابعى . خزانة الأدب (٣ : ٦٢١ بولاق) . والأبيات الآتية من مرثية له طويلة رواها ابن الشجرى فى مختارات أشعار العرب (٢٧ — ٣٠) والقالى فى أماليه (٢ : ١٤٨ — ١٥١) يرثى بها أخاه أبا المغوار ، واسمه هرم أو شبيب . وفى أمالى القالى أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب ، وبعضهم يرويها بأسرها لسهم الغنوى ، وهو من قومه وليس بأخيه ، وبعضهم يروى شيئا منها لسهم .

وماءُ سماءٍ[١] كانَ غيرَ مَجَمَّةٍ[٢] ببَرِّيَّةٍ تَجْرِى عَلَيهِ جنوب[٣]
ومنزلةَ فى دارِ صدقٍ[٤] وغِبطةٍ وما اقْتالَ فى حُكْمٍ علىَّ طَبيبُ[٥]

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة :

رئيسُ حُروبٍ لا يزَالُ رَبِيئَةً مشيح على مُحْقوقفِ الصُّلبِ مُلْبِدِ[٦]
صَبورٌ على رُزء المصائبِ حافظٌ مِنَ اليَومِ أعقابَ الأحاديثِ فى غَدِ
وهَوَّنَ وَجدى أننى لم أقُلْ لَهُ كَذَبْتَ ولم أَبْخَلْ بما مَلَكَت يَدى

(قطع من البديع)

وقطعةٌ من البَديع قوله[٧] :

إذا حَدَاها صاحِبى ورَجَّعا وصاحَ فى آثارِها فأسْمَعا

---

(١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .
(٢) المجمة : مكان جموم الماء ، أى كثرته . والمحمة بالحاء : المكان تكثر فيه الحمى . جاء فى ط ، س : « بين مجمة » ، وأثبت مافى ل ، ولسان العرب (قول) .
(٣) ريح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابى : الجنوب فى كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء فى ط ، س : « بذى شربة » مكان « ببرية » التى أثبتها من ل ، واللسان .
(٤) كذا فى ط ، س : واللسان . وفى ل : « أمن » .
(٥) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة فى ل : « افتال » وفى س : « افتاك » وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء فى ط : « افتات » وهى صحيحة فى معنى : « اقتال » . وكلمة « فى » هى فى كل من س ، ل ولسان العرب : « من » . وقد عنى بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطبيب .
(٦) « محقوقف » هى فى الأصل : « محرورف » وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام فى هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .
(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت مافى ل .

يتبعْن[١] منهن جُـلالاً أتلعا[٢] أدمك فى ماء المهاوى مُنْقعَا[٣]

وقال الراجزُ فى البديع المحمود :

قد كنت إذْ حبلُ صِباك مُدْمَش[٤] وإذْ أهاضيبُ الشباب تَبْغَشُ[٥]

ومن هذا البديع المستَحْسَن منه ، قولُ حُجْر بن خالد بن مرثد[٦] :

سمعتُ بِفِعْلِ الفاعلين فلم أَجِــدْ كفِعْلِ أَبى قابوسَ حَزْماً ونائلا[٧]

يُساقُ الغَمامُ الغُرُّ من كلِّ بلدةٍ إليك فأضحى حَوْلَ بيتِك نَازِلا[٨]

---

(١) فى الأصل : « يتبعهن » وهو ظاهر التحريف . وقد عنى بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء فى ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع : الطويل العنق .

(٣) كذا جاء فى البيت فى ط ، ل . وفى س : « أرمك » وفى ل : « ماء المهارى » .

(٤) فى اللسان : « أدمج الحبل : أجاد فتله . . . وقوله : إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى » . فروى البيت برواية أخرى .

(٥) الأهضوبة : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع مابها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء فى ط ، س : « تنعش » وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، شاعر جاهلى كان معاصرا لعمرو بن كلثوم . وكان أنشد شعرا بين يدى النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو فى مجلس الملك ، ثم اقتص منه حجر ، وأجار الملك حجرا . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظرشرح التبريزى للحماسة ٢ : ٣٩ والحماســة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هى فى ط ، س : « مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزما » هى كذلك فى ط ، والحماسة . وفى ل : « فعلا » .

(٨) فى صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلهى الغيث » ، و « فسيق إليه الغيث » ، و « فساق الإله الغيث » ، و « فسيق الغمام الغر » . وهى صورة تطلعك على ماتفعل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبحَ منه كلُّ وادٍ حللتَه
وإن كان قد خَوَّى(١) المرابيعُ(٢) سائلا

فإن أنتَ تَهْلِكْ يَهْلِكِ الباعُ والنَّدَا
وتُضْحِي قلوصُ الحمدِ جَرْباءَ حائِلا(٣)

فلا ملكٌ ما يبلغَنَّك سَعْيُهُ
ولا سُوقةٌ ما يَمْدَحَنَّك باطلا(٤)

باب ١٨

فى صدق الظَّنِّ وجَودة الفِراسة

قال أوس بن حجر :

[الألمعيُّ الذى يظنُّ بك الظـ
ـنّ كأَنْ قَدْ رأى وقد سمعا

وقال عمر بن الخطّاب : « إنك لا تَنْتَفعُ بعقل الرَّجل حتّى تعرفَ صدقَ فطنته » .

---

(١) خوى النجم : سقط ولم يمطر فى نوئه ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم . انظر تفصيل ذلك فى الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ٢ : ١٧٩ — ١٨٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ٢٢٩ - ٢٦١ . وفى الأصل « حوى » مصحفة .

(٢) المرابيع : النجوم التى يكون بها المطر فى أول الأنواء . ط : « المراييع » وتصحيحه من س ، ل . يقول : يسير الخير فى ركابك ، فلو انك نزلت فى مكان محروم من نعمة الغيث ، أفضت عليه من الخير مايفعمه .

(٣) الباع : الشرف والكرم . قال رؤبة :

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدر *

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هى فى س : « الحب » محرفة وفى ل : « الحى » ، ولها وجه . وفى الحماسة : « الحرب » وهى رواية جيدة . والحائل من النوق : التى حمل عليها فلم تلقح .

(٤) للتبريزى كلام جيد فى هذا البيت .

وقال أوس بن حجر] :

مَليحٌ نَجيحٌ أخــو مَأْزِقٍ نِقابٌ يُحَــدِّث بالغائبِ[١]

وقال أبو الفضَّة ، قاتِل[٢] أحمرَ بن شميط :

فإلَّا يَأتِكُمْ خَـبَرٌ يَقِينٌ فإنَّ الظَّنّ يَنْقُصُ أوْ يزيدُ

وقيل لأبى الهذيل : إنَّك إذا راوَغْت واعتلَلْتَ ـ وأنتَ تكلِّم النظام [وقت] ـ فأحْسَنُ حالاتِك أنْ يشكَّ النَّاسُ فيكَ وفيهِ ! قال : خَمْسُون شكًّا خيرٌ مِنْ يَقِينٍ واحد ! !

وقال كُثَيِّرٌ فى عبدِ الملك :

رَأيتُ أبا الوَليد غدَاةَ جَمعٍ به شَيبٌ وما فَقَدَ الشَّبَابَا[٣]

فقلتُ لَهُ ، ولا أعْيا جَواباً : إذا شابتْ لِدَاتُ المَرْءِ شَابَا

ولـكنْ تَحتَ ذاكَ الشيبِ حَزمٌ إذا ما قال أمْرَضَ أو أصابا[٤]

وليس فى جَودة الظَّنِّ بيتُ شعرٍ أحسن مِنْ بيتِ بلعاء[٥] بنِ قيس :

---

(١) أخو مأزق : أى هو حسن التخلص من المآزق . وروى : « أخو مأقط » . والنقاب : الرجل العالم بالأشياء الفطن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه فى ل . وانظر ما كتبت فى الشميطية ص ٢٦٨ من الجزء الثانى .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هى فى ط ، س : « رما » ، تحريف مافى ل ، واللسان (مادة مرض) . وفى البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهى تحريف يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أى قارب الصواب فى الرأى وإن لم يصب كل الصواب . وفى س : « أغرض » ولا وجه له ، وصوابه فى البيان واللسان . وكلمة : « قال » فى البيت بمعنى « ظن » وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « لبلعا » وأثبت مافى ل . وبلعاء هذا كان رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشعارا جيادا المؤتلف ١٠٦ . مات بلعاء قبل يوم الحريرة ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . العقد ٣ : ٢٧٢ — ٢٧٣ .

وأبغِى صَوَابَ الظَّنِّ أعلم أنَّهُ إذا طاشَ ظنُّ المرءِ طاشت مَقادِره

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فاتَّبَعُوهُ ﴾ .

وقال ابن أبي ربيعةَ فى الظَّنِّ :

ودَعانى إلى الرَّشادِ فؤادٌ كان للغَىِّ مَرَّةً قَدْ دَعَانى

ذَاكَ دَهْرٌ لوكنتَ فيهِ قَرِينى[1] غَيْرَ شَكٍّ عَرَفتَ لى عِصْيَانِى

وتَقَلَّبتُ فى الفِراشِ ولا تَعَ لَمُ إلَّا الظُّنُونَ أيْنَ مَكانِى

(من مختار الشعر)

وقال ابنُ أبي ربيعة فى غير هذا الباب :

وخِلٍّ كنتُ عَينَ النُّصْحِ منْهُ إذا نَظَرَتْ ومستَمعاً مطيعا

أطافَ بغيَّةٍ[2] فنَهيتُ عنها وقُلْتُ لَهُ أَرَى أمرًا شَنيعَا

أَرَدْتُ رَشادَه جَهْدى ، فلما أَبَى وعَصى أَتَيناها جَميعَا

وقال معَقِّر بن حمار البارقى[3] :

(١) الرواية فى الديوان ص ٦٦ : « قريبى » وهى رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب فى الحب ، مما أكثر الشعراء الكلام فيه .

(٢) ط : « بغيه » والوجه ماأثبت من ل ، س . وإليها يعود الضمير فى « عنها » .

(٣) معقر بن حمار البارقى اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلى . سمى معقرا بقوله فى قصيدة مشهورة :

لها ناهض فى الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

معجم المرزبانى ٢٠٤ وخزانة البغدادى ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤتلف ٩٢) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وفى ط ، س : « معبد بن حماد » وجاء على الصواب الذى أثبته فى ل .

الشِّعرُ لبُّ المرءِ يَعْرِضه والقَوْلُ مِثلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
منها المقصِّر عَن رَمِيَّتِه ونَوَافذٌ يذهَبنَ بالخَصَل[1]

(أبياتٌ للمحدَثين حِسانٌ)

١٩ وأبياتٌ[2] للمحْدَثين [حِسَان[3]] ، قال العَتَّابىّ[4] :

وَكَمْ نِعمةٍ آتاكها[5] اللهُ جَزْلَةً مُبرَّأَةً مِنْ كُلِّ خُلْقٍ يَذِيمُها[6]
فسَلطتَ[7] أخلاقاً عليها ذَميمةً تَعَاوَرنَها حَتَّى تفَرَّى أدِيمُها
وَلُوعاً وإشفاقاً ونطقاً من الخَنا بعَوراءَ يَجْرِى فى الرِّجال نَمِيمُها[8]
وكنتَ امرأً لو شِئتَ أنْ تَبْلُغَ المدَى[9] بَلَغت بأدنَى نِعمَةٍ[10] تَسْتَدِيمُها
ولكنْ فِطامُ النَّفْسِ أعسرُ محمَلاً[11] مِنَ الصَّخرَةِ الصَّمَّاءِ حِين تَرُومُها[12]

---

(١) الخصل ، بالفتح : الغلبة فى النضال .

(٢) ل : « أبيات » .

(٣) الزيادة من س ، ل .

(٤) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، سبقت ترجمتـه فى الجزء الثانى ص ٢٩٦ . وقد روى الراغب البيتين الأخيرين فى محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم وصوابه ماذكرت ، كما فى البيان ١ : ١٢٠ .

(٥) ط ، س : « آتى بها » ، وأثبت مافى ل .

(٦) ذامه يذيمه : عابه .

(٧) ط : « فسلط » ، وأثبت مافى س ، ل .

(٨) النميم مثل النميمة . و « نطقا » أى هو ينطق بالعوراء من الخنا .

(٩) رواية المحاضرات : « المنى » . ومؤداهما واحد .

(١٠) رواية المحاضرات : « غاية » .

(١١) كذا فى ط ، س والبيان . وفى ل والمحاضرات : « أثقل » .

(١٢) س فقط : « يرومها » وليس بشىء .

وقال أيضاً :

وكنتُ امرأً هَيَّابَةً تَسْتَفِزّني ... رضاعى بأدنى ضجْعَةٍ أستلينُها[١]

أُوافى أمـيرَ المؤمنين بهمَّـةٍ ... تَوَقَّلُ[٢] فى نَيلِ المعالى فُنُونُها

رَعى أُمَّةَ الإسلامِ فهو إمامُها ... وأدَّى إليها الحقَّ فهو أمينُها

ويَستَنتج العقاء[٣] حتَّى كأنما ... تَغَلْغَلَ فى حيثُ استَقَرَّ جنينُها

وماكل مَوصوفٍ لَهُ الحق يهتَدِى ... ولا كل مَن أَمَّ الصُّوَى يَسْتَبِينُها[٤]

مُقيمٌ بمُستَنِّ العُلا ، حيثُ تَلتَقى ... طوارفُ أبكارِ الخطُوبِ وعُونُها[٥]

وقال الحسن بن هانئ :

قُولَا لهارُون إمامِ الهُدَى ... عندَ احتِفالِ المجلِسِ الحاشد

نَصيحةُ الفَضْلِ[٦] وإشفاقُهُ ... أخلَى لَهُ وجهَكَ مِن حَاسد

بصادِق الطاعــةِ ديَّانِها ... وواحد الغائب والشَّاهد[٧]

---

(١) ط ، س : « تستلينها » .

(٢) توقل : تتوقل ، بمعنى تصعد . وهذه رواية ل . وفى ط ، س : « توغل » .

(٣) يستنتج العقاء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب . فى ط ، س : « العنقاء » وهى ذلك الطائر الخيالى الذى لاوجود له ، وبها يصح المعنى أيضا . أى هو يقدر أن يحصل على مالا يناله غيره .

(٤) ط ، س : « ومأكل » ، وهى على الصواب فى ل . أم : قصد . والصوى : جمع صوة بالضم : وهى حجر يكون علامة فى الطريق .

(٥) المستن : مكان الاستنان ، وهو سرعة العدو . والطوارف : الحديثات ، وفى ط : « طوارق » . والعون : جمع عوان ، وهى التى ولدت بعد بطنها البكر .

(٦) هو الفضل بن يحيى البرمكى . وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل .

(٧) يقول : هو مخلص لك فى حضرتك وفى غيبتك .

أنتَ على مابِكَ مِنْ قُدْرَةٍ ما أنتَ مِثلَ الفَضْل بالواجِدِ
أوحَدَه[١] اللهُ فما مثْلُه لطالبٍ ذاكَ ولا نَاشِدِ
وليس على الله بمستنكَرٍ[٢] أنْ يَجْمَعَ العالَمَ في واحد

وقال عَدِيُّ بن الرِّقاع العاملي :

وقَصيدةٍ قَدْ بتُّ أجمعُ بَيْنَها حتَّى أُقَوِّمَ مَيْلَهَا وسنادها
نظرَ المثقِّف في كُعُوب قَنَاتِه حتَّى يُقيمَ ثِقافُهُ مُنآدها[٣]
وعَلِمْتُ حتَّى لَسْتُ أسْأَلُ عالِمًا عَنْ حَرْفِ واحدةٍ لكَيْ أزْدَادَهَا[٤]
صَلَّى الإلٰهُ عَلَى امْرئٍ ودَّعته وأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَها

(شعر لبنت عدى بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشُّعَرَاء ببابِ عَدِيٍّ بن الرقاعِ يُريدون مُماتَنَتَهُ ومُساجَلَتَه ، فخَرَجَت إليهمْ بِنْتٌ له صغيرة ، فقالت :

تجَمَّعْتمُ منْ كُلِّ أَوْبٍ ومَنْزل عَلَى وَاحدٍ لازِلْتُمُ قِرْنَ واحد[٥]

---

(١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحده » أى جعله واحداً . وهى رواية الديوان ٨٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفى الأصل : « أوجده » وليس بشىء .

(٢) كذا فى ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية فى س والديوان وعيون الأخبار : « وليس لله بمستنكر » .

(٣) الثقاف ، بالكسر : ماتسوى به الرماح . والمنآد : المعوج . وفى الأصل : « منادها » وهى على الصواب الذى أثبت فى الموشح ص ١٣ .

(٤) قال فى الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كنت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو عدى بن الرقاع ، لقوله :

وعلمت حتى ما أسائل واحدا عن علم واحدة لكى أزدادها

ثم أسائله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر — وهو زيادة بن زيد — لقوله :

إذا ماانتهى علمى تناهيت عنده أطال فأعلى أم تناهى فقصرا

(٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضا فى الشعراء ١٤٥ . وروى فى الصناعتين =

(شعر لعبد الرحمٰن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمٰن بن حسّان الأنصارى ، وهو صغير[١] :

اللهُ يَعْلَمُ أنِّى كُنْتَ مُشْتَغِلًا فى دَارِ حَسَّانَ أَصْطَادُ اليَعَاسِيبَا[٢]

وقال لأبيه وهو صبىٌّ — ورجع إليه وهو يبكى ويقول : لسعنى طائر ! قال : فصفه لى يا بنىّ ! قال كأَنَّهُ ثَوْبُ حِبَرَة[٣] ! قال حسّان : قال ابنِي الشِّعْرَ وَرَبِّ الكعبة !

وكان الذى لَسعه زنبورًا[٤] .

= ٣٥٩ ، وذيل الأمالى ٧٠ : « وبلدة » . وفى الكامل ١٤٩ ليبسك وشرح المقامات للشريشى ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد القالى فى الخبر : « فاستحيوا ورجعوا » وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشريشى : « فأفحمتهم ورجعوا بأخزى حالة » .

(١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء فى الكامل ١٤٩ ليبسك : « ويروى أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأراده بالعقوبة ، فقال : الله يعلم . . . » الخ .

(٢) اليعسوب : أمير النحل .

(٣) الرواية فى الكامل ١٤٩ ليبسك : « كأنه ملتف فى بردى حبرةٌ » . والحبرة ، بالتحريك ، أو كعنبة : ضرب من برود اليمن .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهى صحيحة فى العربية ، على تقدير ضمير الشأن . وبتلك اللغة جاء قول العجير :

إذا مت كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذى كنت أصنع

انظر سيبويه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفصل ٣ : ١١٦ س ٥ .

(شعر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سَهْلُ بن هارون ، وهو يختلف إلى الـكُتَّابِ لجارٍ لهم :

نُبِّيت بَغْلَكَ مبْطوناً فقلت له   فهل تَماثَل أو نأتيه عُوَّادَا [1]

(شعر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبيٌّ] صغير :

يا لَكِ مِنْ قُبَّرَةٍ بِمَعْمَرِ   خَلا لكِ الجَوُّ فبيضِي واصْفِرِي [2]

وقال بعض الشعراء [3] :

إذا ما مَاتَ مَيْتٌ مِن تَميمٍ   فَسَرَّكَ أن يَعيش فجِئْ بزادِ

---

(١) ط : « نبت يفلك » س : « نبثت بفلك » ل : « نبيت نعلك » وصوابه ماأثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذى يشتكى بطنه . و « فقلت » هى فى ل : « فرغت » وفى البغال : « فزعت » . وتماثل : دنا من الشفاء . ط ، س : « أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة فى كتاب البغال ٣٠٣ — ٣٠٤.

(٢) روى الدميرى سبب هذا فذكر « أنه كان مع عمه فى سفر ، وهو ابن سبع سنين فنزلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له فنصبه للقنابر ، وبقى عامة يومه لم يصد شيئاً ، ثم حمل فخه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن مانثر لهن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الدميرى واللسان (قبر) . وقال ابن برى : هو لـكليب بن ربيعة . وانظر الشعراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصعق الـكلابى كما فى معجم المرزبانى ٤٩٤ وكنايات الجرجانى ٧٣ والاقتضاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسى كما فى حواشى الـكامل ٩٨ ليبسك . وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا فى العقد ٢ : ١٠ وأمثال الميدانى ١ : ١٧١ وأدب الـكاتب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الظراف ٢٤ . ورواها الجاحظ فى البيان ١ : ١٩٠ .

بخبْزٍ أو بِلَحْمٍ أوْ بِسَمْنٍ أَو الشَّيْءِ الملفَّفِ فى البِجَادِ [١]

تَراه يَطُوف بالآفاق [٢] حِرْصاً ليأكُلَ رأسَ لُقْمان بنِ عادِ [٣]

وقال الأصمعىّ : الشيء الملفَّف فى البِجاد : الوَطْب [٤] :

وقال أعرابىٌّ :

أَلَا بَكَرَتْ تَلْحَى قُتَيْلَةُ بَعْدَما بدا فى سَوادِ الرَّأس أبيضُ واضحُ

لتُدرِك بالإمْساكِ والمَنْع ثَرْوةً مِنَ المال أفنَتْها السِّنونَ الجوائح

فقلت لها : لا تعذُلينى فإنما بذِكْر النَّدَى تَبْكِى عَلَىَّ النوائِح [٥]

(أشعار فى معانٍ مختلفة)

وقال بَشَّارٌ أبياتاً تجوز فى المذاكرة [٦] ، فى باب [٧] [المنى ، وفى باب] الحزم ، وفى باب المشورة . وناسٌ [يجعلونها للجعجاع الأزدىّ ، وناسٌ] يَجعلونها لغيره ، وهى قوله :

---

(١) البجاد : الكساء ، وزنا ومعنى .

(٢) روى : « يطوف الآفاق » كما فى س .

(٣) الثعالبى فى ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول العمر كذلك تصف رأسه بالعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا الكلام لابن السيد فى الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهى بما فعل ، ويفخر بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان ! » .

(٤) فى اللسان : « الملفف فى البجاد : وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك » .

(٥) س : « تبكى عليك » ، وما هنا أجود .

(٦) ل : « من المذاكرة » ، محرفة .

(٧) ط ، س : « وفى باب » ، وأثبت ما فى ل .

إذا بَلَغَ الرَّأىُ المَشُورَةَ فاستَعِنْ ... برَأْىِ نَصِيحٍ أو نَصِيحةِ[1] حازِمِ
ولا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاضَةً ... مَكَانُ الخوافِى رافِدٌ للقَوادِمِ[2]
٢١ وأَدْنِ مِنَ القُرْبَى المقرِّبَ نَفْسَه ... ولا تُشْهِدِ الشُّورَى امرأً غَيْرَ كاتِمِ
وما خَيْرُ كَفٍّ أمسَكَ الغُلُّ أُخْتَهَا ... وَمَا خَيْرُ نَصْلٍ لَمْ يُؤيَّدْ بِقائمِ[3]
فإنَّك لا تَسْتَطرِدُ الهَمَّ بِالمُنَى ... ولا تَبْلُغُ العَليَا بغَيْرِ المَكارِمِ

وقال بعض الأنصار[4] :

وبَعْضُ خَلائقِ الأقوامِ دَاءٌ ... كَداءِ الشيْخِ ليسَ[5] له شفاء
وبَعْضُ القَوْلِ ليس لَهُ عِناجٌ[6] ... كمَخْضِ الماء ليس لَهُ إتاءُ[7]

وقال تأبَّط شرًّا — إنْ كان قالها[8] — :

---

(١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصاحة » وهى صحيحة ، يقال نصحه نصحاً ، بالضم ، ونصاحة ، ونصاحية . والاسم النصيحة .

(٢) مر الكلام فى ريش الطائر بالجزء الثانى ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفى س ، ط : « راية » ولم أجد لها وجها ، ويروى : « فإن الخوافى قوة » . وفى كنايات الجرجانى ٦٠ : « فريش الخوافى » .

(٣) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . فى ل ، « وما خير سيف » وأثبت ما فى ط ، س .

(٤) الشعر فى البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبى الحقيق .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية فى ل : « كداء البطن ليس له دواء » .

(٦) أصل العناج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد فى أسفلها ثم يشد فى عروتها . وهذه رواية ل واللسان . وفى ط : « عماد ». والبيت ساقط من س .

(٧) المخض : أصله للبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .

(٨) بعد هذه الكلمة فى ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال النمرى : ومما يدل على أنه مولد قوله :

جل حتى دق فيه الأجل =

شامِسٌ فى القُرِّ حتَّى إذا مَا ذَكَت الشِّعْرَى فَبَرْدٌ وظِلُّ (١)
وَلَهُ طَعْمَانِ : أَرْىٌ وشَرىٌ وكِلَا الطَّعمَينِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ (٢)
مُسْبِلٌ فى الحَىِّ أحْوَى رِفَلٌّ وإذا يَغْدُو فسِمعٌ أزَلُّ (٣)
وَوَرَاءَ الثأر منه ابنُ أختٍ مَصِـــعٌ عُقْدَتُه ما تُحَلُّ (٤)
مُطرِقٌ يَرشَــحُ سُمًّا ، كما أَطرَقَ أفْعَى يَنْفُثُ السمّ صِلُّ
خَــبَرٌ مَا نَابَنَا مُصمَئِلٌّ جَلّ حَتَّى دَقّ فيهِ الأَجَلُّ (٥)

= فإن الأعرابى لايكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلعاً » . أما النمرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما فى خزانة الأدب (٣: ٣٣٢ ، ٥٤١ بولاق) وهو ينقل فى شرحه عن كتاب المعانى لأحمد بن حاتم الباهلى ، وهذا توفى سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجانى ، يروى عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابى الذى قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النمرى فى شرحه للحماسة نقل عنه البغدادى فى الخزانة كثيراً . وهذه الزيادة تجدها فى شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٦٠ — ١٦١) مع بسط وتفصيل .

(١) شامس فى القر : يعنى أن من لجأ إليه فى القر وجده كالشمس التى تدفئ . والشعرى : كوكب يظهر فى شدة الحر .

(٢) الأرى : العسل . والشرى : الحنظل .

(٣) مسبل فى الحى : أى هو فى حال السلم ممن يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أى فى حال الحرب . والسمع : ولد الذئب من الضبع . والأزل : القليل لحم العجز والفخذين .

(٤) ل : « ووراء الثأر منى » وهى رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حمل الضمير فى « منى » على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .

(٥) المصمئل : الشديد . وفى ل : « خبر ماجاءنا » .

كُلٌّ ماضٍ قَد تَردَّى بِماضٍ   كَسَنَا البَرقِ إذا ما يُسَلُّ(١)
فَاسقِنيهَا(٢) ياسَوَادَ بنَ عَمرو   إنَّ جِسمى بَعدَ خالى لَخلٌّ(٣)

وقال سلامَة بنُ جَندَل(٤) :

سأَجزِيكَ بالوُدِّ الذى كان بيننَا   أصَعْصَعُ إنِّى سَوف أَجزِيكَ صَعْصَعا
سأُهْدِى وإن كنا بتثليثَ مِدْحةً   إليك وإن حلَّت بُيُوتك لَعلَعا(٥)
فإنْ يَك محموداً أبوك فإنَّنا   وجدناكَ مَحمُودَ الخلائقِ أروَعا
فإن شئتَ أهدينا ثناءً ومدحةً(٦)   وإن شئت أهدينَا لَكُم مائَةً معًا(٧)

فقال صعصَعة بن محمود بن(٨) بشر(٩) بن عمرو بن مرثد : الثَّناء والمدحة(١٠)

---

(١) قبل هذا البيت فى الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :

يركب الهول وحيداً ولايصـ   حبه إلا اليمـانى الأفل
وفتو هجروا ثم أسروا   ليلهم حتى إذا انجاب حلوا

أراد بالماضى الأول الرجل الشديد، وبالثانى السيف القاطع. تردى بالسيف: تقلده بحمائله.

(٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .

(٣) الخل : المهزول . وفى ل : « بعد حالى » مصحفة .

(٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، وبعث بها إلى صعصعة بن محمود . (البيان ٣ : ٣١٨) .

(٥) كذا الرواية فى ل ، والبيان . وفى ط : « سأهدى بتثليث إليك هدية توافيك لو » . وفى س مثل ط مع إبدال « مدحة » بكلمة « مذمة » و « توافيك » بكلمة « قوافيك » .

(٦) كذا الرواية فى ل والبيان . وفى ط ، س : « أهدينا إليك ثناءنا » .

(٧) عنى بالمـائة مائة من الإبل تـكون فدية لأخيه أحمر بن جندل ، الأسير .

(٨) ل : « من » .

(٩) س : « بشير » . وفى البيان: « صعصعة بن محمود بن عمرو بن مرثد » .

(١٠) كذا فى ل والبيان . وفى ط ، س : « الثناء والحمد والمدح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحمر[1] بن جندل أسيراً فى يده ، فخلّى سبيلَه من غير فداء .

وقال أوسُ بن حَجَر ، فى هذا الشّكل من الشِّعر ـ وهو يقع فى باب الشُّكر والحمد ـ :

لَعَمرُك مَا ملَّت ثَوَاءَ ثَوِيِّها   حَلِيمَةُ إذْ أَلْقى مراسىَ مُقعَدِ[1]

وَلَكِنْ تَلَقت باليدَينِ ضَمانتى   وَحَلَّ بفَلجٍ فالقنافذ عُوَّدِى[3] ٢٢

وقَدْ غَبرت شهرَىْ رَبيعٍ كلَيْهما   بِحَمْلِ البَلايا والحِبَاء المَمدَّدِ[4]

ولم تُلههَا تِلكَ التَّكاليفُ ؛ إنّها   كما شِئتَ مِنْ أُكرُومَةٍ وتَخَرُّدِ[5]

سأجزيكِ أو يَجزيكِ عنى مثوِّبٌ[6]   وحَسْبُكِ أن يُثْنَى عَلَيْكِ وتُحمَدِى[7]

---

(١) كذا فى ل والبيان . وفى ط ، س : « أحمد » .

(٢) يقال ألقى مراسيه : أى استقر ، ومثله ألقى عصاه . وكلمة « مقعد » هى فى ط ، س : « ومقعد » ، صوابه فى ل ، ويعنى بالمقعد نفسه . وانظر الديوان ٥ والبيان (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنافذ : موضعان . والعود : جمع عائد للذى يزور المريض . قالوا : وكان أوس قد جالت به ناقته فى سفر فصرعته فاندقت فخذاه ، فآواه فضالة بن كلدة ، وكانت حليمة بنت فضالة تعنى به فى أثناء مرضه . (الأغانى ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : « عبرت » ، وهى رواية الديوان ومؤداهما واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التخرد من قولهم خريدة ، وهى الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة ، قد جاوزت الإعصار ولم تعنس . و « تخرد » هى رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد) . وفى ط : « تخودى » بالواو ، والياء فى آخرها زيادة ناسخ . وفى س : « تجرد » .

(٦) المثوب : المثيب . وفى التنزيل العزيز : « هل ثوب الكفار » . وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغانى . وفى ط ، س والبيان : « سنجزيك أو يجزيك عنا » .

(٧) ط ، س « وتحمد » وهو خطأ إملائى .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أجْزِهِ إلَّا المَوَدَّة جاهداً وَحَسْبُك مِنِّى أنْ أوَدَّ وأجهدا(١)

(من شعر الإيجاز)

وأبيات(٢) تضافُ إلى الإيجاز وحَذْف الفضول . قال بعضهم ووصف كِلَابا فى حالِ شَدِّها وعَدْوِها ، وفى سُرعةِ رفعِ قوائمها ووضعها ــ فقال :

* كأنَّما تَرْفَعُ مالَمْ يُوضَعِ(٣) *

ووصف آخرُ ناقةً بالنشاط والقُوَّة فقال :

* [خرقَاءُ](٤) إلَّا أنَّها صَنَاعِ *

وقال الآخر :

* الليلُ أخفى والنَّهارُ أفضَحُ(٥) *

ووصف الآخرُ قَوْساً(٦) فقال :

* فى كفِّه مُعْطِيَــةٌ مَنُوعُ *

---

(١) أى وأجهد فى الود . وفى ط ، س : « وأحمدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ماكتب عن هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الكلمة من ل والعمدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله فى البيان (١ : ١٥٠) :

* إنك ياابن جعفر لاتفلح *

(٦) فى الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه فى البيان (١ : ١٥٠) وديوان المعانى (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت فيهما إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر (١) :

وَمَهْمَهٍ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّما دليلُه مطوَّح] (٢)
يَدْأَبُ فِيهِ القَوْمُ حتَّى يَطْلَحُوا كأَنَّما بَاتُوا بِحَيْثُ أصْبَحُوا

ومثل هذا (٣) البيت الأخير (٤) [قوله] :

وكأنّما بَدْرٌ وَصِيلُ كُتيفة (٥) وكأنّما مِنْ عاقِلٍ أرْمَامُ

ومثله (٦) :

تجاوَزْتَ حُمْرَانَ فى ليلـةٍ وقُلتَ قُسَاسٌ من الحَرْمَلِ (٧)

ومن الباب الأوّلِ قوله :

عادَنى الهــمُّ فاعتلجْ كُلُّ هَــمٍّ إلى فَرَجْ

وهذا الشِّعر لجُعَيفران المَوْسَوَس (٨) .

وقال الآخَر (٩) :

---

(١) هو مسعود أخو ذى الرمة ، كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٢٨) .

(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو فى أصله متأخر عن البيت الذى بعده ، والوجه تقديمه عليه .

(٣) ل : « ومن شكل » .

(٤) ط : « الآخر » وأثبت مانى س ، ل .

(٥) كتيفة : اسم جبل . وفى س : « كثيفة » . وفى ل : « كنيفة » وهو تحريف ما أثبت من ط .

(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعى ، كما فى ذيل أمالى القالى ٩١ . والبيت من سبعة أبيات لها قصة فى ذيل الأمالى .

(٧) فى ذيل الأمالى : « تجاوزت ماوان » .

(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه فى ط ، س . وهو جعيفران بن على بن أصفر ابن السرى ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أديبا شاعرا ، تغلب عليه السوداء حينا ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغانى (١٨ : ٦١) . وللبيت السابق خبر فى الأغانى (١٨ : ٦٢) .

(٩) صاحب الشعر جرير ، كما فى نهاية أمالى المرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أقْضِ من صُحْبةِ زَيدٍ أَرَبى   فتًى إذا نبَّهْتَهُ[1] لَم يَغْضَبِ

أبيضُ بَسَّامٌ وإن لم يعجب   ولا يضن[2] بالمتاعِ المحقَب

مُوَكَّلُ النَّفْس بِحِفْظِ الغُيَّب   أقصى رفِيقيه له كالأقْرَب

وقال دُكَين[3] :

وقدْ تعَلَّتْ[4] ذَمِيــلَ العَنْس   بالسَّوْطِ فى دَيْمُومةٍ كالتُّرْس

* إذْ عَرَّجَ اللّيلَ بروجَ الشَّمسِ[5] *

٢٣ وقال دُكَينٌ أيضاً :

بمَوطنٍ يُنِيط فيه المحتسى[6]   بالمشْرَفِيَّاتِ نِطافَ الأنْفُسِ[7]

---

(١) هذه الرواية موافقة لما فى عيون الأخبار (٣ : ٢٣) .

(٢) س : « يطن » ولعل صواب هذه « يظن » بالبناء للمفعول : أى يتهم .

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمى ، وكان ممن أجازه عمر بن عبد العزيز — وعمر الضنين بإجازة الشعراء — أجازه وهو والى المدينة ، كما أجازه وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى فى المؤتلف ١٠٤ منسوبا إلى منظور بن حبة الأسدى .

(٤) كذا فى الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تعاللت » كما فى المؤتلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (علل) . يقال : تعاللت الناقة : إذا استخرجت ماعندها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل .

(٥) فى البيان والمؤتلف : « بروح الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور.

(٦) س : « المخنس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .

(٧) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهى قليل الماء يبقى فى دلو أو قربة . وتعليق النطاف فى المشرفيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون فى المهامه المجدبة . وفى ط ، س : « لطاف » ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عليهنَّ تكاليف السُّرَى والنَّصُّ فى حِينِ الهَجِيرِ والضُّحى
حَتَّى عُجاهُنَّ فما تحت العُجى[1] رَوَاعِفٌ يَخْضِبْنَ مُبْيَضَّ الحصى[2]

وفى هذه الأرجوزة يقول :

* وضَحِكَ المزن بها ثمَّ بكى[3] *

ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز ، ووصف سَهمه حينَ رَمى عَيراً كيف [نَفَذَ سهمه ، وكيف] صرَعه ، وهو قوله[4] :

* حتَّى نجَا مِنْ جوفه وما نجا[5] *

(شعر فى الاتِّعاظ والزهد)

ومما يجوز فى باب الاتِّعاظ قولُ المرأة وهى تطوفُ بالبيت :

أنت وهَبْتَ الفِتيَةَ السَّلاهِبْ[6] وهَجْمةً يَحارُ فيها الطَّالِبْ[7]

---

(١) العجى ، واحدها العجاية والعجاوة بضم العين فى كليهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رسغ الدابة . والرجز فى البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواعف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر فى وصف سهم رام أصاب حمارا . انظر البيان ١ ١٥٠ . يقول : نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار – من النجو – وما نجا من الهلاك .

(٦) وهبهم السلاهب : أى الخيل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وغنَماً مِثلَ الجَرادِ السَّارِبْ   مَتاعَ أيَّامٍ وكُلُّ ذَاهِبْ

[ومثله قولُ المسعوديّ :

أخلِفْ وأنْطفْ ، كلُّ شيءٍ   زعزعتْه الريحُ ذاهبْ[١]]

وقال القَدار[٢] ، وكان سيِّد عَنَزة فى الجاهليّة :

أهلَكْتَ مُهْرِىَ فى الرِّهانِ لَجاجةً   ومن اللّجَاجة ما يَضُرُّ ويَنفعُ

[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد ــ وكان فصيحاً :

إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنّما   يُرَجَّى الفتى كيما يضرَّ وينفعا]

وقال الأخطل :

شُمْسُ العَداوةِ حتَّى يُستقادَ لهم   وأعظمُ النّاس أحلاماً إذا قدروا

وقال حارثة بن بدر :

طربتُ بفاثور[٣] وما كدت أطربُ[٤]   سَفاهًا وقَدْ جَرَّبْتُ فيمَن يجرِّب

وجرّبتُ ماذَا العَيْشُ إلّا تعِلّةٌ   وما الدَّهر إلّا مَنْجَنونَ يقلَّب[٥]

وما اليومُ إلّامِثلُ أمْس الذى مضى   ومثلُ غَدِ الجائى وكلٌّ سيَذْهب[٦]

---

(١) فى اللسان : أخلف فلان لنفسه : إذا كان قد ذهب له شىء فجعل مكانه آخر وأما « أنطف » فلم أهتد إلى وجه فيها ، وهى فى البيان ٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢ و ٤ : ٦٩ : « أتلف » .

(٢) ط ، س : « الفرار » وأثبت ما فى ل .

(٣) فاثور : اسم موضع ، أو واد ببلاد نجد . فى ط : « بغائور » وصوابه فى س ، ل .

(٤) ل : « تطرب » .

(٥) فى شرح شواهد المغنى للسيوطى ٧٩ : « المنجنون بفتح الميم : « الدولاب الذى يستقى عليه . وجمعه مناجين وهو مؤنث » . فالوجه : « تقلب » . ومثله قول القائل :

وما الدهر إلا منجونا بأهله   وما صاحب الحاجات إلا معذبا

(٦) منع تنوين : « غد » لضرورة الشعر . وربما كانت الرواية : « أمسى » و « غدى » بالإضافة إلى ياء المتكلم .

وقال حارِثَة بن بَدر الغدَانى[١] أيضاً :

إذا الهَمُّ أمسَى وَهو دَاءٌ فأَلْقِه ... ولَسْتَ بمُمْضِيهِ وأنتَ تَعادِلُه[٢]

فلا تُنْزِلَنْ أمْرَ الشَدِيدةِ بامرئٍ ... إذا رامَ أمراً عَوَّقَتْهُ عَواذِلُه

وَقُل للفـؤاد إن نَزَا بِكَ نزْوَةً

مِنَ الرَّوعِ أفْرِخْ أكْثَرُ الرَّوعِ باطِلُه

(شعر فى الغَزْوِ)

وقال الحارثُ بن يزيد (وهو جدُّ الأحَيمِرِ السَّعدىِّ) وهو يقع فى باب الغَزْو وتمدُّحهم ببعدالمغْزى[٣] :

لاَ لاَ أعُقُّ ولا أحـو ... ب ولا أُغـير عَلَى مُضَرْ

لَـكِنَّما غـزوى إذا ... ضَجَّ المَطِىُّ منَ الدَّبَرْ

وقال ابن محفِّض[٤] المازنىُّ :

---

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج : كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك النبى صلى الله عليه وسلم . وله أخبار فى الفتوح . وذكر المبرد فى الكامل أنه غرق فى ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين . الإصابة ١٩٣٣ . وفى ط ، س : « الفزارى » وصوابه فى ل ، كما يتضح من نسبه وكما فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتى .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فأمضه » . تعادله ، هو من قولهم : أنا فى عدال من هذا الأمر – بكسر العين – أى فى شك منه ، أأمضى عليه أم أتركه . يقول : اجزم بطرد الهم ولا تتردد فى ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقا فى الحيوان ١ : ٣٣ وهما كذلك فى البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « مخفض » . وقد اختلف فى ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة فى خزانة =

إن تَكُ دِرْعِي يَوْمَ صَحرَاءِ كُلَيةٍ (١) أُصِيبت فمــا ذَا كُمْ عَلَيَّ بِعارِ
ألم تَكُ مِنْ أسْلابكُمْ قبل ذا كمُ عَلَى وَقَبَى يوماً ويَوْمَ سَفارِ (٢)
[فتلك سرابيل ابن داودَ بيننا عوارىٌّ والأيام غير قصارِ (٣)
ونحن طَرَدنا الحىَّ بَكْرَ بنَ وائلٍ إلى سَنَةٍ مثلِ الشِّهابِ وَنَارِ (٤)
ومُومٍ وطاعون وحُمّى وحَصْبَةٍ وذى لِبَدٍ يَغشَى المُهَجْهِجَ ضارِى (٥)
وحَــكم عَــدوٍّ لاهَوَادةَ عنْده ومنزلِ ذلٍّ فى الحَياة وعَارِ

= البغدادى ٢ : ٥١٠ - ٥١١ بولاق . وأصوب الأقوال فى ضبطه ماأثبت من ل . وابن محفض هــذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، من بنى مازن ابن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : هو مخضرم له فى الجاهلية أشعار ، وعاش إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليــه حريث ، وهو شــيخ كبير ، فقال : أيهــا الأمير ، من يقول هـذا ؟ قال : حريث بن محفض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : ماحملك على قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محفض ، فإنك أنشدت شعرى فأخذتنى أريحيته ! قال : فخلاه. الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلية ، بضم الـكاف : واد من أودية العلاة باليمامة لبنى تميم . وفى ط ، ل ، « كلبة » وصوابه من س ومعجم البلدان . وفى ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلية ، وهى موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « الوقبى » ، وكذلك سفار : ماء لبنى مازن » .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسرابيل : دروع . وابن داود هو سليمان ، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه وانظر نظير هذا الخطأ فى شعر النابغة والحطيئة فى المعرب للجواليقى ص ٨٥ - ٨٦. عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو مايعار .

(٤) قال أبو على : سنة ، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو على : « مثل السنان » .

(٥) الموم ، بالضم : الجدرى الـكثير المتراكب . والمهجهج : من يزجر السبع يصيح به : هج هج .

وقال آخر[1] :

خُذُوا العَقْلَ إن أعطاكُم القَوْم عَقْلَكُمْ
وكونوا كَمَنْ سِيمَ الهَوَانَ فأَرتعا[2]
ولا تُكثروا فيها الضِّجاجَ فإنَّه محَا السّيف ماقالَ ابنُ دَارةَ أجْمَعا[3]

وقال أبو ليلى :

كأَنَّ قَطاتَها كُرْدُوسُ فَحل مقلِّصة على ساقٍ ظليمِ[4]

(شعر في السيادة)

وقال أبو سليمى[5] :

لابدَّ للسُّودد[6] من أرماحِ ومِنْ سفيهٍ دائمِ النُّباحِ

---

(١) هو الكميت بن ثعلبة كما فى خزانة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ . أو هو الكميت بن معروف ، كما فى حماسة البحترى ١١ ، وشرح التبريزى للحماسة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سيم الهوان : كلف الذل . وأرتع : من أرتع إبله : جعلها تأكل ماشاءت وهذه رواية ل ، والخزانة . وفى ط ، س : « فأتبعا » وفى حماسة البحترى : « فأربعا » .

(٣) ابن دارة هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بنى فزارة هجوا شنيعا ، فقتله زميل الفزارى ، فقال الكميت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح الحماسة للتبريزى ، وخزانة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القطاة : العجز ، أو مابين الوركين . والكردوس ، بالضم : كل عظم كثير اللحم . وكلمة « ساق » هى فى الأصل : « سلفى » ولا وجه لها، وتصحيحها مما سبق فى الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سلمى ». وقد سبق الرجز فى الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « للسود » ، وتصحيحه من ل والجزء الأول .

* ومِنْ عَديدٍ يُتَّقَى بالرّاحِ *

وقال الهذلىّ :

وإنَّ سيــادةَ الأقوامِ فاعْــلَمْ لهــا صَعْداءُ مَطلبها طويل (١)

وقال حارثة بن بدر (٢) ، وأنشده سفيان بنُ عُيينة (٣) :

خَلت الدِّيارُ فَسُدْتُ غيْرَ مُسَوَّد ومِنَ الشَّــقاء تفرُّدى بالسُّوددِ

(شعر فى هجاء السادة)

وقال أبو نُخيلة :

وإنَّ بقَوْمٍ سَــوَّدوك لَفَاقَــةً إلى سَيِّدٍ ، لوْ يظفَرُون بسيِّدِ

وقال إياس بن قَتادة ، فى الأحنف بن قيس :

وإنَّ مِنَ السّاداتِ مَن لو أطعْتَه دَعَاكَ إلى نارٍ يَفُورُ سَعيرها (٤)

وقال حُميضة (٥) بن حذيفة :

أيظلمهم قسراً فتبًّا لسَعيِــهِ وكل مطاعٍ لا أبالكَ يَظــلِمُ

(١) انظر كلامى على هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٩٥ .

(٢) فى الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه فى البيان ٣ : ٢١٩ وأمالى المرتضى ٢ : ٥٣ . وانظر أمالى الزجاجى ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٢٢١ فى أصحاب الحديث ، ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد الناس اختصارا . سئل عن قول طاوس فى ذكاة السمك والجراد ، فقال : ذكاته صيده . وجاء فى العقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشد يقول : خلت الديار . . . الخ .

(٤) س : « يفود سعيرها » . والبيت فى البيان ٣ : ٣٣٦ .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « حصيصة » .

وقال آخر :

فأصبحتَ بعد الحلم فى الحىِّ ظالما تَخَمَّطَ فيهم والمسوَّدُ يَظْلِمُ(١)

وكان أنس بن مدركة(٢) [الخثعمى] يقول :

عزمت على إقامةِ ذى صباحٍ لأمرٍ ما يسوَّدُ مَنْ يسودُ(٣)

[وقال الآخر :

كما قال الحمار لسهمِ رامٍ لقد جَمَّعْتَ من شىء لأمر

وقال أبو حيّة :

إذا قُلْنَ كلاَّ قال والنَّقْع ساطعٌ بلى ، وهو واهٍ بالجراءِ أباجِلُه]

وقال آخر(٤) :

إنى رأيت أبا العوراء مرتفقاً(٥) بشطِّ دِجلة يشرى التمر والسمكا

كشدَّة الخيل تبقى عند مذودها والموت أعلم إذ قفىَّ بمن تركا(٦)

هذه مساعيك فى آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

---

(١) التخمط : الكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهلى . انظر تحقيق العلامة الراجكوتى فى حواشى الخزانة ٣ : ٨٠ سلفية . وفى ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيبويه ١ : ١١٦ بولاق ، وقد تكلم فيه صاحب الخزانة ٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجدها أيضا فى الجزء الخامس ص ٥٩٨ .

(٥) فى الجزء الخامس : « مرتفعا » .

(٦) فى س ، وكذا فى الجزء الخامس : « كشرة الخيل » . وفى ل : « كثرة » وكلمة « تبقى » ساقطة من س وهى فى الجزء الخامس « تبغى » . و : « إذ قفى » هى فى الجزء الخامس « من يدنى » .

وقال شتيم بن خُويلد ، [أحد بنى غراب بن فزارة] :

وقلتُ لسيِّدِنا يا حليمُ إنَّك لَمْ تأْسُ أَسْوًا رَفِيقَا[١]
أعَنتَ عديًّا[٢] على شَأوِها تُعادى فَرِيقاً وتُبقى فريقَا
زَحرتَ[٣] بها ليلةً كلَّها فجئتَ بهاَ مؤْيِداً خَنْفَقِيقَا[٤]

وقال ابن ميادة[٥] :

أتيتُ ابنَ قَشراءِ العِجانِ[٦] فلم أجدْ لدى بَابِهِ إذناً يسيراً ولا نُزْلا[٧]
وإنَّ الَّذِى ولاَّكَ أمْرَ جماعةٍ لأنقَصُ من يَمْشِى على قَدَمٍ عَقلا

(شعر فى المجد والسيادة)

وقال آخر[٨] :

ورِثنَا المَجْد عن آباءِ صِدقٍ أسأْنَا فى ديارِهِمُ الصَّنيعا

---

(١) أنشده ابن الأنبارى فى الأضداد ٢٢٥ وقال : « أراد ياحليم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٢) كذا فى ل ، ومعجم المرزبانى ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفى ط ، س : « عليا » .

(٣) زحرت ، من الزحير ، وهو النفس بأنين .

(٤) قال الجاحظ فى البيان : « مؤيد : داهية . خنفقيق : داهية أيضا » . ط : « مريدا حنفقيقا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقال آخر » . وجاء فى الجزء الخامس نسبة البيتين إلى ابن أحمر .

(٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية فى الجزء الخامس : « حمراء » .

(٧) « يسيرا » هى فى ط ، س : « يسر » ، وأثبت مافى ل ، والجزء الخامس . والنزل أصله بضم النون والزاى ، وسكن للشعر . والنزل : ماأعد للضيف .

(٨) هو معن بن أوس المزنى ، كما فى الأغانى ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كذلك فى عيون الأخبار ٤ : ١١٣ .

إذا المَجْـدُ الرَّفيعُ تَعاورتْه ... بُناةَ السُّـوءِ أوْشَكَ أنْ يضِيعَا

وقال الآخر :

إذا المرءُ أثْرَى ثمَّ قال لقومِـه ... أنَا السَّيِّدُ المُفْضَى إليه المعمَّمُ (١)

ولم يعْطِهِمْ خيراً أبَوْا أنْ يَسُودَهُم ... وهَان عليهمْ رَغْمُهُ وهو أظْلَمُ (٢)

٢٦ وقال الآخر (٣) :

تركتُ لبحرٍ دِرهَميه ولمَ يَكُنْ ... ليَدفَعَ عَنِّى خَلَّتِي دِرْهَمَـا بحرِ (٤)

فقلتُ لبحرٍ خذْهُما واصطَرِفْهُما ... وأَنفِقْهما فى غيرِ حَمْـدٍ ولا أجرِ

أتمنَعُ سُؤَّال العَشيرةِ بعـدَ مَا ... تسمَّيتَ بحراً وأكنيت أبا الغَمر

وقال الهذلىُّ :

وكنت إذا ما الدّهرُ أحدَثَ نَـكبة ... أقولُ شَوًى ، مالمَ يُصِبنَ صَميمِى (٥)

وقال آخر فى غير هذا الباب :

سقى الله أرضاً يَعلَمُ الضَّبُّ أنَّها ... بعيـدٌ من الأدواء (٦) طَيِّبَةُ البَقْل

بنى بيته فى رأس نَشْزٍ وكُدْيةٍ (٧) ... وكلُّ امرئٍ فى حِرفَةِ العَيْش ذُو عَقْل

---

(١) فى عيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفضى إليه المعظم » . ونسب فى أمالى الزجاجى ١٨ إلى المغيرة بن حبناء .

(٢) فى حماسة ابن الشجرى ١٠٠ : « وهان عليهم فقده » .

(٣) فى العقد ٢ : ٢٧٥ : « سأل أعرابى رجلا يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردهما عليه فقال » ، وأنشد البيتين الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » . وفى محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ولى رجـل يقال له البحر ، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان ، فدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال » . وأنشـد البيتين الأولين . وانظر عيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) فى الأصل : « بحرى » وهو تحريف . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنبارى هذا البيت فى الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى هين حقير .

(٦) الأدواء : جمع داء ، وفى ل : « الأرواء » .

(٧) فى الأصل : « بنا » . النشز : المكان المرتفع . والكدية : الأرض الغليظة .

(أبو الحارث جمّين والبرذون)

وحدّثنى المكىُّ قال : نظر أبو الحارث [جُمَّين][1] إلى برذون يُستقَى عليه ماءٌ ، فقال : المرءُ حيثُ يَضعُ نفسَه[2] ! هذا لو قد هملَجَ لم يُبْتَلَ بمـا تَرى !

(بين العقل والحَظّ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة الكلابى :

وما لُبٌّ[3] اللَّبِيب بغير حظٍّ بأغنى فى المعيشةِ من فَتيل[4]
رأيت الحظَّ يستُر كلَّ عَيْب وَهَيْهاتَ الحُظوظُ من العقول

---

(١) كذا فى ل ، وفى مواضع متعددة من البيان ؛ وصاحب القاموس يرى هذا خطأ ، وأن صوابه « جميز » قال — فى مادة جمن — : « ضبطه المحدثون بالنون والصواب بالزاى المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :

إن أبا الحارث جميزا قد أوتى الحكمة والميزا »

(٢) بدل هذه فى البيان ٢ : ١٠٢ :

* « وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » *

وهو صدر بيت لحريث اللحام (للوساطة ١٥٦) وعجزه :

* فأبصر بعينيك امرأ حيث يعمد *

(٣) ط ، س : « لبث » ، وتصحيحه من ل .

(٤) الفتيل : الهنة التى فى شق النواة . وفى ط : « قتيل » تحريف ما فى س ، ل .

(هجو الخَلْف)

وقال الآخر [١] :

ذهبَ الَّذين أُحبُّهمْ سلَفاً [٢]   وبَقِيت كالمقْهــور فى خَلْفِ [٣]
من كلِّ مَطْـوِىٍّ على حَنَقٍ   مُتَضَجِّع يُـكْفَى ولا يَـكفِى [٤]

(عبد العَين)

وقال آخر :

ومَوْلًى كَعَبْدِ العَيْن أمَّا لِقــاؤه   فيُرضى وأمَّا غَيْبُــه فظَنُونُ [٥]

ويقال للمرائى ، ولمن إذا رأى صاحبَه تحرّك له وأرَاه الخدْمةَ والسرعة فى طاعته فإذا غابَ عنه وعن عينه خالف ذلك : « إنَّما هو عَبْدُ عَين [٦] » .

---

(١) هو الأحوص ، كما فى البيان ٢ : ١٨٤ . والبيتان أيضا فيه ٣ : ٣٣٦ .

(٢) ل : « أحب قربهم » . وفى البيان : « أحبهم فرطا » .

(٣) فى الجزء الثانى من البيان : « كالمقمور » . وفى الثالث : « كالمغمور » . وكلمة « خلف » هى فى ط : « خلق » محرفة .

(٤) المتضجع : من تضجع فى الأمر ، إذا تقعد ولم يقم به .

(٥) فى ثمار القلوب ٢٦٣ : « فضنين » ، وهو تحريف ماهنا . وفى البيان ٣ : ٢٠٤ :

ومولى كداء البطن أما لقاؤه   فحلم وأما غيبه فظنون

والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذى لايوثق به . ويصح أن تقرأ بضم الظاء جمعا للظن .

(٦) للميدانى مثل هذا الكلام فى أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال : فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يرائى فيرضيك ظاهره » .

وقال اللهُ عزَّ وجلّ : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَن إنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِماً ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرناً أبياتاً تُضاف إلى الإيجاز وقِلَّة الفُضول ، ولى كتابٌ جَمَعْتُ فيه آياً من القرآن ؛ لتَعرِفَ بها [فصل] ما بينَ الإيجاز والحَذْف ، وبين الزّوائِد والفُضول والاستعارات ، فإذا قرأْتَها رأيت فضلها فى الإيجاز
٢٧ والجمْعِ للمعانى الكثيرةِ بالألفاظ القليلة [على الَّذِى كتبتُهُ لك فى بابِ الإيجازِ وترك الفضول] . فمنها قوله حينَ وصفَ خمرَ أهلِ الجنّة : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جَمَعتا جميعَ عُيوبِ خمرِ أهلِ الدُّنيا .

وقولُه عزّ وجل حينَ ذكر فاكهةَ أهلِ الجنّة فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمع بهاتين الكلمتين جميعَ تلك المعانى .

[وهذا كثيرٌ قد دلَلتك عليه ، فإنْ أردتَه فموضعه مشهور] .

(رأى أعرابى فى تثمير المال)

وقال أعرابىٌّ من من بنى أسد :

يقُولون ثَمِّر ما استطَعت ، وإنما ... لِوَارِثِه ما ثَمَّرَ المَالَ كاسبُه
فكلْهُ وأطعِمْهُ وَخالِسهُ وَارِثاً ... شحيحاً ودهراً تَعْتَرِيكَ نوائبُهْ[1]

---

(١) خالسه ، من المخالسة ، وهى الأخذ فى نهزة ومخاتلة .

(شعر فى الهجاء)

وقال رجلٌ من بنى عَبْس :

أبلغ قُراداً لقـــد حَـكَمتُمُ رجـلاً[1]
لا يَعرِفُ النَّصْفَ بل قد جَاوَزَ النَّصَفا[2]

كان امرأً ثأراً والحـقُّ يَغْلِبُـه فجانَبَ السَّهْـلَ سَهْـلَ الحقِّ واعتَسفا
وذاكمُ أنَّ ذُلَّ الجارِ حالَفَـكُم وأنّ أنفَـكُمُ لا يعرِف الأنَفا

إنَّ المحـكَّمَ مالَمْ يَرْتَقِبْ حَسَـباً
أوْ يَرْهَبِ السَّيفَ أو حَدَّ القَنَا جنَفَا[3]

مَن لاذَ بالسَّيفِ لاقى قَرضَه عجبا[4] موتاً على عَجَلٍ أو عاش مُنْتَصِفَا
بِيعُوا الحياة بها إذ سـام طالبُها إمَّا رَواحاً وإما مِيتَـةً أنَفـا[5]

---

(١) ط ، س : « أبلغ فؤادى لقد حركتمو » ، وهو تحريف ماأثبت من ل . وقراد : اسم قبيلة .

(٢) النصف مثلثة والنصفة بالتحريك : الإنصاف . والنصف بالتحريك : الاسم منه . والأبيات فى البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٤) القرض ، أصله : مايتجازى به الناس بينهم . وجاء فى ل ، والبيان ١ : ٢١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : بيعوا الحياة بالحياة . ويقال سام بالسلعة وساوم واستام بها وعليها : غالى . وقد تعدى الفعل هنا بنفسه . فى ط ، س : « نام » وليس بشىء . وأثبت مافى ل .

ليس امرؤٌ خالداً والموتُ يطلبهُ ... هاتيك أجْسادُ عادٍ أصبحَتْ جِيفَا

أبلِغْ لَديكَ أبا كعب[1] مغَلْغَلةً ... أنَّ الذى بيننا قد مات أو دنِفا[2]

كانت أمورٌ فجابت عن حُلومكم ... ثَوْبَ العَزِيمةِ حتَّى انجابَ وانكَشَفا[3]

إنِّى لأعلَمُ ظَهْرَ الضِّغن أعْدِله ... عنِّى ، وَأعْلَمُ أنِّى آكُلُ الكتفا[4]

(شعرٌ حِكْمىٌّ)

وقال أُسقفُ نجْران[5] :

منَعَ البقَاءَ تصرُّفُ الشمسِ ... وطُلوعُها منْ حَيْثُ لا تُمسِى

وطُلوعُها بَيضاءَ صافِيَةً ... وغروبُها صَفْراءَ كالوَرْس

اليوم أعلم ما يجىءُ بِهِ ... ومضى بفَضْل قضائِه أمْس

---

(١) ل : « سعد » . والمغلغلة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشفى على الموت . وفى س : « قد بات » محرف .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « فجافت » و « مال فانكشفا » .

(٤) كذا فى ل ، وفى ط ، س : « أين آكل » . وقولهم : « يعلم من أين تؤكل الكتف » كناية عن الحذق .

(٥) الشعر نسب فى معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض ملوك اليمن . ونسب فى العقد ٢ : ١٢٢ إلى عابد من نجران ، وفى معجم المرزبانى ٣٣٩ إلى القمقام بن العباهل ، وهو تبع الثانى أو الثالث ، ملك حضرموت واليمن . وانظر خبرا متعلقا به فى كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالى القالى ٢٩ .

وقال عَبيدُ بن الأبرص[١] :

وكُلُّ ذِى غَيْبةٍ يَئُوبُ وغائبُ المــوْتِ لا يَئُوبُ
مَنْ يَسْأَلِ النَّاسَ يَحْرِمُوه وسائلُ اللهِ لا يَخيبُ
[وعاقِرٌ مثلُ ذاتِ رِحْمٍ وغانمٌ مِثْلُ مَنْ يَخِيبُ]
أَفْلِحْ بما شِئْتَ فقَدْ يُبْلَغُ[٢] بالضَّعْف وقَدْ يُخدَعُ الأرِيبُ ٢٨
المرءُ مَا عاشَ فى تَكْذيبٍ طُولُ الحياةِ لَهُ تَعذيبُ

وقال آخر[٣] :

إذَا الرِّجالُ ولَدَتْ أَوْلادُها واضطَرَبَتْ مِنْ كِبَرٍ أَعْضادُها
وَجعَلَتْ أَوْصابُها تعتادُها فَهْىَ زُروعٌ قد دنَا حَصَادُها

(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر[٤] ، وكانت مُمْلَكةً[٥] لمحمدٍ[٦] المخلوع حينَ قتل :

---

(١) كذا فى ل . والشعر من قصيدته المشهورة التى أولها :
أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زر بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة . انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً فى الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد (٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبى جعفر المنصور ، ولى البصرة وكورها وفارس والأهواز واليمامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان . المعارف ١٥٦ - ١٦٦ .

(٥) مملكة ، من الإملاك ، وهو عقد الزواج . وفى ط « ملكها » وهو تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفى العقد (٢ : ١٧٨) أن اسم المرأة لبانة بنت ريطة بن على ، وفى مروج الذهب (٢ : ٣١٦ بهية) أنها لبابة ابنة على بن المهدى ، وفيهما زيادة فى الشعر . وفى البيان (٣ : ١٢١) أنه لامرأة فى بعض الملوك . وفى الطبرى ١٠ : ٢١٠ أن الشعر للبابة أو لابنة عيسى بن جعفر .

أبْكِيك لا للنَّعيم والأنس بَلْ للمعالى والرُّمْحِ والفَرَسِ
أبكى على فارسٍ فُجعْتُ به أَرْملَني قَبْلَ لَيْلَةِ العُرُس

(من نعت النساء)

وقال سَلْمٌ الخاسر [1] :

تبدَّتْ فقلتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِها بجيدٍ نَقِيِّ اللَّونِ من أَثَر الوَرْس [2]
فلما كَرَرْت الطَّرفَ قلت لصَاحِبى على مِرْيَةٍ : ما هاهُنا مَطلع الشمس!

---

(١) هو سلم بن عمرو ، مولى بنى تيم بن مرة ، شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدى والهادى والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طنبورا . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غما وفاز باللذة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته . وجاء اسمه فى الوفيات برسم « سالم » وهو خطأ . انظر الأغانى (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ .
ومما ينص على تعيين اسمه قول أبى العتاهية له :

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعيش مر

وقوله :

إنما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وقوله :

والله والله ما أبالى متى مامت ياسلم بعد ذا السفر

وقوله :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذل الحرص أعناق الرجال

(٢) « الشمس » يصح قراءتها بالنصب ، بجعل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير « هى » . ل : « بجلد غنى اللون أثر كالورس » .

(شعر رثاء)

وقال الآخَر [١] :

كَفى حَزَناً بدَفنِك ثُمَّ أَنِّى نَفَضْتُ تُرابَ قبْرِك عَنْ يَدَيَّا
وكانت فى حياتِكَ لى عِظَاتٌ وأنتَ اليوْمَ أوعَظُ منْكَ حيّا [٢]

باب

من المديح بالجمال وغيره

قال مَزَاحمٌ العُقيلىّ :

يزِين سنا الماوِىِّ [٣] كلَّ عشيّةٍ على غَفَلَاتِ الزَّينِ والمتجمَّلِ [٤]
وجوهٌ لوَ اَنَّ المدْلجِينَ اعتشوْا بها صَدَعْنَ الدُّجَى حتَّى تَرى اللَّيْلَ ينْجَلى [٥]

وقال الشَّمَرْدَل :

إذا جَرَى المسْكُ يَنْدَى فى مفارِقِهِمْ راحُوا كأنهمُ مَرْضَى من الكَرَمِ

(١) هو أبو العتاهية يرثى على بن ثابت الأنصارى ، كما فى معاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) . أو ولدا له كما فى العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليبسك وذيل الأمالى ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .
(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .
(٣) الماوى : لغة فى الماوية أى المرآة ، أو جمع لها عند ابن الأعرابى . وفى ط : « الماذى » وفى س : « المازى » وفى ل : « المادى » وكل ذلك تحريف ما أثبت ، كما فى اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .
(٤) فى الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) ومجالس ثعلب ٢٧٧ . وهى مصدر من تجمل .
(٥) انظر تفسيره فى اللسان (عشا ٢٨٧) .

يشبَّهونَ ملوكاً من تَجِلَّتهم[١] وطولِ أنضية الأعناقِ والأُمم[٢]

[النضِيُّ : السَّهم الذى لم يرَش ، يعنى أن أعناقهم مُلسٌ مستوية[٣] .

والأمم[٤] : القامات] .

وقال القتَّال الكلابىّ :

٢٩ يا ليتَنى ، والمُنى ليست بنافعةٍ[٥] لمالكٍ أو لِحِصْنٍ أو لسَيَّارِ[٦]

طوال أنضِيَةِ الأعْناقِ لم يجِدُوا رِيحَ الإماء إذا راحت بأزفار[٧]

لم يرْضَعُوا الدَّهْرَ إلاَّ ثَدْىَ واضِحةٍ لواضِحِ الوَجْهِ يَحمِى باحَةَ الدَّارِ[٨]

وقال آخر :

إذا كان عَقْلٌ قلتُمُ إنَّ عَقْلَنَا إلى الشَّاء لم تَحْلُلْ علينا الأباعِرُ

وإنَّ امرأً بعدِى يُبادل[٩] وُدَّكُمْ بُودِّ بنى ذبيان مولى لخاسِرُ

---

(١) ل وكذا الكامل (٣٥ ليبسك) ، وأمالى القالى (١ : ٢٣٨) : « فى تجلتهم » . والتجلة : العظمة . وفى العقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « فى مجلتهم » . ورواية الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يشبهون سيوفا فى صرامتهم » .

(٢) كذا جاءت الرواية فى ل والأمالى والحماسة ، ويروى : « اللمم » جمع لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .

(٣) جاء فى الكامل : « فالنضى مركب النصل فى السنخ . وضربه مثلا . وإنما أراد طوال الأعناق » .

(٤) الأمم : جمع أمة ، بضم الهمزة .

(٥) ل : « بمغنية » .

(٦) قال المبرد فى الكامل ٣٥ ليبسك : « وقوله لمالك أو لحصن أو لسيار » ، فهؤلاء بيت فزارة » ، يريد موضع الشرف فيهم .

(٧) الأزفار : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما فى الكامل واللسان (مادة زفر) . وفى س : « بأذفار » فيكون جمع ذفر بالتحريك ، وهو خبث الريح .

(٨) قال المبرد : واضحة : أى خالصة فى نسبها ، وليست بأمة .

(٩) فى هامش س : « خ : تبدل » أى فى نسخة .

أولئك قومٌ لا يُهان هَدِيُّهم[١] إذا صرَّحَتْ كَحْلٌ وهَبَّتْ أعاصِرُ[٢]
مَذاليق[٣] بالخَيل العِتاق إذا عَدَوا[٤] بأيديهم خطِّيَّةٌ وبَواتِرُ

وقال أبو الطَّمَحان القَينىّ فى المعنى الذى ذكرنا :

كم فيهمُ مِنْ سَيِّدٍ وابنِ سَيِّدٍ وَفِىٍّ بعَقْدِ الجَارِ ، حِينَ يُفارقُه
يكاد الغَمام الغُرُّ يُرْعِدُ أنْ رَأى وُجُوهَ بَنِى لأمٍ ويَنْهَلُّ بارقُه

وقال لَقِيطُ بن زرارة[٥] :

وإنِّى مِنَ القَوْمِ الذين عَرَفْتمُ إذا مات منْهُمْ سَيِّدٌ قامَ صاحبُه
نجومُ سماءٍ كلما غارَ كَوْكَبٌ بَدَا كَوْكَبٌ تأوى إليه كواكبُه
أضاءتْ لهمْ أحسابهُمْ ووُجُوهُهُمْ دُجَى اللَّيلِ حتَّى نَظَّمَ الجزعَ ثاقِبه[٦]

وقال بعض التميميِّين ، يمدَح عوفَ بنَ القَعْقاع بنِ مَعْبَدِ بن زرارة :

بحقِّ امرئ سرو عتيبة خاله[٧] وأنت لقعقاع وعمُّك حاجبُ
[درارى نجوم كلما انقضَّ كوكبٌ بدا كوكب ترفضُّ عنه الكواكبُ]

---

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يأتى القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهدا . فهو مالم يجر أو يأخذ العهد هدى ، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم . اللسان (هدى) .

(٢) كحل ، بالفتح ، هى السنة والجدب ، . وصرحت : صارت خالصة فى شدتها وجدبها . وهو مثل . انظر الميدانى ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفى س : « كهل » محرفة .

(٣) كذا فى ل . والمذلاق : السريع الجرى ، جمعه مذاليق . وفى ط ، س : « مداليف » من الدليف ، وهو المشى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبى الطمحان القينى فى الكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ والحماسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا فى ط ، س . وفى ل : « يسرو عيينة » ، وفى الشطر تحريف .

وقال طفَيْلٌ الغَنَوىُّ :

وكانَ هُرِيمٌ مِن سِنانٍ خَلِيفةً وعمرو ومن أسماءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
نجومُ ظلام كلما غاب كوكبٌ بَدَا ساطِعاً فى حِنْدِسِ اللَّيلِ كَوْكب (١)

وقال الحرَيمى (٢) ، يمدح بنى خُرَيم (٣) ، من آل سنان بن أبى حارثة :

بقيَّة أقمــارٍ من الغُرِّ لو خَبتْ (٤) لَظلَّت مَعَدٌّ فى الدُّجَى تَتَسكَّعُ (٥)
إذا قمرٌ منهم تَغَوَّرَ أو خَبَا بدَا قمرٌ فى جانبِ الليل (٦) يَلْمَعُ

وقال بعضُ غنِيٍّ (٧) ، وهو يمدح جمَاعةً إخوة ، أنشدنيها أبو قطَن ، الذى يقال له شهيد الـكَرَم :

حَبِّر ثَنَاءً (٨) بنى عمرٍو فإنَّهمُ أُولو فُضولٍ وأَنْفالٍ وأخطارِ (٩)
إنْ يُسْأَلُوا الخَيْرَ يُعْطُوهُ ، وَإنْ جُهِدُوا فالجَهْدُ يُخْرِج منْهُمْ طِيبَ أخبار (١٠)

---

(١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم سماء » . ل ، س : « غار كوكب » . ل : « بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب » .

(٢) الخريمى بالراء تقدمت ترجمته فى الجزء الأول ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(٣) ط ، ل : « حزيم » ، وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الخريمى .

(٤) ط ، س : « أقوام » موضع « أقمار » . و « الغر » هى كذلك فى س . وفى ل : « العر » ، وفى ط : « العز » ، محرفتان .

(٥) فى اللسان : « وتـكسع فى ضلاله : ذهب ، كتسكع . عن ثعلب » .

(٦) الرواية فى الوساطة ١٥٩ : « فى جانب الأفق » .

(٧) أى أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به فى الجزء الثانى ص ٨٩ .

(٨) ط ، س : « خـبر ثنائى » وتصحيحه من ل . والتحبـير : تحسين الخط أو الـكلام أو الشعر .

(٩) الفضول : مايتبقى من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .

(١٠) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

وإنْ تَودَّدْتَهم لانُوا ، وإن شُهِموا كشفْتَ أذمَار حربٍ غيرَ أغمارِ [١]
مَنْ تَلْقَ مِنْهُمْ تَقُلْ لاقَيْتُ سَيِّدَهُمْ مِثْلُ النُّجوم التى يسرى بها السَّارى

وقال رجلٌ من بنى نهشل [٢] :

إنِّى لِمنْ مَعْشَرٍ أفْنَى أوائلَهُمْ قِيلُ الكُماةِ ألا أَينَ المحامُونا
لو كانَ فى الألفِ منَّا واحدٌ فدَعَوْا مَنْ فارسٌ خالَهُمْ إيَّاهُ يَعنُونا [٣]
وليسَ يَذْهَبُ مِنَّا سَيِّدٌ أبَداً إلاَّ افتلَيْنا غُلاماً سَيِّداً فِينا [٤]

وفى المعنى الأوّل يقول النّابغةَ الذُّبيانىّ :

وذاكَ لِأَنَّ اللهَ أَعْطاك سُورَةً [٥] تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَها يَتَذَبْذَبُ
بأنَّك شمسٌ والملوك كواكبٌ إذا طَلَعت لم يَبْدُ منهنَّ كَوكَبُ

وفى غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وأتيتُ حَيًّا فى الحروب محلُّهم والجيشُ باسم أبيهمُ يُسْتَهزَمُ

[وفى ذلك يقول الفرزدق :

لتَبْكِ وكيعاً خيلُ ليلٍ مُغيرةً تَساقَى السِّمامَ بالرُّدَيْنِيَّة السُّمْرِ [٦]

---

(١) انظر تفسير البيت فى الجزء الثانى ص ٨٩ . وجاء فى س : « وإن شتموا » محرفة . وفيها أيضا : « أذمار شر » وفى ل : « شد » وفيهما : «غير أشرار» .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى كما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٥٠ . وانظر الحماسة ١ : ٢٥ .

(٣) ل : « من عاطف » . يقال عطف على العدو : مال عليه .

(٤) الافتلاء : الافتطام والأخذ عن الأم .

(٦) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .

(٦) وكيع هذا هو ابن أبى سود الغدانى . والسمام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦ والكامل ٧٦٥ ليبسك : « المنايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلَهم فاستهزَموهمْ بدعوةٍ   دعَوْها وكيعاً وَالرِّماحُ بهم تجرى[١]

وأما قول الشاعر :

* تخامل المحتد أو هزام[٢] *

فإنَّما ذهَبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ إذا قام بها] خامل الذِّكر والنسب[٣] فلا يحسُده من أكفائِه أحــدٌ ، وأما [إذا قام بها[٤]] مذكورٌ بُيمن النَّقِيبة ، وبالظَّفَر المتابع ، فذلك أجــود[٥] مايكون ، وأقرَبُ إلى تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تَصرَّم منّى[٦] وُدُ بكرِ بنِ وَائلٍ   وما كان وُدِّى عَنْهُمُ يتصرَّمُ
قوارصُ تأتِينى ويَحتقِرُونها   وقَدْ يَملأُ القَطْرُ الأناءَ فَيُفْعَمُ[٧]

وقال الفرزدق[٨] :

وقالتْ أُراه واحداً لاأخَا لَهُ[٩]   يؤمِّله فى الوَارِثِينَ الأباعِدُ

---

(١) رواية الديوان والـكامل : « والجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأقوى .
(٢) كذا جاء .
(٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .
(٤) ليست بالأصل والـكلام فى حاجة إليها .
(٥) س : « أجوز » .
(٦) كذا فى ل . ، وفى ط ، س : « تذكر حبى » وهو تحريف .
(٧) ل : « الأتى » . وهو الجدول تؤتيه إلى أرضك .
(٨) الشعر الآتى قاله الفرزدق عند ماعيرته زوجه نوار بأنه لاولد له . عيون الأخبار ٤ : ١٢٢ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٢ . وفى الديوان ١٧٢ أن التى عيرته هى امرأته طيبة بنت العجاج المجاشعى . وينسب الشعر أيضا إلى ابن عنقاء الفزارى . معجم المرزبانى ٣٤٣ .
(٩) فى الديوان : « طاح أهله » ،وفى المعجم : « باد أهله » .

لعلَّكِ يوماً أن ترَيْنى (١) كأنَّما بَنِىٌّ حَوَالَىَّ الأسُودُ الحوارِدُ (٢)
فإنَّ تميما قبل أن يلد الحصى (٣) أقام زماناً وهو فى الناس واحدُ

وقال الفرزدق أيضاً (٤) :

فإنْ كانسيفٌ خانَ أو قَدَرٌ أتى (٥) لميقاتِ يومٍ حَتْفُه غير شاهد (٦)
فسَيْفُ بنى عَبْسٍ وقد ضَرَبُوا بِهِ نبابيدَىْ وَرْقاءَ عن رأسِ خالدِ (٧)
كذاكَ سُيوفُ الهِنْدِ تَنْبُو ظُباتُها ويقْطَعْن أحياناً مَناطَ القَلائدِ

---

(١) ط ، س « ترانى » وهو تحريف ، وصوابه من ل وعيون الأخبار . وفى الديوان : « فإنى عسى أن تبصرينى » .

(٢) الحوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخَلق الشديد الهيبة . ورواية الديوان : « اللوابد » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكاثر

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلح الرومى فى وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبى رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عند الإمام فأرعشت يداك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر فى الأغانى (١٤ : ٨٢ — ٨٣) والغيث المنسجم (٢ : ١١٣) والعمدة (١ : ١٢٦) والنقائض ٣٨٤ .

(٥) س : « أنى » بمعنى حان . وانظر رواية البيت فى حماسة البحترى ٥٦ .

(٦) يروى : « لتأخير نفس حتفها » .

(٧) ورقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسى . وخالد ذاك هو ابن جعفر بن كلاب العامرى ، وكان خالد قد برك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه حندج بن البكاء العامرى ، وقال : نح رأسك ياأبا جزء — يعنى خالداً — فنحى خالد رأسه ، وضرب حندج رأس زهير ، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد العامرى بالسيف ، وكان على خالد درعان فنبا سيف ورقاء ، فقال فى ذلك :

(خير قصار القصائد)

وإنْ أحببتَ أن تَروِي مِن قِصار القصائدِ شِعراً لم يُسمَع بمثله[1]، فالتَمِسْ ذلك في[2] قصار قصائدِ الفَرَزْدق ؛ فإنَّك لم تَرَ شاعراً قطُّ يجمَعُ التَّجْويدَ في القِصار والطِّوال غَيْرَه .

وقد قيل للكُميت : [إنّ] النَّاسَ يزْعُمون أنَّك لاتقدِر على القِصار ! قال : مَنْ قال الطِّوالَ فهو على القِصار أقدر[3] .

هذا الكلام يَخْرُج في ظاهر الرَّأى والظَّن ، ولم نجدْ ذلك عند التَّحصيل على ماقال .

= رأيت زهيراً تحت كلكل جعفر فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريغان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه منى الحديد المظاهر

الأغانى (١٠ : ١٤) . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدى أتى بأسرى من الروم ، فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبة فقال له : اضرب هذا العلج ، فقال : ياأمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعير به قومه إلى اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أعفيتك . انظر أدب الدنيا والدين ٦ — ٧ . والفرزدق في شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره بنبو سيف ورقاء العبسى عن خالد ، وبنو عبس أخوال سليمان . الأغانى (١٤ : ٨٣) . أو هو قال ذلك لأن صنع بنى عبس كان مع جرير — يعنى أنه كان مواليا لهم — الأغانى (١٠ : ١٥) . وجرير ليس عبسياً ، بل هو كلبى .

(١) ل : « تسمع بمثله » .
(٢) س : « من » .
(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجرير)

وقيل لعَقِيل بن عُلَّفَة : لم لاتُطيل الهجاء ؟ قال : « يَكفِيك مِنَ القِلادة مَاأحَاط بالعُنُق[١] » .

وقيل لجرير : إلى كَمْ تهجُو النّاس ؟ قال : إنِّى لا أبتَدى ، ولكنِّى أعتدى »[٢] .

وقيل له : لم لاتقصِّر[٣] ؟ قال : « [إن] الجماحَ يمنع الأذى[٤] ! » .

(شعر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نبِّئتُ أنَّ بَنِى جَـديلةَ أوْعَبُوا [نُفَراءَ]من سَلْمَى لناوتَـكَتَّبُوا[٥]

---

(١) المعروف فى المثل : « حسبك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميدانى (١ : ١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمحاضرة ١٨٤ والعقد ٥ : ٢٩٦ .

(٣) أى تقصر قصائدك ، وكان جرير يطيل قصائد الهجاء .

(٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس عن التعرض لصاحبه . والجماح أصله للخيل تغلب صاحبها وتطير به . فى ط ، س : « قال الجماع يمنع الأذى » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) بنو جديلة : حى من طيّء . أوعبوا : أى لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً . تكتبوا : صاروا كتائب . وهى فى ط ، س : « تنكبوا » وتصحيحه من ل والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جَرى لهمُ فلم يتعيَّفوا   تيسٌ قَعيدٌ كالهِرَاوةِ أعضَبُ] (١)

وأبو الفِراخ على خشاش هَشيمةٍ   متنكِّبٌ إبِط الشَّمائل يَنْعَبُ (٢)

[فتجاوزُوا ذَاكُمْ إلينا كلَّه   عَدْواً وَقرْطبةً (٣) فلما قرَّبوا]

طُعِنوا (٤) بمُرَّان الوَشيجِ فما تَرى   خلفَ الأسِنَّةِ غيرَ عِرْقٍ يشْخَبُ (٥)

وتَبَدَّلُوا اليَعْبُوبَ بَعدَ إلهِهِمْ   صَنَماً (٦) ففِرُّوا (٧) ياجَدِيلَ وأعذِبوا (٨)

---

(١) يقول : قد جرى لبنى جديلة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التعيف : من العيافة ، وهى هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذى يأتى من الخلف . وجعل التيس كالهراوة فى ضخمها واندماجها . والأعضب : المكسور القرن . وهو مما يتشاءم به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراخ ، عنى به الغراب . والهشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له من الدواب ، مثل الحيات والعظايا . وشبه فراخ الغراب لمعطها بالخنافس . وروى فى س : « حشاش » ، وهى بالكسر بمعنى الجانب ، كما فى القاموس . ومتنكبا إبط الشمائل ، أى مائلا عن جهتها . والشمائل : جمع شمال ، وهى الريح الشمالية .

(٣) « ذاكم » عنى به التعيف والزجر . و « قرطبة » أى عدوا شديداً . وفى الأصل « قرضبة » تصحيف ماأثبت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهى ضرب من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه ماأثبت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد ابن الأبرص ، فتبدلوا اليعبوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) فى الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البغدادى : « أى لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهكذا جاء فى ل والخزانة . وفى ط ، س : « أوعبوا » .

وقال آخر :

أَلم تَرَ حَسَّان بنَ مَيسرةَ الذى يجُوْخَى(١) ، إلى جيرانِه كيفَ يَصنَعُ
مَتَارِيبُ(٢) ما تنفكُّ منهم(٣) عِصابة إليه سِراعاً يحصُدُون ويزْرَعُ

(شعر فى معنى قوله : يريد أن يعربه فيعجمه)

وبابٌ(٤) آخرُ مثلُ قوله(٥) :

* يريد أن يُعرِبَه فيُعجِمَهُ *

وقال آخر :

* كأنَّ مَنْ يحفَظها يُضيعها *

---

(١) ماعدا ل : « يجوع » . وانظر الاستدراكات .

(٢) متاريب : جمع مترب ، كمحسن ، وهو الذى قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ، والأكثر فيه أن يستعمل للذى كثر ماله . والمعروف فى الذى قل ماله : ترب كفرح ، من الثلاثى . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هى فى ط ، ل : « متى ريب » ، وهى على الصواب فى س .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل ؛ فإن الآتى مخالف للسابق .

(٥) هو الحطيئة ، والبيت الآتى من أرجوزة له ، أولها كما فى العمدة ١ : ٧٤ ، والديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذى لايعلمه
زلت به إلى الحضيض قدمه والشعر لا يسطيعه من يظلمه

وبعده :

ولم يزل من حيث يأتى يحرمه من يسم الأعداء يبق ميسمه

وقال آخر :

* أهوجُ لا يَنفعُهُ التَّثقيفُ *

وقال بعض المحدَثين [فى هذا المعنى] :

إذا حاوَلوا أنْ يَشْعَبُوها رَأيتَها مَعَ الشَّعْب لا تَزْدادُ إلاَّ تَداعِيَا[١]

وقال صَالِحُ بنُ عبدِ القُدُّوس :

والشَّيخُ لا يَتْرُكُ أخلاقَهُ حَتَّى يُوارَى فى ثَرَى رَمْسِهِ[٢]
إذا ارْعَوَى عادَ إلى جَهلِهِ كَذِى الضَّنَا عادَ إلى نُكْسِهِ

ومثل هذا قوله :

وتَروضُ عِرْسَكَ بَعْدَ ما هَرِمَتْ وَمِنَ العَناءِ رِياضةُ الهرِمِ

٣٢ وقال حُسيل[٣] بن عُرْفُطة :

لِيَهْنِيكَ بُغْضٌ فى الصَّدِيقِ وَظِنة[٤] وتحديثُك الشَّىءَ الذى أنت كاذِبُهْ
وأنَّكَ مَشْنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بَلاك[٥] ، ومثلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جانبُهْ

---

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعى : التساقط . وهذا البيت هو الثانى من أبيات عددها اثنا عشر بيتا فى البخلاء ١٨٨ يهجو بها الشاعر قوما بخلاء ، فوصف قدورهم بما يقتضيه الهجاء .

(٢) البيان ١ : ١٢٠ و التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

(٣) هو حسيل بن عرفطة بن نضلة بن الأشتر بن جحوان بن فقعس الأسدى ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم أسماءهم ، فسماه « حسينا » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد فى نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ماقدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش فى ذلك . انظر النوادر فى الموضعين . وقد جاء هذا الاسم فى كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ : « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة فى البغال ٣٣٩ .

(٤) فى البيان والبغال : « ليهنك » وهما صحيحتان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفى ط ، س : « قلاك » بمعنى أبغضك ، وأثبت مافى ل والبيان والبغال .

وأنَّكَ مِهْداءُ الخنا نَطِفُ النثا[١] شَدِيدُ السِّبَاب رافع الصوتِ غَالِبُهْ
فلم أرَ مِثْلَ الجَهْل يَدْعو إلى الرَّدى[٢] ولا مِثْلَ بُغْضِ النَّاس غَمَّضَ صاحِبُه

(كلمة للزِّبرقان)

وقال الأصمعى : قال الزِّبرقَانُ بنُ بدر : خَصْلَتان كبيرتان فِى امرئ السَّوء : شِدَّة السِّباب ، وكثرة اللِّطام[٣] .

(شعر فى تمجيد الأقارب)

وقال [خالد] بن نَضْلَة :

لَعَمْرِى لَرَهْطُ المَرْءِ خَيْرٌ بَقِيةً عليه ولو عالَوْا به كلَّ مَرْكبِ[٤]
منَ الجانِبِ الأقْصَى وإنْ كانَ ذا نَدًى كثيرٍ[٥] ولا يُنْبيكَ مثلُ المجرِّبِ
إذا كنْتَ فى قوم عِدًا لستَ مِنْهُمُ فكلْ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبيثٍ وَطَيِّبِ[٦]
فإنْ تَلتَبِسْ بى خَيلُ دُودَان لا أَرِمْ وإن كنتُ ذا ذَنْب وإنْ غيْرَ مُذْنِبِ

---

(١) النثا : ماأخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفى ط ، س ، والبيان : « الثنا » ، وهوتحريف ماأثبت من ل . والنطف : المتهم المريب .

(٢) الردى : الهلاك . وفى الأصل : « الرخا » ، وتصحيحه من البيان .

(٣) س : « الطعام » محرف .

(٤) أى وإن أركبوه المراكب الصعبة . س : « غلت به » محرفة .

(٥) رواية الحماسة ١ : ١٣٤ : « ذا غنى جزيل » . و « كثير » هى فى ط ، س : « كثيراً » ، وإنما هو صفة للندى .

(٦) العدا : اسم جمع بمعنى الأعداء . أو بمعنى الغرباء كما جاء فى المخصص ١٢ : ٥٢ رواية عن ابن السكيت ، قال : « ولم يأت فعل – أى بكسر ففتح – فى الصفات غير هذا » . وانظر البيان ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادٍ بنو سعد)

قال : ولمّـا تأذَّى الأضبط بنُ قَريع فى بنى سعد[1] تحوَّلَ عنهمْ إلى آخَرِينَ فآذَوه فقال : بكُلِّ وادٍ بنُو سعد !

(مقطَّعاتٌ شتَّى)

وقال سُحَيمُ بن وَثِيل :

أَلا ليسَ زَينَ الرَّحلِ قِطْعٌ وَنُمْرُقٌ　　ولـكنَّ زَينَ الرَّحْلِ يامىَّ راكبُه[2]

وقال أعرابىٌّ :

فما وجْدُ مِلواحٍ مِنَ الهِيمِ حُلِّئَتْ　　عن الماء حتَّى جَوْفُها يَتَصَلْصَلُ[3]

تحومُ وتَغْشَاها العِصِىُّ وحَوْلَها　　أَقاطيعُ أنعامٍ تُعَلُّ وتُنْهَلُ

بأكثَرَ مِنِّى غُلَّةً وتعطُّفاً[4]　　إلى الورد[5] ، إلاَّ أنَّنى أتجمَّلُ

---

(١) ط ، س : « سحيم » ، والصواب : « سعد » كما فى ل ، وماسبق فى الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) القطع ، بكسر القاف : البساط ، أو النمرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته . وفى ل : « نطع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والنمرق والنمرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرحل . وقد حرف الناسخون البيت فى عيون الأخبار ١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً يمزق » . ورواه المرزبانى فى معجمه ٣٩٠ لمضرس بن ربعى .

(٣) حلئت : منعت من الماء . وفى ط ، س : « خليت » . والهيم : الإبل العطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت مافى ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالـكسر ، وهو الماء الجارى الذى له مادة لاتنقطع .

وقال خالدُ بن عَلْقَمَةَ ابنُ الطَّيفان[١] ، فى عيب أخْذِ العَقْل والرِّضا بشىءٍ دونَ الدَّم ، فقال :

وإنَّ الَّذِى أصبحْتُمُ تَحلُبُونَه ... دَمٌ غيْرَ أنَّ اللَّونَ ليَسَ بأحْمَرَا

فلا تُوعِدُوا أولادَ حَيَّانَ بَعْدَمَا ... رَضِيتُمْ وزوَّجتم سَيَالة مِسْهَرَا[٢]

وأعجَبَ قِردٍ يقصم القملَ حَالقاً[٣] ... إذا عبَّ منها فى النَّقِيبةِ بَرْبَرَا[٤]

إذا سكَبُوا فى القَعبِ من ذى إنائهم ... رأوا لَونَه فى القَعبِ وَرداً وأشقرا[٥]

٣٣

باب
آخـــر

فى ذكر الغضب ، والجنون ، فى المواضع التى يكون فيها محموداً[٦] .

قال الأشهبُ بن رُمَيلة[٧] :

---

(١) ط ، س : « الصهبان » ، وهو تحريف ماأثبت من ل والقاموس . والطيفان هى أم خالد . وكلمة « ابن » هى فى الأصل محذوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء على الصواب الذى أثبته فى الأغانى ١١ : ١٢١ . وكان خالد معاصرا لجرير والفرزدق .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحولتم بسالة مشفرا » . وهو تحريف ، ولعل صواب « حولتم » فيه « خولتم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأكحم فرداً يقصم الفيل جالباً » !

(٤) منها : أى من إبل الدية . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفى ل : « النقيعة » ، وهى الجزور تجزر للضيافة . والبربرة : الصياح .

(٥) ط : « العقب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إنائهم ، ولذلك نظائر فى كلامهم . انظر خزانة الأدب ٤ : ٢٣١ - ٢٣٢ سلفية .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى مثل ذلك من الغضب ، وفى ذكر الجنون فى المواضع التى يكون ذكره فيها محموداً » .

(٧) الأشهب بن رميلة : شاعر إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هرَّ [١] المَقادَةَ [٢] من لا يستقيدُ لها [٣] ... واعصَوْصَبَ السَّيرُ وارتدّ المساكينُ [٤]

مِنْ كلِّ أشعثَ قدْ مالَتْ عِمامَتهُ ... كأنَّهُ مِنْ ضِرارِ الضَّيمِ مجْنُون [٥]

وقال فى شبيهِ ذلك أبو الغول الطُّهَوىُّ [٦] :

فَدَتْ نفسى وما مَلَكَتْ يمينى ... مَعاشِرَ صُدِّقَتْ فيهم ظُنُونى [٧]

مَعاشِرَ لا يملُّون المنـايا ... إذا دَارتْ رَحَى الحربِ الطَّحون [٨]

ولا يجزُون مِن خـير بشر ... ولا يجْزُون من غِلَظٍ بِلِين [٩]

ولا تَبلى بَسَالتُهُمْ وإنْ هُمْ ... صَـلُوا بالحرْبِ حيناً بعدَ حين

= تعرف له صحبة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « رميلة » هى أمه . واسم أبيه ثور ابن أبى حارثة ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان الأشهب ممن هاجى الفرزدق ، وقد سبق رجز له فى ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هو فى الخزانة ٤ : ٥١٠ بولاق . جاء فى ط : « رملية » وهو تحريف . وجـاء بعد هـذا فى كل من ط ، س : كلمة « بعد ذلك » .

(١) هر : كره . وفى ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .

(٢) المقادة : القود ، وهو نقيض السوق . وفى ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ، ولعل الكلام فى صفة ركب مسافرين فى فلاة .

(٣) ل : « يستعد لها » .

(٤) اعصوصب السير : صار عصيبا شاقا . وفى ل : « اعصوصب الشر » .

(٥) مالت عمامته مما لعب النوم به . والضرار : الضرر . وفى ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضيم » .

(٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامى . التبريزى (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبى) . وفى ل : « الضبى » وهو تحريف .

(٧) قال التبريزى : « يروى : صدقوا . . . ويروى : صدقت فيهم ظنونى ، ويكون ظنونى فى موضع رفع بصدقت » ، أى فاعلا لصدقت .

(٨) فى ل ، وكذا فى الحماسة : « فوارس » وفيهما أيضاً : « الحرب الزبون » .

(٩) فى ل ، وكذا فى الحماسة : « ولا يجزون من حسن بسىء » . والسىء بالفتح .

هُمُ أحمَوْا حِمَى الوَقَبَى بضَرْبٍ   يُؤَلِّف بينَ أشْتَاتِ المَنُونِ(١)
فنَكَّبَ عنهمُ دَرْءَ الأعادِي   وَدَاوَوْا بالُجنُونِ من الجنونِ

وقال ابن الطَّثْرِيَّة(٢) :

[لو أنَّنِى لم أنلْ منكم معاقبةً   إلا السِّنانَ لذاقَ الموت مظعونُ
أو لاختطبتُ فإنِى قد هممت به   بالسَّيفِ إنْ خطيب السَّيفِ مجْنُونُ(٣)

وقال آخر] :

حمراءُ تامِكة السَّنامِ كأنَّها   جَمَلٌ بهودَجِ أهْلِهِ مَظْعُون(٤)
جادَتْ بها يَومَ الوَداعِ يَمينه   كِلْتَا يَدَىْ عَمْرِو الغَدَاةَ يَمِينُ(٥)
ما إنْ يجود بمثْلها فى مثلِه   إلاَّ كَرِيمُ الخِيمِ أو مجْنُونُ(٦)

---

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان . فى ل ، والمقصور والحماسة والمعجم : « هم منعوا » .

(٢) كذا جاء فى ل نسبة البيتين الآتيين إلى ابن الطثرية ، ونسبة الثلاثة التى بعدها إلى « آخر » ، لكن فى ط ، س نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطثرية . ولم أعثر على مرجع لهاتين المقطوعتين .

(٣) فى الأصل : « لا شتمت » ، صوابه من ٦ : ٢٤٥ .

(٤) تامكة السنام : عظيمته . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمل المظعون : الذى شد هودجه بالظعان ككتاب ، وهو حبل الهودج . فجعلها كجمل لوثاقة خلقها ، ثم أضاف إلى النعت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها .

(٥) كلتا يديه يمين : أراد : شماله كيمينه فى العطاء ، مبالغة فى وصفه بالعطاء . وجاء فى الحديث : « كلتا يديه يمين » فتوهم بعضهم التشبيه ، ورد عليهم ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٢٦٥ .

(٦) ط ، س : « فى مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وضمير : « بمثلها » عائد إلى الناقة الحمراء . وضمير « مثله » إلى يوم الوداع . والخيم بالكسر : السجية .

وفى هذا المعنى يقول حسَّان ، أو ابنُه عبدُ الرحمن بن حسَّان :

إنَّ شَرْخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأسْ ... ودَ ما لَمْ يُعَاصَ كانَ جُنونَا

إنْ يكُنْ غثَّ مِنْ رَقاشِ حَديثٌ ... فبِما نأكُلُ الحديثَ سَمِينا(٢)

وفى شبيهٍ بذلك قول الشَّنْفَرَى :

فدَقَّتْ وجلَّتْ واسبَكَرَّتْ وأُكْمِلَتْ ... فلوْ جُنَّ إنْسانٌ مِنَ الُحسْنِ جُنَّتِ(٣)

وقال القُطامىُّ ــ حين وصف إفراط ناقتِه فى المرَح والنَّشاط :

٣٤ يَتْبَعن ساميةَ(٤) العَينَينِ تحسَبُها ... مجْنُونَةً أو تُرَى ما لا تَرَى الإبِلُ

وقال أبن أحمرَ ، فى معنى التشبيه والاشتقاق :

بِهَجْلٍ من قَسًا ذَفِرِ الخُزَامى ... تداعى الجِرْبِياءُ به الحَنِينا(٥)

---

(١) شرخ الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطحابهما صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمالى ابن الشجرى (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد فى الكامل ٥٩٧ ليبسك والعسكرى فى الصناعتين ١٨٥ .

(٢) هذا البيت ليس فى ل . والبيتان فى الديوان ١٣٤ – ٤١٤ فى سبعة أبيات .

(٣) يقول : دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة ، وعظم فى الأجزاء التى يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بديعة ، وهى من المفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ .

(٤) سامية : عالية ، وفى ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

(٥) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفى ل : « لجو » وهو تحريف . وفى س : « بجو » وهى صحيحة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمأن ، كما فى اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما فى المقصور . و « الخزامى » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكى الرائحة . و « تداعى » هى فى ط « تهادى » وهى رواية أخرى ، كما فى اللسان (جرب) . والجربياء : الريح الشمالية الباردة . والحنين : صوت الريح . وفى ل : « الجنينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان فى مواضع متعددة والكامل ٤٦٤ ليبسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصور ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقَّأَ فَوقَهُ القَلَعُ السَّوَارِى وجُنّ الخازِبازِ بِهِ جُنُونا(١)

وفى مثل ذلك يقول الأعشى :

وإذا الغيثُ صوبُه وَضَع القِدْ حَ وجُنَّ التِّـلاَعُ والآفاقُ(٢)
لم يزِدْهُمْ سفاهــةً نشْوةُ الخمـ ـرِ ولا اللَّهوُ فيهمُ والسِّباقُ

وقال آخر فى باب المزاح والبَطَالة ، ممـا أنشَدَنيه أبو الأصبغ(٣) ابن ربعىّ :

أتونى بمجنونٍ يَسِيلُ لُعَابُه وما صاحبى إلاَّ الصَّحِيحُ المسلَّمُ

وأنشدنى(٤) إبراهيمُ بن هانئ ، وعبدُ الرحمن بنُ منصور(٥) :

جنُونُكَ مَجْنونٌ ولسْتَ بواجدٍ طَبِيباً يُدَاوِى مِن جنُونِ جنُونِ

---

(١) تفقأ : تصبب ، وفى س : « تـكسر » ، وهى رواية أخرى كما فى أمثال الميدانى (١ : ٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها الجبال ، الواحدة قلعة . والخازباز : ذباب يظهر فى الربيع فيدل على خصب السنة ، أوهو نبت . وجنونه : تكاثفه .

(٢) البيتان أعيدا فى ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصبغ جاء فى الأصل « أبو الأصيغ » . صوابه من البخلاء ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره الجاحظ فى البيان (٤ : ١٩) ضمن النوكى وأشباههم . وروى أنه قيل له : أما تسمع بالعدو وما يصنعون فى البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا لا أعرفهم ولا يعرفوننى ، فكيف صاروا لى أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل : « وأنشد » ، وأثبت ما فى س موافقاً ما فى الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) فى الجزء السادس زيادة : « قبل أن يجن » .

(إبراهيم بن هانئ والشعر)

وكان إبراهيم [بن هانئ] لايقيم شعراً[١] . ولا أدرى كيف أقامَ هذا البيت !

وكان يدَّعى بحضرة أبى إسحاق[٢] علمَ الحِسابِ ، والكلامِ ، والهندسة ، واللحون ، وأنَّه يقول الشعر ؛ فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحِنْك فى هذه الأمور ، فلك أن تدّعِيهَا عندنا[٣] . كيفَ صِرْتَ تَدّعى قولَ الشعر ، وأنتَ إذا رويتَه لغيرك كسرته ؟! قال : فإنّى هكذا طبِعتُ ، أن أقيمه إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق : مابعدَ هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابى)

وقلت لأعرابىّ ، أيُّما أشدُّ غلمةً : المرأةَ أو الرجل ؟ فأنشد :

فوَ اللهِ ما أدْرِى وإنّى لَسائِلٌ ... أألأيرَ أدنَى للفجور أو الحِرُ

وقد جاءَ هذا مُرخِياً من عِنانه ... وأقبلَ هـذا فاتّحاً فاه يهدر[٤]

---

(١) وكان ماجنا خليعاً كثير العبث متمرداً . انظر أخباره وأحاديثه فى الجزء الأول من البيان ٩٣ — ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عندها » .

(٤) يهدر : من الهدير ، وأصله تردد صوت البعير فى حنجرته . وفى ط ، س : « يهبر » بالباء محرفة . وهى على الصواب الذى أثبت فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مبدوءا بقيل لقطرب — يعنى النحوى .

(مقطعات شتى)

وأنشد بعضهم :

أصبَحَ الشَّيبُ فى المفارِقِ شاعا   واكتَسى الرأسُ من بياض قِناعا
ثم وَلَّى الشَّبابُ إلاَّ قليلاً   ثم يأبَى(١) القليلُ إلاَّ نزاعا

وأنشد محمد بن يسير(٢) [لبعضهم] :

قامتْ تُخاصرنى لِقُبَّتِها(٣)   خَوْدٌ تَـأَطَّرُ ناعِمٌ بِكْرُ(٤)
كلٌّ يَرَى أنَّ الشَّبابَ له   فى كل مبلغ لَذَّةٍ عُذْرُ

وقال الآخرُ فى خلاف ذلك ، أنشدنيه محمد بن هاشم السِّدرىّ(٥) :

فلا تعذُرانى فى الإساءةِ إنَّه   أشرُّ الرِّجال مَنْ يسىءُ فيُعذَرُ(٦)

---

(١) ط ، س : « يأتى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٣٣٤) .
(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه فى ل . وقد سبقت ترجمته فى الجزء الأول . والشعر فى البيان (١ : ١٩٨) مسبوق بعبارة : « وأنشد الأحوص بن محمد » .
(٣) جاء فى البيان ، من تفسير الجاحظ للبيت : « تخاصرنى : آخذ بيدها وتأخذ بيدى » . وكلمة : « لقبتها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت فى الجزء الأول من البيان وكذا فى الثالث منه ص ٣٤١ : « بقنتها » ، وفسرها الجاحظ فى الجزء الأول بقوله : « والقنة (واحدة القنن . وهى) : المواضع الغليظة من الأرض فى صلابة » .
(٤) تأطر : تتأطر ، أى تتثنى وتتعطف . و « ناعم » هكذا جاءت فى ط ، س . وفى ل والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .
(٥) ط : « السيدرى » صوابه ما فى ل ، س . ترجم له المرزبانى فى معجمه ٤٣١
(٦) قال الجوهرى فى الصحاح : « لا يقال أشر إلا فى لغة رديئة » . وهكذا جاءت الرواية فى ط ، ل . وفى س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا فى أدب الدنيا والدين ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة (١) :

فَلَيتَ قَلوصى عُرِّيت أوْ رحلتها إلى حَسَن فى داره وابن جعفر (٢)
إلى مَعْشَر لا يَخصِفُونَ نِعالَهم ولا يلبَسُون السِّبْتَ مالم يُخصَّر (٣)

وقال الطِّرِمَّاحُ بنُ حكيم ، وهو أبو نفْر (٤) :

لقد زادنى حُبًّا لنَفسىَ أنَّنِى بَغيضٌ إلى كلّ امرئٍ غَيْرِ طائِلِ
إذا مارآنى قطَّعَ الطَّرْفَ بَيْنه وَبَيْنىَ فِعْلَ العارِفِ المتجاهِلِ
ملأتُ عليه الأرضَ حتَّى كأنَّها من الضِّيقِ فى عَيْنَيهِ كِفَّةُ حابل (٥)

---

(١) ط ، س : « ابن قترب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر فى الأغانى (١٩ : ١٤٤) وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته فى الجزء الثانى ص ١١ .

(٢) كذا على الصواب فى ل والأغانى . وفى ط : « إلى حرمى دارى بن جعفر » وفى س : « إلى حين مى درامى » والتحريف فيهما ظاهر . وفيهما أيضا « إذ رحلتها» ، وهو خطأ صوابه فى ل والأغانى .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبتية خاصة بأهل النعمة من العرب . وانظر كلام الجاحظ فى البيان ٣ : ١٠٩ — ١١٣ . والنعل المخصرة : المستدقة الوسط .

(٤) كذا فى ل ، وهو الصواب كما فى الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغانى ١٠ : ١٤٨ . وفى ط : « نقير » وفى س : « بقير » محرفتان . والطرماح : شاعر إسلامى فى الدولة المروانية ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع من وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة . وكان شاعراً فصيحا ، يكثر فى شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابى عن ثمانى عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرماح فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقاً للكميت الشاعر لايكادان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ : ٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحبالة ، وكفته ، بالكسر ، هى حبالته . فى ط : « حائل » محرفة ، صوابها فى ل ، س والأغانى والشعراء . وللبيت نظير فى اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتَنى أَعْرَضْتَ عَنِّى كأنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِى تَدُورُ

وقال الخُرَيمى(١) وَذَكر عماه(٢) :

أُصغِى إلى قائدى ليخْبِرَنى إذا التقَيْنا عَمَّنْ يُحَيِّينى
أريدُ أن أعدِلَ السَّلامَ وأَنْ أَفصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ والدُّونِ
أَسمَعُ ما لا أرَى فأكره أنْ أُخْطِئَ ، والسَّمْعُ غيرُ مَأمُونِ(٣)
لِلّه عينِى الّتى فجعْتُ بها لو أنَّ دَهْـرًا بهـا يوَاتينى(٤)
لو كنْتُ خيِّرتُ ما أخذْتُ بها تَعْمِيرَ نُوحٍ فى مُلْكِ قَارُون

وقال بعضُ القُدَماء(٥) :

ألم تَرَ حوشَبًا أضحَى يُبَنِّى قُصُورًا نفعُها لِبَنِى نُفيله(٦)
يُؤَمِّل أنْ يُعَمَّرَ عُمْرَ نُوحٍ وأمرُ اللهِ يحدثُ كلَّ لَيْلَه(٧)

---

(١) فى الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) : « الخزيمى » - بالزاى - وهو تحريف ، صوابه فى عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونكت الهميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه فى الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « فى عمى عينيه » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ - ٨٣١ .

(٣) س : « وأكره أن أخطىء » .

(٤) كذا فى ل والمراجع المتقدمة . وفى ط ، س : « دهرا تولى فما تواتينى » .

(٥) لم أجد صاحب البيتين فيما لدى فى المراجع . قالوا : لما بنى أبو العباس بناءه بالأنبار الذى يدعى رصافة أبى العباس ، قال لعبد الله بن الحسن بن الحسن بن على : ادخل وانظر . فدخل معه فلما رآه تمثل بالبيتين . معجم البلدان ، والأغانى (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أبو العباس على ذلك ، كما فى عيون الأخبار والعقد (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا فى ل ، س ومعظم الروايات . وفى ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يطرق كل ليلة » ، وهى رواية فريدة .

وقال ابن عبَّاسٍ بعد ما ذهب بصره[١] :

إنْ يأخُذِ اللهُ من عينَيَّ نُورَهُما ... فِفِى لِسانِى وقلبى مِنْهُما نورُ[٢]

قلبى ذَكىٌّ وعَقلى غَيْرُ ذى دَخلٍ ... وفى فمى صارمٌ كالسَّيفِ مأثورُ

[وقال حسَّان يذكرُ بيانَ ابن عبَّاس[٣] :

إذا قال لم يَترك مقالاً ولم يقفْ ... لِعِىٍّ ولم يَثْنِ اللِّسانَ على هُجْرِ

يصرِّف بالقولِ اللسانَ إذا انتحى ... وينظر فى أعطافه نظرَ الصَّقْر]

(شعر فى الخصب والجدب)

٣٦ وقال بعضُ الأعراب يذْكُرُ الخِصْب والجَدْب :

مُطِرْنا فلمَّا أنْ رَوِينَا تَهادَرَتْ ... شَقاشِقُ فيها رائبٌ وحَلِيبُ

---

(١) كذا فى ل ، وهو الصواب ، كما فى نكت الهميان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعاهد التنصيص ١ : ٨٧ والعقد ٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب العقد سبب الشعر . وشذ أبو على القالى فى ذيل الأمالى ص ١٥ فنسب البيتين إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما فى ديوانه ص ١٦٥ . ويروى البيتان أيضاً لأبى على البصير كما فى المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبى العيناء فى معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفى ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمى »، وهو خطأ .

(٢) س : « فنى لسانى وسمعى » وفى عيون الأخبار : « فى فؤادى وسمعى » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

ورابت رجالاً مِنْ رجال ظُلامةٌ   وعُدَّتْ ذُحولٌ بينهم وذنوبُ (١)
ونُصّتْ رِكابٌ للصِّبَا فَتَرَوَّحَتْ   لهنَّ بما هاجَ الحبيبَ خَبيبُ (٢)
وطَنَّ فناءُ الحيِّ حتَّى كأنَّه   رَحَى مَنْهَلٍ مِنْ كَرِّهِنَّ نحيب (٣)
بني عمِّنا لاتَعْجَلُوا ، ينضُبُ الثَّرَى   قليلاً ويَشفِى المتْرَفِينَ طَبيبُ (٤)
فلوقَدْ تَوَلَّى النَّبتُ وامتيرَت القُرَى   وحَنَّتْ رِكابُ الحيِّ حِينَ تثوب (٥)
وصارَ غَبُوقَ الخَودِ وهى كريمةٌ   على أهلها ، ذو جُدَّتَينِ مَشُوب (٦)
[وصار الَّذى فى أنْفِه خُنزوانَةٌ   ينادَى إلى هادى الرَّحى فيجيبُ (٧)]
أولئك أيَّامٌ تَبَيَّنُ ما الفتَى   أكابٍ سُكَيْتٌ أمْ أشمُّ نجيبُ

---

(١) ل : « ورامت رجال » و « ذحول بيننا » . وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٦ – ١٩٧ وديوان المعانى ٢ : ٤٥ .

(٢) « فتروحت » كذا فى س والمخصص ١٠ : ١٨٠ . وفى ط ، ل : « فتراجعت » . وفى ط ، س : « هاج الحليب » وتصحيحه من ل والمخصص . قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت ركاب للصبا ، فإن طلب اللهو مما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال ». و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء . و « خبيب » هى بالخاء المعجمة ، ومعناها سرعة الجرى . ل والمخصص : « حبيب » بالحاء ، وليس بشئ . يقول : لتلك الركاب خبيب بما يهيج المحبين ويبعث أشواقهم .

(٣) ط : « وظن » ، ل : « ودير » محرفتان . وفى ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .

(٤) عبارة تهكمية ، وعنى بالطبيب هنا الجدب وشدة الزمان .

(٥) تولى : أخذ فى الهيج . وامتيرت القرى : جلب مافيها . ط ، س : « وابتزت القرى ، وصوابه من ل والمخصص . وفى المخصص : « تئوب »، وهما بمعنى .

(٦) الغبوق ، بالفتح : مايشرب بالعشى . والخود : الشابة الحسنة الخلق . وفى ط ، س : « عنوق الجود » تحريف ما أثبت من ل والمخصص . والجدة بالضم : الخط ، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوبا ، أى مخلوطاً بالماء . وفى ط ، س : « عشوب »، تحريف مافى ل .

(٧) الخنزوانة : الكبر . وهادى الرحى : مقبضها . وفى المخصص بياض يمكن ساه مما هنا .

(شعر لأنس بن أبى إياس)

وقال : ولما وَلِى حارثَةُ بنُ بَدْرٍ سُرَّقَ[١] ، كتب إليه أنَسُ بن أبى إياسٍ[٢] [الدِّيلى] :

أحارِ بنَ بَدْرٍ قد وَلِيتَ وِلايةً ... فكُنْ جُرَذًا فيها تَخُونُ وتَسْرِقُ
وباهِ تميما بالغِنى ، إنَّ لِلغِنَى ... لساناً به المرءُ الهَيُوبَةُ يَنْطِقُ
[ولا تحقِرَنْ يا حارِ شيئًا ملكتَه ... فَحظُّك من ملك العراقَين سُرَّق]
فإنَّ جميعَ النَّاسِ إمَّا مُكَذِّبٌ ... يَقُولُ بمَا يَهوَى ، وإمَّا مصَدَّقُ[٣]
يقولون أقوالاً ولا يَعرِفُونهـا ... ولو قيل هاتُوا حقِّقوا لم يحقِّقوا

وقال بعض الأعراب :

فلمَّا رَأَينا القوم ثاروا بجَمْعِهِمْ ... رَعَيْنا الحديثَ وهو فيهمْ مُضَيَّعُ[٤]
وأدْرَكَنَا من عِزٍّ[٥] قَيسٍ حَفيظةٌ ... ولا خيْرَ فيمَنْ لا يضرُّ وينْفَعُ

---

(١) سرق ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : إحـدى كور الأهواز . وفى ط : « سرف » محرفة .

(٢) ويروى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٩ - ٥١ والعقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان برسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات فى المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار ١ : ٥٨ ، ومحاضرات الراغب ١ : ٨٣ . والمفهوم أن الشعر الآتى مداعبة لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إله العرش خير جزائه ... فقد قلت معروفا وأوصيت كافيا
أشرت بأمر لو أشرت بغيره ... لألفيتنى فيه لأمرك عاصيا

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ساروا بجمعهم » و : « فينا مضيع »، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إنَّ رجلاً قال لبعض السَّلاطين : الدُّنيا بما[١] فيها حديث ، فإن استَطَعتَ أنْ تكونَ مِن أحسَنِها حديثاً فافعَلْ !

(أقوال مأثورة)

وقال حُذَيفة بنُ بدرٍ لصاحبه[٢] يوم جَفْر الهباءة[٣] ، حينَ أعطاهُمْ بلسانه ما أعْطَى : إيَّاكَ والكلامَ المأثور[٤] .

وأنشَدَ الأصمَعيُّ :

كلُّ يومٍ كأنَّه يومُ أضْحَى ... عِنْدَ عبدِ العَزيزِ أو يومُ فِطرِ

وقال : وذكر لى بعضُ البَغداديِّين أنَّه سمع مَدَنِيًّا مرَّ ببابِ الفَضْلِ ابن يحيى — وعلى بابه جماعةٌ من الشعراء — فقال :

مالَقِينا مِنْ جُودِ فضلِ بنِ يَحيى ... تَرَكَ النَّاسَ كُلَّهُمْ شُعَرَاء ٣٧

---

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حمل بن بدر ، كما فى العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حمل ، سيدا بنى فزارة . العمدة ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٢ . وفى ط : « الهباة » ، وهو على الصواب فى س ، ل .

(٤) المأثور : الذى ينقله الخلف عن السلف . وفى س : « المائق » ، وفى ط : « السائر » والأشبه ماأثبت من ل : موافقاً لما فى العقد .

وقال الأصمعى : قال لى خَلَفٌ الأحمر : الفارسىٌّ إذا تظَرّف[١] تساكت ، والنَّبَطىٌّ إذا تظرّف[١] أكثر الكلام .

وقال الأصمعىٌّ : [قال رجلٌ] لأعرابىٍّ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : مرزوقٌ أحمق ! قال : هذا الرَّجلُ الكامل .

قال : وقال أعرابىٌّ لرجل : كيف فلانٌ فيكم ؟ قال : غَنِىٌّ حَظِىٌّ[٢] قال : هذا من أهل الجَنَّة !

(السواد والبياض فى البادية)

الأصمعىٌّ قال : أخبرنى جَوسق قال : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ البَياضُ قَلَّ السَّواد ، وإذا ظَهَرَ السَّواد قَلَّ البَياض » . قال الأصمعىٌّ : يعنى بالسَّواد التمْر ، وبالبياضِ اللَّبن والأقِط[٣] . يقول: إذا كانت السَّنَةَ مُخْصِبةً كثُر الأقِط واللَّبنُ وقَلّ التَّمْر ، وإذا كانت السَّنَةَ مجدِبة كثُرَ التَّمْرُ وقَلَّ اللَّبن [والأقِط] . وقال : إذا كان العام خصيبا[٤] ظهر [فى صدقة الفِطر] البياضُ ، يعنى الأقِط ؛ وإذا كان جَدِيبًا[٥] ظهر السَّواد ، يعنى التمر .

وتقول الفُرس : إذا زَخرت الأوديةُ بالماء كثُر التَّمر[٦] ، وإذا اشتدَّت الرِّياح كثُر الحَبُّ .

---

(١) تظرف : تكلف الظرف . وفى ط ، ل : « تطرف » . وصوابه من س .
(٢) ط ، س : « غنى حظى » ، والوجه ما أثبت من ل .
(٣) الأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمصل .
(٤) ط : « خصبا » .
(٥) ط ، س : « جدبا » .
(٦) ط : « السمن » ، وأثبت مافى س ، ل .

(قول فى أثر الريح فى المطر)

وحدَّثنى محمَّد بن سلاَم[١] ، عن شُعيب بن حجر[٢] قال : جاء رجلٌ على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعندكم الرِّيحُ الَّتى تكُبُّ البعير[٣] ؟ قالوا : لا . قال : فتذْرِى الفارس[٤] ؟ قالوا : لا . قال : فكما تكونَ يكونُ مطرُكم .

وحدَّثنى العُتْبىُّ[٥] قال : هَجَمْتُ على بطنٍ بينَ جبلين ، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه ، وإذا رجالٌ يتركَّلون[٦] على مَسَاحيهم ، وإذا وجوهٌ مهَجَّنة ، وألوانٌ فاسِدة . فقلتُ : واديكُمْ أخصبُ وادٍ، وأنتم لاتشبِهُونَ المخاصِيبَ[٧] قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

---

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجمحى صاحب الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفى سنة إحدى وثلاثين ومائتين . لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البعير : تقلبه وتصرعه .

(٤) ذرت الريح الشىء وأذرته : أطارته .

(٥) ل : « القينى »، وهو تحريف نبهنا عليه كثيراً .

(٦) فى القاموس : « تركل بمسحاته : ضربها برجله لتدخل فى الأرض » . فى ط « يتوكأون » ، وفى ط : « يتوكلون »، وأثبت مافى ل .

(٧) المخاصيب : جمع مخصب أو مخصاب . وفى ط فقط: « المخاصب » .

(شعر فى الخصب)

وقال النَّمر بن تولب :

كأنَّ حَمْدَةَ (١) ، أو عزَّتْ لها شَبَهاً ... فى العَين يوماً تلاقَيْنا بأرمامِ

ميثاءُ جاد عليها وابِلٌ هَطِلٌ ... فأمْرَعَتْ لاحتيالٍ فَرْطَ أعوامِ (٢)

إذا يَجفُّ ثَراهَا بلَّها دِيَمٌ ... مِن كوكبٍ بزل بالماء سَجام

لم يَرْعَها أحدٌ واربتها زَمناً (٣) ... فَأْوٌ مِنَ الأرضِ محفوف بأعلام (٤)

تَسْمَعُ للطَّير فى حافاتِها زَجلاً ... كأنَّ أصواتَها أصواتُ جُرَّامِ (٥)

كانَّ ريحَ خُزَاماها وحنْوَتِها ... باللَّيل ريحُ يَلَنجوجٍ وأهْضامِ (٦)

---

(١) ل فقط : « جمرة » .

(٢) لاحتيال : أى بعد احتيال . والاحتيال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هل النفس إلا متعة مستعارة ... تعار فتأتى ربها فرط أشهر

وفى ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفى اللسان مادة (فأو) : « وأكتم روضتها » .

(٤) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلا . ط : « فأوا » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أى يقطعونه . وقد عنى الأنباط . وفى ط ، س : « حوام » محرف .

(٦) الخزامى والحنوة : نبتان طيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى البخور . وفى ط : « يلتجوج » محرفة . والأهضام : واحدها هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شىء يتبخر به غير العود واللبنى .

قال : فلم يَدَعْ معنًى مِنْ أجلِه يُخصِب الوادى ويعمُّ نبتُه إلاَّ ذكره . وصدق النمر[١] !

وقال الأسدىُّ فى ذِكْر الخِصْب ورُطوبة الأشجار[٢] ولُدونة الأغصانِ وكثرة المـاء :

وَكأنَّ أرْحُلَنا بجوٍّ مُحَصَّبٍ … بِلِوى عُنيزةَ من مَقيل التُّرمُسِ[٣]

فى حيثُ خالَطَتِ الخُزَامى عَرْفَجاً … يأتيك قابِسُ أهــله لم يُقْبَسِ[٤]

ذهب إلى أنَّه قد بَلغَ من الرُّطوبة فى أغصانه وعيدانه[٥] ، أنَّها إذا ٣٨ حُكَّ بعضها ببعضٍ لم يقدح[٦] .

وفى شــبيهٍ بذلك يقول الآخر[٧] ، وذهب إلى كثرةِ الألوان[٨] والأزهار والأنوار :

---

(١) فى ل : « وصدق حديث القينى فى قوله : فأومن الأرض محفوف بأعلام » . وليس بشىء .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الأشعاب » محرف . وفى البيان (٣ : ٣٤) : « الورق » . وفى الحيوان ٤ : ٤٦٥ أن الشعر للمرار بن منقذ .

(٣) فى الأصل : « أرجلنا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) . والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومنى . ورواية المخصص : «بوهد مخصب بمنى عنيزة» ، والوهد : المنخفض. وهذه الرواية أجود. والترمس : ماء لبنى أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص : « مفيض » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا فى ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٢) . وفى ط ، س والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقدح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست فى ل .

[كانت لنا مِنْ غَطفانَ جارَهْ] كأنها من دَبَل وشـاره[1]

والحـلْى حلْىِ التِّبر والحِجارَه[2] مَـدْفَعُ مَيثاءَ إلى قَرارَهْ[3]

[ثم قال :

* إيَّاكِ أَعنى واسمَعى ياجاره[4]] *

وقال بشَّار :

وحـديثٍ كأنَّهُ قِطَعُ الرَّوْ ضِ وفيـه الحَمْرَاء والصَّفراءُ

باب
من الفطَن وفَهْم الرِّطَانات والـكنايات والفهْم والافهام

(حديث المرأة التى طرقها اللصوص)

الأصمعى قال : كانت امرأة [تنزِل] متنحِّية من الحىّ ، وتحبُّ العُزلة وكان لهـا غنَمٌ ، فطرقَها اللُّصوص فقالت لأَمَتِها[5] : اُخرُجى ! مَنْ هاهنا ؟

---

(١) الدبل : بالتحريك : أصله فى البعير أن يمتلىء شحما ولحما . وفى ط ، س « زبل » محرفة . والشارة : السمن ، أو حسن الهيئة ، وفى المخصص واللسان (مادة حلى) « كأنها من حسن وشاره » .

(٢) استشهد بهذا البيت ابن سيده فى المخصص (٤ : ٤٠) على أن الحلى مايتزين به من مصوغ المعدنيات والحجارة .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة . والقرارة : المطمئن من الأرض . والمدفع : المجرى .

(٤) البيت فى أمثال الميدانى (١ : ٤٣) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل ابن مالك الفزارى .

(٥) ط ، س : « لابنتها »، وأثبت مافى ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانُ ، والحُمارِس[١] ، وعامرٌ[٢] والحارثُ ، ورأسُ عَنْز[٣] وَشادن[٤] . وراعِيا بَهْمِنا[٥] .[فنحنُ ماأولئك . أى : فنحن أولئك].
فلما سَمِعُوا ذلك ظَنُّوا أنَّ عِندَها بنِيها . وقال الأصمعىُّ مرّة[٦] : فلما سمِعت حِسَّهم قالت [لأَمَتِها] : أَخرِجِى سُلَحَ بَنِىَّ من هاهنا .

قال : وسُلَح جمع سُلاح[٧] . وحيَّان والحمارس[٨] : أسماءُ تُيوسٍ لهـا .

(قصة المَهْمُورة الشياه والخمر)

قال الأصمعىّ : تزوَّج رجلٌ امرأةً فساق إليها مَهْرَها ثلاثين شاة ، وبعثَ بها رسولاً ، وبعثَ بزِقٍّ خَمْـر . فَعَمَدَ الرَّسولُ فذبح شاةً فى الطَّريق فأكلها ، وشَرِب بَعْض الزِّقّ . فلما أتَى المرأة نظرت إلى تسعٍ وعشرين ورأت الزِّقَّ ناقصاً ، فعلمِت أنَّ الرجل لايبعثُ إلاَّ بثلاثين وَزِقٍّ[٩] مملوءٍ

---

(١) ل : « الحتارس » .
(٢) ط ، س : « وعامرا »، محرفة .
(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ماذبح .
(٤) ط ، س: « بارق » .
(٥) ط ، س : « وراعينا بيهسا »، تحريف مافى ل .
(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .
(٧) السلاح ، بالضم : النجو .
(٨) ل : « الحتارس » . وكما أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق معنى الجمعية .
(٩) ط ، س : « وزقا » .

فقالت للرسول : قل لصاحبك(١) : إن سُحيماً قد رُثم(٢) ، وإن رسولَك جاءنا فى المحاق ! فلما أتاه الرَّسولُ بالرِّسالة : قال ياعدوَّ الله ، أكلتَ مِنَ الثَّلاثينَ شاةً شاةً ، وشرِبْتَ من رَأسِ الزِّق ! فاعتَرَف [بذلك(٣)] .

(قصة العنبرىّ الأسير)

الأصمعىُّ قال : أخبرنى شيخٌ من بنى العنبر قال : أسر بَنو شَيبانَ رجلاً من بنى العنبر ،قال : دَعونى حتى(٤) أرسلَ إلىأهلى ليَفدُونى(٥) . قالوا : على ألاَّ تكلِّم الرّسولَ إلاَّ بين أيدينا . قال : نعم . قال : فقال للرسول ، ائتِ أهلى فقل : إنَّ الشَّجر قد أوْرَق . وقل : إنَّ النِّساءَ قد اشْتَكَت وخرَزَت القِرب(٦) . ثمَّ قال له : أتَعقِلُ ؟ قال : نعم . قال : إنْ كنت تَعقِلُ فما هذا ؟ قال : الليل . قال : أراك تعقل ! انطلق إلى أهلى فقل لهم : عَرُّوا جملى الأصهب ، واركَبُوا ناقتى الحمراء ، وسلوا حارثاً عنأمرى — وكان حارثٌ صديقاً له — فذهب الرَّسولُ فأخبَرَهم ، فدعَوا حارثاً فقصَّ عليه الرَّسولُ القِصَّة ، فقال أمّا قوله « إنَّ الشَّجَر قد أورق » فقد تسلَّح القوم . ٣٩

(١) ل : « قل له » .
(٢) رثم : كسر أنفه أو فوه حتى تقطر منه الدم ، أو لطخ بالدم .
(٣) هذه الزيادة من س فقط . والخبر فى البيان (٣ : ٢١١) برواية أخرى ، وقد عين اسم الرجل بأنه قسامة بن زهير العنبرى . وانظر كذلك كنايات الجرجانى ٦٣ ومحاضرات الراغب (١ : ٦٧) حيث نسب الخبر فى الأخيرة إلى امرئ القيس .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٥) ط ، س : « إلى صاحبى » ، وفى ط فقط : « يفدونى » .
(٦) هذه الجملة ليست فى ل . وهى فى أصلها : « وجررت القرب » وليس لذلك وجه ، وقد اعتمدت فى تصحيحها على مافى كامل ابن الأثير ١ : ٣٨٤ : والمراد بالخرز هنا الإصلاح استعداداً للحرب .

وأمَّا قوله : « إنَّ النساء قد اشتكتْ وخرَزت القِرَب(١) » فيقول : قد اتّخذت الشِّكاَ(٢) وخرَزت القِرَبَ للغزو . وأما قوله : « هذا الليل » فإنَّه يقول : أتاكم جَيشٌ مثلُ الليل . وأمَّا قوله : « عرُّوا جملى(٣) الأصْهب » فيقول : ارتحلوا عن الصَّمَّان . وأما قوله : « اركَبُوا ناقتى الحمراء » فيقول : انزِلُوا الدَّهناء .

وكان القَوم قد تهيَّئوا لغزْوهم ، فخافوا أن يُنذِرهم ، [فأنذرهم] وهم لا يشعرون ، فجاء القومُ يطلبونهم فلم يجِدُوهم(٤) .

(قصة العطاردى)

وكذلك صنع العُطاردى فى شأنِ [شِعب] جبلة ، وهو كرِب بن صفوان ؛ وذلك أنَّه حينَ لم يرجِع لهمْ قَولا حين سألوه أن يقول ، ورمَى بصُرَّتين فى إحداهما شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه ألاَّ يتكلَّم ، وهو ينذِرُكم عَدَدًا(٥) وشَوْكة(٦)

قال اللهُ عزَّوجلَّ : ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ .

---

(١) س فقط : « وجررت القرب للغزو » ، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام ، وتصحيح كلمة « جررت » هنا وفيما سيأتى قريبا ، اعتمدت فيه على ما فى الكامل .

(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكوة بالفتح : وعاء للماء أو اللبن من أدم .

(٣) ط ، س : « جمالى » وتصحيحه من ل .

(٤) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه فى العقد ٣ : ٣٣٠ — ٣٣١ فى بدء كلامه على يوم الوقيط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً فى أمالى القالى : ١ : ٦ والمرتضى ١ : ١٢ والعمدة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكنايات الجرجانى ٦٤ ومعانى الأشنانداني ٥٧ وطراز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبار الظراف ٧٠ والمستطرف ١ : ٤٢ .

(٥) أى عدوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفى ط ، س : « غدرا » وليس بشىء .

(٦) الشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، فى كامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ — ٣٥٦ .

(شعر فى صفة الخيل والجيش)

قال أبُو نخيلة[١] :

لما رأيتُ الدِّينَ دينًا يُؤْفَكُ وأمْسَتِ القُبةَ لا تستمْسِكُ[٢]
يُفْتَقُ مِن أعْراضها ويُهتك[٣] سرت من الباب فَطَارَ الدَّكدَكُ[٤]
منها الدَّجُوجىُّ ومِنها الأرْمَكُ[٥] كاللَّيــل إلاَّ أنَّها تَحَرَّكُ

وقال مَنصورٌ النمَّـرى :

ليلٌ من النَّقْع لا شَمسٌ ولا قَمرٌ إلاَّ جبينُك والمذروبة الشُّرُعُ[٦]

وقال آخر :

كأنَّهمْ ليلٌ إذا استَنفِرُوا[٧] أو لُجَّةٌ ليس لهــا ساحلُ

---

(١) فى الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم . وأبو نخيلة تقدمت ترجمته فى ٢ : ١٠٠ .

(٢) ط : « لاتمسك » .

(٣) ط ، س : « أو يهتك » .

(٤) الدكدك : ماتكبس واستوى من الرمل ، أو ماالتبد منه بالأرض . فى ط ، س « قطار دكدك »، وفى ل : « فسار الدكدك » ، وقد جمعت بينهما بما ترى .

(٥) الدجوجى : الشديد السواد . والأرمك : الذى يخالط حمرته سواد ، وقد تكلم العسكرى فى هذا البيت والذى بعده . وهما فى صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .

(٦) المذروبة : المحددة . وفى ط س : « المــدرية » ، وهو تحريف ما أثبت من ل وديوان المعانى ٢ : ٦٧ .

(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . فى ط : « استفزوا » وصوابه فى س ، ل .

وقال العجاج[١] :

كأنَّمَا زُهاؤه إذا جُهِرْ[٢] ليلٌ وَرِزٌّ وَغْرِهِ إذا وَغَرْ[٣]

* سارٍ سَرَى مِن قِبَلِ العَيْنِ فجر[٤] *

وفى هذا الباب وليس منه[٥] يقول بشّار :

كأنَّ مُثارَ النَّقْع فوقَ رُءُوسِهِمْ[٦] [وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبُه

وقال عمرو بن كلثوم :

تَبنِي سنابكُهم من فوق أَرؤسهم] سقفا[٧] كواكبه البِيضُ المباتيرُ

وهذا المعنى قد غلب عليه بشّار ، كما غلب عنترةُ على قوله :

فتَرَى الذُّبابَ بها يُغَنِّى وَحدَهُ هَزِجًا كفِعْلِ الشَّارب المترنِّم

غَرِدًا يُحكُّ ذِرَاعَه بذِرَاعه فِعْلَ المُكِبِّ على الزِّنَادِ الأجذَم

فلو أنَّ امرأ القَيس عَرَضَ فى هذا المعنى لعنترة لافتَضَح .

---

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت ما فى س ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفى ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعانى ٢ : ٧١ . وجهر : نظر إليه باستعظام . ورواية ديوان المعانى واللسان (مادة جهر ، وغر) : « لمن جهر » . والشعر فى نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . ووغر الجيش : صوتهم وجلبتهم . وفى ط ، س « وزور وعرة إذا وعر » ، وهو تشويه إصلاحه من ل وديوان المعانى واللسان .

(٤) ل : « فحر »، وفى الأصل : « العير » صوابه فى ديوان العجاج ١٨ وديوان المعانى والمخصص ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ماعن يمين قبلة العراق .

(٥) ل : « به » .

(٦) ط ، س : « كأنما النقع يوما فوق أرؤسهم » ، وبذلك يختـل الوزن ، وأثبت مافى ل وعيون الأخبار ٢ : ١٩٠ . ومشهور الرواية : « فوق رءوسنا » انظر الوساطة ٢٣٧ وحماسة ابن الشجرى ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه فى ل .

(مقطعاتٌ شتى)

وقال بعضهم [فى] غير هذا [المعنى] :

وفلاةٍ كأنَّما اشْتَمَل اللَّيـ ... لُ على رَكْبِها بأبناء حامِ (١)

خضْتُ فيها إلى الخَليفــة بالرَّ ... قَّةِ (٢) بَحْرَىْ ظَهيرةٍ وظَلاَم

وقالَ العَرْجىُّ (٣) :

سَمّيتنى خَلَقاً بخَلَّةٍ قدُمَتْ (٤) ... ولا جَدِيدَ إذا لم يُلبَس الخَلَقُ

يا أيها المتحلِّى غــيْرَ شِيمَتِه ... ومِنْ خَلاَئقِه الإقصادُ والمَـلَقُ (٥)

ارجعْ إلى خِيمِكَ المعروفِ دَيْدَنُه ... إن التَّخَلقَ يأتِى دُونَهُ الخُلُقُ (٦)

وقال آخر (٧) :

أودَى الخِيارُ مِنَ المعاشِرِ كلهمْ ... واستَبَّ بَعْدَكَ يا كُلَيْبُ المَجْلسُ

وتَنازَعُوا فى كلِّ أمرِ عَظيمةٍ ... لو قَدْ تـكونُ شهدْتَهُـمْ لم ينبِسُوا (٨)

---

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنوج ، والأحباش ، والنوبة .

(٢) الرقة : مدينة على الفرات. ط ، س : « بالشرفة » تحريف .

(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت مافى ل موافقاً لمــا فى العقد ٢ : ٢٤ وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشعراء ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن وابصة كما فى البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبى زيد ١٨١ . وهو بدون نسبة فى مجالس ثعلب ٣٠٠.

(٤) ط : « بخلة قدحت » س : « لخلة قدمت » ، وأثبت مافى ل .

(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدغت فقتلت .

(٦) الخيم ، بالـكسر : السجية .

(٧) هو مهلهل ، كما سيأتى ، وكما فى ديوان المعانى ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .

(٨) ل : « لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا » .

وأبياتُ أبى نواسٍ على أنَّه مولَّد شاطر ، أشعرُ من شعر مهلهل فى إطراق النَّاسِ فى مجلِس كليب ، وهو قوله (١) :

على خبز إسماعيلَ واقِيَة البُخْلِ (٢) وقد حلَّ فى دَارِ الأمان مِنَ الأكْل

وما خبزُهُ إلَّا كآوَى يُرى ابنها ولم تُرَ آوى فى الحزون ولا السَّهْلِ

وما خبزُهُ إلَّا كعَنْقاءِ مُغرِبٍ تُصوَّر فى بسْطِ الملوك وفى المثْل

يحدِّث عنها النَّاسَ من غيرِ رُؤيةٍ سِوى صُورةٍ ما أن تُمِرُّ ولا تُحْلى

وما خبزُه إلَّا كليبُ بنُ وائلٍ ليالىَ يحمى عزُّه مَنْبِتَ البَقْلِ

وإذْ هو لا يستبُّ خَصْمانِ عِنْدَه ولا القولُ مرفوعٌ بِجِدٍ ولاَ هزْلِ

---

(١) يهجو إسماعيل بن أبى سهل بن نيبخت ، كما فى الديوان ١٧١ وأخبار أبى نواس ١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتعى على خوان إسماعيل بن نيبخت كما ترتعى الإبل فى الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشـ ـى إذا ماشق يرفا

وقال :

وما خبزه إلا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

البخلاء ٥٩ . وفى رسالة الحاسد والمحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هانئ يرتع على مائدة إسماعيل الهاشمى ، وكان من المطعمين للطعام المسرفين ، فعارض الحسن بن هانئ يوما بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل . فقال له : ماأطعمكم ؟ فقال : أطعمنا دماغ كلب فى قحف خنزير . فلم يكن منه هذا القول إلا على وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور فى أخبار أبى نواس برواية : « واقية النحل » ، كما يقال : « واقية الكلاب » .

فإنْ خبزُ إسماعيلَ حلَّ به الذى أصابَ كليبًا لم يكن ذاكَ عن بَذْل [١]
ولـكنْ قضاءٌ ليس يُسطاعُ دَفْعهُ بِحيلةِ ذى دَهْيٍ ولا فِـكْرِ ذى عقل [٢]

(شعر العرب والمولدين)

والقضيّة التى لا أحتشِمُ منها[٣] ، ولا أهابُ الخصومة[٤] فيها : أنّ[٥] عامّة العرب والأعراب والبدوِ والحضَر من سائر العرب ، أشعر من [عامّة] شعراءِ الأمصارِ والقُرَى ، من المولَّدة[٦] والنابتة[٧] . وليس ذلك بواجبٍ لهم فى كلِّ ما قالوه[٨] .

وقد رأيت ناسًا منهم[٩] يبهرِجون أشعارَ المولَّدين ، ويستسقِطون مَن رواها . ولم أر ذلك قطُّ إلاَّ فى راويةٍ للشِّعرِ غيرِ بصيرٍ بجوهر ما يروى . ولو كان له بصرٌ[١٠] لعرَف موضعَ الجيِّد ممَّن كان ، وفى أىِّ زمان كان .

---

(١) فى ديوان المعانى والثمار : « عن ذل » ، وفى الديوان : « من ذل » ، وأنا أرتضى ماهنا .

(٢) ل : « بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل » . والدهى : الدهاء .

(٣) كذا فى س ، ل . وفى ط : « والقصيدة هذه احتشم منها » محرفة .

(٤) ط ، س : « ولا أطلب الخصومة » ، ل : « ولا أهاب الخصوم » ، وقد عدلت القول بما ترى .

(٥) ط : « إذ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٦) ل : « المولدين » .

(٧) ط : « والثانية » و ل « التانية » س : « الناتية » ، والوجه ماأثبت .

(٨) ط ، ل : « فيما قالوه » ، والوجه ما كتبت من س .

(٩) ط : « نشائهم » س : « نسابهم » ل : « ناسا » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١٠) ل : « ولد » ، وهو تحريف ظاهر .

وأنا رأيت[١] أبا عمرو [الشيبانيَّ] وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ، ونحنُ فى المسجِد يوم الجمعة ، أن كلَّف رجلاً حتى أحضره دواةً وقرطاساً حتَّى كتبهما له . وأنا أزعم أنَّ صاحب هذين البيتين لايقول شِعراً أبدا . ولولا أن أدخِلَ فى [الحكم] بعض الفتك[٢] لزعمتُ أنّ ابنَه لايقول شعراً أبدا[٣] ، وهما قوله : ٤١

لاتحسَبَنَّ المـوتَ مَوْتَ البِـلَى فَإنَّما الَموتُ سُؤالُ الرِّجالِ[٤]

كـلاهما موتٌ ولـكِنَّ ذَا أفظَعَ من ذاكَ لذلِّ السُّؤال[٥]

(القول فى المعنى واللفظ)

وذهب الشَّيخُ إلى استحسانِ المعنى ، والمعانى مطروحةٌ فى الطريق يعرفها العجمىُّ والعربىُّ ، والبدوىُّ والقرَوى ، [والمدنىّ] . وإنَّما الشأنُ فى إقامةِ الوزن ، وتخيُّر اللفظ[٦] ، وسهولة المخرج[٧] ، [وكثرة المـاء] ،

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المجون . وفى ط ، س : « القيل » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « لزعمت أن ابنه أشعر منه » .

(٤) كذافى ل . وفى ط ، س : « وإنما » .

(٥) كذا فى ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفى ل : « أشد من ذاك على كل حال » . وفى المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذاك لذل السؤال » . ومن العجب أن ينعى الجاحظ على أبى عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره فيجعل البيتين فى مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « تمييز » وفى س : « وتخيير » .

(٧) ط : « وسهولته وسهولة المخرج » .

وفى صحَّة الطّبع وجَودَة السَّبك(١) ، فإنما الشعر صناعةٌ(٢) ، وضَرْبٌ من النَّسج(٣) ، وجنسٌ من التَّصوير .

وقد قيل للخَليلِ بنِ أحمد : مالكَ لاتقولُ الشِّعر ؟ قال : «الذى يجيئنى لاأرضاه ، والذى أرْضاه لايجيئنى » .

فأنا أستحسنُ هذا الكلام ، كما أستحسنُ جوابَ الأعرابىِّ حين قيل له : كيفَ تجِدُك ؟ قال : [أجدنى] أجدُ مالا أشتَهِى ، وأشتهىمالا أجد !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفَّع : مالك لاتَجوزُ(٤) البيت والبيتين والثلاثة ! قال : إنْ جُزْتُها(٥) عرَفوا صاحبَها . فقال له السائل : وما عليك أنْ تَعرف بالطِّوال الجياد؟ ! [فعلم أنَّه لم يفهمْ عنه] .

(الفرق بين المولد والأعرابى)

ونقول : إن(٦) الفَرق بين المولَّد والأعرابى : أنَّ المولَّديقول(٧) بنشاطه وجمع(٨) باله ، الأبياتَ(٩) اللاحقَةَ بأشعارِ أهلِ البدو ، فإذا(١٠) أمعَنَ انحلَّت قوَّته ، واضطربَ كلامُه .

---

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » مما سبق .
(٢) ل : « صياغة » .
(٣) ط فقط : « الصبغ » .
(٤) أى تتجاوز . وفى ط ، س : « تجود » محرفة .
(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « جودتها » وهو تحريف »
(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف : « ونقول » .
(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .
(٨) ط : « وجميع »، والوجه ماأثبت من س ، ل .
(٩) كذا فى ل . وبدلها فى ط ، س : « فيشبه » .
(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر فى تعظيم الأشراف)

وفى شبيهٍ بمعنى مهلهلٍ وأبى نُوَاس ، فى التَّعظيم والإطراقِ عندَ السَّادة ، يقول الشاعر (١) فى بعضِ بنى مروان :

فى كفِّه خَيْزُرَانٌ رِيحُه عَبِقٌ ... فى كفِّ أرْوَعَ فى عِرنينه شَمَمُ (٢)
يغضِى حَياءً ويغَضَى مِنْ مَهابتِه ... فما يُكلَّم إلاَّ حينَ يبتَسِمُ
إن قال قال بما يَهْوَى جَميعُهم ... وإن تكلَّمَ يوماً ساخَتِ الكَلِمُ
كَمْ هاتفٍ بك مِن داعٍ وهاتفةٍ ... يَدْعُوكَ ياقُثَمَ الخيْرَاتِ ياقُثَمُ (٣)

وقال أبو نُواس فى مثل ذلك (٤) :

فترَى السادات ماثلة (٥) ... لِسليلِ الشَّمس من قَمَرهْ
فَهمُ شَتَّى ظُنُونُهمُ ... حَذَرَ المطوىِّ من خَبَرِهْ (٦)

---

(١) هو الفرزدق يقوله فى هشام بن عبد الملك كما فى أمالى المرتضى (١ : ٤٨) وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزين الكنانى فى عبد الملك بن مروان كما فى ديوان الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو للفرزدق فى على بن الحسين كما فى العمدة (٢ : ١١٠) وأمالى المرتضى . أو للعين المنقرى فيه ، كما فى العمدة . أو لكثير بن كثير السهمى فى محمد بن على بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم فى قثم بن العباس ، كما فى العمدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة فى نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ عن النسبة هنا ، وكذلك فى البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة فى عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ ، ٢ : ١٩٦) تحفظا منهما .

(٢) ل ، س : « ريحها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور ، كما فى الديوان ٦٦ من قصيدته المشهورة التى مطلعها :

أيها المنتاب من عفره ... لست من ليلى ولا سمره

(٥) ماثلة : واقفة ، يعنى إجلالا له . وهذه رواية ل والديوان . وفى ط ، س : « مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) فى الديوان : « حذر المكنون من فكره » .

وقال إبراهيمُ بنُ هَرْمَةَ فى مديحِ المنصور ، وهو شبيهٌ بهذا وليس منه :

له لحظاتٌ عنْ حِفافَىْ سريره (١) إذا كرَّها فيها عقابٌ ونائلُ (٢)
٤٢ فأمُّ الذى أمَّنْتَ آمِنةَ الرَّدَى وأمُّ الذى أوعدتَ بالثُّكْلِ ثاكلُ (٣)

(شعر فى الحلف والعقد)

وقال مُهلهلٌ ، وهو يقع فى باب الحلف وكِّد بعَقْد (٤) :

[ملْنا على وائلٍ وأفْلَتَنا يَوْماً عدىٌّ جُرَيْعَةَ الذَّقَنِ (٥)]
دفعتُ عنه الرِّماحَ مجتهداً حِفْظاً لِحلْفى وحلف ذى يَمَنِ (٦)
أذكرُ مِن عهدِنا وعهدِهِمُ عهداً وَثيقاً بمَنْحَرِ البُدُنِ
مابلَّ بحرٌ كفا بصوفتها (٧) وما أنافَ الهضابُ من حَضَنِ (٨)
يزيده اللَّيلُ والنَّهارُ معاً شَدًّا ، خِرَاطَ الجَمُوحِ فى الشَّطَنِ (٩)

---

(١) كذا فى س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفى . ل : « عن حفا من » وفى ط : « فى خفا من » . وفى العقد (٦ : ٣٥١ تأليف) : « عن خفاء سريرة » . وفى العمدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفافى سريره » .
(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .
(٣) ط : « أمته الردى » وتصحيحه من س ، ل . وفى ل : « حاولت بالثكل » وفى س : « أثكلت » .
(٤) ط فقط : « فى باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .
(٥) يقال فى المثل : أفلتنى جريعة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن ثم أفلتك ، وهو يضرب مثلا لإفلات الجبان . اللسان (جرع) .
(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يمنى » وهو تحريف .
(٧) فى اللسان : « وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى ، واحده صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا أكلمه مابل بحر صوفة » . ل : « بصوقتها » وهو تحريف .
(٨) حضن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد . وفى ط ، س : « حصن » مصحف . وفيهما أيضاً : « وما أناف الصخور » .
(٩) الخراط : بالكسر : الجماح . والشطن : الحبل . ط ، س : « خراط الجموع » وصوابه من ل .

(شعر فى مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حنىٍّ(١) التغلبىّ :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهُمْ ولسنا كمن يرضيكمَ بالتملق(٢)

فسائل شُرَحبيلاً بنا ومحلّماً غداة نكُرُّ الخَيْلَ فى كلِّ خَنْدَق(٣)

لعمرك ماعمرُو بنُ هندٍ وقدْ دعا لتخدُمَ ليلى أمَّـهُ بموفَّقِ(٤)

فقام ابنُ كُلثوم إلى السَّيف مُغْضباً فأمسَكَ مِن نَدْمَانِه بالمخنَّقِ(٥)

وعممه عمداً على الرَّأس ضَرْبةً بذِى شُطَبٍ صافى الحديدة مِخْـفَق(٦)

---

(١) جابر بن حنى أحد شعراء المفضليات . وفى ط ، س : « ضابئ بن حينا » وهو تحريف . والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون التغلبى كما فى الشعراء ٩٦ والأغانى (٩ : ١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٣) ط : « فسائل شريكا نائباً ومحكماً » . س : « فسائل شريحا نائباً ومحكما » ، وأثبت مافى ل . وفى س : « تكر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليلى أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة . انظر لها الأغانى (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) الندمان ، بالفتح : النديم ، والمراد به عمرو بن هند . وفى ل : « ندمائه » وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالمجنق » وهو تحريف كذلك . وفى س : « بالمحنق » .

(٦) الشطب : طرائق للسيف . و « الحديدة » هى فى الأصل « الحديد » ، وأثبت مافى الأغانى ليستقيم الشعر . والمخفق ، كمنبر : العريض من السيوف . وفى ط : « محقق » وفى س : « محفق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر فى الأقارب)

وقال المتلمِّس :

على كلِّهم آسَى وللأَصل زلفة فزحزح عن الأدنَينَ أن يتصدَّعوا
وقد كان إخوانى كريماً جوارُهم ولكنَّ أصلَ العُود مِنْ حَيْثُ يُنزعُ

وقال المتلمس :

ولو غيرُ أخوالى أرادُوا نقِيصَتى جَعلتُ لهم فوقَ العرانِينِ ميسما
وما كنتُ إلاَّ مِثْلَ قاطعِ كفِّهِ بكفٍّ لهُ أخْرَى فأَصبح أجْذَما
يداهُ أصابتْ هذِهِ حَتْفَ هذه فلم تَجِدِ الأخْرَى عليها مُقدَّما
فأَطرقَ إطراقَ الشجاع ولو يَرَى مَساغاً لنابَيهِ الشجاعُ لَصَمَّما[1]
أحارثُ إنا لو تُساطُ دِماؤُنا تَزَايَلْنَ حتَّى لايمَسَّ دَمٌ دما[2]

(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسأَلتُ عن قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مَرْيم الحَنفى[3] : واللهِ لأَنا أشدُّ بغضاً لك من الأرض للدَّم[4] ! قال :

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) تساط : تخلط . وفى ط ، س : « تساقط » ، وصوابه فى ل . وكانوا يعتقدون أنه إذا خلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه إياس بن صبيح ، كان من أهل اليمامة وكان من أصحاب مسيلمة ، وهو قتل زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة بعد عمران بن الحصين فى زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) : وقال أبو الحسن فى شرح الكامل : ثقة كوفى . الكامل ٣٤٦ ليبسك .

(٤) النص فى الكامل : « والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » وزاد : « قال : أفتمنعنى حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّم الجارى من كلِّ شيءٍ بيِّن ، لايغيضُ فى الأرض ؛ ومتى جفَّ [وتجلَّب] فقرفته[١] رأيتَ مكانَه أبيض .

إلاَّ أنَّ صاحب المنطق قال فى كتابه فى الحيوان : كذلك الدِّماء ، إلاَّ دَمَ البعير . ٤٣

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بنُ تولَب[٢] :

إذا كنتَ فى سعدٍ ، وأمُّك منهُمُ غريباً فلا تَغْرُرْك أمُّكَ من سَعْدِ[٣]

وقال[٤] :

وإنَّ ابنَ أختِ القَومِ مُصغًى إنَاؤه إذا لم يُزَاحِمْ خالَهُ بأبٍ جَلْدِ[٥]

---

(١) قرفه : قشره . وفى ط ، س : « ففرقته » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .

(٢) فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن وعلة . وفى الحماسة (١ : ٢٠٠) إلى غسان بن وعلة .

(٣) الرواية المشهورة : « فلا يغررك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليبسك ومحاضرات الراغب والعقد (١ : ٤٣) والحماسة ، وعيون الأخبار (٣ : ٨٩) .

(٤) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما فى جميع المراجع السابقة ماعدا العقد ، والرواية فيها جميعاً ماعدا العقد ؛ فإنه لم يرو البيت الثانى : « فإن ابن أخت القوم » . وبعد البيت السابق ، كما فى العقد وشرح التبريزى (٢ : ٤١) :

إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد

قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون الغدر فى الجاهلية : « كيسان » .

(٥) مصغى إناؤه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المخصص (١٣ : ١٦١) . وفى اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تَخَيَّرَهُ اللهُ الغـــداةَ لدينه على عِلْمِهِ واللهُ بالعِلْمِ أفْرَسُ(١)

وقال آخر :

وما تركَ الهــاجون لى فى أديمِكم مَصَحًّا ولكنِّى أرى مُــترقَّعا(٢)

وقال العِجْلِىّ ، أو العُكلِىّ(٣) ، لنوح بن جرير :

[أتسبُّنى فأراك مثلى سُبَّةً وأسبّ جدّكم بسبِّ أبينا]

ولقد أرى والمقْتَضى متجوِّزٌ(٤) يا نوحُ أنَّ أباك لايُوفِينا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إذا لم تَسْتَطِـعْ شيئاً فَدَعْه وجاوِزْه إلى مَاتَسْتَطِيــعُ

وصِلْهُ بالزَّمَاعِ فـكُلُّ أمرٍ سَمَا لكَ أو سَموت لَهُ ولوعُ

(شعر فى صاحب السوء)

وقال المقنَّع الـكِندىُّ(٥) :

وصاحبِ السُّوءِ كالدَّاء العَياء إذا مَا ارفَضَّ فى الجوفِ يجرى هاهُنا وهنا(٦)

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « تخيره رب العباد . . . بالعبد أعرف » .

(٢) المصح : موضع الصحة . س : «مترفعا» وهو تصحيف ، صوابه فى اللسان والمقاييس (رفع).

(٣) كذا فى س . وفى ط : « وقال العجلى ، أو الكعلى » وفى ل : « وقال العكلى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفى س : « ولقد رأونا والفضا متخون » .

(٥) المقنع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجمل الناس وجها ، وكان إذا سفر اللثام عن وجهه أصابته العين ، فكان لايمشى إلا مقنعا . واسمه محمد بن ظفر بن عمير . شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغانى (١٥ : ١٥١) والشعراء ١٧٣ .

(٦) داء عياء : لايبرأ منه . وفى ل : «كالداء العضال » .

يُنْبِي ويُخبِر عن عَوْراتِ صاحبِه   وما رأى عنده من صالحٍ دفنا (١)
كمُهْرِ سَوءٍ إذا رفَّعت سَيْرَتَه   رامَ الجماح وإن خَفَّضته حَرَنا (٢)
إن يَحْيَ ذاك فكنْ منه بمعْزَلةٍ   أو ماتَ ذاكَ فلا تعْرِفْ لَهُ جَنَنا (٣)

باب (٤)

ذكر خصال الحرم

فمن خصاله أنّ الذِّئبَ (٥) يصيد الظَّبيَ ويُريغه (٦) ويعارضه ، فإذا دخَلَ الحرم كفَّ عنه .

ومن خصاله أنّه لا يسقط على الكعبة حمام (٧) [إلاّ وهو عليل . يُعرف ذلك متى امتُحنَ وتعرِّفتْ حالُه (٨) . ولا يسقط عليها] ما دامَ صحيحًا .

ومن خصاله أنّه إذا حاذى أعلى الكعبة عَرَقَةٌ (٩) من الطّير كاليمام وغيره ، انفرقت فِرقتين ولم يعلها (١٠) طائرٌ منها .

---

(١) ل : « يجرى ويخبر » ، وفى الشعراء : « ينبى ويخبر » .

(٢) رفع سيرته : زاد فى سرعة سيره .

(٣) الجنن ، بالتحريك : القبر . وفى ل : « أو مت ذاك لاتشهد له جنبا » ، وهو تحريف مافى الشعراء : « أو مات ذاك فلا تشهد » .

(٤) قبل هذا فى ل : « بسم الله الرحمن الرحيم » .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب ١٣ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦٣) . وفى ط ، س : « الكلب » ، وليس مرادا .

(٦) يريغه : يطلبه .

(٧) ط ، س : « على الكعبة حمام » .

(٨) فى ثمار القلوب : « عرف ذلك من امتحنه وتعرف حاله » .

(٩) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، أو الخيل ، والجمع عرق . وفى ط ، س « عرف » وتصحيحه من ل .

(١٠) ط : « يعلمها » وصوابه فى س ، ل .

ومن خصاله [أنَّه(١)] إذا أصاب المطرُ البابَ الذى من شِقِّ العِراق ، كان الخِصْب والمطرُ فى تلك السَّنة فى شِقِّ العِراق ، [وإذا أصاب الذى مِن(٢) شِقِّ الشَّام كان الخِصْبُ(٣) والمطر فى تلك السَّنَةِ فى شِقِّ الشام] ، وإذا(٤) عمَّ جوانبَ البيتِ كان المطرُ والخِصْبُ عامًّا فى سائر(٥) البُلدان .

٤٤ ومن خصال الحرَم أنَّ حَصَى الجِمار يُرمى بها فى ذلك المرمى ، مُذْ يومَ حَجَّ النَّاسُ البيتَ على طَوَالِ الدَّهر ، ثمَّ كأنَّه على مقدارٍ واحد . ولولا موضع الآيةِ والعلامةِ والأعجوبةِ التى فيها ، لقد كان ذلك كالجبال . هذا مِنْ غير أن تكسَحَه السُّيول ، ويأخُذَ منه النَّاس .

ومن سُنَّتهم : أنَّ كلَّ مَن علا الكعبةَ من العبيد فهو حرٌّ ، لا يرون المِلْكَ على من علاها ، ولا يجمعون بين [عزّ] علوِّها وذِلة(٦) المِلك .

وبمكةَ رجالٌ من الصُّلحاء لم يدخُلوا الكَعبةَ قطّ .

وكانوا فى الجاهليَّة لا يبنُون بيتًا مربّعا ؛ تعظيماً للكعبة . [والعربُ تسمِّى كلّ بيتٍ مربَّع كعبة ، ومنه : كعبة نَجران] . وكان(٧) أوَّلُ مَن بنى بيتاً مربَّعا حُميد بن زهير(٨) ، أحد بنى أسد بن عبد العُزَّى .

ثمَّ البركة والشفاء الذى يجدُه مَن شرب من ماءِ زمزم على وجْه الدهر

---

(١) الزيادة من س ، ل .
(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليستا بالأصل . وهما من ثمار القلوب .
(٣) فى الأصل ، أى ل التى منها هذه الزيادة : « الحظر » ، وتصحيحه من ثمار القلوب .
(٤) ل : « فإذا » .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل والثمار .
(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وبين » . وفى الثمار : « وذل الرق » .
(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكان » .
(٨) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصى القرشى . وكانت له دار ملاصقة للمسجد ، وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ١٨٣٣ .

وكثرةُ من يُقيم عليه يجدُ فيه الشفاء ، بعد أنْ لم[١] يدعْ فى الأرض حَمَّـة[٢] إلاَّ أتاها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع[٣] فيها .

هذا مع شأن الفيل ، والطَّيرِ الأبابيلِ ، والحِجارة السِّجِّيل ، وأنَّها لم تزل أمْنا ولَقاحًا[٤] ، لا تؤدِّى إتاوة ، ولا تَدِين للملوك ، ولذلك سُمِّى البيتَ العتيق ؛ لأنَّه لم يَزلْ حُرًّا لم يملِكه أحد .

وقال حرْب بن أُميَّة فى ذلك[٥] :

أبا مَطَر هَـلُمَّ إلى صَلاحٍ ... فتَكفِيَكَ النَّدَامى مِنْ قريشٍ[٦]
فتأمَنَ وَسْطَهُمْ وتَعيشَ فيهم ... أبا مطر هُدِيتَ لخيْرِ عَيشٍ[٧]
وتَنْزِلَ بَلْدَةً عزَّت قَديمًا ... وتأمَنَ أن يَزُورَك ربُّ جيشٍ[٨]

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عزّ وجلَّ ، حكايةً عن إبراهيم

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « أن لا » .
(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها الأعلاء .
(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفى ط ، س : « وانتقع » ، والوجه ماأثبت من ل .
(٤) فى الكامل ٧٠٦ ليبسك : « واللقاح : الذى ليس فى سلطان أحد » .
(٥) يقول الشعر لأبى مطر الحضرمى ، يدعوه إلى حلفه ونزول مكة . كامل المبرد .
(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة »، وضبطت فى الكامل ضبط قطام . وقال ياقوت فى المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال العمرانى : وفى كتاب التكملة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب » يعنى التنوين . فى س : « فتكنفك » وفى المعجم : « ليكفيك » ، وفى الكامل « فتكنف كالندامى » ، والمعنى مستقيم بالجميع .
(٧) س : « فتأمن رهطهم » .
(٨) كذا فى ط ، س ، والمعجم ، والكامل . وفى ل فقط : « عزت لقاحا » وفى المعجم : « أن ينالك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هى طَيبة ، ولطيبها قيل تلفِظ خَبَثها وينصعُ طيبُها . وفى ريح ترابها وبنّةِ[١] تربتها ، وعَرف ترابها[٢] ونسيمِ هوائها ، والنعمة[٣] التى توجد فى سِككِها وفى حيطانها — دليلٌ على أنّها جُعلت آيةً حينَ جعلت حرمًا .

وكلُّ[٤] من خَرجَ من منزلٍ مطيّبٍ إلى استنشاق [ريح] الهواء والتُّربة[٥] فى كل بلدة فإنّه لا بدَّ عند الاستنشاق والتثبُّت مِنْ أنْ يجدَها منتنةً . فذلك[٦] على طبقاتٍ من شأنِ البُلدان ، إلاَّ ما كان فى مدينة الرّسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ، فللصَّياح[٧] والعِطْر والبَخور

(١) البنة ، بالفتح : الريح الطيبة . وفى س : « نبت » ، وتصحيحه من ل .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) كذا فى ط ، س ، وثمار القلوب ٤٣٦ . وفى ل : « والنغمة » ، وهذه محرفة لاريب . وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة « فعمة » من فعم المسك البيت : طيبه .

(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .

(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه فى س ، ل .

(٦) ل : « وذلك » .

(٧) الصياح ، بوزن كتان : عطر . ط ، س : « فللصباح » تحريف ماأثبت . وفى ل : « والصياح » .

والنَّضوح[١] ، من الرائحة الطيبة ــ إذا كان فيها ــ أضعافُ ما يوجد له في غيرِها من البُلدان ، وإن كان الصَّيّاح[٢] أجوَد ، والعطر أفخرَ ، والبَخور أثمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

٤٥ ورُبّت بلدةٍ يستحيل[٣] فيها العطرُ وتذهب رائحتَه ، كقَصَبة الأهواز . وقد كان الرشيدُ همَّ بالإقامة بأنطاكيَة ، وكره أهلَها ذلك ، فقال شيخٌ منهم ، وصَدَقَهُ : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادِ مثلك ، لأنّ الطِّيب الفاخرَ يتغيَّر فيها حتّى لايُنْتفعَ منه بكثير[٤] شيء ، والسِّلاحَ يصدأ فيها ولو كان من قلْعةِ الهند[٥] ، ومن طبع[٦] اليمن ، ومطرها ربَّما أقام

---

(١) النضوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « والتضوع » ، وفى س : « والتضوح » ، وفى ل : « والفضرج » ، والصواب ماأثبت موافقا لما فى ثمار القلوب .

(٢) ط ، س « الصباح » ، تحريف ماأثبت من ل . وانظر التنبيه الذى قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « بكبير » . وهذا الخبر تجد نحوه فى معجم البلدان برسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهى أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفى هذه القلعة تضرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان برسم (القلعة) . وفى ط : « فلق » وفى س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . والذى باليمن هو « القلمة » كما فى المعجم والقاموس . وأثبت مافى ل .

شهرين ، ليس فيه سكون[١] . فلم يُقِم بها[٢] . ثمّ ذكر المدينة فقال : وإنّ الُجويريةَ السّوداء ، لَتجعل فى رأسها شيئاً من بَلح ، وشيئاً من نَضُوحٍ ، مما لاقيمةَ له ؛ لهوانه على أهله ، فتجد لذلك[٣] خُمَرةً طيِّبة[٤] وطيبَ رائحةٍ لايعدِلُها[٥] بيتُ عَرُوسٍ من ذوى الأقدار . حتَّى إنّ النَّوى المنْقَع ، الذى يكونُ عندَ أهل العراق فى غايةِ النَّتَن ، إذا طال إنقاعه ، يكونُ عندَهم فى غاية الطِّيب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب
ذكر الحمام[٦]

(أجناسه)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشىٌّ ، وأهلىّ ، وبيوتىّ ، وطورانى[٧] . وكلُّ طائرٍ يعرف بالزِّواج ، وبحسن الصَّوت ، والهديل ، والدُّعاء ، والتّرجيع فهو حمام ، وإن خالفَ بعضُه بعضاً فى بعض الصَّوتِ واللَّون ،وفى بعض القدِّ

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكون » .
(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فلم يقربها » وتصح إن جعلت من القرار .
(٣) ط ، س : « ذلك » ،وصوابه فى ل وثمار القلوب .
(٤) الخمرة ، مثلثة : الرائحة الطيبة .
(٥) كذا فى ل وثمار القلوب . وفى ط ، س : « لايعدله » .يعدلها : يساويها .
(٦) كلمة « باب » ليست فى ل . وفيها : « القول فى الحمام » .
(٧) الطورانى : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طرآن ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهدِيل[1] . وكذلك تختلف أجناس الدَّجاج[2] على مثل ذلك[3] ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دَجَاجا : كالدِّيك الهندى والخِلاسىّ[4] والنَّبطِىّ ، وكالدّجاج[5] السِّندىّ والزنجىّ وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعِرابِ[6] والبُخْتِ ، والفوالج ، والبَهْوَنيّات[7] والصَّرْصَرَانيّات[8] ، والحُوش ، والنُّجب[9] ، وغير ذلك من فحول الإبل ؛ ولا يخرجها ذلك من أنْ تكون إبلا .

وما ذاك إلّا كمخالفة الجُرذانِ والفأر ، والنَّمْلِ والذّر ، وكاختلاف[10] الضّأْنِ والمعْزِ ، وأجناسِ البقر الأهليَّة والبقَر[11] الوحشيَّة ، وكقرابَةِ ما بينهما[12] وبين الجواميس .

---

(١) كذا فى ل. وفى ط ، س : « وفى بعض النوح والهديل » . وفيهما أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو حمام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما فى ل ؛ لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) الخلاسى ، بالكسر : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها فى ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العراب » .

(٧) البهونيات من الإبل : مابين الكرمانية والعربية. وانظر ١ : ١٣٨.

(٨) الصرصرانيات : مابين البخاتى والعراب . ط : « الصراصرنيات » ، تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والحوش والحوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف فى » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينها » .

وقد تختلف الحيّاتُ والعقاربُ بضروبِ الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكونَ عقاربَ وحيّاتٍ . وكذلك الكلابُ ، والغِرْبان .

وحسبُك بتفاوتِ ما بينَ النّاس : كالزّنج والصقالبة ، فى الشُّعُورِ والألوان ؛ وكيأجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثلُ الكَنْعَانيّين[١] والعمالقة.

فقد تخالف الماعزة الضائنة[٢] حتَّى لايقع بينهما تسافُدٌ ولا تلاقح . وهى فى ذلك غنمٌ وشاء .

قال : والقُمرىُّ حمام ، والفاخِتةُ حمام ، والوَرَشانحمام . والشِّفْنِين[٣] حمام ، وكذلك اليمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التى فيها

٤٦ ترجع إلى الحمام التى لاتُعرف[٤] إلّا بهذا الاسم .

قال : وقد زعم أفْليمون[٥] (صاحب الفِراسة) أنَّ الحمام يتّخَذُ لضرُوب : منها مايُتّخذ للأُنس والنساء والبُيُوتِ ، ومنها مايُتّخَذُ للزِّجال[٦] والسباق .

---

(١) ط : « الكنعانين » ، محرفة .

(٢) ط ، س : « الضانية » وهو تحريف ماأثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « السفنين » تصحيف ما أثبت من س . موافقا لما فى الدميرى .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الذى لايعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير فى فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصرا لبقراط ، وأظنه شامى الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالما بها ؛ إذا رأى الشخص وتركيبه ؛ استدل بتركيبه على أخلاقه ، وله فى ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطى . قلت : وقد طبع كتابه فى حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع فى خمس وأربعين صفحة. وفى ط ، س : « أقليمون » .

(٦) فى الأصل : « للرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٥٧ . وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزِّجال : إرسال الحمام الهوادِى[١]] .

(من مناقب الحمام)

ومن مَناقب الحمام حبُّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنَّك لم تَرَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضِعاً ، ولا أقْصَد[٢] مرتبةً من الحمام . وأسفل[٣] النّاس لايكون دُون أنْ يتَّخذها ، وأرفع الناس لايكون فوقَ أن يتَّخذها . وهى شىءٌ يتَّخذه[٤] مابين الحجَّام إلى الملك[٥] الهمام .

والحمامُ مع عمومِ شهوةِ النّاس له ، ليس شىءٌ ممايتّخِذونه هُمْ أشدُّ شغفاً به[٦] ولا أشدُّ صَبابَةً[٧] منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك فى الخِصيان كما تجدُه فى الفحول ، وتجده [فى الصِّبيان كما تجدُه فى الرِّجال ، وتجدُهُ] فى الفِتْيان[٨] كما تجدُه فى الشيوخ ، وتجدُه فى النساء كما تجدُه فى الرِّجال .

والحمامُ من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذى تظهر له عورة وحجم قضيبٍ[٩] كالكلب والحمارِ وأشباهِ ذلك ، فيكونَ ذلك مما يكونَ يجب على الرِّجال ألّا يُدْخِلوه دورَهم .

---

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .

(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفى س : « أقصر »، محرفة .

(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .

(٤) ط ، س : « يتخذها » ، وأثبت مافى ل . ط : « وهى شئ » ، ل : « وهو شىء » ، وأثبت مافى س .

(٥) ط ، س : « الرجل » .

(٦) ط ، س : « أشد شفقاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت مافى ل .

(٧) ط فقط : « ضيانة »، وهى تحريف ، لوجود الباء فى كلمة : « بالحمام » .

(٨) ل: « الشبان » .

(٩) ل : « وحجم وقضيب »، بإقحام الواو .

(كلمة لمثنى فى الحمام)

قال مثنَّى بنُ زهير : ومن العجب أنَّ الحمامَ مُلَقًّى ، والسَّكْرانَ مُوقًّى ، فأنشده ابن يَسير[١] بيت الْخُرَيمىّ[٢] :

وأعْدَدتُهُ ذُخْـرًا لـكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المنَايا بالذَّخائرِ مُولَعُ[٣]

(شرب الحمام)

ومتى رأى إنسانٌ عطشانُ الدِّيك والدَّجاجة يشربان المـاء ، ورأى ذئباً وكلباً يلطعَان المـاء لطْعًا ، ذهَبَ عطشُه من قُبْح حسْو الديك نغْبةً نغْبة[٤] ، ومن لطْع الـكلْب . وإنَّه لَيَرى الحمام [وهو] يَشرب المـاء! وهو[٥] ريّان ، فيشتهِى أن يَـكرَعَ فى ذلك[٦] المـاء معه .

---

(١) هو محمد بن يسير ، تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٩) . وفى الأصل : « ابن بشير » وهذا تحريف .

(٢) فى ط : « الحزيمى » وفى س : « الخزيمى » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٤) .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٣) .

(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم . وفى س : « نقبة نقبة » ، وهو تحريف .

(٥) أى الإنسان .

(٦) هذه الـكلمة سـاقطة من ل . وفى ط ، س : « يشتهى أن يكون » ، وله وجه .

(صدق رغبة الحمام فى النّسل)

والدِّيك والكلبُ فى طلب(١) السِّفاد [وفى طلب الذَّرْء] كما قال أبو الأخْزر(٢) الحِمَّانىُّ :

* لَامُبْتَغِى الضَّنْءِ ولَا بِالْعَازِلِ (٣) *

والحمام أكثر معانيه الذَّرْءُ وطلبُ الولد . فإذا علِم الذَّكَرُ أنَّه قد أودَعَ [رحمَ] الأنثى مايكون منه الولدَ تقدَّمَا فى إعدادِ العشِّ ، ونقلِ القَصَب(٤) وشِقَقِ(٥) الُخوص ، وأشباهِ ذلك من العِيدان الخوَّارة الدِّقاق(٦) حتَّى يعملا أُفحوصة وينسجاها(٧) نسجًا مُداخلًا ، وفى الموضع الذى قد [رضِياه و]اتخذاه

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأحزر » وصوابه فى ل . قال فيه صاحب المؤتلف ٥٢ : « أحد بنى عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان . راجز محسن مشهور » .

(٣) الضنء ، بالفتح ويكسر : الولد . وفى ط ، س : « الضر » ، وصوابه فى ل والجزء الأول ص ١٩٥ والعازل فسره الجاحظ فى الجزء الأول ١١٠ . وفى ط ، س : « بالعاذل » ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفى ل : « العازل » .

(٤) ل : « تقدما فى نقل القصب » .

(٥) الشقق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة المشقوقة ، ونصف الشىء إذا شق . وفى ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت مافى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوارة : الضعيفة . وفى ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه فى ل ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على الصواب فى ل ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « حتى يعملا الخوص وأشباه ذلك وينسجاه » .

واصطَنَعاه ، بقدر جُمان الحمامة ، ثمّ أشْخَصا لتِلك الأفحوصةِ حُروفاً غيرَ مرتفِعة ؛ لتحفَظَ البَيض وتمنَعَه من التّدحرج ، [ولتلزمَ كنَفَى[1] الجؤجؤ] ولتكون[2] رِفداً لصاحبِ الحضْن ، وسنَدًا للبيض . ثمّ يتعاوران ذلك المكان ويتعاقَبان ذلك القَرمُوص[3] وتلك الأفحوصة ، يسخّنانها ويدَفّيانها[4] ويطيّبانها ، وينفِيان عنها طِباعها الأوّل[5] ، ويُحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقّةً من طبائعهما ، ومستخرجةً من رائحةِ أبدانهما وقُواهما الفاصِلة[6] [منهما ؛ لكى تقعَ البيضةُ إذا وقعتْ، فى موضعٍ أشبَهِ المواضع
٤٧ طباعاً بأرحام الحمام][7] ، مع الحضانة والوَثارة[8] ؛ لكى[9] لاتنكسر البيضة بيُبس الموضع ، ولئلا ينكر طِباعُها[10] طباعَ المكان ، وليكونَ على مقدارٍ من البرْدو السَّخانة[11] والرَّخاوة والصَّلابة. ثمّ إنْ ضرَبها المخاضُ وطَرّقت[12]

---

(١) فى أصلها أى ل وكذا فى نهاية الأرب : « كتفى » ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجؤجؤ من الطائر : صدره .

(٢) ط ، س : « ليكون » ، وفى ل : « وتكون » ، وأثبت مافى نهاية الأرب .

(٣) القرموص ، بالضم : العش يبيض فيه الحمام . وفى ط : « الغرموص »، وصوابه فى س ، ل .

(٤) ط فقط : « ويرفيانها »، والوجه ما أثبت .

(٥) الطباع ، بالكسر : الطبع .

(٦) الفاصلة : المنفصلة . وفى ط ، س : « الفاضلة » ، وما كتبت من ل أشبه .

(٧) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب . وبدلها فى ط ، س : « من أرحامهما » .

(٨) الوثارة : أن يكون الشىء موطأ ممهدا . وفى ط : « والاثارة » ، وصوابه فى ل ، س .

(٩) ط : « لكن » وصوابه فى ل ، س ونهاية الأرب .

(١٠) الطباع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طبائعها » وفى س : « طبايعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .

(١١) فى ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وهما بمعنى .

(١٢) طرقت تطريقا : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق للقطا .

ببيضتها ، بَدَرَت[1] إلى الموضع الذى قد أعدّته ، وتحامَلتْ إلى المكانِ الذى اتّخَذتْه وصنعته ، إلّا أن يُقرِّعها[2] رعدٌ قاصف ، أو ريحٌ عاصفٌ فإنّها ربّما رمَتْ بها دون كِنِّها وظل عُشها ، وبغير موضِعها[3] الذى اختارته . والرَّعدُ ربما مَرِق[4] عنده البيض وفسد ، كالمرأة التى تُسقِط من الفزَع ، ويموتُ جنينها من الرَّوع[5] .

(عناية ذَكر الحمام وأنثاه بالبيض)

وإذا وضَعت البيضَ فى ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبانِ الحضنَ ويتعاورانه ، حتَّى إذا بلغ ذلك البيضُ مَداه وانتهَتْ أيّامه ، وتمَّ مِيقاته الذى وظَّفه خالقُه ، ودبَّره صاحبه[6] ، انصدع القَيْضُ[7] عن الفرخ ، فخرجَ

---

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقبل هذه الكلمة فى ط ، س : « ففصلت أرحامها » ، وهى عبارة مشوهة وليست فى ل ولا فى نهاية الأرب .

(٢) كذا فى ل ، س ونهاية الأرب . والتقريع : الإقلاق وهو الإزعاج . ويجوز أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب . وفى ط فقط : « يفزعها » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط مابين الكلمتين من كلام .

(٤) مرقت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مبدإ : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التى خرج ما فيها من فرخ ، أو ماء . وفى ط ، س ، ونهاية الأرب : « البيض » ، والمعنى يصح بكل منهما .

عاريَ الجِلْد ، صغيرَ الجَناح ، قليلَ الحِيلة ، منسَدَّ الحلقوم ، فيعينانِه على خلاصِه من قيضه[١] وترويحه من ضيق هَوَّته[٢] .

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يَعلمان أن الفرخَينِ لاتتَّسع حلوقهما وحواصِلهُما[٣] للغذاء ، فلا يكونَ لهما[٤] عند ذلك همٌّ إلّا أنْ ينفخا فى حلوقهما[٥] الريح ، لتتّسع الحوصلةُ بعد التحامها ، وتَنْفَتِقَ بعدَ ارتتاقِها . ثم يعلمان[٦] أنّ الفرخ وإن اتّسعت حَوصلتُه شيئاً ، أنّه لايحتمل فى أول اغتذائه أن يزقّ بالطُّعم[٧] ، فيُزَقّ عند ذلك باللُّعاب المختلِط بقُواهما وقُوى الطعْم — وهُمْ يسمُّونَ ذلك اللُّعابَ اللِّباء[٨] — ثم يعلمان أنّ طبع حوصلتِه يرق[٩] عن استمراء الغذاء

(١) فى الأصل : « بيضه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الهوة بالفتح : أصل معناها الكوة ، وهى الخرق فى الحائط ، والثقب فى البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيض . والكلام من مبدإ : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى فى ط : « هوانه » وفى س : « هواته » والوجه ما أثبت .

(٣) عبر عن المثنى بالجمع ، كما فى الكتاب العزيز : « فقد صغت قلوبكما » أى صغا قلباكما .

(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبعى .

(٥) ل : « حلقه » ، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت مافى ل ونهاية الأرب .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله فى أول غذائه أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .

(٨) كذا . والمعروف : « اللبأ » .

(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يضعف » ، وصوابه من س .

وهضم الطُّعمِ[١] ، وأنَّ الحوصلةَ تحتاجُ إلى دَبْغٍ وتقوية ، وتحتاج إلى أن يكون لها بعضُ المتانَة والصلابة ، فيأكلان من شَورَج[٢] أصول الحِيطان ، وهو[٣] شيءٌ بينَ المِلح الخالص[٤] وبين التُّراب الملح[٥] ، فيزقَّانه به[٦] حتَّى إذا علما أنَّه قد اندبَغ واشتدّ زقّاه بالحبِّ الذى [قد غبَّ][٧] فى حواصلهما ثم زقَّاه بعد ذلك بالحبِّ الذى[٨] هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزُقَّانه بالحبِّ والماءِ على مقدارِ قُوَّتِه ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبِضُّ نحوهما[٩] حتى إذا علما أنّه قد أطاق اللقْطَ منَعاه بعضَ المنْع ، ليحتاج إلى اللقْطِ فيتعوَّده ، حتى إذا علما أنَ أدَاتَه[١٠] قد تمَّتْ ، وأن أسبابَه قد اجتَمَعَتْ وأنَّهما إن فَطماهُ فطْماً مقطوعا مجذوذاً[١١] قوِىَ على اللَّقط ، وبلغ لنفسِه مُنتَهَى حاجتِه — ضرباه إذا سألهما الكفاية ، ونَفَياه متى رجع إليهما[١٢]

---

(١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .

(٢) الشــورج : نوع من الملح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهــذه الكلمة مضطربة فى الأصــل : فهى فى ط : « صروح » وفى س : « سروح » ، ل وعيون الأخبار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « شروج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .

(٣) ط ، س : «وهى» ، والوجه ماأثبت من ل ونهاية الأرب .

(٤) ط ، س : « والحمض » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت ما فى ل .

(٦) كذا فى ل : ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « فيزقان الفرخ » .

(٧) غب : أصل معناها بات . والمراد مكث طويلا حتى لان .

(٨) فى الأصل ، أى ل : « الحب » ، والوجه ماأثبت من نهاية الأرب .

(٩) البض ، أصله فى الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه .

(١٠) ط : « أذاته »، وصوابها فى ل ، س .

(١١) أى منقطعا لاعودة بعده إلى الزق. وفى ل : « منبتا » ، وهما بمعنى .

(١٢) بعد هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « للعادة » وليست فى ل ، ولا فى نهاية الأرب .

ثمّ تُنْزَع [عنهما] تلك الرحمةُ العجيبة منهما له ، وينسَيان ذلك العطف المتمكِّنَ عليه(١) ، ويُذهَلان عن تلك الأَثَرة [له] ، والكدِّ المضنى(٢) من الغُدُوِّ عليه ، والرَّواح إليه(٣) . ثم يبتديان العمل ابتداءً ثانياً ، على ذلك النظام وعلى تلك المقدّمات(٤) .

٤٨ فسبحان من عرّفهما وألهمهما ، وهداهما(٥) ، وجعلهما دَلالةً لمن استدلّ ، ومُخبِراً صادقاً لمن استخبر ، ذلكم الله رب العالمين .

(حالات الطُّعم الذى يصير فى أجواف الحيوان)

وما أعجَبَ حالاتِ الطُّعْمِ الذى يصير فى أجواف الحيوان ، وكيف تتصرّف به الحالاتُ ، وتختلف فى أجناسه الوجوه(٦) : فمنها(٧) ما يكون مثل زق الحمام لفَرخه ، والزقُّ فى معنى القَىء أو فى معنى التقيؤ وليس بهما(٨) وجِرَّة البعير والشاةِ والبقرة فى معنى ذلك ، وليس به . والبعير يريد أن

---

(١) ليست فى ل .

(٢) ل : « والكد عليه » .

(٣) « من الغدو . . . » الخ ليس فى ل .

(٤) ط ، س : « على هذا النظام وعلى هذه المقامات » وأثبت ما فى ل : بعد تصحيح كلمة « المقامات » من نهاية الأرب .

(٥) فى الأصل : « وهنأهما » ، وما كتبت أليق بالكلام .

(٦) ط ، س : « وتختلف فى أجناسها الوجوه » ، ل : « فى أجناسه فى الوجوه » وصححت الكلام جامعاً بينهما .

(٧) أى من الحالات . وفى ل : « فمنه » .

(٨) ط ، س : « التيئ وليس هما » ، وأثبت الصواب من ل .

يعود فى خَضمه(١) الأوَّل واستقصاء طعمه . وربَّما كانت الجِرَّةُ رجيعا . والرَّجيع : أن يعود على ماقد أعاد عليه مرَّةً حتَّى ينزِعه من جَوفه ، ويقلبه عن جهته .

(زَقّ الحمام)

والحمام يُخرجه من حَوصلته ومن مُسْتكَنِّه وقَراره(٢) ، وموضعِ حاجته واستمرائِه ، بالأثَرةِ والبِرِّ ، إلى حوصلةِ ولده. [قد] ملك ذلك وطابتْ به نفسُه ولم تغْثَثْ عليه نفسه(٣) ولم يتقَذَّر(٤) من صنيعه ، ولم تَخْبُثْ نفسُه(٥) ، ولم تتغيَّر شهوته . ولعلَّ لذَّتَه(٦) فى إخراجه أن تكونَ كلذّتِه(٧) فى إدخاله ، وإنما اللذة فى مثل هـذا بالمجارِى(٨) ، كنحو ما يعترى مَجرَى النُّطفةِ من استلذاذ مرُور النُّطفة ، فهذا شأنُ قَلْب الحمام مافى جوفه ، وإخراجه بعد إدخاله. والتمساح يخرجه(٩) على أنّه رجعُه ونَجْوه(١٠) الذى لامخرجَ له ولا فَرَج [له] فى سواه .

---

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « طحنه » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « مسكنه وقرابه » ، وما فى ل أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) يقال غثت نفسه : لقست ، أى غثيت غثيانا . وفى ط ، س : « تتعاث » ، ولم أجد لها وجها . وهذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) س : « يتقزز » ، ومؤادهما واحد .

(٥) انظر ماجاء خاصاً بهذا التعبير فى ١ : ٣٣٥ س ١٠ .

(٦) ط ، س : « لذاته » .

(٧) ط ، س ، « كلذاته » .

(٨) ط ، س : « كالمجارى » ، تحريف ماأثبت من ل .

(٩) ط ، س : « والتماس إخراجه » ، وصوابه فى ل . وانظر ماسيأتى .

(١٠) ط ، س : « ونحوه » ، وهو تصحيف مافى ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان فى الطعام)

وقد يعترى ذلك الإنسانَ لِمَا يعرِض من الدَّاء ، فلا يعرف[1] إلاَّ الأكلَ والقَىء ، ولا يعرف النَّجْوَ إلاَّ فى الحِين على بعضِ الشِّدَّةِ . وليس ما عَرَض بسبب آفةٍ كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسِّنَّور والكلبُ على خلاف ذلك كلِّه ، لأنَّهما يُخرجانه بعارضٍ يعرِضُ لهما مِن خُبْث النَّفس ، ومن الفساد[2] ، ومن التَّثوير والانقباض[3] ثمَّ يعودان بعد[4] ذلك فيه من ساعتهما ، مشتهِيَين له ، حريصين عليه .

والإنسان إذا ذَرَعه ذلك لم يكن شىءٌ أبغضَ إليه منه ، وربَّما استقاء وتكلَّف ذلك لبَعضِ الأمر . وليس التكلف فى هذا الباب إلاَّ له .

وذوات الكروش كلها تَقْعَصُ[5] بجرّتها ، فإذا أجادتْ مضْغه أعادته ، والجِرّة هى[6] الفرْث ، وأشدُّ من ذلك أنْ تكون[7] رجيعاً ، فهى تجيدُ مَضغَها وإعادتَها إلى مكانها ، إلاَّ أنَّ ذلك ممَّا لا يجوزُ أفواهها[8] . وليس عند الحافِر من ذلك قليلٌ ولا كثير ، بوجهٍ من الوجوه .

---

(١) ل : «يعرض» .

(٢) المراد بخبث النفس مايعرض لها من التقزز والغثيان . وفى س : « من حيث النفس والفساد »، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاس »، والوجه ماأثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القعص الطعن الوحى ، أى السريع .

(٦) ط ، س : « وهو »، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لايجوز أفواهها » .

[وقد يعترى سباعَ الطيرِ شبيهٌ بالقىء ، وهو الذى يسمُّونه « الزُّمّج »(١) .

وبعضُ السَّمكِ يقىء قيئاً ذريعاً ، كالبال ، فإنَّه ربّما دسَعَ الدَّسعة(٢) ، فتلقى(٣) بعض المراكب ، فيلقَون من ذلك شِدّة . والناقة الضجور ربّما دسعَتْ بجِرَّتها فى وجه الذى يرحُلها(٤) أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدَّ الأذى . ومعلومٌ أنَّها تفعَلُ ذلك على عمد .

فلذوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولذوات الكُروش من الظِّلف والخفِّ فى ذلك مذهب ، ولذوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسَّمك والتمساح الذى يشبه السَّمَكَ فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التمساح إن(٥) هو إلاّ معاليق(٦) فيه ، وأنه فى صورة الجراب ، مفتوح الفم ، مسدود الدُّبر ، ولم أحقّ ذلك ، وما أكثر من لايعرفُ الحال فيه .

(الرُّجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القولُ فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نُزِعت الرحمةَ منه ، وذلك أنَّه يبتدئُ الذَّكرُ الدُّعاء والطَّرد، وتبتدئ الأنثى بالتأتّى

---

(١) الزمج : أحد نوعى العقاب ، والغالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك. الدميرى .

(٢) دسع : قاء .

(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .

(٤) يرحلها ، بضم الحاء : يحط عليها الرحل .

(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنا ل . وزدتها للحاجة إليها .

(٦) جمع معلاق ، وهو اللسان .

والاستدعاء ، ثمَّ تزيف وتتشكَّل[١] ، ثمَّ تمكِّن وتمنع ، وتجيبُ وتصدفُ بوجهها ، ثم يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدثُ لهما من التغزُّل والتفَتُّل[٢] ، ومن السَّوف[٣] والقبَل ، ومن المصِّ والرَّشف ، ومن التنفُّخِ والتنفُّج ، ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء التقبيل حقّه ، ومن إدخال الفم في جوف الفم ، وذلك من التطاعُم ، وهي المطاعمَة . وقال الشاعر :

لم أَعطها بيــدى إذ بتُّ أرشُفُها ... إلاّ تَطاولَ غصنُ الجيد بالجيدِ[٤]

كما تَطاعَمَ في خضراءَ ناعمــة ... مطوَّقان أصــاخا بعــد تغريد

هذا مع إرسالها جناحيها وكفِّيها على الأرض ، ومع تَدَرعها وتبعُّلها[٥] ومع تصاوله وتطاوُله ، ومع تنفُّجه وتنفُّخِه ، مع ما يعتريه مع الحكة والتفلِّي والتنفُّش[٦] حتّى تراهُ وقد رمى فيه بمثله[٧]] .

ثمُّ الذى ترى من كسْحِه بذنبه[٨] ، وارتفاعِه بصدره ، ومن ضرْبه بجناحِه ، ومن فرحه ومَرَحِه بعد قَمْطِه والفراغِ من شهوتِه ، ثمَّ يعتريهِ ذلك في الوقت الذى يفتر فيه أنكحُ النّاس .

---

(١) تزيف : تنشر جناحيها وذنبها وتسحبهما على الأرض . والتشكل ، من الشكل بالفتح : وهو الغنج والدلال والغزل .

(٢) التفتل: التلوى .

(٣) السوف : الشم .

(٤) عطا الشئ يعطوه : تناوله بيده .

(٥) في الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . » الخ. وكلمة « هو » لا حاجة إليها . والتدرع : أصل معناه لبس الدرع. والتبعل : التزين للبعل.

(٦) التنفش ، بالفاء ، هو أن ينفض الطائر ريشه . وفي الأصل : « والتنقش » .

(٧) كذا . وهنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من مبدإ الصفحة السابقة ، وهى من ل .

(٨) كسحه : كنسه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الخَصلةُ يفُوق بها جميع الحيوان ، لأنّ الإنسان الذى هو أكثرُ الخلْق فى قوّة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السَّنة ، وأرغبُ الحيوانِ [فى التصنُّع و] التغزل ، والتشكُّل والتفتُّل[1] أفترُ مايكونُ إذا فرغ ،وَعندَها ٤٩
يركبُه الفُتور ، ويحبُّ فِراقَ الزَّوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطِه ، وترجِعَ إليه قُوَّتُه .

والحمامُ أنشطَ ما يكون وأفرح ، وأقوى ما يكون وأمرح ، مع الزَّهو والشكل[2] ، واللهْو والجَذل ، أبردَ ما يكون الإنسانُ وأفترَه ، وأقْطَعَ ما يكون وأقْصَره[3] .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القُوى : أحدها فَضْل الشّهْوة ، والأخرى دوام الشهْوة فى جميع الدَّهر ، والأخرى قوة التصَنُّع والتكلفِ ، وأنتَ إذا جمعتَ خِصالَه كلها كانت دونَ قوَّةِ الحمام عندَ فَراغِه من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنْكِرُها أحدٌ ، ومَزِيّة لا يجحَدُها أحد ! !

---

(١) ط ، س : « والتمتع والشكل والتقبيل »، وأثبت مافى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الغنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط مايكون وأمرح وأقوى وأجذل أبرد مايكون الإنسان وأفتر » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنّ النّاس لم يَجِدُوا مثلَ نشاط الحمام فى وَقت فَتْرَة الإنسان إلاّ ما وجدوه فى البغال ؛ فإنّ البغال تحمِل أثقالها عَشيَّةً ، فتسيرُ بقيَّة يومها وسوادَ[1] ليلتها ، وصدرَ نهارِ غَدِها[2] ، حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ ما كان محمّلا من أصنافِ الدوَابِّ أحمالها[3] ، لم يكنْ لشيءٍ منها همَّةٌ ، ولا لِمَنْ رَكِبَها من النَّاس إلاّ المَرَاغة[4] والماء والعَلف ، وللإنسان الاستلقاءُ ورفعُ الرِّجْلين والغمْز والتأوُّه[5] ؛ إلاّ البغال فإنّها فى وقتِ إعياءِ جميعِ الدواب وشدَّة كلالها ، وشَغْلها بأنفسها ممّا مرَّ عليها ، ليس عليها عملٌ إلاّ أنْ تدلَى أيورَها وتشظَّ[6] وتضرِبَ بها بطونَها ؛ وتحُطَّها وترفعها . وفى ذلك الوقت لو رأى المُكارى امرأةً حسناء لَمَا انتَشَرَ لها ولا هَمَّ بها . ولو كانَ مُنْعِظاً ثم اعتراهُ بعْضُ ذلك الإعياءِ لنَسى الإنعاظ .

وهذه خَصْلَةٌ تخالفُ فيها البغالُ جميعَ الحيوانِ . وتزعم العَمَلة[7] أنَّها تلتمس بذلك الرَّاحَةَ وتتداوى به . فليس العجبُ — إن كان ذلك حَقًّا — إلاّ فى إمكان ذلك لهــا فى ذلك الوقت ، وذلك لا يكونُ إلاّ عن شهوة وَشبقٍ مُفْرط .

---

(١) ط ، س : « وسائر » .

(٢) ط ، س : « وصدر نهارها من غدها » .

(٣) ل : « حتى إذا حطوا عن جميع أصناف الدواب أثقالها » .

(٤) المراغة : اسم من مرغه فى التراب جعله يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .

(٥) الكلام من مبدإ : « وللإنسان » ساقط من ل .

(٦) شظ وأشظ : أنعظ . ط ، س : « تنعظ » .

(٧) العملة ، بالتحريك : العاملون بأيديهم . وفى ل : « العوام » .

(النشاط العجيب لدى الأتراك)

وشِبهٌ آخرُ وشِكلٌ من ذلك، وذلك كالذى يُوجَد عند الأتراك عند بلوغ المنْزِل بعدَ مسير اللَّيلِ كلِّه وبَعْضِ النَّهار ، فإنَّ النَّاسَ فى ذلك الوقْتِ ليس لهم إلاَّ أن يتمددوا ويقيِّدوا[1] دوابّهم . والتركىُّ فى ذلك الوقت إذا عاين ظبْياً أو بعضَ الصّيد ، ابْتَدَأَ الرَّكْضَ بمثلِ نشاطه قبلَ أن يسيرَ ذلك السير، وذلك وقْتَ يَهَمَّ فيه الخارِجِىَّ والخَصِىَّ أنفسُهما[2] ؛ فإنَّهما المذكوران بالصَّبرِ على ظَهْر الدَّابَّة .

(فطام البهائم أولادها)

وليس فى الأرضِ بهيمةٌ تَفطِمُ ولدَها عن اللَّبن دَفْعةً واحدةً ، بل تجِدُ الظّبيةَ أو البقرةَ أو الأتانَ أو الناقة ، إذا ظنّت أنَّ ولدَها قد أطاق الأكل منَعَتْهُ بعضَ المنْع ، ثمَّ لا تزال تُنزِّل[3] ذلك المنْع وترتِّبه وتدرِّجه، حتَّى إذا علمتْ أنّ به غنًى عنها إنْ هى فطمته فطاماً لا رَجْعَةَ فيه ، منَعَتْه كلَّ المنْع .

---

(١) ل : « ويقودوا »، تحريف مافى ط ، س .

(٢) الخوارج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى   رأى الضيف مثل الأزرق المجفف

وقال آخر :

وقلب ود حال عن عهده   والسيف ينبو بيد الشارى

رسائل الجاحظ ٢٧ ساسى . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزله : تدرجه . وفى الأصل : « تترك » .

٥٠ والعرب تسمِّى هذا التَّدبيرَ من البهائم التَّعفيرَ[١] ، ولذلك قال لبيد :

لمعفَّرٍ قَهْدٍ تَنازَعَ شِلْوَه غُبْسٌ كواسبُ ما يُمَنُّ طَعامُها[٢]

وعلى مثل هذه السِّيرة والعادةِ يكونُ عملُ الحمامِ فى فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنّه يقلب بيضه ، حتى يصير الذى كان منه يَلِي الأرضَ يَلِي بدنَ الحمام من بطنه وباطِنِ جَناحِه ، حتّى يُعطىَ جميعَ البيضةِ نصيبها من الحضن ، ومن مَسِّ الأرضِ ، لعلمه أن خلافَ ذلك العملِ يفسُده] .

وخَصْلَةٌ أخرى محمودةٌ فى الحمام ، وذلك أنّ البغْل المتولِّد بينَ الحمار والرَّمَكة لايبقى له نسل ، والرَّاعِبى[٣] المتولِّد فيما بينَ الحمام والوَرشان ، يكثُر نسله ويطولُ عمرُ ولدِه . والبُخْتَ والفوالج ، إنْ ضرَبَ بعضَها بعضاً خرج الولدُ منقوصَ الخلق لا خير فيه . والحمامُ كيفمَا أدَرْتَه ، وكيفمَا زَاوجْتَ بينَ متَّفِقها ومختلفها ، يكونُ الولد[٤] تامَّ الخلق ، مأمولَ الخير .

---

(١) « التعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ٢ : ١٩٨ . س : « غبش » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والزاغبى » ، وهو تحريف . واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راغب . اللسان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فمن نتاج الحمام إذا كان مركّبا مشْتركا [ماهو][١] كالرّاعِبىّ[٢] والوَردانى . وعلى أنّ للورْدانى غرابةَ لونٍ وظَرَافَةَ[٣] قَدٍّ ، وللرَّاعِبِىِّ[٤] فضيلةٌ فى عِظَم البدنِ والفِراخِ . وله من[٥] الهديلِ والقَرْقَرَةِ ما ليس لأبويه ، حتَّى صار ذلك سبباً للزِّيادةِ فى ثمنه ، وعلَّةً للحِرْص على اتِّخاذه .

والغنمُ على قسمين : ضأن ومَعز ، والبقرُ على قسمين : أحدهما الجواميس ، إلاّ ما كان من بقرِ الوحْش . [والظِّلْفُ] إذا اختلَفا لم يكنْ بينهما تسافُدٌ ولا تلاقح ، فهذه فضيلةً للحمام فى جهة الإنسال[٦] والإلقاح ، واتِّساع الأرحام لأصنافِ القبول . وعلى أنَّ بينَ سائر أجناس[٧] الحمامِ من الوَرَاشِين ، والقمارىّ ، والفواخت ، تسافداً وتلاقُحاً[٨] .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

وممَّا أشبَهَ فيه الحمامُ النَّاسَ ، أنّ ساعاتِ الحضْن أكثرُها على الأنثى ، وإنّما يحضُن الذّكَر فى صدْر النهار حَضْناً يسيرا ، والأنثى كالمرأة التى تكفُل

---

(١) زدتها ليلتئم الكلام .

(٢) ط ، س : « كالزاغبى » ، وتصحيحه من ل . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٣) يقال ظرف ظرفا ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .

(٤) ط ، س : « للزاغبى » ، وانظر ماسبق .

(٥) ط فقط : « فى » .

(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه فى ل .

(٧) ل : « أصناف » .

(٨) ط ، س : « تسافد وتلاقح » ، والوجه ما أثبت من ل .

الصبيَّ فتَفَطِمه وتمرِّضه[١] ، وتتعهَّده بالتمهيدِ والتَّحريك . حتّى إذا ذهب الحضْنُ وانصرم وقتُه ، وصارَ البيضُ فِراخا كالعِيال فى البيت ، يحتاجون إلى الطّعام والشّراب ، صار أكثرُ ساعات الزّقّ على الذّكر كما كان أكثرُ ساعاتِ الحضْن على الأنثى .

وممّا أشبه فيه الحمام النّاس [ما[٢]] قال مثنّى بنُ زُهير (وهو إمام النّاس فى البصرة[٣] بالحمام وكان جيِّد الفِراسة ، حاذقا بالعلاج ، عارفاً بتدبير الخارجيِّ إذا ظهَرت فيهِ مَخِيلةُ الخير — و [اسم] الخارجيِّ عندهم : المجهول — وعالماً بتدبير العريق المنسوب إذا ظَهَرَتْ فيه علامَاتُ الفُسولةِ وسوء الهِداية[٤] . وقد يمكن أن يَخْلُفَ ابنُ قُرَشيَّين[٥] [وَيَنْدُب[٦] ابن خُوزِيٍّ[٧] من نبطيَّةٍ][٨] . وإنما فَضّلنا نِتاجَ العِلْية على نِتاج السِّفلةِ لأَنَّ نِتاجَ النَّجابة فيهم أكثرُ ، والسَّقوط فى أولاد السفلة أعمُّ . فليس بواجبٍ أن يكون السفلةُ[٩] لا تَلِد[١٠] إلاّ السفلةَ[٩] والعِلْية لا تَلِد[١٠] إلاّ العِليةَ . وقد يلدِ المجنونُ العاقِلَ ، والسخيُّ البخيلَ ، والجميلُ القبيحَ . ٥١

---

(١) التمريض : حسن القيام على المريض ، وكأن الفطيم فى سبيل المريض . وفى س : « تمرخه » أى تدلكه بالدهن . وربما كانوا يفعلون ذلك بالفطيم .

(٢) زيادة يقتضيها الكلام . (٣) ط ، س : « فى البصرة » ، وصوابه فى ل .

(٤) ماسيأتى من الكلام استطراد من الجاحظ . وقول مثنى بن زهير سيبدأ فى السطر السادس من الصفحة الآتية .

(٥) ط ، س : « قريشيين » وهما صحيحتان ، يقال قرشى وقريشى . ويخلف ، بضم اللام : يحمق .

(٦) يندب : يكون ندبا ، أى ظريفاً نجيباً . فى ل : « ينتدب » و س : « يندر » ولعل الصواب فيما وجهت به .

(٧) الخوزى : المنسوب إلى خوزستان . وفى س : « حروى » ، وهو تحريف مافى ل .

(٨) الزيادة من س ، ل . (٩) ط ، س : « السفلى » ، بالنسبة إلى « السفلة » .

(١٠) ط ، س : « يلد » .

وقد زعم الأصمعيُّ أنّ رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تَزَوَّجْتَ امرأةً من العَرَب فَانظُرْ إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فإنها لاتخطئ الشبَهَ بواحدٍ منهم ! وإنْ كان هذا الموصى والحكيم (١) ، جعل ذلك حُكما عامًّا فقد أسرفَ في القول ، وإن كان ذهبَ إلى التّخويفِ والزَّجْرِ والترهيب ، كي يختارَ لنفْسِه ، [و] لأنّ المتخيِّر أكثرُ نجابَةً (٢) فقد أحسن) .

وقال مثنَّى بنُ زهير (٣) : لم أر شيئاً قَطُّ في رجلٍ وامرأةٍ إلاّ وقد رأيتُ مثلَه في الذَّكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامةً لا تريد إلاّ ذكرَها ، كالمرأة لا تريدُ إلاَّ زوجها وسيِّدها ، ورأيتُ حمامةً لا تَمنَع شيئاً من الذُّكورة ، ورأيتُ امرأةً لا تمنع يَدَ لامسٍ ، ورأيت الحمامةَ لا تزيف إلا بَعْدَ طَرْدٍ شديد وشدة طلبٍ (٤) ، ورأيتُها تزِيفَ لأَوَّلِ ذَكر يُريدُها ساعةَ يقصِدُ إليها ، ورأيتُ من النساء كذلك ، ورأيتُ حمامةً لها زوج وهي تمكن ذكراً آخرَ لا تَعْدُوهُ ، ورأيتُ مثلَ ذلك من النساء ، [و] رأيتَها تزيفُ لغير ذكرِها وذكرُها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلاّ وذكرها يطيرُ أو يحضُنُ ، ورأيت الحمامةَ تقمُطُ الحمامَ الذكور (٥) ، ورأيت الحمامةَ تقمطُ الحمامة ، ورأيت أنثى كانت لي لا تقمط [إلاّ (٦)] الإناث ، ورأيت أخرى تقمط الإناثَ فقط ، ولا تدَعُ أنثى تقمطها .

---

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة »، تحريف ماأثبت من ل .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذا في ل ، ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيت ذَكرًا [يقمُط الذُّكورة وتقمطه ؛ ورأيت ذَكرًا] يقمُطها و [لا] يدعها تقمطه[١] ، ورأيتُ أنثى تزيفُ للذُّكورةِ ولا تدع شيئاً منها يقمطها .

قال : ورأيتُ هذهِ الأصنافَ كلَّها فى السَّحَّاقات من المذكَّرات والمؤنثات ، وفى الرِّجال الحَلَقيِّين[٢] واللُّوطيِّين[٣] . وفى الرجَال من لايريد النساء ، وفى النساء من لايريد الرجال[٤] .

قال : وامتنعتْ علىَّ خَصلةٌ ، فوالله لقد رأيتُ من النساء من تزْنى أبداً وتساحق أبداً ولا تتزوج أبدا ، [ومن الرجال مَن يلوطُ أبداً ، ويزنى أبداً ولا يتزوَّج[٥]] ، ورأيتُ حماماً ذكراً يقمط مالقى ولا يزاوج . ورأيتُ حمامَة تمكِّن كلَّ حمامٍ أرادَها مِنْ ذكرٍ وأنثى ، وتقمُطُ الذكورَة والإناثَ ، ولا تزاوِج . ورأيتها تزَاوج ولا تَبيض ، وتَبيضُ فيفسُدُ بيضُها ؛ كالمرأة تتزَوَّج وهى عاقر ، وكالمرأةِ تلد وتكون خرقاء ورْهاء . ويعرض لها الغلطة[٦] والعقوق للأَولاد ، كما يعترى ذلك العُقاب .

وأمَّا أنَا فقد رأيتُ الجفاء للأَولاد شائعاً فى اللَّواتى حَمَلن من الحرام . ولربَّما ولدت من زَوجها ، فيكون عطفها وتحنُّنها كتحنن[٧] العفيفاتِ

---

(١) زيادة : « لا » من س ، ل . وفى ط : « ويدعها حتى تقمطه » ، وهو تحريف .

(٢) الحلقى : الذى فسد عضوه فانعكس ميل شهوته ، وهو من ألفاظ المولدين . شفاء الغليل ٧٠ .

(٣) ط ، س : « اللواطين » .

(٤) ل : « من لايريد إلا » فى الموضعين .

(٥) ط ، س : « من تزنى أبدا ولاتتزوج وتساحق أبدا ولا تتزوج أبدا » . وإصلاح العبارة وإكمالها من ل ، ونهاية الأرب .

(٦) كذا على الصواب فى ل وفى ط ، س : « الغلطة »

(٧) ل : « وتحنيها كتحنى » . والتحنن والتحنى بمعنى ، وهو العطف .

السَّتِيرات ، فما هو[١] إلَّا أن تزنىَ أو تَقْحُب فكأَنَّ اللهَ لم يضْرِب بينها وبين ذلك الولدِ [بـ]شبكة رَحِمٍ ، [و] كأنّها لم تَلِدْهُ . ٥٢

قال مثنَّى بنُ زهير : ورأيتُ ذكراً له أنثيان وقد باضَتَا منه ، وهو يحضُن مع هذه ومع تلك ، ويزُقُّ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثَى تبيض بيضة ، ورأيت أنثى تبيض فى أكثر حالاتها ثلاثَ بيضات .

وزعم أنّه إنّما جزَم بذلك فيها ولم يظنه بالذَّكر ، لأنّها قد كانت قبل ذلك عند ذكَرٍ آخر ، وكانت تبيض كذلك .

ورأيتُ أنَا حمامةً فى المنزِل لم يعرِض لها ذَكَرٌ إلَّا اشتدَّت نحوهُ بحدَّةٍ ونزَقٍ[٢] وتسرُّعٍ ، حتّى تنقر أينَ صادفتْهُ منهُ ، حتى يصدَّ عنها[٣] كالهارب منها . وكان زوجها جميلا فى العَين رائعاً ، وكان لها فى المنزل بنون وبنو بنين [وبنات[٤]] وبنات بنات ، وكان فى العَينِ كأنّه أشبُّ من جميعهنَّ[٥] ؛ وقد بَلَغ من حُظوتِه أنى قلَّما رأيته أرادَ واحدةً من عَرْض تلك الإناثِ[٦] فامتنعتْ عليه ، وقد كُن يمتنعن من غيره . فبينا أنَا ذاتَ يومٍ جالسٌ بحيث أراهنّ إذ رأيتُ تلك الأُنثى قد زافتْ لبعض بنيها ! فقلت لخادمى[٧] :

---

(١) ل : « هى » ، وهما صحيحان فى العربية ، أى فما الشأن أو فما القصة .

(٢) النزق : الطيش والتسرع . فى ط ، ل : « تزق » محرفة . س : « تزف » أى تسرع إسراعا . ولا ينسجم بها الكلام .

(٣) ل : « ينقر » محرف . ط ، س : « صادفته » وأثبت مافى ل . وفى ل : « حتى يصدن » محرفة .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .

(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .

(٧) ل : « لخادم لى » .

ما الذى غيَّرها عن ذلك الخلق الكريم ؟ فقال : إنى رَحَّلت زوجها من القاطُول[١] فذهب ، ولهذا شهر[٢] . فقلت : هذا عذر !

قال مثنَّى بنُ زهير : وقد رأيت الحمامة تزاوِج هذا الحمام ، ثم تتحول منه إلى آخر ، وَرأيت ذكراً فَعَلَ[٣] مثل ذلك فى الإناث . ورأيتَ الذَّكَرَ كثيرَ النَسل قويًّا على القمْط ، ثمَّ يُصفِى كما يُصْفى الرَّجلُ إذا أكثر من النَّسْل والجماع[٤] .

ثمَّ عدّد مُثَنَّى أبوابا غيرَ ماحفِظت مِمَّا يُصَابُ مثلُه فى الناس .

(خبرة مثَّنى بن زهير بالحمام)

وزعموا أنّ مثَّنى كان ينظر إلى العاتِق والمخلِف[٥] ، فَيظن أنّه يجىء من الغاية [فلا يكاد ظنُّه يخطئ] . وكان إذا أظهرَ ابتيَاع حمَامٍ أغلوْه عليه ،

---

(١) القاطول : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « خليت » مكان « رحلت » ، وبكل منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصفى الرجل : نفد ماء صلبه . ل : « إذا أكثر من الجماع » .

(٥) العاتق : فوق الناهض ، وذلك فى أول مايتحسر ريشه ونبت له ريش جلدى ، أى شديد ، والجمع عتق . المخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « القائق » وفى س : « العايق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ س ٧ . والمخلف : المراد به المسن . وأصله فى الإبل مافوق البازل : الذى فى التاسعة .

وقالوا: لم يطلُبْه إلّا وقد رأى فيه علامةَ المجيء من الغاية ، وكان يدسٌّ فى ذلك ففطِنوا له وتحفَّظوا منه ، فربَّما اشترى نصفَه وثلثه ، فلا يقصِّر عند الزِّجال[١] من الغَاية .

وكان له خَصىٌّ يقال [له[٢]] خديج ، يجرى مجراه ، فكانا إذا تناظرا فى شأنِ طائرٍ لم تُخلِف فراستُهما .

(المدة التى يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرةَ أشهرٍ من السَّنة ، فإذا صانوه وحفِظوه ، وأقاموا له الكفاية وأحسنُوا تعهُّدَه ، باضَ فى جميع السَّنة .

قالوا : والدَّجاجة تبيض فى كلِّ السَّنة خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدَّجاج ما هو عظيمُ الجثَّة ، يبيض بيضاً كبيراً ، وما أقل ما يحضُن ، ومن الدجاج ما يبيض ستِّين بيضة . وأكثرُ الدجاج العظيم الجثَّة يبيضُ أكثرَ من الصغير الجثَّة[٣] .

---

(١) الزجـال : إرسال الحمام كما سبق فى ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل : « الرجال » ، وصوابه مما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدَّجاج التى نسبت إلى أبى ريانوس[١] الملك ، فهو طويلُ البدَن ويبيض فى كلِّ يوم، وهى صعبة الخلق وتقتل فراريجها .

٥٣ ومن الدَّجَاج الذى يربَّى فى المنازل ما يبيض مرَّتين فى اليوم ، ومن الدجَاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العَرض[٢] .

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : والُخطَّاف تبيض مَرَّتين[٣] فى السّنة ، وتبنى بيتَها فى أوثق مكانٍ وأعلاه .

فأمَّا الحمام والفَواخت، والأطْرُ غُلَّات[٤] والحمام البرىُّ ، فإنّها تبيض مرَّتين فى السنة . والحمامُ الأهلىُّ يبيض عشْرَ مرات . وأما القَبَج والدُّرَّاج فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطّيرُ بيضاً لم تخرُج البيضة[٥] من حدِّ التحْديد والتّلطيف ، بل يكون الذى يبدأُ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرعُ إلى أنّ الرأسَ المحدَّد هو الذى يخرج أوّلا .

(١) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ارذيانوس » . وانظر الاستدراكات بآخر هذا الجزء .
(٢) أى مايعرض لها من كثرة البيض . ط : « الفرض » ل ، س : « الغرض » ، وهما تحريف ماأثبت .
(٣) كذا فى ط . وفى ل : « مرة » .
(٤) ل : « والأطرغلة »، والوجه ماأثبت من ط ، س .
(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلاً محدَّد الأطراف فهو للإناث ، وما كان مستديراً عريضَ الأطراف فهو للذُّكور .

قال : والبيضةُ عندَ خروجِها ليِّنَةَ القِشْر ، غير جاسية[١] ولا يابسة ولا جامدة .

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض[٢] الذى يتولد من الريح والتُّراب أصغرُ وألطَف ، وهو[٣] فى الطِّيب دُونَ الآخر[٤] . ويكونُ بيضُ الرِّيح من الدجاج والقبج[٥] ، والحمام ، والطاوس ، والإوزّ .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحَضْن الطائر وجثومه على البَيض صلَاح لبَدَن الطائر ، كما يكون صلاحا لبدَن البيض . و [لا[٦]] كذلك الحضْنُ على الفراخ والفراريج[٧] فربما[٨] هلك الطائرُ عن ذلك السبب .

---

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية »، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبعض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠.

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والدميرى حيث يقول : « وأغذى البيض وألطفه ذوات الصفرة ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها » ، يعنى بذلك البيض الترابى . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج. فى ط ، س: « أطيب من الآخر »، وهو خطأ .

(٥) القبج : بالتحريك : الحجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الذراريح » ، وفى س : « الدراريج » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جعلت العبارة كما ترى .

(تكوّن بيض الريح)

وزعم ناسٌ أن بيضَ الرِّيح إنما تكوَّن[١] منْ سفادٍ متقدِّم . وذلك خطأٌ من وجهين : أمَّا أحدُهُما فأَن ذلك قد عُرف[٢] من فَرَاريجَ لم يَرَيْنَ ديكاً قَط . والوجه الآخر : أن بيضَ الريح لم يكن منه فَرُّوج[٣] قطّ إلاّ أن يسفَدَ الدجَاجةَ ديكٌ ، بعد أن يمضيَ[٤] أيضاً خَلْقُ البيض .

(معارف شتى فى البيض)

قال : وبيض الصّيفِ المحضون أسرعُ خروجاً منه فى الشتاء ، ولذلك تحضَن الدجاجة البيضةَ فى الصّيف خمس عشرة ليلة[٥] .

قال : وربَّما عَرَضَ غيمٌ فى الهواء أو رَعْدٌ ، فى وقتِ حضْن الطائر ، فيفسُدُ البيض . وعلى كل حالٍ ففسادُه فى الصيف أكثرُ ، والموتُ فيها فى ذلك الزمان أعمّ . وأكثرُ مايكون فَسادُ البيض فى الجَنائب[٦] ، ولذلك كانَ

---

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهى صحيحة ، وأثبت مافى س ، ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ ، كما فى القاموس .

(٤) ل : « يتم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بالفتح ، وهى الريح الجنوبية .

ابن الجهم[١] لايطلبُ من نسائِه الوَلد إلاَّ والرِّيح شمال . [وهذا عندى تعرُّضٌ للبلاء ، وتحكُّك بالشرّ ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم[٢] يسمِّى بيضَ الرِّيح : البيضَ الجُنُوبىَّ ؛ لأنَّ أصنافَ الطّيرِ تقْبَلُ الرِّيح فى أجوافها .

وربَّما أفرخ[٣] بيضُ الرِّيح بسفادٍ كان، [و] لـكنَّ لونَه يكونُ متغيِّرا .

وإن سفِد الأنثى طائرٌ من غير جنسها[٤] ، غيَّر خلق [ذلك] المخلوقِ الذى كان من الذَّكَر المتقدِّم . وهو[٥] فى الديَكةِ أعمّ .

ويقولون : إنّ البَيض يكون من أربعةِ أشياء : فمِنه مَايكونُ من التُّراب ، و [منه مايكونُ] من السفاد ، ومنه ما يكون من النّسيم إذا وصلَ إلى أرحامهن وفى بعض الزَّمَان[٦] ، ومِنْهُ شىءٌ يعترى الحجَل ومَا شاكله ٥٤
فى الطّبيعة ؛ فإنّ الأنثى ربَّما كانَتْ على سُفَالةِ الريح التى تهبُّ من شِقِّ[٧] الذكَر فى بعض الزمَان فتحتشى من ذلك بَيضاً . ولم أرهم يشكُون أن النَّخلة المُطْلِعَة[٨] تكونُ بقربِ الفُحَّال[٩] وتحت ريحه، فتَلقح بتلك الريح وتكتفى بذلك.

---

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى ، أسلفنا ترجمته فى ٢ : ٢٢٦ .
(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .
(٣) ط : « افترخ »، وهو تحريف .
(٤) ل : « شكلها » .
(٥) س : « وهى » .
(٦) ل : « ومنه مايكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها فى بعض الزمان » .
(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .
(٨) المطعمة : التى أدركت أن تثمر . يقـال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان ٢ : ٢٣٨ و ٥ : ٢٠٩ والعقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .
(٩) الفحال : ذكر النخل .

قال : وبيضُ أبكارِ الطّير أصغر ، وكذلك أولادُ النساء ، إلى أنْ تتسع الأرحَام وتنتفخ الجنوب[١] .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفتىّ] ضئيلًا ، فإذا زقّ مِرَارًا فَتَحَ الزّقُّ جلْدَةَ غَبَبه[٢] وحوصلتِه ، فخرَجَ الصَّوتُ أغلَظَ وأجهَرَ .

(حياة البكر)

وهم لايثِقون بحياةِ البكر[٣] من النَّاسِ[٤] كما يثِقون بحياةِ الثانى[٥] ويرون أنّ طبِيعَةَ الشباب والابتداء لايعطيانه[٦] شيئاً إلاّ أخذَه تضايقُ مكانِه مِن الرَّحم ، ويحبُّون أن تبكِّر بجارية ! وأظُنُّ أن ذلك إنما هو لشدَّةِ خوفِهم على الذكر . وفى الجملة لايتيمَّنُون بالبكر الذكر[٧] . فإن كان البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءَمُوا[٨] به ، فإن كان البكْرُ ابنَ بِكرَيْنِ فهو فى الشؤمِ

(١) كذا فى ل. وفى ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنفتح الجوانب ».

(٢) الغبب : ماتحت الحنك . وفى ط ، س : « عينه »، وهو تحريف عجيب .

(٣) كذا فى ل ، س. وفى ط : « بحيات ولد البكر »، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بحيات »، س : « أنثى »، تحريفان .

(٦) أى يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يتيمنون : من التيمن : ضد التشاؤم . ط ، س : « لايتمنون للبكر »، وهو على الوجه فى ل . وانظر الحيوان ٥ : ٣٣١ .

(٨) فى الأصل : « تشأم »، وإنما تقال هذه لمن انتسب إلى بلاد الشأم .

مثلُ قيسِ بنِ زهير، والبَسوس[١]، فإن قيساً كان أزْرَق[٢] وبكراً ابن بكرين. ولا أحفظُ شأن البَسوس حفظاً أجزِمُ عليه.

(ما يعترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال: وأمّا الحمام فإنّه إذا قَمَط تَنَفَّشَ[٣] وتكبَّر ونَفَضَ ذنبهُ[٤] وضَرَبَ بجناحِه، وأمّا الإوزّ فإنّه إذا سفِد أكثر من السباحَة، واعتراه فى المَاء من المَرَح مثلُ ما يعترى الحمام فى الهواءِ.

---

(١) هى البسوس بنت منقذ التميمية، قالوا: استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له، فرماها كليب بن وائل لما رآها فى حماه، فلجأ الجرمى إلى البسوس، فهيجت أهلها للحرب، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة. وسميت بحرب البسوس - ثمار القلوب ٢٤٥ والعقد ٣ : ٣٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٣٥٩ والأغانى ٤ : ١٣٩.

(٢) ليس المراد زرقة الجلد، وإنما المراد زرقة العين، يقال رجل أزرق وامرأة زرقاء، ويراد بذلك خضرة الحدقة. المخصص ١ : ١٠٠. والعرب يكرهون ذلك ويتهاجون به. قال:

لقد زرقت عيناك ياابن مكعبر كذا كل ضبى من اللؤم أزرق

وجاء فى القرآن: « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا »، أى زرق العيون. وكان شؤم قيس بن زهير فى إثارة حرب داحس والغبراء، وكان هو صاحب داحس: فحل من الخيل، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر، وتراهنا على السباق، وحدث خلاف بينهما فى مستحق الرهان، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة. العقد ٣ : ٣١٣. وانظر كامل ابن الأثير١ : ٣٤٣ والأغانى ٧ : ١٤٣، ١٦ : ٢٣ وأمثال الميدانى ٢ : ٥١.

(٣) تنفش: نفض ريشه.

(٤) س : « ثوبه ».

قال : وبيضُ الدجَاج يتمُّ خلقه فى عشْرة أيام وأكثرَ شيئاً[١] ، وأمَّا بيض الحمام ففى أقلَّ من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربَّما احتبَسَ البيضُ فى جوفها بَعْدَ الوقتِ[٢] لأمورٍ تَعْرِضُ لها : إمّا لأمرٍ عَرضَ لعُشِّها [وأفحوصها]، وإمَّا لنتْفِ [رِيشها[٣]] ، وإمَّا لعلَّةِ وجعٍ من أوجاعها[٤] وإمّا لصوتِ رعد ؛ فإنَّ الرَّعدَ إذا اشتدَّ لم يَبقَ طائرٌ على الأرضِ واقع[٥] إلاّ عَدَا فَزِعا ، وإن كان يطيرُ رَمى بنفسه إلى الأرض[٦] . قال علقمة بن عَبَدَة :

رغَا فوقَهُمْ سَقْبُ السَّماء فَدَاحضٌ ... بشِكَتِه لم يُستَلَبْ وسليبُ[٧]
كأنَّهمُ صابتْ عليهمْ سَحابةٌ ... صَواعقُها لطيرهِنَّ دَبيبُ[٨]

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء فى قوله :
* كما الناس مجروم عليه وجـارم *
(٢) أى بعد الوقت المقدر لنزوله .
(٣) الزيادة من ل ، س .
(٤) ل : « وإما لوجع من أوجاعها » .
(٥) ل : « واقعاً » ، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .
(٦) ط ، س: « وإن كان يطير إلا رمى » ، ل : « وإن يطير رمى » ، وجعلت الكلام كما ترى .
(٧) سقب السماء ، هو ولد ناقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغا ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلا فى الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفى اللسان : « دحض برجله ودحص : فحص برجله » . وروى القالى البيت فى أماليه ٢ : ١٣٣ بالصاد المهملة . وقال : « وكان بعض العلماء يرويه : (فداحض) . وهذا البيت أحد مانسب فيه إلى التحريف » . ولعله يعنى الجاحظ . والشكة : السلاح .
(٨) طير الصواعق : طيرانها ، أى سرعتها . وفى س : « للطير هن دبيب » ، أى إن تلك الصواعق التى تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتلى . أى إن الصواعق سبب لدبيب الطير .

(تقبيل الحمام)

قال : وليس التَّقبيلُ إلَّا للحمَام والإنسان ، ولا يدَعُ ذلك ذكرُ الحمامِ إلَّا بعد الهَرَم . وكان فى أكثرِ الظَّنِّ أنَّه أحوجُ مايكون [إلى] ذلك التَّهييجِ به عند الكِبَرِ والضَّعف .

وتزعمُ العوامُّ أنَّ تسافُدَ الغِرْبان هو تطاعُمُها بالمناقير ، وأنّ إلقاحَها إنّما يكونُ من ذلك الوجه . ولم أرَ العلماءَ يعرِفون هذا .

قال : وإناثُ الحمام إذا تسافَدَت أيضاً قَبَّلَ بَعْضُهُنَّ بعضاً ، ويقال إنّها ٥٥
تبيضُ عن ذلك ، ولكِنْ لايكونَ عن ذلك البيضِ فِراخ ، وإنَّه فى سبيل بيض الريح(١) .

(تكوُّن الفرخ فى البيضة)

قال : ويَستَبِينُ خَلْقُ الفِراخ إذا مضت لها ثلاثةُ أيّامٍ بلياليها ، وذلك فى شَبَاب الدَّجاج ، وأمّا فى المَسَانِّ منها فهو أكثر . وفى ذلك الوقت تُوجد الصُّفرةُ من النَّاحيةِ العُليا(٢) من البَيضة ، عند الطَّرَف المحدَّد [و] حيث يكونَ أوّلُ نَقْرِها ، فَثَمَّ(٣) يستبين فى بَياضِ البَيضة مِثلُ نقطة من دَم ، وهى تختلجُ وتتحرَّك : والفرخ إنَّما يُخلق من البَياض ، ويَغْتَذِى

(١) سماه فى ٢ : ٢٤١ « البيض الترابى » .

(٢) ط : « العلياء » .

(٣) ل فقط : « فالقلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفرةَ ، ويتمُّ خَلْقُه لعشرةِ أيّام . والرَّأسُ وحْدَهُ يكونُ أكبرَ من سائر البدن .

(البيض العجيب)

قال : ومن الدَّجاج ما يبيض بيضاً له صُفْرتَان فى بعضِ الأحايين ، خبَّرنى بذلك كم شِئتَ(١) ، من ثِقاتِ أصحابِنا .

وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دَجاجةٌ ثمانىَ عشْرَة بيضةً ، لكلِّ بيضةٍ مُحّتانِ(٢) ، ثمَّ سخِّنت وحُضنت ، فخرَج من كلِّ بيضة فَرُّوجان ، ما خلا البيضَ الذى كان فاسداً فى الأصل . وقد يخرج من البَيضة فَرُّوجان(٣) ، ويكون أحدُهما أعظمَ جثَّةً ، وكذلك الحمام . وما أقلَّ مايغادِرُ الحمامُ أن يكون أحدُ الفرْخَيْنِ(٤) ذكَراً ، والآخرُ أنثى .

(معارف فى البيض)

قال : وربَّما باضتْ الحمامةُ وأشباهها من الفَواختِ ثَلاثَ بيضات ، فأمَّا الأُطرُغلَّات والفَواخت(٥) فإنها تبيض بيضَتينِ ، وربَّما باضتْ ثَلاثَ

---

(١) كذا فى ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال ٢٦٤ . وفى ط : « شبيث » ، تحريف .

(٢) المحة والمح : صفرة البيض . جاء فى س : « محان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرخان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) فى الأصل : « الفروجين » ، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « فالفواخت » ، ووجهه ماأثبت من ل .

بيضــات ، ولـكنْ لا يَخرُجُ منها أكثَرُ مِن فرخَين ، وربّمــا كان واحدًا فقط .

قال : وبعضَ الطير لا يبيض إلاَّ بعدَ مُرُورِ الحَوْلِ عليه كَمَلاً[١] ، والحمامةُ فى أكثرِ أمْرها يكونُ أحدُ فَرخَيها ذكراً والآخرُ أنثى ، وهى تبيضُ أوَّلاً البيضةَ التى فيها الذَّكر ، ثمَّ تُقيم يوماً وليــلةً ، ثمَّ تبيض الأخرى ، وتحضُنُ مَابينَ السَّبْعَةَ عشَرَ يوماً إلى العشرين ، على قدْر اختِلاَفِ طِباع الزَّمَان ، والذى يعرِضُ لها من العلل . والحمامةُ أبرُّ بالبَيض ، والحمامُ أبرُّ بالفِراخ .

[قال] : و [أمّا] جميعُ أجناسِ الطيرِ ممَّــا يأكلُ اللَّحْمَ ، فلم يظْهرْ لنا أنَّه يبيضُ ويُفْرِخ أكثَرَ من مَرَّة واحدة ، مَا خلاَ الخُطَّافَ فإنَّه يبيضُ مرَّتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعُقابُ تبيضُ[٢] ثلاثَ بيضات ، فيَخْرُج لهــا فَرْخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لاتحضُن إلاَّ بَيضَتين ، وقال آخرون : قد تحضُن وَيخرج

---

(١) كملا : أى كاملا . وبالأخيرة جاءت الرواية فى ط ، س .

(٢) فى الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولـكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثَةُ أفراخ ، ولـكنَّها ترمى بواحدٍ[١] استثقالاً للتكسُّب على ثَلاَثة .
وقال آخرون : ليس ذلك إلاَّ بما[٢] يعتريها من الضَّعفِ عن الصَّيد ، كما
يعترى النُّفَساء من الوهْن والضَّعف ، وقال آخرون : العُقاب طائر سَيِّئُ
الخلق ، ردىءُ التَّربية ، وليس يُستعانُ[٣] على تربية الأولادِ إلاَّ بالصَّبْر .

٥٦ وقال آخرون : [لا ، و] لـكنّها شديدةُ النَّهَم والشَّرَهِ ، وإذا لم تكنْ
أمُّ الفِراخِ ذاتَ أَثَرَةٍ لها ، ضاعت .

وكذلك قالوا فى العَقْعق ، عند إضاعتها لفراخها ، حتَّى قالوا : « أحمقُ
من عَقْعَق » ، كما قالوا : « أحذَر من عَقْعَق » .

وقالوا : وأمَّا الفَرخ الذى يُخرجه العُقاب ، فإنَّ المكلَّفَةَ ، وهى طائرٌ
يقال لها كاسِر العِظام[٤] ، تقبلُه[٥] وتربِّيه .

والعُقاب تَحضُن[٦] ثلاثين يوماً ، وكذلك كلُّ طائرٍ عظيمِ الجثَّة ، مثل
الإوزّ وأشباهِ ذلك ، فأمَّا الوسطُ فهو يحضُن عِشرين يوماً . مثل الحِدَأ[٧]
ومثل أصناف البُزاةِ[٨] كالبواشِق واليَآيِىء[٩] .

---

(١) ط ، س : « بواحدة » .
(٢) بما : بمعنى لما . وفى ل : « ليس ذلك لما » ، وهو كلام ناقص .
(٣) ل : « يقوى شىء » .
(٤) ل : « يقال لها قينا » .
(٥) تقبله : تكفله . والقبيل : الكفيل .
(٦) فى الأصل : « يحضن » . والعقاب هنا مؤنثة .
(٧) هو جمع حدأة . وفى ط ، ل : « الحدأة » .
(٨) ط : « البزات » ، وصوابه فى س ، ل . وهو جمع باز .
(٩) اليآيئ : جمع يؤيؤ ، وهو طير جارح يشبه الباشق . قال أبو نواس فى طردية :

حفظ المهيمن يؤيئى ورعاه ما فى اليآيئ يؤيؤ شرواه

أى شبيهه . ط : « اليائى » . س : « الياى » ، وهما تحريف ما أثبت وهذه الكلمة والتى قبلها ساقطتان من ل .

والحدأة(١) تبيضُ بيضَتين . ورُبّما باضتْ ثَلاثَ بيضات وخرَج منهن ثَلاثَةُ فِراخ .

قالوا : وأما العقبانُ السُّودُ الألوان ، فإنَّها ترَبِّى وتحضُن(٢) .

وجميعُ الطير المعقَّف المخالبِ تطردُ فراخها من أعشاشها(٣) عندَ قوَّتها على الطَّيرَان . وكذلك سائرُ الأصنافِ منَ الطَّيرِ(٤) ؛ فإنَّها تطرُد الفِراخ [ثمَّ] لا تعرفُها ، ما عدا الغداف(٥) ؛ فإنها لا تزالُ لولدها قابلة ، ولحالِه متفقِّدة .

(أجناس العقبان)

وقال قوم(٦) : إنَّ العِقبانَ والبُزاة التَّامّـة ، والجهارْرَانك(٧) ، والسُّمنان(٨) .

---

(١) س : « والحداءة » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « تبيض وتحضن » .

(٣) ط ، س : « أعشتها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش ، وعششة وأعشاش . انظر المصباح .

(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .

(٥) كذا .

(٦) ل : « وزعم غيره » .

(٧) المراد بالبزاة أو العقبان التامة : التامة الأوصاف ، وهو من تعبير البزدرة ، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهار رنك » أو « الجهارنك » هى مركبة من « جهار » أى أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أى لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصيفر والأسود والأربد فيها . واللونان الأولان بالتصغير ، أى الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين فى ريش تلك الطير . وقلت : هذه الكلمة هى فى الأصل محرفة فى ط ، س : « الجهادانك » وفى ل : « الجهاردانك » . وقد اتضح الصواب مما تفضل به حضرة الأب .

(٨) كذا فى ط ، س . وفى ل : « النيميات » . وقد تفضل حضرة المحقق الكبير =

والزَّمامِج (١) والزَّرارِقَةَ (٢) إنهما كلَّها عِقْبان . وأمَّا الشَّواهينُ والصُّقورةَ ، واليَوايئ (٣) ، فإنها أجناسٌ أُخر .

(حضن الطير)

[قال : وقالوا : فراخ البزاة سمينةً طَيِّبَةٌ جدًّا] . وأما الإوزة فإنها [التى] تحضُن دونَ الذكَر (٤) ، وأمَّا الغِربانُ فعلى الإِناثِ الحضن ، والذكورة تأتى الإِناثَ بالطُّعمة (٥) .

وأمّا الحجَل فإنَّ الزَّوج مِنهاَ (٦) يهيِّئان للبَيض عُشَّين وثيقين (٧)

= الأب أنستاس ، فكتب إلى : « والسمان من البزاة والجوارح : كل ماطعن منها فى السن ، وهى جمع سمين . والعوام من العراقيين يسمونها : سمنان — كرغفان — فهى إذا طعنت فى السن ضخم جسمها وقعدت عن الصيد » . « والنيميات منسوبة إلى نيم ، بالكسر ، الفارسية ، بمعنى نصف . ويشار به إلى تلك البزاة ، أو العقبان الصغيرة الجسم ، وهى تكون فى أغلب الأحيان أشد صيداً وجراءة من نظائرها الكبيرة الجسم أو الجثة . ويؤتى بها من البلاد الباردة ، أو من الأرجاء الجبلية » . وعقب حضرته على ذلك بقوله : « وكل ذلك مذكور فى كتب البزدرة التى سرقت منى . وكان عندى منها ثلاث نسخ مملوءة أو مشحونة اصطلاحات » .

(١) الزمامج : جمع زمج ، بضم الزاى وتشديد الميم المفتوحة .

(٢) الزرارقة : جمع زرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة ، والمعروف زراريق . وفى الأصل : « الزراقة » ، وهو تحريف .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وهو جمع يؤيؤ . ط ، س : « والبوازى » .

(٤) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط : « وأما الأوز فإنها تحضن دون الذكورة » ومثله فى س بزيادة « التى » بعد « فإنها » .

(٥) فى اللسان : « الطعمة ، بالضم : شبه الرزق » . وفى ل : « بالطعم » ، ومثله فى عيون الأخبار (٢ : ٩٤) وهو بالضم : الطعام .

(٦) ل ، ط : « منهما » ، وصوابه فى س .

(٧) الوثيق : المحكم . وبدلها فى ط : « بيضتين » وفى س : « بيضين » وهو تحريف عجيب .

مقسومَين(١) عليهما ، فيحضُن أحدُهُما الذَّكَرَ ، والآخرَ الأنثى(٢) ، وكذلك هُمَا فى التَّربية . وكلٌّ واحدٍ منهما يعيشُ خمساً وعِشرين سنة ، ولا تَلْقَحُ الأنثى بالبيض(٣) ولا يُلقِحُ الذكرُ إلاَّ بعدَ ثلاثِ سنين .

(الطاوس)

قال : وأمَّا الطَّاوس فأوَّلَ ما تبيضُ فإنها تبيض ثمانِيَ(٤) بيضات . وتبيضُ أيضاً بيضَ الريح . والطَّاوس يُلقى رِيشَه فى زَمن الخَريف إذا بدَا أوَّلُ ورقِ الشَّجرِ يسقُطُ(٥) . وإذا بدأ الشَّجرُ يكتسى ورقاً ، بدأ الطاوس فاكتسى(٦) ريشاً .

---

(١) ط فقط : « مقسومتين » .

(٢) فضلت هذا الضبط لما جاء فى نهاية الأرب نقلا عن الجاحظ : « وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها ، وكذلك هما فى التربية » . ومثل هذا الكلام عند الدميرى ، مع نسبته إلى التوحيدى .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه ماأثبت كما فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا فى ل ونهاية الأرب ، وفى ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ل : « يلقى ورقه » وفى ط « فإذا بدا » ، وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير الثَّقيل الجثَّة فليس يهيِّئ لبيضه عُشًّا ؛ من أجْل أنَّه لا يُجيد[١] الطَّيران ، ويثقل عليه النهوض ولا يتحلَّق[٢] ، مثل الدُّرَّاج والقَبَج ، [وإنما يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفراريج الدَّجاج ، وكذلك فراريج البطِّ الصِّينى ، فإنَّ هذه كلَّها تخرُج من البيض كاسية [كاسبة[٣]] تلقط من ساعتها ، وتَكفى نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّاد من عُشِّ القبجة[٤] ولها فراخٌ ، مرَّتْ بينَ يديه مَرًّا غيرَ مُفيت[٥] ، وأطمعَتْه فى نفسها ليتبعها[٦] ، فتمرُّ الفراخ فى رجوعها إلى موضع عُشِّها[٧] . والفراخ[٨] ليسَ معها من الهِداية مامع

---

(١) ط ، س : « يجد » .

(٢) يتحلق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أى طار واستدار فى طيرانه ، لكن هكذا جاءت فى ل . وانظر ٥ : ١٥٢ . وفى ط ، س : « يتخلق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمر الفراخ ولئلا تغلط فى رجوعها إلى موضع عشها » .

(٨) ل : « فإنها » .

أمِّها . وعلى أنَّ القَبَجَةَ سيِّئة الدَّلالةِ والهِداية ، وكذلك كلُّ طائر يعجِّلُ له الـكَيْس والـكَسْوة ، ويعجِّل له الـكَسْبُ فى صغره .

وهذا إنَّمـا اعتراها لقَرابَةِ ما بينَها وبين الدِّيك .

قال : فإذا أمعن الصَّائد خلْفها وقد خرجت الفراخُ من موضِعِها ، طارت ٥٧
وقد نَحَّتْه[١] إلى حيثُ لايَهتدى الرُّجوعَ منه إلىموضع عشِّها[٢] ، فإذا سقَطَتْ قريباً دعتْها بأصواتٍ لها ، حتَّى يجتمعْنَ إليها .

قال : وإناثُ القَبَج تبيض [خَمْسَ عشْرَةَ بيضة إلى ستَّ عشرةَ بيضة . قال : والقبج طيرٌ منكرٌ] وهىتفرُّ[٣] ببَيضها من الذَّكر ؛لأنَّ الأنثى تشتغل بالحضْن عن طاعة الذَّكر فى طلب السِّفاد . والقَبَج الذَّكَرُ يوصَفُ بالقوّة على السِّفاد ، كما يوصف الدِّيكُ والحجَلُ والعُصفور .

قال : فإذا شُغِلت عنه بالحضْن ، طلبَ مواضعَ بيضها حتى يفسِدَهُ[٤] فلذلك ترتاد[٥] الأنثى [عشَّها] فى مَخَابِئَ[٦] إذا أحسَّتْ بوقْتِ البيض .

وإذا قاتل بعضُ ذُكورةِ القَبَج بَعضاً فالمغلوبُ منها مسفودٌ ، والغالبُ

---

(١) ط : « نحت » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٢) يقال : هو لايهتدى الطريق ، ولا يهدى — بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكسورة — ، ولا يهدى — بفتح الياء وكسر الهاء والدال المشددة . كل أولئك بمعنى لايهتدى إليه . فى ط : « إلى موضعها » .

(٣) س : «تشغل » .

(٤) ل : « يفسدها » ، ولها وجه .

(٥) ترتاد : تطلب . وفى ل : « توغل » ، ولا يقال أوغله .

(٦) ط ، س : « مخافى » وتصحيحه من ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرِضُ للدِّيَكة ولذكور الدَّراريج ، فإذا دَخَل بينَ الدِّيَكةِ (١) ديكٌ غريب ، فمَا أكثَرَ ما تجتمع عليه حتّى تسفَدَه ! .

(وثب الذُّكورة على الذكورة)

وسفادُ ذُكورة هذه الأجناسِ إنما يعرض لها لهذه الأسباب ، فأمّا ذُكورةُ الحَمير والخَنازيرِ والحمامِ ، فإنّ ذُكورَها تثِبُ على بعضٍ مِن جهة الشَّهوة .

وكان عند يعقوبَ بن صباح (٢) الأشعثيِّ ، هِرّانِ ضخْمان ، أحدُهُما يكومُ الآخَر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراهٍ ، ومِن غيرِ أن يكونَ المسْفودُ يريدُ من السَّافِدِ مِثلَ مايريدُ منه السَّافد . وهذا البابُ شائعٌ في كثير من الأَجناس، إلاَّ أنّه في هذه [الأَجناس] (٣) أوْجَد .

(صيد البُزاة للحمام)

ثمَّ رجَع بنـا القَولُ إلى ذِكْر الحمام ، من غير أن يشَـاب (٤) بذكر غيره .

---

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتساب » ويصح بـ « إنتشاب » أى تعلق . وأثبت ما فى ل . ويشاب : يخلط .

زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُزاةَ عشرة أجناس ، فمنها ما يضرِب الحمامة والحمامة جاثمة ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ إلاّ وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمام فى حال طَيَرَانِهِ ولا فى حالِ جثومِه ، [ولا يعرض له] إلّا أنْ يجده(١) فى بَعْض الأغْصان ، أو على [بعض] الأَنشازِ(٢) والأَشْجار . فعدَّد أجناسَ صيدِها ، ثمَّ ذكرَ أنَّ الحمامَ(٣) لا يخفَى عليه فى أوّلِ ما يرى البازىَ فى الهواء أىُّ البُزَاةِ هُو ، وأىُّ نوعٍ صَيدُه(٤) ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازى أشكال : أوّلَ ذلك أنّ الحمامَ فى أوّلِ نُهوضِه يفصلُ بينَ النَّسر والعُقاب ، وبينَ الرَّخَمةِ والبازى ، وبينَ الغُرابِ والصَّقر؛ فهو يَرَى الكَرْكىَّ والطَّبرزين(٥) ولا يستوحِشُ منهما ! ويرى الزُّرَّق فيتضاءل . فإنْ رأى الشّاهينَ فَقَدْ رأى السّمَّ الذعاف الناقِع(٦) .

(إحساس الحيوان بعدوِّه)

والنَّعجة ترى الفِيلَ والزَّنْدَبِيلَ والجاموسَ والبعير ، فلا يهزُّها(٧) ذلك ، وترى السَّبع وهى لم تره قبل ذلك(٨) ، وَعضوٌ من أعضاء تلك البهائم أعظمُ

---

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « ضده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا فى ل ، س . والمعروف فى الطبرزين أنه الفأس التى يعلقها الفارس فى سرج جواده . انظر معرب الجواليقى ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفى ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « فقد رأى السم الناقع » .

(٧) ل : « يهدها » .

(٨) ل : « الذى لم تره قبل فتخافه » وفيه تحريف .

وهى أهولُ فى العين وأشنعُ ، ثمَّ ترى الأَسَدَ فتخافه . وكذلك البَبْر والنمر .
فإنْ رأت الذئب [وحده] اعتراها منه وحْدَه مثلُ ما اعتراها من تلك
٥٨ الأجناسِ لوكانت مجموعةً فى مكانٍ واحد . وليس ذلك عن تجرِبَةٍ ،
ولا لأنّ منظرَه أشنعُ وأعْظم ، وليسَ فى ذلك عِلَّة(١) إلَّا ما طُبِعت عليه من
تمييز الحيوان عندها . فليس بمُستَنكَرٍ أنْ تَفصِلَ الحمامةُ بينَ البازى(٢)
والبازى ، كما فصلت بين البازى والكُرْكىِّ .

فإنْ زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب(٣) فمِنقارُ الكرْكىِّ أشنع [وأعظم]
وأفظع(٤) ، وأطولُ وأعرض(٥) . فأمَّا(٦) طَرَفُ منقار [الأبغث(٧) فما
كانَ(٨) كلُّ سنانٍ وإن كان مذرَّبا(٩)] ليبلغه .

---

(١) ط : « عليه » ، وهى على الصواب فى ل ، س .
(٢) أى تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك فى الصفحة السابقة س ٦ .
ل فقط : « الرخمة » تحريف .
(٣) فى الأصل : « تضرب مخالب » .
(٤) ل : « وأقطع » .
(٥) ليست فى ل .
(٦) ط ، س : « فا » ، وهو تحريف .
(٧) فى القاموس : أن الأبغث طائر ، ولم ينعته .
(٨) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .
(٩) مذربا ، بالذال المعجمة : محدداً . وفى الأصل ، وهو هنا ل :
« مدربا » ، تصحيف .

(بلاهة الحمام وخُرقه)

قال صاحب الدِّيك : وكيفَ يكونُ للحمام من المعرفة[١] والفطِنة ما تذكرون ، وقد جاء فى الأَثر[٢] : « كُونُوا بُلْهاً[٣] كالحمام » ؟ !

وقال صاحب الدِّيك : تقول العربُ : « أخرَقُ مِنْ حمامةٍ » ، ومما يدل على ذلك قولُ عَبيدِ بنِ الأبرص :

عَيُّـــوا بِأَمْرِهُمُ كما عَيَّتْ ببَيْضَتِهَا الحَمَامهْ
جَعَلَتْ لها عُودَينِ منْ نَشَمٍ وآخَرَ من ثُمامهْ[٤]

---

(١) ط ، س « الحركة » ، ووجهه ما فى ل .

(٢) كذا فى ل ، س . وهو الموافق لما جاء فى البيان (٢ : ٢٧٥) : «وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفى ط : « وقد جاء فى الحديث » كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٠) . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ٧٢) : « وفى الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حلماء كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص فى إنجيل متى (الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام » .

(٣) فى الأصل : « بلهاء »، وإنما هى « بلها » كما فى ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به الغافل عن الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسى . والثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبت قصير يضرب به المثل فى الضعف . وذلك حمقها : أن تجمع بين ضعيف وقوى : فيتكسر عشها ويقع البيض فينكسر . انظر عيون الأخبار (٢ : ٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميدانى (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عَبيدٌ إنما عَنَى حمامةً من حمامكم هذا الذى أنتم بهِ تفخَرُون ، فقد أكثرتم فى ذكر[١] تدبيرها لمواضعِ بَيضها ، وإحكامِها لصَنعة عشاشها[٢] وأفاحيصها .

وإن قلتم : إنَّه إنما عَنَى بعضَ أجناسِ الحَمَام الوحشى والبَرّىّ ، فقد أخرجتم بعضَ الحَمَامِ مِن حُسْن التَّدْبير . وعبيدٌ لم يخُصَّ حماماً دُونَ حمام .

(رغبة عثمان فى ذبح الحمام)

وحدَّثَ أُسامةَ بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشْياخِنا منذُ زمانٍ ، يحدِّثُ أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ ــ رضى اللهُ تعالى عنه ــ أراد أنْ يَذْبَحَ الحَمَامَ ثمَّ قال : « لولا أنّها أُمّةٌ من الأمم لأَمرت بذبحهن[٣] ، ولكنْ قُصُّوهنَّ » . [فدلَّ بقوله : قُصُّوهنّ] على أنَّها إنما تُذْبَحُ لرغبة[٤] مَنْ يتّخذُهنّ ، ويَلعبُ بهنَّ من الفِتْيانِ والأَحداثِ والشّطَّار[٥] ، وأصحابِ المراهَنة والقِمار ، والذين

(١) ل : « ذلك » ، وهو تحريف . والمراد بالإكثار التزيد والمبالغة .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أعشتها » وانظر التنبيه رقم ٣ ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبحها » ،وأثبت ماق ل .

(٤) ل : « لسورعة » ! .

(٥) الشطار : جمع شاطر ، وهو الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وشطر عن الطريق السوى : أى عدل عنه . وفى ل فقط : « السطار » وهو تصحيف . واللعب بالحمام التسابق به ، على نحو مايفعل بالخيل . انظر صورة من ذلك فى أخبار الظراف ص ٣٨ .

يتشرَّفون(١) على حُرَم الناس والجيران ، ويخْتَدِعُون(٢) بفراخ الحَمَام أولاد النَّاس ، ويرمون بالجُلَاهِقِ(٣) وما أكثر مَنْ قد فقأ عيناً وهشَم أنْفاً ، وهتَم فَماً ، وهو لا يدرى مَا يصنَع ، ولا يَقِفُ على مقدارِ مَا رَكِبَ به القومَ . ثم تذهب(٤) جِنايتُهُ هدَرًا ، ويعودُ ذلك الدَّمُ مطلولاً بلا عقْل ولا قوَدٍ ولا قِصاص ولا أرْش(٥) ، إذْ كان صاحِبُه مجهولا .

وعلى شبيهٍ بذلك كان عمرُ — رضى الله عنه — أمر بِذَبْحِ الدِّيَكة(٦) وأمرَ النبىُّ صلَّى الله عليه وسلَّم بقتْل الكلاب .

قالوا : ففيما ذكرنا دليلٌ على أنَّ أكْلَ لحومِ الكلابِ لم يكنْ مِنْ دينِهم ولا أخْلاقِهِمْ ، ولا منْ دواعى(٧) شهواتهم . ولولا ذلك لما جاء الأثرُ عن النبىِّ — صلى الله عليه وسلم — وعُمَر وعُثْمانَ — رضى الله تعالى عنهما بِذَبْح الدِّيَكةِ والحَمامِ ، وقتْل الكلاب . [ولولا أنَّ الأمرَ على ما قلنا ، لقالوا : اقتلوا الدُّيوكَ والحَمامَ كما قال : اقتلوا الكلاب] . وفى تفريقهم بينهما دليلٌ على افتراقِ الحالَاتِ عندَهم .

---

(١) التشرف : التطلع . وفى ط فقط : « يشرفون » من الإشراف : أى الاطلاع . وماأثبت أقرب وأشبه .

(٢) ط ، س : « ويخدعون » .

(٣) الجلاهق : هو الطين المدور المدملق ، يرمى به عن القوس ، فارسى ، أصله جلاهه . الجواليقى ٤٢ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذهبت » .

(٥) العقل : الدية . والقود ، بالتحريك ، بمعنى القصاص ، وهو قتل النفس بالنفس . والأرش : دية الجراحات .

(٦) كذا فى ل . وكما سبق فى الجزء الأول ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وفى ط ، س : « أراد عمر رضى الله عنه أن يذبح الديكة » .

(٧) ط ، س : « ولا كان فى دواعى » .

٥٩ قال : حدَّثنى أسامة بن زيد[١] ، وإبراهيمُ بنُ أبى يحيى ، أنَّ عثمان شكَوْا إليه الحمَامَ ، وأنّه قال : « مَنْ أخذَ منهنَّ شيئاً فهو له » . وقد علمْنا أنّ اللّفظَ وإن كان قد وقعَ على شِكاية الحمام ، فإن المعنى إنَّما هو على شكايةِ أصحاب الحمام ؛ لأنّه ليس فى الحمامِ مَعنًى يدعُو إلى شكايةٍ[٢] .

قال : وحدّثنا عُثمان قال : سُئِل الحسنُ عن الحمام الذى يصطاده النَّاس ، قال : لا تأكلْه ، فإنّه منْ أموال الناس ! فجعله مالاً ، ونَهَى عن أكْله بغير إذنِ أهله . وكلُّ ما كان مالاً فبيعُه حسَنٌ وابتياعُه حسن . فكيفَ يجوزُ لشيءٍ هذه صفتُه أَنْ يُذبح ، إلَّا أن يكون ذلك على طريق العِقاب والزَّجْرِ لمن اتَّخذَه لما لا يحلّ ! !

قال : ورووا عن الزُّهرى عن سعيدِ بن المسيَّب قال : نَهَى عُثمانُ عن اللِّعبِ بالحَمَام[٣] ، وعن رمى الجُلاهِق . فهذا يدلُّ على ما قلْنا .

(أَمْن حمام مكة وغِزْلانها)

والناس يقولون : « آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ ، ومِنْ غِزلان مكة » . وهذا شائعٌ على جميع الألسنة ، لا يردُّ ذلكَ أحدٌ ممن يعرِفُ الأَمثَالَ والشّواهدَ . قال عُقبةُ الأَسدىُّ[٤] لابن الزُّبير :

(١) ل : « بدر » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف . انظر ص ١٩٠ .

(٤) عقيبة بن هبيرة الأسدى : شاعر جاهلى إسلامى . اللآلئ ١٤٩ . وانظر الأغانى ١٨ : ١٢٨ . وفى الأصل : « عقبة » ، تحريف .

ما زلتَ مذ حِجَجٍ بمكة مُحْرِماً(١) فى حيثُ يأمَنُ طائرٌ وحَمامُ
فلَتَنْهَضَنّ العِيسُ تنفخُ فى البُرَا يَجْتَبْنَ عُرْضَ مَخارِمِ الأعلامِ(٢)
أبنو المغيرةِ مثلُ آلِ خُوَيلدٍ ؟ ! يا لَلرِّجالِ لِخفّةِ الأحلامِ(٣) !

وقال النابغةُ فى الغِزْلان وأمْنِها ، كقولِ جميع الشُّعراء فى الحمام :

لا والذى آمَنَ الغزلانَ تَمسَحُها رُكبانُ مكّةَ بين الغِيلِ والسَّعَدِ(٤)

ولو أنّ الظِّباءَ ابتُلِيَتْ بِمَنْ يتَّخِذها بمثلِ(٥) الذى ابتُلِيت به الحَمام ثمّ ركبوا المسلمين فى الغِزلان بمثل ما ركبوهم به فى الحَمام ، لساروا فى ذَبْحِ الغِزلان كسيرتِهم فى ذَبْحِ الحَمام .

وقالوا : إنّه لَيبلُغُ مَن تعظيم الحَمام لحُرْمة البيتِ الحرام ، أنَّ أهلَ مكة يشهَدون عن آخرهم أنَّهم لم يَرَوْا حَماماً قطُّ سقَطَ على ظهر الكعبة ، إلّا مِن

---

(١) كذا فى ل ، وهو الوجه . . وفى ط ، س : « ملحدا » ، من الإلحاد بمعنى الظلم فى الحرم . ولا يصح لأن الشعر مدح . وقد أشار عقبة إلى ما كان من عبد الله بن الزبير فى مكة ، حيث بويع له بمكة سنة أربع وستين ، وخلع يزيد ابن معاوية ، وأقام بها تسع سنين وقتل فى خلافة عبد الملك بن مروان على يد الحجاج بمكة سنة ثلاث وسبعين . انظر تاريخ الاسحاقى ص ٥١ .

(٢) العيس ، الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . والبرا : جمع برة ، كثبة ، وهى الحلقة فى أنف البعير . يجتبن : يقطعن . والمخارم : الطرق فى الأرض الغليظة . س : « تجنبن عرض مخارج » وهو تحريف .

(٣) بنو المغيرة هم بنو مروان ؛ لأن أمهم عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبى العاص ابن أمية . انظر الإصابة ٧٠٩ من قسم النساء ، والعقد ٣ : ١٤٨ . وآل خويلد هم بنو الزبير ، وهو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى . انظر المعارف ٩٦ .

(٤) ط ، س : « والمؤمن العائذات الطير » ، وما أثبت من ل هو الوجه ؛ لما سبق من الكلام . والغيل ، بالكسر ، والسعد ، بالتحريك : أجمتان كانتا بين مكة ومنى . شرح المعلقات للتبريزى ٣٠٠ .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « بمن يتخذها مثل » .

عِلةٍ عَرَضتْ له . فإن(١) كانت هذه المعرفة اكتساباً من الْحَمام فالْحَمامُ فوق جميعِ الطيرِ وكلِّ ذى أربع . وإن كان هذا إنَّما كان [من] طريقِ الإلهام ، فليس ما يُلهَمُ كما لَا يلهَم .

وقال الشّاعرُ(٢) فى أمْن الحمَام :

لقد علم القبائلُ أنّ بَيْتى ... تفرَّعَ فى الذّوائبِ والسَّنامِ
وأنَّا نَحْنُ أولُ من تَبَنَّى ... بمكّتها البيوتَ معَ الحَمام(٣)

وقال كثيِّر — أو غيره من(٤) بنى سهم — فى أمْن الحَمام :

٦٠ لَعَنَ اللهُ مَنْ يَسُبُّ عليًّا ... وحُسَيْناً مِنْ سُوقَةٍ وإمامِ
أيُسَبُّ المطيَّبون جدودًا(٥) ... والكرامُ الأخوالِ والأعمامِ
يأمن الظبى(٦) والحَمامُ ولا يأ ... مَنُ آلُ الرّسولِ عِنْدَا لمقامِ !!
رحمةُ اللهِ والسَّلامُ عليهمْ ... كلما قامَ قائمٌ بسلامِ(٧)

---

(١) ط : « فإذا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما فى المؤتلف ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) فى المؤتلف : « بمكتنا » . وفى الأصل : « من الحمام » ، صوابه فى المؤتلف .

(٤) ط ، س : « فى » وتصحيحه من ل . والسهمى هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمى ، قال الجاحظ فى البيان ٣ : ٣٥٩ : « وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر » . وأنشد الشعر الآتى . أو هو كثير ابن كثير السهمى كما فى معجم المرزبانى ٣٤٨ ، قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب على .

(٥) المطيبون : المطهرون . فى ل : « أيسب المطيبين » ، وفى المعجم « أتسب المطيبين » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت فى المعجم وبعد البيت الذى يليه فى البيان :

طبت بيتا وطاب بيتك بيتاً ... أهل بيت النبى والإسلام

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الإسلام »، وهى رواية محرفة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأنَ ابنِ الزُّبير وشأنَ ابنِ الحنفيَّة(١) ، فقال :

ومن يَرَ هذا الشَّيخَ بِالخَيفِ من مِنًى(٢)
مِنَ النَّاس يَعلمْ أنَّهُ غيرُ ظالم

سَمِيُّ النبيِّ المصطفَى وابنُ عمِّه(٣) وفكَّاكُ أغْلالٍ ونفَّاعُ غارمِ
أَبَى فهو لا يشْرِى هُدًى بضَلَالةٍ ولا يتَّقِى فى الله لوْمَةَ لائمِ
ونحن بحَمْدِ اللهِ نتلُو كتابَهُ حُلولاً بهذا الخَيْفِ خَيفِ المحَارِمِ(٤)
بحيثُ الحَمَامُ آمناتٌ سواكنٌ وتَلْقى العدُوَّ كالوَلِيِّ المسالمِ

(حمامة نوح)

قال صاحب الحَمام : أمَّا العرب والأعرابُ والشُّعَراء ، فقد أطبقوا على أنَّ الحَمَامَةَ هى التى كانت دليلَ نوحٍ ورائده(٥) ، وهى التى استجعَلَتْ(٦)

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن على بن أبى طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابنى على بيد أن والدة هذين هى فاطمة الزهراء ، وأم ذاك هى خولة بنت جعفر الحنفية ، فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً واسع العلم . وكان المختار الثقفى يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدى ، وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى . ولد بالمدينة سنة ٢١ وتوفى سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من منى . ومنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم للرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجوزون فى مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « المخارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً فى الأرض يصلح مرفأ للسفينة . انظر الحيوان (٢ : ٣٢١) .

(٦) استجعلت : طلبت الجعالة — كسحابة — وهى الرشوة . والرشوة : العطاء فى مقابل نفع .

عليه الطَّوْقَ الذى فى عنقها ، وعند ذلك أعطاها الله تعالى تلك الحِلْية ؛ ومنَحَها تلك الزِّينةَ ، بدعاءِ نوحٍ عليه السلام ، حينَ رجعتْ إليه ومعها من الكرْم ما مَعها ، وفى رجليها من الطِّين والحَمْأة ما برجليها ، فعوِّضتْ من ذلك الطِّين خِضابَ الرِّجلين ، ومن حُسن الدَّلالَةِ والطَّاعةِ طَوْقَ العنق .

(شعر فى طوق الحمامة)

وفى طوقها يقول الفرزدق(١) :

فمن يكُ خائفاً لأذاةِ(٢) شِعرى ... فقد أَمِنَ الهِجاءَ بنو حَرَامِ
هم قادُوا(٣) سفيهَهُمُ وخافُوا ... قلائِدَ مِثلَ أطواقِ الحمامِ

وقال فى ذلك بَكْر بن النَّطَّاح(٤) :

---

(١) يقول هذا الشعر فى رجل من بنى حرام ، كان قد هجا الفرزدق، فخشى قومه من لسان الفرزدق فجاءوا به يقودونه إليه ، فقال البيتين . انظر العمدة (١ : ٣٨) . والبيتان لم أجدهما فى الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبى فى الثمار ٣٦٨ .

(٢) الأذاة : الأذى ، وفى ط فقط : « لأذات » محرفة .

(٣) ط : « قادروا » ، وتصحيحه من ل ، س والعمدة . وبدلها فى الثمار : « منعوا » .

(٤) بكر بن النطاح : شاعر كان فى زمن هارون الرشيد ، وهو بصرى نزل بغداد ، وكان يعاشر أبا العتاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشعر أهل الغزل من المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح . تاريخ بغداد ٣٣٢٦ . قلت : وبكر صاحب المقطعة الرقيقة التى تغنيها فى عصرنا هذا زعيمة الغناء أم كلثوم . وأول هذه المقطعة :

أكذب نفسى عنك فى كل ماأرى ... وأسمع أذنى منك ماليس تسمع

وهى صوت من أصوات الأغانى (١٧ : ١٥٣) .

إذا شئتُ غنَّتْنى ببَغْدَادَ قَيْنَة وإن شئتَ غنَّانى الحَمَامُ المطوَّق

لباسى الحسامُ أو إزارٌ مُعصفرٌ ودِرْعُ حديدٍ أو قميصٌ مخلَّق (١)

فذكر الطَّوق ، ووصَفَها بالغِناءِ والإطراب . وكذلك قال حُمَيد بن ثَور :

رَقُودُ الضُّحَى لَا تعرِف الجيرَة (٢) القصا (٣)

ولا الجيرةَ الأدْنينَ إلَّا تجشُّما (٤)

وليستْ مِنَ اللائى يكونُ حديثُها أمَامَ بَبيوتِ الحىِّ إنّ وإنَّما

ثمّ قال : ٦١

وما هاج هذا الشّوقَ إلَّا حمامةٌ دعَتْ ساقَ حُرٍّ تَرْحَةً وتَرنُّما (٥)

---

(١) يقول : هو يلبس الحسام والدرع الحديد فى حال الحرب ، والإزار المعصفر والقميص المخلق فى حال السلم . المخلق : المطيب بالخلوق ، وهو بفتح الخاء : ضرب من الطيب .

(٢) الجيرة : جمع جار ، مثل قاع وقيعة . وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفرة بعدم زيارتها لجاراتها أو ندرة ذلك . قال أبو قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهن فتعذر

وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهذان خير ما قيل فى امرأة خفرة . الأغانى (٩٥ : ١٥٩) . ل : « الجيزة » تصحيف .

(٣) القصا : جمع قصوى ، وهى البعيدة . وقد رسمت فى ل : « القصى » وهى كتابة جائزة ، فما كان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسوراً أو مضموماً ، جاز أن يكتب بالياء ، وإن كان أصله الواو ، كما هنا . انظر المقصور ص٦.

(٤) يقال : تجشم الأمر : إذا حمل نفسه عليه وتكلفه . وفى ل : « تجمّا » وهو تصحيف .

(٥) ساق حر : ذكر القمارى ، أو هو صوت الحمام . وروى فى ل وكذا اللسان (حرر) : « فى حمام ترنما » وأثبت ما فى ط ، س ، وكذا الكامل ٥٠٣ ليبسك وزهر الآداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب الكاتب ٢٣ ونثار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق) . والترحة : ضد الفرحة .

مطوّقةٌ خطْباء(١) تصدَحَ كلما ... دنا الصَّيفُ وانجابَ الربيعُ فأنجما(٢)

ثمّ قال بعد ذكر الطوق :

إذا شئتُ غنَّتْنِي بأجزَاعِ بِيشَةٍ ... أو النَّخْلِ مِنْ تَثْلِيثَ أو بيلملما(٣)

عجبتُ لها ، أنّى يكونُ غِناؤها ... فصيحاً ولم تَفْغَرْ بمَنْطِقِها فَمَا

ولم أرَ محزُوناً لهُ مِثلُ صوتِها ... ولا عَرَبِيًّا شاقَهُ صوتُ أعجَما

وقال فى ذكر الطّوق ـ وأنّ الحمامةَ نَوّاحةٌ ـ عبدُ الله بن أبى بكر(٤) وهو شهيد يوم الطائف(٥) ، وهو صاحبٌ ابنُ صاحِبٍ(٦) :

---

(١) الخطباء : التى فيها خطبة ، أى سواد وبياض . وفى س فقط : « خضباء » أى محمرة الساقين، ويعزز هذه ما ورد فى الصفحة ١٩٦ س ٤ . وهى رواية العقد (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفى ل « وانزال » وهى صحيحة ، يقال : انزال عنه : فارقه . وأنجم : أقلع وولى . وفى س : « بأنجما » تحريف .

(٣) الأجزاع : جمع جزع بالكسر ، وهو منحنى الوادى . وبيشة ، بالكسر : بلد جنوبى مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويلملم : موضع على ليلتين جنوبى مكة . ويقال له أيضاً « ألملم » و « يرمرم » . وجاء فى ل : « بينمنا » ولم أر هذه اللغة . وفى س : « يتلملما » وهى تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبى بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبى بكر وهما فى الغار ومعه أخبار قريش فيبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قريش . وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر فى حصارها ، فمات شهيدا فى خلافة أبيه فى شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة دنانير فاستكثرها أبو بكر . المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين فى السنة الثامنة من الهجرة . لما انهزمت ثقيف فى غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصرهم بالطائف نيفا وعشرين يوما ثم انصرف عنهم . وفى الأصل : « يوم الطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا اليوم كان فى سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذى قتل فيه الحسين بن على بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة . وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أرَ مثلى طلّق اليومَ مثلهاَ ولا مِثْلها فى غير جرمٍ تطلّقُ (١)
أعاتكُ لا أنْساكِ مَا هبَّتِ الصَّبَا وما نَاحَ قُمرِىٌّ الحمامِ المطوّقَ

وقال جَهْم بن خَلَف ، وذكرها بالنَّوح ، والغناء ، والطَّوْقِ ، ودعوةِ نوح ؛ وهو قَوْلُه :

وقد شاقنى نَوْحُ قُمريةٍ طرُوبِ العَشِىِّ هتوفِ الضُّحَى
من الوُرْقِ نوّاحةٍ باكرَتْ عَسِيبَ أشاءٍ بذاتِ الغَضاَ (٢)
تَغنَّتْ (٣) عَليهِ بلحنٍ لها يُهيِّج للصَّبِّ ما قدْ مَضى
مطوَّقةٍ كُسِيتْ زِينةً بدعْوةِ نوحٍ لها إذ دَعَا (٤)
فلم أرَ باكِيةً مِثلها تبكِّى ودَمْعتها لا تُرَى (٥)
أضلّتْ فُرَيْخاً فَطافَتْ لهُ (٦) وقد عَلِقتْه حبالُ الرَّدَى
فلما بدا اليأْسُ منهُ بَكَتْ عَليهِ ، وما ذا يردُّ البُكا
وقد صادَهُ ضَرِمٌ مُلْحِمٌ خفوقُ الجناحِ حَثِيثُ النَّجَا (٧)

(١) يشير بذلك إلى زوجه ، عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلته عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل ثم تبعتها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجعها . الإصابة ٦٩٢ قسم النساء ، والعقد ٤ : ١٧٥ — وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبعتها نفسه — وتبعه الراغب الأصفهانى فى المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الظراف ٢٠ والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .
(٢) الأشاء : صغار النخل، أوعامته . والعسيب : الذى لم ينبت عليه الخوص من السعف .
(٣) ل : « فغنت » ، وما أثبت أجزل .
(٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .
(٥) هذا البيت أثبت فى ط بعد البيت الآتى . والوجه ما كتبت من ل ، س .
(٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أى من أجله أيضا .
(٧) الضرم : الشديد الجوع . والملحم ، بكسر الحاء : الذى يطعم صاحبه لحم الصيد ، وبفتح الحاء : الذى يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحثيث النجا : السريع الطيران . وقد عنى به البازى أو الصقر .

حـديدُ المَخالِبِ عارِى الوَظِيـ ... ـفِ ضارٍ من الوُرْقِ فيه قنا(١)

تَرَى الطَّيرَ والوحْشِ مِن خَوفه ... جِوامزَ(٢) مـنه إذا ما اغتدى

(نزاع صاحب الدِّيك فى الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأمَّا قوله :

مطوَّقَة كساها اللهُ طوقاً ... ولم يَخْصُصْ به(٣) طيرًا سِوَاها

٦٢ كيف لم يخصُصْ بالأطواق(٤) غيْرَ الحمام ، والتَّدارِجُ أحقُّ بالأطواق وأحسنُ أطواقاً منها ، وهى فى ذُكورتها أعمّ ؟ ! وعلى أنّه لم يصف بالطّوق الحمامة التى فاخرتم بها الدِّيك ؛ لأنَّ الحمامة ليست بمطوَّقة ، وإنما الأطواقَ لذكورة(٥) الوارشين [وأشباه الوارشين ، من] نوائح الطَّير وهواتِفها ومغنِّياتها . ولذلك قال شاعرُكم ، حيث يقول(٦) :

---

(١) الورق : جمع أورق ، وهو ما فى لونه بياض إلى سواد . وفى ل : « الزرق » ومما جاء فى وصف الصقر بالزرقة قول ذى الرمة :

نظرت كما جلى على رأس رهوة ... من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

والقنا : نتو وسط قصبة الأنف وضيق المنخرين ، وهذا فى الفرس عيب ، وفى الصقر والبازى مدح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جمز إذا عدا .

(٣) فى الأصل : « بها » والضمير عائد إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه فى ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبى بكر كما سبق فى ص ١٩٩ .

أعاتكَ لا أنساكِ ما هبَّتِ الصَّبَا ... وما ناحَ قُمْرِيُّ الحمَامِ المطوَّقُ (1)

وقال الآخر (2) :

وقد شاقنى نوحَ قمريّةٍ ... طَروبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحى

ووصفها فقال :

مطوَّقةٍ كُسِيت زِينةً ... بدَعوةِ نوحٍ لها إذ دَعا

فإن زعمتم أنّ الحمامَ والقمْرِيَّ واليمامَ والفواختَ والدَّبَاسِيَّ (3) والشَّفانِينَ والوَراشِينَ حمامٌ كلُّه ، قلنا : إنَّا نزعم أنّ ذكورةَ التَّدَارِجِ وذكورةَ القَبَج ، وذكورةَ الحجَلِ ديوكٌ كلها . فإنْ كان ذلك كذلك ، فالفخْرُ بالطَّوق نحن (4) أولى به .

قال صاحب الحمام : العرب تسمِّى هذه الأجناسَ كلها حماماً ، فجمعوها بالاسم العامّ ، وفرَّقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صُورَها متشابهة (5) وإن كانَ فى الأجسامِ بعضُ الاختلافِ ، وفى الُجثث بعض الائتلاف (6) وكذلك المناقير . ووجدناها تتشابه (7) من طريق الزِّواج ، ومن طريق

(1) بدل هذا الشطر الأخير فى كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(2) هو جهم بن خلف كما سبق فى ص ١٩٩ . ل : « ثم قال الآخر » .

(3) الدباسى : جمع دبسى بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشى ط ، س : « الديسى » ل : « الدبسى » والوجه فيه ما كتبت .

(4) ل : « ونحن » .

(5) هذه الجملة ساقطة من ل .

(6) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وفى الجثث كذلك » .

(7) ط فقط : « تشابه » بحذف التاء الأولى .

الدُّعاء والغناء والنَّوح ، وكذلك هى فى القُدودِ وصُورِ الأعناق ، وقصب الريش ، وصِيغَة[1] الرُّءوس والأرجل والسُّوق والبَرَاثِنِ[2] . والأجناسُ التى عددتم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زِواج . وليس بين الدِّيَكة وبينَ تلك الذُّكورةِ نسبٌ إلّا أنّها من الطَّير الموصوفة[3] بكَثْرةِ السِّفاد ، وأنَّ فِراخَها وفرارِيجها تخرُجُ من بيضها كاسية [كاسبة] . والبطُّ طائرٌ مثقل ، وقد ينبغى أن تجعلوا فرخَ البطَّة فَرُّوجاً ، والأنثى دجاجةً والذَّكرَ دِيكا ، ونحنُ نجد الحمامَ ، ونجد الوراشين ، تتسافد وتتلاقح ، [ويجىء منها الراعِبىُّ والوردانىُّ ؛ ونجد الفَواخِت والقمارىّ تتسافد وتتلاقح] ، مع ما ذكرنا من التشابُه فى تلك الوجوه . وهذا كلُّه يدلُّ على أنَّ بعضها من بعْضٍ كالبُخْتِ والعراب ونتائج مابينهما[4] ، وكالبراذين والعِتاق ، وكلها خيلٌ ، وتلك كلها إبل . وليس بين التَّدارج والقَبَج والحَجَلِ والدَّجاجِ هذه الأمورُ التى ذكرنا .

وعلى أنَّا قد وجدْنا الأطواقَ عامّةً فى ذواتِ الأوضاح مِنَ الحمام ، لأنَّ فيها من الألوان ، ولها من الشِّياتِ وأشكالِ [و][5] ألوان الريش ما ليس لغيرها من الطَّير . ولَوْ احْتَجَجْنا بالتَّسافدِ دونَ التَّلاقُح ، لكان

٦٣ لقائل مقال ، ولكنَّا وجدنَاهَا تجمع[6] الخصلتين ، لأنَّا قدْ نجدُ سُفهاءَ

---

(١) الصيغة ، بالكسر : الهيئة والخلقة . وفى ط ، س : « وصفة » .

(٢) البراثن : جمع برثن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٣) ل : « الموصوف » .

(٤) ل : « وتناتج بينها » تحريف .

(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وجدنا مايجمع » .

النّاس ، ومن لايتقذّر[١] من الناس والأحداث[٢] ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، ويَقِلُّ طَرُوقُه[٣] ، وتطول عُزْبته[٤] ؛ كالمعْزِب[٥] من الرِّعاء[٦] فإنّ هذه الطَّبَقَةَ من النّاس ، لم يَدَعوا[٧] نَاقَةً ، ولا بقرَةً ، ولا شاةً ، ولا أتاناً ، ولا رَمَكةً ، ولا حِجْراً ، ولا كلبةً ، إلّا وقد وقعوا عليها .

ولَوْلَا أنَّ فى نفوسِ النَّاس وشَهوَاتِهمْ ما يدعو إلى هذه القاذورة[٨] ، لَمَا وجدْتَ هذا العمَلَ شائعاً فى أهل هذه الصفة[٩] ، ولَوْ جمعتَهم لجمعتَ أكثَرَ من أهلِ بغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلقحْ واحد[١٠] منهم شيئاً من هذه الأجناس على أنّ بعض هذه الأجناس يتلقى[١١] ذلك بالشَّهوةِ المفْرطة .

ولقد خبَّرَنى من إخوانى من لا أتَّهِمُ خَبَرَه أنّ مملوكاً كان لبعض أهل القَطيعة - أعنى قطيعة الربيع[١٢] - وكان ذلك المملوكُ يَكومُ بغلةً

(١) ل ، س : « يتقزز » ، ومعنياهما متقاربان .
(٢) ل : « من الأحداث » .
(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأنثى . وفى الأصل : « تقل طروقته » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .
(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون للمرء أهل .
(٥) المعزب : الذى أبعد بماشيته .
(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسرها : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى ل .
(٧) ط ، س : « لم يرعوا » ، وليست ترعى الكلبة .
(٨) القاذورة : الفعل القبيح .
(٩) ل : « فى هذه الصفة » ولعل صوابهما : « فى هذه الطبقة » .
(١٠) ل : « أحد » .
(١١) على بمعنى مع . وفى ط ، س : « وعلى أنها تتلق ذلك بالشهوة المفرطة » .
(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التى لاملك لأحد عليها ، ولا عمارة توجب ملكا لأحد . ويظهر أن أول من توسع فى هذا النظام فى الإسلام هو الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردى فى الأحكام السلطانية (١٦٨ - ١٧٥) حديثا مسهبا فى هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت بكرخ بغداد . معجم البلدان .

وأنّها كانت تودق وتتلمّظ(١) وأنّها(٢) فى بعض تلك الوَقَعاتِ تأخّرَتْ وهو موعبٌ فيها ذكرَه تطلبُ الزيادة، فلم يَزَل المملوكُ يتأخّرُ وتتأخّرُ البغْلة حتّى أسندتْه إلى زاوية مِنْ زَوايا الإصطبل، فَاضّغَطَتْه حتّى بَرَدَ(٣)، فدخل بعضُ من دخل فرآه على تلك الحال(٤) فصاح بها [فتنحّتْ] وخرّ الغلام مَيّتاً(٥) .

وأخبرنى صديقٌ لى قال : بلغنى عن بِرْذَوْنٍ لزُرْقان(٦) المتكلِّم، أنّهُ كان يدربخ(٧) للبغال والحمير والبراذين حتى تكومَهُ، قال: فأقبلت يوماً فى ذلك الإصطبل، فتناولت المجرفة(٨)، فَوَضَعَتُ رأس عودِ المِجْرَفَة(٨) على

---

(١) تودق : تريد الفحل . ل : « تتودق » . تتلمظ : تخرج لسانها كتلمظ الآكل . ط س ، : « تلمظ » .

(٢) ط : » فإنها » ووجهه فى ل ، س .

(٣) « اضغطته » بقلب تاء الافتعال ضادا ، شذوذ صرفى ، قياسه : اضطغطته . وحكى صاحب اللسان : « اضتغط » . قال : « والقياس اضطغط » . ولم أرها إلا متعدية بعلى . وبرد : مات .

(٤) ل : « فاذا هو على تلك الحال » .

(٥) ل : « فخر العبد ميتا » . خر : سقط .

(٦) زرقان هذا هو غلام إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه ، واسمه محمد بن شداد بن عيسى ، كما فى معجم البلدان (المسامعة) . وقد حكى زرقان عن النظام أقوالا فى الفرق ٥٠ – ٥١ وقد عده المسعودى فى التنبيه والإشراف ٣٤٢ . ط ، س : « لوزقان » ل : « لذرقان » وهو تحريف .

(٧) يدربخ لها : يطاوعها فيما تطلب منه ، وأصل ذلك فى الحمام . وفى ط ، س : « يشمع » ومؤداهما واحد .

(٨) المجرفة : المكنسة وزنا ومعنى . ط ، س : « المحرفة » تصحيف ما فى ل .

مَرَاثِه(١) وإنّه لأكْثَرُ مِن ذِرَاعٍ ونصف(٢) ، وإنه لَخشِنٌ غليظٌ غير محكوك [الرأس] ولا مُمَلّسِه(٣) ، فدفْعته حتى بلغ أقصى العود ، وامتنع من الدُّخول ببدن المِجْرفة . فحلَفَ أنّه ما رآه تأطّرَ ولا انثنى .

قال صاحب الحمام : فهذا فرق مابيننا وبينكم .

(ما وصف به الحمام من الإسعاد وحسن الغناء والنوح)

ونَذْكر(٤) ما وُصِف به الحمامُ من الإسعاد(٥) ، ومن حُسْن الغِناء والإطراب والنَّوح والشّجَا(٦) . قال الحسن بن هانئ :

إذا ثَنَتْه الغصون جلَّلني   فَينانُ مَافى أديمه جُوَبُ(٧)

---

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : مخرج الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) فى الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسعاد : المعاونة والمشاركة فى البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام ، والشعر الآتى وما بعده ناطق به . وفى الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفى ، صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجى » ومادته واوية .

(٧) ثنته الغصون ، يعنى ظل العنب . جللنى : غطانى . والفينان : أصله الحسن الشعر الطويله ، وأراد به الغصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى الفجوة . وفى ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود وأصح . وقبل هذا الأبيات فى الديوان ٢٤٢ :

قطربل مربعى ولى بقرى الكر   خ مصيف وأمى العنب
ترضعنى درها وتلحفنى   بظلها والهجير يلتهب

تبيتُ في مأتمٍ حمائمُه كما تُرِنُّ الفواقدُ السُّلُبُ(١)

يَهبُّ شوقي وشوقهُنَّ معاً كأنّما يستخفُّنا طرب(٢)

وقال آخر(٣) :

لقد هَتَفتْ في جُنحِ لَيلٍ حَمامةٌ على فَنَنٍ وهناً(٤) وإنِّي لَنائمُ

فقلتُ اعتذاراً عند ذاكَ وإنّني(٥) لنفسي مِمّا قد سَمِعتُ لَلائمُ

كذبتُ وبيتِ اللهِ لو كنتُ عاشقاً لما سَبَقَتْنِي بالبُكاءِ الحَمائمُ

٦٤ وقال نصيب :

ولو قَبْلَ مَبْكاها بَكَيتُ صبابَةً بسُعدى شَفَيتُ النّفسَ قبلَ التندُّمِ

ولكنْ بَكَتْ قَبلي فهيَّج لي البُكا بُكَاها فقلتُ الفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وقال أعرابي :

عليكِ سَلامُ اللهِ قاطعةَ القُوى(٦) على أنَّ قَلبي للفِراق كليمُ

(١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت . وفي ل : « ترثي » وهي صحيحة ، يقال رثى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاه وعدد محاسنه . وفي الديوان : « تراءى » وهي رواية غير مقبولة . الفواقد : جمع فاقد ، وهي التي مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفواقد ، جمع سلوب .

(٢) كذا في ل والديوان . وفي ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو الثاني في ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .

(٣) هو نصيب الأكبر مولى بني مروان ، كما في حماسة أبي تمام (٢ : ٩٧) .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، س : « تبكي » وأثبت ما في ل والحماسة .

(٥) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبعي صوابه في س والحماسة . وهذا البيت ساقط من ل .

(٦) قوى الحبل : طاقاته ، جمع قوة . أراد أنها قطعت حبل وده .

قريحٌ بتغريدِ الحمامِ إذا بكت[١] وإن هبَّ يوماً للجَنُوبِ نَسيم[٢]

[وقال] المجنونُ ، أو غيره :

ولو لم يَهِجْنى[٣] الرائحون لهَاجَنِي حمائمُ وُرقٌ فى الدِّيارِ وُقوعُ

تجاوَبْنَ فاستبْكَيْنَ من كانَ ذا هوًى نوائِحُ لا[٤] تجرِى لهنَّ دُموعُ

[وقال الآخر] :

ألا ياسَيَالاتِ الدَّحائِلِ[٥] باللِّوى[٦]

عليكنَّ من بَين السَّيالِ سَلامُ

أرَى الوَحْشَ آجالًا[٧] إليكنَّ بالضحى

لهنَّ إلى أفيائكنَّ[٨] بُغام[٩]

---

(١) ل ، « يقرفه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .

(٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسيم » . س : « أو أن يهب للجنوب نسيم » .

(٣) ل : « ترعى » وصواب هذه الرواية : « يرعى » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) الدحل بالفتح : نقب فى الأرض ضيق فمه ، ثم يتسع أسفله حتى يمشى فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه المخابئ الصناعية التى يحتمى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا فى البيت لعلها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محرفة فى الأصل، فهى فى ط : « الأخايل » و س : « الأحايل » و ل : « الدخايل » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسحابة ، وهى واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن .

(٦) ل : « بالضحى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .

(٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس آحادا » .

(٨) الأفياء : جمع فىء ، وهو الظل . ط فقط : « أفنانكن » تحريف يتهافت به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .

(٩) البغام : التصويت . ل : « نام » وضبطت بضم النون ، ولم أرلها وجها .

وإنّى لمجلوبٌ لِىَ الشَّوقُ كلما تَرَنَّمَ فى أفنانكنَّ[1] حَمامُ

وقال عمرُو[2] بن الوليد :

حال مِنْ دونِ أنْ أحُلَّ بهِ النَّأ ىُ وصَرْفُ النَّوَى وحَرْبٌ عُقَامُ[3]

فتبدَّلْتُ من مَسَاكِنِ قَوْمى والقصور التى بها الآطامُ

كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذى أواسٍ[4] تتغَنَّى على ذُراه الحمامُ

وقال آخر[5] :

ألا يا صَبَا نجدٍ متى هِجْتَ مِن نَجدِ فقد هاجَ لى مَسراكَ وجداً عَلَى وَجْدِ[6]

أأن هَتَفتْ ورقاءُ فى رَوْنقِ الضُّحَى عَلَى غُصُنٍ غضٍّ النَّباتِ مِن الرَّنْدِ[7]

---

(١) س : « أفيائكن » تحريف .

(٢) ل : « عمر » وصوابه ما أثبت من ط ، س والأغانى (١ : ٦) ، وكذا ذكره المرزبانى فى الشعراء ٢٤٠ فيمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو ابن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قطيفة » . وكان يكثر القول فى حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من أخرج من بنى أمية ونفاهم إلى الشام . وفى ذلك يقول الأبيات الآتية . وقبلها :

ليت شعرى وأين منى ليت أعلى العهد يلبن فبرام

أم كعهدى العقيق أم غيرته بعدى الحادثات والأيام

وبأهلى بدلت عكا ولخما وجذاما وأين منى جذام

(٣) ل : « أصل به النأى » محرف . والحرب العقام ، بضم العين وفتحها : الشديدة .

(٤) أواس : جمع آسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويروى : « أواش » قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أى منقوشة .

(٥) هوعبد الله بن الدمينة الخثعمى ، كما فى الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات فى ديوان ابن الدمينة ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) ألأن : أى ألأن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فنن » . والرند : شجر طيب الرائحة .

بكيتَ كما يبكِى الوليدُ ولم تـكنْ
جَليداً وأبْدَيتَ الذى لم تـكنْ تُبدى[١]

وقد زعموا أنّ المحبَّ إذا دنَا[٢] يُمَـلُّ، وأنّ النّأىَ يشفِى منَ الْوَجْد

بكلٍّ تَدَاوَيْنـا فلم يَـشْفِ ما بنا عَلَى أنّ قُربَ الدّارِ خيرٌ من البُعْد[٣]

(أنساب الحمام)

وقال صاحب الَحمام : للحمام مجاهيل ، ومعروفات ، وخارجيّات ، ومنسوبات . والذى يشتملُ عليه دواوينُ أصحاب الَحمام أكثرُ من كتب النَّسب التى تضاف إلى ابن الـكلبىِّ ، والشَّرقىِّ بن القطامىّ ، وأبى اليقظان[٤] ، ٦٥
وأبى عُبيدة النحوىِّ ؛ بل إلى دَغْفَلِ بن حنظلة ، وابن لسان الُحمَّرَة[٥] ، بل إلى صُحارٍ العبدىِّ . وإلى أبى السَّطّاح اللّخمى[٦] ، بل إلى النَّخّار

(١) الجليد : الصبور . ط ، س : « كنت لاتبدى » وأثبت رواية ل والحماسة والديوان .

(٢) ط ، س : « نأى » وهو تحريف يفسد المعنى ، وهو على الصواب فى ل والحماسة والديوان .

(٣) بعد هذا البيت – وكان جديراً بالجاحظ أن يثبته ؛ لأنه يتمم المعنى — :

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

(٤) فى الأصل : « ابن أبى اليقظان » ، والصواب ما أثبت . وانظر ترجمة أبى اليقظان فى الجزء الثانى ص ١٠ .

(٥) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٠٠) ، وترجمة صحار فى (١ : ٩٠).

(٦) وكذا فى البيان (١ : ٣٦٢) وفى بعض نسخ البيان : « أبو الشطاح »، وفى الفهرست ١٥٦ : « ابن النطاح »، وذكر أن اسمه محمد بن صالح .

العذرىّ(١) ، وصُبيح(٢) الطائىّ ، بل إلى مثْجور(٣) بن غيلان الضّبىّ ، وإلى سَطِيح الذئبىّ ، بل ابن شرِيَّة الجُرْهُمِىّ(٥) ، وإلى زيد بن الكيِّس النَّمَرِىّ ؛ وإلى كلّ نسَّابَةٍ راويَةٍ ، وكلّ متفنّن علّامة .

ووصف الهذيل المازنىّ ، مثّى بنَ زُهيرٍ وحفظَه لأنساب الحمام ، فقال : واللهِ لهو أنسَبُ من سعيد بن المسيِّب ، وقَتادةَ بن دِعامة(٦) للنَّاس ، بل هو أنسبُ من أبى بكر الصِّدِّيق رضى الله عنه ! لقد دخلت على رجلٍ

(١) النخار العذرى ، هو النخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : أنسب العرب » . وكان معاصرا لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر فى الأغانى (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ فى البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالنخار : قال : « كان إذا تكلم فى الحمالات ، وفى الصفح والاحتمال ، وإصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفانى والبوار — كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حمى فنخر » . وفى البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تلطف معاوية معه فى البيان (١ : ٣٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفى البيان (١ : ٣٠٤) : « صبح الحنفى » .

(٣) ط : « ميجور » س : « متجوز » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١). وفيه يقول القلاخ بن حزن المنقرى :

إذا قال بذ القائلين مقاله ويأخذ من أكفائه بالمخنق

ولجرير فيه هجاء . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سطيح الذئبى ، قال ابن إسحق فى السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبى ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلى ، وهو وشق الكاهن المعاصر له ، كانا قد طلبهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا هالته — زعموا — فاتفقا فى تعبير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدها فى أوائل السيرة . ط ، س : « الديلى » ، وهو تحريف صوابه فى السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر فى المعمرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شرية — ويقال سرية ، ويقال سارية — الجرهمى ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبى سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده فى معجم الأدباء (١٢ : ٧٣) والمعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب فى التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ ليبسك ١٣٢ مصر . وشرية ، بوزن عطية ، كما فى الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دعامة السدوسى البصرى ينتهى نسبه إلى الحارث بن سدوس ، ولد =

أعرفَ بالأمَّهاتِ المنْجبات من سُحَيم بن حفص[١] ، وأعرفَ بما دخلَها من الهُجْنة والإقراف ، من يُونسَ بنِ حبيب .

(ممـا أشبه فيه الحَمام الناس)

قال : ومِمَّا أشبَهَ فيه الحَمامُ النَّاسَ في الصُّوَر والشَّمائِلِ ورقّة الطباع ، وسُرعة القَبول والانقلاب[٢] ، أنّك إذا كنتَ صاحبَ فِراسةٍ ، فمرَّ بك رجالٌ بعضُهم كوفىٌّ ، وبعضُهم بَصرىٌّ ، وبعضُهم مَدَنِىٌّ[٣] ، وبعضهُـمْ شامىٌّ وبعضُهم يمانىٌّ ، لم يَخْفَ عليك أمُورهم فى الصُّوَر والشمائِلِ والقُدودِ والنَّغم أيّهم[٤] بصرىٌّ ، وَأيُّهم كوفىّ ، وَأيّهم شامىٌّ ، وَأيهم يمانىٌّ ، وَأيهم مدنىٌّ . وكذلك الحمام ؛ لا[٥] تَرَى صاحبَ حَمـامٍ تخفَى عليه نسب الحمام[٦] وجنسها وبلادُها إذا رآها .

= أعمى ، وكان تابعيا عالما كبيرا نسابة ، وكان ذا علم فى القرآن والحديث والفقه ، أخذ عن الحسن البصرى وابن سيرين . وقد أثر عنه النسيان : قال يوما : مانسيت شيئاً قط ! ثم قال : ياغلام ناولنى نعلى . فقال : نعلك فى رجليك ! ! ولد سنة ٦٠ وتوفى سنة ١١٧ فى أيام هشام بن عبد الملك . وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، والمعارف .

(١) هو أبو اليقظان الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠) .

(٢) ط ، س : « للألقاب » .

(٣) كذا فى ط ، س وهو الوجه . جاء فى معجم البلدان : « والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول ، مدنى ، مطلقاً . وإلى غيرها من المدن ، مدينى ؛ للفرق لا لعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً مدينى ». وفى ل : « مدينى ».

(٤) ط ، س : « أنه » مكان « أيهم » فى مواضعها الخمسة .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ألا » .

(٦) ط ، س ، « جماعته » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخْر ، أنَّ الحمامَ الواحدَ يباعُ بخمسمائة دينار ، ولا يبلغ[١] ذلك بازٍ ولا شاهينٌ ، ولا صقرٌ ولا عُقاب ، ولا طاوس ، ولا تَدْرَجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعيرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردْنَا أن نحقِّقَ الخبرَ بأنَّ برذوناً أو فرَساً بيع بخمسمائة دينار ، لما قدرْنَا عليه إلاَّ فى حديث السَّمَر[٢] .

وأنت إذا أردْتَ أن تتعرَّف مبلغَ ثمنِ الحَمام الذى جاء من الغايَةِ ، ثمَّ دخلْتَ بغدادَ والبصرةَ وجدْتَ ذلك بلا معاناة . وفيه أنَّ الحمام إذا جاء من الغاية بيع الفَرخُ الذَّكرُ من فراخه بعشرين ديناراً أو أكثر ، وبيعَت الأنثى بعشرة دَنَانير أو أكثر ، وبيعَت البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزَّوج منهما [فى الغَلَّةِ] مقام ضيعة ، وحتى[٣] ينهَضَ بمُؤْنَة العِيال ، ويَقضىَ الدَّين ، وتبنى من غلاَّتِه وأثمانِ رقابهِ الدُّورُ الجياد[٤] ، وتبتاع الحوانيتُ المغِلَّة . هذا ؛ وهى فى ذلك الوقتِ مَلْهًى عجيبٌ ، ومنظرٌ أنيق ، ومعتَبَرٌ لمنْ فكَّر ، ودليلٌ لمن نظرَ[٥] .

---

(١) ل : « ولم » .

(٢) السمر ، أصله الحديث ليلا . ولكنه يراد به فى مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين فى الفهرس (المقالة الثامنة) .

(٣) ط ، س : « حتى » .

(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « والجنان » ، جمع جنة ، والجنان ليست مما يبنى . وصوابه فى ل ونثار الأزهار ٩٣ .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحَجَر ورأى قصُورَها[1] المبنيَّة لها بالشَّامات[2] وكيف اختزانَ[3] تلك الغلاَّت ، وحِفْظَ[4] تلك المئونات ؛ ومن شهد أربابَ الحمام ، وأصحابَ الهُدَّى[5] وما يحتملون فيها من الكُلف الغِلاظِ أيَّامَ الزَّجْل ، في حملانها على ظهور الرِّجال ، وقبل ذلك في بُطون السفن ، وكيف تُفْرَدُ ٦٦
في البيوت ، وتجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتفرَّقُ إذا كانت التَّفرِقَةُ أمثل[6] وكيف تُنقلُ[7] الإناثُ عن ذُكورتِها ، [وكيفَ تنقَلُ الذُّكورَةُ عن إناثها] إلى غيرها ، وكيف يُخافُ عليها الضَّوَى[8] إذا تقاربت أنسابُها ، وكيف يُخاف على أعراقِها من دخول الخارجيَّات فيها ، وكيف يحتاط[9] في صحَّة طَرْقها و نَجْلها[10] ؛ لأنَّهُ لاَ يُؤْمَن[11] أن يقمُط الأنثى ذكرٌ من

(١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شغلان ، كسلطان : حصن في جبل اللكام قرب أنطاكية . والقصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .
(٢) الشامات هي بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهي المصيصة وطرسوس وأذنة وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك . ط ، س : « بالسامان » محرف .
(٣) ط ، س : « اقتران » ، ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .
(٤) ل : « وخفة » تحريف .
(٥) انظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) في التنبيه الثالث .
(٦) هذه الجملة ليست في ل .
(٧) ط ، س : « تغفل » ، وصوابه في ل .
(٨) الضوى : الهزال والدقة والضعف . ط ، س : « يحتال » .
(٩) ط ، س : « يحتال » .
(١٠) النجل : النسل وزنا ومعنى .
(١١) في الأصل : « يأمن » .

عُرْضِ الحمام ، فيضربَ فى النَّجلِ بنصيبٍ ، فتعتريه الهُجنة — والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرْقها[1] . وهم لا يحوطون أرحام نسائهم كما يُحوطون أرحامَ المنْجِبات من إناثِ الحمام . [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلها من الغاية ، والذين يعلّمون[2] الحمامَ كيف يختارون لصاحب العلامات ، وكيفَ يتخيَّرُون الثِّقة وموضعَ[3] الصِّدقِ والأمانَةِ ، والبُعدِ من الكَذِب والرّشوة ، وكيفَ يتوخَّوْن ذَا التَّجربَة والمعرفة اللَّطيفة ، وكيف تسخو أنفسُهمْ بالجعالة[4] الرَّفيعة ، وكيف يختارون لحملها من رجال الأمانةِ والجَلَدِ والشَّفَقَةِ والبَصَر وحُسْنِ المعرفَةِ — لعَلِم عند ذلك[5] صاحب الدِّيك والكلب أنَّهما لا يجريان فى هذه الحلبةِ ، ولا يتعاطيانِ هذه الفضيلة[6] .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسنِ الاهتداءِ ، وجودَةِ الاستدلاَلِ ، وثَباتِ الحِفْظِ والذِّكْر ، وقوّةِ النِّزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، [ماليس لشىء]

---

(١) طرقها : أى طارقها ، وهو فحل الأنثى .

(٢) ل ، ط ، « يعملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه فى س .

(٣) ط ، س : « فى موضع »، ووجهه ما أثبت من ل .

(٤) الجعالة ، مثلثة : ماجعل للإنسان فى مقابل عمله .

(٥) لعلم : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ فى ص ٢١٣ . ط ، س : « ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القضية »، بمعنى الحكم .

وكفاك اهتداءً ونِزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يجىء من بَرْغَمَة [١] ، لا بَلْ من العليق ، أو من خَرشنة [٢] [أ] وْ من الصفصاف [٣] ، لاَ بَلْ من البَغْراس [٤] ، ومن لؤلؤة [٥] .

ثمَّ الدَّليلُ على أنه يَستدلُّ بالعقلِ والمعرفة ، والفِكرةِ [٦] والعناية ، أنَّه إنما يجىء من الغايةِ على تدريج وتَدْرِيبٍ وتنزيل [٧] . والدليل عَلَى علم أربابِهِ بأنّ تلك المقدّمات قد نَجعنَ فيه ، وعملن فى طِباعه ، أنّهُ إذا بلغ الرَّقَّة غمّروا بهِ بكَرّةٍ [٨] إلى الدَّرب وما فوقَ الدَّرْب من بلاد الرُّوم ، بل لا يجعلون ذلك تغميراً [٩] ؛ لمكان المقدّمات والترتيبات التى قد عُمِلت فيه وحَذّقته ومَرَّنته .

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة فى رحلته (١ : ٢٣١) . وضبطت بباء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة وغين معجمة مفتوحة وميم مفتوحة . ط ، س : « ركة » ل : « رعمة » . ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفى ط ، س : « حوساء » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم مايعبر عنه اليوم بتركية آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة فى لحف جبل اللكام — بضم اللام — بينها وبين أنطاكية أربعة فراسخ . وفى الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت من المعجم والقاموس . وهذه الكلمة وكلمة و« من » بعدها ساقطتان من ل .

(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كذا فى ل . وفى ط : « عن التدريج والتدرب والتنزيل » وفى س مثل مافى ط مع إبدال كلمة : « والتدرب » بجعلها : « التدريب » .

(٨) غمروا به : دفعوا به . فى ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف صوابه فى ل .

(٩) ط ، س : « تغميزا » ، وهو تصحيف ما فى ل .

ولو كان الحمام ممَّا يُرسَل باللّيل(1) ، لـكان مِمَّا يستدِلُّ بالنُّجوم ؛ لأنّا رأيناه يلزَم بَطنَ الفُرات ، أو بطنَ دِجلة ، أو بُطونَ الأوديةِ التى قد مرَّ بها ، وهو يرى ويُبصِرُ ويفـهَمُ انحدارَ المـاء ، ويعلمُ بَعْدَ طُولِ الجَوَلانِ [و](2) بَعْدَ(3) الزِّجال ، إذا هو أشرف عَلَى الفُرات أو دِجلة ، أنّ طرِيقَه وطريقَ المَـاء واحد ، وأنهُ ينبغِى أن ينحدِر مَعهُ .

وما أكثَرَ مَا يستدلُّ بالجَوَادِّ(4) من الطُّرُق إذا أعيتْهُ بطونُ الأودية . فإذا لم يَدْرِ أمُصْعِدٌ هو أمْ مُنْحَدِرٌ ، تَعَرَّفَ ذلك بالرِّيح ،ومواضعِ(5) قُرْصِ الشمس فى السماء . وإنَّما يحتاج إلى ذلك كلِّه إذَا لم يكُن وَقَعَ بعدُ عَلى رسم يعمَلُ
٦٧ عليه(6) . فربَّما كَرَّ(7) حين يزجل بِهِ(8) [يميناً و] شِمالاً ، وجنوباً وشَمالاً ، وصَباً ودَبُورًا — الفَرَاسِخَ الـكثيرةَ وفوقَ الـكثيرة .

---

(1) ل : « بالحيل »، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(2) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(3) كذا فى ل ، ط . وفى س : « بقدر » .

(4) الجوادّ : جمع جادة ، وهى معظم الطريق . وفى ط ، س : « بالجوّ أو »، تحريف .

(5) كذا فى ل ونثار الأزهار . وفى ط ، س : « وبموضع » .

(6) كلمة « على » ساقطة من س . وفى الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت من نثار الأزهار .

(7) كرّ : عطف ، أى مال فى سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(8) كذا فى ل . وفى ط ، س : « حتى يرحل » وهذا تحريف وتصحيف .

(الغُمر والمجرَّب من الحمام)

وفى الحمام الغُمْر والمجرّب . وهم لا يُخاطِرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون الغُمْر عريفاً[١] فصاحبُه يضنُّ به ، فهو يريدُ أن يدرِّبه ويمرِّنه[٢] ثمَّ يكلفه بعدَ الشيء الذى اتّخذه له ، وبسببه[٣] اصطنعه [واتّخذهُ] . وإمَّا أن يكونَ الغمْر مجهولاً ، فهو لا يتعنَّى[٤] ويُشقى نفسَه ، ويتوقَّعُ[٥] الهِدَايَةَ من الأغمارِ المجاهيل .

وخَصلةٌ أخرى : أنّ المجهولَ إذا رَجَعَ مع الهُدَّى[٦] المعروفاتِ ، فحملهُ معها إلى الغَاية[٧] فجاء سابقاً ، لم يكنْ له كبيرُ ثمنٍ حتَّى تتلاحق به[٨] الأولاد . فإنْ أنْجَبَ فيهنَّ صار أباً[٩] مذْكوراً ، وصار نَسَباً[١٠] يرجَع إليه ، وزاد ذلك فى ثمنه .

---

(١) العريف : المعروف ، وبه سمى عريف القوم : أى رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفى ل : « عريقا » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو على أن يدربه أو يمرنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتخذه » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : ينصب ، أى يتعب . ط ، س : « يبق » تحريف مافى ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثانى من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحمله ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفى س : « معه » ويصح فإن « الهدى » جمع هاد كما سبق فى الجزء الثانى . والأفضل ماأثبت من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبدا » وهو تحريف ماأثبت من ل .

(١٠) ط : « نسيبا » .

فأمّا المجرَّب غير الغَمر ، فهو الذى قد عرّفوه الوُرودَ والتحَصُّب[1] ؛ لأنّه متى لم يقدرْ عَلَى أن ينقضّ حتَّى يشربَ المَاء من بطون الأوديةِ[2] والأنهـارِ والغُدْران ، ومناقع[3] الميـاه ، ولم يتحَصَّب[4] بطلب بُزُورِ البرارىّ ، وجاعَ وعطش - التمسَ مواضعَ النـاس . وإذا مرَّ بالقرى والعُمْـران[5] سقط ، وإذا سقط أُخِـذ بالبَايْـكِير[6]

---

(١) المراد بالورود ورود الماء . وفى ط ، س « بالورود » ولايصح ؛ لأن « عرف » لاتتعدى بالباء ، إلا فى معنى آخر ، فيقال : عرفه بزيد ، أى سماه بزيد ، وعرفه بكذا : أى وسمه به . انظر اللسان . والتحصب ، بالحاء المهملة : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب ، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن المدن حتى لايقع فى أيدى الناس . ط : « والتخصب » ، س : « والتخضب » وصوابهما فى ل .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « من بطون أوسـاط الأودية » . وفى ل : « من أوساط الأودية » .

(٣) المناقع : جمع منقع كمجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفى ط ، س : « مواقع » ، وليس من لغة الجاحظ .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتخصب » س : « يتخضب » محرفتان عما فى ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع العامرة بالناس . ل : « الغمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حضرة المحقق الـكبير الأب أنستاس مارى الـكرملى ، بمـا يأتى : « البايكير » بباء موحدة تحتية ، يليها ألف فياء مثناة ساكنة ، فـكاف فارسية مثلثة مكسورة ، فياء مثناة تحتية ساكنة فراء - : كلمة فارسية مركبة من : باى وهو نوع من الطـير يسمى بالعربية : بوهة ، وبالفرنسية : Effraie naine وبالإرمية باوا . ومن « گير » ، ومعناها جاذب . ومحصل اللفظين : جالب البوهة ويراد بذلك مصيدة تحبك بالحبال عيونا كعيون شبـكة صيد السمك ، وتجعل على شكل سلة كبيرة تقلب على فمها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجى أو أصلى ، وباب داخلى ، أو فرعى . فالباب الخارجى ، أو الأصلى ، يراه كل ناظر إليه . أما الداخلى فيـكون فى مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر الداخل إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار فى =

وبالقَفَّاعـة[(١)] وبالمِلْقَفِ[(٢)] وبالتَّدْبيق[(٣)] و بالدُّشَاخِ[(٤)] ؛ ورمى أيضا بالجُلاهِق[(٥)] ، وبغير[(٦)] ذلك من أسبابِ الصَّيد .

والحمام طائرٌ مُلَقًّى غير مُوَقًّى[(٧)] ، وأعداؤُه كثير ، وسباعُ الطَّير تَطلُبه أشدَّ الطَّلب . وقد يترفَّع مع الشَّاهين[(٨)] ، وهو للشاهين أخْوَف . فالحمامُ

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر فى أول صنع المصيدة ، فإذا وجده ولجه ذاهبا إلى بطن السلة ليجد الطائر الذى يطلبه . فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لايهتدى إلى الباب الداخلى لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيرا ، أو محاولا التخلص من مأزقه . ووضعت البوهة لتكون ملواحا لسائر الطير ، فإن هذا الملواح يضطرب فتراه بعض إخوته الطير ، فتدخل لتنقذه من ورطته ، أو لترافقه فى أسره ، أو لتشاطره طعامه ، أو لتصيب شيئاً من نعيمه . فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة على فهم الطائر ، بدون أن يجرح المصيد » اه .

(١) القفاعة كرمانة : شىء يتخذ من جريد النخل ، ثم يغدف به على الطير فيصاد . يغدف : يسبل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : «باللقف» .

(٣) التدبيق : الاصطياد بالدبق . والدبق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الدشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارسـية مركبة من (دو) أى اثنين ، و (شاخ) أى شعبة ، أو طرف أو رأس . ومحصل معناها : ذو الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ماتكون هذه الآلة من حديد ، يصاد بها السمك ، فى دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا . كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس مارى الكرملى . قلت : وهذه الكلمة هى فى ط ، س : « وبالفخ » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهق : البندق الذى يرمى به الصيد . فارسى معرب . ل : « وبالرمى بالجلاهق » .

(٦) ل : « وغيره » .

(٧) ملقى : أى يلقى عنتا من الناس والطير . وغير موقى : غير مصون من الأذى . ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يترفع معه : أراد يطير معه طيراً سريعاً .

أطْيرَ منْهُ ومن جميعِ سباع الطير ، ولـكِنَّهُ يُذْعرُ فيجهَلُ بابَ المَخْلَص ويَعتريه ما يعترى الحمارَ من الأَسدِ إذا رآه[١] ، والشاةَ إذا رأت الذِّئب ، والفارةَ إذا رأت السِّنَّور .

(سرعة طيران الحمام)

والحمامُ أشدُّ طيراناً من [جميع] سباع الطير ، إلَّا فى انقضاض وانحدار[٢] ؛ فإنَّ تلك تنحطّ انحطاط الصخور . [و][٣] متى التقت أُمَّةٌ[٤] من سباع الطَّير ، أوْ جُفالةٌ[٥] من بهائم الطير ، أو طِرْنَ عَلَى عَرَقَةٍ[٦] وخيطٍ ممدود ، فـكلُّهَا يعتريها عندذلك التَّقصيرُ عما[٧] ما كانت عليه، إذا طارت[٨] فى غير جماعة .

---

(١) قالوا : إنه يفر إلى الأسد منه .

(٢) ل : « إلا فى الانقضاض والانـكدار » . والانـكدار بمعنى الانقضاض .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من ل ، س .

(٤) الأمة ، بالضم : الجماعة ، كما فى اللسان . ل : « رامة » س : « وامه » ط : « وأمه »، وصواب ذلك كله ما أثبت .

(٥) الجفالة ، بالجيم : الجماعة ، وفى ط ، س : « حفالة » بالحـاء المهملة ، وهى بمعنى الحثالة : الردىء من كل شىء. وليس مرادا هنا ، فهى مصحفة عما فى ل .

(٦) العرقة ، بالتحريك : السطر من الطير ، جمعه عرق ، بالتحريك أيضا . وفى ط ، س : « غرفة » ولا تصح . و « طرن » محرفة فى الأصل فهى فى ط ، س : « طرف » وفى ل : « كن »، وقد جعلتها كما ترى .

(٧) ط ، س : « عند »، تحريف .

(٨) ل : « إذ كانت » .

ولن ترى جماعةَ طير أكثرَ طيراناً إذا كَثُرْنَ من الحمام ؛ فإنّهن كلما التففن وضاق موضِعُهنَّ كان أشدَّ لطيرانهنَّ . وقد ذكر ذلك النّابغة الذُّبيانىُّ فى قوله :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الحَىِّ إذ نَظَرَتْ
إلى حمامٍ شراعٍ واردِ الثَّمَد(١)

يحفُّه جانبا نِيقٍ ويَتْبَعُهُ
مثلُ الزُّجاجةِ لم تُكْحَلْ من الرَّمَدِ(٢)

قالت : ألا لَيتَما هذا الحمامُ لنا إلى حمامَتِنا ونِصْفُهُ فَقَدِ(٣)

فحسَبوه فألفَوهُ كما حَسَبَتْ تِسعاً وتِسْعِينَ لم تنقُصْ ولم تَزِدِ(٤)

فكَمَّلت مائةً فيها حمامتُها وأسْرَعَتْ حَسْبَةً فى ذلك العَدَدِ(٥) ٦٨

(١) احكم : كن حكيما . وأراد بفتاة الحى : زرقاء اليمامة . و « شراع » هى رواية الأصمعى كما فى الخزانة (٤ : ٣٠٠ بولاق) . والشراع : التى شرعت فى الماء . والرواية المعروفة : « سراع » بالمهملة ، جمع سريعة . وهذه أوجه ؛ فإن بالأولى يكون التكرار ؛ إذ الشراع هن الواردات . والثمد : الماء القليل . والحمام وما أشبهه من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتبعه » من الإتباع كما فى الخزانة ، وشرح التبريزى للمعلقات . والفاعل فى الرواية الأولى هو كلمة : « مثل » وفى الثانية الضمير المستكن الراجع إلى « فتاة الحى » . وأراد بـ « مثل الزجاجة » عينى الزباء . يقول : هى صافية كما صفت الزجاجة . و « لم تكحل من الرمد » أى لم ترمد فتكحل ، كقوله :

* على لاحب لايهتدى بمناره *

(٣) للنحويين كلام طويل فى هذا البيت ، تجده فى مراجع النحو فى الكلام على « ليت » . وانظر الكلام على « ونصفه » فى الخزانة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبوه : عدُّوه .

(٥) كان الحمام الذى رأت ستا وستين ، وهو ونصفه مع حمامتها مائة .

قال الأصمعيُّ : لما أراد مَديحَ الحاسب وسرعةَ إصابته ، شدَّدَ الأمرَ وضيَّقه عليه ؛ ليكون أحمدَ له إذا أصاب ؛ فجعَلَهُ حَزَر[1] طيرًا ، والطَّيرُ أخفُّ من غيره ، ثمَّ جعله حماماً والحمامُ أسرع الطَّيرِ ، وأكثرُها اجتهاداً فى السرعة[2] إذا كثر عددهنَّ ؛ وذلك أنّه يشتدُّ[3] طيرانُه عند المسابَقةِ والمنافسة . وقال : يحفّه جَانبا نِيقٍ ويتبعه ، فأراد أنَّ الحمام إذا كان فى مَضيقٍ من الهواء كان أسرَعَ منه إذا اتّسع عليه الفضاء .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرِّب ويمرِّن ويُنزِل فى الزِّجال ، والغايَةُ يومئذٍ واسط[4] . فكيف يصنَع اليومَ بتعريفه الطَّريقَ وتعريفِه الوُرود والتحصُّب[5] ، مع بُعد الغاية ؟ ![6] .

---

(١) الحزر ، بالزاى الساكنة : التقدير .

(٢) « وأكثرها اجتهاداً فى السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسطت بين البصرة والكوفة ، فبينها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخا . وبدلها فى ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التخصب » ل ، س : « التخضب » ، مصحفتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار لِلزّجْل من الحَمام)

والبغداديون يختارون للزِّجال من الغايةِ الإناث ، والبصريّون يختارون الذُّكور. فحجَّة البغداديِّين أن الذَّكر إذا سافر وبَعُد عهده بقَمْط الإناث ، وتاقَتْ نفسُه إلى السِّفاد ، ورأى أنثاه فى طريقه(١) ، ترك الطَّلبَ إن كان بعُد فى الجوَلان ؛ أو ترك السَّيرَ إن كان وقع على القَصْد ، ومالَ إلى الأنثى وفى ذلك الفسادُ(٢) كلُّه .

وقال البَصرىُّ : الذَّكرُ أحنُّ إلى بيتِه لمكان أنثاه ، وهو أشدُّ متْناً وأقوى بدَناً ، وهو أحسنُ اهتداء . فنَحنُ لا نَدَع تقديمَ الشيءِ القائم إلى معنًى قد يعرضُ وقد لايعرض .

(نصيحة شدفويه فى تربية الحَمام)

وسمعتُ شدفويه السلأَحى(٣) من نحو خمسين سنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبى عمار(٤) : اجعل كعبةَ حمامِك فى صَحْن دارِك ، فإنَّ الحَمامَ إذا كان متَى خرج من بيتـه إلى المعلاة لم يصل إلى معلاتِه إلاّ بجمع النَّفس والجناحين ، وبالنهوضِ ومكابدَةِ الصعود — اشتدَّ متْنه ، وقوىَ

(١) ل : « فى طريقه ومجيئه » .

(٢) ط فقط : « السفاد » محرف .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « سرفوحة السائحى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أبى العيان » .

جناحُه ولحمه . ومتى أرادَ بيتَه فاحْتاج[١] إلى أن ينتكس ويجيء منقضًّا — كانَ أقوَى على الارتفاع فى الهواء بعد أن يروى[٢] . وقد تعلمون أنَّ الباطِنيِّين أشدّ [متناً] من الظاهريِّين[٣] ، وأنّ النِّقرِسَ لا يُصِيب الباطِنِيَّ فى رجله[٤] ليس ذلك إلّا لأنَّه يصعد إلى العَلالى[٥] فوق الكَنادِيج[٦] درجةً بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو درَّبتم الحَمامَ [على][٧] هذا التَّرتيب كانَ أصوب . ولا يعجِبُنى تَدْريب العاتق وما فوق العاتق[٨] إلّا من الأماكنِ القريبة ؛ لأن العاتقَ كالفتاةِ العاتق ، وكالصبيّ الغرير ، فهو لَا يَعْدِمُه ضعفُ البدن ، وقلّةُ المعرفة ، وسوءُ الإلف . ولا يُعجبُنى أن تتركوا الحمام حتَّى

---

(١) ط : « فاهتاج » ، تحريف ما فى س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هى فى ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « بعد » ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » فى ل . وإن كان وجهه فى العربية : « الباطنيات » و « الظاهريات » إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام « شدفويه » كما وقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجمعه جمع العاقلين . وفى ط : س : « الباطنتين » و « الظاهرتين » وهو لا جرم تحريف . والباطنى : نسبة إلى الباطن ، وهو الذى تسكون تربيته فى باطن بيت مكنون قد مهدت له فى داخله كناديج : أى درجات يصعد عليها إلى قرموصه . والظاهرى : نسبة إلى الظاهر ، والمراد به ما كان صعوده إلى قرموصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران لا بالصعود التدريجى كما يصنع الباطنى .

(٤) ل : « لا يصيب الباطنى فى رجليه » .

(٥) العلالىّ : جمع علية ، بالضم والكسر ، وهى الغرفة .

(٦) الكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالضم ، وهى خشبة عظيمة يستخدمها البانى فى بناء الجدران والطيقان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت : « الكندجة » فى القاموس بفتح الكاف والدال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات التى يصعد عليها الحمام . وفى ط : « الكساويح » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرخه ما لم يستحكم . ل : « العتق » فى الموضعين .

إذا صار فى عَدَد المسانِّ واكتهل ، وولَدَ البطونَ بَعْدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من
قوَّةِ شبابِهِ ، حملتموه على الزَّجْل ، وعلى التَّمْرين ، ثمَّ رميتم به أقصى غايةٍ .
لاَ ، ولكنَّ التَّدريب مع الشباب ، وانتهاء الحِدَّة[1] ، وكمال القُوَّة ، ٦٩
من قبل أن تأخذ القوَّة فى النُّقصان . فهو يلقَّن بقربه من الحداثة[2] ،
ويُعرَّف بخروجه من حدِّ الحداثة[3] . فابتدِئُوا به التَّعليمَ والتمْرينَ فى هذه
المنزلة الوُسطى .

(الوقت الملائم لتمرين فراخ الحمام)

وهُمْ إذا أرادوا أن يمرِّنوا[4] الفراخَ أخرجُوها وهى جائعة ، حتى إذا ألقَوا إليها الحبَّ أسرعت النزول . ولا تَخْرُجُ والرِّيح عاصف ، فتخرج قبل المغربِ وانتصاف النهار . وحُذّاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنَّ الذُّكورةَ يعتريها النَّشاطُ والطَّيران والتَّباعُدُ ومجاوزةُ القبيلة . فإن طارت الفِراخُ معها سقَطَتْ على دُور الناس . فرياضتها شديدة ، وتحتاج إلى معرفةٍ وعنايةٍ ، وإلى صبرٍ ومُطاوَلة ؛ لأنَّ الذى يُراد منها إذا احتيج[5] إليه بعد هذه المقدّمات كان أيضاً من العجَب العجِيب .

---

(١) س : « مع انتهائه الحدة والشبام » .

(٢) كذا فى ل : وفى ط ، س : « بقوته مع الحداثة » .

(٣) ل : « الحلاثة » ، تحريف .

(٤) ل : « يثبتوا » .

(٥) ل : « جئن » .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل فى اختيار الحمام)

وحدَّثنى بعضُ من أثقُ به أنّ يَعقوبَ بن داود ، قال لبعض مَنْ دَخلَ عليه ـ وقد ذهب عنّى اسمُه ونسيتُهُ ، بَعْدَ أنْ كُنْتُ عرفتُه ـ : أمَا ترَى كيف أخلفَ ظنُّنا وأخطأ رأيُنا ، حتّى عمَّ ذلك ولم يخصَّ ؟ ! أمَا كان فى جميع من اصطنعناه واخترناه ، وتفرَّسْنا فيه الخير وأردناه[1] بِهِ ـ واحدٌ[2] تكفينا معرفته[3] [مؤنَةَ] الاحتجاجِ عنه ، حتَّى صرْتُ لاَ أقرّع[4] إلَّا بهم ، ولاَ أعابُ[5] إلَّا باختيارهم ! ! قال : فقال له رجل إنّ الحمام يُختارُ من جهة النَّسَب ، ومن جهة الخِلْقة ، ثمَّ لا يرضى له أربابُه بذلك حتّى ترتّبه وتنزّلهُ وتُدرِّجهُ[6] ، ثم تُحمَل الجماعةُ منهُ[7] بعد ذلك التّرتيب والتّدْريبِ إلى الغاية ، فيذهبُ الشّطرُ ويرجعُ الشطر ، أو شبيهٌ بذلك أو قريبٌ[8] من ذلك . وأنتَ عمَدْتَ إلى حمامٍ لم تنظُرْ فِى أنْسابِها ولم تتأمَّلْ مَخِيلة الخيرِ فى خَلْقها[9] ثمَّ لم ترْضَ حتى ضربْتَ بها بِكرَّةٍ[10] واحدةٍ

(١) ط ، س ، « أردنا به » .

(٢) ط : « واحداً » ، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرته » محرفة ، وبعد هذه الكلمة واو حذفتها .

(٤) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « أفزع » .

(٥) ط ، س : « أداب » محرف .

(٦) كذا فى ط ، س ، وفى ل : « حتى يرتبوه وينزلوه » .

(٧) ط ، س « معه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شبيها » و « قريبا » والوجه الرفع كما فى ل .

(٩) المخيلة : موضع الظن ، فهى كالمظنة . انظر اللسان . ط ، س : « مخيلة موضع الخير » وفيهما أيضاً : « فى خلقتها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة » ، تحريف ما فى ل .

إلى الغاية[١] ، فليس بعَجَبٍ ولا مُنْكَرٍ[٢] ألاّ يرجعَ إليكَ واحدٌ منها ، وإنما كان العَجبُ في الرُّجوع ، فأمّا في الضّلال فليس [في] ذلك عجبٌ[٣] . وعلى أنّه لو رجع منها[٤] واحدٌ أو أكثرُ من الواحدِ لكان خطؤك موفّرًا عليك ، ولم ينتقصْه خطأُ من أخطأ ؛ لأنّه ليس من الصواب أن يجيء طائرًا من الغايَةِ على غير [عِرْقٍ ، وعلى غير] تدريب .

باب

ومن كرم الحَمام الإلف والأُنْس والنِّزاعُ والشّوق . وذلك يَدُلُّ على ثبات العهد ، وحِفْظِ ما ينبغي أن يُحفَظ ، وصوْنِ ما ينبغي أن يصان وإنه لَخُلق صِدْق[٥] في بني آدم فكيفَ إذا كان ذلك الخلقُ[٦] في بعض الطير .

وقد قالوا : عمَّرَ اللهُ البُلدان بحبِّ الأوطان[٧] . ٧٠

قال ابن الزُّبير : ليس النّاسُ بشيءٍ مِنْ أقسامهم[٨] أقنَعَ منهم بأوطانهم !

---

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « واحدة الغايات » .

(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » الخ .

(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجب ولا بمنكر » .

(٤) ط ، س : « منهن » .

(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أي نعم الخلق . وبالوصف ، أي الخلق الكامل . « لخبيء صدق » ، تحريف .

(٦) ل : « فكيف بذلك الحق » .

(٧) القول في الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبته إلى عمر بن الخطاب .

(٨) أقسام : جمع قسم ، بالكسر : وهو الحظ والنصيب : ل : « لشيء » تحريف . ط ، س : « في اقتسامهم » ، ووجهه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طبائع النَّاس فى حبِّ الأوطان ، فقال : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِى سَبِيلِ اللهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا [١] ﴾ وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ [٢] ﴾ .

وقال الشاعر :

وكنتُ فيهمْ كمَمْطُورٍ ببَلْدتهِ　　فسُرَّ أَنْ جَمَعَ الأوْطَانَ والمطَرَا [٣]

فتجدُهُ يُرْسَلُ مِنْ موضعٍ فيجىء ؛ ثمَّ يخرج من بيته إلى أضيق موضع وإلى رخام [٤] ونَقان [٥] فيرسل من أبعد من ذلك فيجىء . [ثم يصنَع به مثلُ ذلك المرار الكثيرة ، ويزاد فى الفراسخ] ، ثم يكون جزاؤه [٦] أن يغمَّر به [٧] [من] [٨] الرَّقَّة إلى لؤلؤة [٩] فيجىء . ويُسترَقُ من منزل

---

(١) هذا القول حكاية عن بنى إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبى لهم - وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل - أن يعين لهم أميرا يتولى قيادتهم فى حرب العمالقة وكان العمالقة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبى قال لهم : « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » - يقول ذلك متوقعا جبنهم عن القتال - فأجابوه بما فى هذه الآية . انظر التفاسير .

(٢) قال العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ١٨٧) تعقيبا على هذه الآية : « فجعل خروجهم من ديارهم كفء قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده فى الحنين إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعانى ٢ : ١٩٠) :

كممطور ببلدته فأضحى　　غنيا عن مطالعة السحاب

(٤) هو اسم موضع ، ولم أحققه . وفى ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، بضم النون ويكسر : اسم جبل فى بلاد أرمينية . وفى ط ، س : « قفار » : وفى ل : « تفاد » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا فى ل . وفى ط : « الحرارة » ! وفى س : « الجراوة » .

(٧) يغمر به : أى يدفع به. س: « يغمز » تصحيف .

(٨) التكملة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه[١] فيقصُّ ، ويَغْبُرُ هناك حولاً وأكثَرَ من الحول ، فحينَ ينبت جناحُه يحنُّ إلى إلفه ويَنْزِع إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثّانى أنفعَ له ، وأنْعَمَ لباله . فيَهَبُ فضلَ ما بينهما لموضعِ تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذى لو أصاب فى غير بلادِهِ الرِّيفَ لم يقعْ ذلك فى قلبه ، وهو يعالجهم[٢] على أن يُعطَى عُشْرَ ما هو فيه[٣] فى وطنه .

ثمَّ ربَّما باعه صاحبُه ، فإذا وجد مَخْلَصاً رجع إليه ، حتَّى ربَّما فَعلَ ذلك مِراراً . وربَّما طار دَهْرَهُ وجالَ فى البلادِ ، وألفَ الطَّيرانَ والتقلُّبَ فى الهواء ، والنَّظَرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه[٤] فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه فى دِيماس[٥] ، فينبت جناحُهُ ، فلا يَذْهَبُ عنه ولا يتغيَّر له . نَعَمْ ، حتَّى ربّما جَدَفَ[٦] وهو مقصوصٌ ، فإمَّا صار إليهِ ، وإمّا بلغَ عذراً.

---

(١) يسترق : من الاستراق ، وهو السرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفى ل : « يصالحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يقال بدا له فى الأمر : نشأ له فيه رأى .

(٥) الديماس بالكسر : الكن .

(٦) جدف الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س : « جـد » ، وفى ل : « حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطّيران ، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولـكنهُ لا يُبْعِد ، لأنّه إذا كان مقصوصاً من شِقٍّ واحِدٍ اختلفَ خَلْقَه ، ولم يَعْتَدِلْ وزنَه ، وصارَ أحدُهما هوائيًّا والآخرُ أرضيًّا . فإذا قَصَّ الجناحانِ جميعاً طار ، وإن كانَ مقصوصاً فقد بلغ بذلك التعديل من جناحَيهِ[1] أكثرَ مما كانَ يبلغ [بهما] إذا كانَ أحدُهما [وافياً] والآخرُ مبتورا[2] .

فالـكلبُ الذى تَدَّعون له الإلفَ وثباتَ العهد، لايبلغُ هذا . وصاحبُ الدِّيك الذى لا يفخرُ[3] للدِّيك بشىءٍ من الوفاء والحفاظ والإلف ، أحقُّ بألاَّ يعرِض فى هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسان شديدَ الُحضْر ، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدْو كان خطوُه أقصر ، وكان عن ذلك القَصْد والسَّنَنِ أذْهبَ ، وكانت غايَةُ مجهوده أقربَ[4] .

---

(١) فى الأصل : « جناحه » .
(٢) ط ، س : « إذا قص أحدهما وترك الآخر وافيا » .
(٣) أى لا يجد شيئا من وفاء الديك يستطيع أن يفخر به .
(٤) ل : « أنقص » .

(حديث نباتة الأقطع)

وخبّرنى كم شئتَ(١) ، أنّ نباتَة الأَقطع [وَكان] مِنْ أَشِدَّاء الفتيان(٢) وكانت يَدُه قطعت(٣) من دُونِ المنكِب ، وكان ذلك فى شقّه الأيسر ؛ فكان إذا صار إلى القتالِ وضرَبَ بسيفِه ، فإن أصاب الضَّريبةَ ثَبَتَ ، ٧١
وإن أَخطأ سقَطَ لوجهِه ؛ إذ لم يكنْ جَناحه(٤) [الأيسر] يمسكه ويثقّله حتّى يَعْتَدلَ بَدَنُهُ .

(أجنحة الملائـكة)

وقد طعن قومٌ فى أجنحة الملائـكة ، وقد قال الله تَعالى : ﴿ الحَمْدُ لِلّهِ فَاطِرِ السَّموَاتِ وَالْأَرْض جَاعِلِ المَلاَئِـكَةِ رُسُلاً أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِى الْخَلْقِ مَا يَشاءُ ﴾ . وزعموا أنَّ الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أَرْبَعَة كانتْ معتدلة ، وإذا كانت ثَلَاثَة

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ماسبق فى ص ١٧٨ وكذا ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٢٦٤ .

(٢) فى الأصـل : « من أشداء الفتيان أن نباتة الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينتظم الـكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعته » .

(٤) الجناح ، ليس خاصا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أى يده ، أو عضده أو إبطه .

كان[١] صاحبُ الثَّلاثَةِ كالجادِفِ[٢] من الطَّير ، الذى أحدُ جناحَيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّيَرَان لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافياً والآخرُ مقصوصاً ، اختلفَ خَلْقُه وصار بَعْضُه يذهب إلى أسفَلَ والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنَّما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيدىَ والأرجلَ فى جميع الحيوان لاتـكونَ إلَّا أزواجاً . فلو جعلتمْ لـكُلِّ واحدٍ مِنهم مائَة جَناحٍ لم نُنْـكِرْ ذلك . وإن جعلتموها أنقَصَ بواحدٍ أو أكثَرَ بواحدٍ لم نجوِّزه .

قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ماليسَ له قَرن ، ورأينا ماله قَرْنَانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لها شُعَبٌ فى مقاديم القرون[٣] ، ورأينا بعضَها جُمًّا ولأخَواتِها قرون ، ورأينا منها مالا يقال لها جُمٌّ لأنَّها ليست لها شـكلُ ذواتِ القرون ، ورأينا لبعض الشاءِ عِدَّةَ[٤] قرونٍ نَابتَةٍ فى عظم الرَّأس أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قرُوناً جُوفاً فيها قرون ، ورأينا قروناً لاقرونَ فيها ، ورأيناها مُصمَتَة ، ورأينا بعضَها ينصُلُ قَرْنُه فى كلِّ سنة ، كما تسلَخ الحيَّةُ جلدَها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهى قُرون الأيائلِ . وقد زعموا أنَّ للحِمار الهندىِّ[٥] قرنا واحداً .

---

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « صار » .

(٢) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص . وفى ط : « كالحاذق » وفى ل ، س : « كالجاذف » ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعدة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهندى هو الـكركدن ، وحيد القرن . والذى سماه بالحمار الهندى هو أرسطو فى كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد ذكره صاحب المنطق فى كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهندى » .

وقد رأينا طائراً شَديدَ الطيران بلا ريشٍ كالخُفاش ، ورأينا طائراً لايطير وهو وافِى الَجناح ، ورأينا طائراً لايمشى وهو الزُّرْزُور . ونحن نُؤْمن بأنَّ جعفَرًا الطَّيارَ ابنَ أبي طالب ، له جناحان يطير بهما فى الجِنان ، جُعِلا له عوضاً من يديه اللتين قطعتا على لواء المسلمين فى يوم مؤتة[1] . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم – وهو سهلٌ جائزٌ شائع مفهوم ، ومعقول قريبٌ غير بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذى تراه ألَّا يطير[2] إلَّا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوَضع ، وركِّب غيرَ هذا التَّركيب صارت ثلاثَة أجنحة وَفُوقَ[3] تلك الطبيعة . ولو كان الوَطواط فى وضْعِ أخلاطه[4] وأعضائه وامتزاجاته[5] كسائر الطير ، لما طار[6] بلا ريش .

---

(١) كان يوم مؤتة فى الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضا يلقب بذى الهجوتين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصابة ١١٦٢ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ – ٦٩ .

(٢) ط : « لا يسير » . س : « لا تطير » وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرسول ، بمعنى ملاءمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر اللسان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الشاذ .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وضع فى أخلاطه » .

(٥) ط ، س : « وامتزاجه » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « كان » .

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البَحْريّون أنّهم يعرفون[١] طائراً لم يسقُط قطّ ، وإنما يكون سقوطه من لدُنْ خروجِهِ من بيضه [إلى] أنْ يتمّ[٢] قصبُ ريشه ، ثمَّ يطير
٧٢ فليس له رِزق إلّا من بعوضِ الهواء وأشباهِ البَعوض ؛ إلّا أنّهُ قصيرُ العمر سريعُ الانحطام .

(بقية الحديث فى أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يُمزَج[٣] الطائر ويُعْجَن غيرَ عجْنه الأوّل[٤] [فيعيشَ ضعفَ ذلك العُمر] . وقد يجوز أيضاً أنْ يكونَ موضعُ الجَناح الثالث بين[٥] الجناحَين ، فيكون الثالث للثانى كالثانى للأوّل ، وتكون كلُّ واحدةٍ من ريشةٍ عاملةً فى التى تليها من ذلك الجسم[٦] ، فتستوى فى القوَى وفى الحِصَص .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذى حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزوينى فى عجائب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط : « يمرح » . وفى س : « يموج » ، محرفتان .

(٤) س : « غير عجنة الأوابد » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « البدن » .

ولعَلَّ الَجناح الذى أنكره الملحدُ الضَّيِّقُ العَطَن[١] أن يكونَ مركزُ قوادِمِهِ فى حاقِّ الصُّلب[٢] .

ولعَلَّ ذلك الجناح أن تكون الريشة الأولى منه معينةَ للجَناح الأيمن والثانيةُ معينَة للجناح الأيسر . وهذا مما لايضيقُ عنه الوهم ، ولا يعجِز عنه الجواز[٣] .

فإذا كان ذلك ممكناً[٤] فى معرفة العبد بما أعاره الربُّ جلّ وعزَّ ، كان ذلك فى قدرةِ الله أجوز . وما أكثَرَ من يضيقُ صدرُه لقلَّة علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أنَّ كلّ ذى أربعٍ فإنّه إذا مشى قدّم إحدى يديه ، ولا[٥] يجوز أن يستعمل اليَد الأُخرَى ويقدِّمها بَعْدَ الأُولى حَتَّى يستعمل الرَّجلَ المخالِفةَ لتلك اليد : إنْ كانت اليَدُ المتقدِّمة اليمنى حَرَّكَ الرِّجْلَ اليسرى ، وإذا حرّكَ الرجل اليسرى لم يحرِّك الرِّجْل اليمنى — وهى أقرَبُ إليها[٦] وأشبهُ بها — حَتَّى يحرِّك اليَدَ اليسرى . وهذا كثير .

---

(١) الضيق العطن : الضيق الصدر ، السريع الغضب . وأصل العطن مربض الإبل والغنم حول الماء . ط ، ل : « لضيق العطن » .

(٢) حاق الصلب : وسطه .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفا » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « اليد » .

[و[١]] فى طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكْبَته فى رِجله ، وجميعَ ذواتِ الأربَع فإنّما رُكبها فى أيديها . وكلُّ شىء ذى كفٍّ وبَنان كالإنسان ، والقرد، والأسدِ ، والضَّبّ ، والدُّب ، فكفُّه فى يده . والطَّائر كفّه فى رجله .

(استعمال الإنسان رجليه فيما يعمله فى العادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلَّا وهو يعمل برجليه ما كان [يعمل[٢]] بيديه ، وما أقف على شىءٍ من عمل الأيدى إلَّا وأنا قد رأيتُ قوماً يتكلّفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفرِغ برجليه ما فى دَسْتيجة[٣] نبيذ فى قنانىَّ رِطليَّات وفُقَّاعِيَّات[٤] ، فراهنوه ، وأزعجنى أمرٌ فتركته عند ثقاتٍ لا أشكُّ فى خبرهم ، فزعموا أنّه وَفَى وزاد . قلت :

---

(١) الزيادة من س .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) الدستيجة : واحدة الدستيج ، وهى – كما فى تاج العروس – : آنية تحول باليد وتنقل . فارسى معرب : « دستى » . وأصل « دست » فى الفارسية بمعنى اليد . انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطليات، أى تسع للواحدة منها رطلا . والفقاعيات : ضرب من القوارير صغار ، ولم أجد لها نصاً يفسرها .

قد عرَفتُ قولَكم « وفى » فما معنى قولكم « زاد » . قالوا : هو أنّه لو صبَّ من رأس الدّستيجة حوالَىْ أفواهِ القنانىّ كما يعجِز عن ضَبطه جميعُ أصحاب الكمال فى الجوارح ، لما أنكرنا ذلك . ولقد فرَّغ ما فيها فى جميع القنانىّ فَما ضيّعَ أوقيَّةً واحدة .

(قيام بعض الناس بعمل دقيق فى الظلام)

وخبَّرنى الحزَامىُّ[1] عن خليل أخيه[2] ، أنّه متى شاءَ أن يَدْخُلَ فى بيتٍ ليلا بلا مصباح ، ويفرغ [قربة][3] فى قنانىّ فلا يصبُّ إستاراً[4] واحداً فعله .

و[لو] حكى لى الحزامىُّ هذا الصَّنيعَ عن رجل وُلِد أعمى أو عمِى فى صباه ، كان يعجبنى منه أقلُّ . فأمّا من تعوّد أن يفعل مثل ذلك وهو يبصر فما[5] أشدَّ عليه أن يفعله وهو مغْمَض العينين . فإن كان أخوه قد ٧٣
كان يقدر على ذلك إذا غمَّض عينيه فهو عندى عجب . وإن كان يبصر فى الظلمة فهو قد أشبه فى هذا الوجه السِّنّورَ والفأر ؛ فإنَّ هذا عندى عجبٌ

(١) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب ، كان معاصراً للجاحظ ، وقد أفرد له حديثاً فى البخلاء ٤٧ — ٥٤ . وفى ط ، س : « الحزامى » وفى ل : « الحرامى » .

(٢) ل : « مليك » .

(٣) الزيادة من س . وبدلها فى ل : « قرابة » محرفة .

(٤) الإستار : ثلاثة أخماس الأوقية ؛ إذ الأوقية إستار وثلثا إستار .

(٥) ل : « يبصره » .

آخر ، وغرائب الدُّنيا كثيرة عند كلِّ من كان كلفاً بتَعرافها ، وكان له فى العلمِ أصلٌ ، وكان بينه وبين التبَيُّنِ (١) نَسَب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لاتجدُهم إلَّا فى حالتين : [إمّا فى حال](٢) إعراض عن التبيُّن وإهمالٍ للنّفس(٣) ، وإمَّا فى حالٍ(٤) تكذيبٍ وإنكارٍ وتسرُّع إلى أصحاب الاعتبارِ وتتبُّعِ الغرائب ، والرغبةِ فى الفوائد . ثمَّ يرى بعضهم أنَّ له بذلك التكذيب فضيلةً(٥) ، وأنّ ذلك بابٌ من التوقِّى ، وجنسٌ من استعظام الكذب ، وأنّه لم يكن كذلك إلَّا من حاقِّ الرَّغبةِ(٦) فى الصِّدْق . وبئس الشىء عادةَ الإقرار والقبول . والحقُّ(٧) الذى أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحثَّ عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقَضَ واستحال ، والآخر ما امْتنع فى الطَّبِيعة ، وخرج من طاقة الخِلقة . فإذا خرج الخبرُ من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم(٨) الجواز ، فالتدبير(٩) فى ذلك التثبت

---

(١) التبين : التفهم . وفى ط س : « التبيين » ، وتوجيهه من ل . و « نسب » هى فى الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ط ، س : « النفس » .

(٤) ط : « حاله » وأثبت ما فى ل ، س .

(٥) ط ، س : « فوائد » .

(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها فى ل ، س .

(٧) ط ، س : « أو تبين الشىء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان : « وبئس الشىء » . . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٨) ط ، س : « ذكر » .

(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وأن يكون الحقُّ فى ذلك هو ضالّتك ، والصِّدق هو بُغيتك ، كائناً ماكان ، وقَع منك بالموافقةِ ، أم وقع منك بالمكروه . ومتى لم تعلم أنّ ثوابَ الحقِّ وثمرةَ الصِّدق أجدى عليك من تلك الموافقةِ لم تقَع[1] على أن تعطِيَ التثبُّتَ حقّه .

(تشبيه رماد الأثافى بالحمام)

قال : وهم يصفون الرّماد الذى بين الأثَافِىِّ بالحمامةِ ، ويجعلون الأثَافِىَّ أظئاراً لها ، للانحناء الذى فى أعالى تلك الأحجار ، ولأنّها كانت معطّفاتٍ عليها وحانياتٍ على أولادها . قال ذو الرُّمّة :

كأنّ الحمامَ الوُرْقَ فى الدّارِ جَثّمت على خَرِق بين الأثَافِى جَوازِلُه[2]

شبّه الرّماد بالفراخ قبل أن تنهض . والجُثوم فى الطير[3] مثل الرُّبوض فى الغنم . وقال الشماخ :

وإرثِ رَمادٍ كالحمامةِ ماثلٍ ونُؤْيَين فى مَظْلومَتَيْنِ كُدَاهما[4]

---

(١) ل : « لم تقو » .

(٢) ط : «أجثم» مكان «جثمت»، وهو تحريف صوابه فى ل ، س والديوان ٤٦٥. وروى فى أمالى المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقعت » . قال المرتضى : « شبه الأثافى بالحمام الورق ، وجعلها ظئوراً لتعطفها على الرماد . وشبه الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه . والجوازل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « الخيل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنؤى بالضم : حفيرة تحفر حول الخباء يجعل ترابه حاجزاً لمنع المطر . والمظلومة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والكدى : جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . والرواية فى ديوان الشماخ : « ونؤيان » . وقبل البيت :

أقامت على ربعيهما جارتا صفا كميتا الأعالى جونتا مصطلاهما

وبعده :

أقاما لليلى والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طللاهما

وقال أبو حيَّة :

[مِنَ العَرَصَاتِ غيرَ مخَدِّ نُؤْيٍ كباقى الوحْى خُطَّ على إمام(١)

وغيرِ خوالِدٍ لُوِّحْن حَتَّى بهنَّ علامةٌ من غير شام](٢)

كأنّ بها حمامَاتٍ ثَلاثاً مَثَلْنَ ولم يَطِرْنَ مَعَ الحمامِ

وقال العَرْجى :

ومَرْبِطَ أفْرَاسٍ وخَيمٌ مُصَرَّعٌ وهابٍ كجُثْمانِ الحمامةِ هامِدُ(٣)

وقال البَعيث :

وَسُفْعٍ ثَوَيْنَ العَامَ وَالعَامَ قَبْلَهُ وَسَحْقِ رَمادٍ كالنَّصيفِ من العَصْبِ(٤)

(بعض ما قيل من الشعر فى نوح الحمام ، وفى بيوتها)

وقالوا فى نَوح الحمام ، قال جِران العَود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوحُ الحمامِ بِهِ كأنّه صوتُ أنباطٍ مثاكيلِ(٥)

---

(١) الخد : موضع الخد ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب . وفى القرآن الكريم : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » أى كتابهم .

(٢) لوحن : غيرتهن النار . وعنى بالخوالد الأثافى لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن ودروس ربوعهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود فى البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب فى القيظ وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد من الأخبية . وقيل : هى عيدان يبنى عليها الخيام . والهابى : الرقيق الدقيق المرتفع ، وأراد به الرماد .

وقبل البيت كما فى ديوان العرجى ١١٧ :

فؤادك أن يهتاج لما بدا له رسوم المغانى والأثافى الرواكد

(٤) النصيف : ماله لونان . والعصب : ضرب من البرود اليمنية ، يعصب غزلها أى يجمع ويشد ، ثم يصبغ وينسج فيأتى موشياً ، لبقاء ماعصب منه أبيض لم يأخذه صبغ .

(٥) ط : « وديا » .

وقالوا فى ارتفاعِ مواضعِ بُيوتِها وأعشاشِها . قال الأعشى :

أَلم تر أن العِرْض أصبَحَ بطنُه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفَصافِصا[١]
وذا[٢] شُرُفات يقصُرُ الطَّرف دونَه تَرَى للحمام الوُرقِ فيه قَرامصا[٣]

وقال عمرو[٤] بن الوليد :

فتبدَّلتُ من مساكنِ قومى والقُصورِ التى بها الآطامُ
كلَّ قصرٍ مشيَّدٍ ذى أواسٍ تتغنَّى على ذُراه الحمـــام[٥]

والحمام أيضاً ربما سكن أجْوَافَ[٦] الرَّكايا ، ولا يكون ذلك إلَّا لِلْوحشىِّ منها ، وفى البِير التى لاتُورَد . قال الشاعر :

بدلو[٧] غير مُكرَبَةٍ أصابتْ[٨] حَماماً[٩] فى مساكِنِه فَطَارَا

يقول : استقى بِسُفرتِه[١٠] من هذه البئر ، ولم يستق بِدَلوٍ . وهذه بئر قد سكنها الحمام لأنَّها لاتُورَدُ .

---

(١) الفصافص : جمع فصفص أو فصفصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهى رطب القت.
(٢) ط ، س : « وذى » .
(٣) القرامص : جمع قرموص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء القراميص للشعر .
(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف ماأثبت من ط ، س . وانظر تحقيق السابق فى التنبيه الثانى ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .
(٥) سبق الكلام فى شرح الشعر وأصله ص ٢٠٨ .
(٦) ط ، ل : « أجراف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة فى جدار الركية .
(٧) ط : « بدلو » وصوابه فى ل ، س .
(٨) كذا فى ل : وهو الصواب . وفى ط : س : « أطابت » . والمكربة : ذات الكرب بالتحريك ، وهو حبل الدلو .
(٩) ط : « جماما » وهو تطبيع .
(١٠) السفرة : مايضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر مايكون ذلك جلداً مستديراً . ط : « بملغوة » س : « بملفوة » .

وقال جهم بن خلف[١] :

وقد هاج شَوقى أنْ تَغنَّت حمامةٌ مطوَّقةٌ ورقاء تصدَحُ فى الفجْر
هتوفٌ تبكِّى ساقَ حُرٍّ ، ولن ترَى لها دَمعةً يوماً على خدِّها تجرى
تغنَّتْ[٢] بلحنٍ فاستجابَت لصوتها نَوائحُ بالأصْياف[٣] فى فَنَنِ السِّدْرِ[٤]
إذا فَترَتْ كرَّتْ بلحنٍ شجٍ لها[٥] يُهَيِّج[٦] للصَّبِّ الحزينِ جَوَى الصَّدْرِ
دعتْهُنَّ مِطرابُ العشيَّات والضُّحَى بصوتٍ يَهيجُ المستهَامَ على الذِّكْرِ
فلم أرَ ذا وَجدٍ يَزيدُ صَبابةً عليها ، ولا ثَكلَى تُبَكِّى على بِكْرِ[٧]
فأسعَدْنَها بالنَّوح حتَّى كأنَّما شَربنَ سُلافاً من معتَّقة الخمرِ[٨]
تجاوبْنَ لحناً فى الغُصونِ كأنَّها نوائحُ مَيْتٍ يلتدِمْنَ لدى قبرِ[٩]
بسُرَّةِ وادٍ من تبَالةَ مُونِقٍ كسا جانبَيهِ الطَّلحُ واعتمَّ بالزَّهْرِ[١٠]

---

(١) جهم بن خلف المازنى : راوية عالم بالغريب والشعر فى زمان خلف والأصمعى ، وله شعر فى الحشرات والجارح من الطير . الفهرست ٤٧ ليبسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابئ » وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « فغنت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .

(٣) الأصياف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأضياف » وهما تصحيف .

(٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فنن » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذاك كثير فى كلامهم .

(٥) ط ، س : « شجونها » .

(٦) ط ، س : « تهيج » .

(٧) يزيد صبابة ، أى تكون صبابته أشد وأعنف من صبابتها . ط ، س : « على وكر » والوجه ما أثبت من ل .

(٨) ل : « فأسعدتها بالعوج » ! وجعلهن قد شربن الخمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العربيد .

(٩) يلتدمن، من الالتدام ، وهو ضرب المرأة صدرها فى النياحة .

(١٠) تبالة : موضع ببلاد اليمن ، حيث الشجر والنضرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدِر . قال : ويقال فى الحمام الوحشى من القمارىِّ والفواختِ والدَّباسى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدِل هديلًا . فإذا طَرَّب قيل غرَّد يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير .

وأمَّا أصحابنا فيقولون : إنّ الجمل يهدِر ، ولا يكون باللام ، والحمام يهدل ٧٥
وربَّما كان بالراء .

وبعضهم يزعُم أنّ الهديلَ من أسماء الحمام الذَّكر . قال الرَّاعى واسمه عبيد بن الحصين - :

كهداهِدٍ كَسَرَ الرُّماةُ جَناحَه يدعُو بقارِعَةِ الطَّرِيق هديلَا(١)

(ساق حُرٍّ)

وزعم الأصمعىُّ أنّ قوله : « هتوفٌ تبكِّى ساقَ حرٍّ » إنَّما هو حكايةُ صوت وحشيٍّ الطير من هذه النَّوَّاحات . وبعضهم يزعم أنّ « ساق حرّ » هو الذكر ، وذهب إلى قول الطِّرِمَّاح فى تشبيه الرَّماد بالحمام ، فقال :

بين أظآرٍ بمظْلومــــةٍ كسَراةِ السّاقِ ساقِ الحمامْ ِ(٢)

---

(١) الهداهد : الهدهد . وقد شبه بذلك الهدهد الذى كسر جناحه ، رجلا أخذ المصدق إبله . وقبل البيت :

أخذوا حمولته فأصبح قاعداً لايستطيع عن الديار حويلا
يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولا

وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٣١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظآر : الأثافى . والمظلومة : الأرض حفرت فى غير موضع حفر . والسراة : الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت فى ديوان الطرماح ٩٥ - ١١٠ . والبيت فى ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح فى رويها الإسكان والكسر ، كما فى تكملة الصاغانى .

(صفة فرس)

وقال آخر[١] يصف فرساً :

يَنجيه مِنْ مِثْلِ حمام[٢] الأغْلَالْ رفعُ يدٍ عَجِلَى ورِجل شِملَالْ

* تَظْمَأُ من تحتُ وتُروَى من عَالْ[٣] *

الأغلال[٤] : جمع غَلَلٍ ، وهو الماء الذى يجرى بين ظهرَى الشّجر[٥] قال : والمعنى : أنّ الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرعُ لها . وقوله : شِملال أىْ خفيفة .

بـاب[٦]

ليس فى الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح والشِّيات ، ويكون فيها المصْمَت والبهيمُ أكثَرَ ألواناً ، [و] من أصناف التَّحَاسِين[٧] مايكون فى الحمام ، فمنها مايكون أخضرَ مُصمَّتا ، [وأحمر مصمتا] ، وأسودَ

---

(١) هو دكين الراجز ، كما فى اللسان (غلل) .

(٢) يقول : ينجى هذا الفرس من خيل سراع فى الغارة كالحمام الواردة . ل : « حمام » تصحيف .

(٣) تظمأ : أى تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود فى الفرس . وفى الأصل : « يظمأ » . وتروى : أى يكثر لحمها . من عال : من أعلى .

(٤) قبل هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهرى الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرانيه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، وبدلها : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التحاسين : جمع تحسين . وفى ط : « التخاسين » ، وهو تصحيف .

مصمتا ، [وأبيض مصمتا[١]] ، وضروبا من ذلك ، كلها مصمتة . إلاّ أنّ الهِدَايَةَ للخُضْر والنُّمْر[٢] . فإذا ابيضَّ الحمام [كالفقيع] فمثله من النّاس الصَّقلابيُّ[٣] ، فإن الصَّقلابيَّ[٣] فطيرٌ[٤] خامٌ[٥] لم تُنْضِجْه الأرحام ؛ [إذ كانت الأرحام] فى البلاد التى شمسُها ضعيفة .

وإن اسودّ[٦] الحمامُ فإنما ذلك احتراقٌ ، ومجاوزة لحدِّ النُّضج . ومثلُ [سود الحمام[٧]] من الناس الزِّنج ؛ فإنّ أرحامهمْ جاوزَت حدَّ الإنضاج إلى الإحراق ، وشيَّطت[٨] الشّمسُ شُعورَهم فتقبَّضت .

والشَّعر إذا أدنَيتَه من النَّار تجعَّد ، فإنْ زدْتَه تَفَلفَل[٩] ، فإن زدتَه احترق .

وكما أنّ عقولَ سُودانِ النَّاس وحُمرانِهم دونَ عقول السُّمر ، كذلك بيضُ الحمام وسودُها دونَ الخُضْر فى المعرفة والهدايَة .

---

(١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .

(٢) النمر : جمع أنمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

(٣) كذا جاء . والوجه « صقلبى » ، نسبة إلى صقلب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .

(٤) فطير : لم ينضج . وفى ط : « قطر » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الخام : أصل معناه الدبس الذى لم تمسه النار ، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ فى دبغه ، وهى كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .

(٦) ط : « أسود » وهو خطأ .

(٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » فى ط ، س .

(٨) شـيطت : أحرقت . ط : « كشطت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .

(٩) يقال شعر مفلفل : شديد الجعودة . فى الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطراد لغوى)

وأصل الخضرة إنّما هو لون الرَّيحانِ والبقولِ[1] ، ثمَّ جعلوا بعدُ الحديدَ أخضرَ ، والسماءَ خضراء ، حتَّى سمَّوا بذلك الكُحْلَ واللَّيل . قال الشَّمَّاخ بنُ ضرار :

٧٦ ورُحْنَ رَواحاً مِنْ زَرُودَ فنازعت زُبالةَ جلبابا من الليل أخضرا[2]

وقال الرّاجز :

حتَّى انتضاه الصُّبح من ليلٍ خَضِرْ[3] مثلَ انتضاء البَطَلِ السَّيفَ الذّكَرْ[4]

* نضو هوًى بالٍ على نِضْوِ سَفَرْ[5] *

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَامَّتَانِ ﴾ ، قال : خضروان من الرِّى سوداوان .

ويقال : إن العراقَ إنّما سمِّى سواداً بلون السَّعَف الذى فى النّخل ، ومائه .

والأسودان : الماء والتمر . والأبيضان : الماء واللبن . والماء[6] أسودُ إذا كان مع التَّمر ، وأبيضُ إذا كان مع اللَّبن .

---

(١) ل : « إنما هو للريحان والبقول » .

(٢) بدل هذا البيت جميعه فى ط ، س : « فنازعت جلبابا من الليل أخضراً » ، وأثبت البيت كاملا من ل . على أن صواب روايته : « وراحت رواحا » لأنه فى صفة ناقة واحدة كما فى الديوان ص ٣١ وماقبلها وكما فى رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية . وزبالة ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .

(٣) الرواية فى رسائل الجاحظ : « حتى انتضانى » .

(٤) السيف الذكر : الجيد الحديدة الشديدها . ل : « الليل الذكر » تحريف .

(٥) عنى بالنضو البالى : الراكب . وبالنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فالماء » .

ويقولون : سُودُ البطون وحُمْر الـكُلى[1] ، ويقولون : سود الأكباد يريدون العداوة ، وأن الأَحقاد قد أحرقت أكبادَهم[2] . ويقال للحافر أسود البطن ؛ لأَنّ الحافر لا يكون فى بطونها شحم[3] .

ويقولون : نحن بخيرٍ ما رأينا سَواد فلان بين أظهُرنا ، يريدون شخصه . وقالوا : بل يريدون ظلَّه .

فأمّا خضْرَ مُحارِب[4] ، فإنما يريدون السُّودَ[5] وكذلك : خُضْر غسَّان . ولذلك قال الشاعرُ :

إنّ الخَضارِمة الخضْرَ الذين غدَوْا ... أهْلَ البريصِ ثمانٍ منهمُ الحكَمُ[6]

ومن هذا المعنى قول القرشيّ[7] فى مديحِ نفسِه :

---

(١) الكلى : جمع كلية . وفى الأصل : « سود البطن حمر الكلا » ، وذا تحريف وتشويه .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « لأن الحوافر لا يكون فى بطنها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « السودد » وليس مراداً ، وجاء فى الرسائل ٧٢ ساسى : « وقد فخرت خضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضر » .

(٦) الخضارمة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء — وهو السيد الحمول . وفى الأصل : « الحضارمة » وصوابه فى رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، حيث ملك الغساسنة . وفى الأصل : « البريض » بالضاد المعجمة ، خطأ تصويبه من الرسائل . وفى الرسائل : « نمانى » ، أى ارتفع نسبى إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبى ربيعة المخزومى كما فى رسائل الجاحظ ٧١ أو الفضل ابن العباس اللهبى ، كما فى الرسائل أيضا والـكامل ١٤٣ ليبسك ومعجم المرزبانى ٣٠٩ وكنايات الجرجانى ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هى النسبة الصحيحة . وابن الأنبارى فى الأضداد يرى أن معنى الخضرة السخاء والعطاء .

وأنا الأَخضَرُ مَنْ يَعْرِفُنى أخضَرُ الجِلْدةِ فى بَيْتِ العرَبْ

وإذا قالوا : فلان أخضر القفا ، فإنما يعنون به أنّه قد ولدتْهُ سوداء .

وإذا قالوا : فلان أخضر البطْن ، فإنما يريدون أنّه حائك ، لأَنّ الحائكَ بطنَهُ لطول[1] التزاقه بالخشبة التى يطوى عليها الثّوب يسودّ .

(عداوة العروضى للنَّظّام)

وكان سبب عداوة العَروضى[2] لإبراهيم النَّظام ، أنّه كان يسمِّيه الأَخضرَ البطن ، والأَسوَد البطن ؛ فكان يكشِفُ بطنَه للناس — يريدُ بذلك تكذيبَ أبى إسحاق — حتى قال له إسماعيل بن غزْوان : إنَّما يريد أنَّك من أبناء الحاكة ! فعاداه لذلك .

(استطراد لغوى)

فإذا قيل أخضر النَّواجذ ، فإنما يريدون أنّه من أهل القُرَى ، ممّن يأكل الكُرَّاث والبصل .

وإذا قيل للثّور : خاضب ؛ فإنما يريدونَ أنّ البقل قدْ خَضَب أظلافه بالخضرة . وإذا قيل للظليم : خاضب ، فإنما يُريدونَ[3] حمرةَ وظيفيه[4]

---

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النساج .

(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد فى البخلاء ص ٤٥ ، وهو من معاصرى الجاحظ .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، ل : « يرون » .

(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وطيفة » وهذه تحريف .

فإنهما يَحمرَّان فى القَيْظ ، وإذا قيل للرَّجل خاضب ، فإنَّما يريدون الحنَّاء فإذا كان خضابُه بغير الحِنَّاء قالوا : صَبَغ [١] ولا يقال خضب .

ويقولون فى شبيهٍ بالباب الأوَّل : الأحمران : الذهب والزعفران والأبيضان : الماء واللَّبن ، والأَسودان : الماء والتمر .

ويقولون : أهلَكَ النِّساء الأَحمران [٢] : الذَّهب والزّعفران ، وأهلَكَ النّاسَ الأحامِر : الذهب ، والزعفران ، واللَّحم ، والخمر .

والجديدان : اللَّيل والنهار ، وهما الملوان [٣] .

والعصر : الدَّهر ، والعصران : صلاة الفَجْر وصلاة العشى [٤] ، والعصران : الغَداة والعَشِىُّ ، قال الشاعر [٥] :

وأمطُله العَصْرَينِ حتّى يملَّنى
ويَرْضى بِنِصْفِ الدَّينِ والأنفُ رَاغِمُ

---

(١) ط ، س : « صيغ » وصوابه فى ل .

(٢) كذا فى ل ، وهو الصواب . وفى ط : « الأحامران » وفى س : « الأحامر يراد » . وانظر جنى الجنتين للمحبى ١٦ - ١٧ .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « لونان » .

(٤) جاء فى الحديث : « حافظ على العصرين » أى صلاة الفجر وصلاة العصر ، وسميا العصرين لأنهما يقعان فى طرفى العصرين ، وهما الليل والنهار . وجاء أيضا تفسيره فى الحديث : « قيل : وما العصران ؟ قال : صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها » . وكلمة : « الفجر » هى فى الأصل « العصر » محرفة . و « صلاة العشى » بدلها فى ط ، س : « العشاء » وهو تحريف أيضاً .

(٥) هو عبيد بن الأبرص الأسدى كما فى حماسة البحترى ٤١٥ . وقبله :

ألين إذا لان الغريم وألتوى إذا اشتد حتى يدرك الدين قاتلى

(٦) روى : « وأنطله » فى أمالى المرتضى (٢ : ٣٨) وهى لغة . وكلمة « راغم » هى فى ط : « زاغم » وتصحيحه من ل ، س واللسان والأضداد ١٧٥ ومحاضرات الراغب (١ : ٢٢٩) حيث تجد نظائر هذا المعنى .

ويقال : « البائعان بالخيار » وإنَّما هو البائع والمشترى[١] ، فدخل المبتاع فى البائع .

وقال الله عز وجلَّ : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأمُّ فى اسم الأبوَّة ، كأنهُمْ يَجمعُونَعلى أنْبَهِ[٢] الاسمَيْنِ وكقولهم : ثَبِيرَين[٣] ، والبَصرتَين[٤] . وليس ذلك بالواجب ؛ وقَدْ قالوا : سيرَةَ العُمَرَين ، وأبو بكرٍ فوقَ عمر ، قال الفرزْدَق :

أخــذْنَا بآفاقِ السَّماءِ عليكمُ   لنا قَمــرَاها والنُّجومُ الطَّوالعُ

وأمَّا قولُ ذى الرُّمَّة :

وليلٍ كجِلبابِ العَرُوسِ ادَّرعتُه   بأربْعةٍ والشخْصُ فىالعَينِ وَاحِدُ[٥]

فإنهُ ليس يريدُ لونَ الجلباب ، ولـكنَّهُ يريد سُبوغه .

---

(١) ل : « فإنما هو بائع ومشتر » .

(٢) أنبه الاسمين : أشهرهما وأعرفهما . وفى ط ، س : « ابنه » وصوابه فى ل .

(٣) ثبيران : هما ثبير وحراء كما فى المزهر (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من جبال مكة ، وفى ثانيهما الغار المشهور . وبدل ما أثبت من ل فى كل من ط ، س : « كالبحرين والمسلمين والزهدمين » .

(٤) البصرتان : البصرة والـكوفة ، والأولى أقدم من الثانية .

(٥) ادرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد فسر ذو الرمة الأربعة التى شخصها واحد فى العين ، أى التى يراها الناظر شخصا واحداً ، بقوله بعده :

أحم علافى وأبيض صارم   وأعيس مهرى وأروع ما جد

فالأحم العلافى ، بكسر العين ، هو الرحل . والأحم : الأسود . والعلافى : المنسوب إلى علاف : رجل من الأزد صانع للرجال . والأبيض الصارم عنى به سيفه القاطع . والأعيس : الذى خالط بياضه شقرة . وعنى جمله . والمهرى : منسوب إلى مهرة بن حيدان . والأروع : الذى يعجبك حسنه . وعنى نفسه .

وللشعر حديث فى ديوان المعانى (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩) والصناعتين ٢٢١ .

(جواب أعرابىّ)

قال : وكذلك قول الأعرابىِّ حينَ قيل له : بأىِّ شيء تعرفُ حَملَ شائِلك ؟ قال : « إذا استفاضَتْ خاصِرتها ، ودَجت شَعْرَتُها[(١)] » . فالدَّاجى هاهنا اللابس .

قال الأصمعى ومسعود [بن فيد[(٢)]] الفزارى : ألا تَرونَه يقول : «كان ذلك وثَوبُ الإسلام ِ داجٍ » . وأما لفظ الأصمعىّ فإنّه قال : كان ذلك منذُ دَجَا الإسلام . يعنى أنّه ألبس كلَّ شىء[(٣)] .

(شِيات الحمام)

ثمَّ رجع بنا القول إلى ذكر شِياتِ الحمام .

وزعموا أنّ الأوضاحَ كلَّها ضعَف ، قليلها وكثيرها ، إلاَّ أنَّ ذلك بالحِصَص على قدْر الكثرة والقلَّة ، كذلك هى فى جميع الحيوانِ سواءٌ مستقبلُها ومستدْبرها . وذلك ليس بالواجبِ حتى لايغادر شيئاً ألبتة ؛ لأنَّ الكَلْبَةَ السَّلوقيَّةَ البيضاءَ أكرمُ وأصيَدُ ، وأصبَرُ من السَّوْدَاء[(٤)] .

والبياضُ فى النَّاسِ على ضروب : فالمعيب منه بياضُ المُغْرَب[(٥)]

---

(١) انظر ٥ : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المثبتة من ل ، هى فى الأصل « قيد » بالقاف . وصوابه ما أثبت .

(٣) أى قوى وانتشر ، كما فى اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السواد » ، وصوابه فى ل .

(٥) المغرب بضم الميم وفتح الراء : ما كل شىء منه أبيض . ط : « البياض المغرب » وتصحيحه من ل ، س .

والأشقَرُ والأحمرُ أقلُّ فى الضّعف والفَسادِ ، إذا[١] كان مشتقًّا من بَياضِ البَهَقِ والبَرَصِ والبَرَش [والشيب] .

والمغْرَبُ عند العرب لا خَير فيه ألبتّة . والفقيع[٢] لا يُنجِب ، وليس عنده إلاّ حسنُ بياضه ، عند من اشتهى ذلك .

(سوابق الخيل)

وزعم ابن سلاّم الجُمحىّ أنّه لم يرَ قطُّ بلقاءَ ولا أبلق [جاء] سابقاً .

وقال الأصمعىّ : لم يسبق الحَلْبَةَ أهضَمُ قطُّ ؛ لأنهم يمدحون المُجْفَرَ[٣] من الخيل ، كما قال[٤] :

٧٨ خِيط على زَفرةٍ فتَمَّ ولم يرجعْ إلى دِقّـة ولا هَضَمِ[٥]

ويقولون : إنَّ الفرَس بعُنُقِه وبطْنه .

وخبّرنى بعض أصحابنا ، أنّه رأى فَرَساً للمأمون بَلقاء سبقتِ الحلبة . وهذه نادرةٌ غريبة .

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وإذا » .

(٢) الفقيع : الأبيض من الحمام .

(٣) المجفر ، بضم الميم وفتح الفاء : الواسع الجفرة بالضم ، وهى وسط الفرس .

(٤) هو النابغة الجعدى ، كما فى أدب الكاتب ٨٩ والاقتضاب ٣٣٠ .

(٥) يقول : كأنه زفر زفرة امتلأ جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم . والهضم (بالتحريك) : استقامة الضلوع وانضمام أعالى البطن . وهذا البيت ساقط من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو فى ط : س محرف هكذا :

خيط على زفرة قم ولم يرجع إلى درقة وهضم

(نظافة الحمام ونفع ذرْقه)

والحمام طائر ألوفٌ مألوف ومحبَّب ، موصوفٌ بالنّظافة ، حتى إنّ ذرْقه لايعاف(١) ولا نتن له ، كسُلَاحِ(٢) الدَّجاج والدِّيَكة . وقد يُعالج بذرْقه صاحبُ الحصاة . والفلاّحون يجدون فيه أكثرَ المنافع . والخبَّاز يُلقى الشيء منه فى الخمير لينتفخَ العجينُ ويعظُمَ الرغيف ، ثمّ لايستبينُ ذلك فيه . ولذَرْقه غلاّتٌ ، يعرف ذلك أصحاب الُحجَر . وهو يصلُح فى بَعض وُجوهِ الدَّبْغ .

باب (٣)

[وقال صاحبُ الدِّيك] : الحمامُ طائرٌ لئيمٌ قاسى القلب ، وإن برَّ بزَعْمِكم(٤) ولدَ غيرِه ، وصنَعَ به كما يصنع بفرخه ؛ وذلك أنهما يحضُنان كلَّ بيض ، ويزُقّان كلَّ فرْخ ، وما ذاك منهما إلاّ فى الفَرْط .

(لؤم الحمام)

فأمَّا لؤمه فمن(٥) طريق الغَيرة ، فإنّه يرى بعينه الذّكَرَ الذى هو أضعف منه ، وهو يطرُدُ أنثاه ويكسَحُ بِذَنَبه حَولها ، ويتطوَّس(٦) لها

---

(١) لايعاف : لا يكره .
(٢) السلاح ، بالضم : النجو .
(٣) ليست فى ل .
(٤) كذا فى ط ، س . وفى ل : « وإن برعم ببره » ، وليس يستقيم هذا .
(٥) كذا فى ل . وبدلها فى ط س : « فى » وأثبت الصواب .
(٦) التطوس : التزين . ويراد به هنا إبداء المحاسن فى الشكل والحركة .

ويستميلها ، وهو يرى ذلك بعَينه – ثمَّ لم نر قط ذكراً واثَبَ ذكراً عند مثلِ ذلك .

فإذا قلت : إنّه يشتدُّ عليه ويمنعه إذا جثَمت[1] له وأراد أن يعلوَها ؛ فكلُّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغَيرة ، ولكنّه ضربٌ من البُخْل ومن النَّفاسة[2] . وإذا لم يكن من ذكَرِها إلاّ مثلُ ما يكون من جميع الحمام عُلِم أنّ ذلك منه ليس من طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواهضَ تفعل ذلك ، وتقطع على الذَّكر بَعْدَ أن يعلُوَ على الأنثى] .

قال : وأمَّا ما ذكرتم من أن الحمامَ معطوفٌ على فِراخه ما دامتْ محتاجةً إلى الزّقّ ، فإذا استغنَت نُزِعت منها الرحمةُ ، فليس ذلك كما قلتم . الحمامُ طائرٌ ليس له عهد ؛ وذلك أنّ الذَّكرَ ربما كانت معه الأنثى السِّنينَ ، ثمَّ تُنقَلُ عنه وتُوارَى [عنه] شهراً واحداً ، ثم تظهر له مع زوجٍ أضْعَفَ منه ، فيراها طولَ دهْره وهي إلى جنب بيتِه وتماريده[3] فكأنهُ لايعرفها بعد معرفتها الدَّهرَ الطويل[4] ، وإنما غابت عنه الأيَّامَ اليسيرةَ . فليس يوجَّهُ[5] ذلك الجهلُ الذي يُعامِل به فراخَهُ بَعد أن كبِرَت ، إلَّا على

---

(١) جثمت : لزمت مكانها أو وقعت على صدرها . وبدلها في ط : « اجتمعت » .

(٢) النفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، بكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلا .

(٣) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه . ط : « وبمرآه » . س : « بمرداته » وهذه محرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س: « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب في ل ، س . وفي ط : « يوجد » .

الغباوةُ وسُوءِ الذِّكر ، وأنّ الفرْخ حين استوى ريشهُ وأشبَهَ غيرَه من الحمام جهِل الفصْل[١] الذى بينهما .

٧٩ فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدُها مع ذكَرٍ ضعيف وهو مسلِّم لذلك وقانعٌ بهِ ، وقليلُ الاكتراث به ، فهو من لؤمٍ فى أصل الطبيعة .

(قسوة الحمام)

قال : وبابٌ آخر من لؤمه: القسوةُ ، وهى ألأمُ اللّؤم ؛وذلك أن الذّكَر ربَّما كان فى البيت طائرٌ ذكرٌ قد اشتدَّ ضعفُه ، فينقَر رأسَه والآخرُ مستخذٍ[٢] له ، قد أمكَنَه من رأسِهِ خاضعاً له ، شديدَ الاستسلام لأمره ، فلا هو يرحُمه لضعفِه وعجْزه عنهُ ، ولا هو يرحَمُـه لخضوعه ، ولا هو يملّ[٣] وليس له عنده وِتر . ثمّ ينقُر يافُوخَه حتى ينقُبَ عنهُ ، ثمَّ لايزال ينقُر ذلك المـكانَ بَعْدَ النّقْب حتى يُخرِجَ دِمَاغَهُ فيموتَ بين يَدَيْه .

فلو كان ممَّا يأكل اللَّحمَ واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً ؛ إذ لم يَعْدُ ماطَبَعَ الله عليه سِباعَ الطير .

فإذا رأينا من بعض بهائمِ الطيرِ من القَسوةِ ما لا نرى من سِباع الطير لم يكن لنا إلاّ أن نقضىَ عليهِ من اللؤم على حسب مباينته لشكل

---

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشىء .
(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س فقط : « مستخز » ،وهو تصحيف .
(٣) ل: « ولا يميل » .

البهيمة ، ويزيد[١] فى ذلك على ما فى جوارح الطير من[٢] السَّبُعية .

(أقوال لصاحب الديك فى الحمام)

وقال صاحب الديك[٣] :

زعم أبو الأَصبغ بن ربعىّ[٤] قال : كان رَوحٌ أبو همام صاحِب المعمّى ، عند مثنَّى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معهُ فى السطح إذ جاء جماعةٌ فصعِدوا . فلم يلبثْ أن جاء آخرون ، ثمَّ لم يلبَثْ أن جاءَ مثلهُمْ ، فأقبَلَ عليهم فقال : أىٌّ شىءٍ جاء بكم ؟ وما الذى جَمَعكم اليوم ؟ قالوا : هذا اليومُ الذى يرجع فيهِ مَزَاجيلُ الحمامِ من الغايَةِ . قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ نَتَمَتَّعُ بالنَّظَر إليها إذا أقبلت . قال : لكِنَّنى أتمتّع بتغميض العين إذا أقبلت ، وتَرْكِ النَّظَرِ إليها !! ثمَّ نزَل وجلس وحدَه .

(التلهِّى بالحمام)

وقال مثنَّى بنُ زهير ذاتَ يوم : ما تَلَهَّى النّاسُ بشىءٍ مثل الحمام ، ولا وجدنا شيئا مما يتخذه النّاس ويُلعَبُ بِهِ ويُلْهَى بِهِ ، يخرج من أبواب

---

(١) ل : « ونزيده » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه فى ل .

(٣) هذه الجملة ليست فى ط ، س . وبدلها كلمة « باب » .

(٤) ماعدا ل : « أبو الأصبع بن ربعى » . وانظر ص ١٠٩ .

الهزل إلى أبواب الجِدّ – كالحمام – وأبو إسحاق[١] حاضر – فغاظه ذلك ، وكظم على غيظه . فلمَّا رأى مثنًّى سكوته عن الردِّ عليه طمِع فيه فقال : يبلغُ واللهِ مِنْ كرَم الحمامِ ووفائِه ، وثباتِ عهْدِه ، وحنينِه إلى أهله ، أنِّى ربّما قصَصتُ الطَّائر[٢] بعد أنْ طار عِندى دهراً ، فتى نبَتَ جَناحه كنباته الأوَّل ، لم يَدْعُه سوءُ صنعِى إليه إلى الذَّهاب عنِّى . ولربَّما بِعْتُه فيقصُّه المبتاعُ حيناً ، فما هو إلاَّ أن يجدَ فى جَناحِه قوَّةً على النُّهوض [حتَّى أراه[٣]] أتانى جادفاً أو غير جادف[٤] . وربَّما فعلتُ ذلك به مراراً كثيرة ، كلَّ ذلك لايزدَادُ إلَّا وفاء . ٨٠

قال أبو إسحاق : أمَّا أنت فأراكَ دائباً تحمَده وتذمُّ نَفْسَك . ولئنْ كان رجوعُه إليك من الكرمِ إنّ إخراجَك له من اللُّؤم ! وما يُعجبنى من الرِّجال مَنْ يَقْطَعُ نفسَه لصلةِ طائرٍ ، وينسى ماعليه فى جنبِ مااللبهيمة . ثم قال : خبِّرْنى عنكَ حين تقول : رجَعَ إلىَّ مرَّةً بعدَ مرَّة ، وكلما زهِدْتُ فيه كان فىَّ أرغبَ ، وكلّما باعدْتُه كان لى أطْلَبَ؛ إليكَ جاء ، وإليكَ حنَّ أمْ إلى عُشِّه الذى درَج منه ، وإلى وكْره الذى رُبِّى فيه ؟ ! أرأيت أنْ لو رجَعَ إلَى وكرِه وبيتِه ثمَّ لم يجدْك ، وألفاك غائباً أو ميِّتاً ، أكان يرجِعُ إلى موضعه الذى خلّفه ؟ ! وعلى أنّك تتعجَّب من هدايتِه ، وما لك فيه

---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .
(٢) فى الأصل : « قصصت الطائر دهرا » . وكلمة : « دهرا » مقحمة بلا ويب .
(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تكملة للكلام .
(٤) جدف الطائر جدوفا : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأمَّا شكرُك على إرادته لك ، فقد تبيَّنَ خَطَاؤك[1] فيه ، وإنما بقى الآن حسنُ الاهتداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابَهَة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أنَّ الرَّخَمَ من لئام الطير وبغاثها ، وليست من عِتاقها وأحْرارها ، وهى من قواطِع الطّير ، ومِنْ موضِع مَقْطَعِها إلينا[2] [ثمَّ] مرجِعِها إليه من عندنا ، أكثَرُ وأطوَلَ من مقدارِ أبعَدِ غايات حمامكم . فإن كانتْ وقتَ خُروجها من أوطانها إلينا خرجتْ تقطَع الصَّحارىَ والبرارىَّ والجزائرَ والغِياضَ والبِحارَ والجبالَ ، حتّى تصير إلينا فى كلِّ عام — فإن قلت إنّها ليستْ تخرج إلينا على سمْتٍ ولا على هِدايةٍ ولا دَلالةٍ ، ولا على أمارةٍ وعَلامة ، وإنما هَرَبت من الثُّلوج والبَرْد الشديد ، وعلمت أنّها تحتاج إلى الطُّعْم ، وأنّ الثّلجَ قد ألبَس ذلك العالم ، فخرجتْ هاربةً فلا تزالُ فى هربها إلى أن تصادفَ أرضا خِصْباً[3] دفئاً ، فتقيم عندَ أدنى ماتجد — فما تقولُ فيها عند رجوعها ومعرفتِها بانحسارِ الثلوج عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدتْ[4] طريقَ الرُّجوع ! ؟ ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التَّجارب

---

(١) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ، وصوابه فى ل .

(٣) يقال : أرض خصب وخصبة بكسرها ، وخصبة بالفتح . بدلها فى ل : « بيضاء » وليس بشىء .

(٤) يقال هو يهدى الطريق ويهتدى الطريق بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أنّ طَيْرَ كلٍّ جهةٍ إذا قَطَعَتْ رَجَعت إلى بلادها وجبالها وأوكارها ، وإلى غياضها وأعشّتها[1] . فتجد هذه الصِّفة فى جميع القواطع من الطَّير ، كرامها كلئامها[2] ، وبهائمها كسباعها . ثمَّ لايكون اهتداؤها على تمرينٍ وتوطين ، ولا عن تدريبٍ وتجريبٍ ، ولم تلقّن[3] بالتّعليم ، ولم تثبّتْ بالتّدبيرِ والتقويم . فالقواطع لأنفسها تصير إلينا ، ولأنفسها تعودُ إلى أوكارها . وكذلك الأوابد من الحمام ، لأنفسها ترجع . وإلفُها للوطن إلفٌ مشترَكٌ مقسومٌ على جميع الطَّير . فقَدْ بَطَلَ جميعُ ما ذكرت .

(قواطع السمك)

ثم قال : وأعجبُ من جميعِ قواطعِ الطّيرِ قواطعُ السَّمك ، كالأسبور[4] والجُوَاف[5] والبَرَستُوج[6] ، فإنَّ هذه الأنواعَ تأتى دِجلَةَ البصرةِ من

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف عشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولئامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ولم تعلّ » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والسرب والكحلاء ، ونحوها . معجم المعلوف ٢٣٢ . ولم أهتد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة . وبدل هذه الكلمة فى ط ، س : « الأشبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه فى أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه فى عجائب المخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، بوزن غراب ، كما فى القاموس : ضرب من السمك . وقال صاحب عجائب المخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت محرفة فى س وعجائب المخلوقات بلفظ « الجراف » . وفى ط بلفظ « الجوان » وصوابه فى القاموس و ل .

(٦) البرستوج ، هو فى القاموس : « البرشتوك كسقنقور : سمك بحرى » قلت : هو =

٨١ أقصى البحار ، تستعذبُ المـاء فى ذلك الإبَّان ، كأنها ، تتحمَّضُ بحلاوة الماء وعذوبَتِه ، بعدَ مُلوحةِ البحر ؛ كما تتحمَّض الإبلُ فتطلب الَحمْضَ — وهو ملحٌ — بَعْدَ الُخلّة — وهو ماحلا وعذب .

(طلب الأسد للملح)

والأُسدُ إذا أكثَرتْ مِن حَسْوِ الدِّماء — والدِّماءُ حلوةٌ — وأكْلِ اللّحم واللّحمُ حلو — طلبت المِلْحَ لتتملّحَ[1] به ، وتجعلَه كالَحمْض بعْدَ الُخلّة .

ولولا حُسنُ موقعِ المِلْح لم يُدْخله النّاسُ فى أكثَرِ طعامهم .

والأَسَدُ يخرج للتملُّح ، فَلَا يزالُ يسيرُ حتّى يجِدَ مَلَّاحَة[2] . وربّما اعتادَ الأَسَدُ مكاناً فيجدُه ممنوعا ، فلا يزالُ يقطَعُ الفراسِخَ الكثيرةَ بَعدَ ذلك[3] فإذا تملَّح رجع[4] إلى موضعِهِ وغَيْضَتِه وعَرِينِه ، وغابه وعِرِّيسته[5] ، وإن كان الذى قَطَع خمسين فرسخاً .

= معرب « پرستوك » ، وهو لفظ فارسى معناه الخطاف واحد الخطاطيف ، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف فى أنه من القواطع كما أن الخطاف من القواطع . وفى عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . « وذكر البحريون أن البرستوج فى الوقت الذى يوجد فى البصرة لايوجد بالزنج ، وفى الوقت الذى يوجد فى الزنج لايوجد فى البصرة » . ط : « البزستوج » تصحيف .

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « تستملح » .

(٢) الملاحة : منبت الملح أى معدنه . وأفعال هذه الجملة فى س مبدوءة بالتاء ، فتقرأ « الأسد » بهذه جمعاً ، أى بضم الهمزة وإسكان السين .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وبعد ذاك » والواو مقحمة .

(٤) س : « عاد » .

(٥) الغاب : جمع غابة ، وهى الأجمة . والأوفق فى هذه الكلمة أن تكون « وغابته » =

(مجىء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأَشْهُر التى يقبل إلينا فيها هذه الأَصناف[١] وهى تقبلُ مرَّتين فى كلِّ سنة ، ثمَّ نجدُها فى إحداهما أسمَنَ[٢] الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عنْدَنا شهرَين إلى ثَلَاثَة أشْهُر ، فإذا مضى ذلك الأَجلُ ، وانقضتْ عِدّةُ[٣] ذلك الجنسِ ، أقْبل[٤] الجنسُ الآخر . فهم[٥] فى جميع أقسام شُهورِ السَّنَةِ من الشتاء والربيعِ ، والصَّيفِ والخريف ، فى نوعٍ من السَّمك غيرِ النّوع الآخَر . إلّا أنْ البَرَسْتُوجَ[٦] يُقْبِل إلينا قاطعاً من بلاد الزِّنج[٧] ، يستعذب الماء من دِجلةِ البَصْرَةِ ، يعرفُ ذلك جميعُ الزِّنج والبَحْرِيِّين .

= بالإفراد ليتساوق الكلام ، ولكن هكذا وردت فى ل . وفى ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « العريس » بالضبط المتقدم ، وجاءت بهذه فى ط ، س .

(١) كذا فى ل . وبدل الكلمتين الأخيرتين فى ط ، س : « الأشبور وأصناف السمك » ، وكلمة « الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بعد هذا اللفظ فى ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أى عدد أيامه . وفى الكتاب العزيز : « ولتكملوا العدة » ط ، س : « مدة » .

(٤) ط : « قبل » صوابه فى ل ، س .

(٥) فهم : أى فأهل البصرة . س « فيهم » تحريف .

(٦) ط : « البزسبوج » ، وهو تصحيف نبهت عليه ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها مايعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالى وما جاورها من الجنوب وأكبر بلادهم هى (مقدشو) كما ورد فى معجم البلدان برسم (بحر الزنج) . ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهى عاصمة بلاد الصومال .

(بُعْدُ بلاد الزِّنج والصِّين عن البصرة)

وهم يزعمون أنّ الذى بين البصرة والزِّنج ، أبعَدُ مما بين الصِّين وبينها[١]

وإنما غلط ناسٌ فزعموا أنّ الصِّين أبعد ، لأن بحرَ الزِّنج[٢] حفرةٌ واحِدة عميقَة[٣] واسعة ، وأمواجها عِظام ، ولذلك البَحْرِ ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهة الزِّنج شَهْرَين ، وريحٌ تَهُبُّ من بلاد الزِّنج تريدُ جِهَة عُمان شَهرين ، على مقْدَارٍ واحدٍ فيما بينَ الشِّدَّة واللِّين ، إلاّ أنّها إلى الشدّةِ أقْرَب ، فلما كان البَحْرُ عميقا والرِّيحُ قَوِيَّةً ، والأمْواجُ عظيمَةً ، وكان الشِّراعُ لايحطُّ ، وكان سيرهم مع الوَتَر ولم يكن مع القَوْس[٤] ، ولا يَعْرفون الخِبَّ والمكَلَّأَ[٥] ، صارت الأيّامُ التى تسير فيها السُّفن إلى الزِّنْجِ أقل .

---

(١) أى وبين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه فى ل .

(٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربى من المحيط الهندى ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .

(٣) ل : « عميمة » وصوابه فى ط ، س .

(٤) المراد بالوتر الوتر الهندسى ، وهو الخط الذى يصل بين طرفى القوس . والوتر أبداً أقل من قوسه .

(٥) الخب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلأ ، كمعظم : المرفأ . يقول : لايضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل . ط : س : « الجيب الميل » ، وهما على الصواب الذى أثبت فى ل .

(البرستوج)

قال : والبَرَسْتوج [١] سَمكٌ يقْطَعُ أمواجَ الماء ، ويَسِيح [٢] إلى البصرة مِنَ الزنْج ، ثم يَعُودُ مافضَلَ عنْ صيدِ الناس إلى بلاده وبحره . وذلك أبْعَدُ ممّا بين البصرة إلى العليق [٣] المرارَ الكثيرة . وهم [لا] [٤] يصيدون من البَحْر فيما بين البَصرة إلى الزَّنج [٥] من البَرَسْتُوج [٦] شيئا [إلَّا] فى إبانِ مجيئها إلينا ورجوعِها عنّا [٧] ، وإلَّا فالبحر منها فارغٌ خالٍ .

فَعامة الطيرِ أعجبُ من حمامكم ، وعامَّةُ السّمك أعجبُ من الطَّير .

(هداية السمك والحمام)

والطَّيرُ ذو جناحين ، يحلِّق فى الهواء ، فله سُرعةُ الدَّرَك وبلوغ الغاية بالطيران [٨] ، وله إدراك العالم بما فيـــهِ بعلامات وأمارات [٩] إذا هو ٨٢

(١) ط : « والبزسبوج » وصوابه فى ل ، س . وانظر التحقيق فى ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٢) كذا فى ل ، ط . وفى س : « يسبح » بالموحدة .

(٣) كذا فى ل ، وانظر ماسبق فى ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العلين » .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) فى ط فقط بعد هذه الكلمة : « ولا نرى » .

(٦) ط : « البزستبوج » وهو تصحيف انظر له ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حلَّق[١] فى الهواء ، وعلا[٢] فَوق كل شىء . والسَّمكة تسبِّح فى غَمْر البَحْر والماء[٣] ، ولا تسبِّح فى أعلاه . ونسِيمُ الهواء الذى[٤] يعيشُ بهِ الطيرُ لو دامَ على السمَكِ ساعةً مِنْ نهارٍ لقتله[٥]

وقال أبو العنبر[٦] : قال أبو نُخيلة الراجز[٧] وذَكَرَ السمك :

تغمُّــه النشرَةُ[٨] والنسِيم فَــلا يزال مُغرَقا[٩] يَعُومُ
فى البَحر والبَحْرُ له تَخميمُ[١٠] وأمُّــهُ الوَالدةَ الرءومُ
* تَلهمهُ جهلًا وما يَرِيمُ *

---

(١) تحليق الطائر : ارتفاعه فى طيرانه . ل : « تحلق » ، ولم أجد هذه إلا فى تحلق القمر : صارت حوله دوارة ، وتحلق القوم : جلسوا حلقة حلقة .

(٢) علا : ارتفع . ط : « على » تحريف .

(٣) ل : « غمر الماء » . وتجد أنى ضبطت « تسبح » من التسبيح ، وهو مراد الجاحظ ، جاء فى نقل الدميرى : « قال الجاحظ : السمك يسبح الله فى غمر الماء » وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة .

(٤) ط : « والذى » وصوابه فى ل ، س والدميرى .

(٥) قال الدميرى معترضاً : « وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس على إطلاقه ، فإن الغزالى قد استثنى منه نوعاً لايضره النسيم فقال : ومن السمك نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » .

(٦) ط ، س : « ابن أبي العنبر » ل : « أبو العس » . وجاء فى معجم المرزبانى ٥١٣ : « أبو العنبر بن أبي نخيلة ، ويقال هو أبو العبير » .

(٧) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠٠) . فى الأصل : « بن أبي نخيلة الراجز » ، وقد أبدلته بما ترى .

(٨) ط : « النشزة » وصوابه فى ل ، س واللسان (نشر) .

(٩) س : « معرقا » وتصحيحه من ط ، ل واللسان .

(١٠) ط ، س والدميرى : « حميم » ، وصوابه فى ل واللسان .

يقول : النشرَة والنسيم الذى يُحيِى جميعَ الحيواناتِ ، إذا طال عليه الحُمُومُ[1] واللَّخَنُ والعَفَن ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يغمُّ السَّمَك ويكرُبُه ، وأمُّه التى ولدته تأكله ؛ لأنّ السَّمكَ يأكلُ بعضُه بعضاً ، وهو فى ذلك لا يَرِيمُ هذا الموضع[2] .

وقال رؤبة[3] :

والحوت[4] لايَكفِيه شىءٌ يَلْهَمُه   يُصبِحُ عَطْشَانَ وفى الماءِ فَمُهْ[5]

يصف طباعَه واتِّصالَه بالماء ، وأنَّه شديد الحاجةِ إليه ، وإن كان غَرِقا [فيه[6]] أبدا .

---

(١) الحموم : العفن . ط ، س : « الحموم » وتصحيحه من ل واللسان .

(٢) رام الموضع يريمه : تركه .

(٣) فى محاضرات الراغب (١ : ٣٠٤) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا . والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما فى ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المغنى ١٢٠ :

* قلت لزير لم تصله مريمه *

(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المغنى . وقد روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٣٩ - ١٥٥ . وقبل هذا البيت :

* أتاك لم يخطئ به ترسمه *

يعنى نفسه . ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً .

(٥) استشهد به ابن سيده فى المخصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فمه » وقال : « وهذا الإبدال إنما هو فى الإفراد » ، أى إبدال عين الكلمة بميم ، وكان ينبغى أن يقول : « فوه » ، ولا يصح النطق بكلمة « فم » إلا حين إفرادها عن الإضافة . قال البكرى : « يقول : إنه لايروى حتى يلقى الممدوح » .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(شعر فى الهجاء)

وأنشدنى محمَّدُ بنُ يسير لبعض المدنيِّين[١] ، يهجُو رجلا ، وهو قوله :

لو رأى فى السَّقفِ فرْجاً لنزَا حتَّى يمـــوتاَ[٢]
أو رآهُ وَسْطَ بحـــرٍ صارَ فيــه الدَّهرَ حُوتاَ[٣]

قال : يقول فى الغَوْصِ فى البَحْرِ ، وفى طُول اللبْثِ فيه .[٤]

(شعر فى الضفدع)

وقال الذَّكوانى ، وهو يصف الضِّفْدعَ :

يُدخل فى الأشْدَاق[٥] ماءً يَنصُفه كَيماَ[٦] يَنقَّ والنَّقيقُ يُتْلِفهُ

قال : يقول : الضِّفدع لا يصوِّت ، ولا يتهيَّأ له ذلك حتَّى يكون فى فيه ماء ، وإذا أرادَ ذلك أدخل فكه الأسفلَ فى الماءِ ، وترَك الأعلى حتى يبلُغَ الماءُ نِصفَه .

---

(١) الصواب أن الشعر لأبى نواس ، وليس فى هجاء رجل ، بل فى غرض آخر . انظر الكنايات للجرجانى ٣٧ ومعاهد التنصيص (١ : ٣٤) وأخبار أبى نواس ٣٥ .

(٢) نزا : وثب . وفى الأصل : « لزنا » وصوابه فى أخبار أبى نواس . وفى المعاهد : « لنزى » تحريف كتابى . وفى الكنايات : « لرق » .

(٣) ل : « صار للتغطاط » ، وصوابها « للتنعاط » . المعاهد : « صار للإنعاط » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) فى الأصل « الأشدق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما فى الدميرى وعيون الأخبار (٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س : « كما » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذى يتمثّلُ بهِ النّاس : « فلانٌ لايستطيعُ أن يُجيبَ خُصومَه لأنّ فاهُ مَلآن ماءً » . وقال شاعرهُمْ [١] :

وما نسيت مكان الآمريكِ بذا يامَنْ هويتُ ولـكنْ فى فِمِى ماءُ [٢]

وإنّما جعلوا ذلك مثلا [٣] ، حينَ وجَدُوا الإنسانَ إذا كان فى فمه ماءٌ على الحقيقة لم يَسْتطع [٤] الـكلام . فهو تأويلُ قولِ الذّكوانىّ :

* يُدخِلُ فى الأشداقِ ماءً يَنْصُفُه *

بفتح الياءِ وضمّ الصّاد ، فإنّه ذهبَ إلى قول الشاعرِ [٥] :

وكنتُ إذا جارى دَعا لمَضُوفةٍ أشمِّرُ حتّى يَنْصُفَ السّاقَ مِئْزَرِى [٦] ٨٣

[المضوفة : الأمر الذى يشفقُ منه] .

وكقول الآخر [٧] :

* فإنَّ الظّنَّ يَنْصُفُ أو يزِيدُ *

وهذا ليس من الإنصاف الذى هو العَدْل ، وإنّما هو من بلوغ نِصْفِ الساق .

---

(١) هو أبو نواس من أبيات فى الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا فى ط ، س . وفى ل : « بذا * من الوشاة » . وفى الديوان : « وما جهلت مكان لاشريك به * من الوشاة » .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جندب الهذلى ، كما فى اللسان (نصف) .

(٦) تـكلم فى هذا البيت ابن الأنبارى فى الأضداد ١١٣ وابن سـيده فى المخصص (١٢ : ١٢٥) والبغدادى فى الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحمر بن شميط ، كما سبق فى ٦٠ . وصدره :

* فإلا يأتـكم خبر يقين *

وأمَّا قوله :

* كَما(١) ينقَّ والنَّقيقُ يُتلِفهُ *

فإنه ذهَبَ إلى قول الشاعِر(٢) :

ضفادِعُ فى ظلماء ليلٍ تجاوَبتْ فَدَلَّ علَيْهَا صَوْتها حَيَّةَ البَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلَّ معنًى سَمِعناهُ فى باب مَعْرفةِ الحيوان من الفلاسفة ، وقرأناه فى كتُبِ الأطبَّاءِ والمتكلمين — إلَّا ونحنُ قد وجدناه(٣) [أو] قريبا منهُ فى أشعار العَرب والأعراب ، وَفى(٤) معرفةِ أهلِ لغَتنا ومِلّتنا . ولولا أنْ يطولَ الكتابُ لذكرتُ ذلك أجمعَ(٥) . وعلى أنِّى قد تركتُ تفسيرَ أشعارٍ كثيرة ، وشواهد عديدة(٦) مما لايعرفه إلَّا الرَّاويةُ النِّحرير(٧) ؛ مِنْ خوفِ التطويل .

---

(١) ط ، س : « كما » ، وصوابه فى ل .

(٢) هو الأخطل كما فى البيان (١ : ٢٧٠) والحيوان (٥ : ١٥٤) . وللبيت قصة طريفة فى العقد (٢ : ١٤) ومعاهد التنصيص (٢ : ١٩٩) والكنايات ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وجدنا » .

(٤) ل : « فى » والوجه ما اثبت من ط ، س .

(٥) ط ، س : « لذكرت لك الجميع » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « مع شواهد كثيرة » .

(٧) النحرير : الحاذق الفطن البصير بكل شىء . ط ، س : « إلا الرواة للتحرز » تحريف ما أثبت من ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون[١] صاحبُ الفِراسة : اجعل حمامَ النساء المسرْوَلاتِ العِظامَ الحِسَانَ ، ذواتِ الاختيال والتَّبختر والهدير ؛ واجعل حمام الفِراخِ ذواتِ الأنساب الشريفة[٢] والأعراق الكريمة ، فإنّ الفراخَ إنَّما تكثُر عن حُسْن التعهُّد ، ونظافَةِ القرامِيص[٣] والبُروج . واتَّخِذْ لهنَّ بيتاً محفوراً عَلَى خِلقة الصَّومَعة ، محفوفا من أسفله[٤] إلى مقدارِ ثُلثَى حيطانِه بالتماريد[٥] ، ولتَكُنْ واسعةً وليكن بينها حِجاز[٦] . وأجودُ ذلك أن تكونَ تماريدُها محفورَةً فى الحائطِ[٧] على ذلك المثال ، وتعهَّد البُرْج بالكنس والرَّشِّ[٨] [فى زمان الرشّ]، وليكن مخرجُهنَّ من كَوٍّ[٩] فى أعلى

---

(١) ط ، س : « أقليمون » بالقاف ، تصحيف ما فى ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس مارى : هى يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومعناه الحفرة والأفحوص والقلت والوجار وهى مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .

(٦) حجاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجاز » وهو تحريف .

(٧) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو بمعنى الكنس . وكلمة « الرش » هى فى ط : « الريش » وصوابها فى ل ، س .

(٩) الكو : الخرق فى الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمعه كوى وكواء . ط :« من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّومعة ، وليكن مقتصداً فى السَّعةِ والضِّيق ، بقدر ما يدخُل منه ويخرج [منه] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعتَ أن يكونَ البيتُ بقُربِ مزرعةٍ فافعلْ . فإنْ أعجزكَ المنسوبُ منها فالتمسْ ذلك بالفِراسةِ التى لاتخطئُ . وقلَّما يُخطئُ المتفرِّس .

قال : وليس كلُّ الهُدَّى(١) تَقْوَى على الرّجعة من حيثُ أرسِلتْ ؛ لأنَّ منها ما تفضَل قوَّتهُ على هِدايته ، ومنها البطىء وإن كان قويًّا ، ومنها السَّريع وإن كان ضعيفا ، على قدر الحنين والاغترام(٢) . ولا بدَّ لجميعها من الصَّرامةِ ، ومن التّعليم أوَّلًا والتَّوطين آخِراً .

(انتخاب الحمام)

وقال : جِماع الفِراسةِ لايَخرج(٣) من أربعة أوجه : أوَّلها التقطيع ، والثانى المجسَّة ، والثالث الشمائل ، والرابع(٤) الحركة .

فالتقطيع : انتصاب العنق والخِلْقة ، واستدارةُ الرأس من غير عِظَمٍ ولا صِغَر ، مع عظم القرطمتين(٥) ، واتِّساع المنخرين ، وانهرات الشدقين

(١) الهدى سبق الكلام عليها فى (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « على قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرمان : مجتمع أصل الشىء . ط ، س : « جميع الفراسة لاتخرج »

(٤) فى الأصل : « والرابعة » وهو خطأ . وفى س أيضاً : « والثانية » « والثالثة » وليس بشىء .

(٥) القرطمتان بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان مِنْ أعلامِ الكَرَم فى الخيل ؛ للاسترواحِ[١] وغير ذلك . ثمّ حُسنُ خِلْقة العينين ، وقِصَر المنقار فى غير دِقّة[٢] ثمَّ اتّساعُ الصّدرِ وامتلاءُ ٨٤
الجؤجؤ ، وطولُ العُنق ، وإشراف المنكِبين ، وطولُ القوادمِ فى غير إفراط ، ولُحوق بَعض الخوافى ببعض ، وصلابة العَصَبِ[٣] فى غير انتفاخٍ ولا يُبس واجتماعُ الخلْق فى[٤] غير الجعودةِ والكَزَازَةِ ، وعِظَمُ الفخذين ، وقِصَر الساقين والوظِيفَين ، [وافتراق[٥] الأَصابع] ، وقِصَر الذّنب وخِفَّته ، من غير تَفْنِين وتفرُّق[٦] . ثم تَوَقُّدُ الحَدَقتين ، وصفاءُ اللَّون . فهذه أعلامُ الفِراسة فى التقطيع .

وأمَّا أعلامُ المجسة ، فَوثَاقةُ الخلْق ، وشدَّة اللَّحم ، ومَتانَة العَصَب ، وصَلَابَةُ القَصَب ، ولينُ الرِّيش فى غيرِ رِقّةٍ[٧] وصَلابَة المِنقارِ فى غيرِ دقة .

وأمَّا أعلام الشمائل ، فقلَّة الاخْتيال ، وصفاءُ البصر[٨] وثباتُ النَّظَر

---

(١) الاسترواح : التشمم . ل : « وهذان من أعلام الكرم فى الاسترواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت مافى ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠ والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « القصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) فى الأصل — وهو هنا ل — : « اقتدار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله فى الثوب أن يبلى فيتقزز بعضه من بعض . ل : « تفنن » وأثبت صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) فى الأصل : « دقة » بالدال ، وأثبت مافى المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجعين السابقين .

وشدّة الحَذر ، وحسنُ التّلفت[١] ،وقلّةَ الرعْدةِ عنْدَ الفزع ،وخفّةَ النّهوض إذا طار ، وَتركُ المبادرةِ إذا لَقطَ .

وأمّا أعلام الحركَةِ ، فالطيران[٢] فى علوٍّ ، ومدُّ العُنق فى سُموٍّ ، وقلة الاضطراب فى جوٍّ السماءِ ، وضمُّ الجناحين فى الهواء[٣] ، وتَدَافُعُ الركض فى غير اختلاط ، وحُسْنُ القَصْدِ فى غيرِ دَوَرَانٍ ، وشِدَّةُ المدِّ فى الطيران . فإذا أصبتَه جَامعاً لهذه الخصال[٤] فهو الطائر الكامل . وإلا فبقدر ما فيهِ من المحاسن تكون هدايته وفَرَاهتهُ .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أنَّ الحمامَ من الطيرِ الرقيق ، الذى تَسرِع إليهِ الآفة ، وتَعْرُوهُ الأدواءُ[٥] ، وطَبيعتُهُ الحرارة واليُبْس . وأكثرُ أدوائِه الخُنان والكباد ، والعُطاش ، والسل ، والقمَل[٦] . فَهوَ يحتاجُ إلى المكانِ الباردِ

---

(١) فى الأصل : « التقلب » وهو تحريف عجيب ، صوابه فى المخصص والنهاية . وقد زاد المخصص فى أعلام المجسة خصالا أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « فبالطيران » تحريف .

(٣) فى الأصل : « فى جو السماء » ، فيكون تكراراً ركيكا . وأثبت مافى المخصص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المخصص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تعتوره » .

(٦) الخنان : داء فى الحلق . والكباد ، كغراب : وجع الكبد . والعطاش ، كغراب أيضاً وبالشين المعجمة : داء لايروى صاحبه . وهى فى ط ، س : « العطاس » مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

والنَّظيف ، وإلى الحبوبِ البارِدَة كالعَدَس والماشِ (١) والشّعير المنخول . والقُرْطَمُ له بمنزلة اللَّحم للإنسان ؛ لما فيه من قوّةِ الدَّسم .

فممَّا يُعالَجُ بهِ الكُبادُ : الزَّعفران والسكر الطبَرْزَذ (٢) ، وماء الهِندبا ، يجعل فى سُكرَّجة (٣) ، ثمَّ يُوجر (٤) ذلك أو يمجُّ فى حلقه مجًّا وهو على الرِّيق .

وممَّا يعالَجُ به الخُنان أنْ يليَّنَ لسانُه يوماً أو يومين بدُهْن البنفسج ، ثمَّ بالرَّمادِ والملحِ ، يُدْلَكُ بها (٥) حتَّى تنسَلخ الجلدة العليا (٦) التى غشيت لسانَه (٧) . ثمَّ يطلى بعَسل ودُهنِ ورد (٨) ، حتّى يبرأ .

وممَّا يعالج به السّلّ أنْ يُطعَم الماشَ المقْشور ، ويمجَّ فى حلْقه من اللَّبن الحليبِ ، ويُقطَعَ من وظيفَيْهِ عِرقان ظاهران فى أسفل ذلك ، مما يلى المفصل [من باطن] .

---

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون براق له عين كعين اللوبيا ، وشجرته كشجرة اللوبيا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزذ : الأبيض الصلب ، معرب تبرزد ، تبر بمعنى الفأس ، وزد بمعنى ضرب ، لأنه كان يدقق بالفأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطبرزد » تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر مايوضح فيه الكوامخ ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أى يصب فى حلقه ليبلعه . ط : « يؤجر » ، تحريف .

(٥) عيون الأخبار : « بهما » .

(٦) ط : « الجلدة العلياء » ، وصوابه فى ل ، س وعيون الأخبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « عشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل وعيون الأخبار .

(٨) كذا فى ل : وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « الورد » .

ومِمَّا يعالَج بهِ القَمَل أنْ يُطلى أصولُ ريشهِ بالزِّيبَق المحلّلِ[١] بدُهن البنفسَج ، يفعل بِه ذلك مرَّاتٍ حتى يسقُطَ قملُه ؛ ويُكْنَسَ مكانُهُ الذى يكون فيهِ كنساً نظيفاً .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أنَّ الحمامَ والطيرَ كلَّها لايصلُح التَّغمير[٢] بهِ من البُعْد . وهدايته على قدْر التعليم ، وعلى قدر التوطين . فأوَّل ذلك أن يخرج إلى[٣] ظهر سطحٍ يعلو عليه ، ويُنْصَبَ عليه علَمٌ يعرفُهُ ، ويكونَ طيرانُه لايجاوز مَحَلَّتَه ، وأنيكون عَلَفُه[٤] بالغداة والعَشِيِّ ، يُلقَى له فوقَ ذلك السَّطْح ، قريباً ٨٥ من علَمِه المنصوبِ له ، حتَّى يألفَ المكانَ ويتعوَّدَ الرُّجوعَ إليه . ولكن

---

(١) فى مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجعل المنعقدات مثل الماء » . وهذه الكلمة جاءت فى ل : « المنحل » . وجاء فى عيون الأخبار : « ودواء القمل أن تطلى أصول ريشه بالزنبق المخلوط بدهن البنفسج » . وكلمة « الزنبق » محرفة صوابها « الزئبق » كما ورد فى النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد ذلك ماورد فى المعتمد ١٢٨ فى الكلام على الزئبق : « وإذا قتل كان جيداً للجرب والقمل » ، وماجاء فى تذكرة داود فى الكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل إذا جعل فى الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأولى ذلك أن يخرج على » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أصله طعام الدواب ، ولم يعهد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ، كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لِيَنْظُرْ(١) مِنْ أىِّ شىء يتّخذ العلَم ؟ فإنّه لاينبغى أنْ يكون أسودَ ، ولا يكونَ شيئاً تراه من البُعْدِ أسود . وكلما(٢) كان أعظمَ كان أدلَّ .

ولا ينبغى أن يطيِّره وزوجتَه معاً ، ولكن يَنْتفُ أحدهُما ويطيِّر الآخر ، ويُخرَجان إلى السَّطح جميعاً ، ثمَّ يطيَّر الوافى الجناح ؛ فإنّه ينازِع إلى زوجتِه . وإذا عرَف المكان ، ودَارَ(٣) ورَجع ، وألِفَ ذلك الموضع ، ونبتَ ريشُ الآخَرِ ، صُنع به كذلك .

وأجود من ذلك أن يُخرَجا إلى السَّطْح وهما مقصوصان ، حتّى يألفا ذلك الموضع ، ثمَّ يطيَّرَ أحدُهُما قبلَ صاحبه ، ويُصْنَعَ بالثّانى كما صُنع بالأوّل.

وما أشبه قولَه هذا بقول ماسرجويه ؛ فإنهُ وصفَ فى كتابه ، طباعَ جميعِ الألبان ، وشُرْبَها للدَّواء(٤) ، فلمّا فرغَ من الصِّفة قال : وقد وصفت لك حالَ(٥) الألبان فى أنفسها ، ولكن انظُرْ إلى من يسقيك اللّبن ؛ فإنّكَ بدءًا(٦) تحتاجُ إلى تنظيف جوفك(٧) ، وتحتاج إلى مَن يعرفُ مقدارَ علّتك من قدر اللّبن ، وجنس علّتك من جنس اللّبن(٨) .

---

(١) ط ، س : « ينظر » .

(٢) فى الأصل : « وكل ما » وهو خطأ .

(٣) ط ، س : « وداره » ، ووجهه فى ل .

(٤) المراد بكلمة : « الدواء » التداوى .

(٥) ل : « وصفت للرجال » ، تحريف ماأثبت من ط ، س .

(٦) بدءا : أى أولا . ل : « بديئا » . ط : « أبداً » وهذه محرفة تفسد المعنى .

(٧) ط ، س : « ثوبك » ، وصوابه فى ل .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « من يعرف مقدار علتك من جنس اللبن ، وجنس اللبن من جنس علتك » .

(حوار مع نجار)

ومثلُ ذلك قول نجَّارٍ كان عندى ، دعوته لتعليقِ بابٍ ثمينٍ كريم فقلت له : إنّ إحكامَ تعليق الباب شديدٌ ، ولا يحسنه من مائة نجّارٍ نجارٌ واحد . وقد يُذْكر بالحذْق فى نِجارة السقُوف[1] والقِباب ، وهو لايكمُلُ لتعليق[2] بابٍ على تمامِ الإحكام [فيه . والسّقُوف] ، والقِباب عند العامَّة أصعب .

ولهذا أمثال : فمن ذلك أنّ الغلام والجاريةَ يشويان الجَدْيَ والحملَ ويحكمان الشيَّ[3] ، وهما لا يُحكمانِ شيَّ جنبٍ . ومَن لا عِلْم له يظنُّ أنَّ شيَّ البَعْض أهونَ من شيِّ الجميع !

فقال لى : قد أحسنتَ حين أعلمْتَنى أنّك تُبصِر العمل ، فإنَّ معرفتى بمعرفتك تمنعنى من التشفيق[4] . فعَلَّمته فأحكَمَ تَعليقَه ؛ ثمَّ لم يكنْ عندى حَلْقةٌ لوجه الباب إذا أردتُ إصفاقَه ، فقلت له : أكره أنْ أحبسَك[5] إلى

---

(١) ط ، س : « السيوف » ، وهو تحريف .

(٢) تعليق الباب : نصبه وتركيبه ، كما فى اللسان . ط ، س : « لايكمل تعليق » وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكمان الشيء » وأثبت مافى ل .

(٤) كذا فى ل ؛ بالفاء ثم القاف بينهما ياء . وهو من شفق النساج الملحفة تشفيقا : جعلها شفقا — بالتحريك — فى النسج . وشفق النسج : رديئه . وفى ط ، س : « التشقيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشىء . وفيهما أيضا : « تمنع » .

(٥) ل : « أكره حبسك » ط ، س : « أكره أن أجلسك » ، وجعلت القول كما ترى .

أن يذهب الغلامُ إلى السوق ويرجع . ولكن اثقبْ لى موضعها[١] . فلما ثقَبهُ وأخذ حقّه ولاّنى ظَهرَه للانصراف ، والتفت إلىَّ فقال : قد جوّدتُ الثَّقب ، ولكن انظُرْ أىُّ نجارٍ يدُقُّ فيه الزِّرَّة[٢] ؛ فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شقّ الباب ــ[والشق عيب]ــ فعلمتُ أنهُ يفهَمُ صِناعتَهُ فهماً تامًّا .

(قص الحْمام ونتفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلِّم زوجاً قصَّهما ولم ينْتِفْهما[٣] . وبين النَّتفِ والقصِّ بَونٌ بَعيد . والقصُّ [كثير القصِّ] لايُوجعُ ولا يُقرِّحُ مَغارِزَ قصب الرِّيش[٤] ، والنَّتْف يُوهن المنكِبين[٥] . فإذا نُتِفَ الطائرُ مِراراً لم يقْوَ على الغاية ، ولم يزَلْ واهنَ المنكِبين . ومتى أبطأ[٦] عليه فنتفهُ وقد جفّت أصولُه وقرُبت من الطَّرح كان أهونَ عليهِ ، وكلما كان النباتُ أطرأ[٧] كان أضرَّ ٨٦

(١) كذا فى ط . وفى ل : « موضعه » تحريف ؛ فالضمير عائد إلى الحلقة . س : « فى موضعها » .

(٢) فى الأصل : « الرزة » . وجاء فى لسان العرب (زرر) : « ويقال الحديدة التى تجعل فيها الحلقة التى تضرب على وجه الباب لإصفاقه : الزرة ، قاله عمرو بن بحر » .

(٣) كذا فى ط ، س ، وهو الصواب . وفى ل : « إذا أراد أن يلقى زوجا يعليهما كتفهما » .

(٤) بدل هذا فى ط ، س : « لايرجع بالنتف » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لايوهن المنكبين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) فى الأصل : « أخطأ » ،والوجه فيه ماأثبت .

(٧) أطرأ : من الطروء ، وهو ظهور الشىء فجأة . وفى ل : « أطرا » بدون همز =

عليه . وإنه ليبلغ من مضرَّته ، أنّ الذّكرَ لايجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لاتجيد القَبول . وربّما نتفت الأنثى وقد احتشتْ بيضاً ، وقد قارَبتَ أن تبيضَ ، فتبطئُ بَعْدَ وقتها الأيّامَ ؛ وربُما أضرَّ ذلك بالبيض .

(زجْل الحمام)

قال : وإذا بَلغ الثّانى مبلغَ الأوَّلِ فى استواءِ الرِّيش ، والاهتداءِ إلى العَلَم ، طيِّرا جميعاً ، ومُنِعا من الاستقرار ؛ إلاّ أن يظن بهما الإعياء والكلال . ثم يُوَطّنُ[1] لهما المَزَاجِلُ برًّا وبحْراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا فى [الهواء] السَّمتَ ونفْسَ العَلَم، وأقاصىَ ماكانا يريانِه[2] منها عند التَّباعد فى الدّورَانِ والجوَلان . فإذا رَجَعا من ذلك المكانِ مَرَّاتٍ زُجِلا[3] من أبعَدَ منه ــ وقد كانوا مَرَّةً يعجبهم أن يزجَلوا من جميع التوطينات ، مالم تبعدْ ، مرّتين [مرَّتين]ــ فلا يزالان كذلك حتّى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتبساً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكّرَه فيرجعَ إليه . فإنْ[4] خيفَ عليه أن

= من طرا يطرو طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرح : أى صار طريا غضا . وتكون صواب كتابة مافى ل : « أطرى » .

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه فى ل .

(٣) زجلا : أى أرسلا على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما فى ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قد ملَّ زوجتَه ، عَرضت عليه زوجةٌ أخرى [قبل الزَّجل] ؛ فإذا تسنَّمَها[١] مرَّةً حِيلَ بينه وبينها يومَه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أنْ يُحمَل[٢] ، فإذا أطاف[٣] بها نُحِّيت عنهُ ، ثمَّ حُمِل إلى الزَّجل ؛ فإنَّ ذلك أسرعَ له .

وقال : اعلموا أنَّ أشدَّ المَزَاجِلِ ماقلَّتْ أعلامُه، كالصَّحارى والبِحار .

قال : والطير تختلفُ فى الطِّباع اختلافاً شديداً : فمنها القوىُّ ، ومنها الضعيف ، ومنها البطىء ، ومنها السَّريع ، ومنها الذَّهولُ ، ومنها الذَّكورُ ومنها القليل الصَّبرِ على العطش ، ومنها الصَّبورُ . وذلك لايخفى فيهنَّ عند التَّعليمِ والتَّوطين ، فى سرعة الإجابة والإبطاء . فلا تُبْعِدَنَّ[٤] غايَةَ الضَّعيفِ والذَّهولِ والقَليلِ الصَّبر على العطش ، ولا تَزجُلَنَّ ماكان منشؤه فى بلاد الحرِّ فى بلاد البرد ، ولا ماكان منشؤه فى بلاد البَرْد فى بلاد الحرِّ ؛ إلاَّ ما كان بعد الاعتياد . ولا يصبرُ على طول الطيران فى غير هوائِه [وأجوائه طائرٌ] إلا بطولِ الإقامةِ فى ذلك المكان، ولا تستوى حالُه وحالُ من لايَعْدُو هَوَاءَه[٥] والهَوَاءَ الذى يقرُبُ من طِباع هوائه .

---

(١) تسنمها : علاها . وفى ل : « تجشمها » ، وهى صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه الحديث « فلزمها حتى تجشمها » .

(٢) أى يحمل على الزجل . ل : « يمل » س : « تحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) أطاف بها : قاربها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يغدو دواء » و ط : « يعذو دواه » .

(تعليم الحمام ورود المـاء)

قال : ولا بدَّ أن يُعلَّمَ الورودَ ، فإذا أَردتَ به ذلك فأَوْرِدْه العيونَ والغُدْرانَ والأنهارَ ، ثمَّ حُلْ[١] بينه وبين النَّظرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصرَه بأصابِعِك عن جهة الماء واتِّساع المورد ، إلَّا بقدْر ما كان يشربُ فيه من المساقى ، ثمَّ أوسِعْ له إذا عَبَّ قليلا بقدر مالا يَرُوعه ذلك المنْظر[٢] وليكنْ معطَّشاً ؛ فإنّه أجدرُ أن يشرَب . تفعلُ به ذلك مراراً ، ثمَّ تفسحُ له المنْظَر أوّلًا أوَّلًا ، حتَّى لايُنكِر ماهو فيه . فلا تزالُ بِهِ حتَّى يعتادَ الشُّربَ بغَيرِ سترة[٣] .

(استئناسه واستيحاشه)

٨٧ قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأهليَّ الذى عايشَ النّاسَ ، وشَرِب من المساقى ولَقَط فى البيوت يختلُّ[٤] بالوَحدة ، ويَستَوحِش[٥] بالغُربة .

---

(١) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « النظر » . وفى س أيضاً : « يردعه » مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط ، س ؛ وهى صحيحة . والسترة ، بالضم ، بمعنى الستارة ، وهو ما يستر به . وفى ل : « ستر » .

(٤) يختل : يضعف . ط ، س : « يخيل » ، تصحيف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « ومستوحش » ، صوابه فى ل .

قال : واعلم أنّ الوحشيَّ يستأنِس ، والأهلي يستوحش[١] ؛

قال : واعلم أنّه ينسى التّأديبَ إذا أُهمِلَ ، كما يتأدّب بعد الإهمال .

(ترتيب الزجْل)

وإذا زَجَلتَ فلا تُخَطْرِف به[٢] من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن رتِّب ذلك ؛ فإنّه ربّما اعتادَ المجيء من ذلك البُعد ، فمتى[٣] أرسلتَه من أقربَ منه تحيَّر ، وأرادَ أن يبتدئَ أمْرَه ابتداءً . وهم اليومَ لايفعلون ذلك ؛ لأنّه إذا بلغ الرَّقّة أو فوقَ ذلك شيئاً [فقدْ] صار عُقْدَةً[٤] ، وصار له ثمنٌ وغَلّة . فهو لايرى أن يُخاطر بشيء له قدْر . ولكنّه إن جاءَ من هِيتَ أُدْرِبَ[٥] [به] ؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شيءٌ له ثمن ، ولا طائرٌ له رياسة ؛

---

(١) ط ، س : « يستوحش بالغربة » ، والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أسرع . ومثله « تخطرف » . وفى ل : « تتخطرف » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وإن » .

(٤) العقدة ، أصلها : الضيعة والعقار الذى اعتقده صاحبه ملكا.

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحى بغداد فوق الأنبار . وبدلها فى ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك الدورب كان يزجل الحمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المكان القريب أمكن أن يزجل إلى المكان للبعيد . جاء فى ط ، س : « درب » . وهو نقص وتشويه صوابه فى ل .

وليس له اسم ولا ذِكر ؛ وإن جاء جاء شيء كبير وخطير [١] ، وإن جاء من الغاية فَقَدْ حوَى به ملكاً . على هذا [هم] اليوم [٢] .

وقال : لا ترسِلِ الزّاقَّ [٣] حتى تستأنف [به] الرِّياضة [٤] ولا تَدَعْ ماتُعِدُّه للزِّجال [٥] أن يحضن بيضاً ، ولا يجثم عليه ، فإنّ ذلك ممّا ينقُضه [٦] ويُفَتِّحه [٧] ، ويعظم له رأسَه ، لأنّه عندَ ذلك يسمَن وتكثُر رطوبتُه ، فتقذِفُ الحرارةَ تلك الرُّطوبةَ الحادّةَ العارضةَ إلى رأسه ، فإن ثقَبَ [٨] البيضَ وزقَّ وحَضن ، احتجْت إلى تضميره واستئناف [٩] سياستِه . ولكنْ إنْ بَدَا لَك أن تستفرخه [١٠] فانقُلْ بيضَهُ إلى غيره ، بَعْدَ أن تُعلِمه بعلامةٍ تعرِفُه بها إذا انصدَع .

---

(١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٢) ط : « على هذا اليوم » س : « على هذا هو اليوم » . ل : « على هداهم اليوم » وصححته بما ترى .

(٣) الزاق : الذى يزق فراخه ، أى يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .

(٥) للزجال : للزجل . وجاء فى ل : « للزجل » .

(٦) ينقضه : بمعنى يضعف قوته . ط ، س : « ينقصه » وليست من لغة الجاحظ .

(٧) كذا فى ل . وهو بمعنى يسمنه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأينق مفاتيح : سمان . وفى ط ، س : « يقبحه » ولست أثبتها .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ثقب » وهما بمعنى .

(٩) ل : « استينان » وليس بشيء .

(١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه فى ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمامَ أيضاً فَزَعٌ وذُعْرٌ ، عن طلب شيءٍ من الجوارح له ، فإيّاك أن تُعيدَه إلى الزَّجل حتّى ترضمه وتستفرخهُ (١) ؛ فإن ذلك الذُّعْرَ لايفارقهُ ولا يسكن حتى تستأنفَ به التّوطين .

(طريقة استكثار الحمام)

وإنْ أردتَ أن تستكثِرَ من الفِراخ فاعزِلِ الذُّكورةَ عن الإناث شهرا أو نحوَه ، حتى يصول بعضها على بعض ، ثم اجمعْ بينها ؛ فإنّ بيضها سيكثُر ويقلُّ سَقطهُ ومُرُوقُه . وكذلك كلُّ أرضٍ أثيرت ، وكذلك الحِيالُ (٢) لما كان من الحيوان حائلا . قال الأعشى :

مِنْ سَرَاة الهِجَانِ صَلَّبَهَا العُـ ضُّ ورَعْيُ الحِمَى وطُولُ الحِيَالِ (٣)

---

(١) ترضمه ، هكذا وردت فى ط ، س . وفى القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقره . وبدلها فى ل : « تريحه » . و « تستفرخه » هى فى ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) الحيال : مصدر حالت الناقة تحيل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحيال من الحيوان » .

(٣) يقول : هى من خيار الإبل البيض ، قد شددها رعى العض — بضم العين ، وهو النوى المرضوخ ، أو القت — وكذلك رعيها فى الحمى — وهو مكان فى نجد — وخلوها من الحمل زمنا طويلا . وكلمة « العض » هى فى الأصل : « العرض » محرفة ، وصوابها فى ديوانه ٦ والمعلقات بشرح الزوزنى ١٨٨ وكذا فى اللسان (مادتى : عضض ، حيل) .

وقال الحارث بن عبادٍ وجَعَل ذلك مثلا :

قَرِّبا مَرْبِطَ النَّعامــةِ مِنِّى لَقِحَتْ حَرْبُ وائل عن حِيَالِ[1]

(حديث أفليمون عن نفع الحمام)

وقال أفليمون[2] صاحب الفِراسة ، لصاحبه : وأنا محدِّثك عن نَفع الحمام بحديثٍ يزيدُك رغبةً فيها : وذلك أنَّ مَلِكَين طلب أحدُهما مُلْكَ صاحبِهِ ، وكان المطلوبُ أكثَرَ مالًا وأقلَّ رجالاً ، وأخصب بلاداً ، وكانت
٨٨ بينهما مسافةٌ من الأرضِ بعيدة ، فلما بلغَه ذلك دعا خاصَّتَه فشاوَرَهُمْ فى أمْرِه وشَكا إليهم خوفَه على مُلكِه ، فقال له بعضهم : دامتْ لك أيُّها الملِكُ السلامةُ ، ووُقِيتَ المكروه ! إنَّ الذى تاقَتْ له نفسك قد يُحتالُ له باليَسيرِ من الطمع ، وليسَ مِنْ شأنِ العاقلِ التَّغريرُ ، وليس بعد المُناجَزَة بقيَّة ، والمناجزُ لايدرى لمن تكون الغَلَبة ، والتمسُّك بالثقةِ خيرٌ من الإقدام على الغرَر .

---

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب وائل تلك الحروب الكثيرة التى كانت أبداً مشتعلة بين ابنى وائل وهما تغلب وبكر . وقد قال الحارث الشعر الآتى لما قتل ابنه بجير ، قتله مهلهل التغلبى ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن ابنى لأعظم قتيل بركة ؛ إذ أصلح الله به بين ابنى وائل . فقيل له : إنه لما قتل قال مهلهل : بؤ بشسع نعل كليب ! فعند ذلك أدخل الحارث يده فى الحرب . وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ ليبسك والعقد (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذى شهده الحارث بن عباد البكرى هو (يوم قضة) . انظر خبره فى العقد ومعجم البلدان .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أقليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دامَ لك العزُّ ، ومُدّ لك فى البقاء ! ليسَ فى الذُّلِّ دَرَكٌ ولا فى الرِّضا بالضيم بقيّـة ، فالرَّأىُ اتخاذ الحصون وإذكاءُ العُيونِ ، والاستعدادُ للقتال ؛ فإنَّ الموتَ فى عزٍّ خيرٌ من الحياة فى ذلّ[1] ! .

وقال بعضهم : وُقِيتَ وكُفِيت ، وأُعطيتَ فَضْلَ المزيد ! الرَّأىُ طلب المصاهرة له[2] والخِطْبة إليه ؛ فإنّ الصهرَ سببُ أُلفةٍ تقعُ به الحُرْمةُ ، وتثبت بهِ المودَّة ، ويَحُلُّ به صاحبُهُ المحلَّ الأدنى[3] . ومنْ حلَّ من صاحبه هذا المحلَّ لم يخلِّه مما عَراه[4] ، ولم يمتنع من مناوأة من ناواه[5]. فالتمس خِلطتَهُ ؛ فإنّه ليسَ بَعْدَ الخِلطةِ عداوةٌ ، ولا مَع الشِّركة مبايَنة !

فقال لهم[6] الملك : كلٌّ قد أشارَ برأيٍ ، ولـكلٍّ مدَّة ، وأنا ناظِرٌ فى قولِـكم ، وبالله العِصمة ، وبشكره تتمُّ النعمة . وأظهَرَ الخِطبةَ إلى الملكِ الذى فَوقَه ، وأرسل رُسلاً ، وأهدى هدايا ، وأمَرَهُم بمصانعةِ جميع مَن يَصِل إليه ، ودسَّ رجالاً من ثقاتِه ، وأمَرَهُمْ باتِّخاذ الحمام فى بلاده وتَوطينِهِنَّ واتخذَ أيضاً عندَ نفسه مِثلهنَّ ، فرفَّعهن من غايَةٍ إلى غاية . فجعلَ هؤلاء يرسلون من بلاد صاحبهم ، وجعل مَن عندَ الملِكِ يرسلون من بلاد[7]

---

(١) ل : « فإن المحاماة عن العز خير من الحياة فى ذل » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الرأى أن تطلب مصاهرته » .

(٣) ط ، س : « محل الأولياء » .

(٤) عراه : اعتراه . والمراد أنه يخبره بـكل ما يعروه ويطلعه على دخيلته . ط : « لم يخل مما عزاه » س : « لم يحل مما عداه » وأثبت مافى ل .

(٥) كذا فى ل . وناواه : تسهيل ناوأه . والمناوأة : المعاداة . ط ، س : « ولم يمتنع منه بشىء امتنع منه » .

(٦) فى الأصل : « له » . والوجه ما أثبت .

(٧) كذافى ل . وهو ما تقتضيه المقابلة . وفى ط ، س : « عند » .

الملك ، وأمرهم[١] بمكاتبته بخبر كل يوم ، وتعليق الكتب فى أصول أجنحة الحمام[٢] . فصار لايخفى عليه شئ من أمره . وأطمعه الملك فى التزويج واستفرده[٣] وطاوله ، وتابع [بين] الهدايا ، ودس لحرسه رجالاً يلاطفونهم حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلمَّا كتب أصحابه إليه بغرَّتهم وصل الخبر إليه من يومه ، فسار إليه فى جند قد انتخبهم ، حتى إذا كان على ليلة أو بعض ليلة ، أخذ بمجامع الطُّرُق ، ثمّ بيَّتهم[٤] ووثب أصحابه من داخل المدينة وهو وجنده من خارج[٥] ، ففتحوا الأبواب وقتلوا الملك . وأصبح قد غلب على تلك المدينة ، وعلى تلك المملكة ، فعظم شأنه ، وأعظمته الملوك ، وذُكر فيهم بالحزم والكيد .

وإنما كان سبب ذلك كلّه الحمام ! .

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « وأمره » .

(٢) هذا الصواب من ل . وفى ط ، س : « فى أول أذناب الحمام » ! .

(٣) ل : « استفزه » ط : « استغرره » وصوابه فى س . واستفرده : أراد أرسل إليه رسلا ، وفى القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » . وفى اللسان : « وأفردته : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .

(٤) بيتهم : أوقع بهم ليلا .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له فى نفع الحمام)

قال : وأحدِّثك عن الحمام أيضاً بحديثٍ آخر فى أمر النساءِ والرِّجال وما يصابُ من اللَّذَّةِ فيهنَّ ، والصَّواب فى معاملتهنَّ . قال : وذلك أنَّ رجلاً أتانى مرَّةً فشَكا إلىَّ حالَه فى فتاةٍ عُلِّقها فتزَوّجها(١) ، وكانت جاريةً [غِرًّا] حسناء ، وكانت بكراً ذاتَ عقلٍ وحياء ، وكانت غَريرةً فيما يحسِن ٨٩
النِّساءُ من استمالةِ أهواء الرِّجال ، ومِنْ أخْذِها بنصيبها من لذّة النساء فلما دخَلَ بها(٢) امتنعتْ عليه ، ودافعته(٣) عن نفسها ، فَزاولها بكلِّ ضربٍ كان يحسنُه من لَطَفٍ ، وأدخل عليها مِن نسائه ونسائها مَنْ ظَنَّ(٤) أنَّها تقبَلُ منهنّ ، فأعيتْهُن ، حتى هَمَّ(٥) برفْضها مع شدَّة وجْده بها ، فأتانى فشكا ذلك إلىَّ مرةً ، فأمرْته أن يُفرِدَها ويخلِّيَها من الناس ؛ فلا يَصِلَ إليها أحدٌ ، وأنْ يُضْعفَ لها الكرامة فى اللَّطفِ والإقامة لما يُصلِحها من مَطْعَم ومشرَبٍ ومَلبس وطيبٍ وغير ذلك ، مما تلهو به امرأةٌ(٦) وتُعجَبُ بِهِ ، وأنْ يجعَلَ خادِمَها أعجميَّةً لاتَفْهَمُ عنها ، وهى فى ذلك عاقلة ، ولا تفهُمُها إلَّا

---

(١) ل : « فزوجوه إياها » .
(٢) ط ، س : « عليها » .
(٣) ل : « ودفعته » .
(٤) ط ، س : « يظن » .
(٥) كذا فى ل . أى عزم على ذلك . وفى ط ، س : « اهتم » ، أى أحزنه رفضها إياه .
(٦) كذا فى س ، وفيه جزالة . وفى ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإيماء[١] ؛ حتى[٢] تستوحِشَ إليها وإلى كل من يصل[٣] إليها من النِّساء [و[٤]] حتى تشتهيَ أن تجِدَ مَنْ يراجعها الكلامَ وتشكو إليه وحْشة الوَحْدة ، وأنْ يَدخِل عليها أزواجاً من الحمام ، ذواتِ[٥] صورةٍ حسنة ، وتَخيُّل وهدير[٦] فيُصَيِّرَهُنّ في بيتٍ نظيف ، ويجعل لهنّ في البيت تماريد[٧] وبين يَدى البيت حجْرةً نظيفة ، ويفتحَ لها من بيتها باباً فيصِرْن نُصْبَ عينها فتلهُو بهن وتنظر إليهنَّ ، ويجعل دخوله[٨] عليها في اليوم دَفْعَةً لايزيدها[٩] فيه على النَّظَرِ إلى تلك[١٠] الحمام ، والتسلّي بهنّ ، والاستدعاء لهنّ إلى الهدير ساعةً ، ثم يخرج[١١] ، فإنَّها لاتلبث أنْ تتفكّر في صنيعهنّ إذا رأتْ حالهن ؛ فإنَّ الطَّبيعةَ لاتَلبَثُ حتى تحرّكها ، ويكون أوفقُ المقاعد لها الدنوّ منهن[١٢] ، وأغلبُ الملاهى عليها النَّظَرَ إليهن ؛ لأنَّ الحواسّ لاتؤدى إلى النَّفس شيئا من قِبَل السمعِ ، والبَصر ، والذوق ، والشم

---

(١) ط ، س : « بالإشارة » وهما بمعنى .
(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .
(٣) ل : « يقبل » .
(٤) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .
(٥) ط ، س : « ذات » .
(٦) التخيل هنا من الخيلاء . وفى ط ، س : « تحيل » ، وهى هنا بمعنى الحذق فى الاستمالة .
(٧) ط ، س : « ويحمل لهن » ، وصوابه فى ل . والتماريد : جمع تمراد بالكسر وهو بيت صغير فى بيت الحمام لمبيضه .
(٨) ط ، س : « وتجعل دخولك » .
(٩) ط ، س : « لا تزيدها » .
(١٠) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ذلك » وهما صحيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .
(١١) ط ، س : « تخرج » .
(١٢) س : « لهن » .

والمجسّة(١) إلّا تحرّك مِنَ العَقْل فى قَبُولِ ذلك أوْ ردِّه ، والاحتيالِ فى إصابته أو دفعِه ، والكراهيةِ(٢) له أو السُّرورِ به بقدر ماحرّك النَّفسَ منه . فإذا رأيتَ الغالبَ عليها الدنوّ منهنّ ، والتأمُّل لهنّ ، فأدخِلْ عليها امرأةً مجرِّبةً غَزِلةً تأنسُ بها ، وتفطِّنها(٣) لصنيعهنَّ ، وتعجِّبُها منهنّ ، وتستميلُ فِكرتها إليهنّ ، وتَصِفُ لها موقِعَ اللّذّة على قدْر ماترى من تحريك الشّهوة . ثمّ أخْرِج المرأةَ عنها ، وحاوِلِ الدُّنُوَّ منها ، فإنْ رأيتَ كراهِيَةً(٤) أمسكْتَ وأعدْتَ المرأةَ إليها ، فإنها لاتلبَثُ أن تمكِّنَك . فإنْ فعلتْ ماتحبُّ وأمكنَتْكَ بعض الإمكان ، ولم تَبْلُغ ماتريد فأخبِرنى بذلك .

قال : وقلتُ له : مُر المرأةَ فلتسألها عن حالها فى نفسها ، وحالِك عندها ، فلعلَّ فيها طبيعةً من الحياء تَمْنَعُها(٥) من الانبساط ، ولعلَّها [غِرٌّ] لايُلتمس ماقِبَلها من الخرق(٦) . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخرق]، فأشارت(٧) عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى ٩٠
بما تَرَينَ من هذا الحمام ؛ فقد تَرَينَ الزّوجين كيفَ يصنعان ! قالت : قد

---

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو مجسة » .

(٢) ط ، س : « الكراهة » ، وهما بمعنى .

(٣) تفطنها : تجعلها تفطن . ط ، س : « توقظها » .

(٤) ط ، س : « كراهة » .

(٥) ط ، س : « منعتها » .

(٦) ط : « لا تلتمس فاقبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلمس ما قبلها من الخرق » ل : « لا يلتمس ماقبلها بالحزق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط ، س : « وأشارت » .

تأمَّلتُ ذلك فعجِبتُ منه ، ولستَ أحْسِنُه ! فقالت لها : لاتمنعى يدَهُ ولا تحمِلى على نفسك الهيبة[١] ، وإنْ وجدتِ من نفسِك شيئاً تدعُوكِ إليه لذَّةٌ فاصنَعيه ؛ فإنَّ ذلك يأخُذُ بقلبه ، ويزيدَ فى محبَّتِكِ ، ويحرِّك ذلك منهُ أكثرَ مما أعطاك . فلم يلبثْ أنْ نال حاجتَه وذهبت الحشمة ، وسقطت المداراة[٢] فكانَ سببُ الصُّنع لها ، والخروج من الوَحْشة إلى الأُنس[٣] ، ومن الحال الدَّاعِية إلى مفارقتها إلى الحال الدَّاعية إلى ملازمتها ، والضَّنِّ بها[٤] — الحمام[٥] .

(الخوف على النساء من الحمام)

وما أكثرَ مِنَ الرِّجال ، من ليسَ يمنَعُه من إدخال الحمام إلى نسائه إلَّا هذا الشيءُ الذى حثَّ عليه صاحبُ الفِراسة ؛ وذلك أنَّ تلك الرُّؤيةَ قد تذكِّر وتشهِّى وتَمْحَن[٧] . وأكثرُ النِّساء بين ثلاثة أحوال : إمَّا امرأةَ قد ماتَ زوجُها ، فتحريكُ طِباعِها خِطار[٨] بأمانتها وعَفافِها . والمُغيبة[٩]

---

(١) ل : « له » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهى بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة فى ط ، س : « ومن حال الفرقة إلى حال الاتفاق » .

(٥) بعد هذا اللفظ فى س كلمة : « باب » ، وأراها مقحمة .

(٦) س : « وتشتهى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحن : تصيب بالمحنة ، أى البلية . ل : « تحن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر خاطر : إذا ركب الخطر . ط : « خطر » ل ، : « إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميمات ، وكسر الغين فى الأولين وإسكانها فى الثالثة : غاب عنها زوجها .

فى مثل هذا المعنى . والثَالثة : امرأةٌ قد طال لُبثها مع زوْجها ؛ فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأت[١] ذلك تحرَّك منها كلُّ ساكن وذكَرَتْ ماكانتْ عنه بمندوحة .

والمرأةُ سليمة الدِين والعِرْضِ والقَلب[٢] ، مالم تَهْجِسْ فى صدرها الخواطر ، ولم تتوهَّمْ حالاتِ اللّذَّة وتحرُّك[٣] الشهوة . فأمَّا إذا وقعَ ذلك فعزْمُها أضعَفُ العَزْم ، وعزْمُها على ركوبِ الهَوى[٤] أقوى العَزْم .

فأمَّا الأبكارُ الغريرات فهنَّ إلى أن يُؤْخَذْن بالقراءة فى المصحف[٥] ، ويُحتالَ لهن حتى[٦] يصرْنَ إلى حال التشييخ[٧] والجبن والكَزَازَة[٨] ، وحتَّى لايَسمعَن من أحاديث البَاهِ والغَزَل قليلاً ولا كثيراً — أحوجُ .

---

(١) ل « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأت فعل الحمام .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتخير » ، وليس بشىء .

(٤) ط : « ركوبها لهوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب فى ط ، س . وفى ل : « إلا أن » .

(٧) التشييخ : مصدر شيخ : صار شيخا . والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيخوخة وما لها من ركانة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) الكزازة : البخل . ط ، س : « الغرارة » ، وهى بالفتح بمعنى الغفلة وقلة التجربة .

(نادرة لعجوز سندية)

ولقد ركبت عجوزٌ سنديةٌ ظهرَ بعيرٍ ، فلما أقبَلَ بها [هـذا] البعيرُ وأدبر وطمَر(١) ، فمخَضها مَرَّةً مخضَ السقاء(٢) ،وجعلَها مَرَّةً كأنَّها ترْهَزُ(٣) فقالت بلسانها — وهى سنديّةٌ أعجميَّة — أخزَى الله هذا الذَّمَل(٤) ؛ فإنّه يذكِّر بالسَّرِّ(٥) ! تريد : أخزى الله هذا الجمل ، فإنه يذكِّر بالشر . حدثنا بهذه النادرة(٦) محمَّد بن عبَّاد بن كاسب .

(نادرة لعجوز من الأعراب)

وحدَّثنا رِبْعِيٌّ الأنصاريُّ : أنَّ عجوزاً من الأعرابِ جلستْ فى طريق مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً [لهم] ، فسقَوْها قَدَحاً فطابت نفسُها ،

---

(١) طمر : وثب .

(٢) المخض : التحريك الشديد . كلمة « مرة » ساقطة من ل . وكلمة : « مخض » جاءت فى ط ، س : بالحاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هى .

(٤) فى الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ فى البيان (١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س : « بالشر » بالشين ، وصوابه بالمهملة كما فى ل والبيان . جاء فى البيان : « فجعلت الشين سينا والجيم ذالا » . وانظر نظائر هذه اللكنة فى البيان (١ : ٧١ — ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثمَّ سقَوْها قدحاً آخرَ فاحْمَرَّ وجهها وضَحِكت ، فسقَوْها قدَحًا ثالثاً فقالت: خبِّرونى عن نسائكم بالعراق، أيشرَبْنَ من هذا الشراب ؟ فقالوا: نعم . فقالت : زَنَيْنَ وربِّ الكعبة !

(عقاب خصىّ)

وزعمَ إبراهيم الأنصارىُّ المعتزلىُّ أنَّ عباسَ بن يزيد بن جريرٍ دخَلَ مقصورةً لبعض جَواريه ، فأبصَرَ حماماً قد قَمط حمامةً ، ثمَّ كسَحَ بِذنبه ونفَش ريشه ، فقال : لمن هذا الحمام ؟ فقالوا : لفلانٍ خادِمِك ـ يعْنونَ[1]
خَصِيًّا له ـ فقدَّمه فضَرَبَ عنقهُ . ٩١

(قول الحطيئة فى الغناء)

و [قد] قال الحطيئةُ لفتيانٍ من بنى قُرَيع[2] ـ و [قد] كانوا ربَّما جلَسُوا بقُربِ خَيْمتِه ، فتغَنَّى[3] بعضُهمْ غِناء الرّكبان ـ فقال: يابنى قريع ! إيَّاىَ والغِناءَ ؛ فإنّه داعِيةُ الزِّنَى[4] !

---

(١) ط ، س : « يريدون » .
(٢) بنو قريع كانوا ممن مدحهم الحطيئة ، فرفع شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الناقة فيغضبون ، حتى قال الحطيئة :
قوم هم الأنف والأذناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا
فصارا يتباهون بهذه النسبة . العمدة (١ : ٢٥ ـ ٢٦) . ط : « قريريع » ، تحريف مافى ل ، س .
(٣) ط ، س . « فيغنى » .
(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وأمَّا أبو أحمد التمّار المتكلم ، فإنّه شاهَدَ صاحبَ حمامٍ في يوم مجيء حَمامِه من واسط ، وكانت واسطَ يومئذٍ الغايَة ، فرآه كلما أقبلَ طائرٌ من حمامه نعر(١) ورَقَص ، فقال له : والله إني لأرَى(٢) منك عجبا ؛ أراك تفْرَحُ بأن جاءك(٣) حمامٌ من واسط ، وهو ذلك الذي كان ، وهو الذي جاء ، وهو الذي اهتدى ؛ وأنتَ لم تجئْ ولم تهتَدِ ؛ وحين جاء من واسط ، لم يجئْ معه بشيءٍ من خبر أبي حمزة ، ولا بشيءٍ من مقاريض(٤) واسط ، وبزيون(٥) واسط ، ولا جاء معه أيضاً بشيء من خِطْمِيٍّ(٦) ، ولا بشيءٍ من جوز

---

(١) نعر نعيراً ونعارا : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) في الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « بأزجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أر واحد هذه الكلمة . وفي القاموس : المقارض : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) في القاموس : « البزيون كجردحل وعصفور : السندس » . والسندس : ضرب من رقيق الديباج . وهو مركب من « بز » و « يون » أي يشبه « البز » . و « يون » لغة في « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س : « بزبوه » وهي على الصواب الذي أثبت في ل .

(٦) الخطمى بكسر الخاء وفتحها : نبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته « كثيرة المنافع » . المعتمد ٩١ . واسمه العلمي .Malvarotundifolia ويعرف أيضا بالخبازى البرية . وكتب الفقه الإسلامي تردد ذكر هذا النبت في باب الجنائز ؛ إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين ٤٩ — ٥٠ . ل « خطى » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيءٍ من زبيب[(١)] . وقد مرَّ بكسكَرَ ، فأين كان عن جِدَاء كسكر ، ودَجاج كسكر[(٢)] ، وسمك كسكر ، وصحناة[(٣)] كسكر ، ورُبيثاء[(٤)] كسكر [وشعير كسكر؟!و] ذهب صحيحاً نشيطاً، ورجع مريضاً كسلان، وقد غرمت ماغرمت[(٥)] ! ! فقل لى : ماوجه فرحك ؟ فقال : فرحى أنِّى أرجو أن أبيعه بخمسين ديناراً . قال : ومَن يشتريه منك بخمسين ديناراً ؟ قال: فلان ، وفلان . فقام ومضى إلى فلان[(٦)] فقال : زعم فلان أنّك تشترى منه[(٧)] حماراً جاء من واسِطَ بخمسين ديناراً ؟ قال : صدق . قال : فقل لى[(٨)] لم تشتريه

---

(١) ل : « وشىء من جوز ، وشىء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢ : ٢٤٨) . وقد أبديت عجبى هناك من تقدير ثمنه ، لكن وجدت ياقوتا يؤيد ما ذكره فى كسكر بما ذكره فى (واسط) أيضاً حيث قال : « رأيت فيها — يعنى واسطاً — كوز زبد بدرهمين واثنتى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجا بدرهم » . ط ، س : « عن دجاجها » .

(٣) الصحنا والصحناة ، ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح . القاموس والمعتمد ١٩٧ . قال داود : « لاتعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحنا بها » تحريف وأثبت ما فى ل . وفى س : « وصحناء كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤) فى مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الربيثاء ، والصحناء ، والصير : السميكات تعمل من السمك الصغار والملح » . وبدل هذه الكلمة فى ط ، س : « سعتر » وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) ط ، س : « وقد عرفت ماعرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل . وفى ط : « فقال له » .

بخمسين دينارا ؟ قال : لأنّه جاء من واسط . قال : فإذا جاء من واسط فلِمَ تشترِيه بخمسين دينارا ؟ قال : لأنِّى أبيع الفرخَ منه بثلاثة دنانير ، والبيضة بدينارين . قال : ومن يشترى منك ؟ قال : مثلُ فلان وفلان . فأخَذ نَعْله ومضى إلى فلان ، فقال : زعم فلان أنّك تشترى منه فرخا من طائرٍ جاءَ من واسط بثلاثة دنانير ، والبيضةَ بدينارَين . قال : صَدَق . قال : فقل لى : لِمَ تشترى فرخَة بثلاثة دنانير ؟ قال : لأنَّ أباه جاءَ من واسط . قال : ولِمَ تشتريه بثلاثة دنانيرَ إذا جاء أبوه من واسط ؟ قال : لأنى أرجو أن يجىءَ من واسط . قال : وإذا جاء مِن واسط فأىَّ شىء يكون ؟ قال : [يكون أن] أبيعَه بخمسين ديناراً . قال : ومَن يشتريه منك بخمسين دينارا ؟ قال : فلان . فتركَه ومضى إلى فلانٍ ، فقال : زعم فلانٌ أنّ فرخاً من فراخه إذا جاءَ أبُوه من واسط اشتريته أنت منه بخمسين ديناراً[١] . قال : صدق . قال : ولم تشتريه بخمسين دينارا ؟ [قال : لأنَّه جاءَ من واسط . قال : وإذا جاء من واسط لم تشتريه بخمسين دينارا ؟] قال : فأعاد عليه مثل قولِ الأوَّل[٢] . فقال : لارزق الله مَن يشترى حماماً جاءَ من واسط بخمسين دينارا ، ولا رزق الله [إلَّا] مَن لا يَشتريه بقليل ولا بكثير[٣] .

---

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنت منه بخمسين دينارا » .

(٢) ل : « مثل قولة الأول » ، وصوابه فى ط ، س .

(٣) كلمة « دينارا » ساقطة من ل . و « يشتريه » هى فى ط : « يشريه » وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نوادر لأبى أحمد التمار)

٩٢ وأبو أحمد هذا هو الذى قال ـــ وهو يعظ بعض المسرفين ـــ لو أنَّ رجلاً كانت عنده ألفُ ألف دينار ثم أنْفقها كلَّها لذهبت [كلها] . وإنما سمع قول القائل : لو أنَّ رجلا عنده ألفُ ألفِ دينار فأخَذَ منها ولم يضَعْ عليها لـكان خليقاً أن يأتِىَ عليها[1] .

وهو القائل فى قصَصه : ولقد عظَّمَ [رسول الله صلى] الله [عليه وسلَّم] حقَّ الجارِ ، وقال فيه قولاً أستحْيِي واللهِ من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم[2] : بلغنى أنَّ فى بستانك أشياءَ تهمّنى ، فأحبُّ أن تَهَبَ لى منه أمراً من أمْرِ الله عظيم[3] .

وكان زَجَّالا[4] قبل أن يكون تمارا .

وزعم سليمان الزجَّال[5] وأخوه ثابت ، أنّه قبل أن يكون تماراً[6] قال يوماً ـــ وذكر الحمام ، حينَ زَهِدَ فى بيع الحمام ؛ وذكَرَ بعضَ الملوك ـــ فقال : أمَّا فلان فإنّه لما بلغنى أنه يلعبُ بالحمام سقط من عينى !

---

(١) ط ، س : « على أكثرها » .

(٢) ل : « للهفتى » .

(٣) ل : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهمنا فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيما » .

(٤) الزجال هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الـكلام . ل : « جدالا » تحريف .

(٥) ل : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوفق ؛ لما سيأتى من الـكلام .

(٦) التمار : بائع التمر . والـكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ل

والله سبحانه وتعالى أعلم[١] .

[تمَّ القولُ في الحمام ، والحمدُ لله وحدَه] .

باب

القول في أجناس الذِّبَّان[٢]

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَوْلَ ولا قُوَّة إلا بالله ، وصلَّى الله على سيِّدنَا محمَّدٍ النبيِّ الأميِّ وعلى آله وصحبِه وسلَّم ، وعلى أبرار عِتْرَتِه[٣] الطيِّبينَ الأخيار[٤] .

أُوصيك أيُّها القارئُ المتفهِّم، وأيُّها المستمعُ المنصِت المصيخ[٥] : ألاّ تحقِرَ شيئاً أبداً لصغر جثّته ، ولا تستصغر قدرَه لقلَّة ثمنٍ .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأدنون ممن مضى وغبر . ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(٥) المصيخ : المستمع . وبدلها في ط ، س : « المتصفح » . وكيف يكون المستمع متصفحاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثمَّ اعلمْ أنَّ الجبلَ ليس بأدلّ على الله من الحصاة ، ولا الفَلكَ المشتمل على عالَمنا هذا بأدلَّ عَلَى الله من بدَن الإنسان . وأنَّ صغيرَ ذلك ودقيقَهُ كعظيمهِ وجليله . ولم تفترقِ الأمورُ فى حقائقها ، وإنما افترقَ المفكِّرونَ فيها ، ومَن أهمَل النَّظرَ ، وأغفلَ مواضع الفَرْق ، وفُصولَ الحدود .

فمِنْ قِبَلِ ترْكِ النَّظرِ ، ومن قِبَلِ قطْع النَّظر ، ومن قِبَل النظر من غير وجه النَّظَرِ ، ومن قِبَل الإخلال ببعض المقدّمات ، ومن قِبَل ابتداءِ النَّظر من جهَة النَّظرِ ، واستمام النظرِ مع انتظام المقدَّمات ـــ اختلَفوا .

فهذه الخصالُ هِيَ جُمَّاع هذا الباب ، إلاَّ ما لم نذْكرْه من باب العجز والنقص ؛ فإن الذى امتنع من المعرفة من قِبَل النُّقصانِ الذى فى الخِلقة[1] يابٌ عَلَى حِدة .

وإنما ذكرنا بَابَ الخطأ والصَّواب ، والتَّقْصِيرِ والتكميل .فإياك أن تسىء الظَّنّ بشيءٍ من الحيوان لاضطراب الخلق ، ولتفاوُت التركيب ، ولأنّه مشنوءٌ فى العَين ، أو لأنّه قليلُ النّفع ِوالرَّدِّ ؛ فإنَّ الذى تظُنُّ[2] أنَّه أقلُّها نفعا لعله أن يكون أكثرَها ردًّا . فإلاَّ يكنْ[3] ذلك من جهةِ عاجلِ أمرِ الدنيا ،

---

(١) ط ، س : « الذى بابه فى الخلقة » . وكلمة « بابه » مقحمة .

(٢) ط ، س : « يظن » ، وتقرأ بالبناء للمفعول .

(٣) ط : « إن لايكون » س : « ألا يكون» وتصحيحه وفق مافى ل .

٩٣ كان ذلك فى آجل أمر[١] الدين . [وثوابُ الدين] وعقابُهُ باقيان ، ومنافعُ الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدِّمت الآخرة على الأولى .

فإذا رأيتَ شيئاً من الحيوانِ بعيداً من المعاوَنة ، وجاهلاً بسبب[٢] المكانَفَةِ[٣] ، أو كان مما يشتدُّ ضررُه ، وتشتدُّ الحِراسة منهُ ، كذوات الأنيابِ من الحيَّات والذئابِ[٤] وذواتِ المخالبِ من الأسْدِ والنُّمور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدَّبْر ، فاعلم أنّ مواقع[٥] منافعها من جهة الامتحان ، والبلوَى . ومن جهة ما أعد الله عزَّ وجلَّ للصابرين ، ولمن فهم عنه ، و [لمن] [٦] علِم أنَّ الاختِيارَ والاختبَار [لا] [٧] يكونان والدنيا كلُّها شرٌّ صِرْفٌ أو خيرٌ محْض ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلاّ بالمزاوجةِ بين المكروهِ والمحبوب ، والمُؤلم والملذّ ، والمحقَّرِ والمعظَّم ،والمأمُون والمخوفِ . فإذا كان الحظُّ الأوفَرُ فى الاختبار والاختيار[٨] ، وبهما يُتوسل إلى ولاية الله عزّ وجلّ ،وآبِد [٩] كرامته ، وكان ذلك إنما[١٠] يكونَ فى الدار المزوجةِ من

(١) ط ، س : « ثواب » .

(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما فى ل .

(٣) المكانفة ، بالنون : المعاونة . كانفه : عاونه . ل : « المكاتفة » بالتاء . ولم أجدها .

(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ليست فى ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك »ساقط من ل .

(٨) ط ، س : « والاعتبار » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٩) الآبد : الدائم . وبدلها فى ط ، س : « وإلى » .

(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

الخير والشرِّ ،والمشتركة والمركّبة بالنّفْع[1] والضر ، المشوبةِ باليُسْرِ والعسْر — فليعلَمْ موضعَ النَّفْعِ في خَلْق العقرب ، ومكانَ الصُّنْع في خَلْق الحيَّة ، فلا يحقرنَّ الجِرْجِس[2] والفَرَاشَ والذرَّ والذِّبان[3] ولْتقِفْ حتَّى تتفكَّرَ فى الباب الذى رميتُ إليك بجمْلَتِه ، فإنّك ستُكْثِرُ حَمْدَ اللهِ عزّ وجلّ ، على خلْق الهمَجِ والحشرَاتِ ، وذواتِ السُّمومِ والأنياب ، كما تحمَده عَلَى خلْقِ الأغذيةِ من الماءِ والنَّسيم .

فإنْ أردتَ الزِّرايةَ والتَّحقيرَ ، والعَداوةَ والتَّصغير ، فاصرفْ ذلك كلَّهُ إلى الجنِّ والإنس ، واحقِرْ منهم كلَّ مَن عمِل عملاً من جهةِ الاختيار[4] يستوجبُ به الاحتقار ، ويستحقُّ به غايةَ المقْت من وجــهٍ ، والتصغيرَ من وجه .

فإن أنت أبغضت من جهةِ الطبيعة[5] ، واستَثْقَلتَ من جهةِ الفِطرة ضَربينِ من الحَيَوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضربا يقتلك بشدةِ أَسْره[6] لم تُلَمْ . إلاّ أنّ عليكأنْ تَعلَمَ أنّخالقَهما لميخلقْهما لأذاك[7] ،وإنماخلقهما لتصبرَ عَلَى أذاهما ، ولأنْ تنالَ بالصَّبر الدرجَةَ التى يستحيل أنْ تنالها [إلاّ] بالصَّبر[8] .

---

(١) ل : « ومكان النفع فى صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . ويقال أيضاً : القرقس ، بوزنه .

(٣) الذر : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وبهذه جاءت فى ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختبار » وهو تحريف ما فى ل .

(٥) ل : « فإن أنت بنية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أشره » تحريف .

(٧) ط : « لذاك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التى تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارتين واحد .

والصبرُ لا يكونُ إلاّ عَلَى حَالٍّ[1] مكروه . فسواءٌ عليك [أ] كان المكروه سبُعا وثّابا ، أوكانَ مَرَضًا قاتلا . وعَلَى أنّك لاتدرى ، لعلَّ النزْعَ ، والعَلَزَ والحشْرَجة[2] ، أن يكون أشدَّ من لذْغ[3] حيَّة ، وضَغْمةِ سبعٍ[4] . فإلاّ تكُنْ له حُرقةٌ كحرق النار[5] وألمٌ كألم الدّهَق[6] ، فلعلَّ هناك من الكَرْب ما يكون موقعهُ من النَّفس فوقَ ذلك .

وقد علمنا أنّ النّاس يُسَمُّون[7] الانتظار لوقع السيف عَلَى [صليف[8]] العُنق جهَدْ البلاءِ ؛ وليس ذلك الجهْدُ من شكل لذْع النار ، ولا من شكل

٩٤ ألم الضربِ بالعصا . فافهم فهَّمَكَ الله مواقع النفع كما يعرفها أهلُ الحكمة ، وأصحاب الأَحْسَاس الصحيحة .

ولا تَذْهب فى الأمورِ مذهَبَ العامّةِ ، وقد جَعَلَكَ اللهُ تَعالى من الخاصة ، فإنّكَ مسئولٌ عن هذه الفضيلة ؛ لأنّها لم تجعَل لعِبا[9] ، ولم تترَكْ

---

(١) حال ، أى حاضر . ل : « عاجل » .

(٢) النزع : قلع الحياة . والعلز بالتحريك : هلع يصيب المحتضر . والحشرجة : الغرغرة عند الموت .

(٣) ط ، س : « لذع » وصوابه فى ل .

(٤) هاتان ساقطتان من ل . والضغمة : العضة . وسمى الأسد ضيغما لذلك .

(٥) كذا فى ل . وفى ط : « فلا يكون حرقة كحرق اللسع » وفى س : « فلا يكون لك حرقة كحرق اللسع » ، محرفتان .

(٦) الدهق ، بالتحريك : خشبتان يغمز بهما الساق ، فارسيته : أشكنجه .

(٧) ل : « لايسمون » ، وكلمة « لا » تفسد المعنى .

(٨) الصليف ، كأمير : عرض العنق .

(٩) ل : « لغوا » .

هَمَلا . واصرِفْ بُغْضَك إلى مُريدِ ظلمكَ[١] ، لا يراقِب فِيكَ إلاًّ ولا ذِمَّة ، ولا مودةً ، ولا كتابا ولا سنَّة . وكلما زادك الله عزَّ وجلَّ نعمةً ازدادَ[٢] عليك حَنَقا ، ولكَ بُغْضاً . وفِرَّ كلَّ الفِرارِ واهرُبْ كلَّ الهرَب ، واحترسْ كلَّ الاحتراس ، ممن لا يراقبَ اللهَ عزَّ وجلَّ ؛ فإنه لا يخلو من أحد أمرين ، إمَّا أن يكونَ لا يعرفُ رَبَّهُ مع ظهور آياتهِ ودلالاته ، وسبوغِ آلائهِ ، وتتابُعِ نَعْمائِه ، ومع برهانات رُسله ، وبيانِ كتبِهِ ؛ وإمَّا أنْ يكون بهِ عارفاً وبدينهِ[٣] موقناً ، وعليهِ مجترئاً ، وبحُرماتِه مستخفًّا . فإن كان بحقِّهِ جاهلا فهو بحقِّك أجهل ، وله أنْكَر . وإن كان بهعارفاًوعليه مجترئاً فهو عليك أجرأ ، ولحقوقك أضْيَع [٤] ولأياديك أكفر .

فأمَّا خلْق البَعوضةِ والنَّملة والفَرَاشةِ والذَّرَّة والذِّبّان[٥] والجِعْلان ، واليعاسيب والجراد — فإياك أن تهاونَ بشأن هذا الجُنْد ، وتستخف[٦] بالآلة التى فى هذا الذَّرْء[٧] ؛ فَرُبَّتَ أمة قد أجلاها عن بلادها[٨] النملُ ، ونقلَها

(١) س « لمن يريد ظلما » .

(٢) ط فقط : « ازدادوا » .

(٣) س : « وبذنبه » وهو تحريف .

(٤) ط ، س : « وخلقك » . و « أضيع » تفضيل من أضاع . وفى التفضيل من أفعل مذاهب ثلاثة : المنع مطلقا ، والجواز مطلقا ، والمنع إن كانت الهمزة لغير النقل .

(٥) الذبان : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٦) ط : « تسخفف » تحريف صوابه فى ل ، س .

(٧) الذرء : الخلق . وفى الأصل : « الذر » .

(٨) ل : « مساكنها » .

عن مساقطِ رءُوسِها الذَّرُّ ، وأُهلِكت بالفأر[١] ، وجُرِدت بالجَرَادِ، وعُذِّبت بالبعوض ، وأفسَدَ عيشَها الذِّبَّان ؛ فهى جُندٌ إن أرادَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن يُهلِك بها قوماً بَعْدَ طُغْيانِهم وتجبُّرِهم وعُتوِّهم ؛ ليعرِفوا أو ليُعرَفَ بهم أنَّ كثيرَ أمرِهم ، لا يقوم بالقليلِ من أمر الله عَزّ وجل . وفيها بَعْدُ مُعتبرٌ لمن اعتبر ، وموعِظةٌ لمن فكَّر ، وصلاحٌ لمن استبصر[٢] ، وبلوَى ومحْنة ، وعذابٌ ونِقْمة ، وحُجَّةٌ صادقة ، وآيةٌ واضحة[٣] ، وسَبَبٌ إلى الصّبْرِ والفِكْرَةِ . وَهما جِمَاع الخيرِ فى باب المعْرفة وَالاستبانة[٤] ، وَفى بابِ الأجْرِ وعِظمِ المثوبة[٥] .

وسَنَذْكُر جملةً من حَال الذِّبّان ، ثم نقولُ فى جملةِ ما يَحضرُنا من شَأْنِ الغِرْبانِ والجعلانِ .

(أمثال فى الفراش والذباب)

ويقال[٦] فى موضع الذمِّ والهجاء : « ما هُمْ إلاّ فَراشُ نارٍ وَذِبَّانُ طَمَعٍ ». وَيقال : « أطْيَشُ مِنُ فَراشَة ، وَأزْهى مِنْ ذِبّانٍ » .

---

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فأرة ، قال الجاحظ : « لايشك الناس فى أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم ، وأن الذى فجر المياه فأرة » . ثمار القلوب ٣٢٨ . ط ، س : « بالقراد » وليس بشىء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من مبدأ : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كأنَّ بنى ذويبة رهْطَ سَلمَى فَرَاشٌ حول نارٍ يَصْطلينا
يُطّيفْنَ بحرِّها ويَقَعْنَ فيها ولا يَدْرِينَ ماذا يتَّقينا

والعرب تجعل الفَراشَ والنَّحلَ والزَّنابيرَ والدَّبْرَ كلَّها من الذِّبان .

وأما قولهم [1] : « أزْهى مِنْ ذُباب » فلأَنَّ الذُّبابَ يسقُط على أنفِ الملِكِ [2] الجبَّار ، وعلى مُوقِ عينيه [3] ليأكله ، ثم يطرده فلا ينطرد [4] . ٩٥

(معانٍ وأمثالٌ فى الأنف)

والأنف هو النَّخْوة وموضعُ التَّجبُّرِ .

وكان من شأن البطارقة [5] وقوَّاد الملوك إذا أنفوا [من شىء] أن ينخُروا كما ينْخِر الثَّورُ عندَ الذَّبح ، والبِرذونُ عند النَّشاط .

---

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « الملوك » ، وهو تحريف .

(٣) موق العين : طرفها مما يلى الأنف . وللعينين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك جائز فى العربية . ومنه قوله تعالى : « بدت لها سوأتهما » بالإفراد ، فى قراءة الحسن . انظر همع الهوامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا فى ل . وفى ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثم يطرد فلا ينطرد » . وفى ط ، س « فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل . وهو معرب من الرومى : Patricius .

والأنف هو موضعُ الُخنْزُوانة والنُّعَرة[1] . وإذا تـكبَّرت النَّاقةُ بعد أن تَلْقَح فإنَّها[2] تزمُّ بأنفها .

والأصيد : الملك الذى تراه أبداً من كِبْره مائلَ الوجه . وشُبِّه بالأسد فقيل أصيد ؛ لأنَّ عُنقَ الأسدِ من عظمٍ واحد، فهو لا يلتفتُ إلَّا بكُلِّه، فلذلك يقال لِلمُتـكَبِّر : « إنَّما أنفُه فى أسلوب »، ويقال : أرغَمَ الله أنفَه وأذلَّ معطِسَه ! و [يقال] : ستفعل ذلك وأنفُك راغم ! والرَّغام : التراب . ولولا كذا وكذا[3] لهشَّمت أنفك . فإنما يخصُّون بذلك الأنف ؛ لأنَّ الـكبر إليه يضاف[4] ؛ قال الشاعر[5] :

يا رُبَّ مَنْ يُبْغِضُ أذْوادنا ... رُحْن علَى بَغْضَائِه واغتدَيْن[6]
لو نَبَتَ البَقْلُ عَلَى أنفِهِ ... لرُحْنَ منه أُصُلاً قد أبين[7]

---

(١) الخنزوانة ، بالخاء والزاى مضمومتين بينهما نون ساكنة : الـكبر ، ومثله النعرة ، كهمزة ، وبالتحريك .

(٢) ل : « فإنما » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه فى ل ، س . وفى ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قيئة ، كما فى أمالى ابن الشجرى (٢ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « على بغضائه » أنهن يرعـين ويرتوين ، ولا يستطيع العدو منعهن لقدرة صاحبهن وعزته . وكلمة « بغضائه » هى فى ط : « بغصائه » وفى س : « بعصائه » ، وصوابها من ل وأمالى ابن الشجرى ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، بضمتين : الأصيل ، وهو العشى أى آخر النهار . وبعضهم قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشىء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة مارعين فأشبعن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه فى ل . والرواية فى المحاضرات : « رعين » . وجاء فى ط ، س : « رحن إليه » وتصحيحه من ل والمحاضرات .

ويقال « بعير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو[١] الذِّبّانَ إلى السُّقوط عليه . وهم يعرفون الغُدَّة[٢] إذا فشَتْ أو أصابَتْ بعيراً بسُقوط الذِّبّان عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط[٣] الذّبّان على البعير يحتال الجَمّال للسُّلطان ، إذا كان قد تسخَّرَ إبِلَهُ[٤] وهو لذلك كاره ، وإذا كان فى جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ الكريمة[٥] ؛ فإنه يعمِد إلى الخَضْخاض[٦] فيصبُّ فيه شيئا من دِبس[٧] ثم يَطْلى به ذلك البعير ، فإذا[٨] وجد الذّبّان رِيحَ الدِّبس تساقَطْنَ عليه ، فيدَّعى عند ذلك أنَّ به غُدَّة[٩] ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السُّلطان[١٠] ما يُوجد عليه من الذِّبان ! فما أكثر ما يتخلصون بكرائم أموالهم[١١] بالحيلِ من أيدى

---

(١) ل : « داء يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « العرة » ، وهى بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملا بلا أجرة . ط ، س : « يسخر إبله » وأثبت ما فى ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخضخاض : نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربى .

(٧) الدبس ، بالكسر وبكسرتين : عسل التمر ، وعسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « عرة » . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة وفى ل : « فتدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يخلصون » وهما بمعنى . ل ، س :

السُّلطان ، ولا يظنُّ ذلك السُّلطانُ إلّا أنه متى شاء أنْ يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدرهم فَعَل . والغَدّة[١] عندهُمْ تُعدِى ، وطِباع الإبل أقبلُ شيءٍ للأَدواء التى تُعْدِى ، فيقول الجمَّال عنْدَ ذلك للسُّلطان : لو لم أخف على [الإبل إلَّا] بعيرى هذا المغِدّ أن يُعدِىَ لم أبال[٢] ، ولكنِّى أخافُ إعداء الغُدَّةِ ومضرَّتَها فى سائر مالى ! فلا يزالُ يستعطِفه بذلك ، ويحتالُ له به[٣] حتَّى يخلِّىَ سبيلَه .

(نفور الذِّبَّان من بعض الأشياء)

ويقال إنَّ الذِّبَّان لايقرُب قِدْراً فيه كمأَة ، كما لا يَدخُل سامُّ أبْرَص[٤] بيتاً فيه زعفران .

(الخوف على المكلوب من الذِّبَّان)

ومن أصابه عضّ الكلب الكَلِبِ حمَوا وجهَه من سقوط الذِّبان عليه. قالوا : وهو أشدُّ عليه من دبيب النِّبْر[٥] على البعير .

= « من كرائم » والوجه ما أثبت من ط .

(١) ط ، س : « والعرة » . وانظر التنبيه الثانى من الصفحة السابقة .

(٢) المغد ، هو من أغد البعير : أصابته الغدة ، أى الطاعون . ط ، س : « المعر » ولم أجد لها وجها تصح به وكلمة « يعدى » هى فى س : « يعر » وليست مرادة . ل : « لم أبل » وهما صحيحتان .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ويحتال له ويميله » .

(٤) ل : « كما لاتدخل » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) الدبيب : المشى الخفيف . ل : « سقوط » . والنبر ، بالكسر ، سيفسره الجاحظ بعد هذا .

(النِّـــبر)

والنِّــبْر دويْبَّةٌ إذا دبَّت على البعـير ، تورَّم ، وربَّمـا كان ذلك سببَ هلاكِه .

قال الشاعِرُ وهو يصف[1] سِمَن إبله ، وعِظَمَ أبدانها :

حمر تحقَّنَت النَّجيل كأنَّما بجلودهِنَّ مَدَارِجُ الأنْبارِ[2]

(مميزات خلقيَّة لبعض الحيوان)

وليس فى الأرض ذبابٌ إلَّا وهو أقْرَح[3] ، ولا فى الأرض بعيرٌ إلَّا وهو أعلم[4] ، كما أنَّه ليس فى الأرض ثورٌ إلَّا وهو أفطس . ٩٦

وفى أنَّ كلَّ بعير أعلمُ يقولُ عنترة :

وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مجدَّلاً تمكو فريصَتُه كشِدْق الأعلَمِ[5]

---

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حمر » فى اللسان : « جردا » . وتحقنت النجيل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحققت الحيل »، وتصحيحه من ل واللسان . والنجيل : خير الحمض كله وألينه على السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات . والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارجه : مواضع دروجه ، أى مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب فى وجهه قرحة . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أقدح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التى تساير السياق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك العقد ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعلم : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « جليل » والصواب فى ل، مجدلا : ملقيا على الجدالة وهى الأرض . تمكو فريصته : تصفر . والفريصة : لحمة فى وسط الجنب عند منبض القلب ، وهى ترتعد عند الفزع . قال التبريزى : « كأن هذه الطعنة فى سعتها شدق الأعلم ». وكأن الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتى بعد سطر. وأنا أقول : إنه فى هذا البيت ما شبهها بشدق الأعلم فى السعة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة ، يحكى الصوت الصادر من شدق البعير . وهذا لايمنع أن بعض الشعراء أراد فى شعره هذا المعنى الذى أدركه التبريزى والجاحظ .

كأنّه[١] قال : كشدق البعير ، إذ كان كلّ بعيرٍ أعلم .

والشعراء يشبّهون الضربةَ بشِدْق البعير ، ولذلك قال الشاعر[٢] :

كمْ ضربةٍ لكَ تحكِى فا قُراسِيَةٍ من المَصاعِبِ فى أشداقِهِ شَنَع[٣]

وقال الكميت :

* مَشافِرَ قَرْحَى أكلْنَ البرِيرا[٤] *

وإذا قيل الأعْلم ، عُلِم أنّه البعير ، كما أنّه إذا قيل الأقرح[٥] علم أنّه الذِّبّان . قال الشاعرُ :

ولأنْتَ أطيَشُ ، حينَ تَغْدُو سادرًا حذر الطعان، مِنَ القَدُوحِ الأقْرَحِ[٦]

يعنى الذبّان لأنّه أقرح[٧] ، ولأنّه أبدا يحكُّ بإحدى ذراعَيْه على

---

(١) كذا فى ل ، وهو الوجه . وفى ط ، س : « كما أنه » .

(٢) هو النمر بن تولب ، كما فى البيان (١ : ٥٥) .

(٣) تحكى فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكراً كان أو أنثى ، وهو فى الذكور أغلب . والمصاعب ، واحدها مصعب ، وهو الفحل . فى أشداقه : أراد فى شدقيه ، ومثل هذا جائز . فى الأصل : « فى أشداقها » ، والوجه ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفحل .

(٤) قرحى : جمع قريح ، وهو هنا المصاب بالقرحة فى فيه ، فيهدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما فى الحيوان ٥ : ٦٠٢ :

* تشبه فى الهام آثارها *

(٥) فى الأصل : « الأقدح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا فى ط ، س ، وفى ل « حذر العظام » ، والرواية المعروفة : « رعش الجنان » كما فى أمثال الميدانى (١ : ٤٠٣) وثمار القلوب ٣٩٥ واللسان والتاج (قدح) . والجنان : القلب . والقدوح : الذى يحك ذراعا بذراع ، يحكى فعل القادح الذى يطلب النار . والأقرح : الذى فى وجهه قرحة . وفى الأصل وكذا اللسان : « الأقدح » ، خطأ ، صوابه فى الثمار وأمثال الميدانى .

(٧) فى الأصل : « أقدح » . وانظر التنبيه السالف .

الأخرى كأنّه يقدح بعودَى مَرْخٍ وعَفار[١] ، أو عرجون، أو غير ذلك مما يقدح به .

(أخذ الشعراء بعضهم معانى بعض)

ولا يعلم فى الأرضِ شاعِرٌ تَقَدَّمَ فى تشبيهٍ مُصيبٍ تامّ ، وفى معنًى غريبٍ عجيب ، أو فى معنًى شريف كريم ، أو فى بديعٍ مُختَرَع ، إلّا وكلُّ مَنْ جاءَ من الشُّعراءِ منْ بَعْدِهِ أو معه ، إنْ هو لم يعْدُ[٢] على لفظه فيسرقَ بعضه أو يدعِيَه بأسْره ، فإنّه لايَدعُ أن يستعينَ بالمعنى ، ويجعَلَ نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعنى[٣] الذى تتنازعُه الشعراءُ فتختلفُ ألفاظهم، وأعاريضُ أشعارِهِمْ ، ولا يكونُ أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه . أو لعلّه [أن] يجحد أنهُ سمع بذلك المعنى قَطُّ ، وقال إنَّه خَطرَ على بالى من غير سماع ، كما خطَر على بال الأوّل . هذا إذا قرَّعُوه به . إلاّ ما كان من عنترة فى صفةِ الذُباب ؛ فإنه وصفَه فأجاد صفته[٤] فتحامى معناهُ جميعُ الشعراء

---

(١) المرخ ، بالفتح : شجر من العضاه خشبه كثير الورى سريعه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المرخ يتخذ الزندة ، وهى السفلى ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقتدح بهما . قال :

إذا المرخ لم يور تحت العفار وضن بقـــدر فلم تعقب

ط : « بعود من مرخ ، أو غفار » ، س « بعود فى مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب فى ل . وفى ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمعنى » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرضْ له أحدٌ منهم[١] . ولقد عَرَض له بعضُ المحدَثين ممن كان يحسِّنُ القَول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنّه صار دليلاً على سوء طبعه فى الشعر[٢] . قال عنترة :

جادَتْ عليها كلُّ عينٍ ثَرَّةٍ فتَرَكْنَ كلَّ حَدِيقةٍ كالدِّرْهم[٣]
فتَرى الذُّبابَ بها يغنِّى وحْدَه هَزِجاً كفِعْل الشَّارِبِ المترنِّم
غَرداً يحُكُّ ذِراعَــه بذِرَاعِهِ فِعْلَ المكبِّ على الزِّنَادِ الأجذمِ

قال : يريد فعل الأقْطعِ المكبِّ على الزِّناد . والأجذم : المقطوع
٩٧ اليدين . فوصف الذّباب إذا كان واقعاً ثمَّ حكّ إحدى يديه بالأخرى ، فشبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدَحُ بعودين . ومتى سقَط الذُّبابُ فهو يفعل ذلك .

ولم أسمع فى هذا المعنى بشعر أرضاه غير شِعر عنترة .

(قولٌ فى حديث)

وقد كان عندنا فى بنى العدويّة[٤] شيخٌ منهم مُنْكر[٥] ، شديد العارضة [فيهِ توضيع]، فسمعنى أقول : قد جاء فى الحديث : « إنَّ تَحتَ جَناح

(١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .
(٢) لست أدرى الآن من عنى الجاحظ بقوله ، ولم أجد الشعر الذى أشار إليه .
(٣) أراد بالعين الثرة : السحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحديقة كالدرهم فى استدارته لا قدره .
(٤) ط : « العروبة » والأشبه ما أثبت من ل ، س .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٦) التوضيع : التخنيث . وفى الحديث : « إن رجلا من خزاعة يقال له هيت ، فيه توضيع » أى تخنيث .

الذُّباب اليمين شفاءً وتحتَ جَناحِه الأيسر(١) سمًّا . فإذا سقط فى إنَاءٍ أو فى شرابٍ أو فى مَرَق فاغمسوه فيهِ ؛ فإنه يرفَعُ عند ذلك الجناحَ الذى تحتَه(٢) الشفاء ، ويحطُّ [الجناح] الذى تحتَه السمّ ». فقال : بأبى أنتَ وأمّى هذا يجمع العداوةَ والمكيدة !

(قصّة لتميمى مع أناس من الأزد)

وقد كان عندنا أُنَاسٌ من الأزد ، ومعهم ابن حزن(٣) ، وابن حزن هذا عدوىٌّ من آل عموج(٤) ، وكان يتعصّب(٥) لأصحابه من بنى تميم وكانوا على نبيذٍ ، فسقَطَ ذبابٌ فى قدَح بعضِهم ، فقال له الآخر : غطِّ التميمى ، ثمَّ سقط آخر فى قدَح بعضِهم ، فقال الباقون(٦) : غطِّ التميمىّ ! فلمَّا كان فى الثالثة قال ابن حزن : غطِّه فإنْ كان تميميًّا رسَبَ ، وإن كان أزْديًّا طفا . فقال صاحب(٧) المنزل : مايسرُّنى أنَّه كان نقصكم حرفا(٨) . وإنما عَنَى أنَّ أزْدَ عُمان مَلَّاحُون .

---

(١) س : « اليمنى » و « اليسرى ». والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » فى المواضع الثلاثة . وأثبت ما فى ل .

(٤) ط ، س « عدولى » : نسبة إلى عدولى ، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام والقصر ، وهى قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما فى ل . وهو منسوب إلى بنى العدوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما فى المعارف ٣٥ . و « آل عموج » هى فى ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) فى الأصل : « يتصعب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « رب » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط : « كان قال بعضهم مرقا » ، محرف . وفى س : « كان قال بعضكم حرفا » .

(ضروب الذِّبَّان)

والذِّبَّان[١] ضروبٌ سِوى ما ذكرنَاه[٢] من الفَراش والنَّحلِ والزَّنَابير.
فمنها الشَّعْراء[٣] ، وقال الراجز :

* ذبّان شَعْرَاءَ وبيت ماذلِ[٤] *

وللكلاب ذبابٌ على حِدَة يَتَخَلَّقُ منها ولا يُريدُ سِواها[٥] . ومنها ذبّان[٦] الكلإِ والرِّياض . وكلُّ نوعٍ منها يألفُ ما خُلقَ منه . قال أبو النَّجْم :

مُستأسِد ذبَّانه فى غَيْطَلِ   يقلنَ للرَّائِدِ أعشَبْتَ انزلِ[٧]

---

(١) الذبان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٢) ل : « ماذكر » .

(٣) الشعراء ، بفتح الشين وكسرها ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ، أو أحمر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً، واسمه العلمى : Hippodoscidae .

(٤) « بيت ماذل » كذا فى الأصل وسيأتى فى ص ٣٩٠ : « وصيف ماذل » . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقبله:

* تذب عنها بأثيث ذائل *

(٥) ط ، س : « يخلق منها ولا يريد سواها » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد النبت : إذا بلغ وقوى والتف ، أراد كثرته وتكاثفه . ويروى : « مستأسداً » . والغيطل : الشجر الكثير الملتف، وكذلك العشب. وأرجوزة أبى النجم هذه طويلة نادرة ، عدة أشطارها ١٩١ شطرا .

وقد نشرت فى مجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٨ : ٤٧٢ — ٤٧٩) سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها : أم الرجز .

(شعرٌ ومثل فى طنين الذّباب)

والعربُ تسمِّى طَنِينَ الذِّبَّانِ والبعوض غِناءً . وقال الأخطلُ فى صفة الثَّور :

فَرِدًا تغنِّيه ذِبَّانُ الرِّياض كما غَنَّى الغُواةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أسْوارِ [(١)]

وقال حَضْرمىٌّ بن عامرٍ فى طنين الذباب :

ما زالَ إهداءُ القَصائدِ بينَنا شَتْمَ الصَّديقِ وكثْرَةَ الألقاب

حتَّى تركت كأنَّ أمْرَكَ بينَهم فى كلِّ مجمعَةٍ طنينُ ذُبَاب [(٢)]

ويقال : « ما قولى هذا عندك إلّا طنينُ ذُبَاب [(٣)] » .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذُّباب وقتٌ تهيج فيهِ للسِّفاد [(٤)] ، مع قصر أعمارها . وفى الحديث : « أنَّ عُمْرَ الذباب أربعون يوماً » ، ولها أيضاً وقت هَيْجٍ فى [(٥)] أكْلِ النّاس

---

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، س : « بصبح » ، وهى تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأساورة ، وهم قواد الفرس ، أو قوم من العجم نزلوا بالبصرة قديما .

(٢) ط وثمار القلوب ٣٩٧ : « فى كل مجتمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به للكلام يستهان ولا يبالى به . ثمار القلوب . فى ل : « كطنين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج للسفاد » .

(٥) ل : « على » .

وعضِّهم ، وشَربِ دمائهم . و [إنما يعرض هذا] الذِّبَّان فى[1] [البيوت عند قرب أيَّامها ؛ فإنّ هلاكها يكون بعد ذلك وشيكا . والذِّبَّان] فى وقتٍ من الأوقات من حتوف الإبل والدوابِّ .

(علّة شدّة عضّ الذباب)

والذُّباب والبَعوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عضُّها وقوِيتْ
٩٨ على خرْق الجلودِ الغِلاظ . وقال الراجز [فى وصف البعوضة] :

مثل السَّفاةِ دائمٌ طَنينُها[2] ركِّبَ فى خُرطومها سِكِّينُها

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شيء أقوى عضًّا ونَاباً وفكًّا ؛ كالذيب والخنزير ، والكلب . وأمّا الفيل فإنّ خرطومَه هو أنفه ، كما أنّ لكلِّ شيءٍ من الحيوان أنفا ، وهو يده ، ومنه يُغَنِّى[3] وفيه يجرى الصَّوت ، كما يُجرى الزَّامرُ الصَّوتَ فى القصَبةِ بالنّفخ . ومتى تضاغطَ الهواءُ صوَّتَ على قدْر الضّغْطِ ، أو على قدر الثّقب[4] .

---

(١) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام إليها .

(٢) السفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهمى والسنبل ، أو كل الشوك . والرجز رواه أبو على فى الأمالى (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الدميرى : « مثل السفاة دائما طنينها » . وانظر ٥ : ٤٠٢ .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « يضنى » .

(٤) ل : « السبب »، وصوابه فى ط ، س .

(أمثال من الشعر فى الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذِّبّان : اسم الجماعة . وإذا أرادوا التَّصغير والتقليلَ ضربوا بالذبَّان المثل . قال الشاعر (١) :

رأيتُ الخبزَ عزَّ لدَيكَ حتَّى حَسِبتُ الُخبْزَ فى جوِّ السَّحابِ
وما روّحْتَنا لتذُبَّ عنّا ولـكنْ خِفْتَ مَرْزِية الذُّبابِ (٢)

وقال آخر (٣) :

لما رأيت القَصْرَ أُغْلِقَ بابهُ وتعلَّقتْ هَمْدَانُ بالأسباب (٤)
أيقَنتُ أنّ إمَارة (٥) ابن مضارب (٦) لم يبق منها قِيسُ أيْرِ (٧) ذبابِ

---

(١) هو أبو الشمقمق كما فى عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء فى البخلاء ٥٩ : « وكان أبو الشمقمق يعيب فى طعام جعفر بن أبى زهير ، وكان له ضيفا ، وهو مع ذلك يقول » ، وأنشد البيتين ، كما أعادهما فى ١٠٦ . وقد نسب البيت الثانى مع سابق له غير المروى هنا ، إلى أبى الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى أبى نواس كما فى المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون نسبة فى العقد (٦ : ١٩١ تأليف) .

(٢) المرزئة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاى مكسورة ؛ من رزأه : أى أصاب منه شيئا . سهلت الهمزة هنا ، وجاءت بالهمز فى البخلاء وديوان المعانى (١ : ١٨٧) . ورويت فى العقد (٤ : ٢٢٥) : « من دب الذباب ». والدب بالفتح : مصدر دب : مشى على هينته .

(٣) هو عبد الله بن همام السلولى ، كما سيأتى فى (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة يمنية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت مافى ل والجزء السادس وثمار القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمار القاوب .

(٦) كذا فى ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفى الثمار : « ابنى مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التى بعدها هى فى ط : « بن » س : « ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أيْره[١] ، وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحمر :

ما كنت عنْ قومى بمهتضم[٢] لو أنَّ معصيًّا له أمرُ
كلّفتنى مُخَّ[٣] البَعوضِ فقدْ أقصرت لا نُجْحٌ ولا عُذْرُ[٤]

(ما يَلغُ من الحيوان وما لا يلَغ)

قال : وليس شئٌ مما يطيرُ يلَغُ فى الدَّم ، وإنما يلغ فى الدماء من السِّباع ذواتُ الأربع . وأمّا الطّيرُ فإنّها تشربُ حَسوًا ، أو عبَّة بعد عَبّة . ونُغبةً بعد نغبة . وسباع الطَّيرِ قليلة الشُّرب للماء ، والأُسد كذلك . قال أبو زُبَيد الطائىُّ[٥] :

تذبُّ عنــهُ كفٌّ بهــا رَمَقٌ طيراً عَـكوفاً كزُوَّرِ العُرُسِ[٦]

---

(١) ط ، س : « أثره » ، وصوابه فى ل والثمار .

(٢) ل : « بذاهلة » .

(٣) ط ، س : « متح » وصوابه من ل والثمـار . و « كلفتنى مخ البعوض » مثل يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميدانى (٢ : ٨٤) .

(٤) النجح ، بالضم : النجاح : ط : « ولا غدر » وتصحيحه من ل والثمار .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التى بها بقية من حياة ، تدفع الذباب التى تحاول أن تظل عاكفة عليه مقيمة ؛ لتأكل منه . وهى فى تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له . والعرس : وليمة الزواج ، وقد ضم الراء للشعر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل جيد بارع . ط : « كذود » وأراها تصحيفا . والبيتان فى صفة أسد صريع ، كما فى الأغانى (١١ : ٢٦) حيث تجد القصيدة . وأنشدهما ابن الشجرى فى حماسته ص ٢٧٣ .

إذا ونى ونيَةَ دَلَفنَ له فهنَّ مِنْ والغٍ ومُنْتَهِسِ[١]

قال : والطّير لاتَلغ ، وإنما يلغَ الذباب . وجعله من الطّير ، وهو وإن كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذ قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ، جاز أن يستعير للطير ولْغ السِّباع فيجعَلَ حسْوها ولْغا ، وقال الشاعر :

سراع إلى ولْغِ الدماءِ رماحهم وفى الحرب والهيجاءِ أُسْدٌ ضَراغِمُ[٢]

(خصلتان محمودتان فى الذباب)

٩٩ قال وفى الذباب خَصْلتانِ من الخصال المحمودة : أمَّا إحداهما فقُربُ الحيلة لصرف أذاها ودفع مكروهها[٣] ؛ فمن[٤] أراد إخراجَها من البيت فليس بينَهُ وبين أن يكونَ البيتُ على المِقدارِ الأوّلِ من الضِّياءِ والكِنِّ[٥] [بعد إخراجها] مع السَّلامة من التأذى بالذبان ـ إلاّ أن يُغْلقَ البابُ ، فإنَّهُنَّ يتبادَرْنَ إلى الخروج ، ويتسابَقْنَ فى طَلب الضوء والهَرَب من الظلمةِ ، فإذا أُرخِيَ السِّترُ وفتحَ البابُ عاد الضَّوءُ وسلِمَ أهلَه من مكروهِ الذباب . فإنْ كان فى الباب شقٌّ[٦] ، وإلاّ جَافَى المغلقُ أحدَ البابَين عن صاحبه[٧]

(١) ونى : أبطأ ، أى عن ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المقيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « الهيجاء » وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه : « والهيجا أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه فى ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الكن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء فى المغلق أحد ـ س : إحدى ـ البابين من صاحبه » وتصحيحه من ل . وجافى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه[١]] إطباقاً . وربّما خرجْن من الفتْح الذى يكون بين أسفل الباب والعتَبة . والحيلةُ فى إخراجها والسَّلامةِ من أذاها يسيرة[٢] ، وليس كذلك البعوض ، لأنَّ البعوضَ إنما يشتدُّ أذاه ، ويقوى سلطانُه ، ويشتدُّ كَلَبُه[٣] فى الظلمةِ ، كما يقوَى سُلطانَ الذبان[٤] فى الضياءِ ، وليس يمكنُ النّاسَ أنْ يُدخلوا منازلَهمْ من الضِّياءِ مايمنعُ عَمَلَ البَعوض ؛ لأنَّ ذلك لايكونَ إلاّ بإدخال الشَّمسِ ، والبعوض لايكونَ إلّا فى الصَّيف ، وشمسُ الصَّيفِ لاصبْرَ عليها . وليس فى الأرضِ ضياءٌ انفصلَ من الشمس إلّا ومَعه نصيبهُ من الحَرِّ ، وقد يفارق الحرُّ الضياءَ[٥] فى بَعضِ المواضع ، والضِّياءُ لايفارِقُ الحرَّ فى مكانٍ من الأماكن .

فإمكان الحِيلة فى الذباب يسير ، وفى البَعُوض عَسير !

والفضيلة الأُخْرى : أنه لولا أن الذّبابة تأكل البَعُوضة [و] تطلبها وتلتمسها على وجوهِ حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأَهلها فيها قَرار !

(الحِـكمة فى الذباب)

وذكَر محمدُ بن الجهْم ــ فيما خبَّرنى عَنْه بعضُ الثقات ــ أنه قال لهم ذاتَ يوم : هل تَعْرِفُون الحِـكمة التى استفَدْناها فى الذُّباب[٦] ؟ قالوا : لا .

---

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى العض .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخبر الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بلى ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتفنيه[1] : وذلك أنِّى كنتُ أريد القائلة[2] ، فأمرْتُ بإخراج الذُّباب وطَرْحِ السِّترِ وإغلاقِ الباب[3] قبلَ ذلك بساعة . فإذا خرجن حَصل فى البيت البعوضُ ، فى سلطان البعوض[4] و[موضِعِ] قوَّته . فكنتُ أدخلُ إلى القائلة فيأكلنى البعوضُ أكلا شديداً . فأتيتُ ذاتَ يومٍ المنزِلَ فى وقت القائلة ، فإذا ذلك البيتُ مفتوحٌ ، والسِّترُ مرفوع ، وقد كان الغلمان أغفلوا ذلك فى يومهم ، فلما اضطجَعْتُ للقائلة لم أجد من البعوض شيئاً[5] وقد كان غضبى اشتدَّ على الغِلمان[6] ، فنمتُ فى عافية . فلما كان من الغد عادُوا إلى إغلاق البابِ وإخراجِ الذّباب ، فدخلتُ ألتمسُ القائلة ، فإذا البعوضُ كثير . ثمَّ أغفلوا[7] إغلاقَ البابِ يوماً آخر ، فلما رأيته مفتوحاً شتمتُهُمْ

١٠٠ فلمَّا صرتُ إلى القائلة لم أجدْ بعوضةً واحدةً، فقلت فى نفسى [عند ذلك] : أرانى قد نمتُ فى يَوْمَىِ [الإغْفَالِ وَ] التَّضْييع ، وامتَنعَ منِّى النَومُ فى أيَّام التحفُّظِ والاحتراس. فلِمَ لا أجرِّبُ ترْكَ إغلاقِ الباب فى يومى هذا. فإن نمتُ[8]

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « وتصيدها وتلقطها وتفنيها »، وهما صحيحتان .

(٢) القائلة : النوم فى القائلة ، وهو نصف النهار .

(٣) ط : « فاغلاق الباب »، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآتية إلى القائلة .

(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .

(٥) ل : « لم أجد البعوض كثيراً » .

(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشتد على الغلمان » .

(٧) فى الأصل « أغلقوا »، والوجه ما أثبت . وانظر ماسيأتى بعد سطر .

(٨) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط : « تمت » .

ثلاثة أيام[١] لا ألقى من البَعوضِ أذًى مع فتح الباب ، علمتُ أنَّ الصَّواب فى الجمع بين الذِّبان و [بين[٢]] البعوض ؛ فإِنَّ الذِّبّان [هى التى] تُفنيه[٣] ، وأنَّ صلاحَ أمرنا فى تقريبِ ما كُنَّا نباعد . ففعلتُ ذلك ، فإذا الأمر قد تمَّ . فصرنا إذا[٤] أردْنا إخراجَ الذِّبّانِ أخرجْناها بأيسرِ حيلة ، وإذا أردنا إفناء البعوض أفنيناها [على أيدى الذِّبّان بأيسر حيلة] .

فهاتان خَصْلتان من مناقب الذِّبّان .

(طبّ القوابل والعجائز)

وكان محمد بن الجهم[٥] يقول : لاتتهاونوا بكثيرٍ ممَّا ترونَ[٦] من علاجِ القوابل والعجائز ، فإِنَّ كثيراً من ذلك إنما وقع إليهنَّ[٧] من قدماءِ الأطباء ؛ كالذِّبّان يُلقى فى الإثمِد ويسحق معه ، فيزيد [ذلك[٨]] فى نور البصر ، ونفاذ[٩] النظر ، وفى تشديد[١٠] مراكز [شعر[١١]] الأشفار[١٢] فى حافَات الجُفون .

---

(١) ل : « يومين » .
(٢) من س .
(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يفنيه » .
(٤) ط ، س : « إن » .
(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .
(٦) ط : « تريدون » وتصحيحه من ل ، س وعيون الأخبار (٢ : ١٠٤) والعقد (٦ : ٢٤٥) .
(٧) ط ، س : « إليهم »، وهى على الصواب فى ل وعيون الأخبار .
(٨) من ل وعيون الأخبار .
(٩) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « ويقوى » .
(١٠) ط ، س : «ويشد » .
(١١) من ل ، س .
(١٢) الأشفار جمع شفر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل منبت الشعر فى الجفن .

(نفع دوام النظر إلى الخضرة)

وقلت له مرَّة : قيل لماسَرجَويه : ما بالُ الأكَرَة[١] وسُكَّان البساتين ، مع أكلهم الكرَّاث والتمر ، وشربهم ماء السّواقى على المالح[٢] أقلَّ النَّاس خُفْشانا [وعميانا] وعُمْشانا[٣] وعورا ؟ قال : إنى فكّرت فى ذلك فلم أجد له علّةً إلَّا طولَ وُقوع أبصارِهِمْ على الُخضْرة .

(من لا يتقزَّز من الذّبّان والزنابير والدّود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السُّفالة[٤] ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهُمْ] لا يرمدون . وليس لذلك أكلوه[٥] وإنماهُمْ كأهل خُراسان الذين يأكلون فراخ الزَّنَابير ، والزَّنَابير ذِبان ، وأصحاب الجبن الرَّطب يأخذون الجبنة التى قد نَغِلت[٦] دوداً ، فينكتها [أَحَدُهم[٧]] حتَّى يخرُج مافيها من الدُّود فى راحَتِه ، ثمَّ يقمَحُها كما يقمَحُ السَّويق[٨] . وكان الفرزدق يقول : ليت أنَّهُمْ دفعوا إلىَّ

---

(١) الأكرة : جمع أكار ، وهو الحراث .
(٢) كذا . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشربهم الماء الحار على السمك المالح » .
(٣) الأخفش : الضيق العينين ، أو الذى ضعف بصره خلقة ، أو الذى فسد جفنه بلا وجع . ط ، س : « خفشانا وعشيانا » . والأعشى : الذى لا يبصر ليلا .
(٤) السفالة ، بالضم من بلاد الزنج .
(٥) ط : « أكلوا » .
(٦) نغلت : فسدت .
(٧) ليست بالأصل، والكلام فى حاجة إليها .
(٨) قمح السويق ، كفرح : استفه . والكلام من : « يأخذون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيبي من الذبان ضَرْبة واحدة ، بشرط أنْ آكله لراحة الأبد منها[1] . وكان كما زعموا[2] شديدَ التقذُّر لها [والتقزُّز][3] منها .

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثُمامة : تساقط[4] الذبّان فى مَرَق بَعض القصَّاص وعلى وجْهه فقال : كثَّر اللهُ بكنّ القبور !

وحكى ثمامة عن هذا القاصِّ أنه سمعه بعَبَّادَان[5] يقول فى قَصَصِه : اللهمَّ مُنَّ علينا بالشهادةِ ، وعلى جميع المسلمين !

(قصَّة فى عمر الذُّباب)

وقال لى المكِّىُّ مرَّة : إنما عمر الذبّان أربعونَ يوماً . قلت[6] : هكذا جاء فى الأثر . وكنّا يومئذ بواسط فى أيَّام العسكر[7] وليس بَعْدَ أرض

---

(١) ضمير « آكله » للنصيب ، وضمير « منها » للذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) هذه من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا فى ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفى ط ، س والعقد (٤ : ٢٠٠) : « وقع » .

(٥) عبادان : جزيرة فى دجلة ، قرب مصبها . وفى العقد : « ببغداد » .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بجعل « عمر » فعلا .

(٧) ل : « العساكر » . وانظر ماورد فى ص ٣٤٧ .

الهنْد أكثرُ ذبَاباً من واسط ، ولرّبما رأيتَ الحائطَ وكَأنَّ عليهِ مِسْحا(١) شديدَ السَّواد من كثْرة ما عليه من(٢) الذبّان . فقلت للمكّيِّ : أحسب الذبّانَ يموت(٣) فى كل أربعين يوماً ، وإن شئت فى(٤) أكثرَ ، وإن شئت فى أقلّ. ونحنُ كما ترى ندوسُها بأرجلنا ، ونحن ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين يوماً(٥) ، بل منذ أشهر [وأشهر] ، وما رأينا ذباباً واحداً ميّتاً . فلوكان ١٠١
الأمر على ذلك لرأينا الموتى كما رأينا الأحياء . قال : إنَّ الذّبابة إذا أرادتْ أن تموت ذهبتْ إلى بعض الخرِبات(٦) . قلت : فإنَّا قد دخلنا كلَّ خَرِبةٍ(٧) فى الدُّنْيا ، مَا رأينَا فيها قطُّ ذبابا ميّتا .

(المَكِّىُّ)

وكان المكّىّ طيّباً(٨) طيّب الحُجَج ، ظَرِيفَ الحِيَل(٩) ، عجيبَ العلل وكان يدَّعى كلَّ شيءٍ على غاية الإحكام ، ولم يُحْكِمْ شيئاً قطُّ ، [لا] من

---

(١) المسح ، بالكسر : الكساء من الشعر ، جمعه أمساح ومسوح . قال أبو ذؤيب :
ثم شربن بنبط والجمال كأ ... ن الرشح منهن بالآباط أمساح
(٢) ط ، س : « من كثرة الذبان الذى عليه » .
(٣) ل : « أحسب أن الذبابة تموت » .
(٤) ط ، س : « فى » .
(٥) ط ، س : « منذ أربعين يوما » .
(٦) الخربات : جمع خربة ، كفرحة ، وهى موضع الخراب . ط ، س : « الخزايب » وصوابه ما أثبت . ل : « الخرابات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفرده .
(٧) ط ، س : « خربة » ، وهى على الصواب فى ل .
(٨) طيبا ، أى ظريفا فكها . وانظر هذا الجزء ص ٦ . س : « طبيبا » .
(٩) ل : « كثير الحيل » .

الجليل ولا من الدَّقيق . وإذْ قد جرى ذِكره فسأحدِّثك ببعضِ أحاديثِه ، وأخبرك عن بعض عِلله ؛ لِتَلَهَّى[1] بها ساعةً ، ثمَّ نعودَ إلى [بقية] ذكر الذِّبَّان .

(نَوادر للمكيّ)

ادّعى هذا المكّيُّ البَصَرَ بالبراذين ، ونظرَ إلى بِرذونٍ واقف ، قد ألقى صاحبه [فى] فيه اللِّجام ، فرأى فأسَ اللِّجام[2] وأين بَلَغَ منه ، فقال لى : العجب ! كيف لا يذْرَعُه القيء ، وأنا لو أدخلت إصبعى [الصغرى] فى حلقى لما بَقِيَ فى جوفى شيءٌ إلَّا خرج ؟ ! قلت : الآنَ علمتُ أنَّك تُبْصر[3] ! ثمَّ مكث البرذَونَ ساعةً يلوكُ لجامه ، فأقبل علىَّ فقال لى : كيف لا يبرُدُ أسنانَه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراءِ مثلِك ! ثمّ رأى البِرذَونَ كلَّما لاكَ اللِّجامَ والحديدةَ[4] سال لعابُه على الأرض فأقبل عَلَىَّ وقال : لولا أنَّ البِرذَونَ أَفسَدُ الخلق عقلاً لكان ذهنُه قد صفا[5] ! قلت له : قدكنت أَشكُّ فى بَصرك بالدَّوابّ ، فأمَّا بعْدَ هذا فلستُ أَشكُّ فيه !

---

(١) ل : « لتتلهى » ، وحذف التاء فى مثل هذا جائز .

(٢) فأس اللجام : الحديدة القائمة فى الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لاكه يلوكه لوكا : عضه . ل : « كلما لاك الحديدة » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فقال لى إن البرذون أفسد الخلق عقلا ، ولولا ذلك لكان ذهنه قد صفى » .

وقلت له مرّةً ونحن فى طريق بغداد : مَا بالُ الفرْسَخِ فى هذه الطريق يكون فرسخين ، والفرسخ يكون أَقلَّ من مقدار نصفِ فرسخ ؟ ! ففكَّر طويلا ثمَّ قال : كان كِسرى يُقْطِعُ للنّاس الفراسخ ، فإذا صانَعَ صاحبَ القطيعة زادوه ، وإذا لم يصانعْ نقصوه !

وقلت له مَرَّةً : علمتُ أَنّ الشارى(١) حدّثنى أَنَّ المخلوعَ(٢) بعث إلى المأمونِ بجرابٍ فيه سمسِم ، كأَنّه يخبِرُ أَنَّ عندَه من الجند بعددِ ذلك [الحبّ] وأنَّ المأمونَ بعث إليه بديكٍ أعورَ ، يريد أنَّ طاهر بن الحسين(٣) يقتُلُ هؤلاءِ كلَّهم ، كما يلقط الدِّيك الحبَّ ! قال : فإنَّ هذا الحديث أنا ولَّدته . ولكن انظرْ كيفَ سار فى الآفاق ؟ !

وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

---

(١) ل : « السيارى » .

(٢) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان الساعد الأيمن للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاة طاهر ، فلقيه بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما فى طريقه من البلاد وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحمل رأسه إلى خراسان ووضعه بين يدى المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة ٢٠٧ . وكانت له عين واحدة ، فى ذلك يقول عمرو بن بانة :

ياذا اليمينين وعين واحده نقصان عين ويمين زائده

(معارف فى الذّباب)

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى صلة كلامِنا فى الإخبار عن الذِّبّان .

فأمَّا سكّان بلاد الهند فإنّهم لا يطابُخون قِدرًا ، ولا يعملون حَلْوَى[١] ولا يكادون يأكلون إلّا ليلاً ؛ لِمَا يتهافت من الذِّبّان فى طعامهم . وهذا يدلُّ على عفَنِ التُّربة و نَخَنِ الهواء .

وللذِّبّانِ يعاسيبُ وجِحْلانٌ[٢] ، ولكن ليس لها قائدٌ ولا أمير . ولو كانتْ هذه الأصناف التى يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتّخذ رئيساً يدبِّرها ويحوطها ، إنّما أخرج[٣] ذلك منها العقْلُ دونَ الطّبع ، وكالشىء يخصُّ

١٠٢ به البعض دون الكلّ[٤] — لكان الذّرُّ [وَالنَّمْلُ] أَحقَّ بذلك من الكراكىِّ والغرانيق[٥] والثِّيران ، ولكان الفيلُ أحقَّ به من البعير ؛ لأنه ليس للذّرِّ قائدٌ ولا حارس، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعضَ المواضع ، ويوردها بعضاً .

---

(١) فى الأصل: « الحلوا »، وإنما هى «الحلوى» تقصر وتمد .

(٢) الجحلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جحل بالفتح ، وهو العظيم من اليعاسيب . واليعاسيب هى كبار الذباب كما نقل الدميرى عن الجاحظ . ولفظ « الجحلان » جاء فى الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .

(٣) ل ، س : « خرج » .

(٤) ل : « دون البعض »، ومؤدى العبارتين واحد .

(٥) الغرانيق : جمع غرنيق ، بضم الغين وفتح النون ، وهو طائر أبيض طويل العنق من طير الماء . ويطلق فى العراق على مايسمى بالإوز العراقى .

وكلُّ قائدٍ فهو يعسوبُ ذلك الجنسِ المَقُود . وهذا الاسم مستعارٌ من فحل النَّحل وأمير العَسَّالات[١] .

وقال الشاعر[٢] وهو يعنى الثَّور :

كما ضُربَ اليعسوبُ إذ عاف باقِرٌ ... وما ذنْبُه إذ عافَتِ الماءَ باقِرُ

وكما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فى صلاح الزَّمان[٣] وفساده : « فإذا كان ذلك ضَربَ يعسوبُ الدِّين بذَنَبِه[٤] » .

وعلى ذلك المعنى قال حين مَرَّ بعبد الرحمن بن عتَّاب [بن أسيد][٥] قتيلا يوم الجمل : « لهفى عليكَ يَعْسُوبَ قريش ! جدَعْتَ أنْفِى وشفَيْتَ نفسى ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة[٦] » .

---

(١) العسالات : النحل التى تخرج العسل .

(٢) هو الهيبان الفهمى ، كما سبق فى (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « الذبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه فى ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم فى الدين . وضرب ، أى ضرب فى الأرض مسافرا أو مجاهداً . وبذنبه أى أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . وللعبارة معان أخر تـكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتاب ، أحد الرواة الذين ولدوا فى آخر عهد الرسول . وقد شهد وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير ورآه على وهو قتيل فقال ما قال . الإصابة ٦٢٢٠ والمعارف ١٢٣ . و « أسيد » ضبط فى الإصابة ٥٠٣٨٣ والاشتقاق ٧٨ بتحقيقنا بفتح الهمزة . قال ابن دريد : « وأسيد : فعيل من قولهم أسد يأسد أسدا إذا صار كالأسد . وفى اللسان (عسب) بضمها على هيئة التصغير ، تحريف .

(٦) الطفاوة ، بالضم : حى من قيس عيلان . وليت شعرى من سمى بهذا اللقب .

(أقذر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنَّه لا ينبغى أن يكون فى الأرض شىءٌ من الأشياء أنتنُ من العَذِرة ، فكذلك لا شىء أقذَرُ من الذِّبَّان والقمل . وأمَّا العَذرة فلولا أنَّها كذلكَ لكان الإنسانَ مع طول رُؤيتِه لَهـا ، وكثرةِ شمِّه لها من نفسه فى كلِّ يوم صباحًا ومَساء ، لقد كان ينبغى أن يكونَ قد ذهَب تقذُّرُهُ له على الأيَّام (١) ، أو تمَحَّق (٢) ، أو دخله (٣) النَّقص . فثباتُها ستِّين عامًا وأكْثَرَ وَأقلّ على مقدار واحد [من النتن] فى أنفِ الرَّجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك (٤) ، وقد رأينا المِران (٥) والعاداتِ وصنيعَها فى الطَّبائع ، وكيف تهوِّن الشديدَ ، وتقلِّل الكثير . فلولا أنَّها فوقَ كلِّ شىءٍ من النَّتْنِ ، لَمَا ثبتَتْ هذا الثَّباتَ ، ولعَرض لها ما يعرِض لسائرِ النَّتْنِ . وبَعْد فلو كان إنَّما يشَمُّ شيئاً خرجَ من جوفِ غيره ولم

---

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد أذهب تقذره له على الأيام » . ل : « أن يكون ذلك قد ذهب على الأيام » ، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : امحى وذهب . ط ، س : « يمحق » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « فى أنف من وجده ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر المران بمعنى التعود والإلف . ووجدته مصدراً لمارنت الناقة مرانا ، إذا ظهر أنها قد لقحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة . ط ، س : « المرات » تحريف .

يخرجْ من جوفِ نفسه ، لكان ذلك أشْبَه . فإذْ قد ثبت فى أنفه على هذا المقْدار[١] ، وهو منه دونَ غيره ، وحتَّى صار يجدُه أنْتَنَ من رَجيع [جميع] الأجناس — فليس ذلك إلاَّ لما قد خُصَّ به من المكروه .

وكذلك القول فى القمل الذى إنَّمَا يُخْلق من عَرَق الانسان ، ومن رائحته ، ووسَخِ جلده ، وبخار بدنه . وكذلك الذِّبَّانُ المخالطةُ لهُمْ فى جميع الحالات ، والملابِسَةُ لهم دُونَ جميعِ الهوامِّ والهمَجِ والطَّيرِ والبهائمِ والسِّباع حَتَّى تكون ألزمَ من كلِّ ملازم ، وأقربَ من كلِّ قريب ؛ حتى ما يمتنعُ عليه شىءٌ من بدن الإنسانِ ، ولا من ثوبه ، ولا من طعامِهِ ، ولا مِن شرَابِهِ ، [حَتَّى لزمه لزوماً] لم يلزمه شىء[٢] قطُّ كلزومه ، حتى إنّه يسافر السَّفَرَ البعيدَ من مواضع الخِصْب ، فيقطعُ البرارىَّ والقِفارَ التى ليس فيها ولا بقربها نباتٌ ولا ماءٌ ولا حيوان ، ثمَّ مع ذلك يتوخَّى عند الحاجة
إلى الغائط فى تلك البَرِّيّة أنْ يفارق أصحابَه ، فيتباعدُ فى الأرض ، وفى صحراء ١٠٣
خلْقاء[٣] ، فإذا تبرَّزَ فمتى وقع بصرُه على بَرازِهِ رأى الذِّبَّانَ ساقطا عليه . فقَبْلَ ذلك ما كان يَراه . فإن كان الذُّبابُ شيئاً يتخلَّق له فى تلك الساعة فهذه أعجبُ مما رآه ومما أردنا[٤] ، وأكثرُ ممَّا قلنا . وإن كان قد كان ساقطاً على الصُّخورِ المُلْسِ ، والبِقاعِ الجُرْدِ ، فى اليوم القائظِ ، وفى الهاجرةِ

---

(١) ط ، س : « على هذا المقدار من النتن » .

(٢) ط ، س : « ولا من شرابه لم يلزم شيئا » وله وجه .

(٣) الخلقاء : المصمتة التى لا نبات فيها ، الملساء . ل : « صخرة ملساء » .

(٤) ط فقط : « أردناه » . ل : « أعجب مما أردنا » .

التى تَشْوِى كلَّ شىء ، وينتظِرُ مجيئه ــ فهذ أعجبُ ممّـا قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إمَّا طائرةً(١) معه ، وإمَّا ساقطةً عليه ، فلما تبرَّزَ انتقلتْ عنه إلى بَرازه ، فهذا تحقيقٌ لقولنا إنّه لا يلزَمُ الإنسانَ شىءٌ لزومَ الذُّباب ؛ لأنَّ العصافيرَ ، والخطاطيف ، والزَّرازير ، والسَّنانيرَ ، والكلابَ وكلَّ شىءٍ يألفُ النّاسَ ، فهو يقيمُ مـع النَّاس . فإذا مضى الإنسانُ فى سفره ، فصار كالمستوحش(٢) ، وكالنَّازل بالقِفار ، فكلُّ شىءٍ أهلىٍّ يألفُ النَّاسَ فإنَّما هو مقيمٌ على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دورِ النَّاسِ إلى منازل الوحش ؛ إلاَّ الذِّبَّان .

قال : فإذا كان الإنسانُ يستقذِرُ الذِّبَّان فى مَرَقه وفى طعامِهِ هذا الاستقذارَ ، ويستقذِرُ القَمْلَ مع محلِّه من القَرابَةِ والنِّسبةِ هذا الاستقذار فمعلومٌ أنَّ ذلك لم يكن إلَّا لمَـا خَصّ به من القذَر . وإلَّا فبدون هذه القرابةِ وهذه الملابَسَةِ ، تطيبُ الأنفُس عن كثيرٍ من المحبوب .

(إلحاح الذُّباب)

قال : وفى الذِّبّان خُبْرٌ آخَر : وذلك أنهُـنَّ ربَّما تعوَّدْنَ المبيتَ على خُوصِ فَسيلةٍ وأقلابها(٣) من فسائل الدُّور ، أو شجرةٍ ، أو كِلَّةٍ(٤) ، [أوْ]

---

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المستأنس . ط س : « كالمتوحش » .

(٣) الفسيلة كـكريمة : النخلة الصغيرة . والأقلاب : جمع قلب ، بالضم ، وهو شحمة النخلة أو أجود خوصها .

(٤) الكلة ، بالكسر : الستر الرقيق ، والغشاء الرقيق يتوقى به من البعوض . ط ، س : « أو بلة » .

بابٍ ، أو سقفِ بيت ، فيُطْرَدْن إذا اجتمعن لوقتهنَّ عند المساء[1] ليلتين أو ثَلاث ليال ، فيتفرقْنَ أو يهجُرْن ذلك المكان فى المُسْتَقْبَلِ ، وَإِنْ كانَ ذٰلِك المكانَ قريباً ، وهو لهنَّ معرَّض ، ثمَّ لايدعْنَ أن يلتمِسْنَ مبيتاً غيرَه . ولا يعرض لهنَّ من اللَّجاجِ فى مثل ذلك ، مثلُ الذى يعرِض لهنّ من كثرة الرُّجوعِ إلى العينين والأنف بعدَ الذَّبِّ والطّرْد ، وبعدَ الاجتهادِ فى ذلك .

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمَّد بن حرب[2] : ينبغى أن يكونَ الذِّبّانُ سُماًّ نَاقِعاً ؛ لأنَّ كُلَّ شيءٍ يشتدُّ أذاه باللّمس من غيره ، فهو بالمداخلة والملابسة أجْدَرُ أن يؤذىَ . وهذه الأفاعى والثَّعابينُ والجرَّارات[3] قد تمسُّ جلودَها ناسٌ فلا تضرُّهم[4] إلّا بأن تلابسَ إِبرةُ العقربِ ونَابُ الأفعى الدَّم . [ونحن] قد نجد الرَّجُلَ يدخُل فى خَرْق أنفِه ذبَابٌ ، فيجولُ فى أوله من غير أنْ يجاوزَ [ما حاذى]

---

(١) ط ، س : « العشاء » .

(٢) هو أبو على محمد بن حرب الهلالى ، كان من أعلام متكلمى الخوارج ، وكان من البلغاء الأبيناء ، وكتب للأمين . انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه الجاحظ فى غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها ، وهن أشد العقارب فتكا . ط ، س : « والجرار » ، وهى على الصواب فى ل .

(٤) ط : « ولا وتضرهم » محرفة .

روثَة أنفه وأرنبَته(١) فيخرجه الإنسانُ من جوفِ أنفه بالنّفخِ وشدَّة النَّفَس ولم يكن له هنالك لَبْثٌ ، ولا كان منه عضّ ، وليس إلاّ ما مسّ(٢) بقوائمه
١٠٤ وأطراف جناحيه ، فيقع [في(٣)] ذلك المكان من أنْفه ، من الدَّغدغة والأُكال(٤) والحِكَّة ، ما لا يصنع الحَرْدَل(٥) وبَصَلُ النَّرجِسِ ، ولبنُ التِّين . فليس يكون ذلك منه إلّا وفي طبعه من مضادَّةِ طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادَّةُ شيءٍ وإن أفرط .

قال : وليس الشّأنُ في أنّه لم ينخُس(٦) ، ولم يجرح ، ولم يَخِزْ(٧) ولم يَعضّ ، ولم [يغمز] ، ولم يخدش . وإنّما هو على قدْر منافرةِ الطِّباعِ للطباع ، وعلَى قدر القَرابةِ والمشاكلةِ .

---

(١) روثة الأنف : طرف الأرنبة . والأرنبة : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه » ، وصحته في ل .

(٢) ط : « بما » ، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأكال ، بالضم : الحكة .

(٥) الحردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريف ماروى داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء في عيد الأضحى . وبدل هذه الكلمة في ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « يخمش » .

(٧) ط ، س : « يغمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجدُ الإنسانَ يغتمُّ بِتَنَقُّضِ[1] الفتيلة وصوْتِها عندَ قربِ انطفاء النار ، [أ] وْ لبعض البلَل يكون قد خالط الفتيلة ، ولا يكون الصَّوت بالشَّديد[2] ، ولكنَّ الاغتمامَ به ، والتكرُّه له ، يكونُ فى مقدارِ ما يعتريه من أشدِّ الأصوات . ومنْ ذلك المكروهُ الذى يدخُلُ عَلَى الإنسان من غَطيط النَّائم ، وليست تلك الكراهةُ لعلَّةِ الشِّدَّةِ والصَّلابة ، ولكن من قِبَلِ الصُّورَةِ والمقدار ، وإنْ لم يكن من قبل الجنس[3] . وكذلك صوتُ احتكاك الآجُرِّ الجديدِ بعضِه ببعض ، وكذلك شجر الآجَام عَلَى الأجراف[4] ؛ فإنَّ النّفسَ تكرهُه كما تكرهُ صوتَ الصَّاعقة . ولو كان عَلَى ثِقةٍ من السَّلامة من الاحتراق ، لَمَا احتفَل بالصَّاعقةِ ذلك الاحتفالَ . ولعلَّ ذلك الصَّوت وحدَه ألاّ يقتله[5] . فأمَّا الذى نشاهدُ اليومَ الأمْرَ عليه ، فإنّه متى قرُب منه قتله . ولعلَّ ذلك إنَّما هو لأنَّ الشّى إذا اشتدّ صَدْمُه[6] فَسَخَ القوَّة

---

(١) تنقضت الفتيلة : صوتت . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « بتقض »، وفى س ، ل : « بتنفض » .

(٢) ط : « بالشر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجمة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والأجراف : جمع جرف بالضم وبضمتين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادى والنهر .

(٥) ل : « ولعل ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذى فيه(١) الإنسانُ والمحيط [به] أن يحمَى ويستحيلَ نارًا(٢) ؛ للذى قَدْ شارك ذلك الصَّوتَ من النّار . وهم لم يجدوا الصَّوتَ(٣) شديدا جدًّا إلَّا مَا خالَطَ منه النّار .

(ما يقتاتُ بالذِّباب)

وقال ابن حرب : الذِّبّان قوتُ خلْقٍ كثيرٍ من خلق الله عزّ وجلّ ، وهو قوتُ الفراريج ، والخفافيش ، والعنكبوت ، والخُلْد(٤) ، وضروبٍ كثيرةٍ من الهَمَج ، همجِ الطير ، وحشرات السّباع(٥) . فأَمّا الطّير والسُّودَانِيَّات(٦) ، والحَصانيّات(٧) ، والشاهْمُرْكات(٨) ، وغير ذلك من أصنافِ الطّير ؛ وأمّا الضِّباع — فإنّها تأْكل الجيف ، وتدع فى أفواهها فُضُولاً ، وتفتَحُ أفواهَها

---

(١) ل : « فى » .

(٢) كذا فى ل واللسان (صعق ٦٧) . وفى س : « يستحر » وفى ط : « ويستحر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، سيتحدث عنها الجاحظ فى (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزرازير . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) فى القاموس : « الحصانيات : طير » . ط س : « الحضانيات » ، تصحيف صوابه فى ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد فى المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل الساقين . بذا فسره شيخ المحققين الأب أنستاس مارى فى رسالة إلى . وقال : «هو بالفرنسية : Echassier ، وبالمعنى المتقدم فى الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة وفسرت خطأ فى (١ : ٢٨) . وقد عده الجاحظ من الحيوان آكل الحيات (١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

للذِّبَّان ، فإذا احتشَتْ ضمَّت عليها . فهذه إنّما تصيد الذِّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ ، وهو الاختطافُ والاختلاس ، وإعجالُها عن الوثوب إذا تلقّطته بأطراف المناقير ، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم عليها .

(صيد اللَّيث للذُّباب)

فأمَّا الصَّيدُ الذى ليس للكلب ، ولا لعَنَاق الأرض[1] ، ولا للفهد ، ولا لشيءٍ من ذوات الأربع مثلُه فى الحِذْق والخَتْل والمداراة ، وفى صواب الوثْبةِ ، وفى التسدُّدِ وسرعة الخطف ، [فليس[2]] مثل الذى يقال له الليث وهو الصِّنف المعروفُ من العناكب بصيد الذِّبّان[3] ؛ فإنَّك تجدُه إذا عاين الذِّبَّانَ ساقطاً ، كيف يَلْطأ[4] بالأرضِ ، وكيف يسكِّن جميعَ جوارحِه للوثْبة ، وكيف يؤخِّر ذلك إلى وقت الغِرَّة ، وكيف يريها أنّه عنها لاهٍ ؛ ١٠٥
فإنّك ترى من ذلك شيئا لم تر مثله من فهدٍ قطُّ ، وإن كان الفهدُ موصوفا منعوتاً .

---

(١) عناق الأرض : دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسنا . الحيوان (٦ : ٣٥٢) فى الأصل : « لعتاق » بالتاء ، وهو خطأ .

(٢) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(٣) ل : « وهو صنف من العناكب » .

(٤) لطأ بالأرض ، كمنع وفرح : لصق . ط ، س : « يلتطئ » .

واعلم أنّه قد ينبغى ألّا يكونَ فى الأرض شىءٌ أصيَدُ منه ؛ لأنّه لايطير ، ولا يصيدُ إلاّ ما يطير ! ويصيدُ طائرًا شديدَ الحذر ، ثمَّ يصيد صيَّادًا ! لأن الذّباب يصيد البعوض . وخديعتك للخدَّاع أعجبُ ، ومكرُكَ بالماكِرِ أغرب ! فكذلك يكون صيدُ هذا الفن (١) من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزنابير للذباب)

وزعم الجردانى (٢) أنّ الوزغَ تَخْتِلُ الذّبانَ ، وتصيدُها صيدًا حسناً شبيهاً بصيد اللّيث .

قال : والزُّنبور حريصٌ على صيدِ الذّبّان ، ولكنه لا يطمع فيها إلاّ أن تكون ساقطةً على خَرْءٍ ، دونَ كلِّ تمروعسل ؛ لشدَّة عجبها بالُخرْء ، وتَشاغلها به ! فعند ذلك يطمَعُ فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجردانى (٣) وتابعه كيسان : أنّ الفهدَ إنما أخذَ ذلكَ عن اللّيث . ومتى رآه (٤) الفهدُ يصيد الذّبّانَ حتى تعلَّم منه ؟ ! فظننت أنّهما قلَّدَا فى ذلك بعض مَنْ إذا مَدَحَ شيئاً أسرف فيه .

---

(١) الفن : الضرب والنوع . ل : « الفز » ، وهو تحريف .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها فى س : « الجرذانى » .
(٣) س : « الجرذانى » . ل : « الجرادى » .
(٤) ل : « وحتى » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلُّمه منه)

ويزعمون أنّ السّبع الصَّيُودَ إذا كان مع سبعٍ هو أصْيَدُ منه ، تعلَّمَ منهُ وأخَذَ عنه . وهذا لم أحقّه . فأمّا الذى لا أشكُّ فيه فأنَّ الطائرَ الحَسَنَ الصَّوتِ الملحِّنَ ، إذا كان مع نوائح [الطَّيرِ][1] ومغنِّياتها ، فكان بقربِ الطَّائرِ[2] من شِكله ، وهو أحذق منه [وأكرز][3] وأمهر ، جاوبَه وحكاه ، وتعلَّم منه ، أو صنَع شيئاً يقوم مقامَ التعلُّم .

(تعليم البراذين والطير)

والبِرذَونُ يُراضُ فيعرِفُ مايراد منه ، فيعين على نفسه . وربّما استأجروا للطّيرِ رجُلاً يعلّمها . فأمّا الذى رأيتُه أنا فى البلابل ، فقد رأيتُ رجُلاً يُدْعَى لها فيطارِحُها من شكل أصواتها .

(ما يخترع الأصوات واللحون من الطير)

وفى الطّيرِ مايخترع الأصواتَ واللُّحون التى لم يُسمَع بمثلها قطُّ من المؤلِّف للُّحونِ من النَّاس ؛ فإنّه ربّما أنشأ لحناً لَمْ يمرّ على أسماع[4] المغنِّين قطُّ .

---

(١) ليست بالأصل .

(٢) ط : « يقرب » .

(٣) أكرز بمعنى أحذق .

(٤) ط : « سماع » .

وأكثرُ ما يجدون ذلك من الطَّير فى القمارىِّ ، وفى السُّودَانيات(١) ، ثمَّ فى الكرارِزة(٢) . وهى تأْكل الذِّبّان أكلاً ذريعاً .

(اللّجوج من الحيوان)

ويقال إن اللَّجاج فى ثلاثةِ أجناسٍ من بينِ جميع الحيوان : الخنفساء ، والذُّباب ، والدُّودة الحمراء ؛ فإنَّها فى إبَّانِ ذلك تَرومُ الصُّعودَ إلى السَّقف ، وتمرُّ على الحائط الأملس شيئا قليلا فتسقطُ وتعود ، ثمَّ لا تَزال تَزداد شيئا ثمَّ تسقط ، إلى أن تَمضىَ إلى باطن السَّقف ، فربما سقطتَ ولَمْ يبق عليها إلَّا مقدارُ إصبع ، ثمَّ تعود .

(لجاج الخنفساء واعتقاد المفاليس فيها)

والخنفساء تَقْبِلُ قِبَلَ الإنسانِ فيدفعُها ، فتبعُد بقدر تلك الطَّردة والدَّفعة ثمَّ تعود أيضاً ، فيصنع بها أشدَّ من تلك ثمَّ تعود ، حتَّى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ، ويكون غضَبُه سبباً لقتلها .

---

(١) السودانيات : الزرازير .

(٢) الكرارزة : جمع كرّز ، كقبر ، وهو البازى . ط ، س : « الكرارة » وهو تحريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتَّى سقط إلى المفالِيس[١] أنَّ ١٠٦
الخنافسَ تجلب الرِّزق . وأنّ دنوَّها دليلٌ على رزقٍ حاضر : من صِلَةٍ أو جائزة ، أو ربحٍ ، أو هديَّةٍ ، أو حظّ . فصارت الخنافسُ إنْ دخلَتْ في قُمُصهم ثمَّ نفذَتْ إلى سَراويلاتهم لَمْ يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثرُ ماعندهم اليومَ الدَّفعُ لها ببعض الرِّفق . ويظنُّ بعضهم أنه إذا دافعها[٢] فعادَتْ ، ثمّ دافعها ، فعادت ، ثمّ دافعها فعادت ــ أنّ ذلك كلما كان أكثرَ ، كان حظُّهُ من المال الذي يؤمِّله عند مجيئها أجزَل[٣] .

فانظرْ ، أيّة واقيةٍ ، وأيَّة حافِظة[٤] ،وأيُّ حارسٍ ،وأيُّ حصنٍ أنشأه لها هذا القول[٥] ! وأيُّ حظٍّ [كان] لها حينَ صدَّقوا [بهذا الخبر] هذا التصديق[٦] ! والطَّمعُ هو الذي أثارَ هذا الأمْرَ مِن مدافِنه[٧] ، والفقر هو الذي اجتذب[٨] هذا الطَّمع واجتلبه . ولكن الويل لها إنْ ألحَّتْ على غَنِيٍّ عالِمٍ ، وخاصَّةً إن كان مع جِدَتِه وعلمِه حديداً عَجُولا[٩] .

---

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المقاييس » ولا تصح .
(٢) ل : « دفعها » في مواضعها الثلاثة .
(٣) كذا في ل . وفي ط ، س « أكثر » .
(٤) كذا في ل ، س . وفي ط : « أية واقية دائمة حافظة » .
(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأي حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول »، ووجهه من ل .
(٦) كذا في ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .
(٧) ل : « مواقيه » .
(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « سبب » .
(٩) هذه العبارة ساقطة من ل . والجدة ، كعدة : الغنى واليسار . وفي الأصل : « مع حدوثه » .

(اعتقاد العامة فى أمير الذِّبَّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبير الشديد الطنين[١] الملحَّ فى ذلك ، الجهيرَ الصوت ، الذى تسميه العوامُّ : « أمير الذِّبَّان » ، فكانوا يحتالون فى صرفه[٢] وطرده [وقتله] ، إذا أكربَهمْ بكثْرةِ طنينه وزَجَله وهَماهِمه[٣] فإنّه لايفتر[٤] . فلمَّا سقط إليهم أنّه مبشّرٌ بقدومِ غائبٍ وبُرء سقيم ، صاروا[٥] إذادخل المنزلَ وأوسَعَهُم شرًّا ، لم يَهِجْه أحدٌ منهم .

وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنْسِئَ فى أجلِ شيءٍ من الحيوان هيَّأَ لذلك سبباً ، كما أنّه إذا أراد أن يقصُر عمرُه [ويَحينَ يومُه] هيَّأَ لذلك[٦] سبباً . فتعالى الله علوًّا كبيراً !

ثمَّ رجَع بنا القولُ إلى إلحاح الذِّبَّان .

---

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ولفظ « الطنين » هى فى ط ، س : « البطش » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بشىء .

(٣) هماهم : جمع همهمة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أى لايسكن ولاينقطع عن الطنين . ط : « يغير » وصوابه فى ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سوَّار وإلحاح الذُّباب)

كان لنا بالبَصرة قاضٍ يقال له عبدُ الله بنُ سَوَّار[١] ، لَمْ يَرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زِمِّيتاً ولا رَكيناً[٢] ، ولا وقوراً حليماً ، ضَبَط من نفسه ومَلَكَ من حركته مثلَ الذى ضَبَط وملَك . كان يصلِّى الغداةَ فى منزله ، وهو قريب الدَّار من مسجده ، فيأْتى مجلسَه فيحتبِى ولا يتَّكئُ ، فلا يزالُ منتصبا لايتحرَّك له عضوٌ ، ولا يلتفت ، ولا يحلُّ حُبْوَته[٣] ولا يحوِّل رِجلاً عن رجل[٤] ، ولا يَعتمد على أحد شِقَّيه ، حَتَّى كأنّه بناءٌ مبنىٌّ ، أو صخرةٌ منصوبة . فلا يزال كذلك ، حتّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمّ يعودُ إلى مجلسهِ فلا يزال كذلك[٥] حتى يقوم إلى العصر ، ثمَّ يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حَتى يقوم لصلاة المغرب ، ثمَّ رُبما عاد إلى محلِّه ، بل كثيراً ما كان يكون ذلكَ إذا بقى عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق ، ثمَّ يُصلِّى العشاء [الأخيرة[٦]] وينصَرِف . فالحق يقال : لَمْ يقُمْ

---

(١) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة العنبرى البصرى . وسبقت ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار فى ٢ : ١٨٧ . والقصة رواها المرتضى فى فى أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والزميت كسكيت : العظيم الوقار . والركين الرزين .

(٣) الحبوة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحل رجلا على رجل » وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتى يقوم » ساقط من ل ، والثمار .

(٦) الزيادة من ثمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأولى هى المغرب .

فى طول تلك المدَّةِ والوِلايةِ مَرَّةً واحدةً إلى الوضوء ، ولا احتاجَ إليه ،
١٠٧ ولا شرِبَ ماءً ولا غيرَه من الشّراب . كذلك كانَ شأْنُه فى طوال الأيام وفى قصارها ، وفى صيفها وفى شتائها[١] . وكان مع ذلك لايحرِّك يدَه ، ولا يُشيرُ برأسِه . وليس إلاّ أن يتكلمَ [ثمَّ يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعانى الكثيرة][٢] . فبينا هو كذلك ذاتَ يوم وأصحابه حواليه ، وفى السِّماطين[٣] بينَ يديه ، إذْ سقَطَ على أنفِه ذبَابٌ فأطال المكث ، ثمَّ تحوّل إلى مُؤْقِ عينه[٤] ، فرام[٥] الصَّبر فى سقوطه عَلَى المؤق ، وعلى عضِّه ونفاذِ خَرطومه كما رَام[٦] من الصبر عَلى سقوطه عَلَى أنفه من غير أن يحرِّك أرنبَته ، أو يغضِّنَ[٧] وجهَهُ ، أو يذبَّ بإصبعه . فلمّا طال ذلك عليهِ من الذبَاب وشغَله وأوجعَه وأحرَقهُ ، وقصدَ إلى مكانٍ لايحتمل التّغافُلَ ، أطبَق جفنَهُ الأعْلى عَلى جفنِه الأسفلِ فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن وَالىَ[٨] بينَ الإطباقِ والفتْح ، فتنحَّى ريثَما سكنَ جفنُهُ ، ثمَّ عاد إلى مؤقِه بأشدَّ من مرَّته الأولى فغَمَسَ خَرطومهُ فى مكان كان قد أوهاهُ قبلَ ذلك ، فكان احتماله له

---

(١) كلمة : « فى » ساقطة من ل فى الموضعين .

(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .

(٣) السماط ، بالكسر : الصف .

(٤) فى الأصل : « عينيه » ، وأثبت مافى الثمار . والمؤق : طرف العين مما يلى الأنف .

(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .

(٦) ل فقط : « ودام » وانظر التنبيه السابق .

(٧) غضن وجهه : جعل به غضونا ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يغض » بمعنى يخفض . وفى الثمار : « بعض » .

(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت مافى ل والثمار .

أضعف ، وعجزُه عن الصَّبر فى الثانية أقوى[١] ، فحرَّك أجفانَهُ وزاد فى شدَّة الحركة وفى فتح العين[٢] ، وفى تتابُع الفتْح والإطباق ، فتنحَّى عنهُ بقدْرِ ماسكَنَتْ حركتهُ ثمَّ عاد إلى موضِعِه ، فما زالَ يلحُّ عليه حتى استفرغَ صبْرَه وبَلَغَ مجهُودَه . فلم يجدْ بُدًّا من أن يذبَّ عن عينيهِ بيده ، ففعل ، وعيونُ القوم إليه ترمُقه ، وكأنّهم لا يَرَوْنَه[٣] ، فتنَحَّى عنه بقدْر ما رَدَّ يدَه وسكَنَتْ حركته ثمَّ عاد إلى موضعه ، ثمَّ ألجأَه إلى أن ذبَّ عن وجْهه بطَرَف كمه ، ثم ألجأه إلى أن تابَعَ بين ذلك ، وعلم أنَّ فِعلَه كلّه بعين مَنْ حَضَره من أُمنائه وجلسائه . فلمَّا نظروا إليه قال : أشهد أنَّ الذّباب ألَحُّ[٤] من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ! وأستَغفر الله ! فما أكثر مَن أعجبَتْه نفسُه فأراد الله عزَّ وجلَّ أن يعرِّفه من ضعْفِه ما كان عنهُ مستوراً ! وقد علمت أنِّى عند الناس مِنْ أزْمَتِ الناس[٥] ، فقد غلَبَنى وفَضَحَنى أضعفُ خلْقِه ! ثمَّ تلا قولَهُ تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

---

(١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه فى الثانية أقل » ، وصوابه فى ل . ونحو منه ما فى الثمار .

(٢) ط ، س : « وألح فى فتح العين »

(٣) كلمة : « إليه » ليست فى الثمار . وليس مايمنع بقاءها . و « يرونه » هى فى الأصل « يريدونه » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) كذا فى الأصل : « الح » بالحاء كما فى أمثال الميدانى ٢ : ١٨٠ . ويروى بالجيم ، كما فى الثمار وكما سيأتى فى ص ٥٠٠ .

(٥) أزمت الناس : أى أشدهم وقاراً وسكونا . ط : « أضعف » ووجهه فى س ، ل . وفى الثمار : « أرزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هى فى ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بيِّن اللِّسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مَهيباً فى أصحابه ، وكان أحدَ منْ لم يَطْعَنْ عليهِ فى نفسه ، ولا فى تعريض أصحابهِ للمَنَالة[١] .

(قصَّة فى إلحاح الذباب)

فأمَّا الذى أصابنى أنَا من الذِّبَّان ، فإنِّى خَرَجتُ أمشى فى المبارك[٢] أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أقدِرْ علَى دابَّةٍ ، فمررتُ فى عشْبٍ [أَشِبٍ][٣] ونباتٍ ملتفٍّ كثيرِ الذِّبَّان ، فسقط ذبابٌ من تلك[٤] الذِّبّان عَلى أنفى ، فطردته ، فتحوّل إلى عينى[٥] [فطردْتُه ، فعاد إلى مُوقِ عينى] ، فزدتُ فى تحريكِ يدىَّ فتنحَّى عنى بقدْر شدّة حركتى[٦] وذبِّى عن عينى — ولِذِبّان الكلإ والغِياضِ والرِّياضِ وقْعٌ ليس لغيرها — ثمَّ عادَ إلىَّ فَعُدْتُ عليهِ ، ثمّ
١٠٨ عَاد [إلىّ] فعدتُ بأشدّ من ذلك ، فلما عاد استعملتُ كمِّى فَذَبَبْتُ بهِ عن وجهى ، ثمّ عاد ، وأنَا فى ذلك أحثُّ السَّير ، أؤمِّل بسرعتى انقطاعَهُ عنِّى[٧] فلما عَاد نزعتُ طَيْلَسانِى[٨] من عُنُقى فذببت بهِ عَنِّى بَدَلَ كُمِّى ، فلما

---

(١) المنالة : مصدر نلت أنال .

(٢) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفره خالد بن عبد الله القسرى . ويمشى فيه : أى فى شاطئه . ط ، س : « من عند ابن المبارك » .

(٣) أشب : أى ملتف . وكلمة « عشب » ساقطة من ل .

(٤) ط ، س : « ذلك » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فطردته فلم أقدر فتحول إلى عينى » .

(٦) ل : « فتنحى على قدر شدة حركتى » .

(٧) ل : « أحث السير » وقد سقط منها « أؤمل بسرعتى » .

(٨) الطيلسان : كساء مدور أخضر ، لحمته أو سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء والمشايخ ، وهو من لباس العجم ، وهو لفظ معرب من تالسان الفارسية .

عاوَدَ ولم أجدْ له حيلةً استعملتُ العدْوَ ، فعدوْت منه شوطاً [تامًّا] لم أتكلفْ مثلَه مذْ كنتُ صبيًّا ، فتلقّانى الأندلسىُّ فقال لى : مالك يا أبا عثمان ! هل مِنْ حادثة ؟ قلت : نعم ، [أكبر الحوادث] ، أريد أن أخرجَ من موضعٍ للذِّبَّان عَلَىَّ فيه سلطانٌ ! فضحك حتى جلس . وانقطع عنِّى ، وما صدّقتُ بانقطاعه عنّى حتَّى تباعد(١) جدًّا .

(ذبّان العساكر)

والعساكر أبداً كثيرة الذِّبَّان . فإذا ارتحلوا لم يَرَ المقيمُ بعدَ الظّاعن منها إلا اليسير .

وزعم بعضُ النَّاسِ أنَّهنَّ يتبعن العساكرَ ، ويسقُطْنَ على المتاع ، وعلى جِلَالِ(٢) الدّوابّ ، وأعجاز البراذِينِ التى عليها [أسبابها(٣)] حتى تؤدِّىَ إلى المنزل الآخر .

[و] قال المكِّىُّ : يتبعوننا ليُؤْذونا ، ثمَّ لايركبون إلَّا أعناقَنا ودوابَّنا(٤) !

---

(١) ل : « تباعدت » .

(٢) الجلال : جمع جل بالضم وبالفتح ، وهو ماتلبسه الدابة لتصان به .

(٣) كذا فى س . وبدلها فى ل : « أربابها » .

(٤) هذا حكاية من الجاحظ للفظ المكى . وفيه استعمال ضمير العاقل لغيره .

(تخلّق الذُّباب — ١ —)

ويقول بعضهم : بل إنما يتخلّق من تلك العُفونات والأبخرةِ والأنفاس ، فإذا ذهبت فنيتْ مع ذهابها(١) ويزعمون أنّهم يعرفون ذلك بكثْرتها في الجنائبِ ، وبقلّتها في الشمائِل(٢) .

قالوا : وربَّما سددْنا فمَ الآنيةِ التي فيها الشَّرابُ بالصِّمامةِ ، فإذا نزعْناها وجدنا [هناك] ذباباً صغاراً .

وقال ذو الرّمّة(٣) :

وأيقنَّ أنّ القنع صارت نِطافه(٤) فَرَاشاً وأنّ البَقْلَ ذاوٍ ويابسُ

[القِنْع : الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء(٥) . والفراش : الماء الرقيق الذي يبقى في أسفل الحِياض] .

وأخبرني رجلٌ من ثقيف ، من أصحاب النّبيذ أنّهمْ [رُبَّما] فلقوا السَّفرجلة أيّامَ السَّفرجل للنَّقْل(٦) والأكل ، وليس هناك من صغار الذّبَّان شيءٌ ألبتّة

---

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « فإذا ذهب ذلك خف » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب . وهي الريح الجنوبية . والشمائل : جمع شمال ، بالفتح ، وهي الريح الشمالية . ل : « في الشمال » .

(٣) يصف الحمر الوحشية . ديوانه ٣١٣ .

(٤) النطاف : جمع نطفة ، وهي هنا الماء الكثير . وتقال أيضاً للماء القليل ، بل هو الأكثر . ط ، س : « نطاقة » ووجهه في ل .

(٥) النقران : جمع نقير . و « يجتمع » هي في الأصل : « يجمع » ، والتفسير بعده مخالف للاستشهاد . وانظر ماسيأتي في ٥ : ٤٠٤ .

(٦) النقل بالفتح : مايتنقل به على الشراب ، وهو مايعبث به الشارب على شرابه .

ولا يُعدِمُهمْ أنْ يَرَوا على مَقاطعِ السَّفرجلِ ذُبابا صغاراً . وربَّما رصدوها وتأمَّلوها ، فيجدونَها تعظُم حتّى تلحق بالكبار فى السَّاعة الواحدة .

(حياة الذُّباب بعد موته)

قال : وفى الذِّبان طبع كطبع الجِعلان، فهو طبعٌ غريب عجيب . ولولا أنّ العِيانَ قهَرَ أهلَهُ لكانوا خلقاءَ أن يدفعوا الخبرَ عنهُ ؛فإنّ الجُعَلَ إذا دُفِنَ فى الوردِ[1] ماتَ فى العين ، وفنِيت حركاتُه كلُّها ، وعاد جامداً تارزاً[2] ولم يفْصِل الناظرُ إليه بينَه وبين الجُعَلِ الميِّت ، ما أقام على تأمله[3] . فإذا أعيد إلى الروث عادت إليه حركة الحياةِ من ساعته[4] .

وجرَّبتُ أنا [مثلَ] ذلك فى الخنفساء ، فوجدتُ الأمر فيها قريباً من صِفَةِ الجعَل ، ولم يبلغْ كلَّ ذلك [إلَّا[5]] لقَرابةِ [ما] بينَ الخنفساء والجُعَل .

ودخلت يوماً على ابن أبى كريمة ، وإذا هو قد أخْرَجَ إجّانَةً[6] كان فيها ماءٌ من غُسالةِ أوساخ الثياب ، وإذا ذِبّانٌ كثيرةٌ قد تساقطْنَ فيه من اللّيل فَمَوَّتْنَ[7] . هكذا كُنَّ[8] فى رأى العين . فَغَبَرْنَ كذلك

---

(١) ط : « المورد » وصوابه فى ل ، س . وانظر ماسبق فى (٢ : ١١٢) .

(٢) التارز : اليابس الذى لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإجانة : الوعاء يغسل فيه الثياب . فى الأصل : « من إجانة » ، والوجه حذف « من » .

(٧) يقال موتت الدواب تمويتا : كثر فيها الموت . انظر اللسان . ط ، س : « فتن » .

(٨) كذا فى ل ، س . وفى ط : « كان » أى كان الأمر .

١٠٩ عَشِيَّتَهُنَّ وليلتهنّ ، والغَدَ إلى انتصاف النهار ، حتّى انتفخْنَ وعفِنّ[١] واسترخين ؛ وإذا ابن أبى كريمة قد أعدّ آجُرّةً جديدة[٢] ، وفُتات آجرٍّ جديد، وإذا هو يأخذ الخمس منهنّ[٣] والستّ، ثمّ يضعهُنّ على ظهر الآجرّة الجديدة ، ويذرُّ عليهنَّ من دقاق ذلك الآجرِّ الجديدِ المدقوق بقدْر مايغمُرها فلا تلبث أن يراها[٤] قدْ تحرَّكتْ ، ثمَّ مشت ، ثمَّ طارت ؛ إلَّا أنّه طَيَرانٌ ضعيفٌ .

(ابن أبى كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابنُ أبى كريمة يقول : [لا] واللهِ ، لادفنْتَ ميّتاً أبداً حتّى ينْتُنَ ! قلت : وكيف[ذاك] قال : إنّ غلامى هذا نُصيراً ماتَ ، فأخّرْتُ دفنَهُ لبعْضِ الأمْر ، فقدِم أخوه تلك اللّيْلَة فقال : ما أظنُّ أخى ماتَ ! ثمَّ أخذ فتيلتين ضخمتين ، فروّاهما دُهْناً ثمَّ أشعل فيهما النّارَ ، ثمَّ أطفأهما وقرَّبهما إلى منخريه ، فلم يلبَثْ أنْ تحرَّك . وها هو ذا قد تراه ! قلت له : إن أصحاب الحروب [و]الذين يغسلون الموتى، والأطبَّاء، عندَهم فى هذا دَلالاتٌ وعلامات فلا تحمل عَلَى نفسك فى واحدٍ من أولئك ألّا تستُره بالدفن حتى يَجيف .

---

(١) ل : « وغضن » .

(٢) ل : « أجراً جديداً » .

(٣) ل : « منها » .

(٤) س : « نراها » ل : « تراها » .

والمجوس يقرِّبون الميِّتَ منْ أنف الـكلب ، ويستدلون بذلك عَلى أمره .
فعلمت أنّ الذى عايَنّاه[١] من الذِّبَّان قد زادَ فى عزْمِه .

(النُّعَر)

والنُّعَر : ضربٌ من الذِّبان ، والواحدةُ نُعَرة . وربما دخلتْ فى أنف البعيرِ أو السَّبع ، فيزمُّ بأنفِه[٢] ؛ للذى يلقى من المـكروه بسببه . فالعَرَبُ تشبِّه ذا الـكِبْر من الرجال إذا صعّر خده ، وزَمّ بأنفه — بذلك البعير فى تلك الحال . فيقال عند ذلك : « فلان فى أنفه نعرَة ، وفى أنفِه خُنْزُوانةٌ » .
وقال عمر[٣] : « والله لا أقلعُ عنه أو أطيِّرَ[٤] نُعرَته » .

ومنها القَمَع ، وهو ضربٌ من ذبّان الـكلأ . وقال أوس[٥] :

ألم ترَ أن اللهَ أنزَلَ مُزْنه[٦] وعفْرُ الظِّباءِ فى الـكِناسِ تَقَمَّعُ[٧]

وذلك مما يكون فى الصيفِ وفى الحرِّ .

---

(١) ل : « عاينه » .
(٢) زم البعير بأنفه : رفع رأسه لألم به . ط ، س : « فتورم أنفه » وليس هنالك .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٤) لا أقلع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه فى ط ، ل ونهاية ابن الأثير .
(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .
(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء منه . والقطعة منه مزنة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى الديوان .
(٧) العفر : جمع أعفر ، وهو الظبى يعلو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمع : أن تحرك رءوسها لتطرد القمع .

(أذى الذّبّان للدوابّ)

والذّبان جُنْدٌ من جند الله شديدُ الأذى. وربّما كانَ أضرّ من الدَّبْر[١] في بَعضِ الزمان ، وربما أتت عَلَى القافلة بما فيها ؛ وذلك أنّها تغشى[٢] الدوابّ حتَّى تضربَ بأنفسها الأرض – وهي في المفاوز – وتسقط ، فيهلك أهل القافلة ؛ لأنهم لايخرجون من تلك المفاوز عَلَى دوابهمْ . وكذلك تُضْرِب الرِّعاء[٣] بإبلهم ، والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يسْلُكُها[٤] صاحبُ دابَّة ، ويقول بعضُهمْ لبعض : بادِرُوا قَبْلَ حركَةِ الذِّبان ، وقبل أنْ تتحرك ذبّان[٥] الرِّياضِ والكلأ !

والزّنابير لا تكادُ تدْمِي[٦] إذا لسعت بأذنابها . والذِّبّان تغمس خراطيمها في جوفِ لحوم الدوابّ ، وتخرق الجلودَ الغلاظ حتى تنزفَ الدَّمَ نزفا . ولها مع شدّة الوقعِ سمومٌ . وكذلك البَعوضة ذاتُ سمّ ، ولو زِيدَ
١١٠ في بَدَن البعوضة وزِيدَ في حرْقة لسْعها إلى أن يصيرَ بَدَنها كبدن الجرَّارة[٧] – فإنها أصغرُ العقارب[٨] – لما قام له شيءٌ ، ولكان أعظمَ بليَّةً من الجرَّارة

(١) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزنابير . ويقال بالكسر أيضاً .

(٢) س : « تعش » محرفة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلكها » .

(٥) جاء في ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س « ترمى » وصوابه في ل .

(٧) الجرارة سبق تفسيرها في ص ٣٣٣ . ط : « الجرادة » وصوابها في ل ، س .

(٨) كذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبيّة [١] أضعافاً كثيرة . وربَّما رأيت الحمار وكأنّه مُمَغَّر [٢] أو معصفر . وإنَّهُـمْ [٣] مع ذلك ليجلِّون حمُرَهم ويُبَرقِعونها ، وما يَدَعون موضعًا إلاّ ستروه بجهدهم ، فربّما رأيتَ الحمير وعليها الرِّجال [فيما بين عَبْدَسى [٤] والمذار [٥]] بأيديهم المناخس والمذابُّ [٦] ، وقد ضربت بأنفسها الأرضَ [٧] واستسلمت للموت . وربّما رأيت صاحبَ الحميرِ [٨] إذا كانَ أجيراً يضربُها بالعَصا بكلِّ جَهْده ، فلا تنبعث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعير عندَه خطر . ولقدْ رأيتُ ذُباباً سقط على سالفة [٩] حِمار كانَ تحتى ، فضرب بأُذنيه ، وحرَّك رأسه بكلِّ

(١) ط : « الجرادة النصيبية » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبية : نسبة إلى نصيبين ، وهى مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : وسبب كثرة العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرهـا فاستعصت عليه ، فأمر أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماهم بها فى العرادات والقوارير ، فتملأ القارورة وتدفع بالعرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) ممغر : مصبوغ بالمغرة ، وهى بالفتح وبالتحريك : صبغ أحمر طينى ، وأجوده ما كان من مصر . ط ، س : « منعر » ، ل : « منغر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « فإنهم » .

(٤) عبدسى ، كما فى معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكر ، خربها العرب وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة .

(٥) المذار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المعقفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المكارى » . والمكارى : الذى يكريك دابته . والكراء : الأجرة .

(٩) السالفة : ماتقدم من العنق .

جهده[١] ، [و[٢]] أنا أتأمَّله وما يقلع عنه ، فعَمَدْتُ بالسَّوطِ لأنحِّيَه به[٣] فنزا عنه ، ورأيت مع نزْوِهِ عنه الدَّمَ[٤] وقد انفجر ؛ كأنَّهُ كان يشرب الدَّمَ وقد سدَّ المخرج بفيه ، فلمَّا نحَّاه طلع .

(ونيم الذّباب)

وتزعمُ العامَّةُ أنَّ الذّبَّان يَخْرَأ [عَلَى] ماشاء[٥] قالوا : لأنَّا نراه يخرأ عَلَى الشيء الأسود أبيضَ ، وعلى الأبيضِ أسود .

ويقال قد ونَمَ الذُّباب — فى معنى خرئ الإنسان — وعرَّ الطائر[٦] ، وصام النَّعام ، وذَرَق الحمام . قال الشاعر[٧] :

وَقدْ وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتَّى كأَنَّ وَنِيمَه نقطُ المِـدَادِ[٨]

وليس طولُ كَوْمِ البعير إذا ركب النَّاقةَ ،والخنزير إذا ركب الخنزيرة ، بأطولَ ساعةً من لَبْثِ ذكورةِ[٩] الذبّان عَلَى ظهور الإناثِ عندَ السِّفاد .

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ل : « وما يقلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأنحسه » .

(٤) كذا فى ط ، س . وبدله فى ل : « فمع نزوعه عنه نزا الدم » . نزا : وثب .

(٥) ل : « على ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .

(٦) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى ط « عرا » .

(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .

(٨) يروى : « لقد ونم » كما فى المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب ١٣٤ والاقتضاب .

(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(تخلق الذباب - ٢ -)

والذّباب من الخلْق الذى يكونُ مَرّةً من السِّفاد والوِلاد[١] ، ومرّةً من تعفُّن الأجسام والفَسادِ الحادث فى الأجرام .

والباقلاءُ[٢] إذا عتَقَ شيئا فى الأنبار[٣] استحال كلُّه ذُباباً[٤] ، فربّما أغفلوه فى تلك الأنْبار فيعودون إلى الأنبارِ وقد تطاير من الكُوَى والخروقِ فلا يجدون فى الأنبار إلاّ القشور .

والذّباب الذى يخلق من الباقلاء يكون دوداً ، ثمّ يعود ذباباً . وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقّبا فى داخله شىءٌ كأنّه مسحوق ، إذا كان الله قد خلق منه الذّبّان وصيّره[٥] . وما أكثر ما تجده فيه تامَّ الخلق . ولو[٦] تمّ جناحاه لقد كان طار .

---

(١) الولاد — بالكسر — أحد مصادر ولد يلد . ط ، س : « والولادة » .

(٢) الباقلى ، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفف ، والباقلاء مخففة ممدودة هى الفول . هذه هى الباقلاء النبطية ، وأما الباقلاء المصرية فهى الترمس . والأولى هى المرادة ؛ لارتباط العراقيين بالأنباط .

(٣) الأنبار : بيوت الطعام التى يختزن فيها ، واحدها نبر بالفتح ؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر : أى ارتفع . ومنه المنبر لارتفاعه . ط ، س : « الأقباء » فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة .

(٤) ل : « ذبانا » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « خلق فيه الذباب وطيره منه » .

(٦) ل : « ولم » تحريف .

(حديث شيخ عن تخلق الذّباب)

وحدّثني بعض أصحابِنا عن شيخٍ من أهل الُخريبة[١] قال : كنت أحبُّ الباقلاء ، وأردت ، إمَّا البَصرة وإما بغداد – ذهب عنِّى حفظه – فصرتُ فى سفينةٍ حِمْلها باقلاء ، فقلت فى نفسى : هذا والله من الحظِّ وسعادة الجدِّ ، ومن التَّوفيق والتسديد ، ولقد أربع من وَقَعَ له مثل هذا[٢] الذى [قد] وقع لى : أجلسُ فى هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فآكلُ
١١١ منه نِيًّا[٣] ومطبوخا ، ومقلوًّا ، وأرضُّ بعضَه وأطحنهُ[٤] ، وأجْعله مرقا[٥] وإداماً ، وهو يغْذو[٦] غذاءً صالحاً ، ويُسْمِنُ ، ويزيد فى الباه[٧] . فابتدأت فيما أمَّلته ، ودفعْنا السَّفينة ، فأنكَرْتُ كثرة الذّبّان . فلما كان الغدُ جاء منهُ ما لم أقدرْ معه على الأكلِ والشربِ . وذهبت القائلة وذهب الحَديث ، وشُغِلت بالذَّبِّ . على أنهنَّ لم يكنَّ يبرحْنَ بالذَّبّ ، وكنَّ[٨]

---

(١) الخريبة بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشىء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربع : أخصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) مسهل « نيئا » . والنِّىء ، بالكسر : الذى لم ينضج .

(٤) الرض : الدق . س : « أصحنه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ، وإن كان معروفا فى عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « مذقا » .

(٦) كذا فى س . وفى ل ، ط : « يغذى » .

(٧) يقال الباه والباءة : وفى الحديث : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . جاء فى س : « الباءة » ، وفى ل : « يزيدنى الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أكثَرَ من أنْ أكونَ أقوى عليهنَّ ؛ لأنِّى كنتُ لا أطردُ مائةً حتى يخلفهَا مائةٌ مكانها . وهُنَّ فى أولِ مايخرجْنَ من الباقلاء كأنَّ بهن ّ زَمَانَةً (١) فلما كانَ طيرانهنَّ أسوأ [كان أسوأ](٢) لحالى ، فقلت للملاح : ويلك ! أىُّ شىءٍ معك حتى صار الذبان يتبعك ! قدْ واللهِ أكلَتْ وشربَتْ ! قال : [أ] وَليس تعرف القصة ؟ قلت : لا والله ! قال : [هى والله] من هذه الباقلاء ، ولولا هذه البليّة لجاءنا(٣) من الرُّكاب كما يجيئون إلى جميع أصحاب الحمولات(٤) . وما ظننته (٥) إلاّ ممن قد اغتفر [هذا] للين الكِراء ، وحبِّ التفرُّد بالسفينة . فسألتهُ أنْ يقربنى إلى بعض الفُرَض(٦) ، حتى أكترىَ من هناك إلى حيث أريد، فقال لى : أتحبُّ أنْ أزوِّدَك منه ؟ قلت : ما أحبُّ أنْ ألتقىَ أنا والباقلاء فى طريقٍ أبدًا !

(من كره الباقلاء)

ولذلك كان أبو شمر (٧) لا يأكل الباقلاء ، وكان أخذ ذلك عن معلِّمه مَعَمَّر أبى الأشعث (٨) . وكذلك كان عبدَ الله بن مسلمة بن محارب والوكيعىُّ ، ومُعمَّر ، وأبو الحسن المدائنىُّ ، برهةً من دهرهم .

---

(١) الزمانة ، بالفتح : العاهة والآفة .
(٢) التكملة من ل ، س .
(٣) ط : « لجأنا » وصوابه فى ل ، س .
(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إلى أصحابنا » .
(٥) ط ، ل : « وما أظنك » .
(٦) الفرض : جمع فرضة بالضم ، وهى محط السفينة . ل : « القرى » .
(٧) أبو شمر هذا أحد أئمة القدرية المرجئة . وآراؤه فى الفرق بين الفرق ١٩٠ — ١٩٤ . قال فيه الجاحظ : « وكان شيخا وقورا وزميتا ركيناً ، وكان ذا تصرف فى العلم ، ومذكورا بالفهم والحلم . البيان (١ : ٩١) . وضبطه السمعانى ٣٣٨ بكسر الشين وسكون الميم ، ومرة أخرى بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة .
(٨) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائنى ، وحفص الفرد =

وكان يقول : لولا أنَّ الباقلاء عفِنٌ فاسدُ الطّبعِ ، ردىءٌ يخثّر الدَّمَ ويغلّظُه ويورث السَّوداءَ وكلَّ بلاء ــ لما ولّدَ الذِّبان . والذّبان أقذرُ ما طار ومَشى ! وكان يقول : كلُّ شيءٍ ينبت منكوساً فهو ردىءٌ للذِّهن ، كالباقلاء والباذنجان .

وكان يزعم أنّ رجلاً هرب من غرمائه فدَخل فى غابةِ باقلاء ، فتستَّر عنهم بها ، فأَراد بعضهُمْ إخرَاجه والدُّخولَ فيها لطلبهِ ، فقال : أحكَمهُمْ وأعلمهم : كفاكم له بموضعه شرًّا !

وكان يقول : سمعت ناساً من أَهل التجْربةِ يحلفون بالله : إنَّه[1] ما أقام أحدٌ أربَعين يوماً فى مِنبت باقلاءَ وخرج منه إلّا وقد أسقمهُ سُقْماً لا يزايلُ جِسمَهَ .

وزعم أنّ الذى منع أصحاب الأذْهان[2] والتّربيةِ بالسمسم منْ أن يربُّوا السّماسِم[3] بنَوْر الباقلاء ، الذى[4] يعرفونَ من فسادِ طبعهِ[5] ، وأنّه[6] غير

= ومعمر ، وأبو شمر ، وأبو بكر الأصم ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليبسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، ووروده ثلاث مرات فى الجزء الأول من البيان برسم أبي الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأذهان » . والذهن بكسر الذال المعجمة : الشحم .

(٣) السماسم ضبط فى نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه : « كذا هو بالضم فى النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هى « السمائم » واحدته سمامة ، وهو طائر من الخطاطيف ، ومن أسمائه عصفور الجنة . انظر معجم المعلوف ٢٤١ .

(٤) س : « الذين » ، تحريف .

(٥) ل : « طباعه » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فانه » .

مأمونٍ على الدِّماغ وعلى الخيشوم والسِّماخ[١] ، ويزعمون أنّ عمله [الذى عمله هو[٢]] القصد إلى الأذهان بالفساد[٣] .

وكان يزعم أنَّ كلَّ شيءٍ[٤] يكون رديئا[٥] للعصب فإنَّه يكون رديئاً للذِّهن ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديًّا للعصب ، [وأنّ البَلادرَ[٦] إنما صار يُصلح العقلَ ويورثُ الحفظ ؛ لأنَّه صالح للعَصَب] .

وكان يقول : سواءٌ علىّ أكلت الذِّبان أو أكلت شيئا لا يولِّد إلَّا الذِّبانَ ، وهو لايولِّده [إلَّا هُوَ] . والشيءُلايلد الشيءَ إلّا وهو أولى الأَشياءِ ١١٢
بهِ ، وأقربها إلى طبعهِ[٧] ، وكذلك جميع الأَرحام ، وفيما ينتج أرحام الأَرض[٨] وأرحام الحيوان ، وأرحام الأَشجار ، وأرحام الثِّمار ، فيما يتولَّد منها وفيها[٩] .

---

(١) السماخ بالكسر : خرق الأذن ، جاء فى ط : « الصماخ » ، وهما لغتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « الفصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إلى الذهن بالإفساد له » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أن كل شىء ردىء » .

(٥) ط ، س : « رديا » بالتسهيل .

(٦) البلادر ، ويقال البلاذر ، لفظه هندى . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفى داخلها مادة إسفنجية بها شيئ شبيهبالدم . ومن أسمائه : تمر الفؤاد ، وحب الفهم ، وثمرالفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون . وانظر قصة تتعلق به فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « فيما تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . . » الخ ساقط من ل .

(حديث أبى سيف الممرور)

وبينما أنا جَالسٌ يوماً فى المسجد مع فِتيانٍ من المسجديِّين(١) مما يلى أبواب بنى سليم ، وأنَا يومئذٍ حَدَث السّنّ(٢) إذْ أقْبَلَ أبو سَيف(٣) الممرور — وكان لايؤذى أحداً ، وكان كثير الظَّرْفِ من قومٍ سَراة — حتى وقف علينا ، ونحن نرى فى وجهه أثر الجِدِّ ، ثمّ قال مجتهداً : والله الذى لا إلٰه إلاَّ هو إن الخُرْءَ لحلو . ثمَّ والله الذى لا إلٰه إلاَّ هو [إنَّ الخرء لحلو . ثم والله الذى لا إلٰه إلا هو إنّ الخرء لحلو]، يميناً بَاتَّةً(٤) يسألنى اللهُ عنها يوم القيامة! فقلت له : أشهد أنَّك لا تأكلُه ولا تذوقُه ، فمن أين علمت ذلك ؟ فإن كنْتَ علمت أمراً فعلِّمنَا ممَّا علمَكَ الله . قال : رأيت الذِّبَّان يَسقط على النَّبِيذ(٥) الحلو ، ولا يسقط على الحازِر(٦) ، ويقع على العسل ولا يقع(٧) على الخلّ ، وأراه عَلَى الخُرء أكثرَ منه على التَّمْر . أفتريدون حُجَّةً أبين من

---

(١) المسجديون : طائفة كانت تلزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة . انظر حواشى البيان ١ : ٢٤٣ .

(٢) ل : « وأنا يومئذ حدث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباز الممرورين .

(٤) باتة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النيذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفى س : « تسقط » فى هذه الجملة ولاحقتها .

(٦) الحازر : الحامض الشديد الطعم . ط ، س : « الحاز » محرف .

(٧) س : « تقع » ، فى الموضعين .

هذه[1] ؟ فقلت : يا أبا سَيْفٍ[2] بهـذا وشبهه يُعرفُ فضْـلُ الشَّيخِ عَلَى الشابِّ .

(تخلق بعض الحيوان من غَيرِ ذكر وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى[3] ذِكر خلق الذِّبان من الباقلاء . وقد أنكر ناسٌ من العوامِّ وأشْباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كانَ من غير[4] ذكرٍ وأنثى . وهذا جهلٌ بشأن العالَم ، وبأقسام الحيوان . وهم يظنُّون أنَّ على الدِّين من الإقرار بهـذا القول مضرَّةً . وليس الأمر[5] كما قالوا . وكلُّ قولٍ يكذِّبُه العِيانِ فهو أفحش[6] خطأ ، وأسخَفُ مذهباً ، وأدلُّ على معاندةٍ شديدة أو غفْلة مفْرطة .

وإنْ ذهب الذَّاهبُ إلى أن يقيس ذلك[7] على مجازِ ظاهر الرَّأى ،

---

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا فى س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفى ل : « أبا يوسف » .

(٣) ط : س : « فى » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفحش » هى فى ط ، س : « فحش » تحريف .

(٧) س : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ، والأخيرة محرفة .

دونَ القطْعِ على غيب حقائق العِلل ، فأجْرَاه فى كلِّ شىء – قال قَوْلاً[1] يدفعه العِيانُ أيضاً ، مع إنكار الدِّين له .

وقد علمنا أنَّ الإنسانَ يأكُلُ الطّعامَ ويشرَبُ الشَّرابَ ، وليس فيهما حيَّةٌ ولا دودةٌ ، فيُخْلق منها[2] فى جوفِه ألوانٌ من الحَيَّاتِ ، وأشكالٌ من الدِّيدان من غير ذَكرٍ ولا أنثى . ولكنْ لابدَّ لذلك الوِلادِ واللِّقاحِ من أنْ يكون عن تناكح طِباع[3] ، وملاقاة أشياءَ تشبه بطباعها الأرحامَ ، وأشياءَ تشبه فى طبائعها ملقِّحات[4] الأرحام .

(استطراد لغوى بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فاسْتَنْكَحَ اللَّيْلَ البهيمَ فَأَلْقِحَت[5] ... عن هَيْجِهِ واستُنْتِجَتْ أحلاما[6]

وقال الآخر :

وإذا الأمُــور تناكَحَتْ ... فالجــود أكــرمُها نِتاجا

---

(١) « قال قولا » هو جواب الشرط . وفى ط ، س : « وقال قولا » ، والوجه حذف الواو .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « منها » .

(٣) ل : « طبائع » .

(٤) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « فى طباعها » .

(٥) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، س : « وألقحت » .

(٦) ل : « واستفتحت »، والوجه ما أثبت من ط ، س . والمراد بالأحلام الرؤى .

وقال ذو الرُّمَّة :

وإنّى لِمدلاجٌ إذا ما تناكَحَتْ مَعَ اللَّيلِ أحلامُ الهِدَانِ المثقَّلِ (١) ١١٣

وقال علىٌّ بن مُعاذ (٢) :

لَلْبَدْرُ طِفلٌ فى حِضَان (٣) الهــوا مُسْتَزْلِقٌ من رَحِمِ الشَّمْسِ (٤)

وقال دُكينٌ الرَّاجز (٥) ، [أو أبو محمد الفقعسىّ] :

وقــد تعللتُ ذميــل العنْسِ (٦) بالسَّوطِ فى ديمومةٍ كالتُّرسِ (٧)

* إذْ عَرَّجَ اللَّيلَ بروجُ الشَّمس (٨) *

وقال أمية بن أبى الصَّلت :

والأرضُ نوَّخها الإلٰهُ طَرُوقةً للمـاء حتَّى كلُّ زَنْدٍ مُسْفَدُ (٩)

---

(١) الهدان ، بالكسر : الأحمق الثقيل .

(٢) على بن معاذ : أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ فى البيان والتبيين .

(٣) الحضان : مصدر حضن الطائر بيضه . ط ، ل : « حصان » بالمهملة ، صوابه فى س . والهوا أصله الهواء وقصر للشعر . وكتب فى الأصل بالياء ، « الهوى » وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقت ولدها تاما . ط : « متزلق » س : « مسترق » .

(٥) تقدمت ترجمته فى ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تغللت » ! وانظر تحقيق هذا البيت فى ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كالندس » وصوابه فى ل ، س . والترس هو ذاك الذى يتوق به المحارب . وجعل الفلاة كالترس فى صلابتها .

(٨) انظر ما سبق فى ص ٧٤ .

(٩) نوخها : أى أبركها . والطروقة ، بالفتح : أنثى الفحل . والزند : هو قرين الزندة ، ومنهما تقتدح النار . فالأول لا فجوة فيه ، وفى الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسفد بفتح الفاء : الذى طلب السفاد فناله . وضبطت فى اللسان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاقح ليس خاصا =

والأرضُ مَعقِلنَا وكانتْ أمَّنا فيها مقابِرُنَا وفيهـا نولد[1]

وذكر أميَّة الأرْضَ فقال :

والطُّوط نَزْرعُـه فيهـا فنَلبَسهُ والصُّوف نجتزُّه ما أردف الوَبَرُ[2]

هى القرارُ فما نبْغِى بهَا بدلا ما أرحَمَ الأرضَ إلاَّ أنَّنا كُفُرُ[3]

وطَعنَةَ اللهِ فى الأعـداءِ نافذةٌ تُعيِي الأطِبَّاءَ لا تَثْوَى لها السُّبُرُ[4]

ثمَّ رجع إليها فقال :

مِنها خُلِقْنَا وكانَتْ أُمَّنا خُلِقَتْ ونحنُ أبناؤها لو أنَّنَا شُكُرُ[5]

= بالأحياء ، بل نراه أيضاً بين الأرض والماء حيث يتغلغل فيها ، ونجده أيضاً بين الزند والزندة اليابسين . وهو معنى شعرى بارع . ط ، س: « زبد » تصحيف . س : « مفسد »، تحريف . وهذا البيت فى ل هو الثانى فى الترتيب .

(١) كذا فى ل والجزء الخامس ص ٤٣٧ والمخصص (١٣ : ١٨٠) . وفى ط ، س : « نوءد » .

(٢) الطوط ، بالضم : القطن ، أو قطن البردى خاصة . وأردف الوبر : توالى وتتابع ط ، س : « أدفأ ». ورواية البيت فى اللسان هكذا :

والطوط نزرعه أغن جراؤه فيه اللباس لكل حول يعضد

(٣) الكفر ، بضمتين : جمع كفور بمعنى كافر ، وهو يقال للمذكر والمؤنث . ط : « لها بدلا » .

(٤) السبر : جمع سبار بالكسر ، وهو ما يقدر به غور الجراحات ، وهو أيضا الفتيلة تجعل فى الجرح . والمعنى يتجه بكل منهما . وتثوى : تقيم وتستقر . ط ، س : « يلوى » يقال لوى يلوى : انتظر وتحبس . وكل منهما متجه ؛ فإن المعنى أن تلك الطعنة لشدة ما يتدفق منها من دم تدفع بما يوضع فيها دفعا . ومثله قول الآخر :

* ترد على السابرى السبارا *

وقوله :

* ترد السبار على السابر *

(٥) الشكر ، بضمتين : جمع شكور بالفتح .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ[١] بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أنَّ جالينوسَ قال : عليكم بالبَقْلةِ الرحيمة — السِّلق[٢] — استشنعه السامع ، وإذا سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحم بنا ، وقولَ أميّة :

* ما أَرْحَمَ الأرضَ إلا أنَّنا كُفُرُ *

لم يستشنعه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إنَّ عيسى ابن مريم أخَذَ فى يده اليمنى غرْفَةً[٣] ، وفى اليسرى كِسرَةَ خبز[٤] ، ثم قال : هذا أبى، للماءِ ، وهذه أمِّى ، لكسرة الخبز[٥] . استشنعه، فإذا سمعَ قولَ أميّة[٦] :

والأرضُ نَوَّخَها الإلٰه طَرُوقَةً   للماءِ حتَّى كل زَنْد مُسفَدُ

لم يستشنعه . والأصل فى ذلك أنّ الزّنَادِقَةَ أصحابُ ألفاظٍ فى كتبهمْ ، وأصحابُ تهويل ؛ لأنَّهم حينَ عدِمُوا المعانىَ ولم يكن عندهم فيها طائل ، مالُوا إلى تكلُّف ماهو أخْصَرُ وأيسرُ وأوجَزُ كثيرًا .

---

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٠٢ .

(٢) ط ، س : « السلقة » .

(٣) الغرفة ، بالضم : مقدار ما يغترف المرء بيده . ل : « أخذ فى يده كسرة خبز » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « هذا أبي وهذه أمى لكسرة الخبز والماء » .

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، فى ص ٣٦٣ .

(حُظْوة طوائفَ من الألفاظ لَدَى طوائف من النّاس)

ولكلِّ قَوْمٍ ألفاظٌ حظِيتْ عِنْدَهم . وكذلك كلُّ بليغٍ فى الأرض
١١٤ وصاحِب كلامٍ منثور ، وكلُّ شاعِرٍ [فى الأرض[1]] وصاحِبِ كلامٍ موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألف ألفاظاً بأعيانها ؛ ليديرَها فى كلامه وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعانى ، كثيرَ اللّفظ . فصار حظُّ الزَّنادِقَةِ من الألفاظ التى سبقتْ إلى قلوبهم ، واتَّصلت بطبائعهم ، وجَرتْ على ألسنتهم التناكحَ ، والنتائِج[2] ، والمِزاج ، والنُّور والظلْمة ، والدفّاع والمنّاع[3] ، والساتِر والغَامر ، والمنحلّ[4] ، والبُطلان ، والوِجْدان ، والأَثير والصِّدِّيق[5] وعمود السبح[6] ، وأشكالاً من هـذا الكلام . فَصَارَ[7] وإن كان غريبًا

(١) الزيادة من ل، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ — ٩٩ .

(٢) ل : « والنتاتج » .

(٣) ط ، س : « والبقاع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص الإيمان ، وفى اعتقاد المانوية أن الصديق حين يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصابة وتاج وإكليل النور، فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده ، ويعرجون به فى عمود السبح إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام فى الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ ليبسك . ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابهما ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من ل . وسبق فى الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصنديد » وهذه أيضا من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرس ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ ليبسك .

(٦) السبح : يراد به العروج والصعود إلى السماء . وفى ذلك العمود الوهمى ترتفع التسابيح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله مانى . انظر الفهرست ٤٦١ مصر ٣٣٠ ليبسك . فى الأصل: « الصبح » وسبقت فى الجزء الأول ص ٥٧ برسم « السنخ »، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س: « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً[١] مهجوراً عنْد أهلِ ملَّتنا ودعوَتِنا ، وكذلك هو عِنْدَ عوامِّنا وجمهُورنا ، ولا يستعملهُ إلاّ الخَواصُّ[٢] وإلَّا المتكلِّمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقولُ فى هذا قَوْلا ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقلْ « أرجو » لأنى أعلمُ فيه خللاً[٣] ، ولكنِّى أخذتُ بآدابِ وجوهِ أهلِ دعوتى وملَّتى ، ولغتى ، وجزيرتى ، وجيرتى ؛ وهم العرب . وذلك أنّه قيل لصُحَارٍ[٤] العبدىّ : الرجل يقول لصاحِبه ، عنْدَ تذكيره أياديَه وإحْسانه[٥] : أما نحنُ فإنّا نرجو أن نكونَ قدْ بلغْنا من أداءِ مايجبُ علينا مبلغاً مُرضِيا . وهُوَ يعلم أنّه قَدْ وفّاه حَقّه الواجبَ ، وتفضّل [عليه] بما لايجب . قال صُحار : كانوا يستحبُّون أن يَدَعُوا للقول متنفَّسا ، وأن يتركوا فيه فضلا ، وأن يتجافَوا عن حَقٍّ إن[٦] أرادوه لم يُمنَعوا منه .

فلذلك قلت « أرجو » . فافهَمْ فَهَّمَكَ الله تعالى .

---

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه فى ل ، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو » ساقط من ل .

(٣) ل : « لأنى لا أعلم » .

(٤) صحار العبدى تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه عند تذكيره أياديه وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « متى » .

فإنَّ رأيي في هذا الضّربِ من هذا اللفظ ، أنْ أكونَ ما دمتُ في المعاني التي هي عبارتها ، والعادَة[١] فيها ، أن ألفِظ بالشّيء العتيد[٢] الموجود ، وأدَعَ التكلّفَ[٣] لِما عسى ألّا يسلس ولا يسهلَ إلّا بعد الرِّياضة الطويلة .

وأرى أنْ ألفِظ بألفاظِ المتكلمين ما دُمتُ خائضاً في صناعة الكلام مع خواصٍّ[٤] أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهمُ [لهمْ] عني[٥] ، وأخفُّ لمؤنتهمْ[٦] عليّ .

ولكل صناعةٍ ألفاظٌ قد حَصلت لأهلها بَعدَ امتحان سواها ، فلم تَلزَق بصِناعتهم إلّا بَعدَ أن كانتْ مُشاكَلاً بينها وبين تلك الصناعة .

وقبيحٌ بالمتكلم أنْ يفتقر إلى ألفاظِ المتكلِّمينَ في خُطبةٍ ، أو رسالة ، أو في مخاطبةِ العوام والتجار[٩] ، أو في مخاطبةِ أهله وعبْدِهِ وأمته ، أو في حديثه إذا تحدثَ[١٠] ، أو خبره إذا أخبر .

---

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خاص » .

(٥) كذا على الصواب في س ، ل . وفي ط : « عندى » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاوبة أهله » .

وكذلك [فإنّه][1] من الخطأ أن يجلِبَ[2] ألفاظ الأعرابِ ، وألفاظ العوامّ وهو فى صناعة الكلامِ داخل . ولكلِّ مقامٍ مقال ، ولكلِّ صناعة شكل .

(خلق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث اللهُ عزَّ وجلّ من خلْقه من غير ذكرٍ ولا أنثى . فقلنا : إنّه لابدَّ فى ذلك من تلاقى أمرينِ يقومانِ مقامَ الذّكر والأنثى ، ومقامَ الأرضِ والمطر . وقد تقرب الطّبائعُ من الطبائع ، وإن لم ١١٥
تتحوَّلْ فى جميع معانيها ، كالنطفة[3] والدَّم ، وكاللّبنِ والدَّم .

وقد قال صاحبُ المنطقِ : أقول بقولٍ عامٍّ : لابدَّ لجميع الحيوان من دم ، أو من شيء[4] يشاكل الدَّم .

ونحن قد نجد الجيفَ يخلق[5] منها الدِّيدان ، وكذلك العذرة . ولذلك المجوسىُّ كلما تبرَّز ذرَّ على بُرازه شيئاً من التراب ؛ لئلا يخلق منها

---

(١) الزيادة من ل ، س .
(٢) ط ، س : « يجلب » .
(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنقطة » ، وصوابه فى ل .
(٤) ط ، س : « شكل » .
(٥) ل : « تخلق » .

دِيدان[١] . والمجوسىُّ[٢] لايتغوَّط فى الآبار والبلاليع لأنّه بزعمه يُكرم بطنَ الأرض عن ذلك ، ويزعم أنّ الأرضَ أحَدَ الأركان التى بُنِيَتِ العوالمُ الخمسةُ عليها[٣] بزعمهم : أبرسارس[٤] وأبرمارس[٥] وأبردس[٦] وكارس[٧] وحريرة أمنة[٨] . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس[٩] ، ولذلك لايدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ، ويضعونهم فى النّواويس وضْعا . قالوا : ولو استطعنا أنْ نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف الأحراز ، كما أخرجْناها من بطون الأرَضين[١٠] لفعلنا . وهم يسمُّون يوم القيامة روز رستهار[١١] ، كأنّه يوم تقوم الجيف .

فمن بُغضهم لأبْدَان الموتى سمَّوها بأسمج أسمائهم[١٢] . قالوا : وعلى هذا المثال أعظمْنا النّار والماء[١٣] ، وليسا بأحقَّ بالتعظيم من الأرض .

---

(١) « ولذلك المجوسى » . . الخ ، ساقط من س . وفى ط : « وكذلك » .
(٢) ل : « ولذلك المجوسى » .
(٣) كذا فى س . وفى ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت العوالم الخمسة » .
(٤) ط : « البرسارس » وفى رسائل الجاحظ ١٠٨ ساسى : « ابرشارش » .
(٥) ط : « البرمارس » وفى رسائل الجاحظ : « ابربارش » .
(٦) ابردس هى فى الرسائل : « ايددش » :
(٧) س : « كاومرة » .
(٨) كذا .
(٩) الكلام من مبدإ « ابرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .
(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » فى الموضعين . والأحراز : جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط . « الأحرار » س : « الأحرا » ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .
(١١) س : « روز سرهار » ، ط : « روز سهرهار » .
(١٢) ل : « أسمائها » .
(١٣) ل : « عظمنا الماء فالنار » .

وبعد فنحن ننزِع الصِّمامة من رءوس الآنية التى يكونُ فيها بعضُ الشراب ، فنَجد هنالك من الفراش مالم يكن عن[١] ذكر ولا أنثى ، وإنما ذلك لاستحالة بعضِ أجزاءِ الهواء وذلك الشرابِ إذا انضمَّ عليه ذلك الوعاء[٢]. وهذا قولُ ذى الرمَّة وتأويلُ شعره ، حيث يقول :

وأبصَرْنَ أن القِنْعَ صارتْ نِطافُهُ   فَرَاشاً وأنَّ البَقلَ ذاوٍ ويابِسُ[٣]

وكذلك كلُّ ما تخلَّق من جُمَّارِ النَّخلة وفيها[٤] ، من ضروب الخلَق والطَّير ، وأشباه [الطير] ، وأشباه[٥] بناتِ وَردان ، وَالذى يسمَّى بالفارسية فاذو[٦] ، وكالسُّوس ، والقوادح[٧] ، والأَرَضة ، [وَبَنات وَرْدانَ اللاتى يخلقْن من الأَجذاع والخشب والحشوش[٨] . وقد نجد الأَزَج[٩] الذى يكبس فيه اليخُّ[١٠] بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادِعَ . وما الضِّفدع بأدَلّ عَلَى الله من الفَراش .

---

(١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة فى ل ، س .

(٣) سبق شرح البيت فى ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت محرف فى ط هكذا : * وأبصرت أن النقع صارت لطافة *

(٤) ل : « وكذلك ما يخلق » . . الخ .

(٥) ط ، س : « وأشباه ذلك » .

(٦) ط ، س : « وأن الذى » ، والوجه حذف « أن » كما فى ل . و « فاذو » هى فى ط ، س : « تارداد » .

(٧) القوادح : جمع قادحة ، وهى الدودة . ل: « القوارح » محرفة .

(٨) الحشوش : جمع حش بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٩) الأزج . بالتحريك : بيت يبنى طولا .

(١٠) اليخ : الثلج بالفارسية .

وإنما يستحيل ذلك الثَّلجُ إذا انفتح فيه كقدْر منخر الثّور ، حتَّى تدْخُلَه الرِّيح التى هى اللاقحة ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ ، فجعلها لاقحةً ولم يجعلها ملقحة .

ونجد وسْط الدَّهناء – وهى أوسع من الدوِّ ومن الصَّمّان[١] – وعلى ظهر مسجد الجامع[٢] فى غبِّ المطر من الضَّفادِع مالا يُحصى عددُه . وليس أنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ اللهَ خَلقها تلك الساعةَ من طِباع تلك التُّربَةِ وذلك المطر وذلك الهواءِ المحيطِ بهما ، وتلك الرِّيح المتحرِّكةِ . وإنْ زعموا أن تلك الضَّفادعَ كانت فى السَّحاب ، فالذى أقرُّوا به أعجبُ من الذى أنكروه . وإنما تقيم الضَّفادعُ وتتربّى وتتوالَدُ فى مناقع المياه ، وفى أرض تلاقى ماءً . والسَّحابُ لا يوصف بهذه الصفة . قد نجد الماء يزيد فى دِجْلةَ والفُرات فتنزُّ البطون والحفائر التى تليها من الأَرض ، فيُخْلق من ذلك الماءِ السَّمكُ الكثير ، ولم يكن فى تلك الحفائر الحدث[٣] ، ولا فى بحر تلك الأرضين شىءٌ من بيض السَّمك .

ولم نجد أهلَ القاطول[٤] يشكُّون فى أنَّ الفأر تخلَّق من أرضهم ، وأنّهُمْ ربّما أبصروا الفأرَة من قبل أن يتم خلْقُها . فنسبوا بأجمعهم خلق الفأرِ إلى الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّرَبِ والأجواء والزمان ، كما قالوا فى السمك ، والضَّفادعِ ، والعقارب .

---

(١) الدهناء : اسم لواد فى بادية البصرة . والدو : أرض ملساء بين البصرة ومكة . والصمان : بفتح الصاد ، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء

(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما فى القاموس . والمراد به مسجد البصرة .

(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهى الأمطار الحادثة فى أول السنة .

(٤) قال ياقوت : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر .

(ضعف اطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قائسٌ فقال][1] : ليسَ بين [الذِّبَّان و] بنات وردان و [بين] الزَّنَابير فرق، ولا بين الزَّنَابير والدَّبْر والخنافس[2] فرق ، [ولا بين الزّرازير والخفافيش] ولاَ بين العصافير والزّرازير فرق : فإذا فرغوا من خشاش الأرض صاروا إلى بغاثها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطواويس والتّدارجِ[3] والزمامج[4] حتى يصعدوا إلى الناسِ . قيل لهم : ليس ذلك كذلك ، [و] ينبغى لكم بَدِيًّا أن تعرفوا الطّبيعة والعادة ، والطبيعة الغريبة[5] من الطبيعة العامّية[6] ، والممكنَ من المُمْتَنِعِ ، وَأَنّ المُمْكِنَ على ضربَين : فمنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا[7] أنّ الممتنع أيضا عَلَى ضربَين : فمنه ما يكُون لعلةٍ موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعِلة لا يجوز دفعها[8] ، [وفصلَ ما بين العلة التى لا يجوز دفعُها] وهى عَلَى كل حالٍ علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلَّا عينُ الشىء وجنسهُ[9] .

---

(١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .

(٢) ل : « وعين الزنابير والخفافيش »، والكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر مليح مغرد . ط ، س : « التداريج » .

(٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسيته « دوبرادران » كما فى القاموس .

(٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « الغريزة » تحريف .

(٦) المراد بالعامية العامة ، التى لاغرابة فيها ولا شذوذ .

(٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجهه ما أثبت .

(٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « للعلة التى » .

(٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشىء وجنسه » .

١١٦ وينْبَغِى أنْ تعرفوا فَرْقَ ما بين المحال [و] الممتنع ، وما يستحيل كونه من الله عزَّ وجلَّ ؛ وما يستحيل كونه من الخلق .

وإذا عرفتم الجواهرَ وحظوظها من القوى ، فعند ذلك فتعاطَوا الإنكارَ والإقرار ، وإلاّ فكونوا فى سبيل المتعلم ، أو فى سبيل [من[١]] آثرَ الرَّاحة ساعةً عَلَى ما يورِث كدُّ التعلُّم من راحة الأبد . قد يكون أن يجىءَ عَلَى جهة التوليد شىءٌ[٢] يبعُد فى الوهم [مَجيئُه ، ويمتنع شىءٌ هو أقربُ فى الوهم[٣]] من غيره ؛ لأنّ حقائق الأمور ومغيَّبات الأشياء ، لا تُردُّ إلى ظاهر الرَّأىِ ، وإنما يردُّ إلى الرَّأى ما دخل فى باب الحَزْم والإضاعَة[٤] وما هو أصوَبُ وأقربُ إلى نَيل الحاجة . وليس عنـدَ الرَّأى علْمٌ بالنُّجْح والإكداء[٥] ؛ كنحو مجىء[٦] الزُّجَاج من الرَّمل ، وامتناع الشّبَهِ والزئبق من أن يتحوَّل فى طبع الذّهب والفضّة[٧] . والزئبق أشبـهُ بالفضّة المايعة من الرَّمل بالزجاج الفرعونىّ[٨] . والشَّبه الدمشقى بالذهب الإبريز أشبه من الرَّمل بفِلَق[٩] الزجَاج النقىِّ الخالص الصافى .

---

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قد يكون أو يجىء على جهة التوليد وشىء » ، تحريف .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الجزم والإضافة » محرف .

(٥) النجح بالضم : النجاح . ط ، س : « بالنصح » محرفة . والإكداء : الخيبة .

(٦) ط : س : « مخارج » ، وصوابه فى ل .

(٧) الشبه نوعان : أحدهما طبيعى يكون بجبال أصبهان . والآخر صناعى يؤخذ جزء من النحاس وعشرة من التوتيا يطعمها بالسبك بعد التنقية . عن تذكرة داود .

(٨) الزجاج الفرعونى : ضرب من الزجاج الصناعى ، تجد صفته فى تذكرة داود . وانظر الاستدراكات .

(٩) فلق : جمع فلقة ، وهى القطعة .

ومن العجب أنّ الزُّجاجَ — وهو مولَّد — قد يجرى مع الذهب فى كثيرِ مفاخِرِ الذّهب ؛ إذْ كان لا يغيِّر طبعَهُ ماءٌ ولا أرض ؛ والفضّة التى ليسَتْ بمولدة[1] إذا دفنت زماناً غير طويلٍ استحالتْ أرضاً . فأمّا الحديد فإنّه فى ذلك سريعٌ غير بطىء .

وقد زعمَ نَاسٌ أنّ الفرقَ الذى بينهما إنما هو أنّ كلَّ شىءٍ له فى العالم أصلٌ وخميرةٌ ، لم يكن كالشىء الذى يكتسب[2] ويجتَلب ويلفَّق ويلزّق ، وأن الذّهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان قائماً منذ كان الهواء والماء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شىءٍ من أن يولِّد النّاسُ مثلَه[4] . وإن كان الذّهب إنما حدث فى عمق الأرض[5] ، بأن يصادف من الأَرض جَوْهَرًا[6] ، ومن الهواءِ الذى فى خلالها جوهرا . ومن الماءِ الملابِس لها جوهرا ، وَمن النار المحصورة فِيها جوهرا ، مَع مقدار من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقَابلات البروج . فإن كان الذّهب إنما هُوَ نتيجة [هذه] الجواهِرِ عَلَى هذه الأَسباب[7] ، فَواجب ألاّ يكون الذهب أبداً إلاّ كذلك .

---

(١) ط ، س : « ليست بمواده » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلتها كما ترى .

(٢) ط : « يكتب »، وصوابه فى ل ، س .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « قديما » .

(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .

(٥) س : « فى عين الأرض » .

(٦) ط : « جواهر أو » فى المواضع الأربعة . وصوابه فى ل ، س .

(٧) ل : « الأصناف » ! .

فيقال لهؤلاء : أرأيتم الفأرة التى خُلِقَتْ من صُلْب جُرَذٍ ورحم فأرة ، وزعمتم أنَّها فأرة على[(١)] مقابلة من الأمور السَّماويّة والهوائيَّة والأرضيَّة ، وكانت نتيجة هذه الخصال ، مع استيفَاء هذِه الصِّفات[(٢)] ؟ ألَسْنا قَدْ[(٣)] وجدنا فأرة أخرى تهيَّأ لها من أرحام الأرَضِين ، ومن حَضـانة الهواء ، ومن تلقيح الماء ، ومن مُقابلات[(٤)] السماويَّات والهوائيَّات ، فالزَّمان أصَارَ[(٥)] جميع ذلك سبباً لفأرة [أخرى] مثلها . وكذلك كلُّ ما عددناه[(٦)]

١١٧ فمن أين يستحيل أن يخلط الإنسانُ[(٧)] بينَ مائيَّة طبيعية ومائيَّةِ جوهَر[(٨)] ؟ إمَّا من طريق التبعيد والتقريب ، ومن طريق الظُّنـون والتجريب ، [أ] وْ من طريق أنْ يقع ذلك اتّفاقا ، كما صنع النَّاطف الساقط من يد الأجير فى مُذَاب الصُّفر[(٩)] حتى أعطاه ذلك اللّون ، وجلَب ذلك النَّفع[(١٠)] ، ثم إنَّ

---

(١) س : « عن » .

(٢) ط : « مع استبقاء مده صفات » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « التساقد » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المقابلات » .

(٥) أصار : جعل . ل : « من الزمان ما صار » .

(٦) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « كلما عددنا » .

(٧) ط ، س : « يحلها إنسان » ، وصوابه فى ل .

(٨) ط ، س : « مأية » ، وصوابه فى ل .

(٩) الناطف : ضرب من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق ، ويسمى أيضا القبيطى والقباطى والقبيط — بضم القاف وتشديد الباء فيهن — والقبيطاء كحميراء . انظر القاموس واللسان مع الألفاظ الفارسية ١٢٣ وحاشية الصبان على شرح الأشمونى للألفية (٤ : ٨٨) وحواشى تهذيب الصحاح (نطف) . والصفر ، بالضم : النحاس .

(١٠) ل : « البقع » .

الرِّجالَ دبرْته وزادَتْ ونقَصَتْ ، حتى صارَ شَبَهَا ذهبيًّا . هذا مع النّوشاذر المولّد من الحجارة السُّود[١] .

فلو قلتم: إنَّ ذلك قائمُ الجوازِ فى العقل[٢] مطّرد فى الرَّأى ، غير مستحيل فى النَّظَر[٣] . ولكنَّا وجدْنا العالَمَ بما فيه من النَّاس منذ كانا فإنَّ النَّاس يلتمسون [هذا] وينتصبون له[٤] ، ويَتكلَّفون به . فلو كان هذا الأمرُ يجىء من وجه الجمع والتوليد[٥] والتركيب [والتجريب ، أ[٦]]وْ من وجه الاتفاق ، لقد كان ينبغى أنْ يكونَ ذلك قد ظهر من ألوفِ سنينَ وألوف ؛ إذْ كان هذا المقدارُ أقلَّ ماتؤرِّخ به الأمم ، ولكان[٧] هذا مقبولاً غيرَ مردود . وعلى أنَّه لم يتبيَّنْ لنا منه أنَّه يستحيل أنْ يكون الذَّهبُ إلاّ من حيث وجد[٨] . وليس قُربُ كونِ الشىءِ فى الوهْم بموجب لكونِه ، ولا بعدُه فى الوهْم بموجبٍ لامتناعه .

ولو أنَّ قائلاً قال : إنَّ هذا الأَمرَ[٩] [إذ] قد يحتاج إلى أنْ تتهيّأ له طباع الأَرض، وطباع الماء ، [وطباع الهواءِ]، وطباع النار، ومقادير حركات

---

(١) النوشاذر ، كذا جاء بالذال المعجمة . وانظر ما سيأتى فى ٥ : ٣٤٩ ط ، س : « والحجارة السود » .

(٢) ل : « القائم الجواز » . ط ، س : « قائم الجوهر فى العقل » ، وجمعت بينهما .

(٣) ل : « العقل » .

(٤) ل : « وينصبون له » .

(٥) ط ، س : « والتفريق »، والأشبه ما أثبت من ل .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) ط ، س : « وكان » .

(٨) ل : « وجه »، محرفة .

(٩) ل : « الأصل » .

الفلك ، ومقدارٌ من طول الزمان . فمتى لم تجتمعْ هذه الخصالُ وتكمُلْ هذه الأُمور لم يتمَّ خلق الذَّهب . وكذلك قد يستقيم أنْ يكون قد تهيَّأ لواحدٍ أن يجمع بين [مائتى] شكلٍ [من] الجواهِرِ ، فمزجها على مقاديرَ ، وطبخَها على مقادير ، وأغبَّها مقدارًا(١) من الزمان ، وقابلت مقدارًا من حركات الأجرام السماويَّة ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة(٢) ، وكان بعضُ ماجرى على يده اتفاقا وبعضه قصدًا ، فلما اجتمعت جاء منها ذهبٌ فوقَعَ ذلك فى خمسة آلاف سنة مرّة ، ثمَّ أراد صاحبُه المعاوَدَة فلم يقدِرْ على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهِرِ ، ولم يضبط مقاديرَ ماكان قصَدَ إليه فى تلك المرَّة(٣) ، وأخطأ ما كان وقَعَ له اتِّفاقا(٤) ، ولم يقابل من الفلك مثلَ تلك الحركات ، ولا من العالَم مثل تلك الهيئة ، فلم يُعَدْ له ذلك .

فإن قال لنا هذا القَول [قائل] وقال : بَيِّنُوا(٥) لى موضعَ إحالته ، ولا تحتجُّوا بتباعد [اجتماع] الأُمور فيه ، فإنَّا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا فى ذلك قولٌ مقنع ، والدَّليل الذى تَثْلج به الصُّدور ؟! وهل عندنا فى استطاعة النَّاس أن يولِّدوا مثل ذلك(٦) ، إلاَّ بأن يُعرَض هذا القول على العقول

(١) أغبها : جعلها تغب ، أى تمكث . ط ، س : « وأعانها مقدار » .

(٢) س : « هيئته » .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المدة » .

(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقا » .

(٥) ط ، س : « أثبتوا » .

(٦) ل : « أن يولدوا ناسا » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التّامّة ونردّه إلى الرسُل[١] والكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأُمورَ كلها نَافِيَةً له[٢] كانَ ذلك عندنا هُوَ المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللِّسانُ من الشكّ فيه والتّجويز له ، ولكن ليردّه إلى العقل[٣] ؛ ١١٨
فإنّه سيَجده منكرا ونافيا [له] ، إذا[٤] كان العقل سليماً من آفة المرض ، ومن آفة التخبيل .

(ضروب التخبيل)

والتخبيل ضروب[٥] : تخبيلٌ من المِرَار[٦] ، وتخبيل من الشّيطان ، وتخبيل آخر كالرجل يعمِدُ إلى قَلبٍ رَطْبٍ لم يتوقّح ، وذهن لم يستمِرَّ[٧] ، فَيَحْمِله على الدقيق وهُو بَعْدُ لايفى بالجليل ، ويتخطّى المقدِّمات متسكِّعا[٨] بلا أمَارة ، فرجَع حَسيراً[٩] بلا يقين ، وغَبَرَ زَمَاناً لايعرف إلّا [الشكوك و]

---

(١) كذا فى ل . وفى ط ، س : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب فى ل ، وفى ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) فى الأصل : « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هى « ضروب » .

(٦) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل معه التفكير .

(٧) يتوقح : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكعا : متحيرا . ط ، س : « متكشفا » محرفة عن « متكسعا » . يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتعب المعيى . ط : « حيران » .

الخواطرَ الفاسدة ، التي متى لاقت القلبَ على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها[١] الحيرة . والقلبُ الذى يفسُد فى يومٍ لا[٢] يداوَى فى سنة ، والبناءُ الذى يُنقَضُ فى ساعةٍ لايبنى[٢] مثله فى شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنع جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قيل لِعَلُّويه كلبِ المطبخ : أىُّ شىءٍ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنع جانِبَه » ؟ قال : يريدُون أن[٣] الذّبّان لايدنو منه . وكان الرّقاشى حاضراً ، فأنشدَ قول ابن عبدل[٤] :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتُ فى قَعْرِ دَنِّى ... إنَّ ذا مِنْ رَزِيَّتِى لَعَظِيمْ
لَيتنى قد غَمَرْتُ دَنِى حتَّى ... أُبْصِرَ العَنْكبُوتَ فيهِ يَعُومْ[٥]
غَرقاً لا يُغِيثُــهُ الدَّهْر إلَّا ... زَبَدٌ فوقَ رأسِــه مركومْ[٦]

---

(١) س : « نمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما فى ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحكم بن عبدل الأسدى تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٥٤) . وانظر أبياتاً من هذه القصيدة فى ٥ : ٢٩٧ . وهى مقيدة الروى ، أى ساكنته .

(٥) غمرته : ملأته حتى نهايته . وفى الأصل : « عمرت » . والدن ، بالفتح : الراقود العظيم . ط : « ذنى » وصوابه فى ل ، س . وفى ل : « تعوم » والعنكبوت مؤنثة وتذكر قليلا ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبز » محرفة . والمركوم : المتجمع .

مخرجاً كفَّه ينادى ذُباباً أن أغِثْنى فإنَّنى مَغْمومْ[١]
قال : دَعْنى فلَنْ أُطِيقَ دُنُوًّا من شَرابٍ يشَمُّهُ المزكومْ[٢]

[قال] : والذِّبَّان يضرَب به المثلُ فى القَذَرَ وفى استطابة النَّتْن ، فإذا عَجزَ الذُّبابُ عن شمِّ شىءٍ فهو الذى لايكون أنتنُ منه .

ولذلك حينَ رمى ابنُ عبدلِ محمَّدَ بنَ حَسَّان بنِ سعْد[٣] بالبخر ، قال :

وما يدنُو إلى فيـهِ ذبابٌ ولو طُلِيَتْ مَشافِرُه بقَنْد[٤]
يَرَيْنَ حَلاوةً ويخَفْنَ مَوتاً وَشِيكاً إنْ هَمَمْنَ له بوِرْد[٥]

(أبو ذبّان)

ويقال لكلِّ أبخر : أبو ذبَّان ، وكانت فيما زعموا كنيةَ عبدِ الملك بن مروان[٦]
وأنشدوا[٧] قولَ أبى حُزابة[٨] :

---

(١) ط ، س : « مخرج » . ل : « مظلوم » .
(٢) لا يشم المزكوم إلا ما كان غاية فى ظهور الرائحة . ل : « يقطر المزكوم » .
(٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأغانى (٣ : ١٤٥) والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ : ٦٢) حيث يوجد الشعر .
(٤) ل : « فما » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهكم . والقند بالفتح : عسل قصب السكر إذا جمد ، معرب : « كند » .
(٥) ط : « يرون » وصوابه فى ل ، س . ل : « ذعافا » بدل : وشيكا » وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة فى (٢ : ٢٥٠ — ٢٥٣) .
(٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكى أنه عض يوما تفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه ، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته ، فقال لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار القلوب ١٩٧ .
(٧) ط ، س : « وأنشد » :
(٨) ط ، س : « ابن خرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٥٥) .

أمسى أبو ذبّانَ مخلوعَ الرَّسَنْ (1) خَلْعَ عِنانٍ قارحٍ مِنَ الْحُصُنْ (2)

* وقد صفَتْ بَيْعَتنا لابن حسن (3) *

١١٩ (شعر فيه هجاء بالذباب)

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بنَ عبد الملك الهُنَائيَّ (4) :

ألا مَن يَشْتري منِّى هِلالاً مَوَدَّتَه وخُلَّتَه بفَلْسِ

وأبرأ للذى يبتاعُ منِّى هلالاً من خصالٍ فيه خَمْسِ (6)

فمنهنَّ النغانِغُ والمكاوى وآثارُ الجروحِ وأكْلُ ضِرْسِ (7)

ومن أخْذِ الذباب بإصبعَيهِ وإن كانَ الذُّبابُ برأسِ جَعْسِ (8)

---

(1) ل: « أضحى » . والرسن ، بالتحريك : الزمام للدابة يوضع على الأنف .

(2) س : « خلع عناق » ، وهو تحريف صوابه فى ل ، ط . والقارح : الذى انتهت أسنانه ، وإنما تنتهى فى خمس سنين . والحصن : جمع حصان . ط ، س : « الرش » تحريف .

(3) ط ، س : « لابن الحسن » ، وهما وجهان جائزان فى العربية . جاء فى المخصص (٧١ : ٤٦) فى الكلام على إدخال (أل) ونزعها من الأعلام التى كانت فى أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا ؛ لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ، والحسن وحسن » .

(4) الهنائى : نسبة إلى هناءة ، كثمامة ، وهى قبيلة يمنية . انظر المعارف ٤٩ . ط ، س : « الهنانى » ، ل : « الهنأى » ، ووجهه ما كتبت .

(5) ل : « وخلطته » .

(6) ل : « ويشترط الذى » ، تحريف .

(7) النغانغ : جمع نغنغ ، كبرقع ، وهو لحمة فى الحلق . أراد أنه يمرض بها أبداً . والمكاوى : جمع مكواة ، للتى يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمكادى » ولا تصح . و : « آثار » بدلها فى ل : « آلات » . وأكل الضرس : أراد به فساده .

(8) الجعس ، بالفتح : الرجيع . ل : « ولو كان » .

(قولٌ فى آية)

قالوا: وضرب الله عزَّ وجلَّ لضعف النَّاسِ وعجْزهم مثلاً، فقال: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فاسْتَمِعُوا لَهُ إنَّ الذِينَ تَدْعُون مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَه وَإنْ يَسْلُبْهُمَ الذُّبَابُ شَيْئاً لاَيَسْتَنْقِذُوهُ مِنْه ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ﴾ فقال بَعْضُ النَّاس: قَدْ سَوّى بين الذِّبّان والنَّاسِ فى العجْز. وقالوا: فقدْ يولِّد النّاس من التَّعفين الفَراشَ [وغيرَ الفَراش[1]] وهذا خلقٌ، على قوله: ﴿وَإذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْر﴾، وعلى قوله: ﴿أَحْسَنُ الخَالِقِينَ﴾، وعلى قول الشاعر[2]:

وأَرَاكَ تَفْرِى مَا خَلَقْتَ وبَعْـ
ضُ الْقوْمِ يخْلُقُ ثُمَّ لايَفرى[3]

قيل لهم: إنما أراد الاختراع، ولم يرد التَّقدير[4].

---

(١) الزيادة من ل، س.

(٢) هو زهير، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان. فى ديوانه ص ٦٠ - ٦٤.

(٣) تفرى: تقطع. خلقت: قدرت وهيأت. يقول: إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته.

(٤) أى إن المراد من الخلق فى الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير. وأما فى الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير، لا الاختراع والابتداع.

(قولٌ فى شعر)

وأمّا قول ابن ميَّادة :

ألا لانُبالى أنْ تُخندِفَ خندِفٌ ولسْنا نُبالِى أن يَطِنّ ذُبابها(١)

فإنَّما جعل الذُّباب هاهنا مثلا ، وقد وضعَه(٢) فى [غير] موضع تحقير [له] و [موضع] تصغير . وهو مثل قوله :

بنى أسَدٍ كونُوا لمن قد علمتُم مَوَالِىَ ذلَّتْ للهَوَانِ رِقابُها(٣)

فلو حاربتْنا الجنُّ لم نرفع العَصَا عن الجنِّ حتَّى لاتَهِرَّ كلابُها(٤)

وليس يريد [تحقير(٥)] الكلاب .

(استطراد لغوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذباب السَّيف . ويقال تلك أرضٌ مَذَبَّة ، أىْ كثيرة الذُّباب .

---

(١) تخندف : تمشى مشية كالهرولة ، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفا . ل : « تخندق » س : « تجيد » ، والوجه ما فى ط . وفى س : « تطن ذبابها » ، والذباب يذكر ويؤنث ؛ إذ كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء فإنه يذكر ويؤنث .

(٢) ط ، س : « وصفه » ، وصوابه فى ل .

(٣) ل : « كن » ، ويتجه بها المعنى أيضاً .

(٤) ط ، س : « ولو » ط : « القنا » وهو جمع قناة .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

وقال أبو الشَّمقْمَقِ فى هِجائه لبعض من ابتُلِى به :

أسمج النَّاسِ جميعاً كلِّهم كذُبَابٍ ساقطٍ فى مَرَقَهْ

[ويقال إن اللبن إذا ضرب بالكندس[١] ونضح به بيت لم يَدْخله ذبَّان] .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكيمائى[٢] وهو يقول لثمامةَ بنِ أشرس : قلنا لكم إنَّنا ندلكم على الإكسير[٣] ، فاستثقلتم الغُرْم ، وأردتم الغُنم بلا غُرم . وقلنا لكم : دَعُونا نصنع هذه الجسور [صنعةً لاتنتقض أبداً ، فأبيتم . وقُلنا لكم : ماترجُون من هذه المسنّيات[٤]] التى تهدمها المُدود[٥] ، وتخرِّبها المرادىّ[٦] ؟ ! نحنُ نعمَل لكم مسنّياتٍ[٧] بنِصف هذه المئُونةِ ، فتبقى لكم

---

(١) الكندس ، كقنفذ : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « الكيمائى » .

(٣) فى مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسير : هو الدواء الذى إذا طبخ به الجسد المذاب جعله ذهبا أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنيات : الأحباس تبنى فى الأودية .

(٥) المدود : جمع مدّ ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو خشبة تدفع بها السفينة . ويسميها عوام مصر « المدرى » بكسر الميم والقصر . ط ، ل : « المدارى » وصوابه فى س .

(٧) المسنيات قد فسرت . ط : « مسببات » س : « مسنات » وصوابه فى ل .

أبداً . ثمَّ قولوا للمُدرد أن تجتهد جهدَها ، وللمَرَادِيِّ[١] أنْ تبلغ غايتها [فأبيتم] . وقولوا لى:[٢] الذُّباب ماترجُون منها[٣] ؟ و [ما] تشتهون من البَعُوض ؟ وما رغبَتُكُمْ فى الجرجِس[٤] ؟ لم لاتدَعُونى أخرجُها من

١٢٠ بيوتكم بالمئُونَة اليسيرة ؟ وهو يقول هذا القولَ وأصحابُنا يضحكون ، وابن سافرى جالسٌ يسْمع[٥] ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغدَّاه وكساه وسَقاه ، ثمَّ قال له : أحببتُ[٦] أنْ تخرج البَعُوضَ من دارى . فأمَّا[٧] الذُّباب فإنى أحتمله . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أتاك اللهُ بالفَرج[٨] ؟ قال : فافعلْ . قال : لابدَّ لى من أن أخلط أدوية [وأشترى أدوية]. قال : فكم تريدُ ؟ قال : [أُريد] شيئاً يسيراً . قال : وكم ذاك[٩] ؟ قال : خمسون ديناراً[١٠] . قال : ويحك ! خمسون يقال لها يسير[١١] ؟ ! قال:

---

(١) المرادى سبق تفسيرها فى ٣٨٥ . ط ، ل : « للمدارى » وصوابه فى س .

(٢) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة فى القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، س : « رغبكم » .

(٥) ابن سافرى ، هو كذلك فى ل والبخلاء ١٧٦ . وفى ط ، س : « ابن مسافر » . وفيهما أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب » .

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكم مبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخمسون يسير » .

أنت ليسَ[١] تشتهى الرَّاحــة من قذَر الذِّبَّان ولسع البعوض ! ثمَّ لبس نعليه[٢] وقام على رجليه . فقال له : اقعد . قال : إن قعدْتُ قبل أن آخذَها ثمَّ اشتريت دواءً بمائة دينار لم تنتفعْ به[٣] ؛ فإنِّى لست أدَخِّنُ هــذه الدُّخْنة[٤] ، إلاَّ للذين إذا أمرتهم بإخراجهنَّ أخرَجُوهن . ولا أكتمكَ ما أُريدُ ؛ إنِّى لست أقصد إلاَّ إلى العُمَّار[٥] . فما هو إلاَّ أنْ سمع بِذكر العُمَّار[٦] حتى ذهب[٧] عقله ، ودعا له بالـكيس [وذهب][٨] ليزن الدَّنانير ، فقال له : لا تشقَّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عددًا[٩] ، وإنَّما خاف أن تحدث حادثةٌ ، أو يقع شغل ، فتفوت . فعدَّها وهو زَمِعٌ[١٠] فغلط بعشرة دنانير ، فلمـا انصرف وزنها وعدَّها فوَجَدَ دَنانِيرَه[١١] تنقص ، فبكَرَ عليه يقتضيه الفَضْل[١٢] ، فضحك أبوحكيم حتَّى كاد يموت ، ثُمَّ قال :

---

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « الدخن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « فما هو إلا صلك سمعه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « وعدد » .

(١٠) زمع : دهش . ل : « فيعدها وهو زيغ »، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير »، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة فى أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه »، محرف والفضل : الفرق .

تسألني عن الفرع وقد استُهلكَ الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعُه حتَّى قال له ثمامة : ويلك أمجنونٌ[(١)] أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخرِيه مستورة . فإن نافرْتَه فضَحْتَ نفسَك ، وربِحتَ عداوة شيطانٍ هُوَ واللهِ أضَرُّ عليكَ من عُمَّارِ بيتِك ، الذين ليسَ يخرجون عنك[(٢)] الذبابَ والبعوضَ بلا كُلفة ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سكَّاني وجيرَاني . قالوا : لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون دينارًا مائَةَ دينار ! !

(شعر فى أصوات الذُّباب وغنائها)

ومما قيل فى أصوات الذباب[(٣)] وغِنائها ، قال المثقِّب العبديُّ[(٤)] :

وتسمَعُ للذِّبابِ إذا تغنَّى ... كتغريد الحمامِ على الغُصونِ

وقال آخر :

حُوٌّ مَسارِبُهُ تَغَنَّى فى غَياطِله ذبابُه[(٥)]

---

(١) ط ، س : « ويلك يامجنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) المثقب العبدى : شاعر جاهلى من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس . واسمه محصن ، بكسر الميم وسكون المهملة وفتح الصاد المهملة . وأبوه ثعلبة ابن وائلة بن عدى . والمثقب : اسم فاعل من ثقب ، سمى بذلك لقوله :

رددن تحية وكنن أخرى ... وثقبن الوصاوص للعيون

خزانة البغدادى (٤ : ٤٣١ بولاق) ومعجم المرزبانى ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعى والغيطل : الشجر الملتف .

وقال أبو النجم :

أُنفٌ تَرى ذُبَابها تعَلّه(١) من زَهَرِ الرَّوْضِ الذى يكَلِّلُهْ(٢)

وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمائه](٣) فالرَّوضُ قد نوَّر فى عَزَّائه(٤)

مختلفَ الألوان فى أَسمائِه(٥) نَوْرًا تخال الشَّمْسَ فى حمرائِه(٦)

مكلَّلاً بالوردِ من صفرائِه يجاوب المكَّاءَ من مُكَّائِه(٧)

صوتُ ذُبابِ العُشْبِ فى دَرْمائِه(٨) يَدْعُو كأنَّ العَقْبَ مِنْ دُعائه(٩)

صوتُ مُغَنٍّ مَدَّ فى غِنائه

وقال الشَّماخ : ١٢١

يكلفها ألاَّ تخفِّضَ صَوْتَها أَهازيجُ ذِبَّانٍ عَلَى عُودِ عَوْسَجِ(١٠)

بعيدُ مَدَى التّطريبِ أوَّلُ صَوْتِه سَحِيلٌ وأَعلاهُ نَشِيجُ المحشْرجِ(١١)

---

(١) أنف : أى روضة أنف بضمتين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر . ط : « أتعترى » وصوابه فى ل ، س ، واللسان (أنف) . وتعلّه : من علله بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س : « ذبابة » محرفة . وفى اللسان : « ذبانها » .

(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور » ، تحريف .

(٣) فى هذه الزيادة تحريف .

(٤) العزاء : الأرض التى لبدها المطر فشددها . انظر اللسان . ط : « عزائثه » وتصحيحه من س . ل : « حوائه » .

(٥) ل : « من أسمائه » .

(٦) أى تخال أنت الشمس فى أزهاره الحمراء ، فلونهما واحد . ل : « تحار الشمس » .

(٧) المكاء بضم الميم والتشديد : ضرب من القنابر له صفير حسن .

(٨) الدرماء : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينبت على هيئة الكبد .

(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كذى العقب من بكائه » ، صوابه من ل .

(١٠) أهازيج : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهاريج » بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت فى ديوان الشماخ ، وبدله فى صفة امرأة :

منعمة لم تلق بؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج

(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نهاق الحمار . ط : =

(المغنِّيات من الحيوان)

والأجناس التى توصف بالغِناء أجناسُ الحمام والبعوض ، وأصناف الذِّبَّان من الدَّبْر ، والنَّحلِ ، والشَّعْراء ، والقَمَع[1] والنُّعَر[2] . وليس لذِبَّان الكلب غِنَاء ، ولا لما يخرُجُ من الباقلاء . قال الشاعر :

تذبّ عنهــا بأثيثٍ ذَائِلِ ذِبَّان شَعْرَاءَ وَصيفٍ ماذِلِ[3]

(ألوان الذِّبَّان)

وذِبَّان الشَّعْرَاء حُمـر . قال : والذِّبَّان التى تُهـلِكُ الإبلَ زُرق . قال الشاعرُ[4] :

تربَّعَتْ والدَّهـرُ ذو تصفُّق[5] حَاليــةً بذى سَبَبٍ مونِقِ[6]

إلاَّ منَ أصواتِ الذباب الأزرق[7] أو من نقانق الفَلا المنقْنق[8]

= « سيحل » س : « سجل » وصوابه فى الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت يتردد فى الصدر . والحشرج : الذى يغرغر عند الموت . والبيت فى صفة حمار .

(١) القمع بالتحريك : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) النعر : ذباب أزرق يلسع الدواب . س : « الثعر » ل : « النغر » وهما تصحيف مافى ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عنى به : الذيل . وانظر ص ٣١٤.

(٤) الأولى أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعنى الإبل أكلت الربيع . والتصفق : التقلب والتحول .

(٦) حالية : مزينة ، أراد روضة . والسبيب واحدته سبيبة ، وهى العضاه تكثر فى المكان . أو أراد بالسبيب : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطبيع صوابه فى س .

(٨) « نقانق » بدلها فى س : « تفانع » . وأحسبهما محرفتين .

والذِّبَّان الذى يسقط على الدواب صُفر [١] .

وقال أرطاة بن سُهَيَّة ، لزُميل بن أمِّ دينار [٢] :

أزميل إنِّى إن أكنْ لك جازيا   أَعْكِرْ عليكَ وإن ترُحْ لاتسْبِقِ [٣]
إنِّى امرؤٌ تجد الرِّجال عدَاوتى   وجْدَ الرِّكاب من الذُّبابِ الأزْرق

وإذا مرَّ بك الشِّعر الذى يصلح للمثل وللحفظ [٤] ، فلاَ تَنْسَ حظَّكَ من حِفظه .

وقال المتلمِّس :

فهذا أوَانُ العِرْض حَىَّ ذُبَابُهُ   زنابيرُه والأزرَقُ المتلمِّسُ [٥]

وبه سمِّى المتلمِّس .

---

(١) ط : « أصفر » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بنى مازن بن فزارة ، أحد بنى عبد مناف . وأبوه أبير بالتصغير ، أو وبير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة فى خلافة عثمان ، وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة ٣٩٧٣ ، والخزانة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه فى ل ، والخزانة . وأرطاة بن سهية : هو ابن زفر بن عبد الله الغطفانى المزنى ، شاعر مشهور . وسهية أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان . وكان يكنى أبا الوليد ، وهى أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وما تبغى المنية حين تأتى   على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكر حتى   توفى نذرها بأبى الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه أراده . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسى فسكت . ونسب فى الحماسة ١ : ١٤٩ إلى سالم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » ى : « جازيا » بدلها فى ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترح » هى فى ط : « تزع » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه ، ولأن تحفظه » .

(٥) بهذا البيت سمى المتلمس . وهو شاعر جاهلى اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعى كما فى الشعراء . والعرض – بالكسر – : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة والمراد هنا الانتعاش ، ويروى : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينه . ط : « ذبابة » صوابه فى ل ، س . س : « حتى » وهى تحريف .

وقال ابن ميّادة :

بعَنْتَريسٍ كأنَّ الدَّبْرَ يلسَعُها   إذا تغـرَّدَ حادٍ خلفَها طَرِدُ[١]

(ما يسمَّى بالذِّبّان)

والدَّليل على أنَّ أجناسَ النَّحْل والدَّبْر كلّها ذِبَّان ، ما حدث [بِه] عبَّاد بن صُهيب ، وإسماعيل المكّيّ[٢] عن الأعمش ، عن عطيَّة بن سعيد العَوْفى[٣] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «كلُّ ذُبابٍ فى النارِ إلاَّ النَّحلة » .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكرهُ قتل النَّحل وإحراقَ العِظام . يعنى فى الغزو .

وحدثنا عَنْبسة قال : حدّثنا حنْظَلة السّدُوسىُّ قال : أنبأنا[٤] أنسُ ابن مالك ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلّم قال : « عمر الذّبابِ أربعون يوما . والذُّبَاب فى النار » .

---

(١) العنتريس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأغانى ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « عن إسماعيل المكى » .

(٣) ل : « العوفى » وصوابه فى ط ، س كما فى تقريب التهذيب . قال ابن حجر : عطية بن سعد بن جنادة – بضم الجيم بعدها نون خفيفة – العوفى الجدلى – بفتح الجيم والمهملة – ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطئ كثيراً . مات سنة إحدى عشرة يعنى بعد المائة . وترى أنه جعل أباه سعداً لاسعيدا .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلاميّ فى عذاب الحيوان والأطفال[1])

وقد اختلف النَّاس فى تأويل قوله : « والذباب فى النار » وقال قوم : الذّباب خلقٌ خُلق للنّار ، كما خلق الله تعالى نَاساً كثيراً للنَّـار ، وخلق أطفالاً للنَّار . فهؤلاء قومٌ خلعوا عُذُرَهم[2] فصارَ أحدهم إذا قال : ذلك ١٢٢
عَدْلٌ من الله عزَّ وجلّ ؛ فقد بلغ أقصى العذر ، ورأى أنَّه إذا أضاف إليه عذابَ الأطفال فقد مجّده . ولو وجد سبيلاً إلى أَنْ يقول إنَّ ذلك ظُلم لقاله[3] ولو وجد سبيلاً إلى أن يزعم أنَّ الله تعالى يخبرُ عن شَىْءٍ[4] أنّه يكون وهو لا[5] يكون ، ثم يقول إلاّ[5] أنّ ذلك صدق لقاله . إلاّ أنّه[6] يخاف السَّيف عند هذه ، ولا يخاف السَّيف عند تلك . وإن كانتِ تلكَ أعظمَ فى الفِريةِ مِن هذه .

وبعضهم يزعُم أنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّمَا عذّبَ أطفالَ المشركين ليغمَّ بهم آباءهم[7] . ثمَّ قال المتعاقِلون منهم : بل عذّبهم لأنّه هكذا شاء ، ولأنَّ هذا له . فليت شعرى [أ] يحتسب بهذا القول فى باب التمجيد لله تعالى ؛ لأنّ

---

(١) انظر مثل هذا البحث فى الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلع العذار كناية عن التشاطر كما فى الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشىء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلهما فى ل : « ولكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباءهم » رسمت فى ط ، س : « آبائهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فَأَتى[١] قبيحاً فالذى يحسن[٢] ذلك القبيحَ أنّ صاحبَه كان فى [موضع][٣] أمن ، أو لأنّه آمنٌ يمتنع[٤] من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظُّلم والعبث واللهو والبُخْل[٥] كلِّه محال ممَّن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه[٦] إليه الدواعى ! !

وزعم أبو إسحاقَ أنّ الطّاعاتِ إذا استوَتْ استوى أهلُها فى الثَّواب ، وأنّ المعاصىَ إذا استوتْ استوى أهلُها فى العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعةٌ ولا معصية استوَوْا فى التفضُّل[٧] .

وزعم أنَّ أجناس الحيوان [وكلَّ شىءٍ] يحسُّ ويألم ، فى التفضُّل[٧] سواء .

وزعم أنّ أَطفالَ المشركين والمسلمينَ كلَّهم فى الجنّة . وزعم أَنّه ليس بينَ الأطفالِ ولا بينَ البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السِّباع فى ذلك وبين البهائم فرق .

---

(١) ط : « أتى » تحريف .

(٢) ط : « يحس » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يمتنع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أى تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفضيل » محرف .

وكان يقول : إنّ هذه الأبدان السبُعيّة والبهيمية لا تدخل الجنّة ، ولكنَّ الله عزَّ وجلَّ ينقُل تلك الأرواحَ خالصةً من تلك الآفات ؛ فيركِّبها فى أىِّ الصُّور أَحَبَّ[1] .

وكان أبو كلدة[2] ، ومَعْمَر ، وأبو الهُذَيل ، وصحصح[3] ، يكرهون هذا الجواب ، ويقولون : سواءٌ عند خواصِّنا[4] وعوامِّنا ، أَقلنا : إنَّ أَرواحَ كلابنا تصيرُ إلى الجنّة ، أَم قلنا : إنَّ كلابَنا تدخل الجنّة[5] . ومتى مااتَّصل كلامُنا بذكر الكلب على أىِّ وجهٍ كان ؛ فكأنّا عِنْدَهم قد زعمْنا أنّ الجَنّة فيها كلاب . ولكنّا نزعم أَنّ جميع ما خلَقَ الله تَعالى مِنَ السِّباع والبهائم والحشَرات والهمج [فهو] قبيح المنظرة مؤلم، أَو حسن المَنظرةِ[6] مُلِذّ؛ فما كان كالخيل والظباء، والطواويس ، والتّدارِج[7] فإنَّ تلك [فى] الجَنّة ، ويَلَذُّ[8] أَولياءُ الله عَزَّ وجلَّ بمَناظرها . وما كان منها قَبِيحاً فِى الدُّنيا مؤلِمَ النظر

---

(١) ط ، س : « الصور الحسان أحب » . وكلمة « الحسان » مقحمة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث فى الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحصح ذا مذهب غريب فى « تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن الغباء فى الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقعاً فى النفوس من عيش العقلاء » . وتجد حجته لذلك فى البخلاء ص ٥ .

(٤) ل : « خصومنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س : وبدلها فى ط : « أو » ، والوجه « أم » كما فى ل .

(٦) المنظرة : المنظر ، وبهذه الأخيرة جاءت فى ط ، س .

(٧) التدارج : جمع تدرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التداريج » .

(٨) ط ، س « وتلك » وصوابه فى ل .

جعله الله عذاباً إلى عذاب أعدائه فى النَّار . فإذا[١] جاء فى الأثر : أنَّ الذّباب فى النّار ، وغير ذلك من الخلق ، فإنّما يراد به هذا المعنى .

١٢٣ وذهب بعضهم إلى أنها تكون فى النَّـار ، وتلَذُّ ذلك[٢] ، كما أنَّ خَزَنَةَ جهنَّمَ والذين يتولَّون من الملائكة التَّعذيبَ ، يلذُّون موضعَهم من النار .

وذهب بعضهم إلى أنَّ الله تعالى يطبَعهُم على استلذاذ النَّار والعيشِ فيها ، كما طبع ديدان[٣] الثَّلج والخلِّ على العيش فى أماكنها .

وذهب آخرون إلى أنَّ الله عزَّ وجلَّ يحدث لأبدانهما علَّةً لاتصل النّار إليها ، وتنعم قلوبهما وأبدانهما من وجه آخر كيف شاء[٤] . وقالوا: [و] قد وجدْنا النّاسَ يحتالون لأنفسهم فى الدُّنيا حِيلاً ، حتى يدخُل أحدُهم بَعضَ الأتاتين[٥] بذلك الطلاء ، ولا تضرُّه النار ، وهو فى معظمِها ، وموضع الجاحم[٦] منها . ففَضْلُ ما بينَ قدرةِ الله وقُدرة عباده أكثر من فضل ما بينَ حَرِّ نار الدُّنيا والآخرة[٧] .

---

(١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .

(٢) ط ، س : « تلذ بذلك » وأثبت مافى ل . وهما صحيحتان . قال الزبير بن العوام يرقص ابنه عروة (البيان ١ : ١٨٠) :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
ألذه كما ألذ ريقى

(٣) ط : « حيوان » ، وصوابه : فى ل ، س . وديدان الخل سبق الكلام عليها فى ٢ : ١١١ .

(٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الضمائر فى ط ، س للعاقل ، أى « لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه فى ل .

(٥) الأتاتين : جمع أتون ، كتنور ، وهو : أخدود الخباز والجصاص ونحوه . ط ، س « الناس » وصوابه فى ل .

(٦) الجاحم : التوقد والالتهاب . ط ، س : « الجماجم » وتصحيحه من ل .

(٧) كذا فى ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفضل مابين قوة حر نار الدنيا والآخرة » .

وَذهب بعضهم إلى أنَّ سبيلها[١] فيها كسبيل نار إبراهيم ؛ فإنّه لما قُذِف فيها بَعَثَ الله عزَّ وجلَّ مَلَكًا يقال له [ملك] الظلِّ ، فكان يحدِّثه ويؤْنسه ؛ فلم تصل النار إلى أذاه ، مع قرْبِه من طباع ذلك الملَك .

وكيفَمَا دار الأمرُ[٢] فى هذه الجَوابات ؛ فإن أخسَّها وأشنَعَها أحسَنُ مِن قَولِ مَنْ زَعمَ أنّ الله تَعالى يُعَذِّب بنار جهنَّمَ من لم يسخطه ولا يَعقِلُ كيف يكون السخط . ومن العَجَب أنَّ بَعضهُمْ يزعمُ أن الله تعالى إنما عذّبه ليغمَّ أباهُ[٣] . وإنما يفعل ذلك من لا يقدر على أن يُوصِلَ إليهم ضعف الاغتمام ، وضعفَ الألم[٤] الذى ينالهم بسبب أبنائهم . فأمّا مَن يقدِرُ على إيصال ذلك المقدارِ إلى من يستحقّه ، فكيف يوصله ويصرفه إلى من لا يستحقّه ؟ ! وكيف يصرفه عمَّن أسخطه إلى من لم يُسْخِطْه[٥] ؟ ! [هذا] وقد سمعوا قولَ الله عزَّ وجلَّ : ﴿يَوَدُّ الْمجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِى الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلاَّ إِنَّها لَظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾ . وكيف يقولُ هـذا القَوْلَ مَنْ يتلو القرآن ؟ !

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى الذبّانِ وأصنافِ الذّبّان .

---

(١) ط ، س : « سبيلهم » ، وصوابه فى ل .

(٢) ط ، س : « وكيف دار الأمر » .

(٣) ط : « آباءه » ، وصوابه فى ل ، س .

(٤) ل : « ضعف اغتمامهم والألم » .

(٥) ط : « إلى من لا يستخطه دون من أسخطه » س : « إلى من استحقه » ، وهما تحريف ما أثبت من ل .

(جهل الذِّبّان وما قيل فيها من الشعر)

والذِّبَّان أجهلُ الخلْق ؛ لأنَّها تَغْشَى النَّارَ من ذات أنفُسِها حتّى تحترق.

وقال الشاعر :

خَتَمْت الْفُؤَادَ عَلَى حُبِّهـا   كذَاكَ الصَّحيفةُ بالخاتَمِ (١)

هـوتْ بى إلى حبها نظرةٌ   هُوِيَّ الْفَرَاشَـةِ للجـاحمِ

وقال آخر :

كأنَّ مَشـافِرَ النَّجَدَاتِ منها   إذا مامسَّها قَمَـعُ الذُّبابِ (٢)

بأيدى مأْتم متسـاعداتٍ   نعال السبت أو عَذَبَ الثِّياب (٣)

١٢٤ (نقد بيت من الشعر)

وقال بعض الشعراء (٤) ، يهجو حارثَة بنَ بدرٍ الغُدَانىَّ :

زعمَتْ غُدَانَةَ أنَّ فيها سيِّدًا   ضخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ (٥)

(١) كذا فى ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفى ل : « على حبها كختم » . وكانوا يختمون الرسائل بالخاتم على طين خاص ، يسمى طين الختم .

(٢) النجدات : جمع نجدة ، وهى الناقة تـكون نجدة على صاحبها . والقمع : ذباب الإبل .

(٣) المأتم : جماعة النسوة فى الحزن . ط : « بأيد متائم » صوابه فى ل ، س . والعذاب : جمع عذبة ، وهى خرقة النائحة . ط ، س : « عرب » محرف . أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالـكلام . وماذا عسى تفعل النوائح بنعال السبت ؟ ل : « فعال السبت » !

(٤) هو الأبيرد الرياحى ، كما فى الأغانى (١٢ : ١٠) . وانظر (٦ : ٣٥١) .

(٥) غدانة بالضم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أى يماثله ويساويه . وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنّه قال :

يُروِيهِ ما يُرْوِى الذُّبابَ فينتَشى سُكْراً ، وتُشْبِعُه كُراعُ الأرنب[١]

قالوا : لايجوز أنْ يقول : « يرويه مايروى الذباب » و « يوارِيه جَناحُ الجندب[٢] » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنَب » :

وإنما[٣] ذكر كُراعَ الأرنب ؛ لأنّ يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع [فى] الصُّعود ، ولا يلحقها مِن الكلاب إلَّا كلُّ قصير اليد[٤] . وذلك محمودٌ من الكلب . والفرس تُوصَف[٥] بقصر الذِّراع .

(قصة فى الهرب من الذّباب)

وحدّثنى الحسنُ بن إبراهيم العلوىُّ قال : مررتُ بخالى ، وإذا هو وحده يضْحك ، فأنكرتُ ضحكه ؛ لأنِّى رأيتُه وحده ، وأنكرته[٦] ؛ لأنَّه كان رجلا زمِّيتاً رَكِيناً[٧] ، قليلَ الضَّحِك . فسألته عن ذلك فقال : أتانى فلانٌ

---

(١) ط ، س : « ويشبعه كراع الجندب » . والكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع على أكرع ثم على أكارع . وهى مؤنثة يصح فى فعلها التذكير والتأنيث . لكن كلمة « الجندب » تحريف صوابه من ل والثمار ومن سياق الكلام .

(٢) الجندب : ضرب من الجراد . ط ، س : « يوازنه جناح الجندب » .

(٣) قبل هذا فى ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سماعى فهو الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشى سكراً وتشبعه كراع الأرنب»

(٤) ل : « اليدين » .

(٥) ط ، س : « يوصف » .

(٦) ط س : « فأنكرته » .

(٧) الزميت : العظيم الوقار . والركين : الرزين . ل : « سكيتا » .

يعني شيخاً مدينيًّا[١] — وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنَا واللهِ هاربٌ من بيتى ! قلت ولِمَ ؟ قال : فى بيتى ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ ثَارَ[٢] فى وجهى ، وطار حولى وطنَّ عند[٣] أذنى ، فإذا وجد منّى غفلةً لم يُخطئ مُوقَ عينى . هذا واللهِ دأبُه ودأبى دهراً معه[٤] . قلت له : إنّ شبه الذباب بالذباب كشبه الغرابِ بالغُراب ؛ فلعلَّ الذى آذاك اليومَ أن يكونَ غيرَ الذى آذاك أمسِ ، ولعلَّ الذى آذاك أمسِ غيرُ الذى آذاك أوَّل [من[٥]] أمسِ ، فقال : أعتِقُ ما أملك إن لَمْ أكن أعرفه [بعينه] منذُ خمس عَشرة سنة[٦] . فهذا هو الذى أضحكنى !

(قصة فى سفاد الذباب)

وقال الخليلُ بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركَبُ الخنزيرةَ عامَّة نهارِه ، ورأيتُ الجمل يركبُ النّاقَة ساعةً من نهاره[٧] . وكنت قبل ذلك أغبِط

---

(١) ل : « مدنيا » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، س .

(٦) ل : « حجة » ، وهى بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

العصفور والعصم[1] — فإنَّ الذَّكرَ وإنْ كان سريعَ النُّزولِ عن ظهر الأنثى فإنّه لِسُرعةِ العودة ، ولكثرةِ العدد ، كأنّه فى معنى الخنزير والجمل — حتّى رأيتُ الذُّبابَ وفطِنتُ له ، فإذا هو يركب الذُّبابَةَ عامَّةَ نهارِه . فقال له محمد ابن عمر البكراوى[2] : ليس ذلك هو السِّفاد[3] . قال : أمّا الذى رأت العينانِ فهذا حكمُه . فإنْ كنتَ تريدُ أنْ تطِيب نفسُك بإنكار ما تعرفُ ممّا قسَم الله عزّ وجلّ بين خلقه ، من فضول اللَّذَّة[4] ، فدونك .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للوَرل[5] فى ذلك ما ليس عند غيره .

---

(١) كذا فى ط ، س . ولم أجد « العصم » مفرداً أو جمعا ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصع » كصرد وقفل جمعا . ل : « مصعة » كهمزة وغرفة . وهو طائر أخضر ، كما فى القاموس . وانظر المخصص (٨ : ١٤٣) . وفى ل : « الصعو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصعو فهو ضرب من صغار العصافير .

(٢) البكراوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق فى ٣٤ . قال الإصطخرى : « جرجان قطعتان : إحداهما المدينة ، والأخرى بكرا باذ ، وبينهما نهر يجرى يحتمل أن تجرى فيه السفن » . كذا فى معجم البلدان . قال ياقوت : « ينسب إليه البكراوى والبكرا باذى » . ل : « محمد ابن عمرو النكراوى » . وفى النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو السفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما فى ل .

(٥) الورل : دابة على خلقة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوان سفاداً ط ، س : « للولى » وصوابه فى ل .

١٢٥ (قصَّة آكل الذِّبَّان)

وأنشدَ ابن داحة فى مجلس أبى عَبيدة ، قولَ السَّيِّد الحميرىِّ :

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنها[١] وأبا قحافة آكِلَ الذّبّان

كانوا يَرون ، وفى الأمور عجائبٌ يأتى بهنّ تصرُّفُ الأزمانِ

أنّ الخِلافةَ فى ذؤابةِ هاشمٍ فيهم تصــير وهَيْبَةَ السُّلطانِ[٢]

وكان ابن داحة رافضيًّا ، وكان أبو عبيدة خارجيًّا صُفْريا ، فقال له: مامعناه فى قوله : « آكل الذّبّان » ؟ فقال : لأنّه كان يذبُّ عن عطر ابن جُدْعان[٣] . قال : ومتى احتاج العطّارون إلى المذابّ ؟ ! قال : غلطتَ إنَّما كان يذبُّ عن حَيْسة ابن جدْعَان . قال : فابن[٤] جُدعان وهشامُ

---

(١) ل : « أترى صهاكا وابنها وأب ابنها » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثة » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جدعان ، هو عبد الله بن جدعان ، وكان من أشراف قريش فى الجاهلية وممن وفد على كسرى . وهو صاحب الجرادتين : المغنيتين المشهورتين فى الجاهلية . ومدحه أمية بن أبى الصلت بقصيدته التى أولها :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء

فأعطاها إياه . وكان مشهوراً بالكرم . قالوا : كان سمى بحاسى الذهب ؛ لأنه كان يشرب فى إناء من الذهب ، فقالوا فى المثل : « أقرى من حاسى الذهب » . الأغانى (٨ : ٢ - ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جذعان » وفى المواضع الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يُحاسُ لأَحدهما الحَيْسةُ على عدَّة أنطاع[١] ، فكان يأكلُ منها الرَّاكبُ والقائمُ والقاعدُ[٢] فأين كانت تقعُ مِذَبّةُ أبى قُحافَةَ من هذا الجبل ؟! قال : كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالَيها . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنةً[٣] .

(تحقير شأن الذُّبابة)

قال : وفى باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها، يقول الرسول[٤] : « لو كانت الدُّنيا تُساوى عند الله تعالى جَناحَ ذبابةٍ[٥] ما أعطى الكافرَ منها شيئاً » .

---

(١) الحيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيعجن ثم يندر نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك وكعنب ؛ وهو بساط من الجلد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبى فغرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) . وقد يبدو هذا الخبر غريبا ، لكنا نجد تعزيزاً له من الحديث ، جاء فى غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عمى »، يعنى فى الهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . س : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآتى ، حديث صحيح رواه الترمذى ، ونقله عنه السيوطى فى الجامع الصغير ٧٤٨٠ ولفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء » . فى الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت

(٥) ط ، س : « ذباب »، ووجهه ما أثبت من ل .

(أعجوبة فى الذّبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة فى الذبّان[1] أعجوبة، لو كانت بالشّامات[2] أو بمصر لأدخلوها فى باب الطِّلّسم ؛ وذلك أنّ التّمْرَ يكونُ مصبوباً فى بيادر التمر فى شقّ البساتين ، فلا ترى على شيءٍ منها ذُبَابَةً لَافى اللَّيل ، ولا فى النّهار ، ولا فى البَرْدَين[3] ، ولا فى أنصاف النهار . نعم وتـكون هناك المعاصر[4] ، ولأَصحاب المعاصر ظِلال ، ومن شأن الذُّباب الفِرارُ من الشّمس إلى الظِّلّ . وإنّما تلك المعاصر بين تمْـرة [و] رُطَبَة، ودِبْس [وتجير][5] ، ثمَّ لاتـكاد تَرَى فى تلك الظّلال والمعاصر ، فى انتصاف [6] النهار، [ولا] فى وقت طلب الذِّبَّان الـكِنَّ ، إلَّا دونَ ما تَراه فى المنزل الموصوف بقلّة الذبَّان .

وهذا شيءٌ يكون موجوداً فى جميع الشِّقِّ الذى فيه البساتين . فإن تحوَّل[7] شيء من [تمر] تلك الناحية[8] إلى جميع ما يقابلها فى نواحى البصرة ، غشيَه من الذّبان ما عسى ألاّ يكون بأرض الهند أكثرُ منه

---

(١) ط : « الذباب » .

(٢) الشامات : هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى حواشى ١ : ٧٣ .

(٣) البردان : الغداة والعشى . ط ، س : « البرد » وتصحيحه من ل .

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر ، وكانوا يعصرونه لاستخراج الدبس ، وهو عسل التمر .

(٥) التجير : ثفل كل شيء يعصر . وهو فارسى معرب ، كما فى المعرب للجواليقى ٤١ .

(٦) ل : « أنصاف » ، كما سقطت كلمة « تـكاد » .

(٧) ل : « حول » .

(٨) ط ، س : « البادية » ، والوجه ما أثبت من ل

وليس بين جزيرة نهر دُبَيس[١] ، وبين موضع الذبّان إلاّ فيض البصرة ، ولا بين مايكون من ذلك بنهر أذرب[٢] وبين موضع الذبّان ممّا يقابله ، إلّا سيحان[٣] ، وهو ذلك التمر وتلك المعصرة ، ولا تكون تلك المسافة إلاّ مائة ذراع أو أزيَدَ شيئاً أو أنقَصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضُروبٍ من الحيوان)

وأعجوبة أُخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلٍّ شىءٍ صدَّرنا به جملة القَوْل فى الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لاينامُ كالصافر[٤] والتُّنَوِّط[٥] ؛ فإنَّهما إذا كان اللّيلُ فإن أحدهما يتدلَّى من ١٢٦
غصن الشّجرة ، ويضمُّ عليه رجليه ، وينكِّس رأسه، ثمَّ لايزال يصيحُ حتَّى يبرُقَ النُّور . والآخرُ لايزالُ يتنقَّل فى زوايا بيته ، ولا يأخذه القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور

(١) نهر دبيس ، بالتصغير ، نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كما فى معجم البلدان .

(٢) كذا فى ط . س : « أدرب » ، ل : « أردر » .

(٣) قال البلاذرى : سيحان نهر بالبصرة ، كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد سمت العرب كل ماء جار غير منقطع : سيحان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه فى ل .

(٤) الصافر : طائر من أنواع العصافير ، وسيكمل الجاحظ نعته . ط : « كالعصافير » ووجهه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التنوط : طائر شبيه بالصافر المتقدم ذكره . وانظر ما سيأتى .

الأشجار مما يشبه الليف[1] فنفشَه ، ثمَّ فتَلَ منه حبلاً ، ثمَّ عمِلَ منه كَهَيئَةِ القُفَّة ، ثمَّ جعله مُدَلًّى بذلك الحبل ، وعقَدَه بطَرَف غُصنٍ من تلك الأغصان ؛ إلاَّ أنَّ ذلك بترصيعٍ ونسْج ، ومُدَاخَلَةٍ عجيبة ؛ ثمَّ يتَّخذ عشَّه فيه ، ويأوى إليه مخافة على نفسه .

والأعرابُ يزعمون أنَّ الذِّئبَ شديدُ الاحتراس ، وأنَّه يُراوح بينَ عينَيه ، فتكونُ واحدة مطبقة[2] نائمة ، [وتكون] الأُخرى مفتوحة حارسةً . ولا يشكُّون أنَّ الأرنب تنامَ مفتوحة العينين .

وأمَّا الدَّجاج والكلاب فإنما تعزُب[3] عقولهما فى النَّوم ، ثمَّ ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس . فأمَّا الدَّجاج فإنها تفْعَلُ ذلك من الجبن[4] وأمَّا الكلب فإنَّه يفعل ذلك من [شدّة] الاحتراس .

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرانيقَ والكراكيَّ لاتنامُ أبداً إلاَّ فى أبعدِ المواضعِ من النَّاس ، وأحْرَزِها مِن صغار سباع الأَرض ، كالثعلب وابن آوى . وأنها لا تنام حتَّى تقلِّد أمرَها رئيساً وقائدا ، وحافظاً وحارساً ، وأن الرئيس إذا أعيا رفعَ إحدى رجليه ؛ ليكون أيقَظَ له .

---

(١) ط ، س : « يشتبه بالليف » .

(٢) ل : « منطبقة » .

(٣) تعزب : أى تبعد وتغيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصوابه ما أثبت مطابقا لما سيأتى ص ٤٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم)

وسلطان النَّوم معروف . وإن الرَّجل ممن يغزو[١] فى البحر ، ليعتصمُ بالشِّراع وبالعُود ، وبغير ذلك ، وهو يعلم أن النَّومَ متى خالطَ عينَيهِ استرخَتْ يدُه، ومتى استرخَتْ يَدُه بايَنَهُ الشىءُ الذى كان يركبه ويَستَعْصِمُ به[٢] ، وأنه متى بايَنه[٣] لم يقدرْ عليه، ومَتَى عَجز عن اللَّحاق [به] فقد عطِب[٤] . ثمَّ هو فى ذلك لا يخلو ، إذا سَهِر ليلة أو ليلتين ، من أنْ يغلِبه النَّومُ ويقهرَه ، وإمَّا أنْ يحتاج إليه الحاجةَ التى يريه الرأى الخوّانُ ، وفسادُ العقْلِ المغمُورِ بالعِلَّة الحادثة ، أنّه قد يُمكن[٥] أنْ يُغْفِىَ وينتبهَ فى أسرع الأَوقات ، وقبلَ أنْ تَسترخِىَ يَدُهُ كلَّ الاسترخاء ، وقبلَ أن تباينَه الخشَبةُ إن كانتْ خشبة .

---

(١) ط ، س : « يغرق » وصوابه فى ل . وفى س أيضاً « فأى رجل » تحريف .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « يركبه واستعصم به » ل : « مركبه واستعصم به » .

(٣) باينه : فارقه ، وبعد عنه . ط : « يأتيه » وصوابه فى ل ، س .

(٤) عطب : هلك . ط ، س : « ومن عجز » وصوابه فى ل .

(٥) « يريه » هى فى ط ، ل : « يريد » محرفة . و « الخوان » هى فى ل : « الفاسد » . و « يمكن » هى فى ط ، س : « تمكن » محرفة .

(العجيبة فى نوم الذباب)

وليس فى جميع ما رأينا وروَينا ، فى ضروبِ نومِ الحيوان ، أعجبُ من نَوم الذِّبّان ؛ وذلك أنّها ربما جعلت مأْواها [بالليل] دَرْوَنْد الباب [١] وقد غشَّوه ببطانَةِ ساجٍ أملسَ كأنَّه صَفاةٌ ، فإذا كان اللَّيلُ لزقت [٢] به ، وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلَّقت أبدانها إلى الهواء . فإن كانتْ لا تنام البتَّةَ ولا يخالطُها عُزُوب [٣] المعرفة فهذا أعجب [٤] : أنْ تكونَ أمّةٌ من أمم الحيوانِ لا تعرف النَّومَ ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزُب عنها ما يعزُب [٥]
١٢٧ عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضةً على مواضع قوائمها [٦] ، ممسكة [٧] بها ، أو تكون مرسلةً لها [مخلّية عنها] . فإنْ كانت مرسِلةً لها فكيف لمَ تسقطْ وهى أثقلُ من الهواء ؟ ! وإن كانت ممسكةً لها فكيف يجامع التشدُّد والتثبيت [٨] النَّوم ؟ !

---

(١) الدروند كلمة فارسية. وفى اللسان (نجف): «ابن الأعرابى: النجاف هو الدروند والنجران. وقال ابن شميل : النجاف الذى يقال له الدوارة ، وهو الذى يستقبل الباب من أعلى الأسكفة » . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج) ط : « دورة » تحريف .

(٢) ط : « لزمت » .

(٣) العزوب : البعد . وفى ل : « غروب » .

(٤) ل : « عجب » .

(٥) ل : « يغرب » فى الموضعين .

(٦) فى الأصل : « قائمها » .

(٧) ل: «متمسكة» .

(٨) س : « والتثبت » .

(بعض ما يعترى النائم)

ونحن نرى كلَّ مَن كان فى يده كيس أوْ[1] دِرهم أو حبلٌ ، أو عصا فإنَّه متى خالط عينَيْه[2] النَّومُ استرخَتْ يده وانفتحت أصابعُه[3] . ولذلك يتثاءب المحتالَ للعبْد الذى فى يده عِنان دابَّةِ مولاه ، ويتناوم له وهو جالس ؛ لأنَّ مِن عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرتِه مَن يشغله ، ورأى إنساناً[4] [قُبَالَتَه] يتثاءبُ أوْ يَنْعس ، [أن يتثاءب وينعَس مثله[5]] . فمتى استرخَتْ يدُه أو قبضتَه عن طَرَف العِنان ، وقد خامَرهُ سُكْرُ النَّوم ، ومتى صار إلى هذه الحال — ركب المحتالُ الدّابَّة ومرّ بها .

باب

القول فى الغربان

اللهم جنِّبنا التكلُّفَ ،وأعِذْنَا مِن الخطَأ، واحْمِنا العُجْبَ بما يكون منه ، والثِّقةَ بما عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

---

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .

(٢) ط ، س : « عينه » .

(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .

(٤) س : « من » . وفى ل : « ينود » بدل : « يتثاءب » . ينود : يتمايل من النعاس .

(٥) هذه التكملة من س .

نذكر على اسم الله جُمَلَ القولِ فى الغِربان ، والإخبار عنها ، وعن غريبِ ما أُودِعتْ من الدّلالة ، واستُخْزِنت من عجيب الهداية[1] .

وقد كُنّا قدّمنا ما تقول العربُ فى شأنِ منادَمةِ الغُراب الدِّيكَ وصداقتِه له، وكيف رهَنه عند الخمّار، وكيف خاسَ به وسخِر منه وخدعه[2] وكيف خرج سالماً غيرَ غارم ، وغانماً غيرَ خائب[3] ، وكيف ضربت به العربَ الأمثالَ ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلته فى الاشتقاقِ لزجْرها عند عيافتها وقِيافتها ، وكيف كان السبب فى ذلك[4] .

(ذكر الغراب فى القرآن)

فهذا إلى ماحكى اللهُ عزَّ وجلَّ من[5] خبر ابنَىْ آدمَ ، حينَ قرّبا قرباناً فحسَدَ الذى لم يُتقبَّلْ منه المتقبَّلَ منه ، فقال عند ما همَّ به مِن قتلِه ، وعند إمساكِه عنه ، والتّخليةِ بينَه وبين ما اختارَ لنفسه : ﴿ إِنِّى أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذٰلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثمَّ قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الخَاسِرِينَ .

---

(١) الكلام من مبدإ : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغانما غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لمثل هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت » ساقط من ل .

(٥) ل : « عن » .

﴿فَبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ حتّى قال القائل ، وهو أحد ابنَيْ آدم ما قال . فلولا أنَّ للغُراب[1] فضيلةً وأمورًا محمودةً ، وآلةً وسبباً ليس[2] لغيره من جميع الطَّير لَمَا وضعه اللهُ تعالى فى موضعِ تأديبِ الناس ، ولَمَا جعله الواعِظَ والمذَكِّرَ بذلك .

128 وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿فبَعَثَ اللهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ﴾ ، فأخْبر أنّه مبعوثٌ ، وأنّه هو اختاره لذلك مِنْ بينِ جميعِ الطَّير .

قال صاحب الدِّيك : جعلتَ الدَّليلَ على سوء حاله وسقوطِهِ[3] الدَّليلَ على حُسنِ حاله وارتفاعِ مكانه . وكلما كان ذلك المقرَّعُ به أسفَلَ كانت الموعظةُ فى ذلك أبلغَ . ألا تَرَاهُ يقول : ﴿يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ .

ولو كان فى موضعِ الغُرابِ رجلٌ صالحٌ ، أو إنسانٌ عاقلٌ ، لمَا حَسُن به أن يقولَ : يا ويْلتَى أعجَزت أنْ أكونَ مثلَ هذا العاقِلِ الفاضلِ الكريمِ الشَّريف . وإذا[4] كان دوناً وَحقيراً فقال : أعجزتُ وأنا إنسانٌ أن أُحسِنَ ما يحسنه هذا الطائر ، ثمّ طائرٌ من شِرار الطير . وإذا أراهُ[5] ذلك

---

(١) ل : « فى الغراب » .

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : «وسقوط» وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « إذ » وصوابه فى ل ، س .

(٥) ط : « أراد » .

فى طائرٍ أسودَ محترقٍ[1] ، قبيحِ الشَّمائلِ ، ردىء المِشْيَة[2] ، ليس من بهائم الطير المحمودة ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بَعْدُ طائرٌ يتنكَّد به ويتطيَّر منه ، آكلُ جيف[3] ، ردىءُ الصَّيد . وكلما كان أجهلَ وأنْذَل[4] كان أبلغَ فى التَّوبيخ والتَّقريع .

وأمَّا قوله : ﴿ فأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكنْ به على جهة الإخبار أنّه كانَ قَتَلهُ ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ ﴾. ولو كانَ المعنى وقع على ظاهر اللَّفظ دونَ المستعمَلِ فى الكلامِ من عادات الناس ، كان مَن فرَّ مِن الزَّحفِ ليلاً لم يلزمْه وَعيد[5] . وإنما وقع الكلامُ على ما عليه الأغلبُ من ساعاتِ أعمال الناس ، وذلك هو النَّهارُ دون اللَّيل .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن[6] ، حين دفَعوا إليه جَوَّاباً[7] الخارجىَّ ليقتله ، وقالوا : إن قتله برئت الخَوارجُ منه ، وإن ترك قتْله فقد

---

(١) ل : « محرق » .

(٢) للغراب مشية رديئة . وفى القصص التمثيلى أنه أعجبه مشية العصفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فنسى ، فلا هو حافظ على مشيته الأولى ، ولا هو أدرك مشية العصفور . انظر شعراً فى ذلك بطراز المجالس ١٩٩ . ط : « الشبه » وصوابه فى ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أخمل وأنزل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « خواتا » .

أبدى لنا صفحَتَه . فتأوّل صالحٌ عند ذلك تأويلاً مستنكراً[1] : وذلك أنّه قال : قد نجِدُ التّقيَّة تَسِيغ الكفر[2] ، والكفر باللّسان أعظمُ من القتــل والقذْفِ بالجارحة . فإذا جازت التَّقِيَّة[3] فى الأعظم كانت فى الأصغر أجوَزَ . فلما رأى هذا التأويل يطّرد له ، ووجد على حالٍ بصيرته ناقصة ، وأحسّ[4] بأنه إنما التمس عُذْراً ولزّق الحجَّة تلْزِيقا [فلمَّا عزمَ على قتل جوّاب ،وهو عنده واحدُ الصُّفرية فى النُّسك والفضل] قال : إنى[5] يومَ أقتُل جوَّاباً على هذا الضّربِ من التأويل لَحريصٌ[6] على الحياة ! ولو كان حين قال إنى[5] يوم أقتل جوّاباً إنما عنى النهارَ دون الَّليل ، كان عنــد نفسه إذا قتلهُ تِلكَ القِتلة ليلاً لم يأثم بهِ . وهذا أيضاً كقوله تعالى : ﴿ وَلَاتَقُولَنَّ لشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللَّفظ دونَ المستعمَلِ بين الناس ، لكان إذا قَال من أوّل الليل : إنى فاعِلٌ ذلك غداً فى السَّحر ، أو معَ الفجر ١٢٩
أو قال الغداة[7] : إنى فاعِلٌ يومى كلَّه ، وليلتى كلها ، لم يكنْ عليه حِنْث ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثنِ[8] ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلاَّ فيما وقع عليهِ

(١) ل : « مستكرها » .

(٢) التقية : الخوف والخشية من الهلاك . تسيغ الكفر : تبيحه . أى إن من هدد بالقتل إن لم يكفر ، ساغ له الكفر ظاهرا . ل : « أجد البقية تسع فى الكفر » ط ، س : « نجد التقية تسيغ بالكفر » . والوجه فى العبارة ما ذكرت .

(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) ط ، س : « وأخبر » وصوابه فى ل .

(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ط : « الحريص » وله وجه .

(٧) ل : « بالغداة » .

(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستسن » محرفة .

اسمُ غد . فأمّا كلُّ(١) ما خالفَ ذلك فى اللّفظ فلا . وليس التّأويل كذلك لأنّه جلَّ وعلاَ إنما ألزَمَ عبدَه أنْ يقول : إن شاء الله ؛ ليَتّقىَ عادةَ التألّى(٢) ولئلاً يكونَ كلامُه ولفظُهُ يشبه لفظَ المستبدِّ والمستغْنى ، وعلى أن يكون عِنْد(٣) ذلك ذاكرَ اللهِ ؛ لأنهُ عبدٌ مدبَّرٌ ، ومقلَّب ميسَّر(٤) ، ومصرّفٌ مسخّر .

وإذا كان المعنى فيه ، والغايَةُ التى جَرَى إليها اللفظ ، إنما هو على ما وصفنا ، فليس بينَ أن يقول أفعَلُ ذلك بعْدَ طرْفَةٍ ، وبين أن يقولَ أفعَلُ ذلك بَعْدَ سنةٍ فرقٌ .

وأمّا قوله : ﴿ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فليس أنّه كان هنالك ناسٌ قتَلوا إخوتَهُمْ ونَدِموا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله لآدمَ وحَوّاء عليهما السلام : ﴿ وَلا تقْرَبَا هٰـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ ، على معنى أن كلّ مَن صَنَعَ صنيعكما فهو ظالم .

(الاستثناء فى الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولَنا فى الاستثناء ، وقد سمعوا اللهَ عزَّ وجلَّ يقُولُ : ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلاَ

---

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه فى س .

(٢) التقى : الحذر . ط ، ل : « لبقى » س : « لتقى » ، ووجهته بما ترى . والتألى : الحلف . ل : « التالى » ط ، س : « المتألى » ، والوجه ما ذكرت . والمعنى : ليحذر تعود الإنسان الحلف واستسهاله .

(٣) ط ، س : « عنده » وصوابه فى ل .

(٤) انظر الاستدراكات .

يَسْتَثْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ . فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ ، مع قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَداً إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمِّي الغرابَ ابن دأية ؛ لأنَّه إذا وجَدَ دَبَرَةً[1] في ظهر البعير ، أو في عنقه قرحة سقط عليها، ونقرَهُ وأكله[2] حتَّى يبلغ الدَّايات[3] .

قال الشاعر[4] :

نَجِيبةُ قَرْمٍ شادَهَا القَتُّ والنَّوَى بيثربَ حتَّى نَيُّهَا متظَاهر[5]
فقلتُ لها سِيرِي فما بِكِ عِلَّة سنَامكِ ملمومٌ ونابُكِ فَاطِرُ[6]
فمِثْلُكِ أو خيراً تركْتُ رذِيَّة تقلِّب عينيها إذا مرّ طائر[7]

---

(١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .

(٢) ط ، س : « وعقره » وهي صحيحة أيضاً ، يقال عقر الكلأ : أكله ، ويقال أيضاً : عقره : جرحه .

(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردها في السطر السابق خالية من الهمز ، وأصلها الهمز . والدأيات : فقر الكاهل والظهر .

(٤) هو أبو الربيس الثعلبي ، أو الجون المحرزي . خزانة الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث قصة الشعر .

(٥) نجيبة قرم : يقول: هذه الناقة قد أنجبها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء : الفحل الكريم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦): « قوم » ، وصوابه ما أثبت من ل . شادها القت والنوى : أي نماها تناول هذا العلف . والني المتظاهر : الشحم الذي ركب بعضه بعضاً .

(٦) ملموم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .

(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينيها خوف أن تنقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الرَّاعى :

فلو كنت معذوراً بنصْرِك طيَّرت صقورِىَ غِرْبان البَعـيرِ المقيدِ

هذا البيت لعنترة ، فى قصيدةٍ له[1] . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيَّد ذى الدَّبَر ، إذا وقعَت عليه الغِرْبان .

(غرز الريش والخِرق فى سنام البعير)

وإذا كان بظهر البعير دَبَرَةٌ غرزوا فى سَنامه إمَّا قوادمَ رِيش[2] أسود وإمَّا خرَقا سُوداً[3] ؛ لتفزع الغِرْبانُ منْهُ ، ولا تسقط عليه . قال الشاعرُ ، وهو ذو الخِرَق الطُّهَوىُّ[4] :

لمـا رَأتْ إبِلى حَطت حمولتهـا هَزْلَى عِجافاً عليهاالرِّيشُ والخِرَقُ[5]

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) قوادم الريش : أربع أو عشر فى مقدم الجناح . ط ، س : « قوادم » وانظر ما سيأتى .

(٣) كذا فى ل . وفى ط « خرقة سوداء » . وفى س : « خرقاء سوداء » وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الخرق قائل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حمل ابن عامر بن حميرى ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بنى طهية ثلاثة شعراء أحدهم هذا ، والثانى قرط بن قرط ، والثالث شمير بن عبد الله بن هلال . انظر الخزانة (١ : ٥٠ — ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء فى الخزانة أن الآمدى لم يذكر الشعر الذى منه البيت الآتى . وقدسها البغدادى ؛ فإن الشعر مذكور فى ص ١٠٩ من المؤتلف والمختلف ، فى غير مظنه .

(٥) العجاف : جمع أعجف وعجفاء على الشذوذ ؛ لأن أفعل وفعلاء لايجمعان على فعال . والأعجف : الذى ذهب سمنه . وقبل البيت :

ما بال أم حبيش لاتكلمنا لما افترقنا وقد نثرى فنتفق

قالتْ ألا تبتغى عيشاً نعيشُ به عَمَّا نلاقى ، فشَرُّ العِيشة الرَّنَقُ ١٣٠

[الرَّنَق ، بالرَّاء المهملة ، وبالنون ، هو الـكدِرُ غير الصافى] .

وقال آخر(١) :

كأنَّها رِيشـــةٌ فى غاربٍ جَرَزٍ فى حيثُما صرفَته الرِّيح ينصرف(٢)

[جَــرَز : عظيم . قال رؤبة :

* عن جَرَزٍ منه وجوزٍ عارِ *(٣)]

(غرز الريش فى أسنمة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد توضع(٤) الرِّيش فى أسنمتها وتغرَز فيها لغير ذلك ؛ وذلك أنَّ الملوك كانت تجعل الرِّيشَ علامـــةً لحباء الملك(٥) ؛ تحميها بذلك وتشرِّف صاحبها(٦) .

---

(١) ل : « وفى ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أعلى مقدم السنام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بالتحريك سيفسر . ط ، س : « جرد » تحريف ما فى ل . ط ، س : « ضربته الريح » ، وأثبت ما فى ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت فى صفة جمل سمين فضحه الحمل الثقيل . وقد نسب فى اللسان (جرز ، ورى) إلى العجاج لارؤبة . وقد روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٥٧ منسوبة إلى العجاج كما فى اللسان . وقبل البيت :

* وانهم هاموم السديف الوارى *

(٤) ط : « يوضع » ، والأولى التوحيد فى التأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذا فى ل . والحباء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجمالها » .

(٦) ط : « تحميها بذلك بشرف أصحابها » . ل : « تحميها بذلك ويشدن صاحبها » .

قال الشاعر :

يهَبُ الجِلادَ بريشِها ورِعَائها ... كالليْلِ قبلَ صَبَاحِهِ المتبلِّجِ [١]

ولذلك [٢] قالوا فى الحديث : فرجع النابغة من عند النُّعمان وقد وهبَ له مائةً من عَصَافيره [٣] بريشها :

وللرِّيش مكانٌ آخر : وهو أنَّ الملوكَ إذا جاءتها الخرائطُ بالظَّفَر [٤] غرزَتْ فيها قوادمَ ريشٍ سُود .

(غربان الإبل)

وقال الشاعر :

سأرفَعُ قولاً للحُصَــين ومَالكٍ ... تطيرُ به الغِربان شَطْرَ المواسمِ [٥]

---

(١) الجلاد من الإبل : الغزيرات اللبن . والرواية فى البيان (٣ : ٩٦) : « الهجان » . والرعاة بالضم والرعاء بالضم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه الأول فى ط ، س . وبالثانى فى ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو خيال ركب تركيبا بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما فى الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم يكن بأرض العرب بعير أسود إلا له » : أى للنعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هى إبل نجيبة كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوقه . قالوا : كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التى وصف فيها المتجردة ، ثم ذهب غضبه عليه عند ماغنت النعمان قينة بشعر للنابغة ، ووهب له العصافير . انظر الأغانى (٩ : ١٦٥) والتنبيه السابق وما سيأتى فى (٥ : ٢٣٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهى وعاء من أدم وغيره يشرج على ما فيه ، أى يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابى : « للحصين ومنذر » . والمواسم : أسواق العرب فى الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

وتروَى به الهيمُ الظِّماءُ ، ويَطَّبِى بأمْثَالِهِ الغازِينَ سَجْعُ الحمائِمِ (١)

يعنى غِرْبانَ الإبل (٢) . وأمَّا قوله : « وتروى به الهيمُ الظِّماء » فمثل قول الماتحِ (٣) :

عِلِقْتَ يا حارث عِنــدَ الوِرْدِ بجــاذل لارَفِلِ التَّرَدِّى (٤)

* ولا عَيِيٍّ بابتِناء المَجْدِ (٥) *

---

(١) يطبيهم سجع الحمائم : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين » هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأمثالها » ، وإنما الضمير راجع إلى القول . ل : « الغاوين » .

(٢) فى الأصل : « الليل » ، وإنما هى غربان الإبل ، وغراب البعير هو حد الورك الذى يلى الظهر . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تسرع . وإنما خص الأوراك لأنهم كانوا يحملون الرسائل فى حقيبة تحتقب ، وتشد على عجز البعير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزوركم ثناء على أعجازهن معلق

(٣) الماتح ، بالتاء : الذى ينزع الدلو وهو بجوار البئر . والمائح ، بالهمز : الذى يدخل البئر فيملأ الدلو . ط : « المسائح » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقا بعبارة : « وقال الراجز وهو يمتح بدلوه » . ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول « وتروى » يخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقف مكانه لايبرح ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعاطن لتحتك به الإبل الجربى . ومثله « الجاذى » ، وبهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذئ » وفى البيان : « بجابئ » . والجابئ ، الذى يطلع فجأة . وقد عنى رجلا . والرفل : الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لاوجل التود » وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

* فجاءنى لارفل التردى *

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) العيى : العاجز . ط : « يمنى » س : « يمينى » ، وصوابه ماأثبت من البيان . وفى ل : « عييا » .

(شعر فى تعرض الغِربان للإبل)

وقالوا فى البعير إذا كان عليه حِملٌ من تمْـر أو حبٍّ ، فتقَدَّم الإبلَ بفضل قُوَّته ونشاطه(١) ، فعرض ما عليه للغربان(٢) . قَال الرَّاجز :

قد قلتُ قولاً للغُرابِ إذْ حَجَلْ   عليكَ بالقَود المسانِيف الأُوَل(٣)

* تَغَدَّ ما شئتَ على غير عَجَلْ(٤) *

ومثله(٥) :

يقدُمُها كلُّ أَمُونِ مطعان(٦)   حمراءَ من مُعَرِّضَاتِ الغِرْبَانْ(٧)

---

(١) ط : « فيقدم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .

(٢) س : « الغربان » .

(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه فى ل والمخصص (١٠ : ١٦٧) وتنبيه البكرى ٤٨ والمحاسن للبيهقى (٢ : ٨٤) . وفى مجالس ثعلب ١٣٦ : «عليك بالإبل» . والمسانيف : المتقدمة، جمع مسناف . س ، ط : « المسانف » .

(٤) ط ، س : « من بعد مامشت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المتقدمة . قال الكسائى — وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر — : « إن العير إذا فصلت من خيبر وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى أوائل العـير فكل على غير عجل » المحاسن للبيهقى . وللرجز بقية فى تنبيه البكرى ، فراجعه .

(٥) الرجز الآتى يروى للأجلح بن قاسط ، كما فى اللسان (عرض) . وقال ابن برى : « وهذان البيتان فى آخر ديوان الشماخ » . قلت أنا : هما فى أخرياته ص ١١٦ منسوبان إلى الجليح بن شميذ رفيق الشماخ. ونسبا فى مشارف الأقاويز ٢٠٨ — ٢٠٩ إلى الجعيل . وجاء قوله فى آخر الرجز يخاطب نفسه :

* يا ابن جليح كن دليل الركبان *

ويظهر أنه اجتلب كلمة : « ابن » تحسيناً للكلام ، وضبطا للوزن .

(٦) ل : « تقدمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل : « علاة » ، وهى رواية القالى والبكرى . والعلاة : الشديدة الصلبة ، مشبهة بالعلاة وهى السندان . والمظعان ، السهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مذعان » بالذال ، وهى المنقادة لقائدها .

(٧) قال البكرى : « الحمر أجلد الإبل » . والمعرضات : التى تقدم الإبل فتقع الغربان عليها فتأكل ما حملته ، كأنها عرضت ماتحمله للغربان .

(أمثال فى الغراب)

ويقال : « أصحُّ بدناً مِنْ غُراب » ، و « أبصَرُ مِنْ غُراب » ، و « أصفى عيناً من غراب » .

وقَال ابن ميَّادة :

ألا طرَقَتْنا أُمُّ أوسٍ ودونَها حِرَاجٌ من الظلْماء يعشى غُرَابُها[(١)]

فبِتْنا كأنَّا بَيْنَنا لَطَمِيَّةٌ من المِسْكِ ، أو دارِيَّةٌ وعِيابُها[(٢)]

يقول : إذا كان الغراب لايبصر فى حِراج الظَّلْماء[(٣)] . وواحد الحِراج حَرَجة ، وهى هاهنا مثَلٌ ، [حيث[(٤)]] جعَلَ كلَّ شىءٍ التفَّ وكثُفَ من الظلام حِراجا ، وإنَّما الحِراجُ من السِّدْرِ وأشباه السّدر .

يقول : فإذا لم يبصِرْ فيها الغرابُ مع حـدَّةِ بَصره ، وصفاء مُقْلته فما ظنُّك بغيره ؟ !

١٣١ وقال أبو الطَّمَحان القَيْنىُّ[(٥)] :

إذا شاء راعيها استقى مِنْ وَقِيعةٍ كَعين الغراب صَفْوُها لم يكدَّرِ

---

(١) س : « جراح من الظلماء يغشى »، وصوابه فى ط ، ل .

(٢) اللطمية : العنبرة لطمت بالمسك فتفتقت به . ل وكذا فى كتاب الصيدنة ص ٦ : « بيتتنا لطيمة » . واللطيمة : العير تحمل الطيب . والتبييت أصله من بيت العدوّ : أوقع بهم ليلا . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين كان يحمل إليها المسك من ناحية الهند . وعنى بها العطور ، أو العير . والعياب : جمع عيبة ، وهى وعاء من أدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة : « كعابها » ولم أر لها وجها .

(٣) ط : « الظماء »، وصوابه فى ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات فى الأغانى (١١ : ١٢٨) .

(استطراد لغوى)

والوقيعة : المكان الصلب الذى يُمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال : وأنشَدَنَا أبو عمرٍو[1] بن العلاء ، فى الوقائع :

إذا ما استبالوا الخيلَ كانَتْ أكفُّهم وقائعَ للأَبْوالِ والماءُ أبرَدُ

يقول : كانوا[2] فى فلاةٍ فاستبالوا الخيل فى أكفهم ، فشربوا أبوالها من العطش .

ويقال شهدَ الوقِيعة والوقْعَة بمعنًى واحد . قال الشاعِرُ[3] :

لعمرى لقد أبقَتْ وقِيعةَ راهطٍ على زُفَرٍ داءً من الشَّرِّ باقيا[4]

وقال [زُفَر بنُ[5]] الحارث :

لَعَمرى لقد أبقتْ وقِيعةَ راهطٍ لِمَرْوانَ صدْعاً بيننا متَنائِيا[6]

---

(١) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيقى .

(٢) ط ، س : « إذا كانوا » ، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .

(٣) هو جواس بن القعطل الكلبى . المؤتلف والمختلف ٧٤ والتنبيه والإشراف ٢٦٨ .

(٤) وقعة راهط هى المعروفة بوقعة مرج راهط . انظر لها الأغانى (١٧ : ١١١ — ١١٤) والعقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ بهية) . ط ، س : « على دفر » ، وصوابه فى ل ، والعقد (٣ : ١٤٧) والمؤتلف ٧٤ .

(٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحماسة البحترى ١٧ .

(٦) مروان هذا هو ابن الحكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متباينا » وصوابه فى ل والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لقَدْ أوقَع الجحَّافُ بالبشْرِ وقْعَةً إلى اللهِ مِنها المشتَكَى والمعوَّلُ[١]

(أمثال من الشعر والنثر فى الغراب)

وفى صحَّة بدَن الغراب يقولُ الآخر[٢] :

إنَّ مُعـاذَ بنَ مَسلِمٍ رجُلٌ قدْ ضَجَّ مِنْ طُولِ عُمْرِهِ الأبَدُ[٣]

[قَدْ[٤]] شاب رأسُ الزَّمانِ واكتَهَـل الدَّهْـ

ـرُ وأثْوابُ عُمْـرِهِ جُـدُدُ

يا نَسْر لُقْمانَ كَمْ تَعيشُ وكَمْ تَسْحَبُ ذَيل الحَيَاةِ يا لُبَدُ[٥]

---

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمى، قاد قومه وأغار على بنى تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميدانى (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاب بالشر » صوابه فى ل والمعجم . وانظر نقد البيت فى الموشح ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجى كما فى الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (فى ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى . قال ابن خلكان فى ترجمته (وذكرها فى نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالعهد ، فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة ، وله أشعار حسان وضعها على الجن والشياطين والسعالى . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وإن كنت ما رأيته فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات فى العقد (٣ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبة إلى محمد بن مناذر . وهى بدون نسبة فى المعانى الكبير ٥٨ وأمالى الزجاجى ١٧ من تحقيقى .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه الكسائى وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفى سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة .

(٤) من ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤) .

(٥) لبد ، كزفر : آخر نسور لقمان ، قالوا فى أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحَتْ دارُ آدمٍ خرِبَتْ   وأنتَ فيها كأنَّك الوَتِدُ[1]
تسألُ غِربانَها إذا حَجَلَتْ   كيفَ يكونُ الصُّدَاعُ والرَّمَدُ

ويقال : « أرضٌ لا يَطير غرابها[2] ». قال النَّابغة :

وَلِرَهْطِ حرّاب وقدٍّ سَــوْرَةٌ   فى المجدِ ليس غرابُها بمُطارِ[3]

جعله مثلاً . يعنى أنَّ هذه الأرضَ تبلُغ مِن خِصبها أنَّه إذا دخلَها الغرابُ لم يخرُج منها ؛ لأنَّ كلّ شيءٍ يريدُه فيها[4] .

وفى زهوِ الغُراب يقول حسَّان ، فى بعضِ قريش[5] :

إنَّ الفَرافِصَة بنَ الأحْوَصِ عِندَه   شَجَنٌ لأمِّك مِن بَناتِ عُقاب[6]
أجمَعْتَ أنَّكَ أنتَ ألأمُ مَنْ مشى   فى فحش مُومِسةٍ وزهْوِ غرَابِ[7]

= كلما مات واحد خلفه آخر ، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة . انظر الدميرى .

(١) الوتد يبقى بعد دروس المنزل .

(٢) ط : « ويقال فى أرض لا يطير غرابها » ، والوجه حذف (فى) كما فى ل ، س

(٣) حراب : رجل من بنى أسد ، وكذلك قد ، بالفتح ، وهو أحد شعرائهم ترجمه المرزبانى فى المعجم ٣٣٩ . والسورة ، بالفتح : الارتفاع . والرواية فى الديوان بشرح البطليوسى : « ليس غرابهم » .

(٤) قال البطليوسى : « وقيل الغراب ها هنا سوادهم » . ونقل الميدانى عن أبى عبيد أن المراد بالمثل الشدة . انظر الأمثال (٢ : ٣١٦) .

(٥) ط ، س : « فى بعض بنى قريش » ، وكلمة « بنى » مقحمة . والشخص المراد هو الحارث بن هشام بن المغيرة ، كما فى الديوان ٥٩ .

(٦) عقاب : عبد كان لبنى تغلب ، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص الكلبى فكنّ إماء له ، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بنى تغلب ابنة تزوجها مخربة بن جندل . ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام . فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً فى الإماء . و « عنده شجن » أراد أنه يجلب لها الشجن عند ماتتذكر نسبها . ط ، س : « بن أحوص » وأثبت ما فى ل والديوان.

(٧) يقال : « أزهى من غراب ؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر فى عطفيه » . ثمار القلوب ٣٦٥ . ورواية المخصص (٣ : ١٠٣) : « فى فحش زانية » ، وفيه وفى الديوان ٦٠ : « وزوك غراب » . والزوك : المشى المتقارب الخطو مع تحرك الجسد .

ويقال: «وجَد فلانٌ تَمْرَةَ[١] الغُراب» ، كأنّه يتّبع عندهم أطيَبَ التمر[٢].

ويقال : « إنَّه لأحْذَرُ مِنْ غراب » و : « أشدُّ سَواداً من غراب » . ١٣٢

وقد مَدحوا بسَوادِ[٣] الغراب . قال عنترة :

فيها اثنتانِ وأربعُون حَلوبَةً سُودا كَخَافِيةِ الغرابِ الأسْحَمِ

وقال أبو دوَاد[٤] :

تنفي الحصى صُعُداً شَرْقِيَّ مَنْسِمِها نَفْيَ الغُرابِ بأعلى أنفه الغَرَدا[٥]

والمغاريد : كَمْءٌ[٦] صِغار . وأنشَد[٧] :

يَحُجُّ مأمومةً في قَعْرِها لَجَفٌ فاستُ الطَّبيبِ قذَاها كالمغارِيدِ[٨]

وقد ذكرنا شدَّة منقاره ، وحدَّةَ بصره في غير هذا المكان.

---

(١) كذا في ل واللسان (ت م ر) ومثله في أمثال الميداني (١ : ٣٦٩ ، ٢ : ٢٨٧) . يضرب لمن يظفر بالشيء النفيس ، ولمن يجد أفضل ما يريد . ط ، س وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) : « ثمرة » بالمثلثة .

(٢) ط ، س ، « الثمر » بالمثلثة . وانظر التنبيه السابق .

(٣) ما عدا ل : « سواد » .

(٤) كذا على الصواب في ط . وفي ل ، س : « أبو داود » تحريف . وأبو دواد : شاعر جاهلي اسمه جارية بن الحجاج أو حنظلة بن الشرقي . وهو أحد نعات الخيل المجيدين . وكانت العرب لا تروى شعره ولا شعر عدي بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية . خزانة الأدب (٤ : ١٩٠ بولاق) والشعراء لابن قتيبة .

(٥) ل : « ينفي » ويصح إذا قرئ بالبناء للمجهول . ومنسم الناقة كمجلس : خفها . والغرد : ضرب من الكمأة صغار ، وأراد بالأنف هنا المنقار . ط : « نقي الغراب » وصوابه في ل ، س . ل : « الغردة » .

(٦) ط : « كم » ، صوابه في ل ، س . والمغاريد : جمع مغرود ، بالضم : لغة في الغرد .

(٧) البيت الآتي قائله عذار بن درة الطائي . اللسان (ح ج ج) .

(٨) وصف هذا الشاعر طبيبا يداوي شجة بلغت أم الرأس في قعرها . تلجف أي تقلع ، كما تتلجف البئر فينقلع طيها من أسفلها . وذلك الطبيب يجزع من هولها فالقذى يتساقط من استه كالمغاريد . انظر اللسان (ح ج ج) والكامل ٦٤ ليبسك ، ومعجم الأدباء (١٥ : ٧٣ — ٧٤) حيث الكلام طويل في البيت . ط ، س : =

(شعر فى مديح السواد)

وقالوا فى مديح السَّواد ، قال امرؤ القيس :

العــينُ قادحــةَ واليــدُّ سابحــةَ والْأُذْنَ مصْغِيةٌ واللَّونُ غِرْبيبُ (١)

وفى السَّواد يقول رَبيِّعة أَبُو ذؤابٍ (٢) الأسدىّ ، قاتل عتيبة بن الحارث ابن شهاب :

إِنَّ المــودة والهــوادةَ بيْنَنَا خلَقٌ كسَحْقِ الْيُمْنَةِ المنجَابِ (٣)

إِلَّا بجيشٍ لا يكَتُّ عــدِيدُه سُودِ الجلودِ من الحديدِ غِضابِ (٤)

= « فحج » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحف » مصحف. ط : « قاسى الطبيب » محرف . ويروى : « كالغمَاريد » مقلوب عن « المغاريد » المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتشديد : لغة فى اليد . س : « والرجل » .

(٢) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعى فى يوم خو ، وأسرت بنو يربوع فى ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ، فأتى ربيعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتدى ولده بشىء معلوم ، ووعده أن يأتى بذلك سوق عكاظ . وساق ربيعة الفداء إلى السوق فى الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ، وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربيعة فى نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله فرثاه بأبيات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بنى يربوع ، فعرفوا أنه قاتل عتيبة فأقادوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر فى شرح التبريزى للحماسة (٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفى أمالى القالى (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربيعة أبو ذؤاب هو بضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابى : « ليس فى العرب ربيعة غيره » وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين . شرح الحماسة والمؤتلف ١٢٥ ط ، س : « ربيعة بن أيوب » ، تحريف صوابه فى ل .

(٣) الهوادة : اللين . كسحق اليمنة ، أى كالثوب السحق البالى منها . اليمنة بالضم : نوع من برود اليمن .

(٤) إلا بجيش : يقول لانهدأ إلا إذا حكمنا الحرب . لا يكت : لا يعد ولا يحصى .

(شعر ومثل فى شيب الغراب)

وفى المثَل : « لا يكونَ ذلك حتَّى يشيبَ الغُراب » . وقال العرْجىُّ :

لا يحولُ الفؤادُ عنه بوُدٍّ أبداً أو يَحولَ لون الغُرابِ

وقال ساعدة بن جُؤَيّة :

شابَ الغراب ولا فؤادك تَاركٌ عَهْدَ الغَضُوبِ ولا عتابُكَ يُعتِبُ[1]

(معاوية وأبو هوذة الباهلى)

ومما يُذكَر للغراب ما حدّث به أبو الحسن[2] ، عن أبى سليم[3] ، أنَّ معاويةَ قال لأبى هوذة[4] بن شمّاس الباهلىِّ[5] : لقد هممت أن أحمِلَ جمْعاً من باهلةَ فى سفينةٍ ثم أغرقهم ! فقال أبو هَوْذة : إذَنْ لا ترضى باهلةُ بعِدّتِهِمْ من بنى أمية ! قال : اسكت أيُّها الغرابُ الأبقع ! وكان به برص —

---

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبداً ، وهو شيب الغراب . عن اللسان . ط ، س : « تاركا » ولا تصح وصوابها فى ل واللسان (شيب وعتب) . و « عهد » هى فى ل : « ذكرى » وفى اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالضم والبناء للفاعل ، بمعنى يجلب إليك العتبى ، وهى الرضا ، يقول : إن عتابك فى غير طائل . وقد ضبطت فى اللسان بالبناء للمفعول فى الموضعين . وفسرها بقوله : « أى لا يستقبل بعتبى » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به على بن محمد المدائنى الأخبارى المعروف .

(٣) ل : « أبى سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت فى الأصل بالدال المهملة فى مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هوذة : إنَّ الغراب [الأبقع] ربَّما درج إلى الرَّخمةِ حتى ينقرَ دِماغها ، ويقلع[1] عينَها ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتُلُه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مَهْ ! ونهض معاوية . ثمَّ وجَّهه بعدُ في سرِيَّة فقتل . فقال معاوية ليزيد : هذا أخفَى وأصوب !

(شعر في نقر الغراب العيون)

وقال آخرُ[2] في نقْر الغراب العُيونَ :

أتوعد أسرتى وتركتَ حُجْراً ... يُرِيغُ سوادَ عَينيهِ الغُرابُ[3]
ولو لاقيت عِلباءَ بنَ جَحْشٍ ... رضِيتَ من الغَنِيمةِ بالإيابِ[4]

١٣٣ وقال أبو حيَّة — في أنَّ الغراب يسمُّونه الأعور تطيُّرا منه — :

وإذا تَحَلُّ قَتودها بتَنوفةٍ ... مَرَّت تلِيح من الغُرابِ الأعورِ[5]

لأنَّها تخاف من الغربان ؛ لما تعلمُ من وقوعها على الدَّبر .

---

(١) س : « ويقتلع » .
(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣ بولاق) والعمدة (١ : ٦٥) .
(٣) يريغ : يطلب . س « يريع » مصحفة .
(٤) س : « علياء » تصحيف . وفي البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ماروى فى شأن الإقواء : قول صاحب القاموس : « وقلت قصيدة لهم بلا إقواء »، يعنى العرب .
(٥) قتود الناقة : أدوات رحلها . والتنوفة : الفلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ، س : « يحل قتودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تحريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يَمْدَح به الشُّعراءُ بلون الغراب[1] قال أبو حيَّة :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حالكِيًّا   ألَا سَقْيًا لِذلِك مِنْ غُرابِ

وقال أبو حيَّة[2] :

زمانَ عَلَيَّ غرابٌ غُدَافٌ   فَطيَّرهُ الدَّهْرُ عَنِّى فطَارا

فلا يُبعِدِ اللهُ ذاك الغُدافَ   وإن كان لا هو إلَّا ادِّكارا[3]

فأصبحَ موضعهُ بائضاً   مُحِيطا خِطاماً مُحيطا عذارا[4]

وقال أبو حيَّةَ فى غير ذلك ، وهو مما يُعدّ للغراب :

كأَنَّ عَصِيمَ الدَّرس منهنَّ جاسدٌ   بما سال من غربانهنَّ من الخَطْر[5]

---

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما فى ل . ط : « لون » وصوابه فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى فى أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبى حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زمان الصبا ، ليت أيامنا   رجعن لنا الصالحات القصارا

(٣) كذا فى الأصل . وفى أمالى المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا ادكارا » .

(٤) بائضا ، من باض النبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا غدارا » .

(٥) العصيم : الدرن والوسخ والبول إذا يبس على فخذ الناقة . الدرس : الجرب أول مايظهر . وفى الأصل : « الورس » ووجهه ما أثبت . انظر اللسان (درس ٣٨٣) والمخصص (٧ : ١٦٣) . وجاسد : لاصق ، وفى الأصل : « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر : ما يتلبد على أوراك الإبل من أبوالها وأبعارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسمُ فى أماكن، فالغراب[١] حدُّ السكين والفأسِ، [يقال] فأسٌ حديدة الغراب . وقال الشّماخ :

فأَنحَى عليها ذاتَ حدٍّ غرابها   عَدُوٌّ لِأَوْسَاطِ العِضَاهِ مشارزُ[٢]

المشارزة : المعاداة والمخاشَنة .

والغراب : حدُّ الورِك ورأسه الذى يَلِى الظهر[٣] ، ويبْدأ[٤] من مؤخَّر الرِّدف . والجمعُ غِربان . قال ذو الرُّمَّة :

وقَرَّبْنَ بالزُّرقِ الحمائِل بعدَ ما   تَقَوَّب من غِربانِ أوراكِها الخَطْرُ[٥]

تقوَّب[٦] : تقشر ماعلى أوراكها من سلْحِها وبَولها ؛ من ضَربها بأَذنابها.

---

(١) ط : « فالغرب » ، وصوابه فى ل ، س .

(٢) أنحى : أمال . وذات حد : الفأس . والعضاه : شجر عظيم . والبيت فى صفة قواس تناول فرعا وجعل يشذبه بالفأس ليصنع قوسا . ل : « عدولا لأوساط » ، صوابه فى ط ، س والديوان ٤٧ .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ورأسه الفقارة التى تلى الظهر » .

(٤) ط ، س : « تبدأ » ، ل : « ويبدو » ، وجعلته كما ترى .

(٥) الزرق : أكثبة رملية بالدهناء . والحمائل ، بالحاء المهملة : جمع حمولة بالفتح ، وهى الإبل التى تحمل . ومثل هذه الرواية فى اللسان (خطر ، زرق) . ورواه ابن سيده فى المخصص (٧ ، ٢٣ ، ١٤ : ١١٧) : « الجمائل » بالجيم ، وقال هو جمع جمال بالكسر . والخطر فسر فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « يقول » .

(غراب البيْن)

وكلُّ غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمَّا غراب البين نفسه ؛ فإنَّه غرابٌ صغير . وإنَّما قيل لكلِّ غراب غراب البَين ، لسقوطها فى مواضعِ منازلهم إذا بانوا عنها . قال أبو خَوْلة الرِّياحِىّ (١) :

فليس بِيربوع إلى العَقْل فاقَةٌ ولا دَنَس يَسودُّ منه ثيابُها (٢)
فكيف بنَوكَى مالك إن كفَرتم لهم هذه ، أم كيف بعدُ خِطابها (٣)
مَشَائم ليسُوا مُصلِحِين عشيرةً ولا ناعبٍ إلّا ببينٍ غرابها (٤)

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

ومن الدَّليل على أنّ الغرابَ من شرارِ الطَّير ، ما رواه أبو الحسن قال : ١٣٤
كان ابنُ الزبير يقعُد مع معاويَةَ على سريره ، فلا يقدر معاويةَ أن يمتنع

---

(١) أبو خولة : كنية الأخوص ، بالخاء المعجمة ، الرياحى اليربوعى ، كما فى الخزانة (٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خوالة » محرف . وفى البيان (٢ : ٢٦٠) « أبو الأحوص الرياحى » ، صوابه : « الأخوص الرياحى » كما فى الخزانة (٤ : ١١٨ سلفية) . وروى السيوطى فى شرح شواهد المغنى ٢٩٥ نسبته إلى أبى ذؤيب الهذلى . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخوص الرياحى شاعر إسلامى .

(٢) المراد بالعقل هنا : الدية . والرواية فى الخزانة والبيان : « سوى دنس » . و « منه » هى فى الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغنى .

(٣) أراد بمالك : بنى دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلا من بنى غدانة بن يربوع .

(٤) أراد بالمشائم بنى مالك لا بنى يربوع . وفى الخزانة : « مشائيم » . وأنت تراه قد جر « ناعب » توهما منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو « مصلحين » فإن الباء تزاد فى خبر ليس . وقد رواه سيبويه فى كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨) بالجر كما هنا . ورواه فى (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يومٍ : أمَا أحدٌ يكفيني ابنَ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة : أنا أكفِيكه[1] يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعَد في مقعَدِه على السرير ، وجاء ابنُ الزبير فقعَدَ دونَ السرير ، ثمَّ أنشد ابنُ الزبير :

تسمَّى أباناً بعد ما كان نافِعاً ... وَقَدْ كانَ ذَكْوانُ تَكَنَّى أبا عمرِو[2]

فانْحدَرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حُرَّةٌ مهدَتْ عَلَيْكُمْ ... صفيَّةُ ما عُدِدْتم في النَّفِيرِ[3]

ولا عُرِفَ الزبيرُ ولا أبوه ... ولا جلسَ الزبير على السريرِ

ودِدْنَا أنَّ أمَّكم غرابٌ ... فكنتم شرَّ طيرٍ في الطّيورِ

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغِربان ، أي جاءت بلادنا[4] ، فهي قواطعُ إلينا ، فإذا كان الصيف فهي رواجع . والطير التي تقيم بأرض[5] شتاءها وصيفها أبداً فهي الأوابد . والأوابد أيضاً

---

(١) ط ، س : « أكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسمى » و « يكنى » .

(٣) صفية هذه هي بنت عبد المطلب ، عمة الرسول . وهي أم الزبير بن العوام . يقول لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عددتم في النفير . والعبارة تنظر إلى المثل السائر « فلان لا في العير ولا في النفير » ، يضرب لمن لايستصلح لأمر من الناس ، ولمن هو صغير القدر . انظر اللسان (نفر) وأمثال الميداني (٢ : ١٥٤ — ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » ، تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هى الدواهى ، يقال جاءنا بآبدةٍ . ومنها أوابد الوحْش . ومنها أوابد الأشعار . والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحَّش منها شئٌ فلم يُقدَر عليه إلّا بعقْر . وأنشد أبو زيدٍ فى الأوابد[1] :

ومَنْهل وَرَدْته التِقَاطَا[2] طامٍ فلمْ ألْقَ به فُرَّاطَا[3]

* إلّا القطا أوابداً غَطَاطا[4] *

(صوت الغراب)

ويقال نغق الغراب ينغِق نغيقا ، بغين معجمة ؛ ونعب ينعب نعيباً بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السِّنونَ الكثيرةَ وغلُظ صوته قيل شحَج يشحَج شحيجاً[5] . وقال ذو الرُّمَّة :

ومُسْتَشْحِجَاتٍ بالفِراقِ كأنّها مَثَاكِيلُ من صَيَّابةِ النُّوبِ نُوَّحُ[6]

والنُّوبة توصف بالجزع .

(١) صاحب الرجز نقادة الأسدى ، كما فى اللسان (فرط ، لقط) .

(٢) التقاطا : فجأة بدون احتساب أو رجاء .

(٣) الفراط : المتقدمات إلى الماء . ط ، س : « فلم نلف » . اللسان : « لم أر إذ وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطا » بالقاف ، تصحيف .

(٤) ل : « أبدا » . والغطاط ، بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ، الغبر الظهور ، الواسعة العيون . ورواية اللسان فى الموضعين : « إلا الحمام الورق والغطاطا » .

(٥) س : « سحج يسحج سحيجا » ، تصحيف .

(٦) يعنى الغربان . س : « مستسحجات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد الياء : الصميم والخيار . س : « صبابة الثوب » وصوابه فى ل ، ط ، واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية فى رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبل يرغبون فى اتخاذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل ؛ يرون أنهم يصلُحون على معايشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أنَّ رجال[1] الرُّوم تصلح فى البدْو مع الإبل ، ودخول الإبل بلادَ الروم هو هلاكها .

فأمَّا السِّندَ فإنَّ السِّندِيَّ صاحبَ الخَرْبَة[2] إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرجَ أفصحَ من أبى مَهْدِيّة[3] ، ومن أبى مطَرِّف[4] الغنَوىّ . ولهم طبيعةٌ فى الصَّرْفِ ؛ لاترى بالبصرة صيْرَفِيًّا إلَّا وصاحب كِيسه[5] سِنْدِيٌّ .

---

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندى : ثقب شحمة أذنه . ط ، س : « الحربة » مصحفة . قال ذو الرمة من بائيته المشهورة :

كأنه حبشى يبتغى أثراً أو من معاشر فى آذانها الخرب

وقد سبقت هذه الكلمة فى (٢ : ٣٤٠، ٣٤١) ، وفى أول رسالة فخر السودان : «خرتة» وهى والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهدية سبقت ترجمته فى (٢ : ٢١٤) . س : « أبى مهرية »، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كسبه » . تحريف ما فى ط ، ل . وجاء فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيستهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفى ومفاتيحه ، ابن رومى ولا ابن خراسانى » .

(نبوغ السِّند)

واشترى محمّد بنَ السّكن ، أبا رَوْح[١] [فَرَجاً] السِّندى ، فكسب ١٣٥
له المالَ العظيم . فقَلَّ صيدَلانىٌّ[٢] عندنا إلّا وله غلامٌ سِندىٌّ . فبلغوا أيضاً فى البَرْبَهار[٣] والمعرفة بالعقاقير ، وفى صحَّة المعاملة ، واجتلاب الحُرفاء مبلغاً حسنا .

وللسِّندِ فى الطّبخ طبيعةٌ ، ما أكثرَ ماينجبُون فيه .

وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوِّل إجراءَ الخيل عن صبيان الحُبشان والنُّوبة ، إلى صبيان السند ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السّند إلى موضع الفرَّاشين من الرُّوم[٤] ، فلم يفلحوا فيه] .

وفى السِّند حَلوق[٥] جِياد ، وكذلك بنات السِّند .

---

(١) ط ، س : « أبا رواح » ، وصوابه من ل ورسائل الجاحظ ٨١ ساسى .

(٢) الصيدلانى : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نونا فيقال « صيدنانى » أيضاً . وجاء فى ل : « صيدنانى » .

(٣) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى ، وقال : المراد بها توابل بر الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة فى رسائل الجاحظ ٨١ ساسى : « صيارفة البصرة وبنادرة البربهارات » . وانظر أنساب السمعانى ٧١ . وفى ط ، س : « البربها » ، بإسقاط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتمهد فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحترى ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب حلوق : جمع حلق ، أى أن لهم أصواتا حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه العبارة فى رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس فى الأرض أحسن حلوقا منهم » وفى ص ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الحلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمَّى أيضاً حاتماً . وقال عَوف بن الخَرِع[1] :

ولكنَّما أهْجُو صفىّ بنَ ثابت   مَثَبَّجةً لاقت من الطَّيرِ حاتما[2]

وقال المرقِّش ، من بنى سَدُوس[3] :

ولقد غَدَوتُ وكنتُ لا   أغــدُو على وَاقٍ وحاتم
[فإذا الأشائمُ كالأيا   مِنِ والأيامِنُ كالأشائمْ
وكذاك لا خــير ولا   شرٌّ على أحــدٍ بدائمْ]

(١) هو عوف بن عطية بن الخرع (وزان كتف) التيمى ، نسبة إلى تيم بن عبد مناة ، شاعر جاهلى . الخزانة (٣ : ٨٢ بولاق) . فى الأصل « الجزع » تصحيف ، صوابه فى القاموس (خرع) والخزانة والمفضليات ، وقد اختار له المفضل الضبى فى ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤١٢ ثلاث قصائد حسان .

(٢) المثبجة : البوم ، كما فى القاموس . ط ، س : « منيحة » ، وفى ل : « متيحة لاقته من الطير » ، صوابه من الأصمعيات ١٦٩ .

(٣) بدله فى ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوبا إلى المرقش فى عيون الأخبار (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٩ . ولم يعين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه « أشعرهما وأطولهما عمراً » . معجم المرزبانى ٢٠١ . وتجد الشعر فى حماسة البحترى ٢٥٥ معزوا إلى المرقم الذهلى ، وهو خزز بن لوذان كما فى المؤتلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر بدون نسبة فى أمالى القالى (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب (٢ : ١٦٩) .

وأنشد خُثيم بن عَدِيّ [1] :

وليس بهيَّابٍ إذا شدَّ رحْلَه يقولُ عدانِي اليومَ واقٍ وحاتِمُ [2]
ولكنَّه يَمضِي على ذاكَ مُقْدِماً إذا صَدَّ عَنْ تِلكَ الهَنَاتِ الخُثارِمُ [3]

والخُثارِم : هو المتطيِّر [4] من الرِّجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتِمُ » فحاتم هو الغراب ، والواقي هو الصُّرَد ؛ كأنَّه يرى أنَّ الزَّجْر بالغُراب إذا اشتقَّ مِن اسمه الغَرْبة [5] ، والاغتراب ، والغريب ، فإنَّ ذلك حتم . ويشتق من الصُّرَد التصريد [6] ، والصُّرَد [و] هو البرد . [ويدلك [7]] على ذلك قوله :

دعا صرَدٌ يوماً على غصْنِ شوْحَطٍ وصاح بذاتِ البَيْنِ منها غرابُها [8]
فقلتُ : أتصريدٌ وشَحْطٌ وغرْبَةٌ فهذا لعمرى نَأْيُها واغترابُها [9]

---

(١) كذا على الصواب فى ل والاقتضاب ٣٥٤ واللسان (وقى ، وحتم ، وخثرم) . ويعرف أيضاً بالرقاص الكلبى ، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة . وفى ط ، س : « لحاتم بن على » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر الزهرى . وقبله :

وجدت أباك الخير بحراً بنجوة بناها له مجداً أشم قاقم

(٢) عدانى : منعنى عن المضى إلى ما أقصد . والواقى ، كالقاضى : الصرد ، وهو طائر أبقع ضخم الرأس ضخم المنقار شديده ، فوق العصفور ويصيد العصافير ، غذاؤه من اللحم .

(٣) عن تلك الهنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « الهناة » ، صوابها فى ل واللسان والاقتضاب والمخصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ . والخثارم ، بضم الخاء ويروى بفتحها . فالأول مفرد والثانى جمع ، مثله جوالق وجوالق ، وقراقر وقراقر ، وعذافر وعذافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه فى ل واللسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .

(٥) ط ، س : « عن اسمه الغرابة » محرفة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفى السقى : دون الرى .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوحط : شجر تتخذ منه القسى . وفى زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « على غصن بانة » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتى . ط ، س : « فيها » ، وصوابه من ل وزهر الآداب . وضمير « منها » للحبيبة .

(٩) التصريد فسر قريباً . والشحط : البعد .

[فاشْتَقَّ التَّصْرِيدَ مِنَ الصُّرَدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ ، والشَّحْطَ مِنَ الشَّوْحَطِ] .

ويقال أُغْرِب الرّجُل : إذا اشتدَّ مرضُه ، فهُوَ مُغْرَب[1] .

قال : والعنقاء المغْرِب ، العُقاب ؛ لأنَّها تجيء من مكانٍ بعيد .

(أصل التطير فى اللغة)

قال : وأصل التطيُّر إنما كان من الطَّير [و] من جهة الطَّير ، إذا مرَّ بارحًا [أ] وْ سانحا[2] ، أو رآه يتفلى وينتَتِف ، حتَّى صاروا إذا عاينوا الأعورَ من النَّاس أو البهائم ، أو الأعضبَ أو الأبترَ ، زجَروا عند ذلك وتطيَّروا عندها ، كما تطيَّروا من الطير إذا رأوها على تلك الحال . فكان زجر الطَّير هو الأصـل ، ومنه اشتقوا التطيّر ؛ ثمَّ استعملوا ذلك فى كلِّ شيء .

(أسماء الغراب)

والغراب لسواده إن[3] كان أسود ، ولاختلاف لونه إن[3] كان أبقَع ، ولأنَّه غريب يقطع إليهم[4] ، ولأنّه لا يوجد فى موضع خيامهم

(١) ل : « أغرب على الرجل » وليس مراداً ، فى القاموس : أغرب عليه : صنع به صنع قبيح . ط ، س : « اشتد ضحكه » ، وهو تحريف صوابه فى ل ؛ فى القاموس : « أغرب بالضم : اشتد وجعه » .

(٢) البارح : مامر من ميامنك إلى مياسرك . والسانح عكسه . وكان يتشاءم بالأول ويتيمن بالثانى عند أهل نجد ، وكان أهل الحجاز يتفاءلون بالأول ويتشاءمون من الثانى .

(٣) ل : « إذا » .

(٤) ط : « لايقطع » تحريف ، وانظر ما سبق فى ص ٤٣٢ .

يتقمَّم ، إلّا عندَ مباينتِهم لمساكنهم ، ومزَايَلَتِهِمْ لدُورهم ؛ ولأنّه ليس شىءٌ ١٣٦
من الطّير أشدَّ على ذوات الدَّبَر من إبلهم من الغِربان ، ولأنّه حديدُ البصر فقالوا عند خوفهم من عينه « الأعور » . كما قالوا : « غراب » لاغترابه وغربته « وغراب البَين » ؛ لأنَّه عندَ بينونتهم يوجَد فى دُورهم .

ويسمُّونه « ابنَ داية » ؛ لأنَّه ينقُب عن الدَّبَر حتَّى يبلغ إلى دايات العنق وما اتّصل بها من خرُزات[1] الصُّلبِ ، وفَقَار الظهر .

(مراعاة التفاؤُل فى التسمية)

وللطِّيَرة[2] سمَّت العربُ المنهوش بالسَّليم ، والبرِّيّة بالمفازة ، وكنَوا الأعمى أبا بصير ، والأسود أبا البيضاء ، وسمّوا الغراب بحاتِم ؛ إذْ كان يحتِم الزَّجر به على الأمور . فصار تطيُّرهم من القَعيدِ والنَّطيح[3] ومن جَرْد الجراد[4] ، ومن أنَّ الجرادة[5] ذاتُ ألوان ، وجميعِ ذلك — دونَ التَّطيُّرِ بالغراب .

---

(١) الخرزات : جمع خرزة ، بالضم وتجمع أيضاً على خرز ، كغرف ، وهى مابين الفقرات . ط : « خرزان »، وصوابه فى ل ، س . وانظر ماسبق من الكلام على ابن دأية فى ص ٤١٥ .

(٢) الطيرة : مايتشاءم به من الفأل الردىء .

(٣) القعيد : ماجاء من ورائك من ظبى ، أو طائر . والنطيح : ماجاء من أمامك من الطير والوحش .

(٤) ل : « وجرد الجرادة » .

(٥) ط ، س : « الجراد » .

(ضروب من الطِّيَرة)

ولإيمان العرب بباب الطِّيرَة [والفأل] عقَدُوا والرَّتائم[١] ، وعشَّروا إذا دخَلوا القُرى تَعشِيرَ الحِمار[٢] ، واستعملوا فى القِداح الآمر ، والناهى ، والمتربِّص[٣] . وهنَّ غيرُ قداح الأيسار .

(قاعدة فى الطِّيَرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقُّون من اسم الشيء الذى يعاينونَ ويسمَعون ، قولُ سَوَّار بن المضرَّب[٤] :

تغنَّى الطَّائرانِ ببينِ لَيلَى ... على غصنينِ من غَرْبٍ وبَانِ

(١) الرتائم : جمع رتيمة : وهى أن يعقد الرجل إذا أراد سفرا شجرتين أو غصنين ويقول: إن رجع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها ، وإلا فلا . أو هى خيط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمعنى الأول هو المراد فى الطيرة والفأل .

(٢) عشر الحمار : تابع النهيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه . وكانوا يزعمون أن من قرب أرضا وبئة فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها أمن الوباء . قال عروة فى ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص ٩٩ :

لعمرى لئن عشرت من خشية الردى ... نهاق الحمير إننى لجزوع

ويظهر أن أصله عادة لليهود من العرب ، كما قال عروة :

وقالوا احب وانهق لا تضيرك خيبر ... وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن قتيبة فى كتاب الميسر ٣٩ — ٤٠ عن الآمر والناهى ولم يذكر « المتربص » .

(٤) قال التبريزى : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » وقد ذكره =

فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيمَى   وفى الغَرْب اغترابٌ غيرُ دانِ

فاشتقّ كما ترى الاغتراب من الغَرْب ، والبينونَة من البان .

وقال جرانُ العَود :

جَرَى يوم رُحْنا بالجمَال نُزِفُّها   عُقابٌ وشَحَّاجٌ منَ البين يَبْرَحُ (١)

فأمَّا العُقاب فهى منها عقوبةٌ   وأمَّا الغُراب فالغَريبُ المطوَّحُ (٢)

فلم يجد فى العُقاب إلَّا العقوبة . وجعل الشَّحاجَ (٣) هو الغراب البارح وصاحب البين ، واشتقّ منه الغريب المطوَّح .

ورأى السَّمهريُّ (٤) غرابا عَلَى بانةٍ ينتف رِيشَه ، فلم يجد فى البان إلَّا البينونة ، ووجد فى الغُراب جميعَ معانى المكروه ، فقال :

رأيتُ غراباً واقِعاً فوقَ بانَةٍ   يُنتِّفُ أعلى ريشِهِ ويُطايِرُهْ (٥)

= صاحب المؤتلف فقال : « سوار بن المضرب السعدى أحد بنى ربيعة بن كعب ابن زيد مناة بن تميم ، الشاعر المشهور، القائل :

وإنى لا أزال أخا حروب   إذا لم أجن كنت مجن جانى »

ط ، س : « بشار بن المضرب » صوابه فى ل . والشعر فى عيون الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى الملوط ، وفى الكامل ٨٤ ليبسك ونثار الأزهار ٧٥ إلى جحدر العكلى . وانظر أمالى القالى (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) .

(١) ل والشعراء ٦٩٧ : « يوم جئنا » . نزفها : نحثها على السير السريع ، يقال أزفه : حمله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » ، وأثبت مافى ل والديوان ٣ والشعراء .

(٢) المطوح : البعيد .

(٣) ط : « السحاج » ، وصوابه فى ل ، س . شحج : نعق .

(٤) كذا فى ل وهو المطابق لما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٢١١ . وهو السمهرى بن بشر العكلى . وفى ط ، س : « السهمى » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير عزة فى قصة طويلة تجدها فى زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومحاسن البيهقى (٢ : ٢٢ — ٢٣) والمستطرف (٢ : ١٦٩) وعيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية فى المخصص (٨ : ١٣١) وشرح التبريزى للحماسة : « ينشنش أعلى ريشه » نشنش ريشه : نتفه فألقاه .

فقلتُ ، ولو أنى أشاء زَجَرْتُه بنفسى ، للنهدىِّ : هل أنتَ زاجرُه[١]

فقال : غرابٌ باغتراب من النَّوى وبالبان بينٌ من حبيب تعاشرُه[٢]

فذكر الغرابَ بأكثَرَ ممَّا ذُكر [به] غيرُه ، ثمَّ ذكر بعدُ شأنَ الرِّيش وتطايرَه . وقال الأعشى :

ما تَعِيف اليَومَ فى الطَّيرِ الرَّوَحْ مِنْ غرابِ البَينِ أو تيسٍ بَرَحْ[٣]

فجعل التَّيس من الطَّير ، إذ تَقَدَّمَ ذكر الطَّير ، وجعله من الطَّير فى معنى التطيُّر .

وقال النَّابغة :

١٣٧ زَعَمَ البوارِحُ أنَّ رِحْلَتَنَا غَدًا وبِذَاكَ خَبَّرَنا الغرابُ الأسْوَدُ

وقال عنترة :

ظَعَنَ الذين فراقَهُمْ أتوقَّعُ وَجَرَى بِبَيْنِهِمْ الغُرابُ الأبقَعُ
حَرِقُ الجناحِ كأنَّ لَحْيَىْ رأسِه جَلَمانِ بالأخْبارِ هَشٌّ مُولَعُ[٤]

---

(١) النهدى : رجل من بنى نهد ، وهم من أزجر العرب ، كان لتى كثيرا فى الطريق وزجر له ، أى تكهن . ط : « للهندى » تحريف .

(٢) كذا فى ل والمراجع المتقدمة ، خلا زهر الآداب ، ففيه : « تجاوره » . وفى ط ، س : « نحاذره » ، أى نحاذر البين .

(٣) ط : « نعيف » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، ومحاسن البيهقى (١ : ٩٩) وتعيف : من العيافة وهى الزجر والتطير . والروح بالتحريك : اسم جمع لرائح أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما فى المخصص . والبيت صدر قصيدة للأعشى فى ديوانه ١٥٩ يمدح بها إياس بن قبيصة الطائى . وانظر قصة الشعر فى محاسن البيهقى .

(٤) ط ، س : « خرق » ، تصحيف . وقد أسلفت القول على هذا البيت فى (١ : ٣٤) .

فزَجَرتُه ألاَّ يُفرِّخَ بيضُه(١) أبَدًا ويُصْبِحَ خائفاً يتفجَّعُ
إنَّ الذين نعَبْتَ(٢) لى بفراقِهمْ هُمْ أسهرُوا ليلى التِّمامَ فأَوْجَعُوا(٣)

فقال : « وجرى ببينهم الغراب » لأنَّه غريب ، ولأنه غراب البين ، ولأنّه أبقع . ثم قال : « حَرِق(٤) الجناح » تطيرًا أيضاً من ذلك . ثمَّ جعل لَحيَىْ رأسِهِ جِلمَين ، والجلَم يقطع . وجعله بالأخبار هَشًّا مُولَعًا ، وجعَل نعيبه [و] شحِيجَه كالخبر المفهوم .

(التشاؤم بالغراب)

قال : فالغراب أكثرُ من جميعِ ما يُتَطيَّرُ بِهِ فى باب الشؤم . ألا تراهم كلما ذكروا ممَّا يتطيرُون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟!

وقد يذكرون الغرابَ ولا يذكرون غيره ، ثمَّ إذا ذكروا كلَّ واحدٍ من هذا الباب لايمكنهم أنْ يتطيرُوا منه إلاّ من وجهٍ واحد ، والغراب كثيرُ المعانى فى هذا الباب ، فهو المقدَّم فى الشؤم .

---

(١) ط : « طيره » . وفى الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .
(٢) س : « نعيت » ، تصحيف .
(٣) ليلى التمام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س والديوان . وفى ل : « ليل التمام » وكلاهما صحيح . وفى حديث عائشة : « كان يقوم الليلة التمام » .
(٤) ط ، س : « خرق » ، وصوابه فى ل . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغير الغراب فى ذلك سواءٌ . والأعرابىُّ إن شاء اشتقَّ من الكلمة ، وتَوَهَّمَ فيها الخيرَ ، وإن شاء اشتقَّ منها الشرَّ .

وكلُّ كلمةٍ تحتمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأصحابى ببطن طويلع　　ضُحَيًّا وقد أفْضى إلى اللَّبَبِ الحَبْلُ (١)
إلى ظبيةٍ تَعطو سَيَالاً تَصورُه　　يجاذِبها الأفنانَ ذو جُدد طِفل (٢)
فقلتُ وعِفت : الحبلُ حبلُ وِصالها　　تجذَّذ من سلماك وانصرَم الحَبْل (٣)
وقلت : سيال ! قَدْ تسلَّت مودَّتى.　　تصورُ غُصُوناً ! صارجثمانها يَعلو (٤)

---

(١) ل : « وقد جاوزت بطن طويلع » . الحبل : الرمل المستطيل . واللبب : ما كان قريبا من حبل الرمل . يقول : وقدجزنا الحبل إلى اللبب . ويصح أن يراد لبب الناقة وحبلها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللبب . ط ، س : « إلى اللبب الحمل » ، ووجهه ما فى ل .

(٢) السيال ، كسحاب : ضرب من الشجر تحبه الظباء . تصوره : تميله . الجدد : الخطوط والعلامات . س : « ذو حرحر » . ل : « ذو جدل » ، تحريف ما فى ط .

(٣) عفت ، من العيافة والزجر . تجذذ : تقطع . ط ، س: « تجدّد » ، يقال جده قطعه . سلماك : نسب سلمى الحبيبة إليه . س : « ساماك » ل : « سامال » صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الوصل » .

(٤) ط : « سيالا » ، خطأ .

وعِفت الغرِيرَ الطِّفلَ طِفلاً أتت به   فقلت لأصحابى: مضيُّكمُ جَهْلُ(١)

رُجوعِيَ حَزْمٌ وامترائِىَ ضِلَّةٌ   كذلك كانَ الزَّجْرُ يَصْدُقُنى قَبْلُ(٢)

وقال ابن قيس الرُّقَيَّات :

بَشَّرَ الظَّبىُ والغُرابُ بسُعْدَى   مَرحَبًا بالذى يَقُول الغرابُ

وقال آخر(٣) :

بَدَا إذ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لأَرضنا   سنيحٌ فَقال القَوْم : مرَّ سنيحُ(٤)

وهابَ رجالٌ أن يقولوا وَجَمْجَمُوا   فَقلت لهم : جارٍ إلَىَّ ربيحُ(٥)

عُقابٌ بإعقاب من الدّار بَعْدَ مَا   مَضَت نِيَّةٌ لاتسْتطاعُ طَرُوحُ(٦) ١٣٨

وقالوا : دمٌ ! دامت مودَّة بيننا   وعادَ لَنا غضُ الشبابِ قريحُ(٧)

وقال : صحابى : هُدهُدٌ فوق بانَة!   هدًى وبَيانٌ فى الطريق يَلوحُ

وقالوا : حمامات ! فحُمَّ لقاؤُها   وطلحٌ ! فنيلت والمطىُّ طَلِيحُ(٨)

---

(١) ط : « الطفل طفل » صوابه فى ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع أمله من ودها .

(٢) الامتراء : الشك . والضلة بالكسر : الضلال ، وبالفتح : الحيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حية النميرى . زهر الآداب (٢ : ١٦٧ — ١٦٨) والشريشى (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما فى ل وزهر الآداب . السنيح : ما جاء من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجمجمة : ألا يبين المرء كلامه . ل : « ورجعوا » وجار ، من الجرى .

(٦) الإعقاب : التبديل . يقول : سيبدلون الدار . ط ، س : « النار » ، وصوابه فى ل وزهر الآدب . ونية طروح : بعيدة .

(٧) س : « قريح » ل : « غض الشباب قديح » ، ولم أهتد إلى الوجه فى ذلك . وفى زهر الآداب : « ودام لنا حلو الصفاء صريح » .

(٨) حم : قدر وقضى . المطى : الإبل . طليح : أعياه السفر . ط ، س : « فزيرت » وأثبت ما فى ل ومحاسن البيهقى (٢ : ٢٤) .

قالوا : فهو إذا شاء جعل الحمام من الِحمام والحميم والحمى. وإن شاء قال : « وقالوا حماماتٌ فحُمَّ لقاؤها » . وإذا شاء اشتق[١] البين من البان . وإذا شاء اشتقّ منه البيان[٢] .

وقال آخر[٣] :

وقالوا: عقابٌ ! قلتُ عُقْبَى من الهوى ... دنَتْ بعد هَجْرٍ منهمُ، ونُزوحُ[٤]

وقالوا : حمامات ! فحُمَّ لِقاؤُها ... وعادَ لنا حُلوُ الشَّبابِ رَبِيحُ[٥]

وقالوا : تَغنَّى هدهدٌ فوقَ بانة ! ... فقلتُ : هُـدًى نغدُو به ونَرُوحُ

ولو شاء الأعرابيّ [أن يقول[٦]] إذا رأى ســوادَ الغراب : سواد سودد ، وسواد الإنسان : شخصه ، وسواد العراق : سعَف نخله ، والأسودان الماء والتمر ، وأشباه ذلك — لقاله .

قال : وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرِّفون الزَّجر كيف شاءوا ، وإذا لم يجدوا مِن وقوع شيء بعدَ الزَّجر بُدًّا — هم الذين إذا بدا لهم فى ذلك بَداء[٧] أنكروا الطِّيرَةَ والزَّجْر البتّة .

---

(١) ط ، : « أشق » ، وصوابه فى ل .

(٢) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة .

(٣) كذا جاء . والحق أنه من القصيدة الأولى، وأنه رواية أخرى فى بعض أبياتها .

(٤) النزوح : البعد .

(٥) ل : « وقالوا حمام قلت حم لقاؤها » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بدا له فى الأمر بدوا ، وبداه ، وبدأ ، وبداة ، نشأ له فيه رأى . ط : « بده » محرفة . س : « بدأ » ، وأثبت ما فى ل .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعيُّ أنَّ النَّابِغَةَ خرج مع زَبَّان بنِ سيَّار[1] يريدان الغَزو، فبينما هما يريدان الرحلة إذْ نظر النَّابغَةُ وإذا على ثوبه جرادةٌ تجرد ذاتُ ألوان، فتطيَّر وقال: غيرى الذى خَرجَ فى هذا الوجه! فلما رجع زَبَّان من تلك الغَزْوة سالمًا غانماً، قال:

تخبَّر طيرَهُ فيها زيادٌ ... لتخبِرَه وما فيها خَبِيرُ[2]
أقام كأنَّ لقْمان بنَ عادٍ ... أشار له بحِكْمته مُشيرُ
تعلَّمْ أنَّه لا طيْرَ إلاَّ ... على متطيرٍ وهو الثُّبور
بلى شىءٌ يوافِقُ بعضَ شىءٍ ... أحايينا وباطله كثيرُ[3]

فزعم كما ترى زَبَّان — وهو من دُهاة العرب وساداتهم — أنَّ الذى يجِدونه إنَّما هو شىءٌ من طريق الاتفاق، وقال:

تعلَّمْ أنَّه لا طيْرَ إلاَّ ... على متطيِّر وهو الثُّبُور

---

(١) هو زبان بن سيار بن عمرو الفزارى، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١. وهو صهر للنابغة، قال فى شعر له:

ألا من مبلغ عنى خزيما ... وزبان الذى لم يرع صهرى

وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبان. ط، ل: «يسار»، وصوابه فى س والحيوان (٥ : ٥٥٥) والبيان (٣ : ٣٠٤).

(٢) تخبر طيره: سألها أن تخبره. ط: «تخبر طيره»، س: «تخير طيره»، والطيرة بالكسر الاسم من تطير. وزياد هو النابغة، ابن معاوية الذبيانى.

(٣) كذا فى ل والبيان (٣ : ٣٠٥) والحيوان (٥ : ٥٥٥) والعمدة (٢ : ٢٠٢) والمستطرف (١ : ٨٤) وعيون الأخبار (١ : ١٤٦). وفى ط: «وأحيانا». وفى س: «وأحيانا رداك»، وما فى س محرف.

وهذا لاينقض الأوّلَ من قوله : أمّا[1] واحدة فإنه إنْ جعل ذلك من طريق العِقاب للمتطير[2] لم ينقُضْ قوله فى الاتّفاق . وإن ذهب إلى أنّ مثلَ
١٣٩ ذلك قد يكون ولا يشعر بِهِ اللاّهى عن ذلك والذى[3] لا يؤمن بالطيرة ، فإنّ[4] المتوقِّع فهو فى بلاء مادامَ متوقعا . وإن وافق بعضُ المكروه جعَله من ذلك .

(تطير ابن الزبير)

ويقال إنَّ ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكَّة ، سمع بعضَ إخوته ينشد :

وكلُّ بنى أُمٍّ سيُمْسُون ليلةً ولم يَبْقَ من أعْيانِهِمْ غيْرُ وَاحِدِ

فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إنى ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمانٌ شديد بالطيرة كما ترى .

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « للتطير » .

(٣) ل : « وأنه » محرف .

(٤) فى الأصل : « فأما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

وممّن كان لا يرى الطيرة شيئاً[1] المرقش ، من بنى سدوس ، حيثُ قال :

[إنى غدوتَ وكنت لا أغدو على واق وحاتمْ]
فإذا الأشائمُ كالأيامنِ والأيامنُ كالأشائمْ
فكذاك لا خيرٌ ولا شرٌّ على أحدٍ بدائمْ[2]

قال سَلامة بنُ جندل[3] :

ومَن تعرَّض للغِرْبان يزْجُرُها على سلامَتِه لا بدَّ مشئوم

وممّن كان ينكر الطِيرة ويوصى بذلك ، الحارثَ بن حلّزة ، وهو قوله — قال أبو عبيدة : أنشدَنيها [أبو] عمْرو ، وليست إلاّ هذه الأبيات ، وسائرُ القصيدهِ مصنوع مولّد — وهو قوله :

يا أيها المزْمِعُ ثم انثَنَى لا يَثْنِكَ الحازِى ولا الشاحِجُ[4]

---

(١) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقت الأبيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لعلقمة الفحل كما فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) والديوان ١٣١ من قصيدته التى مطلعها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

(٤) الحازى : زاجر الطير ، أو الكاهن . ط ، س : « الحادى » محرف . والشاحج : الغراب يشحج بصوته .

ولا قعيــد أعضَبُ قَرْنُهُ هاجَ له من مَرْبَعٍ هَائِجَ[١]
بينَا الفَتَى يَسْعَى ويُسْعى له تَاحَ له من أَمْره خَالِـجُ[٢]
يترُكُ مارَقَّح من عيشــه يعيثُ فيـه هَمَجٌ هامِجُ[٣]
[لا تــكسع الشَّول بأغبارها إنكَ لا تَدْرِى من الناتِجُ[٤]

وقال الأصمعى : قال سَلْم بن قتيبة[٥] : أضللت ناقَةً لى عَشراء ، وأنَا بالبدو[٦] ، فخرجت فى طلبها ، فتلقانى رجلٌ بوجهه شَينٌ من حَرْق النار ، ثمَّ تلقَّانى رَجُلٌ آخذ بخِطام[٧] بَعيره ، [وإذا][٨] هو ينشد :

فَلئِنْ بغَيث لهــ البغا ةَ فما البغاةَ بواجِدِينا[٩]

---

(١) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبى أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . ل : والبيان (٣ : ٣٠٣) : « من مرتع » . س : « مريع » محرفة .

(٢) تاح : قدر ، أوتهيأ . والخالج : الموت يختلج المرء وينتزعه .

(٣) رقح : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما فى ل واللسان والبخلاء ١٣٨ . وفى البيان : « يعبث فيه » .

(٤) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها فى بطنها . والشول ، بالفتح : جمع شائلة ، وهى التى أتى عليها من حملها ، أو وضعها سبعة أشهر فخف لبنها . والغبر بالضم : بقية اللبن فى الضرع . انظر الكامل ٢١٣ ليبسك وأمثال الميدانى (١ : ٣٣٦) .

(٥) سلم بن قتيبة بن مسلم ، كان واليا على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبوه قتيبة ابن مسلم كان واليا عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٢٤٦ . ط : « سلام بن قتيبة » وفى سائر النسخ : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف . والقصة الآتية فى تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وسندها : « أبو حاتم قال نا الأصمعى عن سعيد بن مسلم عن أبيه » ، صوابه « بن مسلم » .

(٦) فى تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف ». والطف : ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق .

(٧) ط ، س : « آخر » صوابه فى ل . والرجل هو هانئ بن عبيد من بنى وائل كما فى تأويل مختلف الحديث .

(٨) من س .

(٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذى يطلب الشىء ويبحث عنه . ل : « بعثت له » . وقد نسب البيت فى عيون الأخبار ١ : ١٤٥ إلى لبيد .

ثم من بعد هذا كلِّه ، سألت عنها بعضَ من لقِيتُه ، فقال لى : التمسْها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا همْ قد نتجوها حُوارًا[١] ، وقد أوقدُوا لها نارًا فأخذْتُ بخِطامها وانصرفتُ .

(النَّظَّام وعدم إيمانه بالطيرة)

وأخبرنى أبو إسحاقَ إبراهيم بنُ سيَّارٍ النَّظَّام قال : جعْت حتَّى أكلت الطين ، وما صِرت إلى ذلك حتَّى قلبت قلبِى[٢] أتذَّكر : هلْ بها رجلٌ أصيبُ عنده غَدَاءً أو عَشاء[٣] ، فما قدرت عليه . وكان علىَّ جُبَّةٌ وقميصان ، فنزعتُ القميصَ الأسفلَ فبعته بدريهمات ، وقصدْتُ إلى فُرْضَةِ الأهواز ، أريد قَصبةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلاّ ١٤٠
شيئًا[٤] أخرجه الضَّجَرَ وبعضُ التعرُّض . فوافيتُ الفُرضةَ فلم أصِبْ فيها سفينةً ، فتطيَّرتُ مِن ذلك . ثم إنى رأيتُ سفينةً فى صدرها خَرْقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حمولة ، فقلت للملاَح : تحملنى ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : «داوداذ[٥]» ، وهو بالفارسية الشَّيطان ، فتطيرت من

(١) الحوار ، بالضم ويكسر : ولد الناقة حين تضعه ، أو إلى أن يفطم .
(٢) قلبت قلبى ، أى فكرت كثيرا . والقلب : العقل .
(٣) بها ، أى بالبصرة ، أو بهذه الدنيا. ط : « وعشاء » .
(٤) ط ، س : « شىء » .
(٥) ط ، س : « داود » .

ذلك . ثم ركِبت معه ، تصكّ الشَّمالَ وجْهى ، وتُثير بِالليل[1] الصَّقيعَ على رأسى . فلمَّا قرُبنا من الفرْضة صِحْت : ياحمَّال ! ومعى لحافٌ لى سَمَل ، ومضْربةٌ خلق ، وبعضُ مالا بُدَّ لمثلى منه . فكان أوّل حمَّال أجابنى أعور فقلتُ لبقَّار كان واقفا : بكم تكرى[2] ثورَك هذا إلى الخان ؟ فلما أدناه من متاعى إذا الثَّورَ أعضبُ القرن ، فازددْتُ طيرة إلى طيرة ، فقلت فى نفسى : الرُّجوعَ أسلمُ لى . ثمّ ذكرتُ حاجتى إلى أكل الطين فقلت : ومن لى بالموت ؟! فلما صرتُ فى الخان وأنا جالس فيه ، ومتاعى بينَ يدَىَّ وأنا أقول : إنْ أنَا خلَفته فى الخانِ وليس عنده من يحفظه فُشّ[3] البابُ وسرق ؛ وإن جلست أحفظُه لم يكن لمجيئى[4] إلى الأهوازِ وَجْه . فبينا أنا جالسٌ إذ سمعتُ قرْعَ البابِ ، قلت : من هذا عافاك الله تعالى ؟ قال : رجلٌ يريدُك ، قلت[5] : ومن أنا ؟ قال : أنت إبراهيم . فقلتُ : ومَن إبراهيم ؟ قال : [إبراهيم] النَّظَّام . قلت : هذا خنَّاق ، أو عدوٌّ ، أو رسولُ سلطان ! ثم إنى تحامَلتُ وفتحتُ البابَ ، فقال : أرسَلنى إليك إبراهيمَ بن عبد العزيز ويقول :

نحنُ وإن كنَّا اختلفْنَا فى بعضِ المقالة ، فإنَّا قد نرجِعُ بعد ذلك إلى حقوقِ الأخلاق [و] الحرِّيَّة[6] . وقد رأيتك حينَ مررتَ [بى][7]

---

(١) ط ، س : « وينثر الليل » .

(٢) س : « تكريني » . والكراء : الأجرة. وانظر الاستدراكات .

(٣) فش القفل ؛ فتحه بدون مفتاح . شفاء الغليل .

(٤) ط س : « لمجىء » .

(٥) ط : « قتلت » تحريف .

(٦) الحرية : كون الإنسان حراً ، وهو من أقدم المصادر الصناعية .والحر : العتيق الكريم .

(٧) من ل ، س .

على حال كرهتُها منك ، وما عرفتُك حتَّى خبَّرنى عنك بعضُ مَن كان معى وقال : ينبغى أنْ يكونَ قد نزَعَتْ[1] [بك] حاجة . فإنْ شئتَ فأقِمْ بمكانك شهرًا أو شهرين ، فعسى أنْ نبعثَ إليكَ ببعضٍ ما يكفيك زمنًا[2] مِن دهرك . وإن اشتَهيت الرُّجوعَ فهذه ثلاثون مِثقالاً ، فخذْها وانصرف ، وأنتَ أحقُّ مَن عَذَرَ .

[قَال] : فهجم والله علىَّ أمرٌ كاد ينقضنى[3] . أما واحِدَةً : فأنِّى لم أكنْ ملكتُ قبلَ ذلك ثلاثينَ دينارًا فى جميع دهرى . والثَّانية : أنّه لم يطَلْ مقامى وغيبتى عَن وطنى ، وعن أصحابى الذين هم على حال أشكل بى وأفهَمُ عنِّى . والثَّالثة : ما بيّن لى من أنَّ الطيرَة باطل ؛ وذلك أنّه قَدْ تتابع علىَّ منها ضروبٌ ، والواحدة منها كانت عنْدَهُمْ مُعْطِبة .

قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاقِ يعمَلُ الذين يعبِّرون الرُّؤيا .

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأنِ الغِرْبانِ ضروبٌ من العجَب ، لو كان ذلك بمصر أو ببَعض الشامات[4] : لكان عندَهم من أجوَدِ الطِّلّسم . وذلك أنّ

(١) ط ، س : « نزعته » صوابه فى ل .

(٢) ل : « زمينا » تصغير زمن .

(٣) ينقضنى : أى يذهب قوتى وعزمتى . س : « ينقض » ط : « ينغصنى » تحريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى ص ٤٠٤ .

١٤١ الغِربانَ تقطع إلينا فى الخريف ، فترى النَّخْلَ وَبَعضُها مَصرومة[١] ، وعلى كلِّ نَخلةٍ عدَدٌ كثيرٌ من الغربانِ ، وليس منها شيءٌ يقرُب نَخْلةً واحدةً من النّخل الذى لم يُصرَم ، ولو لم يَبقَ عليها إلاّ عِذقٌ واحد . وإنّما أوكار جميع الطير المصوِّت فى أقلاب[٢] تلك النّخل ، والغراب أطيرُ وأقوى منها ثم لايجترىء أن يسقُطَ عَلَى نخلةٍ منها ، بعْدَ أنْ يكون قَدْ بقى عليها عِذْق واحِدٌ .

(منقـار الغراب)

ومنقار الغُرَاب معْوَل ، وهو شديدُ النَّقْر . وإنّه ليَصِلُ إلى الـكمأةِ المنْدَفِنَة فى الأَرض بنَقْرَة واحِدَة حتى يشْخِصها . ولهوَ أبْصرُ بمواضع الكماة مِن أعْرابىٍّ يطلبها فى منبتِ[٣] الإجرِدِّ والقصِيص[٤] ، فى يَوم ٍ له شمس حارَّة . وإنَّ الأعـرَابىّ ليحتاجُ إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بَعْضُ الانتفاخِ والانصدَاع ،وما يحتاجُ الغُرَاب إلى دليل[٥] . وقال أبودُوادٍ الإيادىّ:

تَنْفى الحَصَى صُعُدًا شرقِىَّ منْسِمها نَفْىَ الغرَابِ بأعلى أنْفِهِ الغَـرَدَا[٦]

---

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « فترى الأرض ونصفها مصرم » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو السعف الذى يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبعث » .

(٤) الإجرد : نبت يدل على الـكمأه . والقصيص : شجر ينبت فى أصله الـكمأة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الـكمأة كما يقتص الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الـكلام فى هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « الغرده » .

ولو أنّ الله عزَّ وجلَّ أذِن للغراب أن يسقط عَلَى النَّخلة وَعلى الثَّمَرة لذهبت ، وفى ذلك الوقت لو أنّ إنساناً نقَر العِذْقَ نقرةً واحِدَةً لانتَثرَ عامَّةُ ما فيه ، ولهلكتْ غلّاتُ الناس . ولكنّك ترى منها على كلِّ نخلة مصرومةٍ الغِربانَ الكثيرة ، ولا ترى على التى تليها غرابا واحدا ، حتى إذا صرموا ما عليها تسابقْن إلى ما سقط من التمر فى جوف اللِّيف[1] وأصولِ الكرَب[2] لتَستخرجَه كما يستخرج المِنْتَاخُ الشّوكَ[3] .

(حوار فى نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاقِ المدلَّاةِ كالخِرَق السُّود التى تُفزع الطيرَ أنْ يقعَ عَلَى البُرُور[4] ، وكالقوادمِ السُّودِ تغرَزُ فى أسنمةِ ذواتِ الدَّبَرِ من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغِربان . فكأنّها[5] إذا رأتْ سوادَ الأعذاقِ فزِعتْ كما يفزَع الطيرُ من الخِرَق السُّود .

---

(١) ل : « اللب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٣) المنتاخ ، كمنفاخ : المنقاش الذى ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج الشاك الشوكة » ، وفيها تحريف .

(٤) كذا على الصواب فى ل . وفى ط : « التى تغرز والطيران يقع على البزور » وهى عبارة مختلة . والكلام من مبدإ « تفزع » إلى : « السود » ساقط من س. وانظر لمثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نجدُ جميعَ الطير الذى يفزَع بالخرق السُّود فلا يسقط عَلَى البزور ، يقعُ كله عَلَى النّخل وعليهِ الحمل ، وهلْ لعامَّة الطَّير وُكور [١] إلّا فى أقلابِ [٢] النَّخلِ ذواتِ الحمل .

قال الآخر : يشبه أن تكونَ الغِربانُ قطعَتْ إلينا من مواضعَ ليس فيها نَخْلٌ ولا أعذاق ، وهذا الطير الذى يُفزَع بالخِرَقِ السُّود إنَّما خُلِقتْ ونشأت فى المواضع التى لم تَزل تَرَى فيها النَّخِيلَ والأعذاق . ولا نعرف لذلك علة سوى هذا .

قال الآخر : وكيف يكون الشأن كذلك [و] من الغِربانِ غربانٌ أوابدُ بالعِراق فلا تبرَحُ تَعشِّش فى رءوس النَّخل ، وتبيضَ وتفْرِخُ ، إلاّ أنَّها لا تقرب النَّخلة التى يكون عليها الحمل .

والدّليل عَلَى أنها تعشش فى نخل البصرة، [و] فى رءوس أشجار البادية قَولُ الأَصمعىِّ :

١٤٢ ومن زردَكِ مثلِ مكنِ الضِّبابِ ... يُناوح عيدانَه السيمكان [٣]
ومن شَكر فيه عُشُّ الغرابِ ... ومن جَيْسَرانٍ وبنْدَاذجان [٤]

---

(١) ل : « أوكار » . ويجمع الوكر أيضاً على أوكر ، ووكر ، كغرف .

(٢) الأقلاب : جمع قلب بالضم ، وهو السعف الذى يطلع من قلبها . ط : « أقلال » وصوابه فى ل ، س .

(٣) الزردك : كلمة فارسية . ومعناها الجزر ، وهو نبات معروف تؤكل أصوله وتربى . والجزر ليس عربى اللفظ ، معرب . كما فى القاموس . ط ، س : « زرنك » محرف . والضباب : بالكسر : جمع ضب . ومكنه ، بالفتح : بيضه . و « السيمكان » هى فى ل : « التشمكان » .

(٤) شكر ، هو من شكرت النخلة شكراً — من باب تعب : كثر فراخها . وفى الأصل : « سكر » ويصح بتأول؛ فإن من النخل يصنع بعض السكر ، بالتحريك : وهو ما يسكر من النبيذ . واو « ومن » الثانية ساقطة من ل . و « جيسران » هى فى ط ، س : « خيشوان » وفى ل : « جيسوان » ، صوابه ما أثبت. والجيسران : جنس من أفخر النخل ، فارسيته « كيسران » الألفاظ الفارسية ٤٩ وعيون الأخبار (٣ : ٢٩٧) . و « بنداد جان » هى فى ط ، س : « بيذان جان » .

وقال أبو محمَّد الفقعسِيُّ ، وهو يصف فحلَ هَجْمة[١] :

يتبعُها عَذَبَّسٌ جُرائِضُ[٢] أكلفُ مربدٌّ هَصُورٌ هائضُ[٣]

* بحيْثُ يعتَشْ الغرابُ البائِضُ[٤] *

(ما يتفاءل به من الطير والنبات)

والعامَّة تتطيَّرُ من الغراب إذا صاح صيحةً واحــدةً ، فإذا ثَنَّى تفاءلتْ به .

والبُوم عند أهل [الرَّيِّ وأهل] مَرْوٍ يُتفاءَل بهِ ، [وأهل البصرة يتطيرُون منه . والعَربيُّ يتطيَّر من الخلاف ، والفارسيّ يتفاءَل إليه] ؛ لأنَّ اسمه بالفارسيــة « باذامك » أى يَبقى[٥] ، وبالعربيــة خِلاف ، والخِلاف غيرُ الوفاق .

والريحان يُتفاءل به ؛ لأنَّه مشتقٌّ من الرَّوح ، ويتطيَّر منه لأنَّ طعمه مُرٌّ ، وإنْ كان فى العَينِ والأنفِ مقبولا .

---

(١) الهجمة : جماعة من الإبل أقلها أربعون .

(٢) العذبس : الشديد الموثق الخلق . والجرائض ، بالضم : الأكول الذى يحطم كل شيء بأنيابه . ورواية اللسان (جرض) :

* يتبعها ذوكدنة جرائض *

(٣) المربد : الذى لونه بين السواد والغبرة . ط ، س : « أكلف نهاض هصور ناهض » .

(٤) تكلم فى هذا البيت صاحب المخصص (٩ : ١٢٥) . وفى ط ، س : « بحيث يفتش » ل : « بحيث يعيش » وصوابهما فى اللسان والمخصص . و « البائض » هى فى ط ، س : « النابض » ، وصوابه من ل : واللسان والمخصص .

(٥) هذه العبارة جاءت فى ط ، س : « بارمال يريد تبقى » وفى ل : « بيذاى يبقى » . وقد حورتها إلى ما ترى معتمداً على معجم النبات ص ١٦٠ . والخلاف : جنس من الصفصاف . وفى تذكرة داود : « باذامك من الصفصاف » .

وقال شاعرٌ من المحدَثين(١) :

أهدَى له أحبابُهُ أُتْرُجَّةً فبَكَى وأشْفقَ مِنْ عِيافَةِ زَاجرِ(٢)
متطيِّرًا ممَّا أتاه ، فطعْمه لَونانِ باطنُه خلافُ الظَّاهِرِ(٣)

والفُرْس تحبُّ الآسَ(٤) وتكره الوَرد؛ لأنَّ الوردَلايدومُ ، والآسَ دائم.

قال : وإذا صاح الغرابُ مرَّتين فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ فهو خير ، على قدر [عدد(٥)] الحروف(٦) .

(عداوة الحمار للغراب)

ويقال : إنَّ بينَ الغراب والحمار عداوةً . كذا قال صاحب المنطق . وأنشدنى بَعْض النحويِّين(٧) :

عاديتنا لا زلْتَ فى تَبابِ عداوة الحمار للغراب(٨)

---

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما فى زهر الآداب (٤ : ٨٧) .

(٢) فى العقد (١ : ٢٩٨) : « أهدى إليه حبيبه » . وانظر الاستدراكات .

(٣) فى العقد :

« خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . . »

وفى زهر الآداب :

«متطيراً منها السقام وجسمها لونان باطنها . . . »

(٤) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر « مرسين » .

(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .

(٦) كذا فى ل وحياة الحيوان . وفى ط : « الجزاء » وفى س : « الجزء » . والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » و « خير » ، فالأولى مركبة من حرفين ، والثانية مؤلفة من ثلاثه . وقد تبدو هذه العبارة مناقضة لما سبق فى ٤٥٧ س ٥ . لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان بحكيهما .

(٧) كذا فى ل . وفى ط : « وأنشد لبعض » وفى س : « وأنشدت لبعض » .

(٨) ط ، س: « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه فى ل و (٢ : ٥٢) .

(أمثال فى الغراب)

[ويقال : « أصحُّ مِن غراب » . وأنشد ابن أبى كريمة لبعضهم ، وهو يهجو صريع الغوانى مسلم بنَ الوليد :

فما ريحُ السَّذاب أشدُّ بُغْضاً　　إلى الحيَّاتِ منك إلى الغوانى]

وأنشد(١) :

وأصْلَب هامةً من ذى حُيُود　　ودُون صداعه حُمَّى الغراب(٢)

وزعم لى داهيةٌ من دُهاة العرب الحوَّائِين ، أنَّ الأفاعىَ وأجناسَ الأحناش ، تأتى أصولَ الشِّيح والحَرْمَل ، تستظل [به] ، وتستريحُ إليه .

ويقال : « أغرَبُ من غراب » . وأنشد قول مضرِّس بن لَقيط(٣) :

كأنّى وأصحابى وكَرِّى عليهمُ　　على كلِّ حال من نشاطٍ ومن سَأَمْ(٤)

غرابٌ من الغِرْبانِ أيَّامَ قِرَّةٍ　　رَأيْنَ لِحَاماً بالعِراص عَلَى وَضَمْ(٥)

---

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هامة من ذى جنود » محرف . والحيود : ماشخص من نواحى الرأس . والبيت ساقط من س .

(٣) نسبه إلى جده ، وإنما هو مضرس بن ربعى بن لقيط الأسدى ، له خبر مع الفرزدق كما فى معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلاميا أو مخضرما . لكن قال صاحب الخزانة (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهلى .

(٤) ل : « وكرى إليهم » .

(٥) القرة ، بالكسر : البرد . ط ، س : « فره » صوابه فى ل . واللحام : جمع لحم . والعراص : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط : « بالعراض » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا فى الحديث الذى جاء فى تفرقةِ ما بينَ الطيرَةِ والفأل ، وزعموا أنّه ليس لقوله : «كان يَعجبه الفألُ الحسنَ ويكره الطيرة» معنًى . وقالوا : إنْ كان ليس لقولِ القائل : يا هالك ، وأنت باغٍ ، وجهٌ
١٤٣ ولا تحقيق ، فكذلك[1] إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله يا مضلّ ويا مهلك ، أحقَّ بأن يكون لا يوجبُ ضلالاً ولا هلا كا من قوله يا واجد ، ويا ظافر ، من ألاّ يكون يوجبَ ظفرًا ولا وُجودا . فإمَّا أنْ يكونَا جميعاً يوجبان ، وإما أن يكونَا [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل ما إليه ذهبتم . لو أن النَّاس أمَّلوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجَوا عائِدَتَه ، عند كلِّ سببٍ ضعيف وقوىّ ، لكانوا عَلَى خير . ولو غَلِطوا فى جهة الرَّجاء لكان لهم[2] بِنفس ذلك الرَّجاء خير . ولو أنَّهُمْ بدل ذلك قَطعُوا أملهُمْ ورجاءهم منَ الله تعالى[3] ، لكان ذلك من الشرّ والفأل ، أن يسمع كلِمَةً فى نفسها مستحسنة . ثمَّ [إن] أحبَّ بعدَ ذلك أو عند ذلك أنْ يحدث طمعاً فيما عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلافَ اليأس . وإنما خبَّر أنّه كان يعجبه . وهذا إخبارٌ عن الفطرة كيف هى ، وعن الطبيعة إلى أىِّ شىء تتقلب .

---

(١) س : « وكذلك » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب فى ل ، س . وفى : ط : « ولو أنهم بدلوا ذلك فقطعوا » . . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء[1] : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُضِلٌّ : يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة . ولكنَّهم يحبُّون له إخراجَ اليأسِ وسوءِ الظنِّ وتوقُّعِ البلاءِ من قلبه عَلَى كلِّ حال ـ وحال الطِّيرةِ حال من تلك الحالات ـ ويحبون أن يكون لله راجيا ، وأن يكون حَسَنَ الظَّنِّ . فإن ظنَّ أن ذلك المرجوَّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح بذلك فلا بأس[2] .

(تطير بعض البصريين)

وقَال الأصمعيُّ : هرب بَعضُ البصريين من بَعض الطَّواعين ، فركب ومضى بأهله نحو سَفَوان[3] ، فسمع غلاماً له أسودَ يحدُو خلفه ، وهو يقول :

لن يُسْبَقَ اللهُ عَلَى حِمَارِ ولا عَلَى ذِي مَيْعَةٍ مَطَّارِ[4]
أو يأتِيَ الحينُ على مِقدَارِ قَدْ يصبِحُ اللهُ أمامَ السَّارِي[5]

فلما سمع ذلك رجع بهم .

---

(١) هو ابن عون، كما في تأويل مختلف الحديث ١٣١ مع اختلاف في اللفظ .

(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .

(٣) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

(٤) الميعة : أنشط الجرى . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو . ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيار : حديد الفؤاد ماض . وانظر البيان (٣ : ٢٧٨) . وجاءت الرواية في زهر الآداب (٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) : « ولا على ذى منعة طيار » .

(٥) الحين : الهلاك . وروى : « الحتف » كما في زهر الآداب وأمالي المرتضى (٤ : ١١٢) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ . وتجد القصة في هذه المراجع على وجوه شتى . وأنشد الثعالبي هذا الشطر في التمثيل والمحاضره ص ٩ .

(معرفة فى الغربان)

قال : والغِربانُ تسقط فى الصَّحارى تلْتمس الطُّعْم ، ولا تزالُ كذلك ، فإذا وجَبَتِ الشمس[١] نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قلّ ما تختلط البُقْع بالسُّود المصمتة[٢] .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناسٌ كثيرة عظام كأمثال الحِدَاء[٣] السُّود، ومنها صغارٌ. وفى مناقيرها اختلاف فى الألوان والصُّور . ومنها غِربانٌ تحكى كلَّ شىء سمعته ، حتى إنَّها فى ذلك أعجب من الببغاء . وما أكثر ما يَتَخلّف[٤] منها عندنا بالبصرة فى الصَّيف ، فإذا جاء القيظ قلَّتْ . وأكثر المتَخلِّفات[٥] منها البقع . فإذا جاء الخريف رجعتْ إلى البساتين ؛ لتنال مما يسقط من التمر فى كرَب النَّخل وفى الأَرض، ولا تقرب النَّخلة إذا كان عليها عذق واحد[٦] ، وأكثر هذه الغِربانَ سود ، ولا تكاد ترى فيهنّ أبقَع .

---

(١) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الحداء ، بكسر الحاء المهملة : جمع حدأة كعنبة . ط : «الحد» ، ل : « الجداء » بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : « يختلف » .

(٥) ط ، س : « المختلفات » .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد أنها لا تقرب النخلة ما دام بعض التمر فى أعذاقه . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٤ س ٥ .

(قبح فرخ الغراب)

١٤٤ وقال الأصمعىّ: قال خلف: لم أرَ قَطُّ أقبح من فرخ الغراب! رأيته مرَّةً فإذا هو صغير الجسم[١] ، عظيم الرَّأس ، عظيم المنقار ، أجردُ أسودُ الجلد ، ساقط النفس ، متفاوتُ[٢] الأَعضاء .

(غربان البصرة)

قال : وبعضُها يقيم عندنا فى القيظ . فأمَّا فى الصَّيف فكثير . وأمَّا فى الخريف فالدُّهم. وأكثر ما تراه فى [أعالى][٣] سطوحِنا فى القيظِ والصَّيف البُقع ، وأكثر ما تراه فى الخريف [فى النخلِ] و [فى] الشتاء فى البيوت [السُّود] .

وفى جبل تكريت[٤] فى تلك الأَيَّام ، غِرْبانٌ سودٌ كأمثال الحدَاءِ [السُّود] عِظَماً[٥] .

---

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه فى ل ، س . وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام فى (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، س .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الحداء سبق شرحها فى الصفحة السابقة . ط : « الحده » تحريف . و « عظما » هى فى ، ط : « عظاء » وهو تحريف فكه ، صوابه فى ل ، س .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنَّ تسافدَها عَلَى[1] غير تسافُد الطير ، وأنَّها تَزَاقُّ[2] بالمناقير ، وتلقح من هناك .

(نوادر وأشعار مستحسنة)

نَذْكر شيئا من نوادر وأشعار[3] [وشيئا] من أحاديث ، من حارِّها وباردها .

قال ابنُ نُجيمٍ[4] : كان ابن ميّادة[5] يستحسن هذا البيت لأَرطاةَ ابن سُهَيّة[6] :

فقلت لها يا أمَّ بيضاءَ إنّه هُريقَ شبابي واستَشَنَّ أديمي[7]

[صار شنًّا] .

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) أصله : تتزاق . ط : « تزاف » ، صوابه فى ل ، س .

(٣) س : « نذكر نوادر أشعار » .

(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل . وابن نجيم ، هو يحى بن نجيم الذى سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٥) « ابن ميادة » ساقط من ل .

(٦) س : « أرطاة بن سمية » ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة أرطاة فى ٣٩١ .

(٧) ط ، س : « استشق » ، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعيُّ يستحسن قولَ الطِّرِمَّاح بن حكيم ، فى صفة الظَّليم[1] :

مجتاب شَمْلة بُرْجُدٍ لسَرَاتِه قَدْرًا وأسلم ما سِوَاهُ البُرجُدُ[2]

ويستحسن قولَه فى صفة الثَّور :

يبدو وتُضمِره البلادَ كأنَّه سيفٌ عَلَى شرفٍ يُسلُّ ويغمد[3]

وكان أبو نُواسٍ يستحسنُ قولَ الطِّرِمَّاح :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطِّرِمَّاحِ أخلقَتْ عُرَى المجدِ واسترخَى عنان القصائِد[4]

وقال كثيِّر :

إذا المالُ لم يُوجِبْ عليكَ عطاؤُه صَنِيعَةَ بِرٍّ أو خليل تُوامِقُه[5]

مَنَعْتَ وبعضُ المنْع حزْمٌ وقُوَّةٌ فلم يفتلتك المالَ إلَّا حقائقُه[6]

(١) الظليم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملا من الريش فوق ظهره ، وجعل الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أى ترك البرجد ما سوى الظهر : من الرجلين والعنق ، فلم يستره . وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش . ط : « فدر وسلم » ، وصوابه فى ل ، س والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالى . وانظر الموازنة بين هذا البيت وأشباهه فى العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان النابغة ١٩ .

(٤) أخلقت : بليت . « عنان » هى فى ط : « عنا » وتكميلها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعة نعمى ، أو خليل توافقه » . وفى العقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعة قربى أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية العقد : « ولم يستلبك المال » . وقد روى صاحب زهر الآداب البيتين برواية عجيبة فى (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهل بن هارون ، يمدح يحيى بن خالد :

عدوٌّ تِلادِ المــال فيما ينوبه　　　منوعٌ إذا ما منعُه كان أحزَما[١]

قال : وكان رِبعيٌّ بن الجارود يستحسن قولَه :

فخير منكَ مَن لا خير فيه　　　وخير من زيارتك القُعودُ[٢]

وقال الأعشى :

قد نطعُن العَيْرَ فى مكنونِ فائله　　　وقد يَشِيطُ على أرماحنا البَطَلُ[٣]

لاتنتهون ولن يَنْهَى ذوى شَطَطٍ　　　كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزَّيتُ والفُتُلُ[٤]

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مانعته » تحريف ما فى ل . والبيت مع قرين له فى البيان (٣ : ٣٥٢) ، ومع بيتين فى الحيوان (٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زيادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق فى الفخذ ، وهو مقتل . أراد أنهم حذاق فى الطعن . انظر المخصص (٢ : ٤٢) واللسان (فيل) والرواية فيه :

* قد نخضب العير من مكنون فائله *

ل : « نطعن الخيــل » س : « مكنون قابله » ، كلاهما محرف . ويشيط : يهلك .

(٤) كذا فى ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) وفى ل : « لا ينتهون » والرواية فى الكامل ٤٤ ليبسك وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦) والخزانة (٤ : ٢٦٣ بولاق) والغيث المنسجم (١ : ٥٢) : « أتنتهون » وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الكاف فى « كالطعن » وأن « الطعن » مجرور بالإضافة . والفتل : جمع فتيلة ، وهى فتيلة الجراحة . يقول : لا يزجرهم غير طعن جائف .

وقال العلاء بن الجارود[١] :

أظهروا للنَّاسِ نسكا وعلى المنقوش دارُوا[٢]
وَلَهُ صـامُوا وصَـلَّوْا ولَهُ حَجُّـوا وزارُوا
وله قامـوا وقالوا وله حلّوا وساروا
لو غـدا فوق الثريَّا ولهـم ريش لطاروا

وقال الآخر[٣] فى مثل ذلك :

شمر ثيابَك واستعدَّ لقابلٍ واحككْ جبينك للقضاءِ بثُوم[٤]
وامشِ الدَّبيبَ إذا مشَيت لحاجةٍ حتَّى تصيبَ وديعةً ليتيم

وقال أبو الحسن : كان يقال : « من رقّ وجهُه رقّ عِلمُه » .

وقال عمر : «تفقَّهوا قبلَ أَن تسودوا» .

وقال الأصمعى : « وُصلت بالعلم ، وكسبت بالملح[٥] » .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعرِ فى السماك والخادم :

مقبل مـدبر خفيف ذَفيف دسِم الثَّوبِ قد شوَى سَمكاتِ[٦]

---

(١) ل : « العلاء بن الحداد » . والأبيات منسوبة فى العقد (٢ : ١٤١) إلى محمود الوراق .

(٢) روى « سمتا » بدل « نسكا » فى ل والعقد (٤ : ٣٣٧) و : « دينا » فى العقد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أى « الدينار » جاءت الرواية فى العقد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مساور الوراق كما فى العقد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسبا فى الشريشى (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) القابل : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغرار أن صاحبها عريق فى التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح يفعلون ذلك فى عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم ممن قيل فيهم : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » .

(٥) ط ، س : « وصلت بالملح وكسبت بالعلم » . وأثبت ما فى ل . وفى البيان (١ : ١٩٩) : « وصلت بالعلم ونلت بالملح » .

(٦) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط : « جفيف » س : « دفيف » وصوابه فى ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : « أدسم الثوب » .

من شبابيط لجــةٍ ذاتِ غَمْر حُدُب من شُحومها زَهِماتِ[1]
ففكِّر فيهما فإنَّهما سيُمْتِعَانك ساعةً[2] .

وقال الشاعر[3] :

إنْ أجزِ علقمةَ بن سَيْفٍ[4] سعيَهُ لا أجزِه ببلاءِ يومٍ واحدِ
لأحَبَّنى حُبَّ الصبيِّ ورمَّنى رَمَّ الهَدِىِّ إلى الغنىِّ الواجد[5]
ولقَدْ شفيتُ غليلتى ونقعتها من آل مسعودٍ بماءٍ بارد

وقال رجل من جرم :

نبئتُ أَخوالى أرادوا عمومتى بشنعاءَ فيها ثاملُ السُّمِّ مُنقَعا[6]
سأركبها فيــكم وأُدعَى مفرِّقاً وإن شئتم مِن بعدُ كنت مجمِّعا[7]

---

(١) الشبابيط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الــكلام عليه فى (١ : ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٣) . ط ، س : « شبابيك » محرفة . حدب : جمع حدباء وهى الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزهمات : السمينة الــكثيرة الشحم . وفى الأصل : « زمنات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففــكر بينهما فانهما سميعتانك ساعة » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فدكى بن أعبد ، وهو المرناق الطائى. معجم المرزبانى ٤٧٥ والصحاح (لمم). كان مجاورا لعلقمة بن سيف العتابى ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقمة بذلك سعى فى استردادها من مختلسها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بعير ودفعها إلى فدكى عوضا. فقال هذا الشعر يمدحه. الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٤ : ٧٠ - ٧١) والصحاح واللسان (لمم).

(٤) فى الأصل: « زيد » وصوابه فى البيان (٣ : ٢٣٣) والحماسة وشرحها .

(٥) رمنى ، بالراء : أصلح حالى . والهدى : العروس تزف وتهدى إلى زوجها . ط ، س : « ذمنى ذم البذى » ، ل : « زمنى زم الهدى » وصواب الرواية من الحماسة والبيان . ل : « إلى الفتى » . والفتى : الشاب .

(٦) فى ط ، س : « نبئت إخوانى » وأثبت ما فى ل ، وهو أشبه بقول العرب . ط : س ، « أرادوا نقيصتى بشنعة » و « بشنعة » تحريف . والثامل : هو المنقع ، أى المعتق . ط ، س : « تابل » .

(٧) ل : « فإن شئتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ فى شتاءٍ شيئاً قطُّ إلاَّ وقد برد ، ولا أكلتُ فى صيفٍ شيئاً إلاَّ وقَدْ سخن .

وقال أبو عمرو المدينى[(1)] : لو كانت البلايا بالحِصَص، ما نالنى كما نالنى : اختلفت الجاريةُ بالشاة إلى التَّيَّاس اختلافًا كثيرًا ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاة حائلا .

وقال جعفر بن سعيد[(2)] الخلافُ موكَّل بكلِّ شيء [يكون] ، حتى القَذاة[(3)] فى الماء فى رأس الكوز ، فإن أردتَ أن تشرب الماءَ جاءتْ إلى ١٤٦
فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأسِ الكوزِ لتخرُج رَجَعت .

(حديث أبى عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غـزْوان : بكَرْتُ اليوم إلى أبى عمران ، [فلزمتُ الجادَّةَ] ، فاستقبلنى واحدٌ فلَزِمَ الجادَّةَ التى أنا عليها ، فلما غشينى[(4)] انحرفتُ عنه يَمْنَةً فانحرَفَ معى ، فعُدتُ إلى سَمْتِى فَعاد ، فَعُدتَ فَعاد ثمَّ عُدت فَعاد . فلولا أنَّ صاحبَ بِرذون فرَّق بيننا لكان إلى الساعة يكدُّنِى[(5)] . فدَخلت على[(6)] أبى عمران فدعا بغَدَائه ، فأهويتُ بلقْمتى إلى

(١) ط ، س : « أبوعمر المدنى » . وهذا الخبر والخبر الذى قبله فى الحيوان (٥ : ٥٩١).

(٢) كذا فى ل . وفى ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعد » وفى ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البخلاء الذين ذكرهم الجاحظ فى كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونعته فى البيان (١ : ١٠٦) بأنه : « رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : مايقع فى الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه فى .

(٤) ل : « أغشبنى » تحريف .

(٥) يكدنى : يلح فى طلبى . ط ، س ، « يدكنى » تحريف .

(٦) ط ، س ، « إلى » .

الصِّباغ[١] فأهوى إليــه بعضُهم ، فنحَّيت يدى فنحَّى يده ، ثمَّ عُدْتُ فَعاد ، ثمَّ نحيتُ فنحَّى ، فقلت لأبى عمران : ألا[٢] ترى ما نحن فيه ؟ قال سأحدِّثك بأعجبَ من هــذا ، أنا منذُ أكثرَ مِنْ سنة[٣] أشفقُ أن يرانى [ابن أبى] عون الخيَّاط ، فلم يتَّفق لى أن يرانى مرَّةً واحدة ، فلما [أن] كانَ أمسِ ذكرتُ لأبى الحارث الصُّنع[٤] فى السلامةِ من رؤيته ، فاستقبلنى أمسِ أربَعَ مَرَّات !

(نوادر وبلاغات)

وذكر محمّد بن سلام ، عن محمّد بن القاسم قال : قال جرير[٥] : أنَا لا أبتدى ولكنِّى أعتدى[٦] .

وقال أبو عبيدة : قال الحجَّاج : أنَا حدِيدٌ حَقود حسود ![٧]

قال : وقال قدَيد بن مَنيع ، لُجدَيع[٨] بن علىٍّ : لكَ[٩] حكم الصبىّ على أهله !

---

(١) الصباغ ، بالكسر : ما يصطبغ به من الإدام ، وصبغ اللقمة صبغا : دهنها وغمسها . ل : « الصماغ » وليس لها وجه .

(٢) ل : « أما » .

(٣) ط ، س : « أنا أكثر منذ سنة » ل : « أنا منذ سنة » وقد جعلتها كما ترى .

(٤) أى ماصنع لى من السلامة من رؤيته . ط : « الصنيع » .

(٥) هو جرير الشاعر .

(٦) ط ، س : « ولكن أعتدى » ، وأثبت ما فى ل وما سبق فى ص ٩٩ . يقول : هولا يبتدئ بالهجاء ، ولكنه إذا ردَّ على الهاجى اعتدى عليه ، وظلمه إرهابا له .

(٧) الحيوان (٥ : ٥٩٢) . وبلفظ آخر فى البيان (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جديع هذا هو ابن خال يزيد بن المهلب . البيان (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل : « الحديد » وفى ثمار القلوب ٥٣٨ — حيث نقل النص — : « لخديع » والصواب ما أثبت .

(٩) ط ، س : « لكم » ، وأثبت ما فى ل والثمار . وفى الثمار : « لك علىّ » .

وقال أبو إسحاق(١) — وذكرَ إنسانًا — : هو والله أنزَقُ من رَبيب مَالِك(٢) ، وأخرق من امرأة ، وأظلم من صبي .

وقال لي أبو عبيدة : ما ينبغي أن يكون [كان] في الدنيا مثل هذا النَّظام(٣) . قلت : وكيف ؟ قال : مرَّ بي يوما فقلت : واللهِ لأمتحننَّه ، ولأسمعَنَّ كلامه ؛ فقلت له : ما عيبُ الزُّجاج — قال: يُسرِع إليه الكسر ، ولا يقبل الجبْر — من غير أن يكون فكَّر أو ارتدع !

قال : وقال جَبَّار بن سُلمى بن مالك(٤) — وذكر عامر بن الطفيل(٥) فقال : كان لا يضلُّ حتَّى يضلَّ النَّجم ، ولا يَعطشُ حَتَّى يَعْطَشَ البَعير(٦) ، ولا يهاب حتَّى يهاب السيل ؛ كان والله خيرَ ما يكون(٧) حينَ لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيرًا .

---

(١) هو النظام . وانظر البيان (١ : ٢٤٧) .

(٢) أنزق : من النزق وهو الطيش والتسرع . والربيب : المربوب ، وابن امرأة الرجل من غيره . وهذا المثل محرف في ط ، س : ففي الأولى : « أترف من زينب بنت مالك » وفي الثانية : « أنزق من زينب بنت ملكة »، وتصحيحه من ل . وجاء في أمثال الميداني (١ : ١٣٦) : « أترف من ربيب نعمة » .

(٣) ط ، س : « قال لي أبو عبد الله » . س : « مثل ذلك » ل : « مثل ذاك » .

(٤) هو جبار بن سلمى (بضم السين ، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أحد الصحابة . أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر الإصابة ١٠٥١ والسيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١ : ٥٤). في ط ، س ، « حماد بن مالك بن سليمان مالك » ل : « جبار بن مالك ابن سلمى ». وانظر شروح سقط الزند ص٥٠٠ .

(٥) في البيان : « حين وقف على قبر عامر بن الطفيل » .

(٦) ط ، س : « الجمل »، وأثبت ما في ل والبيان .

(٧) ل : « كان » .

وقال ابنُ الأعرابىّ : قال أعرابى : اللهمَّ لا تُنْزِلْنى ماءَ سَوءٍ فأكونَ امرأ سَوء ! يقول : يدعونى قِلّتُهُ إلى منعه .

وقال محمَّد بن سلَّام ، عن حمَّاد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إنّ الأحنف كان يكرَه الصَّلاة فى المقصورة ، فقال له بعضُ القوم : يا أبا بحر ، لم لا تصلى فى المقصورة ؟ قال : وأنت لم لاتصلِّى فيها ؟ قال : لاأُترك[1] !

وهذا الكلامُ يدل على ضروب من الخير كثيرة[2] .

ودخل عبد الله بن الحسن عَلى هشامٍ فى ثيابِ سفَرِه ، فقال : اذكر حوائجك . فقالَ عبد الله : ركابى مُناخةٌ ، وعَلَىَّ ثيابُ سفرى ! فقال : إنَّك لا تجدنى خيرًا [منِّى] لك الساعة[3] .

١٤٧ قال أبو عبيدة : بلغ عمرَ بن عبد العزيز قدومُ عبدِ الله بن الحسن ، فأرسل إليه : إنى أخاف عليك طواعينَ الشام ، وإنَّك لا تُغنِمَ أهلَك خيرًا لهم منك[4] فالحقْ بهم ، فإنّ حوائجهم ستسبقك[5] .

وكان ظاهر ما يكلِّمونَهُ بِهِ ويُرُونه إيَّاهُ جميلا مذكورًا[6] ، وكان معناهم الكراهة لمقامه بالشام ، وكانوا يرون جمالَهُ ، ويعرفون بيانَه وكمالَهُ ، فكان ذلك العَملُ من أجودِ التَّدبير فيه عندَ نفسه :

---

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كنز من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدنى خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة فى ل بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغنم أهلك خيرا منك » .

(٥) ل : « ستتبعك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا فى س . وفى ط : « مايكلمون به ويرونه جميلا مذكوراً » . وفى ل : « ما يتكلمون به ويبرونه جميلا مذكوراً » .

(شعر فى الزهد والحكمة)

وأنشـــد :

تُليح من الموتِ الذى هو واقعٌ   وللموتِ بابٌ أنتَ لا بدَّ داخلُه (١)

وقال آخر :

[أكلكُمُ أقام على عجـوزٍ   عشنْزَرَةٍ مقلَّدةٍ سِخابَا (٢)

وقال آخر] :

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله   فليتَ شعرىَ بعدَ الباب ما الدَّارُ (٣)

لو كنتُ أعلم مَنْ يَدرى فيخبرَنى   أجنَّةُ الخُلْدِ مأوانا أم النَّـارُ (٤)

وقال آخر :

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجـلّدِ   واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مخلَّدِ

فإذا ذكرتَ مصيبة تشجى بها   فاذكُرْ مصابَكَ بالنبىِّ محمدِ

وقال آخر :

والشمس تَنْعَى ســاكِنَ الـ   دُّنيا ويُسعِدُها القَمَـر

---

(١) ألاح يليح : خاف وحاذر . ل : « لا شك داخله » . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩.

(٢) عنى بالعجوز الدنيا . والعشنزرة : السيئة الخلق ، بضم الخاء واللام . والسخاب : بالكسر : القلادة من سك وقرنفل ومحلب ، بلا جوهر .

(٣) كذا فى ل والأغانى (١٩ : ١٤) . وفى ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله » وفى س : «لنا لابد لنا أن ندخله » وما فى س تحريف .

(٤) ل : « مثوانا » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصرى بشعر إلا هذا البيت . انظر الأغانى .

أين الذين عليهمُ رَكَمُ الجنادلِ والمَدَر (١)
أفناهُمُ غَلَس العِشا ء يهزُّ أَجْنِحَةَ السَّحَرْ (٢)
ما للقلوب رقيقــةً وكأنَّ قلبَك مِن حَجَرْ
ولقلَّما تَبْقى وعو دُكَ كلَّ يومٍ يُهتَصر (٣)

وقال زهير :

ومَن يُوفِ لايُذمْ ومَنْ يُفْضِ قلبه إلى مطمئِن البرِّ لا يتجمجمِ (٤)
ومن يَغترب يحسَب عدوًّا صديقه ومن لا يكرِّم نفسَه لا يكرَّمِ
ومهما تـكنْ عندَ امرئٍ من خايقةٍ وإنْ خالها تَخْفَى على النَّاسِ تُعلِم
ومن لا يزلْ يسترحلْ النَّاسَ نفسَه ولا يُعفِها يوماً من الذَّمِّ يندَمِ (٥)

[وقال زهير أيضاً :

يطعنهم ما ارتَمَوا حتى إذا طُعِنُوا ضارب حتَّى إذا ماضارَبُوا اعتنقا (٦)]

---

(١) الركم ، بالتحريك : المتراكم .
(٢) الغلس : الظلام آخر الليل . والعشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل : « العشى » . وهى بمعنى العشاء المتقدم ؛ فى المصباح : « العشى من الزوال إلى الصباح » .
(٣) اهتصار الغصن : عطفه . ل : « يمتصر » . وفى ط : « ولعل ما تبقى » صوابه فى ل ، س .
(٤) لا يتجمجم : لا يتردد .
(٥) يسترحل الناس نفسه : يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه . وروى : « يستحمل الناس » ، أى يحمل الناس على عيبه .
(٦) انظر الكلام على هذا البيت فى الاستدراكات .

وقال (١) :

وجارَ البيتِ والرَّجلُ المنادِى (٢) أمامَ الحىِّ عَقدُهما سـواءُ
جوارٌ شاهدٌ عدْلٌ عليكم وسِيَّانِ الـكَفالةُ والتَّلاءُ (٣)
فإن الحقَّ مَقْطَعُهُ ثلاثٌ : يَمينٌ ، أو نِفارٌ ، أو جِلاءُ (٤)

فتفهَّمْ هذه الأقسامَ الثَّلاثة ، كيف فصَّلها هذا الأعرابىُّ !

وقال أيضاً :

فلو كان حمدٌ يُخلِدُ النَّاسَ لم تَمُتْ ولـكنَّ حمْدَ المرءِ ليسَ بمُـخْلِدِ ١٤٨
ولـكنَّ منهُ باقياتٍ وِراثَةً فأوْرِثْ بنيك بعضَها وتزوَّدِ
تزوَّدْ إلى يوم المماتِ فإنَّه وإنْ كرهتْه النَّفسُ آخِرُ معْهَدِ

وقال الأسدىُّ :

فإنِّى أحبُّ الُخلدَ لو أستطيعُه وكالُخلْد عندى أن أموتَ ولم أُلَمْ (٥)

وقال الحادرة :

فأثنُوا علينا لا أبا لأبيـكمُ بإحساننا إنَّ الثَّناءَ هو الُخلْد (٦)

وقال الغنوىّ :

فإذا بلغتمْ أهلـكم فتحدَّثوا ومن الحديثِ مهالك وخُلودُ (٧)

---

(١) أى زهير بن أبى سلمى .

(٢) المنادى : المجالس ؛ من النادى والندى وهو المجلس . ط : « المناوى » وهو تحريف . يقول : حق الجليس كحق الجار .

(٣) التلاء ، بالفتح : الضمان . وانظر اللسان (تلا) .

(٤) انظر الـكلام على هذا البيت فى الصناعتين ٣٣١ والعمدة (١ : ٣٠) والعقد (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وعيون الأخبار (١ : ٦٧) .

(٥) وكذا فى البيان (٣ : ٣٢٠) . ل : « لو أموت » .

(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٧) ما عدا ل : « بلغتم أرضكم » ، و « متألف وخلود » .

وقال آخر [١] :

فقتلاً بتقتيلٍ وعقرًا بعقرِكم جزاءَ العُطَاسِ لا يموت من اتَّأَرْ [٢]

وقال زهير :

والإثمُ من شرٍّ ما تصولُ بِه والبرُّ كالغَيثِ نبتُه أَمِرُ [٣]

أي كثير . ولو شاء أن يقول :

* والبرُّ كالماءِ نبتُه أمرُ *

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنّما أراد أن النبات يكون على الغيثِ أجود [٤] . ثمّ قال :

قد أشهَدُ الشَّاربَ المعذَّلَ لا معروفُهُ مُنـكَرَ ولا حصِرُ [٥]

في فتيةٍ ليِّني المآزِرِ لا ينسَوْنَ أحلامَهم إذا سَكِرُوا [٦]

يشوُون للضَّيف والعُفاةِ ويُو فون قضاءً إذا هُمُ نَذَروا [٧]

---

(١) هو مهلهل كما في البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقدا بعقدكم » . محرف . ما عدا ل : « جزاء العطاش » تحريف. وانظر حواشي البيان ، واللسان (عقب ١١٠ جزي ١٥٩) . واتأر : أدرك ثأره . والمعروف في المعجمات : « اثأر » بالثاء المثلثة . لكن ما أثبت من ل جائز في العربية . انظر الاستدراكات والتذييل . وفي ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « امره» وصوابه في ل ، س . والرواية عند القالي (١ : ١٠٣) والبحتري ٣٤٧ : « من شر يصال به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون عن الغيث أجود » .

(٥) المعذل : الذي يعذل كثيرا ويلام لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشيء . والحصر : البخيل .

(٦) المآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيلة – وأراد بالإزار النفس :

ألا أبلغ أبا حفص رسولا فدى لك من أخي ثقة إزاري

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يمدحُ كما ترى أهلَ الجاهليّة بالوفاء بالنُّذور[١] .

أنشدنى حبَّان بن عِتْبان[٢] ، عن أبى عبيدة ، من الشَّوارد التى لا أربابَ لها ، قوله :

إن يغْدِرُوا أو يفجُروا أو يبخَلوا لم يحفِلوا
يَغـدُوا عليكَ مرجَّليـ ـنَ كأنَّهُمْ لم يفعَلُوا
كأبى بَراقِشَ كلَّ يو مٍ لونَه يتخيَّلُ[٣]

وقال الصَّلَتان السعدىُّ ، وهو غير الصَّلتان العبْدىِّ :

أشابَ الصغيرَ وأفنَى الكبيـ ـرَ كَرُّ الغَداةِ ومرُّ العشِى ١٤٩
إذا ليـلةٌ هرَّمَت يومـها أتَى بعـد ذلك يوم فَتِى[٤]
نروح ونغـدُو لحاجاتنـا وحاجةُ مَن عاشَ لا تنقضى[٥]
تموت مـعَ المرءِ حاجاتُه وتبقى له حَاجـةٌ ما بقِى[٦]
إذا قلتَ يَوْماً لدى مَعْشرٍ أرُونى السَّرِىَّ أرَوْكَ الغنى

---

(١) ط ، س : « بالنذر » ولا تصح .

(٢) ل : « حيان بن عيين » .

(٣) أبو براقش : طائر كالعصفور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون فى كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب فى ذلك ما قال الأزهرى : أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فاذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . والرواية فى اللسان : « كل لون لونه » ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها ، فى ديوان المعانى (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمالى القالى (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٩) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠ بولاق) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

أَلم تَرَ لقمانَ أوصَى بنيــ ـهِ وأوصيت عمرًا فنعم الوَصى (١)
وسِرُّك ما كانَ عندَ امرئٍ وسرُّ الثَّلاثَةِ غير الخفى

أنشدنى مُحَمَّدُ بن زياد الأعرابىّ :

ولا تَلبِثُ الأطماعُ مَن ليس عنده من الدِّين شىءٌ أن تميل به النَّفْسُ
ولا يُلْبثُ الدَّحْس الإهاب تحوزه بجُمْعِك أن ينهاه عن غيرك الترس (٢)

وأنشدنى أبو زيدٍ النحوىُّ لبعض القدماء (٣) :

وَمهْمَا يكنْ رَيْب المَنُونِ فإنَّنِي أرى قَمرَ اللَّيلِ المعذَّرَ كالفتَى (٤)
يعودُ ضئيلاً ثم يرجعُ دائباً ويعظم حتَّى قيل قد ثابَ واستوَى
كذلك زَيْدُ المرءِ ثمَّ انتقاصه وتكرارُه فى إثْره بَعْدَ مامضَى (٥)

وقال أبو النَّجم :

---

(١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الأبيات ورواياتها فى عيون الأخبار (٣ : ١٣٢) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) والعقد (٢ : ١٢٣) والحماسة (٢ : ٥٦) والكامل ٥٤٠ ليبسك .

(٢) الدحس : الفساد . والشطر الأخير محرف . ل : « أن تنهاه كعبرة الرأس » .

(٣) هو حسان السعدى كما فى نوادر أبى زيد ١١١ — ١١٢ . ونسب الشعر فى أمالى المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طيىء . وعينه ياقوت فى (دير حنظلة) بأنه حنظلة بن أبى عفراء . وساق نسبه إلى طيىء . وقال فى شأن حنظلة هذا « كان قد نسك فى الجاهلية وتنصر وبنى هذا الدير » .

(٤) المعذر : ذو العذار ، وهو هنا الهالة التى تطيف به . وفى الجزء السادس من الحيوان ص ٥٠١ : « المقدر » ، وما هنا صوابه . والرواية فى النوادر والأمالى والمعجم و ل : « المعذب » وكأن عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودءوبه على ذلك . وفى مثل ذلك قال أمية فى عذاب الشمس :

تأبى فلا تبدو لنا فى رسلها إلا معذبة وإلا تجلد
لاتستطيع أن تقصر ساعة وبذاك تدأب يومها وتشرد

(٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه فى ل ، س .

مَيَّزَ عَنْهُ قُنْزُعاً عن قُنْزُعِ (١) مَرُّ اللَّيالِى أبْطئِى وأسرِعِى (٢)
أفناهُ قِيلُ اللهِ للشَّمْسِ اطلُعِى ثمَّ إذا واراكِ أُفْقٌ فارجِعِى

وقال عمرو بن هند (٣) :

وإنَّ الذى ينهاكم عن طلابِها يُناغِى نِسَاءَ الحىِّ فى طُرَّةِ البُرْدِ (٤)
يعَلَّلُ والأيَّام تَنْقُص عُمْرَه كما تَنقُص النِّيرانُ من طَرَفِ الزَّنْد (٥)

وقال ابن ميَّادة :

هل ينطقُ الرَّبع بالعَلياءِ غيَّره سافِى الرِّياحِ ومستَنٌّ له طُنُب (٦)

وقال أبو العتاهية :

* أسرَعَ فى نقص امرئٍ تمامُه *

وقال :

ولمرِّ الفناءِ فى كلِّ شىءٍ حركاتٌ كأنَّهنَّ سكُون (٧)

١٥٠ وقال ابن ميَّادة (٨) :

---

(١) القنزع : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزع » . والقزع : كل شىء يكون قطعا متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كذا فى ل واللسان . فى ط ، س : « جذب الليالى أبطئى أو أسرعى » .

(٣) كذا فى ط و س : وص ٤٨ من هذا الجزء . وفى ل : « عبد هند » .

(٤) يناغى : يغازل . س : « عن طلائها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المستن : أراد به السحاب السريع الإمطار . والطنب : حبل السرادق . وقد جعل السحاب كالسرادق فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد ذاك الربع الرياح والأمطار . ط ، س : « ومستف » ، تحريف ما أثبت من ل ومعجم الأدباء (١١ : ١١٤) والأغانى (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمر القناء » ط : « ولمر القناة » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٨) روى فى معجم البلدان برسم (قنع) نسبته إلى مزاحم العقيلى .

أشاقَك بالقِنْعِ الغَداةَ رُسومُ دَوارِسَ أدنى عهدِهنَّ قديمُ (١)
يَلَحْنَ وقد جرَّمْنَ عشرين حِجَّةً كما لاح فى ظهرِ البنَان وشُوم (٢)

وقال آخر :

فى مرفَقيها إذا ما عُونِقتْ حَجَم عَلَى الضَّجيع وفى أنيابها شنَب (٣)

وقال ابن ميَّادة فى جعفر [ومحمد] ابنى سليمانَ (٤) ، وهو يعنى أمير المؤمنين المنصور :

وَفَى لـكما يا ابْنَى سليمان قاسم بِجَدِّ النُّهَى إذيقسِم الخيرَ قَاسِمُهْ (٥)
فبيتـكُمَا بَيتٌ رفيع بناؤهُ متى يَلق شيئاً مُحْدَثاًفَهو هادمُهْ (٦)
لـكُمْ كبْش صِدق شذَّبَ الشَّولَ عنكُم وكسَّر قَرْنَىْ كلِّ كبشٍ يصادمُهْ (٧)

---

(١) القنع ، بالكسر : جبل وماء باليمامة . والرسوم : آثار الديار .

(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط : « عتبى حجة » وصوابهما فى س .

(٣) فى المعجم : « إذا ماعولجت » . والحجم بالحاء ثم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصا فيه . ولعله من حجم ثدى الجارية : نهد وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم . ل وكذا الأغانى : « جم » وهو كثرة اللحم ، أو عدم ظهور العظم . س : « حم » محرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحدة .

(٤) ط ، س : « فى جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفى لـكما بحظ العقل . وفى بالشيء : أعطاه كاملا . وهذا البيت شديد التحريف فى الأصل . فى ط ، س : « وما لـكم » وفى ل : « وفاء لـكما » وفى ط ، س : « بجد النبى » وفى ل : « تجد النهى » . وقد عالجته بما ترى .

(٦) فى الأصل : « فبينكما » محرف . ل : «متى يلق بيتا مجدكم » .

(٧) الـكبش : عنى به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التى نقصت ألبانها . يريد : طرد عنكم الحساس من الناس . ط فقط : « شذب الشوك » وهو معنى لايصح فى المدح .

باب
فى من يهجى ويذكر بالشؤم

قال دِعبِل بن علىّ ، فى صالح الأفقم(١) — وكان لا يصحبُ رجلاً إلّا ماتَ أو قُتِل ، أو سقَطَتْ منزلته — :

قل للأمينِ أمينِ آل محمَّدٍ قول امرئٍ شفقٍ عليه محامِ(٢)
إيَّاكَ أن تُغترَّ عنك صنيعة فى صالح بن عطيَّة الحجَّامِ(٣)
ليس الصَّنائعُ عندَه بصنائعٍ لـكنهنَّ طوائلُ الإسلامِ(٤)
أَضربْ به نَحرَ العدوِّ فإنَّه جيشٌ من الطَّاعونِ والبِرسامِ(٥)

وقال محمد بن عبد الله فى محمد بن عائشة(٦) :

لِلهِـلالِىِّ قتيــلٌ أبدًا فى كُلِّ عامِ
قَتَلَ الفضلَ بنَ سهلٍ وعلىَّ بنَ هشامِ
وعجيفاً آخر القو مِ بأكناف الشَّامِ

---

(١) الأفقم : الذى تقدمت ثناياه العليا فلم تقع على السفلى . وفى الأغانى : « الأضجم » ، وهو المعوج الفم . ل : « صالح بن على الأفقم » صوابه «ابن عطية» كما فى الأغانى ، والشعر .

(٢) يريد بالأمين الخليفة المعتصم ، كما فى الأغانى (١٨ : ٦٤) وروايته :
قل للإمام إمام آل محمد قول امرئ حدب عليك محام
والتعبير عن الخليفة بلفظ « أمين » سبق مثله فى ص ٦٣ س ٤ .

(٣) تغتر : تؤخذ وتنال على غرة . ل : « يفتر » . وفى الأغانى (١٨ : ٤٦) : « أنكرت أن تفتر » !

(٤) طوائل : جمع طائلة ، يقال بينهم طائلة أى عداوة وترة .

(٥) البرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هى بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من بر وهو الصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .

(٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب مَن يقـ ـتَل بالسَّيفِ الُحسامِ[١]
فأعَاذَ اللهُ منـه أحمدًا خيرَ الأنام

[يعنى أحمد بن أبى دواد] .

وقال عيسى بن زينب فى الصخرى[٢] ، وكان مشئُوما :

يا قوم مَنْ كان له والدٌ يأكلُ ما جمَّعَ مِنْ وَفْرِ[٣]
فإنَّ عندى لابنِه حيلةً يموتُ إن أُصْحِبَهُ الصخرى[٤]
١٥١ كأنما فى كفّه مِبردٌ يبرُد ما طال من العُمْر

(شعر فى مديح وهِجاء)

وقال الأعشى :

فما إنْ على قلبه غَمرةٌ وما إن بعظمٍ لهُ من وَهَنْ[٥]

وقال الكميت :

ولم يقلْ عِنْدَ زَلَّةٍ لهمُ كُرُّوا المعاذيرَ إنَّما حَسِبُوا[٦]

وقال آخر :

فلا تعذرانى فى الإساءةِ إنَّه شِرارُ الرِّجال مَنْ يسىءُ فيُعذرُ

(١) ل : « وبدا يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصحرى » .

(٣) الوفر : المال الكثير . ط : س : « مايجمع فى الدهر » .

(٤) أصحبه : جعل صاحبا له . ط : « صحبة » . ط ، س : « الصحرى » .

(٥) س : « يعظم »، تحريف.

(٦) الواو فى أول البيت ساقطة من ط ، س . ل : « بعد زلة » . ط : « حسوا » س : « حسنوا » وصوابه فى ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتَّابى(١) :

رحـــل الرَّجاءُ إليك مغتربا حُشِدَتْ عليه نوائبُ الدَّهرِ(٢)
ردَّت عليك ندامتى أمَـلى وَثَنى إليك عِنانَه شُكْرِى(٣)
وجعلت عَتْبَكَ عتْب موعظةٍ ورجاءَ عفوك مُنْتَهَى عُذْرِى

وقال أعشى بكر(٤) :

قَلَّدتك الشِّعرَ يا ســلامة ذا الــإفضالِ والشَّىءُ حيثُ ماجُعلا(٥)
والشِّعرُ يَسْتَنْزِلُ الكريمَ كما اسْ تَنْزَلَ رعْدُ السَّحابةِ السَّبَلا(٦)
لوكنت ماءً عِدًّا جَمَمتَ إذا ما ورَدَ القومَ لم تكُنْ وشلا(٧)
أنجَبَ آباؤه الـكرامُ به إذْ نَجلاَهُ فَنِعْمَ ما نَجلا
استأثَرَ اللهُ بالبَقاءِ وبالحمْ دِ وَوَلَّى الملامَةَ الرَّجُلا(٨)

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط : « مرتغبا » س : « مرتقبا » . حشدت : جمعت . ط ، س : « حسدت »، وليس بشىء .

(٣) ل : « ردت إليه » و « ثنى إليه » .

(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ، ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على بن بكر بن وائل . ينسب حينا إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دى ساسى فى جعلهما شخصين فى فهرس الأغانى .

(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفى الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو التفضال » ، وفى العمدة (١ : ١٠) : « ذا فائش ». وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حمير .

(٦) السبل ، بالتحريك : المطر .

(٧) الماء العد ، بكسر العين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثر . س : « جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .

(٨) يروى : « بالوفاء وبالعد » . وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهبه مذهب أهل العدل . انظر أمالى المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذَّاب[1] الحِرْمازىُّ [لقومه ، أو لغيرهم[2]] :

لو كنتمُ شاءً لكنتمْ نَقَدا[3] أو كنتمُ ماءً لكنتم ثَمَدا[4]
* أوكنتمُ قولاً لكنْتُم فَنَدا[5] *

وقال الأعشى فى الثياب[6] :

فعلى مثلها أزورُ بنى قيـ ـسٍ إذا شَطَّ بالحبيبِ الفِراقُ[7]
المهينين ما لَهم فى زمانِ الـ ـسَّوءِ حتَّى إذَا أفاقَ أفاقوا
وإذا ذو الفضول ضنَّ على المو لى وصارتْ لِخيمها الأخْلاقُ[8]
ومشَى القومُ بالعِمادِ إلى الرَّزْ حَى وأعيا المُسيمَ أيْنُ المَساقِ[9]
أخذوا فضْلَهمْ هناكَ وقد تَجـ ـرى على عِرْقِها الكِرامُ العِتاقُ[10]

---

(١) وكذا فى الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٧٧) إلى العين المنقرى . والكذاب هو عبد الله بن الأعور ، أحد بنى الحرماز بن مالك بن تميم . ط : « الكرار » س : « الكراز » وهو على الصواب فى ل . قالوا : سمى بذلك لكذبه .

(٢) هم بنو فقيم ، كما جاء فى أول الرجز فى كل من أمثال الميدانى (١ : ٢٦٠) والأضداد ٣٥٦ :

* فقيم ياشر تميم محتداً *

(٣) النقد : جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .

(٤) الثمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفى ط ، س وأمثال الميدانى والأضداد وثمار القلوب : « زبدا » .

(٥) الفند : الكذب . وفى الرجز زيادة فى ثمار القلوب وأمثال الميدانى (١ : ٢٦٠ ، ٤١٣) .

(٦) « فى الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب فى آخر بيت من هذه المقطوعة .

(٧) شط به : بعد . س : « شك » تحريف .

(٨) الخيم ، بالكسر : السجية والطبيعة . وفى الديوان : « لحقها » أى لحقيقتها . ل : « بحقها » .

(٩) العماد : الأخبية . والرزحى : النوق الشديدات الهزال . والمسيم : الذى يرعى الإبل . والأين : الإعياء . والمساق : السوق .

(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وإذا الغيثُ صَوبُهُ وضَعَ القِدْ حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ[١] ١٥٢
لم يزِدْهُمْ سفاهةً شُرْبُ الخمْ رِ ولا اللّهوُ فيهمُ والسِّباقُ[٢]
واضِعًا فى سرَاةِ نَجْرانَ رَحْلِى ناعماً غيرَ أنَّنِي مُشتاقُ
فى مطايا أربابُهنَّ عِجَالٌ عن ثَواءٍ وهمُّهُنَّ العِراقُ
دَرْمَكٌ غُدوَةً لَنا ونشِيلٌ وصَبُوحٌ مباكِرٌ واغتِبَاقُ[٣]
وندامى بيضُ الوُجوهِ كأنَّ الـ ـشَّربَ مِنْهُمْ مَصاعِبٌ أفنَاقُ[٤]
فيهمُ الخِصْبُ والسَّماحةُ والنجْ دَةُ جَمْعاً والخاطِبُ المِسْلاقُ[٥]
وأبيُّونَ لا يُسامُون ضيْمًا ومَكِيثُون والحُلومُ وِثاقُ[٦]
وترى مجلساً يَغَصُّ به المِحْ رَابُ بالقَوْمِ والثِّيابُ رِقاقُ

---

(١) القدح ، بالكسر ، هو قدح الميسر . كانوا ينحرون ويضربون بالقداح ، فإذا أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون فى الجدب . شرح ديوان الأعشى ١٤٤ فينا . جنت التلاع : كثر فيها النبت وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوى سفاهة فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب لايجلب إليهم السفاهة ، بل يحتفظون معه بحميد خصالهم :

وإذا شربت فاننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

(٣) الدرمك : لباب الدقيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غدوة » هى فى الأصل : « غدره » ، وتصحيحها من الديوان . والنشيل : مانشل من لحم القدر بمائه .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاعب : الفحول المكرمة . والأفناق : جمع فنيق ، وهو بمعنى المصعب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الحزم » . والخاطب المسلاق : الخطيب البليغ . ويروى : « السلاق » بمعناه ، كما فى اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهى لغة . يقال : مصلاق وصلاق أيضاً .

(٦) المكيث : الرزين . والحلوم وثاق : أى عقولهم محكمة .

وقال أيضاً فى الثِّياب[1] :

أزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحِ وقيساً هُمُ خَيرُ أربابها
وكعبةَ نَجْرَان حَتم عليـ ـكِ حتَّى تُناخِى بأبوابِها[2]
إذا الحِبَرَاتَ تلوَّتْ بِهِمْ وجرُّوا أسافلَ هُدَّابِها

وفى الثِّياب يقول الآخر :

أُسَيْلِمُ ذا كمْ لاخفا بِمكانه لعينٍ تُرَجِّى أو لأذن تَسَمَّعُ[3]
من النَّفَرِالبِيضِ الذين إذا انْتَمَوْا وهابَ الرِّجالُ حَلْقَةَ البابِ قَعْقَعوا[4]
جلاالأذْفَرالأحوىمنالْمِسكِفرقَه وطيب الدِّهانِ رأسَه فهو أنْزَع[5]
إذا النَّفر السُّود اليَمانون حاوَلوا له حَوكَ بُردَيْهِ أجادُوا وأوسعَوا[6]

[وقال كثيِّر :

يجرِّر سِرْبالا عليه كأنّه سبىٌّ هلالٍ لم تفتق شرانقه[7]]

وقال الجعدى :

أتَانِى نصرهمْ وَهمُ بَعِيدٌ بِلادُهُم بأرضِ الخيْزُرَانِ

(١) الأبيات منسوبة إلى أعشى بنى تغلب فى معجم الأدباء (١١ : ١٣٢) .
(٢) يخاطب ناقته . تناخى : تبرك . ط ، س : « تحل » ولها وجه .
(٣) خفا : مقصور خفاء . ط ، س : « حقا » ، وصوابه فى ل والبيان (١ : ١٩٦ و ٣ : ٣٠٥) والكامل ١٠٣ والعقد (٥ : ٣٤٣) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسى والبخلاء ٢١٣ . « ترجى » من الرجاء وهو الأمل . ل : « تدحى » ، البيان « تدجى » الرسائل : و « تداحى » ولعلها « تراعى » .
(٤) الرواية فى المراجع المتقدمة : « من النفر الشم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .
(٥) الأذفر : الشديد سطوع الرائحة . ط : « فوقه » تحريف . والأنزع : الذى انحسر الشعر عن جانبى جبهته . ل : « فهو أفرق أنزع » .
(٦) اليمانية يوصفون بالسواد . ل والعقد : « أرقوا وأوسعوا » ، وفى خزانة الأدب (٢ : ٥٢٣ بولاق) نقلا عن البيان : « أدقوا » ، وفى البيان : « أطالوا » . وانظر ما كتب البغدادى عن الشعر فى الخزانة .
(٧) السبى : جلد الحية تسلخه . والهلال : الحية . والشرانق : ما تسلخه . وانظر ماسيأتى فى (٤ : ١٧٧) .

يريد أرضَ الخِصب والأغصانِ اللَّيِّنَةِ (١) .

وقال الشاعر (٢) :

فى كفِّهِ خَـيْزُرانٌ رِيحُها عَبِقٌ   بكَفِّ أرْوَعَ فى عِرنينه شمم (٣)

لأن المَلِكَ لا يَختَصِرُ (٤) إلَّا بِعُودٍ لدْنٍ ناعِمٍ . وقال آخر :

تجاوبُهـا أخرى على خـيْزُرانَةٍ   يكادُ يدنيها من الأرضِ لينها (٥)

١٥٣ وقال آخر (٦) :

نَبتُّم نَباتَ الخيْزُرانىِّ فى الثَّرَى   حديثاً، متى ما يأتِكَ الخيرُ يَنْفَعِ (٧)

وقال المسَيَّبُ بن علس (٨) :

قِصَارُ الهمِّ إلَّا فى صـديقٍ   كأنَّ وطابَهُمْ مُوشَى الضِّبابِ (٧)

(١) فى اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصروه بالأرياف والحواضر . وقيل : أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أصحر الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ص ١٣٣ .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ل : « ريحه عبق » . وانظر الاستدراكات .

(٤) الاختصار : أخذ المخصرة ، بالكسر ، وهى مايتوكأ عليه الخطيب ويشير به من عصا ونحوها . ل : « يتخصر » وهى صحيحة أيضاً . جاء فى الحديث : « فإذا أسلموا فاسألهم قضبهم الثلاثة التى إذا تخصروا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشى البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشى الشاعر ، كما فى خزانة الأدب (٤ : ٥٦٤ بولاق) والعقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط والعقد : « ثبتّم ثبات » ط . ل « بنتم بتات » تحريف ما أثبت من س والخزانة وكتاب سيبويه (٢ : ١٥٢) . والخيزرانى : لغة فى الخيزران ، وهو الطرى الناعم من النبات . حديثا : أى نباتا حديثا . يقول : لستم ذوى حسب قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشى صاحب الشعر قحطانى من بنى الحارث بن كعب المذحجى يهجو بهذا الشعر بنى صعصعة بن معاوية العدنانيين . وقبل البيت :

يا راكبا إما عرضت فبلغن   بنى عامر منى وأبناء صعصع

« ينفع » هى فى ط : « ينفعا » . وهى رواية سيبويه استشهد بها على إلحاق نون التوكيد الخفيفة بينفع مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « فصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا فى رعاية صديقهم وإكرامه . والوطاب : سقاء اللبن . والضباب ، بالكسر : جمع ضب . الموشى : الذى استخرج من جحره برفق . ط ، ل : « موق » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تامتْ فؤادك إذ عَرَضت لهــا حَسَــنٌ برأى العــين ما تَمِقُ(١)

وقال ابن أبي ربيعة :

* حَسَنٌ فى كلّ عَينٍ من تودْ(٢) *

وقال عبد الله بن معاوية(٣) :

وعَين الرِّضا عن كلّ عَيبٍ كليلةٌ ولـكِنَّ عَينَ السُّخطِ تُبْدِى المَساوِيَا

وقال رَوْح أبو همَّام(٤) :

وعينَ السُّخْطِ تبصِرُ كلَّ عيبٍ وعينُ أخِى الرِّضَا عن ذاكَ تَعْمى(٥)

---

(١) تامت الفؤاد : استعبدته . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما فى الديوان ٧٦ :

* فتضاحكن وقد قلن لها *

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولد فى خلافة معاوية، ومعاوية هو الذى سماه . وقد خرج عبد الله فى أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وحبسه عنده ثم قتله . وكان شاعراً مجيداً ، أكثر البحترى من الاختيار له فى حماسته ..والبيت الآتى من أبيات قالها فى الحسين ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكان الحسين وعبد الله يتهمان بالزندقة ، فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر الأغانى (١١ : ٧٢) وثمار القلوب ٢٦١ وسرح العيون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى، وكنيته أبوهمام ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٤ ليبسك ٢٣٤ مصر . وديوانه خمسون ورقة . ط ، س : « بن همام » وهو على الصواب فى ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل عيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَا خَبِّرُونى أيُّها النَّاسُ إنَّما سألتُ ومَنْ يَسْأَلْ عن العِلمِ يَعْلَمِ (١)

سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِلِ العِــلمَ صدرُهُ

وماالسائلُ الواعِى الأحاديثَ كالعَمِى (٢)

وقيل لِدَغْفَلٍ (٣) : أنَّى لك هــذا العلم ؟ قال : لســانٌ سَئُولٌ ، وقلبٌ عقول (٤) .

وقال النابغة :

فآبَ مُضِلُّوهُ بعينٍ جليَّةٍ وغُودِرَ بالجَوْلَانِ حَزْمٌ ونائلُ (٥)

---

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم » ، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ . وصدره فى الديوان : « ألا يا اخبرونى » .

(٢) ط ، س : « لم يعقل » ، تحريف ما أثبت من ل والديوان . وفى الديوان : « وما العالم الواعى » . والسؤال الذى عناه الفرزدق فى بيت بعد هذا . وهو :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب قرى مائة ضيفاً ولم يتكلم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أى مائة ضيف .

(٣) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذى سبق ذكره فى ص ٢٠٩ . أدرك النبى ولم يسمع منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه ، وكان منها هذا السؤال . انظر أمثال الميدانى (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . على أن الجاحظ فى البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وعقب على ذلك بقوله : « وقد رووا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة . وعبد الله أولى به » . قلت : ونسبته إلى دغفل مذكورة فى عيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) سئول : كثير السؤال . عقول ، شديد الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أى بخبر صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان ابن الحارث بن أبى شمر الغسانى . غودر الحزم والنائل : أى دفن بدفن النعمان الحزم والعطاء .

مُضِلوه: دافنوه، على حدِّ قوله تعالى(١) : ﴿أَءِذا ضَلَلْنَا فى الأَرْضِ﴾

وقال المخبَّل :

أضلَّتْ بنو قيس بنِ سَعْدٍ عميدَهَا وفارسَها فى الدَّهْرِ قيسَ بنَ عاصمِ

وقال زهيرٌ - أو غيره - فى سِنانِ بن أبى حارثة :

إن الرَّزِيَّةَ لا رزِيَّةَ مثلها ما تبتغى غطفانُ يومَ أضلَّتِ

ولذلك زعم [بعضُ النَّاس] أنَّ سِنانَ بنَ أبى حارثةَ خَرِفَ فذَهبَ على وجهه ، فلم يُوجَد .

(من هام عَلَى وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أنَّ ثلاثة نفَرٍ هامُوا على وُجوههم فلم يُوجَدُوا : طالب بن أبى طالب ، وسنان بن أبى حارثة(٢) ، ومرداس بن أبى عامر .

وقال جرير :

وإنى لأستَحْيِى أخى أنْ أرى له علىَّ من الفضلِ الذى لا يَرَى ليا

١٥٤ وقال امرؤ القيس :

وهل يَعِمَنْ إلَّا خَلِىٌّ منعَّمٌ قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوْجالِ(٣)

وقال الأصمعى . هو كقولهم : « استرَاحَ مَنْ لا عَقْلَ له ! » .

وقال ابن أبى ربيعة(٤) :

---

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغانى (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل ينعمن » . والأوجال : المخاوف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

واُعجبَهَا مِنْ عيشها ظِلُّ غرفةٍ وريَّانُ مُلتفُّ الحدائق أخْضَرُ
ووالٍ كفاها كلَّ شيءٍ يَهُمُّها فليستْ لشيءٍ آخِرَ اللَّيلِ تسهَرُ[١]

باب

فى مديح الصَّالحين والفُقَهاء

قال ابنُ الخيَّاط[٢] ، يمدح مالك بنَ أنس :

يأبى الجوابَ فما يُراجَعُ هَيْبَةً والسائلونَ نَوَاكِسُ الأذْقَانِ
هَدىُ التقىِّ وعزّ سلطانِ التُّقى فهو المطاعُ وليس ذا سُلْطانِ[٣]

وقال ابن الخياط[٢] فى بعضهم :

فتًى لم يجالس مالكاً منْذُ أنْ نَشَا ولم يقتبِسْ من علمه فهو جاهلُ

وقال آخر :

فأَنْتَ باللَّيل ذئبٌ لا حَرِيمَ له وبالنَّهارِ على سمْتِ ابن سِيرين[٤]

وقال الخليل بن أحمد وذكروا[٥] عندَه الحظَّ والجِدَّ ، فقال : أمَّا الجِدُّ

---

(١) ط ، س : « الدهر » ، صوابه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .
(٢) اسمه عبد الله بن سالم المكى ، كما فى زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س : « أنس بن الخياط » . وفى الكامل ٤٠٩ ليبسك : « ابن الخياط المدينى » . فلعله مكى مدينى . والبيتان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، فى العقد (١ : ٢٦٨) وزهر الآداب فى رواية . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .
(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقى » . وفى محاسن البيهقى (٣ : ١٢١) : « هذا التقى » . وانظر للبيت السابق الاستدراكات .
(٤) السمت : الطريق وهيئه أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على ورع ابن سيرين » فلم يستقم له . هذا ما رأى الثعالبى فى ثمار القلوب ٧٠ . وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .
(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف عجيب .

فلا أقول فيه شيئا ، وأمّا الحظُّ فأَخزَى اللهُ الحظَّ ؛ فإنه يبلِّد الطالبَ إذا اتّكل عليه ويبعد[1] المطلوب إليه من مذمّةِ الطّالب .

وقال ابن شبرمة[2] :

لو شئت كنت كَكُرْز في تعبُّدِه ... أو كابنِ طارق حولَ البيت والحَرم
قد حالَ دونَ لذيذِ العَيش خوفهما ... وسارعَا في طلاب العزِّ والكَرَمِ[3]

وقال آخر[4] يرثى الأصمعىّ :

لا درَّ درُّ خطوبِ الدّهرِ إذْ فَجَعَتْ[5] ... بالأصمعيِّ لقدْ أبقتْ لنا أسَفَا
عِش ما بدا لك فى الدُّنيا فلستَ ترى ... فى الدَّهر منهُ ولا مِن عِلْمِهِ خَلَفا

وقال الحسنُ بن هانىء ، فى مرثيه خَلفٍ الأحمر :

١٥٥ لو كان حَىٌّ وائلاً من التَّلَف ... لوألتْ شغْوَاءُ فى أعلى الشَّعف[6]
أمُّ فُريخٍ أحرزَتْه فى لَجَف[7] ... مُزَغّبِ الألغادِ لم يأْكل بكفّْ[8]

---

(١) ط ، س : « ويبعد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضى ، كان قاضياً لأبى جعفر المنصور على سواد الكوفة وكان شاعراً ، حسن الخلق ، جواداً ، ولد سنة ٧٢ وتوفى سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب.

(٣) ل : « فى طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامى ، كما فى وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠) وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حى » صوابه فى ل ، س . وألت : نجت . ط ، س : « لواءلت » وهى صحيحة بمعنى الأولى . والشغواء : العقاب ، سميت بذلك لتعقف منقارها . ط ، س : « شعواء » ، صوابها فى ل . والشعف : جمع شعفة بالتحريك ، وهى رأس الجبل . ط « فى ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لها فرخ حفظته فى صخرة مشرفة على غار . كلمة « فى » ساقطة من ل .

(٨) الألغاد : جمع لغد ، وهو هنا ظاهر لحم الحلق . ط : « الأكفاو » ل ، س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبت موافقا لما فى ديوان أبى نواس ١٣٢ .

هاتيك أم عصماءُ في أعلَى الشّرَف(١)

تظلُّ في الطُّبَّاق والنَّزْعِ الألفْ(٢)

أودى جماعُ العِلمِ مُذ أودَى خلف قلَيْذَمٌ من العيالم الخُسُف(٣)

وقال يرثيه في كلمةٍ [له](٤) :

بتُّ أعزِّى الفؤادَ عن خَلفِ وباتَ دمْعى إلّا يَفِض يَكِفِ(٥)

أنسى الرَّزايا مَيتٌ فجعتُ به أضحَى رهينا للتُّربِ في جَدَفِ(٦)

كان يسنِّى برِفْقه غلَقُ الـ أفهَامِ في لا خرقِ ولا عُنفِ(٧)

يجوبُ عنك التى عَشِيتَ لها حَيْرَان، حتّى يشفيكَ في لُطفِ(٨)

---

(١) العصماء من الوعول : ما في ذراعيها أو إحداهما بياض وسائرها أسود أو أحمر . والشرف : المكان المرتفع .

(٢) الطباق ، كرمان : شجر ينبت في جبال مكة . والنزع : نبت . س : «والمنزع » ل : « والنذع » محرفتان . والألف : الملتف . ل : « الأقف » تحريف .

(٣) القليذم : البئر الغزيرة الكثيرة الماء . ط : « قلندم » س : « فلتدم » صوابه في ل والديوان . والعيالم : جمع عيلم ، وهى البئر الواسعة الكثيرة الماء عنى أنه غزير العلم . وفي الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) : « العياليم » . والخسف : جمع خسيفة ، وهى البئر حفرت في حجارة ، فنبعت بماء غزير لاينقطع .

(٤) رثاه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فعرضها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا عبيدة فقال : ما أحسنها ! وطوبى لمن يرثى بمثلها ! فقال : مت راشداً وعلىّ أن أرثيك بخير منها .

(٥) وكف الدمع : قطر . ط ، س : « أن لا يفض » ، صوابه في ل والديوان .

(٦) الجدف : الجدث ، وهو القبر . ل: « رهين التراب » .

(٧) يسنى : يفتح . والغلق : ما يغلق به الباب . ط : « كما ينسى برفقه خلق » كما البيت محرف بالديوان .

(٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عشى : لم يبصر . ل والديوان : « من قبل » موضع « حيران » .

لا يَهِمُ الحاء فى القراءة بالخا ء ولا لا مَها مع الألف(١)
ولا مضلًّا سُبْلَ الكلامِ ولا يكون إسناده عن الصُّحُفِ(٢)
وكان مَّمن مضى لنا خَلَفا فليسَ إذْ مات عنه مِن خلفِ(٣)

وقال آخر فى ابن شبرُمة(٤) .

إذا سألتَ النَاسَ أينَ المكرمَهْ والعزُّ والجُرثومةُ المقدَّمَهْ(٥)
وأينَ فاروقُ الأُمورِ المحكمه(٦) تتابَعَ النَّاسُ على ابن شُبرُمَهْ

(شعر مختار)

وقال ابن عرفطة :

ليَهنِيكَ بُغْضٌ للصَّديق وظِنَّةٌ وتحديثُك الشَّيْءَ الذى أنتَ كاذبُه(٧)
[وَأنَّكَ مشنوءٌ إلى كلِّ صاحبٍ بَلاكَ ، ومثلُ الشرِّ يكره جانبُهْ]
وإنَّك مِهْدَاءُ الخنا نَطِف النَّثَا شديدالسِّبابِ رافعُالصَّوتِ غالبُه(٨)

(١) كذا،فى ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبي نواس ٢٧ : « يهم » من الوهم ، وفى ل : « يهمر » .
(٢) كانوا يقولون : « لا تأخذوا العلم من صحفى » . ط ، س : « على الصحف » ورواية الديوان وأخبار أبي نواس :

ولا يعمى معنى الكلام ولا يكون إنشاده عن الصحف

(٣) ط، س : « وكان فيما مضى لنا خلف »، وصوابه فى ل والديوان والأخبار .
(٤) سبقت ترجمته فىالتنبيه الثانى من ص ٤٩٢ .
(٥) الجرثومة : الأصل .
(٦) الفاروق : الذى يفرق ويفصل .
(٧) ل : « ليهنك بعض فى الصديق » . وانظر القول فى الشعر وشرحه ص ١٠٢ — ١٠٣ .
(٨) ط ، س : « وأنك مهدى الخنا نطف الحشا » ، تحريف صوابه فى ل . وانظر ١٠٣ .

وقال النّابغة الجعدىّ :

أبَى لِى البَلاءُ وأنّى امروٌ ... إذا ما تَبَيَّنتُ لَمْ أرْتب

وليس يريد أنّه فى حال تبيُّنُه[١] غيرَ مُرتاب ، وإنّما يعنى أنَّ بصيرتَه لا تتغيّر .

وقال ابنُ الجهم ، ذات يوم : أنا لا أشكُّ[٢] ! قال له المكىُّ : وأنا لا أكاد أوقن !

وقال طرَفة :

وكرِّى إذا نادى المُضافُ مُحَنَّبا ... كسيد الغَضَى فى الطَّخْية المتوَرِّدِ[٣]

وتقصيرُ يَوم الدَّجنِ والدّجنَ معجِب ... ببَهكنةٍ تحتَ الخِباءِ الممَدَّدِ[٤]

أرى قَبرَ نحَّامٍ بخيلٍ بماله ... كقَبْرِ غوىٍّ فى البَطَالةِ مُفْسِدِ ١٥٦

لَعمرُك إنّ الموتَ ما أخطأَ الفتَى ... لكالطِّوَلِ المُرْخَى وثِنْياه باليَد[٥]

أرى الموتَ أعـدادَ النُّفوسِ ولا أرَى ... بعيدًا غدًا ، ما أقربَ اليومَ من غد

---

(١) ط ، س : « بيانه » ، تحريف ما فى ل .

(٢) ل : « أنا أكاد أشك » .

(٣) المضاف : الذى أضافته الهموم . والمحنب : فرس محدودب الذراع قليلا . س : « مجنبا » تحريف . والسيد : الذئب . والغضى : شجر . والطخية : الظلمة . والمتورد : الذى يطلب أن يرد الماء . ل : « كسيد الغضا نبهته » .

(٤) البهكنة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « ببكهنة » ، محرف . ل : « الخباء المعمد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الحبل . وثنياه : طرفاه . س : « لكالطول المرجى » تحريف .

وظلْمُ ذَوِى القُربَى أشدُّ مضاضة   على المرْءِ من وقع الحسامِ المهنَّد[١]
وفى كثْرة الأيدى عن الظلم زاجرٌ   إذا خَطرَتْ أيدى الرِّجَالِ بمشهد[٢]

باب
القول فى الجعلان والخنافس[٣]

وسنقولُ فى هذه[٤] المحقرات من حشرات الأرض ، وفى المذكور من بغاث الطَّير وخشاشه ، مِمَّا يقتات العذِرَة ويُوصفَ باللؤم[٥] ، ويُتَقزَّزُ من لمسه[٦] وأكلِ لحمِه ؛ كالخنفساء والجُعَل ، والهَدَاهِدِ[٧] والرَّخَم ؛ فإنَّ هذه الأجناس أَطلَبُ للعذرة من الخنازير .

فأوَّل ما نَذْكُرُ من أعاجيبها صداقةُ ما بين الخنافس والعقارب ، وصداقةَ ما بين الحيَّات والوزَغ .

وتزعُم[٨] الأعرابُ أنْ بين ذكورةِ الخنافس وإناث الجعلان تسافدًا[٩] وأنهما ينتجان خلْقا ينزع إليهما جميعا .

---

(١) قيل إن هذا البيت لعدى بن زيد وليس لطرفة . التبريزى .

(٢) لم يروه التبريزى ولا الزوزنى . ووجدته فى محاضرات الراغب (١ : ١٣٣) وحماسة البحترى ١٥٤ منسوبا إلى عدى بن زيد العبادى . ط ، س : « على الظلم » . خطرت : تحركت واهتزت . ط ، س : « حضرت » وليس بشىء . والمشهد : محضر الناس .

(٣) ل : « القول فى المحقرات من حشرات الأرض » .

(٤) ط ، س : « باب » .

(٥) ط : « يقتات » و « يوصف » .

(٦) ط ، س : « يتقذر بلمسه » .

(٧) الهداهد بالفتح : جمع هدهد . وبالضم : لغة فى الهدهد . ل : « الهدهد » .

(٨) ط ، س : « وزعم » .

(٩) ط ، س : « وذكورة الجعلان تسافد » ، وصوابه فى ل .

وأَنشد خُشْنَامُ[١] الأعور [النحْوِىُّ] عن سيبويه النَّحوىّ ، عن بعض الأعراب فى هِجَائِهِ عدوًّا له كان شديدَ السَّواد :

عاديتَنا يا خُنْفسا كام جُعَلْ[٢] عداوةَ الأوعالِ حيَّاتِ الجَبَلْ
من كلِّ عَوْدٍ مُرهَفِ النّابِ عُتُلْ[٣] يَخْرِقُ إنْ مسّ وإنْ شمَّ قتَلْ[٤]

ويُثبت أكلَ الأوعالِ للحيَّـات الشِّعرُ المشهور ، الذى فى أيدى أصحابنا ، وهو :

عَلَّ زيـدًا أن يُلاقى مَرَّةً فى التماسٍ بعضَ حيَّاتِ الجَبَلْ[٥]
غايرِ العينينِ مَفْطوحِ القَفا ليس مِن حيّات حُجْرٍ والقلل[٦]
يتوارَى فى صُـدوعٍ مَرَّةً رَبِذُ الخطْفةِ كالقِدْحِ المُؤَلّْ[٧]
وترى السمّ على أشـداقِه كشعاعِ الشَّمْسِ لاحَتْ فى طَفَلْ[٨]
طرد الأرْوَى فما تقربُهُ ونَفَى الحيَّاتِ عن بيضِ الحَجَلْ

---

(١) ط ، س : « حسام » .
(٢) كامها : سفدها . ط ، س : « أم الجعل » محرف .
(٣) العود ، بالفتح ، أصله المسن من الجمال . والعتل : الشديد . وعنى به الحية .
(٤) مثله قول يحيى بن أبى حفصة فى الحية — والحية تذكر وتؤنث فتقول : هى الحية ، وهو الحية — :

أصم ما شم من خضراء أيبسها أو مس من حجر أو هاه فانصدعا

وانظر الحيوان (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يحرق » بالحاء .
(٥) ط ، س : « فى التماسى » ، صوابه فى ل .
(٦) مفطوح : عريض . ط ، س : « مقطوع » تحريف . ل : « والغلل » .
(٧) الربذ : السريع . ل : « وترى » ط ، س : « وبذى » ، والوجه فيهما ما أثبت . والقدح أراد به السهم . والمؤل : أصله المؤلل ، وهو المحدد .
(٨) ط : « وترى السهم » ، صوابه فى ل ، س . والطفل ، بالتحريك : الغروب .

وإنّما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبالَ من أصناف الوحش ، لأنّ الأرْوَى من بينها تأكُلُ الحيّات ؛ للعداوة التى بينها وبين الحيّات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأرْوَى : إناث الأوعال ، واحدتها أُروِيّة . والناسُ يُسمُّون بناتِهم باسم الجماعة ، ولا يسمُّون البنتَ الواحدةَ باسم الواحدة منها : لا يسمُّون بأرويَّة ، ويسمُّون بأرْوَى . وقال شمّاخ بن ضِرَار :

فما أرْوَى وإنْ كَرُمَتْ علينا ... بأدنَى من مُوَقَّفةٍ حَرُون(١)

وأنشد(٢) أبو زَيدٍ فى جماعة الأوريّة :

فمالكِ من أرْوى ، تعاديت بالعَمَى ... ولاقَيتِ كلاباً مُطِلاًّ ورَاميا(٣)

يقال : تعادى القومُ وتفاقَدُوا : إذا مات بعضُهم على إثرِ بعض .

وقالت فى ذلك ضُباعةُ بنتَ قُرْط(٤) ، فى مرثية زوجِها هشام ابن المغيرة :

---

(١) الموقفة : الأروية التى فى قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال . والحرون : التى لاتبرح أعلى الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب منالا من هذه الأروية الصعبة المنال .

(٢) ط ، س : « وقال » ، وصوابه فى ل .

(٣) ل : « تداعيت » تحريف يخالف السياق. والبيت فى اللسان (عدا) . والكلاب : الصائد بالـكلاب . والمطل : من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على إيذائه . س : « مظلا » .

(٤) هى ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جدعان فى الجاهلية ، ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسـلمت وهاجرت ، وخطبها الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٦٧٠ قسم النساء .

إنَّ أبا عثمانَ لم أنْسَهُ وإنَّ صمتاً عن بُكاهُ لَحُوبُ[١]
تفاقَدُوا من معشَرٍ ما لهمْ أيُّ ذَنوب صَوّبُوا فى القَليب[٢]

(طلب الحيَّات البيض)

وأما قوله :

* وَنَفَى الحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الحجَل *

فإنَّ الحيَّات تطلبُ بَيضَ كلِّ طائرٍ وفِراخَه . وبيضُ كلِّ طائرٍ ممَّا يبيض على الأرض أحبُّ إليها . فما[٣] أعرفُ لذلك عِلَّةً إلَّا سهولةَ المطْلَب . والأيائِل تأكل الحيَّاتِ ، والخنازيرُ تأْكل الحيَّاتِ وتعاديها .

(عداوة الحمار للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ بينَ الحمارِ والغراب عداوة . وأنشدنى بعضُ النحويِّين[٤] :

عادَيتنَا لا زِلْتَ فى تَبابِ عَدَاوَةَ الحِمَارِ للغُرابِ

---

(١) ط : « صمتى » ، وأثبت ما فى ل ، س والعمدة (١ : ١٨٨) . والحوب ، بالضم : الإثم . وفى الكتاب : « إنه كان حوبا كبيراً » . ل : « لجوب » تحريف .

(٢) الذنوب ، بالفتح : الدلو العظيمة . والقليب : البئر . إن أطلق الروى بالتحريك كان فى الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشدنى » . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٨ .

وأنشد ابْنُ ابى كريمةَ لبعض الشُّعراء فى صريع الغوانى :

فما ريحُ السَّذَابِ أشَدُّ بُغْضاً   إلى الحيَّاتِ مِنْكَ إلى الغَوَانِى (١)

(أمثـال)

ويقال : « ألجُّ من الخنفساء » ،و «أفحَشُ من فاسية» ، وهى الخنفساء و « أفحش من فَالية الأفاعى (٢) » .

والفساء يُوصف به ضربانِ من الخَلْق : الخنفساء ، والظَّرِبان .

وفى لجاج الخنفساء يقولُ خَلفٌ الأحمر (٣) :

لَنا صاحِبٌ مُولَعٌ بالخلافِ   كثِيرُ الخطاءِ قَلِيلُ الصَّوابِ (٤)

ألجُّ لجاجاً من الخنفَساء   وأزْهى إذا مَامَشى مِنْ غرابِ (٥)

(طول ذَماء الخنفساء)

وقال الرقاشى : ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام فى جنبه (٦) ، فقال لى أعرابىٌّ : الخنفساء أصبر منه ، ولقد رأيت صبيًّا من صبيانكم البارحة

---

(١) ط ، س : « منه إلى الغوانى » ،وأثبت ما فى ل . وانظر ص ٤٥٩ .

(٢) فالية الأفاعى : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والعقارب فى جحرة الضب.

(٣) يهجو العتبى ، كما فى الدميرى . وللعتبى ترجمة فى (١ : ٥٣ — ٥٤) . وفى معجم الأدباء (١٦ : ١٦١) أنهما فى هجاء أبى العيناء . وبعدهما هناك بيتان آخران .

(٤) الخطاء : الخطأ .

(٥) أعاد إنشاده فى (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جنبيه » .

وأخذَ شوكةً وجعل فى رأسها فَتيلةً ، ثمَّ أوقد فيها ناراً[١] ، ثمَّ غرزها فى ظهر الخنفساء ، حتَّى أنفذ[٢] الشَّوْكة . فغبَرْنَا ليلتَنا[٣] وإنَّها لَتجولُ فى الدَّارِ وتُصْبِح[٤] لنا . و [اللهِ] إنِّى لأظنها كانتْ مُقْرِباً[٥] ؛ لانتفاخ بطنها ١٥٨

(استطراد لغوى)

قال : وقال القَنَانىُّ[٦] : العَوَاساء : الحامل من الخنافس ، وأنشد :

* بَـكْرًا عواساءَ تَفاسَا مُقْرِبا[٧] *

---

(١) ط ، س : « أوقدها نارا » .

(٢) س : « أبعد » .

(٣) غبر : مكث . ط ، س : « فعبرنا » ، ووجهه من ل .

(٤) تصبح : تضىء . وانظر ماسيأتى فى ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل التى دنا ولادها .

(٦) القنانى هذا هو أستاذ الفراء ، كما فى معجم البلدان (قنان) . وله ذكر فى اللسان (نبل ١٦٣) ، وهو بفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : « العتابى » وهو كلثوم ابن عمرو العتابى المترجم فى (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لمطابقته لما فى المخصص (٢ : ١٨) والمقصور ٧٨ والغريب المصنف ١٥٧ ؛ ٢٤٤ فى كل منها : « وأنشد القنانى » .

(٧) العواساء ، بالفتح : الحامل من الخنافس . تفاسا : أصلها تتفاسأ ، أى تخرج ظهرها . وروى : « تفاسى » أصلها تتفاسى ، كما فى اللسان (عوس ، فسى) والمقصور لابن ولاد ، أى تخرج هنها . وروى : « تبازى » أصلها تتبازى ، كما فى المخصص ، أى تخرج عجيزتها . ط : « ثماسا » س : « نفاسا » ، صوابهما فى ل .

(أعاجيب الجعل)

قال : ومن أعاجيب الجعل (١) أنَّه يموت من ريح الوَرد ، ويعيشُ إذا أعيد إلى الرَّوث . ويضرَب بشدَّة سوادِ لونِه المثل . قال الرَّاجزُ وهو يصفُ أسودَ سالخا (٢) :

مُهَرّت الأشداق عَود قد كَمَلْ (٣) كأنَّما قُمِّص من لِيطِ جُعَلْ (٤)

والُجعَل يظَلُّ دهراً لا جَناحَ له ، ثم ينبت له جناحان ، كالنمل الذى يَغْبُر دهْرا لا جناح له ، ثم ينْبت له جناحان ، وذلك عند هَلَـكَتِه (٥) .

(الدعاميص)

والدّعاميص (٦) قد تغبُر حيناً بلا أجنِحة ، ثم تصير فراشاً وبَعوضاً . وليس كذلك الجراد والذِّبَّان ، لأنَّ أجنحتّها تنبتُ على مقدار من العمر ومرور من الأيام (٧) .

---

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجعل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسالخ : الذى يسلخ جلده ، وذلك يكون فى كل عام .

(٣) مهرت الأشداق : واسعها . ط ، س : « منهرت الشدقين » ، وهى رواية البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قص : ألبس قيصاً . والليط ، بالكسر : قشر الجعل . ط ، س : « قصص » صوابه فى ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهراً » المتقدمة . والكلام من « كالنمل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعموص : خلق يكون فى الماء ثم يستحيل بعوضاً وفراشا .

(٧) كلمة « من » ساقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أنَّ البرغوث[1] قد يستحيلُ بعوضة .

(عادة الجعل)

والجعل يحرسُ النّيام ، فكلما قام منهمْ قائمٌ فمضى لحاجته تبِعه ، طمعاً في أنّه إنَّما يريد الغائط. وأنشد بعضهم قول الشاعر[2] :

يبيتُ في مجلس الأقوامِ يرْبؤُهم كأنَّه شرطيٌّ باتَ في حَرَسِ[3]

وأنشد بعضهم[4] لبعض الأعراب في هجائه رجلًا بالفسولة ، وبكثرة الأكل ، وبعِظَم حَجْمِ النَّجو :

حتَّى إذا أَضْحَى تدرَّى واكتَحَلْ[5]

لجارَتيــه ثمَّ وَلَّى فَنَثَلْ[6]

* رِزْقَ الأَنُوقَيْنِ القَرَنْبَى وَالُجعَلْ[7] *

---

(١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .

(٣) يربؤهم : يرقبهم ، أو يكون لهم ربيئة أي عينا . ط ، س : « في منزل » ، وأثبت ما في ل وما سبق في (١ : ٢٣٦) .

(٤) ط ، س : « وأنشدوا » .

(٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلدى » ، صوابه في ل ، س . وفي ط : « ثم إذا أضحى » . وسبق الرجز في (١ : ٢٣٥) .

(٦) نثل : أصله للفرس ، يقال نثل : راث . وفي الأصل : « نشل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .

(٧) ل : « روق » ، صوابه في ط ، س . وقد سبق في الجزء الأول : « ذرق » وما هنا صوابه .

سمى القَرَنبى والُجعل — إذ كانا يقتاتان الزِّبْل — أُنُوقين[١] . والأنوق: الرَّخمة ، وهى [أحد ما] يقتات[٢] العَذرة . وقال الأعشى :

يا رَخَماً ، قاظَ على يَنْخوب[٣] يُعْجِلُ كفَّ الخارئ المُطِيبِ

المطيب: الذى يستطيب[٤] بالحجارة ، أى يَتَمَسَّح[٥] بها. وهم يسمُّون بالأنوق كلَّ شىءٍ يقتات النّجْو والزِّبل ، إلَّا أنَّ ذلك على التشبيه لها بالرَّخم فى هذا المعنى [وحدَهُ] . وقال آخر :

يا أيهذا النّابحى نَبْحَ القبَلْ[٦] يدعُو علىَّ كلما قام يُصَلّْ
رافعَ كفَّيهِ كما يفرى الُجعَلْ[٧] وقد ملأتُ بطْنَهُ حتى أتل
* غيظاً فأمسى ضغْنُه قد اعْتدل *

والقَبَل : ما أقبل عَليك من الجبل . وقوله أتَلَ ، أى امتلأ [عليك] غَيْظا فقصَّر فى مِشيتِه . وقال الجعدىّ :

١٥٩ منَعَ الغدرَ فلم أهممْ به وأخُو الغَدْر إذا هَمَّ فعَلْ
خشيةُ اللهِ وأنِّى رجلٌ إنما ذكرى كنار بقَبَلْ[٨]

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « وهى مايقتات » ط : « وهى تقتات » .

(٣) قاظ بالمكان : أقام به صيفا . وينخوب : موضع ، ذكره ياقوت ، وأنشد البيت . والرواية المعروفة : « مطلوب » كما فى اللسان (طيب ، قاظ) والدميرى وأمثال الميدانى (٢ : ٢٥٠) ، وهو اسم جبل . ط ، س : « منجوب » تحريف ما فى ل .

(٤) ط ، س : « يتطيب » ، صوابه فى ل .

(٥) ط : « يتطيب » ، وليست صحيحة . س : « يمسح » ، وأثبت ما فى ل .

(٦) القبل : الجبل يستقبلك . أى كن ينبح الجبل . ط ، س : « المانحى نهج » صوابه فى ل ، واللسان (قبل) ونوادر أبى زيد ٤٩ .

(٧) يفرى ، بالفاء : يصنع . ط ، س : « يقرى » صوابه فى ل والنوادر .

(٨) ل : « نار بقبل » ، أراد أنه معروف مشهور .

وقال الرَّاجز — وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، وبكثْرة الأكل ، وعِظَم[1] حجْم النَّجْو — :

* باتَ يعشِّى وَحْدَه ألْفى جُعَل[2] *

وقال عنترة :

إذا لاقيتَ جمعَ بنى أبان فإنِّى لائمٌ للجعْدِ لاحِى

كسوتُ الجَعْدَ جَعْدَ بنى أبان رِدائى بعد عُرْىٍ وافتضاحِ[3]

ثم شبَّهه بالجعل فقال :

كأنَّ مؤشَّرَ العَضدَيْنِ جَحْلا هدُوجا بينَ أقلبةٍ مِلاحِ[4]

تضمنَ نعمتى فغدا عليها بُـكورًا أو تهجَّر فى الرَّواحِ

وقال الشمَّاخ :

وإن يُلقِيَا شأوًا بأرْضٍ هَوَى له مُفرَّضُ أطراف الذِّرَاعَينِ أفلجُ[5]

---

(١) س : « وبعظم » .

(٢) قبله كما سبق فى (١ : ٢٣٦) :

* إذا أتوه بطعام وأكل *

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلا مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فن ذلك ماسمى السيف رداء ، وفى ذلك يقول متمم :

لقد كفن المنهال تحت ردائه فتى غير مبطان العشيات ، أروعا

والرواية فى ديوان عنترة : « سلاحى » . وكان عنترة أعار الجعد سلاحا فأمسكه الجعد ولم يرده إليه . ط : « بعد عراى وافتضاحى » . وصوابه فى ل ، س والديوان ٥٤ . والمراد : بعد عرى الجعد وافتضاحه .

(٤) مؤشر : مرقق . والجحل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط ، س : والديوان ، واللسان (أشر) : « حجلا » صوابه فى ل واللسان (جحل ، قلب) والمخصص (١٧ : ٣٥) . والهدوج : الذى يمشى رويدا فى ضعف . ط ، س : « عروجا » صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار ، جمع قليب . ملاح : جمع ملح : ذى ملوحة .

(٥) يلقيا : من الإلقاء . والضمير عائد إلى عير وأتانه . انظر ديوان الشماخ =

(استطراد لغوى)

والشأو هاهنا : الرَّوث ؛ كأنّه كثر [ه] حتّى ألحقَه بالشأوِ الذى يخرج من البئر ؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنْقِى البئر : أخرِجْ من تلك البئر شأْوًا أو شأْوين ، يعنى من التراب الذى قد سقَط فيها ، وهو شئٌ كهيئة الزَّبِيل[١] الصَّغير .

والشأو : الطِّلْق[٢] . والشأو : الفَوْت[٣] .

والمفرّض الأفلج[٤] الذى عنى ، هو الجعل ؛ لأنّ الجعلَ فى قوائمه تحزيز ، وفيها تَفْريج[٥] .

= (١٢ — ١٦) . ط ، س : « تلفيا » صوابه فى ل والديوان . والمفرض : المحزز . س : « معرض » ط : « معرف » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (فرض) . والأفلج : البعيد مابين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالحاء ، وهو تحريف مافى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مطلعها :

ألا ناديا أظعان ليلى تعرج   فقد هجن شوقاً ليته لم يهيج

وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ رويها الجيم المكسورة .

(١) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الزنبيل » وهما صحيحتان ، يقال زبيل ، وزبيل كسكين ، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفة أو الجراب .

(٢) الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدا طلقا أو طلقين .

(٣) الفوت ، بالفتح : السبق . شآه : سبقه . ط ، س : « القوت » صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « المعرض الأفلح » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الشرح من هذه الصفحة .

(٥) ط ، س : « تعريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة فى الجعل)

وللجعل جناحان لايكادان يُرَيانِ إلّا عند الطَّيران ، لشدَّةِ سوادهما ، وشبَهِهما بجلده ، ولشِدَّة[1] تمكُّنهما فى ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عدَّدَ الخوَنَة ، وحثَّ الأميرَ[2] على محاسبتهم :

واشدُدْ يديكَ بزيْدٍ إن ظفِرْتَ به
واشْفِ الأراملَ من دُحروجة الُجعلِ

والجعل لايدحرج إلاّ جعرًا[3] يابساً ، أو بعرة .

وقال سعد بن طريف[4] ، يهجو بلالَ بنَ رَباح مولى أبى بكر[5] :

وذاكَ أسودُ نوبىٌّ له ذَفرٌ كأنَّه جُعَلٌ يمشى بِقِرْواحِ[6]

وسنذكر شأنَه وشأن بلالٍ فى موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

---

(١) ط ، س : « وشدة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجعر ، بالفتح : النجو . ط ، س : « بعرا » .

(٤) سعد بن طريف : صحابى ، ترجم له فى الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشى ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده المشرك ، ثم أعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة عشرين . ط ، س : « بنى بكر » ، صوابه فى ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : خبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر » صوابه فى ل . والقرواح ، بالكسر : الفضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو العقارب)

وكان بالكوفة رجلٌ من ولد عبد الجبّار بن وائل بن حُجْر الحضرميّ[١] يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك[٢] ، ولم تكن الكنية لقبا ولا نَبَزًا ، وكان من
١٦٠ الفُقَهاء ، وله هيئة ورُواءٌ . وسأَلتُه[٣] : هل كان في آبائه من يكنى أبا الخنافس؟ فإنَّ أبا العقارب[٤] في آل سلم مولى[٥] بنى العباس كثيرٌ على اتّباع أثر . وكان أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

(طول ذَماء الخنفساء)

وقال لى [أبو] الفضل العنبرىّ : يقولون : الضَّبُّ[٦] أطول شىء ذَماء ، والخنفساء[٧] أطولُ منه ذَماء ؛ وذلك أنّه يُغرَز في ظهرها شوكةٌ ثاقِبة[٨] ، وفيها ذُبالةٌ تستوقدُ وتُصْبِحُ[٩] لأهل الدّار ، وهى تدِبُّ بها

---

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر فى الإصابة فى أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر بضم الحاء — الحضرمى المتوفى فى خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشىء سوى أنه روى هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راض بكنيته » .

(٣) ل : « وسألت » .

(٤) ل : « أبا العقاب » ، تحريف .

(٥) س : « موالى » .

(٦) ط ، س : « الضب » .

(٧) ط ، س : « والخنافس » .

(٨) ل : « نافذة » .

(٩) تصبح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول ! وربّما كانت فى تضاعيف حبل قَتٍّ ، أو فى بعض الحشيش والعُشب والخَلا ، فتصيرُ فى فم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضْغَمَ الخنفساء[1] ، فإذا وصلت إلى جوفه وهى حيَّةٌ جالت فيه ، فلا تموت حتّى تقتله .

فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأوارىَّ[2] والعُلوفاتِ ؛ خوفاً من الخنافس .

(هجاء جواس لحسّان بن بحدل)

وقال جَوّاس بن القَعْطل[3] فى حسّان بن بَحْدَل[4] :

هل يُهلكنِّى لا أبالكم دَنِسُ الثياب كطابخِ القِدْرِ[5]
جُعَلٌ تمطَّى فى عَمَايته زَمِرُ المروءةِ ناقصُ الشَّبْرِ[6]
لزَبابَةٍ سوداء حَنظلةٍ والعاجزِ التَّدبيرِ كالوَبْرِ[7]

---

(١) ضغم يضغم ، من باب منع : عض .
(٢) الأوارى : جمع آرى ، وهو محبس الدابة . ل : « الأوانى » تحريف . وفيها : « يتعهدون » مكان « يتعاورون » .
(٣) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبى ، وله شعر فى وقعة مرج راهط سبق بعضه فى ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتعطل » ل ، س : « المقعطل » صوابه ما أثبت من المؤتلف ٧٤ والأغانى (١٧ : ١١٢) والقاموس فى مادتى (جوس ، قعطل) . وانظر اشتقاق الاسم فى شرح التبريزى للحماسة (٤ : ٣٣) .
(٤) ط : « بجدل » س : « نحدل » وصوابه فى ل . وكان حسان بن بحدل أحد ولاة بنى أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب مع مروان بن الحكم .
(٥) ل : « لا أبا لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .
(٦) العماية ، بالفتح : الضلال والجهالة . ل : « عبايته » . زمر المروءة : ضعيفها . والشبر ، بالفتح : القد ، والعطاء .
(٧) الزبابة : ضرب من الفأر ، يشبه بها الجاهل ، كما فى اللسان والدميرى . يقول : =

فأمَّا الهجاءُ والمدح ، ومفاخرة السُّودان [و] الحمران ، فإنَّ ذلك كلَّه مجموعٌ (فى كتاب الهجَناء والصُّرَحاء) .

و [قد] قدَّمنا فى صدر هذا الكتاب جملةً فى القول فى الجِعْلانِ وغيرِ ذلك من الأجناس اللئيمة والمستقْذَرة ، فى باب النَّتن والطِّيب ، فكرهنا إعادته فى هذا الموضع (١) .

باب
القول فى الهدهد

وأما القول فى الهدهد ، فإنَّ العربَ والأعرابَ كانوا يزعمون أنَّ القَنزعةَ التى على رأسه ثوابٌ من الله تعالى على ما كان من برِّه لأُمِّه ! لأنَّ أمَّه لما ماتتْ جَعل قبرَها على رأسه ، فهذه القنزعة عوضٌ عن تلك الوَهْدة .

والهدهد طائرٌ مُنتِن الرِّيحِ والبدَن ، من جوهره وذاته ؛ فربَّ شىءٍ يكونُ مُنتِنا من نفسه ، من غيرِ عرَض يعرِضُ له (٢) ، كالتيوس والحيَّاتِ وغيرِ ذلك من أجناس الحيوان .

فأمَّا الأَعراب فيجعلون ذلك النَّتْنَ شيئاً خامرَه بسبب (٣) تلك الجيفةِ

= أمه كأنها زبابة : دويبة على قدر السنور غبراء حسنة العينين شديدة الحياء . وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص : « واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ! » . قدوم ضأن : موضع . ط : « الوبر » وصوابه من ل ، س .

(١) بعد هذا فى ط ، س : « والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه فى ط ، س .

(٣) ط ، س . « لسبب » .

التي كانت مدفونةً في رأسه . وقد قال في ذلك أميَّة أو غيرُه(١) من شعرائهم :

فأمَّا أميَّة فهو الذي يقول :

تَعَلَّمْ بِأَنَّ الله ليس كصُنْعِهِ ... صَنيعٌ ولا يَخْفَى على الله مُلحِدُ(٢) ١٦١

وبكلٍّ منكرةٍ لهُ مَعْرُوفةٌ ... أخرى عَلَى عينٍ بما يتعمَّدُ(٣)

جُدُدٌ وتوشيم ورسمُ علامـةٍ ... وخزائنٌ مفتوحةٌ لا تنفدُ(٤)

عمن أراد بهـا وجاب عيانَه ... لا يستقيم لخالق يتزيَّد(٥)

غيم وظلماء وغيث سَحابةٍ ... أزْمانَ كفَّنَ واستَرَادَ الهدهُدُ(٦)

يبغي القَرَارَ لأمِّـهِ ليُجنَّها ... فبنى عليها في قفاهُ يُمَـهِّدُ(٧)

مَهْدًا وَطيئاً فاستقلَّ بحمْلِهِ ... في الطَّيرِ يحملها ولا يتأوَّدْ(٨)

من أمِّهِ فجُزى بصالحِ حملها ... ولدًا ، وكلف ظهره ما تفقد(٩)

فتراه يَدْلَحُ ما مشى بجنازةٍ ... فيها وما اختلف الجَديد المسند(١٠)

---

(١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما في ل .

(٢) ل : « عليه ملحد » ولعل في البيت تحريفا ، فإنه مخالف لما بعده في الوزن .

(٣) في الديوان : « في كل منكرة » ، ل : « بها يتعمد » .

(٤) ط ، س : « وتوسيم » . س : « لاتفلد » ، ل : « لاتقلد » صوابه من ط ، والديوان .

(٥) ل : « وحاد غياية » . الديوان : « وجاب عنانها » .

(٦) ط ، س : « وغيم سحابة » . ط : « أن مان » ، صوابه في س ، ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستزاد » ل : « كفن واستزار » ، وأثبت ما في نهاية الأرب والديوان . استراد : أصل معناها الخروج لطلب الكلأ .

(٧) ط ، س : « يبقى » ، صوابه في ل والديوان ونهاية الأرب . يجنها : يضعها في الجنن ، بالتحريك ، وهو القبر . ط والديوان : « في قفاها » صوابه في ل ، س ونهاية الأرب .

(٨) يتأود : يتعطف ويتلوى . يقول : هي خفيفة المحل .

(٩) الديوان : « فجرى لصالح حملها » . ط : « لاتعقد » : نهاية الأرب : « ما يعقد » .

(١٠) يدلح ، بالحاء : يمشي بحمله مثقلا . ط : « يضبح » أصله من ضبح الخيل . ل ، =

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أنَّ الهدهد هو الذى كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه فى قعور الأرَضين[١] إذا أرادَ استنباط شىءٍ منها .

(سؤال ومثل فى الهدهد)

ويروُونَ أنَّ نَجْدَةَ الحَرُورِىَّ أو نافعَ بن الأزرق قالَ[٢] لابن عباس : إنَّك تقول إنَّ الهدهُدَ إذا نقَرَ الأرضَ عرَفَ مسافةَ ما بينَهُ وبين الماء ، والهدهُدُ لا يُبْصِر الفخَّ دُوَينَ التراب ، حتى إذا نقر التَّمْرَةَ[٣] انضمّ عليه

= س ونهاية الأرب : « يدلج » ولا تصح ، صوابها من الديوان . المسند : الدهر . والجديد : الدائم الجـدة لايبلى أبداً . وجاءت مثل هذه العبارة فى قول الهذلى :

وقالت : لن ترى أبداً تليدا بعينك آخر الدهر الجديد

ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لايبليان أبداً . ط : « ا لجديد المنشد » صوابه فى جميع المصادر المتقدمة .

(١) ط ، س : « المياه » . ل : « قعود الأرضين » ، وما فى ل تحريف .

(٢) ط ، س : « ونافع بن الأزرق قالا » . ونجدة هو ابن عامر الحرورى الحنفى ، كان من الخوارج الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج باليمامة سنة ٦٦ فى جماعة كبيرة ، فأتى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شابا . ولد سنة ٣٦ وتوفى سنة ٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحنفى ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه وفقيههم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التى اشتبكت مع المهلب بن أبى صفرة فى حروب قاسية . قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ .

(٣) فى ثمار القلوب ٣٨٤ : « نقر الحبة » .

الفخُّ ! فقال(١) ابنُ عبَّاس : « إذا جاء القدرُ عمىَ(٢) البَصرُ » .

ومن أمثالهم : « إذا جاء الحيْنُ غطَّى العين(٣) » .

وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فإنَّما عنى هدهُدَ سليمانَ عليه السلام بعينه ؛ فإنَّ القولَ فيه خلافُ القولِ في سائر الهداهد .

وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه فى موضعه إن شاء الله تعالى(٤) .

وقد قال الناس فى هُدهُدِ سُليمانَ ، وغرابِ نوح ، وحِمَار عُزَير ، وذئبِ أُهبان بن أوس(٥) ، وغير ذلك من هذا الفنّ ، أقاويلَ(٦) ، وسنقول فى ذلك بجملةٍ من القول فى موضعه [إن شاء الله] .

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعَمَ فى كتاب الحيوان ، أنَّ لكلِّ طائرٍ يعشِّش شكلاً يتَّخذ عشَّه منه ، فيختلف ذلك على قدر(٧) اختلاف المواضع

---

(١) ط ، س : « فقال لها » .

(٢) كذا فى ط ، س وثمار القلوب . ل : « عشى » .

(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . ط : « إذ جاء » صوابه فى ل ، س .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ — ٨٠) .

(٥) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . زعموا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا : كان فى غنم له ، فعدا الذئب على شاة منها ، فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له : أتنزع منى رزقا رزقنيه الله ! ! . وانظر بقية الخبر فى ثمار القلوب ٣٠٩ . مات أهبان بن أوس فى ولاية المغيرة بن شعبة حيث كان واليا عليها لمعاوية . وذكر ابن الكلبى وأبو عبيد والبلاذرى والطبرى ، أن مكلم الذئب صحابى آخر اسمه أهبان ابن الأكوع . الإصابة ٣٠٥ .

(٦) ل : « بأقاويل » .

(٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أنَّ الهدهُدَ من بينها يطلب الزِّبل ، حتَّى إذا وجده نَقَلَ منه ، كما تنقل الأَرَضَةُ من التُّراب ، ويبنى منه بيتاً ، كما تبنى الأَرَضَة ، ويضع جُزْءًا على جُزْء[1] ، فإذا طال مُكثه فى ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أو فى مثله[2] ، وتربَّى ريشه وبدنه[3] بتلك الرائحة ، فَأَخلِقْ به[4] أيضاً أن يُورِث ابنَه[5] النَّتْنَ
١٦٢ الذى عَلِقَه ، كما أورث جدُّهُ أباه ، وكما أَوْرَثَه[6] أبوه . قال : ولذلك يكون منتِناً .

وهذا وجهُ أنْ كان معلوماً أنَّه لا يتَّخِذ عشَّه إلَّا من الزِّبل .

فأمَّا ناسٌ كثير ، فيزعمون أن رُبَّ بدنٍ يكونُ طيِّبَ الرَّائحة ؛ كفأرة المسك الَّتى ربَّما كانت فى البيوت . ومن ذلك ما يكونُ مُنْتِنَ البَدَنِ[7] ، كالذى يحكى عن الحيَّاتِ والأَفاعى والثَّعابين[8] ، ويُوجَدُ عليه التَّيوس .

---

(١) كذا فى ل . وفى س : « خروا على خره » ط : « خره على خره » .

(٢) ط ، س : « وفى مثله » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « تربى وبدنه ينمو » ، صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « وأخلق » ؛ والوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه » ؛ صوابه فى ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) « ما يكون » سقط من ل .

(٨) ل : كالذى يحكى عن الحيات » فقط .

(اغتيولس)

وذكر صاحب المنطق أنّ الطير الكبير ، الذى يسمى باليونانية اغتيولس [١] ، يحكم عُشّه ويُتقنُه ، ويجعله مستديراً مُداخَلاً كأنّهُ كُرَة معمولة [٢] .

وروى [٣] أنّهم يزعمون أنّ هذا الطائرَ يجلِبُ الدَّارَصِينِيَّ من موضعه ، فيفرُشُ به عشّه ، ولا يعشّش إلّا فى أعالى الشَّجَرِ [٤] المرتفعةِ المواضع .

قال : وربّما عَمَد الناسُ إلى سهامٍ يشدُّونَ عليها [٥] رَصاصاً ، ثمّ يرمون بها أعشتها ، فيسقط عليهم الدَّارصينيُّ ، فيلتقطونَه [٦] ويأخذونَه .

(من زعم البحريين فى الطير)

ويزعَمُ البحْرِيُّونَ أنّ طائرَين يكونان ببلاد السُّفَالة [٧] ، أحدُهما يظهر قبلَ قُدوم السفن إليهم ، وقبل أن يُمكِنَ البحرُ من نفسه ، لخروجهم فى متاجِرِهم [٨] فيقول الطائرُ : قُرب آمَدْ [٩] ، فيعلمون بذلك أنّ الوقت قدْ دنَا ، وأنّ الإمكان قد قرب .

---

(١) ط ، س « : اعتيولس » .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .
(٣) ط ، س : « ورووا » وصوابه فى ل .
(٤) ل : « الشجرة » .
(٥) ط ، س : « فيشدون بها » .
(٦) ل : « فليقطونه » .
(٧) السفالة ، بالضم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س : « الصقالبة » ل : « السقالة » . والصواب ما أثبت .
(٨) ط ، س : « ومتاجرهم » صوابه فى ل .
(٩) قرب : بالفارسية ، هى كلفظها العربى وبمعناها العربى. وآمد بالفارسية : بفتح الميم بمعنى الوصول والقدوم . ل : « أرت آمذ » . وانظر مثيل هذا فى كامل ابن الأثير (٩ : ١٧) فى حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويجىء بِهِ طائرٌ آخر ، وشكل آخر ، فيقول : سمارو[١] . وذلك فى وقت رجوع من قد غابَ منهم ، فيسمُّون هذين الجنسين من الطَّير : قرب[٢] ، وسمارو ، كأنَّهم سمَّوهما بقولها ، وتقطيع أصواتهما ، كما سمَّت العرَبُ ضرباً من الطَّير القطا ؛ لأن القَطاَ كذلك تصيح[٣] ، وتقطيع أصواتها[٤] قَطاَ ، وكما سمَّوا الببغاء بتقطيع الصَّوتِ الذى ظهر منه[٥] .

فيزعمُ أهلُ البحر أَنّ ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً[٦] إلَّا فى إناث ، وأنّ الآخَر لا يطير أبداً إلّا فى ذكورة .

(وفاء الشفنين)

وزعم لى بعضُ الأطبَّاء ممّن أصدّق خبره ، أنّ الشِّفنينَ إذا هلكت أنثاه[٧] لم يتزوَّج وإن طال عليه التعزُّب . وإن هاج سَفد[٨] ولم يطلب الزّوَاج .

---

(١) ط ، س : « سماروا » .
(٢) ل : فسموا هذين الجنسين من الطير بأرت » .
(٣) ل : « لأن ذلك الطائر كذلك يصيح » .
(٤) ل : « صوته » .
(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والببغاء مؤنثة .
(٦) ل : « أن أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً » .
(٧) ط ، س : « امرأته » .
(٨) ط : « تسفد » تحريف مافى ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنَّ عندهم طائرين ، أَحدهما وافى الجناحين وهو لم يطِرْ قطّ ، والآخر وافى الجناحين ، ولكنه من لدُنْ ينهض للطَّيرانِ فلا يزالُ يطيرُ ويقتات [من[1]] الفراش وأشباه الفراش ، وأنَّه لا يسقط إلاّ ميِّتاً . إلَّا أنَّهم ذكروا أنّه قَصير العمر .

(كلام فى قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصينى[2] ، وإن كنت لا أعرف الوجهَ فى أنَّ طائرا ينهَض مِن وكره فى الجبال[3] ، أو بفارسَ أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمَد نحوَ بلاد الدارصينى[4] ، وهو لم يجاوز موضعه ولا قرُبَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأَوابد [أو من القواطع[5]] . وإنْ كان من القواطع فكيف يقطع الصَّحصانَ الأملس[6]

---

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .

(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدراصينى » ، وكلمة « خبر » مقحمة .

(٣) الجبال : اسم للإقليم الذى يمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى . عن ياقوت .

(٤) هو شجر هندى يكون بتخوم الصين ينتفع بقشره ذى الرائحة العطرية . ولفظه معرب من « دارجينى » الفارسية .

(٥) ليست بالأصل .

(٦) الصحصحان : البرية الواسعة .

١٦٣ وبطونَ الأَوْدِيَةِ ، وأهضامَ الجبال[١] بالتَّدويم فى الأَجواء ، وبالمضىِّ على السَّمت ، لطلب مالم يرَهُ ولم يشمَّه ولم يذقْه . وأخرى فإنّه لايجلب منه بمنقاره ورجليه[٢] ، ما يصير فِراشاً له ومِهاداً ، إلاّ بالاختلاف الطويل[٣] . و [بعد فإنّه] ليس بالوطىء الوثير[٤] ، ولا هو له بطعام .

فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلَّة [بعينها] فلست أنكر الأُمورَ من هذه الجهة . فاذكرْ هذا[٥] .

(قول أبى الشيص فى الهدهد)

وقال أبو الشِّيص فى الهدهد[٦] :

لا تأْمنَنَّ على سِرِّى وسِرِّ كمُ ... غَيرى وغَيْرَك أوطىَّ القَراطِيسِ[٧]

أو طائرٍ سأحَلِّيـهِ وأنعتـه ... ما زال صاحبَ تنقير وتدسيسِ[٨]

---

(١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . فى الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح . والكلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) ل : « وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .

(٣) ل : « باختلاف طويل » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « فأنكر هذا » صوابه فى ل .

(٦) الأبيات فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والدميرى وعيون الأخبار (١ : ٤١) والمختار من شعر بشار ١٥٧ .

(٧) أى وغير طى القراطيس .

(٨) فى الأصل وعيون الأخبار : « أو طائراً » ؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتى . وأثبت ما فى نهاية الأرب والدميرى . سأحليه ، بالحاء : سأنعته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل والدميرى ونهاية الأرب : « سأجليه » . والتدسيس : الدس والإدخال ، يدخل منقاره فى الأرض بحثا عن قوته . فى الأصل : « تأسيس » ، وصوابه فى النهاية . وفى الدميرى : « تدريس » !

سودٍ براثِنه ، مِيلٍ ذَوائبُه صُفرحمالِقه، فى الحسنِ مَغمُوس[١]

قد كانَ هَمَّ سليمانٌ ليذبَحَه لولا سِعايته فى ملك بلقيس[٢]

وقد قدَّمنا فى هذا الكتاب فى تضاعيفه[٣] ، عدَّة مقطَّعات فى أخبار الهدهُد[٤] .

باب

القول فى الرخم

[و] يقال : إنّ لئامَ الطير ثلاثة : الغِربانُ ، والبوم ، والرَّخَم .

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنّه قيل للرَّخمة : ما أحمقك ! قالت : وما حُمْقى ، وأنا أقطَعُ فى أوّلِ القواطع ، وأرْجِع فى أوّلِ الرَّواجِع ، ولا أطير فى التَّحسير[٥] ،

(١) براثنه : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حمالقه : جفوله .

(٢) ل : « لولا سياسته » .

(٣) فى ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطير إلا فى التخيير » ، وصوابه فى ط والجزء السابع ١٩ ولمثال الميدانى . والتحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أغترّ بالشَّكير[1] ، ولا أسقط على الجفِير[2] .

وقد ذكرْنَا تفسير هذا[3] . وقال الكميت :

إذْ قيل يا رَخَمَ انطقى فى الطَّير ، إنّك شرُّ طائرْ[4]

(بعض ملوك العجم والْجُلَنْدى الأزدى)

وقال أبو الحسن المدائنى : أَمَر بعضُ ملوك العجمِ الْجُلَنْدَى بنَ عبدِ العزيز الأزدىَّ ، وكان يقال له فى الجاهلية عرجدة[5] ، فقال له : صِدْ لى شرَّ الطير ، واشوِه بشرِّ الحطب ، وأطعِمْه شرَّ الناس . فصادَ رخمةً وشوَاهَا ببَعْر ، وقرَّبها إلى خوزىٍّ[6] . فقال له الخوزىُّ[7] : أخطأت

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أى لايغرها الشكير فتطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصبا . ط : « بالتبكير » س : « بالتكير » صوابه فى الجزء السابع ونهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) وأمثال الميدانى (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جعبة السهام . ط : « الحقير » صوابه فى ل ، والجزء السابع وأمثال الميدانى . وهى لا تسقط على الجعبة لعلمها أن فيها سهاما .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ — ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « انْطقى يارخم فإنك من طير الله » ، يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحت فصاحت الرخمة ، فقيل لها يهزأ بها : إنك من طير الله فانطقى ! انظر الدميرى .

(٥) ل : « عجردة » . وفى الإصابة ١٢٩٢ : « عبد جمل » . والجلندى بضم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزى : نسبة إلى خوزستان ، وهى بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، كما فى معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوز ألأم الناس وأسقطهم نفسا » . ط ، س : « خوزنى » ل : « حوذى » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « الخوزنى » ، ل : « الحوذى » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

فى كلِّ شىء أمرك بِهِ الملك : ليس الرَّخمةُ شرَّ الطير ، وليس البعرةُ شرَّ الحطَب ، وليس الخوزىُّ شرَّ الناس . ولكن اذهب فصِد بومة(١) ، واشوها بدفلَى(٢) ، وأطعمْها نبطيًّا ولدَ زِنى . ففعل ، وأتى الملكَ فأخبره ، فقال : ليس يُحْتَاجَ إلى ولد زِنًى ! يكفيه أن يكون نبطيًّا(٣) !

(الغراب والرخمة)

والغراب يقوَى على الرَّخمة ، والرخمة أعظم من الغراب وأشدُّ . والرَّخمة تلتمس لبيضها المواضعَ البعيدة ، والأماكنَ الوحشيَّة ، والجبالَ الشامخة ، وصُدوعَ الصَّخر . فلذلك يقالُ فى بيضِ الأنوقِ مايقال .

(ما قيل فى بيض الأنوقِ)

وقال عُتبة بن شَمَّاس(٤) :

إنَّ أولَى بالحقِّ فى كلِّ حقٍّ ثمَّ أولَى بأنْ يكونَ حَقِيقاَ(٥) ١٦٤

---

(١) ط ، س : « ولكن صد له بومة » .

(٢) الدفلى ـ كذكرى : نبت مر قتال .

(٣) جاءت هذه القصة على الوضع الآتى فى معجم البلدان : « روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث لى بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس سمكة مالحة على حمار مع خوزى » .

(٤) كذا فى س والكامل ٣٩٩ ليبسك والعقد (٣ : ٣٩٣) . وفى ل : « عيينة بن أسماء » وكتب بعدها بخط صغير « أخرى : عتيبة بن شماس » . ط : « عتيبة بن شماس » .

(٥) وكذا فى سيرة عمر بن عبد العزيز ٨ . ورواية الكامل والعقد : « ثم أحرى » .

مَنْ أبوهُ عبد العزيزِ بنُ مروا   نَ وَمَنْ كانَ جَدُّه الفارُوقا[١]

ردَّ أموالَنا عَلَيْنَا وكانَتْ   فى ذُرى شاهقٍ تفُوت الأنُوقا[٢]

وطلبَ رجلٌ من أهل الشام الفريضةَ من معاوية فجادَ له بها[٣]، فسأل[٤] لولَدِه، فأبى، فسأَل لعشيرته، فقال معاوية:

طلبَ الأبْلَقَ العَقوقَ، فلمَّا   لَمْ يَجِدْهُ أرادَ بَيضَ الأَنُوق[٥]

وليس يكونُ العَقُوق إلَّا من الإنَاث، فإذا كانت من البُلْق كانت بلقاء. و [إنَّما[٦]] هذا كقولهم: «زَلَّ فى سَلَى جمل[٧]»، والجمل لا يكون له سلًى[٨].

---

(١) يقول هذا الشعر فى عمر بن عبد العزيز بن مروان. ووالدة عمر هى أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب. وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وبدون نسبة فى كتاب البغال ٢٨٦ من رسائل الجاحظ.

(٢) ط، س: «رد أموالنا إلينا». وفى ل، س: «تفوق الأنوقا». ويروى: «يفوت» التأنيث للذرى، والتذكير للشاهق.

(٣) «فجاد له بها» ساقط من ل. والخبر برواية أخرى فى الإصابة ١٠٩٨.

(٤) ط: «فقال» تحريف. س: «فسأله»، وأثبت ما فى ل.

(٥) ط، والكامل والشريشى (٢ : ٢٠٤): «لم ينله». وقد وضع البيت فى ط وضع النثر خطأ. والأبلق من صفات ذكور الخيل، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فخذيه. والعقوق: من صفات إناثها، وهى الحامل التى امتلأ بطنها. والأنوق: هى الرخمة. وانظر ما سبق من الكلام على الأنوق فى (١ : ٢٣٥).

(٦) من ل، س.

(٧) السلى: ما تلقيه الناقة إذا وضعت: وهى جليدة رقيقة يكون فيها الولد. والمثل يضرب فى بلوغ الشدة منتهى غايتها، أى وقع فى شر لا مثيل له. زل: زلق. ولفظ المثل فى الميدانى واللسان: «وقع القوم فى سلى جمل». ويقال: «وقع فى سلى جمل». وفى القاموس: «وقعوا فى سلى جمل».

(٨) كتبت هذه الكلمة فى الأصل فى الموضعين بالألف. وصواب كتابتها بالياء.

وقد يرون بَيض الأنوق ، ولـكنَّ ذلك قليلاً[١] ما يكون ، وأقلَّ من القليل ؛ لأنَّ بيضها فى المواضع الممتنعة ، وليست فيها منافع فيتعرض فى طلبها[٢] للمكروة .

وأنا أظنُّ أنْ معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنَّهُ قدم فى اللَّفظ بيض الأَنوق ، فقال : « طلب بيضَ الأَنُوقِ ، فلما لم يجدْه طلبَ الأَبْلَقَ العقوق » .

(ما يسمَّى بالهدهد)

وأمَّا قول ابن أحمر :

يمشى بأَوظفَةٍ شديدٍ أسْرُها شمٍّ السنابك لا تَقِى بالجدجَد[٣]
إذ صبَّحتَه طاوياً ذا شِرَّةٍ وفؤادُه زجِلٌ كَعَزْفِ الهُدْهُد[٤]

---

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه »، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س واللسان (وقى) : « تمشى » صوابه فى ل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . شم : عاليات . والسنبك : طرف الحافر وجانباه من قدام . ويقال : وقى الحافر يقى وقيا ، من باب رمى : حفى ورق من غلظ الأرض . وقيل : لاتقى بالجدجد: لا تتوقاه ولا تهيبه. والجدجد ، بفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « رثم السنابك » صوابه فى ل ، س واللسان (وقى) . وروى : « صم » كما فى اللسان (جدد) . ط : « لا يقى » س : « لا تقى » ، صوابه فى ل واللسان فى موضعيه .

(٤) ط : « قد أصحبته طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما فى ل . وفى اللسان : « ثم اقتحمت مناجدا ولزمته » . زجل : له صوت . ط : « رجل » محرف . والعزف : الصوت . ط ، س : « كعرف » ل : « كعرق » محرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) واللسان (هدد) .

فقد يكون ألاّ يكون غَنى بهذا الهدهدَ[١] ، لأَنَّ ذكورَةَ الحمامِ وكلّ شيء غَنَّى[٢] من الطير وهدَر ودعا ، فهو هُدهُد. ومَنْ رَوَى « كَعَزْفِ الهَدْهَدِ » فليس من هذا فى شيء[٣] .

وقد قال الشاعر فى صفة الحمام :

وإذا اسْتَشَرنَ أرَنَّ فيها هدهدٌ   مِثْلُ المَدَاكِ خضبته بِجِسَادِ[٤]

(قصة فى ميل بعض النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجل دَميم[٥] فتزوّجت الدَّميم[٦] لماله ، وتركته ، فقال[٧] :

---

(١) كذا على الصواب فى ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد » ، س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه فى ل .

(٣) الكلام من مبدإ « ومن روى » ساقط من ل . والعبارة فى أصلها : « ومن أراد كعرف » . . الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة فى اللسان (هدد) . قال فى تفسيرها : « والهدهد قيل فى تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له » وفى القاموس عند الكلام على الهدهد : « وبفتحتين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) استشارت : لبست حسنا وسمنا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به الطيب . ط ، س : « المداد » صوابه فى ل . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جعله كالمداك فى ملاسته وصلابته .

(٥) الدميم : القبيح . ط : « ذميم » صوابه فى ل ، س .

(٦) ط : « الذميم » صوابه فى ل ، س .

(٧) الشعر منسوب فى حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية وبعلها . والبيتان فى الكامل ٢٧٢ ليبساك .

ألاَ يا عبادَ اللهِ ما تأْمُرُونَنِي   بأَحسنِ مَنْ صَلَّى وأقبَحِهِمْ بَعلاَ
يدِبُّ على أحشائها كلَّ ليلة   دَبِيبَ القَرَنْبي بات يقرو نقاً سَهْلاَ [1]

(ما يطلب العذرة)

والأَجناس التى تريد العذِرَةَ وتطلبُها كثيرة ، كالخنازير ، والدَّجاج والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكنها لا تبلغ مبلغ [2] الُجعَل والرَّخمة .

(بعض ما يأكل الأعرابُ من الحيوان)

وقال ابن أبى كريمة : كنتُ عند أبى مالك عمرِو بن كِرْكِرَة [3] ، وعنده أعرابىٌّ ، فجرى ذكر القَرَنْبىَ . قال : فقلت له : أتعرف القرنْبىَ ؟

---

(١) القرنبى : دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر ، وفى قوائمها طول على الخنفس . وهو مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يقرو : يسير متتبعاً . ط ، س ، والدميرى : « يعلو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه فى ط ، س .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت فى معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطى فى بغية الوعاة قال : كان يعلم فى البادية ، وورق فى الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب قال أبو الطيب اللغوى : كان ابن مناذر يقول : كان الأصمعى يجيب فى ثلث اللغة ، وأبو عبيدة فى نصفها ، وأبو زيد فى ثلثيها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عنى توسعهم فى الرواية والفتيا ؛ لأن الأصمعى كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات . وقد جلس إليه الجاحظ كما فى البيان (٤ : ٢٣) . ط ، س : « عمر ابن كركرة » ، صوابه فى ل والقاموس والمراجع المتقدمة .

قال : ومالى لا أعرف القرنْبَى ؟ ! فوالله لربّما لم يكنْ غَدائى[1] إلّا القرنبَى يُحَسْحَسُ لى[2] . قال : فقلت [له] : إنّها دويْبّة تأكل العذرة . قال : ودجاجكم تأْكل[3] العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيِّين لبعض الأَعراب : [أ] تأْكلون الحيّاتِ والعقاربَ والجِعْلَان والخنافس[4] ؟ فقال : نأكل كُلَّ شيءٍ إلّا أمَّ حُبين . [قال] : فقال المدنىّ : « لتَهْنِ أمَّ الحُبَينِ العافِيَة[5] » .

قال : وحدثنا ابن جُريجٍ[6] ، عن ابن شهاب[7] ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مِن الدوابِّ أربعٌ لا يُقْتَلن : النملة ، والنَّحلة ، والصُّرَد ، والهدهُد » .

القول فى الخفاش

فأوَّل ذلك أنّ الخفّاش طائر ، وهو مع أنّه طائرٌ من عَرَضِ الطير فإنَّه شديدُ الطَّيَران ، كثير التكفّى فى الهواء ، سريع التقلُّب فيه ، ولا

---

(١) الغداء ، بالفتح : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غذائى » وأثبت ما فى س .

(٢) يحسحس : يوضع على الجمر . ط : « يخشخش » محرف يحشحش التى هى بمعنى « يحسحس » . س : « تخشخش فى فى » ، وله وجه .

(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .

(٤) كذا على الوجه فى ل . وفى ط ، س : « الخنفساء » .

(٥) أم حبين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (٥ : ١٤٣) .

(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشى ، قالوا : أول من صنف الكتب فى الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفى سنة ١٥٠ . فى قول الجاحظ نظر .

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهرى ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طُعمه إلا من البعوض ، وقوتُه إلا من الفَراشِ [1] [وأشباه الفَراش] ، ثُمَّ لا يصيده إلّا فى وقت طيرانه فى الهواء ، وفى وقت سلطانه ؛ لأَنَّ البعوضَ إنَّما يتسلَّط بالليل . ولا [2] يجوز أن يبلغ ذلك إلَّا بسرعة اختطافٍ واختلاس ، وشدَّةِ طيَرَان ، ولينِ أعطاف وشدَّة متن ، وحُسْن تأتٍّ ، ورفقٍ فى الصَّيد [3] . وهو مع ذلك كلِّه [4] ليس بذى ريش ، [و] إنما هو لحم وجلد . فَطيَرانُه بلا ريش عَجَب ، وكلما كان أشدَّ كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنّه لا يطير فى ضوءٍ ولا فى ظلمة . وهو طائر ضعيفُ قُوَى البصرِ ، قليلُ شعاعِ العين الفاصِلِ [5] من النَّاظِر . ولذلك لا يظهر فى الظُّلمة ؛ لأَنَّها تـكون غامرة لضياء بصره ، غالبةً لمقدار [قوى] شعاعِ ناظره . ولا يظهر نهاراً ؛ لأَنَّ بَصرَه لِضَعفِ ناظِرِه يلتمع فى شدة بياض النهار [6] . ولأَنَّ الشىءَ المتلألئَ ضارٌّ لِعيونِ [7] الموصوفين بحدَّة البصر ،

---

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأتى : الترفق . س : « تأتى » ط : « تأنى » ل : « التأنى » ، ووجهه ما أثبت . ل : « إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأنى والرفق فى الصيد » .

(٤) ل : « وهو فى ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره ويلتمع فى شدة ضوء النهار » ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « بعيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفاديا من تـكرار الباء .

ولأَنَّ شعاعَ الشمس بمخالفة[١] مخرج أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشُعاع ناظره ، ومفرِّقاً[٢] له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً . فلما علم ذلك واحتاج إلى الكسْب والطُّعم ، التمس الوقتَ الذى لا يكون فيه من الظلام ما يكون غامراً قاهراً ، وعالياً غالباً . ولا من الضِّياء ما يكون مُعْشيا[٣] رادعاً ، ومفرِّقا قامِعاً[٤] . فالتمسَ ذلك فى وقت غروب القُرص ، وبقيّةِ الشّفق ؛ لأَنّه وقت[٥] هيْج البعوض وأشباهِ البعوض ، وارتفاعها[٦] فى الهواء ، ووقت انتشارها فى طلبِ أرزاقها[٧] . فالبَعوض يخرج للطَّعم ، وطعْمُه دماء الحيوان ؛ وتخرج الخفافيش[٨] لطلب الطَّعم ، فيقعُ طالبُ رزق على طالب رزق ، فيصير ذلك هو رزقه[٩] . وهذا أيضاً ممَّا جعل اللهَ فى الخفافيش[١٠] من الأعاجيب .

---

(١) ل : « مخالفة » .
(٢) ط : « ومغرقا » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .
(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، محرف . ط : « ما يكون مغشيا » ، صوابه فى ل ، س .
(٤) ط : « ومغرقا » ، صوابه فى ل ، س . و « قامعا » هى فى ط ، س : « مانعا » ، والأشبه ما أثبت من ل .
(٥) ط ، س : « لأنه فى وقت » ، صوابه فى ل .
(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .
(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .
(٨) ط ، س : « الخنافيس » ، صوابه فى ل .
(٩) ل : « مرزقه » .
(١٠) ط ، س : « الخفاش » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السُّكَّ (١) الآذان والممسوحة ، من جميع الحيوان ، أنّها تبيضُ بيضاً ، وأنّ كلَّ أشرفِ [الآذان] فهو يلد ولا يبيض. ١٦٦
ولا نَدْرِى لِمَ [كان] الحيوانُ إذا كان أشرفُ الآذان (٢) [وَلَد] ، وإذا كان ممسوحاً باض .

ولآذان الخفافيش حَجْمٌ ظاهر ، وشخُوص (٣) بيِّن . و [هى و] إنْ كانتْ من الطَّير فإنَّ هذا لها ، وهى (٤) تحبل وتلِد ، وتحيض ، وترضع .

(ما يحيض من الحيوان)

والناس يتقزّزون (٥) من الأرانب والضِّباع ؛ لمكانِ الحيض .

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ذواتِ الأربع كلَّها تحيضُ ، على اختلافٍ فى القلَّة والكثرة (٦) .

---

(١) السك : جمع أسك : وهو الذى صغرت أذنه ولصقت برأسه .

(٢) الأشرف الآذان : الطويلها . ل : « الأذن » .

(٣) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(٤) ط : « فهى » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط : « يتقذرون » . والتقذر : أن يرى الشىء قذراً ، يقال تقذره لاتقذر منه . فالصواب « يتقززون » . كما أثبت من ل ، س .

(٦) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزّمان] ، والحمرة والصفرة ، والرقّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنِّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنَّها تحمله تحتَ جناحها ، وربَّما قبضت عليه بفيها ، وربَّما أرضعته وهى تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدُها على مالا يقوى عليه الحمام والشَّاهمُرْك[١] ، وسباع الطير .

(معارف فى الخفاش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث : ربَّما أتأمتِ الخفافيشُ[٢] فتحمل معها الولدَينِ جميعاً ، فإنْ عظُمَا عاقبَتْ بينهما .

والخفّاش من الطَّير ، وليس له مِنقار مخروط[٣] ، وله فمٌ فيما بين مناسر السِّباع[٤] وأفواه البوم . وفيه أسنانٌ حـداد صِلاب [مرصوفة[٥]] من أطراف الحنكِ ، إلى أصول الفك ، إلاَّ ما كان فى نفس الخطم[٦] .

وإذا قبضَتْ على الفرخ وَعضَّتْ عليه لتطير به ، عرفت ذَرَب[٧] أسنانها ، فعرَفت أىّ نوعٍ ينبغى أن يكون ذلك العضّ ، فتجعله أَزْمًا ،

---

(١) الشاهمرك سبق تفسيره فى ص ٣٣٦ .

(٢) أتأمت : ولدت اثنين فى بطن واحد . ط ، س : « أرتمات » ، صوابه فى ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كمجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا ل : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفلك الخطم » .

(٧) الذرب : الحدة . ط ، س : « درب » ، صوابه فى ل .

ولا تجعله عضًّا ولا تنْيِيباً ولا ضَغْماً[١] ، كما تفعل الهرَّة بولدها ؛ فإنَّها مع ذَرَبِ أنيابها ، وحدَّة أظْفارِها ودِقَّتِها[٢] ، لا تخدش[٣] لها جلداً ؛ إلا أنها تُمْسِكُها ضربا من الإمساك ، وتأزم عليها[٤] ضربا من الأزْم قد عَرَفْته .

ولكلِّ شىءٍ حدٌّ به يصلَح ، وبمجاوزته والتقصيرِ دُونَه يفسُد .

وقد نرى الطَّائر يغوصُ فى الماء نهارَه ، ثم يخرج منه كالشَّعرَة سَلَلْتَها من العجين ، غيرَ مبتلِّ الرِّيش ، ولا لثِقِ الجناحَين . ولو أنَّ أرفقَ الناس رِفقاً ، راهَنَ على أن يغمس طائراً منها فى الماء غمسةً واحدة ثمَّ خلَّى سِربه[٥] ليكون هو الخارج منه ، لخرج وهو متعجِّن[٦] الريش ، مُفْسَدَ النظم[٧] ، منقوضُ[٨] التأليف . ولكان أجودَ ما يكون طيراناً أن يكون كالجادفِ[٩] . فهذا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

---

(١) الأزم : القبض بجميع الفم . والتنييب : العض بالناب . والضغم : العض الشديد . ط ، س : « ولا نشباً ضغطيا » س : « ولا نشباً ضغطا » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه فى ط ، س . ط ، س : « ورقتها » صوابه فى ل .

(٣) ط : « تندش » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) عليها : أى على ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . فى المصباح : « والولد بفتحتين كل ما ولده شىء . ويطلق على الذكر والأنثى ، والمثنى والمجموع » . ط ، س : « عليه » ، صوابه فى ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ، صوابه فى ل .

(٥) السرب : الطريق . ط : « حلى سرتها » س : « خلى سربها » ، صوابه فى ل .

(٦) ط ، س : « منعجن » .

(٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه فى ل .

(٨) ط : « منقوص » محرف .

(٩) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س : « كالجاذف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركُها ذرى الجبال وبسيط الفيافى[1] ، وأقلابَ النخل، وأعالى الأغصان ، ودَغَل[2] [الغياض و] الرياض ، وصُدوعَ[3] الصّخر ، وجزائر البحر ، ومجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت[4] إلى بيوتهم وقربهم ، قصدت إلى أرفع مكان وأحصَنه ، وإلى أبعد المواضع من مواضع الاجْتِياز[5] ، وأعراض الحوائِج .

(طول عمر الخفاش)

ثمّ الخفّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز
١٦٧ فى ذلك[6] العُقابَ والوَرَشان إلى النسر ، ويجوز[7] حد الفِيَلة والأُسْد وحَميرِ الوحش ، إلى أعمار الحيَّات .

---

(١) ط ، س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، ووجهته بما ترى . والبسيط : المنبسط الفسيح . ط : « وتبسط » صوابه فى ل ، س .

(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودخل » ، وهى صحيحة بضبط الأولى ومعناها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط ، س : « الاختبار » ، صوابه فى ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « وتجوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش[1] أنّ أبصارها تصلُح على طول العمر ، ولها صبرٌ[2] على [طول] فقْد الطُّعم . فيقال[3] إنّ اللواتى يظهرن فى القَمَر[4] من الخفافيش المسنّاتُ المعمَّرات، وإنّ أولادَهن إذا بلغن لم تقو أبصارُهنّ على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنّها تضخَم وتجسُم وتقبلُ الشَّحم[5] على الكبر وعلى السنّ .

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ السلوقيَّةَ كلما دخلتْ فى السنّ كان أقوى لها عَلَى المعاظلة .

وهذا غريبٌ جدا ، وقد علمنا أنّ الغلام أحدُّ ما يكون وأشبَقُ وأنكحُ وأحرصُ ، عندَ أوّل بلوغه . ثم لا يزالُ كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة[6] .

ولا تزال الجاريةُ من لدُنْ إدراكها وبلوغِها وحركة[7] شهوتها عَلَى شبيه بمقدارٍ واحد من ضعف الإرادة . وكذلك عامَّتهنّ[8] . فإذا اكتهلن

---

(١) ط ، س : « الخفاش » .

(٢) ط ، س : « والصبر » .

(٣) ط : « فتقول » س : « فنقول » ، صوابه فى ل .

(٤) ل : « العمر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يعطفه الكبر » . والإصفاء : نفاد الماء . وكلمة « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحدة » صوابه فى ل .

(٨) ل : «وعلامتهن» ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حدّ النَّصَف[١] فعند ذلك يقوى عليها سلطانُ الشَّهوةِ والحرصِ على الباهِ ؛ فإنّما تهيج الكهلة عندَ سُكونِ هيْج الكهل[٢] وعند إدبار شهوته ، وكلالِ حدِّه .

(قول النساء وأشباههنّ فى الخفافيش)

وأما قول النّساء وأشباه النساء فى الخفافيش ، فإنهم يزعُمون أنّ الخفاش إذا عضّ الصبىّ لم ينزِعْ سِنّه من لحمه حتى يسمعَ نهيقَ حِمارٍ وحشىٍّ[٣] . فما أنسَى فزَعى مِن سِنٍّ[٤] الخفّاش ، ووَحشتى من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء فى هذا وشبهه خرافاتٌ ، عسى أن نذكر منها شيئا إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضعف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذواتِ الأربع ما يكون فاقد[٥] البصر بالليل ، ومنها ما يكون سَيِّئَ البصر . فأمّا [قولهم] : إنَّ الفأرة والسنّورَ وأشياءَ أُخَرَ أبصرُ باللّيل ، فهذا باطل[٦] .

---

(١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشابة والكهلة ، ويقدر عمرها بخمس وأربعين سنة .

(٢) الكهلة ، هى فى ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هى فى ط : « تهيج » .

(٣) ل : « حمار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .

(٤) ل : « من مس » ، وأثبت مافى ط ، س .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « ناقد » وفى ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .

(٦) ليس يناقض هذا القول ما سبق فى ٢٣٧ س ١٣ .

والإنسان ردىء البصر باللّيل ، والذى لا يبصر منهم [1] باللّيل تسمِّيهِ الفرْس شَبْ كُور [2] وتأويلُهُ أنَّهُ أعْمى لَيْلٍ [3] ، ولَيْسَ لَهُ فى لُغَةِ العَرَبِ اسم أكْثَرُ مِنْ أنَّه يُقالُ لِمَنْ لا يُبْصِرُ باللّيل [بعينيه] : هُدَبِد [4] . ما سمعتُ إلاّ بهذا ؛ فأمّا الأغطش [5] فإنّه السَّيِّئُ البصر بالليل والنهار جميعاً .

وإذا كانت المرأة مُغْرَبَةَ الْعَيْنِ [6] فكانت رديَّة البصر ، قيل لها : جَهْرَاء . وأنشد الأصمعىُّ فى الشاء [7] :

جهراء لا تألو إذا هى أظهَرَتْ   بَصَرًا ولا مِنْ عَيْلَةٍ تُغنينى [8]

---

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين ، أولهما « شب » بفتح الشين ومعناه الليل . والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ، والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » محرفتان صوابهما فى ل وقد زيد فى ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت كذلك متصلة « شبكورا » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكما فى القاموس المحيط والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدراً فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها العشاء . وفى اللسان : « المفضل : الهدبد : الشبكرة . وهو العشاء يكون فى العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هديد » صوابه فى ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهدبد » وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ، ومن الكبد قطعة وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فياسناما وكبد   ألا اذهبا بالهدبد

ليس شفاء الهدبد   إلا السنام والكبد

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٣٤٠) .

(٥) س : « الأعكش » ، صوابه فى ل ، ط .

(٦) مغربة ، بفتح الراء : بيضاء . ط ، س : « مقربة » ، وصوابه فى ل . و « العين » هى فى ط : « العنق » محرفة .

(٧) ط ، س : « فى غير النساء » وأثبت ما فى ل . والبيت الآتى قاله أبو العيال الهذلى ، يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهذلى . انظر بقية أشعار الهذليين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هى » ساقطة من ط ، س . « بصرا » هى فى ط ، س : « نظراً » .

وذكروا أنَّ الأجهر الذى لا يبصر فى الشمس[١] . وقوله لا تأْلو أى لا تستطيع . وقوله أظهرت : صارت فى الظهيرة . والعَيْلة : الفقر . قال : يعنى به شاة[٢] .

وقال يحيى بن منصور ، فى هجاء بعض [آل] الصَّعِق :

يا ليتنى ، والمنى ليستْ بمغْنِيةٍ ، كيف اقتصاصك من ثأْرِ الأحابيش[٣]

١٦٨ أتنكحون مواليهم كما فَعلوا أمْ تَغْمِضُون كإغماضِ الخفافيش[٤]

وقال أبو الشمقمق ، وهو مرْوان بن محمد[٥] :

أنا بالأهواز محزونٌ وبالبَصْرَة دارِى[٦]

فى بنى سعدٍ وسعد حيثُ أهلى وقَرارى

صرتُ كالخفاش لا أُبْصِرُ فى ضوء النهار[٧]

وقال الأخطل التغلبىّ :

وَقد غَبَرَ العَجْلانُ حيناً إذَا بكى عَلَى الزّادِ ألقته الوليدة فى الكِسرِ[٨]

---

(١) ل : « أن الجهراء التى لاتبصر فى الشمس » .

(٢) ط ، س : « نساءه » ، صوابه فى ل .

(٣) ط ، س : « من نار » ، صوابه فى ل . والأحابيش : طائفة من قريش ، هم بنو المصطلق وبنو الهون بن خزيمة .

(٤) ل : « تنحضون كإنحاض » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٥) . ل : « وقال مروان بن محمد هذا أبو الشمقمق الغث البارد » .

(٦) ل : « مخزون » .

(٧) كذا على الصواب فى ل . ط : « إلا فى النهار » ، س : « إلا فى نهارى »

(٨) ألقته : أى الزاد . والكسر ، بالكسر : جانب البيت . وفى شرح الديوان ١٢٩ : « الهاء فى ألقته عائدة إلى العجلان » ، ولعل وجه التفسير ما ذكرت .

فيصبح كالخُفَّاش يدلك عينَه فقَبِّحَ من وجهٍ لئيمٍ ومن حَجْرِ [١]

وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الخفاش [٢] ، والجمع سحاً [٣] كما ترى .

(لغز فى الخفاش)

وقالوا فى اللُّغز ، وهم يعنون الخفّاش :

أَبَى شعَرَاءُ النَّاسِ لا يُخبرونَنى وقد ذَهَبُوا فى الشِّعر فى كلِّ مذهبِ [٤]
بجلدةِ إنسانٍ وصُورَةِ طائرٍ وأظْفَارِ يَرْبُوعٍ وَأنيابِ ثعلب [٥]

(النّهى عن قتل الضفادع والخفافيش)

هشامٌ الدَّسْتوائىّ [٦] قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن عبد الله بن عمر أنّه قال : « لاتقتلوا الضَّفادِعَ فإنَّ نقيقَهُنَّ تسبيح . ولاتقتلوا الخُفَّاش فإنَّه إذا خرب بيت المقْدِس قال : ياربِّ سلِّطنى على البحرِ حتّى أغرقَهم » .

---

(١) الحجر بالفتح ، قال ابن الأعرابى : « أراد محجر العين » . ومحجر العين : مادار بها من العظم . ط : « من وجهه » محرفة . ل : « لعين » بدل « لئيم » وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حجر) .

(٢) ط ، س : « اسمع الخفافيش » صوابه فى ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .

(٣) سحا ، بفتح السين ، ويقال سحاء بكسرها مع المد . اللسان ، والمقصور والممدود .

(٤) ط ، س : « أيا » ل : « أبا » ، صوابه فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) . وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبرونى » ، صوابه فى ل . وفى نهاية الأرب : « أن يخبرونى » وما هنا أجود . وفيها أيضاً : « وقد ذهبوا فى العلم » .

(٥) اليربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب كذنب الجرذ يرفعه صعدا ، فى طرفه شبه النوارة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبى عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى . وكان يرمى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع =

حماد بن سلمة[1] قال : حدَّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، قال : قال عبد الله بن عمر : « لا تقتلوا الخُفَّاش ؛ فإنّه استأذَنَ فى البحر[2] : أنْ يأخذ من مائه فيطفىء نار بيت المقدسِ حيثُ حرق . ولا تقتلوا الضّفادعَ فإنَّ نقيقها تسبيح » .

[قال] : و [حدثنا] عثمان بن سعيد القرشى[3] قال : سَمعت الحسن يقول : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الوَطْوَاطِ ، وأمر بقتل الأوزاغ » .

قال : والخفاش يأتى الرُّمّانة وهى على شجرتها ، فينقب عنها[4] ، فيأكل كلَّ شيءٍ فيها حتى[5] لا يدع إلاّ القشر وحده . وهم يحفظون الرُّمّان من الخفافيش بكلِّ حيلة .

= الثياب الدستوائية ، التى كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والتاء بينهما سين ساكنة ، وهى من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمــان وسبعون ســنة . ط : « صاحب الدستواى » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال : الدستوائى ، وصاحب الدستوائى ، كما فى تذكرة الحفاظ للذهبى (١ : ١٥٥) . وأما الكلمة الثانية فهى تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجم والمعارف ٢٢٣ والتهذيب وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر فى (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصرى ، كان من ثقات رواة الحديث . ويقال : إنه كان عالما بالنحو والعربية ، وإن سيبويه استملى عليه . توفى سنة ١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه فى ل وتقريب التهذيب والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدثنا حماد بن ســلمة » . وفى العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعد القرشى » ، صوابه فى ل ، س وتقريب التهذيب .

(٤) ل : « فيثقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهى الجزء الثالث من نسخة كوبريلى ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقةٌ للشواهين والصُّقورة والبوازى[١] ، ولكثير من جوارح الطير ، وهى تسمن عنها ، وتصحّ أبدانُها عليها . ولها فى ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمٌ النَّفْع ، بيِّنُ الأثر . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تمَّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله[٢]] فى الذّرّ

---

(١) ط ، س : « قال والبازى » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٢٠	٤	« كُسير وعوَير » . هو مثل عربىّ قديم . وهو بتمامه : « كُسَير وعُوَير وكلٌّ غيرِ خير » . أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثمَّ طلَّقها فتزوّجت آخرَ ظهر أنّه أعرج . فقالت المثل المذكور . يُضرَب فى الشيء يكره ويذمُّ من وجهين . كذا فى أمثال الميدانى ، ولكن المناسب هنا ماقال العسكرىُّ فى جمهرة الأَمثال ١٦٥ : « يُضرَب مثلا فى الخلَّتين المكروهتين ، والرَّجُلين الرَّدِيَّيْنِ » . ونصُّ المثل عنده كما عند الميدانى. وصاحب معجم البلدان رواه: « كُسَير وعوير وثالثُ ليس فيه خيْرٌ » ، ورأى أنّ كُسيراً وعويراً جبلان فى البحر ، بين البصرة وعُمَان يشفقون عَلَى المراكِبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوير »
٩١	٤	معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباذ الملك : « كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظ منه أمس » انظر المراجع التى أشرنا إليها فى التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤)
١٠١	٢	« يجوع » هى كذلك فى ط، س . وفى ل : « بجّوخَى » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوخاء » بالفتح والمدّ : موضع بالبادية فى ديار بنى عجل كان يسلكه حاجّ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء.

صفحة سطر

والثانى جُوخَى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة فى سواد بغداد . انظر معجم البلدان

١٧٠ ١ سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنَستاس مارى الكرملى عن « أبى ريانوس » فكتبَ إلى : « هو على الحقيقة : (أبيرْيُونِيـــدِس) أى منســوب إلى : Hyperion المسمّى أيضاً : Helios ، أى الشمس ، وتلفظ « عاليوس » . وما «عاليوس » إلا «عالى» أو «عالٍ» كسعت بعلامة الإعراب فى كلام اليونان . ويطلق هذا اللفظ على كل ما يراد وصفه بالعلو أو الطول أو الارتفاع. فالدجاج «أبى ريونوس»أو«أبيريونوس» هو ما يسمّيه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَاتى بمعنى الهَرَوىّ ؛ لأن ديكتها جلبت من هراة ، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها وكبرها . فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها .

١٨٧ ٩ « الطبرزين » قال العلامة الآب أنستاس : ليس فى العربية طائر باسم طبرزين . والاسم الصحيح هو « طبرادران » وأصح منها بالدال ، أى «دُبْرَادران» أو « دُبرادَران» ومعناهما الأخوَان ؛ لأن « دو » بالفارسية معناها اثنان ، و « بَرَادر » الأخ ، و «ان» للجمع أو للتثنية ؛ إذ لا فرق عند الفرس بين المثنى والجمع . والحمام لا يخاف الدبرادران ولا الكركىّ ، كما هو مقرر فى علم الطير . واسم الدبرادران العربىّ هو الزُّمَّج ، وسمّاه الفرس ما معناه الأخوان ؛ لأنّه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه ، واسمه

صفحة سطر

بلسان الغربيين من الإنجليز: Goshawk وبالفرنسية : Autour :

٣٧٠ ٣، ٤ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى لتحقيق هذه الكلمات الواردة فى عوالم المجوس ، فكتب إلى فى ٣٩/٨/٢٧ ما نصه : « وعندى أن هذا المجوسىّ استعمل ألفاظاً يونانية فى كلامه ، تعميةً للأبصار ، وغشاوة للأفكار ، وتبياناً للباحثين ، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين ، ووقوفِه وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم ، مع أنك لو تدبّرتَ أحسنَ تدبُّر هذه الأوضاعَ التى نفثها صدره ، أو سمعها سماعاً من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتمويه ، لشَفَّت لك عن كذبها وزورها وزيفها ، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى أُلبسَتْه .

ونحن نؤيد لك صدق كلامنا هذا ، بنقل تلك الحروف على ما هى فى اليونانية ، مع دقة ضبطها العَرَبى والغرْبى وشرح معانيها ، فنقول :

١ ــ أبُو سَالِس : hyposalos أى تحت البحر ، وهو أقرب عالم إلى أرضنا .

٢ ــ أبَرْمَا كِس : hyhermakèc أى العالم الممتد امتداداً فاحشاً .

٣ ــ أَبَرِيذُس : hyperèdus أى الطيب فى النهاية ، أو الطيِّب غاية الطيب .

صفحة سطر

٤ ــ كارِس : kherès أى السيىء الممقوت .

٥ ــ حَرِيرهْ آمِنِس : arèra amenès أى المناسب الحوار .

وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أَسرِس asyrès أى النجس.

ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالما سابعاً ليقابل بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة أو الأفلاك السبعة ، وسمَّوه : أبُوجَايُوس : hypogaios أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٣٩/٨/٢٧.

٣٧٤ ٩ قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألماس : « وشبهه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ . وكلمة « الألماس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى هو الألماس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦ .

٤١٤ ٤ كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها . ومثلها فى (٤ : ٨٥ س ٩) . وهى تنظر إلى الحديث المشهور : « اعملوا فكلٌّ ميسَّر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢. ولا موجب للقول بأنها « مسيَّر » .

صفحة	سطر	
٤٥٢	٤	« فقلت لبقّار » كلمة « بقار » ذات مغزًى خاصٍّ فى التشاؤم وتجد فى نهاية الأرب (٣ : ١٣٦) هذه العبارة : « وإن خرج فلقى بقرا فليرجع »، يريد أن البقر مما يتشاءم به ، وهذا النصّ نقله النويرىُّ عن الجاحظ . انظر باب الزجر فى نهاية الأرب (٣ : ١٣٤–١٤٣) .
٤٥٨	٢	الأُتْرُجُّ : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما يغرس غرسا ولا يكون بريًّا ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ، وهو صنفان : تفه وحامض، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ، فيه يقول أبو القاسم الزاهى : وذات جسم من الكافور فى ذهب دارت عليه حواشيه بمقدار كأنها وهى قُدّامى ممثلة فى رأس دوحتها تاج من النار ويقول آخر : يا حبذا أترجّة تحدِثُ للنفس الطرب كأنها كافورة لها غشاءٌ من ذهب ويسمّى أيضاً « تفاح ماهى » وتفاح مائى . واسمه العلمى : Citrus medica Risso . ورواية البيت الثانى فى حلبة الكميت ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد : خاف التلوُّن إذ أتته لأنها لونان باطنها خلاف الظاهر

صفحة سطر

ويشبه هذين البيتين ما قيل فى التطير من السفرجل (حلبة الكميت ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيَّرا منــه فظلَّ نهارَه متحيِّرا

خاف الفراق لأن شطر هجائه سَفَرٌ وحُقَّ له بأن يتطيَّرا

٤٧٤ ١١ « حتَّى إذا طعنوا » هكذا جاءت الرواية فى ط، ش، ل، وكذا العمدة (٢: ٢٠) والوساطة ٤٤ . والأجود من هذه الرواية رواية الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١: ١٩٠) والعمدة (٢: ٢٢٠) ونقد النثر ص ٩٠ : « حتى إذا طعنوا » . قال الشنتمريُّ فى تأويل البيت : « يقول : إذا ارتمى الناس فى الحرب بالنبل دخل هو تحت الرمى فجعل يطاعنهم ، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف ، فإذا تضاربوا بالسيوف اعتنق قِرنَه والتزمه » .

٤٧٦ ٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد الثاء المثلثة ، كان لك فيها أوجه ثلاثة : أولها البيان ، وهو الأصل . وثانيها تحويلها مع الثاء إلى تاء مثناة مدغمة . وثالثها تحويلهما إلى ثاء مثلثة مدغمة . وتقول فى الافتعال من « ثأر » : اثتأر ، واتأر ، واثأر . وفى مفتعل من « ثرد » مثترد ، ومثرد ، ومترد . انظر شرح المفصل لابن يعيش (١٠ : ١٨٤ س ٢٦-٣٠) .

٤٨٧ ٣ « خيزران ريحها عبق » هذه رواية ط، ش وكذا ديوان الفرزدق من خمسة دواوين العرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

صفحة سطر

وأنّث الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة « ريحه عبق » وهى رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٤٩١ ٦ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذّ . وقد أسهب البغدادى فى الحديث عن نحو هذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ ـ ١٩٥ سلفية) . وفى مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ، واستدراك طيِّب لهذا الشذوذ الصرفى .

٤٩٣ ١٠ ش « فاستجودها » كذا جاءت العبارة فى كلام حمزة بن الحسن الأصبهانى فى ديوان أبى نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف : « استجادها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أى وجده جيداً . انظر شرح الشافية للرضى ١٩١ .

٥٣٧ ٤ ش وجاء أيضاً فى تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب المصرية (٢٥ مصطلح) فى ترجمة هشام الدستوائى : « ودستوا : كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التى تجلب منها فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائى أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٢٠ من رمضان من سنة ١٣٨٥ / ١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ } عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

مكتبة الجاحظ
أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ
١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح
عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر
عباس ومحمد محمود الحلبى وشركاهم - خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الرابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٦ م

تنبيه :

كل تكلة موضوعة بين معقفين فى هذا الجزء خاصة ، متروكة بدون تعليق وتنبيـه ، فهى من النسخة الشنقيطية المرموز لها بالرمز (س) .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى اللهُ على سيِّدِنا مُحمَّدٍ وعلى آلِهِ وصَحْبه وسَلَّم

نَبدأ فى هذا الجزءِ ، بعَوْنِ اللهِ وتأييدِه ، بالقول فى جُمْلة الذّرّة والنملة ، ٢
كما شرَطنا به آخِرَ المصحَفِ[1] الثَّالث . ولا حولَ ولا قوّةَ إلَّا بِاللهِ العلىِّ العظيم[2] .

(خصائص النملة)

قد علمْنا أنْ ليس عندَ الذَّرَّةِ غَناءُ الفرَسِ فى الحرب ، والدَّفْع عن الحريم . ولكنّا إذا أردْنا موضِعَ العجَبِ والتَّعجيب ، والتَّنْبيهَ على التدبير ، ذكرنا الحسيسَ القليلَ ، والسَّخيفَ المَهين ؛ فأرَيْناكَ ما عنده من الحِسِّ اللطيفِ والتَّقْديرِ الغريب ؛ ومِنَ النَّظر فى العواقب ، ومشاكلةِ الإنسان ومزاحَمَتِه .

والإنسانُ هو الذى سُخِّر له هذا الفَلَكُ بما يشْتمل عليه .

وقد علِمْنا أنَّ الذَّرَّةَ تدّخرُ للشتاء فى الصَّيف ، وتتقدَّمُ فى حال المُهلةِ ، ولا تُضيعُ أوقاتَ إمكانِ الحزم . ثم يبلغ [من][3] تفقُّدها وحُسْنِ خُبرِها ، والنَّظَر فى عواقبِ أمْرها ، أنها تخافُ على الحبوب التى ادَّخَرَتْها للشّتاءِ

(١) س ، هـ : « الجزء » . وما أثبت من ط هو ما اختاره الجاحظ فى تسمية أجزاء هذا الكتاب . انظر تقديم الكتاب ص ٢٨ فى صدر الجزء الأول .

(٢) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من س ، هـ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد (٣ : ١٩٩) .

فى الصيف ، أنْ تعفَنَ وتُسَوِّسَ[١] ، ويقبّلَهَا بطنُ الأرض ؛ فتخرِجُها إلى ظهرها ؛ لتُيبِّسها وتُعيدَ إليها جَفوفها[٢] ، وليضربَها النَّسِيمَ وَينفى عنها اللَّخَنَ والفَساد .

ثمَّ ربّما كان ـ بل يكون[٣] أكثَرَ مَكانُها نَدِيًّا . و [إنْ[٤]] خافتْ أن تنبت نَقَرتْ موضع القِطْمِير[٥] من وسط الحبّة ، وتعلم أنّها من ذلك الموضع تبتدئُ وتنبتُ وتنقلب ، فهى تفلق الحبّ كلَّه أنصافاً . فأمّا إذا كان الحب من حبِّ الكزبُرة[٦] ، فلقته أرباعاً ؛ لأنَّ أنصافَ حبِّ الكزبرة ينبت مِنْ بين جميع الحبوب . فهى على هذا الوجه مجاوزةٌ لفِطنةِ جميع الحيوان ، حتّى ربَّمَا كانت فى ذلك أحزمَ مِن كثيرٍ من الناس .

ولها مع لطافة شخْصها وخِفَّة وزنها ، فى الشمِّ والاسترواح[٧] ما ليس لشىءٍ .

٣ وربّما أكلَ الإنسانُ الجرادَ أو بعضَ ما يشبه الجرادَ ، فتسقط[٨] من يدِه الواحدةُ أو صدرُ الواحدة ، وليس يرى بقُربهِ ذَرَّةً ولا له بالذَّرِّ عَهْدٌ

---

(١) يقال : ساس الطعام يساس سوسا ، بالفتح ؛ وسوس كسمع ، وسيس كقيل ، وسوس بفتح السين وتشديد الواو المفتوحة .

(٢) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ليبسها ويعيد إليها جفوفها » .

(٣) س : « لكون » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ١٧٥) .

(٥) القطمير : شق النواة ، وهو يريد هنا شق كل حبة . ط ، هـ : « أن ينبت بقرب » وأثبت ما فى س .

(٦) الكزبرة والكسبرة ، بضم الكاف والباء فى كل منهما — وقد تفتح الباء — : ضرب من الأبازير معروف .

(٧) الاسترواح : التشمم .

(٨) س : « فيسقط » .

فى ذلك المنزِل ، فلا يلبثُ أن تقبِل ذَرَّةٌ قاصدةٌ إلى تلك الجرادة ، فترومَها وتحاولَ قَلْبها ونقلها ، وسحبها وجرَّها ، فإذا أعجزَتْها بَعْدَ أنْ بَلَغَتْ عُذرًا ، مَضَتْ إلى جُحرِها راجعةً ، فلا يلبَث ذلك الإنسانُ أنْ يراها قد أقبلَتْ ، وخَلفَها صُوَيْحِباتها كالخيطِ الأسْوَدِ الممدُود ، حتى يتعاوَنَّ عليها ، فيحملنها .

فأوّلُ ذلك صِدْقُ الشّمّ لما لا يشمُّه الإنسانُ الجائع . ثمَّ بُعْدُ الهمّةِ ، والجراءةُ على محاولةِ نقل شيءٍ فى وزْنِ جسمِها مائةَ مرَّة ، وأكثَرَ من مائةِ مرّة .

وليسَ شيءٌ من الحيوان يقْوَى على حمْلِ ما يكونُ ضعف وزنه[1] مراراً غيرَها . وعَلَى أنَّها لا ترضى بأضْعافِ الأضعافِ ، إلَّا بَعدَ انقطاعِ الأنفاس .

(كلام النمل)

فإنْ قلت : وما علَّم الرَّجُلَ أنَّ الَّتى حاولتْ نَقْل الجرادَةِ فعجَزَت ، هى التى أخبَرَتْ صُوَيْحِباتِها من الذَّرّ ، وأنها كانت على مقدَّمتهن ؟ قلنا : لِطُول التَّجربة ، ولأنّا لم نرَ ذرَّةً قط حاولَتْ نقْلَ جرادةٍ فعَجَزتْ عنها ، ثم رأيناها راجعةً ، إلَّا رأينا مَعها مِثْلَ ذلك ، وإنْ كنَّا لا نَفْصِلُ فى العينِ بَيْنَها وبَيْنَ أخوَاتِها ؛ فإنَّه ليس يقَعُ فى القلبِ غيرُ الذى قلْنا . وَعَلَى أنَّنا لم نرَ ذرَّةً قطُّ حملت شيئاً أو مَضت إلى جُحرِها فارغةً ، فتلقاها

---

(١) ط ، ﻫ : « ضعفه » .

ذَرّةً ، إلّا واقفتْها ساعة وخبّرَتْها بشيء . فدلَّ ذلك على أنّها فى رجوعِها عن الجرادة ، إنّما كانت لأشباهِها كالرّائدِ لا يكذِبُ أهلَهُ[(١)] .

ومن العجب أنَّكَ تُنكِرُ أنّها توحى إلى أختِها بشيء ، والقرآن قد نطقَ بما هو أكثرُ من ذلك أضعافا . وقال رُؤْبة بن العجّاج[(٢)] :

لو كنتُ عُلِّمْتُ كلامَ الحُكْلِ[(٣)] عِلْمَ سُليمانَ كلامَ النّمْلِ

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ حَتَّى إذا[(٤)] أتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ[(٥)] سُلَيمانُ وَجُنُودُهُ

(١) الرائد : من يرود الكلأ والمنزل : أى ينظره ويطلبه ويختار أفضله . والعبارة إشارة إلى المثل المعروف : « الرائد لا يكذب أهله »، يضرب للذى لا يكذب إذا حدث . وإنما قيل ذلك للرائد لأنه إن لم يصدقهم فقد غرر بهم .

(٢) كذا جاءت النسبة فى الصحاح وثمار القلوب ٣٤٩ ، ٥١٥ وأمثال الميدانى (١ : ٤٥٤ ، ٢ : ٨٥) وبلوغ الأرب (٣ : ٢٢٠) وستأتى أيضاً فى ص ٢٣ . لكن قال ابن برى : « الرجز للعجاج » . انظر اللسان (حكل) . ومثل هذه النسبة عند الدميرى (حسل) .

(٣) ابن برى : « صوابه : أو كنت ». وقبله :

تسألُنى من السِّنينَ كمْ لِى فقلتُ : لو عُمِّرتُ عُمرَ الحِسْلِ

وقد أتاه زمن الفِطَحْلِ والصَّخْرُ مبتلٌّ كطين الوحلِ

أو كنت قد أوتيت علم الحكل كنتُ رهينَ هَرَمٍ أو قتلِ

والحكل من الحيوان، بالضم : مالايسمع له صوت، كالذر والنمل . والحسل ، بالكسر : ولد الضب ، زعم الأصمعى أنه يبلغ مائة سنة ثم يسقط سنه ، فعند ذلك يسمى ضبا. انظر ثمار القلوب ٣٣٢ .

(٤) فى الأصل : « فلما أتوا » . وهو تحريف من الناسخين، وستأتى صحيحة فى ص١٥ ، ٢٠ وقد اتفق السبعة على القراءة المثبتة .

(٥) تحتمل أن تكون جوابا للأمر ، وأن يكون نهيا بدلا من الأمر . والمعنى لاتكونوا حيث أنتم فيحطمنكم ، على طريقة : لا أرينك هنا .

وهُمْ لا يَشْعُرُونَ . فَتَبسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشكُرَ نِعمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ . فقد أخبر القرآنُ أنها قدْ عرَفتْ سليمانَ وَأَثْبَتَتْ عينَــهُ[1] ، وأنَّ علمَ منطقها عندَه ، وأنها أمرتْ صُوَيحِباتها[2] بما هو أحزَم وأسلم . ثمَّ أخْبَرَ أنها تعرفُ الجنودَ من غير الجنود ، وقد قالت : ﴿ وهُمْ لا يَشعُرُونَ ﴾ . ونَخَالُكَ أيها المنكِرُ تبسُّمَهُ بحالهنَّ[3] ، أنَّك لم تعرِفْ قبْلَ ذلك [الوقتِ وبَعْدَهُ ، شيئاً مِنْ هذا الشكل من الكلام ، ولا تدْبيراً فى هذا المقدار . وأمَّا ما فوقَ ذلك فليس لك أن تدَّعِيَــه . ولكن ، ما تنكِرُ من أمثاله وأشباهه وما دُونَ ذلك ، والقرآنُ يدلُّ على] أنَّ لَهَا بياناً ، وقولاً ، ومنطقا يَفصِلُ بينَ المعانى التى هى بسَبيلها ؟ ! فلعلها مكلَّفة ، ومأمورةٌ منهيَّة ، ومُطِيعةٌ عاصية . فأوَّل ذلك أنّ المسألةَ من[4] مسائلِ الجهالاَت ، وإنَّ مَنَ دَخلَتْ عليه الشُّبهة من هذا المكانِ لَنَاقِصُ ٤
الرَّوِيَّة[5] رَدىُّ الفِكْرة[6] . وقد علمنا ، وهم ناس ولهم [بذلك] فضيلةٌ فى الغريزةِ وفى الجنسِ والطَّبيعة . وهم ناسٌ إلى أن ينتهوا إلى وقت البلوغِ ونزولِ الفَرْض[7] حتَّى لو وَرَدَتْ ذَرَّة لشربتْ مِنْ أعلاه .

---

(١) أى ذاته . ط ، هـ : « فأثبت » .

(٢) س : « صواحباتها » على طريقة جمع الجمع .

(٣) كذا فى س . أى تبسم سليمان بما رأى من حال النمل . ط ، هـ : « تشبه بحالهن » .

(٤) هـ ، ط : « عن » . وأثبت ما فى س .

(٥) الروية : النظر والتفكير . ط ، هـ : « الناقص الرؤية » صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « ودنى الفكرة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « الغرض » محرف . وفى العبارة وسابقتها ولاحقتها اضطراب .

(شعر فيه ذكر النمل)

وقال أبو دهبَلٍ (١) :

آبَ هــذا اللّيلُ فاكتَنَعا ... وأمَرَّ النَّــومُ فامتَنَعا (٢)
فى قِبابٍ وَسْـطَ دَسْكَرَةٍ ... حَوْلَهَا الزَّيْتون قد يَنَعا (٣)
[ولهـــا بالمـاطرون إذا ... أكلَ النملَ الذى جَمعَا (٤)]
خـــرْفةٌ ، حتى إذا ارتَبَعَتْ ... سَكنتْ مِنْ جِلّقٍ بيَعَا (٥)

(١) اسمه وهب بن زمعة الجمحى ، وفى الأغانى (٦ : ١٥٠) أنه قال الشعر فى آخر خلافة على . ومدح معاوية وعبد الله بن الزبير . وقد كان ابن الزبير ولاه بعض أعمال اليمن . وأنه كان سيداً شريفاً ، يحمل الحمالات ، ويعطى الفقراء ، ويقرى الضيف . . . وقد انفرد الجاحظ بنسبة الأبيات الآتية إلى أبى دهبل . والصحيح أنها ليزيد بن معاوية ، يتغزل بها فى نصرانية كانت قد ترهبت فى دير خراب ، عند الماطرون . انظر الكامل ٢١٧ ليبسك وخزانة البغدادى (٣ : ٢٧٩ بولاق) ومعجم ياقوت (المـاطرون) واللسان (كنع) . وفى الكامل أيضاً أن بعضهم ينسبه إلى الأحوص .

(٢) ط : « أرب هذا »،وصوابه فى س ، ه والمعجم واللسان. ورواية الأخفش فى حواشى الكامل : « طال هذا الهم » ورواية ياقوت : « آب هذا الهم » . واكتنع : حضر ودنا . وأمر : صار مرا . وضبطه البغدادى بالبناء للمفعول ، ولست أذهب مذهبه .

(٣) الدسكرة ، بفتح الدال : بناء يشبه قصراً حوله بيوت ، وجمعها دساكر ، تكون للملوك . والوجه فى ترتيب هذا البيت أن يكون بعد الرابع ، كما ورد فى الخزانة والمعجم .

(٤) المـاطرون ، بكسر الطاء ، ويروى بفتحها ؛ وبفتح النون ، ويروى بكسرها . ويروى أيضاً : « بالمـاطرين » وهى رواية المبرد . الذى جمعا : أى الذى جمعه . والنمل يأكل فى وقت الشتاء ما جمعه فى زمن الصيف .

(٥) الخرفة ، بالضم : مايجتنى . ورواية العباب والمقاييس والمخصص (١١ : ٩) : « خلفة » بكسر الخاء وباللام بعدها . والخلفة : الثمر يظهر بعد الثمر الكثير . وهذا اللفظ لايزال مستعملا عند زراع مصر . وارتبعت : دخلت فى الربيع . وجلق بكسر الجيم واللام المشددة المكسورة ، قال ياقوت : اسم لكورة الغوطة كلها ، وقيل بل هى دمشق نفسها ، وقيل موضع بقرية من قرى دمشق .

عِنْدَ غيرِى فالتمس رَجلاً ... يأكلُ التَّنُّوم والسَّلَعَا (١)
ذاكَ شىءٌ لستُ آكِلُه ... وأُرَاهُ مَأْكَلاً فَظِعا (٢)

وقال أبو النَّجم فى مثل ذلك (٣) :

وكانَ نُشَّابَ الرِّياحِ سُنبُلُهْ (٤) ... واخضرَّ نَبتاً سِدْرُهُ وحَرْمَلُهْ (٥)
وابيضَّ إلاَّ قاعه وجَدْوَلُهْ (٦) ... وأصبحَ الرَّوضُ لَوِيًّا حَوْصَلُه (٧)
واصفَرَّ من تَلْعٍ فليجٍ بَقلُه (٨) ... وانحتَّ من حَرشَاءِ فَلْجٍ خَرْدَلُه (٩)

---

(١) التنوم ، بفتح التاء وتشديد النون المضمومة : شجر له حمل صغار كمثل حب الخروع ، ويتفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكذا النعام ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . قلت : كأنه ما يسمى اليوم بعباد الشمس . والسلع ، بالتحريك : شجر يرتقى حبالا خضرا لا ورق لها ، وقضبانه تلتف على الغصون وتتشبك ، وله ثمر مثل عناقيد العنب صغار ، فإذا أينع اسود ، فتأكله القرود .

(٢) الفظع ، ككتف : الفظيع .

(٣) انظر بعض أشطار هذا الرجز فى جمهرة ابن دريد (٢ : ١٣٣) والاشتقاق ١٨٢ والمزهر (٢ : ٣٥٨) .

(٤) جعل سنابل الزرع كأنها رماح للرياح تشرعها فى كل جهة . س : « نشات » وهو محرف .

(٥) السدر ، بالكسر : شجر النبق . والحرمل ، كجعفر : نبت يرتفع ثلث ذراع وله ورق كورق الصفصاف .

(٦) ابيض الروض : صوح نباته . وإنما سلم نبت القاع والجدول من ذلك لما بقى من الماء فيهما . وقد اضطره الشعر فرفع ما بعد إلا . وحقه النصب .

(٧) حوصل الروض : قراره ، وهو أبطأ هيجا . واللوى : ما بين الرطب واليابس .

(٨) التلع ، بالفتح : جمع تلعة ، وهى مجرى الماء من أعلى الوادى . والفليج ، بالجيم : عنى به المتسع . ط : « فليح » وقد حرك قاف « بقله » لوزن الشعر .

(٩) ط ، هـ : « فلح » ، صوابه فى س واللسان (حرش ، قطر) . والفلج : النهر الصغير . والحرشاء بفتح الحاء وبالشين : خردل البر . وهى فى الأصل ، « خرساء » ، صوابها من اللسان فى موضعيه .

وانشقّ عن فصح سواء عنطله(١) وانتفض البَرْوَقُ سُوداً فلفله(٢)
واختلفَ النَّمْلُ قِطارًا ينقُله(٣) طارَ عَنِ المُهر نَسيلٌ يُنْسِلُه(٤)

(استطراد لغوى)

قال أبو زيد : الحمكة القمْلة ، وجمعه حَمَك . وقد ينقاسُ ذلك فى الذّرّة .

قال أبو عبيدة : قرية النمل من التُّراب(٥) ، وهى أيضاً جُرثومة النمل .

وقال غيره : قرية النمل ذلك التراب والجُحرُ(٦) بما فيه من الذرِّ والحبِّ والمازنِ . والمازنُ هو البيض ، وبه سمَّوا مازن .

---

(١) كذا فى الأصل . ولعل صواب : « عنطلة » : « عنصله » ، والعنصل ، كقنفذ : البصل البرى .

(٢) البروق ، بفتح الباء والواو بينهما راء ساكنة : شجر ضعيف له ثمر حب أسود صغار . وهو الذى يقال فيه المثل : « أشكر من بروقة » ؛ لأنها تعيش بأدنى ندى يقع من السماء . ط ، ﻫ : « البرذون » صوابه فى س . وانظر لهذا الشطر الاشتقاق والمزهر .

(٣) اختلف : أقبل وأدبر . والقطار : أصله للإبل أن يتلو بعضها بعضاً على نسق . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « فطار » وفى س ، ﻫ : « فطاراً » ، وصواب روايته من اللسان . ولفظ « ينقله » هى فى ط ، ﻫ : « نيقله » بتقديم النون . صوابه فى س . وفى اللسان : « تنقله » .

(٤) النسيل ، بفتح النون : مايسقط من الصوف والشعر والريش . وأنسل الحيوان الصوف والشعر والريش : أسقطه . وكلمه « طار » أراها جوابا لشرط فى أبيات قبل هذه . وفى الأصل : « يسيل سنبله » ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٥) ط ، ﻫ : « الزاب » ولا وجه له . وصوابه فى س . وفى اللسان : « وقرية النمل : ما تجمعه من التراب » . وفى المخصص (٨ : ١٢٠) : « أبو عبيد : قرية النمل وجرثومته : ما يجمع من التراب » .

(٦) فى الأصل : « الحجر » ووجهه ما أثبت .

قال أبو عَمْرو[١] : الزِّبال ما حملت النملةُ بفِيها ، وهو قولُ ابنِ مُقبل :

كريم النِّجارِ حَمَى ظَهرَه فلم يُرْتزأ برُكوب زبالا[٢]

(شعر فى التعذيب بالنمل)

وأنشد ابن نُجَيْم[٣] .

هَلَكُوا بالرُّعافِ والنمل طَوْرًا ثمَّ بالنَّحس والضِّبابِ الذُّكورِ[٤]

وقال الأصمعيُّ فى تسليط اللهِ الذَّرَّ على بعضِ الأمم :

لحقوا بالزهْوَيَنِ فأمسَوْا لا ترى عُقْرَ دارهم بالمبِينِ[٥]

سلَّط الله فازِرا وعُقَيفَا نَ فجازاهُمُ بدارِ شَطون[٦]

---

(١) هو أبو عمرو بن العلاء . س : « أبو عمر » .

(٢) البيت فى صفة فحل من فحول الإبل . والنجار ، بالكسر : الأصل . حمى ظهره : أى منع ظهره من الركوب . ويرتزأ ، بالبناء للمفعول : ينقص . وفى ط ، ه : « يرنو » و س : « يوتوا » تحريف ما أثبت من اللسان (زبل) والمخصص (٨ : ١٢٠) . و « كريم » هى فى الأصل « كرم » وصوابها فى المرجعين السابقين .

(٣) فى ط ، ه : « نخيم » . وفى س : « لخيم » . وصوابه ما أثبت . واسمه يحيى بن نجيم . وأسلفت ترجمته فى (٢ : ٣٥١) .

(٤) الرعاف ، بالراء المضمومة : سيلان الدم : وقد تحدث الجاحظ عن الإهلاك بالرعاف فى (٦ : ١٥٠) . س : « بالعرف » تصحيف . والضباب : جمع ضب ، ذلك الحيوان .

(٥) لعل « الزهويين » اسم مكان . س : « بالزهوتين » . ه : « بالزهويين » وعقر الدار : أصلها . وقيل : وسطها . ط : « عقد » صوابه فى س ، ه .

(٦) يقال عقفان ، كعثمان ، وعقيفان بهيئة التصغير ، وسيأتى شرحه . وفى الأصل : « عقيقان » بقافين ، وهو تصحيف صوابه فى اللسان . والرواية فيه :

سُلِّطَ الذَّرُّ ، فازرٌ أو عُقيفا نُ فَأَجلاهم لدارِ شَطُون

ط : «فجازاهم به إشطون» صوابه فى س ، ه .

يَتْبَعُ القَارَّ والمسافرَ مِنْهُمْ تحتَ ظلِّ الهدى بذات الغصون [١]

فازر ، وعقَيفَان [٢] : صِنفان من الذَّرّ ، وكذلك ذكروه عن دغفل [بن حنظلة] الناسب [٣] . ويقال : إنّ أهل تِهامَة هلكوا بالرُّعافِ مرّتَين . قال : [وكان آخرُ من مات بالرُّعاف من سادة قريش ، [٤]] هِشامَ ابنَ المغيرة .

قال أميّةُ بن أبي الصَّلت في ذلك :

نُزِعَ الذِّكْرَ في الحياةِ وغنا وأراهُ العذابَ والتَّدميرا [٥]
أرسَلَ الذَّرَّ والجرادَ عليهم وسنِيناً فأهلكَتْهُمْ ومُورَا [٦]
ذَكَرُ الذَّرَّ إنَّه يفعل الشَّرَّ وإن الجرادَ كان ثُبُورا [٧]

---

(١) القار ، تقرأ باختلاس الألف ليستقيم الوزن . وهو مقابل المسافر . وفى الأصل: « الفار » بالفاء . و « الهدى » هى فى ط ، ه : « الندى » .

(٢) عقيفان بقاف تليها ياء ثم فاء ، وبهيئة التصغير .

(٣) النص فى لسان العرب : « قال دغفل النسابة : ينسب النمل إلى عقفان والفازر . فعقفان جد السود ، والفازر جد الشقو » .

(٤) هذه الزيادة الضرورية أثبتها اعتماداً على ما ورد فى الحيوان (٦ : ١٥٠) حيث يتحدث الجاحظ عن الرعاف .

(٥) أى سلبه الله حسن الذكر فى حياته . و « غنا » هى كذلك فى ط ، ه . وفى س : « غنى » وأراها محرفتين . ورواية الديوان ٣٤ : «سلب الذكر فى الحياة جزاء » . والضمير عائد إلى فرعون ، إذ يقول أمية قبل هذا البيت :

وبفرعون إذ تشاق له المـا ء فهلا لله كان شكورا
قال إنى أنا المجير على النا س ولا رب لى على مجيرا
فمحاه الإله من درجات ناميات ، ولم يكن مقهورا

وأما البيت الآتى ، فهو من أمية حديث عن العذاب الذى ألحقه الله ببعض الأمم ، انظر الديوان .

(٦) السنين : جمع السنة ، وهى القحط والأزمة . والمور ، بالضم : الغبار بالريح . س: « دموراً » ولها وجه ؛ فالدمور بالضم . أصله أن يهجم الرجل على القوم ، أو يدخل عليهم بغير إذن ، وأثبت مافى ط ، ه والديوان ، والحيوان ، (٦ : ١٥٠) .

(٧) الثبور : الهلاك .

(نملة سليمان)

وقرأ أبو إسحاقَ[١] قولَه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ . حَتَّى إذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ فقال : كان ذلك الوادي معروفاً بوادِي النملِ ؛ فكأنّهُ كانَ حِمى . وكيف نُنْكِرُ[٢] أن يكونَ حمى ؟ ! [و][٣] النَّمْلُ ربّما أجْلَتْ أُمَّةً من الأُمَمِ عن بلادهم .

ولقد سألْتُ أهل كسكر[٤] فقلت : شَعِيرُكُمْ عَجَبٌ ، وأرْزُكُمْ عَجبٌ ، وسمككم[٥] عجب ، وجِداؤُكُمْ عجب ، وبطّكم عجَبٌ ، ودَجَاجُكم عجب ، فلو كانَتْ لَكم أعناب ! فقالوا : كلُّ أرْض كثيرةِ النَّمْلِ لا تصلُح فيها الأعناب . ثمَّ قرأ : ﴿ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ ﴾ ، فجعل تلك الجِحَرَة[٦] مَسَاكِن . والعربُ تسميها كذلك . ثمَّ قالَ : ﴿ لا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾ فجمعَتْ من اسمه وعينه ،

---

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام .

(٢) ط ، هـ : « فكيف ينكر » .

(٣) الزيادة من ثمار القلوب ٣٤٥ .

(٤) كسكر ، بوزن جعفر : كورة من كور فارس . عن معجم ياقوت .

(٥) هذا هو الموافق لما سبق في ج ٣ ص ٢٩٥ س ٢ . وفي ط ، هـ : « سمنكم » وفي س : « صحتكم » وربما كانت هذه الأخيرة محرفة عن : « صحناكم » وقد سبق تفسيرها في حواشي (٣ : ٢٩٥) .

(٦) الجحرة ، بجيم مكسورة تليها حاء مفتوحة : جمع جحر . وفي الأصل : « الحجرة » محرف .

وعرَفتِ الُجندَ من قائد الجند ، ثم قالت : ﴿وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾ فكانوا معذورينَ وكنتم ملومينَ ، وكان أشدَّ عليكم . فلذلك قال : ﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِنْ قَوِلهَا﴾ لِمَا رَأَى مِنْ [بُعْدِ[١]] غورِها وتَسْدِيدِها ، ومعرفَتِها . فعند ذلك قال : ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِى أَنْ أَشْكرَ نِعْمَتَكَ الَّتِى أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَى وَالِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِك فى عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾ .

(أمثال فى النمل)

قال : ويقال : « ألطف[٢] من ذَرَّةٍ » و : « أضْبطَ مِنْ نملة[٣] » .

قال : والنَّملة أيضاً : قرحَةٌ تعرضُ للسَّاق ، وهى معروفةٌ فى جزيرة العرب[٤] .

قال : ويقال : « أنْشبُ مِنْ ذَرَّة[٥] » .

(قول فى بيت من الشعر)

فأمَّا قَوْلهُ[٦] :

لَوْ يَدِبُّ الَحوْلِيُّ مِنْ وَلدِ الذَّ ... رِّ عَلَيْهَا لأنْدَبَتْهَا الكلومُ[٧]

---

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ألطف ، من اللطافة ، وهى الدقة . س : « ألحف » من الإلحاف ، وهو الإلحاح ؛ لأنها تلح فى طلب قوتها .

(٣) أضبط ، من الضبط ، وهو شدة اللزوم . ويقال أيضاً « أضبط من ذرة ، ومن الأعمى ، ومن صبى » انظر أمثال الميدانى (١ : ٣٩١) .

(٤) فسرها صاحب القاموس بقوله : « قروح فى الجنب . . . . وبثرة تخرج فى الجسد بالتهاب واحتراق ، ويرم مكانها يسيراً ، ويدب إلى موضع آخر كالنملة » .

(٥) فى الأصل : « أنسب » .

(٦) هو حسان ، كما فى الموشح ٦٣ ، من قصيدة فى ديوانه ٣٧٦ — ٣٨٠

(٧) أندبتها : أثرت فيها . والكلوم : جمع كلم ، بالفتح وهو الجرح . قالوا : وأفضل من قول حسان هذا ، قول امرئ القيس (انظر الموازنة ١٣٦) :

من القاصرات الطرف لودب محول ... من الذر فوق الإتب منها لأثرا

فإِنَّ الحولىَّ منها لا يُعْرَفُ مِنْ مَسَانِّهَا[١] ، وإنمــا هو كما قال الشاعر :

تلقّط حَوْلِىّ الحصى فى منازلٍ مِن الحىِّ أمْسَتْ بالحَبِيبَيْن بلْقعا[٢]

قال : وحولىُّ الحصى : صغارها . فشبَّهه بالحولىِّ من ذوات الأربع .

(أحاديث وآثار فى النمل)

ابن جُريجٍ ، عن ابن شهاب ، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، أنَّ رسول اللهِ صلى الله عليه وسلَّم قال : « مِنَ الدَّوابِّ أربَعٌ ٦
لا يُقْتَلْنَ : النَّملة ، والنَّحْلة ، والصُّرَد ، والهُدهُد » .

وحدَّثنا عبدُ الرحمن بنُ عبدِ الله المسعودىّ ، قال : حدّثنا الحسن ابن سعد ، مولى على بن عبد الرحمن بن عبد الله[٣] قال : « نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلاً فانطلق لحاجته ، فجاء وقد أوقَدَ رجلٌ على قريَةِ نَمْلٍ ، إمَّا فى شجرةٍ وإمَّا فى أرض ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مَنْ فَعَلَ هذا ؟ ! أَطْفِئْهَا أَطْفِئْهَا ! » .

ويحيى بن أيوب ، عن أبى زُرعة بنِ جرير[٤] ، قال : أنبأنا أبو زرعة

---

(١) المسان : الكبار السن . ط ، هـ : « مسكنها » ، وصوابه فى س .

(٢) ط : « بالجبيبين » . وفى الموازنة ١٣٧ : « باللحيين » .

(٣) س : « مولى عبد الرحمن بن عبد الله » .

(٤) هو أبو زرعة بن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلى الكوفى ، اختلف فى اسمه ، فقيل هرم ، وقيل عمرو ، وقيل عبد الله ، وقيل عبد الرحمن ، وقيل جرير . من الرواة الثقات . تقريب التهذيب .

عن أبي هريرة قال : « نزل نَبِيٌّ من الأنبياء تحتَ شَجَرةٍ ، فعضَّتْه نملةٌ ، فقام إلى نَمْلٍ كثير تحتَ شجرةٍ فقتَلَهُنَّ ، فقيل له : أفلا نَمْلَةً واحدة ؟ ! » .

وعبد الله بنُ زيادٍ المدنيُّ ، قال : أخبرني ابنُ شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نزَلَ نبيٌّ من الأنبياء تحتَ شجَرةٍ ، فقرَصَتْهُ نَمْلَةٌ ، فأمَرَ بجَهَازِه(١) فأُخرجَ مِنْ تحتها ثمَّ أَمَرَ بقَرْيَةِ النَّمْلِ فأُحرِقتْ ، فأوْحَى اللهُ إليه : أفي أنْ قَرَصَتْكَ نملةٌ أهلَكْتَ أُمَّةً مِنَ الأُمَمِ يسبِّحونَ الله تعالى ؟ ! فهلاَّ نَمْلةً واحدة ! » .

يحيى بن كثير ، قال : حدّثنا عُمر بن المغيرة بن الحارث الزِّمَّانيّ(٢) ، عن هشامٍ الدَّسْتَوائيّ(٣) قال : إنَّ النَّمْلَ والذَّرَّ إذا كانا في الصَّيفِ كلِّه ينقُلْنَ الحبَّ ، فإذا كان الشتاءُ وخِفْنَ أن ينبت فلقْنَه .

هشام بن حسَّان ، أنّ أهلَ الأحنفِ بن قيس لَقُوا من النَّمْلِ أذًى ، فأمرَ الأحنف بكرْسِيٍّ [فوُضِع عند جُحْرهنَّ ، فجلَسَ عليه ثمَّ تشهَّد] فقال : لَتَنْتَهُنَّ أَوْ لَنُحرِّقَنّ عليكُنَّ ، أَوْ لَنَفْعَلَنَّ أَوْ لنفعَلَنَّ(٤) ! قال : فذهبن .

---

(١) الجهاز ، بالفتح : المتاع . والكسر لغة رديئة . وانظر إسناد هذا الحديث والقول فيه عند الدميري .

(٢) ط ، هـ : « الزناقي » . وأثبت ما في س ، وكتب في جانب منها : « خ : الزناقي » .

(٣) كذا على الصواب في س . وفي ط ، هـ . « ابن الدستوائي » . وانظر ما أسلفت من تحقيق في هذا الراوي (٣ : ٥٣٧ — ٥٣٨) وكذا تذييل الجزء الثالث .

(٤) ط ، هـ : « أو لتفعلن » بالتاء ، وليس بشيء . والتكرار لتأكيد الوعيد

• وعوف بن أبي جميلة(١) عن قسامةَ بن زُهير(٢) قال : قال أبو موسى الأشعَرِيّ : إنَّ لكلِّ شيءٍ سادةً ، حتَّى إنَّ للنمل سادة .

عبد الله بن زيادٍ المدنيُّ ، قال : أنبأنا ابن شهابٍ ، عن أبي سلمة ابن عبد الرحمن ، عن أبي هريرة قال : « سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول : خرج نبيٌّ من الأنبياء بالناسِ يستَسقون ، فإذا هُمْ بِنَملة رافعةٍ رأسها إلى السماء ، فقال ذلك النبيُّ : ارجعُوا فقد استَجِيبَ لكم مِن أَجْلِ هذا النَّمْلِ ! » .

مِسْعَر بن كِدَام(٣) ، قال . حدّثنا زيد القمِّيُّ(٤) عن أبي الصِّدِّيق النَّاجِي(٥) قال « خرج سليمانُ بنُ داوُدَ — عليهما الصلاة والسلام — يستسقى فرأى نملةً مستلقِيةً على ظهرها ، رافعةً قوائمَـها إلى السماء وهي تقول :

---

(١) عوف بن أبي جميلة ، بفتح الجيم ، الأعرابي العبدى البصرى ، ثقة رمى بالقدر وبالتشيع . مات سنة ست ، أو سبع وأربعين بعد المائة ، وله ست وثمانون . تقريب التهذيب .

(٢) قسامة ، بفتح القاف ، ابن زهير المازنى البصرى ، راو من التابعين البصريين ، وكان ممن افتتح الأبلة مع عتبة بن غزوان . الإصابة ٧٢٨٠ .

(٣) مسعر ، بكسر أوله وسكون ثانيه وفتح المهملة ، ابن كدام ، ككتاب ، ابن ظهير الهلالى ، أبو سلمة الكوفى . ثقة ثبت فاضل مات سنة اثنتين ، أوثلاث أو خمس وخمسين بعد المائة . تقريب التهذيب ، والمعارف ٢١١ . قال ابن قتيبة : « وكان يقول : من أبغضنى فجعله الله محدثا ! » . لعله يريد ما يعانون من مشقة التثبت . وفى الأصل : « مسعود »، وهو تحريف .

(٤) كذا ورد فى الأصل بالقاف ، ولعله « العمى » البصرى قاضى هراة ، الذى ترجم له ابن حجر فى التقريب ١٧٣ . قالوا : إنما قيل له العمى لأنه إذا سئل عن شىء قال : لا حتى أسأل عمى .

(٥) أبو الصديق بتشديد الدال المكسورة : هو بكر بن عمرو — وقيل ابنُ قيس — الناجى بالنون والجيم المكسورة ، وهو لقب له ، بصرى ثقة مات سنة ثلاث ومائة . وفى الأصل : « الباجى » وصوابه فى القاموس والتقريب .

اللهمَّ إنّـا خلقٌ من خَلْقِك ، ليس بنا غنًى عن سقْيِك ؛ فإمَّا أنْ تسقِيناَ وترزقَنـا ، وإمَّا أنْ تُميتَنا وتُهلكنا ! فقال : ارجعوا فقَـد سُقِيتمْ بدعوةِ غيركم ! » .

(تأويل آية)

وحدثنى أبو الجهجاه قال : سأل أبو عمرو المكفوف[1] عن قوله تعالى :

٧ ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ . فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا ﴾ . فقلت له : إنَّ نذيراً يعجب[2] منه نبيٌّ من الأنبياء ثمَّ يعظُمُ خطرُهُ حتى يُضحِكه لَعَجيب ! قال : فقال : ليس التأويل ماذهبتَ إليه . قال : فإنَّه قد يضْحَك النبيُّ ، عليه السلام ، من الأنبياء مِنْ كلامِ الصبيِّ ، ومِنْ نادرةٍ غريبة . وكلُّ شيءٍ يظهَرُ من غير معدِنه ، كالنّـادرة تُسمع من المجنون ، فهو يُضْحِك . فتبسَّمُ سُليمانَ عندى على أنَّه استظرف ذلك المقدارَ من النَّملة ، فهذا هو التأويل .

(سادة النمل)

وقال أبو الجهجاه : سألتُه عن قول أبي موسى[3] : إنَّ لكلِّ شيءٍ سادةً حتى الذَّرِّ . قال : يقولون : إنّ سادَتها اللَّواتى يخرُجْنَ من الجُحْر ، يرتَدْنَ بجماعتها ، ويستبقنَ إلى شمٍّ الذى هُو مِنْ طعامهنَّ .

---

(١) المعروف : أبو عمر ، وهم جماعة فى تقريب التهذيب . س : « المكفولى » .
(٢) س : « إن تدبيراً يتعجب » .
(٣) هو أبو موسى الأشعرى ، كما سبق فى الصفحة التى مضت .

(تأويل شعر لزهير)

وقال زهَير :

وقَالَ سأقضى حاجَتى ثمَّ أتَّقى عَدُوِّى بأَلْفٍ مِنْ وَرَائِى مُلَجَّمِ
فشَدَّ ولم تَفْزَع بُيُوتٌ كثيرةٌ لَدَى حيثُ أَلقَتْ رَحْلَهَا أمُّ قشْعَمِ (١)

قال بعض العلماء : قرية النمل .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال فى لسانه حُبْسة : إذا كان فى لسانه ثِقَلٌ يمنَعُه من البيان . فإذا كان الثِّقَلُ الذى فى لسانه من قِبَل العُجْمة (٢) قيل : فى لسانه حُكْلة . والحُكلُ من الحيوان كلّه ما لم يكن له صوتٌ يُستَبَان باختلاف مخارجه ، عند حَرَجِه ، وضجَره ، وطلبِهِ ما يغذوه ، أو عندَ هِيَاجه إذا أراد السِّفاد ، أو عند وعيدٍ لقتالٍ ، وغيرِ ذلك من أمره .

(رأى الهند فى سبب اختلاف كلام الناس)

وتزعم الهندُ أنّ سبَبَ مالَه كثُرَ كلامُ الناس واختلفَتْ صُوَرُ ألفاظِهم (٣) ، ومخارجُ كلامهم ، ومقاديرُ أصواتهم فى اللِّينِ والشّدّةِ ،

---

(١) يقول : شد على عدوه وحده فقتله ، ولم تفزع بيوت كثيرة ، أراد أنه لم يستعن عليه بأحد . س : « يفزع » هـ : « يقرع »، وهذه الأخيرة محرفة . وأم قشعم : الحرب ، أو المنية ، أو الضبع ، أو العنكبوت ، أو الذلة . وبكل فسر قول زهير .

(٢) فى الأصل : « العجمية » .

(٣) بعد هذه فى كل من ط ، هـ : « واتسعت على قدر اتساع معرفتهم » . وهو =

وفى المدِّ والقطْع – كثرةُ (١) حاجاتهم . ولِكثْرِ (٢) حاجاتهم كثرتْ خواطرُهم وتصاريفُ ألفاظِهم ، واتّسعت على قدْرِ اتِّساع معرفتهم .

قالوا : فحوائِج السَّنَانير لاتعدُو خمسةَ أوجه : منها صياحُها إذا ضربت ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا دعت أخَواتها وآلافها (٣) ، ولذلك صورة (٤) . وصياحُها إذا دعَتْ أولادَها للطُّعْم ، ولذلك صورة . وصياحُها إذا جاعَتْ ، ولذلك صورة (٥) . فلما قلَّتْ وجوهُ المعرفةِ ووجوهُ الحاجات ، قلَّتْ وجوهُ مخارج الأصواتِ . وأصواتها تلك فيما بينها هو كلامها .

وقالوا : ثمَّ من الأشياء ما يكونُ صوتها خفيًّا فلا يفهمهُ عنها إلا ما كان مِن شكلها . ومنها (٦) ما يفهم صاحبَه بضروبِ الحركاتِ والإشاراتِ والشمائل . وحاجاتها ظاهرةٌ جليَّة ، وقليلةُ العددِ يسيرة . ومعها من المعرفة مالا يقصِّر عن ذلك المقدار ، ولا يجوزه . ٨

[و] رَاضَةُ الإبلِ ، والرِّعاءُ ، وَرُوَّاضُ الدَّوَابِّ فى المُروجِ ، والسُّوَّاسُ ، وأصحابُ القنْص بالكلابِ والفهود ، يعرِفون باختلاف الأصواتِ والهيئات والتشوُّف ، واستحالةِ البصرِ ، والاضطرابِ ، ضروباً من هذه الأصناف ، مَا لا يعرف مِثلَه من هو أعقلُ منهم (٧) ، إذا لم يكن له مِنْ مُعَايَنَةِ أصنافِ

= تكرار لعبارة ستأتى بعد سطرين . وإثباتها هنا يفسد الكلام . فالوجه حذفها كما فى س .

(١) ط ، هـ : « كثرت » ، ووجهه ما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « ولكثرت » ، صوابه ما كتبت من س .

(٣) الآلاف بمد الهمزة فى أوله : جمع إلف بالكسر وهو الأليف . ط : « آلافهات » صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « وجه » . وسياق القول يقتضى ما أثبت من س ، هـ .

(٥) ذكر الجاحظ ، كما رأيت ، أربعة أوجه ، لا خمسة . فهو سهو منه .

(٦) فى الأصل : « ومنتهى » .

(٧) فى الأصل : « منه » .

الحيوان ما لهُمْ[١] . فالحُكْلُ من الحيوان [من[٢]] هذا الشكل . وقد ذكرناه مرَّة. قال رُؤبة[٣] :

لَوْ أَنَّنِي عُمِّرْتُ عُمْرَ الحِسْلِ أَوْ أَنَّنِي أُوتيتُ علمَ الحُكْلِ
عِلْمَ سُليمانَ كَلامَ النَّمْلِ

(تأويل بيت للعُمَانى)

وقال أبو العباس محمَّد بن ذؤيب الفُقَيمىُّ وهو الذى يقال له العُمانىُّ[٤] فى بعض قصائده فى عبد الملك بن صالح . والعُمانىُّ ممن يُعَدُّ ممن جمَع الرَّجز والقصيد ، كعُمَرَ بنِ لجإٍ[٥] ، وجرير بن الخَطفى ، وأبى النَّجم وغيرهم . قال العُمانىّ :

وَيَعْلَمُ قَوْلَ الحُكْلِ لو أَنَّ ذَرَّةً تسَاوِدُ أُخْرَى لَمْ يَفُتْهُ سِوادُها[٦]

يقول : الذَّرُّ الذى لا يُسمَع[٧] لمناجاته صوت ، لو كان بينها سِوَادٌ[٨] لفهمَه . والسِّواد هو السِّرار[٩] . [قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم لابن مسعود :

---

(١) فى الأصل : « لغيرهم » .
(٢) ليست بالأصل .
(٣) انظر ماسبق من التنبيه فى ص ٨ .
(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٦)
(٥) فى الأصل : « كعمرو » وصوابه ماأثبت ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٩). و « لجأ » هو والد عمر ، وأصل اللجإ المعقل ، والملاذ . فهو اسم مصروف ، وليس مما أتى على وزن الفعل ، وانفرد صاحب القاموس بقوله إنه جد عمر ، وأن والده يسمى الأشعث .
(٦) ط : « تساور أخرى » وصوابه فى س ، هـ والبيان (١ : ٤٠ ، ٣٢٥) .
(٧) ط ، هـ : « لم يسمع » . والأوجه ما أثبت من س .
(٨) ط : « سواء » صوابه فى س ، هـ .
(٩) ط ، هـ : « السواد » والماء لا يفسر بالماء ! صوابه فى س . والسرار ، بالكسر : التحادث سراً .

« أُذنَكَ حتى أساوِدَك» أى تسمع سِوادِى . وقالت ابنةُ الُخسِّ : «قربُ الوسادِ] وطولُ السِّواد[1] » .

قال أبو كبير الهذليُّ :

ساودت عنْها الطّالبِينَ فلمْ أنَمْ   حَتَّى نَظَرْت إلى السِّماكِ الأعْزَلِ[2]

وقال النمرُ بنُ تَولَب :

ولقَد شهِدْتُ إذا القِدَاحُ تَوَحَّدَتْ   وشَهِدْتُ عندَ اللّيلِ مُوقِدَ نَارِها[3]

عَنْ ذاتِ أَوْلِيَــةٍ أُساوِدُ رَبَّهَا   وكَأَنَّ لَوْنَا المِلْحِ تحتَ شِفَارِها[4]

وقد فسَّرْنا شأنَ الحكل[5] .

وقال التيميُّ الشاعرُ[6] المتكلم ــ وأنشد لنفسه وهو يهجو ناساً من بنى تَغْلِبَ معروفين ــ :

عُجْم وحُكْلٌ لاتُبِينُ ، ودِينُها   عِبادَةُ أعلاجٍ عليها البرانسُ[7]

(١) قالت هــذا حين سئلت : « ما حملك على أن زنيت بعبدك ؟ » . انظر البيان (١ : ٣٢٤) ، والحيوان (١ : ١٦٩) ، والصناعتين ٣٢٠ .

(٢) ط ، هـ : « ساورت » ، صوابه فى س . والسماك الأعزل : منزلة من منازل القمر ، وهو نجم يظهر مع الفجر .

(٣) القداح هنا قداح الميسر . توحدت : أى أخذ كل رجل قدحا ولم يقدر على غيره ؛ لشدة الزمان وغلاء اللحم .

(٤) عن ذات أولية : أى من أجل ناقة ذات أولية ، رعت وليا بعد ولى من المطر فسمنت . أساود ربها : يقول : أساره وأناجيه لأختدعه عنها فيسمح بها ليجرى عليها الميسر . وكأن لون الملح فوق شفارها : أى أن الشفار التى تذبح بها وتقطع يعلق بها شحم هذه الناقة السمينة فيحكى ذلك لون الملح . ط : « أساور » صوابه فى س ، هـ ، والميسر والقداح ص ١١٨ والمعانى الكبير ١١٦٠ .

(٥) انظر ص ٢٣ وكذا ص ٢١ .

(٦) ذكره الصولى فى الأوراق ٧٦ باسم « التيمى بن محمد » .

(٧) الأعلاج : جمع علج ، بالكسر ، وهو الرجل من كفار العجم . والبرانس : جمع برنس ، وهو القلنسوة الطويلة ، وكان النساك يلبسونها فى صدر الإسلام . والبرنس أيضاً : كل ثوب رأسه منه ملتزق به ، دراعة كان أو ممطراً أو جبة . وفى حديث عمر : « سقط البرنس عن رأسى » هو من هذا . والرواية فى البيان (١ : ٤٠) : « ولكن حكلا لا تبين » .

ففصَلَ بينَ الحـكْل والعُجْم ، فجعل العُجْمَ[١] مثلَ ذواتِ الحافر والظِّلْف والخفِّ ، وجعل الحـكْلَ كالذّرِّ والنَّمل والخنافس ، والأشكال التى ليست تصيحُ من أفواهها . فقال لى يومئذ حفصٌ الفَرْدُ[٢] : [أشهدُ] أنَّ الذى يقال فيه حقٌّ[٣] ، كان والله نصرانيًّا ، ثمَّ صار يخبر عن النصارى كما يخبر عن الأعراب !

(بين الأصمعى والمفضَّل)

[و] قال الأصمعىّ للمفضَّل ، لما أنشد المفضَّلُ جعفرَ بنَ سليمانَ[٤] ٩
قولَ أوسِ بن حجر :

وذاتَ هِـدمٍ عارٍ نواشِرُها   تُصْمِتَ بالماء تَوْلَباً جَدِعا[٥]

---

(١) ط ، هـ : « ذوات العجم » وكلمة « ذوات » مقحمة .

(٢) من المجبرة ، وكان من أهل مصر ، قدم البصرة فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه وناظره ، فقطعه أبو الهذيل . وله عدة تصانيف سردها ابن النديم فى الفهرست ٢٥٥ مصر ١٨٠ ليبسك .

(٣) ط ، هـ : « حتى » ، وهو على الصواب فى س .

(٤) كذا أيضاً فى التنبيهات على أغاليط الرواة فى نسختنا الخطية . وفى اللسان أنه سليمان ابن على الهاشمى .

(٥) الهدم ، بالكسر : الثوب الخلق المرقع . هـ ، س : « عدم » والعدم ، بالضم الفقر وفقدان المال ، ولم أجد هذه الرواية فيما عندى . والنواشر : عصب الذراع من داخل وخارج . وعريت نواشره : فقدت ما يكسوها من لحم ، وهو علامة المجاعة . تصمت بالماء تولبا : أى تسكت ولدها الذى يبكى من الجوع بشىء من الماء . وأصل التولب : ولد الحمار ؛ لكن أوساً أساء الاستعارة لجعله الطفل تولباً انظر العمدة (٢ : ٢٠٤) . وهذا البيت قد وهم فيه قدامة فظن أن سوء الاستعارة، هذا يسمى معاظلة وقال : لا أعرف المعاظلة إلا فاحش الاستعارة . وانظر الرد عليه فى كل من الصناعتين ١٥٥ وسر الفصاحة ١٥١ . والبيت من قصيدة جيدة يرثى بها فضالة بن كلدة مطلعها :

أيتها النفس أجملى جزعا   إن الذى تحذرين قد وقعا

وقبل البيت :

ليبكك الشرب والمدامة وال‍   ‍فتيان طرا وطامع طمعا

وانظر ما قيل فى مجالس العلماء للزجاجى وحواشيه ص ١٤ والمقاييس (جدع) .

فجعل الذَّال معجمة ، وفتحها ، وصحَّف ، وذهب إلى الأجذاع[1] .

قال الأصمعيّ : إنما هي : « تَوْلَباً جَدِعا » الدَّال مكسورة . وفى الجَدِع يَقُول أبو زبيد :

ثُمَّ استقاها فلم يقطعْ نظائمها عن التضبّبِ لا عَبْلٌ ولا جَدِعُ[2]

وإنَّما ذلك كقول ابن حَبْناء الأشجعىّ[3] :

وأرْسَلَ مُهْمَلاً جَدِعاً وخَفًّا ولا جَدِعُ النَّباتِ ولا جَدِيبُ[4]

فنفخ المفضَّلُ ، ورفع بها صوتَه ، وتكلَّم وهو يصيح . فقال الأصمعىّ : لو نفخْتَ بالشَّبُّور لَمْ ينفعك ! تكلَّمْ بكلامِ النَّمل وَأَصِبْ[5] !

---

(١) الأجذاع : جمع جذع بالتحريك ، وهو من الحافر ما كان فى الثالثة .

(٢) التضبب : السمن وكثرة اللحم . ه فقط : « التضبيب » . والجدع ، ككتف : فعل بمعنى مفعول ، ولا يعرف مثله . وهو السيىء الغذاء .

(٣) ابن حبناء ، يطلق على (خمسة من الشعراء) ثلاثة منهم إخوة ، وحبناء ، اسم أمهم كما فى القاموس ومعجم المرزبانى ٣٦٩ والمؤتلف والمختلف ١٠٥ ، أو هو لقب لأبيهم لقب به لحبن أصابه . والحبن : داء فى البطن يعظم منه ويرم. الأغانى (١١ : ١٥٦). وأعرف هؤلاء الإخوة الثلاثة هو المغيرة بن حبناء ، وكان بينه وبين أخيه صخر مناقضات شعرية روى بعضها أبو الفرج (١١ : ١٦٢ — ١٦٣) . وثالث هذين الأخوين هو يزيد بن حبناء وكان من الخوارج ، وكان أخوه المغيرة من رجال المهلب ابن أبى صفرة . ويعرف بهذا الاسم أيضاً أخوان آخران ،أحدهما بلعاء بن قيس الكنانى وأخوه جثامة . وأمهما الحبناء بنت وائلة . وقد تقدمت ترجمة بلعاء فى (٣ : ٦٠) . جاء فى ط : « حنباء » صوابه فى ه ، س . على أنى أستبعد صحة العبارة هنا إذ ليس أحد من هؤلاء الشعراء الخمسة من تصح له نسبة « الأشجعى » . والمعروف بهذه النسبة من الشعراء هو جبهاء (ويقال أيضاً جبيهاء بالتصغير) وهو شاعر بدوى من مخاليف الحجاز ينتهى نسبه إلى بكر بن أشجع . نشأ وتوفى فى أيام بنى أمية ، وهو من المقلين ، وله حديث مع الفرزدق فى الأغانى . (١٦ : ١٤١) .

(٤) المراد بالخف هنا الإبل .

(٥) تجد هذه القصة مع بسط وتفصيل ، فى اللسان (جدع) .

والشَّبُّور : شيء مثل البُوق ، والكلمة بالفارسيّة[١] . وهو شيءٌ يكون لليهود ، إذا أراد رأسُ الجالوت[٢] أن يحرِّم كلامَ رجلٍ منهم نفَخُوا عليه بالشَّبُّور .

(تحريم الكلام لدى اليهود والنصارى)

وليسَ تحريمُ الكلام مِن الحدود القائمةِ فى كتبهم ، ولكنَّ الجاثَلِيقَ[٣] ورأسَ الجالوتِ ، لأيمكنُهُما فى دار الإسلام حبسٌ ولاضرْب ؛ فليس عندهما إلّا أنْ يغرِّما المالَ ، ويُحرِّما الكلام . على أنَّ الجاثليق كثيراً ما يتغافل عن الرَّجلِ العظيمِ القدْر ، الذى له من السُّلطان ناحيةٌ .

وكان طيمانو[٤] رئيس الجاثليق ، قدْ همَّ بتحريم كلام عَون العباديِّ[٥] ، عند ما بلغه من اتِّخاذ السَّراريّ[٦] ، فتوعَّده وحلف : لئن فعل ليُسْلِمَنَّ ! وكما ترك الأشقيل[٧] وميخاييل[٨] وتوفيل[٩] ،

(١) الصحيح أنها مأخوذة من العبرية. انظر الاستدراكات .
(٢) انظر لتفسير هذه الكلمة تذييل هذا الجزء .
(٣) الجاثليق ، بفتح الثاء : رئيس من رؤساء النصارى يكون تحت يده المطران ، ثم الأسقف ، ثم القسيس ، ثم الشماس .
(٤) كذا . ولعله : « طيمانؤس » كما أفادنيه حضرة المحقق القدير الأب أنستاس .
(٥) العبادى : نسبة إلى العباد ، بكسر العين ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .
(٦) السرارى : جمع سرية ، وهى الأمة المملوكة التى بوئت بيتا . ونظام التسرى ، أى اتخاذ السرارى ، نظام إسلامى يقصد به تكثير نسل المسلمين . والتسرى محظور على النصارى. انظر رسائل الجاحظ بهامشة الكامل (٢ : ١٧٦) .
(٧) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « الأشفيل » .
(٨) س : « متخاييل » .
(٩) وجه الصواب فيه : « ثيوفيل » أو « تيوفيل » .

سَمْلَ عَيْنِ مَنْوِيل[١] — وفى حكمهم أنَّ من أعان المسلمين على الرُّوم يقتل ؛ وإن كان ذا رأى سَمَلوا عينَيه ولم يقتلوه — فتركوا سُنَّتَهم فيه .

وقد ذكرنا شأنَهم فى غير ذلك ، فى كتابنا على النَّصارى[٢] . فإن أردتَه فاطلبْه هنالك .

(تأويل بيت لابن أبى ربيعة)

وقال عُمر بن أبى ربيعة :

لَوْ دَبَّ ذرٌّ فوقَ ضاحِيَ جِلْدِها لَأَبَانَ مِنْ آثارِهنَّ حُدُورُ[٣]

والَحدْر : الورَم والأثَرُ[٤] يكون عن الضَّرْب .

---

(١) سمل عينه : فقأها . وبدل هذه العبارة فى ط : « وسموعين ومنويل » وفى ﻫ : « سمل عين ومنويل » ، وصوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « النصرى »، وهو تحريف . وكتابة الجاحظ عن النصارى وثيقة تاريخية هامة ، تظهرنا على حقائق غريبة ، وتبين لنا مدى اتصال النصارى بالمسلمين فى عصره . وقبل عصره . وتجد فقراً منها بهامشة الكامل (٢ : ١٤٨ – ١٩٨) .

(٣) ضاحى جلدها : أى جلدها الضاحى المشرق . وأبان هنا فعل لازم بمعنى بان وظهر . و « حدور » فاعل أبان ، ومنه فى الكتاب : « حم والكتاب المبين » أى البين الظاهر ، فى أحد وجهى تأويله . وفى ط ، وكذا اللسان (مادة حدر) والمخصص (٢ : ٨٠) « حدورا » بالنصب ، وهو خطأ صوابه فى ﻫ ، س ؛ إذ أن البيت من قصيدة مضمومة الروى ، كما فى ديوان عمر ص ١٢ ، مطلعها :

لمن الديار كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا وتنير

وقبل البيت :

تلك التى سبت الفؤاد فأصبحت والقلب رهن عندها مأسور

(٤) فى الأصل : « والحدر والورم الأثر »، وصوابه ما أثبت .

(التسمية بالنمل)

وقد يسمَّى بِنملة ونُمَيْلة ، ويكتنون بها . وتسمَّوا بذَرٍّ ، واكتنوا بأبى ذرّ . ويقال : سيفٌ فى مَتْنِه ذرٌّ ، وَهُوَ ذرِّىُّ السَّيف(١) .

(شعر فى صفة السيف)

وقال ابن ضبَّة(٢) :

وقد أغـدُو مع الفتيـا نِ بالمنجـردِ الـتَّرِّ(٣)
وذى البِرْكةِ كالتَّـابو تِ والمَحْـزمِ كالقَرِّ(٤)

---

(١) فى الأصل : « ذر السيف » وأصلحته معتمداً على لسان العرب ، وفيه : « وفِرى السيف : فرنده وماؤه ، يشبهان فى الصفاء بمدب النمل والذر . قال عبد الله ابن سبرة :

كل ينوء بماضى الحد ذى شطب جلى الصياقل عن ذريه الطبعا

(٢) ذكره الجاحظ فى البيان (٣ : ٧٦) مع الشعراء العرجان . وهو القائل :

وكنت أمشى على رجلين معتدلا فصرت أمشى على أخرى من الشجر

(٣) المنجرد من الخيل : القصير الشعر ، وذلك من علامات العتق والكرم . ط ، ه : « بالخنجر » س : « بالمتجرد » ، وصوابه ما أثبت كما فى اللسان (ترر) . والتر من الخيل : المعتدل الأعضاء ، الخفيف ، الدرير . ط ، ه : « والبتر » وأثبت الصواب من س واللسان . وقد روى ابن الشجرى هذا البيت فى أماليه (١ : ٨٢) :

وقد أغدو إلى الهيجا ء بالمحتنك الـثر

روى الكلمة الأخيرة بالثاء المثلثة قال : « يقال سحاب ثر ، للكثير الماء . واستعاروه للفرس الكثير الجرى » .

(٤) البركة ، بالكسر : الصدر . والتابوت : الصندوق يحرز فيه المتاع ، وهى كلمة عبرية الأصل . والمحزم ، كمجلس : موضع الحزام . والقر ، بالفتح : الهودج .

معِى قاضبة كالمِلْح فى مَتْنَيْهِ كالذَّرِّ (١)
وقد أعْتَسِرُ الضَّرْبَةَ تَمْشى شَتْن الشَّتْرِ (٢)

وقال الآخر :

تَكادُ الرِّيح ترميهَا صرارا وتَرْجَفُ إن يُلثِّمها خِمارُ (٣)
وتحسَبُ كلَّ شىءٍ قيلَ حَقًّا وَيُرعِبُ قلبَها الذَّرُّ الصِّغارُ

وقال أوسُ بنُ حجَر ، فى صفة السَّيْفِ :

كأَنَّ مدَبَّ النَّمْلِ يَتَّبِعُ الرُّبَا وَمَدْرَجَ ذَرّ خافَ بَرْدًا فأسْهَلاَ (٤)
على صفحتيه بعد حِينِ جِلائه كَفَى بالَّذِى أبلى وأنعَتَ مُنْصُلاَ (٥)

---

(١) القاضبة ، أراد به السيف القاضب ، فالتاء فيه للمبالغة ، كراوية . ولم أر هذه اللفظ لهذا المعنى فى كتاب . وجعله كالملح فى بياضه . والعرب يشبهون الشىء الأبيض بالملح كما سبق تشبيه الشحم به فى ص ٢٤ س ٧ . وجاء هذا البيت مخروما فى اللسان (مادة ترر) . ويمكن تصحيحه وإكماله مما هنا .

(٢) أعتسر الضربة ، أصله من اعتسر الرجل الكلام : إذا اقتضبه قبل أن يزوره ويهيئه . يقول : يفاجىء عدوه بالضربة السريعة . ط ، س : « أعسر » صوابه فى هـ . والشتر ، بالفتح : الجرح . وفى الأصل : « الشبر » ولا وجه له وأما « شتن » فهى فى ط : « شنن » والكلمتان غير واضحتين .

(٣) س : « تلثمها » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) الربا : جمع ربوة ، وهو المكان المرتفع . وفى الأصل : « الدبا » ولا وجه له وصوابه فى ديوان أوس وعيون الأخبار (٢ : ١٨٧) ومعاهد التنصيص (١ : ٤٨) والشعراء ١٥٧ . وأسهل : صار فى السهل من الأرض .

(٥) ط : « على صفحة من » ، والوجه « صفحتيه » مع حذف « من » كما فى س ، هـ والديوان . ورواية الديوان : « على صفحتيه من متون جلائه » .

(انتقام عقيل بن عُلَّفة ممَّا خطب إحدى بناته)

قال : وخطب إلى عَقيل بن علّفة بعضَ بناتِه رجلٌ من الُحرَقة(١) من جُهينة ، فأخذَه فشَدَّهُ قِماطاً ، ودهن آسته برُبٍّ وقَمَطهُ(٢) وقرَّبه من قريةِ النَّمل ، فأكل النملُ حُشْوَةَ بطنِهِ(٣) .

(شِعرٌ فيه ذِكر النمل)

وقال ذو الرُّمّة :

وقَرْيَةِ لاجنٍّ وَلاَ أَنَسِيَّةٍ مُدَاخَلَةٍ أبوابُها بُنِيَتْ شَزْرَا(٤)
نَزَلْنَا بها مانبتغى عندَها القِرَى ولكنَّها كانت لمنزلنا قَدْرا(٥)

وقال أبو العتاهية :

أَخْبِثْ بدارٍ هَمُّهَا أَشِبٌ جَثْلُ الفُرُوعِ كثيرةٌ شُعَبُه(٦)
إنَّ استِهانَتَها بِمَنْ صرَعَتْ لَبِقَدْرِ مَا تَعْلو بِهِ رُتَبُه(٧)

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، ﻫ وهى قبيلة . وفى س : « الحدقة » محرف . وفى الأغانى (١١ : ٨٢) أنه من بنى سلامان بن سعد .

(٢) قمطه : جمع بين يديه ورجليه . والرب بضم الراء ، هو الدبس ، أو هو ثفل السمن والزيت . وفى الأغانى : « ودهن استه بشحم » .

(٣) القصة فى الأغانى برواية تختلف كثيراً عن هذه .

(٤) أراد بالقرية قرية النمل . مداخلة : مخالفة فى بعضها بعضاً . شزرا : على غير استقامة فهى معوجة .

(٥) رواية الديوان ١٧٧ : « لا نبتغى عندها » .

(٦) أشب : كثير ، من قولهم شجر أشب : ملتف . جثل : كثير الورق . ط ، ﻫ : « جبل » صوابه فى س .

(٧) فى الأصل : « أزرا سياستها بمن صرعت » وهو تحريف صوابه من ديوان =

وإذا استوَتْ للنَّمل أجنِحَةٌ حتى يَطيرَ فقدْ دنَا عَطبُه[١]

وقال البَعيث :

وَمَوْلًى كَبَيْتِ النملِ لاخيرَ عندَه لمولاه إلَّا سَعْيُه بنَميمِ

(بعض ما قيل فى النمل)

قال : وقد سمعت بعضَ الأعراب[٢] يقول : إنهُ لنَمامٌ نَمْلِيٌّ . على قولهم : « كذبَ عليَّ نَمِلٌ[٣] » إذا أرادُوا أنْ يخبرُوا أنهُ نمام . وقال حميد بن ثَوْر ، فى تهوين[٤] قوَّة الذّرّ :

منعَّمَة ، لو يُصْبِحُ الذَّرُّ سارياً على جِلْدِها بضَّتْ مدارِجُهُ دما[٥]

وقال الله عز وجل : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ .

قال : وقيل لعائشةَ ــ رضى الله تعالى عنها ، وقد تصدَّقتْ بحبَّةِ عنب ــ : أتَصَدّقينَ[٦] بحبَّةِ عنب ؟ ! قالت : إن فيها لَمَثَاقِيلَ ذَرّ[٧]

= أبى العتاهية ص ٣٥ وثمار القلوب ٣٤٦ . « لبقدر » هى فى الأصل : « فبقدر » وأثبت ما فى الديوان والثمار ومروج الذهب (٣ : ٣٩٢) . و« تعلو » هى فى ط : « نقلوا » ، وتصحيحه من س ، هـ والثمار والمروج . وبدلها فى الديوان : « تسمو » .

(١) فى الديوان : « وإن استوت » وانظر الكلام على البيت عند الدميرى .

(٢) س : « قال : وسمعت أعرابيا » .

(٣) النمل ككتف والنامل والمنمل – كمحسن – والمنمل ــ كمنبر – والنمال ، كل أولئك بمعنى النمام .

(٤) س : « توهين » والتهوين : التقليل . والتوهين : الإضعاف . وهما متقاربان .

(٥) مدارج الذر : موضع دروجه . بضت : خرج منها الدم .

(٦) تصــدقين بمعنى تتصــدقين ، حذفت إحدى التاءين تخفيفاً . ط فقط : « أتتصدقين » .

(٧) مثاقيل : جمع مثقال ، بمعنى مقدار . س : « مثاقيل ذرة » صوابه فى ط ، هـ . وعائشة رضى الله عنها ، تنظر إلى الآية السابقة .

(لغز فى النّمل)

وممّا قيل فى الشِّعر من اللُّغز[١] :

فما ذو جَناحٍ له حافرٌ وليس يضَرُّ ولا ينفعُ

يعنى النَّمل . فزعم أنَّ للنَّمل حافرًا ، وإنَّما يحْفِرُ جُحره ، وليس ١١
يَحْفِرُه بفمه[٢] .

(التعذيب بالنمل)

وعذَّب عُمَرُ بن هُبيرة[٣] سعيدَ بن عَمْرو الحَرَشىّ[٤] بأنواع العذاب فقيل له : إن أردت ألاّ يُفْلِحَ أبدًا فمُرْهُمْ أن ينفُخوا فى دُبُرِه النَّمل . ففعلوا فلم يفلِحْ بعدها .

---

(١) البيت الآتى فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) .

(٢) وإنما يحفره بقوائمه الست . انظر الدميرى .

(٣) فى الأصل : « عمرو بن هبيرة » ، وصوابه ما أثبت . وعمر هذا ، أمير من الدهاة الشجعان ، ولى الجزيرة فى خلافة عمر بن عبد العزيز ، ثم ولاه يزيد بن عبد الملك إمارة العراق وخراسان ، ثم عزله هشام بن عبد الملك سنة ١٠٥ فلم يعرف له خبر بعد ذلك ، وكان قائد أسطول المسلمين فى غزوة القسطنطينية سنة سبع وتسعين . انظر التنبيه والإشراف ١٤١ . وكان عمر يكنى أبا المثنى ، وفيه يقول الفرزدق ليزيد (المعارف ١٧٩) :

أوليت العراق ورافديه فزاريا أحذ يد القميص

تفنق بالعراق أبو المثنى وعلم قومه أكل الخبيص

(٤) سعيد بن عمرو الحرشى ، أحد قواد العرب ، وهو الذى قتل شوذبا الخارجى وفتك بمن معه ، وولاه ابن هبيرة خراسان سنة ١٠٣ ، ثم بلغه أنه يكاتب الخليفة مباشرة ولا يعترف بإمارته فعزله وعاقبه . والحرشى ، بفتح الحاء والراء ، نسبة إلى الحريش بن كعب بن ربيعة . وفى الأصل : « بن عمر » وصوابه من البيان (١ : ٣٨٩) وكتاب الوزراء (٦١) . و « الحرشى » هى فى الأصل : « الجرشى » بالجيم ، وصوابه فى البيان والطبرى (٨ : ١٧٥) ، وقد أورد الطبرى القصة .

(ما يدّخر قوته من الحيوان)

قالوا : وأجناسٌ من الحيوان تَدَّخرُ، وَتُشَبَّهُ فى ذلك بالإنسان ذى العقل والرَّوِيَّة[1] وصاحبِ النَّظرِ فى العواقب ، والتفكير فى الأمور : مثلُ الذّرّ ، والنّمل ، والفأر ، والجرذان ، والعنكبوت، والنّحل . إلّا أنَّ النحل لا يدَّخر من الطعام إلّا جنساً واحداً ، وهو العسل .

(أكل الذَّرِّ للنمل)

وزعم اليقطرىّ[2] أنَّك لو أدخَلْتَ نملةً فى جُحر ذرٍّ لأكلتها ، حتى تأتىَ على عامَّتها . وذكر أنَّه جرَّب ذلك .

(أكل الضِّباع للنمل)

وقال صاحب المنطق : إنَّ الضِّباع تأكل النمل أكلًا ذريعا ؛ وذلك أنَّ الضِّباعَ تأتى قريَةَ النَّمْلِ فى وقتِ اجتماعِ النّمل، فتلحَس ذلك النَّملَ بلسانِها ، بشهوةٍ شديدةٍ ، وإرادة قويّة .

(أكل النمل للارضة)

قالوا : وربَّما أفسدت الأَرَضة على أهل القرى منازلَهم ، وأكلتْ كلَّ شىءٍ لهم . ولا تَزالُ كذلك حتى يَنْشو[3] فى تلك القرى النَّمل ،

(١) الروية: النظر والتفكير . ط ، هـ : « الرؤية » صوابه من س .

(٢) يروى عنه الجاحظ فى البيان ، وكنيته أبو عثمان .

(٣) كذا فى س . وفى هـ : « ولا يزال » . وفى ط « ولا يزالوا » وهذه الأخيرة محرفة . و « ينشو » هى « ينشؤ » سهل همزها ، وهى بمعنى ينشأ ، فهذا =

فيسلط الله ذلك النّملَ على تلك الأَرَضة ، حتى تأتىَ على آخرها . وعلى أنَّ النَّمْلَ بعد ذلك سيكونُ له أذى ، إلاّ أنَّه دونَ الأرضةِ تعدِّيا . وما أكثَرَ ما يذهَبُ النَّمل أيضاً من تلك القُرى ، حتى تتمَّ لأهلها السَّلامــةَ من النَّوعينِ جميعاً .

وزعم بعضهم أنَّ تلك الأَرَضَة بأعيانها تستحيل نَمْلاً ، وليسَ فَناؤُها لأكلِ النَّمْلِ لها ، ولكنَّ الأرضةَ نفسَها تستحيلُ نملًا . فعلى قدْرِ ما يَستحيل منها يُرَى النقص[1] فى عددِها ومضَرَّتِها على الأيام .

(مثل فى النمل)

قال : وبالنَّمْلِ يُضرب المثل ؛ يقال : « جاءوا مِثْلَ النَّمْل » .

والزِّنْج نوعان ، أحدهما يفخَر بالعدد ، وهم يسمُّون النَّمل ، والآخَر يفخَر بالصَّبرِ وعِظَم الأبدان ، وهم يسمَّون الكلاب . وأحدهما يكبو والآخرُ ينبو . فالكلابُ تكْبو ، والنَّمل تنبو[2] .

(أجنحة النمـل)

قال : ومن أسـبابِ هلاك النَّمْلِ نباتُ الأجنحة له . وقد قال الشاعرُ[3] :

= الفعل يقال من باب منع ومن باب كرم ، كما فى القاموس . ط ، س : « ينشبوا » ولا تصح إلا بتكلف . وأثبت ما فى هـ .

(١) س : « النقصان » .

(٢) انظر البيان (٣ : ٥١) . وليس « تكبو » و «تنبو» لفظين عربيين ، بل هما من ألفاظ الزنج فيما يظهر ، فقول الجاحظ : « فالكلاب تكبو » لعل معناه تسمى « تكبو » بالزنجية . وتجد اضطرابا فى رسم هاتين الكلمتين ، فمرة بدئتا بالياء ، ومرة بدئتا بالتاء وعسى أن يهدينا إلى صوابهما أحد الصوماليين .

(٣) هو أبو العتاهية كما سبق ص ٣٢ .

وإذا استَوَتْ للنّملِ أجنحةٌ   حتى يَطِيرَ فقَدْ دَنَا عَطبُه[1]

وإذا صارَ النَّمل كذلك أخصبَتِ العصافير ؛ لأنها تصطادها فى حال طـيرانها .

(وسيلة لقتل النمل)

[قالوا[2]] : وتُقْتَلُ بأنْ يصبَّ فى أفواه بيوتها القَطِران والكِبريتُ الأصفر ، ويُدَسَّ فى أفواهها[3] الشَّعر . وقد جرَّبنا ذلك فوجـدناه باطلا . انتهى .

١٢ باب

جملة القول فى القِرْدِ والخِنزير

وفى تأويل المَسْخ ، وكيف كان ، وكيف يُمسخُ الناس على خلقتهما[4] دونَ كلِّ شيء ، وما فيهما من العِبرة والمحنة ؛ وفى خصالها المذمُومة ، وما فيهما من الأُمورِ المحمودة ؛ وما الفصْل[5] الذى بينهما فى النَّقص ، وفى الفَضْل ، وفى الذمِّ وفى الحمد .

---

(١) س ، هـ : « دنا أجله » وهو خطأ . انظر ص ٣٢ .
(٢) بمثل هذه الزيادة يستقيم الكلام ، وينسجم أوله مع آخره .
(٣) أى أفواه بيوتها .
(٤) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .
(٥) فى الأصل : « الفضل » بالضاد المعجمة ، ووجهه ما أثبت .

(ما ذكر فى القرآن من الحيوان)

وقد ذكر الله عزَّ وجلَّ فى القرآن العنكبوتَ ، والذَّرَّ والنَّملَ ، والكلبَ ، والحِمار ، والنَّحلَ ، والهُدهدَ ، والغرابَ ، والذئب[1] ، والفيلَ والخيل ، والبغال ، والحمير ، والبقَرَ ، والبعوضَ ، والمعز ، والضأن ، والبقرة ، والنعجة ، والحوت ، والنُّون[2] . فذكر منها أجناساً فجعلها مثلًا فى الذِّلَّة والضَّعف ، وفى الوهْن ، وفى البَذاءِ ، والجهل .

(هَوانُ شأن القرد والخنزير)

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِى أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ﴾ ، فقلّلها كما ترى وحقّرها ، وضرب بها المثل. وهو مع ذلك جلَّ وعلا ، لم يمسخ أحداً من حَشْو أعدائه وعظمائهم بعوضة .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شيئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالمَطْلُوبُ ﴾ . إنّما قرّع الطالب فى هذا الموضع[3] بإنكاره وضعفه ، إذ عجز ضعفه عن ضَعْفِ

---

(١) س : « الدب » صوابه فى ط ، هـ . وليس فى القرآن الكريم ذكر للدب ، وإنما هو « الذئب » ورد فى قصة يوسف .

(٢) النون : الحوت العظيم ، وقد سمى يونس عليه السلام : ذا النون فى قوله تعالى : « وذا النون إذ ذهب مغاضبا » لأن النون كان قد التقمه فى اليم ، انظر مفردات الراغب . والجاحظ لم يستوعب ماورد فى القرآن من الحيوان ، وإلا فقد أغفل ذكر الإبل ، والثعبان ، والجراد ، والحية ، والسلوى ، والضفادع ، والغنم ، والفراش ، والقمل .

(٣) ط فقط : « الموضوع » .

مطلوبٍ لا شيءَ أضعفُ منه ، وهو الذباب . ثمّ مع ذلك لم نجدْه جلَّ وعلا . ذَكرَ أنَّهُ مسخ أحدًا ذُبابا .

وقال : ﴿ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ ﴾ ، فَدَلَّ بوهْن بيتِه على وهْن خلقه ، فكان هذا القولُ دليلًا على التّصغيرِ والتّقليل . وإنما لم يقل : إنّي مسختُ أحدًا من أعدائى عنكبوتاً .

وقال تعالى : ﴿ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ﴾ ، فكان فى ذلك دليلٌ على ذمِّ طباعه ، والإخبار عن تسرُّعِهِ وبذائِه . وعن جهله فى تدبيره ، وتركِهِ وأخْذه . ولم يقل إنى مسختُ أحدًا من أعدائى كلباً .

وذكر الذَّرّة فقال : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ . وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ، فكان ذلك دليلاً على أنّه من الغايات فى الصِّغَر والقِلَّة ، وفى خِفَّة الوزْن وقلة الرجحان . ولم يذكرْ أنه مسَخَ أحدًا من أعدائه ذرَّة .

وذكر الحِمار فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، فجعله مثلًا فى الجهل والغفلة ، وفى قلةِ المعرفةِ وغِلَظِ الطَّبيعة . ولم يقلْ إنِّى مسختُ أحدًا من أعدائى حمارًا .

وكذلك جميع ما خَلَق وذَكر من أصناف الحيوان بالذمِّ والحمد . فأمَّا
١٣ غيرَ ذلك ممَّا ذكر من أصناف الحيوان[١] ، فإنّه لم يذكرْه[٢] بذمٍّ ولا نقص ، بل قد ذكر أكثرَهنّ[٣] بالأمور المحمودة ، حتَّى صار إلى ذكر

(١) الكلام من مبدإ : « بالذم والحمد » ساقط من س .
(٢) س : « يذكر » .
(٣) س : « أكثرها » .

القرد فقال : ﴿ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ ﴾ فلمْ يكنْ لهما فى قلوبِ النَّاس حال . و [لو][1] لم يكن جعل لهما فى صُدور[2] العامّة والخاصّة من القُبْح والتَّشويه ، ونذالةِ النَّفس ، ما لم يَجعلْهُ لشىءٍ غيرهما من الحيوان ، لما خصَّهما الله تعالى بذلك .

وقد علمْنا أنَّ العقربَ أشدُّ عداوةً وأذًى ، وأفسَدُ ، وأنَّ الأفعى والثُّعْبانَ وعامَّةَ الأحناش[3] ، أبغَضُ إليهم وأقتَلَ لهم ، وأنَّ الأسَدَ أشَدُّ صَوْلةً ، وأنَّهم عن دفعهم له أعجز ، وبغضَهم له على حسب قوّته عليهم ، وعجزِهم عنه ، وعلى حَسبِ سوءِ أثره فيهم . ولم نَرَهُ تعالى مسَخَ أحداً من أعدائه على صورة شىءٍ من هذه الأصناف . ولو كان الاستنذالَ والاستثقالَ والاستسقاطَ أراد ، لكان المسخ على صورة بناتِ وَرْدانَ أولى وأحقَّ[4] . ولو كان التَّحقيرَ والتَّصغيرَ أرَادَ ، لكانت الصُّؤابة والجِرْجِسَة[5] أولى بذلك . ولو كان إلى الاستصغار ذهَبَ لكان الذَّرُّ والقمْل والذُّبابُ أولى بذلك . والدَّليل على قولنا قوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، ولَيْسَ أن النَّاسَ رأوْا شيطاناً قطُّ على صورة ، ولكنْ لما كان الله [تعالى] قد جعل[6] فى طِباع جميع الأمم استقباحَ جميعِ صُورِ الشَّياطين ، واستسماجَه وكراهتَهُ ، وأجرى على ألسنة جميعهم ضرْبَ المثل فى ذلك — رجع بالإيحاش والتّنفير ، وبالإخافة

(١) ليست بالأصل .
(٢) س : « قلوب » .
(٣) الأحناش : الحيات ، جمع حنش بالتحريك . وفى الأصل : « الأجناس » محرف .
(٤) « على صورة » ساقط من س . و « أراد ، لكان » هى فى س : « إذا كان » ، محرف .
(٥) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . فى الأصل : « الخرجسة » صوابه ما أثبت .
(٦) فى الأصل : « جعل لها » وكلمة : « لها » مقحمة .

والتفزيع (١) ، إلى ما قد جعله اللهُ فى طباع الأوّلين والآخِرين وعندَ جميعِ الأمم على خلاف طبائع جميع الأمم (٢) .

وهذا التأويل أشبهُ مِن قولِ مَنْ زعَمَ مِن المفسِّرين ، أنّ رءوسَ الشّياطين نبات ينبت باليمن (٣) .

وقال الله عزّ وجلّ لنبيّه : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ ، أَوْ فِسْقاً أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ ، فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفورٌ رَحِيمٌ ﴾ فذكر أنه رِجْس ، وذكر الخنزير ، وهو أحد المسوخ (٤) ، ولم يذكر فى هذه الآية التى أحصى فيها أصنافَ الحرام ، وأباح ما وراء ذلك ـــ القردَ .

وصار بعضهم إلى تحريمه من جهة الحديث . وهو عند كثيرٍ منهم يحتمل المعارَضة .

(مساوى الخنزير)

فلولا أنَّ فى الخنزير معنًى متَقَدِّماً (٥) سوى المسخ ، وسِوى ما فيهِ من قبح المنظر وسَماجة التمثيل ، وقبح الصوت ، وأكل العَذِرة ، مع الخلاف الشديد

(١) فى الأصل : « والتقريع » .
(٢) الخلاف بمعنى الاختلاف .
(٣) ممن ذكر هذا التأويل ، فخر الدين الرازى فى تفسير سورة الصافات ، ولكنه مع ذلك استظهر تأويل الجاحظ ، وهو الذى مال إليه أكثر المفسرين . ومما أولوا به الآية أيضاً أن تكون « الشياطين » ضربا من ضروب الحيات .
(٤) المسوخ : جمع مسخ ، ط : « الممسوخ » . والأوجه ما أثبت من س ، هـ .
(٥) ط ، هـ : « منقداً مما » تصحيحه من س .

واللِّواط المفْرط[١] والأخلاقِ السمجة ، ما ليس فى القرد الذى هو شريكه فى المسخ ــ لَمَا ذَكَرَه دونه . ١٤

(علة النص على تحريم الخنزير فى القرآن ، دون القرد)

وقد زعم نَاسٌ أنَّ العربَ لم تَكنْ تأكلُ القرودَ . وكان من تنصَّرَ[٢] مِن كبار القبائِل وملوكِها يأكلُ الخِنزير ، فأظهر لذلك تحريمَهُ ؛ إذ كان هناكَ عالَمٌ من الناس ، وكثير من الأشراف والوضعاء ، والملوكِ والسُّوقة ، يأكلونهُ أشدَّ الأكْل ، ويرغبون فى لحمه أشدّ الرغبة . قالوا : ولأنَّ لحم القرد يَنْهَى عن نفسِهِ . ويكفى الطبائعَ فى[٣] الزّجرِ عنهُ غَنَثُه[٤] . ولحم الخنزير ممّا يُسْتَطابُ ويُتواصَف ، وسَبيلُ لحم القردِ كسَبيلِ لحمِ الكلب بل هو شرٌّ منهُ وأخبَث . وقد قال الشاعر[٥] للأَسديِّ الذى لِيمَ بِأكل لحمِ الكلب[٦] :

يا فقعسىُّ لِمْ أكلْتَه لِمهْ   لو خافكَ اللهُ عليهِ حَرَّمَهْ

فما أكلْتَ لحمَهُ ولاَ دَمَهْ

وليس يريد بقوله : « لو خافك الله عليهِ » أنّ الله يخافُهُ على شىءٍ أو يخافه[٧] من شىء . ولكنَّهُ لمّا كانَ الكلبُ عندَهُ مما لا يأكله أحد

(١) ط ، هـ « واللواطة المفرطة » : وإنما هو « اللواط المفرط » كما فى س .

(٢) ط : « تنصر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) الغنث بالتحريك : ثقل الطعام على النفس ، وفى الأصل : « غثه » .

(٥) الشاعر هو سالم بن دارة كما سبق فى (١ : ٢٦٧ ، ٢ : ١٥٩) .

(٦) أى لامه الناس بأكله لحم الكلب ، وفى الأصل : « لم يأكل لحم الكلب » وهو عكس المراد .

(٧) ط ، هـ : « يخاف » فى الموضعين . وأثبت ما فى س .

وَلا يُخَافُ عَلَى أَكْلِهِ إلاّ المضطرُّ ، جعل بدل قوله : أمِنَ الكلبَ على أكْل لحمه ، أنَّ الله هو الذى لم يَخَفْ ذلك فيحرِّمه . وهذا ممّا لا تقف الأعرابُ عليه ، ولا تَتبَّعَ الوهمُ مواضِعَه ؛ لأنَّ هذا بابٌ[1] يدخل فى باب الدِّين ، فيما يُعرَف بالنَّظر .

(ما قيل فى جودة لحوم الكلاب)

وقد يأكل أجْراءَ[2] الكلاب ناسٌ ، ويستطيبونها فيما يزعمون . ويقولون : إنّ جرو الكلب أسمنُ شىء صغيراً ، فإذا شبَّ استحال لحمه ، كأنّه يشبّه بفرخ الحمام ما دام فرخا وناهضا ، إلى أن يستحكم ويشتدّ .

(ذكر من يأكل السنانير)

وما أكثر من يأكل السَّنانير . والذين يأكلونها صِنفان من الناس : أحدهما الفتى المغرور ، الذى يقال له أنت مسحور ، ويقال له : من أكل سِنّوراً أسودَ بهيما لم يعمَلْ فيه السِّحر ، فيأكله لذلك . فإذا أكله لهذه العلَّة ، وقد غسل ذلِكَ وعصره ، أذهب الماءُ زُهُومَته ، ولم يكن ذلك المخدوعُ بمستقذِرٍ ما استطابه . ولعلّهُ أيضاً أن يكون عليه ضربٌ من الطَّعام[3] فوق الذى هو فيه ، فإذا أكله على هذا الشَّرط ، ودبّر هذا التدبير ، ولم ينكره ، عاوده . فإذا عاوده صار ذلك ضراوة له .

---

(١) ط : « فى باب »، والوجه حذف « فى » كما فى س ، هـ .

(٢) أجراء ، بفتح الهمزة وسكون الجيم : جمع جرو ، وهو هنا ولد الكلب .

(٣) س : « من حيث الطعام » ! .

والصِّنف الآخر أصحاب الحمام ، فما أكثر ماينصِبُون المصائدَ[1] للسَّنانير ، التى يُلقَّوْن منها فى حمامهم[2] . وربَّما صادف غيظُ أحدهم وحَنَقُه وَغَضَبُهُ عليه ، أن [يكون] السِّنَّور مُفرِطَ السِّمن ، فيدعُ قتْله ويذبَحُهُ . فإذا فعل ذلك مرَّةً أو مرتين ، صار ضراوةً عليها . وقد يتقَزَّز[3] الرَّجلُ من أكل الضَّبِّ والوَرَل والأرنب ، فما هو إلاَّ أنْ يأكُله مرَّةً لبعض التَّجرِبة ، أو لبعض الحاجة ، حتى[4] صار ذلك سبباً إلى أكلها ، حتى يصير بهم الحال[5] إلى أن يصيروا أرغبَ فيها من أهلها .

(طيب لحم الجراد)

وهاهنا قومٌ لا يأكلون الجرادَ الأعرابىّ السمين ، ونحن لانعرف طعاماً أطيبَ منه . والأعراب إنَّما[6] يأكلون الحيَّاتِ على شبيهٍ بهـذا الترتيب ولهذه العوارض .

(أكل الأفاعى والحيات)

وزعم بعضُ الأطبَّاء والفلاسفة ، أنَّ الحيَّاتِ والأفاعىَ تؤكل نِيئةً[7] ومطبوخة ، ومشويَّة ، وأنها[8] تغذو غِذاءً حسَنا .

---

(١) كذا بالأصل . والوجه : « المصايد » بلا همزة ، مثل معايش .

(٢) أى يصيبهم الشر من السنانير .

(٣) ط ، هـ : « يتقذر » وهذا الفعل لا يحتاج إلى « من » ، فيقال « تقذر الشيء » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) س : « تصير بهم الحال » ، والحال تذكر وتؤنث .

(٦) ساقطة من س .

(٧) ط ، هـ : « نية » ، وهى صحيحة أيضا . انظر الاستدراكات .

(٨) ط ، هـ : « فإنها » .

(رؤبة وأكله الجرذان)

وزعم أبو زيد ، أنّه دخل على رؤبةَ ، وعنده جِرذَانٌ قد شَوَاهُنّ ، فإذا هو يأكلهنّ ، فأنكر ذلك عليه ، فقال رؤبة : هُنّ خيرٌ من اليرابيعِ والضِّباب وأطيَبُ ؛ لأنها عندكم تأكُلُ الخبزَ والتمرَ وأشباهَ ذلك . وكفاك بأكل الجرذان !

ولولا هولَ الحيَّاتِ[١] فى الصُّدور من جهة السُّموم ، لكانت من جهة التقذُّر[٢] أسهلَ أمرًا من الجرذان .

(أكل الذِّبان والزنابير)

وناسٌ من السُّفالة[٣] يأكلون الذِّبَّان . وأهلُ خُراسانَ يُعجَبون باتّخاذ البَزْماوَردِ[٤] من فِراخ الزَّنابير ، ويعافون أذنابَ الجرادِ الأعرابىِّ السمين . وليسَ بين رِيح الجَرادِ إذا كانت مشويةً وبينَ رِيح العقاربِ مشْويَّةً فرق . والطَّعْمُ تبعٌ للرائحة[٥] : خبيثُها لخبيثها ، وطيِّبها لطيِّبها .

وقد زعم ناسٌ ، ممن يأكلون العقاربَ مشويَّة ونِيئةً ، أنها كالجراد[٦] السِّمان .

---

(١) ط : « أن الحيات » وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) س : « التقزز » .

(٣) السفالة ، بالضم : من بلاد الزنج فى شرقى إفريقية . وفى الأصل : « الصقالبة » . وهو تحريف ، صوابه مما سبق فى (٣ : ٣٢٣ س ٧) .

(٤) انظر ما أسلفت من شرح هذه الكلمة فى (٢ : ٢٤٩ التنبيه الرابع) .

(٥) س : « الرائحة » .

(٦) فى الأصل : « كالفراخ » ، وصوابه ما أثبت ، كما سيأتى واضحاً فى (٥ : ٣٥٦) حيث يقول الجاحظ « وريح العقارب إذا شويت مثل ريح الجراد . وما زلت أظن أن الطعم أبداً يتبع الرائحة ، حتى حقق ذلك عند بعض من يأكلها مشوية ونية أنه ليس بينهما وبين الجراد الأعرابى السمين فرق » .

وكان الفضلُ بنُ يحيى يوجِّه خدمَهَ فى طلب فراخِ الزَّنابير ليأكلها . وفراخُها ضربٌ من الذِّبَّان .

(أكل لحوم البراذين)

فأمَّا لحوم البراذين فقد كثُر علينا وفِينا ، حتى أنِسْنا به . وزعم بعضهم أنَّه لم يأكلْ أطيبَ من رأس بِرْذَونٍ وسُرَّتِه . فأمَّا السُّرَّةُ والمَعْرَفة[1] فإنهم يزاحِمون بها الجِدَاءَ والدَّجاج . ويقدِّمون الأسرامَ المحشوَّة .

(أكل السراطين ونحوها)

ومِن أصحابنا مَن يأكل السَّراطين أكلاً ذريعاً . فأما الرَّقُّ[2] والكوسج[3] فهو من أعجب طعام البحْريِّين . وأهل البَحر يأكلون البلبل[4] وهو اللَّحم الذى فى جوف الأصداف .

والأعرابىُّ إذا وجد أسودَ سالخاً[5] ، رأى فيهِ مالا يرى صاحب الكسمير فى كسميره[6] .

---

(١) المعرفة ، كمرحلة : موضع العرف من الفرس .

(٢) الرق : سلحفاة المياه .

(٣) الكوسج : جنس من الأسماك الغضروفية كبير يخشى شره ، وهو فى الماء شر من الأسد فى البر ، يقطع الحيوان فى الماء بأسنانه ، كما يقطع السيف الماضى . ويسمى بالقرش فى سواحل البحر الأحمر . وكلب البحر Dogfish نوع صغير منه . وذكر الأب أنستاس فى مجلة المشرق أن القرش معرب Karcharias : اليونانية . انظر معجم المعلوف ٢٢٥ — ٢٢٦ .

(٤) ط : « اللبل » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الأسود السالخ : ضرب من الحيات .

(٦) كذا بالأصل ، وانظر ما سيأتى فى حواشى (٦ : ٨٤) .

(أكل ديدان الجبن)

وخَبَّرنى كم شِئْتَ[١] من الناس ، أنَّه رأى أصحابَ الجبْن الرَّطبِ[٢] بالأهوازِ وقراها ، يأخذون[٣] القِطعةَ الضَّخمة من الجبْن الرَّطب[٤] ، وفيها ككواء الزنابير[٥] ، وقد تولَّدَ فيها الدِّيدان ، فينفضها وسْطَ رَاحتِه ، ثمَّ يقمَحُها[٦] فى فيهِ ، كما يقمَحُ السَّويق والسُّكَر ، أو ماهو أطيبُ منهُ .

(ذكر بعض أنواع العذاب)

وقد خبَّر الله تعالى عن أصحاب النِّقم ، وما أنزل الله من العذاب ، وما أخذ من الشكل والمقابلات ، فقال : ﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ﴾ ، وقال : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ

---

(١) وردت هذه العبارة أيضاً فى ص ١٤٠ من هذا الجزء . كما ورد مثلها فى ص ٢٤ : « وقد خبرنا من لايحصى من الناس » . واستعمال « كم » فاعلا ، هو لغة رديئة حكاها ابن عصفور ، وخرج عليها هو قوله تعالى : « أو لم يهد لهم كم أهلكنا » . انظر مغنى اللبيب .

(٢) فى الأصل : « الجبن والرطب » ، وأثبت الصواب موافقاً ما سبق فى (٣ : ٣٢٣ س ٩) . والمراد به ذلك النوع المعتق من الجبن ، الذى يسميه عامة مصر : « المش » بكسر الميم . وجاء فى القاموس : « والأرنة بالضم : الجبن الرطب » . وهناك الجبن اليابس كانوا يملحونه ويجففونه . انظر تذكرة داود .

(٣) س : « يأخذ أحدهم » .

(٤) ط ، ه : « والرطب » ، والصواب من س . وانظر التنبيه الثانى من هذه الصفحة .

(٥) الكواء ، بالكسر : جمع كوة بالفتح ، وهى الخرق فى الحائط ، أو الثقب فى البيت .

(٦) قمح السويق ونحوه ، من باب سمع : استفه .

بِأَصْحَابِ الفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيل . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا ١٦
أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ ﴾ .

وليس من هذه الأصنافِ شيءٌ أبلغُ فى المُثْلة والشُّنْعةِ ، مِمَّن[١] جَعَلَ منهم القِرَدَة والخنازير .

(ما يقبل الأدب من الحيوان)

فالخنزير يكون أهليا ووحشيا ، كالحمير[٢] والسَّنانير مما يعايش النَّاس . وكلها لاتقبل الآداب . وإنَّ الفُهُودَ وهى وحشيَّةٌ تقبل كلها ، كما تقبَلُ البوازِى ، والشَّواهين ، والصقورة[٣] ، والزُّرَّق ، واليُؤيؤ ، والعُقَاب ، وعَنَاق الأرض[٤] ، وجميعُ الجوارحِ الوحشيَّات . ثُمَّ يفضلها الفهدُ بخَصْلةٍ غريبة وذلك أنّ كبارَها ومَسانَّها أقبَلُ للاداب ، وإن تقادَمتْ فى الوحْش[٥] ، مِنْ أولادها الصغار ، وإن كانت تقبل الآداب ؛ لأنَّ الصغير إذ أُدِّبَ

---

(١) فى الأصل : « من أن » .

(٢) ويجمع الحمار أيضاً على أحمرة ، وحمر — بضمتين وبضمة — وحمور ، وحمرات ، ومحموراء . جاء فى ط : « كالحمامير » وهو تحزيف ، صوابه ما أثبت من هـ ، س .

(٣) الصقر يجمع على أصقر وصقور وصقورة ، وصقار وصقارة بكسر صاديهما ، وصقر بالضم . ط ، هـ : « والصقور » . وأثبت مافى س . والجاحظ يميل إلى هذا الجمع كما سبق فى (٣ : ١٨٢ ، ٥٣٩) .

(٤) عناق الأرض ، بفتح العين : دويبة أصغ من الفهد حسن الصورة ، لونه أحمر ، وفى أعلى كل من أذنيه شعرات سود ، يصيد كل شىء حتى الطير ، ويسمى أيضاً التفة ، وهو بالفارسية سياه كوش ، وبالإفرنجية : Caracal . وفى الأصل : « عتاق الأرض » بالتاء . صوابه ما أثبت .

(٥) فى مباهج الفكر ، نسختى الخطية : « التوحش » والعبارة تتجه بكل منهما .

فبلغ ، خرج خِبًّا مُوَاكِلا[1] ، والمسنّ الوحشىّ يخلُص لك كُله ، حتى يصير أصيدَ وأنفعَ . وصغارُ سباعِ الطَّير وكبارُها على خلاف ذلك ، وإن كان الجميع يقبل الأدب . والخنزيرُ وإن كان أهليًّا فإنهُ لايقبل الأدبَ على حال ، حتى كَأنَّهُ ـ وإن كان بهيمةً ـ فى طباع ذئب .

وذلك أنَّ أعرابيًّا أخذَ جرْوَ ذئب وكان التقطه التقاطا ، فقال : أخذْتهُ وهو لا يعرف أبوَيهِ ولا عملَهُما ، وهو غِرٌّ لم يصِدْ شيئاً ، فهو إذا رَبَّيناه وألَّفناه ، أنفعُ لنا مِن الكلب . فلمّا شبَّ عدا على شاة لهُ فقتلَها وأكل لحمها ، فقال الأعرابىُّ :

أكَلْتَ شُوَيهَتى وَرَبِيتَ فِينَا فَمَنْ أدْرَاكَ أنَّ أباكَ ذِيبُ[2]

فالذئب وجرو الذئب إذا كانا سبعين وَحْشِيَّيْنِ [كانا[3]] ثمَّ من أشدِّ الوحْشِ توحُّشا ، وألزمِها للقِفار ، وأبعَدِها من العمران .

والذِّئب أغدَر من الخنزير والخِنَّوص[4] ، وهما بهيمتان .

---

(١) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . ط : « حبيبا » ، هـ : « جبنا » ، صوابه فى س . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٤٧١) .

(٢) س : « فن أنباك » ومثل هذه الرواية فى (٦ : ٢٤ ، ٧ : ١٨٧ ، ٢٥٣) حيث تعاد القصة . وانظر محاضرات الراغب (١ : ١٢٢) ومثل هذه القصة عن عجوز أعرابية عند الدميرى . والشعر فيه :

بقرت شويهتى وفجعت قلبى وأنت لشاتنا ولد ربيب
غذيت بدرها وربيت فينا فن أنباك أن أباك ذيب
إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

(٣) مثل هذه الزيادة ضرورى ليستقيم الكلام .

(٤) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(ضرر الخنزير)

وأمَّا ضرره وإفساده ، فَما ظنّك بشيءٍ يُتَمَنَّى له الأسَد ؟ ! وذلك أن الخنازير[١] إذا كانت بقرب ضِيَاعِ قومٍ هلَكتْ تلك الضِّياع ، وفسَدتْ تلك الغلَّات . وربَّما طلب الخنزير[٢] بعضَ العروقِ المدفونَةِ فى الأرض فيخرِّب مائةَ جريبٍ[٣] ، ونابه ليس يغلبه مِعْول . فإذا اشتدَّ عليهم البلاءُ تَمنَّوا أن يصير فى جَنْبتهم[٤] أسد . ولربَّما صار فى ضياعهم الأسد فلا يَهِيجونَه ، ولا يؤذونَه ، ولو ذهب إنسانٌ ليحفر له زُبيةً[٥] منعوه أشدَّ المنع ؛ إذ كان ربَّما حَمَى جانبَهم من الخنازير فقط . فما ظنّك بإفسادها ، وما ظنّك ببهيمةٍ يُتَمَنَّى أن يكون بدلها[٦] أسد ؟ ! ثمَّ مع ذلك إذا اجتمعوا للخنازير بالسِّلاح ، وبالآلاتِ والأدوات التى تقتل بها ، فربَّما قتل الرَّجُلَ منهم ، أو عقرَهُ العقرَ الذى لا يندمِل ؛ لأنَّه لا يضرب بنابه شيئاً إلاَّ قطعَه ، كائناً ما كان . فلو قَتلوا فى كلِّ يوم منها مائةً وقتلتْ فى كلِّ يومٍ إنساناً واحداً ، لما كان فى ذلك عِوض .

---

(١) ط ، هـ : « الخنزير » بالإفراد . والوجه الجمع كما أثبت من س .

(٢) ط ، هـ : « الخنازير » بالجمع . والوجه الإفراد كما أثبت من س .

(٣) الجريب ، يقال فى الأرض كما هنا ، ومقداره عشرة آلاف ذراع ، أو ثلاثة آلاف وستمائة ذراع ، يختلف ذلك باختلاف البلدان . وأما جريب الطعام ، فهو أربعة أقفزة .

(٤) الجنبة ، بالفتح : الناحية . س ، هـ : « جنتهم » وليست مرادة فيما أرى . وأثبت المراد من ط .

(٥) الزبية ، بالضم : حفرة يصاد بها الأسد .

(٦) س : « مكانها » .

١٧ والخنازير تطلب العَذِرَة ، وليست كالجلَّالة⁽¹⁾ ؛ لأنها تطلب أحَرَّها وأرطبَها وأنتنَها ، وأقربها عهداً بالخروج . فهى فى القرى تعرِف أوقاتَ الصُّبحِ والفجْر ، وَقبلَ⁽²⁾ ذلك وبعدَه ؛ لبُروزِ⁽³⁾ النَّاس للغائط . فيعرف من كان فى بيته نائما فى الأسحار ومع الصُّبح ، أنَّه قد أسْحَر⁽⁴⁾ وأصبح ، بأصواتها ومرورِها ، ووقْعِ أرجلها فى⁽⁵⁾ تلك الغِيطان ، وتلك المتبرَّزات . ولذلك ضربُوا المثلَ ببكور الخنزير ، كما ضربوا المثل بحذَرِ الغراب ورَوَغان الثَّعلب .

على أنَّ الثَّعلبَ ليس بأرْوَغَ من الخنْزير ، ولا أكَدَّ للفارس ، ولا أشدَّ إتعاباً لصاحبه .

(بعض أسباب المسخ)

فأمَّا قُبحُ وجهِه فلو أنَّ القُبح والإفلاس ، والغَدْر والكذب ، تجسَّدت ثمَّ تصوَّرتْ⁽⁶⁾ لَمَا زادتْ على قبح الخنزير . وكلّ ذلك بعضُ الأسباب التى مُسِخ لها الإنسان خنزيراً .

وأنَّ القرد لَسَمِجُ الوجْه ، قبيحُ كلِّ شىء⁽⁷⁾ . وكفاك به أنَّه للمثل المضروب — ولكنَّهُ فى وجهٍ آخَرَ مليحٌ . فمِلْحهُ⁽⁸⁾ يعترض على قُبْحه

---

(١) الجلالة من الحيوان : التى تأكل الجلة والعذرة .
(٢) الواو ليست بالأصل ، وأثبتها من مباهج الفكر ، وفيها أيضاً : « قبيل » مكان : « قبل » .
(٣) كذا فى ط ، هـ ومباهج الفكر . وفى س : « لخروج » .
(٤) أسحر ، بالسين : صار فى السحر ، والسحر : الوقت قبيل الصبح . ط ، هـ : « أصحر » بالصاد ، ولا تليق هنا . وأثبت الصواب من س ومباهج الفكر .
(٥) فى الأصل : « إلى » ، وصوابه فى مباهج الفكر .
(٦) كذا فى ثمار القلوب ٣٢١ نقلا عن الجاحظ . ط ، هـ : « تجسم وتصور » س : « تحشد ثم تصور » ، وصوابهما ما أثبت . وانظر سائر القول .
(٧) فى ثمار القلوب : « قبيح فى كل شىء » .
(٨) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة ، يقال : ملح ملحاً وملاحة .

فيمازجُه ويُصلِح منه . والخِنزيرُ أقبح منه ؛ لأنّه ضربٌ مُصمَتٌ بهيم ، فصار أسمجَ ببعيدٍ .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وحدّثني بعضُ أهل العلم ، ممّن طال ثَواؤه فى أرض الجزيرة ، وكان صاحبَ أخبارٍ وتجربة ، وكان كلفاً بحبِّ التبيّن[1] ، معترضاً للأُمور ، يحبُّ أنْ يُفْضِيَ إلى حقائقها ، وتثبيت أعيانها بعللها ، وتمييز[2] أجناسها ، وتعرّف مقاديرِ قَواها ، وتصرُّف أعمالها ، وتنقُّل حالاتها ؛ وكان يعرِفُ للعلم قَدْرَهُ ، وللبيان فضلهُ .

قال : ربّما رأيت الخنزير الذّكر وقد ألجأه أكثرُ مِن عِشرينَ خنزيرا إلى مَضِيق ، وإلى زاوية ، فينزُون عليه واحداً واحداً[3] ، حتى يبلغ آخرُهم .

وخبّرني هذا الرّجل وغيرُه من أهل النّظر وأصحابِ الفكر ، أنّهم رأوا مثلَ ذلك من[4] الحمير . وذكروا أنّ ذلك إما تأنيثٌ فى طبعه ، وإمّا أنْ يكون له فى أعينها من الاستحسان شبيهٌ بالذى يعترى عيونَ بعضِ الرجال فى الغلمان ، والأحداثِ الشّبّاب .

وقد يكون هـذا بين الغَرانِق والكَرَاكِيّ . والتّسافُد بين الذّكر والأنثى . والسافد والمسفود إذا كانا من جميع الذكورة ، كثيرٌ فى جميع أصناف

---

(١) فى الأصل : « التبيين » ، وهو تحريف يتكرر كثيراً . وإنما هو « التبين » بمعنى التفهم والاكتناه .

(٢) فى الأصل : « وتميز » .

(٣) بدله فى مباهج الفكر ، وكذا نهاية الأرب (٩ : ٣٠٠) : « ثم ينزو عليه الأمثل فالأمثل » .

(٤) س : « فى » .

الحيوان ، إلّا أنَّه فى جميع الخنازير والحمير أفشى . وأمَّا[١] تسافُد الحمام الذَّكر والأنثى للذَّكر[٢] ، فأكثرُ من أن يكون فيه تنازع .

(معارف فى الخنزير)

وباب آخر ممَّا ذكر صاحب المنطق ، فزعم أنّ من الخنازير ماله ظِلف واحد[٣] ، وليس لشىء من ذوات الأنياب فى نابه من القوَّة والذَّرَب ما للخنزير الذكر ، وللجملِ ، والفهد ، والكلب .

قال : والإنسان يلقى أسنانه[٤] ، وكذلك الحافر والخفّ .

قال : والخنزير لايلقى أسنانَه ألبتّة .

(من لم يثغر)

١٨ ويقال : إنّ عبد الصَّمد بنَ علىٍّ[٥] لم يُثغر قط[٦] ، وأنَّه دخل قبره بأسنان الصِّبا .

---

(١) ط ، هـ : « فأما » .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « الذكر للأنثى والأنثى للذكر » .

(٣) يعنى ظلفا غير مشقوق كأنه الحافر . وجاء فى (٧ : ٢٤٠) : « وفى الخنازير ماليس ظلفه بمنشق » .

(٤) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « والإنسان لايلقى أسنانه » .

(٥) هو عبد الصمد بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، ويكنى أبا محمد ، ولى الجزيرة لأبى جعفر المنصور ، وكان أقعد بنى هاشم فى عصره . المعارف ١٦٣ .

(٦) يقال ثغر ، بالبناء للمجهول ، وأثغر ، بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . وانظر العقد (٦ : ٢٣١) .

(أسنان الذئب والحية والضبع)

وزعم بعضهم أنَّ أسنان الذِّئبِ مخلوقَةٌ فى الفكّ ، ممطولةٌ[١] فى نفس العظم . وذلك ممَّا توصف به أسنان الحيَّة . قال الشَّاعرُ :

مُطِلْنَ فى اللَّحْيَيْنِ مَطْلاً إلى الــرَّأسِ وَأَشْدَاقٍ رَحِيبَاتِ[٢]

والشَّاعِرُ يمدحُ الشيءَ فيشدِّدُ أمرَه ، ويقوِّى شأنهُ ، وربَّما زاد فيه ، ولعلَّ الذى قال فى الذِّئب ما قال ، هذا أراد .

ولا يشكُّون أنّ الضبع كذلك .

(مرق لحم الحيوان)

قال : وليس يجمُدُ[٣] مرق لحم الحيوان السَّمين ، مثل الخنزير والفرس ، وأمَّا ما كان كثير الثَّرب[٤] فمرقته تجمد[٥] ، مثل مرق لحم المِعْزَى .

---

(١) المطل : أصله السبك والطبع . ط ، هـ : « مطوطة » وصوابها من س ومما سبق فى (٢ : ٢١٤ س ٢) .

(٢) سبق البيت فى (٢ : ٢١٤) ، وسيعاد فى هذا الجزء ص ١٨٠ ، ٢٨٢ .

(٣) يجمد ، بالجيم : أى يصير جامداً ، والمراد يجمد ما يكون فوقه من الإهالة ، أى الدسم . وسيأتى مثل هذا المعنى بصورة أخرى فى ص ٩٤ . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س « يحمل » وفى هـ : « يحمد » . وكتب فى هامشة س : « خ يحمد خ تحمد » وكل أولئك محرف .

(٤) الثرب : شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء .

(٥) فى الأصل : « تحمل » . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(طباع الخنزير)

قال : والخنزير الذَّكر يقاتِل فى زمن الهيْج ، فلا يدَعُ خنزيراً إلاَّ قتله ، ويدنُو من الشَّجرة ويدلكَ جلدَه ، ثمَّ يذهب إلى الطين والحمأة فيتلطخ به ، فإذا تساقط عاد فيه .

قال : وذكورة الخنازير تطرد الذُّكورة عن الإناث ، وربَّما قتل أحدُهما صاحبه وربّما هلـكا جميعا ، وكذلك الثِّيرانُ والـكِباشُ والتُّيوس فى أقاطيعها ، وهى قبل ذلك الزَّمان[1] متسالمة .

(ما يعرض لبعض الحيوان عند الهيج)

والجمل فى تلك الحالة[2] لا يدَعُ جملاً ولا إنساناً يدنُو من هَجْمَتِه[3] . والجمل خاصَّةً يكره قُربَ الفَرَس ، ويقاتله أبدا .

ومثل هذا يعرِض للذِّئبة والذِّئب . والأُسد ليس ذلك من صفاتها ؛ لأنَّ بعضَها لا يأوى إلى بعضٍ ، بل ينفرد كلُّ واحدٍ بلبؤته . وإذا كان للذِّئبة الأنثى جِرَاء[4] ساءت أخلاقُها وصَعُبت ، وكذلك إناث الخيل والفيل : يسوءُ خلقها فى ذلك الزَّمان ، والفيَّالون يحمونها النَّزْو ؛ لأنها إذا نزت جهِلت جهلاً شديداً ، واعتراها هَيْجٌ لا يُقام له . وإذا كان ذلك الزَّمان أجادوا عَقْله ، وأرسلوه فى الفيَلة الوحشيّة . فأمَّا الخنزير والـكلبُ فإنهما لا يجهلان على النَّاس ؛ لمـكان الألفة .

---

(١) أى زمان الهيج .

(٢) ط ، هـ : « الحالات » .

(٣) الهجمة ، بالفتح : جماعة الإبل من الأربعين إلى المائة .

(٤) جراء : جمع جرو ، وهو ولدها . س : « جرى » ، مصغر جرو .

قال : وزعم بعضُ النَّاس أنَّ إناثَ الخيلِ تمتلئ ريحاً فى زمان هيْجها ، فلا يباعدون الذُّكورة عنها ، وإذا اعتراها ذلك ركضَتْ ركضاً شديدا ، ثمَّ لا تأخذ غرباً ولا شرقاً ، بل تأخذ فى الشَّمالِ والجنوب .

ويعرض مثل هذا العَرَضِ لإناث الخنازير . فإذا[1] كان زَمَنُ هَياج الخنازير ، تطأطئ رءوسها ، وتحرِّك أذنابهَا تحريكاً متتابعا ، وتتغيّر أصواتها إذا طَلبت السِّفاد . وإذا طلبت الخنزيرةُ السِّفادَ بالت بولاً متتابِعا .

(تناسل الخنازير)

قال : وإناث الخنازير تحمل أربعة أشهر . وأكثَرُ ما تحمل عشرون خِنَّوصا[2] . وإذا وضعت أجراءً كثيرةً لم تَقْوَ على رِضاعها وتربيتها .

قال : وإناث الخنازير تحمل مِنْ نزوةٍ واحدة ، وربما كان من أكثر . وإذا طلبت الذَّكرَ لم تنزع حتى تطاوع وتسامحَ ، وترخىَ أذنابها . فإذا فعلت ذلك[3] تكتفى بنزْوةٍ واحدة .

ويُعلَفُ الذَّكرُ الشَّعيرَ فى أوان النَّزْو ، ويصلح للأُنثى . ١٩

(مدد الحمل للحيوان)

والخنزيرة تضع فى أربعةِ أشهر ، والشَّاة فى خمسة ، والمرأة والبقرة فى تسعة أشهر ، والحافر كله فى سنة .

---

(١) س : « وإذا » .

(٢) الخنوص ، كسنور : ولد الخنزير .

(٣) س : « فعند ذلك » .

(خصائص الخنزير)

قال : ومتى قلعت العينَ الواحدة من الخنزير هلك . وكثيرٌ من الخنازير تبقى خمسة عشر عاما . والخنزير ينزو إذا تمّ له ثمانية أشهر ، والأنثى تريد الذَّكر إذا تمَّت لها ستَّة أشهر . وفى بعض البلدان ينزو إذا تمّ له أربعة أشهر ، والخنزيرة إذا تمّت لها ستّة أشهر ، ولكنَّ أولادهما لا تجىء كما يريدون . وأجود النَّزْو أن يكون ذلك منه وهو ابن عشرة أشهر إلى ثلاث سنين . وإذا كانت الخنزيرة[1] بكرًا ولدت جِراءً ضعافا ، وكذلك [البكر] من كل شىء .

وقالَ اللهُ تَبارك وتعالى : ﴿ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَارَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا للهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ثمَّ ذكر [غيرَ[2]] الطيِّبات فقال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ ، وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ، ذٰلِكُمْ فِسْقٌ[3] ﴾ .

---

(١) ط : « الخنيزيرة » بالتصغير .

(٢) ليست بالأصل : وبها يصح الكلام .

(٣) الدم : أى الدم المسفوح ، وكان أهل الجاهلية يصبونه فى الأمعاء ويشوونها . وانظر ص ٩٦ . وما أهل به لغير الله : أى مارفع الصوت لغير الله به ، كقولهم : باسم اللات والعزى عند ذبحه . والموقوذة : المضروبة بنحو خشب ، أو حجر ، حتى تموت . والمتردية : التى تردت من علو أو فى بئر فماتت . والنطيحة : التى نطحتها غيرها فماتت . وما أكل السبع : أى ما أكل منه سباع الحيوان الصائد . والنصب : واحد الأنصاب ، وهى أحجار كانت منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويتقربون بذلك . والاستقسام بالأزلام : ماكانوا يفعلونه من التياسر بالأقداح على الجزور .

ثمّ قال : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنهُمُ الْقِرَدَةَ وَالخنازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغوتَ[1] أُولئِكَ شَرٌّ مَكَاناً وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ ، وقال : ﴿ يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تحرِّمُوا طَيِّبَاتِ ما أَحَلَّ اللهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْمعْتَدِين ﴾ .

(استطراد لغوى)

وقوله تعالى : ﴿ طيِّبَاتِ ﴾ تحتمل وجوهاً كثيرة ، يقولون : هذا ماءٌ طيِّب ، يريدون العُذوبة . وإذا قالوا للبُرِّ والشَّعيرِ والأرز طيِّب ، فإنما يريدون أنَّه وسَطٌ ، وأنّه فوقَ الدُّون . ويقولون : فمٌ طيِّب الرِّيح ، وكذلك البُرّ ، يريدون أنّه سليم من النَّتْن ، ليس أنَّ هناك ريحاً طيبة ولا ريحاً منتنة . ويقولون : حلالٌ طيِّب ، وهذا لا يحل [لك[2]] ، ولا يَطيب لك ، وقد طاب لك : أى حلَّ لك ، كقوله : ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاث وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) عطف على : « من لعنه الله » أى « ومن عبد الطاغوت » . وقرئ : « عابد الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » نعت كفطن ويقظ ، و « عبدة الطاغوت » ، و « عبد الطاغوت » جمع كخدم . والطاغوت منصوبة فى قراءة حفص ، مجرورة فى القراءات الأربع التى سردتها . والمراد به الكهنة ، أو من أطاعوه فى معصية الله .

(٢) الزيادة من هـ ، س .

(٣) س : « انكحوا » ، وهو وجه جائز فى الاستشهاد حيث يصح ترك الواو والفاء ونحوهما ، فى أول الاستشهاد ، وقد سبق مثله فى (٣ : ١٥) ، وسيأتى نظيره فى ٢٧٦ . وقد كتب إلى حضرة المحدث الكبير الأستاذ أحمد محمد شاكر ، أن الشافعى جرى على هذا النحو فى ثلاثة مواضع من « الرسالة » وهى : رقم ٦٤٣ قول الشافعى : « لقول الله : يحل لهم الطيبات » والتلاوة « ويحل » . ورقم ٩٧٤ قول الشافعى : « وقال : قاتلوا المشركين كافة » والتلاوة : « وقاتلوا » . ورقم ٩٧٥ قوله : « وقال : اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » والتلاوة : « فاقتلوا » .

قال طُوَيْسٌ المغنِّى لبعضٍ[1] ولد عثمانَ بنِ عفّان[2] : لقدْ شَهِدْتُ زِفاف أمِّك المبارَكةِ إلى أبيك الطيِّب . يريد الطَّهارَة . ولو قال : شهدت زِفاف أمِّك الطيِّبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسُنْ ذلك ؛ لأنَّ قولك طيِّب إنَّما يدلّ على قدر ما اتَّصلَ به من الكلام . وقد قال الشّاعِرُ[3] :

والطيِّبون مَعاقِدَ الأُزرِ[4]

وقد يخلو الرَّجلُ بالمرأة فيقول : وجدتها طيِّبة . يريد طَيِّبة الكَوْم[5] لذيذة نفس الوطء . وإذا قالوا : فلان طيِّب الخُلُق ، فإنما يريدون الظَّرْفَ والمِلْح[6] .

وقال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ حَتَّى إذا كُنْتُمْ فِى الْفُلْكِ وجرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طيِّبَةٍ ﴾ ، يريد ريحاً ليستْ بالضعيفة ولا القويّة .

---

(١) طويس هذا ، هو الذى يقال فيه : « أشأم من طويس » وذاك أنه — كما يقولون — ولد يوم قبض الرسول ، وفطم يوم وفاة أبى بكر ، وختن يوم مقتل عمر ، وزوج يوم مصرع عثمان ، وولد له ولد يوم قتل على . وهو أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل فى الإيقاع . وعمر حتى مات فى ولاية الوليد بن عبد الملك .

(٢) هو سعيد بن عثمان بن عفان ، وكان سأل طويساً : أينا أسن ، أنا أو أنت ياطويس ؟ فأجابه طويس بالجواب الآتى . انظر البيان (١ : ٢٦٣) . وأول الجواب فى البيان : « بأبى أنت وأمى ، لقد . . . » إلخ .

(٣) هو الخرنق بنت هفان ، من مرثية لها ترثى بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد الضبعى ، وابنها علقمة ، وأخويه حسان وشرحبيل ، ومن قتل معهم من قومهم . الخزانة (٢ : ٣٠٦ بولاق) .

(٤) صدر البيت :

* النازلين بكل معترك *

والأزر : جمع إزار ، وسكن الزاى للشعر . وهو ما ستر النصف الأسفل من الإنسان . والمعنى أنهم أعفاء . ط : « الأرز » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) الكوم ، بالفتح ، بمعنى الوطء .

(٦) الملح ، بالكسر ، بمعنى الملاحة .

ويقال : لا يحلُّ مال امرئٍ مسلمٍ إلَّا عن طِيبِ نفْسٍ منه . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئاً مَرِيئاً ﴾ وقال : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴾ ، وذلك إذْ[1] كانت طيِّبة الهواء والفواكهِ ، خصيبةً .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ ثمَّ قال : ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ .

وفى هذا دليلٌ على أنّ التأويلَ فى امرأةِ نوحٍ وامْرأة لوط ، عليهما السلام ، على غير ما ذهب إليه كثيرٌ من أصحاب التَّفسير : وذلك أنهم حينَ سمِعوا قوله عزّ وجلّ : ﴿ ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا ﴾ فدلَّ ذلك على أنَّه لم يَعْنِ الخيانةَ فى الفرْج .

وقد يقع اسمُ الخيانة على ضروب : أوّلها المالُ ، ثمَّ يشتقُّ من الخيانة فى المال الغشُّ فى النصيحةِ والمشاورةِ . وليس لأحدٍ أنْ يوجِّه الخبرَ إذا نزل فى أزواج النبى صلّى الله عليه وسلّم وحرَم الرُّسُل ، على أسمجِ الوجوه ، إذا كان للخبر مذهبٌ فى السَّلامة ، أو فى القُصُور على أدنى العيوب[2] . وقد علمْنا أنّ الخيانةَ لا تتخطَّى إلى الفرج حتّى[3] تبتدئَ بالمال . وقد

(١) فى الأصل : « إذا » .

(٢) القصور ، بمعنى الانتهاء . وفى الأصل : « المقصود » ، وليس لها وجه .

(٣) ط ، هـ : « قد » .

يستقيم أن يكونا من المنافقين فيكون ذلك منهما خيانة عظيمة . ولا تكون نساؤهم زوانيَ ، فيلزمهم أسماءٌ قبيحة . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدَ اللهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ﴾ وقال : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللهُ حَلَالًا طَيِّباً ﴾ وقال : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ وقال تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ﴾ وقال : ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ﴾ و : ﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾ وقال : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ فقوله : طيِّب ، يقع فى مواضعَ كثيرةٍ ، وقدْ فصَّلنا بعض ذلك[1] فى هذا الباب .

ثم رجع بنا القولُ إلى موضعنا من ذِكْر الخنزير

ثمَّ قال : ﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّماً عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَسْفُوحاً أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقاً
٢١ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ .
أَلَا تراه قد ذكر أصنافَ ما حرَّم ولم يذكرْها بأكثرَ من التَّحريم ، فلمّا ذكر الخنزير قال : ﴿ فإنَّهُ رِجْسٌ ﴾ ؟ ! فجعل الخنزير وإن كان غير ميتة أو ذكر الذّابح عليه اسم الله ، أنَّه رِجسٌ[2] . ولا نعلم لهذا الوجه إلّا الذى خصّهُ الله به من ذكر المسخ ، فأراد تعظيمَ شأنِ العِقاب ونزولِ الغضَب ، وكان ذلك القول ليس ممّا يضرّ الخنزير ، وفيه الزّجر عن محارمه ، والتّخويفُ

---

(١) ط ، هـ : « بعضها » .

(٢) ط : « رجسا » موضع : « أنه رجس » .

من مواضع عذابه . و [إن قِيلَ[١]] : ينبغى أن يكون مسخَ صورة القرد ، فهلَّا ذكره فى التحريم مع أصناف ما حرَّم ، ثمَّ خصَّهُ أيضاً أنَّه من بينها رجس ، وهو يريد مذهبه وصفته ؟ قلنا : إنّ العربَ لم تكن تأكلُ القرودَ ، ولا تلتمسُ صيدَها للأكل . وكلُّ مَن تنصَّرَ من ملوك الرُّومِ والحبشةِ والصِّين ، وكلُّ مَن تمجَّس من مَلكٍ أو سُوقة ، فإنَّهُم كانوا يرون لِلحْمِ الخنزير[٢] فضيلة ، وأنّ لحومَها ممَّا تقوم إليهِ النفوسُ ، وتنازِع إليه الشَّهوات . وكان فى طباع الناس من التكرُّه للحوم القِرَدةِ ، والتقذُّر[٣] منها ما يُغنى عن ذكرها . فذكر الخنزير إذْ كان بينهما هذا الفرق ، ولو ذكر ذلك وألحقَ القردَ بالخنزير لموضع التحريم ، لكان ذلك إنما كان على وجه التوكيد لما جعله الله تعالى فى طبائعهم من التكرُّه والتقذّر ، ولا[٤] غير ذلك .

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كلَّ ذِى ظفرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ[٥] ﴾ .

(١) زيادة يقتضيها الكلام . وجواب الاعتراض فى السطر الثالث .

(٢) ط ، ه : « لحم الخنزير » وصوابه فى س .

(٣) خير منه : « التقزز » .

(٤) س : « لا » بحذف الواو .

(٥) الذين هادوا : اليهود . والمراد بالظفر المخلب والحافر أيضاً . والمراد بالشحوم شحوم الثروب وشحوم الكلى . حملت ظهورهما : أى ما علق بظهورهما من الشحم . والحوايا : الأمعاء ، واحدها حاوية . والشحم الذى اختلط بالعظم هو شحم الألية . لاتصاله بالعصعص . ط بعد : « . . . عليهم شحومهما » : كلمة « الآية » . وجاءت معرودة فى س ، ه إلى « وإنا لصادقون » .

(وجوه التحريم)

وقد أنبأك[1] كما ترى عن التّحريم أنّهُ يكون مِنْ وجوه : فمنها مايكون كالكذب والظلم والغَشم[2] والغدْر ؛ وهذه أمورٌ لا تَحلُّ على وجهٍ من الوجوه. ومنها ما يحرم فى العقْل مِن ذبح الإنسانِ الطّفلَ . وجعَلَ فى العقول التبيُّنَ[3] بِأَنّ خالق الحيوانِ أو المالكَ له ، والقادرَ على تعويضه ، يقبح[4] ذلك فى السماع على ألسنة رسله .

وهذا مِمّا يحرم بعَينِهِ وبذاتِهِ ،لَأنهُ[5] حرِّم لعلة قد يجوز دفعها . والظلم نفسُههو الحرام ، ولم يحرَّم لعلة غير نفسهِ .

وباب آخر ، هو ما جاء من طريق التعبُّد ، وما يعرف بالجملة ، ويعرف بالتفسير .

ومنهُ ما يكون عقاباً ، ويكون مع أنهُ عِقابٌ امتحاناً واختباراً ، كنحو ما ذكر من قوله : ﴿ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ ﴾ وكنحو أصحاب البقرةِ الذين قيلَ لَهُمْ : اذْبَحُوا بَقَرَةً ، فإِنِّى أريد أن أضرِبَ بها القتيل ثم أحْيِيهما جميعا . ولو اعترضوا مِن جميع البقر بقرة فذبحوها ، كانوا غير مخالفين ؛ فلمّا ذهبوا مذهب التلكّؤ والتعلّل[6] ، ثم التعرُّض ، والتعنُّت[7] فى طريق التعنّت ، صار ذلك سبب تغليظ الفرض[8] .

---

(١) كذا على الصواب فى س ، ه . وفى ط : « أنبأناك » .

(٢) الغشم : الظلم .

(٣) فى الأصل : « التبيين » وانظر التنبيه ١ ص ٥١ .

(٤) س ، ه : « أن يقبح » وكلمة « أن » مقحمة .

(٥) فى الأصل : « وأنه » ، والوجه ما أثبت .

(٦) التلكؤ : الإبطاء والاعتلال . ط ، س : « التلكى » ه : « التلظى » صوابه ماأثبت . والتعلل : بمعنى التماس العلل . ط : «التعليل» ؛ صوابه ماأثبت من س ، ه .

(٧) كذا . ولعلها : « التعلل » .

(٨) وذلك أنهم سألوا موسى أسئلة ثلاثة ، فكلما سألوا سؤالا زاد عليهم التكليف =

وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ ٢٢
جَمِيعًا ﴾ ، وقال الله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾. ومثله : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا ﴾ ، يجوز أن يكونَ إنَّمَا يريدون صَرْف العذاب ، ويجوز أن يكون إنما يريدون تخفيف الفرائض . وقد يجوز أن يكونَ[1] على قول من قال : لا أستطيع النظرَ إلى فلانٍ ، على معنى الاستثقال[2] .

وبابٌ آخرُ من التّحريم ، وهو قوْله : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ[3] ﴾ .

(شعر فى الخنزير)

وقال مروان بن محمد[4] :

يَمْشِي رُوَيْدًا يُرِيدُ ختلكم[5] كَمشى خِنزيرةٍ إلى عَذِرَهْ[6]

= انظر الآيات ٦٧ – ٧١ من سورة البقرة . ولو أنهم أطاعوا الأمر بادئ بدء لما عرض لهم هذا التشديد .

(١) فى الأصل : « يجوز إذا » وانظر ماسبق .

(٢) فى الأصل : « الاستقبال » .

(٣) إسرائيل هو يعقوب عليه السلام . وكان حرم على نفسه بعض الطعام ، كلحوم الإبل وألبانها .

(٤) هو أبو الشمقمق الذى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٢٥) .

(٥) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « خلعكم » ، وصوابه « حلقتكم » كما سبق فى (١ : ٢٣٩) .

(٦) ط : « غذرة » ، وتصحيحه من س ، هـ .

وقال آخر [١] :

نِعْمَ جَارُ الخنزيرةِ المرضِعُ الغَرْ ثَى إذا ما غـدا ، أبُو كلثوم [٢]
طاوياً قد أضاب عند صـديق مِنْ ثريد مُلَبَّـدٍ مَأدُوم [٣]
ثمّ أنْحَى بِجَعْرِهِ حاجبَ الشَّمْ س فَأَلْقى كالمِعْلَفِ المهْدُوم

(جرير والحضرمي)

وقال أبو الحسن [٤] : وفد جريرٌ على هشامٍ ، فقال الحضرمى : أيُّكُمْ يشتمهُ ؟ فقالوا : ما أحدٌ يقْدِمُ عليهِ ! قال : فأنا أشتمهُ ويرضَى وَيَضْحَكُ ! قال : فقام إليهِ فقال : أنت جرير ؟ قال : نعم . قال : فلا قرَّبَ اللهُ دارَكَ ولا حيَّا مَزَارك ! يا كَلْب ! فجعل جريرٌ ينتفخ ، ثمَّ قال لهُ : رَضيتَ فى شرفك وَفضْلك وَعَفافك أنْ تهاجِي القردَ العاجز [٥] ؟ ! يعنى الفرزدق . فضحك.

فحدَّث صديقٌ لى أبا الصَّلَع السِّندىَّ [٦] بهذا الحديث ، قال : فشِعرى أعجبُ من هذا ، لأنى شتمت البُخَلاءَ ، فشتمت نفسى بأشدَّ مِمّا شتمتهم . فقال : وَما هو ؟ قال قولى :

لا تَرَى بيتَ هجاءٍ أبداً يُسْمَعُ مِنِّى
الهِجَا أَرْفَعُ مِمّنْ قَدْرُهُ يصغرُ عنِّى [٧]

---

(١) هو الحكم بن عبدل ، كما سبق فى (١ : ٢٣٦) .
(٢) الغرثى ، بالغين : جمع غرثان ، وهو الجائع . هـ : « الفرثى » صوابه فى ط ، س والبيان (٣ : ٣١١) .
(٣) فى الجزء الأول : « من ثريد ملبق » . والمأدوم : المخلوط بالأدم بالضم ، وهو ما يخلط به الخبز .
(٤) هو أبو الحسن المدائنى الأخبارى الراوية .
(٥) ط : « الفاجر العاجز » وأثبت ما فى س ، هـ .
(٦) ذكره ابن النديم فى الشعراء المقلين ١٦٤ ليبسك ٢٣٣ مصر ، وذكره المرزبانى فى المعجم ٣١١ باسم « أبو الضلع » فى حرف الضاد المعجمة . هـ : « الهندى » .
(٧) س : « ينقص غنى » .

(طريفة)

قال أبو الحسن : كان واحدٌ يسخَر بالنَّاس ، ويدَّعى أنَّه يَرقِى من الضِّرس إذا ضربَ على صاحبه . فكان إذا أتاه مَن يشتكى ضِرسه قال له إذا رقاه : إيَّاك أنْ تذكر إذا صِرتَ إلى فِراشك القِردَ ؛ فإنَّك إنْ ذكرته بَطَلَتِ الرُّقية ! فكان — إذا أَوَى إلى فراشه — أَوَّلَ شيء يخطر على باله ذِكرُ القرد ، ويبيت على حاله من ذلك الوَجَع ، فيغدو إلى الذى رقَاه ٢٣
فيقول له : كيف كنت البارحة ؟ فيقول : بِتُّ وَجِعًا ! فيقول : لعلَّك ذكرْت القرد ! فيقول : نعم ! فيقول : مِنْ ثَمَّ لم تنتفع بالرُّقية !

(شعر لبعض ظرفاء الكوفيين)

وقال بعضُ ظُرَفاءِ الكوفيِّين :

فإنْ يشْرَبْ أبو فَرُّوخَ أشْرَبْ ۝ وإنْ كانت معتَّقَــةً عُقَارَا[1]
وإن يأكلْ أبو فــرُّوخَ آكُلْ ۝ وإن كانت خَنانِيصاً صِغـارَا[2]

---

(١) انظر للكلام على صرف «فروخ» اللسان (فرخ) حيث أنشد البيت الثانى برواية أخرى . والعقار ، بالضم : الخمر ؛ لمعاقرتها ، أى ملازمتها الدن ، أو لعقرها شاربها عن المشى .

(٢) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . والبيتان فى عيون الأخبار (٣ : ١٦) . والثانى منهما فى اللسان (فرخ) .

(قرد يزيد بن معاوية)

وقال يزيد بن معاوية[١] :

فَمَنْ مبلِغُ القِردِ الذى سَبَقتْ به   جيادَ أميرِ المؤمنين أتانُ
تَعَلَّقْ أبا قَيْس بها إنْ أطعتَنى   فليس عليها إن هلَكْتَ ضَمانُ[٢]

(جزع بشار من شعر حماد)

وزعم الجودانى أنَّ بشَّاراً الأعمى ، لم يجزَعْ من هجاءٍ قطُّ كجزَعِه مِن بيتِ حمَّادِ عَجْردٍ ، حيث يقول :

ويا أقبَحَ مِن قردٍ   إذا ما عَمِى القِرْدُ

---

(١) س : « أبو يزيد بن معاوية » ، وصوابه ما أثبت من ط ، هـ وأمالى الزجاجى ٤٦ والمخصص (١٣ : ١٧٧) . ونهاية الأرب (٩ : ٣٣٧) وفى مروج الذهب (٣ : ٧٧) أن القائل بعض شعراء الشام ، وكذا فى مباهج الفكر ١٢٢ . وللبيتين قصة طريفة فقد ذكروا أن يزيد بن معاوية كان له قرد يلعب به ، فلامه الناس على اتخاذه ، فأمر به فشد على أتان وحشية ، ثم أطلقت ، وأمر أن تطلبه الخيل ، فركض الخيل ، وتنادت الفرسان فى طلبه فنجا ولم يدرك . وأنشد يزيد البيتين الآتيين (برواية أخرى) :

تمسك أبا قيس على أرحبية   فليس علينا إن هلكت ضمان
فقلت من الشخص الذى سبقت به   جياد أمير المؤمنين أتان

قلت : ومعنى اللعب بالقرد هو السباق به . ويتضح ذلك من النص الآتى عن نهاية الأرب : « وفى القرد من قبول التأديب والتعليم مالاخفاء به عن أحد ؛ حتى إنه درب قرد ليزيد بن معاوية على ركوب الحمير والمسابقة عليها » .

(٢) أبو قيس : كنية القرد ، كما فى المخصص . بها : أى بالأتان .

(شعر فى الهجاء)

وقال بُشَير بن أبى جَذِيمة العَبسىّ(١) :

أتَخْطِرُ لِلْأَشْرافِ حِذْيَمُ كبرة   وهل يستعدُّ القِرْدُ للخَطَرَانِ(٢)

أبى قِصرُ الأذنابِ أن يَخطِرُوا بها   ولُؤْمُ قُرودٍ وَسْطَ كلِّ مكانِ

لقد سِمِنَتْ قِرْدانُكُم آلَ حِذْيَمٍ   وأحسابُكم فى الحىِّ غيرُ سِمانِ(٣)

الأصمعىُّ(٤) عن أبى الأشهب(٥) عن أبى السليل قال : ما أبالى أخنزيراً رأيتُ يَجُرُّ برجله(٦) ، أو مثل(٧) عبيد ينادى : يالَ فُلان !

---

(١) هو بشير ، بهيئة التصغير ، ابن أبى جذيمة بن الحكم بن مروان بن زنباع بن جذيمة العبسى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٦١ . وروى له أبو تمام الأبيات الآتية فى حماسته (٢ : ١٨٢) . وفى الأصل : « بشر بن المنذى » ، وهو تحريف غير صالح .

(٢) تخطر : من خطر البعير : ضرب بذنبه يمينا وشمالا . والكبرة ، بالكسر : العظمة ، أو التجبر . يقول لقبيل حذيم : أتحدثون أنفسكم بمباراة الأشراف ؟ ! وجعلهم قرودا لخستهم . والقرد لاذنب له يخطر به . ورواية الحماسة : « أتخطر للأشراف يا قرد حذيم » .

(٣) سئل أبو الندى عن معنى هذا البيت فقال : كنى بالقردان هنا عن القمل . أى سمنت أجسامكم وعظمت ، ودقت أحسابكم ولؤمت . وأصل القردان ، بالكسر : جمع قراد بالضم ، وهو دويبة تلزم الإبل ومعاطنها . ورواه أبو تمام : « قعدانكم » جمع قعود ، وهو الذكر الشاب من الإبل . جعل قعدانهم سمينة لأنهم يؤثرونها باللبن على الضيف والجار ، فأحسابهم غير سمان . وقد رد أبو محمد الأعرابى رواية أبى تمام . التبريزى (٤ : ٩) .

(٤) ط : « وقال الأصمعى » ، صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٥) س : « ابن الأشهب » .

(٦) س : « برجليه » .

(٧) س : « قتيل » .

(استطراد لغوى)

الأصمعيُّ عن أبي ظبيان[١] قال : الخوز[٢] هم البُناة [٣] الذين بنوا الصَّرح[٤] واسمُهم مشتقٌّ من الخنزير . ذهب إلى اسمه بالفارسية [خوك[٥]] ، فجعلت العرب خُوك[٦] خُوزاً[٧] . إلى هذا ذهب .

(تناسل المِسخ)

و [قد] قال النَّاسُ فى المِسْخ بأقاويلَ مختلفة : فمنهم من زعم أنّ المِسْخ لا يتناسل ولا يبقى إلاَّ بقدر ما يكون موعظةً وعِبْرة ، فقطعوا على ذلك[٨] الشهادةَ . ومنهم مَن زعم أنَّه يبقَى ويتناسل ، حتى جعل الضَّبَّ والجرِّيَّ[٩] ، والأرانب ، والكلاب وغيرَ ذلك ، من أولادِ تلك الأمم التى مُسِخت فى هذه الصُّور . وكذلك قولُهم فى الحيَّات .

وقالوا فى الوزَغ : إن أباها[١٠] ، لمَّا صنع فى نَار إبراهيمَ وبيت المقْدِس ماصنع[١١] ، أَسَمَّه الله وأبرصَه ، فقيل : « سامّ أبرص » . فهذا الذى

---

(١) لم أعثر له على تعريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط : « الخزر » صوابه ما أثبت من ه ومن معجم البلدان . والخوز بالضم : أهل خوزستان .

(٣) البناة ، بالضم : جمع بان . وبدله فى المعجم : «الفعلة» . ط ، ه : « البنات » محرفة .

(٤) الصرح ، بالفتح : بناء عظيم قرب بابل ، يقال إنه قصر بختنصر . عن المعجم .

(٥) فى الأصل ، وهو هنا س : « هزر » وتصحيحه من معجمى استينجاس وريتشاردسن ، والمعارف لابن قتيبة ص ٢٧٠ . وانظر معجم البلدان (خوز) .

(٦) فى الأصل : « خزر » وصوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٧) فى الأصل : « خنزيرا » . والوجه ما كتبت .

(٨) ط ، ه : « تلك » . والشهادة معمول قطعوا .

(٩) الجرى : ضرب من السمك . زعم أصحاب الخرافة أنه كان أمة من الأمم مسخها الله انظر الحيوان (١ : ٢٩٧ س ٥) .

(١٠) س ، ه : «أباهم » . وقديستعمل ضمير العاقلين لغيرهم. وقد عقد الثعالبى فى سر العربية فصلا لذلك ، عنوانه : (فصل فى إجراء غير بنى آدم مجراهم فى الإخبار عنه) .

(١١) فى سنن ابن ماجه ، عن عائشة رضى الله عنها ، أنه كان فى بيتها رمح موضوع ، فقيل =

نرى[1] هو من ولده ؛ حتَّى صار فى قتله الأجرُ العظيم ، ليس على أنّ الذى يقتُله كالذى يقتل الأُسْدَ والذِّئاب ، إذا خافها على المسلمين .

وقالوا فى سهيل[2] ، وفى الزُّهَرة[3] ، وفى هارُوت وماروت[4] ، وفى قيرى وعيرى أبَوَىْ ذِى القرنين[5] ، وجُرْهم[6] ، ماقالوا .

= لها : ما تصنعين بهذا ؟ فقالت : أقتل به الوزغ فإن النبى صلى الله عليه وسلم أخبرنا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقى فى النار لم يكن فى الأرض دابة إلا أطفأت عنه ، غير الوزغ فإنه كان ينفخ عليه النار ، فأمر صلى الله عليه وسلم بقتله . وكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده . وكذا رووا أنه لما أحرق بيت المقدس كانت الأوزاغ تنفخه . الدميرى .

(١) س : « يرى » .

(٢) سهيل ، ذاك النجم . زعموا أنه كان عشاراً باليمن . الحيوان (١ : ٢٩٧) وتأويل مختلف الحديث ١٠ . ومما يشبه هذه الخرافة مازعموا أن ذئباً دخل الجنة لأنه أكل عشاراً .

(٣) الزهرة : ذاك الكوكب . زعموا أنها كانت بغيا عرجت إلى السماء باسم الله الأعظم فسخها الله شهابا . تأويل مختلف الحديث ١٠ .

(٤) زعم العوام ، متتبعين حكاية اليهود ، أنهما ملكان مثلا بشرين ، وركب فيهما الشهوة ، فتعرضا لامرأة يقال لها الزهرة ، فحملتهما على المعاصى والشرك ، ثم صعدت إلى السماء بما تعلمت منهما من السحر — انظر التنبيه السابق وتفسير البيضاوى — وقال الجاحظ فى شأنهما : « وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربه فى السماء ، أهبطه إلى الأرض فى صورة رجل وفى طبيعته ، كما صنع بهاروت وماروت ، حين كان من شأنهما وشأن الزهرة — وهى أناهيد — ما كان » . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٤) . والمذهب القرآنى فيهما أنهما ملكان أنزلا لتعليم السحر ، ابتلاء من الله للناس ، وتمييزاً بين السحر والمعجزة ، وكانا يقولان لمن يعلمانه : « إنما نحن فتنة فلا تكفر » ، أى نحن نعلم العلم لا للعمل ؛ فعلم السحر لا بأس به ، وأما العمل به فحظور ممنوع .

(٥) وكذا جاءا بالباء الموحدة فى فقه اللغة بدون اختلاف فى النسخ ، وثمار القلوب ٢٢٦ وكذا فى الجزء الأول من نسخة كوبريلى . راجع هذه الطبعة (١ : ١٨٨) وفى رسائل الجاحظ ٩٧ ساسى : « قيرى وعيرى » بالمثناة التحتية . وفى ط : « فزى وعبرى » و هـ : « فزى وعزى » و س (فرى — مهملة — وعبرى) أما أولها فزعموا أنها أم ذى القرنين ، وأنها كانت آدمية ، وأما الآخر فهو أبو ذى القرنين ، وكان من الملائكة فيما زعموا . انظر الحيوان (١ : ١٨٨) وثمار القلوب . جاء فى الأصل بعده : « وفى أبوى » . وكلمة : « فى » مقحمة كما ظهر لك . وجاء فى ط ، هـ : « ذوى القرنين » تحريف صوابه فى س .

(٦) جرهم هذا هو ابن يقطن بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ، فيما يرى نساب =

(القول فى المَسْخ)

٢٤ فأمّا القول فى نفس المَسْخ فإنّ النّاس اختلفوا فى ذلك : فأمّا الدُّهريّة فهم فى ذلك صِنفان : فنهم مَن جَحَد المسْخَ وأقرَّ بالخسْف (١) والرِّيح والطُّوفان ، وجعل الخسْف كالزَّلازل ، وزعم أنّه يقِرُّ منَ القذْف بما كان من البرَد الكِبَار (٢) ؛ فأمّا الحجارة فإنّها لا تجىء من جهة السَّماء . وقال : لستُ أجوِّز إلّا ما اجتمعت عليهِ الأمّة أنّه قد يحدث فى العالم . فأنكَر المسْخَ البتّة .

(أثر البيئة)

وقال الصِّنف الآخَر : لا ننكر أنْ يفسُدَ الهواءُ فى ناحيةٍ من النواحى فيفسدَ ماؤهم (٣) وتفسُدَ تُربتهم ، فيعملَ ذلك فى طباعهم (٤) على الأيّام ،

= العرب . قالوا : ولما ترك إبراهيم ولده إسماعيل وأمه بمكة ، جاءت رفقة من جرهم فنزلوا شعاب مكة ، فنشأ إسماعيل مع أولادهم وتعلم الرمى ونطق بلسانهم ثم خطب إليهم فزوجوه امرأة منهم ، قال ابن إسحاق : هى بنت مضاض بن عمرو الجرهمى . والزعم الذى أشار إليه الجاحظ هو قولهم : إن بعض الملائكة عصى الله فأهبط إلى الأرض فى صورة رجل تزوج أم جرهم فولدت له جرهما . انظر الحيوان (١ : ١٨٧ س ٧) . والعرب يسمون ما تولد بين الملك والآدمى — فى زعمهم — « العلبان » بالعين . فقه اللغة ٨٢ الحلبى .

(١) يقال خسف الله به الأرض : جعلها تسوخ به . قال تعالى فى شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٢) أى أنه يجوز عنده أن تقذف السماء على الناس برداً كبارا . فأما سقوط الحجارة من السماء للتعذيب فهو ينكره . والانتقام بمطر الحجارة جاء فى القرآن الكريم على أنه عقاب لقوم لوط : « فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » . هود ٨٢ . « فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل » . الحجر ٧٤ . « لنرسل عليهم حجارة من طين » . الذاريات ٣٣ . فى الأصل : « أنه يقرب من القذف » ، وصوابه ما أثبت .

(٣) ط ، هـ : « ماثهم » ، صوابه فى س .

(٤) س : « طبائعهم » .

كما عمل ذلك فى طباع الزّنج ، وطباع الصَّقالبة[١] ، وطباع بِلادِ يأجوج ومأجوج[٢] . وقد رأينا العَرب وكانوا أعراباً حينَ نزلوا خراسانَ ، كيف انسلخوا من جميع تلك المعانى ، وترى طباعَ بلاد الترك كيفَ تطبَعُ الإبلَ والدَّوابَّ وجميعَ ماشيتهم : من سبُعٍ وبهيمةٍ ، على طبائعهم . وترَى جرادَ البقولِ والرَّياحِين ودِيدانها خُضْراً ، وتراها[٣] فى غير الخُضرة على غير ذلك . وترى القمْلة فى رأس الشابِّ الأسودِ الشَّعر سوداء ، وتراها فى رأس الشَّيخ الأبيضِ الشَّعر بيضاء ، وتراها فى رأس الأشْمط شمطاء ، وفى لون الجملِ الأورق[٤] . فإذا كانت فى رأس الخَضِيب بالحمرةِ تراها حمراء . فإنْ نَصَلَ خضابه صار فيها شُكْلةٌ من بين بيضٍ وحُمْر[٥] .

وقد نرى حَرَّة بنى سُليم[٦] ، وما اشتملت عليه من إنسانٍ وسبع ، وبهيمةٍ وطائر ، وحشرة فتراها كلَّها سوداء .

---

(١) الصقالبة : جنس يسكن بين بلاد بلغار وقسطنطينية . معجم البلدان . وقد بين خصائصهم المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٢ .

(٢) جنس من الآسيويين ، بنى من أجلهم سد الصين الذى بناه الإسكندر ، وبين المسعودى طباعهم بأنهم فى عداد البهائم .

(٣) ط ، هـ : « أو تراها » س : « وتراها » .

(٤) الشمط محركة : بياض الرأس يخالط سواده ، ويستعمل أيضاً فى غير الرأس . وكلمة « شمطاء » والواو بعدها ليستا فى س ، هـ . وفى التنبيه والإشراف ص ٢٧ حيث تجد مثل هذا الكلام : « شهباء » . والشهبة نحو الشمط . والأورق من الإبل : ما فى لونه بياض إلى سواد . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٢١٩ - ٢٢٠) .

(٥) الشكلة ، بالضم : اختلاط البياض بالحمرة . وفى الأصل : « شكله » محرف .

(٦) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرة كأنها أحرقت بالنار . وسليم ، هو بهيئة التصغير — ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان ، وهذه الحرة فى عالية نجد . وانظر الكلام بتفصيل فيما اشتملت عليه هذه الحرة ، فى رسائل الجاحظ ٧٨ ساسى وثمار القلوب ٩٦ .

وقد خبَّرَنا من لا يُحصَى من النَّاس أنّهم قد أدركوا رجالاً من نبَط بَيسان[١] ، ولهم أذنابٌ إلاّ تكنْ كأذناب التماسيح والأسد والبقر والخيل وإلّا كأذنابَ السّلاحف والجِرْذان ، فقد كان لهم عُجوبٌ[٢] طِوالٌ كالأذناب .

وربّما رأينا الملاّح النَّبَطِى فى بعض الجعفريّات[٣] على وجهِهِ شبهُ القِرْد . وربّما رأيْنا الرَّجلَ من المغرِب فلا نجد بينــهُ وبين المِسخ ، إلاّ القليل .

وقد يجوز أن يصادف ذلك الهواء الفاسدُ ، والماءُ الخبيث ، والتربةُ الرديَّةُ ، ناساً فى صفةِ هؤلاء المغربيِّين[٤] والأنباط ، ويكونون جُهّالاً ، فلا[٥] يرتحلون ؛ ضَنانَةً[٦] بمساكنهم وأوطانهم ، ولا ينتقلون . فإذا طال ذلك عليهم زادَ فى تلك الشعور ، وفى تلك الأذناب ، وفى تلك الألوان الشُّقْر ، وفى تلك الصُّوَر المناسبةِ للقرود .

قالوا : ولم نعرفْ ، ولم يثبُتْ عندنا بالخبر الذى لا يعارَض ، أنّ الموضع الذى قلب صُوَر قوم إلى صور الخنازير ، هو الموضع الذى نقل صُوَر قَوْمٍ إلَى صُوَرِ القرود . وقد يجوز أن تكون هذه الصُّورُ انقلبت فى مهبِّ الريح الشمالى ، والأخرى

---

(١) بيسان : هذه قرية من قرى الموصل . وانظر الخبر فى معجم ما استعجم ١٢٨٣ فى رسم (ميسان) بالميم .

(٢) العجوب : جمع عجب ، بالفتح ، وهو أصل الذنب .

(٣) كذا . والمعروف « الجعفر » وهو النهر الصغير ، أو الكبير ، أو الملآن ، أو فوق الجدول .

(٤) ط ، ھ : « المشوهين » . وأثبت ما فى س .

(٥) س : « ولا » .

(٦) الضنانة بالفتح : مصدر ضن يضن ، بالفتح والكسر : بخل .

فى مهبِّ الجنوب[١] . ويجوز أن يكون ذلك كان فى دهرٍ واحد ؛ ويجوز أن يكون بينهما دهرٌ ودهور . ٢٥

قالوا : فلسْنا ننكر المِسْخ إن كان على هذا الترتيب ؛ لأنَّه إن كان على مجرى الطَّبائع ، وماتدور به الأدوار ، فليس ذلك بناقضٍ لقولِنا ، ولا مثْبتٍ لقولكُمْ .

قال أبو إسحاق[٢] : الذى قلتم ليسَ بمُحالٍ ، ولا يُنْكَر أن يحدُثَ فى العالَم برهاناتٌ ، وذلك المِسخ كان على مجرى ما أُعطُوا من سائر الأعاجيب ، والدَّلائل والآيات . ونحن إنَّما عرفنا ذلك من قِبَلهم . ولولا ذلك لكان الذى قلتمْ غيرَ ممتنِع . ولو كان ذلك المِسْخُ فى هذا الموضع على ما ذكرتم ، ثمَّ خبر بذلك نبىٌّ ، أو دَعا بِهِ نبىٌّ ، لَكان ذلك أعظَمَ الحُجَّة .

فأما أبو بكر الأصمّ[٣] ، وهشام بن الحكم[٤] ، فإنَّهُما [كانا[٥]] يقولان بالقلْب ، ويقولان : إنَّه إذا جاز أنْ يقلب اللهُ خَرْدلةً من غير أن يزيد فيها جسماً وطولا[٦] [أو عرضا[٧]] جاز أن يقلب ابنَ آدمَ قِرداً من غير أن ينقص من جسمه طولا أو عرضاً[٨] .

---

(١) انظر لتوضيح هذا الكلام ما سبق فى (٣ : ١٧٢ — ١٧٣) . وانظر أيضاً الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٩) .

(٢) هو النظام .

(٣) اسمه عبد الرحمن بن كيسان ، كان من أئمة المعتزلة ؛ ذكره عبد الجبار الهمدانى فى طبقات المعتزلة وقال : كان من أفصح الناس وأورعهم وأفقههم ، وله تفسير عجيب . قال ابن حجر : وهو من طبقة أبى الهذيل العلاف وأقدم منه . لسان الميزان (٣ : ٤٢٧) .

(٤) سبقت ترجمته فى (٣ : ١١) .

(٥) ﻫ : « فكانا » .

(٦) س : « طولا » بحذف الواو .

(٧) الزيادة من س ، ﻫ .

(٨) كذا فى ط . وفى س : « منه طولا جسما أو عرضا » ﻫ : « من جسم طولا أو عرضاً » .

وأمَّا أبو إسحاق فقد كان — لولا ماصَحَّ عنده من قول الأنبياء وإجماع المسلمين على أنّه[1] قد كان ، وأنّه قد كان حُجَّةً وبرهاناً فى وقته — لكان لا ينكر مذهبهم فى هذا الموضع .

وقوله هذا قولُ جميعِ من قال بالطَّبائع ولم يذهَبْ مذهب جهمٍ[2] ، وحفص الفَرْدِ[3] .

وقال ابن العنسىّ[4] يذكر القرد :

فهلاَّ غَدَاةَ الرَّمْلِ يَا قِرْدَ حِذْيمٍ   تُؤامِرُهَا فى نَفْسها تَسْتَشِيرُها

(القول فى تحريم الخنزير)

قال : وسأل سائلون[5] فى تحريم الخنزير عن مسألةٍ ؛ فمنهم من أراد الطَّعن ، ومنهم من أراد الاستفهام ، ومنهم مَنْ أحبَّ أن يعرف ذلك من جهة الفُتيا ؛ إذ[6] كان قولُه خلافَ قولنا .

قالوا : إنَّمَا قال الله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ المَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الخِنْزِيرِ ﴾ فذكر اللَّحمَ دونَ الشَّحم ، ودونَ الرَّأس ، ودونَ المخِّ ، ودونَ العصَب ،

---

(١) أى القلب والمسخ .

(٢) هو جهم بن صفوان السمرقندى ، رأس الجهمية . وكان يتولى القضاء فى عسكر الحارث بن شريح ، الخارج على أمراء خراسان : فقبض عليه نصر بن سيار فقتله .

(٣) الفرد ، بفتح الفاء ، لقب له . وفى الأصل : « القردى » ، وفى لسان الميزان ٢ : ٣٣٠ وكذا الفرق بين الفرق ٢٠٢ : « القرد » وصوابه ما أثبت من القاموس وفهرست ابن النديم فى غير ماموضع . قال ابن النديم : « من المجبرة ومن أكابرهم . . . وكان من أهل مصر ثم قدم البصرة ، فسمع بأبى الهذيل واجتمع معه فناظره ، فقطعه أبو الهذيل » .

(٤) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ابن العيسى » بالياء بعد العين .

(٥) فى الأصل : « سائل » والوجه الجمع ، كما يطلب التفريع الآتى .

(٦) فى الأصل : « إذا » .

ودون سائرِ أجزائه ؛ ولم يذكره كما ذكر المَيْتة بأسرها ، وكذلك[١] الدَّم ؛ لأنَّ القول وقع على جملتهما ، فاشتمل على جميع خصالها بلفظٍ واحد ، وهو العموم . وليس ذلك فى الخنزير ؛ لأنّه ذكر اللّحم من بين جميع أجزائه وليس بين ذِكْر اللَّحْم والعظْم فرق ، ولا بينَ اللَّحْمِ والشَّحم فرق . وقد كان ينبغى فى قياسكمْ هذا لو قال : حرِّمت عليكمُ الميتَة والدَّم وشَحْم الخنزير ، أن تحرِّموا الشحم ، وإنَّما ذكر[٢] اللّحم ، فلِمَ حرّمتم الشحم ؛ وما بالُكمْ تحرِّمونَ الشّحم عند ذكْر غيرِ الشّحم ! فهلاّ حرَّمتم اللّحم بالكتاب ، وحرّمتم ما سِواه بالخبر الذى لا يُدْفَع ! ؟ فإن بقيَتْ خصلة أو خَصلتانِ ممَّا لم تُصيبوا ذِكْره فى كتابٍ منزَّل ، وفى أثرٍ لا يدفع ، ٢٦
رددتموه إلى جهة العقل .

قلنا : إنّ للنّاس عاداتٍ ، وكلاماً[٣] يعرِّف كلَّ شىءٍ بموضعه ، وإنما ذلك على قدر استعمالهم له وانتفاعهم به .

وقد يقول الرجل لوكيله : اشتر لى بهذا الدِّينارِ لحماً ، أو بهذه الدراهم ، فيأتيه باللّحم فيهِ الشّحم والعظْم ، والعِرق والعصب والغَضروف ، والفؤاد والطِّحال ، والرِّئة ، وببعض أسقاط الشّاة وحشو البطن . والرأس لحمٌ ، والسَّمك أيضاً لحم . وقال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَأْكُلوا مِنْهُ لَحْماً طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها ﴾ . فإنْ كانَ الرَّسول ذهب إلى المستعمَل من ذلك ، وترَكَ بَعضَ مايقع عليهِ اسمُ لحم فقد أخذنا عليه صاحبه. فإذا قال حرمت عليكم لحما فكأنه قال : لحم الشّاة والبقرة

(١) فى الأصل : « فكذلك » .
(٢) س : « حرم » .
(٣) ط : « وكل ما » هو : « وكلاما ما » ، وأثبت الصواب من س .

والجزور . ولو أنّ رجُلاً قال : أكلت لحما — وإنما أكل رأساً أوكبداً أو سمكاً — لم يكنْ كاذباً . وللنّاس أن يضعُوا كلامَهم حيثُ أحَبُّوا ، إذا كان لهم مجازٌ ؛ إلاّ في المعامَلات .

فإنْ قُلت : فما تقول فى الجِلد ؟ فَلَيس للخنزير جلد ، كما أنّه ليس للإنسان جلدٌ إلاّ بقطع ما ظهر لك منه بمـا تحتَه ، وإنّما الجلْد ما يُسْلَخُ ويُدْحَس[1] فيتبرأ ممَّا كان بِه مُلتزقا[2] ولم يكن مُلتحما ، كفرق ما بين جلد الحَوْصَلة والعِرْقِين[3] .

فإنْ سألتَ عن الشَّعر ، وعن جلد المُنخَنِقة والمَوقُوذةِ والمتردِّيَة والنَّطِيحة وما أكل السَّبُع[4] ، فإنِّى أزعم أنّ جلدهُ لاَ يُدْبَغ وَلاَ يَنْتَفِـعُ بِه إلاّ الأساكفة ، والقول فى ذلك أنّه كلَّهُ محرّم . وإنما ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ ﴾ ، وكقَوْله عزّ وجلّ : ﴿ وَلاَ تَقُولَنَّ لِشَىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذٰلِكَ غَدًا إلاّ أَنْ يَشَاءَ اللهُ ﴾ .

والعربُ تقُول للرَّجُل الصانع نجَّاراً ، وإن كان لاَيعمل بالمِثْقَبِ والمنشار ونحوه ولاَ يضرب بالمضلع ونحو ذلك . وتسمِّيه خبَّازا إذا كان يطبخ ويعجن . وتسمِّى العِيرَ لطيمة[5] ، وإن لم يكن فيها ما يحمل العِطْر إلاّ واحد . وتقول : هذه ظُعُنُ فلاَنٍ ؛ للهوادج إذا كانت فيها امرأةٌ واحدة . ويقال : هؤلاء بنو فلان ؛ وإن كانت نساؤهم أكثرَ من الرجال .

---

(١) دحس الرجل الشاة : أدخل يده بين جلدها وصفاقها للسلخ .

(٢) ه : « ملتصقا » ، وهما سيان .

(٣) ه : « والمرفين » ، محرف .

(٤) سبق تفسير هذه الكلمات فى ص ٥٦ .

(٥) العير ، بالكسر : القافلة . أو الإبل تحمل الميرة ، لا واحد لها من لفظها . واللطيمة : العير تحمل المسك والعطر .

فلما كان اللحم هو العمود الذى إليه يُقْصَد ، وصار فى أعظم الأجزاء قَدْرًا ، دَخَل سائرُ تلك الأجزاءِ فى اسمهِ . ولو كان الشّحمُ معتزلاً من اللّحم ومفْرَدًا فى جميع الشِّحام ، كشحوم الـكلى(١) والثُّروب ، لم يجزْ ذلك . وإذا تـكلمتَ على المفردات لم يكن المخُّ لحما ، ولا الدِّماغ ، ولا العظم ، ولا الشّحم ، ولا الغضروف ، ولا الـكروش ، ولا مَا أشبه ذلك . فلما قال : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ ﴾ ، وكانت هذه الأشياء المشبَّهة باللَّحم تدخـل فى باب العموم فى اسم اللحم ، كان القَوْلُ واقعا ٢٧
على الجميع .

وقال الشاعر :

مَنْ يَأْتِنا صُبحاً يُرِيدُ غَدَاءَنا فالهَامُ مُنْضَجَةٌ لَدَى الشَّحّامِ (٢)
لحمٌ نَضِيجٌ لَا يُعَنِّى طابخا يُؤْتَى به مِنْ قبْلِ كلِّ طعامِ (٣)

(مسألة الهدهد)

وإذْ قد ذكرْنا بَعض الـكلامِ ، والمسائلَ فى بعْض الـكلام ، فسنذكر شأْنَ الهدهُد والمسأَلة فى ذلك. قال الله عزَ وجلَّ : ﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذاباً شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٤) ﴾ ، ثم قال : ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ يعنى الهدهُد . فقال لسليمان المتوعد له بالذَّبح عقوبة له ــ والعقوبة لا تكون

(١) فى الأصل : « الكلا » وصواب كتابتها بالياء ، وهى جمع كلية ، بالضم .

(٢) الغداء ، بفتح الغين بعدها دال مهملة : طعام الغدوة ، بالضم ، وهى أول النهار . والهام : الرءوس ، واحدها هامة . والشحام : مطعم الشحم .

(٣) لا يعنى ، بالنون ، من العناء . وفى ﻫ ، س : « لا يعيى » بالياء .

(٤) فى الأصل : « أولا يأتينى » .

إلاّ على المعصية لبشريٍّ آدميّ لم تكن عقوبته الذَّبح ، فدلّ ذلك على أنّ المعصية إنما كانت له ، ولا تكون المعصيةُ لله إلاّ ممّن يعرف الله ، أو ممّن كان يمكنه أن يعرفَ الله تعالى فترَكَ ما يجبُ عليه من المعرفة — وفى قولِه لسليمان : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ . إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ . ثمّ قال بعد أنْ عرفَ فصْل[1] ما بين الملوك والسُّوقة ، وما بين النِّساء والرجال ، وعرف عِظَم[2] عرشِها ، وكثرةَ ما أوتيت[3] فى ملكها ، قال : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ ، فعَرَف[4] السُّجود للشمس وأنكرَ المعاصى . ثمّ قال : ﴿ أَلاَّ يَسْجُدُوا لِلهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ[5] ﴾ ، ويتعجَّب من سجودهم لغير الله . ثمّ علمَ أنّ الله يعلم غيبَ السَّموات والأرض ، ويعلم السِّرَّ والعلانية . ثمّ قال : ﴿ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ ، وهذا يدلُّ على أنّهُ أعلمُ مِن ناسٍ كثيرٍ من المميِّزين المستدلِّين الناظرين .

قال سليمان : ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ثمّ قال : ﴿ اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ . قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ . إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ

---

(١) فى الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة ، وإنما هو بالصاد المهملة ، بمعنى الفرق .

(٢) فى ط : « عظيم » . والوجه ما أثبت من هـ ، س .

(٣) س : « أعطيت » .

(٤) أى الهدهد .

(٥) قرأ حفص وعلى والكسائى بالتاء الفوقية على الخطاب ، والباقون بالتحتية على الغيبة غيث النفع ٢٤٥ وابن القاصح ٣٠١ .

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ . أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِي[١] بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ وذلك أنّها قالت : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذٰلِكَ يَفْعَلُونَ . وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴾ ، [ثمّ[٢]] قال سليمان للهدهد : ﴿ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [و] قال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ ٢٨
أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ . قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هٰذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ . فطعن في جميع ذلك طاعنون ، فقال بعضهم : قد ثبتَ أنّ الهدهد يحتمل العقاب والعتاب ، والتّكليف والثّواب ، والوَلاية[٣] ، ودخولَ الجنّة بالطّاعة ، ودخولَ النّار بالمعصية ؛ لأنّ المعرفةَ تُوجب الأمرَ والنهيَ ، والأمرَ والنهيَ يوجبان الطاعةَ والمعصية ، والطاعةَ والمعصيةَ يوجبان الوَلاية والعَداوة ، فينبغي للهداهد أنْ يكون فيها العدوُّ والوليُّ ، والكافر والمسلم ، والزّنديق والدّهريّ[٤] . وإذا

---

(١) قرأ نافع والبصرى بإثبات ياء بعد النون الثانية وصلا لا وقفا ، والمكى وحمزة بإثباتها وصلا ووقفا ؛ إلا أن حمزة يدغم النون الأولى فى الثانية . والباقون بحذفها وصلا ووقفا . غيث النفع ٢٤٥ .

(٢) الزيادة من س ، ه .

(٣) الولاية ، بالفتح وتكسر : مقابل العداوة .

(٤) الدهرى ، بفتح الدال : الذى يقول بقدم الدهر ، ولا يؤمن بالبعث . وهناك الدهرى =

كان حُكمُ الجنس حُكما واحداً لزم[1] الجميعَ ذلك . وإن كان الهدهدُ لا يبلغ عندَ جميع الناس فى المعرفة مبلغَ الذرّة ، والنملة ، والقملة ، والفيل ، والقرد ، والخنزير ، والحمام — وجميع هذه الأمم ، تُقدِّمُها عليه فى المعرفة — فينبغى أن تكونَ هذه الأصنافُ المتقدِّمَة عليه ، فى عقول هذه الأمّة والأنبياء.

وقد رأينا العلماء يتعجَّبون من خرافات العَرَب والأعراب فى الجاهليّة ومن قولهم فى الدِّيك والغراب[2] ، ويتعجَّبون من الرِّواية فى طوق الحمام؛ فإنّ الحمام كان رائدَ نوح على نبينا وعليه السلام[3] .

وهذا القول الذى تؤمنون به فى الهدهد ، من هذا النوع[4] .

قلنا : إنّ الله تعالى لم يقل : وتَفَقَّدَ الطّير فقال ما لى لا أرى هدهدًا من عُرْض الهداهد[5] ، فلم يوقع قولَه على الهداهد جُملة ، ولا على واحدٍ منها غير مقصودٍ إليه ، ولم يذهب إلى الجنس عامَّة ، ولكِنَّهُ قالَ: ﴿وتَفقّدَ الطّيْرَ فَقَالَ مَالِىَ لَا أَرَى الهُدْهُدَ﴾ فأدخلَ فى الاسم الألفَ واللام ، فجعله معرفة فدلَّ بذلك القصدعلى أنَّه ذلك الهدهدُ بعينه . وكذلك غرابُ[6] نوح ،[وكذلك] حمارُ عُزَير ، وكذلك ذِئب أُهبانَ بنِ أوس[7] ؛ فقد كان لِلهِ فيه وفيها تدبيرٌ ، وليجعَل ذلك آيةً لأنبيائه ، وبرهاناً لرسله .

= بضم الدال ، وهو الرجل المسن منسوب إلى الدهر أيضاً ، فخالفوا بينهما ، رفعا للالتباس . شرح الشافية ٨٩ . وفى القاموس : « الدهرى ويضم : القائل ببقاء الدهر » .

(١) ط : « ألزم » .
(٢) انظر ص ٣١٨ من الجزء الثانى ، و ص ٤١٠ من الجزء الثالث .
(٣) انظر ص ٣٢١ من الجزء الثانى .
(٤) س : « الشكل » .
(٥) من عرض الطير : بضم العين ، أى من عامة الطير .
(٦) ط ، هـ : « وكان كغراب نوح » . وانظر لغراب نوح ص ٣٢١ من الجزء الثانى .
(٧) انظر ما أسلفت من الكلام فى (٣ : ٥١٣) .

ولا يستطيع أعقلُ الناس أن يعملَ عمل أجرإ النَّاس ، كما لا يستطيع أجرأُ النَّاس أن يعملَ أعمالَ أعقلِ الناس . فبأَعمال المجانين والعُقلاءِ عرَفنا مقدارهما من صحّة أذهانهما وفسادها[1] ، وباختلاف أعمالِ الأطفالِ والكهول عرفْنا مقدارَهما فى الضعْف[2] والقوّة ، وفى الجهل والمعرفة . وبمثل ذلك فَصَلْنا[3] بين الجماد والحيوان ، والعَالِمِ وأعلمَ منه ، والجاهلِ وأجْهلَ منهُ[4] .

٢٩ ولو كان عند السِّباعِ والبهائمِ ما عند الحكماء والأدباء ، والوزَراء والخلَفاء والأمَمِ[5] والأنبياء ، لأثمرت تلك العقول ، باضطرار ، إثمارَ تلك العقول . وهذا بابٌ لايخطئُ فيهِ إلاَّ المـانِيَّةُ[6] وأصحابُ الجهالات فقط . فأَمَّا عوامٌّ

---

(١) فى الأصل : « وفسادهما » . والضمير عائد إلى الأذهان . وفى س : « عرفنا ماغاب من صحة أذهانهم » .

(٢) ط ، ﻫ : « فى الضعيف » ووجهه ما أثبت من س .

(٣) فصلنا ، بالصاد المهملة ، بمعنى ميزنا . وفى الأصل : « فضلنا » بالضاد المعجمة ، محرف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٥) الأمم : جمع أمة بالضم ، والأمة : الإمام ، ومنه قول الله : «إن إبراهيم كان أمة » فى تفسير أبى عبيدة . س : «والأمة» ، وهذه محرفة عن « الأئمة » .

(٦) المـانية : أتباع مانى ، متنبىء زعم أنه الفارقليط الذى بشر به عيسى عليه السلام واستخرج مذهبه من المجوسية والنصرانية ، وكان يقول : إن مبدأ العالم من كونين أحدهما نور والآخر ظلمة ، وأنهما فى صراع مستمر لا ينتهى إلا بانتهاء الدنيا . وفرض على أتباعه صلوات معينة وصوما رسمه لهم . وقتل مانى فى مملكة بهرام بن سابور ، وأتباعه يزعمون أنه ارتفع إلى جنان النور . وكان ملوك الفرس يطاردون أتباعه ، فلما انتشر أمر الفرس وقوى أمر العرب ، وجدوا لديهم سعة صدر ، فنزحوا إليهم فى أيام بنى أمية ؛ فإن خالد بن عبد الله القسرى كان يعنى بهم ، وكان يرمى بالزندقة . حتى كانت أيام المقتدر فانهم جلوا إلى خراسان . انظر ابن النديم ٤٥٦ — ٤٧٤ . وقد جعل ابن النديم النسبة إليه (منانى) وهى نسبة شاذة ، و (مانوى) وهى نسبة جائزة . ومثل الأولى فى الشذوذ : « حرنانى » نسبة إلى مدينة حران . و « عنانى » نسبة إلى عانى من اليهود . وانظر مفاتيح العلوم ٢٥ .

الأمم ، فضلا عن خواصهم ، فهم يعلمون مِن ذلك مثلَ مانعلم . وإنّما يُتفاضَل بالبيان والحِفظ ، وبنسق المحفوظ[١] . فأمَّا المعرفة فنحن فيها ســواء . ولم نعرف العقلَ وعدمه ونقصانه ، وإفادته ، وأقدارَ معارفِ الحيوان إلاَّ بِمَا يظهر منها[٢] . وبتلك الأدلَّة عرفنا فرقَ مابين الحىِّ والميت ، وبين الجماد والحيوان .

فإن قال الخصم : مانعرف كلامَ الذِّئب ، ولا معرفة الغُراب ، ولاعلم الهدهد . قلنا : نحن ناسٌ نؤمن بأَنَّ عيسى عليه السلام خُلِق من غير ذكرٍ وإنّما خُلِق من أُنثى ؛ وأنَّ آدَمَ وَحَوَّاءَ خُلقا من غير ذكرٍ وأنثى ، وأنَّ عيسى تكلَّم فى المهد ، وأنَّ يحيى بن زكريَّا نطق بالحكمةِ فى الصِّبا ، وأنَّ عقيماً أَلقَحَ ، وأنَّ عاقرًا ولدت[٣] ؛ وبأَشياءَ كثيرةٍ خرجت خارجيةً من نَسَقِ العادة[٤] . فالسَّبب الذى به عرَفنا أنَّه قد كان لذلك الهدهد مقدارٌ من المعرفة ، دونَ ماتوهَّمتم وفوق مامع الهدهد . ومتى سأَلتمونا عن الحجَّة فالسبيل واحدة . ونحن نقرُّ بأَنّ مَن دخــل الجنة من المجانين والأطفال يدخلون عقلاَءَ كاملين ، من غير تجارِبَ وتمرينٍ وترتيب . فسأَلتكُمْ عما أُلهم الهدهد ، هى المسألة عمَّا أُلهم الطفل فى الجنة .

---

(١) كذا فى هـ . وفى ط ، س : « المحفوظة » .

(٢) أى من المعرفة . وفى الأصل : « وأقدار معارف أسباب الحيوان وما يظهر منها » .

(٣) إشارة إلى زكرياء عليه السلام وزوجه ، فإنه كان كبيراً حين ولد له يحيى ، وكانت امرأته عاقراً : « قال رب أنى يكون لى غلام وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر» . وإلى إبراهيم عليه السلام وزوجه أيضاً : « قالت ياويلتى ءألد وأنا عجوز وهذا بعلى شيخا » .

(٤) كذا فى س . وفى ط : « وبأشياء كثيرة خارجة عن نسق العادة » و هـ : « وبأشياء كثيرة خارجة من . . » الخ .

فإن قال قائل : فإنْ [كانَ (١)] ذلك القولُ كلُّه ، الذى كان من الهدهد ، إنما كان على الإلهام والتّسْخير ، ولم يكن ذلك عن معرفةٍ منه ، فلم قال ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ ﴾ ؟ قلنا : فإنه قد يتوعَّد الرَّجُلُ ابنَه - وَهو بَعْدُ لم يَجرِ عَلَيهِ الأحكامُ - بالضَّرب الوجيعِ ، إن هو لم يأْتِ السُّوق أو يحفظ سورَةَ كَذَا وكَذَا ؛ فلا يعنِّفُهُ أحدٌ على ذلك الوعيد . ويكذبُ فيضربه على الكذب . ويضرب صبيًّا فيضربه لأَنه ضربه . وهو فى ذلك قد حَسُنَ خطّه ، وجاد حسابُه ، وشدَا من النَّحو [والعروض (٢)] والفرائض (٣) شدْوًا حسنا ، ونفع أهلَه ، وتَعلم أعمالاً ، وتكلَّم بكلام ، [و (٤)] أجاب فى الفتيا بكلامٍ فَوْقَ معانى الهدهد فى اللّطافة والغموض . وَهُوَ فى ذلك لم يكمل لاحتمال الفرض (٥) وَالْولاية وَالعَدَاوَة .

فإن قال : فهل يجوز لأحدٍ أن يقول لابنهِ : إنْ أنت لم تأتِ السُّوق ذبحتك ؛ وهُوَ جادٌّ ؟ قلنا : لا يجوز ذلك . وَإِنّما جاز ذلك فى الهدهد لأن سليمان — وَمَنْ هو دونَ سليمان من جميع العالم — له أن يذبح الهدهدَ والحمامَ والدِّيك ، والعَناق (٦) والجدْى . والذَّبحُ سبيلٌ من سُبُل مناياهم . فلو ذبحهُ سليمانَ لم يكن فى ذلك إلاَّ بقدر التَّقديم والتأخير ، وإلاَّ بقدْر صَرفٍ (٧) مابين أن يموت حتْفَ أنفِهِ ، أو يموتَ بالذَّبح . ولَعلَّ صَرْفَ مابينهما

---

(١) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى ط : « العرائض » ، صوابه فى س .

(٤) ليست بالأصل . وهى ضرورية .

(٥) ط : « الغرض » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) العناق ، كسحاب : الأنثى من ولد المعز .

(٧) الصرف : الزيادة . ط ، هـ : « ضرب » ، صوابه فى س .

لايكون إلاَّ بمقدار ألم عِشرين دِرَّة[١] . ولعلَّ نتْف جناحِه يَفِى بذلك الضرب . وإذا قلنا ذلك فقد أعطينا ذلك الهدهدَ بعينه حقٌّ ما دلَّت عليه الآية ، ولم نجزْ ذلك فى جميع الهداهد ، ولم نَكُنْ[٢] كَمَنْ ينكر قدرة الله على أن يُرَكِّبَ[٣] عصفورًا من العصافير ضربًا من التّراكيب يكون أدهى من قيس بن زهير[٤] . ولو كان الله تعالى قد فعل ذلك بالعصافير لظهرت كذلك دلائل .

على أنَّا لو تأوَّلنا الذَّبحَ على مثالِ تأويلِ قولنا فى ذبْح إبراهيم إسماعيلَ[٥] عليهما السلام — وَإنما كان ذلك ذبحاً فى المعنى لغيره[٦] — أو على معنى قول

---

(١) أى عشرين ضربة بالدرة . والدرة ، بالكسر : السوط ، ويغلب استعمالها فى سياط السلاطين . وكلمة « إلا » ساقطة من س .

(٢) فى الأصل : « ولم يجز ذلك فى جميع الهداهد ولم يكن » .

(٣) ط ، هـ : « تركب » ، ولا تصح إلا بتقديم « على » على كلمة : « قدرة » وصوابها من س .

(٤) الدهاء : جودة الرأى وكمال العقل . وقيس بن زهير هو سيد عبس ، وكان له ضلع كبيرة فى حرب داحس والغبراء ، وهو صاحب داحس . ذكروا من دهائه أنه مر ببلاد غطفان ، فرأى ثروة وعديدا ، فكره ذلك ، فقال له الربيع بن زياد العبسى : إنه يسوءك ما يسر الناس ! فقال : ياابن أخى ، إنك لاتدرى . إن مع الثروة والنعمة التحاسد والتباغض والتخاذل ، وإن مع القلة التعاضد والتوازر والتناصر . وكان يقول : « أربعة لايطاقون : عبد ملك ، ونذل شبع ، وأمة ورثت ، وقبيحة تزوجت ! » . انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٠) . ولحرب داحس والغبراء ، الأغانى (٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣) والعقد (٣ : ٣١٣) والكامل لابن الأثير (١ : ٣٤٣) والميدانى (١ : ٣٥٩ ، ٢ : ٥١) . هـ : « أدمى » وهو تحريف .

(٥) س : « إسحاق » . وقد اختلف المؤرخون المسلمون ، وكذلك أصحاب التفاسير فى الذبيح منهما ، والأعرف عندهم أنه « إسماعيل » بأدلة سردها البيضاوى فى تفسيره . انظر سورة الصافات ، وليس فى القرآن الكريم نص على أحد منهما . وفى سفر التكوين ، الأصحاح الثانى والعشرين ، ماينص صراحة على أن الذبيح إسحاق . وإلى هذا الرأى مال معظم الصحابة . انظر المعارف ١٧ وآكام المرجان ٢٠٩ وابن سلام ١٥٨ .

(٦) وهو الكبش ، فإن إسماعيل ، أو إسحاق ، لم يذبح ، وإنما هم أبوه بذبحه ، ووقع الذبح فعلا على الكبش . س : « ذبحا فى العين » ، صوابه فى ط ، هـ .

القائل : أمَّا أنا فقد ذبحتــه وضربت عنقَه ، ولـكن السيف خانني . أو على قولهم : المِسْك الذَّبيـح[1] ، أو على قولهم : فجئت وقدْ ذَبَحَنِي العطش — لـكان ذلك مجازًا .

ولو أنَّ صَبيًّا مِن صبياننا سُئل ، قبل أن يبلُغَ فرضَ البلوغ بساعة ، [وكان[2]] رأى مَلِـكة سبإٍ[3] فى جميـع حالاتها ، لـما كان بعيدًا ولا ممتنعا أن يقولَ : رأيتُ امرأةً مَلِكَةً ، ورأيتها تسجُد للشَّمس من دون الله ، ورأيتُها تُطِيـعُ الشَّيطانَ وتَعْصِى الرَّحمن . ولا سيما إنْ كانَ من صِبيان الخلَفاء والوُزراء ، أو مِنْ صبيان الأعراب .

والدَّليل على أنَّ ذلك الهدهدَ كان مسخَّرا وميَسَّرًا ، مُضِيُّه إلى اليمن ، ورجوعُه من ساعته .

ولم يكن من الطَّير القواطعِ فرجع إلى وكره . والدَّليل على ذلك أنَّ سليمان عليه السلام لم يقل : نعم قد رأيت كلَّ ما ذكرتَ ، وأنت لم تعلم حين مضَيت بطّالاً هاربا من العمل ، أتُـكْدِى أم تنجح ، أو ترى أُعجــوبةً أو لا تراها . ولـكنَّهُ توعَّدهُ على ظاهر الرَّأى ، ونافره القول ؛ ليُظهِرَ الآيةَ والأعجوبة .

(طعن الدهرية فى ملك سليمان)

ثمَّ طعَن فى مُلك سُليمانَ ومَلِـكةِ سبإ ، ناسٌ من الدُّهريَّة، وقالُوا[4] : زعمتم أنَّ سُليمان سأل ربَّه [فقال] : ﴿رَبِّ هَبْ لِى مُلْـكًا لاَيَنْبَغِى لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى﴾

(١) أى الذى شقت فأرته . وفأرة المسك : نافجته ، أى وعاؤه .
(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الـكلام .
(٣) ليست فى س . وبدلها فى ه : « سبياً » ، محرفة عما أثبت من ط .
(٤) فى الأصل : « وقاله » .

وأنَّ الله تعالى أعطاه ذلك ، فملَّكه على الجنِّ فضلاً عن الإنْس ، وعلَّمه منطِق الطَّير ، وسخَّر له الرِّيح ، فكانت الجِنُّ له خوَلاً ، والرِّياحُ له مسخرة ثمَّ زعمتم — وهو إمَّا بالشَّام وإمَّا بسوَادِ العِراق — أنَّه لا يعرف باليمن مَلِكةً هذه صفتُها . وملوكُنا اليومَ دونَ سليمانَ فى القدْرة ، لا يخفى عليهم صاحب الخَزَر ، ولا صاحبُ الروم ، ولاصاحبُ الترك ، ولاصاحب النُّوبة . وكيف يجهل سليمانُ موضِعَ هذه الملِكة ، مع قرْبِ دارِها واتِّصَالِ بلادها ! وليس دونَها بحارٌ ولا أوعارٌ ؛ والطريق نهجٌ للخُفِّ والحافر والقدَم[1] . فكيف
٣١ والجنُّ والإنسُ طوعُ يمينه . ولوكان ، حين خبَّره الهدهدُ بمكانها ، أضرَبَ عنها صفْحًا ، لكان لقائلٍ أن يقول : ما أتاه الهدهدُ إلَّا بأمرٍ يعرفه . فهذا وما أشبهَهُ دليلٌ على فساد أخباركم .

قُلنا : إنّ الدُّنيا إذا خلاّها الله وتدبيرَ أهلها ، ومجارىَ أمورِها وعاداتها كان لعمرى كما تقولون . ونحن نزعمُ أنَّ يَعْقوبَ بنَ إسحاق بنِ إبراهيمَ كانَ أنبهَ أهْلِ زمانِه ، لأنَّه نبيٌّ ابنُ نبيٍّ . وكان يوسُف وزير مَلِكِ مصر من النَّباهة بِالموضع الذى لا يُدفَع[2] ، وله البُرُدُ[3] ، وإليهِ يرجع جوابُ الأخبار ، ثمَّ لم يعرِفْ يَعقوبُ مكانَ يوسُفَ ، ولا يوسفُ مكانَ يَعقوبَ عليهما السلام — دهرًا من الدُّهور ، مع النَّباهةِ ، والقُدْرةِ ، واتِّصال الدار .

وكذلك القولُ فى موسى بنِ عمرانَ ومَنْ كَانَ معه فى التِّيه[4] ، فقد

---

(١) طريق نهج : واضح . والخف : أى الإبل . ط ، هـ : « الخف » صوابه فى س .

(٢) النباهة : الشهرة . ط ، هـ : « ومن » والوجه حذف الواو ، والنص فى س « وللملك النباهة فى الموضع الذى لايدفع » . وليس بشىء .

(٣) البرد : جمع بريد .

(٤) التيه ، هو الموضع الذى ضل فيه موسى عليه السلام وقومه . قال ياقوت : « وهى أرض بين أيلة ومصر وبحر القلزم جبال والسراة من أرض الشام » .

كانوا أمَّةً من الأمم يتَسكَّعُونَ [١] أربعين عاماً ، فى مقدارِ فراسخَ يسيرةٍ ولا يهتدون إلى المخرج . وماكانت بِلادُ التيه إلاّ من ملاعبهم ومُنْتزَهاتهم [٢] . ولا يعدم مثلُ [ذلك [٣]] العسكرِ [٤] الأدلاّءَ والجمّالين [٥] ، والمكارِينَ [٦] ، والفُيُوجَ [٧] ، والرُّسلَ ، والتّجار ؛ ولكنَّ الله صرَفَ أوهامَهم ، ورفع ذلك الفصْل [٨] مِن صدورهم .

وكذلك القول فى الشَّياطين الذين يسترِقون السّمْعَ فى كلِّ ليلة ، فَنقُولُ [٩] : إنّهم لو كان كلما أراد مَرِيدٌ [١٠] منهم أن يصعَدَ ذكَرَ أنّه قد رُجم صاحبه [١١] ، وأنّه كذلك منذ كان لم يصل معه أحدٌ إلى استراقِ السَّمْع [١٢] ، كان محالاً أن يرومَ ذلك أحَدٌ منهم مع الذِّكر والعِيان .

---

(١) تكسع : ذهب فى ضلاله . ومثله تسكع بتقديم السين . ط ، هـ : « يكسعون » والوجه ماأثبت من س .

(٢) كذا بتقديم النون فى الأصل .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كان بنو إسرائيل قد خرجوا ليملكوا الأرض المقدسة بالقتال . انظر تفسير سورة المائدة للآيات ٢٠ — ٢٦ وسفر العدد ، الأصحاح ٣٢ ، ٣٣ .

(٥) الجمالين ، بالجيم . وفى (٦ : ٢٦٨) : « الحمارين » .

(٦) المكارين : جمع مكار . والمكارى : من يكترى الناس منه دابته ، أى يستأجرونها .

(٧) الفيوج ، بالضم وفى آخره جيم : جمع فيج بالفتح ، وهو رسول السلطان المسرع فى مشيه ، يحمل الأخبار من بلد إلى بلد ، معرب من « پيك » بالفارسية . ط ، س : « الفيوح » ، صوابه فى هـ .

(٨) الفصل هنا بمعنى التميز . ط ، هـ : « القصد » وأثبت مافى س .

(٩) ط ، هـ : « فتقول » بالتاء ، صوابه فى س .

(١٠) إن قرئت بالضم ، كانت من أراد بمعنى شاء . وإن قرئت بالفتح كانت من التمرد .

(١١) ط ، هـ : « قد رجم أو رجم صاحبه » ، والوجه ما أثبت من س .

(١٢) س : « سمع » .

ومثل ذلك [أنّا] قد علمْنا أنّ إبْليسَ لا يزالُ عاصِياً إلى يوم ِالبَعث . ولو كان إبْليسُ فى حال المعْصيَة ذَاكِراً لإخبار الله تَعالى[١] أنَّه لايزالُ عاصياً وهو يَعلم أنّ خَبرَه صِدقٌ ، كان محالاً أنْ تدعُوَه نفسُه إلى الإيمانِ ، ويطمَعُ فى ذلك ، مع تصدِيقِهِ بأنّه لا يختار الإِيمانَ أبداً .

ومن المحال أن يجمَع بين وجود[١] الاستطاعة وعدم الدَّواعى وجواز الفعل .

ولو أنّ رجلاً عَلِم يقيناً أنّه لاَ يخرُج من بيتِه يومَه ذلك ، كان محالاً أن تدعُوَه نفسه إلى الخروج ، مع علمه بأنّه لا يفعل . ولكِنَّ إبْليس لما كانَ مصروفَ القَلبِ عن ذِكْر ذلك الخبر[٣] ، دخل فى حَدِّ المستطيعين .

ومثل ذلك أنّ النبى صلى الله عَليه وسلم لَمّا بشره الله بالظّفرِ وتمام الأمر[٤] بشَّر أصحابَه بالنَّصر ، ونزولِ الملائكة . ولو كانوا لذلك ذاكرين فى كلِّ حالٍ ، لم يكن عليهم مِنَ المحاربة مؤونة . وإذا لم يتكلفوا المؤونة[٥] لم يؤجَروا . ولكِنّ الله تَعالى بنظره إليهم رفَع[٦] ذلك فى كثيرٍ من الحالات

---

(١) كذا فى س . وفى ط : « ذكر إخبار الله تعالى » وفى ه : « ذاكرا لأخيار الله تعالى » . وما فى ه محرف .

(٢) فى الأصل : « وجوب » بالباء .

(٣) أى عن تذكر ذلك الخبر .

(٤) الكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من س . والجاحظ يشير بكلامه هذا إلى ما كان فى وقعة أحد ، مما تشير إليه الآيات ١٢٢ — ١٢٦ من سورة آل عمران .

(٥) س ، ه : « المؤن » .

(٦) س : « دفع » بالدال .

عن أوهامهم ؛ ليحتملوا[١] مشقّة القِتال ، وهم لايعلمون : أيغلِبُون أم يُغْلَبون أو يَقْتلُونَ أم يُقتلون .

٣٢ ومثل ذلك ما رفع من أوهام العَرب ، وصرف نفوسهم عن المعارَضة للقرآن ، بَعْدَ أنْ تحدَّاهم الرَّسولُ بنظْمه . ولذلك لم نَجِدْ أحَداً طمِع فيه . ولو طمِعَ فيه لتَكلفه ، ولو تكالف بَعضهم ذلك فجاء بأمر[٢] فيه أدنى شُبهة لعظمت القضيَّةُ[٣] على الأعراب وأشباهِ الأَعْراب ، والنِّساءِ وأشباه النساء ، ولأَلقى ذلك للمسلمين عملاً ، ولطَلبوا المحاكمةَ والتراضى ببعض العرب ، ولكثُرُ القيلُ والقال .

فقد رأيتَ أصحابَ مُسيْلِمة[٤] ، وأصحاب ابن النوَّاحة[٥] إنما تعَلّقوا بما ألَّف لهُمْ مُسَيلمة من ذلك الكلام ، الذى يَعلمُ كلُّ مَن سمِعه أنَّه إنما عَدا على القرآن فسلَبه ، وأخَذَ بَعضَه ، وتَعاطى أن يُقَارِنَه . فكان لله ذلك التَّدبيرُ ، الذى لا يبلغه العِبادُ ولو اجتمَعوا له .

فإنْ كان الدُّهرىُّ يريدُ من أصحابِ العِبادَاتِ والرُّسُلِ ، ما يريد من

(١) س : « ليتحملوا » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « القصة » .

(٤) هو أبو ثمامة ، مسيلمة بن حبيب الحنفى من أهل اليمامة ، ادعى النبوة بمكة قبل الهجرة ، وصنع أسجاعا ، عارض فيها بزعمه القرآن ، منها قوله : « والشمس وضحاها . فى ضوئها ومجلاها . والليل إذا عداها . يطلبها ليغشاها . فأدركها حتى أتاها . وأطفأ نورها ومحاها » ، وقوله : « ياضفدع نقى نقى . كم تنقين . لاالماء تكدرين . ولا الشرب تمنعين » . وكان قد قوى أمره فى اليمامة ، وظهر جدا بعد وفاة الرسول ، فأرسل أبو بكر خالد بن الوليد فى جيش لمقارعته ، فكان له النصر على بنى حنيفة فى يوم اليمامة ، وقتل مسيلمة وكثير من أتباعه ، واستشهد من المسلمين ألف ومائتا رجل .

(٥) فى الأصل : « بنى النواحة » . وانظر الاستدراكات .

الدُّهريِّ الصِّرفِ ، الذى لا يُقِرُّ إلا بما أوجَدَه العِيان ، وما يَجرى مَجرَى العِيان — فقد ظلَمَ .

وقد علم الدُّهريُّ [أنّنا نعتقِد(١)] أنّ لنا ربًّا يخترع الأجسامَ اختراعا وأنّهُ حَىٌّ لا بحياة ، وعالمٌ لابعلم(٢) ، وأنّه شىءٌ لا ينقسم ، وليس بذِى طُول ولا عرْض ولا عُمق ، وأنّ الأنبياء تحيي(٣) الموتى . وهذا كلُّه عنْدَ الدهريِّ مستنكَر ، وإنماَ كان يكون له عَلَيْنَا سبيل(٤) لو لم يكن الذى ذكرنا جائزا فى القِياس ، واحتجْنا إلَى تثبيت الرُّبوبيَّةِ وتصديقِ الرِّسالة ، فإذا كان ذلك جائزاً ، وكانَ كونُه غيرَ مستنكَرٍ ، ولا محالٍ ، ولا ظلم ، ولاعيب ، فلم يبقَ له إلاّ أن يسألَنَا عن الأصْلِ الذى دعا إلى التَّوحِيدِ ، وإلَى تثبيت الرسل .

وفى كتابِنا المنزل الذى يدلُّنا على أنّه صِدْقٌ ، نَظْمُه البدِيع الذى لا يقدِر على مثله العباد ، مَعَ ما سِوَى ذلك من الدّلائِلِ التى جاء بها مَنْ جاء به .

وفيه مسطور أنّ سليمانَ بنَ داودَ غبرَ حِيناً — وهو ميّت — معتمِداً على عصاه ، فى الموضع الذى لا يُحْجَب عنه إنْسِىٌّ ولا جِنّىٌّ ، والشَّياطينُ منهُمُ المَكْدودُ بالعَمل الشديد(٥) ، ومِنهُمَ المحبوسُ والمستعبد ، وكانوا كما قال

(١) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

(٢) هذا مذهب المعتزلة ؛ إذ ينفون عن الله عز وجل صفاته الأزلية ، فيقولون : ليس لله علم ولا قدرة ولا حياة ولا سمع ولا بصر ولا أى صفة أزلية .

(٣) ط ، هـ : « تحى » صوابه فى س .

(٤) بدله فى س : « وإنما كان يكون له علة » .

(٥) المكدود : المرهق المتعب . ط ، هـ : « بالغل الشديد » ، والأوجه ماأثبت من س .

الله تعالى : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِي[١] وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ وقال : ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾ وأَنَّهُ غَبَرَ كذلك حيناً وهو تُجاهَ أعيُنِهِمْ[٢] ، فلاهُمْ عرَفُوا سجِيَّةَ وُجوهِ الموتى ، ولا هو إذْ كان ميّتاً سقَط سُقوطَ الموتى . وثبتَ قائماً معتمداً[٣] على عصاه ، وعصاه ثابتةٌ قائمةٌ فى يده ، وهو قابضٌ عليها . وليستْ هذه الصِّفَةَ صفةَ مَوتانا .

وقال : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ . ونحنُ دونَ الشَّياطينِ والجِنِّ فى صِدْقِ الحسِّ ، ٣٣
ونُفوذِ البصر ، ولوْ كُنَّا مِن بعضِ الموتى بهذا المكان ، لما خَفِيَ علينا أَمرُه وكان أدنى ذلك أنْ نظنَّ ونرتاب . ومتى ارتابَ قومٌ وظَنُّوا وماجُوا[٤] وتكلموا وشاوروا ، لَقِنُوا وثَبِّتُوا[٥] . ولا سيَّما إذا كانوا فى العذاب ورأَوْا تَباشِيرَ الفرَج .

---

(١) الجوابي : جمع جابية ، وهو الحوض الجامع . وإثبات الياء فى آخر الكلمة وصلا ووقفا قراءة ابن كثير ومجاهد ، وإثباتها وصلا فقط قراءة ورش وعاصم . وحذفها وصلا ووقفا قراءة الباقين . وهذه القراءة الأخيرة هى مافى س ، ه . وما أثبت من ط هو القراءة الأولى .

(٢) تجاه ، يصح ضبطها بالضم والكسر والفتح . عن القاموس .

(٣) ط : « معتمد » ، وهو خطأ ظاهر .

(٤) ه : « وناجوا » ، أى ناجى بعضهم بعضا .

(٥) لقنوا : عرفوا وفهموا . فى الأصل : « ولقنوا » وإنما هو جواب الشرط . و « ثبتوا » أى سكنت قلوبهم بقوة البرهان والدلالة . وفى الكتاب : « وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك » .

ولولا الصَّرْفة[١] التي يُلقيها الله تعالى على قَلْبِ مَنْ أَحَبَّ ، و [لولا[٢]] أنّ الله يقدِرُ على أنْ يشغَلَ الأوهامَ كيف شاء ، ويذكِّر بما يشاء ، ويُنَسِّيَ مايشاء ، لما اجتمع أهلُ داره وقصْره ، وسُورِه ورَبَضِه[٣] ، وخاصَّته ، ومن يخدُمه من الجنِّ والإنْس والشَّياطين ، على الإطباق بأنَّه حَيٌّ . كذلك كان عندهم . فحدث ما حَدَث من موته ، فلمَّا لم يشعُروا به كانوا على ما لم يزالوا عليه . فعلِمْنا أنَّ الجنَّ والشّياطينَ كانت تُوهِم الأغبياء والعَوَامَّ ، والحَشْوَة[٤] والسِّفلة ، أنَّ عندهما شيئاً من عِلْمِ الغيب — والشياطين لا تعلم ذلك — فأراد الله أَنْ يكشِفَ من أمْرِهم للجُهَّال ما كان كَشَفَه للعلماء . فبهذا وأشباهه من الأمور نحنُ إلى الإقرار به مضطرُّون[٥] بالحجَج الاضطراريَّة فليس لخصومنا حِيلةٌ إلاَّ أن يواقِفونا[٦] ، وينظروا فى العلَّة التى اضطرتنا إلى هذا القول ؛ فإن كانت صحيحةً فالصَّحيحُ لا يُوجِب إلا الصحيح . وإن كانت سقيمةً علِمْنا أنَّمَا أُتينَا من تأويلنا[٧] .

وأما قوله : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ ﴾ فإنَّ التَّعذيبَ يكون بالحبس ، كما قال الله

(١) الصرفة ، بالفتح : أن يصرف الله عبده عن أمر . ط : « المعرفة » س : « الصدقة » صوابهما فى هـ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) الربض ، بالتحريك : سور المدينة .
(٤) الحشوة ، بالضم والكسر : أصله الدغل فى الأرض . أراد به الدون من الناس .
(٥) س : « مضطرين » .
(٦) يواقفونا ، بتقديم القاف ، من المواقفة ، وهى أن يقف المرء مع غيره فى خصومة ومجادلة . وفى الأصل : « يوافقونا » بتقديم الفاء ، وليس بشىء .
(٧) أتينا : أى قهرنا وغلبنا . وفى الأصل : « أوتينا » ولا يصح بها الكلام . ط ، هـ : « أن ما » والوجه ما أثبت من س . وفى س أيضاً « علم » مكان « علمنا » و « أقاويلنا » موضع « تأويلنا » .

عزَّ وجلَّ : ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِى الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ . وإنَّما كانوا مُخَـيَّسِينَ[١] .

وقد يقول العاشق لمعشوقتِه : يا معذِّبتى ! وقد عذّبتنى[٢] !

ومن العذَاب مايكُونُ طويلاً ، ومِنْه مايكُونُ قصيرَ الوقْت . ولوخسفَ الله تَعالى بقومٍ فى أقلَّ من عُشْر ساعة[٣] لجاز لقائل أن يقول : كان ذلك يوم أحلَّ الله عذابَه ونِقمتَه ببلاد كذا وكذا .

(قوة الخنزير وشدة احتماله)

وقال أبو ناصرة : الخنزير ربَّما قتل الأسـد ، وما أكْثَرَ ما يَلْحَقُ بصاحب[٤] السَّيفِ والرُّمح ، فيضربُه بِنابِهِ ، فيقطَعُ كلّ ما لقِيه من جسَده : من عظمٍ وعصَبٍ ، حتى يقتلَه . وربَّما احتال أن ينبَطح[٥] على وجهِه على الأرض ، فلا يغنى ذلك عنْه شيئاً .

وليس لشيءٍ من الحيوان كاحتمال بدنِه لوَقْع السهام ، ونفوذِها فِيهِ .

(بعض طباع الخنزير)

وهو مع ذلك أرْوَغُ من ثعلب ، إذا أراده الفارس . وإذا[٦] عدا أطمَعَ فى نفْسه كلّ شيء ، وإذا طولب أعيا الخيْلَ العِتاق . والخنزيرُ مع ذلك أنْسَلُ

(١) المخيس ، هو من قولهم : إبل مخيسة : لا تسرح . ط : « محبوسين » وهى صحيحة بمعنى « مخيسين » . س ، هـ : « محبسين » ، تحريف ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « عذبتينى » . وانظر الاستدراكات .

(٣) ط ، س : « ساعات » ، والوجه فيه ما أثبت من هـ .

(٤) س : « صاحب » .

(٥) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « ينتطح » .

(٦) س : « فإذا » .

الحلْق ؛ لأنَّ الخِنزِيرَةَ تَضَعُ عِشرين خِنَّوْصاً ، وهو مع كَثْرة إنساله — مِن أقوَى الفحُول على السِّفاد ، ومَعَ القُوّة على السِّفاد هو أطولها مُكْثاً فى سفادِه ، فهْوَ بذلك أجمَعَ للفحُولة[١] .

٣٤ وإذا كانَ الكلبَ والذِّئبُ موصوفَينِ بشدّة القلْبِ؛ لطُول الحطْم[٢] ، فالخنْزِيرُ أولى بذلك .

وللفِيل نابٌ عجيب ، ولكِنَّهُ لقصر عنقه لا يبلغ النَّابُ مبلغا[٣] ، وإنّمَا يستعينُ بخُرطومِهِ ، وخرطومُهُ هو أنفه ، والخطْمُ غير الخرطوم .

(ما قيل فى طيب لحمه وإهالته)

قال أبو ناصرة : وله طيب ، وهُو طِيبُ لحمِهِ ولحمُ أولاده[٤] . وإذا أرادُوا وصفَ اختلاط[٥] ودَك الكُرْكِيِّ[٦] فى مَرَق طبيخ ، قالُوا : كأَنَّ إهالتَه إهالة خنزير[٧] ؛ لأنّه لا يسرع إليها[٨] الجمود . وسرعةُ جمودِ إهالة

(١) فى الأصل : « أجمع الفحولة » ولا تصح . وفى ط ، ه زيادة : « بهذا » فى آخر الجملة ولا وجه لها كما فى س .

(٢) سبق مثل هذا الكلام فى (٢ : ٢١٣ س ١) .

(٣) ط : « لقصر عنقه لايبلغ الباب يقصر عنه ولا يبلغ » الخ . وأثبت صوابه من س ، ه .

(٤) بدل هذه العبارة فى ه : « وله طيب لحمه » فقط . وجملة « وله طيب » ساقطة من س .

(٥) كذا على الصواب فى ه . وفى ط ، س : « اختلاف » .

(٦) الكركى ، بالضم : طائر كبير أغبر اللون أبتر الذنب طويل العنق والرجلين : Crane . قال الدميرى : « وللملوك مصر وأمرائها فى صيده تغال لايدرك حده ، وإنفاق مال لايستطاع حصره وعده » . ط : « الكركى » ، صوابه فى س ، ه .

(٧) الإهالة ، بالكسر : الشحم . والودك : الدسم . ه : « أهاله إهال خنزير » ، محرف .

(٨) س : « إليه » محرف .

الماعز فى الشِّتاء عيب . وللضَّأن فى ذلك بعضُ الفضيلة على الماعز ؛ ولا يلحق بالخنزير .

(قبول عظم الخنزير للالتحام بعظم الإنسان)

وإذا نقص من الإنسان عَظْمٌ واحْتِيجَ إلى صِلتِهِ فى بعض الأمراض لم يلتحِمْ بِهِ إلاّ عَظْمُ الخنْزير .

(صوت الخنزير)

وإذا ضُرِب فصاح لم يكن السَّامِعُ يفصِلُ بينَ صوتِه وبينَ صوت صبىٍّ مضروب[1] .

(طيب لحمه)

وفى إطباقِ جميع الأمم ِعلى شهوةِ أكله واستطابَةِ لحمِهِ ، دليلٌ على أنَّ له فى ذلِكَ ما ليس لغيْره .

(زعم المجوس فى المنخنقة ونحوها)

والمجوس تزعم أنَّ المُنخنقَة والموقوذَة والمتردِّية[2] ، وكلَّ ما اعْتُبط ولم يمت حَتْف أنفِه[3] ، فهو أطْيب لَحْماً وأحلى ؛ لأَنَّ دَمَه فِيهِ ، والدم حُلوٌ

---

(١) وقد تهيأ لابن آوى مثل هذا الصوت كما سيأتى فى (٥ : ٢٨٨) .

(٢) س : « المنخنق والموقوذ والمتردى » . وانظر ماسبق ص ٥٦ .

(٣) اعتبط ، بالبناء للمفعول : مات من غير علة . ويقال مات حتف أنفه : أى بلا ضرب ولا قتل . ط ، هـ : « وكلما اعتبط » الخ ، وصواب كتابته ماأثبت . وبدلها فى س : « إذا اعتبط » الخ .

دَسِم . وإنما عافَه مَن عافَه من طَريق العادة والدِّيانة ، لا من طريق الاستقذار والزُّهْدِ الذى يكُون فِى أصل الطبيعة .

(اختلاف ميل الناس إلى الطعام)

وقد عافَ قومٌ الجِرِّىَّ والضِّبابَ[١] على مثل ذلك ، وشُغِف بهِ آخرون .

وقد كانت العربُ فى الجاهليَّة[٢] تأكل دمَ الفصْد[٣] ، وتفضِّل طَعمه ، وتُخبر عَمَّا يورثُ من القوَّة .

قال : وأىُّ شىءٍ أحسَنُ من الدّم ، وهل اللَّحمُ إلا دَمٌ استحالَ كما يستحيل اللَّحمُ شحما ؟ ! ولكنّ الناس إذا ذكروا معناه ، ومن أين يخرج وكيف يخرج ، كانَ ذٰلِكَ كاسِرا لَهُمْ ، ومانعاً من شهوتِه .

(بعض مايغير نظر الإنسان إلى الأشياء)

وكيف حال النَّار فى حسنها[٤] ، فإنّه ليس فى الأرض جسمٌ لم يصبغ أحسن منْه[٥] . ولَوْلَا معرفتهُمْ بقتْلها وإحْراقِها وإتلافها ، والألم والحُرْقةِ المولدين[٦] عنها ، لتضاعف ذلك الحُسْن[٧] عِنْدَهُمْ . وإنَّهم ليَرَوْنَها

---

(١) الجرى ، بالجيم المكسورة بعدها راء مشددة مكسورة : ضرب من السمك سبق الكلام عليه فى (١ : ٢٣٤) . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٢) ط : « فالجاهلية »، صوابه فى س ، ه .

(٣) وذلك بأن يضعوا الدم ، بعد فصده فى الأمعاء ويشوونها . انظر ص ٥٦ .

(٤) س : « جنسها »، وأراه تحريفاً .

(٥) كذا فى ط ، س . وفى . ه : « لم يصنع أحسن منه » .

(٦) ط : « المولودين » صوابه فى س ، ه .

(٧) س : « الحس »، محرف .

فى الشِّتاء بغير العُيونِ التى يرونَها بها فى الصَّيف . ليس ذلك إلَّا بقدْر ما حدَث من الاستغناءِ عنها .

وكذلك جِلاءُ السَّيف ؛ فإنَّ الإنسانَ يَستحسِنُ قَدَّ السَّيفِ وخَرْطَه ، وَطبْعَهُ وبريقَه . وإذا ذكر صنيعَه والذى هُيِئَ له ، بدَا لهُ فى أكثرِ ذلك[1] ، وتبدَّل فى عينه ، وشغَلَه ذلك عن تأمُّل محاسنه .

ولولا علْم النَّاس بعداوة الحيَّاتِ[2] لهم ، وأنَّها وحشيَّة لا تَـأْنَس ولاتقبل أَدَباً ، ولا تَرْعَى حقَّ تربِية ، ثمَّ رأَوا شيئاً من هذه الحيَّاتِ[2] البيض ، المنقَّشَةِ الظُّهور — لَمَا بَيَّتُوها ونوَّمُوها إلَّا فى المهد ، مع صِبيانهم .

(ردٌّ على من طعن فى تحريم الخنزير)

فيقال لصاحب هذه المقالة[3] : تحريم الأغذيَةِ إنَّما يكونُ من طريق العبادة والمحْنة ، وليس أنَّ جوهرَ شيء من المأكول[4] يوجِبُ ذلك . ٣٥
وإنَّمَا قلنا : إذا وجدْنا الله تعالى قد مسَخَ عباداً من عباده فى صُوَر الخنزير [دونَ بقِيَّة[5] الأجْناس ، فعلمنا أنَّه لم يَفْعَلْ ذلك إلَّا لِأُمُورٍ اجتمعتْ فى الخنزير[6]] . فكان المسخ على صورته أبلَغ من التَّنكيل . لم نقُلْ إلاَّ هذا

(١) بدا له : أى نشأ له رأى آخر .

(٢) ط : « الحياة » ، وإنما هو جمع حية كما فى س ، ه .

(٣) هذا البحث الآتى متعلق بما سبق فى ص ٧٤ — ٧٧ ساسى وليس له ارتباط بما مر قريباً .

(٤) إلى هذه الكلمة ينتهى المجلد الأول من النسخة الخطية المرموز إليها برمز « س » وتبتدئ المعارضة بعدها من أول المجلد الثانى منها .

(٥) ه : « جميع » .

(٦) الزيادة من س ، ه .

(طباع القرد)

والقرد يَضْحَكُ ويَطْرَب ، ويُقْعِي ويَحكى ، ويتناولُ الطَّعامَ بيديه ويضعه فى فيه ، ولَهُ أصابعُ وأظفار . ويَنقى [١] الجوز ، ويأنس الأُنْسَ الشَّديد ، وَيَلْقَنُ بالتَّلقين الكثير ، وإذا سقَط فى الماء غرِق ولم يسبَحْ ؛ كالإنسانِ قبل أنْ يتعلَّمَ السِّباحة . فلم تجد النَّاسُ للذى اعترى القِرْدَ من ذلك — دونَ جميعِ الحيوان عِلّةً — إلَّا هذه المعانى التى ذكرتها [٢] ، من مناسبَة الإنسانِ مِن قِبَلِها .

ويُحكى عنه من شدَّة الزِّواج ، والغَيرةِ على الأزواج ، ما لا يحكى مثلَه إلَّا عن الإنسان ؛ لأنَّ الخنزيرَ يَغَارُ ، وكذلك الجملُ والفرَسُ ، إلاّ أنها لا تزاوج . والحمارُ يَغارُ ويحمى عانَتَهُ الدَّهر كُلَّهُ [٣] ، ويضرِبُ فيها كضربه لو أصابَ أتاناً من غيرها . وأجناس الحمام تزاوج ولا تَغار .

واجتمَع فى القرد الزِّواج والغَيرة ، وهما خَصلتانِ كريمتان ، واجتماعهما من مفاخرِ الإنسانِ على سائر الحيوان. ونحن لم نرَ وجْهَ شيءٍ غيرِ الإنسان أشبَهَ صورةً وشبها ، على ما فيه من الاختلاف ، ولا أشبَهَ فماً ووجْهاً بالإنسان ، من القِرْد . ورُبّما [٤] رأينا وجهَ بَعْضِ الحمر [٥] إذا كان ذا خطْمٍ ، فلا نَجِدُ بَيْنَهُ وبين القِرْدِ إلَّا اليسيرَ .

---

(١) أصله من قولهم : نقى العظم نقيا : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام وشحمها . فالمعنى يستخرج لب الجوز .

(٢) س : « ذكرناها » .

(٣) العانة : جماعة الحمر الوحشية .

(٤) ط : « وبما » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٥) لعل المراد بالحمر هنا الروس . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٢ : « والروم تسميهم روسيا . معنى ذلك : الحمر » . فى الأصل : « بعض وجه الحمر » .

(أمثال فى القرد)

وتقول[١] الناس : « أَكْيَسُ من قِشَّة[٢] » ، و « أَمْلَحُ مِنْ رُبَّاح[٣] » ولم يقل أحد : أكيس من خِنْزِيرٍ ، وأملَحُ من خِنّوص . وهو قول العامّة : « القرد قبِيحٌ ولكنّه مليح » .

(كفّ القرد وأصابعه)

وقال النَّاس فى الضبِّ : إنه مِسخٌ . وقالوا : انْظُر إلى كفِّه وأصابعه . فكَفّ القرد وأصابعهُ[٤] أَشْبَهُ وأصنَعُ . فقدَّمتِ القردَ على الخنزير من هذا الوجه .

(علة تحريم لحم الخنزير)

وأمّا القولُ فى لحمه ، فإنَّا لم نزعمْ أنّ الخنزيرَ هو ذلك الإنسان الذى مُسخ ، ولا هو من نَسله ، ولم ندَعْ لحمهُ من جهة الاستقذارِ لشهْوته فى العَذِرة ، ونحن نجد الشّبُّوط والجرّىَّ[٥] ، والدّجاج ، والجرادَ ، يشاركْنهُ فى ذلك ، ولكن للخصال التى عدّدنا من أسباب العبادات . وكيف صار أحقَّ بأنْ تمسخ الأعداء[٦] على صورته فى خلقتِه .

---

(١) س : «ويقول» .

(٢) القشة ، بالكسر : القردة ، أو ولدها الأنثى .

(٣) الرباح ، كرمان : القرد الذكر .

(٤) ط : « فكيف والقرد أصابعه » ، وهو ــ لاجرم ــ تحريف .

(٥) الشبوط والجرى : ضربان من ضروب السمك . وانظر مثل هذا الكلام فى (١ : ٢٣٥) .

(٦) أى أعداء الله .

(حديث عبيد الكلابى)

قال : وقلت مَرّةً لعبيد الكلابيّ — وأظهرَ مِن حُبِّ الإبل والشّغَفِ بها ما دَعانى إلى أن قلت لَهُ — : أبينها وبينكم قرابة[١] ؟ قال : نعم ، لها فينا خُؤولة . إنِّى والله ما أعنى البَخاتىَّ ، ولكنى أعنى العِرَاب، التى هى أعرب! قلت لَهُ : مَسَخَكَ الله تعالى بعيرًا ! قال : الله لا يمسخُ الإنسَانَ على صُورةِ كريمٍ ، وإنما يمسخه على صورةِ لئيم ، مثل الخنزير ثم القرد[٢] .

فهذا قولُ أعرابيٍّ جِلْفٍ[٣] تكلّم على فِطرتِه .

(قول فى آية)

٣٦ وقد تكلم المخالِفون فى قولِهِ تعالى: ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعاً وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ[٤] ﴾ .

وقد طعَنَ ناسٌ فى تأويل هذه الآيَةِ ، بغيرِ علمٍ ولا بيانٍ ، فقالوا : وكيف يكون ذلك وليس بين أن تجىء[٥] فى كلِّ هلال فرقٌ ، ولا بينها إذا جاءت فى رأس الهلال فرقٌ ، ولا بينَها إذا جاءتْ فى رأس السَّنَةِ فرق .

---

(١) س : « أبينكم وبينها قرابة » .

(٢) ط ، هـ : « الخنزير والقرد » .

(٣) الجلف ، بالكسر : الرجل الجافى .

(٤) هذه القرية هى أيلة ، أو مدين ، أو طبرية : وكل منها حاضرة البحر، أى قريبة منه . « يعدون فى السبت » : يتجاوزون حدود الله بالصوم يوم السبت . « يوم سبتهم » أى يوم تعظيمهم أمر السبت ، سبتت اليهود : عظمت سبتها . « شرعا » : ظاهرة على وجه الماء .

(٥) كذا الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « يجىء » .

(هجرة السمك)

وهذا بحرُ البَصرةِ والأُبلَّة ، يأتيهم ثلاثةَ أشهرٍ معلومة معروفة [من السنة] السَّمكُ الأسْبور (١) ، فيعرفون وقتَ مجيئهِ وينتَظِرُونه ، ويَعرِفون وقتَ انقِطاعِه ومجيءُ غيره ، فلاَ يمكث بهم الحالُ إلاَّ قليلاً حتَّى يُقبِلَ السَّمك من ذلك البحر ، فى ذلِكَ الأوان ، فَلاَ يَزالونَ فى صَيْدٍ ثَلاَثَةَ أشهر معلومةٍ من السَّنَةِ ، وذلِكَ فى كلٍّ سنةٍ مرَّتين لـكل جنس . ومعلومٌ عندهم أنه يكون فى أحد الزمانين أسْمَنَ ، وهو الجواف(٢) ، ثمَّ يأتيهم الأسْبور(٣) ، على حساب مجيء الأسبور(٤) والجُوَافِ . فأمّا الأسْبور فهو يقطع إليهم من بلادِ الزِّنج . وذلِكَ مَعْرُوفٌ عند البحْريِّينَ . وأنّ الأسْبور فى الوقت الذى يقطع إلى دِجلةِ البصرة لا يوجَد فى الزِّنج ، وفى الوقت الذى يُوجَدُ فى الزنج لا يوجد فى دِجلة (٥) . وربَّما اصطادوا منها شيئا فى الطريق فى وقت قطعِهَا المَعْروفِ(٦) ، وفى وقت رجوعها . ومَع ذلكَ أصنافٌ من

---

(١) سبق الـكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الأشبور » محرف .

(٢) فى الأصل : « الجراف » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٣ : ٢٥٩) .

(٣) فى الأصل : « الأشبول » . وهو تحريف . انظر له (٣ : ٢٥٩) .

(٤) ط ، هـ : « الأشبول » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) س : « الدجلة » ، وإدخال « أل » على « دجلة » خطأ ، فإن المعرفة لا تعرف . وانظر لأشباه هذا الوهم درة الغواص ٢٥ .

(٦) يقال قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى بلد .

السمك كالإرْبِيان[١] ، والرَّقّ[٢] ، والكَوْسَج[٣] ، والبرد[٤] ، والبَرَستُوج[٥] . وكلُّ ذلك معْروفُ الزَّمانِ ، متوقعُ المخرَج .

وفى السَّمكِ أوابدُ وقواطعُ ، وفيها سيَّارةٌ لا تقيم . وذلك الشبَهُ يُصابُ . ولذلك صارُوا يتكلمُونَ بخَمْسةِ السنة[٦] ، يهذُونها[٧] ، سوى ما تَعَلَّقُوا به من غيرها .

ثمَّ القواطع من الطير قد تأتينا إلى العِراق منهم[٨] فى ذلك الإبَّان جماعاتٌ كثيرةٌ ، تَقْطعُ إلينا ثمَّ تَعُودُ فى وقتها .

---

(١) الأربيان ، بالكسر : ضرب من السمك ، يعرف فى مصر باسم « الجنبرى » ، كما فى معجم المعلوف . وقد سبق للجاحظ كلام فيه ، انظر (١ : ٢٩٧ س ٦) وفى الأصل : « الأرسان » ، محرف عما أثبت .

(٢) الرق : السلحفاة المائية .

(٣) الكوسج : سمك بحرى كبير عظيم الضرر تخافه دواب البحر ، ويعرف باسم « القرش » أيضا فى سواحل البحر الأحمر .

(٤) كذا . ولعله : « البز » أو «البزون» ، وهو نوع من السمك معروف بالعراق .

(٥) البرستوج : سمك قدمت تحقيقا فيه بالجزء الثالث ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، وهو من السمك الذى يقطع إلى البصرة كما فى (٣ : ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٢٦٣) . وهذه الكلمة مضطربة فى الأصل : فهى فى ط : « الكرنوح » و س : « الكونوح » و هـ : « الكرموح » وهى تحريفات عجيبة لما أثبت .

(٦) لعله إشارة إلى الأصناف الخمسة المتقدمة .

(٧) هذ الحديث يهذه : سرده . وفى الأصل : « يهدونها » بالدال المهملة ، ولا وجه له .

(٨) جعل لغير العاقل ضمير العاقل ، وهو جائز . فى القرآن : « يأيها النمل ادخلوا مساكنكم » ، « والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه » ، « لا الشمس ينبغى لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون » ، « إنى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » .

(رد على المعترض)

قُلْنا لهؤلاء القوْم : لَقَدْ أَصبتم فى بَعض ماوصفتم ، وأخْطأْتم فى بَعض . قال الله تعالى : ﴿ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لاَ يَسْبِتُونَ لاَ تَأْتِيهِمْ ﴾ ،ويومُ السبتِ يدورُ مَعَ الأَسابيعِ ، والأَسابيعُ تدور مع شهورِ الْقمَرِ [١] . وهذا لا يكونُ مَعَ استواءٍ من الزمان . وقد يكون السبتُ فى الشتاء والصَّيف والخريف ، وفيما بين ذلك . ولَيسَ هذا من باب أزمان قواطع السَّمكِ [٢] وهَيْجِ الحَيَوان وطلب السِّفاد ، وأزمان الفلاحَةِ ، وأوقاتِ الجزْر والَمدِّ ؛ وفى سبيل الأَنواء ، والشجر كيْفَ يَنْفضُ [٣] الوَرَق والثمار ؛ والحيَّاتِ كَيف تَسلُخُ [٤] ، والأيائِلِ كَيف تلقى قرونَها [٥] والطيرِ كيف تَنطق ومتى تسكت .

٣٧ ولو قال لَنَا قائل : إنى نَبِىٌّ [و[٦]] قُلْنَا لَهُ : وما آيتك ؟ وماعلامتك ؟ فقال : إذا كان فى آخر تَشرينَ الآخِرِ أقبل إليكم الأسْبُور [٧] ، من جهة البحر — ضحكوا منه وسخِروا بهِ . ولو قال : إذا كانَ يَوْمُ الجمعَة أو يومُ الأحَد أقبل إليكم الأسْبُور [٧] ، حَتَّى لا يزالُ يصنع ذلك فى كلِّ

---

(١) ط : « القمرية » ، صوابه فى س ، ه .

(٢) س : « وليس هذا مرتين كأزمان قواطع السمك » .

(٤) ينفض ، بالفاء : يسقط الورق أو الثمر . ط ، ه : « ينقض » ، صوابه فى س . وقد سبق مثله فى (٣ : ٢٣٢ س ١٤) .

(٤) يقال سلخت الحية تسلخ من بابى نصر ومنع ، وانسلخت تنسلخ : إذا انسرت من جلدتها . جاء فى س : « تنسلخ » وكلمة « الحيات » ساقطة من س وموضعها فى ط ، ه بعد كلمة « تسلخ » ، وقد رددتها إلى موضعها الطبيعى الملائم .

(٥) الأيل ينصل قرنه فى كل سنة كما سبق فى (٣ : ٢٣٢ س ١٣ ، ١٤) .

(٦) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٧) فى الأصل : « الأشبور » . وانظر التنبيه الأول من الصفحة ١٠١ .

جمعة – علِمْنا اضطراراً إذَا عايَنَّا الذى ذَكَرَ على نَسَقه أنّه صادق ، وأنَّه لم يعلمْ ذلك إلاَّ من قِبَلِ خالِق ذلك (١) . تعالى الله عن ذلك .

وقد أقرَرْنا بعجيب ما نرى من مطالع النُّجوم ، ومن تناهى المدِّ والجزْر على قدر امتلاءِ القمر ونُقصانه ، وزيادته ومحاقه (٢) ، واستسراره (٣) . وكلُّ شىءٍ يأتى على هــذا النَّسقِ من المجارِى ، فإنَّمَا الآيَةَ فيه لِلّهِ وحدَه على وحدانيَّته .

فإذا قال قائلٌ لأهل شريعةٍ (٤) ولأهل مُرسًى ، من أصحابِ بحرٍ أو نهر أو وادٍ ، أو عينٍ ، أو جدول : تأتيكم الحِيتانُ فى كلِّ سبت . أو قال : فى كلِّ رمضان . ورمضانُ متحوِّلُ الأزمانِ فى الشِّتاءِ والصيف ، والرَّبيعِ والخريفِ . والسَّبت يتحوّل فى جميع الأزمان . فإذا كان ذلك كانتْ تلك الأعجوبةُ (٥) فيــه دالةً على توحيد الله تعالى ، وعلى صِدقِ صاحب الخبَر ، وأنَّه رسولُ ذلك المسخَّر لذلك الصِّنف . وكان (٦) ذلك المجىءُ خارجاً من النَّسق القائم ، والعادةِ المعروفة . وهذا الفرقُ بذلك بَيِّنٌ . والحمدُ لله .

---

(١) بدله فى ط ، ه : « السمك » .

(٢) المحاق ، مثلثة : آخر الشهر ، أو ثلاث ليال من آخره ، أو أن يستسر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية .

(٣) استسرار القمر : أن يختفى ، وذلك ليلة ثمان وعشرين ، وإذا كان الشهر ثلاثين فسراره ليلة تسع وعشرين . فى ط ، ه : « إسراره » س : « استراره » ، والوجه ماأثبت . انظر اللسان (سرر ٢١) . وبعد هذه الكلمة فى ط : « واستدارته » .

(٤) الشريعة ، هنا مورد الماء .

(٥) س : « فإن كان ذلك كانت أعجوبة » .

(٦) ط ، ه : « فكان » .

(شنعة الخنزير والقرد)

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ . وفي الموضعِ الذي ذكَرَ أنّه مسَخَ ناساً خنازير قد ذكر القُرُود(١) . ولم يذكُرْ أنَّهُ مَسَخَ قوماً خنازير ، ولم يمسَخْ منهم قروداً(٢) . وإذا كان الأمر كذلك فالمسخَ على صورة القِرَدة(٣) أشنَع ؛ إذْ كان المسخ على صورتِها(٤) أعظمَ(٥) ، وكان العقابُ به أكبر . وإنّ الوقت الذي قد ذكر أنَّه قد مسخ ناساً قروداً فقد كان مسخَ ناساً خنازير . فلم يدَعْ ذِكرَ الخنازير وذكَرَ القرودَ(٦) إلاَّ والقرودُ في هذا الباب أوجَعُ وأشنَع وأعظمُ في العُقوبة ، وأدلُّ على شدَّة السَّخْطة(٧) . هذا قول بعضهم .

---

(١) س : « قرودا » ، وفي ط ، ه زيادة واو قبل « قد » ، وهو تحريف .

(٢) أي أنه عند ذكره مسخ قوم خنازير قرنه أيضاً بالمسخ بالقرود ، وذلك قوله تعالى في الآية الستين من سورة المائدة : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه ، وجعل منهم القردة والخنازير » . وفي الأصل : « ولم يذكر أنه مسخ قوما قرودا ولم يمسخ منهم خنازير » . وأصلحته بما ترى .

(٣) في الأصل : « القرد » بالإفراد . ووجه الجمع كما سترى .

(٤) في الأصل : « على صورتهما » ، وإنما الضمير عائد إلى جماعة القردة .

(٥) في الأصل : « أعم » ، ولا وجه له . وانظر ما سيأتي .

(٦) أي وحدها ؛ إذا قال في سورة البقرة ، الآية الخامسة والستين : « ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ، ولم يذكر الخنزير . وقال في سورة الأعراف ١١٦ : « فلما عتوا عن مانهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين » ولم يذكر الخنزير .

(٧) السخطة ، بالفتح : الكراهة ، يقال سخطه سخطا ، بالضم ، والتحريك ، وبضمتين ، وسخطة . وفي حديث هرقل : « فهل يرجع أحد منهم سخطة لدينه »

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لموضع الأنف من السِّباع الخَطْم ، والخرطوم — وقد يقال ذلك للخنزير — والفِنْطِيسة[١] ، والجمع الفناطيس . وقال الأعرابىّ : «كأنّ فناطيسها كراكِرُ الإبل[٢] » .

(خصائص بعض البلدان)

وقال صاحب المنطق : لا يكونُ خِنزيرٌ ولا أيِّلٌ بحريًّا . وذكر أنّ خَنازِيرَ بعض البُلدانِ يكون لها ظلفٌ واحد ، ولا يكون بأرضِ نهاوَنْدَ حِمارٌ ؛ لشدَّة بردِ الموضع ، ولأنَّ الحِمار صَرِدٌ .

وقال : فى أرضِ كذا وكذا لا يكون بها شىءٌ من الخُلْدِ[٣] ، وإن نقله إنسانٌ إليها لم يحفر ، ولم يتَّخذ بها بيتا . وفى الجزيرة التى تسمَّى صِقِلِّية[٤]

٣٨ لا يكُونُ بها صنفٌ من النمل ، الذى يسمَّى أفرشان[٥] .

---

(١) الفنطيسة ، بالكسر : خطم الخنزير . وفى اللسان : « وروى عن الأصمعى : إنه لمنيع الفنطيسة والفرطيسة والأرنبة ، أى هو منيع الحوزة حمى الأنف . أبو سعيد : فنطيسته وفرطيسته : أنفه » ، فهى قد تستعمل لغير الخنزير .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ : « قناطيسها » ، وفى س : « فناطيسه » . والكراكر : جمع كركرة ، بالكسر ، وهى صدر كل ذى خف .

(٣) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر .

(٤) صقلية ، بكسرات ولام مشددة : تلك الجزيرة الأوربية الإيطالية . س ، هـ : « أصقلية » ولعلها لغة فى تعريبها .

(٥) س : « أفرشان » بالفاء .

(قول أهل الكتابين في المسخ)

وأهل الكتابَين[١] يُنكرون أنْ يكونَ الله تعالى مسخَ النَّاس قروداً وخنازير ، وإنما مسخ امرأة لوط حَجَراً[٢] . كذلك يقولون .

القول في الحيات

اللهمَّ جنِّبنا التكلفَ ، وأَعِذْنَا من الخطَل ، واحمِنا من العُجْبِ بمَا يكونُ منَّا ، والثقةِ بمَا عندنا ، واجعلْنا من المحسنين .

(احتيال الحيات للصيد)

حدثنا أبو جعفرٍ المكفوفُ النحويُّ العنبريُّ ، وأخوه رَوحٌ الكاتب ورجالٌ من بني العنبر ، أن عندهم في رمال بلْعنبرِ حيَّةً تصيد العصَافير وصِغَارَ الطيرِ بأعجبِ صيدٍ. زعموا أنها إذا انتصَفَ النهارُ واشتدَّ الحرُّ في رمالِ بلعنبر ، وامتنَعت الأرض على الحافي والمنتعل ، ورَمِض الجندب[٣] ،

---

(١) التوراة والإنجيل .

(٢) الذي في سفر التكوين من التوراة ، الأصحاح ١٩ : ٢٤ — ٢٦ : « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا من عند الرب من السماء ، وقلب تلك المدن ، وكل الدائرة ، وجميع سكان المدن ونبات الأرض ، ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » .

(٣) الجندب ، وزان برقع ودرهم ، وبضم الجيم وبفتح الدال : ضرب من الجراد صغير : Grasshopper . ورمض : آلمه الرمض وأحرقه ، وهو بالتحريك شدة وقع الشمس على الرمل ونحوه .

غمست هذه الحيَّةُ ذنبَها فى الرّمل ، ثم انتصبَتْ كأنها رمحٌ مركوز ، أو عودٌ ثابت[١] ، فيجىء الطائرُ الصغيرُ أو الجرادَةُ ، فإذا رأى عوداً قائماً وكرِه الوُقُوعَ على الرّمل لشدَّة حرِّه ، وقعَ على رأس الحيَّة ، على أنّها عُود . فإذا وقعَ على رأسها قبضَتْ عليه . فإن كان جرادةً أو جُعَلاً أو بَعْضَ مالا يُشْبعها مثلُه ، ابتلعته[٢] وبقيت على انتصابها . وإن كان الواقعُ على رأسها طائراً يُشبِعها مثلُه أكلتْهُ وانصرفت . وأنَّ ذلك دأبُها ما مَنعَ الرَّملُ جانِبَه[٣] فى الصَّيفِ والقَيْظ ، فى انتصاب النهار والهاجرة . وذلك أنَّ الطائرَ لا يشكُّ أنَّ الحيَّةَ عودٌ ، وأنهُ سيقُوم له مقام الجِذْل للحِرْباء[٤] ، إلى أَنْ يسكن الحرُّ ووَهَجُ الرّمْلِ .

وفى هذا الحديثِ من العَجَبِ أَنْ تكون هذه الحيَّةُ تهتَدِى لمثل هذه الحيلة . وفيه جَهلَ الطائرِ بفرقِ ما بين الحيوانِ والعُود . وفيه قلةَ اكتراثِ الحيَّة بالرَّمْل الذى عادَ كالجمر[٥] ، وصلحَ أن يكون مَلةً وموضِعا للخبزة[٦] ، ثمَّ [أن [٧]] يشتمل ذلك الرَّمل على ثلث الحيَّة ساعاتٍ من النَّهار ، والرملُ على هذه الصفة . فهذه أعجوبةٌ من أعاجيب مافى الحيّات .

---

(١) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٣٩) : « نابت » بالنون .
(٢) س : « أكلته » .
(٣) س : « جانبها »، محرف .
(٤) الجذل ، بالكسر ويفتح : ما عظم من أصول الشجر ، وما على مثال شماريخ النخل من العيدان . والحرباء : بالكسر : دويبة من العظاء بطيئة الحركة تتلون ألوانا : Chameleon . وهى إذا احتمت بجذل شجرة لم يميزها الرائى ؛ لأنها تتلون سريعاً بلون الجذل ، فيحسبها نتوءا فيه لا أنها شىء غريب عنه ، فتحفظ نفسها بذلك .
(٥) عاد هنا ، بمعنى صار .
(٦) الملة ، بالفتح : الرماد الحار . والخبزة ، بالضم : عجين يوضع فى الملة حتى ينضج .
(٧) ليست بالأصل .

(رضاع الحية وإعجابها باللبن)

وزعم لى رِجَالٌ من الصّقالبةِ ، خصيانٌ وفحول ، أنَّ الحيَّة فى بلادهم تأتى البقرةَ[١] [المحفَّلةَ[٢]] فتنطوى على فخِذيْها[٣] ورُكبتيها إلى عراقيبها ، ثمّ تُشْخص صدرها نحو أخلافِ ضَرْعِها ، حتى تلْتقم الخِلف ؛ فلا تستطيع البقَرَةُ [مع قوّتها[٤]] أن تَتَرَمْرَمَ[٥] . فلا تزالُ تمصُّ اللبن ، وكلما مصّت استرخت . فإذا كادت تتلفُ أَرسلتها .

وزعموا أن تلك البقَرَةَ إمّا أن تموتَ[٦] ، وإمّا أنْ يصيبَها فى ضرعها فسادٌ شديدٌ تَعْسُرُ مداواته[٧] .

والحيَّةُ تُعْجَبُ باللبن . وإذا وجدت الأفاعى[٨] الإناء غير مخَمَّر[٩]

---

(١) ط : « البقر » ، وأثبت ما فى س ، هـ ونهاية الأرب (٩ : ١٣٩) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب . والمحفلة ، بفتح الفاء المشددة : الناقة أو البقرة أو الشاة لا يحلبها صاحبها أياما حتى يجتمع لبنها فى ضرعها ، فإذا احتلبها المشترى وجدها غزيرة اللبن فزاد فى ثمنها . وفى الحديث : « من اشترى شاة محفلة فلم يرضها ردها ورد معها صاعا من تمر » . وبدلها فى س ، هـ : « المحتفلة » تحريف ما أسلفت .

(٣) ط : « فخذى البقرة » .

(٤) الزيادة من نهاية الأرب .

(٥) تترمرم : تتحرك .

(٦) بدلها فى نهاية الأرب : « تتلف » .

(٧) س ونهاية الأرب : « يعسر دواؤه » .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٩) خمر الإناء : غطاه .

٣٩ كرعت فيه[١] ، ورُبَّمَا مجّت فيه ما صار فى جوفها ، فيصيبُ شاربَ ذلك اللّبَنِ أذًى ومكروهٌ كثير .

ويقال إنّ اللبن محتَضر[٢] . وقد ذهب ناسٌ إلى العمّار ، على قولهم إنّ الثوبَ المعصْفَر محْتَضَر[٣] . فظنّ كثيرٌ من العلماء أنّ المعنى فى اللبن إنمَا رَجَعَ إلى الحيّات .

(ما تعجب به الحيات)

والحيَّةُ تَعْجَبُ باللُّفّاح[٤] والبِطِّيخ[٥] ، وبالحُرْف[٦] ، والخردل المرْخُوف[٧] ؛ وتكره ريحَ السّذاب[٨] والشّيح ، كما تكره الوَزَغُ ريحَ الزّعفَران .

---

(١) كرع فى الماء أو فى الإناء ، كمنع وسمع ، كرعا وكروعا : تناوله بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء .

(٢) محتضر ، بالضاد المعجمة المفتوحة : تحضره الجن فيما يزعمون ؛ قالوا : ولذلك يسرع إليه الفساد . وفى الأصل : « محتصر » بالمهملة . وليس صوابا .

(٣) ط : « مختصر » س : « محتصر » . وصوابه ما أثبت من ه . وانظر التنبيه السابق .

(٤) اللفاح بالضم وتشديد الفاء : نبت عريض الورق ؛ وله ثمر فى حجم التفاح إلا أنه أصفر شديد العفوصة والقبض ، فإذا نضج مال إلى حلاوة ما . ويسمى بالشام تفاح الجن . وأصله يتكون كصورة الإنسان بيديه ورجليه ، ولذلك يسمى بالسريانية : « يبروحا » أى ينقصه الروح : ويسمى بالفارسية : « هزار كشاى » أى يحل ألف عقدة .

(٥) لا يزال هذا الزعم باقيا فى مصر ، والعامة عندنا إذا أرادوا أن يحفظوا البطيخ المشقوق من أذى الحيات والهوام ، غيبوا نصل السكين فى جوفه ، فيعصمه ذلك من شر الهوام فيما يرون .

(٦) الحرف ، بالضم : هو المعروف بحب الرشاد .

(٧) المرخوف ، بالخاء المعجمة : الذى وضع عليه الماء فاسترخى . وهذه الكلمة محرفة فى أصلها ، فهى فى ط ، ه : « المزخرف » وفى س : « المرحوف » بالحاء المهملة .

(٨) ه : « السداب » بالمهملة ، تصحيف . وانظر العقد (٦ : ٢٤٣) .

(قوة بدن الحية)

وليس فى الأرض شىءٌ جسمه مثلُ جسم الحيَّةِ ، إلا والحيّةُ أقوى بدناً مِنه أضعافا . ومن قوَّتها أنها إذا أدخلَتْ رأسها فى جُحْرِها ، أو فى صَدْعٍ إلى صدرها ، لم يستطعْ أقوى النّاس وهو قابضٌ على ذنبها بكلتَا[1] يديه أنْ يخرجها ؛ لشدَّةِ اعتمادها ، وتَعاونِ أجزائِها . وليست بذاتِ[2] قوائم لهَا أظفارٌ أو مخالبُ أو أظلافٌ[3] ، تُنْشِبُهَا فى الأرض ، [و[4]] تتشبث بها[5] ، وتعتمد عليها . وربما انقطَعَتْ فى يدى[6] الجاذِب لها ، مَعَ أنها لدْنَةٌ ملساءُ عَلِكَة[7] فيحتاج الرفيق[8] فى أمرها عند ذلك ، أنْ يُرسلها من يديهِ بعضَ الإرسال ، ثم ينشطُها[9] كالمختطف والمختلس ، وربما انقطع ذنبها فى يد الجاذب لها . فأمَّا أذنابُ الأفاعى فإنها تنبُت .

---

(١) كذا على الصواب فى س ؛ إذ أن كلا وكلتا إذ أضيفتا إلى اسم ظاهر ألزمتا الألف . وفى ط ، ه : « بكلتى » ، وهو خطأ .

(٢) فى الأصل : « بذى » ، ووجهه ما أثبت .

(٣) ط ، ه : « لها أظلاف » ، صوابه فى س .

(٤) الزيادة من س ، ه .

(٥) س : « تثبت فيها » .

(٦) ط : « يد » . وانظر السطر الرابع من هذه الصفحة .

(٧) علكة ، كفرحة : من قولهم طعام عالك وعلك ، ككتف : متين المضغة . ط ، ه : « من أنها » ، وذا عكس المراد ، إذ المعنى أن ملاستها تقتضى انزلاقها من يد الجاذب ، وكونها علكة يستلزم أن تكون متينة تعز على القطع .

(٨) س : « فتحتاج إلى الرفق » ، وهى عبارة لاتساير باقى الكلام .

(٩) نشط الشىء ، من باب نصر : اختلسه .

ومن عجيب (١) ما فيها من هذا الباب ، أنَّ نابَها يُقطَع بالكاز (٢) ، فينبت حتى يتمَّ نباته فى أقلَّ من ثلاث ليال .

(نزع عين الخطاف)

والخُطَّاف فى هذا الباب خلافُ الخنزير ، لأنَّ الخطاف (٣) إذا قُلعتْ إحدى عينيه رجَعت . وعينُ البرْذَوْنِ يركبها البَياضُ ، فيذهب فى أيَّامٍ يسيرة .

(الاحتيال لناب الأفعى)

وناب الأفعى يحتالُ له بأن يُدخلَ فى فيها حُمَّاض أترُجّ (٤) ، ويطبق لحيُها (٥) الأعلى عَلَى الأسفل ، فلا تقتل بِعَضّتها أياماً صالحة .

والمِغْناطيس الجَاذب (٦) للحديد ، إذا حُكَّ عليه الثُّوم (٧) ، لم يجذب الحديد .

---

(١) س : « أعاجيب » .

(٢) الكاز ، بالزاى : هو المقص بالفارسية . ط : « بالكار » صوابه فى س ، هـ ومعاجم بالمر ، واستينجاس ، وريتشاردسن .

(٣) س : « الخنزير » صوابه فى ط ، هـ . وسيأتى فى ص ١٤٣ : « فإن نازعا لو نزع عيون فراخ الخطاطيف وفراخ الحيات لعادت بصيرة » .

(٤) الأترج ، سبق الحديث عنه فى (٣ : ٥٨١) . وحماضه : شحمه .

(٥) اللحى ، بالفتح : العظم الذى فيه الأسنان من داخل الفم . ط ، هـ : « لحييها » بالتثنية ، صوابه الإفراد كما فى س .

(٦) المغنطيس والمغناطيس ، بكسر الميم من كل منهما ، وكذا المغنيطس بفتح الميم وكسر النون وفتح الطاء : حجر يجذب الحديد ، معرب . وفى الأصل أيضا : « الجاذبة » صوابه ما أثبت .

(٧) الثوم ، بالضم ، ذاك النبت المعروف . س : « عليها » وهى على الصواب فى ط ، هـ . وجه مناسبة هذه الفقرة لما قبلها ، هو أن بعض المواد إذا اقترنت بمادة أخرى فقدت بعض خواصها .

(خصائص الأفعى)

والأفعى لا تدورُ عينها فى رأسها ، وهى تلد وتبيض ، وذلك أنها إذا طرَّقت ببيضها[١] تحطَّمَ فى جوفها ، فترمى بفراخِها أولادًا ، حتى كأنها من الحيوان الذى يلد حيواناً مثلَه .

وفى الأفاعى من العجَب أنَّها تُذبح حتى يُفرَى منها كلُّ ودَج ، فتبقى كذلك أيَّاماً لا تموت . وَأمرتُ[٢] الحاوىَ فقبض على خرَزَة[٣] عنقها ، فقلت له : اقبضها من الخرَزَة التى تليها قبضاً رفيقا[٤] . فما فَتَحَ بينها بقدر سَمِّ الإبرة حتَّى بَرَدَتْ ميِّتة[٥] . وزعم أنّه[٦] قد ذبحَ غيرَها من الحيَّات فعاشَتْ على شبيهٍ بذلك ، ثمَّ إنّه فَصَلَ تلك الخرَزة عَلَى مثالِ ما صنع بالأفعى ، فماتت بأسرعَ من الطَّرْف .

---

(١) طرقت ببيضها ، بتشديد الراء : حان لها أن يخرج بيضها . ط : « طرقت بيضها » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط ، هـ : « فأمرت » بالفاء .

(٣) الخرزة ، بالتحريك : الفقرة من فقرات الظهر أو العنق .

(٤) س : « من الفقرة » والفقرة والخرزة سيان . هـ : « فصلا رقيقا » محرف .

(٥) سم الإبرة : ثقبها . بردت : ماتت .

(٦) الضمير المستكن ، للحاوى الذى سبق ذكره .

(قوة بدن الممسوح)

وكلُّ شىءٍ ممسوحِ البَدن(١) ، ليس بِذِى أيدٍ ولا أرْجُل(٢) ، فإنَّه يكون شديدَ البدن ، كالسَّمكة(٣) والحيَّة .

(حديث فى سم الأفعى)

وزعم أحمد بن غالب(٤) قال : باعنى حَوّاءٌ ثلاثين أفعى بدينارين ،
٤٠ وأهدى إلىَّ خمساً اصطادها من قُبالة القلب(٥) ، فى تلك الصحارى على شاطئ دجلة . قال : وأرَدْتها للتِّرياق . [قال] : فقال لى حين جاءنى بها : قل لى : مَن يعالجها ؟ [قال] : فقلت له : فلان الصيدلانىّ . فقال : ليس عن هذا سألتك ، قل لى : من يذبحها ويسلُخها ؟ قال : قلت : هذا الصيدلانىُّ بعينه . قال : أخاف أن يكون مغرورًا من نفسه ؛ إنّه والله إن أخطأ موضع المفصِل من قفاه(٦) ، وحركته أسرعُ من البرق ، فإن كان لا يحسن(٧)

(١) هذه الكلمة ساقطة من ه . و « ممسوح » بالحاء المهملة ، وقد فسره بما سيأتى . وفى الأصل : « ممسوخ » بالخاء المعجمة ، وهو تصحيف .
(٢) ط : « رجل » والوجه الجمع كما فى س ، ه .
(٣) ط ، ه : « كالسمك » .
(٤) س : « أحمد بنى غالب » . والصواب ماأثبت من ط ، ه . ويؤيده اتفاق النسخ على إثبات « ابن غالب » فى الصفحة ١١٦ .
(٥) موضع أو ماء ، لم أهتد بعد إلى ضبطه أو تعيينه .
(٦) ط : « قفاها » صوابه فى س ، ه .
(٧) س : « يحس » .

ولايدرى كيف يتغفله ، فينقُرُه نَقْرَةً[(١)] لَمْ يُفْلِحْ بَعْدَهَا أَبَدًا . ولكنى سَأَتَطَوَّعُ لك بِأَنْ أعمل ذلك بين يديه . قال : فبعثت إليه . وكان رأسه [إلى[(٢)]] الجُونة[(٣)] ، فَيُغْفِلُ[(٤)] الواحدةَ فيقبِض على قفاها بأسرع من الطَّرْفِ[(٥)] ، ثمَّ يذبحها . فإذا ذبحها سال من أفواهها لُعابٌ أبيض ، فيقول : هذا هو السم الذى يقتُل ! قال : فجالت يدُه جَوْلة . وقطرت من ذلك اللُّعاب قطرةٌ عَلَى طرَف قميصِ الصيدلانىِّ . قال : فَتَفَشَّى[(٦)] ذلك القاطرُ حتَّى صار فى قدر الدِّرهم العظيم . ثم إنّ الحوّاء امتَحَن ذلك الموضعَ فتهافت

(١) النقر ، بالقاف : أصله للطير ، واستعماله فى الحيات غريب ، لم أر مثله إلا فيما ورد فى ص ١٠٩ ، وكذا فى أثناء قصة رواها الجهشيارى (فى كتاب الوزراء والكتاب) بشأن حية مر بها رجل فقالت له : أدخلنى فى كمك حتى أدفأ ثم أخرج . فأدخلها فلما دفئت قال لها : اخرجى ! فقالت : إنى ما دخلت فى هذا المدخل قط فخرجت حتى أنقر نقرة . وبعدها : « وواللّه لئن دخل أسامة لينقرنك نقرة » . كل أولئك بالقاف . انظر الجهشيارى ٥٦ س ١٤ ، ١٥ . والمعروف فى الأفاعى : نكز ينكز ، بالنون ثم الكاف بعدها زاى معجمة ، كما سيأتى فى ص ٢٥٣ .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) الجونة ، بضم الجيم : سليلة (تصغير سلة) مغشاة أدما (أى جلدا مدبوغا) تكون مع العطارين . ذاك أصلها . ط ، هـ : « الحونة » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) يقال أغفلت الرجل : أصبته ووجدته غافلا ، وعلى ذلك فسر بعضهم قوله عز وجل « ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا » : اللسان . س ، هـ : « فيتغفل » . يقال تغفلته واستغفلته : تحينت غفلته . والرواية المثبتة من ط .

(٥) الطرف : مصدر طرف بصره : أطبق أحد جفنيه على الآخر . والطرف أيضاً : العين . س : « فى أسرع من الطرف » .

(٦) تفشى بالفاء : انتشر واتسع . وفى اللسان : « تفشى الحبر : إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه » . ط ، س : « فتغشى » بالغين بدل الفاء ، ووجهه ما أثبت من هـ .

فى يده ، وبقيت الأَفاعى مُذَبَّحة[١] [تجول] فى الطست ويكدم[٢] بعضها بعضاً ، حتى أمسينا .

قال : وبكرت على أبى رجاء إلى باب الجِسر ، أحَدِّثه بالحديث ، فقال لى : ودِدْتُ أنّى رأيت موضع القطْرة من[٣] قميص الصَّيدلانى ! قال : فو الله ما رِمْتُ[٤] حَتَّى مرَّ مَعى إلى الصَّيدَلانىِّ ، فأَرَيْته موضعَه .

وأصحابُنا يزعمون أنّ لعابَ الأفاعى لا يَعمَلُ فى الدَّم . إلَّا أنّ أَحمَدَ ابنَ المثنَّى زعم أنّ من الأفاعى جنساً لا يضُرُّ الفراريج من بينِ الأشياء ، ولا أدرى أىُّ الخبرين أبعد : أخبَرُ ابن غالب فى تفسيخ الثَّوب ، أو خبر ابن المثنى فى سلامة الفَرُّوج عَلَى الأَفعى ؟

(ما تضىء عينه من الحيوان)

وزعم محمد بن الجهم أنّ العيون التى تضىء بالليل كأَنها مَصابيحُ ، عيونَ الأُسْد والنمور ، والسَّنانيرِ والأفاعى ، فبينا نحنُ عنده إذْ دخل عليه بعضُ من يجلب الأفاعىَ من سِجِسْتان ، ويَعْمَلُ التِّرياقات ، ويبيعها أحياءً ومَقْتُولة[٥] ، فقال له : حَدِّثهم بالذى حَدَّثتنى به من عينِ الأفعَى . قال : نَعَم ، كنتُ فى مَنْزِلى نائما فى ظلمة . وقد كنتَ جمعتُ رءوس أفَاع[٦]

(١) ط : « مذبوحة » وأثبت مافى س ، هـ .

(٢) يكدم : يعض . ط : « يكدم » بدون واو قبلهما .

(٣) س ، هـ : « فى » .

(٤) مارمت ، بكسر الراء من « رمت » : أى مابرحت .

(٥) فى الأصل : « معمولة » .

(٦) فى الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء . والوجه حذفها .

كنَّ عندى ، لأرمىَ بها ، وأغفلتُ تحت السَّرير رأساً واحداً ، ففتحتُ عينى تجاهَ السَّريرِ فى الظلمةِ فرأيت ضياءً إلاَّ أنَّه ضئيلٌ ضعيفٌ رقيق ، فقلت : عينُ غولٍ أو بعضِ أولادِ السَّعالى ، وذهبتْ نفسى فى ألوانٍ من المعانى ، فقمت فقدَحْت ناراً ، وأخذتُ المصباح معى ، ومضيت نحوَ السرير فلم أجِدْ تَحْتَهُ إلاّ رأسَ أفعى[1] ، فأطفأتُ السِّراج ونمتُ[2] وفتحْتُ عينى ، فإذا ذلك الضوء على حاله ، فنهضْتُ فصَنعتُ كصنيعى الأوَّل ، حتى فعلتُ ذلك مِرارا . قال : فقلت آخر مرَّة : ما أرى[3] شيئاً إلَّا رأسَ أفعى ، فلو نحَّيتُـه ! ٤١
فنحَّيتُه وأطفأتُ السِّراج ، ثمّ رجعْتُ إلى منامى ، ففتحْتُ عينى فلم أرَ الضَّوء ، فعلمت أنّه من عين الأفعى ، ثمَّ سألتُ عن ذلك ، فإذا الأمرُ حَقٌّ ، وإذا هو مشهورٌ فى أهل هذه الصِّناعة .

(قوة بدن الحية وعلة ذلك)

قال : وربَّما قبضَ الرَّجلُ الشديدُ الأسْرِ والقُوّةِ القبضةَ على قفا الحيَّة فتلتفُّ عليه فتصرعُهُ . وفى صُعودِها وفى سعيها خلفَ الرَّجلِ الشـديدِ الُحضْر ، أو عند هربها حتّى تفوتَ وتسبق ، وليستْ بذاتِ قوائم ، وإنما

---

(١) الأفعى مؤنثة ، وقد استعملت اسما ووصفا . فمن جعلها وصفا لم يصرف كما لا يصرف أحمر ، ومن جعلها اسما صرف ، كما صرف أرنبا وأفكلا . المخصص (١٦ : ١٠٦) . هذا قول الفارسى . وقال غيره : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » . المخصص (١٦ : ١٠٥) .

(٢) س : « ونمنا » ، ونام هنا بمعنى رقد .

(٣) ط ، هـ : « لا أرى » .

تنسابُ عَلى بطنها . وفى تدافُعِ أجزائها وتَعاونها ، وفى حرَكَةِ الكلِّ[١] من ذاتِ نفسها ، دليلٌ على إفراطِ قوّةِ بدنها .

ومن ذلك أنها لا تمضغ ، وإنما تبتلع ، فربّما كان فى البَضْعة أو فى الشىء الذى ابتلعَتْه عَظْمٌ ، فتأتى جِذْمَ شجرةٍ ، أو حَجرًا شاخصا[٢] فتنطوى عليه انطواءً شديدا فيتحطّم[٣] ذلك العَظْمُ حتَّى يَصير رُفاتاً .

ثمَّ يُقطعُ ذنبُها فينبت . ثمَّ تعيشُ فى المـاء ، إن صارت فى الماء ، بَعد أنْ كانَتْ بريّة ، وتعيشُ فى البرِّ بَعْدَ أن طال مُكْثها فى المـاء وصارتْ مائيَّة .

قال : وإنّمَا أتتْها هذه القُوَّة ، واشتدَّت فِقَرُ ظهرِها هذه الشِّدَّة ؛ لكثْرةِ أضلاعِها ، وذلك أنّ لها من الأضلاع عددَ أيَّامِ الشَّهر. وهى مع ذلك أطولُ الحيوان عمرًا .

(موت الحية)

ويزعمون أنَّ الحيَّة لا تموتُ حتْفَ أنفها ، وإنَّمَا تموتُ بِعَرَض يَعْرِضُ لَهَا . ومع ذلك فإنه ليس فى الحيوان شىءٌ هُوَ أصبرُ عَلَى جوعٍ من حَيَّةٍ ، لأنَّها إنْ كانتْ شابَّةً فَدَخلتْ فى حائط صخر ، فتتبَّعُوا موضعَ مَدْخَلها بوتِدٍ أو بحجر[٤] ، ثمّ هدمُوا هذا الحائط ، وجدُوها هنَاك منطوية

---

(١) أى كل أجزائها . ط ، هـ : « حركتها الكل » صوابه فى س . والواو التى قبل « فى » ساقطة من ط .

(٢) شاخصا : مرتفعا . س : « حجر شاخص » صوابه فى ط ، هـ .

(٣) س : « فيحطم » .

(٤) س : « حجر » .

وهى حَيَّةٌ . فالشّابةُ تُذكر بِالصَّبْر عند هذه العلَّة(١) . فإن هَرِمَتْ صغُرَت فى بدنها ، وأقنعَهَا النَّسِيم ، ولم تشتَهِ الطعم . وقد قَالَ الشاعرُ : — وهوَ جَاهلىٌّ(٢) — :

فابْعَثْ له من بعض أعراض اللَّمَمْ(٣) ... لُمَيْمَةً من حَنَشٍ أعْمى أصمْ

قَدْ عاشَ حتى هُوَ لا يَمشى بدمْ ... فكُلَّمَا أقْصَدَ مِنْهُ الجوعُ شَمْ(٤)

وهذا(٥) القولُ لهذا المعنى . وفى هذا الوجه يقُول الشاعِرُ(٦) :

داهية قَدْ صغُرَتْ من(٧) الكِبَرْ ... صِلّ صفاً ماينطوى من القِصَر(٨)

---

(١) أى تذكر بالصبر على الجوع . والعبارة ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « تذكر الضمر » . وصوابه ما أثبت .

(٢) مثله فى ص ٢٨٣ . وبعض هذا الرجز سيأتى فى (٦ : ١٢٩ ، ٤٠٢) .

(٣) اللمم ، بالتحريك : مايلم بالإنسان من شدة ، ومثله « اللمة » بالفتح . وقد صغرها فيما سيأتى .

(٤) أى شم الهواء ، يطعمه بدل الطعام ، كما سبق . ط ، هـ : « سم » بالمهملة ، صوابه فى س وفى ص ٢٨٣ . وأقصده : أصابه إصابة محققة .

(٥) س : « فهذا » .

(٦) هو خلف الأحمر كما سيأتى فى ص ٢٨٥ — ٢٨٦ ، أو هو النابغة كما فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) وأصل نهاية الأرب (١٠ : ١٤٥) وحماسة ابن الشجرى ٢٧٣ — ٢٧٤ . وفى مجموعة المعانى ، لمؤلف مجهول ١٩٥ : « وقال النابغة ، ونسبت إلى خلف الأحمر » .

(٧) ضبطت : « داهية » بالنصب فى المخصص (٨ : ١٠٩) . وروى صاحب المخصص أيضاً « حارية » بالنصب كذلك .

(٨) الصفا : الحجر الصلد الضخم لاينبت شيئاً . ط : « صخا » صوابه فى س ، هـ . يقول : قد قصر حتى مايمكن انطواؤه . فى نهاية الأرب : « لاتنطوى » ، وفى ديوان المعانى : « لاينطوى » ، وفى حماسة ابن الشجرى : « ماينطوى » ، وهذه مصحفة .

طويلة الإطراقِ من غير خَفَرْ[١] كأنَّمَا قد ذهبت بهاَ الفِكر[٢]

جَاء بهاَ الطوفان أيَّامَ زَخرْ[٣]

(صَبْرُها على فَقْدِ الطُّعْم)

ومن أعاجيبهاَ أنها وإن كانتْ مَوْصُوفةً بالشَّرَهِ والنَّهَم ، وسُرعَةِ

٤٢ الابتلاع ، فلها فى الصَّبرِ فى أيَّامِ الشِّتاء ما ليس للزَّهيدِ[٤] . ثمَّ هى بَعْدُ [مِمَّا[٥]] يصير بها الحالُ إلى أن تستغنِيَ عن الطُّعم[٦] .

(النمس والثعابين)

ثمّ قدْ يزعمون أنَّ بمصرَ دويْبَّةً يقال لها النمس[٧] يتخذهَا الناطور[٨] إذا اشتـدّ خوفه مِنَ الثّعَابين ؛ لأنّ هـذه الدَّابَّةَ تنقبضُ وتنضمُّ ،

---

(١) الإطراق ، بالقاف : إرخاء العينين والنظرِ بهما إلى الأرض . ط ، ه : « الأطراف » بالفاء . ومثله فى ديوان المعانى ، ونهاية الأرب . وهو تصحيف لاوجه له ، والصواب المثبت من س وحماسة ابن الشجرى . والخفر : شدة الحياء ، وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « تفر » وفى س ، ه : « نفر » وفى أصل نهاية الأرب « حفر » ، وصوابها فى ديوان المعانى وحماسة ابن الشجرى . والرواية فى ص ٢٨٦ : « حسر » . وقد أنث « طويلة » لأن الصل بمعنى الحية ، وهى مؤنثة .

(٢) كذا فى ط ، ه . ورواية س : « كمطرق قد ذهبت به الفكر » .

(٣) زخر ، بالزاى المعجمة : كثُر ماؤه وعظمت أمواجه . ه : « ذخر » محرف .

(٤) فى التهذيب : « رجل زهيد وامرأة زهيدة ، وهما القليلا الطعم » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٥) من س ، ه .

(٦) ط : « الطم » صوابه فى س ، ه .

(٧) النمس ، بالكسر : حيوان أكدر اللون أحمر العينين قصير القوائم طويل الجسم والذنب ، ولا يزال معروفا فى مصر ، يراه الفلاحون فى بعض المزارع ، ويستأنسه بعض التجار فى حوانيتهم . والعامة يضربون بعينه المثل ، فيقولون : « عينه كعين النمس » ، وفلان نمس ، يعنون بالأول أنه حديد البصر سريعه ، وبالثانى أنه ألمعى حاذق لاتفوته الفرصة .

(٨) الناطور : حافظ النخل والشجر ، قيل إنه دخيل . وقال الأصمعى : هو الناطور =

وتَتَضاءَلُ(١) وتستدقّ ، حتّى كأنّها قُدَيْدَة(٢) أو قطعة حبْل ، فإذا عضّها الثُّعبان وانطوى عليها زَفَرتْ ، وأخذتْ بنَفَسها وزَخَرت(٣) جوفها فانتفخ . فتفعل ذلك وقد انطوى عليها ، فتقطعه قِطَعاً من شِدّةِ الزَّخْرة(٤) .

وهذا من أعجب الأحاديث .

(القواتل من الحيات)

والثّعابينَ إحدَى القواتِل . ويزعُمون أنّها ثلاثةُ أجناسٍ لا ينجعُ فيها رُقيةٌ ولا حِيلة ، كالثعبان ، والأفعى ، والهنديَّة(٥) . ويقال : إنَّ ما سِواها فإنما يقتُلُ مع ما يُمدُّها من الفزع ؛ فقد يفعل الفزَع وحدَه ؛ فكيف إذا قارنَ سُمّهَا(٦) ؟ ! [وسُمُّهَا](٧) إن لم يقتّلْ أمرَضَ .

= والنبط يجعلون الظاء طاء ، ألا تراهم يقولون « برطلة » وإنما هو ابن الظل . قلت : ذاك معناها التفصيلي الاشتقاق ، وكلمة « بر » بمعنى الابن بالنبطية ، فهو يريد أن النبط ألفوا الكلمة من لفظهم ومن كلام العرب . ومعنى الكلمة : المظلة الضيقة . انظر المعرب ص ١٤٧ ثم ص ٢٩ .

(١) تتضاءل : تنقبض وينضم بعضها إلى بعض . وهذه الكلمة ساقطة من س ، ومحرفة فى ط ، هـ برسم « تنصال » .

(٢) قديدة : مصغر القدة بالكسر ، وهى واحدة القد ، كما فى القاموس . والقد : سيور تقد من جلد فطير غير مدبوغ ، فتشد بها الأقتاب والمحامل ، كما فى اللسان . ط ، هـ : « فريدة » صوابه فى س . وانظر أواخر مفاخرة الجوارى والغلمان من رسائل الجاحظ .

(٣) زخر الشيء : ملأه ، كما فى القاموس . س : « زخْرت » ، وكتبت النقطة العليا بالمداد الأحمر ، والسفلى بالأسود ، ولم أستطع توجيه : « زجرت » بالجيم .

(٤) هـ : « الزجرة » وانظر التنبيه السابق . س : « الزحرة » مصحفة .

(٥) فى العبارة نقص وتشويه . وانظر ما نقل الدميرى عن الجاحظ (١ : ٤١١) .

(٦) ط ، هـ : « قارنه » .

(٧) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

(ما يفعل الفزع فى المسموم)

ويزعمون أنَّ رجلاً قال[١] تحتَ شجرةٍ ، فتدلَّت عليه حيَّةٌ منها فعضَّت رأسَه ، فانتبه محمرَّ الوَجْهِ ، فحكَّ رأسَه ، وتَلَفَّتَ[٢] ، فلم يرَ شيئاً ، فوضع رأسَه ينامُ ، وأقام مدَّةً طويلةً لا يرى بأساً ، فقال له[٣] بَعْضُ مَنْ كان رأى تدلِّيَهَا عليه ثمّ تقلُّصَها عنه وهروبَها منه[٤] : هل علمتَ مِنْ أيِّ شيءٍ كان انتباهك تحتَ الشّجرة ؟ قال : لا والله ، ما علمت . قال : بلى ، فإنَّ الحيّةَ الفُلانيَّة نزلت عليك حتّى عضّتْ رأسَك ، فلما جلست [فزعا] تقلَّصتْ عنك وتراجعَت . فَفَزع فَزْعَةً وصَرَخَ صرخةً كانَتْ فيها نَفْسُهُ . وكأنهُمْ توَهَّمُوا أنَّه لما فزِع واضطربَ ، وقد كان ذلك السُّمُّ مغمورًا ممنوعا فزال مانِعُهُ ، وأوغله ذلك الفزَع ، حِينَ[٥] تفتَّحت منافسُه ، إلى موضع الصَّميم والدِّماغِ وعُمْقِ البدَن ، فانحلَّ موضعُ العَقْد الذى انعقدَت عليه أجزاؤه وأخلاطُه .

وأنشد الأصمعىُّ :

نَكِيثة تنهشه بمنبذ[٦]

---

(١) قال ، هنا ، بمعنى نام فى القائلة ، وهى نصف النهار .

(٢) ط ، هـ : « ويلتفت » ، وأثبت ما فى س والدميرى .

(٣) بدل هذه العبارة فى س : « فلما كان ذلك قال » .

(٤) « وهروبها منه » ساقط من س . وفى ط ، هـ : « من كان رأى حاله » الخ .

(٥) فى الأصل : « حتى » .

(٦) ط ، هـ : « ونكهشة » .

وأنشدَ لأبى دُوادٍ الإيادىّ :

فأَتانى تَقْحِيمُ كَعْبٍ لىَ المنْـ ـطقَ إن النَّـكِيثة الإقْحَام [١]

(أثر الفزع فى فعل السم)

قال : فالفزَعُ إمّا أنْ يكونَ يُوصِل السمَّ إلى المَقاتِل ، وإمَّا أن يكون معيناً له ، كتعاون الرَّجُلين على نزع وتِد . فهم [٢] لا يجزمون على أنّ الحيَّة من القواتل البتّة [٣] ، إلَّا أنْ تقتلَ إذا عضَّت النائمَ والمغشىَّ عليه ، والطفلَ الغريرَ ، والمجنونَ الذى لا يَعْقِل ، وحتّى تجرَّبَ عليهِ الأدوية .

(الترياق و انقلاب الأفعى)

وكنت يوماً عند أبى عبد الله أحمد بن أبى دُواد ، وكان عنده سلْمويه [٤] وابن ما سويه ، وبختيشوع بن جبريل ، فقال : هل ينفع التِّرياق من نهشة

(١) التقحيم : أن يجعله يقحم أى يدخل فى الأمر فجأة بلا روية . فى الأصل : « تفخيم » صوابه فى الشعراء ١٨٩ . وكعب ، هو كعب بن مامة ، الرجل الجواد ، وكان قد بلغ أبا دواد شىء عنه . الشعراء ١٨٩ . وفى الأصل : « إلى المنطق » تصحيحه من الشعراء . والنكيثة : الخطة الصعبة ، ط ، هـ : « النكيشة » صوابه فى س والشعراء . والإقحام بمعنى التقحيم ، ط ، هـ : « الافحام » تصحيحه من س والشعراء ، وقد روى ابن قتيبة أربعة عشر بيتا من هذه القصيدة .

(٢) بدل هذه الكلمة والتى قبلها فى ط : « وتراهم » ، تحريف صوابه فى س ، هـ .

(٣) يقال : جزم على الأمر ، بفتح الزاى مخففة ، أو مشددة : أى سكت . س : « لايجزمون أن الحية » الخ ، ومؤدى العبارتين واحد عند التأمل .

(٤) فى الأصل : « وكان أخذ داود عنده سلمويه » ، والكلمة الثانية والثالثة يفسدان الكلام .

أفعى ؟ فقال بعضهم : إذا عَضَّتِ الأفعى فأُدرِكَتْ قبل أن تنْقَلب[١] نفع
٤٣ الترياق ، وإن لَمْ تُدْرَك لَمْ يَنْفَعْ ؛ لأنهم إنْ قلّلوا مِنَ التِّرياقِ قتلَهُ السُّمُّ ،
وإن كثّروا مِنْهُ قتَله الفاضلُ عن مقدار الحاجة .

قلت : فإنَّ ابنَ الْعجوزِ[٢] خبّرَنى بأنها[٣] ليست تنقلب لِمَجِّ السمِّ وإفراغهِ ، ولكنَّ الأفعى فى نابها عَصَل[٤] ، وإذا عضّت استفرغت إدخالَ النَّابِ كلِّه ، وهو أحْجَنُ أعْصَل[٥] ، فيهِ مشابه من الشِّص ّ[٦] ، فإذا انقلبَتْ كان أسهلَ لنزْعه وسلِّه . فأمَّا لصبِّ السّم ّ وإفراغه فلا . قَالَ : والله لعلّه ما قلت ! [قلتُ] : مَا أسْرَعَ ما شككْتَ ! !

ثمّ قلت له : فكأنما[٧] وضعوا الترياق واجتلَبُوا الأَفاعىَ وضنُّوا[٨] وعزمُوا على أنه لاينفع إلاّ بدرْك الأَفْعَى قبلَ أنْ تَنقلب ! وكيف صار التِّرياقُ بعد الانقلاب لا يكونَ إلّا فى إحْدَى منزلتين : إمّا أن يقتل بكثرته ، وإمَّا ألاّ يَنْفَعَ بقلَّته ! فكأَنَّ الترياقَ ليس نفعُه إلَّا [فى[٩]] المنزلةِ الوسطى التى لا تكون فاضلةً ولا ناقصة ! ولكنى أقولُ لك : كيف يكون نفعه إذا كان الترياقُ جَيِّدًا قويًّا ، وعُوجل فسُقى المقْدَارَ الأَوسط ، قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الصَّميمَ ، ويغوصَ فى العُمْقِ[١٠] . وعلى هذا وُضع ، وهم كانوا أحْزَم

---

(١) س : « تقلب » .
(٢) فى ص ٤١٩ : « ابن أبى العجوز » . وهو أحد الحوائين .
(٣) س : « بأن الأفعى » .
(٤) العصل ، بالصاد المهملة والتحريك : الاعوجاج . س ، ه : « عضل » مصحف .
(٥) س : « أعضل » ، بالصاد المهملة كما فى ه ، ط .
(٦) هذه العبارة ليست فى ه ، وفى ط ، س : « النقص » . ووجهه ما أثبت .
(٧) فى الأصل : « فإنما » .
(٨) كذا .
(٩) ليست بالأصل .
(١٠) أى عمق البدن ، كما مر فى ١٢٢ س ١١ . وفى الأصل : « العميق » .

وأحْذَقَ مِنْ أن يتكلفوا شيئاً ، ومقدارُه من النَّفعِ لا يُوصَل إلى معرفته .

ويقول بعضُ الحذاق : إنَّ سقيَ التِّرياقِ بعدَ النهش بساعةٍ أو ساعتَين مَوْت المنهوش .

ثم قلتُ له : وما عَلَّمك ؟ وبأيِّ سببٍ أيقنتَ[١] أنها تَمجُّ من جوفِ نابها شيئاً ؟ ! ولعله ليس هنالك إلاَّ مخالطة جوهَرِ ذلك النَّابِ لدم الإنسان ! أَوَلسْنَا قد نَجِدُ من الإنسانِ مَنْ يَعَضُّ صاحِبَه فيقتُلُه ، ويكونُ معروفاً بذلك ؟ ! وقد تقِرُّون أنَّ الهنديَّة والثُّعبانَ يقتلان ، إمَّا بمخالطة[٢] الرِّيق والدم ، وإمَّا بمخالطة السِّنِّ والدَّم ، من غير أن تدَّعوا أنَّ أسنانَهما مجوَّفة[٣] . وقد أجمع جميعُ أصحابِ التِّجارب أنَّ الحيَّة تضْرَبُ بِقَصَبَةٍ[٤] فتكون أشدَّ عليها من العصا وقد يضرَبُ الرجلُ على جسَده بقضبان اللَّوْزِ وَقضبَان الرُّمان ، وقضبانُ اللَّوْزِ أعلك[٥] وألْدن ، ولكنَّها أَسلَمُ[٦] ، وقُضبان الرُّمَّان أخفُّ وأسخَفُ ولكنها أعطب .

وقد يطأ الإنسان على عَظْمِ حَيَّةٍ أو إِبْرَةِ عَقْرَبٍ ، وهما مَيْتَتان ، فيلقى الجهد . وقد يُخْرَجُ السِّكِّينُ من الكِيرِ وهو مُحمًّى ، فيُغْمَسُ فى اللبن

(١) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « علمت » .

(٢) ط ، هـ : « لمخالطة » .

(٣) س : « جوف » : جمع جوفاء .

(٤) س : « بعصية » : تصغير عصا ، صوابه فى ط ، هـ .

(٥) أعلك بمعنى أشد وأمتن . ويقال : طعام عالك وعلك – ككتف : متين الممضغة . وألدن . من اللدونة ، وهى اللين . واللدن : اللين .

(٦) ط ، س : « اسم » صوابهما فى هـ .

فتى خالط الدّم قامَ مقامَ السمّ ، من غير أن يكون مَجَّ فى الدّم رطوبةً غليظةً أو رقيقةً .

وبعض الحجارة يُكْوَى بها — وهو رِخْوٌ — الأوْرَامُ حتى يفرِّقها ويُحْمِصهَا (١) من غير أن يكونَ نفذَ إليْهَا شىءٌ مِنْهُ ، وليس إلاّ الملاقاة .

قلت : (٢) ولعلَّ قوًى قد انفصلت من أنيابِ الأفاعى إلى دماء النَّاس .

وقد رَوَوْا أنَّه قيل لجالينوس : إنّ هاهُنا رجلاً يَرقى العقاربَ فتموتُ ، أو

٤٤ تنحلّ فلا تعمل ، فرآه يرقيها ويتفل عليها ، فدعا به بحضرةِ جماعةٍ وهو على الرِّيق ، ودعا بغدائه فتغَدّى مَعَه ، ثمَّ دعِىَ له بالعقاربِ فتَفَل عليها ، فلم يَجِدْ لعابه يصنَعُ شيئاً إلاّ أنْ يكون ريقاً . وهُوَ حَدِيثٌ يدورُ بينَ أهل الطبِّ ، وأنت طبيب . فلم أَرَهُ فى يومه ذلك قال شيئاً إلاَّ مِن طريق الحزْر والحَدْس ، والبلاغات .

(السُّموم)

وسمومُ الحيَّاتِ ذواتِ الأنياب ، والعقاربِ ذواتِ الإبر ، إنمَا تَعْمَلُ فى الدّمِ بالإجمادِ والإذابة . وكذا سمومَ ذواتِ الشعر والقُرُونِ والجُمِّ ، إنمَا تَعْمَلُ فى العصب ، ومنها ما يعمل فى الدم .

---

(١) ط : « حتّى يفرقها » س : « حتى يمرقها » صوابه فى ه . ويحمصها = يجعلها تنحمص أى تنقبض وتتضاءل وتسكن . ه : « يخمصها » بالخاء المعجمة ، وهى صحيحة بمعنى الأولى .

(٢) فى الأصل : « فإن قلت » . وصوابه حذف « فإن » . وقراءة الفعل بضمير المتكلم ، وهو الجاحظ . وانظر انتصار الجاحظ للقول بالقوى الفاصلة من بعض الأشياء ، فى الجزء الثانى من الحيوان ص ١٣٥ — ١٤٠ .

(شرب المسموم لِلَّبَن)

وحدثني بعضُ أصحابنا قال : كنتُ إمَّا برماى[١] وإما ببارى[٢] وهما بلادُ حيّاتٍ وأفاعٍ[٣] ، ونحن فى عُرْس ، إذ أدخلوا الخِدْرَ العروسَ[٤] فأبطئوا عليه شيئاً ، فأغفى وتلوّتْ على ذراعه أفعى[٥] ، فذهبَ ينفضها وحَجَمَتْ على ذراعه ــ وقد يقال ذلك إذا كانت العضَّة فى صورةِ شَرْطِ الحجَّام ــ فصَرَخَ وجاءُوا يتعادَوْن[٦] فوجدُوها فقتلوها ، وسقَوه فى تلك اللَّيلةِ لبَن أربعينَ عنزاً ، كُلَّما استقرّ فى جوفه قَعْبٌ من ذلك اللَّبَن قاءَ فَيَخْرُجُ مِنْهُ كأمثال طَلْعِ[٧] الفُحال الأبيض[٨] ، فيه طرائق من دَسَمٍ تعلوه خضرة ، حتّى استوْفى ذلك اللَّبَن كله . قال : فعندها قال شيخٌ من أهل القرية : إن كنتم أخرجْتم ذلك السمَّ فقد أخرجتم نَفْسَهُ معَه ! قال : فغبَرَا أيّاماً بأسوإ حالٍ ثمَّ مات . قال : وكنتُ أعجَبُ من سُرعة استحالة اللَّبَنِ وجُموده .

---

(١) ه : « برمار » .

(٢) س : « بهارى » .

(٣) فى الأصل : « أفاعى » بإثبات الياء ، وصوابه ما أثبت .

(٤) العروس ، يقال للرجل والمرأة ، والمراد هنا : الرجل .

(٥) انظر ما كتبت عن هذا اللفظ فى ص ١١٧ .

(٦) يتعادون : يتبارون فى العدو .

(٧) هذه الكلمة ليست فى الأصل ، وهى ضرورية . والطلع : نور النخل مادام فى الكافور ، أى الغلاف .

(٨) الفحال ، كرمان : الذكر من النخل . والأبيض صفة للطلع لا للفحال .

(اكتفاء الحيات والضباب بالنسيم)

قلتُ : والحيَّاتُ البرِّيَّة إذا هرِمَت تنسَّمت النَّسيمَ فاكتفَتْ به[١] ، وكذلك الضِّبابُ إذا هرِمت .

قال : ولا يكون ذلك للمائيّة من حيَّاتِ الغياضِ[٢] وشُطوطِ الأنهار ، ومناقع[٣] المياه .

(الحيات المائية)

قال : والحيَّات المائيَّة ، إمَّا أن تكون برِّيَّةً أو جبليّةً ، فاكتَسحتها السُّيولُ واحتملَتْها فى كثيرٍ مِنْ أصناف الحشَرَاتِ والدَّوابِّ والسِّباع ، فتوالدت تلك الحيّاتُ وتلاقحَتْ هناك . وإمَّا أنْ تكون كانت أمهاتُها وآباؤُها فى حيَّاتِ الماء . وكيف دارت الأمور فإنَّ الحيَّاتِ فى أصل الطّبع مائيّة . وهى تعيشُ فى النَّدَى ، وفى الماء ، وفى البرِّ وفى البحر ، وفى الصَّخر والرَّمل . ومن طباعها أن ترقّ وتلطف على شكلين : أحدهما لطول العمر ، والآخر للبُعد من الرِّيف . وعلى حسب ذلك تعظم فى المياه والغياض :

---

(١) س : « واكتفت بذلك » .

(٢) الغياض : جمع غيضة بالفتح ، وهى مجتمع الصخر فى مغيض ماء . ھ : « الغيات » محرف .

(٣) مناقع ، بالقاف : جمع منقع بالفتح ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . ط : « منافع » ، صوابه فى س ، ھ .

(ما أشبه الحيات من السمك)

قال : وكلُّ شيء فى الماء ممّا يعايش السمك ، مما أشبه الحيَّات كالمارماهى[١] والأنكليس[٢] فإنها[٣] كلها على ضربين : فأحدهما من أولاد الحيات ، انقلبت بما عرض لها من طباع البلد والماء . والآخر من نسل سمك وحيات تلاقَحَت[٤] ؛ إذ[٥] كان [طِبَاعُ[٦]] السمك قريباً من طباع تلك الحيّات . والحيّاتُ فى الأصل مائيَّة ،وكلّها كانت حيّات .

(١) المارماهى : ضرب من السمك الشبيه بالحيات ، وليس بحيات . واللفظ فارسى وضبطت راؤه بالكسر فى معجم Palmer . ط ، هـ : « كالماء ما هى » صوابه فى س .

(٢) الأنكليس : ضرب من حيات الماء . وقد جعل الجاحظ هذا وما قبله نوعين . وقد وجدت الدميرى يقول إنهما نوع واحد . انظر رسمى (الأنكليس ، والجرى) فيه . وقال داود فى التذكرة : « مارماهى هو حيات الماء المعروف عندنا بالأنكليس ، سمك شبيه بالحيات » . ولفظه يونانى معرب كما فى معجم المعلوف ١١ . وضبطه صاحب القاموس ، وكذا الدميرى ، بفتح الهمزة واللام وبكسرها ، ويقال فيه أيضا « أنقليس » بالقاف .

(٣) فى الأصل : « وإنها » .

(٤) ط ، هـ : « وتلاقحت » والصواب حذف الواو كما فى س .

(٥) س : « إذا » ، صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٦) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(قرابة بعض النبات لبعض)

وقد زعم أهلُ البصرة أنّ مُشَان(١) الـكوفة قريبٌ(٢) من بَرْنىّ(٣) البصْرَة ، قلبته البلدة .

ويزعمُ أهلُ الحجاز أنَّ نخلَ النارجيل(٤) هو نخل المُقْل(٥) ، ولـكنّه انقلب لطباعِ البلدة . وأشباهَ ذلك كثير .

ويزعمون أنَّ الفيَلة مائيّة الطِّباع بالجاموسيَّة والخِنزيرية التى فيها .

---

(١) المشان كغراب وكتاب : نوع من أطيب الرطب ، واللفظ معرب « موشان » الفارسية معناه أم الجرذان ، وقد ترجم الفرس هذا اللفظ العربى إلى لغتهم . وكلمة « موش» معناها الفأر بالفارسية . والألف والنون علامة الجمع عندهم . وأم جرذان : نوع من التمر كبار ، قيل إن نخله يجتمع تحته الفأر ، وروى صاحب اللسان عن أبى حنيفة أن أم جرذان آخر نخلة بالحجاز إدراكا ، قال الساجع : « إذا طلعت الدراتان ، أكلت أم جرذان » . وروى عنه — أى عن أبى حنيفة — صاحب المخصص أنها نخلة تحبها الجرذان فتصمدها فتأكل منها .

(٢) فى الأصل : « قريبا » .

(٣) البرنى ، بالضم وبالفتح : ضرب من التمر ، جاء فى المخصص (١١ : ١٣٣) : « وأم جرذان بالمدينة مثل البرنى بالبصرة ، تلقط أبدا حتى لا يبقى عليها شىء » وهو معرب من « برنيك » الفارسية ، « بر » بمعنى حمل ، و « نيك » بمعنى جيد ، فمعناه الحمل الجيد . وهذه الـكلمة محرفه فى الأصل ، فهى فى ط ، ه : « مسان » وفى س : « قرنبا » والوجه فيه ما ذكرت ، انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة .

(٤) النارجيل : الجوز الهندى ، تعريب « نارگيل » . وضبط بفتح الراء ضبط قلم فى القاموس واللسان . ط : « النارجيلى »، صوابه فى س ، ه .

(٥) المقل ، بالضم : حمل شجرة الدوم .

(الذئب والنسيم)

قال : والذِّئْبُ أيضاً ، وإن كان عندهم[١] مِمَّا لا يجتزى بالنَّسيم[٢] ، فإنَّه من الحيوان الذى يفتح فاه للنَّسيم ؛ ليبرد جوفه من اللهيب[٣] الذى يعتَرِى السِّباع ؛ ولأنّ ذلك يمدّ قوّته ، ويقطع عنه ببرودته[٤] ولطافته الرِّيق . فإن كان ذا سُعْر[٥] [إذا عدا[٦]] احتشى ريحاً .

(اختلاف صبر الذئب والأسد على الطعام)

وربّما جاعَ الأسد ففعل فِعْلَ الذِّئب ، فالأسد والذِّئب يختلفان فى الجوع والصبر ؛ لأنَّ الأسدَ شديدُ النَّهَمِ ، رغيبٌ حريص شَرِهٌ ؛ وهو مع ذلك يحتمِلُ أنْ يبقى أيّاماً لا يأكلُ شيئاً . والذِّئبُ وإن كان أقفر[٧] منزلاً ، وأقلَّ خِصْبا ، وأكثَرَ كَدًّا[٨] وإخفاقا ، فلا بدَّ له من شىءٍ يُلقِيه فى جوفه ، فإذا لم يجدْ شيئاً استعار النسيم .

---

(١) ط ، س : « عنده » صوابه فى هـ .

(٢) فى الأصل : « الهرم منها لا يجتزى بالنسيم » ، وكلمة « الهرم » مقحمة . وكلمة « منها » محرفة عما أثبت .

(٣) س : « اللهث » .

(٤) س : « ببرده » .

(٥) السعر ، بالضم : الجوع والحر . وفى الأصل : « سحر » . ولا وجه له .

(٦) الزيادة من س ، هـ .

(٧) كذا على الصواب فى ط ، هـ ومباهج الفكر والدميرى وثمار القلوب ٣١٠ وفى س : « أقعد » ولا وجه له .

(٨) كذا فى الأصل ومباهج الفكر والدميرى . والكد : الشدة فى العمل ، والإلحاح فى محاولة الشىء . وربما كانت هذه الكلمة : « إكداء » ، والإكداء بمعنى الإخفاق .

(حيلة بعض الجائعين)

والنَّاس إذا جاعُوا واشتدَّ جوعُهم شدُّوا على بطونهم العمائم . فإن استقلوا ، وإلاَّ شَدُّوا الحجَر (١) .

(شعر فى الذئب)

وأنشَد (٢) :

كَسِيدِ الغَضَى العَادِى أضلَّ جِراءَهُ (٣)
على شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ يَلْحَبُ (٤)

كأنَّه يجمع استِدْخالَ الرِّيحِ والنَّسيم ، فلعلَّه أن يجِدَ ريحَ جِرائه .

وقالَ الرَّاجز (٥) :

يَسْتَخْبِرُ (٦) الرِّيحَ إذا لم يَسْمَعِ بِمِثْلِ مِقْرَاعِ الصَّفَا المُوقَّعِ (٧)

(١) روى ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٣١٨ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ما دعا على مضر بقوله : « اللهم اشدد وطأتك على مضر . . . » الخ — نال الجدب رسول الله وأصحابه حتى شد هو وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . ط : « الحجز » صوابه فى س ، ه .

(٢) ط ، : « وأنشدوا » ،

(٣) السيد : الذئب ، والغضى : الخمر بالتحريك ، وهو ما واراك من شجر وغيره ، وذئب الغضى أخنث الذئاب . العادى ، بالدال : الذى يعدو . أضل جراءه : فقد أولاده ، والجراء ، بالكسر : جمع جرو . ط ، ه : « أصل » ، ط ، ه ، س : « جراءة » ، وذانك تصحيفان .

(٤) الشرف : ما علا من الأرض ، وإنما يستقبل الريح ليتشمم ريح أولاده . يلحب : يسرع .

(٥) هو أبو الرد ينى العكلى ، كما أسلفت فى الجزء الأول ص ٣٤ نقلا عن البيان .

(٦) ط : « يستبخر » صوابه فى س ، ه والبيان (١ : ٨٢) . وفى اللسان : (مخر، قرع) « يستمخر » وقال : «استمخرها : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه » .

(٧) المقراع : الفأس يكسر بها الصخر . الموقع : المحدد . وقع الحديدة : حددها .

(شمّ الظليم)

والظَّلِيم يكون على بيضه فيشمُّ ريح القانص من أكثَرَ من غَلْوَةٍ ، ويبعُد عَنْ رئالِهِ (١) فيشمُّ ريحَها من مكان بعيد.

وأنشدني يحيي بن نُجَيم (٢) بن زَمَعة قال :

أشمُّ من هَيَقٍ وأهْدَى من جَمَلْ (٣)

وأنشدني عَمْرُو بن كِركِرة (٤) :

مَا زالَ يشتمُّ اشتمامَ الهَيْقِ

قال وإنَّمَا جعله ذئبَ غَضَى لأنهم يقولون : ذئبُ الخَمر (٥) أخبث . ويقولون : شَيْطان الحماطة (٦) . يريدون الحيّة .

(بعض ضروب الحيّات)

وكلُّ حيّةٍ خفيفةِ الجسم فهى شَيطان (٧) . والثِّقالُ لا تنْشط من أرضٍ إلى أرض ، وتثقل عَمَّا تبلُغه المستطيلاتُ الخِفاف . وقال طرَفة :

تلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كأنَّهُ تَعَمُّجُ شَيْطانٍ بذى خِرْوعٍ قَفْرِ (٨)

---

(١) الرئال : جمع رأل ، وهو فرخ النعام .

(٢) فى الأصل : « لحيم » باللام ، وهو تحريف . وقد سبقت ترجمة يحيى بن نجيم فى (٢ : ٣٥١) .

(٣) الهيق ، بالفتح : ذكر النعام . وأهدى : من الهداية .

(٤) سبقت ترجمته فى (٣ : ٥٢٥) . ط : « عمر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلى ، والحيات تألفه .

(٧) قال الجاحظ فى (١ : ١٥٣) : « ويسمون الحية إذا كانت داهية منها شيطانا » .

(٨) ط : « خضرمى » ، صوابه فى س ، هـ . تعمج : تلو . ط ، هـ : « تقمح » صوابه فى س . وقد سبق البيت فى (١ : ١٥٣) وسيعاد فى (٦ : ١٩٢) .

الـكِرْمانى عن أنَس ــ ولا أدرى مَنْ أنسٌ هذا ــ فى صفة ناقة :

شَنَاحِيَةٌ فيهـا شنـاحٌ كأنّهـا
حَبَابٌ بكفّ الشّأْوِ من أسطعٍ حَشْرِ[1]

والحَباب : الحيّة الذّكر .

(بعض المضاف إلى النبات من الحيوان)

وكما يقولون : ذئب الخَمر ، يقولون : أرنب الخلّة[2] ، وتيس الرَّبْل[3]

٤٦ وضبُّ السَّحَا[4] . والسَّحَا[4] بقلةٌ تَحسُنُ حالُه[5] مَنْ أكلها .

وكذلك يقولون : « ماهو إلاّ قُنْفُذُ بُرْقة[6] » لأنه يكون أخبثَ له :

وذلك كلّه على قَدْر طبائع البُلدانِ والأغْذِيَة العاملةِ فى طبائع الحيوان .

---

(١) الشناحية : الطويلة الجسيمة . والشأو : الزمام . ط : « الشاء » صوابه فى س ، هـ والجزء الأول ص ١٥٣ . والأسطع : العنق الطويل . والحشر : المستوى .

(٢) الخلة ، بالضم : شجرة شاكة ، وفى ثمـار القلوب ٣٣٠ : « الحلة » بالحاء المهملة وهى بالكسر : شجرة شاكة أيضا .

(٣) المراد بالتيس هنا : الذكر من الظباء أو الوعول . والربل بالفتح : ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . وفى الأصل : « الرمل » ، وهو تحريف صوابه فى (٦ : ١٢٣) ، وجاء فى شعر امرىء القيس :

وراح كتيس الربل ينفض رأسه أذاة به من صـائك متحلب

(٤) السحا ، بالفتح : جمع سحاة ، وهى شجرة شاكة . س : « السحاء » وهى بالكسر نبت شائك يرعاه النحل ، عسله غاية .

(٥) س : « حالة » .

(٦) البرقة ، بالضم : غلظ من الأرض فيه حجارة و رمل وطين مختلطة .

(بعض طبائع البلدان)

ألا تَرى أنَّهم يزعُمون أنَّ مَن دخَلَ أرضَ تُبَّتَ[١] لم يزَلْ ضاحكا مسروراً ، من غير عَجَب[٢] حتّى يخرجَ منها .

ومن أقام بالموصِل حولاً ثم تفقَّد قوَّته وجد فيها فضلاً . ومن أقام بالأهواز حَوْلاً فتفقَّد عقلَه[٣] ذُو فِراسةٍ وجد النُّقصانَ فيه بيِّنا . كما يقال فى حُمَّى خيبر[٤] ، وطِحال البحرين[٥] ، ودماميل الجزيرة[٦] ، [وجَرَب الزِّنج[٧]] . وقال الشَّمَّاخ[٨] .

(١) تبت ، بضم التاء وتشديد الباء المفتوحة : ذاك الإقليم الصينى .

(٢) العجب : مايتعجب منه . وتجد مثل هذا الكلام فى معجم البلدان وثمار القلوب ٣١٠ وعيون الأخبار ١ : ٢١٩ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٦٤ . قال ياقوت فى نعت أهلها : « والتبسم فيهم عام حتى إنه ليظهر فى وجوه بهائمهم » ! .

(٣) ط ، هـ : « قوته » ، صوابه فى س وعيون الأخبار ومحاضرات الراغب . قال ياقوت : « ومن أقام بها سنة نقص عقله » .

(٤) خيبر ، هى الولاية التى كانت عندها الغزوة المشهورة ، وكانت ذات سبعة حصون ولذلك تسمى « خيابر » أيضاً ، كما ورد فى شعر لابن قيس الرقيات . ومعنى « خيبر » الحصن باللغة العبرية كما فى معجم البلدان . ويقال لها أيضاً « خيبرى » كما ورد فى الأمثال : « به الورى . وحمى خيبرى » . أمثال الميدانى (١ : ٩٥) وفى العقد (٤ : ٣٠١) ما يفهم منه أن يهود خيبر كانوا يتبعون نظاما صحيا كفل لهم قلة التعرض لحاها : « سئل يهود خيبر : بم صححتم على وباء خيبر ؟ قالوا : بأكل الثوم ، وشرب الخمر ، وسكون اليفاع ، وتجنب بطون الأودية ، والخروج من خيبر عند طلوع النجم وعند سقوطه » .

(٥) قالوا : من سكن بالبحرين عظم طحاله ، وقال شاعرهم :

ومن يسكن البحرين يعظم طحاله ... ويغبط بما فى بطنه وهو جائع

(٦) هذه الجزيرة هى المسماه « جزيرة أقور » ، وهى التى بين دجلة والفرات مجاورة الشام تشتمل على ديار بكر وديار مضر ، ومن أمهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور ، وماردين وآمد وميافارقين والموصل . انظر معجم البلدان .

(٧) هذه الزيادة من هـ . وفى ثمار القلوب ٤٣٥ : « طرب الزنج » حيث تحدث فى ذلك حديثا طويلا . وكل منهما خاصة من خواص الزنج . وسيأتى فى ١٣٩ فى الكلام على بلاد الزنج : « ألا يزال جربا ما أقام بها » .

(٨) س : « شماخ » .

كأنَّ نَطــاة خيْبَرَ زَوَّدَتْه بَــكُورَ الوِرْدِ رَيِّثَةَ القُلُوعِ (١)

وقال أوسَ بن حجَر :

كأنَّ به إذْ جئتَهُ (٢) خَيْبَرِيَّةً يَعُودُ عَلَيْهِ وِرْدُهَا وقلاَلُهَا (٣)

وقال آخر :

كأنّ حمَّى خيبر تَمُلُّهُ (٤)

وكذلك القول في وادى جُحفة (٥) ، وفى مَهْيَعَةَ (٦) ، وفى أصول النخل حيث كان .

وقال عبد الله بن همام السَّلوليُّ فى دماميل الجزيرة :

---

(١) نطاة ، بالنون المفتوحة : عين ماء بقرية من قرى خيبر . وفى الأصل : « قطاة » صوابه فى معجم البلدان حيث روى البيت ، وديوان الشماخ ٥٧ . زودته : أعطته زادا . بكور الورد : يعنى حمى تباكر بوردها جسمه . ريثة القلوع : بطيئة الانــكشاف والبرد . فى الأصل : « رنقه » مكان « ريثه »، صوابه فى المعجم والديوان . وقبل البيت :

ألا تلك ابنة الأموى قالت أراك اليوم جسمك كالرجيع

والرجيع : الحبل الذى نقض ثم فتل مرة ثانية .

(٢) فى الأصل : « كأن به أدحية » . وفى ديوان أوس ٢٤ : « أرخية » صوابهما ما أثبت من معجم البلدان (نطاة) وثمار القلوب ٤٣٦. وعنى بالخيبرية الحمى.

(٣) الورد ، بكسر الواو : اسم من أسماء الحمى ، أو هو يوم ورودها . « قلالها » : كذا جاءت بالأصل : وفى المعجم والثمار : « ملالها » . والملال ، بالضم : حرارة الحمى ، أو التقلب من المرض . وما فى الأصل هو الموافق ما فى الديوان .

(٤) تمله : كأنها تضعه فى الملة ، وهى بالضم : الرماد الحار .

(٥) الجحفة بين مكة والمدينة . روى أنه لما قدم الرسول المدينة استوبأها ، وحم أصحابه فقال : « اللهم حبب إلينا المدينة كما حببت إلينا مكة ، أو أشد ، وصححها ، وبارك لنا فى صاعها ومدها ، وانقل حماها إلى الجحفة » .

(٦) مهيعة : موضع قريب من الجحفة .

أُتِيحَ له مِنْ شُرْطَةِ الحَيِّ جَانِبٌ غَلِيظُ الْقُصَيْرَى لحمُهُ مُتَكَاوِسُ (١)
تَرَاهُ إذا يَمْضِى يحكُّ كَأَنَّمَا به من دَماميل الجَزيرةِ ناخسُ (٢)

فحدَّثنى أبو زُفَرَ الضِّرارى (٣) قال : مات ضِرار بن عمرو وهو ابن تسعين سنةً بالدَّماميل . قلت : واللهِ إنّ هذا لعجب ! قال : كلاَّ إنَّمَا احتملها من الجزيرة .

وكذلك القولُ فى طواعِين الشّام . قال أحدُ بنى المغيرة (٤) ، فيمن مات منهم بِطَوَاعِين الشام ، ومن مات منهم بطَعْن الرِّماح أيَّامَ تلك المغازى :

مَنْ يَنْزِلِ الشَّأمَ وَيَعْرَسْ بِهِ (٥) فالشَّامُ إنْ لَمْ يُفْنِهِ كَاذِبُ
أَفْنَى بنى رَيْطَةَ فُرسانَهمْ عِشرينَ لم يُقْصَصْ لهم شارِبُ (٦)
ومن بنى أعمامِهمْ مِثْلَهم لِمِثْلِ هذا عجِبَ العاجِبُ (٧)
طَعْنٌ وطاعُونٌ منايَاهُمُ ذلك ما خَطَّ لنا الكاتِبُ

(١) شرطة كل شىء : خياره ، ومنه شرط السلطان ، وهم خيار جنده . فى الأصل : « سوطة » وتوجيهه من معجم البلدان . والجانب : القصير . والقصيرى بضم القاف وفتح الصاد مع القصر : أعلى الأضلاع . ط : « القيصرى » س : « القصير » صوابه فى هـ ومعجم البلدان ، والرواية فيه : « عريض القصيرى » . متكاوس : متراكب متراكم . ط ، هـ : « متفاوس » س . « متقاوس » تصحيحه من معجم البلدان .

(٢) الحكك : مشية فيها شبه بمشية المرأة القصيرة إذا تحركت وهزت منكبيها . ورواية المعجم : « أبد إذا يمشى يحيك » . الأبد : السمين . يحيك : يتبختر ويختال . ط : « كما نما » صوابه فى س ، هـ والمعجم .

(٣) ط : « الضارى » صوابه فى س ، هـ . وبدله فى ثمار القلوب ٤٣٨ : «أبو زرعة» فقط .

(٤) هو المهاجر بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزومى . الإصابة ٨٣٢٩ .

(٥) عرس به ، كفرح : لزمه .

(٦) فرسانهم ، بدل من بنى ريطة . لم يقصص لهم شارب : أى إنهم فى مقتبل الشباب . وريطة هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . انظر الاستدراكات .

(٧) العاجب : المتعجب . وفى ثمار القلوب ٤٣٥ : « يعجب العاجب » وفى س : « عجب عاجب » ، وهو مثل من أمثلة المبالغة ، كقولهم يوم أيوم ، وليل أليل ، وروض أريض ، وظل ظليل ، وحرز حريز ، وداء دوى .

(قدوم عبد الله بن الحسن على عمر بن عبد العزيز وهشام)

قال : ولمّا قَدِمَ عبدُ الله بن الحسن بن الحسين رضى الله عنهم ، على عمرَ بنِ عبد العزيز رضى الله عنه — فى حَوائجَ له ، فلمَّا رأى مكانَه بالشام ، وعَرَفَ سِنَّه وسمْتَه وعقلَه ، ولسانَه ، وصلاته وصيامه ، فلم يكنْ شىءٌ أحبَّ إليه من ألاَّ يراه أحـــدٌ من أهل الشام ، فقال له : إنِّى أخافُ
٤٧ عَلَيكَ طَواعينَ الشَّام ؛ فإنَّكَ لن تُغْـنِمَ أهلَكَ أكثَرَ منك[١] ، فالحَقْ بهم ؛ فإنَّ حوائجك ستسبِقُك إليهم[٢] . ثمّ قدم على هشامٍ ، فكره عبدُ الله أن يدخل منزلا له[٣] حتّى يأتيَه فى ثيابِ سفَره ؛ مخافة سوء ظنِّه[٤] . فلما أعلمه الحاجبُ مكانَه ، ودخل عليه وعايَنه ، كره أن يقيم بها طرْفَة عين . قال : اذكر حوائجك . قال : أحطُّ رَحْلى وأضَعُ ثيابَ سفرى ، وأتذكَّرُ حوائجى . قال : إنَّك لنْ تجِدَنى فى حالٍ خيراً لك منِّى الساعة ! يريد أن القُلوبَ أرقُّ ماتكونُ إذا تلاقت العيونُ عن بُعْدِ عَهد . وليس ذلك أراد[٥] .

---

(١) فى ثمار القلوب : « وإنك لم يغنم أهلك خيراً منك » . وسبق مثل هذه الرواية فى (٣ : ٤٧٢) .

(٢) ثمار القلوب : « فإن حوائجك ستتبعك » ، وفى الحيوان (٣ : ٤٧٢) : « فإن حوائجهم ستسبقك » .

(٣) ط ، هـ : « منزله » .

(٤) أى لئلا يظن به العداء . وفى ط ، هـ : « شرطته » ، وما أثبت من س أوجه .

(٥) انظر لتوضيح هذا ما سبق فى (٣ : ٤٧٢ س ١٣ ، ١٤) .

(طحال البحرين)

والعامّة تنشد :

مَنْ يَسْكنِ البَحْرَينِ يعظُمْ طِحالُهُ ويُغْبَطْ بما فى بَطْنِهِ وَهْو جَائِعُ (١)

ونظر دُكينٌ الرّاجزُ ، إلى أبى العباس (٢) محمّدِ بنِ ذؤيبٍ الفُقيميِّ الرّاجز ، وهو غُلَيِّمٌ مصفرٌّ مَطحُول (٣) ، وهو يمتَحُ على بَكَرةٍ (٤) ويرتجز . فقال : من هذا العُمانىّ (٥) ؟ فلزمته هذه النّسبة .

(جرب الزنج)

وحدَّثنى يوسفُ الزّنجى أنّه لا بدَّ لكلِّ مَن قدِم من شِقِّ العراق إلى بلادِ الزِّنج ألاَّ يزالَ جَرِباً ، ما أقام بها . وإنْ أكثَرَ من شُرْب نبيذِها ، أو شَراب النّارَجِيل ، طمَسَ الُخمَارُ على عقله ، حتَّى لا يكونَ بينه وبين المعتُوه إلاّ الشّىء اليسير .

---

(١) انظر أمثال الميدانى (١ : ٢٥٥) فى قولهم : « الذئب مغبوط بما فى بطنه » . الشعر والشعراء ٧٣١ .

(٢) ط ، س : « ابن العباس » صوابه فى س ، وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) : وفى الأغانى (١٧ : ٨١) : « ويكنى أبا عبد الله » ، فهما كنيتان له . ومثل ذلك فى العرب كثير . وفى المعارف ٢٥٩ فصل خاص بمن له كنيتان أو ثلاث .

(٣) المطحول : الذى يشكو مرض طحاله .

(٤) البكرة ، بالفتح وتحرك : خشبة مستديرة فى وسطها محز يستقى عليها .

(٥) العمانى نسبة إلى عمان ، بضم العين بعدها ميم مفتوحة مخففة ، وهى بلاد عربية فى جنوب خليج فارس . وضبطت بتشديد الميم فى (خريطة) الممالك الإسلامية ، خطأ . وكانت البحرين وعمان منفصلتين قبل الدولة العباسية . قال ياقوت : « فلما ولى بنو العباس صيروا عمان والبحرين واليمامة عملا واحداً » . ومما يجدر ذكره أن أصل نسبة أبى العباس إلى البصرة ، أى هو بصرى ، كما فى الأغانى . وقد عقد ابن قتيبة فصلا لمثل هذه النسب فى المعارف ٢٥٧ — ٢٥٨ .

(طبيعة المصيصة)

وخبَّرنى كم شئتَ من الغُزاة ، أن مَن أطالَ الصَّومَ بالمصيصة[١] فى أيَّام الصّيف ، هاج به المِرار . وأنَّ كثيراً منهم قد جُنُّوا عن[٢] ذلك الاحتراق .

(طبيعة قصبة الأهواز)

فأمَّا قصَبَة[٣] الأَهواز ، فإنها قلبَتْ كلَّ مَن نزَلها من بنى هاشم إلى كثيرٍ من طِباعهم وشمائلهم[٤] ، ولابدَّ للهاشميِّ ، قبيحَ الوجهِ كان أو حسناً ، أو[٥] دميما كان أو بارعاً رائعا ، مِنْ أن يكون لوجْهه وشمائله طبائعُ يَبينُ بها من جميعِ قريشٍ وجميعِ العرب . فلقد كادَتِ البلْدة أن تنقل ذلك فتبدِّله[٦] ، ولقد تَخَيَّفَتْه[٧] وأدخلَت الضَّيمَ عليه، وبيَّنَتْ أثرَها فيه ؛ فما ظنُّك بصنيعها فى سائر الأجناس[٨] ؟ !

ولفسادِ عُقولِهم، ولؤمِ طبْع بلادِهم، لاتراهم مع تلك الأموالِ الكثيرةِ،

---

(١) يقال مصيصة ، بالفتح والصاد المشددة المكسورة ، ومصيصة بالتخفيف ، والأول أصح ، وهى بين أنطاكية وبلاد الروم .

(٢) ط ، ھ : « من » .

(٣) ط ، ھ : « قضية » ، صوابه فى س . وقصبة الأهواز ، أى أكبر مدنها . قال صاحب العين : « الأهواز : سبع كور بين البصرة وفارس » .

(٤) أى طبائع الأهوازيين وشمائلهم . وفى معجم البلدان : « فانقلبوا إلى طباع أهلها » .

(٥) الأفضل إسقاط هذا الحرف كما فى ثمار القلوب ٤٣٧ .

(٦) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .

(٧) تخيفته وتخوفته : تنقصته . ط : « تخفيه » صوابه فى س ، ھ .

(٨) فى ثمار القلوب ٤٣٥ نقلا عن الجاحظ : « ولقد تخفيه وتدخل الضنى عليه وتبين أثرها فيه » . الخ .

والضِّياع الفاشية ، يحبُّون من البنينَ والبناتِ ما يحبُّه أوساطُ أهلِ الأمصار على الثَّروة واليَسار ، وإن طال ذلك . والمال مَنْبَهةٌ كما تعلمون .

وقد يكتسبُ الرَّجُل ، من غيرهم ، المُوَيل[1] اليسير ، فلا يرضى لولده حتَّى يفرضَ له المؤدِّبين[2] ، ولا يرضى لنسائه مثل الذى كان يرضاه قبل ذلك[3] . وليس فى الأرض صناعةٌ مذكورةٌ ، ولا أدبٌ شريفٌ ، ولا مذهبٌ محمودٌ ، لهم فى شيءٍ منه نصيبٌ وإن خَسّ[4] . ولم أرَ بها وَجْنةً حمراءَ لصبيٍّ ولا صبيّةٍ ، ولا دماً ظاهراً ولا قريباً من ذلك . وهى قتَّالَةٌ للغُرَباء .

٤٨ وعلى أنَّ حُمَّاها خاصَّـةً ليست للغريب بأسرَعَ منها إلى القريب . ووباؤها[5] وحُمَّاها ، فى وقت انكشاف الوَباءِ ونُزوعِ الحمَّى عن جميع البُلدانِ.

وكلُّ محمومٍ فى الأرض فإنَّ حُمَّاه لا تنْزِع عنه ، ولا تفارقه ، وفى بدنه منها بقيَّة ؛ فإذا نزَعَتْ عنه فقد أخَذَ منها عند نفسه البراءةَ ، إلى أنْ يعود إلى الخلْط ، وأنْ يجمعَ فى جوفه الفسادَ[6] . وليست كذلك الأهواز

(١) مويل : تصغير مال .

(٢) المؤدبون ، جمع مؤدب ، بكسر الدال . والجاحظ ومن نحا نحوه يجعل المؤدب فوق المعلم . قال فى رسالة المعلمين (هامشة الكامل ١ : ٢) : « لو استقصيت عدد النحويين والعروضيين والفرضيين والحساب والخطاطين ، لوجدت أكثرهم مؤدب كبار ومعلم صغار » س : « المودين » محرف .

(٣) كذا فى س . وفى ط ، هـ : « ولا يرضى للسانه بمثل الذى كان يرضاه قبل ذاك »، وتصحح مع إعادة الضمير إلى ولده ، أى هو يختار لولده المتمازين من المؤدبين .

(٤) خس : قل . وفى الأصل وكذا فى معجم البلدان : « حسن » . وبعدها فى المعجم «أودق أوجل » ، وياقوت بدون ريب ينقل كلام بالجاحظ :

(٥) ط ، هـ : « ووباها » ،

(٦) بدله فى معجم البلدان : « إلا أن تعود لما يجتمع فى بطنه من الأخلاط الرديئة » .

لأنها تعاوِد من نزَعتْ عنه من غير حدَث ، كما تعاود أصحابَ الحدَث ؛ لأنَّهم ليسوا يُؤْتَوْن من قبل النَّهَمِ (١) ، ومن قِبَل الخلْط والإكْثار ، وإنَّما يُؤتَوْن من عينِ البلدة .

وكذلك جمعَت سوقُ الأهوازِ الأفاعيَ فى جبلِها الطَّاعِنِ فى منازلها ، المطِلِّ عليها ؛ والجرَّاراتِ (٢) فى بيوتِها ومقابرها ومنابرها . ولو كان فى العالَم شىءٌ هو شرٌّ من الأفعَى والجرَّارة ، لما قصَّرَت قصَبة الأهواز عن توليدِه وتلقيحه . وبَليتُها (٣) أنَّها من ورائها سِبَاخٌ (٤) ومناقعُ مياهٍ غليظةٍ وفيها أنهارٌ تشُقُّها مَسَايلُ كُنُفِهم (٥) ، ومياهُ أمطارهم ومُتَوَضَّآتِهِمْ (٦) فإذا طلَعت الشَّمسُ فطالَ مُقامُها ، وطالت مقابلتُها لذلك الجبل ، قبل

---

(١) الأولى : « التخم » جمع تخمة . كما جاء فى معجم البلدان .

(٢) الجرارات : ضرب من العقارب .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تليينه » وفى هـ : « تليينها » . وفى معجم البلدان زيادة : « من » قبل : « بليتها » .

(٤) سباخ ، بالكسر : جمع سبخة بالتحريك ، وهى الأرض تعلوها ملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر . هـ : « سباحة » س : « سباخة » محرفتان عما أثبت من س .

(٥) كذا فى س ومعجم البلدان . ونحوه فى ثمار القلوب ٢٣٧ . وفى ط : « لسقيها مسائل كنفهم » و هـ : « تسبقها مسائل كنفهم » ، والكلمة الأولى فى ط لها وجه وفى هـ محرفة . أما الكلمة الثانية : « مسائل » فهمزها خطأ ، لأن ياء مفرده مسيل ياء أصلية . ولم يرد الهمز إلا فى كلمتين ، إحداهما : « مصائب » وهذه لايعترف بها الأصمعى ويقول : إنها من لغة أهل الأمصار ، والمعروف : « مصيبات » . والثانية لم ترد إلا فى بعض القراءات غير السبع ، من قول الله : « وجعلنا لكم فيها معايش » . انظر المصباح . وقال السفاقسى : « وشذ خارجة فرواه عن نافع ، وهو ضعيف جداً ، بل جعله بعضهم لحنا» . غيث النفع ١٣٠ .

(٦) كذا فى معجم البلدان . وفى الأصل : « ومتوضئهم » بالإفراد . فى ثمار القلوب « ميضآتهم » .

بالصَّخْرِية التى فِيـه(١) تلكَ الجرّارات . فإذا امتلأت يُبسًا وحرارةً ، وعادتْ جمرةً واحدةً ، قذفت ما قَبلت من ذلك عليهم .

وقد تُحدِث [تلك] السِّباخ(٢) وتلك الأنهار(٣) بُخَاراً فاسداً ، فإذا التقى عليهم ما تُحدِث السِّباخ وما قذفه ذلك الجبلُ ، فسَدَ الهواء . وبفساد الهواء يفسُد(٤) كلُّ شيءٍ يشتملُ عليه ذلك الهواء .

وحدَّثنى إبراهيمُ بن عبَّاسٍ بن محمدِ بن منصورٍ ، عن مَشْيخةٍ(٥) من أهل الأهواز ، عن القوابل ، أنهنَّ ربّما قَبِلْنَ(٦) الطِّفلَ المولودَ ، فيجدْنَهُ فى تلك السَّاعةِ محموماً . يعرِفْنَ ذلك ويتحدَّثْن به .

(عيون الحيات والخطاطيف)

[قال(٧)] : ويعرِض لفراخِ الحيَّــات مثلُ الذى يعرِض لفِراخِ الخطاطِيف ؛ فإنَّ نازعاً لو نزَع عيونَ فراخ الخطاطيفِ ، وفراخِ الحيّاتِ ، لعادتْ بصيرةً(٨) .

---

(١) ط ، هـ : « بالصخرة » صوابه فى س . ط : « فيها » صوابه فى س ، هـ .
(٢) مضى تفسير هذه الكلمة فى الصفحة السابقة .
(٣) س فقط : « الأمطار » .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، هـ .
(٥) مشيخة ، كرحلة ، وأيضا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ . ط فقط : « شيخة » وهى صحيحة أيضاً ، وضبطها كعنبة وسدرة .
(٦) قبلت القابلة الولد : تلقته عند خروجه .
(٧) الزيادة من س ، هـ .
(٨) ذاك زعم .

(مفارقة السلحفاة والرق والضفدع للماء)

وزعم[١] أنَّ السُّلحفاةَ والرّقّ ، والضّفدع ، ممّا لا بدَّ له من التنفُّس ، ولا بدَّ لها من مفارقةِ الماء ، وأنَّها تبيض وتكتسب الطعم وهى خارجة[٢] من الماء ؛ وذلك لِلنَّسب الذى بينها وبين الضّبّ[٣] ، وإن كان هذا بَرِّيًّا وهذا بحريًّا .

(شبه بعض الحيوان البرى بنظيره من البحرى)

ويزعُمون أنّ ما[٤] كان فى البرِّ من الضبِّ والورَل والحِرباء ، والحلكاء[٥] ، وشحْمة الأرض ، والوزَغ ، والعَظاء[٦] مثلُ الذى فى البحر من السُّلَحفاة والرَّقّ ، والتِّمساح ، والضِّفدع ؛ وأنَّ تلك الأجناسَ البرّيّةَ وإن اختلفَتْ فى أُمورها ، فإنّها قد تتشابه فى أمور ؛ وأنَّ هذه الأجناسَ البحرية من تلك ، ككلب الماء من كلب الأرض .

---

(١) نسى الجاحظ أن يذكر صاحب الزعم ، أو سقط من الناسخين . وقد يكون الزاعم صاحب المنطق .

(٢) ط : « خراجة » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٣) س : « وذاك النسب » الخ . ط ، هـ : « التى » صوابها فى س .

(٤) ط : « أنما » صوابه فى س ، هـ .

(٥) الحلكاء ، بالضم ، وبالفتح ، وبالتحريك : ضرب من العظاء . ط فقط : « الحلكى » ، وهى صحيحة فى ذاتها ، وضبطها بضم الحاء واللام ، وتشديد الكاف المفتوحة . ولكنى لا أحسب الجاحظ استعمل هذه اللغة ، وإنما هو تحريف من الناسخ .

(٦) العظاء ، بالفتح : جمع عظاءة ، وهى دويبة كسام أبرص . س : « والقطاة » هـ : « والقطا » صوابه فى ط .

(صوم بعض الحيوان)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنّ الحيَّة وسامّ أبْرَص[١] من العَظَاء ، والتِّمساح ، تسكنُ فى أعشّتها[٢] الأربعةَ الأشهر الشديدةَ البرد[٣] ، لا تطعم شيئاً ؛ وأنّ سائر الحيّاتِ تسكنُ بطنَ الأرض . فأمَّا الأفاعى فإنّهَا تسكُن ٤٩
فى صُدوعِ الصَّخر .

وليس لشىءٍ من الحيوانِ من الصَّبر عن الطُّعمِ ما لهذه الأجناس . وإنَّ الفيل ليناسبُها من وجهين : أحدهما من طول العمر ، فإنَّ منها ما قد عاش أربعَمائةِ سنة . والوجه الآخر : أنّ الفيلة مائيَّة [وهذه الأجناس مائيَّة[٤]] وإن كان بعضُها لا يسكن الماء .

(داهية الغَبَر)

قال : وسَمِعتُ يونُسَ بنَ حَبيبٍ[٥] يقول : « داهية الغَبَر[٦] » . قال : وقيل

---

(١) ط : « تلك الحية » والوجه حذف الكلمة الأولى كما فى س ، ه . ط ، ه : « من سام أبرص » صوابه فى س .

(٢) كذا ، وأصل العش للطائر . وانظر حواشى ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ .

(٣) ط : « أربعة أشهر شديدة البرد » . س : « الأربع الأشهر الشديدة البرد » وأثبت ما فى ه لكن فيها « الأربعة أشهر » .

(٤) هذه الزيادة من ه .

(٥) فى الأصل : « حرب » ، والصواب ما أثبت . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) .

(٦) الغبر بالتحريك وبغين معجمة فى أولها : الماء يغبر حينا فى المستنقع ، كما يفهم من التعليل الآتى . وفى أمثال الميدانى (١ : ٤٠) : « وسمعت أن الغبر عين ماء بعينه تألفه الحيات » . وفى معجم البلدان : « الغبر آخر محال سلمى بجانب جبل طيئ ، وبه نخل ، ومياه تجرى أبداً » . ط : « القبر » صوابه فى س ، ه .

ذلك لأنها ربّما سكنَتْ بقُربِ ماءٍ ، إمَّا غديرٍ وإمَّا عينٍ ، فتَحْمِى[١] ذلك الموضعَ . وربما غبر ذلك الماءُ فى المنْقَع حيناً وقد حمتْــه .

وقال الـكذَّابُ الحِرمازىّ[٢] :

يا ابنَ المعلَّى نزَلَتْ إحدَى الكُبَرْ[٣]   دَاهيةُ الدَّهرِ وصَمَّاءُ الغَبَرْ[٤]

قال : وسأل[٥] الحكم بنُ مروانَ بنِ زنباعٍ ، عن بنى عبد الله ابن غطَفان ، قال : [أفعى[٦]] إنْ أيقظْتهــا لسعَتْكَ ، وإن تركْتَها لم تَضِرْكَ .

(نادرة تتعلق بالحيات)

وذكر عن سعيد بن صخر[٧] قال : نُهِش رجلٌ من أهل البادية كثيرُ المال ، فأشفى على الموت ، فأتاهم رجلٌ فقال : أنا أرْقيه ، فما تَعطونى[٨] ؟

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « فتحس » وفى هـ : « فتنحى » محرفتان .

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٨٤) .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى ثمار القلوب ٣٣٦ . والرواية فى اللسان (غبر) وكذا فى أمثال الميدانى : « أنت لها منذر من بين البشر » ، أى يامنذر . وفى اللسان أنه يمدح بهذا الشعر بن المنذرالجارود .

(٤) ط : « العبر » بالعين المهملة ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) كذا . ولعلها : « وسئل » .

(٦) الزيادة من س ، هـ . وانظر ما سبق من الـكلام على « أفعى » فى ص ١١٧ .

(٧) سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٦٣) .

(٨) ط : « فان تعطونى » صوابه ، فى س ، هـ . وقد حذف إحدى نونى : « تعطونى » وهو جائز . وفى المغنى : « ونحو تأمرونى يجوز فيه الفك والإدغام والنطق بنون واحدة » .

فشارطوه عَلَى ثلاثين درهما[١] ، فرقاه وسقاه أشياءَ ببعض الأخلاط ، فلمَّا أفاقَ قال : الرَّاقى والمداوى: حقى ! قال الملدوغ : وما حقه ، قالوا : ثلاثون درهما . قال أُعطيه من مالى ثلاثينَ درهما فى نَفَثَاتٍ نفثَهَا، وَحَمْضٍ سَقاه[٢] ! لا تُعطوه شيئاً !

(حديث سكر الشطرنجى)

وحـدَّثنى بعضُ أصحابِنـــا عن سُـكَّرٍ الشِّطرنجىّ ، وكان أحمقَ القاصِّين[٣] ، وأحذقهم بلعب الشِّطرنج ، وسألته عن خرق كان فى خَرَمَةِ أنفه[٤] فقلت له : ماكان هذا الخرق ؟ فذكر أنَّه خرج إلى جَبُّلَ[٥] يتـكسَّب بالشِّطْرنج ، فقدم البلدةَ وليس معه إلاّ درهمٌ واحد ، وليس يَدرِى أينجَح أم يُخْفِق ، وَيَجِدُ صاحبَه الذى اعتمَدَه أمْ لاَ يجده[٦] ؟ فورد على حَوَّاءٍ وبين يديه جُوَنٌ عِظامٌ[٧] فيها حياتٌ جليلة .

والحيّة إذا عضَّت لم تـكنْ غايتُها النَّهش أوالعضّ[٨] ، وأن ترضى بالنَّهش ،

---

(١) ط : « فارقوه عن ثلاثين درهما » ، تصحيحه من س ، ه .
(٢) الحمض ، بالفتح ، أصله كل نبت مالح أو حامض ، وجعله هنا للدواء الذى فيه حموضة . ه : « وحرس سق » والـكلمة الأولى فى ه محرفة .
(٣) جمع قاص للقصص . س ، ه : « العالمين » .
(٤) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى الأصل : « الخزامة » ، وهى كـكتابة : البرة تجعل فى الأنف . ولا وجه لها .
(٥) جبل ، بفتح الجيم وتشديد الباء المضمومة : بليدة بشاطىء دجلة . وفى الأصل : « الجبل » ولا تصح ؛ فإن الجبل اسم لبلاد كثيرة تمتد ما بين أذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس وبلاد الديلم . القاموس ومعجم البلدان .
(٦) ط : « ويجلو صاحبه الذى اعتمده أيجده أم لا » ، س : « ويحده أجبه » الخ صوابهما فى ه .
(٧) جون ، بضم الجيم وفتح الواو : جمع جونة ، بالضم . وقد سبق تفسيرها فى ١١٥ .
(٨) ط : « والعض » .

ولـكنَّها لا تعضُّ إلاّ للأَكل والابتلاع . وربَّماَ كانت الحيَّات عِظاماً جدًّا ولا سمومَ لهـا ، ولا تَعْقِر[١] بالعضّ ؛ كحيات الجَوْلاَنِ[٢] .

وفى البادية حيَّة يقال لها الُحفَّاث[٣] والُحفَّاث من الحيَّات تأكل الفأر وأشباهَ الفأر ، ولها وعيدٌ مُنـكَرٌ ، ونفْخٌ وإظهارٌ للصَّولة ؛ وليس وراء ذلك شَيْء[٤] . والجاهل ربَّمـا ماتَ من الفزَع منها . وربَّما جمعت الحيَّة السَّمَّ وشدَّةَ الجَرْح ، والعضَّ والابتلاعَ ، وحَطْمَ[٥] العظْم .

فوقف سُـكَّرٌ على الحوّاءِ وقد أخرج من جُونتِه أعظمَ حَيَّاتٍ فى الأرض ، وادّعى نُفوذَ الرُّقيةِ وجودةَ التِّرياق ، فقال له سُـكَّرٌ[٦] : خذْ منِّى هذا الدِّرهمَ وارقنى رُقْيةً لاتضرُّنى مَعَها حيّةٌ أبداً ! قال : فإنِّى أفعل . قال : فأرْسِلْ قبل ذلك حَيَّةً ، حتّى ترقِيَنى بعدَ أن تعضَّنى ؛ فإنْ أفقْتُ علمتُ أنَّ رُقْيتَك صحيحة . قال : فإنِّى أفعـل ، فاخترْ أيَّتَهنَّ شئت . فأشار إلى واحدةٍ ممَّـا تعضُّ للأَكلِ دونَ السَّمّ ، فقال : دعْ هذه ؛ فإنَّ هذه إن قبضَتْ على لحمك لم تفارقكَ حتى تقطعك[٧] ! قال : فإنِّى لا أريد غيرَها . وظنّ أنّه إنّما زَوَاها عنه لفضيلةٍ فيها . قال : أمّا إذْ أبيت إلاَّ هذه فاخترْ موضعاً من جَسَدِكَ حَتَّى أرسلها عليه . فاختارَ أنفه ، فناشده وخوَّفه ، فأبى إلّا ذلك

---

(١) تعقر : تجرح . وفى ط : « تنفر » ، تحريف ما فى س ، هـ .

(٢) الجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق . معجم البلدان .

(٣) الحفاث ، بحاء مضمومة بعدها فاء مشددة مفتوحة . ط : « الخناث » س ، هـ : « الحفاث » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ط : « سيما » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « خطم » وفى س : « حكم » .

(٦) ط : « سكن » صوابه فى س ، هـ .

(٧) س : « لم تفارقه » فقط .

أو يردَّ عليه دِرْهَمَهُ . فأخذها الحوّاءُ وطواها على يده ؛ كى لايدعَها تنكُزُ(١) فتقطع أنفَه من أصله . ثمَّ أرساها عليه . فلما أنشبت أحَدَ نَابَيْهَا فى شِقِّ أنفه صرَخ عليه صَرخةً جمعتْ عليه أهلَ تِلك البَلْدة ، ثُمَّ غُشِى عليه ، فأُخِذَ الحَوَّاءُ فوُضع فى السِّجن ، وقتلوا تلك الحيَّات ، وتركوه حتّى أفاقَ كأنّه أجنُّ الخلْق ، فتطوَّعوا بحمله فحملوه مع المُكَارِى(٢) ، ورَدُّوه إلى البصرة ، وبَقِىَ أَثَرُنَا بِهَا فى أنفه إلى أن مات .

(ما يغتصب بيت غيره من الحيوان)

قال : وأشياءُ من الحشراتِ لا تتخذ لنفسها ولا لبيضها ولا أولادها(٣) بيوتاً ، بل تظلم كلَّ ذى جُحر جُحرَه ، فتخرجُه منه ، أو تأكُلَه إنْ(٤) ثبتَ لها .

والعربُ تقول للمُسىء : « أَظْلَمُ مِنْ حَيّةٍ » ؛ لأنَّ الحيَّة لا تتَّخذ لنفسها بيتاً . وَكلُّ بيتٍ قصدَت نحوَه هرب أهلُه منه ، وأخْلَوْه لها .

(عداوة الورل للحيات)

والورَل يقْوَى(٥) على الحيَّاتِ ويأكلُها أكلاً ذريعاً . وكلُّ شِدَّةٍ يلقاها

---

(١) تنكز ، آخره زاى، كما فى س . وفى ط ، هـ : « تنكر » محرفة . وانظر ٢ : ١٣٨ .

(٢) المكارى : من يكرى الناس دابته . والكراء : الأجرة . س : « مكارى » صوابه : « مكار » بحذف الياء .

(٣) س : « ولبيضها ولأولادها » .

(٤) ط : « إذ » .

(٥) ط : « يقول » صوابه فى س ، هـ .

ذو جُحْر منها فهى تَلقَى مِثلَ ذلك من الورَل . والورَلُ أَلْطَفُ جِرْماً من الضّبّ .

وزعم أَنَّهُمْ يقولون : « أَظلَم مِنْ وَرَل » كما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ حَيَّةٍ » ، وكما يقولون : « أَظْلَمُ مِنْ ذِئْبٍ » ويقولون : « مَنْ اسْتَرْعَى الذِّئْبَ ظلم [1] » .

(الورل والضبّ)

وبراثن الوَرَل أقوى مِن براثِنِ الضّبّ . والضِّبابُ تحفر جِحَرَتَها فى الـكُدَى [2] . والوَرَل لا يحفِرُ لنفسه بل يُخْرِجُ [3] الضّبّ من بيته . فتزعم الأعرابُ أنَّه إنَّما صار [4] لا يحفر [لنفسه إبقاءً على براثنه . ويمنع الحَيَّةَ أن تحفِر بيتها] أنّ [5] أسنانَها أَكَلُّ من أسنان الفأر [ومن التى تحفر بالأفواه والأيدى ؛ كالنمل والذّرّ وما أشبه ذلك] . والحيّة [6] لا ترى أن تعانىَ ذلك ، وَحَفْرُ غيرِها ومعاناته يكفيها .

---

(١) استرعاه : جعله راعيا . وظلم : أى ظلم الغنم ، أو ظلم الذئب حيث كلفه ما ليس فى طبعه . وأصل المثل فى الميدانى (٢ : ٢٣٠) .

(٢) جحرة ، كعنبة : جمع جحر . وفى الأصل : « أجحرتها » ، وليس قياسا ولا مسموعا . والصواب ما أثبت . والـكدى : جمع كدية ، بالضم : وهى الأرض الصلبة . وكتبت فى الأصل بالألف خطأ ؛ إذ أصلها الياء .

(٣) ط ، هـ : « تخرج » ، صوابه فى س .

(٤) ط : « أنها إنما صارت » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « لأن » صوابه فى س .

(٦) ط ، هـ : « فهى » .

(شعر فى ظلم الحية)

وفى ضَرْبِ المثل بظُلْم الحيّة ، يقول مضرِّس بن لقيط[(١)] :

لَعَمْرُكَ إنِّى لَوْ أُخاصِمُ حَيّـةً   إلى فَقْعَسٍ مَا أنْصَفَتْنِيَ فَقْعَسُ[(٢)]

إذا قلتُ ماتَ الدّاءُ بينى وبينَهُمْ   سَعَى حَاطِبٌ منهم لآخَرَ يقْبِسُ[(٣)]

فمـا لَـكُمْ طُلْساً إلىَّ كأَنَّكُمْ   ذِئَابُ الغَضَى والذِّئْبُ باللَّيْلِ أَطْلَسُ[(٤)]

وجعله أطلس ؛ لأنّه حين تشتدُّ ظُلمة اللّيل فهو أخفى له ، ويكونُ حينئذٍ أخبثَ له وأضْرَى .

وقال حَرِيزُ بن نَشْبَةَ العَدَوىّ[(٥)] ، لبنى جعفر بنِ كلاب ، وضَرَبَ جَوْرَ الحيَّةِ والذِّئبِ فى الُحكْمِ مثلاً ، فقال : ٥١

---

(١) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وقد نسب البحترى الشعر فى حماسته ٣٨٠ إلى عامر بن لقيط الأسدى . وهذه النسبة الأخيرة أيضاً فى محاضرات الراغب (١ : ١٧٤) . وفى البيان (٢ : ١٦٠) : « قال الأسدى » .

(٢) قال الجاحظ فى البيان : « يقول : بلغ من ظلم قومنا لنا أننا لو خاصمنا الذئاب والحيات وبها يضربون المثل فى الظلم — لقضوا لها علينا » . وفقعس ، هو ابن طريف ، أبو حى من قبيلة أسد .

(٣) الحاطب : الذى يجمع الحطب . فى البيان : « أتى حاطب » .

(٤) طلسا : جمع أطلس ، وهو الذى فى لونه غبرة إلى سواد . ط : « طلسى » صوابه فى س ، هـ والمراجع المتقدمة . وقد روى البحترى أبياتا بعد هذا فى حماسته .

(٥) هو حريز ، بحاء مهملة وزاى ، ابن عبدة ، أحد بنى زيد بن نشبة بن عدى بن أسامة ابن مالك بن بكر بن حبيب ، كما فى المؤتلف ٧٢ . وفى الأصل : « جرير » مصحف . ونشبة ، بضم النون بعدها شين معجمة ، هو جده لا أبوه . س : « نسة » محرفة .

كأنَّني حينَ أحبُو جَعْفَرًا مِدَحِي ... أسقِيهِم طرْقَ مَاءٍ غيْرَ مَشْروبِ (١)
ولو أخاصِمُ أفْعَى نَابُهَا لَثِقٌ ... أو الأساوِدَ من صُمِّ الأهاضيبِ (٢)
لـكنَّمُ معها إِلْباً ، وكان لهَا ... نَابٌ بأسفل ساقٍ أو بِعُرْقُوبِ (٣)
ولو أخاصمُ ذِئْباً فى أكِيلته ... لجاءنى جمعُكمْ يسعَى مع الذِّيبِ (٤)

(فم الأفعى)

قال : والحيَّة واسعةُ الشَّحْوِ والفم ، لها خطم (٥) ، ولذلك ينفُذ نابُها . وكذلك كلُّ [ذى (٦)] فمٍ واسعِ الشَّحو ؛ كفم الأسد . فإذا اجْتَمَعَ له سعَة الشَّحو وطولُ اللَّحيينِ ، وكان ذا خَطمٍ وخُرطومٍ فهو أشدُّ له كالخنزير ، والذِّئب والـكلْب . ولو كان لرأس الحيَّة عَظْمٌ كان أشدَّ لعضَّتها (٧) ، ولـكنَّه جلدٌ قد أطبقَ (٨) على عظمين رَقِيقَينِ مستطيلين بفـكِّها الأعلَى والأسفل . ولِذٰلِكَ (٩) إذا أهوَى الرَّجُلُ بحجرٍ أو عصًا ، رأيتَها تلوِّى رأسها

(١) ماء طرق ، بالفتح : بالت فيه الإبل وبعرت ، وقد طرقته . غير مشروب : غير صالح لذاك .

(٢) أفعى : سبق الـكلام فى تنوينها ص ١١٧ . لثق : مبتل بما ينطف من السم .

(٣) هم ألب عليه ، بالفتح والـكسر : مجتمعون عليه بالظلم والعداوة . ط ، هـ : « إلبا معها » وبذا يختل الوزن . والوجه ما أثبت من س . و « ناب » هى بالنون فى س . وفى ط ، هـ : « باب » ، ولهذه وجه .

(٤) الأكيلة : شاة تنصب ليصاد بها الذئب ونحوه ، كالأكيلى ، والأكولة بالضم .

(٥) ط ، هـ . « له خطم » صوابه فى س .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) عظم : المراد عظم شـديد . هـ ، ط : « خطم » ولا تصح . وانظر ما سبق قريبا .

(٨) كذا فى س ، هـ . وفى ط : « انطبق » .

(٩) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، هـ : « وكذلك » .

وتحتال فى ذلك ، وتمنعه بكلِّ حيلة ؛ لأنَّها تعلم وتحس بِضَعْفِ ذلك الموضع منها ، وهو مَقْتَلٌ . وما أكثرَ ما يكون فى أعناقها تخصيرٌ[١] ولصدورها أغباب[٢] ، وذلك فى الأفاعى أعمُّ . وذلك الموضعُ المستدقّ إنَّمَا هو شىءٌ كهيئة الخريطة ، وكهيئة فم الجِراب ، مُنضَمُّ الأثْنـاء[٣] ، مُثَنَّى[٤] الغضُون . فإذا شئتَ أن تفتَح انفتح لك فمٌ واسع .

ولذلك قال إبراهيم بن هانئٍ : كان فتْحُ فمِ الجرابِ يحتـاجُ إلى ثلاثة أيدٍ[٥] ، ولولا أنّ الحمالين قد جعلوا أفواهَهم بدل اليد الثّالثةِ لقد كان ذلك ممتنعاً حتى يستعينوا[٦] بيدِ إنسان .

وهذا ممَّا يعدُّ فى مُجون ابن هانئ .

وكذلك حُلوقَ الحَيَّاتِ وأعناقها وصدورُها ، قد تراها فتَراها فى العَين دقيقةً ، ولا سيَّما إذا أفرطَتْ فى الطُّول .

(شراهة الحية والأسد)

وهى تبتلعُ فراخ الحمام . والحَيَّةُ أنهَـمُ وأشره من الأسد . والأسدُ يبلَعَ البَضْعَةَ العظيمةَ من غير مضغٍ ؛ وذلك لمـا فيه من فضْل الشرَه . وكذلك الحيّة . وهما واثقان بسهولةِ وسَعَةِ المخرج .

---

(١) تخصير : أى دقة فى وسطها .

(٢) جمع غبب ، وهو اللحم المتدلى تحت الحنك .

(٣) الأثناء : التغضنات . ط : « ضم » ، صوابه فى س ، هـ . وفى ط : « الأنستاء » وفى س ، هـ : « الانثناء » صوابهما ما أثبت .

(٤) س ، هـ : « منثنى » .

(٥) س ، هـ : « أيدى » صوابه فى ط

(٦) ط : « يستعين » صوابه فى س ، هـ .

(تِنِّينُ أنطاكية)

[و] ممَّا عظَّمها وزادَ فى فَزَع النَّاس منها ، الذى يرويه أهلُ الشام ، وأهْلَ الْبَحْرَيْن ، وأهل أنطاكِيَةَ(١) ؛ وذلك أنِّى رأيتُ الثلثَ الأعلى من منارةِ مسجد أنطاكِيَة أظهَرَ جِدَّةً من الثلثين الأسفلين ، فقلت لهم : ما بالُ هذا الثلثِ الأعلَى أَجدَّ وأطْرَى(٢) ؟ قالوا : لأَنَّ تِنِّينا(٣) ترَفَّعَ مِنْ بَحْرِنَا هذا ، فكان ، لا يمرُّ بشىءٍ إلاّ أهلكه ، فمرَّ على المدينة فى الهواء ، محاذياً
٥٢ لرأس هذهِ المنارة ، وكانَ أعلى ممَّا هى عليه ، فضربَه بذنَبِهِ ضَرْبَةً ، حَذفت(٤) من الجميع أكثَرَ من هذا(٥) المقدار ، فأعادوه بعد ذلك ، ولذلك اختَلَفَ فى الْمَنْظَر .

---

(١) أنطاكية ، بالفتح ثم السكون ، والياء مخففة . قال ياقوت : وليس فى قول زهير :

علون بأنطاكية فوق عقمة … وراد الحواشى لونها لون عندم

وقول امرئ القيس :

علون بأنطاكية فوق عقمة … كجرمة نخل أو كجنة يثرب

دليل على تشديد الياء ؛ لأنها للنسبة . وكانت العرب إذا أعجبها شىء نسبته إلى أنطاكية .

(٢) أطرى : من الطراوة ، وهى الغضاضة والحداثة . هـ ، س : « أطوى » صوابه فى س . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « هذه المنارة » ساقط من س .

(٣) التنين ، كسجيل : حية عظيمة . ط : «تسميتنا » صوابه فى هـ .

(٤) ط : « خرقت » صوابه فى س ، هـ .

(٥) ط : « هذه » صوابه فى س ، هـ .

(الخلاف فى التنين)

ولم يزلْ أهلُ البِقاع [١] يتدافعون أمْرَ التِّنِّين . ومن العجب أنّك تكون فى مجلسٍ وفيه عشرون رجُلاً ، فيجرى ذكرُ التِّنِّين فينكرُه بعضهم . وأصحاب التثبت [٢] يدَّعون العِيان . والموضع قريب ، ومَنْ يعاينُه كثير . وهذا اختلافٌ شديد .

(قول الأعراب فى الأصَلة)

والأعرابُ تقول فى الأصلة [٣] قولاً عجيباً : تزعمُ أنَّ الحيَّة التى يقال لها الأصَلة لاتمرّ بشىء إلا احترق . مع تهاويلَ كثيرةٍ ، وأحاديث شنيعةٍ .

(الأجدهانى)

وتزعم الفُرْس أنّ الأجدِهانى [٤] أعظم من البعير ، وأنّ لها سبعةَ رءوس ، وربما لَقِيَتْ ناساً فتبتلع من كلّ جهةٍ فمٍ ورأسٍ إنسانا . وهو من أحاديث الباعة والعجائز [٥] .

---

(١) البقاع : موضع يقال له بقاع كلب ، قريب من دمشق ، وهى أرض واسعة بين بعلبك وحمص ودمشق . ياقوت .

(٢) ط ، هـ : « التثبيت » ، ووجهه ما فى س .

(٣) الأصلة : حية كبيرة الرأس قصيرة الجسم . واللغويون يختلفون فى تحليتها ، أى نعتها .

(٤) انظر الاستدراكات .

(٥) ط : « أو العجائز » وتصحيحه من س ، هـ .

(الحية ذات الرأسين)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنه قد ظهرَتْ حيَّةٌ لها رأسان . فسألتُ[١] أعرابيًّا عن ذلك فزعَمَ أنّ ذلك حقٌّ . فقلت له : فمن أيِّ جهة الرَّأسين تسعى؟ ومن أيِّهما تأكلُ وتَعَضّ ؟ فقال : فأمّا السَّعْيُ فلا تَسْعَى ، ولكنّها تَسْعى إلى حاجتها بالتقلب ، كما يتقلَّب الصِّبيان على الرَّمْل . وأمّا الأكل فإنها تتعشى بفمٍ وتتغدَّى بفم . وأمَّا العضُّ فإنها تعضُّ برأسيها معاً !! فإذا به أكذبُ البَرِيَّة .

وهذه الأحاديثَ كلها ، ممَّا يزيد فى الرعب منها ، وفى تَهْويل أمرها[٢] .

(فُرانق الأسد)

ومِثْلُ شأنِ التِّنِّين مثْلُ أمرِ فُرَانِقِ الأسد[٣] ؛ فإنّ ذكرَه يجرى فى المجلس ، فيقول بعضهم : أنا رأيتُه وسَمِعْتُه !

---

(١) ط ، هـ : « فسئلت » صوابه فى س .

(٢) س : « والاستهالة لمنظرها » . والكلام من بعد هذه الكلمة ، إلى « لمنظرها » الآتية ، ساقط من س .

(٣) الفرانق ، بضم الفاء . وفى الأصل « غرانق » صوابه ما أثبت . ولفظه معرب من « پَرْوَانَكْ » الفارسية . القاموس المحيط ، ومعجم استينجاس . وهو ضرب من الوحش ، يتقدم الأسد ويرشده إلى فريسته .

(فزع الناس من الحية)

وربما زاد فى الرعب منها والاستهالة لمنظرها قولُ جميعِ المحدِّثين : إنَّ من أعظم ماخلَق الله الحَية والسّرطانَ والسَّمك .

(طول عمر الحية)

وتقول الأعراب : إنَّ الحَية أطولُ عمراً من النَّسر ، وإن الناس لم يجِدُوا حَيةً قطُّ ماتت حتْفَ أنفِها ، وإنما تموت بالأمر يعرض لها[١] . وذلك لأمور : منها قولهم إنَّ فيها شياطينَ ، وإنَّ فيها مِنْ مِسخ ، وإنْ إبليسَ إنما وسوس إلى آدم وإلى حوَّاء من جَوْفها .

(زعم الفضل بن إسحاق)

وزعم لى الفضلُ بن إسحاق ، أنهُ كان لأبيه [نُخّان[٢]] ، وأنّ طولَ كُلِّ نخّ تسعة عشرَ ذراعا[٣] .

---

(١) ط : « بالأمر الذى يعرض لها » .

(٢) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . وقد أثبتها اعتمادا على سياق الكلام . والنخ ، بالضم : بساط طوله أكثر من عرضه ، فارسى معرب . اللسان ، والألفاظ الفارسية . وضبطه صاحب القاموس بالفتح .

(٣) ط : « وأن طول كليهما » ، وأثبت ما فى س ، ه . وفى س : « كليما » بدل « ذراعا » وهو خطأ . وقد أتى الجاحظ بهذا الخبر شاهدا على المبالغة والتهويل ، فيما يظهر . انظر ص ١٥٥ ، ١٥٦ .

(ضروب الحيات)

ومن الحيَّات الجُرد والزُعر ، وذلك فيها من [الغالب[١]] .

ومنها ذواتُ شعر ، ومنها ذواتُ قرون . [وأرسطو ينكِرُ ذلك[٢]] وإنما يتخلق لها فى كلِّ عام قشرٌ وغِلاف ، فأمَّا[٣] مقادير أجسامها فقط .

(انسلاخ جلد الإنسان)

وأما الجلودُ فإنّ الأرمينىَّ زعم أنه كان عندهم رجلٌ ينقَشِر من جلده وينسلخُ فى كلِّ شهرٍ مرَّةً . قال : فجمع ذلك فوُجد فيه مِلْءُ جراب أو قال : أكثرُ .

(علة الفزع من الحية)

٥٣ وأما الذى لا أشك فى أنه قد زاد فى أقدارها فى النفوس ، وعظَّم من أخطارها ، وهوّل من أمْرها ، ونبَّه على ما فيها من الآيةِ العجيبةِ والبرهان النيِّر ، والحجَّةِ الظاهرة ، [فَمَا[٤]] فى قلب العصا حَيَّةً ،

(١) موضع هذه الكلمة بياض فى الأصل . وجاء فى حياة الحيوان : « ومن أنواعها الأزعر ، وهو الغالب فيها » .

(٢) هذه الزيادة عن الدميرى . ومكانها بياض بقدر نصف سطر فى س . ولم يبيض لها فى ط ، هـ .

(٣) بعد هذه الكلمة بياض نحو نصف سطر فى س فقط .

(٤) ليست بالأصل ، وبها يتم الكلام .

وفى ابتلاعها ماهوَّلَ به القومُ وسحَروا منْ أعْيُنِ الناس، وجاءوا به من الإفك قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَافِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَاأَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ [قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ(١)] فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِى إِسْرَائِيلَ . قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾، إلى قوله : ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ(٢) ﴾ .

فإن قلت : إنه إنما حَوَّل العصا ثُعباناً لأنهم جاءوا بحبال وعِصِىٍّ فحوَّلوها فى أعين الناس كلهاَ(٣) حيَّات ، فلذلك قلبَ اللهُ العصَا حَيةً(٤) على هذه المعارضة . ولو كانوا حين سحرُوا أعيُن الناس جَعَلوا حبالهم وعصيَّهُمْ ذِئَاباً فى أعْيُنِ الناس ونمُورا، لجَعَل الله عصا موسى ذئباً أو نَمِرًا ، فلم يكن ذلك لخاصَّةٍ فى بدَن الحَية .

قلنا : الدّليل على باطل ماقلتم ، قوْلُ الله تعالى : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى . قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى . قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى . فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ وقال الله عزّ وجلّ(٥) : ﴿ إِذْ قَالَ موسى لِأَهْلِهِ إِنِّى آنَسْت نَارًا(٦) ﴾

---

(١) هذه التكملة ليست فى س : هـ . وإسقاطها تحريف شنيع . وبدلها فى ط كلمة : « إلى » . وهذه الآية وسابقتها ولاحقتاها ، هى الآيات ١٠٤ — ١٠٧ من سورة الأعراف .

(٢) هذا سهو من الجاحظ ، فإن هذه الآية من سورة أخرى هى سورة الشعراء ، وهى الآية الرابعة والأربعون .

(٣) ط ، هـ : «كأنها» وأثبت ما فى س .

(٤) س ، « قلت إن العصاحية » وهو تحريف ما فى ط ، هـ .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من هـ .

(٦) هذه هى الآية السابعة من سورة النمل . وتمامها : « سآتيكم منها بخبر أو آتيكم بشهاب قبس لعلكم تصطلون » .

إلى قوله : ﴿ وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ، يامُوسَى لَاتَخَفْ إِنِّى لَايَخَافُ لَدَىَّ الْمُرْسَلُونَ[١] ﴾ فقلبت[٢] العصا جانًّا ، وليس هناك حبالٌ ولا عِصِىٌّ . وقال الله[٣] : ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلٰهاً غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ . قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُبِينٍ . قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ فقلْبُ[٤] العصا حيّة كان فى حالات شَتَّى[٥] . فكان هذا مِمّا زاد فى قدْر الحية .

وقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى دعائه أن لايميته اللهُ لَديغا . وتأويل ذلك : أنّه صلى الله عليه وسلم ما استَعاذَ بالله من أن يموت لديغاً[٦] وأنْ تكونَ مِيتته بأكْل هذا العدوِّ ، إلا وهو من أعداء الله ، بل مِنْ أشدّهم عداوة .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم ، « أَشَدُّ الناس عذاباً يوم القيامةِ مَنْ قتلَ نَبِيًّا أو قتَلَهُ نبىٌّ » ، كأنَّهُ كان فى المعلوم[٧] أنَّ النبىّ لايقتُل أحداً ،

---

(١) سها الجاحظ مرة أخرى فجعل عقب الآية هكذا : « يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » ، فخلط بين هذه الآية وبين الآية ٣١ من سورة القصص : « وأن ألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبرا ولم يعقب ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين » . ومن العجب أن يمر على هذا السهو والذى قبله نحو أحد عشر قرنا فلا يتهيأ أحد لإصلاحه ورده إلى نصابه . والحمد لله .

(٢) هـ : « فقلب » ولها وجه .

(٣) سقطت هذه الكلمة من س . وسقطت الكلمة الأولى فى الآية من ط . وهما مثبتتان فى هـ . والآيات هى ٢٩ — ٣٢ من سورة الشعراء .

(٤) س : « فقلبت » ، ولا تصح .

(٥) رسمت هذه الكلمة بالألف فى ط . وهى بقية من بقايا الرسم الأول .

(٦) ط : « مستعاذ بالله أن يموت لديغا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، هـ .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، هـ : « العلوم » وهى ركيكة .

ولا يَتَّفِق ذلك إلاَّ فى أشْرَار (١) الخلْق . ويدلُّ على ذلك الذى اتّفق من قتل أُبَىٍّ بن خلفٍ بيدِه (٢) ، والنَّضر بن الحارث (٣) ، وعقبة بن أبى مُعيط (٤) ، ومعاوية بن المغيرة بن أبى العاصى (٥) ــ صبراً (٦) .

---

(١) أشرار : جمع شرير ، كشريف ، وهو ذو الشر . أو هو جمع شر ، مثل زند وأزناد . اللسان والقاموس . ط ، هـ : « شرار » ولم أجدها فيهما فى مادة (شرر) ورأيتها فى شعر صخر أخى الخنساء (الخزانة ١ : ٣٩٣ سلفية) :

* والله لا أمنحها شرارها *

(٢) هو أبى بن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، كان أدرك الرســـول فى الشعب يوم أحد ، وهو يقول : أى محمد ! لا نجوت إن نجوت ! فقال القوم : يارسول الله أيعطف عليه رجل منا ؟ فقال : دعوه : فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة ، وطعنه فى عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرســه مراراً — أى تقلب فجعل يتدحرج . سيرة ابن هشام (يوم أحد) .

(٣) هو النضر بن الحارث بن كلدة ، أحد بنى عبد الدار . أسر يوم بدر كافراً فضرب الرسول عنقه صبراً . حماسة البحترى ٤٣٤ . أو قتله على وهو قافل مع الرسول من غزوة بدر إلى المدينة . السيرة ٥٠٨ . ورثته أخته قتيلة بأبيات ، هى من أروع آيات البيان العربى ، رواها ابن هشام فى السيرة ٥٣٩ وأبو تمام فى الحماسة (١ : ٤٠١) والبحترى فى حماسته ٤٣٤ والجاحظ فى البيان (٤ : ٤٤) . وقيل إن الرسول لما بلغه الشعر قال : « لو بلغنى هذا قبل قتله لمننت عليه ! » . فيقال إن قتيلة بنته ، كما فى حماسة البحترى والإصابة ٨٨٤ من قسم النساء .

(٤) عقبة بن أبى معيط — بهيئة التصغير — كان ممن أسر يوم بدر من المشركين ، قتل فى أثناء قفول الرسول من غزوة بدر ، قتله عاصم بن أبى الأقلح الأنصارى . وكان عقبة قد احتج قبل قتله فقال : « أأقتل من بين قريش صبراً ؟ » فقال عمر ابن الخطاب : « حن قدح ليس منها ! » يعرض بنسبه . الروض الأنف (٢ : ٧٧) .

(٥) هو معاوية بن المغيرة بن أبى العاصى بن أمية بن عبد شمس ، وهو جد عبد الملك ابن مروان ، أبو أمه : عائشة بنت معاوية ، كان أسره الرسول بعد غزوة حمراء الأسد ، عند رجوعه إلى المدينة ، فلجأ إلى عثمان بن عفان ، فاستأمن له الرسول فأمنه على أنه إن وجد بعد ثلاث قتل ، فأقام بعد ثلاث وتوارى ، فبعث الرسول زيد بن حارثة وعمار بن ياسر إليه ، وقال : إنكما ستجدانه بموضع كذا وكذا . فوجداه فقتلاه . السيرة ٥٩١ . ط : « معاوية بن أبى المغيرة » ، صوابه فى س ، هـ كما فى السيرة .

(٦) قتله صبراً : حبسه ورماه حتى مات . صبره : نصبه وحبسه ليقتل . ومما ينبغى =

وحدِّثت(١) عن عبد الله بن أبي هند ، قال : حدّثني صيفي بن أبي أيُّوب ، أنه سمع أبا بَشِيرٍ الأنصاريّ(٢) يقول : « كان رسول الله
٥٤ صلى الله عليه وسلم يتعوّذُ من هؤلاء السَّبْع : كان يقول : اللهمَّ إني أعوذُ بك من الهَدْم(٣) وأعوذُ بك من التردِّى(٤) ، وأعوذ بك من الغَمِّ والغَرَق(٥) ، وأعوذ بك من الحَرَقِ والهَرَم(٦) ، وأعوذ بك أن يتخبَّطني الشَّيطانُ عند الموت(٧) وأعوذ بك من أن أموتَ في سبيلك مُدْبراً ، وأعوذ بك من أن أموتَ لديغاً » .

وطلحة بن عمرو قال : حدثني عطاء أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول : « اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من الأسَد [و(٨)] الأسْوَدِ ، وأعوذ بك من الهَدْم » .

= ذكره هنا ، أن الجاحظ قد صرح في كتاب العثمانية ص ٤٦ بأن الرسول « لم يقتل بيده إلا رجلا واحداً » . فهؤلاء الثلاثة قد أمر الرسول بقتلهم ، ولم يقتلهم بيده .

(١) في الأصل : « حدث » . والوجه ما أثبت .

(٢) أبو بشير الأنصاري ، ذكره ابن حجر في الإصابة ١٣٠ (قسم الكنى) . وقيل اسمه قيس بن عبيد بن الحرير بمهملتين مصغراً ، أورده ابن سعد فيمن شهد الخندق . وقيل مات سنة أربعين .

(٣) في رواية أخرى : « اللهم إني أعوذ بك من الأهدمين » قيل في تفسيره : هو أن ينهدم على الرجل بناء ، أو يقع في بئر ، حكاه الهروي في الغريبين . اللسان (هدم) .

(٤) تردى : سقط في بئر أو نهر أو هوة .

(٥) كذا في هـ واللسان (غرق) ، والجامع الصغير ١٥٤١ رواية عن النسائي والحاكم . وفي ط ، س : « الفرق » بمعنى الخوف .

(٦) الحرق ، بالتحريك : النار أو لهبها . والهرم ، بالتحريك : أقصى الكبر . ط ، س : « الهدم » صوابه في هـ .

(٧) تخبطه الشيطان : صرعه ولعب به .

(٨) هذه الزيادة الضرورية من الدميري (رسم الأسود السالخ) . وفيه : روى أبو داود =

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للحيَّة : صفَرَتْ تَصْفِرُ صفيراً ، والرجل يصفِر بالطير للتنفير ، وبالدوابِّ وببعض الطير للتعليم . وتتخذ الصَّفّارة [يُصْفَرُ بِهَا[١]] للحمام وللطير فى المزارع . قال أعشى هَمْدان يهجُو رَجُلاً :

وإذا جَثَـــا للزَّرع يوم حَصادِهِ قَطَعَ النَّهارَ تأوُّهاً وصَفِيرَا

(لسان الحية)

والحيَّة مشقوقة اللسان سوداؤه . وزعم بعضهم أن لبعض الحيَّات لسانين وهذا عندى غلطٌ ، وأظنُّ أنَّهُ لما رأى افتراق طرف اللسان[٢] قضى بأنَّ له لسانين .

(عجيبة الضب)

ويقال : إن[٣] للضَّبِّ أيْرَيْن ، ويسمَّى أَير الضَّبِّ نِزْكًا[٤] .
قال الشاعر[٥] :

= والنسائى والحاكم وصححه ، عن عبد الله بن عمر قال : « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل الليل قال : يا أرض ، ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك ، وشر ما فيك ، وشر ماخلق فيك ، وشر مايدب عليك ! أعوذ بالله من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ، ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد ! » . الأسود : نوع من الأفاعى شديد السواد ، يقال له أسود سالخ ؛ لأنه يسلخ جلده كل عام .

(١) الزيادة من ھ فقط .

(٢) ط : « طرفى اللسان » . وأثبت ما فى س ، ھ .

(٣) ط : « بأن » .

(٤) النزك ، بكسر النون وتفتح . ط : « طرك » ھ : « ترك » س : « نزك » صوابه ما أثبت وانظر الجزء السادس ص ٧٤ حيث صرح الجاحظ بضبطه .

(٥) هو أبو الحجاج . وقال ابن برى : « هو لحمران ذى الغصة ، وكان قد أهدى =

كَضَبٍّ له نِزْكانِ كانا فَضِيلةً   على كلِّ حافٍ في الأنام ونَاعِلِ(١)

قال أبو خَلفٍ النمرىّ : سئل أبو حيّة النميرى عن أير الضَّبّ ، فزعم أنّ أيرَ الضّب كلسان الحيّة : الأصل واحدٌ ، والفرع اثنان .

(زعم بعض المفسرين فى عقاب الحية)

وبعض أصحاب التفسير يَزْعُمُ أنّ الله عاقبَ الحيّةَ حين أدخلت إبليس فى جوفها ، حتى كَلَّمَ آدم وَحَوَّاءَ وخدعهما على لسانها ، بعشرِ خِصال : منها شقُّ اللسان(٢) . قالوا : فلذلك ترى الحيّةَ إذا ضُرِبَتْ للقَتْل كيف تخرج لسانها لتُرِىَ الضَّارِبَ عقوبَةَ الله ، كأنها تَستَرحم . وصاحب هذا التفسير لم يقلْ ذلك إلّا لحيَّةٍ كانت عنْدَه تَتكَلَّمُ ، ولولا ذلك لأنكر آدمُ كلامها ، وإن كان إبليسَ لايحتال إلّا من جهة الحيَّة ، ولا يحتال بشىءٍ غير مموّه ولا مشبَّه .

= ضبابا لخالد بن عبد الله القسرى » . انظر اللسان (مادة نزك) حيث تجد أبيات الشاهد . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاه بعض البوادى فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل إليه ماجرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى إليه حمران قفصاً مملوءا ضبابا وكتب إليه » . وأنشد الأبيات التى رواها الجاحظ أيضاً فى الجزء السادس .

(١) الرواية : « سبحل له نزكان » انظر الحيوان (٦ : ٧٣) واللسان (نزك ، سبحل) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب ١٥٤ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) . وفى ط « طركان » و هـ : « تركان » صوابه فى س والمراجع . والناعل : من يلبس نعلا . س : « وفاعل » محرف .

(٢) انظر ماسيأتى فى ص ٢٠٠ .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أرضٌ مَحْوَاةٌ وَمَحْيَاة من الحيَّات[١] كما يقال أرض مَضَبَّة وَضَبِبَة من الضِّباب[٢] ، وفَئِرة من الفأر[٣] .

(قولهم : هذا أجل من الحرش !)

وقال الأصمعيُّ فى تفسير قولهم فى المثل : « هذا أَجَلُّ مِنَ الحَرْش[٤] » : إنّ الضّبّ قال لابنه : إذا سمعتَ صَوتَ الحَرْش فلا تخرُجَنّ ! قال : وذلك أنّهمْ يزعمونَ أن الحَرْش تحريك[٥] اليدِ عندَ جُحْر الضّبِّ ؛ ليخرج إذا ظَنَّ أنه حية ـ قال : وسمع ابنه صوت الحفْر فقال : يَا أَبَهْ هذا الحرش ؟ قال : يابنىَّ ، هذا أجلُّ من الحرْش ! فأرسَلها مثلاً .

أسماء ما يأكل الحيات

بين الحياتِ وبين الخنازير عداوة ، والخنازير تأكُلها أكلا ذريعاً . ٥٥

---

(١) وذلك إذا كانت كثيرة الحيات .

(٢) أرض مضبة ، بفتح الميم والضاد وتشديد الباء . وفى ط ، س : « مضببة » و هـ : « مضبته » صوابهما ما أثبت . وضببة ، كفرحة ، وهو من شواذ المضعف . ط ، هـ : « ضبية » صوابه فى س . والضباب ، بالكسر : جمع ضب .

(٣) فى الأصل : « فائرة » تحريف . وانظر (٦ : ١٣٤) ، واللسان (فأر) .

(٤) انظر هذا المثل وما قيل فيه ، عند المرتضى فى أماليه (١ : ١٧٠) والميدانى (١ : ١٧٠) والبغدادى فى الخزانة (٤ : ٥٩٤ ــ ٥٩٥ بولاق) .

(٥) هـ : « تحريد » بالدال . والتحريد : التعويج .

وسمومُ ذواتِ الأنيابِ من الحيَّات ، وذوات الإبر[١] ، سريعةٌ فى الخنازير ، وهى تَهْلِكُ عند ذلك هلاكاً وشيكا ؛ فلذلك لاترضى بقتلها حتّى تأكلها . وتأكلُ الحيَّاتِ العِقْبانُ ، والأيائِلُ ، والأراوىُّ[٢] ، والأوعالُ ، والسَّنانير والشّاهُمُرْك[٣] ، والقنفذُ . إلَّا أن القُنْفُذَ أكثرُ مايقصدُ إلى الأفاعى ، وإنما يظهر بالليل . قال الرّاجز :

* قنفذ ليـل دائم التَّجْآبِ[٤] *

وهذا الراجز هو أبو محمد الفقعسىُّ .

(التشبيه بالقنفذ)

وكذلك يُشبّه النَّمَّامُ ، والمُدَاخِلُ ، والدَّسِيس[٥] ، بالقنفذ ؛ لخروجه بالليل دون النهار ، ولاحتياله للأفاعى . قال عَبْدة بن الطبيب :

اعْصُوا الذى يُلقِى القَنافِذَ بَيْنَكُمْ مُتَنَصِّحاً وهُوَ السِّمامُ الأنقعُ[٦]
يُزْجِى عَقَارِبَهُ ليبعَثَ بينكم حَرْباً كما بَعَثَ الْعُرُوقَ الأخْدَعُ[٧]

(١) أى وسموم ذوات الإبر . وفى الأصل : « ومن ذوات الإبر » .
(٢) الأراوى : جمع أروية ، وهى أنثى الوعول .
(٣) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣٣٦) .
(٤) التجآب : تفعال من جاب يجوب ، وأصله « التجواب » . ولم أجد من نبه عليه إلا مايفهم من عبارة صاحب اللسان : « وفلان جواب جأب : أى يجوب البلاد ويكسب المال » . ط : « التجأب » ﻫ : « التجارب » صوابه فى س .
(٥) الدسيس ، بسينين بينهما ياء : من تدسه ليأتيك بالأخبار . ط : « الدبيس» صوابه فى س ، ﻫ .
(٦) س ، ﻫ : « أعصى » .
(٧) يزجى : يسوق ويدفع . ط : « يرخى » س ، ﻫ : « ترخى » صوابهما =

حرَّانَ لايَشْفِى غَلِيلَ فؤادِهِ عَسَلٌ بماءٍ فى الإناءِ مُشَعْشَعُ(١)
لا تأمَنوا قوماً يشبُّ صبيهم بَيْنَ القوابِلِ بالعَداوَةِ يُنْشَعُ(٢)

وهذا البيت الآخِر يضم إلى [قول(٣)] مجنونِ بنى عامر :

أتانى هَوَاهَا قَبْلَ أنْ أعرِفَ الهوَى فَصادَفَ قَلْباً خَالِياً فَتمَكنا

ويضم إليه قول ابنِ أوْدٍ(٤) : « الطينة تَقْبَلُ(٥) الطبائع ما كانت لَيِّنَــةً » .

ثم قال عبْدة بنُ الطَّبيب ، فى صلة الأبيات التى ذكر فيها القُنفذَ والنَّميمَةَ :

إنَّ الذين تُرَوْنَهُمْ خُلَّانَكُمْ يَشفِى صداعَ رُءُوسِهِمْ أنْ تُصرَعُوا
قومٌ إذا دَمَسَ الظَّلامُ عَلَيهِمُ جَدَعُوا قَنافِذَ بالنميمة تمزَعُ(٦)

= ما أثبت ، والرواية فى حماسة البحترى ٢٤٠ : « يهلى » . والأخدع : واحد الأخدعــين ، وهما عرقا الرقبة . س ، هـ : « الفروق » صوابه فى ط والحماسة .

(١) شعشع العسل بالماء : مزجه به وخلطه .

(٢) القوابل : جمع قابلة ، وهى التى تتلقى الولد عند ظهوره . س ، هـ : « القرامل » وهى الإبل ذوات السنامين . وليس يتجه بها المعنى . ينشع بالعداوة : كأنه يوجر بها ، أى توضع فى فه ليشربها .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « ابن أمر » .

(٥) فى الأصــل : « تقتل » ، ووجهه ما أثبت . وفى س زيادة واو ، قبل : « الطينة » .

(٦) دمس : اختلطت ظلمته . الحماسة : « فهم إذا دمس » . وجدعوا : هو من =

وهذا الشعر من غُرر الأشعار . وهو مِمّا يحفظ .

وقال الأوديُّ (١) :

كقنفذ القنِّ لاتخفى مدَارِجُهُ   خبٌّ إذا نامَ عَنْهُ الناس لم ينمِ (٢)

(عهد آل سجستان على العرب)

وفى عهد آل سجستان على العرب حين افتتحوها (٣) : لاتقتلوا قُنْفُذًا

= جذع بين البعيرين : قرنهما فى قرن ، أى حبل . ورواية الحماسة ، واللسان « مادة مزع » وديوان المعانى (٢ : ١٤٤) والأزمنة والأمكنة (١ : ٣٤٠ ، ٢ : ٣٠) : « حدجوا » . وهو من حدج البعير والناقة : شد عليهما الحدج ، بالكسر ، وهو نحو الهودج والمحفة . والمعنى أعدوا تلك القنافذ . وتمزع ، من المزع ، وهو شدة السير . وفى اللسان : « ابن الأعرابى : القنفذ يقال لها : المزاع » بتشديد الزاى . س ، هـ : « تمرع » بالراء صوابه فى ط ، والحماسة ، واللسان (مادة مزع) .

(١) اسمه صلاءة بن عمرو . والأودى : نسبة إلى أود بن الصعب بن سعد العشيرة . كان من كبار الشعراء القدماء فى الجاهلية ، وله شعر حكمى سائر . انظر الشعراء والأغانى (١١ : ٤١ — ٤٢) . والبيت فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) منسوب إلى أيمن بن خريم .

(٢) القن ، بالضم : موضع ، وفى ديوان المعانى : « الرمل » . والخب ، بالفتح ويكسر : الخداع . « عنه » هى فى الأصل : « عند » محرفة . وفى ديوان المعانى : « ليل » .

(٣) كان ذلك سنة إحدى وثمانين ، حين أرسل الحجاج ، عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث فى جيش كثيف حسن العدة ، وكان يسمى « جيش الطواويس » ، إلى سجستان لغزو رتبيل ، ملك زابلستان ، ففتح كثيراً من بلادهم .

ولا وَرَلاً وَلاَ تَصِيدُوا[١] ؛ لأنها بلادُ أفاعٍ[٢] . وأكثرُ ما يجتلبُ أصحاب صنعة الترياق والحواءون الأفاعيَ من سِجِستان . وذلك كَسْبٌ لهم وحِرْفَةٌ ومَتجرٌ . ولولا كثْرَةُ قنافِذِها لما كان لهم بها قرارٌ .

(أكل القنفذ للحية)

والقنفذُ لا يبالى أيّ موضع قبضَ من الأفعى . وذلك أنه إن قبض على رأسها أو على قفاها فهى مأكولةٌ على أسهل الوُجوه ، وإن قَبَضَ على وسَطها أو على ذنَبها ، جذَبَ ماقبض عليه ، فاستدار وتجمّع ، ومنحه سائرَ بدَنهِ ، فمتى فَتَحَتْ فاها لتقبضَ على شىء منه ، لم تصلْ إلى جلده مع شوكِهِ النّابت ٥٦
فيه . والأفعى تهرُب منه ، وطلبُه لها وجراءتُه عليها ، على حَسَبِ هربِها منه وضعْفها عنه .

(أمثال فى الحية والوَرَل والضَّبِّ)

وأمّا قولهم : « أضَلُّ من حَيّةٍ » ، و « أضَلُّ من وَرَلٍ » ، و « أضَلُّ من ضبٍّ » — فأمّا الحيّة فإنّها لاتتّخذ لنفسها بيتاً ، والذَّكَرُ لايقيم فى الموضع ، وإنما يقيم على بيضها بقدر ما تخرج فراخُها وتقوى على الكَسْب والتماس الطعم ، ثمّ تصير الأنثى سَيَّارَةً ، فمتى وَجَدَتْ جُحْراً دخلتْ واثقةً بأنّ

(١) أى ولا تصيدوا شيئاً منها . ط : « ولا ورلا تصيدونه » س : « ولا ورلا » تصيدوه » . وصوابه ما أثبت من هـ . وعند ياقوت : « ألا يقتل فى بلدهم قنفذ ولا يصطاد » .

(٢) فى الأصل : « أفاعى » ووجهه ما أثبت . قال ياقوت فى سجستان : « فما من بيت إلا وفيه قنفذ » .

السَّاكِنَ فيــه بين أمرَين : إمّا أقام فصار طُعْماً لهـا ، وإمَّا هرَب فصـار البيتُ لها ما أقامت فيه ساعةً ، كان ذلك من ليلٍ أو نهار .

(بيض الحيات)

وقد رأيتُ بيض الحيَّاتِ [1] وكسرتها لأتعرَّفَ مافيها ، فإذا هو بيضٌ مستطيلٌ أكدرُ اللون أخضر ، وفى بعضه نَمَشٌ ولمَع [2] . فأمَّا [3] داخلَه فلم أرَ قَيْحًا قطُّ ، ولا صدِيداً خَرَجَ من جُرحٍ فاسدٍ ، إلاَّ والَّذِى فى بيضها أسمجُ منــــه وأقذر . ويزعمون أنها كثيرةُ البيض جِدًّا ، وأنَّ السلامة فى بيضها [على [4]] دونِ ذلك ، وأنَّ بيضها يكون منضَّداً فى جوفها طُولاً على غِرار [5] واحد ، وعلى خيط واحد .

(جسم الحية)

وهى طويلة البطن والأرْحامِ . وعددُ أضلاعِها عددُ أيام الشهر . وكان ذلك بعضَ ما زاد فى شدَّة بدنها [6] .

---

(١) ط : « الحياة » صوابه فى س ، هـ .

(٢) النمش ، بالتحريك : نقط بيض وسود . وفى الأصل : « هش » وليس بشىء . وأثبت الصواب موافقا ما فى الدميرى (١ : ٤١٠) . واللمع : جمع لمعة ، بالضم ، وهى كل لون خالف لونا .

(٣) ط ، هـ : « فإذا » صوابه فى س .

(٤) الزيادة من س ، هـ .

(٥) على غرار : أى على قالب . ط ، هـ : « عرار » س : « عراد » صوابهما ما أثبت .

(٦) بعد هذا فى كل من ط ، هـ عبارة دخيلة على الكتاب ، أثبتها هنا إثباتا تاريخيا : « كنت بمجت بطن عقرب إذ كنت بمصر فوجدت فيه أكثر من سبعين عقارب صغار كل واحدة نحو أرزة . حرره أبو بكر السروكى » . وقد سلمت س من إثبات هذا التشويه الدخيل .

(أكثر الحيوان نسلا)

والخلْق الكثير الذّرء[١] الدّجاجُ . والضّبُّ أكثرُ بيضاً من الدّجاجة . والخنزيرة تضَعُ عشرين خِنّوْصاً .

ويخرُج من أجوافِ العقاربِ عقاربُ صغارٌ ، كثيرةَ العدد جدًّا . وعامّة العقارب إذا حَبِلَتْ كان حَتْفُها فى وِلادها[٢] ؛ لأنّ أولادها إذا استَوَى خَلْقُهَا أكلَتْ بطونَ الأمّهاتِ حتّى تثقبها[٣] . وتكونُ الولادةُ من ذلك الثّقب ، فتخرجُ والأمهاتُ ميّتة .

وأكثرُ من ذلك كله ذَرْءُ السّمك ؛ لأنّ الإنسان لو زَعَمَ أنّ بيضة[٤] واحدة من بَعْضِ الأسْبور[٥] عشرة آلاف بيضة ، لكان ذلك لعظَمِ ما تحمِلُ ، ولدِقّة حَبّه[٦] وصِغره . ولكن يعتريها أمران : أحدهما الفساد ، والآخر أنّ الذكورةَ فى أوانِ ولادة الإناث تَتْبَعُ أذْنابَهَا ، فكُلَّما زَحَرَتْ بشىء التقمته والتهمته .

ثمّ السّمك بعد ذلك فى الجملة إنما طبعها أن يأكل بعضُها بعضاً .

---

(١) الذرء : النسل . ط ، س : « الذر » صوابه ما أثبت من هـ .

(٢) الولاد ، بالكسر : الولادة . ط ، هـ : « أولادها » صوابه فى س . وفى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ : « ولادتها » .

(٣) كذا على الصواب فى س . وفى ط : « تثقفها » و هـ : « يثقفها » محرفتان . وفى نهاية الأرب : « تنقبها » .

(٤) البيضة هنا : اسم للمرة من باض يبيض.

(٥) الأسبور ، سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) ، وفى الأصل : « الأشبور » مصحف .

(٦) أى حب البيض . ط ، هـ « جثته » تحريف ما أثبت من س .

(علة كثرة الأولاد)

ويزعمون أن الكَثْرَةَ فى الأولادِ إنّمَا تكون من العفَنِ واللَّخَن ، وعلى قدْر كثرةِ المائيَّة وقِلّتِهَا . فذهبوا إلى أنَّ أرحامَ الرُّوميَّاتِ والنَّصرانيَّاتِ أكثرُ لخناً ورُطوبة ؛ لأنّ غَسْلَ الفُرُوجِ بالماء البارِدِ
٥٧ مراراً فى اليوم ، ممَّا يطيِّب الأرحامَ ، ويَنفى اللَّخنَ والعفَن . ويزعمون أنَّ المرأةَ إذا كان فرجُها نظيفاً ، وكانت مُعَطَّرَة قويّةَ المُنّةِ قلَّ حملُها ، فإنْ أفرطتْ فى السِّمَنِ عادتْ عاقراً . وسِمَانُ الرِّجال لا يكاد يعتريهم ذلك .

وكذلك العاقر من إناث الإبل والبقر والغنم والنَّخْل . إذا قويت النَّخلة وكانت شابّةً ، وسَمِنَ جُمَّارُها ، صارت عاقِراً لا تحمل ، فيحتالون عند ذلك بإدخال الوَهَن عليها .

(اعتراض على التعليل السابق)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا : إنّ فى الضّبِّ على خلاف ماذكرتم : قد تبيضُ الأنثى سبعين بيضة فيها سبعون حِسْلا[1] . ولولا أنّ الضَّبَّ يأكلُ ولدَه لانتفشت الصحارى ضِباباً . والضبُّ لا يحفر إلاّ فى كَدْية[2] وفى بلادِ العَرَاد[3] . وإذا هرمت تبلّغتْ بالنّسيم . وهذا كله ممَّا يستدلُّ

---

(١) الحسل ، بالكسر : ولد الضب .

(٢) الكدية ، بالضم : الأرض الصلبة الغليظة .

(٣) العراد : حشيش طيب الرائحة . ط ، هـ : « العرار » محرفة ، صوابه بالدال =

به على بُعْدِ طبعها من اللَّخَن والعفن[(١)] .

قيل لهم : قد يمكنُ أن يكون ذلك كذلك[(٢)] فى جميع صفاتها إلاّ فى أرحامها فقط .

(سفاد الحيات)

وليس للحيَّات سِفادٌ معروف يَنْتَهِى إليه علمٌ ، ويقف عليه عِيان ، وليس عند الناس فى ذلك إلاَّ الذى يَرَوْنَ من ملاقاة الحيّة [للحية[(٣)]] والتواءِ كلٍّ منهما على صاحبه ، حتى كأنهما زوجُ خيزرانٍ مفتولٌ ، أو خَلخَالٌ مفتولٌ . فأمَّا أن يقفوا على عضوٍ يدخل أو فرج يدخل فيه فَلاَ .

(ذكر الأيم والجرادة الذكر فى الشعر)

والعرب تذكُرُ الحيّاتِ بأسمائها وأجناسها . فإذا قالوا : أَيْم ، فإنما يريدون الذَّكرَ دونَ الأنثى . ويذكرونه عِنْدَ جودةِ الانسياب ،

= كما أثبت من س . وانظر « اللسان » (صرد) . ومن تكاذيب الأعراب قولهم على لسان الضب :

أصبح قلبى صردا لايشتهى أن يردا
إلا عرادا عردا أو صليانا بردا
* أو عنكثا ملتبدا *

(١) أى أن سكنى الضباب فى الكدى وهى بعيدة عن الرطوبات ، وفى تلك البلاد التى تنبت الحشيش الطيب الرائحة — من شأنه أن يبعد طباعها من اللخن والعفن . وفى الأصل : « على بعض طبعها » الخ . وقد ظهر لك صوابه مما بينت .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « قد يكون أن كون ذلك » فقط . وفى هـ : « قد يكون أن يكون ذلك كذلك » .

(٣) هذه الزيادة الضرورية من س ، هـ .

وخِفةِ البدن ، كما تذكر الشُّعراءُ فى صفة الخيل الجرادةَ الذَّكَرَ(١) دُونَ الأنثى . فهم وإن ألحقُوا الهاءَ فإنما يريدون الذَّكَرَ . قال بِشْرُ ابنُ أبي خازم :

جَرَادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ(٢)

لأنّ الأنثى لاتـكون صفراء ، وإنما الموصوفُ بالصُّفْرة الذَّكر(٣) ؛ لأنّ الأنثى تـكون بين حالتين(٤) : إمّا أنْ تـكون حُبْلى بِبَيْضِها(٥) فهى مُثْقلَة وإمّا أن تكون [قد(٦)] سرأت وقذفت بيضها(٧) ، فهى أضعفُ ما تـكون .

قال الشاعر :

أَتذهَبُ سَلْمَى فى اللِّمَامِ وَلاَ تُرَى   وفى اللَّيلِ أَيْمٌ حيثُ شاءَ يسيبُ(٨)

(١) ط : « والجرادة الذكر » . وإثبات الواو يفسد المعنى . وإنما يعنون الذكر دون الأنثى ؛ لأن الجرادة الذكر أسرع من الأنثى ، وأخف ، كما فى الموازنة للآمدى ٧٥ .

(٢) الهبوة : الغبرة . وصدر هذا البيت كما فى المفضليات ٣٤٣ والأساس (هرش) :

* مهارشة العنان كأن فيها *

وانظر الاستدراكات .

(٣) أى كون الشاعر ذكر الصفرة ، قرينة لأنه عنى الذكر . ومثل الشعر المتقدم قول علقمة ابن هبيرة الأسدى (الموازنة ٧٥ والمخصص ١٦ : ١١٥) ، أو قد بن مالك . (معجم المرزبانى ٣٣٩) :

كأن جرادة صفراء طارت بألباب الغواضر أجمعينا

(٤) هذا تعليل من الجاحظ لاختيار الشعراء فى كلامهم الجرادة الذكر ، دون الأنثى .

(٥) ط : « إن جلى بيضها » س ، هـ : « إن حبلى ببيضها » ، وأصلحت الـكلام وأكملته بما ترى .

(٦) الزيادة من هـ .

(٧) سرأت الجرادة والسمكة ، من باب منع : باضت .

(٨) اللمام ، بالـكسر : اللقاء اليسير .

(آثار الحيات والعظاء فى الرّمال)

وإذا انسابت فى الكُثْبانِ والرّملِ ، يبينُ مواضعُ مَزَاحِفِها ، وعُرِفت آثَارُهَا .

وقال آخر (١) :

كأَنْ مَزَاحِفَ الحيَّاتِ فيها قُبيلَ الصُّبْحِ آثَارُ السِّيَاطِ (٢)

وكذلك يعرفون آثار العَظاء . وأنشدَ ابن الأعرابىّ :

بها ضربُ أذناب العَظاء كأنّها مَلاعِبُ وِلْدَانٍ تخطّ وتمصع (٣)

وقال الآخر ، وهو يصف حيّات :

كأَنَّ مَزَاحِفَهَا أنسعٌ جُرِرْنَ فُرَادَى ومَثْنَاتِهَا (٤)

٥٨ وقال ثمَامة الكلبىّ :

كأَنَّ مَزَاحِفَ الهَزْلَى (٥) صباحاً خُدُودُ رَصَائع جُدِلتْ تؤاما (٦)

---

(١) هو المتنخل الهذلى ، ديوان الهذليين ٢ : ٢٥ و جمهرة أشعار العرب ص ١٢٠ . وقبله :

كأن وغى الخموش فيها وغى ركب أُمَيم أولى زياط

(٢) رواية المخصص (١٦ : ١٠١) والمؤتلف ١٧٩ : « كأن مزاحف الحيات فيه » ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) : « وهنا » مكان : « فيها » .

(٣) تمصع : تسرع .

(٤) ط : « مراحفها » . هـ : « مراجفها » صوابه فى س . والأنسع : جمع نسع بالكسر ، وهو سير يضفر ويجعل زماما للبعير وغيره . وانظر رواية البيت فى نهاية الأرب (١٠ : ١٤٦) ، ومثيله فى أمالى القالى (٢ : ٢٣٧) .

(٥) الهزلى ، بالزاى : الحيات . ولا يعرف لها واحد . جاءت فى الأصل بالذال فى هذا السطر والسطرين بعده ، وهو تحريف .

(٦) الخدود هنا بمعنى : آثار الجر والسحب . والرصائع ، بالصاد المهملة : جمع رصيعة =

والهِزْلى من الحيَّات . قال جرير أو غيره :

ومِن ذات أصْفَاءٍ سُهُوب كَأَنَّها مَزَاحِفُ هَزْلَى بينها متباعدُ(١)

وقال بعضُ المحدثين ، وذكر حال البرامكةِ كيفَ كانتْ ، وإلى أيِّ شيءٍ صارت :

وإذا نَظرْتَ إلى الثَّرَى بِعِرَاصهم
قلتَ : الشجاعُ ثوى بها والأرقمُ(٢)

وقال البَعيث :

لَقَىً حَمَلتْهُ أُمُّهُ وهى ضَيْفَةٌ فجاءتْ بيَتْن للضيافةِ أرشَما(٣)

مُدامِنُ جَوْعَاتٍ كأنّ عروقَهُ مَسَارِبُ حَيَّاتٍ تَسَرَّبْنَ سَمْسَمَا(٤)

= وهى سير مضفور فى أسفل حمالة السيف . ط ، هـ : « وضائع » س . « صابع » كذا . وهما تحريف ما أثبت . جدلت : أحكم فتلها . ط : « خذلت » هـ : « خزلت » س : « حذلت » والوجه ما كتبت . توأما : جمع توأم . والمراد : أزواجا . وانظر (٦ : ٢٥٩) .

(١) ذات أصفاء : أى أرض ذات صخور ملساء . والأصفاء : جمع صفا . والصفا : جمع صفاة . ط ، هـ : « إصغاء » صوابه فى س . وفى اللسان (صوى) : « أصواء » مع تفصيل فى الشرح . والسهوب : المستوية الواسعة . والبين : البعد ، إن جعل « بينها » مبتدأ مرفوعا . ويصح أن تكون ظرفا منصوبا ، أى مزاحف متباعد بينها . ط ، هـ : « بيتها » صوابه فى س .

(٢) الشجاع : الحية الذكر . والأرقم : حية فيها بياض وسواد ، وهى أخبث الحيات وأطلبها للناس . ط : « الشجاع بها ثوى » .

(٣) اللقى ، بالفتح : الذى لا يدرى لمن هو ، وابن من هو . ط ، هـ : « فتى » س : « لقد » ، وصواب الرواية ما أثبت من الجزء الأول ص ٢٥٨ والاقتضاب ٣٤٦ واللسان (ضيف ، رشم ، يتن ، لقى) . ضيفة : أراد أن أمه حملت به وقد دعيت إلى ضيافة ، فجاء حريصاً على الدعوات محبا للضيافات . وكنى عن زنى أمه . واليتن : الذى يخرج رجلاه عند الولادة قبل رأسه ، وكان يتشاءمون به ، لخروجه مقلوبا . والأرشم : الذى يتشمم الطعام ويحرص عليه . ط : « أرثما » ، س ، هـ : « أرسما » محرفان عما أثبت من المراجع المتقدمة وأدب الكاتب ١٢٧ .

(٤) مدامن جوعات : أى هو يدمن الجوع . وفى الأصل : « مدافع جرعات =

(روعة جلد الحية)

ولا ثوبَ ولا جَناحَ ، ولا سِتْرَ عنكبوتٍ(١) ، إلا وَقِشْرُ الحيَّةِ أَحْسَنُ منه وأرقُّ ، وأخفُّ وأَنْعَمُ ، وأعجبُ صنعةً وتركيباً . ولذلك وصفَ كثيِّرٌ قميصَ ملِكٍ ، فشبَّهه بِسَلخ الحيَّة ، حيث يقول :

إذ ما أفادَ المـالَ أودَى بِفَضْلِهِ حقوقٌ ، فـكرْهَ العاذلاتِ يوافقُه
يجرِّر سِرْبالاً عليـــه كأنَّه سَبِيءٌ لهزْلَى لم تَقطَّعْ شَرَانِقُهْ(٢)

والسَّبِيء : السَّلْخُ والجلد . قال الشاعر :

* وقد نَصَلَ الأظْفارُ وانسَبَأَ الجلْدُ(٣) *

= كأن عروقها » ، وصوابه من الاقتضاب ٣٤٧ واللسان (سمسم) ، ومعجم البلدان (سمسم) . جعل عروقه كأنها مسارب الحيات ، أى آثارها فى الرمال ، وهى ملتوية دقيقة . و « سمسم » بفتح السينين : اسم موضع . وتسربنه : مشين فيه . وفى الأصل : « يسر بن » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . ويروى : « تشربن سمسما » بالشين المعجمة . والسمسم ، بفتح السينين أيضاً : السم . أى كثر فيهن السم فدقت أجسامهن ، لأن الحية إذا كثر سمها دق خلقها .

(١) المراد بستر العنكبوت : بيته الذى ينسجه . وقد نقل هذا الكلام فى ثمار القلوب ٣٤٠ . وانظر (٥ : ٤١١) .

(٢) السبىء : جلد الحية تسلخه . وجاءت هنا مهموزة ، يؤيد همزها الشعر بعدها . والهزلى بالزاى : الحيات . وجاءت فى الأصل بالذال ، وهو تحريف . والشرانق : سلخ الحية إذا ألقته . ط : « سرادقه » س ، هـ : « سرائفه » ، صوابه من اللسان (سبى) ومما فى (٣ : ٤٨٦) . وانظر المخصص (١ : ٢٤) .

(٣) نصلت أظفاره : خرجت . وانسبأ الجلد : انسلخ .

(صمم النعام والأفعى)

ونزعمُ العربُ أنَّ النَّعامَ والأفعى صُمٌّ لا تسمَع ، وكذلك هما من بينِ جميعِ الخَلْقِ . وسنذكرُ من ذلك فى هذا الموضع طرَفاً ، ونؤخر الباقِىَ إلى الموضعِ الذى نذكر فيه جملة القَوْل فى النَّعام .

(أصحاب الدعاوى الكبيرة)

وقد ابتَلِينا بضَرْبين من الناس ، ودعواهما كبيرة[١] ، أحدهما يبلغ من حبه للغرائب[٢] أن يجعل سمْعه هدَفاً لتوليد[٣] الكذَّابين ، وقلبَه قراراً لغرائب الزُّور . ولكَلَفِهِ بالغريب ، وشَغَفِهِ بالطُّرَف ، لا يقفُ على التَّصحيح والتمييز ، فهو يدخل الغثَّ فى السمين ، والممكنَ فى الممتنع ، ويَتَعَلَّقَ بأدنى سببٍ ثمَّ يدفع عنه كلّ الدَّفعِ .

والصِّنف الآخَر ، وهو أنَّ بعضهم يرى أنَّ ذلك لا يكون منه عنْدَ من يسمعه يتكلّم إلا من خاف التقزُّزَ[٤] من الكذب .

(قول فى صمم الأفعى وعماه)

فزعم ناسٌ أنّ الدَّليلَ على أنّ الأفاعىَ صُمٌّ ، قولُ الشاعر :

---

(١) س ، ه : « وعودها كثير » ، صوابه فى ط .

(٢) ط : « للغريب » .

(٣) ه : « لتوكيد » ، وجهه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ط ، س : « التقذر » ه : « التقزر » صوابهما ما أثبت . وفى العبارة قبله اضطراب .

أنْعَتُ نضناضا من الحيَّاتِ أصمَّ لا يسْمَــعُ للرُّقَاة(١)

وقد ذكروا بالصَّممِ أجناساً من خبيثات الحيَّات ، وذهبوا إلى امتناعها من الحروج عند رُقيةِ الرَّاقى عند رأس الجحْر ، فقال بعضهم : ٥٩

وذاتِ قَرْنَيْنِ من الأفاعى صَمَّاء لاَ تَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي

ويزعمونَ أنّ كلّ نَضْنَاضٍ أفعًى . وقال آخَر :

ومِنْ حَنَشٍ لا يُجِيبُ الرَّقَا ةَ أَرْقَشَ ذِى حُمَـةٍ كالرِّشا(٢)

أصمَّ سَميــعٍ طــويلِ السُّبَا تِ مُنْهَرتِ الشِّدقِ عارِى النسا(٣)

فزعم أنّه أصمُّ سميع ، فجاز له أن يجعله أصمّ بقوله : « ومِنْ حَنَشٍ لا يُجِيبُ الرُّقاة » . وقال الآخر :

أَصمَّ أَعْمَى لاَ يُجِيبُ الرُّقَى يَفْتَرُّ عَنْ عُصْلٍ حدِيداتِ(٤)

والأفعى ليس بأعمى ، وعينه لا تنطبق ، وإنْ قُلِعَتْ عينُه عادت . وهو قائمُ العَيْنِ كَعَيْنِ الجرادة ، كأنها مِسمَارٌ مضروب . ولها بالليل شُعاع خفىٌّ . قال الرَّاعى يصفُ الأفعى :

---

(١) الرقاة : جمع راق . ورسمت فى الأصل بالتاء المفتوحة خطأ .

(٢) الحمة : إبرة الحية. والرشاء : الحبل . جعل الحمة كالرشاء فى الطول ؛ وهى مبالغة ظاهرة . ورويّ البيتين هو الألف .

(٣) منهرت الشدق : واسعه . والنسا ، بالفتح : عرق .

(٤) عصل : جمع أعصل بمعنى الملتوى . س ، هـ : « عضل » صوابه فى ط . وقبله كما سيأتى فى ٢٨٢ :

وكم طوت من حنش راصد للسفــر فى أعنى الثنيات

ويُدنى ذِرَاعَيهِ إذا ما تبادَرَا   إلى رأسِ صِلٍّ قائمِ العَيْنِ أسفع (١)

وهذه صفةُ سَليمِ الأفعى (٢) فيجوز أنْ يكون الشاعِرُ وصفها بالتمنع من الخروج بالصَّمَم ، كما وصفَها بالعمَى ؛ لمكان السُّبات وطُولِ الإطراق .

قال الشاعِرُ :

أصمَّ سميــع طويل السُّبات   مُنهرت الشِّدْقِ عَارِى القَرَا (٣)

وقال آخر :

منهرتِ الشِّدقِ رَقُودِ الضُّحى   سارٍ طَمُـورٍ بالدُّجُنَّاتِ (٤)

وَتَارَةً تَحْسَبُــــهُ مَيِّتاً   مِنْ طُولِ إطْرَاقٍ وإخباتِ (٥)

يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وَطَـوْرًا لَهُ   نَفخٌ وَنَفثٌ فى المغارات (٦)

وَيُعْلَمُ أَنَّهُ وَصفَ أفعى بقوله :

أصمَّ أعمَى لا يُجيبُ الرُّقَى   يَفْتَرُّ عن عَصْلٍ حَدِيداتِ (٧)

مُنْهَرِتِ الشِّدْقِ رَقُودِ الضَّحَى « إلخ »

ثم ذكر أنيابَهُ ، فقال :

قُدِّمْنَ عَنْ ضِرْسِيْهِ وَاسْتَأْخَرا   إلى صِمَاخَيْنِ وَلَهْوَات

---

(١) الأسفع : الأسود . ه : « أسقع » صوابه فى ط ، ه .

(٢) السليم : الملدوغ .

(٣) القرا : الظهر . وقد سبق نظير هذا البيت فى ١٧٩ س ٧ .

(٤) الطمور : الوثاب . طمر : وثب . والدجنات : الظلمات .

(٥) الإخبات : الاطمئنان والسكون .

(٦) يسبته الصبح : ينيمه . ط : « يثبته » صوابه فى س ، ه . والنفث : النفخ وفى الأصل : « نقب » . وهو تحريف صوابه مما سيأتى ص ٢٨٣ . ولا تنقب الحيات بل تنفث . والمغارات : جمع مغارة ، وهى الجحر . س : « المفارات » ولا وجه له .

(٧) مضى هذا البيت فى الصفحة السابقة .

فجعله أعصل[١] الأنيابِ ، منهرتَ الأشْداق ، ثمَّ وصفها بالسُّباتِ وطولِ الإطراق ، وبِسُرْعَةِ النَّشْطَةِ[٢] ، وخفّة الحركة ، إذا همَّت بذلك وكانت تعظم[٣] .

(شعر امرأة جمع صِفَةَ الحية)

وقد وصفتها امرأةٌ جاهليَّةٌ بجميع هذه الصِّفةِ[٤] ، إلاَّ أنها زادت شيئاً . والشِّعرُ صحيح . وليس فى أيدى أصحابِنَا مِنْ صِفَةِ الأفاعِى مثلها . ٦٠

وقد رأيتُ عندَ داودَ بن محمَّدٍ الهاشمىِّ كتاباً فى الحيَّات ، أكثرَ من عشرةِ أجلادٍ ، ما يصحُّ منها مقدارُ جلد ونصف .

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ خلفٍ الأحْمَرِ ، والأصمعىِّ ، أرجازاً كثيرة . فما ظنُّكَ بتوليدِهم على ألسِنَةِ القدَماء !

ولقدْ ولَّدُوا على لسانِ جَحْشَوَيْهِ فى الحُلاَق أشعاراً ما قالها جَحْشَوَيه قط . فلو تَقَذَّرُوا من شيءٍ تقذروا من هذا الباب .

والشِّعر الذى فى الأفعَى[٥] :

قَدْ كاد يقتلنى أصمَّ مَرَقَّشٌ ... من حُبِّكُمْ ، والخطبُ غيرُ كبير[٦]
خُلِقَتْ لَهَـازِمُهُ عزينَ ورأسُهُ ... كالقَرْصِ فُلْطِحَ مِنْ دقيقِ شَعيرِ[٧]

---

(١) أعصل : أعوج . هـ : « أعضل » مصحف .
(٢) نشطت الحية تنشط وتنشط : عضت بنابها .
(٣) كذا بالأصل .
(٤) هذا المثبت فى س ، هـ أجزل من : « الصفات » المثبتة فى ط .
(٥) انظر نسبة الشعرفيما أسلفت فى (٢ : ٢١٤) .
(٦) رواية المؤتلف والأصمعيات : « من حب كلثم والخطوب كثير » .
(٧) ط : « أفطح » س : « فصلح » ، تحريف ما أثبت من هـ . وانظر شرح البيت فى (٢ : ٢١٤) .

وَيُدِيرُ عَيْناً لِلْوقاع كأَنَّهَا سَمْرَاءُ طاحَتْ مِنْ نَفِيضِ بَرِيرِ[(١)]
وكأَنَّ ملقـــاه بكلِّ تَنوفةٍ مَلْقَاكَ كفَّةَ مُنْخلٍ مأطورِ[(٢)]
وكأنَّ شِدْقَيْهِ إذا اسْتَعْرَضْتَهُ شدْقَا عَجُوز مَضْمَضتْ لِطُهُورِ[(٣)]

فقد زعمتْ[(٤)] كما ترى أنها تدير عينا[(٥)] ، وزعم الأوّلُ[(٦)] أنها قائمة العين . إلاَّ أنْ تزعُمَ أنها لم تَرِدْ بالإدارة أنْ مقلتَها تزولُ عن موضعها ، ولكنّها أرادتْ أنّها جَوّالةٌ فى إدراك الأشخاص ، البعيدةِ والقَريبة ، والمتيامِنَة والمتياسِرَة .

وقد يجوزُ أنْ يكونَ إنَّمَا جعَلَهَا سميعةً[(٧)] لدقّةِ الحِسِّ ، وكثرةِ الاكتراث وجودةِ الشمِّ ، لا جَوْدَةِ السَّمْعِ ؛ فإنَّ الذين زعموا أنّ النعامة صمَّاءُ زعَمُوا أنّها تَدْرِك مِن جهة الشمِّ والعَيْنِ ، جميعَ الأمورِ التى كانت تعرِفها [من[(٨)]] قِبَلِ السَّمْعِ لو كانتْ سَمِيعَة . وقد قال الشاعِرُ[(٩)] فى صفة الحيَّة :

---

(١) فى الأصل : « للوقاح » ، صوابه من (٢ : ٢١٥) والمؤتلف والأصمعيات وعيون الأخبار (٢ : ١٠٢) . وسبق شرح البيت فى (٢ : ٢١٥) .
(٢) التنوفة : الأرض الفسيحة المتباعدة الأطراف . كفة المنخل : إطاره المستدير . والمأطور : ذو الإطار . وفى الأصل : « منجل » ، والأوفق ما أثبت من المؤتلف ومن الأصل المصور لعيون الأخبار ؛ إذ أن إطار المنجل أصدق تصويراً للاستدارة والتحوى ، وهما مما توصف به الحيات . انظر لذلك ص ٢٠٠ س ١٢ - ١٤ ساسى . ورواية صدر البيت فى المؤتلف :
« وكأن مرصده بكل ثنية تلقاك . . . »
(٣) انظر ما سبق فى (٢ : ٢١٥) . والطهور ، بالضم : التطهر .
(٤) أى الشاعرة . وفى ط : « زعم » .
(٥) عنى الحية هنا. والحية تذكر وتؤنث .
(٦) هو الراعى . انظر ١٧٩ - ١٨٠ .
(٧) هـ : « سميماً » وهما وجهان جائزان . وفى القاموس : وأذن سمعة ويحرك وكفرحة ، وشريفة وشريف » .
(٨) ليست بالأصل.
(٩) هو الزيادى كما سيأتى فى ص ٢٨١ .

تهْـوِى إلى الصّوْتِ والظلماءُ عاكِفَةٌ تَقوُّرَ السَّيْلِ لاقَى الحَيْدَ فاطّلَعَا[1]

هذا بعد أن قال :

إِنى وما تَبْتَغِى منّى كملتمس صيداً وما نالَ مِنْهُ الرِّىَّ والشِّبَعا
أهْوَى إلى بابِ جَحْرٍ فى مقدّمِه مِثْلُ العَسيب تَرَى فى رَأسِه نَزَعَا[2]
اللَّوْنَ أربَدُ والأنيابُ شابكةٌ
عصْلٌ تَرَى السمَّ يجرى بيْنَها قِطَعَا[3]
أصم ماشمَّ مِنْ خَضراءَ أيبَسها أو شمّ من حَجَرٍ أَوْهَاهُ فانْصَدَعَا[4]

فقد جَعَلَ[5] لها أنياباً عُصْلا ، ووصَفها بغاية الخُبْثِ وزعَمَ أنها لا تسمَع .

فهؤلاء ثلاثة شعراء .

(الثقة بالعلماء)

فإن قلت : إنَّ المولَّدَ لا يؤمن عليه الخطأ إذْ كان دخيلاً فى ذلك الأمر ، وليس كالأعرابىِّ الذى إنمَا يحكى الموجودَ الظاهرَ له ، الذى عليه ٦١

(١) التقور : التثنى . وفى الأصل : « قعود » ، ولم أجد له وجها ، وصوابه فى اللسان (قور) : والحيد بفتح الحاء : ما شخص من الجبل . وفى الأصل : « الجيد » وصوابه مما سيأتى ص ٢٨١ واللسان . واطلع : أشرف . جعل انسياب الحية فى سرعتها وتلويها كانسياب السيل إذا لاقاه حيد تثنى وأشرف على طريق آخر .

(٢) فى مقدمه : فى مقدم الجحر . والعسيب : السعف لم ينبت عليه خوص .

(٣) ط ، س : « شائكة » والأوجه ما أثبت من هـ . وشابكة : مشتبكة . وعصل : معوجات . هـ : « عضل » مصحف .

(٤) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧ - ١٣٨) . ط : « ثم » موضع « شم » فى الموضعين ، وهو تحريف .

(٥) فى الأصل : « جعلوا » .

نَشَـأَ ، وبِمَعْرِفَتِهِ غَذى . فالعلماء الذينَ اتَّسَعَوا فى علم العرب ، حتى صاروا إذا أخبروا عنهم بخبر كانوا الثقاتِ فيما بيننا وَبينَهم ، هم الذين نقَلُوا إلينا . وسواءٌ علينا جعلوهُ كلاماً وحديثاً منثوراً[١] ، أو جعلوه رجزاً وقصيداً موزوناً[٢] .

ومَتى أخبرنى بعضُ هؤلاء بخبر لم أستَظْهِرْ عليه بمسألة[٣] الأعراب . ولـكنهُ إنْ تَـكَلمَ وتحدَّثَ ، فأنـكرتُ فى كلامِهِ بعضَ الإعراب ، لم أجْعَلْ ذلك قُدوَةً حتى أُوقِفه عليه ، لأنه مِمَّنْ لا يُؤْمَنَ عَلَيْهِ اللَّحْنُ الخفِىّ قبْلَ التفـكر . فهذا وما أشبههُ حكمه خلافُ الأوَّل .

(الرُّقْيَـة)

والرّقْيَةَ تـكون على ضروب : فمنها الذى يدّعيه الحَوَّاءُ والرَّقَّاء ؛ وذلك يُشْـبِه بالذى يدَّعى[٤] ناسٌ [من[٥]] العزائمَ على الشياطين والجن ؛ وذلك أنهم يزعمون أن فى تلك الرّقْيَةِ عزيمةً لا يمتنع منها الشيطان ، فـكيف العامر[٦] ؟ ! وأن العامِرَ إذا سُئل بهـا أجَاب ، فيكونَ هو الذى يتولى إخراجَ الحياتِ من الصّخْر . فإن كان الأمْرُ على ما قالوا فما ينبغى أن يكون بين خُـروجِ الأَفاعى الصمِّ وغيرِها فرقٌ ، إذا كانت العزائم والرّقى

(١) ط : « أو حديثاً منثوراً » .

(٢) ط : « أو قصيدا موزونا » . وانظر الاستدراكات .

(٣) كذا فى ط ، هـ . والمسألة : مصدر ميمى من سـأل . وفى س : « بمساءلة » .

(٤) ط فقط : « يدعيه » .

(٥) زيادة يفتقر إليها الـكلام .

(٦) العامر : ما يسكن بيوت الناس من الجن ، فيما يزعمون .

والنَّفْثَ ليس شيئاً[١] يعمل فى نفس الحيَّة ، وإنَّما هو شىءٌ يَعْملُ فى الّذِى يُخْرِجُ الحيَّة . وإذا كان ذلك [كذلك[٢]] فالسَّميعُ والأصمُّ فيه سواءٌ .

وكذلك يقولون فى التَّحبيب والتَّبغيض ، وفى النُّشرة[٣] وحلِّ العُقدة وفى التَّعقيد والتحليل .

(العزيمة)

ويزعمونَ أنَّ الجنَّ لا تجيبُ صاحبَ العزيمةِ حتى يَتَوحَّشَ ويأتىَ الخراباتِ والبرَارِىَّ ، ولا يأنَسَ بالناس ، ويَتَشَبَّهَ[٤] بالجنِّ ، ويغسل بالماء القَرَاح[٥] ، ويتبخَّر باللُّبانِ الذَّكر ، ويراعى المشترِىَ[٦] . فإذا دقَّ ولطُفَ ، وتوحَّش وعزم ، أجابتْهَ الجنُّ ، وذلك بَعْدَ أنْ يكون بدنه يصلُح هيكلاً لها ، [و[٧]] حتَّى يَلَذَّ دُخوله وَادِىَ[٨] منازلَها ، وألاَّ يكرَهَ ملابستَه والكَوْنَ فيه . فإنْ هو ألَحَّ عليها بالعزائم ، ولم يأخُذْ لذلك أُهبَتَه خبلَتْه ، وربَّمَا قتلتْه ؛ لأنها تَظُنَّ أنَّهَ متَى توحَّش لها ، واحتمى ، وتَنَظف[٩]

(١) هـ ، س : « شىء » بالرفع ، صوابه فى ط .

(٢) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ .

(٣) النشرة ، بالضم : رقية يعالج بها المجنون والمريض .

(٤) فى الأصل : « ويشبه » .

(٥) ماء قراح ، كسحاب : خالص لا يخالطه شىء .

(٦) هو ذاك الكوكب : سماه المنجمون السعد الأكبر ؛ لأنه فوق الزهرة فى السعادة وأضافوا إليه الخيرات الكثيرة ، والسعادة العظيمة . عجائب المخلوقات .

(٧) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٨) كذا على الصواب فى س ، هـ . وفى ط : « وأرى » .

(٩) ط : « وتنطق » ، صوابه فى س ، هـ .

فقد فرغ . وهى لا تُجيب بذلك فَقَطْ[١] ، حتى يكونَ المعزِّمُ مشاكلاً لها فى الطِّباع .

فيزعمون أنّ الحيَّاتِ إنما تُخْرَجُ إخراجاً ، وأنَّ الذى يخرجُها هو الذى يخرِج سمومَها مِنْ أجسادِ النّاس ، إذا عَزمَ عليها[٢] .

(التعويذ)

والرُّقيَةَ الأخرى بمَا يُعْرَفُ من التعويذ[٣] . قال أبُو عُبَيْدَةَ : سَمِعْتَ أَعْرَابِيًّا يقول[٤] : قد جاءكم أحَدُكُمَ يستَرْقِيكمْ فارْقوه . قال : فَعَوَّذُوهُ ببعض العوائذ[٥] .

والوجه الآخر مشتقٌ من هذا ومحمولٌ عَلَيْهِ ، كالرّجُلِ يقول : مازال فلانَ يرقى فلاناً حتّى لانَ وأجابَ .

(قول الشعراء والمتكلمين فى رقى الحيات)

وقد قالت الشعراء فى الجاهِلِيَّةِ والإسلامِ فى رُقى الحيات ، وكانوا
يؤمنون بذلك ويصدقون به ، وسنخبر بأقاويلِ المتكلمين فى ذلك ، ٦٣
وبالله التوفيق .

---

(١) أى أن الجن لا تجيب بالعزيمة فقط ، بل لا بد لها مع ذلك من أن يشاركها المعزم فى طباعها . وفى الأصل : « وهو لا يجيب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) كذا على الصواب فى ط . وفى هـ ، س : « عليه » .

(٣) س ، « التعويذة » .

(٤) ط ، « وقال سمعت أبا عبيدة يقول » هـ : « وقال أبو عبيدة : سمعت يقول » وصوابهما ما أثبت من س .

(٥) كذا جاءت هذه الكلمة ، ولم أرها فى غير هذا الموضع ، والمعروف : « التعاويذ » جمع تعويذة ، و « العوذ » : جمع عوذة بالضم . و « المعاذات » بالفتح : جمع معاذة .

و [منهم[١]] مَنْ زعم أنَّ إخراجَ الحيّةِ من جُحْرها إلى الرّاقى ، إنما كان للعزيمة والإقْسام عليها ، ولأنها إذا فهمَتْ ذلك أجابَتْ ولم تمتنع .

وكان أميَّةَ بنُ أبى الصَّلت ، لايعرف قولَهم فى أنَّ العُمَّارَ هم الذين يُجيبون العزائم بإخراج الحيّاتِ من بُيوتها ، وفى ذلك يقول :

والحيّة الذَكر الرَّقشاءُ أخرَجَها ... مِنْ جُحْرِها أَمَنَاتُ اللهِ والقَسَمُ[٢]
إذا دعا باسمها الإنسانُ أَوْ سَمِعَتْ ... ذات الإلٰهِ بدا فى مشيها رَزَمُ[٣]
منْ خَلْفها حُمَّـةٌ لولا الَّذِى سَمِعَتْ ... قد كانَ ثبتها فى جُحرها الحمَمُ[٤]
نابٌ حديدٌ وكفٌّ غيرُ وَادِعَةٍ ... والخلقُ مختلفٌ فى القَوْلِ والشِّيَمِ[٥]
إذا دُعِينَ بأسماءٍ أَجَبْنَ لها ... لنَافثٍ يعتديه اللهُ والكَلِمُ
لولا مخافةَ رَبٍّ كان عذَّبَها ... عرجاء تظْلَعُ ، فى أنْيابها عَسَمُ[٦]

---

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام

(٢) فى اللسان : « ووصف أمية الحية بالحتفة فقال :

والحية الحتفة الرقشاء أخرجها ... من بيتها أمنات الله والكلم » .

وهى رواية الخصائص (١ : ١٥٤)، قال: « أنثوا المصدر لما جرى وصفا على المؤنث »، يعنى الحتفة .

(٣) فى اللسان : « رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما : إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحا وهزالا » . ورواية الديوان ٥٧ : « يرى فى سعيها رزم » .

(٤) كذا فى ط ، ه والديوان ، وقد استعمل المجاز فى « خلفها » كما يقول القائل : « من خلفه الشر والأذى » ، أى هو صاحب شر وأذى . والحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة : السم ، وتجمع على حمم ، انظر اللسان . وفى س : « من خلفها حية » ولا توافق ما سيأتى من تعقيب الجاحظ فى الصفحة التالية س ٤ .

(٥) ناب حديد : حاد . وليس للحية كفٌ ، وإنما أراد كثرة ما يصيب الناس من شرها .

(٦) تظلع : تعرج وتغمز فى سيرها . وفى الأصل : « تطلع » ، صوابه فى الديوان . والعسم ، بالتحريك : أصل معناه يبس فى المرفق تعوج منه اليد ، فهو أراد به هنا الاعوجاج والانعقاف ، وهو من صفة ناب الحية . وفى الأصل والديوان أيضاً : « غشم » ، وأراها تحريفاً .

وقد بَلَتْهُ فذاقَتْ بَعْضَ مَصْدَقِهِ فليسَ في سَمْعها ، من رَهْبَةٍ صَمَمُ[١]
فكيفَ يأمنها أَمْ كيف تألَفهُ وليس بينهما قُربَى ولا رَحِمُ !

يقول : لو أنَّها أخرجت[٢] حين اسْتُحْلِفَتْ بالله لما خرجت ؛ إذ ليس بينهما قُربَى ولا رَحِم . ثمَّ ذكر الحُمَّةَ[٣] والنّاب .

وقال آخرون : إنما الحيَّة مثل الضّبّ والضّبع ، إذا سمع بالله والهدْم والصَّوت خرج ينظر . والحوَّاء إذا دنا من الجحْر رفع صوته وصفَّقَ بيديه ، وأكثرَ من ذلك ، حتى يخرج الحيّة ، كما يُخرجُ الضبَّ والضَّبع .

وقال كثيِّر :

وسَودَاءَ مِطراق إلىَّ مِنَ الصَّفَا[٤] أَنِيٍّ[٥] إذا الحاوى دنا فَصَدَا لها[٦]

والتَّصدية : التَّصفيق ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً ﴾ الآية . فالمُكاء : صوتٌ بين النَّفخ والصَّفير . والتَّصْدِيَة : تصفيق اليد باليد .

فكان الحوَّاء يحتالُ بذلك للحيّة ، ويُوهم مَنْ حَضَرَ أنَّهُ بالرُّقية

---

(١) بلا الشئ يبلوه : اختبره . والمراد هنا عرفته بعد الاختبار . والضمير عائد إلى « نافث » في البيت الذى قبل السابق . س ، هـ : « قد أبلته » ، وفى الديوان : « وقد بكته » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٢) س : « خرجت » .

(٣) الحمة ، بالضم الحاء وفتح الميم ، ويقال الحمة ، بضم الحاء وتشديد الميم المفتوحة أيضاً ، بمعنى السم .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء الصلبة . ط ، س : « الصفا » صوابه فى هـ .

(٥) أنى ، من الأناة بمعنى البطء . ط ، هـ : « أنى » صوابه فى س .

(٦) ط : « إذا الحانوت » تصحيحه من س ، هـ . ورسمت « فصدا » بالألف وهى من الصدو ، بمعنى التصفيق . وفى ط : « فضدا » ، مصحفة .

أخرجها ، وهو فى ذلك يتكلَّمُ ويعرِّض ، إلا أنَّ ذلك صوتٌ رفيع . وهو لو رَفَعَ صوتَه ببيتِ شِعْرٍ أو بخرافةٍ ، لَكان ذلك والذى يظهر من العزيمة عندَ الحيَّة سَواءً . وإنَّما يُنْكر الصَّوتَ ، كما يُنكره الضّبُّ وغيرُ ذلك من الوحش .

ثمَّ قال :

كفَفْتَ يَداً عنها وأرضَيْتُ سَمْعَها   من القَوْل حتَّى صدَّقَتْ ما وعى لها
وأشْعَرتها نَفْثاً بليغاً ، فلو ترى   وقد جعلت أن ترعنى النَّفْثَ بالها(١)
تسلَّتُها من حيث أدرَكَها الرّقى   إلى الكَفّ لما سالمت ، وانسلالها ٦٣

فقال كما ترى :

* كففت يداً عنها وأرضيتُ سمْعَها * (البيت)

ثم قال :

* وأشعرتها نَفْثاً بليغاً فلو تَرَى *

وقال الأعشى(٢) :

أبا مِسْمَعٍ إنى امرؤ مِن قَبِيلةٍ   بَنَى لِيَ عِزًّا مَوْتُها وحياتُها
فلا تُلْمِس الأفعَى يديك تريدها   إذا ما سعت يوما إليها سَفَاتُها(٣)

---

(١) ﻫ : « يالها » .

(٢) النسبة فى المخصص (١٥ : ١٢٥) إلى أبى ذؤيب الهذلى . وفى معجم المرزبانى ٣٧١ ومجموعة المعانى ١٥٨ إلى خالد بن زهير الهذلى — وهو ابن أخت أبى ذؤيب الهذلى يخاطب معقل بن خويلد الهذلى ، فى قصة دخل فيها أبو ذؤيب الهذلى . وهذا هو الصواب فى النسبة .

(٣) السفاة ، بالفتح ، سيفسرها الجاحظ بعد . وفى ط ، ﻫ ، س : « سعى لها » وهو تحريف عجيب يفسد به الكلام ، ولا يستقيم به الشعر ، صوابه فى المرجعين المتقدمين وكذا المقصور والممدود ٥٣ والمخصص (١٠ : ٦٣) أيضاً . والرواية فى الجميع ماعدا معجم المرزبانى :
=

وقال آخر :

يَدْعُو بِهِ الحيَّةَ فى أقطارِهِ[١] فإنْ أَبَى شَمَّ سَفَا وِجَارِهِ[٢]

والسَّفا : التراب اليابس بين التربين. يقال سَفاً وسَفاة .

(تمويه الحواء والراقى)

والحوَّاء [و[٣]] الرَّاقى يُرِى[٤] النَّـاس أنَّهُ إذا رأى جحراً[٥] لم يَخْفَ عليه : أجحر حيَّةٍ هو أمْ جُحر شىء غيره ، فإن كان جُحر حيَّةٍ لم يخف عليه أهى فيـه أم لا . ثمَّ إذا رَقَى وعزَّم فامتنعت من الخُرَوجِ ، وخاف أنْ تـكون[٦] أفعى صَمَّاءَ لا تسمَعُ ، وإذا أَرَاغَها[٧] ليأخذَها فأخطأ لم يأمن من أن تنقره نَقْرَةً[٨] لايُفْلِـحُ بعدها أبدا ، فهو عند ذلك يستبرى[٩] بأن يشمَّ من تراب الجحر ، فلا يخْفى عَلَيْهِ : أهى أفْعى أم حَيَّةٌ من سائر الحيات . فلذلك قال :

= فلا تلمس الأفعى يداك تريدها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

لـكن فى مجموعة المعانى : « صفاتها » . وانفرد المرزبانى بروايته :

ولا تبعث الأفعى تداور رأسها ودعها إذا ماغيبتها سفاتها

(١) ضمير أقطاره عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث . وأقطار الحية : النواحى التى يسكن فيها . وضمير يدعو ، هو للراقى أو الحاوى .

(٢) أى إن أبى الحية أن يخرج ، شم الحاوى تراب جحره ، ليعلم : أهو فيه أم لا ؟ .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتئم الـكلام .

(٤) كذا على الصواب فى ط . وفى س ، ه : « يرق » محرفة .

(٥) ط ، س : « جحر حية » . والوجه حذف : « حية » للتعميم ، كما فى ه .

(٦) ط ، س : « يكون » أى مافى داخل الجحر . فله وجه . وأثبت مافى ه .

(٧) أراغها : طلبها . وفى الأصل : « راعها » والوجه ماأثبت .

(٨) انظر ماسبق فى تحقيق هذه الـكلمة ص ١١٥ .

(٩) مخففة من يستبرئ بمعنى يختبر . وبمعناها الدقيق : يطلب براءة الجحر مما قد يكون به من الأفاعى الصم والمؤذية .

* يدعو به الحَية فى أقطاره * (البيت)

والوجار : الجحر .

(ريح الأفعى)

وزعم لى بَعْضُ الحوَّائين أنَّ للحيَّات نَتْناً وسهَكاً ، وأن ريحَ الأفعى معروفَةٌ . وليس شيءٌ أعلقَ ، ولا أعْنقَ[١] ، ولا أسرعَ أخذاً لرائحةٍ من طينٍ أو تراب ، وَأَنَّهُ[٢] إذا شمّ من طينة الجُحْر لم يخْفَ عليه . وقال: اعتبِرْ ذلك بهذا الطين السدانى[٣] والرَّاهطى[٤] إذا أُلقى فى الزَّعفران والكافور ، أو غير ذلك من الطِّيب ، فإنّه متى وُضع إلى جنب رَوْثَةٍ أو عَذِرَة ، قبِلَ ذلك الجسم .

والرَّقاء يوهم النَّاسَ إذا دَخَل دورهم لاستخراج الحيَّاتِ أَنَّهُ يعرف أماكنها برائحتها ، فلذلك يأخُذ قصبة ويَشْعَب رَأسَها ، ثم يطْعن بها فى سقف البيت والزَّوايا ، ثمّ يشمها ويقول مرة : فيها حيَّات ؛ ويقول مَرَّةً : بلى، فيها حيّات ، على قدْر الطمع فى القوم ، وفى عقولهم .

(تأثير الأصوات)

وأَمْرُ الصَّوتِ عجيبٌ ، وتصرُّفه فى الوجوه عجب . فمن ذلك أنَّ منه

---

(١) أى أسرع . ط : « أعق » س ، هـ : « اعتق » ولعل صوابهما ما أثبت .

(٢) ط ، هـ : « فإنه » والصواب فى س .

(٣) كذا بالأصل . ولعله : « السيرافى » نسبة إلى سيراف . وقد ذكره صاحب المعتمد فى الكلام على (طين قيموليا) .

(٤) الراهطى : نسبة إلى راهط ، وهو موضع فى غوطة دمشق ، كانت عنده الوقعة المشهورة : « مرج راهط » .

مايقتل ، كصوت الصاعقة . ومنها ما يسرُّ النفوس حتى يُفْرِط عليها[١] السُّرُورُ فتقلَقُ حتى ترقُص ، وحَتّى رُبمَا رمى الرَّجل بنفْسه مِن حالق[٢] . وذلك مثلُ هذه الأغانى المطرِبة . ومن ذلك ما يُـكْمِد . ومن ذلك ما يزيل العقْل حتى يُغْشَى على صاحبه ، كنحو هذه الأصواتِ الشجيةِ ، والقراءات الملحَّنة[٣] . وليس يعتريهم ذلك مِنْ قِبَلِ المعانى ؛ لأنهم فى كثير من ذلك
٦٤ لا يفهمون معانىَ كَلامهم . وقد بَكى َما سرجويه[٤] من قراءة أبي الخوخ ، فقيل له : كيفَ بكيتَ من كتاب الله ولا تصدِّقَ به ؟ قال : إنما أبكانى الشجا !

وبالأصوات ينوِّمون الصِّبيانَ والأطفالَ .

---

(١) ط : « عليه » صوابه فى س ، ﻫ .

(٢) الحالق : الجبل المرتفع . والمراد : مكان مرتفع .

(٣) من التلحين . ولابن قتيبة فى المعارف ٢٣٢ بحث جيد فى تلحين القرآن ، منه : « وكان القراء كلهم : الهيثم ، وأبان ، وابن أعين ، يدخلون فى القراءة من ألحان الغناء ، والحداء والرهبانية . فنهم من كان يدس الشىء من ذلك دساً رقيقا ، ومنهم من كان يجهر بذلك حتى يسلخه . فن ذلك قراءة الهيثم : أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر . سلخه من صوت الغناء كهيئة :

أما القطاة فإنى سوف أنعتها نعتا يوافق نعتى بعض مافيها

(٤) ما سرجويه : طبيب بصرى يهودى ، وكان أحد المترجمين من السريانية إلى العربية وهو الذى فسر كناش القس أهرن بن أعين ، وزاد عليه مقالتين .
وكلمة : « بكى » هى فى ط ، س : « بكاى » . وفى ﻫ : « بكا » وقد صححته .

(أثر الأصوات فى الحيوان)

والدَّوابُّ تَصُرُّ آذانها[١] إذا غنَّى المكارِى . والإبل تصرُّ آذانَها إذا حدا فى آثارها الحادى ، وتزداد نشاطاً ، وتزيد فى مشيها[٢] . ويَجمع[٣] بها الصَّيَّادُونَ السَّمك فى حظائرهم التى يتَّخذونها له . وذلك أنَّهم يضربون بعصيٍّ معهم ، ويُعَطْعِطُونَ[٤] ، فتُقبِل أجناسُ السَّمكِ شاخصةَ الأبصار مصغيةً إلى تلك الأصوات ، حتَّى تدخُلَ فى الحظيرة . ويُضْرَب بالطِّساس للطَّير ، وتُصاد بها . ويضرَبُ بالطِّساس للأُسْدِ وقد أقبلتْ ، فتروعُها تلك الأصوات .

وقال صاحب المنطق : الأيائِلُ تُصَادُ بالصَّفيرِ والغناء . وهى لا تنامُ مادامت تسمعُ ذلك من حاذق الصوت . فيشغلونها بذلك ويأتون من خلفِها فإنْ رأَوْها مسترخيةَ الآذانِ وثَبُوا عليها ، وإن كانت قائمة الأذنين فليس إليها سَبيل .

والصَّفير تُسْقى به الدوابُّ الماءَ ، وتنفِّرُ به الطير عن البذور .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الرَّعدَ الشَّدِيدَ إذا وافق سِبَاحَةَ السَّمك

---

(١) صرت الدابة أذنها : نصبتها للاستماع .

(٢) س : « مشيتها » .

(٣) ط ، هـ : « وتجمع » . وتأنيث الفعل مع جمع المذكر المكسر جائز ، ولكن جمع التصحيح المذكر كما هنا ؛ لايجوز فى فعله إلا التذكير ، خلافا للكوفيين الذين احتجوا بقوله تعالى : « إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل » ، ورد عليهم احتجاجهم بأن « بنو » ليس جمع تصحيح .

(٤) العطعطة : تتابع الأصوات واختلاطها .

فى أعلى المـاء رمَتْ ببيضها[١] قبلَ انتهاء الأجَل . [وربما تمّ الأجل[٢]]
فتَسمعُ[٣] الرّعدَ الشّدِيدَ ، فيتعضَّل[٤] عليها أيّاما بعدَ الوقت .

(قول لأبى الوجيه العكلى)

وقال أبو الوجيه العُـكْلِيُّ : أحِبُّ السّحابةَ الخَرْسَاءَ وَلا أُحِبهَا !
فقيل له : وكيف ذلك ؟ قال : لأنها لا تخرَسُ حتى تمتلئَ ماءً وتصبّ صَبًّا
كثيراً ، ويكونَ غيثاً طَبَقاً[٥] . وفى ذلك الحَيَا[٦] . إلاّ أنّ الكماةَ لا تكون
على قدْرِ الغيث . ذهب إلى أنّ للرَّعدِ فى الكمأة عملا .

(دعابة لجعفر بن سعيد)

وقال جعفر بن سعيد[٧] : سأل كسرى عن الكَمْأة فقيل له : لاتكون
بالمطر دونَ الرَّعد ، ولا بالرّعْد دونَ المطر . قال : فقال كسرى : رشّوا بالماء
واضربوا بالطبول ! وكان من جعفر على التمليح[٨] . وقد علم جعفرٌ أنّ
كسرَى لا يجهل هذا المقدار .

(أثر الصوت فى الحية)

فالحيَّة واحدةٌ من جميع أجناس الحيوان الذى للصَّوتِ فى طبعه عمل .

---

(١) ط . هـ : « ببعضها » صوابه ، فى س .
(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) فى الأصل : « فيسمع » .
(٤) يتعضل : يعسر خروجه . وفى الأصل : « فيتمطل » ، تحريف .
(٥) طبقاً : أى مالئا للأرض مغشيا لها .
(٦) الحيا ، بالقصر ، ويمد أيضاً : الخصب .
(٧) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .
(٨) التمليح : أن يأتى بشىء مليح . وأصل ذلك فى الشاعر ، وقد جعله هنا للمتحدث
ط : « التملح » وهو التزود بالملح ، أو التجارة به ، وليس يليق بهذ الموضع ،
وصوابه فى س ، هـ .

فاذا دنا الحوَّاء وصفق بيديه ، وتكلم رافعا صوتَه حتى يزَيِّد(١) ، خرج إليه كلُّ شيء كان فى الجُحْر ، فلا يشكُّ من لا علم له أنَّ الحيّةَ خرجت من جهة الطاعةِ وخوْف المعصِيَةِ ، وأنّ العامرَ أخرجها تعظيماً للعزيمة ، ولأنَّ المعتزم مُطاعٌ فى العُمَّار . والعامّة أسرعُ شيءٍ إلى التَّصديق .

(شعر فى الروح وهيكلها)

وفى [الرُّوح ، وفى(٢)] أنّ البدنَ هيكلٌ لها ، يقول سليمانُ الأعمى(٣) وكان أخا مسلم بن الوليد الأنصاريّ . وكانوا لا يشكون بأنَّ سليمانَ هذا الأعمى ، كان من مُسْتَجِيبى(٤) بشارٍ الأعمَى ، وأنّه كان يختلف إليه وهوغلَام فقبل عنه ذلك الدِّين . وهو الذى يقول :

إنّ فى ذَا الجِسمِ(٥) مُعْتَبَرًا ... لِطَلُوبِ الْعِلمِ مُقْتَبِسِهْ

(١) يقال زيده ، بالتشديد ، فزاد وازداد .

(٢) زيادة تقتضيها صحة الكلام وسياق الحديث . وليست بالأصل . انظر الشعر الآتى .

(٣) سليمان الأعمى ، أو الضرير ، جعله الجاحظ أخا لمسلم بن الوليد ، كما هنا وكما فى البيان (٣ : ٢٠٢) حيث يقول : « وقال سليمان بن الوليد » . أما ياقوت وكذا الصفدى فى نكت الهميان ١٦٠ فقد جعلا مسلم بن الوليد أباه . قال ياقوت فى ترجمته : « وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغوانى الشاعر المعروف كان كأبيه شاعراً مجيداً . وكان ملازما لبشار بن برد يأخذ عنه ، ولذا كان متهما بدينه . مات سنة تسع وسبعين ومائة » . وأنشد له الشعر الآتى . انظر معجم الأدباء (١١ : ٢٥٥) . وفى عيون الأخبار (٣ : ٦١) : « سليمان الأعجمى » صوابه ما هنا .

(٤) من مستجيبى بشار : أى من قبلوا دعوته . ط ، هـ : « محبى » س : « مستحى » صوابهما ما أثبت .

(٥) كلمة « فى » ساقطة من ط ، هـ . وكلمة : « الجسم » هى فى الأصل : « العلم » ولا يتجه بها الشعر ، ولا المعنى الذى سيق من أجله الشعر . وأثبت الصواب من معجم الأدباء ونكت الهميان ص ١٦٠ . وكلمة « معتبرا » هى فى ط فقط « معتبر » محرفة .

هَيْـكَلٌ لِلرُّوحِ ينطقه عِرْقُهُ والصَّوْتُ من نَفَسِهْ (١)
لا تَعِظْ إلاّ اللَّبِيبَ فما يُعْدَلُ الضِّلعُ عَلَى قَوَسِهْ
رُبَّ مَغْرُوسٍ يُعَاشُ بِهِ فقَدَتْهُ (٢) كَفُّ مُغْتَرِسِهْ
وكذَاكَ الدَّهْرُ مأتمُهُ أقربُ الأشياءِ مِنْ عُرُسِهْ

(قول فى شعر لأمية بن أبى الصلت)

وكانت العربُ تقول : كان ذلك إذ كان كلُّ شيء ينطق ، وكان ذلك والحجارةُ رَطبةٌ .

قال أُمَيّة :

وإذ هم لا لَبُوسَ لهم تَقِيهم وإذْ صمٌّ السِّلامِ لهم رِطابُ (٣)
بآيةِ قامَ ينطِقُ كلُّ شيءٍ وخانَ أَمَانَةَ الدِّيكِ الغُرَابُ
وأُرْسِلَتِ الحمامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تدلُّ على المهالك لا تَهابُ
تَلَمّسُ هَلْ ترى فى الأَرض عيناً وعاينة بها المـاء العبابُ (٤)
فجاءَتْ بَعْدَمَا رَكَضَتْ بِقِطفٍ عليها الثَّأْطُ والطِّينُ الكُبابُ (٥)

---

(١) عرقه : يشير إلى أوتار الصوت . ط ، ه ونكت الهميان : « عرفه » صوابه فى س والمعجم .

(٢) فى البيان والمعجم ونكت الهميان وعيون الأخبار : « عدمته » . ورواية الكامل ٧٧٣ موافقة لرواية الحيوان .

(٣) اللبوس ، بالفتح : الثياب والسلاح ، مذكر . فإن ذهبت به إلى الدرع أنثت . ويظهر من تأنيث الفعل بعده أن المراد بها هنا الدرع . والسلام ، بالكسر : جمع سلمة بكسر اللام ، وهى الحجارة .

(٤) كذا فى ط ، ه . وفى س : « وعانية بها أبناء العباب » . وانظر ما سبق من التحقيق فى (٢ : ٣٢١) .

(٥) فى الأصل : « عليها الناط » . وانظر ما أسلفت من التحقيق والشرح فى (٢ : =

فَلما فرَّسوا الآيات صَاغُوا   لها طَوْقاً كما عُقِدَ السِّخابُ (١)

إذا ماتَتْ تُوَرِّثُهُ بنيها   وإنْ تُقْتَلْ فليس له انْسِلابُ

فذكر رُطوبة الحجارة ، وأنَّ كلَّ شيء قد كان ينطِق . ثمَّ خبَّرَ عن منادمةِ الدِّيك الغرابَ ، واشتراطِ الحمامة على نوح ، وغيرِ ذلك ممّا يدلُّ على ما قُلْنَا . ثمَّ ذكر الحيَّةَ ، وشأنَ إبليسَ وشأنَها ، فقال :

كذى الأَفْعَى تَرَبَّبَها لَدَيْهِ   وذى الجِنِّيِّ أرْسَلَهَا تَسابُ (٢)

فلا رَبٌّ البريّة يأمَنَنْهَا   ولا الجنىُّ أَصبح يُسْتَتَابُ

فإن قُلْتَ : إنَّ أميّة كانَ أعرابيًّا ، وكان بَدَوِيًّا (٣) ، وهذا من خرافاتِ أَعرَاب الجاهليَّة ، وزعمتَ أنَّ أُمَيّةَ (٤) لم يأخذ ذلك عن أهْل الكتاب — فإنى سأنْشِدُك لعدِيِّ بنِ زيدٍ ، وكان نصرانيًّا دِيَانيًّا (٥) ، وتَرْجُمَاناً ، وصاحبَ كتب ، وكان من دُهاةِ أَهل ذلك الدَّهر .

قال عدىٌّ بن زيدٍ ، يذكرُ شأنَ آدم ومعصيتِه ، وكيف أَغواه ، وكيف دخل فى الحية ، وأنَّ الحَية كانت فى صورة جَمَل فمسخها الله عقوبة لها ، حين طاوعت عَدُوَّه على وليِّه . فقال :

= ٣٢١) . وقد سبقت رواية « عليه الشاط » أى على القطف . وأما ضمير « عليها » هنا فعائد إلى الحمامة .

(١) طوق الحمامة ، سبق القول فيه فى (٢ : ٣٢١) .

(٢) تربها : رباها . والتربيب : التربية . وفى الأصل : « تربيها » محرف . وانظر لرواية الشطر الثانى ما سبق فى (٢ : ٣٢٢) .

(٣) فى الأصل : « مدربا » .

(٤) الكلام من مبدأ كلمة « كان » إلى هنا ساقط من س .

(٥) نسبة إلى المديانة . وفى الأصل : « ديانا » . والديان بمعنى الحاكم ، ولا وجه له هنا .

قضى لِستَّةِ أيَّامٍ خَلِيقَتَهُ[١]   وكان آخرَها أنْ صوّرَ الرَّجُلا

٦٦ دعاه آدمَ صوْتاً فاستَجَاب له   بِنَفْخَة الرُّوحِ فى الجسم الذى جَبَلَا[٢]

ثُمّتَ أوْرَثَهُ الفِرْدَوْسَ يَعْمُرُهَا   وزوجه صنعةً مِنْ ضِلْعِهِ جعَلَا

لم يَنْهَهُ رَبُّهُ عن غيرِ واحدةٍ   من شَجَرٍ طَيِّبٍ: أنْ شَمَّ أوْ أكَلَا[٣]

فكانت الحَيَّةُ الرَّقْشَاء إذْ خُلِقت   كما تَرى نَاقَة فى الخلقِ أوْ جَمَلا

فعَمَدَا للتى عن أكْلِهَا نُهِيَا   بأمْرِ حَوَّاءَ لم تأخُذْ لهُ الدَّغَلا

كلاهما خاط إذ بُزَّا لَبُوسَهما   مِنْ ورَقِ التِّينِ ثوباً لم يكن غَزِلا[٤]

فلاطَهَا الله إذ أغْوَتْ خَلِيفَتَهُ   طولَ اللَّيالى ولم يجعَل لها أجلَا[٥]

تمشى على بطنها فى الدَّهر ما عَمِرَتْ   والتُّرب تأكُلُهُ حزنا وإن سهُلَا[٦]

فأُتعِبا أبوانا فى حياتهما   وأوْجَدَا الجوعَ والأوصابَ والعِلَلَا[٧]

---

(١) ط، س: «خليقة» صوابه فى هـ.

(٢) ط: «فاسجاب له»، تصحيحه من س، هـ. وجبل: خلق.

(٣) أى عن شمها وأكلها.

(٤) بزا لبوسهما: أى سلبا ثيابهما. وفى الكتاب الكريم: «فأكلا منها فبدت لهما سوءاتهما» و: «لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما». وفى ط، هـ: «برا» وفى س: «بر» والوجه ما أثبت.

(٥) لاطها: ألصقها. وخليفة الله: آدم: «وإذ قال ربك للملائكة إنى جاعل فى الأرض خليفة». وقول عدى: «ولم يجعل لها أجلا» إشارة إلى ما يزعمون من أن الحية لا تموت إلا بعرض يعرض لها من قتل ونحوه.

(٦) عمر، كفرح ونصر وضرب: بقى زمانا.

(٧) جرى الشاعر على نحو مذهب «أكلونى البراغيث» فى «فأتعبا أبوانا». ط فقط: «فأبقيا» محرفة. وفى س، هـ: «ووجد الجوع».

وأوتيا الملك والإنجيلَ نقرؤه نَشْفى بحكمته أحْلامَنا عِلَلا [١]
مِنْ غيرِ ما حاجةٍ إلّا لِيَجْعَلَنا فوقَ البريَّةِ أرْباباً كما فَعَلا [٢]

(عقاب حواء وآدم والحيّة)

فرَوَوْا أنّ كعبَ الأحبارِ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنّ حوَّاءَ عِنْدَ ذلك عُوقبت بعشر خصالٍ ، وأنّ آدم لمّا أطاع حوّاء وعصى رَبَّه عُوقب بعشر خصال ، وأنّ الحيَّة التى دخل فيها إبليس عُوقبت أيضاً بعشْر خِصال [٣] .

وأوّلُ خِصال حوّاء التى عُوقبتْ بها وجَع الافتضاض ، ثم الطلق ، ثمّ النَّزْع [٤] ثمّ بقناع الرَّأس [٥] ، وما يصيبُ الوَحَمى [٦] والنفساء من المكروه ، والقَصْرُ فى البيوت [٧] ، والحيض ، وأنّ الرِّجال هم القوّامون عليهنّ ، وأن تكونَ عنْدَ الجماع هى الأسفل .

---

(١) الأحلام ، العقول . وعللا ، بدل من أحلامنا ، والضمير فيها مقدر ، أى : عللا فيها .

(٢) البرية : الخلق . وأربابا : جمع رب ، جاء فى اللسان : « الرب يطلق فى اللغة على المالك والسيد والمربى والقيم والمنعم . قال : ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عزّ وجلّ . وإذا أطلق على غيره أضيف فقيل رب كذا . قال : وقد جاء فى الشعر مطلقا على غير الله تعالى ، وليس بالكثير ، ولم يذكر فى غير الشعر » .

(٣) هذا القول غير مطابق لما فى التوراة ، وبينه وبين ما فيها تفاوت . انظر سفر التكوين ، الأصحاح الثالث الآيات ١٤ — ١٩ . وانظر تنبيه الجاحظ على مرويات كعب فى ص ٢٠٢ .

(٤) أى نزع الولد .

(٥) أى لبس غطاء الرأس ، وحق هذه الخصلة أن تكون بعد تاليتها .

(٦) وحمت المرأة : حبلت واشتهت الطعام ، فهى وحمى من وحام ووحامى . ط ، س : « الوحم » هـ : « وما يصب الرحم » صوابه ما أثبت .

(٧) أى حبسهن فى البيوت . هذا . ومن عد هذه الخصال وجدها تسعا ، فلعله جعل الخامسة منهن اثنتين .

وأمّا خصال آدم صلى الله عليه وسلم : فالذى انتقص من ضُلوعه[١] ، وبما جعله الله يخافُ من الهوامِّ والسِّباع ، ونكَد العَيش ، وبتوقع الموت ، وبسكنى الأرض ، وبالعُرْى من ثياب الجنَّة ، وبأوجاع أهل الدنيا ، وبمقاساة التحفظ من إبليس ، وبالمحاسبة بالطّرف[٢] ، وبما شاع عليه من اسم العصاة .

وأمَّا الحيَّة فإنها عوقبت بنقص جناحها ، وقطْع أرجلها ، والمشى على بطنها ، وبإعراء جلدها — حتى يقال : « أعْرَى مِنْ حَيَّة » وبشقٍّ لسانها — ولذلك كلما خافَتْ من القتل أخرجَتْ لسانها لتريَهم العُقوبة — وبما ألقِى عليها من عَداوةِ النَّاس ، وبمخافة الناس ، وبجعله لها أوَّلَ ملعون من اللَّحم والدَّم ، وبالذى يُنسب إليها من الكذب والظلم .

(ظلم الحية وكذبها)

فأمّا الظلم فقولهم : « أظلم من حَيَّةٍ » . وأما الكذب فأنها تنطوى فى الرَّملِ
٦٧ على الطَّريق وتدْخِلُ بعض جسدِها فى الرَّمل ، فتظهر كأنها طَبقُ خيزُران ، ومنها حَيَّاتٌ بيضٌ قِصَارٌ تجمعُ بين أطرافها على طُرُقِ الناس ، وتستديرُ كأنها طَوْقٌ [أوْ[٣]] خلخالٌ ، أو سوارُ ذهب أو فضةٍ — ولما تلقى على نفسها من السُّبات[٤] ، ولما تَظهر من الهَرَب من الناس . وكلّ ذلك إنما تغرُّهُمْ وتصطادُهَمْ بتلك الحيلة ، فذلك هو كِذبُها .

---

(١) فى الأصل : « من طوله » .

(٢) لعل المراد المحاسبة على ما تجنيه العين من جنايات النظر . وفى س : « وبالمحاسبة الطرف » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) السبات ، بالضم : النوم .

(عقاب الأرض)

قال : وعُوقبت الأرضُ حين شَربَتْ دم ابن آدم[١] بعشرِ خِصال : أنبَتَ فيها الشّوك ، وصيَّر فيها الفيافىَ ، وخرق فيها البحار ، وملّح أكثرَ مائها ، وخَلقَ فيها الهوامَّ والسِّباع ، وجَعَلَها قرارًا لإبْلِيسَ والعاصِين ، وجعل جهنّمَ فيها ، وجعَلها لا ترْبِى ثمرتَها إلّا فى الحرِّ ، وهى تعذّب بهم إلى يوم القيامة ، وجعلها توطأ بالأخْفافِ ، والحوافِر ، والأظلافِ والأقدام[٢] ، وجَعَلها مالحةَ الطَّعم .

(شرب الأرض للدم)

ثم لم تشرب بعد دمِ ابنِ آدمَ دَمَ أحدٍ من ولده ، ولا من غير ولده . قالَ : ولِذٰلك قال عمر بنَ الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبى مريم الحنفىِّ[٣] : « لأنا أشدُّ لك بُغضاً مِنَ الأرْضِ للدم ! » .

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الأرض لا تشرب الدَّم ، إلّا يسيرًا من دماء الإبل خاصّة .

(اختبار العسل)

وإذا أرادُوا أن يمتحنُوا جوْدَة العسل من رداءته ، قَطَرُوا على الأرض

---

(١) هو الذى تسميه التوراة : « هابيل » . الأصحاح الرابع من سفر التكوين ، وقصته فى سورة المائدة ٢٧ - ٣١.

(٢) فى الأصل : « القوادم » .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٦) ، حيث تجد كلمة عمر الآتية . وتجدها كذلك فى عيون الأخبار (٣ : ١٣) والبيان (٢ : ٨٩) وبقية الحديث فيه : « قال : أفتمنعنى لذلك حقا ؟ قال لا ! قال : لاضير ؛ إنما يأسف على الحب النساء ! » .

منه قَطْرَةً . فإذا استدارت(١) كأنها قطعَةُ زِئبقٍ ، ولم تأْخُذْ مِنَ الأَرْضِ ولم تُعْطِهَا(٢) فهو الماذيُّ الخالصُ الذَّهبيُّ . فإن كان فيه غشوشةٌ(٣) نفشت القَطْرة على [قدر] ما فيها ، وأخَذَتْ من الأرض وأعطتها . وإن لم يقدِرُوا على اللَّحم الغَرِيض(٤) دَفَنُوهُ وغرّقوه فى العسل ، فإنهم متى رجعوا فغسلوه عنه وجَدُوهُ غضًّا طريًّا ؛ لأنّهُ ذهبيُّ الطِّباع ، ليس بينه وبين سائر الأجرام شيء . فهو لايعطيه شيئاً ولا يأخذ منه . وكذلك الذَّهَبُ إذا كان مدفونا .

(زمن الفطحل)

وهذه الأحاديثُ ، وهذه الأشعارُ ، تدلُّ على أنَّهُمْ قد كانوا يقولون : إنَّ الصُّخورَ كانت رَطْبَةً ليِّنة ، وإنَّ كلَّ شيءٍ قد كانَ يعرِفُ وينطق ، وإنَّ الأشْجَارَ و النَّخل لم يكن عليها شوكٌ . وقد قال العجَّاج ، أو رُؤبه(٥) :

أوْ عُمْرَ نُوحٍ زَمَنَ الْفِطَحْل وَالصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كَطِينِ الوَحْلِ

(مرويات كعب الأحبار)

وأنا أظنُّ أنَّ كثيرًا مِمَّا يُحكى عن كعبٍ أنَّهُ قال : مكتوبٌ فى التوراة أنّهُ إنّما قال : «نجدُ فى الكتب» ، وهو إنَّما يعنى كتب الأنبياء ، والذى يتوارثونه من كتب سليمان ؛ وما فى كتبهم من [مثل(٦)] كتب إشَعْياء(٧) [وغيره(٨)] .

---

(١) ط ، هـ : « فإن استدارت » .

(٢) س ، هـ : « يعطه » ط : « تعطه » وصوابه ما أثبت .

(٣) كذا فى الأصل . والمعروف : غشه غشا .

(٤) اللحم الغريض : الطرى .

(٥) انظر ما سبق من التحقيق فى ص ٨ .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) هو إشعياء ، بكسر أوله وفتح ثانيه وإسكان ثالثه كما ضبط فى العهد القديم . كان أحد أنبياء بنى إسرائيل . وقد تحدث عنه ابن الأثير فى الكامل (١ : ١٤٣ — ١٤٥) حديثاً طويلا ، وكتابه يشتمل على ستة وستين أصحاحا .

(٨) بمثل هذه الكلمة يصلح الكلام . وإلا فإن لإشعياء كتابا واحداً كما مر =

والذين يروون عنه فى صفة عُمَرَ بن الخطاب رضى الله عنه ، وأشباهِ ذلك ، فإن كانوا صدَقوا عليه ، وكان الشيخ لا يضعُ الأخبارَ[١] فما كان وجهُ كلامه عندنا إلاّ على ما قلتُ لك . ٦٧

(نطق الحيّة)

وفى أنّ الحيّةَ قد كانت تسمعُ وتنطق ، يقول النّابِغَةُ[٢] فى المثَل الذى ضَرَبَهُ[٣] ، وهو قوله :

أليس لنا مولًى يحبُّ سَرَاحَنا ... فيعذِرَنا من مُرَّةَ المتناصِرَه[٤]

لِيَهْنِكمُ[٥] أنْ قَدْ نَفَيْتُمْ[٦] بيُوتَنا ... مَحَلَّ عُبَيْدَانَ المحلِّإِ باقِرُه[٧]

= فى التنبيه السابق . فن هذه الكتب كتب إرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، ويوشع وعاموس ، وغيرهم .

(١) س : « وكان الشيخ يصنع الأخبار » .

(٢) من قصيدة له يعاتب بها بنى مرة . انظر الخزانة (٣ : ٥٥٦ بولاق) وخمسة دواوين العرب ٤٧ . ووهم الدميرى فى نسبة الشعر إلى النابغة الجعدى .

(٣) انظر قصة الشعر فى المصدرين المتقدمين ، والشعراء ١١٢ — ١١٣ والمحاسن والمساوى (٢ : ١٣٤) والدميرى (١ : ٤١٦) وأمثال الميدانى (١ : ٨٢) ومروج الذهب (٢ : ١٢٩) . وهى مما وضعه العرب على ألسنة الحيوان .

(٤) س : « يجيب سراحنا » .

(٥) كذا فى ﻫ . وفى س : « ليهنكمو » وهما كتابتان جائزتان ، وفى ط : « ليهنأكم » ، وفى خمسة دواوين العرب واللسان (مادة عبد) : « ليهنأ لكم » وهذه لغة غريبة .

(٦) فى الأصل : « لقيتم » . وتصحيحه من الديوان واللسان (عبد) .

(٧) فى البيت إقواء . وقال ابن برى : صواب إنشاده : « المحلئ باقره » بكسر اللام من المحلىء ، وفتح الراء من باقره . وعبيدان : ماء منقطع بأرض اليمن لا يقربه أنيس ولا وحش . أو هو بمعنى الفلاة . أو هو رجل له قصة ، ذكرها صاحب اللسان . والباقر : البقر . س ، ﻫ : « المحلات » محرف . وانظر الاستدراكات .

وإنى للاقٍ من ذَوِى الضِّغْنِ نَكْبَةً　　بلا عثْرَةٍ والنفس لابدّ عاثِرَه[١]
كما لَقِيَتْ ذاتَ الصّفَا مِنْ حَلِيفها
وما انفَكَّتِ الأمْثَالُ فى الناسِ سَائِرَهْ[٢]
فقالت له : أدْعُوك للعقْل وافرًا　　ولا تَغْشَيَنِّى منك للظّلْمِ بادِرَهْ[٣]
فواثَقَها بالله حتَّى تَرَاضَيَا　　فكانَتْ تديهِ الجزْعَ خفْياً وظاهِرَه[٤]
فلما تَوَفَّى العَقْلَ إلّا أَقَلَّه　　وجارَتْ بِهِ نَفْسٌ عن الخيرِ جائره[٥]
تفكّرَ أنّى يَجْمَعُ اللهُ شَمْلَهُ[٦]　　فيصبِحَ ذا مال ويقْتُلَ واتِرَه
فَظَلّ على فأْسٍ يُجِدُّ غُرابها[٧]　　ليقتُلَها ، والنَّفْسُ للقَتْلِ حَاذِرَهْ[٨]
فلما وقاها اللهُ ضربةَ فأْسِهِ　　ولِلّهِ عَيْنٌ لا تَغَمَّضُ ساهره[٩]
فقَالَ : تعالَىْ نجعلِ اللهَ بيننا　　على العَقْلِ حتى تُنْجِزى لِىَ آخِرَه[١٠]

---

(١) الخزانة : « فإنى لألقى من ذوى الضغن منهم » .

(٢) ذات الصفا : الحية التى كان لها هذا المثل : وسميت بذلك لأنها تسكن فى الصفا ، وهى الحجارة الملس الصلاب .

(٣) العقل هنا بمعنى الدية . زعموا أن الحية قتلت أخا ذلك الحليف .

(٤) تديه الجزع : أى تعطيه دية أخيه من الجزع ، بالفتح ، وهو ضرب من الخرز فيه بياض وسواد . ﻫ : « تديه الجرح » محرف . ورواية الخزانة والديوان : « وكانت تديه المال غبا » . والغب بالكسر : أن تعطيه فى يوم ولا تعطيه فى الثانى . والظاهرة أصله من ظمء الإبل ، وهى أن تشرب كل يوم نصف النهار .

(٥) توفى العقل : أى أخذ الدية وافية كاملة .

(٦) رواية الديوان والخزانة : « تذكر أنى يجعل الله جنة » . والجنة بالضم : الوقاية . ورواية الشعراء : « تذكر أنى يجعل الله فرصة » .

(٧) غراب الفأس : طرفها . ورواية الميدانى والخزانة والشعراء : « أكب على فأس »

(٨) والنفس : أى ونفسه . ورواية العجز فى الخزانة والميدانى والديوان : « مذكرة من المعاول باتره » .

(٩) ط : « ناظره » . ورواية الميدانى : « وللشر عين لا تغمض ناظره » .

(١٠) قال للحية : تعالى نجعل الله شاهداً بيننا على دية أخى حتى تنجزيها . س ، ﻫ : =

فقالت : يمينُ اللهِ ، أفعَلُ ؛ إنَّنى   رأيتُك ختَّارًا يمينُك فاجِره [1]
أبَى لكَ قبرٌ لا يزال مُواجِهاً   وضربة فأسٍ فوقَ رأسِى فاقِرَه [2]

فذهبَ النّابغَةُ فى الحيَّاتِ مذهبَ أميّةَ بنِ أبى الصَّلْتِ ، وعدىِّ ابنِ زيدٍ ، وغيرِهما من الشعراء .

(الصخور والأشجار فى ماضى الزمان)

وأنشدنى عبدُ الرحمن بن كيسان :

فكانَ رَطِيباً يومَ ذلك صخرُها   وكانَ خَضِيدًا [3] طَلْحُهَا وسَيَالُهَا

فزعمَ كما ترى أنّ الصُّخورَ كانت ليِّنَةً ، وأنَّ الأشجارَ : الطَّلْحَ والسَّيالَ كانت خَضِيدًا [4] لا شوكَ عليها .

وزعم بعضُ المفسِّرين وأصحاب الأخبار ، أنَّ الشّوكَ إنما اعتراها فى صبيحة اليوم الذى زعمَتِ النَّصارَى فيه أنّ المسيح ابنَ الله .

= « فقالت لعلى يجمل » صوابه ، فى ط والديوان والخزانة والميدانى . ويروى : « على المال » و « على مالنا » .

(١) يمين الله : قسم من الأيمان . و « أفعل » أى : لا أفعل . وحذف « لا » بعد القسم كثير فى كلامهم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وانظر لهذا البحث أمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والمخصص (١٣ : ١١٥) والأضداد ١٤٨ . والختار : الغدار .

(٢) تقول : أبى لك أن تكون وفيا ما أسلف إلى أخوك الذى قبره مواجه لنا وكان أخوه فيما زعموا — ضربها بفأس ، فانتقمت منه بأن قتلته . ورواية الديوان والخزانة والشعراء : « أبى لى » أى أبى لى أن أخدع أو أن أضمن وفاءك وصدق التعاهد والتواثق . والضربة الفاقرة : القاطعة ، كأنها تقطع الفقار .

(٣) فى الأصل : « نضيدا » ، صوابه ما أثبت . وانظر تعقيب الجاحظ .

(٤) خضيد : فعيل بمعنى مفعول من خضد الشوك : أى قطعه . وفى الأصل . « خضيدة » وفعيل إذا كان بمعنى مفعول وذكر معه الموصوف استوى فيه المذكر والمؤنث .

(أثر قدم إبراهيم عليه السلام)

وكان مقاتلٌ يقولُ — حَدَّثَنَا بذلك [عنه[1]] أبو عقيل السَّواق، وكان أحدَ رواتِه والحاملين عنه — إنَّ الصُّخورَ كانتْ لَيِّنَةً ، وإنَّ قدمَ إبراهيم عليه السلام أثرت[2] فى تلك الصخرة ، كتأثير أقدامِ الناس فى ذلك الزّمان .

٦٩ إلَّا أنَّ الله تعالى توفّى تلك الآثارَ ، وعفَّى عليها ، ومسَحَها ومحاها ، وترك أثرَ مقامِ إبراهيمَ صلى الله عليْهِ وسلم . والحجَّةُ إنما هى فى إفراده بذلك ومَحْوِ ما سواهُ من آثار أقدام الناس . ليس أنَّ إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان وطئ على صخرةٍ خلقاءَ[3] يابسةٍ فأثَّرَ فيها .

(فضل المتكلمين والمعتزلة)

وأنا أقول على تثبيت ذلك بالحجة[4] . ونعوذ بالله من الهَذَر والتكلف وانتحالِ ما لا أقوم به . أقول : إنّهُ لولا مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ من جميع الأمم ، ولولا مكانُ المعتزِلة لهلكت العَوَامُّ من جميع النِّحل . فإن لم أقل : ولولا أصحابُ إبراهيمَ وإبراهيمُ لهلكت العوامُّ من المعتزلة ، فإنى أقول : إنهُ قد أنهج لَهُمْ سُبُلاً ، وفَتَقَ لهم أمورًا ، واختصر لهم أبوابا ظهرتْ فيها المنفعة ، وشملتهم بها النعمة .

---

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) ط : « وإن قدما إبراهيم عليه السلام أثرتا » ، ويكون صواب ما فى ط : « وإن قدمى » الخ .

(٣) صخرة خلقاء : ملساء .

(٤) س : « الحجة » .

(ما يحتاج إليه الناس)

وأنا أزعُمُ أن الناس يحتاجون بَدِيًّا[١] إلى طبيعةٍ ثم إلى معرفة ، ثم إلى إنصاف . وأوّل ماينبغى أن يبتدئ به صاحبُ الإنصافِ أمرَه ألاَّ يعطىَ نفسه فوقَ حقها ، وألاَّ يضعها دونَ مكانهـا ، وأن يتحفظَ من شيئين ، فإن نجاته لا تتمّ إلاّ بالتحفظ منهما : أحدهما تهمة الإلف ، والآخر تُهمة السّابِقِ إلى القلب — والله الموفق .

(حديث عن تأليف هذا الكتاب)

وما أكثرَ ما يعرض فى وقت إكبابى[٢] على هذا الكتاب ، وإطالتى الكلام ، وإطنابى فى القول ، بيتُ ابن هَرْمة ، حيث يقول :

إنَّ الحديثَ تغر القَوْمَ خَلوتُه حَتى يَلجَّ بهم عِىٌّ وإكثارُ[٣]

وقولهم فى المثل : « كل مُجْرٍ فى الخَلاَءِ يُسَرُّ »[٤] .

---

(١) بديا : أى بدءا . وفى الأصل : « ندبا » .

(٢) أكب على الشىء : أقبل عليه ولزمه . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « الباب » و س : « باب » و هـ : « أكبابى » .

(٣) خلوته : أى أن يختلى بعضهم ببعض لمداورته وتبادله . وفى الأصل : « حلوته » بالحاء المهملة ، وهو تصحيف صوابه فى الجزء الأول ص ٨٨ حيث تجد موضع الاستشهاد بهذا البيت .

(٤) كذا الرواية الجيدة للمثل كما سبق فى الجزء الأول ص ٨٨ وأمثال الميدانى (٢ : ٧٣) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) . وأصله أن الرجل يجرى فرسه فى المكان الخالى لا مسابق له فيه ، فهو مسرور بما يرى من فرسه . يضرب مثلا للرجل تكون فيه الخلة يحمدها من نفسه ، ولا يشعر بما فى الناس من الفضائل . وقد روى المثل أيضاً : « كل مجر فى الخلاء مسر » ، بجعل « مسر » اسم مفعول من « أسره » أى أفرحه . وهو فعل لم تنطق به العرب ، وإنمـا توهمه القائل ، كما أنشد الآخر فى عكسه : =

وأنا أعوذ بالله أنْ أُغَرَّ من نفسى ، عند غَيبةِ خَصمى ، وتصفحِ العلماء لكلامى ، فإنى أعلم أن فِتنةَ اللسانِ والقلمِ ، أشدّ من فِتنة النساء ، والحرص على المال .

وقد صادف هذا الكتابُ منى حالاتٍ تمنعُ من بلوغِ الإرادة فيهِ ، أوّلُ ذلك العِلة الشديدة ، والثانية قلة الأعوان ، والثالثة طول الكتاب ، والرابعة أنى لو تكلفت كتاباً فى طوله ، وعدَدِ ألْفاظِهِ ومعانيهِ ، ثمَّ كان من كَتب العَرَض والجوهر ، والطَّفرة[1] ، والتولد[2] ، والمداخَلة[3] ، والغرائز[4]

= وبلدة يغضى على النعوت يغضى كإغضاء الروى المثبوت

أراد : المثبت ، فتوهم : ثبته . انظر اللسان (سرر) وما أسلفت من التحقيق فى (١ : ٨٨) .

(١) الطفرة : مسألة كلامية تنسب إلى إبراهيم النظام ، كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهى قوله : إن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ، ولا مر عليها ، ولا حاذاها ، ولا حل فيها . وانظر لذلك أيضاً الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ وتأويل مختلف الحديث ١٦ س ٢ . وفى الأصل : « الصفرة » تحريف ظاهر .

(٢) التولد : مبحث كلامى ، وذلك أنهم اختلفوا فيمن رمى سهما فجرح به إنسانا ، أو غيره ، وفى حرق النار ، وتبريد الثلج ، وسائر الآثار الظاهرة من الجمادات ، فقالت طائفة : ماتولد من ذلك عن فعل إنسان أو حىّ ، فهو فعل الإنسان والحى . واختلفوا فيما تولد من غير حى ، فقالت طائفة : هو فعل الله . وقالت طائفة : هو فعل الطبيعة . وقال آخرون : كل ذلك فعل الله . وقد فصل ابن حزم الكلام فيه فى كتابه (٥ : ٥٩ — ٦٠) . وانظر مذهب الجبائى والنظام فى الفرق ١١٥ وبشر ، فى الفرق ١٤٣ . وفى الأصل : « التوليد » وصوابه مما سبق ومن تأويل مختلف الحديث ١٦ س ٣ .

(٣) المداخلة : مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات والخواطر ، أجسام ، وأن تلك الأجسام بزعمهم تتداخل فى حيز واحد . الفصل (٥ : ٦٠ — ٦١) . وقد ذهب النظام إلى ذلك . الفرق ١٢٢ .

(٤) الغرائز ، أى الطبائع الموجودة فى الأشياء ، كالحر للنار ، والبرد للثلج ، والإسكار =

والتماسّ[١] – لكان أسهلَ وأقصرَ أياماً ، وأسْرَعَ فراغاً ؛ لأنى كنت لاأفزَعُ فيه إلى تلقُّط الأشعار[٢] ، وتتبُّعِ الأمثال ، واستخراج الآيِ من القرآنِ ، والحجَجِ من الرِّواية ، مع تفرَّقِ هذه الأمورِ فى الكتب ، وتباعُدِ ما بين الأشكال . فإنْ وجَدْتَ فيه خالاً من اضطرابِ لفظٍ ، ومن سوءِ تأليف ، أو من تقطيعِ نظامٍ[٣] ، ومن وقوع الشىء فى غير موضعه[٤] – فلا تنكِرْ ، بعدَ أنْ صوَّرتُ عندك حالى التى ابتدأتُ عليها كتابى . ٧٠

ولولا ما أرجو من عَوْنِ الله على إتمامه ؛ إذْ كنتُ لم ألتمسْ به إلاَّ إفهامَك مواقعَ الحجَج لله ، وتصاريفَ تدبيره ، والذى أَوْدَعَ أصنافَ خلْقه من أصناف حكمته – لَمَا تعرَّضْتُ لهذا المكروه .

فإنْ نَظَرْتَ فى هذا الكتاب فانظُرْ فيه نظَرَ مَنْ يلتمس لصاحبه المخارجَ ، ولا يَذهَبُ مذهبَ التعنُّتِ ، ومَذْهَبَ مَنْ إذا رأى خيراً كتَمَهُ ، وإذا رأى شَرًّا أذاعه .

وليعْلم منْ فَعَلَ ذلك أنَّه قد تعرَّض لباب إن أُخِذَ بمثله ، وتَعَرَّض له

= للخمر . أثبت ذلك قوم، ونفاه آخرون منهم الأشاعرة. الفصل (٥ : ١٤ – ١٥). وللجاحظ كلام طويل فيها فى هذا الجزء ٣١٣ – ٣١٩ ساسى .

(١) التماس ، ويقال أيضاً : المجاورة . باب من الكلام ، يبحث فى اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء باللبن ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . وتجد أقسامه موضحة فى الفصل (٥ : ٦١). وانظر تماس العرش ومالكه فى الفرق بين الفرق ٢٠٤. ط ، هـ : « النحاس » س : « النخاس » وهما تحريف ما أثبت .

(٢) أفزع إليه : أى ألجأ . وفى الأصل : « أفرع » محرفة . والتلقط : التقاط الشىء من هنا وهناك . وفى الأصل : « التلفظ » ، وليس صوابا .

(٣) ط ، س : « ومن تقطيع نظام » ، وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « أو من وقوع » . . الخ ، وأثبت مافى ط ، س .

في قوله وكتبه ، أنْ ليس ذلك إلاّ من سبيل العُقوبة ، والأخْذ منه بالظلامة .

فلينظرْ فيه على مثال ما أدَّب الله به ، وعرَّف كيف يكون النظر والتفكير والاعتبار والتعليم ؛ فإنَّ الله عزَّ وجلّ يقول : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ .

(الحكم الجليلة في دقيق الأشياء)

فينبغي أنْ تكون إذا مررْتَ بذكر الآية والأعجوبة ، في الفراشة والجِرجسَة[١] ، ألاَّ تحقِرَ تلك الآية ، وتصغِّر تلك الأعجوبة ؛ لصغر قدرهما عندك ، ولقلَّة معرفتهما عِنْدَ معرفتك[٢] ، ولصِغَر أجسامهما عند جسمك . ولكن كنْ عند الذي يظهَرُ لك من تلك الحكم ، [و[٣]] من ذلك التَّدبير ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ قال ثمّ قال : ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ ثمَّ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ ﴾ . وقد قال عامرُ بن عبد قيس[٤] : « الكلمة إذا خرجتْ من القَلْبِ وقعتْ في القَلب ، وإذا خَرجَتْ من اللسانِ لم تجاوز الآذان » .

---

(١) الجرجس ، بالكسر : البعوض الصغار . ط : « الحرجسة » ، صوابه في س ، هـ .

(٢) في الأصل : « عندك معرفتك » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) س : « عبد القيس » بإثبات « أل » وهو جائز في العربية ، كما أسلفت في (٣ : ٣٨٢). وهو عامر بن عبد قيس بن ثابت التيمي العنبري . تابعي ثقة من كبار التابعين =

(حث على الإخلاص والتنبّه عند النظر)

وأنا أعيذ نفسى بالله أنْ أقول إلاّ لهُ ، وأعيذك بالله أن تسمع إلاّ لهُ . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إلى الْهُدَى لَا يَهْتَدُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . فَاحْذرْ من أنْ تكونَ منهم ، ومِمَّن يَنْظرُ إلى حكمة الله وهو لا يبصرها ، وَمِمَّنْ[1] يبصرها بفَتْح العَيْنِ واستماعِ الآذان ، ولكن بالتوقف من القلْب ، والتثبت من العقل ، وبتحفيظه وتمكينه من اليقين ، والحجَّة الظاهرة . ولا يراها من يُعرِضُ عنها . وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَكونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ . وقال : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ولو كانوا صمًّا بُكماً وكانوا هم لايعقلون ، لَما عيَّرهم بذلك ، كما لم يعيِّر مَنْ خَلَقَهُ معتوهاً كيف لم يعقل ، وَمَنْ خَلَقَهُ أعمى كيف لم يبصر ، وكما لم يَلُمِ[2] الدوابَّ ، ولم يعاقب السِّباع . ولكِنَّهُ سمّى البصير المتعامىَ أعمى ، والسميعَ المتصامِمَ[3] أصمَّ ، والعاقلَ المتَجاهلَ جَاهلاً . ٧١

وقد قال الله عزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

= وعبادهم . وكان غاية فى الزهد ، روى عنه فى ذلك روايات تدخل فى حدود المبالغة . انظر الإصابة ٦٢٨٠ . وكان من الأبيناء الفصحاء ، كما ترى ذلك فى مواضع كثيرة ، من بيان الجاحظ . ومات عامر فى خلافة معاوية . والخبر فى البيان ١ : ٨٣ .

(١) فى الأصل : « وأن » ولا يستقيم بها الكلام .

(٢) ط ، ھ : « يكرم » صوابه فى س .

(٣) كذا جاءت بالفك .

فَانْظُرْ كما أمرك الله ، وانظرْ من الجهة التى دلّك مِنْهَا ، وخذْ ذلك بقوّة . قال تعالى : ﴿ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَافِيهِ [1] ﴾ .

(عود إلى الحيات)

ثمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى مافى الحيَّات من العِلم والعِبرة ، والفائدةِ والحِكمة ؛ ولذلك قال أبو ذَرٍّ الغِفارىُّ : « لقد تركَنَا رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلم ، وما يمرُّ بنا طائرٌ إلا وعِندَنَا من شأنه عِلْمٌ » . وهذا القول صحيح عن أبى ذر ، ولم يخصَّ أبو ذرٍّ خَشاش الطّيرِ من بُغاثها وأحرارها ، ولا ما يدخل فى بابةِ [2] الهمَج . وقد أريْناك من تحقيق قولهِ طرَفا . ولعلك إن جمعْتَ نظرك إلى نظرنا ، أنْ [3] تستتمَّ هذا الباب ، فقد قال الشاعر :

خليلىَّ ليس الرأىُ فى رأى واحدٍ [4] أشِيرَا عَلَىَّ الْيَوْمَ مَا تَرَيَانِ

وقال الأحنَف : « مامِنَ الناس أحدٌ إلاّ وقد تعلَّمْتُ منه شيئاً ، حتَّى من الأَمَةِ الوَرْهاءِ والعبْدِ الأَوْرَهِ [5] » .

(أنواع الحيات)

والحيَّات مختلفاتُ الجهاتِ جدّا ، وهى من الأمم التى يكثُرُ اختلافُ أجناسِها فى الضَّررِ والسمّ ، وفى الصِّغرِ والعِظَم ، وفى التعرُّضِ للنَّاسِ

(١) ما آتيناكم : أى الكتاب . وأصل الخطاب لبنى إسرائيل . بقوة : بجد وعزيمة . اذكروا مافيه : ادرسوه ولا تنسوه ، أوتفكروا فيه .
(٢) س ، هـ : « باب » ط : « بابه » ، وأثبت تصحيح مافى ط .
(٣) فى الأصل : « لم » .
(٤) رواية الراغب فى المحاضرات (١ : ١٢) : « فى صدر واحد » .
(٥) الأوره : الأحمق ، والأنثى ورهاء .

وفى الهرب منهم . فمنها مالا يؤذى إلّا أنْ يكونَ النـاس قد آذَوْهَا مَرَّة . وأمَّا الأسوَدُ فإنّهُ يحقِدُ ويُطالب ، ويكمُـن(١) فى المتاع حتى يُدْرِك بطائلته. وله زمانٌ يقتلُ فيه كلَّ شيءٍ نهشَه .

وأمَّا الأفعى فليس ذلك عندَها ، ولـكنها تَظهر فى الصَّيفِ مع أوَّل الليل ، إذا سكَنَ وهَجُ الرَّمْل وظاهِرُ الأرض ؛ فتأتى قارِعَةَ الطَّريق حتى تستديرَ وتَطْحَنَ(٢) كأنَّها رَحًى ، ثمَّ تُلصِقُ بَدَنَهاَ(٣) بالأرض وتُشْخِصُ رأسها ، لئلاَّ يدركَها السُّبات؛ معترضة ، لِئلاَّ يطأها إنسانٌ أو دابَّةٌ فتنهشَه . كأنَّها تريد ألاَّ تنهشَ إلّا بأن يُتعَرَّضَ(٤) لهـا ، وهى قد تعرَّضت لنَهْشه باعتراضها فى الطَّريقِ وتناوُمها عليه ! وهى من الحيَّات التى ترصد(٥) وتوصف بذلك . قال مَعْقِل بن خَويلد(٦) :

أبا مَعْقِــلٍ لا تُوطِئَنْــكمْ بَغَاضَتى
رُءُوسَ الأفاعِى فى مَرَاصِدِهَا الْعُرْمِ(٧)

(١) كمن يكمن ، من بابى نصر وسمع : استخفى . س : « ويكن » محرفة .

(٢) فى الأصل : « تنطحن » وصوابه ما أثبت . الجوهرى : طحنت الأفعى : ترحت واستدارت ، فهى مطحان . قال الشاعر :

بخرشاء مطحان كأن فحيحها إذا فزعت ماء هريق على جمر

(٣) ط : « بذنبها » ، والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٤) ط : « يعترض » ، والأشبه ما كتبت من س ، هـ .

(٥) ترصد : أى تكمن . والمراصد : المـكامن .

(٦) معقل بن خويلد بن واثلة بن عمرو بن عبد ياليل الهذلى ، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وكان أبوه رفيق عبد المطلب إلى أبرهة . معجم المرزبانى ٣٧١ والإصابة ٨١٣٠ .

(٧) يخاطب أبا معقل عبد الله بن عتيبة ، كما فى شرح أشعار الهذليين للسكرى ٣٨٣ تحقيق فراج . والبغاضة ، بالفتح : البغض . ورواية اللسان (رصد ، بغض ، عرم) والمخصص (٧ : ١٩٤) : « لاتوطئنك » .

يريد : الأفاعى فى مراصدها(١) . وكلُّ منقَّطةَ(٢) فهى عَرْماء ، مِنْ شاةٍ أو غير ذلك .

وقال آخر :

وكم طوَتْ من حَنَشٍ وراصِدٍ للسَّفْرِ فى أعلى البيات قاصِدِ

والأفعى تقتُلُ فى كلِّ حالٍ وفى كلِّ زمان . والشُّجاع(٣) يواثِبُ

٧٢ ويقوم على ذَنَبه ، وربَّما بَلَغَ رأسُه رأسَ الفارس .

(ما يقتل الحية والعقرب من الحيوان)

وليس يقتلها — إذا تطوّقت على الطّريق وفى المناهج ، أو اعترَضتْها لتقطعها عابرةً إلى الجانب الآخر — شىءٌ كأقاطيع الشِّياهِ إذا مرَّت بها ، وكذلك الإبلُ الكثيرة إذا مرَّت ، فإن الحيَّةَ إذا وَقَعَتْ بين أرجلها كان همَّتها نفسَها ، ولم يكن لها همةٌ إلّا التَّخَلصَ بنفسها ؛ لئلاّ تعجلها بالوطء . فإن نَجَتْ من وطء أيديها ، لم تنجُ من وطء أرجلها . وإنْ سلمَتْ مِن واحدةٍ لم تسلم من التى تليها ، إلى آخرها .

وقال عمر بن لَجَأ ، وهو يصف إبله :

* تَعَرَّض الحيَّاتِ فى خِرشائها(٤) *

(١) ط : « بافالاعى » س ، هـ : « بالأفاعى » صوابه ما أثبت من الجزء الخامس من الحيوان ص ٥٧٤ إذ لاداعى للباء . ويعنى الجاحظ أن العرم صفة للأفاعى ، لا للمراصد . ومراصدها : مكامنها .

(٢) فى الأصل : « منقطعة »، تحريف . وفى المخصص (٨ : ١١١) : « الحية العرماء التى فيها نقط سود وبيض . وأنشد :

* رءوس الأفاعى فى مرابضها العرم * »

(٣) الشجاع : حية عظيمة .

(٤) فى اللسان (عفر ٢٦٤) : « تفرش » ، وفى الأغانى (٧ : ٦٤) : « تفرس »، لعل صوابهما « تقرش » . والتقرش : التجمع . والخرشاء : جلد الحية وسلخها . وفى الأصل : « عساسها » ، صوابه من اللسان والأغانى .

وقال ذو الأهدام[١] :

* تُعْجِلها عن نهشها والنَّكْزِ[٢] *

ومن ذلك أنَّ العقربَ تَقعُ فى يد السِّنّور ، فيلعب بها ساعةً من اللَّيل وهى فى ذلك مسترخيةٌ مستخذِيةٌ لا تضربه . والسَّنانير من الخلْق الذى لا تسرع[٣] السُّموم فيه .

(مسالمة الأفعى للقانص والراعى)

وربَّما باتت الأفعى عندَ رأسِ الرَّجل وعلى فراشه فلا تنهشُه . وأكثَرُ مايُوجَدُ ذلك من القانِص[٤] والرَّاعى . قال الشاعرُ[٥] :

تبيتُ الحيَّةُ النَّضْناضُ مِنهُ مكانَ الِحبِّ مستَمِعَ السِّرارِ[٦]

قال : الِحبُّ : الحبيب[٧] . والنضناض من الحيَّات : الذى يحرِّك

---

(١) ذو الأهدام ، هو متوكل بن عياض بن حكم بن طفيل ، ويسمى المتوكل الكلابى . وهو كذلك لقب لنويفع ، أو نافع بن سوادة الضبابى ، وقد هجا كل منهما الفرزدق بشعر ، فرد عليهما الفرزدق بنقيضة طويلة ، فى النقائض . وانظر المؤتلف ١٧٩ ومعجم المرزبانى ٤١٠ والقاموس المحيط .

(٢) نكزته الحية : لسعته بأنفها . والنكاز : ضرب من الحيات ينكز بأنفه ولا يعض بفيه. فى الأصل : « والمنكر » .

(٣) س : « تسرح » ، وليست هناك .

(٤) القانص : الصائد . ط : « القاص » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) هو الراعى الشاعر ، كما فى اللسان (حبب ، نضض) وأمالى القالى (٢ : ٢٣) والاشتقاق ٣٠٨ من تحقيقى .

(٦) كذا . وصواب الرواية : « يستمع السرارا » . انظر المصدرين المتقدمين والمخصص (٨ : ٤٣ ، ٨ : ١١٠) .

(٧) وقيل الحب ، هنا : القرط . عن الأصمعى أنه سأل جندل بن عبيد الراعى ، عن معنى قول أبيه الراعى :

تبيت الحية النضناض منه مكان الحب يستمع السرارا

ما الحب ؟ فقال : القرط . فقال : خذوا عن الشيخ فإنه عالم . وقال صاحب العين : « الحب والحباب : القرط من حبة » .

لسانَه . وعن عيسى بن عمر قال : قلتُ لذى الرُّمّة : ما النضناض ؟ فأخرَجَ لسانَه يحرِّكه[١] .

وإنما يصف القانصَ وأنَّه يبيت بالقفْر . ومثلَه قولُ أبى النجم[٢] :

تحكى لَنَا الْقَرْنَاءُ فى عِرْزالها   جَرْىَ الرّحَى تجْرى على ثِفالها[٣]

العِرْزال[٤] : المكان .

وفى ذلك يقول أبو وَجْزَة[٥] :

تبيت جارتَه الأفعَى وسامرَه   رُمْدٌ به عاذرٌ منهنّ كالجَرَب[٦]

وقوله : رُمْد[٦] ، يريد البعوض . وعاذر : أثر[٧] .

(قصة فى مسالمة الأفعى)

قال : وبات يحيى بن منقاش مع دارم الدارمىّ ، فلما أصبح يحيى

---

(١) فى المخصص : « أبو حاتم : قيل لذى الرمة : وما الحية النضناض ؟ فحرك لسانه فى فيه ، يديره إدارة خفيفة : يحكيه » .

(٢) ويروى للأعشى ، كما فى اللسان .

(٣) الحية القرناء : التى لها لحمتان فى رأسها كأنهما قرنان ، وأكثر مايكون ذلك فى الأفاعى . هـ : « الفرماء » س : « الغرماء » ط : « الغروال » ، وهو تصحيف ما أثبت من اللسان (عرزل ، قرن) . و « لنا » هى فى ط : « بها » وفى اللسان : « له » . و « عرزالها » بكسر العين بعدها راء ساكنة وزاى . وفى الأصل : « غروالها » تصحيحه من اللسان . و « جرى » مفعول « تحكى » . وثفال الرحى : الجلد يبسط تحتها ليقى الطحين من التراب .

(٤) فى الأصل : « الغروال » تحريف . وفى اللسان : « عرزال الحية : جحرها » .

(٥) فى الأصل : « أبو وجرة » بالراء ، وإنما هو بالزاى المعجمة . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر أيضاً المعارف ٢١٥ والأغانى (١١ : ٧٥) .

(٦) فى الأصل : « ربد » بالباء ، صوابه من (٥ : ٤٠٥) .

(٧) العاذر : أثر الجرح . كما فى اللسان) .

رأى بينهما أفعَى مستويةً ، فوثب يحيى ليقتلها ، فقال له دارم . قد أعتقتُها وحرَّرتها ! ولِمَ تقتُلُها وهى ضجيعتى من أول الليل ؟ فقال يحيى :

أعوذُ بربِّى أن ترَى لى صحْبَتِى ... يُطِيفُ بنا ليلًا مُحَرَّرُ دارم

من الخرْسِ لاينجو صحيحاً سَليمُها ... وإن كان معقوداً بحلى التمائم (١)

(مسالمة العقارب للناس)

والعقاربُ فى ذلك دون الحيَّات ، إلا الجرَّارات ، فإنها ربَّما باتت فى لحافِ الرَّجُل الليلةَ بأسرها ، وتكونُ فى قميصه عامَّة يومها ، فلا تلسعه . فهى بالأفعى أشبَه .

٧٣ فأمَّا سائرُ العقارب فإنها تقصدُ إلى الضَّرر (٢) ، فإذا ضربَتْ إنساناً فرَّتْ كما يصنع المسىءُ الخائف لِلعقابِ (٣) .

والعقرب لاتضرب الميتَ ولا المغشىّ عليه ، ولا النائم إلَّا أن يحرك شيئاً من جسَدِه ، فإنها عند ذلك تضربُه .

(مسالمة العقارب للخنافس والحيات)

ويقال إنها تأوى مع الخنافس وتسالمُها ، ولا تصادق من الحيَّات إلا كلّ أسودَ سالِخٍ .

(عقارب نصر بن الحجاج)

وحدَّثَ أبو إسحاق المكى قال : كان فى دار نَصْر بن الحجاج السُّلمى

---

(١) السليم : اللديغ . وأراد معقودا به حلى التمائم ، فقلب .

(٢) فى الأصل : « الصوت » .

(٣) ط : « للمقارب » ، صوابه فى س ، هـ .

عقاربُ إذا لسعَتْ قَتَلَتْ ، فدبّ ضيفٌ لهم على بعضِ أهلِ الدّار فضربَتْه عقربٌ على مذاكيره ، فقال نصرٌ يعرِّض به :

وَدَارِى إذا نَام سـكّانُها أقامَ الحُدُودَ بهَا الْعَقْرَبُ
إذا غَفلَ الناسُ عن دينهم فإن عقاربهــا تضرب[1]

قال : فأدخَلَ النّاسُ بها حَوّاءً ، وحَكَوْا لهُ شأنَ تلك العقاربِ ، فقال : إن هذه العقاربَ تستقى منْ أسوَدَ سالِخٍ . ونظر إلى موضعٍ فى الدار فقال : احفِرُوا هاهنا . فحفَرُوا عن أسودَيْنِ : ذكرٍ وأنثى ، وللذّكر خُصيتان وَرَأَوْا حولَ الذّكر عقاربَ كثيرةً فقتلوها .

(حديث عقرب والفضل بن العباس)

قال : وقال الفضلُ بن عبّاس حين راهنه عقرب بالشّعر[2] ، وقيل لكلٍّ واحدٍ منهما : لسْتَ فى شىءٍ حَتّى تغلِبَ صاحبك . فقال الفضل :

قَدْ تجَرَ العقربُ فى سوقِنا[3] لامَرْحَباً بالعقْرَبِ التّاجِرَه

---

(١) فى المحاسن والأضداد ١٧١ : « فإن عقاربنا تغضب » . والقصة فيه وفى محاضرات الراغب (٢ : ١١٥) مخالفة لما هنا . ونقل الدميرى ما أثبت الجاحظ هنا . وزاد بعد هذا البيت :

فلا تأمنن سرى عقرب بليل إذا أذنب المذنب

(٢) عقرب هذا ، كان تاجراً من تجار المدينة ، ضرب به المثل فى المطل والتسويف ، فقالوا . « أمطل من عقرب » و : « أتجر من عقرب » . وكان الفضل بن عباس ابن عتبة بن أبى لهب ، من أشد الناس اقتضاء ، فاتفق أن عقربا عامل الفضل ، وماطله ، ولم يستطع الفضل مغالبته ، حتى اضطر إلى هجاء عرضه بالشعر الآتى . ﻫ : « راهنته عقرب »، وإنما هو رجل كما أسلفت . انظر اللسان (عقرب) وأمثال الميدانى (١ : ١٣٣) وعيون الأخبار (١ : ٢٥٦) والمحاسن والمساوى (١ : ٢٢٨) . و « عقرب » إذا سمى به رجل جاز صرفه ومنعه . وانظر الاستدراكات .

(٣) فى اللسان وأمثال الميدانى وشرح شواهد الشافية ٦٥ : « قد تجرت فى سوقنا عقرب » .

كل عَدُوٍّ يُتَّقَى مُقْبِلاً وعَقْرَبٌ تُخْشَى من الدّابِره[1]
كلُّ عدوٍّ كيدُه فى استِه فغيرُ ذى أيْدٍ ولا ضائرَه[2]
قَدْ ضاقت العقْرَبُ واستيقَنَت بأنَّ لادُنْيا ولا آخِرَه
إنْ عادت العقْرَبُ عُدْنا لها وكانتِ النَّعْلُ لها حاضِرَه

(من سمى بعقرب)

واسم أم حارثة بن بدر[3] ، عقرب . وآل أبى موسى يكتنون بأبى العقارب ومن هؤلاء الذين يكتنون بالعقرب : ابن أبى العقرب الليثىُّ الخطيب الفصيح ، الراوِية .

(حديث وخبر فى العقرب)

ورَوَوْا أنّ عقرباً لسعت النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : « لَعَنَهَا اللهُ ، فإنَّها لاتُبَالى مَنْ ضربت ! » .

وقال الضَبىّ : أنا عقربٌ ، أضرُّ ولا أنفع .

(الجرارات)

وكان الرَّجُلُ تلسعه الجرَّارة[5] بعسكر مُكْرَم[6] ، أو بجنديسابور ،

---

(١) وكذا الرواية فى عيون الأخبار . ورواية اللسان والأمثال : « وعقرب يخشى » .

(٢) الأيد : القوة . و : « ضائرة » أى غير ذى ضائرة . والضائرة : ماتضير ، أى تضر . ورواية عيون الأخبار : « لغير ذى كيد ولانائره » . والنائرة : الحقد والعداوة ، والكائنة تقع بين القوم .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٧٧) .

(٤) فى (٥ : ٣٥٣) : « القينى » .

(٥) الجرارة : ضرب من العقارب الصغار تجرر بأذنابها . ط : « الجرادة » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) بضم الميم وفتح الراء ، بلد من بلاد خوزستان . منها أبو هلال العسكرى .

فتقتله ؛ وربما تناثر لحمه ، وربما تعفَّنَ وأنتن ، حتى لايدنُوَ منه أحدٌ إلا وهو مُخَمِّرٌ أنفه[١] ، مخافة إعْدائه ، ولا سيما إن كان قد نال من اللحم وهو لايعلم أنَّ الوخْزَة التى وُخِزها كانت من جَرَّارة .

٧٤ وكانوا إذا شعَرُوا بها دَعَوا حجاماً ، يحجُم ذلك الموضعَ ويمصُّه ، قبلَ أن يتفشى فيه السّمُّ ويدخلَ تلك المداخل . فكان الحجَّام لايجيئهم حتى يقبضَ دنانيرَ كثيرةً . وإنما كانوا يجودون له بذلك ؛ لِمَا كانَ لصاحبهم فى ذلك من الفَرَج ، وما على الحجام فى ذلك من الضَّرَر . وذلك أنّ وجهه ربما اسمارَّ واربَدَّ ، وربما عطِّلت مقاديم أسنانه وتوجَّعت عليه ، فيلقى من ذلك الجهد ، وذلك لما كان يتّصل إلى فيه من بُخار الدَّم ، ومن ذلك السمّ المخالط لذلك الدّم . ثمَّ إنَّهم بعد ذلك حشَوْا أذناب[٢] المحاجِم بالقُطْن ، فصار القُطْنُ لايمنع قُوَّةَ المص والجذْب ، ولم يدَعْه يصلُ إلى فم الحجام . ثمَّ إنهم بَعْدَ مدَّة سُنَيَّاتٍ[٣] أصابوا نَبْتةً فى بعض الشُّعب[٤] ، فإذا عالجوا الملسوعَ بها حَسُنت حالُه .

والجرَّارات تألف الأخواء[٥] التى تكون بحضرة الأتاتين[٦] ، وتألف الحشوش[٧] والمواضع الناريّة . وسمُّها نار .

(١) خمر أنفه : غطاه .

(٢) ط : « أذباب » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) جمع سنية : تصغير سنة .

(٤) الشعب : جمع شعبة بالضم ، وهى المسيل فى الرمل ، أو التلعة الصغيرة .

(٥) الأخواء : جمع خوى ، بالتحريك والقصر ، وهو اللين من الأرض . وفى الأصل : « الأحواء » بالمهملة !

(٦) الأتاتين : جمع أتون ، بالفتح وتشديد التاء المضمومة ، وهو أخدود النار ، أو موقدها . وفى الأصل : « الأتانين » بنونين بينهما ياء ، محرف .

(٧) الحشوش : مواضع قضاء الحاجة ، جمع حش بالضم .

(قول ماسرجويه فى العقرب)

وقيل لماسرجويه : قد نجِدُ العقربَ تلسَعُ رجُلين فتقتلُ أحدَهما ويقتُلها الآخرُ[١] ، وربما نَجتْ ولم تَمُتْ ، كما أنَّهُ ربما عُقِرت ولم تَفُتْ ، ونجِدُها تضربُ رجُلين فى ساعةٍ واحدة ، فيختلفان فى سوءِ الحال . ونجِدُها تختلف مواضعُ ضررِها على قدْرِ الأغذية ، وعلى قدر الأزمان ، وعلى قدْر مواضعِ الجسَد. ونجدُ واحداً يتعالج بالمَسُوس[٢] فيحمَدُه، ونجد آخرَ يُدخلَ يده [فى[٣]] مدخلٍ حارٍّ من غير أنْ يكون فيهِ ماءٌ فيحمده ، ونجدُ آخر يعالجه بالنّخالة الحارَّة فيحمدها ، ونجد آخرَ يحجم ذلك الموضعَ فيحمَده ، ونجد كلّ واحدٍ من هؤلاء يشكو خلافَ مايوافقه ، ثم إنَّا نجدُه يعاود ذلك العلاج عند لسعةٍ أخرى فلا يحمده !

قال ماسرجويه : لما اختلفت السُّمومُ فى أنفسها بالجنس والقدر ، وفى الزَّمان ، وباختلاف ما لاقاهُ[٤] اختلفَ الذى وافقه على حسب اختلافه .

وكان يقول : إنّ قولَ القائل فى العقرب : شرٌّ ماتكون حين تخرج من جُحرها ، ليس يعنون من ليلتِها ـ إذْ[٥] كان لابدَّ من أن يكون لها

---

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) المسوس ، كصبور : الترياق الذى يعالج به الملسوع والملدوغ . ومنه قول كثير :
فقد أصبح الراضون إذ أنتم بها مسوس البلاد يشتكون وبالها
ولفظ الترياق مأخوذ من اليونانية : Thériaké . وهذه مشتقة من : Thérion وهو اسم لما ينهش من الحيوان كالأفاعى ونحوها . انظر مفاتيح العلوم ١٠٣ وقاموس القرن العشرين ١٠٠٦ . وفى الأصل : « بالأمسوس » تحريف .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) ط ، هـ : « مالقاه » ، صوابه من س .

(٥) فى الأصل : « وإذا » .

نصيبٌ من الشدة — ولـكنَّهُمْ إنما يَعْنُونَ : فى أوَّل ماتخرج من جُحرها عند استقبال الصَّيف ، بَعْدَ طولِ مُكْثِها فى غير عالَمِنَا وغذائِنا وأنفاسنَا ومعايشنَا .

(زعم العامة فى العقرب)

والعامّة تزعم أنها شرُّ ما تكون إذا ضربت الإنسانَ وقد خرج من الحمام؛ لتفتح المسامِّ[1] ، وسعَة المجارى، وسخونة البدن. ولذلك صار سمها فى الصيف أشدَّ . هذا قولُ أبى إسحاق . كأنَّهُ كان يَرَى[2] أنَّ الهواءَ كلما كان أحرَّ ، وكان البدنُ أسخَنَ كان شَرًّا .

ونحن نجدهم يصرُخُون مِنْ لسعتها اللَّيْلَ كلَّه ، وإذا طلعت الشمسُ
٧٥ سكن مابهم . فإذا بقيت فضْلةٌ من تلك الجارحة فى الشمس فما أكثر ما يسكن. وسمومها باللَّيل أشدُّ ، إلَّا أن يزعم أنَّ أجوافَ الناس فى برد الليل أسخن وفى حرِّ النهار أفتر .

(الدّساس)

وزعم لى بعضُ العلماء[3] ممّن قدْ روَى الـكُتب ، وهو فى إرثٍ منها ، أنّ الحية التى يقال لها : الدسّاس[4] ، تلد ولا تبيض ؛ وأنَّ أنثى النمور لم تضَعْ نمراً قط إلاّ ومعه أفعًى .

---

(١) س : « فى تفتح المسام » وهى عبارة جيدة .

(٢) ط : « يروى » ، صوابه فى س ، ه .

(٣) ط : « وزعم لى فى بعض العلماء » ، والوجه حذف « فى » كما جاء فى س ، ه .

(٤) الدساس : حية خبيثة . وفى الدميرى : « الدساسة بفتح الدال : حية صماء تندس =

(زعم استحالة الكمأة إلى أفاع)

والأعرابُ تزعم أنّ الكمْأة تبقَى فى الأرض فتُمْطر مَطْرَةً صَيفيّة ، فيستحيل بعضُها أفاعىَ . فسمِعَ هذا الحديثَ منِّى بعضُ الرُّؤساءِ الطَّائيِّين [١] ، فزعم لى أنّه عايَنَ كَمْأةً ضخْمة فتأمَّلها ، فإذا هى تتحرَّك ، فنهض إليها فقَلَعها ، فإذا هى أفعًى . هذا ما حُدِّثته عن الأعراب ، حتّى برئت إلى الله من عيب الحديث .

(معارف فى الحيات عن صاحب المنطق)

وزعم صاحب المنطق أنّ الوزَغة والحيَّاتِ تأكُلُ اللَّحمَ وَالعُشب . وزعَمَ أنَّ الحيَّاتِ أظهَرُ كلَباً من جميع الحيوان ، مع قلّة شربِ الماء . وأنَّ الأسدَ مع نَهمه قليلُ شرب الماء . قال : ولا تضبِطُ الحيَّاتُ أنفسَها إذا شمَّت ريحَ السَّذاب ، وربَّما اصطِيدَتْ به . وإذا أصابوها كذلك وجدُوها وقدْ سكِرَتْ .

قال : والحيات تبتلع البيض ، والفراخَ ، والعُشب .

وزعم أنَّ الحياتِ تسلخُ جلودَها فى أوّل الرَّبيع ، عند خروجها من أعشّتها [٢] وفى أوّل الخريف .

= تحت التراب اندساساً ، أى تندفن » . وفى اللسان : « أبو عمرو : الدساس من الحيات الذى لا يدرى أى طرفيه رأسه ، وهو أخبث الحيات ، يندس فى التراب فلا يظهر للشمس . وهو على لون القلب من الذهب المحلى » . وانظر لولادة الدساس ، مافى الاستدراكات . ط : « أن حية يقال لها الدساس » ، وأثبت ما فى س ، ه .

(١) جمع طائى ، نسبة إلى قبيلة طيىء على الشذوذ . س : « الكمابيين » ه : « الكمايين » . وكنت حسبتها : « الكميائيين » لكن وجدت تعقيب الجاحظ لايسعف بهذا .

(٢) المعروف فى جمع العش : عشاش وأعشاش وعششة — كعنبة — فهذا جمع رابع . =

وزعم أن السَّلْخ يبتدئ من ناحية عيونها أوّلاً . قال : ولذلك يظنُّ بعض من يُعانيها[1] أنها عمياء .

وهي تسلَخُ من جلودها في يوم وليلةٍ من الرَّأس إلى الذَّنَب ، ويصير داخل الجِلْد هو الخارج ، كما يُسلخ الجَنينُ من المشيمَة ؛ وكذلك[2] جميع الحيوان المحزَّز[3] الجسَد ، وكلُّ طائرٍ لجناحه غِلافٌ مثل الجُعَل والدّبْر[4] وكذلك السَّرطان ، يسلخ أيضا ، فيضعف عند ذلك عن المشي .

وتسلخ جلودها مِرارًا .

(سلخ الحيوان)

والسَّلخ يصيب عامّة الحيوان : أمَّا الطير فتحْسيرها[5] ، وأمّا ذوات الحوافر فسلخُها عقائِقها[6] ، [وسلخ الإبل طرحُ أوْبارها ، وسلخُ الجراد انسلاخ جلودها[7]]، وسلخ الأيائِل إلقاء قرونها، وسلخ الأشجار إسقاط ورقها

= ولعل من غير المعهود استعمال العش لجحر الحية ؛ إذ العش خاص بالطائر . لكن الجاحظ جعله هنا للحية ، كما جعله أبو حيان التوحيدي للثعلب . قال في الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٧١) : « الثعلب يهيئ عشه ووكره ، ذا سبعة أجحرة » . فقد زاد على الجاحظ باستعمال (الوكر) للثعلب أيضاً .

(١) بتقديم النون على الياء ، أي يقوم عليها ويهتم بشأنها . وفي القاموس : « ما يعانون مالهم : مايقومون عليه » .

(٢) ط ، هـ : « ولذلك » صوابه في س .

(٣) كذا في ط ، هـ . وفي س : « المخرز » .

(٤) الدبر ، بفتح الدال ويكسر ، المراد به هنا أولاد الجراد . اللسان (دبر ٣٦٠) .

(٥) التحسير : سقوط ريش الطائر . ط : « فحسيرها » س ، هـ : « فحسرها » والصواب ما أثبت . وانظر ماسبق في (٣ : ٥١٩ س ١٠) .

(٦) العقائق : جمع عقيقة ، وهي شعر المولود .

(٧) هذه التكملة من س ، هـ .

(أصل الأسروع)

والأسروع : دويبَّةٌ تنسلِخُ فتصيرُ فَرَاشَةً . وقال الطِّرِمَّاح شعرًا :

وتجرَّدَ الأسْرُوعُ واطَّرَدَ السَّفَا   وجرت بجالَيْهَا الحِدَابُ القَرْدَدُ[1]

وانسابَ حيَّاتُ الكَثِيبِ وأقْبَلَتْ   وُرْقُ الفَراشِ لما يَشُبُّ المَوقِدُ[2]

يصف الزَّمان .

والدُّعْمُوص ينسلخُ ، فيصير إمَّا بعوضةً وإما فراشةً .

(انسلاخ البرغوث)

وزعم ثمامةُ عن يحيى بن برمك[3] أنّ البرغوث ينسلخ فيصير بعوضة ، وأنّ البعوضةَ التى من سَلْخ دعموص ربَّمَا انسلخت[4] برغوثا .

والنمل تحدث لها أجنحةٌ ويتغيَّر خَلْقها ، وذلك هو سلخُها . وهُلْكُها يحين عند طيرانها . ٧٦

(١) الجالان : الجانبان . ط ، هـ : « بجاليها » س : « بحالبها » ، وصوابه ما أثبت من الديوان ص ١٤١ . والحداب : جمع حدب ، وهو ما أشرف من الأرض وغلظ . والقردد : المرتفعة الغليظة . وفى الأصل : « الجراد القردد » ، صوابه من الديوان ومما سيأتى ص ٢٥٦ . وقبل هذا البيت :

حتى إذا صهب الجنادب ودعت   نور الربيع ولاحهن الجدجد

(٢) يقول : أقبل ذلك الفراش الذى فى لونه سواد وبياض ، إلى النار التى يشبها موقدها .

(٣) نسبه إلى جده ، وهو يحى بن خالد بن برمك ، سيد البرامكة ، وكان مؤدب الرشيد ومعلمه ، وكان الرشيد يدعوه بيا أبى ، فلما ولى هارون الخلافة دفع إليه الخاتم وقلده أمره . وكان جواداً حسن السياسة . ولما نكب الرشيد البرامكة قبض عليه وسجنه بالرقة إلى أن مات ، سنة مائة وتسعين .

(٤) فى الأصل : « تصلحت » ، والوجه فيه ما أثبت .

(انسلاخ الجراد)

والجراد ينسلخ على غير هذا النوع . قال الرَّاجز[١] :

* مَلْعُونَةٍ تسْلَخُ لَوْناً لَوْنَيْنِ[٢] *

(أثر البلدان فى ضرر الأفاعى ونحوها)

قال : وعضُّ السِّباع ذواتِ الأربع ، ولدغُ الهوامّ ، يختلفُ بقدر اختلافِ البُلدان ؛ كالذى يبلغُنا عن أفاعى الرَّمْل[٣] ، وعن جَرَّارات قرى الأهواز ، وعقارب نَصِيبين[٤] ، وثعابين مصر ، وهِنْدِيَّات[٥] الخرابات .

وفى الشِّبْثان[٦] ، والزَّنابير ، والرُّتَيْلاَت[٧] ما يقتل . فأمَّا الطَّبُّوع[٨] فإنَّهُ شديدُ الأذى . وللضَّمج[٩] أذًى لا يبلغُ ذلك .

---

(١) هو عوف بن ذروة ، كما فى نوادر أبي زيد الأنصارى ص ٤٨ . وقد روى من الرجز تسعة أبيات .

(٢) رواية النوادر وما سيأتى فى (٥ : ٥٥٨) : « تسلخ لونا عن لون » . وقبل البيت :

* من كل سفعاء القفا والخدين *

(٣) الرمل : موضع بعينه ، كما فى ياقوت .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة ، كانت عندها وقعة مشهورة . وقد عرفت بكثرة عقاربها . انظر ما كتبت فى (٣ : ٣٥٣) . وفى الأصل : « الصين » ، وهو تحريف .

(٥) الهنديات : ضرب من الأفاعى ، سبق ذكرها فى ١٢١ . ط ، س : « هذرايات » وأثبت صوابه من ه .

(٦) الشبثان : جمع شبث بالتحريك ، وهو ضرب من الرتيلات .

(٧) الرتيلات : نوع من العناكب قتال .

(٨) الطبوع ، كتنور : دويبة ذات سم ، أو من جنس القردان ، لعضته ألم شديد .

(٩) الضمج : دويبة منتنة تلسع ، تسمى فى مصر بالبق . وهى : Cimex . وفى الأصل : « الصمخ » محرفة .

(أقوال لصاحب المنطق)

وقال صاحب المنطق : ويكون بالبلدة التى تسمَّى باليونانية : « طبقون » حيَّةٌ صغيرة شديدة اللَّدْغ ، إلا أن تُعالج بحجر ، يُخرَج من بعض قبور قدماء الملوك .

ولم أفهم هذا ، ولم كان ذلك .

وإذا أكل بعض ذوات السموم من جسَد بعضها ، كانت أردأ ما تكون سما ، مثل العقارب والأفاعى .

قال . والأيِّلُ إذا ألقى قُرونَه علم أنَّهُ قد ألقَى سلاحَه ، فهو لا يظهر . وكذلك إن سمن علم أنَّهُ يُطْلَبُ ، فلا يظهر . وكذلك أوَّلَ ما ينبت قرْنُهُ يعرِّضه للشمس ؛ ليصلُب ويجفّ . وإن لدغت الأيِّلَ حيّةٌ أكلَ السَّراطينَ ؛ فلذلك نَظُنُّ أنَّ السَّراطينَ صالحةٌ لِلدَّيغ من الناس .

قال : وإذا وضعت أنثى الأيِّل ولدًا أكلت مشيمتها . فَيُظَنُّ[1] أنّ المشيمَة شىءٌ يتداوَى به من عِلّة النفاس .

[قال] : والدُّبَّةُ إذا هربت[2] دفعت جِراءَها[3] بين يديها ، وإن خافت على أولادها غيَّبتها ، وإذا لُحقت[4] صعِدَتْ فى الشجر وحملَتْ معَها جِرَاءَهَا .

---

(١) كذا على الصواب فى س . وفى ط ، ه : « فتظن » . وانظر السطر السابق .

(٢) ط ، س : « والدبة فإنها إذا هربت » . والأوفق حذف الكلمة الثانية كما فى ه .

(٣) كتبت هذه الكلمة ونظيرتها بدون همز فى الأصل . والجراء : جمع جرو : وهو ولدها .

(٤) يقال لحقه وألحقه : أدركه . وقرئ فى القنوت : « إن عذابك الجد بالكفار =

قال : والفهْدُ إذا عراه الدّاءُ الذى يقالُ له : « خانِق الفهود » أكل العَذِرَة فبرئ منه[1] .

قال ، والسِّباع تشتهى رائحةَ الفهودِ ، والفهدُ يتغيّب عنها ، وربّما فرَّ بعضها منه فيُطْمِعُ فى نفسه ، فإذا أراده السّبعُ وثَبَ عليه الفهد فأكله .

قال : والتمساح يفتح فاه إذا غمّهُ ما قد تعلق بأسنانه ، حتى يأتى طائرٌ[2] فيأْكلَ ذلك ، فيكونَ طعاماً له وراحةً للتّمساح .

قال : وأمّا السُّلحفاة فإنّها إذا أكلت الأفعى أكلت صَعْترًا جبليًّا . وقد فَعَلت ذلك مرارًا ، فربما عادت فأكلت منها ثمّ أكلت من الصَّعتر مرارًا كثيرة ، فإذا أكثرت من ذلك هلكت .

قال : وأمّا ابنُ عِرس ، فإنّه إذا قَاتَلَ الحيَّةَ بدأ بأَكْلِ السَّذاب ، لأنّ رائحةَ السَّذاب مخالفةٌ للحيَّةِ ، كما أن سامَّ أبرصَ لا يدخلُ بيتاً فيه زعفران .

قال : والكلاب إذا كان فى أجوافها دُودٌ أكلت سُنبل القمح .

قال : ونَظُنُّ أنّ ابنَ عِرس يحتالُ للطيرِ بحيلة الذئب للغنم ؛ فإنهُ يذبحها[3] كما يفعل الذئب بالشاة .

قال : وتتقاتل الحيّات المشتركة فى الطُّعم .

= ملحق » بكسر الحاء ، أى لاحق . قال صاحب القاموس : « والفتح أحسن ، أو الصواب » . ط ، هـ : « ألحقت » وهى اللغة الضعيفة . وأثبت ما فى س .

(١) وجاء فى كتاب الإمتاع والمؤانسة (١ : ١٦٧) : « الفهد إذا أكل العشبة التى تسمى خانقة الفهود ، يطلب زبل الإنسان فيأكله ويتعالج به » .

(٢) هذا الطائر هو المعروف بالقطقاط ، وهو أرقط صغير فى رأسه شوكة ، إذا أطبق التمساح فمه عليه نخسه بها فيفتحه .

(٣) انظر ما سيأتى فى (٥ : ٣٢٠) .

وزعَمَ أنَّ القنافِذَ لا يخفى عليها شىءٌ من جهة الرِّيح وتحوُّلها وهُبُوبها ، ٧٧
وأنهُ كان بِقسْطنْطِينِيَّةُ رجلٌ يُقدَّم وَيُعَظَّمُ ؛ لأنه كان يعْرِفُ هُبُوبَ الرِّيح ويُخبرهم[1] بذلك . وإنما كان يَعرف الحالَ فيها بما يَرَى مِنْ هيئةِ القنافذ .

(العيون الحمر)

والعيُونَ الحمرُ لِلعَرَض المفارق ، كعين الغضبان ، وعينِ السّكران ، وَعَيْنِ الْكلْبِ ، وعَيْنِ الرَّمِدِ .

(العيون الذهبية)

والعيُون الذهبيَّةُ : عيونَ[2] أصناف البزاة من بين العُقاب[3] إلى الزُّرَّق.

(العيون التى تسرج بالليل)

والعيُون التى تَسْرِج بالليل : عيون الأسْد ، وعيون النمور ، وعيون السّنانير ، وعيون الأَفاعى[4] .

(خبر وشعر فى العين)

قال أبو حيَّة :

غضابٌ يُثِيرُونَ الذُّحُولَ ، عُيُونهم   كجَمْر الغَضَى ذَكَّيتُه فتوقّدَا[5]

(١) ط ، هـ : « ويخبر » .

(٢) ط ، هـ : « وعيون » ، والصواب حذف الواو كما فى س .

(٣) ط ، هـ : « المقارب » ، صوابه فى س .

(٤) سبق مثل هذا الكلام فى ص ١١٦ ، وسيأتى مثله فى (٥ : ٣٢٩) .

(٥) الذحول : جمع ذحل بالفتح ، وهو الثأر . س ، هـ : « الدخول » صوابه =

وقال آخر [١] :

وَمدَجِّجٍ يَسْعَى بشِكَّتِه محمرةٍ عيناه كالكلب [٢]

رجع بالكلب إلى صفة المدجَّج .

وقالَ معاويةَ لصُحارٍ العبدىِّ : يا أحمر ! قال : والذهب أحمر ! قال : يا أزرق ! قال : والبازى أزرق !

وأنشدوا :

ولا عيبَ فيها غيرُ شُكْلَة عينها
كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عُيونُها [٣]

وقال آخر :

وشُكْلة عينٍ لَوْ حُبيت بِبَعْضِها
لكنت مكانَ العَيْنِ مرْأى وَمَسْمَعَا [٤]

= فى ط . وذكى النار : أتى عليها ما تذكو به وتزيد اشتعالا . ط ، هـ : « ذكينه » ، ووجهه ما أثبت من س .

(١) انظر ماسبق فى (١ : ٣١٣) .

(٢) المدجج ، بكسر الجيم وفتحها ، كما فى المخصص (٨ : ٩٥) نقلا عن العين . وأراد به القنفذ ، لما عليه من الشوك . المخصص واللسان (دجج) . والشكة : السلاح . ورواية الكامل ٦٠٩ ليبسك :

ومدججا يسعى بشكته محمرة عيناه كالكلب

وهى الصحيحة ؛ لأن قبله فى الأغانى (١٢ : ٥٠) :

إذ لا ترى إلا مقاتلة وعجانسا يرفلن بالركب

(٣) يروى : « غير شهلة عينها » كما فى اللسان (شكل) ، وانظر تحقيقاً دقيقا فيه . وسيعاد البيت فى (٥ : ٣٣٠) .

(٤) هـ : « لو خبيت » ، صوابه فى ط ، س ورسائل الجاحظ ١٩٦ الرحمانية . والعين ، هنا : الشمس . ورواية الرسائل : « مكان النجم » .

(بعض ألوان العيون)

ومن العيون المغْرَب(١) ، والأزرق ، والأشكل(٢) ، والأسجر(٣) ، والأشهل(٤) ، والأخْيَف(٥) . وذلك إذا اختلفا .

(عين الفأر)

وعين الفأرة كَحْلاء ، وهى أبصَرُ بالليل من الفرَسِ والعقاب .

(شعر فى حمرة العينين وضيائهما)

وفى حمرة العينين وضيائهما يقول محمَّدُ بنُ ذُؤيب العُمانىُّ ، فى صفة الأسد :

أجرأُ مِنْ ذى لِبْدَةٍ هَمَّاسِ(٦) عَضَنْفَر مضبَّرٍ رهَّاسِ(٧)

---

(١) المغرب ، بفتح الراء : الأبيض . هـ : « الغرب » س : « العذب » صوابه فى ط .

(٢) الشكلة ، بالضم : حمرة فى بياض العين .

(٣) السجرة ، بالضم : مخالطة الحمرة لبياض العين ، فهى نحو الشكلة . ط ، هـ : « الأسحر » بالحاء ، صوابه فى س .

(٤) الشهلة ، بالضم : الحمرة فى سواد العين .

(٥) الخيف ، بالتحريك : زرقة إحدى العينين وسواد الأخرى . هـ : « والأحتف » ط : « والأخف » س : « والأخسف » بإهمال الياء . وصواب أولئك ما أثبت .

(٦) الهماس : الشديد الغمز بضرسه .

(٧) المضبر : الموثق الخلق . وفى الأصل : « مضير » محرف . والرهاس : الذى يطأ الأرض وطئاً شديداً .

مَنَّاعِ أخْيَاس إلى أخْيَاس[١] كأنَّمَا عيناهُ فى مِراس[٢]

* شعاعُ مِقْبَاسٍ إلى مِقباس[٣] *

وقال المرَّار :

* مِثل ما وَقَّدَ عَيْنَيْهِ النَّمِر[٤] *

أصوات خشاش الأرض

نحو الضبّ ، والورل ، والحيَّة ، والقنفذ ، وما أشبه ذلك

يقال للضبّ والحيَّة والورَل : فَحَّ يفِحُّ فحيحاً . وقال رؤبة :

٧٨ فِحِّى فلا أفْرَقَ أنْ تَفِحِّى[٥] وَأنْ تَرَحَّىْ كَرَحَى المرحِّى[٦]

أصْبَحَ مِنْ نحنحةٍ وأَحِّ[٧] يحكى سُعالَ النَّشَزِ الأبحِّ[٨]

(١) أخياس : جمع خيس ، بالكسر ، وهو الأجمة يكون فيها الأسد . وإلى هنا بمعنى مع . ط : « أجناس إلى أجناس » س : « أخياس إلى أجناس » صوابهما فى هـ .

(٢) أى فى أثناء ممارسته الصيد .

(٣) المقباس : شعلة النار تقتبس . وإلى ، بمعنى : مع .

(٤) فى الأصل : « كأنما وقد » . وصواب روايته من المفضليات ٨٧ . وصدره :

* حنق قد وقدت عيناه لى *

(٥) أفرق : أخاف . والفرق ، بالتحريك : الخوف . ورواية اللسان : « ياحى لا أفرق » ، أى يا حية .

(٦) يقال رحت الحية ترحو ، وترحت تترحى : إذا استدارت . وأما رحت ترحى بالتشديد فلم أره فى معجم ، وهذا لا ينفى صوابه . والمرحى : الذى يسوى الرحى . وهذا البيت وما قبله سيعادان فى (٦ : ٤٢) ،ورواية اللسان : « أو أن » .

(٧) أح يؤح : إذا سعل . وكلمة « أصبح » هى فى الأصل : « أصح » تحريف . ورواية اللسان : « يكاد من تنحنح وأح » . قال : « يصف رجلا بخيلا إذا سئل تنحنح وسعل » .

(٨) النشز ، محركة : المسن القوى . والأبح : الذى غلظ صوته من داء . ورواية اللسان :

* يحكى سعال النزق الأبح *

قال : الفحيح : صوتُ الحيَّة منْ فيها . والكشيش والقشيش[1] : صوتُ جلدها إذا حكَّت بعضه ببعض . قال الرَّاجز[2] فى صفة الشَّخْب والحلْب :

حَلبْت لِلأَبْرَشِ وهو مُغْضِ   حمراءَ منها شخْبَةٌ بالمحْض[3]
ليستْ بذات وَبَرٍ مبيضٍّ   كأنَّ صَوتَ شخْبها المرْفضِّ[4]
* كشيشُ أفعَى أجْمعت لعَضٍّ[5] *

ويقال للضَّبِّ والورل : كش يكِش كشيشا . وأنشد أبو الجرّاح :

ترَى الضَّبَّ إن لم يرهب الضبُّ غيرَه   يكِشُّ له مُستكبرًا ويُطاوِلُه[6]

باب

من ضرب المثل للرَّجُلِ الداهية وللحى الممتنع بالحيَّة

قال ذو الإصبع العَدْوانىُّ :

عَذِيرَ الحىِّ مِنْ عَدْوا   نَ كانوا حَيَّةَ الأرض[7]

(١) فى الأصل : « النشيش » ، صوابه من (٦ : ١٣٩) .

(٢) هو معتمر بن قطبة ، كما فى تاج العروس (كشش) .

(٣) حمراء : أى ناقة حمراء .

(٤) المرفض : الذى يتتابع سيلانه وترششه . وفى الأصل : « كأن شخب صوتها » صوابه فى المخصص (٨ : ١١٥) والخزانة (٤ : ٥٧١ بولاق) وأدب الكاتب ١٢٥ والاقتضاب ٣٤٥ واللسان (كشش) .

(٥) أجمعت : من الإجماع ، وهو العزم على الشىء . وفى الكتاب : « فأجمعوا أمركم » . س ، هـ : « جمعت » ، وأثبت ما فى ط والمصادر المتقدمة . وبعد هذا البيت :

* فهى تحك بعضها ببعض *

ومثل هذا المعنى قول الآخر فى الاقتضاب وأمالى الزجاجى ١٢٠ واللسان (فا) :

كأن صوت شخبها إذا همى   صوت الأفاعى فى خشى أشخما

(٦) فى الأصل : « مستنكرا » صوابه فى (٦ : ٦٨ ، ١٣٩) . والبيت لابن ميادة .

(٧) فى ثمار القلوب ٤٠٩ : « العرب تقول للرجل المنيع الجانب : حية الأرض » .

بَغَى بعضُهمُ ظلماً فلم يُرْعِ على بَعْضِ[1]
وفيهم كانَتِ السَّادا تُ والموفُون بالقرْض[2]

يقال: «فلانٌ حَيَّةُ الوادى»، و«ماهو إلَّا صِلُّ أصلال[3]». والصِّلُّ: الداهية والحيَّة. قال النَّابِغَةُ:

ماذَا رُزِئْنا بهِ من حَيَّةٍ ذَكَرٍ نَضْنَاضَةٍ بالرَّزايا، صِلِّ أصلالِ[4]

وقال آخر:

صِلٍّ صفًا تَنْطِفُ أنيابُهُ سِمامَ ذيفانٍ مجيرات[5]

وقال آخر[6]:

مُطْرِقٌ يرشَحُ سمًّا، كما أطْرَقَ أفْعَى يَنْفُثُ السمَّ صِلُّ

ومن أمثالهم: «صَمِّى صَمامِ[7]» وَ«صَمِّى ابْنَةَ الجبل[8]» وهى الحيَّة.

---

(١) روايته فى حماسة البحترى ١٦٩: «بغى بعضهم بعضا * فلم يرعوا».
(٢) القرض: ما يتجازى به الناس بينهم من إحسان، أو إساءة. يقول: هم قادرون على مقابلة الإحسان بالإحسان، والإساءة بمثلها. وفى ذلك المروءة، والقدرة. س: «بالعرض»، وأثبت ما فى ط، هـ. والشعراء ٦٩٠.
(٣) ويقال ضل أضلال، كما فى اللسان (ضلل) والمزهر (١: ٣٢٣).
(٤) رزئنا به: أصبنا. وفى ط، هـ: «رأينا» و س: «رأيت»، وصوابه من اللسان (صلل) وثمار القلوب ٣٣٦ وأمثال الميدانى (١: ٢٤). من حية: يقول: هو حية. والنضناضة: التى تحرك لسانها. أنثها ناظرا للفظ الموصوف.
(٥) تنطف أنيابه: يقطر منها السم. ط: «تنظف»، صوابه فى س، هـ. والسمام: جمع سم. والذيفان بالفتح والكسر: السم الناقع.
(٦) هو تأبط شرا، كما سبق فى (٣: ٦٨) والحماسة (١: ٣٤١)، وشرحها (٢: ١٦٠ - ١٦١).
(٧) صم يصم، بفتح الصاد فيهما. وصمام كقطام: الداهية. والمثل يضرب للرجل يأتى بالداهية. اللسان وأمثال الميدانى (١: ٣٦٢).
(٨) ابنة الجبل: الحية. أى لاتجيبى الراقى ودومى على حالك. يضرب للفريقين إذا أبيا الصلح ولجا فى الخلاف. أمثال الميدانى. وتكون ابنة الجبل أيضاً الداهية العظيمة، والصدى، أو الصخرة. اللسان (صمم).

قال الكميت :

إذا لَقِيَ السَّفِيرَ لها ونادَى   بها : صَمِّى ابْنَةَ الجَبَلِ ، السَّفِيرُ[١]

(قولهم : جاء بأم الرُّبيق على أريق)

ومن أمثالهم : « جاء بأمِّ الرُّبَيق على أُرَيق[٢] » أمُّ الرُّبيق : إحدى الحيات . وأُرَيق : أمُّ الطَّبق[٣] . ضربوا به مثلاً فى الدواهى . وأصلها ٧٩
من الحيَّات قال :

إذا وجدْتَ بواد حَيَّةً ذَكَرًا

فاذْهَبْ وَدَعْنِى أُمارِسْ حيةَ الوادى[٤]

(١) يقول : إذا لقى السفير السفير ، فأخر الفاعل . و « بها » و « لها » يرجعان إلى الحرب . اللسان وأمثال الميدانى . والمعنى : إذا فشل السفيران المتندبان — بكسر الدال — للصلح وفض النزاع ، وتركا الحرب فى شدتها لا يستطيعان لها دفعا . فى الأصل : « إذا أتى » ، وتصحيحه من اللسان وأمثال الميدانى .

(٢) رواه الفراء : « لقيت منه أم الربيق على وريق » .

(٣) فى الأصل : « وأريق الطبق » وهو كلام ناقص . وأم طبق من كنى الحيات . ومنه قول خلف الأحمر ، حين نعى إليه المنصور :

قد طرقت ببكرها أم طبق   فذمروها وهمة ضخم العنق

انظر اللسان (طبق) وثمار القلوب ٢٠٧ . وسميت أم طبق لترحيها وتحويها كالطبق ، أو لإطباقها على من تلسعه . و « أريق » من الحيات ، كما فى قول العجاج :

وقد رأى دونى من تهجمى   أم الربيق والأريق الأزنم

بدلالة قوله : « الأزنم » وهو الذى له زنمة من الحيات . اللسان (أرق) ، وفيه كلام صرفى خاص بهذه الكلمة .

(٤) حية الوادى : مثل للرجل المنيع الجانب ؛ فإن حية الوادى تحميه فلا يقربه شىء . ثمار القلوب ٣٣٥ وفيه البيت . ورُوى فى المخصص (١٦ : ١٠١) : « إذا رأيت » . . . الخ .

(قولهم : أدرك القويمة لاتأكلها الهويمة)

وفى المثل : « أدرك القُوَيْمَّة لاتأكلها الهوَيْمَّة » ، يعنى[١] الصبى الذى يدرُج ويتناول كلَّ شىءٍ سنَح له ، ويَهوى به إلى فيه . كأنه قال لأمِّه : أدركيه لاتأكلْه الهامَّة ! وهى الحيَّة . وهو قوله[٢] فى التعويذ : « ومن كلِّ شطان وهَامَّة ، ونَفسٍ وعينٍ لامَّة[٣] » :

(شعر للأخطل فى الحية)

وقال الأخطل ، فى جعلهم الرَّجلَ الشَّجاعَ وذا الرَّأى[٤] الدَّاهية حية ـ وكذلك يجعلون إذا أرادوا تعظيمَ شأنها . وإذا أرادوا ذلك فما أكثر مايجعلون الحَيَّةَ ذكرا . قال الأخطل :

أنبئت كلباً تمنَّى أنْ يسافهنا وطالَما سافهُونا ثمَّ ماظفِرُوا[٥]

---

(١) أى بقوله : « القويمة » ، وهو تصغير « قامة » بتشديد الميم . اللسان (قم ٣٩٥) وفى أمثال الميدانى (١ : ٢٤٢) : « ويعنى بها ـ أى القامة ـ الصبى ؛ لأنه يقمّ كل ما أدرك ، يجعله فى فيه ، فربما أتى على بعض الهوام ، كالعقرب وغيرها . . . يضرب فى حفظ الصبى وغيره . والمراد به إدراك الرجل الجاهل لا يقع فى هلكة » .

(٢) أى فى الحديث النبوى . روى ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يعوذ الحسن والحسين فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة ، من شر كل شيطان وهامة ، ومن شر كل عين لامة » . ويقول : « هكذا كان إبراهيم يعوذ إسماعيل وإسحاق عليهم السلام » .

(٣) اللامة : التى تصيب بسوء .

(٤) ط : « وإذا لرأى » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) كذا الرواية فى الأصل . وأراد بكلب : القبيل ، فذكره . ورواية الديوان ٢٦٨ : « أن تسافهنا * وربما » .

كلفتمونَا رجالا قاطِعِى قَرَنٍ مُسْتَلْحَقِينَ كما يُسْتَلْحَقُ اليَسَر [١]
ليست عليهم إذا عُدَّت خصالهم خَصْلٌ وليس لهم إيجابُ ماقمرُوا [٢]
قد أُنْذِرُوا حَيَّةً فى رأس هضبتِهِ وقد أتتهم به الأنباء والنذُرُ [٣]
باتُوا رُقُودًا علَى الأمْهَادِ لَيْلَهُم وَلَيْلُهُم ساهرٌ فيها ، وما شعَرُوا [٤]
ثَمَّتَ قالوا أماتَ المساءُ حَيَّتَهُ وما يكادُ يَنامُ الحَيةَ الذَّكَرُ [٥]

(حيَّة الماء)

وما أكثرَ مايذكرون حيّة الماء ؛ لأنّ حَيَّاتِ الماء [٦] فيها تفاوت . إمَّا أن تكون لاتضُرُّ كبيرَ ضررٍ ، وإمّا أن تكونَ أقتَلَ من الحيَّاتِ والأفاعى .

---

(١) اليسر ، بالتحريك : صاحب القدح من قداح الميسر . وكانوا ربما جاء الرجل بقدحه بعد ما فاز منهم الواحد والاثنان ، فيسألهم أن يدخلوا قداحه فى قداحهم ، فيفعلون ذلك ، ويسمونه المستلحق . انظر الميسر والقداح ١٥٣ . وقوله : « قاطعى قرن » يعنى قيسا . وذلك أن كلبا لاموا تغلب فقالوا : أعنتم قيسا علينا ! فقال الأخطل : حملتمونا ذنب هؤلاء ، وألزمتموناه ، وليسوا منا ولا نحن منهم ، كما يستلحق الأيسار رجلا لم يكن معهم . ط ، س : « مستلحقين كما يستلحق السرر » ، هـ : « مستلحقين كما يستلحف السرر » ، صوابهما ما أثبت من الديوان والميسر والقداح .

(٢) س ، هـ : « انجاب ما قروا » ، صوابه فى ط والديوان . والرواية فيه .
ليست عليهم ديات يؤخذون بها ولا يكون لهم إيجاب ما قروا

(٣) س : « بها الأنباء » ، والديوان : « به الأخبار » .

(٤) الأمهاد : جمع مهد بالضم ، وهو النشز من الأرض ، أو ما انخفض منها فى سهولة واستواء . ورواية الديوان : « باتوا نياما على الأنماط ليلهم * وليله » .

(٥) فى الديوان : « هناك قالوا أنام الماء حيته » .

(٦) هذه الكلمة ونظيرتها ، هى فى الأصل : « المساء » محرفة . وفى الأصل : « حية » .

(الهنديات)

ويقال إنَّ الهنديّات[١] إنما تصير فى البيوت والدُّور ، والإصطبلات ، والخرابات ؛ لأنَّها تُحمَلُ فى القُضُب[٢] وفى أشباه ذلك .

(علة وجود الحيَّات فى بعض البيوت)

والحيات تأكل الجرادَ أكلًا شديداً ، فربما فتَحَ رأس كرْزه[٣] وجرابه وجوالقه ، الذى يأتى الجراد[٤] ، وقد ضَرَبَه بَرْدُ السَّحَر ، وقد تراكم بعضه على بعض ؛ لأنها موصوفةٌ بالصَّرَدِ[٥] .

والحيّاتُ توصَفُ بالصَّرَد ، وكذلك الحمير ، والماعزُ من الغنم . ولذلك قال الشاعرُ[٦] :

---

(١) الهندية : ضرب من الأفاعى ، ذكر فى ص ١٢١ . وفى هـ : « الهنديات » مصحف .

(٢) أى فى قضب الشجر . والقضيب : الفرع . وذلك أن الحاطب ربما علقت الحيات ببعض ما يجمعه . وقالوا فى أمثالهم : « كحاطب ليل » ، فهو يجمع القضب والحيات وقد يصيبه منها الضرر الشديد .

(٣) الكرز ، بالضم وتقديم الراء : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج الكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . ط ، هـ : « كزره » س : « كنده » وهما تحريف ما أثبت .

(٤) كلمة « الذى » هى فاعل « فتح » المتقدمة . وما سيأتى إلى السطر الخامس من الصفحة الآتية ، استطراد معترض ، وتبدأ صلة الكلام بكلمة : « فربما » الآتية .

(٥) من صرد ، كفرح : وجد البرد سريعاً .

(٦) هو صخر بن الجعد الخضرى ، كما فى نقد الشعر ٤٣ والأغانى (١٩ : ٦٧) ومعجم البلدان (رسم جنان ، ذروة) . وهو شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية . وكان مغرما بكأس بنت جبير بن جندب ، وهى ابنة عمه . قالوا : وكانت كأس تشرب من غدير يقال له جنان ، وبحضرته أهلها ، فوقف طويلا عليه يبكى ، وقال الشعر الآتى .

بليت كما يبلى الوِكاءُ ولا أرى جَنَاناً ولا أكنافَ ذروة تَخلَقَ(١)

أُلوِّى حَيازِيمى بهنّ صَبابةً كما تتلوّى الحيَّة المتشرِّق(١)

وإنما تَشرَّقُ إذا أدركها بَرد السَّحر ولم تصر بعدُ إلى صلاحها ٨٠

و [إذا(٣)] خرجت بالليل تكتسب الطعم كما يفعل ذلك سائر السِّباع .

فربما اجترف صاحبُ الكرز الجراد(٤) ، فأدخله كَرْزَه ، وفيه الأفعَى وأسودُ سالخٌ ، حتى يُنقلَ ذلك إلى الدُّور ، فربما لقى الناسُ منها جهداً .

وقال بشر بن المعتمِر ، فى شعرِه المزاوَج :

ياعجَبًا والدَّهرَ ذو عجائب مِنْ شاهدٍ وقلبُه كالغائبِ

وحاطب يَحْطِبُ فى بِجادِهِ(٥) فى ظلمة الليل وفى سَوادِهِ

يَحْطب(٦) فى بجاده الأيْمَ الذَّكر والأسودَ السَّالخ مكروهَ النَّظَرْ

(شعر فى حية المـاء)

فمن ذكر حيَّة الماء ، عبد الله بن هَمَّام السلولىُّ فقال :

كَحَيَّة الماء لاتنحاش مِنْ أحَدٍ صُلْبُ المراس إذا ماحُلَّتِ النُّطق(٧)

---

(١) الوكاء ، بالكسر ، أراد به هنا السقاء ، وهو بالكسر جلد السخلة يتخذ للماء . والرواية فى المصادر المتقدمة : « كما يبلى الرداء » . وجنان ، كسحاب : جبل أو واد بنجد . وفى الأصل : « جنابا » ، صوابه من معجم البلدان . وذروة ، بفتح أوله ويكسر : مكان حجازى .

(٢) ط : « يتلوى » . وفى نقد النثر : « تتطوى » . واستشهد ابن رشيق فى العمدة (٢ : ٤٧) بهذا البيت على ما سماه « الإيغال » ، وهو المبالغة التى يكون موضعها قافية البيت .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأصل : « للجراد » وفى س : « فربما احترف » محرفان .

(٥) البجاد ، بالكسر : الكساء .

(٦) ط ، هـ : « يخطب » صوابه فى س . حطب الحطب : جمعه .

(٧) تنحاش : تنفر . وحلت النطق : كناية عن اشتداد الأمر . والنطق : جمع نطاق ، وهو شبه إزار فيه تكة .

وقال الشَّماخ بنُ ضِرار :

خُوصُ العيونِ تبارَى فى أزِمَّتِها إذا تفصَّدْنَ من حرِّ الصيّاخيدِ[١]

وكلُّهن تُبارِى ثِـنْىَ مُطَّرِدٍ كحيةِ المـاءِ وَلَّى غيرَ مطْرُودِ[٢]

وقال الأخطل :

ضفادعُ فى ظلْماء ليلٍ تجاوبت فدل عليها صوتُها حَيَّةَ البَحْرِ[٣]

وقال أيضاً :

هَـلُمَّ ابنَ صَفّارٍ فإنَّ قتالَنا جِهاراً وما مِنّا مُلاوَذَةُ العُذْرِ

فإنَّكَ فى قيسٍ لَتَالٍ مُذَبْذَبٌ وغيرُك منهم ذو الثَّنَاءِ وذو الفخرِ

ونحن منعْنَا ماءَ دِجْلةَ مِنْـكمُ ونمنعُ ما بينَ العِراقِ إلى البِشْرِ[٤]

ألا يا ابنَ صَفّارٍ فلا تَرُمِ العُلَى[٥] ولا تذْكُرَنْ حَيَّاتِ قَوْمِكَ فى الشِّعْرِ

فمـا تركَتْ حَيَّاتُنا لكَ حيَّـةً تَحرَّكُ فى أرض بَراحٍ ولا بَحرِ[٦]

وقال نُفَيع[٧] [يعيِّره[٨]] بالـكُحَيل[٩] :

---

(١) يقول : تلك الإبل الغائرة العيون تتسابق ، وقد تصبب عرقها من حر الهواجر . ورواية الديوان ٢٢ : « إذا تقصدن » بالقاف ، والتقصد أصل معناه الهلاك ، وأراد به تغيرها بعد السمن .

(٢) أى كل منها يسابق طرف زمامه . س ، هـ : « فى مطردة » ، صوابه فى ط والديوان .

(٣) سبق الـكلام على هذا البيت فى (٣ : ٢٦٨) .

(٤) البشر ، بالـكسر : جبل بالجزيرة . هـ : « البسر » ، صوابه فى ط ، س .

(٥) لا ترم : لا تطلب . يقول له : ليس ذلك من شأنك .

(٦) البراح ، كسحاب : المتسع من الأرض ، لا زرع به ولا شجر .

(٧) نفيع ، بالفاء وهيئة التصغير ، هو ابن سالم بن صفار المحاربى ، وقد هجاه الأخطل بالشعر المتقدم ، فقال هو الشعر الآتى . وفى الأصل : « نقيع » مصحف . انظر المؤتلف والمختلف ١٩٥ .

(٨) ليست بالأصل ، والـكلام يشعر بالحاجة إليها .

(٩) الـكحيل ، بهيئة التصغير : نهر أسفل الموصل ، كانت عنده وقعة هزمت فيها تغلب وألقوا بأنفسهم فى المـاء . الأغانى (١١ : ٥٥) .

فإن تك قتـلاكُم بدِجلةَ غُرِّقَت   فما أَشْبَهَتْ قَتلَى حُنينٍ ولا بَدْر

ثَوَوا إذ لَقُونا بالـكَحَيلِ كما ثوى   شَمامِ إلى يوم القيامة والحشر (١)

بِدِجلةَ حالتْ حربُنَا دُونَ قومِنـا   وأوطاننـا ما بين دِجْلَةَ فالحضْر (٢)

ولو كـنتمُ حَيّاتِ بحـرٍ لـكنتمُ   غَدَاةَ الـكَحَيْلِ (٣) إذ تقُومُون فى الغَمْر (٤) ٨١

(ما يشبَّه بالأَيم)

فالأيْم الحيَّةُ الذكر يشبهون به الزِّمام ، وربَّما شبَّهُوا الجاريَةَ المجدولة الخميصة الخواصر (٥) ، فى مشيها ، بالأيم ؛ لأنَّ الحيَّة الذّكرَ ليس له غَبَبٌ ، وموضعُ بطنِه مجدولٌ غيرُ متراخٍ . وقال ابنُ ميَّادة :

---

(١) شمام ، كقطام : جبل له رأسان يسميان ابنى شمام ، يضرب بهما المثل فى البقاء . قال لبيد : :

فهل نبئت عن أخوين داما   على الأحداث إلا ابنى شمام

وإلا الفرقدين وآل نعش   خوالد ما تحدث بانهدام

(٢) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت فى البرية ، بينها وبين الموصل والفرات . ياقوت . وفى الأصل : « فالحصر » ، وهو تحريف .

(٣) أى لكنتم حيات غداة الكحيل فاستطعتم السباحة . ط : « كذات الكحيل » س : « كذات الكحيل » صوابه من المؤتلف ١٩٥ .

(٤) تقومون : تقفون وتثبتون غير متقدمين ولا متأخرين ، وذلك فى الماء معطبة . ﻫ : « تعومون » ولا يصح به المعنى . ورواية الآمدى : « يلبون » من ألب بالمكان : أقام به ولزمه . والغمر : الماء الكثير . وفى الأصل : « القمر » وتصحيحه من المؤتلف .

(٥) الخاصرة : مافوق الحصر من الجلدة الرقيقة . وهما خاصرتان . فهو قد جمع وأراد الاثنتين . انظر المزهر (٢ : ١٢٥) .

قعدت على السِّعلاة تنفض مسحَهَا وتجذب مِثْلَ الأَيم ِ فى بلدٍ قَفْرِ (١)
تيمِّمُ خيْرَ النَّاسِ مِنْ آل حاضر وتحمِلُ حاجاتٍ تضمَّنهَا صَدْرِى (٢)

(شعر فى حمرة عين الأفعى)

وقال الآخر فى حمرة عين الأفعى :

لولا الهـراوةُ والكِفَاتُ أَوْرَدَنِى حَوْضَ المنيَّة قَتَّالٌ لِمَنْ عَلِقَا (٣)
أصمُّ منهـرتُ الشِّدْقين ملتبـدٌ لم يُغْذَ إلاّ المنايا مِنْ لَدُنْ خُلِقَا (٤)
كأنّ عينيـه مِسْمَارَانِ (٥) مِنْ ذَهَبٍ جلاهُما مِدْوسُ التَّألاقِ فائتَلَقَا (٦)

(شعر فى حمرة عيون الناس)

قال فى حمرة عُيون النَّاس فى الحرْب وفى الغضب ، ابنُ ميَّادة :

(١) السعلاة : اسم ناقة ابن ميادة ، كما فى الأغانى (٢ : ١١٤) . ومثل الأيم ، عنى به الزمام . يقول : هى تجذب زمامها من شدة نشاطها . وفى الأغانى : « فى برة الصفر » .

(٢) رواية الأغانى : « تيمم خير الناس ماء وحاضراً » . وبعد البيت خمسة أخرى فى الأغانى .

(٣) الكفات : جمع كفة ، بالكسر ، وهى من آلات الصيد . ط ، ﻫ : « السفاة » ، صوابه فى س .

(٤) منهرت الشدقين : واسعهما . ط ، ﻫ ، « منهرة » ، صوابه فى س . فى س : « لم يغذ » ، من الغذاء . ط ، س : « يفد » ﻫ : « يغد » صوابهما ما أثبت .

(٥) فى الأصل : « مسماكان » . ولا تصح ؛ فإن المسماك : عود الخباء . وقد ذكر الدميرى فى كلامه على الحية : « وعينها لا تدور فى رأسها ، بل كأنها مسمار مضروب فى رأسها » . وانظر ما أسلف الجاحظ فى ص ١٧٩ س ١٢ .

(٦) المدوس ، بالكسر : خشبة يشد عليها مسن ، يدوس بها الصيقل السيف حتى يجلوه . والتألاق : تفعال من ألق ، بمعنى لمع . وفى الأصل : « التلاق » ! وائتلقا : لمعا وبرقا . وفى الأصل : « فابتلقا » . والوجه ما أثبت . وانظر البيان (٣ : ٦٠) .

وعند الفَـزَارى العراقى عارض كأَنَّ عيونَ القَوْم فى نبضة الجمرِ [١]

وفى حمرة العين من جهة الخِلْقةِ ، يقول أبو قُرْدُودة ، فى ابن عمـارٍ [٢] حينَ قتله النُّعمان :

إنِّى نهيتُ ابنَ عَمَّارٍ وقلتُ له : لا تأمَنَنْ أَحْمَرَ الْعَيْنَيْنِ والشعَرَهْ

إنَّ المـلوك متى تنزِل بساحتِهِمْ تَطِرْ بنارك مِنْ نِيرانهـم شَرَرَهْ

ياجفنَةً كإزاء الحَوْض قد هُدِمَتْ ومَنْطِقًا مِثْلَ وَشْىِ الْيَمْنَةِ الحَبِرَهْ [٣]

(معرفة فى الحية)

وأكثرُ ما يذكرون مِنَ [٤] الحيـات بأسمائها دون صفاتها : الأفعى ، والأسود ، والشجاع ، والأَرقم . قال عمر بن لجأ :

* يلزق بالصَّخْرِ لُزُوقَ الأرقَمِ *

وقال آخر :

ورفَّع أولى القوم وقعُ خرادِلٍ [٥] ووقعُ نبال مثل وقْـع الأساوِدِ

---

(١) ط ، س : « القرارى » ، صوابه فى هـ .

(٢) هو عمرو بن عمار الطائى ، كان شاعراً خطيباً ، فبلغ النعمان حسن حديثه فحمله على منادمته ، وكان النعمان أحمر العينين والجلد والشعر ، وكان شديد العربدة ، قتالا للندماء ، فنهاه أبو قردودة عن منادمته ، فلما قتله النعمان رثاه بالشعر الآتى . البيان (١ : ٣٢٢ ، ٣٤٩) والحيوان (٥ : ٣٣٢) ومعجم المرزبانى ٢٣٦ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢) .

(٣) كانت العرب تسمى السيد المطعام جفنة ؛ لأنه يضعها ويطعم الناس فيها . اللسان (جفن) . وإزاء الحوض : مصب الدلو فيه .

(٤) ط : « مر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) لعلها : « خوازق » جمع خازق ، وهو السهم النافذ ، أو السنان . اللسان .

(ذكر الأفاعى فى بعض كتب الانبياء)

وفى بعض كتب الأنبياء ، أنّ الله تبارك وتعالى قال لبنى إسرائيل :
« يا أولادَ الأفاعى [١] » .

(أمثالٌ وشعر فى الحية)

ويقال : « رَماهُ الله بأفْعَى حَارية [٢] » وهى التى تحرى [٣] ، وكلما كبرت فى السن صغُرت فى الجسم . وأنشد الأصمعىُّ فى شــدَّة اسوداد أسود سالخ :

مُهَرَّت الأشداق عَوْدٍ قد كمل [٤] كأنما قيظ من لِيط جُعَــل [٥]

وقال جريرٌ فى صفة عُرُوقِ بَطْنِ الشَّبْعَانِ [٦] :

وأعــور من نَبْهَانَ أمَّا نهــارُه فأعمَى ، وأمَّا ليــله فبصــيرُ [٧] ٨٢

---

(١) هذه العبارة التى يشير إليها الجاحظ ، تجدها فى إنجيل متى (الأصحاح ٣ : ٧) والنص فيه : « فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون إلى معموديته قال لهم : ياأولاد الأفاعى ! من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟! » . ومثل هذا النص فى إنجيل لوقا أيضاً (الأصحاح ٣ : ٧) . وضمير (قال) عائد إلى يوحنا المعمدان — وهو يحيى بن زكريا عليهما السلام — يعظ اليهود مبشراً بعيسى عليه الصلاة والسلام .

(٢) ط ، هـ : « جارية » صوابه بالحاء المهملة كما فى س .

(٣) حرى يحرى ، كيرمى : نقص . وفى ط ، س : « تجرى » ، صوابه فى هـ .

(٤) فى الأصل : « مهروتة » ، والوجه ما أثبت من (٣ : ٥٠٢) .

(٥) كذا . وانظر رواية البيت وشرحه فى (٣ : ٥٠٢) .

(٦) س : « عروق بطن » . ط ، هـ : « عروق بطن السنان » . ولا وجه للعبارتين . والصواب ما أثبت .

(٧) الأعور ، هو النبهانى ، واسمه عدى بن أوس ، أو سحمة بن نعيم ، وكان بينه وبين جرير مناقضة . انظر المؤتلف ١٦١ والمرزبانى ٢٥٣ . وصــواب رواية هذا البيت :

رَفَعْتُ له مشبوبةً يلتوى بها يكادُ سناها فى السماءِ يَطيرُ(١)
فلما استَوَى جنباه لاعَبَ ظلَّهَ عريضُ أفاعى الحالبَين ضريرُ(٢)

قال : ويقال : « أبْصَرُ من حيَّةٍ » كما يقال : « أسمعُ مِنْ فرس » ، و : « أسمَعُ مِنْ عُقاب » . وقال الراجز :

* أسمَعُ مِنْ فَرْخِ العُقابِ الأسحمِ (٣) *

وقال آخر (٤) :

أسودُ شَرًى لاقَتْ أُسودَ خفِيَّةٍ تساقَوْا عَلَى حَرْدٍ دِماءَ الأساوِدِ(٥)

= وأعور من نبهان يعوى ودونه من الليل بابا ظلمة وستور

كما هو عند الآمدى والمرزبانى وفى الديوان ٢٦٥ . والذى أوهم الجاحظ ذلك أن فى القصيدة بيتا آخر ، يروى بهذه الرواية التى أثبتها ، ولكن موضعه فى نهاية القصيدة ، ويتضح لك ذلك من مطالعة الديوان ص ٢٦٦ س ٣ ، ٥ .

(١) مشبوبة : أى ناراً . وكانوا يرفعون النيران لترشد إليهم الضيفان . يلتوى : كذا جاءت الرواية هنا . وهى فى الديوان والمؤتلف : « يهتدى » .

(٢) استوى جنباه : أى برزا من امتلائهما . فى الأصل : « استوت » محرفة . لاعب ظله : أى جعل ذلك النبهانى يلاعب ظله مما طرأ عليه من السرور . وضمير « ظله » راجع إلى « عريض » . والحالبان : عرقان أخضران يكتنفان السرة إلى البطن . وفى الأصل : « عروض أفاعى الحالتين » ، تصحيحه من النقائض . وانظر الرواية فى الديوان .

(٣) الأسحم : الأسود . وفى الأصل : « الأشجع » ، صوابه فى (٦ : ٤٣٩) . وفى الدميرى « فأما العقاب فمنها السود والخوخية والسفع والأبيض والأشقر » .

(٤) هو الأشهب بن رميلة ، كما فى البيان (٤ : ٥٥) والكامل ٣٣ ، ٤٣٨ ليبسك والعقد (١ : ٥٣) واللسان (حرد) .

(٥) شرى : جبل بنجد ، أو تهامة ، مشهور بكثرة السباع . وخفية : أجمة فى سواد الكوفة . هـ : « حفية » بالحاء المهملة صوابه فى ط ، س والمراجع المتقدمة وكذا الأضداد ١٩٨ والمقصور ٥٨ والمخصص (١١ : ٤٨) . والحرد : الغضب . وروى فى المقصور : « لوح » . واللوح ، بالضم ، ويفتح : العطش . وقبل البيت : =

ضَرَبَ المثَلَ بجنسين من الأسْود ، إذْ كانَا[1] عندَه الغايةَ فى الشدَّة والهوْل ، فلم يقنع بذلك حتى ردَّ ذلك كُلَّهُ إلى سموم الحيّات .

(مايشبَّه بالأسوَد)

وفى هَوْل منظر الأسْوَد يقول الشاعرُ[2] :

مِنْ دُونِ سَيْبِكَ لونُ ليـلٍ مُظلمٍ   وَحَفِيفُ نافجةٍ وكَلْبٌ مُوسَدُ[3]

والضَّيْفُ عِنْدَكَ مِثْلُ أسوَدَ سالخٍ   لا بَلْ أحَبُّهما إليكَ الأسْوَدُ[4]

ويصِفُون ذوائبَ النساء ، فإذا بلغوا الغايةَ شبهوها بالأساود . قال جِرانُ العَوْدِ :

ألا لا تَغرَّنَّ امرأً نَوْفَلِيَّـــةٌ   على الرَّأس منها ، والترائبُ وُضَّحُ[5]

ولا فاحِمٌ يُسْقَى الدِّهانَ كأنَّهُ   أساوِدُ يزهاها لعينك أبْطحُ[6]

= وإن الذى حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد
هم ساعد الدهر الذى يتّقى به   وما خير كف لاتنوء بساعد

(١) فى الأصل : « كان »، وصوابه ما أثبت .

(٢) هو حسيل بن عرفطة ، الذى تقدمت ترجمته فى (٣ : ١٠٢) . انظر نوادر أبى زيد ٧٥ وديوان المعانى (١ : ١٠٦) والحيوان (١ : ٣٨٣) .

(٣) النافجة ، بالجيم بعد الفاء : الريح تبدأ بقوة . وفى الأصل وكذا ديوان المعانى : « نافحة » ، وصواب الرواية من النوادر . و : « كلب » هى فى الأصل : « قلب » صوابه من المراجع المتقدمة .

(٤) مكان : « أحبهما » بياض فى س .

(٥) النوفلية : ضرب من الامتشاط ، وفسره صاحب التهذيب بأنه شىء يتخذه نساء الأعراب من صوف يكون فى غلظ أقل من الساعد ، ثم يحشى ويعطف ، فتضعه المرأة على رأسها ، ثم تختمر عليه . ورواية الديوان واللسان : « على الرأس بعدى ». والترائب . جمع تريبة ، وهى موضع القلادة . وضح : جمع واضحة بمعنى مشرقة .

(٦) الأبطح : بطن واد فيه رمل وحجارة . الديوان : « لعينيك » ، واللسان : « مع الليل أبطح » .

(استطراد لغوى)

قال : والخرشاء[١] : القشرة الغليظة بعد أن تنقب فيخرج مافيها ، وجماعهُ الخراشيّ[٢] ، غير مهموز. قال : وخرشاء الحيّة : سلخها حين تَسْلخ[٣] وقال . هذا أسود سالخ ، وهذان أسودان سالخان ، وأساود سالخة .

وقال مرَقِّش :

إن يَغْضَبُوا يغضب لِذَا كُمْ كما يَنْسلُّ عَنْ خِرْشَائِهِ الأرْقمْ

(تعليق الحلى والخلاخيل على السليم)

وكانوا يرَوْنَ أنّ تعليقَ الحَلْيِ ، وخَشخشَةَ الخلاخيل على السّليم ، ممَّا لايفيق ولا يَبْرَأ إلاّ به ، وقال زَيْدُ الخيل :

أيم يكون النعل منه ضَجِيعَه كما عُلِّقت فوقَ السليمِ الخَلاَخِلُ[٤]

وخبّرنى خالد بن عقبة ، من بنى سلمة بن الأكوع ، وهوَ من بنى المسبع ، أنّ رجُلاً من حَزْن ، من بنى عذرة ، يسمَّى أسْباط ، قال فى تعليقهم الحَلْيَ على السَّليم :

(١) جاءت هذه الكلمة مقصورة فى الأصل ، وصوابها المد .

(٢) جماعه : أى جمعه . وفى ط ، هـ : « جماعة » س : « جماعته » وصوابه ما أثبت . وكلمة « الخراشى » هى فى ط ، س : « الخراش » وفى هـ : « الخراشاء » تحريف ، صوابه من اللسان والقاموس والمقصور ٣٨ .

(٣) س : « تنسلخ ». وخرشاء، هى مقصورة فى الأصل، والصواب مدها ، كما فى المفضليات ٢٤٠ والمقصور والممدود ٣٨ وما سيأتى فى ص ٣٤٠ .

(٤) الخلاخل : جمع خلخل، وهو الخلخال ، ذاك الحلى . وكان العرب يعلقون الجلاجل أيضاً على اللديغ ، جمع جلجل ، وهو الجرس الصغير . انظر لذلك بلوغ =

أرِقْتَ فلم تَطْعَمْ لى الْعَيْنُ مَهْجَعَا ... وبِتُّ كما بَاتَ السليمُ مُقَرَّعَا(١)

كأَنى سلـيمٌ نالهُ كَلْمُ حَيَّـةٍ ... تَرَى حَوْلَهُ حَلْىَ النِّسَاءِ مُرَصَّعَا(٢)

٨٣ وقال الذُّبيانىُّ :

فبتُّ كأنِّى ساورتْنى ضَئيـلةٌ ... من الرُّقْشِ فى أنيابها السّمُّ ناقعُ

يُسَهَّـدُ من ليـل التَّمام سليمُها ... لحـلْى النِّساءِ فى يديه قَعاقِـع

(استطراد فيه لغة وشعر)

قال : ويقال لسان طلْق ذلقٌ(٣) . ويقال للسليم إذا لُدِغ : قد طلِّق ، وذلك حين تَرْجع إليه نفسُه . وهو قول النابغة :

تنـاذَرها الرَّاقُون من سُوءِ سمِّها ... تطلِّقُه طوراً وطوراً تُراجِـعُ(٤)

وقال العبدى(٥) — إن كان قاله — :

= الأرب (٢ : ٣٠٤) وما أورد من الشواهد . وجاء فى شرح الوزير أبى بكر لديوان النابغة ٥٢ : « كان الحلى فى الزمان الأول له جلاجل يسمع صوته من المرأة إذا مشت » .

(١) مقرعا ، بالقاف بعدها راء : من التقريع ، وهو الإقلاق .

(٢) مرصعاً : معقوداً . وفى نهاية الأرب (٢ : ٣٠٥) : « موضعاً » وهى صحيحة من وضع البانى الحجر ، بالتشديد : نضد بعضه على بعض .

(٣) فى القاموس : « وطلق اللسان بالفتح والكسر ، وكأمير . ولسان طلق ذلق — ضبط كل منهما ككتف ، بالقلم — وطليق ذليق ، رطلق ذلق بضمتين ، وكصرد وكتف : ذو حدة » .

(٤) تناذرها الراقون : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا لها . فى الأصل : « تبادرها » ، وصوابه من الديوان ٥٢ والمخصص (٩ : ٦٥) واللسان (نذر) والكامل ٥٠٧ ليبسك . ويروى : « من سوء سمعها » بفتح السين وبكسرها ، بمعنى الشهرة . تطلقه : أى تطلق « السليم » المذكور فى البيت السابق ، والمعنى تخف الأوجاع عنه تارة وتشتد أخرى . قال المبرد : « وذاك أن المنهوش إذا ألح الوجع تارة وأمسك عنه تارة فقد قارب أن يوأس من برئه » .

(٥) يعنى بالعبدى هنا ، الممزق العبدى ، صاحب البيت السائر (انظر الشعراء ٣٦٠) :

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلى وإلا فأدركنى ولما أمزق =

تبيتُ الهمُــومُ الطَّارِقاتُ يَعُدْنَنِي   كماتَعْتَرِى الأَهْوَالُ رَأْسَ المطلَّق [١]

وأنشد :

تُلاقِى مِنْ تَذكُّرِ آلِ ليــلى   كما يَلْقَى السَّـلِيمُ مِنَ العِدَادِ [٢]

والعِداد : الوقت . يقال : إنّ تلك اللَّسعة لتعَادّه [٣] : إذا عاده الوجَع فى الوقت الذى لُسِع فيه .

(حديث الحمَل المصْلىّ)

وذكر النبىُّ صلى الله عليه وسلم السمَّ الذى كان فى الحَمَلِ المَصْلِىّ [٤] ، الذى كانت اليهوديَّةُ قدّمته إليه فَنالَ منــه ، فقال : « إنّ تِلك الأكْلَة لتعَادُّنى [٥] » .

---

(١) ط : « تعدننى » س : « تفدنى » ﻫ : « تعدنى » ، وصوابه ما أثبت من الكامل ٥٠٧ ليبسك . وفيه أيضاً : « كما تعترى الأوصاب » .

(٢) الرواية فى المخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) : « يلاقى من تذكر » . وقد أقحم الشاعر كلمة « آل » ، فهى زائدة فى الكلام، وأراد : من تذكر ليلى نفسها . مثله ما جاء فى الحديث : « لقد أعطى مزماراً من مزامير آل داود » أراد : من مزامير داود نفسه .

(٣) ط : « لتعتاده »، صوابه فى س، ﻫ .

(٤) المصلى : المشوى . صلى اللحم وغيره صليا : شواه . والمعروف فى الرواية أنها شاة ، لا حمل . تأويل مختلف الحديث ٢٢٥ ، والسيرة ٧٦٤ جوتنجن ، والتنبيه والإشراف ٢٢٣ . والذى أهدى الشاة هو زينب ابنة الحارث اليهودية ، امرأة سلام بن مشكم اليهودى ، وقيل : هى أخت مرحب اليهودى . الروض الأنف (٢ : ٢٤٣) ، وكانت سألت : أى عضو من الشاة أحب إلى الرسول ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم . وانظر بقية الخبر فى السيرة (غزوة خيبر) .

(٥) ط : « لتعتادنى » وصوابه فى س ، ﻫ والروض الأنف ، وتأويل مختلف الحديث ، والمخصص (٥ : ٨٨) والأضداد ٩٠ واللسان (عدد) . والرواية فى هذه المصادر : « ما زالت أكلة خيبر تعادنى فهذا أوان قطعت أبهرى » . =

(جلد الحية)

وفى الحيَّة قِشْرُها ، وهو أحسنُ من كلِّ ورقةٍ وثوبٍ ، وجَناحٍ ، وطائر ؛ وأعجبَ من سِتْر العنكبوت ، وغِرْقِئ[1] البيض .

(ما يشبَّه بلسان الحية)

ويقال فى مثلٍ ، إذا مدحوا[2] الخفَّ اللَّطيف، والقدَمَ اللَّطِيفة ، قالوا : كأنّه لِسَانُ حَيَّة .

(نفع الحية)

وبالحيَّة يَتداوَى من سمِّ الحيَّة . ولِلدغ الأفاعى يُؤْخَذ التِّرياقُ الذى لا يُوجَدُ إلاَّ بمتون[3] الأفاعى . قال كثيِّر :

وما زالَتْ رُقَاك تَسُلُّ ضِغْنِي وتُخْرِجُ مِنْ مَكامِنِهَا ضِبَابى[4]
وترْقِينى لك الحاوُون حتَّى أجابَك حيَّةٌ تحْتَ الحجاب[5]

= وقد قال هذا القول فى مرضه الذى توفى فيه . وهو دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مات شهيداً .

(١) الغرقىء ، كزبرج : القشرة الملتزقة ببياض البيض .

(٢) فى الأصل : « مدح » .

(٣) ط : « لا يؤخذ إلا بمنون » ، س ، هـ : « لا يؤخذ إلا بمتون » وصوابهما ما أثبت . والمتن : الظهر .

(٤) الضباب ، بالكسر : جمع ضب ؛ بالفتح والكسر ، وهو الضغن والعداوة . وهو يخاطب بهذا الكلام عبد العزيز بن مروان كما فى الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ . وفيها جميعاً نقد جيد لهذين البيتين .

(٥) ترقينى ، كذا فى الأصل ، وهى صحيحة . وفى الكتاب : « إلا الذى آمنت به =

(قصة امرأة لدغتها حية)

جويبر بن إسماعيل ، عن عمّه ، قال : حججتُ فإنّا لفى وَقْعَةٍ مع قوم[1] نزلوا منزلنا[2] ، ومعنا امرأة ، فنامت[3] فانتبهتْ وحيَّةٌ منْطوية عليها ، قد جمعتْ رأسَها مع ذنبها بين ثدييها[4] ، فهالها ذلك وأزعجَنا ، فلم تزلْ مُنطويةَ عليها لا تضرُّها بشيء ، حتَّى دخلنا أنصاب الحرم[5] ، فانسابت فدخلتْ مكَّة ، فقضَينا نسكنا وانصرفْنا ، حتَّى إذا كنَّا بالمكان الذى انطوتْ عليها فيه الحيَّة ، وهو المنزل الذى نزلناه ، نزلتْ فنامت واستيقظت ، فإذا الحيَّةَ منطوِيَةٌ عليها ، ثم صَفَرَت الحيَّـةَ فإذا الوادى يسيلُ حيَّاتٍ عليها ، فنهشتْها حتَّى نَقَتْ[6] عظامَها ، فقلت لجاريةٍ كانت لها : ويْحَكِ ! ٨٤
أخبرينا عن هذه المرأة . قالت : بغَتْ ثلاثَ مرَّاتٍ ، كلَّ مرّة تأتى بولدٍ ، فإذا وضعَتْه سَجرت التّنّور[7] ، ثمّ ألقته فيه .

= بنو إسرائيل » . انظر لذلك ما أسلفت فى ص ١٩٣ . والرواية فى المراجع : « ويرقينى » . والحاوون : جمع حاو . وفى ط ، س : « الحادون » . و ھ : « الحاؤن » محرفان ، صوابهما فى المراجع المتقدمة .

(١) الوقعة ، بالفتح : النومة فى آخر الليل . ط : س : « من قوم » ، صوابه فى ھ .

(٢) ط ، س : « إذ نزلوا منزلنا » ھ : « إذ أنزلوا منزلنا » ، وكلمة « إذ » مقحمة .

(٣) س : « فقامت » .

(٤) ط ، ھ : « ثديها » س : « أيديها » ، وصوابه ما أثبت .

(٥) أنصاب الحرم : حدوده ، كما فى القاموس واللسان .

(٦) نقى العظم نقياً : استخرج نقيه . والنقى بالكسر : مخ العظام .

(٧) سجرت التنور : أحميته وأوقدته . والسجور ، بالفتح : الوقود . وفى الأصل : « شجرت » ، وهو تصحيف . والتنور : ما يخبز فيه .

(قول امرأة فى علىٍّ والزّبير وطلحة)

قال : ونظرت امرأةٌ إلى علىٍّ ، والزُّبير ، وطلحة ، رضى الله تعالى عنهم ، وقد اختلفَتْ أعناقَ دوابّهم حين التقَوا ، فقالت : من هذا الذى كأنه أرقَمُ يتلمَّظ ؟ قيل لها : الزُّبير . قالت : فمن هذا الذى كأنَّه كُسِر ثمَّ جُبر[1] ؟ قيل لها : علىٌّ . قالت : فمن هذا الذى كأنَّ وجهه دينارٌ هِرَقْلىٌّ[2] ؟ قيل لها : طلحة .

(استطراد لغوى)

وقال أبو زيد : نهشت أَنْهشُ نَهشاً . والنَّهش : هو تناولك الشَّىءَ بفيك ، فتمضَغُه فتؤثِّر فيه ولا تَجْرحه . وكذلك نَهْش الحيَّة . وأمَّا نَهْش السَّبع فتناوله من الدَّابَّةِ بفيه ، ثمَّ يقطع ما أخذَ منه فوه . ويقال نَهشت اللحم أنهَشُه نهشاً[3] ، وهو انتزاع اللَّحم بالثَّنايا ؛ للأَكل . ويقال نَشَطت العَقْد نَشْطاً : إذا عقدته بأُنْشوطة[4] . ونَشَطت الإبلُ تنشِط نَشْطاً : إذا ذهبتْ على هدًى أو غير هدى ، نزعاً أو غير نزْع . ونشطتْه الحيَّةُ فهى

(١) وذلك أن علياً كان قصيراً حادراً ضخم البطن ، أفطس الأنف ، دقيق الذراعين . المعارف ٩١ .

(٢) الدينار الهرقلى نسبة إلى هرقل . قال الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٢٥ : « وكان ذهبه من أحسن الذهب ، وشكله حسناً بديعاً » . وقد روى ابن قتيبة حديث هذا المرأة فى عيون الأخبار (٤ : ٢٥) برواية أخرى .

(٣) فرق بعض اللغويين بين (النهش) و (النهس) فقالوا : نهش اللحم : أخذه بأضراسه . ونهسه : أخذه بأطراف الأسنان . وسوى بعضهم بينهما .

(٤) الأنشوطة ، بالضم : عقدة يسهل انحلالها . ط ، هـ « بالنشوطة » ، صوابه فى س . وفى اللسان : « ونشطت العقد : إذا عقدته بأنشوطة » .

تنشِطهُ نَشْطاً ، وهو أن تَعضَّه عضًّا . ونكزَتْهُ الحيَّة تنكُزه نكْزاً ، وهو طعنُها الإنسان بأنفها[١] . فالنَّكْز من كلِّ دَابَّةٍ سوى الحيَّة العضّ. ويقال : نَشطَتْه شَعُوبُ نَشْطاً[٢] وهى المنيَّة :

قال : وتقول العرب . نشطهُ الشَّعوب ، فتدخل عليها التعريف

(علة تسمية النَّهيش بالسَّليم)

ويسمون النهيش سليماً على الطيرَة[٣] . قال ابنُ ميَّادة :

كأنِّى بها لَمَّا عَرَفْتَ رُسومَها   قتيلٌ لدَى أيدِى الرُّقاةِ سَليمُ

(شعر فى الحية)

وممَّا يضربون به المثَلَ بالحيَّات فى دواهى الأمر ، كقول الأقيْبل القينِىّ[٤] :

لَقَدْ علِمْتَ ، وخيرُ القَوْلِ أنْفعه[٥]   أنّ انطلاقى إلى الحجَّاج تغْريرُ

---

(١) فى الأصل : « بفيها » . وهو تحريف ، تصحيحه من اللسان والقاموس .

(٢) شعوب ، بالفتح ومنع الصرف : علم للمنية ، سميت بذلك لأنها تشعب، أى تفرق . ودخول (أل) عليها ، مثل دخولها على العباس ، والحسن ، والحارث .

(٣) الطيرة ، كعنبة : مايتشاءم به من الفأل الردىء . فالمعنى على تشاؤمهم من تسميته بالنهش .

(٤) هو الأقيبل بن نبهان بن خنيف ، شاعر إسلامى كان فى زمن الحجاج . وكان الأقيبل مع الحجاج بن يوسف حين خرج إلى ابن الزبير ، فهرب من الحجاج لما رأى البيت يضرب بالمجانيق ، وقال شعراً أغضب الحجاج، فطلبه فاحتمى بقبر مروان ، فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له، فقال قومه: إنك إن أتيت الحجاج قتلك ، فطرح الكتاب وهرب ، وقال الشعر الآتى . وفى الأصل ، وكذا الجزء السابع ص ١٠٢ : « العتيبى » وصوابه من المؤتلف ٢٤ ومن نسخة كوبريلى الجزء السابع . وهو نسبة إلى بنى القين بن جسر .

(٥) رواية الآمدى :

* إنى لأعلم والأقدار غالبة *

لَئِنْ ذَهَبْتَ[1] إلى الحجَّاج يقتُلُني   إنى لأحْمقُ مَنْ تُحْدَى به العِيرُ
مستحقباً صُحُفاً تَدْمَى طوابِعها[2]   وفى الصَّحائف حَيَّاتٌ مَناكِيرُ

(استطراد لغوى)

وقال الأصمعىّ : يقال للحيَّة الذَّكر أيِّم وأيم ، مثقَّل ومخفف ، نحو ليِّن ولين ، وهيِّن وهَين . قال الشَّاعر[3] :

هَيْنُونَ لَيْنُون أيسارٌ ذَوُو يسَرٍ   سُوَّاسُ مَكْرُمَة أبْنَاءُ أيْسَارِ

وأنشد فى تخفيف الأيم وتشديده[4] :

ولقد وَرَدْتَ الماء لم تشْرَبْ بِهِ   زَمَنَ الرَّبيع إلى شهور الصَّيِّفِ[5]
إلاّ عوَاسِرُ كالمِراط مُعِيدَةٌ   باللَّيل مَوْرِدَ أيِّم متغضِّف[6]

---

(١) رواية الآمدى :

* لئن حدى بى . . . . . *

(٢) استحقب الشىء : حمله فى مؤخرة الرحل . ط : « مستحليا » س : « مستخفيا » هـ : « مستحفيا » وهو تحريف ما أثبت من المؤتلف والجزء السابع . والطوابع ، جمع طابع ، بفتح الباء وكسرها ، وهو الخاتم الذى يختم به الرسائل ونحوها . ط ، هـ : « طوائعها » س : « طوالعها » صوابهما من الجزء السابع .

(٣) انظر تحقيق اسمه فى (٢ : ٨٩) ، وكذا شرح البيت ورواياته فى : (٢ : ٩٢) .

(٤) قائل البيتين هو أبو كبير الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين (٢ : ١٠٥) واللسان (صيف ، غضف) وأمالى القالى (٢ : ٨٩) .

(٥) وردت ، بفتح تاء المخاطب ، يخاطب رجلا رثاه من قومه . وقبل البيت ، كما فى تنبيه البكرى ٩٩ :

أزهير إن أخا لنا ذا مرة   جلد القوى فى كل ساعة محرف
فارقته يوما بجانب نخلة   سبق الحمام به زهير تلهفى

وفاعل « تشرب » هو « عواسر » فى البيت الآتى . وروى فى الأمالى ، واللسان : « يشرب » .

(٦) « بالليل » هى فى الأصل : « بالعسل » وتصحيحه من اللسان (عسر ، صيف ، غضف) والأمالى .

الصَّيِّف ، يعنى مَطَرَ الصيف(١) . والعواسر : يعنى ذئابا رافعة أذنابها . ٨٥
والمِراط : السهام التى قد تمرَّط ريشها . ومُعيدة : يعنى معاودة للوِرْد . يقول هو مكانٌ لخلائه(٢) يكون فيه الحيَّاتُ ، وتَرِدُه الذِّئابْ . ومتغضِّف يريد بعضَهُ على بعض ، يريد تثنى الحيَّة .

وأنشد لابن هند(٣) :

أودَى بأمِّ سُليمَى لاطِئٌ لَبِدٌ ... كحيَّةٍ منْطَوٍ من بينِ أحجار(٤)

وقال محمد بن سَعيد(٥) :

قريحة لم تَدنِّها السِّياط ولم ... تورَدْ عِرَاكاً ولم تعصر على كَدَرِ(٦)
كمْنطوَى الحَيَّةِ النَّضناضِ مكمنها ... فى الصَّدر مالم يهيِّجْها على زَوَرِ
الليث للَّيثِ منسوبٌ أظافرُهُ(٧) ... والحيَّـةَ الصِّلُّ نجلُ الحيَّةِ الذَّكَرِ

---

(١) فى الأصل : « مطرا الصيف »، وتصحيحه من اللسان (صيف) والأمالى .

(٢) فى الأصل : « هو مكان الخلاية » ، تحريف ما أثبت . وعبارة القالى : « هذا المكان لخلائه ، من موارد الحيات » ، أى لكونه خاليا ترده الحيات .

(٣) هو عبد الله بن هند ، كما فى العقد (٦ : ١٢٧)

(٤) الحية تذكر وتؤنث . وفى العقد : « بجب سليم » ؛ وهو الصواب .

(٥) ط ، ﻫ : « سعد » ، وأثبت ما فى س . وقد ذكر المرزبانى من اسمه محمد بن سعد الكاتب التميمى ، وهو عربى بغدادى وأنشد له الأبيات التى أولها :

سأشكر عمراً إن تراخت منيتى ... أيادى لم تمنن وإن هى جلت

وقد روى الجاحظ الأبيات بعينها ، فى الرسائل ٢٣ ساسى ، ونسبها إلى محمد بن سعيد ، قال : « وهو رجل من الجند » . فإن صدق حدسى كان محمد هذا هو صاحب الأبيات المشار إليها بعينه .

(٦) القريح : الخالص . وعنى أن هذه الإبل أو الناقة التى ينعتها خالصة النسب . ويقال أورد إبله العراك وأوردها عراكا : أى أوردها الماء مزدحمة . وجاء فيه قول لبيد (وهو من شواهد النحويين) :

فأوردها العراك ولم يذدها ... ولم يشفق على نغص الدخال

وفى الأصل : « ولم تردد »، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط : « أظافره » ، صوابه فى س ، ﻫ .

وقال ذو الرّمّة :

وأحْوَى كأيم الضَّالِ أطْرَقَ بَعْدَمَا ... حَبَا تحتَ فينانٍ من الظِّلِّ وارفِ (١)

قال : ويقال انبسَّت الحيَّات (٢) : إذا تفرَّقت وكثرت . وذلك عند إقبال الصَّيف . قال أبو النَّجم :

* وانبسَّ حيَّات الكثيبِ الأهْيَلِ (٣) *

وقال الطِّرِمَّاح :

وتجَرَّدَ الأسروعُ واطَّرَدَ السَّفَا ... وجرَتْ بجاليْها الحدابُ القَرْدَدُ (٤)

وانسابَ حيَّاتُ الكثيبِ وأقبلَتْ ... وُرْقُ الفَرَاشِ لما يَشُبُّ المُوقِدُ (٥)

قال : ويقال جبأ عليه الأسودُ من جحره : إذا فاجأه . وهو يجبأ جبْئاً وجَبْوًا .

وقال رجلٌ من بني شيبان :

وما أنا مِنْ رَيْبِ المَنونِ بجبَّإٍ ... وما أنا مِنْ سيْبِ الإلٰهِ بيائِسِ (٦)

---

(١) الأحوى ، عنى به زمام الناقة ، كما في المخصص (١٠ : ٩٥) . والأحوى : الذى يضرب سواده إلى الحمرة . والضال : نبت. وحبا : دنا ، كما فى اللسان (حبا) حيث استشهد بالبيت .

(٢) انبست ، بالسين ، كما فى س واللسان . وفى ط ، ه : « أنبشت » مصحف . وكلمة « الحيات » هى فى س ، ط : « الحية » وتصحيحها من ه .

(٣) ط ، ه : « وانبش » صوابه فى س . وفى س ، ط : « الكثيف » صوابه فى ه . والكثيب الأهيل : الرمل السائل الذى لا يثبت .

(٤) فى الأصل : « وجرت بحالتها » . وانظر ما سبق فى ص ٢٢٥ حيث تجد شرح البيت .

(٥) فى الأصل : « زرق الفراش »، وتصحيح الرواية مما سبق ص ٢٢٥ .

(٦) الجبأ ، بضم الجيم وتشديد الباء المفتوحة : الهيوب الجبان . وقد وهم أبو عمرو الشيباني فى تفسير هذه الكلمة من هذا البيت فجعلها الناجى من الأمر الذى انفلت منه . وقد اعترضه صاحب التنبيهات على أغلاط الرواة . وروى فى المخصص =

(ما يَشرع فى اللبَن)

قال : ويقال : اللَّبن مُحْتَضَرٌ[١] فغطِّ إناءك . كأنَّهم يَروْنَ أنّ الجنَّ تشْرعُ فيه[٢] ، على تصديق الحديث فى قول المفقود[٣] لعمر ، حين سأله وقد استهوتْهُ الجانّ : ما كان طعامهم ؟ قال: الرِّمَّة . يريد العظم البالى . قال : فما شرابهم ؟ قال: الجدَف . قال: وهو كلُّ شراب لا يُخمَّر[٤] .

وتقول الأعراب : ليس ذلك إلاّ فى اللّبَن . وأمّا النَّاس فيذهبون إلى أنَّ الحيَّات تشرع[٥] فى اللّبَن ، وكذلك سامٌّ أبرص ، وكذلك الحيَّات تشرع فى كثير من المرق .

(حديث فى المعصفر)

وجاء فى الحديث : « لا تَبيتوا فى المعَصْفر[٦] ؛ فإنها مُحْتَضَرَةٌ » ، أى يحضرها الجنُّ والعُمَّار .

= (١٦ : ١٢) : « فما أنا من ريب الزمان » . والسيب ، بالفتح : العطاء . وروى فى المخصص (٣ : ٧٠) : « وما أنا من سيب الإلـه بآيس »، على القلب.

(١) محتضر : يحتضره الجن ، والدواب وغيرها من أهل الأرض . س : « فقد أتاك » محرف .

(٢) تشرع فيه : تدخل فيه لتشرب . وفى الأصل : « تسرع فيه »، مصحف .

(٣) أى الذى كان قد استهوته الجن : فيما يروون .

(٤) لا يخمر : أى لا يغطى .

(٥) فى الأصل : « تسرع » . وانظر ما سبق قريباً .

(٦) المعصفر : المصبوغ بالعصفر ، وهو زهر القرطم . ط : « العصفر » ، صوابه فى س ، هـ . وقد أعاد إليه ضمير المؤنث لما فيه من معنى الثياب .

وقال الشاعر فيما يمجنون[١] به ، من ذكر الأفعى :

رَمَاكَ اللهُ مِنْ أيرٍ بأَفْعًى ... ولا عافاك من جَهدِ البَلاءِ[٢]

٨٦ أجُبْناً فى الكريهة حِين تَلْقَى ... ونَعْظاً ما تفتّرُ فى الخَلاء ! !

فلولا الله ما أمسى رَفيقى ... ولولا البولُ عُوجِلَ بالخِصاء

وقال أبو النّجم[٣] :

نظرَتْ فأعجَبها الذى فى دِرْعها ... من حُسْنها ونظرتُ فى سِرباليا[٤]

فرأتْ لها كفلا ينوءُ بخَصْرها ... وعثًا روادفهُ وأخْثَمَ ناتيا[٥]

---

(١) يمجنون ، من المجون . وفى الأصل : « يحكون » ، وصوابه ما أثبت . والشعر الآتى وما بعده مجونى .

(٢) سبقت هذه الأبيات فى (١ : ١٧٦) .

(٣) كان أبو النجم قد دخل على هشام بن عبد الملك ، وقد أتت له سبعون سنة ، فقال له : يا أبا النجم ! كيف أنت والنساء ؟ قال : والله يا أمير المؤمنين ، ما أنظر إليهن إلا شزرا ، ولا ينظرن إلى إلا كرها ! وعلى رأس هشام وصيفة تذب عنه ، فقال : يا أبا النجم : خذ هذه الوصيفة فابل بها نفسك ، واغد علىّ بخبرك . فانصرف بها . فلما كان من الغد غدا عليه ، فقال : ما الذى صنعت يا أبا النجم ؟ فقال : لا والذى أكرمك بالخلافة يا أمير المؤمنين ، ما صنعت شيئاً ولا قدرت عليه ! وقد قلت فى ذلك أبياتا . ثم أنشده الشعر الآتى . فضحك هشام وأمر له بخمسة آلاف درهم وقال له : خذ هذه فاجعلها عوضاً مما فاتك . الأغانى (٩ : ٧٧) وكتاب المختار من شعر بشار ص ٢٠٩ .

(٤) الدرع : القميص . رواية الأغانى : « من حسنه » والمختار : « خلقها » .

(٥) ينوء بخصرها : أى ينوء خصرها بحمل كفلها ويثقل عليه ذلك . وهذا الضرب من التعبير يسمى القلب . وعثا روادفه : أصل الوعث : المكان السهل الدهس تغيب فيه الأقدام . وهذه هى رواية ط والأغانى والمختار . وفى س ، ه : « وعسا » بالسين ، وهى بمعنى الأول . والأخثم : المرتفع الغليظ . وناتيا ، أى بارزاً ، وأصله ناتئا . ورواية الأغانى والمختار : « جاثيا » .

ورأيتُ منتشرَ العِجان مُقَبَّضا　　رِخْـوا حمائله وجِلْدًا باليا(١)
أُدْنِى له الرَّكَب الحَلِيقَ كأنما　　أُدنى إليـه عقاربًا وأفاعيـا(٢)

وقال آخر(٣) :

مريضــةَ أثْنــاءِ التَّهادى كأنما　　تخافُ على أحشائها أنْ تَقطَّعا(٤)
تسيبُ انسيابَ الأَيْم أخْصَرَه النَّدَى　　يرفِّع من أطرافه ما ترفَّعـا(٥)

(شعر فى العقربان)

وقال إياسُ بن الأرَتِّ(٦) :

كأنَّ مَرْعَى أمِّكمْ سَــــوءَة　　عقْــرَبةٌ يَكُومُها عَقْرُبانْ(٧)

---

(١) فى المختار : « منتفخ العجان مقلصا »، و الأغانى: « رخوا مفاصله » . وبين هذا البيت والذى قبله بيت رواه صاحب المختار ، وهو :

ارفع جبينك فيم أنت منكس　　أفضحتنى وطردت أم عياليا

(٢) الركب ، بالتحريك : الهن . وفى المختار « أدنى لك . . . . كما أدنى إليك » على الخطاب . وبعد هذه الأبيات خمسة أخرى فى الأغانى ، منها اثنان فى المختار .

(٣) بدله فى محاضرات الراغب (٢ : ١٣٩) : « ويستحسن للسعدى »، أى رجل من بنى سعد .

(٤) التهادى : مشى فى تمايل وسكون . هـ : « التهاوى » صوابه فى س ، ط والمحاضرات والحماسة (٢ : ٩٣) ومجموعة المعانى ٢١٢ . والرواية فى المحاضرات والحماسة : « مريضات أوبات التهادى » . ينعتها أو ينعتهن بلين المشية ودقة الخصر .

(٥) يقول : تتدافع فى السير تدافع تلك الحية التى أثر فيها برد الندى ، فهى فى مشيتها البطيئة وتدافعها ذلك ، ترفع من أجزائها بعضاً . ورواية المحاضرات والحماسة ومجموعة المعانى : « فرفع من أعطافه » .

(٦) لم أجد له ترجمة إلا ما قال صاحب القاموس فى (رتت) : « وإياس بن الأرت ، كريم ، شاعر » . والأرت اسمه خالد ، كما فى ذيل اللآلىء ص ٢٤ .

(٧) مرعى : اسم أمهم . يكومها : يخالطها . والعقربان ، بالضم : ذكر العقارب ، أو دويبة صفراء طويلة كثيرة القوائم ، تسمى فى مصر (أم أربعة وأربعين) =

إكليلُها زَوْلٌ وفى شَــوْلها وَخْزٌ حَدِيدٌ مِثْلُ وخز السنانْ (١)
كلٌّ امرئٍ قدْ يُتَّقَى، مُقبــلاً وأمُّــكم قــد تُتَّقَى بالعِجانْ (٢)

وقال آخرُ (٣) لمضيفهِ :

تَبيتُ تُدَهْــدِهُ القِذَّانَ حَوْلى كأنَّكَ عِنْــدَ رأسى عَقْرُبانُ (٤)
فــلو أطعمتنى حَمَلاً سَمِيناً شكرْتُكَ ؛ والطَّعامُ له مكانُ (٥)

= ويسميها العرب أيضاً دخال الأذن ، ويسميها علماء الإفرنج : Centipede .
وعلى الوجه الثانى من التفسير استشهد صاحب اللسان بالبيت . ولست أستجيده .
وقد أسلفت كلاما على هذا الشعر فى (٢ : ٢٨٦) .

(١) كنى عن قرنى العقرب بالإكليل . التبريزى (٤ : ٢٤) . والزول : الخفيف الحركة ، أو العجب . والشول : رفع الذنب . والوخز ، بالزاى : طعن لاينفذ. حديد : قوى . س ، هـ . « وخذ حديد » ، وصوابه فى ط والحماسة . وفى س : « مثل وخذ » و هـ : « مثل خز » وهما تصحيفان .

(٢) أى إذا أدبرت . ولعله يعنى أنها إذا غابت نمت بين الناس .

(٣) قائل الشعر الآتى هو الهيردان بن اللعين المنقرى . والهيردان ، بفتح الهاء بعدها مثناة تحتية وراء مضمومة . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٤٨٨ . وأما أبوه اللعين المنقرى فقد أسلفت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) . وكان من قصة الهيردان أنه نزل فى البصرة على رجل من الصلحاء يقال له ثبيت ، فأطعمه تمراً وأسقاه لبنا وقام يصلى ، فقال الهيردان الشعر الآتى. وقبل البيت الأول :

لخبز يا ثبيت عليه لحم أحب إلى من صوت الأذان

انظر معجم المرزبانى . وقد روى القالى فى أماليه (٣ : ١٧) هذه القصة ، ولم يذكر فيها اسم الهيردان ، وقال: إن ثبيتا هذا نزل به قوم ليلة فلم يعشهم وقام يصلى ، فقال رجل منهم الشعر الآتى .

(٤) يدهده : يدحرج أو يقلب بعضه على بعض . والقذان : البراغيث ، واحدها قذة ، كقوة . والرواية الجيدة : « تدهور القرآن »، ودهور كلامه : قحم بعضه فى إثر بعض . والعقربان سبق شرحه فى التنبيه السابع من الصفحة السابقة . وقال القالى فى شرح هذا البيت : « واختلفوا فى العقربان ، فقال قوم : هو ذكر العقارب ، وقال قوم : هو دخال الأذن . وهو الوجه » . وانظر التنبيه المشار إليه .

(٥) كذا الرواية أيضاً فى عيون الأخبار (٣ : ٣٢٠)، ولم يروه المرزبانى . ورواية القالى :

فلو أطعمتنى خبزاً ولحماً حمدتك والطعام له مكان

(شعر فى الحيات والأفاعى)

وقال النّابغة :

فـلو يستطيعون دبَّتْ لنـا مَذاكى الأفاعى وأطفـالها(١)

وقال رجلٌ من قريش :

ما زالَ أمْرُ وُلاةِ السُّوءِ مُنْتشِرًا حتَّى أظلّ(٢) عليهم حَيّةٌ ذكَرُ
ذو مِرّةٍ تَفرَقُ الحيَّاتَ صَوْلَتَه عفٌّ الشَّمائلِ قد شُدَّتْ له المِرَرُ(٣)
لم يأتهمْ خَبرٌ عنْـهُ يلينَ له حتَّى أتاهم به عن نفْسهِ الخبرُ

وقال بشار :

تزِلُّ القوَافى عنْ لسانى كأَنها حُمات الأفاعى ريقهُنَّ قَضاءُ(٤)

[وقال(٥)] :

فكم من أخٍ قد كان يأمُلُ نفعكَمْ شجاعٍ له نابٌ حديدٌ ومخْلبُ(٦)
أخ لو شكرْتمْ فعْلهُ لوْ عَضَضْتمُ رُءوس الأفاعى عَضّ لايتهيَّبُ(٧) ٨٧

---

(١) المذاكى : جمع المذكى، بتشديد الكاف المكسورة ، وهو المسن من كل شىء .
(٢) كذا فى الأصل بالظاء المعجمة .
(٣) المرر : جمع مرة ، بالكسر ، وهى القوة . أراد أنه قوى الشكيمة .
(٤) الحمات : جمع حمة بضم ففتح ، وهى ماتلدغ به الأفعى . وفى الأصل : « حماة » محرف . ريقهن قضاء : أى فيه القضاء على من سرى فيه . ط : هـ : « قضاب »، صوابه ما أثبت من س والمختار من شعر بشار ص ٩٠ . وقبل هذا البيت :

وقد علمت عليا معد بأننى إذا السيف أكدى كان فى مضاء

(٥) هذه الكلمة ليست بالأصل . وقد يكون القائل بشاراً ، وقد يكون غيره .
(٦) حديد : قوى .
(٧) فى الأصل : « لعضضتم »، وبذا يضطرب نسج البيت. والوجه ما أثبت . وقد حذف =

وقال الحارث دعىُّ الوليد، فى ذكر الأسْودِ بالسمّ من بين الحيَّات :

فإنْ أنتَ أقررْتَ الغـداة بنِسْبتى عُرِفْتَ وإلاّ كنتَ فقْعاً بقَرْدَدِ [١]

ويشْمَتَ أعداءٌ ويجذَلُ كاشحٌ عَمَرْتَ لهم سُمًّا على رأس أسْودِ [٢]

وقال آخر :

ومعشرٍ منْقَعٍ لى فى صُدورِهِمُ سمٌّ الأساوِدِ يغـلى فى المواعيدِ

وسَمْتُهم بالقوافى فـوْقَ أعينهم وسْمَ المعيدىِّ أعناقَ المقاحيد [٣]

وقال أبو الأسود [٤] :

ليتَـكَ آذنتنى بواحـــدةٍ جعَلْتَها مِنْكَ آخِرَ الأَبَدِ [٥]

= جواب الشرط الأول ، اكتفاء بما يدل عليه جواب الشرط الثانى . أى لوشكرتم فعله لشاركـكم فى جميع ما أنتم فيه، حتى لو تقحمتم الصعبة لتقحمها معكم .

(١) الفقع : كمأة رخوة بيضاء . ويقال للذليل : « أذل من فقع بقرقرة »، وذاك أن الفقع لا يمتنع على من جناه ، أو أنه يوطأ بالأرجل . أمثال الميدانى (٢ : ٥٩) . والقردد : الأرض المستوية . وأما القرقرة فى المثل فهى الأرض المطمئنة اللينة .

(٢) عمرت لهم : أى أبقيت للأعداء .

(٣) أى جعل هجوه إياهم بالشعر السائر كالسمة الظاهرة فى جباههم . والمقاحيد : جمع مقحاد ، بالكسر ، وهو ما عظم سنامه من الإبل . و « المعيدى » كذا بالأصل . ولعلها « المعبد » بتشديد الباء الموحدة المكسورة ، وهو الذى يعبد الإبل ، أى يطليها بالقطران ليعالج جربها ؛ فان المعيدى تصغير المعدى نسبة إلى معد ابن عدنان ، وليس له وجه مناسب .

(٤) مثل هذه النسبة فى عيون الأخبار (٣ : ١٨٩) . ونسبه ياقوت فى معجم الأدباء (١ : ١٩٣) إلى إبراهيم الصولى فى محمد بن عبد الملك الزيات . وصاحب العقد (٣ : ٣٩٧) إلى أبى زبيد . وصواب نسبته أنه لأبى الأسد نباتة بن عبد الله ، كما فى طبقات الشعراء لابن المعتز ٣٤٨ والأغانى (١٢ : ١٦٨)وديوان المعانى (٢ : ٢٠٣) إذ يقول فى القصيدة :

فصرت من سوء ما رميت به أكنى أبا الـكلب لا أبا الأسد

وأبو الأسود ، قال الجاحظ : اسمه ظالم بن عمرو بن سفيان . وقال عمر بن شبة : اسمه عمرو بن سفيان بن ظالم . المزهر (٢ : ٢٦٣) . وأبو الأسود الدؤلى البصرى ، أول من أسس النحو ، وأول من نقط المصحف . وكان من سادات التابعين ، وكان شيعيا . انظر بقية نعته فى بغية الوعاة ٢٧٤ . توفى سنة ٦٧ بطاعون الجارف .

(٥) آذنه بالأمر : أعلمه . ورواية ابن قتيبة : « تجعلها منك » .

تَحْلِفُ أَلاّ تَبَرَّنى أبدًا ... فإنّ فيها بَرْدًا على كَبِدِى[1]

إن كان رزقى إليك فارْم به ... فى نَاظِرَىْ حيّةٍ على رَصَدِ[2]

وقال أبو السَّفّاح[3] يرثى أخاه يحيى بن عميرة[4] ويسمِّيه بالشجاع[5] :

يَغْدُو فلا تكذبُ شَدَّاتُهُ ... كما عدا اللَّيْثُ بوادى السِّباعْ

يجمعُ عَزْماً وأَنَاةً معاً ... ثُمّت يَنْبَاعُ انْبِيَاعَ الشجاعْ[6]

وقال المتلمِّس :

فأطْرَقَ إطرَاقَ الشجَاعِ ، ولو يَرَى ... مَسَاغا لنَابَيْهِ الشُّجَاعُ لَصَمَّمَا[7]

وقال مَعْمَر بن لقيط[8] أو ابن ذى القروح[9] :

شموسٌ يظلُّ القوم معتصما به ... وإن كان ذا حزْمٍ من القَوْم عاديَا

---

(١) يقول : ليتك تحلف ألا تبرنى ؛ فقد سئمت برك وما تحملنى من المن .

(٢) فى معجم الأدباء : « فى ماصفاحبه » . وصواب ما فى المعجم : « فى ماضغى حية » .

(٣) كذا فى الأصل ومقطعات مراث ص ١١٦ . وكذا فى الموفقيات للزبير بن بكار طبعة وستنفلد . واسمه بكير بن معدان بن عميرة بن طارق اليربوعى . والشعر منسوب فى المفضليات ١٥٤ إلى السفاح بن بكير الثعلبى . نسبة إلى ثعلبة بن يربوع.

(٤) وقال أبو عبيدة : هى لرجل من بنى قريع ، يرثى بها يحيى بن ميسرة ، صاحب مصعب بن الزبير ، وكان وفى له حتى قتل معه . انظر شرح المفضليات ٦٣٠ ، وكذا خزانة الأدب (٢ : ٥٣٧ بولاق) .

(٥) الشجاع : ضرب من الحيات .

(٦) ينباع : يثب ويسطو .

(٧) روى : « وأطرق » فى حماسة البحترى ١٥ ولباب الآداب ٣٩٣ والميدانى (١ : ٣٩٥) . وروى فى سر الصناعة : « لناباه » . وبه يستشهد النحويون على إلزام المثنى الألف فى أحوال الإعراب الثلاث عند بعض القبائل . انظر الخزانة (٣ : ٣٣٧ بولاق) ، وقد أخذ هذا البيت عمرو بن شأس فقال (انظر معجم المرزبانى ٢١٣) :

فأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ... مساغا لنابيه الشجاع لقد أزم

(٨) كذا . ولعله : « لقيط بن يعمر » .

(٩) المعروف فى الشعراء : « ذو القروح » ، وهو امرؤ القيس .

أبيت كما بات الشجاع إلى الذُّرَى وأغدُو على همِّى وإن بتُّ طَاوِيَا

وإنّى أهُضُّ الضَّيم منِّى بصارمٍ رهيفٍ وشيخٍ ماجدٍ قدْ بَنى ليا (١)

وهكذا صفة الأَفعَى ؛ لأَنها أبدًا نابتةٌ مستوية ، فإِنْ أنكَرَتْ شيئاً فَنَشْطتها كالبَرْقِ الخاطِف .

ووصف آخرُ أفعًى ، فقال :

وقَدْ أرانى بطوىِّ الحسِّ وذاتِ قرْنَيْنِ طَحُونِ الضِّرْس (٢)

نضناضةٍ مثل انثناء المَرْسِ (٣) تدير عَيْناً كشهاب القَبْسِ

٨٨ لمّا التقَيْنَا بمَضِيقٍ شَكْسِ (٤) حتى قَنَصْتُ قرْنَهَا بِخَمْسِ (٥)

وهم يتهاجَوْنَ بأَكل الأَفاعى والحيّات . قال الشاعر :

فإِياكُمُ والرِّيفَ لا تَقربُنَّهُ فإن لديه الموتَ والحتمَ قاضيَا

هُمُ طردوكم عن بلادِ أبيكم وأنتمْ حُلولٌ تشتَوون الأَفاعيَا

وقال عمر بن أبى ربيعة :

ولمّا فقَدْتُ الصَّوتَ منهم وأُطْفِئَتْ مصابيح شُبَّت بالعِشَاء وأنؤُر (٦)

---

(١) أهض الضيم : أدفعه . وأصل الهض : الكسر والدق .

(٢) فى الأصل : « كجون الترس » . وأثبت ماعند الدميرى .

(٣) المرس ، وأصله المرس بالتحريك : الحبل . وقد سكن الراء للشعر . وفى الأصل : « الرس » ولا وجه لها .

(٤) شكس : ضيق . وانظر نهاية مادة (شكس) فى اللسان .

(٥) أى بخمس أصابع . س : « حتى قضت » وفى س : ط : « قبوتها » وصوابهما فى هـ .

(٦) أنؤر ، بالهمزة : جمع نار . قال المبرد فى الكامل ٣٨٣ ليبسك : « وقوله : وأنؤر ، إن شئت همزت ، وإن شئت لم تهمز » . ورويت : « أنور » عند العينى (١ : ٣١٨) .

وغاب قُميرٌ كنت أرجُو مَغِيبَه ... وروَّح رُعيان وهَوَّمَ سُمَّرُ
ونفَّضتُ عنّي اللّيلَ[١] أقبلتُ مِشْيَةَ الـ ... حُبَابِ ، ورُكْنِى خيفَةَ القومِ أزْوَرُ[٢]

(ضرب المثل بسم الأساود)

[و] [٣] ضَرَبَ كلثومُ بن عمرو المثلَ بسمِّ الأساود ، فقال[٤] :

تلوم على تَرْكِ الغنى[٥] بَاهليَّة[٦] ... طوى الدَّهْرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وتالِد
رأت حولها النِّسوانَ يرفُلْنَ فى الكُسا[٧] ... مقلَّدةً أجيادُها بالقلائِد
يسرُّكِ أنِّى نلتُ ما نالَ جعفرٌ ... من الملك ، أو ما نال يحيى بنُ خالد[٨]

---

(١) يروى : « ونفضت عنى العين » ، أى احترست منها وأمنتها . وقد أفرد العين وأراد بها العيون . والرواية هنا جيدة أيضا ، بل هى أطيب وألطف . ورواية العينى : « وخفض عنى الصوت » .

(٢) الحباب ، بالضم : الحية . أزور : مائل ، فهو يتخفى .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى الأغانى (١٢ : ٨) : « وكانت تحته امرأة من باهلة ، فلامته وقالت : هذا منصور النمرى قد أخذ الأموال ، فحلى نساءه ، وبنى داره ، واشترى ضياعا ، وأنت ههنا كما ترى ! فأنشأ يقول . . » . وهو بهذا الشعر « يعرض بالبرامكة ، ويذكر عاقبة صحبة السلطان ، وأنه ما للمتعلق بها من غدر الزمان أمان » . غرر الخصائص الواضحة للوطواط ٤٠٨ . والشعر متداول فى مراجع كثيرة ، منها عيون الأخبار (١ : ٢٣١) والعقد (٢ : ١٣٦) والبيان (٣ : ٣٥٣) ومروج الذهب (٢ : ٤٩٥) وزهر الآداب : (٣ : ٣٩) وحماسة ابن الشجرى ١٤٠ ومحاضرات الراغب (١ : ٩٢ ، ٢١٣) .

(٥) ط ، هـ : « الغناء » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة .

(٦) ط : « لأهله » هـ : « بأهلية » ، صوابه فى س والمراجع المتقدمة . والباهلية : امرأته .

(٧) الكسا : جمع كسوة . يرفلن : يتبخترن .

(٨) يعنى جعفرا البرمكى ، ويحيى بن خالد البرمكى . أما جعفر وهو ابن يحيى بن خالد =

وأنّ أميرَ المؤمنين أعَضَّــنِي مَعَضَّهما بالمرْهَفَاتِ البَوَارد ![1]
ذريني تجئــــني ميتتي مُطْمئنَّةً ولم أتَقَحَّمْ هَوْلَ[2] تلكَ الموارِدِ
فإن كريمــاتِ المعالى مَشُــوبَةٌ بمستَوْدَعاتٍ فى بطونِ الأساوِدِ[3]

(حيات الجبل)

وفى التشنيع لحيَّــات الجبل ، يقول اللَّعِينُ المِنْقَرِىُّ[4] ، لرؤبة ابن العجَّاج[5] :

= البرمكى فقد قتله الرشيد فى قصه مؤسفة ، يرويها المسعودى فى مروج الذهب . وأما والده يحيى فقد حبسه الرشيد هو والفضل بن يحيى ، حتى ماتا فى حبسهما .

(١) أعضه الشيء : جعله يعضه . ومن عض السيف فقد أهلكه . وروى فى البيان والغرر وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والأغانى : « أغصنى مغصهما » . والمرهفات : السيوف المرققات . والبوارد : التى تثبت فى الضريبة ، لا تنثنى . وهم يمدحون السيف بذلك ، قال طرفة :

أخى ثقة لا ينثنى عن ضريبة إذا قيل مهلا قال حاجزه قدى

وفى الأصل : « الفوارد » بالفاء ، وصوابه فى البيان وعيون الأخبار وحماسة ابن الشجرى والمروج والزهر . وفى العقد : « الحدائد » .

(٢) كذا فى ط وسائر المراجع . وانفردت س ، هـ برواية : « حول » ووجهها ضعيف .

(٣) كذا الرواية أيضاً فى البيان وعيون الأخبار . وفى الزهر : « فإن رفيعات المعالى » ، والمروج : « فإن نفيسات الأمور » ، والحماسة : « فإن رفيعات الأمور » ، والعقد : « وجدت لذاذات الحياة » ، والأغانى : « رأيت رفيعات الأمور » ، وديوان المعانى (١ : ١٣) : « وإن جسيمات الأمور منوطة » . وهو مثل من أمثلة تصرف الرواة ، وروايتهم لبعض الشعر بالمعنى دون اللفظ . وانظر مأخذ البيت فى محاضرات الراغب (١ : ٢١٣) .

(٤) روى البحترى فى حماسته ص ٨ البيتين منسوبين إلى المكعبر الضبى . واللعين المنقرى سبقت ترجمته فى (١ : ٢٥٦) .

(٥) أنشد الثانى من البيتين برواية : « خلت الثوم والخوز » فى سيبويه ١ : ٦١ والعينى ٢ : ٤٠٤ منسوبا إلى اللعين .

إنى أنا ابن جلا إن كنت تعرفنى يا رُؤبُ ، والحيَّةَ الصَّماء فى الجَبَلِ [١]
أبا الأراجيزِ يا ابنَ اللؤمِ توعدنى وفى الأراجيز جَلْبُ اللؤمِ والكَسَلِ [٢]

(خبران فى الحيات)

الأصمعىُّ ، قال : حدَّثنى ابن أبى طرفة [٣] ، قال : مرَّ قومٌ حُجَّاجٌ من أهل اليمن مع المسَاء ، برجلٍ من هُذيل ، يقال له أبو خِراش ، فسألوه القِرَى ، فقال لهم : هذه قدرٌ ، وهذه مِسْقَاةٌ ، وبذلك الشِّعب ماء ! فقالوا : ما وفَّيتنا حقّ قِرانا ! فأخذ القِرْبَة فتقلّدَها يسقيهم ، فنهشته حَيَّة .

قال أبو إسحاق : بلغنى وأنا حدث ، أن النبى صلى الله عليه وسلم « نَهَى عن اخْتِنِاث فمِ القِرْبة ، والشربِ [٤] منه » . قال : فكنت أقولُ : إنّ لهذا الحديث لشأناً ، وما فى الشرب من فم قِرْبَةٍ حتّى يجىء فيها هذا النهى ؟ ! حتّى قيل : إنّ رجلاً شربَ من فمِ قِربةٍ ، فوكعته [٥] حيَّةٌ فمات ، وإنَّ الحيَّاتِ تدخُل فى أفواه القِرَب . فَعَلِمْتُ [٦] أنّ كلّ شىء لا أعرفُ 89
تأويله من الحديث ، أنّ له مذهباً وإن جَهِلْتُه [٧] .

---

(١) يقولون للرجل الظاهر لا يخفى مكانه : ابن جلا . وروى البحترى : « إن كنت تنكرنى » . قوله : « والحية الصماء » أى وأنا الحية الصماء .

(٢) كذا . والمراد : يا أبا الأراجيز . ورواية البحترى : « أبا لأراجيز » . فى س ، ط : « يوعدنى » صوابه فى هـ وحماسة البحترى . وروى : « خلت اللؤم والفشل » برفع اللؤم والفشل ، على الإقواء . وعند البحترى : « إن الأراجيز رأس النوك والفشل » .

(٣) الخبر فى الأغانى (٢١ : ٤٧ — ٤٨) والإصابة ٢٣٤١ .

(٤) اختنث فم القربة والسقاء : ثناه إلى خارج فشرب منه . وفى الأصل : « اجتثاث » بدل : « اختناث » وهو تحريف ، صوابه فى نهاية ابن الأثير واللسان (مادة خنث) من كل منهما . وانظر الجامع الصغير ٩٤١١ .

(٥) وكعته الحية : لدغته .

(٦) فى الأصل : « علمت » ووجهه ما أثبت .

(٧) وعلله أصحاب الحديث أيضاً ، بأن دوام الشرب هكذا مما يغير ريحه ، وبأنه يجعل الماء يترشش على الشارب لسعة فم السقاء . انظر النهاية واللسان (خنث) .

(شعر في سلخ الحية)

وقال الشاعرُ في سَلْخِ الحيَّة :

حتَّى إذَا تَـابَعَ بَيْنَ سَلْخَيْنْ ... وعادَ كالميسَمِ أحماهُ الْقَـيْنْ[١]

أقبَلَ وهــو واثقٌ بِثنْتَيْنْ : ... بِسَمِّهِ الرَّأسَ وَنَهْشِ الرِّجْلَيْنْ[٢]

قال : كأَنَّهُ ذهب إلى أَنّ سَمَّــه لا يكونَ قَاتِلاً مُجْهِزاً حتَّى تأتىَ عليه سنتان .

(قول في سلخ الحية)

وزعم بعضهم أنّ السّلخَ للحيّةِ مثلُ البزُولِ والقروح للخف والحافر .

قال : وليس ينسلخ إلاّ بعد سِنين كثيرةٍ ، ولم يقِفُوا من السِّنين على حَدٍّ .

وزعم بعضهم أنّ الحيةَ تَسْلخ فى كلِّ عامٍ مرَّتين — والسلخ فى الحيات كالتَّحسير من الطيرِ — وأنّ الطير لا تجتمع قوتّهٌ إلاّ بعــد التحسيرِ وتمـام نباتِ الرِّيش . وكذلك الحيَّة ، تضعُف فى أيامِ السَّلخ ثمَّ تشتدُّ بعد .

(تأويل رؤيا الحيات)

قال الأصمعىّ : أخبرنى أبو رفاعة[٣] ، شيخٌ من أهل البادية ، قال : رأيتُ فى المنام كأنى أتخطّى حيّات . فمطَرت السماء ، فجعلت أتخطى سُيولاً .

---

(١) الميسم بالكسر : أداة الوسم . والقين : الحداد .

(٢) فى الأصل : « بسمة الرأس » ، والسمة بمعنى العلامة ، وهى لا تلائم نظام الكلام .

(٣) س ، هـ : « أبو رقاعة » بالقاف .

وحكى الأصمعيُّ أنَّ رجلاً رأى فى المنام فى بيوته حَيَّاتٍ ، فسأل عن ذلك ابن سِيرِينَ أو غيره ، فقال : هذا رجلٌ يدخل منزلَه أعداءُ المسلمين . وكانت الخوارجُ تجتمعُ فى بيته .

(شعر للعرجى والشماخ فى الحيات)

قال العرْجِيُّ ، فى دبيب السمِّ فى المنهوش :

وأُشْرِبَ جِلْدِى حُبَّهَا وَمَشَى بِهِ كَمشى حُمَيَّا الكأسِ فى جِلد شاربِ
يَدِبُّ هَوَاهَا فى عظامى وحبُّها ، كما دَبَّ فى الملسوع سمُّ العَقَاربِ

وقال العرجيُّ فى العرماء[1] من الأفاعى ، وكونها فى صُدوعِ الصَّخْر ، فقال :

تَأَتَّى بليلٍ ذُو سَعاة[2] فسَلَّها بها حافظ هاد ولم أرق سلما[3]
كمثل شِهاب النَّار فى كفِّ قابسٍ إذا الرِّيحُ هبت من مكانٍ تَضَرَّمَا
أَبرَّ على الحُوَّاءِ[4] حتى تَنَاذَرُوا حِمَاهُ[5] محاماة من الناس ، فاحتمى[6]

---

(١) العرماء ، بالفتح : الحية الرقشاء . وفى الأصل : « العرما » . وكلمة « فى » قبلها ساقطة من س ، هـ .
(٢) السعاة ، بالفتح : التصرف . ط : « سعاده » س : « سعاه » بدون إعجام . وصوابهما فى هـ .
(٣) كذا جاء هذا الشطر ، وفيه تحريف .
(٤) أبر عليهم : غلبهم واستعصى عليهم . والحواء ، بضم الحاء : جمع حاو . وهذا الجمع ليس قياسياً ولا مما ذكرته المعاجم . وسمع نظيره : غاز وغزاء ، وسار وسراء . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧٧) . والعرجى ممن يحتج بكلامه ، فانه توفى نحو سنة ١٢٠ . وهو عبد الله بن عمر بن عمرو بن عثمان بن عفان ، وكان شاعراً غزلا ينحو نحو ابن أبى ربيعة ، وكان من الفرسان الظرفاء . ولقب بالعرجى لسكناه قرية العرج فى الطائف . وفى س ، هـ : « الجواد » ط : « الأجواد » . وهما تحريف ما أثبت .
(٥) تناذروا حماه : أنذر بعضهم بعضاً ألا يتعرضوا له . وقد سبق مثل هذا فى بيت للنابغة ص ٢٤٨ س ٩ . وفى الأصل : « تبادروا » ، وهو تحريف .
(٦) فى الأصل : « فاحتما » .

يظلّ مُشيحاً سامعاً ، ثمّ إنها إذا بُعِثت لَمْ تَألُ إلاّ تَقَدُّما[1]

قال : ويقال : تطوّت[2] الحيَّة . وأنشد العرجيُّ :

ذكرَتْنى إذْ حَيَّةٌ قد تطوّتْ برقا عند عرسه فى الثياب[3]

وقال الشّماخ ، أو البَعيث[4] :

وأطرَقَ إطراقَ الشجاعِ وقَدْجَرَى على حدِّ نابَيْهِ الذُّعافُ المسمَّمُ[5]

(ما ينبح من الحيوان)

٩٠ والأجناس التى تُذْكَرُ بالنُّبَاح : الكلب ، والحيَّةُ ، والظَّبْىُ إذا أسنَّ ، والهُدهُد . وقد كتبنا ذلك مرة ثمَّ[6] .

قال أبو النَّجم :

والأسد قد تَسْمَعُ مِنْ زئيرها وباتت[7] الأفعى على مَحْفُورِها

تأسِيرُها يحتَكُّ فى تأسيرها[8] مرّ الرَّحَى تجرى على شَعيرها

---

(١) المشيح : الحذر . وقد ذكرها مرة وأنثها أخرى . والحية مما يذكر ويؤنث .

(٢) س : « انطوت » . والأوفق ما أثبت من ط ، هـ .

(٣) كذا جاء هذا الشطر فى ط ، هـ . وفى س : « عند عريسه » ، وكلا النصين محرف . وانظر ديوان العرجى ١١٥ .

(٤) ليس البيت فى ديوان الشماخ .

(٥) فى الأصل : « ولو جرى » . وانظر مثيل هذا البيت فى ص ٢٦٣ .

(٦) انظر لنباح الظبى ما سبق فى (١ : ٣٤٩) ولنباح الهدهد ما سبق فى (١ : ٣٥٠) . وأما نباح الحية فلم يسبق له ذكر ، وانظر له الاستدراكات .

(٧) هـ : « وبانت » بالنون . وانظر بعض أشطار من الأرجوزة فى اللسان (عفر) .

(٨) التأسير : واحد التآسير ، وهى فى أصل معناه السيور يؤسر بها السرج ، وجعله هنا لجلدها . و « يحتك » هى فى الأصل « يحنك » بالنون . وصوابه ما أثبت .

كرَعْدَة الجِرَاء أو هديرِها(١) تضرُّمَ القَصْباء فى تَنُّورها(٢)
توقِّر النَّفس على توقيرها تعلّم الأشيــاء فى تنقيرها
* فى عاجل النفْسِ وفى تأخيرها *

(قول فى آية)

وسنذكر مسألةً وجوابها . وذلك أنَّ ناسا زعموا أنّ جميع الحيوان على أربعة أقسام : شىء يطير ، وشىءٍ يمشى ، وشىءٍ يعوم ، وشىءٍ ينساح .

وقد قال الله عزَّ وجلّ : ﴿ وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ، يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ ﴾ .

وقد وَضَعَ الكلامَ على قسمة أجناس الحيوان ، وعلى تصنيف ضروب الخلْق ، ثمَّ قَصَّرَ عن الشىء الذى وضَعَ عليه كلامَهُ(٣) ، فلم يذكر ما يطير وما يعومُ . ثمَّ جعل ما ينساحُ ، مثلُ الحيَّاتِ والدَيدان ، ممَّا يمشى ، والمشى لا يكون إلاّ برجل ، كما أنَّ العضّ لا يكون إلَّا بفمٍ ، والرَّمْح لا يكون إلَّا بحافر . وذكر ما يمشى على أربعٍ ، وهاهنا دوابٌّ كثيرةٌ تمشى

(١) الجراء : جمع جرو ، أراد به ولد الكلب . ورعدتها : صوتها ، وكذلك هديرها . وفى الأصل : « الجزاء »، ولا وجه له .

(٢) القصباء : جماعة القصب ، ويسمى أيضاً الأباء بالفتح . وبه يضرب المثل فى شدة الصوت عند التضرم . ومنه قول ابن أبى الحقيق :

من سره ضرب يرعبل بعضه بعضاً كمعمعة الأباء المحرق

وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط : « القضاء » و : ه : « الغضا » و س : « القضباء » . وفى س : أيضاً « تنور » مكان « تضرم » .

(٣) هذا حكاية من الجاحظ لقول المعترضين على الآية الكريمة ، وسيرد عليهم فى السطر الثالث من الصفحة الآتية .

على ثمانِ قوائمَ ، وعلى ستٍّ ، وعلى أكثرَ من ثمـانٍ . ومَن تفقَّدَ قوائمَ السَّرطانِ وبناتِ وَرْدَانَ ، وأصنافَ العناكب — عرَفَ ذلك .

قلنا : قد أخطأتم فى جميع هذا التَّأويل وحَدِّه . فمـا الدَّليلُ على أنَّهُ وضع كلامَهُ فى استقصاءِ أصناف القوائم ؟ وبأىِّ حُجةٍ جزَمْتم على ذلك ؟ وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ ﴾ وتَرَكَ ذِكْرَ الشَّيَاطِينِ والنَّارُ لَهمْ آكِلُ ، وعذابُهم بها أشدُّ . فتَرَكَ ذِكرَهم من غير نسيانٍ ، وعلى أنَّ ذلك معلومٌ عند المخاطب . وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً[1] ﴾ ، أخرج من هذا العموم عيسى بنَ مريم ، وقد قَصَدَ فى مخرَجِ هذا الكلام [إلى[2]] جميعِ ولدِ آدمَ . وقال : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا ﴾ أدخَلَ فيها آدمَ وحوَّاء . ثم قال على صلة الكلام : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ﴾ ، أخرج منها آدمَ وحوَّاءَ وعيسى بنَ مريم . وحَسُنَ ذلك إذ كان الكلام لم يُوضَع على جميع ما تعرفه
٩١ النُّفوسُ من جهةِ استقصاءِ اللَّفظ . فقوله : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ[3] ﴾ كان على هذا المثال الذى ذكرنا . وعلى أنَّ كلَّ شيءٍ يمشى على أربع فهو مما يمشى على رجلين ، والذى يمشى على ثمان هو ممـا يمشى على أربعٍ ، وعلى رجلين .

(١) من الآية الحادية عشرة فى سورة فاطر .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) بين هذه الآية والكلام بعدها ، جملة : « فهو مما يمشى على أربع » فى ط ، س . وهى عبارة مقحمة ليس لها وجود فى هـ .

وإذا قلت : لى على فلان عشرة آلاف درهم ، فقد خبَّرت أنّ لك عليه ما بين درهمٍ [1] إلى عشرة آلاف .

وأمّا قولكم : إنَّ المشى لا يكون إلّا بالأرجل ، فينبغى أيضاً أنْ تقولوا ﴿ فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ : إنّ ذلك خطأ ، لأنَّ السَّعى لا يكون إلاّ بالأرجل .

وفى هذا الذى جهلتموه ضروبٌ من الجواب : أمّا وجهٌ منه فهو قولُ القائل وقول الشّاعِر : « ما هُوَ إلّا كأنّهُ حيّة » ، و : « كأنّ مِشيته مِشيةُ حيَّة » يَصِفُونَ ذلك ، ويذكرون عِنْدَهُ مِشيةَ الأيم والحُباب ، وذكورِ الحيَّات . ومَن جَعَلَ للحيّاتِ مَشياً من الشعراء ، أكثرُ من أن نقف [2] عليهم . ولو كانوا لا يسمُّون انسيابَها وانسياحَها مشياً وسَعْياً ، لكان ذلك مما يجوزُ على التشبيه والبدل ، وأنْ قَام الشىءُ مقام الشىءِ أو مقام صاحبه ؛ فمن عادة العرب أن تشبِّه به فى حالاتٍ كثيرة . وقال الله تعالى : ﴿ هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ والعذاب لا يكون نُزُلاً ، ولكنّهُ أجرَاه مُجْرَى كلامهم ، كقول حاتمٍ حينَ أمرُوهُ بِفَصْدِ بعيرٍ ، وَطَعَنه فى سَنامه ، وقال : « هذا فَصْدُهُ [3] ! »

---

(١) كلمة « عليه » ساقطة من ﻫ . وفى ﻫ أيضا : « مائتين » بدل « ما بين » وهو تحريف .

(٢) ﻫ : « تقف » بالخطاب .

(٣) أى هذا فصد البعير ، والفصد : شق العرق لاستخراج دمه . وكان أهل الجاهلية فى شدة الأزمان يفصدون الإبل ويسخنون دم الفصد حتى يجمد ويقوى فيطعمونه ويطعمونه الضيفان ، أو يجعلون ذلك الدم فى معى من الأمعاء ويشوونه ويأكلونه . ويروى المثل عند الميدانى (٢ : ٣١٧) : « هكذا فصدى » وقال : « قيل إن أول من تكلم به كعب بن مامة . وذلك أنه كان أسيراً فى عنزة فأمرته أم منزله أن يفصد لها ناقة ، فنحرها ، فلامته على نحره إياها فقال : هكذا فصدى ! يريد أنه لا يصنع إلا ما تصنع الكرام » . عنزة : قبيلة . وأم المنزل : ربته .

وقال الآخر :

فقلتُ ياعمرُو أطْعِمَنِّي تَمْرَا[1] فكان تَمْـرِى كَهْرَةً وزَبْرَا[2]

وذمَّ بعضهم[3] الفأرَ وذكرَ سوءَ أثرِها في بيته ، فقال :

ياعَجّلَ الرَّحمنُ بالعقابِ لعامرات البيتِ بالخرابِ

يقول : هذا هو عمارتها . كما يقول الرَّجُل ، « ماترَى منْ خيْرك ورفْدِك إلاَّ مايبلغُنا مِنْ حَطبك[4] علينا ، وفتِّك في أعضادِنا[5] ! »

وقال النَّابغة في شبيهٍ بهذا ، وليس به :

ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفهم بِهِنَّ فلولٌ من قِراع الكتائب

ووجهٌ آخر : أنَّ الأعرابَ تزعُمُ — وكذلك قال ناسٌ من الحوَّائين والرَّقائين — إنَّ للحيَّة حزوزا[6] في بطنه ، فإذا مَشى قامت حُزُوزه[7] ،

---

(١) روى في البيان (١ : ١٥٣) : « فقلت أطعمني عمير » ، والحيوان (٥ : ٣٣) : « قالت ألا فاطعم عميرا » . وروى في المخصص (٢ : ١٣٤) : « فقلت أطعمني عميم تمراً » ، وهي رواية الأضداد ١٥٢ ، وفيها : « قال أبو بكر : عميم : تصغير عم » . أي ياعمى .

(٢) الكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع .

(٣) هو أعرابي دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر . انظر الحيوان (٥ : ٢٥٨) وديوان المعاني (٢ : ١٥١) حيث تجد أيضاً بقية هذه الأرجوزة .

(٤) في القاموس : « حطب في حبلهم يحطب : نصرهم » . وفي اللسان : « وحطب فلان بفلان : سعى به » ؛ فالمراد هنا : من حطبك علينا بالشر ، وتأليب الناس علينا . وفي الأصل وكذا فيبعض نسخ البيان (١ : ١٥٣) : « خطبك » بالخاء . ولا تتجه إلا بتكلف . وما يبلغنا : أي مايصل إلينا .

(٥) فت في عضده : رام إضراره بتخونه أهل بيته . وعضد الرجل : أهل بيته . ط : « وفتك » صوابه في س ، ه والبيان . وفي ط ، ه : « أعضائنا » صوابه في س والبيان .

(٦) ط ، س : « خزوزا » صوابه في ه .

(٧) ط ، س : « خروزه » صوابه في ه .

وإذا تَرَكَ المَشْىَ تراجعتْ إلى مكانها ، وعادتْ تلك المواضعُ مُلْساً . ولم تُوجَدْ بِعينٍ ولا لَمْسٍ ، ولا يبْلغها إلَّا كلُّ حَوَّاءٍ دقيقِ الحِسِّ .

وليس ذلك بأعجَبَ من شِقْشِقَةِ الجملِ العربىِّ ؛ فإنَّه يظهرُها كالدَّلْو ، فإذا هو أعادها إلى لَهاَتِه تراجع ذلك الجلدُ إلى موضعه ، فلا يقدرُ أحدٌ ٩٢
عليه بلمْسٍ ولا عَين . وكذلك عروق الكُلَى[1] إلى المثانة التى يجْرى فيها الحَصَى المتولِّد فى الكُلية إذا قذَفتْهُ[2] تلك العروقُ[3] إلى المثانة ، فإذا بال الإنسانُ انضمَّتِ العروقُ واتَّصلت بأماكنها ، والتحمتْ حتى كان موضِعها كسائرِ ما جاوز تلك الأماكن .

ووجهٌ آخر : وهو أنَّ هذا الكلام عربىٌّ فصيح ؛ إذ كانَ الذى جاء به عربيًّا فصيحاً ، ولو لم يكنْ قرآناً من عند الله تبارك وتعالى ، ثمَّ كان كلامَ الذى جاء به ، وكان ممّن يجهل اللَّحنَ ولا يعرفُ مواضعَ الأسماء فى لغته ، لكان هذا – خاصَّةً – ممَّا لا يجهلُه .

فلو أنَّنا لم نجعل لمحمَّدٍ صلى الله عليه وسلم ، فضيلةً فى نُبُوَّةٍ ، ولا مزيَّةً فى البيان والفصاحة ، لكنَّا لا نجد بُدًّا من أن نعلم أنَّهُ كواحدٍ من الفصحاء . فهل يجوز عندكم أن يخطئ أحدٌ منهم فى مثلِ هذا فى حديثٍ ، أو وصفٍ ، أو خُطبةٍ أو رسالة ، فيزعُمَ[4] أن كذا وكذا يمشى أو يسعى أو يطير ، وذلك الذى قال[5] ليس من لُغته ولا من لغة أهله ؟ ! فمعلومٌ عندَ هذا الجواب ، وعند ماقبله ، أنَّ تأويلَكُمْ هذا خطأ .

---

(١) ط : « الكلإ » . س ، هـ : « الكلا » ، صوابه ما أثبت . وهو جمع كلية ، بالضم .

(٢) ط ، هـ : « تجرى » . والحصى ، كتبت فى ط ، س بالألف . وفى هـ : « الحصا » صوابهما ماأثبت . وفى الأصل : « قذفتها » بدل : « قذفته » .

(٣) فى الأصل : « فى تلك العروق » . والوجه حذف « فى » كما أثبت .

(٤) فى الأصل : « فزعم » .

(٥) أى الذى قاله من الكلام المتقدم .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴾ وأصحابُ الجنّة لايوصفون بالشُّغل ، وإنما ذلك جوابٌ لقول القائل : خبِّرنى عن أهل الجنَّة ، بأىِّ شىءٍ يتشاغلون ؟ أم لهم فراغٌ أبداً ؟ فيقول المجيب : لا ، ماشُغُلهم إلَّا فى افتضاضِ الأبكار ، وأكْلِ فواكه الجنَّة ، وزيارةِ الإخوانِ على نجائب الياقوت !

وهذا على مثالِ جَوابِ عامر بنِ عبد قيس ، حين قيل له وقد أقبل مِنْ جهة الحلبة[1] ، وهو بالشام : مَنْ سَبَقَ ؟ قال : رسول الله صلى الله عليه وسلَّم ! قيل : فَمَنْ صَلَّى ؟ قال : أبو بكر ! قال : إنَّما أسألُك عن الخَيل ! قال : وأنا أجيبك عن الخير !

وهو كقول المفسِّر حين سُئل عن قوله : ﴿ لَهمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ فقال : ليس فيها بُكرةٌ وعشىٌّ . وقد صدَقَ القرآنُ ، وصَدَقَ المفسِّر ، ولم يتَناكرا ، ولم يتنافيا ؛ لأنَّ القرآنَ ذهبَ إلى المقادير ، والمفسِّرَ ذهبَ إلى الموجودِ ، مِن دوَران ذلك مع غروب الشَّمس وطلوعها .

وعلى ذلك المعنى رُوِى عن عمر أنَّهُ قال : « مُتْعتان كانتا على عهدِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنا أنْهَى عنهما وأضربُ عليهما[2] » .

(١) الحلبة ، بالفتح : الدفعة من الخيل فى الرهان . وقد روى الجاحظ هذا الحديث فى البيان (٣ : ١٦٠) برواية أخرى مع نسبته إلى عامر . كما رواه فى البيان (٢ : ٢٨٢) منسوبا إلى بلال برواية أخرى .

(٢) المتعتان : هما متعة النساء ومتعة الحج ، كما جاء هذا الخبر مفصلا فى كتاب العباسية من رسائل الجاحظ ٣٠٢ الرحمانية .

أما متعة النساء ، فهى مايسميه رجال الفقه : نكاح المتعة ، وهو الزواج بأجل مسمى فى العقد ، كيوم ، أو شهر ، أو سنة ، أو سنوات . وكان ذلك مباحا فى أول الإسلام ، وفيه نزل قوله تعالى : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن أجورهن فريضة » ، ثم نسخ ذلك بنهى الرسول .

=

قد كان المسلمون يتكلمون فى الصَّلاة ويطَبِّقُون(١) إذا ركعوا ، فنَهَى عن ذلك إمامٌ من الأئمَّـةِ ، وَضَرَبَ عليه ، بعد أن أظهَرَ النَّسخ ، وعرَّفهم أن ذلك من المنسوخ ، فكأَنَّ قائلاً قال : أتنهانا عن شيءٍ ، وقد كان على
عهد النبيِّ صلى الله عليه وسلم ؟ فيقول : نعم . وقد قدَّم الاحتجاجَ ٩٣
فى النَّاسخ والمنسوخ(٢) .

ومن العجَب أنَّ ناساً جعلوا هذا القولَ على المِنبرِ من عيوبه . فإن لم يكن المعنى فيه على ما وصفنا ، فما فى الأرضِ أجهلُ من عُمَرَ حِين يُظهِرُ الكُفْرَ فى الإسلام على مِنبر الجماعةِ ، وهو إنمَا علاه بالإسلام . ثمَّ فى شيءٍ ليس له حُجَّةٌ فيه ولا عِلة . وأعجَبُ منه تلك الأمّة ، وتلك الجماعة [التى(٣)] لم تنْكِرْ تلك الكلمةَ فى حياته ، ولا بَعْدَ موته ؛ ثمّ تَرَكَ ذلك جميعُ التَّابعين وأتباعِ التَّابِعينَ، حتَّى أفضَى الأمرُ إلى أهْلِ دهرنَا هذا .

وتلك الجماعة هم الذين قتلوا عُثمان على أن سيَّرَ رجلاً(٤) .

= وأما متعة الحج فهو ما يعرف بالتمتع ، وعنى عمر تحريمها على سكان مكة ؛ إذ قال فى حديث آخر : « ليس لأهل مكة تمتع ولا قران » . وأراد الجاحظ أن قول عمر : «كانتا على عهد رسول الله » ليس على ظاهره ، بل المراد أنهما كانتا على عهد رسول الله وحرمتا أيضاً فى عهد رسول الله . وكذلك قوله « أنا أنهى عنهما » ، فالمراد « أنا أنهى عنهما كما نهى الرسول » .

(١) فى الأصل : « يضبعون » ، وهو تحريف صوابه ما فى البيان (٢ : ٢٨٢) . والتطبيق : أن يجمع بين أصابع يديه ويجعلهما بين ركبتيه فى الركوع والتشهد ، وقد كان ذلك من فعل المسلمين فى أول ما أمروا بالصلاة ، ثم أمروا بإلقام الكفين رأس الركبتين . وانظر لسان العرب (طبق) .

(٢) انظر لتوضيح هذه الفقرة ما جاء فى البيان (٢ : ٢٨٢) .

(٣) الزيادة من س ، هـ .

(٤) هذا الرجل الصحابى الجليل ، أبو ذر الغفارى . وكانت له ثورة مشهورة على الأغنياء ، غضب عليه من أجلها عثمان ، وسيره إلى الربذة ، وهى من قرى =

وهذا لا يقوله إلاّ جاهلٌ أو معاند .

وعلى تأويل قوله : ﴿هٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قال : ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ، وقال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هٰذَا ، قَالُوا بَلَى وَلٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾، فجعل للنّار خزائن ، وجعل لها خزنة ، كما جعل فى الجنَّة خزائن وجعل لها خزَنة .

ولو أنَّ جهنَّمَ فُتِحَتْ أبوابُهَا ، ونُحِّى [١] عنها الخزَنة ، ثمّ قيل لكلِّ لصٍّ فى الأرض ، ولكلِّ خائن فى الأرض : دونَكَ ؛ فقد أُبيحَتْ لك ! لَمَا دنا منها ، وقد جُعِل لها خزائنُ وخَزَنة . وإنَّمَا هذا على مثالِ ما ذكرنا . وهذا كثيرٌ فى كلامِ العَرَب .

والآىُ التى ذكرنا فى صِدْقِ هذا الجواب ، كلها حُجَجٌ على الخوارج فى إنكارهم المنْزِلة بين المنزلتين [٢] .

= المدينة على ثلاثة أميال ، قريبة من ذات عرق ، فأقام بها إلى أن مات سنة ٣٢ . واسم أبى ذر جندب بن جنادة . وانظر تفصيل الخلاف بينه وبين عثمان فى مروج الذهب (ذكر خلافة عثمان) ، حيث تجد أسبابا أخر لمصرعه ، رضى الله عنهما .

(١) ط ، س : « نحيى » ، صوابه فى هـ . ونحى : أبعد .

(٢) القول بالمنزلة بين المنزلتين ، أصل من أصول المعتزلة . إذ يقولون إن الفاسق ليس بمؤمن ولا بكافر ، بل هو فى منزلة بين الإيمان والكفر . ويقولون : ليس فى الآخرة إلا الفريقان : فريق فى الجنة وفريق فى السعير ، فرتكب الكبيرة إذا لم يتب فهو خالد فى النار ، لكنه يخفف عنه العذاب ، وتكون دركته فوق دركة الكفار . ومن أجل ذلك سماهم المسلمون المعتزلة ؛ لاعتزالهم قول الأمة بأسرها . وجمهور الخوارج على أن الفاسق كافر ، لا كما يقول المعتزلة بأنه فى منزلة بين المنزلتين .

(شعر لخلف الأحمر فى الحيات)

وقال خلفٌ الأحمرُ فى ذِكْرِ الحيّات :

يَرَوْنَ الموتَ دونى إن رأَوْنى وصِــلَّ صَفاً لِنَابَيْهِ ذُبَابُ[1]

مِنَ الْمتَحَرِّماتِ[2] بكَهفِ طَودٍ حَــرَامٍ ما يُرَامُ له جَنَابُ[3]

أبى الحاوُونَ أن يطئوا حِمَاهُ ولا تَسْرِى بعَقوته الذِّئابُ[4]

كأَنَّ دمًا أُمِــيرَ على قَرَاهُ وَقَطْــرَاناً أُمِــيرَ به كُبَــابُ[5]

إذا ما استجرس[6] الأصواتَ أبدى لساناً دونه الموتُ الضبــاب[7]

(١) ذباب الناب : طرفه الحاد .

(٢) المتحرمات ، من قولهم : تحرم فلان بفلان : إذا دخل فى ذمته وحمايته . يقول : هو من تلك الحيات التى تحرمت بذاك الكهف المنيع ، فلا يستطيع أن يحاولها أحد . فى الأصل : « المتجربات » . ولا وجه له .

(٣) طود حرام : جبل لا يستطاع القرب منه ، كأنه محرم . وفى الأصل : « عرام » . يرام : يطلب .

(٤) ط : « الحاورن » ، صوابه فى س ، هـ . والعقوة ، بالفتح : الساحة ، وما حول الدار .

(٥) أمار الدم : أجراه وأساله . وفى الأصل « أمر » فى الموضعين ، بمعنى جعل يمر ، وما كتبت أشبه . وجاء فى الحديث : « أمر الدم بما شئت » . والمائرات : الدماء . قال رشيد بن رميض :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

والقرا ، بالفتح : الظهر . والكباب ، بالضم : التراب .

(٦) استجرس ، بمعنى طلب الجرس ، وهو بالفتح بمعنى الصوت . وفى الأصل : « استجرش » ولم أجد له وجها ، ومما يعزز هذا التصحيح ما جاء فى ص ١٠٢ من قول عنترة :

رقود ضحيات كأن لسانه إذا سمع الإجراس مكحال أرمدا

(٧) كذا ولعله : « الصهاب » بالصاد المضمومة . وفى اللسان : « والموت الصهابى : الشديد ، كالموت الأحمر ، قال الجعدى :

فجئنا إلى الموت الصهابى بعدما تجرد عريان من الشر أحدب » .

إذا ما الليلُ ألبَسَهُ دُجَاهُ سَرَى أصمى تَصِيحُ له الشِّعاب[١]

فقلت لحيّان[٢] بن عتبى[٣] : [لِمَ[٤]] قال موسى بنُ جابر الحنفىّ[٥] :

طَرَدَ الأرْوَى فما تقرَبُهُ وَنَفَى الحيَّاتِ عَنْ بَيْض الحجل[٦]

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكلُ الحيَّات . [قلت[٧]] : فلم قال خلفٌ الأحمر :

* ولا تسرى بعَقوته الذئاب * ؟

قال : لأنَّ الذِّئاب تأكل الحيّات . فَظننت أنَّه حَدَسَ[٨] ولم يقل بعلم .

---

(١) الأصمى : الشديد الوثاب . ط : « أسمى » صوابه فى س ﻫ . و « تصيح » هى فى س : « تضج » . ولو كانت « تصيخ » لزادت حسنا .

(٢) ط : « لحيات » صوابة فى س ، ﻫ .

(٣) كذا جاء هذا الاسم . ولم أعثر له على تحقيق . وجاء فى عيون الأخبار (٢ : ٤٣) من اسمه : (حيان بن غضبان) وهو الذى ورث نصف دار أبيه ، فقال : أريد أن أبيع حصتى من الدار وأشترى النصف الباقى فتصير كلها لى ! فلعله هذا .

(٤) زيادة يقتضيها السياق . وليست بالأصل .

(٥) هو أحد شعراء بنى حنيفة ، يقال له ابن الفريعة ، وهى أمه ، كما أن حسان ابن ثابت يقال له ابن الفريعة . المؤتلف ١٦٥ . وقال المرزبانى فى معجمه ٣٧٦ إنه نصرانى جاهلى ، يلقب أزيرق اليمامة . والحق أنه إسلامى ، وأنه قال شعراً فى الإسلام . انظر الأغانى (١٠ : ١٠٧) ، كما أن شعره فى الحماسة (١ : ١٣٦ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠) يشعر بما تقدم . وفى شرح الحماسة للتبريزى (١ : ١٨٩) : « قال أبو العلاء : موسى منقول من العبرية . ولم أعلم أن فى العرب من سمى موسى زمان الجاهلية . وإنما حدث هذا فى الإسلام ، لما نزل القرآن وسمى المسلمون أبناءهم بأسماء الأنبياء ، على سبيل التبرك » .

(٦) ط : « ونفا » ، صوابه فى س ، ﻫ .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام فى حاجة إليها .

(٨) الحدس : الحزر والتخمين .

(مناقضة شعرية للزيادى ويحي بن أبى حفصة)

وقال الزِّيادىُّ فى يحيى بن أبى حفصة (١) :

إنى ويحيى وما يبغى كملتَمِسٍ   صَيْداً وما نال منه الرِّىَّ والشِّبَعَا ٩٤
أَهْوَى إلى باب جُحْرٍ فى مقدَّمهِ   مِثْلُ العَسِيبِ تَرَى فى رأسه قَزَعَا (٢)
اللَّوْنُ أَرْبَدُ والأنيابُ شابِكَةٌ   عُصْلٌ تَرَى السُّمَّ يجرى بينها قِطَعَا (٣)
يَهْوِى إلى الصَّوتِ والظلماءُ عاكفةٌ   تَقَوُّرَ السَّيْلِ لاقى الحَيْدَ فاطَّلَعَا (٤)
لو نالَ كفَّكَ آبَتْ منه مخضبة   بَيْضاءَ قد جللت أنيابها قزعا (٥)
بِيعَتْ بوَكْسٍ قليلٍ فاستقلّ بها   من الهُزَالِ أبوها بعد ما ركعا

فردَّ عليه يحيى فقال :

كم حيّةٍ ترهَبُ الحيَّاتُ صَوْلتَهُ   يَحْمِى لِرَيْدَيْهِ (٦) قد غادرتُه قِطَعا

(١) هو جد مروان بن أبى حفصة الشاعر المشهور ، وقال أبو الفرج فيه (٩ : ٣٧) : « وليحيى أشعار كثيرة » .

(٢) العسيب : أصل الذنب ، أو الجريدة المستقيمة الدقيقة من النخل يكشط خوصها . والقزع ، بالتحريك : خفة شعر الرأس .

(٣) شابكة : مشتبكة . ط ، س : « شائلة » هـ : « سايلة » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سيأتى فى (٥ : ٣٣٤) . والعصل : الملتويات . وفى الأصل : « عصلا » صوابه مما سبق ص ١٨٣ .

(٤) الحيد ، بالفتح : ما شخص من الجبل ومن كل شىء . والتقور : التثنى . وفى الأصل : « تعود » . وانظر ما سبق فى ١٨٣ . يقول : هذا الحية يتلوى فى مشيه كما يتلوى ماء السيل إذا لاقى حيدا فأشرف منه على أرض منخفضة ، فهو أسرع لجريه وتلويه .

(٥) كذا ورد هذا البيت . وفى ط : « قذعا » بالذال المعجمة .

(٦) أى تدركه الحمية والأنفة إذا اعتلى على ريديه . والريد ، بالفتح : الحرف الناتئ من الجبل . س : « لذيذيه » .

يلقَيْنَ حيَّةَ قفٍّ ذا مُساوَرَةٍ ... يُسْقَى به القِرْنُ من كأس الرَّدى جُرَعا (١)

تكاد تسقُطُ منهنَّ الجلودُ ؛ لِمَا ... يَعلَمْنَ منه إذا عايَنَّهُ ، قَزَعَا (٢)

أصمَّ ما شمَّ من خَضْرَاءَ أيبسها ... أو مسّ من حجرٍ أوْهاه فانْصَدَعَا (٣)

(شعر فى الحيات)

وقال آخر :

وكم طَوْتَ من حَنَشٍ راصدٍ ... للسَّفْرِ فى أعلى الثَّنِيَّاتِ (٤)

أصمَّ أعمَى لا يُجيبُ الرُّقى ... يفترُّ عن عُصْلٍ حديداتِ (٥)

منهرتِ الشدقِ رَقُودِ الضحى ... سارٍ طَمُور فى الدُّجُنَّاتِ (٦)

ذى هامَةٍ رَقْطَاءَ مَفْطوحة ... من الدَّواهى الجبليَّاتِ (٧)

صِلٍّ صَفاً ، تنطِفُ أنيابُهُ ... سِمَامَ ذَيْفَانٍ مجيرات (٨)

---

(١) القف : بالضم : مرتفع حجرى . و « يسق » هى فى الأصل : « تسق » . والوجه ما أثبت .

(٢) قزعا : أى قطعاً متفرقة . وأصل القزع : القطع من السحاب . ط ، س : « قذعا » بالذال المعجمة ، صوابه فى ه .

(٣) سبق الكلام على هذا البيت فى (٢ : ١٣٧) وفى هذا الجزء ص ١٨٣ .

(٤) الثنية : الطريق العالى فى الجبل .

(٥) الأنياب العصل : الملتوية . ه : « عضل » ، صوابه فى س ، ط .

(٦) منهرت الشدق : واسعه . والطمور ، كصبور : الوثاب . ط : « طمورا » صوابه فى س ، ه .

(٧) مفطوحة ، بالفاء : عريضة . ط : « منطوحة » بالنون ، تصحيحه من س ، ه .

(٨) تنطف أنيابه ، بكسر الطاء وضمها : تقطر . والسمام ، بالكسر : جمع سم . والذيفان بالفتح والكسر : السم القاتل . و « مجيرات » كذا جاءت بالجيم ، ولعلها « مبيرات » بمعنى مهلكات . وقد سبق البيت فى ٢٣٤ .

مُطِلْنَ فى اللَّحْيَين مَطْلاً إلى رأسٍ وأشــداقٍ رَحيبات(٤)
قَدِّمْنَ عن ضِرْسَيْن واستأخرَا إلى سِمَــاخين ولَهْوات (٢)
يُسْبِتُهُ الصُّبْحُ وطوراً له نَفخٌ ونفثٌ فى المغارات(٣)
وتارةً تحسبُــــه ميِّــتاً من طول إطـراق وإخبات(٤)

وقال آخر ، وهو جاهلىٌّ :

لاهُمَّ إنْ كان أَبو عمرٍو ظَلَمْ وخانني فى عِلمه وقد عَلِمْ
فابعث له فى بعض أعراض اللَّمَمْ لميمةً مِنْ حَنَشٍ أعمَى أصمّْ(٥)
أسْمَرَ زَحَّافاً من الرُّقْط العُرُمْ(٦) قد عاش حتى هو لا يَمشِى بدَمْ
فكلَّما أقصد منه الجوعُ شمّْ(٧) حتى إذا أمسى أبو عمرٍو ولم
يمسّ منه مَضَضٌ ولا سَقَمْ قامَ ووَدَّ بعـدَها أنْ لم يَقمْ

(١) سبق هذا البيت فى ص ٥٣ .

(٢) ط : « واستأخرت » ، صوابه فى س ، ه . والضمير عائد إلى الضرسين . والسماخ بكسر السين : لغة فى الصماخ بكسر الصاد ، وهو ثقب الأذن . واللهوات جمع اللهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق . وقد سكنت الهاء للشعر ، كما أنه جمعها والمراد بها الواحد ؛ إذ أن له لهاة واحدة .

(٣) س : « المفارات » ، صوابه فى ط ، ه . يسبته الصبح : ينيمه .

(٤) الإطراق : السكوت والنظر إلى الأرض مع إرخاء العينين . وفى الأصل : « إشراق » بالشين . ولا وجه له . قال :

مطرق ينفث سما كما أطرق أفعى ينفث السم صل

والإخبات : من أخبت بمعنى خشع . وأصله من الخبت ، وهو المطمئن من الأرض .

(٥) سبق فى ص ١١٩ .

(٦) العرم : جمع أعرم ، وهو ما كان منقطا بسواد وبياض ، ومثله الأرقط . وقد ضمت الراء فى (العرم) لضرورة الوزن . وفى الأصل : « القدم » ، ووجهه ما أثبت .

(٧) فى الأصل : « فكل ما » ، تحريف . أقصده الجوع : أصابه . وفى الأصل : « أفضل » ووجهه ما أثبت ، كما سبق فى ١١٩ . وشم ، أى تسم الهواء ليغتذى به . وانظر ما سبق فى ص ١١٩ .

ولم يَقُمْ لإبْلٍ ولا غَنَمْ ولا لخوفٍ راعَهُ ولا لِهَمّْ
حتَّى دَنَا من رأسِ نضناضٍ أصم[(١)] فخاضه بين الشِّراكِ والقَدَمْ[(٢)]
بمِــذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كُمّْ[(٣)] كأَنَّ وخْزَ نَابِهِ إذا انتظَمْ
* وَخْزَةُ إشفَى فى عطوف من أدَمْ[(٤)] *

ومخالب الأسد وأشباهِ الأسد من السِّباع ، تكون فى غُلُفٍ[(٥)] ، إذا وطئت على بُطون أكُفها ترفّعت المخالبُ ، ودخلَتْ فى أكمام لها . وهو قولُ أبى زُبَيْدٍ :

بُحُجْنٍ كالمحاجِن فى فتوخ يَقِيهاَ قِضَّةَ الأرْض الدَّخيسُ[(٦)]

وكذلك أنياب الأفاعى ، هى مالم تعضّ مَصُونَةٌ فى أكمام . ألا تراه يقول :

فَخَاضَهُ بَينَ الشِّراكِ والقَدَمْ بِمِذْرَبٍ أخرَجَهُ من جَوْفِ كَمّْ[(٧)]

---

(١) النضناض : الحية ينضنض لسانه ، أى يحركه . ط : « من أس » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) هو من خاضه بالسيف خوضاً : وضعه فى أسفل بطنه ، ثم رفعه إلى فوق .

(٣) عنى بالمذرب ناب الحية . هـ . « لمذوب » ، صوابه فى س ، هـ . والكم ، بالضم : غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٤) الإشفى : المخرز ، يذكر ويؤنث . والعطوف ، بالفتح : المعطوف . وذا أظهر لأثر الخرز . والأدم ، بالتحريك : الجلد ، أو أحمره ، أو مدبوغه .

(٥) غلف : جمع غلاف . ط : « غلق » ، صوابه من س ، هـ .

(٦) الحجن : عنى بها مخالب الأسد . وقد اشتهر أبو زبيد بنعته . والمحاجن : جمع محجن ، وهو العصا المعوجة . والفتوخ بضم الفاء ، وبالخاء المعجمة فى آخره : هى من الأسد مفاصل مخالبه ، كما فى القاموس . وفى الأصل : « فتوح » بالحاء المهملة مصحف . والقضة ، بكسر القاف وتفتح ، بعدها ضاد معجمة مشددة : الحصى الصغار . وفى الأصل : « قصة » بالصاد ، محرف . والدخيس : لحم باطن الكف .

(٧) سبق شرح البيت فى التنبيه الثالث من هذه الصفحة . ط : « مخاضه » صوابه فى س ، هـ . هـ : « بمذوب » ، محرف .

(رجز وشعر فى لعاب الحية)

وقال آخر :

أنعتُ نضناضاً كثيرَ الصَّقْرِ[١] مولده كمولِدِ ابن الدَّهْرِ[٢]
كانا جميعاً وُلِدَا فى شَهْـرِ يظلُّ فى مَرْأًى بَعيدِ القَعْر
* بَيْنَ حَوَافِى سَدِرٍ وصَخْرِ[٣] *

وقال :

وكيفَ وقد أسهَـرْتُ عَيْنَكَ تبتغى عِنَادًا لِنَابَىْ حيَّةٍ قد تَربَّدَا[٤]
من الصُّمِّ يكفى مرَّةٌ من لُعَابِهِ وما عَادَ إلاَّ كانَ فى العَوْدِ أَحْمَـدَا[٥]

(شعر خلف فى الأفعى)

وقال خلفُ الأحمر — وهى مخلوطةٌ فيها شىءٌ ، وله شىء ، من الغبرة[٦]

---

(١) الصقر ، أراد به سمه ولعابه . وفى الأصل : « كبير الظفر » ، وليس للحية ظفر . وصواب الرواية ما أثبت من المخصص (١٣ : ٢٠٨) .

(٢) ابن الدهر ، فسره ابن سيده بأنه الموت . المخصص (١٣ : ٢٠٨) . وقد فسره الثعالبى فى ثمار القلوب ٢١٤ بأنه النهار ، واستشهد ببيت ابن الرومى :
وما الدهر إلا كابنه ، فيه بكرة وهاجرة مسمومة الجو قاتله
فى الأصل : « ومولد ابن الطهر » ، وتصحيحه من المخصص . وقد عنى الراجز أن ذلك الحية متقادم الميلاد ، وذاك مما يزيد فى شدة سمه .

(٣) الحوافى : جمع حافة ، بفتح الفاء المخففة ، وهو من نادر الجمع . والحافة : الجانب . والسدر ، كـكتف : البحر . وحيات الماء معروفة بالجرأة والنكر . وفى الأصل : « صدر » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(٤) تربد : صار أربد . والربدة : لون إلى الغبرة . وضمير « تربد » عائد إلى الحية ، والحية تذكر وتؤنث .

(٥) ط ، س : « مرة » . هـ : « مرءة » ، صوابهما ما أثبت . والشطر الثانى فيه تهكم .

(٦) كذا جاءت هاتان الكلمتان . وحقهما أن تكونا فى صدر الفقرة مسبوقتين بنحو كلمة : « تربد » ، فتكونا شرحا لها ، كما أسلفت فى التنبيه الرابع من هذه الصفحة .

وما علمتُ أنّ أحَداً وصف عَيْنَ الأفعى على معرفةٍ واختبار غيره —
وهو قولُه :

أفعَى رَخُوف العينِ مِطْراق البُكَرْ[1]

داهية قد صغرت من الكِبرْ

صِلّ صَفاًماينطوى من القِصَرْ[2] طويلة الإطراقِ[3] من غير حسرْ

كأنما قَدْ ذهبَتْ بِهِ الفِكَرْ شُقَّتْ له العَيْنانِ طُولاً فى شَتَرْ

مهروتة الشدقَينِ حولاء النظرْ جاءَ بها الطُّوفان أيامَ زَخَرْ[4]

كأنّ صوتَ جلدِها إذا استدرّ[5] نشِيشُ جمر عندَ طاهٍ مقتَدِرْ

(أحاديث فى الوزغ)

٩٦ هشام بن عروة قال : أخبرنى أبى أنَّ عائشة أمَّ المؤمنين رضى الله عنها كانَتْ تَقْتُلُ الأوْزَاغ .

يحيى بن أبى أُنَيسةَ[6] ، عن الزُّهرى ، عن عروة[7] ، عن عائشة

---

(١) الرخوف : من رخف بمعنى استرخى . ط ، هـ ، « زحوف » صوابه فى س . ومطراق البكر : أى يطرق إطراقا فى الغدوات . وذلك من صفة الأفعى . أمها انتباهها فيكون على أشده فى الليل .

(٢) صلال الصفا من أخبث الحيات . وقد بالغ الراجز فى جعله الصل لا ينطوى من شدة قصره . فى الأصل : « صل صفاء ينطوى » ، وصوابه ما سبق فى ص ١١٩ .

(٣) فى الأصل : « الأطراف » بالفاء ، والوجه فيه ما أثبت . والإطراق : السكون مع النظر فى الأرض .

(٤) زخر : ارتفع . وقد عنى أن تلك الأفعى معمرة ، أدركت أيام نوح عليه السلام !

(٥) استدرّ : كثرت حركته .

(٦) يحيى بن أبى أنيسة ، بهيئة التصغير ، الجزرى ، ضعيف من السادسة ، مات سنة ست وأربعين ومائة .

(٧) هو عروة بن الزبير بن العوام ، أحد فقهاء المدينة السبعة . أمه أسماء بنت أبى بكر =

قالت : « سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للوزغ : فويسِق » . قالت : « ولم أسمَعْ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتله » .

قال(١) قالت عائشة رضى الله عنها : « سمعت سعداً يقول : أمرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله » .

عبد الرحمن بن زياد قال : أخبرنى(٢) هشامٌ عن عروة عن عائشة « أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للوَزَغ : الفُويسق » .

أبو بكر الهذلىُّ ، عن مُعاذ عن عائشة قالت : « دخلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم علىَّ وفى يدى عُكَّازٌ فيه زُجٌّ ، فقال : ياعائشة ، ماتَصنعِين بهذا ؟ قلت : أقتلُ به الوَزَغ فى بيتى . قال : إن تفعلى فإنّ الدَّوَابَّ كلُّها حين ألقى إبراهيمُ صلى الله عليه وسلم فى النَّار ، كانت تُطفِئ عنه ، وإنّ هذا كانَ ينفخُ عليه ، فَصَمّ وبَرِص » .

وهذه الأحاديثُ كلها يحتجُّ بها أصحابُ الجهالات ، وَمَنْ زَعَمَ أنّ الأشياء كلها كانتْ ناطقةً ، وأنها أممٌ مجراها مجرى الناس .

(تأوُّل آيات من الكتاب)

وتأوّلوا قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْض وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ ، وقالوا :

= وسمع من عائشة خالته ، وروى عنه الزهرى . ولد سنة ٢٢ أو ٢٦ الهجرية . وتوفى سنة ٩٣ أو ٩٤ . وكان عبد الملك يقول فيه : « من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة . فلينظر إلى عروة بن الزبير ! » .

(١) ليست فى س ، هـ .

(٢) ط : « وأخبرنى » .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ وقال[1] تعالى : ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ[2] ﴾ وقال : ﴿ وَإِنَّ مِنَ الحِجارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنهَا لَمَا يشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ .

فذهبت الجَهْمية وَمَنْ أنْكَرَ إيجاد الطَّبائع مذهباً ، وذهب ابنُ حائِطٍ[3] ومن لَفَّ لَفَّهُ من أصحابِ الجهالاتِ مذهباً ، وذهب ناسٌ من غير المتكلمين ، واتّبعوا ظاهِرَ الحديثِ وظاهِرَ الأشعار ، وزعموا[4] أنّ الحجارة كانت تعْقِلُ وتَنْطِقُ ، وإنما سُلبت المنْطِقَ فقط . فأمَّا الطَّير والسِّباع فعلى ما كانَتْ عليه .

قَال : والوَطواط ، والصُّرد ، والضفدعُ ، مطيعاتٌ ومُثابات[5] . والعقرب ، والحيَّةُ ، والحِدَأة ، والغراب ، والوَزَغ ، والكلب ، وأشباهُ ذلك ، عاصياتٌ معاقَبات .

---

(١) فى الأصل : « وقوله » .

(٢) لا خلاف بينهم فى نصبه . وما روى عن البصرى وعاصم وروح من رفعه وإن كانت له أوجه صحيحة فى العربية ، لا يقرأ به ؛ لضعفه فى الرواية . السفاقسى .

(٣) هو أحمد بن حائط ، صاحب مذهب الحائطية ، وكان من أصحاب النظام وأخذ عنه وأتى فى مذهبه بمنكرات عجيبة . ومما قاله : إن كل نوع من أنواع الحيوان أمة على حيالها ؛ لقوله تعالى : « ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم »، وقال : إن فى كل أمة منها رسولا من نوعها ؛ لقوله تعالى : « وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » . انظر الملل والنحل (١ : ٨٠ — ٨١) والفرق ٢٥٥ — ٢٥٩ حيث تجد قولا فكها ضارباً فى الخيال . وفى الأصل : « ابن حافظ »، وصوابه ما أثبت .

(٤) ه : « فزعموا » .

(٥) ط : « مثانات » بالنون ، صوابه فى س ، ه .

ولم أقف(١) على واحدٍ منهم فأقول له : إنّ الوزَغةَ الّتى تقتلها على أنّها كانت تُضْرِم النّار على إبراهيم ، أهى هذه أم هى مِن أولادِها فمأخوذةٌ هِيَ بذنب غيرها ؟ أم تزعم أنّهُ فى المعلوم أنْ تكون تلك الوزَغُ لا تلد ولا تَبِيضُ ولا تُفْرِخُ إلاّ من يدين بدينها ، ويذهبُ مذهبها ؟ !

وليس هؤلاء مِمَّنْ يَفْهَمُ تأويلَ الأحاديث ، وأىَّ ضرب منها يكون مردوداً ، وأىَّ ضربٍ منها يكون متأوَّلاً ، وأىَّ ضرب منها يقال ٩٧
إنَّ ذلك إنّماَ هو حكايةٌ عن بَعْضِ القبائل .

ولذلك أقولُ : لولاَ مكانُ المتكلمين لهلكت العوامُّ ، واختُطِفَتْ واستُرِقتْ ، ولولا المعتزلة لهلك المتكلمون(٢) .

(أحاديث فى قتل الوزغ)

شريكٌ عن النَّخَعِىِّ ، عن ليثٍ ، عن نافع ، أنّ ابْنَ عمَرَ كان يقتُلُ الوزَغ فى بيته ويقول : هو شيطان !

هشام بنُ حسَّان ، عن خالد الرَّبعىِّ ، قال : لم يكن شىءٌ من خَشاشِ الأرض إلاّ كان يُطفِئُ النّار عن إبراهيم ، إلاّ الوَزَغ ؛ فإنَّهُ كان ينفخ عليه .

حنظلة بن أبى سفيان ، قال : سمعت القاسمَ بنَ محمَّدٍ يقول : إنَّ الأوزاغَ كانت يومَ حُرِق بيت المَقْدِس تنفُخُه والوطاوِطَ(٣) بأجنِحَتِها .

شريكٌ عن النَّخَعىِّ ، عن جابرٍ ، عن ابن عباسٍ ، قال : الوَزَغ شَرِيكُ الشّيطان .

---

(١) ط : « أفق » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٢) انظر ماسبق فى ص ٢٠٦ .

(٣) يجمع الوطواط على وطاويط ووطاوط . كذا هنا وكذا فى القاموس .

أبو داود الواسطيّ قال : أخبرنا أبوهاشم ، قال : مَنْ قَتَلَ وزغةً حطَّ الله عنه سَبعين خَطيئةً ، ومن قتل سبعاً[1] كان كَعتْقِ رقَبة .

هشامُ بن حسّان ، عن واصل مولى أبي عيينة[3] ، عن عقيل ، عن يحيى بن يعمر ، قال : لَأَنْ أقتُلَ مائةً من الوَزغ أحبُّ إلىَّ من أنْ أعتِقَ مائةَ رقبة .

وهذا الحديثُ ليس من شكل الأوّل ؛ لأنّ يحيى بنَ يعمر لم يزعمْ أنّهُ يقتله لكفره أو لكفر أبيه ، ولكنها دابّةٌ تُطاعمُ الحيّاتِ وتُزاقُّها وتقاربُها ، وربَّما قتلَتْ بعضَها ، وتكرَع في المرَقِ واللّبن ثُمَّ تمجُّه في الإناء فينالُ النَّاسَ بذلك مكروهٌ كبيرٌ ، من حيث لا يعلمون . وقتْلُه في سبيل قَتْلِ الحيّاتِ والعقارب .

(صنع السم من الأوزاغ)

وأهلُ السِّجْنِ[3] يعملون منها سموماً أنفَذَ من سمِّ البِيشِ[4] ، ومن ريق

---

(١) تحتمل الرواية أن تكون سبعاً بإسكان الباء ، أي هذا العدد من الوزغ . وتحتمل أيضا أن تكون سبعاً بضم الباء ، بمعنى المفترس من الحيوان . والصدر الأول رواه الطبراني في الأوسط ، عن عائشة . ورمز له السيوطي في الجامع الصغير ٨٩١٥ بحرف (ح) أي حسن .

(٢) واصل مولى أبي عيينة ، بتحتانية مصغر ، قال ابن حجر : صدوق من السادسة تقريب التهذيب .

(٣) أي القوامون بأمر السجن . ولعلهم كانوا يصنعون هذا السم ليتخلصوا ممن يلون أمرهم من المساجين ، أو لتخف عنهم مؤنة المراقبة ، أو تنفيذا لما يوحى به إليهم أولو الأمر . وفي الأصل : « أهل السحر »، والأوفق ما أثبت كما في عيون الأخبار (٢ : ٩٩) . وسيأتي من الكلام أن « المسجون » هو الذي يطعم هذا السم .

(٤) البيش ، بالكسر : نبت صيني وهندي ، يطول إلى ذراع ، سبط الأوراق . وهو سم قتال ، أسرع فتكا بالإنسان من سم الأفاعي .

الأفاعى ؛ وذلك أنَّهم يُدخِلون الوزَغ قارورةً ، ثمَّ يصبُّون فيها من الزَّيْت ما يغمُرها ، ويضعونها فى الشَّمس أربعين يوماً ، حتَّى تختلط بالزَّيت وتصيرَ شيئاً واحداً . فإنْ مسَحَ السَّجِين منه على رغيفٍ مَسْحةً يسيرةً فأكلَ منه عشرةُ أنفس ماتوا[١] . ولا أدرى لِمَ توخَّوْا من مواضع الدَّفْنِ عَتَبَة الأبواب[٢] .

(حديث فيه نصائح)

يحيى بن أبى أُنَيسة ، عن أبى الزُّبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : « أمرَنَا رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بأربَعٍ ونهانا عن أربع : أمرَنا أن نُجيفَ أبوابنا ، وأنْ نخمِّر آنيتَنا ، وأنْ نوكىَ أسقِيَتَنا ، وأنْ نُطفِئ سُرُجَنا[٣] فإنَّ الشَّيطانَ إذا وجد باباً مُجَافاً لم يفتحْه ، وإناءً مخمَّراً لم يكشِفْه ، وسقاءً مُوكىً[٤] لم يحلّه . وإنَّ الفُوَيسِقَة[٥] تأتى المصباح فتُضْرِمُه على أهل البيت . ونهانا عن أربع : نهانا عن اشتمال الصَّمَّاء[٦] ، وأنْ يمشىَ أحدُنا فى النَّعْلِ

(١) ط : « ماترا » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) أى دفنهم مايقتلون من الأوزاغ تحت عتب الأبواب .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . وتخمير الآنية : تغطيتها . ويقال أوكى السقاء يوكيه : أى شده بالوكاء ، بالكسر ، وهو سير ، أو خيط . والسرج : جمع سراج ، وهو المصباح .

(٤) ط ، هـ : « موكا » ، ووجه كتابته بالياء . وفى س : « موكأ » بالهمز . ولعلها لغة .

(٥) المراد بالفويسقة : الفأرة ، تصغير فاسقة .

(٦) اشتمل الصماء : رد الكساء من قبل يمينه على يده اليسرى وعاتقه الأيسر ، ثم رده ثانية من خلفه على يده اليمنى وعاتقه الأيمن فيغطيهما جميعا ، فن ذلك ماقيل الصماء . وللفقهاء تفسير آخر ، وهو أن يشتمل بثوب واحد ليس عليه غيره ، ثم يرفعه من أحد جانبيه فيضعه على منكبيه ، فيبدو منه ما لا يليق أن يبدو . س « الصماد » محرف .

الواحدةِ أو الخُفِّ الواحد ، وأنْ يَحْتَبِىَ الرَّجُلُ مِنَّا فى الثوبِ الواحِدِ[١] ليس عليه غيره ، وأنْ يستلقىَ أحدُنا على ظهره ويرفَعَ إحدى رجليه على الأخرى[٢] ».

٩٨ وهذا الحديثُ ليس هذا موضعَه ، وهو يقع فى باب جملة القول فى النّار ، وهو يقع [بعد[٣]] هذا الذى يلى القول فى النعام .

(ماجاء فى الحيات من الحديث)

شعبة أبو بسطام ، قال : أخبرنى أبو قيس ، قال : جلست إلى علقمة ابن قَيْس[٤] ، وربيع بن خثيم[٥] فقال ربيع : قولوا وافعَلُوا خيْراً[٦] تُجْزَوْا خيراً . وقال علقمة : مَن اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ ألاَّ يَرَى الحَيَّةَ ، إلاَّ قتلَهَا ، إلاَّ التى مثل الميل[٧] ، فإنَّها جانٌّ[٨] . وإنَّهُ لا يضرُّه قتل حَيَّةٍ أو كافر .

---

(١) أى أن يضم رجليه إلى بطنه بثوب يجمعهما به مع ظهره ويشده عليهما ، فربما تحرك ، أو زال الثوب فيقع صاحبه فى الحرج . ط : « أن يجتبى الرجل منا فى المثوب الواحد » ، وهو على الصواب فى س ، ھ .

(٢) روى هذا الحديث بروايات مختلفة فى (٥ : ٤١) .

(٣) الزيادة من س ، ھ .

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله النخعى الكوفى . ثقة ثبت فقيه عابد . وكان من كبار التابعين . توفى بعد الستين أو بعد السبعين . تقريب التهذيب .

(٥) هو الربيع بن خثيم ، بضم المعجمة الفوقية وفتح المثلثة ، ابن عائذ بن عبد الله الثورى الكوفى . ثقة عابد من كبار التابعين ، قال له ابن مسعود . « لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبك » . مات سنة إحدى وقيل ثلاث وستين . عن تقريب التهذيب . وفى الأصل : « خيثم » ، وهو تحريف يتعرض له هذا الاسم كثيراً . وقد نبهت عليه فى تذييل الجزء الأول ص ٤٢٣ .

(٦) ط : « فقلت افعلوا خيرا » ، وتصحيحه وإكماله من س ، ھ .

(٧) الميل ، بالكسر : ذاك الذى يكتحل به . والنص مضطرب فى الأصل . فى ط ، س : « إلى مثل الميل » وفى ھ : « إلى مثل » بدون ذكر « الميل » . ولعل الصواب فيه ما أثبت . ويؤيده ماورد فى نهاية ابن الأثير من الحديث : « أنه نهى عن قتل الجنان » ، قال : « هى الحيات التى تكون فى البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف » .

(٨) ھ : « فانه جانى » .

إسماعيل المكى[١] ، عن أبى إسحاق ، عن علقمة قال : قال عبد الله ابن مسعود : من قتل حَيَّةً فقتل كافرًا .

ثم سمعت عبد الرحمن بن زَيد[٢] يقول : من قتل حَيَّةً أو عقرباً قَتَلَ كافرًا .

وهذا ممَّا يتعلق به أصحابُ ابن حائِطٍ[٣] ، وتأويله فى الحديث الآخَر[٤] .

عبد الرحمن بن عبد الله المَسْعُودِىُّ[٥] قال : سمعت القاسم بن عبدالرحمن ، يقول : قال عبد الله[٦] : من قَتَلَ حَيَّةً أو عقرباً فكأنَّمَا قَتَلَ كافرًا . فعلى هذا المعنى يكونُ تأليف الحديث .

سعيد بن أبى عَرُوبة[٧] ، عن قتادة أن رسول الله صلى الله عَلَيْهِ وسلم قال : « مَا سَالَمْنَاهُنَّ مُذْ حَارَبْنَاهُنّ[٨] » .

---

(١) فى الأصل : « المكنى » .

(٢) عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوى ، ولد فى حياة الرسول ، وولى إمرة مكة ليزيد بن معاوية . ومات سنة بضع وستين . ط ، ھ : « عبد الرحمن بن يزيد » ، ممن ولد فى عهد الرسول أيضا . وترجم له ابن حجر فى الإصابة ٦٢٣٠ .

(٣) فى الأصل : « ابن حافظ » . وصوابه ما أثبت . وانظر ما سبق فى ص ٢٨٨ .

(٤) إشارة إلى ماذهب إليه ابن حائط وأتباعه ، من أن الحيوان مكلف ، كما أن الإنسان مكلف ، وأن الله يرسل إليه رسلا منه كما يرسل إلى الناس ؛ فلذلك يكون من الحيوان المؤمن ، والكافر ، والصالح ، والطالح .

(٥) هو عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفى المسعودى ، مات سنة ستين أو خمس وستين بعد المائة . فى الأصل : « السعودى »، وصوابه ما أثبت .

(٦) يعنى عبد الله بن مسعود .

(٧) سعيد بن أبى عروبة اليشكرى — مولاهم — البصرى . وكان من أثبت الناس فى قتادة . مات سنة ست أو سبع وخمسين ومائة . وأبوه أبو عروبة ، بفتح العين المهملة وضم الراء . واسم أبى عروبة مهران . عن تقريب التهذيب .

(٨) س : « حاويناهن »، وهو تحريف . وسيعاد هذا الحديث قريبا .

سعيد بن أبي عروبة[١] عن قتادة ، قالت عائشة : «مَنْ [تَرَكَ[٢]] قَتْلَ حَيَّةٍ مخافَةَ أَثْـآرِها[٣] فعليه لَعْنَةُ اللهِ والملائكة» .

الرَّبيعُ بن صَبيحٍ[٤] عن عَطاء الخراسانيّ[٥] قال : كان فيما أُخِذ على الحيّات ألاّ يَظْهرْن . فَمَنْ ظَهرَ منهنَّ حلَّ قتلُه . وقتالُهنَّ كقتال الكفّار ، ولا يَتْرُكُ قتلَهُنّ إلا شاكٌّ .

وهذا مّما يتعلَّق به أصحابُ ابنِ حائطٍ .

محمَّد بن عَجْلانَ قال : سمعت أبي يحدِّث عن أبي هُريرة قال : قال رسُول الله صلَّى الله عليه وسلم : «ما سالَمْناهُنَّ مذْ حارَبْناهُنَّ» .

ابن جُرَيج قال : أخبرني عبد الله بن عُبيد بنِ عميْر[٦] قال :

---

(١) ط : « سعيد بن عروبة » ، صوابه ماأثبت من س ، ب . وانظر التنبيه الذى قبل السابق .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من الأصل . ولا يصح المعنى ولا الرواية بدونها . أما عدم صحة المعنى فلقوله : « مخافة أثآرها » ، فالخوف من الثأر يقتضى عدم قتلها . وكان أهل الجاهلية يقولون : « إن الجن تطلب بثأر الجان إذا قتل ، فربما قتلت قاتله ، وربما أصابته بخبل ، وربما قتلت ولده » . انظر تأويل مختلف الحديث ١٤٦ . وأما الرواية فقد رواه ابن قتيبة على هذا الوجه : « من ترك قتل الحيات مخافة الثأر فقد كفر » . وفى محاضرات الراغب : « من قتل حية فخاف أثآرها فعليه لعنة الله » .

(٣) ط : « إثارها » س ، ب « اثارها » ، صوابهما ما أثبت من محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . وهى جمع ثأر . وانظر التنبيه السابق .

(٤) الربيع بن صبيح : بفتح المهملة ، السعدى البصرى ، صدوق سيىء الحفظ . قالوا : أول من صنف الكتب بالبصرة ، كان من كبار أتباع التابعين . توفى سنة ستين ومائة .

(٥) هو عطاء بن أبى مسلم ، أبو عثمان ، الخراسانى . واسم أبيه ميسرة أو عبد الله . مات سنة خمس وثلاثين ومائة .

(٦) عبد الله بن عبيد بن عمير ، بتصغير الأخيرين ، من الطبقة الوسطى من التابعين ، استشهد غازيا سنة ١١٣ . وفى الأصل : « عبد الله بن عمر » . وليست تصح رواية ابن جريج عن عبد الله بن عمر فإن الأول ولد سنة ٨٠ على حين توفى عبد الله بن عمر سنة ٧٣ . والتصويب مما سبق فى (٢ : ٢٩٣) .

أخبرَنى أبو الطفيل أنَّهُ سمع على بنَ أبى طالب رضى الله عنه يقول : « اقتلوا من الحيَّات ذا الطفيتين [١] ، والكلب الأسودَ البهيم [٢] ذا الغُرَّتَينِ [٣] » . قال : والغُرّة [٤] : حُوَّةٌ تكون بعينيه .

(طعام بعض الحيوان)

قال صاحب المنطق : الطير عَلَى ضربين : أوابدُ وقواطعُ . ومنه ما يأكل اللحم لا يأكل غيْرَه وإن لم يكن ذَا سِلاح . فأمَّا ذُو السِّلاح فَوَاجِبٌ أن يكون طعامُهُ اللَّحم . ومن الطَّيرِ ما يأكُلُ الحُبُوبَ لا يَعْدُوها ، ومنه المشترك الطِّباع ؛ كالعصفُور والدَّجاج والغُراب ، فإنها تأكُلُ النوعين جميعاً ، وكطير المـاء ، يأكُلُ السمَكَ ويلقط الحبّ . ومنه ما يأكل شيئاً خاصًّا ، مثل جنس النّحل المعَسِّل [٥] الذى غذاؤه شيء واحد ، وجنس العنكبوت ؛ فإن طَعْمَ النَّحل المعسِّل العسل [٦] ، والعنكبوت يعيشُ من صيد الذباب [٧] .

---

(١) الطفيتان ، بالضم : خطان أسودان على ظهر الحية .

(٢) البهيم : الذى لا شية فيه .

(٣) فى الأصل : « القرنين » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . وانظر ما أسلفت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٤) ط ، ب : « والفرة » س : « والقرة » صوابهما ما أثبت . وانظر ما كتبت فى (٢ : ٢٩٣) .

(٥) المعسل : الذى يصنع العسل . وإنما قال ذلك لأن النحل قبل أن يصنع العسل ، يتخذ غذاءه من مختلف أنواع الأزهار . ط : « العسل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ط ، هـ : « فإن طعم النحل العسل » س : « فإن طعم النحل المعسل » ، وقد جمعت بينهما .

(٧) هـ : « الذبان » .

(ماله مسكن من الحيوان)

ومن الحيوان ماله مسكنٌ ومأوًى ؛ كالخُلْد(١) والفأر ، والنَّملِ ، ٩٩ والنَّحل ، والضَّبّ . ومنه ما لا يتَّخذُ شيئاً يرجعُ إليه [كالحيَّاتِ(٢)] ؛ لأنَّ ذُكورةَ الحيَّاتِ سيَّارةٌ ، وإناثُها(٣) إنَّما تُقيم فى المكانِ إلى تمامِ خُروجِ الفِراخِ من البَيضِ ، واستغناءِ الفِراخِ بأنفُسِها . ومنها ما يكونُ يأوى إلى شُقوقِ الصُّخورِ والحِيطانِ ، والمداخِلِ الضَّيِّقة ، مثل سامّ أبْرَص .

قال : والحيّات تألفها كما تألفُ العقاربُ الخنافس . والعَظايا تألف المزابِلَ والخرابات . والوزَغُ قريبةٌ من النَّاس .

(زعم زرادشت فى العظايا وسوامّ أبرص)

[وزعم(٤)] زَرَادشْت(٥) أنَّ العظايا ليستْ من ذواتِ السُّموم ، وأنَّ سامَّ أبرصَ من ذواتِ السُّموم ، وأنّ أهرمن(٦) لما قعد ليقسِمَ السُّمومَ ،

---

(١) الخلد ، بالضم ويفتح : ضرب من الفأر أعمى .

(٢) ليست بالأصل . والسياق يقتضيها .

(٣) فى الأصل : « وإنها » . والوجه ما أثبت . وعند الدميرى : « والذكر لا يقيم بموضع واحد . وإنما تقيم الأنثى على بيضها حتى تخرج فراخها وتقوى على الكسب » .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) زرادشت : رجل ظهر فى عهد كيبشتاسب من ملوك الفرس الكيانيين ، ودعا إلى دين المجوسية ، وهو صاحب الأبستا ، وشرحه : الزند بستا ، وقد ظهر قبل الإسكندر بنحو ثلثمائة سنة ، على ما فى التنبيه والاشراف ٨٥ . وقد ظهر من بعده مزدك الموبذ ، فتأول الأبستا ، وجعل لظاهرها باطناً ، واستخلص من ذلك الديانة المزدكية . فى ط ، س : « درادشت » و ب : « درادست » ، صوابه ما أثبت .

(٦) أهرمن ، هو فى مذهب زرادشت : رمز لقوة الشر ، كما أن (أرموزد) رمز لقوة الخير . وكان يرى أن الاثنين يظلان فى نزاع دائم ، حتى يتغلب أرموزد على أهرمن فى نهاية الأمر . وبدل هذه الكلمة والتى قبلها فى كل من ط ، هـ : « لأنه » صوابه فى س .

كانَ الحظ الأوْفرُ لكلِّ شيءٍ سبقَ إلى طلبه ؛ كالأفاعى ، والثَّعابين والجرّارات . وأنّ نصيبَ الوزَغ نصيبٌ وسَطٌ قصْد ، لا يكمل أن يقتُل ، ولكنّه يزاقّ الحيَّةَ(١) ، فتُميرُه(٢) ممّا عندها . ومتى دَبَرَ(٣) الوزَغُ جاء منه السمُّ القاتل ، أسرَعَ من سمّ البِيش ، ومن لُعاب الأفاعى . فأمَّا العَظاية(٤) فإنّها احتبسَتْ عن الطَّلبِ حتى نَفِدَ السمُّ ، وأخذ كلُّ شيءٍ قِسْطَهُ ، على قَدْرِ السَّبق والبكور ، فلما جاءت العظاية وقد فَنِيَ(٥) السمُّ ، دخلها من الحسْرَةِ ، وممّا علاها من الكرْب ، حتى جعلت وجهَها إلى الخرابات والمزابِل . فإذا رأيْتَ العظايةَ تمشى مشْياً سريعاً ثمّ تَقِفُ ، فإنَّ تلك الوقْفة إنَّمَا هى لما يعرضُ لها من التذكُّرِ والحسْرة على ما فاتها مِنْ نصيبها من السمّ .

(ردّ عليه)

ولا أعلم العَظايةَ فى هذا القياس إلاَّ أكثر شُرورًا من الوزَغ ؛ لأنها لولا إفراط طباعها فى الشَّرارة(٦) ، لم يدخلها من قوَّة الهمِّ مثلُ الذى دخلَها

(١) يزاق الحية : مفاعلة ، من زق الطائر فرخه : أطعمه . س ، ب : « بزاق » صوابه فى ط .

(٢) ماره يميره ، وأماره يميره : جلب الطعام إليه . س : « فيميزه » ، صوابه فى هـ ، ط .

(٣) دبر ، من باب نصر : أدركه الهرم والشيخوخة . ومنه فى الكتاب : « والليل إذا دبر » ، فى بعض القراءات .

(٤) العظاية ، بالفتح : دويبة كسام أبرص . ط : « الفظاية » ، صوابه فى س ، هـ .

(٥) ط ، هـ : « قنى » بالقاف ، ولا وجه له . وتصحيحه من س .

(٦) يقال شر يشر ويشر شراً وشرارة ، فهو شرير — بفتح الشين وكسر الراء — وشرير ، كسكيت .

ولم يستَبن للنَّاس(١) من اغتباط الوزَغ بنصيبه من السمِّ ، بقدْرِ ما استبان من ثُـكل العظايةِ ، وتسلُّها وإحضارها(٢) وبكائها وحُزْنِها ، وأسَفِها على ما فاتها من السُّمِّ .

(زعم زرادشت فى خَلْق الفأرة والسِّنّور)

ويزعم زَرَادشْت(٣) ، وهو مذهبُ المجوسِ(٤) ، أنَّ الفأرةَ مِنْ خلق الله ، وأنَّ السِّنّورَ من خَلْق الشَّيطان ، وهو إبليس ، وهو أَهْرمَن(٥) . فإذا قيل له : كيف تقول ذلك والفأرةُ مُفسِدةٌ ، تجذب فَتيلةَ المصباحِ فتحرِق بذلك البيتَ والقبائلَ الكثيرةَ ، والمُدنَ العِظامَ ، والأرباضَ الواسعة ، بما فيها من النَّاسِ والحيوانِ والأموال ، وتقرِضُ دفاتر العلْم ، وكتبَ الله ، دقائق الحساب ، والصِّكاكَ(٦) ، والشُّروطَ ؛ وتقرِضُ الثِّيابَ ، وربَّما طلبت القُطنَ لتأكُلَ بزْرَه فتدَعُ اللِّحاف غِرْبالاً ، وتقرِض الجُرُب(٧) ، وأوْكِية الأسقيَةِ والأزْقاقِ والقِربِ فتخرجُ جميعَ ما فيها ؛ وتقع فى الآنية

(١) فى الأصل : « الناس » . وسياق القول يقتضى ما أثبت . واستبان بمعنى ظهر .

(٢) الإحضار : سرعة الجرى .

(٣) فى الأصل : « زرادست » وهو تحريف . وانظر ما سبق فى ص ٢٩٦ التنبيه الخامس .

(٤) ذاك الزعم مذهب المجوس ؛ لأن زرادشت صاحب مذهبهم .

(٥) ط : « وهرمن » ، وتصحيحه وإكماله من س ، ه . وانظر التنبيه السادس من صفحة ٢٩٦ .

(٦) الصك بمعنى الوثيقة ، معرب جك ، وهو بالفارسية : كتاب القاضى . وقيل : الصك عربى . شفاء الغليل .

(٧) الجرب ، بضمتين وبضمة أيضاً : جمع جراب ، بالكسر ، وهو الوعاء ، أو وعاء زاد المسافر .

وفى البئر ، فتموت فيه ، وتُحْوِج النّاسَ إلى مُؤَنٍ عِظام ، وربَّما عضّت رِجْلَ النّائم ؛ وربَّما قتلت الإنسان بعضّتها . والفأر(١) بخُراسانَ ربَّما قطعَتْ أذن الرَّجُل . وجرذانُ أنْطاكِيةَ تَعْجِزُ(٢) عنها السَّنانير ، وقد جلا عنها قومٌ ١٠٠
وكرِهَها آخرون لمكانِ جِرْذانها . وهى التى فجرت المسنّاة(٣) ، حتى كان ذلك سببَ الحَسْر(٤) بأرض سبأ ؛ وهى المضروب بها المثَلَ . وسَيل العَرِم ممّا تؤرِّخُ بزمانه العَرب . والعَرِم : المسنّاة . وإنما كان جُرَذا .

وتقتل النَّخْل والفسِيل(٥) ، وتخرِّب الضَّيعة ، وتأتى على أَزِمَّةِ الركاب والخُطُم(٦) ، وغير ذلك من الأموال .

والنّاسُ ربما اجتلبوا السَّنانيرَ ليدفعوا بها بوائق الفأر(٧) — فكيفَ صار خَلقُ الضّارِّ المفسِدِ من الله ، وخَلقُ النّافِع من الضَّرَرِ مِنْ خَلق الشيطان ؟ !

---

(١) أراد بالفأر هنا الجماعة . ط : « القار » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « تفجر » ، تصحيحه من س ، هـ .

(٣) المسناة : السد الذى يعترض به الوادى لتنظيم تدفق المياه . وفجر ، تقال بالتخفيف والتشديد ، بمعنى جعله ينفجر ويسيل .

(٤) الحسر : مصدر حسر الماء عن الأرض : نضب حتى بدا ما تحته . وجاء فى معجم البلدان (برسم مأرب) : « وجاء السيل بالرمل فطمها » . وطمها : من قولهم : جاء السيل فطم الركية : أى دفنها وسواها . ط : « الخسر » بالخاء المعجمة . وأثبت ما فى س ، هـ .

(٥) الفسيل : جمع فسيلة ، وهى النخلة الصغيرة . س : « النحل والعسيل » ، صوابه فى ط ، هـ .

(٦) الركاب ، بالكسر : الإبل . والأزمة : جمع زمام . وهو مقود البعير . والخطم : جمع خطام ، وهو ما يوضع على مخطم البعير ليقاد به . وفى الأصل : « على أقرحة الركاب والخضر » . وهى عبارة لا تتجه . والصواب ما أثبت .

(٧) بوائق : جمع بائقة ، وهى الداهية ، أو الشر .

والسِّنَّور يُعدَى به على كلِّ شيءٍ خَلَقَهُ الشَّيطانُ[1] من الحيَّاتِ ، والعقارب ، والجِعلان ، وبناتِ ورْدان . والفأرةُ لا نَفْعَ[2] لها . ومُؤْنها عظيمـة .

قال : لأنَّ السِّنَّورَ لو بالَ فى البحر لَقَتَلَ عَشْرَةَ آلافِ سمكة !

فهَلْ سمعت بحُجَّةٍ قطُّ ، أو بحيلةٍ ، أو بأضحوكةٍ ، أو بكلامٍ ظهر على تلقيح هرة[3] ، يبلغ مُؤَّن هذا الاعتلال ؟ !

فالحمد لله الذى كان هذا مقدارَ عقولهم واختيارهم[4] .

وأنشد أبو زَيْد :

والله لو كُنْتُ لهـذا خالِصاَ   لـكنْتُ عبداً آكل الأبارصا[5]

يعنى جماعَ[6] سامٍّ أبْرص : أبارص .

---

(١) هذا مجاراة من الجاحظ للمجوسى الذى يعارضه .

(٢) فى الأصل : « لا تقع » .

(٣) كذا . والعبارة غير واضحة .

(٤) ظن بعض الناس أن مثل هذا التركيب فاسد ؛ لانعدام الرابط فى الصلة ، ومنهم الحريرى فى درة الغوص ١٠٠ . وقد رد عليه الخفاجى فى الشرح ٢٠٩ بأن حذف الرابط فى مثل هذا جائز ، كما هو معروف فى كتب النحو . فالتقدير هنا : الذى كان هذا منه . . . الخ .

(٥) يصح أن تقرأ : « آكل » قراءة الفعل ، فتكون فعلا مرفوعا . وتجوز أيضاً أن تقرأ « آكل » قراءة اسم الفاعل المنصوب ، مع حذف التنوين كما جاء حذفه فى قوله :

فألفيته غـير مستعتب ولا ذاكر الله إلا قليلا

بنصب لفظ الجلالة ، وحذف التنوين مما قبله . انظر ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) الجماع ، بالكسر ، بمعنى الجمع .

(أثر أكل سامّ أبرص ونحوه)

وسامُّ أبرص ربّما قتلَ آكله[١] ، وليس يُؤكل إلاّ من الجوع الشّديد . وربّما قتلَ السّنانيرَ وبناتِ عِرْس ، والشّاهُمْرُكَ ، وجميعَ اللّقّاطات[٢] .

وقال آخر[٣] :

كَأَنَّ الْقَوْمَ عُشُّوا لَحْمَ ضَأْنٍ ... فهُمْ نَعِجُونَ قد مالَتْ طُلاَهم[٤]

وهو شيءٌ يعرِض عن أكْلِ دَسَم الضَّأْن ، وهو أيضا يلقى على دسمه[٥] النُّعاس . وقد يفعل ذلك الحَبَق[٦] ، والخشخاش .

[والخشخاشُ] يسمَّى بالفارسيّة « أنارْ كِبُو[٧] » ، وتأويله رمَّان الحسّ . وإنّما اشتقّ له ذلك إذ كان يورث النُّعاس ، كما يورثه الحسّ .

(١) يصح قراءتها على المصدرية ، أو على أنها اسم فاعل : (أكله) و : (آكله) .

(٢) أى الحيوان الذى يلتقط غذاءه . ط : « اللفاهات » ، صوابه ما أثبت من س ، ه .

(٣) هو ذو الرمة ، كما فى لسان العرب (مادة نعج) .

(٤) فى المخصص (٥ : ٨٠) : « فان أكل لحم ضأن فثقل على قلبه فهو نعج » . ومثل هذا النص فى فقه اللغة ١٣٩ طبعة الحلبى ، ولسان العرب (نعج) ، مع رواية البيت فى كل منها ، وفى الأصل : « يعجون » بالباء ، وهذه الرواية مع احتمال صحتها لا تصلح مع تعقيب الجاحظ للبيت بما سيأتى من الكلام . والبعج : المتسع البطن . والطلى ، بالضم : الأعناق ، جمع طلية بالضم . وإنما مالت طلاهم لما غلب عليهم من النوم . س : « كلاهم » وهو تحريف . وانظر (٥ : ٤٧٩) .

(٥) كذا فى ط ، ه . وفى س : « رسمه » ، ولعل صوابهما : « يلقى عن دسمه » .

(٦) الحبق ، بالتحريك : ضرب من الرياحين .

(٧) هذه الكلمة الفارسية ، مركبة من مقطعين ، أحدهما (أنار) ومعناه الرمان . ويقال فيه أيضاً (نار) . ومنه (جلنار) بمعنى زهر الرمان . و (جل) بمعنى زهر =

(أكل السماني)

وأكلُ الطَّعام الذى فيه سمانَى يُورِثُ الدُّوَار . وزعموا أنَّ صبيًّا من الأعراب فيما مضى من الدَّهر ، صادَ هامةً[١] عَلَى قبر ، فظنها سُمانَى ، فأكلها فغثَتْ نفسه ، فقال :

* نفسى تَمَقَّسُ مِنْ سُمانَى الأقبرِ[٢] *

(استطراد لغوى)

ويقال : غَثَت نفسه غَثَياناً وغَثْياً[٣] ، ولَقِستْ تَلْقَسُ لَقَساً ، وتَمَقَّست[٤] تَتَمَقَّسُ تمقسا : إذا غَثِيت[٥] .

(أكل الأعراب للحيات)

وأخبرنى صباح بن خاقان ، قال : كنتُ بالبادية ، فرأيت ناساً حَولَ نارٍ فسأَلتُ عنهم ، فقالوا : قد صادوا حياتٍ فهم يشوُونها ويأكلونها ، إذْ نَظَرْتُ إلى رجلٍ منهم ينهش حَيَّةً قد أخرجَها من الجمر ، فرأيته إذا

= والثانى (كبو) ومعناه الخس . وفيه لغات : (كيبو ، كيبو ، كبو ، جبو) . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل . فهى فى ط ، هـ : «أباركوا» وفى س : «أباركو» . واعتمدت فى تصحيحها على معجمى بالمر وريتشاردسن .

(١) الهامة : ضرب من البوم .

(٢) الأقبر : جمع قبر . والخبر فى اللسان (مقس) بصورة أخرى .

(٣) س : «عثت نفسه عثيانا وغثيا» بالعين المهملة فى الكلمة الأولى والثانية والمعجمة فى الثالثة . صوابه فى ط ، هـ .

(٤) فى الأصل : «وتمقس» . والوجه ما أثبت .

(٥) س : «عثيت» محرف .

امتنعَتْ عليه يمدُّها كما يُمَدُّ عصبٌ لم ينضَجْ . فما صرفْتُ بصرى عنه حتى لُبِطَ
به[١] ، فما لبِثَ أن مات ، فسألتُ عنْ شأنه ، فقيلَ لى : عجَّلَ عليها قبلَ ١٠١
أن تنضَج وتَعْمَلَ النّار فى مَتْنها .

(أكل الحوائين للحيات)

وقد كان فى بَغدادَ وفى البَصْرةِ جماعةٌ من الحوّائين ، يأكل أحدُهم أىَّ حيّةٍ أشرتَ إليها فى جُونَتِه ، غير مشويَّة . وربَّما أخذَ المرَارَةَ[٢] وسْط راحتِه ، فلَطَعها بلسانه ، ويأكلُ عِشرين عقربانة[٣] نِيَّةً[٤] بدرهم . وأما المشوىُّ فإنَّ ذلك عنده عُرْسٌ[٥] .

(شعر فى الحيات)

وقال كثيِّر :

وما زَالَتْ رُقَاكَ تَسُلُّ ضِغْنِى ... فتُخْرِجُ من مكامِنِها ضِبابى[٦]
وتَرْقِينِى لك الحاوُونَ حتّى ... أجابَتْ حَيَّةٌ خَلْفَ الحِجَاب[٧]

---

(١) لبط به : صرع . وفى الأصل : « ليط به » ، بالياء ، وهو تحريف .
(٢) أى مرارة الحية ، أو لعلها « الجرارة » هـ : « النواه » محرفة .
(٣) كذا فى الأصل . ولعلها : « عقربا » .
(٤) النىء بالكسر والهمز : اللحم الذى لم ينضج . وفى اللسان : « وقد يترك الهمز ويقلب ياء ، فيقال : نى ، مشددا » . فما هو هنا صواب . وانظر (٥ : ٣٥٦) .
(٥) العرس ، بالضم وبضمتين : طعام الوليمة .
(٦) س : « وتخرج » . وفى الأصل : « من مكانها » ، محرف . وانظر ما سبق فى ص ٢٥٠ .
(٧) انظر ما أسلفت من الكلام على هذين البيتين فى ص ٢٥٠ .

وقال أبو عَدنان[1] ، وذكر ابنَ ثَرْوانَ[2] الخارجيَّ ، حين [كان] صار إلى ظَهْر البصرة ، وخرج إليه منْ خرج مِنْ بنى نُمير :

حَسِبْتَ نُميرًا يا ابن ثَرْوَان كالأُلَى   لَقِيتَهُمُ بالأمْس : ذُهلاً ويَشْكُرَا[3]

كما ظَنَّ صَــيَّادُ العَصافِــيرِ أنَّ فى

جَمِيعِ الكُوَى ، جَهْلاً ، فِرَاخا وأطيُرَا[4]

فأدْخَلَ يوماً كفَّهُ جُحْر أسوَدٍ   فشَرْشَرَهُ بالنَّهش حتى تشَرْشَرَا[5]

أراد قول رؤبة :

كنتُمْ كمن أدْخَلَ فى جُحْرٍ يَدَا   فأخْطأ الأفْعَى وَلاَقَى الأسْوَدَا

لو مسّ حَرْفَىْ حجَرٍ تَقَصَّدَا[6]   بالشَّمِّ لا بالسمِّ منه قصدا[7]

فقَدَّم الأسوَدَ على الأفعَى . وهذا لا يقوله مَن يَعرف مقدار[8] سُمِّ الحيات .

---

(١) سبقت ترجمته فى (١ : ١٨٤) . هـ : « أبو عجنان »، محرف .

(٢) فى الأصل : « أبا ثروان » . وأثبت ما يقتضيه الشعر الآتى .

(٣) ط ، هـ : « حسبت غيرا »، صوابه فى س . وذهل ويشكر : قبيلتان .

(٤) الكوى ، بالضم : جمع كوة بالضم ، وهى الخرق فى الحائط .

(٥) شرشره : قطعه تقطيعاً .

(٦) يقال قصده فتقصد : أى كسره فتكسر . وفى الأصل: « تفصد » ، وتفصد بمعنى سال لا وجه له هنا .

(٧) كذا فى ط ، هـ فيكون المراد بهذه قصد الحجر — بالقاف — بمعنى كسره وفى س : « أقصدا »، من أقصدته الحية : بمعنى قتلته مكانه .

(٨) س : « أقدار » . وانظر نقد هــذا المعنى فى الصناعتين ٨٨ والوساطة ١٧ والشعراء ٥٧٩ .

وقال عنترة :

حلَفْنا لَهُمْ والخيلُ تَرْدِى بنا معاً نزايلُـكُمْ حتَّى تَهِـرُّوا العَواليا (١)
عَوَالِيَ سُمْرٍ مِنْ رماحِ رُدَينةٍ هَرِيرَ الـكلابِ يتَّقِينَ الأفاعيا (٢)

(حديث فى الحية)

وقال النبىُّ صلى الله عليه وسلم : « اتَّقُوا ذَا الطُّفَيْتَيْنِ والأبتَرَ » . شبّه الخيطينِ على ظهره بخُوص المقْل (٣) وأنْشِدْتُ لأبى ذُؤيب :

عَفَتْ غَيْرَ نُؤْيِ الدَّارِ لَأْياً أُبِينُهُ وأقْطاعِ طُفْىٍ قدعَفَتْ فى المعاقل (٤)

(١) ردت الخيل تردى : رجمت الأرض بحوافرها . نزايلكم ، أى لا نزايلكم . فحذف النافى . وهو جائز مع القسم . وفى الكتاب : « تالله تفتؤ تذكر يوسف » أى لا تفتأ . وقال امرؤ القيس :

فقلت يمين الله أبرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك وأوصالى

وانظر لهذه المسألة المخصص (١٣ : ١١٥) وأمالى المرتضى (٣ : ١٣٧) والأضداد ١٤٨ والصناعتين ١٧٦ . ويقال : هرت إليه الكلاب وهرته : أى نبحته . انظر أساس البلاغة . والعوالى ، رءوس الرماح . وليس المعنى أنهم ينبحونها ، ولكنه يريد إظهارهم بغضها والخوف منها . والكلب إذا خاف شيئا نبحه ، حتى إنه لينبح السحاب مما يلقى منه من أذى المطر . انظر (٢ : ٧٣ — ٧٤) .

(٢) سمر : أى رماح سمر . ورُوى فى الديوان والكامل ١٧٥ ليبسك : « عوالى زرقا » فتكون زرقا صفة للعوالى ، أى أسنة زرقا . والسنان الأزرق هو الشديد الصفاء ، فكأنه مرآة ينطبع فيها لون السماء . والبيتان من قصيدة لعنترة يقولها فى يوم (الفروق) ، وهو يوم كان لبنى عبس على بنى سعد بن زيد مناة ، ومطلع القصيدة :

ألا قاتل الله الطلول البواليا وقاتل ذكراك السنين الخواليا

(٣) انظر ما أسلفت فى ص ٢٩٥ .

(٤) النؤى : حفير حول الخباء أو الخيمة يمنع السيل ، والأقطاع : جمع قطع ، بالكسر بمعنى المقطوع . والمعاقل : جمع معقل ، كمجلس ، وهو المكان تعقل فيه الإبل —

والطُّفْيُ(١) : خُوص المُقْل .

وهمْ يَصِفُونَ بَطْنَ المرأةِ الهيفاءِ الخميصَةِ البطْن، ببطن الحيَّةِ. وهى(٢) الأيْم . وقال العجّاج :

* وبَطْنَ أيمٍ وقَوَاماً عُسْلُجَا(٣) *

(مناقضة شعرية)

وقال أدْهَمُ بنُ أبي الزَّعْراء(٤) ، وشبَّه نفسَه بحيَّةٍ :

١٠٢ وما أسودٌ بالبأس ترتاحُ نفسُهُ إذا حَلْبَةٌ جاءتْ ويُطْرِقُ للحِسِّ

به نَقَطٌ حمرٌ وسودٌ كأنما تنضَّحَ نَضْحاًبالكُحَيلِ وبالوَرْسِ(٥)

= أى تشد ، وفى الأصل : « المعالف » وهو خطأ ؛ إذ أن البيت من قصيدة لامية ، مطلعها :

لمن طلل بالمنتضى غير حائل عفا بعد عهد من قطار ووابل

انظر اللسان (طفى) ومعجم البلدان (المنتضى) . ويروى أيضا : « فى المناقل » ، و : « فى المنازل » كما فى اللسان .

(١) جمع طفية بالضم ، وتجمع أيضاً على طفى بضم ففتح . قال (انظر اللسان) :

وهم يذلونها من بعد عزتها كما تذل الطفى من رقية الراقى

أى ذوات الطفى ، بمعنى الحيات .

(٢) س : « وهو »، والحية تذكر وتؤنث .

(٣) قوام عسلج ، بضم العين واللام ، أى ناعم ينثنى ويميل .

(٤) أدهم بن أبى الزعراء الطائى ، شاعر محسن ، له أشعار جياد فى أوصاف الحيات ، كما ذكر ذلك الآمدى فى المؤتلف والمختلف ٣١ . وهو من شعراء الحماسة . وهو كذلك شاعر إسلامى له شعر فى وقعة المنتهب ، التى كانت فى أيام مروان ابن محمد آخر خلفاء بنى أمية . انظر شرح التبريزى (٢ : ٨٢) . وفى ط : « أدهم بن أبى الزيعرى » و س : « أدهم بن أبى الزبعرى » . و هـ : « ابن أبى الزبعرى » ، والصواب فى ذلك ما أثبت .

(٥) الكحيل ، بهيئة التصغير : القطران يطلى به الإبل ، وهو أسود اللون . والورس ، بالفتح : نبت يصبغ به ، فيعطى صفرة إلى حمرة .

أصـمُّ قَطَارِيٌّ يكون خروجُـه   قُبيلَ غُروبِ الشَّمسِ مُخْـتَلَطَ الدَّمْس (١)

له منزلٌ ، أنفُ ابن قِتْرَةَ يغتذى   به السمّ ، لم يظهر نهارا إلى الشَّمس (٢)

يَقيلُ إذا ما قَالَ بين شواهق   تزِلُّ العُقَابُ عن نَفَانِفها الملس (٣)

بأَجْرَأَ مِنِّى يا ابْنَةَ القَوْمِ مُقْدَماً (٤)   إذا الحربُ دبَّتْ أولَبِسْتْ لها لِبْسى (٥)

فأجابه عَنْتَرَةَ الطائى (٦) ، فقال :

عَسَاكَ تَمنى مِنْ أَراقِمِ أرْضِنَا   بأرْقَمَ يُسْقى السمَّ مِنْ كلِّ مَنْطِفِ (٧)

---

(١) قطارى ، بالضم : يقطر سمه من كثرته ، أو ضخم . مختلط الدمس : أى عند اختلاط الظلام . وروى هذا البيت فى اللسان (قطر ٤١٨) منسوبا إلى تأبط شرا برواية :

* بعيد غروب الشمس مختلف الرمس *

(٢) ابن قترة ، بكسر القاف وإسكان التاء : حية خبيثة إلى الصغر ، تنطوى ثم تنقز ذراعاً أو نحوها ، لا تجرى . ط ، هـ : « ابن قترة » س : « ابن قترة » صوابهما ما أثبت . يقول : إن تلك الحية الصغيرة الخبيثة تقصد إلى منزل ذلك الأسود فتغتذى بأنفها السم . و : « به » بمعنى منه ، وفى الكتاب : « عيناً يشرب بها عباد الله » ، أى يشرب منها .

(٣) قال : أمضى وقت القائلة ، أى الظهر . والشواهق : الجبال العالية . والنفانف جمع نفنف ، بفتح النونين ، وهو صقع الجبل الذى كأنه جدار مبنى مستو .

(٤) مقدما ، بضم الميم وفتح الدال ، أى إقداماً . ويصح أن يقرأ « مقدما » بضم الميم وكسر الدال ، نصب على الحال .

(٥) اللبس ، بالكسر : ما يلبس ، والمراد لباس الحرب : من الدرع والبيضة ونحوها . ط ، هـ : « لبس » صوابه فى س .

(٦) هو عنترة بن عكبرة الطائى ، وعكبرة أم أمه ، وهو عنترة بن الأخرس بن ثعلبة . وساق نسبه الآمدى فى المؤتلف ١٥٢ قال : « شاعر محسن وفارس » . والبيت الآتى من أبيات خمسة فى الحماسة (٢ : ٣٨١) . وفى الأصل : « عنترة الصابى » وتصحيحه من المؤتلف وشرح التبريزى للحماسة (١ : ١١٨) .

(٧) تمنى ، أراد يقدر لك ، منى الله له الشىء : قدره . ولم أر تضعيف هذه النون إلا فى هذه الرواية . ورواية الحماسة ، وكذا محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) . « لعلك تمنى » . والمنطف : الموضع ينطف منه السم ، أى يقطر . وروى : « أنطف » على وزن أفعل ، قال التبريزى (٤ : ١٥١) . « وأفعل يوضع موضع فعل وفاعل » . ونطف يقال من بابى نصر وضرب .

(شعر فى الأسود)

وقال عنترة :

أترجُو حياةً يا ابن بشْرِ بن مُسهِرٍ وقد علِقَتْ رجلاك فى ناب أسـودا
أصمَّ جِبالىٍّ (١) إذا عضَّ عضَّةً تزايَلَ عنــه جلدُهُ فتبدَّدا (٢)
بِسَلْعٍ صَفاً لم يبدُ للشَّمس قبلَها إذا ما رآه صاحب اليَمِّ أُرْعِدَا (٣)
له رِبْقَةَ فى عنقه مِنْ قميصِــه وسائِرُه عن مَتْنِهِ قد تَقَدَّدا (٤)
رَقُودِ ضُحَيَّاتٍ ، كأَن لِسانَهُ إذا سمِعَ الإِجْرَاس مِكْحَالُ أرْمَدَا (٥)
يُفيتُ النُّفوسَ قبل أن يقع الرُّقى وإن أبرق الحاوِى عليه وأرْعَدَا (٦)

---

(١) كذا . ويقال للحية : « ابنة الجبل » . ورواية اللسان (مادة قطر) : « قطارى » بمعنى ضخم .

(٢) رواية اللسان : « تزيل أعلى جلده فتربدا » .

(٣) السلع ، بالفتح والكسر : الشق . واليم : البحر . وفى اللسان (سلع) : « راكب » بدل « صاحب » . وأرعد، بالبناء للمجهول : أصابته الرعدة .

(٤) الربقة ، بالكسر : الحبل . وقيصه : جلده المنسلخ . والمتن : الظهر .

(٥) يقول : هو ينام فى الضحى ، وذاك من شأن الحيات ، وإنما تستيقظ فى الظلام . والأجراس : جمع جرس ، بالفتح : وهو الصوت . وتقرأ أيضاً : « الإجراس» بالكسر ، وهو التصويت . ومكحال الأرمد : ما يكتحل به . وجعل لسانه كالمكحال فى دقته ، وفى سواده أيضاً . ومكحال الأرمد أشد سوادا من غيره ؛ لكثرة ما يستعمل .

ومن طريف ما جاء فى وصف لسان الحية بالسواد ، قول الآخر :

كأنما لسانه عـلى فـيه دخان مصباح ذكت ذواكيه

قال أبو العباس ثعلب : « يقال إنه لم يسمع فى صفة الحية أحسن من هذا البيت » . انظر ديوان المعانى (٢ : ١٤٦) . وقد سبق الكلام على لسان الحية فى ١٦٣ .

(٦) يفيت النفوس : يميتها موت الفجاءة . و « يقع الرق » كذا فى الأصل . ولعلها : =

(شعر في الحية)

وقال آخر :

لاَيَنْبُتُ العُشْبُ في وادٍ تكون به[1] ولا يجاورها وحْشٌ ولا شجر
رَبْداء شابكة الأنيــاب ذابلة ينبو ، من اليُبْسِ ، عن يافوخها الحجَرُ[2]
لو سرّحت بالنَّدَى ما مسَّها بلَلٌ ولو تكنَّفها الحاوُون ما قدَرُوا[3]
قد حاوَرُوها فما قام الرُّقاةُ لها وخاتلوها فما نالوا ولا ظفِرُوا[4]
تقصِّدُ الورَلَ العادِي بضَرْبَتها نكزاً ، ويهرُب عنها الحيَّةُ الذَّكرُ[5]

= « يسمع الرقى » . وأبرق وأرعد : تهدد وأوعد ، بما يتلو من العزائم .

(١) تكون به : أي تكون تلك الحية به . وليس يعني أنها تمنع العشب من أن ينبت ، ولكنه يريد أنها تختار موضعها في القفر .

(٢) ربداء : من الربدة ، وهي الغبرة . شابكة : مشتبكة . س ، هـ : « شائكة » وانظر ما سبق في ص ٢٨١ س ٥ . وذابلة : دقيقة . ويعرض للحية الدقة عند الكبر فيكون ذلك أشد لسمها . ينبو : يرتد . س : « يا فوخة » ، صوابه في ط ، هـ . واليافوخ : ملتقى عظم مقدم الرأس ومؤخره .

(٣) يقول : ينزلق عنها الندى لملاستها ، ولو أحاط بها الحاوون ليستخرجوها من جحرها ما أمكنهم ذلك . والحيات الخبيثة لا تستجيب لدعوة الراقي .

(٤) خاتلوها : خادعوها . س ، هـ : « فما نابوا » ، صوابه في ط .

(٥) الورل : حيوان من الزحافات طويل الأنف والذنب دقيق الحصر لا عقد في ذنبه كعقد ذنب الضب ، وهو أطول من الضب وأقصر من التمساح : Varanus والعادي : الذي يعدو ، أي يجري . تقصده : تقطعه وتفصله تفصيلا . انظر اللسان (قصد) وما سبق في ص ٣٠٤ . ط ، هـ : « تقصر » ، س : « تذكر » ، والوجه ما أثبت . والنكز : طعن الحية الحيوان بأنفها .

جملة القول فى الظليم

فممّا فيه من الأعاجيب أنه يغتذى الصَّخرَ ، ويبتلع الحِجارةَ ، ويعمِد إلى
١٠٣ المرْوِ ، [والمرْوُ] من الحجارة للتى توصف بالملاسة؛ ويبتلع الحصى ، والحصى أصلبُ من الصَّخْر ، ثمّ يُمِيعه ويُذيبه فى قانصته[1] ، حتّى يجعلَه كالماء الجارى . ويقصِدُ إليه وهو واثقٌ باستمرائه وهضْمه ، وأنّه له غذاءٌ وقِوامٌ .

وفى ذلك أعجوبتان : إحداهما التّغذِّى بما لا يُتَغذَّى[2] به . والأخرى: استمراؤه وهضمُه للشىء الذى لو أُلقِىَ فى شىءٍ ثمّ طبخ أبداً ما انحلّ ولا لان . والحجارة هو المثل المضروبُ فى الشدَّة . قال الشاعر :

* حتى يلين لِضِرْسِ المَاضغِ الحَجرُ *

وقال آخر[3] :

مَا أطْيَبَ الْعَيْشَ لو أنَّ الْفتَى حَجَرٌ تنبُو الحوادثُ عنه وهو ملمومُ[4]

ووصف اللهُ قلوبَ قومٍ[5] بالشدَّة والقسوة ، فقال: ﴿ فَهِىَ كَالحِجَارةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾ ، وقال فى التشديد : ﴿ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالحِجَارَةُ[6] ﴾

---

(١) فى الأصل : « من قانصته » .

(٢) بدله فى س : « بما لا يغذو » .

(٣) هو تميم بن أبى مقبل ، كما فى ديوانه ٢٧٣ وشرح شواهد المغنى ٢٢٧ .

(٤) الحجر الملموم : هو المجتمع الشديد .

(٥) هم بنو إسرائيل . انظر الآية الرابعة والسبعين من سورة البقرة .

(٦) وقع تحريف فى هذه الآية فى النسخ الثلاث . ففى ط : « النار » وفى س ، هـ : « نار » . وهذه الآية هى السادسة من سورة التحريم : « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » . وفى سورة البقرة أيضاً : « فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » . الآية ٢٤ .

لأنه حين حذَّر النَّاسَ أعلمهم أنّه يُلقِى العُصاة فى نارٍ تأكلُ الحجارةَ .

ومن الحجارةِ ما يتّخذه الصفّارونَ[١] عَلاةً[٢] دونَ الحديد ؛ لأنّه أصبرُ على دقِّ عِظام المطارق والفِطِّيسات[٣] .

فجوفُ النَّعامة يُذيب هذا الجوهر الذى هذه صفته .

(شواهد لأكل النعام الحصى والحجارة)

وقال ذو الرُّمّة :

أذَاكَ أمْ خاضبٌ بِالسِّيِّ مرتَعُه أبو ثَلاثِينَ أمْسى وهو منْقَلِبُ[٤]

شخت الجزارة مثلُ البيتِ سائرُه من المُسوحِ خِدَبٌّ شوقَبٌ خَشِبُ[٥]

---

(١) الصفارون : جمع صفار ، وهو من يعمل الصفر ، وهو بالضم : النحاس الجيد أو الأصفر . ط ، هـ : «الصائغون» ، والوجه ما أثبت من س ؛ إذ أن السياق يأبى ما فى ط ، هـ .

(٢) العلاة ، بالفتح : السندان ، وهو بالفتح ما يطرق عليه الحديد ونحوه .

(٣) جمع فطيس ، كسكيت ، وهى المطرقة العظيمة . ط : « الغطيسات » س : « العظيسات » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٤) أذاك : يقول أذاك الثور يشبه ناقتى أم خاضب صفته كذا وكذا . والخاضب : الظليم ، أى ذكر النعام ، الذى احمرت ساقاه . والسى بكسر السين بعدها ياء مشددة : ما استوى من الأرض . وجاء فى الأصل بالهمزة ، صوابه فى اللسان (سى) والمخصص (٨ : ٥٢) وأمالى القالى (٣ : ١٦٤) وديوان ذى الرمة ص ٢٨ كمبردج . أبو ثلاثين : أى أبو ثلاثين فرخا . والنعام يبيض نحو العشر فما فوقها ، فأراد بالثلاثين أنه قد حضن أبطنا فعرف ما يصلح البيض وما يفسده ، فهو حينما ينتهى من الرعى يهرع إلى أدحيته . وقال : أمسى ، ليعبر عن جده فى اللحاق قبل الليل ، ولأنه يكون فى ذلك الوقت قد رعى فاشتدت قوته . منقلب : منصرف . ط ، هـ : « وذاك » ، صوابهما فى س والمخصص والأمالى والديوان . ط : « مرتعة » صوابه فى جميع المصادر . ط ، هـ : « فهو منقلب » ، وهى رواية المخصص أيضاً .

(٥) شخت الجزارة : أى دقيق القوائم . والجزارة ، بالضم : أجر الجزارة ، كالعمالة أجر العامل . وكانوا يأخذون القوائم فى أجرة الجزار فسميت القوائم جزارة . مثل =

كأنّ رجليه مِسْمَاكانِ من عُشَرٍ صَقْبَانِ لَمْ يَتَقَشَّرْ عنهما النَّجَبُ[١]

أَلْهَاهُ آءٌ وتَنُّــومٌ ، وعُقْبَتُهُ مِنْ لائحِ المَرْوِ ، والمَرْعى له عُقَبُ[٢]

وقال أبو النَّجْم :

والمَرْوُ يُلْقِيهِ إلى أمعائه[٣] فى سرْطم مادَ على التوائه[٤]

= البيت ، هوالبيت من بيوت العرب من المسوح . قال المبرد : « يعنى إذا مد جناحيه . وإنما أخذه من قول علقمة بن عبدة :

صعل كأن جناحيه وجوجؤه بيت أطافت به خرقاء مهجوم »

والمسوح : جمع مسح ، بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . والحدب : الضخم . والشوقب : الطويل . خشب : غليظ خشن . ط : « حدب » صوابه فى س ، هـ والديوان والكامل ٤٤٩ ليبسك .

(١) المسماك : عود يكون فى الخباء . والعشر : ضرب من كبار الشجر ، له صمغ حلو. صقبان : طويلان . والنجب : لحاء الشجر ، أى قشره . جعل رجليه كالمسماكين الطويلين الخشنين . وفى الأصل : « كأن عينيه » وهو من عجيب التحريف . وصوابه ما كتبت من الديوان . ط : « لم يتشر » صوابه فى س ، هـ والديوان .

(٢) الآء : شجر له ثمر يأكله النعام . والتنوم : شجر له حمل صغار مثل حب الخروع ، وينفلق عن حب يأكله أهل البادية ، وكيفما زالت الشمس تبعها بأعراض الورق . عقبت الماشية فى المرعى : رعت الخلة عقبة ثم تحولت إلى الحمض عقبة أخرى ، أو العكس . أى هو بعد أن يأكل هذين يجعل عقبته من لائح المرو . والمرو : الحجارة البيض . واللائح : اللامع .

(٣) المرو فسر قريباً . فى الأصل : « والمره » ، تصحيحه من عيون الأخبار (٢ : ٨٦). والأمعاء : جمع معى بالتحريك ، وبكسر الأول وفتح الثانى . فى الأصل : « معائه » ، تحريف ما أثبت من عيون الأخبار ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) .

(٤) السرطم ، كجعفر : البلعوم . فى الأصل : « سرطه » وصوابه من عيون الأخبار. ماد البلعوم : مال واضطرب . فى الأصل : « مار » ويصح بها المعنى ، لكن يستترك بها الرجز لما سيأتى فى البيت بعده . وفى عيون الأخبار : « هاد » والوجه ما أثبت . على التوائه : أى بسبب التواء بلعوم هذا الظليم .

يَمُورُ فى الحلْقِ على عِلْبَائِه(١) تَمَعُّجَ الحَيَّةِ فى غِشَائِهِ(٢)

* هادٍ ولو حَارَ بَحوصَلائِه *

(إذابة جوف الظليم للحجارة)

ومَنْ زَعَمَ أنَّ جَوفَ الظَّليمِ إنما يُذيب(٤) الحِجارة بقَيظ الحرارة فقد أخطأ . ولكنْ لابدَّ من مقدارٍ للحرارة [و(٥)] نحو غرائزَ أخر ، وخاصّيّات أخر . ألا تَرَى أنَّ القُدورَ التى يُوقَد تحتها الأيَّامَ واللَّيالىَ ، لا تذوب .

(القول فى الخاصيات والمقابلات والغرائز)

وسأدلُّك على أنْ القولَ فى الخاصِّيّاتِ والمقابلات والغرائز حقٌّ . ألا ترى أنّ جوفَ الكلْبِ والذِّيبِ يذيبان العِظام ولا يذيبان نَوَى التمر ، ونَوَى التمر أرخَى وألين وأضعَفُ من العظام المصْمَتة . وما أكثر ما يَهضِم

(١) يمور : أى يضطرب ويتردد ، والضمير للمرو . ط ، س : « تمر » هـ : « يمر » صواهما من المخصص (١٦ : ٦٣) وهو ما يقتضيه ارتباط هذا البيت بما بعده . والعلباء ، بالكسر : عصب العنق . فى الأصل : « عليائه » بالياء ، والوجه ما أثبت موافقاً لما فى المخصص .

(٢) التمعج : التلوى . ورواية المخصص (١٦ : ٢٨ ، ٦٣) : « تعمج » بتقديم العين ، وهما بمعنى واحد . وغشاء الحية : غلافه . والمراد جلده الذى يسلخه . والحية يذكر ويؤنث ، جعل حركة المرو يتردد فى حلق الظليم كحركة الحية حين تضطرب فى جلدها قبل تمام انسلاحه . فى الأصل : « عشائه » صوابه من المخصص .

(٣) يقول : ذلك المرو ، ولو حار قليلا فى وصوله إلى حوصلة الظليم ، فهو هاد بها فى آخر الأمر ، أى مهتد . ط ، هـ : « جاد » محرفة . س : « حاد » . والأوفق ما أثبت من المخصص (٨ : ١٢٢) . و « بحوصلائه » : أى هو مهتد بحوصلائه ، كأنها علم له . ورواية المخصص والفصول ٤٦٢ : « لحوصلائه » .

(٤) ط ، هـ : «تذيب» ، صوابهما فى س .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إليها .

١٠٤ العظم . وقد يهضم العظمَ جوفُ الأسد وجوفُ الحيَّةِ ، إذا ازدردت بضع اللحْمِ(١) بالشَّرَهِ والنَّهَم ، وفيها بعضُ العِظام .

والبراذين التى يُحِيلُ(٢) أجوافُها القَتَّ والتِّـبْنَ(٣) رَوْثاً ، لا تستمرِى الشعير .

والإبلُ تقبضُ بأسنانِها على أغْصانِ أمِّ غَيْلاَن ، وله شوكٌ كصياصِى البقر(٤) ، والقُضبانُ علـكة(٥) يابسةٌ جرد ، وصلاب متينة ، فتستمرئُها(٦) وتجعَلها ثَلْطاً(٧) ولا تقْوَى على هضْم الشَّعِير المنقع . وليس ذلك إلاَّ بالخصائص والمقَابلات .

وقد قُدِّرَ كلُّ شيءٍ لشيء . ولولا ذلك لمانفذ خرطومُ البعوضةِ والجِرجسة فى جلد الفيل والجاموس ، ولَمَا رأيت الجاموسَ يهرُب إلى الانغماس فى الماء مرّةً ومرّةً يتلطَّخ بالطِّين ، ومرّةً يجعله أهله ربيثَ الدكان(٨) . ولو دفعوا إليك مِسَلّةً شديدةَ المتْن ، لَمَا أدخلْتَها فى جلْد الجاموسِ إلاّ بَعدَ التكلُّفِ، وإلاّ ببَعْضِ الاعتماد .

والذى سخَّر جلدَ الجاموسِ حتَّى انفرَى وانصدع لطعْنَةِ البعوضة ،

---

(١) البضعة ، بالفتح وقد تكسر : القطعة من اللحم، جمعها بضع بالفتح ، وكعنب ، وصحاف ، وتمرات .

(٢) فى الأصل : « يحل » .

(٣) القت : يابس الفصفصة ، والفصفصة ما يعرف فى مصر بالبرسيم . فى الأصل : « ألقت » صوابه ما أثبت .

(٤) صياصى البقر : قرونها ، مفردها صيصية .

(٥) علـكة : شديدة .

(٦) فى الأصل : « تستمرنها » .

(٧) الثلط ، بالفتح : الروث . س ، ه : « ثلكا » صوابه فى ط .

(٨) الربيث : المحبوس . وفى الأصل : « على ربيث » وهذا التصحيح للأب أنستاس .

وسخَّر[١] جلد الحمار لطعْنة الذُّباب ، وسخَّر الحجارةَ لجوف الظليم ، والعَظْمَ لجوف الكلبِ – هو الذى سخَّر الصَّخْر الصُّلْبَ لأذناب الجراد ، إذا أرادتْ أن تُلقيَ بيضها ؛ فإنَّها فى تلك الحال مَتَى عقدَتْ ذنبها فى ضاحى صخْرةٍ[٢] انصدعَتْ لها . ولو كان انصداعُها من جهة الأَسْر[٣] ، ومن قوَّة الآلة[٤] ، ومن الصَّدم[٥] وقوَّةِ الغمْز ، لانصدعت لما هُو فى الحسِّ أشدُّ وأقوى . ولكنَّه على جهة التَّسخير ، والمقابلات ، والخصائص .

وكذلك[٦] عُود الحلْفاء ، مع دقَّته ورَخاوته ولِين انعطافه ، إذا نبَت فى عُمق الأرضِ ، وتلقَّاه الآجُرُّ والخزَفُ الغليظ ، ثقَبَ ذلك ، عند نباته وشبابه ؛ وهو فى ذلك عبقَرٌ نَضير .

وزعم لى ناسٌ من أهل الأُرْدُنِّ ، أنهم وجَدوا الحلْفاء قد خرَّق جوف القار[٧] .

وزعم لى أبو عتَّاب الجرّار[٨] ، أنَّه سمع الأكَرَة يُخبِرونَ أنهم وجدوه قد خَرَقَ فلسًا[٩] بصْريًّا .

---

(١) ط : « وسخر » صوابه فى س ، هـ .

(٢) ضاحى الصخرة : ظاهرها . س ، هـ : « صاحى » صوابه فى ط .

(٣) الأسر ، بالفتح : القوة .

(٤) س : « الأيد » .

(٥) ط ، هـ : « الصدع » صوابه فى س .

(٦) س : « ولذلك » .

(٧) القار : الزفت . ط : « الفار » س : « نعار » كذا . صوابهما فى هـ .

(٨) ط : « الجرار » وأثبت ما فى س ، هـ . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤) .

(٩) الفلس : جزء من أجزاء الدرهم . وقد تحدث عنه المحقق الكبير الأب أنستاس مارى فى حواشى النقود العربية ٦٧ – ٦٨ . ط : « وقد قلع فلسا بصريا » .

وليس ذلك لشدَّةِ الغمزِ وحِدَّة الرأس ، ولكنه يكون على قدْر ملاقاة الطباع .

ويزعمون أنَّ الصَّاعقة تسقُطُ فى حانوت الصَّيْقل[١] فتُذيب السُّيوفَ بطبعها[٢] ، وتدع الأغمادَ عَلَى شبيهٍ بحالها . وتسقُطُ عَلَى الرَّجُلِ ومعه الدراهمُ فتَسبك الدَّراهم ، ولا يصيبُ الرجُلَ أكثرُ من الموت .

والبحريُّون عندنا بالبصرة والأُبُلَّة التى تكون عليها الصَّواعق[٣] ، لايدعون فى صُحُون[٤] دُورهم وأعالى سُطوحهم ، شيئاً من الصُّفر إلَّا رفعوه ؛ لأنها عندهم تنقضُّ من أصل مخارجها ، على مقدارٍ من محاذاة الأرض ، ومقابلةِ المكان ، فإذا كان[٥] الصُّفر لها ضاحياً ، عدلَتْ إليه عن سَنَنِها[٦] .

وما أنكر ما قالوا . وقد رأيتهم يستعمِلون ذلك .

وقد يَسْقط النَّوَى[٧] فى تُرَابِ المتوضَّإ ، فإذا صُهرِجَ نَبَتَ[٨]
١٠٥ فإذا انتهى إلى الصَّاروج أمسك . وإن كان الصَّاروج رقيقاً فإنْ قُيِّرَ ، وجُعلَ غِلظُهُ بقدر طول الإبهام ، نبت ذلك النَّوى حتَّى يخرِق ذلك القار .

(١) الصيقل : شحاذ السيوف وجلاؤها .

(٢) س : « وطبعها » .

(٣) فى الأصل : « عنها الصواعق » .

(٤) صحن الدار : وسطها .

(٥) فى الأصل ، « كائت » .

(٦) السنن : الطريق . ط : « سنتها » . والوجه ما أثبت من س ، ه .

(٧) فى الأصل : « وقد تسقط النواة » ، والسياق يقتضى ما كتبت .

(٨) صهرج المتوضأ : عمل بالصاروج ، وهو النورة أو أخلاطها .

(٩) أى جعل فوقه القار . ط : « وإن كان الصارج » ، صوابه فى س ، ه .

ولورام رَجُلٌ خرْقَه بمسمارٍ أو سِكّة[١] ، لما بلغ إرادتَه حتى يشقّ على نفْسه .

والذى سخَّرَ هذه الأمورَ القويَّةَ فى مذْهب الرَّأى وإحساسِ النَّاس ، هو الذى سخَّر القُمقُم ، والطَّيجن ، والمِرْجَل ، والطَّستَ ، لإبرة العقرب . فما أُحصِى عدَدَ مَنْ أخبرنى من[٢] الحوَّائين ، من أهل التَّجارب ، أنها رُبَّما خرجتْ من جُحرها فى اللَّيل لطلَب الطُّعم[٣] ، ولها نشاط وعُرَام[٤] ، فتضرِب كلَّ مالقِيَتْ ولقِيها : من حيوانٍ ، أو نباتٍ ، أو جماد .

وزعم لى خاقانُ بن صبيح — واستشهد المثَنَّى بنَ بِشْر ، وما كان يحتاجُ خبَرُه إلى شاهدٍ ؛ لصدقه — أنَّه سمعَ فى داره نَقْرَةً وقعتْ على قُمْقُم — وقد كان سمع بهذا الحديث — فنهض[٥] نحوَ الصوت ، فإذا هو بعقربٍ فتعاورها هو والمثنى بنعالهما[٦] حتى قتلاها ، ثمَّ دعَوَا بماءٍ فصبَّاه فى القُمقُم فى عشِيَّتِهِماَ ، وهو صحيحٌ لايسيلُ منه شيء .

فمن تعجَّبَ من ذلك فليصرِفْ بَدِيًّا[٧] تعجُّبَه إلى الشيء الذى

---

(١) السكة : الحديدة . وأصلها حديدة المحراث . ط : « سلة » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « عن » .

(٣) ط ، هـ : « الطعام » ، وما أثبت من س أشبه بلغة الجاحظ . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٤) العرام ، بضم العين المهملة : الحدة والشدة . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، س : « غرام » و هـ : « عزام » .

(٥) هـ : « فناهض » ، صوابه فى ط ، س .

(٦) التعاور : التداول والتناوب . س ، هـ : « بنعلهما » وهو وجه جائز ، وأثبت ما فى ط .

(٧) بديا : أى بدءا وأولا . وجاء فى س : « بدءا » .

تقذفه بنَعَبها[١] العقربُ فى بدَن الإنسان والحمير والبغال ، فليفكِّرْ[٢] فى مقدار ذلك من القلة والكثرة . فقد زعم لى ناسٌ من أهل العَسْكر[٣] أنهم وزنوا جَرَّارَةً[٤] بعد أنْ ألْسَعُوها[٥] فوجدوا وَزنها على تحقيق الوزن على مقدارٍ واحد . فإن كان الشىء المقذوفُ من شكل [الشىء] الحارّ ، فلم قصَّرت النَّارُ عن مبلغ عمله ؟ ! وإن كان من شِكل الشىء البارد فلم قصَّر الثلج عن مَبْلغ عمله ؟ ! فقد وَجَبَ الآن أنَّ السمَّ ليس يقتل بالحرارة ، ولا بالبرودة إذا كان بارداً . ولو وجَدْنا فيما أردنا شيئاً بلغ مبلَغَ الثَّلج والنار لذكرْناه .

فقد دلَّ ما ذكرنا على أنّ جوفَ النَّعامةِ ليس يُذيبُ الصخرَ الأملسَ بالحرارة ، ولكنَّه لابدَّ على كلِّ حالٍ من مقدارٍ من الحرارة ، مع خاصِّيَّات أُخَرَ ، ليستْ[٦] بذاتِ أسماءٍ ، ولا تعرفُ إلَّا بالوهم فى الجملة .

---

(١) ط ، ه : « بديها » س : « بدبها » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٢) كذا فى س . وفى ط ، ه : « فيفكر » .

(٣) هو عسكر مكرم ، بضم الميم وسكون الكاف وفتح الراء : بلد من نواحى خوزستان . قال الجاحظ عند ذكر الجرارات : « وهى تكون بعسكر مكرم وجنديسابور » . وقال الدميرى عند ذكر الجرارات : « وهى عقارب صغار صفر على مقدار ورق الأنجذان . وتكون بعسكر مكرم » .

(٤) الجرارة : واحدة الجرارات . وهى ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها وفى الأصل : « جرادة » تحريف . انظر التنبيه السابق .

(٥) ألسعوها : أى مكنوها من لسع حيوان . ط ، ه : « التقوها » ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) ط ، س : « ليسب » تصحيحه من ه .

(علة قتل السم)

والسمّ يقتل بالكمّ والكَيف والجِنس . والكَمُّ : المقدار . والكيف : الحدّ . والجنس : عَيْنُ[١] الجوهرِ وذاتُه .

وتزعمُ الهنْدُ أنّ السّمّ إنما يقتُل بالغَرابة ، وأنّ كلّ شيء غريب خالَطَ جَوْفَ حيَوَانٍ قَتَلَهُ . وقد أبى ذلك ناسٌ فقالوا : وما بالُه يكون غريباً إذا لاقى العصَبَ واللَّحم ، وربما كان عاملًا فيهما جميعا . بل ليس يقتل إلّا بالجنس ، وليس تُحسُّ النفسُ إلّا بالجنس . ولو كان الذى يميت حِسَّهُما إنما يميتُه لأنه غريبٌ ، جَازَ أيضاً أنْ يكون الحَسَّاس إنما حَسَّ[٢] لأنه غريب . ولو كان هذا جائزاً لقيل فى كلِّ شىء .

وقال ابن الجهم : لولا أنّ الذهب المائعَ ، والفِضَّة المائعة ، يجمدان إذا صارا فى جوف الإنسان ، وإذا جَمُدَا لم يجاوزَا مكانهما ـ لكانَا[٣] ١٠٦
من القواتل بالغرابة .

وهذا القول دَعْوَى فى النفس ، والنفْسُ تضيق جدًّا . وما[٤] قرأت للقدماء فى النفْس الأجلادَ الكثيرة . [و[٥]] إنما يستدلُّ ببقاء تلك الكتب على وَجْهِ الدَّهر إلى يومنا هذا ، ونَسْخِ الرِّجَال لها أمَّةً بعدَ أمَّة ، وعمرًا بعد عمر ، على جهل أكثرِ النّاسِ بالكلام . والمتكلمون

(١) فى الأصل : « غير » ، وصوابه ما كتبت .

(٢) هى صحيحة . وفى القاموس : « وحسست الشىء : أحسسته » .

(٣) فى الأصل : « لكان » . والوجه إلحاق ألف الاثنين .

(٤) لعلها : « وقد » .

(٥) ليست بالأصل .

يريدون أن يَعْلمُوا كل شيء ، ويأبى الله ذلك . فهذا بابٌ من أعاجيب الظليم .

بابٌ آخر
وهو عندى أعجب من الأول

وهو ابتلاعُهُ الجمرَ حتى ينفُذَ إلى جوفه ، فيكونَ جوفه هو العامل فى إطفائه ، ولا يكونَ الجمرُ هو العامل فى إحراقه .

وأخبرنى أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سَيَّارٍ النَّظَّام — وكنّا لا نرتاب بحديثه إذا حكَى عن سماعٍ أو عِيان — أنَّهُ شَهِدَ محمد بن عبد الله ، يلقى الحجَر فى النَّار ، فإذا عاد كالجمر قَذَف به قُدّامَه ، فاذا هو يبتلعه كما يبتلع الجمْرَ . وكنتُ قلت له : إنَّ الجمْرَ سخيفٌ سريعُ الانطفاءِ إذا لقى الرُّطوباتِ ، ومتى أطبقَ عليه شيء يحُولُ بيْنهُ وبين النَّسيم خَمَدَ ، والحَجَر أشدُّ إمساكاً لما يتداخَله من الحرارة ، وأثقَلُ ثِقَلًا ، وألزقَ لزُوقاً وأبطأ انْطِفَاءً ، فلو أحميْتَ الحجارة ! فأحماها ثم قذف بها إليه ، فابتلع الأولى فارتَبت به ، فلما ثنَّى وثلّثَ اشتدَّ تعجبى له ، فقلت له : لو أحميت أواقيَّ الحديدِ ، ما كان منها رُبْعَ رِطلٍ ونصف رطل ! ففعل ، فابتلعه ، فقلت : هذا أعجبُ من الأوّلِ والثَّانى ، وقد بقيَتْ علينا واحدةٌ ، وهو أن ننظر : أيَسْتَمْرِى[1] الحديدَ كما يستمْرِى الحجارة ؟ ولم يتركنا بعضُ السفهاء

(١) يستمرى : يستسيغ . وأصلها الهمز .

وأصحاب الخُرْق (١) أن نَتَعرَّفَ ذلك على الأيّـام . وكنتُ عَزَمْتَ على ذبْحه وتفتيش جَوْفِه وقانصته ، فلعلّ الحديد يكون قد بقى هناك لا ذائباً ولا خارجاً فعمَد بعضُ نُدمائه إلى سِكّين فأُحْمِىَ ، ثم ألقاه إليه فابتلعه ، فلم يجاوزْ أعلى حلقه حتى طلعَ طرفُ السِّكين من موضع مَذْبَحِه ، ثمَّ خرَّ مَيّتاً .

فَمَنَعَنَا بُخرقِه من استقصاء ما أردْنا .

(شبه النعامة بالبعير وبالطائر)

وفى النَّعامة أنَّها لا طائرٌ ولا بعير . وفيها من جهة المَنْسِمِ [والوظيف (٢)] والخَرَمَةِ (٣) ، والشقّ الذى فى أنفه ، ما للبعير . وفيها من الرِّيش والجناحَين والذَّنبِ والمِنْقارِ ، ما للطائر . وما كان فيها من شكل الطَّائر أخرَجَهَا ونَقَلَها إلى البيض (٤) ، وما كان فيها من شكل البعير لم يخرجها ولم ينقلها إلى الوُلدِ (٥) . وسماها أهل فارس : « أُشْتُرْمُرْغ (٦) » ، كأنّهم قالوا : هو طائر وبعير . ١٠٧

---

(١) الخرق ، بالضم : الحمق وسوء التصرف .

(٢) الوظيف : مستدق الذراع والرجل من الخيل والإبل . وهذه الزيادة من س .

(٣) الخرمة ، بالتحريك : موضع الخرم من الأنف . وفى كل أنف خرمات ثلاث ، ثنتان خارجتان عن اليمين واليسار ، والثالثة الوترة التى بين المنخرين . ط : « الخزامة » ، وهى بالكسر : ما يوضع فى خرمة الأنف ، وليست مرادة . س ، ﻫ : « الخرامة » ، صوابه ما أثبت . وانظر العقد (٦ : ٢٣٧) .

(٤) البيض ، ككتب ، وبالكسر أيضاً : جمع بائض وبيوض . والعبارة محرفة فى الأصل . ففى جميع النسخ : « وفيها إلى ما فيها من شكل الطائر » ، وبعد كلمة « الطائر » فى كل من ط ، ﻫ : « حذقها » ، وفى س : « حذفها » وهو تحريف جد مضلل ، وقد هدانى إلى تصحيح العبارة ، ما تقتضيه المقابلة بين هذه الجملة والجملة التى تتلوها .

(٥) الولد ، بالضم وكسكر : جمع والد بمعنى والدة . وفى اللسان : « وشاة والدة وولود : بينة الولاد . ووالد ، والجمع ولد » . وانظر تاج العروس . ط ، ﻫ : « الواعر » ، وصوابه ما أثبت من س .

(٦) « أشتر » بضم الهمزة والتاء ، ويقال أيضاً : « شتر » بحذف الهمزة ونقل =

(شعر فى شبه النعامة بالبعير والطائر)

وقال يحيى بن نوفل :

فأنتَ كساقطٍ بين الحَشَايا تَصير إلى الخَبيثِ من المَصيرِ[1]

ومثلُ نَعامةٍ تُدْعَى بعيراً تعاظُمِها إذا ما قِيلَ طِيرِى[2]

فإن قيل احْمِلى قالت فإنِّى مِنَ الطَّيرِ الْمُرِبَّةِ بالوُكورِ[3]

ثمَّ هجا خالدا[4] فقال :

وكنتَ لَدَى الْمغيرة عَيْرَ سَوْءٍ تَصُول ، من المخافةِ ، للزَّئيرِ[5]

= الضمة إلى الشين : معناه البعير . ومرغ ، بالضم : معناه الطائر .

(١) جعله ممن يلازم الفراش ، ويقعد عما تقتضيه الشجاعة والرجولة . وجاء فى حديث على « من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة ، يتخلف أحدهم يتقلب على حشاياه ! » . وقال عمرو بن العاص : « ليس أخو الحرب من يضع خور الحشايا عن يمينه وشماله » . الخور : اللينات . « تصير » هى فى الحيوان (٧ : ٢٠) والبيان (٢ : ٢٦٦) : « يصير » .

(٢) تعاظمها : أى ادعاؤها العظمة والفوق على الطيور . وجاءت الرواية كذلك فى الجزء السابع ، والبيان ، وأصل عيون الأخبار (٢ : ٨٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) . وروى : « تعاصينا » كما هى عند الدميرى . وروى فى اللسان (مادة نعم) : « تعاظمه » ، أى تعاظم البعير .

(٣) أرب الطائر بوكره : لزمه ولم يفارقه .

(٤) هو خالد بن عبد الله القسرى . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ١١٢) بيتين ليحيى بن نوفل فى هجاء خالد بن عبد الله القسرى :

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطعم الماء لما جدّ فى الهرب

وألحن الناس كل الناس قاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب

(٥) المغيرة هذا هو المغيرة بن سعيد ، صاحب فرقة المغيرية ، وهو متنبىء خرج فى إمارة خالد بن عبد الله القسرى ، وكان يقول بالإلاهية على ، وتكفير أبى بكر ، وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علىّ . وظفر به خالد بن عبد الله آخر الأمر ، فأحرقه وأحرق أصحابه فى سنة ١١٩ من الهجرة . والعير : الحمار الوحشى =

لأعلاجٍ ثمانيةٍ وعِلْجٍ كَبيرِ السِّنِّ ذى بصَرٍ ضَرير (١)
هتَفْتَ بكلِّ صَوْتِكَ أطْعِمُونِى شراباً ؛ ثم بُلْتَ عَلَى السَّرِير (٢)

وإنما قيل ذلك فى النَّعامةِ ؛ لأنَّ النَّاسَ يضربون بها المثلَ للرّجل إذا كان مِمَّنْ يعتلُّ فى [كُلِّ] شىءٍ يكلفونه بعِلة ، وإن اخْتَلَفَ ذلك التكليف، وهو قولهم: « إنما أنتَ نعامةٌ ، إذا قيل لها احملى قالت: أنا طائر ، وإذا قيل لها طيرى قالتْ : أنا بعير » .

(قصة أذنى النعامة)

وتزعمُ الأعرابُ أنَّ النّعامةَ ذهبَتْ تطلُبُ قرنَين ، فرجَعت مقطوعةَ الأذنين ؛ فلذلك يسمُّونه « الظليم (٤) » ، ويصفونه بذلك .

وقد ذكر أبو العِيالِ (٥) الْهذَلىّ ذلك ، فقال :

= جعله عند ملاقاته للمغيرة كالعير ، إذا سمع زئير الأسد دفعته شدة الجبن والذعر إلى أن يهاجم هو الأسد ، مما ضاع من صوابه وطار من رشده ، وهذا معروف من طباع العير . والبيت محرف فى الأصل وفى البيان أيضاً . فهو فى الأصل : « عبد سوء تصول من المخافة للزمير » ، وفى البيان : « تبول من المخافة للزئير » . وصوابهما ما أثبت .

(١) يشير إلى المغيرة وكبار أتباعه . وللمرزبانى حديث عن هذا البيت فى الموشح ٢٣٥ .

(٢) انظر لتوضيح هذا البيت ما سبق فى (٢ : ٢٦٧ س ١٠) والحواشى .

(٣) الظليم ، أى المظلوم ، كقتيل وجريح . وانظر ما سيأتى فى ٣٩٨ - ٣٩٩ . وجاء فى هذا قول بشار : كما فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٨) :

وكنت كالهيق غدا يبتغى قرنا فلم يرجع بأذنين

وانظر مع هذا التذييل فى آخر الجزء .

(٤) أبو العيال ، شاعر من شعراء هذيل ، مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم فيمن أسلم من هذيل ، وعمر إلى خلافة معاوية . الأغانى (٢٠ : ١٦٧) . الجمحى : « كان رجلان من هذيل يسكنان مصر — أحدهما يقال له بدر بن عامر والآخر يقال له أبو العيال بن أبى غثير . فبينا ابن أخ لأبى العيال قائم عند قوم =

وإخال(١) أنَّ أخاكم وعِتَابَهُ(٢) إذ جاءكم بتعطُّفٍ وسكونِ(٣)
يُمْسِي إذا يُمسِي ببطن جائع صِفْرٍ ووجهٍ ساهمٍ مَدْهُونِ(٤)
فغدَا يمُثُّ(٥) ولا يُرَى فى بَطْنِهِ مثقالُ حَبَّةِ خَرْدل موزونِ(٦)
أو كالنّعامةِ إذْ غدت من بيتها ليُصاغَ قَرْنَاهَا بِغيْرِ أذِينِ(٧)
فاجتثت الأذْنَانِ منها فانْثَنَتْ صَـلماءَ ليستْ مِنْ ذَواتِ قُرُونِ(٨)

= ينتضلون إذ أصابه سهم فقتله . فخاصم فى دمه أبو العيال ، وأنه اتهم به بدر ابن عامر ، أن يـكون ضلعه مع القوم الذين يخاصمهم ، وخاف أن يعينهم عليه ». وقد قال بدر بن عامر يبرئ نفسه مما قيل لأبى العيال وقرف به ، شعراً روى فى (أشعار الهذليين) المطبوع فى لندن ١٨٥٤ ، فأجابه أبو العيال مرة فرد عليه بدر أخرى ، وهكذا حتى تجاوبا عدة مرات . انظر أشعار الهذليين ص ١٣٦ . وهذا الشعر الآتى هو المجاوبة الخامسة من أبى العيال الهذلى . وروى قصة الشعر أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ١٦٧) معزوة إلى الأصمعى وأبى عمرو . وفيها زيادة : أن ذينك الرجلين الهذليين خرجا إلى مصر فى خلافة عمر بن الخطاب . وهذا الاسم هو فى الأصل : « أبو العباس » وصوابه ما ذكرت .

(١) س : « وأخاك »، صوابه فى ط ، هـ وبقية أشعار الهذليين .

(٢) فى الأصل : « رعنانة » ، تصحيحه من بقية أشعار الهذليين .

(٣) قال ابن حبيب : يقول : جاءكم متعطفا ساكنا يريكم أن باطنه صالح ، وهو باطن سيئ .

(٤) ط : « يمشى إذا يمشى » صوابه فى س ، هـ والمرجع المتقدم . والصفر بالكسر : الخالى الذى لاطعام فيه . ساهم : ضامر مهزول . وقد دهن وجهه ليرى الناس أنه مخصب وليخدعهم عن سهومه وتغيره .

(٥) يمث : يرى على سحنته وجلده مثل الدهن . فى الأصل : « يموت »، وهو تحريف صوابه فى بقية أشعار الهذليين . والرواية فيه : « فيرى يمث » .

(٦) مثقال : مقدار . وحب الخردل من أصغر الحبوب . يريد مثقال حبة خردل من طعام . وجعله موزونا مبالغة منه وإظهارا للمعنى .

(٧) بغير أذين : أى من غير أن يؤذن لها . فى الأصل : « لتصاغ »، ووجهه ما أثبت من بقية أشعار الهذليين .

(٨) اجتثت : قطعت من أصلها . والصلماء : المقطوعة الأذنين .

(تقليد الغراب للعصفور)

ويقولون : ذهَبَ الغُراب يَتَعَلَّمُ مِشْيَةَ العُصفور[١] ، فلم يتعلّمْها ، ونسِى مِشيتَه ، فلذلك صارَ يحجِلُ ولا يَقْفِزُ قَفَزَانَ العُصْفور[٢] .

(مشى طوائف من الحيوان)

والبُرغوث والجرادةُ ذاتُ قفْزٍ ، ولا تمشى مِشْيَةَ الدِّيكِ والصقرِ والبازى ، ولكن تمشى مِشية المقيَّد أو المُحَجَّل[٣] [خِلْقَة[٤]] .

قال أبو عِمران الأعمى[٥] ، فى تحوُّل قضاعة إلى قحطانَ[٦]

(١) الشعر الذى رواه الدميرى يشير إلى أنهم زعموا أيضاً أنه رام تقليد القطاة . وهو :

إن الغراب وكان يمشى مشية فيما مضى من سالف الأجيال
حسد القطاة ورام يمشى مشيها فأصابه ضرب من العقال
فأضل مشيته وأخطأ مشيها فلذاك سموه أبا المرقال

(٢) هى صحيحة . يقال قفز يقفز قفزاً وقفزانا وقفازاً — بضم ففتحة خفيفة — وقفوزاً . والأسير والأعرف : نقز العصفور ينقز نقزاً ونقزانا .

(٣) المحجل : الذى قيدت قوائمه . وفى الأصل : « الحجل » محرف .

(٤) هذه الزيادة من س ، هـ . وهى فى أصلها : « خلقته » .

(٥) كذا فى ط ، هـ ، وفى س : « أبو عمروان الأعمى » ، تحريف . واسمه يحيى بن سعيد كما فى كتاب العققة والبررة لأبى عبيدة ، فى نوادر المخطوطات (٢ : ٣٥٢) :

(٦) قضاعة ، هو قضاعة بن معد بن عدنان . وقد تحولت إلى حمير فعدت فى اليمن . انظر المعارف ص ٢٩ . وقد وضح ابن الكلبى سبب هذا التحول بأن قضاعة ليس ولداً شرعياً لمعد بن عدنان ، بل والده هو مالك بن حمير من اليمن ، فلما توفى والد قضاعة تزوجت أمه — وكان اسمها عكبرة — بمعد بن عدنان ، فتبناه حينئذ وتكنى به ، فنسب إليه ، أى إلى معد ، فى أول الأمر . ثم عاد النسب إلى حقيقته فصار يعرف بقضاعة بن مالك بن حمير . انظر النص فى الروض الأنف (١ : ١٦) . وقد قال عمرو بن مرة يذكر هذا النسب :

نحن بنو الشيخ الهجان الأزهر قضاعة بن مالك بن حمير =

عَنْ نزار(١) :

كما اسْتَوحَشَ الحىُّ المقيمُ ففارقُوا الْ ... خَليطَ فلا عزَّ الّذين تَحَمَّلوا
كتاركِ يوماً مِشْيَةٍ مِنْ سَجِيَّةٍ ... لأخرى ففاتَتْهُ فأصبَحَ يَحْجِلُ(٢)

(عظام النعامة)

١٠٨ ومن أعاجيبها أنَّها مع عِظَمِ عظامها ، وشدّة عدْوها ، لا مخَّ فيها . وفى ذلك يقول الأعلم الهذلىُّ :

عَلى حتٍّ البُرايَةِ(٣) زَمْخَرِىِّ الـ ... سَّوَاعِدِ(٤) ظَلَّ فى شَرىٍ طِوالِ(٥)

يعنى ظليماً شبّه [بهِ(٦)] عدْوَ فرسِه . والحَتُّ(٧) : السريع . والشَّرى :

= النسب المعروف غير المنكر فى الحجر المنقوش تحت المنبر
وقال الكميت يعاتب قضاعة فى انتسابهم إلى اليمن :
علام نزلتم من غير فقر ولا ضراء منزلة الحميل
والحميل : السبى يحمل من بلد إلى بلد .

(١) أى عن إخوتهم نزار بن معد بن عدنان . وفى الأصل : « بن نزار » وليس شيئاً ؛ فان قحطان هو ابن عابر ؛ كما اتفقت على ذلك كتب الأنساب .

(٢) المشية ، بالكسر : الهيئة من المشى . وقد فصل بين المتضايفين بالظرف ، وهو جائز . وفى الأصل : « مشيه » والصواب ما أثبت ؛ لقوله : « أخرى » أى لمشية أخرى . وانظر العققة و البررة لأبى عبيدة ٣٥٥ .

(٣) حت ، بحاء مفتوحة بعدها تاء مثناة . وفى الأصل : « حث » بالمثلثة ، وهو وهم وتحريف ، صوابه من اللسان (حتت ، زمخر ، برى) وحماسة البحترى ٦٦ حيث يتوسط البيت خمسة أبيات مروية هناك . س : « البرية » تحريف .

(٤) الزمخرى : سيفسره الجاحظ . س : « ذمخرى » ، صوابه بالزاى كما أثبت .

(٥) تقرأ بالكسر ، جمعا لطويل . وبالضم ، مفرداً بمعنى الطويل . قال ابن جنى « يريد أنهن إذا كن طوالا سترنه فزاد استيحاشه . ولو كن قصاراً لسرح بصره ، وطابت نفسه ، فخفض عدوه » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) ط ، ه : « الحث » س : « الحب » ، صوابهما بالمثناة . انظر التنبيه الثالث.

الحنظل . و بُرايته : قوّته على ما يَبْرِيه من السَّير[1] . والسَّواعد : مجارى مخّـه فى العظم وكذلك مجارى عروق الضَّرْع ، يقال لها السَّواعد .

قال : ونظنّ أنَّمَا قيل لها ذلك لأنّ بعضَها يُسْعِدُ[2] بعضاً ؛ كأنَّه من التَّعاون أو من المواساة[3] .

قال : والزَّمْخَرِىّ : الأجوف . ويقال : إنَّ قصب عظْم الظَّلِيم لا مخَّ له . وقال أبو النجم :

* هاوٍ يظلُّ المخُّ فى هَوائِه[4] *

وواحد السَّواعد : ساعد .

وقال صاحب المنطق : ليس المخُّ إلاَّ فى المجوّفة[5] ، مثل عظم الأسد .

وفى بعض عظامه مخٌّ يسير . وكذلكِ المخُّ قليلٌ فى عِظام الخنازير ، وليس فى بعضها منه شىءٌ البتَّة .

(بيض النعام وما قيل فيه من الشعر)

ومِنْ أعاجيبها أنّها مع عِظم بيضها تـكثِّرُ عدَد البيضِ ، ثمَّ تضَع بيضَها طولاً حتّى لو مددْت عليها خيطا لما وجدت لها مِنْهُ[6] خُروجاً عن الأخرى ، تُعطى كلَّ بيضَةٍ من ذلك قسْطَه . ثمَّ هى مع ذلك ربَّما تركت

---

(١) ذهب ابن سيده فى تفسير هذا البيت إلى أن « حت البراية » بمعنى منحت الريش لما ينفض عنه عفاءه من الربيع . والبراية : النحاتة . وأنا أستحسن ما ذهب إليه .

(٢) أسعده بمعنى أعانه. وفى ط ، ه : « يساعده »، وأثبت ما فى س.

(٣) ط ، ه : « المساواة »، والوجه ما أثبت من س .

(٤) فى القرطين (٢ : ٧٧) : * هاو تضل الطير فى خوائه *

(٥) أى العظام المجوفة .

(٦) أى من الخيط . وفى الأصل : « منها » .

بيضها وذهبَتْ تلتمسُ الطَّعام ، فتجدُ بيضَ أُخرَى فتحضُنه . وربَّما حضَنت هذه بيضَ تلك ، وربّما ضاع البيضُ بينهما .

وأمّا عددُ بيضِها ورئالها فقد قال ذُو الرُّمّةِ :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّيِّ مرتعُه أبو ثلاثِينَ أمْسَى وهو مُنْقلِبُ(١)

وفى وضْعها له طُولاً وعرضا على خطٍّ وسَطْرٍ ، يقول(٢) :

وَمَا بَيْضَاتُ ذِى لِبَدٍ هِجَفٍّ سُقِينَ بِزَاجَلٍ حَتَّى رَوِينَا(٣)

وُضِعْنَ فكلُّهُنَّ على غِرارٍ هِجانُ اللَّون لم تقرع جَنينا(٤)

يَبِيتُ يَحفهُنّ بِمِرْفقَيْهِ وَيَلْحَفهُنّ هَفهَافاً ثُخِينا(٥)

---

(١) سبق الكلام على هذا البيت فى ص ٣١١ . س : «أخاك». ﻫ : « بالشى » ط : « بالسيء » وكل ذلك محرف . س ، ﻫ : « فهو منقلب » .

(٢) القائل هو عمرو بن أحمر الباهلى ، كما سيأتى فى ص ٣٤١ والكامل ٢٥ ليبسك وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) واللسان (هجف) .

(٣) عنى باللبد هنا الريش . والهجف ، بكسر ففتح : الطويل الضخم ، أو المسن . ط ، ﻫ : « نجف » س : « بنجف » ، صوابه من اللسان والمخصص (٨ : ٥٥) . والزاجل ، بفتح الجيم ، ويقال بالهمز أيضاً : مايسيل من مؤخر الظليم على البيض إذا حضنه . س : « بداجل » ، صوابه فى ط ، ﻫ والمخصص واللسان (هجف ، زجل) .

(٤) غرار ، بالكسر : أى حد واحد وقالب واحد . وأصل الغرار المثال الذى يضرب عليه النصل فتخرج النصال متساوية متشابهة . والهجان : البيض اللون . ولفظه بكسر الهاء يقال للواحد والجمع . و « لم تقرع » هكذا جاءت فى الأصل ، ورواية المبرد : « قد وسقت » ، بمعنى حملت . ولعل سبب تحريف الأصل اشتباه هذا البيت ببيت عمرو بن كلثوم :

ذراعى حرة أدماء بكر هجان اللون لم تقرأ جنينا

فحدث فيه لذلك الوهم ثم التحريف . ثم إن العلامة المرصفى وهم أيضاً فى شرح هذا البيت من الكامل (رغبة الآمل ١ : ١٤٧) فجعله فى صفة نوق ، وإنما هو فى صفة بيض النعام .

(٥) لحفه ، من باب منع : غطاه باللحاف . هفهافا ، يعنى به الجناح . وثخينا : أى =

وقال الآخر (١) :

تهوِى بها مُكْرَبَاتٌ فى مَرافقِها فُتْلٌ صِلابٌ مَياسِيرٌ مَعَاجِيلُ (٢)
يَدَا مَهاةٍ ، ورِجْلا خَاضب سَنِق كأنَّهُ مِنْ جَنَاهُ الشَّرْىَ مَخلولُ (٣)
هَيْقٍ هِجَفٍّ وَزِفَّانِيَّةٍ مَرَطَى زَعْراءَ ، رِيشُ جَنَاحَيها هَرَاميلُ (٤)

= تراكب ريشه بعضه فوق بعض . والبيت فى الأصل :

تبيت تحفهن بمرفقيها وتلحفهن هفهافا ثخينا

والوجه ما أثبت ، إذ أن الضمائر راجعة إلى الظليم . ورواية اللسان فى مادة (هفف) : « يبيت يحفهن بقفقفيه » . وفى مادة (قفف) : « فظل يحفهن بقفقفيه » . وقفقفا الظليم : جناحاه .

(١) هو الشماخ ، من قصيدة له فى ديوانه ٧٧ — ٨٢ مطلعها :

بانت سعاد فدمع العين مملول وكان من قصر من عهدها طول

(٢) تهوى بها : أى تسرع . والضمير عائد إلى الناقة فى بيت سابق . والمكربات : المشدودات ، يعنى أن أذرعها مشدودة بمرافقها . وفتل : جمع أفتل وفتلاء ، بمعنى مندمجة شديدة . ط ، ه : « ملزمات » ، س : « مكرمات » ، وهما تحريف ما أثبت .

(٣) المهاة : البقرة الوحشية . والخاضب : الظليم احمرت ساقه . والسنق : الذى أصابه السنق والبشم من الشبع . من جناه الشرى : أى من تناوله الحنظل ، وهو أطيب طعام عند النعام . يقال جنى الثمر يجنيه جنى ، بالتحريك . والمخلول ، هو الفصيل يجعل فى لسانه عود يمنعه من الرضاع . جعل الظليم ، فى امتناعه عن الطعام ، مما شبع ، كالفصيل المخلول الذى لا يستطيع الرضاع . والبيت محرف فى الأصل تحريفاً كبيراً ، ففى الأصل : « أشق » موضع « سنق » ، والأولى لا وجود لها فى اللغة وتصحيحه من الديوان . س : « من حناه » ه : « من حناة » صوابه فى ط والديوان . س : « محلول » صوابه فى ط ، ه والديوان .

(٤) الهيق : الطويل . والهجف : الطويل الضخم . وفى الديوان واللسان (هرمل) والمخصص (٨ : ٥١) : « هزف » . والهزف : السريع . والزفانية ، بالكسر كما فى القاموس (زفف) — السريعة . ط ، ه : « زفافية » س : « زنافية » محرفتان . وضبطت فى المخصص ضبط قلم وكذا فى الديوان بالفتح . والمرطى ، بفتحات : السريعة . وفى الأصل والديوان : « مرطا » صوابه فى المخصص واللسان (هرمل) . والزعراء : القليلة الريش . والريش الهراميل : المتفرقات . وفى الأصل : « هذا ميل » ، صوابه فى الديوان والمخصص واللسان .

كأنّما مُنثنى أقماعِ ما هَصَرَتْ   مِنَ العِفَاءِ بِلِيتَيْهَا ثآليلُ[(١)]
تَرَوَّحا مِنْ سنام العِرقِ فالتَبَطَا   إلى القِنَانِ التى فيها المداخِيلُ[(٢)]
١٠٩ إذا استهلّا بشُؤبوب فقد فُعِلَتْ   بما أصابَا مِنَ الأَرْضِ الأفاعيلُ[(٣)]
فصادَفا البيْضَ قد أبدَتْ مناكِبها   منها الرِّئالُ ، لها منها سَرَابيلُ[(٤)]
فَنكَّبا ينقُفَانِ البَيْضَ عن بَشَر   كأنها ورقُ البَسْباسِ مَغْسُولُ[(٥)]

(١) يقول : كأن رءوس مغارز الريش الذى هصرته تلك النعامة ونزعته ، بثور ظاهرة . والليت ، بالكسر : صفحة العنق . فى الأصل : « من الفقار » وتصحيحه من الديوان . والعفاء ، بالكسر : الريش . س : «بليديها» ه : « بلبها » بهذا الإهمال . وصوابهما فى ط والديوان .

(٢) تروحا : أى سارا فى الرواح . وسنام العرق : أعلاه . والعرق ، بالكسر : الأرض المرتفعة ، أو الحبل الرقيق المستطيل من الرمل . س : « العرف » بالفاء ، وهو بالضم : الأرض المرتفعة . وأثبت مافى ط ، ه والديوان . والتبطا : توجها . والقنان : جمع قنة بالضم ، وهى الجبل السهل المستوى المنبسط على الأرض . وفى الأصل : « الفقار » وأثبت مافى الديوان . والمداخيل : المداخل ، وعنى بها المداخل التى تحت الجرف ، التى تسمى الدحال . وفى الديوان : « المداحيل » بالحاء المهملة .

(٣) أى إذا اشتدا فى الجرى بدفعة منه فإنهما يخددان الأرض بمناسمهما . وأصل الاستهلال شدة انصباب المطر . والشؤبوب : الدفعة منه . فى الأصل : « إذا استهل . . . . بما أصاب . . . . » وصوابه ما أثبت موافقا لما فى الديوان .

(٤) أى وجدا البيض وقد أخرجت منه الفراخ الصغار مناكبها ، وقد علاهن بعض قشر البيض ومائه ، فكان ذلك لهن كالسرابيل . فى الأصل : « فصادف » وصوابه ما أثبت من الديوان . وفى الديوان أيضا : « منه الرئال لها منه » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة ، فإنه يذكر ويؤنث . المصباح ص ٩٦٨ وهذا قول الزجاج . ولابن سيده تفصيل طيب فى هذا المعنى . المخصص (١٦ : ١٠٠) .

(٥) يقول : مالا إلى ذلك البيض ينزعان قشره عن بشر تلك الفراخ ، وكأن بشرها ورق ذاك النبت حين يغسل . مكان « عن بشر » فى ط : « أعينها » وفى س : « عن » فقط ، وفى ه : « عنها » وتصحيحه وإكماله من الديوان . والبشر : جمع بشرة ، يذكر ويؤنث ، كما فى التنبيه السابق . والبسباس : نبت له أوراق متراكبة شقر . تذكرة داود . وفى الديوان : « كأنه ورق البسباس » .

(تشبيه القدر الضخمة بالنعامة)

والشُّعراء يشبِّهون القِدْرَ الضَّخْمَةَ التى تكون بمنزِلِ العَظِيم وأشباهِهِ من الأجواد ، بالنَّعامة . قال الرّمّاحُ ، ابنُ مَيّادة[1] :

وقلت لها لاتعجلى كذلك تقرى الشوك مالم تردد[2]

إلى جامعٍ[3] مثل النَّعامة يلتقى عوازبه[4] فوق . . . . .

جامع : يعنى القدر . وجعلها مثلَ النَّعامة .

وقال ابن ميادة يمدح الوليدَ بن يزيد :

نتاجِ العشَارِ المنْقِيات إذا شَتَتْ[5] روابدُها مثلُ النَّعامِ العَواطِفِ[6]

---

(١) هو الرماح بن أبرد . وهو المعروف بابن ميادة . وميادة : أمه . وهو مخضرم من شعراء الدولتين . س ، هـ : « الرياحى ابن ميادة » ، صوابه فى ط .

(٢) س : « يقرى » . ط : « مالم تزدد » . وفى هذا البيت والذى بعده نقص وتحريف .

(٣) ط : « جامل » ، وأثبت صوابه من س ، هـ . وفى القاموس : « وقدر جامع وجامعة وجماع ككتاب : عظيمة » . وفى اللسان : « وقدر جماع وجامعة : عظيمة . وقيل هى التى تجمع الجزور » .

(٤) س : « غواديه » ، هـ : « عواربه » .

(٥) س ، هـ : « انتاج » صوابه فى ط . والمنقيات : ذوات الشحم . والنقى ، بالكسر : الشحم . وشتت : دخلت فى الشتاء . ط : « إذا المنقيات شتت » ، هـ : « العشار إذا شنت » س : « العشار إذا تثنت » ، وقد وجهته بما ترى .

(٦) الروابد : من ربد ربودا : أقام . وقد عنى بهن القدور المقيمة على النار . والعواطف : الحانيات على أولادها .

وقال(١) الفرزدق(٢) :

وقدرٍ كحيزُومِ النّعامة أُحْمِشَتْ(٣) بأجْذالِ خُشْبٍ زالَ عنْهَا هشيمها(٤)

(الذئب والنعام)

وضحك أبو كَلْدَةَ(٥) حينَ أُنشِد شعرَ ابن النَّطّاح(٦) ، وهو قوله :

* والذِّئب يلعب بالنّعام الشّارد *

قال : وكيف يلعب بالنّعام والذِّئبُ لايَعْرِضُ لبيض النَّعام وفراخِه حين لايكونان حاضرَين ، أو يكونُ أحدهما ؛ لأنهمَا متى ناهضاه ركَضهُ الذَّكرُ فرماه إلى الأنثى ، وأعجلَتْهُ الأنثى فرَكضَتْهُ ركضةً تَلقيه إلى الذَّكر فلا يزالان كذلك حتى يقتُلاه أو يُعْجِزَهُماَ هَرَباً . وإذا حاوَلَ ذلك منه أَحَدُهُمَا لم يقْوَ عليه . قال : فكيف يقول :

---

(١) قبل هذا فى ھ : « فضحك أبو عبيدة » ، وهى زيادة لاموضع لها .

(٢) البيت فى محاضرات الراغب منسوب إلى مضرس . وهو كذلك ليس فى ديوان الفرزدق مع وجود أخواته فى ص ٨٠٣ .

(٣) حيزوم النعامة : ما استدار ببطنها وظهرها . ويقال أحمش القدر وأحمش بها : أشبع وقودها . ط ، ھ : « أحشمت » ، صوابه فى س والبخلاء ١٩٠ وأمالى المرتضى (٤ : ٢٩) والحماسة (٢ : ٣٢٨) ، وأول البيت فيهما : « غضوبا » . جعل غليانها بمنزلة الغضب .

(٤) الأجذال : جمع جذل ، بالكسر ، وهو أصل الشجرة . وفى الأصل : « أجفال » تحريف ما أثبت من البخلاء ومحاضرات الراغب . ورواية أبى تمام والمرتضى : « بأجواز » أى أوساط . وهى أصلب الخشب وأبقاه ناراً . والهشيم : المتهشم . ط : « هيشما » ، صوابه فى س ، ھ وسائر المراجع . ط ، ھ : « منها » وأثبت مافى سائر المراجع .

(٥) هذه العبارة ساقطة من ھ . وأبو كلدة سبق ذكره فى (١ : ٢٣٤) .

(٦) هو بكر بن النطاح ، سبقت ترجمته فى (٣ : ١٩٦) .

* والذِّئب يلعبُ بالنَّعام الشَّارد *

وهذه حالُه مع النَّعام ؟ !

وزعم أنَّ نعامتين اعتَوَرَتا ذِئباً فهزَمتاه (١) ، وصعِد شجرةً ، فجالدهما ، فنقره أحدُهما ، فتناوَلَ الذِّئبُ رأسَه فقَطَعه ، ثمَّ نزل إلى الآخَر فساوَرَه فهزَمَه .

(جُبن الظليم ونِفاره)

والظَّليم يُوصف بالجُبْن ، ويوصف بالنِّفار والتَّوحُّش .

وقال سَهم بن حنظلة (٢) ، فى هجائه بنى عامر :

إذا ما رَأيتَ بنى عامرٍ رأيتَ جَفاءً وَنُوكًا كثيرا (٣)
نعامٌ تَجُرُّ بأعْنَاقِها ويمنَعها نُوكها أن تَطيرا (٤)

(ضرر النعامة)

والنَّعامة تتخذها النَّاسُ فى الدُّور (٥) ، وضررُها شديدٌ ؛ لأنَّها ربَّما رأتْ فى أذن الجارية أو الصبيَّة قُرطاً فيه حجرٌ ، أو حبَّةَ لؤلؤٍ ، فَتَخْطَفُهُ

(١) اعتورتاه : تداولتاه . ﻫ : « فهربتاه » .

(٢) فى الإصابة ٣٧٠٣ : « سهم بن حنظلة بن خاقان — صوابه حلوان — بن خويلد ابن حرمان — كذا — الغنوى . قال المرزبانى : شاعر شامى مخضرم » . وذكره صاحب المؤتلف والمختلف ١٣٦ .

(٣) النوك ، بالضم والفتح : الحمق . وفى عيون الأخبار : « ونوكا كبيراً » .

(٤) الرواية فى عيون الأخبار (٢ : ٨٧) : « تمد بأعناقها » . وهذه أجود .

(٥) الدور : جمع دار . س : « تتخذ فى الدور » .

١١٠ لتأكله . فكم أذنٍ قد خرَقَتها ! ورُبّما رأتْ ذلك فى لَبَّة (١) الصبىّ أو الصبيَّة، فتضرب به بمنقارها ، فربَّما خرقت ذلك المكان .

(شعر فى تشبيه الفرس بالظليم)

وممَّا يشبَّه به الفَرَسُ ممَّا فى الظليم ، قولُ امرئ القيس بن حُجْر :

وخدٌّ أسيلٌ كالِمسَنِّ وبِرْكةٌ كَجؤجؤِ هَيْقٍ دفُّه قد تموَّرا (٢)

وقال عُقْبَةَ بن سَابق (٣) :

وله بِركة كَجُؤجُؤِ هَيْقٍ ولَبانٌ مضرَّجٌ بالخضَابِ (٤)

وقال أبو دُوَاد (٥) الإياديُّ :

---

(١) اللبة ، بالفتح وتشديد الباء : موضع القلادة من الصدر .

(٢) البركة ، بالكسر : الصدر . والجؤجؤ : الصدر أيضاً . والهيق : الذكر من النعام . والدف ، بالفتح : صفحة الجنب . وتموّر : سقط منه النسيل أى الريش . وإنما يكون ذلك فى أيام الربيع وجودة المرعى . ويحدث مثله أيضاً للحمار حيث يسقط عنه الشعر . انظر اللسان (مور) . والنعام فى ذلك الوقت ينمو نمواً كبيراً . وقد سبق هذا البيت فى (١ : ٢٧٢) وانظر ديوان امرئ القيس ٢٦٧ دار المعارف .

(٣) هو عقبه بن سابق الهزانى ، شاعر من شعراء الأصمعيات (٦ - ٧) . وفى الأصل : « عبدة بن شأس » ، وصوابه ما أثبت كما جاء باتفاق النسخ فى الجزء الأول ص ٢٧٣ .

(٤) انظر لتفسير صدر هذا البيت ما سبق فى تفسير البيت السابق . والرواية فى الجزء الأول : « ولها » . واللبان ، بالفتح : وسط الصدر . مضرج بالخضاب : ملطخ بالدم . وكان العرب إذا ساقوا الخيل على الصيد ، فالسابق منها إليه يخضبون نحره بدم ما يمسكونه من الصيد ؛ علامة على أنه سباق غايات . بلوغ الأرب (٣ : ١٨) . وقد يكون المراد أن راكب هذا الجواد أو الفرس يعرض نفسه للمخاطر ، فيصيب فرسه نصيب من ذلك .

(٥) فى الأصل : « أبو داود » وهو تحريف يتكرر كثيرا . والصواب ما أثبت . وترجمة أبى دواد تقدمت فى (٣ : ٤٢٥) ، وهو أحد نعات الخيل المجيدين .

يَمْشِى كَمشى نعامَتَيْــــنِ يُتابِعانِ أشقَّ شاخِصْ[1]

وقال آخر[2] :

كأَنَّ حَماتَه كُرْدُوسُ فَحْلٍ مقلَّصة على سَاقٍ ظَلِيمِ[3]

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ :

كالسِّيدِ ما استقبلته وإذا وَلَّى تَقُولُ مُلَمْلَمٌ ضَرِبُ[4]

لَأْمٌ إذا استقبلته ومَشَى متتابعاً ما خانَهُ عَقْبُ[5]

يَمْشِى كَمَشْىِ نَعامَةٍ تَبِعَتْ أُخْرَى إذا مَا رَاعَهَا خَطْبُ

القولُ فيما اشتُقَّ له من البَيْض اسم

قال العدَبَّس[6] الـكِنانىّ : باضت البُهْمَى[7] : أى سقطت نِصالُها[8]

---

(١) أشق : يعنى ظليما واسع ما بين الرجلين . والشاخص : المرتفع . وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٤) .

(٢) فى (١ : ٢٧٤) أنه خالد بن عبد الرحمن .

(٣) الحماة : عضلة الساق . والـكردوس ، بالضم : واحد الـكراديس ، وهى رءوس العظام . وفى الأصل : « نحل » ، صوابه ما أثبت من الجزء الأول ، ط ، هـ : « على شتى » س : « على سق » ، صوابه ما أثبت من الأول .

(٤) السيد ، بالـكسر : الذئب . والململم : المجتمع المدور . والضرب : الخفيف اللحم .

(٥) اللأم : الشديد .

(٦) العدبس الـكنانى: أعرابى فصيح ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ٤٧ ليدن ، ٧٠ مصر . وفى القاموس (مادة عدبس) ، أن العدبس رجل كنانى. وفى اللسان (مادة عدبس أيضاً) « ومنه سمى العدبس الأعرابى الـكنانى ». وفى الأصل: « العديس » بالياء ، صوابه ما أثبت من المراجع المتقدمة .

(٨) البهمى ، كحبلى : نبت هيئته كالشعير ، ولـكنه قصير . ويعرف أيضاً بالشوفان فى سوريا . وهو بالانجليزية : Wild - oat . عن معجم النبات ، وتذكرة داود ، والقاموس .

(٨) النصال : جمع نصل ، وهو سنبلة البهمى .

وباض الصَّيف ، وباض القَيظ : اشتدَّ الحر وخرج كلُّ مافيه — من ذلك .

وقال الأسَدِىّ :

فجئنا وقد باضَ الكَرَى فى عيونِنا[١] فتًى مِنْ عُيُوب المقرِفينَ مُسَلَّمَا[٢]

وقال أميَّةُ بنُ أبى الصَّلْتِ :

ركِبَتْ بيضةُ البيَاتِ عليهم لم يُحِسُّوا منها سِواها نذيرا[٣]

وقال الرَّاعى ، يهجو ابنَ الرِّقاع[٤] :

لو كنْتَ مِنْ أحَدٍ يُهجَى هجَوْتُكُمْ
يا ابن الرِّقاع ، ولكنْ لسْتَ مِنْ أحَدِ
تأبَى قُضاعةُ لمْ تقبَلْ لكمْ نسباً وابنَا نِزارٍ فأنتم بَيضَةُ البَلَدِ

وفى المديح قولُ علىٍّ بن أبى طالب رضى الله عنه : « أنا بَيْضَةُ البَلد » ومنه بيضة الإسلام . وبيضة القبّة : أعلاها ، وكذلك الصَّوْمَعَةُ[٥] .

والبيْض : قلانس الحديد .

---

(١) الكرى : النوم والنعاس . فى الأصل : « من عيوننا » . محرف .

(٢) فى الأصل : « عيون المقرفين » والصواب ما أثبت . والمقرفين ، إن كسرت الراء كانت من أقرف الرجل : إذا كان هجينا ، بأن تكون أمه عربية وأبوه غير عربى . وإن فتحت الراء كانت من أقرف الرجل غيره : وقع فيه وذكره بسوء .

(٣) البيات ، بالفتح : من بيت العدو القوم : قصدهم فى الليل من غير أن يعلموا ، فيأخذهم بغتة . ط والديوان ٣٤ : « سراها » صوابه فى س ، هـ .

(٤) هو عدى بن الرقاع . وكلمتا : « ابن الرقاع » ساقطة من س . وانظر الكلام على البيتين فى الحيوان (٢ : ٣٣٦) واللسان (بيض) وثمار القلوب ٣٩٢ والعمدة (٢ : ١٥٣) .

(٥) الصومعة ، كجوهرة : بيت للنصارى ، سمى بذلك لدقة فى رأسه .

وقال أبو حيَّة النُّميرِىّ[1] :

وصدَّ الغانياتُ البِيضُ عَنِّى وما إنْ كان ذلك عن تَقَالى[2] ١١١
رأيْنَ الشَّيْبَ بَاضَ على لِدَاتى[3] وأفْسَدَ ما عَلَىَّ من الجَمَالِ[3] !

وبَيضُ الجُرْح والُخرَاجِ والحِبْنِ[4] : الوعاء الذى يجمع فيه الصَّديد ، إذا خَرَجَ برئَ وصلُح .

وقد يُسمُّون ما فى بطونِ إناث السَّمك بَيْضاً ، وما فى بطونِ الجرادِ بيضاً ، وإن كانوا لا يَرَوْنَ قِشْرًا يشتمِلُ عليه ، ولا قَيْضاً يكونُ لما فيه حِضْنًا[5] .

والخِرشاءُ : قشرة البيض إذا خَرَجَ مافيه . وسَلْخ الحيَّةِ يقال له الخرشاء .

---

(١) اسمه الهيثم بن الربيع ، ونسبته إلى نمير بن عامر بن صعصعة ، وهو شاعر من مخضرمى الدولتين ، وقد مدح الخلفاء فيهما جميعاً ، وكان مقصداً راجزاً من ساكنى البصرة ، وكانت به لوثة ، وكان من أجبن الخلق ، وله سيف يسميه : لعاب المنية ، ليس بينه وبين الخشبة فرق . توفى نحو سنة ١٦٠ . الشعراء ٧٤٩ والأغانى ١٥ : ٦١ . وفى الأصل : « النمرى » محرف .

(٢) التقالى : المباغضة . هـ : « ثقالى » مصحفة .

(٣) لداتى : جمع لدة ، بالكسر . واللدة : من يولد معك .

(٤) الحبن ، بالكسر : الدمل . ط : « الجبن » تصحيف سبق مثله فى ٢ : ٣٣٦ ، وصوابه فى س ، هـ .

(٥) القيض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والحضن ، بالكسر : بمعنى مايحيط بالشىء . وأصله من حضن الجبل ، وهو مايطيف به .

(شعر فى التشبيه بالبيض)

وقال الأعشى فى تشبيه اللَّفَّاء[1] الحسناء بالبيضة :

أو بيضةٍ فى الدِّعصِ مكنونةٍ ... أو دُرَّةٍ سِيقَتْ إلى تاجرِ[2]

وقال فى بيض الحديد :

كأنَّ نَعامَ الدَّوِّ بَاضَ عليهمُ ... إذا شامَ يوماً للصَّريخ المندَّدِ[3]

وقال الأعشى :

أَتتْنَا مِنَ البطْحاءِ يَبْرُقُ بَيضُهاَ ... وقد رُفِعَتْ نِيرانُها فاستقلَّتِ[4]

---

(١) فى الأصل: « الذلفاء » ، وهى القصيرة الأنف الصغيرته. ولا وجه لها هنا . وما أثبت هو أقرب تصحيح للكلمة . واللفاء : الضخمة الفخذين فى اكتناز واجتماع .

(٢) مكنونة فى الدعص : مخبأة فى الرمل المستدير . ورواية الديوان ١٠٤ : « أو درة شيفت لدى تاجر » . وشيفت : جليت . وضبط « بيضـــة » و « درة » بالكسر ؛ لأن قبل البيت :

كدمية صور محرابها ... بمذهب فى مرمر مائر

(٣) الدو : الفلاة . ورواية الديوان ١٣٢ : « إذا ريع شتى للصريخ المندد » .
والبيت فى صفة كتيبة . جعل البيض الذى يحمى رءوس الرجال شبيها ببيض النعام ؛ لكثرته . فإن كل نعامة تبيض نحو الثلاثين . ولذا يقال لها : أم ثلاثين . وللظليم : أبو ثلاثين . وقبل البيت :

بملمومة لا ينفض الطرف عرضها ... وخيل وأرماح وجند مؤيد

فضمير « شام » عائد إلى الجند . وشام : نظر ، أو سل سيفه. والصريخ : صوت المستصرخ المستغيث . والمندد ، بضم الميم وفتح الدال المشددة ؛ الصوت المبالغ فى رفعه وتشديده . ومنه قول طرفة : « لهجس خفى أو لصوت مندد » ، وفى الأصل : « الممدد »، وصواب الرواية ما أثبت من الديوان .

(٤) فى الأصل : « أتينا » صوابه من أمالى ابن الشجرى (٢ : ١٦٥ حيدر أباد) . ورواية الديوان : « أتتهم » . س ، هـ وحماسة ابن الشجرى ٤١ : « تبرق » ط ، س : « بيضنا » صوابها فى هـ وأمالى وحماسة ابن الشجرى وديوان =

وقال زيد الخيل :

كأنَّ نَعَامَ الدَّوِّ باضَ عليهمُ فَأَحْدَاقُهُمْ تَحْتَ الحَدِيدِ خوازِرُ(١)

(استطراد لغوي)

قال : ويقال تقيَّضَت البيضةُ ، والإناءُ ، والقارورة ، تقيُّضاً(٢) : إذا انكسرت فِلَقاً . فإذا هي لم تَتَفَلَّقْ(٣) [فِلَقاً] وهي(٤) متلازقةٌ ، فهي منْقَاضَةٌ انقِياضاً . وقَيض البيضة : قشرتها اليابسة . وغِرْقئها : القشرة الرَّقيقة التي بين اللَّحم وبين الصَّميم . قال : والصَّميم : الجلدة .

= الأعشى ١٧٩ . ورواية العجز في الديوان : « وقد رفعت راياتها فاستقلت » . ورواية ابن الشجرى : « وقد بذخت فرسانها وأدلت » . والبيت من قصيدة للأعشى يذكر فيها وقعة ذى قار ، التي كانت بين العرب والفرس . وهو في صفة جيش الفرس وعظمته . وبعده (في رواية ابن الشجرى) :

فثاروا وثرنا والمنية بيننا وهاجت علينا هبوة فتجلت
نحاسيهم كأساً من الموت مرة وقد رفعت راياتهم فاستقلت

ومثله للأعشى في تعظيم شأن جيش الأعاجم حينئذ . (الأغانى ٢٠ : ١٤٠) :

لما أتونا كأن الليل يقدمهم مطبق الأرض تغشاها لهم سدف
بطارق وبنو ملك مرازبة من الأعاجم في آذانها النطف
من كل مرجانة في البحر أحرزها تيارها ووقاها طينها الصدف
وظعننا خلفنا تجرى مدامعها أكبادها وجلا مما ترى تجف

وانظر بقية الشعر فيها . ولوقعة ذى قار العقد (٣ : ٣٧٤) والعمدة (٢ : ١٦٩) والميدانى (٢ : ٣٥٢) ومعجم البلدان .

(١) جمع خازر : وهو من ينظر بلحاظ عينيه ، ويكون ذلك عند ما يراد تحديد النظر . ورواية الشعراء ٢٢٠ : « وأعينهم تحت الحديد » . ورواية قدامة في نقد الشعر ٣٩ والأغانى ١٠ : ٤٤ : « وأعينهم تحت الحبيك » . ونسب في الأغانى لمعقر بن أوس .

(٢) ط ، هـ : « نقيضاً » ، صوابه في س .

(٣) ط ، هـ : « تنفلق » .

(٤) ط ، هـ . « فهى » ، صوابه في س .

قال : ويقال غرقَأَت البيضةُ : إذا خرجَتْ وليس لها قشر ظاهرٌ غير الغِرقِئة(١) .

قال الرَّدَّاد : غرقأَت الدَّجاجةُ بيضها ، فالبيضة مُغَرْقأة(٢) . والخِرشاء : القشرة الغليظة(٣) من البيضة ، بعد أن تُثقَب فيخرجَ ما فيها من البلل ؛ وجماعُها الخَرَاشيّ ، غير مهموز .

قال : وقال ردَّاد : خِرْشاءُ الحيّة : سَلْخها حين تنسَلخ(٤) .

قال : وتغدّى أعرابيٌّ عندَ بعضِ الملوك ، فدبَّت على حلْقِه قملةٌ ، فتناولها فقصَعَها بإبهامه وسَبَّابتِه ، ثمَّ قتلها ، فقالوا له : ويلك! ما صنعت؟! فقال : بأبِي أنتمْ وأمى ، ما بقِى إلا خِرشاؤها !

وقال المرقِّش :

إن يَغْضَبُوا يَغْضَبْ لذاكم كما ... يَنْسَلُّ من خِرْشائه الأرقمْ(٥)

وقال دُريد بن الصِّمَّةِ فى بَيض الحديد(٦) :

قال : ويقال فى الحافر نزا(٧) ينزو . وأمَّا الظليم [فيقال(٨)] قعا يقعُو ، ١١٢

---

(١) كذا جاءت . والمعروف فى المعاجم : « الغرقىء » بالتذكير .

(٢) ط ، هـ : « غرقات » صوابه فى س .

(٣) ط : « والخرشاء مغرقات الجلدة الغليظة » ، هـ : « والخرشا الجلدة الغليظة » ، صوابهما فى س .

(٤) ط ، هـ : « يسلخ جلدها » . وما أثبت من س أشبه .

(٥) الأرقم من الحيات : الذى فيه سواد وبياض . فى الأصل : « خرشائها » ، صوابه من المفضليات ٢٤٠ والمقصور والممدود ٣٨ . وقد سبق البيت فى ص ٣٤٠ . ط ، هـ : « تنسل » تصحيحه من س والمقصور .

(٦) بعد هذا بياض فى الأصل . ولم اهتد بعد إلى شعر لدريد فى بيض الحديد .

(٧) فى الأصل : « نزى » بالياء .

(٨) ليست بالأصل .

مثل البعير . يقال قاع يقوعُ قَوْعا[1] وقِيَاعاً، وقَعَا يقعُو قَعْوًا. فهذا مايسوُّون فيه بينه وبين البعير . ويقال : خفّ البعير ؛ والجمع أخفاف . ومنسِمُ البعير ، والجمع مناسم ؛ وكذلك يقال للنَّعامةِ .

وقال الرّاعى :

ورِجْل كرجْل الأخْدَرىِّ يُشِيلُها وَظِيفٌ على خُفٍّ النّعامةِ أرْوحُ[2]

وقال جران العود :

لَهَا مثل أظفَار العقَاب ومَنْسِمٌ أزجٌّ كظُنْبوب النّعَامةِ أروحُ[3]

قال : والزَّاجَل[4] : ماء الظليم ؛ وهو كالكِرَاضِ من ماءِ الفحْل .

وأُنْشد لابْنِ أحمر[5] :

وما بيضات ذى لبَدٍ هِجَفٍّ سُقِينَ بزَاجَل حَتَّى رَوِينَا[6]

وقال الطِرِمَّاح :

سَوْفَ تُدْنِيك مِنْ لَمِيسَ سَبَنْدَا ةٌ أَمَارَتْ بالبَوْلِ مَاءَ الكِرَاضِ[7]

---

(١) كذا على الصواب فى هـ . وفى ط : « قعيا » و س : « قيعا » .

(٢) الأخدرى : الحمار الوحشى . يشيلها : يرفعها ويحملها . والوظيف : مستدق الذراع والساق . ووظيف أروح : اتسع مابينه وبين الوظيف الآخر .

(٣) السكرى : « يقول : أظفارها كمخالب العقاب . والمنسم : طرف خف النعامة . والأزج : المقوس . والظنبوب : أنف عظم الساق » . فى الأصل : « أظفار الكناء » تصحيحه من ديوان جران العود ص ٦ . والبيت وجملة : « وقال جران العود » ساقطان من س .

(٤) يقال بالهمز وبغير الهمز .

(٥) ط ، هـ : « ابن أحمر » ، صوابه فى س . وانظر ماسبق فى ص ٣٢٨ .

(٦) سبق شرحه فى ص ٣٢٨ .

(٧) السبنداة : الناقة الجريئة لاتقر للفحل . ورواية الديوان ٨١ : « سبنتاة » وهما لغتان يقال بالتاء وبالدال . أمارت : أسالت . وماء الكراض : مافى جوفها =

وربّما استعاروا المناسم . قال الشاعر :

توعدنى بالسِّجن والآدات[1] إذا عَدَت تأظبت أدات[2]

* تربطُ بالحبل أُكَيْرِعَاتِ *

قال : ويقال لولد النَّعام : الرَّأل ، والجمع رِئال ورئلان ؛ وحَفَّانٌ . وحَفّانة للواحدةِ ، والجمع حَفّان ؛ وحِسْكل . ويقالُ : هذا خَيطُ نعامٍ وخِيطان[3] . وقال الأسودُ بن يَعْفُرَ[4] .

وكأنّ مرجعهم مَنَاقفُ حَنْظَلٍ لِعبَ الرِّئالُ بهاوخَيطُ نَعامِ[5]

ويقال : قَطيعٌ من نَعام ، ورَعْلةٌ من نعام .

= من ماء الفحل . س ، هـ : « سوف يدنيك » ، وأثبت ما فى ط والديوان .
ط ، س : « أمارات » صوابه فى هـ والديوان . والبيت من قصيدة الطرماح ، مطلعها :

قل فى شط نهروان اغتماضى ودعانى هوى العيون المراض

(١) كذا بالأصل .

(٢) كذا . وفى ط : « غدت » .

(٣) الخيط ، بالفتح ويكسر : الجماعة من النعام .

(٤) الأسود بن يعفر ، شاعر مقدم فصيح من شعراء الجاهلية ليس بالمكثر . وكان ينادم النعمان بن المنذر . ولما أسن كف بصره ، فكان يقاد . واسمه فى أعاشى العرب : أعشى بنى نهشل . الأغانى (١١ : ١٢٨) والخزانة (١ : ٣٦٦ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٦ . و (يعفر) بفتح الياء وضم الفاء . وقال يونس سمعت رؤبة يقول : أسود بن يعفر بضم الياء – أى وبضم الفاء أيضاً — انظر الصحاح (عفر) والخزانة والأغانى وابن سلام ١٢٢ . وهو على الوجه الأول ممنوع من الصرف ، وعلى الآخر مصروف لزوال شبه الفعل عنه . ط : « يعقر » صوابه فى س ، هـ .

(٥) « مرجعهم » لعلها « مربعهم » . ومناقف الحنظل : حيث ينقف أى يشق ليستخرج حبه المسمى بالهبيد . يقول : قد صار موضع دارهم من وحشته مأوى للنعام .

وقال الأصمعىُّ : الرَّعلة : القِطعة من النَّعَام . والسِّرب من الظِّباء والقَطَا . والإِجْل (١) من الظِّلف .

وقال طُفَيلٌ الغَنَوِىُّ فى بيضة الحَىِّ (٢) وما أشبه ذلك :

ضَوَابِـعُ تَنْوِى بَيْضَةَ الحَىِّ بعدما ... أذاعتْ برَيْعَانِ السَّوَام المعزَّبِ (٣)

قال : ويقال : للظليم إذا رعَى فى هذا النَّبات ساعةً وفى هذا ساعةً : قد عقَّبَ يُعَقِّبُ تعقيبا (٤) . وأنشدنى لذى الرُّمَّة :

ألهـــاه آءٌ وتَنُّومٌ وَعُقْبَتُهُ ... مِنْ لائحِ المَرْوِ والمَرْعَى له عُقَبُ (٥)

قال : ويقال للرجل ، إذا كان صغير الأذنين لاصقتَين بالرَّأس : أصمع ؛ وامرأةٌ صَمْعاء . ويقال : خَرَجَ السهمُ متصَمِّعاً (٦) : إذا ابتلَّتْ قُذَذه (٧) ١١٣

(١) الإجل ، بكسر الهمزة . س : « الأرجل » ، صوابه فى ط ، هـ .

(٢) فى الأصل : « الحلى » ، صوابه ماأثبت . انظر البيت الآتى وشرحه .

(٣) ضوابع : تمد أضباعها فى سيرها ، أى أعضادها . ط ، س : « صوانغ » هـ : « صوانع » صوابهما من الديوان ١١ . تنوى : تقصد . ط ، هـ : « تنبى » س « تبنى » صوابهما من الديوان . وفى الأصل : « الحلى » موضع « الحى » تحريف أيضاً . وفى شرح ديوان طفيل : « وبيضة الحى : معظمهم » أذاعت : فرقت . وريعان كل شىء : أوله » . والسوام ، كسحاب : مايسرح من إبل وبقر وغنم ، ولا واحد له . والمعزب ، بتشديد الزاى المفتوحة : الذى عزَّب عن أهله لا يروح عليهم . ط ، س : « الشباب المغرب » هـ : « السقام المغرب » ، تصحيحه من الديوان .

(٤) ط : « عضب يعضب تعضيباً » صوابه فى س ، هـ .

(٥) سبق شرح هذا البيت فى ٣١٢ . ط ، هـ : « آء آء » بالتكرار . صوابه فى س .

(٦) ط : « أصمع » هـ : « صمعاء » س : « صمعاً » صوابه ماأثبت من القاموس واللسان . ويدل له الاستشهاد الآتى .

(٧) قذذ السهم : جمع قذة بالضم ، وهى ريشة السهم .

من الدَّم وانضمّت . وقال أبو ذُؤيب :

* سهماً فَخَرَّ وَرِيشُهُ متصمِّعُ[١] *

ويقال : أتانا بثريدةٍ مُصَمَّعَة[٢] : إذا دَقَّقَها[٣] وحدَّدَ رأسَها ؛ وصومعة الرّاهبِ منه ؛ لأنها دقيقة الرأس . وفلانٌ أصمع القلْبِ : إذا كان ذكيًّا حديدا [ماضياً] . وقال طرفة :

لعمرى لقد مَرَّتْ عواطِسُ جَمّةٌ وَمَرَّ قُبَيْلَ الصُّبح ظبيٌ مصمِّعُ[٤]

أراد : ماضياً .

(شعر فى البيض)

وقال الشاعر فى بيضة البَلدِ[٥] :

---

(١) عجز بيت فى صفة صائد رمى أتانا بسهم فنفذ فيها بريشه ثم سقط . وصدره :

* فرمى فأنفذ من نحوص عائط *

فى الأصل : « ريشة » ، وصوابه من اللسان (صمع) وديوان الهذليين (١ : ٨) ، والمفضليات ٤٢٥ حيث تجد القصيدة .

(٢) فى الأصل : « متصمعة » صوابه من اللسان والقاموس . ويقال أيضاً : « مصومعة » كما فى القاموس .

(٣) فى الأصل : « رققها » بالراء . وليست مرادة ، والمراد دقة الرأس . وانظر اللسان والقاموس (صمع) .

(٤) البيت من أبيات ثلاثة قالها طرفة ، فى أثناء رحلته المشهورة إلى عامل عمرو بن هند بالبحرين ، وكان قد سنحت له فى الطريق ظباء وعقاب . انظر ديوانه ٩ — ١٠ . والعواطس : جمع عاطس ، وهو مااستقبلك من الظباء . ورواية اللسان (مادة عطس) : « عواطيس » : جمع عاطوس ، وهى دابة يتشاءم بها . وفى مادة (صمع) : « عواطس » كما هنا . والمصمع : بكسر الميم المشددة : الذاهب السريع كما فسره الجاحظ . ويروى : « مصمع » بفتح الميم المشددة ، وهو الصغير الأذنين . وفى الأصل بدل : « ومر » : « ومنى » تحريف ، صوابه ما أثبت من اللسان فى موضعيه والديوان .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وانظر لبيضة البلد ماسبق فى (٢ : ٣٣٦) .

أقبلت تُوضِع بِكْرًا لا خِطامَ لها حَسِبْتَ رَهْطك عندى بَيْضَةَ البَلَدِ (١)

ويشبَّه عظام جماجم الرءوس ببَيض النَّعامِ . وقال الأعرج القَيْنيّ (٢) :

بكَينا بالرِّماح غداةَ طَرْق على قَتْلَى بناصفةٍ كِرامِ (٣)

جَماجمَ غودِرَت بحمام عرق كأَنَّ فَرَاشها بَيضُ النَّعامِ (٤)

وقال مقاتل بن طَلَبَةَ (٥) :

رأيتُ سحيماً فاقَدَ اللهُ بَيْنَهَا تَذِيكَ بأيديها وتَأْبَى أُيورُهَا (٦)

وقال السُّحيمى يردّ عليه :

مُقَاتِلُ ، بشِّرْها ببيض نَعامةٍ وإن لم تبشِّرْها فأنتَ أميرُها

وقال أبو الشِّيص الخُزاعى (٧) فى بيضة الخِدْر :

---

(١) البكر ، بالكسر : الناقة لم تحمل ، أو التى ولدت بطنا واحداً . والبكر أيضاً ولدها ذكراً كان أو أنثى . وأوضع الناقة يوضعها : جعلها تضع فى سيرها ، أى تعدو عدوا خفيفاً . وفى الأصل: « ترضع بكراً »، وهو تحريف فكه .

(٢) كذا . والمعروف فى الشعراء : الأعرج المعنى، نسبة إلى معن طيىء . واسمه على بن عمرو ابن سويد . وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام . وهو القائل :

تركت الشعر واستبدلت منه إذا داعى صلاة الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والنداما

معجم المرزبانى ٢٥١ والإصابة ٦٤٠٩ ، ٣٧١٣ . والأعرج المعنى شعر فى البيان (١ : ٢٤٦).

(٣) ناصفة : موضع . س ، هـ : « بناصية » ، صوابه فى ط .

(٤) الفراش ، بالفتح : كل عظم رقيق .

(٥) هو مقاتل بن طلبة بن قيس بن عاصم ، كما فى عيون الأخبار (٤ : ٩٦). وطلبة ، بالتحريك . انظر القاموس واللسان . هـ : «كلية » محرفة .

(٦) سحيم : بطن من بنى حنيفة . وفاقد الله بينها : جعل بعضهم يفقدون بعضا . ورواية عيون الأخبار : « وتعيا » موضع : « وتأبى » .

(٧) اسمه محمد بن عبد الله بن رزين ، وهو عم دعبل بن على الخزاعى . وكان معاصرا =

وأبرزَ الخِدْرُ من ثِنْيَيْهِ بَيْضتَهُ وأعجَلَ الرَّوْعُ نصلَ السَّيفِ يُخترَطُ [1]

ثُمَّ تَفديك مِنّا كلُّ غانيةٍ والشَّيخُ يفديك والوِلدان والشُّمُط [2]

وقال جحش بن نصيب :

كأَنَّ فلاقَ الهـامِ تحتَ سُيوفِنا خَذاريفُ بيضٍ عَجَّلَ النقفَ طائرُه [3]

وقال مهلهلٌ فى بيضة الخدر :

وتجولُ بيضاتُ الُخدورِ حواسرًا يمسَحْنَ فَضْلَ ذَوائِبِ الأيتامْ [4]

وهو وما قبله يدلاّن [5] على أنَّهم لا يشبِّهون ببيض النَّعام إلاّ الأبكار .

قال الشاعِرُ [6] :

= لأبى نواس ومسلم بن الوليد . وذكره الصفدى فى نكت الهميان ٢٥٧ وذكر أنه توفى سنة مائتين أو قبلها .

(١) الثنى ، بالكسر : واحد الأثناء ، وهى المحانى والمعاطف . وقد ثنى وأراد الجمع ، وهو معروف فى كلامهم . س : « من ثنيته بيضة »، صوابه فى ط ، ه . يخترط : أى يستل من غمده . يقول : استعجل الخوف نصل السيف فى حال اختراطه . فى الأصل : « مخترط » . ولا يستقيم بها إعراب البيت . فلعل الوجه ماأثبت .

(٢) الشمط ، بالضم : جمع أشمط وشمطاء . وهو من اختلط بياض رأسه بسواده . وقد ضم الميم للشعر ، وأصلها السكون .

(٣) الفلاق ، بالضم ، جمع فلاقة بالضم أيضا ، وهى القطعة . والهام : الرءوس . والخذاريف : جمع خذروف بالضم ، وهى كل شى مبعثر من شيء . س : « حذاريف » صوابه فى ط ، ه . ونقف الطائر البيضة : ثقبها ليساعد الفرخ فى الظهور .

(٤) حواسرا : كاشفات رءوسهن . وفى الأصمعيات ١٧٦ : « عرض ذوائب » .

(٥) س ، ه : « يدل » .

(٦) هو ذو الرمة ، كما فى الخزانة (٤ : ٤٥١ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) وكتاب سيبويه (١ : ٥٦) .

وَبِيض أفقْنَا[1] بالضُّحَى من مُتونها   سَماوةَ بيضٍ[2] كالخباء المقوَّضِ[3]
هجومٌ عليْهَا نَفْسَهُ ، غيْرَ أنَّهُ   مَتى يُرْمَ فى عَيْنيْهِ بالشَّخْصِ ينهض[4]

يعنى بالبِيضِ بَيْضَ النَّعام . وسَماوة الشىء : شخصه . لأنَّ الظَّليم لما رآهم فزِع ونهَضَ . وهذا البيت أيضاً يدلّ على أنَّهُ فَرُوقَةٌ[5] . ١١٤

وقال ذو الرُّمَّة فى بيض النَّعام :

تَراه إذا هبَّ الصَّبا دَرَجَتْ به   غرابيبُ من بِيضٍ هَجَائِنَ دَرْدَقُ[6]

قال : والصَّبَا والجنوبُ تهبَّان فى أيام يَبس البقْل ، وهو الوقتُ الذى

---

(١) كذا فى س ، ه . وفى ط : « فلقنا » . وفى محاضرات الراغب : « كشفنا » ورواية القالى (٢ : ٢٩٤): « رفعنا »

(٢) كذا . ولعلها : « هيق » وهو الظليم . ورواية القالى : « جون » بمعنى ظليم أسود .

(٣) الخباء ، بالكسر : البيت من وبر أو صوف أو شعر . س ، ه : «كالحياء» صوابهما فى ط ، والمحاضرات والأمالى . والمقوض : المهدوم . وجعله كذلك حين حضنه للبيض ورقوده عليه .

(٤) هجوم عليها نفسه : أى يهجم على البيض نفسه ويلقيها حاضنا لها . وقد أنث البيض هنا . واستشهد به سيبويه على إعمال صيغة فعول عمل اسم الفاعل . وفى الأصل : « هجوم علينا » وصوابه فى المصادر السابقة . وروى القالى وسيبويه : « بالشبح » مكان : « بالشخص » ، وهما بمعنى . والشبح والشبح ، بالفتح ، وبالتحريك ، لغتان .

(٥) الفروقة ، بالفتح : الكثير الفزع ، يقال للمذكر والمؤنث . وله نظائر فى المزهر (٢ : ١٣٤) وانظر شواهد ذلك فى اللسان (فرق) . وفيه أيضاً أنه يقال للمؤنث « فروق » بنزع الهاء . وفى أصل الكتاب : « روحه » وهو تحريف لايستقيم .

(٦) فى الأصل . « ذرفت به » ، وتصحيحه من ديوان ذى الرمة ٣٩٨ ومن الشرح الآتى للجاحظ . و « دردق » صفة لكلمة « غرابيب » فهى مرفوعة . والبيت من قصيدة لذى الرمة ، أولها :

أدارا بحزوى هجت للعين عبرة   فماء الهوى يرفض أو يترقرق

وقبل البيت :

بمشتبه الأرباء يرمى بركبه   يبيس الثرى نائى المناهل أخوق

يثقبُ النَّعام فيه البيض . يقول : درجت به رِئلانٌ سودٌ غرابيب ، وهى من بِيضٍ هجائن : أى بِيْض . والدَّردَق : الصِّغــار ، وهو من صُغَرِ (١) الرِّئْلاَن .

(الحصول على بيض النعام)

قال طفيل بن عوفٍ الغنوىّ (٢) ، وذكر كيف يأخذون بيضَ النّعام :

عَوازبُ لم تسمَعْ نُبُوحَ مَقَامَةٍ ... ولم تَرَ نارًا تِمَّ حَوْلٍ مجرَّمِ (٣)

سِوى نارِ بَيْض أو غَزَالٍ مُعَفَّرٍ ... أغَنَّ من الخُنْس المناخِرِ تَوْأَمِ (٤)

---

(١) جمع صغرى . وفى اللسان : « والصغرى تأنيث الأصغر ، والجمع الصغر . قال سيبويه : يقال نسوة صغر ولا يقال قوم أصاغر ، إلا بالألف واللام » .

(٢) طفيل بن عوف الغنوى : شاعر جاهلى فحل ، قالوا : وهو أوصف العرب للخيل . ويقال له : طفيل الخيل ، ويسمى أيضا : المحبر الغنوى . المؤتلف ١٨٤ .

(٣) عوازب : عنى إبلا عوازب لا تروح على أهلها ، تبيت بالقفر . وقبل هذا البيت بأربعة أبيات :

أرى إبلى عافت جدود فلم تذق ... بها قطرة إلا تحلة مقسم

والنبوح ، بالضم : أصوات الكلاب . والمقامة ، بالفتح : الحى المقيمون . يريد : أصوات كلاب الحى المقيمين . تم حول مجرم : أى حول تام . س ، هـ : « بنوح » صوابه من الديوان ٤٥ ومما سبق فى (١ : ٣٤٨) . هـ : « حامة » موضع « مقامة » صوابه فى س ، ط والديوان . ورواية القالى : « نُبُوحَ مُقَامَةٍ » قال : « النبوح : أصوات الناس . والمقامة : حيث يقيم الناس » ، ثم قال : « يقول : هذه الإبل عوازب ، لعز أربابها ، ترعى حيث شاءت لا تمنع ولا تخاف ، فلم تسمع أصوات أهل مقامة ولم تر ناراً سنة كاملة سوى نار بيض نعام يصيبه راعيها فيشويه ، أو غزال يصيده » .

(٤) معفر : مقتول ممرغ فى العفر . س : « معقر » بالقاف . والأغن : الذى فيه غنة ، وهو من صفة الظباء . وفى الأصل : « أغر » وصوابه من الديوان ، والأمالى . والأخنس : القصير الأنف . والتوأم : الذى ولد مع غيره . وذلك أشد لضؤولته وصغر جسمه .

هذه إبلُ راعٍ معزِبٍ[١] صاحب بوادٍ[٢] وبدوةٍ ، لا يأتى المحاضر والمياهَ حيثُ تكون النيران[٣] . وهو صاحب لبنٍ وليس صاحبَ بقْل، فإبله لا ترى نارًا سوى نَارِ بَيض أو غزالٍ .

(نار الصَّيد)

وهذه النَّارُ هى النَّارُ التى يُصطاد بها الظِّباء والرئلان وبَيْض النَّعام[٤] لأنَّ هذه كلَّها تعشى إذا رأتْ ناراً ، ويحدُثُ لها فكرةٌ فيها ونظر . والصبىُّ الصغير كذلك . وأوَّلُ ما يعابِثُ[٥] الرَّضيعَ ، أوَّلَ ما يناغى ، المصباحُ[٦] .

وقد يعترى مثلُ ذلكَ الأســدَ ، ويعترى الضِّفدعَ ؛ لأنَّ الضِّفدعَ ينقّ ، فإذا رأى ناراً سكت . وهذه الأجناس قد تغترُّ[٧] بالنَّار ، ويُحْتالُ لهـا .

---

(١) هـ : « معرب » ، صوابه فى ط ، س .

(٢) كتبت فى الأصل بإثبات الياء . وهو جائز فى العربية فى حالة الوقف فقط . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٨٨) : « وحدثنا أبو الخطاب ويونس أن بعض من يوثق بعربيته من العرب يقول : هذا غازى ورامى وعمى . أظهروا فى الوقف ، حيث صارت فى موضع غير تنوين » .

(٣) ط ، هـ : « الثيران » بالثاء . صوابه بالنون كما فى س .

(٤) تسمح الجاحظ فى التعبير ؛ فإن بيض النعام ليس مما يصطاد ، بل هو مما يطلب ويبحث عنه . وكان العرب يطلبون بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها بالنار . جاء فى ثمار القلوب ٤٦٢ ، عند الحديث عن (نار الصيد) : « ويطلب بها أيضا بيض النعام فى أفاحيصها ومكامنها » .

(٥) يعابث ، من المعابثة ، وهى الملاعبة . وفى الأصل : « يعاتب » محرفة .

(٦) المناغاة : المحادثة والملاعبة . و « المصباح » هى فى ط ، هـ : « المصباع » صوابه فى س .

(٧) تغتر : تختدع ؛ فالأسد يرى النار فيستعظمها فتشغله عن السابلة ، وكذا الضفدع يشغل عن النقيق . ط ، س : « تفتر » ، صوابه فى هـ .

(تشبيه الغيوم بالنّعام)

وتوصف الغيومُ المتراكمة(١) بأنَّ عليها نعاماً . قال الشّاعر(٢) :

كأنَّ الرَّبَابَ دُوَيْنَ السَّحابِ نَعــامٌ تَعَلَّقَ بالأرْجُلِ(٣)

وقال آخر :

خَلِيلَيَّ لا تَستَسْلِمَا وَادْعُوا الّذِى له كلُّ أَمْرٍ أنْ يَصُوبَ ربيعٌ

حَياً لبلَادٍ أَبْعَدَ المَحْلُ أهلها وفى العَظْمِ شىءٌ فى شَظَاهُ صُدُوعُ(٤)

بمنتضك(٥) عر(٦) النَّشَاص كأنها جِبالٌ عليهنَّ النُّسورُ وُقُوعُ(٧)

---

(١) المتراكمة : المتكاثفة . ط ، هـ : « المترامكة » تصحيحه من س .

(٢) هو عبد الرحمن بن حسان بن ثابت ، كما فى اللسان (ربب) — عن الأصمعى — ومعجم الأدباء (١٦ : ٢٥٩) عن أبى عبيد . ونسبه الحصرى فى زهر الآداب (١ : ١٧٧) إلى حسان بن ثابت . والبيت منسوب فى الكامل ٤٨٥ ، ٧٥٨ وكذا فى شرح المفضليات ٢٤٨ (عن الأصمعى) إلى المازنى . قلت : المازنى الذى عنياه هو زهير بن عروة بن جلهمة المازنى ، كما فى الأغانى (١٩ : ٣٨٧) ، أو عروة بن جلهمة ، كما فى اللسان . وقبله :

إذا الله لم يسق إلا الكرام فأسقى وجوه بنى حنبل
أجش ملثاغزير السحاب هزيز الصلاصل والأزمل
تكركره خضخضات الجنوب وتفرغه هزة الشمأل

(٣) الرباب ، بالفتح : السحاب المتعلق .

(٤) الحيا : الخصب . وفى الأصل : « جنا » . والمحل : الجدب وانقطاع المطر . والشظى : عظيم لاصق بالركبة . هـ : « شطاه » . س : « وفى الفطم فى شطاه صدوع » وأثبت ما فى ط . ولعل صوابه : « وعَى العَظْمُ حتّى فى شَظَاهُ صُدُوعُ » ، أى وعى العظم من المحل حتى ظهرت الشقوق فى شظاه . ووعى العظم : انجبر على عثم ، أى التواء . وهو كناية عن الشدة . والبيت وسابقه فى الزهرة ٢٠٣ .

(٥) هـ : « بمنتصك » س : « بمصك » وكلها صور محرفة . ولعلها « معتنك » وأصله البعير يحبو حبواً ولا يقدر على السير . فيكون قد جعله معتنكا لثقله وكثرة مائه .

(٦) كذا بالعين المهملة . ولعلها : « غر » .

(٧) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع بعضه فوق بعض .

(استطراد لغوى)

وقال آخر :

وَضعَ النَّعَامَاتِ الرِّجالُ بِرَيْدِهَا   من بين مَخْفُوضٍ وبينِ مظَلَّل [١]

والنعائم فى السماء [٢] . والنعائم والنّعامتان من آلات البئر [٣] . و [النعامة [٤]] : بيت الصائد [٥] .

وقال فى مثل ذلك عروة بن مُرَّة الهذلىُّ [٦] :

---

(١) النعامة : ظلة أو علم يتخذ من خشب ، فربما استظل به وربما اهتدى به . المخصص (٥ : ١٣٥) . والرجال هنا فاعل (رفع) . والريد ، بالفتح : الحرف الناتىء من الجبل . فى الأصل : « برمدها » ، وتصحيحه من المخصص . وشبيه بلفظه قوله :

لا شىء فى ريدها إلا نعامتها   منها هزيم ومنها قائم باق

و « مظلل » هى فى الأصل « مضلل » وصوابه فى المخصص .

(٢) هى منزلة من منازل القمر بها ثمانية نجوم أربعة منها فى المجرة وتسمى الواردة ، وأربعة خارجة تسمى الصادرة .

(٣) النعامتان : خشبتان يضم طرفاها الأعليان ويركز طرفاهما الأسفلان فى الأرض ، أحدهما من هذا الجانب ، والآخر من ذاك الجانب ، يصقعان بحبل ويمد طرفا الحبل إلى وتدين مثبتين فى الأرض ، أو حجرين ، وتعلق القامة أى البكرة بين شعبتى النعامتين . قلت : فقد يضم إلى النعامتين ثالثة فيصرن نعائم . فى الأصل : « السر » وقد كشفت سر هذا التحريف بما أثبت .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) ط ، هـ : « الصديد » . صوابه ما أثبت من س .

(٦) البيت الآتى منسوب فى اللسان (سرب) إلى أبى خراش الهذلى . وعروة وأبو خراش أخوان ، من عشرة إخوة أبوهم مرة الهذلى ، وكانوا جميعاً شعراء دهاة سراعاً لا يدركون عدوا . أما عروة فقتل فى الجاهلية ورثاه أبو خراش بأبيات ضادية ، فى الحماسة . وأما أبو خراش — واسمه خويلد بن مرة — فإنه أدرك زمان عمر ابن الخطاب ، وهاجر إليه ، وغزا مع المسلمين . ومات فى زمن عمر . الأغانى (٢١ : ٣٨ — ٤٨) والإصابة ٢٤١ والشعراء والخزانة (١١ : ٤٠٠ سلفية) .

وذاتِ رَيْدٍ كَزَنْقِ الفَأس مُشْرِفَةٍ طريقها سَرِبٌ بالنّاسِ مجبُوبُ[١]
لم يَبْقَ من عَرْسِها إلاّ نعامتُها حالانِ منهزِمٌ منها ومَنصوبُ[٢]

(مسكن النعام)

وفى المثل : « ما يُجمَعُ بين الأرْوَى والنّعام[٣] » ؛ لأنَّ الأرْوَى تسكن الجبال ولا تُسهِل[٤] . والنّعامَ تسكن السهل ولا ترْقى فى الجبال . ولذلك قال الشاعِرُ[٥] :

---

(١) الريد : ما شخص من الجبل : ط . « وذات فرند » س ، ﻫ : « وذات زند » صوابه ما أثبت من اللسان ، وانظر البيت السابق . والزنق ، بالتحريك : أصله أسلة نصل السهم . والأسلة : مستدق النصل . فيكون قد أسكن النون لضرورة الشعر . والمعنى أن ذلك الريد يشبه حد الفأس . ط ، ﻫ : « بزلف » س : « بدلف » . وفى اللسان : « كزلق الرخ » . وصواب الكلمة ما أثبت. وأما كلمة « الرخ » فى اللسان فصوابها « الزج » . والأرض المشرفة : العالية تشرف على ما حولها . والطريق السرب — ككتف — : الذى يتتابع فيه الناس . فى الأصل : « طويلها » تصحيحه من اللسان . والمجبوب ، كأنه الممهد من قولهم : سنام مجبوب ، أى مقطوع . ط ، س : « مجنوب » صوابه فى ﻫ . ورواية اللسان : « دعبوب » بضم الدال ، وهو المذلل الواضح الذى يسلكه الناس

(٢) العرس ، بالفتح : حائط يجعل بين حائطى البيت الشتوى لا يبلغ به أقصاه ثم يسقف ليكون البيت أدفأ . والنعامة : الظلة . حالان أى تلك النعامة لها حالان فبعض أجزائها منهزم أى متكسر . تقول هزمت القربة فانهزمت : إذا غمزتها فتطامنت . ومنصوب : أى قائم . انظر مثيل هذا البيت فى حواشى الصفحة السابقة . فى الأصل : « مصبوب » والوجه ما أثبت .

(٣) نص المثل فى الميدانى (١ : ١٢٦) وكنايات الجرجانى ١١٨ والدميرى : « تكلم فجمع بين الأروى والنعام » . وقالوا : أى تكلم بكلمتين مختلفتين . وفى اللسان . « ومن أمثالهم : من يجمع بين الأروى والنعامة ؟ ! » . والأَرْوَى : جمع أُرْوِيَّة ، أو اسم جمع ، وهى أنثى الوعول .

(٤) أسهل : نزل فى السهل من الأرض .

(٥) هو مهلهل ، كما فى اللسان (ظهر ، كدس) أو عبيد بن الأبرص ، كما فى مختصر تهذيب الألفاظ ١٧١ واللسان (كدس) . والبيت بدون نسبة فى المقاييس (كدس) .

وَخَيْلٍ تَـكَرْدَسُ بالدَّارِعِينَ كَمَشْيِ الوُعول على الظَّاهِرَهْ[١]

وقال كثيِّر :

يهدى مَطَايَا كالحَنِيِّ ضَوَامِرًا بنياط أغْبَرَ شَاخِص الأمْيَالِ[٢]

فَـكَأَنَّهُ إذْ يَغْتَدِي مُتَسَنِّماً وَهْدًا فَوَهْدًا نَاعِقٌ برِئالِ[٣]

(شعر فى التشبيه بالنعام)

وقال الأعشى ، فى تشبيه النَّعام بمـا يتدلَّى من السَّحاب من قطع الرَّباب :

---

(١) ط : « وتبلى » س ، ه : « ونبل » ، صوابه من الحيوان (٦ : ٣٠٠) والمخصص (١٠ : ٦٩) واللسان . وتـكردس : تمشى مشية المقيد . ط : « يكردس » س ، ه : « مكردس » ، صـوابهما من سادس الحيوان . والرواية فى المخصص واللسان والمختصر : « تَـكَدَّسُ » أى تتكدس . والتكدس : أن يمشى الفرس كأنه مثقل . والدارع : لابس الدرع الحديدى . والظاهرة : أعلى الجبل حيث يسكن الوعل . وفى الأصل : « الطاهر » صوابه من المخصص واللسان والمختصر . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٣٠٠) .

(٢) الحنى : كغنى : جمع حنية ، وهى القوس . جعلها كالقسى فى نحولها . وانظر الاستدراكات . ونياط المفازة : بعد طريقها . ط ، س : « نباط » صوابه فى ه . والأغبر : الطريق ذو الغبرة . شاخص : قائم . والأميال : جمع ميل ، بالـكسر ، وهو المنار يبنى للمسافر فى أنشاز الأرض وأشرافها . وفى الأصل : « الأمثال » . ولا وجه له ، صوابه ما أثبت .

(٣) تسنم الشىء : علاه . س : « متنسما » صوابه فى ط ، ه . والوهد ، بالفتح : الأرض المنخفضة . فعنى تسنم الوهد : أشرف عليه من الأنشاز التى حوله . ط : « وهد فوهد » س ، ه : « وهدى فوهدى » صـوابهما ما أثبت . وناعق : هو من نعق الراعى بالغنم : دعاها وصاح بها . ط : « ناطق » تصحيحه من س ، ه .

يا هَلْ تَرى بَرْقاً على الـ ـجَبَلَيْنِ يُعْجِبُنى انجِيابُه(١)
مِنْ ساقِطِ الأكنافِ ذِى زَجَلٍ أَرَبَّ به سَحابُه(٢)
مثـلِ النَّعامِ مُعَلَّـقاً لمـَّا زَقَا ودنا ربابُه(٣)

وقال وشَبَّه ناقتَهُ(٤) بالظَّلِيم :

وإذا أطافَ لبابه بسَدِيسِهِ(٥) ومسافراً ولجا به وتَزَيَّدَا(٦)
شَبَّهْتهُ هِقْلاً يُبارِى هِقْلَةً رَبْدَاءَفى خَيْطٍنَقَانِقَأربدا(٧)

---

(١) ياهل : أى ياصاح هل . حذف المنادى ، كما جاء فى الكتاب : « ألا يا اسجدوا » فى قراءة الكسائى ، وكقوله :

يالعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار

برفع « لعنة » . ورواية الديوان ١٩٨ : « بل هل » . والجبلان ، هما جبلا طيىء : أجأ وسلمى . وانجيابه : انكشافه . ويروى : « انتصابه » . وفى شرح الديوان : « الناصب من البرق ترى ضوءه ثابتا » . ط ، س : « انحيابه » تصحيحه من ه والديوان .

(٢) من ساقط الأكناف : أى من سحاب ساقط النواحى . وفى الأصل : « متساقط » . و « الأكناف » هى فى س : « الأكتاف » وصواب هذين التحريفين من الديوان . والزجل ، بالتحريك : الصوت . أرب به : أقام .

(٣) معلقا ، فى موضع حال من النعام . فى الأصل : « معلق » ووجهه ما أثبت من الديوان . وانظر شبيه هذا المعنى فى البيت الذى سبق فى ص ٣٥٠ . زقا : صاح . وفى اللسان : « وكل صائح زاق . . . وقد تعدوا ذلك إلى مالا يحس فقالوا : زقت البكرة » . ط ، ه : « رقا » ولا وجه له، وأثبت مافى س . ورواية الديوان : « لمـا دنَا قَردًا ربابُه » القرد : المجتمع . والرباب : ما تدلى من السحاب .

(٤) كذا . والوجه : « بعيره » أو « جمله » . كما يفهم من الشعر . انظر الديوان ١٥٢ .

(٥) رواية الديوان : « وإذا يلوث لُغامَه بسَدِيسهِ » و : « أطاف لغامه » .

(٦) كذا فى ط ، ه . وفى س : « ومسافر دلجا به » ، وكلاهما محرف . ورواية الديوان : « ثنّى فهبَّ هِبَابُهُ وتَزَيَّدَا »

(٧) الهقل ، بالكسر : الفتى من النعام . ط ، س : « شبهته صعلا » . والصعل ، بالفتح : الطويل من النعام . ورواية الديوان : « وكأنه هقل يبارى هقلة » . والربداء : الرمادية اللون ، أو السوداء . وروى فى الديوان : « رمداء » =

وذكر زهيرٌ(١) الظَّليمَ وأولاده ، حتَّى(٢) شبَّه ناقتَه بالظَّليم :

كأنّى وردْفِى وَالْقِرَابَ وَنُمْرُقِى على خاضبِ السَّاقين أرعَنَ نِقْنِقِ(٣)

تَرامى به حبُّ الصَّحارَى وقد رَأى سَماوةَ قَشْرَاءِ الوظيفَيْنِ عَوْهَقِ(٤)

تَحِنُّ إلى مِثلِ الحبابير جُثّمٍ لَدَى سَكَنٍ مِنْ قَيضِها المتفلِّقِ(٥)

تَحطَّمَ عنها [قَيضُها] عَنْ خَراطمٍ وعن حَدَق كالنَّبْخ لم يتفلَّقِ(٦)

النَّبْخ(٦) : الجُدَرِىّ(٧) .

= أى رمادية اللون . والخيط ، بالفتح والكسر : جماعة النعام . ط ، س : « نبط » ه : « نيط » تصحيحه من الديوان . والنقانق : جمع نقنق ونقنقة ، وهو الخفيف من النعام . فى الأصل : « تعانق » والوجه من الديوان . و « أربدا » صفة لخيط ، وجر بالفتحة لوزن أفعل . ه والديوان : « أرمدا » وهما بمعنى .

(١) الصواب نسبته إلى كعب بن زهير فى قصة رواها أبو الفرج فى ١٥ : ١٤١ . وفى ديوان زهير ٢٤٥ أن زهيرا وكعبا اشتركا فيها .

(٢) لعلها : « حين » ، أو : « حيث » .

(٣) الردف ، بالكسر : الحقيبة ونحوها . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . ويروى : « والفتان » وهو غشاء الرحل . والنمرق : مايوضع فوق الرحل يقعد عليه الراكب . خاضب الساقين : عنى به ظليما احمرت ساقاه . والنقنق ، النافر أو الخفيف .

(٤) فى الديوان والأغانى : و « تراخى » ، أى تطاول . ط ، ه : « وقد أرى » . وأثبت مافى س ، والديوان والأغانى ، والسماوة : أعلى شخص الشيء . والقشراء : البينة القشر ، وهو شدة الحمرة . أو القشراء : المتقشرة الساق لاريش عليها . والوظيف : مستدق الساق . وفى ط ، س : « الوظيفة » و ه : « قشر الوظيفة » صوابه ماأثبت . والعوهق : الطويل : يستوى فيه المذكر والمؤنث . ط ، س : « عيهق » ه : « عبهق » محرفتان عما أثبت .

(٥) فى الأصل : « ميل الجناحين » ، صوابه من الديوان والأغانى . والحبابير : جمع حبارى ، يعنى فراخها . والجثم : الجاثمة المقيمة فى موضعها . والسكن : حيث تسكن . وفى الأصل : « عن بيضها » ، صوابه من الديوان والأغانى . والقيض : قشر البيض .

(٦) التكملة من الديوان والأغانى . وفى ط ، ه : « خراطم أسيح » . والنبخ : الجدرى . س ، ط : « كالمح » ، ه : « كالمخ » ، صوابهما من الديوان والأغانى واللسان (نبخ) .

(٧) س : « السح » . ط ، ه : « السيح » ، محرفتان .

(٨) فى الأصل : « الحدور » ، تحريف ماأثبت .

(النعامة فرس خالد بن نضلة)

وكان اسمُ فرس خالدِ بن نَضْلَةَ[١] : « النَّعامة » . قال :

تَدارَكَ إرخاءُ « النَّعامةِ » حَنْثَرًا ... وَدُودانَ أَدَّتْهُ إليَّ مُكبَّلا[٢]

(تشبيه مشى الشيخ بمشى الرئال)

وقال عُروة بن الوَرد[٣] :

أليسَ ورائى أن أدِبَّ على العَصَا ... فيأمَنَ أعدائى ويَسْأَمَنِى أهْلِى[٤]

رهِينَةَ قَعْرِ البيتِ كلّ عَشِيَّةٍ ... يُطِيفُ بىَ الوِلْدانُ أَهْدِجُ كالرَّألِ[٥]

---

(١) خالد بن نضلة الأسدى ، فارس مشهور من فرسانهم ، وله ذكر فى يوم النسار ؛ إذ كان رئيس أسد يومئذ . كامل ابن الأثير ١ : ٣٧٧ . س : « فضلة » صوابه فى القاموس (نعم) وكامل ابن الأثير ، والبيان ٣ : ٢٥٠ ، ٢٦٩ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ . وقد قال البيت الآتى يذكر فيه أنه أسر حنثر بن الأضبط ، ودودان ابن خالد . شرح المفضليات ٣٦٦ وبلوغ الأرب ٢ : ١١٨ .

(٢) الإرخاء : شدة العدو . ط : « أحساء » س ، هـ : « أرحاء » ، والوجه ماأثبت ، كما فى بلوغ الأرب . و « حنثراً » هى فى الأصل : « جيداً » صوابه فى بلوغ الأرب . وانظر التنبيه السابق . وفى الأصل أيضاً : « أردته » صوابه ماأثبت . وفى بلوغ الأرب : « ودودان أدت فى الحديد » . مكبلا : مقيداً .

(٣) عروة بن الورد شاعر من شعراء الجاهلية ، فارس ، صعلوك ، جواد . وكان يسمى عروة الصعاليك ، لجمعه إياهم ، وقيامه بأمرهم إذا أخفقوا فى غزواتهم .

(٤) يقول : أليس ورائى إن سالمت الناس ، وتركت مخاطر التصعلك ، أن يلحقنى الكبر فأهون ويضجر منى أهلى ؟ ! فهو يحتج للتصعلك بما ترى . س ، هـ : « على الصفا » س : « وييأس بى » ، هـ : « وييأس أهانى » ، صواب ذلك فى ط والديوان ١٠٣ .

(٥) رهينة : أى ملازم لا يبرح . وهدج الشيخ فى مشيته : قارب الخطو وأسرع من غير إرادة . والرأل : فرخ النعام .

شبَّهَ هَدَجَانَ[١] الشَّيخ الضعيفِ فى مشيته بهدَجَان الرأل . ١١٦

وقال أبو الزَّحْف[٢] :

أشكو إليك[٣] وَجَعًا بركْبتى وَهَدَجَاناً لم يكنْ فى مِشْيتى[٤]

* كَهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ الهَيْقَتِ[٥] *

وقال آخر ، ولست أدرى أيُّهما حَمَل على صاحبه :

أشكُو إليكَ وَجعاً بمرفَقِى[٦] وَهَدَجاناً لم يكنْ فى خُلُقى

* كَهَدَجَانِ الرَّألِ حَوْلَ النِّقْنِقِ *

ولم يفضحْه إلَّا قوله :

* أشكو إليك وجعاً بمِرْفَقِى *

لأنَّ الأوَّلَ حكى أنَّ وجعه فى المكان الذى يصيبُ الشُّيوخ ، ووجع المرفق مثلُ وجَعِ الأذُنِ ، وضربانِ الضّرس ، ليس من أوجاع الكِبَر فى شىء .

---

(١) فى الأصل : « وشبيه بهذا أن » ، تحريف ما أثبت .

(٢) أبو الزحف ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٩٧) . وفى الأصل : « أبو المرهف » ، محرفة . والرجز فى الشعراء ٦٦٩ فى ترجمة أبى الزحف . وقد نسب فى نوادر أبى زيد ٢٥٥ إلى (ابن عُلْقَة التَّيمىّ) ، برواية أخرى . وأراه رجزاً آخر اتفق خاطرا القائلين فيه . وهو بغير نسبة فى أمالى القالى (١ : ١٨٩) . ونسب فى العقد (٢ : ٥٢) إلى أعرابى .

(٣) فى العقد : « إلى الله » .

(٤) فى الشعراء والنوادر والأمالى : « من مشيتى » .

(٥) الهيقة : النعامة الطويلة . وقد أراد : « الهيقة » فصير هاء التأنيث تاء فى المرور عليها . فى الأصل : « النقنق » ولا تتفق مع الرجز ، وتصحيحها من اللسان (هدج ، هيق) وسائر المصادر المتقدمة ماعدا العقد ، فالرواية فيه أشد تحريفاً . وروى : « خلف » مكان « حول » فى جميع المصادر ماعدا العقد .

(٦) المرفق ، كمنبر ومجلس : موصل الذراع فى العضد .

(شعر فيه ذكر النعامة)

وقال ابن ميّادة ، وذكر بنى نَعامةَ من بنى أسد — وقد كان قَطَرِىُّ ابن الفجاءة يكنى أبا نعامة (١) — :

فهل يمنَعَنِّى أنْ أسيرَ ببَلْدَةٍ   نَعامةُ ، مِفْتاحُ المخازِى وبابُها

وهجا دُريدُ بن الصِّمّةِ رجُلاً فجعل البيضةَ الفاسدة مثلاً له، ثمَّ ألحق النَّسرَ بأحرار الطَّيرِ وكرامها — وما رأيتُهُمْ يعرِفون ذلك لنسر — فقال :

فإنِّى على رغم العَذولِ لَنازِلٌ   بحيث التَقَى عيط وبِيضُ بنى بدر (٢)

أيَا حَكَمَ السَّوْءاتِ لا تَهْجُ وَاضْطَجِعْ   فهل أنْتَ إن هاجَيْت إلَّا من الْخضْرِ

وهل أنْتَ إلّا بَيْضةٌ مات فَرْخُها   ثَوَتْ فى سُلوخ الطَّيرِ فى بلدٍ قفرِ (٤)

حوَاهَا بغاثٌ : شرُّ طير علمتُها   وَسُلَّاءُ ليستْ من عُقابٍ ولا نسْرِ (٥)

---

(١) قطرى ، بالتحريك : نسبة إلى موضع بين البحرين وعمان . وهى نسبة غير حقيقية ؛ فإن مولده بلد يقال له الأعدان . والفجاءة كذلك لقب لأبيه ، قالوا : قدم أهله فجأة فلقب بذلك . واسم قطرى جعونة ، واسم أبيه مازن . وأبو نعامة كنيته فى الحرب ، ونعامة فرسه ، وكنيته فى السلم أبو محمد . خرج قطرى فى زمن مصعب وكان بينه وبين الحجاج نضال مستمر طويل . وعثر به فرسه فاندقت فخذه فمات وجىء برأسه إلى الحجاج سنة ٧٨ . وفيه يقول الحريرى فى المقامة السادسة : « فقلدوه فى هذا الأمر الزعامة تقليد الخوارج أبا نعامة » . ابن خلكان والدميرى وشرح التبريزى للحماسة .

(٢) كذا . ولعله : « غيظ » أو « عيص » اسما قبائل .

(٣) الخضر : اسم قبيلة . ط ، س : « الحصر » ﻫ : « الحضر » . ولعل صوابه ما أثبت .

(٤) سلوخ : جمع سلخ ، بالفتح ، وهو مايسلخه الطائر من ريشه ، فهو يبطن به عشه ليضع فيه البيض . انظر ماسبق من القول فى سلخ الطيور ص ٢٢٤ . س : « شلوخ » ، ولا وجه لها .

(٥) السلاء ، كرمان : ضرب من الطير أغبر طويل الرجلين «

(استطراد لغوى)

ويقال للأنثى من ولد النَّعامة : قلوص ؛ على التشبيه بالنَّعام من الإبل . وهذا الجمع(١) إلى ماجعلوه له من اسم البعير ، وإلى ما جعلوا له من الخفِّ والمنسمِ ، والخْرَمَةِ(٢) ، وغير ذلك .

قال عنترة :

تأوِى له قُلُصُ النَّعامِ كما أوَت   حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأعجَمَ طِمْطِمِ(٣)

وقال شَمَّاخ بن ضِرار(٤) :

* قلوص نَعامٍ زِفُّها قد تَمَوَّرَا(٥) *

(وصف الرئال)

ووصف لبيدٌ الرِّئالَ فقال :

---

(١) كذا . ولعلها : « يجمع » .

(٢) الخرمة ، بالتحريك : سبق شرحها فى ص ٣٢١ . وفى الأصل : « الخزامة » محرفة .

(٣) تأوى له : أى تلجأ إليه . والضمير عائد إلى الظليم ، المفهوم من قوله قبل هذا البيت :

وكأنما أقص الإكام عشية   بقريب بين المنسمين مصلم

وفى الأصل : « تأوى به » ، صوابه من المعلقات واللسان (قلص) . والقلوص الشابة من الرئال ، أى فراخ النعام . والحزق : الجماعات . والمراد بها جماعات الإبل . لأعجم طمطم : أى لإهابة راعيها الأعجم الذى لايفهم الكلام .

(٤) يصف ناقته ، من قصيدة له فى ديوانه ٢٦ — ٣٤ .

(٥) الزف ، بالكسر : صغار الريش . س ، ه : « زحها » محرفة . وتمور : سقط . وصدر البيت :

* وقد أنعلتها الشمس نعلا كأنه *

فأضْحَتْ قد خَلَتْ إلاَّ عِرَارًا وعَزْفًا ، بعـد أحياءٍ حِلَالِ (١)

١١٧ وخَيطاً من خَوَاضِبَ مُؤْلفاتٍ كأَنَّ رِئالها وُرْقُ الإفالِ (٢)

(قول فى بيت لحسان)

وقال حسانُ بن ثابتٍ ، رضى الله عنه (٣) :

لعمرُك إنَّ إلَّكَ فى قُريش كإلِّ السَّقْبِ منْ رَأْلِ النَّعامِ (٤)

---

(١) العرار ، بكسر العين المهملة : صوت الظليم . يقال عريعر عرارا ، وعار يعار معارة وعرارا . ط : « غرارا » ، صـوابه فى س ، هـ واللسان (عرر) . والعزف : صوت الرياح ، وقد يجعله العرب بزعمهم صوت الجن . وفى الأصل : « عرفا » تصحيحه من اللسان . وأحيال حلال : أى أقوام مقيمون متجاورون . ينعت تلك الديار بعد مارحل عنها أهلها .

(٢) الخيط بالفتح والكسر : جماعة النعام . والخواضب : الظلمان قد احمرت سوقها . مؤلفات : ألفت الرمل . وفى الأصل : « مزلفات » صوابه من الديوان . ورئالها : فراخها . والورق : جمع أورق ، وهو مالونه كلون الرماد . والإفال : جمع أفيل ، كأمير ، وهو الفصيل من الإبل . وفى الأصل : « الإمال » بالميم ، محرفة .

(٣) يهجو أبا سفيان بن الحارث . والبيت أول أبيات أربعة فى ديوانه ٤٠٧ — ٤٠٨ . وبعده :

فإنك إن تمت إلى قريش كذات البو جائلة المرام
وأنت منوط بهم هجين كما نيط السرائح بالخدام
فلا تفخر بقوم لست منهم ولاتك كاللئام بنى هشام

(٤) الإل : القرابة . والسقب : ولد الناقة ساعة يولد . ط : « الفيل » ، س ، هـ : « السيف » صوابهما ماأثبت من الديوان ، والمخصص (٣ : ١٥١) وأمالى القالى (١ : ٤١) والأضداد ٣٤٦ . والرواية فيها جميعاً : « من قريش » وهناك بيت آخر يشتبه بهذا البيت . وهو :

وأشهد أن إلك من قريش كإل الفيل من ولد الأتان

وصاحبه عبد الرحمن بن الحكم يقوله لمعاوية : كما فى الحيوان (١ : ١٤٦ ، ٧ : ٢٣٥) والخزانة (٢ : ٥١٨ بولاق) . أو صاحبه يزيد بن مفرغ ، كما فى الشعراء ٣٢٢ والموشح ٢٧٣ . أو هو عبد الرحمن بن حسان ، كما فى العقد (٤ : ١٨٢) .

وقد عاب عليْهِ هذا البيتَ ناسٌ ، وظَنُّوا أنَّهُ أراد التبعيد ، فذكر شيئين قد يتشابهان من وجوهٍ . وحسانُ لم يردْ هذا ، وإنما أراد ضَعْفَ نَسبه فى قُريش ، وأنَّه حينَ وَجَدَ أدنى نَسب[1] انتحل ذلك النَّسب .

(النعامة ، فرس الحارث بن عباد)

وقال الفرزدقُ ــ وذكَرَ الفرَسَ الذى يقال له : « النّعامة » ، وهو فرسُ الحارث بن عُبَاد ، التى يقول فيها :

قرِّبا مَرْبِطَ النّعامةِ مِنِّى لَقِحَتْ حَرْبُ وائلٍ عن حِيالِ[2]

وقولُ الفرزدق[3] :

تُريكِ نُجُومَ اللَّيل والشَّمْسُ حَيّةٌ[4] كرامُ[5] بناتِ الحارثِ بن عُبادِ

نساءٌ أبوهنّ الأغرّ ، ولم تَكُنْ من الُحتِّ فى أجْبالها وهَدَادِ[6]

---

(١) كذا بالأصل . ولعلها : « سبب » .

(٢) عن حيال ، أى بعد حيال . والحيال ، بالكسر : ألا تحمل الناقة بولد . وقد قال الحارث هذا الشعر لمناسبة تجدها فى (يوم قضة) من أيامهم .

(٣) يقوله للنوار زوجه ، وكان تزوج عليها امرأة من ولد الحارث بن عباد ، فقالت له : تزوجتها أعرابية دقيقة الساقين ! .

(٤) كذا رواية صدر البيت فى الموشح ١٠٤ والأغانى (١٩ : ٩) . وروى : « أرتك » فى الأغانى (٨ : ٨٩) ، و : « أراها » فى الديوان ١٥٩ . يقول لها : إن بنات الحارث بن عباد يجلبن إليها الغيرة الممضة حتى يظلم عليها نهارها . والعبارة مثل ، كما جاء فى قول طرفة (ديوانه ٦٥) :

إن تنوله فقد تمنعه وتريه النجم يجرى بالظهر

(٥) روى فى الديوان والموشح والأغانى (٨ : ٨٩) : « زحام » . وللمرزبانى كلام فى هذا اللفظ دقيق .

(٦) الحت ، بالضم ، وهداد : قبيلتان من الأزد . ط : « من الأزد فى جاراتها وهداد » . ولعله تصرف من المصحح اعتمد فيه على رواية الأغانى (١٩ : ٩) =

أبوها الذى آوى النّعامةَ بعد ما أبَتْ وَائِلٌ فى الحَرْبِ غيْرَ تمَادِ[١]

وقد مَدحوا بناتِ الحارث بن عباد هذا ، فمن ذلك قوله[٢] :

جاءُوا بحارِشَةِ الضِّبابِ كأنَّهمْ جَاءُوا ببنتِ الحارثِ بن عُباد[٣]

ويلحق[٤] هذا البيت بموضعه ، من قولهم : باضَ الصَّيف[٥] ، وباضَ القَيظ[٦] . وقال مضرِّس :

بلمَّاعةٍ قد باكَرَ الصَّيفُ ماءَها وباضت عليها شمسُه وحرائرُه[٧]

= لكن فى س ، ه : « من الحب فى إحالها » ، وتصحيح هذا التحريف من الديوان .

(١) أبوها ، يعنى أبا زوجته . و « آوى النعامة » إشارة إلى قوله : قربا مربط النعامة » . ط : « قاد النعامة » ويظهر أيضاً أنه اعتماد من المصحح على رواية الأغانى (١٩ : ٩) . ورواية الديوان : « أدنى » . والتمادى : اللجاجة . ووائل هو والد بكر وتغلب اللتين أشعلتا نار حرب البسوس ، فكانت إحداهما تحارب الأخرى .

(٢) فى (٦ : ١٠٢) : وقائلة هذا الشعر امرأة من بنى مرة بن عباد . ونحوه فى ثمار القلوب ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٣) بحارشة الضباب : أى بامرأة تحرش الضباب ، أى تصيدها . وقد عدت هذه حرش الضباب لؤما ومسبة ، ولكن بعض العرب لا يرى فى ذلك شيئاً . انظر تفصيل هذا الخلاف فى (٦ : ٧٧ — ١١١) . أما بنت الحارث بن عباد فمثل فى الكرم والشرف .

(٤) الكلام من مبدإ هذا إلى نهاية بيت مضرس ساقط من س . وربما دل هذا على أنه كلام دخيل من صنع أحد القراء . وكلمة « بموضعه » تشير إلى ماسبق فى ص ٣٣٥ — ٣٣٦ .

(٥) فى الأصل : وهو هنا ط ، ه : « السيف » . وانظر ماسبق فى ٣٣٦ .

(٦) فى الأصل : « ومن باض القيظ » ، وكلمة « من » مقحمة .

(٧) لماعة : أى فلاة يلمع فيها السراب . ط : « بداعية » صوابه فى ه ، واللسان (حرر) . وفى اللسان أيضاً : « قد صادف الصيف » . والحرائر : جمع حرور ، بالفتح ، وهو الحر . وباضت الشمس : أخرجت كل حرها . ورواية اللسان : « فاضت » .

(ابن النعامة ، فرس خُزز بن لوذان)

وابن النّعامة : فرس خُزَز بن لَوْذَان(١) . وهو الذى يقول لامرأته حين أنكرتْ عليه إيثاره فرسه باللبن :

كَذَبَ العَتِيقُ ومَاءُ شَنٍّ بارِدٌ ... إنْ كنْتِ سائلتى غَبوقاً فاذهَبى (٢)

إنّى لَأَخْشَى أن تقولَ خليلتى (٣) ... هــذا غبارٌ ساطعٌ فتَلَبَّبِ (٤)

---

(١) خزز بزايين وبوزن عمر ، ابن لوذان ، بفتح اللام وبذال معجمة : شاعر قديم جاهلى ، كما فى الخزانة (٣ : ١١ بولاق) . وفى الأصل : « حرز » ، صوابه فى القاموس (خزز ، لوذ) والمؤتلف ١٠٢ ، والبيان (٣ : ٣١٧) . ونسبة الشعر الآتى إلى خزز ، مثلها فى الخزانة والبيان وأمالى ابن الشجرى (١ : ٢٦٠) . ونسب إلى عنترة فى المخصص (١٣ : ٢٠٦) والعقد (٢ : ٢٥٦) وحماسة ابن الشجرى ٨ وأماليه (١ : ٢٦١) .

(٢) هو مثل صادق من عناية العرب بخيلهم ، وإيثارهم لها على أنفسهم وعلى أزواجهم ولو أدى ذلك إلى النزاع مع الحرم . وقال فى مثل هذا ، الأعرج المعنى (الحماسة ١ : ١٣٠) :

أرى أم سهل ما تزال تفجع ... تلوم وماأدرى علام توجع

تلوم على أن أمنح الورد لقحة ... وما تستوى والورد ساعة يفزع

أم سهل : امرأته . والورد : اسم فرسه . ولقحة : أى لبن ناقة لقحة . وما تستوى : أى ما تستوى امرأته وذلك الفرس ساعة الفزع للحرب .

(٣) يقول لها : عليك بأكل العتيق ، وهو يابس التمر ، وبشرب الماء البارد الذى فى القربة الخلق ، ولا تتعرضى لغبوق اللبن ، وهو شربه بالعشى ؛ لأن اللبن خصصت به مهرى الذى أنتفع به ويسلمنى وإياك من الأعداء . وكذب كذا ، وكذب عليك كذا : مثلان غريبان من أمثلة الإغــراء ، لكنه جاء مسموعا كثيراً فى كلامهم . انظر اللسان (كذب) وأمالى ابن الشجرى والمزهر (١ : ٢٢٥).

(٤) يعنى بخليلته زوجته . ط ، س : « خليلى » وتصح بالتصغير وإرادة النداء =

إنَّ العدوَّ لهم إليكِ وسيلةٌ إنْ يأخذوكِ تَكَحَّلِي وتخضَّبِي (١)
ويكون مَرْكَبُكِ القَعودَ وحِدْجَه وابنُ النَّعامة يوم ذَلِكِ مَرْكَبِي (٢)

(شعر فى النعامة)

وقال أبو كبير الهذلىّ :

١١٨ وَضَعَ النَّعاماتِ الرِّجالُ بِرَيْدِها يُرْفِعْنَ بَينَ مُشَعْشَعٍ وَمُهَلَّلِ (٣)

وقال ذُو الإصبع العَدْوانىّ :

ولى ابنُ عَمّ على ما كان مِنْ خُلُقٍ مخالفٌ لىَ أَقْلِيه ويقلينى (٤)
أَزْرَى بنا أنَّنا شالَتْ نعامتُنا فَخَالنى دُونَهُ بل خِلْتُهُ دُونى (٥)

= وأثبت مافى ﻫ والبيان واللسان (لبب) . ورواية ابن الشجرى فى الحماسة : « ظعينتى » . والظعينة : المرأة . والغبار الساطع الذى تعنى : هو مايتطاير من جرى خيل العدو المغير . والتلبب : التحزم بالسلاح وغيره .

(١) العدو ، من الكلمات التى تقال للواحد والاثنين والجمع ، والمثنى والمذكر ، بلفظ واحد . روى ابن الشجرى فى الأمالى : « أن يأخذوك » وقال : « موضعه نصب بتقدير حذف الخافض ، أى فى أن يأخذوك » . ثم قال : « قذفها بإرادتها أن تؤخذ مسبية ، فلذلك قال : تكحلى وتخضبى » .

(٢) أى يحملك الأعداء حين تسبين على القعود ، وهو الفصيل من الإبل . والحدج بالكسر : مركب من مراكب النساء . يقول : وأما أنا فأركب للقاء العدو فرسى المسمى بابن النعامة . وقيل : أراد بابن النعامة باطن القدم ، وقيل أراد الطريق . وأول الثلاثة أصحها .

(٣) « وضع » هى فى الأصل : « وقع » و « بريدها » هى فى ط ، س « بربدها » وفى ﻫ : « برمدها » . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى ٣٥١ . و « يرفعن » هى فى الأصل : « يدفعن » . والمشعشع : المتفرق فيه فرج . والمهلل : المتقوس . وانظر عجز البيت وشرحه فيما سبق ص ٣٥١ .

(٤) أى أبغضه ويبغضنى .

(٥) شالت نعامة القوم : تفرقت كلمتهم وذهب عزهم ، أو لم يبق منهم إلا بقية . والبيتان من قصيدة فى المفضليات ١٥٩ - ١٦٤ .

وقال أبو دُوادٍ الإيادىُّ فى ذكر الصَّيد ، وذَكر فرَسه :

وأخذنا به الضرار وقلنا بحقير بنانه أضمار (١)
فأتانا يَسعَى تَفَرُّشَ أمِّ الـ بَيضِ شَدًّا وقد تَعَالَى النهارُ (٢)
غير جعف (٣) أوابدٍ ونعامٍ ونعامٍ خِلالَها أثْوارُ
فى حوال العقارب (٤) العمر فيها حين ينهضن (٥) بالصباح عذارُ

ثم قال :

يتكشفن من صرائع ستٍّ قسِّمت بينهنَّ كأسٌ عُقَارُ
بين ربْدَاءَ كالمِظلَّةِ أفق وظليمٍ مع الظَّليم حمار (٦)
ومهايين حربين ورِئال وسيوب كأنّه أوْتَارُ (٧)

---

(١) كذا جاء البيت محرفا فى الأصل . س : « الضرا » . ﻫ : « فلسنا » موضع « وقلنا » . س : « بخفر » موضع : « بحقير » .

(٢) أم البيض ، عنى بها النعامة . والتفرش : أن ترفرف بجناحيها . فى الأصل : « وأتى يبتغى تفرس » ، صوابه فى المعانى الكبير ٧٧٥ واللسان والمقاييس (فرش) .

(٣) كذا بالأصل .

(٤) كذا فى ط . وفى س ، ﻫ : « فى حو القارب » ، محرفتان .

(٥) س ، ﻫ : « ينهض » .

(٦) ربداء : أى نعامة رمادية اللون . والمظلة : بالكسر والفتح ، الكبير من الأخبية ، وقد جاء مثل هذا فى قول ذى الرمة ص ٣١١ :

* شخت الجزارة مثل البيت سائره *

وسيأتى مثله لذى الرمة ص ٣٦٨ . ط : « كالمصلتة » س ، ﻫ : « كالمظلة » صوابه ما أثبت . والأفق ، بضمتين : الرائع ، يقال للذكر والأنثى ، وقد سكن الفاء للشعر .

(٧) كذا فى س ، ﻫ . وفى ط :

ومهاتين حرس ورئال وسيوف كأنها أوتار

والنصان محرفان . وفى المعانى الكبير ٧٧٦ قطعة من البيت فقط « كأنه أوثار » . بالثاء المثلثة. قال ابن قتيبة : « قيل هو الثوب الأبيض المحشو ، وقيل : البرذعة » .

(شعر فى تشبيه الناقة بالظليم)

ووصف علْقمة بن عبدة ناقَته ، وشبّهها بأشياءَ منها[1] ثمّ أطنب فى تشبيهه إيّاها بالظَّليم :

تلاحِظ السَّوْطَ شزْراً وهى ضامزة ... كما توجَّس طاوِى الكَشح مَوْشُومُ[2]

كأنَّها خاضب زُعْرٌ قوائمُــه ... أجْنَى له باللِّوَى شَرْىٌ وَتنُّومُ[3]

يظلُّ فى الحنْظلِ الخطبان ينقفُه ... وما استَطَفَّ من التَّنُّوم مَخْــذوم[4]

فُوه كشَقِّ العصاَ لأْياً تَبَيَّنُهُ ... أسَكُّ مايسمَعُ الأصواتَ مَصْلُومُ[5]

يكادُ منسمه يَخْتَلُّ مُقْلَتَهُ[6] ... كأنَّهُ حاذِرٌ للنَّخْس مَشهومُ[7]

---

(١) كذا . وقد تكون هذه الكلمة زائدة ، وقد تكون أصيلة يتلوها كلام سقط .

(٢) نظر شزراً : أى بمؤخر عينه . ضامزة ، بالزاى : أى ساكتة خائفة . س ، ه والديوان ١٣٠ : « ضامرة » وما أثبت من ط ، والمفضليات ٣٩٩ أجود . والتوجس : التسمع للصوت الخفى . س ، ه : « تزجر » ، محرف عما أثبت من ط ، والديوان ، والمفضليات . والموشوم : الذى فى ذراعيه خطوط . وعنى به الثور الوحشى . س ، ه : « مرشوم » ، محرف .

(٣) الخاضب : الظليم قد احمرت ساقاه . والزعر : القليلات الريش . ه : « ذعر » . مصحفة . روى فى المفضليات : « قوادمه » . والشرى : الحنظل . والتنوم : نبت . وأجنى : أى أدرك وأمكن من جنيه . س ، ه : « أحنى » صوابه فى ط والديوان وعيون الأخبار (٢ : ٨٧) والمفضليات ٣٩٩ حيث القصيدة .

(٤) الخطبان : بالضم والكسر : جمع خطبانة بالضم ، وهى الصفراء فيها خطوط خضر . فى الأصل : « الحبطان » صوابه فى الديوان والمفضليات واللسان (طفف) . ينقفه : يشقه ليستخرج لبه . واستطف : أى بدا للآخذ . والمخذوم : المقطوع . ه : « محدوم » وأثبت مافى ط ، س والمفضليات . ورواية الديوان : « مجذوم » وهو المقطوع قطعاً وحياً .

(٥) لأيا تبينه ، أى لا تتبينه إلا بعد جهد ومشقة . ط : « لا يأتبينه » . س ، ه : « لأيايينيه » صوابه من الديوان والمفضليات . والأسك : الأصم . والمصلوم : الصغير الأذنين أو المقطوعهما .

(٦) المنسم ، كمجلس : طرف خف النعامة . يختل مقلته : ينفذ فيها وينتظمها .

(٧) المشهوم : الفزع . س ، ه : « موسوم » س : « حازم النحيين » ه : =

حتى تذكَّرَ بَيْضَاتٍ وَهَيَّجَــهُ　　يومُ رذاذٍ ، عليه الرِّيحُ مَغْيُومُ (١)
فلا تَزيُّدُه فى مَشْيِــهِ نَفِقٌ (٢)　　ولا الزَّفيفُ دُوين الشَّدِّ مَسْئُومُ (٣)
يَأوِى إلى حِسْكِلٍ زُعْرٍ حَواصِلُها (٤)　　كأنّهنّ إذا بَرّكْنَ جُرثُومُ (٥)
وضَّاعةً كعِصِيِّ الشِّرْعِ جُؤْجُؤُهُ　　كأنَّهُ بتناهى الرَّوْضِ عُلْجُومُ (٦)
حَتى تَلاَفَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ　　أُدْحِيَّ عِرْسَيْنِ فيه البيضُ مَرْكُومُ (٧)

= « حارم التبختر » تحريف ما أثبت من ط والديوان والمفضليات .

(١) فى المفضليات : « عليه الدجن » . هـ : « معتوم » .

(٢) التزيد : الزيادة . والنفق ، كفرح : المنقطع . س : « لغوا » . س ، هـ : « ولا تزيد وفى مشيه » ، صوابه فى ط والمصدرين السابقين .

(٣) الزفيف : المشى السريع . دوين ، تصغير دون : أى أقل . فى الأصل . « مشؤوم » صوابه فى المصدرين السابقين . س ، هـ : « إلا الرفيف دونه السك » ، محرف .

(٤) الحسكل ، كزبرج : الصغير من ولد النعام . س ، هـ : « درحق » صوابهما : « دردق » . فى الديوان : « حرق » .

(٥) الجرثوم : أصل الشجرة يجتمع إليه التراب . س ، هـ : « إذا ركبن مرثوم » .

(٦) الوضاع : الذى يعدو وضعا . والوضع : عدو سريع من عدو الإبل . وقد زاد التاء للمبالغة ، كما جاءت فى علامة ونسابة . والشرع ، بالكسر : جمع شرعة ، وهى وتر القوس أو العود . والجؤجؤ : الصدر . والتناهى : جمع تنهية ، وهى الأماكن المطمئنة لها من جوانبها ما يمنع الماء أن يخرج منها . والروض : جمع روضة . والعلجوم : البعير الطويل المطلى بالقطران . ولعمرى لقد دار علقمة على رأسه ، فشبه ناقته بالظليم ثم عاد فشبه الظليم بالبعير ، وقد دفعه إلى ذلك إفراطه فى الاستطراد . س ، هـ : « وصاعد كقصى الترع » و « بتناهى الروس » صوابه ما أثبت من ط والمفضليات والديوان .

(٧) تلافى ، بالفاء : أى تدارك . س ، والديوان : « تلاق » صوابه فى ط ، هـ والمفضليات واللسان (عرس) . والأدحى : موضع بيض النعامة . وأراد بالعرسين الذكر والأنثى . س : « أرحى عرينين » محرف . ومركوم : راكب بعضه بعضاً . هـ : « محجوم » ، ولا وجه له .

١١٩ يُومِي إليها بإنقاض وَنَقْنَقَةٍ كما تَرَاطَنُ فى أفْدانِهَا الرُّومُ (١)
صَعْلٌ ، كأنَّ جَنَاحَيْهِ وَجُؤْجُؤَهُ بيتٌ أطافَتْ به خَرْقَاءُ مَهْجُومُ (٢)
تحفُّهُ هِقْلَةٌ سَطْعاءَ خَاضِبَــةٌ تجيبُهُ بزِمارٍ فيــه تَرْنِيمُ (٣)

(رؤيا النعامة)

الأصمعىّ ، قال : أخبرنى رجلٌ من أهل البَصرة قال : أرسلَ (٤) شيخ من ثقيفٍ ابنَه فلانا — ولم يحفظ اسمه — إلى ابن سِيرِينَ ، فكلمه بكلامٍ ، وأمُّ ابنِه هذا قاعدةٌ ، ولا يظنُّ أنّها تفطِنُ ، فقال له : يابنىَّ اذهبْ إلى ابن سِيرِينَ ، فقل له : رجلٌ رأى أنَّ له نعامةً تطحَن . قال : فقلت له ،

---

(١) يومى إليها : يشير . س ، ه : « يرحى » صواب هذه : « يوحى » كما فى الديوان والمفضليات . والإنقاض : صويت مثل النقر . والنقنقة : صوت كصوت الدجاجة للبيض . وتراطن الروم : تكلموا برطانتهم . ويصح أن يكون حذف من الفعل إحدى التاءين تخفيفاً ، فيكون أصله : تتراطن . والأفدان : جمع فدن ، بالتحريك ، وهو القصر المشيد . ه : « أفرايها » س : « أقرائها » ، صوابهما فى ط والديوان والمفضليات .

(٢) الصعل : الصغير الرأس . والجؤجؤ : الصدر . وخرقاء : أى ريح خرقاء لاتدوم على حال فى هبوبها . المخصص (٩ : ٨٧) . وفى الكامل ٤٤٩ : « والخرقاء : التى لا تحسن شيئاً ، فهى تفسد ماعرضت له » ، وفى اللسان : « وقال المازنى فى قوله : أطافت به خرقاء : امرأة غير صناع ، ولا لها رفق ، فإذا بنت بيتا انهدم سريعاً » . وتفسير ابن سيده أجود وأقرب . والمهجوم : المهدوم . وهو من صفة البيت الذى شبه به جناحى الظليم وجؤجؤه .

(٣) الهقلة : الفتية من النعام ، أو الطويلة الخرقاء . س ، ه : « يحفه ،قلة » محرف . والسطعاء : الطويلة العنق . س ، ه : « صعقاء » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام .

(٤) س ، ه : « أرسلنى » ، صوابه فى ط .

فقال : هذا رجلٌ اشترى جاريةً فَخَبَّأَهَا فى بنى حنيفة[١] . قال : فجئت أبى فأخبرتُه ، فنافرَتْهُ أمّى ، وما زالت به حتى اعترف أنّ له جارية فى بنى حنيفة .

وما أعرفُ هذا التأويل . ولولا أنّه من حديث الأصمعى مشهورٌ ما ذكرته فى كتابى .

(مسيلمة الكذاب)

وأمّا قول الشاعرِ الهذلىِّ فى مسيلِمة الكذاب ، فى احتياله وتمويهه وتشبيهِ ما يحتال به من أعلام الأنبياء ، بقوله :

ببيضَة قَارُورٍ وَرَايَةِ شَادنٍ وتوصيلِ مَقصوصٍ من الطيرِ جادِفِ[٢]

قال : هذا شعرٌ أنشدَنَاه أبو الزَّرقاء سَهْمٌ الخثعمى ، هذا [منذُ[٣]] أكثرَ من أربعينَ سنة . والبيتُ من قصيدةٍ قد كان أنشدنيها فلم أحفَظْ منها إلاّ هذا البيت .

فذكر أنَّ مسيلمة طاف ، قبلَ التنبِّى ، فى الأسواق التى كانت بين دور العجم والعرَب ، يلتقُون فيها للتسوُّق والبِياعات[٤] ، كنحو سُوق الأُبُلّة ، وسُوق بَقّة[٥] ، وسوق الأنبار ، وسوق الحِيرة .

---

(١) أى فى حى بنى حنيفة .

(٢) الجادف من الطير : ما يطير وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه ، كما يفعل الملاح بمجدافيه . وفى الأصل : « جائف » ، ولا وجه له .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) فى اللسان : « تسوق القوم : باعوا واشتروا » . س ، ه : « فيه » ه : « للسوق » ، محرفتان عما فى ط . والبياعات : الأشياء التى يتبايع بها فى التجارة .

(٥) بقة : اسم موضع قرب الحيرة كان ينزله جذيمة الأبرش . وفيه المثل : « ببقة خلفت الرأى» . ط ، ه : « لقة » س : « لفة » ، صوابه من معجم البلدان .

قال : وكان يلتمس تعلُّم الحِيَل والنِّيرَجَات(١) ، واختيارات النُّجوم والمتنبئين . وقد كان أحكَمَ حِيَل السَّدَنَةِ والحُوَّاء(٢) وأصحــابِ الزَّجْر والخطّ(٣) ، ومذهبَ الـكاهنِ والعيَّاف(٤) والسَّاحر ، وصاحبِ الجنّ الذى يزعم أنّ معه تَـابِعَهُ(٥) .

قال : فخَرَجَ وقد أحكم من ذلك أموراً . فمن ذلك أنّهُ صبّ على بيضَةٍ من خَلٍّ قاطع(٦) — والبيض إذا أطيل إنقاعُه فى الخلّ لانَ قشرُه الأعلى ، حتَّى إذا مددته استطال واستدقّ وامتدّ كما يمتدُّ العِلْكُ ، أو على قريب من ذلك — قال : فلمَّا تمَّ له فيها ما حاوَل وأمّل ، طَوّلها ثُمَّ أدخَلَها قارورةً ضيِّقةَ الرَّأسِ ، وتركها حتّى جفَّت ويبِست . فلمّا جفّت

---

(١) كذا فى الأصل . قال صاحب القاموس : « والنيرنج ، بالكسر : أخذ كالسحر وليس به »، وعقب عليه الشارح بقوله : « هكذا فى سائر النسخ ، والمنقول عن نص كلام الليث : النيرج ، بإسقاط النون الثانية » . وجاء فى المعارف ١٧٨ : « وكان صاحب نيرنجات » فهما مذهبان فى التعريب . وهو بالفارسية: «نيرنـگث» .

(٢) السدنة : جمع سادن ، وهو خادم الـكعبة ، أو خادم بيت الصنم . س : « السدانة » صوابه فى ط ، ھ . والحواء : جمع حاو . انظر ما سبق فى تحقيق هذه الـكلمة فى التنبيه الرابع من ص ٢٦٩ .

(٣) الخط : ضرب من ضروب الـكهانة ، يأتى صاحب الحاجة إلى الحازى فيعطيه حلوانا ، فيقول : اقعد حتى أخط لك . وبين يدى الحازى غلام له معه ميل له — أى قضيب — ثم يأتى إلى أرض رخوة ، فيخط الأستاذ خطوطاً كثيرة بالعجلة ، لئلا يلحقها العدد ، ثم يرجع فيمحو منها على مهل خطين خطين ، فإن بقى من الخطوط خطان فهما علامة قضاء الحاجة والنجح ، وإن بقى واحد كان ذلك أمارة للخيبة ، وبينما الحازى يمحو يقول الغلام للتفاؤل : ابنى عيان ! أسرعا البيان ! .

(٤) العياف ، من العيافة ، بالـكسر : وهى زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها .

(٥) ھ : « تابعة »، أى جنية تتبعه .

(٦) خل قاطع : أى شديد الحموضة .

انضمّت ، وكلما انضمَّت استدارتْ ، حتى عادت كهيئتها الأولى . فأخرجها إلى مُجَّاعَة(١) ، وأهل بيته ، وهم أعراب ، وادَّعى بها أعجوبةً ، وأنّها جُعلت له آية . فآمَنَ به فى ذلك المجلس مُجَّاعَة(٢) . وكان قد حمل معه ريشاً فى لون ريشِ أزواجِ حمامٍ ، وقدكان يَرَاهُنَّ فى منزل مُجَّاعةَ مَقاصِيصَ .
فالتفت ، بعد أن أراهم الآيةَ فى البيض إلى الحمام ، فقال لِمُجَّاعَة : إلى كم ١٢٠
تعذِّب خَلْقَ الله بالقصِّ ؟ ! ولو أراد الله للطَّير خلافَ الطَّيَرانِ لَمَا خلقَ لها أجنحةً ، وقد حَرَّمْتُ عليكم قصّ أجنحة الحمام ! فقال لَهُ مُجَّاعة كالمتعنت : فَسَل الذى أعطاك فى البيضِ هذه الآيةَ أنْ يُنبِتَ لك جَناحَ هذا الطائر الذَّكَرِ السَّاعةَ !

فقلت لسهم : أمَا كان أجوَدَ من هذا وأشبَهَ أنْ يقول : فَسَل الذى أدْخَلَ لك هذه البيضة فَمَ هذه القارُورة أنْ يخرجها كما أدخلها . قال : فقال : كأنَّ(٣) القَومَ كانُوا أعراباً ، ومثلُ هذا الامتحانِ من مُجَّاعة كثير . ولَعَمْرِى إنَّ المتنبئَ لَيخدع(٤) ألفاً مثلَ قيس بن زهير(٥) ، قبل أن يَخْدَعَ

---

(١) هو مجاعة ، بضم الميم وتشديد الجيم ، ابن مرارة بن سلمى الحنفى اليمامى ، صحابى جليل ، كان من رؤساء بنى حنيفة ، وأسلم ووفد . الإصابة ٧٧١٦ . وقد ذكره المرزبانى فى المعجم ٤٧٢ . وأثبت له الجاحظ بلاغة فى البيان (٤ : ٩٠) . وذكر المرزبانى أنه عاش إلى خلافة معاوية .

(٢) حدث هذا قبل أن يسلم مجاعة ، فلا تناقض . وكان مجاعة ممن أسره خالد بن الوليد يوم اليمامة ، فوجهه إلى أبى بكر الصديق ، فقال مجاعة من أبيات :

أترى خالداً يقتلنا اليو م بذنب الأصيفر الكذاب
لم ندع ملة النبى ولا نحـ ن رجعنا فيها على الأعقاب

(٣) ط ، هـ : « كان » ، وأثبت ما فى س .

(٤) ط : « يخدع » .

(٥) هو قيس بن زهير بن جذيمة بن رواحة العبسى ، كان يلقب بقيس الرأى ؛ لجودة =

واحداً من آخِرِ المتكلمين ، وإن كان ذلك المتكلم لا يشقُّ غبارَ قيس فيما قيسٌ بسبيله .

قال مسيلمة : فإنْ أنا سألتُ الله ذلك ، فانتبهْ له حتى يطيرَ وأنتم ترونَهُ ، أتعلمون أنى رسول الله إليكم ؟ قالوا[١] : نعم . قال : فإنى أريد أنْ أناجىَ ربِّى ، وللمناجاة خَلوةٌ ، فانهضوا عنِّى ، وإن شئتم فأدخلونى هذا البيت وأدخِلوهُ مَعِى[٢] ، حتى أخرجه إليكم السَّاعةَ وافىَ الجناحَينِ يطير ، وأنتم ترونَهُ . ولم يكن القوم سَمِعُوا[٣] بتغريز[٤] الحمام ، ولا كان عندهم بابُ الاحتياط فى أمْر المحتالين . وذلك أن عُبَيداً الكيِّس[٥] ، فإنّه[٦] المقدَّم فى هذه الصناعة ، لو منعوه السِّتر والاختفاء . لَمَا وصل إلى شىءٍ من عمله جلّ ولا دَقّ ؛ ولكان واحداً[٧] من النَّاس . فلما خلا بالطائر أخرج الريش الذى قد هيَّأه ، فأدخل طرَف كلِّ ريشةٍ ممَّا[٨] كانَ معه ، فى جَوف ريش الحمام المقصوص ، من عند المقطع والقَصِّ . وقَصَبُ[٩]

= رأيه . وهو صاحب داحس التى راهن عليها حذيفة بن بدر صاحب الغبراء ، فلما سبق قيس تنازعا وشبت نار حرب داحس والغبراء فى الجاهلية .

(١) فى الأصل : « قال » ، والوجه ما كتبت .

(٢) ط : « فأدخلوه هذا البيت وأدخلونى معه » ، وأثبت ما فى س ، هـ . ومؤداهما واحد .

(٣) ط : « يسمعوا » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٤) تغريز الحمام : أى تغريز الريش فى جناحه . وأصله من تغريز النخل ، أى نقله من موضع إلى موضع . وهذا يقابل ما يعرف فى اصطلاح زراع مصر بالشتل ، بفتح الشين . ط : « بتغرير » هـ : « بتعزيز » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) كذا فى الأصل . وفى أنساب ابن الكلبى من اسمه عبيد بن مالك بن شراحيل بن الكيس . انظر تاج العروس (كيس) .

(٦) ط : « فأته » س : « فاته » ، وصوابه فى هـ .

(٧) ط : « واجدا » .

(٨) ط : « كما » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٩) قصب الريش : أنابيبه . فى الأصل : « قضيب » محرفة .

الرِّيش أجوَفُ ، وأكثَرُ الأصــولِ حِدَادٌ وصلاب . فلما وَفَى الطَّائرَ ريشَهُ صارَ في العين كأنَّهُ بِرْذَوْنٌ موصولُ الذَّنب ، لا يعرِف ذلك إلاَّ من ارتاب به . والحمام بنفسه قد كان له أصولُ ريشٍ ، فلما غُرِّزَتْ نمت[١] فلما أرسله من يده طار . وينبغي ألاَّ يكونَ فَعَلَ ذلك بطائرٍ قد كانوا قطوه[٢] بعد أن ثبت عندهم . فلما فعل ذلك ازداد مَنْ كان آمَنَ به بصيرةً وآمَنَ به آخرون لم يكونوا آمنوا به ، ونزع منهم في أمْره[٣] كلٌّ من كان مستبصِرًا في تكذيبه .

قال : ثمَّ إنَّهُ قال لهم — وذلك في مِثْل ليلةٍ مُنكَرَةِ الرِّيَاحِ مُظلمةٍ في بعض زمان البوارح[٤] — إنَّ الملك عَلَى أن ينزل إليّ[٥] ، والملائكة تطير ، وهي ذوات أجنحة ، ولمجيء المَلَكِ زَجَلٌ وخشخشة[٦] وقعقعة ، فمن كان منْكمْ ظاهرًا فَلْيَدْخُلْ منزلَه ؛ فإنَّ من تأمَّل اختطِفَ بصرُه ! ثم صــنَعَ رايةً من رايات الصِّبيان التي تعمل من الورق الصِّيني[٧] .

(١) انظر التنبيه (٤) من الصفحة السابقة .
(٢) كذا في الأصل ، بالطاء . وقد تكون : « قصوه » .
(٣) أي صار في مذهبه ، وسار في نصرته .
(٤) البوارح : الرياح الشدائد التي تحمل التراب ، وخصها بعضهم بما كان منها في القيظ .
(٥) أي على وشك أن ينزل علي .
(٦) الخشخشة : صوت كصوت السلاح . هـ : « حشحشة » بمهملتين ، وليس لها وجه .
(٨) من خواص الورق الصيني النعومة والحسن والرفق والرقة . انظر ثمار القلوب ٤٣١ . قال : « وذكر صاحب المسالك والممالك أنه وقع من الصين إلى سمرقند في سبي سباه زياد بن صالح في وقعه أطلخ — سنة ١٣٤ — من يصنع الكواغيد ثم كثرت الصنعة ، واستمرت العادة ، حتى صارت متجرا لأهل سمرقند » . وجاء في فهرست ابن النديم ٢١ ليبسك ٣١ مصر : « الورق الصيني ويعمل من الحشيش » .

١٢١ ومن الكاغَدِ[1] ، وتُجعَلُ لها الأذنابُ والأجنحة ، وتعلَّق فى صدورها الجلاجل[2] ، وترسَل يوم الرِّيح بالخيوط الطِّوال الصِّلاب .

قال : فبات القومُ يتوقَّعون نزولَ المَلَك ، ويلاحظون السَّماءَ ، وأبطأ عنهم حتَّى قام جلُّ أهلِ اليمامة ؛ وأطْنَبت[3] الرِّيح وقويت ، فأرسلها ، وهم لا يَرَوْنَ الخيوطَ ، واللَّيلُ لا يُبِينُ عن صورة الرَّقِّ[4] ، وعن دقَّةِ الكاغد . وقد توهَّموا قبل ذلك الملائكة . فلمَّا سَمِعُوا ذلك ورأوه تصارَخُوا وصاح : من صَرَفَ بصَره ودخلَ بيتَه فهو آمن ! فأصبح القومُ وقد أطبَقُوا على نصرتِه والدَّفعِ عنه . فهو قوله :

بِبَيْضَــةِ قَارُورٍ وَرَايَةِ شَــادنٍ ... وتوصيلِ مَقْصوصٍ من الطيرِ جادِفِ[5]

فقلت لسهم[6] : يكون مثلُ هذا الأمرِ العجيب، فَلاَ يقولُ فيهِ شَاعرٌ، ولا يَشِيعُ به خبر؟! قال : [أ[7]] وَكلما كان فى الأرض عجبٌ، أو شيء

(١) الكاغد ، بفتح الغين، كلمة فارسية أصلها صينى ، بمعنى القرطاس الذى يكتب فيه. والكاغذ لغة فيه . والقرطاس أيضاً معربة من اليونانى : χάρτης وتنطق : « خَارْطِيس » . انظر الألفاظ الفارسية لأدى شير ١٣٦ .

(٢) الجلاجل : جمع جلجل ، بجيمين ، وهو الجرس الصغير . س: « الخلاخل » ، محرفة .

(٣) أطنبت الريح إطنابا : اشتدت فى غبار . اللسان والقاموس . والكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : « طلبت » ، وفى س ، ه : « طابت » . أما الأولى فظاهرة التحريف ، وأما الثانية فإن معناها يناقض ما بعدها ، وهو « وقويت » إذ أن الريح الطيبة هى اللينة غير الشديدة .

(٤) الرق ، بالفتح ، ويكسر : الصحيفة البيضاء .

(٥) فى الأصل : « جائف » . وانظر شرح هذه الكلمة وتحقيقها فى ص ٣٦٨ حيث أنشد هذا البيت .

(٦) س : « لهم » محرفة . وسيترجم الجاحظ « سهما » فى ص ٣٧٩ .

(٧) ليست بالأصل .

غريبٌ ، فقد وجَبَ أن يشيع ذكرُه ، ويقالَ فيه الشِّعرُ ، ويجعلَ زمانُهُ تاريخاً ! أَلَسْنَا معشَرَ العربِ نزعُمُ أنَّ كسرى أبرويز ، وهو من أحرار فارسَ ، من الملوكِ الأعاظم ، وسليلُ ملوكٍ ، وأبو مُلوك ، مع حَزْمه ورأيه وكماله ، خطبَ إلى النُّعمان بن المنذر ، وإلى رجلٍ يرضى أن تكونَ امرأتُهُ ظِئْرا لبعض ولدِ كسرى ، وهو عامله ، ويسمِّيه كسرى عبداً ، وهو مع ذلك أُحَيْمِر أُقَيْشِرُ ، إمَّا من أشلاء قصيّ بن معد ، وإما من عُرْض لخم . وهو الذى قالوا : تَزَوَّجَ مومسةً — وهي الفاجِرةُ ؛ ولا يقال لها مومسةٌ إلاَّ وهى بذلك مشهورة — وعَرَفها بذلك ، وأقام عليها ، وهُجِىَ بها ولم يَحفِلْ بهجائهم . وممَّا زاد فى شهرتها قصّة المرقش (١) . وناكها قُرَّة بن هُبيرة (٢) حين سباها . فعلم بذلك وأقامَ عليها ، ثمّ لم يرضَ حتَّى قال لها : هل مَسَّكِ ؟ قالت : وأنت والله لو قدَر عليك لَمَسَّك ! فلم يَرْضَ بها حتَّى قال لها : صِفيه لى . فوصَفَتْهُ حَتَّى قالتْ : كأنَّ شعر خَدَّيْهِ حَلَقُ الدِّرْع ! وبال على رأسه خلف بن نوالةَ الكنانى عامَ حَجّ ، ونَصَّرَه عدىُّ بنُ

(١) هو المرقش الأصغر ، واسمه ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ، أو عمرو ابن حنظلة بن سعد بن مالك، وهو ابن أخى المرقش الأكبر . واسمه عمرو — أو عوف — ابن سعد بن مالك . والمرقش الأصغر أشعر المرقشين وأطولها عمراً . والمعروف أنه عشق فاطمة بنت المنذر ، أخت النعمان لا زوجه . وقصتهما فى الأغانى (٥ : ١٨٣ — ١٨٤) . وفيها يقول — من قصيدة مفضلية مطلعها (انظر المفضليات ٢٤٤) — :

ألا يا اسلمى لا صرم لى اليوم فاطما ولا أبداً ما دام وصلك دائما

(٢) قرة بن هبيرة ، أحد بنى قشير ، وفد على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأسلم . الإصابة ٧٠١٠ .

زيد بأحمقِ سَبَب[١] . وَخطَبَ أخوهُ المنذرُ إلى عبيدة بن همام ، فردَّه أَقْبحَ الرّدّ ، وقال[٢] :

أَتَوْنِى ولم أرْضَ ما بَيَّتوا[٣] وقد طرَقُونى بأمرٍ نُكُرْ
لأنْكِحَ أيِّمَهُمْ مُنْذِراً وهل يُنْكِحَ الْعَبْدَ حُرٌّ لِحُرّْ[٤]

ثمّ مع ذلك خطب إليه كسرى بعضَ بناتِه فرغِب بها عنه ، حتَّى كان ذلك سببَ هربه وعِلَّةً لقتله — فهل رَأيت شاعرًا فى ذلك الزَّمان

١٢٢ مع كثرة الشعراء فيه ، ومع افتخارهم بالذى[٥] كان منهم فى يوم جَلُولَى[٦] ويومِ ذى قار ، وفى وقائع المثنَّى بن حارثة ، وسعد بن أبى وقَّاص — فهل سَمِعْتَ فى ذلك بشعرٍ صحيحٍ طَرِيف[٧] المخرج ، كما سمعته فى جميع مفاخرهم ممّا لايدانى هذا المفْخَرْ[٨] ؟ !

---

(١) نصره تنصيراً: أدخله فى النصرانية . وانظر خبر تنصير عدى بن زيد للنعمان بن المنذر فى الأغانى (٢ : ٣٢ — ٣٣) .

(٢) البيتان بدون نسبة فى الكامل ٤٤٦ ليبسك . ونسبا فى اللسان (نكر) إلى الأسود ابن يعفر .

(٣) ما بيتوا : أى مادبروه وفكروا فيه ليلا . هـ : « بينوا »، محرفة .

(٤) جعل أخا المنذر عبداً ، فقال : وهل يزوج الحر عبداً مثل أخى المنذر لحر مثل المرأة التى خطبها . فى الأصل : « حرا بحر » ، وصوابه من الكامل .

(٥) س ، هـ : « فى الذى » .

(٦) المعروف : « جلولاء » بالمد ، لكنها قد قصرت فى الشعر ، فمنه قول القعقاع ابن عمرو :

ونحن قتلنا فى جلولا أثابرا ومهران إذ عزت عليه المذاهب
ويوم جلولاء الوقيعة أفنيت بنو فارس لما حوتها الكتائب

قال ياقوت : « فقصرها مرة ومدها أخرى » . وهى طسوج من طساسيج السواد . وبها كانت الوقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة ١٦ وقتلوا منهم مائة ألف فيما يروون .

(٧) س ، هـ : « ظريف » بالمعجمة .

(٨) ط ، س : « المفتخر » .

ولقد خَطَبَ بَعْضُ إخْوَتِهِ(١) إلى رجالٍ من نِزار ، من غير أهل البيوتات ، فرغبوا عنهم .

وأمّ النعمان سَلْمَى بنت الصَّائغ(٢) : يهوديّ من أنباط الشام ، ثمَّ كان نَجْلُهُ(٣) لفِعلٍ غيرِ محمود .

وقد قال جَبَلَةُ بن الأيْهم(٤) ، لحسَّان بن ثابت : قد دَخَلْتَ عليَّ ورأيتَنى ، فأينَ أنا من النّعمان ؟ قال : واللهِ(٥) . . . .

[فالنّعمان(٦)] مع هذه المثالب كلِّها قد رَغِبَ بنفسه(٧) عن مصاهرة كِسْرَى ، وهو من أنْبَهِ الكسور(٨) . وكما(٩) كان أَبْرَوِيزُ أعْظَمَ خَطَرًا ،

(١) ط ، هـ : « إخوانه » . ولم يفصل صاحبا القاموس والمصباح بين الاثنين ، لكن جاء فى اللسان : « وأكثر ما يستعمل الإخوان فى الأصدقاء ، والإخوة فى الولادة » .

(٢) اسمه عطية ، كما فى الأغانى (٩ : ١٥٨) . وفى البيان (٣ : ٢٤٦) : « سلمى بنت عقاب » .

(٣) نجله ، أى ولادته . ط ، هـ : « بخله » ، صوابه فى س .

(٤) هو جبلة بن الأيهم الغسانى ، آخر ملوك الغساسنة بالشام . أسلم ثم تنصر فى أيام عمر بن الخطاب . وحديثه مع حسان معروف . الأغانى (١٤ : ٢) والعمدة (٢ : ١٧٨) والخزانة (٤ : ٢٩٧ — ٣٠٣ سلفية) . وفى الأصل : « خلف » محرف عما أثبت .

(٥) فى الكلام نقص ، تقديره كما فى الأغانى (١٤ : ٣) : « ... لقفاك خير من وجهه ، ولشمالك خير من يمينه ، ولأخمصك خير من رأسه ، ولخطؤك خير من صوابه ، ولصمتك خير من كلامه ، ولأمك خير من أبيه ، ولخدمك خير من قومه » . كما أن صاحب الحديث (فى الأغانى) هو عمرو بن الحارث الأعرج ، لا جبلة .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) س : « قد ترغب بنفسه » .

(٨) الكسور : جمع كسرى : اسم للملك الفرس ، معرب « خَسْرَوْ » أى واسع الملك . ويجمع كسرى أيضاً على أكاسرة ، وكساسرة ، وأكاسر ، انظر القاموس . وجاء فى س فقط : « الأكاسرة » . وكسرى الذى يعنيه الجاحظ ، هو كسرى أبرويز . وانظر (٧ : ١١٢) .

(٩) فى الأصل : « وكلما » .

كانَتْ أَنَفَتُهُ[1] أَفْخَرَ للعَرَبِ ، وأدلَّ على مايدَّعون من العلوِّ في النسب وكان الأمر مشهوداً ظاهراً ، ومُرَدَّدًا[2] على الأسماع مستفيضا . فإذْ قد تهيَّأ أن يكون مثلُ هذا الأمر الجليل ، والمفْخرِ العظيم ، والعربُ أَفْخَرُ الأمم ، ومع ذلك قد أغفلوه ـ فشَأنُ مسيلمةَ أحقُّ بأن يجوزَ ذلك عليه .

وأنشدنى يوسفُ لبعضِ شعراءِ بنى حَنِيفة ، وكان[3] يُسَمَّى مُسَيْلِمَةَ وَيُكْنَى أبا ثُمامة :

لهفى عَلَيْكَ أبا ثُمَامَهْ لهفى على رُكْنَىْ شمامَهْ[4]
كم آيةٍ لأبيهِمُ[5] كالشَّمْسِ تَطْلُعُ مِنْ غَمامَهْ

وقد كتبنا قِصَّتَهُ وَقِصَّةَ ابن النَّوَّاحَةِ (فى كتابنا الذى ذكرنا فيه فَصْلَ ما بين النبيِّ والمتنبى) وَذَكَرْنَا جميعَ المتنبئين ، وشأنَ كلِّ واحدٍ منهم على حِدَتِهِ ، وبأىِّ ضربٍ كان يَحتالُ ، وَذَكَرْنَا جملةَ احتيالاتِهِمْ ، والأبوابَ التى تدور عليها مَخاريقهم[6] . فإنْ أردتَ أنْ تعرفَ هذا البابَ فاطلبْ هذا الكتاب ؛ فإنهُ موجود .

---

(١) أى أنفة النعمان من مصاهرة كسرى . ط ، هـ : « ألفته » ، س : « الفتنة » . والأوضح ما أثبت .

(٢) فى الأصل : « وموروداً » . ولا تتجه .

(٣) أى كان مسيلمة .

(٤) فى المعارف ١٧٨ : « على ركنى شهامة » .

(٥) كذا . ورواية المعارف : « كم آية لك فيهم » .

(٦) المخاريق : يراد بها تلك الألاعيب التى يلجأ إليهم المشعوذون . واحداها مخراق . قال التبريزى فى شرح المعلقات ٢٢١ : « قيل المخاريق : ما مثل بالشىء وليس به نحو ما يلعب به الصبيان » . وانظر التنبيه والإشراف ٢٤٠ س ١٩ والحيوان (١ : ١٠) .

(هجاء النعمان)

وقد هجا عبدُ القيس بنُ خُفَافٍ البُرْجُمِيُّ[(١)] ، النُّعْمَانَ بن المنذر ، فى الجاهليَّةِ ، وذكر ولادة الصائِغِ[(٢)] [له] فقال :

لَعنَ اللهُ ثمَّ ثنَّى بِلَعنٍ ابنَ ذا الصَّائغِ ، الظلومَ الجهولا[(٣)]

يجمعُ الجيشَ ذا الألوفِ ويغزُو ثمَّ لا يرزأُ العـدُوّ فَتِـيلا[(٤)]

(سَهْمٌ الحنفى)

وكان سَهْـمٌ الحنفىُّ يلى طَبَرَسْتان[(٥)] ، لمعن بن زائِدة[(٦)] ، مع حداثة سنه يومئذ ، وكان له مروءةٌ وَقَدْرٌ فى نفسه .

---

(١) عبد القيس بن خفاف البرجمى ، نسبة إلى البراجم : قبيلة من تميم . شاعر جاهلى ، وله خبران مع حاتم الطائى والنابغة الذبيانى . والخبرالأول فى الأغانى (٧ : ١٤٥ — ١٤٦) ومعجم المرزبانى ٣٢٥ . وأما خبره مع النابغة فهو أنه هو ومرة بن سعد بن قريع عملا هجاء فى النعمان على لسان النابغة — وهما البيتان الآتيان مع ثالث متوسط بينهما — فأفسد ذلك على النابغة أمره عند النعمان . الأغانى (٩ : ١٥٨) . وقد ذكره المرزبانى باسم (قيس) حيث ذكره فى من اسمه قيس . والمعروف عبد القيس كما فى الأغانى ونوادر أبى زيد ١١٣ ، ١١٤ ، ١٢٦ والمفضليات ٣٨٣ والحماسة (١ : ١١٣) . وفى الأصل : « عبد القيس خفاف » ، بإسقاط « بن » ، وصوابه ما أثبت . ويقال فيه أيضاً : « عبد قيس » .

(٢) ط : « والده الصائغ » ، س : « ولادة الصائغ » ، صوابهما فى ه .

(٣) روى ابن قتيبة فى الشعراء ١١٢ ، ١١٧ « قبح الله » . وروى هو وصاحب الأغانى (٩ : ١٥٨) : « وارث الصائغ الجبان الجهولا » .

(٤) يرزؤه : ينقصه . ط : « يرزء » س : ه « يرز » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى . والفتيل : الهنة التى فى شق النواة . ه ، س : « قليلا » . والأجود ما أثبت من ط و الأغانى .

(٥) طبرستان بفتح الطاء والباء وراء مكسورة : بلاد جنوبى بحر طبرستان ، المعروف أيضاً ببحر الخزر . انظر خريطة الممالك الإسلامية .

(٦) معن بن زائدة الشيبانى ، أحد أجواد العرب وفرسانهم . وكان فى أيام بنى أمية =

(كثرة الشعر وقلته فى بعض قبائل العرب)

وبنو حنيفة مع كثرة عددهم ، وشِدّةِ بأسهم ، وكثرة وقائعهم ، وَحَسَدِ العربِ لهم على دارهم وتُخومهم وَسْطَ أعدائهم ، حتى كأنهم وَحْدَهُمْ[1] يعدِلون بَكْراً كلها — ومع ذلك لم نَرَ قبيلةً قَطُّ أقَلَّ شعراً منهم . وفى إخوتهم
١٢٣ عِجْلٍ قَصيدٌ وَرَجَزٌ ، وَشعَرَاء ورجّازون . وليس ذلك لمكانِ[2] الخِصْب وأنّهم أهلُ مَدَر ، وأكّالو تمرٍ[3] ؛ لأنّ الأوْسَ والخزْرَج كذلك ، وهم فى الشعر كما قد علمت . وكذلك عبدُ القيس النّازلة قرى البحْرين[4] ، فقد تعرفُ أنّ طعامَهم أطيبُ[5] من طعام أهل اليمامة .

وثقيفٌ أهلُ دارٍ ناهيك بها خِصْباً وطِيباً ، وهم وإن كان شعرُهم أقلَّ ، فإنَّ ذلك القليلَ يدلُّ على طبْعٍ فى الشعر عجيب . وليس ذلكَ مِنْ

= متنقلا فى الولايات، ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزارى ، أمير العراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بنى العباس ، وجرى بين أبى جعفر المنصور وبين يزيد ابن عمر ما جرى ، من محاصرة واسط ، أبلى معن مع يزيد بلاء حسنا . فلما قتل يزيد هرب معن خوفا من المنصور ، ثم دخل معن فى شيعة المنصور وصار من خواصه . وقتل معن بسجستان ، إذ كان واليا عليها ، سنة اثنتين ، أو ثمان وخمسين ومائة . ورثاه مروان بن أبى حفصه بمرثية ، هى من عيون الشعر العربى . وفيات الأعيان والأغانى وتاريخ بغداد ٧١٢٧ .

(١) ط : « وأحدهم »، صوابه فى س ، هـ .

(٢) ط : « المكان »، صوابه فى س ، هـ

(٣) أكالو تمر : أى لهم نخيل يأكلون تمرها . ط : « آكالو تمر » ، وتصحيحه من س ، هـ .

(٤) البحرين ، تلك البلاد الواقعة على بحر فارس . ط : « البحر » ، والوجه ما أثبت من س ، هـ .

(٥) فى الأصل : « أخبث » . وهو عكس المراد .

قِبَلِ رداءة الغِذاء ، ولا من قِلَّة الخِصب الشَّاغل والغِنَى[١] عن النَّاس ؛ وإنَّمَا ذلك عن قدْر ما قسَمَ الله لهم من الحظوظ والغرائز ، والبلادِ والأعراقِ مكانَها .

وبنو الحارث بن كعب قبيلٌ شريفٌ ، يجرون مَجارِىَ ملوك اليمن ، ومجارىَ ساداتِ أعراب أهْلِ نَجْدٍ ، ولم يكن لهم فى الجاهليَّة كبيرُ حَظٍّ فى الشعر . ولهم فى الإسلام شعراءُ مفْلِقُونَ .

وبنو بَدْرٍ كانوا مفْحَمين[٢] ، وكان ما أطلق الله به ألسنةَ العرب[٣] خيرا لهم من تصيير الشعر فى أنفسهم .

وقد يَحْظَى[٤] بالشعر نَاسٌ ويَخرُج[٥] آخَرون ، وإن كانوا[٦] مثلهم أو فوقهم . ولم تُمْدَح[٧] قبيلةٌ فى الجاهليَّة ، من قُرَيش ، كما مُدحت

---

(١) فى الأصل : « والغنا » .

(٢) فى القاموس : « المفحم كمكرم : العيى ومن لا يقدر يقول شعراً » ، كذا جاءت العبارة .

(٣) أى ما أطلق به ألسنة الشعراء فى مديحهم ، فمن ذلك قول حاتم الطائى (الأغانى ١٦ : ١٠٤ والديوان ١١٦) :

إن كنت كارهة معيشتنا هاتا فحلى فى بنى بدر
جاورتهم زمن الفساد فنعـ ـم الحى فى العوصاء واليسر
فسقيت بالماء النمير ولم ينظر إلى بأعين خزر
الضاربين لدى أعنتهم والطاعنين وخيلهم تجرى
والخالطين نحيتهم بنضارهم وذوى الغنى منهم بذى الفقر

وانظر مديح دريد بن الصمة لهم فى ٣٥٨ .

(٤) ط ، هـ : «يحظا» ، س : «يخطأ» ، صوابهما ما أثبت .

(٥) كذا فى س ، ط ؛ وفى هـ : « يحرح » ، وربما كانت : « يحد » أى يسوء حظه .

(٦) س ، هـ : « كان » ، صوابه فى ط .

(٧) س ، هـ : « يمدح » .

مخزوم . ولم يتهيَّأ من الشَّاهد والمثل لمادح فى أحدٍ من العرب ، ما تهيَّأ لبنى بدر .

وقد كان فى ولد زُرارة[1] لصُلبه ، شعر كثير ، كشعر لقيط[2] وحاجبٍ[3] وغيرهما من ولده . ولم يكن لحذَيفة ولا حِصْن ، ولا عيينَة ابنِ حِصن ، ولا لحَمَل بنِ بدْر — شِعْرٌ مذكور .

(حظوة الخلفاء والولاة بالشعر)

وقد كان عبدُ العزيز بن مَرْوَانَ أَحْظَى[4] فى الشعر من كثير من خلفائهم . ولم يكنْ أحَدٌ من أصحابنا ، من خُلفائنا وأئمتنا ، أحْظَى

(١) هو زرارة بن عدس ، بضمتين ، ابن زيد . جد جاهلى . بنوه بطن من بنى دارم . وكان حكيما من قضاة تميم .

(٢) لقيط بن زرارة ، شاعر فارس من فرسانهم ، وله خبر فى يوم رحرحان ، وكان من الرؤساء فى يوم جبلة ، وقتل فى ذلك اليوم وجعل يقول عند موته :

يا ليت شعرى عنك دختنوس إذا أتاك الخبر المرموس
أتحلق القرون أم تميس لا بل تميس إنها عروس

دختنوس : بنته . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الأغانى (١٠ : ١٩ - ٤٤) . ط : « شعراء كلقيط » ، س : « شعرا كثيراً كشعر لقيط » ، هـ : « شعراً كثيراً لقيط » ، وقد وجهت القول بما ترى .

(٣) وكان حاجب بن زرارة من رؤساء يوم جبلة . وقد عاش إلى أن وفد على الرسول وأسلم وبعثه على صدقات بنى تميم . وهو الذى رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ووفى به . الإصابة ١٣٥٥ . وانظر قصة (قوس حاجب) فى بلوغ الأرب (١ : ١٢٥) فهى ممتعة . وممن رهن من العرب قوسه أيضاً ، سيار ابن عمرو بن جابر الفزارى ، احتمل للأسود بن المنذر دية ابنه الذى قتله الحارث بن ظالم ، ألف بعير ، وهى دية الملوك ، ورهنه بها قوسه . انظر العقد (٣ : ٣١١ - ٣١٢) .

(٤) إشارة إلى المدائح الكثيرة الجيدة التى مدحه بها نصيب الشاعر ، وكذا عبد الله بن قيس الرقيات . ط ، س «أخطأ» ، هـ : «أحظا» ، صوابهما ما أثبت من العمدة (٢ : ١٤٨) حيث نقل عن الجاحظ نقلا كاملا .

فى الشعر من الرَّشيد(١) . وقد كان يزيد بن مَزْيَد(٢) وعمُّه(٣) ، ممَّن أحْظَاهُ(٤) الشِّعْرُ .

وما أعلمُ فى الأرض نعمة بَعْدَ وِلاَيَةِ اللهِ أعْظَمَ من أنْ يكونَ الرَّجُلَ ممدوحاً .

الصُّمُّ من الحيوان

تقول العرب : ضربانِ من الحيوانِ لا يَسمعان الأصوات . وذلك عامٌّ فى الأفاعى والنَّعام .

واعتدَّ من ادَّعى للنَّعام الصَّمَمَ بقول عَلْقَمة :

فُوهُ كَشَقِّ العَصاَ لأْياً تبيَّنَهُ ... أسَكُّ مايَسْمَعُ الأصْوَاتَ مَصْلومُ(٥)

(١) وأما هارون الرشيد فقد أطنب فى مدحه أبو العتاهية ، وإبراهيم الموصلى ، وإسحاق الموصلى ، ومروان بن أبى حفصة ، والعتابى ، وابن مناذر ، وأشجع السلمى ، ومنصور النمرى ، ونصيب الأصغر وغيرهم . ط ، س : « أخطأ » ﮪ : « أحظا » . والوجه فيهما ما كتبت .

(٢) يزيد بن مزيد بن زائدة الشيبانى : أمير شجاع ، ندبه هارون الرشيد لقتال الوليد ابن طريف الشارى الخارجى ، فقتله وعاد إلى أرمينية ، حيث كان والياً عليها . توفى سنة ١٨٥ .

(٣) عمه ، هو معن بن زائدة الشيبانى ، الذى سبقت ترجمته فى ص ٣٧٩ — ٣٨٠ .

(٤) حظى يزيد بن مزيد بمديح مسلم بن الوليد ومنصور النمرى . ورثاه أبو موسى التيمى بمرثية سمعها الرشيد فبكى بكاء اتسع فيه ، حتى لو كانت بين يديه سكرجة لملأها من دموعه . الأغانى (١٨ : ١١٦ — ١١٧) . وأما عمه فقد حظى بمديح مروان بن أبى حفصة ، ومطيع بن إياس ، وعلى بن خليل ، والحسين ابن مطير ، وغيرهم . فى الأصل : « أخطأه » ، صوابه ما أثبت . وأحظاه : جعله ذا حظوة .

(٥) تقدم شرح هذا البيت فى ص ٣٦٦ . ﮪ : « يبينه » . س : « أسد » ﮪ : «أشد » كل منهما بدل « أسك » محرف .

قال[١] : ولا يصلح أن تكون « ما » فى الموضع الذى ذَكَر[٢] لأنَّ ذلك يصير كقول القائل : التمر حلو ، والثَّلج بارد ، والنّـــار حارَّة . [و[٣]] لا يحتاج إلى أن يُخبر أنَّ الذى يُسْمَعُ هـــذا الصَّــوتُ ؛ لأنهُ لا مسموعَ إلاَّ الصَّــوت .

قال خصمه : فقد قال عَلْقَمَةَ بن عَبَدَة

حَتَّى تلافَى وقرنُ الشَّمْسِ مرتفعٌ أدحىَّ عِرْسَيْنِ فيه البَيضُ مَرْكومُ[٤]
يوحِى إليها بإنقاض وَنَقْنَقَةٍ كما تَرَاطَنُ فى أفْدانها الرُّومُ[٥]

١٢٤ ثم قال :

تحفُّهُ هِقْلَةٌ سـفعاء خاذلة تجيبهُ بزِمارٍ فيــه تَرنيمُ[٦]

واحتجَّ من زعم أنها تسمع ، بقوله[٧] :

وصُحْمٍ صِيَامٍ بينَ صَمْدٍ ورِجْلَةٍ وَبَيْضٍ تُؤَامٍ بينَ مِيثٍ وَمِذْنبِ[٨]

---

(١) القائل هو الجاحظ ، ينقد البيت .

(٢) س : « فى موضع الذى » ، مع حذف كلمة « ذكر » . ط : « فى الموضع لذى ذكر » ، صوابهما ما أثبت من هـ .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) سبق شرح هــذا البيت فى ص ٣٦٧ . س : « أرخى » هـ : « أرحى » محرفتان .

(٥) سبق شرحه فى ص ٣٦٨ . س : « فى أندائها » . وهى صحيحة ؛ فالأنداء : جمــع النادى ، وهـو مجتمع القوم . انظر اللسان . هـ : « أبدائهـــا » ، محرفة عن سابقتها .

(٦) سـبق شرحه فى ص ٣٦٨ . والسفعاء : الســوداء . هـ : « صفعاء » س : « صنعا » ، محرفتان عما فى ط . وخاذلة : مقيمة على ولدها .

(٧) هو لبيد . اللسان (صحم) .

(٨) الصحم : جمع أصحم ، وهو مافى لونه غبرة . وقد عنى بها الحمير ، كما فى اللسان . ط ، هـ : « ضخم » س : « صخم » محرفتان . والصتام : جمع صتم ، بالفتح ، وهو الغليظ الشديد ، وفى الأصل : « صنام » بالنون . وفى اللسان : =

مَتى مَا تَشأ تَسْمَـعْ عرارًا بِقَفْرَةٍ ... يُجِيبُ زِمَارًا كاليَرَاعِ المُثَقَّبِ(١)

وقال الطِّرِمَّاح :

يدعو العِرارُ بهـا الزِّمَارَ كأنَّهُ ... أَلِمٌ تجاوبُه النِّساءُ العُـوَّدُ(٢)

قال : وصَوْتُ النعامة الذَّكر : العِرارُ(٣) . وصوت الأنثى : الزِّمَار .

وأنشدَ الذى زَعَمَ أنَّهَا لا تسمع(٤) ، قولَ أسامـــةَ بنِ الحارث الهذلىِّ(٥) :

تذَكَّرْتُ إِخْوانى فَبِتُّ مُسَهَّـداً ... كما ذكرت بَوًّا من اللَّيل فاقِدُ(٦)

= « صيام » . وأثبت تصحيح ما فى الأصل . و « صمد » بالفتح ، و « رجلة » بالكسر : موضعان . وفى الأصل : « بين ضمر ورجله » تصحيحه من اللسان .

وبيض تؤام : أى أزواج . والميث ، بالكسر : جمع ميثاء، وهى الأرض السهلة . والمذنب ، كمنبر : مسيل الماء .

(١) العرار ، بالكسر : صياح الظليم . وفى الأصل : « عوارا » محرفة . والزمار ، بالكسر : صوت أنثى النعام . فى الأصل : « تجيب زمارا » ، صوابه ماأثبت . وسيعاد البيت فى ص ٤٠٠ .

(٢) يدعو ، هنا ، بمعنى يجيب ، كما فى شرح الديوان ٨٩ . وفى الأصل : « العوار » صوابها فى الديوان . والألم : الذى أصابه الألم . يقال رجل ألم ووجع - كلاهما كفرح - وفى الأصل : « أيم »، تصحيحه من الديوان .

(٣) فى الأصل : « العوار » محرفة .

(٤) فى الأصل : « الذى زعم الهذلى أنها لاتسمع » . وكلمة « الهذلى » مقحمة بلا ريب .

(٥) ذكره المرزبانى فى معجمه وقال : مخضرم .الإصابة ٤٤٢ .

(٦) مسهد : من السهاد ، وهو الأرق . والبو : ولد الناقة . والفاقد : التى فقدت ولدها . س : « ذكر برأ » هـ : « ذكرت برا » ط : « ذكرت بردا » وفى الجميع : « فاقداً » بالنصب . وكل ذلك تحريف ، صوابه ما أثبت موافقا مافى بقية أشعار الهذليين (٢ : ١٠٦) .

لعمرى لقد أَمْهَلتُ فى نَهْىِ خالدٍ　　عَنِ الشّام إمّا يَعْصِيَنَّكَ خالدُ(١)

وَأَمْهَلْتَ فى إخوانه فكأنّما　　تَسَمَّع بالنَّهْىِ النَّعامُ الْمُشَرَّدُ(٢)

وقال الذى زعم أنّها تسمع : فقد قال الله عزّ وَجَلّ : ﴿ أُولٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾. ولو عنَى أنّ عَماهم كعمى العُمْيان ، وصممَهم كصمَمِ الصُّمّان ، لما قال : ﴿ أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ وإنّما ذلك كقوله : ﴿ إِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ولا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . وكيف تُسمِعُ المدبرَ عنك ! ولذلك يقال : « إنَّ الحُبَّ يُعمِى وَيُصِمُّ » . وقد قال الهذلىُّ :

* تَسَمَّعَ بِالنَّهْىِ النَّعَامُ الْمُشَرَّدُ(٣) *

والشارد النافر عنك لا يوصف بالفهم . ولو قال : تسمع بالنَّهْى ، وسكت — كان أبلغَ فيما يريد . وهو كما قال الله تعالى : ﴿ وَلاَ تُسْمِعُ الصمَّ الدُّعَاءَ إذا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴾ . قال الرّاجز :

رِدِى رِدِى وِردَ قَطَاةٍ صَمّاً(٤)　　كُدْرِيَّةٍ أَعْجَبَهَا بَرْدُ الْمَا(٥)

---

(١) فى الأصل : « خالداً » ، صوابه ما أثبت من اللسان . وفى الأصل أيضاً : « إلى الشام » ، تصحيحه من اللسان (مهل) وبقية أشعار الهذليين . وأول البيت فى ﻫ : « وإنى قد أمهلت » . وأمهلت : بالغت . يقول : إن عصانى فقد بالغت فى نهيه.

(٢) تسمع : أى أصغى ليسمع . ويروى : « يُسَمَّعُ » . والنعام المشرد لا يصغى إلا ريثما يشرد ، وذلك لنفوره وتوحشه . فى الأصل : « المشردا » ، وصوابه ماأثبت .

(٣) فى الأصل : « المشردا » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) يخاطب ناقته . والرجز فى الوساطة ٣٠١ حيث استشهد به على أن المتنبى سرق منه قوله : * ورود قطا صم تشايحن فى ورد * وانظر الاستدراكات .

(٥) الكدرية : واحدة الكدرى ، وهو ضرب من القطا غبر الألوان ، رقش الظهور ، صفر الحلوق . س ، ﻫ : « كردية » ، تحريف طيب، صوابه فى ط —

أى لأنها [لا[1]] تسمع صوتاً يَثنيها ويَرُدُّهَا[2] .

وأنشد قول الشاعر :

دَعَوْتُ خُلَيْدًا دَعْوَةً فَكأنما[3]   دعوت به ابنَ الطَّوْدِ أَوْ هُو أَسْرَعَ

والطَّود : الجبل . وابنُهُ : الحجر الذى يَتَدَهْدَهُ[4] منه ، كقوله[5] :

* كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ[6] مِنْ عَلِ *

وقال الرَّاجز :

وَمَنْهَلٍ أَعْوَرِ إِحْدَى الْعَيْنَيْنْ[7]   بَصِيرِ الأُخْرَى وَأَصَمِّ الأُذْنَيْنْ[8]

= والوساطة واللسان (صمم) وشرح محب الدين أفندى لشواهد الكشاف . استشهد به الزمخشرى عند قوله تعالى : « ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا » من سورة مريم .

(١) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٢) وفى اللسان : « لسكك أذنيها . وقيل لصممها إذا عطشت » ، ووجهه محب الدين أفندى بأنها لاتسمع صوت القانص حتى تنفر . وهو تعليل جيد .

(٣) فى اللسان (مادة طود) : « جليداً » . وفى أساس البلاغة : « كليبا » س ، ط : « وكأنما » ، وأثبت مافى ﻫ واللسان والأساس .

(٤) يتدهده : يتدحرج . س ، ﻫ : « يمد هذا » ، ولعل هذه الأخيرة محرفة عن « يتدهدى » ، وهى لغة فى يتدهده .

(٥) هو امرؤ القيس ، من معلقته . وصدره :

* مكر مفر مقبل مدبر معا *

(٦) ط : « السيد » ، وهو على الصواب فى س ، ﻫ .

(٧) المنهل : منزل السفار على الماء . أعور إحدى العينين : أى فيه بئران غاضت إحداهما .

(٨) بصير الأخرى : أى أن البئر الأخرى بها ماء . وفى الأصل : « بصيرة » تصحيحه من اللسان (عور) . والرواية فيه : « بصير أخرى » . وأصم الأذنين : أى ليس يسمع فيه صدى الصوت . فى الأصل : « أصم » بدون واو ، وهى ضرورية لوزن الشعر . والبيت من مشطور السريع .

١٢٥ كأنَّهُ كانَ فى ذلك المنهَل بِيرَانِ[١] ، والآبارُ أعينٌ ، فغَوِّرَتْ إحدى البِيرَين[٢] وتُركت الأخْرى .

وقوله : « أصَمُّ الأُذُنَيْنِ » لِمَا[٣] أنْ كان عنده[٤] فى الأرض فَضاءٌ وَخَلاءٌ[٥] ، حيث لايسمع فيه صوت ، جعله أنْ[٦] كان لايسمَعُ صوتاً أصمَّ ؛ وإنْ كان ذلك لفقْدِ الأصْواتِ .

(شاهد من الشعر لسمع النعامة)

قال : وقد قال الحارثُ بن حِلِّزَةَ[٧] قولاً يدلُّ على أنها تسمع[٨] ، حيث قال :

ولقد أسْتَعِينُ يوماً على الهـ ـمِّ إذا خفَّ بالثَّوِىِّ الثَّوَاءُ[٩]

---

(١) كذا جاءت فى الأصل ، بتسهيل الهمزة .

(٢) كذا بالتسهيل .

(٣) ط : « لا » ، وصوابه فى س ، هـ .

(٤) أى عند المنهل .

(٥) فى الأصل : « فضل وخلا » ، وصوابه ما أثبت .

(٦) أى لأن . وحذف الجار مطرد فى مثل هـذا . ط : « إذ » ، وأثبت ما فى س ، هـ .

(٧) الحارث بن حلزة ، شاعر جاهلى من بنى يشكر . والأبيات الآتية من معلقته المشهورة ، التى قال فيها أبو عبيدة : « أجود الشعراء قصيدة واحدة جيدة طويلة ، ثلاثة نفر : عمرو ابن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، وطرفة بن العبد » .

(٨) فى الأصل : « لا تسمع » ، وهو خلاف المراد .

(٩) الثوى : المقيم . والثواء ، هكذا جاءت بالأصل . والصواب : « النجاء » ، وهى السرعة . وأما « الثواء » فهى قافية لمطلع المعلقة :

آذنتنا ببينها أسمـاء رب ثاو يمل منه الثواء

بِزَفوفٍ كأنها هِقْلَةٌ أُمُّ رِئالٍ دَوِّيَّةٌ سَفعاء[١]

ثُمَّ قال :

آنسَتْ نَبْأَةً وأَفْزَعَها الْقُنَّاصُ عَصْرًا وقد دنا الإِمْسَاء[٢]

فترى خَلْفَهُنَّ مِنْ سُرْعَة المَشْيِ مَنِيناً كأَنَّهُ إهباءُ[٣]

ولو قال : « أفْزَعَها[٤] القنَّاصُ » ولم يقل : « آنَسَتْ نبأة » — والنَّبْأة الصَّوت — لكان لَكُمْ في ذلك مَقَال[٥] .

(شعر في معنى الصمم)

وقال امرؤ القيس :

وَصُمٌّ صِلَابٌ مايَقِين من الوَجَى كأَنَّ مكان الرِّدْفِ منه على رالِ[٦]

(١) زفوف ، بالفتح : أي ناقة سريعة . والهقلة : النعامة . والرئال : أولادها . دوية : منسوبة إلى الدو ، وهي الأرض المترامية الأطراف . والسفعاء : السوداء . س : « صنعاء » هـ : « صفعاء » محرفتان . ورواية المعلقات : « سقفاء » أي عالية .

(٢) آنست نبأة : أحست صوتا خفيا .

(٣) قال التبريزي : « خلفهن : خلف الإبل ؛ لأن الناقة الموصوفة ، تسير مع غيرها ، فحمل الضمير على المعنى » . والمنين ، بالفتح : الغبار الدقيق . و « إهباء » روى بالفتح : بمعنى الغبار المرتفع في الجو . وروى بالكسر : مصدر أهبى يهبى إهباء : أثار التراب .

(٤) في الأصل : « أفزع » ، وهو مخالف لنص الشعر السابق .

(٥) في الأصل : « فقال » ، والوجه ما أثبت .

(٦) يقول : ولذلك الفرس حوافر صم صلاب ما يضعفن في سيرهن من الوجى . والوجى : أن يجد الفرس في حافره وجعاً يشتكيه ، من غير أن يكون فيه صدع أو غيره . ط ، س : « تمين » هـ : « تمين » ، صوابهما من الديوان ٦٦ واللسان (وقى) . ط : « الوجا » س ، هـ : « الرحا » صوابهما من المصدرين السابقين . والردف : الذي تردفه ، ومكانه الذي يقعد فيه يسمى القطاة ، ويستحب =

وإنما يعنى أنَّهَا مُصْمَتَةٌ غير جَوفاء . وقال الآخَر :

قُلْ ما بدا لك مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِى أصمٌّ وَأُذْنِى غَيْرُ صَمَّاءِ

يريد أنّ حلمَهُ ليس بسخِيف متخلخِل، وليس بخفيف سَارٍ ، ولكنه مصمَت . وقال الشاعرُ :

* وأسأل[1] من صمَّاء ذاتِ صَليل *

وإنما يريد أرضاً يابسة ، ورملةً نشَّافَةً ، تسأل[2] الماء : أى تريده وتبتلعه ؛ وهى فى ذلك صمَّاء .

(ذكر الصُّمِّ فى القرآن الكريم)

وقد قال الله لناسٍ يسمعون : ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ[3]﴾ وذلك على المثل . وقال : ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ[4]﴾ . وذلك كلّه على ما فسّرنا . وقال : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا

= إشرافها ؛ فلذلك شبهها بعجز الرأل . والرال ، أصله الهمز ، وخففه لمكان القافية . وقبل البيت :

سليم الشظى عبل الشوى شنج النسا له حجبات مشرفات على الفال

(١) س ، هـ : « وأسل » ، صوابها فى ط . وهى من السؤال ، كما سيأتى فى شرح الجاحظ ، وكما فى اللسان . وصدر البيت فى اللسان :

* أَجَلْ لاَ ، وَلٰكِنْ أَنْتَ أَلْأَمُ مَنْ مَشَى *

(٢) ط ، هـ : « تسال » ، صوابه فى س .

(٣) الآية الثامنة عشرة من سورة البقرة .

(٤) الآية ١٧١ من سورة البقرة .

عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَاناً(١) ﴾ ، وقال أيضا : ﴿ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ(٢) ﴾ .

(شعر فى معنى الصمم)

وقال عَنترة :

ظَلِلْنَا نَكُرُّ المَشْرَفِيَّةَ فيهمُ ... وخُرْصَانَ صُمٍّ السَّمْهرىِّ المثقَّفِ(٣)

وقال العُجَيرُ السَّلولىّ :

وقد جَذَبَ القومُ العصائبَ مؤخراً ... ففيهنَّ عنْ صُلْعِ الرِّجال حُسُورُ(٤)

فظلَّ رِداءُ العَصْبِ مُلقًى كأنَّه ... سَلَى فَرَس تحْتَ الرِّجال عَقِيرِ(٥)

لَوَانَّ الصُّخُورَ الصُّمَّ يَسْمَعْنَ صَلْقَنا ... لَرُحْنَ وفى أعْرَاضِهنَّ فُطورُ(٦) ١٢٦

وقال زهير(٧) :

---

(١) الآية ٧٣ من سورة الفرقان .

(٢) الآية ٤٥ من سورة الأنبياء ، وأولها : « قل إنما . . . . » .

(٣) المشرفية : ضرب من السيوف ، منسوب إلى مشارف الشام . والخرصان ، بالكسر والضم : جمع خرص بالضم ويكسر ، وهو سنان الرمح . والسمهرى من الرماح : هو الصليب العود . والمثقف : المعدل المسوى بالثقاف . ه : « المثقب » تحريف ، صوابه فى س ، ه والديوان ١٦١ ، والرواية فيه :

فظلنا نكر المشرفية فيهم ... وخرصان لدن السمهرى المثقف

(٤) حسور : انكشاف .

(٥) العصب ، بالفتح : ضرب من البرود . وفى الأصل : « نداء العصب » ، صوابه من مجالس ثعلب ٥٩٣ . والسلى بالتحريك : الجلدة التى يكون بها الولد . وتكتب بالياء . وفى الأصل بالألف . والعقير : التى عقرت ، أى قطعت قوائمها . وفى الأصل : « عقور » صوابه من المجالس . وفى البيت إقواء .

(٦) يقول : لو أن تلك الصخور سمعن صوتنا الشديد فى تلك الحرب ، لرحن وقد تشققت أعراضهن . والأعراض : الجوانب والنواحى . ورواية الأغانى (١١ : ١٥٠) :

لوأن الجبال الصم يسمعن وقعها ... لعدن وقد بانت بهن فطور

(٧) والبيتان ليسا فى ديوان زهير .

لَيْتَنِي خُلِقْتُ للأَبَــدِ صَخْرَةً صَمَّاءَ فى كَبِدِ[1]
لا تَشَكَّى[2] شرَّ جارتِها خُلِقَتْ غَلِيظَةَ الـكَبِـدِ

وقالت جُمْل بنتُ جَعْفَر :

بنى جَعْفَرٍ لاسِلْمَ حَتَّى نَزُورَكُمْ بكلِّ رُدينيٍّ وأبيضَ ذى أثْرِ[3]
وحَتَّى تَرَوْا وَسْطَ الْبُيُوتِ مُغيرةً تُصِمُّكُمُ بِالضَّرْبِ حَاشِيَةَ الذُّعْرِ[4]
تَبِينُ لِذِى الشَّكِّ الذى لم يكن دَرَى وَيُبْصِرُهَا الأَعْمَى وَيَسْمَعُ ذُو الْوَقْرِ[5]

وقال دريد :

متى كان الملوكُ لكم قَطِينًا[6] على ولاية صَمَّاءَ مِـنِّى[7]

(مثل وحديث فى الصمم)

ومن الأمثال قولهم : « صمَّتْ حَصَاةٌ بِدَمٍ[8] »، قال : فأصله أنْ

---

(١) كبد ، بفتح فكسر : اسم جبل . فى الأصل : « كبدى » !

(٢) فى الأصل : « تشتكى » ، وبذلك ينكسر الوزن ؛ إذ البيت من بحر المديد .

(٣) الردينى : الرمح المنسوب إلى امرأة تدعى ردينة ، كانت هى وزوجها سمهر يقومان القنا بخط هجر . وعنت بالأبيض : السيف . والأثر ، بالفتح : فرند السيف . ط ، س : « أشر » هـ : « أسر » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) مغيرة : أى خيلا مغيرة هاجمة بأربابها . ط : « خاشية الذعر » . وأثبت صوابه من س ، هـ . وللعرب مجاز فى مثل هذا . يقولون : حشى الرجل غيظا ، وكبرا ، كما قال المرار :

وحشوت الغيظ فى أضلاعه فهو يمشى حظلانا كالنقر

وكما قال المسعودى :

ولا تأنفا أن ترجعا فتسلما فما حشى الإنسان شراً من الكبر

(٥) تبين : تظهر هى . والوقر ، بالفتح : ثقل الأذن ، أو ذهاب السمع كله .

(٦) القطين : تبع الرجل ومماليكه وخدمه .

(٧) كذا جاء هذا الشطر .

(٨) يضرب مثلا فى الإسراف فى القتل وكثرة الدم . الميدانى (١ : ٣٥٩) .

يكثُرَ القتْلُ وسفْكُ الدِّماءِ ، حتَّى لو وقَعَتْ حصاةٌ على الأرض لم يُسْمَعْ لها صوتٌ ؛ لأنها لاتلقى صلابةَ الأرض .

وقد جاء فى بعض الحديث : « إذا كانت تلك الملاحِمُ بلَغت الدِّماءُ الثُّنَنَ [1] »، يعنى ثُنَنَ [2] الخيل ، وهو الشَّعر الذى خلف الحافر .

(صمت السيف)

وقال الزُّبير بن عبد المطَّلب [3] :

وَيُنْبِي نَخْوَةَ المختَالِ عنِّى جُرَازُ الحَدِّ ضَرَبتُه صَمُوتُ [4]

لأنَّ السَّيْفَ إذا مرَّ فى العظْم مَرًّا [5] سريعاً فلم يكن له صوت — كان فى معنى الصامت [6] .

---

(١) الثنن ، بضم الثاء وفتح النون : جمع ثنة ، بضم الثاء وتشديد النون : الشعرات التى فى مؤخر رسغ الدابة . ط ، هـ : «السن » س: « الس »،صوابهما ما أثبت ، موافقا لما جاءت فى أمثال الميدانى فى أثناء الكلام على المثل السابق . وانظر : « بلغت الدماء الثنن » فى أمثال الميدانى (١ : ٨٣) . والملاحم : جمع ملحمة ، بالفتح ، وهى الحرب ذات القتل الشديد .

(٢) ط ، هـ : « سن »، س : « بين » محرفتان . وانظر التنبيه السابق .

(٣) هو الزبير بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ؛ سيد كريم وشاعر محسن ، وكان من رجالات قريش فى الجاهلية . وهو أكبر أعمام الرسول الكريم العشرة . وهو القائل :

ولولا الحمس لم يلبس رجال ثياب أعزة حتى يموتوا

المؤتلف (١٣٠ - ١٣١) والمعارف ٥٢ والروض الأنف (١ : ٧٨) .

(٤) ينبى : يبعد . ونخوة المختال : تكبر المتكبر وتعظمه . وسيف جراز الحد ، بضم الجيم : ماضيه ونافذه . وانظر ما سيأتى فى (٦ : ٤٣٧) . ورواية اللسان (صمت) :

وينفى الجاهل المختال عنى رقاق الحد ضربته صموت

وأنشده عن ثعلب على هذه الصورة :

ويذهب نخوة المختال عنى رقيق الحد ضربته صموت

(٥) ط ، س : « مر »، صوابه فى هـ .

(٦) وقيل : لرسوبه فى الضريبة ، وإذا كان كذلك قل صوت خروج الدم . انظر اللسان .

(شعر فى مجاز الصمم)

وقال ابن ميَّادة :

متى أدعُ فى قَيْسِ بن عَيْلَانَ خائفاً إلى فَزَعٍ تُرْكَبْ إلَيَّ خُيُولُهَا[1]

بملمومة كالطَّودِ شهْباء فَيْلَقٍ رَدَاحٍ يصمُّ السَّامعين صليلُها[2]

لأنَّ الصَّوت إذا اشتدَّ جدًّا لم يُفْهَمْ معناه ، إنْ كان صاحبه أراد أن يخبر عن شيءٍ . ومتى كثُرت الأصواتُ صارت وَغًى[3] ، ومنع بعضُها بعضاً من الفهم . فإذا لم يفهمها[4] صار فى معنى الأصمّ ، فجاز[5] أن يسمّى باسم الأصمّ .

وعلى ذلك قال الأضْبَط بن قريع ، حين آذوه[6] بنو سعدٍ فتحوَّل من جوارهم فى آخرين فآذوه ، فقال : « بِكلِّ وادٍ بَنُو سَعْدٍ[7] » .

---

(١) المراد بالخيول هنا الفرسان الذين يركبون الخيول . ومنه فى الحديث : « ياخيل الله اركبى ». انظر البيان (٢ : ٢٧) . ويصح أن تقرأ « تركب » بالبناء للمفعول فلا يكون فيها مجاز .

(٢) ملمومة : أى كتيبة عظيمة مجتمعة . والطود : الجبل العظيم . والشهباء : البيضاء ، لما فيها من بياض السلاح . والكتيبة الفيلق : الكثيرة السلاح . والرداح ، بالفتح : الكثيرة الفرسان الثقيلة السير لكثرتها .

(٣) الوغى : الصوت والجلبة فى الحرب . ط ، س : « رغاء »، وإنما الرغاء ، بالضم : صوت ذوات الخف . هـ : « وعا »، صوابهما ما أثبت .

(٤) س : « نفهمها »، صوابه فى ط ، هـ .

(٥) س ، هـ : « لجاز » !

(٦) كذا فى س ، هـ . على لغة أكلوه البراغيث . ط : « آذاه » .

(٧) سبق المثل فى (١ : ٣٥٨) و (٣ : ١٠٤) .

وقال جران العَود :

وقَالَتْ لنا وَالْعِيسُ صُعْرٌ من البُرَى وأخفافها بالجَنْدَلِ الصُّمِّ تقذِفُ[١]

(قول منكر صمم النعام)

وقال الذى ينكر صَمَمَ شيءٍ من الخلق : اعتللتم فى صمَم النعام بقول زهير :

[أَصَكَّ مُصَلَّمِ الْأُذُنَيْنِ أَجْنَى لَهُ بِالسِّىِّ تَنُّومٌ وَآءُ[٢]]

وبقول أوس بن حجر :

وَيَنْهَى ذَوِى الأَحْلَامِ عنِّى حُلومُهم وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنَّعامِ المخزَّمِ[٣] ١٢٧

يريد خَرْقَ[٤] أنفه ، وهو فى موضع الحرَمَةِ[٥] من البعير .

وأمّا قوله : « وَأَرْفَعُ صَوْتِى للنّعام » فإنما خصَّ بذلكَ النّعامَ لأنَّهَا تَجْمَعُ الشُّرُودَ وَالنِّفار ، إلى المُوقِ وسوءِ الفهْم . ولو قال : وأرفع صَوتى للحَمير والدَّوَاب لكان كذلك . والمصلَّمة : السُّكّ التى ليس لآذانها حَجم .

---

(١) العيس ، بالكسر : الإبل الخالصة البياض . صعر من البرى : موائل من جذب البرى : جمع برة ، وهى الحلقة توضع فى أنف البعير . والجندل : الحجارة .

(٢) هذا البيت ليس بالأصل . وبه يلتئم الكلام ويتم . وقد أثبته اعتماداً على ما سيأتى فى ص ٣٩٨ .

(٣) المراد بالأحلام هنا ، الألباب والعقول . وفى اللسان : « والمخزم من نعت النعام ، قيل له مخزم لثقب فى منقاره » . وعجز البيت فى المقاييس (خزم) .

(٤) فى الأصل : « عرض » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) فى موضع الحرمة ، أى ذلك الخرق بمكانة الحرمة ، شبيه بها . والحرمة ، بالتحريك ، سبق شرحها فى ص ٣٢١ . فى الأصل : « الخزامة » . ولا تصح ، فإن الخزامة هى الحلقة التى توضع فى الحرمة . وانظر ماسبق فى ص ٣٢١ .

(رد عليه)

قال : [قولُ(١)] الذى زعم أنها ليست بصماء لا يجوز ؛ لأنَّ الدوابَّ تسمعُ وتَفهم الزَّجْر ، وتجيب الدُّعاء . بل لو قال : وأرفع صوتى للصخور والحجارة ، كان صواباً ، وكان لِرَفْع صوته معنًى ؛ إذْ(٢) كان الرَّفْعُ والوضْعُ(٣) عند الصُّخور سَوَاءً . وليس كذلك الدوابُّ . ولوكان إنما جعله مصلَّما ، وجعلَ آذانَ النّعام مصلومةً ؛ لأنه ليس لآذانها حَجْم فالطِ كله كذلك إلاَّ الخفّاش(٤) . وكلُّ شيءٍ يبيض من الحيوان فليس لها حَجْم آذان . فى قَصْدهم بهذه الكلمة إلى النّعام ، بين جميع ما ليس لأذنَيه حجْم ، دليلٌ على أنّ تأويلَكم خطأ . قال عَلْقمة بن عَبَدَة :

فُوه كشَقِّ العَصَا لأْياً تبيِّنُهُ أَسكُّ ما يَسْمَعُ الأصواتَ مصلومُ(٥)

وقالت كَبْشة بنت مَعْديكرِب(٦) :

---

(١) ليست بالأصل . وبمثلها يستقيم الكلام .

(٢) فى الأصل : « إذ لو » . وكلمة « لو » لاوجه لوجودها .

(٣) أى رفع الصوت ووضعه . والوضع بمعنى التخفيض .

(٤) س : « لا الخفاش » ط : « الألخفاش » . وأثبت الوجه من ه .

(٥) كذا على الصواب فى ه . وفى س: « لأياً يبينه »، و ط : « الا يأتبينه » وسبق شرحه فى ٣٦٦ ، وإنشاده كذلك فى ٣٨٣ .

(٦) كبشة ، هى أخت عمرو بن معديكرب . وكذلك جاءت النسبة فى حماسة أبى تمام (١ : ٧١) والبحترى ٣٠ وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦ ، ٣ : ١٩٠) والشعراء ٣٣٥ والخزانة (٣ : ٧٧ بولاق) . ونسبت فى لباب الآداب ١٨٢ إلى ريحانة أخت عمرو بن معديكرب . قال التبريزى : « كبشة اسم مرتجل علماً . وليس بتأنيث كبش لأن ذلك لامؤنث له من لفظه ، إنما هى نعجة » . وقد قالت الشعر حينما قتل أخوها عبد الله ، ولم يأخذ عمرو بثأره ، بل أخذ دية أخيه ، فغضبت هى وقالت الشعر تحضضه على الأخذ بالثأر ، فى أسلوب حسن بديع .

وَأَرْسَلَ عَبْدُ اللهِ إذ حانَ يومُهُ ... إلى قومه ألاَّ تَغُلُّوا لهمْ دمى[١]

ولا تأخُذُوا منهمْ إفالاً وَأَبْـكُرًا ... وَأُتْرَكَ فى بيتٍ بِصعْدةَ مُظْلِمِ[٢]

جَدَعْتُمْ بعبد الله آنفَ قَوْمِكمْ[٣] ... بنى مَازِنٍ أَنْ سُبَّ راعى المخزَّم[٤]

فإن أنتمُ لم تثأرُوا لأخِيـكُمُ ... فَمشُّوا بآذانِ النَّعامِ المصلَّمِ[٥]

فلو كانت إنّما تريد أنّه ليس لمسامِعِها حجمٌ ، كانت الدُّنيا لها مُعرضة .

وقال عنترة :

---

(١) تغلوا : تخونوا . كذا جاءت الرواية فى ﻫ . وفى س : « ألا تقلوا » محرفة . وفى ط : « لا تعقلوا »، ومعناه لا تأخذوا بدل دمى عقلا . والعقل ، بالفتح : الدية . وهى رواية الحماسة وأمالى القالى (٢ : ٢٢٦) ولباب الآداب. وروى فى الأمالى (٣ : ١٩٠) : « ألا تخلوا » . وفى حماسة البحترى : « ألا يعلوا » تحريف رواية ﻫ .

(٢) الإفال : جمع أفيل ، وهو من أولاد الإبل ما أتى عليه سبعة أشهر أو ثمانية . والأبكر : جمع بكر بالفتح ، وهو ولد الناقة . وصعدة : مخلاف من مخاليف اليمن . وجعلت قبره مظلماً لما يزعمون من أن المقتول إذا ثأروا به أضاء قبره ، فإن أهدر دمه أو قبلت ديته أظلم . التبريزى . وإنما ذكرت الإفال والأبكر ، والديات لا تكون منها ، لما أرادت من معنى تحقير الدية .

(٣) جدعتم : قطعتم . آنف : جمع أنف . والمراد : أذللتم قومكم . ورواية الأمالى : « قومه » ، وفى الخزانة : « سيد قومه » .

(٤) بنى مازن، أى يابنى مازن. والمخزم، كذا جاء هنا بإعجام الخاء والزاى . وكذا فى الأمالى . لكن ضبطه صاحب الخزانة بتشديد الزاى المفتوحة والحاء قبلها مهملة. ومهما يكن فهو ، كما قالوا — : رجل من بنى مازن ، كان له عبد يرعى ، وجلس عبد الله مع بنى مازن فشرب ، فتغنى ذاك العبد الحبشى بشعر ، فيه تشبيب بامرأة من بنى زبيد ، فلطمه عبد الله وسبه ، فنادى الحبشى : يالمازن ! فقاموا إلى عبد الله فقتلوه . عن الأمالى والأغانى (١٤ : ٣٢) . والرواية فى الأغانى :

أيقتل عبد الله سيد قومه بنو مازن أن سب راعى المخزم

(٥) ﻫ : « لم تتلدوا » محرفة . وروى : « لم تثأروا واتديتم » و : « لم تقتلوا واتديتم » . و : « لم تثأروا بأخيكم » .

وكأنما أَقِصُ الإكامَ عَشِيَّةً بقَرِيبِ بَيْنَ المَنْسِمَيْنِ مُصَلَّمِ [١]
تأوِى له حِزَقُ النَّعامِ كما أوَتْ حِزَقٌ يَمانِيَةٌ لأَعْجَمَ طمطمِ [٢]

ولو كان عنترة إنَّما أراد عدَم الحجْم ، لقد كانت الدُّنيا له معرضة .

وقال زُهير :

بآرزةِ الفَقَارةِ لم يخنهـا قِطافٌ فى الرِّكاب ولا خِلاءُ [٣]
كأنَّ الرَّحْلَ منها فَوْقَ صَعْلٍ من الظلمانِ جُؤجُؤه هَواءُ [٤]
أَصَكَّ مُصَلَّمِ الأُذُنَيْنِ ، أَجْنَى له بالسِّىِّ تَنُّومٌ وَآءُ [٥]

(رد منكر صمم النعام)

قال القوم : فإنَّا لا نقول ذلك ، ولكنّ العربَ فى أمثالها تقول : إنَّ
١٢٨ النَّعامةُ ذهبَتْ تطلبُ قرنَين فقطعوا أذنيها [٦] . ليجعلوها مثلاً فى المُوق
وسوء التدبير . فإذا ذكر الشَّاعِرُ الظَّليمَ ، وذكَرَ أنَّهُ مصلَّم الأذنين ،

---

(١) يقول : كأنما أكسر الإكام بظليم قريب بين المنسمين . والمنسم ، كمجلس : الظفران المقدمان فى الخف . وقرب المنسمين مما يجعل الخف صاباً . و « بين » تقرأ بالجر . ورواها بعض اللغويين بالنصب على تقدير « ما » ، وهو وجه ضعيف .

(٢) سبق شرح هذا البيت فى ص ٣٥٩ .

(٣) الفقارة ، بالفتح : واحدة فقار الظهر ، بالفتح أيضاً . آرزة : متداخلة مدمجة . س : « ببارزة » ، هـ : « الفقاوة لم يجبها » ، صوابه فى ط وديوان زهير ٦٧ واللسان (أرز ، قطف ، خلأ) والمخصص (٧ : ١٦٢) والمقصور ٣٨ . والقطاف : اسم من قطفت الدابة تقطف – من بابى ضرب ودخل – : أساءت السير وأبطأت . والخلاء ، بالكسر : مصدر خلأت الناقة تخلأ : حرنت من غير علة .

(٤) جؤجؤه هواء : أى صدره فارغ لاقلب فيه ، فهو كالمذعور يسرع العدو هرباً .

(٥) الأصك : المتقارب العرقوبين . وأجنى الشجر : أدرك . والتنوم والآء : نبتان .

(٦) انظر ما سبق فى ٣٢٣ .

فإنما يريد هذا المعنى . فكثُرَ ذلك حتى صار قولهم : مصلم الأذنين ، مثلَ قولهم صَكَّاء . وسواءٌ قال صَكَّاء ، أو قال نعامة ، كما أنَّهُ سواء قال خنساء أو قال مهاة ونَعْجَةٌ وبقرة وظبية ؛ لأنَّ[1] الظِّباء والبقرَ كلها فُطْس خُنْسٌ. وإذا سَمَّوا امْرَأةً خنساءَ فليسَ الخَنَسَ والفطَسَ يُريدون ، بل كأنهم قالوا : مَهاةٌ وظَبية . ولذلك قال المسيَّبُ بنُ علَسٍ[2] فى صفة النَّاقة :

صَكّاءَ ذِعْلِبَةٍ إذا استَقْبَلْتَها حَرَجٍ إذا استَدْبَرْتَهاهِلوَاعِ[3]

فتفهَّمْ هذا البيت ، فإنَّهُ قد أَحْسَنَ فيه جدًّا .

والصَّكَكُ فى الناس ، والاصطكاك فى رجلى الناقة عيب[4] . فهو لم يكنْ ليصِفَها بما فيه عيب[5] ، ولكنَّه لا يفرق بين قولهِ [صَكّاء ، وبين

---

(١) من مبدإ : « قال صكاء » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٢) المسيب ، كمعظم ، بذا ضبطه صاحب القاموس والأنبارى فى شرح المفضليات ٩٢ ، جاء فيها : قال مؤرج : إنما لقب زهير بن علس بالمسيب ، حين أوعد بنى عامر بن ذهل ، فقالت له بنو عامر بن ضبيعة : قد سيبناك والقوم ! وضبطه صاحب الخزانة بصورة اسم الفاعل . واسمه زهير بن علس كما تقدم . وهو جاهلى لم يدرك الإسلام . انظر الخزانة (٣ : ٢١٧ سلفية) .

(٣) الذعلبة ، بكسر الذال واللام : الناقة السريعة . والحرج : الجسيمة الطويلة . والهلواع : ذات النزق والخفة . وهكذا ورد البيت فى الأصل : وصواب إنشاده ، كما فى اللسان (هلع) والمفضليات ١٦ :

صكاء ذعلبة إذا استدبرتها حرج إذا استقبلتها هلواع

إذ أن جسامتها وطولها ، ونزقها ، إنما تبين عند الاستقبال . وقبل هذا البيت :

فتسل حاجتها إذا هى أعرضت بخميصة سرح اليدين وساع

(٤) كذا فى ط . وفى س : « واصطكاك رجلى الناقة » . وفى هـ : « واصطكاك رجلى الناقة » . وهذه محرفة .

(٥) كذا على الصواب فى ط ، س . وفى هـ : « فلولم يكن يصفها » . . الخ .

قَوْلِهِ[1]] نعامة[2] ، وكذلك لايفرّقون بين قولهم : أعلم ، وبين قولهم : بَعِيرٌ[3] . قال الراجز :

إنى لِمن أنكَرَ أو تَوَسَّما أخو خَنَاثِيرَ يَقُودُ الأعْلَمَا[4]

كأنه يقول : يقودُ بعيراً . وهو كقول عنترة :

وحَلِيلِ غانيةٍ تَرَكْتُ مجدَّلاً تَمْكُو فَرِيصَتُهُ كَشِدْقِ الأعْلَمِ[5]

(ردّ مدّعى الصَّمم)

فقال مَن ادّعى للنَّعام الصَّمَم : أمَّا قولكم : من الدَّليل على أن النّعامة تسمعُ قولُ الشاعرِ :

* تدعُو النّعام به العِرار[6] *

وقوله :

متى ماتَشَأْ[7] تسمع عِرَاراً بقَفْرَةٍ يجيب زِمَاراً كاليَرَاعِ المثقَّب

وقوله[8] :

آنَسَتْ نَبْأَةً وأفْزَعها القَــنَّاصُ عَصْراً وَقَدْ دَنَا الْإمْسَاءُ

فليس ذلك أراد . وقد يراك الأخرسُ مِن النّاس — والأخرسُ أصمُّ —

---

(١) ليست هذه الزيادة بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) فى الأصل : « نعم » . تحريف ، انظر له السطر الرابع .

(٤) الخناثير : الدواهى . والرجز رواه الجاحظ مرة أخرى فى (٦ : ٤١٢) .

(٥) انظر ما أسلفت من شرح هذا البيت ونقده فى (٣ : ٣٠٩) . ه : « وخليل » بالخاء المعجمة .

(٦) سبق البيت بتمامه فى ٣٨٥ برواية أخرى .

(٧) فى الأصل : « متى تأتنا » . وصوابه مما سبق فى ٣٨٥ .

(٨) هو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من معلقته . وانظر ص ٣٨٩ .

فيعرف ماتقول ، بما يرى مِنْ صُورة حَرَكَتِكَ[١] ، كما يعرف معانيكَ من إشارتك ، ويدعُوك ويطلُبُ إليك بصوتٍ ؛ وهو لم يسمَعْ صوتَك قطُّ فيقصدَ إليه ، ولكنه يريد تلك الحركةَ ، وتلك الحركةُ تولِّد الصوت ، أراده هو أو لم يرده[٢] . ويُضْرَبُ فيصيح ، وهو لم يقصدْ إلى الصِّياح ، ولكنّه متى أدار لسانَهُ فى جَوْبَةِ[٣] الفم بالهواء الذى فيه . والنَّفس الذى يحضِره جُمّاع الفم[٤] ، حدَثَ الصوت . وهذا إنما غايَتَهُ الحركة فيعرف صورة تلك الحركة .

والأخرس يرى[٥] النّاس يصفِّقون بأيديهم ، عند دعاء إنسانٍ ، أو عند الغضب والحَدِّ[٦] ، فيعرف صورة تلك الحركةِ ؛ لطول تَرْدادِها على ١٢٩ عينيه ، كما يعرف سائر الإشارات . وإذا تعجَّبَ ضربَ بيدَيهِ كما يضربون .

فالنّعامة تعرفَ[٧] صورةَ إشارة الرِّئلان وإرادتها ، فتعقل[٨] ذلك ، وتجاوبها بما تعقل عنها من الإشارة [والحركة] ، وغدت[٩] لحركتها أصواتٌ . ولوكانا يسمعان لم تزد حالهما[١٠] فى التَّفاهُم على ذلك .

---

(١) فى الأصل : « حركة » .
(٢) س ، هـ : « أم لم يرده » .
(٣) الجوبة : الحفرة . والمراد باطن الفم . س : « حوجة . ط ، هـ : « جوحة » ، وأثبت ما سبق فى مثل هذا الموضع فى (١ : ٧٠) مطابقاً لما فى نسخة كوبريلى .
(٤) الجماع ، كرمان : مجتمع الأصل .
(٥) ط : « والأخرس من يرى » . هـ : « والآخر من يرى » ، صوابهما ما أثبت من س .
(٦) الحد ، بفتح الحاء : الحدة والغضب . وفى الأصل ، « الجد » بالجيم ، محرف .
(٧) ط : « تعرق » ، صوابه فى س ، هـ .
(٨) س : « فتفعل » ، صوابه فى ط ، هـ .
(٩) س : « ويحدث » .
(١٠) س : « حالتهما » .

(شمّ النعامة)

والعرب تقول : « أَشَمُّ مِنْ نَعامةٍ » و : « أَشَمُّ مِنْ ذَرّةٍ » . قال الرّاجز :

* أَشَمُّ مِنْ هَيْقٍ وَأَهْدَى مِنْ جَمَلْ (١) *

وقال الحِرْمازىُّ ، فى أرجُوزته :

* وهــو يَشْتَمُّ اشتمام الهَيْقِ (٢) *

قال : وأخبرنا ابنُ الأعرابىِّ أنَّ أعرابيًّا كلم صاَحِبَهُ ، فرآه لا يفهَمُ عنه ولا يسمعُ كلامَهُ فقال : « أَصلَخُ كَصَلَخِ (٣) النَّعَامَةِ » !

(شم الفرس والذئب والذّرّ)

وقد يكون الفرَسُ فى الموكب وخلفه ، على قاب غَلوتين ، حِجْرٌ أو رَمكة (٤) ، فيَتَحصَّنُ (٥) تحتَ راكبه ، من غير أن تكونَ صهلَتْ .

والذِّئب يشتَمُّ ويستروح مِنْ مِيلٍ ، والذَّرّة تَشْتَمُّ ما ليس لهُ ريحٌ ، مما لو وضعْتَهُ على أنفِكَ ما وجَدْتَ لَهُ رائحة وإن أجَدْتَ التشمُّمَ ، كرِجْل

---

(١) سبق هذا البيت فى ١٣٣ . والهيق ، بالفتح : الظليم . وأهدى ، من الهداية . وذلك أنه يعرف مكامن الماء فى الصحراء ، فيعجه إليها بنفسه .

(٢) سبق البيت فى ١٣٣ .

(٣) الصلخ ، بالتحريك : الصمم وذهاب السمع . والوصف منه أصلخ . قال :

لو أبصرت أبكم أعمى أصلخا   إذا لسمى واهتدى أنى وخى

وفى اللسان : « وإذا دعى على الرجل قيل : صلخاً كصلخ النعامة ! » . ط : « أصلم كصلم » ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) الحجر ، بكسر الحاء : الأنثى من الخيل . والرمكة ، بالتحريك : البرذونة تتخذ للنسل .

(٥) يتحصن : تبدو منه أمارات الذكورة . وقد سبق نحو هذا التعبير فى (٢ : ١٤١ س٨) . ط ، س : « فيشخص » وليس بذلك . والأوفق ما أثبت من هـ والبيان (٢ : ٢٥٧) .

الجرادة تَنْبِذُها[١] من يدك فى موضعٍ لم ترفيه ذرَّة قطّ ، فلا تلبث أن ترى الذَّرّ إليها كالخيط الأسودِ الممدود .

وقال الشَّاعر ، وهو يصف استِرْواح الناس :

وجاءَ كَمِثْلِ الرَّألِ يتبع أَنْفَهُ ... لِعَقْبَيْهِ مِنْ وَقْعِ الصُّخورِ قَعاقِعُ[٢]

فإنَّ الرَّألَ يشتمُّ[٣] رائحة أبيه وأمّه والسَّبُعِ والإنْسَانِ من مكانٍ بعيد . وشبَّهَ بِهِ رَجُلاً جاءَ يتَّبع الرِّيح فيَشتمُّ .

(استطراد لغوى)

وقال الآخر :

والمرء لم يغضَبْ لمطْلَبِ أَنْفِهِ ... أو عِرْسِهِ لِكَرِيهةٍ لم يَغْضَبِ[٤]

ومطْلَب أنفه : فَرْجُ أمِّه ؛ لأنَّ الولد إذا تمَّتْ أيَّامُهُ فى الرّحم ، قَلاَ مكَانَهُ[٥] وكرِهَه ، وضاق به موضِعُهُ ، فطلبَ بأنفه مَوضع المخرَجِ مِمَّا هو فيه من الكرب ، حتَّى يَصِير أنفه ورأسُهُ على فم الرَّحم ، تِلقاءَ فم المخرج . فالأَناء[٦] والمكانُ يرفعانه فى تلك الجهة ، والولد يلتمِسُ تلك الجهة بأنْفه

---

(١) نبذ ، من باب رمى : بمعنى ألقى ورمى . ط : ه : « ينفذها »، صوابه فى س وفى أمثال الميدانى (١ : ٣٥١) حيث نقل كلام الجاحظ ولم يصرح بذلك .

(٢) الرأل : فرخ النعام . ه : « لعقيبه » محرفة .

(٣) س : « يشم » .

(٤) كذا جاء . وروى صدره فى كنايات الجرجانى ٢٧ : « من كان لا يغضب لمطلب أنفه » ، وكنايات الثعالبى ٧ : « وإذا الكريم أضاع مطلب أنفه »، واللسان (أنف) : « وإذا الكريم أضاع موضع أنفه » . وعجزه عند الجرجانى « من أمه أو عرسه »، والثعالبى : « أو عرسه لكريهة » أى كما عند الجاحظ . واللسان : « أو عرضه لكريهة » .

(٥) قلاه ، كرماه ورضيه ، قِلًى وقَلاءً ومَقْلِيَة : أبغضه وكرهه غاية الكراهة .

(٦) الأناء ، بالفتح : أن يحين الشىء .

ولولا أنَّه يطلبُ الهواءَ من ذاته ، ويكرهُ مكانَه من ذاته ، ثم خرج إلى عالَمٍ آخَرَ خلافِ عالمه الذى رُبِّى فيه ، لَمَاتَ ؛ كما يموت السَّمَكُ إذا فارقه الماء . ولكنَّ الماءَ لمَّا كانَ قابلاً لطباع السمك [غاذياً[١] لها ، والسَّمكُ[٢]] مريداً له ، كان فى مفارقته له عطبُه . وكان فى مفارقة الولد لجَوْف البطن واغتذائه فضلاتِ الدَّم ، [مَالَا يَنْقُصُ[٣]] شيئاً من طباعِه وطباع المكان الذى كان له مَرَّةً مَسْكناً . فلذلك قال الشَّاعر الجاهلىّ :

والمرءُ لم يغضب لمطلَبِ أنفه   أو عِرسه لكريهةٍ لَمْ يغضَبِ[٤]

يقول : متى لم يَحْمِ فرجَ أمِّه وامرأته ، فليس مِمَّن يغضب من شىء يؤُول إليه .

(قول المتكلِّمين فى صمم الأخرس)

١٣٠ وزعم المتكلِّمون أنَّ الأخرسَ أصمُّ ، وأنَّه لم يُوتَ من العجْز عن المنطق لشىءٍ فى لسانه ، ولكنَّه إنما أُتِىَ فى ذلك ؛ لأنَّه حين لم يسمع صوتاً قطُّ ، مؤلَّفاً أو غير مولَّف ، لم يعرف كيفيَّته فيقصدَ إليه . وأنّ جميع الصُّمَّ ليس فيهم مُصْمَت[٥] ، وإنما يتفاوَتون[٦] فى الشِّدَّةِ واللِّين ؛ فبعضهم يَسمع الهدّة والصَّاعقة ، ونَهيق[٧] الحمار إذا كان قريباً منه ،

(١) س : « عاريا » صوابه فى هـ .
(٢) الزيادة من س ، هـ .
(٣) ليست بالأصل . وبمثلها يتم الكلام .
(٤) سبق هذا البيت فى ٤٠٣ . وموضع عجزه فى كل من ط ، هـ كلمة : « البيت » .
(٥) مصمت : أى تام الصمم خالصه .
(٦) فى الأصل : « يتقاربون » .
(٧) ط ، هـ : « ونعيق » ، وإنما النعيق للغراب والبوم . وصوابه فى س .

والرَّعد الشَّديدَ ، لا يسمَعُ غير ذلك . ومنهم من يَسمع السِّرار[١] ، وإذا رفَعْت له الصَّوتَ لم يسمَعْ . ومتى كلَّمته وقرَّت الشِّكاية[٢] فى أذنه ، فهِمَ عنك كلَّ الفهم . وإن تكلَّمْت على ذلك المقدارِ فى الهواءِ ، ولم يكن ينفُذُ فى قناةٍ تحصُرُه وتجمعُه ، حتّى تُؤَدِّيَه إلى دِماغه — لم يفهمه .

فالأصمُّ فى الحقيقة إنَّما هو الأخرس ، والأخرس إنَّما سمِّى بذلك على التشبيه والقرابة . ومتى ضَرَبَ الأصمُّ من النَّاس إنساناً أو شيئاً غيرَه ، ظنَّ أنّه لم يبالِغْ ، حتّى يسمعَ صوتَ الضربة . قال الشَّاعر[٣] :

أشَارَ بهمْ لَمْعَ الأصمِّ فأقْبَلُوا ... عَرَانِينَ ، لا يأتيه للنَّصرِ مُحْلبُ[٤]

وقال الأسَدِىّ :

وَأُوصيكُمُ بطِعَانِ الكُمَاةِ ... فقَدْ تعلمُونَ بأنْ لا خُلُودَا[٥]

---

(١) السرار ، بالكسر : مصدر ساره يساره : حدثه فى أذنه .

(٢) كذا فى ط . وفى س : « وطرت السكابة »، ه : « وطرت الشكاية » .

(٣) هو بشر ، كما فى اللسان (صمم) . يعنى بشر بن أبى خازم . وهو شاعر جاهلى قديم . وبشر بكسر الموحدة وسكون الشين المعجمة . و خازم بالخاء والزاى المعجمتين . الخزانة (٤ : ٣٣٦ سلفية) .

(٤) فى اللسان : « ويقال للنذير إذا أنذر قوما من بعيد، وألمع لهم بثوبه : لمع بهم لمع الأصم . وذلك أنه لما كثر إلماعه بثوبه كان كأنه لا يسمع الجواب ، فهو يديم اللمع » . وعرانين الناس : وجوههم وسادتهم وأشرافهم ، مأخوذ من عرنين الأنف، وهو رأسه . والمحلب : من يعين المرء من غير قومه . يقول: هو لا يعينه أحد من غير قومه . فى الأصل: « مخلب » وتصحيحه من اللسان (حلب) . ويروى أيضاً : « مجلب » بالجيم ، كما فى اللسان (صمم) وفى اللسان (جلب) : « وأجلبه : أعانه » . والرواية بالحاء المهملة أجود وأصح . وقبل البيت :

وينصره قوم غضاب عليكم ... متى تدعهم يوما إلى الروع يركبوا

(٥) رواية اللسان (صمم) : « فأوصيكم » . وقبل هذا البيت :

فأبلغ بنى أسد آية ... إذا جئت سيدهم والمسودا

وضَرْبِ الجماجمِ ضَرْبَ الأصَــمِّ حَنْظَلَ شَابَةَ يَجْنِى الهبيدا[١]

وقال الهذلىُّ[٢] :

فالطعْنُ شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ مَعْمَعَةٌ ضَرْبَ المُعَوِّل تَحْتَ الدِّيمَةِ العَضَدا[٣]

وإنما جعله تحتَ الدِّيمة ؛ لأنَّ الأغصانَ والأشجارَ تصير ألْدَنَ وأعْلَكَ ، فيحتاج الذى يضربُ تلك الأُصولَ قبل المطر ، إلى عشْر ضَرَبَاتٍ حتَّى يقطع ذلك المضروب ؛ فإذا أصابه المطَرُ احتاج إلى أكثرَ من ذلك .

---

(١) وضرب الجماجم : أى وأوصيكم بضرب رءوس الأعداء . والأصم الذى عنى ، هو الظليم من النعام . وشابة : موضع بنجد . وفى الأصل : « شانه »، وصوابه من اللسان (شوب وصمم) . والهبيد : حب الحنظل ، وهو أحب طعام إليه . وفى الأصل : « الوليدا » وهو تحريف . وفى اللسان : « هبيدا » .

(٢) هو عبد مناف بن ربع الجربى ، شاعر جاهلى من شعراء هذيل . و (ربع) بكسر الراء بعدها باء موحدة ساكنة . والجربى ، كقرشى : نسبة إلى جريب ، كقريش ، وهو بطن من هذيل . والبيت من قصيدة ذكر قصتها البغدادى فى الخزانة (٣ : ١٧٢ بولاق) وهى اثنا عشر بيتا . وقد نسب صاحب العمدة : (١ : ٢٠١) البيت إلى أبى كبير الهذلى . وليس بذاك . وقد نسبه العسكرى فى ديوان المعانى (٢ : ٥٥) إلى عبد مناف بن ربعى . صوابه « ربع » كما فى الخزانة واللسان (شغشغ ، هقع ، عول ، عضد) . وفى اللسان (عول) : « قال ابن برى : الصحيح أن البيت لساعدة بن جؤية الهذلى » .

(٣) الشغشغة بغينين معجمتين : تحريك السنان فى المطعون ليتمكن منه . وفى الخزانة : « شفشفة » . وفى الأصل وديوان المعانى : « شعشعة » ، وهما تحريف ما أثبت من اللسان والمخصص (٥ : ١٣٥) والعمدة . والمعمعة : شدة الحرب والجد فى القتال . والمعمعة أيضاً : الدمشقة ، وهى عمل فى عجل . ط ، هـ : « مقمعة » وأثبت ما فى س . والرواية فى جميع المصادر : « هيقعة » . والهيقعة : صوت السيوف . والمعول ، بكسر الواو المشددة : الذى يتخذ العالة ، وهى شجر يقطعه الراعى أو الرامى فيستظل به من المطر . « ضد » ، بالتحريك : ماقطع من الشجر .

(تحقيق معنى شعرى)

وأنشدنى يحيى الأغر[١] :

كَضَرْبِ القُيونِ سَبِيكَ الحديـــدِ يومَ الجنائب ضرباً وَكيدا[٣]

فلم أعرفه ؛ فسألتُ بعضَ الصَّياقلة فقال : نعم ، هذا بَيِّنٌ معروف . إذا أَخْرَجْنا الحديدةَ من الكِيرِ فى يومِ شَمال[٣] ، واحتاجت فى القطْع إلى مائة ضربةٍ ، احتاجَت فى قطْعها يومَ الجَنُوب إلى أكثر من ذلك ، وإلى أشدّ من ذلك الضَّرب ؛ لأَنّ الشمالَ يُيَبِّسُ ويقصِف ، والجنوب يرطِّب ويلدِّن .

(الأخرس)

والإنسان أبداً أَخْرسُ ، إذا كان لا يسمع ولا يتبيَّن الأصواتَ التى تخرج من فيه ، على معناه[٤] . ويقال فى غير الإنسان ، على غير ذلك . قال كثيِّر :

ألم تَسْألى يا أمّ عَمْرٍو فَتُخْبَرِى سَلِمْتِ وأسقاكِ السَّحابُ البوارقُ ١٣١

بُكيًّا لصَوتِ الرَّعدِ خُرسٌ روائح ونعق ولم يُسْمَعْ لهن صواعق[٥]

---

(١) هـ : « الأعز » .

(٢) القيون : جمع قين ، بالفتح ، وهو الحداد . والجنائب : جمع جنوب ، وهى الريح التى تقابل الشمال . والوكيد : الشديد الصائب .

(٣) أى يوم ريح شمال .

(٤) أى على المعنى الحقيق للخرس .

(٥) هـ : « روامج » بدل : « روائح » . ونعق ، كذا وردت . وانظر ديوان كثير (١ : ١٤٠)

وتقول العرَب : « مازلت تحتَ عينٍ خرساء » . والعين : السحابة تبقى أيّاماً تمطــر . وإذا كثر ماؤها وكثُف ، ولم يكن فيهــا مخارق لم تمدح ببرق[١] .

(سرعة الضوء وسرعة الصَّوت)

ومتى رأيتَ البرقَ سَمِعتَ الرَّعْدَ بعدُ . والرّعدُ يكون فى الأصل قبلَه ولـكنَّ الصَّوتَ لا يصل إليك فى سرعة البرق ؛ لأنَّ البارقَ والبصر أشدُّ تقارباً من الصَّوتِ والسَّمْع . وقد ترى الإنسانَ ، وبينك وبينه رحْلةُ فيضرب بعَصًا إمَّا حَجَراً ، وإمَّا دَابَّةً ، وإمَّا ثوباً ، فترى الضَّرْب[٢] ثمّ تمـكثُ وقتاً إلى أن يأتيَك الصَّوت .

(السحابة الخرساء)

فإذا لم تصوِّت السَّحابة لم تبشِّر بشىءٍ ، و [إذا[٣]] لمْ يكن لها رِزٌّ[٤] سمِّيت خَرْساءَ .

(الصخرة الصَّمَّاء)

وإذا كانت الصَّخرةُ فى هذه الصِّفة سمِّيت صماءَ . قالَ الأعشَى :

وإذَا تجىءُ كَتِيبـــةٌ ملمُومَـــةٌ مَـكْرُوهَةٌ يخشى الـكُمَاةُ نِزَالها

وعلى غير هذا المعنى قال كثيِّر :

كأنى أنادى صَخْرَةً ، حِينَ أَعْرضَتْ ، من الصُّمِّ لو تمشى بها العُصْمُ زَلَّتِ

---

(١) انظر الاستدراكات .

(٢) س : « الضربة » .

(٣) ليست بالأصل .

(٤) الرز ، بالـكسر : الصوت تسمعه من بعيد ، أو الصوت مطلقاً .

ومن هذا الشكل قولُ زُهير :

وتَنُوفَةٍ عَمْيـاءَ لا يَجْتـازُها إلا المشيَّعُ ذُو الفُؤاد الهـادى[1]
قَفْرٍ هجَعْتُ بها ، ولستُ بنائمٍ ، وذِراعُ مُلْقِيَةِ الجِرانِ وِسادِى[2]
ووقَعْتُ بَيْنَ قُتُودِ عنْسٍ ضَامِرٍ لَحَّاظَةٍ طَفَلَ العشىِّ سِنَادِ[3]

فجعل التَّنُوفَةَ عَمْياءَ[4] ، حين لَمْ تكن بها أمارات .

(الزَّبابَة)

ودابَّة يقال لهـا الزَّبابَة[5] ، عمياء [صَمَّاء[6]] ، تشبه الفأرة ؛ وليست

---

(١) المشيع ، بفتح الياء المشددة : الشجاع ؛ لأن قلبه لايخذله ، فكأنه يشيعه . والفؤاد الهادى : المهتدى ، أو الذى يهدى صاحبه .

(٢) قفر ، يقال أرض قفر ، ومفازة قفر وقفرة أيضاً . فهى مما يوصف به المؤنث ، صفة لتنوفة . والهجوع ، هنا ، بمعنى الاضطجاع ، نوما كان ، أو غير نوم . المخصص (٥ : ١٠٤) . وملقية الجران ، عنى بها ناقته . ألقت جرانها : وضعت باطن عنقها على الأرض ، تستريح بذلك . ومثل هذا البيت فى معناه قول الآخر (الخزانة ٤ : ٤٨٠ بولاق) :

يارب سار بات ماتوسدا إلا ذراع العنس أو كف اليدا

(٣) القتود : جمع قتد، بالتحريك ، وهو أداة الرحل . والعنس ، بالفتح وبالنون الساكنة : الناقة الصلبة . ووقعت ، هنا ، كأنه من الوقعة ، بالفتح : وهى النومة فى آخر الليل . وطفل العشى : آخره عند غروب الشمس واصفرارها . وإنما تكثر اللحظ فى ذلك الوقت لما يداخلها من الحنين إلى ولدها ، فتتعجل الأوبة ويظهر نشاطها . والسناد ، بالكسر : الشديدة الخلق ، قال ذو الرمة :

جمالية حرف سناد يشلها وظيف أزج الخطو ظمآن سهوق

وفى الأصل : « سنادى »، والوجه ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « عيبا » ، تحريف .

(٥) الزبابة بفتح الزاى ، بعدها باء موحدة . ط ، س : « الزيابة » ﻫ : « الذبابة » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) ليست بالأصل . وأثبت ماتقتضيه المقارنة الآتية .

بالخلد ؛ لأنَّ الخُلْدَ أعمى وليس بأصمّ .

والزَبَاب[1] يكون فى الرَّمل .

وقال الشاعِرُ[2] :

وهُـــمُ زبَابٌ حائر لا تَسْمَعُ الآذَانُ رَعْـــدَا[3]

(الأعمى من ولد الحيوان)

وكلُّ مولودٍ فى الأَرض يُولد أعمَى ، إن كان تأويل العمَى[4] أنّهُ لا يُبصر إلاّ بعد أيام . فمنه ما يفتح عينيه بعد أيَّامٍ كالجُــرْوِ[5] ؛ إلاّ أولادَ الدّجاج ؛ فإنَّ فراريجها تَخرُجُ من البيض كاسِيَةً كاسِبة .

(شعر فيه مجون)

وقال أبو الشَّمقْمق ــ وجعل الأيْر أعمى أصمّ على التشبيه ــ فقال :

فسلِّمْ عليه فاترَ الطَّرْفِ ضاَحِكًا وصوِّت له بالحارثِ بن عُبادِ

---

(١) ط ، هـ : « الذباب » ، صوابه فى س .

(٢) هو الحارث بن حلزة ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٥ — ٩٦) : واللسان (زبب) .

(٣) أى لا تسمع آذانهم صوت الرعد . والبيت محرف فى الأصل س ، هـ : « فهو رباب » ط : « فهو ذباب » ، وفى الجميع : « لايسمع » و هـ : « الأذانل » مكان : « الآذان » وأثبت صحة الرواية من الحيوان (٥ : ٢٦٠) وعيون الأخبار واللسان .

(٤) س : « أعمى » . هـ : « لعمى » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ط .

(٥) الجرو ، مثلثة : ولد الكلب والأسد والسباع . ط ، هـ : « كالجرذ » س : « كالحرذ » ، صوابهما ما أثبت . وفى (٢ : ٢٨٨) : « وجرو الكلب يكون أعمى عشرة أيام وأكثر . وقد يعرض شبيه بذلك لكثير من السباع » .

بأصْلعَ مِثْلِ الجرْوِ جَهْمٍ غضَنْفَرٍ   مُعَاوِدِ طَعْــنٍ جَائفٍ ومناد(١)
أصمّ وأعْمَى يُنْغِضُ الدَّهْرَ رَأسَهُ   يســير على مَيْلٍ بغير قيادِ(٢) ١٣٢

(قولُ لمن زعم أن النعامة تسمع ، وردٌّ عليه)

و [قال] مَنْ زعَم أنَّ النَّعــامة تسمَع : يدلُّ على ذلك قول طَرَفَةَ :

هَلْ بِالدِّيارِ الغَدَاة من خرَسِ   أمْ هَلْ بِرَبْعِ الجميعِ مِنْ أنَسِ(٣)
سِــوَى مَهاة تَقْرُو أَسِرَّتَه   وَجُؤْذُرٍ يَرْتَعِي على كُنُسِ(٤)
أو خاضــبٍ يرتعي بِهِــقْلَتِهِ   متى تَرُعْهُ الأَصْــوَاتُ يهتَجِس(٥)

فقد قال طَرَفة كما ترى :

* متى تَرُعْهُ الأصوات يهتجس *

وقال الآخر : جوابُنا فى هذا هو جوابنا فيما قبله .

---

(١) الطعن الجائف : الذى يصل إلى الجوف .

(٢) أنغض رأسه : حركه إلى أسفل وأعلى . فى الأصل : « ينفض » بالفاء ، وأراها محرفة . ط ، س : « على مهل » ، وأثبت ما فى ه ، وهو أجود .

(٣) الأنس ، بالتحريك : الحى المقيمون . س : « جرس » موضع : « خرس » تحريف .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية . تقرو : تقصد . والأسرة : جمع سر ، بالكسر ، وهو من الوادى : أفضل موضع فيه . والجؤذر : ولد البقرة الوحشية . وفيه مع الهمز لغتان : الجوذر بضم الجيم والذال ، وبضم الجيم وفتح الذال . وانظر سائر اللغات فى القاموس . والكنس ، بضمتين : جمع كناس ، بالكسر ، وهو بيت الوحش كما فى فقه اللغة ٣٠٤ طبع الحلبى . وفى شرح التبريزى للمعلقات ١٣٠ : « وهو شىء يتخذه الظباء ، تجذب أغصان الشجرة ، فتقع إلى الأرض ، فيصير بينها وبين ساق الشجرة مدخل تستظل به » .

(٥) الخاضب : الظليم احمرت ساقاه . يرتعى بهقلته : يرعى مع أنثاه الفتية . يهتجس : فى القاموس : « هجسه : رده عن الأمر فانهجس » . ونحوه فى اللسان . فلعل يهتجس وينهجس فعلان مطاوعان لهجسه ، وإن لم تذكر المعاجم أولها .

(فكاهة)

وروى الهيثم بنُ عديٍّ ، وسمعه بعضُ أصحابنا من أبي عبيدة ، قال : تضارَط أعرابيَّان عند خالد بن عبد الله(١) ، أحدُهما تميميٌّ والآخر أزْديٌّ ، فضَرَط الأزْديُّ ضَرْطَةً ضئيلة ، فقال التميميّ :

حَبَقْتَ عَجِيفاً مُحْثَلاً ولوَ أنَّنِي حَبَقْتُ لأَسْمَعْتُ النّعَامَ المشَرَّدَا(٢)
فمَــرَّ كمــرِّ المنجَنِيق وصَوْتُهُ يبذُّ هَزِيمَ الرَّعْدِ ، بدءًا عَمَرَّدَا(٣)

(مَنْ لَقَبَه : نَعامة)

وزعم أبو عمرو الشَّيبانيُّ عن بعض العرب ، أنّ كلّ عربيّ [وأعرابيّ] كان يلقَّب نَعامة ، فإنما يلقَّب بذلك لشدّةِ صَمَمِه . وأنَّهُ سأله عن الظليم : هل يسمع ؟ فقال : يَعرِفُ بأنفه وعينِه ، ولا يحتاج معهما إلى سَمْع .

وَأَنْشَدَنِي :

فَجِئْتُكَ مِثْلَ الهِقْلِ يشتمُّ رَأْلَهُ ولا عَرْفَ إلاّ سَوْفُهَا وَشَمِيمُها(٤)

---

(١) هو خالد بن عبد الله القسرى .

(٢) العجيف : المهزول . ولم يذكر فى اللسان والقاموس بمادة (عجف) . والمحثل ، بالحاء المهملة بعدها مثلثة مفتوحة : الهزيل . وفى الأصل : « مجتلا » محرف .

(٣) المنجنيق ، وتكسر الميم : آلة ترمى بها الحجارة ، مؤنثة وقد تذكر ، فارسيتها : من جه نيك ، أى أناما أجودنى . يبذ : يغلب ويفوق . وهزيم الرعد : صوته . والبدء ، بالفتح : أصل معناه السيد والشاب العاقل . وبدءا : حال ثانية من ضمير « مر » . ط ، س : « بدء » ﻫ : « بداء » محرفتان عما أثبت . والعمرد ، كعملس : الطويل . وانظر نحو هذا المعنى فى (٦ : ٤٦٩) .

(٤) العرف ، بالفتح : الريح طيبة أو غير طيبة . والسوف ، بالفتح : الشم . وفى ط ، ﻫ : « شوءها » س : « ثوءها » . وهما كلمتان محرفتان لا تنبضان بمعنى . والوجه ما أثبت .

وزعم أنَّ لَقَبَ بيهس[١] نَعامة ، وأنَّه لقِّب بذلك لأنه كان فى خلق نَعامة ، وكان شديدَ الصَّمَم مائقاً[٢] . فأنْشَدَ لعدىٍّ بن زَيد[٣] :

ومِنْ حَـذَرِ الْأَيَّامِ مَاحَزَّ أَنْفَهُ
قَصِيرٌ وَخَاضَ الموْت بالسَّيْفِ بَيهسُ[٤]

نعامةُ لَمَّا صرَّع القومُ رَهْطَهُ
تَبيَّن فى أَثْوَابِهِ كيفَ يَلْبَسُ[٥]

وقال المتنخِّل الهذَلىٌّ[٥] ، وذكر سَيْفاً :

مُنْتَخَبُ اللّبِّ لهُ ضَرْبَة
خَدْباءُ كالعَطِّ من الخِذْعِلِ[٦]

(١) بيهس : رجل من بنى فزارة بن ذبيان . وله حديث وقصة فى الأغانى (٢١ : ١٢٢ — ١٢٤)، ونقلها عنه صاحب الخزانة فى (٣ : ٢٧٢ — ٢٧٣ بولاق) . وذكره الميدانى فى مثل : « ثكل أرأمها ولدا » .

(٢) مائقاً : أى أحمق . والموق بالضم والفتح : الحمق . هذا . وقد زعم أبو الفرج أنه إنما سمى نعامة بقوله :

فَلأَطرُقَنْ قَوْمًا وَهُمْ نِيَامٌ
وَأَبْرُكَن بِرْكَةَ النَّعَامَهْ

(٣) الحق أن قائل الشعر هو المتلمس الضبعى ، من قصيدة فى ديوانه المخطوط ، وكما فى الأغانى وحماسة أبى تمام (١ : ٢٦٨) والبحترى ١٩ وأمثال الميدانى (١ : ١٣٨ ، ٢١٦) ومروج الذهب (١ : ٢٩٢) والخزانة ، ومعاهد التنصيص (١ : ٢٤٨) . وقد ذكر الجاحظ البيتين فى البيان (٤ : ٢٧) ولم ينسبهما .

(٤) قصة قصير متداولة فى الكتب . وانظر المراجع المتقدمة . واسمه قصير بن سعد اللخمى . ورواية البيان : « ولاق الموت بالسيف » ، والمروج ، والأغانى ، والخزانة ، والميدانى : « ورام الموت » . رام : طلب .

(٥) المتنخل ، بكسر الخاء المشددة ، اسم فاعل من تنخل ، لقب مالك بن عويمر الهذلى شاعر من شعراء هذيل . وهو جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١١٠ سلفية) . وفى الشعراء من يقال له : (المتنخل السعدى) ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٧٩ .

(٦) منتخب اللب : أى منتزع العقل ، فهو فى هوجه كالمجنون . ورواية اللسان : (خذعل) : « تنتخب اللب » . والخدباء ، بفتح الخاء : الهوجاء . وفى الأصل : « حدباء » ، تصحيحه من اللسان . كالعط من الخذعل : أى كالشق من ثوب الخذعل وهو بكسر الخاء والعين : المرأة الحمقاء ، أو ثياب من أدم يلبسها الرعن =

يقول : هذا السَّيف أهوجُ لاعقْل له . والخَذَب[1] فى هذا الموضع : الهوَج[2] ، وتهاوِى الشيءِ لاَيَتَمالك . ويقال للسَّيف : لايُبالى مالَقِىَ .

(شعر فى النعام والتشبيه به)

وقال الأعشى فى غير هذا الباب :

كَحَوْصَلةِ الرَّألِ فى جَرْيِهَا إذا جُلِيَتْ بَعْدَ إقْعَادِها[3]

١٣٣ « كحوصلة الرَّأل » يصف الخمْرَ بالُحمرة . جليت : أخرجت ؛ وهو مأخوذ من جَلوة العروس القاعدة ، إذا قَعَدَت عن الطَّلَب[4] . ومثله فى [غير[5]] الخمر قولُ علقمة :

تأوى إلى حِسْكِلٍ حُمْرٍ حواصِلُه كأنَّهُنَّ إذا بَرَّكْن جُرثومُ[6]

وقال الأخنس بن شهاب[7] :

تَظَلُّ بها رُبْدُ النَّعامِ كأنَّهَا إمَاءٌ تُزَجِّى بالمَساءِ حَوَاطِبُ[8]

= لتتحمل عبثهم وحمقهم . ط ، هـ : « الخزعل » صوابه بالذال ، كما فى س ، واللسان .

(١) فى الأصل : « الحدب » بالحاء، صوابه بالمعجمة .

(٢) الهوج ، بالتحريك : الحمق والرعونة . هـ : « الهدج » صوابه ما أثبت من س ، ط .

(٣) فى جريها : أى عند سيلانها وتدفقها من فم الدن . والرأل : فرخ النعام . وحوصلته حمراء ؛ لتجردها من الريش .

(٤) أى عن أن يطلبها الأزواج .

(٥) ليست بالأصل ، ولا يصح الكلام بدونها .

(٦) سبق هذا البيت وشرحه فى ص ٣٦٧ .

(٧) الأخنس بن شهاب ، شاعر جاهلى قبل الإسلام بدهر . الخزانة (٣ : ١٦٩ بولاق) نقلا عن شرح المفضليات ٤١٠ .

(٨) الربد : جمع أربد وربداء ، وهو ما فى لونه غبرة . والإماء : جمع أمة ، بالتحريك وهى المملوكة . والحواطب : اللائى يجمعن الحطب . وخص المساء ؛ لأن الإماء =

تُزجِّى : تَدْفَعُ (1) ؛ وذلك أنَّهُ يثقل حِملها فتمشى مِشْيَةَ النَّعامةِ .

وقال الرّاجز (2) :

وإذا الرِّياحُ تَروَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتَكَ النَّعامُ إلى كَثِيفِ العَرْفَجِ (3)

والرَّتَكُ : مشْىٌ سريع . يقول تبادِرُ إلى الكثيف (4) تستتر به (5) من البَرْد . وقال :

* رَتْكَ النَّعامةِ فى طريقٍ حامِ (6) *

= المحتطبات يرجعن فيه إلى أهاليهن وقد أعيين ، فهن يمشين على تؤدة . انظر شرح المفضليات. ورواية المفضليات : « بالعشى » مكان : « بالمساء » .

(1) فى الأصل : « ترفع »، صوابه من اللسان وشرح المفضليات ٤١١ . ويروى : « تَزَجَّى » بنزع إحدى التاءين .

(2) كذا ، وصوابه : « الشاعر » . وهو الحارث بن حلزة اليشكرى ، من قصيدة مفضلية ٢٠٠ أولها :

طرق الخيال ولا كليلة مدلج سدكا بأرحلنا ولم يتعرج

(3) كذا أنشد الجاحظ هذا البيت . وتفسيره الآتى يشهد لصحة هذا النص عنده هو ، وكذا صحة ماضبطت به البيت . لكن صواب الرواية والضبط ، هو كما فى المفضليات ٥٢٦ :

وإذَا اللِّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بِعَشِيَّةٍ رَتْكَ النَّعامِ إلى كنِيفِ العَرْفَجِ

وبعده :

ألفَيْتَنَا للضيف خيْرَ عِمَارَةٍ إنْ لَمْ يَكُنْ لَبَنٌ فَعَطْفُ المُدْمَجِ

اللقاح : الإبل ، وأحدها لقوح ، بالفتح . تروحت بعشية : سارت فى آخر النهار راجعة إلى مأواها . رتك النعام : أى مثل رتك النعام . والرتك ، بالفتح والتحريك : مقاربة الخطو . والكثيف : الملتف. وأما الكنيف ، بالنون، فهو حظيرة تعمل من شجر تأوى إليها الإبل . والعرفج : شجر .

(4) س : « الكثيب » محرف . وفى الكلام نقص ، لعله « الكثيف من العرفج » .

(5) س : « تستر به » . ولعلها صحيحة . وقالوا : انسرب الوحشى : دخل فى كناسه .

(6) طريق حام : أى حمى رمله مما ضربت فيه الشمس . وهو أشد لرتك النعامة .

(استقبال الظليم للريح)

وليسَ لقولِ مَنْ زعم أنَّ الظليم إذا عدا استقبَل الرِّيح [وإنما ذلك مخافةَ أن تكونَ الرِّيحُ من خلفه فتكبِتَه(١) ـ معنًى ؛ لأنَّا نجدُهم يصفون جميع مايستدعونه(٢) باستقبال الرِّيحِ] . قال عَبْدة بن الطَّبيب ، يصف الثَّور :

مستقبل الرِّيحِ يهفُو وهو مبترِكٌ لسانُه عَنْ شِمالِ الشِّدْقِ مَعْدُولُ(٣)

ووصف الذِّيبَ طُفيلٌ الغَنَوىُّ ، فقال :

كسِيدِ الغَضَا العادِى أضَلَّ جِرَاءَهُ عَلَى شَرَفٍ مُسْتَقْبِلَ الرِّيح يلحَب(٤)

---

(١) تكبته : تصرعه لوجهه ، كبته يكبته كبتاً فانكبت . وممن ذهب هذا المذهب شارح ديوان طفيل ص ٢٣ قال : « وكل دابة أو ضامر إذا جرت استقبلت الريح ، لأنها إذا استدبرتها كسعتها وألقتها » .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها : « يستسرعونه » ، أى يعدونه سريعا . وقد علل الأمر صاحب اللسان بقوله : « وامتخر الفرس الريح واستمخرها : قابلها بأنفه ؛ ليكون أروح له » .

(٣) يهفو : يشتد عدوه . قال بشر بن أبى خازم يصف فرساً :

يُشَبَّهُ شَخْصُها وَالخَيْلُ تَهْفُو هُفُوًّا ظِلَّ فَتْخَاءِ الجَنَاحِ

وابترك : انتحى على أحد شقيه فى عدوه . ط : هـ : « مشتبك » س : « مشترك » صوابهما من المفضليات ١٤٠ . والشدق هى فى س : « السدق » هـ : « السدف » صوابهما فى ط والمفضليات . وأول البيت فى كل من ط ، هـ : « يستقبل » وأثبت رواية س والمفضليات .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . والغضا : نبت تلجأ إليه الذئاب . وذئاب الغضا أخبث الذئاب . ط : « العاوى » هـ : « العارى » ، صوابهما فى س . ورواية الديوان : « الغادى » . أضل جراءه : فقد أولاده ، فهو يسرع فى عدوه مجتهدا ليبحث عنها . والشرف : الأرض العالية . ورواية الديوان : « عَلاَ شَرَفًا » . يلحب : =

(استطراد)

ويُلحَق[1] بموضع ذِكْر الضَّربِ الشديد ، قولهم فى المثَل: « ضرَبْنَاهُمْ ضَرْبَ غَرائبِ الإبِلِ » . قال أبو حيّة :

جَدِيرُونَ يَوْمَ الرَّوْعِ أَنْ يخضِبُوا القَنَا
وَأَنْ يتركوا الكَبْشَ المدجَّجَ ثاويا[2]

ضَرَبْنَاهُمُ ضرب الحساما غرائب
وإذا جاءك عطاشا لعسا حراراً ضواريا[3]

وإذا جاءت عِطاشاً قَدْ بلَغ منها العطشُ واليُبْسُ ، قيل : جاءَتْ تَصِلُّ

= يمر مرا سريعاً . وفى الأصل : « يلهث » ، صوابه ماأثبت . والبيت من قصيدة بائية لطفيل ، أولها :

تَأَوَّبَنِي هَمٌّ من الليلِ مُنْصِبُ وجَاءَ مِنَ الْأَخْبَارِ مالا أكَذِّبَ

وهو قد نعت بالبيت الذى أنشده الجاحظ فرسا شبهه بالذئب . وقبل البيت :

كأنَّ على أعرافِهِ ولجامِهِ سَنَا ضَرَمٍ مِنْ عَرْفَجٍ يتلهبُ

(١) الكلام من هنا إلى قوله فى الصفحة الآتية : « وزعم ابن أبى العجوز » ، استطراد من الجاحظ لاعلاقة له بالكلام السابق .

(٢) القنا : الرماح . يخضبونها : أى بدماء الأعداء . والكبش : القائد ، أو الرئيس . المدجج : ذو السلاح . ثاويا : مقتولا . ه : « الكيس » س : « الكبس » س ، ه : « المحدد » مكان : « المدجج » ، ه : « قاويا » . وصواب رواية البيت من ط .

(٣) هذا البيت ساقط من س . ه : « وإذا جاءت » . وهو كلام محرف مشيأ ، لم أجد له مرجعا يعين على تحقيقه .

أجوافها صَليلا . قال الرَّاعى :

فَسَقَوْا صوادِىَ يَسْمَعُون عشيَّةً ... لِلْماءِ فى أجوافِهِنَّ صَليلا

قال : وأنشدنا أبو مَهديَّة ، لمزاحمٍ العُقَيلى[1] :

غَدَتْ مِنْ عَليه بعدَ ماتمَّ ظِمْؤُها ... تَصِلُّ ،وَعَنْ قَيْضٍ بِزَيزاءِ مَجْهَلِ[2]

قال : الزِّيزاءُ[3] : المكان الغليظ .

وقال آخر[4] :

ألمْ تَعلمى يا أمَّ حَسَّانَ أنَّنِى ... إذا عَبْرَةٌ نَهنَهتُها فَتَجلَّتِ[5]

١٣٤ رجَعت إلى صَدْر كجرَّةِ حَنتَم ... إذا قُرِعَتْ صِفْرًا مِنَ الماءِ صلَّتِ[6]

---

(١) هو مزاحم بن عمرو ، شاعر بدوى إسلامى ، صاحب قصيد ورجز ، كان فى زمن جرير والفرزدق ، وكان جرير يصفه ويقرظه ويقدمه . الأغانى (١٧ : ١٥٠) .

(٢) أى أقامت مع فرخها حتى عطشت وطلبت الماء ، فطارت لذلك عند تمام ظمئها . والظمء ، بالكسر : مابين الشربين أو الوردين . وروى فى الكامل والمخصص (١٤ : ٥٧) : « تم خمسها » . وهو بالكسر : ورود الماء فى كل خمسة أيام . قال أبو حاتم : ولم يرد أنها تصبر عن الماء خمسة أيام ، إنما هذا للإبل لا للطير ، ولكنه ضربه مثلا . ابن السيد فى الاقتضاب ٢٤٨ . وقد تكلم كثير من العلماء فى هذا البيت ، فى دخول : « من » على « على » . انظر أدب الكاتب ٣٨٣ وابن سيده (١٤ : ٥٧) والبغدادى (٤ : ٢٥٣ بولاق) واللسان (صلل) . ط : « يعدما » تحريف . والقيض ، بالفتح : قشر البيضة الأعلى . والزيزاء ، بالكسر والفتح : ماغلظ من الأرض . ﻫ : « عن قبض بزيراء » محرف . قال أبو حاتم : قلت للأصمعى : كيف قال : غدت من عليه ، والقطاة إنما تذهب إلى الماء ليلا ، لا غدوة ؟ فقال : لم يرد الغدو ، وإنما هذا مثل للتعجيل . والعرب تقول : بكر إلى العشية ، ولا بكور هناك .

(٣) ﻫ : « الزيزاء » ، محرف .

(٤) هو عمرو بن شأس ، كما فى اللسان (حنتم) والأغانى (١٠ : ٦١) . وعمرو ابن شأس شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام وهو شيخ كبير . شرح التبريزى للحماسة (١ : ١٤٩ بولاق) .

(٥) أم حسان هى زوجه . والعبرة ، بالفتح : الدمعة . نهنهها : كفها . تجلت : ظهرت . وفى الأغانى : « فتخلت » ، والأولى أقوى وأطيب .

(٦) الحنتم : جرار خضر تضرب إلى الحمرة ، وقد يقال للخزف كله حنتم . =

(اختبار أمير المؤمنين المنصور لأحد الحوّاء)

وزعمَ ابن أبى العجوز الحوَّاءُ ، أَنَّ الأفاعىَ صُمٌّ ، فلذلك لاتجيب الرُّقَى ، ثمَّ زعم لى فى ذلك المجلس(١) أنَّ أميرَ المؤمنينَ المنصورَ ، أراد امتحان رُقَى حَيَّةٍ(٢) وأنْ يتعرَّف صحَّتها من سُقْمها ، وأنَّهُ أَمَرَ(٣) فصاغوا له أَفْعًى من رَصاص ، فجاءَت ولا يَشُكُّ النَّاظر فيها ؛ وأنَّهُ أمر(٤) بإلزاقها فى موضعٍ من السَّقف ؛ وأَنَّهُ أحضرهُ وقال [له] : إنَّ هذه الأفعى قد صارَتْ فى هذه الدّارِ ، وقد كرِهْتُها لمكانِها ؛ فإن احْتَلْتَ لى برُقْيَةٍ ، أو بما أحببْتَ(٥) أحسنتُ إليك . قال : إن أَرَدْتُ أَنْ آخذها هَرَبَتْ(٦) ولكنْ أرقِيها حتى تنزل ! فرقاها فلما رآها لاتتحرَّكُ زادَ فى رفْع صوته وألقى قِنَاعَهُ ، فلما رآها لاتتحرَّكُ نزعَ عِمامتَهُ وزاد فى رفعِ صوتِه ، فلما رآها لاتتحرّك نَزَعَ قلنسوتَه وزادَ فى رَفْعِ صوتِه . فلما رآها لاتتحرَّك نَزَعَ ثِيابَهُ ، وزاد فى رَفْعِ صوْتِهِ(٧) ، حَتَّى أزْبدَ(٨) ، وتمرَّغَ

= انظر اللسان والنهاية . صفراً من الماء : خالية منه . وجعل صدره كالجرة من الختم ، فى صلابتها وشدتها .

(١) بدل هذا الكلام من أول الفقرة فى س : « زعم ابن أبى العجوز فى ذلك المجلس » .

(٢) س ، هـ : « جده » ط : « جد » ، صوابهما ماأثبت . وانظر ٤٢٠ س ٢ .

(٣) ط ، هـ : « فأمرهم » .

(٤) ط ، هـ : « ثم أمر » .

(٥) ط ، هـ : « أحست » ، صوابه فى س .

(٦) س : « فعلت » .

(٧) الكلام من مبدإ : « وألقى قناعه » إلى هنا ساقط من س .

(٨) ط ، س : « أربد » . هـ : « أزيد » ، صوابهما ماأثبت . وأزبد بمعنى ظهر منه الزبد على جانبى الشفتين .

فى الأرض ، فلما فعل ذلك سال ذلك الرَّصاصُ وذابَ ، حتّى صار بين أيديهم ، فأقرَّ عند ذلكَ المنصورُ بجودَةِ رُقيته .

فقلت له : ويلك ! زعمتَ قُبَيْلُ أنَّ الأَفاعِيَ لاتجيب الرُّقى ؛ لأنها لاتسمع ، وهى حيوان ، ثمَّ زعمتَ أَنَّها أجابت ، وهى جماد ! !

(شعر وخبر فى نفار النعامة)

وقال الشّاعِرُ :

وربداء يَكفِيها الشَّميمُ ومالها سِوى الرُّبْدِ من أُنْسٍ بتلك المجاهِلِ

يخبر أنَّ النَّعامة لاتستأنسُ بشيءٍ من الوحْش ، وأنَّ الشَّمّ يغنيها فى فهم ماتحتاج إليه .

وهى مع ذلك إذا صارتْ إلى دور النّاس ، فليس معها من الوحْشة منهم ، على قدر ما يذكرون .

وفى الوحش ما يأنس ، وفيها[1] مالا يأنس . وقال كثيِّر :

فأقْسَمْتُ لَا أَنْسَاكِ ماعِشْتُ لَيْلَةً وإنْ شَحَطَتْ دارٌ وَشَطَّ مَزارُهَا[2]

وما استَنّ رَقراقُ السّرَاب وما جَرَتْ ببيض الرُّبا أنسيُّها وَنَوَارُهَا[3]

---

(١) س : « ومنها » .

(٢) شحطت : بعدت . وشط مزارها : بعد .

(٣) استن السراب : اضطرب . والسراب ، كسحاب : مايرى على وجه الأرض كأنه ماء وليس به ، وهو يبدو فى الفلوات فيخدع السفر يظنونه ماء . وفى الكتاب « كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . وقد علله العلماء بما يكون من الانعكاسات الضوئية ، فتظهر صورة السماء فى صفحة الأرض ، أو تبدو صورة النخيل البعيدة ، فى وضع مقلوب يخدع الناظر ، فيحسبها ظلالا مرتسمة فى ماء . والأنسى من الحيوان ، يقال بفتح الهمزة والنون ، نسبة إلى الأنس =

ووصف بلادًا قفاراً[1] غيرَ مأنوسة فقال :

ما تَرَى الْعَيْنُ حولهـا مِنْ أنِيسٍ   قُرْبَهَا غير رابداتِ الرِّئَال[2]

خصَّها بالذِّكْر ، لأنها أنْفَرُ وأشْرَدُ ، وَأَقَلُّ أنْساً من جميع الوحش .

وقال الأحيمر[3] : كنتُ آتى الظَّبْيَ حَتَّى آخُذَ بذراعيه ؛ وما كان شىءٌ من بهائم الوحْش ينكرُنى إلاّ النّعام[4] .

وَأَنْشَدَ قَوْلَ ذى الرُّمَّةِ :

وكلّ أَحَمَّ المقْلتين كأنَّهُ   أخو الإنْسِ من طُول الخَلاءِ المغفّلِ[5]

= والأنسة بالتحريك فى كل منهما بمعنى الائتناس . ويقال بكسرها نسبة إلى الإنس، بالكسر ، وهم بنو آدم . ويقال بضمها نسبة إلى الأنس ، بالضم ، وهو ضد الوحشة . وأول هذه اللغات أضعفها . وقد أعاد الضمير فى « أنسيها » إلى الحيوان ، ولم يذكره ، ولكنه مفهوم ضمنا . والنوار ، بالفتح : النافر الذى لا يستأنس من الحيوان . والرواية فى ديوان كثير (١ : ٩١) : « وحشيها ونوارها ».

(١) س : « أقفارا » .

(٢) الرابدات : المقيمات . ربد ربودا : أقام . والرئال : جمع رأل ، بالفتح ، وهو ولد النعام . وفسرت « الرابدات » فى شرح ديوان كثير (١ : ١٤٨) بأنها « صفة بمعنى الربد جمع ربداء ، وهى التى فى سوادها نقط بيض أو حمر » . ولعل مافسرت به أقرب إلى الاشتقاق . فليس فى المعاجم التى بأيدينا « رابد » بمعنى « أربد » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ١٣٣) . والخبر فى العقد (٤ : ٢٣٨) وعيون الأخبار (٢ : ٨٨) .

(٤) كذا أورد الجاحظ الخبر مقتضبا ، وهو بتمامه ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٨٨) « كنت حين خلعنى قومى ، وأطل السلطان دمى ؛ وهربت وترددت فى البوادى ظننت أنى قد جزت نخل وبار ، أو قريب منها . وذلك أنى كنت أرى النوى فى رجع الذئاب . وكنت أغشى الظباء وغيرها من بهائم الوحش فلا تنفر منى ؛ لأنها لم تر أحداً قبلى . وكنت أمشى إلى الظبى السمين فآخذه ؛ وعلى ذلك رأيت جميع تلك الوحوش ؛ إلا النعام ؛ فإنى لم أره قط إلا نافراً فزعا » .

(٥) أحم : أسود . والمقلة ، بالضم : حدقة العين . وأراد به الظبى . والخلاء المغفل : الذى لا علامة فيه ولا أثر . وضبط « كل » بالنصب ؛ لأن قبل البيت كما فى الديوان ٥٠٥ :

=

(نِفار الوحش وهربها من الصحارى)

١٣٥ يدلّ على ذلك فى قدْرِ ما شاهدنا أنّهم يخرجــون إلى الصّحارى الأغفال(١) ، التى لم يُذْعَر صيدُها ، ولا يطؤُها النّاس ، فيأتون الوحْشَ فوضَى هَمَلاً ، ومعهم كلابُهم وفهودُهم تتلوّى(٢) بأيديهم ، فيتقدّمون إلى المواضع التى لو كانوا ابتدءوا الصَّيْدَ مِنْ جهتها لأخَذُوا ما أخذوا . فإذا نفرَتْ وحوشُ هذه الأرْضِ ، ومرَّت بالأرْضِ المجاوِرَةِ لها ، نفرت سُكّان تلك الأرضِ مع هذه النّوافر ، ولا تعودُ تلك الصَّحَارَى إلى مثل ما كانت عليه ، مِنْ كثْرَة الوَحْشِ حيناً .

ومتى لم تنفِّرها الأعرابُ بالكلابِ والقِسِيِّ ، ونَصْب الحبائل ، رتَعتْ بقُربهم ، ثمَّ دنتْ منهُـمْ أوّلاً فأوّلاً ، حـتى تطأ أكنافَ بيوتهم . وهى اليوم فى حَيْرِ (٣) المعتصم بالله(٤) والواثق بالله(٥) على هذه الصِّفة .

= دعت مية الأعـداد فاستبدلت بها خناطيل آجـال من العين خـذل
وبعده سبعة أبيات ، ثم :

وكل موشاة القوائم نعجة لها ذرع قد أحرزته ومطفل
تربع له ربع الهجان وأقبلت لها فرق الآجال من كل مقبل

ثم البيت : « وكل أحم المقلتين » .

(١) الأغفال : التى لاعلامة فيها ولا أثر .

(٢) س : « ملوى » ! .

(٣) الحير ، بالفتح : البستان ، أو الموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف . ومثله الحائر . جاء فى اللسان : « وبالبصرة حائر الحجاج ، معروف ، يابس لاماء فيه ، وأكثر الناس يسميه الحير ، كما يقولون لعايشة : عَيْشَةَ . يستحسنون التخفيف وطرح الألف » . فى ط ، س : « حيز » ﻫ : « حد » صوابهما ماأثبت .

(٤) المعتصم بالله ، هو محمد بن هارون الرشيد ، بويع بالخلافة سنة ٢١٨ بعد وفاة المأمون ، وهو فاتح عمورية ، وأول من أضاف من الخلفاء اسمه إلى اسم الله تعالى. توفى بسامرا سنة ٢٢٧ .

(٥) الواثق بالله ، هو هارون بن محمد بن هارون الرشيد ، فهو ابن المعتصم . ولى بعد أبيه سنة ٢٢٧ وتوفى بسامرا سنة ٢٣٢ .

(هِجرة الظِّباءِ إلى الناس)

وخبّرنى إبراهيم بْنُ السِّندىِّ[1] قال : خبرنى عبدُ الملك بنُ صالح ، وإسحاقُ بن عيسى ، وصالحٌ صاحبُ الموصِل ، أنّ خالدَ بنَ بَرْمَكَ ، بينا هو على سطحٍ من سُطوح القُرى مع قَحْطبَةَ[2] ، وهم يتغدّون[3] ، وذلك فى بَعض منازلهم[4] ، حين فصلوا من خُراسَانَ إلى الجبل . قال : وبين قَحْطَبَةَ وبينَ الأعداء مَسيرَةُ أيَّامٍ وليال . قال : فبينا خالد يتغدَّى معه وذلك حين نزلوا وبهم كلاَلُ السَّير ، وحينَ عَلّقُوا على دوابِّهم[5] ، ونصبوا قُدُورَهُمْ ، وقَرّبُوا سُفَرَهُمْ[6] .

(١) هو إبراهيم بن السندى بن شاهك ، يروى عنه الجاحظ كثيراً . وأبوه السندى ابن شاهك ، كان يلى الجسرين ببغداد للرشـيد . انظر الجهشيارى ٢٣٦ - ٢٣٧ . وقد نعت الجاحظ إبراهيم بأنه « مولى أمير المؤمنـين » . الرسائل ٤٧ ساسى .

(٢) هو قحطبة بن شبيب الطائى ، صحب أبا مسلم الخراسانى وكان شريكه فى إقامة الدعوة العباسية بخراسان ، وقاد جيوش أبى مسلم فـكان مظفراً ، غرق فى الفرات سنة ١٣٢ حين ابتدأت الخلافة العباسية . ه : « قرطبة » محرفة . وقحطبة ، بفتح القاف والطاء .

(٣) أى يتناولون الغداء ، بالفتح ، وهو طعام الغدوة ، بالضم ، وهى البكرة ، أو ما بين الفجر وطلوع الشمس . س : « يتغذون » بالذال المعجمة .

(٤) بعد هذا فى س : « وذلك حين نزلوا وبهم كلال السير » ، وهو كلام مقحم سيأتى فى موضعه قريباً .

(٥) فى اللسان : « والعليق : القضيم يعلق على الدابة . وعلقها : علق عليها » . والقضيم : الشعير . ولا تزال هذه العبارة حية عندنا فى مصر ، يستعملها سواس البهائم . ه : « علفوا على دوابهم » محرفة .

(٦) السفر : جمع سفرة ، بالضم ، وهى طعام المسافر ، وتقال لتلك التى تبسط ويؤكل عليها ، والتى يوضع فيها طعام المسافر .

قال : فَنَظرَ خالدٌ إلى الصَّحراءِ ، فرأى أَقَاطِيعَ الظِّباءِ قد أقبلت من جهة الصَّحَارَى ، حتى كادت تخالِطُ العَسْكَرَ ، فقال لِقَحْطَبَةَ : أَيُّها الأمير ! نادِ في النَّاس : « يا خَيلَ الله ارْكَبى[1] » ؛ فإنّ العدوّ قد حَثَّ إليكَ السَّير ، وعامّةُ أصحابك لن يسرِجوا ويُلجِموا قبل أن يروا سَرَعان الخيل[2] . فقام قحطبة مذعوراً ، فلما لم ير شيئاً يَرُوعه ، ولَمْ يَرَ غُبارا قال لخالد : ما هذا الرّأىُ ! قال: أيُّها الأمير ! لا تتشاغل بى وبكلامى ، ونَادِ فى النَّاس[3] . أما تَرَى أقاطيعَ الوحْش قد أقبلت ، فارقت[4] مواضعَها حَتّى خالطت الناس ؟ ! إنّ وَرَاءها جَمْعاً عظيما[5] ! . قال : فو الله ما ألجموا وَأَسْرَجُوا[6] حَتَّى رَأَوْا ساطِعَ الغبَارِ ، ولا تلبَّسوا[7] وتسلَّحوا حَتَّى رأوا الطليعة[8] . فما التأموا حَتى استوى أصحابُ قحطَبة على ظُهورِ خيولهم . ولولا نَظْرَةُ خالد بنِ برمَكَ وفِراستُهُ ، لقد كان ذلك الجيش اصطُلِمِ[9] .

---

(١) روى الجاحظ هذا الحديث فى أول ما اختاره « من كلام الرسول ، مما لم يسبقه إليه عربى ، ولم يشاركه فيه عجمى ، ولم يدع لأحد ، ولا ادعاه أحد ، مما صار مستعملا ومثلا سائراً » . البيان (٢ : ١٥) .

(٢) سرعان الخيل ، بالتحريك ، ويسكن : أوائلها . وفى الأصل : « وغاية أصحابك أن يسرجوا » ، صوابه من ابن أبى الحديد (٣ : ٤١٣) .

(٣) كذا فى هـ . وفى س : « ناد فى الناس » بإسقاط الواو . ط : « ونادى فى الناس » محرفة .

(٤) كذا بدون ذكر الواو قبله ، على الاستئناف . وفى ابن أبى الحديد بالواو .

(٥) س : « فظيعاً » . وفى ابن أبى الحديد : « وإن وراءها لجمعا كثيفا » .

(٦) أى وضعوا اللجم والسروج على الخيل .

(٧) تلبسوا ، لبسوا ثياب الحرب .

(٨) طليعة الجيش : أولهم . س : « الطلبة » .

(٩) اصطلم الجيش ، بالبناء للمفعول : أبيد ، واستؤصل .

(قصَّة فى قوَّة الشمّ)

وكان إبراهيم [بنُ[1]] السِّنديّ يحدِّثُنا مِنْ صدقِ حِسِّ أبيه فى الشَّمِّ ، بشيءٍ ما يحكى مثلُهُ إلاَّ عن السِّباع والذَّرّ والنَّعام . وزعم أنَّ أباه قال ذات يوم : أجدُ ريحَ بولِ فأرة ! ثمَّ تَشَمَّمَ وأَجَالَ أَنْفَهُ فى المجلس ، فقال : هو فى تلك الزَّاوية ! فنظروا فإذا على طرف البِساط من البلَلِ بقدْر الدِّرْهم ، أو أَوْسَعَ شيئاً ، فقضَوْا أنَّه بولُ فأرة . ٣٦٩

قال : وشَهِدْتُهُ مَرَّةً وأَشْرَاطُهُ[2] قيامٌ على رأسِه فى السِّمَاطين[3] ، فقال : أجدُ رِيحَ جَوْرَبٍ عَفِنٍ مُنْتِن ! فتشمَّمْنا بأجمعنا ، فلم نَجِدْ شَيْئاً ، ثمَّ تشمَّمَ وقال : انزَعُوا خُفَّ ذاك . فنزعوا خُفَّه ، فكلَّما مدَّ النازعُ له شيئاً بدا من لِفافَته . فما زال النَّتْنُ يَكْثُفُ ويزدادُ ، حَتَّى خَلَعَ خُفَّهُ ونزَعَهُ مِنْ رِجْله ، فَظَهَرَ من نَتْنِ لِفَافَتِهِ ماعُرِفَ به صِدْقُ حِسِّه . ثمَّ قال : انزَعُوا الآنَ أَخْفَافَكُمْ بأجمعكم ، فلا بُدَّ من ألاَّ يكونَ فى جميع اللَّفائفِ مُنْتِنٌ غيرُ لِفافته ، أو تكونَ لِفافتُه أنتَنها ؛ فَنَزَعُوا ، فلم يَجِدُوا فى جميعها لِفافةً منتنةً غيرها .

وأَنْشَدُوا :

غزا ابْنُ عُميرٍ غَزوةً تركت لنا ... ثَناءً كنَتْنِ الجوربِ المتخرِّقِ[4]

---

(١) ليست بالأصل . وانظر ما سبق فى التنبيه الأول من ص ٤٢٣ .

(٢) الأشراط : الحرس ، مثله ماجاء فى قول حسان (اللسان : شرط) :

فى ندامى بيض الوجوه كرام ... نبهوا بعد هجعة الأشراط

(٣) السماطين : مثنى سماط ، بالكسر ، وهو الصف من الناس .

(٤) ابن عمير هذا ، اسمه عبد الله بن عمير ، كما سبق فى (١ : ٢٤٠) . وفيه وفى ثمار القلوب ٤٨٦ : « تركت له » . ورواية الوساطة ٢٩٩ : « لها » =

(أقوى درجات التشمّم)

وليس الذى يُحكَى من صِدق الحسِّ فى الشَّم – عن بعض النَّاس ، وعن النَّعام والسِّباع ، والفأر والذَّرّ ، وضروبٍ من الحشَرات – من شكل مانطق[١] به القرآنُ العظيمُ ، من شأن يعقوبَ ويوسفَ عليهما الصلاة والسَّلام حين يقول تعالى : ﴿ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ . قَالُوا تَاللهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ ﴾ . وكان هذا من يعقوبَ بعد أن قال يوسفُ : ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِى هٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ . ولذلك قال : ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ ، ثمَّ قال : ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ﴾ .

وإنما هذا علامةٌ ظهرَتْ له خاصة ؛ إذ كان النَّاسُ لا يشتمُّون أرواحَ أولادِهم[٢] إذا تباعَدوا عن أنوفهم ، وما فى طاقة الحصان الذى يجدَ ريحَ الحِجْر ممَّا يجوز الغاوتين والثَّلاثَ[٣] . فكيف يجِدُ الإنسانُ وهو بالشَّام ريحَ ابنه فى قميصه ، ساعَةَ فَصَلَ من أرض مصر ؟ ! ولذلك قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّى أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ .

= والثناء ، بتقديم المثلثة : ما تصف به الإنسان من مدح أو ذم ، وخص به بعضهم المدح ، ورواية الوساطة وثمار القلوب : « الجورب المتمزق » .

(١) كذا فى س : وفى ط ، هـ : « مما نطق » .

(٢) الأرواح ، هنا : جمع ريح ، بالكسر ، وهى بمعنى الرائحة .

(٣) أى ولا يشتمون ما فى طاقة الحصان . . . الخ . والحجر ، بالكسر : أنثى الخيل . يجوز : يزيد . والغاوة ، بالفتح : قدر رمية بسهم ، وانظر ما سبق من الكلام على تشمم الحصان فى ٤٠٢ وكذا (٢ : ١٤١) .

(بعض المجاعات)

وقد غَبَرَ موسى وهو يَسِير أرْبَعين عاماً(١) ، لايذوق ذَوَاقاً(٢) . وجاع أهل المدينة فى تلك الحُطَمَةِ(٣) ، حتّى كان أصحاب رسول الله صلى الله عَليه وسلم يشدُّون الحَجَر على بُطُونهمْ ، من الجُوعِ والجَهْدِ . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله الطَّيِّبين الطَّاهرين – يقول : « إنِّى لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ ، إنِّى أَبِيتُ عِنْدَ رَبِّى ، يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِى » .

(حِجَاجٌ فى ذبح الحيوان وقتله)

ورجَالٌ مِمنْ ينتحِل الإسلام ، يُظهِرُون التقذُّرَ من الصَّيدِ ؛ وَيَرَوْنَ أنَّ ذلكَ من القَسوة . وإنَّ أصحاب الصَّيْدِ لَتُؤَدِّيهم الضَّراوةُ التى اعترتهم

(١) غبر : مكث . س ، ه : « وهو يسرى » . والوجه ما أثبت من ط . والسرى لايكون إلا بالليل . و « عاما » صوابه « يوما » . انظر الاستدراكات .

(٢) الذواق ، بالفتح : المأكول والمشروب . وفى الحديث : « لم يكن يذم ذواقا » فعال بمعنى مفعول من الذوق ، يقع على المصدر والاسم . وما ذقت ذواقاً : أى شيئاً .

(٣) الحطمة ، بالفتح والضم : الجدب والسنة الشديدة ، كأنها تحطم كل شيء . وكان النبى صلى الله عليه وسلم ، قد دعا على مضر فقال : « اللهم اشدد وطأتك على مضر وابعث عليهم سنين كسنى يوسف » . فتتابع عليهم الجدوبة والقحط سبع سنين ، حتى أكلوا القد والعظام والعلهز . فنال ذلك الجدب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، وبدعائه عوقبوا ، حتى شد وشد المسلمون على بطونهم الحجارة من الجوع . تأويل مختلف الحديث ٢٦٩ ، ٣١٨ والتجريد الصريح للزبيدى (١ : ٧١) وثمار القلوب ٣٧ . وفى صحيح البخارى : « فأخذتهم سنة حصت كل شيء » . عمدة القارى (٧ : ٢٧ – ٢٨) . وقد كان هذا الأمر فى مكة قبل الهجرة ، لا فى المدينة كما ذكر الجاحظ . عمدة القارى (٧ : ٤٦ س ١٣) .

مِنْ طرُوقِ الطَّـير فى الأوكار ، ونَصْبِ الحبائل للظِّباء ، التى تنقطع عن الخِشْفَانِ [١] حتى تموتَ هُزْلًا وجُوعا ، وإشلاء السِّباعِ على بهائم الوحش، ١٣٧ وستُسْلِمُ [٢] أهلَها إلى القَسْوة ، وإلى التهاوُن بدماء النَّاس .

والرَّحمةُ شكلٌ واحد . ومَنْ لم يَرْحَم الْكَلْبَ لم يَرْحَمِ الظَّبىَ ، ومَنْ لم يرْحَمِ الظبىَ لَمْ يَرْحَم الجَدْىَ ، ومَنْ لَمْ يَرْحَمِ الْعُصْفُورَ لَمْ يَرْحَم الصَّبىَّ . وصغارُ الأمور تؤدِّى إلى كبارها .

وليس ينبغى لأحدٍ أن يتهاونَ بشىءٍ مما يؤدى إلى القَسْوة يوماً مَا . وأكثرُ ماسمعت هذا البابَ ، مِن ناسٍ من الصُّوفِيَّة ، ومن النَّصارى ؛ لمضاهاة النَّصارى سبيلَ الزّنَادِقَةِ ، فى رفضِ الذبائح ، والبُغضِ لإراقة الدِّماء ، والزُّهدِ فى أكل اللُّحْمَانِ .

وقد — كان يرحمك الله — على الزِّنديق ألَّا يأتى ذلك فى سِباع الطير ، وذواتِ الأربع من السِّباع . فأما قتْلُ الحَيَّة والعقرب ، فما كان ينبغى لهم الْبَتَّةَ أَنْ يَقفوا فى قتلهما طرْفَة عَينٍ ؛ لأنَّ هذه الأمورَ لاتخلو منْ أن تكون شَرًّا صِرْفاً ، أو يكون مافيها من الخير مغْموراً بما فيها من الشَّر . والشَّرُّ شيطانٌ والظُّلمة عدُوُّ النُّور . فاستِحْياءُ الظلمة وأنتَ قادرٌ على إماتتها ، لايكونُ من عمل النُّور . بل قد ينبغى أن تكونَ رحمةُ النُّور لجميع الخلائق والنَّاس ، إلى استنقاذهما من شرور الظُّلمة .

---

(١) الخشفان : جمع غريب للخشف ، بتثليث الخاء ، وهو ولد الظبية عند ما يتحرك للمشى . ولم أر هذا الجمع فى معجم ، وجمعه فى اللسان والقاموس على « خشفة » بكسر ففتح .

(٢) أى ، وستسلم الضراوة . فى الأصل : « ستسلم » بدون واو . والمراد بالسباع هنا الحيوان المفترس من الوحش والطير ، كالكلاب والفهود والبزاة .

وكما ينبغى أن يكون حسناً فى العقل استحياءُ النور والعَمَلُ فى تخليصه والدَّفْعُ عنه ـ فكذلك ينبغى أنْ يكون قتْلُ الظُّلْمة وإماتتُها ، والعَوْنُ على إهلاكها ، وتوهينِ أمرها ـ حسناً .

والبهيمة التى يَرَوْنَ أن يدفَعُوا عنها أيضاً ممزُوجة[1] ، إلَّا أنَّ[2] شَرَّها أقلُّ . فهم إذا استَبْقَوْها فقد استبْقَوا الشُّرورَ المخالطة لها .

فإنْ زعموا أنَّ ذلك إنما جاز لهم ؛ لأنَّ الأغْلَبَ على طِباعِها النُّور فليغتفروا فى هذا الموضعِ إدخالَ الأذى على قليل مافيها من أجزاءِ الشَّرِّ[3] كما اغتفروا مافى إدخال الروح والسُّرور[4] على مافى البهيمة من أجزاء الظُّلْمة لدفعهم عن البهيمة ؛ إذْ كان أكثرُ أجزائها من النُّور .

وإنما ذكرتُ ما ذكرت ؛ لأنهم قالوا : الدَّليلُ على أنَّ الذى أنتم فيه ، مِنْ أكل الحيوان كلَّ يومٍ من[5] الذبائح ، مكروهٌ عِنْدَ الله ، أنَّكُمْ لَمْ تَرَوْا قطُّ ذبَّاحى[6] الحيوان ولا قَتَّالى[7] الإنسان ، ولا الذين لايقْتاتون إلَّا اللّحْمَان يفلحون[8] أبدا . ويستغنون[9] ؛ كنحو صيَّادِى السَّمك وصيَّادى الوحْش[10] وأصناف الجزَّارِين والقَصَّابين ، والشَّوَّائين والطهَّائين

---

(١) أى ممزوج فيها الخير بالشر .

(٢) س : « لأن » ، صوابه فى ط ، هـ .

(٣) فى الأصل : « الخير » ، والصواب عكسه ، كما يقتضى الكلام .

(٤) الروح ، بالفتح : الرحمة . و « السرور » هى فى أصلها « الشرور » مصحفة .

(٥) ط : هـ : « ومن » . والوجه حذف الواو كما فى س .

(٦) هـ : « ذبايح » محرفة . ط : « ذابح » وأثبت ما فى س لملاءمته نسج الكلام .

(٧) ط فقط : « قتال » .

(٨) س ، هـ : « لا يفلحون » . والوجه إسقاط « لا » كما فى ط .

(٩) فى الأصل : « ولا يستغنون » .

(١٠) جاءت كلمة « صياد » فى الموضعين : « صيادى » بحذف الياء الآخرة . والوجه إثباتها .

والفهَّادِين(١) والبيَازِرة(٢) والصَّقَّارين والكلابين ؛ لاترى أحداً منهم صار إلى غِنًى ويُسْرٍ ، ولا تراهُ أبداً إلا فقيراً مُحَارَفاً(٣) ، وعلى حالٍ مشبِهَةٍ بحاله الأولى .

وكذلك الجلَّادون ، ومن يضرِبُ الأعناق بين يَدَى المُلوك . وكذلك

١٣٨ أصحابُ الاستخراج(٤) والعذابِ ، وإن أصابوا الإصابات ، وجميع أهل هذه الأصناف .

نَعَمْ وحَتى ترى بعضَهم وإن خَرَج نادِرًا خارجيًّا ، ونال منهم ثَروةً وجَاهاً وسُلطاناً ، فإمَّا أن يُقْتَلَ ، وإمّا أنْ يُغْتَصَبَ(٥) نَفْسَهُ بميتَةٍ عاجلة ، عندَ سرورِه بالثَّروة ؛ أو يبعث الله عليه المحق(٦) فلا يَنْمُو له شيء ، وإما ألَّا يجعل مِنْ نسلهم عَقِباً مذكوراً ، ولا ذِكْراً نبيهاً وَذُرِّيَّةً طَيِّبَة مثل الحجَّاج بن يوسف ، وأبى مسلم(٧) ، ويزيد بن أبى

(١) الفهاد : الذى يصطاد بالفهد ، ذاك الحيوان .

(٢) البيازرة ، بتقديم الزاى : جمع بيزار . وبيزار : معرب بازيار ، الفارسية ، وهو القائم بأمر البازى . انظر الصحاح واللسان . ط : « البيازة » هـ : « البيارزة » س : « البيازرة » ، محرفات عما أثبت . وقد جاءت على الصواب فى ص ٤٣٥ .

(٣) المحارف ، بفتح الراء : المحدود المحروم .

(٤) انظر للاستخراج ، وهو استصفاء أموال المختلسين ، حواشى البيان ٢ : ٤٣ ، ١٦٦ .

(٥) ط ، هـ : « يغصب » ، وأثبت ما فى س .

(٦) المحق ، بالفتح : النقصان ، وذهاب البركة . س : « المحو » .

(٧) يعنى أبا مسلم الخراسانى . وهو عبد الرحمن بن مسلم ، القائد المشهور ، الذى قام بتأسيس الدولة العباسية ، توفى سنة ١٣٧ وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، قتله أبو جعفر المنصور .

مسلم[١] ومثل أبى الوعد[٢] ، ومثل رجالٍ ذكروهم لانحبُّ أن نسميهم .

قال : فإنَّ هؤلاء مع كثرة الطَّرُوقةِ[٣] وظُهُورِ القدْرة ، مع كثرة الأَنسال ، قد قبَّحَ الله أمرَهم ، وأَخْمَلَ أولادهم . فهم بين مَنْ لم يُعقِبْ ، أو بَيْنَ مَنْ هوَ فى معنى مَن لم يُعقب .

فقلت للنَّصارَى بديًّا : كيف كان النّاسُ أيَّام الُحكم بما فى التَّوْراة أيَّامَ[٤] موسى ودَاودَ ، وهما صاحبا حُروبٍ وقَتْلٍ ، وسِبَاءٍ وذبائحَ ؟ ! نعم حتى كان القُربان كُله أو عامَّتهُ حيواناً مذبوحاً ، لذلك سَمَّيتم بيت المَذْبَحِ .

ولسْنَا نسألكم عن سِيرَة النَّصارى اليومَ ، ولكِنَّا نسألُكُمْ عن دين موسى وحُكْمِ التَّوْرَاةِ ، وحُكْمِ صاحب الزَّبور . وما زالوا عندكم إلى أن أنكروا رُبُوبِيَّةَ المسيح ، على أكثَرَ من حالنا اليومَ فى الذبائحِ .

وأنتم فى كثيرٍ من حالاتكم تُغْلُونَ علينا السَّمَكَ حتَّى نتوخَّى أيَّاماً بأعيانها ، فلا نشترى السَّمَكَ إلا فيها ؛ طلباً للإمكانِ والاسترِخَاص وهى يومُ الخميس ، ويومُ السبت ويومُ الثُّلاثاء ؛ لأن شراءكم فى ذلك

---

(١) يزيد بن أبى مسلم ، هو يزيد بن دينار الثقفى ، كان مولى الحجاج بن يوسف وكاتبه ، ولما حضرت الحجاج الوفاة استخلفه على الخراج بالعراق ، فلما مات أقره الوليد بن عبد الملك . وقال الوليد فى شأنه : « مثلى ومثل الحجاج وابن أبى مسلم ، كرجل ضاع منه درهم فوجد ديناراً ! » . قتل يزيد سنة ١٠٢ . وفيات الأعيان (٢ : ٢٧٦ – ٢٧٧). وفى س ، ط : « يزيد بن مسلم » . هـ : « زيد بن مسلم »، صوابهما ما أثبت . وسيأتى على الصواب فى ص ٤٣٥ – ٤٣٦ .

(٢) كذا جاء . ولم أجد له تعريفا .

(٣) الطروقة ، بالفتح : المرأة ، والزوجة .

(٤) س : « وأيام » .

اليوم يَقِلُّ . على أنَّكم تُكْثِرُونَ مِنَ الذَّبائح فى أيَّام الفِصْح[1] وهل تَدَعُونَ أكل الحيوان إلَّا أيَّاماً معدُودةً ، وساعاتٍ مَعْلُومةً ؟ !

فإذا كانت الحِرْفةُ والمِحَنُ إنما لزِمَا القصَّابين والجزَّارين والشَّوَّائين ، وأصنافَ الصَّيَّادين ، من جهة العقوبة — فأنتمْ شركاءُ صيَّادِى السَّمَكِ خَاصَّةً ؛ لأنَّكم آكَلُ الخلْقِ له ، وأنتم أيضاً شُركاءُ القصَّابين فى عامَّةِ الدَّهْرِ . فلا أنتم تَدِينُون للإسلام فتعرفوا ماعليكم ولكم ، وفصْل[2] مابين الرّحمةِ والقَسوة ، وما الرَّحمةُ ، وفى أىِّ موضعٍ يكونُ ذلك القتلُ رحمةً ؟ فقد أجمعوا على أنَّ قَتْلَ الْبَعْض إحياءٌ للجميع ، وأنَّ إصلاحَ النَّاس فى إقامةِ جزاءِ الحسنة والسيئة . ﴿ وَلَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ[3] ﴾ .

والْقَوَدُ حَيَاةٌ . وهذا شىءٌ تَعْمَلُ به الأممُ كلها ، غيرَ الزَّنَادِقَةِ . والزَّنَادِقَةُ لم تَكُنْ قَطُّ أُمَّةً ، ولا كان لها مُلْكٌ وَمَمْلَكَةٌ ، ولَمْ تزَلْ بيْنَ مَقْتُولٍ وهاربٍ ومنافقٍ . فلا أنتم زَنَادِقَةٌ . ولا ينكر لمن كان ذلك مَذْهَبَهُ أن يقول هذا القَوْلَ .

فأنتم لادهْرِيَّة[4] ، ولا زَنَادِقَةٌ ، ولا مُسلمون ؛ ولا أنتم رَاضُونَ بحُكمِ اللهِ أيّام التّوراة .

١٣٩ فإن كان هذا الحكمُ قد أمرَ الله به — وهو عَدْلٌ — فليس بين الزَّمانَيْنِ فرق .

---

(١) الفصح ، بالكسر : عيد للنصارى . انظر القاموس وبلوغ الأرب . (١ : ٣٥٧) والتنبيه والإشراف ١٠٨ ، ١٢٣ والاستدراكات .

(٢) فصل : أى فرق . فى الأصل : « فضل » ، وهو تصحيف يتكرر .

(٣) ﮪ : « ولكم فى القصاص » . وهو سهو من الكاتب .

(٤) سبق شرح هذه الكلمة فى ص ٧٩ — ٨٠ .

وَبَعْدُ فَإِنَّا نجدُكم تَأْكلُونَ السَّمك أَكْلاً ذَريعا ، وتتقذرون من اللّحان ! أفلأَنَّ السّمك لا يألَمُ الْقتْلَ ، أم لأنَّ السَّمكَ لمَّا قتلتمُوه بلاَ سِكِّين لم يُحِسَّ[١] قَتلَهُ ؟ ! فالجميع حيوانٌ ، وكلٌّ مقتول يألَمُ ، وكلٌّ يُحِسّ . فكيف صار أكْلُ اللَّحْمِ قَسْوَةً ، وَأَكْلُ السَّمَكِ ليْسَ بقَسْوة ؟ ! . وكيف صار ذَبْحُ البهائمِ قسوة ، ولا تكون تفرِقَةُ ما بين السَّمَكِ والماء حَتَّى تموت[٢] قسوة ! وكيف صار ذَبحُ الشَّاةِ قَسوَةً وصيدُ السمك بالسَّنانير المذَرّبة المعقّفة[٣] ليس لها شعائر تخالف العقاف المنصوص[٤] فى جهاتها . وكيف وهى وإنْ لم تنشَبْ فى أجوافها ، وتَقْبِضْ علىمجامع أرواحِها ، لم تقدِرْ على أخْذِها ؟ !

وكيف صار وَجْءُ اللَّبَّة[٥] من الجَزُور أقسى من ضَرْب النبائل[٦] ؟ ! أم كيف صار طَعْن العَير[٧] بالرُّمح ، ونصبُ الحبائل للظِّباء ، وإرسالُ الكِلابِ عليها أشَدُّ مِنْ وقع النَّبائل[٨] فى ظَهْرِ السَّمَك ؟ !

---

(١) ط : « يحسن » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) المراد بالتفرقة الصيد . تموت : أى تموت السمك . س فقط : « يموت » بالياء . وكل جائز .

(٣) المذربة : المحددة . والمعقفة : الملوية .

(٤) كذا جاءت العبارة محرفة فى الأصل . بيد أنه فى ط : « العقاب » مكان « العقاف » .

(٥) وجء اللبة : طعنها بالسكين . واللبة ، بالفتح : المنحر ، أى موضع النحر . س ، هـ : « وحاء » ، ولم أجد هذه إلا بمعنى لايلائم هذا الموضع . ط : « وجأ » محرفة . ط : « اللبة » ، صوابها فى س ، هـ .

(٦) كذا فى ط ، هـ . وفى س : « التبابل » بهذا الإهمال .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٨) كذا . ولعلها : « النبال » : جمع نبل ، بمعنى السهام .

ولأنّكمْ تكْثِرونَ قَولَكُمْ : لا نأكل شيئاً فيه دمٌ أيّامَ صومِنا ، فالسَّمك دمٌ ، ولا بدَّ لجميع الحيوان من دمٍ أو شيءٍ يُشاكِلُ الدَّم ، فما وجْهُ اعتلالِكم بالدَّم ؟! أَلِأَنَّ[1] كلَّ شيءٍ فيه دمٌ فهُوَ أشدُّ ألماً ؟ فكيفَ نعلم ذلك؟ وما[2] الدَّليلُ عليه ؟

فإن زعمتم أنَّ ذلك داخلٌ فى باب التعبُّدِ والمصْلَحة ، لا فى باب القِياسِ والرَّحْمَةِ والقَسْوة ، فهذا باب آخر . إلاَّ أنْ تدَّعُوا أنَّ ذواتِ الدِّماء[3] أقوى للأبدان ، وآشَرُ[4] للنُّفوس ، فأردتم بذلك قلَّة الأشَرِ وضَعْفَ البدن . فإنْ كان ذلك كذلك فقد ينبغى أنْ يكونَ هذا المعنى مُستبيناً فى آكِلِي السَّمَكِ من البحريين[5]

وأمّا ما ذكَرْتُم مِنْ مُلازمَةِ الحِرْفةِ لهؤلاء الأصْناف ، فإنَّ كلَّ مَنْ نزلَتْ صِناعَته ، ودَقّ خطَرُ تجارته ، كذلك سَبيله .

وأحلُّ الكَسْب كلِّه وأطْيَبُه عِنْدَ جميعِ النّاسِ سَقْيُ الماء ، إمَّا على الظَّهر ، وإمَّا على دابَّة . ولم أرَ سَقَّاءً قطُّ بَلَغَ حالَ اليسارِ والثَّروة . وكذلك ضَرَّابُ اللَّبِنِ ، والطَّيّانُ والحرّاثُ . وكذلك ما صَغرَ منَ التِّجاراتِ والصِّناعاتِ .

ألا ترون أنَّ الأمْوالَ كثيراً ما تكونُ عند الكتَّاب ، وعندَ أصْحابِ الجَوهرِ ، وعندَ أصحابِ الوَشْيِ والأنماط[6] ، وعند الصّيارفةِ

---

(١) فى الأصل : « ألا أن » .

(٢) فى الأصل : « وأما » .

(٣) يعنى بذوات الدماء : ماسوى السمك . وفى الأصل : « دواب الماء » .

(٤) آشر : أفعل من الأشر بالتحريك ، وهو المرح والنشاط . فى الأصل : « أسر » وانظر السياق .

(٥) فى الأصل : « فى أكل السمك من البحرين » ، محرفة .

(٦) الأنماط : ضرب من البسط .

والحنَّاطين(١) ، وعند البحْريِّين والبصريين(٢) . والجلاَّبُ أبدا(٣) ، والبيازِرَة(٤) أيسر ممَّنْ يَبتَاع منهم .

وجُمَلُ الأموالِ حَقٌّ(٥) بأنْ تُربحَ الجُمَلَ مِنْ تفاريق الأموال . وكذلك سبيل القصّاب والجزّار ، والشَّوّاءِ ، والبازيار(٦) ، والفَهّاد .

وأمّا ما ذكرتم من انقطاعِ نَسْلِ القُساةِ ، وخمولِ(٧) أولادِهم ، كانقطاع نَسْلِ فِرعَونَ ، وهامان ، ونُمرُود(٨) ، وبُخْت نَصّر(٩) ، وأشباههم ، فإنّ الله يقول : ﴿ وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾ . ١٤٠

وإن شئتم أن تعدّوا من المذكورين بالصَّلاَحِ أكثَرَ مِن هؤلاءِ ممّن كان عقيما أو كان ميناثاً(١٠) ، أو يكونَ مِمّنْ نَبَتَ لهم أَوْلادُ سَوْءٍ عقّوهُمْ في حياتهم ، وعرّضوهُمْ للسَّبِّ بعد موتهم — لوجَدْتمُوهُمْ .

وعلى أنى لم أَنْصِبْ نَفسى حَرْباً لِلحَجّاجِ(١١) بن يوسف ، ويزيد

---

(١) الحناط : بائع الحنطة ، وهى بالكسر : البر .

(٢) كذا .

(٣) المراد بالجلاب : من يجلبون الرقيق والعبيد للتجارة فيها . و « أبدا » كذا فى الأصل ، وقد تكون صحيحة . أو لعلها « أثرى » من الثراء ، وهو الغنى واليسر .

(٤) سبق الكلام على البيازرة فى ص ٤٣٠ .

(٥) هى صحيحة . يقال : هو حق بكذا ، أى جدير به . انظر القاموس .

(٦) البازيار : من يتعهد البازى ويعتنى به . وفى الأصل : « البازباز » مصحفة .

(٧) الكلام من مبدإ : « وجمل الأموال حق » إلى هنا ، ساقط من هـ .

(٨) نمرود ، بالضم : جبار من الجبابرة، ظهر إبراهيم عليه السلام فى زمنه . وانظر الاستدراكات .

(٩) هو ذاك الطاغية المشهور الذى خرب بيت المقدس . ولى ملك بابل سنة ٦٠٦ قبل الميلاد .

(١٠) كذا بالياء ، وأصلها الهمز ، والمئناث : من لا يولدله إلا الإناث .

(١١) الحرب : المحارب . ولعله يريد بذلك : مدافعاً عن الحجاج ، وانظر ما سبق فى ٤٣٠ .

ابن أبي مسلم (١) ، أتحرى بهما (٢) ، وهما عِندى من أهل النَّارِ . ولكِنى عرَفْتُ مَغْزاكم .

وعلى أنَّكُمْ ليسَ الْقَصَّابينَ أَرَدْتُمْ ، وَلَكِنَّكُمْ أَرَدْتُمْ دِينَ المسلمين .

وَقَدْ خَرَجَ الحجَّاجُ من الدُّنيا سَلِيماً فى بَدَنِهِ ، وظَاهِرِ نعمته ، وعلىَّ مرتَبَتِهِ من الملْك ، ومَكانِهِ من جَوَازِ الأمْرِ وَالنَّهْى (٣) .

فإنْ كان الله عِنْدَكُمْ سَلَّمَهُ وَعاقَبَ أولاده ، وكان ذلك دِينَكُم فإنَّ هذا قولٌ إن خاطبتم به الجبْرِيَّةَ (٤) فعسى أن تتعلَّقُوا منهمْ بسبب، فأمّا مَنْ صَحَّحَ القَوْلَ بالْعَدْلِ (٥) فإنَّ هذا القولَ عِنْده من الخطأ الفاحش الذى لا شبهَةَ فيه .

(شعر فى القانص وفقره)

وكان مما أنشدُوا من الدَّليل على أنَّ القانِصَ لا يزالُ فقيراً — قَوْلُ ذى الرمَّةِ :

(١) سبقت ترجمته فى ص ٤٣١ .

(٢) كذا بالأصل . ولعله : « أتحدى بهما »، فيكون مراده أنهما لا يصلحان لأن يتحدى بهما، أو يدافع عنهما .

(٣) جواز الأمر والنهى : نفوذهما .

(٤) الجبر ، هو نفى الفعل حقيقة عن العبد ، وإضافته إلى الرب تعالى . والجبرية أصناف . فالجبرية الخالصة هى التى لا تثبت للعبد فعلا ولا قدرة على الفعل أصلا . والجبرية المتوسطة التى تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة . فأما من أثبت للقدرة الحادثة أثراً ما فى الفعل ، وسمى ذلك كسباً ، فليس بجبرى . والمعتزلة يسمون من لم يثبت للقدرة الحادثة فى الإبداع والإحداث استقلالا — جبريا . الملل والنحل (١ : ١٠٨) .

(٥) يعنى المعتزلة ، وهم يسمون أهل العدل . يقولون : إن الله منزه أن يضاف إليه =

حَتَّى إِذَا مَالَهَا فى الجَدْرِ وَاتَّخَذَتْ شَمْسُ النَّهَارِ شُعَاعاً بينها طِبَبُ (١)

ولَاحَ أَزْهَرُ مَشْهُورٌ بِنُقْبَتِهِ كَأَنَّهُ حِينَ يَعْلُو عَاقِرًا لَهَبُ (٢)

هَاجَتْ بِهِ جُوَّعٌ طُلْسٌ مُخَصَّرَةٌ شَوَازِبٌ لَاحَهَا التَّقْرِيب والخَبَبُ (٣)

جُرْدٌ مُهَرَّتَةُ الأَشْدَاقِ ضَارِيَةٌ مثلُ السَّرَاحِين فى أعناقِهَا العَذَبُ (٤)

= شر وظلم ، وفعل هو كفر ومعصية ؛ لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا . الملل والنحل (١ : ٥٦) .

(١) لها : غفل . يعنى ثورا وحشياً . والجدر ، بالفتح : نبت رملى . والشعاع ، بالضم : ضوء الشمس الذى تراه عند ذرورها كأنه الحبال أو القضبان مقبلة عليك . والطبب ، كعنب : جمع طبة ، بالكسر ، وهى الطريقة من طرائق الشعاع . وأصل الطبة السير الذى يخرز به . س : « إذا رابها » هـ : « إذا نابها » ، محرفتان صوابهما فى ط والديوان ٢٣ ،وجمهرة أشعار العرب١٨٣ ، واللسان (طبب) . س ، هـ « فى الخدر وانحدرت » تصحيحه من الديوان واللسان . وفى اللسان : « وانحدرت » محرفة . ط والجمهرة : « بالجدر » وهى صحيحة . س ، ط : « قبب » هـ : « طنب »، صوابهما فى الديوان والجمهرة واللسان .

(٢) لاح : ظهر ، وأشرق . س ، هـ : « ناب » محرفة . وأثبت ما فى ط والديوان وجمهرة أشعار العرب واللسان (نقب) . والأزهر : الأبيض . وأراد به الصبح . والنقبة ، بالضم : اللون . فى الجمهرة : « معروف بنقبته » . يعلو عاقراً : أى يرتفع فى رملة لا تنبت شيئاً ، شبهت بالعاقر من الناس: الرجل والمرأة اللذين لا يلدان . وقد شبه الصبح بلهب النار . جاء فى جمهرة أشعار العرب : « منهم من يقول إنه يعنى الفجر ، ومن يقول إنه يعنى به الثور » .

قلت : ممن جعله يعنى الثور صاحب اللسان ، فإنه قال : « يصف ثوراً » .

(٣) يقول : أولعت بذاك الثور كلاب جائعة ، فى لونها غبرة إلى سواد ، قد ضمرت خواصرها . ط وجمهرة أشعار العرب : « هاجت به عوج » وفى الجمهرة والديوان : « زرق مخصرة » . والشازب ، بالزاى : الضامر اليابس . س : « شواذب » بالذال ، مصحفة . لاحها : هزلها وغيرها . والتقريب والخبب : ضربان من العدو . وفى الديوان : «التغريث والجنب » . التغريث : التجويع . والجنب بالتحريك : أن يشتد عطش الحيوان حتى تلزق رئته بجنبه . وأصله فى الإبل .

(٤) جرد : جمع أجرد ، وهو القليل الشعر . وفى الديوان واللسان (عذب) : =

ومُطعَمُ الصَّيْدِ هَبّالٌ لِبُغْيَتِهِ ألفَى أَبَاهُ بِذَاكَ الْكَسْبِ يكتَسِبُ (١)

مقزَّعٌ أَطْلَسُ الأطمَارِ لَيْسَ له إلاّ الضِّرَاءَ وَإلاّ صَيْدَهَا نَشَبُ (٢)

فانصاعَ جَانِبَهُ الوَحْشِيَّ وَانْكَدَرَتْ

يلحبن لا يأتلى المطلوبُ والطّلبُ (٣)

قال : فجعله كما ترى مقزَّعاً أطلسَ الأطمار ، وخَبَّرَ أنّ كِلاَبَه نشبُه ، وأنّه ألفَى أباه كذلك .

وأنشَدُوا فى ذلك قول الآخر :

= « غضف » . مهرتة الأشداق : واسعتها . والسراحين : الذئاب ، واحدها سرحان ، بالكسر . والعذب : سيور تشد فى أعناق الكلاب ، واحدها عذبة ، بالتحريك .

(١) مطعم الصيد : أى رجل طعمته وحرفته الاصطياد ، فهو مرزوق منه . ومطعم ، بضم الميم وفتح العين ، قال امرؤ القيس :

مُطْعَمٌ للصَّيْدِ ليس لَهُ غَيْرَهَا كَسْبٌ على كِبَرِه

هبال ، من الاهتبال ، وهو سرعة الأخذ . والبغية ، بالضم : الطلبة . والطلبة بفتح ، فكسر : مايطلبه المرء . س ، هـ : « هتاك لنقبته » محرفة . وفى جمهرة أشعار العرب : « هباش لبغيته » . ألفى أباه ، يقول : هو صائد ابن صائد ، فذاك أمهر له .

(٢) مقزع : خفيف الشعر . أطلس : أغبر . والأطمار : جمع طمر بالكسر ، وهو الثوب الخلق البالى . والضراء ، بالكسر : جمع ضرو بالكسر أيضاً ، وهو الضارى . عنى بها الكلاب . وصيدها : أى ماتصيده الكلاب من الوحش . والنشب ، بالتحريك : المال .

(٣) انصاع : ذهب سريعاً . جانبه : أى على جانبه . والجانب الوحشى : الأيمن من الدابة ، وقيل الأيسر . انكدرت : أى انقضت . وضميره للكلاب . يلحبن : يسلكن طريقا لاحباً ممهدا . أو يمررن مراً سريعاً . لا يأتلى : أى لا يترك جهداً ولا يخفض من جريه . والمطلوب ، عنى به الثور . والطلب ، بالتحريك : جمع طالب ، وهو من نادر الجمع . وقد أراد به الكلاب . س ، هـ : « واتصلت بحيث لا يأبأ » تحريف ما أثبت من ط والديوان وجمهرة أشعار العرب ، واللسان (صوع ، لحب ، طلب) .

وأعصمَ أنْسَتْهُ المنيّــةُ نَفْسَهُ رعَى النَّبْـعَ والطَّيّانَ فى شاهقٍ وَعْرِ (١)
مَوَارِدُهُ قَلْتٌ تصفِّقُه الصَّبَا بنيقٍ مُزِلٍّ ، غيرُ كدْرٍ ولانَزْرِ (٢)
قَرَتْهُ السَّحابُ ماءَها ، وتَهدَّلَتْ عليه غُصونٌ دانياتٌ من السَّمْرِ (٣)
أُتيحَ له طِلْحٌ إزاهُ بكفِّه هَتُوفٌ وأَشْباهٌ تُخُيِّرْنَ مِنْ حَجْرِ (٤)
أبو صِبْيةٍ لا يَسْتدِرُّ إذا شَتَا لَقُوحاً ،ولا عَنْزاً،وليس بذىوَفْرِ (٥)

(١) أعصم : يعنى وعلا بإحدى يديه بياض . س : « وأعظم » مصحفة . أنسته المنية نفسه ، أى أعماه قدر الموت عن الحذر . والنبع والطيان : من أشجار الجبال . وفى الأصل : « النبت والطيان » محرف .

(٢) القلت : نقرة فى الجبل تمسك الماء . تصفقه : تضربه . والصبا : ريح شرقية . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . مزل : تزلق عليه الأقدام ولا تثبت . س : « مزك » . وغير كدر ، صفة للقلب . وقد أسكن الدال للشعر .

(٣) تهدلت : تدلت . والسمر : نبات ، وهو بضم الميم . وأسكنها للشعر .

(٤) أتيح له : أى قدر . والطلح ، بالكسر : المعيى . أراد صائداً . وإزاه : أى سبب عيشه . والإزاء ، بكسر الهمزة والمد ، وقصره للشعر . فى الأصل : « أذاه » مصحفة . والهتوف : القوس المرنة المصوتة . قال الشنفرى :

هتوف من الملس المتون يزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل

وقال الشماخ :

هتوف إذا ما جامع الظبى سهمها وإن ريع منها أسلمته النوافز

ط ، س : « خنوف » هـ : « حتوف » صوابهما ما أثبت . وأشباه : أى سهام متشابهة طبعت على غرار واحد . وحجر ، بالفتح : قصبة اليمامة ، ينسب إليها السهام والنصال ، قال الراعى :

توخّى حَيْثُ قالَ القَلْبُ منه بحَجْرِيٍّ ترى فيه اضطمارا

أى نصل منسوب إلى حجر . أبو حنيفة : « وحدائد حجر مقدمة فى الجودة » . وقال رُؤبة :

حتّى إذا توَقّدَتْ من الزّرَقْ حجْرِيّةٌ كالجمْرِ مِنْ سَنِّ الدّلَق

(٥) يقول : له صبية ، فهو يسعى جاهداً ليحصل على ما يقوتهم به من صيد . واللقوح =

١٤١ لَهُ زَوْجَةٌ شَمْطَاءُ يَدْرُج حَوْلَهَا فَطِيمٌ تُنَاجيه ، وَآخَرُ فى الحِجْر (١)

مُشوَّهةٌ لم تَعْبَ طيباً ولم تَبِتْ تقتر هندِيًّا بِلَيْلٍ على جَمْـرِ (٢)

مُحَـدَّدَةُ الْعُرقُوبِ ثَـلَّمَ نَـابَهَا تَعَرُّقُهَا الْأَوْذَارَ مِنْ فِقَرِ الحُمْرِ (٣)

مُسَفَّعَةُ الخَدَّيْنِ ، سوَّدَ دِرْعَهَا تقدُّرها باللَّيلِ ، والأخْذ بالقِدْرِ (٤)

كغولِ الفلاةِ لم تخَضِّبْ بَنَانَهَا ولم تَدْرِ مَا زِيُّ الخرائدِ بالمِصْرِ (٥)

فَأَرْسَلَ سهْـمًا أرهَفَ القَيْنُ حَدَّهُ فَأَنْفذَ حِضْنَيْهِ فَخَرَّ على النَّحْرِ (٦)

= بالفتح : الناقة الحلوب . يقول : ليس له لقوح فيستدرها . واختار الشتاء لما أنه وقت المجهدة والعسر عندهم . وإنما يخصبون فى الربيع . ط : « يسعدرا » صوابه فى س ، ﻫ الوفر ، بالفتح : الغنى .

(١) أى فى حجرها . والشمطاء : التى يخالط سواد شعرها بياض . وهو يصور بذلك كثرة عيال الصائد .

(٢) لم تعب طيباً : لم تهيئه ولم تخلطه . يقال عبأ الطيب يعبؤه ، من باب منع : صنعه وخلطه . فأصله الهمز كما رأيت ، فلما سهلها بالألف ، عامله كالمعتل . والهندى : أراد به العود الهندى الذى يتبخر به . والتقتير : تهييج القتار ، وهو بالضم : ريح البخور .

(٣) العرقوب ، بالضم : عصب غليظ فوق عقب الرجل . ثلم نابها : كسر حرفه . والتعرق : أكل ما على العظم من اللحم . والأوذار : القطع الصغيرة من اللحم . وفى الأصل : « الأوزار » صوابه بالذال كما أثبت . والفقر ، كعنب : جمع فقرة ، بالكسر ، وهى الواحدة من عظام الصلب . ﻫ : « نقر » محرفة . والحمر ، أصله الحمر بضمتين : جمع حمار . عنى ما يصطاده زوجها من حمر الوحش . وسكن الميم لضرورة الشعر .

(٤) مسفعة : مسودة . ﻫ : « مسقعة » محرفة . والدرع ، بالكسر : القميص . والتقدر ، مثل معناه الطبخ فى القدر ، ولم يذكره صاحبا اللسان والقاموس . وفى اللسان : « قدر القدر يقدرها ويقدرها قدراً . واقتدر أيضاً بمعنى قدر » . ط ، س : « تقذرها » ، وأثبت ما فى ﻫ .

(٥) الزى ، بالكسر : الهيئة . والخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس ، أو الخفرة الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت ، المستترة .

(٦) القين ، بالفتح : الحداد . أنفذ حضنيه : خرق جنبيه . والحضن ، بالكسر : الجنب . والنحر ، بالفتح : أعلى الصدر .

(مُساءلة المنانيَّة)

كان أبو إسحاقَ يسأل المنانِيَّة[1] ، عن مسألةٍ قريبة المأخَذِ قاطعة ، وكان يزعُمُ أنها ليست له .

وذلك أنَّ المنانيَّةَ تزعَمُ أنَّ العالَمَ بما فيه ، من عشرةِ أجناس : خمسة منها خيرٌ ونورٌ ، وخمسةٍ منها شرٌّ وظلمَة . وكلُّها حاسَّةٌ وَحارَّة .

وأنَّ الإنسانَ مركَّبٌ مِنْ جميعِها على قدْر ما يكونُ في كلِّ إنسان من رُجْحانِ أجناس الخَيرِ على أجْنَاس الشَّرِّ ، [ورُجْحانِ[2]] أجْنَاس[3] الشَّرِّ على أجناسِ الخير .

وأنَّ الإنسانَ وإن كان ذا حَواسَّ خمسةٍ[4] ، فإنَّ في كلِّ حاسَّةٍ متوناً[5] من ضدِّه من الأجْناس الخمسة . فمتى نَظَرَ الإنسانُ نظْرَةَ رحمةٍ فتلك النَّظرَة من النُّور ، ومن الخير . ومتى نَظَرَ نَظْرَةَ وعيدٍ ، فتلك النَّظْرَةُ من الظلمة . وكذلك جميع الحواسِّ .

وأنَّ حاسَّة السَّمعِ جنسٌ على حِدَةٍ ، وأنَّ الذى فى حاسَّة البصر من الخير والنُّور ، لا يعين الذى فى حاسَّة السَّمع من الخيرِ ولكنه لا يضادُّهُ[6] ،

---

(١) المنانية : أتباع مانى . انظر ما سبق ص ٨١ . وقد أسهب القول ابن النديم فى تفصيل مذهبه . الفهرست ٣٢٧ — ٣٣٧ ليبسك ٤٥٦ — ٤٧٢ مصر .

(٢) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .

(٣) فى الأصل : « فاحتاج » . ووجهه ما أثبت .

(٤) كذا . وهى صحيحة ؛ فإن المعدود إذا وصف بالعدد جاز فى العدد المطابقة وعدمها . الصبان ٤ : ٦١ .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) ط ، هـ : « يضاره » بالراء . وأثبت ما فى س .

ولا يُفاسِدُهُ ، ولا يمنعه . فهو لايعينه[١] لمكان الخِلاف والجِنس ، ولا يعين عليه ؛ لأنَّهُ ليس ضِدًّا .

وأنَّ أجناسَ الشَّرِّ خلافٌ لأجناس الشَّرِّ ، ضِدٌّ لأجناس الخير . وأجناسَ الخيرِ يخالفُ بعضها بَعْضاً ولا يضادٌّ . وأنَّ التَّعاونَ والتآدِى[٢] لا يقعُ بين مختلِفِها ، ولا بين متضادِّها[٣] ، وإنما يَقعُ بين متفقها .

قال : فيقال للمنانىِّ : ما تقول فى رَجُل قال لرجُلٍ : يا فلان ، هل رأيت فلانا ؟ فقال المسئول : نعم قد رأيته . أليسَ السَّامعُ قد أدَّى إلى النَّاظِرِ ، وَالنَّاظِرُ قد أدّى إلى الذَّائِقِ ؟ ! وإلاَّ فلِمَ قال اللِّسَانُ نَعَمْ ! إلاَّ وقد سَمِعَ الصَّوْتَ صاحبُ اللِّسَانِ ؟ !

وهذه المسألة قصيرةٌ كما ترى ، ولا حِيلةَ له بأنْ يَدْفَعَ قَوْلَهُ .

(مُساءلَة زنديق)

ومسألةٌ أخرى ، سأل عنها أميرُ المؤمنينَ[٤] الزِّنديقَ الذى كان يكنى بأبى علىّ ، وذلك عندما رأى من تطويلِ مُحمَّدٍ بن الجهم[٥] وعجْز العُتبى[٦] وسوءِ فهم[٧] القاسم بن سَيَّار[٨] ، فقال له المأمون : أَسأَلُكَ عن حَرفين

---

(١) س : « يعنيه » ومع إسقاط « لا » . هـ : « لا بعينه » . وصوابهما ما أثبت من ط .

(٢) التآدى : التعاون . وفى الأصل : « التأذى » ولا يستقيم به المعنى .

(٣) س ، هـ : « مضادها » .

(٤) يعنى الخليفة « المأمون » كما سيأتى فى الكلام .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، الذى أسلفت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) .

(٦) هو محمد بن عبد الله العتبى . وقد تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٤) .

(٧) فى الأصل : « وسوقهم » وهو تحريف .

(٨) القاسم بن سيار ، ذكره الجاحظ فى الرسائل ٢٤ ساسى ، فيمن كانوا يغشون دار الخلافة . وأجرى له ذكراً فى ٢٦ ، ٢٧ من الرسائل .

فقط . خبِّرنى : هل ندِم مُسىءٌ قَطُّ على إساءته ، أو نـكون نحنُ لم نندَمْ
على شيءٍ كان منّا قط ؟ ! قال : بل ندِم كثيرٌ من المسيئينَ على إساءتهم . ١٤٢
قال : فَخَبِّرْنِى عن النَّدَم على الإساءة ، إساءةٌ أو إحسان ؟ قال : إحسان .
قال : فالذى ندم هو الذى أساءَ أو غَيْرُهُ ؟ قال : الذى نَدِم هو الذى أساءَ .
قال : فأُرى صاحبَ الخير هو صاحبُ الشّرِّ ، وقد بطل قولـكم : إنّ الذى
ينظر نَظرَ الوعيد غيرُ الذى ينظر نَظَرَ الرحمة . قال : فإنى أزعمُ أنّ الذِى
أساءَ غيرُ الذى ندِم . قال : فندم على شيءٍ كان منه أو على شيءٍ كان من
غيره ؟ فقطعه(١) بمسألته ، ولم يتُبْ ولم يرجِعْ ؛ حتى مات ، وأصْلاَه الله
نارَ جَهنَّمَ .

(شعر فى هجو الزنادقة)

وقد ذكر حمَّادُ عجردٍ ناساً فى هجائه لعُمارَةَ(٢) ، فقال :

لو كنْتُ زِنْدِيقًا ، عُمارُ ، حبوتَنى   أو كنْتُ أعبُد غَيْرَ رَبِّ محمَّدِ(٣)
أو كنتُ عِندك أو تراك عرفتَنى   كالنَّضْر أو ألْفيتُ كابنِ الْمُقْعَد(٤)
أو كابن حمَّادٍ ربيئــة دينـكمْ   جبل وما جبل الغَوى بمرْشَدِ(٥)
لٰـكِنَّنى وحّـدْت رَبِّىَ مُخلِصاً   فجفَوْتَنى بُغْضاً لـكلّ موحِّد

---

(١) قطعه : أى غلبه بالحجة وأسكته .

(٢) فى الأصل : « لبشار »، ونص الشعر والتعقيب عليه ، يوجب ما أثبت .

(٣) عمار ، أى ياعمارة . وحذف جواب (كنت) الثانية لدلالة جواب الأولى .

(٤) هـ : « أو تراك عرفتنى » .

(٥) الربيئة : الطليعة ، وعين القوم . والغوى : الضال . ط ، هـ : « القوى »
ووجهه ما أثبت من س .

وحَبَوْت مَنْ زَعمَ السَّماءَ تَكوَّنَتْ
والأرضَ خالقها لها لم يَمهَد[1]
والنَّسْمَ مثلَ الزرْعِ آنَ حَصادُهُ منه الحصيدُ ومنه مالَمْ يُحْصَدِ[2]

وحمَّادٌ هذا أشهر بالزَّنْدَقةِ من عُمارَة بن حربية[3] ، الذى هجاه بهذه الأبيات .

وأمَّا قوله :

وحبوت من زعم السماءَ تكوَّنت . . . . (البيت)

فليس يقول أحدٌ : إنَّ الفلكَ بما فيه من التَّدْبير تكوَّنَ بنفسه ومِنْ نفسه ! فَجَهْلُ[4] حمّادٍ بهذا المقدارِ من مقالة القوْم[5] ، كأنَّهُ عندى ممّا يعرفه من براءته الساحة[6] . فإن كان قد أجابَهُمْ فإنما هو من مقلِّديهم .

---

(١) الأرض عطف على السماء .

(٢) أى : وحبوت من زعم النسم . . . الخ . والنسم ، بالتحريك : جمع نسمة ، بالتحريك . والنسمة : الإنسان . وقد أسكن السين لضرورة الشعر . وفى الأصل : « النعم » تحريف ما أثبت . وجاء فى الأغانى (١١ : ٧١) فى أثناء الحديث عن عمارة بن حمزة ، الذى هو هنا : عمارة بن حربية : « وكان له نديم يعرف بمطيع ابن إياس ، وكان زنديقاً مأبونا . وكان له نديم آخر يعرف بالبقلى . وإنما سمى بذلك ؛ لأنه كان يقول : الإنسان كالبقلة ، فإذا مات لم يرجع » . فهذا النص يفسر ماجاء فى البيت ، ويدل على التصحيح الذى أثبت .

(٣) كذا ورد هذا الاسم فى الأصل ، بحاء مهملة بعدها راء وباء موحدة تحتية تتلوها ياء مثناة تحتية . وفى الأغانى (١١ : ٧١) : « عمارة بن حمزة » . وأمالى المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ « عمارة بن حمزة » .

(٤) فى الأصل : « فجعل » .

(٥) يعنى بالقوم ههنا الزنادقة .

(٦) كذا فى ط . وفى س : « من براءة الساحة » ، وفى هـ : « مما نعرفه من برأته الساحة » وكل محرف .

وهجا حمادُ بن الزِّبرِقان(١) ، حماداً(٢) الراوية فقال :

نِعْمَ الفتى لَوْ كانَ يَعْرِفُ رَبَّهُ ويقيمُ وقْتَ صَلاتِهِ حمادُ
هدَلَتْ مَشافِرَهُ الدِّنانُ فأنْفُهُ مِثْلُ الْقَدُومِ يَسُنُّها الحَدّادُ(٣)
وابْيَضّ مِنْ شرْبِ الْمُدامَةِ وَجْهُهُ فبَيَاضُه يوم الحساب سَوَادُ

فقد كان(٤) كما ترى :

هدَلَتْ مَشافِرَهُ الدنانُ فأنفُه مثلُ القدوم .... (البيت)

فقد رأيتُ جماعةً مِمَّنْ يُعاقِرُون الشَّراب ، قد عظمت آنفُهُمْ(٥) وصارتْ لهم خراطيمُ ، منهُمْ رَوْحٌ الصّائغُ(٦) ، وعبدَ الواحد صاحب اللؤلؤيّ(٧)

(١) نسبه صاحب الأغانى (٦ : ١٦٢) إلى أبي الغول، وكان حماد قد عاب شعراً له. وانظر الخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) والمخصص (١٧ : ٦) والعقد (٤ : ٣٢١) وأمالى المرتضى (١ : ٩١) وديوان المعانى (١ : ٣١٤) والشعراء ٧٥٤ .

(٢) فى الأصل : « حماد » .

(٣) الدنان : جمع دن ، بالفتح ، وهو من الأوعية التى يحفظ فيها الخمر ، وهو خزفى مستطيل مقير لايقعد إلا أن يحفر له . والقدوم ، بالفتح : قدوم النجار ، مؤنثة . فى المخصص : « نفخت مشافره الشمول »، والمرتضى : « بسطت مشافره الشمول »، والعسكرى : « هدلت مشافره المدام وأنفه » . والمدام والشمول : الخمر .

(٤) لعلها : « قال » .

(٥) آنف : جمع أنف . س ، هـ : « أنفهم » بالإفراد . وهو جائز . والعرب يقيمون الواحد مقام الجمع . وفى الكتاب : « ثم يخرجكم طفلا » أى أطفالا . و : « لا نفرق بين أحد منهم »، والتفريق لا يكون إلا بين اثنين ، فالمعنى لا نفرق بينهم . و : « وإن كنتم جنبا » . انظر سر العربية ٣٣٩ الحلبى ، وحواشى الحيوان (٢ : ٤٠٣) .

(٦) لعله : « أبو روح الصائغ » . انظر (٣ : ٤٣٥) .

(٧) كذا وردت كتابة هذا الاسم بواوين فى الأصل وفى سائر المراجع القديمة . واللؤلؤى ، هو الحسن بن زياد ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٥٢) .

وجماعة من نَدْمانِ(١) حمّاد بن الصّبّاح ، وعبد الله أخو نهر(٢) ابن عسكر وناس كثيرٌ(٣) .

ويدلُّ على ذلك من المنافَرَةِ قولُ جريرٍ للأخطل :

١٤٣ وشَرِبتَ بعد أبي ظهير وابنِه سكَرَ الدِّنَانِ كأَنّ أَنْفكَ دُمّلُ(٤)

وكان منهم يونس بن فروة(٥) . وفي يونس يقول حمّادُ عجرد :

أما ابنُ فَرْوَةَ يُونسٌ فكأَنّهُ مِنْ كِبْرِهِ أيرُ الحمارِ القائمُ(٦)
ما النّاسُ عِنْدَكَ غيرُ نفسِكَ وحْدها والخَلْقُ عندكَ ما خلاكَ بهائمُ(٧)
إنّ الذى أصبحْتَ مفتوناً به سيزُول عنك وأنفُ جارِكَ راغمُ
فتعضُّ من ندَمٍ يدَيْكَ على الذى فرّطت فيه ، كما يَعضُّ النّادمُ

---

(١) الندمان ، بالفتح : النديم على الشراب . والمراد هنا جماعة الندامى . وفى اللسان : «وقد يكون الندمان واحداً وجمعاً » . ومثله فى القاموس .

(٢) هـ فقط : « هز » . وكلمة : « أخو » هى فى الأصل : « أخا » .

(٣) فى الأصل : « وناسا كثيراً »، صوابه ما أثبت .

(٤) السكر ، بالتحريك : الخمر ، أو نبيذ يتخذ من التمر ، أو كل مسكر .

(٥) يونس بن فروة ، ويقال ابن أبى فروة . وجاء بالأخيرة فى لسان الميزان (٢ : ٣٥٣ ، ٦ : ٣٣٤ ، ٣٣٥) وكذا أمالى المرتضى (١ : ٩٠) نقلا عن الجاحظ . وما فى الشعر يرجح التسمية الأولى . وجاءت التسمية الأولى أيضاً فى جمع الجواهر ٢٠٩ فى أثناء رسالة للخوارزمى ، والعمدة (٢ : ١٨٥) والطبرى (١٠ : ٥٠) .

(٦) فى الأصل : « من كفره » وهو تحريف ، صوابه فى عيون الأخبار (١ : ٢٧٢) والعمدة ، وجمع الجواهر . وفى جمع الجواهر أيضاً : « ذاك الحمار » .

(٧) فى عيون الأخبار والعمدة : « والناس » موضع : « والخلق » . والبيت ساقط من س .

فلقــد رَضيتَ بعُصْبَةٍ آخَيتهــمْ وإخَاهُمُ لك بالمعَرَّةِ لازمُ(١)

فعلِمْتَ حِينَ جعلتهم لك دخلة(٢) أنى لعِرضك فى إخائك ظالِمُ

(ذكر بعض الزنادقة)

وكان حمّادُ عجرد(٣) ، وحَماد الرّاوية(٤) ، وحمّادُ بن الزِّبرقان(٥) ، ويونسُ بن هارُون(٦) ، وعلى بن الخليل(٧) ، ويزيد بن الفيضْ(٨) ، وعُبادة وجميل بن محفوظ(٩) ، وقاسم(١٠) ، ومطيع(١١) ، ووالبة بن الحباب ، وأبانُ

(١) وإخاهم ، أراد : وإخاؤهم ، أى صحبتهم . قصر الكلمة للشعر . ط : « أوخاهم » تصحيحه من س ، ه .

(٢) دخلة الرجل ، بتثليث الدال : بطانته .

(٣) حماد عجرد ، بالإضافة ، هو حماد بن عمر بن يونس ، شاعر مشهور ، وهو من مخضرمى الدولتين : الأموية والعباسية ، ولم يشتهر إلا فى العباسية . وكان بينه وبين بشار أهاج فاحشة . توفى سنة ١٦١ وقيل ١٦٨ أو قتل سنة ١٥٥ .

(٤) حماد الراوية ، هو حماد بن أبى ليلى ، عرف بكثرة روايته للشعر والخبر ، وكان يصنع فيهما . ولد سنة ٩٥ وتوفى سنة ١٥٥ .

(٥) حماد بن الزبرقان ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٢ : ٣٤٧) وهو ممن اتهم بالزندقة .

(٦) كذا فى الأصل ، وهو كذلك فى الأوراق للصولى ١٠ قسم أخبار الشعراء . وقد نقل عن الجاحظ ولو أنه لم يصرح بذلك . وقد يكون : « يونس بن فروة » الذى تقدمت ترجمته قريباً .

(٧) هو رجل من أهل الكوفة ، مولى لمعن بن زائدة ، وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس ، لا يكاد يفارقه ، فاتهم بالزندقة . وله أخبار مع المهدى والرشيد. انظر الأغانى (١٣ : ١٣ — ١٨) .

(٨) ذكره صاحب لسان الميزان .

(٩) كذا فى الأصل وأمالى المرتضى والأغانى (١٦ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ والأوراق ١٠ قسم أخبار الشعراء . وعند ابن حجر فى لسان الميزان : « حميد بن محفوظ » . فى رسم خاص . ولعله تصحف عليه .

(١٠) فى أمالى المرتضى : « قاسم بن زنقطة » .

(١١) هو مطيع بن إياس الكنانى ، من مخضرمى الدولتين ، كان ظريفا خليعاً . ولد —

ابن عبد الحميد[١] ، وعمارة بن حربية[٢] ، يتواصلون ، وكأنهم نفس واحدة وكان بشّارٌ ينكر عليهم .

ويونسُ الذى زعم حمادُ عجْرِدٍ أنّهُ قد غرَّ نفسه بهؤلاءِ ، كانَ أشهَرَ بهذا الرّأى منهم ، وقدكان كتبَ كتاباً لملك الرُّومِ فى مثالب العرب ، وعيوب الإسلام ، بزعمه[٣] .

(هجائية فى أبان والزنادقة)

وذكر أبو نواسٍ أبانَ بْنَ عبد الحميد اللاّحقى ، وبعضَ هؤلاءِ ، ذِكْرَ إنسانٍ يَرَى لهم قدْرًا وخطراً ، فى هجائِيّةٍ لأبان[٤] ، وهو قوله :

جالسْتُ يوماً أباناً ... لا دَرَّ دَرُّ أبان
ونحنُ حَضْرَ رواق الـ ... أمير بالنهْرَوَانِ[٥]

= ونشأ بالكوفة . وأخباره مسهبة فى الأغانى (١٢ : ٧٥ - ١٠٣) .

(١) أبان بن عبد الحميد اللاحقى ، شاعر من ظراف الشعراء . نقل للبرامكة كتاب كليلة ودمنة فجعله شعراً ؛ ليسهل حفظه عليهم ، فأعطاه يحيى عشرة آلاف دينار ، والفضل خمسة آلاف دينار ؛ ولم يعطه جعفر وقال : ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ ! .

(٢) فى الأغانى ولسان الميزان : « عمارة بن حمزة » ، وما فى أوراق الصولى يوافق ما أثبت من الأصل .

(٣) زاد فى أمالى المرتضى : « فأخذ منه مالا » .

(٤) ذكر سبب هذا الهجاء ، أبو الفرج فى الأغانى (٢٠ : ٧٣) قال : « كان يحيى بن خالد البرمكى قد جعل امتحان الشعراء وترتيبهم فى الجوائز ، إلى أبان بن عبد الحميد ، فلم يرض أبو نواس المرتبة التى جعله فيها أبان ، فقال يهجوه بذلك » .

(٥) حضر ، هنا بمعنى قربه وبمحضر منه . وانتصب على الظرفية . وأصله بتحريك الحاء الضاد . وسكن الضاد للشعر . ويقال أيضاً حضرة ، بالفتح . قال :

فشلت يداه يوم يحمل راية ... إلى نهشل والقوم حضرة نهشل =

حَتَّى إذا ما صَلاة الـ … أُولَى أَتَتْ لأَوَانِ (١)

فقامَ ثَمَّ بها ذُو … فصاحةٍ وبيـانِ (٢)

فكلٌّ ما قال قلْنَا … إلى انقضاء الأذان (٣)

فقال : كيف شهدتم … بِذَا ، بغيرعِيـان ؟! (٤)

لا أشهَدُ الدَّهْرَ حَتَّى … تُعَـايِنَ العَيْنَان !

فقلت : سبحانَ رَبِّي ! … فقال : سُبحانَ مانِى ! (٥)

فقلت : عيسى رسولٌ … فقال : مِنْ شَيطانِ ! (٦)

فقلتُ : موسى كَليمُ الْـ … ـمهيمنِ المنَّـانِ (٧) ١٤٤

= والرواق ، بالكسر : مقدم البيت ، أو سقف فى مقدمه . ط ، س : « ونحن وحضروان » ، وتصحيحه من الديوان ١٨٠ وأوراق الصولى (قسم أخبار الشعراء ١١) .

(١) صلاة الأولى ، عنى بها الصبح . لأوان : أى لأوانها ووقتها . س ، ط : « الأذان » ، وأثبت ما فى الديوان ، والأوراق ، والأغانى . وفى ه والخزانة (٣ : ٤٥٨ بولاق) نقلا عن الأغانى : « لأذان » ، وإخالها تحريفاً .

(٢) أى قام بصلاة الصبح مؤذنا لها ، رجل ذو فصاحة وبيان . فالمراد الأذان ، لا الصلاة .

(٣) أى كلما قال المؤذن قولا رددوه بعده .

(٤) بذا : أى بقول المؤذن : « أشهد ألا إله إلا الله » ، « أشهد أن محمداً رسول الله » . بغير عيان : بغير معاينة ومشاهدة .

(٥) مانى : صاحب دين المانوية الزنادقة . انظر ما كتبت عنهم فى ص ٨١ .

(٦) فى الأصل : « من شيطانى » ، صوابه من الديوان والأوراق . وقد أراد أنه قال : رسول من شيطان !

(٧) المنان : اسم من أسماء الله تعالى ، أى المعطى ابتداء . وفى الأصل : « المنانى » ، تصحيحه من الديوان والأوراق .

فقال : ربُّكَ ذو مُقْ لةٍ إذا ولِسانِ ؟
فنفســـه خلقَتْــه أَمْ مَنْ ؟! فَقُمْتُ مكانى
عن كافرٍ يَتَمَرَّى بالـكُفر بالرَّحمنِ[1]
يريد أن يتسوَّى بالعُصْبَــة المُجّان
بعَجْرَدٍ وعُبــادٍ والوالبيِّ الهِجَانِ[2]
وقاســمٍ ومُطيــعٍ رَيْحانةِ النَّدْمانِ[3]

وتعَجُّبي من أبي نواس ، وقد كان[4] جالسَ المتكلمين أشدُّ من تعجُّبي من حَمَّادٍ ، حين يَحكى عن قومٍ من هؤلاء قَولاً لا يقولُه أحد[5] . وهذه قُرَّة[6] عَينِ المهجوّ . والذى يقول : سبحانَ مانى ، يعظم أمر عيسى تعظيماً شديداً[7]

(١) يتمرى : يتزين . يقول : هو يتخذ الكفر زينة له . وبئس الزينة ! . ط والأوراق : « يتمارى » بمعنى يشك ، وليس له وجه صالح . وأثبت ما فى س والديوان . وفى هـ : « متمرى » تحريف ما فى س . وبين هذا البيت وسابقه بيتان فى الديوان ، هما :

وقلتَ ربِّى ذُو رحْ مَةٍ وذَو غُفْــرَانِ
وقُمْتُ أسحَبُ ذيلى عن هازئٍ بالقُرانِ

(٢) فى الصفحة ٤٤٧ ، من اسمه : « عبادة » ، فلعله هو بعد تغيير يسير ، لما يقتضى الشعر . أما الوالبى فهو والبة بن الحباب . شاعر من شعراء الدولة العباسية ، هاجى بشارا وأبا العتاهية فلم يصنع شيئاً ، وفضحاه . وهو أستاذ أبى نواس . الأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٣) سبق تفسير هذه الكلمة فى ص ٤٤٦ .

(٤) س : « وهو كان » .

(٥) إشارة إلى ما سبق فى ص ٤٤٣ .

(٦) هـ : « قوة » تحريف .

(٧) هذا مافهمه الجاحظ . ويؤيده ماورد فى فهرست ابن النديم ٣٢٨ ليبسك ٤٥٨ مصر : « وزعم مانى أنه الفارقليط المبشر به عيسى عليه السلام . واستخرج مانى =

فكيف يقول : إنَّه من قِبَلِ شيطان ؟!

وأما قوله : « فنفسه خلقَتْه أم من » فإنَّ هذه مسألةٌ نجدها ظاهرةً على ألْسُنِ العوامّ . والمتكلمون لا يحكون هذا عن أحد .

وفى قوله : « والوالبىِّ الهجان » دليلٌ على أنَّه من شكلهم .

والعجب أنَّه يقول فى أبان : إنَّهُ ممَّن يتشبه بعَجْرد ومُطيعٍ . ووالبةَ ابن الحباب ، وعلىِّ بن الخليل ، وأصبغ[١] — وأبانُ فوقَ ملء الأرض مِنْ هؤلاء . ولقد كان أبانُ ، وهو سكرانُ ، أصحَّ عقلا من هؤلاء وهم صحاةٌ[٢] . فأمَّا اعتقادُه فَلاَ أدرى ما أقول لك فيه ؛ لأنَّ النَّاس لم يؤْتَوْا فى اعتقادهم الخطأَ المكشوفَ ، من جهة النظر[٣] . ولكنْ للنَّاس تأسٍّ وعاداتٌ ، وتقليدٌ للآباء والكُبراء ، ويعملون على الهوى ، وعلى ما يسبق إلى القلوب ، ويستثقلون التَّحصيلَ ، ويُهملون النَّظَرَ ، حتى يصيروا فى حالٍ متى عاودوه وأرادوه ، نظروا بأبصار كليلة[٤] ، وأذهان مدخُولة ، [و] مع سوء عادَة . والنّفسَ لا[٥] تجيبُ وهى مُسْتَكْرَهة . وكان

= مذهبه من المجوسية والنصرانية » . لكن جاء فى الفهرست أيضاً مايؤيد مانفهمه أبو نواس . ففيه : « ومانى ينتقص سائر الأنبياء فى كتبه ، ويزرى عليهم ، ويرميهم بالكذب ، ويزعم أن الشياطين استحوذت عليهم ، وتكلمت على ألسنتهم بل يقول فى مواضع من كتبه : إنهم شياطين ! فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصارى ، فيزعم أنه شيطان » الفهرست ٤٦٨ مصر . فالظاهر أن مرد ذلك الخلاف إلى مافى أقوال مانى من التناقض والتنافر .

(١) لم يذكر هؤلاء جميعاً فيما رواه الجاحظ من القصيدة المتقدمة ، فلعله سقط منها شىء . وانظر الديوان والأوراق حيث تجد زيادة فى الشعر .

(٢) الصحاة : جمع صاح ، من صحا يصحو . س : « أصحاء » ، صوابه فى ط ، هـ والأوراق ١٢ قسم أخبار الشعراء .

(٣) ط ، هـ : « النظير » ، صوابه فى س .

(٤) كليلة : ضعيفة . س : « قليلة » تحريف . وفى الأصل : « ونظروا » .

(٥) س : « لما » .

يقال : « العقل[١] إذا أكره[٢] عَمِى » . ومتى عَمِيَ الطِّباعُ[٣] [و] جَسَا وغلظ وأهمل ، حتَّى يألف الجهل ، لم يكد[٤] يفهم ما عليه وله . فلهذا وأشباهه قاموا على الإلف ، والسَّابق إلى القلب .

(شعر لحماد عجرد)

وقال حمَّادُ عجْرَد :

اعلَمُوا أَنَّ لوُدى ثمناً … عنــدى ثَميناَ

لَيْتَ شِعْرِى أَىَّ حُكْمٍ … قَدْ أراكُمْ تَحْكُمُونا

أَنْ تـكونوا غيْرَ مُعْطِيـ … ـنَ وأنتمْ تأخذوناَ[٥]

ابْنِ لُقْمَانَ بنَ عادٍ … فِى اسْتِ هذا الدِّين دِينا[٦]

وما رأيت أحداً وضع لقمانَ بنَ عاد فى هذا الموضع . غيرَه ! وقال حَمَّادُ عجردٍ فى بشار :

يا ابنَ الخبيثةِ إنَّ أمَّـ … ـكَ لمْ تـكُنْ ذاتَ اكتتامِ[٧]

وتبدَّلَتْ ثَوْبَانَ ذَا الْـ … أَيْرِ المضبَّرِ والعُرَامِ[٨]

(١) ط ، هـ : « الطفل » ، صوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « كره » .

(٣) الطباع ، بالكسر : الطبع والسجية .

(٤) ط ، هـ : « ولم يكد » بإثبات الواو قبلها ، صوابه فى س .

(٥) ط : « تأخذون » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) ابن : أمر من بنى يبنى . ط ، س : « أين » وصوابه فى هـ . ولقمان : أى يالقمان ، حذف حرف النداء .

(٧) أى كانت تجاهر بفسقها .

(٨) ثوبان : رجل اتهمت أم بشار به . وفيه أيضاً يقول حماد عجرد (الحيوان ١ : ٢٤٢) : =

ثَوْبَانَ دَقّاقَ الأزز بأرواث حســـامِ (١)
عَـــرْد كقائمة السَّرِ يرِ يُبيلِهاَ عنـــد الرِّطام (٢)
وَأَتَتْ سُمَــيعةُ بَعْدَهَا بالمصمئلاّتِ العِظـــامِ (٣)
أخت لهم كانت تكا بِرُ أن تُسَافِـحَ مِنْ قيـام (٤)

وقال حَمَّاد يذكر بشاراً ·

غزالة الرجسة أو بنتها سُمَيعة الناعيـــة الفهرا (٥)

وقال وذكر أمّه (٦)

أَبَنِى غزَالة يا بنِي جُشَم اسْتها لَيَحقكُمْ أَنْ تفرَحوا لا تجزعُوا (٧)

(حماد عجرد وبشار)

وما [كان] ينبغى لبشَّارٍ أَنْ يناظِرَ حماداً من جهة الشعرِ وما يتعلَّقُ

= يابن التى نشزت عن شيخ صبيتها لأير ثوبان ذى الهامات والعجر
يقول : تبدلت ثوبان بزوجها . ط : « ثوبين » ، تحريف صوابه فى س ، ه .

(١) ط : « دقاقا » صوابه فى س ، ه . ط : « الازار » وأثبت مافى س ، ه ، وهما محرفان . س : « يدقها أرزب خام » وأثبت مافى ط ، ه . على تحريفهما .

(٢) العرد ، بالفتح : الصلب الشديد . ط : « كقائمة السير » صوابه فى س ، ه . يبيلها : يجعلها تبـول . ط ، س : « يسلها » ووجهه ماأثبت من س . والرطام : أن يخالطها مستوعبا . ه : « الركام » صوابه فى ط ، س .

(٣) ضبطت « سميعة » بهيئة التصغير فى س . والمصمئلات : الدواهى .

(٤) تكابر ، هى فى ط : « لكابر » محرفة .

(٥) كذا جاء البيت .

(٦) أى أم بشار . ط ، س : « وقال ذو الرمة » وهو تحريف لاجرم .

(٧) أبنى ، أى يابنى . والجشم ، كصرد : الجوف : ط ، ه : « ياجشم » وإكماله من س .

بالشِّعر ؛ لأنَّ حمَّاداً فى الحَضِيض ، وَبَشَّارًا مع العَيُّوق(١) . وليس فى الأرض مولّدٌ قَرَوِىٌّ يُعَدُّ شعرُه فى المحدث إلاّ وبَشَّارٌ أشعرُ منه .

(شعر فى هجو بعض الزنادقة)

وقال أبو الشمقمق فى جميل بن محفوظ(٢) :

وهذا جميلٌ على بغله　　وَقَدْ كانَ يعدُو عَلَى رِجْلِهِ
يَرُوحُ ويغدو كأَيْرِ الحمارِ　　وَيرجِـعُ صِفْراً إلى أهله(٣)
وقد زَعموا أَنَّهُ كافرٌ　　وأنَّ التَّزَنْدُقَ من شَكْلِهِ
كأنى به قد دعاهُ الإمامُ　　وآذن ربُّكَ فى قتْـــلِه

(غلو أبى نواس فى شعره)

وأمّا أبو نُواسٍ فقد كان يتعرّضُ لِلْقَتْلِ بجهْدِه . وقد كانوا يعجَبون من قوله :

كيف لايُدْنيك مِنْ أمَلٍ　　مَنْ رَسُولُ اللهِ مِنْ نَفَرِه(٤)

---

(١) العيوق ، بفتح العين ، وتشديد الياء المضمومة : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن ، يتلو الثريا لايتقدمها . يضرب به المثل فى العلو .

(٢) سبقت ترجمته فى ٤٤٧ .

(٣) ط : « يروح ويغد » صوابه فى س ، هـ . صفراً : خالى اليدين .

(٤) من نفره : من قومه وأنصاره : هـ : « نقله » تحريف . والبيت من قصيدة رائية مشهورة مطلعها :

أيها المنتاب من عفره　　لست من ليلى ولا سمره

يمدح بها العباس بن عبيد الله بن أبى جعفر المنصور . الديوان ٦٦ . وقد أثار هذا البيت ضجة كبيرة بين الأدباء ، فأخذوا عليه قوله : « من رسول الله من نفره » . انظر الكامل ٢٣٤ - ٢٣٥ ليبسك والعقد (٣ : ٤٣٦ - ٤٣٧) =

فلما قال :

فاحْبِبْ قُريشاً لحبِّ أحمَدِها واشكُرْ لها الجَزْلَ مِنْ مواهبها(١)

جاء بشيء غطّى على الأوّلِ .

وأنكروا عليه قولَه :

* لو أكثر التَّسْبيح ما نجّاه *

= حيث تجد النقد والاعتذار له . وفى الموشح ٢٧٩ أن أبا على الضرير ، أحد رواة أبى نواس قال : « أنشدنى أبو نواس فى العباس بن عبيد الله ؛ مديحه الذى يقول فيه :

كيف لايدنيك من أمل من رسول الله من نفره

فعلمت أنه كلام ردىء مستهجن موضوع فى غير موضعه ، وأنه مما يعاب به ؛ لأن من حق الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضاف إليه ، وألا يضاف إلى أحد . فرأى ذلك فى وجهى ، فقال لى : ويلك ! إنما أردت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم من القبيل الذى هو منه ، كما قال حسان :

وما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخير

فقال : منهم ، كما قلت من نفره . أى من النفر الذين العباس منهم ، فما تعيب من هذا ؟ ! » . قال أبو على : « فعلمت أن هذا ضرب من الاحتيال » . وقد روى هذا الخبر فى أخبار أبى نواس ١٦١ - ١٦٢ وزاد فى آخره : « ولكنه قد أحسن المخرج منه » . وفى الصناعتين ١١٣ نظائر لهذا الخطأ .

(١) رواية الديوان ١٥٧ : « أحبب » بقطع الهمزة وإسقاط الفاء : أمر من أحب يحب . ورواية الجاحظ هنا تخرج على لغة ضعيفة . وفى اللسان عن الفراء ، أن حببته لغة . وفيه أيضاً : « وكره بعضهم : حببته ، وأنكر أن يكون هذا البيت لفصيح » . وفيه : « وحكى سيبويه : حببته وأحببته بمعنى » . وفى الصناعتين ١١٣ : « واحبب » . والبيت من قصيدة جيدة لأبى نواس يفتخر فيها بقحطان ويهجو عدنان ، وقد أبدع فى صنعتها إبداعا ، وأتى بطريف حقا . ولكن هذه القصيدة جلبت إليه شؤما بما حبسه الرشيد وأطال من حبسه . ومطلعها :

ليست بدار عفت وغيرها ضربان من قطرها وحاصبها

وفيها يقول :

فاهج نزارا وافر جلدتها واهتك الستر عن مثالبها

فلما قال :

١٤٦ يا أحْمَدَ المُرْتَجَى فى كُلِّ نائبةٍ　　قُمْ سَيِّدِى نَعْصِ جَبَّارَ السَّمٰوَاتِ[١]

غطّى هذا على الأوّل[٢] . وهذا البيت مع كفره مَقِيت جدا . وكان يُـكثِر فى هذا الباب[٣] .

(خطأ أبى نواس فى شعره)

وأما سوى هذا الفنّ فلم يعرِفُوا له من الخطإ إلاّ قولَه :

أَمستخبرَ الدّارِ هــلْ تنطِقُ　　أنا مكان الدار لا أنطقُ[٤]

كأنهــا إذْ خَرِسَتْ جَارِمٌ　　بينَ ذَوِى تَفْنِيدِهِ مُطْرِقُ[٥]

فعابوه بذلك ، وقالوا : لايقول أحد : لقد سكت هذا الحَجَرُ ، كَأَنَّهُ

---

(١) أحمد هذا ، هو أحمد بن أبى صالح ، كان أبو نواس يتعشقه . أخبار أبى نواس ١٤٥ وأبيات القصيدة فيها ، وفى ديوانه ٢٤٩ – ٢٥٠ . وقبله :

فقلت والليل يجلوه الصباح كما　　يجلو التبسم عن غر الثنيات

(٢) فى الأصل : « الأولى » . وانظر مثل هــذا التعقيب فى الصفحة السابقة . و « غطى » رسمت بالألف فى هذا الموضع وسابقه فى كل من ط ، ﻫ وهو رسم قديم . وأثبت مافى س .

(٣) أى كان أبو نواس يكثر من القول فى مثل المعنى السابق . ومما قال فى ذلك (الصناعتين ١١٣) :

تنازَعَ الأحمدان الشِّبهَ فاشْتَبَهَا　　خَلْقًا وَخُلْقًا كما قُدَّ الشِّراكَانِ

قال العسكرى : « فزعم أن ابن زبيدة مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خلقه وخلقه » .

(٤) ط : « أمخبر الديار » س : « أمستخبر الديار » ﻫ : « يامستخبر الدار » ، ولعل صوابه ماأثبت . وعجز البيت هكذا ورد بالأصل .

(٥) الجارم : الجانى . والتفنيد ، المراد به : اللوم والعذل . والتفنيد : التكذيب والتعجيز وتخطىء الرأى وتضعيفه . والبيت عند العسكرى فى الصناعتين ٦٨ .

إنسانٌ ساكت ، وإنما يُوصَف خَرَسُ الإنسانِ بخَرَسِ الدَّارِ ، ويشبَّهُ صممه بصمَمِ الصَّخر .

وعابوه بقوله ، حين وصف عَيْنَ الأسد بالجحوظِ ، فقال :

كأنَّمَا عَيْنُهُ إذا التهبَتْ   بارِزَةَ الجفْنِ عينُ مخنوقِ[1]

وهُمْ يَصِفُونَ عينَ الأسد بالغؤورِ . قال الرَّاجز :

* كأنما يَنْظرُ من جَوْفِ حَجَرْ[2] *

وقال أبو زُبَيدٍ[3] :

كأنَّ عَينيه فى وَقْبَين من حَجَرَ   قِيضا اقتياضاً بأطراف المناقير[4]

ومع هذا فإنَّا لا نعرف بَعْدَ بَشَّارٍ أشعَرَ منه[5] .

وقال أبو زُبيد :

وعَينانِ كالوَقْبين فى ملء صَخْرَةٍ   ترى فيهما كالجمْرَتَيْنِ تَسَعَّرُ[6]

(قصة راهبين من الزَّنادقة)

وحدَّثنى أبو شُعيب القَلَّالُ ، وهو صُفْرِىٌّ[7] ، قال : رهبان الزَّنادقة

---

(١) هـ : « والمخنوق » وأثبت ما فى ط ، س والصناعتين ١١٥ .

(٢) فى الصناعتين : « من خرق حجر » .

(٣) هو أبو زبيد الطائى ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٥٢) .

(٤) الوقب ، بالفتح : النقرة فى الصخر . قيضا : شقا وحفرا . اقتياضا : استئصالا . فى الأصل : « قيضاً اقتناصا » محرف ، صوابه فى الصناعتين ١١٥ . والمناقير : جمع منقار ، وهو حديدة كالفأس ينقر بها .

(٥) منه : أى من أبى نواس . وحق هذا التعقيب أن يكون بعد البيت الآتى .

(٦) فى الصناعتين : « فى قلب صخرة * يرى فيهما » .

(٧) الصفرى ، بالضم ، ويكسر : واحد الصفرية . وهم فرقة من الخوارج ، نسبوا إلى زياد بن الأصفر ، أو عبد الله بن صفار ، أو إلى صفرة ألوانهم ، أو لخلوهم من =

سَيّاحون[1] ؛ كأنهم[2] جعلوا السِّياحَةَ بدلَ تعلقِ النَّسطورى[3] فى المطامير .
و [مُقامُ[4]] الملْكانىِّ[5] فى الصَّوامع . ومُقامُ النَّسطورِىِّ

= الدين . انظر القاموس . وتفصيل مذهبهم فى الفرق ٧٠ - ٧١ والملل والنحل (١ : ١٨٣ - ١٨٤) . والأرجح نسبتهم إلى زياد بن الأصفر ، كما فى الفرق والملل . ط : « صغرى » صوابه فى س ، هـ .

(١) السياحة : الذهاب فى الأرض للعبادة ، وانظر ماسيأتى من قول الجاحظ .

(٢) ط ، هـ : « لأنهم » وأثبت ما فى س .

(٣) فى القاموس : « النسطورية ، بالضم وتفتح : أمة من النصارى تخالف بقيتهم . وهم أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمن المأمون ، وتصرف فى الإنجيل بحكم رأيه ، وقال : إن الله واحد ذو أقانيم ثلاثة . وفى الفصل (١ : ٤٩) : « وهذه الفرقة غالبة على الموصل والعراق وفارس وخراسان . وهم منسوبون إلى نسطور ، وكان بطريركا بالقسطنطينية » . وقد أخطأ صاحب القاموس ؛ فإن نسطور ، أو نسطورس كان قبل الهجرة لا فى زمن المأمون كما زعم . وقد ذكر المسعودى فى التنبيه والإشراف ١٢٧ أن السنهودس الثالث بمدينة أفسيس قرر لعن نسطورس والتبرؤ منه ونفيه ، فسار إلى صعيد مصر فأقام ببلاد أخميم والبلينا ومات بقرية يقال لها سيفلح » . وقد كان اجتماع ذلك السنهودس فى سنة ٤٣١ الميلادية ، كما جاء فى كتاب تاريخ الأمة القبطية ، تأليف لجنة التاريخ القبطى (الحلقة الثانية ١١٦) ، وكما جاء فى معجم القرن العشرين : (Nestorian) . وصاحب القاموس المحيط المتوفى سنة ٨١٧ هـ قد تابع فى خطئه هذا ، ما ذكره الشهرستانى صاحب الملل والنحل المتوفى سنة ٥٤٨ ، حيث قال فى (٢ : ٦٤) : « النسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذى ظهر فى زمان المأمون » . وانظر رد ابن الأثير عليه فى الكامل (١ : ١٩١) . وقد تولى نسطورس بطريركا سنة ٤٢٨ م . فبينه وبين ظهور الإسلام نحو ١٨٣ سنة .

(٤) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(٥) الملكانى : واحد الملكانية ، ويقال ملكانى وملكائية ، كما فى مفاتيح العلوم ٢٣ وملكى وملكية كما فى التنبيه والإشراف ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ . وفى مفاتيح العلوم : « وهم منسوبون إلى ملكاء . وهم أقدمهم » . يعنى أقدم النصارى . وفى الملل والنحل (٢ : ٦٢) : « الملكائية أصحاب ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها » . والحق أن الملكانيين منسوبون إلى « ملكا » =

فى المطامير[1] .

قال : ولا يَسِيحون إلاَّ أزواجا . ومتى رأيتَ منهم واحداً فالتفتْ رأيتَ صاحبَه[2] » والسِّياحة عندهم ألاَّ يبيت أحَدُهم فى منزِلٍ ليلتَين . قال : ويسِيحون على أربع خِصال : على القدْس ، والطّهر ، والصِّدق ، والمسكنَة . فأمَّا المسكنة ، فأَنْ يأكلَ من المسألة[3] ، ومِمَّا طابت به أنفُسُ النَّاس له حَتَّى لا يأكلَ إلاَّ من كسْبِ غيره الذى عليه غُرْمُهُ ومأثمه . وأمّا الطهر فترك الجِماعِ . وأمّا الصِّدق فعلى ألاّ يكذبَ . وأما القُدْس فعلى أن يكتُمَ ذنبَه ، وإن سئل عنه .

قال فدخل الأهوازَ منهم رجلان ، فمضى أحَدُهما نحو المقابرِ للغائط وجلس الآخرُ بقربِ حانوتِ صائغٍ ، وخرجت امرأةٌ من بعض تلك القُصُور ومعها حُقٌّ[4] فيــه أحْجارٌ نَفيسة ، فلما صَعِدَت من الطَّريق إلى دكان الصَّائغ زلِقت فسقَطَ الحقُّ من يدها ، وظليمٌ لِبعضِ أهل تلك الدُّورِ يتردَّدُ ١٤٧
فلما سقَطَ الحقُّ وبايَنَهُ الطَّبَقُ[5] ، تبدّدَ ما فيه مِنَ الأحْجار ، فالتَقَمَ

= « ومعناه » الملك بالسريانية . والمراد بهم : أتباع مذهب قياصرة الروم ، الذى يسمى أيضاً المذهب الخلقيدونى، الذى أقره المجمع المعقود فىخلقيدونية سنة٤٥١ م . انظر تاريخ الأمة القبطية (الحلقة الثانية ص ٩١ — ٩٣) .

(١) المراد بالمطامير : أماكن تهيأ تحت الأرض . وهى فى أصلها اللغوى : حفر أو أماكن تحت الأرض ، يطمر فيها الطعام والمال ، أى يخبأ . والمطمورة أيضاً : السجن تحت الأرض . انظر اللسان .

(٢) س : « ترى صاحبه » .

(٣) أى سؤال الناس الطعام . س : « فأنه » مكان : « فأن » .

(٤) الحق ، بالضم : وعاء من الخشب ، ومثله الحقة ، بالضم أيضاً . وقد يكون الحق جمعاً لحقة ، كما فى اللسان والقاموس . لكن المراد هنا المفرد قطعاً .

(٥) الطبق ، بالتحريك : غطاء كل شىء . وفى الحديث : « حجابه النور ، لو كشف طبقه لأحرقت سبحات وجهه كل شىء أدركه » . سمى طبقاً لأنه يطابق ويساوى ما هو غطاء له .

ذلك الظَّليمُ أعظَمَ حَجرٍ فيه وأنْفَسَهُ ، وذلك بِعَيْنِ السّائح[1] ؛ ووثب الصّائغُ وغلمانهُ فجمعُوا تلك الأحْجَارَ ، وَنَحَّوا النَّاسَ[2] وصاحُوا بهم فلم يَدْنُ منهم أحَدٌ ، وفقدوا ذلك الحجَر ، فصرخت المرأةُ ، فكشفَ القَوْمُ وتناحَوْا[3] ، فلم يصيبوا الحَجَرَ ، فقال بعضهم : واللهِ ما كان بقربنا إلاّ هذا الرّاهبُ الجالسُ ، وماينبغى أن يكون إلاّ معه ! فسألوه عن الحجر فكرِه أن يخبرَهم أنه فى جوف الظليم فيُذْبحَ الظليمُ ، فيكونَ قد شاركَ فى دم بعضِ الحيوان ، فقال : ما أخذْتُ شيئاً ! وبحثوه وفتّشوا كلّ شيء معه وألحُّوا عليه بالضّرب ، وأقبل صاحِبُهُ وقال : اتّقوا اللهَ ! فأخذُوهُ وقالوا[4] دفعته إلى هذا حَتَّى غَيَّبَهُ ! فقال : ما دفعتُ إليه شيئاً ! فضرَبوهما ليقرّ[5] فبينما هما كذلك إذْ مَرَّ رَجُلٌ يَعْقِلُ ، ففهم عنهُمُ القِصَّةَ ، ورأى ظليماً يتردّدُ فقال لهم : أكان هـذا الظليمُ يتردَّد فى الطريق حِينَ سقَطَ الحجر ؟ قالوا : نَعَمْ . قال : فهو صاحبكم . فعوَّضُوا أصحاب الظليم ، وذبحوه وشقُّوا عن قانصته ، فوجدوا الحجَر وقد نَقَص فى ذلك المقدارِ من الزّمانِ شبيها بِشَطْره[6] ، إلاّ أنها أعطتْهُ لوْناً صارَ الذى استفادُوه من جهةِ اللّوْنِ أربحَ لهم من وزْنِ ذلك الشَّطرِ أنْ لَوْ كانَ لم يَذْهَبْ .

ونارُ القانصةِ غيرُ نارِ الحجرَ[7] .

---

(١) العين ، بالفتح : المعاينة . ومنه قولهم فى المثل : « تطلب أثراً بعد عين » . انظر أمثال الميدانى فى هذا الرسم .

(٢) نحوا : أبعدوا . ط : « نحو الناس » صوابه ، فى س ، هـ .

(٣) تناحوا : المراد بها تباعدوا . ط : « تناجوا » بالجيم ، صوابها فى س ، هـ .

(٤) ط ، س : « وقال » صوابه من هـ .

(٥) فى الأصل : « ليموتا » . وفى الجماهر للبيرونى ٤١ : « فضربا ضرب التقرير » .

(٦) أى قريبا من نصفه .

(٧) أى النار التى تقدح من الحجر .

القول في النّيران وأقسامها

ونحنُ ذاكِرُون جُمَلاً في القَول في النِّيرانِ وأجناسها ، ومَواضِعِها ، وأيّ شيءٍ منها يضافُ إلى العجَم ، وأيُّ شيءٍ منها يضاف إلى العَرب . ونُخبِرُ عن نيران الدِّيانات وغير الدِّيانات . وعمَّن عظَّمها وعمَّن استهانَ بها . وعمَّنْ أفرطَ في تعظيمها حتَّى عَبدَها . ونخبرُ عن المواضعِ التى عُظِّمَ فيها مِنْ شأنِ النّار .

(نار القربان)

فمن مواضعها التى عُظِّمَتْ بها أنَّ الله عزَّ وجلّ جعلها لبنى إسرائيلَ في موضعِ امتحانِ إخلاصهم ، وتعرُّفِ صدقِ نيّاتهم ؛ فكانوا يتقرَّبون بالقُرْبان . فمَنْ كانَ منهم[1] مُخْلِصاً نزلتْ نارٌ من قِبَلِ السّماء حتَّى تُحِيطَ به[2] فتأكُلَهُ ، فإذا فعلَتْ ذلك كان صاحبُ القُرْبانِ مُخْلِصاً في تَقرُّبِهِ . ومَتى لَمْ يَروْها وبَقِيَ الْقرْبانُ على حَاله . قَضوْا بأنّهُ كانَ مدخولَ القلْب فاسِدَ النيّةِ . ولذلك قال الله تعالى في كتابه : ﴿ الَّذِينَ قَالوا إنَّ اللهَ عَهِدَ
١٤٨ إلَيْنَا ألاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ[3] ﴾ .

والدَّليل على أنَّ ذلك قَدْ كَانَ معلوماً ، قولُ الله عزّ وجلّ :

(١) « فمن كان منهم » ساقطة من هـ .

(٢) أى بالقربان . وفى الأصل : « بهم » ، تحريف .

(٣) الآية ١٨٣ من آل عمران .

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ ﴾ ثمَّ إنّ الله سَتَرَ على عبادِه ، وجعَلَ بيانَ ذلك فى الآخرة . وكان ذلك التّدْبيرُ مصلحةَ ذلك الزّمانِ[١] ، ووفق[٢] طبائعهم وعِلَلهم . وقد كانَ القومُ من المعاندةِ والغَباوة على مقدارٍ لم يكنْ لينجع[٣] فيهم ويَكْمُلَ لمصلحتهم إلاّ ما كان فى هذا الوزْن . فهذا بابٌ من عظم شأنِ النّار فى صُدور النّاس .

وممّا زاد فى تعظيم شأنِ النّار فى صدور النّاس[٤] قولُ الله عزّ وجلّ : ﴿ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى . إذْ رَأَى نَارًا فقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّى آنَسْتُ نَارًا لعَلِّى آتِيكمْ مِنهَا بِقَبَسٍ[٥] أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى . فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَامُوسَى . إِنِّى أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ . وقال عزّ وجلّ : ﴿ إذ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ[٦] إِنِّى آنَسْتُ نَارًا سَآتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ آتِيكمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُون . فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِى النَّارِ وَمَنْ حَولَهَا وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ .

وكان ذلك مما زاد فى قَدْرِ النّارِ فى صدور النّاس .

---

(١) فى ثمار القلوب ٤٥٥ نقلا عن الجاحظ : « وكان ذلك التدبير مصلحة فى ذلك الأمر » .

(٢) ط : « ووافق » ، وأثبت ما فى هـ وثمار القلوب .

(٣) ط : « ينجع » .

(٤) الكلام من قوله : « قول الله عز وجل » إلى هنا ، ساقط من س .

(٥) فى الأصل : « بخبر » وهو تحريف شنيع . والآية هى العاشرة من سورة طه .

(٦) ط ، هـ : « فقال لأهله امكثوا » س : « وقال لأهله امكثوا » وهو تحريف كبير كسابقه . والآية هى السابعة من سورة النمل . وقد سبق مثل هذا التحريف فى القرآن ، فى ص ٨ و ١٥٩ ، ١٦٠ ، ٣١٠ . وانظر تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٤٥ .

ومن ذلك نار إبراهيم صلى الله عليه وسلم . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَأْتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ ثمّ قالَ ﴿ قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾ فلما قالَ الله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ كانَ ذلك ممّا زاد فى نباهة النّار وَقَدْرِها فى صُدور النّاس .

باب آخر

(تنويه القرآن الكريم بشأن النار)

وهو قوله عزَّ وَجَلَّ : ﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ (١) ﴾ .

والنَّارُ مِنْ أَكْبَرِ الماعون(٢) ، وأعظَمِ المرافق . ولو لم يكنْ فيها إلاّ أَنّ الله عزّ وَجَلّ قد جَعَلَها الزاجرةَ عن المعاصى ، لكان ذلك ممّا يزيد فى قَدْرِها ، وفى نَباهةِ ذِكْرِها .

وقال تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ (٣) ﴾ ، ثم قال : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ (٤) ﴾ . فقف عند قوله : ﴿ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا ﴾

---

(١) الآية ٨٠ من سورة يس .

(٢) الماعون : ما ينتفع به . فى الأصل : « من أكثر الماعون » .

(٣) الآيتان ٧١ ، ٧٢ من سورة الواقعة .

(٤) الآية ٧٣ من سورة الواقعة .

فإنْ كنت بهذا القول مؤمناً فتذكَّرْ ما فيها من النعمة أوّلاً ثم آخراً ، ثم توهَّمْ مقادير النعم وتصاريفها .

١٤٩ وقد علمنا أنَّ الله عذَّب الأممَ بالغَرَق ، والرِّياح ، وبالحاصِب[١] ، والرُّجُم[٢] ، وبالصَّواعق ، وبالخسْف[٣] ، والمسخ ، وبالجُوع ، وبالنقص من الثمرات ، ولم يبعث عليهم ناراً ، كما بعث [عليهم[٤]] ماءً وريحاً وحجارة . وجعلها من عقاب الآخرة ، ونهى أن يُحرَق بها شيء من الهوامّ وقال[٥] : « لا تُعذِّبُوا بعَذَابِ اللهِ » . فقَدْ عَظَّمَهَا كما ترى .

فتفهَّمْ — رَحِمَك الله — فقد أرادَ اللهُ إفهامك .

وقال الله تعالى للثَّقَلَيْنِ[٦] : ﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ . فجعل الشُّواظ والنحَاسَ ، وهما النَّارُ والدُّخانُ ، من الآية . ولذلك قال على نَسَق الكلام : ﴿ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾ ، ولم يَعْنِ أن التَّعْذِيبَ بالنَّار نِعمةٌ يومَ القيامة ، ولكنه أرادَ التَّحذيرَ بالخوفِ والوَعِيدِ بها[٧] ، غيرَ إدخالِ النَّاس[٨] فيها ، وإحراقهم بها .

---

(١) الحاصب : ريح شديدة تحمل التراب والحصباء . وقيل : هو ما تناثر من دقاق البرد والثلج ، أو الريح التي تقلع الحصباء .

(٢) الرجم ، بضمتين : النجوم التي يرمى بها .

(٣) الخسف : تغييب الشيء في باطن الأرض . وفي الكتاب في شأن قارون : « فخسفنا به وبداره الأرض » .

(٤) الزيادة من س ، ه : وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٥) أي على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . والحديث الآتي رواه أبو داود والترمذي والحاكم في المستدرك . انظر الجامع الصغير ٩٨٣٠ .

(٦) الثقلان ، بالتحريك : الجن والإنس .

(٧) كذا في س . وفي ط ، ه : « والخوف والمواعيد بها » .

(٨) في الأصل : « النار » ، ووجهه ما أثبت .

(شعر فى بعض النبات)

وقال المرَّار بن منقذ [1] :

وكأَنَّ أرحُلنا بجوٍّ مُحَصَّبٍ   بلوَى عُنَيزةَ مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ [2]

فى حيثُ خالطت الخزامى عَرْفَجاً   يأتيك قابسُ أهلها لم يُقْبسِ [3]

أراد خِصْبَ الوادى ورُطوبتَهُ . وإذا كان كذلك لم تَقْدَحْ عيدانُهُ ، فإنْ دَخَلها [4] مستقبسٌ لم يُورِ ناراً .

وقال كُثَيِّر :

له حسبٌ فى الحىِّ ، وارٍ زِنَادُهُ   عَفَارٌ وَمَرْخٌ حَثَّهُ الوَرْىُ عاجلُ [5]

---

(١) المرار بن منقذ ، ذكره صاحب المؤتلف ١٧٦ ، ويعرف أيضاً بالمرار الحنظلى ، وهو الذى سعى بجرير إلى سليمان بن عبد الملك فهاج الهجاء بينه وبين جرير . معجم المرزبانى ٤٠٩ . والبيتان الآتيان سبقا فى (٣ : ١٢١) .

(٢) ط ، ه : « أرجلنا » صوابه فى س . ط : « مخصب » وأثبت ما فى س ، ه والبيان (٣ : ٣٤) . وما فى ط رواية المخصص (١٠ : ١٢٣) . وانظر ما سبق من شرح البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٣) فى الأصل : « الخزاما » بالألف . وانظر ما سبق من الكلام على هذا البيت فى (٣ : ١٢١) .

(٤) انظر ما سبق من تعقيب الجاحظ فى (٣ : ١٢١) . ولعل : « دخلها » : « حكها » أو « قدحها » .

(٥) وار : متقد . والزناد : جمع زند ، أو الزناد مفرد كالزند ، عن كراع ، وهو ذاك الذى يقتدح به . وهى كناية عن الكرم وغيره من الخصال المحمودة . ط ، س : «وارى» صوابه فى ه والمخصص . حثه : أراد : عجل بإشعاله . وفى الأصل « حثة » تحريف صوابه فى المخصص (١١ : ٢٧) . وصدره فى المخصص : « لهم حسب » . ومما قيل فى مثل هذا المعنى ، قول الأعشى :

زنادك خير زناد الملوك خالط فيهن مرخ عفارا

ولو بت تقدح فى ظلمة حصاة بنبع لأوريت نارا

والعَفار والمَرْخ ، مِن بين جميع العِيدان التى تُقْدَحُ ، أَكْثَرُها فى ذلك وأسرعُها .

قال : ومن أمثالهم : « فى كُلِّ الشَّجَرِ نارٌ ، واستمجَدَ المَرْخُ والعَفار[1] » .

(نار الاستمطار)

ونارٌ أخرى ، وهى النَّار التى كانوا يَسْتَمْطِرُونَ بها فى الجاهليَّةِ الأولَى ؛ فإنهم كانوا إذا تتابعت عليهم الأَزَمات[2] ورَكَدَ عليهم البلاءُ ، واشتدَّ الجَدْب ، واحتاجُوا إلى الاستِمْطار ، اجتَمَعُوا وجَمَعُوا ما قَدَرُوا عليه من البَقَر ثمَّ عقَدُوا فى أذنابَها وبينَ عَراقِيبها ، السَّلَعَ والعُشَر[3] ، ثمَّ صعدوا بها فى جبلٍ وعرٍ[4] ، وأشعَلُوا فيها النِّيرانَ ، وضجُّوا بالدُّعاء والتضرُّع . فكانوا يَروْنَ أنّ ذلك من أسبابِ السُّقيا . ولذلك قال أُميَّةُ :

سَنَةٌ أَزْمةٌ تخيِّلُ بالنَّا س تَرَى للعِضاهِ فيها صريرا

(١) استمجد : أسرع الورى ؛ فهو فى منحه النار بسرعة ، شبيه بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد . ط ، س : « استجمد » هـ : « استمحر » صوابهما فى اللسان وأمثال الميدانى (٢ : ١٨) والمخصص (١١ : ٢٧) والخزانة (١ : ١٥٩ ، ٢ : ٨٦ ، ٤ : ٤٦ بولاق) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) .

(٢) الأزمات ، بالتحريك : جمع أزمة بالفتح ، وهى الشدة . وفى الأصل : « الأزمان » محرفة .

(٣) السلع ، بالتحريك ، والعشر بضم ففتح : ضربان من الشجر ، كان العرب يأخذون حطبهما للغرض الذى ذكره الجاحظ .

(٤) وروى عكسه ، أى أنهم كانوا يحدرونها من الجبال . انظر شرح شواهد المغنى ٣٤٧ .

إذْ يَسفُّونَ بالدَّقيقِ وكانوا ... قَبْلُ لا يأكُلونَ شيئاً فَطيرا (١)
ويَسُوقون باقراً يطرُدُ السَّهـ ... ـلَ مهازيلَ خَشْيةً أن يَبُورَا (٢)
عاقِدِينَ النِّيرانَ في شُكُرِ الأذْ ... نابِ عمداً كيما تَهيجَ البُحورا (٣)
فاشتَوَتْ كلها فهاجَ عليهم ... ثمَّ هاجَتْ إلى صَبِيرٍ صَبيرَا (٤)
فرآها الإلٰه تُرْشِمَ بالْقَطْـ ... ـرِ وأمسى جَنابُهم ممطورا (٥)
فسقاها نَشاصُه واكفَ الغيْـ ... ـثِ منه إذ رادعوه الكبيرا (٦)
سَلَعٌ ما ومِثْله عُشَرٌ ما ... عائلٌ ما وعالت البيقورا (٧)

---

(١) سففت السويق والدواء ونحوهما ، بكسر الفاء الأولى ، أسف ، بفتح السين . والباء في : « بالدقيق » زائدة . أي يسفون الدقيق . انظر أدب الكاتب ٣٩٧ والاقتضاب ٤٥٦ . والفطير : ماعجل خبزه من ساعة ، ولم يترك حتى يختمر .

(٢) الباقر : البقر . ورواية اللسان (عيل) : « ويسوقون باقر السهل للطود » وهي رواية الآلوسي في بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) عن ابن الكلبي . مهازيل : نحاف ، هزلتها الأزمة . يبور : يهلك ، أي الباقر . س : « تبورا » .

(٣) الشكر : جمع شكير ، وهو الشعر القصير بين الشعر الطويل . ط : « عهدا » مكان « عمدا » ه : « عداء » ، صوابهما ما أثبت من س . وهاجت البحور : أثارتها . يقال : هاجه وأهاجه . وروى في اللسان (شكن) وبلوغ الأرب : « في شكن الأذناب » .

(٤) كلها : أي كل الأذناب ، أو كل الباقر . والصبير : السحاب يثبت يوما وليلة ولا يبرح ، كأنه يصبر أي يحبس .

(٥) ضمير رآها للأرض المفهومة من الكلام . وأرشمت الأرض : بدا نبتها . في الأصل والديوان : « ترسم » ولا وجه له . والقطر ، بالفتح : المطر .

(٦) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والغيث الواكف : المطر الهاطل . وفي الأصل : « فسقاها نشاطه واكف النبت » تحريف . منه : أي من النشاص . وفي الأصل : « منهم » صوابه من ديوان أمية ٣٦ . ه : « إذ رأى دعوة » وفي الديوان : « إذا وادعوه » . وأرى كل ذلك محرفا . وشعر أمية مفعم بالتحريف والتصحيف .

(٧) السلع والعشر مضى ضبطهما وتفسيرهما . والكلمة الأخيرة من البيت حكاية من =

هكذا كان الأصمعىُّ ينشِدُ هذه الكلمة ، فقال له علماءُ بَغدادَ : صحّفْتَ ، إنما هى البيقور ، مأخوذة من البقر .

وأنشد[1] القحذمى[2] للوَرَلِ الطائىِّ[3] :

لادَرَّ درُّ رِجَالٍ خابَ سَعيُهُمُ   يستَمْطِرُون لَدَى الأَزْماتِ بالعُشَرِ[4]

أجاعلٌ أنتَ بَيْقُوراً مُسلَّعةً   ذَريعةً لك بينَ اللهِ والمَطَرِ[5]

= الجاحظ لتصحيف الأصمعى ، كما سيأتى . والرواية : « البيقورا » بمعنى البقر ، كما نبه وكما فى اللسان (بقر ، عيل) والديوان . ويقال عال الشىء فلانا : ثقل عليه . القاموس . يقول : أثقلت البقر بما حملته من السلع والعشر . انظر اللسان (عيل) وأنشد البيت صاحب اللسان مرة ثالثة فى (على) بعد أن قال : « وعالِ عَلَىَّ : أى احمِلْ » فكأنه جعل « عالت » مرة أخرى من المعالاة . والبيت استشهد به ابن هشام فى المغنى على زيادة « ما » ثلاث مرات . وقد نقل السيوطى فى المزهر (٢ : ٢٢٣) ما كتبه الجاحظ هنا من تصحيف الأصمعى . وفيه : « النيقورا » . وليس أحد المصحيفين بأولى فى الإثبات من صاحبه . ونقل الآلوسى فى بلوغ الأرب (٢ : ٣٠١) أن تصحيف الأصمعى هو : « وغالت البيقورا » بالغين المعجمة .

(١) ط : « فأنشد » صوابه فى س ، هـ .

(٢) القحذمى هو الوليد بن هشام القحذمى ، كما فى البيان (١ : ٦١ ، ٢ : ٢٥٤) . وفى لسان الميزان (٦ : ٢٢٨) . « قال ابن حبان فى الطبقة الثالثة من الثقات : الوليد بن هشام بن قحذم ، أبو عبد الرحمن القحذمى ، من أهل البصرة ، يروى عن جرير بن عثمان . حدثنا عنه أبو خليفة الفضل بن الحباب الجمحى . مات سنة اثنتين وعشرين ومائتين » . والقحذمى ، بفتح القاف بعدها حاء مهملة ساكنة وذال معجمة مفتوحة : نسبة إلى جده قحذم ، كما رأيت . وفى الأصل : « القحدمى » بالدال ، تصحيف ، صوابه من المصدرين السابقين .

(٣) كذا فى الأصل واللسان (بقر) نقلا عن الجوهرى ، حيث أنشد البيتين . وفى اللسان (سلع) : « الورك » .

(٤) س ، هـ : « لدى الأزمان » ، صوابه فى ط واللسان (بقر ، وسلع) .

(٥) مسلعة : وضع فى أذنابها وبين عراقيبها السلع . والسلع ، بالتحريك : نبت .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال بَقَر ، وبَقِير . وبَيقور ، وباقر [1] . ويقال للجماعة منها : قطيع وإجْل . وكَوْر [2] . وأنشد [3] :

فسكَّنتهم بالقَولِ حتى كأنَّهم بواقِرُ جُلْحٌ أسكنَتها المراتعُ [4]

وأنشد [5] :

ولا شَبُوبٌ مِنَ الثيران أفْرَدَهُ عَنْ كَوْرِه كَثْرَةُ الإغْرَاء والطَّرَدُ [6]

---

(١) زاد عليه فى اللسان : باقور وباقورة . وكلها أسماء جمع .

(٢) إجل ، بالكسر . وكور ، بالفتح . وفى الصحاح : « والكور أيضاً : الجماعة الكثيرة من الإبل . . . . وجعله أبو ذؤيب فى البقر أيضاً » .

(٣) البيت الآتى لقيس بن عيزارة الهذلى ، كما فى اللسان (جلح) . وله ترجمة فى معجم المرزبانى ٣٢٦ . والعيزارة أمه ، وهو قيس بن خويلد .

(٤) جلح : جمع أجلح وجلحاء ، وهو الذى لا قرن له . أسكنتها : جعلتها تسكن . وفى اللسان (جلح) : « سكنتها » ، وروى فى (بقر) : « أسكنتها » . وفى س : « أمكنتها » .

(٥) البيت الآتى لأبى ذؤيب الهذلى ، كما فى ديوان الهذليين ١ : ١٢٤ واللسان (كور) . وقبله ، وهو أول القصيدة :

تاَللهِ يَبْقَى على الأيّامِ مُبْتَقِلٌ جَوْنُ السَّراة رَبَاعٌ سِنُّهُ غَرِدُ

يقول : تالله لايبقى على الأيام مبتقل : أى الذى يرعى البقل . جون السراة : أسود الظهر . غرد : مصوت .

(٦) أى : ولا يبقى شبوب . والشبوب ، كصبور : التام الشباب . ومثله الشبب ، بالتحريك . والمشب ، بضم الميم وكسر الشين . ورواية الجوهرى : « ولا مشب » وهى كذلك رواية ابن سيده (٨ : ٣٣) . وفى (٨ : ٤٢) : « ولا شبوب » . وقد ضبط فى اللسان : « ولا شَبوبَ » بالبناء على الفتح » وهو خطأ ، فإنه عطف على : « مبتقل » فى البيت السابق فى التنبيه السالف . أفرده عن كوره : جعله مفرداً عن جماعته وشرده . وروى فى اللسان : « من كوره » : والإغراء : =

(نار التحالف والحلف)

ونار أخرى ، هي التي توقَدُ عند التَّحالُف ؛ فلا يعقِدُون حِلفهُمْ إلاَّ عندَها . فيذكرون عند ذلك[١] منافعَها ، ويَدْعُونَ إلى الله عزَّ وجلَّ ، بالحرمان والمنع من منافعها ، على الذى يَنْقُضُ عَهْدَ الحِلف ، ويَخيس بالعهد[٢] .

ويقولون فى الحلف : الدَّمُ الدَّمُ ، والهدمُ الهدَمُ[٣] (يحركون الدّالَ فى هذا الموضع) لا يزيده[٤] طلوعُ الشمس إلاَّ شَدًّا ، وطولُ اللَّيالى إلاّ مَدًّا ، ما بلَّ البحر صوفة[٥] ، وما أقام رضوى فى مكانه[٦] . (إن كان جبلهم رَضْوَى) .

= أى إغراء الكلاب الصائدات به . والطرد ، بالتحريك ، مثل الطرد بالفتح : المطاردة ومزاولة الصيد . هـ : « من النيران » محرف . وفى الأصل : « كثرة الأعداء » ، صوابه من اللسان والمخصص والصحاح .

(١) هـ : « عند ذكر » .

(٢) خاس بالعهد : أخلفه ونقضه .

(٣) الهدم ، بالسكون ، وبالتحريك : إهدار دم القتيل . والمعنى : إن طلب دمكم فقد طلب دمنا ، وإن أهدر دمكم فقد أهدر دمنا . وقيل : الهدم ، بالتحريك : القبر . أى قبرنا قبركم . أى لا نزال معكم حتى نموت عندكم . وللعبارة تفاسير أخر مذكورة فى اللسان ، وكلها جيد .

(٤) أى لا يزيد الحلف .

(٥) فى الأصل : « وما بل البحر صوفة » والواو مقحمة . والصوفة : واحدة الصوف . وصوف البحر : شىء على شكل هذا الصوف الحيوانى . ويروى : « ما بل بحر صوفة » ، كما فى اللسان (صوف) .

(٦) رضوى ، بالفتح : جبل بالمدينة .

وكلٌّ قومٍ يذكرون جبلهم ، والمشهورُ من جبالِهم .

وربّما دَنَوْا منها حتى تكاد تحرقهم [١] .

ويهوِّلون على من يُخافُ عليه الغَدْرُ · بحقوقها ومنافعها · والتَّخويفِ مِنْ حِرْمانِ منفعتها . وقال الكُمَيت :

كهُولةِ ما أوقد المحلفُو ... ن للحالِفِينَ وما هَوّلوا [٢]

وأصلُ [٣] الحِلْف والتَّحالف ، إنماهو من الحَلِفِ والأيمان [٤]

ولقد تحالفت قبائلُ من قبائِل مُرَّةَ بنِ عوف ، فتحالفوا عندَ نارٍ فدَنَوْا منها ، وعشُوا بها [٥] حَتَّى مَحَشَتهم . فسُمُّوا : المحاشَ [٦] .

وكان سيدَهم والمطاعَ فيهم ، أبو ضمرة يزيد بن سنان بن أبي حارثة [٧] . ولذلك يقول النّابغة :

جَمِّعْ مِحَاشَكَ يا يزيدُ فإنَّني ... جَمَّعْتُ يَرْبُوعاً لكم وتميما [٨]

(١) هـ : « تحرفهم » مصحفة .

(٢) الهولة ، بالضم : مايهول . ط ، س : « لهولة » صوابه فى هـ واللسان (هول) . وكانوا يطرحون فى النار ملحا يفقع يهولون بذلك . اللسان (نور) . وانظر الخزانة (٣ : ٢١٤) حيث تجد تفصيلا أوسع . وقبل البيت كما فى الخزانة :

فَقد صِرتُ عمًّا لها بالمشيبِ ... زَوَالاً لدَيْهَا هُـوَ الأَزْوَلُ

(٣) فى الأصل : « وأهل » ، ووجهه ما أثبت .

(٤) الأيمان : جمع يمين ، وهى القسم . ط : « ولا يماو » تحريف ما أثبت من س ، هـ .

(٥) عشى بالنار ، كرضى ودعا : ساء بصره . ومصدره العشا ، يكتب بالألف وبالياء .

(٦) المحاش ، بالكسر . ومحشته النار : أحرقته . والمحاش : هم صرمة وسهم ومالك بنو مرة ابن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض ، وضبة بن سعد . اللسان (محش) . وفى شرح ديوان النابغة للبطليوسى ٦٩ أنهم بنو خصيلة بن مرة ، وبنو نشبة بن غيظ بن مرة ، تحالفوا على بنى يربوع بن غيظ بن مرة ، رهط النابغة .

(٧) يزيد هذا ، هو أخو هرم بن سنان بن أبى حارثة الذى مدحه زهير بن أبى سلمى . وأبوهما سنان ، كان أيضاً ممن مدحه زهير .

(٨) رواية اللسان والديوان : « أعددت يربوعا » .

١٥١ ولحِقتُ بالنَّسَبِ الذى عَـيّرْتَنِي   وتركْتَ أصلاً يا يزيدُ ذَميما[1]

وقوله : « تميم » يريد : تميمة[2] . فحذف الهاء .

(التحالف والتعاقد على الملح)

وربّما تحالفوا وتعاقَدُوا على الملح . والملحُ شيئان : أحدهما المَرَقة[3] ، والآخر اللَّبَنَ . وأنشدوا لشُتيم بن خُويلدٍ الفَزاريّ[4] :

لا يبعد اللهُ رَبُّ العبـادِ   والمِلْـحُ ما وَلَدَت خَالِدَهْ[5]

---

(١) كان يزيد يفتخر بنسبته فى قيس ويقول :

إنى امرؤ من صلب قيس ماجد   لامدع نسبا ولا مستنكر

وكان يقول للنابغة : والله ما أنت من قيس ولا أنت إلا من قضاعة . فقال النابغة له : أنا لاحق بمن عيرتنى ومتحقق بهم ، ولست مثلك تنتفى عن أصلك . وقيس من العدنانية . وأما قضاعة فكانت فى العدنانية ، ثم تحولت إلى القحطانية . انظر ما سبق من الكلام على هذا فى ص ٣٢٥ — ٣٢٦ من هذا الجزء . وفى الديوان : « وتركت أصلك » و « ذميما » حال من فاعل « تركت » أى فعلت ذلك وأنت مذموم .

(٢) أى استعمل الترخيم فحذف الهاء . وتميمة هى ابن ضبة بن عذرة بن سعد بن ذبيان ، كما فى شرح ديوان النابغة ٧٠ . قال : « قوله وتميما ، لم يرد تميم بن مر . إنما أراد : تميمة بن ضبة بن عذرة » . وقد عقب على ذلك بقوله : « فرخم فى غير النداء » . وكلمة « مر » هى فى أصل الشرح : « مرة » . و « تميمة بن ضبة » هى فى أصلها : « تميم ابن ضبة » . وقد أصلحت التحريفين .

(٣) كذا . وفى القاموس واللسان أن الملح « الحرمة » . وفى اللسان عن ابن الأنبارى والخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) عن المفضل بن سلمة أن الملح « البركة » . ولم أجد من فسرها بأنها المرقة .

(٤) شتيم ، بهيئة التصغير ، شاعر جاهلى كما فى الخزانة (٤ : ١٦٤ بولاق) . وروى فى الخزانة أيضاً عن نوادر ابن الأعرابى منسوبا إلى نهيكة بن الحارث المازنى من مازن فزارة . ورواه المبرد فى كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه ص ٢٧ منسوبا إلى ابن الزبعرى . وفى مقطعات المراثى ١٠٦ نسبتها إلى الحارث بن عمرو الفزارى يرثى بنى خالدة : كردما وإخوته . وانظر اللسان (لوم ٣٨) .

(٥) الملح ، روى بالرفع فى الفاخر ٩ والكامل ٢٨٤ ليبسك . عطف على لفظ الجلالة =

وأنشدوا فيه[١] قول أبي الطَّمَحَانِ[٢] :

وإنى لَأَرْجُو مِلْحَهَا فى بطونِكم ... وما بَسَطتْ مِنْ جِلْدِ أَشْعَثَ أَغْبَرَا[٣]

وذلك أَنَّهُ كان جاورهم ، فكان يَسقيهم اللَّبن ؛ فقال : أرجو أن تشكروا لى رَدَّ إِبِلِى[٤] ، عَلَى ما شربتم من ألبانها ، وما بَسَطتْ من جلْدِ أَشْعَثَ أغبر . كأَنَّهُ يقول : كنتم مهازيل - والمهزولُ يتقشَّف جِلْدُهُ وينقبض - فَبَسَطَ ذلك من جُلودِكم .

(نار المسافر)

ونار أخرى[٥] ، وهى النَّار التى كانوا ربَّما أوقدوها خَلْفَ المسافر ،

= وروى بالجر عطفا على « العباد » أو بجعل الواو واو القسم . انظر اللسان (٣ : ٤٤٤ س ٤) حيث تجد العبارة مضطربة . وقد حررتها . وخالدة هى بنت أرقم ، أم كردم وكريدم ابنى شعبة الفزاريين .

(١) أى فى الملح . وفى الأصل : « فى » محرفة .

(٢) أبو الطمحان ، بالتحريك ، هو حنظلة بن الشرقى . كان نديما للزبير بن عبد المطلب فى الجاهلية ، ثم أدرك الإسلام . وهو أحد المعمرين . الإصابة ٢٠٠٧ والأغانى (١١ : ١٢٥) والشعراء ٣٤٨ .

(٣) كذا جاءت الرواية هنا وفى الكامل ٢٨٤ ليبسك والاشتقاق ٢٦٧ والغريب المصنف ٤٩٤ والمخصص (١ : ٢٦) بالجر . والقصيدة مكسورة الروى . وأولها :

ألا حنَّتِ المرقالُ واشتاق رَبُّها ... تَذكَّرُ أَرْمَامًا وأذكُرُ مَعْشَرِى

انظر اللسان (ملح) والشعراء والأغانى (١١ : ١٢٨) . والبيت يقوله لقوم نزلوا عليه فشربوا من ألبانها ثم أغاروا عليها فأخذوها .

(٤) الرد بمعنى الفائدة والنفع . وانظر البيان (٣ : ٥٠) . ط ، هـ : « ردائلى » س : « رزائلى » بهذا الإهمال . وصوابهما ماأثبت .

(٥) سماها العسكرى فى كتاب الأوائل : « نار الطرد » صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وتنزيل الآيات لمحب الدين أفندى . وسماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٥٩ : « نار المسافر » .

وخَلْفَ الزَّائرِ الذى لا يحبُّونَ رُجُوعَهُ . وكانوا يقولون فى الدُّعاءِ : أبعده الله وأسحقه ، وَأَوْقَدَ نَاراً خلفَه ، وفى إثره ! وهو معنى قولِ بشار — وضربَهُ مثلا — :

صَحوتَ وأوقَدْتَ للجهلِ نَـارَا ورَدَّ عليك الصِّبَا ما استَعَارَا[1]

وأنشدوا :

وَجَمَّـةِ أقوامٍ حَمَـلْتَ ولم تـكنْ لتوقِدَ نَـاراً إثرهم للتندُّمِ[2]

والجَمَّة : الجَمَاعَة يمشون فى الصلح . وقال الراجز فى إبله :

* تقسَمُ فى الحقِّ وَتعْطَى فى الجُمَمْ[3] *

يقول[4] لا تندم على ما أعطيت فى الحمالة[5] ، عند كلام الجماعة فتوقد خلفهم نَاراً كَى لا يعودوا .

(نار الحرب)

ونار أخرى[6] وهى النَّار التى كانوا إذا أرادوا حرْباً ، وتوقعُوا جيشاً عظيما ، وأرادوا الاجتماع أوقدوا ليلاً على جبلهم نَاراً ؛ ليبلغَ الخبرُ أصحابَهم .

---

(١) ديوان بشار ٣ : ٤ ومجالس ثعلب ٦١١ والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٥٧) . واللسان (وقد) .

(٢) مثل هذه الرواية فى ثمار القلوب ٤٥٩ وتنزيل الآيات . وروى فى اللسان (نور) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « ولم أكن لأوقد ناراً » . والجمة ، بفتح الجيم وتضم .

(٣) فى الحق : أى فى حق الأضياف إذ ينحرها لهم . هـ : « يقسم » س ، هـ : « بالحق » صوابهما فى ط . س : « بالجمم » صوابه فى ط ، هـ .

(٤) أى الشاعر السابق ، لا الراجز .

(٥) الحمالة ، كسحابة : الدية يحملها قوم عن قوم .

(٦) سماها الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٦١ : « نار الإنذار » والعسكرى فيما نقل عنه محب الدين أفندى : « نار الأهبة للحرب » ، وفيما نقل عنه القلقشندى : « نار الحرب » .

وقد قال عمرُو بنُ كلثومٍ :

ونحنُ غداةَ أُوقِدَ فى خزَازٍ رَفدْنَا فوْقَ رِفْدِ الرَّافدينَا[١]

وإذا جَدُّوا فى جَمْعِ عشائرهم إليهم[٢] أَوْقَدُوا نارَيْنِ . وهو قول الفرزدق[٣] :

لولا فوارِسُ تَغْلِبَ ابنَةِ وائِلٍ سَدَّ العدوُّ عليكَ كل مكانِ[٤]

ضربُوا الصَّنائِـعِ والملوكَ وأوقدُوا نارَينِ أشرفَتَا على النِّيرانِ[٥]

---

(١) خزار وخزازى ، بالفتح : جبل . وروى البيت بالروايتين . س ، هـ : « حزاز » مصحفة . وانظر خبر يوم خزاز فى معجم البلدان والميدانى (٢ : ٣٥٣) والعقد (٣ : ٣٦٥) وكامل ابن الأثير (١ : ٣١٠) والعمدة (٢ : ١٦٦) . رفدنا : أعنا .

(٢) فى الأصل : « فى جميع » محرفة . ط ، س : « ولما وجـدوا » هـ : « ولما حدوا » وهما تصحيف ما أثبت . وجاء فى تنزيل الآيات ٩٢ : « فإذا جد الأمر أوقدوا نارين » ، وفى الخزانة (٣ : ٢١٤ بولاق) نقلا عن ابن قتيبة : « فإذا جدوا وأعجلوا أوقدوا نارين » .

(٣) من قصيدة يهجو بها جريرا ، ويذكر فضل التغلبيين رهط الأخطل . الديوان ٨٨٢ — ٨٨٣ .

(٤) روى فى الديوان وتنزيل الآيات : « نزل العدو عليك » هـ : « ترك » محرفة عن الرواية السابقة .

(٥) الصنائع ، يروون أنه كان للنعمان الأكبر ملك الحيرة ، خمس كتائب : الرهائن ، والصنائع ، والوضائع ، والأشاهب ، ودوسر . فالرهائن : خمسمائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون سنة على باب الملك طوع أمره ، ثم يستبدل غيرهم بهم . و (الصنائع) : بنو قيس وبنو تيم اللات ابنى ثعلبة . وكانوا خواص الملك لا يبرحون بابه . والوضائع : ألف رجل من الفرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملوك العرب ، يقيمون سنة ثم يستبدل غيرهم بهم . والأشاهب : إخوة ملك العرب وبنو عمه . وأما دوسر فكانت أخشن كتائبه وأشدها بطشا ، وكانوا من كل قبائل العرب : وأكثرهم من ربيعة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٧٦) . وفى الأصـل : « ضربوا المصانع والتلول » وليت شعرى ماذا يجدى عليهم ضرب التلول ؟ ! =

(نار الحَرَّتين)

ونار أخرى ، وهى « نار الحرّتين [١] » ، وهى نار خالد بن سنان ، أحد بنى مخزوم ، من بنى قطَيْعَةَ بْنِ عَبْس [٢] . ولم يكن فى بنى إسمٰعيل
١٥٢ نبىٌّ قبلهُ . وهو الذى أطفأ الله به نار الحَرَّتَينِ . وكانت ببلاد بنى عبس [٣] ،
فإذا كان اللّيلُ فهى نارٌ تسطعُ فى السّماء ، وكانت طيِّئٌ تُنْفِشُ بها إبلها من مسيرةِ ثلاث [٤] . وربّما ندرَتْ منها العُنُق [٥] فتأتى على كلِّ شىء فتحرقه . وإذا كان النهارَ فإنما هى دخانٌ يفور . فبعث الله خالدَ بنَ سنان

= فهو تحريف صوابه ما أثبت من الخزانة ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) ، وتنزيل الآيات . ورواية الديوان : « قتلوا الصنائع والملوك » وفيه أيضاً : « نارين قد علتا » . وأشرفتا وعلتا بمعنى .

(١) الحرة ، بالفتح : أرض ذات حجارة نخرة سود . والحرتان ، هما حرة ليلى ، لبنى مرة ، وحرة النار لغطفان ، كما فى المزهر (٢ : ١١٩) . أما حرة ليلى فهى من وراء وادى القرى من جهة المدينة . وحرة النار قريبة من حرة ليلى قرب المدينة . عن معجم البلدان .

(٢) قطيعة، كجهينة ، بهيئة التصغير .

(٣) فى الأصل : « وكانت حرة ببلاد بنى عبس » . وكلمة « حرة » تفسد الكلام . وضمير « كانت » راجع إلى : « نار الحرتين » فالصواب حذفها ، كما جاء فى نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ٤٥٦ . وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب .

(٤) أنفش الراعى إبله : جعلها ترعى ليلا دون أن يراقبها . من مسيرة ثلاث : أى ثلاث ليال ، كما جاء فى ثمار القلوب نقلا عن الجاحظ ، وكما فى صبح الأعشى (١ : ٤٠٩) وبلوغ الأرب . س : فقط « ثلاثة » : أى ثلاثة أيام . فى الأصل : « تتبين بها إبلها » ، وفى ثمار القلوب : « تنعش بها إبلهم » ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٧٨) وهو ينقل عن الجاحظ ولو لم يصرح — : « تنقش فيها الإبل » صواب هذا كله « تنفش » بالفاء ، كما أثبت موافقا لما فى عجائب المخلوقات ٨٨ .

(٥) ندرت : ظهرت وبدت . والعنق : القطعة أو الطائفة .

فاحتفرَ لَهَا بئراً ، ثمّ أدخلها فيها ، والنّـاسُ ينظرون ؛ ثمّ اقتحم فيها حتى غيّبها. وسمع بعضَ القوم وهو يقول [هَلَكَ الرَّجُلُ ! فقال خالدُ بنُ سِنانٍ (١)] : كذب ابنُ راعية المعز ، لأخرجنّ منها وجبيني يَنْدَى (٢) ! فلمّا حضَرَتْهُ الوفاة ، قال لقومه : إذا أنا متُّ ثمّ دفنتمونى ، فاحضُرونى بعدَ ثلاثٍ ؛ فإنّـكم تَرَوْنَ عَيراً أبترَ يطوفُ بقبرى ، فإذا رأيتم ذلك فانبشونى ؛ فإنى أخبرُكم بما هو كائن إلى يوم القيامة . فاجتمعوا لذلك فى اليوم الثالث (٣) ، فلما رأوا العَيْرَ (٤) وذهبوا ينبشونه ، اختلفوا ، فصاروا فرقتين ، وابنه عبدُ الله فى الفِرقة التى أَبَتْ أن تنبشه وهو يقول : [لا أفْعَلُ ! إنى (٥)] إذًا أُدْعَى ابنَ المنبوش ! فتركوه .

وقد قدِمَتْ ابنَتُهُ على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، فبَسَطَ لهـا رِداءَهُ وقال : هذه ابنةُ نَـبِيٍّ ضيّعهُ قومُهُ .

قال : وسَمِعَتْ سورَةَ : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فقالت : قد كان أبى يتلو هذه السورة .

---

(١) هذه التكملة من الإصابة ٢٣٥١ فى ترجمة خالد بن سنان . وبدونها لايصح الكلام .

(٢) كذا على الصواب فى محاضرات الراغب ، والعبارة محرفة فى الأصل . ففى ط : « وجبى تندل » هـ : « وحيتى يندا » س : « وجبينى تندى » . ويندى : أى عليه ندى العرق . كناية عن سلامته من أذى النار ولفحها .

(٣) كذا فى س ، وثمار القلوب . وفى ط ، هـ : « فاجتمعوا له فى ذلك اليوم » .

(٤) العير ، بالفتح : الحمار الوحشى .

(٥) الزيادة من محاضرات الراغب . وانظر للخبر أيضا مروج الذهب (١ : ٦٧ - ٦٨) .

(نبوّة خالد بن سنان)

والمتكلِّمون لا يؤمنون بهذا ، ويزعمون أنَّ خالداً هذا كان أعرابيًّا وَبَريًّا ، من أهل شَرْجٍ ونَاظِرَة[١] . ولم يبعث الله نبيًّا قطُّ من الأعرابِ ولا من الفدَّادِينَ[٢] أهلِ الوَبَرِ ، وإنما يبعثهم من أهل القرَى ، وسُكَّانِ المُدُنِ .

وقال خُلَيْدُ عَيْنَيْنِ[٣] :

وأى نبيٍّ كانَ فى غـير قَوْمِهِ ... وَهَلْ كانَ حُـكْمُ اللهِ إلاَّ مَع النَّخْلِ[٤]

وأنشدُوا :

كَنَــارِ الحَرَّتَيْنِ لهـا زفيرٌ ... يُصِمُّ مَسَامِعَ الرَّجُلِ السَّمِيعِ[٥]

(عبادة النار وتعظيمها)

وما زالَ النَّاسُ كافَّةً ، والأممُ قاطبةً ــ حتى جَاءَ اللهُ بالحقِّ ــ مُولَعين بتعظيم النَّار ؛ حتى ضلَّ كثيرٌ من النَّاس لإفراطهم فيها ، أنهم يعبدونها[٦] .

---

(١) شرج وناظرة : ماءان لعبس . عن معجم البلدان (ناظرة) . وشرج ، بفتح الشين وسكون الراء بعدها جيم . وناظرة ، بالظاء المعجمة . وفى ط ، س : « سرح وناصرة » هـ : « سرح وناصر » محرفتان صوابهما ماأثبت .

(٢) الفدادون : أهل الوبر ، أى الذين يعيشون فى بيوت من وبر الإبل ، وهم أهل البادية .

(٣) عينين : قرية بالبحرين نسب إليها خليد . وقد ترجمته فى (١ : ٢٦٦) . وفى الأصل : « خليد عبس » محرف .

(٤) يقوله لجرير فى قصيدة يهجوه بها ويرد عليه . انظر (١ : ٢٦٦) .

(٥) زفير النار : صوت توقدها واضطرامها . ط ، هـ : « تصم » . ورواية البيت فى ثمار القلوب :

ونار الحرتين لهـا زفير ... يصم لهوله الرجل السميع

(٦) فى ثمار القلوب : « حتى ظن كثير من الناس لإفراطهم أنهم يعبدونها » .

فأما النار العُلويَّة ؛ كالشمس والكواكب ، فقد عُبدت ألبتَّة . قال الله تعالى : ﴿ وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ ﴾ .

وقد يجيءُ في الأثرِ وفي سُنَّةِ بعضِ الأنبياء ، تعظيمها على جهة التعبّدِ والمحنة ، وعلى إيجاب الشكر على النِّعمة بها وفيها . فيغلط لذلك كثيرٌ من النَّاس ، فيجوزُون الحدَّ .

ويزعم أَهلُ الكِتاب أنَّ الله تعالى أوصاهُمْ بها ، وقال : « لا تُطفِئوا النِّيران مِنْ بُيوتى » . فلذلك لاتجد الكنائس والبِيَع[1] ، وبيوت العبادات ، إلاَّ وهى لا تخلو من نارٍ أبداً ، ليلاً ولا نهاراً ؛ حتَّى اتَّخذَت للنِّيرانِ ٥٣ البُيُوتَ وَالسَّدَنَةَ ، ووقَفُوا عليها الغَلاَّتِ الكثيرة .

(إطفاء نيران المجوس)

أبو الحسن عن مسلمة[2] وقحذَم[3] ، أن زياداً بعث عَبدَ اللهِ بنَ أبى بَكرة[4] ، وأمَرَهُ أن يُطفِئَ النيران ، فأراد عبدُ اللهِ أَنْ يَبْدَأَ بنار

(١) البيع بكسر ففتح : جمع بيعة ، بالكسر ، وهى كنيسة النصارى ، وقيل كنيسة اليهود .

(٢) هو مسلمة بن محارب ، فيما أرجح . وله حديث عن زياد فى البيان (٢ : ٧٧) .

(٣) كذا جاء بالدال المهملة . والمعروف فى أسمائهم : « قحذم » بالذال ، و « قحزم » بالزاى .

(٤) عبد الله ، أحد أولاد أبى بكرة الأربعين ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ١٢٥ . وأبو بكرة اسمه نفيع بن الحارث ، أسلم ومات فى خلافة عمر . وكان تدلى إلى النبى صلى الله عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة ، فاشتهر بأبى بكرة . الإصابة ٨٧٩٤ .

جُور[١] فيطفِئها ، فقيل له : ليست للمجوس نارٌ أعْظَمَ من نار الـكارِيانِ[٢] من دار الحارث[٣] . فإن أطفأتها لم يمتنع عَلَيْكَ أحدٌ ، وإنْ أطفأت سافلتها استعدُّوا للحَرْب وامتَنَعُوا ، فابْدَأ بها . فخرجَ إلى الـكاريان فتحصَّنَ أهلُها فى القَلْعة . وكان رَجُلٌ من الفرس مِنْ أهل تلك البلاد معروف[٤] بالشدّة ، لا يقدِرُ عليه أحد ، وكان يمرُّ كلّ عشِيَّةٍ بباب ِمنزله[٥] استخفافا وإدْلالاً بنفسه ، فغمَّ ذلك عبدَ الله فقال : أما لِهذَا أحدٌ ؟ ! وكان معَ عبد الله ابن أبى بكْرة[٦] رجلٌ من عبد القيس ، مِنْ أشدِّ النَّاس بطشاً ، وكانَ جباناً ، فقالوا له : هذا العبدى[٧] ، هو شديدٌ جَبان . وإن أَمَرْتَهُ به خافَ القتالَ فلم يَعْرِضْ له . فاحتل له حيلةً . فقال : نعم .

قال : فبينا هو فى مجلسه إذْ مرَّ الفارِسِيُّ ، فقال عبد الله : ما رأيتُ مِثلَ خَلْق هذا ، وما فى الأرض ــ كما زعموا ــ أشدُّ منه بطشاً ! ما يقوى

---

(١) ط ، هـ : « حوم » س : « حدر » ، صوابهما ماأثبت . جاء فى مروج الذهب (١ : ٣٨٣) : « وفى مدينة جور من أرض فارس وهو البلد الذى يحمل منه ماء الورد الجورى . وإليه يضاف بيت النار ، بناه أردشير بن بابك » . ونحو هذا الـكلام أيضاً فى معجم البلدان (جور) .

(٢) الـكاريان ، بكسر الراء ، قال ياقوت : « مدينة بفارس صغيرة ، ورستاقها عامر ، وبها بيت نار معظم عند المجوس ، تحمل ناره إلى الآفاق » .

(٣) كذا بالأصل . ولعل وجهه : « ومن نار الحارث » ، والحارث : جبل بأرمينية انظر معجم البلدان .

(٤) كذا فى س ، هـ ، على الوصفية ، وخبره : « لايقدر » . ط : « معروفا » على الخبرية .

(٥) فى الأصل : « يأتى منزله » .

(٦) س : « وكان مع ابن أبى بكرة » .

(٧) العبدى : نسبة إلى عبد القيس : قبيلة كانت تسكن البحرين . س : « العبدكى » ولعل صواب مافى س : « العدولى » ، نسبة إلى عدولى بفتحتين فسكون ففتح ، مقصور ، وهى قرية بالبحرين بلاد عبد القيس .

عليه أحد ! فقال العبدى[1] : ما تجعلون لى إن احتملته حتّى أُدْخِلَه الدّار وأكْتِفَهُ ؟ فقال له عبد الله : لك أربعةُ آلافِ درهم . فقال : تَفُونَ لى بألف ؟ قال : نَعَمْ ! فلمَّا كان الغدُ مرَّ الفارسىُّ ، فقام إليه العبدىُّ فاحتمله فما امتنَع ولا قَدَر أن يتحرّك ، حتّى أدخله الدّارَ وَضَرَبَ به الأرضَ وَوَثَبَ عليه النّاسُ فقتلوه ، وغُشِيَ على العبدى[2] حين قتلوه . فلما قُتِلَ أَعْطَى أهلُ القَلْعة بأيديهم[3] . فقتل ابنَ أبى بَكْرَةَ الهرابذةَ[4] ، وأطفأ النّارَ ، ومضى يُطفِئُ النِّيرانَ حتّى بَلَغَ سِجِسْتَانَ .

(تعظيم المجوس للنار)

والمجوسُ تقدِّم النّارَ فى التّعظيم على الماء ، وتقدم الماءَ فى التّعظيم على الأرض . ولا تكاد تذكر الهواء[5] .

(نار السعالى والجن والغيلان)

ونار أخرى ، التى يحكونها من نيران السَّعالى[6] والجنِّ ، وهى غيرُ نار الغِيلان[7] . وأنشد أبو زيد لسَهم بن الحارث[8] :

(١) س : « العبدلى » . وانظر التنبيه السابق .

(٢) س : « العبدلى » ، محرف .

(٣) أعطوا بأيديهم : استسلموا واستأسروا .

(٤) الهرابذة : جمع هربذ ، بكسر الهاء والباء ، كزبرج ، وهو خادم نار المجوس . وفى معجم استينجاس أنه قيم معبد النار : أو الرئيس من رؤساء كهنة المجوس .

(٥) فى الأصل : « الهوى » محرف .

(٦) السعالى : جمع سعلاة ، بالكسر ، وهى أنثى الجن فيما يزعمون .

(٧) ذهب الجاحظ إلى أن الغيلان نوع مغاير للسعالى . انظر تفصيل ذلك فى الحيوان (٦ : ١٥٨ - ١٦٠) . ونحوه ماورد فى عجائب المخلوقات ٣٠٩ . وبعض اللغويين يجعلهما نوعا واحداً .

(٨) الذى فى نوادر أبى زيد ١٢٣ : « شمير بن الحارث الضبى » وضبط « شمير » =

وَنَارٍ قد حضأتُ بُعيْدَ هُدءٍ ... بدارٍ لا أُريدُ بهـا مُقامَا [1]

سوَى تَحليلِ رَاحلةٍ وعَـيْنٍ ... أُكالئُها مخافَة أنْ تَنَامَا [2]

أَتَوْا نارِى ، فقلْتُ مَنُون أنتمْ ... فقالوا : الجنُّ ! قلت : عِمُوا ظَلامَا [3]

فقلت : إلى الطّعامِ ، فقال منهم ... زَعيمٌ : نَحسُدُ الإنْسَ الطعامَا [4]

وهذا غلط وليس من هذا الباب . وسَنَضعُهُ فى موضعه إن شاء الله تعالى [5] . بل الذى يقع ههنا قولُ أبى المطراب عبيدِ بنِ أيُّوبَ [6] :

بهيئة التصغير . وقال أبو الحسن فى ١٢٤ : « حفظى سمير » أى بالسين . وانظر الخزانة (٣ : ٣ بولاق) . وجاء فى الحيوان (٦ : ١٩٦) : « شمر بن الحارث الضبى » ومثله فى اللسان (من) . ونسبه فى (عير) إلى تأبط شرا .

(١) حضأت : أشعلت . هـ : « حصأت » مصحفة . والهدء ، بالضم والفتح : أن تهدأ الرجل والليل . س : « هذا » محرفة .

(٢) فى شرح نوادر أبى زيد ١٢٦ : « سوى تحليل راحلة ، أراد سوى راحلة أقمت بها فيها بقدر تحلة اليمين » . وتحلة اليمين : مثل فى القليل المفرط القلة . وهو أن يباشر من الفعل الذى يقسم عليه المقدار الذى يبربه قسمه ويحلله . مثل أن يحلف على النزول بمكان ، فلو وقع به وقعة خفيفة أجزأته ، فتلك تحلة قسمه . انظر اللسان . وروى : « سوى ترحيل راحلة » أى إزالة الرحل عن ظهرها . وروى فى المخصص (١ : ٩٤) الميدانى (١ : ٣٢٠) مع نسبته فى الأخير إلى تأبط شرا : « وعير * أكالئه مخافة أن يناما » . وفى الخزانة عن المفضل « وعير أكالئها مخافة أن تناما » . والعير ، بالفتح : إنسان العين ، يذكر ويؤنث .

(٣) منون أنتم : أى من أنتم . وانظر تفصيل القول فى هذه اللغة فى لسان العرب (من) .

(٤) إلى الطعام : أى هلموا إليه .

(٥) برّ الجاحظ بوعده . وأعاد ذكر الأبيات فى موضعها . انظر الحيوان (٦ : ١٩٦) .

(٦) عبيد بن أيوب : شاعر من بنى العنبر . كان يخبر فى شعره أنه يرافق الغول والسعلاة ، ويبايت الذئاب والأفاعى ، ويأكل الظباء والوحش . الشعراء ٧٥٨ — ٧٦١ .

فللّه درُّ الغُـول أىُّ رَفِيقةٍ لصاحِبِ قفرٍ خائفٍ متقفِّرِ[١] ١٥٤
أَرَنَّتْ بِلَحْنٍ بَعْدَ لَحْنٍ وأوقَدَتْ حَوَالَىَّ نِيراناً تبوخُ وَتَزْهَرُ[٢]

(نار الاحتيال)

وما زالت السَّدَنَةُ تحتالُ للنَّاس جهةَ النِّيران بأنواع الحيل ، كاحتيال رُهبانِ كَنيسةِ القُمَامة[٣] ببيت المقدس بمصابيحها ، وأنَّ زَيْتَ قناديلها يَسْتوْقِدُ لهم[٤] من غير نَارٍ ، فى بعض ليالى أعيادِهم .

قال : وبمثل احتيال السَّادن[٥] لخالد بن الوليد ، حين رماه بالشَّرَر ،

---

(١) المتقفر : الذى يتبع آثار الصيد ونحوه . فى الأصل : « در القول » صوابه ما أثبت من الحيوان (٥ : ١٢٣) والشعراء ٧٥٨ والمسعودى (١ : ٣٢٨) وأصل إعجاز القرآن للباقلانى ٤٣ وتنزيل الآيات ٩٣ . ط ، س : « أى رقيقة » . صوابه : « رفيقة » أى صاحبته ، كما فى هـ والمراجع المتقدمة . وفى الشعراء « يتستر » بدل « متقفر » .

(٢) أرنت : من الإرنان ، وهو التصويت . فى الأصل : «أذنت» صوابه فى المراجع . ط : « حوالى نيران » صوابه فى س ، هـ ، والمصادر السابقة ، قال المسعودى ، « كانت العرب قبل الإسلام تزعم أن الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتخبيل واختلال السابلة » . وانظر الحيوان (٥ : ١٢٣) . تبوخ : تسكن وتفتر. تزهر : تضىء ، وبابه منع . والمعنى : أنها تخبو تارة وتشتعل أخرى . وهذه رواية الأصل والشعراء وإعجاز القرآن وتنزيل الآيات . وفى مروج الذهب والحيوان ج ٥ : « تلوح وتزهر » . وفى هذا البيت إقواء ، فإنه مروى مع أبيات خمسة أخرى مكسورة الروى . انظر الحيوان (٦ : ٥٠) .

(٣) هى كنيسة القيامة : أعظم كنيسة للنصارى بالبيت المقدس . ورجح ياقوت فى معجم البلدان تسميتها : كنيسة القمامة ، بالضم . فى الأصل : « القمة » محرفة . صوابها من الحيوان (٦ : ٢٠٢) ومعجم البلدان . وجاء فى التنبيه والإشراف ١٢٣ : « وبنت هيلانى ، بإيليا : الكنيسة المعروفة بالقيامة فى هذا الوقت ، التى يظهر منها النار فى يوم السبت الكبير الذى صبحه الفصح » .

(٤) يقال اتقدت النار وتوقدت واستوقدت . القاموس . فى الأصل : « تستوقد » .

(٥) يريد سادن العزى . وكانت العزى ثلاث شجرات من سمر ، فأرسل النبى =

ليوهمه أنَّ ذلك من الأوثان ، أو عقوبةً على ترك عبادتها وإنكارها ، والتعرُّض لها ؛ حتى قال :

يا عُزُّ كُفْرَانَكِ لاسُبْحَانَكْ إنِّى وَجَدْتُ اللهَ قد أهَانَكْ (١)

حَتَّى كشف الله ذلك الغِطاءَ ، من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(نار الصيد والبيض)

ونار أخرى ، وهى النَّار التى توقَدُ للظباء وصيدِها . لتعشى إذا أدامت النَّظر . وتجعلُ من ورائها . ويطلب بها بيضُ النَّعام فى أفاحيصها ومكِناتها(٢) .
ولذلك قال طُفيلٌ الغنوِىّ :

عوازب لم تسمع نُبُوح مَقامَةٍ وَلَمْ تَرَ نَارًا تِمَّ حَوْلٍ مُجَرَّمِ (٣)

سِوى نَار بَيْض أو غزَالٍ بِقَفرَة أغنَّ مِنَ الخُنْسِ المَنَاخِرِ تَوْأَمِ (٤)

= صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد ليعضدها ، وذلك يوم فتح مكة . انظر بقية الخبر والزعم فى الأصنام ٢٥ وثمار القلوب ١٧ وخزانة البغدادى (٣ : ٢٤٢ — ٢٤٤ بولاق) . والعزى ، فى لفظها : تأنيث الأعز .

(١) روى فى المخصص (١٥ : ١٩٠) :

كفرانك اليوم ولا سبحانك الحمد لله الذى أهانك

(٢) مكناتها ، بفتح الميم وضم الكاف وكسرها ، أو بضمهما . والمكنات : الأمكنة ومنه الحديث : « أقروا الطير على مكناتها » . انظر التفصيل فى لسان العرب (مكن) .
قال الزمخشرى : « ويروى : مُكُناتِها ، جمع مُكُن . ومُكُنٌ : جمع مكان كصُعُدات فى صُعُد ، وحُمُرات فى حُمُر » .

(٣) س ، هـ : « بنوح مقامة » محرف . وانظر تحقيق البيت وشرحه فى ص ٣٤٨ .

(٤) انظر رواية البيت وشرحه وتحقيقه فى ص ٣٤٨ .

وقد يُوقِدون النِّيرانَ يُهَوِّلون بها على الأُسْدِ إذا خافوها . والأسَدُ إذا عايَنَ النَّارَ حَدَّقَ إليها وتأمَّلها ، فما أكْثَرَ ما تَشْغَلهُ عن السّابلة [١] .

(قصة أبي ثعلب الأعرج)

وَمَرَّ أبُو ثعلب [٢] الأعرج ، على وادِى السِّباع ، فَعَرَضَ له سبع ، فقال لَهُ المُكَارِى : لو أمرتَ غِلْمانَكَ فأوْقدُوا ناراً ، وضَرَبوا على الطِّساس [٣] ! ففعلوا فأحْجَمَ عنها [٤] . فأنشدنى لَهُ ابن أبى كريمة ، فى حُبِّه بعد ذلك للنّار ، ومَدْحِهِ لها وللصّوتِ الشّدِيدِ ، بَعْدَ بُغْضِه لَهُمَا [٥] وهو قوله :

فأحْبَبْتهاَ [٦] حُبًّا هَوِيتُ خِلاَطَهَا ولو فى صَمِيمِ النّارِ نَارِ جَهنَّمِ
وصِرْتُ أَلَذُّ الصَّوتَ لوكان صاعِقاً وَأَطْرَبُ من صَوْتِ الحِمار المرقَّمِ [٧]

وروى أنّ أعرابيًّا اشتدَّ عليه البَرْدُ ، فأصابَ نَاراً ، فَدَنَا منها ليصطلىَ بها [٨] ، وهو يقول : اللهم لا تَحْرِمْنيها فى الدُّنيا ولا فى الآخرة ! .

---

(١) سبق مثل هذا الكلام فى ص ٣٤٩ . وقد سمى الثعالبى هذه النار : « نار التهويل » . ثمار القلوب ٤٦٠ .

(٢) فى الأصل : « ابن ثعلب » وفى ثمار القلوب ٤٦١ : « أبو تغلب » . وجاء فى الحيوان (٦ : ١٦٦) : « وكان من العرجان الشعراء أبو ثعلب ، وهو كليب بن الغول » وانظر ما كتب فى هامش أصلى معجم المرزبانى ٣٥٤ — ٣٥٥ وكذا ماجاء فى نهاية مادة (اى ر) من لسان العرب .

(٣) الطساس : جمع طس ، بالفتح ، وهو الطست .

(٤) فى ثمار القلوب : « وأحجم عنهم الأسد » .

(٥) فى الأصل : « لها » ، والصواب ما أثبت موافقاً مافى ثمار القلوب .

(٦) ط : « فأجبتها » ، صوابه فى س ، ه وثمار القلوب .

(٧) ينعت الحمار الوحشى بالمرقم ، لأنه مخطط القوائم .

(٨) س : « فدنا ليصطلى منها » .

(حيرة الضفدع عند رؤية النار)

ومما إذا أبصر النّار اعترَتْهُ الحيرةُ ، الضِّفدعُ ؛ فإنّهُ لا يزالُ يَنِقُّ فإذا أبْصرَ النّار سَكَتَ .

(نار الحباحب)

ومن النِّيران « نار الحباحِب[1] » وهى أيْضاً « نارُ أبى الحباحب » .

وقال أبو حَيّة :

تعسر فى تغريبـه فإذا انحنى عليهنّ فى قفٍّ أرنّتْ جنادِلُه[2]
وَأَوْقَدَ نيرانَ الحباحِب والتقى غَضًى تراقى بينهنَّ ولاوِلَهْ[3]

وقال القطامىُّ فى نارِ أبى الحباحِب :

تُخَوِّدُ تَخْويدَ النّعامةِ بَعْدَ ما تَصَوَّبَتِ الجوْزَاءُ قَصْدَ المَغَارِبِ[4]

---

(١) الحباحب ، بضم الحاء الأولى ، سيفسرها الجاحظ .

(٢) فى الشطر الأول تحريف . والقف ، بالضم : الأرض ذات حجارة عظام . أرنت : صوتت . ط ، هـ : « أرثت » س : « أرتنا » محرفتان . والجنادل : الحجارة الكبيرة . جعلها تصوت مما يضرب بعضها فى بعض .

(٣) الغضى : نبت شديد النار تبقى ناره طويلا . وفى الأصل : « عصا » صوابه فى تنزيل الآيات ٩٣ . تراقى : تتصاعد . والولاول : الأصوات ؛ جمع ولولة .

(٤) خود البعير والظليم : أسرع واهتز فى مشيه . وفى الأصل ، وهو هنا ط ، هـ ؛ لأن البيت ساقط من س : « تجرد تجريد » وتصحيحه من الديوان ٥٣ وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٦٠ حيدر أباد) . والجوزاء : نجم . تصوبت قصد المغارب : انحدرت ومالت إلى المغيب . يقول : تلك الناقة قد سارت ليلتها وهى بعد ذلك تواصل سيرها السريع بعد تصوب الجوزاء حين يعترى الكلال كل شىء ، فهى محتفظة أبداً بنشاطها . وإنما تتصوب الجوزاء وقت الغداة . ط : « تصوتت » صوابه فى هـ والمرجعين السابقين . وفى الأصل : « قصر » صـوابه فى الديوان والأمالى .

ألا إنما نِيرَانُ قَيْس إذا اشْتوت لطارقِ ليْل مثلُ نارِ الحباحِب[1]

ويصفون نارًا أخرى ، وهى قريبةٌ من نار أبى الحباحب . وكلُّ نار تراها العينُ لا حقيقةَ لها عند التماسها ، فهى نار أبى الحباحب . ولم أسمعْ فى أبى حباحب نفسِهِ شيئاً[2] .

(نار البرق)

وقال الأعرابىُّ ، وذَكَرَ البرْق :

نَـارٌ تعُود به للعُودِ جِدّتُه والنّارُ تُشْعِلُ نِيرَاناً فتحتَرِقُ

---

(١) فى الأصل : « ألا إنها نيران قيس إذا استوت » وتصحيح الكلمة الثانية من الديوان وأمالى ابن الشجرى وثمار القلوب ٤٦٣ المخصص (١١ : ٢٨) واللسان (حبحب) والخزانة (٣ : ١٩٠ بولاق) وأمثال الميدانى (٢ : ٨٦) . وأما « استوت » فهى محرفة عما أثبت . واشتوت : صنعت شواء . ومثل هذه الرواية رواية الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذا اشتووا » . وقيس تؤنث باعتبار القبيلة . والرواية الجيدة : « إذا شتوا » أى أقاموا شتاء . وهى رواية جميع المصادر السالفة وكذلك العقد (٤ : ٢٢٤) وفيه : « ألا إنها » تحريف . وهو قد هجا قيس عيلان ؛ لأنه مر فى بعض أسفاره بامرأة من محارب بن قيس فاستقراها — أى طلب منها القرى — فقالت : أنا من قوم يشتوون القد من الجوع . قال : ومن هؤلاء ويحك ؟ قالت : محارب . ولم تقره ! فبات عندها بأشر ليلة ، وصنع فيها القصيدة . أمالى ابن الشجرى (٢ : ٥٨) والخزانة (٣ : ١٨٩ — ١٩٠ بولاق) . وقد نسب البيت فى اللسان (حبحب) إلى النابغة . وهو خطأ .

(٢) هكذا تكون أمانة العلم . ومثله ماقال أبو حنيفة : « لا يعرف حباحب ولا أبو حباحب . ولم نسمع فيه عن العرب شيئا » . لكن جاء فى المخصص (١١ : ٢٨) نقلا عن صاحب العين : « كان أبو حباحب رجلا من محارب خصفة . وكان بخيلا لا يوقد ناره إلا بحطب شخت » . ومثله فى اللسان . وزاد : « لئلا ترى » . وفى اللسان : « وقيل اسمه حباحب فضرب بناره المثل ؛ لأنه كان لايوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان » . وفى المخصص : « وزعم قوم أن =

يقول : كلُّ نار فى الدُّنيا فهى تحرِق العِيدانَ وتُبْطلها وتُهلكها ، إلاَّ « نار البرق » ؛ فإنَّها تجىء بالغيث . وإذا غِيثَتِ(١) الأرضُ ومُطِرَتْ أحدَثَ الله للعِيدَانِ جِدَّةً ، وللأَشْجارِ أغصاناً لم تكن .

(نار اليراعة)

ونَارٌ أخرى ، وهى شبيهةٌ بنار البرق ، ونارِ أبى حباحب ، وهى « نار اليراعة » . واليراعة : طائر صغير ، إنْ طار بالنَّهار كان كبعض الطَّير ، وإن طار باللَّيل كان كأنَّهُ شهابٌ قُذِفَ(٢) أو مصباحٌ يطير .

(الدفء برؤية النار)

وفى الأحاديثِ السَّائرة المذكورة فى الكتب ، أنَّ رَجُلاً ألقى فى ماءٍ راكدٍ(٣) فى شتاءٍ بارد ، فى ليلةٍ من الحنادِس(٤) ، لا قمر ولا ساهور(٥) — وإنما ذكر ذلك ؛ لأنَّ ليلة العَشْر(٦) والبدر والطوق الذى يستدير حول القمر ، يكون كاسِراً(٧) من بَرْد تلك الليلة — قالوا : فما زال الرجُل حيًّا

= أبا حباحب وحباحبا اليراع ، وهو فراشة إذا طارت بالليل لم يشك من لم يعرفها أنها شررة طارت من نار » .

(١) غيثت الأرض : أصابها الغيث . والغيث ، بالفتح : المطر . ط ، هـ : « غثيت » صوابه فى س .

(٢) أى الكوكب الذى ينقض على إثر الشيطان بالليل ويقذف به . وفى الكتاب : « إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » .

(٣) راكد : ساكن لا يتحرك . س : « بارد » .

(٤) الحنادس : ثلاث ليال من الشهر مظلمات .

(٥) الساهور : التسع البواقى من الشهر .

(٦) أى العشر الليالى . س ، هـ : « العسر » ، صوابهما فى ط .

(٧) كاسراً : أى مضعفاً ومخففاً . ط ، هـ : « كاسداً » بالدال ، صوابه فى س .

وهو فى ذلك تَارِزٌ[١] جامِد ، ما دام ينظر إلى نَارٍ ، كانت تِجُاهَ وجهِه فى القرية ، أو مصباحٍ . فلما طَفِئتْ انْتَفَضَ[٢] .

(نار الخلعاء والهُرَّاب)

وقال الشَّاعر :

ونارٍ قُبيلَ الصُّبحِ بادَرْتُ قَدْحَهَا   حَيَا النَّارِ قد أَوْقَدْتُهَا للمُسَافِرِ[٣]

يقول : بادرت اللَّيل ، لِأنَّ النَّارَ لا تُرى بالنهار ، كأنه كان خليعاً أو مطلوبا[٤] :

وقال آخر :

ودَوِّيَّةٍ لا يثقب النَّارَ سَفْرُهَا   وَتَضْحِي بها الوَجْناءُ وهى لَهِيدُ[٥]

كأَنَّهم كانوا هُرَّاباً ، فمنْ[٦] حثِّهم السَّيرَ لا يُوقِدون لبُرْمَةٍ ولا مَلَّةٍ ؛

(١) التارز : الصلب الشديد . وفى الأصل : « بارد » ، وذا يفسد المعنى ، ووجهه ما أثبت .

(٢) طفئت النار ، كسمع ، طفوءا : ذهب لهبها ، كانطفأت . وانتفض : ارتعد ، أى من البرد . وفى الأصل : « انطفأ » وهو تحريف .

(٣) أنشد هذا البيت صاحب اللسان فى (١٨ : ٢٣٣) وقال فى تفسيره : « قوله : حيا النار : أراد حياة النار ، فحذف الهاء » . ط ، ه : « خبا » ، صوابه من س واللسان .

(٤) الخليع : الرجل قد خلعه أهله ، فإن جنى لم يطالبوا بجنايته . والمطلوب : من يطلبه السلطان ليأخذه بجنايته .

(٥) أثقب النار : أشعلها . س : « تثقب » . والسفر : المسافرون . والوجناء : الناقة الشديدة . واللهيد : المجهدة المتعبة . فى الأصل : « نهيد » بالنون ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت . واللهيد ، وصف يستوى فيه المذكر والمؤنث ؛ لأنه فعيل بمعنى مفعول . وانظر المزهر (٢ : ١٣٥) فيما جاء من صفات المؤنث من غير هاء .

(٦) ط : « من » وأثبت ما فى س ، ه .

لأنّ ذلك لا يكون إلاّ بالنزول والتمكّثِ ، وإنما يجتازون بالبَسِيسَةِ (١) ، أو بأدنى عُلقة (٢) . وقال بعضُ اللُّصوص (٣) :

مَلْساً بذودِ الحَدَسِيِّ مَلْسا (٤) نبَّهْتُ عنهن غلاماً غُسًّا (٥)

لمّا تَغَشَّى فَرْوَةً وَحِلْسَا (٦) مِنْ غُدْوَةٍ حتَّى كأنّ الشَّمسَا (٧)

بالأُفُق الغربيِّ تُكْسَى وَرْسَا لاتخبزا خَبْزًا وَبُسَّا بَسّا (٩) ١٥٦

---

(١) البسيسة : بالفتح ، سيفسرها الجاحظ . يقال بس البسيسة : صنعها . ط ، س « بالبسبسة » . هـ : « بالبيسة » صوابهما ما أثبت . وانظر اللسان (بسس) .

(٢) العلقة ، بالضم : كل شيء يتبلغ به .

(٣) هو الهفوان العقيلي ، أحد بني المنتفق ، وأحد لصوص العرب .

(٤) ملس بالإبل ملسا : ساقها في خفية . والذود ، بالفتح : جماعة الإبل . والحدسي يعني الرجل الحدسي الذي سرقوا إبله . والحدسي ، بالتحريك : نسبة إلى بني حدس ، حي من اليمن . والبيت محرف في الأصل . ط ، هـ : « ملسا برود الحي مني » س : « يرود الحي مي » صوابهما في اللسان (حدس) ومعجم المرزباني ٤٩٢ والمخصص (٧ : ١٢٧) . وفي اللسان (ملس) : « بذود الحلسي » محرف .

(٥) عنهن : أي عن الإبل . والغس ، بضم الغين : الضعيف اللئيم . وفي الأصل : « قاسا » صوابه من نوادر أبي زيد ١٢ ، ٧٠ . وفي معجم المرزباني : « جبسا » . والجبس ، بالكسر : النئوم الكسلان .

(٦) تغشى الشيء : تغطى به . والحلس ، بالكسر والتحريك ، مثل شبه وشبه ومثل ومثل . وهو مايبسط تحت حر المتاع من مسح ونحوه ، أو الكساء الذي على ظهر البعير تحت القتب .

(٧) مثله في المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزباني : « من بكرة » .

(٨) في الأصل : « بالأفق الشرقي » صوابه من المخصص (٧ : ١٢٧) . وفي معجم المرزباني وتهذيب الألفاظ ٦٣٦ : « بالأفق الغوري » محرف . وجعل الشمس كأنها مكسوة بالورس . والورس ، بالفتح : نبت له نور لونه يشبه الزعفران . ط : « تكاسا » س ، هـ : « تكسا » صوابه في معجم المرزباني ونوادر أبي زيد ١١ . ورواية المخصص ونوادر أبي زيد : « تطلي ورسا » . ومثله في المعنى قول أسقف نجران في الشمس — وقد سبق في (٣ : ٨٨) — :

وطلوعها بيضاء صافية وغروبها صفراء كالورس

(٩) رواه المرزباني : « لا توقدا نارا » . وفسره بقوله : « لا توقدا نارا لتختبزا فتبطئا =

ولا تُطيلا بمُـاخٍ حَبْسَا وَجَنِّباهَا أَسَداً وَعَبْسَا[١]

قال : والبَسيسة[٢] أن يبلّ الدّقيق بشيء حتى يجتمع ويؤكل .

(نار الوسم)

ونار أخرى ، وهى « نار الوسْمِ[٣] والمِيسَمِ » يقال للرجل : ما نار إبلِك ؟ فيقول عِلاط[٤] ، أو خِبَاط[٥] أو حَلْقة[٦] أو كذا وكذا .

(رجز لبعض اللصوص)

وقرّب بعضُ اللّصوص إبلاً من الهُواشة[٧] ، وقد أغار عليها من كلّ

= ويعرف موضعكما — فى الأصل : موضعهما — واقتصرا على الإبساس وهو الحلب »

وروى فى فقه اللغة ٥١ طبعة الحلبى : « لا تَخْبِزَا خَبْزًا ونُسًّا نَسًّا » وهى إحدى روايتى ابن سيده فى المخصص (٧ : ١١٥) ورواية اللسان (مادة خبز) . وفسر الخبز بأنه السوق الشديد . وأما النس ، بالنون ، فهو السوق الرفيق . ويروى : « لاتخبزا خبزا وبسا بسا ، بالباء وبالمعنى الأخير . وقيل إنها خطأ ، كما جاء فى المخصص .

(١) أسد وعبس : قبيلتان .

(٢) البسيسة ، بالفتح . والمراد عمل البسيسة . وفى الأصل : « البسبسة » تحريف .

(٣) الوسم : التعليم على الإبل بالميسم ، وهو المكواة .

(٤) العلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . والسطاع بالطول . وربما كان العلاط خطا ، وربما كان خطين أو خطوطا فى كل جانب .

(٥) الخباط ، بكسر الخاء المعجمة : سمة تكون فى الفخذ طويلة عرضاً . وهى لبنى سعد . وقيل هى التى تكون على الوجه . حكاه سيبويه . ط ، هـ : « وخباط » صوابه « أو » . س : « أو حباط » و « حباط » محرفة عما أثبت من ط ، هـ .

(٦) الحلقة ، بالفتح : سمة على شكل الحلقة ، فى الفخذ أو أصل الأذن . ط ، س « جلفة » صوابه فى هـ . وانظر بابا مفصلا فى سمات الإبل ، فى المخصص (٧ : ١٥٤ — ١٥٦) .

(٧) هاشت الإبل هوشا : نفرت فى الغارة فتبددت وتفرقت . وإبل هواشة : أخذت =

جانب ، وجَمَعَها من قبائلَ شتّى ، فقرّبها إلى بعض الأسواق ، فقال له بعض التّجّار : ما نارك ؟ وإنما يسأله عن ذلك ؛ لأنهم يعرفون بميسم كلّ قوم كَرَمَ إبلهِمْ من لؤمها . فقال :

تَسْألُنى البَاعَـة ما نِجارُها ... إذْ زعزعُوها فَسَمَتْ أبصارُها[1]

فـكلُّ دارٍ لأناسٍ دَارُهــا ... وكلُّ نَـارِ العَالمينَ نارها

وقال الـكردوس المرادى[2] :

تسائلنى عن نارها ونِتَاجها ... وذلك عِلْمٌ لا يُحيط به الطِّمْشُ[3]

والطِّمشُ[4] : الخلْقُ . والوَرَى[5] : النّاس خاصّة .

تمَّ المصحفُ[6] الرابعُ من كتاب الحيوان ، ويليه إن شاء الله تعالى المصحَفُ الخامسُ . وأوله نبدأ فى [هذا] الجزء بتمام القَوْل فى نيران العجَم والعرب ، ونيران الدِّيانة ، ومبلغ أقدارها .

= من هنا وهنا . لسان العرب . وفيه : « والهواشات ، بالضم : الجماعات من الناس ومن الإبل ، إذا جمعوها فاختلط بعضها ببعض . وفى الأصل : « النواسة » محرف .

(١) زعزعوها : ساقوها سوقا شديدا . وفى الخزانة (٣ : ٢١٣ بولاق) : « إذ زعزعتها » أى زعزعتها الباعة . وانظر رواية الرجز فى الخزانة ، وأمثال الميدانى (٢ : ٧٤) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٠) .

(٢) س : « المرارى » .

(٣) الطمش ، بالفتح ، سيفسر . وفى ط : « الطمس » بالسين ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) ط : « الطمس » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ط ، هـ : « الودى » ، صوابه بالراء كما فى س .

(٦) ط فقط : « تم هذا المصحف » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

٢٧ ١ كلمة « الشبُّور » مأخوذة من العِبرية ، ولعلَّ أوّل من انتبه إلى أصل هذه الكلمة هو ابنُ الأثير فى مادة (شبر) ونقل ذلك عنه صاحب اللِّسان . وهى فى العبريّة (שופר) : شُوفَار . ومعناه عندهم : البُوق الذى يُستعمل فى الأعياد الكبرى كرأس السّنة . والعيد الأكبر : (عيد الصِّيام) .

٢٧ ٢ « رأس الجالوت » المراد به : رئيس الجالوت . وجاء فى مفاتيح العلوم ص ٢٤ للخوارزمىّ المتوفى سنة ٣٨٧ : « والجالوت هم الجالية ، أعنى الذين جَلَوا عن أوطانهم ببيت المقْدس . ويكون رأسُ الجالوت من ولد داودَ عليه السلام . وتزعم عامَّتهم أنَّه لا يَرْأس حتَّى يكونَ طويلَ الباع تبلغ أناملُ يديه ركبتيه إذا مدَّهما » . قلت : وهو بالعبريَّة : (ראש גלויות) : رُوش جالُويُوت .

٨٩ ٩ فى الأصل « بنى النواحة ، والصواب : « ابن النوَّاحة » كما جاء فى ص ٣٧٨ س ٩ . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٦٦٤٣ قال : « عبد الله بن النوّاحة ، ذكره بعضُ من ألف فى الصَّحابة ، فقرأتُ بخطه بما هذا لفظه : كان قد أسلم ثم ارتد فاستتابه عبدُ الله بنُ مسعودٍ فلم يتُبْ ، فقتله علَى كُفره ورِدَّتِه . والنّواحة : الكثيرة النّوح » .

صفحة سطر

٩٣ ٣ ش ما فى ط إذا صح عن الجاحظ ، كان حكاية منه لقول العوام ، أو جريا على مذهب ضعيف فى النحو . وفى كتاب سيبويه (٢ : ٢٩٦ س ١١ ــ ١٢) « وحدثنى الخليل أن ناسا يقولون : ضربتيه . فيلحقون الياء » .

٩ « ريطة » هى زوج المغيرة بن عبد الله بن عُمر بن مخزوم ، وهى بنت سعيد ــ بالتصغير ــ ابن سهم . ولدت من المغيرة عشرةَ رجال . الإصابة ٨٣٢٩ . وفى الإصابة : « لم يَنْجُ من بنى المغيرة فى طاعون عمواس إلاّ المهاجر ، وعبد الله بن أبى عمرو بن حفص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . وفى ذلك يقول المهاجر بن عبد الله » . وأنشد الأبيات ، ماعدا البيت الأوّل . وانظر الرِّواية عنده .

١٥٥ ١١ كتب إلىّ الأخ الشيخ على الطالبانى الكردى بتاريخ ١٩٤٧/١٢/٢٢ كتابا جاء فيه :

« أتشرف بأن أقول لك : إننى عثرت أثناء مطالعاتى لشروحك القيمة على كتاب الحيوان لأبى عثمان الجاحظ فى الجزء الرابع فى صفحة مئة وخمس وخمسين فى تعليقتك المرقمة بثلاثة على قولك « الأجدهانى » إنك لم تهتد إلى ضبطها ، وقلت : هكذا بالأصل . فإذا تنازلت فإنى أقول لكم إتماما للفائدة : إن هذه الكلمة تكتب بالفارسية : أرْدها (بفتح الألف وتسكين الراء وكسر الدال) وتنطق الراء الأولى ــ التى هى فى الأصل زاى فارسية ــ حسب

صفحة سطر

لغة المصريين ، بجيم شديدة التعطيش . وعلى هذا فيكون ضبطها في الأصل الفارسي هكذا : « أژْدِهاءُ » بهمزة بدل النون والياء ، بينما إذا استبدلت الهمزة براء « أژدهار » فيكون معناها آفة مكلوبة . ومعنى « أژْدهاء » أفعى كبيرة . وهي متعارفة عند خواص الفرس : حيوانٌ خرافي لا وجود له . وإني أرجو أن تتقبل مني هذه الإشارة التي يعد قبولك إياها مثلا كريما . . . » .

١٧٤ ٤ روى في اللسان (عرر ٢٣٦) : « عرارة هبوة » وفسر العرارة بأنها الجرادة أيضاً .

١٨٤ ٣ « وسواء علينا جعلوه كلاما وحديثاً منثورا أو جعلوه رجزا وقصيدا موزوناً » . وقد يظن بعضُ الناس أنّ في العبارة تحريفا . والحق أنها صواب ، وإن كانت مخالفةً للمذهب المشهور ، وهو أن يكون في الجملة همزة التسوية وأن يكون العطف بكلمة « أم » لا « أو » . فتقول : سواء أكان كذا أم كذا . وجاء في المغني (١ : ٤٢) ، « وقد أولع الفقهاء وغيرهُم بأن يقولوا ، سواء كان كذا أوكذا . وهو نظير قولهم يجب أقل الأمرين من كذا أو كذا . والصواب العطف في الأول بأم وفي الثاني بالواو . وفي الصحاح تقول سواءٌ عليَّ قمت أو قعدت . اه . ولم يذكر غير ذلك . وهو سهو . وفي كامل الهذلي أن ابن محيصن قرأ من طريق الزعفراني : سواءٌ عليهم أَنْذَرْتَهُمْ

صفحة سطر

أَوْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ . وهذا من الشذوذ بمكان » . قلت . شذوذ هذا المذهب لا يمنع صحته . والجاحظ إمام عارف بالكلام متمرس به وكلامه حجة . وقد استعمل هذا المذهب هنا . وجرى عليه مرَّةً أخرى فى ٣٩٩ س ٢-٣ وج ٥ ص ١٣ س ١٧ .

٢٠٣ ٨ « المحلَّإِ باقِرُهْ » أخذ هذا المعنى الحطيئة فى قوله :

فهلْ كنتُ إلاَّ نائياً إذ دعوتَنى
مُنادَى عبيـدانَ المحلَّإِ باقِرُه

الديوان ص ٨ . ولعل هذا الاشتباه هو الذى دعا إلى تحريف رواية بيت النابغة .

٢١٨ ١٠ ش « عقرب » . انظر الكلام بتفصيل ، على منع صرف ما سمى من الذكور بأسماء الإناث ، فى همع الهوامع (١ : ٣٤) . لكن « عقرب » فى أصله مذكر ، وقد يؤنث . تقول : هذا عقرب ، وهذه عقرب . فإذا روعى أصل التذكير صرف ، وإذا روعى أصل التأنيث لم يصرف .

٢٢١ ٣ « ويقتلها الآخر » . انظر لتوضيح هذا الكلام وتعيين المراد منه ص ١١٠ من الجزء الخامس ، وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٤٨٠) .

٢٢٢ ١٥ ولادة الدّسّاس ، ثبت علميًّا أن الدّساس وأنواعا أخرى من الحيات ، يكون تناسلها بطريق الولادة ، لا البيض . انظر

صفحة سطر

كتاب علم الحيوان المقرر للمدارس الثانوية المصرية ص ١١٤ طبع ١٩٣٤ .

٢٤٣ ٨ « دون صفاتها » أى دون إرادة صفاتها وملاحظتها .

٢٧٠ ٧ نباح الحية ، جاء فى المخصص (٨ : ١١٥) « الأفاعى تكشُّ خلا الأسوَد ، فإنه يصفِر وينبِّح ويضبَح » . ونبح ، يقال من بابى منع وضرب .

٣٢٣ ١١ ش « وكنت كالهيق غدا يبتغى . . . » الخ . تعرض هذا البيت للتصحيف ، فأنشده بعضهم : « فرحت كالعير غدا يبتغى » وقد أثبت هـذا التصحيف صاحب المعاهد والتنصيص ، فى ترجمته لبشار (١ : ١٠٢) . بل بالغ فى تأكيد هذا التصحيف ، فعقب عليه بقوله : « قوله : فرحت كالعير ، البيت ، مثل قول بعضهم :

ذهب الحمار ليستفيد لنفسه قرنا فآب وماله أذنان » اه

وليت شعرى ، إن كان الحمار فاقد الأذنين ، فأى حيوان سواه ميزه الله بطول الأذنين ؟ !

ومن العجيب أن يتغلغل هذا التحريف مع ظهور خطئه ، وجلاء بطلانه ، بين بعض الشعراء ، فقال آخر :

كمثل حمار كان للقرن طالبا فآب بلا أذن وليس له قرن

فالظاهر أن « الهيق » تصحف عليهم بـ « العير » ثم ترجموا العـير بـ « الحمار » فذاع الخطأ . ومن الشعر الذى يستشهد به

صفحة سطر

على أن طالب القرن النعامة ، ما أنشده الميدانى — عند قولهم : «كطالب القرن جدعت أذنه » — :

مثل النعامة كانت وهى سائمة

أذناءَ حتى زَهَاها الحــين والجُنَنُ

جاءتْ لتشرى قرناً أو تعوِّضه

والدَّهرُ فيه رَبَاحُ البيع والغَبَنُ

فقيل أُذْناكِ ظلمٌ ثمَّت اصطلمت

إلى الصِّماخ ، فلا قرنٌ ولا أُذُن

والجُنُن ، بضمتين : الجنون ، كما فى اللسان (جنن ٢٤٩) عند إنشاد البيت .

٣٥٣ ٨ ش «جعلها كالقسى فى نحولها» . ومما يستشهد به على تشبيه الإبل المهزولة بالقسى ، قول البحترى — (انظر معاهد التنصيص ١ : ٢١٦) — :

كالقِسِيِّ المعطَّفاتِ بل الأَسْهُمِ مَبْرِيَّةً بل الأوتارِ

وقول الشَّريف :

خوص كأَمثالِ القسيِّ نواحلاً وَإذا سَمَا خطبٌ فهنَّ سِهامُ

٣٨٦ ٩ ش البيت من قصيدة للمتنبى يمدح بها ابن العميد ويودعه . ومطلعها :

نسيت وما أنسى عتابا على الصــد

ولا خفرا زادت به حمرة الخــد

صفحة سطر

ورواية البيت بتمامه عند العكبرى (١ : ٢٧٧) :

وتلقى نواصيها المنايا مشيحة   ورود قطا صم تشايحن فى ورد

وكلمة « تشايحن » تصحح ما نقلت عن الوساطة . ومعناها أسرعن . والبيت فى صفة خيل .

٤٠٨ ١ ش « ما زالت تحت عين خرساء » تفسير الجاحظ للعبارة يشوبه بعض الغموض والتحريف . وفى اللسان (خرس) : « أبو حنيفة : عين خرساء وسحابة خرساء : لارعد فيها ولا برق ولايسمع لها صوت رعد . قال : وأكثر مايكون ذلك فى الشتاء ؛ لأن شدّة البرْد تخرس البَرَدَ وتطفىء البرق » .

٤١٣ ١ خُلُق ، أى طبيعة . ويصح أيضاً أن تقرأ : خَلْقَ . بمعنى خِلْقَة .

٤٢٧ ٢ « أربعين عاما » . كذا جاء بالأصل . وهو خطأ ، صوابه « أربعين يوما » . وقد جاء فى الأصحاح التاسع من سفر التثنية : « حينَ صعدتُ إلى الجبل لكى آخُذَ لوحَى الحجَر ، لوحَى العهد الذى قطعه الربُّ معكُم ، أقمت فى الجبلِ أربعين نهاراً ، وأربعين ليلةً ، لا آكل خُبْزاً ولا أشْرَبُ ماء » .

٤٣٢ ١ الفصح هذه الكلمة معربة عن العبريّة . وهى فى أصلها : (פסח) وتنطق : پسَحْ . ومعناها اللغوى : القفز ، أو العبور . والعلّة فى تسمية هذا العيد عند اليهود بهذه التسمية ، ماجاء فى سفر الخروج (١٢ : ٢٧) : « إنكم تقولون : هى ذبيحة فصح

صفحة سطر

للرب الذى عَبَرَ عن بيوت بنى إسرائيل فى مصر ، لما ضرب المصريِّين وخلَّص بيوتنا » . ومعنى عبر عن بيوتهم ، أن الله عاقب المصريين وحْدهم بالضَّرب ، متجاوزاً بيوت بنى إسرائيل لم يمسها بسوء . والضّربة التى تشير إليها التوراة ، هى أن الله قد أمات كل بكر من أبكار المصريين ، وكلّ بِكر من حَيوانهم كذلك . انظر (١٢ : ٢٩ — ٣٠) . وكلمة عبر هى فى النص العبرى للتوراة : { פסח } پاسَاحْ . وهذا هو الفعل العبرى الذى أخذ منه المصدر المتقدم . فهذا أصل العيد وأصل تسميته عند العبرانيين . وعنهم أخذ المسيحيون :

هذا ولم تشر المعاجم العربية إلى أصل الكلمة ، حسبوها عربية لملاءمة نسجها للنسج العربى ، وهى ليست من ذلك .

٤٣٥ ٦ نمرود بضم النون والراء وآخره دال مهملة ، كما فى القاموس والتنبيه والإشراف ٣٤، ٨٢ . ويقال : نمروذ بذال معجمة فى آخره كما فى كامل ابن الأثير (١ : ٥٣—٥٧) ورسائل الجاحظ ١٠٠ ساسى . وعلى هذه اللغة جاء قول ابن رشيق :

يا رَبِّ لا أقوى على دفع الأذى
وبك استعنْتُ على الزّمان المؤذى
مَالى بَعثتَ إلىَّ ألفَ بعوضةٍ وبعثْتَ واحدةً على نمروذِ

انظر شرح القاموس .

صفحة سطر

٤٥٦ ٢ « يا أَحْمَدَ المُرْتَجَى » ضبط هذا المنادى بالفتح جائز فى مذهب الكوفيِّين فقط ، وأما البصريون فيوجبون ضمّه ، إذ أن مذهب البصريين إجازة الضم والفتح فى المنادى العلم الموصوف بابن متصل بالعلم مضاف إلى علم آخر . ويوافقهم الكوفيون فى هذا ولكنهم يفارقونهم فى إجازة الضم والفتح أيضاً فى المنادى العلم الموصوف بأى صفة أخرى كانت غير كلمة ابن . انظر همع الهوامع (١ : ١٧٦) .

٤٨٧ ٧ البيت خامس أبيات خمسة رواها ابن سيده فى المخصص (٩ : ١٠٢) وانظر الرواية فيه .

مصر الجديدة فى { أول صفر سنة ١٣٨٦
٢٢ من مايو سنة ١٩٦٦ }

كتبه

عبد السلام محمد هارون

أبواب الكتاب

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

الجزء الخامس

مكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده

مصر — ص . ب . الغورية ٧١

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الخامس

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الأولى

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

١٣٦٢ هـ / ١٩٤٣ م / ٨٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم [1]

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم [2]

نبدأ فى هذا الجزء بتمام القول فى نيران العربِ والعجَمِ ، ونيرانِ الدِّيانة ومبلغِ أقدارِها عند أهلِ كلِّ ملة [3] وما يكون منها مَفْخَراً ، وما يكونُ منها مذموما ، وما يكون صاحبها بذلك مهجوراً .

ونبدأ بالإخبار عنها و بدئها [4] ، وعن نفس جوهرها ، وكيفَ القولُ فى كُمونها وظهورها ، إن كانت النار [5] قد كانت موجودةَ العينِ قبلَ ظهورها ، وعن كونها ، على المجاورة كان ذلك أم على المداخلة [6] ، وفى حدوث عَينها إن كانت غيرَ كامنة ، وفى إحالة الهواء لها والعودِ جَمْراً [7] ، إن كانت الاستحالةُ جائزة ، وكانت الحجّةُ فى تثبيت الأعراض صحيحة [8] . وكيف

---

(١) قبل البسملة فى كل من ه ، س : « أول المصحف الخامس من كتاب الحيوان فى الكلام على بقية النيران » .

(٢) بدل هذا الكلام فى س : « وبه ثقتى » .

(٣) الملة ، بالكسر : الشريعة ، أو الدين . وكلمة : « أهل » ساقطة من ه .

(٤) س : « وبدنها » بالنون بدل الهمزة .

(٥) س ، ه : « الدار » تحريف صوابه فى ط ، وفى ه زيادة واو قبل « إن » .

(٦) المجاورة : مذهب كلامى يبحث في اتصال الأجسام بعضها ببعض ، كالماء بالمداد ، والدقيق بالماء ، والزيت بالخل . انظر الفصل (٥ : ٦١) وحواشي الحيوان (٤ : ٢٠٩) . س : « المجاوزة » تحريف . وأما المداخلة فهى مقالة كلامية لقوم زعموا أن الألوان ، والطعوم ، والروائح ، والأصوات ، والخواطر ، أجسام ، وأن الجسمين من تلك الأجسام يتداخلان فى حيز واحد ، ويكونان جميعا فى مكان واحد . انظر المصدرين المتقدمين والفرق ١٢٢ .

(٧) أي فى تحويل الهواء للنار والعود إلى جمر . فى الأصل : « وفي استحالة » صوابه ما أثبت . وفى ط ، ه : « الهوى » وهو تحريف . وفى ه : « والعود جمل » محرف .

(٨) تثبيت الأعراض : أي إثبات القول بها . وبين المتكلمين خلاف فى ذلك : فذهب هشام بن الحكم إلى القول بأنه ليس فى العالم إلا جسم ، وأن الألوان والروائح والأصوات والحركات ، أجسام . وذهب النظام إلى مثل هذا سواء بسواء ، =

القولُ فى الضِّرام الذى يَظْهرمن الشجر ، وفى الشّرَر الذى يظهر من الحجَر .
وماالقولُ فى لون النار فى حقيقتها . وهل يختلفُ الشَّرَار[1] فى طبائعها ، أمْ لا اختلافَ بين جميعِ جواهرها ، أم يكون اختلافها على قدْر اختلافِ مخارجِها ومَداخلها ، وعلى قدر اختلافِ ما لاقاها وهَيّجها ؟

(قول النظام فى النار)

ونبدأ ، باسم الله وتأييده ، بقول أبى إسحاق[2] .

قال أبو إسحاق : النار اسمٌ للحَرِّ[3] والضِّياء . فإذا قالوا : أحْرَقَتْ أو سخّنَتْ ، فإنما الإحراقُ والتسخينُ لأحدِ هذين الجنسين المتداخِلين ، وهو الحرُّ دون الضياء .

وزعمَ أن الحرَّ جوهرَ صَعّادٌ[4] . وإنما اختلفا ، ولم يكن اتّفاقهما على الصعود موافقاً بين جواهرهما[5] ؛ لأنهما متى صارا من العالَم العُلوىِّ إلى مكانٍ[6] صار أحدهما فوقَ صاحبِه .

= إلا الحركات ، فانه قال : هى خاصة أعراض . وذهب ضرار بن عمرو والنظام والنجار إلى أن الأجسام مركبة مما يسميه غيرهم أعراضا . وذهب سائر الناس إلى أن الجسم هو كل ماكان طويلا عريضا عميقا شاغلا لمكان ، وأن كل ما عداه من لون ، أو حركة ، أو مذاق ، أو طيب ، أو مجسة ، عرض . الفصل (٥ : ٦٦) والفرق ١١٤ ، ١٢٢ والمواقف ٣٥٥ ، ٦٢١ . فى الأصل ، « تثبت » وجهه ما أثبت . س ، ه : « الأغراض » تحريف .

(١) الشرار ، كسحاب : الشرر الذي يتطاير من النار ، واحدته شرارة . قال :

أوْ كَشَرَارِ العَلَاةِ يَضْرِبُهَا الْ قَينُ عَلَى كُلِّ وِجْهةٍ تَثِبُ

(٢) هو إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ .

(٣) ط : « للحرق » س : « للحرف » صوابهما ما أثبت من ه .

(٤) هذا رأي النظام . فهو يذهب إلى أن الحر جوهر وجسم من الأجسام ، لا عرض من الأعراض . انظر التنبيه الثامن من الصفحة السابقة .

(٥) ه : « جواهرها » .

(٦) أي إلى مكان من العالم العلوي .

وكان يجزِم القولَ ويُبْرِم الُحـكم بأنّ[1] الضياءَ هو الذى يَعْلو إذا انفردَ ، ولا يُعْلَى .

قال : ونحنُ إنما صِرْنا إذا أطفأنا نارَ الأُتُون[2] وجَدْنا أرضَه وهواءُ ٣
وحيطانَه حارّة ، ولم نجدْها مضيئة[3] ، لأن فى الأرض ، وفى الماء[4] الذى قد لابسَ الأرض، حَرّا[5] كثيراً، وتداخلا مُتشابكا ؛ وليس فيهما[6] ضياء. وقَدْ كانَ حَرُّ النارِ هيَّجَ تِلْكَ الْحَرارَةَ فأَظْهرَها ، ولَمْ يَكُنْ هُنَاكَ ضِياءٌ من مُلاَبِسٍ فَهيَّجَهُ الضياءُ وأظهره[7] ، كما اتصل الحرُّ بالحرِّ فأزاله من موضعِهِ ، وأبرزهُ من مكانه . فلذلك وجدْنا أرضَ الأُتون ، وحيطانها ، وهواها حارّةً ، ولم نجِدْها مضيئة[8] .

وزعم أبو إسحاقَ أنّ الدليل على أن فى الحجر والعود ناراً مع اختلاف الجهات[9] — أنه يلزَمُ من أنـكرَ ذلك أن يزعُمَ أنْ ليس فى السِّمسِم دُهْنٌ ولا فى الزَّيتون زيت .

ومن قال ذلك لزِمهُ أنْ يقولَ : أنْ ليس فى الإنسان دَمٌ ، وأنّ الدَّمَ

---

(١) فى الأصل : « فان » وجهه ما أثبت . أي يقطع الحكم بما سيأتي .
(٢) الأتون ، كتنور ، وقد يخفف ، ونسب الجوهرى التخفيف للعامة وقال : هو الموقد وقال غيره : هو أخدود الجيار والجصاص ونحوه ، تاج العروس . وقال العلامة نصر في تحقيق القاموس : « وكأنها فى نسخة عاصم : الخباز ، بالخاء والباء والزاى » .
(٣) الـكلام بعد هذه الـكلمة إلى كلمة « مضيئة » الآتية ، ساقط من س .
(٤) ط : « المادى » صوابه فى ه . والمراد بالماء الرطوبة .
(٥) فى الأصل ، وهو هنا ط ، ه : « حدا » بالدال ، صوابه ما أثبت .
(٦) فى الأصل : « فيها » .
(٧) فى الأصل : « فهيجها الضياء وأظهرها » . والقول يقتضي ما أثبت .
(٨) أنث الضمائر فى عبارته لما أنه أعادها إلى « أرض » وهى مؤنثة . وأما « الأتون » فذكر .
(٩) أي مع اختلاف الجهة التي يصدر منها النار ، وهى حجر القدح وعود الزند . وكلمة « مع » ليست بالأصل . وبدلها فى س ، ه : « أن فى » . وقد أصلحت العبارة بما ترى . والعبارة فى س ، ه : « وزعم أبو إسحاق على أن الدليل أن فى » الخ مع وضع كلمة « الجر » مكان « الحجر » فى ه . تحريفان .

إنما تَخَلَّقَ عند البطّ(١) ، وكان ليس بين مَن أنكرَ أن يكون الصَّبِر(٢) مرّ الجوهر ، والعسلُ حُلْوَ الجوهر قبل ألاّ يذاقا(٣) ، وبين [من أنكرَ كون الزيت فى(٤)] السمسمِ والزيتون قبلَ أن يُعصرا(٥) — فَرْق .

وإنْ زَعَم الزاعم أنّ(٦) الحلاوة والمرارةَ عرَضانِ ، والزيتَ والخلّ جوهر ، وإذا لزم مَنْ قال ذلك فى حلاوة العسل ، وحموضة الخلِّ ، وهما طعمان — لزمه مثلُ ذلك فى ألوانهما ، فيزعم(٧) أنَّ سوادَ السَّبَج(٨) ، وبياضَ

(١) البط : شق الجرح بالمبطة ، وهى المبضع . ط ، س « الشرط » وهما بمعنى ، وأثبت ما في هـ . وفى ط ؛ س أيضا : « يخلق » وقد أثبت من هـ ما ارتضاه الجاحظ فى نحو هذه العبارة عند كلامه الآتي فى (القربة) ص ٩ س ٧ .

(٢) الصبر ، ككتف ، ولا يخفف إلا فى ضرورة الشعر ، عصارة شجر مر . القاموس . قلت : يشير بذلك إلى ما أنشده الجوهرى فى الصحاح (١ : ٣٤٤) من قول الراجز يصف سم حية :

أَمَرُّ مِنْ صَبْرٍ ومَقْرٍ وَحُضَضْ

قال ابن بري : صواب إنشاده : « أمر » بالنصب . وأورده بظاءين ، أي : « حفظ » انظر اللسان (٦ : ١١٢) — وقبله :

أرقشَ ظمآنَ إذا عُصْرَ لَفَظْ

(٣) س : « أن لا يذاق » بالإفراد ، وهو جائز .

(٤) تكملة ضرورية ، أثبتها مساوقة لعبارة الجاحظ ، وليست بالأصل .

(٥) س : « يعصر » بالإفراد .

(٦) ط : « أن » .

(٧) الزعم : القول يشك فيه سامعه ، أو الكذب . وهو يتعدى بنفسه ، يقال : زعمه . وفى س ، هـ : « وإن زعم الزاعم بأن » . وإدخال الباء على المعمول محمول على الزيادة . ومنه قول النابغة :

زعم الهمام بأن فاها بارد　　عذب إذا قبلته قلت ازدد

وقوله أيضا :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا　　وبذاك تنعاب الغراب الأسود

فى أحد وجهى تأويله ، أي وزعم بذاك .

(٨) السبج ، بالتحريك وآخره جيم : خرز أسود . وقال البيروني فى الجماهر ١٩٩ : « حجر أسود حالك صقيل رخو جدا تأكل النار فيه » وهو معرب « شبه » الفارسية . انظر معجم استينجاس ٧٣٢ والجماهر والمعرب ١٨٣ دار الكتب . وفى اللسان ، « سبه » تصحيف . ط : « المسيح » هـ : « السبيح » صوابهما ما أثبت من س .

الثلج ، وحُمْرَةَ العُصفُر ، وصُفرة الذهب ، وخُضْرَةَ البقْل ، إنما تحدُث عندَ رؤية الإنسان ، وإن كانت المعاينةُ والمقابلة غيرَ عاملتين[١] فى تلك الجواهر .

قال : فإذا قاسَ ذلك المتكلِّم فى لَوْنِ الجسم بعد طعمه ، وفى طوله وعرضه وصورته بعد رائحتِه ، وفى خفتِه وثقل وزنه ، كما قاس[٢] فى رخاوته وصلابته — فقد دخل فى باب الجهالات ، ولحِق بالذين زعموا أن القِرْبة ليس فيها ماء ، وإنْ وجدوها باللمس ثقيلةً مزكورة[٣] وإنما تخلَّق عند حلِّ رِباطها . وكذلك فليقولوا فى الشمسِ والقمرِ ، والكواكب ، والجبال ، إذا غابتْ عن أبصارهم .

قال : فمن هرب عن الانقطاع[٤] إلى الجهالات ، كان الذى هرب إليه أشدَّ عليه .

وكان[٥] يضربُ لهما مثلاً ذكرته لِظَرافته[٦] :

حُكِىَ عن رجلٍ أحدبَ سقطَ فى بئر ، فاستوت حدَبتُهُ وحدَثَتْ له أُدْرَةٌ فى خُصيته[٧] ، فهنَّاه رجلٌ عن ذهاب حدَبته[٨] ، فقال : الذى جاء شرٌّ من الذى ذهب !

---

(١) هـ « حاملتين » محرف . ط : « عاملين » . وأثبت ما فى س .

(٢) في الأصل : « قال » باللام. صوابه ما كتبت .

(٣) المزكورة ، بالزاى: المملوءة . زكر الإناء والسقاء : ملأه ، وكذلك زكره تزكيرا. ط ، هـ : « مؤكدة » س : « موكوءة » صوابهما ما أثبت .

(٤) قطعه بالحجة : بكته ، أي غلبه .

(٥) أي : النظام .

(٦) الظرافة ، بالظاء المعجمة : مصدر ظرف : أى صار ظريفا . وفى القاموس : « ظرف ككرم ظرفا ، وظرافة ، قليلة » . وفى اللسان : « ويجوز فى الشعر ظرافة » ثم قال بعد ذلك : « ظرف الرجل بالضم ظرافة فهو ظريف » .

(٧) الأدرة ، بالضم : نفخة فى الخصية ، والوصف منه « آدر » .

(٨) الحدبة ، بالتحريك : موضع الحدب فى الظهر الناتئ . والحدب، بالتحريك : =

(رد النظام على ضرار فى إنكار الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعُم أن ضِرارَ بنَ عمرو[(١)] قد جمعَ فى إنكاره القولَ بالكُمُونِ[(٢)] الكفرَ والمعاندةَ ؛ لأنه كان يزعُمُ أن التوحيدَ لايصحُّ [إلا][(٣)] مع إنكار الكُمون ، وأن القولَ بالكمون لايصحُّ إلا بأنْ يكون فى الإنسان[(٤)] دمٌ . وإنما هو شيء تَخَلّقَ[(٥)] عند الرُّؤية .

٤ قال : وهو قد كان يعلمُ يقيناً أنّ جوفَ الإنسانِ لايخلو من دم .

قال : ومن زعَمَ أن شيئا من الحيوان يعيشُ بغير الدمِ ، أو شيء

= دخول الصدر وخروج الظهر ، ويقابله القعس . وهناه : مخفف هنأه بالتشديد وهنأه بالتخفيف : قال له ليهنئك . « وعن » هنا بمعنى التعليل . وفى الكتاب : « وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة » . و : « وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك » .

(١) ضرار بن عمرو ، صاحب مذهب الضرارية من فرق الجبرية . وكان فى بدء أمره تلميذاً لواصل بن عطاء المعتزلى . ثم خالفه فى خلق الأعمال وإنكار عذاب القبر . الاعتقادات للرازي ٦٩ والفرق ٢٠١ . ويحكي عن ضرار أنه كان ينكر حرف عبد الله بن مسعود وحرف أبى بن كعب ، ويقطع بأن الله تعالى لم ينزله . الملل والنحل (١ : ١١٥) . قال أحمد بن حنبل : شهدت على ضرار عند سعيد بن عبد الرحمن الجمحى القاضى ، فأمر بضرب عنقه فهرب . وقيل إن يحيى بن خالد البرمكي أخفاه . لسان الميزان (٣ : ٢٠٣) . وفى العرب ضرار بن عمرو الضبي الذي كان معاصرا للمنذر . وروى له الجاحظ فى البيان (١ : ١٤٢) بياناً عالياً . وهو القائل : « من سره بنوه ساءته نفسه » . المعارف ٣٦ ليدن والميداني (٢ : ٢٢٨) .

(٢) الكمون : مذهب كلامى يزعم أصحابه أن النار كامنة فى الحجر وفى دهن السراج ، كما يكمن الدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، والزيت فى الزيتون . وذهب ضرار بن عمرو إلى إنكار الكمون . وممن ذهب إلى إنكاره أيضاً الباقلاني وسائر الأشعرية . والحق أن فى الأشياء ما هو كامن كالدم فى الإنسان ، والعصير فى العنب ، وفيها ما ليس كامنا ، كالنار فى حجر القدح . وانظر تفصيل الكلام فى الفصل (٥ : ٦١ — ٦٢) .

(٣) تكملة ضرورية ، بدونها لا يستقيم الكلام ، لأن صاحب الزعم هو ضرار ، منكر الكمون .

(٤) هـ ، س : « إنسان » .

(٥) ط ، س : « يخلق » وأثبت ما فى هـ .

يشبهُ الدمَ ، فواجبٌ عليه أن يقول بإنـكار الطبائع (١) ، ويدفع الحقائقَ بقول جَهْم (٢) فى تسخين النار وتبريد الثلج ، وفى الإدراكِ والحِسِّ ، والغذاء والسَّمّ (٣) . وذلك بابٌ آخر فى الجهالات .

ومن زعم أن التوحيدَ لايصلحُ إلا بألاَّ يكون فى الإنسان دم (٤) ، وإلا بأن تـكونَ النارُ لا توجب الإحراق ، والبصرُ الصحيحُ لا يوجبُ الإدراكَ — فقد دَلّ عَلَى أنه فى غاية النقص والغباوة ، أو فى غاية التـكذيب والمعاندة .

وقال أبو إسحاق : وجدنا الحطب عند انحلال أجزائه ، وتفرُّق أركانِهِ التى بُنى عليها ، ومجموعاته التى رُكِّبَ منها وهى أربع : نارٌ ودخان ، وماءٌ ، ورَمَاد ، ووجدنا للنار حرًّا وضياءً ، ووجدنا للماء صوتاً (٥) ، ووجدنا للدُّخان طعما ولونا ورائحة ، ووجدنا للرَّمادِ طعما ولوناً ويُبْساً ، ووجدنا للماء السائل من كل واحد من أصحابه (٦) . ثمَّ وجدناه ذا أجناسٍ رُكِّبَتْ من المفرَدَات .

---

(١) يراد بانـكار الطبائع القول بأن ليس فى النار حر ، ولا فى الثلج برد ، ولا فى العالم طبيعة أصلا ، وإنما يحدث حر النار وبرد الثلج عند الملامسة . الفصل (٥ : ١٤–١٥) وقد أوغل الجاحظ فى إثبات الطبائع حتى زعم أن الله لا يدخل النار أحدا ، وإنما النار تجذب أهلها إلى نفسها بطبعها . (الفرق ١٦١ والمواقف ٦٢٤ س ٤) .

(٢) ط ، س : « فى قول » وأثبت ما فى هـ . وجهم هذا ، هو جهم بن صفوان ، أبو محرز السمرقندي ، الضال المبتدع ، رأس الجهمية المجبرة ، قتل سنة ثمان وعشرين ومائة . لسان الميزان (٢ : ١٤٢) . وتفصيل مذهبه فى الفرق ١٩٩ والملل والنحل (١ : ١٠٩) واعتقادات الرازي ٦٨ . وقد بالغ جهم فى إنـكار الطبائع حتى قال : ليس فى الشجرة طبيعة الإثمار ، ولا فى الماء طبيعة الجري ، ولا فى الأرض طبيعة الإنبات ، وإنما يثبت الإثمار والجرى والإنبات على المجاز . وقال أيضاً : لا يفعل الإنسان شيئاً إلا على المجاز . والفاعل هو الله .

(٣) السم : مصدر سمه يسمه فهو مسموم . وفى الأصل : « الشم » بالشين المعجمة ، صوابه ما أثبت .

(٤) أى بانـكار كون الدم فى الإنسان ، وهو قول ضرار بن عمرو . وفي الأصل ، « إلا بأن يكون » وصححه ماترى .

(٥) يعنى الصوت الذي يحدث عند احتراق الحطب من انفجار الرطوبات التى فيه .

(٦) كذا جاءت هذه العبارة مضطربة .

ووجدنا الحطب رُكِّبَ على ماوصفنا، فزَعمنا[١] أنه رُكِّبَ من المُزْدَوِجاتِ، ولم يُرَكَّبْ من المفردات .

قال أبو إسحاق : فإذا كان المتكلمُ لايعرف القياسَ ويُعطيه حقه فرأى أنّ العُود حين احتكّ بالعودِ [أحدثَ النار[٢]] فإنه يلزَمُه فى الدخان مثلُ ذلك، ويَلزَمُه فى الماء السائل مثلُ ذلك . وإنْ قاس قال فى الرّماد مثلَ قوله فى الدخان والماء . وإلا فهو إما جاهلٌ، وإمّا متحكم .

وإن زَعَمَ أنه إنما أنكرَ أنْ تكون النارُ كانت فى العودِ، لأنه وَجَدَ النارَ أعظم من العود، ولا يجوز أن يكون الكبيرُ فى الصغير، وكذلك الدخان — فليزْعُمْ أن الدخانَ لم يكنْ فى الحطبِ، وفى الزَّيت وفى النِّفْطِ .

فإن زعم أنهما سواء، وأنه إنما قال بذلك لأن بَدَنَ ذلك الحطَب لم يكن يسعُ الذى عاينَ من بَدَن النارِ والدخان، فليس ينبغى لمنْ أنكر كُمونَهَا من هذه الجهة أنْ يزعُمَ أنّ شَرَرَ القدّاحةِ والحجرِ لم يكونا كامنين فى الحجَر والقدَّاحة[٣] .

وليس ينبغى أن يُنْكِرَ كُمونَ الدمِ فى الإنسان، وَكمونَ الدُّهْن فى السمسم، وكُمون الزيت فى الزيتون . وَلا ينبغى أن يُنْكِرَ من ذلك إلا ما لايكون[٤] الجسمُ يَسَعُهُ فى العين .

فكيف وَهم قد أجْرَوْا هذا الإنكارَ فى كلّ ماغابَ عن حواسّهم من الأجسام المستَتِرة بالأجسام حتى يعود بذلك إلى إبطال الأعراض[٥] ؟!

---

(١) فى الأصل « زعمنا » وقد أزلت تفكك العبارة بزيادة الفاء .

(٢) بمثل هذا يتم الكلام . واعتمدت فى إثباتها على ماورد فى السطر الثانى من الصفحة التالية .

(٣) يشير بذلك إلى أن الشرر الذي يطير من الحجر أصغر بدناً من الحجر و القداحة .

(٤) س : « ما يكون » صوابه ما أثبت من ط ، هـ .

(٥) فى الأصل : « إلى أن طال فى الأعراض » وهو كلام محرف .

كنحو حموضة الخلّ . وحلاوة العسلِ . وعذوبة الماء ، ومرارة الصبرِ[١] .

قال : فإن قاسوا قولهم وزعموا أن الرمادَ حادثٌ ، كما قالوا فى النار والدُّخان ، فقد وجبَ عليهم أن يقولوا فى جميعِ الأجسام مثلَ ذلك كالدقيق المخالفِ للبُرِّ فى لونه[٢] ، وفى صلابتِهِ ، وفى مساحته ، وفى أمورٍ غير ذلك منه . فقد ينبغى أن يزعُمَ أن الدقيقَ حادثٌ ، وأن البُرّ قد بطَلَ .

وإذا زعم ذلك زعم أنّ الزُّبْدَ الحادثَ بعد المَخْضِ لم يكن فى اللبنِ ، وأن جُبْنَ اللبنِ حادث ، وقاسَ ماءَ الُجبْن على الجبن . وليس اللبنُ إلا الُجبْنَ والماءَ .

وإذا زعم أنهما حادثان ، وأن اللبن قد بَطَلَ ، لزمَه أن يكون [كذلك[٣]] الفَخَّارُ ، الذى لم نجده حتى عَجَنَّا الترابَ اليابسَ المتهافتَ على حِدَته ، بالماءِ الرّطْبِ السّيال على حِدَتِهِ ، ثم شوَيناهُ[٤] بالنار الحارةِ الصعَّادَةِ[٥] على حِدَتِها . ووجدنا الفخار فى العينِ واللمس والذّوق والشّمّ ، وعند النّقْر والصّكّ — على خلاف ما وجدنا عليه النارَ وحدها ، والماءَ وحده ، والتُّرابَ وَحْدَهُ ؛ فإنّ[٦] ذلك الفخار هو تلك الأشياء ، والحطبَ هو تلك الأشياء[٧] ، إلا أن أحدَها من تركيب العِباد ، والآخرَ من تركيب الله .

والعبدُ لايقلبُ المرَكَّباتِ عن جواهرها بتركيبه ما ركب منها .

والحجَرُ متى صَكَّ بيضةً كسَرَها ، وكيف دارَ الأمرُ ، وسواء كانت الرِّيح تقلبه أو إنسان[٨] .

---

(١) انظر الكلام على « الصبر » فى ص ٨ .

(٢) لأن البر أسمر والدقيق أبيض . س ، هـ : « كونه » بالكاف وأثبت ما فى ط .

(٣) ليست بالأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٤) ط : « سويناه » هـ : « سوينا » صوابهما ما أثبت من س .

(٥) أي التي من طبعها الصعود إلى أعلى . ط « الصفارة » وفى س ، هـ « الصفاوة » محرف .

(٦) في الأصل : « فإن كان » .

(٧) فى الأصل : « وتلك الأشياء » بسقوط الهاء من « هو » .

(٨) تقلبه ، أى تحاول قلبه عن جوهره ، فإن الريح والإنسان لا يستطيعان ذلك . فالحجر الذى كونته الريح ، أو الذي صنعه الإنسان كما فعل بالفخار : يحتفظ بجوهريته =

فإن زعموا أن الفخار ليس ذلك الترابَ ، وذلك الماء ، وتلك النار ، وقالوا مثل ذلك فى جميعِ الأخبصة والأنبذة(١) ، كان آخرُ قياسهم أن يُجيبوا بجواب أبي الجهجاه(٢) ؛ فإنه(٣) زعم أن القائمَ غيرُ القاعد(٤) ، والعجينَ غيرُ الدقيق . وزعم(٥) — ولو أنه لم يقل ذلك(٦) — أن الحبَّة متى فلقت فقد بطل الصحيح ، وحدثَ جِسْمان فى هيئةِ(٧) نصفَى الحبَّة . وكذلك إذا فلقت بأربع فِلق(٨) ، إلى أن تصيرَ سَويقًا ، ثم تصيرَ دقيقًا ، ثم تصير عجينا ، ثم تصير خُبزاً ، ثم تعودَ رجيعاً وزِبْلا ، ثم تعودَ رَيحانا وبَقلا ، ثم يعود [الرجيع(٩)] أيضا لبنا وزُبدا ؛ لأن الجلاَّلة(١٠) من البهائم تأكله ، فيعودُ لحما ودمًا .

وقال(١١) : فليس القولُ إلا ما قال أصحابُ الكُمونِ ، أو قولَ هذا .

= الحجرية التى تكسر البيضة حين الصلك . ونحو قول الجاحظ : « سواء كانت الريح » الخ عبارة صحيحة ، أسلفت عنها قولا فى تذييل الجزء الرابع ص ٥٢٨ .

(١) الأخبصة : جمع خبيص ، وهو كـكريم : ضرب من الحلواء المخبوصة ، أي المخلوطة . وقد ذكر البغدادى فى كتاب الطبيخ : ست صفات لعمله ، إحداها : « يؤخذ رطل شيرج ويطرح عليه نصف رطل ماء ونصف درهم زعفران وربع رطل من الدقيق السميذ ويداف — أي يخلط — بأوقية ماء ورد ورطل عسل فى موضع واحد ، ويغلى ويحرك بإسطام حتى يطلق الدهن . ومن أراد طرح فيه كفا من الخشخاش ، وخمسة دراهم فستق مقشر ، ويغرف ويجعل تحته وفوقه السكر المدقوق ناعماً » . هـ : « الأخبطة » محرف . وأما الأنبذة فجمع نبيذ .

(٢) هو أبو الجهجاه النوشروانى ، روي عنه الجاحظ خبرا فى البخلاء ٣٦ : « حدثنى أبو الجهجاه النوشروانى قال : حدثنى أبو الأحوص الشاعر قال : كنا نفطر عند الباسانى فكان يرفع يديه قبلنا ويستلقى على فراشه ، ويقول : إنما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء ولا شكورا » . ولم أعثر له على غير هذه الترجمة .

(٣) فى الأصل : « فإن » .

(٤) ط : « القاعدة » صوابه فى س ، هـ . يريد أن الشخص حين يقوم غيره حين يقعد .

(٥) ط ؛ هـ ، س : « وزعموا » تصحيحه من س . والضمير لأبى الجهجاه .

(٦) أى قياساً علي مذهبه ولو لم يقله . والعبارة فى أصلها : « أنه لو لم يقل ذلك » . محرفة .

(٧) ط ، هـ : « هيئته » صوابه من س .

(٨) « وكذلك » هى فى أصلها : « كانت » محرفة . وفلق ، كعنب : جمع فلقة ، بالكسر ، أى قطعة .

(٩) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .

(١٠) الجلالة : التى تأكل الجلة والعذرة . و [illegible] ، بالكسر : البعر ، كما فى اللسان .

(١١) أي أبو إسحاق . وفى الأصل : « وقال أبو الجهجاه » .

(ردّ النظام على أصحاب الأعراض)

قال أبو إسحاق : فإن اعترض علينا مُعترضٌ من أصحاب الأعراض[(١)] فزعم أن النارَ لم تكن كامنةً ، وكيفَ تكْمُنُ فيه وهى أعظم منه ؟ ولكنّ العودَ إذا احتكّ بالعود حَمِيَ العودان ، وحمى من الهواء المحيط بهما الجزء الذى بينهما ، ثم الذى يَلِى ذلك منهما ، فإذا احتدم رقّ[(٢)] ، ثم جفّ[(٣)] والتهب . فإنما النارُ هواءٌ استحالَ .

والهواء فى أصل جوهرِهِ حارٌّ رقيق ، وهو جسم رقيق ، وهو جسمٌ[(٤)] خَوَّارٌ ، جيِّد القبول ، سريع الانقلاب .

والنار التى تراها أكثرَ من الحطب ، إنما هى ذلك الهواء المستحيل ، وانطفاؤها بطلانُ تلك الأعراضِ الحادثة من النارية فيه . فالهواء سريعُ ٦
الاستحالة إلى النار ، سريعُ الرجوعِ إلى طبعهِ الأول . وليس أنها إذا عُدِمَتْ فقد انقطعتْ إلى شكل لها عُلْوِيٍّ واتصلت ، وصارتْ إلى تِلادها[(٥)] ، ولا أن[(٦)] أجزاءها أيضا تفرقتْ[(٧)] فى الهواء ولا أنها[(٨)] كانت كامنةً

---

(١) انظر القول فى أصحاب الأعراض فى التنبيه الثامن ص ٥ .

(٢) فى اللسان : « الأزهري : الحدم : شدة إحماء الشيء بحر الشمس والنار . تقول حدمه كذا فاحتدم . وقال الأعشى :

وإدلاج ليل على غرة   وهاجرة حرها محتدم »

(٣) « جف » بالجيم ، من الرطوبات التي به .

(٤) خوار ، وزان كتان : أي ضعيف . كلمة « رقيق » الثانية ساقطة من **س** . وكلمتا « وهو جسم » ساقطتان من ط ، **س** .

(٥) التلاد ، بالكسر : أصل معناه المال القديم الأصلي ، فكأنه يريد أن يقول : تعود إلي معدنها وأصلها الأول . وفى اللسان : « قال أبو منصور : سمعت رجلا من أهل مكة يقول : تلادي بمكة . أي : ميلادي » . والفلاسفة الأولون يعللون صعود النار إلي أعلى بأنها تواقة إلى موطنها الأول . والعبارة فى أصلها : « فقد انقطع إلي شكل لها علوى واتصل وصار إلى تلاده » . والوجه ما أثبت ، إذ الكلام فى « النار » .

(٦) فى الأصل : « ولأن » .

(٧) فى الأصل : « تقرب » وهو تحريف .

(٨) الواو ساقطة من ط ، **س** . وفى الأصل : « لأنها » صوابه ما أثبت .

فى الحطَب ، متداخلةً منقبضة فيه ، فلما ظهرت انبسطت وانتشرت . وإنما اللهبُ هواء[١] استحال نارا ؛ لأن الهواء قريبُ القرابةِ من النار ، والماء هو حجازٌ بينهما ، لأن النار يابسةٌ حارة ، والماء رطبٌ بارد ، والهواء حارٌّ رطب ، فهو يُشبه الماء من جهة الرطوبة والصفاء ، ويُشبه النار بالحرارةِ والخفة فهو يخالفهما ويوافقهما . فلذلك جازَ أن ينقلبَ إليهما انقلابا سريعا ، كما ينعصر الهواء إذا استحال رطبا وحدث له كثافة ، إلى أن تعود أجزاؤه مطراً . فالماء ضدٌّ النار ، والهواء خلافٌ لهما ، وليس بضدٍّ . ولا يجوز أن ينقلب الجوهر إلى ضده حتى ينقلب بَديًّا[٢] إلى خلافه . فقد يستقيم أن ينقلبَ الماء هواءً ، ثم ينقلبَ الهواء ناراً ، وينقلبَ الهواء ماء ، ثم ينقلبَ الماء أرضا . فلابدّ فى الانقلاب من الترتيبِ والتدريج[٣] . وكلُّ جوهر فله مقدمات ؛ لأن الماء قد يحيل الطين صخراً ، وكذلك فى العكس ، فلا[٤] يستحيل الصخرُ هواءً ، والهواء صخراً ، إلا على هذا التنزيل والترتيب[٥] .

وقال أبو إسحاق لمن قال بذلك من حُذَّاق أصحاب الأعراض : قد زعمتم أن النار التى عاينّاها لم تخرج من الحطَب ، ولكنّ الهواء المحيط بهما[٦] احتدمَ واستحالَ ناراً . فلعلّ الحطب الذى يسيل منه الماء الكثيرُ ، أن يكون ذلك الماء لم يكن فى الحطَب ، ولكنّ ذلك المكان من الهواءِ[٧]

---

(١) فى الأصل : « هو » ، تحريف . وانظر بقية القول .

(٢) بديا : أى بدءا وأولا . وفى حديث سعد بن أبى وقاص قال يوم الشورى : « الحمد لله بديا » . وفى تعقيب اللسان على هذا الحديث : « البدي بالتشديد : الأول » . وفيه : « وأصله الهمزة ؛ وإنما ترك لكثرة الاستعمال » . قلت : وقد وردت : « بديا » فى مواضع من الحيوان ، أذكر منها (٤ : ٢٠٧ ، ٣١٧). وجاءت « بديئا » على الأصل فى نسخة كوبريلى من (٣ : ٢٧٥) .

(٣) فى الأصل : « فلا بد من الانقلاب فى الترتيب والتدريج » ، تحريف .

(٤) فى الأصل . « قد » .

(٥) ط ، هـ : « ولاترتيب » . وأثبت صوابه من سهـ .

(٦) س : « بها » والضمير للنار والحطب .

(٧) فى الأصل : « الماء » .

استحالَ ماء . وليس ذلك المكان من الهواء أحقّ بأن يستحيل ماءً من أن يكون سبيلُ الدخان فى الاستحالةِ سبيلَ النار والماء .

فإن قاسَ القومُ ذلك ، فزعموا أن النار التى عاينّاها[(١)] ، وذلك الماء والدخان فى كثافة الدخان وسَوادِه ، والذى يتراكمُ منه فى أسافل القدور[(٢)] وسُقف المطابخ[(٣)] إنما ذلك هواء استحال ، فلعلّ الرماد أيضا ، هواءٌ استحالَ رماداً .

فإن قلتم : الدُّخان[(٤)] فى أول ثقله المتراكم على أسافل القدور ، وفى بُطونِ سُقُفِ[(٥)] مواقِدِ الحمامات ، الذى [إذا[(٦)]] دُبِّرَ ببعض[(٧)] التدبير جاء منه الأنقاس[(٨)] العجيبةُ أحق بأن استحال أرضيًّا[(٩)] . فإن قاسَ [صاحب[(١٠)]] العرَضِ ، وزعم أن الحطب انحلّ بأسرِه ، فاستحال بعضُه رماداً

---

(١) س : « عاينا » .
(٢) فى الأصل : « القدر » بالإفراد . والمقابلة والسياق يقتضي الجمع .
(٣) السقف ، بضمتين : جمع سقف ، بالفتح . ومثله السقوف .
(٤) فى الأصل : « الرماد » . وهو سهو أو تحريف .
(٥) ه : « مسقف » محرف . وانظر التنبيه الثالث .
(٦) بهذه الكلمة يلتئم القول . وليست بالأصل .
(٧) ط فقط : « بعض » بإسقاط الباء الأولى .
(٨) الأنقاس : جمع نقس ، بكسر النون وإسكان القاف ، ويقال أيضا : بفتح النون ، كما فى صبح الأعشى (٢ : ٤٦١) . ولم يذكر هذه صاحب اللسان والقاموس ، وهو المداد والحبر . وفى الأصل : « الأنفاس » بالفاء ، تصحيف ما أثبت . وقد فرق صاحب صبح الأعشى فى (٢ : ٤٦٥) بين صنعة المداد وصنعة الحبر ، وهو اصطلاح صناعى لا لغوي ، فان اللغويين لا يفرقون بينهما . ويفهم منه أن الدخان يدخل فى صنعة المداد ، وأما فى صنعة الحبر ، فلا يدخل إلا فى الصنف الأول ، يعنى به الذي يكتب به على الكاغد أي الورق . أما الصنف الثانى من الحبر وهو الذي يكتب به على الرق : أي الجلد الرقيق ، فلا يدخل الدخان فى صنعته .
(٩) كلمة « استحال » ساقطة من ه . وموضعها أبيض فى س .
(١٠) ليست بالأصل . والمراد بصاحب العرض من يزعم أن المواد مكونة من عدة أعراض وزعيم هذا المذهب هو ضرار بن عمرو صاحب الضرارية . انظر التنبيه الأول من ص ١٠ .

كما قد كان بعضه رماداً(١) مرةً ، واستحال بعضه ماءً كما كان بعضه ماءً مرة ، و بعضه استحال أرضاً ، كما كان بعضه أرضاً مرة ، ولم يقلْ إن الهواءَ المحيطَ به استحالَ رماداً ، ولـكنَّ بعضَ أخلاطِ الحطَبِ استحالَ رماداً
٧ ودُخانا ، و بعضَ الهواء المتصل به استحال ماءً وبعضَه استحال ناراً ، على قدرِ العوامل ، وعلى المقابِلات له . و إذا قال صاحبُ العرض ذلك كان قد أجاب فى هذه المساعةِ على حدٍّ ما نزَّلتهُ لك .

وهذا باب من القول فى النار . وعلبنا أن(٢) نستقصىَ للفريقَين . والله المعين .

(ردٌّ على منـكرى الـكُمُون)

و بابٌ آخرُ ، وهو أن بعض من ينـكرُ كُمونَ النار فى الحطب قالوا : إن هذا الحرّ الذى رأيناه قد ظهرَ من الحطب ، لو كان فى الحطب لـكان واجباً أن يجده مَنْ مَسّه كالجمر المتوقد ، إذا لم يكن دونه مانعٌ منه ، ولو كان هناك مانعٌ لم يكن ذلك المانعُ إلا البردَ ؛ لأن اللونَ والطعمَ والرائحةَ لا يفاسِدِ الحرَّ ، ولا يُمانعه [إلا(٣)] الذى يُضادُّه ، دون الذى يخالفه ولا يضاده(٤) .

فإن زعم زاعمٌ أنه قد كان هناكَ من أجزاء البرد ما يعادلُ ذلك الحرَّ ويُطاوله ، ويكافيه ويوازيه ؛ فلذلك صرنا إذا مَسِسْنَا(٥) الحطبَ لم نجدْه مؤذيا ، وإنما يظهر الحرْقُ ويُحْرِقُ لزوال البرد ، إذا قام فى مكانه وظهر الحرُّ وحْده فظهر عمله . ولو كان البردُ المعادلُ لذلك الحرِّ مقيما فى العود

---

(١) في الأصل : « ماء » محرف .
(٢) هذه الـكلمة ساقطة من س ، ه .
(٣) تـكملة ضرورية ليست بالأصل . والمراد أنه لا يمانع الحر إلا مضاده وهو البرد .
(٤) الـكلام من مبدإ « دون » ساقط من س .
(٥) فى القاموس : « مسسته ، بالـكسر أمسه مسا ومسيسا ومسّيسى كخلّيفى ؛ ومسسته كنصرته : أي لمسته » .

على أصلِ كمونه فيه . لـكانَ ينبغى لمن مَسَّ الرَّمادَ بيده أن يجدَه أبردَ من الثلج . فإذا كان مسه كمسِّ غيره ، فقد علمنا أنه ليس هناك من البرد ما يعادلُ هذا الحرَّ الذى يُحرق كلَّ شىء لقِيَه .

فإن زعم أنهما خرجا جميعاً من العود ، فلا يخلو البردُ أن يكونَ أَخَذَ فى جهته ، فلِمَ وجدنا الحرّ وحده وليس هو بأحقّ أن نجده من ضِدِّه . وإن كان البردُ أخذَ شمَالاً ، وأخذَ الحرُّ جنوبا ، فقد كان ينبغى أن يجْمِد ويُهْلك ما لاقاه[1] ، كما أهلك الحر وأحرقَ وأذاب كلَّ ما لاقاه .

قالوا : فلما وجدنا جميعَ أقسامِ هذا البابِ ، علمنا أن النار لم تـكن كامنة فى الحطبِ .

قال أبو إسحاق : والجواب عن ذلك أنا نزعم أن الغالبَ على العالَم السفلىِّ الماء والأرض ، وهما جميعاً باردانِ ، وفى أعماقهما وأضعافهما من الحر ما يكون مغموراً ولا يكون غامراً[2] ، ويكون مقموعا ولا يكون قامعاً ؛ لأنه[3] هناك قليل ، والقليلَ ذليل ، والذليلُ غريب ، والغريبَ محقور . فلما كان العالَمُ السفلى كذلك ، اجتذبَ[4] ما فيه من قوة البرد وذلك البرد[5] الذى كان فى العود عند زوالِ مانعه ؛ لأن العودَ مقيمٌ فى هذا العالم[6] . ثم لمْ ينقطع ذلك البردُ إلى برد الأرض ، الذى هو كالقُرْص

---

(١) يجمد ، بالجيم : من الإجماد . وفى الأصل : « يخمد » بالخاء . والوجه ما أثبت . هـ : « يهلك بالأقسام » تحريف .

(٢) ط ، س : « معمورا » و « عامرا » بالعين المهملة فيهما . صوابه ما فى هـ .

(٣) أي الحر . وفى الأصل : « لأن » .

(٤) اجتذب : امتص . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، ففي ط : « حدث » و هـ : « أحدث » و س : « جذب » .

(٥) أي وذلك هو البرد .

(٦) أي العالم السفلى .

له [١] ، إلا بالطفرة [٢] والتخليف [٣] لا بالمرور على الأماكن والمحاذاةِ لها [٤] وقام بَرْدُ الماء منه مقام قرصِ الشمسِ من الضياء الذى يدخل البيتَ للخَرْق الذى يكون فيه ، فإذا سُدَّ فمُ السَّدِّ ينقطعُ إلى قُرْصه ، وأصلِ جوهره .

٨ فإذا أجابَ بذلك أبو إسحاق لم يجد خصمهُ بُدًّا من أن يبتدئ مسألة فى إفساد القول بالطفرة والتخليف [٥] .

ولولا ما اعترض به أبو إسحاق من الجواب بالطفرة فى هذا الموضع ، لكان هذا مما يقع فى باب الاستدلالِ على حدوثِ العالم .

(قول النظام فى الكمون)

وكان أبو إسحاق يزعمُ أن احتراق الثوب والحطب والقطن ، إنما هو خروجُ نيرانه منه ، وهذا هو تأويل الاحتراق ، وليس أن ناراً جاءت من مكانٍ فعملت فى الحطب ، ولكن النار الكامنة فى الحطب لم تكن تقوي على نفى ضدِّها عنها ، فلما اتصلت بنار أخرى ، واستمدت منها ،

---

(١) يشير بذلك إلى أن برد العود الذي كان اكتسبه من الأرض ، إذا أراد الاتصال ببرد الأرض مرة أخرى ، وذلك حين إشعال العود ، فان ذلك الانقطاع والانتقال لا يكون إلا بالطفرة ، وهي مذهب كلامى سيفسر عقب هذا . وقد جعل الجاحظ منزلة بردالأرض من برد العود ، كمنزلة قرص الشمس من ضيائها ، فان الأول أصل الثاني . و « كالقرص » هي فى أصلها : « كالعرض » تحريف اتضح لك صوابه مما بينت .

(٢) الطفرة ، معناها اللغوي : الوثبة . والمراد بها هنا المذهب الكلامى المنسوب إلى إبراهيم النظام كما فى الفصل (٥ : ٦٤) ، وهي دعواه أن المار على سطح الجسم يسير من مكان إلى مكان بينهما أماكن لم يقطعها ذلك المار ، ولا مرّ عليها ، ولاحاذاها ، ولاحل فيها. انظر أيضا الفرق بين الفرق ١٢٤ س ٦ — ٧ ، ١٥ .

(٣) كذا فى هـ . والتخليف : الترك . وفيه معنى الطفرة . س ، ط : « التحطيف » بالحاء المهملة بعدها طاء مهملة . وليس لها وجه .

(٤) فى الأصل : « على الأمور بالأماكن والمجاورة لها » . وأصلحت العبارة على ضوء تفسير كلمة « الطفرة » السابق .

(٥) ط ، س : « التحطيف » صوابه من هـ . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

فوِيَتَا جميعاً على نفى ذلك المانع ، فلما زال المانعُ ظهرت . فعند ظهورها تجزَّأ(١) الحطبُ وتجففَ وتهافتَ ؛ لمكانِ عملها فيه . فإحراقك للشئ إنما هو إخراجك نيرانه منه .

وكان يزعم أن حرارة(٢) الشمس ، إنما تحرق فى هذا العالم بإخراج نيرانها منه . وهى لا تُحرق ماعقد العرَضُ وكثَّفَ تلك النداوة(٣) ؛ لأن التى عقدت تلك الأجزاء من الحر أجناس لاتحترق ، كاللون والطعم والرائحة ، والصوت . والاحتراقُ إنما هو ظهورُ النار عند زوال مانِعها فقط .

وكان يزعم أن سمَّ الأفعى مقيماً فى بدن الأفعى ، ليس يَقتُل ، وأنهْ متى مازَجَ بدناً لاسمَّ فيه لم يقتل ولم يُتْلِفْ ، وإنما يتلفُ الأبدان التى فيها سمومٌ ممنوعة مما يُضَادُّها . فإذا دخل عليها سم الأفعى ، عاون السم الكامنُ ذلك السمَّ الممنوعَ على مانعهِ . فاذا زال المانعُ تلف البدن . [فكان(٤)] المنهوشُ عند أبي إسحاقَ ، إنما كان أكثرُ ما أتلفه السمَّ الذى معه .

وكذلك كان يقول فى حرِّ الحمَّام ، والحر الكامنِ فى الإنسان : أنَّ الغَشْيَ الذى يعتريه فى الحمام [ليس(٥)] من الحر القريب ، ولكن من الحر الغريب ، حرّك الحرَّ الكامنَ فى الإنسانِ ، وأمَدّهُ ببعض أجزائه ، فلما قوِىَ عند ذلك على مانعهِ فأزاله ، [صار(٦)] ذلك العملُ الذى كان يُوقعه بالمانع(٧) واقعاً به . و إنما ذلك كماء حار يحرقُ اليدَ(٨) ، صُبَّ عليه ماء

(١) ﻫ : « تجز » .

(٢) فى الأصل : « حر » . والضمير بعده لمؤنث .

(٣) النداوة ، كسحابة : مصدر ندي يندى . ويقال لها أيضا : « الندوة » كفتوة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية فى ﻫ .

(٤) الزيادة من س ، ﻫ . ويصح أن تقرأ بالهمز : « فكأن » فينصب الاسم بعدها .

(٥) التكملة من س ، ﻫ .

(٦) بمثل هذه الكلمة يلتئم القول .

(٧) فى الأصل : « توقعه » . والضمير للحر ، وهومذكر . ﻫ : « بالماقع » مصحفة .

(٨) ﻫ : « الماء » صوابه ما أثبت من س ؛ ﻫ .

باردٌ ، فلما دخل عليه الماء البارد صار شُغْله بالداخلِ ، وصار من وضَعَ يده فيه ووضع يدَه في شيء قد شُغِل فيه بغيره . فلما دفع الله ، عز وجل ، عنه(١) ذلك الجسم الذى هو مشغولٌ به، صار ذلك الشُّغْل مصروفاً إلى من وضع يده فيه ؛ إذ كان لا ينفكُّ من عمله .

وكان مع ذلك يزعم أنك لو أطفأتَ نارَ الأتُّون(٢) لم تجدْ شيئا من الضوء ، ووجدت الكثير من الحر ؛ لأن الضياء لما لم يكن له فى الأرض أصلٌ ينسب إليه(٣) ، وكان له فى العلوِّ أصلٌ ، كان أولَى به (٤) .

•وفى الحقيقة أنهما جميعا قد اتصلا بجوهرهما من العالم العلويِّ . وهذا الحر ٩
الذي تجده (٥) فى الأرض ، إنما هو الحرُّ الكامن الذى زال مانعُه .

هكذا كان ينبغى أن يقول . وهو قياسُه .

وكان يزعم أنك إن أبصرتَ مصباحا قائما إلى الصبح(٦) أن الذى رأيته في أول وهلةٍ قد بَطَلَ من هذا العالَم ، وظَفِر من الدهن(٧) بشيء من وزنه وقدره بلا فضل(٨) ، ثم كذلك الثالث والرابع والتاسع . فأنت إن ظننتَ أن هذا المصباحَ ذلك ، فليس به ، ولكن ذلك المكان [لما كان(٩)] لا يخلو من أقسامٍ متقاربة متشابهة ، [و(١٠)] لم يكن فى الأول

---

(١) ط : « عند » بالدال ، تصحيحه من س ، هـ .
(٢) الأتون ، كتنور ، وقد يخفف . سبق الكلام فيه فى التنبيه الأول من ص ٧ .
(٣) فى الأصل : « لو لم يكن » ... الخ . وهو تحريف . وفى س : « نسب إليه » .
(٤) أي كان العلو أولي به .
(٥) س : « نجده » بالنون .
(٦) س ، هـ : « أنك و إن » بزيادة واو . وفى هـ : « إلى الصلح » باللام . وهما تحريفان.
(٧) ط ، هـ : « الدهر » بالراء . صوابه بالنون كما فى س .
(٨) الفضل ، بالضاد المعجمة ، بمعنى الزيادة . وفى ط : « بالأفضل » وهـ : « بلا فصل » بالصاد ، بمعني الفرق . والأولى محرفة . وأثبت ما فى س .
(٩) ليست بالأصل . وبها يصلح الكلام .
(١٠) تكملة ضرورية .

شِيَةٌ[1] ولا علامة ، وقع عندك أن المصباحَ الذى رأيته مع طلوعِ الفجر ، هو الذى رأيته مع غروب الشَّفَقِ .

وكان يزعم أن نار المصباح لم تأكل شيئا من الدهن ولم تشربه[2] ، وأن النار لا تأكل ولا تشرب ، ولكن الدهن ينقص على قدرِ ما يخرجُ منه من الدخان والنار الكامنَين ، اللذَينِ كانا فيه . وإذا خرج كلُّ شىء فهو بُطْلانه .

(المجاز والتشبيه فى الأكل)

وقد يقولون ذلك[3] أيضا على المثل ، وعلى الاشتقاق ، وعلى التشبيه .

فان قلتم : فقد قال الله ، عز وجلّ فى الكتاب : ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَنْ لاَ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ[4] ﴾ علِمْنَا أن الله ، عز وجل ، إنما كلمهم بلغتهم .

وقد قال أوسُ بنُ حَجَرٍ[5] :

فأشْرَط فيها نفسه وهو مُعْصِمٌ   وألقى بأسبابٍ له وتوكَّلا[6]

---

(١) الشية ، كعدة : اللون يخالف معظم اللون . والمراد بها هنا العلامة المميزة . وليس يعني أنه ليس فى المصباح الأول شية مطلقا ، ولكنه يريد أنه لا يميز المصباح الأول من الثانى علامة خاصة ، بل العلامات فيهما واحدة . وفي الأصل : « شبه » بالباء الموحدة ، صوابه ما أثبت .

(٢) س : « لم يأكل » ، و« لم يشربه » .

(٣) أي الأكل ومشتقاته .

(٤) الآية ١٨٣ من سورة آل عمران . وتمامها : « قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم إن كنتم صادقين » . والكلام فى بنى إسرائيل ، زعموا أن علامة النبوة أن تنزل نار من السماء فتأكل قربان النبى . والقربان : ذبائح كانوا يذبحونها ، وهو مصدر قرب يقرب ، وقرئ : « بقربان » بضمتين . انظر الزمخشرى .

(٥) ينعت صانع قوس ، أجهد نفسه فى الحصول على نبعة فى صدع الجبل ، فان ذلك خير النبع وأصلحه للقسى . وقبل البيت : كما فى الديوان واللسان (لهب) .

فأبصرَ ألْهَابًا مِنَ الطّوْدِ دُونَهَا   يَرَى بَيْنَ رَأْسَىْ كلِّ نِيقين مَهْبلا

الألهاب : جمع لهب بالكسر : وهو الفرجة والهواء بين الجبلين ، أو الصدع فى الجبل .

(٦) أشرط : أي جعل نفسه شرطا ، والشرط ، بالتحريك : العلامة : والمعني أنه هيأ =

وقد أَكَلَتْ أظْفَارُهُ الصَّخْرُ كلما تعَايا عليه طولُ مَرْقًى تَوَصَّلاَ(١)

فجعل النحتَ والتَّنَقُّصَ(٢) أَكلاً .

وقال خُفَافُ بن نَدْبَة(٣) :

أبا خُرَاشَةَ أَمَّا كنْتَ ذَا نفَرٍ فانَّ قَوْمِيَ لَمْ تَأْكُلهُمُ الضبعُ(٤)

والضَّبُع : السَّنَة(٥) . فجعل تَنَقُّصَ الجدْبِ ، والأزْمة ، أكلاً(٦) .

= نفسه لهذه النبعة التي يريد الحصول عليها . معصم : أى معتصم بالحبل الذي دلاه في صدع الجبل ليصل إلى النبعة . والأسباب : جمع سبب ، بالتحريك ، وهو الحبل . وفى اللسان : « وقيل لا يسمى الحبل سبباً حتى يكون طرفه معلقاً بالسقف أو نحوه » . وجاء مثله فى قول ابن أحمر (المقصور ص ٣٠) :

فأشرط نفسه حرصا عليها وكان بنفسه حجئا ضنينا

أي ممسكا بخيلا .

(١) أنث الفعل لما أن الفاعل « الصخر » وهو مجازي التأنيث . ومجازي التأنيث يصح فى فعله التذكير والتأنيث . وتعايا عليه الأمر : أعجزه . ه : « نفايا » تصحيف صوابه س ، ط ورواية الديوان : « تَعَيَّا » وهى بمعنى تعايا . وقد أكلت أظفاره الصخر حينما كان يصعد فى الجبل لينزل منه إلى اللهب الذي فيه النبعة .

(٢) التنقص : النقص ، يقال نقصه وتنقصه . وفى الأصل : « الشص » بالشين . وما أثبت أقرب تصحيح لهذا التصحيف .

(٣) كذا . والصواب أن قائل البيت هو العباس بن مرداس السلمى ، كما فى الخزانة (٤ : ١٣ سلفية) ، واللسان (خرش) . يخاطب به خفاف بن ندبة ، ويحرضه على الصلح ويثبطه عن الحرب . وكان خفاف بن ندبة يكنى « أبا خراشة » .

(٤) خراشة ، بضم الخاء كما فى الخزانة (٤ : ١١ سلفية) واللسان (خرش) . و « أما كنت » هذه رواية س ، ه . وهى رواية أبي حنيفة فى كتاب النبات ، وابن دريد فى الجمهرة ، وعلى هذه الرواية يعتمد الكوفيون فى قولهم : إن (أن) المفتوحة شرطية يجازي بها . الخزانة (٤ : ١٢ سلفية) . ورواية ط ، ويظهر أنها تصرف من المصحح الأول : « إما أنت » وهو الرواية المشهورة . وللنحويين فيها كلام طويل جمعه صاحب الخزانة ، وبعد البيت .

السلم تأخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من أنفاسها جرع

(٥) السنة ، بمعنى الجدب والقحط . وأسنتوا : أجدبوا .

(٦) فى الأصل : « شقص » وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة . وفى ط بعد كلمة «الأزمة» « بابا آخر مما يسمونه أكلا » وهو إقحام وتحريف . وانظر التنبيه التالى .

[باب آخر مما يسمونه أكلاً[١]] . وقال مِرْداسُ بن أُدَيّة[٢] :

وأدّتِ الأرضُ مِنّى مِثْلَ ما أَكَلَتْ وقرّبُوا لِحسابِ القِسْطِ أعمالى[٣]

وأَكْلُ الأرضِ لما صارَ فى بطنها : إحالتُها له إلى جوْهرِها .

بـاب آخر

(فى المجاز والتشبيه بالأكل)

وهو قول الله عز وجلّ : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا[٤]﴾ وقوله تعالى ، عز اسمه . ﴿أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ[٥]﴾ . وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا بتلك الأموال الأنبذة ، ولبسوا الحُللَ ، وركبوا الدوابّ ، ولم ينفقوا منها دِرْهَما واحداً فى سبيل الأكل .

وقد قال الله عز وجلّ : ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نارا[٦]﴾ . وهذا مجازٌ آخر .

وقال الشاعر[٧] فى أخذ[٨] السِّنِينَ من أجزاء الخمر :

أكلَ الدّهرُ ما تجسَّم منها وتَبَقّى مُصاصَها المكنونا[٩]

---

(١) هذه التكلمة من س فقط .

(٢) هو أبو بلال مرداس بن أدية — بهيئة التصغير — أحد الخوارج . خرج فى أيام يزيد ابن معاوية : بناحية البصرة ، على عبيد الله بن زياد ، فبعث إليه زرعة بن مسلم العامري فهزم زرعة ، ثم وجه إليه عباد بن علقمة فهزمه وقتله سنة ٦١ .

(٣) القسط ، بالكسر : العدل .

(٤) من الآية ١٠ من سورة النساء .

(٥) من الآية ٤٢ فى سورة المائدة . والسحت ، بالضم : ما خبث من المكاسب . قالوا : سمى بذلك ، لأنه يسحت البركة : أي يذهبها . وسحت الشيء يسحته : قشره قليلا قليلا .

(٦) من الآية ١٠ فى سورة النساء .

(٧) هو أبو نواس من خمرية رائعة له فى ديوانه ٣٣٨ — ٣٣٩ مطلعها :

أدر الكأس حان أن تسقينا وانقر الدف إنه يلهينا

(٨) ط ، س : « أجزاء » هـ : « أخز » بالزاي . صوابهما ما أثبت .

(٩) ط ، هـ : « الدهم » صوابه فى س . « وتجسم » بالسين : أي صار جسما . وهو =

وقال الشاعر :

مَرّتْ بِنَا تَخْتَالُ فِي أَرْبَعٍ   يأكُلُ منها بعضُهَا بعضَا[1]

وهلْ قوله : « وقد أَكَلَتْ أظْفَارَه الصَّخْرُ[2] » إلا كقوله[3] :

كَضَبِّ الكُدَى أفنى بَرَاثِنَهُ الحفْرُ[4]

= يريد أنه لم يبق من الخمر إلا روحها . والخمر إذا أعتقت ضفت ورقت وكاد يختفي جسمها . وفى ذلك قول ابن المعتز (٢ : ٣٠) :

لم يبق منها البلى شيئاً سوي شبح   مقيمة الظن بين الصدق والكذب

وقوله (٢ : ٤٣) :

فأبرزها تحدث عن زمان   كلمع الآل فى البيد القفار

وقول أبي نواس بعد البيت المتقدم :

فإذا ما اجتليتها فهباء   تمنع الكف ما تبيح العيونا

وتبق ، أى أبق وترك . يقال أبقاه وبقاه وتبقاه واستبقاه ، كما فى اللسان .

والمصاص ، بالضم : خالص كل شيء . ورواية الديوان : « وتبقى لبابها » .

(١) فى أربع : أي أربع من صواحبها . وقد أراد أنها فى تثنيها وتأودها وتعطفها كأنما يأكل بعضها بعضاً .

(٢) جزء من بيت لأوس بن حجر سبق فى ص ٢٤ .

(٣) هو خالد بن الطيفان كما سيأتي فى (٦ : ١٢) وكما في المؤتلف ١٤٩ . وصدر البيت :

ترى الشر قد أفني دوائر وجهه

والطيفان أمه ، فهو ممن نسب إلي أمه من الشعراء . وفى القاموس : « وابن الطيفان ، كحيران : خالد بن علقمة ، شاعر . وطيفان أمه » . وفى المؤتلف : « فأما ابن الطيفان فهو خالد بن علقمة بن مرثد ، أحد بنى مالك بن زيد بن عبد الله بن دارم » . وفى اللسان (١٣ : ٢٦٧) : « ابن الطيفان الدارمى . والطيفان أمه » . وفى الشعراء أيضاً (ابن الطيفانية) نسب إلى أمه أيضاً . وهو عمرو بن قبيصة ، أحد بنى زيد ابن دارم . القاموس والمؤتلف ١٤٩ .

(٤) الكدى : جمع كدية بالضم : وهى الأرض الغليظة . وفى الأصل : « الكري » بالراء ، محرفة . و « أفنى » هى فى الأصل : « أبري » . صوابه من الجزء السادس والمؤتلف . ولا يقال : أبرى من البرى ، بل يقال : أبري الناقة أي جعل لها برة في أنفها .

وإذا قالوا : أَكَلَهُ الأسَد ، فإنما يذهبون إلى الأكل المعروف[١] .

وإذا قالوا : أَكَلَهُ الأسْوَد[٢] فإنما يعنون النَّهْشَ واللَّدْغَ والعضّ فقط .

وقد قال الله عز وجلّ : «أيُحِبُّ أحَدُكُمْ أنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أخِيهِ مَيْتًا[٣]» . ويقال : هم لحوم الناس[٤] .

وقال قائلٌ لإسماعيل بن حماد[٥] : أيّ اللَّحْمَانِ أطيب ؟ قال : لحومُ الناس ، هى ، واللهِ أطيبُ من الدجاج ، ومن الفراخ ، والعُنُوزِ الحُمْر[٦] .

ويقولون فى باب آخر : فلانٌ يأكل الناس . وإن[٧] لم يأكُلْ من طعامهم شيئًا .

وأما قولُ أوس بن حَجَر :

وذو شُطُبات قَدّهُ ابنُ مجدّعٍ ... له رَونقٌ ذَرِّيُّهُ يتأكّلُ[٨]

---

(١) ﻫ : « المفروض » محرف .

(٢) الأسود ، هنا : ضرب خبيث من الأفاعى .

(٣) من الآية ١٢ في سورة الحجرات .

(٤) كذا وردت هذه العبارة . ولعلها مقحمة مأخوذة من الخبر بعدها .

(٥) هو إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة صاحب المذهب ، ولي القضاء بالرصافة ، ثم بالبصرة سنة ٢١٠ وتوفى سنة ٢١٢ وكان من كبار الفقهاء . تاريخ بغداد . ٣٢٨ ، ولسان الميزان ١٢٥٧ . ط : « لأسماء » صوابه في س ، ﻫ .

(٦) العنوز : جمع عنز ، وهي الأنثى من المعز . ﻫ : « العتود » وهو بالفتح : الحولي من أولاد المعز ، جمعه أعتدة وعدان ، وليست تلائم الكلام لإفرادها بعد جمعين ، ولوصفها بمؤنث . الحمر : جمع حمراء . وفى الأصل : « والحمر » والواو زائدة .

(٧) في الأصل : « إن » والوجه زيادة الواو قبلها .

(٨) الشطبات ؛ بضم الشين والطاء ، جمع شطبة : بالضم ، وهى الطريقة من طرائق السيف : أى الخط فيه . وتقرأ أيضاً : « شطبات » بضم ففتح ، جمع شطبة بضم ففتح وبالمعنى المتقدم . وقد عنى به السيف . قده : قدره وصنعه . وابن مجدع ، أحد صناع السيوف . وكان العرب ينسبون السيوف والسهام والرماح إلى صناعها ، كما يضيف الناس اليوم أشياءهم إلى المصانع التى أخرجتها . والرونق : ماء السيف وصفاؤه وحسنه . وذري السيف ، كالمنسوب إلى الذر : ماؤه وفرنده . وانظر ما سبق فى (٤ : ٢٩) ط ، ﻫ : « رديه » محرف . س : « دريه » بالدال المهملة ، وهى رواية الديوان أيضاً . ولا بأس بها . ودرى السيف ، بضم الدال : تلألؤه . وقد روى بالوجهين بيت عبد الله بن سبرة : =

فهذا على خلاف الأول . وكذلك قول دُهْمان النهرى[1] :

سألتْـــنِي عنْ أُنَاسٍ أَكلُوا　　شَرِبَ الدَّهْرُ عليهِمْ وأَكَلْ[2]

فهذا كله مختلف ، وهو كله مجاز .

باب آخر

(فى مجاز الذوق)

وهو قول الرَّجل إذا بالغ فى عقوبةِ عبده : ذُقْ ! و : كيف ذقته ؟ !
و : كيف وجدتَ طعمَه !

وقال عزّ وجلّ : ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[3] .

= كل ينوء بماضي الحد ذى شطب　جلّى الصياقل عن ذريه الطبعا

وقد مضى فى (٤ : ٢٩) ، وكذا بيت دريد بن الصمة :

وتخرج منه ضرة اليوم مصدقا　وطول السرى ذري عضب مهند

انظر اللسان (٥ : ٣٩١ — ٣٩٢) و (٦ : ١٥٤ — ١٥٥) . والتأكل : شدة بريق السيف . وصواب رواية البيت : « وذا شطبات » بالنصب ، لأن قبله كما فى الديوان :

تخير مرءا ذا سواعد إنه　أعف وأدنى للرشاد وأجمل

(١) كذا جاءت نسبة البيت . ولم أعثر لدهمان هذا على ترجمة . والمعروف نسبته إلي النابغة الجعدى ، كما فى أمالى المرتضى (١ : ٦٦) واللسان (١٣ : ٢٢) . وهو فى أمثال الميداني (١ : ٣٧) مهمل النسبة .

(٢) « أكلوا » كذا جاءت . وقد تكون صحيحة بقراءتها بالمبنى للمفعول ، فتفسر بمعنى أكلهم الدهر وأفناهم . ورواية المرتضى واللسان : « هلكوا » وفى اللسان «بأناس» وهى من لغة الكتاب . وفيه : « فاسأل به خبيراً » أي عنه . وصدر البيت عند الميداني :

كم رأينا من أناس قبلنا

قال الميداني : « يضرب لمن طال عمره » . وهذا عجب منه . والحق أنه يضرب لمن مضى علي هلكه طويل زمن . قال أبو عمرو : « يقول : مر عليهم » وقال غيره : « معناه شرب الناس بعدهم وأكلوا » . وهذان التفسيران من اللسان. وقد وضح المرتضى التفسير الثاني بقوله : « شرب أهل الدهر بعدهم وأكلوا » .

(٣) الآية ٤٩ من سورة الدخان .

وأما قولهم : ما ذُقْتُ اليوم ذَواقا(١) . فانه يعني : ما أكلتُ اليوم طعاما ، ولا شربتُ شرابا ، وإنما أراد القليل والكثير ، وأنه لم يذقه ، فضلا عن غير ذلك .

وقال بعض طبقات(٢) الفقهاء ، ممن يشتهى أن يكون عند الناس متكلما : ما ذقت اليوم ذواقا على وجهٍ من الوجوه ، ولا على معنًى من المعانى ، ولا على سبب من الأسباب ، ولا على جهةٍ من الجهات ، ولا على لون من الألوان .

وهذا من عجيب الكلام !

قال : ويقول الرجل لوكيله : ايتِ فلاناً فذُقْ ما عنده(٣) .

وقال شمّاخ بن ضِرار :

فذاق فأعطَتْه من اللِّين جانباً كَفَى، ولَهَا أن يُغْرِقَ السهمَ حاجزُ(٤)

وقال ابن مُقْبِل : ١١

أو كاهتزازِ رُدَيْنِيٍّ تَذَاوَقَهُ أيْدِي التِّجَارِ فزَادُوا مَتْنَهُ لِينا(٥)

---

(١) ذواقا ، بالفتح : فعال بمعنى مفعول ، من الذوق . والذواق هو المأكول والمشروب .

(٢) كذا . ولعلها : « مطبقات » . والمطبقات ، بضم الميم وإسكان الطاء : الدواهى التى تطبق .

(٣) أي تعرف ما عنده واخبره .

(٤) يقول : ذاق ذلك الرجل القوس ليختبر ماشدتها وما لينها ، فوجدها على جانب كاف من اللين ، وذلك أحمد لها وأبعد لمرماها . وقال : لها حاجز ، من الشدة المخالطة للين ، يمنع إغراق السهم . وهو أن تصل حديدته إلى كبد القوس فربما قطعت يد صاحبها . وفى مثل هذا المعنى قول العكلى (الحيوان ٣ : ٧٢) :

فى كفه معطية منوع

وقول الآخر :

شريانة تمنع بعد اللين

س : هـ : « تعرف السهم تاجر » تحريف صوابه فى ط والديوان ٤٩ من قصيدته الزائية المشهورة .

(٥) في الأصل : « وكاهتزاز » وصواب الرواية من اللسان (١١ : ٤٠٢) وأمالى القالى (١ : ٢٢٩) وقبل البيت :

وقال نَهْشَلُ بن حَرِّيّ(١) :

وعَهْدُ الغَانِيَاتِ كَعَهْدِ قَيْنٍ وَنَتْ عنهُ الجعائلُ مستذاقِ (٢)

الجعائلُ : من الجُعْل .

وتجاوزوا ذلك إلى أن قال يزيدُ بن الصّعِق(٣) ، لبنى سُلَيم حين صنعوا بسيِّدهم العباسِ(٤) ما صنعوا . وقد كانوا توّجوه وملّكوه ، فلما خالفَهُم فى بعض الأمر وثَبوا عليه ، وكانَ سببَ ذلك قلة رَهْطِه . وقال يزيد ابن الصّعِق :

و إن الله ذاق حُلومَ قَيْسٍ فلما ذاق خِفَّتَهَا قَلَاهَا

= يهزن للمشي أوصالا منعّمة هز الشمال ضحى عيدان يبرينا

وهذه رواية اللسان . وفي الأمالي : « هز الجنوب معا » صوابها : « ضحا » يصح كتابتها بالألف وبالياء . والرديني : الرمح ، منسوب إلى ردينة ، وهي امرأة كانت تتقن هي وزوجها – سمهر – صنع الرماح بخط هجر . والتذاوق من الذوق ، وهو هنا الاختبار . وفي اللسان : « المعروف : تداوله » ورواية القالى : « تناوله » والتجار : ككتاب : جمع تاجر . وهو من يتجر في الشيء ، أو هو الحاذق بمعرفة الشيء . وفى اللسان : « ابن الأعرابى : تقول العرب : إنه لتاجر بذلك الأمر ، أى حاذق » . ورواية الزمخشري فى أساس البلاغة : « أيدي الكماة » جمع كمى ، وهو الشجاع .

(١) نهشل بن حري ، كالمنسوب إلى الحر : شاعر مخضرم أدرك معاوية ، وكان مع على في حروبه . الإصابة ٨٨٧٨ والخزانة (١ : ٢٨٤ سلفية) . وفي الأصل : « بشار ابن حربى » تصحيحه من اللسان (١١ : ٤٠١ ، ١٢ : ٢٨٠) .

(٢) القين ، بالفتح : الحداد أو الصانع ، أو العامل . ونت : أبطأت . ط ، س : « وفت » هـ : « ونت » محرفتان عما أثبت من اللسان . وفي الأصل : « عند » صوابه من اللسان ، والجعائل : جمع جعالة ، بالتثليث ، وهو مايجعل له علي عمله . مستذاق مختبر . جعل عهدهن للمحب كعهد القين لإخوانه إذا أبطأ عنه أجره ، فإنه ينقطع عنهم ولا يستطيع مجاراتهم ومنادمتهم والاتصال بهم .

(٣) الصعق ، ككتف : لقب خويلد بن نفيل . القاموس . ويزيد هذا هو ابن عمرو ابن خويلد بن نفيل . وكان يزيد من فرسان العرب ، وله ذكر فى يوم جبلة . وكان جبلة قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة . الخزانة (١ : ٣٨٨) والأغاني (١٠ : ٤٢ ، ٤٤ ساسي) .

(٤) هو العباس بن أنس الرعلي ، كانت بنو سليم قد أرادوا عقد التاج على رأسه فى الجاهلية ، فحسده ابن عم له فلطم عينه ، فخرج عباس من أعمال بني سليم فى عدة من أهل بيته وقومه ، فنزل فى بني فزارة . الأغاني (١٦ : ٥٥ ساسى) .

رآها لا تطيعُ لها أميراً فخلاَّها تردَّدُ في خلاها[١]

فزعم أن الله ، عز وجلّ ، يذوق .

[و[٢]] عند ذلك قال عباس الرِّعلى[٣] يخبر عن قلّتهِ وكثرتهم ، فقال :

وأمُّكم تُزْجى التُّؤَامَ لِبَعْلِهَا وأمُّ أخيكم كزَّةُ الرِّحمِ عاقرُ[٤]

وزعم يونس أنّ أسلم بن زُرعة[٥] لما أُنشدَ هذا البيتَ اغرَورَقَتْ عيناه .

وجعل عباسُ[٦] أمّه عاقراً إذْ كانت نَزُوراً[٧] . وقد قال الغنوى :

وتحدثوا مَلأً لِتُصْبِحَ أُمُّنَا عَذْرَاءَ لاَ كَهْلٌ وَلاَ مَوْلُودُ[٨]

جعَلَهَا إذ قلّ ولدُها كالعذراء التى لم تلد قطُّ . لما كانت كالعذراء جعلها عذراء .

---

(١) خلاها : تركها . والخلى ، مقصورة : الرطب من النبات ، واحدته خلاة . يقول : جعلها كالسوائم ترتاد المراعي . وهذا الجناس من أقدم ماعرف .

(٢) الزيادة من س ، هـ .

(٣) هو عباس بن أنس الرعلي ، الذى ترجم قريبا . ويقال له عباس بن ريطة الرعلى . وريطة أمه كما فى معجم المرزبانى ٢٦٣ والإصابة ٤٤٩٦ . وقد سبق الخبر والشعر في (١ : ٣٥٩) مع بسط وتعقيب . وفى الأصل : « هياش » بهاء وياء مثناة تحتية ، صوابه من المصادر المتقدمة . والرعلى : نسبة إلى رعل ، بالكسر ، وهى قبيلة من سليم .

(٤) تزجى : تسوق وتدفع . وفى الأصل : « تزجو » وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٥٩) والتؤام ، كغراب : جمع توأم ، وهو المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين فصاعدا . وكزة ، بفتح الكاف بعدها زاى مشددة مفتوحة : قليلة المواتاة والخير . والرحم ، بالكسر ، وككتف : بيت منبت الولد ووعاؤه .

(٥) كذا . وقد سبق فى (١ : ٣٥٩) أن الذى أنشد هذا البيت فاغرورقت عيناه هو أبو عمرو بن العلاء ، وهو أستاذ يونس بن حبيب ، كما فى كتب التراجم .

(٦) فى الأصل : « هياش » بهاء وياء مثناة تحتية . وهو تحريف . انظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٧) النزور ، كصبور : المرأة القليلة الولد .

(٨) أنشد البيت فى اللسان (١ : ١٥٤) وقال : « أى تشاوروا وتحدثوا متمالئين على ذلك

وللعربِ إقدام على الكلام ، ثقةً بفهمِ أصحابهم عنهم . وهذه أيضاً فضيلةٌ أخرى .

وكما جوَّزُوا لقولهم أكل وإنما عضَّ ، وأكَلَ وإنما أفْنَى ، وأكلَ وإنما أحاله[1] ، وأكل وإنما أبطلَ عينه — جوّزوا أيضا أن يقولوا : ذُقْتَ ما ليس بطعم ، ثم قالوا[2] طعِمْت ، لغير الطعام . وقال العرْجيُّ :

وإنْ شِئْتُ حَرَمْتُ النِّساءَ سِوَاكُمُ ... وإنْ شئتُ لم أطعمْ نُقاخاً ولا بَرْدَا[3]

[و[4]] قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي[5] ﴾ يريد : لم يذقْ طعمه .

وقال عَلقمة بن عَبَدَةَ[6] :

وقد أُصاحِبُ فتيانا طعامُهُمُ ... حُمْرُ المَزادِ ولحمٌ فيه تنشيمُ[7]

= ليقتلونا أجمعين ، فتصبح أمنا كالعذراء التي لاولد لها » .

(١) أحاله من الإحالة بمعني التحويل والتصيير . ط ، ه : « أجاله » بالجيم تصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « قال » . وصوابه ما أثبت .

(٣) وكذا فى اللسان : (٤ : ٥٠) وروي فى اللسان (٤ : ٣٢) « أحرمت النساء » وأحرم وحرم بمعنى . ومنه قول حميد بن ثور :

إلى شجر ألمى الظلال كأنها ... رواهب أحرمن الشراب عذوب

والنقاخ ، بضم النون وآخره خاء معجمة : الماء البارد العذب الصافى . س ، ه : « نقاحا » . صوابه فى ط واللسان . والبرد هنا : الريق . أو هو النوم لأنه يبرد العين بأن يقرها . وهذا الأخير أحد وجهى تفسير قوله تعالي : « لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا » .

(٤) الزيادة من س ، ه .

(٥) من الآية ٢٤٩ فى سورة البقرة ، وهى حكاية قول طالوت لجنوده . وفى الأصل : « إنى » وهو تحريف شنيع . وقد سبقت منى الإشارة إلى مثل هذه التحريفات الشنيعة فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠) وهى مما يؤاخذ عليه الجاحظ .

(٦) هو علقمة الفحل . والبيت من قصيدته المشهورة التى أولها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم ... أم حبلها إذ نأتك اليوم مصروم

وهى فى ديوانه ١٢٩ من خمسة دواوين العرب والمفضليات ١٨٩ .

(٧) روى فى اللسان (١٦ : ٥٤) : « شرابهم » وما هنا موافق للديوان والمفضليات . و « حمر المزاد » هى كذا فى الأصل . وصواب الرواية : « خضر =

يقول . هذا طعامهم فى الغزو والسفرِ البعيد الغايةِ ، وفى الصيف الذى يُغَيِّرُ[1] الطعام والشراب .

والغزوُ على هذه الصفةِ من المفاخر ؛ ولذلك قال الأول[2] :

لا لا أعقُّ ولا أحُو بُ ولا أُغيرُ عَلَى مُضَرْ

لَـكِنَّما غَزْوى إذا ضجَّ المَطِيُّ من الدَّبَرْ[3] ١٢

وعلى المعنى الأولِ قولُ الشاعر :

قالت ألا فاطْعِمْ عُمَيْرًا تمرا[4] وكان تَمْرى كَهرةً وزَبرا[5]

وعلى المعنى الأولِ قال حاتم : هذا فَصْدِى أنَه[6] !

= المزاد كما فى الديوان والمفضليات وشرحها ٨١٨. وهو الفظ ، أي ماء الـكرش ، يعتصرونها فيشربون ماءها فى المفاوز حين الحاجة . أو أن المزاد إذا بقى الماء فيها وطال عهدها به اخضرت وصار عليها شبه الطحالب ، وذلك حين يطول بهم السفر . والتنشيم : ابتداء تغير الرائحة . س : « تسنيم » صوابه في ط ، ه والمصادر المتقدمة . ومما يضم إلي هذا الضرب قول العجاج :

قرقور ساج ساجه مطلى بالقير والضبات زنبري

يريد : مقيرا بالقير ، مشدودا بالضبات .

(١) هذه الـكلمة محرفة فى الأصل . فهى في ط ، س : « يفتر » وه : « يعبو » .

(٢) هو الحارث بن يزيد جد الأحيمر السعدي كما سبق فى الحيوان (١ : ١٣٣) ، وما فى البيان (٣ : ١٢٠) .

(٣) المطى : جمع مطية . ضج : صاح . والمراد : اشتد ألمه . وفى الأصل : « صح » صوابه من الجزء الأول والبيان . والدبر : بالتحريك : جمع دبرة ، وهى قرحة الدابة .

(٤) انظر الكلام فى رواية البيت وتوجيهه فى (٤ : ٢٧٤) .

(٥) الـكهرة : الانتهار . والزبر : الزجر والمنع . ه : (لهرة) س : (كهرة) صوابهما في ط والحيوان (٤ : ٢٧٤) حيث ذكرت مصادر الرواية .

(٦) وذلك « حين أمروه بفصد بعير ، وطعنه فى سنامه » . الحيوان (٤ : ٢٧٣) . وتفصيله فى الأغاني (١٦ : ١٠٣) ساسى . وفيها : « أسرت عنزة حاتما ، فجعل نساء عنزة يدارئن بعيرا ليفصدنه ، فضعفن عنه ، فقلن : يا حاتم ، أفاصده أنت إن أطلقنا يديك ؟ قال : نعم . فأطلقن إحدى يديه فوجأ لبته فاستدمينه . ثم إن البعير عضد ، أى لوي عنقه ، أى خر . فقلن : ما صنعت ؟ ! قال : هكذا فصادى ! فجرت مثلا » وقد قال أيضا حاتم فى هذا المعني : =

ولذلك قال الرّاجز :[1]

لعامراتِ البيتِ بالخرابِ[2]

يقول : هذا هو عمارتها

(تأويل النظام لقولهم : النار يابسة)

وكان أبو إسحاق يتعجبُ من قولهم : النار يابسة . قال : أما قولهم : الماء رَطْب ، فيصح ؛ لأنا نراه سيَّالا . وإذا قال الأرض يابسة ، فإنما يريد الترابَ المتهافتَ فقط . فإن لم يُرِدْ إلا بَدَنَ الأرض الملازِمَ بعضُه لبعض ؛ لما فيها من اللدُّونة فقط — فقد أخطأ ، لأن أجزاءَ الأرض مخالطةٌ لأجزاءِ الماء ، فامتنعتْ من التهافتِ على أقدار ذلك .

ومتى حفرنا ودخلنا فى عُمْق الأرض ، وجدنا الأرض طيناً . بل لا تزال تجدُ الطين أرطبَ حتى تصيرَ إلى الماء . والأرض اليوم كلها أرضٌ وماء ، والماء ماءٌ وأرض ، وإنما يلزمها من الاسم على قدر الكثرة والقلة . فأما النار فليست بيابسة البدن . ولو كانت يابسة البدنِ لتهافتتْ تهافت التراب ، ولتبرّأ بعضها من بعض . كما أن الماء لما كان رطبًا كان سيَّالا .

ولكن القوم لما وجدوا النار تستخرج كل شيء في العودِ من النار ، فظهرت الرطوباتُ لذلك السببِ ، ووجدوا العودَ تتميزُ أخلاطه عند

= كذلك فصدي إن سألت مطيتي دم الجوف ، إذ كل الفصاد وخيم

وانظر ما أسلفت من القول على الفصد فى (٤ : ٢٧٣) . س : « هكذا قصيدته » وفيه تحريف . و «أنه» أي « أنا » ألحق به هاء السكت .

(١) هو أعرابي دخل البصرة فاشترى خبزاً فأكله الفأر ، كما سيأتي في ص ٨٠ ، وكما في ديوان المعانى (٢ : ١٥١) .

(٢) فى الأصل : « العامرات » صوابه ما أثبت من ص ٨٠ وما سبق فى (٤ : ٢٧٤) وديوان المعاني ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) .

خروجِ نيرانه التى كانت إحْدى مراتعها من التمييز[1] فوجدوا العودَ قد صار رماداً يابساً متهافتًا — ظنوا أن يُبْسَهُ إنما هو مما أعطته النار وولَّدتْ فيه .

والنارُ لم تُعْطِهِ شيئا ، ولكن نار العودِ لما فارقَتْ رطوباتِ العودِ ، ظهرت تلك الرطوباتُ الكامنة والمانعة ، فبقِيَ من العودِ الجزء الذى هو الرماد ، وهو جزء الأرض وجَوْهَرُها ؛ لأن العود فيه جزء أرضىٌّ ، وجزءٌ مائيٌّ ، وجزءٌ نارىٌّ ، وجزءٌ هوائيٌّ ، فلما خرجتِ النارُ واعتزلت الرطوبة بقِىَ الجزء الأرضىّ .

فقولهم[2] : النار يابسةٌ ، غلطٌ ، وإنما ذهبوا إلى ما تراه العيون ، ولم يغوصوا على مُغَيَّبَاتِ العِلَلِ[3] .

وكان يقول : ليس القوم فى طريق خُلَّصِ المتكلمين ، ولا فى طريق الجهابذَةِ المتقدِّمين .

(قول النظام فى علاقة الذكاء بالجنس)

وكان يقول : إن الأُمة التى لم تُنْضِجْها الأرحام[4] ، ويخالفون فى ألوان أبدانهم ، وأحداقِ[5] عيونهم ، وألوانِ شعورهم ، سبيلَ الاعتدال ــ لا تكون

(١) « مراتعها من التمييز » كذا جاءت .

(٢) س ، ه : « فقولها » صوابه فى ط . وانظر س ١٦ من الصفحة السابقة .

(٣) ط : « العلى » صوابه فى سه ، ه .

(٤) يريد بذلك الجنس الأبيض ، وهم سكان الاقليمين السادس والسابع فى التقسيم البلداني القديم . وجاء فى مقدمة ابن خلدون ص ٧٣ س ١٧ : « والسابع والسادس للبرد والبياض » . وأما من أنضجتهم الأرحام فهم سكان الأقاليم الثلاثة : الخامس والرابع والثالث . وأما من جاوزت أرحامهم حد الانضاج ، كما ذكر الجاحظ فى الحيوان (٣ : ٢٤٥) فهم سكان الاقليمين الأول والثاني .

(٥) الأحداق : جمع حدقة ، بالتحريك ، وهى من العين سوادها الأعظم . ط ، سه : « أو حداق » . وكلمة « أو » محرفة عن الواو . وأما « حداق » فهي صحيحة جمع لحدقة . ومنه قول أبى ذؤيب الهذلى :

فالعين بعدهم كأن حداقها سملت بشوك فهى عور تدمع

عقولهم وقرائحهم إلا على حسبِ ذلك . وعلى حسبِ ذلك تكون أخلاقهم وآدابهم ، وشمائلهم ، وتصرُّف هممهم فى لؤمهم وكرمهم ، لاختلاف السَّبْكِ
١٣ وطبقاتِ الطبخ . وتفاوتُ ما بين الفطير والخمير[١] ، والمقصِّر والمجاوز — وموضع العقل عضوٌ من الأعضاء ، وجزءٌ من تلك الأجزاء — كالتفاوت[٢] الذى بين الصَّقالبةِ والزّنج[٣] .

وكذلك القولُ فى الصور ومواضع الأعضاء . ألا ترى أن أهل الصين والتُّبَّتِ ، حُذَّاقُ الصناعات[٤] ، لها فيها الرِّفق والحِذْق ، ولُطفُ المداخل ، والاتساعُ فى ذلك ، والغَوْصُ على غامِضِه و بعيده . وليس عندهم إلا ذلك ؛ فقد يُفْتَح لقوم فى باب الصناعات ولا يُفتح [لهم فى[٥]] سِوَى ذلك

(تخطئة النظام لمن زعم أن الحرارة تورث اليبس)

قال : وكان يخطِّئهم فى قولهم : إن الحرارة تورث اليُبْس ، لأن الحرارة إنما ينبغى أن تورثَ السخونةَ ، وتولّدَ مايشاكلها . ولا تولدُ ضربًا آخر مما ليس منها فى شئ . ولو جازَ أن تولد من الأجناس التى تخالفها شكلا واحدا لم يكن ذلك الخلاف بأحقّ من خلافٍ[٦] آخر . إلا أن يذهبوا إلى سبيلِ المجاز : فقد يقول الرجلُ : إنما رأيتك لأنى التفتُّ[٧] وهو إنما رآه لطبعٍ

---

(١) الفطير : أصله ما يختبز من ساعته دون أن يختمر . والخمير : ما ترك حتى اختمر .

(٢) ط ، ه : « وكالتفاوت » بإقحام واو .

(٣) جعل الصقالبة مثلا لما لم تنضجه الأرحام ، والزنج مثلا لما زادت الأرحام فى إنضاجه . وإلى ذلك أيضا أشار ابن سينا فى أرجوزته فى الطب بقوله :

بالزنج حر غير الأجسادا حتى كسا جلودها سوادا
والصقلب اكتسبت البياضا حتي غدت جلودها بضاضا

(٤) ط ، س : « وحذاق » والصواب حذف الواو كما فى ه . وهنا يبدأ سقط فى ه ينتهى إلى كلمة : « الصناعات » الآتية .

(٥) هذه التكملة من س .

(٦) فى الأصل : « من كلام » . والوجه ما أثبت .

(٧) س ، ه : « ألتفت » فعل مضارع .

فى البصر الدرّاك[1] ، عند ذلك الالتفات ِ

وكذلك[2] يقول : قد نجد النار تداخلُ ماءَ القُمقم ِ[3] بالإيقاد من تحته ، فإذا صارت النارُ فى الماء لابستْه ، واتصلت بما فيه من الحرَارات ِ ، والنار صَعَّادةٌ ــ فيحدثُ عند ذلك للماء غليانٌ[4] ؛ لحركة النار التى قد صارت فى أضعافه . وحركتُها تصعُّدٌ . فإذا ترَفّعت[5] أجزاء النار رَفَعَت[6] معها لطائف من تلك الرطوبات ِ التى قد لابَسَتْها فإذا دام ذلك الإيقادُ من النار الداخلةِ على الماء ، صعدت أجزاء الرطوبات ِ الملابسةُ لأجزاء النار. ولقوة حركة النار وطلبِها التِّلادَ العُلوِىَّ[7] ، كان ذلك . فمتى وجد من لا عِلْمَ له فى أسفل

---

(١) سه : « رآه الطبع » محرف . والدراك : المدرك . ط ، ه : « الدارك » بتقديم الألف ، صوابه فى سه . ولا يقال : « الدارك » . قال ابن بري : « جاء دَرَاكِ دَرَّاك ، وفَعَال وفعَّال إنما هو من فعل ثلاثي . ولم يستعمل منه فعل ثلاثي وإن كان قد استعمل منه الدَّرْك » ، وأنشد في ذلك شاهدا . اللسان (١٢ : ٣٠٢) . وقد عنى بكلمة « دَرَاكِ » اسم الفعل وبكلمة « درّاك » صيغة المبالغة .

(٢) في الأصل : « ولذلك » .

(٣) القمقم ، بضم القافين : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ، ويكون ضيق الرأس .

(٤) فى الأصل : « ليحدث عند ذلك الماء غليان » صوابه ما أثبت .

(٥) ترفعت ، من الترفع وهو العلو . وقد سبق في قول الجاحظ (٣ : ٢١٩) : « وقد يترفع مع الشاهين » وسلف أيضا فى (٢ : ٣٢٣) قول أمية ابن أبي الصلت :

ترفع فى جري كان أطيطه صريف محال تستعيد الدواليا

ترفع : تترفع . ولم أجد هذا الفعل فى مادة (رفع) من اللسان والقاموس . وفى الأصل : « توقعت » ولا وجه له .

(٦) رفعت ، بالراء ، من الرفع ، كما يفهم من سياق الكلام . وفى الأصل : « وقعت » وهو تحريف .

(٧) التلاد ، بكسر التاء ، أراد به : الموطن الأول . انظر التنبيه الخامس من ص ١٥

القمقم كالجِبس[١] ، أووجد الباقىَ من الماء مالحا عند تصعُّدِ لطائفه ، على مثال ما يعترى ماءَ البحر — ظنَّ أن النار التى أعطَته اليُبْسَ .

وإن زعموا أن النار هى الميَبِّسةَ[٢] — على معنى ما قد فسرنا — فقد أصابوا . فإن ذهبوا إلى غير المجاز أخطئوا .

وكذلك الحرارة ، إذا مُكنت[٣] فى الأجساد بعثَتِ الرطوبات ولابَسَتْهَا ، فمتى قويَتْ عَلَى الخروج أخرجتها منها ، فعند خروج الرطوباتِ توجد الأبدانُ يابسةً ، ليس أن الحرّ يجوز أن يكون له عملٌ إلا التسخينَ والصعودَ . والتقلبُ إلى الصعود من الصعود ، كما أن الاعتزال من شكل الزوال[٤] .

وكذلك الماء الذى يفيض إلى البحر من جميع ظهور الأرضينَ وبطونها ، إذا صار إلى تلك الحفرة العظيمة . فالماء غسَّال مصّاص ، والأرض تقذف إليه ما فيها من الملوحة .

[وحرارةُ الشمس[٥]] والذى يخرج إليه[٦] من الأرض ، من أجزاء
١٤ النيران المخالطة يرفعانِ لطائفَ الماء بارتفاعهما ، وتبخيرهما . فإذا رَفَعَا اللطائفَ ، فصار منهما مطرٌ وما يشبه المطر ، وكان ذلك دأبهما ، عادَ[٧]

---

(١) الجبس بالكسر : ذلك الذى يطلى به الحائط . وفى اللسان (جبس) : « والجبس الذي يبنى به . عن كراع » فقد تفرد بروايتها كراع . والمعروف : « الجص » وذكره داود فى رسم (جبسين) قال : « وهو فى الحقيقة طلق لم ينضج » ، وقال : « ومنه شديد البياض ، يعرف باسفيداج الجبس » ، وقال : « وخالصه المعروف في مصر بالمصيص » . فى الأصل : « كالحس » صوابه ما أثبت .

(٢) من يبّس الشىء ، بالتشديد : جففه .

(٣) من التمكين .

(٤) انظر لتفسير هذه العبارة ص ٣٥ س٦ .وفى الأصل : « الاعتماد » بدل « الاعتزال ».

(٥) بمثل هذا يتم الكلام .

(٦) أى إلى البحر .

(٧) فى الأصل : « وعاد » وإنما هو جواب « إذا » .

ذلكَ الماء ملحًا ، لأن الأرض إذا كانت تُعطيه الملوحة ، والنيران تخرجُ منه العذوبة واللطافة — كان واجبا أن يعود إلى الملوحة . ولذلك يكون ماء البحرِ أبداً عَلَى كيلٍ واحدٍ ، ووزن واحد ؛ لأن الحراراتِ[١] تطلب القرارَ وتجرى فى أعماق الأرض ، وترفع اللطائف[٢] ؛ فيصير مطراً ، و برداً ، وثلجًا ، وطَلاًّ[٣] . ثم تعود تلك الأمواه سيولا تطلب الحَدورَ[٤] ، وتطلب القرار ، وتجرى في أعماق الأرض ، حتى تصير إلى ذلك الهواء[٥] . فليس يضيع من ذلك الماء شيء ، ولا يبطلُ منه شيء . والأعيانُ قائمة . فـكأنه مَنْجَنُونٌ[٦] غرف من بحر[٧] ، وصبَّ فى جدول يفيضُ إلى ذلك النهر .

فهو عملُ الحرارات[٨] إذا كانت فى أجواف الحطب ، أو فى أجواف الأرَضينَ ، أو فى أجواف الحيوان .

والحر إذا صار فى البدَن ، فإنما هو شيء مُكْرَه ، والمكرهُ لا يألو يتخلصُ .

---

(١) فى الأصل : « الحدود » تحريف . تصحيحه مما سيأتي فى التنبيه الثامن .

(٢) عنى باللطائف : الأبخرة الدقيقة . وفى الأصل : « برفع اللطائف » بإسقاط الواو ، وبالباء . محرف .

(٣) البرد ، بالتحريك : حب الغمام . والطل ، بفتح الطاء المهملة : الندى ، أو المطر الضعيف .

(٤) الحدور ، كرسول : مكان ينحدر منه . وفى الأصل : « الحدود » بدالين . صوابه ما أثبت . وفى الأصل : « الأنواء » تحريف .

(٥) أي تعود إلى الهواء بالبخر .

(٦) المنجنون : الدولاب يستقى عليها ، والدولاب ، بالضم والفتح : علي شكل الناعورة يستقى به الماء . فارسى معرب . وفى ط ، هـ : « مجنون » وفى س : « مجنون » بنقطتين ، فوق الخاء وتحت الجيم ، محرف . وفى هـ : «فكان» بدل «فكأنه» محرف . وغرف من البحر : أخذ منه . والبحر : الماء الكثير . وبذلك جاءت لغة القرآن : « وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج » . وقد جرى عرف البلدانيين القدماء على تخصيصه بالماء الملح .

(٧) في ط : « غرق من بحر » تصحيحه من س ، هـ .

(٨) الحرارات : جمع حرارة . وفى هـ « الحزارات » بزاي بعد الحاء . محرف .

وهو لا يتخلص إلا وقد حَمَلَ[١] معه كلَّ ما قوِيَ عليه ، مما لم يشتد[٢] ، فمتى خرج خرج معه ذلك الشيء .

قال : فمن هٰهنا غلط القَوْم .

(قول الدُّهرية فى أركان العالم)

قال أبو إسحاق : قالت الدهرية فى عالَمِنا هذا بأقاويلَ : فمنهم من زعم أن عالمنا هذا من أربعة أركانٍ : حرّ ، وبرد ، ويبس ، وبِلّة[٣] . وسائر الأشياء نتائجُ ، وتركيبٌ ، وتوليد . وجعلوا هذه الأربعة أجساماً .

ومنهم من زعم أن هذا العالم من أربعةِ أركانٍ : من أرض وهواء وماء ، ونار . وجعلوا الحر ، والبرد ، واليُبْس ، والبِلَّة أعراضا فى هذه الجواهر ثم قالوا فى سائر الأراييح ، والألوانِ ، والأصوات : ثمارُ هذه الأربعة[٤] ، عَلَى قدر الأخلاط ، فى القلة والكثرة ، والرقة والكثافة .

فقدَّموا ذِكر نصيب حاسَّةِ اللمس[٥] فقط ، وأضربوا عن أنصباء الحواسِّ الأربع .

قالوا : ونحن نجد الطُّعومَ غاذيةً وقاتلة ، وكذلك الأراييح[٦] . ونجد

(١) في الأصل « جبل » محرف .

(٢) فى الأصل : « يشبه » . والكلام من مبدإ « كل » إلى « معه » الآتية ساقط من سه .

(٣) البلة ، بالكسر : البلل الدون ، أو النداوة .

(٤) أي الحر والبرد ، واليبس والبلة . وانظر تفصيل ذلك فى رسائل إخوان الصفا (٣ : ١٠٩ — ١١٠) و(٣ : ٣٧١ — ٣٧٢) .

(٥) ذكر الجاحظ من أنصباء حاسة اللمس أربعة مدركات : هى الحر والبرد واليبس والبلة وقد خصها بالذكر لما أنها فيما يزعمون أصول الأراييح والألوان والأصوات . انظر التنبيه السابق . وجاء فى رسائل إخوان الصفا (٢ : ٣٣٩) أن مدركات اللمس عشرة فيضاف إلى ما تقدم : الخشونة واللين ، والصلابة والرخاوة ؛ والخفة والثقل . وفي الأصل : « حاسة النفس » صوابه ما أثبت .

(٦) الأراييح : جمع جمع الريح . وهو بالكسر : الرائحة .

الأصوات مُلذة ومؤلمة ، وهى مع ذلك قاتلة وناقضةٌ للقوى مُتْلفة[1] ونجد الأَلوان[2] في المضار والمنافع ، واللّذاذَةِ والألَمِ ، المواقعَ التى لاتجهل ، كما وجدنا مثل ذلك فى الحر والبرد ، واليُبْس والبِلَّة ، ونحن لم نجد الأرض باردة يابسة ، غير أنا نجدها مالحةً أى ذات مَذاقةٍ ولون[3] كما[4] وجدناها ذات رائحةٍ ، وذات صوتٍ متى قَرَعَ بعضها بعضًا .

فبردُ هذه الأجرامِ وحرها ، ويُبْسُهَا ورطوبتها ، لم تكن فيها لعلة كون الطُّعوم والأراييح والألوان فيها . وكذلك طعومها ، وأراييحها وألوانها ، لم تكن فيها لمكانِ كون البرد ، واليُبْس ، والحر ، والبِلَّة فيها

ووجدنا كلَّ ذلك إما ضارًّا وإما نافعًا ، وإما غاذيًا وإما قاتلا ، وإما مؤلما وإما مُلِذًّا .

وليس يكون كون الأرض مالحة أوعذبة ، ومنتِنَةً أو طيبة أحق بأن يكون[5] علة لكون اليُبْس والبرد ، والحر والرطوبة ، من أن يكون كون الرطوبةِ واليُبْس ، والحر والبرد ـ عِلَّةً[6] لكون اللون والطعم والرائحةِ .

وقد هجم الناسُ على هذه الأعراضِ الملازمةِ ، والأجسام المشاركةِ هجوما واحدًا ، عَلَى هذه الحِلْية والصورة ألفَاها[7] الأولُ والآخِرُ .

قال : فكيف وقع القولِ منهم عَلَى نصيب هذه الحاسَّةِ وحدها[8]

---

(١) ناقضة بالضاد المعجمة : مضعفة . هـ : « ناقصة » محرفة . ومتلفة ، من الإتلاف والإهلاك . هـ : « متفلة » ولا تصح. وانظر تفصيل ذلك فى الكلام على أثر الأصوات فيما سبق فى (٣ : ٣٣٥ — ٣٣٦) .

(٢) في الأصل : « الألوان » .

(٣) العبارة فى أصلها مضطربة في ط ، هـ : « أوذات لون ومذاقة » وسمه : « وذات لون ومذاقة » .

(٤) فى الأصل : « أي ذلك كان » وانظر التنبيه السابق .

(٥) في الأصل : « تسكون » والضمير عائد إلى « كون » .

(٦) فى ط زيادة واو قبل هذه الكلمة . وهو خطأ .

(٧) ألفاها ، بالفاء : وجدها . وفى الأصل : « ألقاها » بالقاف محرفة .

(٨) أى حاسة اللمس . انظر التنبيه ٥ من الصفحة ٤٠ .

ونحن لم نر من البِلَّة ، أو من اليُبْس [١] نفعا ولا ضرًّا ، تنفرد به دونَ هذه الامور ؟ !

قال : والهواء يختلف على قَدْرِ العوامل فيه من تحت ومن فوق ، ومن الأجرام المشتملة عليه والمخالطة له . وهو جسم رقيق ، وهو فى ذلك محصورٌ ، وهو خَوّارٌ سريعَ القَبول . وهو مع رقَّته يقبل ذلك الحصر ؛ مثل عمل الريح والزِّقّ [٢] ، فإنها تدفعه من جوانبه ، وذلك لعلة الحصر ، ولقَطْعه عن شــكله .

والهواء ليس بالجسم الصعاد [٣] ، والجسمِ النَّزَّال ، ولــكنه جسمٌ به تعرف المنازل والمصاعد .

والأمور ثلاثة : شىء يصعدُ فى الهواء ، وشىء ينزِل فى الهواء ، وشىء مع الهواء . فــكما أن المُصعد [٤] فيه ، والمنحدرَ — لا يكونان إلا مخالفين ، فالواقعُ [٥] معه لا يكون إلا موافقاً .

ولو أن إنسانا أرسل من يده — وهو فى قَعْر الماء — زِقًّا منفوخا ، فارتفع الزِّقُّ لدفع الريح التى فيه ، لم يكن لقائل أن يقول : ذلك الهواء شأنه الصعود . بل إنما ينبغى أن يقول : [ذلك الهواء [٦]] من شأنه أن يصير إلى جوهره ، ولا يقيم فى غير جوهره ؛ إلا أن يقول : من شأنه أن يصعد فى الماء ، كما أن

---

(١) اليبس يقابل البلة . وفى ط و سه : « البل » و هـ : « البتل » محرفتان عما أثبت .

(٢) أى الهواء المحصور فى الزق . والزق ، بكسر الزاى : السقاء والقربة .

(٣) سه : « الصفار » محرف .

(٤) المصعد : الصاعد . وفى اللسان : « صعد المــكان وفيه صعودا وأصعد وصعّد : ارتقى مشرفا » . وفى سه ، هـ : « الصاعد » وهما بمعنى . والأوفق ما أثبت من ط .

(٥) فى الأصل : « فالواقف » .

(٦) التــكملة من سه .

من شأن الماء أن ينزل فى الهواء ، وكما أن الماء يطلبُ تِلادَ الماء ، والهواءَ يطلب تلاد الهواء[١] .

قالوا : والنار أجناسٌ كثيرة مختلفة . وكذلك الصاعد . ولابدّ إذا كانت مختلفة أن يكون بعضها أسرع من بعض ، أو يكون بعضها إذا خرج من عالَم الهواء ، وصار إلى نهاية ، إلى حيث لامنفذ — ألاّ[٢] يزال فوق الآخرِ الذى صعد معه ، وإن وجد مذهبا لم يقمْ عليه .

ويدل على ذلك أنا نجد الضياء صعَّادًا ، والصوت صعّادًا ، ونجد الظلام رابدًا[٣] ، وكذلك البرَد والرطوبة . فإذا صح أن هذه الأجناس مختلفة ، فإذا أخذت فى جهة[٤] ، علمنا أن الجهة لاتخالف بين الأجناس ولا توافق ، وأن الذى يوافق[٥] بينهما[٦] [ويخالف[٧]] اختلافُ الأعمال .

ولا يكون القطعان متفقين ، إلا بأن يكون سرورهما سواء[٨] . وإذا صارا[٩] إلى الغايةِ ، صار اتصال كل واحد منهما بصاحبه ، كاتصال بعضهِ ببعض . ثم لايوجد أبدًا ، إلا إمّا أعْلَى ، وإما أسفل . ١٦

قال أبو إسحاق : فيستدل على أن الضياء أخفُّ من الحر بزواله[١٠] . وقد يذهب[١١] ضوء الأتّون ، وتبقى سخونته .

---

(١) عني بتلاد الهواء أصله . وانظر ما سبق فى التنبيه الخامس ص ١٥ .

(٢) فى الأصل : « لا » .

(٣) الرابد : المقيم . سه : « رايدا » بالياء المثناة التحتية . وفى سائر النسخ « رائدا » تحريف .

(٤) فى الأصل : « وإذا حدث » .

(٥) ط ، سه : « يوفق » هـ : « يوقره » صوابهما ماأثبت .

(٦) فى الأصل : « منها » .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) كذا وردت العبارة بالأصل .

(٩) فى الأصل : « صار » بالإفراد . والوجه التثنية .

(١٠) فى الأصل : « لزواله » بلام فى أوله . محرف .

(١١) فى الأصل : « ذهب » .

قال أبو إسحاق : لأمر مّا حُصر الهواء فى جوف هذا الفَلَك . ولابد لكل محصور من أن يكون تقلبه وضغطه على قدر شدة الحصار[١] . وكذلك الماء إذا اختنق .

قال : والريح هواء نزل[٢] لاغير . فلِمَ قضَوا على طبع الهواء في جوهريته باللدونة[٣] ، والهواء الذى يكون بقرب الشمس ، والهواء الذى بينهما[٤] على خلاف ذلك ؟

ولولا أن قُوَى البرد غريزيةٌ فيه ، لما كان مروِّحا عن النفوس ، ومنفِّسًا عن جميع الحيوان إذا اختنق فى أجوافها البخارُ والوهجُ المؤذى ، حتى فزعتْ إليه واستغاثتْ به ، وصارت تجتلب من رَوْحه وبردِ نسيمه ، فى وزن ما خَرَجَ من البخار الغليظ ، والحرارة المسْتَكِنَّة .

قال : وقد علموا مافى اليُبْس من الخصومة والاختلاف[٥] . وقد زعم قومٌ أَن اليُبْس إنما هو عدم البلَّة . قالوا : وعلى قدر البلة قد تتحول عليه الأسماء . حتى قال خصومهم : فقولوا أيضا إنما نجدُ الجسمَ بارداً على قدر قلة الحرِّ فيه .

---

(١) بناء على القاعدة الطبيعية المعروفة ، وهى أن الضغط الداخلى يعادل الضغط الخارجى .

(٢) ذكر القزوينى فى أسباب تولد الرياح ، أن الأدخنة التى تصعد من تأثير الشمس وغيرها ، إذا وصلت إلي الطبقة الباردة ، إما أن ينكسر حرها ، وإما أن تبقى حرارتها . فإن انكسر حرها تكاثفت وقصدت النزول فيموج بها الهواء فيحدث الريح . وإن بقيت علي حرارتها تصاعدت إلى كرة النار المتحركة بحركة الفلك ، فتردها الحركة الدورية إلي أسفل فيموج بها الهواء فيحدث الريح . عجائب المخلوقات ٩٢ . فهذا يفسر قول الجاحظ : « هواء نزل » . وفى الأصل : « ترك » محرف .

(٣) اللدونة ، هنا بمعنى الرطوبة . وضدها اليبس .

(٤) أي بين الشمش وبين الهواء الملامس للأرض . فكأنه جعل الهواء ثلاث طبقات : طبقة مقاربة للشمس ، وطبقة تلى الشمس ، وطبقة مقاربة للأرض . انظر نحو هذا التقسيم فى عجائب المخلوقات ٨٩ — ٩٠ .

(٥) الخصومة هنا بمعنى الجدال والخلاف . سه : « الخضومة » محرف .

وكذلك قالوا فى الكلام : إن الهواء إنما يقع عندنا أنه مُظلم لفِقْدان الضياء ، ولأن الضياء قرصٌ قائم ، وشعاع ساطعٌ فاصل ، وليس للظلام قرص . ولو كان فى هذا العالم شىء يقال له ظلامٌ ، لما قام إلا فى قرص ، فكيف تكون الأرض قُرْصَةً ، والأرض غبراء ، ولا ينبغى أن يكون شعاع الشىء أسبغ منه[1] .

قال : والأول لايشبه القول فى اليُبْس والبلة ، والقولَ فى الحر والبرد ، والقول فى اليُبْس والرطوبة ، والقول فى الخشونة واللين ، لأن التراب لو كان كله يابسا ، وكان اليبس فى جميع أجزائه شائعا ، لم يكن بعضه أحق بالتقطيع والتبرد[2] والتهافت ، من الجزء الذى نجده متمسكا[3] .

قال خصمه : ولو كان أيضا التهافت الذى نجده فيه إنما هو لعدم البلة ، وكله قد عدم البِلّة ، لكان ينبغى للكل أن يكون متهافتا ، ولا نجد منه جزأين متلازقين .

فإن زعمتم أنه إنما اختلف فى التهافت على قدر اختلاف اليُبْس، فينبغى لكم أن تجعلوا اليُبْس طبقات ، كما يُجعل ذلك للخُضرة والصُّفرة .

وقال إبراهيم : أرأيت لو اشتمل اليبس الذى هو غاية التُّراب كله[4] كما عرض لنصفه ، أما كان واجبا أن يكون الافتراقُ داخلا على الجميع ؟ وفى ذلك القولُ بالجزء الذى لايتجزأ .

وأبو إسحاق ، وإن كان اعترض على هؤلاء فى باب القول فى اليبس ، فإن المسألة عليه فى ذلك أشد[5] .

---

(١) أسبغ ، أى أكبر . ط : « أشبع » .
(٢) كذا . وفى ط : « التبرز » . ولعلها : « بالتقطع والتفرق » .
(٣) التمسك والتماسك والاستمساك ، بمعنى . وهو يعنى بالمتمسك الحجر ونحوه .
(٤) كذا
(٥) فى الأصل : « وذلك أشد » .

١٧ وكان أبو إسحاق يقول : من الدليل على أن الضياء أخفُّ من الحر أن النار تكون منها على قاب غلوة[١] فيأتيك ضوؤها ولا يأتيك حرها . ولو أن شمعة فى بيت [غير[٢]] ذى سقف لارتفع ، الضوء فى الهواء حتى لاتجد منه عَلَى الأرض إلا الشيء الضعيفَ ، وكان الحرُّ عَلَى شبيه[٣] بحاله الأول .

(رد النظام على الديصانية)

وقال أبو إسحاق : زعمت الديصانية[٤] أن أصلَ العالَمِ إنما هو من ضياء وظلام ، وأن الحرَّ والبردَ ، واللون والطعمَ والصوت والرائحة ، إنما هى نتائج عَلَى قدر امتزاجهما[٥] .

فقيل لهم : وجدنا الحِبْر إذا اختلطَ باللبن صار جسما أغبر ، وإذا خلَطْتَ الصبِرَ[٦] بالعسل صار جسما مُرَّ الطعم عَلَى حساب ما زدْنا . وكذلك نجدُ جميع المركبات . فما لنا إذا مزجنا بين شيئين من ذوات المناظر[٧] خرجنا إلى ذوات الملامس ، وإلى [ذوات[٨]] المَذَاقة والمشمَّة ؟ !

---

(١) الغلوة ، بفتح الغين المعجمة : مقدار رمية السهم : وفى الأصل : « علوها » صوابه ما أثبت .

(٢) ليست بالأصل . وبدونها لا يستقيم الكلام .

(٣) ط ، س : « شبيهه » صوابهما فى هـ .

(٤) الديصانية : أصحاب ديصان . وهم فرقة من المجوس : أجمل الجاحظ التعريف بمذهبهم، وتفصيل ذلك في الملل (٢ : ٨٨) وفهرست ابن النديم ٤٧٤ . وقال ابن النديم : « إنما سمى صاحبهم بديصان، باسم نهر ولد عليه . هو قبل ماني . والمذهبان قريب بعضهما من بعض ، وإنما بينهما خلف فى اختلاط النور والظلمة » .

(٥) أي امتزاج النور بالظلمة . وفى الأصل : « امتزاجها » محرف . وفى الملل : « وزعموا أن اللون هو الطعم وهو الرائحة ، وهو المجسة . وإنما وجدناه لوناً لأن الظلمة خالطته – أى خالطت النور – ضرباً من المخالطة ، ووجدناه طعما لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب » .

(٦) الصبر ، ككتف ، ولا يسكن إلا فى ضرورة الشعر : عصارة شجر مر معروف .

(٧) يعنى بالشيئين الضياء والظلام . وهما منظوران .

(٨) ليست بالأصل .

وهذا نفسُه داخلٌ عَلَى من زعم أن الأشياء كلها تولدت من تلك الأشياء الأربعة ، التى هى نصيبُ حاسةٍ واحدة(١) .

(نقد النظام لبعض مذاهب الفلاسفة)

وقال أبو إسحاق : إنْ زعَمَ قومٌ أن ههنا جنساً(٢) هو روحٌ ، وهو ركن خامس(٣) ــ لم نخالفهم .

وإن زعموا أن الأشياء يحدثُ لها جنسٌ إذا امتزجتْ بضربٍ من المزاجِ ، فكيف صار المزاجُ يُحْدِث لها جنساً وكلٌّ واحد منه إذا انفرد لم يكن ذا جنس ، وكان مفسِدًا للجسم ، وإن فصَل(٤) عنها أفسدَ جنسها ؟ ! وهل حكمُ قليلِ ذلك إلا كحكم كثيرهِ ؟ ! ولم لا يجوز أن يُجمعَ بين ضياء وضياء فيحدُثَ لهما منع الإدراك ؟!

فإن اعتلّ القومُ بالزاج(٥) والعفْص(٦) والماء ، وقالوا : قد نجدُ كلَّ واحد من هذه الثلاثةِ ليس بأسودَ ، وإذا اختلطت صارت جسما واحدًا أشدَّ سوادًا من الليل ، ومن السَّبَج(٧) ، ومن الغراب — قال أبو إسحاق :

---

(١) هى حاسة اللمس ، كما سبق فى ٤٠ س ١٢ . والمراد بالأشياء الأربعة : الأرض والهواء والماء والنار ، أو الحر والبرد ، واليبس والبلة ، كما سبق فى الصفحة نفسها .

(٢) فى الأصل : « حسا » . وكون الروح ركنا خامساً فى تكوين الأشياء ، يقتضي الصواب الذى أثبت . وقد تكرر هذا التحريف في كلمة « جنس » و « جنسا » «جنسها » الآتية فصححتها بما ترى .

(٣) أي خامس للأركان الأربعة التي سبق الحديث عنها قريبا .

(٤) فصل عنها : أي فارقها . ط ، هـ : « فضل » بالضاد صوابه فى سه .

(٥) الزاج : ضرب من الملح يدخل فى صناعة المداد . وفى الأصل : « المزاج » محرف .

(٦) العفص : بفتح العين بعدها فاء ساكنة : ثمر شجر جبلى يقارب البلوط . قال داود : « وهو أعظم عناصر صبغ الشعر والحبر » . وفى الأصل : « العقص » بالقاف محرف .

(٧) السبج : بفتح السين والباء ، آخره جيم : سبق تفسيره فى ص ٨ . هـ : « السبيج » ط : « السيج » صوابهما فى ص .

بينى و بينكم فى ذلك فَرْق . أنا أزعمُ أن السواد قد يكونُ كامناً و يكونُ ممنوع المنظرة[١] ، فإذا زال مانعهُ ظهر، كما أقولُ فى النار والحجرِ[٢] وغيرذلك من الأمور الكامنة . فإن قلتم بذلك فقد تركتم قولَكم . و إن أبيتم فلابدّ من القول[٣] . قال أبو إسحاق : وقد غلط[٤] أيضاً كثيرٌ منهم فزعموا أن طباع الشيخ البلغَم[٥] .

ولو كان طباعهُ البلغمَ ، والبلغم ليّنٌ رَطْبٌ أبيضُ ، لما ازداد عظمه نحولاً ، ولونهُ سوادًا ، وجلدهُ تقبُّضًا .

وقال النمرُ بنُ تَوْلب[٦] :

كَأَنَّ مِحَطًّا فِى يَدَىْ حَارِثِيّةٍ ... صَنَاعٍ عَلَتْ مِنّى به الجِلْدَ مِنْ عَلِ[٧]

وقال الراجز :

وكثرت فواضل الإهابِ[٨]

١٨ قال : ولكنهم لما رأوا بدَنهُ يتغَضّنُ ، ويظهرُ من ذلك التغضُّنِ

---

(١) المنظرة : المنظر : وقد سبق استعمال هذا اللفظ في (٣ : ٣٩٥) . وفي الأصل : « النظرة » باسقاط الميم . ولا وجه له .

(٢) يريد : كمون النار واختفاءها فى الحجر الذي تقتدح منه النار .

(٣) أى أن تحاجونا بما يصحح مذهبكم .

(٤) س : « خلط » . ومؤداهما واحد .

(٥) الطباع ، ككتاب ، هو الطبع . وقد يكون جمعا لطبع . ولكن المراد هنا المفرد .

(٦) سبق ترجمته فى (١ : ٢٢) . ونزيد هنا أن ابن دريد ذكر فى الاشتقاق ص ١١٣ : « قال أبو حاتم : يقال النمر بن تولب بفتح النون وتسكين الميم ، ولا يقال : النمر » أى بكسر الميم .

(٧) المحط : بكسر الميم بعدها حاء مهملة مفتوحة : الحديدة التي تكون مع الخرازين ينقشون بها الأديم . وفى الأصل : « مخطا » بالخاء ، تصحيحه من اللسان . والحارثية . المرأة المنسوبة إلى بني الحارث . ويبدو أنهن ذوات حذق بنقش الجلود . والصناع ، بالفتح : الحاذقة الماهرة . وفى الأصل : « ضياع » صوابه من اللسان .

(٨) الإهاب ، بالكسر : الجلد ما لم يدبغ .

رطوبات بدنية[١] كالبلغمِ من الفم ، والمخاطِ السائل من الأنف ، والرّمَص[٢] والدمع من العين ، ظنوا أن ذلك لكثرة مافيه من أجزاء الرطوبات . وأرادوا[٣] أن يقسّموا الصِّبا والشباب ، والكهولة والشيوخة[٤] على أربعة أقسام ، كما تهيأ[٥] لهم ذلك فى غير بابٍ .

وإذا ظهرت تلك الرطوباتُ ، فإنما هى لنفْى اليُبْس لها ، ولعَصْرِهِ قُوى البَدَنِ . ولو كان الذى ذكروا لكان دمعُ الصِّبا أكثرَ ، ومخاطه أغزرَ ، ورطوباته أظهر . وفى البقول والرياحين والأغصان والأشجار ذلك ؛ إذ[٦] كانت فى الحداثةِ أرطبَ ، وعلَى مرور السنينَ والأيام أيْبَس .

قال الرّاجز[٧] :

اسْمعْ أنبِّئْكَ بآياتِ الكِبَرْ نَوْمُ العَشِيِّ وَسُعَالٌ بالسَّحَرْ[٨]

[وقلة النوم إذا الليلُ اعتكر وقلة الطُّعم إذا الزادُ حضر[٩]]

---

(١) فى الأصل : « بدنه » .

(٢) الرمص ، بفتحتين : القذى تلفظ به العين .

(٣) هـ : « فأرادوا » .

(٤) الشيوخة : مصدر كالشيخوخة ، والشيوخة ، والشيخوخية ، والشيخ بالتحريك .

(٥) ط فقط « يتهيأ » بالمضارع .

(٦) ط : « إذا » صوابه في س ، هـ .

(٧) فى البيان (١ : ٢٥١ ، ٢ : ٦٣) أن الهيثم بن الأسود بن العريان — وكان شاعراً خطيباً — دخل على عبد الملك بن مروان فقال له : كيف تجدك ؟ فقال : أجدني قد ابيض مني ما كنت أحب أن يسود ، واسود مني ما كنت أحب أن يبيض ، واشتد منى ما كنت أحب أن يلين ، ولان مني ما كنت أحب أن يشتد ! ثم أنشد الرجز الآتى . وفى الإصابة ٩٠٦١ أنه الهيثم بن الأسود ، يكنى أبا العريان وساق هذه القصة .

(٨) ط فقط « والسعال » . ورواية البيان ، « نوم العشاء وسعال » .

(٩) اعتكر الليل : اشتد سواده . والطعم ، بالضم : الطعام . والبيتان زيادة من البيان .

وسرعةُ الطرفِ وضعفٌ فى النظرْ [١] وترْكِىَ الحسناء فى قُبْلِ الطهُرْ [٢]

وحــــذرٌ [٣] أزدادُه إلى حذَرْ والناسُ يَبْلَوْنَ كما يَبْلَى الشجرْ

وكان يتعجَّب من القول بالهيولى [٤] .

وكان يقول : قد عرفنا مقدارَ رزانة البِلَّة [٥] . وسنعطيكم [٦] أن للبرد وزنا . أليس الذى لاتشُكُّونَ فيه أن الحر خفيف ولا وزن له ، وأنه إذا دخل فى جِرمٍ له وزنٌ صار أخفّ . وإنكم لاتستطيعون [٧] أن تثبتوا لليبس من الوزن مثل ما تثبتون للبِلّة . وعلى أن كثيراً منكم يزعم أن البرد المجْمِدَ للماء هو أيبس .

وزعم بعضهم أن البرد كثيرا ما يصاحب اليبس ، وأن اليبس وحده لو حلَّ بالماء لم يَجْمِدْ ، وأن البرد وحده لو حلَّ بالماء لم يَجْمُدْ ، وأن الماء أيضا يجمد لاجتماعهما عليه . وفى هذا القولُ أن شيئين مجتمعين قد اجتمعا عَلَى الإجماد ، فما تُنكرون أن يجتمع شيئان عَلَى الإذابة ؟! .

---

(١) الطرف : تحريك الجفون فى النظر . طرف البصر نفسه يطرف ، وطرفه يطرفه ، كلاهما من باب ضرب ، مع التعدى واللزوم . والطرف أيضا : العين ، لا يجمع ولا يثنى ، لأنه فى الأصل مصدر . وفى الأصل : « الظهر » صوابه فى البيان . ورواية البيان . « وتحميج النظر » ، والتحميج : تصغير العين للتمكن من النظر .

(٢) قبل الطهر ، أي أوله بعد انقطاع الدم . وفى الحديث : « طلقوا النساء فى قبل طهرهن » أي فى إقباله وأوله . وهو بضم القاف وإسكان الباء . س ، ه : «الظهر» بالمعجمة ، صوابه فى ط والبيان .

(٣) س والبيان : « وحذرا » .

(٤) الهيولى ، بفتح الهاء وضم الياء وفتح اللام ، مأخوذة من اليونانية ، يريدون بها مادة الجسم مجردة عن الصورة والأعراض . والقول بها محال ، إذ لا تفارق المادة العرض أو الصورة . انظر الفصل (٥ : ٧٣) .

(٥) الرزانة : الثقل . وفى ه : « وزانة » . وهو تحريف ، وليس بهذا المعنى إلا وزن الرجل وزانة إذا كان متثبتا . انظر اللسان (١٧ : ٣٣٩ س ٢٤) .

(٦) أي نسلم لكم .

(٧) كذا على الصواب فى ه فقط . وفى ط ، س « لا تستطيعوا » .

و إن جاز لليبس(١) أن يُجمد جاز للبِلَّة أن تُذِيب .

قال أبو إسحاق : فإن كان بعض هذه الجواهر صعّادا و بعضها نزّالا ، ونحن نجد الذهب أثقلَ من مثله من هذه الأشياء النزّالة ، فكيف يكونُ أثقل منها وفيه أشياء صعّادة ؟!

فإن زعموا أن الخفة إنما تكونُ من التَّخَلْخُل والسُّخْف(٢) ، وكثرةِ أجزاء الهواء فى الجرم . فقد ينبغى أن يكون الهواء أخفَّ من النار ، وأن النار فى الحجَرِ ، كما أن فيه هواءً . والنار أقوى عَلَى رفع الحجَرمن الهواء الذى فيه .

وكان يقول : من الدليل على أن النار كامنةٌ فى الحطب ، أن الحطب يُحرقُ بمقدار من الإحراق ، ويُمنع الحطب أن يخرج جميع مافيه من النيران ، فيجعل فحما ، فمتى أحببت أن تستخرِج الباقى من النار استخرجته ، فترى النار عند ذلك يكون لها لهبٌ دون الضرام . فمتى أخرجت تلك النار ١٩
الباقية(٣) ، ثم أوقدْت عليها(٤) ألف عامٍ لم تَستَوْقِدْ . وتأويل : « لم تستوقد » إنما هو ظهور النار التى كانت فيه . فاذا لم يكن فيه شيء فكيف يستوقد ؟

وكان يُكثِر(٥) التعجُّبَ من ناس كانوا ينافسون فى الرآسة ، إذا(٦) رآهم يجهلون جهلَ صغارِ العلماء ، وقد ارتفعوا فى أنفسهم إلى مرتبةِ كبار العلماء .

---

(١) ط ، هـ : « للقبس » صوابه فى س .

(٢) التخلخل : أن يكون الجسم غير متضام الأجزاء ، وقالوا : عسكر متخلخل : غير متضام الأجزاء ، كأن فيه منافذ . وفى الأصل : « التحليل » بالمهملة والياء بين اللامين . والسخف ، بالضم والفتح : الخفة والرقة . انظر الفصل (٥ : ٦١) .

(٣) يعنى إخراجها باشعال الفحم وتمام توقده ثم استحالته إلى رماد .

(٤) أي على البقايا المتخلفة من الاشعال ، وهى الرماد .

(٥) فى الأصل : « يكره » وهو نقيض ما يراد .

(٦) ط ، هـ : « إذ » .

وذلك أن بعضهم كان يأخذ العود فينقيه[١] فيقول : أين تلك النار الكامنة ؟! مالى لا أراها ، وقد ميّزْتُ العود قشرًا بعد قشر ؟

(استخراج الأشياء الكامنة)

فكان يقول فى الأشياء الكامنة : إن لكل نوع منها نوعا من الاستخراج ، وضربا من العلاج . فالعيدانُ تُخرج نيرانُها بالاحتكاك ، واللبنُ يُخرَج زبدُه بالمخْض ، وجُبْنه يُجمع بإنْفَحَةٍ[٢] ، وبضروب من علاجه[٣] .

ولو أن إنسانا أراد أن يخرج القَطِرَانَ من الصّنَوْبَرِ ، والزِّفْتَ من الأَرْزِ[٤] لم يكن يخرج له بأن يقطع العود ويدُقّه[٥] ويقشِره ، بل يوقد له ناراً بقربه ، فاذا أصابه الحرُّ عَرِق وسالَ ، فى ضروب من العلاج[٦] .

ولو أن إنسانا مزَجَ بين الفضة والذهب ، وسبكهما سبيكةً[٧] واحدة ، ثم أراد أن يعزِل أحدهما من صاحبِهِ لم يُمكنه ذلك بالقَرْض[٨]

---

(١) نقاه ينقيه : استخرج نقيه ، بالكسر . والنقى : أصله مخ العظم . وفى هـ : « فيثقبه » . وانظر سائر العبارة .

(٢) الإنفحة : بكسر أوله وفتح ثالثه ، وقد تشدد الحاء ، وقد تكسر الفاء : شىء يستخرج من بطن الجدي الرضيع أصفر يعصر فى صوفة مبتلة فى اللبن فيغلظ . س : « بالأسحم » .

(٣) ط ، هـ : « هى علاجه » .

(٤) الأرز ، بالفتح ويضم : شجر الصنوبر . والزفت ، بالكسر . ما يسيل من شجر الصنوبر . وتطلقه العامة فى مصر على حثالة النفط .

(٥) ط : « ويذقه » هـ : « ويذفه » . كلاهما محرف .

(٦) فى بمعنى مع . ط : « وصار » . هـ : « وصال » صوابه فى ش .

(٧) ط ، س : « بسبيكة » .

(٨) القرض ، بالقاف : القطع ، ومنه قراضة الذهب ، لما يسقط عند القرض . ط : « بالفرض » بالفاء ، وهو بمعنى القطع والحز . هـ : « بالفرس » وهذه مصحفة .

والدّق . وسبيل التفريق بينهما قريبة سهلة عند الصّاغة ، وأرباب الحُمْلانات[1] .

(رد النظام علي أرسطاطاليس)

وزعم أبو إسحاق أن أرسطاطاليس[2] كان يزعم أن الماء الممازِجَ للأَرض لم ينقلب أرضا ، وأن النار الممازجة للماء لم تنقلب ماء . وكذلك ما كان من الماء فى الحجَر ، ومن النار فى الأرض والهواء . وأن الأجرامَ إنما يخفُّ وزنها وتَسْخُفُ[3] ، على قدر ما فيها من التخلخل[4] ومن أجزاء[5] الهواء . وأنها ترزُنُ[6] وتصلب وتمتُنُ على قدر قلَّةِ ذلك فيها .

ومن قال هذا القولَ فى الأرض والماء والنار والهواء ، وفيما تركّب منها من الأشجار وغير ذلك — لم يصل إلى أن يزعمَ أن فى الأرض عرضاً يحدث ، وبالحَرَا[7] أن يَعجِز عن تثبيت كون[8] الماء والأرض والنار عرضاً .

---

(١) الحملان ، بضم الحاء ، جاء فى القاموس : « وفى اصطلاح الصاغة ما يحمل علي الدراهم من الغش » . وقد سبقت هذه الكلمة فى (١ : ٨٣ س ٣) . وفى الأصل : « الجهانات » ولا وجه له هنا .

(٢) س : « أرسطاليس » وكتبت « ليس » فى ط أول السطر ، كأنها « ليس » النافية . وقد تعددت صور تعريبه عن اليونانية ، فمنها أرسطو ، وأرسطوطاليس ، وأرسطوطليس وأرسطوليس . وقد انفرد المتنبى بتسميته « رسطاليس » فى قوله :

من مبلغ الأعراب أني بعدها شاهدت رسطاليس والاسكندرا

(٣) تسخف ، من السخف ، وهو الخفة والرقة . س : « يسخف » ط ، ه : « تسخف » وما كتبت أشبه .

(٤) فى الأصل : « التحليل » . وانظر التنبيه ٢ ص ٥١ .

(٥) ط ، ه : « أجراء » بالراء المهملة . صوابه فى س .

(٦) ترزن ، من الرزانة ، وهى الثقل . ط : « توزن » بالواو . صوابه من س ، ه .

(٧) الحرا ، يائى واوي ، يكتب بالوجهين . ومعناه بالأجدر . وأصل الحرا الجدير والخليق .

(٨) فى الأصل : « لون » باللام .

وإذا قال فى تلك الأشجار بتلك القالة[١] ، قال فى الطول والعرض ، والعُمق ، وفى التربيع والتثليث والتدوير ، بجواب أصحاب الأجسام . وكما يُلزِمُ أصحابُ الأعراض أصحابَ الأجسام[٢] بقولهم فى تثبيت السكون والحركة أن القول فى حرَاكِ الحجَر كالقول فى سكونه — كذلك[٣] أصحاب الأجسام يُلزِمون كلّ من زعم أن شيئا من الأعراض لا يُنقَض[٤] أنّ[٥] الجسمَ يتغير فى المَذَاقةِ والمَلْمَسَة والمنْظَرَةِ[٦] والمشَمّة من غير لون الماء[٧] . وفى برودة نفس الأرض وتثبيتها كذلك .

٢٠ ومتى وجدنا طينة مربعة صارت مدوَّرة ، فليس ذلك بحدوثِ تدويرٍ لم يكن . فكان عند تغيُّره فى العَينِ أوْلَى من تَغَيُّر الطينةِ فى العين من البياض إلى السواد[٨] . [و[٩]] سبيلُ الصلابة والرَّخاوة ، والثقل والخِفَّة ، سبيل الحلاوةِ والملوحة ، والحرارة والبرودة .

---

(١) القالة : القول ، كالمقالة . س « المقالة » .

(٢) فى الأصل : « لا يلزم » والسياق يقتضى إسقاط « لا » . وكلمة « وكما » ساقطة من ط . والمراد بأصحاب الأعراض ؛ من يزعمون أن كل ما فى العالم أعراض ، وأن الأجسام مركبة من الأعراض ، وهو مذهب الضرارية أصحاب ضرار بن عمرو . الفصل (٥ : ٦٦) . وأصحاب الأجسام يذهبون إلى أنه ليس فى العالم إلا جسم ، وأن الألوان والحركات ما هى إلا أجسام . وهو مذهب الهشامية ، أصحاب هشام ابن الحكم . الفصل (٥ : ٦٦) .

(٣) ط ، س « وكذلك » هـ : « ولذلك » . والوجه إسقاط الواو .

(٤) هـ ، س : « لا ينقضى » .

(٥) فى الأصل : « وأن » بزيادة الواو .

(٦) المنظرة : النظر . وفى الأصل : « المنطقة » .

(٧) كذا وردت العبارة محرفة .

(٨) فى الأصل « (أولا) من (غير) الطينة فى العين من البياض (أن) السواد » . وهى عبارة مشوهة .

(٩) ليست بالأصل .

(أصحاب القول بالاستحالة)

وليس يقيس[١] القول فى الأعراض إلا من قال بالاستحالة . وليس فى الاستحالة شىء أقبحُ من قولهم فى استحالة الجبل الصّخير[٢] إلى مقدار خردلةٍ ، من غير أن يدخل أجزاءه شىء على حال . فهو عَلَى قولِ من زعم أنّ الخردلة تتنصفُ أبدًا أحسن . فأما إذا قال بالجزء الذى لايتجزأ ، وزعم أن أقلّ الأجسام ، الذى تركيبه من ثمانيةِ أجزاءٍ لاتتجزأ ، أو ستة أجزاءٍ لا تتجزأ[٣] ، يستحيل جسْما عَلَى قدر طول العالَم وعرضه وعُمْقه — فإنّا[٤] لو وجدناه كذلك لم نجد بدًّا من أن نقول : إنا لو رفعنا[٥] من أوهامنا من ذلك شبراً من الجميع ، فإن كان مقدار ذلك الشبرِ جزءا واحداً فقد وجدناه جسما أقلّ من ثمانية أجزاء ومن ستة أجزاء . وهذا نقضُ الأصل . مع أنّ الشبرَ الذى رفعناه من أوهامنا ، فلا بدّ إن كان جسما أن يكون من ستةِ أجزاء ، أو من ثمانية أجزاء . وهذا كله فاسد .

---

(١) ط : « بقيس » بالباء الموحدة فى أوله . محرفة .

(٢) الصخير ، أراد به : الكثير الصخر . والذي فى المعاجم « صخر » ككتف . ولكن هكذا وردت فى س ، هـ . وفى ط : « الصغير » بالغين . وليس بشىء .

(٣) فى الأصل : « لا يتجزأ » بالياء المثناه التحتية ، فى هذا الموضع والذى قبله . وكلمة « لا تتجزأ » الثانية ساقطة من هـ .

(٤) فى الأصل : « وإنا » .

(٥) فى الأصل : « رفعناه » .

(الأضواء والألوان)

والنار[١] حرٌّ وضياء ، ولكلِّ ضياء بياضٌ ونور ، وليس لكلِّ بياض نورٌ وضياء . وقد غلط فى هذا المقام عالمٌ من المتكلمين .

والضياء ليس بلون ، لأن الألوان تتفاسد، وذلك شائعٌ فى كلها، وعامٌّ فى جميعها فاللبَن والحِبر يتفاسدان ، ويتمازجُ[٢] التراب اليابس والماء السائل ، كما يتمازجُ الحارُّ والبارد ، والحلو والحامض . فصنيع البياض فى السوادِ ، كصنيعِ السواد فى البياض . والتفاسدُ الذى يقع بين الخُضْرَةِ والحمرة ، فبذلك الوزنِ يقع بين البياض وجميعِ الألوان .

وقد رأينا أن البياضَ مَيّاعٌ[٣] مفسدٌ لسائر الألوان[٤] . فأنت قد ترى الضياء عَلَى خلافِ ذلك ؛ لأنه إذا سقط عَلَى الألوان المختلفةِ كان عملُه فيها عملا واحداً ، وهو التفصيل[٥] بين أجناسها ، وتمييزُ[٦] بعضها من بعض ، فيبين عن[٧] جميعها إبانة واحدة ، ولا تراه يخصُّ البياضَ إلا بما يخص بمثله السواد ، ولا يعملُ فى الخُضْرة إلا مثلَ عملِه فى الُحمرة ، فدلَّ ذلك عَلَى أن جنسه خلافُ أجناسِ الألوان ، وجوهرَه خلافُ جواهرها ، وإنما يدل عَلَى اختلافِ الجواهرِ اختلافُ الأعمال ؛ فباختلاف الأعمالِ واتفاقها تعرِفُ اختلافَ الأجسام واتفاقَها .

---

(١) فى الأصل : « لأن » .
(٢) فى الأصل : « يتمايع » .
(٣) مياع : سيال .
(٤) فى الأصل : «كسائر» بالكاف فى أوله . محرف .
(٥) التفصيل بمعنى التميز . وفى الأصل : « التقبيل » ، تحريف .
(٦) ط : « تمييز » صوابه فى ش ، هـ .
(٧) ط ، س : « من » والوجه ما أثبت من هـ .

جملة القول فى الضد والخلاف والوفاق

٢١ قالوا : الألوان كلها متضادّة ، وكذلك الطعوم ، وكذلك الأراييح ، وكذلك الأصوات ، وكذلك المَلاَمِس : من الحرارة والبرودة ، واليبس والرطوبة ، والرخاوة والصلابة ، [والمَلاَسة[١]] والخشونة . وهذه جميع الملامس .

وزعموا أن التضادُدَ[٢] إنما يقع بين نصيبِ الحاسّة الواحدةِ فقط . فاذا اختلفت الحواس صار نصيب هذه الحاسةِ الواحدة من المحسوسات ، خِلافَ نصيب تلك الحاسة ، ولم يضادّها بالضِّدِّ كاللَّون واللون ؛ لمكان التفاسد ، والطعم والرائحة ؛ لمكان التفاسُد .

ولايكون الطعم ضدَّ اللون ، ولا اللون ضدَّ الطعم ، بل يكونُ خِلافاً . ولا يكون ضدًّا ولا وفاقا ، لأنه لا يكون وفاقا ، لأنه من غير جنسه ، ولا يكون ضدًّا ، لأنه [لا[٣]] يفاسدُه .

وزعم من لاعلم له من أصحاب الأعراض[٤] ، أن السوادَ إنما ضادّ البياضَ ، لأنهما لايتعاقبان ، ولا يتناوبان[٥] ، ولأنهما يتنافيان .

قال القوم : لوكان ذلك من العلة ، كان ينبغى لذهابِ الجسمِ قُدُمًا[٦] أن يكون بعضه يضاد بعضًا ، لأن كونَه فى المكان الثانى لايوجدُ مع كونه

---

(١) ليست بالأصل ، وتقتضيها المزاوجة .
(٢) كذا بفك الإدغام فى جميع نسخ الأصل . فان صح كان من المسموع .
(٣) يقتضيها الكلام . وليست فى الأصل .
(٤) انظر التنبيه ٢ ص ٥٤ .
(٥) التناوب بمعنى التعاقب . وفى الأصل : « يتفاوتان » وهو تحريف .
(٦) مضى قدما ، بضم القاف والدال : لم يعرج ولم ينثن . وقد تسكن الدال . انظر اللسان (١٥ : ٣٦٦ س ٢٢) .

فى المكان الثالث . وكذلك التربيع : كطينة لو رُبِّعت بعد تثليثها ، ثم رُبِّعت بعد ذلك . ففى قياسهم أن هذين التربيعين ينبغى لهما أن يكونا متضادَّين ، إذ[1] كانا متنافيين ، لأن الجسم لا يحتمل فى وقت واحد طولَين ، وأن الضدَّ يكون عَلَى ضدين : يكون أحدهما [أن[2]] يخالف الشىء [الشىء[2]] من وجوهٍ[3] عدة ، والآخرُ [أن[4]] يخالفه من وجهين [أو وجهٍ[4]] فقط .

قالوا : والبياض يخالف الحمرةَ و يضادُّها ، لأنه يُفاسِدُها وَلا يفاسِدُ الطعم وَكذلك البياضُ للصفرة والحُوّةِ[5] والخُضرة . فأما السواد خاصة فإن البياض يضاده بالتفاسد ، وَكذلك التفاسد[6] ، وكذلك السواد .

و بَقِىَ لهما خاصة من الفصول[7] فى أبواب المضادة : أن البياض ينصبغ ولا يَصْبُغ ، والسواد يصبغ ولا ينصبغ . وليس كذلك سائر الألوان ، لأنها كلها تصبُغ وتَنْصَبِغ .

قالوا . فهذا بابٌ يساق[8] .

باب آخر

إن الصفرة متى اشتدت صارت حُمْرة ، ومتى اشتدت الحمرةُ صارت سواداً . وَكذلك الخضرةُ ، متى اشتدت صارتْ سوادا .

---

(١) فى الأصل : « إذا » .
(٢) من س ، ه .
(٣) فى ط : « وجوده » محرف .
(٤) ليست فى الأصل . والكلام يتطلبها .
(٥) الحوة ، كقوة : سواد إلى خضرة ، أو حمرة إلى سواد . وفى الأصل : « الحمرة » فتكون تكراراً لما سبق .
(٦) هذه الجملة مقحمة .
(٧) الفصول : جمع فصل بمعنى الفرق . ط : « خاصته » صوابه فى س ، ه .
(٨) يساق : أى يطرد . وفى الأصل : « ما يساق » بزيادة « ما » .

والسواد يضاد البياضَ[١] مضادة تامة ، وصارت الألوان الأخر فيما بينها تتضاد عادة ، وصارت الطُّعوم والأراييح والملامس تخالفها ولا تضادها .

(أصل الألوان جميعها)

وقد جعل بعض من يقول بالأجسام[٢] هذا المذهب دليلا عَلَى أن الألوان كلَّها إنما هى من السواد والبياض ، وإنما يختلفان عَلَى قدر المزاج. ٢٢
وزعموا أن [اللونَ[٣]] فى الحقيقة إنما هو البياض والسواد ، وحكموا فى المقالة الأولى بالقوة للسواد عَلَى البياض ؛ إذ[٤] كانت الألوان كلها كلما اشتدت قربت من السواد ، وبَعُدت من البياض ، فلا تزال كذلك إلى أن تصيرَ سوادا .

وقد ذكرنا قبل هذا قولَ من جعل الضياء والبياض جنسين مختلفين ، وزَعَم أن كلَّ ضياء بياضٌ وليس كلُّ بياضٍ ضياء[٥] .

(عِظَم شأْن المتكلمين)

وما كان أَحْوَجَنَا وأحوجَ جميعَ المرضى أن يكون جميعُ الأطباء متكلمين ، وإلى أن يكون المتكلمون علماء ؛ فإن الطبّ لو كان من نتائج حُذاق المتكلمين ومن تلقيحهم له ، لم نجدْ فى الأصول التى يبنون عليها من الخَلَلِ ما نجدُ .

---

(١) كلمة « يضاد » ساقطة من الأصل . وفى الأصل : « للبياض » .
(٢) انظر التنبيه ٢ ص ٥٤ .
(٣) ساقطة من الأصل . وبها يستقيم الكلام ويلتئم .
(٤) ط : « إذا » .
(٥) انظر ص ٥٦ .

(أَلوان النِّيران والأضواء)

وزعموا أن النار حمراء ، وذهبوا إلى ما ترى العينُ ، والنار فى الحقيقة بيضاء . ثم قاسوا عَلَى خلافِ الحقيقة المرّة الحمراءَ[١] ، وشبّهوها بالنار[٢] . ثم زعموا أن المرة الحمراء مُرّة ، وأخْلِقْ بالدخان أن يكون مرًّا . وليس الدخان من النار فى شيء .

وكل نور وضياء هو أبيض ، وإنما يحمرُّ فى العين بالعرَض الذى يَعرِض للعين . فإذا سَلِمَتْ من ذلك ، وأفضت إليه العين رأته أبيضَ وكذلك نار العود تنفصل[٣] من العود ، وكذلك انفصال النار من الدُّهن ومعها الدخَان ملابساً لأجزائها[٤] . فإذا وقعت الحاسة على سوادٍ أو بياض فى مكان واحد ، كان نتاجهما[٥] فى العين منظرةَ الحمرة[٦] .

ولو أن دخانا عرض بينك و بينه قرص الشمس أو القمر[٧] لرأيته أحمر . وكذلك قرص الشمس فى المشرق أحمر وأصفر ؛ للبخار والغبارِ المعترض بينك و بينه . والبخار والدخان أخوانِ .

---

(١) المرة ، بالكسر : أحد أخلاط البدن الأربعة ، وهى البلغم والدم والصفراء والسوداء . فالمرة هى المرة الصفراء ، يكتفون أحياناً بالصفة ، وأحيانا بالموصوف . ووعاء هذا الخلط هو الذى يسمى « المرارة » . قال داود فى الصفراء : « والطبيعى منها أحمر ناصع (كذا) عند المفارقة ، أصفر بعدها » فقد ظهر لك بذلك تسمية الجاحظ إياها : « المرة الحمراء » . س ، ه : « أن المرة الحمراء » بزيادة « أن » وهو تحريف .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ه . وبدلها فى س : « للنار » .

(٣) ط : « تتفصل » ه : « يتفصل » صوابهما فى س .

(٤) ه : « لأجزاء » .

(٥) أى نتاج السواد والبياض . ط ، ه : « نتاجها » بالإفراد ، صوابه فى ش .

(٦) المنظرة : المنظر . انظر (٣ : ٣٩٥) . ط : « المتنظرة » صوابه فى ش ، ه .

(٧) فى الأصل : « وبين القمر » . والوجه ما أثبت .

[و[١]] متى تحلَّق القرص فى كبد السماء ، فصار على قمة رأسك[٢] ولم يكن بين عينيك[٣] و بينه إلا بقدر ما تمكن البخار من الارتفاع فى الهواء صُعُدًا — وذلك يسيرٌ قليل — فلا تراه حينئذ إلا فى غاية البياض

و إذا انحطَّ شرقًا أو غربا صار كل شىء بين عينيك[٣] و بين قُرصها من الهواء ، ملابساً للغبار والدخان والبخار ، وضروب[٤] الضباب والأنداء[٥] فتراها إما صفراء ، و إما حمراء .

ومن زعم أن النار حمراء فلم يكذب إن ذهب إلى ما ترى العين ، ومن ذهب إلى الحقيقة والمعلوم فى الجوهرية ، فزعم أنها حمراء ، ثم قاس على ذلك جهِلَ وأخطأ .

وقد نجد النار تختلف على قدر اختلاف النِّفط[٦] الأزرقِ ، والأسود ، والأبيض . وذلك كله يدور فى العين مع كثرة الدخانِ وقلته .

ونجد النار تتغير فى ألوانها فى العين ، عَلَى قدر جفوفِ الحطَب ورطوبته ، وعَلَى قدر أجناس العيدان والأدهان،فنجدُها شقراء ، ونجدها خضراء إذا كان ٢٣ حطبُها مثلَ الكبريت الأصفر .

---

(١) هذا الحرف ساقط من الأصل .
(٢) قمة الرأس : وسطه ، وصار على قمة الرأس : أى على حيال وسطه . قال ذو الرمة :
وردت اعتسافا والثريا كأنها على قمة الرأس ابن ماء محلق
ابن ماء : هو كل طير يألف الماء . وفى الأصل : « قبة » بالباء ، تصحيف .
(٣) سـ : « عينك » بالإفراد .
(٤) ضروب : جمع ضرب ، وهو النوع . ط : « ضرب » صوابه فى ش ، هـ .
(٥) الأنداء : جمع ندى . وفى الأصل : « السواد » ولا وجه له .
(٦) النفط ، بكسر النون وسكون الفاء : سائل معدنى سريع الالتهاب ، يسمى فى عامية « مصر » الجاز ، وتختلف ألوانه باختلاف درجة نقائه ، من الأسود إلى الأبيض . وفى الأصل : « النقط » بالقاف . وهو تصحيف .

(علة تلون السحاب)

ونجد لونَ السحاب[١] مختلفا فى الحمرة والبياض ، عَلَى قدر المقابلات والأعراض ، ونجد السحابةَ بيضاء ، فإذا قابلت الشمسَ بعض المقابلة ، فإن كانت السحابةُ غربية[٢] أفقية والشمسُ منحطة ، رأيتها صفراء ، ثم سوداء ، تعرض للعين لبعض ما يدخلُ عليها .

(شعر فى ألوان النار)

وقال الصّلَتَان الفهْمىّ[٣] فى النار :

وتوقدها شقراءَ فى رأسِ هَضْبةٍ ليعشُو إليها كلُّ باغٍ وجازِعِ[٤]

---

(١) فى الأصل : « فوق السحاب » . والوجه ما أثبت .

(٢) هـ : « غريبة » وليس بشىء .

(٣) الصلتان ، بفتح الصاد واللام ، وأصل معناه النشيط الحديد الفؤاد من الخيل . وهو لقب لعدة شعراء أحدهم هذا ، قال الآمدى فى المؤتلف ١٤٥ : « لست أعرفه فى شعرائهم . وأظنه متأخرا . أنشد له الجاحظ فى كتاب البيان والتبيين — انظر البيان ٣ : ٢٠ — :

العبد يقرع بالعصا والحر تكفيه الإشاره

وذكره أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله فى كتابه المؤلف فى سرقات الشعراء ، وحكاه أيضا عن الجاحظ » . قلت : فى نسخة البيان : « الفلتان » بالفاء ، وهو تحريف . وانظر الخزانة (٢ : ١٥٨ سلفية) . وثانيهم الصلتان العبدى أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس ، وقد قضي بين جرير والفرزدق فى قصة مشهورة . انظر الآمدى والخزانة . والثالث الصلتان الضبّى . والرابع الصلتان السعدى ، أنشد له الجاحظ أبياتاً فى الحيوان (٣ : ٤٧٧) أولها :

أشاب الصغير وأفنى الكبير كر الغداة ومر العشى

قال : « وهو غير الصلتان العبدى » . انظر الحيوان ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) وقد غاب هذا الرابع عن كثير من العلماء .

(٤) توقدها ، كذا بالتاء . يعشو إلي النار : يقصد إليها . والباغى : الطالب . والجازع : الذى يقطع الوادي أو الأرض .

وقال مزرِّد بن ضِرار (١) :

فأبصَرَ نارى وهى شقراء أُوقِدْتَ بعلياء نَشْزٍ ، للعيونِ النواظرِ (٢)

وقال آخر (٣) :

ونار كسَحرِ العَوْدِ يرفعُ ضوأها مع الليل هبّاتُ الرياح الصوَّارِدُ (٤)

والغبار يناسب بعضَ الدخان . ولذلك قال طُفَيْلٌ الغَنَوِىّ (٥) :

إذا هبطتْ سَهْلاً كأنّ غبارَه بجانبها الأقصى دواخنُ تَنضُبِ (٦)

لأن دخَانَه يكون أبيض يشبه الغبار ، وناره شقراء .

والعرب تجمعُ الدخان دواخِن (٧) . وقال الأزرق الهمْدَانيّ (٨) :

---

(١) مزرد لقب له لبيت قاله . واسمه يزيد بن ضرار بن حرملة ، الذبيانى الغطفانى ؛ شاعر فارس مشهور ، أدرك الإسلام ، وله صحبة ، وكان هجاء خبيث اللسان . وهو أخو الشماخ بن ضرار ، وكان مزدرد أسن منه . الإصابة ٧٩١٣ والمؤتلف ١٩٠ ومعجم المرزباني ٤٩٦ . والبيت الآتى روى مثله ابن الشجري فى الحماسة ٢٨٥ ونسبه إلى جبيهاء الأشجعى ، فى قصيدة طويلة مشروحة .

(٢) النشز : المكان المرتفع . ورواية بيت الحماسة : « بليل فلاحت » .

(٣) انظر حماسة أبى تمام (٢ : ١٣٦) وكتاب الزهرة ٢٣٥ .

(٤) السحر ، بالفتح : الرئة وما يتعلق بالحلقوم . والعود: بالفتح : الجمل المسن ، شبه النار فى حمرتها بسحر العود . والصوارد : البوارد ، والصرد : البرد . وجعله صفة لهبات . ولا تكون صفة للرياح إلا مع الإقواء فى هذا البيت أو فى قرينه وهو كما روى أبو تمام :

أصد بأيدي العيس عن قصد أهلها وقلبى إليها بالمودة قاصد

و « ضوأها » رسمت في ط : « ضوؤها » وفى ش ، ﻫ : « ضيؤها » محرفتان .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٤٨) والبيت فى ديوان طفيل ص ٩ .

وشبيه هذا البيت قول عقيل بن علفة المري (اللسان ٢ : ٢٦٠ والحيوان ٢ : ٣٠٦):

وهل أشهدن خيلا كأن غبارها بأسفل علكد دواخن تنضب

وقول النابغة الجعدى (اللسان ٢ : ٢٦٠ وسيبويه ٢ : ١٣٨) :

كأن الغبار الذي غادرت ضحيا دواخن من تنضب

(٦) هبطت ، الضمير عائد إلى الخيل . ومثله ضمير « جانبها » . ورواية الديوان : « بجانبه » الضمير للسهل . والتنضب ، بفتح التاء وضم الضاد : شجر ضخام وورقه متقبض ، وعيدانه بيض ، له شوك قصار ، ينبت بالحجاز .

(٧) كلمة « الدخان » ساقطة من ش ، ﻫ . ودواخن : جمع غير قياسي ، ومثله فى ذلك عثان وعواثن .

(٨) لم أعثر له على ترجمة .

ونوقدها شقراء من فَرع ِ تَنضُبٍ ... وَلَلْكُمتُ أرْوَى لِلنِّزَال ِ وأشْبَع[(١)]

وذلك أن النار إذا أُلْقِيَ عليها اللحمَ فصار لها دخَان ، اصْهَابَّتْ[(٢)] بدُخَان ماء اللحم وسوادِ القُتَار[(٣)] . وهذا يدل أيضا عَلَى ما قلنا .

وفى ذلك يقول الهَيَّبَان الفَهمىّ[(٤)] :

له فوق النِّجَاد جِفَانُ شِيزَى ... ونارٌ لاتضرَّمُ لِلصِّلاءِ[(٥)]

ولكن للطَّبيخ ، وقد عرَاها ... طليحُ الهمِّ مُستَابُ الفِراءِ[(٦)]

وما غُذِيَتْ بغيرِلَظًى ، فنارى ... كمرتَكمِ الغمامةِ ذى العِفاءِ[(٧)]

وقال سحر العود[(٨)] :

له نارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ ... لكلِّ مُرْعَبَلِ الأهدامِ بالى[(٩)]

---

(١) س : « وتوقدها » بالتاء .

(٢) اصهابت : من الصهبة ، وهى حمرة يعلوها سواد . ط ، ه : « أصابت » صوابه فى س .

(٣) القتار ، بالضم : ما يتصاعد من الشواء .

(٤) الهيبان ، بفتح الهاء وتشديد الياء المفتوحة ، أصل معناه الذى يهاب ، كما فى اللسان عن ثعلب . والفهمى منسوب إلى قبيلة فهم . قال المرزباني فى المعجم ٤٨٩ : « الهيبان الفهمى جاهلى ، يقول :

كما ضرب اليعسوب أن عاف باقر ... وما ذنبه أن عافت الماء باقر »

(٥) يبتدئ المجلد الثالث من مخطوطة الأزهر بهذا البيت . النجاد : جمع نجد ، وهو ماغلظ من الأرض وأشرف وارتفع واستوى . وفي الأصل : « البحار » وهو من عجيب التصحيف . والشيزى ، بكسر أوله مقصورا : شجر تعمل منه القصاع والجفان ، قال أبوعمرو : « الشيزى يقال له الآبنوس » الجوهرى : الشيز والشيزى خشب أسود تتخذ منه القصاع » . والصلاء ، بالفتح ويكسر : مقاساة حر النار ، أو التمتع بها فى الشتاء .

(٦) عراها : غشيها وقصدها . الطليح : المتعب المعيى . مستلب الفراء : ليس له فروة يلبسها لتقيه البرد .

(٧) المرتكم : المجتمع ، والعفاء ، بالكسر ، قال صاحب اللسان : « وعفاء السحاب كالخمل فى وجهه لا يكاد يخلف » .

(٨) كذا فى الأصل . ولعله : « جران العود » .

(٩) اليفاع ، بالفتح : التل . ه ، س : « إقال » مصحف . والمرعبل : الممزق . والأهدام : الثياب الأخلاق ، واحدها هدم ، بالكسر . وهذه النار التى عنى هى النار التى تشب ليهتدى بها الضيف وذو الحاجة .

ونار فوقها بُجْرٌ رِحَابٌ مُبَجَّلَةٌ تَقَاذَفُ بالمحالِ (١)

(علة اختلاف ألوان النار)

ويدل أيضا على ما قلنا : أن النار يختلف لونُها على قدر اختلاف جنس الدُّهن والحطب والدخَان ، وعَلَى قدر كثرةِ ذلك وقلّته ، وعَلَى قدر يُبْسه ٢٤
ورطوبته — قولُ الراعي (٢) حين أراد أن يصف لونَ ذئبٍ فقال :

وَقْعَ الربيع وقد تقارب خَطْوُهُ ورأى بعَقْوَته أَزَلَّ نَسُولاَ (٣)

---

(١) وهذه النار نار الطعام . بجر : جمع بجراء وهى العظيمة البطن ، عنى بها القدور . وفى الأصل « جزر » وليس له هنا وجه . والرحاب : الواسعات . والمبجلة : المعظمة . والمحال ، بالفتح : جمع محالة ، وهى الفقرة من فقار البعير .

(٢) هو راعى الإبل النميري ، واسمه عبيد بن حصين بن جندل بن قطن بن ربيعة بن عبد الله ابن الحارث بن نمير . ولقب بالراعى لكثرة وصفه الإبل والرعاء فى شعره . شاعر فحل مشهور من شعراء الإسلام ، ذكره الجمحى فى الطبقة الأولى من الشعراء الإسلاميين ، مع جرير والفرزدق والأخطل . وكان الراعى يقدم الفرزدق على جرير ، فاستكفه جرير فأبى ، فهجاه بقصيدته البائية :

أقلى اللوم عاذل والعتابا وقولى إن أصبت لقد أصابا

المؤتلف ١٢٢ وابن سلام ١٧٣ والخزانة (٣ : ١٣٤ سلفية) والأغاني (٢٠ : ١٦٨ - ١٧٣) . والأبيات الآتية من قصيدة له يمدح بها عبد الملك بن مروان ، وشكا فيها من السعاة ، وهم الذين يأخذون الزكاة من قبل السلطان . وانظر الخزانة وجمهرة أشعار العرب ١٧٢ . وأولها :

ما بال دفك بالفراش مذيلا أقذى بعينك أم أردت رحيلا

(٣) وقع الربيع : أى مثل شدة ضرب المطر للأرض . مثل به صوت الهداهد فى البيت الذي قبله . وهو كما فى الجمهرة :

كهداهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلا

والهديل هنا : صوت الهداهد ، وهو الهدهد ، شبه به العريف الذى ضربه السعاة . وضمير « خطوه » للربيع ، أو للهداهد ، أو للعريف فى بيت سابق . وضمير « رأى » للهداهد أو للعريف . والعقوة ، بالفتح : الساحة وما حول الدار . والأزل : القليل لحم الفخذين ، أو السريع . وقد عنى به الذئب . والنسول : من النسلان ، وهو مشية الذئب إذا أسرع . وفى الأصل : « وأري بعقوته أزل سيولا » صوابه فى الجمهرة واللسان (٨ : ٢٥٤) .

مُتَوَضِّحُ الأقراب فيه شُهْبَةٌ ... هَشُّ اليَدَيْنِ تخالُه مشكُولا[١]

كدُخَانِ مُرْتَجِلٍ بأعْلَى تَلْعَةٍ ... غَرْثَانَ ضَرَّمَ عَرْفَجًا مبْلولا[٢]

المرتجل: الذى أصاب رِجْلا[٣] من جرادٍ، فهو يشويه. وجعله[٤] غَرْثان لكون الغرث[٥] لا يختار الحطب اليابس عَلَى رطْبه، فهو يشويه بما حضره. وأدار هذا الكلام؛ ليكون لون الدخَان بلون الذئب الأطحل[٦] متفقين.

(تعظيم زرادُشت لشأن النار)

وزرادُشتُ هو الذى عظم النار وأمر بإحيائها، ونهى عن إطفائها، ونهى الحيَّض عن مسها والدنُوِّ منها. وزعم أن العقاب في الآخرة إنما هو بالبردِ والزمهرير والدَّمَق[٧].

(١) الأقراب: جمع قرب، بالضم، وهى الخاصرة. ط: «الأقران» بالنون محرف. والمتوضح: الأبيض ليس بالشديد البياض. وفى الأصل: «متوقع» وليس له وجه. وأثبت رواية اللسان (وضح). ورواية الجمهرة: «متوشح» بالشين. والشهبة: لون بياض يصدعه سواد فى خلاله. ورواية اللسان (وضح، شهل): «شهلة» من قولهم: ذئب أشهل، إذا كان أغبر فى بياض. ورواية الجمهرة: «نهمة»؛ وهى النهم. والهش: الخفيف. ورواية الجمهرة: «نهش» وهو الخفيف أيضا. والمشكول المشدود بالشكال، وهو بالكسر: عقال الدابة. وفى اللسان (٨: ١٥٢): «تخاله مشكولا: أي لا يستقيم فى عدوه، كأنه قد شكل بشكال».

(٢) التلعة، بالفتح: ما ارتفع من الأرض. والغرثان: الجوعان، والأنثى غرثي وغرثانة والعرفج: نبت سريع الالتهاب.

(٣) الرجل بالكسر: الجراد الكثير، وجمعه أرجال. وقد فسر «المرتجل» أيضا فى هذا البيت بأنه الذى يقتدح النار بزندة جعلها بين رجليه وفتل الزند فى فرضتها بيده حتى يوري. وقيل: المرتجل: الذى نصب مرجلا يطبخ به طعاما. اللسان: (١٣: ٢٩).

(٤) ط، هـ: «وجعل».

(٥) الغرث. كفرح: الغرثان. وفى الأصل: «لطول الغرث».

(٦) الطحلة: لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد. ذئب أطحل وشاة طحلاء.

(٧) فى اللسان: «الدمق بالتحريك: الثلج مع الريح يغشى الانسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه. فارسى معرب». قلت: هو معرب «دمه» الفارسية، بفتح الدال والميم. استينجاس ٥٣٦.

(علة تخويف زرادشت أصحابه بالبرد والثلج دون النار)

وزعم أصحاب الكلام أن زرادُشت — وهو صاحب المجوس — جاء من بَلْخ[١] ، وادعى أن الوحى نزل عليه عَلَى جبال سيلان[٢] ، وأنه حين دعا سكان[٣] تلك الناحية الباردة ، الذين لايعرفون إلا الأذى بالبرد ، ولا يضربون المثل إلا به ؛ حتى يقول الرجل لعبده: لئن عدت إلى هذا لأنزعنّ ثيابك ، ولأقيمنَّك فى الريح ، ولأُوقفنَّك فى الثلج ! فلما رأى موقِع البردِ منهم هذا الموقع ، جعل الوعيد بتضاعُفِه ، وظنّ أنّ ذلك أزْجَرُ لهم عما يكره .

وزرادشت فى توعده تلك الأمة بالثلج دون النار ، مُقِرٌّ بأنه لم يُبعث إلا إلى أهل [تلك[٤]] الجبال. وكأنه إذا قيل له: أنت رسول إلى من ؟ قال لأهل البلاد الباردة ، الذين لابدّ لهم من وعيدٍ ، ولا وعيدَ لهم إلا بالثلج .

وهذا جهلٌ منه ، ومن استجاب له أجهلُ منه .

---

(١) بلخ : مدينة كبيرة بخراسان .
(٢) جبل بقرب مدينة أردبيل بأذربيجان . وفى الحديث : « كتب الله له من الحسنات : بعدد كل ودق وثلج وقع على جبل سيلان . قيل : وما سيلان يا رسول الله ؟ قال : جبل أرمينية وأذربيجان » . انظر عجائب المخلوقات ١٥١ . ولم يذكر هذا الجبل ياقوت ، ولا صاحبا القاموس واللسان .
(٣) دعاهم إلى دينه ، وفى الأصل : « لسكان » بزيادة اللام ، ولا تتجه .
(٤) ليست بالأصل . والمراد : جبال سيلان . انظر التنبيه الثاني .

(ردٌّ على زرادشت فى التخويف بالثلج)

والثلج لا يكْمُل لمضادَّة النار ، فكيف يبلغ مبلغها ؟ والثلج يُؤْكَلُ ويشرب ، ويُقضم قضما ، ويمزَج بالأشربة ، ويدفن فيه الماء[1] وكثير من الفواكه .

وربما أخذ بعض المترفين القطعة منه كهامَة الثور[2] ، فيضعها عَلَى رأسه ساعة من نهار ، ويتبرّد بذلك .

ولو أقام إنسان عَلَى قطعة من الثلج مقدارِ صخرة فى حَمدان ريح[3] ساعةً من نهار ، لما خيفَ عليه المرض قَطُّ[4] .

فلو كان المبالغة فى التنفير[5] والزجر أراد ، وإليه قَصَد ؛ لذَكَر ماهو فى الحقيقة عند الأمم أشدّ . والوعيد بما هو أشد ، وبما يعم بالخوف سكان البلادَ الباردة والحارة أشبه ، إذا[6] كان المبالغةَ يريد .

والثلج قد يداوَى به بعض المرضى ، ويتولد فيه الدود[7] ، وتخوضه الحوافرُ ، والأظلاف ، والأخفاف ، والأقدام ، بالليل والنهار ، فى الأسفار .

وفى أيام الصيد يهون عَلَى من شرِب خمسة أرطال نبيذ أن يعدوَ عليه خمسة أشواط .

---

(١) بأن يجعل الماء فى وعاء ثم يدفن فيه .

(٢) الهامة : الرأس .

(٣) حمدان ، لعله من قولهم : يوم محتمد : شديد الحر . ط ، ه : « خمدان » بالخاء المعجمة .

(٤) فى الأصل : « لما خيف عليه إلا المرض فقط » والسياق يقتضي ما أثبت .

(٥) فى الأصل : « التغيير » ولا وجه له .

(٦) فى الأصل : « إذ » .

(٧) سبقت إشارة الجاحظ إلى ديدان الثلج فى (٣ : ٣٩٦ س ٦) .

(معارضة بعض المجوس فى عذاب النار)

وقد عارضنى بعض المجوس وقال : فلعلَّ أيضا صاحبكم إنما توعَّد أصحابه بالنار ، لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ولا دَمَق[١] ، وإنما هى ناحية الحرور والوهَج والسَّموم[٢] ، لأن ذلك المكروه أزجر لهم . فرأى هذا المجوسى أنه قد عارضنى ! فقلت له : إن أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر فى الصيف وشدة البرد فى الشتاء ، لأنها بلاد صخور وجبال ، والصخر يقبل الحر والبرد ولذلك سمت[٣] الفرس بالفارسية ، العرب والأعراب « كَهْيَان » ، والكه بالفارسية هو الجبل[٤] . فمتى أحببت أن تعرف مقدار برد بلادهم فى الشتاء وحرِّها فى الصيف ، فانظر فى أشعارهم ، وكيف قسّموا ذلك ، وكيف وضعوه[٥] لتعرف أن الحالتين سواء عندهم فى الشدة .

(القول فى البرودة والثلج)

والبلاد ليس يشتد بردها عَلَى كثرة الثلج وقلته ، فقد تكون بلدة أبرد وثلجها أقل ، والماء ليس يجمدُ للبرد فقط ، فيكون متى رأينا بلدة ثلجها أكثر ، حكمنا أن نصيبها من البرد أوفر .

وقد تكون الليلة باردة جدا ، وتكون صِنَّبْرَةً[٦] فلا يجمد الماء ، ويجمد

---

(١) الدمق ، بالتحريك : مر تفسيره فى التنبيه ٧ ص ٦٦ .

(٢) السموم بالفتح : الريح الحارة . أبوعبدة : « السموم بالنهار ، وقد تكون بالليل ، والحرور بالليل ، وقد تكون بالنهار » .

(٣) ط : « سميت » صوابه فى س ، هـ .

(٤) « كه » بفتح الكاف : اسم للجبل أو التل بالفارسية ، معجم استينجاس ١٠٦٦ .

(٥) أحسبها : « وصفوه » من الوصف .

(٦) الصنبرة ، بكسر الصاد وتشديد النون المفتوحة بعدها باء ساكنة : الشديدة البرد ، وفى الحديث : « أن رجلا وقف علي ابن الزبير حين صلب ، فقال قد كنت تجمع بين قطري الليلة الصنبرة قائما » انظر اللسان (٦ : ١٤٠ س ٥) ، وفى الأصل « متغيرة » ولا وجه له .

فيما هو أقل منها برداً . وقد يختلف جمود الماء فى الليلة ذات الريح ، عَلَى خلاف ما يقدِّرون و يظنون .

وقد خبرنى من لا أرتاب بخبره . أنهم كانوا فى موضعٍ من الجبَل ، يستَغْشُون[١] به بلبس المبطَّنات[٢] ، ومتى صبوا ماءً فى إناء زجاجٍ ، ووضعوه تحت السماء ، جَمَدَ من ساعته .

فليس جُمود الماء بالبرد فقط ، ولابد من شروطٍ[٣] ومقادير ، واختلافِ جواهر ، ومقابلات أحوال ، كسرعة البرد فى بعض الأدهان ، و إبطائه عن بعض ، [و[٤]] كاختلاف عمله فى الماء المغْلَى ، وفى الماء المتروك عَلَى حاله وكاختلاف عمله فى الماء والنبيذ ، وكما يعترى البَوْل من الُخثورة والجمود ، عَلَى قدر طبائع الطعام والقلة[٥] .

والزيت خاصة يصيبه المقدار القليل من النار ، فيستحيل من الحرارة إلى مقدار لايستحيل إليه ما هو أحرّ .

(ردٌّ آخر على المجوس)

وحجةٌ أخرى عَلَى المجوس . وذلك أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، لو كان قال : لم أُبعثْ إلا إلى أهل مكة — لـكان له متعلق من جهة هذه المعارضة . فأمّا وأصل نبوّته ، والذى عليه مخرجُ أمرهِ وابتداء مبعثه إلى ساعة وفاته ،

(١) فى اللسان : « استغشى بثوبه ، وتغشى : أي تغطى » . وفى الـكتاب العزيز : « يستغشون ثيابهم » ، « واستغشوا ثيابهم » . وفى الأصل : « يستغنون » وهو تحريف .

(٢) المبطنات ، يريد بها الثياب المبطنة بالفراء .

(٣) ط : « شوط » س ، هـ : « سوط » والوجه فيهما ما أثبت ، والجمع للتناسب .

(٤) هذه التـكملة من س .

(٥) كذا . ولعلها : « وعلى قدر الـكثرة والقلة » .

أنه المبعوث إلى الأحمر والأسود(١) ، وإلى الناس كافة ، وقد قال الله تعالى ﴿قُلْ يَا أَيهَا النَّاسُ إنِى رَسُولُ اللهِ إِلَيْـكُمْ جَمِيعاً(٢)﴾ وقد قال تعالى ﴿نَذِيراً لِلْبَشَرِ(٣)﴾ ـ فلم يبق أن يكون يكون مع ذلك قولهم(٤) معارضة ، ٢٦
وأن يُعَدّ فى باب الموازنة .

(مما قيل فى البرد)

ومما قالوا فى البرد قول الـكميت

إذا التفّ دون الفتاةِ الضَّجِيعُ   وَوَحْوَحَ ذو الفَرْوَةِ المُرْمِلُ(٥)

---

(١) فى الحديث : « بعث إلى الأحمر والأسود » قال شمر : يعنى العرب والعجم ، والغالب على ألوان العرب السمرة والأدمة ، وعلى ألوان العجم البياض والحمرة . والحديث رواه أحمد فى مسنده (٣ : ٣٠٤) : عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلى ، بعثت إلى الأحمر والأسود ، وكان النبى إنما يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى الناس عامة ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى ، ونصرت بالرعب من مسيرة شهر ، وجعلت لى الأرض طهورا ومسجدا . فأيما رجل أدركته الصلاة فليصل حيث أدركته » . وانظر البخاري (باب التيمم ، والمساجد فى البيوت) ومسلم (باب المساجد) والنسائي (باب الطهارة) وانظر درة الغواص ١٠٤ .

(٢) الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

(٣) الآية ٣٦ من سورة المدثر ، وقد اختلف المفسرون فى نصب « نذيرا » فقيل حال من الضمير فى « إنها لإحدى الكبر » أو من إحدى ، أو مصدر منصوب باضمار فعله . أو نذيرا هو الله فهو منصوب باضمار فعل . أي : ادعوا نذيرا . أو هو محمد ، أى ناد ، أو بلغ .

(٤) سه : « قوله » فالضمير للمجوسي .

(٥) وحوح الرجل من البرد : إذا ردد نفسه فى حلقه حتى تسمع له صوتا . وفى الأصل « وزحزج » تحريف صوابه من اللسان (٢٠ : ١٠ س ٤) . وللكميت أيضا كما فى اللسان (٣ : ٤٧٠) :

وراحَ الفَنيقُ مع الرائحاتِ كأحدى أوائلها المرسَلِ (١)

وقال الكميت أيضاً فى مثل ذلك :

وجاءت الريح من تلقاء مَغْرِبها وَضَنّ من قِدْره ذُو القِدْرِ بالعُقَبِ (٢)

وَكَهْكَهَ المُدْلِجُ المقرورُ فى يَدِهِ واستدفأ الكلب فى المأسورذى الذِّئَبِ (٣)

وقال فى مثله جِرانُ العَود (٤) :

ومشبوحِ الأشاجعِ أريَحِيٍّ بعيد السمعِ ، كالقمر المنيرِ (٥)

رفيع الناظرَين إلى المعالى عَلَى العِلاَّتِ فى الخُلُق اليسيرِ (٦)

يكادُ المجدُ ينضحُ من يديهِ إذا دُفِع اليتيمُ عن الجَزُورِ (٧)

= ووحوح فى حضن الفتاة ضجيعها ولم يك فى النكد المقاليت مشخب

والفروة : الوفضة التى يجعل فيها السائل صدقته ، وهذا البيت شاهد له . والمرمل : الذى نفد زاده ، ومثله الأرمل . وفى الأصل : « المزمل » بالزاي ، تصحيف ورواية اللسان : « الأرمل » .

(١) الفنيق : الفحل المكرم من الإبل ، لا يركب لكرامته على أهله . هـ : « العتيق » ، وله وجه . سـ : « الفتيق » مصحفة .

(٢) العقب بضم ففتح : جمع عقبة بالضم ، وهى المرقة ترد فى القدر المستعارة ، كانوا إذا استعاروا قدراً ردوا فيها شيئاً من المرق . وفى مثل هذا المعنى للكميت أيضا :

وحارَدَتِ النُّكْدُ الجِلاَدُ ولم يكن لِعُقْبَةِ قِدْرِ المُستعيرِينَ مُعْقِبُ

انظر اللسان (٢ : ١١١) . وفى الأصل : « والقدر » باسقاط الذال ، تحريف صوابه ما أثبت . وقد رجعت بعد كتابة هذا إلى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٠١) فألفيت الرواية كما أثبت . ورواية صدر البيت فيه : « وجالت الريح » . سـ هـ : « وطن » بالطاء ، محرفة أيضا .

(٣) كهكه المقرور : تنفس فى يده ليسخنها بنفسه من شدة البرد فقال : كه كه . ورواية اللسان (١٧ : ٤٣٤) : « الصرد المقرور » . والمأسور : المشدود بالإسار ، وهو القد الذى يؤسر به القتب ، والقتب : رحل صغير على قدر سنام البعير . والذئب ، بكسر ففتح : جمع ذئبة ، وهى الفرجة بين دفتى الرحل . وفى الأصل : « الذنب » وصوابه فى اللسان ، والأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٠١) .

(٤) من قصيدة له فى ديوانه ٢٤ — ٢٨ . وقبل هذا البيت :

ألا يا رب ذى حسب رفيع سينسب إن هلكت إلى القبور

(٥) مشبوح الأشاجع : عريض الكف ، يعني نفسه . والأشجع : العصب الذي على ظاهر الكف . والأريحى : الذى يرتاح للمعروف . والسمع ههنا : الذكر الحسن . ورواية الديوان : « بعيد الذكر » . وقد جعله كالقمر فى الجمال والعلو .

(٦) على العلات : أي على كل حال . هـ : « الكلاب » محرف والخلق اليسير : السهل .

(٧) الجزور : الناقة المجزورة : أي إذا ضن أرباب الجزور على اليتيم ودفعوه ، لشدة الجدب والأزمة . هـ ، س « إذا رفع » محرف .

وألجأتِ الـكلاب صباً بليـلٌ ... وآل نُباحهنَّ إِلى الهرير(١)

وقد جعلتْ فتـــاةُ الحى تدنو ... مع الُهلاَّك من عرَنِ القدور(٢)

وقال فى مثل ذلك ابن قميئة(٣) :

ليس طُعمى طُعمَ الأنامل إذ قلَّـــص ... درُّ اللِّقاح فى الصِّنَّبْرِ(٤)

ورأيتَ الإماءَ كالجِعْثِنِ البـــا ... لى عكوفاً عَلَى قُرارة قِدْر(٥)

ورأيتَ الدخَان كالودع الأهْـ ... جَنِ ينباع من وراء السِّـــترِ(٦)

---

(١) أي ألجأتها أن تدخل جحرها من شدة البرد . والبليل : الريح الباردة التى كأنها يقطر منها الماء من بردها . آل : رجع وصار . والهرير : صوت الـكلب فى صدره لا يفصح به . أراد أنه من شدة البرد لا يستطيع النباح . س : « بناجهين » تصحيف .

(٢) فتاة الحى ، أراد بها الفتاة المصونة : والهـلاك : الصعاليك الذين ينتابون الناس من سوء حالهم . والعرن : بالتحريك وآخره نون : ريـح القدر . وفى الأصل : « عرق » وهو تحريف . ورواية الديوان : « عرم » قال السكري : « العرم والعرن: ريـح القدر » . ومثل هـذا المعنى قول عـوف بن الأحـوص فى المفضليات (القصيدة ٣٦ : ٤) :

وكانوا قعودا حولها يرقبونها ... وكانت فتاة الحى ممن ينيرها

(٣) هو عمرو بن قميئة ، كما فى كنايات الجرجانى ١٢٩ س ١٣ . وقد عرف بهذا الاسم جماعة من الشعراء أشهرهم هذا . واسمه عمرو بن قيئة بن ذريـح بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . قالوا : دخل بلاد الروم مع امرئ القيس فهلك ، فقيل له : عمرو الضائع . المؤتلف ٨٦٨ . وفيه قال امرؤ القيس (ابن سلام ٥٩) :

بكي صاحبى لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

(٤) الأنامل ، كذا وردت . اللقاح : جمع لقحة بالـكسر ، وهى الناقة الحلوب . قلص درها : ارتفع لبنها . والصنبر : شدة البرد . هـ : « الضبر » محرف .

(٥) الجعثن ، بكسر الجيم والثاء ، وآخره نون : أصل كل شجرة إلا شجرة لها خشب . الواحدة جعثنة . جعلهن كالجعثن البالى فى التقبض وتشوه الخلق ، مما أضر بهن الجدب وسوء الغذاء . عكوفا : استدرن حولها ، ولزمنها . والقرارة بضم القاف : ما لزق بأسفل القدر من مرق ،أو حطام تابل محترق ، أوسمن أوغيره . وفى الأصل : « قرارة بدر » بالباء ، صوابه ما أثبت .

(٦) الودع : خرز بيض جوف فى بطونها شق كشق النواة . والأهجن : من الهجنة ، بالضم ، وهى البياض . وجعل الدخان أبيض لضعف ناره . ينباع : ينفعل من باع يبوع : إذا جرى جريا لينا وتثنى وتلوى . وفى الأصل : « يبتاع » من البيـع ، ولا وجه له . والستر : ستر البيت . هـ : « السر » محرف .

خاضر شركم وخـيركمُ دَ رُّ خروسٍ من الأرانبِ بِكْرِ [١]

وقال فى مثل ذلك [٢]

وإذا العَذارى بالدُّخان تقنعتْ واستعجلت نَصْبَ القدورفملّتِ [٣]

دَرّتْ بأرزاق العيالِ مَغَالِقٌ بيدىَّ من قَمَع العشار الجِلَّةِ [٤]

---

(١) الدر ، بالفتح : اللبن . والخروس ، بفتح الخاء المعجمة : النفساء ، والخرسة ، بالضم : طعام الوالدة . والخروس أيضا البكر فى أول حملها . والبكر : التى لم تلد إلا مرة واحدة ، وهو أقل للبنها وأضيق لمخرجه . ط : « ذو حرسى » س ، ه : « دو حروس » بالمهملة صوابه من اللسان (٧ : ٣٦٤) وكنايات الجرجانى ١٢٩ س ١٤ والبخلاء ١٨٠ . وصدر البيت فيهما : « شركم حاضر » .

(٢) يفهم من ذلك أن البيتين لعمرو بن قميئة . لـكنهما فى النوادر لأبى زيد ١٢١ من قصيدة منسوبة لسلمى بن ربيعة الضبى ، وكذلك في أمالي القالي (١ : ٨١) والحماسة (١ : ٢١٢) . ونسبت فى الأصمعيات ص ١٨ ليبسك إلى علباء بن أريم (صوابه أرقم) . وأول القصيدة فى جميع المصادر :

حلت تماضر غربة فاحتلت فلجا وأهلك باللوى فالحلة

(٣) تقنعت : جعلت الدخان قناعا لها . وفى النوادر : « تلفعت » والتلفع : الالتحاف بالثوب ، أو اللحاف أو القناع . وخص العذارى لفرط حيائهن وشدة انقباضهن فإنما يتولين ذلك العمل ويصبرن على الدخان لما أصابهم من الجهد والجدب— ملت : أى أكبت على النار ولم تنتظر إدراك القدور من شدة الجوع . قال التبريزي فى شرح الحماسة : « وغير أبى تمام يرويه : واستبطأت نصب القدور فملت » فبهذه الرواية تـكون «ملت» وضعت الطعام على الملة ، وهى الرماد الحار ، ليسرع إدراكه .

(٤) درت ، من در الضرع : إذا كثر لبنه . ويروى : « دارت » وفى النوادر : « قامت ». والعيال : جمع عيل ، بفتح العين وكسر الياء المشددة ، وهو الفقير . ط : « العباء » ه ، س : « العباد » صوابهما من النوادر والأصمعيات . ورواية الحماسة والأمالي : « العفاة » جمع عاف ، وهو طالب المعروف . والمغالق : جمع مغلق ، بالـكسر ، وهى قداح الميسر . وفي الأصل : « معالق » بالمهملة ، صوابه من المصادر السابقة . والقمع بالتحريك : الأسنمة ، واحدتها قمعة . والعشار : جمع عشراء وهى التي أتى عليها عشرة أشهر من حملها . والجلة : العظام الـكبار ، جمع جليل ، كصبى وصبية .

وقال الهذلي[١] :

وليــلة يصطلي بالفرث جازرُها يختصُّ بالنقرَى المُثْرِينَ داعيها[٢]
لاينبح الـكلبُ فيها غيرَ واحدةٍ من الشِّتاء ولا تَسرِي أفاعيها[٣]

وفي الجَمَدِ والبرد والأزمات[٤] يقول الـكميت :

وفي الســنةِ الجمادِ يكون غيثاً إذا لم تعط دِرَّتها الغضوبُ[٥] ٢٧
ورُوِّحت اللِّقــاحُ مُبْهَلَاتٍ ولم تُعْطَف عَلَى الرُّبَعِ السَّلوبُ[٦]

---

(١) وكذا سبقت هذه النسبة في (١ : ٣٨٨) و(٢ : ٧٢) . لكن البيت الأول في قصيدة لعمرو بن الأهتم في حماسة ابن الشجري ؛ ونسبت في مجموعة المعاني ١٩٠ إلى أخت عمرو ذي الـكلب . واسمها جنوب ، أو ريطة . وقد سبقت ترجمة عمرو في (٢ : ١٨٥). وانظر أشعار الهذليين ص ٢٤١ . فيكون الجاحظ أراد بالهذلي شاعرا أو شاعرة من هذيل . والبيتان كذلك في قصيدة منسوبة إلي هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائد بن عمران بن مخزوم ، قالها يوم أحد . وهي من شعر المشركين . وقد رد عليه حسان بن ثابت وكعب بن مالك بشعر آخر . انظر سيرة ابن هشام ٦١١ — ٦١٦ جوتنجن .

(٢) الفرث : سرقين الـكرش . انظر درة الغواص ١٠١ . يريد أن الجازر لشدة البرد يدخل يده في الـكرش ليدفأ . انظر الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (٢ : ٣٠٠) . والنقرى ، بالتحريك: الدعوة الخاصة . والجفلى ، بالتحريك أيضاً : الدعوة العامة. هـ ، سه : « بالنفر » محرف . هـ « المثريز » تحريف .

(٣) إنما يخرس الـكلب إفراط البرد وإلحاح المطر . والشتاء ، هو في الأصل . « العشاء » وتصحيحه من الجزء الأول . والرواية في الثاني : « من الصقيع » . والصقيع : ما ينزل من السماء بالليل ، شبيه بالثلج . وفي مجموعة المعاني : « حتى الصباح » .

(٤) الجمد ، بالتحريك : الثلج . والأزمات : جمع أزمة . وفي الأصل : « الأزمان » وهو تحريف سبق إصلاح نظيره في (٤ : ٤٦٦ س ٧) .

(٥) سنة جماد ، بالفتح : لا مطر فيها . والغضوب : الناقة العبوس .

(٦) روحت : روحها رعيانها وقت الرواح . وفي الأصل : « زوجت » . والمبهلات : التي أبهلت ، أي أهملت وتركت . ومثلها « المعبهلات » . والربع ، بضم ففتح : الفصيل ينتج وقت الربيع . والسلوب : الناقة فقدت ولدها .

وكانَ السَّوفُ للفتيانِ قوتاً ... تعيشُ به وهُيِّبت الرقوبُ[١]

وفى هذه القصيدة يقول فى شدة الحر :

وخَرْقٍ تعزف الجِنَّانُ فيه ... لأفئدةِ الكُماةِ لها وَجيب[٢]

قطعتُ ظلامَ ليلته ويوماً ... يكاد حَصَى الإكام به يذوب[٣]

وقال آخر لمعشوقته :

وأنتِ التى كلفتنى البرد شاتياً ... وأوردِتنيه فانظرى أى موردِ

فما ظنك ببرد يؤدِّى هذا العاشقَ إلى أن يجعل شدَّته عذراً له فى تركه الإلمام بها . وذلك قوله فى هذه القصيدة[٤] :

فياحسنها إذ لم أعُجْ أن يقالَ لى ... تروَّحْ فشيعنا إلى ضحوة الغدِ[٥]

فأصبحتُ مما كان بينى وبينَها ... سوى ذكرها كالقابض الماءَ باليد

ومما يقع فى الباب قبل هذا[٦] ، ولم نجد له باباً قول مسكين الدَّارِمىّ[٧] :

---

(١) السوف ، بفتح السين : من قولهم « فلان يقتات السوف : أى يعيش بالأماني » . انظر اللسان (١١ : ٦٥ س ٢٣ — ٣٤) . وفى الأصل : « السرف » بالراء ، صوابه فى الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٩٩) وروايته : « وكان السوف للفتيات فوقا » وفيها تحريف . « تعيش » هى فى الأصل و « يعيش » تصحيحه من المصدر السابق . وفى الأزمنة أيضاً : « وهنيت الرقوب » . والرقوب ، بفتح الراء : هى التى لا تدنو إلى الحوض من الزحام ، وذلك لكرمها .

٢ الخرق ، بالفتح : الفلاة الواسعة تنخرق فيها الريح . والجنان : الجن واحده جان كحائط وحيطان . وعزيفها : تصويتها . والوجيب : الخفقان والاضطراب .

(٣) أراد باليوم هنا ما بين طلوع الشمس إلى غروبها . وقد يراد باليوم الوقت مطلقاً . ولا يختص بالنهار دون الليل .

(٤) فى الأصل : « وترك هذه القصيدة قوله » .

(٥) يقال : أى تقول هى أو صواحباتها . يعجب مما أضاء عليها الحسن فى ذلك الحين . عاج بالمكان يعوج : أقام ، أو عطف عليه ومال ، أو ألم به .

(٦) س « الباب الذى قبل هذا » .

(٧) مسكين ، لقب غلب عليه . واسمه ربيعة بن عامر بن أنيف ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان شاعراً سيداً ، هاجى الفرزدق . وكان أسود اللون قليل المال ، خطب =

وإني لأقومُ عَلَى قَناتى[١] أسبُّ الناسَ كالكَلْب العقور
وإني لا أحـلُّ ببَطن وادٍ ولا آوِى إلى البيتِ القصير[٢]
وإنى لا أحاوِص عِقْدَ ناد ولا أدعو دُعائى بالصفير[٣]
ولستُ بقائل للعَبْدِ أوقِدْ إذا أوْقَدْتَ بالعُودِ الصَّغيرِ

ولو تأملتَ دخان أتُّون واحد ، من ابتدائه إلى انقضائه ، لرأيت فيه الأسود الفاحم ، والأبيض الناصع .

والسواد والبياض ، هما الغاية في المضادَّة ، وذلك عَلَى قدر البخار والرطوبات . وفيما بينهما ضروب من الألوان .

وكذلك الرماد ، منه الأسود ، ومنه الأبيض ، ومنه الأصهب ، ومنه الحصيف[٤] . وذلك كله على قدر اختلاف حالات المحترق وجواهره .

فهذا بعضُ ما قالوا فى البرد .

= فتاة من قومه فكرهته ، وتزوجت من بعده من قومه ذا يسار ، ولكنه مهزول النسب ، فر بها يوما فأنشد :

أنا مسكين لمن يعرفنى لوني السمرة ألوان العرب

وقد تحدث كثيراً عن لقبه هذا فى شعره . وفى الأغاني (١٨ : ٦٨ – ٧٢) ست إشارات إلي هذا المعني .

(١) المراد بالقناة هنا ، العصا : وفى اللسان « كل عصا مستوية فهى قناة ، وقيل كل عصا مستوية أو معوجة » . وكانوا يعتمدون عليها فى الخطب والمساجلات . وقد عقد لها الجاحظ بابا مسهباً فى البيان (٣ : ٢ – ٧١) .

(٢) كان العرب يحلون التلاع وأشراف الأرض ، ليراهم الضيف .

(٣) يقال : هو يحاوص فلانا أى ينظر إليه بمؤخر عينيه ويخفى ذلك . ط ، ﻫ : « لا أخاوص » س : « لأحاوص » صوابهما ما أثبت . والنادى : مجلس القوم حيث يجتمعون . وعنى بالعقد هنا جماعتهم . وقد تكون : « عقر » . والعقر ، بالضم : محلة القوم بين الدار والحوض . والصفير : التصويت بالفم والشفتين ، وهو أخفى للصوت .

(٤) الصهبة : أصلها فى الشعر أن تعلوه حمرة وأصوله سود . وأما « الحصيف » فلم نجد له وجها فى الألوان ، وفى ﻫ « الحصف » محرفتان . وأقرب ما يصحف إليه : « الغضب » ، وهو الأحمر الشديد الحمرة . أنشد ثعلب :

أحمر غضب لا يبالي ما استقى لا يسمع الدلو إذا الورد التقى

(بعض ما قالوا فى صفة الحر)

وسنذكر بعض ما قالوا فى صفة الحر . قال مضرِّس[1] بن زُرارة ابن لقيط :

ويوم من الشِّعرى كأنّ ظباءه كواعبُ مقصورٌ عليها ستورُها[2]
تدلّت عليها الشمسُ حتى كأنه من الحر يُرمى بالسكينة نورُها[3]
٢٧ سجوداً لدَى الأرْطَى كأن رءوسها علاها صداعٌ أوفوَالٍ يصُورها[4]

وقال القطامىُّ :

(١) مضرس ، كمحدث ، آخره سين . وقد سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٥٩) . وفى الأصل : « مضر » تحريف . والبيت الأول والثاني فى النقائض ١٦١ والأزمنة والأمكنة للمرزوقى (٢ : ١٦١) مع تركيب صدر البيت الثاني على عجز البيت الثالث . والبيت الثانى في اللسان (٧ : ١٠٣) ، والثاني والثالث فى الألفاظ لابن السكيت ٥٥٢ .

(٢) الشعرى : نجم يطلع فى شدة الحر . ورسمت بالألف فى الأصل وفى النقائض والأزمنة والأمكنة . كواعب : جمع كاعب : وهى الجارية قد نهد ثديها . وفي الأصل : « كواكب » صوابه فى المصدرين السابقين .

(٣) فى الأصل : « عليه » صوابه من جميع المصادر السابقة ، والضمير للظباء . وأما ضمير : « كأنه » فهو ضمير الشأن . ويروى فى الألفاظ واللسان : « كأنها » وفى النقائض والأزمنة : « كأنما » . والسكينة : السكون . وفى الأصل : « بالسفينة » صوابه من المراجع . والنور : جمع نوار ، كسحاب ، وهى النفور من الظباء والوحش . قال التبريزى : « يصف ظباء قد دخلت الكنس من شدة الحر ، وقد منعها ما تجد من الحر أن تتصرف ، فقد استبدلت بالنفار السكون » .

(٤) سجودا : مائلات الأعناق مطأطئات الرؤوس . ط ، س : « سجود » بالرفع . وفى الألفاظ « سمودا » ، قال التبريزى . « السمود : التي لاتتحرك . ويقال للمتحير الدهش الذى لايدري ما يصنع : سامد » . والأرطى : شجر تتخذ الظباء فى أصوله كنسها . فوال : جمع فالية للتى تفلي الرأس . ط ، س : « قوار » ه « قوال » وأثبت صوابه من المصادر السابقة . يصورها : يميلها . وهى رواية الأصل والنقائض والأزمنة . ورواية الألفاظ فقط : « تصورها » . ولكل وجه . شبه رءوسها حين دلتها برؤوس قد أخذها الصداع أو برءوس قد أخذتها الفوالى .

فهن معترضاتٌ والحصى رمِضٌ والريحُ ساكنةٌ والظلُّ معتدلُ (١)
حتى وردْن رِكيّات الغُوَير وقد كاد المُلاءُ من الكتّان يشتعلُ (٢)

وقال الشماخ بن ضِرار :

كأن قُتودى فوق جأْب مطرّد من الحُقب لاحتْه الجداد الغوارز (٣)
طوى ظمأها فى بيضةِ القيْظ بعدَ ما جرَت فى عِنان الشِّعرَيين الأماعزُ (٤)
وظلت بِيمْؤُودٍ كأن عيونَها إلى الشَّمس هل تدنو، ركىٌّ نواكزُ (٥)

---

(١) هن : يعني النوق . معترضات : يسرن عرضاً من المرح . رمض : من الرمضاء ، أى حار . معتدل : أى حين استوى نصف النهار . وعنى أنها تحافظ على نشاطها فى مثل هذا الوقت العصيب الذى يخمد فيه كل نشاط .

(٢) بين هذا البيت وسابقه أربعة أبيات أخرى فى الديوان ص ٤ . الركيات : جمع ركية ، وهى البئر . والغوير : موضع . ورواية الديوان : « العَوير » لكن فى شرحه : « الغوير بلد » . والملاء جمع ملاءة . ط ، ه : « البلاء » صوابه فى س والديوان . والكتان : نبت معروف . وفى شرح الديوان : « يعنى بالكتان ها هنا القطن . والكتان يشتعل من شدة الحر » وليس بشيء . ونظير هذا المعنى قول القلاخ فى مجموعة المعاني ١٣٣ وأراجيز العرب ١٢١ :

وبلد أغبر مخشي العطب يضحى به موج السراب يضطرب
لو قذف الكتان فيه لالتهب قطعت أحشاه بسير منجذب

(٣) الجأب : الحمار الغليظ . مطرد : تطارده الحمر . والحقب : جمع أحقب وهو الذى فى بطنه بياض . لاحته : ضمرته . الجداد : جمع جدود ، بالفتح ، وهى الأتان القليلة اللبن من غير عيب . والغوارز : جمع غارز وهى القليلة اللبن . أراد أن ضرابه لتلك الأتن ضمره وهزله . ه ، س : « من الحف » و : « الحجار » . ه فقط : « الفوارز » وهو تصحيف صوابه فى الديوان ٤٣ .

(٤) الظمء ، بالكسر : ما بين الشربتين . وبيضة القيظ : شدة حره . والشعريان : نجمان ، وهما الشعرى العبور ، والشعرى الغميصاء . وإنما تطلع الشعرى فى شدة الحر . والأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الحزنة الغليظة ، يقول : طوى هذا الحمار ظمء أتنه ، فلم يوردها لأخذه فى العدو ، وقد جرت الأماعز ، أى اضطرب سرابها ، فى ذلك الوقت من القيظ . وقد أورد المبرد هذا البيت فى الكامل ٤٥٠ ليبسك ، مستشهدا به على تورع الأصمعى عن تفسيره ، لأن فيه شيئا يتعلق بالأنواء .

(٥) يمؤود : موضع . هل تدنو : أى تقرب من الغروب . وذلك أن العير إنما يوردها عند الغروب . انظر المفضليات (٣٨ : ١١) طبع المعارف . والركى ، بضم الراء وفتحها : جمع ركية ، وهى البئر . والنواكز : جمع ناكز ، وهى التى قل ماؤها أو ذهب . س ، ه : « رعى » صوابه فى ط والديوان .

ولهذه الأبيات كان الحطيئة والفرزدق يقدِّمان الشماخَ بغاية التقديم .

وقال الراعى :

ونار وديقــة فى يوم هَيْجٍ من الشِّعرى نصبْتُ لها الجبينا(١)
إذا مَعزاء هاجــرةٍ أرنَّتْ جَنادبُها وكان العيسُ جُونا(٢)

وقال مسكينٌ الدارمىّ(٣) :

وهاجرةٍ ظلت كأن ظباءها إذا ما اتقَّتها بالقرون سجودُ(٤)
تلوذُ لشُؤبوب من الشَّمس فوقَها كما لاذَ من حَرِّ السِّنان طريدُ(٥)

وقال جرير(٦) :

وهاجدِ مَوْماةٍ بعثْتُ إلى السُّرى ولَلنَّومُ أحلى عِنده من جَنَى النَّحلِ(٧)

---

(١) الوديقة : حر نصف النهار أشد ما يكون . ويوم هيج : أى يوم ريح . نصب جبينه : رفعه ولم يبال الحر . وضمير : « لها » عائد إلى النار . وهى كذلك رواية المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٨٧) . وفي اللسان : (هيج) : « له » بعود الضمير إلى « يوم » .

(٢) المعزاء كالأمعز : الأرض الحزنة الغليظة . والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر. أرنت الجنادب : صوتت . وفى الأصل : « أرثت » . ولا وجه له ، وقد سبق مثل هذا التحريف فى (٤ : ٤٨٦) . ورواية س : « جنادبه ». والجندب : ضرب من الجراد (Grasshopper) ، وهو إذا رمض فى شدة الحر لم يقر على الأرض وطار فتسمع لرجليه صريرا . وانظر (٣ : ٣٩٩ ، ٤ : ١٠٧) .

(٣) سبقت ترجمته ص ٧٦ . والبيتان فى مجموعة المعاني ١٩٠ .

(٤) ط : « صليت » س ، هـ : « صلت » وصوابه فى مجموعة المعاني ، أى أن الظباء حين تتقى حر الهاجرة بقرونها تحكي فعل الساجد .

(٥) تلوذ : أى تلجأ ، أراد تلجأ إلى الظلال ، لما أصابها من شآبيب الشمس . وأصل الشآبيب المطر ، وهى الدفعات منه . وفى مجموعة المعاني « بشؤبوب » وتصح بجعل الباء للسببية .

(٦) من قصيدة له فى ديوانه ٤٦٠ — ٤٦٥ والنقائض ١٥٨ — ١٦٧ يهجو بها البيعث والفرزدق ، أولها :

عوجى علينا واربعى ربة البغل ولا تقتليني لا يحل لكم قتلى

(٧) الهاجد من الأضداد ، يقال للنائم والساهر . وفى الأصل : « هاجر» صوابه فى الديوان ومجموعة المعاني ١٣٢ . والموماة : المفازة الواسعة الملساء . وجنى النحل : عسلها .

يكون نزولُ الركب فيها كَلاَ وَلاَ غِشَاشاً ولا يدنون رَحْلاً إلى رَحْلِ (١)
ليوم أتتْ دون الظلال سَمُومُه وَظَلَّ المَهَا صُوراً جماجمها تَغْلِي (٢)

وفيها يقول جرير :

تمنَّى رجال من تميم لى الرَّدى وما ذَادَ عن أحسابهم ذائدٌ مثلى (٣)

(احتجاج النظام للكمون)

وقال أبو إسحاق : أخطأ من زعم أن النار تصعدُ فى أول العود ، وتنحدر وتغوص فيه ، وتظهر عليه ، وتأخذ منه عَرَضاً (٤) .

وقال : العود ، النار فى جميعه كامنة ، وفيه سائحة ، وهى أحد أخلاطه (٥) . والجزء الذى يُرى (٦) منها فى الطرَف الأول ، غير الجزء الذى فى الوسط

(١) كلا ، أى مثل لا فى القلة ، أو سرعة النطق بها ، والعرب إذا أرادوا تقليل مدة فعل أو ظهور شيء خفى قالوا : كان فعله كلا . وربما كرروا فقالوا كلا ، ولا . وربما قالوا . كلا وكذا . قال الكميت (اللسان ٢٠ : ٣٥٧) :

كلا وكذا تغميضة ثم هجتم لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا

وقال ذو الرمة :

أصاب خصاصة فبدا كليلا كلا وانغل سائره انغلالا

وقال الراعى (اللسان ٥ : ٤٥) :

فلبثها الراعى قليلا كلا ولا بلوذان أوما حللت بالكراكر

وانظر الشريشى (٣ : ٢٣٤) . وفى الأصل : « كلاؤها » محرف . والغشاش ، بالكسر والفتح : العجلة ، وفى الأصل « عشاشاً » محرف .

(٢) دون الظلال : أى قريباً منها . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة . والمها : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية ، ورسمت فى الأصل بالياء ، وأصلها واوى . صورا : جمع أصور ، وهو المائل العنق . سـ : « جاجمه » .

(٣) الردى : الهلاك . ورسم فى الأصل بالألف ، وأصله الياء . والرجال الذين عنى هم : الفرزدق ، والبعيث ، وعمر بن لجأ ، وغسان السليطى ، والمستنير بن عمرو . انظر النقائض . ذاد : دفع وحامى . سـ : « زائد » محرف .

(٤) فى الأصل : «غرضاً» بالمعجمة .

(٥) فى الأصل : « أخلاطها » .

(٦) فى الأصل : « الذى لا يرى » و « لا » مقحمة تفسد الكلام .

و[الجزء الذى فى الوسط[١]] غير الجزء الذى فى الطرف الآخر . فإذا احتكّ الطرَف فحمىَ زال مانعه ، وظهرت النار التى فيه . وإذا ظهرت حَمِىَ لشدة ٢٩ حرها الموضعُ الذى يليها ، وتنحَّى أيضا مانعه . وكذلك الذى فى الطرَف الآخر ولكن الإنسان إذا رأى النار قد اتصلت فى العود كله ، وظهرت أولا فأوّلا ، ظن أن الجزء الذى كان فى المكان الأول قد سَرَى إلى المكان الثانى ، ثم إلى المكان الثالث . فيخبرُ عن ظاهر ما يرى ولا يعرف حقيقة ما بطن[٢] من شأنها .

وقال أبو إسحاق : ولو كانت العيدان كلها لانار فيها ، لم يكن سرعةُ ظهورِها من العراجين ، ومن المرْخِ والعَفار[٣] ، أحقّ منها بعودِ العُنّابِ[٤] والبَرْدىِّ[٥] وما أشبه ذلك . لكنها [لمّا[٦]] كانت فى بعض العيدان أكثر ، وكان مانعها أضعفَ ، كان[٧] ظهورها أسرع ، وأجزاؤها إذا ظهرت أعظمَ . وكذلك ما كَمَنَ منها فى الحجارة . ولو كانت أجناس

(١) هذه الزيادة الضرورية من هـ .

(٢) ط : « يطن » سهـ : « يظن » صوابهما فى هـ .

(٣) المرخ والعفار ، بفتح أولها : شجران يتخذ منهما زناد القدح . والعرب تضرب بهما المثل فى الشرف العالي ، فتقول : « فى كل الشجر نار ، واستمجد المرخ والعفار » .

(٤) العناب ، كرمان ، شجر يقارب الزيتون فى الارتفاع والتشعب لكنه شائك جداً وورقه مزغب من أحد وجهيه ، يثمر العناب الأحمر الحلو . وبه يشبه الشعراء بنان الغيد . وكنت فى ريب من صحة هذه الكلمة إلى أن وجدت فى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٤٨ س ٢٣) : « عن ابن عباس : ليس شجر إلاوفيه نار ، إلاالعناب » .

(٥) البردى ، بفتح الباء : هو « الحفأ » ، تصنع منه الحصر المعروفة فى مصر بالأكياب وفى أصله حلاوة كالقصب ، ويصنع القرطاس المصرى منه ومن لعاب البشنين بالطبخ والمد . تذكرة داود الأنطاكى . وفيها « الحلفاء » تصحيف ، إنما هى « الحفأ » . انظر اللسان (حفأ) والمخصص (١١ : ١٦٦ ، ١٦٧) . وأما الحلفاء فقال داود نفسه : إنه يقوم مقام البردى فى عمل الحصر والأحبال .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) فى الأصل : « وكان » ، والوجه حذف الواو .

الحجارة مستوية فى الاستسرار[١] فيها ، لما كان حجرُ المرْوِ أحقَّ بالقَدْح إذا صُكّ بالقدَّاحةِ ، من غيره من الحجارة ، ولو طال مُكثُه فى النار ، ونُفِخَ عليه بالكير .

ولِمَ صار لبعض العيدان جَمْرٌ باق ، ولبعضها جمر سريع الانحلال ، وبعضها لا يصير جمرا ؟ ولِمَ صار البَرْدىّ[٢] مع هَشَاشته[٣] ويبسه ورخاوته ، لا تعمل فيه النيران ؟ ولذلك إذا وقع الحريق فى السُّوق سَلِمَ كل مكان يكون بين أضعاف البردى . ولذلك ترى النار سريعة الانطفاء فى أضعاف البردىّ ، ومواضعِ جميع اللِّيف .

وقال أبو إسحاق : فلِمَ اختلفتْ[٤] فى ذلك ؟ إلا عَلَى قدر ما يكونُ فيها من النار ، وعَلَى قدر قوة الموانع وضعفها .

ولم صارت تُقدَح عَلَى الاحتكاك حتى تلهبت[٥] ، كالساج[٦] فى السفن[٧] إذا اختلط بعضه ببعض عند تحريك الأمواج لها ؟ ولذلك أعدُّوا لها الرجالَ لتَصُبّ من الماء صَبًّا دائما . وتدوِّم الريحُ فتحتك عيدان الأغصان فى الغياض ، فتلتهب نار[٨] فتحدثُ نيران .

---

(١) الاستسرار ، بمعنى الكمون ، وفى الأصل ، « الاسرار » .

(٢) ط : « البرى » صوابه فى س ، هـ .

(٣) الهشاشة : الرخاوة والضعف . وفى الأصل : « مشاشته » بالميم محرف .

(٤) فى الأصل : « اختلف » .

(٥) فى هـ : « تلهب » .

(٦) الساج : شجر يعظم جدا ويذهب طولا وعرضاً ، وله ورق أمثال التراس الديلمية يتغطى الرجل بورقة منه فتكنه من المطر ، وله رائحة طيبة ، وهو من أشجار الهند .

(٧) السفن : جمع سفينة . وهى فى الأصل : « السفر » بالراء .

(٨) س : « ناراً » بالنصب .

ولِمَ صار العود يحمى إذا احتكّ بغيره ؟ ولِمَ صار الطّلْقُ [1] لايحمى ؟ فإن قلت لطبيعة هناك ، فهل دللتمونا إلا عَلَى اسم علّقتموه عَلَى غير معنًى وجدتموه ؟ أوَلسنا قد وجدنا[2] عيون ماء حارة[3] وعيون ماء بارد ، بعضها يبرص[4] ويُنْفط[5] الجلد ، وبعضها يُجمِدُ الدمَ ويورث الكُزَاز[6] ؟أ ولسنا [قد[7]] وجدنا [عيون ريح ، و[8]] عيون نار ؟[9] فلِمَ زعمتم أن الريحَ والماء كانا مختنقين[10] فى بطون الأرض ، [و[11]] لم تجوزوا لنا مثل ذلك

---

(١) الطلق ، بالتحريك : حجر يتشظى إذا دق ، صفائح بيضاً رقاقا لها بصيص وبريق يتخذ منه مضاوى للحمامات بدلا من الزجاج . ويقال : « طلق » بالفتح ، أوهو لحن . وهو بالفارسية : « تلك » أو « تلك » وبالأوربية العلمية Talc أو Talcum متعادل مركب من (سليكات المغنيسيوم) . ومسحوقه تطلى به البشرة فيحفظها .

(٢) س : « أو لسنا نجد » .

(٣) ط ، ه : « عيون ريح وعيون ماء حارة » وهو اضطراب . وفى ه بعده : « وعيون نار » وذلك باسقاط الكلام من « ماء بارد » إلى كلمة « نار » التالية .

(٤) يبرص : يصيب بالبرص ، أبرصه : جعله أبرص . ولا يزال مثل هذا الزعم فاشيا بين العوام عندنا فى مصر : أن من استعمل الماء المحمى بحرارة الشمس يصاب بالبرص. وفى الأصل : « البيض » . ولا وجه له .

(٥) أنفطه : أصابه بالنفطة ، وهى فى أصلها بثرة تخرج فى اليد من العمل ملأى ماء . ط : « ينطف » وأثبت ما فى س ، إذ أن النطف أمر معنوى ، وهو أن يلطخه بعيب ويقذفه به . وفى عجائب المخلوقات ١٦٨ عند ذكر (عيون دوارق) : « ومن طف فيها يحترق جميع بدنه ويتنفط » .

(٦) فى الحديث : «أن رجلا اغتسل فكزفات » . الكزاز ، بالضم : داء يأخذ من شدة البرد ، وهو تشنج يصيب الإنسان .

(٧) هذه الزيادة من س

(٨) هذه الزيادة من س . وعيون الريح هذه ناشئة من احتباس بعض الأبخرة الناجمة عن تحلل مواد عضوية فى باطن الأرض فتتجمع حتى إذا ضاق بها المكان اندفعت وشقت طريقا لها إلى ظاهر الأرض ، وقد بدت هذه الظاهرة الطبيعية فى أيامنا هذه في بلدة « ميت الشيوخ » من أعمال فارسكور ، انظر الصحف المصرية الصادرة في القاهرة من ٢٦ رجب إلى ٢٦ شعبان سنة ١٣٦١ .

(٩) عيون النار ، هى ما يسمونها : « البراكين » . والبركان عامية مأخوذة من : Volcano .

(١٠) ط : « مختفيين » ، ووجهه ما أثبت من س ، ه .

(١١) ليست فى الأصل .

فى النار ؟ وهل بين اختناق(١) الريح والماء فرق ؟ وهل الريح إلا هواءٌ تحرّكَ ؟ وهل بين المختنق والساكن فرْق ؟

وزعم أبو إسحاق : أنه رمى بردائه فى بئر النبى صلى الله عليه وسلم التى من طريق مكة(٢) ، فردّته الريح عليه .

وحدّثنى رجل من بنى هاشم قال : كنت بِرامة(٣) ، من طريق مكة فرميت فى بئرها ببعرة(٤) فرجعت إلىّ ، ثم أعدتُها فرجعَتْ ، فرميْت بحصاة فسمعتُ لها حريقاً(٥) وحفيفا(٦) شديداً وشبيها بالجولان ، إلى أن بلغَتْ قرار الماء .

وزعم أبو إسحاق أنه رأى عين نار فى بعض الجبال ، يكون دخانُها نهاراً وليلا . أوليس الأصل الذى بُنى(٧) عليه أمرُهم : أن جميع الأبدان

---

(١) ط : « اختلاف » تحريف .

(٢) جاء فى شفاء الغرام للفاسي (مجموعة تواريخ مكة ص ١٢٢ طبع ليبسك ١٨٦١) « ومنها بئر يقال لها : بئر النبى . والناس يستشفون بمائها . ولعلها — والله أعلم — السنبلة ، بئر خلف بن وهب الجمحى التي ذكرها الأزرق وقال : يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم بصق فيها ، وأن ماءها جيد من الصداع » . وانظر أخبار مكة للأزرق (٢ : ١٧٧) . ومن الآبار التى رووا أن النبى بصق فيها : « بئر بضاعة » بضم الباء . و« بئر غرس » . وكلاهما بالمدينة . انظر معجم البلدان فى رسمى (بضاعة ، غرس) وكذلك عجائب المخلوقات (في الفصل الذى عقده للآبار) .

(٣) رامة : منزل بينه وبين الرمادة ليلة ، فى طريق البصرة إلى مكة .

(٤) س ، ه : « ببعر » .

(٥) الحريق ، بفتح الحاء المهملة : مصدر حرق الانسان وغيره نابه : أى سحقه من الغيظ والغضب . ومثله الصريف ، وهو صوت الأنياب والأبواب . وذلك الصوت الذى سمعه من الحصاة إنما هو لدفع الهواء إياها إلى أعلى ومحاولتها هى النزول . وفى الأصل : « خريقا » بالخاء المعجمة . وهو تحريف .

(٦) الحفيف : صوت الريح فى كل ما مرت به ، ودوى جرى الطائر والفرس ونحوهما س : « خفيقا » محرف .

(٧) س : « يبني » .

من الأخلاط الأربعة : من النار ، والماء ، والأرض ، والهواء ؟ ! فإذا رأينا موضعا من الأرض يخرج منه ماء قلنا : هذا أحد[١] الأركان ؛ فما بالُنا إذا رأينا موضعا من الأرض يخرج منه نار لم نقل مثل ذلك فيه ؟

ولِمَ تقول[٢] فى حجر النار إنه متى وُجد أخف من مقدار جسمه من الذهب والرّصاص[٣] والزئبق ، إنما هو لما خالَطَه من أجزاء الهواء الرّافعة له ؟ وإذا وجدناه أعْلَكَ عُلوكة ، وأمتَنَ متانة ، وأبعد من التهافُتِ جعلنا ذلك لما خالطه من أجزاء الماء . وإذا وجدناه ينفض[٤] الشرر ، ويُظهرُ النار جعلنا ذلك للذى خالطه [من الهواء[٥]] ؟ ولِمَ جعلناه إذا خفّ عن[٦] شىء بمقدار جسمه[٧] ، لما خالطه من أجزاء الهواء ، ولا نجعله كذلك لما خالطه من أجزاء النار ؟! ولا سيما إذا كانت العينُ تجِدُه يقدَح بالشرر ، ولَمْ تجْرِ أجزاء الهواء فيه عندنا عِيانا . فلِمَ أنكروا ذلك ، وهذه القصةُ توافقُ الأصل الذى بنَوْا عليه أمرهم ؟

قال : أو ليس من قوله أنه لولا النيرانُ المتحركة فى جوف الارض ، التى منها يكون البُخَارُ ــ الذى بعضه أرضىٌّ وبعضه[٨] مائىٌّ ــ لم يرتفعْ ضبابٌ ، ولم يكن صواعق[٩] ولا مطرٌ ولا أنداء[١٠] .

---

(١) ط : « أحدث » صوابه فى س ، هـ .
(٢) فى الأصل : « ولم لا تقول » . وكلمة « لا » مقحمة .
(٣) ط ، هـ : « أو » .
(٤) ينفض الشرر ، يطايره . وفى الأصل : « ينقض » بالقاف .
(٥) ليست بالأصل . وبها يلتئم الكلام .
(٦) فى الأصل : « من » .
(٧) أى عن شىء هو فى قدر جسمه . وفى الأصل : «لمقدار جسمه» باللام .
(٨) فى الأصل : « بعضها » فى الموضعين . والوجه ما أثبت . والضمير للبخار . والمراد بالبخار الأرضى ما ينجم من الأرض الرطبة ، والمائى ما يصعد من المياه .
(٩) صواعق : جمع صاعقة . وفى الأصل : « صدا » . وانظر الصفحة التالية .
(١٠) أنداء : جمع ندى ، وهو الماء يتجمع على الزهر ونحوه . وفى الأصل : « نداء » .

(الصواعق وما قيل فيها)

ومتى كان البخار حارًّا يابسا قَدَحَ وقَذَفَ بالنار التي تسمى «الصاعقة» ، إذا اجتمعت تلك القوى في موضع منه . فإن كانت القوى ريحا كان لها صوتٌ[(١)] ، وإن كانت ناراً كانت لها صواعقُ . حتى زعم كثير من الناس [أن بعض السيوف من نيران الصواعق[(٢)]] ، وذلك شائع على أفواه الأعراب والشعراء . قال أبو الهوْل الحِميْريّ[(٣)] :

حاز صَمْصَامَةَ الزُّبيديّ منْ بيـــن جميعِ الأنامِ موسى الأمينُ[(٤)]

سيفُ عمرو ، وكانَ فيما سَمِعنا خيرَ ما أُطبِقَتْ عليه الجُفونُ[(٥)]

---

(١) يريد به صوت الرعد .

(٢) هذه التكملة من حواشي ثمار القلوب ٤٩٩ . وقد صرح البيروني في الجماهر ٢٤٦ بأن أهل الغزية وطبرستان ينسبون ما يجدونه في باطن الأرض من المزاريق والحراب النحاسية « إلى النزول من السماء بالصواعق » .

(٣) تقدمت ترجمته في (١ : ٢٦٠) وله مدائح في المهدى والهادى والرشيد والأمين . والأبيات التالية في ثمار القلوب ٤٩٨ ومروج الذهب (٢ : ٢٦٢) وإعجاز القرآن ١٩٠ وابن خلكان (٢ : ٢٠٤ — ٢٠٥) والشريشي (٢ : ٤٠٢) قال الثعالبي : « وذكر أبو هفان أن صاحب هذه القصيدة (ابن) يامين البصرى » . وقد اعتمد هذه النسبة ابن خلكان .

(٤) الصمصامة : سيف عمرو بن معديكرب الزبيدي ، وكان حسن الاستعمال له في الجاهلية كثير العناية به في الاسلام ، وقد وهبها عمرو لسعيد بن العاص عامل رسول الله على اليمن ، فلم يزل في آل سعيد إلى أيام هشام بن عبد الملك فاشتراه خالد القسرى بمال خطير ، وأنفذه إلي هشام ، وكان قد كتب إليه فيه . فلم يزل عند بنى مروان حتى زال الأمر عنهم ، ثم طلبه السفاح والمنصور والمهدى فلم يجدوه . وجد الهادى في طلبه حتى ظفر به ، فجرده ودعا بمكتل من دنانير وقال لحاجبه : إيذن لمن بالباب من الشعراء . فلما دخلوا أمرهم أن يقولوا فيه ، فقالوا وأطالوا ولم يأتوا بطائل ، فقام أبو الهول وأنشد قصيدته ، فقال الهادى : السيف لك والمكتل ! فأخذهما . وفي مروج الذهب أن الهادى اشتراه بعد ذلك بخمسين ألفا . وموسى هو الخليفة الهادى بن المهدى . توفى سنة ١٧٠ وله خمس وعشرون سنة .

(٥) جمع جفن ، وهو قراب السيف . ورواية ابن خلكان والثعالبي : « أغمدت »

أوْقَدَتْ فوقهُ الصواعقُ ناراً ثم ساطتْ به الزُّعافَ المَنُونُ(١)

وقال منهم آخر :

يكفيك من قَلَعِ السماء عقيقةٌ فوق الذِّراع ودون بَوْع البائعِ (٢)

قال الأصمعىّ : الانعقاق : تشقُّق البرق . ومنه وصف السيف بالعقيقةِ .

وأنشد(٣) :

٣١ وسيفى كالعقيقةِ وهو كِمْعِى (٤)

وقال الأخطل :

وأرَّقَنِي من بعد ما نِمْتُ نَوْمَة وعَضْبٌ إباطى كالعقيق يَمَاني (٥)

---

(١) السوط : الخلط . و الزعاف : السم السريع القتل . ورواية ابن خلكان : « شابت فيه الزعاف القيون » .

(٢) القلع ، بالتحريك : جمع قلعة بفتحتين ، وهى السحابة الضخمة . وأراد بالعقيقة السيف . فوق الذراع : أى طوله فوق الذراع . وباع يبوع بوعا : بسط باعه . و الباع : قدر مد اليدين وما بينهما من البدن . والبائع : من يبسط باعه . وفى الأصل « الباع » تحريف ، لأن بعده كما فى الجماهر ٢٥٠ وقد أنشده صاحب اللسان فى (٧ : ٣٩٤) :

صافى الحديدة قد أضر بجسمه طول الدياس وبطن طير جائع

(٣) القائل هو عنترة العبسى من قصيدة له فى ديوانه ١٠٨ — ١١٠ يهجو بها عمارة بن زياد العبسى .

(٤) الكمع ، بالكسر : أصل معناه الضجيع ، وأراد به الملازم . وتمام البيت :

سلاحى لا أفَلَّ ولا فُطَارا

الأفل : المتثلم . والفطار ، بالضم : الذى فيه صدوع وشقوق . والبيت فى اللسان (عقق ، كمع ، فلل ، فطر) .

(٥) العضب : السيف القاطع . إباطى : أى تحت إبطى . ونحوه قول المتنخّل الهذلي (اللسان ٩ : ١٢١ ، ١١ : ٢٩) :

شربت بجمه وصدرت عنه وأبيض صارم ذكر إباطى

والعقيق ههنا : البرق . ولم تذكر المعاجم فى هذه المادة بهذا المعنى إلا « العقيقة » ، و « العقق » بضم ففتح . ورواية الديوان ٢٣٤ : « وعضب جلت عنه القيون يماني » .

وَنذكرُ بعونِ اللهِ وتأييده جُمْلَةً مِنَ القَولِ فى الماء ثمَّ نصير إلى ذكر ما ابتدأنا به ، من القول فى النار

ذكروا أن الماء لا يغذُو ، وإنما هو مَرْكَبٌ ومِعْبَرَ ومَوْصِلٌ للغِذاء . واستدلُّوا لذلك بأن كلّ رقيق سَيّال فإنك متى طبَخْته انعقدَ ، إلا الماء . وقالوا فى القياس : إنه لا ينعقد فى الجوف عند طبخِ الـكَبِد له ، فإذا لم ينعقِدْ لم يجئْ منه لحمٌ ولا عظم . ولأننا لم نر إنسانا قطُّ اغتذاه[1] وثبت عليه روحُه وإن السمك الذى يموت عند فقده[2] ليَغذُوه سِواه مما يكون فيه دونه .

قال خصمهم : إنما صار الماء لا ينعقد ، لأنه ليس فيه قُوًى مستفادة مأخوذة من قُوى الجواهرِ . والماء هو الجوهرُ القابلُ لجميع القُوَى . فبضربٍ من القُوى والقبول يصير دُهنا ، وبضرب آخر يصير خَلًّا ، وبضرب آخر يصير دماً ، وبضرب آخر يصير لَبَنًا . وهذه الأمور كلها إنما اختلفت بالقُوى العارضة فيها . فالجوهرُ المنقلبُ فى جميع الأجرام[3] السَّيَّالة ، إنما هو الماء . فيصير عند ضرب من القبول دُهنا ، وعند ضرب من القبول لبنا .

وعصير كل شىء ماؤه والقابل لِقُوي مافيه . فإذا طبخْتَ الماء صِرْفا ، سالما على وجهه ، ولا قُوَى فيه ، لم ينعقد وانحلَّ بُخاراً حتى يتفانى وإنما ينعقد الـكامن[4] من الملابس[5] له . فإذا صار الماء فى البدنِ

---

(١) اغتذاه : أراد جعله غذاء له . والمعروف فى هذا الفعل اللزوم . وأثبت ما فى س ، هـ وفى ط : « اغتذا » بإسقاط الهاء .

(٢) أى فقد الماء . وفيه ، أى فى الماء أيضا .

(٣) الأجرام : الأجسام . ط ، هـ : « الأقسام » س : « الأجزاء » والوجه ما أثبت

(٤) ط : « الـكائن » صوابه من س ، هـ .

(٥) فى الأصل : « الملامس » من اللمس . والوجه « الملابس » أى المخالط .

وحده [و[1]] لم يكن فيه قوًى لم ينعقد . وانعقاده إنما هو انعقاد ما فيه . والماء لا يخلو من بعض القَبُول ولكنّ البعض لا ينعقد مالم يكثُر .

(استحالة الهواء إلى الماء وعكسه)

وزعم أصحاب الأعراض[2] أن الهواء سريعُ الاستحالة إلى الماء ، وكذلك الماء إلى الهواء ، المناسبة التى بينهما من الرطوبة [و[3]] الرقة . وإنما هما غير سيَّارين . ويدل على ذلك اجتذابُ الهواء للماء وملابسته له ، عند مَصِّ الإنسان بفيه[4] فمَ الشَّرابة[5] . ولذلك سَرَى الماء وجرى فى جوف قَصَبِ الخيزُرانِ ، إذا وضَعْتَ طرفه فى الماء .

وكذلك الهواء ، فيه ظلامُ الليل وضياء النهار وما كان فيه من الأشباح . والحدَقة[6] لا ترى من الضياء العارض فى الهواء ما تباعد منها .

(ألوان الماء)

والماء يرقّ فيكون له لون[7] ، [و[8]] يكون عمقه مقداراً عَدْلاً[9]
٣٢ فيكون له لون ، فإن بعد غَوْرُه وأفرط عمقه رأيته أسودَ .

---

(١) ليست فى الأصل .

(٢) سبق الحديث عنهم فى التنبيه الثامن ص ٥ .

(٣) هذه من سه .

(٤) فى الأصل : « عند مس الانسان إليه » ، وانظر التنبيه التالى .

(٥) الشرابة ، هى فى مفاتيح العلوم ١٤٤ : « السحارة » قال : « هى التى تسميها العامة سارقة الماء ، أعنى الأنبوبة المعطوفة المعمولة من زجاج أو غيره ، فيوضع أحد رأسيها فى الماء أو غيره من الرطوبات المائية ، ويمص الرأس الآخر إلى أن يصل الماء إليه وينصب منه ، فلا يزال يسيل إلى أن ينكشف رأسه الذى فى الماء » .

(٦) الحدقة ، محركة : سواد العين . وفى الأصل : « الحذقة » بالذال .

(٧) فى الأصل : « وهن » وهو تحريف لا يلائم السياق .

(٨) ليست بالأصل .

(٩) أراد بالعدل ههنا الوسط . ط : « مقدار أعدل » صوابه فى سه ، ه .

وكذلك يحكون عن الدُّرْدُور[١] .

ويزعمون أن عين حوارا[٢] ترمى بمثل الزنوج .

فتجدُ الماء جنساً واحداً ، ثم تجد ذلك الجنسَ أبيضَ إذا قلَّ عمقه ، وأخضَرَ إذا كان وسطاً ، وأسودَ إذا بعُدَ غَوْرُه .

(تحقيق فى لون المـاء)

ويختلف منظره على قدر اختلاف إنائه وأرضه ، وما يقابله . فدلّ ذلك على أنه ليس بذى لون ، وإنما يعتريه فى التخييل لونُ ما يقابله ويحيط به . ولعلَّ هذه الأمور إذا تقابلت أن تصنع فى العينِ أموراً ، فيظنَّ الإنسان مع قُرب المجاورةِ والالتباس ، أن هذه الألوان المختلفة إنما هى لهذا الماء الرائق الخالص ، الذى لم ينقلب فى نفسه ، ولا عَرَضَ له ما يقْلبه . وكيف يعرض[٣] له ويقلبه وعينُ كل واحد منهما غيرُ عينِ صاحبه ؟ وهو يرى الماء أسودَ كالبحر ، متى أخذ منه أحدٌ غُرفة رآه كهيئته إذا رآه قليل العُمق .

(تشابه المـاء والهواء)

ويتشابهان[٤] أيضاً لسُرعة قبولهما للحر والبرد ، والطّيبِ والنّتْن ، والفساد والصلاح .

---

(١) الدردور ، بضم الدالين بينهما راء ساكنة : موضع فى وسط البحر يجيش ماؤه ، لا تكاد تسلم منه السفينة ، وهو فى اللغة الفرسية بهذا اللفظ والمعنى . استينجاس ٥١١ وهو الذى تدعوه العامة : « الدوامة » : Whirlpool . وانظر عجائب المخلوقات ١٠٧ عند الحديث فى (بحر الصين) وما فيه من الدردور .

(٢) لم أجد ذكرا لهذه العين فيما لدى من المراجع ، ولم أهتد إلى تحقيقها .

(٣) فى الأصل : « يعترض » .

(٤) ط، س : « يتشابها » هـ : « وينشأ بها » ووجهه ما أثبت . والضمير للماء والهواء .

(حجة للنظام في الكمون)

قال أبو إسحاق : قال الله عزّ وجلّ [عند[١]] ذكر إنعامه على عباده وامتنانه على خلقه ، فذكَر ما أعانهم به من الماعون[٢] : ﴿ أفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ . أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أمْ نَحْنُ المُنْشِئُونَ[٣] ﴾ ، وكيف قال « شَجَرَتَهَا » وليس في تلك الشجرة شيء . وجوفها وجوفُ الطَّلَقِ[٤] في ذلك سواء . وقدرة الله على أن يَخلق النار عندَ مسِّ الطَّلَق ، كقدرته على أن يخلقها عند حكِّ العود . وهو ، تعالى وعز ، لم يُرِد في هذا الموضع إلا التعجيبَ[٥] من اجتماع النار والماء .

وهل بين قولكم في ذلك وبين من زعم أن البذر[٦] الجيِّد والرديء والماء العذب والملح ، والسَّبَخَة[٧] والخَبِرَة[٨] الرِّخوة ، والزمان المخالفَ والموافقَ ، سواء ، وليس بينها[٩] من الفرْق إلا أن الله شاء أن يخلق عند اجتماع هذه[١٠] ﴿ حَبًّا . وَعِنَبًا وَقَضْبًا . وَزَيْتُونًا وَنَخْلا[١١] ﴾ دون تلك الأضداد .

---

(١) الزيادة من س ، هـ .

(٢) الماعون : ما يستعان به كالقدر والفأس والدلو والقصعة .

(٣) سورة الواقعة الآية ٧١ ، ٧٢ .

(٤) الطلق ، مر تفسيره في التنبيه ١ ص ٨٤ .

(٥) عجبه تعجيبا : نبهه على التعجب وحمله عليه . ط ، هـ : « التعجيز » س : « التعجير » صوابهما ما أثبت .

(٦) البذر : حب الزرع . وفي الأصل : « البدن » وهو تحريف .

(٧) السبخة ، محركة ومسكنة : أرض ذات نز وملح ، جمعها سباخ . س : « السخنة » محرف .

(٨) الخبرة بفتح فكسر : شجراء في بطن روضة يبقى فيها الماء إلى القيظ . وفي الأصل : « الحرة » ، وهي بفتح الحاء وتشديد الراء : أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار . والصواب ما أثبت .

(٩) في الأصل : « بينهما » بضمير الاثنين ، والحق أن الضمير عائد إلى الجميع .

(١٠) أي البذر الجيد ، والماء العذب ، والزمان الموافق .

(١١) الآيات ٢٧ — ٢٩ من سورة عبس .

ومن قال بذلك وقاسه[١] فى جميع ما يلزم من ذلك ، قال كقول الجهْميّةِ فى جميع المقالات ، وصار إلى الجهالات ، وقال بإنكار الطبائعِ والحقائق .

وقال الله عز وجل : ﴿ الّذِى جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فإذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[٢] ﴾ .

ولو كان الأمر في ذلك على أن يخلقها[٣] ابتداءً لم يكن بين خلقها عند أخضرِ الشجر وعند اليابس الهشيم فرق[٤] ، ولم يكن لذكر الخضْرَةِ الدّالة عَلَى الرطوبةِ مَعْنًى .

(تعقيب)

وقد ذكرنا جملةً من قولهم فى النار . وفى ذلك بلاغ لمن أراد معرفة هذا الباب . وهو مقدارٌ قصدٌ ، لاطويلٌ ولا قصير .

فأما القولُ فى نار جهنم ، وفى شُواظها[٥] ودوامها وتسعُّرها وخبوِّها[٦] والقول فى خلق السماء من دُخَان والجانِّ من نار السَّموم[٧] ، وفى مَفْخَر ٣٣

(١) فى الأصل : « وقاده » . وانظر مثل ما صححته به فى ص ٩ س ٥ .

(٢) الآية ٨٠ من سورة يس . وفى الأصل : « هو الذى » بزيادة « هو » وذلك سهو مستنكر من الجاحظ نبهت على نظائره فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ و ٥ : ٣٢) والحمد لله . وفى تفسير أبي حيان (٧ : ٣٤٨) : أن الأعراب تورى النار من الشجر الأخضر وأكثرها من المرخ والعفار ، يقطع الرجل منهما غصنين مثل السواكين ، وهما أخضران يقطر منهما الماء ، فيسحق المرخ ، وهو ذكر ، والعفار ، وهو أنثى ، فتنقدح النار باذن الله .

(٣) فى الأصل « يخلقهما » وإنما الضمير للنار .

(٤) فى الأصل : « عند اخضرار الشجر اليابس الهشيم فرق » وفيه تحريف ونقص .

(٥) شواظ النار : لهبها الذى لا دخان فيه . وسيأتي الحديث عن الشواظ فى ص ٩٩ . وفى الأصل : « سوادها » .

(٦) خبوها : سكون لهبها . وفى الكتاب العزيز : « كلما خبت زدناهم سعيرا » . سورة الإسراء ٩٧ .

(٧) السموم : الريح الحارة ، أو نار لا دخان لها ، انظر تفسير البحر (٥ : ٤٥٣) .

النار على الطين ، وفى احتجاج إبليس بذلك — فإنا سنذكر من ذلك جملة فى موضعه ، إن شاء الله تعالى .

(ما قيل فى حسن النار)

ونحن راجعون فى القول فى النار إلى مثل ما كنا ابتدأنا به القول فى صدر هذا الكلام ، حتى نأتى من أصناف النيران على ما يحضرنا ، إن شاء الله تعالى

قالوا : وليس فى العالم جسمٌ صِرْفٌ غير ممزوج ، ومرسلٌ غير مركب ، ومُطلق القوَى ، غير محصور ولا مقصور[١] أحسنُ من النار .

قال : والنار سماوية عُلْوِية ؛ لأن النار فوق الأرض ، والهواء فوق الماء ، والنار فوق الهواء .

ويقولون : « شراب كأنه النار » ، و « كأن لونَ وجهها النار » . وإذا وصفوا[٢] بالذكاء قالوا : « ماهو إلا نار » وإذا وصفوا حمرة القِرمز[٣] وحمرة الذهب قالوا : « ما هو إلا نار » .

قال وقالت هند[٤] : « كنتُ والله فى أيام شبابى أحسنَ من النار الموقَدَةِ[٥] ! » .

---

(١) مقصور : أى محبوس . وفى الأصل : « مصور » تحريف .

(٢) فى الأصل : « وصفوه » .

(٣) القرمز ، كما فى اللسن : « صبغ أرمنى أحمر ، يقال : إنه من عصارة دود يكون فى آجامهم ، فارسى معرب » . ونحوه فى المعرب ٢٧١ . وقد تكلمت به العرب قديماً كما فى المعرب ٢٦٩ وجمهرة ابن دريد (٣ : ٣٧٣) . وقد وصفه داود الأنطاكى وصفاً مشبعا . وقال : « وأكثر ما يتولد بقبرس » ، وكذلك وصفه استينجاس فى معجمه ٩٦٦ بأنه حشرة تتولد على شجر خاص ، ولفظه فى الفارسية كلفظه فى العربية . وفى ط ، هـ : « العرض » صوابه فى س .

(٤) هى هند بنت الخس ، وقد نعتها الجاحظ فى البيان (١ : ٢٠٥) نعتا عجيباً ، وتسمى أيضاً « هند الزرقاء » . والخبر فى ثمار القلوب ٤٦٠ مسبوقا بعبارة « وقالت أخرى » وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) : « وقالت امرأة » .

(٥) عبارة الثعالبى : « كنت فى أيام شبابى أحسن من النار الموقدة » . وفى المحاضرات : « أنا والله أحسن من النار الموقدة » : وفى أصل الحيوان : « هذا والله وأنا أحسن من النار الموقدة » . وقد أصلحت الكلام من النصين السابقين .

وأنا أقول : لم يكن بها حاجةٌ إلى ذكر « الموقَدَة » وكان قولها : « أحسنَ من النار » يكفيها . وكذلك اتهمتُ هذه الرواية(١) .

وقال قُدامة حكيم المشرق(٢) فى وصف الذِّهن(٣) : « شُعاعٌ مركوم(٤) ونَسَمٌ معقود(٥) ، ونورٌ بصاص(٦) . وهو النار الخامدة(٧) ، والكبريت الأحمر(٨) » .

ومما(٩) قال العتَّابى(١٠) : « وجمالُ كل مجلس بأن يكون سَقْفهُ أحمرَ ، وبساطُه أحمر » .

---

(١) هذه الجملة ساقطة من سه .

(٢) ليس هو قدامة بن جعفر بن قدامة صاحب نقد الشعر ، ونقد النثر ، فذا توفى حوالى سنة ٣٣٧ . وقد يكون الجاحظ أراد « قدامة » جد هذا ، ولكنى لم أجد ما أتحقق به ولم أجد ذكراً له فيما لدى من المراجع ، ولم يذكره ابن أبى أصيبعة . وانظر نقد النثر ص ٣٣ من المقدمة . وقد ذكر الجاحظ « قدامة » مرة أخرى فى كتاب فخر السودان من مجموعة الرسائل ص ٦٦ ساسى عند الحديث على قبة حصن غمدان . قال : « وفيها يقول قدامة حكيم المشرق — وكان صاحب كيمياء — :

فأوقد فيها ناره ولو انها أقامت كعمر الدهر لم تتضرم »

(٣) الذهن ، أى الفكر . سه : « الدهن » محرف . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٧٧) « الذهب » تصحيف .

(٤) مركوم : مجموع .

(٥) النسم ، بالتحريك : نفس الريح إذا كان ضعيفاً . وهو النسيم أيضاً . وفى المحاضرات « نسيم » .

(٦) البصاص : اللماع البراق . بص يبص ، بكسر الباء .

(٧) النار الخامدة : التى لا لهب لها . ط ، هـ : « الجمدة » بالجيم ، س : « الحامية » صوابهما ما أثبت .

(٨) الكبريت الأحمر ، يدخل فى عمل الذهب عند أهل الصنعة ، انظر الجماهر ١٠٣ والمواقف للايجى ٢٢٨ ، ويسمونه : حجر الفلاسفة . The Philosopher's stone كما فى معجم استينجاس ١٠١٢ ، وانظر الكلام على « حجر الصنعة » فى مفاتيح العلوم ١٥٠ . أراد أن الذهن يبدع أمورا نفيسة كما يبدع الكبريت ، هذا الحجر ، الذهب ، فيما يرى الحكماء . وقد ضربه الأدباء مثلا للندرة فقالوا : « أندر من الكبريت الأحمر ! » . وبه لقب شيخ الصوفية محيى الدين بن عربى .

(٩) فى الأصل : « وربما » .

(١٠) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، وقد سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٩٦) وكان شاعرا =

وقال بشّار بنُ بُرْد :

هِجانٌ عليها حُمْرَة فى بياضها ... ترُوق بها العَينَين والحسنُ أحمرُ[١]

وقال أعرابىٌّ :

هِجانٌ عليهـا حمرةٌ فى بياضِها ... ولا لون أدنَى للهِجان من الحُمْرِ

(تعظيم الله شأن النار)

قال : ومما عظم الله به شأن النار أنها تنتقم فى الآخرة من جميع أعدائه . وليس يستوجبها بَشرىٌّ منْ بَشَرِىّ ، ولا جنىٌّ من جنىّ[٢] بضغينة ولا ظلم ، ولا جناية ولا عُدْوان ، ولا يستوجب[٣] النار إلا بعداوة الله عز وجلّ وحده ، وبها يَشْفِى صدورَ أوليائه من أعدائهم فى الآخرة

(عظم شأن ما أضيف إلى الله)

وكل شىء أضافه الله إلى نفسه فقد عظَّمَ شأنه ، وشدَّد أمره . وقد فَعَل ذلك ، بالنار فقالوا بأجمعهم : دَعْهُ فى نار الله وسقَرِه[٤] ، وفى غضب

= ناثرا . وفيه يقول يحيى بن خالد البرمكي لولده : « إن قدرتم أن تكتبوا أنفاس كلثوم بن عمرو العتابى فضلا عن رسائله وشعره فلن تروا أبدا مثله ! » الأغاني (١٢ : ٤) .

(١) الهجان : البيضاء ، يستوى فيه المذكر والمؤنث والجمع : ويفهم من صنيع الجاحظ أنه أورد المثل بمعنى أن الحسن فى الحمرة . ونظيره — وإن لم يكنه — تأويل أبى السمح فى أمثال الميداني (١ : ١٨١) . وفى الجماهر للبيرونى ٢٢٤ : « فخلو البياض عن الحمرة غير مستحسن فى أبشار البشر . ولأجله قالوا : الحسن أحمر » واستشهد بهذا البيت ، وكذا بقوله :

وإذا دخلت تقنعى بالحسن إن الحسن أحمر

لكنه فسر أيضا بمعنى أن من طلب الجمال احتمل المشقة ، أو أنه يلقى منه ما يلقى صاحب الحرب من الحرب .

(٢) من ، فى هذ التعبير بمعنى البدل ، وفى الكتاب : « أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة »

(٣) ط : « تستوجب » وتقرأ بالبناء للمجهول . وأثبت مافى س ، هـ وثمار القلوب ٤٥٤ .

(٤) سقر : علم لنار الآخرة . اختلف فى عربيته . س : « وفى سقره » بزيادة « في » .

الله ولعنته ، وسَخَط الله وغضبه . هما ناره أو الوعيدُ بناره ، كما يقال : بيتُ الله ، وزُوّار الله[١] ، وسماء الله ، وعرشُ الله .

(المِنّة الأولى بالنار)

ثم ذكرها فامْتَنّ بها على أهل الأرض من وجهين : أحدهما قوله عز وجل : ﴿ الّذِى جَعَلَ لَكُمُ مِنَ الشَّجَرِ الْاخْضَرِ ناراً فإذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ[٢] ﴾ فجعلَها من أعظم الماعون معونة ، وأخفها مؤُونة .

(استطراد لغوىّ)

والماعون الأكبر : الماء والنار ، ثم الكلأ والملح .

قال الشاعر فى الماعون بيتاً جامعاً ، أحسن فيه التأديةَ حيث قال :

لاتَعْدِلَنّ أتاوِيِّينَ قد نزلوا   وَسْطَ الْفَلاَة بأَصْحَابِ المُحِلاّتِ[٣]

والمُحِلاّت هى الأشياء التى إذا كانت مع المسافرين حَلّوا حيثُ شاءوا ، وهى القَدّاحة ، والقِرْبة ، والمِسْحاة[٤] . فقال : إياك أن تَعْدِلَ ، إذا أردت النُّزولَ ، مَنْ مَعَهُ أصنافُ الماعونِ بأتاوِيِّين ، يعنى واحداً أتى مِنْ هاهنا ،

(١) زوار الله : أى زوار بيته ، وهم الحجاج . وقد سبق مثل هذه المضافات فى (١ : ٣٤١ و ٢ : ١٨١ — ١٨٢) .

(٢) الآية ٨٠ من سورة يس . وقد تقدم القول فيها فى التنبيه ٢ ص ٩٣ .

(٣) الأتاوى ، بفتح الهمزة : الغريب فى غير وطنه . وفى الأصل : « بآلات محلات » صوابه فى البيان (٣ : ٢٣) والمخصص (١٣ : ٢٢٥) واللسان (حلل ، أتو) ومحاضرات الراغب (٢ : ١٦١) . وصدر البيت فى جميعها :

« لا يعدلن أتاويون تضربهم   نكباء صر . . . » . ففى هذه قد حذف المفعول : أى لا يعدلن أتاويون (أحدا) بأصحاب المحلات ، أى أنهم يعتمدون على أصحاب المحلات ولا يرون أحداً ينفع نفعهم . وقرئت هذه الرواية بالبناء للمفعول : أى ليس هؤلاء كهؤلاء .

(٤) فى المخصص أنها : « القدر والرحى والدلو والشفرة والفأس » ، وفى البيان أنها : « الدلو والمقدحة والقربة والفأس » . وفى اللسان أنها : « القدر والرحى والدلو والقربة والجفنة والسكين والفأس والزند » .

وآخر أتي من هاهنا . كأنهم جماعة التقَوْا من غيرِ تعريف بنسب ولا بلد .
وإذا تجمعوا أفذاذاً[١] لم يكمل كلٌّ واحدٍ منهم خصال الخِلاّت .

قال أبو النجم[٢] :

يَضَعْنَ بالقَفْرِ أَتاوِيَّاتِ[٣] مُعْتَرِضَاتٍ غَيْرَ عُرْضِيَّاتِ[٤]

وقالت امرأة من الكفار، وهى تحرِّض الأوسَ والخزْرجَ ، حين نزل فيهم النبى ، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه[٥] :

أطعْتُمْ أتَاوِىَّ مِنْ غَيْرِكُمْ فَلاَ مِنْ مُرَادٍ وَلاَ مَذْحِجِ

ولم تُرِدْ أنهما[٦] أشرفُ من قريش ، ومن الحيَّيْن كعبٍ وعامر :
ولكنها أرادت أن تؤلِّبَ[٧] وتُذْكِىَ العصبيّة[٨] .

---

(١) الفذ : الفرد ، جمعه أفذاذ وفذوذ .
(٢) نسبه فى اللسان (٩ : ٤١ و١٨ : ١٦) إلى حميد الأرقط ، وهو شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصرا للحجاج . انظر لترجمته الخزانة (٢ : ٤٥٤ بولاق) . ولم أجد له في الأغاني إلا أنه كان أحد بخلاء العرب الأربعة ، وهم : الحطيئة ، وحميد الأرقط ، وأبو الأسود الدؤلى ، وخالد بن صفوان . الأغانى (٢ : ٤٤ ساسى) .
(٣) يضعن، من الوضع : وهو ضرب من العدو فوق الخبب . ورواية اللسان : « يصبحن ». والأتاويات : الغريبات ، أى غريبات لتقدمهن وسبقهن صواحبهن .
(٤) معترضات : أى نشيطات لم يكسلهن السفر . غير عرضيات : أى من غير صعوبة ، بل ذلك النشاط من شيمهن . وفى ط، سه « غير عرضات» . وفى سه : « غيرها عريضات » صوابهما من اللسان (٩ : ٤١ و١٨ : ١٦) . والبيتان على هذا الترتيب فى الموضع الأول من اللسان ، وعلى عكسه في الموضع الثاني .
(٥) في اللسان (١٨ : ١٦) : «ومنه قول المرأة التى هجت الأنصار» . وهذه المرأة هى عصماء بنت مروان ، وهى من بني أمية بن زيد . وكانت إحدى المنافقات اللاتى ظهرن فى عهد الرسول ، وقالت أربعة أبيات تعيب فيها الإسلام وأهله . والبيت الذى رواه الجاحظ ثانيها . وانظرها بتمامها في السيرة ٩٩٥ جوتنجن . وقد أجابها حسان بشعر ، ، ثم سرى عليها عمير بن عدى الخطمى فقتلها في بيتها ، وكان مقتلها سبباً في إسلام كثير من أهلها .
(٦) أى قبيلتي مراد ، ومذحج .
(٧) التأليب : التجميع على عداوة ، والتحريض . سه ، هـ : «تولب» بالتسهيل .
(٨) تذكى العصبية : تشعل نارها ، وفى الأصل : « تذكر » ولعل وجهه ما أثبت .

(اختيار ما تبنى عليه المدن)

وقالوا : لا تُبْتَنَى المدنُ إلا عَلَى الماء والكلإ والمحتطبِ . فدخلت النار فى المحتطَب ؛ إذ كان كلُّ عود يورِى .

(المنّة الثانية بالنّار)

وأما الوجه الآخرُ من الامتنان بها ، فكقوله تعالى : ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنْتَصِرَانِ[1]﴾ ثم قال على صِلَة الكلام : ﴿فبِأَىِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ . وليس يريد أنّ إحراقَ الله عز وجلّ العبدَ بالنار من آلائه ونعمائه . ولكنه رأى[2] أن الوعيدَ الصادق إذا [كان[3]] فى غاية الزجر عما يُطغيه ويُرْدِيه[4] فهو من النعم السابغة والآلاء العظام . وكذلك نقول فى خلقِ جهنم : إنها نعمة عظيمةٌ ، ومِنّةٌ جليلةٌ ، إذا كان زاجراً[5] عن نفْسه ناهياً ، وإلى الجنة داعياً . فأما الوقوع فيها فما يُشَكُّ أنه البلاء العظيم .

وكيف تكونُ النقمُ نِعَماً ! ولو كانت النقمة نعمةً لكانت رحمة ، ولكان السّخط رضا[6] وليس يَهْلِكُ عَلَى[7] البينة إلا هالك . وقال الله عزّ وجلّ : ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ويَحْيَي مَنْ حَيّ عَنْ بَيِّنَةٍ[8]﴾ .

---

(١) الآية ٢٥ من سورة الرحمن . والنحاس ، بالضم : اللهب بلا دخان .

(٢) في ثمار القلوب ٤٥٧ : « أراد » وهو أوفق ، وإن كان المؤدى واحدا .

(٣) هذه من س وثمار القلوب .

(٤) يرديه ، من الردى وهو الهلاك . وفى الأصل : « يؤذيه » صوابه فى ثمار القلوب .

(٥) ط ، ه : « زجرا » صوابه فى س .

(٦) ط ، س : « رضي » .

(٧) على ، هنا ، بمعني المجاوزة . وهى تؤدى معنى « عن » فى الآية التالية .

(٨) الآية ٤٢ فى سورة الأنفال . و « عن » فى الآية بمعنى « بعد » . وفى الكتاب : « عما قليل ليصبحن نادمين » ، « لتركبين طبقا عن طبق » .

(عظات للحسن البصرى)

وقال الحسن : « واللهِ يا ابنَ آدم ، ما توبقُكَ إلا خطاياك ! قد أُريدَ بك النجاةُ فأبيتَ إلا أن توقِعَ نفسَك » !

وشهِد الحسَنُ بعضَ الأمراء ، وقد تعدّى إقامةَ الحدّ ، وزاد فى عددِ الضرب ، فكلمه فى ذلك ، فلما رآهُ لايقبلُ النصح قال : أمَا إنكَ لاتضرِبُ إلا نفسكَ ، فإن شئْتَ فقَلِّلْ ، و إن شئتَ فكَثِّر .

وكان كثيراً ما يتلو عند ذلك : ﴿ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ[1] ﴾ .

(عقاب الآخرة وعقاب الأولى)

والعقاب عقابان : فعقاب آخرةٍ ، وعقابُ دنيا . فجميعُ عقاب الدنيا بَلِيَّةٌ منْ وجه ، ونعمةٌ من وجه ؛ إذ كان يؤدِّى إلى النعمة و إن كان مؤلما . فهو عن المعاصى زاجرٌ ، و إن كان داخلا فى باب الامتحان والتعبُّد، مع دخوله فى باب العقاب والنعمة ؛ إذ كان زجراً ، وتنكيلا لغيره . وقد كلَّفنا الصبرَ عليه ، والرضا به ، والتسليمَ لأمر الله فيه .

وعقاب الآخرة بلاءٌ صِرْف ، وخزىٌ بَحْت ، لأنه ليس بِمُخْرَجٍ منه[2] ، ولا يحتمل وجهين .

(معارف فى النار)

وقال أبو إسحاقَ : الجمرُ[3] فى الشمس أصهب ، وفى الفيء أشكلُ[4] ، وفى ظلِّ الأرض ــ الذى هو الليل ــ أحمر . وأىُّ صوتٍ خالطَتْه النار فهو

(١) من الآية ١٧٥ فى سورة البقرة .

(٢) ط ، س : « بمخروج » وأثبت ما في هـ . وكلمة «منه» ساقطة من س ، هـ .

(٣) في الأصل : « الحر » صوابه ما كتبت .

(٤) الصهبة : بياض تخالطه حمرة . و الشكلة : سواد تخالطه حمرة .

أشد الأصوات ، كالصاعقة ، والإعصار الذى يخرج من شقِّ البحر[١] ، وكصوت المُوم[٢] ، والجَذْوَةِ من العود إذا كان فى طرَفِه نارٌ ثم غمسته[٣] فى إناء فيه ماء نَوًى مُنْقَع .

ثم بالنار يعيشُ أهلُ الأرض من وجوه : فمن ذلك صنيعُ الشمس فى بردِ الماء والأرض ؛ لأنها صِلاء جميعِ الحيوان ، عند حاجتها إلى دفع عاديةِ البردِ . ثمّ سراجُهم الذى يستصبحون به ، والذى يميزون بضيائه بين الأمور .

وكلُّ بخار يرتفع من البحار والمياهِ وأصول الجبال ، وكل ضبابٍ يعلو ، وندًى يرتفع ثم يعود بركة ممدودة عَلَى جميع النبات والحيوان — فالماء الذى يحلُّه ويلطِّفه ، ويفتحُ له الأبوابَ ، ويأخُذُ بضَبْعه[٤] من قَعر البحر والأرضِ النارُ[٥] المخالطة لهما من تحتُ والشمسُ من فوق .

(عُيون الأرض)

وفى الأرض عيونُ نار ، وعيونُ قَطِران ، وعيون نِفْط وكباريت[٦] وأصناف جميع الفِلِزّ[٧] من الذهب والفضة والرَّصاص والنُّحاس . فلولا

(١) الشق ، بالكسر : الناحية والجانب . عنى الأعاصير الجنوبية التي تهب من قبل بحر فارس ، وهو في المنطقة الحارة .

(٢) الموم ، بالضم : الشمع ، فارسى معرب . وفى الأصل : « الحرم » .

(٣) ط : « غمسه » صوابه من س ، ه .

(٤) الضبع ، بالفتح : العضد كلها أو أوسطها . وأخذ بضبعه : عاونه .

(٥) كلمة « النار » هى خبر « الذى » .

(٦) كباريت : جمع كبريت . وفى اللسان : « الليث : الكبريت عين تجرى ، فإذا جمد ماؤها صار كبريتا أبيض وأصفر وأكدر » .

(٧) الفلز : جواهر الأرض كلها ، وهو بكسر الفاء واللام وتشديد الزاى ، وكهجف وعتل : (Metal) وهو لفظ عربى . وفي حديث على : « من فلز اللجين والعقيان » وفى الحديث : « كل فلز أذيب » هو من ذلك . وقد نقل بلفظه إلى الفارسية . انظر استينجاس ٩٣٧ .

مافى بطونها من أجزاء النار لما ذَابَ فى قعرها جامدٌ ، ولَمَا انسبك فى أضعافها شيءٌ من الجواهر ، ولَمَا كان لمتقاربها جامع ، ولمختلفها مُفرِّق(١) .

(ما قالت العرب فى الشمس)

قال : وتقول العرب « الشمسُ أرحَمُ بنا(٢) » .

وقيل لبعض العرب : أىُّ يوم أنفع(٣) ؟ قال : يومُ شَمَال وشَمْس .

وقال بعضهم(٤) لامرأته .

تَمَنَّيْنَ الطَّلَاقَ وأنتِ عِنْدِى   بِعَيْشٍ مثلِ مَشْرُقَةِ الشَّمَالِ(٥)

وقال عُمَر : « الشمسُ صِلاَءُ العرب » . وقال عُمَر : « العربىُّ كالبعير ، حيثما دارت الشمسُ استقبلَهَا بهامَتِه » .

---

(١) أى أن النار تجمع الجواهر المتقاربة ، وتفرق الجواهر المختلفة . قال البيرونى فى الجماهر ٢٦٥ : « والطبيعيون بأسرهم مجمعون على تحديد الحرارة والنار بأنها الجامعة للأشياء المتجانسة ، والمفرقة بين غير المتجانسة . ومثَّله الكندى شارحا فقال : « من خاصية النار جمع أجزاء كل واحد من الأجساد المعدنية جملة واحدة محدودة ، وتفريق الممتزجة منها إذا اختلفت جواهرها . لأنها تحرق ما لاقت على قدر من الزمان ، فإذا لاقتهما ممتزجين أقبلت على إحالة أضعفهما بالاحتراق حتى تفنيه ويبقى الأقوى » . وفى المواقف ١٢٢ : « قال ابن سينا : الحرارة تفرق المختلفات ، وتجمع المتماثلات » . وقد تحدث الإيجى فى تفصيل هذا الكلام وتحقيقه . وفى أصل الحيوان : « لقواها جامع » واختلفت النسخ فى الجملة بعدها ، ففى ط : « ولجتها مفرق » ﻫ : « ولخبتها مفرق » س : « ولحبتها ملزق » وقد صححته بما ترى .

(٢) انظر تعليق الجاحظ على هذا التعبير ونحوه فى (٣ : ٣٦٥) وهو تعليق طريف .

(٣) ﻫ : « أرفع » .

(٤) فى عيون الأخبار (٤ : ١٢٥) : « وقال أعرابى » . والبيت فى المخصص (٩ : ٢٣) ومختصر تهذيب الألفاظ ٢٣٤ .

(٥) مشرقة الشمس ، بفتح الميم وتثليث الراء : موقعها فى الشتاء ودفؤها ، وهو الموضع الذي تشرق عليه . والشمال : الريح الشمالية ، وهى ريح باردة . ط : « تعيشى » س ، ﻫ : « نعيش » صوابهما من المصادر السابقة . والرواية في جميعها عدا عيون الأخبار : « تريدين الفراق » . وفى جميعها عدا مختصر تهذيب الألفاظ : « وأنت منى » .

ووصف الرّاجز(١) إبلاً فقال :

تستقبل الشمسَ بجُمْجُماتها(٢)

وقال قَطِران العبسيّ(٣) :

٣٦ مُستأسد القُرْيَانِ حُوٍّ تِلاعَهُ فنوّارُهُ مِيلٌ إلى الشمسِ زاهِرُهْ(٤)

(الخِيرِيّ)

والخِيرِيُّ(٥) ينضم ورقُه بالليل ، و ينفتح بالنهار .

---

(١) هو عمر بن لجأ التيمي . وفى الأصمعيات ٢٠ : « وقال ابن نجاء التيمى » صوابه ما أثبت وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢١٢) ، والبيت من أرجوزة عدتها أحد عشر بيتا فى وصف الإبل ، أولها :

أنعتها إني من نعاتها

(٢) رواية الأصمعيات : « واتقت الشمس بجمجماتها » .

(٣) كذا فى الأصل ، والبيت من قصيدة للحطيئة العبسى من قصيدة له فى ديوانه ٨ — ١٢ . وأما القطران فلم أعثر له على ترجمة إلا ما ذكر صاحب اللسان أنه سمى بذلك لقوله .

أنا القطران والشعراء جربى وفى القطران للجربى هناء

(٤) استأسد النبت : طال . والقريان ، بضم القاف : جمع قري ، كغنى ، وهو مسيله من التلاع . والحو : جمع أحوى ، وفي الديوان : « حونباته » . والنوار ، كرمان : جمع نوارة ، وهى الزهرة . ميل ، بالكسر : جمع مائل وزنه فعل بضمتين ثم أعل . وجمع فاعل على فعل له نظائر فى كتاب سيبويه (٢ : ٢٠٦ س ١٠ — ١٢) وأتى به جمعا ، لتقدير الزاهر بمعنى الزاهرات ، وبهذا استشهد ابن جنى لتأويل قول ساعدة بن جؤية : «ضباب تنتحيه الريح ميل » . انظر اللسان (١٤ : ١٥٩) . قال : « وقد يجوز أن يكون ميل واحدا كنقض ونضو ومرط » . والزاهر : المشرق الحسن .

(٥) الخيري ، بكسر أوله : نبات له زهر بعضه أبيض ، وبعضه فرفيري ، وبعضه أصفر كما في المعتمد ، ويقال له : المنثور (Cheiranthus cheiri) ولم أجد له ذكرا فى اللسان والقاموس ، مع أن الجوهري ذكره فى آخر مادة (خير) من الصحاح وقال : إنه معرب . وقد أخذه العرب عن الفارسية أو عن اللاتينية ، ولفظه بالفارسية كلفظه بالعربية مع تخفيف الياء الأخيرة . وقد عد استينجاس من أنواعه فى ٤٩٢ : خيرى خزامى ، ولونه أحمر وأبيض ، وخيري خطائى ، وهو أسود ، وخيري شيرازي ، وهو أصفر ، وخيرى ميرديني ، وهو بنفسجى أو ذو سبعة ألوان . وبرياض الخيرى والبنفسج تشبه زغب الشوارب والأعذرة ، انظر الجماهر للبيروني ص ١٣ .

[و] لإسماعيل بن غَزْوان[١] فى هذا نادرةٌ . وهو أن سائلا سألَنَا ، من غير أهل الـكلام ، فقال : ما بالُ ورق الخِيرىّ ينضم بالليل وينتشرُ بالنهار؟ فانبَرَى[٢] له إسماعيلُ بنُ غَزْوان [فقال[٣]] : لأن بردَ الليلِ وثِقلَه ، من طباعهما الضمُّ والقبض والتّنويم ، وحرّ شمس النهار[٤] من طباعه الإذابة ، والنشر ، والبسْط ، والخفَّة ، والإيقاظ . قال السائل : فيما قلت دليلٌ ، ولـكنه ! قال إسماعيل : وما عليك أن يكون هذا فى يدك ، إلى أن تصيبَ شيئاً هو خيرٌ منه .

(تسرُّع الُحمْر الألوان ، وفالج ذوى البدانة)

وكان إسماعيل أحمرَ حَليما . وكذلك كان الحرامىّ[٥] . وكنت أظن بالحمر الألوان[٦] التسرعَ والحدَّةَ ، فوجدت الحلْمَ فيهم أعمّ . وكنت أظن بالسمان الخِدال[٧] العظامِ أنّ الفالجَ إليهم أسرَعُ ، فوجدتُهُ فى الذينَ يُخالفون هذه الصِّفَةَ أعَمّ .

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٥٨) . وكان معاصرا للجاحظ .
(٢) انبرى له : اعترض له . ط : « انبرأ » بالهمز س ، هـ : «انبرا» صوابه ما أثبت.
(٣) هذه التـكملة من س ، هـ .
(٤) ط ، هـ « الشمس » . وأثبت ما فى س .
(٥) الحرامى ، هوأبومحمد عبد الله بن كاسب . وقد تقدمت ترجمته فى (٣ : ٢٣٧) ولعله منسوب إلى « بنو حرام » بالراء المهملة ، وهى خطة كبيرة بالبصرة .
(٦) ط : « بالحمراء الألف أن » تحريف .
(٧) الخدال ، بكسر الخاء المعجمة : جمع خدل ، وهوالممتلئ الأعضاء لحما فى رقة عظام . وفي الأصل : « الجدال » بالجيم ، تصحيف ، وقد سبقت هذه الـكلمة فى (١ : ١٥٠ س ١) .

(أثر الشمس والحركة والجوِّ فى الأبدان)

وقال إياسُ بن معاوية : « صِحّةُ الأبدان مع الشمس » . ذهب[١] إلى أهل العَمَد[٢] والوبر .

وقال مثنَّى بن بشير[٣] : « الحركة خيرٌ من الظل والسُّكون » .

وقد رأينا لِمَن مدح خلاف ذلك كَلاَمًا[٤] ، وهو قليل .

وقيل لابنة الخُسِّ[٥] : أيُّمَا أشدُّ : الشتاء أم الصيف ؟ قالت : ومن يجعل الأذى كالزمانة[٦] ؟!

وقال أعرابىٌّ : لاتَسبُّوا الشمال[٧] فإنها تضعُ أنفَ الأفعى ، وترفع أنف الرِّفقة[٨] .

---

(١) ط : « ذهبت » صوابه فى س ، هـ .

(٢) الليث : « يقال لأصحاب الأخبية الذين لا ينزلون غيرها : هم أهل عمود وأهل عماد » . كذا فى اللسان . وفيه أيضا : « ولايقال أهل العمد » . لكن هكذا وردت فى الأصل ، وهى جمع عمود .

(٣) مثنى بن بشير ، يروى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٧ .

(٤) ط : « وقد رأينا من مدح خلاف ذلك » باسقاط اللام والكلمة الأخيرة . وأثبت فى ما س ، هـ .

(٥) هى هند بنت الخس ، بضم الخاء وتشديد السين ، بن حابس بن قريط ، الإيادية . وكانت ذات فصاحة وحكمة وجواب عجيب . انظر جوابها على أسئلة شتى فى أمالى القالي (١ : ١٩٩ و ٢ : ٢١٨ ، ٢٣٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ و ٣ : ١٠٧ ، ١١٩) . وكانت تأتي سوق عكاظ . عيون الأخبار (٢ : ٢١٤) . وقد وافت هى وأختها « جمعة » سوق عكاظ فى الجاهلية فاجتمعا عند القلمس الكناني ، فسألها واختبرها فى مسائل كثيرة . انظر بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور ص ٥٨ — ٦٤ . وفى ط ، س : « لأبنة إياس » هـ : « لا بنة » فقط . والوجه ما أثبت .

(٦) الزمانة ، كسحابة : العاهة والآفة . وفى البيان (١ : ٢٠٥) : « وقد سئلت هند عن حر الصيف وبرد الشتاء فقالت : من جعل بؤسا كأذى » .

(٧) ط : « لا تسب الشمال » وأثبت ما فى س ، هـ .

(٨) الرفقة ، مثلثة الراء : الجماعة المترافقون فى السفر . هـ : « الرقعة » تحريف .

وقال خاقانُ بن صبيح(١) ، وذكر نُبْلَ الشتاء وفضلَه عَلَى نُبْلِ الصيف فقال: «تغيب فيه الهوام ، وتنجحر فيه الحشرات(٢) ، وتظهر الفِرْشَةَ والبِزّةُ(٣) ويكثرُ فيه الدّجْن(٤) ، وتطيب فيه خِمْرَة البيت(٥) ، ويموت فيه الذِّبان والبَعوض ، ويبرُد الماء ، ويسخُن الجوفُ ، ويطيبُ فيه العِناق(٦) » .

وإذا ذكرت العربُ بَرْدَ الماء وسخونة الجوف قالت : « حِرّة تحت قِرّة(٧) » .

ويجود فيه الاستمراء(٨) ؛ لطول الليل ، ولتَفَصّى الحرِّ(٩) .

---

(١) خاقان بن صبيح : أحد معاصرى الجاحظ . وقد جعله فى زمرة البخلاء ١٦ ، ٨٨ ، ١٠٩ .

(٢) تنجحر : بتقديم الجيم على الحاء : تدخل فى الجحر ، وفى الأصل : « تنحجر » بتقديم الحاء ، تصحيف .

(٣) الفرشة ، وتقرأ بكسر الفاء على الهيئة من الفرش . ط فقط «الفرش» وهى جمع فراش والفراش ، بالكسر : ما افترش ، جمعه أفرشة وفرش ، بضمتين . سيبويه : وإن شئت خففت فى لغة بنى تميم . والبزة ، بالكسر : الهيئة والشارة واللبسة .

(٤) الدجن : ظل الغيم فىاليوم المطير . وفىالأصل: «الدخن» ، وهو بالتحريك بمعنىالدخان وليس بشى .

(٥) الخمرة ، بتثليث الخاء : الرائحة الطيبة . ط ، س : « حمرة » بالمهملة صوابه فى ه .

(٦) الكلام من مبدأ « ويموت » ساقط من س .

(٧) فى اللسان أنه مثل للذى يظهر خلاف ما يضمر (٦ : ٣٩١) . والحرة ، بالكسر : الحرارة . والقرة ، بالكسر : البرد . وفى اللسان (٥ : ٢٥١) : « ويقال : إنما كسروا الحرة لمكان القرة » .

(٨) الاستمراء : أن يجد طعامه قد انحدر طيبا عن معدته لم يثقل عليها .

(٩) تفصى الحر : ذهابه وخروجه ، وفى اللسان « أفصى الحر : خرج . ولا يقال فى البرد » . وفى الحديث أنه ذكر القرآن فقال : « هو أشد تفصيا من قلوب الرجال من النعم من عقلها ! » أى أشد تفلتا وخروجا . وفى الأصل : « لتبطئ » والوجه ما أثبت .

وقال بعضهم : لا تُسَرّنّ بكثرة الاخوان ، مالم يكونوا أخياراً ؛ فإن الإخوان غيرَ الخيارِ بمنزلةِ النار ، قليلُها متاعٌ ، وكثيرها بوار[١] .

(نار الزَّحفتين)

قال : ومن النيران « نار الزَّحْفتَيْنِ » ، وهى نار أبى سريع . وأبو سريع هو العَرْفَج[٢] .

وقال قُتيبة بن مسلم[٣] ، لعُمَرَ بن عبَّاد بن حُصين : والله للسُّؤْدُدُ أسرعُ إليك من النار فى يبيس[٤] العَرْفَج !

وإنما قيل لنار العَرفج : نار الزحفتين ؛ لأن العَرفَج إذا التهبَتْ فيه النار أسرعَتْ [فيه[٥]] وعَظُمَتْ ، وشاعت واستفاضت ، فى أسرعَ من كل شىء . فمن كان فى قُرْبها يزحف عنها . ثم لاتلبثُ أن تنطفىء من ساعتها ، فى مثل تلك السرعة ؛ فيحتاج الذى يزحف عنها أن يزحَفَ إليها من ساعتِه . فلا تزالُ للمصْطَلِى كذلك ، ولا يزال المصطلى بها كذلك . فمن أجْلِ ذلك قيل : « نار الزَّحْفتَيْنِ »

٣٧

---

(١) البوار : الهلاك . ه : « جوار » تحريف .
(٢) فى اللسان ، وكذا ثمار القلوب ١٩٧ : أبو سريع هو النار فى العرفج . وأنشد :

لا تعدلن بأبى سريع إذا عرت نكباء بالصقيع

(٣) تقدمت ترجمته مع ولده مسلم بن قتيبة فى (٣ : ٤٥٠) .
(٤) اليبيس : اليابس . سه وثمار القلوب : « يبس » واليبس : اليابس . قال ابن السكيت : « هو جمع يابس مثل راكب وركب » . ابن سيده : « اليبس واليبس : اسمان للجميع » يعنى بالفتح وبالتحريك .
(٥) من سه وثمار القلوب ٤٦٢ .

قال : وقيل لبعض الأعراب : ما بالُ نسائكم رُسْحاً(١) ؟ قال : أرْسَحَهُنّ عَرْفَجُ الهَلْبَاءِ(٢) .

(صورة عقد بين الراعى والمسترعى)

وهذا شرط الراعى فيما بينَه و بينَ من استرعاه ماشيته فى القارِّ والحارِّ(٣) وذلك أن شرطهم عليه(٤) أن يقول المسترعى للراعى : « إن عليك أن تردَّ ضالَّتها ، وتهنأ جرْباها(٥) ، وتلوط حوضَها(٦) . و يدُكَ مبسوطةٌ فى الرِّسْل(٧) مالم تُنْهِكَ حَلَباً ، أو تضرّ بنَسْل » . قال : فيقول عند ذلك الراعى لرب الماشية ، بعد هذا الشرط : « ليس لك أن تَذْكُرَ أُمِّى بخيرٍ ولا شرّ .

---

(١) الرسح : جمع رسحاء ، وهي القليلة لحم العجز والفخذين . وفى الأصل : « رشحا » بالشين المعجمة صوابه فى المخصص (١١ : ٣٧) ولسان العرب (٣ : ٢٧٤) والمزهر (٢ : ١١٩) . ورواية الأول : « قيل لأعرابى : مالنسائكم رسحا ؟ » والثانى « قيل لامرأة من العرب : ما بالنا نراكن رسحا ؟ » والثالث : « قال أعرابى لامرأة من بني نمير : ما بالكن رسحا ؟ » .

(٢) العرفج : نبت سريع الاشتعال ، ولهبه شديد الحمرة ، وليس له ورق ذو بال . إنما هى عيدان دقاق ، وفى أطرافها زمع يظهر فى رءوسها شيء كالشعر ، أصفر طيب الريح . والهلباء ، بفتح أوله : موضع بين اليمامة ومكة . وإنما سميت الهلباء لكثرة نباتها ، وأنها أنبتت الحلى والصليان . وفى الأصل : « الهلباة » محرف . وفيه أيضا : « أرشحهن » تصحيف . وفى المخصص : « أرسحتهن نار الزحفتين » . وفى اللسان : « أرسحتنا نار الزحفتين » .وفى المزهر : « أرسحنا » ، وأنشد :

وسوداء المعاصم لم يغادر لها كفلا صلاء الزحفتين

(٣) أى البارد والساخن ، مما ينال من خير الابل . وفى الأصل — وهو هنا ط ، س فقط « النار والحال » صوابه من البيان (٣ : ٣٢) .

(٤) الكلام بعد « ماشية » إلى هنا ساقط من هـ .

(٥) يهنأ الجربى : يعالجها بالهناء . والهناء ، بالكسر : ضرب من القطران ، يطليها به . س : « جربها » ط : «جرتها» مصحف .

(٦) لاط الحوض بالطين لوطا : طيَّنه ، أي طلاه بالطين . وفى حديث ابن عباس مع الذى سأله عن مال يتيم ، وهو واليه : أيصيب من لبن إبله ؟ فقال : « إن كنت تلوط حوضها ، وتهنأ جرباها ، فأصب من رسلها » .

(٧) الرسل ، بالكسر : اللبن .

ولك حَذْفَةٌ بالعصا(١) عند غضَبك ، أخطأتَ أو أصبْتَ ، ولى مَقعدى من النار وموضعُ يدى من الحارّ [والقارّ(٢)] » .

(شبه مابين النار والإنسان)

قال : ووصف بعض الأوائل شَبَهَ مابين النار والإنسان ، فجعل ذلك قرابة ومشاكلة ، قال : وليس بين الأرض و بين الإنسان ، ولا بين الإنسان والماء ، ولا بين الهواء والإنسان ، مثل قرابة مابينه و بين النار ؛ لأن الأرض إنما هى أمٌّ للنبات ، [وليس للماء(٣)] إلا أنه(٤) مَرْكَب(٥) . وهو لايغذُو ؛ إلا ما يعقِدُه الطبخ(٦) وليس للهواء فيه إلا النسيم والمتقلَّب . وهذه الأمور و إن كانت زائدة ، وكانت النفوسُ تَتلفُ مع فَقْدِ بعضها ، فطريق(٧) المشاكلةِ والقرابةِ غير طريق إدخال المَرْفَق وجرِّ المنفعة ، ودفعِ المضَرّة .

قال : و إنما قضيتُ لها بالقرابة(٨) ، لأنى وجدت الإنسان يَحْيَا و يعيشُ فى حيثُ تحيا النار وتعيشُ ، وتموتُ وتَتْلَفُ حيث يموت الإنسانُ و يتلف .

وقد تدخل نار فى بعض المطامير(٩) والجبابِ(١٠) ، والمغاراتِ ،

---

(١) حذفه بالعصا : أي ضربه بها عن جانب . والحذفة أيضا : الرمية عن جانب .

(٢) هذه التكملة من البيان والتبيين . و« الحار » هى فى ط فقط : « الجار » بالجيم مصحفة .

(٣) ليست بالأصل ، وبها يلتئم الكلام .

(٤) ط ، س : « لأنه » هـ : « لا أنه » والوجه ما أثبت .

(٥) أي معبر وموصل للغذاء كما سبق فى ص ٨٩ ص ٣ .

(٦) أى يجعله منعقدا بالطبخ . انظر لتوضيح ذلك ص ٨٩ س ٤ ، وفى الأصل : « يعتده للطبخ » .

(٧) س ، هـ : « بطريق » والوجه ما أثبت من ط .

(٨) س ، هـ : « الغرابة » وهو عكس المراد .

(٩) المطامير : جمع مطمورة ، وهى حفرة فى الأرض يوسع أسفلها تخبأ فيها الحبوب .

(١٠) الجباب ، بالكسر : جمع جب ، بالضم . و هو البئر البعيد القعر الكثيرة الماء . ط : « الحباب » صوابه فى س ، هـ .

والمعادن[١] ، فتجدُها متى ماتتْ هناك علمنا أن الإنسان متى صار فى ذلك الموضعِ مات . ولذلك لايدخلها أحدٌ ما دامت النار إذا صارتْ فيها ماتت . ولذلك يعمد أصحاب المعادن والحفايرِ إذا هجموا على فَتْق فى بطن الأرض أو مغارة فى أعماقها أو أضعافها ، قدّموا شمعةً فى طرَفها أو فى رأسها نارٌ[٢] ، فإن ثبتت النار وعاشت دخلوا فى طلب الجواهر من الذهب وغير ذلك . وإلا لم يتعرّضوا له . وإنما يكونُ دخولُهم بحياة النار ، وامتناعُهم بموت النار[٣] .

وكذلك إذا وقعوا على رأس الُجبِّ الذى فيه الطعام[٤] ، لم يجسُروا على النزول فيه ، حتى يُرسِلوا فى ذلك الجبِّ قِنديلاً فيه مصباحٌ أو شيئًا يقومُ مقامَ القِنديل ، فإن مات لم يتعرّضوا له ، وحرّكوا فى جوفه أكسية[٥] وغيرها من أجزاء الهواء[٦] .

قال : وممّا يُشبَّه النارُ فيه بالإنسان ، أنك ترى للمصباح قبل انطفائه ونفادِ دُهنه[٧] ، اضطراما وضياءً ساطعا ، وشُعاعا طائراً ، وحركة سريعةً وتنقضاً شديداً[٨] ، وصوتا متداركا . فعندها يخمُدُ المصباح .

وكذلك الإنسان ، له قَبلَ حالِ الموتِ ، ودُوَيْنَ انقضاء مُدّته بأقربِ

---

(١) المعادن : جمع معدن ، بكسر الدال ، وهو الموضع الذى تستخرج منه جواهر الأرض . وإطلاقه على ما يستخرج مجاز .

(٢) س ، هـ : « فى طرف » وفى س : « وفى رأسها » . وأثبت ما فى ط .

(٣) انظر مثل هذا الكلام فى عجائب المخلوقات ٨٩ فى خاتمة الحديث فى النيران .

(٤) ذاك الجب هو ما يسمى بالمطمورة . انظر التنبيه ٩ ص ١٠٩ .

(٥) أكسية : جمع كساء . ط فقط « أكيسة » تحريف .

(٦) كذا فى الأصل . ولعلها : « بغية إجراء الهواء » أو « لتأخذ من أجزاء الهواء » .

(٧) هـ : « وتعاد دهنه » محرف .

(٨) التنقض ، بالقاف وفى آخره ضاد معجمة : صوت الفتيلة إذا قاربت الانطفاء وانظر (٣ : ٣٣٥) . وفى الأصل : « تنفضا » بالفاء . وهو تحريف .

الحالات ، حالُ مُطْمِعَةٌ تَزِيد فى القوة على حاله قَبلَ ذلك أضعافاً ، وهى ٣٨
التى يسمونها « راحةَ الموت[١] » وليس له بعد تلك الحال لُبث .

(قول أحد المتكلمين فى النفس)

وكان رئيسٌ [من[٢]] المتكلمين ، وأحدُ[٣] الجِلَّةِ المتقدمين ، يقولُ فى النفس قولا بليغاً عجيباً ، لولا شُنْعته لأظْهَرْتُ اسمه[٤] ، وكان يقول : الهواء[٥] اسم لكل فتق ، وكذلك الحيِّز[٦] . والفتق لا يكون إلا بين الأجرام الغِلاظ ، و إلا فإنما هو الذى يسميه أصحاب الفَلَكِ « اللُّجَّ » . و إذا هم سألوهم عن خُضْرَةَ الماء قالوا : هذا لُجّ الهواء ، وقالوا : لولا أنكَ فى ذلك المكانِ لرأيت فى اللُّجِّ الذى فوق ذلك مثل هذه الخضرةَ[٧] . [وليس شىء[٨]] إلا وهو أرقُّ من كَتِيفِه[٩] أو من الأجرام الحاصرة[١٠] له . وهو

---

(١) ويسميها أهل مصر اليوم : « حلاوة الروح » .

(٢) زدت هذا الحرف ليصح الكلام .

(٣) ﻫ : « واحد » بالألف وترك العطف .

(٤) يظهر لي أنه « النظام » ، ففى سياق الحديث أن هذا الرئيس يقول بالطفرة كما فى السطر ٥ من ص ١١٣ والنظام هو صاحب هذا المذهب . انظر (٤ : ٢٠٨) .

(٥) فى الأصل : « الهول » . والوجه ما أثبت .

(٦) الحيز ، بفتح الحاء وتشديد الياء المكسورة : هوعند المتكلمين الفراغ المتوهم الذى يشغله شيء ممتد كالجسم ، أوغير ممتد كالجوهر الفرد . تعريفات السيد ٥٥ . وفى الأصل : « الحز » .

(٧) فى الأصل : « النظرة » والكلام يقتضى ما أثبت .

(٨) بمثل هذا يلتئم القول .

(٩) الكتيف ، بالتاء المثناة الفوقية : أصل معناه ضبة الباب ، وهى حديدة عريضة يضبب بها ويلبس ، وهو أيضا ما يكتف به الإناء . والمراد به هنا ما يحتوي الشىء ويحصره . وهذه الكلمة محرفة فى الأصل ، ففى ط ، س : « كيفيته » وفى ﻫ : « كيفية » . ووجهه ما كتبت .

(١٠) فى الأصل : « الحاضرة » بالضاد المعجمة وباسقاط كلمة « له » . وانظر التنبيه السابق والكلام التالي .

اسمٌ لكل متحرَّك ومُتَقَلَّب(١) لكل شيء فيه [من(٢)] الأجرام المركبة . و [لا(٣)] يستقيم أن يكون من جنس النسيم ، حتى(٤) يكونَ محصوراً ، إما بحصر كَتيفِيّ(٥) كالسفينة لما فيها من الهواء الذى به حَمَلَتْ مثلَ وزنِ جرمها الأضعاف الكثيرة ، وإما أن يكون محصوراً فى شىء كهيئة البيضة المشتملة على ما فيها ، كالذى يقولون فى الفلَكِ الذى هو عندنا : سماء .

قال : وللنسيم(٦) الذى [هو(٧)] فيه معنى آخر ، وهو الذى يجعلهُ بعضُ الناس ترويحاً عن النفس ، يعطيها البَرْدَ والرِّقَّةَ والطِّيب ، ويدفعُ النفسَ ، ويُخرج إليه البخارَ والغِلَظ ، والحراراتِ الفاضلة(٨) ، وكلّ ما لاتقوى النفَسُ على نفْيه واطِّرَادِه(٩) .

قال : وليس الأمر كذلك . بل أزعُم أنّ النفسَ من جنس النسيم وهذه النفسُ القائمة فى الهواء المحصور ، عرضٌ لهذه النفسِ المتفرِّقة .

---

(١) المتحرك والمتقلب : مكان التحرك والتقلب . وفى الأصل : « محرق ومتقلب » . وانظر قوله فى الصفحة ١٠٩ س ٨ قوله : « إلا النسيم والمنقلب » . وضمير « هو » للهواء .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) زدتها لحاجة الكلام إليها .

(٤) فى الأصل : « ويكون » ووجهه ما أثبت .

(٥) كتيفى ، بالتاء المثناة الفوقية : نسبة إلى الكتيف . وانظر التنبيه ٩ من الصفحة السابقة .

(٦) فى الأصل « والنسيم » .

(٧) هو ، أي الانسان . وهذه الكلمة ليست فى الأصل .

(٨) الفاضلة ، هنا ، بمعني الزائدة .

(٩) الاطراد : افتعال من الطرد ، يقال : طرده واطرده ، بتشديد الطاء فى الثانية . قال طريح :

أمست تصفقها الجنوب وأصبحت　　زرقاء تطرد القذى بحباب

ط : « وطرده » ، وأثبت ما فى سه ، هـ .

فى أجرام جميع الحيوان ، وهذه الأجزاء[١] التى فى هذه الأبدان ، هى من النسيم[٢] فى موضع الشعاع والأكثاف[٣] ، والفروع التى تكون من الأصول .

قال : وضياء النفس كضياءٍ دخلَ من كوّة[٤] فلما سُدّت الكوةُ انقطع بالطَّفْرة إلى عنصره من قُرْص الشمس وشُعاعها المشرِقِ فيها ، ولم يُقِم فى البيت مع خلاف شكله من الجروم[٥]. ومتى عَمّ السدُّ لم تقِم النفسُ فى الجِرم فوق لا[٦] .

وحكمُ[٧] النفْس عند السدِّ — إذ كنا لانجدها بعد ذلك — حكم الضياء بعد السدّ ، إذ كنا لا نجده[٨] بعد ذلك .

فالنفسُ من جنس النسيم ، و بفساده تفسُدُ الأبدانُ ، و بصلاحه تصلحُ . وكان يعتمدُ عَلَى أن الهواء نفْسَه هو النفسُ والنسيم ، وأن الحرّ واللدونةَ وغير ذلك من الخلاف ، إنما هو من الفساد العارضِ .

قيل له : فقد يفسُدُ الماء فتفسُدُ الأجرام من الحيوان بفساده ، و يصلُحُ

---

(١) أى أجزاء النسيم ، التي يعنى بها نفس الانسان والحيوان . ط ، هـ : « الأجرام » صوابه فى س .

(٢) فى الأصل : « من بده النسيم » وأصلحته بما ترى .

(٣) كذا فى ط ، س . وفي هـ : « والأكشاف » .

(٤) الكوة : بالفتح ويضم ؛ والكو أيضا بالفتح وطرح الهاء : خرق فى الحائط » .

(٥) الجروم : جمع جرم ، بالكسر ، وهو الجسد والجسم ، وفى الأصل « الحرق » :

(٦) أىفوق مقدار قول القائل « لا » . انظر التنبيه رقم١ص ٨١ . وكلمة « لا » هى فى ط « لأحكام » كأنها جزء من الكلمة التى تليها . والحق أنهما كلمتان إحداهما فى نهاية الفقرة الأولى ، والثانية فى بدء الثانية ، وفى س ، هـ : « لا حكم » .

(٧) ط : « حكام » . س ، هـ : « حكم » كما سبق فى التنبيه السالف . وقد زدت الواو قبل الأخيرة للحاجة إليها .

(٨) أي لا نجد الضياء بعد السد . والضمير ساقط من س . وفى ط ، هـ : « لا نجدها » وتصح بتأويل الضياء علي الجمع . وفى اللسان (١ : ١٠٧) : « وقد يكون الضياء جمعا » ، أي جمع ضوء .

فتَصلح بصلاحه[١] ، وتَمْنَعُ الماء وهى تنازعُ إليه فلا تَحُلُّ[٢] بعد المنازعة إذا تمَّ المنْعُ ، وتوصَلُ بجِرْمِ الماء فتقيمُ فى مكانها . فلعل النفسَ عند بُطلانِها فى جسمها[٣] قد انقطعت إلى عُنصرِ الماء بالطّفرة .

٣٩ وبعدُ فما عَلَّمَكَ ؟ لعلّ الخنْقَ هيَّجَ عَلَى النفس أضداداً لها كثيرةً ، غمرتها حتى غرقت فيها ، وصارت مغمورةً بها .

وكان هذا الرئيس يقول : لولا أن تحت كلّ شعرةٍ وزَغَبةٍ[٤] مجرى نَفَسٍ لكان المخنوقُ يموتُ مع أوّلِ حالات الخنق ، ولكن النفْسَ قد كان لها اتصالٌ بالنسيم من تلك المجارى عَلَى قدر [مِنَ[٥]] الأقدار ، فكان نَوْطُها[٦] جوف الإنسان . فالرِّيح والبُخارُ لمَّا طلَبَ المنفذ فلم يجِدْه ، دارَ وكثُفَ وقوِىَ ؛ فامتدَّ له الجلدُ فسدَّ له المجارى . فعند ذلك ينقطع النفَس . ولولا اعتصامها بهذا السببِ لقد كانت انقطعت إلى أصلها من القُرْص ، مع أول حالات الخنق .

وكان يقول : إن لم تكن النفسُ غُمِرت بما هُيّج عليها من الآفاتِ ، ولم تنقطع للطَّفْر إلى أصلها[٧] جاز أن يكون الضياء الساقطُ على أرض البيتِ عند سدِّ الكُوّةِ أن يكون لم ينقطع إلى أصله . ولكن السدَّ هيّج عليه من الظلام القائم فى الهواء ما غمرَه ، وقطعه عن أصله . ولا فرْق بين هذَين .

---

(١) فى الأصل : « فيصلح بصلاحه » .

(٢) تحل : تقيم . وفى الأصل . « تدخل » .

(٣) فى الأصل : « حسها » .

(٤) الزغبة ، بالتحريك : واحدة الزغب ، وهى صغار الشعر والريش . س : « وزعنه » مصحف .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) نوطها : متعلقها . وفى الأصل : « نقطها » ولاوجه له .

(٧) هـ : « للظفر » س : « بالطى » ط : « الطمر » بدون باء . صوابه ما أثبت . والطفر هو الطفرة فى اصطلاح المتكلمين ، وهو مذهب للنظام . انظر . (٤ : ٢٠٨).

وكان يعظِّم شأنَ الهواء ، ويُخبر عن إحاطته بالأمور ودخوله فيها ، وتفضُّل قوّته عليها .

وكان يزعمُ أن الذى فى الزّقّ[١] من الهواء ، لو لم يكن له مَجَارٍ[٢] ومنافسُ ، ومُنِع من كل وجهٍ ـ لأقلَّ الجملَ الضخم .

وكان يقول : وما ظنك بالرِّطل من الحديد أو بالزُّبْرَةِ[٣] منه ، أنه متى أُرسل فى الماء خرَقه ، كما يخرق الهواء ! قال : والحديد يسرعُ إلى الأرض إذا أرسلتَه فى الهواء ، بطبعه وقوّته ، ولطلبه الأرضَ المشاكلةَ له ، ودفعِ الهواء له ، وتبرِّيه منه ، ونفيه له بالمضادة ، واطِّرَادِهِ[٤] له بالعداوة .

قال : ثمّ تأخذُ تلك الزُّبْرَة[٥] فتبسطها بالمطارق ، فتنزل نزولا دون ذلك ؛ لأنها كلما اجتمعتْ فكان الذى يلاقيها من الماء أصغرَ جِرْماً ، كانت أقوى عليه .

ومتى ما أشخَصْتَ[٦] هذه[٧] الزُّبْرَة المفطوحة[٨] المبسوطةَ المسطوحة ، بِنتْق الحِيطان[٩] فى مقدارِ غِلظِ الإصبع ، حَمَل مثلَ زِنتِهِ[١٠] المرارَ الكثيرة

(١) الزق ، بكسر الزاي : كل وعاء من الجلد اتخذ لشراب ونحوه . ه : « الرق » س : « الدن » صوابهما فى ط .

(٢) ه : « مجاز » أى مكان يجوز منه . والأسلوب يقتضي ما أثبت من ط ، س .

(٣) الزبرة ، بضم الزاي : القطعة من الحديد ، جمعها زبر ، بضم ففتح ، وفى الكتاب : « آتوني زبر الحديد » وفى الأصل : « بالزيادة » تحريف .

(٤) اطراده ، بتشديد الطاء : طرده . انظر التنبيه التاسع من الصفحة ١١٢ . ط : « وخدادة » س : « والحدادة » وأثبت الصواب من ه .

(٥) فى الأصل : « الزيادة » . وانظر التنبيه ٣ من هذه الصفحة .

(٦) أشخصت : رفعت . ط : ه : « ومتى ماأشخص » س : « ومتى أشخصت » .

(٧) فى الأصل : « لهذه » .

(٨) المفطوحة : التى فطحت ، أي جعلت عريضة . ط ، ه : « المطبوخة » س : « المطرقة » والصواب ما أثبت .

(٩) النتق : الرفع . وفى ط ، ه : « يفتق » وموضعها فى س بياض متروك . والوجه ما أثبت .

(١٠) الضمير فى « حمل » للحديد . و« زنته » هى فى الأصل : « زنة » محرفة .

وليس إلا لما حصَرَتْ تلك الإصبعُ من الهواء . وكلما كان نتوُّ الحِيطان أرفع[١] كان للأثقال أحْمَلَ ، وكان الهواء أشدَّ انحصاراً .

قال : ولولا أن ذلك الهواء المحصورَ متَّصلٌ بالهواء المحصور فى جرم [الحديد ، وفى جرم[٢]] الخشبِ والقارِ ، فرفَعَ بذلك الاتصال السفينةَ عُلُوًّا — لمَا كان يبلُغُ من حصر ارتفاع إصبعٍ للهواء ما يحملُه البَغْل .

ويدلّ على ذلك شأن السكّابة[٣] . فإنك تضعُ رأسَ السكّابة الذى يلى الماء[٤] في الماء ، ثم تمصه من الطرف الآخَر . فلو كان الهواء المحصورُ فى تلك الأنبوبةِ إنما هو مجاورٌ لوجهِ الماء ، ولم يكن متصلا بما[٥] لابَس جِرْم الماء من الهواء ، ثم مصصتَه بأضعافِ ذلك الجذْبِ إلى ما لا يتناهى لمَا ارتفع إليك من الماء شىء رأساً .

وكان يقول فى السَّبيكة التى تُطيل عليها الإيقاد ، كيف لاتتلوّى ، فما هو إلا أن يُنفخ عليها بالكِير[٦] حتى تدخلَ النيرانُ فى تلك المداخِلِ ، وتُعاونَها الأجزاء التى فيها من الهواء .

وبمثل ذلك قامَ الماء فى جَوف كُوزِ المِسقْاة المنكس . ولعلمهم بصَنيع

---

(١) أرفع ، أى أعلى .

(٢) هذه الزيادة من سه .

(٣) سبقت فى ص ٩٠ س ٧ بلفظ « الشرابة » فجعلها من الشرب مرة ، ومن السكب أخرى . وفى الأصل هنا : « السكانة » بالنون . وتسمى هذه الآلة أيضا « سارقة الماء » كما سبق فى التنبيه ٥ ص ٩٠ . ويشبه هذه الآلة ما تسمى « الزرافة » بالزاى وتشديد الراء . انظر الفصل (١ : ٣٢ و ٥ : ٧٠) .

(٤) فى الأصل : « التي تلى الماء » والموصول إنما هو صفة للرأس . والرأس مذكر .

(٥) فى الأصل : « لما » .

(٦) الكير ، بالكسر : الزق الذي ينفخ فيه الحداد .

الهواء إذا احتَصَر وإذا حُصِر[١] ، جعلوا سَمْكَ[٢] الصِّينية مِثلَ طولها . أعنى المركبَ الصِّينىّ .

وكان يخبر عن صنيع الهواء بأعاجيب .

وكان يزعم أنّ الرّجلَ إذا ضُرِبت عنقُه سقط علَى وجهه ، فإذا[٣] انتفخَ انتفخ غُرمُوله وقامَ وعَظُم ، فَقَلَبَه[٤] عند ذلك على القفَا . فاذا جاءت الضِّبُع لتأكله فرَأته على تلك الحال[٥] ، ورأت غُرمُوله[٦] على تلك الهيئة ، استَدْخَلَتْه وقضتْ وطرَها من تلك الجهة ، ثم أكلَت الرّجلَ ، بعد أن يقوم ذلك عندها أكثر من سِفاد الذِّيخ .

والذِّيخ : ذَكر الضِّباع العَرفاء[٧] .

وذكر بعضُ الأعراب أنه عايَنها عند ذلك ، وعند سِفاد الضِّبُع لها ، فوجد لها عند تلك الحال حركةً وصياحاً ، لم يجده عندها فى وقت سِفاد الذِّيخ لها .

ولذلك قال أبو إسحاق[٨] لإسماعيل بن غَزْوان : « أشهدُ بالله إنك لَضَبُعٌ » . لأن إسماعيل شدّ جاريةً له على سُلَّم وحلَف ليضربَنَّها مائةَ سَوْطٍ دونَ الإزار — ليلتزِقَ جلدُ السّوط بجلدها ، فيكون أوْجَعَ لها —

(١) احتصر هو ، وحصره غيره . ولم أجد الأول فى المعاجم . وفى ط ، ﻫ : « وإذا حصروا » صوابه فى سه .
(٢) السمك ، بالفتح : الارتفاع . وسمك البيت من أعلاه إلى أسفله .
(٣) ط ، ﻫ : « وإذا » ، وأثبت ما فى سه .
(٤) ط ، ﻫ : « يقلبه » ، وأثبت ما فى سه .
(٥) سه : « الحالة » .
(٦) ط : « عزموله » صوابه فى سه ، ﻫ .
(٧) العرفاء : الكثيرة شعر الرقبة . وفى الأصل : « العرجاء » تحريف . وفى اللسان : « الذيخ : الذكر من الضباع ، الكثير الشعر » . وفى ﻫ : « ذكر الضبع » .
(٨) هو إبراهيم بن سيار النظام .

فلما كشفَ عنها رَطْبةً بَضَّةً خَدْلَةً(١) ، وقَع عليها ، فلما قضى حاجته منها وفَرَغَ ، ضرَبها مائة سوط . فعند ذلك قال أبو إسحاقَ ما قال .

(اختلاف أحوال الغرقى)

وإذا غرقت المرأةُ رسبتْ . فاذا انتفخت وصارت فى بطنها ريح(٢) وصارت فى معنى الزقّ ، طفا(٣) بدنُها وارتفع ، إلا أنها تكون مُنْكَبَّةً ، ويكونُ الرّجل مستلقياً .

وإذا ضُربتْ عُنقُ الرّجلِ وأُلقى فى الماء لم يَرسُب ، وقام فى جوف الماء وانتصب ، ولم يغرَق ، ولم يَلزم القعر ، ولم يظهر . كذلك يكونُ إذا كان مضروبَ العُنق ، كان الماء جاريا أو [كان(٤)] ساكنا . حتى إذا خفّ وصار فيه الهواء ، وصار كالزِّقِّ المنفوخ(٥) ، انقلبَ وظهرَ بدنه كله ، وصار مستلقيا ، كان الماء جاريا أو كان قائما . فوُقوفُه(٦) وهو مضروب العُنقِ ، شبيهٌ بالذى عليه طباعُ العقربِ التى فيها الحياة ، إذا ألقيتَها فى ماء غَمْرٍ(٧) ، لم تطفُ ولم ترسبْ ، وبقيتْ فى وسط عُمْق الماء ، لايتحرّك منها شىء .

---

(١) الخدلة ، بفتح الخاء المعجمة بعدها دال مهملة : الممتلئة الأعضاء لحما فى رقة عظام . ط ، ه : « جدلة » س : « حدلة » كلاهما تصحيف ما أثبت . وانظر التنبيه ٧ من ص ١٠٤ .

(٢) س : « وصارت فى معنى الزق » . ه : « وصارفى بطنها ريح » .

(٣) طفا يطفو : ارتفع فوق الماء وعلا . ط ، ه : « طفى » .

(٤) الزيادة من س .

(٥) ط ، ه : « وصارفيه كالزق المنفوخ » والوجه حذف « فيه » كما فى س .

(٦) فى الأصل : « ففوقه » . وانظرقوله من قبل : « وقام فى جوف الماء » .

(٧) الغمر ، بالفتح : الماء الكثير .

(مايسبح من الحيوان)

والعقرب من الحيوان الذى لايسبَح . فأما الحيّة فانها تكونُ جيِّدَةَ السباحةِ ، إذا كانت من اللواتي تنساب وتزحف[١] . فأمّا أجناس الأفاعى التى تسير على جنبٍ[٢] فليس عندها فى السباحة طائل . ٤١

والسباحة المنعوتة ، إنما هى للإوزّةِ والبقرةِ والكلبِ . فأمّا السمكةُ فهى الأصل فى السباحة ، وهى المثل ، وإليها جميع النسبة .

والمضروب العنق يكون فى عُمْق الماء قائما . والعقربُ [يكون[٣]] على خلاف ذلك .

(مناغاة الطفل للمصباح)

ثم[٤] رجع بنا القول إلى ذكر النار[٥] .

قال : وللنار من الخصال المحمودةِ أنّ الطفل لايُناغى شيئًا كما يُناغى المِصْباح[٦] . وتلك المناغاة نافعةٌ له فى تحريك النفْس ، وتهييج الهمة ، والبعثِ على الخواطر ، [و] فى فتق اللّهاة ، وتسديد اللسان[٧] ، [وفى] السرور الذى له فى النفس أكرمُ أثر .

---

(١) تزحف : تمشي على أثنائها وبطونها . وفى الأصل : « تذهب » .

(٢) انظر الكلام في مشى الحيات ما سبق فى (٤ : ٢٧٤ — ٢٧٥) .

(٣) هذه الزيادة من س . والعقرب يذكر ويؤنث ، والغالب عليه التأنيث .

(٤) من هذه الكلمة يبتدئ الجزء الخامس من نسخة كوبريلى ، حيث أعارض بها وأثبت زياداتها بين معقفين دون أن أنبه عليها ، وأما الزيادات من النسخ الأخرى أو من مقتضيات التركيب فاني أنبه على كل منها .

(٥) ل : « إلى القول فى النار » .

(٦) ه : « المصالح » تحريف . وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام فى (٤ : ٣٤٩) .

(٧) تسديد اللسان : تقويمه . وفى الأصل : « تشديد » بالشين .

(قول الأديان في النار)

قال : وكانت النار معظَّمةً عند بني إسرائيل ، حيث جعلها الله تعالى تأكل القربان(١) ، وتدل على إخلاص المتقرِّب ، وفساد نية المُدْغِل(٢) ، [و] حيث قال الله لهم(٣) : « لاتُطْفِئُوا النَّارَ مِنْ بُيُوتِي(٤) » . ولذلك لاتجد الكنائس والبِيَع أبداً إلا وفيها المصابيح تَزْهر(٥) ، ليلاً ونهاراً ، حتى نَسَخَ الإسلام ذلك ، وأمرنا(٦) بإطفاء النيران ، إلا بقدر الحاجة .

---

(١) القربان بالضم ، ما كانوا يتقربون به إلى الله من ذبائح وغيرها ، وفي الأصحاح الرابع من سفر التكوين « أن قايين قدم من أثمار الأرض قربانا للرب ، وقدم هابيل أيضا من أبكار غنمه ومن سمانها » . وكان العرب في جاهليتهم يقدمون القرابين لأصنامهم ، وكان لبكر ابن وائل صنم يقال له (عوض) ، وفيه يقول رشيد بن رميض العنزي :

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدي سعير

والمائرات : الدماء الجارية . وهو ما تشير إليه آية : « وما ذبح على النصب » . واللفظ مشترك في اللغات السامية ، فهو في العبرية : (قربان) وبالسريانية (قربانا) وأصله في العربية مصدر قرب الشئ قربانا ، ونظير هذا الوزن من المصادر العربية : شكران ، وغفران ، وسلوان .

(٢) المدغل : الذي يدخل في أمره ما يفسده . وفي حديث علي : « ليس المؤمن بالمدغل » ط ، ه : « الدغل » ، وهو بفتح فكسر : ذو الدغل . وأثبت ما في س ، ل .

(٣) في جميع النسخ ما عدا ل : « قال الله عز وجل » .

(٤) ل : « النيران » . وقد سبقت هذه العبارة في (٤ : ٤٧٩) وهو إشارة إلي ما ورد في سفر الخروج ٢٩ : ٤١ — ٤٢ « رائحة سرور وقود للرب ، محرقة دائما في في أجيالكم » وإلى ما ورد في هذا السفر أيضاً ٣٠ : ١ « وتصنع مذبحا لايقاد البخور » و ٣٠ : ٨ « وحين يصعد هارون السرج في العشية يوقده بخورا دائما أمام الرب في أجيالكم » .

(٥) زهر السراج والقمر والوجه ، كمنع ، زهورا : تلألأ . في كل النسخ عدا ل : « مصابيح » .

(٦) في جميع النسخ عدا ل : « أمر » .

فذَكَرَ[١] ابنُ جُريجٍ قال : أخبرنى أبو الزُّبير[٢] ، أنه سمع جابرَ بنَ عبدِ الله يقول : أمرنى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم فقال[٣] : « إذا رَقَدْتَ فأغلق بابك ، وخَمِّرْ إناءك ، وأوْكِ سِقاءَك[٤] ، وأطفئْ مصباحَك ، فإن الشيطان لايفتح غَلَقاً[٥] ولا يكشفُ إناءً ، ولا يحلُّ وِكاءً . وإن الفأرة الفُويسِقَةَ[٦] تحرقُ أهل البيت[٧] » .

وفِطْر بن خليفة[٨] عن أبى الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : قال لنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أغْلِقُوا[٩] أبوابَكم ، وأوْكُوا أسقيتَكم[١٠] وخَمِّروا آنيتكم ، وأطفئوا سُرُجَكم[١١] ، فإن الشيطان لايفتحُ غَلَقاً[٥] ، ولا يحُلُّ وِكاءً ، ولا يكشفُ غِطاءً . وإن الفويسقَة تضرِّم البيتَ على أهله .

---

(١) فيما عدا ل : «ذكر» .

(٢) هو أبو الزبير المكي، محمد بن مسلم بن تدرس الأسدي . وفى تقريب التهذيب ٤٢٠ أنه صدوق ، إلا أنه يدلس ، من الرابعة ، توفي سنة ست وعشرين ، أي بعد المائة . وفى التعقيب أنه روى عن جابر ، وابن عباس ، وعائشة ، وعبد الله بن عمر .

(٣) فيما عدا ق : « قال » .

(٤) ط فقط : « سقاءك » وقد جاءت مقصورة فى سائر النسخ . والسقاء : القربة للماء واللبن .

(٥) الغلق ، بالتحريك : ما يغلق به الباب . وفيما عدا ل : « بابا » .

(٦) الفويسقة : مصغر الفاسقة ، سميت بذلك لخروجها من جحرها على الناس وإفسادها . ط ، ﻫ « وقال فإن الفويسقة » س : « فإن الفويسقة » . وأثبت ما فى ل . وانظر تأويل مختلف الحديث ١٦٩ — ١٧٠ .

(٧) فيما عدا ل : « تحرق على أهل البيت » .

(٨) فطر بن خليفة المخزومى ، مولاهم ، أبو بكر الحناط ، بالمهملة والنون . صدوق رمى بالتشيع ، مات بعد سنة خمسين ومائة . انظر تهذيب التهذيب (٨ : ٣٠١) والمعارف ٣٠١ جوتنجن . وفيما عدا ل : « ذكر ابن خليفة » تحريف . وفي مشارق الأنوار (٢ : ١٦٨ طبع فاس) : « وفطر بن خليفة بكسر الفاء وآخره راء . ومن عداه قطن بالقاف والطاء ساكنة والنون » .

(٩) فى عامة النسخ عدا ل : « غلقوا » .

(١٠) الأسقية : جمع سقاء . ط ، س : « أوكئوا » تحريف ، وأثبت ما فى ل ، ﻫ .

(١١) السرج ، بضمتين : جمع سراج . ط ، س : « سراجكم » وأثبت ما فى ل ، ﻫ .

وكُفُّوا مَوَاشِيَكم[١] وأهليكم حينَ[٢] تغرُب الشمس ، حتى تذهبَ فحمةُ العشاء[٣] » .

قال : ويدل على أنه صلى الله عليه وسلم [لم] يأمر بحفظها إلا بقَدر[٤] الحاجةِ [إليها] ، ويأمرْ[٥] بإطفائها إلا عند الاستغناء عنها ـ ما حدَّث به عبّادُ بن كثير[٦] قال : حدّثنى الحسن بنُ ذَكْوان[٧] عن شَهْر بن حَوشب[٨] قال : « أمر [رسولُ الله] صلى الله عليه وسلم أن تحبسوا صبيانَكم عند فحمة العشاء ، وأن تُطفئوا المصابيح ، وأن توكِئوا الأسقِية ، وأن تخمِّروا الآنية ، وأن تغلِّقوا الأبواب[٩] » . قال : فقام رجلٌ فقال : يارسول الله ، إنه لابدّ لنا من المصابيح ، للمرأةِ النُّفساءِ ، وللمريض ،

(١) الكف : الجمع والضم . فيما عدا ل : « فراشكم » .
(٢) كذا على الصواب في ل . وفى سائر النسخ : « حتى » .
(٣) يقال للظلمة التى بين صلاتي العشاء : الفحمة . ل : « فحمة الليل » وعند ابن الأثير في مادتي (كفت ، فحم) : «اكفتوا صبيانكم حتى تذهب فحمة العشاء» .
(٤) ط ، س : « أمر » . وفى سائر النسخ عدا ل : « إلا على قدر الحاجة » .
(٥) فيما عدا ل : « ولم يأمر » .
(٦) عباد بن كثير الثقفي البصري . روي عن أبي أيوب السختياني ، ويحيى بن أبي كثير ، وعمرو ابن خالد الواسطي وغيرهم . وروي عنه إبراهيم بن طهمان وأبو خيثمة ، وهما من أقرانه ، وإسماعيل بن عياش ، وعبد الرحمن بن محمد المحاربى . ط ، س ، ٥ : « حماد بن بكير » ل : « عباد بن كنير » بنون مكسورة مشدودة بعدها ياء . صوابه ما أثبت .
(٧) الحسن بن ذكوان ، أبو سلمة البصرى . روي عن عطاء بن أبي رباح ، وأبي إسحاق السبيعي ، وطاوس ، والحسن ، وابن سيرين . وعنه ابن المبارك ويحيى القطان ، وصفوان بن عيسي وغيرهم . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٢٧٦) .
(٨) هو شهر بن حوشب الأشعرى الشامى ، مولى أسماء بنت يزيد بن السكن . صدوق كثير الأوهام والإرسال ، من الثالثة . توفى سنة ١١٢ وكان من جلة القراء والمحدثين . وبه يضرب المثل في قولهم : « خريطة شهر » ، وذلك أنه دخل بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم ، فقال فيه القائل – ثمار القلوب ١٣٣ – :

لقد باع شهر دينه بخريطة ... فمن يأمن القراء بعدك يا شهر

(٩) ل : « أن يحبسوا » ، وكذا سائر الأفعال بالغيبة . وفى سائر النسخ بالخطاب .

وللحاجة تكونُ قال : فلا بأسَ إذًا ، فإن المصباحَ[١] مَطْرَدَةٌ للشيطان ، مذَبَّةٌ للهوام[٢] ، مَدَلَّةٌ على اللصوص[٣] .

(نار الغول)

قال : ونارٌ أخرى ، وهى [النار] التى تذكر الأعرابُ أن الغولَ تُوقِدُها بالليل ، للعبث[٤] والتخييل ، وإضلال السابلة . ٤٢

قال أبو المطراب[٥] عبيد بن أيوبَ العَنْبَرِيّ :

فلله دَرُّ الغُولِ أىُّ رَفيقةٍ ... لصاحبِ قَفْرٍ خائفٍ مُتَقَتِّرِ[٦]

أرنّت بلَحْنٍ بعدَ لَحْنٍ وأَوْقَدَتْ ... حَوَالَىَّ نِيراناً تبوخُ وتزهرُ[٧]

(جَمَرات العرب)

قال : وجَمَراتُ العرب : عبسٌ ، وضَبَّةُ ، ونُمَيْر[٨] . يقال لكلِّ واحد منهم : جمرة .

---

(١) فيما عدا ل : « كان » .

(٢) الهوام : جمع هامة ، وهى كل ذات سم يقتل ، أو ما يدب من الحيوان كالحشرات . والذب : الطرد . ل : « مذمة » محرف .

(٣) مدلة : أى يدل ، وهى صيغة معناها الحمل على الشيء . وفى اللسان : « كانت العرب تقول : « الولد مجهلة مجبنة مبخلة » ، أى يحمل الوالد على الجهل والجبن والبخل . ل : « مذلة » تحريف .

(٤) ل : « للعيث » . والعيث : الإفساد .

(٥) أبو المطراب ، آخره باء ، كما فى ل ، وكما سبق فى (٤ : ٤٨٢) حيث ترجمة عبيد بن أيوب .

(٦) المتقتر : المتنحي عن الناس. وفيما عدا ل : « ينتشر » محرفة . وفي (٤ : ٤٨٢) : « متقفر » .

(٧) أرنت : صوتت . تبوخ : تسكن وتفتر . تزهر ، وبابه منع : تضيء وتتلألأ . فيما عدا ل : « تبوح » . وما أثبت من ل هو رواية (٤ : ٤٨٢) .

(٨) إنما سموا بذلك لأنهم يتوافرون فى أنفسهم ، لم يدخلوا معهم غيرهم . والتجمير في كلام العرب : التجميع . وقد اختلف العلماء فى تعيين الجمرات . انظر الثعالبى فى ثمار القلوب ١٢٦ والعمدة (٢ : ١٥٨) وزهر الآداب (١ : ٢٠) وجنى الجنتين ٣٦ وشمس العلوم ص ٢٢ والعقد (٢ : ٢٣٣ — ٢٣٤) والشريشى (١ : ٢٩٨) .

وقد ذكر أبو حَيَّةَ النُّميرى قومَه خاصَّةً فقال :

وهمْ جَمْرَةٌ لا يَصطَلِي الناسُ نارَهم ... توَقَّدُ لا تُطفا لِريْبِ النّوائبِ(١)

[ويروى : الدواير(٢)] .

ثم ذكر هذه القبائل فعمّهُمْ بذلك ، لأنها كلَّها مُضَرِيَّة ، فقال :

لنا جَمَرَاتٌ ليس فى الأرض مثلهم ... ثلاثٌ فقَدْ جُرِّبْنَ كلَّ التَّجارِبِ(٣)

نُمَيْرٌ وعَبْسٌ تُتَّقَى صقَرَاتها(٤) ... وضَبَّةُ قَوْمٌ بَأْسُهُمْ غيْرُ كاذِبِ

— [يعنى شدّتها(٥)] —

إلى كل قومٍ قَدْ دَلَفْنَا بِجَمْرَةٍ ... لها عارض جَوْنٌ قَوىُّ المناكبِ(٦)

---

(١) فيما عدا ل : « ما يصطلي » وفيما عدا ل أيضا : « لا تطفى بزيت الرواهب » محرف . وتطفا مسهل تطفأ ، فلذا رسمت بالألف .

(٢) كذا فى ل .

(٣) هذه رواية ل ، وفى س : « ليس للناس مثلها » وفى ط ، هـ : « ليس للناس مثلها » وفى اللسان : «ليس فى الأرض مثلها كرام وقد» .

(٤) الصقرات ، بالقاف : جمع صقرة ، وهى شدة وقع الشمس وحدة حرها . قال ذو الرمة :

إذا ذابت الشمس اتقى صقراتها ... بأفنان مربوع الصريمة معبل

ط ، س : « صفراتها » بالفاء هـ : « صعراتها » بالعين . صوابهما فى ل . وفى اللسان : « نفيانها » .

(٥) هذا تفسير لكلمة « صفراتها » كما فى التنبيه السابق .

(٦) العارض : السحاب المعترض فى الأفق ، والجبل ، ومنه عارض اليمامة . شبه الجيش به . والجون : الأسود ، كأن ذلك لما علاه من صدأ الحديد : والجون . الأبيض أيضا لما فيه من بريق السيوف و الرماح . هـ ، س : « حزن » ط : « مزن » صوابهما فى ل .

(سقوط الجمرة)

وعلى ذلك المعنى قيل : « قد سقَطت الجمْرة » ، إذا كان فى استقبال زمان الدّفاء(١) . و يقولون(٢) : قد سقطت الجمرة الأولى ، والثانية ، [والثالثة(٣)] .

(استطراد لغوى)

والجمار : الحصى(٤) [الذى يُرمَى به . والرّمْى : التجمير] قال الشاعر(٥) :

---

(١) الدفاء : مصدر دفئت من البرد . فيما عدا ل : « من الدفء » .

(٢) الـكلام من « قد سقطت » إلى هنا ساقط من سه .

(٣) سقوط الجمرات فى شهر « شباط » من الشهور السريانية ، ويقابله شهر فبراير من الشهور الرومية . انظر مروج الذهب (١ : ٣٥٢ — ٣٥٣) فى الكلام على الشهور السريانية . فتسقط الأولى فى السابع منه ، والثانية فى الرابع عشر منه ، والثالثة فى الحادي والعشرين منه . وقد أوضح القزوينى تعليل هذه التسمية فى عجائب المخلوقات ٧٣ قال : « معنى سقوط الجمرات أن الناس كانوا يتخذون فى قديم الزمان أخبية ثلاثة فى الشتاء ، محيطا بعضها بالبعض . وكانت دوابهم الكبار كالإبل والبقر فى البيت الأول ، ودوابهم الصغار كالغنم فى البيت الثانى ، وهم كانوا فى البيت الثالث . وكانوا يشعلون جمرات النار فى كل بيت ، ويتخذون الجمر للاصطلاء . فلما كان السابع من شباط أخرجوا دوابهم الكبار إلى الصحراء وجعلوا الصغار مكانها ، وهم سكنوا مكان الصغار ، فحينئذ سقطت من الجمرات الثلاث جمرة . فاذا مضى أسبوع آخر أخرجوا الغنم أيضا إلى الصحراء وهم سكنوا مكانها . فسقطت جمرة أخرى . فاذا مضى أسبوع آخر خرجوا إلى الصحراء وتركوا إشعال النار لقلة البرد وطيب الهواء . فسقطت الجمرات الثلاث » . وهذا التعليل وإن يكن فيه بعض الخيال فإنه يقدم لنا صورة من هـذا التعبير المجازى عن تدرج الدفء . وانظر الأزمنة والأمكنة (١ : ٢٧٦) .

(٤) فيما عدا ل : « والجمار رمى الحصا » . وإنما الجمار الحصى نفسها ، الواحدة جمرة . ورمى الجمار من مناسك الحج . ويقال أيضا للموضع الذى ترمى فيه الجمار : « جمرة » . وهن ثلاث جمرات . وانظر تفصيل ذلك فى كتب الفقه الإسلامى .

(٥) هو عمر بن أبى ربيعة ، والبيت آخر أبيات ستة فى ديوانه ١٢٨ أولها :

وكم من قتيل لا يباء به دم ومن غلق رهنا إذا ضمه منى
ومن مالئٍ عينيه من شىء غيره إذا راح نحو الجمرة البيض كالدمى

ولم أرَ كالتجميرِ منظرَ ناظرٍ ولا كليالِى الحجِّ أفْتَنَّ ذاهوَى [١]

والتجمير أيضا : أن يُرْمَى بالُجنْد فى ثغر من الثُّغورِ [٢] ، ثم لا يُؤْذَنَ لهم فى الرجوعِ . وقال حُمَيْدٌ الأرقطُ [٣] :

فاليومَ لاظلم ولا تَتْبيرُ ولا لغازٍ إنْ غزَا تَجْميرُ [٤]

وقال بعضُ مَنْ جُمِّرَ من الشعراء فى بعض الأجناد [٥] :

مُعاوِىَ إمّا أنْ تُجَهِّزَ أهْلَنَا إلينا ، وإما أنْ نَؤُوبَ مُعاويا [٦]

أجَمَّرْتَنَا تجميرَ كِسْرى جُنُودَهُ ومَنَّيْتَنَا حتى مَلِلنا الأمانِيا [٧]

---

(١) فى اللسان (١٧ : ١٩٤ س ٢١) : « أفتنته إفتانا فهو مفتن ، وأفتن الرجل وفُتِن فهو مفتون : إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله » . فيما عدا ل : « افتر » بالراء تحريف . وانظر الموشح ٢٠٣ والأغانى (١ : ١٠٣) وكامل المبرد ٣٧٠ ليبسك .

(٢) الثغر : موضع المخافة من فروج البلدان ، وهو أيضا الموضع الذى يكون حدا فاصلا بين بلاد المسلمين والكفار ، وهو موضع المخافة من أطراف البلاد . فيما عدا ل : « من ثغور المسلمين » .

(٣) حميد الأرقط ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية ، كان معاصرا للحجاج . وهو حميد بن مالك بن ربعى بن مخاشن ، ينتهى نسبه إلى زيد مناة بن تميم . وسمى الأرقط لآثار كانت بوجهه . الخزانة (٢ : ٤٥٤) .

(٤) التتبير : الإهلاك . ل : « تسبير » وأراه محرفا . هـ : « لغار إن غذا » تصحيف .

(٥) الأجناد : جمع جند . والجند : العسكر ، والمدينة . وخص به أبو عبيدة مدن الشام . وأجناد الشام خمس كور . ابن سيده : يقال الشام خمسة أجناد : دمشق ، وحمص ، وقنسرين ، والأردن ، وفلسطين ، يقال لكل مدينة منها جند .

(٦) جهز المسافر : أعد له مايحتاج إليه فى وجهه . وكذا تجهيز الغازى : إعداد ما يحتاج إليه فى غزوه . فيما عدا ل : « تجمر » محرف .

(٧) كسرى هذا ، وهو كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان . وفى أيامه كانت حروب ذى قار ، لتمام أربعين من مولد الرسول عند البعثة . وجاء فى رسالة ابنه شيرويه إليه : « ومنها تجميرك الجنود فى ثغور الروم وغيرها وتفريقك بينهم وبين أهليهم » . انظر كامل ابن الأثير (١ : ٢٩٤) . فيما عدا ل : « إجمار كسرى » محرف . ورواية اللسان .

وجمرتنا تجمير كسرى جنوده ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

وقال الجعديّ :

كالخلايا أنشأنَ من أهل ساباطَ بجُنْدٍ مُجمَّرٍ بأَوالِ[1]

ويقال : [قد] أجمر الرَّجُل ، إذا أسرع [أ] وْ أعْجَلَ مرْكَبَهُ .

وقال لَبيد :

وإذا حرَّكْتُ غَرْزِى أجْمَرَتْ أوْ قِرَابي ، عَدْوَجَوْنٍ قَدْ أَبَلْ[2]

وقال الراجز :

أَجْمَرَ إجْمَارًا لَهُ تَطْمِيمُ[3]

[التّطميم : الارتفاع والعلوُّ] . ويقال أجْمَرَ [ثوبَه ، إذا دخّنه[4] .

والمِجْمرة : والمِجْمر الذى يكون فيه الدُّخنة[5] . و] هو مأخوذٌ من الجمْر .

---

(١) فيما عدا ل : « بالخلايا أتاك » . ط : « أهل غرسان » س ، ه : « غسان » . وأوال : قرية ، واسم موضع مما يلى الشام . قال الجعدي فيه أيضا (اللسان (١٣ : ٤١ — ٤٢) :

ملك الخورنق والسدير ودانه ما بين حمير أهلها وأوال

فيما عدا ل : « بأزال » . وأزال : اسم مدينة صنعاء . وهو تحريف . وساباط : موضع بالمدائن .

(٢) الغرز ، بالفتح : هو للجمل مثل الركاب للبغل ، وهو ما يكون مساكا للرجلين فى المركب . ه ، س : « عودى » . والقراب ، بالكسر : غمد السيف . ل « قراى » ه ، « أوقدت » س : « أو قريب » صوابه فى ط والديوان ١١ واللسان (غرز ، جمر) وأخبار مكة للأزرق (٢ : ١٤٥) . والجون : الأبيض ، عنى به حمار الوحش وهو يوصف بالبياض . اللسان (١٦ : ٢٥٥) . وأبل : اجتزأ بالرطب عن الماء ، يقال . أبل من بابى ضرب وخرج ، أبلا وأبولا ، وأبل كعلم ، وتأبّل .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط : ه : « أجمرت إجمار الذي يهمهم » و س : « أجمر فاجمار الذي يهمهم » .

(٤) فى اللسان : « أجمرت الثوب وجمرته : إذا بخرته بالطيب » .

(٥) الدخنة ، بالضم : بخور يدخن به الثياب أو البيت .

٤٣ ويقال : قد جَمَّرت المرأةُ شَعْرَها إذا ضَفَرَته . و [الضَّفر] يقال له الجمير[(١)] . [قال : ويسمى الهلالُ قبل ليـلةِ السِّرار[(٢)] بلَيلةٍ « ابن جَمِير » قال أبو حَرْدَبة[(٣)] :

فهل الإله يُشيعُنى بفوارسٍ لبَنِى أمَيّة فى سِرار جَمير[(٤)]]

وأنشد [نى] الأصمعيُّ :

مَضفُورُها يُطوَى على جَميرها[(٥)]

ويقال : قد تجمَّر القوم ، إذا هم[(٦)] اجتمعوا حتى [يصير] لهم بأسٌ ، ويكونوا[(٧)] كالنارِ على أعدائهم فكأنهم جمرةٌ ، أو[(٨)] كأنهمْ جَميرٌ من شعر مضفور ، أو حَبل مُرصَّعِ القُوَى[(٩)] .

وبه سمِّيت تلك القبائلُ والبطونُ من تميم : الجمار[(١٠)] .

والمجمَّر مشدّد الميم[(١١)] : حيثُ يقع حصى الجمار[(١٢)] . وقال الهذلى[(١٣)] :

(١) الضفر ، بالفتح : مثل الضفيرة ، وهى العقيصة . اللسان (٦ : ١٦١ س ٢١) . والجمير : ما جمر من الشعر أي ضفر . اللسان (٥ : ٢١٧ س ٢) .

(٢) السرار ، بالكسر والفتح : آخر ليلة من الشهر .

(٣) أبو حردبة ، هو أحد لصوص العرب ، من بنى أثال بن مازن ، وكان رفيقا لمالك بن الريب ، وشظاظ ، فى أول أيام بني أمية . وانظر أخبارهم فى ترجمة مالك بن الريب ، فى الأغانى (١٩ : ١٦٣ — ١٦٩) وتاريخ الطبرى ، القسم الثانى ص ١٧٩ . فى الأصل ، وهو هنا ل : « ابن حدربة » تحريف .

(٤) أشاعه الشيء : أصحبه إياه .

(٥) ل : « يطفو علي جميرها » . س : « يطرى على جميرها » .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، هـ .

(٧) ط فقط : « ويكونون » محرف .

(٨) كذا فى ل . وفى سائر النسخ : « فكأنهم جمروا حتى » .

(٩) القوى : طاقات الحبل . مرصع : معقود عقدا مثلثا متداخلا ، وذلك الترصيع . فيما عدا ل : « موضع » وهو تحريف .

(١٠) انظر التنبيه الثامن من الصفحة ١٢٣ .

(١١) ل : « مشددة الجيم » صوابه فى سائر النسخ .

(١٢) س ، هـ : « حصن » ط : « حصا » صوابه فى ل.

(١٣) هو حذيفة بن أنس الهذلى ، كما فى اللسان (٥ : ٢١٧) ومعجم البلدان (٧ : ٢٨٩) وقد أنشد ابن السكيت بيتاً من هذه القصيدة فى الألفاظ ٥٣٣ وهو : =

لأَدْرَكَهُمْ شُعْثَ النَّوَاصِي كأنهمْ   سَوابقُ حُجّاجٍ تُوَافِي الجِمَرَا[1]

ويقال خُفٌّ مجمَّر : إذا كان مجتمعا شديداً .

ويقال : عدَّ فلانٌ إبله أو خيله أو رجاله جَمارًا[2] . إذا كان ذلك جُملة واحدة . وقال الأعشى :

[فمَنْ مُبْلَغٌ وائلاً قومَنا]   وأعْنِى بذلك بَكراً جَمارَا[3]

قال : ويقال فى النار وما يسقط من الزَّند: السِّقط ، والسُّقط ، [والسَّقْط].

ويقال: هذا مَسقِط الرمل ، أى مُنْقَطَع الرمل[4] . ويقال أتانا مَسْقِط النَّجْمِ ، إذا جاء حين غاب[5] .

ويقال رَفَعَ الطائرُ سِقْطَيْهِ[6] . وقال الشاعر[7] :

حتى إذا ما أضاء الصُّبْحُ وانبعثتْ   عنهُ نعامةُ ذِى سِقْطَيْنِ مُعْتَكِرِ[8]

= ألا يا فتى ما نازل القوم واحدا   بنعمان لم يخلق ضعيفا مثبرا

(١) قال التبريزى : « مدح رجلا من قومه » . وقبل هذا البيت ، كما في المعجم :

فلو أسمع القوم الصراخ لقوربت   مصارعهم بين الدخول وعرعرا

(٢) جمارا ، بالفتح : أى جماعة ، كما ضبط فى اللسان والقاموس ، وصرح فى الأخير أنه كسحاب . وفى ل : «جماراً» بالكسر . وفىسائر النسخ « فأجمر » تصحيف . وفيما عدا ل أيضا : « ويقال : عمد إلى إبله وخيله » وفى س : « وخيله ورجاله » .

(٣) فيما عدا ل : « وأعني بذلك » . وصوابه فى ل والديوان ٤٣ واللسان (جمر) . و « جمار » ضبطت فى الديوان ، وفي اللسان بالفتح ، وانظر التنبيه السابق . وصدر البيت فى الديوان : « فن مبلغ قومنا مألكا » .

(٤) المسقط ، بكسر القاف ، وفتحها لغة نادرة ، وإن كانت القياس .

(٥) ط فقط : « أتانى » ، والضمير فى غاب للنجم .

(٦) السقطان ، بالكسر : الجناحان . فيما عدا ل : « وقع الغائب سقطته » صوابه فى ل واللسان (٩ : ١٩٢) .

(٧) هو الراعى ، كما فى اللسان (٩ : ١٩٢ س ٤) .

(٨) عنى بالنعامة : سواد الليل ، وسقطاه : أوله وآخره . أي مضى الليل ذو السقطين ، وصدق الصبح . فيما عدا ل : « عنا » صوابه فى ل واللسان . والمعتكر : الذى اشتد سواده واختلط والتبس . فيما عدا ل : « منعكر » صوابه فيها وفى اللسان .

(١) أراد ناحيتى الليل .

ويقال : شبّت النار والحرب تَشِبّ شَبًّا ، وشببْتها أنا أشبُّها شَبًّا(٢) ، وهو رجل شَبُوبٌ(٣) للحرب .

ويقال : حَسَبٌ ثاقب ، أى مضىء متوقد(٤) . وكذلك يقال فى العلم .

ويقال: هب لى ثَقوبا ، وهو ما أثقَبْتَ به النار(٥) ، من عُطْبَةٍ أو من غيرها(٦) .

ويقال: أثقب النار إذا فتح عَيْنَهَا(٧) لتشتعل . وهو الثَّقوب ، ويقال(٨) ثَقَبَ الزندُ يثقُب ثُقوباً ، إذا ظهرت ناره . وكذلك النار . والزند الثاقب الذى إذا قدِح ظهرت النار منه .

ويقال : ذَكَتِ النارُ تَذْكُو ذُكُوًّا ، إذا اشتعلت . ويقال ذَكّها إذا أريد(٩) اشتعالها . وذُكاء: [اسم] للشمس(١٠) ، مضموم الذال المعجمة . وابن ذُكاء : الصبح ، ممدود(١١) مضموم الذال . [و] قال العجّاج(١٢) :

---

(١) هنا فيما عدا ل : « ويروى معتكر » .
(٢) ط فقط : « واشتها شبا » ، وهو نقص وتحريف .
(٣) شبوب : يشبها ، ويذكى نارها . فيما عدا ل : « مشبوب » محرف .
(٤) ﻫ : « خشب » تصحيف . وفيما عدا ل : « أي فى معنى متوقد » وفيه ركة .
(٥) أثقب النار ، وثقبها بالتشديد : أشعلها . ﻫ : « ثقب » وهى صحيحة كما رأيت . س « الدار » محرف .
(٦) العطبة ، بالضم : واحدة العطب بضم وبضمتين ، وهو القطن ، أو خرقة تؤخذ بها النار . ط ، ﻫ : « حطبة » ولم أجد هذا المفرد من الحطب . والحطب : ما يتخذ شبوبا للنار تشعل به . س : « خطبة » تصحيف ، وأثبت ما فى ل . وكلمة « من » ساقطة من ل .
(٧) فيما عدا ل : « فتح عنهما » .
(٨) فيما عدا ل : « ويتال أيضا » .
(٩) ل : « أراد » س : « أردت » .
(١٠) فيما عدا ل : « الشمس » .
(١١) ط ، ﻫ : « مضموم الذال ممدودا » .
(١٢) نسبه فى اللسان (٦ : ٤٦٤) إلى حميد . والبيت فى المقصور ٤٤ وثمار القلوب ٢١٠ مسبوقا بـ « قال الراجز » فيهما . وفى المخصص (٩ : ١٩)مسبوقا بكلمة : « وأنشد » .

وابنُ ذُكاءٍ كامنٌ فى كَفْرِ [١]

وقال ثعلبة بن صُعَيرٍ المازنى . وذكر ظليما ونعامة :

فتذكَّرا ثَقَلاً رَثيداً بعدَ ما ألْقَتْ ذُكاء يمينَها فى كافرِ [٢]

وأما الذكاء مفتوح الذال ممدود فحدَّة الفُؤاد ، وسُرعةُ اللَّقْنِ [٣] .

وقالوا : أضْرَمْتُ النارحتى اضطرمتْ ، وألهبْتُها حتى التهبت ، وهما واحد .

والضِّرام من الحطب : ما ضَعُف منه ولاَن . والجزْل : ما غلُظ واشتدَّ .

فالرِّمْث [٤] وما فوقه جَزْل . والعرْفَج ، وما دونه ضِرام . والقصب [٥] وكل

شىء ليس له جمرٌ فهو ضِرام . وكل ماله جَمر فهو جَزل .

ويقال : ما فيها نافخ ضَرَمَة ، أى ما فيها أحدٌ ينفخ ناراً . ٤٤

ويقال: صَلَيْتُ الشاةَ فأنا أصْليها صَلْياً إذا شوَيتها ، فهي مَصْليَّة . ويقالُ

---

(١) الكفر ، بالفتح : ظلمة الليل وسواده ، وقد يكسر . وفى اللسان : « أى فيما يواريه من سواد الليل » . ط ، هـ : « فى كفره » وهو تحريف . وقبله :

فوردت قبل انبلاج الفجر

(٢) ضمير « فتذكرا » للنعامة والظليم . والثقل ، ههنا : البيض . الرثيد : المنضود بعضه فوق بعض . وهو مما خالف فيه ثعلبة الشعراء ، فهم يذكرون أن النعامة تضع بيضها طولا وعرضا على خط وسطر . انظر الحيوان (٤ : ٣٢٨) ، وعيون الأخبار (٢ : ٨٧ — ٨٨) . والكافر : الليل ، لأنه يكفر الأشياء أى يسترها . وانظر لهذا البيت المخصص (٩ : ١٩ و١٧ : ٩) والأمالى (٢ : ١٤٥) ، وزهر الآداب (٤ : ١١٥) ، وإعجاز القرآن ٢٠٠ ، والشعراء ٥٥ ، والمقصور ٤٤ ، والمفضليات ١٥٢ واللسان (٦ : ٤٦٣-١٨ : ٣١٤) . هـ : « ربيدا » س : « رشيدا » تصحيف .

(٣) ل : « ممدود مفتوح الذال » . واللقن ، بفتح اللام وسكون القاف : مصدر لقن الشىء يلقنه : أسرع فى فهمه .

(٤) الرمث ، بالكسر : شجر يشبه الغضى . هـ : « كالرثم » س : كالرمث » محرفان .

(٥) القصب ، هو القصب الفارسى . ط ، هـ : « اللصب » ، وهو بفتح فكسر : ضرب من الشعير ، ويبدو أن صوابه ما أثبت من ل . والكلام من هذه إلى كلمة « ضرام » ساقط من س .

صَلِيَ الرجُلُ النار يَصْلاها[١] ، وأصلاه الله حرَّ النارِ إصلاءً . وتقول: هو صالٍ حرَّ النار ، فى قومٍ صالين وصُلًّى[٢] .

ويقال: هَمَدت النار تَهْمُدُ هُموداً ، وطفِئَتْ تطفَأ طُفُوءًا[٣] إذا ماتت . وخَمَدَتْ تَخْمُدُ خُموداً ، إذا سكَنَ لهبُها و بَقِيَ جمراً[٤] حارًّا .

وشبّت [النار] تشبُّ شبُو باً إذا هاجتْ والتهبت[٥] وشبَّ الفرسُ بيديه فهو يشبّ شِبابا[٦] ، وشبّ الصبيّ يشبُّ شَبابا[٧] . و يقال: ليس لك عَضَّاضٌ ولا شَبّاب[٨]

ويقال : عَشَا[٩] إلى النار [فهو] يعشو إليها عَشْواً وعُشُوًّا ، وذلك يكونُ من أول الليل ، يرى ناراً فيعشو إليها يستضىء بها . قال الحطيئة :

متى تأتهِ تَعْشُو إلى ضَوْء نارِهِ   تجِدْ خيرَ نارٍ عندها خيرُ مُوقِدِ[١٠]

ويقال : عَشِيَ الرجل يَعْشَى عَشاوةً ، وهو رجلٌ أعشى ، وهو الذى [لا] يبصر بالايل . وعشِيَ الرجلُ عَلَى صاحبِه يعشَى عَشًا شديداً[١١] .

---

(١) ط ، سه : « فهو يصلاها » .
(٢) فيما عدا ل : « صال وصلاة » . تحريف .
(٣) ط ، ﻫ : « طفوا » بالتسهيل . وأثبت ما فى ل ، سه .
(٤) فيما عدا ل : « وبقى جمرها » . وخمد ، بابه نصر وسمع .
(٥) ل ، س : « إذا هيجت » . وفى ل : « وألهبت » من الإلهاب .
(٦) الشباب ، بالكسر ، ومثله الشبيب والشبوب ، وهو أن يرفع يديه جميعا كأنه يثب . ل : « شبيبا » وهى صحيحة .
(٧) الشباب ، ههنا ، بالفتح . وهذه الفقرة ساقطة من ل .
(٨) أي فرس يعض أو يشب ، وفيما عدا ل : « غضاض » بالغين المعجمة .
(٩) كذا على الصواب فى س . وفي سائر النسخ : « عشى » . والحق أن فيها لغتان : عشا يعشو ، وعشى يعشي ، الثانية من باب فرح .
(١٠) من قصيدة له فى ديوانه ٢١ — ٢٥ . وبعد هذا البيت فى ل زيادة : « وقال الأعشى وبات على النار الندى والمحلق » ولم أجد لها وجها .
(١١) فى القاموس : « عشي عليه عشا ، كرضى : ظلمه » . وفى اللسان : « عشي عليه عشى : ظلمه » فرسم المصدر بالياء ، ووجهه بالألف ، لأن أصله الواو ، كالرضا .

(نار الحرب)

ويذكرون ناراً أخرى ، وهى على طريق المثل لا على طريق الحقيقة ، كقولهم فى نار الحرب[١] . قال ابن مَيَّادة :

يداه يدٌ تَنهَلُّ بالخـــير والنّدا   وأُخْرَى شديدٌ بالأعادى ضَرِيرُها[٢]
وناراهُ : نارٌ نارُ كَلٍّ مُدَفَّعٍ   وأخرى يُصيبُ المجرمينَ سَعيرُها[٣]

وقال ابن كُناسَةَ[٤] :

خَلْفَهَا عارضٌ يَمُدُّ عَلَى الآفا   قِ سِتْرَيْنِ مِنْ حديدٍ ونارِ[٥]
نارُ حربٍ يشُبُّها الحدُّ والجِدْ   دُ وتُعْشِى نوافذَ الأبصارِ[٦]

وقال الرّاعى :

وغارَتُنَا أَوْدَتْ بِبَهْرَاءَ ، إنها   تُصيبُ الصرِيحَ مَرّةً والمواليا[٧]

---

(١) هى غير نار الحرب الحقيقية التي سبق حديث الجاحظ عنها فى (٤ : ٤٧٤ — ٤٧٥).

(٢) ط ، هـ : « بالغيث » . والضرير ، بالضاد المعجمة : الشدة ، وبه فسر قوله :

بمنسحة الآباط طاح انتقالها   بأطراقها والعيس باق ضريرها

ط ، س : « صريرها » بالمهملة ، صوابه فى ل ، هـ .

(٣) الكل ، بالفتح : من يعوله غيره ، أو اليتيم . المدفع ، بتشديد الفاء المفتوحة : الفقير الذليل ، لأن كلا يدفعه عن نفسه .

(٤) هو محمد بن كناسة . واسم كناسة عبد الله بن عبد الأعلى الأسدي ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، كوفى المولد والنشأة ، قد حمل عنه شيء من الحديث ، وكان إبراهيم ابن أدهم الزاهد خاله . وكانت له جارية شاعرة مغنية يقال لها : دنانير ، وكان أهل الأدب وذوو المروءة يقصدونها للمذاكرة والمساجلة فى الشعر . وله مؤلفات : منها « كتاب سرقات الكميت من القرآن » . ولد سنة ١٢٣ وتوفى سنة ٢٠٧ . انظر ابن النديم ١٠٥ مصر ٧٠ ليبسك ، والأغاني (١٢ : ١٠٥ — ١١٠) . ط ، هـ : « ابن كنانة » صوابه فى ل ، سه .

(٥) العارض : السحاب يعترض فى الأفق ، أراد به الجيش . ل : « ستران » .

(٦) الحد ، بفتح المهملة : الحدة والبأس . فيما عدا ل : « الحر » محرف . النوافذ : النافذات الحديدات النظر . تعشى البصر : تضعفه . ط : « تغشى » ل : « يعشى » صوابه فى سه ، هـ .

(٧) بهراء : قبيلة . فيما عدا ل : « ببيداء » محرف ». الصريح : الخالص النسب .

وكانتْ لنا ناران : نارٌ بجاسِمٍ ونارٌ بدَمْخ يُحرِقانِ الأعاديا[١]

جاسم : بالشام . ودمْخ جَبَلٌ بالعالية[٢] .

(نار القِرى)

ونار أخرى ، وهى مذكورةٌ عَلَى الحقيقة لاعلى المثل ، وهى مِن أعظم مفاخر العرب ، وهى [النار] التى تُرْفَع للسفْر[٣] ، ولمن يلتمسُ القِرَى . فـكلما[٤] كان موضِعُها أرفَعَ كان أفخر . [و] قال أميَّةُ بن [أبى] الصلْت:

لا الغيابات ُ مُنْتَوَاكَ ولـكنْ فى ذُرَى مُشْرِفِ القصورِ ثوَا كَا[٥]

وقال الطائى[٦]

وبوَّأْتَ بَيْتَكَ فى مَعْلَمٍ رَفيعِ المَبَاءَةِ والمَسْرَحِ[٧]

(١) جاسم : قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ . ودمخ : جبل كان به يوم من أيامهم . فيما عدا ل « بمرخ » محرف .

(٢) أى عالية نجد . فيما عدا ل : « ومرخ بالعالية » تحريف .

(٣) السفر ، بالفتح : المسافرون .

(٤) فيما عدا ل : « فـكل ما » مفصولة . والوجه الوصل .

(٥) الغيابة : ما انهبط من الأرض . ط ، هـ : « القبايات » سه : « القبابيات » صوابه فى ل . والمنتوى : الموضع ينتويه القوم حين يتحولون من مكان إلى مكان . والذرى : الأعالى . والثواء : الإقامة ، قصره للشعر . فيما عدا ل : « ذرا كا » ، وقد سبق البيت محرفا فى (١ : ٣٨٢) .

(٦) ل : « الـكناني » . ولعل صوابهما « العماني » ، فان له قصيدة فى هذا الوزن والروى يمدح بها عبد الملك بن صالح الهاشمى ، وأنشد منها أبو الفرج فى الأغاني (١٧ : ٨١ ساسى) بيتين ، وهما :

نمتـه العرانين من هاشم إلى النسب الأوضح الأصرح
إلى نبعة فرعها فى السماء ومغرسهـا سرة الأبطـح

(٧) المباءة : المنزل . وفى (١ : ٣٨١) : « رحيب المباءة » .

كَفَيْتَ العُفَاةَ طِلاَبَ القِرَى وَنَبْحَ الكِلاَبِ لِمُسْتَنْبِحِ [(١)]
ترى دَعْسَ آثارِ تِلْكَ المطِيِّ أخاديدَ كاللَّقَمِ الأفْيَحِ [(٢)]
ولو كنتَ في نَفَقٍ رائغٍ لَكُنْتَ عَلَى الشَّرَكِ الأوْضحِ [(٣)]

وأنشد [نى] أبو الزِّبرقان [(٤)] :

له نارٌ تُشَبُّ بكلِّ ريع إذَا الظلماءُ جَلَّلَتِ البقاعا [(٥)]
وما إن كان أكْثَرَهُمْ سَوَامًا ولكنْ كان أرْحَبَهُمْ ذِرَاعا [(٦)]

[ويروى: « ولَمْ يَكُ أكْثَرَ الفِتْيانِ مالا »] .

وفى نار القِرَى يقول الآخر :

عَلَى مِثْلَ هَمَّامٍ ولَمْ أرَ مِثْلَهُ تُبَكِّى البَوَاكِى أو لبِشْرِ بنِ عامر
غلامان كان استَوْرَدَا كلَّ مَوْرِدٍ مِنَ المجدِ ثمّ استوسعا فى المصادر [(٧)]

---

(١) العفاة : جمع عاف ، وهو من يطلب المعروف . فيما عدا ل : « ضياء القدور » وفى الجزء الأول : « كلاب الضرام » محرفان . والمستنبح : الذي ينبح لترد عليه الكلاب بنباحها ، فيستدل على أهل المنزل . يقول : كفيتهم ذلك باختيارك هذا المنزل العالي .

(٢) الدعس : أثر الوطء . والأخدود : الشق الغامض المستطيل . واللقم ، بالتحريك : وسط الطريق . والأفيح : الواسع . أراد : آثار مطايا الذين يقصدونه للمعروف .

(٣) النفق : السرب فى الأرض له مخلص إلى مكان آخر . رائغ : مائل . ط ، سه : « رائع » بالمهملة محرف . وفى هـ ، والجزء الأول : « زائغ » وهو بمعنى ما أثبت من ل . والشرك : وسط الطريق . يقول : لو اضطررت إلى ذلك ما اخترته إلا حيث يطرق الناس .

(٤) ط ، سه : « وأنشد» . هـ : « وأنشدني أبو الزبير قال » . والبيتان اختارهما أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٦٨ — ٢٦٩) منسوبين إلى أبى زياد الأعرابى الكلابى .

(٥) الربيع ، بالكسر : المكان المرتفع . ورواية الحماسة : « على يفاع » ل : « ريح » سه : « ربع » وأثبت ما فى ط ، هـ . جللت : غطت . ط : « القناعا » سه : « الصناعا » صوابه فى ل ، هـ . وفى الحماسة :

« إذا النيران ألبست القناعا »

(٦) السوام : الإبل الراعية .

(٧) ط : « استوثقا » سه ، هـ : « استوسقا » . ط ، سه : « بالمصادر » .

كأن سَنَا نارِيهما كلَّ شَتْوَةٍ سَنَا الفجرِ يبدُو للعُيُونِ النّواظِرِ

وفي ذلك يقولُ عوفُ بن الأحوص (١)

وَمُسْتَنْبِحٍ يَخْشَى القَوَاءَ وَدُونَهُ مِنَ اللَّيلِ بَابَا ظُلْمَة وسُتُورُها (٢)

رَفَعْتُ لَهُ نَارِى فلمَّا اهتدَى بها زَجَرْتُ كِلَابِي أن يَهِرَّ عَقُورُها (٣)

فلا تسألينى واسألى عَنْ خليقتى إذا رَدَّ عافى القِدْرِ مَنْ يَسْتَعِيرُها (٤)

تَرَىْ أنّ قِدْرِى لاتزالُ كأنَّها لذِى الفروة المقرور أمٌّ يَزُورُها (٥)

مبرّزَة لايُجْعَلُ السِّتر دُونَهَا إذا أُخْمِدَ النيرانُ لاحَ بشيرُها (٦)

إذا الشّوْلُ راحَتْ ثم لَمْ تفْدِ لحمَهَا بألبانها ذاقَ السِّنَانَ عَقِيرُها (٧)

---

(١) عوف بن الأحوص : هو عوف بن ربيعة بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . والأحوص لقب أبيه . وتقدمت ترجمة عوف فى (٢ : ٨) . والأبيات من قصيدة له فى المفضليات ص ٧٨ ، أو (١ : ١٧٤ طبع المعارف) . ط : « عبيد ابن الأبرص » سه ، ه : « عبيد بن الأحوص » صوابه ما أثبت من ل.

(٢) القواء : الخالى من الأرض : أى يخشى أن يهلك فيه . فيما عدا ل : « العداة » صوابه فى ل والمفضليات .

(٣) ط ، ه : « نارا » وأثبت ما فى ل ، سه والمفضليات .

(٤) ط ، ه : « فلا تسألى واسألن » وأثبت ما فى ل ، سه والمفضليات . عافى القدر ، قال الأصمعى : كانوا فى الجدب إذا استعار أحدهم قدرا رد فيها شيئا من طبيخ ، فالعافى ما يبقونه .

(٥) ذو الفروة : السائل المستجدي . وفروته : جعبته التى يضع فيها ما يعطى . المقرور : الذى اشتد به البرد . ط ، سه : « الغرث » ه « الفرت » صوابه فى ل والمفضليات . ل : « المفرور » ه : « المغرور » صوابه فى ط ، سه والمفضليات .

(٦) مبرزة : ظاهرة بارزة ، يعنى النار ، فيما عدا ل : « مبررة » صوابه فى ل والمفضليات و « الستر » هى فى سه ، ط : « الشر » وفى ه : « السر » صوابه فى ل والمفضليات وفيما عدا ل : « خمد » . بشيرها : ضوءها يبشر الناظر إليه ويستدل به على الخير .

(٧) الشول : الإبل التى شولت ألبانها ، أى ارتفعت . راحت : رجعت من المرعى . يقول : إذا راحت ولم يكن بها لبن عقرتها . فيما عدا ل : « لم يفد » و « إن السنان » وما أثبت من ل هو رواية المفضليات .

(خبر وشعر فى الماء)

(١) أما إن ذكرْنا جُملةً من القول فى الماء(٢) من طريقِ الكلام وما يدخُل فى الطب ، فسنذكُر من ذلك جملة فى باب آخر :

قالوا : مدَّ الشعبى(٣) يدهُ وهو على مائدة قتيبة بن مسلم(٤) يلتمس الشرابَ ، فلم يَدْرِ صاحبُ الشرابِ اللبن ، أم العسلَ ، أم بعضَ الأشربة؟ فقال له: أى الأشربةِ أحبُّ إليك ؟ قال: أعزُّها مفقوداً ، وأهونُها موجودا ! قال قُتيبة : اسقِهِ ماءً(٥) .

وكان أبو العتاهية فى جماعة من الشعراء عند بعض الملوك ، إذ شربَ رجلٌ منهم ماء ، ثم قال : « بَرَدَ الماء وطابَ » فقال أبو العتاهية : اجعله شِعْرًا(٦) . ثم قال : مَنْ يُجيز هذا البيت ؟ فأطرق القومُ مفكرين ، فقال ٤٦
أبو العتاهية : سبحان الله ! وما هذا الإطراق ؟! ثم قال :

بَرَدَ الماء وطابا حبَّذا الماء شرابا

وقال الله عز وجل : ﴿ أنْهارٌ مِنْ مَاءٍ غيرِ آسِن(٧) ﴾ ثم لم يذكرْهُ

---

(١) الكلام من هنا إلى الصفحة ٤٩ من طبعة الساسى ساقط من نسخة كوبريلي ، المرموز إليها بالحرف ل .

(٢) فى الأصل : « النار » وسياق الكلام يقتضى ما أثبت .

(٣) هو عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميرى . وكان من كبار الحفاظ ، واستقضاه عمر بن عبد العزيز . ولد بالكوفة سنة ١٩ وتوفى بها سنة ١٠٣ . ونسبته إلي « شعب » بالفتح ، وهو بطن من همدان .

(٤) سبقت ترجمته مع ولده مسلم بن قتيبة فى (٣ : ٤٥٠) .

(٥) روى هذا فى عيون الأخبار (٢ : ٢٠٠) مع اختصار . وفيها أيضاً « سلم بن قتيبة » وهو ولد آخر لقتيبة ، وأخوه مسلم بن قتيبة .

(٦) يصح أن تقرأ بضبط الأمر ، وبضبط المضارع أيضا .

(٧) فى الآية ١٥ من سورة محمد . وفى الأصل : « وأنهار من ماء غير آسن » بزيادة الواو ، وهو من شنيع التحريف . انظر (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠) وص ٣٢ من هذا الجزء والآية : « مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين » . والآسن : المتغير .

بأكثر من السلامةِ من التغيُّر ؛ إذ كان الماء متى كان خالصا سالماً لم يحتجْ إلى أن يُشربَ بشيء غيرِ مافى خلقته من الصَّفاء والعُذوبة ، والبَرْدِ والطِّيب ، والحُسنِ ، والسَّلَس فى الحلْق . وقد قال عدىُّ بن زَيد[1] :

لوْ بِغَيْرِ المـاءِ حَلْقِي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماء اعتصارى[2]

قال أبو المطراب[3] عبيد بن أيُّوبَ العنبرىُّ :

وأولُ خُبْثِ الماء خُبْثُ تُرابِه وأولُ خُبْثِ النّجلِ خُبْثُ الحلائِلِ[4]

وأوصَى رجلٌ من العرب[5] ابنته ليلةَ زفافها بوصايا ، فكان مما قال لها : « احذَرِى مَوَاقِعَ أنْفه[6] ، واغتسلى بالماء القَرَاح[7] ، حتى كأنكِ شنٌّ ممطور[8] ! » .

وأوصت امرأة ابنتها بوصايا ، فكان منها : « وليكنْ أطيَبَ طِيبك الماء » .

وزعموا أنها القائلةُ لبنتها[9] :

(١) هو عدي بن زيد العبادى ، شاعر فصيح من شعراء الجاهلية ، وكان نصرانياً ، وكذلك كان أبوه وأمه وأهله . وأخباره مسهبة في الأغانى (٢ : ١٧ — ٤٠ ساسى) . ط « علي بن زيد » صوابه فى س ، هـ .

(٢) الاعتصار : أن يغص الإنسان بالطعام فيعتصر بالماء ، وهو أن يشرب به قليلا قليلا . والبيت من أبيات ذكرها أبو الفرج في الأغاني (٢ : ٢٤) أولها :

أبلغ النعمان عنى مالـكا أننى قد طال حبسى وانتظارى

(٣) ط : أبو المطراد » س ، هـ : « أبو المطران » . وانظر التنبيه الخامس ص ١٢٣ .

(٤) النجل : الولد . والحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوج . والبيت فى المستطرف (٢ : ٢١٨) ، وعجزه فيه : « وأول خبث القوم خبث المناكح » .

(٥) هو الفرافصة الـكلبى ، يوصى ابنته نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو ، حين جهزها إلى عثمان بن عفان . انظر الوصية بتمامها فى الأغاني (١٥ : ٦٧) وعيون الأخبار (٤ : ٧٦) . والنص فيهما : « حتى يكون ريحك ريح شن أصابه المطر » .

(٦) أى حيث يشم .

(٧) القراح ، بالفتح : الماء الخالص .

(٨) الشن ، بالفتح : القربة الخلق . والممطور : الذي أصابه المطر .

(٩) س : « لابنتها » .

بُنَيّتى إن نامَ نامِى قَبْلَهُ[١] وأَكْرِمِى تابعهُ وأَهْلَهُ
ولا تكونى فى الخِصامِ مِثْلَهُ فتَخْصِميهِ فتكونى بَعْلَهُ[٢]

ومن الأمثال :

فأصبحت مما كان بينى وبينَها سوى ذِكْرِها كالقابض الماء باليد[٣]

وأخذ المسيحُ عليه السلام فى يده اليُمْنى ماءً ، وفى يده اليسرى خُبزاً فقال : « هذا أبى ، وهذا أمّى[٤] » ، فجعل الماء أباً ، لأن الماء من الأرض يقومُ مقام النطفةِ من المرأة .

وإذا طُبِخ الماء ثم بَرَد لم تَلْقَحْ عليه الأشجار ، وكذلك قُضبان الشجر[٥] . والحبوبُ والبذور[٦] لو طُبِخت طبخةً ثمَّ بُذِرَت لم تَعْلق[٧] .

وقالوا فى النظر إلى الماء الدائم الجريان[٨] ما قالوا .

وجاء فى الأثر : من كان به برصٌ قديمٌ فليأخذْ دِرْهمًا حلالا ، فلْيَشْتَرِ به عَسَلًا ، ثم يشربَهُ بماء سماء ؛ فإنه يبرأ بإذن الله .

والنزيف[٩] هو الماء عند العرب .

---

(١) فى الأصل : « بنى إن نام فنامى قبله » .

(٢) خصمه يخصمه : غلبه فى الجدال . ولصاحب القاموس فى هذه الصيغة بحث ممتع .

(٣) مثله قول المجنون .

فأصبحت من ليلى الغداة كقابض على الماء خانته فروج الأصابع

(٤) النص فى إنجيل متى (٢٦ : ٢٦ — ٢٨) : « وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ ، وقال : خذوا كلوا هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلا : اشربوا منها كلكم ، لأن هذا هو دمى » .

(٥) فى الأصل : « الشجرة » .

(٦) س ، هـ : « والبزور » بالزاى . وهما سيان ، يقال : بذر ، وبزر .

(٧) هو من قولهم : علقت المرأة : حملت . وقد تكون : « تفلق » من الفلق .

(٨) ط : « الجارى » . س : « الجرايان » وهذه محرفة . وهو يشير إلى نحو ما جاء فى الأثر « ثلاثة يذهبن الحزن : الماء ، والخضرة ، والوجه الحسن » .

(٩) الذى فى المعاجم أن « النزفة » القليل من الماء ، جمعها نزف ، كغرفة وغرف . هـ : « التريف » محرفة .

وما ظَنُّكم بشرابٍ خَبُث ومَلحَ فصار مِلْحًا زُعاقًا[١] ، وبحراً أُجَاجاً[٢] ، ولّد العنبر الوَرْدَ[٣] ، وأنسَلَ الدّرّ النفيس[٤] فهل سمِعْتَ بِنَجْلٍ أكْرَمَ ممن نَجَله ، ومن نِتاجٍ أشرفَ ممن نَسَله[٥] .

[وَ[٦]] ما أحسن ما قال أبو عبّاد ، كاتبُ ابن أبي خالد[٧] حيث يقول :

٤٧ ماجلسَ بين يدىّ رجلٌ قط ، إلا تمثَّل لى أنى سأجاسُ بين يديه .

وما سَرّنى دهرٌ قطُّ ، إلا شغلنى عنه تذكرُ ما يليق بالدهور من الغِيَر[٨] .

قال الله عز وجل: ﴿ قِيلَ لها ادْخُلِى الصَّرْحَ فلمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا[٩] ﴾ ، لأن الزجاجَ أكثرُ ما يُمدحُ به أن يقال : كأنه الماء فى الفيافى .

---

(١) الزعاق ، بالضم ، وآخرة قاف : الشديد الملوحة . ھ : « زعافا » بالفاء تحريف ، وإنما تصلح وصفاً للسم ، يقال : سم زعاف : أى سريع القتل .

(٢) البحر : الماء العظيم الملح . والأجاج ، بضم أوله وفتح ثانيه : الشديد الملوحة المحرق من ملوحته .

(٣) العنبر : ضرب من الطيب ، قال داود : « الصحيح أنه عيون بقعر البحر تقذف (مادة) دهنية ، فإذا فارت على وجه الماء جمدت فليقيها البحر إلى الساحل ، وقيل : هو طل يقع على البحر ثم يجتمع ، وقيل: روث لسمك مخصوص . وهذه خرافة ، لأن السمك يبلعه فيموت فيطفو فيوجد فى أجوافه » هذا زعمه . والورد : ماكان ذا لون أحمر يضرب إلى صفرة حسنة .

(٤) أنسل : ولد . والدر : جمع درة ، وهى اللؤلؤة العظيمة . واللؤلؤ يؤخذ من بعض السمك ذى الأصداف . فى الأصل : « فأنسل » بالفاء .

(٥) نجله ، ونسله : ولده . وفى الأصل : « من نجله » ، و : « من نسله » .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) انظر ترجمة أبى عباد فى (٢ : ١٩٣) . والخبر فى البيان (١ : ٢٥٦) مقتضباً .

(٨) لاق به : علق به . والغير بفتح وكسر : أحوال الدهر المتغيرة . قال ابن الأنبارى : « يجوز أن يكون جمعا واحدته غيرة » انظر اللسان .

(٩) من الآية ٤٤ فى سورة النمل . والصرح : القصر . وكان سليمان قد بنى لبلقيس قصراً من الزجاج ، ثم أرسل الماء تحته وألقى فيه السمك وغيره . وإنما فعل ذلك ليزيدها استعظاما لأمره ، وتحققاً لنبوته . انظر تفسير الفخر (٦ : ٤١١) .

وقال الله عز وجل: ﴿ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سائِغٌ شَرَابُهُ[١] ﴾.

وقال القُطامىّ:

وهُنَّ يَنْبِذْنَ مِنْ قَوْلٍ يُصِبْنَ به   مواقِعَ المـاء من ذِى الغُلَّةِ الصّادى

وقال الله عز وجل: ﴿ واللهُ خَلَقَ كلَّ دابَّةٍ مِنْ ماء[٢] ﴾

فيقال: إنه ليس شىءٌ إلا وفيه ماء، أو قد أصابه ماء، أو خُلِق من ماء. والنُّطفة ماء، والماء يسمى نُطفة. و [قال الله تعالى: ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَـاءِ ﴾[٣]]. قال ابن عباس: موج مكفوف[٤].

وقال عز وجل: ﴿ونزّلْنا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا[٥] ﴾.

(التسمية بمـاء السماء)

وحين اجتهدوا فى تسميةِ امرأةٍ بالجمال، والبركة، والُحسنِ، والصَّفاء، والبَياض قالوا: ماء السماء[٦]. وقالوا: المنذر بنُ ماء السماء.

---

(١) من الآية ١٢ فى سورة فاطر.

(٢) من الآية ٤٥ فى سورة النور.

(٣) من الآية ٧ فى سورة هود. وهذا الإكمال من س.

(٤) لعله من قولهم: كف الإناء: ملأه ملئاً مفرطاً.

(٥) من الآية ٩ فى سورة ق. وفى الأصل: «وأنزلنا» وهو تحريف قبيح. انظر القراءات الواردة فى سوره قّ فى (إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشرة) ص ٣٩٨، وكذا (القراءات الشاذة لابن خالويه) ص ١٤٤.

(٦) به لقبت أم المنذر بن امرىء القيس بن عدى بن ربيعة بن نصر اللخمى، وهى ابنة عوف ابن جشم، من النمر بن قاسط. وسميت بذلك لجمالها، وقيل لولدها: بنو ماء السماء، وهم ملوك العراق. وماء السماء لقب أيضا لعامر بن حارثة الأزدى، وهو أبو عمرو مزيقياء، الذى خرج من اليمن لما أحس بسيل العرم، فسمى بذلك، لأنه كان إذا أجدب قومه مانهم حتى يأتيهم الخصب، وقيل لولده بنو ماء السماء، وهم ملوك الشام. وماء السماء أيضاً: لقب للعرب عامة، لأنهم كانوا يتتبعون قطر السماء، فينزلون حيث كان. وفي حديث أبى هريرة: «أمكم هاجر، يا بنى ماء السماء» يريد العرب. انظر اللسان (١٨ : ٤٤٣) وثمار القلوب ٤٤٦.

(استطراد لغوى)

ويقال : صِبْغٌ له ماء ، ولونٌ له ماء ، وفلان ليس فى وجهه ماء ، ورَدَّني فلانٌ ووجهى بمائه . قال الشاعر :

ماءُ الحياءِ يجولُ فى وجَناتِهِ

(شعر فى صفة المـاء)

وقالت أمُّ فَروة(١) فى صفة المـاء :

وما ماءُ مُزْنٍ أىُّ ماءٍ تقولُه تَحَدّرَ مِنْ غُرٍّ طِوَالِ الذَّوائبِ
بمُنْعَرَجٍ أو بَطْنِ وَادٍ تحدَّبت عليه رياحُ المزْنِ من كلِّ جانب(٢)
نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ القَذَا عن مُتونه فما إنْ به عيبٌ تراه لِشارب(٣)
بأطيبَ ممنْ يقصُرُ الطَّرْفَ دونَه تُقَى الله واستحياءُ بعضِ العواقب

(ما يحبه الحيوان من الماء)

والإبل(٤) لاتحبُّ من المـاء إلا الغليظَ . والحوافرُ تحبُّ العُذوبة وتكره الماءَ الصافى ، حتى ربَّما ضَرَب الفرسُ بيده الشريعة(٥) ليثوِّر الماءَ ثمّ يشربه .

والبقر تعافُ الماءَ الكدِرَ ، ولا تشرب إلا الصافى .

---

(١) انظر الحيوان (٣ : ٥٤) . والأبيات مروية هناك مع بعض الخلاف .
(٢) تحدبت : تعطفت ، كما تتحدب الأم على ولدها . وفى الجزء الثالث : « تحدرت » .
(٣) القذا : ما يقع فى الماء من تراب أوتبن أووسخ . والمتون : جمع متن ، أراد صفحته .
(٤) فى الأصل : « فالإبل » .
(٥) الشريعة : مورد الماء يشرع فيه الحيوان .

والظباء تَـكرَع فى ماء البحرِ الأُجاج ، وتخضِمُ الحنْظَل .

(استطراد لغوى)

والأبيضان : الماء ، واللبن . والأسودان : الماء ، والتمر .

وسواد العِراق : ماؤه الـكثير . والماء إن كان له عُمْق اشتدّ سوادُه في العين .

(شعر فى صفة الماء)

وقال العُـكلىّ فى صفة الماء :

عادَهُ مِنْ ذِكْرِ سَلْمَى عُوَّدُهْ (١) والليل داجٍ مطلخِمٌّ أسودُه (٢)
فبتُّ ليـلى ساهراً ما أرقُده حتى إذا الليـل تولى كَبِدُه (٣)
وانـكبّ للغَوْرِ انـكبابا فَرْقَدُهْ (٤) وحثَّه حادٍ كميشٌ يَطرُدُه (٥)
أَغَرُّ أجلى مُغْرَبٌ مُجَرَّدُه (٦) أصبحَ بالقلْبِ جوًى ما يَبردُه (٧) ٤٨

---

(١) البيت مخروم بنقص حرفين . ويتم بأن يكون : « قد عاده » ، أو « عاوده » .
(٢) مطخم : مظلم متراكب .
(٣) كبد الشيء : معظمه ، ووسطه .
(٤) الغور ، أراد به الغروب . والفرقد.أراد به الفرقدين ، وهما كوكبان قريبان من القطب . وفى اللسان . « وربما قالت العرب لهما : الفرقد . قال لبيد :

خالفَ الفرقدَ شرْباً فى الْهدى خلةً باقيةً دونَ الخُلَلْ

وفى ديوان لبيد ص ١٢ : « شركا فى السرى » .
(٥) ضمير « حثه » للفرقد ، أو لليل . والـكميش : السريع الجاد فى السوق ، وقد عنى بالحادى هنا الصبح .
(٦) الأغر : الأبيض ، وهو صفة « حاد » فى البيت قبله . والأجلى : الحسن الوجه الذى انحسر الشعر عن جبهته ، وفى صفة المهدى أنه « أجلى الجبهة » . والمغرب ، بضم الميم وفتح الراء : الأبيض . والمجرد : ما جرد عنه الثياب من الجسد .
(٧) أصبح ، جواب « إذا » فى البيت الرابع من الأرجوزة . وبرده يبرده ؛ من باب نصر ، وبرده بالتشديد : جعله بارداً . وفاعله « ماء غمام » فى البيت بعده .

ماءُ غمامٍ فى الرِّصاف مَقْلِدُهْ(١) زَلّ به عن رأسِ نِيقٍ صَدَدُه(٢)

عن ظَهر صفْوَانٍ مَزَلّ مِجْسَده(٣) حتى إذا السّيلُ تناهى مَدَدُه(٤)

وشكَّد الماء الذي يشكُدُه(٥) بين نُعامَى ودَبُورٍ تَلْهَدُهُ(٦)

كلُّ نَسيمٍ من صبًا تَسْتَوْرِدُه(٧) كأنما يشهده أو يفقـــده

فهو شفاءُ الصادِ مما يَعْمِدُهُ(٨)

وقال آخر فى الماء :

---

(١) الرصاف ، بالكسر : جمع رصفة ، بالتحريك ، وهى حجارة مرصوف بعضها إلى بعض فى مسيل ماء ، وهو أصفى للماء وأرق . والمقلد : المجمع ، قلد الماء فى الحوض يقْلِده قلداً : جمعه فيه .

(٢) زل به : جعله يزل ، أي يسقط . ط ، ﻫ : « ذل » بالذال، صوابه فى س . والنيق بالكسر : الحرف من حروف الجبل ، وأعلى موضع فيه . والصدد : الناحية . وفى الأصل : « صلده » .

(٣) الصفوان : الحجارة الصلدة الضخمة ، واحده صفوانة . والمزل ، بفتح الزاي وكسرها موضع الزلل . والمجسد ، كمنبر : أصله الثوب يلى الجسد .

(٤) ﻫ : « الليل » محرفة .

(٥) المعروف شكده يشكده ، بضم عين المضارع وكسرها من الثلاثى ، وأشكد لغة فيه ، والشكد : العطاء ، عنى به المدد الذى يتلقاه من السيل . س : « يستنكده » محرف .

(٦) النعامى ، بالضم والقصر : ريح الجنوب، وهى أبل الرياح وأرطبها . قال أبوذؤيب :

مرته النعامى فلم يعترف خلاف النعامى من الشأم ريحا

وفى ط ، ﻫ : « حوام » وس : « حوامى » . والدبور: الريح الغريبة . تلهده : تدفعه دفعا شديداً .

(٧) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية .

(٨) الصاد : الظمآن . وفى الأصل : « الصادى» بإثبات الياء ، و هو تحريف لا يستقيم به الوزن . وقد أجرى الراجز الوصل مجري الوقت فى لغة من يقف على المنقوص المحلى بأل بحذف الياء ، كما قرئ : « الكبير المتعال»، « يوم التناد ». ويعمده : يضنيه ، ويفدحه ويشتد عليه . و بابه ضرب .

يا كأسُ ما ثَغَبٌ برأسِ شَظِيَّةٍ نَزِلٍ أصابَ عِرَاصَهَا شُؤْبُوبُ[١]

ضَحْيَانُ شاهقةٍ يرفّ بَشَامُه نديانَ ، يقصر دونَهُ اليعقوبُ[٢]

بألذّ منكِ مَذاقةً لمحَــــلّإٍ عطْشانَ دَاغَش ثم عاد يَلوبُ[٣]

وقال جرير[٤] :

(١) كأس : اسم من يشبب بها . وفى الأصل : « ما كأس » تحريف . والثغب ، بالتحريك والفتح أقل : ماء مستنقع فى صخرة . والشظية : رأس من رؤوس الجبل . ط ، ﻫ : « نعب رأس شظية » وبإسقاط : «ما» ، وفى سـ : « ماء نعب رأس شظية » . وهو تحريف متراكب أصلحته بما ترى . والنزل ، بفتح فكسر : السريع السيل . والعراص جمع عرصة ، بالفتح ، وهى الأرض الواسعة بين الدور ، أراد : ساحتها . والشؤبوب : الدفعة من المطر . ﻫ : « أصاب عراضها » ط : « أمال » صوابهما فى سـ .

(٢) الضحيان : البارز للشمس ، قال ابن جنى : «كان القياس فى ضحيان ضحوان ، لأنه من الضحوة ، إلا أنه استخف بالياء » على أن الياء أخف من الواو . شاهقة : أراد فى بقعة عالية . والبشام : نبت طيب الريح والطعم . يرف : يهتز خضرة ، وتلألؤا . وفى الأصل : « يرق » بالقاف ، تصحيف . نديان : أصابه الندى . انظر اللسان (٢٠ ١٨٦ س ١٨) . ورواية اللسان (٣ : ١١٣ س ٢) : « عال » . واليعقوب : الظاهر فيه أنه ذكر العقاب ، ومن فسره بذكر الحجل فقد أخطأ ، لأن الحجل لايعرف لها مثل هذا العلو فى الطيران . ويشهد بصحة هذا القول ، قول الفرزدق (انظر الديوان ٣٦ ، واللسان) :

يومًا تَرَكْنَ لإبراهيمَ عَافيةً مِنَ النُّسور عليه واليعاقيبِ

فذكر اجتماع الطير على هذا القتيل من النسور ، واليعاقيب . ومعلوم أن الحجل لايأكل القتلى .

(٣) منك : أراد الرضاب . والمحلأ : الممنوع من الماء . داغش ، من المداغشة ، وهى أن يحوم حول الماء من العطش ، وبهذا البيت استشهد صاحب اللسان فى (٨ : ١٩١) . وروايته فى هذا الموضع وفى (٢ : ٢٤٢) :

بألذ منك مقبلا لمحلأ عطشان داغش ثم عاد يلوب

وفى أصل الحيوان : «داعس» محرف . يلوب : يدور حول الماء وهو عطشان لا يصل إليه .

(٤) ديوانه ٤٥٣ من قصيدة يهجو بها الفرزدق . وقبل البيت ، وهو مطلع القصيدة أيضا :

لم أر مثلك يا أمام خليلا أنأى بحاجتنا وأحسن قيلا

لو شئتِ قد نقَعَ الفؤادُ بشَرْبةٍ ‏ تَدَعُ الحوائمَ لايَجُدْنَ غليلا(١)
بالعَذْب من رصَف القِلاتِ مَقِيلُه ‏ قَضُّ الأباطح لايزالُ ظليلا(٢)

(فضل المـاء)

قال : وفى الماء أنّ أطيب شراب عُمِل ورُكّب ، مثل السَّكَنْجَبِين(٣) ، والجُلّاب(٤) ؛ والبَنَفْسَجِ وغير ذلك مما يُشْرَبُ من الأشربة ، فإنْ لذّ

(١) نقع الفؤاد : شفى غليله وارتوى . وفى الديوان : « بمشرب يدع » . ويقال : وجد يجد ، ويجد ، والضم لغة عامرية . وبهذا البيت استشهد الجوهرى ونسبه إلى لبيد ، قال : وهو عامرى » . واستدركه ابن برى بأن الشعر لجرير .

(٢) القلات ، بالكسر : جمع قلت ، وهى البئر فى الصخرة من ماء السماء ، ولا مادة لها من الأرض . والرصف ، بالتحريك : حجارة مرصوف بعضها إلى بعض ، أو صف مستطيل كأنه مرصوف . فى الأصل — وهو هنا ط ، س ، إذن أن هذا البيت ساقط من ه — : « الغلاة » . وفى الديوان : « القلاة » صوابه ما أثبت من اللسان (٤ ٤٥٨) . والرواية فيه وفى الديوان : « فى » بدل « من » . مقيله : حيث يقيل . والقض : الأرض ذات الحصباء ، وماؤها أعذب ماء وأصفاه . وفى الأصل : « قصر » صوابه من الديوان واللسان .

(٣) السكنجبين : معرب من الفارسية ، وأصله فيها « سِكَنگبين » ، أو « سركَنْگبين » كما فى معجم استينجاس . وقد أشار إلى المأخذ الثانى داود فى تذكرة أولى الألباب ، وإلى الأول أدى شير فى الألفاظ الفارسية المعربة . والأول مركب من « سيكى » ، و « أنگبين » : والثانى من « سركا » و « انگبين » و « سيكى » ، « سركا » معناهما الخل . و « أنگبين » معناه العسل . ويراد به كل شراب حلو حامض يتخذ دواء للصفراء . وفى لغة الأطباء من الأوربيين (Oxymel) . وانظر صنعته فى مادة (شراب) من التذكرة ، ومنهاج الدكان ص ٣١ — ٣٢ ، ٣٨ — ٣٩ » ولم يذكره صاحب اللسان وذكر صاحب القاموس (السَّكَبِينَج) ، وقال : « دواء معروف » . وليس بالسكنجبين ، بل هو نبات صمغ يتداوى به . ولم يشر إليه الجواليقى ، ولا تكلم فيه صاحب شفاء الغليل . واستعمال الجاحظ لهذه الكلمة يصحح تعريبها .

(٤) الجلاب ، بضم الجيم وتشديد اللام : ماء الورد ، فارسى معرب . قال داود : « هو السكر إذا عقد بوزنه أو أكثر ماء ورد » . وانظر المعرب ١٠٦ ، وشفاء الغليل ، والمعتمد ص ٤٩ . وهو مركب من « گُلْ » بمعنى الورد ، و « آب » بمعنى الماء .

وطاب ، فإنّ تمامَ لذّته أن يَجْرَعَ شاربُه بعد شُربه له جُرَعاً من المـاء ، يغْسل بها[١] فمه ، ويطيِّب بها نفسه . وهو فى هذا الموضع كالُخلَّة والَحمْض جميعاً[٢] وهو لتسويغ الطعام فى المرِيء[٣] ، والمركَبُ والمِعْبر ، والمتوصَّل به إلى الأعضاء.

فالماء يُشرَبُ صِرْفًا وممزوجاً ، والأشربة لاتُشرَبُ صِرفا ، ولا يُنْتَفَعُ بها إلا بممازَجَة الماء .

وهو بعدُ طهورُ الأبدانِ ، وغَسُولُ الأدران[٤] .

وقالوا : هو كالمـاء الذى يطهر كلّ شىء ، ولا ينجِّسه شىء .

وقال النبى صلى الله عليـه وسلم فى بئر رُومة[٥] : « المـاء لاينجِّسُه شىءٌ[٦] » .

ومنه ما يكون منه المِلْح[٧] ، والبَرَد ، والثَّلج ، فيجتمع الُحسن فى العين ، والـكرم فى البياض والصفاء ، وحسنُ الموقع فى النفس .

وبالماء يكون القَسَم ، كقول الشاعر :

---

(١) سه : « به » محرف .

(٢) الخلة ، بالضم : ما فيه حلاوة من النبت . والحمض ، بالفتح : كل نبت فيه حموضة أو ملوحة . والعرب تقول : الخلة خبز الإبل ، والحمض فاكهتها . وذلك أن الإبل إذا شبعت من الخلة اشتهت الحمض .

(٣) المرىء ، كأمير : مجرى الطعام والشراب ، وهو رأس المعدة والـكرش اللاصق بالحلقوم . ط ، هـ : « بتسويغ » صوابه فى سه .

(٤) الغسول ، بالفتح : ما يغسل به . والأدران : جمع درن ، بالتحريك ، وهو الوسخ .

(٥) رومة ، بضم الراء ، وهى فى عقيق المدينة ، اشتراها عثمان بن عفان فتصدق بها . وبالقرب منها نزلت قريش فى غزوة الخندق .

(٦) هذا محمول على الماء الـكثير إذا بلغ قلتين ، أو عشرة أذرع فى مثلها كما يقول الفقهاء ويختلفون . والقلة : الجرة العظيمة . ويخصص هذا الإطلاق حـديث : « إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل نجسا » وهذا دليل على أن ما لم يبلغ قلتين يحمل النجس . انظر تأويل مختلف الحديث ٤٣٣ — ٤٣٤ . وهو كما تقول : النار لا يقوم لها شىء ! ولا تريد بذلك نار المصباح الذى يطفئه النفخ ، وإنما تريد نار الحريق .

(٧) سبق فى ص ٣٩ : « فيصير مطراً ، وبردا ، وثلجا ، وطلا » .

غَضَـبِى ولا واللهِ يا أهْلَهَا لا أشْرَبُ البارِدَ أو تَرْضَى[١]

ويقولون : لو عَلِمَ فلانٌ أنَّ شُرْبَ البارِدِ يَضَعُ من مروءَتِه لما ذاقه[٢] .

٤٩ وَسَمَّى اللهُ عز وجلَّ أصلَ الماء غَيْثا[٣] بعد أن قال : ﴿ وكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ[٤] ﴾ .

ومن الماء ماءُ زمزم ؛ وهو لِمَا شُرِبَ له . ومنه [ما[٥]] يكونُ دواءً وشفاءً بنفسه ، كالماء للحمّى[٦] .

(علّة ذكر النار فى كتاب الحيوان)

قد ذكرنا جملة من القَول فى النار[٧] ، وإن كان [ذلك] لايدخل فى باب القول فى أصناف الحيوان ؛ فقد يرجع[٨] إليها من وجوه [كريمة نافعةِ الذكر ، باعثةٍ على الفكر . وقد يعرِضُ من القَوْلِ ما عسى أن يكون أنفعَ] لقارئ هذا الكتاب من باب القول فى الفيل ، والزَّندبيل[٩] ،

---

(١) الحق أن الماء مقسم عليه لا مقسم به . وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة : « الله » .

(٢) يضع من مروءته : يحط منها . ط : « مؤنة » هـ ، سـ : « مروءته » صوابه ماأثبت .

(٣) وذلك فى الآية ٣٤ من سورة لقمان ، والآية ٢٨ من سورة الشورى ، والآية ٢٠ من سورة الحديد .

(٤) من الآية ٧ فى سورة هود .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) فى الأصل — وهو هنا ط ، سـ ، هـ : « كالحمى » . والمراد : كالماء الذى تداوى به الحمى ينضح به المريض ، وبذلك كان يتداوى الرسول الكريم فى مرضه الأخير .

(٧) من مبدأ هذه الجملة يعود الكلام فى نسخة كوبريلى ، وينتهى السقط الذى نبهنا على أوله فى ص ١٣٧ .

(٨) ط ، سـ : « ترجع » هـ : « رجع » وأثبت ما فى ل .

(٩) الزندبيل : الفيل الكبير ، فارسى معرب ، مركب من « زنده » بمعنى الكبير . و « پيل » بالباء الفارسية . وهو الفيل . انظر معجم استينجاس والمعرب ١٧٦ .

و[فى] القرد والخنزير ، وفى الدُّب والذئب ، والضَّبّ (١) والضّبع ، و[فى] السِّمْعِ والعِسْبار (٢) .

وعَلَى أن الحكمةَ ربما كانت الذُّبابةِ مع لطافة شخصها ، ونذالةِ قَدْرها ، وخساسةِ حالها ـ أظهرَ منها فى الفرس الرَّائع (٣) ، وإن كان الفرسُ أنفع فى باب الجهاد ؛ وفى الجاموس مع عِظَم شخصه ، وفى دودة القزِّ ، و[فى] العنكبوت ـ أظهرَ منها فى الليثِ الهصور ، والعُقابِ الشّغْوَاء (٤) .

وربما كان ذِكرُ العظيمِ الجُثة [الوثيق البدَن ، الذي يجمعُ حِدَّةَ النابِ وصولةَ الخلق] أكثرَ فائدةً ، وأظهرَ حِكمةً من الصَّغيرِ الحقير ، ومن القليل القَمِيّ (٥) . كالبعير والصُّؤابة ، [والجاموس] والثعلب والقَملة .

وشأن الأَرَضةِ أعجبُ (٦) من شأن البَبْرِ [مع مسالمة الأسد له ، ومحاربته للنمر] .

وشأنُ الكُرْكيِّ أعجبُ من شأن العَنْدَليب (٧) ، فإن الكُرْكيَّ [من] أعظَم الطّير ، والعندليب (٧) أصغرُ من ابن تَمْرة (٨) .

(١) « الذئب » ساقط من س . وما بعده ساقط منها ومن هـ .

(٢) السمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع . فيما عدا ل : « السبع » بالباء ، محرف . والعسبار ، بالكسر : ولد الضبع من الذئب . انظر ما سبق في الحيوان (١ : ١٨١ ١٨٢) .

(٣) فيما عدا ل : « علي الفرس الرائع » .

(٤) الشغواء : العقاب ، سميت بذلك لانعطاف منقارها الأعلى ، أو لفضله على الأسفل . فيما عدا ل : « القتول » محرف .

(٥) القمى : مخفف القمئ ، وهو الصغير الجسم .

(٦) ل : « أعظم » .

(٧) العندليب : طائر يصوت ألواناً . ط ، س ، هـ « العندبيل » بالقلب . ويقال أيضا « العندليل » بلامين بينهما ياء ، كما فى اللسان والقاموس . ولم يذكرا لغة القلب . وقد أثبت « العندليب » من ل . وفى الحيوان (٧ : ٢٥) : « ويقولون عندليب وعندبيل وكل صواب » .

(٨) ويقال أيضا « أبو تُمَّرة » و « تُمَّرة » و « التُّمَيِّر » . قال ابن سيده فى المخصص (٨ : ١٦٥) : « أصغر ما يكون من الطير ، يجرس الزهر والشجر ، كما تجرس النحل والدبر » . وهو بالإنكليزية : **Sunbird** . فيما عدا ل : « ابن تمر » محرف .

ولذلك ذكر يونس[(١)] بعضَ لاطَةِ الرُّواة فقال : « يضرِبُ مابينَ الكُرْكِيِّ إلى العندليب » . يقول : لايدع رجلا ، ولا صبيًّا إلاَّ عفجَه .

ويشبه ذلك هجاء خلفِ الأحمرِ أبا عبيدة ، حيث يقول[(٢)] :

ويضربُ الكُرْكِي إلى القُنبَرِ   لاعانسًا يبقى ولا مُحْتَلِمْ[(٣)]

والعانس من الرجال مثله من النساء[(٤)] .

فلسنا نُطنبُ فى ذكر العظيم الجثة لعِظَم جُثَّته ، [ولا نَرْغَبُ عن ذكر الصَّغير الجثة ، لصغر جُثَّته] . وإنما نلتمس ما كان أكثر أعجوبة ، وأبلغَ فى الحكمة[(٥)] ، وأدلّ عند العامة على حكمة الرّبّ ، وعلى إنعام هذا السيّد .

ورُبّ شىء الأعجوبةُ فيه إنما هى فى صورته ، وصَنعته ، وتركيب أعضائِه ، وتأليف أجزائه[(٦)] ، كالطاووس فى تعاريج ريشه[(٧)] ، وتهاويل

---

(١) هو يونس بن حبيب الذى سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) . وانظر كنايات الثعالبى ٢٧ والميدانى (٢ : ٣٤٨) . فيما عدا ل : « ابن يونس » .

(٢) فيما عدا ل : « فقال » .

(٣) القنبر : ضرب من الحُمَّر : Lark . انظر معجم المعلوف ١٤٦ . ل : « محتلما »

(٤) فى اللسان : « العانس من الرجال و النساء : الذى يبقى زماناً بعد أن يدرك لا يتزوج . وأكثر ما يستعمل فى النساء » .

(٥) ل : « بل إنما نلتمس ما كان أظهر أعجوبة وأشهر بالحكمة » .

(٦) فيما عدا ل : « ريشه » .

(٧) ل : « تفاريج » . والتفاريج ، أصلها فتحات الأصابع ، وشقوق الدرابزين ، واحدها تِفراج،أَوْ تفرِجة. وانظر ما سبق فى (١ : ٢١٠) ، و (٢ : ٢٤٤) .

ألوانه ، وكالزَّرافة فى عجيب تركيبها ، ومواضع أعضائها . والقولُ فيهما(١) شبيهٌ بالقول فى التُّدرُج(٢) والنَّعامة .

وقد يكون الحيوانُ عجيبَ صنعةِ البَدن ، ثم لا يُذكَرُ بعدَ حُسن الخَلْق بخُلق كريم ، [ولا حِسٍّ ثاقبٍ] ، ولا معرفة عجيبة ، ولا صنعة [لطيفة] . ومنه ما يكون كالببغاء ، والنحْلة ، والحمامةِ ، والثعالبِ ، والدُّرَّة(٣) ولا تكون الأعجوبةُ فى تصويره ، وتركيب أعضائه ، وتنضيد ألوانِ ريشه فى وزن تلك الأشياء التى ذكرناها ، أو يكون العَجَبُ(٤) فيما أعطى فى حنجرته من الأغاني العجيبة ، والأصوات الشجيَّة(٥) المطربة ، [والمخارج الحسنة — مِثلَ العجب فيما أعطِىَ من] الأخلاق الكريمة(٦) ، أو فى صنعة الكفِّ ٥٠ اللطيفة ، والهداية الغريبة ، [أ] و المِرْفق النافع ، أو المضرَّة(٧) التى تدعو إلى شدَّة الاحتراس ، ودقة الاحتيال ، فيقدَّم فى الذكر لذلك .

وأىُّ شيء أعجبُ من العَقْعَق(١) وصِدْق حِسِّه ، وشدةِ حَذَرِه ، وحُسْنِ معرفته ، ثم ليس فى الأرض طائر [أشدُّ تضْييعاً لبيضه وفرْخه منه .

---

(١) سم : « فيه » ط ، هـ : « فيهما » وأثبت ماقي ل .
(٢) انظر (٢ : ٢٤٤) .
(٣) الدرة ، بضم الدال المهملة وتشديد الراء المفتوحة : ضرب من الببغاوات . انظر الدميرى ومعجم المعلوف ١٨٣ . ولم يذكرها صاحب اللسان والقاموس . وقد أسلف الجاحظ ذكرها فى (١ : ٢١٠) ، وجاءت هناك وهنا محرفة برسم « الذرة » بالذال المعجمة . وقد نبهنى العلامة المحقق الأب أنستاس الكرملى إلى تصحيحهما فى رسالة خاصة .
(٤) ط ، هـ : « العجيب » .
(٥) ل : الملحنة » .
(٦) فيما عدا ل : « وفى الأخلاق الكريمة » .
(٧) فيما عدا ل : « أو إلى المضرة » ، وكلمة « إلى » مقحمة .
(٨) العقعق ، كثعلب : طائر فى قدر الحمامة وشكل الغراب طويل الذنب .

والحُبارَى ، مع أنها أحمقُ الطير ،] تحوطُ بيضَها أو فراخَها[١] أشدَّ الحياطة وبأغمَضِ معرفة ، حتى[٢] قال عثمانُ بن عفان ، رضى الله عنه : « كلُّ شىء يحب ولدَه حتى الحبارى » . يَضْربُ بها المثلَ فى الموق[٣] .

(العَقعَق)

ثم العقعَقُ مع حِذقه بالاستلاب[٤] ، وبسرعة الخطف ، لايستعمل ذلك [إلا[٥]] فيما [لا] ينتفع به ؛ فكَمْ من عِقْدٍ ثمين خَطير ، ومن قُرْطٍ شريف نفيس ، قد اختطف[٦] من [بين] أيدى قومٍ ، فإمّا رَمَى به بعد تحَلُّقه[٧] فى الهواء ، و إما أحرزه ولم يلتفت إليه أبدًا .

وزعم الأصمعىُّ أنّ عَقعقاً مرةً استلبَ سِخابا[٨] كريما لقوم ، فأخذَ أهلُ السِّخاب أعرابيَّة كانت عندهم ، فبينما هى تُضْرَبُ ، وتُسْحَبُ ، وتسَبُّ إذ مرَّ العَقعَقُ والسِّخابُ فى منقاره[٩] ، فصاحوا به فرمى به ، فقالت الأعرابية وتذكَّرتِ السلامة[١٠] بعد أن كانت قد ابتُليت ببليَّة أخرى فقالت[١١] :

---

(١) ل : « وفراخها » .
(٢) فيما عدا ل : « مثله » موضع « حتى » . تحريف .
(٣) الموق ، بالضم : حمق فى غباوة . ل : « المؤق » بالهمز .
(٤) الاستلاب : السلب . فيما عدا ل : « بالأسباب » . محرف .
(٥) هذه الزيادة من ل ، س ، هـ .
(٦) ل : « اختطفه » .
(٧) المعروف : حلق الطائر تحليقاً إذا ارتفع فى الهواء واستدار . لكن هكذا وردت فى الأصل ، وسبق مثلها فى (٣ : ١٨٤) .
(٨) فى اللسان « الأزهرى : السخاب عند العرب كل قلادة كانت ذات جوهر أو لم تكن » . واستشهد بالبيت الآتى . وهو بكسر السين .
(٩) فيما عدا ل : « فى فمه » . وأني يكون له الفم ؟ ! .
(١٠) فيما عدا ل : « تذكر السلامة » .
(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

وَيومُ السَّحَاب مِنْ تعَاجِيبِ رَبِّنَا   كما أنه من بَلْدَةِ السَّوْء نَجَّانى[١]

تَعنى الذين كانت نزلت بهم من أهل الحاضِرة .

(كلام فى الاستطراد)

ولا بأس بذكر مايعرض ، مالم يكن من الأبواب الطِّوال ، التى ليس فيها إلا المقاييس المجرَّدة ، والكلامية المحضة ؛ فإن ذلك مما لايخفُّ سماعه ولا تَهَشُّ النفوسُ لقراءته . وقد يحتمل ذلك صاحبُ الصناعة[٢] ، وملتمس الثواب والحِسْبة[٣] ، [إذا كان حليفَ فِكَرٍ ، أليفَ عِبَرٍ] ، فمتى وجدنا من ذلك بابا يحتمل أن يوشَّح بالأشعار الظريفة البليغة ، والأخبار الطريفة العجيبة[٤] ، تكلّفنا ذلك ، ورأيناه[٥] أجمعَ لمـا ينتفع به القارئ .

ولذلك استجزْنا أن نقولَ فى باب النار ماقلنا .

وأنا كاتبٌ لك بعد هذا — إذْ كنتُ قد أمللْتُكَ بالتطويل ، وحملتُك على أصعَب المراكب ، وأوْعَرِ الطُّرق ، إذ قد ذكرنا فيه جملةً صالحةً من كلام المتكلمين . ولا أرى أن أزيدَ فى سآمتك ، وأُحَمِّلَكَ استفراغ طاقتك ، بأن أبتدئ[٦] القول فى الإبل ، والبقر ، والغنَم ، والأُسْدِ ، والذئاب ، والحمير ، والظباء ، وأشباه ذلك ، مما أنا كاتِبُهُ لك .

ولـكنى أبدأ بصغارِ الأبواب وقصارِها ، ومُحَقَّراتها[٧] ، ومِلاحها ،

---

(١) رواية اللسان (١ : ٤٤٤) : « على أنه » .

(٢) يعنى صناعة الكلام .

(٣) الحسبة ، بالكسر : الأجر والثواب . فيما عدا ل « الحسنة » تصحيف .

(٤) ل : « الحسنة العجيبة » .

(٥) فيما عدا ل : « ورويناه » .

(٦) ل فقط : « ابتدأ » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « محتقراتها » .

لئلا تخرج من الباب الأولِ ، إلا وأنت نشيط [(١)] للباب الثانى ، وكذلك الثالث والرابع [(٢)] إلى آخر ما أنا كاتبه لك ، إن شاء الله .

(سَرد منهج سائر الكتاب)

ونبدأ بذكر مافي العصفور [(٣)] ، ثم نأخذ فى ذكر [مافى] الفأر والعقرب ،
٥١ والذى بينهما من العَداوة ، مع سائر خصالهما .

ثم القولُ فى العقرب والخُنفساء ، و [فى] الصداقة بينهما ، مع سائر خصالهما .

ثم القول فى السِّنَّوْر ، و [بعضُ] القول فى العقرب [(٤)] .

ثم القولُ فى البعوض والبراغيث . ثم القول فى القَمل والصِّئْبان .

ثم القول فى الورَل والضّبّ . ثم القول فى اليربوع والقنفذ . ثم القول فى النسور والرّخم .

ثم القول فى العُقاب وفى الأرنب . ثم القول فى القِرْدان [(٥)] والضفادع .

ثم القول فى الُحبارى وما أشبه ذلك . [وإن كنا قد استعملنا فى هذا الكتاب جمَلاً من أخبار ما سمينا بذلك] .

وسنذكر قبل ذكرِنا لهذا الباب أبوابا من الشعر طريفة [(٦)] ، تصلحُ

(١) فيما عدا : ل : « تنشط » .
(٢) ط فقط : « وكذا الباب الثالث والرابع » .
(٣) فيما عدا ل : « بما فى العصفور » .
(٤) هذا الصواب كما يقتضيه ترتيب الكتاب ، وسيأتى فى ص ١٠٧ ساسى . وفى الأصل : « القنفذ » فيكون تكراراً لما سيأتى .
(٥) القردان ، بالكسر : جمع قراد ، كغراب . وسيمر بك الحديث عنه فى ١٣٠ ساسى .
(٦) ط ، هـ : « ظريفة » بالظاء المعجمة .

للمذاكرة، وتبعث على النشاط معه[١] وتُستَخَفّ معه قراءة ما طال من الكتبِ الطوال .

ولولا سوءُ ظني بمن يُظْهِرُ التماس العلم في هذا الزمان، ويذكر[٢] اصطناعَ الكتبِ في هذا الدهر — لَمَا احتجْتُ في مداراتهم واستمالتهم، وترقيق نفوسهم[٣]، وتشجيع قلوبهم، مع كثرةِ فوائد هذا الكتابِ — إلى هذه الرياضة الطويلة، وإلى كثرةِ هذا الاعتذار، حتى كأن الذي أُفيدُه إياهم أستفيدُهُ منهم، وحتى كأن رغبتي في صَلاحِهم، رغبةُ من يَرْغَبُ[٤] في دنياهم، [ويتضرع[٥] إلى ما حوته أيديهم] .

هذا . ولم أذكر [لك] من الأبواب الطوال شيئا، و [لو] قد صرت إلى ذكرِ فرقِ ما بين الجنّ والإنس، و [فرق] ما بين الملائكة والأنبياء، وفرق ما بين الأنثى والذكر، وفرق ما بينهما وبين ما ليس بأنثي ولا ذكر، حتى يمتدَّ بنا القولُ في فضيلة الإنسان على جميعِ أصنافِ الحيوان، وفي ذكر الأمم والأعصار، وفي ذكر القَسم[٦] والأعمار، وفي ذكر مقادير العقول والعلوم والصناعات[٧]. ثم القول في طباع الإنسان منذُ كان نطفة إلى أن يُفنيهُ الهرَم[٨]، [وكيف حقيقةُ ذلك الردّ إلى أرذل العمر] . فإن مَلِلْتَ الكتابَ واستَثْقَلْتَ القراءة، فأنت حينئذ أعذرُ، [ولحظّ نفسك أبخَسُ] . وما عندى

---

(١) ط فقط « وتستحق » . وأتى بضمير « معه » مذكرا، لأنه عاد به إلى الشعر.
(٢) فيما عدا ل : « ويظهر » والأشبه ما أثبت من ل .
(٣) ترقيق النفوس : حملها على أن ترق . فيما عدا ل : « توفيق » محرف .
(٤) فيما عدا ل : « رغب » .
(٥) في اللسان : « التضرع : المبالغة في السؤال والرغبة » .
(٦) القسم، بالفتح : ما قسم للانسان وقدر . ل : « القيم » : جمع قيمة .
(٧) فيما عدا ل : « بالعلوم بالصناعات » . محرف .
(٨) الهرم، بالتحريك : أقصى الكبر، هرم كفرح . فيما عدا ل : « تفنيه الهموم » تصحيف .

لك من الحيلة إلا أن أصوّره لك فى أحسن صورة ، وأقلّبك منه فى الفنون المختلفة ، فأجعلكَ لا تخرجُ من الاحتجاج بالقرآن الحكيم إلا إلى الحديث المأثور ، ولا تخرجُ من الحديث إلا إلى الشّعر الصحيح ، ولا تخرجُ من الشّعر الصحيحِ الظريفِ إلا إلى المثلِ السائرِ الواقع ، ولا تخرج من المثل السائر الواقع إلا إلى القول في [طُرف] الفلسفة ، والغرائب التى صحّحتْها التجربة ، وأبرزها الامتحان ، وكشَفَ[1] قِناعَها البُرهانُ ، والأعاجيبِ التى للنفوسِ بها كَلَفٌ شديدٌ[2] وللعقول الصحيحة إليها النزاع القوىّ[3] .

ولذلك كتبتهُ لك ، وسُقتهُ إليك ، واحتسبتُ الأجرَ فيك .

فانظر فيه نظرَ المنْصِفِ من الأكْفاء والعُلَماء ، أو نَظَر المسترشِدِ من المتعلِّمين والأتباع . فإن وجَدت الكتابَ الذى كتبتهُ لك يخالفُ ما وصفتُ

٥٢ فانقُصْنى من نشاطك له على قَدْر ما نَقَصْتُكَ مما ينشطك لقراءته[4] . وإن أنتَ وجدتنى ـ إذا صحَّ عقلكُ وإنصافك ـ قد وفَّيتُكَ ما ضمنت لك[5] فوجدتَ نشاطك بعدَ ذلك مدخولاً ، وحدَّكَ مفلُولاً ـ فاعلم أنا لم نُؤتَ إلا من فُسولتِك[6] ، و[من] فسادِ طبعك ، ومن إيثارك لما [هو] أضرُّ بك .

---

(١) ل : « فكسف » .

(٢) الكلف : الولوع والعشق . فيما عدا ل : « كثير » .

(٣) النزاع ، بالكسر ، والنزوع أيضا : الشوق . فيما عدا ل : « نزاع شديد » .

(٤) فيما عدا ل « مما ينشطك إليه لقراءته » باقحام : « إليه » .

(٥) وفاه حقه وأوفاه : أعطاه إياه وافيا تاما ، ط فقط : « بما » تحريف .

(٦) الفسولة ، بالضم أن يكون فسلا ، وهو أن يكون رذلا نذلا لا مروءة له .

باب

في مديح النصارى واليهود(١) والمجوس والأنذالِ وصِغار الناس

من ذلك ما هو مديحُ رغبة ، ومنه ما هو إحماد(٢) .

أنشدنا أبو صالح مسعود بن قَنْدٍ(٣) الفزاريّ ، في ناسٍ خالَطَهم من اليهود :

وَجَدْنَا في اليهودِ رجالَ صِدْقٍ ... عَلَى ما كانَ من دينٍ يُرِيبِ(٤)

لعَمْرُكَ إنّني وابنَيْ عريضٍ(٥) ... لَمِثْلُ المَاء خالَطَهُ الحَليبُ

خَليلان اكتَسَبْتُهُمَا وإني ... لِخلَّةِ ماجد أبداً كسوبُ(٦)

وقال أبو الطَّمَحَان الأسَديّ(٧) ، وكان نديماً لناسٍ من

---

(١) فيما عدا ل : « باب مديح في النصارى واليهود » ـ وكلمة «المجوس» بعده ساقطة من ل .

(٢) الإحماد : مصدر أحمده : وجده مستحقا للحمد . فيما عدا ل : « ومن ذلك » .

(٣) ط ، ه : « قنديل » وأثبت ما في ل ، س .

(٤) يريب : يحمل على الريب . وفي الأصل : « مريب » .

(٥) عريض ، بالعين المهملة .

(٦) ل : « قدما كسوب » .

(٧) في المؤتلف ١٥٠ : « وأنشدنا أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش لأبي الطمحان الأسدي وذكر أنه مما نقله من خط أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب ، مما تلقطها من كتاب الحيوان للجاحظ ... وقال أبو الحسن الأخفش : وأنشدناه المبرد قال هو لطخيم بن أبي الطخماء الأسدي . قال : ولا أعرف أبا الطمحان إلا القيني ، وهو الشرقي بن القطامي . وأظن هذا آخر » . وهو يشير إلى ما ورد في الكامل ٢٦ ليبسك من نسبة الشعر إلى طخيم بن أبي الطخماء الأسدي . والذي يظهر لي أنهما شخص واحد ، وأن « أبا الطمحان » كنية طخيم الأسدي . يدلك على هذا أن أبا تمام في الحماسة (٢ : ٤١٢) أنشد لأبي الطمحان الأسدي. وقد حلقه صاحب شرطة يوسف بن عمر :

وبالحيرة البيضاء شيخ مسلط ... إذا حلف الأيمان بالله برت

لقد حلقوا منها غدافا كأنه ... عناقيد كرم أينعت فاسبطرت

فظل العذارى يوم تحلق لمتي ... على عجل يلقطنها حين جزت

وروى هذه الأبيات بعينها أبو الفرج (٧ : ١١٥ ساسي) منسوبة إلى طخيم الأسدي قال : « شرب طخيم الأسدي بالحيرة فأخذه العباس بن معبد المري ، وكان على شرط يوسف بن عمر فحلق رأسه » . وفي ياقوت (٧ : ١١١) : « ابن طخماء الأسدي » صوابه : « ابن أبي الطخماء » .

بني الحَدَّاء(١) وكانوا نصارى ، فأحمد نِدامهم(٢) فقال :

كأنْ لم يكنْ في القصْرِ قصْرِ مُقَاتلٍ وَزَوْرَةَ ظِـلٌّ ناعمٌ وصَدِيقُ(٣)

ولم أرِدِ البطْحَاء أَمْزُجُ ماءَهَا بخَمْرٍ مِنَ الْبرُّوقتَـيْنِ عَتِيقُ(٤)

مَعى كلُّ فَضفاض القميصِ كأنه إذا ماجرَى فيه المُدَامُ فَنِيقُ(٥)

بنو الصّلْتِ والحدّاء كلٌّ سَمَيْدَعٍ له في العروق الصالحات عروقُ(٦)

وإنى وإنْ كانوا نَصارى أحِبُّهم ويرتاحُ قلبى نحوهم ويتوقُ(٧)

---

(١) ل فقط : « الجداء » بالجيم .

(٢) الندام ، بالكسر : المنادمة على الشراب . فيما عدا ل : « ندامتهم » والندامة بمعنى الأسف لا تليق بهذا الوجه .

(٣) قصر مقاتل : قصر كان بين عين التمر والشام . وزورة ، بلفظ واحد الزيارة : موضع بين الكوفة والشام . وروى : « زورة » بالضم ، كما نقل ياقوت . وروايته هو والمبرد :
كأن لم يكن يوم بزورة صالح وبالقصر ظل دائم وصديق

(٤) البطحاء : موضع بعينه قريب من ذى قار . و « ماءها » هى فى الأصل : « ماءه » صوابه فى الكامل والمؤتلف والبلدان . والبروقتان : موضع قرب الكوفة . وقد ضبطت فى الكامل بفتح الباء وتشديد الراء المضمومة . وقال ياقوت : « وجدته بخط بعض أئمة الأدب بواوين ، الأولى مضمومة » جعلها : « البرْوُوقَتَين » .

(٥) فضفاض ، قال المبرد : « يريد أن قميصه ذو فضول . وإنما يقصد إلى ما فيه من الخيلاء » . ط فقط : « فضفاض الثياب » ولم أجدها فى مرجع . والفنيق ، بالنون : الفحل المكرم من الإبل . فيما عدا ل : « فتيق » بالتاء ، تصحيف . وعند المبرد وياقوت : « سرت فيه المدام » وعند الآمدى : « جرت فيه المدام » .

(٦) عند المبرد وياقوت : « السِّمْطِ » ط ، هـ : « الصلب » ل : « والجداء » بالجيم . والسميدع : السيد الكريم السخى الموطأ الأكناف . والشطر الثانى هو رواية ط ، هـ س وياقوت والمبرد . وفى ل : « فى خصال الصالحين طريق » والآمدي : « فى خصال الصالحين عروق » .

(٧) وهذه الرواية بعينها فى الكامل والبلدان . ل : « وتذهب نفسى نحوهم وتتوق » والآمدي : « وترتاح نفسى نحوهم وتتوق » .

وقال ابن عَبْدَل(١) ، أو غيرُه(٢) ، في مجوسيّ ساق عنه صدَاقا فقال :

شهِدْتُ عليك بطيب المُشَا ش وَأَنَّكَ بحرٌ جوَادٌ خِضَمّْ(٣)
وأنكَ سيدُ أهلِ الجحيم إذا ما تردَّيْتَ فيمن ظَلَمْ
نظيراً لهامانَ فى قَعْرِهَا وفرعونَ والمكتَنى . بالحكم(٤)
كفانى المجوسىُّ مَهْرَ الرّبا بِ ، فِدًى للمجوسىِّ خالِي وعَمّْ(٥)

فقال [له] المجوسيُّ : جعلْتَنِي فى النار ؟ فقال : أمَا ترضى أن تكون مع مَن سمّيتُ ؟ [قال : بَلَى] قال : فمَن تَعنى بالحكَمِ ؟ قال : أبا جهل بن هشام.(٦)

وأنشدني أبو الرُّدَينى العُكْليّ(٧) ، لبعض العُكْليِّين ، وكان قينٌ(٨)

---

(١) هوالحكم بن عبدل الأسدى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٥٤) .

(٢) هو الأقيشر الأسدي ، واسمه المغيرة بن عبد الله بن معرض . نشأ في أول الإسلام ، عمر طويلا ، فأدرك الحجاج ، وعبد الملك بن مروان . وأخباره فى الأغاني (١٠ : ٨٠ — ٩١ ساسى) . قال أبو الفرج : « وتزوج الأقيشر ابنة عم له ، يقال لها الرباب ، على أربعة آلاف درهم — ويقال على عشرة آلاف درهم — فأتى قومه فسألهم فلم يعطوه شيئاً ، فأتى ابن رأس البغل ، وهو دهقان الصين ، وكان مجوسيا ، فسأله فأعطاه الصداق » . ثم أنشد الشعر . وفي عيون الأخبار (٢ : ١٩٦) : « وأغرب ما قيل في مجوسى قول أعرابي » وأنشد البيت الأول والثاني . وانظر الشعراء ص ١١ .

(٣) فلان طيب المشاش : أى كريم النفس . والخضم : السيد الحمول المعطاء . وفى الأغانى :

شهدت بأنك رطب المشاس وأن أباك الجواد الخضم

(٤) هامان : وزير فرعون ، وفى الكتاب : « وقال فرعون ياهامان ابن لي صرحاً لعلى أبلغ الأسباب » سورة غافر ٣٨ . وأبو الحكم : كنية أبى جهل .

(٥) هذه رواية ل والأغاني . وفيما عداهما : « خال وعم » .

(٦) اسمه عمرو بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى . وله كنيتان : أبو جهل ، وأبو الحكم . وقد غلبت الأولى على الثانية . وكان رأساً من رؤوس المشركين . انظر السيرة ١٦٧ جوتنجن .

(٧) أبو الردينى ، يروى عنه الجاحظ فى البيان والحيوان . وروى فى البيان (٣ : ٢٣٢) أنه هجا بنى نمير فتوعدوه بالقتل فقال :

أتوعدنى لتقتلنى نمير متى قتلت نمير من هجاها

فشد عليه رجل منهم فقتله . وكان يهاجى عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير ، أحد شعراء الدولة العباسية . الأغاني (٢٠ : ١٨٣) .

(٨) فيما عدا ل : « قينا » تحريف .

٥٣ — لهم أَحَدّ جَلماً له ، فقال[1] [يمدحه] :

يا سَوْدُ يا أكرمَ قَيْنٍ فى مُضَرْ
لك المساعى كلُّهَا وَالْمُفْتَخَرْ
على قُيون الناس ،والوجهُ الأغرْ
كانَ أبوكَ رَجُلاً لا يُقتَسَر[2]
ثَبْتاً إذا ماهو بالـكير ازبَأرْ[3]
[زادكَ نَفْخًا تَلْتَظِى مِنْهُ سَقَرْ]
حتى يطيرَ حولَهُ منها شَرَرْ[4]
قدعطفالـكتيفَ حتىقدمَهَرْ[5]
بالشَّعْب إن شاء و إنشاء سَمَرْ[6]
مازالَ مُذْ كَانَ غُلاما يشْتبر[7]
له على العَيْرِ إكافٌ وثفرْ[8]

---

(١) الجلم : المقراض يجز به ، يقال له : جلم وجلمان ، كما تقول مقراض ومقرضان . ط ، س : « أخذ خلخالا له » وهو تحريف طريف . هـ : « أخذ حلماً له »صوابهما فى ل . وكلمة « فقال » ساقطة من ل .

(٢) يقتسر : يقهر ويغلب . والقسر : القهر والغلبة .

(٣) الـكير ، بالـكسر : الزق الذي ينفخ فيه الحداد . ازبأر : انتفش وتهيأ للعمل .

(٤) فيما عدا ل : « منه » .

(٥) الـكتيف والـكتيفة : حديدة طويلة عريضة ، وربما كانت كأنها صحيفة . فيما عدا ل « الأكناف » بالنون محرف .

(٦) الشعب : الجمع والإصلاح . فيما عدا ل « بالشغب » . سمر الحديد ونحوه : شده بالمسمار .

(٧) فيما عدا ل : « يستمر » . ويشتبر ، من الشبر : وهو العطاء والأجر .

(٨) العير : الحمار أيا كان ، أهلياً أو وحشياً ، وقد غلب على الوحشي ، وأراد به هنا الأهلى . والإكاف : برذعة الحمار ، بكسر الهمزة وضمها . و الثفر بالتحريك : سير فى مؤخر السرج . أراد أنه أبداً على سفر يتنقل بين أحياء العرب ليزاول عمله .

والـكَلْبتَانِ والعَلاةُ والوَتِرْ[(١)]

فانظر ثوَابى ، والثَّوَابُ يُنتظَرْ

فى جَلَمِىَّ والأحاديثُ عِبَرْ[(٢)]

باب

من أراد أن يمدح فهجا

قال سعيد بن سَلْم[(٣)] : لما قال الأخطلُ بالـكوفة : أخطأ الفرزدقُ حين قال :

أَبَنِى غُدَانَةَ إننى حرَّرْتُـكُمْ فوهبتكم لعَطِيَّةَ بن جِعالِ[(٤)]

لولا عَطِيَّةُ لاجتدَعْتُ أُنوفَـكُمْ منْ بينِ ألأَمِ أعْـيُنٍ وَسِبَالِ[(٥)]

(١) الـكلبتان : آلة للحداد يأخذ بها الحديد المحمى . والعلاة : سندان الحداد يضرب عليها الحديد .

(٢) الجلم ، فسر قريباً . ط س : « من حكمى وفى » ه : « من حلمى وفى » صوابه فى ل .

(٣) هو سعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلى ، ولاه السلطان بعض الأعمال بمرو ، وقدم بغداد وحدث بها فروى عنه محمد بن زياد ، ابن الأعرابي . وكان سعيد عالماً بالحديث والعربية . وله أخبار مع المأمون . انظر تاريخ بغداد ٤٦٥٨ والبيان (٢ : ٤٤) ط فقط : « سعيد بن مسلم » .

(٤) هو عطية بن جعال الغداني ، كان صديقاً ونديماً للفرزدق ، فبلغ الفرزدق أن رجلا من بنى غدانة هجاه وعاون جريراً عليه ، فهم الفرزدق بهجاء بنى غدانة ، فأتاه عطية بن جعال فسأله أن يصفح عن قومه ويهب له أعراضهم ، ففعل . انظر الأغانى (١٩ : ٥٠ ساسي) . وهذان البيتان من قصيدة له يهجو بها جريراً ، وساقهما استطراداً ليدخل فى هجاء جرير ، فإن بعدهما (الديوان ٧٢٦) :

إنى كذاك إذا هجوت قبيلة جـدعتهم بعوارم الأمثال

أبنو كليب مثل آل مجاشع أم هل أبوك مدعدعا كعقال

(٥) اجتدعت : قطعت . والسبال : جمع سبلة ، وهى ما على الشاوب من الشعر ، أو ما على الذقن إلى طرف اللحية . فيما عدا ل : « أيسر » بدل « ألأم » صوابه فى ل والديوان والأغانى . ورواية الديوان والأغاني : « آنف » موضع « أعين » . وفى سر الفصاحة ٢٤٩ : « ألأم لحية » . وفي الأغاني : « فبلغ ذلك عطية فقال : ما أسرع ما ارتجع أخى هبته ، قبحها الله من هبة ممنونة مرتجعة ! » .

— : كيف يكون قد وهبهم له وهو يهجوهم [بمثل] هذا الهجاء ؟!
[قال] : فانبرى له فتى من بنى تميم فقال له : [و] أنتَ الذى قلتَ فى سُويد بن منجوف :(١)

وما جِذْعُ سَوْءٍ رَقَّق السُّوسُ جَوْفَهَ لِمَا حُمِّلَتْهُ وائلٌ بمطيق(٢)

أردت هجاءه فزعمْتَ أنّ وائلا تعصبُ به الحاجات ، وقَدْرُ سُويد لايبلغ ذلك عندهم ؛ فأعطيْتَه الكثيرَ ، ومنعتَه القليلَ !(٣)

وأردتَ أن تهجوَ حاتمَ بنَ النعمانِ الباهلىّ(٤) ، وأنْ تصغِّرَ شأنه ، وتَضَعَ منه ، فقلتَ :

وسَوّدَ حاتماً أنْ ليس فيها إذا ما أُوقدَ النيرانُ نارُ

فأعطيتَه السُّودَدَ(٥) من قيس(٦) ومنعتَه ما لايضرُّهُ .

---

(١) سويد بن منجوف ، كان زعيم بكر بن وائل بالبصرة . وكان الأخطل قد وفد إليه يسأله فى حمالة ، فأقبل سويد على قومه وهيجهم على الأخطل ، وذكرهم بهجائه إياهم فثاروا وقالوا : إذاً والله لا نعطيه شيئاً . فلما خيب سويد أمل الأخطل هجاه هذا الهجاء . ط ، هـ : « منجوق » سـ : « منحوق » بالإهمال ، صوابه فى ل والديوان ١٩٥ .

(٢) سـ : « دقق » ل : « خزق » ، وفى الأغاني (٧ : ١٧٤) والديوان ١٩٥ : « خرب السوس أصله » ، وفى الموشح ١٣٥ : « خرق السوس جوفه » . أراد : لما حملته إياه وائل . فهو حين جعله كهذا الجذع قد هجاه ، وحين جعل وائل تحمله أمورها وتعتمد عليه قد مدحه أبلغ المدح . فناقض بذلك نفسه .

(٣) فى الموشح ١٣٥ أن سويداً نفسه نقد الأخطل فى هجوه إياه ، وقال له : « يا أبامالك لا والله ما تحسن تهجو ، ولا تحسن تمدح ، بل تريد الهجاء فيكون مديحاً ، وتريد المديح فيكون هجاء . قلت لي وأنت تريد هجائى : لما حملته وائل بمطيق . فجعلت وائلا حملتنى أمورها ، وما طمعت في ذلك من بني ثعلبة فضلا عن بكر ! » . وانظر فيه سائر الخبر . وهو برواية أخرى فى الأغانى (٧ : ١٧٥) .

(٤) ذكره الجهشياري ص ٩٦ قال : « كان يكتب لأبي جعفر المنصور عبد الملك بن حميد مولي حاتم بن النعمان الباهلي » .

(٥) السودد ، بضم السين وفتح الدال مع طرح الهمزة ، وبضم السين والدال مع الهمز لغتان ، ومعناه السيادة . ط ، وسـ : « السؤدد » بالهمز .

(٦) ل : « من قيس الجزيرة » .

وأردتَ أن تمدحَ سِمَاكَ [بن زيد] الأسدىّ(١) فهجوتَه فقلت :

نِعم المجيرُ سِمَاكٌ من بنى أسدٍ ... بالطفِّ إذ قَتَلَتْ جيرانَهَا مُضَرُ(٢)

قد كنتُ أحسبهُ قَيْنًا وأُنْبَؤُه ... فاليومَ طُيِّرَ عن أثوابه الشَّرَرُ(٣)

وقلتَ فى زُفَرَ بنِ الحارث(٤) :

بنى أُمَيَّةَ إنى ناصحٌ لكمُ ... فلاَ يَبِيتَنَّ فيكمْ آمِنًا زُفَرُ

---

(١) فى الموشح ١٣٥ : « سماك بن عمير أخا بنى أسد » وقال مرة أخرى : « سماك بن حمير بن عمرو » ومرة ثالثة : « سماك بن خرشة » . وفى الأغاني : « وهو سماك الهالكى من بنى عمرو بن أسد . وبنو عمرو يلقبون القيون » . وفى معجم البلدان . « سماك بن مخرمة بن حمين بن بلث الأسدي ، من بنى الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمة بن مدركة » . فقد اضطربت الكتب بل الكتاب الواحد فى نسبة هذا الرجل . وفى ط ، س بدل «الأسدى» « الحرني » . وفى هـ : « الحرق » .

(٢) الطف : أرض من ضاحية الكوفة فى طريق البرية ، فيها كان مقتل الحسين بن على بكربلاء ، يوم عاشوراء سنة إحدى وستين . ويسمى : « قتيل الطف » . وفى البيت إشارة إلي غدر أهل العراق بالحسين ، بعد أن كتبوا إليه يطلبون منه الشخوص إليهم .

(٣) أنبؤه ، بالبناء للمجهول من قولك أنبأته الخبر . وفى الأصل : « أنبأه » صوابه فى الموشح ١٣٥ . وروى فى الأغانى مرة : « أنبؤه » ومرة : « أخبره » . ط ، هـ : « عن أثوابها » صوابه فى س ، هـ والموشح والأغاني . أراد أن الشرر لا يدنو من أثوابه ، فهو ليس قينا . وكان قوم سماك يدعون : « القيون » . وفى الموشح أن سويد ابن منجوف قال للأخطل : « ومدحت سماك بن عمير أخا بنى أسد ، وأردت أن تنفى عنه شيئاً فحققته عليه » .

(٤) هو زفر بن الحارث الكلابى ، أحد بنى عمرو بن كلاب . الكامل ٥٣٣ ليبسك . وكان قد خرج علي عبد الملك بن مروان وظل يقاتله تسع سنين ، ثم رجع إلى الطاعة . الجهشيارى ٣٥ س ١٥ . وفي البيان (٣ . ١٣٠) : « دخل زفر بن الحارث على عبد الملك ، بعد الصلح فقال : ما بقى من حبك للضحاك ؟ قال : ما لا ينفعنى ولا يضرك ! ... قال : فما منعك من مواساته يوم المرج ؟ قال : الذى منع أباك من مواساة عثمان يوم الدار ! » . وزفر كان سيد قيس فى زمانه ، ويكنى أبا الهذيل ، وكان ع قيس يوم مرج راهط . وهو القائل :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ... وتبقى حزازات النفوس كما هيا

انظر المؤتلف ١٢٩ . وقد روى الجاحظ بيتين فى الحيوان (١ : ١٤) ورواهما أيضا فى البيان (٣ : ٢٤٢) . وكان زفر من التابعين ، سمع عائشة ومعاوية ، وروى عنه ثابت بن الحجاج . شرح شواهد المغنى ٣١٥ .

٥٤ مُفْتَرِشاً كافتراش الليث كَلْكَلَهُ ... لوَقْعَةٍ كائنٍ فيها لكم جَزَرُ[1]

فأردتَ أن تُغْرِى به بنى أُمَيّةَ فوهّنْتَ أمرهم ، وتركتَهُمْ ضُعفاءَ ممتهَنِينَ ، وأعطيتَ زُفَرَ عليهم من القوةِ مالم يكنْ فى حسابه .

قال : ورجَعَ أبو العطاف من عند عمرو بن هدّاب ، فى يومين كانا لعمرو ، وأبو العطّاف يضحك . فسئِل عن ذلك فقال : أما أحدُ اليومين فإنّهُ جَلَسَ للشعراء ، فكان أولُ من أنشده المديحَ فيه طريفُ بنُ سَوادة ، فما زال يُنشده أرجوزةً له طويلة ، حتى انتهى إلى قوله :

أبرصُ فيّاضُ اليدَينِ أكْلَفُ[2] ... وَالبُرْصُ أندَى باللُّهى وأعْرَفُ[3]

[مجلوِّذٌ فى الزّحفاتِ مِزْحَفُ[4]

المجلوِّذ : السريع .

وكان عمروٌ أبرصَ فصاح به ناسٌ : مالكَ[5] ؟ قطعَ اللهُ لسانك !] .

قال عمرو : مَهْ ، البَرَصُ من مَفاخِرِ العرب . أمَا سَمِعتم ابن حبناء[6] يقول :

---

(١) فيما عدا ل : « مفرشاً » تحريف . وفى هامشة ل : « خ : مفترش » أى روى فى نسخة بالرفع . وهى رواية الديوان ١٠٣ . الكلكل : الصدر . والجزر ، بالتحريك ما يجزر من الشاء ، واحدته جزرة . يقول : إن زفر يتأهب لاغتيالكم والإيقاع بكم . و « لكم » هنا بمعنى منكم . ورواية الموشح : « له » وهى أصرح . وقد أظهر هنا الكون العام : « كائن » للضرورة . وفى شرح ابن يعيش للمفصل (١ : ٩٠ س ٢٧) « وقد صرح ابن جنى بجواز إظهاره » وهو نص غريب . وأغرب منه رأي ابن يعيش فى تفصيل هذا الجواز . انظرها أيضاً المغنى (٢ : ٨١) .

(٢) الكلف : لون يعلو الجلد فيغير بشرته .

(٣) أندى : أكثر ندى . والندي : الجود والعطاء . واللهى ، بضم ففتح : جمع لهوة بالضم ، وهى العطية ، وأجود العطايا .

(٤) المزحف : الكثير الزحف إلى العدو .

(٥) روى هذا الخبر الأصبهاني فى المحاضرات (٢ : ١٣٣) وفيه : « اسكت » بدل : « مالك » .

(٦) هو المغيرة بن حبناء ، تقدمت ترجمته فى ٤ : ٢٦ . « ابن حينا » س : « ابن جكينا » محرف .

إِنِّى امرؤٌ حنظلىٌّ حين تنسُبُني ... لامِلْعَتيكِ ولاأخوالِىَ العَوَقُ(١)

لاتحسِبَنَّ بياضا فِىَّ مَنْقَصَةً ... إن اللَّهاميمَ فى أقرابِها بلَقُ(٢)

أوَ ما سمعتم قولَ الآخر :

يا كأسُ لاتستنكرى نُحُولِى(٣) ... ووضحًا أوْفَى عَلَى خَصِيلِى(٤)

فإِنَّ نَعْتَ الفرَسِ الرّجيلِ(٥) ... يكمُل بالغُرَّةِ والتّحْجِيلِ(٦)

---

(١) حنظلى : من بنى حنظلة . وهو المغيرة بن حبناء بن ربيعة بن حنظلة . العتيك ، كأمير قبيلة من ولد كعب بن يشكر بن بكر بن وائل . المعارف لابن قتيبة ص ٤٣ . و « مل عتيك » أى من العتيك ، بحذف النون على لغة من يفعل ذلك . انظر المفضليات (٢٩ : ٦ طبع المعارف) . وقد رسمت هكذا فى ل ، ورسمت فى سائر الكتب : « ملعتيك » ط ، هـ : « من عتيك » س : « لأني عولق ولا إخوانى » بهذا التحريف والإهمال . والعوق ، بالتحريك ، قال أبو الفرج : « العوق من يشكر . وكانوا أخوال المفضل » يعني المفضل بن المهلب .

(٢) اللهاميم : جمع لهموم ، وهو الجواد من الناس والخيل . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة . فيما عدا ل : « أقرانها البلق » بالنون محرف . والبيتان فى الشعراء ٩١ وعيون الأخبار (٤ : ٦٦) وأمالي القالى (٢ : ٢٣٣) والأغاني (١١ : ١٥٩ ساسى) والمعارف ٢٥١ . وقد روى أبو الفرج خبر البيتين قال : « كان المغيرة بن حبناء يأكل مع المفضل بن المهلب ؛ فقال له المفضل :

فلم أر مثل الحنظلى ولونه ... أكيل كرام أوجليس أمير

فرفع المغيرة يده مغضبا ثم قال . . » . وأنشد البيتين . وعقب على ذلك بقوله : « وبلغ المهلب ماجرى فتناول المفضل بلسانه وشتمه وقال : أردت أن يتمضغ هذا أعراضنا ! ما حملك على أن أسمعته ما كره بعد مؤاكلتك إياه ؟ أما إن كنت تعافه فاجتنبه ولا تؤاخذه . ثم بعث إليه بعشرة آلاف درهم واستصفحه عن المفضل » .

(٣) فيما عدا ل : « لا تستكرى تحويلى » محرف . وهو أيضاً على الصواب الذى أثبت فى عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٤) أوفى : ارتفع . والخصيل : جمع خصيلة ، وهى الخصلة من الشعر .

(٥) الرجيل ، من الإبل والدواب : الصبور على طول السير . وفى عيون الأخبار : « الرحيل » بالحاء المهملة ، وهو القوي علي الارتحال والسير .

(٦) التحجيل : بياض فى قوادم الفرس .

أوَ ما سمعتم بقول أبي مسهر[١] :

يَشْتُمُنِي زَيْدٌ بأَنْ كُنْتُ أَبْرَصاً   فكلُّ كريمٍ لا أباكَ أبرصُ

ثم أقبل على الرّاجزِ فقال : ما تحفَظُ في هذا ؟ قال : أحفظُ واللهِ قولَه[٢] :

يا أُختَ سَعْدٍ لاتَعُرِّى بالزَّرَقْ[٣]   ليس يضرُّ الطِّرْفَ تَولِيعُ البَلَقْ[٤]

إذا جرى في حَلْبَةِ الخيْلِ سَبَقْ

ومحمد بنُ سَلاّم يزعمُ أنه لم يَرَ سابقا قطُّ أبلقَ ولا بَلْقاءَ .

وقد سبق للمأمون [فرسٌ] ، إمّا أبلقُ وإما بلقاء .

وأنشدني أبو نواسٍ لبعضِ بني نَهشَل[٥] :

نفَرَتْ سَودةُ عنّي أنْ رأتْ   صَلَعَ الرَّأسِ وفى الجلدِ وَضَحْ[٦]

قلتُ يا سَوْدةُ ، هذا والذى   يَفرِجُ الكُرْبَةَ مِنَّا والكَلَحْ[٧]

---

(١) هو أبو مسهر الأعرابي ، من فصحاء الأعراب الذين روى عنهم العلماء . ذكره ابن النديم في الفهرس ٧١ مصر ٤٧ ليبسك . ونسبة البيت إلى « أبي مسهر » ثابتة أيضاً في عيون الأخبار (٤ : ٦٤) . وفيما عدا ل : « قول الآخر » .

(٢) انظر عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٣) عره يعره : سبه ، أو أصابه بمكروه . وفى الأصل : « لا تغري » تحريف . ورواية ابن قتيبة : « لا تعيبى » . والزرق ، بالتحريك : تحجيل يكون دون الأشاعر ، أو بياض لا يطيف بانعظم كله ، ولكنه وضح في بعضه . ل : « بالروق » والروق : طول وانثناء في الأسنان ، ولا وجه له هنا .

(٤) الطرف ، بالكسر : الكريم العتيق من الخيل . والتوليع : التلميع من البرص وغيره ، إلا أن التوليع استطالة البلق وتفرقه . ورواية ابن قتيبة : « لا يضرر الطرف تواليع البلق » .

(٥) الأبيات في عيون الأخبار (٤ : ٦٥) .

(٦) الوضح : بالتحريك : البرص . ورواية ابن قتيبة : « نفرت سودة مني إذ رأت » .

(٧) والذى ، الواو فيه للقسم . فيما عدا ل : « هذاك » صوابه في ل وعيون الأخبار . « منا » كذا وردت ، وليس ما يمنع صحتها . والكلح ، لعله من الكلوح ، وهو التكشر في عبوس . فيما عدا ل : « والطلح » ورواية عيون الأخبار موافقة ما أثبت من ل .

هو زَيْنٌ لِيَ في الوجهِ كما ... زَيَّنَ الطِّرفَ تَحاسينُ القَرَحِ (١)

وزعم أبو نُواس أنهم كانوا يتبركون (٢) به ، وأن جَذِيمةَ الوضَّاحَ كان يفخَرُ بذلك .

وزعم أصحابنا أن بَلعاءَ بنَ قيس (٣) ، لمَّا شاع في جِلْدِهِ (٤) البَرص قال له قائل : ما هذا يا بَلعاء ؟ فقال : « هذا سيف الله جَلاَه (٥) ! » . وكنانة تقول : « سيف الله حَلاَّه (٦) » . ٥٥

ثم رجع الحديثُ إلى أبي العَطَّاف (٧) وضَحِكهُ . قال : وأما اليوم الآخر فإنَّ عمراً لمَّا ذهبَ بصرُه ، ودخلَ عليه الناسُ يُعَزُّونَهُ ، دخل عليه إبراهيمُ ابنُ جامع ، وهو أبو عتَّابٍ (٨) من آلِ [أبي] مَصاد (٩) ، وكان كالجمل المحجوم (١٠) ، فقام بين يديْ عمروٍ فقال : يا أبا أُسَيِّد (١١) لاتجزعَنَّ مِنْ

(١) الطرف ، فسر قريبا . والقرح ، بالتحريك : بياض يسير في وجه الفرس . وفي عيون الأخبار : « القرزح » بقاف بعدها زاى ، وهو تصحيف ، وفسر هناك بأنه خطوط من صفرة وحمرة وخضرة . وليت شعرى أي فرس يكون كذلك !

(٢) فيما عدا ل : « وزعم يونس أنهم كانوا يتشرفون به » .

(٣) سبقت ترجمته في (٣ : ٦٠) .

(٤) ط : « بلده » صوابه في سائر النسخ .

(٥) ط ، س : « حلاق به » . هـ : « جلاني به » وأثبت ما في ل والمعارف ٢١٥ وعيون الأخبار (٤ : ٦٣) . وفي الأغاني (١١ : ١٥٩) : « إنما أنا سيف الله جلاه واستله على أعدائه » . وفي كنايات الثعالبي ٣٥ : « سيف الله جلاه . ويروى حلاه بالحاء وتشديد اللام » .

(٦) كنانة ، هم قبيل بلعاء بن قيس الكناني ، وكان هو رئيسهم . فيما عدا ل : « وكنى به » تحريف . هـ : « جلاه » بالجيم .

(٧) ط فقط : « ابن العطاف » . وانظر ما سبق ص ١٦٤ .

(٨) فيما عدا ل : « ابن عتاب » محرف . وانظر (٣ : ٣٤ - ٣٥) حيث هذا الخبر وخبر آخر قبله .

(٩) مصاد ، بفتح الميم وتضم . س : « مضاد » بالضاد تحريف .

(١٠) المحجوم : الذي وضع على فه الحجام — ككتاب — لئلا يعض ، فصوته أقوى صوت . وانظر (٣ : ٣٥) .

(١١) هكذا ضبط في ل .

ذَهابِ عينيك[١] وإن كانتا كريمتيك ؛ فإنك لو رأيتَ ثوابَهما فى ميزانك تمنيتَ أن يكونَ الله عز وجل [قد] قطعَ يديكَ ورِجْلَيْك ، ودقَّ ظهرك ، وأدمى ضِلَعَك[٢] .

قال : فصاحَ به القومُ وضَحِكَ بعضهم . فقال عمرو : معناه صحيح ، ونيته حسنة ، وإن كان قد أخطأ فى اللفظ .

وقلتُ لأبى عتّاب[٣] : بلغنى أن عبدَ العزيز الغزّال قال : ليتَ[٤] أن الله لم يكن خَلَقنى ، وأنى الساعةَ أعور . قال أبو عتّاب : بئسَ[٥] ما قال ، وددتُ [والله] أن الله لم يكن خَلَقَنى وأنّى الساعةَ أعمَى مقطوعُ اليدينِ والرِّجلين[٦] .

وأتى بعضُ الشعراء أبا الواسع[٧] وبنُوهُ حولَه ، فاستعفاه أبو الواسع[٨] من إنشاد مديحه ، فلم يزَلْ به[٩] حتى أذِن له . فلما انتهى إلى قوله :

فكيف تَنْفَى وأنتَ اليومَ رَأْسُهُمُ   وحوْلَكَ الغُرُّ من أبنائك الصِّيدِ[١٠]

قال أبو الواسع[١١] : ليتكَ تركْتَهم رأسا برأس !

---

(١) فيما عدا ل : « بصرك » والسياق يقتضى ما أثبت من ل .
(٢) ل : « ظلفك » ولا يتوجه معه المعنى إلا بعسر . وسبق في (٣ : ٣٥) : « صلعك » بالمهملة .
(٣) فيما عدا ل : « وقال لأبى عطاف » صوابه فى ل وفيما سبق (٣ : ٣٤) .
(٤) فيما عدا ل : « وددت » وأثبت ما فى ل مطابقاً ماسلف (٣ : ٣٤) .
(٥) ط ، هـ . « ليته » . والكلام من : « وأنى الساعة » إلى : « خلقني » التالية ساقط من س .
(٦) فيما عدا ل : « وأنا الساعة مقطوع اليدين والرجلين أعمى » .
(٧) أبو الواسع ، من ندماء صالح بن الرشيد ، كما فى الأغاني (٦ : ١٩٤) . فيما عدا ل : « أبا الربيع » .
(٨) الكلام من « وبنوه » إلى هنا ساقط من ل . وفى الأصل : « أبو الربيع » .
(٩) ط ، هـ : « فلم يقبل » فقط . تحريف . وأثبت ما فى س ، ل . وكلمة « به » ثابتة فى ل فقط .
(١٠) فيما عدا ل : « فكيف تبقى » .
(١١) فيما عدا ل : « أبو الربيع » .

ومدح [المزِّق[١]] أبو عبادِ بن المزِّق ، بِشْرَ بنَ أبى عمرٍو — وليس هو بشرَ بنَ أبي عمرو بن العلاء[٢] — فقال :

مَنْ كَانَ يزعُمُ أن بِشراً مُلْصَقٌ فاللهُ يَجْزِيهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ[٣]

تُنْبِيكَ قامتُه وقِلَّةُ لحمِه وتشادُقٌ فيه ولَوْنٌ أسحَمُ[٤]

أَنَّ الصَّرِيحَ المحْضَ فيه دلالةٌ والعِرْقُ مُنْكَشِف لمَنْ يتوسَّم[٥]

أما لسانك واحتباؤُك فى المَلاَ فزُرارَةُ العُدُسيُّ عِنْدَكَ أَعْجَمُ[٦]

إنى لأرجو أنْ يكونَ مقالهُمْ زُوراً ، وشانئُك الحسودُ المرغَمُ[٧]

(خطأ الكميت فى المديح)

ومِن المديحِ الخطإِ الذى لمْ أَرَ قَطُّ أعجب منه ، قولُ الكميتِ بن زيدٍ

---

(١) المزق ، بكسر الزاى المشددة ، وهو المزق الحضرمى ، أنشد له دعبل بن على الخزاعى :

إذا ولدت حليلة باهلى غلاما زيد فى عدد اللئام

قال : وابنه عباد بن المزق ، ويعرف بالمخرق ، وله أشعار كثيرة ، وهو القائل :

أنا المخرق أعراض اللئام كما كان المزق أعراض اللئام أبى

المؤتلف ١٨٦ . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، وثابتة فى سائر النسخ .

(٢) سبقت ترجمة أبى عمرو بن العلاء فى (٢ : ٢٢٥) .

(٣) الملصق : الدعى فى القوم ، وليس منهم بنسب . فيما عدا ل : « مصلق » بتقديم الصاد تحريف صوابه فى ل والبيان (٢ : ١٢٠) .

(٤) التشادق ، من الشدق ، بالتحريك ، وهو سعة الشدق . ولم ترد هذه الصيغة فى المعاجم . ط ، س ، هـ : « تشاوق » بالواو ، وصوابه فى ل والبيان . وفيه قبل إنشاد الشعر : « ومما قالوا فى التشديق وفى ذكر الأشداق » .

(٥) العرق ، بالكسر : الأصل . وعرق كل شىء أصله . يتوسم : يتعرف . فيما عدا ل « يتوهم » ورواية البيان مطابقة ما أثبت من ل .

(٦) الاحتباء : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ونحوها ، وكذلك كان يفعل الأشراف والملا : الملأ ، وهم أشراف القوم الذين يملئون العين مهابة وإجلالا . وزرارة العدسى بضم الزاى ، وهو ابن عدس ، بضمتين ، تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٨٢) . جعله أفصح من زرارة ، وكان زرارة حكيما من قضاة تميم . والأعجم : الذى لا يكاد يبين .

(٧) الشانئ : المبغض . والمرغم : المقهور .

وهو يمدح النبي صلى الله عليه وسلم ، فلو كان مديحة لبنى أمَيَّةَ لجاز أن يعيبهم بذلك بعض بنى هاشم[١] ، [أ] وْ لو مَدَحَ به بعض بنى هاشمٍ لجاز أن يعترض عليه بعضُ بنى أميَّةَ ، [أ]وْ لو مدح أبا بلال الخارجيّ لجاز أن تعيبه العامَّة ، أو [لو] مدح عَمرو بن عُبَيدٍ لجازَ أن يعيبَه المخالف ، [أ] وْ لو مدح المهلَّب ٥٦ لجازَ أن يعيبه [أصحابُ[٢]] الأحنفِ .

فأما مديحُ النبي صلى الله عليه وسلم ، فمن هـذا الذى يَسوؤُهُ ذلك حيثُ قال :

فاعتَتَبَ الشَّوقُ مِنْ فؤادِيَ والشعـ … ـرُ إلى مَنْ إليــه مُعْتَتَبُ[٣]
إلى السِّراجِ المنــيرِ أحمدَ لا … يَعْدِلُنِى رَغْبَةٌ وَلاَ رَهَبُ[٤]
عنه إلى غيره ، ولو رفَعَ النا … سُ إلىّ العُيُونَ وارتقبُوا
[وقيلَ : أفْرَطتَ بل قَصَدتُ ولو … عَنَّفَنِى القائلونَ أو ثَلبُوا[٥]]
إلَيكَ ياخيرَ منْ تَضَمَّنَت الأرْ … ضُ ولو عابَ قَوْلِىَ العُيُبُ[٦]
لَجَّ بِتفْضِيلِكَ اللسانُ ولو … أُكْثِرَ فيك الضِّجَاج واللَّجَبُ
أنت المصفَّى [المحْضُ] المهذَّب فى الـ … ـنِّسْبَةِ إنْ نَصَّ قَوْمَكَ النَّسَبُ[٧]

(١) فيما عدا ل : « بنى العباس » والعباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم .

(٢) هذه من ل ، س .

(٣) الاعتتاب : الانصراف عن الشىء ، واعتتب عن الشىء : انصرف . فيما عدا ل : « إليه أعتتب » وأثبته منها موافقاً البيان (٢ : ١٧٢) واللسان (٢ : ٦٨) والمخصص (١٢ : ١١٤) والعمدة (٢ : ١١٤) . وفى اللسان فقط : « عن فؤادى » .

(٤) ل : « تعدلنى » .

(٥) ثلبه : لامه وعابه . وزيادة هذا البيت من ل والعمدة والبيان .

(٦) تضمنه : اشتمل عليه . العيب : العيابون .

(٧) ط ، ھ : « إنك » صوابه فى س . وفى جميع النسخ : «المصطفى» بدل : «المصفى» . والوزن يأباه ، وهو من المنسرح .

(١) ولو كان لم يقلْ فيه [عليه السلام] إلا مِثلَ قوله :

وَبُورِكَ قبرٌ أنتَ فيه وَبُورِكَتْ ... به ، وله أهلٌ بذلك يَثْرِبُ

لقد غَيَّبُوا بِرًّا وحَزْمًا وَنائلاً ... عَشيةَ وَارَاكَ الصَّفيحُ المنصَّبُ (٢)

فلو كان لم يمدحْه عليه السلام إلا بهذه الأشعار التى لا تصلح (٣) فى عامة العربِ — لما كان ذلك بالمحمود ، فكيفَ مع الذى حكينا قبل [هذا (٤)] ؟ !

(غلط طائفة من الشعراء فى المديح والفخر)

ومن الأشعارِ الغائظةِ لقبيلة الشاعر — وهى الأشعار التى لو ظنَّت الشعراء أن مَضرَّتَها تعودُ بعُشْرِ ما عادتْ به ، لكان الخرسُ أهوَنَ عليها من ذلك القولِ — فمن ذلك قولُ لَبيدِ بنِ ربيعة :

أَبَنِى كِلابٍ كيفَ تُنفَى جعفرٌ ... وبنو ضَبِينةَ حاضِرُو الأجْبابِ (٥)

---

(١) الكلام من هنا إلى نهاية البيتين ساقط من هـ .

(٢) واراك : سترك وغيبك . فيما عدا ل : « وأراه » محرف . والصفيح : جمع صفيحة وهى الحجارة العريضة . والمنصب : الذى نصب بعضه على بعضه ، عنى حجارة القبر .

(٣) كلمة « لا » ساقطة من ل . وبدلها فى هـ : « لم » . و « تصلح » هى فى ط ، هـ : « تصلع » بالعين محرفة . قال ابن رشيق : « قالوا : من هذا الذى يقول فى مادح (فى الأصل : مدح) النبى صلى الله عليه وسلم : أفرطت ، أو يعنفه ، أو يثلبه ، أو يعيبه حتى يكثر الضجاج والصخب ؟ ! ... وقال من احتج له : لم يرد النبى صلى الله عليه وسلم وإنما أراد علياً رضي الله عنه ، فورى عنه بذكر النبى صلى الله عليه وسلم ، خوفا من بنى أمية » .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) بنو كلاب : قوم لبيد ، وهم كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وأما جعفر فأبوهم كلاب بن ربيعة . وضبينة : كسفينة : أبو بطن . وهم من غني بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان ، وكانوا حلفاء فى بني كلاب . المعارف ٣٦ . والأجباب : مياه لبنى ضبينة . أنكر على بني كلاب أن ينفوا جعفرا ، وهم من قومهم ، على حين يستبقون حلفاءهم ويحفظونهم . ط ، هـ : « ضبيعة » س : « صبيغة » صوابه في ل ومعجم البلدان . وفيما عدا ل : « كيف تبقى » محرف .

قتلوا ابنَ عُروةَ ثمّ لَطوا دونَه حتى تحاكَمْتُمْ إلى جوّابِ(١)
يَرْعَوْنَ مُنخَرَقَ القَديد كأنهمْ في العزّ أسْرَةُ حاجبٍ وشهابِ(٢)
متظاهرٌ حَلَقُ الحديدِ عليهمُ كبَنى زُرارة أو بنى عتّابِ(٣)
قومٌ لهم عرَفتْ مَعدٌّ فضْلَها والحقُّ يَعرِفُهُ ذوُو الألبابِ

ومن هذا الباب قولُ منظور بن زَبّانَ بن سَيّارِ بنِ عَمرو بن جابرٍ الفَزاريّ(٤)، وهو أحدُ سادةِ غَطفان :

---

(١) لطوا دونه : من لط خبره أى كتمه وستره . ولط أيضاً : لزم الشئ وثبت عليه . هـ : « لظوا » بالمعجمة ، أى لزموا وثبتوا . جواب : اسم رجل من بنى كلاب ، قال ابن السكيت : سمى جوابا لأنه كان لا يحفر بئرا ولا صخرة إلا أماهها . اللسان (١ : ٢٧٧) . والبيت نص على أنه كان من حكام العرب . ل : « يحاكمكم » .

(٢) المنخرق : حيث تنخرق الريح ، أى يشتد هبوبها وتتخلل المواضع . فيما عدا ل « منحرق » محرف . القديد ، بالصغير : موضع قرب مكة . ل : « اللديد » بفتح فكسر ، وهو ماء لبنى أسد . وحاجب ، هو حاجب بن زرارة ، تقدمت ترجمته فى (٤ : ٣٨٢) . وشهاب ، بالشين . وفى ل : «سهاب» لكن ذكر صاحب القاموس أن « راشد بن سهاب ، ككتاب شاعر ، وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . فيما عدا ل : « فى العد أسوة حاجز » محرف .

(٣) حلق الحديد : ما تنسج منه الدروع . وتظاهر : ركب بعضه بعضا وتضاعف . وأصل التظاهر التعاون . ط : « متظاهرى » تحريف .

(٤) فى الأصل : « زبان بن منظور » والصواب أن « منظور » هو «ابن زبان» لا أبوه . « بن عمرو » ساقط من ل . وهو ثابت فى المعارف ٥١ . ط : « فى يسار » س : « فى سيار » هـ : « بن يسار » صوابه ما أثبت من ل والمعارف والحيوان (٣ : ٤٤٧) حيث ترجمة زبان بن سيار . وأما ولده « منظور » فقد ذكر أبو الفرج من خبره فى الأغاني (١١ : ٥٣) : « حملت فهطم بنت هاشم بمنظور بن زبان أربع سنين ، فولدته وقد جمع فاه ، فسماه أبوه منظوراً لذلك ، لطول ما انتظره وقال فيه .

ما جئت حتى قيل ليس بوارد فسميت منظوراً وجئت على قدر
وإنى لأرجو أن تكون كهاشم وإني لأرجو أن تسود بنى بدر »

ومنظور من الذين خلفوا على أزواج آبائهم بعد موتهم ، انظر هذه الطائفة فى المعارف ٥١ . وقد فرق عمر فى الإسلام بينه وبين امرأة أبيه ، وقال فى ذلك شعرا (فى الأغانى ١١ : ٥٣) منه :

لعمر أبى دين يفرق بيننا وبينك قسراً إنه لعظيم

فجاءوا بجمعٍ مُحْزَئِلٍّ كأنهمْ   بنو دارمٍ إذ كان في الناسِ دارمُ[1]

وذلك أن تميما لمـا طالَ افتخارُ قيسٍ عليها بأن شعراء تميم [كانت] تضربُ المثلَ بقبائل قيس ورجالها ، فغبَرَتْ تميمٌ زمانا لا ترفعُ رؤوسَها[2] حتى أصابتْ هذين الشعْرين من هذين الشاعرَين العظيمَي القدر ؛ فزال ٥٧ عنها[3] الذُّلُّ وانتصفت . فلو علم هذان الشاعران الـكريمانِ ماذا يصنعانِ بعشائرِها — لـكانَ الخرَسُ أحبَّ إليهما .

قال أبو عبيدة : ومن ذلك قولُ الحارثِ بن حِلِّزَة ، وأنشدَها الملِكَ[4] وكان به وَضَحٌ[5] وأنشدَه من وراء سِتر — فبلغَ من استحسانه القصيدةَ[6] إلى أن أمَرَ برفْع السِّتر .

ولـكراهتهم لدُنُوِّ الأبرصِ منهم قال لبيدُ بن ربيعة ، للنُّعمان بن المنذر ، في الربيع بن زياد :

مَهْلاً أَبيْتَ اللَّعْنَ لا تأكلْ مَعَهُ   إنّ استَه مِنْ بَرَصٍ مُلَمَّعَهْ[7]

وإنهُ يُدخِلُ فيها إصبَعَهْ   يُدْخِلُهَا حتى يُوارِي أشْجَعَهْ[8]

---

(١) احزأل القوم : اجتمعوا ؛ وانضم بعضهم إلى بعض . ودارم ، هم بنو دارم بن مالك ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

(٢) ط فقط : « رأسها » .

(٣) ل ، س : « عنهما » .

(٤) الملك هنا هو عمرو بن هند . انظر شرح التبريزي للمعلقات ٢٣٩ — ٢٤٠ .

(٥) الوضح : البرص . والذي به الوضح هو الحارث بن حلزة . انظر (البرص) في المعارف ٢١٥ .

(٦) ستأتي القصيدة بعد الاستطراد الطويل التالي .

(٧) ملمعة : ذات لُمَع ، وكل لون خالف لوناً فهو لُمعة .

(٨) الأشجع : واحد الأشاجع ، وهي عروق ظاهر الكف ، أو العظام التي تصل الأصابع بالرسغ .

[كأنما يَطْلُبُ شيئا ضَيَّعَه.(١)]

قال ابنُ الأعرابيّ : فلما أنشدَ الملكَ لبيدٌ فى الربيع بن زيادٍ ما أنشد قال الربيعُ : أبيتَ اللعن والله لقد نـكتُ أمَّه . قال : فقال لبيد : قد كانت لَعَمْرى يتيمة فى حِجْرِك ، وأنتَ ربيتها ، [فهذا بذاك] ، وإلا تـكن فعَلْتَ [ماقُلْتَ] فمـا أولاك بالـكذب(٢) ! وإن كانت هى الفاعلة فإنها منْ نِسوةٍ لذلك فُعُلُ(٣) . يعنى [بذلك(٤)] أن نساء عَبْسٍ فَواجرُ ، لأن أمه كانت عَبْسيّة .

والعربىُّ يعافُ الشىءَ ويهجو به غيره ، فإن ابتُلِىَ بذلك(٥) فَخَر به . ولـكنه لايفخرُ به لنفسه مِنْ جهةٍ ماهجا به صاحبه . فافهم هذه ؛ فإن الناس يَغْلَطُونَ على العَرَبِ(٦) ويزعُمون أنهم قد يمدَحون الشىء الذى قد يهجُون به . وهذا باطلٌ ، فإنه ليس شىءٌ إلا وله وجهان [وطَرَفان] وطريقان .

---

(١) رواية ابن رشيق فى العمدة (١ : ٢٧) : « أودعه » قال : « ويروى : أطمعه » قلت : هى رواية الأغانى (١٦ : ٢٢) . وقبل هذه الأبيات فى كل من العمدة وأمالي المرتضى (١ : ١٣٦) .

يارُبَّ هيجا هى خير من دعه ... إذ لا تزال هامتى مقزعه
نحن بنى أم البنين الأربعه ... ونحن خير عامر بن صعصعه
المطعمون الجفنة المدعدعه ... والضاربون الهام تحت الخيضعه

وبعد هذه فى الأغانى :

يا واهب الخير الـكثير عن سعه ... إليك جاوزنا بلادا مسبعه
يخبر عن هذا خبير فاسمعه ... مهلا أبيت اللعن لاتأكل معه

(٢) فيما عدا ل : « فان كنت فعلت فما أولاك بذلك وإن لم تـكن فعلت فما أولاك بالـكذب » وأثبت ما فى ل موافقاً ما فى عيون الأخبار (٤ : ٦٥) . وانظر رواية الخبر فى أمالى المرتضى والأغانى (١٤ : ٩٢ و ١٦ : ٢٢) .

(٣) فيما عدا ل : « كذلك فعلهن » وما أثبت من ل يشبه ما فى عيون الأخبار ، ففيها : « فعل لذلك » . وفعل بضمتين : جمع فعول ، كصبور وصبر . و فعول بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث ، ويجمعان على فعل بضمتين .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : « به » .

(٦) هـ : « يغلطون » بالظاء .

فإذا مدحوا ذكروا أحسنَ الوجهين ، وإذا ذمُّوا ذكروا أقبحَ الوجهين .

والحارثُ بنُ حِلِّزَة فخرَ ببكرِ بنِ وائلٍ على تغلِبَ ، ثم عاتبهم عِتاباً دلَّ على أنهم لا ينتصفون منهم ، فقال :

وأتانا عن الأراقمِ أنبا ءٌ وخَطْبٌ نُعْنَى به ونُسَاءُ[1]
يَخلِطونَ البرىءَ منا بذِى الذَّنْـ ـبِ وَلاَ يَنْفَعُ الخلِيَّ الخلاءُ[2]
زعموا أن كلَّ مَنْ ضَرَبَ العَيْـ ـرَ مَوَالٍ لنا وأنَّا الوَلاءُ[3]
إنَّ إخوانَنَا الأراقمَ يَغْلُو نَ علينا فى قولهم إحفاءُ[4]

ثم قال :

واتركوا الطَّيْخَ والتَّعَاشِى وإمّا تتعاشَوْا ففِى التعاشِى الدَّاءُ[5] ٥٨
واذكروا حِلْفَ ذى المجازِ وَمَا قُـ ـدِّمَ فيه ، العهودُ والكفلاءُ[6]
حذَرَ الجوْرِ وَالتَّعَدِّى وهل ينـ ـقُضُ ما فى المَهَارِقِ الأهْوَاءُ[7]

---

(١) الأراقم : أحياء من بنى تغلب وبكر بن وائل . ونعنى : أى يعنينا غيرنا به ، يظننا ويتهمنا ، أو نعنى به نحن ونهتم .

(٢) أى يسوون ذا الذنب بالذى لا ذنب له . الخلاء ، بالفتح : البراءة .

(٣) العير : الوتد ، أى كل من ضرب وتدا ألزمونا ذنبه ، أى ذنوب الناس جميعا . أو العير : إنسان العين ، أى ألزمونا ذنب كل من أطبق جفنا على عين . الولاء : أى أهل الولاء وأصحابه .

(٤) يغلون ، بالغين المعجمة : من الغلو ، وهو تجاوز الحد . فيما عدا ل : « يعلون » وما أثبت من ل هو الرواية . انظر التبريزى . والإحفاء : الاستقصاء ، أى استقصوا علينا ونقضوا العهد . أو الاحفاء من أحفيت الدابة : كلفتها ما لا تطيق حتى تحفى . رواية التبريزى : « فى قيلهم » . والقيل : القول .

(٥) الطيخ : الكبر والعظمة . والتعاشى : التعامى والتجاهل . أى إن تجاهلتم ما لنا من الفضل فسدت قلوبنا عليكم فأفضى ذلك بكم إلى شر عظيم . ل : « فإما تتعاشوا » .

(٦) ذو المجاز : موضع جمع فيه عمرو بن هند بكرا وتغلب ، وأصلح بينهما ، وأخذ منهما الوثائق والرهون . فيما عدا ل : « واتركوا » تحريف .

(٧) المهارق : جمع مهرق ، وهو الصحيفة ، فارسى معرب . وانظر المعرب للجواليقى ٣٠٤ والحيوان (١ : ٧٠) والتبريزى ٢٥٥ . أراد أن ما كتب فى العهود لا تبطله أهواؤكم الضالة . ل : « ولا ينقض » ورواية التبريزى « ولن » .

واعلموا أننـا وإياكمُ فيـ ما اشترطْنا يومَ اختلفنا سواء[(١)]

أمْ علينا جُناحُ كِنْدَةَ أنْ يَغْـ نَمَ غازِيهُمُ ومِنّا الجزاء[(٢)]

أمْ علينا جرّا حَنيفة أم ما جَمعتْ من مُحاربٍ غَبراء[(٣)]

أمْ علينا جرّا قُضاعةَ أم ليْـ س علينا فيما جَنَوْا أنداء[(٤)]

ليس مِنّا المُضرَّبُونَ ، ولا قَيْـ سٌ، ولاجَنْدلٌ، ولاالحذّاء[(٥)]

أم جنايا بَنى عَتيقٍ . فمن يَغْـ دِرْ فإنا من غدرهم بُرَآء[(٦)]

عَنَتاً باطلاً شَدوخاً كما تُعـ تَرعن حَجْرَةِ الرَّبيضِ الظِّباء[(٧)]

ومن المديح الذى يقبُحُ ، قولُ أبى الحلال[(٨)] فى مَرْثيةِ يزيدَ بن مُعاويةَ ، حيث يقول :

---

(١) أى اعلموا أنا وإياكم فى تلك الشرائط التى وثقناها يوم تعاقدنا مستوون .

(٢) كانت كندة غزت تغلب وقتلت فيهم وسبت وغنمت ، فقال : أتلزموننا ما فعلت كندة ؟ !

(٣) الغبراء : الصعاليك والفقراء . والجرّاء والجرّا ، بالمد والقصر: الجناية . فيما عدا ل : « جزا » بالزاى تصحيف . أى هل علينا فى العهود والمواثيق التى أخذتموها علينا أن تأخذونا بذنوب حنيفة وما أذنبت صعاليك محارب .

(٤) الأنداء : جمع ندى ، وهو ما يصيب الإنسان ، يقال : لا يندالك منى شىء تكرهه ، أى لا يصيبك . كانت قضاعة غزت تغلب فقتلوا وسبوا . يريد : أتريدون أن تحملوا علينا ذنوب هؤلاء ؟! وليس يندانا مما جنوا شىء .

(٥) المضربون : قوم من بنى تغلب ضربوا بالسيف . والحذاء : قبيلة من ربيعة .

(٦) يقول : إن نقضتم العهد فانا برآء منكم . فيما عدا ل : « من جرمهم » . الزوزنى والتبريزى : « من حربهم » قال التبريزى : « ويروى فانا من غدرهم » .

(٧) شدوخا : مائلا عن القصد . وهذا البيت أحد شواهد صحة هذا المعنى . انظر اللسان (شدخ) . فيما عدا ل: «وظلما» . تعتر : تذبح . فيما عدا ل : « يعتر » . والحجرة بالفتح : الموضع الذى يكون فيه الغنم . والربيض : جماعة الشاء ، والعرب كانت تنذر النذر فيقول أحدهم : إن رزقنى الله مائة شاة ذبحت عن كل عشرة شاة ، فربما بخل أحدهم بما نذر ، فيصيد الظباء فيذبحها عوضاً من الشاء .

(٨) ط ، هـ : « ابن الحلال » من : « ابن الحلال » وأثبت ما فى ل .

يا أيُّهَا الميْتُ بحُوَّارِينا إنكَ خيرُ الناسِ أجمعينا[(١)]

[وقال الآخر :

مدحتُ خير العالمين عَنْقَشَا[(٢)] يشبُّ زهراءَ تقود الأعْمَشَا[(٣)]]

وقال الآخر :

إنَّ الذى أمْسى يُسمَّى كُوزَا اسمًا نبيهًا لم يكن تَنْبِيزا[(٤)]
لما ابْتَدَرْنَا القَصَبَ المركوزا[(٥)] وَجَدْتَنى ذا وثْبةٍ أبُوزَا[(٦)]

ودخل بعضُ أغثاث[(٧)] شعراءِ البَصريِّين على رجل من أشراف الوجوه يُقال فى نسَبِهِ[(٨)] ، فقال : إنى مَدَحْتُكَ بشعر لم تُمْدَحْ قطُّ بشعر هو أنفعُ لكَ منه . قال: ما أحْوَجَنى إلى المنفعة ، ولا سيَّما كلُّ شيء[(٩)] منه يَخلدُ على الأيام . فهاتِ ما عندك . فقال :

سَأَلْتُ عَنْ أَصْلِكَ فيما مضى أبناءَ تِسْعِينَ وقد نَيَّفُوا[(١٠)]

---

(١) حوارين : بالضم وتشديد الواو ، وهى التى تدعى بالقريتين ، بينها وبين تدمر مرحلتان وبها مات يزيد بن معاوية فى سنة ٦٤ . انظر ياقوت في (حوارين ، القريتين) .
(٢) عنقش ، كجعفر : اسم من أسمائهم .
(٣) الزهراء : المنيرة المضيئة ، عنى بها : النار . أي يوقد هذه النار للضيف ، فيهتدي بها الأعمش ، فما بالك بغير الأعمش ؟! وهذه الزيادة ثابتة فى ل ، س ، هـ . وفى الأخيرتين : « لقيته دهرا » تصحيف .
(٤) نبه الاسم : صار معروفاً مشهوراً . والتنبيز : التلقيب . وفى اللسان : « فلان ينبز بالصبيان : يلقبهم . شدد للكثرة » . ل : « نبيزا » .
(٥) ابتدروا السلاح : تبادروا إلى أخذه . والقصب ، أراد به الرماح . سهـ : « العصب » محرف . والمركوز : المغروز فى الأرض ونحوها .
(٦) الأبوز : الذي يأبز فى عدوه ، أي يثب ويقفز وينطلق .
(٧) الأغثاث : جمع غث ، وهو الردئ السيئ الخلق والحال . فيما عدا ل : « أغبياء » .
(٨) أي يطعن فى نسبه . وهذه العبارة بعينها فى عيون الأخبار (٢ : ٥٣) . وفيما عدا ل : « وكان يطعن فى نسبه » .
(٩) فيما عدا ل : « كل شعر » .
(١٠) نيفوا : زادوا ، يقال : أناف ، ونيف . فيما عدا ل وكذا فى عيون الأخبار : « أبناء سبعين » .

فكلُّهُمْ يخبرُنى أنه مهذَّبٌ جوْهرُهُ يُعْرَفُ

فقال له : قمْ فى لعنةِ اللهِ وسخَطِهِ ! فلعنَكَ اللهُ(١) ولعنَ مَنْ سألتَ ولعنَ من أجابك !!

باب
(فى السُّخف والباطل)

وسنذكر لك بابًا من السُّخْف ، وما نتسخَّفُ به لك ، إذ كان الحق يثقل(٢) ولا يخفُّ إلا ببعضِ الباطل .

أنشدنا أبو نُوَاسٍ فى التدليك :

إنْ تبْخَلِى بالرَّكبِ المحلوقِ فإنَّ عندى راحتِى وريقِى

وهذا الشعرُ مما يقالُ إن أبا نُوَاسٍ ولَّده .

ومما يُظَنُّ أنه ولَّده قولُه :

لم أرَ كالليلةِ فى التوفيقِ حِراً على قارعةِ الطريقِ

كأنَّ فيه لَهَبَ الحريقِ

٥٩ وأنشدنى ابن الخارَكى(٣) لبعضِ الأعرابِ فى التدليك :

لا باركَ الإلهُ فى الأحْراحِ فان فيها عدمَ اللِّقاحِ

لا خيرَ فى السفاحِ واللِّقاحِ إلا مُناجاة بطونِ الرَّاحِ

(١) ط ، ه : « لعنك الله » باسقاط الفاء .

(٢) السخف ، بالضم والفتح : رقة العقل . و التسخف : أراد به الذهاب مذهب السخف . ولم تذكره المعاجم . وقد سبق فى (٣ : ٣٨ س ١٠) : « وقد تسخفنا فى هذه الأحاديث » فيما عدا ل : « من السخيف وربما يستخف عليك إذا كان الحق يثقل عليك » .

(٣) هو أحمد بن الخاركى المترجم فى (٢ : ١٩٣) .

وأنشدنى محمد بنُ عبَّاد(١) :

تَسْألُنِى ما عَتَدى وعن ددى(٢) فإننى يا بِنْتَ آلِ مَرْثَدِ(٣)

راحلتى رِجلاىَ وامْرَاتى يَدِى(٤)

وأنشدنى بعض أصحابنا [لبعض] المدنيِّين :

أُصفِى هَوَى النفسِ ، غيرَ مُتَّئِبٍ حَليلةً لاتَسُومُنى نَفَقَهْ(٥)

تَكونُ عونى على الزمانِ ولِلْـ كَسْبِ، إذاماأخفقْتُ، مُرْتفقَه(٦)

وشعرٌ فى ذلك سمعناه على وجه الدهر ، وهو قولُه(٧) :

إذا نَزَلْتَ بوادٍ لاأنيسَ به فاجلِدْ عُمَيرَةَ لا عارٌ ولا حَرَجُ

---

(١) محمد بن عباد ، ذكره الجاحظ فى البخلاء ١٧٧ — ١٧٨ وأورد له خبرين طريفين ، وهو « محمد بن عباد بن كاسب ، كاتب زهير ومولى بجيلة ، من سبى دابق . وكان شاعراً راوية ، وطلابة للعلم علامة » انظر البيان (١ : ٥١) . قال الجاحظ فى البيان (١ : ١١١) : « وكان محمد بن عباد بن كاسب يقول : والله لفلان أثقل من مغن وسط ، وأبغض من ظريف وسط » . قال الجاحظ يؤيد رأيه : « وإنما الشأن فى الحار جدا والبارد جدا » .

(٢) العتد ، بالتحريك ، وبفتح فكسر : الفرس التام الخلق السريع الوثبة المعد للجري ، أو العتيد الحاضر المعد . والدد : اللهو واللعب ، ومثله الددن ، والددا ، والديد ، والديدان ، والديدبون ، كلها لغات صحيحة . ل : « ما عندي لها » ط : « ما عدتى » محرفتان عما أثبت من س ، هـ . وفى ط : « وعتدي » س : « وغندى » هـ : « وعندى » صوابه فى ل .

(٣) ل : « يابنة » .

(٤) امراتى ، أراد امرأتى ، فسهل ، أو اضطره الشعر . هـ : « راحلتى رجلي » .

(٥) اتأب للرجل : استحيا ، افتعال من وأب . فيما عدا ل : « منتئب » تحريف . وقد عنى بالحليلة كفه . تسومنى : تكلفنى .

(٦) فيما عدا ل : « والكسب » . وبدئ عجز البيت فى الأصل بالباء ، وصوابه أن يبدأ بالكاف ، وهو من المنسرح . مرتفقة : منتفعة . وفى اللسان : (١١ : ٤٠٩) : « المرفق ، والمرفق من الأمر ، وهو ما ارتفقت وانتفعت به » .

(٧) ط ، هـ : « وشعرا فى ذلك سمعناه وهو » مع إسقاط سائر الكلام . وأثبت ما فى ل ، س . لكن فى س « وشعرا » بالنصب . ووجه الدهر : أوله . وانظر البيت وما يتعلق به فى محاضرات الراغب (٢ : ١١٥) . وروايته . « إذا حللت بأرض لا أنيس بها » .

وأنشدنا أبو خالد النُّميريّ(١) :

لو أنها رَخْصةٌ قَضَّيْتُ مِنْ وطَرى ... لكنَّ جِلْدَتَها تُرْبى عَلَى السَّفَن(٢)

أشكو إلى الله نغطًا قدْ بُليتُ به ... وما ألاقى مِنَ الإمْلاق وَالحزَن(٣)

وقال الذَّكوانيُّ(٤) يردُّ على الأول قولَه :

جِلْدِي عُمَيرةَ فيه العار والُحوبُ ... والعَجْزُ مُطَّرحٌ والفُحْشُ مَسْبُوبُ(٥)

و بالعراق نساء كالمَهَا قُطُفٌ ... بأرخص السَّوْم خَدْلاَتٌ مَناجيبُ(٦)

وما عُميرةُ مِنْ ثَدْياء حاليةٍ ... كالعاج صَفّرهاالأكنانُ والطِّيبُ(٧)

قال : مَثَلُ هذا الشعرِ كمثل رجُل قيلَ له : أبوكَ ذاكَ الذى ماتَ جُوعا(٨) ؟ قال: فَوَجَدَ(٩) شيئا فلم يأكله ؟!

وقال الحرامى(١٠) :

عِيالٌ عالَةٌ وكسادُ سُوقٍ ... وأيرٌ لاينامُ ولا يُنِيمُ

(١) فيما عدا ل : « أبو عميرة النمري » .
(٢) رخصة : ناعمة لينة ، أراد يده . والسفن ، بالتحريك : قطعة خشناء من جلد ضب أو جلد سمكة يسحج بها القدح حتى تذهب عنه آثار المبراة .
(٣) الإملاق : الفقر والحاجة . فيما عدا ل : « قد منيت به » وهما بمعنى . وفيما عدا ل أيضاً : « وما الأمانى سوى » وهذه محرفة .
(٤) سبق له رجز في (٣ : ٢٦٦) .
(٥) الحوب ، بالضم : الهلاك ، والغم ، والبلاء . والسب : القطع ، سبه يسبه سبا : قطعه .
(٦) قطف : جمع قطوف ، وهي الضيقة المشى البطيئة . فيما عدا ل : « نطف » بالنون ، تحريف . خدلات : ممتلئات الأعضاء فى دقة عظام . ه : « جدلات » بالجيم. ط ، ه « جذلات » تصحيف . مناجيب : جمع منجاب ، وهى التي تلد النجباء .
(٧) الثدياء : العظيمة الثدي . ه : « يدا » . فان صحت كان وجهها « بداء » ، وهى الضخمة الأسكتين . س : « نداء » محرفة . حالية : عليها الحلي . كالعاج فى بياضها. الأكنان : جمع كن ، بالكسر ، وهو البيت . والعرب يمدحون بالصفرة .
(٨) فيما عدا ل : « مات من الجوع » .
(٩) كذا ، بترك همزة الاستفهام فى الأصل .
(١٠) هو أبو محمد عبد الله بن كاسب . انظر الحيوان (٣ : ٢٣٧) وهذا الجزء ص ١٧٩ . فيما عدا ل : « الخزامى » .

[باب

مما قالوا فى السرّ]

قال[1] ابن ميّادة :

أتُظْهِرُ مافى الصَّدْرِ أمْ أنتَ كاتمه   وَكِتمانُهُ داءٌ لِمَنْ هو كاتمُه
و إضمارُهُ فى الصدرِ داءٌ وَعِلّةٌ   و إظهارُهُ شُنْعٌ لِمَنْ هوَ عالمُه[2]

وتقول العرب : « من ارتاد لسِرِّه فقد أشاعه[3] » . ٦٠

وأرى [الأول] قد أذِنَ فى واحدٍ[4] وهو قولُه[5] :

وسِرُّكَ ماكانَ عندَ امرئٍ   وسرُّ الثلاثةِ غيرُ الخفِى

وقال الآخر[6] فيما يوافق [فيه] المثلَ [الأول] :

فلا تُفْشِ سرَّكَ إلا إليكَ   فإنَّ لكلِّ نصيحٍ نصيحاً[7]

---

(١) فيما عدا ل : « وقال » .

(٢) الشنع ، بالضم : القبح و الفظاعة .

(٣) فى عيون الأخبار (١ : ٣٨) : « من ارتاد لسره موضعا فقد أذاعه » .

(٤) أى فى إفشاء السر إلى واحد .

(٥) هو الصلتان السعدي ، كما نص الجاحظ فى (٣ : ٤٧٧ — ٤٧٨) . وفى عيون الأخبار (١ : ٣٩) وكذا الحماسة (٢ : ٥٦ — ٥٧) : « الصلتان العبدى » . وفى محاضرات الراغب (١ : ٥٩) : « الصلتان » مجردا . والبيت بدون نسبة فى لباب الآداب ٢٤٠ وأدب الدنيا و الدين ٢٨١ .

(٦) فى الكامل ٤٢٤ ليبسك : « وأحسن ما سمع فى هذا — يعنى كتمان السر — ما يعزي إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فقائل يقول : هو له، ويقول آخرون : قاله متمثلا . ولم يختلف فى أنه كان يكثر إنشاده » وأنشد البيتين . ونسبه الماوردى ٢٧٩ إلى أنس بن أسيد . وانظر لباب الآداب ٢٤٠ والعقد (١ : ٣٥) ومحاضرات الراغب (١ : ٥٩) وعيون الأخبار (١ : ٣٩) والمحاسن و المساوي للبيهقى (٢ : ٥٨ — ٥٩) .

(٧) النصيح : الناصح الذى لايغش . وقد عنى أن لكل صفى صفيا آخر يفضى إليه بسره ولا يضن به عليه ، فمن ذلك ما يذيع السر ويتنقل فى الإخوان ، وإخوان الإخوان .

فانى رأيتُ غُواة الرجا ... لِ لا يترُكون أديماً صحيحاً(١)

وقال مِسكينٌ الدّارِمىّ(٢) :

إذا ما خليلى خاننى وائتمنتُه ... فذاكَ وداعِيهِ وذَاكَ وَداعُها

رَدَدْتُ عليــه وُدّهُ وتركتُها ... مطلَّقةً لا يُستطاعُ رِجاعُها

وإنى امرؤٌ منى الحياءُ الذى تَرَى ... أعيشُ بأخلاقٍ قليلٍ خِداعُها

أُوَاخِي رجالاً لستُ أُطلِعُ بعضَهم ... على سرِّ بعضٍ غيرَ أنى جِماعُها(٣)

يَظلُّونَ شتَّى فى البلادِ، وسرُّهم ... إلى صخرةٍ أعيا الرِّجالَ انصداعُها

وقال أبو مِحْجَنٍ الثَّقفىّ(٤) :

وقد أجُودُ وما مالى بذى فَنَعٍ ... وأكتُمُ السرَّ فيه ضربةُ العُنُقِ(٥)

---

(١) غواة : جمع غاو ، وهو الضال الفاسد . وهذه الرواية توافق رواية الكامل وعيون الأخبار والعقد . وفى ل : « وجدت ضعاف » : وعند الماوردى : « وشاة » والبيهقى : « بغاة » .

(٢) انظر المبرد ٤٢٥ ليبسك ، وعيون الأخبار (١ : ٣٩) وأمالي المرتضي (٢ : ٦٢) وحماسة أبي تمام (٢ : ٢) والقالى (٢ : ١٧٦) .

(٣) الجماع : اسم لما يجمع به الشيء . وهذا نحو قول عبيد الله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود :

أواخى رجالا لست مطلع بعضهم ... على سر بعض إن صدري واسعُه

ديوان المعانى (١ : ١٤١) والأغانى (٨ : ٩٢) .

(٤) هو عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي . وهو من المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام ، معدود فى أولى البأس والنجدة ، وكان يدمن شرب الخمر ، وأقام عمر عليه الحد مرارا . وهو القائل :

إذا مت فادفنى إلى أصل كرمة ... تروي عظامى بعد موتى عروقها

ولا تدفننى بالفلاة فانى ... أخاف إذا مامت أن لا أذوقها

ابن سلام ١٠٥ والأغانى (٢١ : ١٣٧ — ١٤٣) وديوان أبى محجن ٢٣ .

(٥) فى الأصل : « وقد أكون » صوابه من المصادر التالية . الفنع ، بفتح الفاء وفتح النون كثرة المال . وفى الأصل : « قنع » بالقاف ، صوابه فى اللسان والمخصص (١٢ : ٢٨٠) والفصول والغايات ٤٦٥ والأغانى (٢١ : ١٤٢) وديوان أبى محجن رواية أبى هلال العسكرى ص ٧ . وعجز البيت فى الأخيرين : « وقد أكر وراء المحجر البرق » . المحجر : الذي ضيق عليه فى الحرب . والبرق : الشاخص البصر من الفزع . وروى عجز البيت أيضا عجزا لصدر آخر ، فى الديوان وعيون الأخبار (١ : ٣٨) والعقد (١ : ٣٦) .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه[١] : « مَنْ كَتم سِرَّهُ كانَ الخيار فى يَدِه » .

وقال بعضُ الحكماء : « لا تُطلعْ واحداً من سِرِّك[٢] ، إلا بقدرِ ما لا تجدُ فيه بدًّا من معاونتك » .

وقال آخر[٣] : « إنَّ سِرَّكَ مِنْ دَمِكِ ، فانظرْ أينَ تُرِيقهُ ! » .

[و] قال الشاعر[٤] :

ولو قدَرْتُ عَلَى نسيانِ ما اشْتَمَلَتْ ... منى الضلوعُ من الأسرارِ والخبَرِ
لكنت أولَ من ينسى سرائره[٥] ... إذ كنت من نشرها يوماً على خطرِ

[وقال الآخر :

فإذا استودَعتْ سِرًّا أحَداً ... فقد استودعتَ بالسرِّ دَمَكْ]

وقال قيسُ بنُ الخطيم[٦] :

وإنْ ضَيَّعَ الإخْوَانُ سِرًّا فإننى ... كتُومٌ لِأَسْرَارِ العَشيرِ أمينُ
يكونُ له عندى إذا ما ائتُمِنْتُهُ ... مكانٌ بسَوداءِ الفُؤَادِ مَكينُ[٧]

---

(١) رواه البيهقي في المحاسن (٢ : ٥٧) حديثا للرسول ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « من كتم سره كانت الخيرة فى يديه » ثم ساق حديثاً طويلا . وقد اقتبس هذا المعنى عتبة بن أبى سفيان فى خبر له مع ابنه الوليد . انظر عيون الأخبار (١ : ٤٠) والعقد (١ : ٣٥) .

(٢) فيما عدا ل : « أخاك » وفي ط ، هـ : « على » موضع « من » .

(٣) نسبه البيهقى (٢ : ٥٦) إلى المنصور ، « كان يقول : سرك من دمك فانظر من تملكه » . قال ابن عبد ربه : « يعنون أنه ربما كان فى إفشائه سفك دمك » .

(٤) انظر عيون الأخبار (١ : ٣٩) ولباب الآداب ٢٤١ والماوردى ٢٨١ .

(٥) ل : « سريرته » وأثبت ما فى ط ، هـ ، س وسائر المصادر .

(٦) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٢٨ — ٢٩ عددها ١١ بيتا وأمالي القالي (٢ : ١٧٧) وعددها ١٣ بيتا . وانظر الشريشى (١ : ٢١٧ — ٢١٨) والعينى (٤ : ٥٦٦ — ٥٦٧) وحماسة البحترى ٢٢٦ ونوادر أبى زيد ٢٠٤ ولباب الآداب ٢٣ والمستطرف (١ : ٢٠٧) .

(٧) رواية الديوان والقالى والعينى : « إذا ما ضمنته » . وأشار القالى إلى الرواية الثانية . وفى الديوان : « مقر » وقد أشار القالى إلى رواية الديوان . ورواية الديوان والقالى : « كنين » بمعنى مكنون . وأما « مكين » فهو من التمكن .

وقيل لمزَبِّد : يامُزَبِّد[1] ، ماهـذا الذى تحتَ حضنك ؟ فقال : يا أحمق ، فلِمَ خبأْته ؟![2]

وقال أبو الشِّيص :

ضعِ السرّ فى صَمَّاء ليستْ بصخرةٍ صَلودٍ كما عايَنْتَ من سائر الصّخرِ
ولـكنها قلبُ امرئٍ ذى حفيظةٍ يَرَى ضَيْعَةَ الأسرارِ هتراً من الهتر[3]
٦١ يموتُ وما ماتَتْ كرائمُ فِعْلِهِ ويَبْلَى وما يَبْلَى نَثَاهُ عَلَى الدَّهرِ[4]

وقال سُحَيْمٌ الفقعسىّ[5] ، فى نشر ما يُودَعُ من السِّرِّ[6] :

---

(١) مزبد : هومزبد المدينى ، من مشهورى أصحاب النوادر والفكاهة . ويقع التحريف فى اسمه كثيراً ، فيقال : « مزيد » بالياء المثناة التحتية ، كما ورد فى ط ، ه . وفى تاج العروس (٢ : ٣٦١) : « ومزبد ، كمحدث : اسم رجل ، صاحب النوادر . وضبطه عبد الغنى وابن ماكولا كمعظم . وكذا وجد بخط الشرف الدمياطى ، وقال : إنه وجده بخط الوزير المغربى . ووجد فى خط الذهبى ساكن الزاى مكسور الموحدة » . وقد رجعت إلى المشتبه للذهبى ص ٤٧٥ فوجدت فيه : « وبزاى و بموحدة مكسورة : مزبد صاحب النوادر » . ففى ضبطه أقوال ثلاثة . وله حديث في ثمار القلوب ٣٧٢ وقال التوحيدى فى شأن الجاحظ : « وإن هزل زاد على مزبد » . انظر المقابسات ٥٥ .

(٢) فيما عدا ل : « لم خبأته » وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٣٩) . وفى جمع الجواهر للحصرى ١٣ : « وكان بين يدى مزبد المدينى جرة مغطاة ، فقال له بعض جيرانه : ما هذا ؟ فقال . يا أحمق فلم سترناه ؟! أخذه ابن الرومى فقال لمن سأله : لم تلزم العمة؟ — وكان ابن الرومى أقرع الرأس — :

يأيها السائلى لأخـبره عنى لم لا أزال معتجرا
أستر شيئاً لو كان يمكننى تعريفه السائلين ماسترا » .

(٣) الهتر ، بالفتح : مزق العرض ، وبالكسر : الباطل والخطأ فى الكلام ، وبالضم : ذهاب العقل من كبر أو مرض أو حزن . س : « من أكبر السر » محرفة . ط ، ه : « من أكبر الشر » وأثبت ما فى ل .

(٤) النثا ، بتقديم النون : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سىء . فيما عدا ل : « ثناه » مصحف .

(٥) المعروف فيمن اسمه سحيم من الشعراء ثلاثة : سحيم بن وثيل الرياحى ، وسحيم بن الأعرف وهو من بنى الهجيم ، وسحيم عبد بنى الحسحاس . انظر الخزانة (١ : ٢٤٢ ٢٤٤ سلفية) .

(٦) فيما عدا ل : « فى إفشائه ما يودع من الأسرار » .

ولا أكتُمُ الأسرارَ لـكن أذيعُها ولا أدَعُ الأسرارَ تَغْلِى عَلَى قلبى[(١)]
وإن قليــلَ العقلِ من باتَ ليلَهُ تقلِّبه الأسرارُ جنبا إلى جنب[(٢)]

وقال الفَرّار[(٣)] السُّلَمىُّ ـ وهذا الشعر فى طريقِ شعرِ سُحَيمٍ ، وإن لم يكن فى معنى السرِّ ـ [وهو] قوله :

وكتيبةٍ لَبَّسْتُهَا بِكتيبةٍ حتى إذا التَبَسَتْ نفضْتُ بها يدى[(٤)]
[وتركتُهُمْ تَقِصُ الرِّمَاحُ ظهورَهم من بينِ مُنْجدِلٍ وآخرَ مُسْنَدِ[(٥)]]
ما كانَ ينفعُنى مَقالُ نِسائِهم وقُتِلتُ دون رجالِهِمْ : لاتَبْعَدِ[(٦)]

(تخاذل أسلم بن زرعة)

وقيل لأسلم بن زُرعة[(٧)] إنك إن انهزمتَ من أصحاب مِرْداسٍ

---

(١) فى عيون الأخبار (١ : ٤١) والحماسة (٢ : ٤٠٢) والكامل ٤٢٧ ليبسك : « أنمها » وفى ل والحماسة : « أترك » : وفى المستطرف (١ : ٢٠٨) : « تعلو على قلبى » .

(٢) فيما عدا ل : « ضعيف العقل » . وما أثبت من ل يوافق الكامل والحماسة والمستطرف . ه فقط : « ليلة » بالتاء، ومثلها الحماسة والمستطرف . لكن صدره فى الكامل : « وإن أحق الناس بالسخف لا مرق » .

(٣) الفرار : شاعر إسلامى مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، واسمه حبان (ويقال : حيان) بن الحكم ، وأخذ راية سليم يوم الفتح ثم نزعت منه . وسليم بالتصغير : اسم قبيلته . انظر الإصابة ١٥٥١ والحماسة (١ : ٥٧) وشرح التبريزى . وفيما عدا ل : « الغرار » بالغين ، محرف .

(٤) أى رب كتيبة خالطتها بكتيبة ؛ فلما اختلطت نفضت يدى منهم . وأراد بنفض اليد الإعراض عنها . وفى هذا ما فيه من اطراح النخوة والخلق الفاضل . وهذا هو السر فى شبه هذا الشعر بسابقه .

(٥) تقص : تكسر ، والوقص: الكسر . المنجدل : المصروع الملقى على الجدالة ، وهى الأرض . والمسند : الذى أسند إلى ما يمسكه وبه رمق . ورواية الحماسة : « منعفر » وهذا البيت ثابت فى ل ، ه فقط .

(٦) ما استفهامية أو نافية . بعد يبعد : هلك، وبابه تعب ، أى ما ينفعنى أن يندبننى ويقلن لا تبعد ! فيما عدا ل : « بين رجالهم » ورواية الحماسة : « بين رجالها » .

(٧) فى تاريخ الطبرى القسم الثالث ص ٦٥ أن زياداً لما ولى العراق استعمل الحكم بن عمرو الغفارى على خراسان ، وجعل معه رجالا على كور ، وأمرهم بطاعته ، =

ابن أُدَيّةَ(١) غضِبَ عليك الأمير عبيدُ الله بن زياد قال : يغضَبُ علىَّ وأنا حىٌّ أحبُّ إلىّ مِنْ أن يرضَى عنى وأنا ميِّت .

قال : وولِىَ دَسْتَبَى(٢) فخرج إليها فى أصحابه(٣) ، فلما شارَفَها عرضَتْ له الخوارجُ ، وكان أكثرَ منهم عددًا وعُدّة ، فقال : والله لأصافَّنّهم(٤) ، وَلأُعَبِّيَنَّ أصحابى(٥) ، فلعلهم إذا(٦) رأوا كثرَتَهم انصرفوا ولا أزال بذلك(٧) قويًّا فى عملى هــذا . فلما رأت الخوارجُ كثرةَ القوم نزلوا عن خيولهم فعرْقَبُوها(٨) ، وقطَّعوا أجفانَ سيوفهم ، ونبذوا(٩) كل دقيقٍ كان معهم ، وصبُّوا أسقِيَتَهُم . فلما رأى ذلك رأى الموتَ الأحمر .

= فكانوا على جباية الخراج ، وهم أسلم بن زرعة ، وخليد بن عبدالله الحنفي ، ونافع بن خالد الطاحى ، وربيعة بن غسل اليربوعى ، وحاتم بن النعمان الباهلى ؛ وفى ص ١٧٢ : « ولى عبيد الله بن زياد أسلم بن زرعة خراسان » . وفى ص ٣٩١ أن عبيد الله بن زياد أرسله إلى أبى بلال مرداس بن عمرو بن حدير .

(١) سبقت ترجمته فى ص ٢٥ من هذا الجزء . وله أخ يدعى « عروة » . وأدية جدة لهما من محارب نسبا إليها ، ويقال : بل كانت ظئرًا لهما ، وهما ابنا عمرو بن حدير ، من ربيعة بن حنظلة . المعارف ١٨٠ .

(٢) دستبى ، بفتح أوله وسكون ثانيه وفتح التاء المثناة من فوق والباء الموحدة المقصورة : كورة كبيرة كانت مقسومة بين الرى وهمذان . ط ، هـ ، سه : « تستر » ، وهى بضم التاء الأولى وفتح الثانية ، وكانت أعظم مدينة بخوزستان . ل : « دستبنى » بزيادة نون قبل الآخر ، وصواب هذه ما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « وخرج » ، بالواو .

(٤) المصافة ، بتشديد الفاء ، من صافه يصافه ، بالتشديد : إذا رتب صفوفه فى مقابل صفوف العدو . وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم « كان مصاف العدو بعسفان » سه ، هـ : « لأصافينهم » تحريف .

(٥) من التعبئة ، وهى تهيئة الجيش وترتيبه للقتال .

(٦) ط ، هـ : « إن » والوجه ما أثبت من ل ، سه .

(٧) فيما عدا ل : « كذلك » .

(٨) عرقبوها : حزوا عراقيبها بالسيوف . وعرقوب الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها .

(٩) نبذوا : رموا وألقوا . وفى ل : « ونثروا » .

فأقبل عليهم فقال : عرقبتم دوابَّكم ، وقطَّعتم أجفانَ سيوفِكم ، ونبذتم[١] دقيقكم؟ خارَ الله لنا ولكم ! ثم ضربَ وجوهَ أصحابه[٢] وانصرفَ عنهم .

(ضِيق النظَّام بِحَمْلِ السرّ)

وكان أبو إسحاقَ إبراهيمُ بن سيّارٍ النظَّام ، أضْيَقَ الناس صدراً بحملِ سرٍّ[٣] وكان شرَّ ما يكونُ إذا يُؤَكَّدُ عليه صاحبُ السر[٤] وكان إذا لم يؤكَّدْ عليه ربما نَسِيَ القِصَّةَ ، فيسلمُ صاحبُ السرّ .

وقال له مرةً قاسمٌ التَّمار : سبحان الله مافى الأرض أعجبُ منك[٥] أودعتُك سِرًّا فلم تصبر عن نشره[٦] يومًا واحداً ؛ والله لأشكونّك للناس! فقال : يا هؤلاء ، سَلُوه نَمَمْتُ عليه مرةً واحدةً ، أو مرتين ، أو ثلاثًا ، أو أربعًا ، فلمن الذنبُ [الآنَ] ؟

فلم يرضَ بأن يشاركه فى الذّنب ، حتى صيّرَ[٧] الذّنبَ كله لصاحبِ السرّ .

---

(١) ل : « ونثرتم » .
(٢) أى ردهم من حيث أتوا . وهذا الخبر مثل عجيب فى الاستهانة بالتبعات .
(٣) فيما عدا ل : « سره » وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ .
(٤) ل : « توكد » تحريف . والكلام بعده إلى آخر الفقرة ساقط من ل .
(٥) ل : « فى الأرض » بإسقاط « ما » بمعنى « أفى الأرض » على الاستفهام وحذف الهمزة ، وذلك كثير فى لغة الجاحظ .
(٦) ط ، هـ : « إفشائه » .
(٧) ل : « صار » بمعنى ضم وجمع .

(شعر فى حفظ السرّ)

وقال بعضُ الشعراء[1] :

خَتَمْتُ الفُؤَادَ على سِرِّها ... كذاكَ الصحيفةُ بالخاتمِ[2]

هوَى بى إلى حُبِّها نظرةٌ ... هُوِىَّ الفراشةِ للجاحمِ[3]

٦٢ وقال البَعيث :

فانْ تكُ ليلَى حَمَّلَتْنى لُبانَةً ... فلا وأبى ليلى إذاً لا أخونُها[4]

حَفِظْتُ لها السرّ الذى كان بيننا ... ولا يحفَظُ الأسرارَ إلا أمينُها

وقال رجلٌ من بنى سَعد[5] :

إذا ما ضاق صدرُك عن حديثٍ ... فأفشَتْهُ الرجالُ فمَنْ تلومُ

إذا عاتبتُ من أفشى حديثى ... وسِرِّى عندَه فأنا الظلومُ[6]

وإنى حين أسأَمُ حَمْلَ سرّى ... وقد ضَمَّنْتُهُ صَدْرِى سَؤُومُ[7]

ولستُ محدِّثاً سرّى خليلاً ... ولا عِرْسى ، إذا خَطَرَتْ همُومُ

وأطوِى السرّ دونَ الناس ، إنى ... لما استُودِعْتُ من سِرٍّ كتومُ[8]

---

(١) فيما عدا ل زيادة : « فيه » فى هذا الموضع . ولا وجه له . وانظر ثمار القلوب ٣٩٩ .

(٢) فى ثمار القلوب وكذا فى الحيوان (٣ : ٣٩٨) : « على حبها » . وفيما عدا ل : « كختم الصحيفة » . وما أثبت من ل يوافق رواية الثعالبى وما سبق فى الجزء الثالث .

(٣) فى الثمار والجزء الثالث : « هوت بى » . والجاحم : كل نار عظيمة فى مهواة . فى الثمار فقط : « فى الجاحم » .

(٤) اللبانة ، بالضم : الحاجة ، والجمع لبان .

(٥) فى لباب الآداب ٢٤٣ : « وأنشد الزبير لرجل من بنى عبد شمس بن سعد » . وانظر عيون الأخبار (١ : ٣٩) .

(٦) فيما عدا ل : عاينت » صوابه فى ل والمصدرين السابقين .

(٧) ل فقط : « كتم سرى » . والبيت التالي انفرد الجاحظ بروايته .

(٨) لم يرو هذا البيت ابن قتيبة ، ورواه أسامة بن منقذ .

(اعتذار شيخ)

قال : وقيل لشيخٍ : ويحَك ههنا ناسٌ يسرق أحدُهم خمسين سنة ، ويزْني خمسين سنةً ، ويَصْنَع العظائم خمسين سنةً ، وهو فى ذلك كله مستور جميل الأمر[٢] ؛ وأنتَ إنما لُطْتَ منذُ خمسةِ أشهر ، وقد شُهِرتَ به فى الآفاق ! قال : بأبى أنت ، ومن يكونُ سِرُّهُ عند الصِّبْيان أىُّ شىء تـكونُ حالُه !

(وصية العباس لابنه)

أبو الحسن[٣] ، عن محمد بن القاسم الهاشمىّ[٤] قال : قال العباسُ بن عبد المطلب[٥] لعبد الله ابنه : « يا بُنَيّ ، أنتَ أعلمُ منّى ، وأنا أفْقَهُ منك[٦]

---

(١) الـكلام من « ويزنى » إلى هنا ساقط من ل ، سه .

(٢) فيما عدا ل : « جيد الأمر » وكلمة « كله » ساقط من ل .

(٣) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائنى ، صاحب الأخبار . وقد روى عنه الجاحظ فى البيان أكثر من سبعين خبرا . وله تصانيف تربى على المائتين ولد سنة ١٣٥ ومات سنة ٢٢٥ . انظر ابن النديم ١٤٧ — ١٥٢ مصر .

(٤) هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر اليمامى الهاشمى ، المعروف بأبى العيناء ، ولد سنة ١٩١ وتوفى سنة ٢٨٢ وهو من كبار الأخباريين ، نشأ بالبصرة وسمع من أبى عبيدة والأصمعى وأبى زيد الأنصارى ، وكان من اللسن وسرعة الجواب والدعابة على ما لم يكن عليه أحد من نظرائه . وهو الذى دخل على المتوكل فى قصره فقال : كيف تقول فى دارنا هذه ؟ فقال : إن الناس بنوا دورهم فى الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا فى دارك ! وروى عنه أنه قال : « أنا والجاحظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ ببغداد فقبلوه ، إلا ابن أبى شيبة العلوى » . وعمى أبو العيناء بعد الأربعين . انظر نكت الهميان ٢٦٥ ولسان الميزان (٥ : ٣٤٤ — ٣٤٦) والفهرست ١٨١ وتاريخ بغداد ١٢١٥ .

(٥) ط فقط : « أبو العباس بن عبد المطلب » . وإنما هو « العباس » والد عبد الله بن العباس .

(٦) فيما عدا : ل « أفقه منى وأنا أعلم منك » .

إن هذا الرجلَ يُدْنيك ــ يعنى عُمَر بن الخطاب ــ فاحفظْ عنى ثلاثاً : لاتُفْشِ له سرًّا ، ولا تَغْتَابَنّ عنده أحداً، ولايَطَّلِعَنّ منك على كِذْبة » .

باب
فى ذكر المُنى[١]

قال : سُئل ابن أبى بَكْرة[٢] أىُّ شىء أدْوَم إمتاعاً[٣] ؟ قال : المُنَى .

[قال] : وقال يزيد [بن معاوية على مِنْبرِه[٤]] : ثلاثٌ يُخْلِقْنَ العقْل[٥] ، وفيها دليل على الضّعف : سرعةُ الجواب ، وطُول التمنِّى[٦] والاستغراب فى الضَّحك !

وقال عبايَةُ الجُعْفى[٧] : ما سرّنى بنصيبى [من المنى] حُمْرُ النَّعَم[٨] .

---

(١) فيما عدا ل : « ما جاء فى ذم الأمانى » مع إسقاط كلمة « باب » .

(٢) سبقت ترجمة أبيه فى (٤ : ٤٧٩) .

(٣) فيما عدا ل : « أحرم متاعا » صوابه ما أثبت من ل موافقاً عيون الأخبار (١ : ٢٦١) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١٦) .

(٤) « بن معاوية » زيادة من ل وعيون الأخبار (١ : ٢٦١ — ٢٦٢) . و « على منبره » زيادة من سه ، هـ .

(٥) يخلقن ، من أخلقه بمعنى أبلاه . أخلق الثوب وأخلقته أنا ، يتعدى ولا يتعدى . اللسان (١١ : ٣٧٦) . وفى عيون الأخبار : « تخلق » .

(٦) ل : « المنى » .

(٧) ل : « الحنفى » روى له الجاحظ فى البيان (١ : ١٨٥) : « لولا الدربة وسوء العادة لأمرت فتياننا أن يمارى بعضهم بعضاً » .

(٨) النعم ، أكثر ما يطلق على الإبل . وفى اللسان : «والعرب تقول : خير الإبل حمرها وصهبها . ومنه قول بعضهم : « ما أحب أن لى بمعاريض الكلم حمر النعم » . ومن ذلك قول الرسول الكريم : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لى به حمر النعم » ، إشارة إلى حلف الفضول . انظر السيرة ٨٦ جوتنجن .

وقال الأصمعى : قال ابن أبي الزِّناد[١] : المنَى والحُلم أخَوَانِ» .

وقال مُعمَّر بن عبَّاد[٢] : الأمانى للنَّفْس ، مثلُ التُّرَّهات لِلِّسان[٣] » .

وقال الشاعر :

[اللهُ أصْدَقُ والآمالُ كاذبةٌ ... وَجُلُّ هذِى المنَى فى الصَّدرِ وسْوَاس[٤]]

وقال الآخر[٥] :

إذا تَمَنَّيْتُ مالا بِتُّ مُغتبطاً ... إنّ المنى روسُ أموالِ المفاليسِ

لولا المنى مِتُّ من هَمٍّ ومن حَزَن ... إذا تذكرتُ مافى داخلِ الكيسِ

وقال بعضُ الأعراب[٦]] :

مُنًى إن تَكنْ حَقًّا تَكنْ أحسنَ المُنَى ... وإلا فقدْ عِشْنَا بها زَمَنًا رَغْدَا[٧]

---

(١) لأبى الزناد ولدان : ذكرهما ابن قتيبة فى المعارف ٢٠٤ — ٢٠٥ . وهما عبد الرحمن ابن أبى الزناد ، وهو المعروف بهذه الكنية . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ١٧٠) ، وأبو القاسم بن أبى الزناد . أما عبد الرحمن فيكنى أبا محمد ، وقد ولي خراج المدينة وقدم بغداد ومات بها سنة ١٧٤ وهو ابن أربع وسبعين سنة . وأما أبو الزناد فهو أبو عبد الله بن ذكوان ، كان عمر بن عبد العزيز ولاه خراج العراق وتوفى سنة ١٣٠ وهو ابن ست وستين سنة . وقد أورد ابن قتيبة الحكمة التالية فى عيون الأخبار (١ : ٢٦١) ولم ينسبها .

(٢) معمر بن عباد السلمى (بتشديد ميم معمر) : معتزلى من أهل البصرة ، ثم سكن بغداد ، وناظر النظام ، مات سنة خمس عشرة ومائتين ، ذكره ابن النديم . هذا كلام ابن حجر فى لسان الميزان (٦ : ٧١) ولم أجد له ذكرا فى الفهرست ، فلعله مما ضاع من الكتاب . فيما عدا ل : « بن عبادة » محرف .

(٣) الترهات : الأباطيل ، الواحدة ترهة .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : « هذا المنى » .

(٥) البيت الأول في عيون الأخبار (٢ : ٢٦١) . وعجزه فى محاضرات الراغب (١ : ٢١٧) وفيها : « رأس » .

(٦) وكذا فى عيون الأخبار (١ : ٢٦١) وفى حماسة أبى تمام (٢ : ١٦٦) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١٦) : « وقال رجل من بني الحارث » .

(٧) أى هى مني ، إن تكن محققة فهى أحسن الأمانى ، وإن تكن كاذبة فإنا نعيش عيشاً رغداً بذكرها .

[أمانىُّ مِن سَلمى حسانٌ كأنما   سَقتْنى بها سَلمَى على ظمإٍ بردَا[(١)]]

وقال بشار :

كَرَرْنَا أحاديثَ الزمانِ الذى مَضَى   فلذّ لنا محمودُها وذَميمها[(٢)]

٦٣ [وَ] روَي الأصمعىُّ عن بعضهم أنه قال : الاحتلامُ أطيبُ من الغِشْيان، وتمنِّيك للشيء[(٣)] أوفرُ حظًّا فى اللذَّةِ من قُدْرَتِكَ عليه .

قال : كأنه [ذَهَبَ إلى أنه إذا ملكَ] وجبَتْ عليه فى ذلك المِلْك حقوقٌ ، وخاف الزوالَ ، واحتاجَ إلى الحفظ .

وقال : وفى الحديث المأثور : « ما عظُمتْ نعمةُ [اللهِ] على أحدٍ إلا عظمَتْ مؤُونةُ الناسِ عليه[(٤)] » .

[قال] : وقيل لمزبِّد[(٥)] : أيسرُّكَ أن عندكَ قِنِّينةَ شَرَابٍ ؟ قال : يا ابنَ أُمِّ ، منْ يسرُّه دخولُ النارِ بالمجاز ؟! .

قال : وقدّموا إلى أبى الحارث جُمَّيز[(٦)] جامَ خَبيصٍ[(٧)] وقالوا له :

---

(١) الرواية فى سائر المصادر : « أمانى من سعدى » و « سقتك بها سعدى » . وفى عيون الأخبار : « عذابا » والمحاضرات : « حسانا » والحماسة : « رواء » . قال التبريزى : « ويروى أمانى ، نصب باضمار فعل » . والبرد : الماء البارد .

(٢) البيت فى عيون الأخبار (١ : ٢٦١) .

(٣) ط فقط : « وتمنيك الشيء » .

(٤) فيما عدا ل : « إلا عظمت عليه مؤنة الناس » .

(٥) ط ، ه : « لمزيد » بالياء ، صوابه فى ل ، س . وانظر التنبيه الأول ص ١٨٤ .

(٦) سبقت ترجمته فى (٣ : ٨٤) بلفظ : « جمين » آخره نون . ويبدو لى أنهما لغتان فى اسمه . وفيما عدا ل : « حمير » مصحف .

(٧) الجام : إناء من فضة ، عربى صحيح ، وجمعه جامات ، ومنهم من يقول : جوم . والجام مؤنثة . هذا مجمل ما قاله ابن منظور . ولم يذكرها أحد فى المعربات ، ولكني أذهب إلى أنها مأخوذة من الفارسية . انظر سعة هذه المادة فى الفارسية عند استينجاس ٣٥٠ — ٣٥١ ، وهى فى الفارسية بمعنى الكأس ، أو القدح ، أو الطاس ، أو الإناء العميق ، ولم يقيد ذلك بالفضة أو غيرها . والخبيص ، سبق الحديث عنه فى هذا الجزء ص ١٤ .

أَهذا أطيَبُ أم الفالوذَج(١) ؟ قال : لا أقْضى على غائب !

قال : وقال مَدينيٌّ لرجل : أيسرُّكَ أن هذه الدار لك ؟ قال : نعم .
قال : وليس إلا نَعَمْ فقط(٢) ؟ قال : فما أقول ؟ قال : تقول : نَعَم ، وأُحَمّ سَنَة(٣) ! [قال] : نعم ، وأنا أعْور .

[قال] وقيل لمزبِّد : أيسُرُّكَ أن هذه الُجبَّةَ لك ؟ قال : نعم ، وأُضرَبُ عشرين سوطا(٤) . قال : ولِمَ تقولُ هذا ؟ قال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

قال : وقال عبدُ الرحمن بن أبى بَكْرة ، مَنْ تمنَّى طول العمر فليوَطِّنْ نفسه على المصائِب(٥)

يقول : إنه لا يخلو(٦) من موتِ أخٍ ، أوعمٍّ ، أوابنِ عمٍّ ، أوصديق ، أوحميم .

وقال المجنون :

أيا حَرَجاتِ الحىِّ حيثُ تحمَّلُوا   بِذِى سَلَمٍ لا جادَكُنّ رَبيعُ(٧)

---

(١) الفالوذج : ضرب من الحلوى ، يصنع من الدقيق والماء والعسل . فارسى معرب عن « پالوده » . وفى اللسان (مادة فلذ) : « الفالوذ والفالوذق معربان. قال يعقوب: ولا يقال : الفالوذج ». وانظر المعرب ٢٤٧ . ط ، ه : « أهذا » باثبات همزة الاستفهام . والجاحظ يميل إلى حذفها .

(٢) س : « أو ليس » باثبات همزة الاستفهام . وفيما عدا ل: « إلا هذا » .

(٣) أحم ، من مرض الحمى . فيما عدا ل : « وأحبس سنة » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٥) ل : « المصايب » بالياء ، وهو القياس ، فإن ما كان أصله حرف علة إذا جمع نحو هذا الجمع لم يهمز. لكنه لم يسمع . وفي اللسان : « أجمعت العرب على همز المصائب وأصله الواو كأنهم شبهوا الأصلى بالزائد » . ولم يسمع نظيره مما همز إلا « معائش » وأكثر القراء على ترك الهمز فيها إلا ما روى عن نافع فانه همزها .

(٦) « إنه لا يخلو » ليست فى ل ، س . وليست ضرورية فى الكلام .

(٧) الحرجات : جمع حرجة ، وهى الشجرة بين الأشجار لا تصل إليها الآكلة ، وهى ما رعى من المال . ورواية اللسان والأغانى (١ : ١٧٠) : « حين تحملوا ». وذو سلم : موضع ، فيما عدا ل : « لذى سلم » صوابه فى ل واللسان والأغانى .

وخَيماتُكِ اللاتى بمنْعَرَج اللِّوَى   بَلِينَ بِلًى لم تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ[١]
فَقَدْتُكَ من قلبٍ شَعاعٍ ، فطالما   نهيْتُك عن هذا وأنتَ جميعُ[٢]
فقرَّبتَ لى غيرَ القريبِ ، وأشرَفَتْ   مُناكَ ثنايَا مالهنّ طُلوعُ[٣]

(أمانىّ بعض الخوارج)

قال : وقال عبدُ الرحمن بن محمد بن الأشعث[٤] : لولا أربعُ خِصالٍ ما أعطَيتُ عربيًّا طاعة : لو ماتت أمّ عَمْرو[٥] - يعنى أمّه - ولو نَسَبْتُ[٦] ، ولو قرَأتُ القرآن ، ولو لم يكن رأسى صغيراً .

قال : وقدِم[٧] عبدُ الملك ، وكان يحبُّ الشِّعْرَ[٨] فبعثْتُ إلى الرواة ، فما أتَتْ علَىَّ سنةٌ حتى رويتُ الشاهدَ والمَثَل ، وفُضُولا[٩] بعد ذلك . وقدِم

(١) خيماتك ، خطاب للحى فى البيت قبلته ، أو لليلى على الانتفات . والخيمة : البيت من شجر . وقد جعل ضمير « بلي » فى « تبلهن » جمعاً مؤنثا ، والقياس أن يقول « لم تبله » أى لم تبل ذلك البلى . فيما عدا ل : « يبلهن » .

(٢) قلب شعاع ، بفتح الشين والعين : متفرق موزع . ط : « شجاع » تحريف ، صوابه فى س ، هـ والأغانى واللسان (١٠ : ٤٧) . وفى ل : « شعاعا » كأنه قال : فقدتك قلبا شعاعا ، كما تقول ثكلته ولداً بارا .

(٣) أشرفت : علت وظهرت . مناك : ما تتمناه ، جمع منية . ثنايا : حال من مناك ، والثنايا : جمع ثنية ، وهى العقبة ، أو الجبل ، أو الطريق فيه . فيما عدا ل : « هناك » موضع « مناك » وفى الأغانى : « إليك ثنايا » .

(٤) هو المعروف بابن الأشعث ، قائد داهية ، سيره الحجاج لغزو بلاد رتبيل فانتقض عليه ، وحدثت بينه وبين الحجاج وقعة دير الجماجم التى دامت مائة يوم وثلاثة ، وانتهت بهزيمته وفراره وقتله ، سنة أربع وثمانين .

(٥) ل : « أم عمران » .

(٦) ل : « ولو شبت » والوجه ما أثبت من سائر النسخ . ونسبت : عرفت أنساب العرب .

(٧) فيما عدا ل : « وقال قدم » .

(٨) ط ، هـ : « الشعراء » .

(٩) فضول : زيادات ، والفضل : الزيادة . فيما عدا ل : « وفصولا » بالمهملة .

مُصْعب[1] وكان يحبُّ النَّسَب ، فدعوت النَّسَّابين[2] فتعلّمتُه فى سنة . ثم قدِم[3] الحجّاج ، وكان يُدْنى على القرآن[4] ، فحفِظته فى سَنَة .

قال: وقال يزيدُ بنُ المهلَّب : لاأخرجُ[5] حتى أحجّ ، وأحفَظَ القرآن ، وتموتَ أُمّى. فخرج قبل ذلك كلّه .

وقال عُبَيْدُ الله بنُ يحيى[6] : كان من أصحابنا بمَرْو[7] جماعة ، فجلسنا ذات يومٍ نتمنَّى . فتمنيتُ أن أصيرَ إلى العراق من أيامى سالماً ، وأن أقْدَمَ

---

(١) هو مصعب بن الزبير ، وكان قد بايعه على الخلافة أهل البصرة والكوفة سنة ٦٥ ثم ثار المختار على ابن الزبير وانتهت الثورة بقتل المختار سنة ٦٧ . وسار عبد الملك لقتال مصعب فالتقوا بأرض مسكن فقتل مصعب سنة ٧٣ . فدامت فتنته تسع سنين وثلاثة أشهر وأياما . المعارف ١٥٥ — ١٥٦ . فيما عدا ل : « المصعب » . وهو جائز فى العربية . انظر الحيوان (٣ : ٣٨٢) ومجلة الثقافة ص ٢١٥٢ .

(٢) ل : « وكان يحب النسابين » .

(٣) فيما عدا ل : « وقدم » . وكان قدوم الحجاج إلى العراق سنة ٧٥ .

(٤) يدنى ، من الإدناء ، وهو التقريب . فيما عدا ل : « يدين » .

(٥) كان خروج يزيد بن المهلب بن أبى صفرة فى أيام يزيد بن عبد الملك ، فإنه لما مات عمر ابن عبد العزيز فى رجب سنة ١٠١ تمكن يزيد هذا أن يخرج من سجنه ، وصار إلى البصرة واجتمع إليه خلق عظيم ، وخلع يزيد بن عبد الملك ، والتقت جيوش اليزيدين بالعقر ، من أرض بابل ، فهزم يزيد بن المهلب وقتل سنة ١٠٢ . التنبيه والإشراف ٢٧٧ — ٢٧٨ .

(٦) هو عبيد الله بن يحيى بن خاقان المروزى ، وزير المتوكل : انظر مروج الذهب (٢ : ٣٧١) والتنبيه والإشراف ٣١٤ . وفى الأصل : « عبد الله بن يحيى » وليس له ذكر فى ولاة الدولة العباسية . والمعروف بهذا الإسم عبد الله بن يحيى الكندى الملقب « طالب الحق » من إباضية اليمن ، بايعه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدى الإباضى على الخلافة ، وخرجت الإباضية تحت قيادة أبى حمزة إلى مكة يوم عرفة سنة ١٢٩ ثم إلى المدينة ، فالتقوا بوادى القرى ، فهزمت الإباضية ، ولحق بقيتهم بعبد الله بن يحيى فى اليمن ، فسار إليهم عبد الملك بن محمد بن عطية ، قائد الخليفة مروان بن محمد ، فلقى عبد الله ابن يحيى بناحية الطائف ، فاقتتلا قتالا شديداً قتل فيه عبد الله سنة ١٣٠ . انظر مروج الذهب (٢ : ٢٠٣) .

(٧) مرو : هى مرو الشاهجان ، أشهر مدن خراسان وقصبتها . فيما عدا ل : « هوو » تحريف .

فأتزوّج (١) سَمَاعِ ، وألِيَ كَسْكَر (٢) .

قال : فقدِمت سالماً ، وتزوجتُ سَمَاعِ ، ووليتُ كسْكَر .

(خبر وشعر فى دجلة والفرات)

٦٤ قال : ووقف هشامُ بنُ عبد الملك على الفرات ، ومعه عبدُ الرحمنِ ابنُ رستَم (٣) ، فقال هشام : مافى الأرض نهرٌ خيرٌ (٤) من الفُرات ! فقال عبدالرحمن : مافى الأرض نهرٌ شرٌّ من الفرات (٥) ، أوّله للمُشْرِكين ، وآخِرُه للمنافقين .

وقال أبو الحسن (٦) : الفرات ودِجلة رائِدان (٧) لأهل العراق [لايكذبان] .

قال الأصمعىّ [وأبو الحسن (٨)] : فهما (٩) الرائدان ، وهما الرّافدان .

---

(١) سماع ، كقطام : اسم امرأة . ولم أر هذا العلم للمؤنث إلا فى هذا الموضع . وفى القاموس : « والسَّمَاع بطن » . هـ : « وأن أتزوج سماع داكن » ط : « وأن أتزوج سماع » وفى الأولى نقص وتحريف ، وفى الثانية نقص .

(٢) ألى : من الولاية ، أى أصير واليا عليها . هـ : « إلي » . س : « وأكن والى » محرفتان . وكسكر : كورة من كور العراق ، مشهورة بالدجاج ووفرة الخيرات .

(٣) فى القاموس : « رستم بضم الراء وفتح المثناة فوق ، وقد تضم » . ورستم من الأعلام الفارسية ، وضبطه فيها بضم الراء وفتح التاء . واشتهر بهذا الاسم عندهم « رستم » صاحب حرب القادسية .

(٤) فيما عدا ل : « خيرا » بالنصب بجعلها خبرا لما الحجازية .

(٥) فيما عدا ل : « وقال عبد الرحمن : ما فيها نهر شرا من الفرات » . وانظر التنبيه السابق .

(٦) هو أبو الحسن على بن محمد المدائنى المترجم فى ص ١٨٩ .

(٧) رائدان ، مثنى رائد ، وهو الذى يرسله قومه فى طلب الكلأ . وفى المثل : « الرائد لا يكذب أهله » .

(٨) هذه الزيادة من ل ، س .

(٩) س : « ولا يكونان » . هـ : « ولا يكويان فا » . و « يكونان » و « يكويان » هما « يكذبان » التى أثبتها في موضعها من ل ، فصحفت فى س ، هـ ، ثم نقلت إلى غير موضعها .

وقال الفرزْدَق(١) :

أميرَ المؤمنين وأنتَ عفٌّ كريم ، لستَ بالوالى الحريصِ(٢)
بَعثْتَ إلى العــــراق ورافِدَيه فزَاريًّا أحذَّ يدِ القَميصِ(٣)
ولم يَكُ قَبْلَها راعى مَخاضٍ لِيَأْمَنَهُ على وَرِكَىْ قَلوصِ(٤)
تفتَّقَ بالعِــــراق أبو المثَنَّى وعَلَّمَ قَوْمَهُ أكلَ الخبيصِ(٥)

---

(١) يقول الشعر الآتي مخاطبا يزيد بن عبد الملك ، يشكو إليه عمر بن هبيرة الفزارى والى العراق ، وكان يكنى : « أبا المثنى » . انظر الديوان ٤٨٧ والكامل ٤٧٩ ليبسك والمعارف ١٧٩ والشعراء ١١، وزهر الآداب (١ : ٢١) والأغانى (١٩ : ١٧) وكنايات الجرجانى ٧٤ .

(٢) الحريص : ذو الحرص ؛ والحرص : الجشع . فيما عدا ل : « عفيفا لست » تصحيحه من ل والأغانى ، وفيها : لست بالطبع » . وعند المبرد : « وأنت بر أمين لست بالطبع » . وفى الديوان : « وأنت وال شفيق لست بالوالى » .

(٣) رافد العراق : دجلة والفرات . ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ الشعر . والفزارى هو عمر بن هبيرة . والأحذ : السريع اليد الخفيفها ؛ أراد خفة يده فى السرقة . قال ابن قتيبة : « يريد أنه خفيف اليد بالخيانة ، فاضطرته القافية إلى ذكر القميص » وقال ابن حبيب : « إنما أراد أنه قصير اليدين عن نيل المعالى ، كالبعير الأحذ ، وهو الذى لا شعر لذنبه » . انظر اللسان (٥ : ١٥) ، والمخصص (٢ : ٤) . وصدر البيت في معظم المصادر : « أأطعمت » وفى بعضها : « أوليت » . وكلمة : « أحذ » محرفة فى جميع نسخ الأصل ، ففى ط ، هـ : « أخد » وسه : « أجذ » ول : « أحد » .

(٤) المخاض ، كسحاب : الحوامل من النوق . والقلوص : الشابة من الإبل . ل : « إفال » وهو جمع أفيل . والأفيل : الفصيل . ط ، هـ : « لتأمنه » صوابه فى سه ، ل . والبيت يشير إلى ما يروى الرواة أن بنى فزارة كانوا يعيرون بغشيان الإبل . وفى ذلك قول ابن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك واكتبها بأسيار

(٥) تفتق ، من قولهم : تفتقت خواصر الغنم من البقل : إذا اتسعت من كثرة الرعى . وهذه رواية ل والمعارف . وعند الجرجاني : « تفنق » بالنون . تفنق : تنعم ، وامرأة فنق : ناعمة . وفى سه ، هـ والكامل وزهر الآداب : « تفهق » من التفهق ، وهو الامتلاء . وفى ط والديوان واللسان (٥ : ١٥ ، ١٢ : ١٨٩) . « تفيهق » وفسره من التفيهق فى الكلام ، وهو التوسع فيه والتنطع . وروى فى اللسان (١٢ ، ٢٨٤) : «تبنك» أى أقام وتمكن فى عزه . والخبيص ، سبق الحديث عنه فى ص ١٤ .

قال : وبينا غَيْلان بن خَرَشَة[١] ، يسيرُ مع ابن عامر[٢] ، إذ وَرَدَا على نهر أمِّ عبد الله[٣] فقال ابنُ عامر : ما أنفعَ هذا النهرَ لأهل هذا المصر! قال [غيلان[٤]] : أجَلْ أيها الأمير ، والله[٥] إنهم لَيَسْتَعْذِبُونَ منه[٦] ، وتفيضُ مياهُهم إليه ، ويتعلمُ صبيانهم فيه العَوم ، وتأتيهم مِيرَتهم فيه[٧]

فلما أن كان بعد ذلك [إذ[٨]] ساير ذاتَ يوم زياداً — وكان زيادٌ عدُوًّا لابن عامر — فقال زياد : ما أضَرَّ هذا النهرَ بأهل هذا المصر ! فقال : أجَلْ والله أيها الأمير ! تنِزُّ منه دُورُهم، و يغرقُ فيه صبيانهم ، [ويُبَعْضُون] ويُبَرْغَثُونَ[٩] !

---

(١) هو غيلان بن خرشة الضبى ، كان أحد أصحاب أبي موسى الأشعرى ، ثم انتقض عليه ، وكان سببا فى أن يعزل عثمان أبا موسى الأشعرى ، ويولى مكانه عبد الله بن عامر . انظر الجهشيارى ١٤٨ .

(٢) هو عبد الله بن عامر بن كريز بن حبيب بن ربيعة ، وسبقت ترجمته فى (١ : ٧٣) .

(٣) نهر أم عبد الله ، بالبصرة ، منسوب إلى أم عبدالله بن عامر . وفى البيان (١ : ٢٤٩) حيث سيق هذا الخبر : « نهر عبد الله » تحريف . فيما عدا ل : « إذ ورد » .

(٤) الزيادة من سه ، ل والبيان .

(٥) ل : « أجل والله يا أمير المؤمنين » .

(٦) يستعذبون منه ، أى يستقون ، ويحضرون الماء العذب . وفى اللسان « و يستعذب لفلان من بئر كذا أى يستقى له ». فيما عدا ل : « يستعذبون ماءه » .

(٧) الميرة ، بالكسر : الطعام يمتاره الانسان ، أى يجتلبه .

(٨) هذه من سه . وكلمة « أن » قبلها ساقطة من ل ، هـ .

(٩) فى اللسان : « بُعِضَ القوم : آذاهم البعوض » .وأما « يبرغثون » فلم أجدها فى معجم ، والمراد بها : آذاهم البرغوث . وفيما عدا ل : « ويسترعبون » تحريف . وبدل هذه العبارة فى البيان والتبيين : « ومن أجله تكثر بعوضهم » . وللجاحظ تعقيب جميل على هذا الخبر فى البيان .

[القول فى العصافير]

وسنقول باسم الله وعونه فى العصفور بجملةٍ من القول .

وعلى أنّا قد ذكرنا من شأنه أطرافاً ومقطَّعاتٍ [من القول] تفرّقْنَ فى تضاعيف تلك الأصناف . و إذا[١] طال الكلامُ وكثُرت فنونه ، صار الباب القصيرُ من القولِ فى غِماره مُستَهلَكاً ، وفى حومته غَرِقاً ، فلا بأسَ أن تكون تلك الفقرُ مجموعات ، وتلك المقطعاتُ موصولات[٢] ، وتلك الأطراف مستقصياتٍ مع الباقى من ذِكْرنا فيه[٣] ؛ ليكون البابُ[٤] مجتمعاً فى مكانٍ واحد . فبالاجتماع تجتمع القوة ، ومن الأبعاض يلتئم الكل ، وبالنظام تظهرُ المحاسن .

(دعوى الإحاطة بالعلم)

ولستُ أدَّعى فى شىء من هذه الأشكالِ الإحاطة به ، والجمعَ لكل شىء فيه[٥] . ومن عَجَز عن نظم الكثير ، وعن وضعِه فى مواضعه — كان عن بُلوغ آخره ، وعن استخراج كل شىء فيه أعجز . والمتحُ أهونُ من الاستنباط[٦] ، والحصْدُ أيسَرُ[٧] من الحرث .

---

(١) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٢) ل : « موصلات » .

(٣) ل : « في ذكر ما فيه » .

(٤) ط ، هـ : « الباقى » .

(٥) فيما عدا ل : « والجمع به لكل شىء فيه » باقحام : « به » .

(٦) الاستنباط : استخراج الماء بحفر الأرض ونحثها . والمتح : جذب الماء من البئر بالدلو . ط : « وإنه أهون » هـ : « والمنتج » صوابهما فى ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « أهون » فيكون تكراراً لما قبله .

وهذا البابُ لو ضمَّنه[1] على كتابه من هو أكثرُ منى رواية أضعافاً ، وأجودُ منى حِفظاً بعيداً ، وكان أوسع [منى] علماً وأتمَّ عزماً ، وألطفَ نظراً وأصدَقَ حِسًّا ، وأغوصَ على البعيد الغامض ، وأفهَمَ للعويص الممتنع ،
٦٥ وأكثرَ خاطراً وأصحَّ قريحة[2] ، وأقلَّ سآمَةً ، وأتمَّ عناية ، وأحسنَ عادة مع إفراط الشهوةِ ، وفراغِ البال ، وبُعْدِ الأمَل ، وقوةِ الطمعِ في تمامه ، والانتفاع بثمرته ، ثم مُدَّ له فى العمر ، ومكَّنته المقدرةِ[3] — لكان قد ادَّعى مُعْضِلة ، وضَمِنَ أمراً معجزاً ، وقال قولا مرغوبا عنه ، [متعجَّباً منه ؛ ولكان لغْواً ساقطاً ، وحارضاً بَهْرَجا[4]] ؛ ولكان ممن يفضُل قوله على فعله ، ووَعدُه على مقدار إنجازه[5] ؛ لأن الإنسان ، وإن أُضيفَ إلى الكمال وعُرِف بالبَراعة[6] ، وغَمَر العلماء[7] ؛ فإنه لا يكمُلُ أن يُحيط علمهُ بكلِّ ما فى جناح بَعوضةٍ ، أيام الدنيا ، ولو استمد بقوةِ كلِّ نظَّارٍ حكيم[8] واستعارَ حِفظَ كلِّ بحّاثٍ واعٍ[9] وكلِّ نَقَّاب فى البلاد ، ودَراسة للكتب[10] .

---

(١) فيما عدا ل : « ضمه » .
(٢) القريحة : استنباط العلم بجودة الطبع . فيما عدا ل : « وأحسن قريحة » .
(٣) فيما عدا ل : « القدرة » .
(٤) الحارض : الفاسد الضعيف . والبهرج : الردىء المردود ، فارسي معرب . وانظر المعرب ٤٨ .
(٥) إنجازه : إتمامه . ط فقط « نجازه » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « بالبلاغة » .
(٧) غمر العلماء : علاهم شرفا . ط ، س : « وفاتش » هـ : « وقاس » محرفتان عن « فاق » بمعنى « غمر » .
(٨) فيما عدا ل : « بكل نظار عظيم » .
(٩) واع : حافظ . فيما عدا ل : « واستعان بعلم كل بحاث واع » .
(١٠) فيما عدا ل : ودراسة » .

(تفاوت الخلق فى العلم)

وما أشكُّ أن عندَ الوُزراء ، فى ذلك ماليس عند الرعيَّة من العلماء ، وعند الخلفاء ماليس عند الوزراء ، وعند الأنبياء ماليس عند الخلفاء ، وعند الملائكةِ ماليس عند الأنبياء ، والذى عندَ الله أكثرُ ، والخلقُ عن بلوغه أعجز(١) ، وإنما عَلَّمَ اللهُ كلَّ طبقة من خَلْقِهِ بقَدْرِ احْتِمالِ فِطَرِهم ، ومقدارِ مَصْلحتهم .

(القول فى : علَّمَ آدمَ الأسماءَ كلها)

فإن قلت : فقد علَّمَ اللهُ عز وجلَّ آدمَ الأسماءَ كلَّها — ولا يجوز تعريفُ الأسماء بغير المعانى — وقلتَ(٢) : ولولا حاجةُ الناس إلى المعانى ، وإلى التعاوُن والترَافُد ، لَمَا احتاجوا إلى الأسماء . [و] على أن المعانىَ تفضُل عن الأسماء(٣) والحاجاتِ تجوزُ مقاديرَ السِّمات ، وتفُوت ذَرْعَ العلامات(٤) فممَّا(٥) لا اسم له خاصٌّ الخاصّ . والخاصِّيَّاتُ كلها ليست لها أسماءٌ قائمة . وكذلك تراكيب الألوان ، والأراييح ، والطعوم ، ونتائجها .

وجوابى فى ذلك : أن الله عز وجلّ لم يخبرْنا(٦) أنه قد كان علَّم آدمَ كلَّ شيء يعلمه تعالى ، كما لايجوز أن يُقْدِرَه على كلِّ شيء يقدرُ عليه .

(١) فيما عدا ل : « وما عند الله عز وجل أكثر والخلق فى بلوغه أعجز » .
(٢) فيما عدا ل : « ولو قلت » . بإقحام « لو » .
(٣) تفضل : تزيد . فيما عدا ل : « على الأسماء » .
(٤) السمات : العلامات . والذرع : الطاقة .
(٥) ل : « فما » .
(٦) فيما عدا ل : « عن ذلك » و « لم يكن يخبرنا » .

وإذا[١] كان العبدُ المحدودُ الجسمِ ، المحدودُ القُوَى ، لايبلغُ صِفةَ ربه الذى اخترعه ، و [لا] صفةَ خالقِه الذى ابتدعه ـ فمعلومٌ أنه إنما عَنَى بقوله : ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا[٢]﴾ عِلْمَ[٣] مصلحتِه فى دُنياه وآخِرته .

وقال الله عز وجلَّ : ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ[٤]﴾ . وقال الله عزوجلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّ مَافِى الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَانَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ[٥]﴾ . وقال الله تعالى : ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا[٦]﴾ . وقال تقدَّستْ أسماؤه : « وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ[٧]﴾ . وقال الله عز وجلّ : ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ[٨]﴾ .

وهذا الباب[٩] من المعلوم ، غيرُ باب [عِلْمِ ما يكونُ قبلَ أن يكون ؛ لأن بابَ (كانَ) قد يُعْلَمُ بعضُه ، وبابُ (يكونُ) لاسبيل إلى معرفةِ] شىء منه . والمخاطبةُ وقعَتْ على جميعِ المتعبَّدين[١٠] واشتملت على جميع أصناف المتحَنين ، ولم تقع على أهلِ عَصْرٍ دونَ عصر ، ولا [على][١١] أهل بلدٍ دونَ بلد ، ولا على جنسٍ دونَ جنس ، ولا على تابعٍ دون متبوع ولا [على[١٢]] آخرٍ دونَ أوَّل .

---

(١) ل : « وإن » .
(٢) الآية ٣١ من سورة البقرة .
(٣) ل : « كل » سه ، ﻫ : « على » والأخيرة محرفة .
(٤) الآية ٧٦ من سورة يوسف .
(٥) الآية ٢٧ من سورة لقمان .
(٦) الآية ٧ من سورة الروم .
(٧) الآية ٣١ من سورة المدثر .
(٨) الآية ٨ من سورة النحل .
(٩) ل : « الفن » .
(١٠) المتعبدين: الذين تعبدهم الله بالطاعة فهم مستعبدون . فيما عدا ل : « المتقدمين » .
(١١) الزيادة من ل ، س . وفى ﻫ : « ولأهل بلد » .
(١٢) هذه من ل ، س .

العصافير، والخطاطيف، والزّرازير، والخفافيش . فبين هذه [و بين الناس(١)] مناسَبَةٌ ومُشاكَلة، و إلْفٌ(٢) ومحبّةٌ .

والخطاطيفُ تقطع إليهم(٣) وتعزُب عنهم(٤) .

والعصافير لاتفارِقهم . وإن وجدَتْ داراً مبنيةً لم تَسْكُنْها حتى يَسْكُنَها إنسان . ومتى سكنتها(٥) لم تقِم فيها إذا خرج منها ذلك الإنسان . فبفراقه تُفارِق، و بسُكناه تسكُن، وهذه فضيلةٌ لها على الخطاطيف .

والحمام لايقيمُ(٦) معهم فى دُورهم إلا بعد أن يثبّتوه ويعلّموه، ويُرتّبوا(٧) حاله ويدرِّجوه . ومنها ماهو وحشىٌّ طُورانىٌّ(٨) ، وربما توحّش بعد الأُنْس

والعصافير على خلاف ذلك ، فلها بذلك فضيلةٌ على الحمام، وعلى الخُطّاف .

وقد يُدّرب العصفورُ ويثَبَّتُ فيستجيبُ من المكان البعيد، ويثْبُتُ

---

(١) ليست بالأصل : والكلام يقتضيها . وفى ل : « فهذه » .

(٢) الإلف ، بالكسر والفتح : الأنس والملازمة . عدا ل : « ألفة » .

(٣) قطع الطائر والسمك : إذا انتقل من بلد إلى آخر. انظر (٤ : ١٠١) .

(٤) تعزب ، تبعد وتغيب . ط ، هـ : « وتغرب » وهى بمعنى الأولى . س : « وتعرب » مصحفة .

(٥) ط : « ومتى إن سكنتها » و « إن » مقحمة . س ، هـ : « وحتى إن سكنتها » و « حتى» ابتدائيه داخلة على الجملة الشرطية ، نحو قول الله : « حتى إذا فشلتم وتنازعتم » انظر المغني وتفسير أبي حيان (٣ : ٧٩) .

(٦) فيما عدا ل : « تقيم » وهى صحيحة ، فإن الحمام يذكر ويؤنث ، لكن سياق الكلام يقتضى ترجيح التأنيث .

(٧) فيما عدا ل : « ويزينوا » تحريف .

(٨) الطوراني ، بضم الطاء : حمام وحشى ، منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له : طرآن، نسبة شاذة . انظر (١ : ١١٨ و ٢ : ١٧٧ و ٣ : ١٤٤) . فيما عدا ل : « طوارى» تصحيف .

ويَدْجُن . فهو مما يثبُت ويُعايِش الناسَ ، من تلقاء نفسه مرةً ، وبالتثبيتِ مرةً . وليس كذلك شيء مما يأوِى إلى الناس من الطير .

وقد بلَغنى أن بعضَ مايستجيبُ منها قد دُرِّبَ[1] فرجع من مِيل . فأما الهدايةُ من تلقاء نفسه فمن الفراسخ الكثيرة .

وحدَّثنى حَمّوَيْهِ الخُرَيْبِيّ[2] وأبو جَرَاد الهَزَاردَرِيّ[3] قالا : إذا كان زمان البيادر[4] لم يبق بالبصرة عُصفورٌ إلا صارَ[5] إلى البساتين ، إلا ما أقام عَلَى بيضه وفراخه . وكذلك العصافير إذا خرَجَ أهلُ الدَّار من الدَّار ، فإنه لايقيمُ فى تلك الدار عُصفُورٌ إلا عَلَى بيض أو فِراخ . فإذا لم يكنْ لها[6] استَوْحَشَتْ ، والتمسَتْ لأنفسها الأوكارَ فى الدُّور المعمورة . ولذلك قال [أبو يعقوب] إسحاقُ [الخُرَيمىّ[7]] :

فتِلك بغدادُ ما تَبَنَّى من الْـ وَحْشةِ فى دُورِها عصافِرُها[8]

---

(١) التدريب : التعليم . فيما عدا ل : « جرب » .

(٢) حمويه الخريبى ، منسوب إلى الخريبة ، وهى موضع بالبصرة . فيما عدا ل : «الحربى» .

(٣) الهزاردري : نسبة إلى الهزاردر ، بفتح الهاء والزاي والدال : وهو موضع بالبصرة كما فى معجم البلدان . وهزار ، بالفارسية معناه ألف ، ودر : باب . قال المدائني : تزوج شيرويه الأسوارى مرجانة أم عبيدالله بن زياد ، فبنى لها قصراً فيه أبواب كثيرة فقيل : هزاردر . فيما عدا ل : « أبو جرادة الهواردي » مصحف .

(٤) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يداس فيه الحب . وفى ل : « الباذى » . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠١) : « فاذا كان زمان البازي اجتمعت فى البساتين » هـ : « البينادر » .

(٥) فيما عدا ل : « طار » بالطاء ، ومؤداهما واحد .

(٦) أى لم يكن لها بيض أو فراخ . وفيما عدا ل : « فاذا لم يكن لها أهل » .

(٧) سبقت فى ترجمته (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) مع أبيات من هذه القصيدة . وقد روى هذه القصيدة الطبري فى حوادث سنة ١٩٧ وهى طويلة أبياتها ١٣٥ بيتاً من الروائع ، يذكر فيها بغداد والفتنة التى كانت بها سنة ١٩٧ حين حاصر طاهر وهرثمة بعسكر المأمون بغداد وحصروا الأمين، ووقع فيها النهب والحريق ، ومنعوا الميرة. والقصيدة تصور هذه الفتنة تصويراً دقيقاً ، جديراً بالدراسة والتأمل .

(٨) تبنى : تتبنى ، أى تبنى بيوتا لها ، انظر (٣ : ١٩٤ س ٦) فيما عدا ل : «تبيت» وفى الطبري : « ما يبنى من الدلة » .

قالا[١] : فعلى قدْرِ قُرب القبائل من البساتين[٢] سبقُ العصافير إليها ، فإذا جاءت العصافيرُ التى تلى أقربَ القبائل منها إلى أوائل البساتين] فوجدت عصافير ما هو أقربُ[٣] إليها منها قد سبقت إليها تعدَّتها[٤] إلى البساتين التى تليها . وكذلك صنيعُ ما بَقِيَ من عصافير[٥] القبائل الباقية حتى تصير عصافير آخر البصرة إلى آخر البساتين[٦] . وذلك شبيهٌ بعشرين فَرْسخاً . فاذا قضتْ[٧] حاجتها ، وانقضى أمرُ البيادر[٨] أقبلت من هناك ، على أمارات ٍ[لها] معروفةٍ ؛ وعلامات قائمة ، حتى تصير إلى أوكارها .

(ضروب الطير)

والطيرُ كله على ثلاثة أضرُب : فضربٌ من بهائم الطير ، وضربٌ كسباع الطير ، وضربٌ كالمشترَك المركَّب منها جميعاً .

فالبهيمة كالحمام وأشباه الحمام ، مما يَغتذى الحبوبَ والبزُورَ والنبات ، ولا يغتذى غير ذلك[٩] .

والسبع[١٠] : الذى لا يَغْتَذِى إلا اللحم .

---

(١) أى حمويه ، وأبو جراد .
(٢) فيما عدا ل : « منها إلى البساتين » .
(٣) فيما عدا ل : « فوجدت عصافيرها ما قرب » .
(٤) ط : « قد سبقت فقلتها » صوابه وإكماله من سائر نسخ الأصل .
(٥) فيما عدا ل : « العصافير » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « حتى تصير إلى آخر البصرة وإلى آخر البساتين » .
(٧) ط ، س : « انقضت حاجاتها » هـ : « تقضت حاجاتها » .
(٨) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة . وفى ل : « الباذى » .
(٩) فيما عدا ل : « بغير ذلك » يقال اغتذاه واغتذى به . س : « تغتذى » فى الموضعين .
(١٠) أراد السبع من سباع الطير .

وقد يأكل الأسدُ الملحَ[١] ، ليس على طريق التغذى ، ولكن على
٦٧ طريق التملّح والتحمُّض[٢] .

(ما يشارك فيه العصفور الطير والحيات)

فمّا يُشاركُ فيه العصفور بهائمَ الطير ، أنه ليس بذى مِخْلَبٍ ولا مِنْسَرٍ[٣] ، وهو مما إذا سقط على عُودٍ قدّم أصابعه الثلاثَ ، وأخَّر الدّابرة[٤] . وسباع الطير تقدِّم إصبَعَيْن ، وتؤخِّر إصبَعَيْنِ .

ومما شارك فيه السَّبعَ أنَّ بهائم الطير تزقّ فراخها[٥] والسِّباع تُلقِم فِرَاخها[٦] .

والفراخ على ثلاثة أضربٍ[٧] : ففرخٌ كالفرُّوج لا يُزَق ولا يُلقَم[٨] [وهو يظهر كاسباً[٩] وفرخ كفرخ الْحَمام وأشباه الحمام ، فهو يُزَقّ ولا يُلقَم] . وفرخ كفرخ العُقاب والبازِى ، والزرّقُ ، والشاهين والصقر ، وأشباهِها من

---

(١) هذا استطراد . وانظر له ما سبق فى (٣ : ٢٦٠) .

(٢) التملح : طلب الملح . والتحمض : طلب الحمض ، وهو ما ملح من النبات .

(٣) المخلب : كالظفر لما يصيد من الطير . والمنسر : منقار الطير الجارح ، كمجلس ومنبر .

(٤) الدابرة : الإصبع التى من وراء رجل الطائر . وانظر عيون الأخبار (٢ : ٨٩) ، والعقد (٤ : ٢٥٩) .

(٥) تزق : تطعم . فيما عدا ل : « تلقم ». ألقمه : أعطاه لقمة . وهو تحريف . وقد فرق الجاحظ بين الزق والإلقام . وعنى بالزق : إدخال الطعام فى منقار الطائر . وبالإلقام : إحضار الطعام إلى الفرخ وتهيئته لغذائه . وفيما عدا ل أيضا : « ومما يشارك » .

(٦) عنى سباع الطير . وتلقم : تطعم . انظر التنبيه السابق . ط ، ﻫ : « جراها » س : « جراءها » تصحيف ما أثبت من ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٨٩) والعقد (٤ : ٢٥٩) : « ويشارك سباع الطير بأنه يلقم فراخه ولا يزق » .

(٧) فيما عدا ل : « أصناف » .

(٨) انظر التنبيه الخامس من هذه الصفحة . ط ، ﻫ : « يطعم » .

(٩) كاسبا ، من الكسب : أى يكسب القوت لنفسه منذ يخرج .

السِّباع فهو يُلقَم ولا يُزق[١] . فأشبهها العُصفورُ من هذا الوجه .

وفيه من [أخلاق] السِّباع أنه يصيد الجرادة ، والنملَ الطيَّار[٢] ، ويأكل اللحم ، ويُلقِم فراخَه اللحم .

وليس فى الأرض رأسٌ أشبَهُ برأس حيّةٍ من رأس عصفور[٣] .

(الأجناس التى تعايش الناس)

والأجناس التى تعايش الناس: الكلبُ ، والسِّنَّور ، والفرَس، والبعير، والحمار ، والبغل ، والحَمام ، والخُطَّافَ ، والزّرزور[٤] والخُفَّاش ، والعصفور .

(أطول الحيوان عمراً وأقصره)

قالوا : وليس فى جميعها أطولُ عُمْرًا من البغل ، ولا أقْصَرُ عمراً من العصفور .

قالوا : ونظن ذلك إنما كان لقلَّة سِفاد البغل[٥] ، وكثرة سفاد العصفور

---

(١) ل : « فهى تلتقم و لا تزق » .

(٢) انظر الحيوان (١ : ٢٩ ، ٢ : ٣٢٧ ، ٤ : ٣٥ — ٣٦) .

(٣) كلمة « حية » ساقطة من س . وبدلها فى ط ، ه : « الآدمى » محرف ، صوابه ما أثبت من ل ومما سبق فى (٢ : ٣٢٨س١) . وفيما عدا ل : « من رأس العصفور » .

(٤) الزرزور ، بفتح أوله وضمه : طائر من فصيلة السودانيات ورتبة الجواثم ، وهو أكبر من البلبل طويل الذنب مرقط يتلون ألوانا شتى : Sturnus vulgaris وهو يفرخ فى البلاد الشمالية ، ويرحل فى الشتاء إلى العراق والشام وجزيرة العرب ومصر والمغرب . انظر معجم المعلوف ٢٣٤ ، ٢٤٠ . فيما عدا ل : « الزنبور » تحريف .

(٥) ط ، ه : « وما نظن ذلك كان إلا لقلة سفاد البغل » .

ويزعمون أن محمدَ بنَ سليمان[١] أنزَى البغالَ على البغَلات ، كما أنزى العِتاق على الُحجور ، والبَرَاذِينَ على الرِّماك[٢] ، والحمير على الأُتن[٣] ، فوجد تلك الفُحُولة من البغالِ بأعيانها ، أقصرَ أعماراً من سائر الحافر ، حين سوّى بينها فى السِّفاد ، ووَجد البغالَ تلقح إلقاحا فاسداً[٤] لا يتمّ ولا يعيش .

وذكروا أن قِصَر العُمر لم يعرض لإناثها كما عَرَض لذكورتها .

وهذا شبيهٌ بما ذكر صاحبُ المنطِق[٥] فى العصافير ، فانه ذكر أن إناثها أطولُ أعماراً . وأن ذكورتها[٦] لا تعيش إلا سنةً واحدة .

(أثر السمن فى الحمل)

والمرأة تنقطع عن الحبل قبل أن ينقطعَ الرجُلُ عن الإحبال بدَهْر ، وتُفرط فى السمن فتصيرُ عاقراً ، ويكونُ الرجُلُ أسمَنَ منها فلا يصير عاقرًا .

---

(١) هو محمد بن سليمان بن على العباسي أمير البصرة ، كان من ولاة أبي جعفر المنصور والمهدى والهادى والرشيد . وكان الرشيد فى أول أمره يكرمه ويبره بما لا يبر به أحداً ، ثم نقم عليه واستصفى أمواله ، وكانت نيفا وخمسين ألف ألف درهم . ومات سنة ١٧٣ فى اليوم الذى ما تت فيه الخيزران . لسان الميزان (٥ : ١٨٨) ومما يروى عنه من الطرائف ، أنه كانت له خطبة يخطبها يوم الجمعة ولا يغيرها . البيان (١ : ١٠٥) .

(٢) البراذين : جمع برذون ، وهو من الخيل ما كان من غير نتاج العراب . ط ، س : « البرازين » مصحف . والرماك : جمع رمكة ، وهى أنثى البراذين . فيما عدا ل : « الرملك » وهى صحيحة ، جمع رمكة .

(٣) الأتان : الحمارة ، جمعها آتن ، وأتن ، وأتن ، ومأتوناء .

(٤) ل ، سه : « فوجد » بالفاء سه : « البغلة تلقح » ط ، هـ : « البغل يلقح » .

(٥) صاحب المنطق هو أرسطو ، لأنه « أول من خلص صناعة البرهان من سائر الصناعات المنطقية ، وصورها بالأشكال الثلاثة ، وجعلها آلة للعلوم النظرية ، حتى لقب بصاحب المنطق » . القفطى ٢٢ وانظر ابن النديم ٣٤٧ — ٣٤٩ .

(٦) فيما عدا ل : « ذكورها » . والتاء فى « ذكورة » هى ما يسمونها تاء تأكيد الجمع .

وكذلك الحِجْر ، والرَّمَكَة ، والأتان . وكذلك النخلة المطعِمَةُ[1] . ويَسْمَنُ لُبُّ الفُحّال[2] فيكون أجْود لإلقاحه . وهما يختلفان كما ترى .

(الأجناس الفاضلة من الحيوان)

وللعصفور فضيلة أُخرى . وذلك أنَّ من فضْل الجنْس أن تتميز ذكورتُه فى العين من إناثه ، كالرجل والمرأة ، والدِّيكِ والدجاجة ، والفُحّال والمُطعمة[1] ، والتَّيْسِ والصَّفِيّةِ[3] ، والطاوس[4] ، والتُّدْرُج[5] ، والدُّرّاج و إناثها .

---

(١) المطعمة : التى أدركت أن تثمر ، يقال : أطعمت الشجرة . وانظر (٢ : ٢٣٨) .

(٢) الفحال ، كرمان : ذكر النخل . ولبه : قلبه . وقلب النخلة بالضم : شحمتها . وكلمة « لب » ساقطة من ل . و « تسمن » هى فى ط : « تسقى » وفى س ، ه : « تسمى » صوابهما فى ل .

(٣) الجاحظ يجعل « الصفية » أنثى المعز . وفى ص ١٤٠ ساسى : « والتيوس قبيحة جدا ، وزاد فى قبحها حسن الصفايا » . وقال فى باب الماعز ص ١٤١ ساسي : « فمن ذلك أن الصفية أحسن من النعجة » . وفيه نصوص كثيرة تدل على هذا التخصيص . ولم أجد ذلك فى معجم من المعاجم . وفيها « الصفى » للناقة والشاة غزيرة اللبن . فيما عدا ل : « والظبية » تحريف .

(٤) الطاوس : يقال للذكر وللأنثى .

(٥) التدرج ، بضم التاء والدال ، كما ضبطه الدميرى : طائر كالدراج يغرد فى البساتين بأصوات طيبة . قال ابن زهر : هو طائر مليح يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس . وهو فصيلة من رتبة الدجاج تشمل التدرج والحجل والسمانى . فارسي معرب . ولم يذكر فى اللسان والقاموس والمخصص . وفارسيته « تذرو » وفى المعرب للجواليقى ٩١ : « قال بعض أهل اللغة : والتدرج الدراج فارسى معرب . وأصله تذرو » . وقد جعله استينجاس . ٢٩٠ ذكر الدراج : Acock partridge وانظر ادي شير ٣٤ .

(٦) الدراج ، كرمان ، قال ابن سيده : « لا يكون بأرضهم ، وهو طير أرقط بسواد وبياض ، قصير المنقار ... والأنثى دراجة ... والذكر قوقل وحيقطان » . وفى اللسان : « وهو من طير العراق أرقط » . وهو بالإنجليزية : Black partridge . فارسى معرب عن « تَرّاج » . انظر ادي شير ٦١ واستينجاس ٢٩١ .

وليس ذلك كالحِجْر والفَرَس ، والرَّمَكةِ والبِرذَون ، والناقة والجمل(١) ، والعير [والأتان] والأسد واللَّبُؤَة ، فإن هذه الأجناسَ تُقْبِلُ نحوَك فلا ينفصل(٢) فى العين الأنثى من الذكر ، حتى تتفقّدَ مواضع القُنْبِ(٣)
٦٨ والأطْباء ، وموضع الضّرع والثِّيل(٤) وموضعَ ثَفْر الكلبة(٥) من القضيب.

لأنّ للعُصفور الذّكَرَ لحيَةً سوداء(٦) . وليس اللحيةُ إلا للرجل [والجمل] ، والتيس ، والدِّيك ، وأشباهِ ذلك . فهذه أيضاً فضيلةٌ للعُصفور . [وذكر ابنُ الأعرابيِّ أن للناقة عُثْنُوناً كعثنون الجمل ، وأنها متى كان عُثنونها أطوَلَ كان فيها أحْمَدَ .

(حب العصافير فراخها)

وليس فى الأرض طائرٌ ، ولا سبعٌ ولا بهيمةٌ ، أحْنى على ولدٍ ، ولا أشدّ به شعَفاً(٧) ، وعليه إشفاقاً — من العصافير] ، فإذا أُصيبتْ بأولادها ، أو خافتْ عليها العَطب ، فليس بينَ شىء من الأجناسِ من

---

(١) ل : « والبعير » .

(٢) ط : « ولا تنفصل » . س : « تتفصل » هـ : «تتفضل» . والأخيرتان محرفتان .

(٣) القنب ، بضم القاف ، وسكون النون : وعاء قضيب الدابة . ل ، س ، هـ : « القتب » بالتاء ، تصحيف ما أثبت من ط .

(٤) الثيل ، بكسر الثاء المثلثة وفتحها : وعاء قضيب البعير وغيره . فيما عدا ل : « السلى » محرف .

(٥) الثفر : بفتح الثاء وضمها ، لجميع ضروب السباع ولكل ذات مخلب ، كالحياء للناقة . ط : « نفر » بالنون ، صوابه فى سائر نسخ الأصل .

(٦) التعليل عائد إلى : « وللعصفور فضيلة أخرى » فى الصفحة السابقة .

(٧) شعفا ، بالعين المهملة ، كما هى فى الأصل — وهو هنا ل — والشعف : أن يذهب الحب بفؤاده ، ومثله الشغف ، بالغين . وبهما قرئ قوله تعالى : (قد شغفها حبا) فبالمهملة قراءة الحسن وابن محيصن ، والجمهور بالغين المعجمة .

المساعدة ، مثلُ الذى مع العصافير[1] ، لأن العصفورَ يرى الحَيَّةَ قد أقبلت نحو جُحْره وعُشِّه ووَكْره ، لتأكُلَ بيضه أو فراخه ، فيصيح ويُرَنِّق[2] فلا يسمعُ صوته عُصفورٌ إلا أقبل إليه[3] وصنَعَ مِثلَ صنيعِهِ ، بتحرُّق[4] ولوعةٍ ، وقَلَقٍ ، واستغاثةٍ وصُراخ ، وربما أفلت الفرْخ[5] وسقط إلى الأرض — وقد ذهبت الحيّة — فيجتمعن عليه ، إذا كان قد نَبَتَ ريشُه أدنى نبات ، فلا يزلْنَ يُهَيِّجْنَهُ ، ويَطِرْنَ حوله ، لعلمها أن ذلك يحدِثُ للفَرْخ قوةً على النُّهوض[6] فاذا نهضَ طِرْنَ حواليه ودونه ، حتى يحتثِثْنَهُ بذلك العمل[7] .

وكان الخُرَيمى[8] ينشدُ :

واحْتَثَّ كلُّ بازلٍ ذَقُونِ[9] حتى رفَعْنَ سَيْرَةَ اللَّجُونِ[10]

---

(١) ل : « مثل العصافير » .

(٢) رنق الطائر ترنيقا : إذا خفق بجناحيه فى الهواء وثبت فلم يطر . فيما عدا ل : « يوثق » تحريف .

(٣) ط فقط : « عليه » .

(٤) التحرق : مطاوع حرقه تحريقا . ومنه قولهم : هو يتحرق جوعا ، كقولك : يتضرم . انظر اللسان (١١ : ٣٢٦ س ٢٤) فيما عدا ل : «بتحريق» محرف .

(٥) فيما عدا ل : « إلى الأرض » موضع « الفرخ » .

(٦) ل : « لعلمها بأن » و « للفراخ » .

(٧) انظر ما سبق فى (٢ : ٣٢٨ — ٣٢٩) . والاحتثاث : الحث والاستعجال . وفى الأصل : « يحتملنه » .

(٨) الخريمى ، بضم الخاء وفتح الراء : نسبة إلى خريم الناعم . وانظر ترجمته فى (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) وما سبق فى ص ٢٠٤ . فيما عدا ل : « الجريمى » بالجيم . وفى ل : « الخريبى » صوابه ما أثبت .

(٩) احتث : أسرع فى سيره . يقال : احتثه فاحتث هو ، يلزم ويتعدى . ل : « واختب » وهى صحيحة لكنها بعيدة عن الاستشهاد . ورواية اللسان (٥ : ٣١٥) : « إذ حث كل بازل » . ط ، س ، هـ : « واجتث » تصحيف يؤيد ما صححت به . والبازل من الإبل : ما كان فى التاسعة . والذقون من الإبل : التى تميل ذقنها إلى الأرض تستعين بذلك على السير . فيما عدا ل : « باذل » ط ، س : « دفوق » هـ : « دفوف » محرفات . ورواية اللسان (٥ : ٣١٥) : « إذ حث كل بازل دفون » : ابن شميل : ناقة دفون إذا كانت تغيب عن الإبل وتركب رأسها وحدها . اللسان (١٧ : ١٢) .

(١٠) اللجون ، بفتح اللام وضم الجيم : الثقيل المشى من الإبل . ورفعن سيرته : جعلنه يبالغ فى سيره . والسيرة ، بالفتح : الضرب من السير . س ، هـ : « سرة » ط : =

ويُنشد :

واحْتَثَّ مُحْتَثَّاتُها الخَدُورا[١]

وتقول [العرب]: « العاشِيةُ تَهيجُ الآبيةَ[٢] » .

ولو أن إنسانا أخذ فَرْخَيْ عُصْفورٍ من وكره ، ووضعهما بحيثُ يراهما أبواهما فى منزله ، لوجدَ العصفور يتقحّم[٣] فى ذلك المنزل ، حتى يدخل فى ذلك القفص ، فلا يزالُ فى تعهُّدِه بما يُعيشه حتى يستغنِيَ عنه . ثم يحتملانِ فى ذلك غايةَ التغْريرِ والخِطار[٤] ؛ وذلك من فرط الرِّقَّة على أولادهما .

(ما لا يسمح بالمشى من الحيوان)

وأجناس الحيوان التى لاتستطيع أن تُسمِحَ بالمشى[٥] ضروب : منها

= « شرة » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « اللحوق » وفى ل « اللحون » والصواب ما أثبت ، كما فى اللسان (٥ : ٣١٥) وأنشد فى مادة (لجن) لأوس :

ولقد أربت على الهموم بجسرة عيرانة بالردف غير لجون

(١) احتثه : حثه على السير فاحتث هو ، فمنه المتعدى والمطاوع . والخدور ، كرسول : التى تخلفت عن الإبل ، فلما نظرت إلى التى تسير سارت معها . ط ، ه : « واجتث مجتثاها » س : « واجتث محتشاها » صوابه فى ل واللسان (٥ : ٣١٥) . ط ، ه : « الخذورا » صوابه فى س ، ل واللسان .

(٢) العاشية : واحدة العواشي ، وهى الإبل والغنم التى ترعى بالليل . والآبية: التى تأبى الرعى . أى إذا رأت الإبل الآبية التي تتعشى هاجتها للرعى فرعت معها . انظر اللسان (١٩ : ٢٩٢) وعيون الأخبار (٣ : ٢٢٥) والميداني (١ : ٤١٧ — ٤١٨) وجمهرة العسكري ١٤٥ . وهذا المثل فى معنى الرجز السابق . والكلام من هنا إلى « على أولادهما » ساقط من ل .

(٣) ط ، ه : « يقتحم » وهما بمعنى . يقال : قحم واقتحم وانقحم وتقحم . وأثبت ما فى س .

(٤) غرر بنفسه تغريرا : عرضها للهلكة . والخطار ؛ بالكسر : مصدر خاطر بنفسه : أشفاها على خطر . س : « والخطر » .

(٥) أسمحت الدابة : انقادت . وفى اللسان (٣ : ٣١٩) : « وأما أسمح فإنما يقال فى المتابعة والانقياد » .

الضبع ، لأنها خلقت عرْجاء ، فهى أبداً تخمع[1] . قال الشاعر[2] :

وجاءتْ جَيْأَلٌ وأبو بنيها ... أَحَمُّ المَأْقِيَيْنِ به خُمَاعُ[3]

وقال مدركُ بن حِصْن[4] :

من العُثْو ما تَدْرِى أرجلُ شمالِها ... بها الظَّلْع إمَّا هَرْوَلَتَ أمْ يمينُها

والذئب أقزل[6] شَنِج النسا ، وإن أُحِثَّ إلى المشى فكأنه يتوجّى[7] .

---

(١) تخمع : تمشى كأن بها عرجا .

(٢) هو مشعث العامرى ، رجل من بنى عامر ، كما في الأصمعيات ٤٣ ومعجم المرزباني ٤٧٥ واللسان (١٣ : ١٠١) . وفى اللسان (٩ : ٤٣٣) « مثقب » وهو تحريف . ولم أعثر لمشعث هذا على ترجمة أكثر مما ذكرت . وقال المرزبانى : « أحسبه لقبا » . والبيت من أبيات أربعة فى الأصمعيات ومعجم المرزبانى ، وهى :

بإصر يتركنى الحى يوما ... رهينة دارهم وهم سراع

تمتع يا مشعث إن شيئا ... سبقت به الوفاة هو المتاع

وجاءت جيأل وأبو بنيها ... أحم المأقيين به خماع

فظلا ينبشان الترب عنى ... وما أنا ويب غيرك والسباع

(٣) جيأل : علم لأنثى الضباع ، وحقه المنع من الصرف . فى الأصل : « وابنا أبيها » صوابه من المرزبانى واللسان (٩ : ٣٣٤) وشرح الأنبارى للمفضليات ٧٥ . ورواية الأصمعيات : « وأبو أبيها » . أحم : أسود . والمأق : طرف العين مما يلى الأنف ، وفيه عشر لغات ، منها المؤق . ل فقط : « المقلتين » تصحيف . والخماع ، بالضم : شبه العرج . فيما عدا سه : « بها » وهما روايتان ، فالتذكير لأبو ، والتأنيث لجيأل .

(٤) مدرك بن حصن ، حجازي ، أنشد له إسحاق الموصلى فى محمد بن هشام :

عش ما استطعت وإن دببت على العصا ... ما دام والى أمرك ابن هشام

ملك الأعنة والأسنة وانتهت ... حكم الأمور إليه وهو غلام

المرزبانى ٤٠٦ .

(٥) العثو : جمع عثواء ، وهى الكثيرة الشعر . وفى اللسان : « وضبعان أعثى كثير الشعر ، والأنثى عثواء ، والجمع عثو وعثى على المعاقبة » . ط : « العسر » ه : « العشر » سه : « العثر » ل : « العتو » بالتاء ، مصحفات . والظلع : شبه العرج . فيما عدا ل : « من الظلع » محرف . ط : « لما هرولت » سه ، ل ، ه : « أم هرولت » والأخيرة محرفة .

(٦) الأقزل : الأعرج الدقيق الساقين . سه ، ه : « أقول » محرف .

(٧) يتوجى ، من الوجا ، وهو أن يشتكي البعير باطن خفه ، والفرس باطن حافره . وفى ط ، ه وكذا اللسان (٣ : ١٣٤) : « يتوحى » بالمهملة ، وفي سه : « يتوجاه » تصحيف .

وكذلك الظَّبيُ ، شَنِــجُ النَّسا[١] ، فهو لا يُسْمِــحُ بالمشى . قال الشاعر[٢] :

وقُصْرَي شَنَجِ الأنســـا ء نبَّاح من الشُّعْبِ[٣]

[ظبي أشعب : إذا كان بعيد ما بين القرنين . ولايسمح له نُباح[٤]] .

وإذا أراد العَدْو ، فإنما هو النَّقْز[٥] والوثب ، ورفع القوائم معا .

٦٩ ومن ذلك الأسد[٦] فإنه يمشى كأنه رَهِيص[٧] ، وإذا مشى تخلَّع[٨] .

قال أبو زبيد :

إذا تبهْنَسَ يمشى خِلْتَهُ وعِثا وعَتْ سواعدُ منه بعد تكسيرِ[٩]

ومن ذلك الفرس[١٠] ، لايُسمِح بالمشى . وهو يوصف بشَنَج النسا.

[وقال الشاعر :

شَنِج الأنْساء من غيرِ فَحَجْ[١١]]

---

(١) شنج النسا : متقبضه . والكلام من : « وإن أحث » إلي هنا ساقط من ل .

(٢) هو أبو دواد الإيادى كما سبق فى (١ : ٣٩٤) والصحاح (١ : ١٩٦) واللسان (٣ : ١٣٤ و ٣ : ٤٤٨ — ٤٤٩ و ٦ : ٤١٥) .

(٣) القصرى ، بالضم : أسفل الأضلاع . والنباح : الذى ينبح . وفى الحيوان (١ : ٣٤٩) : « وذكروا أن الظبي إذا أسن ونبتت لقرونه شعب نبح » . ه : « نباج » بالجيم . ولفظها صحيح ، يقال : نبح الكلب ونبج ، نباحا ونباجا ، لغتان . والشعب ، فسرت فيما يلى . فيما عدا ل : « الشغب » تحريف .

(٤) أراد أن نباحه ضعيف لا يكاد يسمع .

(٥) النقز ، بالزاى فى آخره : الوثب . ه « النقر» س : « التفزن » صوابهما فى ل ، ط .

(٦) فيما عدا ل : « وكذلك الأسد » . وفى ط ، سه : فإنما يمشي » .

(٧) الرهيص ، من الرهص ، وهو الغمز ، وأن يصيب حافر الدابة شيء يوهنه .

(٨) تخلع : مشى مشية متفككة . ط . ه : « تحلق » س : « تخلق » صوابهما فى ل .

(٩) تبهنس : مشى مشية المتبختر . والوعث : المكسور ، وعثت يده . كفرح : انكسرت. وعت : انجبرت بعد الكسر على اعوجاج . فيما عدا ل : « وهت سواعده من » تحريف. وفى اللسان (٢٠ : ٢٧٦) لأبى زبيد نفسه :

خبعثنة فى ساعديه تزايل تقول وعى من بعد ماقد تكسرا

(١٠) فيما عدا ل : « وكذلك » .

(١١) الفحج : تباعد ما بين الرجلين .

ومن ذلك الغُراب ، فانه يحجِل كأنه مقيَّد . قال الشاعر :

كتاركٍ يوماً مشْيةٍ من سَجيةٍ لأُخرى ففاتَتْه فأصبحَ يحجِلُ(١)

وقال الطِّرِمّاح :

شَنِج النسا أدفَى الجناحِ كأنهُ في الدّار بعدَ الظَّاعِنين مُقَيَّدُ(٢)

والسِّنّورُ ، والفَهْدُ ، وأشباهُهما في طريق الأسَد(٣) .

والحيَّة تمشي . ومنها ما يَثِب(٤) ، ومنها ما ينتصِبُ ويقومُ على ذنَبه .

والأفعى إذا نَهَشت أو انباعت للنَّهش(٥) ، لم تستقلّ ببدنها كلِّه(٦)

ولكنها تَستقِلُّ ببدنها(٧) الذي يلي الرأس ، بحركةٍ ونَشْطٍ(٨) أسرعَ

من اللَّمْح .

---

(١) هذا البيت من شواهد الفصل بين المتضايفين بالظرف . ونحوه قول أبي حية النميري (سيبويه ١ : ٩١ والإنصاف ١٨٠) :

كما خط الكتاب بكف يوما يهودي يقارب أو يزيل

ط ، هـ : « يوم » وتصح بالجر مع نصب « مشية » كقول القائل (الخزانة ٣ : ٩٥ سلفية وسيبويه ١ : ٨٩) :

يا سارقَ الليلةِ أهلَ الدار

(٢) الأدفى : ما طال جناحه من أصول قوادمه وطرف ذنبه . ورسمت في الأصل بالألف . انظر اللسان (١٨ : ٢٨٨) . وروى في اللسان (٣ : ١٣٤ ، ١١ : ٣٢٨) : « حرق الجناح » . والحرق : الذي نسل ريشه وانحص .

(٣) ط فقط : « والنسور والفهود وأشباهها في طريق الأسد » ، وفيه تحريف .

(٤) ط ، سه : « يشب » صوابه في ل ، هـ .

(٥) نهشت : عضت . وانباعت : بسطت نفسها بعد تحويها لتساور . ط : « انتهشت » س ، هـ : « انتاعت » تحريفان . و « أو » هي في الأصل : « و » والوجه ما أثبت .

(٦) تستقل ، هي من قولهم : استقل الطائر في طيرانه ، أي نهض للطيران وارتفع . ط ، سه : « تشتغل » .

(٧) ل : « بشطر » وفي سائر النسخ : « تستطر » صوابه ما أثبت ، وانظر التنبيه السابق . و : « ببدنها » هي في الأصل : « بدنها » .

(٨) النشط ، عنى به هنا السرعة . وأصل النشط سرعة عض الحية . فيما عدا ل : « حركة وتشتط » .

والجرادة تطير وتمشى وتطمر[1] . فاذا صِرْتَ إلى العصفور[2] ذهب المشى [البتّة] وأكثر ماعند البرغوث الطُّمور والوثوب .

وقال الحسنُ بن هانئ يصفُ رجلاً يفلى القَمْلَ والبُرغوث [بأنامله] :

أو طــامرىٍّ واثب لم يُنْجِهِ منه وثابُه[4]

لأن البرغوث [مشّاء[5]] وثّاب .

قال : وقول الناس : طامر بن طامر ، إنما يريدون البرغوث[6] .

والعصفور[7] ليس يعرِفُ إلا أنْ يجمعَ رجليه ثم يثِب ، فيضعهما معاً ويرفَعهما معاً . فليس عنده إلا النَّقَزَانُ[8] . ولذلك سُمِّى العصفورُ نقَّازاً[9] .

وهو العصفور والجمع عصافير ، ونقَّاز والجمع نَقَاقيز . وهو الصَّعْو[10] .

[ويزعمون أن العرب تجعلُ الخرّق[11] والقُنْبر ، والُحمَّر ، وأشباه ذلك كله ، من العصافير . والعصفور طيَرَانه نقَزانٌ] أيضاً [فهو لا يُسمِحُ بالطيران كالا] يسمح بالمشى[12] .

---

(١) ل : « تطفر » بالفاء وهما بمعنى الوثب .

(٢) فيما عدا ل : « إلى العصفور والبرغوث » و « البرغوث » مقحمة . وانظر قوله فيما بعد « لأن البرغوث مشاء وثاب » .

(٣) فيما عدا ل : « فليس عند البرغوث إلا الطمور والوثوب » صوابه فى ل .

(٤) البيت من أبيات فى نهاية الأرب (١٠ : ١٧٨) وليست فى الديوان ، ولا في أخبار أبى نواس لابن منظور ، قالها في رجل اسمه « أيوب » وأولها :

من ينأ عنه مصاده فمصاد أيوب ثيابه

(٥) هذه الزيادة من ل ، هـ .

(٦) طامر بن طامر ، هو الذى لايعرف ولا يعرف أبوه ولا يدرى من هو . وهو البرغوث أيضا لطموره أى وثوبه . انظر اللسان (طمر) وثمار القلوب ٢١٣ . فيما عدا ل : « طامر وابن طامر إذا » الخ . محرف .

(٧) فيما عدا ل : « وكذلك العصفور » .

(٨) النقزان : الوثبان . ل : « النقز » وهما بمعنى .

(٩) فيما عدا ل : « فلذلك يسمى العصفور نقازا » .

(١٠) فيما عدا ل : « وهى الصغار أيضا » .

(١١) الخرق ، بضم الخاء وتشديد الراء : ضرب من العصافير .

(١٢) فيما عدا ل : « فلا يسمح » .

(شدة وطء العصفور)

وليسَ لشيء [جسمُه] مثلُ جسمِ العُصفورِ مراراً كثيرةً ، من شدَّة الوطء ، وصلابة الوقْع عَلَى الأرض ، إذا مشي ، أو عَلَى السطح ـ ما للعصفور، فإنك إذا كنتَ تحت السّطح الذى يمشى عليه [العصفور] حسِبتَ وقْعَه عليه وقْعَ حَجَر(١) .

والكلبُ منعوتٌ بشدة الوطء ، وكذلك الخِصْيانُ من كل شيء(٢) . والعصفور يَأخذ بنصيبه من ذلك(٣) أكثرَ من قِسْطِ جِسْمِهِ من تلك الأجسام بالأضعاف الكثيرة(٤) .

(ما يجيد المشى من الحيوان)

والذُّباب من الطير الذى يجيدُ المشى . ويمشى مشياً سَبْطاً حَثِيثاً ، [وحسناً] مستوياً .

والقطاة مَليحةُ المِشْية(٥) ، مقاربة الخطْو .

وقد توصف مِشْيَةُ المرأةِ بمشية القَطَاة(٦) . وقال الكُمَيت(٧) :

يمشِينَ مَشْىَ قَطَا البُطاحِ تأوُّداً ... قُبَّ البُطونِ رَوَاجِحَ الأكْفَالِ(٨)

---

(١) فيما عدا ل : « وقعه حجر » . وانظر ما سبق فى (٢ : ٣٣٠) .

(٢) انظر الكلام فى مشى الخصى بالجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) ط ، ه : « فالعصفور » . فيما عدا ل : « ببيضته من الأجزاء » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « بأكثر من » . ط : « بالأصناف الكثيرة » . محرف .

(٥) فيما عدا ل : « المشى » .

(٦) ط ، ه : « بمشى » وأثبت ما فى ل ، س واللسان (١٩ : ١٥٢) .

(٧) كذا جاءت النسبة فى ل والأغانى (١٥ : ١٩) ومعجم المرزبانى ٣٤٨ . وفى سائر النسخ . « قال الشاعر » .

(٨) قب : جمع قباء . والقبب : دقة الخصر وضمور البطن . ط : « قلب » صوابهما فى سائر النسخ والمراجع المتقدمة ولباب الآداب ٣٧١ والمستطرف (٢ : ٢٢) .

٧٠ وقال الشاعر :

يتمشَّيْنَ كما تمشى القطـا أو كما يمشى جِلاَلُ البَقَرَاتِ[(١)]

لأن البقرةَ تتبخترُ فى مِشْيتها .

وقلت لابن دَبُوقاء[(٢)] : أى شىء أول التَّشاجى[(٣)] ؟ قال : التباهُر والقَرْمَطة فى المشى[(٤)] . [وقال[(٥)] :

فدفعتُها فتـــدافعتْ مَشْىَ القطاةِ إلى الغديرِ]

وكلُّ حيوان من ذواتِ الرجلين والأربع ، إذا انكسرت لها قائمة تحامَلَت بالصحيحة ، إلا النعامة فإنها تسقُط البتّة .

(سفاد العصفور)

قال : وكثرةُ عددِ السِّفاد ، والمبالغةُ فى الإبطاء ، والدّوامُ في كثرة العدَد لضروبٍ[(٦)] من الحيوان - فالإنسانُ يغلبُ هذه الأجناس بأن ذلك دائم منه[(٧)] فى جميع الأزمنة . فأما الإبطاء فى حال السِّفاد فللجمل[(٨)]

---

(١) هذه رواية ط ، ھ : فيكون البيت بذلك من بحر الرمل . وفى س : « يتمشى » تحريف . وفى ل : « يمشين كما يمشي قطا أو بقرات » ، وهو تحريف صوابه فى اللسان (١٩ : ١٥٢) :

يتمشـين كما تمـ شى قطا أو بقرات

فيكون البيت بذلك من مجزوء الرمل . والجلال ، بالكسر : العظيمات .

(٢) فيما عدا ل : « لأبى دبوقا » وما فى ل يطابق ما نقله ابن منظور عن الجاحظ فى (١٩ : ١٥٢) .

(٣) التشاجي : تمنع المرأة وتحازنها . وهذا ما فى ل واللسان . وفى سائر النسخ : « المشى » محرف .

(٤) التباهر ، أراد به إظهار البهر ، وهو بالضم : انقطاع النفس من الإعياء . والقرمطة : مقاربة الخطو .

(٥) هو المنخل اليشكرى ، من قصيدة له فى الحماسة (١ : ٢٠٢) أولها :

إن كنت عاذلتى فسيرى نحو العراق ولا تحوري

(٦) ل : « بضروب » .

(٧) فيما عدا ل : « لأن ذلك دائم فيه » .

(٨) ل : « فالجمل »

والوَرَل والذِّبّان[1] والخنازير . فهذه فضيلةُ لذة لهذه الأجناس والأصناف[2] .

فأما كثرةُ العدَد فللعصافير .

(سفاد التيس)

وقد زعم أبو عبد الله العتبيّ[3] الأبرَصُ ، وكان قاطعَ الشهادة عند أصحابنا البَصريِّين — أن الذى يقال له المِشْرَطِيُّ[4] قرَعَ فى يومٍ واحدٍ نيفاً وثمانين قَرْعة .

إلا أن ذلك منه ومن مثله ينمحقُ حتى يعودَ جافراً[5] فى الأيام القليلة .

(تيس بنى حمان)

وبنو حِمّان يزْعُمون أن تيسَ بنى حِمّان قرَع وألقحَ بعد أن ذُبحَ .. وفَخَرُوا بذلك ، فقال بعضُ من يهجوهم :

وألْهَى بَنِى حِمَّانَ عَسْبُ عَتُودِهم   عن المجْدِ حتى أحرَزَتْه الأكارمُ[6]

---

(١) الذبان : جمع ذباب ، كغربان وغراب . ط : « والدباب » بالمهملة ، محرف .

(٢) « الأجناس » ساقطة من ل . و « الأصناف » ساقطة من س .

(٣) ل : « الغنمى » . وقد سبق فى (٢ : ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٤٠) أنه « العمى » . وهو أحد المعتزلة .

(٤) فيما عدا ل : « المسراطى » . وقد ورد بالضبط الذي أثبته فى ل .

(٥) ابن الأعرابى : أجفر الرجل وجفر وجفر واجتفر : إذا انقطع عن الجماع . وفى الحديث أنه قال لعثمان بن مظعون : « عليك بالصوم فانه مجفرة » أى مقطعة للنكاح . ل : « حافراً » بالفاء . وفى اللسان (٥ : ٢٨٤ س ١٥) : « ابن الأعرابى : حفر إذا جامع وحفر إذا فسد » ، فلها وجه من ذلك . ط ، ه : « حاقرا » بالقاف محرف . وأثبت ما فى س .

(٦) العسب : ماء الفحل . والعتود ، بفتح العين وضم التاء : الجدى قد بلغ السفاد .

(زعم لصاحب المنطق)

وزعمَ صاحبُ المنطق فى كتاب الحيوان أن ثَوْراً فيما سلف من الدهر[١] سَفِدَ وأَلْقَحَ من ساعته بعد أنْ خُصِي .

فاذا أفرطَ المديحُ[٢] وخرجَ من المقدار ، أو أفرطَ التعجيبُ[٣] وخرجَ من المقدار ـ احتاج صاحبُه[٤] إلى أن يثْبته بالعيان ، أو بالخبر الذى لا يكذّبُ مثله[٥] ، وإلا فقد تعرَّض للتكذيب .

ولو جعلوا حركتهم[٦] خبراً وحكاية ، وتبرءوا من عيْبه[٧] ـ ماضرَّهم ذلك ، وكان[٨] ذلك أصْوَنَ لأقدارهم ، وأتمَّ لمروءات كتبهم .

(القول فى الجناح واليد والرجل)

[وَ] قالوا : وكلُّ [طائر] جيِّد الجناح ، يكونُ ضعيفَ الرجلين ، كالزُّرزُور والخُطَّاف ؛ وجناحاهما أجْوَدُ من جناح العصفور . ورجل العُصفور قويّة .

والجناحان هما يدا الطائر[٩] ؛ لأنهم يجعلون كلَّ طائر وإنسان

---

(١) فيما عدا س : « فيما سلف من الدهر أن ثوراً » .

(٢) فيما عدا ل : « فإذا أفرط المادح في المديح »، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « أو أفرط المتعجب فى التعجب »، تحريف .

(٤) أى صاحب المدح والتعجيب .

(٥) فيما عدا ل : « الذي لم يكذب مثله » .

(٦) كذا .

(٧) ط ، هـ : « تبرءوا عن » . ل : « غيبة » وسائر النسخ : « عينه » ووجهه ما أثبت .

(٨) ط ، هـ : « فكان » .

(٩) ط ، هـ : « يد الطائر » بالإفراد ، تحريف .

ذا أربع . فجناحا الطائر يداه ، ويدا الإنسان جناحاه . ولذلك إنْ قُطعت يدُ الإنسان لم يُجِد العَدْو . وكذلك إن قُطِعَتْ رجلُ الطائر لم يُجد الطَّيران .

والدابة قد تقوم على رجليها دون يديها ، والإنسان قد يمشى على أربع .

[قالوا : فَهُم فى عدد الأيدى والأرجل سواء . وفى الآلات الأربع] ؛ إلا أن الآلة تكونُ فى مكان ببعض الأعمال أليَقَ ، وهو[1] عليها أسهل ، فتجذبُها طبائعها[2] إلى ما فيها من ذلك ، كمشى الدابة عَلَى يديها ، وثِقَل[3] ٧١
ذلك عَلَى الإنسان .

والحمام يضربُ بجناحِه الحمامَ ، ويقاتلُه به ، ويدفع به عن نفسه . فقوادمه[4] هى أصابعه ، وجناحُه هُو يدُه[5] ، ورجْله كالقدم . وهى رجلٌ وإنْ سمّوها كفًّا ، حين وجدوها تكفُّ به[6] ، كما يصنع الإنسانُ بكفِّه .

وكلُّ مقطوعِ اليدينِ ، وكل من لم يُخلق له يدانِ فهو يصنعُ برجليه[7] عامَّةَ ما يصنَعُه الوافرُ الخلق بيديه .

وكل سبُع يكون شديدَ اليدين فإنه يكونُ ضعيفَ الرجلين .

وكل شيء من ذوات [الأربع من] البراثن والحوافر ، فان أيديَها

(١) فيما عدا ل : « وهى » .

(٢) ل : « طباعها » .

(٣) فيما عدا ل : « ويثقل » .

(٤) القوادم : ريشات في مقدم الجناح . فيما عدا ل : « وقوائمه » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وجناحاه يداه » .

(٦) ضمير « به » للكف . والكف مؤنث ، وتذكيرها لغة ضعيفة ، شاهدها قول الأعشى :

رأت رجلا منهم أسيفاً كأنما يضم إلى كشحيه كفا مخضبا

وانظر المخصص (١٦ : ١٨٧ — ١٨٨) واللسان (١١ : ٢١١ — ٢١٢) .

(٧) فيما عدا ل : « برجله » . وانظر لاستعمال الإنسان رجليه ما سبق فى (٣ : ٢٣٦) .

أكبرُ من أرجُلها[١] . والناس أرجلهم أكبرُ من أيديهم ، وأقدامهم أكبرُ من أكفِّهم .

وجعلوا رُكَبَهُم فى أرجُلهم ، وجعلوا رُكَبَ الدّواب فى أيديها[٢] .

(نفع العصافير وضررها)

وللعصافير طَبَاهِجَات[٣] وقَلايا[٤] تُدْعَى العصافِيريَّة ، ولها حَشاوى[٥] يطعِمها [العوامّ] المفلوجَ . والعوامُّ تأكلها للقوّة على الجماع . وعِظامُ سُوقِها وأفخاذِها أحَدُّ[٦] وأذْرَب من الإبر . وهى مَخُوفةٌ على المعدة والأمعاء .

وهى تخرِّب السُّقف تخريباً فاحشاً . وتجتلبُ الحيّاتِ إلى منازلِ الناس ؛ لحِرْص الحيات عَلَى ابتلاع[٧] العصافير وفراخها و بيضها .

---

(١) فيما عدا ل : « رجليها » .

(٢) جعلوا ، أراد الجعل اللغوى ، وهو التسمية . وقد سبق مثل هذا الكلام فى (٣ : ٢٣٦ س ١ — ٢) .

(٣) طباهجات : جمع طباهجة ، بفتح الطاء وكسر الهاء : ضرب من قلى اللحم . وهو ما يسمى « الكباب » . وهو معرب « تَبَاهَه » أو « تَبَاهْجَه » . وفى المخصص (٤ : ١٢٨) : « صاحب العين : الكباب الطباهجة » . وفى شفاء الغليل : « طباهج : الكباب ، كما فى تاج الأسماء ، معرب تباهه . والعرب تسميه الصفيف . وظاهر كلام ابن النحاس فى شرح المعلقات أن الكباب مولد . ويشهد له أنا لم نره فى كلام فصيح » . و « طباهج » بدون تاء كما ترى ، ومثلها فى معجم البلدان فى رسم (كباب) . ولم يذكر هذه اللغة المخصص واللسان والقاموس . وانظر كتاب الطبيخ للبغدادى ١٤—١٥ .

(٤) قلايا : جمع قلية ، والقلية : اللحم يقلى : أى يشوى على المقلى . وانظر كتاب الطبيخ ص ٥٠ . س : « وفلات » ط ، هـ : « وغلات » صوابهما فى ل .

(٥) كذا فى ل . وقد سبقت هذه الكلمة فى (٢ : ٢٥٠ س ٢) . وفى ط ، س : « حواش » هـ : « حواشى » .

(٦) ل : « ابر » .

(٧) س : « اتباع » .

(عمر العصفور)

والذين زعموا أن ذكورتها لاتعيش إلا سنةً ، يحتاجون إلى أن يعرِّفوا الناس ذلك . وكيفَ يستطيعون تعريفَهم[١] ؟!

وقد تكون القُرى بقُرب المزارعِ والبيادر[٢] مملوءةً عصافيرَ ، ومملوءة من بَيْضها وفراخها ، وهم مع ذلك لم يرَوْا عصفوراً قط ميتاً .

[والذين يزعُمون أن الذبابَ لايعيشُ أكثرَ من أربعين يوماً ، وكانوا[٣] لايكادون يرَوْن ذبابة ميتة — أعذَرُ ، لأنهم ذهبوا إلى الحديث[٤] . وأصحاب الحديث لايؤاخذون بما يؤاخَذ به الفلاسفة] .

والذين زعموا أن البغل إنما طال عمره لقلَّة السِّفاد ، والعصفورَ إنما قصُرَ عمره لكثرة السِّفاد وغُلمته[٦] — لو قالوا بذلك عَلَى جهة الظنِّ والتقريب ، لم يلمْهم أحدٌ من العلماء . والأمور المقرَّبةُ غيرُ الأمور الموجَبة ، فينبغى أن يعرفوا فصْلَ ما بين الموجَبِ والمقرَّب[٧] ، وفصلَ ما بينَ الدليلِ وشبه الدليل[٨] . ولعلّ طولَ عمر البغل يكونُ للذى قالوا ، ولشى آخر .

وليس ينبغى لنا أن نجزِمَ عَلَى هذه العِلّة فقط ، [إلا بعد أن يحيط علمنا بأن عمرَه لم يفضُلْ عَلَى أعمار تلك الأجناس إلا لهذه العِلَّة] .

---

(١) فيما عدا ل : « تعريفهم ذلك » .

(٢) البيادر : جمع بيدر ، وهو الموضع الذى يداس فيه الحب . فيما عدا ل : « والميازب » محرف .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « كانوا » باسقاط الواو .

(٤) وهو ما ورد أن عمر الذباب أربعون يوما . انظر (٣ : ٣١٥) .

(٥) هذه الكلمة وما قبلها ليست فى ل . وانظر التنبيه التالى .

(٦) ل : « لقلة السفاد وكثرته » وبذلك توازن عبارتها سائر النسخ ، وكلمة « غلمته » ساقطة من سـ . وبدلها فى هـ : « غليته » وهذه محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « فضل ما بين » والصواب بالصاد، أى الفرق . وفيها أيضا « الواجب » موضع « الموجب » .

(٨) فيما عدا ل : « وفرق ما بين الدليل وشبه الدليل » .

(بعض خصال العصفور)

والعصفورُ لايستقرُّ ما كان خارجا من وكْره ، حتى كأنه فى دوام الحركةِ وصبىٌّ . له صوت حديدٌ موْذ .

وزعموا أن البلبلَ لايستقر أبداً[1] . وهذا غَلَطٌ ، لأن البلبل إنما يقْلَقُ لأنه محصورٌ في قفص . والذين عاينوا البلابلَ والعصافير في أوكارها[2] ، وغير محصورة فى الأقفاص — يعلَمون فضلَ العصفورِ عَلَى البُلبل فى الحركة .

فأما صِدْق الحِسِّ ، وشدَّة الحذَر والإزكان[3] الذى ليس عند خبيث الطير[4] ، ولا عند الغُرَاب[5] — فإن عند العصفور منه ماليسَ عندَ جميعِ ما ذكرنا[6] ، لواجتمعت قواهم ، ورُكِّبوا فى نصاب واحد .

٧٢ من ذلك أنه يغمّ[7] بحدَّة صوته بعضَ من يقرُب منه ، فيصيح به ويُهوى بيديه إلى الأرض[8] كأنه يريد أن يرميه بحجر فلا يراه[9]

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها فى ه : « أيضا » .

(٢) الوكر : عش الطائر . فيما عدا ل : « غير أوكارها » وكلمة « غير » تفسد الكلام .

(٣) الإزكان : الفطنة والحدس الصادق ل ، س ، ه : «الأركان» صوابه في ط .

(٤) ل : « عند عبيد الكيس » س : « عند حثيت الطير » ط : « لحس الطواف » ه : «لحس الطراف » وأثبت ما فى س بعد توجيهه بما رأيت . والخبيث : ذوالخب والخداع.

(٥) الغراب يضرب به المثل فى الحذر ، فيقال : « أحذر من غراب » انظر الحيوان (٣ : ٤٢٥) ، وثمار القلوب ٣٦٥ والميداني (١ : ٢٠٧) وفى الأصل : « العراف » .

(٦) ل : « من ذكرنا » . نزلها منزلة العاقل : ومثل ذلك فى سياق الكلام بعده .

(٧) ل : « يعم » صوابه فى سائر النسخ . وقد سبق فى (٢ : ٣٢٩) : « فيغمني صياحه وحدة صوته » .

(٨) ط فقط : « للأرض » وفى ل زيادة : « نحوه ويضرب بيده » قبل : « إلى الأرض » .

(٩) ل : « فلا تراه » .

يحفل بذلك . فإن وقعت يدُه على حصاةٍ طارَ من قبل أن يتمكَّنَ من أخذها[١] .

وزعم صاحبُ المنطق أن بين الحِمار وعصفورِ الشَّوك[٢] عداوةً . وقال : لأن الحمارَ يدخل الشجرَ والشّوكَ ، فربما زاحَمَ الموضع الذى فيه وَكْرُه فيبدِّد عُشَّه . وربما نهق الحِمارُ فسقَطَ[٣] فرخُ العُصفور أو بيضه من جوفِ وكْره . قال : ولذلك إذا رآه العصفورُ رَنَّقَ[٤] فوقَ رأسه ، وعلى عينيه[٥] وآذاه بطيرانه وصِياحه .

وربّما كان العصفورُ أبْلَقَ . ويصابُ فيه الأصبغ[٦] ، والجرادِىّ[٧] ، والأسود ، والفقيع[٨] ، [والأغْبَس[٩]] . فإذا أصابوه كذلك باعوه بالثّمن الكثير .

وقال أبو بدر الأُسَيدىّ[١٠] : قيل لعبد الأعلى القاصّ : لم سمّى العصفورُ

---

(١) ط : « قبل يتمكن » وهى لغة ضعيفة ، سمع : « خذ اللص قبل يأخذك » . وانظر (٢ : ٣٢٩) .

(٢) عصفور الشوك ، سمى بذلك لأنه يألف الأشجار الشائكة والسياج . ويسمى بالإنكليزية Hedge sparro .

(٣) ل : « فسقط » .

(٤) رنق ترنيقاً : خفق بجناحيه ورفرف ولم يطر . وانظر ص ٢١١ س ١ . وفيما عدا ل : « زرق » أى رمى بسلاحه .

(٥) فيما عدا ل : « عنقه » .

(٦) الأصبغ من الطير : المبيض الذنب . سم ، ه : « الأصبع » بالعين المهملة . تحريف.

(٧) الجرادي : ما لونه لون الجراد .

(٨) الفقيع الأبيض ، وهو بفتح الفاء وكسر القاف كأمير . ويروى بوزن سكّيت . انظر تاج العروس (٥ : ٤٥٥) .

(٩) الأغبس : ما لونه الغبسة ، والغبسة : لون الرماد .

(١٠) فيما عدا ل : « أبو زبيد الأسدى » .

عُصفوراً ؟ قال : لأنه عَصى وفرّ . وقيل : ولمِ(١) سمى الطَّفْشيل(٢) طفشيلا ؟ قال : لأنه طفا وشال . وقيل له : لمِ سمى الكلبُ القَلَطِيُّ قَلَطِيًّا ؟ قال : لأنه قلَّ ولَطِئَ(٣) . وقيل له(٤) : لمِ سمى [الكلبُ] السَّلوقيُّ سَلوقيًا ؟ قال : لأنه يستَلّ ويَلْقى(٥)

[قال] : وحدّثنا [سُفْيان] بن عُيينة ، عن عَمرو بن دِينار ، عن صُهَيب مولى ابنِ عامر ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مامِنْ إنسان يقتل عصفوراً أو ما فوقها(٦) بغير حقها إلا سأله الله عنها » . قيل : يا رسول الله : وما حقها ؟ قال : « أن تذْبحها فتأكُلَها ، ولا تقطع رأسَها فترمى بها » .

(صياح العصافير ونحوها)

ويقال(٧) : قد صرّ العصفورُ يصرُّ صريراً . قال : ويقال للعصافير

(١) ل : « فلم » . وكلمة « قيل » ساقطة من سه ، ه .

(٢) الطفشيل سبق القول فيه في (٣ : ٢٤) . واللفظ فارسي معرب . وهو بالفارسية : « تَفْشِلَه أو تَفْشِيلَه » . وقد فسره استينجاس ٣١٣ بأنه ضرب من اللحم يعالج بالبيض والجزر والعسل .

(٣) لطئ بالأرض : لصق ، وبابه منع وفرح لطأ ولطوءاً . والكلب القلطى : ضرب من الكلاب القصيرة . انظر (١ : ١٥٧) . فيما عدا ل : « لأنه قاطى » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « قال ولم » محرف .

(٥) كذا ضبطت فى ل . والاستلال : السرقة . ط ، ه : «سلاويقى» سه : «سلاويقى» محرفتان .

(٦) فيما عدا ل : « فما فوقها » وانظر الجامع الصغير ٨٠٢٥ .

(٧) فيما عدا ل : « ويقال للعصفور » .

والمَكاكِىّ(١) والقنابر، والخُرّق(٢)، والحُمَّر: قد صَفَر يصفِرُ صفيراً. وقال طرَفةُ بنُ العبْد(٣):

يالكِ مِن قُبَّرة بمعْمَرِ(٤) خَلا لكِ الجوُّ فبيضى واصفِرى

[ونقِّرى ماشِيتِ أن تُنقِّرى]

ويقال: قد نطق العصفور. وقال كُثَيِّر(٥):

سوى ذِكرةٍ منها إذا الرَّكبُ عَرَّسُوا وهبَّتْ عصافيرُ الصَّريمِ النَّواطق(٦)

ولذِكْر العصفور موضعٌ آخر: وذلك أنّ العصافير تصيحُ معَ الصُّبح(٧). وقال كلثومُ بنُ عَمرو(٨):

---

(١) المكاكى: بفتح الميم وتخفيف الكاف: جمع مكاء، بضم الميم وتشديد الكاف، وهو نوع من القنابر له صفير حسن وتصعيد فى الجو وتصويب، وهو فى ذلك يمكو أى يصفر. فيما عدا ل: «ويقال فى المكاكى».

(٢) الخرق، بضم الخاء وتشديد الراء: ضرب من العصافير واحدته خرقة، وقيل الخرق واحد. فيما عدا ل: «الحرق» بالمهملة، تصحيف. وانظر ماسبق فى ص ٢١١ س ١٠

(٣) فى اللسان: «وكان يصطاد هذا الطير فى صباه». وقال ابن بري: إن هذا الرجز لكليب بن ربيعة التغلبى لا لطرفة، كما ذكر الجوهري. وذلك أن كليب بن ربيعة خرج يوما فى حماه، فإذا هو بقبرة على بيضها؛ فلما نظرت إليه صرصرت وخفقت بجناحيها، فقال لها أمن روعك! أنت وبيضك فى ذمتي! ثم دخلت ناقة البسوس إلى الحمى فكسرت البيض، فرماها كليب فى ضرعها، فهاجت حرب بكر وتغلب ابنى وائل بسببها أربعين سنة. وانظر ما أسلفت من الكلام على هذا الرجز فى (٣ : ٦٦).

(٤) فيما عدا ل: «قنبرة»، وهى لغة فى القبرة. وفى اللسان: «والقبر والقبرة، والقنبر والقنبرة والقنبراء: طائر يشبه الحمرة». وباء القنبرة مضمومة، كقنفذة. وفى اللسان: «والعامة تقول القنبرة» فنسبها إلى العامة. وفى القاموس أن «القنبرة» لغية.

(٥) فيما عدا ل: «جرير» ولم أجد البيت فى ديوانيهما.

(٦) فيما عدا ل: «ذكره» وفى ط: «إن الركب» تحريفان. والصريم: الصبح، وهو من الأضداد، يقال أيضاً لليل.

(٧) فيما عدا ل: «وقت الصبح».

(٨) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٩٦) عند إنشاد البيت التالى، والبيت كذلك فى العمدة (١ : ١٧٩) والموشح ٢٩٣.

* يا ليـلةً لى بحُوّارينَ ساهرةً   حتى تـكلم فى الصبحِ العصافيرُ

وقال خلفٌ الأحمر(١) :

فلما أصاتَتْ عصافيرُه   ولاحت تَباشيرُ أرْواقِهِ(٢)

غدَا يَقْتَرِى أُنُفاً عازِباً   ويَلتّسُ ناضِرَ أوْرَاقِه(٣)

٧٣ وقال الوليد بنُ يزيد(٤) :

فلما أنْ دنا الصبحُ   بأصواتِ العَصـــافيرِ

(١) فيما عدا ل : « وقال الوليد بن يزيد » .

(٢) أصاتت : صوتت . ل ، هـ ، س : « أضاءت » صوابه فى ط . والأرواق : جمع روق . بالفتح . وأرواق الليل : أثناء ظلمته ، وجعلها هنا لأثناء النور .

(٣) يقترى : يتتبع . أنفا ، بضمتين : لم يرعه أحـد قبله . عازبا : بعيدا . يلتس : يتناول ويأكل . أى غدا هذا الحمار أو الثور يتتبع هذا الروض ويرعاه . فيما عدا ل : « آبقا عازبا ويلبس » وفى س : « آنفا » تحريف ما أثبت من ل .

(٤) فيما عدا ل : « أبو محرز » وأثبت ما في ل مطابقا لما سبق فى (٢ : ٢٩٦) ولما فى حواشى الكامل ١٢ ليبسك . وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك . ولى الخلافة سنة ١٢٢ وقتل سنة ١٢٦ وله اثنتان وأربعون سنة . هذا والحق أن الشعر ليس للوليد بن يزيد ، بل هو ليزيد بن ضبة الثقفى ، وكان منقطعا إلى الوليد بن يزيد ، فلما ولى الخلافة وفد عليه ، وأنشده مديحاً فى قصيدة بلغت واحداً وثلاثين بيتاً رواها أبو الفرج فى الأغانى (٦ : ١٤٢ — ١٤٣) . وأولها :

سليمى تلك فى العـير   قفى أسألك أو سيرى

ورواية البيت فى القصيدة :

إلى أن يفصح الصبح   بأصـوات العصـافير

لنعتام الوليـد القر   م أهل الجود والخير

قالوا : فأمر الوليد أن تعد أبيات القصيدة ، ويعطى لكل بيت ألف درهم ، فعدت فكانت خمسين بيتاً ، فأعطى خمسين ألفا . فكان أول خليفة عد أبيات الشعر وأعطى على عددها لكل بيت ألف درهم . ثم لم يفعل ذلك إلا هارون الرشيد .

(أحلام العصافير)

ولها موضع آخر . وذلك أنهم يضربون المثلَ بأحلامِ العصافير لأحلام السُّخَفاء[(١)] . وقال دُرَيد بنُ الصِّمَّة :

يا آلَ سُفيانَ ما بالى وبالُكمْ أنتم كثير وفى أحلامِ عُصفورِ[(٢)]

وقال حسَّانُ بنُ ثابت :

لا بأسَ بالقومِ من طولٍ ومن عِظَمٍ جسمُ البغالِ وأحلامُ العصافيرِ[(٣)]

ومن هذا الباب فى معنى التَّصغير والتَّحقير، قولُ لبيد[(٤)] :

فإنْ تسألينا فيمَ نحنُ فإننا عَصافيرُ من هــذا الأنامِ المسحَّرِ

والمسحَّر : المخدَّع[(٥)] ، على قوله[(٦)] :

وُنسحَرُ بالطعامِ وبالشَّرابِ

وقال لبيد[(٧)] :

عَصافيرٌ وذِبّانٌ ودُودٌ [وأجرأ من مُجلِّحَةِ الذِّئابِ[(٨)]]

---

(١) كلمة : « المثل » فيما عدا ل مقدمة على : « بأحلام » .

(٢) فى ثمار القلوب ٣٨٨ : « يا آل شيبان » و : « أنتم كثيرون فى أحلام عصفور » وفيما عدا ل : « أنتم كبير وفى الأحلام » .

(٣) البيت فى ديوانه ص ٢١٤ من قصيدة يهجو بها بنى الحارث بن كعب ، وهم رهط النجاشى الشاعر . وانظر الخزانة (٤ : ٥٣ — ٥٦) وسيبويه (١ : ٢٥٤) .

(٤) فيما عدا ل : « وفى معنى هــذا الباب من التصغير والتحقير يقول لبيد » . ومثل هذه النسبة فى البيان (١ : ١٤٠) واللسان (٦ : ١٣) . ونسب البيت فى أمالى المرتضى (٣ : ٣٧) إلى أمية بن أبي الصلت .

(٥) س ، هـ : « المجدع » تحريف . ط : « المخدوع » وأثبت ما فى ل . والمخدع : الذي خدع مراراً ، قال :

سمح اليدين إذا أردت يمينه بسفارة السفراء غــير مخدع

(٦) فيما عدا ل . « قولهم » وهو عجز بيت لامرئ القيس ، صدره : « أرانا موضعين لأمر غيب » . وهذه النسبة ثابتة فى ديوانه ١٣٢ والبيان (١ : ١٤٠) واللسان ٦ : ١٢) .

(٧) كذا والصواب أنه « امرؤ القيس » والبيت تال للمتقدم ، كما فى الديوان واللسان .

(٨) أجرأ : أشد جراءة . وفى الأصل وهو هنا ل : « وأجراء مجلحة » تحريف . =

فكأنه يخبر عن ضَعْف طِباع الإنسان .

وقال قوم : المسحَّر ، يعنى كلَّ ذى سَحْر ، يذهب إلى الرئة ؛ لقوله :

ونُسْحَر بالطعامِ وبالشرابِ

(قولهم صريم سحر)

ولذِكر السَّحْر موضعٌ آخر ، يقول الرجلُ لصاحبه : « صرَمْت سَحْري منك » أىْ لستُ منك . وقال خُفافُ بن نُدْبة :

ولولا ابنا تُماضِر أن يُساءوا وأنى منك غير صريمِ سَحْرِ [1]

فكأنه قال : لستُ كذلك [منك [2]] .

وقال قيسُ بنُ الخطيم :

تقولُ ظَعينَتِى لما استقَلَّتْ أتترُكُ ما جمعْتَ صَرِيمَ سَحْرِ [3]

أى قد تركتَه آيساً منه [4] .

وأنشد الآخر :

= والمجلحة ، بكسر اللام المشددة : الجريئة . والذئاب ، هى فى الأصل : « الدياب » بالدال المهملة وبالراء فى آخره ، صوابه من الديوان واللسان فى الموضع السابق وفى (٣ : ٢٥٠) .

(١) فيما عدا ل : « أن تساوى وأني فيك » . وما أثبت من ل يوافق ما فى شرح ديوان قيس بن الخطيم ٣٢ . وفى الشرح أيضاً : « وذلك أن السحر الرئة فإذا انقطعت لم يعش الإنسان » .

(٢) هذه من ل . وفى أصلها : « فيك » .

(٣) البيت فى ديوانه ٣٢ . والظعينة : الزوجة . استقلت : رحلت .

(٤) آيساً : يائساً . ﻫ : « أنسا » محرف . وانظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . وفى اللسان (٦ : ١٦) أن صريم سحر « معناه مصروم الرئة مقطوعها » .

أيَذْهَبُ ما جمعتُ صَرِيمَ سَحْرٍ ... ظَلِيفاً ، إنَّ ذَا لهوَ العجيبُ[(١)]

كَذَبْتُمْ والَّذِى رَفَعَ المعـالِي ... ولمَّا يُخْضَبِ الأَسَلُ الخضيبُ[(٢)]

(العصفور والضب)

وإذا وصفوا شـدّة الحرّ ، وصفوا كيفَ يُوفِي الحِرباء على العُود الجِذْل[(٣)] ، وكيف تلجأ العصافيرُ إلى جِحَرة[(٤)] الضِّباب من شدة الحرّ .

وقال أبو زُبَيد[(٥)] :

أىُّ ساعٍ سَعَى ليقطَعَ شِرْبى ... حين لاحَتْ للصّابح الجوزَاءُ[(٦)]

---

(١) كذا على الصواب فى ط ، هـ ؛ ولسان العرب (١٥ : ٢٢٩) . وفى ل : « الهوى عجيب » و س : « لهوى عجيب » . و « ظليفا » . يقال ذهب به مجانا ، وظليفا : إذا أخذه بغير ثمن . ويقال ذهب به ظليفا ، أي باطلا بغير حق . وفى الأصل : « طليقا » وصوابه من اللسان .

(٢) الأسل : الرماح . الخضيب : الذى خضب بالحمرة ، أراد الدم فى القتال .

(٣) يوفى : يشرف . وأوفى : أشرف . فيما عدا ل : « ترقى » وهو تحريف نص. والجذل ، بالكسر : أصل الشجرة . فيما عدا ل : « العود الجزل » تحريف .

(٤) جحرة ، بكسر ففتح : جمع جحر ، بالضم . ط : « حجر » . س . « حجرات » هـ : « الحجرات » تحريف .

(٥) هو أبو زبيد الطائي المترجم فى (٢ : ٢٧٤) . وفى الأغاني (٤ : ١٨١ ساسى) : « قال ابن الأعرابي : كان الوليد بن عقبة قد استعمل الربيع بن مرى بن أوس بن حارثة بن لأم الطائي على الحمى ، فيما بين الجزيرة وظهر الحيرة ، فأجدبت الجزيرة ، وكان أبو زبيد فى تغلب ، فخرج بهم ليرعيهم ، فأبى عليه الأوسى وقال : إن شئت أن أرعيك وحدك فعلت ، وإلا فلا ! فأتى أبو زبيد الوليد بن عقبة فأعطاه مابين القصور الحمر من الشام إلى القصور الحمر من الحيرة ، وجعلها له حمى ... وقال عمر بن شبة : فلما عزل الوليد وليها سعيد — وهو ابن العاصى — انتزعها منه وأخرجها من يده ، فقال ... » وأنشد القصيدة .

(٦) الشرب ، بالكسر : النصيب من الماء . والصابح : من صبحت الإبل : إذا سقيتها فى أول النهار ، والإبل مصبوحة ، والقوم صابحون ، كذا فى الجمهرة لابن دريد ؛ وأنشد هذا البيت . انظر الخزانة (٣ : ٢٨٣ بولاق) .

واستكنّ العصفورُ كَرْهاً مع الضَّبّ وأوفى في عُودِهِ الحِرباءُ[١]

ونفى الجُندبُ الحصى بكُراعيـه وأذْكَتْ نيرانها المعزاءُ[٢]

من سَمُومٍ كأنَّها لَفْحُ نارٍ صقرتها الهجيرةُ الغرّاءُ[٣]

٧٤ وأنشدوا[٤] :

تجاوزتُ والعُصفورُ في الجحر لاجئٌ مع الضبِّ والشِّقذانُ تسمو صدورها[٥]

قال : الشِّقْذان : الحَرابيّ[٦] . قوله : « تسمو » أي ترتفع[٧] على رأس العُود . والواحد من الشِّقْذان شَقَذان[٨] ، بتحريك القاف وفتح الشين .

---

(١) في الخزانة والشعراء ٦٠ والأغاني : « واستظل » . ورويت مرة أخرى في الأغاني : « واستكن » .

(٢) الكراع بالضم : الرجل . وفي اللسان (١٠ : ١٨٢) : « وكراعا الجندب رجلاه » وأنشد هذا البيت . ومثل هذه الرواية في الشعراء والخزانة والأغاني . وفي ل والأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٦٦) : « بذراعيه » . والمعزاء ، بالفتح : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٣) السموم ، بالفتح : الريح الحارة . واللفح : مصدر لفحته النار : أحرقته بحرها . فيما عدا ل : « نفح » مصحف . وروي : « حر نار » . صقرتها : اشتد وقعها وشدة حرها عليها . ل : « صفرتها » بالفاء ، وصوابه ما أثبت . وفيما عدا ل : « سجرتها » بمعنى أوقدتها . والهجيرة والهجير والهجر والهاجرة : نصف النهار عند اشتداد الحر . والغراء : البيضاء من شدة حر الشمس . انظر اللسان (٦ : ٣١٩) . فيما عدا ل « العماء » محرف . وفي الأغاني واللسان : « ظهيرة غراء » .

(٤) ل : « وأنشد للشاعر » . والبيت لذي الرمة كما في الديوان ٣٠٨ واللسان (٥ : ٣٠) .

(٥) الشقذان ، بالكسر : جمع شقذان ، بالتحريك ، ككروان وكروان . أو جمع شقذ ، كصرد ، أو شقذ ، بالفتح وبكسر ، وككتف وعنب وسبب . فيما عدا ل : « والشقران يسمو » ط ، هـ : « صريرها » س : « صرورها » محرف .

(٦) ط : « والشقران الحرباء » س ، هـ : « والشقران الجرا » صوابه في ل .

(٧) ط فقط : « يسمو » أي يرتفع .

(٨) فيما عدا ل : « الشقران شقران » محرف .

(عصافير النعمان)

وأكرم فحلٍ كان للعرَب من الإبل كانَ يسمى عصفوراً ، وتسمى أولاده عصافير النُّعمان[١] .

وكانوا يقولون : صنعَ به الملكُ كذا وكذا ، [وحَبَاه بكذا وكذا] ، ووهب له مائة من عصافيره .

وعصفور ، ودَاعِر[٢] ، وشاغِرٍ[٣] ، وذو الكَبْلين[٤] : فحولةُ إبل النعمان[٥] .

وعصافير الرَّحْل[٦] واحدها عصفور .

(عصفور القواس)

وعصفورُ القوَّاس إليــه تضاف القِسِيُّ العُصفورية[٧] . وقد ذكره

---

(١) هو النعمان بن المنذر . وانظر ما سبق فى (٣ : ٤١٨) . ط فقط : « عصافير » محرف .

(٢) داعر ، بالدال المهملة . وفيما عدا ل : « ذاعر » بالمعجمة ، تصحيف .

(٣) فى اللسان : (٦ : ٨٦) : « وأبو شاغر فحل من الإبل معروف كان لمالك بن المتفق » وفى القاموس : « وشاغر فحل من آبالهم » ، فيما عدا ل : « عامر » تحريف .

(٤) فى اللسان (١٤ : ١٠١) : « وذو الكبلين فحل كان فى الجاهلية ، كان ضبارا فى قيده » . ضبر المقيد : جمع قوائمه ووثب . والكبل ، بالفتح ويكسر : القيد . وفى الأصل : « ذو الكبلين » محرف .

(٥) ل ، س : « فحول » . وتاء فحولة هى مايسمونها تاء تأكيد الجمع .

(٦) عصافير الرحل : خشبات تكون فيه يشد بها رؤوس الأحناء . فيما عدا ل : « وعصافير الطير » تحريف .

(٧) لم يذكر هذا فى اللسان والقاموس . ط : « والرحل يسمى عصفور » س ، ه : « والرجل يسمى عصفور » إقحام وتحريف . وفيما عدا ل أيضاً « تضاف إليه » .

ابن يَسير[١] حين دعا[٢] على حمام له بالشّواهين ، والصُّقورة[٣] ، والسَّنانير والبنادق[٤] ، فقال[٥] :

مِنْ كلِّ أَكْلَفَ باتَ يُدْجِنُ لَيْلُه فغدا بغُدْوَةِ ساغِبٍ مَمْطُورِ[٦]

ضَرِمٍ يقلِّبُ طرفه مُتَأَنِّساً شيئاً فكُنَّ له من التقديرِ[٧]

يأتى لهنَّ ميامناً ومَياسراً صَكًّا بكلِّ مُذَلَّقٍ مطرورِ[٨]

لاينجُ منه شريدُهنَّ ، فإنْ نجا شيءٌ فصار بجانباتِ الدُّورِ[٩]

---

(١) هو محمد بن يسير الرياشى المترجم فى (١ : ٥٩) . فيما عدا ل : « بن بشير » مصحف .

(٢) ط فقط : « دعى » وهو تحريف .

(٣) فيما عدا ل : «والصقور» ، والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت . وانظر (٤ : ٤٧) ، والتنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٤) البنادق : جمع بندق ، ذاك الذي يرمى به .

(٥) كان محمد بن يسير قد طلب من أبي عمرو المدينى فراخا من الحمام الهدى (أي حمام الزاجل وفى أصل الأغانى : الهندى) فوعده أن يأخذها له من المثنى بن زهير ، ثم نورله — أي أعطاه فراخا غير منسوبة دلسها عليه — وأخذ المنسوبة لنفسه ، فدعا على حمام المدينى بهذا الشعر . انظر الأغانى (١٢ : ١٢٩ — ١٣١) .

(٦) الأكلف : ما لونه الكلفة ، وهى لون بين السواد والحمرة ، عنى الصقر . يدجن ، من قولهم : أدجنت السماء : دام مطرها . والساغب : الجائع . والممطور : الذي أصابه المطر : سه ، ه : « يدخن» وفيهما أيضا « بعدوة » تحريف .

(٧) الضرم ، ككتف : الشديد الجوع . والمتأنس : الذى ينظر رافعاً رأسه وطرفه . وضمير « كن » للحمام . أى كن مما قدر لهذا الصقر . فيما عدا ل : « يقلب كفه » ط : « مستأنسا » . وفيما عدا ل أيضا : « مسا فكر له » تحريفات .

(٨) الصك : الضرب . المذلق : المحدد . والمطرور : الذي طر ، أي حد . وقد عنى المخالب . سه ، ط : «مخطور» ه «ممطور» صوابه فى ل .

(٩) جانبات : جمع جانبة . والجانب : الغريب . أى إن نجا من الحمام شيء فقد صار إلى هذه الدور الغريبة . ط : « بجانيات » ه : « بجانبيان » س : « بجانبان » صوابه فى ل والأغانى .

لِمُشَمِّرِينَ عن السَّواعدِ حُسَّرٍ ... عنها بكلِّ رَشيقةِ التَّوَتِيرِ(١)

لَيسَ الذى تُشوِى يداه رَمِيَّةً ... فيهم بمعتذِرٍ ولا مفْـــذُورِ(٢)

يتبوَّعون مع الشروق غُدَيَّةً ... فى كل مُعْطِيَةِ الجذابِ نَتُورِ(٣)

عُطْفُ السِّيَات موانع فى بذْلها ... تُعْزَى إذا نُسِبَتْ إلى عصفورِ(٤)

يَنْفُثْنَ عن جَذْبِ الأكفِّ سَوَاسِياً ... مُتشابهاتٍ صُغْنَ بالتَّدْوِيرِ(٥)

تجرى لهـــا مُهَجُ النفوسِ وإنَّها ... لَنَواصِلٌ سُلُبٌ من التَّحْسِيرِ(٦)

---

(١) مشمرين عن السواعد ، عنى الصيادين بالسهام . والتوتير : شد وتر القوس ونحوها . يقول : قد صرن إلى هؤلاء الصيادين . ل : « فشمرين » وفى سائر النسخ : « بمشمرين » ووجهه ما أثبت من الأغانى . وفيما عدا ل : « من السواعد » تحريف . وفى ط : « لكل » .

(٢) أشوى الرمية : لم يصب الصيد الذى يرميه . ل : « يشوى » ط ، ه : « برمية » وهذه تحريف صوابهما فى ل ، سه والبيان (٣ : ٤١) .

(٣) يتبوع : يمد باعه ويملأ مابين خطوه . معطية الجذاب ، أى عند المجاذبة ، عنى القوس . والمعطية : اللينة ، ليست بكزة ولا ممتنعة على من يمد وترها . والنتور : الشديدة الجذب . فما عدا ل : « معطية الحراب » وفى الأغانى : «طائفة الجدار» تحريف . ط والأغانى : « يتور » سه : « تبور » ه : « بثور» صوابه في ل .

(٤) سية القوس : ما عطف من طرفيها . والعطف : جمع عطفاء ، وهى المنحنية . ط : « الشبات » سه : « الثبات » ه : « السبات » صوابه فى ل : والبيان (٣ : ٤١)

(٥) ينفثن ، من النفث ، وهو النفخ . وفيما عدا ل : « ينفين » وهذه صحيحة أيضا . و « جذب » فيما عدا ل : « حرب » . وفى الأغانى « حدب » محرف . سواسيا : متشابهات . وتد عنى السهام . يقال سواسية وسواس وسواسوة . صغن ، بالبناء للمفعول من صاغ يصوغ . وفى الأغانى : « متشابهات القد والتدوير » وفيما عدا ل : « صفن » محرف .

(٦) المهج : جمع مهجة ، وهي دم القلب . نواصل : قد نصل ريشهن . والسلب : جمع سليب ، وأصلها الشجرة قد سلبت ورقها وأغصانها . والتحسير : سقوط ريش الطائر . ط ، سه : « مبهج » ه : «نهج» صوابه فى ل والأغاني : ل ، ط ، سه : «لتواصل» ه : « لهواصل » والأغانى «لنواصل» صوابه ما أثبت . ط ، سه والأغاني : « سلت » صوابه في ل ، ه . و« التحسير » هى فى ط ، ه : « التخسير » صوابها فى ل ، سه .

ما إنْ يَنِى مُتبايِنٌ مُتباعِدٌ في الجوِّ يحسِرُ طَرفَ كلِّ بصيرِ[1]
عن سَمْتِهِنَّ إذا قصدْنَ لجمعِهِ متقطِّرًا متضَمِّخاً بعَبِـيرِ[2]
فيؤوب ناجِيهِنَّ بينَ مُجَلْهَقٍ دامٍ ومخلوبٍ إلى مَنْسورِ[3]
عارِى الجناحِ من القوادمِ والقَرَا كاسٍ عليـه بصائرُ التامورِ[4]

(شعر في العصفور)

وقال أبو السَّرِىّ[5] ، وهو مَعْدَانُ الأعمى المديبرىّ[6] ، وهو يذكر
٧٥ ظهورَ الإمام ، وأشراطَ خُروجه ، فقال :

---

(١) ما ينى : ما يبطئ . يحسر الطرف : يجعل العين تكل ، من شدة بعده . ط ، س : « ما إن بني » هـ : « ما إن فى » صوابه فى ل .

(٢) السمت : القصد . ل : « شمتهن » وسائر النسخ : «شبههن» . أراد عن قصد السهام لهذا المتباعد المتباين من الحمام . متقطر : ساقط على قطره أى جانبه . والمتضمخ : المتطيب . والعبير : أخلاط من الطيب . جعل هذه الحمام ، وقد أصابتها السهام فسالت دماؤها كأنما تضمخن بالعبير ، ولونه لون الدم .

(٣) المجلهق : الذى أصيب بالجلاهق . والجلاهق ، بضم الجيم وكسر الهاء : الطين المدور المدماق يرمى به عن القوس ، فارسى معرب . انظر المعرب للجواليقى ٩٦ . والمخلوب : الذى خلبه الجارح بمخلبه . والمنسور : الذي نسره بمنسره ، وهو منقاره . فيما عدا ل : « مخلص » و « مجلوب » تحريف .

(٤) القوادم : ريشات فى مقدم الجناح . والقرا : الظهر . والبصائر : جمع بصيرة ، وهى الدم ، أو الدفعة منه . قال :

راحوا بصائرهم على أكتافهم وبصيرتي يعدو بها عتد وأى

أى تركوا دم أبيهم خلفهم ، ولم يثأروا به ، وطلبته أنا . والتامور : دم القلب أو غلافه . عنى أن السهام قد ذهبت بريش جناحه ، ونفدت من قلبه إلي ظهره ، فكسته ثوبا من الدماء . فيما عدا ل : « والعرى كاس » و « بصائر التاهور » .

(٥) فيما عدا ل : « ابن السرى » .

(٦) معدان الأعمى ، هو أحد الشميطية ، سبق الحديث عنه فى (٢ : ٢٦٨) . والمديبري : نسبة إلى المدبير ، على هيئة تصغير مدبر ضد المقبل : موضع قرب الرقة . فيما عدا ل : « الدينور » .

في زمانٍ تبيضُ فيه الخفافيـ ... ـشُ ونسقَى سُلافةَ الجِرْيالِ[1]

ويقيمُ العُصفورُ سِلماً مع الأيْـ ... ـمِ وتحمِي الذِّئابُ لحمَ السِّخالِ[2]

يقول : إذا ظهر الإمامُ فآيةُ ذلك أنْ تبيض الخفافيش ــ وهي اليومَ تلِدُ ــ وتحلُّ لنا الخمرُ ، وتسالِمُ الحيّاتُ العصافيرَ ، والذئابُ السِّخالَ .

(سجود عيسى بن عقبة)

وروَوْا في طولِ سجود عيسى بنِ عُقبة ، أنه كان يطيل ذلك حتى يظنّ العصفورُ أنه كالشيء الذي لايخافُ جانبه[3] ، وحتى يظنّ العصفورُ أنه سارية[4] ، فيسقط عليه .

وذكر عُمَرُ بن الفضل[5] ، عن الأعمش ، عن يزيد بن حيّان[6] قال :

---

(١) الجريال ، بالكسر : صفوة الخمر . وفي اللسان : « وزعم الأصمعي أن الجريال اسم أعجمي رومي عرب ، كأن أصله كريال » . وعند الجواليقي ١٠٣ « وزعم الأصمعي أنه رومي معرب ، تكلمت به العرب الفصحاء قديماً . قال الأعشى :

وسبيئة مما تعتق بابل ... كدم الذبيح سلبتها جريالها »

قال فرنكل : إنها مشتقة من اليوناني : أي المرجان . انظر ادي شير ٤٠ . والخفافيش لا تبيض وإنما تلد . والجريال أي الخمر محرمة . فهو يشير إلى أن وقت ظهور الإمام وقت عجيب . ل : « يبيض » و« يسقى » . وفي س ، ﻫ : « وتسقى » .

(٢) الأيم ، بالفتح والكسر : الحية الأبيض اللطيف . والحيات لها ولوع بابتلاع بيض العصافير ونحوها . انظر (٣ : ٤٩٩) . والسخال : جمع سخلة ، وهي ولد الشاة . ل ، ﻫ : « ويحمى » سمه : « ويحمى » بالإهمال .

(٣) ل : ناحيته » والكلام بعدها إلى «سارية » ساقط من ل .

(٤) السارية : الأسطوانة ، وقيل : أسطوانة من حجارة وآجر . وجمعها السواري .

(٥) هو عمر بن الفضل السلمي ، أو الحرشي بفتح المهملتين وبالشين ، البصري . روي عن نعيم بن زيد ، ورقبة بن مصقلة ، وأبي العلاء بن الشخير وحبة بنت عبد الله وعنه ابن المبارك ، ويحيي القطان ، وحرمي بن عمارة ، وغيرهم . تهذيب التهذيب (٥ : ٧٥) . ط ، ﻫ : « عمر بن أبي الفضل » سمه: « عمران بن الفضل » ل : « عمر بن أبي الفضل » وصواب كل ذلك ما أثبت .

(٦) يزيد بن حيان ، بفتح المهملة بعدها مثناة تحتية ، التيمي الكوفي ، ثقة من الرابعة روى عن زيد بن أرقم ، وشبرمة بن الطفيل ، وكدير الضبي ، وعنبس بن عقبة ، =

كان عيسى بن عقبة[١] إذا سجد وقعت العصافيرُ عَلَى ظهره؛ من طول سجوده[٢]. [وكان محمدُ بنُ طلحةَ[٣] يسجدُ حتى إن العصافير لَيَسْقُطْنَ على ظهره ما يَحسِبنَهُ إلا حائطاً].

(مثل الشيخ والعصفور)

وفى المثل أن شيخاً نصَبَ للعصافير فخّاً فارْتَبْنَ به وبالفخ[٤]، وضربه البرد[٥]، فكلما مشى إلى الفخِّ وقد انضم عَلَى عصفور[٦]، فقبض عليه

= وعنه ابن أخيه، والأعمش، وفطر بن خليفة، وسعيد بن مسروق الثورى. قال النسائى: ثقة. وذكره ابن حبان فى الثقات. انظر تهذيب التهذيب (١١: ٣٣١). ل: «زيد» سه: «بن جان» صوابه ما أثبت.

(١) عيسى بن عقبة، لم أعثر له على ترجمة. وفى للولاة والقضاة للكندى ص ٩٩ من اسمه «عيسى بن عبدة بن عقبة نافع». وفى ط، هـ: «يزيد بن عقبة» ذكره ابن حبان فى الثقات، ويروى عن ابن بريدة والضحاك. لسان الميزان (٦: ٢٩١).

(٢) فى عيون الأخبار (٢: ٣٦٥): «كان عيسى بن عقبة يسجد، حتى إن العصافير ليقعن على ظهره وينزلن، ما يحسبنه إلا جرم حائط».

(٣) هو محمد بن طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. وأبوه طلحة من العشرة المسمين بالجنة. وكان محمد عابداً زاهداً، وكان يقال له: «السجاد». وشهد يوم الجمل، ونهى عنه على وقال: إياكم وصاحب البرنس، فقتله رجل، وأنشأ يقول:

وأشعث قوام بآيات ربه ... قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
أمكنه بالرمح حضنى قيصه ... فخر صريعاً لليدين وللفم
على غير شىء غير أن ليس تابعاً ... علياً ومن لا يتبع الحق يظلم
يناشدنى حاميم والرمح شاجر ... فهلا تلا حاميم قبل التقدم

انظر المعارف ١٠١ — ١٠٢ مصر، ١١٩ جوتنجن.

(٤) ارتبن، من الريبة. وفى ل: «فارتبن» وفى سائر النسخ: «فارتبق» صوابه ما أثبت.

(٥) فيما عدا ل: «فضربه».

(٦) ط، هـ: «إلى العصفور» صوابه ما أثبت من ل. وفى سه: «على العصفور».

ودقّ جناحه(١) ، وألقاه في وعائه ، دَمعت عينُه مما كان يَصُكُّ(٢) وجهَه من بَرْد الشَّمال . قال : فتوامَرَت العصافيرُ بأمره(٣) وقلن : لا بأس عليكُنّ(٤) ، فإنه شيخٌ صالحٌ رحيم رقيقُ الدَّمعة ! قال : فقال عصفورٌ منها : لاتنظروا إلى دموع عينَيه ، ولكن انظروا إلى عمل يديه(٥) !

(استطراد)

ومن أمثال العامّة للشيء تتعرّفه بغير مؤُونة(٦) : « الحجرُ مجّان ، والعصفور مجّان(٧) ! » .

---

(١) دق جناحه : كسره ، ليمنعه من الطيران . فيما عدا ل : « وقبض على جناحه » .

(٢) يصك : يضرب . فيما عدا ل : « يصد » تحريف . ط ، س : « وقد دمعت » بإقحام « وقد » وفي هـ : « ودمعت » بإقحام الواو .

(٣) توامرت : تآمرت ، أي تشاورت . وإبدال الهمزة في مثله واو ، لغة عامية . يقولون : واكلته ، ووازيته ، وواجرته ، وواخذته ، ووامرته ، وواخيته ، وواسيته ، ووازرته ، وواتيته . والوجه في ذلك كله الهمز . انظر أدب الكاتب ٢٦٩ — ٢٧٠ سلفية ، وبحر العوام ١٠٢ قال : « ومن ذلك قولهم : واخيته في آخيته بالمد ، إلا أنها لغة ضعيفة » . وقد عللها التبريزي بقوله : وإنما حملهم على إثبات الواو في الماضي أنهم قالوا في المضارع والمفعول : يواسي ومواسى ، فحسن تخفيف الهمزة بضم ما قبلها فجاؤوا به في الماضي كذلك » . انظر شفاء الغليل ١٧ في الكلام على « آساه » . ل : « بالتمرة » موضع « بأمره » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عليكن » .

(٥) كلمة « لكن » ساقطة من ل . وقد التفت إلى هذا المعنى ديك الجن ، وكان قد قتل زوجه ثم أسف عليها فقال (انظر الأغاني ١٢ : ١٣٩) :

يقول قتلتها سفهاً وجهلا   وتبكيها بكاء ليس يجدى
كصياد الطيور له انتحاب   عليها وهو يذبحها بحد

(٦) ط ، هـ « وفي أمثال » ط : « فيمن يتصرف » س ، هـ : « يتعرفه » .

(٧) المجان : الكثير الكافي ، أو عطية الشيء بلا منة ولا ثمن . وقال الأزهري : العرب تقول : تمر مجان وماء مجان ، يريدن أنه كثير كاف . قال : واستطعمني أعرابي تمراً فأطعمته كتلة ، واعتذرت إليه من قلته فقال : هذا والله مجان ، أي كثير كاف . وفي اللسان (١٧ : ٢٨٧ س ٣) : « وقولهم : أخذه مجانا أي بلا بدل » . وهذا نص في وجه من زعم خطأ هذه العبارة .

قال : ويقال عِصفور وعِصفورة . وأنشدَ قوله[1] :

ولو أنها عصفورةٌ لحسبْتَها مُسَوَّمَةً تدعو عُبيداً وأزنما[2]

(شعر فيما يصوره الفزع)

وقال فى هذا المعنى جريرٌ[3] ، وإن لم يكن ذكر العصفور ، [حيث يقول] :

ما زلتَ تحسِبُ كلَّ شىء بَعْدَهم خيلاً تشدُّ عليكم ورجالا[4]

قال يُونس : أخذَ هذا المعنى من قولِ الله[5] : ﴿ يَحْسَبُونَ كلَّ صيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ[6] ﴾ .

وقال الشاعر[7] :

كأن بِلادَ اللهِ وهْىَ عريضةٌ عَلَى الخائفِ المطلوبِ كِفّةُ حابِلِ[8]

---

(١) هو العوام بن شوذب الشيبانى . جاهلى . يقوله لبسطام بن قيس وأسرته بنو يربوع يوم غبيط الفردوس — فى أصل معجم المرزبانى : المروت ، صوابه فى معجم البلدان (٦ : ٢٦٧ ، ٣٥٧) — وفرعن قومه يوم العظالى . انظر معجم المرزبانى ٣٠٠ والنقائض (٤٨٤ — ٤٨٥) وعيون الأخبار (١ : ١٦٦) واللسان (١٥ : ١٦٩) ومعجم البلدان (٦ : ١٨٦) . والذى أسره هو عتيبة بن الحارث بن شهاب اليربوعى ، ففدى نفسه بأربعمائة ناقة ، ثم أطلقه وجز ناصيته . معجم البلدان (٦ : ٢٦٧) .

(٢) المسومة : الخيل المعلمة بعلامة ، أوالمرسلة وعليها ركبانها . وعبيد : هم بنوعبيد بن ثعلبة . وأزنم : هم بنوأزنم بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع . ط : « عتيكا وأرنما » س ، هـ : « عتيكا وأزنما » صوابه فى ل .

(٣) يهجو الأخطل من قصيدة فى ديوانه ٤٤٨ — ٤٥٣ . وقبل البيت :

حملت عليك حماة قيس خيلها شعثاً عوابس تحمل الأبطالا

(٤) فيما عدا ل : « تشد عليهم » والوجه ما أثبت من ل ، والديوان ، والمختار من شعر بشار ٩ ، وفيه : « تكر عليكم » . وصدره فى المختار : « تركوك تحسب » .

(٥) فيما عدا ل : « أخذ والله هذا المعنى من قول الله تعالى » .

(٦) من الآية ٤ فى سورة المنافقون . وبعدها فى ل : « فاحذرهم قاتلهم الله » .

(٧) البيتان فى الكامل ٥٠٨ ومجموعة المعانى ١٣٨ .

(٨) كفة الصائد ، بالكسر : حبالته . والحابل : الصائد ذو الحبالة .

يُؤَدِّى إليــه أنَّ كلَّ ثنيَّةٍ ... تَيَمَّمَهَا تَرْمِى إليــه بقاتِلِ[1]

وقال بشّارٌ فى شبيه ذلك :

كأنَّ فؤادَه كُرةٌ تَنَزَّى ... حِذَارَ البَيْنِ لو نَفَعَ الحِذَارُ[2]

جَفَتْ عَيْنِى عن التّغميض حتى ... كأنّ جفونها عنه قصارُ[3]

يروِّعُه السِّرَارُ بكلِّ أمْرٍ ... مخافَةَ أن يكونَ به السِّرارُ[4] ٧٦

وقال عُبيدُ بن أيُّوب :

لقد خِفْتُ حتى لو تطيرُ حمامةٌ ... لقلتُ عدُوٌّ أو طليعةُ مَعْشَرِ[5]

فإنْ قيلَ خيرٌ قلتُ هــذا خديعةٌ ... و إن قيل شَرٌّ قلتُ حقًّا فشمِّرِ[6]

وخِفْتُ خليلى ذَا الصّــفاء ورابَنى ... وقلتُ فلانا أو فُلاَنَةَ فاحْذَرِ[7]

وقال أبانُ اللاَّحقىُّ[8] :

اخفِضِ الصّوتَ إنْ نَطَقْتَ بليلٍ ... والتَفِتْ بالنهار قبــل الــكلامِ

(حديث الغاضرى)

ومن مُلح أحاديثِ الأصمعىّ ، قال : حدّثنى شيخٌ من أهل المدينة وكان عالىَ السِّنِّ[9] قال : قال الغاضرى[10] : كانت هذه الأرضُ لقومٍ

---

(١) ل : « تؤدي » وفى الكامل : « يؤتى » . تيممها : قصدها .

(٢) تنزى : تتنزى ، أى تتوثب .

(٣) فيما عدا ل : « فيها قطار » تحريف . وفى الكامل ٤٥٧ والشعراء ١٧٨ : « عنها قصار » . التذكير للتغميض ، والتأنيث للعين .

(٤) السرار : المسارة . فيما عدا ل : « بكل أرض » . ورواية ل تطابق رواية الكامل ٤٥٦ .

(٥) فيما عدا ل وكذا مجموعة المعانى ٧٧ : « لو تمر » .

(٦) س ، هـ : « قلت هذى خديعة » . وهذا البيت هو الثالث فى مجموعة المعانى .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٤٨) .

(٨) فى مجموعة المعانى : « مقال فلان أو فلانة » .

(٩) السن : العمر . و الواو ساقطة من ل .

(١٠) الغاضرى ، من أصحاب الفكاهة والنادرة ، لا يعرف إلا بهذا الإسم . وفى الأغانى (١٧ : ١٠١) : « كان الغاضرى لقيطا منبوذا لا يعرف له أب » . وفيها : « كان الغاضري مندر أهل المدينة » أى الذي يطرفهم بالنوادر . وكان معاصراً =

ابتدءوها وشقُّوها[١] ، وكانت الثمرة إذا أدركتْ قال قائلهم [لقيِّمه] : اثلُم الحائط ، ليصيبَ المارُّ مما فيه والمعْتَفى[٢] . ثم يقول : أرْسِلْ إلى [آل] فلان بكذا وكذا ، وإلى [آل] فلان بكذا وكذا . فإذا بيعَت[٣] الثمرة قال : أرسل[٤] إلى فلان بكذا وكذا من دينار ، وإلى فلان بكذا وكذا . فيضجُّ الوكيل[٥] . فيقول : ما أنت وهذا ؟ ! لا أمَّ لك ! فلما عُمِرت الأرضون وأغَنَّتْ[٦] أقْطِعَها[٧] قومٌ سواهم ، فإنَّ[٨] أحدهم ليسدُّ حائطه ، ويصغِّر بابَه ، ثم يُدْلِجُ[٩] [فيمرُّ] فيقول : ماهذه الثُّلمة[١٠] ؟ ! ويستطيف[١١] من وراء الحائط ، فهو أطول من مَعقِل أبي كريز[١٢] .

= لأشعب الطماع أحد أبطال الفكاهة ، وكانت بينهما فى ذلك الفن منافسة شديدة . وقد مات أشعب سنة أربع وخمسين ومائة ، كما فى الأغانى (١٧ : ٨٣) . وفى عيون الأخبار (٢ : ٥٢) : « أبو حاتم عن الأصمعى عن نافع قال : كان الغاضري من أحمق الناس . فقيل له : ما حمقه ؟ ... قال : قال لى مرة : البحر من حفره ؟ وها حفر فأين نبيثته ؟ أترى أمير المؤمنين يقدر على أن يحفر مثله فى ثلاثة أيام ؟ » . وقد صنع فى أخباره كتاب من كتب أحاديث البطالين ، لا يعرف من ألفه . انظر ابن النديم ٤٣٥ . وانظر بعض أخباره فى البخلاء ١٧٧ والأغانى (٥ : ١٣٢) وأمالي القالى (٢ : ٢٤٢) . ط ، هـ : « العاصرى » س : « القاصرى » صوابه فى ل .

(١) ط ، هـ : « ابتدؤها » ط ، هـ ، س : « وسلقوها » تحريف .

(٢) المعتفى : طالب المعروف . هـ : « والمقتفى » محرفة .

(٣) ط فقط : « ييمت » . تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فأرسل » بدل : « قال أرسل » .

(٥) يضج : يصيح . وفى ل : « فيصيح الوكيل » .

(٦) أغنت : كثر عشبها وشجرها . والوادى المغن : المخصب المعشب . وقالوا : قرية غناء : جمة الأهل والبنيان والعشب . ل : « أغبت » . هـ : « أعنت » محرفة .

(٧) الإقطاع : أن يعطيه قطعة من الأرض . فيما عدا ل : « اقتطعها » .

(٨) فيما عدا ل : « وإن » .

(٩) أدلج : سار من أول الليل . وادلج بتشديد الدال على الافتعال : سار من آخره .

(١٠) الثلمة ، بالضم : الفرجة . فيما عدا ل : « النملة » !

(١١) استطاف : طاف ودار حول الشئ . ط ، هـ : « فأرسل يستطيف » صوابه فى ، ل ، س

(١٢) المعقل : الحصن . ل : « أقرب من معقل أبى كرز » .

وإذا دخل حائطه دخل معه بقَذَّافة ، فاذا رأى العصفورَ على القنا[1] رماه فيقع العصفورُ مَشْوِيًّا على قُرْص ، والقُرْص كالعصفور[2] .

(العصافير الهبيرية)

وبحمْص العصافيرُ الهُبَيرّية ، وهى تطعم على رفوف[4] . وتكون أسمَنَ من السُّمانَى . وأطيبَ من كل طير[5] . وهى تُهدَى إلى ملوكنا . وهى قليلةٌ هناك .

(شعر فى نطق العصفور)

وقال الرّاعى :

ما زال يركبُ رَوْقَيهِ وكَلْكَلَه حتى استثار سَفاة دونها الثَّأَدُ[6]

(١) كذا على الصواب فى ط ، ه . والقنا ، بالكسر وبالفتح : القنو ، وهو عذق النخلة بما فيه من الرطب . وفى ل ، س : « على الفناء » . والفناء ، بالكسر : الساحة ، وليس لها هنا وجه . وموضع هذه الكلمة والحرف قبلها بعد كلمة : « رماه » فى جميع النسخ ما عدا ل .

(٢) القرص : قرص الخبز ، أى الرغيف . فيما عدا ل : « والقرص من هذا العصفور » .

(٣) حمص : إحدى مدن الشام . فيما عدا ل : « ويحص » تحريف .

(٤) الرفوف : جمع رف ، وهو خشب يرفع عن الأرض إلى جنب الجدار يوق به ما يوضع عليه . فيما عدا ل : « رفرف » وأصل الرفرف الرف يجعل عليه طرائف البيت .

(٥) فيما عدا ل : « طيب » . وله وجه .

(٦) الروق ، بالفتح : القرن . والكلكل : الصدر . والسفاة : التراب تسفيه الريح ، جمعه سفى . والثأد ، بالتحريك . الثرى . فيما عدا ل : « ويخلطه حتى استناد سفاها » تحريف . والبيتان فى صفة ثور وحشى .

حتى إذا نَطَقَ العصفورُ وانــكشفَتْ عَمَايةُ الليــل عنه وهو مُعتمِدُ[١]

وقال الراعى :

وأصْفَرَ مجدول من القِدِّ مارِن يُلاثُ بعينَيها فيُلْوى ويُطْلَقُ[٢]

لَدَى ساعِدَىْ مَهْرِيّة شَدَنيةٍ أُنيخَتْ قليلا والعصافيرُ تنطقُ[٣]

(صيد العصافير)

قال : وتُصاد العصافيرُ بأهونِ حيلة . وذلك أنهم يعملون لها مِصْيَدَةً ، ويجعلون لها سَلَّةً[٤] فى صورة المِحْبَرة التى يقال لها : اليهودية[٥] ، المنكوسة الأنبوبة ؛ ثم يُنْزَل[٦] فى جوفها عصفورٌ واحد ، فتنقضُّ عليه العصافيرُ ويدْخُلْن عليه ، وما دخل منها فإنه لايجد[٧] سبيلاً إلى الخروج منها[٨] .

77

(١) عماية الليل : ظلمته . وأصل العماية السحابة الكثيفة المطبقة ، يقال عماية وعماءة . معتمد : يسرى طول الليل ، وأصله من قولهم « اعتمد فلان ليلته : إذا ركبها يسرى فيها » .

(٢) عنى بالأصفر المجدول زمام الناقة . القد : السير يقد من جلد غير مدبوغ . والمارن : اللين ، مرن الجلد : لان . يلاث : اللوث الطى واللى . ل : « وصقرو مجدول » صوابه فى سائر النسخ . وفيما عدا ل : « من العد مارق ثلاث بعينيها فيلوى ويهرق » تحريف صوابه فى ل .

(٣) المهرية : الناقة المنسوبة إلى مهرة بن حيدان ، حى من أحياء العرب . والشدنية : المنسوبة إلى شدن، وهو موضع باليمن ، أو رجل: أو فحل كريم. فيما عدا ل : « سدنية » تصحيف . أنيخت : أبركت . ط ، ھ : « تعلي » س « تعل » صوابهما فى ل . وفى ط : « بليل » موضع : « قليلا » وفى سه ، ھ « بليلا » صوابه فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « بنية » وأثبت ما فى ل وأصل عيون الأخبار (٢ : ٩٥) . وفى العقد (٤ : ٢٦٣) : « شبكة » .

(٥) ھ : « الهودية » .

(٦) ل : « يترك » . وفى عيون الأخبار : « يجعل » .

(٧) فيما عدا ل : « وما دخل منها لم يجد » .

(٨) ليست في ل ، سه وعيون الأخبار .

فيصيد الرجُلُ منها فى اليوم [الواحد(١)] المئين(٢) وهو وادع ، وهنّ أسرعُ إلى ذلك العصفورِ من الطير إلى البُوم(٣) إذا جُعِلن فى المصائِد(٤) .

ومتى أخذ رجلٌ(٥) فراخ العصافير من أوكارها ؛ فوضعها فى قفص بحيثُ(٦) تراها الآباء والأمّهات ، فإنها تأتيها بالطُّعم على الخطَر الشديد ، والخوف من الناس والسّنانير ، مع شدة حذرها ، ودِقّة حسِّها(٧) . ليس ذلك إلا لبرّها بأولادها ، و[شدة] حبّها [لها] .

(القول فى العقارب والفأر والسنانير)

نقول فى العقارب والفأرِ والجرذَان بما أمكن من القول(٨) . وإنما ذكرنا العقارِبَ مع ذكرنا للفأر ، للعداوة التى بين الفأر والعقارب . كما رأينا أن نذكُرَ السّنانير فى باب [ذكر] الفأرِ ، للعداوة التى بينهما .

فإن قلت : قد عرَفنا عداوة الفأر للعقرب ، فكيف تُعادى الفأرةُ السّنور ، والفأرة لاتقاوم السنّور(٩) ؟!

قيل : لعَمرى إن جِرذانَ أنطاكِيَةَ لَتُساجِلُ السنانيرَ فى الحربِ التى

---

(١) من ل وعيون الأخبار .

(٢) المئين : جمع مائة . فيما عدا ل : « المائتين » وفى عيون الأخبار : « مائتين » .

(٣) ط ، سه : « وهى أسرع » . وفى ط : « إلى البر » هـ « إلى البو » س . «إلى البوا» صوابه فى ل .

(٤) كذا بالهمز . والوجه بالياء . وانظر ما سبق فى (٤ : ٤٣ ، ١٤٢) .

(٥) فيما عدا ل : « الرجل » .

(٦) فيما عدا ل : « حيث » .

(٧) ط ، هـ : « ورقة حسها » بالراء . والوجه ما أثبت من ل ، سه .

(٨) بدل هذه العبارة فيما عدا ل : « القول فى الفأر والجرذان والسنانير والعقارب قال» .

(٩) فيما عدا ل : « لا تقاومه » .

بينهما ، ومايقوم لها ولايقوى عليها[١] إلا الواحد بَعْدَ الوَاحِدِ . وهى بخُراسانَ قويةٌ جدًّا ، وربما قطعتْ أُذُنَ النائم[٢] .

وفى الفأر ما إذا عضّ قتل . أخبرني أبو يونس الشريطى[٣] أنه عاين ذلك .

وأنا رأيتُ سنَّوراً عندنا ساور[٤] جُرذاً فى بيت الحطَب فأفلَتَ الجرَذُ منه وقد فقأ عينَ السنَّوْر .

(قتال الحيوان)

والقتالُ يكونُ بين الدِّيَكةِ[٥] ، و[بين] الكباشِ والكلاب والسُّمَانَى[٦] [والقبَج] ، وضروبٍ مما يقبل التَّحريشَ ، ويواثبُ عند الإغراء .

(قتال الجرذان)

ويزعمون أنهم لم يرَوا قتالا قطُّ بينَ بهيمتين [ولا سبعين] أشدَّ من قتال يكونُ بين جُرذين . فإذا ربط أحدُهما بطرَف خيطٍ ، وشُدَّ رِجْل

(١) فيما عدا ل : « وما تقوم لها » ط ، هـ : « وما تقدر عليها » س : « ولا تقدر » وأثبت ما فى ل .
(٢) ل : « الناس » .
(٣) فيما عدا ل : « أبوزيد يونس الشرطى » . ولم أعثر له على ترجمة .
(٤) ل : « واثب » .
(٥) الديكة ، بكسر الدال وفتح الياء : جمع ديك . فيما عدا ل : « الديك » تحريف .
(٦) السمانى ، بضم ففتح مع التخفيف ، قال الجوهرى : « ولا تقل سمانى بالتشديد » . وهوطائر من رتبة الدجاج وفصيلة التدرج وهومن الطيور القواطع ، تأتى إلينا فى شهر سبتمبر ، وتعود فى مارس وإبريل . واسمه عند العامة فى مصر « سمان » بكسر السين وتشديد الميم . وهى « السلوى » التى نص عليها القرآن الكريم . وهو بالإنكليزية : Quail وباللاتينية : Quaquila . ط : « السنانير » صوابه في سائر النسخ .

الآخر[1] بالطَّرَف الآخر [من الخيط] فلهما عند ذلك من الخَلب والخَمْش[2] والعضِّ ، والتّنْييبِ[3] والعِفاس[4] ، مالا يوجد بين شيئين من ذوات العِقار[5] والهراش . إلا أن ذلك ما داما فى الرِّباط ، فاذا انحلَّ أو انقطع[6] ولَّى كلٌّ واحد منهما عن صاحبه ، وهربَ فى الأرض ، وأخذ فى خلاف جهته الآخر[7] . وإن جُعِلا فى إناء من قوارير[8] ، أعنى الجُرذَ والعقرب ، وإنما ذكرتُ القوارير ، لأنها لاتستر عن أعيُن الناس صَنيعَهما[9] ، ولا يستطيعان الخروجَ ؛ لمَلاسة الحيطان . فالفأرة عند ذلك تختِلُ العقربَ .

---

(١) كلمة « رجل » ساقطة من ل . وقد سبق فى (٢ : ١٦٤) : « حتى يشد رجل أحدهما فى طرف خيط » .

(٢) الخلب ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح . فيما عدا ل : « إجلب » بالجيم ، تصحيف والخمش ، بالخاء المعجمة : الخدش والجرح أيضا . فيما عدا ل : « الجمش » . وإنما الجمش المغازلة والملاعبة ، كالتجميش .

(٣) التنييب : إنشاب الأنياب . وفى حديث زيد بن ثابت : «أن ذئباً نيب فى شاة فذبحوها بمروة » . ط : « التشبث » س ، هـ : « التثبيت » صوابه فى ل .

(٤) العفاس ، بالعين بعدها فاء ، مصدر عافسه . وهو من العفس وهو أن يصرع الرجل الرجل . وقالوا : اعتفس القوم : اصطرعوا . ولم تنص المعاجم على عافسه عفاساً . فيما عدا ل : « الفقاس » . والذى فى المعاجم : تفاقسا بشعورهما ورؤوسهما : تجاذبا وكذلك تقافسا ، بتقديم القاف على الفاء . وفى ل : « العقاس » بعين بعدها قاف ، صوابه بالفاء كما أثبت .

(٥) العقار : مصدر كالمعاقرة . انظر اللسان (٦ : ٢٧٥ س ٢١) . ل : « « العفار » لعلها « العفاس » التى فسرت فى التنبيه السابق ، أو لعلها مصدر لعافره . وهذا الفعل لم يذكر فى المعاجم . وفيها عفره : ضرب به الأرض .

(٦) ط ، هـ : « انحلا وانقطع » س : « انحلا وانقطعا » صوابه من ل . وفى (٢ : ١٦٤) : « فاذا انقطع الخيط وانحل العقد » .

(٧) فيما عدا ل : « فى الأرض وهرب كل واحد خلاف جهة الآخر » .

(٨) القوارير : جمع قارورة ، وهى ذاك الإناء الزجاجى . ل : « وإن جعل الفأرة والعقرب فى إناء من قوارير » . والجملة التى تليها ليست فى ل .

(٩) ل : « وإنما ذكرنا القوارير لأنه يستتر عن عيون الناس صنيعهما » .

فإن قبضَتْ على إبرتِها قرضَتها[١] ، وإن ضربتها العقربُ ضرباً كثيراً فاستنفدَتْ سمّها[٢] كان [ذلك] من أسباب حتفها .

(قتال العقارب والجرذان)

٧٨ ودخلت مرةً أنا وحَمْدان [بن] الصباح[٣] علَى عبيد [بن] الشوُّنيزى[٤] فإذا عنده بَرِنيّة زُجاج[٥] ، فيها عشرون عقرباً وعشرون فأرةً[٦] ، فإذا هى تقتتل[٧] ، فخيِّل لى أن تلك الفأرَ قد اعتراها ورمٌ من شدةِ وقْع اللسع . ورأيت العقاربَ قد كلَّتْ عنها وتاركتْها ، ولم أر إلا هذا المقدارَ الذى وصفت.

وحدثنا عنها عبيدٌ بأعاجيبَ . ولو كان عبيدٌ إسنادًا[٨] لخبّرت عنه ، ولكنّ موضعَ البياض من هذا الكتابِ خيرٌ من جميع ما كان لعبيد[٩] .

(تدبير الجرذ)

وللجرُذِ تدبير فى الشىء يأكلُه أو يَحسُوه ، فإنه ليأتى القارورةَ الضَّيِّقة

---

(١) قرضتها : قطعتها . فيما عدا ل : « قرصتها » بالصاد المهملة . تحريف .

(٢) سمه : « استنقذت » تصحيف. وفيما عدا ل : « منها » موضع : « سمها » . تحريف .

(٣) ذكره الجاحظ فى البخلاء ١٠٥ : « حمدان بن صباح » . فيما عدا ل : « حمدان الصباح » .

(٤) الشونيزى : نسبة إلى الشونيزية ، بالضم ثم السكون ثم نون مكسورة : موضع ببغداد بالجانب الشرقى .

(٥) البرنية ، بالفتح ، قال ابن منظور : « شبه فخارة ضخمة خضراء . وربما كانت من القوارير الثخان الواسعة الأفواه » .

(٦) فيما عدا ل : « فأرا » .

(٧) ل : « نقفشل » .

(٨) أى من يصح إسناد الخبر إليه . وفيما عدا ل : « أستاذا » .

(٩) ل : « ما كان نعته » .

الرأس ، فيحتال حتى يُدْخِلَ طرفَ ذنَبه فى عُنقها . فكلَّما ابتلّ بالدُّهن أخرجه فلطَعَه ، ثم أعاده ، حتى لايدعَ فى القارُورة شيئاً .

ورأيتُ من الجرْذان أعجوبةً ، وذلك أن الصيادة لما سقطت عَلَى جُرَذٍ منها ضخمٍ ، اجتمعْن لإخراجه[1] وسلِّ عُنقِه من الصيَّادة ، فلما أعجزهنّ ذلك قرضْنَ[2] الموضعَ المنضمَّ عليه من جميع الجوانب ، ليتسع الخرْقُ فيجذبْنه . فهجَمْتُ على نُحاتةٍ[3] لو[4] اعتمَدْتُ بسكين عَلَى ذلك الموضع لظننْتُ أنه لم يكن يمكننى إلا شبيهٌ بذلك[5] .

وزعم بعضُ الأطباء أن السنورَ إنما يدفِنُ خُرأه ثم يعودُ إلى موضعه فيشتمّه[6] فإن كان يجدُ من ريحه بعدُ شيئا زاد عليه من التراب ، لأنّ الفأرةَ لطيفةُ الحِسِّ ، جيِّدةُ الشَمّ ، فاذا وجدَتْ تلك الرائحة[7] عرفَتْها فأمعنَتْ فى الهربِ ، فلذلك يصنَع السنَّورُ ما يصنَع .

(فأرة سيل العرم)

ولا يشكّ الناسُ أن أرضَ سبَإٍ[8] وجنّتَيها إنما خرِبتا حين دخلهما

---

(١) فيما عدا ل : « اجتمعت على إخراجه » .
(٢) فيما عدا ل : « فلما أعجزهم ذلك قرضوا » .
(٣) النحاتة ، بالضم : البراية . فيما عدا ل : « محالة » تحريف . وبعد هذه الكلمة فى ط : « حيث يدخل طرف ذنبه فيه » وهي جملة مقحمة . وهى أيضا فى س ، ه ، وكلمة « حيث » فيهما « حتى » .
(٤) ط ، ه : « فلو » .
(٥) فيما عدا ل : « لا يمكن إلا سبيه بذلك » لكن فى س : « شبيه بذلك » . وأثبت ما فى ل .
(٦) فيما عدا ل : « فيشمه » .
(٧) فيما عدا ل : « فإن وجدت تلك الريح » .
(٨) فيما عدا ل : « أرض بلد سبأ » .

سيلُ العرِم — والعرِم: المسنّاة[١] — وأن الذى فجّر المسنّاة ، وسبّب لدخول الماء [الفأرة] .

والسّيل[٢] إذا دخل أخْرَبَ بقدر قوّته . وقوّتُه من ثلاثة أوجه[٣] إما أن تدفعه ريحٌ فى مكان يفحُشُ فيه الريح[٤] ، وإما أن يكون وراءه وفوقَه ماءٌ كثير ، وإما أن يُصيب حَدُورًا عميقاً[٥] .

(حديث ثمامة عن الفأر)

وأما حديثُ ثمامةَ فإنه قال : لم أرَ قطُّ أعجبَ من قتال [الفأر] ، كنتُ فى الحبْس وحْدِى ، وكان فى البيت الذى أنا فيه جُحرُ فأر ، يقابلُه جُحرٌ آخر ، فكان الُجرذ يخرُج من أحد الُجحْرين فيرقُص ويتوعّد ، ويضرب بذنبه[٦] ، ثم يرفع صدره[٧] ويهزُّ رأسه . فلا يزال كذلك [حتى يخرجَ الجرذُ الذى يقابله ، فيصنع كصنيعه . فبينما هما] إذ عدَا أحدُهما فدَخل جُحره[٨] ، ثم صنع الآخرُ مثلَ ذلك . فلم يزل ذلك دأبَهما[٩] فى الوعيد وفى الفِرار ، وفى التحاجزُ وفى ترك التّلاقى . إلا أنى فى كل مرةٍ أظنّ

---

(١) العرم : سد يعترض به الوادى ، لا واحد لها من لفظها ، ويقال واحدها عرمة . وسميت المسناة مسناة ، لأن فيها مفاتح للماء بقدر ما تحتاج إليه مما لا يغلب ، مأخوذ من قولك سنيت الأمر والشىء : إذا فتحت وجهه .

(٢) بدلها فيما عدا ل : « الذى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وقوة الماء تكون من ثلاثة أوجه » .

(٤) ل : « تتخفق فيه الريح » بقافين .

(٥) الحدور كرسول : مكان ينحدر منه . وانظر ٣٩ س ٥ .

(٦) ط : « ويصوب » س ، ه : « يصوت » صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « ويرفع صدره » .

(٨) ط ، ه : « إذا عد أحدهما دخل فى حجره » تحريف . والكلام من « إذ عدا » إلى « دأبهما » التالية ، ساقط من س . وانظر ما سبق فى (٢ : ١٦٥) .

(٩) بدلها فى ط ، ه « فلا يزال كذلك » .

للذى[(١)] يظهَرُ لى من جدها[(٢)] واجتهادهما ، وشدة توعُّدِهما ، أنهما سيلتقيان بشىء[(٣)] أهوَنُه العضّ والخمْش ، ولا والله إن التقَيا قطُّ ؟ فعجبتُ من وعيدٍ دائمٍ لا إيقاعَ معه ، ومن فِرار دائمٍ لاثباتَ معه ، ومن هرب[(٤)] لايمنعُ ٧٩
من العَودة ، ومن إقدامٍ لايوجبُ الالتقاء . [وكيف يتوعّدُ صاحبه ويتوعدُه الآخر ؟ و بأىّ شىء يتوعدُه ، وهما يعلمان أنهما لايلتقيان أبداً ؟ فإن كان قتالهما] ليس هو إلا الصَّخَب والتَّنْييب[(٥)] فلِمَ يفرُّ[(٦)] كلّ واحدٍ منهما حتى يدخل جحره ؟ [وإن كان غير ذلك فأىّ شىء يمنعهما من الصَّدْمة ؟ وهذا أعجبُ] .

(أطول الحيوان ذماء وأقصره)

وتقول العرب : « الضبُّ أطولُ شىء ذَماءً[(٧)] » .

ولا أعلَمُ فى الأرض شيئاً أقصرَ ذَماءً ، ولا أضعفَ مُنّةً[(٨)] ولا أجدَرَ أن يقتُلَه اليسير[(٩)] من الفأر[(١٠)]

(١) فيما عدا ل : « الذى » تحريف .

(٢) ط : « حدها » سه ، ه : « أحدهما » صوابه فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « لشىء » باللام .

(٤) فيما عدا ل : « فرار » .

(٥) التنييب : العض بالأنياب . ط : «التشبث» ل : « السب » سه ، ه : «والتثبيت» صوابهما ما أثبت. وانظر ما سبق فى ٢٤٧ التنبيه ٣ .

(٦) ط فقط : « يعد » تحريف .

(٧) الذماء : بقية الروح

(٨) المنة : القوة ، وزنا ومعنى . فيما عدا ل : « ميتة » محرف .

(٩) ط ، سه : « ولا أحذر » ط ، ه « أن يقتل الصغير » سه : « أن يقتله الصغير » صوابه فى ل .

(١٠) ط ، ه : « الغار » بالغين ، صوابه فى ل ، سه .

(لعب السنور بالفأر)

وبلغ من تحرُّزِهِ واحتياطه ، أنه يسكن السقوف[(١)] ، فربما فاجأه السِّنَّور وهو يريد أن يعبُر إلى بيته ، والسِّنَّور فى الأرض والفأرةُ فى السّقف ، ولو شاءت أن تدخل بيتها[(٢)] لم يكن للسِّنَّور[(٣)] عليها سبيل ، فتتحيَّر ، فيقول السِّنَّور بيده كالمشير بيساره[(٤)] : ارجِع . فإذا رجعت أشار بيمينه أن عُدْ[(٥)] فيعود . وإنما يطلب أن تَعيا أو تزْلَق أو يُدَارَ بها[(٦)] . ولا يفعل ذلك بها ثلاثَ مرّات ، حتى تسقط إلى الأرض ، فيثبَ عليها . فإذا وثَبَ عليها لعِبَ بها ساعةً ثم أكلها . وربما خلَّى سبيلها ، وأظهر التغافل عنها[(٧)] فتمعن فى الهرَب ، فاذا ظنّتْ أنها نجتْ وثَبَ عليها وثْبة فأخذها . فلا يزال كذلك كالذى يحبُّ أن يسخرَ من صاحبه[(٨)] ، وأن يخدعه ، وأن يأخُذَهُ أقوى ما يكون[(٩)] طمعاً فى السَّلامة ، وأن يُورِثَه الحسرَةَ والأسَفَ ، وأن يلذّ بتنغيصه وتعذيبه .

وقد يفعل مثلَ ذلك العقابُ بالأرنب ، ويفعل مثل ذلك السِّنّورُ بالعقرب[(١٠)] .

---

(١) فيما عدا ل : « وبلغ من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقف » .

(٢) ط ، هـ : « مبيتها » .

(٣) ل : « للفأر » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ليساره » محرف .

(٥) ل : « أى عد » .

(٦) يدار بها : يصيبها الدوار ، وهو شبه الدوران يأخذ فى الرأس . فيما عدا ل : « يداريها » تحريف . وفى ط ، هـ : « وتزلق » بالواو . وفى سه : « أن يعيا أو يزلق » وهذه محرفة .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ط فقط .

(٨) فيما عدا ل : « بصاحبه » . يقال سخر منه وبه : هزئ . والأولى لغة الكتاب .

(٩) فيما عدا ل : « ما كان » .

(١٠) فيما عدا ل : « في العقرب » وكلمة : « مثل ذلك » مؤخرة بعد : « العقاب » وبعد « السنور » فيما عدا ل .

(أكل الجرذان واليرابيع والضباب والضفادع)

وقال أبو زيد : دخلتُ على رُؤْبةَ فاذا هو يَمُلُّ جرذاناً(١)، فإذا نضجت أخرَجَها من الجمْر(٢) فأكلها ، فقلت له : أتأكل الجرذان ؟ ! قال هي خيرٌ من اليرابيع والضِّباب . إنما عندكم تأكل التَّمْرو الجُبْن(٣) والسويق [والخبز ، وتحسُو الزّيتَ والسمن] .

و [قد] كان ناسٌ من أهل سِيف البحْر(٤) من شِقِّ فارس(٥) يأكلون الفأر والضفادع ، مقورةً ومملوحة(٦) ، وكانوا يسمونها : جَنْك جَنْك(٧) ووَال وَال(٨) .

وقال أوسُ بنُ حجَر(٩) :

---

(١) يملها : يشويها فى الملة ، بالفتح ، وهى الرماد الحار والجمر. مله يمله ملا فى الرماد الحار وفى الجمر .

(٣) فيما عدا ل : « والخبزة » . وانظر التكلة التالية من ل . وقد سبق هذا الخبر في (٤ : ٤٤) .

(٤) السيف ، بالكسر : الشاطئ . س : « سيف البحرين » .

(٥) فيما عدا ل : « عمان » .

(٦) مقورة : مملوحة قد مقرت فى الخل أى نقعت . والمقر : إنقاع السمك المالح فى الماء . وفيما عدا ل : « وملحة » - ملح الشيء ، بالتخفيف : وضعه فى الملح . وملحه بالتضعيف : كثر ملحه .

(٧) هى بالكتابة الفارسية : « كنگك » ومعناها : جميل ، مليح . انظر استينجاس ١١٠٠ . فيما عدا ل : « حية حية » تحريف .

(٨) وال ، بالفارسية ، بمعنى سمك كبير . استينجاس ١٤٥٢ . فيما عدا ل : « وأل وأل » تحريف .

(٩) من قصيدة له فى ديوانه ، أولها :

تنكرت منا بعد معرفة لمى وبعد التصابى والشباب المكرم

لمى : أى يا لميس ، فرخم . وقبل البيت الآتى :

ترى الأرض منا بالفضاء مريضة معضلة منا بجمع عرمرم

صبحن بنى عبس وأفناء عامر بصادقة جود من الماء والدم

ويخلجنهم من كل صمد ورجلة وكل غبيط بالمغيرة مفعم

لحَيْنَهُمْ لَحْىَ العصاَ فطَرَدنَهم إلى سَنَةَ جِرذانها لم تَحَلَّمِ[1]

يقال : تحَلَّمَ الصبي : إذا بدأ في السِّمَن ؛ فإذا زاد عَلَى المقدار قيل قد ضَبَّبَ[2] ، [أى سَمِنَ سِمَناً متناهيا] .

(مثل وشعر فى الجرذ)

ويقال : « أسْرَق من زَبَابَة[3] » . والزَّبابة : الفأرة[4] . ويقال : « أسْرَق من جُرَذ » .

---

(١) يقال : لحا العود يلحاه لحيا ، إذا قشره ، ومثله : لحاه يلحوه . وفى الأصل : « لحيتهم » صوابه فى الديوان والمخصص (١ : ٣٢ ، ٢ ، ٧٨) ، وشرح الأنبارى للمفضليات ص ٥٠ ولسان العرب (١٥ : ٣٧ ، ٢٠ : ١٠٨) . ويروى : « لحونهم » . و « فطردنهم » هى فى الأصل بالتاء ، صوابها فى المصادر السابقة . ويقال : تحلم الصبى والضب واليربوع والقراد : أقبل شحمه واكتنز . ويروى : « قردانها » جمع قراد . قال الأنباري : « وإنما خص الجرذان لأنها تدخر لأنفسها ما تأكل . ولا يفعل ذلك شىء من الدواب إلا الجرذان واليرابيع والنمل ، فلذلك خصها . يصف جدبا فيقول : إذا لم تحلم الجرذان التى تدخر لأنفسها — أى لم تسمن — فغيرها هالك » .

(٢) فيما عدا ل : « فاذا زاد على ذلك قيل قد صب » تحريف .

(٣) الزبابة ، بفتح الزاى وباءين موحدتين بينهما ألف ، تحدث عنها الجاحظ فى (٤ : ٤٠٩) وهى دابة تشبه الفأرة . وانظر (١ : ٢٦٨ و٣ : ٥١٠) . واسمه عند العلماء الأوربيين Crocidura وبالإنكليزية Shrew . والمثل عند الميدانى (١ : ٣٢٢) . ط ، هـ : « زبابة » فى هذا الموضع والذى يليه ، وهى على الصواب الذى أثبت فى ل ، س .

(٤) كذا . والصواب أنه ضرب من آكلة الحشرات . وأما الفأر فهو من القوارض . وبينهما تقارب فى الشكل فحسب . انظر معجم المعلوف ص ٢٢٧ .

وقال أنسُ بن أبى إياس[١] لحارثة [بن] بدرٍ[٢] حينَ ولِىَ أرض سُرَّق[٣] :

أحارِ بن بَدْرٍ قد ولِيتَ ولايةً ... فكُنْ جُرَذاً فيها تخونُ وتَسْرِقُ[٤]

وبَاهِ تميماً بالغِنَى إنّ لِلْغِنَى ... لساناً به المرءُ الْهَيُوبَةُ ينْطِقُ

فإنّ جميعَ الناسِ إمّا مكذّبٌ ... يقول بما تهوى وإما مصدِّقُ[٥]

يقولون أقوالا ولا يعلَمُونَها ... وإن قيلَ هاتوا حقِّقوا لم يحققوا

فلا تحقِرَنْ يا حارِ شيئاً أصبْتَه ... فحظُّكَ من مُلك العِراقين سُرَّقُ[٦]

فلما بلغَتْ حارثةَ بنَ بدر قال : لا يعمَى عليك الرُّشْدُ[٧] .

---

(١) هو أنس بن زنيم بن محمية بن عبد بن عدى بن الديل بن بكر بن كنانة . وقال صاحب المؤتلف ٥٥ : « شاعر مشهور حاذق » . وأبو إياس كنية أبيه . وعند الآمدى : « ابن أبى أناس » . وفى أمالى المرتضى (٢ : ٥٠) : « أنس ابن أبى أنيس ، ويقال ابن أبى إياس الدئلى » . وانظر سبب النزاع بينه وبين حارثة فى الأغاني (٢١ : ١٥) :

(٢) سبقت ترجمته فى (٣ : ٧٧) .

(٣) سرق ، بضم أوله ، وفتح ثانيه وتشديده ، وآخره قاف : إحدى كور الأهواز .

(٤) ل : « وليت إمارة » .

(٥) هـ وكذلك فى (٣ : ١١٦) : « بما يهوي » . والبيت ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « شيئاً وليته » و : « من أرض العراقين » . والأبيات فى العقد (٢ : ٥٥) وزهر الآداب (٤ : ٥٨) ومعجم البلدان (سرق) والأغاني (٢١ : ٢٣) منسوبة إلى أبى الأسود الدؤلى . وهى في أمالى المرتضى (٢ : ٤٩ — ٥١) وعيون الأخبار (١ : ٥٨) منسوبة إلى أنس . قال المرتضى أيضاً : « وهذه الأبيات تروى لأبى الأسود الدئلي » . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٨٣) .

(٧) فيما عدا ل : « لا يخفى » . وما أثبت من ل يوافق ما فى عيون الأخبار . وجاء فى رثاء جارية لمن تهواه (انظر العقد ٢ : ١٧٩) :

يا ساكن القبر الذى بوفاته ... عميت على مسالك الرشد

(طلب كثرة الجرذان)

قال : ووقفت عجوزٌ عَلَى قيس بن سعد[1] ، فقالت : أشكو إليك قِلَّة الجرذان . قال : ما ألطفَ ما سألتِ ! [لأملأنّ بيتَك جِرذاناً] . تذكر أنّ بيتها قفرٌ من الأدْم والمأدوم[2] ، فأكثِرْ لها يا غلامُ من ذلك .

قال : وسمعت قاصًّا مدينيّاً[3] يقول فى دعائه : اللهمّ أكثِرْ جِرذاننا وأقِلّ صِبياننا[4] .

(فزع بعض الناس من الفأر)

وبين الفأرِ وبينَ طباعِ كثير من الناس منافرةٌ ، حتى إنّ بعضهم لو وطئ عَلَى ثعبان ، أو رُمِيَ بثُعبان — لكان الذى يدخله من المكروه والوَحْشةِ والفزَع ، أيسرَ مما يدخُله من الفأرة لو رُمِيَ بها ، أو وطئ عليها .

وخبرنى رجالٌ من آل زائدة بن مقسم ، أن سليمان الأزرق دُعِيَ

(١) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصارى الخزرجى ، صحابى جليل ، كان سخياً كريماً داهية . وانظر البيان (٣ : ٢٥٦) . وقد خدم الرسول الكريم عشر سنين ، وكان بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير . ويروى عنه أنه قال : « لولا الإسلام لمكرت مكرا لا تطيقه العرب . وكان على قد ولاه مصر ، فاحتال عليه معاوية فلم ينخدع ، فاحتال على أصحاب علىّ حتى حسنوا له تولية محمد بن أبى بكر ، فولاه مصر ، وارتحل قيس فشهد مع على صفين . ومات فى آخر خلافة معاوية . انظر الإصابة ٧١٧٦ .

(٢) الأدم ، بالضم : ما يؤكل مع الخبز . والمأدوم : الخبز يخلط بالأدم . وأنشد ابن برى :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

(٣) المديني : نسبة إلى مدينة الرسول . فيما عدا ل : « مدنياً » . وانظر كلام ياقوت في هذه النسبة .

(٤) فى عيون الأخبار (٣ : ١٢٩) : « اللهم أقل صبياننا وأكثر جرذاننا » .

لحيّة شَنْعَاء[1] قد صارت فى دارهم ، فدخلَتْ فى جُحر ، وأنه اغتصبها نفسها حتى قبضَ على ماألفى منها[2] ، ثم أدارها على رأسه كما يُصْنَع بالمِخْراق[3] ، وأهوى بها إلى الأرض ليضربها بها[4] ، فابتَدَرَت[5] من حلْقها فأرة كانت ازدَرَدَتها . فلما رأى الفأرةَ هرَب وصرخ صرخة . قالوا : فأخذ مشايخُنا الغِلمانَ بإخراج الفأرةِ وتلك الحيّة الشنعاء إلى مجلس الحى[6] ليعجِّبوهم من إنسانٍ قتَلَ هذه وفرَّ من هذه .

(علة نتن الحيات)

وسألتُ بعضَ الحوَّائينَ ممن يأكلُ الأفاعىَ فما دونها[7] ، فقلت : ما بالُ الحيات مُنتنةَ الجلود والجُروم[8] ؟ قال : أما الأفاعى فإنها ليست بمنتنة[9] ، لأنها لاتأكل الفأر[10] ، وأما الحيَّات عامة فانها تطلبُ الفأرَ طلباً شديدًا . وربما رأيتُ الحيَّةَ وما يكونُ غلظها إلا مثل [غلظ] إبهام

---

(١) ط ، هـ : « دعا بحية شنعاء » س : « دعى بحية شنعاء » صوابهما فى ل .
(٢) ألفى : وجد . فيما عدا ل : « ما بقى منها » .
(٣) المخراق : منديل أو نحوه يلوي فيضرب به ، أو يلف فيفزع به ، وهو لعبة يلعب به الصبيان . ط ، س : « بالمجداف » والمجداف : مجداف السفينة تدفع به ، وهو أيضاً « السوط » لغة نجرانية ، عن الأصمعى . قال المثقب العبدى :

تكاد إن حرك مجدافها تنسل من مثناتها واليد

فـا فيهما له وجه . هـ : « بالمحداف » تصحيف .
(٤) فيما عدا ل : « ليضرب بها » .
(٥) ابتدرت : أسرعت . ابتدر الشيء : عاجله .
(٦) فيما عدا ل : « القوم » .
(٧) ط : « مما دونها » صوابه فى سائر النسخ . وفيما عدا ل زيادة : « حية ونية » بعد كلمة « الأفاعى » .
(٨) الجروم : جمع جرم ، بالكسر ، وهو الجسد . ط ، هـ : « الجذوم » بالذال . س : « الحدوم » تصحيفان .
(٩) ط ، هـ : « منتنة » بدون باء .
(١٠) الفأر : جمع فأرة . فيما عدا ل : « الفأرة » .

الـكبير[١] ، ثم أجدُها قد ابتلعت الُجرذَ أغْلَظَ من الذّراع . فأنـكرَ[٢] نتنَ الحيَّات إلا من هذا الوجه . ولم أر الذى قال قولا .

(رجز فى الفأر)

ودخل أعرابىٌّ بعضَ الأمصار[٣] ، فلِقىَ من الجِرذان جَهدًا ، فرجزَ بها[٤] ودعا عليها ، فقال :

يُعجِّلُ الرحمنُ بالعقاب[٥] لعامراتِ البيت بالخرابِ[٦]
حتى يُعجِّلنَ إلى الثياب[٧] كُحْلَ العيونِ وقصَ الرقاب[٨]
مُستتبعاتٍ خلفَةَ الأذنابِ[٩] مثل مَدَارِى الُحصُن السُّلاَّب[١٠]

(١) أى إبهام الرجل الـكبير . ط : « الإبهام الـكبير » .

(٢) فيما عدا ل : « وأنـكر » :

(٣) ط ، سه « مثل قول أعرابى ودخل بعض الأمصار » . هـ : « من قول أعرابى بعض الأمصار » وأثبت ما فى ل . وفى ديوان المعاني (٢ : ١٥١) : « دخل أعرابى البصرة فاشتري خبزاً فأكله الفأر » .

(٤) رجز بها : أي قال فيها رجزاً . فيما عدا ل : « فوجد بها » وليست تصح ، فإنهم يقولون : إنه ليجد بفلانة وجداً شديداً إذا كان يهواها ويحبها حباً شديداً ، ويقولون فى الغضب وجد عليه يجد .

(٥) الرواية فى (٤ : ٢٧٤) : « يا عجل الرحمن » . وفى ديوان المعانى ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) : «عجل رب الناس » . وفى ل : « لم يعجل » وهذه محرفة .

(٦) فى ص ٣٤ من هذا الجزء . وكذا فى (٤ : ٢٧٤) : يقول : « هذا هو عمارتها » .

(٧) ل : « حتى تعجلن » . وفى نهاية الأرب : « إلى التباب » . والتباب : الهلاك .

(٨) كحل : جمع كحلاء ، وهى الشديدة سواد العين ، أو التى كأنها مكحولة . وقص : جمع وقصاء ، وهى القصيرة العنق ، وضم القاف للشعر ، ط : « قصر » . هـ : « وقصر » صوابه فى ل ، سه وديوان المعاني ، ونهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) .

(٩) الخلفة : ما يكسر : ما يخلف الشىء . سه : « مستبقات خلقة » محرف . ل : « خلفها » صوابه فى ط ، سه . وفى ديوان المعانى : « مجردات أحبل الأذناب » ونهاية الأرب : « مجرزات أفضل الأذناب » .

(١٠) المداري : جمع مدري ، وهو المشط ، كالمدراة ، والمدرية بفتح الميم وتخفيف الياء جمعه مدار ومدارى كصحارى . والحصن : جمع حصان ، كسحاب ، وهى المرأة العفيفة . ل : « الحضن » بالمعجمة ، ولا وجه له . ورواية العسكرى والنويرى : « مثل مدارى الطفلة الـكعاب » .

ثم دعا عليهنّ بالسّنّور فقال :

أهْوَى لهن أنْمَرُ الإِهابِ(١) منهرِتُ الشِّدْقِ حديدُ النَّابِ(٢)
كأنما بُرْثِنَ بالحِرَابِ(٣) ٨١

(التشبيه بالجرذان)

وتُوصَف عضلُ الحفَّار والماتح(٤) [و] الذى يعمَل فى المعادن ، فتُشَبَّهُ(٥) بالُجرْذان ، إذا تَفلَّقَ لحمه عن صلابة(٦) ، وصار زِيَماً(٧) . قال الرّاجز :

أعدَدتُ للورد ، إذا الوِرْدُ حَفَزْ(٨) غَرْباً جَرُورًا وَجُلالا خُزَخِزْ(٩)

---

(١) الإهاب ، بالكسر : الجلد . والأنمر : ما على شيه النمر ، فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء . سه : « نمر » محرفة . وعند النويرى والعسكري : « كيفت لها بأنمر وثاب » .

(٢) منهرت الشدق : واسعه . والحديد : الحاد .

(٣) برثن ، أراد جعلت له براثن ، وهى أظفار المخالب ، يقول : كأن براثنه الأشافى . ولم أجد هذا الفعل فى المعاجم . وفى ديوان المعاني ونهاية الأرب : « كأنما يكشر عن حراب » أى يبدى عن أنياب مثل الحراب .

(٤) الماتح : الذى ينزع الماء من البئر . والعضل : جمع عضلة ، وهى كل عصبة معها لحم غليظ . فيما عدا ل : « ويوصف عضو » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « فيشبه » .

(٦) ضمير « لحمه » للحفار وما بعده . فيما عدا ل : « إذا انفلق » .

(٧) زيما ، بكسر الزاى وفتح الياء : متفرقا ليس بمجتمع . فيما عدا ل : « فصار ريما » تحريف .

(٨) الحفز : الحث والإعجال . ه : « جفز » تصحيف .

(٩) الغرب : الدلو العظيمة . والجرور من الجر ، عنى أنها طويلة الرشاء لبعد المستقى . س : « حزوراً » تصحيف . والجلال ، كغراب : الجليل العظيم ، عني به البعير . والخزخز ، بضم ففتح فكسر : القوى الشديد . ه : « وجلانبا جرز » س : « وحلاليا جرز » صوابه فى ل ، ط واللسان (٧ : ٢٦٢).

وماتِحاً لاينْثنى إذا احتَجَزْ[١] كأنَّ جوفَ جلدِه إذا احتَفَزْ[٢]

فى كلِّ عُضوٍ جُرَذَينِ أو خُزَزْ[٣]

والخُزَز: ذكر [الأرانب و] اليرابيع .

(أنواع الفأر)

والزَّبابُ، والخُلْد[٤]، واليرابيع، [والجرذان، كله فأر . ويقال لولد اليرابيع دِرص وأدراص . والخلْد أعمى . لايزال كذلك . والزَّبابُ] أصمُّ . لايزالُ كذلك . وأنشد[٥] :

وهمُ زَبابٌ حائرٌ لاتسمعُ الآذانُ رَعْدا

هكذا أنشدونا[٦] .

(شعر وخبر فى الفأْر)

وأنشد الأصمعى لمزرِّد بن ضِرار[٧]، فى تشبيه الجرع فى حُلوق الإبل

(١) الماتح : الذى يجذب رشاء الدلو من أعلي البئر . احتجز : شد إزاره على حجزته . والحجزة : معقد الإزار .

(٢) احتفز : احتث واجتهد . فيما عدا ل : « احتجز » تحريف .

(٣) جرذان : مثنى جرذ . فيما عدا ل : « جرذان » ، وأثبت ما فى ل . وهو اسم « كأن » مؤخر ، وخبرها المقدم « جوف » الواقعة ظرفا . هـ : « أو حرز » تصحيف .

(٤) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر . وبلغة العلماء الأوربيين : Spalax typhlus وبالإنجليزية Blind rat أو : Mole rat ليس له أذنان ولا عينان فى الظاهر . ومنه نوع مصرى يسمونه : « أبو أعمى » وأكثر وجوده فى الجهات الشمالية فى نواحي مريوط . انظر المعلوف .

(٥) البيت للحارث بن حلزة اليشكرى ، كما فى عيون الأخبار (٢ : ٩٥ — ٩٦) واللسان (زبب) والأغانى (٩ : ١٧٤) فى أبيات للحارث ؛ وحماسة البحترى ٢٤٥ والميدانى (١ : ٣٢٢) فى مثل : « أسرق من زبابة » . وانظر الحيوان (٤ : ٤١٠) والفصول للمعرى ١٥ وأدب الكاتب ١٥٣ والاقتضاب ٣٥٥ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

(٧) مزرد بن ضرار ، سبقت ترجمته فى ٦٣ . ط : « لمزرد بن بدر ضرار » بإقحام كلمة « بدر » . هـ : « لمزرد بن بدر» بإقحام « بدر » وبإسقاط « ضرار » . والوجه ما أثبت من ل ، سه .

بُجْمان الزّبابِ[1] — وهو الشكل الذى وصفناه — فقال فى وصف ضيف[2] له سقاهُ ، فوصف جرْعه :

فقلتُ له اشْرَب لو وجَدْتَ بهازِرًا طِوالَ الذُّرَى من مُفرِهاتٍ خناجِرِ[3]

ولـكنما صادفتَ ذَوْدًا منيحة لِمِثْلِكَ يأتى للقِرَى غير عاذِرِ[4]

فأهْوَى له الـكفَّينِ وامتدّ حلقُه بجَرْعٍ كأثْباجِ الزّبابِ الزّنابِرِ[5]

وقال أعرابىٌّ وهو يطنُز بغريم[6] [له] ، ويذكر قرْض الفار

---

(١) الحلوق : جمع حلق . والجثمان : الجسم . فيما عدا ل : « فى خلق الإبل » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وصيف » تحريف .

(٣) البهازر : بتقديم الزاى على الراء : جمع بهرزة ، بضم الباء والزاى ، وهى الناقة الجسيمة الضخمة الصفية . ط ، ه :« بهارزا » ، ل س : « بهادرا » وهما تصحيف ما أثبت . والذرى : أعالى أسنمة الإبل . والمفرهات : التى تنتج الفره . والفره : جمع فاره ، وهو النشيط الحاد القوى . يقال أفرهت الناقة ، فهى مفره ومفرهة . والخناجر : جمع خنجر وخنجرة ، بفتح الخاء ، وهى الناقة الغزيرة . فيما عدا ل : « من مرهفات الخناجر » تحريف .

(٤) الذود ، بالفتح : الجماعة من الإبل . فيما عدا ل : « دور » تحريف . والمنيحة : منحة اللبن ، الناقة أو الشاة ، تعطيها غيرك يحتلبها ثم يردها عليك . ل : « تأتى ». فيما عدا ل : « غادر » .

(٥) أثباج : جمع ثبج ، بالتحريك ، وهو معظم كل شىء ، ووسطه ، وأعلاه . وثبج الظهر: معظمه ، وما فيه محانى الضلوع . والزباب ، بالفتح ، سبق الحديث عنه فى ٢٦٠ . والزنابر : جمع زنبور ، وهو الفأر العظيم . وأنشد صاحب اللسان (٥ : ٤٢٠) بيتاً لجيهاء شبيها بهذا . وهو :

فأقنع كفيه وأجنح صدره بجزع كأثباج الزباب الزنابر

وفى أصل اللسان : « كانتاج » محرف . فيما عدا ل : « فأهوى له » . س : « بجرح » ه : « كأزباح » ط : « الرباب » ط ، ه : « الدفائر » . والكلمات الأربع الأخيرة محرفة .

(٦) الطنز : السخرية ، طنز به يطنز ، كيكتب ، فهو طناز . قال الجوهرى : أظنه مولدا أو معرباً . فيما عدا ل : « يمكر بقوم » تحريف .

الصّـكاك، عند فراره منه : «الزم الصّكّ لايقرِضه الفأر[1] !» تهزُّؤا به[2] :

أهوِنْ عَلَيّ بسيّار وصَفْوَتِه ... إذا جعلتُ ضِرارًا دُونَ سيّارِ[3]

التَّابِعِى ناشرًا عندى صَحِيفَتَه ... فى السوق بينَ قطينٍ غيرِ أبْرَارِ[4]

جاءوا إلىّ غِضَاباً يَلغطون معاً ... يَشْفِى إرَاتِهِمُ أنْ غابَ أنصارى[5]

لَمَّا أبَوْا جَهرَةً إلا مُلازَمَتِى ... أجْمَعْتُ مكرًا بهمْ في غيرِ إنـكارِ

وقلتُ إنى سيأتينى غدًا جَلَبى ... وإنّ موعدكم دارُ ابنِ هَبَّارِ[6]

---

(١) هذه ترجمة ترجم بها الجاحظ ما سيأتى فى البيت الثامن ، من القصيدة التالية . وصاحب الشعر الآتى الذى عبر عنه الجاحظ بكلمة « أعرابى » هو صخر بن الجعد الخضرى ، شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٣٨) . وكان من خبره فى هذا الشعر ما روى أبو الفرج فى الأغانى (١٩ : ٦٨) ، قال: « قدم صخر بن الجعد الخضرى المدينة ، فأتى تاجرا من تجارها ، يقال له سيار ، فابتاع منه بزا وعطرا ، وقال : تأتينا غدوة فأقضيك ! وركب — أى صخر — من تحت ليلته فخرج إلى البادية . فلما أصبح سيار سأل عنه ، فعرف خبره ، فركب في جماعة من أصحابه فى طلبه ، حتى أتوا بئر مطلب ، وهى على سبعة أميال من المدينة ، وقد جهدوا من الحر، فنزلوا عليها فأكلوا تمراً كان معهم، وأراحوا دوابهم وسقوها . حتى إذا برد النهار انصرفوا راجعين ! ! وبلغ الخبر صخر بن الجعد ، فقال ... » وأنشد الشعر .

(٢) التهزؤ : السخرية ، يقال هزئ به ، وهزأ ، وتهزأ ، واستهزأ . وهذه العبارة ساقطة من ل .

(٣) الصفوة : خالص الأصدقاء . ل : « وصغوته » والمعروف « الصاغية » وهم الذين يميلون مع المرء فى حوائجهم . هـ : « وضغونة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « البائعى » تحريف . والقطين : الأتباع . س : « غير أبزاز » تحريف .

(٥) يلغطون : من اللغط ، وهو الجلبة . فيما عدا ل : « عطافا يلفظون بها » صوابه فى ل وعيون الأخبار (١ : ٢٥٤) . والإرات : جمع إرة بكسر ففتح ، وهى النار . وفى الأصل : « تشفى آذانهم » . وفي عيون الأخبار : « يشفي أذاتهم » . وصوابهما ما أثبت يقول : قد شفى غليلهم غيبة أنصارى عنى . ط : « إذ غاب » صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار .

(٦) الجلب : ما يجلب . فما عدا ل : « أن يحساس » س : « عدا حلى » وفيما عدا ل : « موردكم » هـ : « دارين هبار » صوابه ما أثبت من ل وعيون الأخبار .

وما أُواعِدُهُمْ إلا لِأَرْبُثَهُمْ عنى فيخرجُنى نقضى و إمرارى (١)
وما جَلَبْتُ إليهم غير راحلة تخْدِى برَحْلِي وسَيفٍ جَفْنُهُ عارى (٢)
إنَّ القضاءَ سيأتى دونه زَمَنٌ فاطْوِ الصحيفةَ واحفظها مِنَ الفارِ
[وصَفْقَةٍ لايقال الرِّبحَ تاجرُها وقَعْتُ فيها وقوع الكلبِ فى النار (٣)]

والعربُ تعيبُ الإنسانَ إذا كان ضيِّقَ الفمِ ، أو كان دقيقَ الحطم ، ٨٢
[يشبّهون ذلك بفمِ الفأرة] وقال عَبْدَة بن الطبيب (٤) :

ما معَ أنكَ يومَ الوِرْدِ ذُو لَغَطٍ ضَخْمُ الجُزارةِ بالسَّلْمَيْنِ وَكَّارُ (٥)

---

(١) الربث : حبسك الإنسان عن حاجته وأمره بعلل ، ربثه عن أمره وحاجته يربثه بالضم ربثاً . س : « لأزبنهم » والزبن : الدفع . وفى الأغاني : « وما أربت لهم إلا لأدفعهم » . ط : « لأتبثهم » هـ : « لأوبنهم » وهذان محرفان . والنقض : نقض الفتل . والإمرار : إجادة فتل الحبل . يقول : إنه يخدعهم باللين تارة ، وبالشدة تارة أخرى . فيما عدا ل : « وإبرارى » . صوابه فى ل وعيون الأخبار والأغانى .

(٢) تخدى : تسرع . فيما عدا ل : « تخدى برحل » تحريف صوابه فى ل وعيون الأخبار . وفى الأغاني : « وغير رحل » .

(٣) أقلته البيع إقالة : فسخته . وهذا البيت لم يرو فى غير ل من جميع المصادر .

(٤) هوعبدة بن الطبيب ، واسم الطبيب يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبدنهم بن جشم بن عبد شمس . شاعر مخضرم أدرك الإسلام فأسلم ، وشهد مع المثنى بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ . وكان فى جيش النعمان بن مقرن الذين حاربوا الفرس بالمدائن . انظر المفضليات (١ : ١٣٢ طبع المعارف) . وعبدة ، بسكون الباء . انظر الحيوان (١ : ٤٢٠ س ١١) . وهو يهجو بهذا الشعر « حيي بن هزال وبنيه » كما فى البيان (١ : ٩٥) .

(٥) ما فى أول البيت زائدة . وزيادتها في أول الكلام نحو زيادة « لا » في قول الله « لا أقسم بيوم القيامة » عند من رأى ذلك . انظر أمالى ابن الشجرى (١ : ٣٧٠ ، ٢ : ٢٢٠ ، ٢٢٢) . فيما عدا ل : « يا دمع » صوابه فى ل وأمالى ابن الشجرى ونوادر أبى زيد ٤٧ . واللغط : الجلبة . ورواية أبى زيد : « ذو جرز » بتقديم الراء والجرز : القوة . والجزارة ، بالضم ، قال أبو زيد : القوائم ، يعنى بها يديه ورجليه . والسلم بالفتح : الدلو . والوكار : من وكر الدلو والسقاء والقربة والمكيال وكراً : ملأه . والوكار أيضاً : العدّاء . ومنه ناقة وكرى : إذا كانت شديدة العدو . فيما عدا ل : « جرار » .

تَكْفِي الوليدةَ في النادىِّ مؤتزِرًا ... فاحلُبْ فإنك حَلَّابٌ وصَرَّارُ[1]
ما كنتَ أولَ ضَبٍّ صابَ تَلعتَهُ ... غيثٌ فأمرَعَ واسترختْ به الدارُ[2]
أنتَ الذى لانُرَجِّى نَيْلَهُ أبدًا ... جلد النَّدَى، وغداةَ الرَّوعِ خوَّارُ[3]
تدعو بُنَيَّيْكَ عَبَّادًا وحِذْيَمَةَ ... فا فأرةٍ شَجَّهَا في الجُحْرِ مِحْفَارُ[4]

(شعر أبى الشمقمق فى الفأر والسنور)

وقال أبو الشَّمَقْمَق[5] فى الفأر والسِّنَّور :

ولقد قلتُ حينَ أقفرَ بَيتى ... من جِرَابِ الدَّقيقِ والفَخَّارَه
ولقد كان آهِلاً غيرَ قَفْرٍ ... مُخْصِباً خَيرُه كثيرَ العِمَارَه
فأرى الفأرَ قد تجنَّبْنَ بيْتى ... عائذاتٍ منهُ بدارِ الإمارَه[6]
ودَعَا بالرَّحيلِ ذِبَّانُ بَيتى ... بينَ مَقْصُوصَةٍ إلى طَيَّاره
وأقامَ السِّنَّوْرُ فى البيت حَوْلا ... ما يَرى فى جوانبِ البَيْت فارَه
يُنْغِضُ الرَّأسَ منهُ من شدَّةِ الجو ... عِ وعيش فيه أذًى ومَرَارَه[7]

---

(١) أي يكفي الجارية مؤنة الحلب . ط هـ : « تلقى » صوابه فى ل ، س . والنادى : مجتمع القوم ، وهو بالتخفيف . وقد شدده كما ترى . أو لعلها محرفة عن كلمة أخرى . والصرار : الذى يصر الضرع ويشده بالصرار لئلا يرضعها ولدها أو يحتلبها حالب ، وذلك أجمع للبنها .

(٢) التلعة ، بالفتح : ما ارتفع من الأرض . وصابها الغيث : أمطرها . فيما عدا ل : « صب » بالمهملة . و : « استوحت » محرفان . وفى النوادر : « واستخلت له » .

(٣) الخوار : الضعيف لا بقاء له على الشدة . فيما عدا ل : « يرجى » بالياء ، و « فرار » .

(٤) بنييك : مثنى بنى ، وهو تصغير ابن . ل : « ابنتيك » ط ، سه والبيان : « بنيك » وأثبت الصواب من هـ . سه : « عباد وحديمة » هـ : « وجذيمة » تحريف . وفيما عدا ل : « يا فارة » . شجها أى شج الفأرة . شج رأسه يشجه : كسره . والمحفار والمحفر والمحفرة : المسحاة ونحوها مما يحتفر به .

(٥) سبقت ترجمته فى : (١ : ٢٢٥) .

(٦) فيما عدا ل : « قد تجنب » .

(٧) أنغض رأسه : حركه إلى فوق وإلى أسفل . وفى الأصل : « ينفض » تحريف ، وانظر التنبيه الثامن في ص ٢٦٦ .

قلتُ لمّا رأيته ناكِسَ الرّأْ ... سِ كئيباً ، فى الجوف منه حَراره
وَيْكَ صَبْرًا فأنتَ من خير سِنٍّ ... وْررأتْهُ عيناىَ قطُّ بحاره (١)
قال : لاصبر لى ، وكيفَ مُقامى ... ببيوتٍ قَفْرٍ كَجَوْفِ الحماره (٢)
قلتُ : سِرْ راشدًا إلى بيت جارٍ ... مخصبٍ رَحْلُه عظيمِ التِّجاره (٣)
وإذا العنكبوتُ تَغْزِلُ فى دَنٍّ ... وَحُبٍّ والكوزِ والقَرْقاره (٤)

(١) ويك : كلمة مثل ويب وويح ، والكاف للخطاب . مركبة من (وي) التى تدل على التعجب والكاف . أو هى ويل لك ، خففت بحذف اللامين . انظر اللسان (وى ، وا) . وبدلها فى ل : « قلت » . والحارة : كل محلة دنت منازلهم فهم أهل حارة . كذا فى اللسان والقاموس . وفي شفاء الغليل ٧٥ : « قال الأزهرى : كل محلة دنت منازلها فهى حارة » وفيه ص ٧٠ : « هى المحلة، لأن أهلها يحورون إليها أى يرجعون » . وفى ل : « لجارة » وفى س : « بحارة » وهذه مصحفة .

(٢) جوف الحمار ، مثل فى الخلاء . ومنه قول امرئ القيس : « وواد كجوف العير قفر » وذلك أنه إذا صيد لم ينتفع بشيء مما فى جوفه ، بل يرمى به ولا يؤكل . وانظر الميدانى : (أخلى من جوف حمار) وثمار القلوب ٦٥ وشروح المعلقات . ل ، سه : « كجوف المنارة » . والمنارة : التى يؤذن عليها ، وهى المئذنة . اللسان (٧ : ١٠٠ س ٨) . وفى ط : « وسط بيت قفر » سه : « بمبيت » هـ : « ببيت » والأخيرة محرفة .

(٣) ط ، هـ : « إلى بيت خان » سه : « خاق » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « كثير التجارة » .

(٤) الدن : الراقود العظيم ، وهو كهيئة الحب ، إلا أنه أطول ، مستوي الصنعة ، فى أسفله كهيئة قونس البيضة . والحب ، بالضم : الجرة الضخمة . قال ابن دريد هو فارسي معرب . قال : وقال أبوحاتم : أصله خنب ، فعرب . وفى المعرب ١٢٠ أنه فارسى معرب مولد أصله « خنب » فقلبوا الخاء حاء وحذفوا النون فقالوا : « حب » . وفى معجم استينجاس ٤٧٦ عند تفسير « خنب » إنه وعاء من الفخار يجعل فيه الخمر أو الماء : « An earthen vessel for holding wine or water » والقرقارة ، بالفتح : إناء ، سميت بذلك لقرقرتها . وفى القاموس : « القرقار » بطرح التاء . فيما عدا ل : « يغزل » . والعنكبوت مؤنث ، وقد يذكرها بعض العرب كقوله :

على هطالهم منهم بيوت ... كأن العنكبوت هو ابتناها

وقد حملوه على الشعر ، كقول أبى النجم :

مما يسدى العنكبوت إذ خلا

انظر اللسان (٢ : ١٢٣) . وفيما عدا ل أيضا : « وحتى فى الكوز » تحريف .

وأصابَ الُجحامُ كلبى فأضحى بين كلبٍ وكلْبَةٍ عيَّاره(١)

وقال أيضاً :

ولقد قلتُ حين أجْحَرنى البر دُ كما تُجْحِرُ الـكلابُ ثُعالَه(٢)

فى بُيَيْتٍ من الغَضارَةِ قَفْرٍ ليسَ فيــه إلا النوَى والنُّخاله(٣)

عَطَّلَتْهُ الُجرذانُ مِنْ قِلَّةِ الخيْرِ وطارَ الذُّبابُ نحو زُباله(٤)

هَارِباتٍ مِنْهُ إلَى كُلِّ خِصْبٍ جيدة لَمْ يَرْتَجِينَ مِنْهُ بلاله(٥)

٨٣ وأقام السِّنَّوْرُ فيــه بشَرٍّ يسأل الله ذا العُـلا والَجلاله

أن يرى فأرةً ، فلم يرَ شيئاً ناكساً رأسَهُ لطول المَلاَله

قلتُ لـمّا رأيته ناكِسَ الرأ سِ كئيباً يمشى عَلَى شرِّ حالَه

قلتُ صـبرًا يا نازُ رأسَ السّنا نير ، وعلَّلْته بحسْنِ مقاله(٦)

قال : لاصبرلى ، وكيف مُقامى فى قِفارٍ كمثل بِيــدِ تَبالَه(٧)

لا أرى فيــه فأرةً أُنغِضُ الرأ سَ ومَشْيي فى البيت مشى خَيالَه(٨)

---

(١) الجحام ، بتقديم الجيم المضمومة على الحاء : داء يأخذ الكلب فى رأسه فيكوي منه بين عينيه . وفى الأصل: « الحجام » بتقديم الحاء ، تصحيف . فيما عدا ل : «فأمسى». والعيَّارة : التى تذهب كأنها منفلتة من صاحبها تتردد .

(٢) ثعالة : علم للثعلب . أجحره : جعله يدخل فى جحره ، وهوبتقديم الجيم . وفيما عدا ل : « أحجرنى » بتقديم الحاء ، تصحيف .

(٣) الغضارة ، بالفتح : الطين الحر ، وقيل الطين اللازب الأخضر . بييت : مصغر بيت . ط ، ه : « فى مبيت » .

(٤) س . « من قلة الخبز » . وزبالة : موضع بعد القاع من الكوفة .

(٥) البلالة ، بالضم : الندوة .

(٦) ناز : اسم للسنور بالفارسية . ولفظه فيها : « نازو » . انظر استينجاس ١٣٧٢ . فيما عدا ل : « ويلك صبراً فأنت » .

(٧) بيد : جمع بيداء ، وهى الفلاة . وتبالة ، بالفتح : بلد من أرض تهامة فى طريق اليمن .

(٨) أنغض رأسه : حركه إلى فوق وإلى أسفل ، أو حركه كالمتعجب أو كالمستنكر . وفى الكتاب : (فسينغضون إليك رؤوسهم) . والخيالة ، كالخيال : ما تشبه لك فى اليقظة والحلم من صورة . وفى الأصل : « خباله » بالباء الموحدة . وليست فى المعاجم ، وإنما تعرف المعاجم « الخبال » بطرح التاء ، وهو الجنون وفساد العقل . فيما عدا ل : « قد أراني أنغض الرأس جوعا ثم أمشى » .

قلت : سِرْ راشدًا فخارَ لكَ الله ولا تعدُ كُرْبُجَ البقاله(١)
فإذا ما سمعت أنَّا بخير في نعيم من عيشةٍ ومَنَاله(٢)
فائتِنَا راشــدًا ولا تعدُوَنَّا إن من جاز رَحْلَنا في ضَلاله(٣)
قال لي قولةً : عليك سلامٌ غيرَ لِعْب منه ولا ببَطَاله(٤)
ثمّ ولَّى كأنه شيخُ سَوءٍ أخرجوه من مَحبِس بكَفَاله(٥)

وقال أيضاً :

نزَل الفأرُ ببيتي رِفْقَةً من بعد رِفْقه(٦)
حِلَقاً بعــد قِطارٍ نزلوا بالبيت صَفْقه(٧)

---

(١) خار الله له : أعطاه ما هو خير له . وفي ل : « أو استخر الله » واستخار الله : طلب منه الخيرة . والكربج ، بضم الكاف وفتح الباء وضمها ؛ ويقال فيه أيضا «قربق» و « كربق » بضم أولها وفتح الباء وضمها أيضاً ، وهو حانوت البقال . انظر المعرب ٢٩٢ . وأصله بالفارسية « كربه » بضم الكاف بمعنى الحانوت . استينجاس ١٠٢١ والمعرب ٢٨٠ . وأنشد الجواليقي :

لا غرس ما دام في السوق كربج وما دام في رجل لحيدان إصبع

والبقالة : مؤنث البقال ، أو جمع بقال ، وهو بائع البقل . وهو من النبات ما ليس بشجر . والتاء في الثاني للدلالة على الجمع . ونحوه : بغالة وحمارة وجمالة ، للبغالين والحمارين والجمالين . انظر المخصص (١٦ : ١٠١) واللسان (٥ : ٢٩١) . وقد حقق الرضي هــذه التاء في شرح الكافية (٢ : ١٥٢ س ١٨ — ٢٣) بأنها للتأنيث ، وأن الكلمة صفة لجماعة مقدرة ، كأنك تقول الجماعة البغالة والحمارة وهو تحقيق جيد . ط ، ه : « مذبح البغاله » س : « كريح البقاله » ل : « كرنج البقاله » صوابه ما أثبت .

(٢) ط ، ه : « وإذا » وفيما عدا ل : « من نعيم في عيشة » . والمنالة : مصدر نال ينال .

(٣) فيما عدا ل : « في ملاله » . والرحل ، هنا : مسكن الرجل وما يصحبه من الأثاث .

(٤) البطالة ، بالفتح : الهزل ، واللهو ، والجهالة . ه ، س : « قال لي قوله » .

(٥) المحبس : موضع الحبس . ط ، ه : « من مجلس » تحريف .

(٦) الرفقة ، مثلثة : القوم والجماعة ترافقهم .

(٧) حلقا ، بالتحريك وبكسر ففتح : جمع حلقة ، وهي كل شيء استدار كحلقة الحديد والذهب والفضة ، وكذلك هي في الناس . انظر اللسان (١١ : ٣٤٦) . ط ، =

ابن عِرْس رأس بيتى ... صاعدًا فى رأس نبقه (١)

سَيفُه سيفٌ حديدٌ ... شقَّه من ضِلعِ سِلْقَه (٢)

جاءنا يطرُق بالليل ... فدقّ البابَ دَقّه (٣)

دخل البيتَ جهارًا ... لم يدَعْ فى البيت فِلْقه (٤)

وتترّسْ برغيف ... وصفقْ نازُويه صفقه (٥)

صفقة أبصرتُ منها ... فى سوادِ العين زُرْقه

زرقة مثلَ ابنِ عِرس ... أغبشٌ تعْلوهُ بُلْقه (٦)

وقال أيضاً :

أخذ الفأرُ برِجلى ... جَفَلوا منها خِفَافِى (٧)

وسراويلاتِ سوء ... وتَبَابِينَ ضِعافِ (٨)

= س : « خلفا » تصحيف . والقطار : أصله أن تشد الإبل على نسق ، واحد خلف واحد . صفقة : أى صفقة واحدة ، والصفقة : البيعة ، أراد دفعة واحدة .

(١) فيما عدا ل « فتقه » ، وعند الدميرى (٢ : ٢٤٢) : « طبقه » .

(٢) حديد : حاد . والسلقة ، بالكسر ، الأنثى من الذئاب .

(٣) سه : « جاءنى » ل : « جاء ليطرقنى بليل حين دق الباب دقه » .

(٤) الفلقه ، بالكسر : الكسرة من الخبز . ط : « بالبيت » . والبيت ساقط من س .

(٥) تترس به : جعله كالترس . ونازويه : مصغر « نازو » على طريقة أهل البصرة فى التصغير ، كما نص الجاحظ فى الحيوان (٧ : ١٢٢ نسخة كوبريلى) . ونازو هو القط بالفارسية كما سبق فى ٢٦٦ . وفى الأصل : « نازونة » تحريف . والصفق : الضرب يسمع له صوت . وقد سكن سين « تترس » وقاف « صفق » للشعر . وفيما عدا ل :

وأتى يصفق منى ... عين باب الدبر صفقه

لكن فى س : « الدار » و هـ : « الدير » موضع : « الدبر » .

(٦) الأغبس : ما لونه الغبسة ، وهى لون الرماد . فيما عدا ل : « أغبش » . والبلقة : سواد وبياض . ط فقط : « يعلوه » .

(٧) جفلوا : نحوا ونزعوا : وفى الأصل : « جعلوا » . خفاف : جمع خف . فيما عدا ل : « خفاف » .

(٨) التبابين ، جمع تبان ، كرمان ، وهو سراويل صغير مقدار شبر يستر العورة المغلظة فقط ، يكون للملاحين . وهو أصدق ما يطلق على لباس البحر فى عصرنا هذا .

درَجوا حولی بزَفْنٍ وبضَرْبٍ بالدِّفافِ[١]
قلت: ما هذا ؟ فقالوا : أنت من أهل الزِّفافِ[٢]
ساعةً ثمَّتَ جازوا عنْ هوایَ فی خلافِ[٣]
[نفروا امتِی وباتوا دون أَهلی فی لحافِ]
لعقُوا اِستی وقالوا ریحُ مِسْكٍ بسُلَافِ[٤]
صفعوا نازويَه حتى استهلّت بالرُّعافِ[٥]

(أحاديث فى الفأرة والهرة)

يُرْوَي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خمسٌ يُورِثْنَ النسيان : ٨٤
أكلُ التفاح ، وسؤر الفأرة ، والحِجَامةُ فى النقرة[٦] ، ونبذُ القَمْلة ، والبولُ فى الماء الراكد » .

[و] ابن جُرَيج قال : أخبرنى أبو الزبير[٧] أنه سمعَ جابرَ بنَ عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا رَقَدْتَ فَأَغْلِقْ بابَكَ ، وخَمِّرْ إناءَكَ ، وأوْكِ سِقاءَك ، وأطْفِئْ مصباحَك[٨] ؛ فإن الشيطان لايفتح غَلَقا ،

---

(١) الزفن : الرقص ، أو شبيه بالرقص . سه : « برفق » تحريف . والدفاف : جمع دف .
(٢) فيما عدا ل : « إنما هذا الزفاف » .
(٣) ثمت ، هي ثم ، زيد فى آخرها التاء كما تزاد فى رب فيقال ربت . فيما عدا ل : « ثم » وفى ط : « فجازوا » وفيما عدا ل : « عن هوائى فى لحاف » .
(٤) السلاف : الخمر الخالصة .
(٥) الرعاف : سيلان دم الأنف وقطرانه . و « نازويه » أراد به الهرة . وانظر التنبيه ٥ ص ٢٦٨ . وفيما عدا ل : « صفقوا عين ذويه فاستهلت » .
(٦) النقرة فى القفا : منقطع القمحدوة ، وهى وهدة فيها . وانظر ص ١١٥ ساسي .
(٧) هو محمد بن مسلم بن تدرس الأسدى ، المترجم فى ص ١٢١ .
(٨) سه ، ط : « واطف مصباحك » .

ولا يكشف إناءً ، ولا يحل وكاءً[(١)] ، وإن الفأرة الفُوَيسقة تحرِّق على أهل البيت » .

قالوا : فى قول النبى صلى الله عليه وسلم في السنانير : « إنهنّ من الطَّوَّافات عليكم » ، وفى تفريقه بين سُؤر السِّنَّور وسُؤر الكلب ـ دليلٌ عَلَى حُبِّه[(٢)] لاتخاذهنَّ . وليْس لاتخاذهنّ وجهٌ إلا إفناءَ الفأر[(٣)] وقتلَ الجِرذان . فكأن النبى صلى الله عليه وسلم كما أحبَّ استحياءَ السنانير ، فقد أحبَّ إهلاكَ الفأر[(٤)] .

[و[(٥)]] عن نافع ، عن ابن عُمَر ، عن النبى صلى الله عليه وسلم [قال] : « عُذِبت امرأةٌ فى هرّة سجنَتْها ـ و [يقال] : رَبَطَتْها ـ فلم تُطْعمها ولم تَسقْها ، ولم تُرسِلْهَا تأكل من خَشَاش الأرض[(٦)] » .

وعن أبى سَلَمَة[(٧)] ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « دخلَتِ امرأةٌ ممن كان قبلكم[(٨)] النارَ فى هرَّة ربطتها ، فلا هى

---

(١) الغلق ، بالتحريك : ما يغلق به الباب . والوكاء ، بالكسر : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء . ل : « فان الشياطين لا تفتح غلقا ، ولا تكشف إناء ، ولا تحل وكاء » . وانظر رواية هذا الحديث فيما سبق ص ١٢١ .

(٢) فيما عدا ل : « على حثه » من الحث .

(٣) ل : « ولا تخاذهن » وفى ل ، سه : « إلا لإفناء الفأر » .

(٥) زيادة هذه الواو من هـ .

(٦) الخشاش ، بالكسر ويفتح : الحشرات والهوام وما أشبههما . وهذا الحديث فى البخارى عن ابن عمر : الجامع الصغير ٤١٩١ . وروايته التالية عن أبى هريرة ثابتة فى مسند أحمد ، وفى صحيح البخارى ، ومسلم ، وعند ابن ماجه .

(٧) أبو سلمة هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، قيل اسمه عبد الله وقيل إسماعيل ، ثقة مكثر وكان فقيهاً يحملى عنه الحديث . توفى سنة أربعة وتسعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، ويقال إنه مات سنة أربع ومائة . انظر المعارف ١٠٥ وتهذيب التهذيب (١٢ : ١١٥) . وفى البيان (٢ : ١٧٧) : « قال الشعبى : سايرت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، فكان بينى وبين أبى الزناد ، فقال : بينكما عالم أهل المدينة ! فسألته امرأة عن مسألة فأخطأ فيها ! » .

(٨) ط ، هـ : « فى من كان قبلكم » .

أطعَمَتْهَا ، ولا هى تركتْهَا تُصِيب من خِشاش الأرض ، حتى ماتت[(١)] فأدخلِت النارَ[(٢)] ، كلما أقبلتْ نهشَتْهَا ، وكلما أدْبرتْ نَهَشَتْها » .

قال : وذَكَرَ النبى صلى الله عليه وسلم ، صاحبَ المِحْجَن يجرُّ قُصْبَه فى النار[(٣)] حتى قال : « وحتى رأيتُ فيها[(٤)] صاحبةَ الهِرّةِ التى رَبطَتْهَا ، فلم تدعْها تأكلُ من خشاش الأرض » .

(وصف السنور بصفة الأسد)

قال ابن يسير[(٥)] فى صفة السِّنَّوْر — فوصفه بصفةِ الأسَد ، إلا ما وصَفَه به من التنمير[(٦)] ، فإن السنوْر يوصفُ بصفَة الأسد ، إذا أرادوا به الصورةَ

(١) ل : « فى هر ربطته فلا هى أطعمته ولا هي تركته يصيب من خشاش الأرض حتى مات » .

(٢) فيما عدا ل : « وأدخلت النار » .

(٣) المحجن : كل عصا معوجة . والقصب ، بالضم : المعى ، والجمع أقصاب . وقيل القصب اسم للأمعاء كلها . والحديث طويل ، وقد اقتضبه الجاحظ ، وقد رواه أحمد فى مسنده (٣ : ٣١٨) ومسلم فى صحيحه (١ : ٢٤٨) برواية عطاء عن جابر قال : « كسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذلك اليوم الذى مات فيه إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : إنما كسفت الشمس لموت إبراهيم » . وبعد أن روى صلاة الكسوف ، روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « يأيها الناس ، إنما الشمس والقمر آيتان من آيات الله عز وجل ، لا ينكسفان لموت أحد من الناس ، فإذا رأيتم ذلك فصلوا حتى تنجلى . وإنه ما من شيء توعدونه إلا رأيته فى صلاتى . ولقد جيء بالنار ، وذلكم حين رأيتمونى تأخرت ، مخافة أن يصيبنى من لفحها . وحتى رأيت صاحب المحجن يجر قصبه فى النار ، كان يسرق الحاج بمحجنه ، فإن فطن له قال : إنما تعلق بمحجنى ! وإن غفل عنه ذهب به . وحتى رأيت صاحبة الهرة ... » إلى نهاية الحديث .

(٤) ل : « ورأيت صاحبه الهرة » .

(٥) هو محمد بن يسير الرياشى ، المترجم فى (١ : ٥٩) .

(٦) التنمير : من النمرة ، والأنمر : ما فيه نقطة بيضاء وأخرى سوداء . وقالوا : طير منمر : فيه نقط سود . اللسان (٧ : ٩٤ س ٦) ولم تذكر المعاجم « التنمير » . وفى المخصص (٩ : ٩٥) : « أبو زيد : نمر السحاب . صاحب العين : الحبير من السحاب الذى ترى فيه كالتنمير من كثرة مائه » . فيما عدا ل : « من الشبه » .

والأعضاءَ ، والوثوبَ والتخلُّع فى المشى . ألا إن فى السنانير السودَ والنمر[1] والبُلْق ، والخلنْجِيَّة[2] . وليس فى ألوانِ الأسد من ذلك شىء ، إلا كما ترَوْنَ فى النوادر : من الفأرة البيضاء[3] ، والفاخِتة البيضاء ، والوَرَشَان الأبيض ، والفرَس الأبيض — فقال ابن يسير فى دعائِهِ على حمام ذلك الجار حين انتهى إلى ذكر السنور[4] :

وَخُبَعْثِنٍ فى مَشْيِهِ متبَهنِسٍ خَطِف المؤخَّر كامِلِ التصديرِ[5]
مما أُعِيرَ مَفَرَّ أغضَفَ ضيغمٍ عنْ كلِّ أعصَلِ كالسِّنانِ هَصُورِ[6]

---

(١) النمر : جمع أنمر . انظر التنبيه السابق . وفى ل : « المنمر » .

(٢) الخلنجية : التى لها خطوط وطرائق ، مثل الخطوط والطرائق التى ترى فى خشب الخلنج ، والتى ترى فى الجزع ، وهو الخرز اليمانى . وفى الجماهر ١٧٥ : « ولفظة خلنج لا يختص بها الجزع بل يقع على كل مخطوط بألوان وأشكال . فيوصف به السنانير والثعالب والزباد والزرافات وأمثالها ، بل هو بالخشب التى تكون كذلك أخص . ومنها تنحت الموائد والقعاب والمشارب وأمثالها بأرض الترك » . وشجر الخلنج مما أخذت الفارسية عن العربية ، كما يفهم من إشارة استينجاس ٤٧٢ . وفى الفارسية «خلنج» و « خلنك » بمعنى متعدد الألوان . وهذا ما يظن فيه أخذ العربية عن الفارسية ، وإن صرح اللسان والمعرب بأن شجر الخلنج فارسى معرب .

(٣) ل : « فى الفأرة البيضاء » .

(٤) هذه تكملة للقصيدة التى سبق له بعض أبياتها فى ص ٢٣٤ — ٢٣٦ .

(٥) الخبعثن ، أراد به السنور . وإنما الخبعثن الأسد . والمتبهنس : المتبختر . والخطف ، بفتح فكسر : وصف من الخطف ، بضم وبضمتين ، وهو الضمر . والمعروف من ذلك الوصف : أخطف ومخطوف ومخطف . ط ، ه : « خلف المؤخر » تحريف . والتصدير : أصله حزام البعير . أراد به موضع الحزام .

(٦) يقال فر الدابة يفرها بالضم : كشف عن أسنانها . فأراد بالمفر هنا المصدر الميمى منه . والأغضف من الأسد : ما استرخى جفنه الأعلى على عينه ، يكون ذلك من الغضب والكبر ، ويقال الغضف فى الأسد كثرة أوبارها وتثنى جلودها . والأعصل من الأنياب : المعوج الشديد . فيما عدا ل : « أغضل » تحريف . وفى ط : « من كل » بدل : « عن كل » تحريف . والهصور : من الهصر ، وهو الكسر .

مُتَسَرْبِلٍ ثوبَ الدُّجَى أوْ غُبْشَةً ... شِيبَتْ عَلَى مَتْنَيْهِ بالتَّنمير[١]
يختصُّ كلَّ سليلِ سابقِ غايةٍ ... مَحْضِ النِّجَارِ مُهَذَّبٍ مَخْبُورِ[٢]

(فزع الناقة من الهر)

وإذا وصفوا الناقة بأنها رُوَاع[٣] شديدةُ التفزع، لفَرْط نشاطها ومَرَحِها، ٨٥
وصفوها[٤] بأن هِرًّا قد نَيَّبَ فى دَفِّها[٥] . وأكثرُ ما يذكرون فى ذلك الهِرّ ؛ لأنه يجمعُ العضَّ بالناب[٦] ، والخمْشَ بالمخالب[٧] . وليس كل سَبُعٍ كذلك .

وقال ضابئُ بن الحارث[٨] :

---

(١) الغبشة : ظلمة آخر الليل . سه : « غبسة » . والنبشة الظلمة . والتنمير ، سبق القول فيه ص ٢٧١ . فيما عدا ل : « سهب على سهميه بالتشمير » لكن فى ه : « سهمين » تحريف .

(٢) يختص : أي يختص لطعامه وافتراسه . والسليل : الولد والنجل . سابق غاية : أى يسبق إلى الغاية . وقد عنى الحمام الذى دعا عليه . وانظر (٣ : ٢٢٢) . مخبور : من خبره يخبره : امتحنه . ط : « مجبور » تحريف . ل : « محبور » . والمحبور : المكرم إكراماً يبالغ فيه . وأثبت ما فى سه ، ه .

(٣) رواع : وصف من الروع وهو الفزع . يقال ناقة رواع الفؤاد ورواعة : شهمة ذكية . وقد ضبطت بالضم فى القاموس نصا ، وفى اللسان بالشكل . وهى فى ل مفتوحة الراء . فيما عدا ل : « رواغة » بالغين المعجمة ، تصحيف .

(٤) فيما عدا ل : « وصفوا » .

(٥) نيب : من التنييب ، وهو العض بالناب . فيما عدا ل : « ثبت » . والدف ، بالفتح : الجنب .

(٦) ل : « الهرة ، لأنها تجمع العض بالناب » .

(٧) الخمش : الخدش . فيما عدا ل : « المحض » تحريف .

(٨) هو ضابئُ بن الحارث بن أرطاة البرجمى ، أدرك النبى صلى الله عليه وسلم ، وجنى جناية فى زمن عثمان فحبسه ، فجاء ابنه عمير فأراد الفتك بعثمان ثم جبن عنه ، ثم لما قتل عثمان وثب عمير عليه ، فكسر ضلعين من أضلاعه . انظر الإصابة ٤٢٠٠ والخزانة (٤ : ٨٠ بولاق) والحيوان (١ : ٢٦٩) .

بأدماءَ حُرجُوجٍ ترى تحتَ غَرْزِها تهاوِيلَ هِرٍّ أو تهاويلَ أخْيلا(١)

وقال أوس بن حَجَر :

كأن هرًّا جنيباً تحتَ مَغْرِضها والتفَّ ديكٌ برجليها وخنزيرُ(٢)

وقال عنترة :

وكأنَّما ينأى بجانبِ دفِّها الـ وحْشيِّ من هَزِج العَشيِّ مُؤوَّمِ(٣)

هِرٌّ جَنيبٌ كلما عطَفَتْ له غَضْبَى اتّقاها باليدين وبالفمِ

والفيلُ يفزَعُ من السنَّورِ(٤) فزعاً شديداً .

---

(١) الحرجوج ، بضم الحاء والجيم : الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . والغرز ، بالفتح : هو للناقة مثل الحزام للفرس . والتهاويل : التصاوير والنقوش ، وهى أيضاً : ما يهول به ويفزع ، مفرده تهويل . والأخيل : طائر صغير أخضر وفى أجنحته سواد ، ويسمى أيضاً : الشقراق Roller . وهومشؤوم ، تقول العرب : « أشأم من أخيل » . قال ثعلب : وهو يقع على دبر البعير ، يقال إنه لا ينقر دبرة بعير إلا خزل ظهره . وإنما يتشاءمون به لذلك . فيما عدا ل : « أختلا » تصحيف .

(٢) جنيباً : مجنوبا ، جنب الدابة : قادها إلى جنبه . والمغرض : كالمحزم للفرس ، موضع الحزام . فيما عدا ل : « خبيثاً تحت محجرها » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « برجليها » وأثبت ما فى ل موافقا ما سبق فى (١ : ٢٧٨) . ورواية الديوان : « تحت غرضتها » و : « بحقويها » . ورواية الموشح ٨٦ والعمدة (٢ : ١٢٥) : « عند غرضتها » . وجعله ابن رشيق من التشبيهات العقم . وانظر معاهد التنصيص (١ : ٤٧) .

(٣) الدف : الجنب . والوحشى : الجانب الأيمن ، لأنه لا يركب منه الراكب ، ولا يحلب الحالب . وعني بهزج العشى الهر ، لأن السنانير أكثر صياحها بالعشيات . والمؤوم : المشوه الخلق ، أو العظيم الرأس . فيما عدا ل : « هرج » هـ : « العسا » وفيما عدا ل أيضاً : « مورم » وكل ذلك تحريف صوابه فى ل والمعلقات .

(٤) فيما عدا ل : « الهر » .

(السنور فى الهجاء)

ومما يقع فى [باب] الهجاء ، للسنور ، قول عبد الله بن عمرو بن الوليد[١] ، فى أمِّ سعيد بنت خالد[٢] :

وما السِّنورُ فى نفسى [بأهل] لِغزْلانِ الخمائلِ والبِرَاقِ[٣]

فطلِّقها فَلَسْتَ لهــا بأهْل ولو أَعْطيْتَ هِنْدًا فى الصَّداقِ[٤]

(الرجم بالسنانير)

قال صاحب الكلب : قالوا : ولما مات القصبىّ[٦] ـ وكان من موالى [بنى] ربيعة بن حنظلة ، وهو عمرو القصبى ، ومات بالبصرة ـ رُجم بالسنانير الميّتة . قال[٧] : وقد صنعوا شبيهاً بذلك بخالد بن طليق[٨] ، حين

---

(١) فيما عدا ل : « عمرو بن عبد الله بن الوليد » .

(٢) فيما عدا ل : « أم سعد بنت خالد » .

(٣) الخمائل : جمع خميلة ، وهى الموضع الكثير الشجر . والبراق ، بالكسر ، جمع برقة بالضم ، وهى أرض ذات حجارة مختلفة الألوان . ل : « الحمايل » بوضع الحرف ع تحت الكلمة ، ولم أرها وجهاً . ط : « لعوبا بالخمائل » س ، هـ : «لعولا الخمائل» تحريفان .

(٤) الصداق : المهر . فيما عدا ل : « هرا » تحريف . والهند والهنيدة : اسم للمائة من الإبل .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) فيما عدا ل : «عمرو القضبى » . كما أن جملة : « وهو عمرو القصى » ساقطة مما عدا ل .

(٧) فيما عدا ل : « وقالوا » .

(٨) هو خالد بن طليق بن عمران بن حصين الخزاعى ، ولاه المهدي قضاء البصرة سنة ١٦٦ ، بعد عزل عبيد الله بن الحسن العنبرى ، فلم يحمد ولايته . وهجاه ابن مناذر هجاء كثيرا ، روي منه الجاحظ أربع مقطعات فى البيان (٢ : ٢٣٩) جاء فى إحداها :

يا عجباً من خالد كيف لا يخطئ فينا مرة بالصواب

وقال ابن النديم . إنه كان أخباريا ، وكان من النسابين . انظر لسان الميزان (٢ : ٢٢٩) وتاريخ الطبرى (١٠ : ٢ ، ٨) .

زعم أهله أن ذلك كان عن تدبير محمد بن سليمان[١] .

وقالوا : ولم نر الناس رَمَوْا أحداً بالكلاب الميّتة . والكلابُ أكثر من السنانير حيَّة وميّتة . فليس ذلك إلا لأن السنانير أحقرُ عندهم وأنتَن[٢] .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال للجرذان العِضلان[٣] . وأولادُ الفأرِ أدراص ، والواحد دِرْص . وكذلك أولاد اليرابيع . يقال[٥] : أدراص ودُروص . وقال أوسُ ابن حَجَر :

[ودَّ أبو ليلى طُفَيل بن مالكٍ   بمنعرَج السُّوبان لو يتقصَّع[٦]

قال : واليرابيع : ضربٌ من الفأر . قال : ويقال : نفَّق اليربوع ينفِّق تنفيقاً : إذا عمل النافقاء ، وهى إحدى مجاحره ومحافره . وهى النافقاء والقاصعاء ، والدّامّاء ، والراهِطاء . وقال الشاعر] :

---

(١) ط ، هـ : « حتى زعم » وفيما عدا ل : « من تدبير » . وكان محمد بن سليمان بن على ابن عبد الله الهاشمى أمير البصرة ، ولاه المنصور ثم عزله عنها وولاه الكوفة ، ثم ولاه المهدي ثم عزله ، ثم أعاده الهادى ، وأقره الرشيد إلى أن مات سنة ثلاث وسبعين ومائة. انظر ص ٢٠٨ من هذا الجزء وتاريخ بغداد ٢٧٩٥ .

(٢) فيما عدا ل : «وليس ذلك» س ، هـ : « إلا أن السنانير » .

(٣) العضلان ، بالكسر : جمع عضل . والعضل بالتحريك : الجرذ ، أو ذكر الفأر . ط ، هـ : « الغطلان » س : « الغظلان » صوابه فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « ولأولاد » .

(٥) فيما عدا ل : « يقال لها » .

(٦) يتقصع : أراد يختفى ، وأصله من تقصع اليربوع ، وهو أن يدخل فى قاصعائه . والبيت فى ديوان أوس من قصيدة مطلعها :

ألم تر أن الله أرسل مزنة   وعفر الظباء فى الكناس تقمع

فما أُمُّ الرُّدين وإن أدلَّتْ بعالمةٍ بأخلاق الكرامِ[١]

إذا الشيطانُ قَصَّعَ فى قفاها تنفقْنَاه بالحِيَل التُّؤامِ[٢]

فإذا طلِبَ من [إحدى] هذه الحفائر نافق ، أى فخرج النّافقاء[٣] ، و إن طُلِب من النافقاء قصَّع . ويقال : أنفقته إنفاقاً : إذا صاح به حتى يخرُج . ونفِقَ هو : إذا خَرَجَ من النافقاء[٤] .

(احتيال اليربوع)

وفى احتيالِ اليرابيعِ بالنافقاء والقاصِعاء ، والدّامّاء والرّاهطاء ، وفى جمْعها
التراب على نفسِ باب الجُحْر ، وفى تقدمها بالحيلة[٥] والحِراسة ، وفى تغليطِها ٨٦
لمن أرادها ، والتَّوريةِ بشىء عن شىء ، وفى معرفتها بباب الخديعة[٦] ، وكيف
تُوهِم عَدُوَّها خلاف ماهى عليه ، ثم فى وطئها على زمَعاتها[٧] ، فى السهولة
وفى الأرض اللينة ، كى لايعرِفَ أثرها الذى يقتَصّهُ[٨] ، وفى استعمالها

---

(١) ط فقط : « فما أم الدرين وقد أدلت » . والبيتان فى اللسان (١٢ : ٢٣٧) والثاني منهما فى (١٠ : ١٤٨) .

(٢) قصع ، أصله من قصع الضب دخل فى قاصعائه . تنفقناه : استخرجناه ، كما يستخرج اليربوع من نافقائه . والتؤام : المزدوجات ، جمع توأم ، وهو من الجمع العزيز . فيما عدا ل : « بالحبل » تحريف . ومثل هذا التحريف فى اللسان ، فى الموضعين .

(٣) ط ، هـ : « فيخرج » س : « يخرج » . وأثبت ما فى ل .

(٤) يقال . نفَق ونفِق وانتفق ونفّق : خرج من النافقاء .

(٥) ل : « فى الحيلة » .

(٦) فيما عدا ل : « بيان الخديعة » ، تحريف .

(٧) الزمعات : الشعرات المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب .

(٨) فيما عدا ل : « لئلا » . واقتص الأثر وقصه : تتبعه . فيما عدا ل : « يقصه »

[واستعمال [١]] بعض ما يقاربها فى الحيلة التوبير [٢] ـ والتوبير : الوطْء على مآخِير أكفِّها [٣] ـ العجبُ العجيب [٤] .

(أنفاق الزباء)

وزعم أبو عَقيل بن دُرُسْت [٥] ، وشدّادٌ الحارثىّ [٦] ، وحسين الزهرىّ أن الزباء [الروميّة [٧]] إنما عمِلت تلك الأنفاق التى ذَكرها [الشاعرُ] فقال [٨] :

---

(١) هذه من ل ، هـ .

(٢) فيما عدا ل : « بعض ما يقال له فى الحيلة التوتير » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « والتوتير للوطء علي مؤخر أنفها » تحريف عجيب . وقد أوضح الزمخشرى اشتقاق التوبير ، فقال فى حديث عبد الرحمن يوم الشوري : « لا تغمدوا السيوف عن أعدائكم فتوبروا آثاركم » : هومن توبير الأرنب ، مشيها على وبر قوائمها لئلا يقتص أثرها . انظر اللسان (٧ : ١٣٣) .

(٤) هذا المبتدأ الموصوف تقدم خبره فى قوله : « وفى احتيال اليرابيع » .

(٥) درست ، بضم الدال والراء . وأبو عقيل ، له أخبار فى البيان والتبيين .

(٦) شداد الحارثى ، ذكره الجاحظ فى أول كتاب فخر السودان ص ٥٤ من رسائله طبع الساسى ، قال : « وقال شداد الحارثى وكان خطيباً عالما : قلت لأمة سوداء بالبادية : لمن أنت يا سوداء ؟ قالت : لسيد الحضر يا أصلع ! قال : قلت : أولست سوداء ؟ قالت : أو لست أصلع ؟ قلت : ما أغضبك من الحق ؟ قالت : الحق أغضبك ! لا لا تشتم حتى ترهب . ولأن تتركه أمثل ! » . وفى البيان (٢ : ٦٤) أنه كان يكنى أبا عبيد الله . وساق الخبر المتقدم برواية مقاربة .

(٧) كذا . وأغلب القول أنها عربية . وهى الزباء بنت عمرو بن الظرب بن حسان بن أذينة ابن السميدع بن هوبر العملقى . انظر ابن الأثير (١ : ١٩٨) والطبري (٢ : ٣١ — ٣٦) والمسعودى (١ : ٢٩٠) . وقال المسعودي : « وقال بعضهم : بل كانت رومية وكانت تتكلم بالعربية » . وفى المخصص (١٥ : ١٢٦) « وَزَبىَّ مشدد مقصور اسم الملكة الرومية صاحبة قصير . . . وزبى أيضاً امرأة من بني قيس » . وفى ثمار القلوب ٢٤٨ : « هى امرأة من العماليق وأمها من الروم ، ملكت الجزيرة وعظم شأنها فكانت تغزو بالجيوش » . وفى أمثال الميدانى : « أعز من الزباء ، هي امرأة من العماليق وأمها من الروم وكانت ملكة الحيرة » . ففى هذين النصين مايكشف السر فى نسبتها إلى الروم . وانظر دائرة المعارف الإسلامية مادة (تدمر) .

(٨) هو عدي بن زيد العبادي ، من قصيدة له طويلة . انظر بلوغ الأرب (٢ : ١٨٣) .

أقام لهـا على الأنفاقِ عَمرًا ولم تشعُر بأَنَّ لهَا كَمِينًا[١]

ــ على تدبير اليرابيع فى محافيرها هذه[٢] ، ومخارجِها التى أعدَّتها ومداخِلها ، على قدر ما يفجَؤُها من الأمر[٣] .

وأن أهل تُبَّت[٤] والرُّوم ، إنما استخرجوا الاحتيال بالأنفاق[٥] والمطامير والمخارق[٦] على تدبير اليرابيع

(اشتقاق المنافق)

وإنما سمَّى الله عز وجل الـكافرَ فى باطنه المورِّىَ بالإيمان ، والمستتر[٧]

---

(١) على الأنفاق ، أى على أنفاقها التى عملتها . فيما عدا ل : «أقام به ... ولم يشعر» تحريف . والرواية فى بلوغ الأرب :

ودس لهـا على الأنفاق عمرا بشكته وما خشيت كمينا

وعمرو هذا هو عمرو بن عدى ، المطالب بثأر خاله جذيمة . وكان عمرو قد صار إلى الزباء فى ألفى دارع على ألف بعير فى جوالق ، بحيلة دبرها « قصير » الذى جدع أنفه احتيالا ، وصانع الزباء حتى وثقت به وأطلعته على سر أنفاقها ، فلما دخلت الإبل مدينة الزباء ثاروا بأهلها ضربا بالسيف ، فهربت تريد السرب ، فوجدت عمرو بن عدي علي باب النفق فتلقاها فجللها بالسيف . وقيل : بل وجدت « قصيرا » قائمـا عنده بالسيف ، فانصرفت راجعة ، واستقبلها عمرو فضربها . وقيل : بل مصت خاتمها وقالت : بيدي لا بيد عمرو ! انظر قصة الزباء فى كامل ابن الأثير (١ : ١٩٨ — ٢٠١) والطبرى (٢ : ٣١ — ٣٦) والمسعودي . وفى شرح المقامات للشريشى (٢ : ٧) أن مقتل والد الزباء كان عند بعث عيسى عليـه السلام .

(٢) ل : « فى محافرها » مع حذف « هذه » .

(٣) الجار والمجرور ساقط من ط ، هـ . وفى سـ : « من الأمور » وأثبت ما فى ل .

(٤) تبت : بلاد بالصين . ط ، هـ : « بيت الفرس » صوابه فى ل .

(٥) الأنفاق : جمع نفق . وهذه الـكلمة ثابتة فى ل ، سـ فقط .

(٦) المطامير ، سبق الحديث عنها فى ١٠٩ . والمخارق ، كذا وردت بالقاف .

(٧) ل : « المتستر » .

بخلاف ما يُسِرّ ـ بالمنافق ، على النافقاء والقاصعاء ، وعلى تدبير اليربوع في التورية بشيء عن شيء . قال الشاعر :

إذا الشيطانُ قَصَّع فى قفاها تنفَّقْناه بالحَبْل التُّوءَامِ[1]

وهذا الاسمُ لم يكن فى الجاهلية [لمن عمِل] بهذا العمل . ولكن الله عز وجل اشتق لهم هذا الاسم من هذا الأصل .

(كلمات إسلامية)

وقد علمْنا أن قولهم لمن لم يحُجّ : « صَرُورة » ولمن أدرك الجاهلية والإسلام : « مخضرم » ، وقولهم [وتسميتهم] لكتاب الله : « قرآناً[2] » [« فرقانا »] ، وتسميتهم للتمسُّح[3] بالتراب : «التيمُّم» ، وتسميتَهم للقاذف بـ «فاسق[4] » ـ أن ذلك لم يكنْ فى الجاهلية .

و إذا كان للنابغة أن يبتدئ الأسماء على الاشتقاق من أصْل اللغة ، كقوله :

والنُّؤىُ كالحوضِ بالمظْلومة الجَلَدِ[5]

---

(١) سبق هذا البيت فى ص ٢٧٧ . ط فقط : « الحبل » تحريف .

(٢) كلمة : « وقولهم » ليست في ل . وبدلها : « وتسميتهم » . وهذه الأخيرة ثابتة أيضاً فى سه . وفيما عدا ل : « قرآن » .

(٣) فيما عدا ل : « للمسح » .

(٤) القاذف : من يقذف المحصن أو المحصنة وينسبهما إلى الزنا صريحا أو دلالة . وإطلاق لفظ (الفاسق) عليه ما هو فهمه من قول الله : « والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ، وأولئك هم الفاسقون » . سورة النور (الآية ٤) . وفى اللسان : « قال ابن الأعرابي : لم يسمع قط فى كلام الجاهلية ولا فى شعرهم : فاسق » . وانظر ما سبق فى (١ : ٣٣٠ — ٣٣٤) .

(٥) صدره : « إلا الأوارى لأيا ما أبينها » . والمظلومة : الأرض يعمل فيها حوض وليست موضعا للحياض . وأصل الظلم : وضع الشيء فى غير موضعه .

وحتى اجتمعت العَرب[1] على تصويبه ، وعلى اتباع أثره ، وعلى أنها لغة عربية ــ فالله الذى لهُ أصلُ اللغةِ أحقُّ بذلك .

(شعر شمَّاخ فى الزّموع)

وذكر شمَّاخُ بنُ ضرار الزّموع ، وكيف تطأ الأرنبُ عَلَى زَمَعاتها لتغالطَ الـكلاب وجميعَ مايطالبها ــ فذكر بديئاً[3] شأن العَيرِ والعانة ، فقال :

إذا ما استافَهُنَّ ضَرَبْنَ منهُ مكان الرُّمح من أنف القَدُوعِ[4]

وقد جَعَلتْ ضَغَائِنهنّ تبدُو بما قد كان نالَ بلا شفيعِ[5]

مُدِلاَّتٍ ، يُرِدْنَ النّأْىَ منه وهُنَّ بِعَينِ مُرْتَقِبٍ تَبُوعِ ٨٧

ثم أخذَ فى صفة العُقاب ، وصار إلى صفة الأرنب[6] فقال :

كأنَّ مُتُونَهنَّ موَلِّيـاتٍ عِصِىُّ جناحِ طالبةٍ لَمُوعِ[7]

---

(١) ل : « أجمعت العرب » .

(٢) الزموع ، بالفتح : التي تمشى على زمعتها إذا دنت من موضعها لئلا يقتص أثرها . فيما عدا ل : « اليربوع » محرف .

(٣) بديئا : أولا . وفى ، ط ، هـ : « بدءا » وفى س : « بدا » .

(٤) استافهن : شمهن ، يعنى الحمار . والقدوع : الذى يقدع ويرد بالرمح ، وهو الفحل إذا قرب من الناقة ليقعو عليها فيضربون أنفه بالرمح أوغيره ويحمل عليها غيره . ل ، ط : « استافهن » س ، هـ : « اشتاقهن » صوابه ما أثبت من الديوان ٦٠ والأمالى (١ : ١٠٧) واللسان (١١ : ٦٦ و ١٠ : ١٣٢) وفيما عدا ل : « فى أنف » صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٥) أى صارت أحقاد هذه الأتن تبدو وتظهر ، فقد كن يمكنه أول الأمر بلا شفيع ، فلما حملن منه أبدين هذه الضغائن التي كن يخبأنها . ل : « ظعائنهن » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الأرانب » .

(٧) المتون : جمع متن ، وهو الظهر . موليات : مدبرات . والعصى : العظام التى فى الجناح . اللسان (١٩ : ٢٩٧ س ٦) . طالبة : تطلب الصيد ، عنى بها العقاب . واللموع : التى تلمع بجناحيها : أى تحركهما فى الطيران ، وتخفق بهما ، ويقال لجناحى الطائر مِلمعاه . جعل لسرعة هذه الأتن مثلا من سرعة العقاب .

قليلا ما تَرِيثُ إذا استفادتْ غريضَ اللّحمِ عن ضرمٍ جَزُوعِ[(١)]

ثم قال :

فما تَنفَكُّ بين عُويرِضَاتٍ تجُرُّ برأسِ عكرِشةٍ زَمُوعِ[(٢)]
تطاردُ سِيدَ صاراتٍ ، ويوماً على خِزَّانِ قاراتِ الجُموعِ[(٣)]
تلوذُ ثعالبُ الشَّرَفينِ منها كما لاذَ الغريمُ من التَّبيعِ[(٤)]
نَماهَا العزُّ فى قَطَنٍ ، نَماها إلى فرخَين فى وَكْرٍ رفيعِ[(٥)]
ترى قِطعاً من الأحْناش فيها جَماجمُهنَّ كالخشَلِ النَّزِيعِ[(٦)]

والزَّموع : التى تمشى على زَمعاتها : مآخيرِ رِجْليها[(٧)] .

---

(١) تريث : تبطئ ، أى قليلا إبطاؤها . فيما عدا ل : « قليل » . واللحم الغريض : الطرى . والضرم ، بالكسر ، وبفتح فكسر : فرخ العقاب ، هاتان عن اللحيانى . والضرم ، كفرح : الشديد الجوع . أراد : قليلا ما تبطئ هذه العقاب عن فرخها إذا حصلت على هذا الطعام ، فهى تسرع إليه إسراعا . ه ، س : « استقادت » ه : « عريض » ل : « صرم » محرفات .

(٢) عويرضات : موضع . والعكرشة : الأرنب الضخمة ، أو الأنثى . والزموع : سيفسرها الجاحظ . يقول : ما تنفك تصيد الأرانب .

(٣) السيد ، بالكسر : الذئب . وصارات : اسم جبل . والخزان ، بالكسر : جمع خزز ، كصرد ، وهو الذكر من الأرانب . وفى ط ، ه : « خران » صوابه فى ل ، س . وفى الديوان : « حزان » جمع حزيز ، وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة . والقارات : جمع قارة ، وهى الجبيل الصغير . وفى الأصل : « فارات » صوابه فى الديوان . وفيما عدا ل : « خموع » صوابه فى ل والديوان والجموع : الجماعات .

(٤) الشرفين : مثنى شرف ، وهو ما أشرف من الأرض . ل ، س ، ه : « الشرقين » بالقاف ، وأثبت ما فى ط ، وهى رواية الديوان . وفى الأصل : « منه » صوابه فى الديوان . والغريم : الذى عليه الدين . والتبيع : صاحب الدين . ه : « القريم » محرف .

(٥) نماها : رفعها . ط ، ه : « الغر » صوابه فى ل ، س والديوان .

(٦) الخشل ، فسره الجاحظ فيما يلى بأنه المقل السخيف اليابس الخفيف ، وفسر فى اللسان (١٣ : ٢١٨) بأنه ما تكسر من رؤوس الحلى وأطرافه . وأنشد البيت : فيما عدا ل « كالحسل » صوابه فى ل والديوان واللسان . النزيع : المنزوع . ه ، س : « الزبيع » تحريف .

(٧) مآخير : جمع مؤخر . فيما عدا ل : « بمؤخر » وفى س فقط : « برجلها » .

قال أبو المفضَّل[١] : تُوبِّر[٢] بيديها ، وتمشى عَلَى زَمَعاتها عَلَى رجليها[٣] ، وهى مواضع الثُّنَن[٤] من الدوابّ ، والزَّمَع المعلَّق خلفَ الظِّلف من الشاة والظبى [والثور] . قال : وكل ذلك توْبير[٥] . وهو أن تطأ عَلَى ما خير[٦] قوائمها ، كى لا يعرفَ أثرها إنسانٌ ولا كلب .

وذكر أنها تطاردُ ذئباً مرّةً ، وخُزَزا مرة ، وهو الذّكر من الأرانب والعِكْرِشة : الأنثى[٧] ، والخِرْنِق : ولدها . فإذا قلتَ أرنب أو عُقاب فليس إلا التأنيث . تقول[٨] : هذه العُقاب ، وهذه الأرانب ، إلا أن تقول خُزَز[٩] .

وقطَن : جَبَل معروف . والأحناش : الحيات . وأحناش الأرض : الضبّ ، والقُنفذ ، واليربوع ، وهى أيضاً حشراتُ الأرض . فجعل الحيةَ

(١) أبو المفضل العنبرى، يبدو أنه أحد أولئك الأعراب الذين كانوا يردون إلى البصرة ويروى عنهم العلماء . فقد روى الجاحظ من خبره فى البيان (٢ : ١٦٢) أن أبا الفضل العنبرى قال لعلى بن بشير : إنى التقطت كتابا من الطريق فأنبئت أن فيه شعرا أفتريده حتى آتيك به ؟ قال : نعم ، إن كان مقيداً ! قال والله ما أدرى أمقيد أم مغلول ؟ وقد روى الجاحظ هذا الخبر أيضا فى البيان (١ : ١٢٣) وأوله : « وسمعت ابن بشير وقال له المفضل العنبرى ... » . قال الجاحظ معقبا : « ولو عرف التقييد لم يلتفت إلى روايته » وقد عنى أن ذلك الأعرابى لو عرف معنى التقييد الاصطلاحى ، وهو الإعجام والضبط ، لكان جديراً أن تسقط روايته ، لما يدل ذلك على مخالطته أهل الحاضرة . فقد رأيت أنه جاء فى البيان مرة برسم « أبو الفضل العنبرى » ومرة برسم « المفضل العنبرى » . ط ، هـ : « أبو الفضل » وأثبت ما فى ل . والكلام من : « وقال » إلى : « قال » التالية ساقط من س .

(٢) ط ، هـ : « توتر » صوابه فى ل .

(٣) ط ، هـ : « برجليها » .

(٤) الثنن ، بنونين فى آخره : جمع ثنة ، كقوة ، وهى شعرات مدلاة مشرفات فى مؤخرة الحافر . ط ، هـ : « الأنس » وفى ل : « الثبن » صوابه ما أثبت .

(٥) ط ، هـ : « توتير » صوابه فى ل .

(٦) ط ، هـ : « مؤخر » وأثبت ما فى ل .

(٧) ل : « والأنثى عكرشة » .

(٨) ط ، هـ « وتقول » بزيادة واو .

(٩) يريد أن « الخزز » مذكر . ل : « الخززة » تحريف .

حنشاً على قولهم : «قد آذَتنى دوابُّ رأسى»، يعنون القمل. وعلى قوله تعالى : ﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ[1] ﴾ .

قال أبو المفضَّل[2] [العنبرىّ] : ما أراد إلا الحيّاتِ بأعيانها فى هذا الموضع ، فإن العِقبان أسرعُ إلى أكل الحيّاتِ ، من الحيّاتِ إلى أكل الفأر . و يدلُّ على أنه إنما أراد رؤوسَ الحيَّات بأعيانِها ، قولُه :

تَرَى قِطعاً من الأحناش فيها جَمَاجِمُهُنَّ كالخشَلِ النزيعِ[3]

لأن أرؤُسَ الحياتِ سخيفةٌ ، قليلةُ اللَّحم والعظام[4] . فلذلك شبَّهها بالخشَل النزيع[5] . والخشل : المُقْل السخيف اليابس الخفيف .

(شعر فيه ذكر المقل والحتىّ)

قال خلفٌ الأحمر :

٨٨ سَقَى حُجَّاجَنَا نَوْءُ الثُّريّا عَلَى ما كان من مَطْلٍ وبُخْلِ[6]
هُمُ جَمَعُوا النِّعالَ فأحْرَزُوها وسدُّوا دونَها باباً بقُفْلِ[7]

---

(١) من الآية ١٤ فى سورة سبأ . والمنسأة : العصا . ودابة الأرض ، هى الأرضة .
(٢) فيما عدا ل : « أبو الفضل » وأثبت مافى ل . وانظر التنبيه الأول من الصفحة السابقة .
(٣) انظر الكلام على هذا البيت فى ص ٢٨٢ . فيما عدا ل : « كالحسل » تحريف .
(٤) ط فقط : « والعظم » .
(٥) فيما عدا ل « بالحسل » كما أن كلمة « الخشل » التالية جاءت بالحاء والسين فيما عدا ل . وهو تحريف .
(٦) هذه الأبيات رواها الجاحظ فى البيان (٣ : ٦٤) وابن قتيبة فى عيون الأخبار (٣ : ٣٨) . والنوء : المطر الذى ينزل موافقا لسقوط نجم فى المغرب مع الفجر وطلوع نجم آخر يقابله فى المشرق . والثريا غزيرة النوء . وفى اللسان : « والثريا من الكواكب ، سميت لغزارة نوئها » . فى عيون الأخبار « من بخل ومطل » .
(٧) ط فقط : « البغال » صوابه فى سائر المصادر . وفيما عدا ل والبيان : « وأحرزوها » بالواو .

إذا أهديتُ فاكهةً وشــاةً وعَشْرَ دجائجٍ بعثُوا بنعْلِ (١)
ومِسْواكَيْنِ طولهُمَا ذِرَاعٌ وعَشْرٍ مِنْ رَدِيٍّ المُقْلِ خَشْلِ (٢)
فإن أهديتُ ذاكَ ليحملونى عَلَى نَعْلٍ فدقَّ اللهُ رِجْلِى (٣)
أناسٌ تائهونَ ، لهم رُواءٌ تَغِيمُ سماؤهم من غيرِ وَبْلِ (٤)
إذا انتَسَبُوا ففرعٌ من قُرَيش ولـكنّ الفعالَ فعالُ عُـكْلِ (٥)

والحتِيّ ، المقْلُ عَلَى وجهه (٦) وقال أبو ذؤيب (٧) :

لا دَرَّ دَرِّيَ إن أطعمتُ نازِلَهمْ قِرْفَ الحتِيِّ وعندِى البُرُّ مكنوزُ (٨)

---

(١) فى عيون الأخبار : «فإن أهديت فاكهة وجديا» .

(٢) ردى : مسهل ردئ ، والأخيرة رواية ابن قتيبة . والمقل : ثمر الدوم . والخشل : فسره الجاحظ فيما سبق . وحكى ابن برى عن أبي عمر الزاهد وابن خالويه وابن فارس وغيرهم ، فى الخشل للمقل ، أنه بالإسكان لا غير ، وأن ما ورد منه محركا فهو على جهة الضرورة ، كبيت الكميت وكبيت الشماخ الذى سبق فى ٢٨٢ س ٧. اللسان (١٣ : ٢١٨). فيما عدا ل : « حسل » تحريف .

(٣) الدق : الكسر والرض . ط ، ھ : « أدق » س : « أحق » صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٤) تائهون ، من التيه ، وهــو الكبر . والرواء : حسن المنظر فى البهاء والجمال ، وهو من الرؤية . والوبل : المطر الغزير . وهذا البيت ساقط من ل ، ولم يرو فى البيان .

(٥) عكل : قبيل فيهم غباوة وقلة فهم ، ولذلك يقال لـكل من فيه غفلة ويستحمق : عكلى . اللسان (١٣ : ٤٩٤ — ٤٩٥) . والتعقيب التالى والبيت بعده ساقطان من ل .

(٦) فى اللسان : « الحتى ، على فعيل : سويق المقل ، وقيل رديئه ، وقيل يابسه » ، وأنشد البيت التالي .

(٧) روى فى أشعار الهذليين (٢ : ٨٧) منسوبا إلى المتنخل الهذلى ، وكذلك نسب إلى المتنخل فى البيان (١ : ٣٢) وجمهرة ابن دريد (١ : ٢٧) .

(٨) فى أشعار الهذليين واللسان وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٧٩ : « نازلكم » . وفى جمهرة ابن دريد (١ : ٢٧ ، ٢ : ٦) : « رائدهم » . وفى اللسان (٥ : ٣٦٥) : « نازلهم » كما هنا . قال العسكرى : « ويقولون عند المدح لله در فلان ، وعند الذم لادر دره . . . ومعنى قولهم لا در دره أى لا كان له خير يدر على الناس » . والقرف ، بالكسر : ما قرف ، يعني قشره . وفى الأصل : « مكنون» صوابه فى الهذليين واللسان والبيان وجمهرة ابن دريد وجمهرة الأمثال . =

باب آخر

مما للسنور فيه فضيلة[١] على جميع أصناف الحيوان ماخلا الإنسان

وإذا قال القائلُ : فلانٌ وضعَ كتاباً فى أصناف الحيوان — فليس يدخل فيها الملائكةُ والجنُّ . وعلى هذا كلام الناس .

وللحيوان موضع آخر ، وهو قول الله عز وجل فى كتابه : ﴿ وَإِنَّ الدَّارَ الآخرةَ لَهِىَ الحَيَوانُ[٢] ﴾ .

قد علمْنا أن العُجْم من السِّباع والبهائم ، كلما قُربت من مُشاكَلة الناس ، كان أشرف [لها] . والإنسان هو الفصيحُ وهو الناطق .

(إطلاق الناطق على الحيوان)

وقد يشتقون لسائر الحيوان الذى يُصَوِّتُ ويصيح[٣] ، اسم الناطق إذا قرنوه فى الذكر إلى الصامت . ولهذا الفرق أعطوه هذه المشاكلةَ ، وهذا الاشتقاق . فإذا تهيأ من لسانٍ بعضها من الحروف مقدارٌ يَفضُل به[٤] عَلَى مقادير الأصناف الباقيةِ ، كان أولى بهذا الاسمِ عندهم .

= والبيت أول أبيات زائية عددها ١١ بيتاً ، وبعده :

لو أنه جاءنى جوعان مهتلك   من بؤس الناس عنه الخير محجوز

(١) فيما عدا ل : « فضيلته » . وكلمة : « أصناف » التالية ساقطة من ل .

(٢) الحيوان ، فى الآية الكريمة : مصدر كالحياة . الآية ٦٤ من سورة العنكبوت .

(٣) فيما عدا ل : « التى تصوت وتصيح » .

(٤) ط ، هـ : « مقدار ما تفضل به » .

فلما تهيأ للقَطاةِ ثلاثة أحرف . قاف ، وطاء ، وألف ، وكان[1] ذلك هو صوتها ، سمَّوها بصوتها ، ثم زعموا أنها صادقةٌ فى تسميتها نفسها قَطا . قال الكُمَيت :

كالناطقات الصادقا ت الواسقاتِ مِنَ الذَّخائر[2]

وقال الآخر وذَكَرَ القطاة[3] :

وصادقةٍ قد خبَّرتْ ، ما بعَثْتها
طُرُوقاً ، وباقى الليل فى الأرض مُسْدِفُ[4]

فجعلها مُخْبِرة ، و[جعل] خبرها صدقاً ، حين زعمتْ أنها قطاً ؛ وإن كانت القطاة لم تَرُمْ ذلك[5] .

والعرب تتوسع فى كلامها . وبأى شىء تفاهمَ الناسُ فهو بيانٌ ، ٨٩ إلا أن بعضه أحسنُ من بعض .

والذى تهيأ للشاةِ قولها : ما ، و[لذلك] قال ذو الرُّمة :

لا يرفعُ الصَّوْتَ إلا ما تخوَّنه داعٍ يناديه باسم (الماء) مَبغُومُ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « فكان » .

(٢) هـ : « كأن طقات » ط : « كأن الناطقات » صوابه فى ل ، س والعمدة (٢ : ٢٣) . الواسقات : الجامعات .

(٣) ل ، ط ، هـ : « فى ذكر القطاة » .

(٤) طروقا : ليلا . وفى اللسان (١٢ : ٨٧) : « وأتانا فلان طروقا إذا جاء بليل » . مسدف : مظلم . ل : « قد تبعتها » . وفيما عدا ل : « مسرف » تحريف .

(٥) رام الشىء يرومه : أراده . ل : « لم ترد ذلك » .

(٦) الرواية فى الديوان واللسان (١٦ : ٣٠٢) : « لا يرفع الطرف » أى العين . وفى الديوان ٥٧١ واللسان (٨ : ٢٤٨ و١٤ : ٣١٧ و٢٠ : ٣٦٣) : « لا ينعش الطرف » ينعش : يرفع . تخونه : تعهده . وإنما وصف ولد ظبية أودعته خمراً من الأرض ، وهى ترتع بالقرب منه ، وتتعهده بالنظر إليه ، وتؤنسه ببغامها ، فهو لا يرفع طرفه إلا أن يسمع صوت أمه تناديه . ط ، س : « تخوفه » فى ل ، هـ وسائر المصادر . والماء : حكاية صوت الشاة ، جعله للظبية . مبغوم : باغم ، وضع مفعولا موضع فاعل . بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها .

وقال أبو عبّاد النميرىّ لخربَق العُمَيرى[1] ، وكان يتعشّقه[2] ورآه قد اشترى أضْحِيَة ، فقال :

يا ذابح الماه ماه فعلْتَ فعل الجفاه[3]
أما رَحِمْتَ مِنَ المو تِ ياخريبق شاهْ[4]

والصبيان هم الذين يسمون الشاة : ماه[5] ، كأنهم سموْها بالذى يسمعوه[6] منها ، حينَ جهلوا اسمها .

وقيل لصبى يلعب على بابهم : مَنْ أبوكَ يا غُلام ؟ ـ وكان اسم أبيه كلباً ـ فقال : وَوْ وَوْ[7] .

وزعم صاحبُ المنطق ، أن كل طائر عريض اللسان ، فالإفصاح بحروف الكلام منه أوجَد[8] .

ولابن آوى صياحٌ يشبهُ صِياحَ الصبيان . وكذلك الخنزير . وقد تهيأ للكلب مثلُ : عَفْ عَفْ ، ووَوْ وَوْ ، وأشباه ذلك . وتهيّأ

---

(١) ط ، هـ : « لخوينق » س : « لخرنيق » وأثبت ما فى ل . و « العميرى » هو فى ط فقط « العمرى » .
(٢) فيما عدا ل : «يتمسفه» تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « المامات » و « والجفاة » .
(٤) خريبق : تصغير خربق . ط ، هـ : « خوينق » س : « خرنيق » وأثبت ما فى ل .
(٥) وفيما عدا ل « ماما » .
(٦) فيما عدا ل : « سمعوا » .
(٧) ورد هذا الخبر برواية الهيثم بن عدي فى الحيوان (٢ : ١٦٨) والبيان (١ : ٦٢) .
(٨) أوجد : أكثر وجوداً . ط فقط : « أوجه » تحريف ، فى هـ ، س : « لحروف الكلام » تحريف . وفى البيان (١ : ٦١) عن صاحب المنطق أنه زعم فى كتاب الحيوان « أن الطائر ، والسبع ، والبهيمة ، كلما كان لسان الواحد منها أعرض كان أفصح وأبين ، وأحكى لما يلقن ولما يسمع » .

للغراب القاف[1] . [وقد تهيَّأ للهزاردَسْتان[2] ـ وهو العندليب ـ ألوانٌ أخر] ، و [قد] تهيَّأ للببغاء من الحروف أكثرُ . فإذا صِرْتَ إلى السنانير وجدتها قد تهيَّأ لها من الحروفِ العددُ الكثير ، ومتى أحببْتَ أن تعرِفَ ذلك فتسمَّعْ تجاوُبَ السنانيرِ ، وتوعُّدَ بعضها لبعض فى جوف الليل ، ثم أحصِ ما تسمعه وتتبَّعْه ، وتوَقَّفْ عنده ، فإنك ترى من عدد الحروف ما لو كان لها[3] من الحاجاتِ والعقولِ والاستطاعات ؛ ثمّ ألَّفَتْها لكانت[4] لغة صالحة الموضع[5] ، متوسِّطة الحال .

(العلة فى صعوبة بعض اللغات)

واللغاتُ إنما تشتدُّ وتعسُرُ عَلَى المتكلم بها ، عَلَى قدْر جهله بأماكنها التى وُضعت فيها ، وعَلَى قدْر كثرةِ العدد وقِلَّته ، وعَلَى قدْرِ مخارجها ، وخفَّتها وسَلَسِها ، وثِقلها وتعقُّدِها فى أنفسها ، كفرق ما بين الزِّنجى والخُوزى فإن الرجلَ يتنخَّس فى بيع الزِّنج وابتياعهم شهراً واحداً[6] فيتكلمُ بعامّة كلامهم ، ويبايع الخُوزَ ، ويجاوِرُهم زماناً فلا يتعلَّق منهم بطائل .

(١) أى فى قوله : غاق غاق . وهذه الجملة ساقطة من ل . وفى س : « أساف » بدل « القاف » وفى هـ : « وتهيأ للغداف أساف » تحريف .
(٢) هذه الكلمة الفارسية مركبة من « هزار » بمعنى ألف . و « دستان » بمعنى أغنية أو لحن . وذلك لأنه يغنى ألحاناً كثيرة .
(٣) فيما عدا ل : « ما إن كان بها » .
(٤) فيما عدا ل : « صارت » .
(٥) س : « الوضع » .
(٦) يتنخس : أراد يحترف النخاسة . والنخاسة ، بكسر النون وفتحها : بيع الرقيق والعبيد وأصل النخاس بائع الدواب ، سمى بذلك لنخسه إياها . والفعل « يتنخس » لم تذكره المعاجم . ط فقط : « وإن الرجل » ، ل : « ويبتاعهم » .

والجملةُ : أن مِنْ أعْوَنِ الأسباب عَلَى تعلُّم اللغة[١] فرط الحاجة إلى ذلك . [وعلى قدْر الضرورة إليها فى المعاملةِ يكونُ البلوغُ فيها ، والتقصير عنها]

(مناسبة الهر للإنسان)

والسنور يناسبُ الإنسان فى أمور[٢] : منها أنه يعطِسُ ، ومنها أنه يتثاءب ، ومنها أنه يتمطَّى ويغسل وجهَه وعينَيه بلعابه . وتلطع الهرّةُ وبَرَ جلدِ ولدِها[٣] بعد الكبر ، و [فى] الصغر ، حتى يصير كأن الدِّهان تجرى فى جلده[٤] .

(ما يتهيأ للغربان من الحروف)

ويتهيأ لبعض الغِرْبان من الحروف والحكايةِ ما لا يَعْشِرُهُ الببغاء[٥] .

(نفع الفار)

وزعمت الأطباء أن خُرْءَ الفارِ يُسقاهُ صاحبُ الاسر فيُطْلَق [عن]

---

(١) فيما عدا ل : « اللفظ » تحريف . والكلام من مبدأ : « والجملة » إلى : « بلعابه » التالية ساقط من س .

(٢) فيما عدا ل : « بأسباب » .

(٣) تلطع : تلحس . س ، هـ : « يلطع » تحريف . ط : « وتبرق جلد ولدها » س : « ويبرق » هـ : « ويبر » صوابه فى ل .

(٤) الدهان : جمع دهن . فيما عدا ل : « يجرى » وفى س : « فيه » بدل « فى جلده » .

(٥) يعشره : يبلغ عشره . ط : « وتفسره » س ، هـ : « يفسره » صوابه فى ل . وكلمة « والحكاية » ليست فى س .

بوله . والأسر هو حُصر البول ولـكن لايسمّى بذلك[١] وهو الأسر ٩٠
بالألف ، دون الياء .

ويصيب الصبىَّ الحصرُ[٢] فيحتمل من خُرْء الفأر فيُطْلق عنه[٣] . فقد تهيأ فى خرء الفأر دواءان[٤] لداءين قاتلين مجْهِزين[٥] . ولذلك قيل لأعرابىّ قد اجتمعتْ فيه أوجاعٌ شِداد : أىَّ شىء تشتكى ؟ قال : أمّا الذى يَعْمِدنى[٦] فحُصرٌ وأُسْر .

(استطراد لغوى)

يقال : خَثَى الثور يَخْثِى خَثْياً . وواحد الأخثاء خِثْىٌ كما ترى .

ويقال : خَزَق[٧] الطائر ، وذَرَق ، ومَزَق[٨] ، وزَرَق .

قال ابنُ الأعرابيّ : لايكون النّجوُ جَعراً[٩] حتى يكون يابساً .

ويقال : ونَم الذّبابُ . واسم نجوِه : الونيم . وقال الشاعر[١٠] :

---

(١) أى لا يقال به حصر من البول ، وإنما يقال به أسر نقط . وفى اللسان : « الأصمعى واليزيدى : الحصر من الغائط . والأسر من البول » .

(٢) الحصر ، بضم وبضمتين : احتباس البطن .

(٣) ل : « خرو الجرذان » .

(٤) فيما عدا ل : « وقد تهيأ من » وفى ل : « خرو الفأر » . ط ، هـ : « دوآن » ل : « دوا ين » صوابه فى س .

(٥) أجهز : أسرع فى القتل . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، هـ . وبدلها فى س : « مجهدين » تحريف ما أثبت من ل .

(٦) عمده : أضناه ، وأوجعه ، وفدحه . ط ، س : « يقيدنى » هـ : « يقيدلى » صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « خرئ » تحريف .

(٨) مزق ، بالزاى . وفى حديث ابن عمر : « أن طائرا مزق عليه » أى ذرق ورمى بسلحه. فيما عدا ل : « مرق » تحريف .

(٩) كذا على الصواب فى ل . وفيما عداها : « رجعا » . والرجع : الروث .

(١٠) هو الفرزدق ، كما فى صحاح الجوهري (ونم) ونقله صاحب اللسان : وليس فى ديوانه . وفى الاقتضاب ٣٤٩ : « البيت للفرزدق فيما رواه أبو العباس المبرد » . وأنشد قبله بيتاً آخر فيه كلام طويل . ولم يرو البيت أبو العباس المبرد فى الكامل .

وقد وَنَمَ الذُّبابُ عليه حتى كأنَّ ونيمَهُ نَقْطُ المِدَادِ[1]

وهو[2] وَنِيم الذُّباب، وعُرَّة الطائر[3]، وصوم النَّعام، ورَوْث الحمار، وبعر البعير والشاةِ والظبي، وخِثْي البقرِ[4].

وقال الزُّبير[5]: «مَنْ أَهْدَى لَنا مِكْتَلاً من [عُرَّةٍ أَهْدَيْنا لهُ مِكْتَلاً مِنْ] تمر[6]».

قال: العُرَّة[7] اسمٌ لجميعِ مايكونُ من جميعِ الحيوان. ولذا قال الزبيرُ[5] ما قال.

[قال]: ويقال: رَمَصَتْ الدجاجة[8]، وذرقت، وسَلَحَت. فإذا صاروا إلى الإنسان والفأرة قالوا: خُرء الإنسان وخُرء الفأرة. ويقال:

---

(١) الرواية في المخصص (٨ : ١١٦) وأدب الكاتب ١٣٤ واللسان (ونم): «لقد ونم».

(٢) فيما عدا ل: «فهو».

(٣) العرة، بضم العين: ذرق الطائر. ط: «خرء» س، هـ: «غرة» صوابه في ل.

(٤) الخثي، بالكسر. فيما عدا ل: «خثاء» تحريف.

(٥) هو الزبير بن العوام الأسدي، حواري الرسول، وأحد العشرة الذين سموا للجنة. وكان رسول الله أقطعه حضر فرسه، فركض حتى أعيا فرسه. وروي أنه كان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فكان لا يدخل بيته منه شيئا، يتصدق به كله. قتله ابن جرموز بوادي السباع يوم الجمل سنة ست وثلاثين. الإصابة ٢٧٨٣ والمعارف ٩٦ — ٩٧. وفي طبقات ابن سعد (٣ : ٧٧) عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: «كان قيمة ما ترك الزبير أحداً وخمسين أو اثنين وخمسين ألف ألف». فيما عدا ل: «ابن الزبير». على أن الكلام روي منسوبا إلى سعد بن أبي وقاص، أنه كان يدمل أرضه بالعرة فيقول: «مكتل عرة مكتل بر» انظر اللسان (٦ : ٢٣٣ س ٥ و ١٣ : ٢٦٦ س ١٥). دمل أرضه وأدملها: أصلحها بالدمال، والدمال، كسحاب: السرجين يسمد به الأرض. وفي جمهرة ابن دريد (١ : ٨٤): «وفي الحديث أن سعدا كان يحمل إلى أرضه العرة».

(٦) المكتل، كمنبر: شبه الزبيل يسع خمسة عشر صاعا.

(٧) ط: «العذرة» هـ، س: «الغرة» صوابه ما أثبت من ل.

(٨) رمصت، بالصاد المهملة. وفيما عدا ل: «رمضت» تحريف.

خُروءة الفأرة[1] أدخلوا الهاء فيه ، كما قالوا ذُكورة للذُّكران[2] . وقد يُستعار ذلك لغير الإنسان والفأرة . قالت دَخْتَنُوس بنتُ لَقيطِ بن زُرارة ، فى يوم شِعْب جَبَلة[3] :

فرّتْ بنو أسدٍ خرُو ء الطَّير عن أربابها

فلذلك يقال لبنى أسد : خروء الطير[5] . وقيل لهم : عبيد العَصَا[6] [ببيت] قاله صاحبهم بشرُ بن أبى خازم ، قالها لأوس بن حارثة[7] :

عَبيدُ العَصَا لمْ يَتَّقُوكَ بذمةٍ سِوى سَيبِ سُعْدَي إنّ سَيْبَكَ واسعُ[8]

---

(١) فيما عدا ل : « خروة » تحريف . وفى ل : « النحل » صوابه فى سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : « الذكر » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « أدخلوا فيها الهاء » .

(٣) ترثى أباها لقيط بن زرارة . وروى ابن الأثير أن لقيطا تزوج ابنته دختنوس على عادة المجوس ، وأنه قتل وهى تحته . والبيت التالى من أبيات رواها ابن الأثير فى الكامل (١ : ٣٥٧) ثلاثة عشر بيتا ، روى منها صاحب العقد (٣ : ٣٠٩) ثلاثة أبيات وكان يوم شعب جبلة لعامر وعبس على ذبيان وتميم ، واجتمعت فيه أسد وغطفان إلى لقيط . ودارت الدائرة على ذبيان وتميم وقتل لقيط ، وأسر أخوه حاجب . وكان شعب جبلة قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد الرسول الكريم .

(٤) فيما عدا ل : « بخره الطير » تحريف . وفى الكامل والعقد : « فرار الطير » .

(٥) فيما عدا ل : « خره الطير » .

(٦) انظر المثل : « عبيد العصا » عند الميدانى (١ : ٤٢٦) وثمار القلوب ٥٠٤ .

(٧) هو أوس بن حارثة بن لأم الطائى . وكان بشر قد حمل حملا على هجاء أوس وجعلت له فى ذلك جعالة ، فهجاه بخمس قصائد ، ثم وقع بشر فى الأسر ، وظفر به أوس بعد أن أعطى من أسروه مائتى بعير وأوقد له ناراً ليحرقه ، فبلغ ذلك أم أوس ، وهى سعدى بنت حصن ، فأنذرته أن يخلى سبيله ويصفح عنه خوف الهجاء ، فعفا عنه وكساه وحمله وأمر له بمائة ناقة ، فكان ذلك سببا فى أن يغسل بشر هجاء أوس بخمس قصائد فى مدحه . انظر مختارات ابن الشجرى ٦٥ — ٨٣ . والبيت الآتى من أبيات المديح ، وهى كذلك هجو فى بنى أسد ، وبنو أسد هم قوم بشر بن أبى خازم الأسدى ، فكأنه يتقرب إلى أوس بهجائه عشيرته وقومه .

(٨) سعدى ، وهى بنت حصن ، وهى أم أوس ، كما فى التنبيه السابق . ل : « لا يتقوك » . وتصح بجعلها لا الناهية . وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية ثمار القلوب ٥٠٤ . وفيما عدا ل : « سوى سب شعرى إن سبك واسع » . تحريف . وعند الثعالبى : « سوى أنهم نخل وفضلك واسع » .

(ميسم الشعر)

فيجبُ على العاقل بعدَ أن يعرف مِيسم الشّعر ومَضرّته ، أن يتّقي لسانَ أخسِّ الشُّعراء وأجهلهم شِعراً بشِطْر ماله ؛ بل بما أمكنَ من ذلك . فأما العربيُّ أو المولى الرّاوية(١) ، فلو خرجَ إلى الشعراء من جميع مِلكه(٢) لما عنّفتُه .

والذى لا يكترث لوقْع نِبَالِ الشعر ، كما قال الباخَرْزِىّ(٣) :

مالي أرَى الناسَ يأخُذُونَ ويُعطُونَ ويستَمْتعون بالنَّشَبِ(٤)
وأنتَ مثلُ الحمار أبهَمُ لا لاتشكو جراحاتِ ألْسُنِ العرَبِ(٥)

ولأمرٍ مّا قال حذيفةُ لأخيهِ(٦) ، والرماحُ شوارعُ في صدره « إياكَ والكلامَ المأثور(٧) ! » .

---

(١) فيما عدا ل : « وأما العربى والمولى الرواية » .

(٢) فيما عدا ل : « ماله » .

(٣) أى هو كما قال الباخرزى . والباخرزى نسبة إلى باخرز ، بفتح الخاء وسكون الراء وزاى . وفى هـ : « الناحزوى » تصحيف . وفى عيون الأخبار (٢ : ٤١) « قال الشاعر في جاهل » .

(٤) النشب : المال .

(٥) أبهم ، فى اللسان (١٤ : ٣٢٢) : « والأبهم كالأعجم » . فيما عدا ل وعيون الأخبار : « إنهم شكوا جراحات » تحريف .

(٦) حذيفة ، هو حذيفة بن بدر الفزارى ، وكان رئيس فزارة فى حرب داحس . وأخوه الذى عنى الجاحظ هو حمل بن بدر . انظر العقد (٣ : ٣١٦) والبيان (٢ : ٨٨) .

(٧) قالها يوم الهباءة ، وهو يوم لعبس على بنى ذبيان . وكان قيس بن زهير العبسى قد أدرك بفرسان بنى عبس حمل بن بدر وأخاه ، فقال حمل : ناشدتك الله والرحم يا قيس ! وقال أيضا لبنى عبس : نؤدى السبق ، وندى الصبيان ، ونخلى سربنا وتسودون العرب ! فانتهره حذيفة وقال : « إياك والكلام المأثور » . وفى رواية العقد : « إياك والمأثور من الكلام ! » . وفى هذا اليوم قتل حذيفه وأخوه . وانظر ليوم الهباءة معجم البلدان وكامل ابن الأثير (١ : ٣٥٢) والعمدة (٢ : ١٦١) والميدانى (٢ : ٣٦٢) والخزانة (١ : ٣٠٣ ، ٣ : ٣٥٨ ، ٤ : ٥٨٥) .

وهذا مذهبٌ فرَّعَتْ فيه العربُ جميعَ الأمم(١) . وهو مذهبٌ جامع ٩١
لأسباب الخير(٢) .

(استطراد لغوى)

قال : و يقال لموضع الغائط : الخَلاء ، والمَذْهب ، والمَخْرَج ، والكنيفُ والحُشُّ(٣) ، والمرحاض ، والمِرْفق .

وكل ذلك كناية واشتقاق ، وهذا أيضاً يدلك على شدة هربهم من الدناءة والفُسولة ، والفُحْش والقذَع(٤) .

[قال] : وعن اليزيدىّ(٥) : رجع الرجُلُ ، من الرجيع .

وخبرنى أبو العَاصِى(٦) عن يونس ، قال : ليس الرجيع إلا رجيع

---

(١) فرع القوم : علاهم بالشرف . فيما عدا ل : « فرعت فيه الشعراء من جميع الأمم » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « لأصناف الخير » .

(٣) الحش ، بالضم : هو فى أصله جماعة النخل ، و البستان . وكانوا فى الزمان الأول ، يذهبون عند قضاء الحاجة إلى البساتين ، وقيل إلى النخل المجتمع . وهذه الكلمة ساقطة من ط ، س .

(٤) القذع ، بحركة ، وآخرها عين : الخنا والفحش . فيما عدا ل : « والقدح » والقدح : الطعن .

(٥) هو يحيى بن المبارك بن المغيرة العدوى ، أبو محمد اليزيدى النحوى المقرئ اللغوى . بصرى سكن بغداد ، وحدث عن أبى عمرو والخليل ، وعنهما أخذ العربية . أدب أولاد يزيد بن منصور الحميرى ونسب إليه ، ثم أدب المأمون ، وكان المأمون يعجب به ويستشيره فى العلم . مات بخراسان سنة ثنتين ومائتين عن أربع وسبعين . بغية الوعاة .

(٦) أبو العاصى ، لم أعثر له على ترجمة . ل : «أبو العاص» وهما لغتان . وفى تاج العروس (١٠ : ٢٤٥) : « قال النحاس : سمعت الأخفش يقول : هو العاصى بالياء لايجوز حذفها . وقد لهجت العامة بحذفها . قال النحاس : هذا مخالف لجميع النحاة . يعنى أنه من الأسماء المنقوصة فيجوز فيه إثبات الياء وحذفها » . وانظر شرح الرضى للشافية (٢ : ٣٠٣) .

القولُ والسَّفَرُ والجِرَّة[1] . قال الله تعالى : ﴿ والسَّماءِ[2] ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾[3]

وقال الهذلىُّ ، وهو المتنخل[4] :

أبيضُ كالرَّجعِ رسوبٌ إذا ما ثاخ فى مُحْتَفَلٍ يَخْتَلِى[5]

وفى الحديث[6] : « فلما قَدِمنا الشامَ وجدْنا مرافقهم قد استُقْبِلَ بها القِبْلة[7] ، فكنَّا نتحرَّف[8] ونستغفرُ الله » .

---

(١) فى اللسان : « وكل شئ مردد من قول أو فعل فهو رجيع ؛ لأن معناه مرجوع أى مردود » . وفيه : « وسفر رجيع مرجوع فيه مراراً » وفيه : « والرجيع الجرة لرجعه لها إلى الأكل » . فيما عدا ل : « القول والشعر والخبر » تحريف .

(٢) الآية ١١ من سورة الطارق ، والرجع فى الآية بمعنى المطر .

(٣) جميع النسخ ما عدا ل تزيد هنا : « فأما نجو الإنسان فإنه رجع » .

(٤) المتنخل : بكسر الخاء المشددة ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٤١٣) . والبيت فى ديوان المتنخل من أشعار الهذليين (٢ : ٨٦) . فيما عدا ل : « هو المنخل » تحريف وانظر اللسان (٣ : ٤٨٨ و ٩ : ٤٧٨) وفيه النسبة إلى المتنخل . وفى المخصص (١٠ : ١٢٩) : « وقال بعض هذيل ووصف سيفاً فشبهه فى بياضه وصفائه بالرجع » . وبدون نسبة فى المخصص (٦ : ٢١) .

(٥) أراد بالأبيض السيف . والرجع : الغدير يتردد فيه الماء . والرسوب : الذى يرسب فى اللحم . ثاخ : نزل وغاب فيه . ومحتفل ، روى بفتح الفاء وكسرها . وفى اللسان « ومحتفل الأمر معظمه . ومحتفل لحم الفخذ والساق أكثره لحما » . وأنشد البيت ، ثم قال : « ويجوز : فى محتفل » . يختلى : يقطع . و « أبيض » روى بالرفع فى اللسان (ثوخ وحفل) وبالنصب فى المخصص (٦ : ٢١) وبالجر فى المخصص (١٠ : ١٢٩) وذلك مع رفع « رسوب » ونصبه وجره . وفى أشعار الهذليين بالجر والرفع . و « ثاخ » هى فيما عدا ل : « ناخ » صوابها فى سائر المصادر .

(٦) فى اللسان (١١ : ٤٠٩) : « وفى حديث أبى أيوب » . وأبو أيوب الأنصارى هو خالد بن زيد بن كليب ، شهد مع على حروراء ، وغزا مع يزيد بن معاوية ، ومات بالقسطيطينية سنة إحدى وخمسين . وكان من أكابر الصحابة وأقدمهم إسلاما . وعليه نزل الرسول الكريم لما قدم المدينة . المعارف ١١٥ والإصابة ٢١٥٩ .

(٧) كلمة « القبلة » ليست فى ل . والمرافق : جمع مرفق ، بكسر الميم ، وهو المغتسل والكنيف ونحوه . ولأجل هذه الكلمة ساق الجاحظ هذا الحديث .

(٨) سه : « نتحرف » .

(شعر ابن عبدل فى الفأرة والسنّور)

وقال ابن عَبدَلٍ فى الفأرة والسنَّور :

يا أبا طلحةَ الجوادَ أغِثْنى بسجال من سَيْبك المقسوم[(١)]

أخىِ نفسى فَدَتْكَ نفسى فإنى مفْلِسٌ قد علِمْتَ ذاكَ عديم[(٢)]

أوْ تطوّعْ لنا بِسَلْفٍ دقيق أجرُه إن فعلتَ ذاكَ عظيم[(٣)]

قد علمتُم — فلا تَعامَسُ عنِّى — ما قَضَى اللهُ فى طعامِ اليتيم[(٤)]

ـ[أراد : لاتعامَسُوا . فاكتفى بالضمة من الواو . وأنشد :

فلو أنّ الأطِبّا كان حولى وكان مع الأطباء الأساةُ[(٤)]]ـ

ليس لى غيرُ جرّة وأصيص وكتابٍ مُنَمنَمٍ كالوُشوم[(٥)]

وكساء أبيعُــه برغيفٍ قد رَقَعنَا خُروقَه بأديم[(٦)]

وإكافٍ أعارَنيــه نَشيطٌ هُو لحافٌ لكلّ ضيفٍ كريم[(٧)]

---

(١) سجال ، بالكسر : جمع سجل ، بالفتح ، وهو الدلو العظيمة المملوءة . والسيب : العطاء . ط فقط : « المعتوم » تحريف .

(٢) عديم : فقير . فيما عدا ل : « قديم » تحريف .

(٣) التطوع : التبرع من ذات النفس . ط ، س : « تطول » . والتطول : الامتنان ، ولا وجه له . والسلف ، بالفتح : الجراب الضخم ، وقيل هو الجراب ما كان .

(٤) التعامس : التغافل والتعامى . ط ، سه : « فلا تقاعس » والتقاعس : الرجوع والتأخر لكن التعقيب التالى يشهد بتحريفه . و « ما » هو مفعول « علمتم » وهو إشارة إلى قول الله : (ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيما وأسيرا) . وقوله : (أو إطعام في يوم ذى مسغبة . يتيما ذا مقربة . أومسكينا ذا متربة) .

(٥) الأصيص : الدن المقطوع الرأس ، أو الباطية ، أو إناء كهيئة الجرة له عروتان يحمل فيه الطين . وفي الصحاح . الأصيص ما تكسر من الآنية ، وهو نصف الجرة أو الخابية تزرع فيه الرياحين . ط : « أحيص » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) الأديم : الجلد لم يدبغ .

(٧) الإكاف ، بالكسر والضم ، ومثله الوكاف : البرذعة . أو مثل الرحل ، يكون للبعير والحمار والبغل . ونشيط : علم من أعلام الناس . هو : لغة في هو . وفى اللسان (٢٠ : ٣٦٨ س ١٧) : « أبو الهيثم : بنو أسد تسكن هو وهى ، فيقولون هوزيد وهى هند » . ط ، ه : « ولحاف » تحريف .

ونبيذٍ مما يبيع صُهيبٌ ... يذر الشيخَ ريحه ما يَقومُ (١)

ربَّ حَلاً فقد ذكرتُ أصيصى ... والحافي حتى يغورَ النُّجومُ (٢)

كل بيت عليه نصفُ رغيف ... ذاك قَسْمٌ عليهمُ معلومُ

فرَّ منه موليّـا فارُ بيتى ... ولقد كان ساكناً ما يَريمُ (٣)

قلتُ: هذا صومُ النصارى فخلُّوا ... لاتُليحُوا شيوخَكم فى السَّمومِ (٤)

ضحِكَ الفأرُ ثم قلْن جميعاً ... أهو الحقُّ كلَّ يومٍ تَصومُ (٥)

قلت: إن البراءَ قد قامَ فى الـ ... ـنَّاس بإذنٍ وأنتَ فينا ذميمُ (٦)

حَمَلُوا زادَهم عَلَى خُنْفُسَاتٍ ... وقُـراد مخيّس مَزْمُومُ (٧)

٩٢ وإذا ضفدعٌ عليـه إكافٌ ... علَّموه بعد النِّفار الرَّسِيمُ (٨)

خطموا أنْفَهُ بقطعة حبـل ... يا لَقومى لأنفِـه المخْطُومُ (٩)

نَصبُوا مَنْجنيقهم حَولَ بيتى ... يالقومى لِبَيْتيَ المهدومُ (١٠)

---

(١) ل : « تذر الشيخ ريحه » .

(٢) س ، ه : « رث جلى » ط : «رثحبلى» ل ، ه : « هولحافى» ه « كما تغور » .

(٣) ل : « فر منى لنتنه » .

(٤) ألاحه يليحه : أهلكه . فيما عدا ل : « لا تبيحوا » . والسموم : الريح الحارة .

(٥) ط : « أهوحق فى» ه ٠ « أهو أحق» وفى ل : «يصوم » .

(٦) البراء ، بالفتح : أول ليلة أو يوم من الشهر ، أو آخرها أو آخره . فيما عدا ل : « النداء » .

(٧) خنفسات : جمع خنفسة ٠ ل : « خنفساة » تحريف . والقراد : دويبة . مخيس : مذلل . مزموم: وضع عليه الزمام . ط فقط : « مذموم » تحريف .

(٨) الرسيم : ضرب من السير . فيما عدا ل : « فإذا ضفدع » و : « بعد النفاد » .

(٩) ل : « يا لقوم » .

(١٠) المنجنيق ، بالفتح وتكسر : آلة ترمى بها الحجارة . مأخوذ من اليونانية (Magganon) كما نبهنى إلى ذلك الأب أنستاس فى مجلة الثقافة ص ٢٠١١ وكما فى معجم استينجاس ١٣٢٤ . وقد ذهبت عامة المعاجم العربية إلى أن الكلمة فارسية معربة ، مع أنها غير أصيلة فى الفارسية ، بل هى دخيلة عليها من اللغة اليونانية . وانظر المعرب ٣٠٥ — ٣٠٧ . ل : « يا لقوم » . وانظر التنبيه السابق .

وإذا فى الغباء سَمٌّ بُرَيص   قائمٌ فوقَ بيتنا بِقَدُوم (١)

قلتُ : بيتُ الجرينِ مجمعُ صِدق   كان قِدْماً لجمعكم معلوم (٢)

قُلنَ : لولا سِنَّوْرَتاهُ احتفرْنا   مَسْكَناً تحتَ تمرهِ المركوم (٣)

إنْ تُلاقِ سِنَّوْرَتاهُ فضاءً   تذرانا وجَمْعُنا كالهزيم (٤)

عشَّشَ العنكبوتُ فى قعرِ دنّى   إنّ ذا مِنْ رزيَّتِى لعظيم (٥)

ليتنى قد غمرت دَنِّىَ حتى   أُبصرَ العنكبوتَ فيه يعوم (٦)

غَرِقاً لا يُغيثه الدهرَ إلا   زَبَدٌ فوقَ رأسِهِ مَرْكوم (٧)

مخرجاً كفَّه ينادِى ذباباً   أنْ أغِثْنى فإننى مظلومْ

قال ذَرْنى فلنْ أطيقَ دُنُوًّا   من نَبيذ يَشَمّه المزكوم (٨)

---

(١) الغباء : الغبار ، وفيه لغات ، كسحاب ، وغبار ، وبضم مع القصر . انظر اللسان (٢٠ : ٣٥٠ س ١٦) . ل ، سه : « الغبار » وهما سواء ، كما رأيت . و « سم بريص » : أراد به سام أبرص ، وهو الوزغة . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم ؛ ولا أحسبه إلا لغة عامية . ط ، هـ : « وصم برقص » سه : « صح برقص » تحريفان .

(٢) الجرين : موضع التمر الذى يجفف . ل : « الغريب » سه ، هـ : « العريف » ط : « العرين » ووجهه ما أثبت . وفيما عدا ل : « هو قدما بجمعكم » .

(٣) الضمير فى « قلن » لجماعة الفأر . وفى الأصل : « قلت » تحريف . وسنورتاه : مثنى سنورة مضاف إلى الضمير . ولم يرد تأنيث السنور فى المعاجم ، لكن قال الدميري : « قال ابن قتيبة : يقال فى الأنثى سنورة ، كما يقال فى أنثى الضفادع ضفدعة » والمركوم : المجموع . فيما عدا ل : « ثمرة » تحريف .

(٤) ل : « تلاق » . وفيما عدا ل : « قضاء » وهذه محرفة . وفى ل : « يذرانا » .

(٥) فى الأصل : « فى قعر بيتى » والوجه ما أثبت .

(٦) غمرته : ملأته . وفي الأصل : « عمرت » . ط : « يقوم » صوابه فى سائر النسخ . والعنكبوت قد يذكر .

(٧) غرقا : غريقا . فيما عدا ل : « عرقا » تحريف . يغيثه ، هى في ط ، سه : « يعيشه » و هـ : « يميثه » وصوابه ما أثبت من ل .

(٨) عنى شدة رائحته . ل : « يقطر » بمعنى يصرع .

وقال فى الفأر والسنور :

قد قال سِنَّوْرُنا وأعهده قد كان عضباً مُفَوَّهاً لَسِناً[1]
لو أصبحتْ عندنا جِنازتُها لحنِّطت واشترى لها كَفَنا[2]
ثم جمعنا صحابتى وغَدَوا فيهم كُرَيْبٌ يَبْكى وقام لنا[3]
كلُّ عجوزٍ حُلوٍ شمائلُها كانت لجِرْذانِ بيتنا شَجَنا[4]
من كلِّ حدْباءَ ذاتِ خَشْخَشةٍ أو جُرَذٍ ذى شوارب أرِنا[5]
سَقْياً لِسِنَّوْرةٍ فُجِعْتُ بها كانتْ لميثاء حقبةً سكنا[6]

(ضروب الفأر)

قال : والفأر ضروب : فمنها[7] الجُرذان والفأر المعروفان ، وهما كالجواميس والبقر ، وكالبُخْت والعِراب . ومنها الزباب . ومنها الخُلْد

---

(١) ل : « وأعهده » وبكل منهما يستقيم الشعر . والعضب : الحديد فى الكلام ، والذلق فيما عدا ل : « خصما » .
(٢) حنطت : طيبت بالحنوط ، وهو طيب يخلط للميت خاصة . ل : « واستوى لها » .
(٣) كريب ، كذا وردت مضبوطة فى ل . ولعلها علم لسنور من سنانيره . فيما عدا ل . « كذنب » . وفى ل : « لص فأزلنا » .
(٤) عجوز ، أى من السنانير ، كانت شجناً وحزناً للفيران ، لما تصطادهم وتفتك بهم .
(٥) حدباء ، أى من الجرذان . والحدب : خروج الظهر . والخشخشة : صوت كل شىء يابس ، وأراد ما تحدث من الخشخشة حين قرضها الخبز اليابس والخشب ونحوهما والأرن : النشيط . ل : « مرنا » .
(٦) ميثاء : اسم امرأة ، لعلها زوجه أو بنته . قال الأعشى :
لميثاء دار قد تعفت طلولها عفتها نضيضات الصبا فسيلها
بدلها فى ط : « كيت » ، سه : « لميث » ه : « لمبيت » صوابه فى ل . وفيما عدا ل « أخفيته » موضع « حقبة » تحريف . والحقبة : مدة من الدهر . والسكن : كل ما سكنت إليه واطمأننت به من أهل و غيره .
(٧) فيما عدا ل : « منها » .

واليرابيع شكلٌ من الفأر ، واسم ولد اليربوع دِرص ، مثل ولد الفأر[1] .

ومن الفأر فأرةُ المِسك ، وهى دويبّةٌ تكونُ فى ناحية تُبّت ، تصادُ لنوافجها وسُرَرِها[2] ، فإذا اصطادها [صائد] عصّب سُرّتَها بعصاب شديد ، وسُرّتها مدلاة ، فيجتمع فيها دمها[3] فإذا أحكمَ ذلك ذبحها - وما أكثرَ من يأكلها - فإذا ماتت قوّر السرةَ التى كان عصبها له والفأرة حيّة ، ثم دفنها فى الشعير حتى يستحيلَ ذلك الدمُ المحتقنُ ٩٣ هناك[4] ، الجامدُ بعد موتها ، مِسكا ذَكيّاً[5] ، بعد أن كان ذلك الدَّمُ لا يُرام نَتْناً .

قال : وفى البيوت أيضاً قد يوجد فأرٌ مما يقال له : فأر المسك ، وهى جرذانٌ سودٌ ليس عندها إلا تلك الرائحةُ اللازمةُ له .

قال : وفى الجِرذان جنسٌ لها عبثٌ بالعقود والشُّنوف[6] ، والدراهم والدنانير ، على شبيه بالذى عليه خُلُق العَقعق[7] إلا أن هذه الجرذان

---

(١) الكلام من : « واسم ولد اليربوع » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) النوافج : جمع نافجة ، وهى وعاء المسك ، أى الجلدة التى يجتمع فيها ، وترى المعاجم العربية أنه فارسى معرب ، وصرح صاحب المعيار وادى شير أنه معرب « نافه » قال المحقق الأستاذ أحمد شاكر فى شرح المعرب ٣٤١ : « وكل هذا دعوي لا دليل عليها فإن مادة ن ف ج عربية ، وكل ما ارتفع فقد نفج ، ثم استعمل فى معان كثيرة ترجع إلى هذا الأصل ، ونافجة المسك لا تخرج عنه » . والسرر : جمع سرة . فيما عدا ل « سرتها » . وما أثبت من ل يوافق مانقل النويري عن الجاحظ فى نهاية الأرب (١٠ : ١٧١) .

(٣) كذا فى ل ونهاية الأرب واللسان (٦ : ٣٤٨) نقلا عن الجاحظ . وفى سائر النسخ : « الدم » .

(٤) ل : « مثال » .

(٥) ذكيا : ساطع الريح . ط نقط : « زكيا » صوابه فى سائر النسخ والنويرى واللسان .

(٦) الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط ، أو القرط يلبس فى أعلى الأذن .

(٧) العقعق : طائر له ولوع بالسرقة . وانظر ص ١٥٢ — ١٥٣ من هذا الجزء .

تفرح بالدنانير والدراهم] ، وبخشخاش الحلى[1] . وذلك أنها تخرجُها من جُحرها في بعض الزمان ، فتلعب عليها وحواليها ، ثم تنقلها[2] واحداً واحداً ، حتى تُعيدَها عن آخرها إلى موضعها .

فزعم الشَّرقىُّ بنُ القُطَامىّ[3] -[وقد رَوَوْهُ عن شَوكَر[4]]- أن رجلاً من أهل الشام اطَّلع على جُرذ يُخرجُ من جُحره ديناراً[5] [ديناراً] ، فلما رآه قد أخرج مالا صالحًا استخفَّه الحِرصُ ، فهمَّ أن يأخُذَهُ[6] ، ثم أدركه الحزْم ، وفتح له الرزقُ المقسوم باباً من الفطنة[7] ، فقال : [الرأىُ] أن[8] أمسِك عن أخذه[9] ما دامَ يخرجُ ، فإذا رأيتُهُ يُدخِلُ فعند أول دينار[10] يغيّبه ويُعيده إلى مكانه أثِبُ عليه ، فأجترفُ المال .

---

(١) الخشخاش من الحلى : ما له خشخشة وصوت . فيما عدا ل : « وخشخشة الحلى »

(٢) فيما عدا ل : « تنقله » .

(٤) الشرقى لقب له . واسمه الوليد بن الحصين ، أحد النسابين الرواة للأخبار والأنساب والدواوين ، وكان وافر الأدب ، أقدمه المنصور بغداد ، وضم إليه المهدي ليأخذ من أدبه . تاريخ بغداد ٤٨٣٧ وابن النديم ١٣٢ ولسان الميزان (٣ : ١٤٢ — ١١٣) . والقطامى لقب أبيه ، واسمه الحصين بن حمال ، يقال بفتح القاف وضمها : مأخوذ من القطامى بفتح القاف وضمها ، وهو ، الصقر . ويسمى : « القطامى الكلبى » . وهو شاعر محسن ، ذكره صاحب المؤتلف ١٦٦ — ١٦٧ .

(٤) هذه الزيادة من س فقط . وفى لسان الميزان (٣ : ١٥٨) : « شوكر ، أخبارى مؤرخ لا يعتمد عليه ، شيعى ، كان فى المائة الثانية . ذكره عمر بن شبة فى أهل البصرة وقال : كان يضع الأخبار والأسفار (صوابه : الأشعار) . وقد قرنه خلف الأحمر فى شعر له بابن دأب ، يقول فيه :

أحاديث ألفها شوكر وأخرى مؤلفة لابن داب » .

وفى الأصل ، وهو هنا س : « ثوكر » بالثاء ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « من جحر دينار » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فهم بأن يأخذها » .

(٧) كلمة « المقسوم » ليست فى ل . وبدلها فى س : « المقدور » . وكلمة : « الفطنة » ساقطة من س .

(٨) ط ، هـ : « أنا » سه « إن » بكسر الهمزة ، تحريف .

(٩) ط ، هـ : « أن أخذها » صوابه فى ل ، سه .

(١٠) سه : « فأول دينار » .

قال : ففعلتُ وعدتُ إلى موضعي الذى كنتُ أراه منه . [فبينما هو يخرجُ إذ ترك الإخراج ، ثم جعل يرقصُ ويثبُ إلى الهواء ، ويذهبُ يَمنةً ويَسرةً ساعة ، ثم أخذ دينارا فولّى به](١) ، فأدخله [الجحر ، فلما رأيتُ ذلك قمتُ إلى الدنانير فأخذتها] ، فلما عادَ ليأخذَ ديناراً آخر فلم يجد الدنانير(٢) أقبل يثبُ فى الهواء ، ثم يضربُ بنفسه الأرضَ ، حتى مات

وهذا الحديثُ من أحاديثِ النساء وأشباه النساء .

بـاب آخر

يدّعونه للفأر(٣)

وهو الذى ينظر فيه أصحاب الفراسة فى قرض الفأر ، كما ينظر بعضهم فى الخيلان(٤) ، وفى الأكتاف ، وفى أسرار الكف(٥) :

ويزعمون أن أبا جعفر المنصور نزلَ فى بعض القُرى ، فقرض الفأرُ مِسْحاً له كان يجلسُ عليه ، فبعث به ليُرفأَ(٦) ، فقال لهم الرفّاء : إن هنا أهل بيتٍ يَعْرفون بقرضِ الفأر ماينال صاحب المتاعِ من خير أو شر ، فلا عليكم(٧) أن تعرضوه عليهم قبل أن تصلحوه . فبعث المنصورُ إلى

---

(١) قبل هذه الكلمة فيما عدا ل : « فأقبل يخرج ما شاء الله تعالى » .
(٢) فيما عدا ل : « الدينار » تحريف .
(٣) ه : « في الفأر » .
(٤) الخيلان : جمع خال ، وهى نكتة سوداء فى البدن .
(٥) أسرار الكف : خطوطها ، الواحد سر ، بالكسر والضم ، قال الأعشى :
فانظر إلى كف وأسرارها هل أنت إن أوعدتنى ضائرى
(٦) رفأ الثوب : لأم خرقه وضم بعضه إلى بعض . ل ، سه : « ليرفا » بالتسهيل .
(٧) فيما عدا ل وكذا نهاية الأرب (١٠ : ١٦٨) : « فما عليكم » .

شيخهم ، فلما وقعت عينُه على موضعِ القرضِ وثَب وقام قائما[١] ثم قال : مَن صاحبُ هـذا المِسح ؟ فقال المنصور : أنا . فقام ثم قال[٢] : السلام عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاتُه ! والله لَتَلِيَنَّ الخِلافة أو أكونن جاهلا أو كذابا !

[ذكر هذا الحديث عمر بن السَّكونى الصريمى[٣] وقد قضى على بعض البلدان].

(فأرة المسك)

وسألت بعض العطارين من أصحابنا المعتزلة[٤] عن فأرة المسك فقال : ليس بالفأرة ، وهو بالخِشف[٥] أشبه . ثمَّ قصَّ علَيَّ شأن المسك وكيف
٩٤ يُصْطَنع . وقال : لولا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تطيَّب بالمِسْك لَمَا تطيَّبْت به ، فأَما الزبادُ[٦] فليس مما يقرب ثيابى منه[٧] شيء .

---

(١) سه ونهاية الأرب : « وثب قائما » ل : « وثب فقام قائما » .

(٢) فيما عدا ل : « فقال » فقط .

(٣) فى أنساب السمعانى (٢ : ١٠١) : « أبو المنذر عمر بن مجمع السكونى الكندى من أهل الكوفة . يروى عن هشام بن عروة وابن أبي خالد ... روى عنه أحمد بن حنبل وأهل العراق » .

(٤) فيما عدا ل : « من أصحاب المعتزلة » .

(٥) الخشف ، مثلثة : ولد الظبية أول ما يولد .

(٦) الزباد ، كسحاب : ضرب من الطيب ، وهوعرق حيوان يشبه السنور البرى ، قال صاحب مباهج الفكر: «لا يغادر شيئاً منه إلا أنه أطول خطما وذنباً وأكبر جثة » ويسمى سنور الزباد : (Civet Cat) يوجد كثيراً بمقدشيم (مقدشو) من أعمال الحبشة ، يرتعي المراعى الطيبة ، ويعلف السنبل الرطب ، ويوضع فى أقفاص الحديد ، ويلاعب فيسيل الزباد من حلم صغار بين فخذيه ، فتعد له ملاعق الفضة أو الذهب ويؤخذ . وهذا الحيوان لايعيش غالبا إلا بالبلاد الحارة كالحبشة وأطراف الصين ، وأجوده الموجود بشمطرى (سومطرا) من أعمال الهند . انظر تذكرة داود والمعتمد . قال صاحب القاموس : « وغلط الفقهاء واللغويون فى قولهم : الزباد دابة يجلب منها الطيب . وإنما الدابة السنور والزباد الطيب » . فيما عدا ل : « وأما الزباب » تحريف .

(٧) ط ، سه : « مما يقرب منه فى شيء » هـ : « مما يقرب فى شيء » ل : « مما يقرب ثيابى » فقط .

قلت له : وكيف[1] يرتضع الجدى من لبن خنزيرة فلا يحرم لحمه ؟ [قال] : لأن ذلك اللبن استحال لحماً ، وخرج من تلك الطبيعة ، ومن تلك الصورة ، ومن ذلك الاسم . وكذلك لحوم الجلّالة[2] . فالمسك غير الدّم ، والخلّ غير الخمر . والجوهر ليس يحرُم بعينه ، وإنما يحرم للأعراض[3] [والعِلَل] . فلا تقزّز منه عند تذكرك الدّمَ الحقين[4] ؛ فإنه ليس [به] . وقد تتحوّل النار هواء ، والهواء ماء ، فيصير الشبه الذي بين الماء والنار بعيداً جدًّا .

(بيت الفأر)

والجرذان لا تحفر بيوتها على قارعة طريق[5] ، وتجتنب الخفض[6] ؛ لمكان المطر ، وتجتنب الجوادّ[7] ؛ لأن الحوافر تهدم عليها بيوتها . فإذا أخرجها وقع حافر فرس ، مع هذا الصّنيع[8] ، دلّ ذلك على شدة الجرى والوقع وقال امرؤ القيس [يصف فرسه] :

فللسَّوط ألهوبٌ وللرِّجل دِرَّةٌ ولِلزَّجرِ منه وقعُ أهوجَ مِنعبِ[9]

(١) ل : « وقد » .
(٢) الجلالة : التى تأكل العذرة ، أو تتبع النجاسات ، أو التى تأكل الجلة والعذرة .
(٣) فى الأصل : « تحرم » وفيما عدا ل : « الأعراض » .
(٤) تقزز : تتقزز ، بحذف إحدى التاءين . والتقزز : التباعد من الدنس . والحقين : المحتقن ، كما يحدث فى الخراجات والدماميل . أراد أن المسك ، وهو الذى كان من قبل دما حقيناً ؛ أصبح الآن جوهرا آخر واستحال ، فلا ينبغى الاشمئزاز منه . فيما عدا ل : « فلا تقدر منه على تذكرك الدم الحقيقى » ، تحريف .
(٥) قارعة الطريق : وسطه أو أعلاه . فيما عدا ل : « الطريق » .
(٦) الخفض : المطمئن من الأرض . ل : « الحفص » تحريف .
(٧) الجواد : جمع جادة ، وهى معظم الطريق .
(٨) فيما عدا ل : « الصنع » .
(٩) الألهوب : شدة جرى الفرس ، وكذلك الدرة . يقول : إذا مسه بساقه ألهب ، وإذا ضربه بالسوط در جريه . والأهوج : الأحمق . والمنعب ، بكسر الميم : الأحمق المصوت . أراد : إذا زجره وقع الزجر منه موقعه من الأهوج . وفى الأصل : « متعب » صوابه فى الديوان ٨٥ واللسان (نعب) .

فأدركَ ، لم يَعرقْ مَناطُ عِذارِهِ يَدِرُّ كَخُذْرُوفِ الوليدِ المُثقَّبِ (١)
ترى الفأرَ في مستعكد الأرضِ لاجئاً إلى جَدَدِ الصحراء من شدِّ مُلهِبِ (٢)
خَفَاهُنَّ من أنفاقِهِنَّ كأنّما خَفَاهُنَّ ودْقٌ من سحابٍ مُرَكَّبِ (٣)

خفاهنَّ : أظهرهنَّ . وقرأ بعضهم (٤) : ﴿ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا (٥) ﴾ بفتح [الألف] أى أظهرها . وقال امرؤ القيس (٦) :

فإنْ تدفنوا الداءَ لانُخفِهِ وإن تبعثوا الحربَ لانقعُدِ (٧)

---

(١) يدر : يعدو عدوا شديداً . والخذروف : عود أو قصبة مشقوقة ، يفرض فى وسطه ثم يشد بخيط ، فاذا أمر دار وسمعت له حفيفا ، يلعب به الصبيان ، ويوصف به الفرس لسرعته . فيما عدا ل : « المنقب » وما فى ل هو رواية الديوان .

(٢) المستعكد : فى اللسان : استعكد الماء : اجتمع . وأنشد بيت امرئ القيس برواية . « في مستعكد الماء لاحبا » . وهذا بعيد عن روايتنا هذه . وأرى أنه أراد بالمستعكد : الغليظ من الأرض . وهو في الأصل البعير والضب يسمن ويضخم . والجدد ، بالتحريك : المستوى من الأرض . والملهب ، كمحسن : الشديد الجري المثير للغبار . ورواية الديوان : « لاحبا » . على جدد الصحراء : أى ظاهرا عليه . ط : « لاجئا » ه : « لاحيا » صوابه في ل ، سه . وفى ط : « إلى الجد والصحراء » ه : « إلى جدو الصحراء » تحريف صوابه في ل والديوان واللسان . وهذا العجز وشطر البيت التالى ساقطان من سه .

(٣) الودق : المطر . وانظر نوادر أبي زيد ٩ والقالى (١ : ٢١١) وابن سيده (١٠ : ٤٦) .

(٤) هى قراءة أبي الدرداء ، وسعيد بن جبير ، والحسن ، ومجاهد ، وحميد ، ورويت عن ابن كثير ، وعاصم . انظر تفسير أبي حيان (٦ : ٢٣٢) . وقد روى القالى وابن منظور (١٨ : ٢٥٦) قراءة سعيد بن جبير فقط .

(٥) الآية ١٥ من سورة طه . قال أبو حيان : « أي أنها ، من صحة وقوعها وتيقن كونها ، تكاد تظهر ، ولكن تأخرت إلى الأجل المعلوم » وقال فى قراءة الضم : « وقيل أخفيها بضم الهمزة بمعنى أظهرها فتتحد القراءتان . وأخفى من الأضداد ، بمعنى الإظهار وبمعنى الستر » .

(٦) هو امرؤ القيس بن عابس الكندى ، جاهلى أدرك الإسلام ، وفد على رسول الله ، ولم يرتد فى أيام أبى بكر ، وقام على الإسلام ، وكان له غناء فى الردة ، بما كان يحض قومه على الثبات على الإسلام . المؤتلف ٩ والإصابة ٢٤٨ .

(٧) رواية اللسان : « فإن تكتموا السر لا نخفه » مع نسبته إلى امرئ القيس بن عابس وعند أبي حيان بدون نسبة : « وإن توقدوا الحرب لا نقعد » .

وقال أعرابي[١] : إن بنى عامرٍ جعلتني على حنديرة أعينها[٢] ، تريد أن تختفيَ دمى[٣] .

(استطراد لغوى)

وقال أبو عبيدة : أربعة أحرف تهمزُها عُقَيل[٤] من بين جميع العرب تقول : فأرة ، ومُؤْسَى ، وجُؤْنة ، [وحؤت] .

(الفأرة فى اللغة)

فأصناف ما يقع عليه اسمُ الفأرة[٥] : فأرة البيش[٦] ، [وفأرة البيت] ،

(١) ط ، س : « ابن الأعرابى » تحريف . وفى اللسان (١٨ : ٢٥٨) : « ومنه قول الغنوى لأبى العالية : إن بنى عامر أرادوا أن يختفوا دمى » . وأبو العالية كان مولى لبنى رياح ، واسمه رفيع بن مهران البصرى الرياحى . روى عن أبى وعلى ، وحذيفة ، وعنه قتادة ، وثابت ، وداود بن أبى هند . وتوفى سنة ٩٠ . المعارف ٢٠٠ ولسان الميزان (٦ : ٨٠٢) .

(٢) الحنديرة : حدقة العين . قال الفراء : « يقال : جعلته على حنديرة عينى وحندورة عينى : إذا جعلته نصب عينك » . وفى اللسان أيضاً : « يقال هو على حندر عينه وحندورعينه وحندورة عينه ، إذا كان يستثقله ولا يقدر أن ينظر إليه بغضاً » . فيما عدا ل : « على خنزيرة أعينها » تحريف .

(٣) تختفى دمى : أى تقتلنى خفية من غير أن يعلم بى . هـ : « يريد أن يخفى ذمتى » ط : « تريد أن تخفى ذمتى » س : « تريد أن تخفى دمى » صوابه فى ل واللسان .

(٤) هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة . المعارف ٤٠ . وعقيل ، بهيئة التصغير . الاشتقاق ١٨١ . ل : « ثلاثة أحرف تهمزها عقيل » صوابه فى سائر النسخ . وقد سقط الحرف « جؤنة » من ل كما سقط « حؤت » من سائر النسخ ، والصواب ما أثبت من الجمع بين النسخ . وفى اللسان (٦ : ٣٤٨) : « وعقيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤسى والحؤت » . والجؤنة ، بالضم : سفط مغشى بجلد ، ظرف لطيب العطار . والمؤسى : موسى الحلاق ، يذكر ويؤنث ، وينون ولا ينون . والحوت : السمكة العظيمة .

(٥) ط : « فأكثر ما يقع عليها اسم الفأرة » . س ، هـ : « فأكثر ما يقع عليها مع اسم الفأرة » وصوابه فى ل .

(٦) البيش ، بالكسر : نبت هندي سام ، ويقال : له بيش موش ، وموش بالفارسية معناه الفأرة .

وفأرة المِسْك ، وفأرة الإبل . وفى فأرة المسك يقول حُمَيْدٌ الأرقط[١] :

مَمْطورَةٍ خالَطَ منها النَّشْرُ ذا أرَجٍ شُقِّقَ عنه الفأرُ[٢]

وفى فأرة الإبل قال الشاعر[٣] :

كأنَّ فأرَةَ مِسْكٍ فى مباءتها إذا بدا من ضياء الصُّبح تبشيرُ[٤]

٩٥ وهذا شبيهٌ بالذى قال الراعى — وليس به — :

تبيتُ بناتُ القَفْر عند لَبَانِه بأحْقَفَ من أنقاء تُوضِحَ هائلِ[٥]

كأنَّ القِطارَ حرَّكتْ فى مَبِيته جَدِيَّةَ مِسكٍ فى مُعَرَّس قافلِ[٦]

---

(١) سبقت ترجمته فى ٩٨ ، ١٢٦ .

(٢) فى اللسان : « رجل ممطور إذا كان كثير السواك طيب النكهة » . وذو الأرج ، أراد به المسك . شقق عنه الفأر ، فأر المسك : نوافجه التى يكون فيها . عنى بذلك طيب رائحتها .

(٣) فيما عدا ل : « يقول الشاعر » .

(٤) مباءة الإبل : مناخها ومراحها ومعطنها ط ، ه « ميابها » س « مثانتها» صوابه فى ل . وفى ثمار القلوب ٣٢٩ : « مبايتها » تحريف . تبشير الصبح : مبدؤه وأوله ، ومثله التباشير . فيما عدا ل : « ينتشر » تحريف صوابه فى ل وثمار القلوب . وبعد هذا البيت فى ل : « وهذا شبيه بالذى قلنا ولم نأت بعد بعين الشىء » . وفى س : « وهذا يشبه بالذى قال ولم يأت بعد بعين الشىء » وهما عبارتان متشابهان ، ولم أجد لهما وجهاً فى الكلام .

(٥) بنات القفر ، عنى بهن بنات النقا . وبنت النقا : عظاءة صغيرة تغوص فى الرمل كما يغوص السمك فى الماء ، قصيرة اليدين والرجلين ، ويقال لها شحمة الأرض . انظر المخصص (٨ : ١٠١ ، ١٠٢) وثمار القلوب ١٠٣ . واسمها فى مصر « السحلية » . وهى باليونانية : Chalcides : خلقيدس . انظر معجم المعلوف ٥٩ . واللبان : الصدر . والأحقف : المائل من الرمل . والأنقاء : كثبان الرمل . وتوضح : موضع . والهائل من الرمل : الذى لا يثبت مكانه حتى ينهال ويسقط .

(٦) القطار : جمع قطر ، وهو المطر . ط ، س : « كأن القطا إن خرقت » . ه : « القطان حركت » صوابه فى ل . والجدية ، بفتح فكسر مع تشديد الياء : القطعة من المسك ، كما فى القاموس . س ، ه : « حديثة » تحريف . والمعرس : مبيت القوم من آخر الليل . والقافل : الراجع من السفر . ط ، س : « قائل » ه : « قابل » صوابهما فى ل

(الأصمعي وأبو مهدية)

قال الأصمعيّ : قلت لأبي مهدية[1] : كيف تقول : لاطيبَ إلا المسْكِ [قال] فأين أنتَ من العنبر ؟! قال : فقلت : [لاطيب إلا المسك والعنبر . قال : فأين البان[2] ؟! فقلتُ : لاطيب إلا المسك والعنبر والبان . قال : فأين أنت عن أدهان بحجرْ[3] ؟! قال : فقلت] : لاطيب إلا المسك ، والعنبر، والبان[4] ، وأدهانٌ بحَجْر . [قال : فأَين فأْرة الإبل صادرة[5] ؟!] قال الأصمعيّ : [فأْرة الإبل[6]] .

(فأْرة البيش ، والسمندل)

وفأْرة البيش دوَيْبَّة تغْتذى السُّمومَ فلا تضرها . والبِيش سمّ ، وحكمه حكم الطائر الذى يقال له : سَمَنْدَل[7] ؛ فإنه يسقُط فى النار فلا يحترق ريشُهُ

(١) أبو مهدية ، أعرابى روى عنه البصريون . سبقت ترجمته فى (٢ : ٢١٤) . فيما عدا ل : « لابن مهدية » تحريف .

(٢) البان: شجر يقارب الأثل ، ومنه قصير دون شجر الرمان وورقه يقارب الصفصاف شديد الخضرة ، له زهر ناعم الملمس مفروش زغبه كالأذناب ، يخلف قرونا داخلها حب إلى البياض كالفستق لولا استدارة فيه ، ينكسر عن حب عطرى إلى صفرة . داود الأنطاكى .

(٣) حجر ، بالفتح : كانت قصبة اليمامة .

(٥) ط : « أبان » تحريف . وانظر التنبيه السابق .

(٥) ليس للابل فأرة فى الحقيقة ، وإنما هى أن تفوح منها رائحة طيبة ، وذلك أنها إذا رعت العشب وزهره ، ثم شربت وصدرت عن الماء نديت جلودها ففاحت منها رائحة طيبة ، فيقال لتلك : فأرة الإبل . وهذه العبارة من ل ، سه ، ه .

(٦) تكملة من ل ، سه ، ه .

(٧) السمندل ، لفظ فارسى ، ويقال فيه أيضا : « سمندور » قيل إنه مشتق من « سام » بمعنى النار ، و « أندرون » بمعنى داخل . استينجاس ٦٩٧ . وللأب أنستاس مقال ضاف فى مجلة المشرق (٦ : ٩) أثبت فيه أن كتاب العرب كانوا =

(ما لا يقبل الاحتراق)

وُنبِّيت[١] عن [أمير المؤمنين[٢]] المأمون أنه قال : لو أُخِذَ الطُّحْلَب فجفف فى الظِّلّ ، ثم أُسقِطَ فى النيران لم يحترق[٣] .

ولولا ما عاينوا من شأن الطَّلَق[٤] والعُود الذى يُجاء به من كِرْمان[٥] لاشتدَّ إنكارهم .

وزعم ابن أبى حرب[٦] أن قَسًّا راهنَ عَلَى أن الصليبَ الذى فى عُنقه من خشبٍ ، [أنه] لايحترق ؛ لأنه من العود الذى كان صُلبَ عليه المسيح[٧] ، وأنه كان يفْتِن بذلك ناساً من أهل النظر[٨] ، حتى فطن له بعضُ المتكلمين ، فأتاهم بقطعة عودٍ يكون بكِرمان[٩] . فكان[١٠] أبقى عَلَى النار من صليبه .

= يطلقون لفظ « السمندل » على الحيوان المسمى : Salamandra وهو العظاية ، وعلى الطائر المسمى بالفنقس : Phoenix وهو العنقاء الخرافية ، وعلى الحجر المعروف بحجر الفتيل : Asbestos . وقد علل عدم احتراقه بأنه يفرز مادة تطفئ النار ، فزعموا أنه يدخلها ولا يحترق .

(١) نبيت : نبئت ، أى أخبرت . فيما عدا ل : « وثبت » .

(٢) هذه من ل ، سه . وكلمة « المأمون » بعدها ليست فى سه .

(٣) فيما عدا ل : « فى النار » .

(٤) انظر ص ٨٤ ، ٩٢ من هذا الجزء .

(٥) كرمان ، بالفتح وربما كسرت ، والفتح أشهر : ولاية بين فارس ومكران وسجستان وخراسان .

(٦) فيما عدا ل : « ابن أبى الحارث » . وقد ذكر ابن قتيبة فى المعارف ١٩٢ من اسمه « أبو حرب بن أبى الأسود الدئلى » . وقال إنه كان عاقلا شاعرا ، وولاه الحجاج جوخى فلم يزل عليها حتى مات الحجاج ، وقد روى عن أبى حرب الحديث ، وله عقب بالبصرة وعدد . وذكره ابن حجر فى باب الكنى من تهذيب التهذيب ، وقال إنه مات سنة ثمان ومائة . فلعل هذا الذى ذكره الجاحظ من عقب هذا الرجل .

(٧) فيما عدا ل : « الذى كان المسيح صلى الله تعالى على سيدنا محمد وعليه صلب عليه » .

(٨) فيما عدا ل : « من غير أهل النظر » .

(٩) كرمان : ولاية ، سبق الحديث فيها قريبا . فيما عدا ل : « تكون » تحريف .

(١٠) أى العود . وفى سه : « فكانت » أى القطعة .

(مساوى السنانير)

قال صاحب الـكلب(١) : والسنور لصٌّ لئيم ، وشرِهٌ خَوُون

فمن ذلك أن صاحب المنزل يرمى إليه ببعض الطعم ، فيحتمله احتمالَ المُريب ، واللصِّ المغير ، حتى يُولج(٢) به خَلْفَ حُبٍّ أورَاقود(٣) ، أو عِدْلٍ(٤) أو حطب ، ثم لا يأكله إلا وهو يتلفّت(٥) يميناً وشمالا ، كالذى يخافُ أن يُسْلَبَ ما أُعطى(٦) ، أو يُعْثَرَ على سَرِقته فيعاقَب . ثم ليس فى الأرض خِبْثَةٌ(٧) إلا وهو يأكلها ، مثل الخنافس والجِعْلان ، وبناتِ وَردان ، والأوزاغ ، والحيّاتِ ، والعقاربِ ، والفأر ، وكلِّ نتن وكل خِبْثة(٨) وكلّ مستقذر .

وهذه الأنعامُ تدخل الغياض ، فتجتنبُ مواضع السموم بطبائعها ، وتتخطاها ولا تلتفت لِفْتَها(٩) . وربما أشكل الشىء على البعير(١٠) ، [فيمتَحِنُه(١١)]

---

(١) فى ل : « قال صاحب الـكلب والديك » .

(٢) أى يدخل به نفسه . ط فقط : « يلج » .

(٣) الحب ، بالضم : الجرة الضخمة ، فارسى معرب كما سبق فى ٢٦٥ . والراقود : إناء خزف مستطيل مقير ، مما أخذته الفارسية عن العربية . انظر استينجاس ٥٦٤ . وعند الجواليقى ١٦٠ أنه فارسى معرب : وكذا فى اللسان ، لكن قال ابن دريد : « لا أحسبه عربيا » .

(٤) العدل ، بالـكسر : نصف الحمل يكون على أحد جنبى البعير .

(٥) س : « ثم لا يأكلها » . وفيما عدا ل : « إلا وهو يلتفت » .

(٦) فيما عدا ل : « ما أعطيه » .

(٧) الخبثة ، بالـكسر : الخبيثة غير الطيبة . فيما عدا ل : « خبيثة » .

(٨) ط ، هـ : « حشة » سه : « حشة » . صوابهما ما أثبت من ل . وانظر التنبيه السابق . و « كل نتن » ساقط من ل .

(٩) يقال لا يلتفت لفت فلان ، بالـكسر : أى لا ينظر إليه . فيما عدا ل : « لا تلتفت إليها » .

(١٠) فيما عدا ل : « ولما أشكل الشىء على اليقين » تحريف .

(١١) يمتحنه : يختبره . فى الأصل ، وهو هنا ل : « فيمسحه » .

بالشَّمة الواحدة . فلا تغلط الإبلُ [إلا فى البيش وحده . ولا تغلط الخيل إلا] فى الدِّفلى(١) وحدَه .

والسنانيرُ تموت عن(٢) أكْل الأوزاغ والحيّات والعقارب ، وما لا يحصى عدده(٣) من هذه الحشرات ، فهذا يدلُّ عَلَى جهل بمصلحة المعاش ، وعَلَى حِسٍّ غليظ وشَرَهٍ شديد .

(هَيْج الحيوان)

قالوا : وكل أنثى من جميع الحيوان ، ما خلا المرأةَ ، فلابدَّ لها من
٩٦ هَيْج فى زمان معلوم ، ثم لا يُعْرف ذلك منها وفيها إلا بالدلائل والآثار ، أو ببعض المعاينة .

وإناثُ السنانير ، إذا هجن للسِّفاد ، آذَيْن بصياحهنَّ أهلَ القبائل ليلا ونهاراً ، بشىء ظاهر قاهر غالٍ(٥) . لا يعتريهن فَترةٌ ولا مَلالةٌ(٦) [ولا سآمة] . فربَّ رجُل حُرٍّ شديدِ الغَيرة ، [وهو] جالسٌ مع نسائه ، وهُنّ يتردَّدْن عَلَى مثل هذه الهيئة(٧) ، ويصرُخْن فى طلب السِّفاد . فكم من حرة قد خجلت ، وحُرٍّ قد انتقضت طبيعته(٨)

---

(١) الدفلى ، بالكسر مقصور : شجرة مرة من السموم .
(٢) فيما عدا ل : « من » .
(٣) فيما عدا ل : « عدة » .
(٤) كلمة « أهل » ليست فى ل . وبدلها فى سه : « على » .
(٥) كذا فى ل . وفى ط : « بشىء هر ظاهر تماعا ل » تحريف . وفى سه : « بشىء قاهر ظاهر عال » وفى هـ : « بشىء قاهر ظاهر » فقط .
(٦) الملالة : الملل والضجر . ط ، هـ : « منامة » ل : « ملامة » صوابهما ما أثبت . وفى سه : « سآمة » .
(٧) سه : « الحالة » وفيها أيضا « يرددون » مكان « يترددون » . وكلمة : « مثل » ليست فى ل .
(٨) فيما عدا ل : « تنغصت طبيعته » .

[وليس لشيء من فحولتها[1] مثلُ ذلك . فكل جنس في العالم من الحيوان فذُكورته أظهر هيجاً ، إلا السنانير] .

وليس لشيء من فحولة الأجناس مثلُ الذي للجمل[2] من الإزْباد ، وهِجْران الرَّعْي ، وتركِ الماء ، حتى تنضمَّ أياطله[3] ، ويتورَّمَ رأسُه ، ويكونُ كذلك الأيامَ الكثيرة وهو في ذلك الوقت لو حُمِّلَ على ظهره — مع امتناعه شهراً من الطعام — ثلاثةَ أضعافِ حِمْله لحملَهَا .

(المكي وإسماعيل بن غَزْوان)

ونظر المكيّ إلى جمل قد أزبدَ وتلغَّم[4] ، وطار على رأسه منه كشقق البِرْس[5] ، وقد زمَّ بأنْفه ، وهو يهدر [ويقبقب[6]] لا يعقل [شيئاً] إلا ماهو فيه ، فقال لإسماعيل بن غزوان : والله لوددْت أن أهل البصرة رأوني يوماً واحداً إلى الليل عَلَى هذه الصفة ، وأنِّي خرجتُ من قليلِ مالي وكثيره ! فقال له إسماعيل : وأي شيء لك في ذلك ؟ قال : كنت والله لا أصبحُ حتى يوافِيَ داري جميعُ نساء أهل البصرة ، [وجَواريكَ فيهنّ] فلا أبدأ إلا بهنّ ! قال إسماعيل : إنك والله ما سبقتني إلا إلى القول ، وأما النية والأمْنيَّة فأنا والله أتمنَّى هذا منذ أنا صبيٌّ !

---

(١) أي فحولة السنانير ، وهي ذكورها .

(٢) فيما عدا ل : « مثل ما للجمل » .

(٣) الأياطل : جمع أيطل ، وهو الخاصرة . وانضمامها : ضمورها .

(٤) تلغم : بل مشافره باللغام ، وهو زبد أفواه الأبل .

(٥) الشقق : جمع شقة ، بالضم ، وهي السبيبة المستطيلة من الثياب . والبرس ، بالكسر والضم : القطن ، أو قطن البردي . قال :

ترى اللغام على هاماتها قزعا كالبرس طيره ضرب الكرابيل

(٦) يقبقب : يرجع في هديره .

(حال بعض الحيوان عند معاينة الأنثى)

وللحمار والفرَس عندَ معايَنَةِ الحِجْر والأتان هَيْجٌ[1] وصياحٌ ، وقلق وطلب . والجملُ يقيم على تلك الصِّفةِ عاين أو لم يعاين ، ثم يُدنى من هذه المذكورة إناثُها[2] فلا تسمحُ بالإمكان[3] إلا بعد أن تسوَّى وتُدَارَى[4] .

(مقايسة بين السنور والكلب)

قالوا : والسنانير إذا انتقل أربابها من دارٍ إلى دارٍ ، كان وطنُها أحبَّ إليها منهم ، وإن أثبتَت أعيانهم . فإن هم حوّلوها فأنكرت الدار لم تُقِمْ عَلَى معرفتهم ، فربما هربت من دارهم الحادثةِ ولم تعرف دارَهم الأولى ، فتبقى متردِّدة : إما وحشِيه[5] ، [وإما مأخوذةً] ، وإما مقتولة .

والكلب يُخلِّي الدار ، ويذهب مع أهل الدار . والحمام في ذلك كالسنّور[6] .

---

(١) فيما عدا ل : « تهييج » . وما أثبت من ل أشبه بلغة الجاحظ .

(٢) ل « ثم تدني منها إناثها » .

(٣) ط ، هـ : « ولا تسمح بإمكانها » سه : « ولا تسمح بإمكان » .

(٤) تسوى ، من التسوية ، وهى من التهيئة . فيما عدا ل : « تساوى » . والمداراة : المخاتلة .

(٥) فيما عدا ل : « وحشية » بالخاء المعجمة ، ولا وجه له .

(٦) ل : « مثل السنور » .

(اختلاف أثمان السنور)

قال صاحب الكلب[1] : السنور يسوَى[2] فى صغره دِرهما ، فإذا كبر لم يَسْوَ[3] شيئاً . وقال العمّى[4] :

[فإنك فيما قد أتيتَ من الخنَا سَفاهاً ، وما قد زِدْتَ فيه بإفراطِ]
كسِنَّوْرِ عبدِ الله بِيعَ بدرهمٍ صغيراً فلما شبَّ بيع بقيراطِ[5]

وصاحب هذا الشعر ، لو غبرَ مع امرئ القيس بن حُجْر ، والنابغة الذُّبيانى ، وزهير بن أبى سُلْمَى ، ثم مع جرير والفرزدق ، [والراعى] والأخطل ، ثم مع بشار وابن هَرْمة [وابن أبى عُيينة[6] ، ويحيى بن نوفل]

---

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط فقط : « يساوي » وهما صحيحتان ، ولكن قال الليث : « يسوي نادرة » . وفي اللسان : « وقولهم لا يسوى أحسبه لغة أهل الحجاز ، وقد روي عن الشافعى » . وفى المصباح : « وفى لغة قليلة سوى درهماً يسواه من باب تعب ، ومنعها أبو زيد » .

(٣) ط فقط : « لم يساو » وانظر التنبيه السالف .

(٤) فيما عدا ل : « العتبى » . وقد نسب هذا الشعر إلى بشار ، ففى العقد (١ : ١٤٢) . « وكان يزيد بن منصور يجرى لبشار العقيلي وظيفة فى كل شهر ، ثم قطعها عنه ، فقال :

أبا خالد مازلت سابح غمرة صغيراً فلما شبت خيمت بالشاطى
جريت زماناً سابقا ثم لم تزل تأخر حتى جئت تقطو مع القاطى
كسنور عبد الله بيع بدرهم صغيراً فلما شب بيع بقيراط

ومثل هذه النسبة مع إنشاد البيت الأول والثالث فى ثمار القلوب ٣٢٧ . وقد نص الجاحظ فيما يلى على فساد هذه النسبة . وقال الثعالبى : « وقال قبله الفرزدق :

رأيت الناس يزدادون يوما فيوما فى الجميل وأنت تنقص
كمثل الهر فى صغر يغالى به حتى إذا ما شب يرخص »

(٥) روى هذا البيت الميدانى فى نهاية حرف الكاف مسبوقا بكلمة : « وقال المحدث » .

(٦) هو محمد بن أبى عيينة بن المهلب بن أبى صفرة ، وكان أبوه يتولى الري لأبى جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه . وكان محمد من شعراء الدولة العباسية من ساكنى البصرة . وأخباره فى الأغانى (١٨ : ١١ — ٢٩) .

وأبى يعقوب الأعور ، ألف سنة ـ لما قال بيتاً [واحداً] مرضياً أبداً .

وقد يضافُ هذا الشعر(١) إلى بشّار ، وهو باطل .

(حُلاق الحيوان)

٩٧ وزعم [لى] من لا أردُّ خبرَه ، أن الحُلاقَ قد يَعرض للسنانير كما يعرِض للخنازيرِ والحمير .

وزعم [لى] بعضُ أهلِ النظر ، أنّ الزّنج أشبهوا(٢) الحميرَ فى كلّ شىء ، حتى فى الحُلاق ؛ فإنه ليس على ظهرها(٣) زنجىٌّ إلا [وهو] حَلَقِىّ .

وقد غلط . ليس [عليها] زنجىٌّ عليه مؤونة من أن يُناك(٤) . وليس هذا تأويلَ الحُلاق . وتأويلُ الحُلاق أن يكون هو الطالب .

والنبيذ يهتِكُ سترَ الحَلَقىّ ، وينقُضُ عزمَ المتجمِّل(٥) . وهم يشربون النبيذ أبداً ، وسوء الاحتمال له ، وسرعة السكْر إليهم عامٌّ فيهم .

وعندنا [منهم] أممٌ . فلو كان هذا المعنى حقًّا لكان علمُه ظاهراً .

فخبّرنى صاحبُنا هذا(٦) أن فى منزل أبى يوسف [يعقوب] بن إسحاق الكِندى(٧) هرّينِ ذكرَين عظيمين ، يكومُ أحدُهما الآخَر ، وذلك كثيراً

---

(١) فيما عدا ل : « البيت » . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(٢) ل : « استهوى » ﻫ : « أشبه » صوابهما فى ط ، سه .

(٣) ظهرها : أى ظهر الأرض . فيما عدا ل : « ظهر الأرض » .

(٤) فيما عدا ل : « مؤنة من ارتياد نياك » .

(٥) المتجمل : المتصبر الذى يظهر للناس خلاف ما يبطن من الألم . انظر شرح التبريزى للمفضليات ٨ . ط ، ﻫ : « المحتمل » سه : « المتحمل » وأثبت ما فى ل .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفيما عدا ل : « وخبرنى » بالواو .

(٧) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى ، كان يسمى فيلسوف العرب ، وكان بخيلا . وقد =

ما يكون . وأن المنكوحَ لا يمانعُ الناكحَ ، ولا يلتمسُ منه مثلَ الذى يبذله له .

(أكل الهرة أولادها)

قالوا : والهرة تأكلُ أولادَها . فكفاكَ[١] بهذه الخصلة لُؤمًا وشرَهًا ، وعُقوقًا وغلظَ قلب !

وقال السيِّدُ الحميرىُّ — وذكرَ مَسيرَ عائشةَ ، رضى الله تعالى عنها ، إلى البصرةِ مع طلحةَ والزُّبير ، حينَ شهِدَتْ مالم يشهدَا ، وأقدمت على ما نكَصا عنه[٢] — :

جاءت مع الأشقَينَ فى هَودجٍ ⁂ تُزْجى إلى البَصرةِ أجنادَها

كأنَّها فى فِعلِها هِرَّةٌ ⁂ تُريد أن تأكلَ أولادها

ولبئس[٣] ما قال فى أمِّ المؤمنين [وبنت الصدِّيق] ! وقد كان قادراً على أن يوفِّر على علىٍّ — رضى الله عنه — فضْلَه ، من غير أن يشتُمَ الحوَارِيِّينَ ، وأمَّهاتِ المؤمنين ، ولوأراد الحقَّ لسار فيها وفى ذكرها سيرةَ على بن أبي طالب . فلا هو جعل عليًّا قدوة[٤] ، ولا هو رَعى للنبى صلى الله عليه وسلم حُرمة .

= سرد ابن النديم مؤلفاته فى الفهرست ٣٥٨ — ٣٦٥ وهوقدرعظيم جدا . وكان أبوه إسحاق بن الصباح أميراً على الكوفة . وكان يعقوب عظيم المنزلة عند المأمون والمعتصم وعند ابنه أحمد . ل : « إبراهيم » موضع « إسحاق » تحريف ، وكلمة « الكندى » ساقطة من ل . والخبر سبقت رواية الجاحظ له فى (٣ : ١٨٦) وأوله : « وكان عند يعقوب بن صباح الأشعثى » .

(١) فيما عدا ل : « وكفاك » .

(٢) فيما عدا ل : « وأقامت علي ما نكصا عنه » . وانظر الخبر والشعر فى (٢ : ١٩٧) .

(٣) كذا فى س . وفى ل : « وبئس » . وفى ط ، هـ : « وليس » وهذه محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « فلا هو جعل عليها قدرة » ، تحريف .

وذكورةُ سنانير الجيران تأكلُ أولادَ الهرة ، ما دُمنَ صغاراً أو فوقَ الصغار شيئاً[1] ، وتقتلها وتطلُبها أشدَّ الطلب . والأمهات[2] تحرسُها [منها] وتقاتلُ دونَها ، مع عجزها عن الذكورة .

(الألوان الأصيله فى الحيوان)

[قال أبو إسحاق : السنور الذى هو السنور ، هو المنمّر ، وهو الأنمر ، وهو الذى يُقال له : البقّالىّ ، وذلك لكثرة اتخاذ البقالين لها ، من بين سائر السنانير ، لأنها أصيد للفأر .

قال : وجميعُ ألوانِ السنانير إنما هى كالشِّيَاتِ الدَّاخلةِ على اللون .

قال : وكذلك الحمار ، إنما هو الأخضر ، والألوانُ الأُخَرُ داخلةٌ عليه .

قال : فأما الأسدُ فليستْ بذاتِ شياتٍ ، ولا تعدو لوناً واحداً ، ويكونُ ذلك اللونُ متقارباً غير متفاوتٍ .

(أحوال إناث السنانير وذكورها)

قال : ومن فضيلةِ ما فى السنانير ، أنها تَضَعُ فى السَّنَةِ مرتين وكذلك الماعزة فى القُرى ، إلا ما داس الحبَّ[3] .

---

(١) فيما عدا ل : « سنا » .

(٢) فيما عدا ل : « فالأم » . و الأصل فى « الأمهات » أن تكون للآدميين ، وأن تكون « أمات » لغير الآدميين . لكن سمع استعمال كل واحدة منهما مكان الأخرى . انظر اللسان (١٤ : ٢٩٤) .

(٣) أى إلا ما يدوس الحب منها فى البيادر ، والأصل فى الدياس أن تستعمل البقر . قال الجاحظ فى ص ١٤٢ ساسى من هذا الجزء : « والماعزة قد تولد فى السنة مرتين إلا ما ألقى منها فى الدياس ، ولها فى الدياس نفع موقعه عظيم » .

قال : ويحدُث لإناث السنانير من القوة والشجاعة إذا كامها الفحل وهرب منها عند الفراغ . فلو لحِقَتْهُ قطَّعته .

ويحدثُ للذكر استخذاء ، كما يحدُث للذئب القويّ إذا ناله الخدشُ اليسير ، ويحدث للضعيف من الجراءةِ عليه حتى يثبَ عليه فيأكلَه ؛ فلا يمتنع منه . كما قال الشاعر[1] :

وكنتَ كذئب السَّوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحالَ على الدمِ[2]

ويحدث مثلُ ذلك للجرذ[3] إذا خُصِي ، من الحَرْد على سائر الجرذان[4] ، حتى يثب فيقطِّعها ، وتهرب منه ضعفاً عنه .

وسائرُ الحيوانِ إنما يعتريه الضَّعفُ عن أمثاله إذا خُصى وترك أمثاله على حالها] .

(قول زَرَادشت فى الفأر والردُّ عليه)

ثُم رجَعنا إلى قول زَرادُشتَ فى الفأر .

زعم زَرَادُشتُ أن الفأرة[5] من خَلْق الله ، وأن السنَّوْرَ من خَلْق الشيطان . فقيل للمجوس[6] : [ينبغى[7]] على أصل قولكم أن يكون الشئ

---

(١) هو الفرزدق ، كما فى اللسان (١٣ : ٢٠٤) و ديوانه ص ٧٤٩ . وهو منسوب إليه أيضاً فى ابن سلام ١٢٧ وجعله من مقلدات الفرزدق ، وهى الأبيات المستغنية بنفسها ، المشهورة ، التى يضرب بها المثل . ونسب إليه أيضاً فى الأغانى (١٩ : ١٥) نقلا عن ابن سلام . وانظر قصة انتحال الفرزدق هذا البيت فى الأغانى (٥ : ١٥٧) .

(٢) أحال الذئب على الدم : أقبل عليه . ورواية اللسان : « فكان كذئب » .

(٣) الجرذ : ضرب من الفأر . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « الجراد » تحريف عجيب .

(٤) الحرد : الغضب ، وأن يغتاظ فيتحرش بالذى غاظه ، يقال بالفتح وبالتحريك ، والفتح أفصح ، وهو لغة الكتاب : « وغدوا على حرد قادرين » .

(٥) ل : « الفأر » .

(٦) فيما عدا ل : « للمجوسى » . وكل منهما صحيح .

(٧) هذه التكملة من ل ، سه .

الذى خلق الله خيراً كله ونفعاً كلّه، ومرفقاً كله[١]، ويكون ما خلق الشيطان على خلافِ ذلك . ونحن نجدُ عياناً أن الذى قلتم به خطأ . رأينا الناس كلهم يرون أن الفأرَ بلاء ابتلوا به[٢]، فلم[٣] يجدوا بدّاً من الاحتيال لصرْف مضرّته، كالداء النازل [الذى] يلتمسُ له الشفاء . ثم وجدناهم قد أقاموا السنانير [مُقامَ التداوى والتعالُج، وأقامو الفأر مُقامَ الداء الذى أنزله الله، وأمر بالتداوي منه، فاجتلبوا لذلك[٤] السنانير] وبناتِ عِرْس،
٩٨ ثم نصبوا لها ألوانَ الصيّاداتِ[٥]، وصنعوا لها ألوان السُّمومِ [و] المعجونات التى إذا أكلت منها ماتت . واستَفْرَهُوا السنانير[٦] واختاروا الصيّادات.

واجتبَوا السنّورَ دون ابنِ عِرس[٧]، لأن ابنَ عِرسٍ يعمل فى الفأر والطير كعمل الذّئبِ بالغنم[٨]، [فأوّلُ[٩]] ما يصنع بالفريسة أن يذبحها . ثم لا يأكلها إلا فى الفرْط . والسنوْر يقتل ثم يأكل . فالفار[١٠] [من السنور[١١]] أشدُّ فزَعاً[١٢]، وهو الذى قوبل به طباعها وطباعه .

وكما أن الذى يأكل الدجاجَ كثيرٌ، [وأن] الذى جُعِل بإزائه ابن آوى . وكما أن الذى يأكلُ الغنمَ كثيرٌ، والذى جُعِلَ بإزائها الذئب .

---

(١) المرفق، كمنبر ومسجد ومقعد : ما استعين به . ط، هـ : « موفقا » صوابه فى ل، سـ .
(٢) ل : « بلوا » .
(٣) ل : « لم » .
(٤) هذه التكملة من ل، سـ . وفى ل : « واجتلبوا » .
(٥) سـ : « ثم نصبوا لها السنانير واختاروا الصيادات » .
(٦) يستفره : يختار الفاره الجيد .
(٧) اجتبوا : اختاروا . فيما عدا ل : « واختاروا السنور على ابن عرس » .
(٨) فيما عدا ل : « عمل الذئب بالغنم » وفى ط بعد ذلك : « فالأول أكثر » .
(٩) هذه من ل، سـ، هـ .
(١٠) فيما عدا ل : « والسنور يقتل ويأكل . والفأر » .
(١١) هذه من سـ فقط .
(١٢) فيما عدا ل : « أشد منه فزعا » وكلمة « منه » مقحمة .

والأسد [أقوى منه] على النعجة ، والنعجة من الذِّئب أشد فَرَقا(١) .

والحيَّاتُ تُطَالِبُ الفأرَ والجِرذان ، وهى من السنور أشد فزَعا(٢) .

وإن كان فى الجُرذان مايُساوى السنور فإنها منه أشد فزعا .

فإن كنتم إنما جعلتموه من خَلْق الشيطان [لأ كْلِه صِنفاً واحداً من خلق الله — فالأصناف التى يأ كلُها من خَلق] الشيطان أ كثر(٣) .

وزعم زَرَادُشْتُ أن السِّنَّوْرَ لو بال فى البحر ، لقَتَلَ عشرةَ آلافِ سَمَكة .

فإن كان إنما استبْصَر(٤) فى ذمّه فى قتل السمك(٥) فالسمكُ أحقُّ بأن(٦) يكون من خلق الشيطان ؛ [لأن السمكَ يأ كلُ بعضه بعضاً ، والذكر يتبع الأنثى فى زمان طرْح البيض] ، فكلما قذفتْ به التهمه(٧) . وإن غرِق إنسان فى الماء ، بحراً كان أو وادياً ، أو بعضُ ذواتِ الأربع — فالسمكُ أسرعُ إلى أ كله من الضِّباع(٨) والنسورِ إلى الجِيَف .

وعلى أن اعتلاله على السنور ، وقوله : لو بال فى البحر قتل(٩) عشرة آلافِ سمكة . فما يقول فيمن زَعَم أن الجرذَ لو بالَ فى البحر قَتَل(١٠)

---

(١) الفرق : الخوف . ل : « خوفا » .

(٢) ه ، سه : « فزعا » .

(٣) فيما عدا ل : « فالشيطان أ كثر » .

(٤) استبصر فى رأيه : تبين ما يأتيه من خير أو شر ، واستعمل بصيرته . فيما عدا ل : « استنصر » .

(٥) أى فى قتل السنور السمك ببوله فى البحر سه ، ه : « فى قتله » .

(٦) فيما عدا ل : « أن » .

(٧) فيما عدا ل : « فكل ما قنفت به التقمه » .

(٨) ل : « السباع » .

(٩) فيما عدا ل : « وإن بال » وفى ط فقط : « لقتل » .

(١٠) فيما عدا ل : « اقتل » . وهما وجهان جائزان . وفى الكتاب : (لو نشاء لجعلناه حطاما) و : (لو نشاء جعلناه أجاجا) . سورة الواقعة ٦٥ ، ٧٠ .

مائة ألفِ سَمَكة ؟ و بأى شىء يَبين منه[١] ؟ وهل ينبغى لمن كسر هذا القول الظاهر الكسْر[٢] ، المكشوف المُوق[٣] [أن يفرح]؟! وهل تقرُّ الجماعةُ والأممُ بأن فى الفار شيئاً من المرافق ؟! وهل يُمازجُ مضرّتَها شىء من الخير وَإن قلَّ ؟! أو ليست الفأرُ والجرذانُ هى التى تأْكل كُتُبَ الله تعالى ، وكتبَ العِلْم ، وكتب الحساب ؛ وتقرِض الثِّيابَ الثمينةَ ، وتطلب سِرَّ نوى القطن[٤] ، وتُفسد بذلك اللُّحُفَ والدَّواويج[٥] والجباب[٦] ، والأقبية[٧] ، والخفاتين[٨] ، وتحسُو الأدهان ، فإن عجزتْ أفواهُها أخرجَتْها

---

(١) يبين منه : أي يفترق . فيما عدا ل : « يتبين منه » .

(٢) ط : « وهل يتبين » صوابه فى سائر النسخ . وفى ل « الكسير » موضع « الكسر » تحريف .

(٣) الموق : الحمق . ط ، ﻫ : « المرئى » س : الرأى صوابهما فى ل .

(٤) سر النوى : جوفه ولبه . ط : « كسر » س ، ﻫ : « تثير » صوابهما فى ل .

(٥) الدواويج : جمع دواج ، كرمان ، وهو ضرب من الثياب . قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا صحيحا ، ولم يفسره ، كذا فى اللسان . وفى القاموس : « الدواج كرمان وغراب : اللحاف الذى يلبس » . وفى المعرب ١٤٧ : « قال أبو حاتم : حدثنى من سمع يونس يقول : هو الدواج بالتخفيف ، الذى تقول له العامة دواج بالتشديد . قال أبو حاتم : وهو فارسى معرب » . وقال أدى شير ٦٨ : « الدواج والدوّاج اللحاف الذى يلبس ، فارسيته دواج » . لكن الذى عند استينجاس ٥٣٩ أن هذا اللفظ مما اشتركت فيه اللغتان ، وجعله بمعنى ملاءة السرير أو لحافه ، أو بمعنى الملاءة مطلقا . س : « الدواج » ط ، ﻫ : « الدوائج » صوابهما فى ل .

(٦) تجمع الجبة على جبب وجباب . فيما عدا ل : « والقباب » محرف .

(٧) الأقبية : جمع قباء ، بالفتح ، سمى بذلك لاجتماع أطرافه .

(٨) الخفاتين : جمع خفتان ، بفتح الخاء . وهو لفظ فارسى ، لم تذكره المعاجم العربية ، ولا تعرض له الجواليقى . وقال ادى شير ٥٦ : « فارسى محض ، وهو ثوب من القطن يلبس فوق الدرع ، ومنه التركى قَفْطَان » . وعند استينجاس ٤٦٨ أنه ثوب يلبس تحت السلاح ، أي الدرع ونحوه : « A vest worn under armour » ط ، س : « الخفاف » ﻫ : « الخفاش » صوابه فى ل .

بأَذنابها ؟ ! أوليست التى تنقب السِّلال وتقرض الأوكية(١) وتأكل الُجرُبَ حتى يُعلَّقَ المتاعُ فى الهواء إذا أمكن تعليقُه ؟ !

وتجلبُ إلى البيوتِ الحيّات ؛ للعداوة التى بينها وبين الحيَّات، [و] لحرْص الحيَّات على أكلها(٢) ، فتكون سبباً فى اجتماعها(٣) فى منازلهم ، وإذا كثُرن(٤) قتلنَ النفوس(٥) .

وقال ابن أبى العجوز : لولا مكانُ الفأر لما أقامت الحيَّاتُ فى بيوت الناس ، إلا ما لا بال به(٦) من الإقامة .

وتقتل الفسيل والنخل(٧) ، وتهلك العلفَ والزرع ، وربما أهلكن القَرَاحَ(٨) كله ، وحملْنَ شعير الكدْس(٩) وبُرَّه(١٠) . ٩٩

أو ليس [معلوماً(١١)] من أخلاقها اجتذابُ فتائل المصابيح رغبةً فى تلك الأدهان ، حتى ربما جذَبتْها جهلا وفى أطرافها الاخر السُّرج

---

(١) الأوكية : جمع وكاء ، بالكسر ، وهو رباط القربة . فيما عدا ل : « تثقب الأوكية وتثقب السلال » .

(٢) الكلام من : « إذا أمكن تعليقه » إلى هنا ساقط من سه .

(٣) ط : « تكون سبباً لاجتماعهما » . سه : « فيكون سبباً لاجتماعهما » .

(٤) ط : « كثرت » سه : « كبرت » هـ : « كبرن » . والأخيرتان محرفتان .

(٥) ط و سه « قلت النفوس » .

(٦) البال : الاكتراث . ط : « ما لا بد له » سه : « مالابال له » . وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٧) الفسيل : صغار النخل ، واحدته فسيلة . فيما عدا ل : « النفس والنحل » تحريف .

(٨) القراح ، بالفتح : الأرض المخلصة لزرع أو لغرس ، وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك ، والجمع أقرحة ، كقذال وأقذلة . فيما عدا ل : « الفراخ » تحريف .

(٩) الكدس ، بالضم والفتح : العرمة من الطعام والتمر والدراهم ونحو ذلك ، والجمع أكداس . فيما عدا ل : « الكرس » تحريف .

(١٠) سه : « وبزره » تحريف .

(١١) فى الأصل ، وهوهنا ل : « معلوم » وفى ل أيضاً قبلها : « وليس » .

تستوقد[١] فتحرق[٢] بذلك القبائلَ الكثيرة ، بما فيها من الناس والأموال والحيوان ؟!

وهى بعدُ آكل للبيض[٣] وأصناف الفِراخ منَ الحيّات لها .

فكيف لم تكن من هذه الجهة من خَلْق الشيطان ؟!

هذا ، وبين طِباعها وطِباع الإنسانِ مُنافَرة شديدةٌ ، ووَحْشةٌ مفرِطة . وهى لا تأنسُ بالناس وإن طالتْ معايشتُها لهم[٤] والسِّنَّوْرُ آنسُ الخلق بهم .

وكيف تأنس بهم وهم لا يُقلعون[٥] عن قتلها ما لم تقلع [هى] عن مَساءتهم ؟! فلو كنَّ مما يؤكل لكان فى ذلك بعض المرفق[٦] . فكيف وإنها لتُلقى فى الطريق[٧] ميِّتة ، فما يعرض لها الكلبُ الجائع !

فالأمم كلها على التفادى منها[٨] واتخاذ السنانير لها .

وزَرَادُشْت بهذا العقل دعا الناس إلى نكاح الأمهات ، و[إلى]

---

(١) ط ، هـ : « وفى طرفها الآخر » وأثبت ما فى ل ، سه . السرج : جمع سراج ، وهو المصباح . فيما عدا ل : « السراج يستوقد » .

(٢) فيما عدا ل : « فتحترق » .

(٣) ط فقط : « أكل البيض » تحريف . آكل : أشد أكلا .

(٤) عايشه : عاش معه . فيما عدا ل : « معاشرتهم » . وأنشد ابن منظور قول قعنب :

وقد علمت على أنى أعايشهم   لا نبرح الدهر إلا بيننا إحن

(٥) أقلع عن الشىء : كف . فيما عدا ل : « يغفلون » تحريف نص . وكلمة : « بهم » ليست فى ل .

(٦) المرفق : المنفعة . ط ، سه : « فلوكانت » هـ : « فلوكان » وهذه محرفة . وفيما عدا ل : « المرافق » .

(٧) لتلقى ، من لقيه يلقاه . هى كذلك بالقاف فى نسخ الأصل . وفيما عدا ل : « فى الطرق » .

(٨) تفادى من كذا : إذا تحاماه وانزوى عنه . فيما عدا ل : « التأذى » .

التوضؤ بالبول[١] ، وإلى التوكيل فى نيك المغيبات[٢] ، وإلى إقامة سُوراسُنب[٣] ، وصاحب[٤] الحائض والنفساء .

(علة نجاح زرادشت)

ولولا أنه صادف دهراً فى غاية الفسادِ ، وأُمَّةً فى غاية البُعْد من الُحرية ومن الغَيْرة والألفة ، ومن التقزُّز والتنظف[٥] ، لما تمّ له هذا الأمر .

وقد زعم ناسٌ أن ذلك إنما كان وإنما تمَّ لأنه بدأ بالملك فدعاه[٦] على قدْر ما عرَف من طباعه وشهوته وخُلُقه . فكان الملكُ هو الذى حَمل على ذلك رعيَّته .

والذى قال هذا القولَ ليس يعرُف من الأمور [إلا بقدر] ما باينَ به العامّة[٧] ؛ لأنه لا يجوزُ أن يكون الملكُ حملَ العامّة على ذلك ، إلا بعد أن

---

(١) فيما عدا ل : « والتوضى بالأبوال » . وفى اللسان (١ : ١٩٠) : ولا تقل توضيت وبعضهم يقوله » . وفى تاج العروس (١ : ١٣٤) : « ذكر قاسم عن الحسن أنه قال يوما : توضيت — بالياء — فقيل له : أتلحن يا أبا سعيد ؟ فقال : إنها لغة هذيل وفيهم نشأت » .

(٢) المغيبات ، بضم فكسر : جمع مغيب ومغيبة ، وهى التى غاب عنها زوجها . ل : « المعنيات » تحريف .

(٣) كذا وردت الكلمة بهذا الضبط فى ل . ولم أهتد إلى تحقيقها . وفى معجم استينجاس « سُوراخ سُنْب » بمعنى المثقب . ط ، هـ : « سوراست » سه : « سوراست » .

(٤) كذا بالأصل .

(٥) التنظف ، بالظاء المعجمة . وفى اللسان : « قال أبو منصور : التنظفف عند العرب التنطس و التقزز وطلب النظافة » .

(٦) ط : « بدأ بدعاء الملك » هـ : « بدأ » مع سقوط الكلمتين بعدها . وأثبت ما فى ل ، هـ . والملك هو « كيبشتاسب » أتاه زرادشت بدين المجوسية ، فقبلها وحمل أهل مملكته عليها . وقاتل عليها حتى ظهرت . التنبيه والاشراف ٧٩ .

(٧) باينهم : فارقهم . ط ، هـ : « تأتى » سه : « يأتي » وأثبت ما فى ل .

يكون زَرَادشتُ ألفى على ذلك الفسادِ أجنادَ الملك . ولم يكن [الملك] ليقوى[١] على العامة بأجناده ، و بعشرة أضعاف أجناده ، إلا أن يكون فى العامة عالمٌ من الناس[٢] ، يكونون أعواناً للأجناد على سائر الرعية .

وعلى أن الملوكَ ليس لها فى مثل هذه الأمور عِلَّةٌ تدعو إلى المخاطرةِ بملكها ، و إنما غايةُ الملوكِ كل شىء لابد للملوك منه ، فأما ما فضَلَ عن ذلك فإنها لا تخاطر بأصول المُلك تطلبُ[٣] الفضول ، إلا من كان مُلْكه فى نصاب إمامة ، و إمامتُه فى نصاب نبوّة ، فإنه يتّبع كلّ شىء توجبه الشريعة ، وإن كان ذلك سبيلَ الرأى ؛ لأن الذى شرع الشريعة أعلَمُ بغيب تلك المصلحة[٤] .

وقد ينبغى أن يكون ذلك الزمان [كان] أفسدَ زمان ، وأولئك الأهل[٥] كانوا شرّ أهل . ولذلك لم ترقطّ ذا دين تحوّل إلى المجوسيَّة عن دينه . ولم يكن ذلك المذهبُ إلا فى شِقِّهم وصُقْعهم من فارسَ[٦] والجبالِ وخُراسان . [وهذه] كلها فارسية .

(أثر البيئة فى العقيدة)

١٠٠ فإن تعجّبْت[٧] من استسقاطى لعقلِ كِسْرَى أبرَويز وآبائه ،

---

(١) فيما عدا ل : « يقوى » .
(٢) فيما عدا ل : « عامة من الناس » .
(٣) ل : « لطلب » .
(٤) ط : » بغب تلك المصلحة » صوابه فى سائر النسخ .
(٥) فيما عدا ل : « وذلك الأهل » .
(٦) الشق و الصقع : الناحية . فيما عدا ل : « فى ضعفة من أهل فارس » .
(٧) فيما عدا ل : « فان عجبت » .

وأحبَائه وقَرابينه[(١)] وكُتَّابه وأطبائه ، وحكمائه وأساورته — فإنى أقول فى ذلك قولا تَعرف به أنى[(٢)] ليس إلى العصبيّة ذهبت .

اعلم أنى لم أعْنِ بذلك القولِ الذين وُلدوا بعدُ على هذه المقالة ، ونشئوا[(٣)] على هذه الدِّيانة ، وغُذُوا بهذه النِّحلة ، ورُبُّوا [جميعاً] على هذه الملة[(٤)] ؛ فقد علِمْنا جميعاً أن عقولَ اليونانيةِ فوقَ الدِّيانة بالدهرية[(٥)] والاستبصار فى عبادة [البروج و] الكواكب ؛ وعقول الهند فوقَ الديانة بطاعة البُدِّ[(٦)] ، وعبادة البِدَدَة[(٧)] ، وعقول العرب فوق الدِّيانة بعبادة الأصنام والخشب المنجور[(٨)] ، والحجر المنصوب ، والصخرة المنحوتة .

فداء المنشأ والتقليد ، داءٌ لا يُحْسِنُ علاجَه جالينُوس[(٩)] [ولا غيرُه

(١) قرابين الملك : وزراؤه وجلساؤه وخاصته ، واحدهم قربان بالضم . ل : « وقرانبه » وهذه إنما تكون جمع قريبة . وفيما عدا ل : « قرابته » وهى لغة مقول فيها . ولعل الوجه ما أثبت . وفى ط : « وأحبابه » بدل : « أحبائه » .

(٢) فيما عدا ل : « يعرف به أننى » .

(٣) س ، هـ : « ونشوا » .

(٤) فيما عدا ل : « وربوا بهذه الملة » .

(٥) أى عقولهم فوق أن تدين بمذهب الدهرية الذى اعتنقوه . وهذا وما بعده تقرير للمبدأ القائل بأن العقيدة لا تتبع العقل . فيما عدا ل : « فوق عقول الديانة بالدهرية » وكلمة : « عقول » مقحمة . والكلام من هنا إلى كلمة « الديانة » التالية ساقط من هـ .

(٦) البد ، بالضم : الصنم ، فارسى معرب . والجمع البددة ، بكسر ففتح . مأخوذ من كلمة « بُتْ » الفارسية ومعناها الصنم . استينجاس ١٥٤ . وجعلها صاحب القاموس معرب « پت » بالباء الفارسية ! ط ، هـ : « فوق العادة » صوابها فى ل .

(٧) البددة : جمع بد . انظر التنبيه السابق . ط : « البدة » هـ : « البدوة » صوابها فى س . وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من ل .

(٨) ط ، هـ : « والخشب المنجورة » على أن تكون « الخشب » بضمتين جمعا . وأثبت ما فى ل . والكلام من ، « والخشب » إلى : « المنحوتة » ساقط من س .

(٩) جالينوس ، يونانى ، كان إمام الأطباء فى عصره . وقد نقل العرب كتباً كثيرة له فى التشريح . وفيه يقول أبو الطيب :

يموت راعى الضأن فى جهله   موتة جالينوس فى طبه

والكلام من : « والتقليد » إلى هنا ساقط من ل .

من الأطباء[(١)]] . وتعظيمُ الكبراءِ[(٢)] ، وتقليدُ الأسلاف ، وإلفُ دينِ الآباء ، والأُنس بما لايعرفون غيره يحتاج إلى علاج شديد ، والكلام فى هذا يطول .

فإن آثرت أن تتعجب ، حتى دعاك التعجُّب إلى ذكر أبرويز — فاذكر ساداتِ قُريش ، فإنهم فوق كسرى وآل كسرى .

(دفاع صاحب السنور)

[و] قال المحتجُّ للسنانير : قد قالوا : « أبر من هرّة ! » و : « أعقّ من ضَبٍّ[(٣)] ! وهذا قول الذينَ عاينوها تأكلُ أولادها . وزعموا أن ذلك من شدة الحُبِّ لها . وقال بعضهم : إنما يعتريها ذلك من جنونٍ يعتريها عند الولادة ، وجوعٍ يذهبُ معه علمها بفرْقِ مابين جِرائها وجِراء غيرها من الاجناس[(٤)] ، ولأنها متى[(٥)] أشْبَعَتْ أو أُطعمت شِطْرَ شِبَعها لم تعرض لأولادها . والرد[(٦)] على الأمم مثالها عملٌ مسخوط . والعربُ لاتتعصّب للسنّور عَلَى الضبِّ فيُتوهَّم[(٧)] عليها فى ذلك خلافُ الحقِّ ، وإنما هذا منكم عَلَى جهة قولكم فى السنور إذا نَجَثَ[(٨)] لنجْوه ثم ستره ، ثم عاودَ ذلك المكان

---

(١) هذه من س .

(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من ل .

(٣) انظر ما سبق فى (٢ : ١٩٧) ، وكذا أمثال الميدانى (٢ : ٤٥١) فى المثل : « أعق من ضب » .

(٤) الجراء ، بالكسر : جمع جرو ، مثلثة ، وهو الصغير من ولد الكلاب والسباع ونحوها . ويجمع أيضا على أجراء وأجر وأجرية . فيما عدا ل : « أجرائها وأجراء غيرها من الأجناس » .

(٥) فيما عدا ل : « لو » .

(٦) ط ، هـ : « فالرد » .

(٧) س : « فيقرهم » تحريف .

(٨) نجث : بحث . الأصمعى : « نبثوا عن الأمر وبحثوا ونجثوا بمعنى واحد » . ونجيث البئر والحفرة ونجيثتهما : ما خرج من ترابهما . فيما عدا س : « بحث » وهما بمعنى .

فشمه[١] فإذا وجد رائحةً زاد عليه من التراب[٢] . فقلتم : ليس الكرمَ وسترَ القبيح أراد ، وإنما أراد تأنيس الفأر . فنحنُ لا ندَعُ ظاهر صنيعه الذى لا حُكم له إلا الجميل لِمَا يدّعى مُدّعٍ من تصاريفِ الضمير[٣] .

وعلى أن الذى قُلْتموه إن كان حقًّا فالذى أعطيتموه من فضيلة التدبير أكثر مما سلبْتموه من فضيلة الحياء[٤] .

(العيون التى تسرج بالليل)

قال : والعيون التى تُسرج بالليل : عيون الأسْد ، والأفاعى ، والسنانير ، والنُّمور .

والأسْد سُجْر العيون[٥] . وعيون [السنانير] منها زُرقٌ ، ومنها ذهبيَّة ، كعيون أحْرار الطير وعتاقها . وعيونُ الأفاعى بين الزُّرْق[٦] والذهبية . وقال حسان بنُ ثابت[٧] :

ثريدٌ كأنّ السَّمْنَ فى حَجَرَاتِهِ ... نُجومُ الثُّرَيَّا أو عُيُونُ الضَّيَاوِنِ[٨]

الضَّيْون : السِّنّور[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : بالشم » .

(٢) فيما عدا ل : « فان وجد رائحة زاد عليه بالتراب » . وانظر (٢ : ٢٦٣) .

(٣) فيما عدا ل : « ونقضى بما يدعى » الخ .

(٤) فيما عدا ل : « الجميل » تحريف . والمراد بالحياء : ستره نجوه .

(٥) السجرة : أن يشرب سواد العين حمرة . فيما عدا ل : « سحر » بالمهملة ، تحريف ، وانظر ما سبق فى (٤ : ٢٣١ س ٢) .

(٦) ل : « الزرقة » تحريف . وانظر الكلام على ألوان العيون ما سلف فى (٤ : ١١٦ ، ٢٢٩) .

(٧) لم أجد هذا البيت فى ديوانه .

(٨) الحجرات ، بفتحتين : جمع حجرة ، بالفتح ، وهى الناحية . والثريا : مجموعة عنقودية من النجوم وليست نجما واحدا . فيما عدا ل : «كأن الشمس » صوابه فى ل ولسان العرب (١٧ : ١٣٢) .

(٩) فى اللسان : « الضيون : السنور الذكر ، وقيل هو دابة تشبهه » .

(تحقيق فى الألوان)

و إذا قال الناس : ثوب أزرق فإنهم يذهبون إلى لون واحد . و إذا وصفوا
١٠١ بذلك العينَ وقعَ على لونين ؛ لأن البازىَ يسمى أزرق[١] وكذلك العقاب ، والزُّرَّق ، وكل شىء ذهبىُّ العَين . فإذا قالوا : سنور أزرق لم يُدْرَ ، أذهبوا[٣] إلى ألوان الثياب أم إلى[٤] ألوانِ عيون البزاة .

و [قد] قال صُحَارٌ العبدىُّ[٥] حين قال له معاوية : يا أزرق ! قال : البازى أزْرَق . وأنشد :

ولا عَيْبَ فيها غيرُ شُكْلَةِ عينِها كذاك عِتاقُ الطيرِ شُكْلٌ عيونُها[٦]

والذهب قد يقال له أصفر ، ويقال له أحمر .

وقال بعض بنى مَرْوَانَ لبعض ولد متمِّم بن نُوَيرة : يا أحمر[٧] ! قال : الذهب أحمر . فلذلك زعم أن عِتاقَ الطير شُكْلٌ عُيونها .

وقال الأخطل :

وما زالت القَتْلى تَمُورُ دماؤُهم بدِجْلَةَ حتى ماءُ دِجلةَ أشكلُ[٨]

فالشُّكلة عندهم تقع على الصُّفرة والحمرة إذا خالطا غيرهما .

---

(١) فى اللسان : « والبازى يكون أزرق » . فيما عدا ل : « ليس أزرق » تحريف .
(٢) الزرق بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة : طائر بين البازى والباشق يصاد به ، وقال الفراء : هو البازى الأبيض . فيما عدا ل : « الزارق » صو به فى ل .
(٣) ط فقط : « سنور أزرق ذهبوا » بإسقاط ما بين الكلمتين الأخيرتين .
(٤) فيما عدا ل : « والى » .
(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٩٠) .
(٦) سبق البيت والخبر قبله فى (٤ : ٢٣٠) فارجع إليه .
(٧) الأحمر ، مما يعيب به العرب ، وهم يسمون العجم الحمراء لبياضهم ، ولأن الشقرة أغلب الألوان عليهم ، ويسمون أيضاً الموالى الحمراء . وبذلك فسر حديث : « أرسلت إلى الأحمر والأسود » . انظر ص ٧١ من هذا الجزء .
(٨) تمور : تموج وتتردد . فيما عدا ل : « تمار » . أماره : أساله وأجراه .

(الزرق العيون من العرب)

فمن الزرق[١] [من الناس] صُحارُ العبديُّ ، وعبدُ الرحمن ابنُه ، وداوُد بن متمِّم بن نويرة ، والعباس بن الوليد بن عبد الملك [بن مروان] ومروان بن محمد بن مروان[٢] ، وسعيد بن قيس الهمدانى[٣] ، وزرقاء اليمامة . وهى عَنْز ، من بنات لُقمانَ بن عادِيا .

ومن الزُّرق ممن كانوا يتشاءمون به : قيس بن زهير ، [وكان أزرق] وكان بكراً وابن بِكْرين[٤] .

وكانت البسوسُ زَرْقَاءَ [و] بكراً بنتَ بِكرين . ولها[٥] حديثٌ لا أحقّه .

وكانت الزّبّاء زرقاء[٦] . والزرْق العيونِ ، من بنى قَيس بن ثعلبة منهم المرقِّشان[٧] ، وغيرهما .

---

(١) المراد بالزرق ، زرق العيون .

(٢) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بنى أمية بويع سنة ١٢٧ ، وكان مقتله ببوصير الأشمونين من صعيد مصر سنة ١٣٢ .

(٣) نسبة إلى همدان ، قبيلة فى اليمن . وكان من خبره أن عليا كان قد أهدر دم حارثة بن بدر الغدانى ، فكان قيس شفيعاً له عند على ، واحتال لذلك بحيلة طريفة ؛ فعفا عنه على ، وانصرف سعيد إلى حارثة وأعلمه بذلك ، وكساه ، وأجازه بجائزة سنية ؛ ولما أراد الانصراف إلى البصرة شيعه فى ألف راكب . وكان مما قال فيه حارثة (الأغاني ٢١ : ٦٥) :

الله يجزى سعيد الخير نافلة أعنى سعيد بن قيس قرم همدان
أنقذنى من شفا غبراء مظلمة لولا شفاعته ألبست أكفاني

(٤) كان العرب يتشاءمون بالبكر ابن البكرين . انظر ثمار القلوب ٥٣٣ — ٥٣٤ .

(٥) فيما عدا ل : « ولها » .

(٦) انظر حديثها فى ص ٢٧٨ . فما عدا ل : « وكانت الزرقاء بكراً » تحريف .

(٧) هما المرقش الأكبر والمرقش الأصغر ، سبقت ترجمتها فى (٤ : ٣٧٥) .

(الحمر الحماليق من العرب)

والحُمْرُ الحماليق[(١)] ، من بنى شيبان . وكان النعمان [أزرقَ ، أقشَرَ[(٢)] ، أحمرَ] العينين ، أحمر [الحماليق]. وفيه يقولأبو قُردودة حين نهى ابن عمار[(٣)] عن منادَمته :

إني نَهيتُ ابنَ عمّار وقلتُ له   لا تأمَنَنْ أحمرَ العَينينِ والشَّعَرَهْ
إن الملوكَ متى تنْزِلْ بساحتِهمْ   تطِرْ بنارك من نيرانِهِمْ شَرَرَهْ
ياجَفْنَةً كإزاءِالحوضِ قدهَدَمُوا   وَمَنْطِقًا مِثْلَ وشْيِ اليمنةِ الحِبَرَهْ

(شعر فى الزرق)

وقال عبد الله بن همام السَّلولىّ :

ولا يكونَنَّ مالُ الله مَأْكُلَةً   لِكلِّ أزرقَ من هَمْدَانَ مكْتَحِلِ[(٤)]

وقال آخر[(٥)] :

لقد زَرِقَتْ عيناكَ يا ابنَ مُكَعْبِرٍ   كما كلُّ ضَبِّيٍّ من اللؤمِ أزرقُ[(٦)]

---

(١) الحملاق : باطن أجفان العين الذى يسوده الكحل .
(٢) الأقشر : الشديد الحمرة كأن بشرته متقشرة ، و يقال الأبرص أيضا . وانظر الحديث عن البرص ص ١٦٤ — ١٦٧ .
(٣) هو عمرو بن عمار الطائى ، والمترجم فى (٤ : ٢٤٣) وانظر الخبر والشعر ومراجعهم هناك .
(٤) المأكلة ، بفتح الكاف وضمها : اسم مكان من الأكل ، ولغة الضم مسموعة . وعبارة الجوهري: المأكلة والمأكلة الموضع الذى منه تأكل .
(٥) هو سويد بن أبي كاهل ، كما فى الأغانى (١٩ : ٤٩) .
(٦) ابن مكعبر هذا هو محرز بن مكعبر الضبى ، شاعر من شعراء المفضليات ، له المفضلية ٦٠ من طبع المعارف . والمكعبر ، بكسر الباء ، وفى اللسان : ويقال كعبره بالسيف أى قطعه ، ومنه سمى المكعبر الضبى لأنه كعبر قوما بالسيف . وروي بالفتح أيضا . وانظر مقدمة المفضلية ٦٠ . ورواية البيت فى المخصص (١ : ١٠٠) : « كذا كل ضبى » .

وفى باب آخر يقول زُهير :

فلما وردْنَ المـاءَ زُرْقاً جِمامُه   وَضَعْنَ عِصِىَّ الحاضر المتخيِّم[١]

(معارف فى حمرة العين)

وقال يونس : لم أرَ قُرَشِيًّا قطُّ[٢] أحمرَ عروقِ العينين إلا كان سيِّدا شُجاعا . ١٠٢

وروى أن النبى صلى الله عليه وسلم ، كان أشـكلَ العينين[٣] ضليع الفم[٤] .

(شعر فى الدعاء على الفأر)

قال : ونزل أبو الرَّعْل الجرمىّ[٥] بعضَ قرى أنطاكيَةَ فلقَى من جِرذانها شرًّا ، فدعا عليها[٦] بالسنانير فقال :

يا رَبّ شُعْثٍ بَرَى الإسآد أوجههم   ومُنْزِلَ الحـكم فى طه وحاميمِ[٧]

---

(١) يقال ماء أزرق إذا كان صافيا . وجمام : جمع جم وجمة وهو الماء المجتمع . والحاضر : النازل على الماء . ويقال وضع عصاه : إذا ترك السير .

(٢) ط ، هـ : « قطان » صوابه فى ل ، س .

(٣) فسره سماك بن حرب بأنه طول شق العين . قال ابن سيده : « وهذا نادر » يعنى هذا التفسير . وقال ابن الأثير : أى فى بياضها شىء من حمرة . وهو محمود محبوب . فيما عدا ل : « أشهل » وهى رواية أخرى ثابتة فى اللسان (١٣ : ٣٨١ ، ٣٩٦) .

(٤) ضليع الفم : أى عظيمه ، وقيل واسعه . والعرب تحمد عظم الفم وسعته ، وتذم صغره . انظر ص ٢٦٣ .

(٥) فيما عدا ل : « الحربى » .

(٦) ط ، هـ : « عليهم » .

(٧) الشعث : جمع أشعث ، وهو المتلبد الشعر . والإسآد : سير الليل كله . وأراد بطه وحاميم سور القرآن جميعا . فيما عدا ل : « يا رب شعب برى » ط : « الأستار وجهم » . هـ : « الأسناد وجههم » تحريفات . وفيما عدا ل : « وطسم » تحريف .

أَتِحْ لشيخٍ ثَوَى بالشام مُغْتَرِباً نائى النصيرِ بعيدِ الدار مهمومِ
تَكَنَّفَتْهُ قريباتُ الخُطَى دُكُنٌ وُقْصُ الرِّقابِ لطيفاتُ الخراطيمِ[1]
حُجنُ المخالب والأنياب شابكةٌ غُلْبُ الرِّقاب رَحيباتُ الحيازيمِ[2]
ثارُوا لهنَّ فما تَنفَكُّ من قَنَصٍ لكلِّ ذَيَّالةٍ مَقَّاءَ عُلجومِ[3]
حتى أبيتَ وزادِى غير مُنْعَكمٍ على النَّزيلِ ولا كُرْزِى بمعْكومِ[4]

وأنشدَنى ابنُ أبى كريمةَ ، ليزيدَ بنِ ناجيةَ السَّعْدِىِّ[5] : سعدِ بن بكر . وكان لقىَ من الفأر جَهْدًا ، فدعا عليهنّ[6] بالسنانير ، فقال :

أزُهيرُ مالكَ لايهمُّكَ مابى أخزَى إلهُ محمدٍ أصحابى
كحْلَ العيون ، صغيرةً آذانُها جُنحَ الحنادِس يعتورْنَ جِرابى[7]
شُمَّ الأنوفِ لريحِ كلِّ قفيّةٍ يلحظْنَ لحظَ مُرَوَّعٍ مُرتابِ[8]

---

(١) دكن : جمع دكناء ، والدكنة لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد . فيما عدا ل : « ذكره » تحريف . وقص : جمع وقصاء ، وهى القصيرة العنق .

(٢) الأحجن : المعوج المعقف . شابكة : مشتبكة ، وانظر (٤ : ١٨٣ ، ٢٨١ ، ٣٠٩) . والأغلب : الغليظ الرقبة . والحيزوم : الصدر .

(٣) أى ثارت السنانير للجرذان . والقنص : الصيد ، قنصه يقنصه قنصا وقنصا ، بالفتح وبالتحريك . والذيالة : الطويلة الذيل . والمقاء : الطويلة فى دقة . والعلجوم : الشديد السواد ، أو الطويل ، الذكر والأنثى سواء . فيما عدا ل : « فما ينفلك » تحريف .

(٤) عكم المتاع يعكمه عكما : شده بثوب . والنزيل : الضيف . والكرز ، بالضم : ضرب من الجوالق ، أو هو الخرج . فيما عدا ل : « كورى » والكور : الرحل ، ولا وجه له .

(٥) لم أجد له ترجمة أكثر مما قال الجاحظ ، إنه من بنى سعد بن بكر .

(٦) فيما عدا ل : « عليم » .

(٧) جنح الحنادس : أى فى جنح الظلام . يقال جنح وجنح ، بالضم والكسر ، وهو جانب الليل ، أو أوله ، أو قطعة منه نحو النصف . يعتورن : يتداولن ، كلما سكن أحدها نهض الآخر للعمل . فيما عدا ل : « خنس الحنادس » تحريف . ط : « يحتوون » س : « يحتورن » صوابهما فى ل .

(٨) القفية : المختار ، واقتفاه : اختاره . ط ، هـ : « كريح » تحريف . وفيما عدا ل : « كل بغية » . والبغية : ما يبتغى ويطلب ، والأوفق ما أثبت من ل .

دُكْنُ الجبابِ تدرّعَتْ أبدانُها صُعْلُ الرُّؤوسِ طويلةُ الأذنابِ (١)
شُخُتُ المخالبِ والأنايبِ والشَّوَى ثُجْلُ الخصورِ رَحيبةُ الأقرابِ (٢)
أسْقَى الإلهُ بِلادَهُنَّ سحائباً غُرَّ النَّشاصِ بعيدةَ الأطنابِ (٣)
تَرْمِي بِغُبْسٍ كاللّيوثِ تَسَرْبَلَتْ منها الجلودُ مَدارِعَ السِّنْجابِ (٤)
غُلْبِ الرِّقابِ لطيفــةٍ أعجازُها فُطْحِ الجِباهِ رَهيفةِ الأنيابِ (٥)
مُتَبَهْنِساتٍ للطِّرادِ كأنّها آسادُ بِيشةَ أُدْمِجَتْ بخضابِ (٦)

ونحنُ نظُنُّ أن هذه القصيدةَ من توليدِ ابنِ [أبى] كريمة .

---

(١) الدكنة : لون يضرب إلى الغبرة بين الحمرة والسواد . والجباب : جمع جبة ، وهى موصل ما بين الساق والفخذ . فيما عدا ل : « وكز الجباه » والكلمة الأولى محرفة ، وللثانية وجه . تدرعت : هومن الدرع ، وهو اختلاف اللون . والصعل : جمع صعلاء وأصعل ، وهو الخفيف الرأس .

(٢) شخت : جعله جمعا لشخيت . والشخيت : الدقيق . وجمع فعيل صفة على فعل نادر ، كنذير ونذر . والأنايب : جمع للناب ، وأصلها الأنابيب ، فحذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين . انظر اللسان (٢ : ١٧٤ س ٨ — ٩) وحواشى الحيوان (٢ : ٣٧٠) . والشوى : اليدان والرجلان ، الواحدة شواة . ثجل : جمع أثجل ، وهو العظيم الواسع . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة ، يقولونه جمعا وإنما هما قربان اثنان . ط ، هـ : « حل الحصون » س : « محل الحصون » صوابهما فى ل . وفى ل أيضا : « حقيرة الأسلاب » .

(٣) النشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع . والأطناب : جمع طنب ، بضم [و بضمتين ، وهو حبل الخباء والسرادق ، أراد عظم هذه السحائب . فيما عدا ل : « غر البشام » تحريف . وقد دعا عليهن بالمطر ، وهو أخوف ما يخفن .

(٤) الغبس : جمع أغبس وغبساء ، وهو ما لونه لون الرماد . : ط : « بعرس » س ، هـ : « بعس » صوابهما فى ل . والمدارع : جمع مدرع ، وهو ضرب من الثياب ، وقيل جبة مشقوقة المقدم . والسنجاب : حيوان على حد اليربوع ، أكبر من الفأرة وشعره فى غاية النعومة ، فارسيته « سِنْجاب » ولم يذكر فى اللسان والقاموس والمعرب وشفاء الغليل ، وذكره ادى شير ٩٥ . وهو رمادى اللون ، كما فى معجم استينجاس ٧٠٠ . وهو بالإنجليزية : Grey squirrel وبالفرنسية : Petit gris .

(٥) غلب : غلاظ ، جمع أغلب وغلباء . فطح : واسعات عريضات : جمع أفطح وفطحاء .

(٦) متبهنسات : متبخترات . ط ، س : « متهيئات » هـ : « متهنيات » وأثبت ما فى ل . وبيشة : موضع تنسب إليه الآساد .

(معارف فى السنور)

والسنّور ثاقبُ البصر بالليل . وكذلك الفأرة سوداء العينين . وهى فى[1] ذلك ثاقبة البصر .

والسنَّوْرُ ضعيفُ الهامة . وهامته من مَقاتِله . ولا يستطيعُ أنْ يذوقَ الطعامَ الحارّ ولا الحامضَ .

(مقارنة بين السِّنور والكلب)

قال : وللسنور فضيلةٌ أخرى : أنه[2] كثيرُ الأسماء القائمةِ بأنفسها ،
١٠٣ غيرِ المشتقات . ولا أنهَا[3] تجمع الصفاتِ والأعمالَ بل هى أسماءٌ قائمةٌ . من ذلك : القطُّ ، والهِرُّ ، والضَّيْوَن[4] ، والسنَّوْر .

وليس للكلب اسمٌ سِوَى الكلبِ[5] ، ولا للدِّيك اسمٌ إلا الديك . وليس للأَسد اسمٌ إلا الأسد واللَّيث . [وأمَّا الضيغم ، والخنابس ، والرِّئبالُ[6] ، وغيرها ـ فليست بمقطوعة]، والباقى ليست بأسماء مقطوعةٍ[7] ولا تصلح[8] فى كل مكان .

---

(١) فيما عدا ل : « مع » . وانظر (٤ : ٢٣١) .

(٢) ل : « لأنه » .

(٣) ط : « لأنها » وبإسقاط الواو قبلها س ، هـ : « ولأنها » صوابهما فى ل .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٣٢٩ . وكلمة « السنور » فى ل تالية لكلمة : « القط » .

(٥) ل : « إلا الكلب » .

(٦) الضيغم : مشتق من الضغم ، وهو العض . والخنابس ، مشتق من الخنبسة : وهى الترارة والشدة . والرئبال ، مشتق من الرأبلة ، وهى الخبث ، أو المشى متكفئاً كأنه يتوجى .

(٧) ذكر السيوطى فى باب معرفة خصائص اللغة (١ : ١٨٩) أن أبا عبد الله بن خالويه كان يقول : « جمعت للأسد خمسمائة اسم ، وللحية مائتين » . وأراد الجاحظ بالمقطوعة الأسماء التى هى نص فى مسماها . ل : « ليست أسماء مقطوعة » .

(٨) فيما عدا ل : « تطلع » .

وكذلك الخمر . فإذا قالوا : قهوة ، ومُدامةٌ ، وسُلافٌ، [وخَنْدَرِيسٌ] وأشباه ذلك ـ فإنما تلك أسماءٌ مشتركة . وكذلك السيف(١) . وليس هذه الأسماء عند العامة كذلك .

قال : وعلى السِّنور من المحبة ، ولا سيما من مَحَبَّةِ النِّساء ، ومعه من الإلف والانس والدنُوِّ ، والمضاجعةِ ، والنوم فى اللِّحاف الواحد ـ ماليس مع الكلب ، ولا مع الحمام ، ولا [مع] الدَّجاج ، ولا مع شىء مما يعايش الناس .

هذا ، ومنها الوحشى والأهلىّ . فلولا قُوّةُ حبهِّ للناس لما كان فى هذا المعنى أكثرَ من الكلابِ ، والكلاب كلّها أهلية .

قالوا : وليس بعجيبٍ أن يكون الكلبُ طيِّبَ الفم ؛ لكثرةِ ريقه ، ولبُعد قرابَتِه ومشاكَلَته للأَسد ، وإنما العجبُ فى طيبِ فمِ السنَّور ، وكأنه فى الشَّبه من أشبال الأسد .

ومن يُقَبِّلُ أفواه السنانير وأجْراءها من الخرائد(٢) وربَّات الحجال ، والمخدَّرات ، والمطهَّمات(٣) ، [والقينات(٤)] أكثرُ من أن يُحصى لهنَّ عدد ، وكلهنَّ(٥) يخبرنَ عن أفواهها(٦) بالطِّيب والسلامةِ مما عليه أفواهُ السباع . وأفواهُ ذوات الجِرَّة(٧) من الأنعام .

---

(١) فيما عدا ل : « الضيف » تحريف . ومما يجدر ذكره أن صاحب القاموس صنع كتاباً سماه : « الروض المسلوف » جمع فيه ما ينيف على ألف اسم من أسماء السيف . انظر القاموس (سيف) .

(٢) الخرائد : جمع خريدة ، وهى البكر لم تمسس قط ، أو الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت الخفرة . فيما عدا ل : « الحرائر » جمع حرة بالضم ، وهى الكريمة ، أو ضد الأمة .

(٣) المطهمات : البارعات الجمال . والمطهم : الحسن التام كل شيء منه على حدته .

(٤) القينة : الأمة مغنية كانت أو غير مغنية .

(٥) ط : « والكل » س ، هـ : « ولكن » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « أفواههن » .

(٧) الجرة ، بالكسر : ما يخرجه البعير ونحوه من جوفه ثم يمضغه ويبلعه . فيما عدا ل : « ذى الجرة » .

وما رأينا وضيعةً قطُّ ولا رفيعة ، قبَّلتْ فَمَ كلبٍ أو دِيك[1] .
وما كان ذلك من حارس قطُّ ، ولا من كلاَّبٍ ، ولا من مكلِّب[2] ، ولا من مُهارِش[3] .

والسنور يُخْضَب[4] ، وتُصاغُ له الشنوفُ والأقْرِطَة[5] ، ويُتحف ويدلَّل[6] .

ومَنْ رأى السنوْر كيف يَختِلُ العُصفورَ ، مع حَذَرِ العُصفورِ ، وسُرعة طيرانه — على أن جِهتَه فى الصيدِ جِهةُ الفهد والأسد . ومنْ رآه يفَ يرتفعُ بوَثْبته إلى الجرادة فى حال طيرانها — علم أنه أسْرَعُ من الجرادة[7] .

وله إهابٌ فضفاضٌ ، وقميصٌ من جِلده واسعٌ ، يموج فيه بدنُه . وهو مما يضبع[8] لسعَة إبطيه ، ولوشاء [إنسان] أن يعقِدَ صُلْبَهُ ، ويَثْنِيَ أوَّله عَلَى آخِره ، كما يُثْنَى المِخْراق[9] ، وكما[10] يثنى قضيبُ الخيزُران [لفعَلَ] .

ويوصفُ الفرَسُ بأنه رِهل اللَّبان[11] ، رحيبُ الإهاب ، واسع

---

(١) ليس للديك فم ، وإنما له المنقار .
(٢) الكلاب : صاحب الكلاب . والمكلب : الذى يعلم الكلاب أخذ الصيد . « ولا من كلاب » ساقط من ل .
(٣) الهراش : تحريش الكلاب بعضها على بعض . وانظر (قتال الحيوان) فى ص ٢٤٦
(٤) يخضب بالخضاب ، وهو الحناء ونحوه . ل : « تخضب » .
(٥) الشنوف : جمع شنف ، بالفتح ، وهو القرط يعلق فى أعلى الأذن . والقرط يجمع على أقراط وقراط وقروط وقرطة بفتح فكسر . ل : « والقرطة » . وفى ل أيضاً : « تصاغ لها » .
(٦) يتحف : تقدم إليه التحف والطرف . ل : « تتحف وتدلل » .
(٧) ل : « الجراد » .
(٨) يضبع : يمد ضبعيه فى سيره . ط : « يضع » س ، هـ : « يصنع » صوابهما فى ل .
(٩) المخراق ، سبق تفسيره فى ٢٥٧ .
(١٠) فيما عدا ل : « أو » .
(١١) اللبان ، بالفتح : الصدر . والرهل ، بفتح فكسر : ذو الرهل ، وهو الاضطراب والاسترخاء .

الآباط . وعيب الحمار للكزازة التي فى [يديه ، وفى] منكبيه ، وانضمامهما[١] إلى إبطيه ، وضيق جلده ، وإنما يعدُو[٢] بعُنقه .

(التجارة فى السنانير)

قالوا : وللسنور تجّارٌ وباعة ، ودلاّلون ، وناسٌ يُعرفون بذلك . ولها رَاضةٌ[٣] .

وقال السِّنْدِي بن شاهَك : ما أعيانى أحدٌ من أهل الأسواق : من التجّار[٤] ، و[من] الباعة والصنّاع ، كما أعياني أصحابُ السنانير ، يأخذون السنّوْر الذى يأكل الفِرَاخ والحمامَ ، ويواثب أقفاص الفواخِتِ[٥] والوراشين والدّباسِي[٦] [والشّفانين[٧]] ، ويدخِلونه فى دَنٍّ ، ويشُدُّون رأسَه[٨] ، ثم يدحْرِجونه على الأرض حتى يَشْغَلَه الدُّوَار ، ثم يدخِلونه فى قفص فيه الفراخُ والحمام ، فإذا رآه المشترى رأى شيئا عجباً[٩] ، وظنّ أنه قد ظفر بحاجته . فإذا مضى به إلى البيت مَضى بشيطانٍ ، فيجْمع عليه ١٠٤

(١) أى انضمام يديه ومنكبيه .

(٢) س ، هـ : « يغدو » تحريف .

(٣) راضة : جمع رائض ، كباعة وبائع ، وهو الذى يروض الدواب و يسوسها .

(٤) فيما عدا ل : « ومن التجار » .

(٥) الفواخت : جمع فاختة ، وهى ضرب من الحمام المطوق : Ringdove . وانظر (١ : ١٤٤) . فيما عدا ل : « الفواخيت » . وزيادة الياء في نحوه مذهب الكوفيين .

(٦) الدباسى ، جمع دبسى ، بالضم . وهو ضرب من الحمام الوحشى : Palmdove or Little brown dove منسوب إلى دبس الرطب ، بالكسر ، على التغيير فى النسب كالدهري ، أو هو على لفظ المنسوب وليس بمنسوب . وانظر (٣ : ٢٠١ ، ٢٤٣) . فيما عدا ل : « الدباس » محرف .

(٧) الشفانين : جمع شفنين ، بالكسر ، وهو ضرب من الحمام حسن الصوت .

(٨) فيما عدا ل : « يسدون » بالسين المهملة . والمشدود : المربوط .

(٩) فيما عدا ل : « عجيباً » .

بليّتين(١) إحداهما أكْلُ طيوره وطيور الجيران ، والثانية أنه إذا ضَرِىَ عليها لم يطلبْ سِواها .

ومررتُ يوماً وأنا أريدُ منزلَ المكّى بالأساورة(٢) وإذا امرأةٌ قد تعلقَتْ برجُل وهى تقول : بيني و بينك صاحبُ المسْلَحَة(٣) فإنك دَلَلْتَنى عَلَى سنور(٤) ، [وزعمتَ أنه لايقربُ الفراخ ، ولا يكشفُ القدُور ، ولا يدنو من الحيوان ، وزعمت أنك أبصرُ الناس بسنور] ، فأعطيتُك(٥) على [بصرك و] دلالتك دانِقا(٦) . فلما مضيتُ [به] إلى البيت مضيتُ بشيطان قد والله أهلَكَ الجيرانَ بعد أن فرغَ منا . ونحنُ منذُ خمسةِ أيامٍ نحتال فى أخذه . وهاهو [ذا(٧)] قد جئتُك به فرُدَّ عَلَىَّ دانقى ، وخُذْ ثمنه من الذى باعنى(٨) . ولا والله إن تُبْصِرُ من السنانير قليلا ولا كثيراً !

---

(١) فيما عدا ل : « فيجتمع عليه بليتان » .

(٢) الأساورة : قوم من العجم بالبصرة نزلوها قديماً ، كالأحامرة بالكوفة . وأراد الجاحظ خطتهم التى كانوا ينزلون فيها . والمكى : أحد معاصرى الجاحظ ، وكان له معه مداعبات . وانظر (٣ : ٣٢٤ — ٣٢٧) . وبدله فيما عدا ل : « البكاء » .

(٣) المسلحة : قوم ذوو سلاح ، والمسلحة أيضاً القوم الذين يحرسون الثغور من العدو . ل : « المصلحة » .

(٤) ط ، هـ : « السنور » .

(٥) فيما عدا ل : « وأعطيتك » .

(٦) البصر هنا بمعنى العلم وجودة المعرفة . والدلالة ، كسحابة وكتابة : الجمع بين البائع والمشترى . والدانق بكسر النون وفتحها : سدس الدرهم أو ثمنه ، ومرجع الاختلاف إلى تفاوت ما بين الدراهم أنفسها . وهو بالفارسية : « دانگ » أو « دانگ » وهو فى الفارسية بمعنى ربع الدرهم ، أو السدس من أى شىء . انظر استينجاس ٥٠١ والمعرب ١٤٥ وادي شير ٦٦ .

(٧) هذه التكملة من ل ، س .

(٧) أى الذى باعنى إياه . وفيما عدا ل : « باعه » .

قال الدلاَّل : انظروا بأىِّ شيء تستقيلنى[١] ؟ ! ولا والله إنْ فى ناحيتنا فتًى هو أبصرُ بسنور منِّى ، وذلك من مَنِّ سيِّدي ومولاى[٢] !

فقلتُ للدَّلاَّل : ولا والله إن فى هذه الناحية فتًى هو أشكر لله منك[٣] .

(أكل السنانير)

وناس يأكلون السنانيرَ ويستطيبونها . وليس يأكل الكلبَ أحَدٌ[٤] إلا فى الفرْط .

والعامة تزعم أن من أكل السِّنَّوْر الأسود لم يَعْمَلْ فيه السحر .

والكلبُ لا يؤكل .

(أكل الديك)

والديك خبيث اللحم عَضِله[٥] ، إلا أن يُخْصَى . وتلك حيلة لأهل حِمْص ، وليست عندنا فيه [حيلة . وقال جَحْشويه[٦] :

كيفَ صبرى عن مثلِ جُمجُمة الهِرِّ تثَنَّى بمُسْبَطِرٍّ متينِ

ليس يخفى عليك حين تراها أنَّها عُدَّة لداء دفينِ]

---

(١) استقاله : طلب إليه أن يقيله ، أى يفسخ ما بينه وبينه . ه : « تستقلنى » ل . س : « تستقبلنى » .

(٢) أراد : من نعمة الله وفضله . ل : « وذلك من سيدى ومولاى » .

(٣) كلمة : « هو » ليست فى ل : س .

(٤) فيما عدا ل : « واحد » ، والأكثر فى النفى استعمال « أحد » .

(٥) العضل : الكثير العضلات ومثل العضل ، كعتل . وهذا الحرف ساقط من ل .

(٦) جحشويه : من شعراء المجون . وقد سبق فى (٤ : ١٨١) قول الجاحظ : « ولقد ولدوا على لسان جحشويه فى الحلاق أشعاراً ما قالها جحشويه قط » . وقد روى له الجاحظ شعراً آخر في المجون . انظر البيان (٣ : ٣٣) .

(سكينة التابوت)

قالوا : وزعم بعضُ أهلِ الكتاب ، و بعضُ أصحاب التفسير(١) ، أن السَّكينة التى كانت فى تابوت موسى(٢) [كانت] رأس هِرٍّ(٣) .

(استطراد لغوى)

قالوا : وقلتم فى الاشتقاق من اسم الكلب : كَليب ، وكلاب(٤) ، ومَكْلَبة ، ومُكالب(٦) ، وأصاب القومَ كُلْبَة الزمان ، مثل هُلْبة(٧) ، وهى الشدّة .

والكِلاَبُ واحِدُها كَلْب ، و[تجمع] على(٨) كلاب [وأكلب] وكليب ، كما يجمع البُخْت بَخيتاً وأبختُا(٩) .

وَالكَلاَّب بتثقيل اللام : صاحب الكلاب . والمُكَلِّب ، بتثقيل اللام وضمّ الميم : الذى يعلِّم الكِلاَبَ الصَّيْدَ(١٠) . وقال طُفيلٌ الغَنَوىّ :

---

(١) ط ، ه : « أهل التفسير » .

(٢) هذه إشارة إلى قول الله : (إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم) الآية ٢٤٨ من سورة البقرة .

(٣) فى تفسير أبى حيان : « وقيل السكينة صورة من زبرجد أو ياقوت ، لها رأس كرأس الهر ، وذنب كذنبه ، وجناحان » .

(٤) كلاب ، بالكسر : اسم لأبى قبيلة ، وبالفتح داء الكلب .

(٥) المكلبة : الأرض يكثر فيها الكلاب ، والقيادة .

(٦) المكالبة : المشارة والمضايقة . والمكالب أيضاً : الجرىء ، يمانية .

(٧) هلبة الشتاء ، بالضم شدته .

(٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل .

(٩) كذا فى ل . وفى سائر النسخ : « كما يجمع النجب نجيب » . ولم أجد فى المعاجم ما يؤيد صحة إحدى العبارتين .

(١٠) سبق مثل هذا فى التنبيه ٢ ص ٣٣٨ . والكلام من : « صاحب » إلى : « وضم الميم » ساقط من ل .

تُبَارِى مَرَاخِيها الزِّجاجَ كأَنَّها ضِرَاءٌ أحسَّتْ نَبأَةً من مُكَلِّبِ (١)

وقال الآخر (٢) :

خُوصٌ تَرَاحُ إلى الصُّدَاح إذا غدَتْ فِعْلَ الضِّرَاءِ تَرَاحُ للكَلَّابِ (٣)

والكَلَب : داء يقع فى الإبل ، فيقال كَلِبت الإبلُ تَكْلَب كلَباً ، وأكلب القَوم : إذا وقع فى إبلهم الكَلَب . ويقال كَلِب الكلبُ واستكلب : إذا ضَرِىَ وتعوَّدَ أكلَ الناس ، ويقال للرَّجل إذا عضَّه الكلبُ الكلِبُ : قد كُلِبَ الرَّجُل . ١٠٥

ويقال إن الرَّجُلَ الكلِبَ يَعضُّ إنساناً آخر ، فيأتون رجلا شريفاً ، فيقطرُ لهم من دَمِ إصبعه ، فيَسْقُونَ ذلك الكلبَ فيبرأ . وقال الكُميت :

أحلامُكم لسِقَام الجهلِ شافيةٌ كما دِماؤكم يشْفَى بها الكَلَبُ (٤)

قالوا : فقد يقولون للسنور هِرّ ، وللأنثي هِرَّة . ويقال من ذلك هرَّ الكلبُ يهرُّ هريراً ، وتسمَّى المرأةُ بهرَّة ، ويكنى الرَّجُل أبا هِرٍّ (٥) ، وأبا هُريرة . وقال الأعشى :

ودِّعْ هُريرةَ إن الركبَ مُرْتحِلُ وهل تُطيق وَداعاً أيها الرجلُ

وقال امرؤ القيس :

دارٌ لهِرٍّ والرَّبابِ وفَرْتَنَى ولَميسَ قبلَ تفرُّقِ الأيَّامِ (٦)

---

(١) سبق إنشاد هذا البيت وشرحه فى (١ : ٢٧٦) وكرر أيضاً فى (٢ : ٨١) . فيما عدا ل : « كأنه » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » . والبيت سبق فى (١ : ٢٧٧ و ٢ : ٢٠١) .

(٣) الخوص : جمع خوصاء ، وهى الغائرة العين من الإبل . تراح : تجد راحة [و] فرجا . والصداح ، بالدال : رفع الصوت بالغناء ، عنى صوت الحادى . والرواية فيما سبق : « الصراخ » . وفى الجزء الأول من ل وكذا اللسان (٣ : ٢٨٧) : « إلى الصياح » . والضراء ، جمع ضرو : وهو الكلب الضارى . فيما عدا ل : « الظباء » . و « بالكلاب » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « تشفى من الكلب » .

(٥) سه : « أباهرة » .

(٦) البيت من قصيدة له فى الديوان ١٦٠ — ١٦٥ يجيب بها سبيع بن عوف بن مالك .

وقال ابنُ أحمر[1] :

إن امرأَ القيسِ عَلَى عَهْدِهِ ... فى إرْثِ ماكان بناه حُجُرْ
بَنتْ عليــــه الملك أطنابَها ... كأسٌ رَنَوْنَاةٌ وطِرْفٌ طِمِرّْ[2]
يلهُو بهنـدٍ فوقَ أنماطِهَا ... وفَرْتَنى تَسْعَى عليــه وهِرّْ[3]

(أطْباء الهرة وحملها)

قال : وللهرة ثمانية أطباء [أربعةٌ[4]] تقابلُ أربعة ، أوّلهنّ بين الإِبط والصَّدْر ، وآخِرُهُنّ عند الرُّفغ . وتحملُ خمسين يوماً ، وتضع جراهاَ[5] عُمْياً . وليس بينَ تفقيحها وتفقيح[6] جراءِ[7] الـكلابِ إلا اليَسير .

---

(١) روى صاحب اللسان سبعة أبيات من هذه القصيدة فى (١٩ : ٥٦) . والبيت الأول والثانى فى تهذيب الألفاظ ٢١٩ والثانى فى المقصور ٥٧ وشرح الأنبارى للمفضليات ١٦٧ واللسان (١٢ : ٣٨٤) .

(٢) يروى: « بنت عليه الملك » بتشديد النون ورفع الملك ، والملك هى الـكأس فلذلك أنثها . ويروي : « بنت عليه الملك » بتخفيف النون ونصب الملك ، ونصبه على أنه مصدر وضع موضع الحال ، كأنه قال ملـكا ، وهاء « أطنابها » عائدة إلى الـكأس . وروى بعضهم : « بنت عليه الملك » فرفع الملك وأنث فعله على معنى المملـكة . ويروى : « مدت عليه الملكَ » و « الملكُ » . والرنوناة : الدائمة على الشرب . فيما عدا ل : « روينا » تحريف . قال ابن سيده : « ولم نسمع بالرنوناة إلا في شعر ابن أحمر » . والطرف : من الخيل العتيق الـكريم . والطمر : الوثاب . وانظر لهذا البيت المخصص (١١ : ٧٣ ، ١٤ : ٢٢٧ ، ١٧ : ١٦) .

(٣) فيما عدا ل : « تسعى إليه » . وفى اللسان (١٩ : ٥٧) : « وفرتنى يعدو إليه » محرفة .

(٤) ليست بالأصل . والـكلام يقتضيها .

(٥) الجراء : جمع جرو . و « جراها » كذا جاءت بالقصر .

(٦) فقح الجرو وفقح ، وذلك أول ما يفتح عينه وهو صغير . وانظر (٢ : ٢٨٨) . فيما عدا ل : « تفتيحها وتفتيح » تحريف .

(٧) هذه الـكلمة ساقطة من ط ، هـ . وبدلها فى سه : « أجراء » وأثبت ما فى ل . وهما جمع جرو .

(إيثار الهرة والديك)

والهرة من الخلْق الذى يؤثِر على نفسه ، ولها فضيلةٌ فى ذلك [على الدِّيك الذى له الفضيلة فى ذلك] على جميع الحيوان ، إلا أن الديك[1] لايفعل ذلك [بالدجاج] إلا مادام شابّاً . ولا يفعل ذلك بأولاده ، ولا يعرفهم وإنما يفعل ذلك بالدجاج ِعَلَى غير الزِّواج[2] ، وعَلَى غير القصد إلى واحدة[3] يقصِد إليها بالهوى .

والهِرَّة يُلقى[4] إليها الشىء الطيبُ وهى جائعة ، فتدعو أولادها ، وقد استَغْنَيْن عن اللبن ، وأطَقْن الأكل والتقمُّم والتكسُّب ، نعم حتى ربما فعلتْ ذلك بهنّ وهنَّ فى العينِ شبيهاتٌ بها فى العِظَم[5] ؛ فلا تزالُ ممسكةً عن [تلك] الشحمة على جُوعها[6] ، ومع شرَهِ السنانير ، حتى يُقبِلَ ولدُها فيأكله[7] .

ورجلٌ من أصحابنا ائتمنوهُ على مال ، فشدّ عليه فأخذه ، فلما لامه بعض نصحائه قال : يطرحون اللحم قُدّام السنورِ فإذا أكله ضربوه !

فضَرَبَ شَرَهَ السنور مثلا لنفسه[8] .

و [الهِرَّة] ربما رموا إليها بقطعةِ اللحم ، فتقصدُ نحوها حتى تقف

---

(١) هنا فيما عدا ل زيادة : « إلا الديك » هو إقحام وتحريف .
(٢) الزواج ، بالكسر : المزاوجة . فيما عدا ل : « الرواج » بالمهملة ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « لواحدة » .
(٤) ط ، ه : « تلقى » .
(٥) « فى العين » ساقطة من س . وفى ط، ه « وهم فى العين يشبهنها فى العظم » تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « مع جوعها » .
(٧) الضمير للشىء الطيب . وفى ط فقط : «فيأكلها » والضمير للشحمة.
(٨) فيما عدا ل : « يضرب بشره » الخ .

١٠٦ عليها ، فإذا أقبلَ ولدها تجافتْ عنها . وربما قبضتْ عليها بأسنانها فرمت بها إليه[1] بعد شمِّ الرائحة[2] ، وذَوق الطعم .

(نقل الهرة أولادها)

والهرّة تنقل أولادها فى المواضع ، من الخوف عليها . ولا سبيل لها فى حملها إلا بفيها[3] . وهى تعرِف دِقّةَ[4] أطْرَافِ أنيابها ، وذَرَب أسنانها . فلها بتلك الأنياب الحِدَادِ ضربٌ من القبض عليها ، والعَضّ لها ، بمقدار تبلغُ به الحاجة[5] ، ولا تؤثِّر فيها ولا تؤذيها .

(مخالب الهرة والأسد)

فأما كفُّها والمخالبُ المعقَّفة[6] الحِـدَادُ التى فيها ، فإنها مصونة فى أكمامها[7] . فمتى وقعت كفُّها[8] على وجه الأرض صارت فى صوْن ، ومتى أرادت استعمالها نَشَرَتها[9] وافرة ، غير مكلومةٍ ولا مثلومة[10] كما وصف أبو زُبَيْدٍ كفَّ الأسد [فقال] :

---

(١) ل : « إليها » فيكون الضمير عائدا إلى الولد بمعنى الجمع ، فإن الولد يكون للمفرد وللجميع .

(٢) فيما عدا ل : « بغير شم الرائحة » تحريف . والمراد أن تختبر الطعام وتبلوه .

(٣) سـ : « بأسنانها » .

(٤) سـ ، هـ : « رقة » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « حاجتها » .

(٦) المعقفة : المعوجة الملوية . فيما ل : « المعقلة » تحريف .

(٧) الأكمام : جمع كم ، بالضم ، غشاء مخالب السبع . اللسان (١٥ : ٤٣٠) .

(٨) ل : « متى وضعت كفها » .

(٩) نشرتها : بسطتها . ل : « أظهرها » .

(١٠) مكلومة : مجروحة ، والمراد حدوث أثر فيها . وفى الحديث : « ذهب الأولون لم تكلمهم الدنيا من حسناتهم شيئاً » أى لم تؤثر فيهم ولم تقدح فى أديانهم . انظر =

بُجُن كالمحاجِنِ في قُنُوبٍ يَقيها قِضَّةَ الأرضِ الدَّخيسُ[١]

كذلك مخالبها ومخالبُ الأسد ، وأنيابُ الأفاعى[٢] . و[قد] قال الرَّاجز[٣] ، وهو جاهلىّ :

حتَّى دنا من رأس نَضْناض أصمّْ[٤] فخَاضَه بين الشِّراك والقدَمْ[٥]

بِمِذْرَبٍ أخرجَه من جوفِ كُمّْ[٦]

(زعم بعض المفسرين فى السنانير والخنازير)

وزعم بعض المفسرين أن السنور خُلِقَ من عطسة الأسد ، وأن الخنزير خُلِق من سلحة الفيل[٧] ؛ لأن أصحابَ التفسير يزعمون أن أهلَ

= اللسان (١٥ : ٤٢٩) . س : « مكلولة » تحريف ، وإنما يقال « كليلة » . كل السيف ونحوه فهو كليل : ذهبت حدته . والمثلومة : التى كسر حرفها . فيما عدا ل : « مأثومة » تحريف .

(١) القنوب : جمع قنب ، بالضم ، وهو ما يدخل فيه الأسد مخالبه من يده . فيما عدا ل : « فتوح » بالحاء المهملة ، تحريف . ل : « كالمخالب » وفيما عدا ل : « قصة الأرض » تحريفان . انظر لها شرح البيت ، وقد سبق فى (٤ : ٢٨٤) . وفى الأصل هنا : « يقيها » بالياء ، صوابه مما سبق .

(٢) فى (٤ : ٢٨٤) : « وكذلك أنياب الأفاعى هى مالم تعض فصونة فى أكمام لها » .

(٣) سبقت بعض أبيات الرجز فى (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣ — ٢٨٤) وستأتى بعض أبياته فى (٦ : ٣٩ ، ٣٤ ساسى) .

(٤) النضناض : الحية تحرك لسانها . ط ، س : « فضفاض » تحريف .

(٥) خاضه ، هو من قولهم خاضه بالسيف وضعه فى أسفل بطنه ثم رفعه إلى فوق . ل ، هـ : « فحاصه » وحاصه بمعنى خاطه ؛ ولها وجه ضعيف . والشراك ، بالكسر : سير النعل . س : « الشراط » تحريف .

(٦) المذرب : الحاد ، أراد به الناب . فيما عدا ل : « مذرب » صواب روايته فى ل ، وكما سبق فى (٤ : ٢٨٤) . والكم ، سبق تفسيره فى التنبيه السابع من الصفحة ٣٤٦ .

(٧) السلح : السلاح بالضم ، وهو النجو . فيما عدا ل : « عطسة » تحريف . وانظر السياق وقد سبق هذا الزعم فى (١ : ١٤٦) .

سفينةِ نوح لما تأذَّوْا بكثرة الفأر[١] وشكَوا[٢] [إلى نوح ذلك] سألَ ربَّه الفرَج ، فأمره أن يأمُرَ الأسد فيعطِسَ . فلما عطس خرج من منخرَيه[٣] زوجُ سنانير : ذكر وأنثى[٤] . خرج الذَّكَر من المنْخر الأيمن ، والأنثى من المنخر الأيسر . فكفَيَاهم[٥] مؤُونة الجرذان . ولما تأذَّوْا بريح نَجْوِها[٦] شكوا ذلك إلى نوح ، وشكا ذلك إلى ربِّه[٧] . فأمره أن يأمر الفيل فليَسْلح[٨] ، فسَلَح [زوجَ] خنازير فكفياهم[٩] مؤُونة رائحة النجو .

وهذا الحديثُ نافقٌ عند العوَامِّ ، وعندَ بعض القُصَّاص .

(إنكار تخلُّق الحيوان من غير الحيوان ، والرد عليه)

وقد أنكر ناسٌ[١٠] أن يكون الفأر تخلَّق فى أرحام إناثها[١١] من أصلاب ذكورتها[١٢] ومن أرحام بعض الأرضين[١٣] كطينة القاطول[١٤] ؛

---

(١) فيما عدا ل : « من كثرة الفأر » . وفى الجزء الأول : « تأذوا بالفأر » .
(٢) سه : « وشكوا إليه » .
(٣) المنخر : الأنف ، وثقب الأنف . وفيه لغات ، بفتح الميم والخاء ، وضمهما ، وكسرهما ، وكمجلس وملمول .
(٤) فيما عدا ل : « من ذكر وأنثى » .
(٥) ل : « فكفوهم » وفى سائر النسخ : « فكفاهم » والوجه ما أثبت .
(٦) فيما عدا ل : « برائحة » . و « نجوها » هى فى الأصل : « نجوهم » .
(٧) فيما عدا ل : « فشكى إلى الله تبارك وتعالى » .
(٨) فيما عدا ل : « فيسلح » .
(٩) فيما عدا ل : « فكفوهم » . وإنما الضمير لزوج الخنازير .
(١٠) فيما عدا ل : « وقد أنكرنا » بإسقاط السين ، تحريف .
(١١) فيما عدا ل : « إلا فى أرحام إناثها » و « إلا » مقحمة تفسد الكلام .
(١٢) فيما عدا ل : « ذكورها » والجاحظ يميل إلى استعمال ما أثبت من ل .
(١٣) الأرضون ، بفتح الراء : جمع أرض . ل : « الأرض » .
(١٤) القاطول : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمر . وقد سبق للجاحظ مثل هذا الكلام فى (٣ : ٣٧٢) .

فإن أهلها زعموا[1] أنهم [ربما] رأوا الفأرةَ لم يتمَّ خلقُها بعدُ ، و إن عينيها لتَبِصَّانِ[2] ، ثم لايريمون[3] حتى يتمَّ خلقها وتشتدَّ حركتُها .

وقالوا : لايجوز لشيء خُلِقَ من الحيوان[4] أن يُخلق من غير الحيوان . ولا يجوز أن يكونَ شيءٌ له فى العالم أصلٌ أن يؤلِّف الناسُ أشياءَ تستحيل إلى مثل هذا الأصل . فأنكروا من هذا الوجْه تحويل الشبَهِ[5] ذهباً ، والزِّيبق فضة .

وقد علمنا أن للنُّوشاذُرِ[6] فى العالم أصلا موجوداً . وقد يصعِّدُون الشعر و يدبِّرونه[7] حتى يستحيل كحجر النوشاذُر[8] ، ولا يغادر منه شيئاً فى عَمَلٍ ولا بَدَن . ١٠٧

---

(١) فيما عدا ل : « يزعمون » .

(٢) بص يبص ، بالكسر : برق وتلألأ ولمع . فيما عدا ل : « لتباصان » تحريف .

(٣) رام المكان يريمه : برحه .

(٥) ل : « تخلق من حيوان » . وكلمة « أن » التالية ساقطة من جميع النسخ ما عدا ﻫ ، ففيها « الحيو أن » بإسقاط الألف والنون من « الحيوان » .

(٥) فيما عدا ل : « فى هذا الوجه » . والشبه ، سبق تفسيره فى (٣ : ٣٧٤) . وفى القاموس : « الشبه والشبهان محركتين : النحاس الأصفر ، ويكسر » . وفيما عدا ل : « الشب » محرف .

(٦) النوشاذر ، كذا جاء فى ل بالذال المعجمة ومثله فى (٣ : ٣٧٧ س ١) ومفاتيح العلوم ١٤٧ . وفى سائر النسخ بالدال المهملة . وهو صنفان طبيعى وصناعى ، فالطبيعى ينبع من عيون حمئة فى جبال بخراسان ، وهو صاف كالبلور ، وانظر للصناعى تذكرة داود والمعتمد . ولفظ النوشادر فارسى « نوشادر » استينجاس ١٤٣٤ . وبلغة العلماء الأوربيين : (S —ammoniac) .

(٧) التصعيد : شبيه بالتقطير ، إلا أنه أكثر ما يستعمل فى الأشياء اليابسة . وفى مفاتيح العلوم ١٤٧ : « النوشاذر ، وهو ضربان معدنى وآخر معمول يصنع من الشعر » . وانظر تذكرة داود . فيما عدا ل : « الشب » تحريف . س : « ويديرونه » محرف .

(٨) النوشاذر ، بالذال المعجمة فى ل فقط . وانظر التنبيه ٦ من هذه الصفحة .

و [قد] يدبِّرون الرّماد والقِلْيَ(١) فيستحيل حجارة سوداً(٢) إذا عُمِل منها أرْحاءٌ(٣) كان لها فى الرّيْع فضيلة(٤) .

قالوا : وللمُرْدَارسَنْج(٥) في العالم أصلٌ قائم . والرصاص يُدَبَّر فيستحيل مُرداسَنْجاً(٦) . [وللرّصاص فى العالم أصل قائم ، فيدبِّرون المرداسنج فيستحيل رصاصاً(٧)] .

وللتُّوتياء أصـــلٌ قائم(٨) ، فيدبرون أقليميا النُّحاس(٩) فتستحيل تُوتياء(١٠) .

---

(١) القلى ، بالكسر : شيء يتخذ من حريق الحمض ، كما فى القاموس . وعند داود : « هو المتخذ من الأشنان الرطب بأن يجمع ويحرق » . وفى المعتمد : «وهو يتخذ من الحمض ، وأجوده ما اتخذ من الحرض» ، والحرض هو الأشنان . ط ، ه : « والبليا » س : « والبليبنا » صوابه فى ل .

(٢) ط ، ه : « فتستحيل » وفى ط : « سوداء » .

(٣) الأرحاء : جمع رحى : التي يطحن بها الحب . ل : « إذا عملت منه أرحاء » .

(٤) الريع ، بالفتح : فضل كل شيء ، كريع العجين والدقيق والبزر . فما عـدا ل : « الربيع » تحريف .

(٥) المردارسنج ، بضم الميم وسكون الراءين وفتح السين ، وقد تسقط الراء الثانية : معرب « مُردا ارسَنْـگ » الفارسية ، ويكون من سائر المعادن المطبوخة ، إلا الحديد ، بالإحراق ، أكثر ما يعمل من الرصاص . وانظر صنعته فى تذكرة الأنطاكى . وانظر استينجاس ١٢١٢ وادى شير ١٤٤ والمعرب ٣١٧ . فيما عدا ل : « المرداسنج » وهى لغة أخرى كما أسلفت .

(٦) ل : « مرداسنج » . وليس ما يمنع تنوينه.

(٧) هذه الزيادة من ل ، س . وفى س : « ويديرون » تحريف . وكلمة «المردارسنج» فى النسختين براء واحدة .

(٨) فى اللسان : « التوتياء معروف حجر يكتحل به معرب » . وهو باللاتينية (Tutia) وبالإنكليزية : (Tutty) وقد عرفها الطبيب محمد شرف بأنها « أوكسيد الزنك غير النقى » . قال داود : « وأصل التوتيا إما معدنى يوجد فوق الأقليميا ... وإما مصنوع عن الأقليميا المسحوقة » . وانظر بقية الكلام فيه .

(٩) أقليميا : زبد يعلو المعدن عند سبكه ، وثقل يرسب تحته إذا دار . هذا قول داود . وفى مفاتيح العلوم ١٤٩ : « القليميا خبث كل جسد يخلص » . ط : « اقليميا النماء » ، تحريف .

(١٠) توتياء . رسمت فى هذا الموضع والذي قبله بدون همزة فيما عدا ل .

وكذلك المينا ، له[1] أصل قائم ، وقد عمِله الناس[2]

وكذلك الحجارة السُّود للطحين وغير ذلك[3] .

فأما قولهم : لايجوز أن يكون شيء من الحيوان يُخلقُ من ذَكر وأنثى — فيجيء من غير ذكر وأنثى — فقد قلنا فى جميع ذلك فى صدْرِ كتابنا هذا بما أمكننا[4] .

(معارف فى الحيّات)

وقال : الحياتُ كلها تعومُ ، إلا الأفاعى ، فإنها لايعومُ منها إلا الجبَليّات[5] .

قال : والحيَّة إن رأت حيّة ميتة لم تأكلها ، ولا تأكلُ الفأرَ ولا الجرذانَ الميتة[6] ، ولا العصافير الميتة ، مع حرص الحية عليها[7] ولا تأكل إلا لحمَ الشى الحىِّ ، إلا أن يُدخلَ[8] الحوّاء فى حلوقها

(١) المينا : حجر يشبه اللازورد تزخرف به الفضة ، وهو فارسى معرب . وفى معجم استينجاس ١٣٤٦ : (A ston resembliug lapis lazuli, with which silver is tinged) . والميناء أيضا جوهر الزجاج الذى يعمل منه الزجاج . وذكر صاحب اللسان أنه ممدود . وهذا المعنى الأخير مأخوذ كذلك من « ميناء » الفارسية . وانظر ادي شير ١٤٩ . ويبدو أن الجاحظ يريد المعنى الأول ، ولا يريد الزجاج . انظر (١ : ٨١ س ٥ — ٦) . وهذه الكلمة والتى بعدها ممزوجتان فى الأصل ومحرفتان ففى ط : سه : « المسالة » ه : « المسألة » ل : «المثاله » والصواب ما أثبت .

(٢) ل : « علمه الناس » تحريف . وبعدها فى ل : « فقد قلنا فى صدر كتابنا هذا بما أمكننا » .

(٣) هذه الفقرة ساقطة من ل . وفى ه : « الحجارة السورية » .

(٤) الكلام من : « فيجىء » إلى هنا ساقط من ل .

(٥) انظر الكلام على الحيات المائية في (٤ : ١٢٨) .

(٦) ل : « والجرذان الميتة » بحذف « لا » .

(٧) ل : « مع حرص الحيات عليهما » .

(٨) ط ، س : « يدخله » .

[اللحمَ] إدخالاً[١] . فأما من تلقاء نفسها[٢] فإن وجدَته ، وهى جائعة لم تأكله .

فينبغى أن يكون صاحبُ المنطق إنما عَنَى بقوله : « أخبثُ ما تكون ذواتُ السمومِ[٣] إذا أكلَ بعضُها بعضاً » الابتلاعَ[٤] دون كل شىء . وهم لايعرفون ذلك فى الحيات إلا للأسود[٥] ، فإنه ربما[٦] كان مع الأفاعى فى جُونة ، فيجوع فيبتلعها . وذلك إذا أخذها من قِبَل رؤوسها[٧] ، وإن رام ذلك من جهة الرأس فعضته الأفعى قتلتْه .

وزعموا أن الحيةَ لاتَصَّاعَدُ[٨] فى الحائط الأملس ولا فى غير الأمْلس[٩] فإنما يقول ذلك أصحاب المخاريق[١٠] والذين يستخرجون الحياتِ بزعمهم [من السقوف[١١]] ، ويشمون أراييحَ أبدانها من أطراف القَصَب ، إذا مَسَحوها فى ترابيع البيوت[١٢] .

---

(١) سه : « إذ ذاك » .

(٢) كلمة « هى » : ليست فى ل . وفيها بدل كلمة : « فإن » التالية : « فلو » .

(٣) ل : « أخبث ما تكون دواب السموم » وفى سائر النسخ : « أخبث ما يكون ذات السموم » . وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٤) ط : « الأفاعى » سه ، هـ : « الأتباع » صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) ل : « فهم لا يعرفون ذلك إلا للأسود » .

(٦) فيما عدا ل : « ذا » .

(٧) فيما عدا ل : « رأسها » . وكذلك : « متى » بدل « إن » التالية .

(٨) يقال صعد واصعد واصاعد بمعنى واحد . انظر اللسان (٤ : ٢٤٠ س ٢٢) وبالأوجه الثلاثة قريءُ قوله تعالي : (كأنما يصعد فى السماء) في الآية ١٢٥ من الأنعام . انظر إتحاف فضلاء البشر ٢١٦ .

(٩) ط : « وغير الأملس » تحريف . وفى هـ : « وفى غير الأملس » بحذف « لا » وأثبت ما فى ل ، سه .

(١٠) المخاريق : يراد بها ألاعيب المشعوذين . انظر (٤ : ٣٧٨) . فيما عدا ل : « المخاريق » . وفى ل : « وإنما » بدل : « فإنما » .

(١١) هذه الزيادة من ل . وبدلها فى سه : « من البيوت » .

(١٢) فى (٤ : ١٩١) : « فلذلك يأخذ قصبة ويشعب رأسها ، ثم يطعن بها فى سقف البيت والزوايا » .

قالوا : وقد تصعد الحيّات] فى الدّرج[١] [وأشباه الدّرج ؛ لتطلبَ بيوتَ العصافير ، والفأرِ ، والخطاطيفِ . والزّرازير ، والخفافيش] ، وتتحامى فى السُّقُف[٢] .

القول فى العقرب[٣]

وسنذكر تمامَ القوْل فى العقرب ؛ إذْ كنا قد ذكرنا من شأنها [شيئا[٤]] فى باب [القول فى] الفأر .

ولمَّا قيل ليحيي بن خالد[٥] ، النازلِ فى مُربَّعةِ الأحنف ـ وزعموا أنهم لم يروْا رجُلاً لم يختلف إلى البيمارستانات[٦] ولا رجُلاً مسلماً ليس بنصرانىّ[٧] ولا رجلا لم ينصِبْ نفسه للتكسب بالطب كان أطبَّ منه ـ فلما قيل [له] إن القينىّ[٨] قال : « أنا مِثْلُ العقرب أضرُّ ولا أنفع » قال : ما أقلَّ عِلْمه بالله عز وجل لعَمْرى[٩] إنها لتنفع إذا شُقَّ بطنها ثم شُدَّ على موضع اللّسعة ، فإنها حينئذ تنفع منفعةً بينة !

---

(١) درج البناء ، بالتحريك : مراتب بعضها فوق بعض ، الواحد درجة .

(٢) تتحامى : تتوقى . والسقف ، بضمتين : جمع سقف . وهـذه العبارة ليست فى ل . وفى ط : « وتتحامى السقف » تحريف . وانظر التنبيه ٣ ص ١٧ .

(٣) هذا العنوان ساقط من ل .

(٤) هذه الزيادة من ل ، سه .

(٥) يحي بن خالد هذا ، لم أجد له ترجمة ولا خبراً فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ولا فيما تحت يدي من المراجع .

(٦) جمع بيمارستان ، وهو كلمة فارسية يراد بها « دار المرضى » فلفظ « بيمار » معناه المريض ، و « ستان » الموضع . انظر شفاء الغليل ٤٩ وادى شير ٣٣ واستينجاس ٢٢٤ . ويقال فيها أيضاً : « المارستان » بفتح الراء وطرح الباء والياء . انظر المعرب ٣١٢ والقاموس واللسان فى مادة (مرس) . ط ، سه : « السياسات » هـ : « الساسات » صوابه فى ل .

(٧) ط ، هـ : « أو نصرانيا » .

(٨) فيما عدا ل : « القس » وقد سبق فى (٤ : ٢١٩ س ١٢) : « وقال الضبى : أنا عقرب ، أضر ولا أنفع » .

(٩) بدلها فى ل : « بلى » .

(نفع العقرب)

١٠٨ والعقربُ تُجعل فى جوف فَخّارٍ مشدودِ الرّأس[١] مطيّن الجوانبِ ، ثم يوضع الفَخّارُ فى تنوّر ، فإذا صارت العقربُ رماداً سُقِىَ من ذلك الرّمادِ مَنْ به الحصاةُ مِقدارَ نصفِ دانق[٢] .

وقال حُنين : وقد يُسقَى منه الدانق وأكثر ، فيفتِّتُ الحصاةَ من غير أن يضرَّ بشىء من الأعضاء [والأخلاط . وخيرُ الدواء ما قَصَد إلى العضْو السقيم ، وسلِمَت عليه الأعضاء] الصحيحة .

وقال يحيى[٣] : وقد تَلْسَعُ أصحابَ ضروبٍ من الحُميّات[٤] العقاربُ فيُفيقُون ، وتلسع الأفاعى فتموت ، ومنها ما يلسع[٥] بعضها بعضاً فيموت الملسوع . فهى من هذا الوجه تـكفى الناسَ مؤونةً عظيمة[٦] . وتُلْقى العقربُ فى الدُّهن وتُتْرَكُ فيه ، حتى يأخُذ الدهن منها ويمتصّ ويجتذبَ قواها كلها بعد الموت ، فيكونُ ذلك الدهنُ يفرِّق الأورام الغِلاظ[٧] وقد عرَف ذلك حُنين .

(بعض أعاجيب العقرب)

و [مِنْ أعاجيبها] أنها لاتسبَحُ ، ولا تتحركُ إذا أُلقيت فى الماء [كيف] كان الماء : ساكناً أو جارياً .

---

(١) انظر التنبيه ٨ من ص ٣٣٩ . والخبر كذلك بنحو هـذا اللفظ فى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) .

(٢) الدانق مر تفسيره فى التنبيه ٦ ص ٣٤٠ .

(٣) هو يحي بن خالد الذي سبق الحديث عنه فى التنبيه ٥ ص ٣٥٣ .

(٤) الحميات : جمع حمي . فيما عدا ل : « الحيات » تحريف . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) : « وقد تلسع العقرب من به الحمى العتيقة فتقلع عنه » .

(٥) فيما عدا ل : « ومما يلسع » . تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وهى من هذا الوجه تـكفى الناس مؤنة عظيمة » .

(٧) سه ، وكذا عيون الأخبار : « الغليظة » .

والعقربُ تطلبُ الإنسان وتقصِد نحوه ، فاذا قصَدَ نحوها فرَّتْ وهَربت. وتقصِدُ أيضا نحوالإنسان ، فإذا ضربَتْهُ هربتْ ، هربَ مَنْ قد أساء ، وتعلم ، أنها مطلوبة .

والزنابير تطالبُ من تعرَّضَ لها[١] وتقصِد لِعَينه[٢] ، ولا تكادُ تعرض للكافِّ عنها .

(فصل ما بين المودة والمسالمة فى الحيوان)

و بين العقارب و [بين] الخنافس مودة . والمودةُ غيرُ المسالمة .

والمسالمة : أن يكون كل واحد من الجنسين[٣] لايعرض للآخر بخير ولا شر ، بعد أن يكون كل واحد منهما مقرَّباً لصاحبه .

والعداوة أن يعرِض كل واحد منهما لصاحبه بالشرّ والأذى والقتل ، ليس من جهةِ أن أحدهما طعامٌ لصاحبه .

والأسدُ ليس يثبُ على الإنسان والحمار[٤] والبقرة والشاة من جهة العداوةِ ، و إنما يثبُ عليه من طريق طلبِ المطعم . ولو مرَّ به وهو غيرُ جائعٍ لم يعرض له الأسد[٥] . والنمر على غير ذلك . ولكن [قد] يقال : إن بين البَبْرِ[٦] والأسد مُسالمة .

(١) فيما عدا ل : « تطلب من يعرض لها » .

(٢) فيما عدا ل « ويقصد نحوها بعينه » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « من الجنس » .

(٤) فيما عدا ل : « كالحمار » . تحريف .

(٥) الأسد فاعل يعرض . فيما عدا ل : « والأسد » تحريف .

(٦) الببر ، بباءين موحدتين : ضرب من السباع . معرب . وهو بالفارسية « ببر » . انظر استينجاس وادى شير . ويراد به ذلك السبع المخطط الذى يشبه النمر الذى يسمونه : Tiger انظر المعلوف ٢٤٨ . وأما النمر فهو ذو النمر المرقط رقطاً سودا مجتمعة كالحلق : Leoparp . وبدله فى ط ، ل : « النمر » تحريف ؛ إذ أنه لا هوادة بين النمر=

والمودة : كما يكون بين العقارب والخنافس[١] ، فإنَّ بعضها يتألف بعضاً[٢] ، وليست تلك بمسالمة ، وكما بين الحيَّات والوزغ ، فانها تَساقَى السّمّ وَتَزَاقُّ[٣] ، [و[٤]] كما بينَ ضروب من العقارب وأسودَ سالخ[٥] .

والأسوْدُ ربَّما جاعَ فى جُونة الحوَّاء فأكل الأفعى[٦] وربما عضتْه الأفعى فقتلتْه .

(علاقة الرائحة بالطعم)

وريح العقارب إذا شويت مثلُ ريحِ الجراد .

وما زلتُ أظنُّ أن الطعم أبداً يتْبع الرائحةَ ، حتى حقَّق ذلك عندى بعضُ من يأكلها مشوية ونِيَّة[٧] ، أنه ليس بينها و بين الجراد الأعرابي السمين فرْق .

(رؤية الخرق الذى فى إبرة العقرب)

وزعم [لى] بختيشوع بن جبريل ، أنه عاين الخرْق الذى فى إبرة

= والأسد ، ففى طبعه « عداوة الأسد . والظفر بينهما سجال » كما فى الورقة ٤١ من قسم الحيوان فى مباهج الفكر مصورة دار الكتب . وفى الورقة ٤٠ عند الكلام على طباع (الببر) : « وهو والأسد متواددان أبدا ، ومودته معه كمودة الخنافس والعقارب والحيات والوزغ » . فالببر هو صاحب المسالمة .

(١) ط ، ه : « والمودة تكون كما بين العقارب » الخ . س : « والمودة كما تكون بين العقارب » الخ . وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « يألف بعضا » .

(٣) تساقى : تتساقى . ط ، ه : « تتساقى » . وفيما عدا ل : « وتتزاق » بتاءين .

(٤) ليست بالأصل .

(٥) أسود سالخ : الذى سلخ جلده من الأساود . فيما عدا ل : « بين ضرب من الحيات وأسود سالح » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فيأكل الأفعى » .

(٧) نية ، بكسر النون : غير ناضجة . وانظر لهذه الكلمة ما سبق فى (٤ : ٣٠٣) . وانظر لأكل العقارب ما مضى فى (٤ : ٣٠٣ س ٧) .

العقرب . وإن كان [صادقاً] كما قال ، فما في الأرض أحدٌ بصراً منه[١] .
[وإنه لبعيدٌ ، وما هو بمستنكَر] .

(من أعاجيب العقرب)

وفي العقارب أعجوبةٌ أخرى ، لأنه يقال : إنها مائية الطِّباع ، وإنها ١٠٩
من ذوات الذَّرْو والإنسال[٢] [وكثْرة الولد] ، كما يعتري ذلك السَّمَكَ والضَّبَّ والخنزيرة[٣] ، في كثرة الخنانيص[٤] .

(موت العقرب بعد الولادة)

قال : ومع ذلك إن حَتْفها في أولادها[٥] ، [وإن أولادها] إذا بلغْنَ وحانَ وقتُ الولادة ، أكلْن[٦] جلدَ بطنها [من داخل] ، حتى إذا خرَقْنَه[٧] خرَجْنَ منه وماتت الأُمُّ .

وقد يطأ الإنسانُ على العقرب وهي ميتة ، فتغترز إبرتها في رِجله ، فيلقى الجهدَ [الجاهِدَ] وربما أمرَضَتْ ، وربَّما قتلت .

---

(١) فيما عدا ل : « أحد أبصر منه » .
(٢) الذرو ، والذرا ، والذره : الذرية . فيما عدا ل : « الدر » بدال مهملة وراء ، تحريف . والإنسال : النسل . فيما عدا ل : « النسل » .
(٣) فيما عدا ل : « والخنزير والضب » وفي ل : « وبيض الضب والخنزيرة » وكلمة « بيض » في ل مقحمة ، كما أن الوجه فيما عدا ل تأخير « الخنزير » عن « الضب » . وانظر التنبيه التالي .
(٤) الخنانيص ، بنونين بينهما ألف : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير . ط ، ﻫ : « الخنابيص » صوابه في ل ، س .
(٥) في نهاية الأرب (١٠ : ١٤٧) نقلا عن الجاحظ فيما سبق في (٢ : ١٧١) : « ولادتها » . وسبق في (٢ : ١٧١) : « ولادها » بكسر الواو ، بمعنى ولادتها .
(٦) فيما عدا ل : « يأكلن » . وفي نهاية الأرب : « أكلت بطون الأمهات » .
(٧) فيما عدا ل : « خرقته » بالتاء .

قال : وفى أشعار اللُّغز قيلَ فى أكل أولاد العقرب بطنَ الأمّ ، [وأن عَطَبَهَا فى أولادها] :

وحاملة لا يكْمُلُ الدهرَ حملُها تموتُ و يبقى حملها حينَ تَعْطَبُ[1]

[وليس هذا شيئاً .

خبَّرنى من أثق بعقله ، وأسكنُ إلى خبره ، أنه رأى العقرب عِياناً وأولادُها يخرُجْنَ من فيها ، وذكر عدداً كثيراً ، وأنها صِغارٌ بيضٌ على ظهورها نقطٌ سُودٌ ، وأنها تحمل أولادها على ظهرها ، وأنه عاين ذلك مرةً أخرى . فقلت ، إن كانت العقرب تلد مِنْ فيها فأخلِقْ بها أن يكون تلاقُحُها من حيثُ تلدُ أولادَها !] .

(العقارب القاتلة)

والعقاربُ القاتلةُ تكون فى موضعين : بشَهْرَزُور[2] ، وقرى الأهواز ، إلا أن القواتلَ التى بالأهواز [جرّارات[3]] . ولم نذكر عقاربَ نصيبين[4] ، لأن أصلها ـ فيما لايشكُّون فيه ـ من شَهْرَزُور ، حين حُوصِرَ أهلها ورُموا بالمجانيق[5] ، و بكيزان محشوّة من عقارب شَهْرَزُور ، حتّى توالَدَتْ هناك ، فأعْطَى القومُ بأيديهم[6] .

(١) ط ، س ، هـ و نهاية الأرب : « لا تحمل الدهر » . وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥). تعطب : تهلك . ط ، هـ : « ويحيي حملها » . س وأصل نهاية الأرب : « وينمى » . وأثبت ما في ل ومحاضرات الراغب .

(٢) شهرزور : كورة بين إربل وهمذان . فيما عدا ل : « شهرزور » .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذنابها . وانظر لجرارات الأهواز ما سبق فى (٤ : ١٤٢) وللجرارات (٤ : ٢١٩) .

(٤) نصيبين : مدينة من بلاد الجزيرة . وانظر الحديث عن عقارب نصيبين فى معجم البلدان .

(٥) المجانيق : جمع منجنيق . انظر التنبيه ١٠ ص ٢٩٨ .

(٦) أعطوا بأيديهم : أعلنوا الخضوع . س : « فأخطأ القوم » تحريف .

(لغز فى العقرب)

[ومن اللُّغز فيها فى غير هذا الجنس :

وما بَكرةٌ مضبورة مقمطرّة مُسِرّةُ كِبْرٍ أن تُنال فتَمرَضا[١]
بأشوسَ منها حين جاءت مُدِلَّةً لتقتل نفساً أو تصيب فتُمرِضا[٢]
فلما دنا نادى أوابا بنعم غيرها ديراً إذا نال الغريفة أو قَضَا[٣]]

(استخراج العقارب بالجراد والكرّاث)

قال : والعقارب تُستَخرَجُ من بيوتها بالجراد : تُشَدُّ الجرادةُ فى طرف عودٍ ، ثم تُدْخَلُ الجحرَ ، فاذا عاينتْها تعلقتْ بها ، فاذا أُخرج العُودُ خرجت العقربُ وهى متعلقة بالجرادة .

فأما إبراهيم بنُ هانئ فأخبرَنى أنه كان يُدْخِلُ فى جُحْرها خُوط كرّاث[٤] ، فلا يبقى منها[٥] عقربٌ إلا تبعته .

(ألسنة الحيات والأفاعى)

وألسِنةُ الحيّات كلها سودٌ . وألسنة الأفاعى حُمرٌ ، إلا أنها مشقوقة .

---

(١) البكرة : الفتية من الإبل . والمضبورة : المكتنزة اللحم . والمقمطرة : الشديدة .

(٢) أشوس : من الشوس وهو النظر بمؤخر العين تكبراً أو غيظاً .

(٣) كذا ورد هذا البيت فى الأصل ، وهو هنا ل .

(٤) الخوط ، بالضم : القضيب من النبات . فيما عدا ل : « عود » .

(٥) فيما عدا ل : « يبقى فيه » .

(جرّارات الأهواز)

وسنذكر عقاربَ الشتاء وعقارب الحرِّ(١) . وكلَّ شيء من هذا الباب ، ولكنا نبدأُ بذكر جرّارات الأهواز(٢) .

ذكروا(٣) أنَّ أقتلها عقاربُ عَسكَر مُكْرَم ، وأنها متى ضَرَبَتْ رجُلا فظنَّ أن تلك العضة عضَّةُ نملة ، أو وخزةُ شوكة(٤) ، فنال من اللحم تضاعفَ مابه .

وربما باتت مع الرجل فى إزاره فلم تضربْه .

وهى لاتدبُّ على [كل] شيء له غَفْر(٥) ، ولا تدبُّ على المُسوح(٦) ، وما أكثرَ ما تأوى فى أصول الآجُرِّ الذى قد أُخرج من الأتاتين(٧) [ونضِّد فى الأنابير(٨)] .

وكان أهل العسكر يروْنَ أن مِن أصلح ما يُعالج(٩) به [موضع] اللسعة أن يُحجَم ، وكان الحجَّام لايرضى إلا بدنانير [ودنانير] ، لأن ثناياه ربما نَصَلَتْ ، وجلدَ وجهه ربما تبطَّطَ(١٠) من السمِّ الذى يرتفع إلى فيه ،

(١) ل : « وعقيرب الحيران » .
(٢) ط : « حيات الأهواز » س : « حوايات » صوابهما فى ل ، ه .
(٣) فيما عدا ل : « ذكرتم » تحريف .
(٤) ط ، ه : « وخز شوكة » .
(٥) الغفر ، بالفتح : زئبر الثوب ، وأصل معنى الغفر الزغب والشعر القصير . فيما عدا ل : « عفن » تحريف .
(٦) المسوح : جمع مسح بالكسر ، وهو الكساء من الشعر . وانظر المعرب ٤٦ .
(٧) الأتاتين : جمع أتون . انظر ص ٧ من هذا الجزء . فيما عدا ل : « الأساس » .
(٨) الأنابير : جمع أنبار ، والأنبار : جمع نبر بالفتح . والأنبار : أهراء الطعام . والهري ، بالضم : بيت كبير ضخم يجمع فيه طعام السلطان .
(٩) فيما عدا ل : « تعالج » بالتاء ، وذلك لسقوط كلمة « موضع » .
(١٠) تبطط ، من البط ، وهو الشق . ومنه المبطة للمبضع . فيما عدا ل : « وجلدة » وفى ط ، س : « تنظف » ه : « تنظف » صوابهما ما أثبت من ل .

بمصَّته وجذْبته من أذناب المحاجم[١] . حتى عمدوا بعد ذلك إلى شيء من قُطْنٍ ، فحشَوْا به تلك الأنبوبة . فإذا جذب بمصّتهِ[٢] فارتفع إليه من بخار الدَّمِ أجزاءٌ من ذلك السم ، تعلقت بالقطن ، ولم تنفذْ إلى فيه[٣] . والقطن ليس مما يدفع قوَّة المص[٤] . ثم وقعوا بعد ذلك على حشيشةٍ فوجدوا فيها الشفاء !

(من أعاجيب العقرب)

ومن أعاجيب ما في العقرب أنَّا وجدْنا عقارب القاطول يموتُ بعضُها ١١٠
عن لسع بعض ، ثم لا يموتُ عن لسعها شيء غير العقارب . ونجدُ العقربَ تلسع إنساناً فيموتُ الإنسان ، وتلسع آخرَ فتموت هي . فدَلَّ ذلك على أنها كما تعطى تأخُذ ، وأن للناس أيضاً سُموماً عجيبة[٥] ولذلك صار بعضهم[٦] إذا عضّ قتل .

ومن أعاجيبها أنها تضرب الطست أو القمقُم فتخرقُه[٧] . وربما

(١) المحاجم : جمع محجم ، وهى الآلة التى يجمع فيها دم الحجامة . فيما عدا ل : « أجناب المحاجم » تحريف .
(٢) فيما عدا ل : « بمصه » .
(٣) ل : « فه » .
(٤) فيما عدا ل : « ليس يمنع من قوة المص » .
(٥) فيما عدا ل : « غريبة » .
(٦) أي بعض الناس . فيما عدا ل : « بعضها » .
(٧) الطست ، بالسين المهملة : إناء من آنية الصفر . فيما عدا ل : « الطشت » بالشين . وفي شفاء الغليل : « طست معرب طشت بالمعجمة . وفى المغرب أنها مؤنثة أعجمية وتعريبها طس . وخطئ فيه لأنها معربة ، وطس مخفف منها أو لغة فيها . وقال الجوهرى : طست عربية وأصلها طس ، وهى لغة طيئ ، لغة أبدلت إحدى السينين تاء لدفع ثقل التضعيف . ورد . وقال الفراء : طيئ تقول طست وغيرهم يقول طس ، وهم الذين يقولون لصت فى لص » . والحق أن الطست والطس عربيان ، وأما الطشت بالشين فما اشتركت فيه اللغتان . وانفردت الفارسية بلفظ : « تشت » . انظر استينجاس ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٣٠٢ . والقمقم : فسر فى ٣٧ . فيما عدا ل : « والقمقم » مع الواو .

ضربته فتثبتُ فيه إبرتُها ثم تنصل حتى تَبين منها[١] .

(العنبر وأثره فى الطيور والبال)

والعنبر يقذفه البحرُ إلى عبريه[٢] ، فلا يأكل منه شيء [إلا مات] ، ولا ينقُره طائرٌ بمنقار إلا نصل فيه منقاره . فإذا وضع رجليه عليه نصلتْ أظفاره[٣] . فإن كان قد أكلَ منه قتلَهُ ماأكل . وإن لم يكن أكلَ فإنه ميت لامحالة ، لأنه إذا بقى بغير منقار ، ولم يكن للطائر شيء يأكل به مات[٤] .

والبحْريُّونَ والعطَّارُون يُخبروننَا أنهم ربما وجدوا فيه المنقارَ والظفر .
وإنَّ البال ليأكلُ منه اليسيرَ فيموت .
والبالُ سمكة [ربما كان] طولها أكثرَ من خمسين ذراعاً[٥] .

(أعاجيب لسع العقرب)

ومن أعاجيب العقارب أنها تلسع الأفعى [فتموتُ الأفعى] ولا تموت هى ، وتلسع[٦] بعضَ الناس ، فتموتُ هى ، ولا ينال الملسوعَ منها من

---

(١) تبين : تنفصل . وضمير : « تبين » للابرة . ط ، س : « يبين » تحريف .
(٢) عبر النهر والبحر ، بكسر العين : شاطئه وجانبه . ويقال : عبر ، بالفتح أيضاً .
(٣) نصلت أظافره تنصل ، بالضم : خرجت . فيما عدا ل : « فاذا وضع عليه رجليه » .
(٤) ل : « لم تكن للطائر شيء يأكل به » بحذف الواو وكلمة « مات » .
(٥) البال عند العرب : الحوت العظيم . قال الأزهرى والجوهرى : ليست بعربية . وأقول : أقرب مأخذ لها هو الفارسية « وال » انظر استينجاس ١٤٥٣ بمعنى الحوت أو السمكة الكبيرة . وفى الفارسية أيضاً « بال » لنوع كبير من السمك ذى الحراشيف : (A kind of large scaly fish) والبال من الحيوانات اللبونة التى تعيش فى الماء ، وهو باللاتينية : Balaena وباليونانية : Phlaina .
(٦) فيما عدا ل : « وهى تلسع » .

المكروه قليلٌ ولا كثير . ويزعم العوامُّ أن ذلك [إنما] يكونُ لمن لسعتْ أمَّه عقربٌ[١] وهو حَمْلٌ فى بطنها .

وقد لسعت عقربٌ[٢] رجلاً مفلوجاً ، فذهبَ عنه الفالِجُ . وقصةُ هذا المفلوج معروفة . وقد عرفها صليبا[٣] وغيرهُ من الأطباء .

[ومن العقارب طياراتٌ وجراراتٌ ، ومعقَّفاتٌ ، وخضرٌ ، وحمرٌ] .

(اختلاف السموم ، واختلاف علاجها)

وتختلف سمومُ العقارب بأسبابٍ : منها اختلافُ أجناسها ، كالجرّارة وغيرها ، ومنها اختلافُ التُّرْب كفَرْق مابين جرّاراتِ عقارب شهرزور[٤] وعسكر مُكْرَم .

وتختلف مَضَرَّةُ سمومها على قدر [طباع الملسوع . ويختلف قدر سمومها على قَدْر] مواضع اللسعة ، وعلى قدر اختلاف ما بين النهار [والليل] ، وعلى قدر ما صادفَت[٥] عليه الملسوع من غذائه ، ومن تفتُّح منافسه[٦] ، وعلى قدْر ما تُصادَفُ عليه العقرب من الحَبَل وغير الحَبَل[٧] وعلى قدر لَسْعَتِها[٨] في أولِ الليل عند خروجها من جُحرها [بعد أن

---

(١) ط ، هـ : « العقرب » .
(٢) فيما عدا ل : « عقرب » .
(٣) صليبا : ذكره ابن النديم ٣٤١ فى النقلة من اللغات إلى اللسان العربى ، ولم يذكره ابن أبى أصيبعة . فيما عدا ل : « طبيبنا » تحريف .
(٤) شهرزور : سبق الحديث عنها فى ٣٥٨ . وبدلها فى ل : « رامهرمز » وهى مدينة من مدن خوزستان .
(٥) فيما عدا ل : « صادف » .
(٦) فيما عدا ل : « فهى تفتح منافسه » تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « ما يصادف عليه الملسوع من الحبل وغير الحبل » .
(٨) فيما عدا ل : « لسعها » .

أقامتْ فيه شَتوَتَهَا] . وأشدُّ من ذلك أن تلسع أوّلَ ما تخرجُ من جُحْرِها بعد أن أقامتْ فيه يومها[(١)] .

قال ماسرْجويه[(٢)] : فلذلك اختلفت وجوه العلاج ، فصار ضَرْبٌ من العلاج يُفيقُ عنه إنسانٌ ولا يُصلح أمرَ الآخر[(٣)] .

(لسعة الزنبور)

وخبرنى ثمامةُ عن أمير المؤمنين [المأمون] أنه قال : قال لى بختيشوع ابن جبريل[(٤)] ، وَسَلْمَوَيْهِ ، وابن ماسَوَيه : « إن الذبابَ إذا دُلِكَ به[(٥)] موضعُ لَسعةِ الزنبور سكن » . فلَسَعَنى[(٦)] زنبور فحككْتُ على موضعه أكثر من عشرين ذبابةً فما سكَنَ إلا فى قدْر الزمان الذى كان يسكنُ فيه من غير علاج . فلم يبق فى يدى منهم[(٧)] إلا أن يقولوا : كان هذا الزنبور حَتْفاً قاضياً[(٨)] ولولا هذا العلاج لقَتَلَكَ .

---

(١) الكلام من مبدأ : « وأشد » إلى هنا ساقط من ل .

(٢) فيما عدا ل : « فان ما سرجويه قال » .

(٣) فيما عدا ل « ولا يصلح لآخر » .

(٤) ل : « وقال » وفيما عدا ل : « أنه قال لبختيشوع » ، وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) والعقد (٤ : ٢٦٣) : « قال المأمون قال لى بختيشوع » ، وقد صححت العبارة بالجمع بين النصوص . والقائل هم الأطباء الثلاثة . وبختيشوع هو ابن جبريل بن بختيشوع ، كان سريانيا نبيل القدر ، وكان يضاهى المتوكل فى اللباس والفرش ، وكان عظيم المنزلة عنده ثم إنه أفرط فى إدلاله عليه فنكبه . وكان موته سنة ٢٥٦ . وانظر أخباره فى طبقات الأطباء (١ : ١٣٨ — ١٤٤) والقفطى ٧٢ — ٧٣ .

(٥) فيما عدا ل : « على » موضع « به » .

(٦) المتحدث هنا هو المأمون ، كما فى عيون الأخبار والعقد .

(٧) ل : « فى بدني » مع حذف « منهم » وصوابه فى سائر النسخ والعيون والعقد .

(٨) فيما عدا ل : « إن هذا الزنبور كان حنقا غاضبا » تحريف .

(حُجج الأطبَّاء)

وكذلك هم إذا سقَوا دواء فضرّ ، أو قطعوا عِرْقاً فضرّ ، قالوا : أنت ١١١
مع هذا العلاج الصَّوابِ تجِدُ ما تجد ! فلولا ذلك العلاجُ كنتَ الساعةَ
فى نار جهنم .

وقيل لى — وقرأتُ فى كتاب الحيوان — : إنّ ريحَ السّذَابِ يشتدُّ
على الحيّات . فألقيتُ على [وجوه] الأفاعى جُرَزَ السَّذَاب(١) فما كان
عندها إلا كسائر البَقْل(٢) .

فلو قلت لهم فى هذا شيئا لقالوا : الحيّاتُ غير الأفاعي . وهذا باطلٌ .
الأفاعى نوع من الحيات . وكلهم قد عمَّ ولم يخص .

(ما يَدَّخر من الحيوان)

وجميع الحشرات والأحناش ، و [جميع] العقاربِ وهذه الدَّبَّابات(٣)
التى تعضُّ وتلسع ، [التى] تكمُنُ فى الشتاء [لا تأكلُ شيئاً فى تلك
الأشهر ولا تشرب . وكذا كل شىء من الهَمَج والحشرات مما لا يتحرّك
فى الشتاء] إلا النملَ والذَّرَّ والنحل ، فإنها قد ادخرت ما يكفيها ، وليستْ
كغيرها مما تثبتُ حياتُه مع ترك الطعم .

(١) الجرز ، بضم ففتح : جمع جرزة بالضم ، وهى الحزمة من القت ونحوه . فيما عدا ل :
« نور السذاب » .
(٢) البقل من النبات : ما ليس بشجر .
(٣) الدبابات : التى تدب من الحيوان ، أى تمشى على هينة . فيما عدا ل : « الذبابات »
تحريف .

(حرص العقارب والحيات على أكل الجراد)

وللعقرب ثماني أرجل[١] وهى حريصة على أكل الجراد . وكذلك الحيات . وما أكثرَ ما تلدغُ وتَنْهَش صاحب الجراد[٢] .

(أثر المُرضِع فى الرضيع)

ومن عجيب سمِّ الأفاعي ما خبرنى به بعضُ من يخبُرُ شأن الأفاعى[٣] قال : كنت بالبادية ورأيت ناقة [ترتعُ] ، وفصيلها يرتضِعُ من أخلافها ، إذ نهَشَت الناقةَ على مشافرها[٤] أفعى ، فبقيتْ واقفةً سادرة ، والفصيلُ يرتضع . فبيناهو يرتضعُ إذ خرَّ ميِّتاً .

فكان موتُه قبل موتِ أمِّه من العجب[٥] وكان مرورُ السمِّ فى تلك الساعة القصيرةِ أعجبَ ، وكان ما صار من فضول سمها فى لبنِ الضَّرْعِ حتى قَتلَ الفصيلَ قبل أمه عجباً آخر .

والمرأةُ المرضِعُ تشربُ النبيذَ فيسكر[٧] عن لبنها الرضيع وتشربُ دواء المَشْى[٨] فيعترى الرضيعَ الخِلْفة[٩] . فلذلك يختار[١٠]

---

(١) ل : « ثمانية أرجل » ، تحريف ؛ لأن الرجل مؤنثة . انظر المعاجم والمخصص (١٦ : ١٨٩) .

(٢) أي الذي يصطاد الجراد . وانظر تفصيل ذلك فى (٤ : ٢٣٨ — ٢٣٩) .

(٣) ط ، ه : « ما أخبرنى » وبإسقاط : « به » وفيما عدا ل : « بشأن الأفاعى » .

(٤) ل : « مشفرها » .

(٥) ط فقط : « من العجب » وكلمة : « موت » ساقطة من ل .

(٦) فيما عدا ل : « عجب » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ويسكر » بالواو .

(٨) المشي : استطلاق البطن . واسم الدواء المشى ؛ بكسر الشين وتشديد الياء . ونقل صاحب اللسان : « ولا تقل شربت دواء المَشْى » . ويرد هذا قول الراجز :

شربت مرا من دواء المشى من وجع بخثلتى وحقوي

انظر اللسان ، (حثل . مشى) . فيما عدا ل : « يمشى » يقال أمشاه الدواء .

(٩) الخلفة ، بالكسر : استطلاق البطن ، يقال أخذته خلفة إذا اختلف إلى المتوضأ .

(١٠) فيما عدا ل « تختار » .

الحكماء لأولادهم الظئر البريئة[١] من الأدواء : فى عقلها ، وفى بدنها .

وتوهَّموا[٢] أن اللبن إنَّما نجع فى الفصيلِ لقرابةِ ما بينَ اللبنِ والدَّم ، فصار ذلك السمُّ أسرعَ إليه منه إلى أمه . ولعل ضعفَ الفصيلِ قد أعان أيضاً على ذلك .

(قصتان فى من لسعته العقرب)

قال أبو عُبَيْدة[٣] : لسعت أعرابيًّا عقربٌ بالبصرة ، فخيفَ عليه فاشتدّ جزَعُه[٤] ، فقال بعضُ الناس : ليس شئٌ خير له من أن تُغْسَلَ له خُصيةُ زِنجى عَرِق — وكانت ليلة غَمِقَة[٥] — فلما سقَوه قطَبَ[٦] ، فقيل [له] : طعم ماذا تجد[٧] ؟ قال : طعمَ قِرْبَةٍ جديدة .

وخبرنى محمدٌ وعلىٌّ ابنا بشير ، أن ظئراً لسليمان بن رِياش[٨] لسعتها عقربٌ فملأت الدنيا صُرَاخاً ، فقال سليمان : اطلبوا لها[٩] هذه العقرب ، فإن دواءها أن تلسعها لسعة أخرى فى ذلك المكان ، فقالت العجوز : قد برئتُ ، وقد سكنَ وجعى ، [و] لاحاجة بى إلى هذا العلاج[١٠] قال :

---

(١) البريئة : السالمة المعافاة . فيما عدا ل : « البرية » بالتسهيل .
(٢) ل : « وتهموا » .
(٣) ل : « أبو عبيد » صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢ : ١٠٣) .
(٤) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى سائر النسخ : « واشتد جزعه » .
(٥) غمقة : ثقيلة الندى مع سكون الريح . فيما عدا ل : « عميقة » تحريف . وفى عيون الأخبار (٢ : ١٠٣) : « ومدة » والومدة مثل الغمقة .
(٦) قطب : زوى ما بين عينيه .
(٧) ل : « قيل له كيف طعم ما تجد » . وأثبت ما فى سائر النسخ موافقاً عيون الأخبار . وكلمة : « له » ساقطة مما عدا ل .
(٨) ط ، هـ : « دباس » . س : « رباس » وأثبت ما فى ل .
(٩) هذه الكلمة ليست فى ل .
(١٠) فيما عدا ل : « لا حاجة لى فى هذا العلاج » .

فأتَوْهُ بعقربٍ لا والله إن يُدرَى (١) : أهي تلك أم غيرُها ؟ فأمرَ بها فأُمسكت فقالت : أنشُدُكَ بالله واللبن (٢) فأبى وأرسلها عليها ، فلسعتها فغُشِيَ عليها
١١٣ ومرِضتْ [زماناً] وتساقط شعرُ رأسها . فقيل لسليمان فى ذلك فقال : يامجانين! لا والله إن ردّ علىَّ رُوحها إلا اللسعةُ الثانية . ولولا هِىَ لقد كانت ماتت (٤)

باب

القول فى القَمْل والصُّؤَاب

وسنقول فى القَمْل (٥) والصُّؤَاب ما وجدنا تمكيناً مِنَ القول (٦) ، إن شاء الله تعالى .

ذكروا عن إياسِ بن مُعاوية ، أنه زعم أن الصِّئبانَ ذكورةُ القَمْلِ

(١) فيما عدا ل : « والله ما ندرى » .
(٢) يقال : نشدتك الله وبالله ، وناشدتك الله وبالله : أى سألتك وأقسمت عليك ، يتعدى إلى المفعولين بنفسه ، أو إلى الثانى بالباء . فيما عدا ل : « نشدتك بالله وباللبن » وكلاهما صحيح .
(٣) فيما عدا : ل « فأرسلها عليها » .
(٤) جاء الضمير هنا بعد (لولا) على أصله . فالقاعدة أنه إذا ولى لولا مضمر فحقه أن يكون ضمير رفع ، نحو : (لولا أنتم لكنا مؤمنين) . وسمع قليلا لولاي ولولاك ولولاه خلافا للمبرد . وأنشد الفراء :

أيطمع فينا من أراق دماءنا ولولاه لم يعرض لأحسابنا حسن

انظر المغنى (لولا) واللسان (٢٠ : ٣٥٩ س ١٢) . ل : « بعد » بدل « لقد » تحريف .
(٥) القمل ، بالفتح ، واحدته قملة . وأما القمل ، بالضم وتشديد الميم المفتوحة ، وهو المذكور فى القرآن الكريم ، فهو الصغار من الجراد ، أو صغار الذر ، وقيل دواب صغار من جنس القراد ، إلا أنها أصغر منها ، تركب البعير عند الهزال . وقيل القمل قمل الناس . وليس بشىء . وقرأ الحسن : (والقمل) من الآية ١٣٣ فى سورة الأعراف . انظر تفسير البحر (٤ : ٣٧٣) .
(٦) ل : « بأوجز ما يمكننا من القول » . وهما نصان متعارضان .

والقمل إناثها ، وأن القمَل من الشَّكل الذى تكون[١] إناثه أعظمَ من ذكورته .

وذكروا عنه أنه قال : وكذلك الزرارقة[٢] والبُزاة . فجعلَ البُزاةَ فى الإناث .

وليس فيما قال شيء من الصواب والتَّسْديد . وقد خبّرناكم[٣] عن حكايته في الشَّبُّوط[٤] ، حين جعله كالبغل ، وجعلَه مخلوقاً من بين البُنى [والزَّجْر[٥]] .

والقمل يعترى مِنَ العرَق والوسَخِ ، إذا علاها ثَوْبٌ ، أو رِيشٌ ، أوشعر ، حتى يكون لذلك المكانِ عفَن وخُموم .

(أثر الشعر فى لون القملة)

والقملة تكون فى رأس الأسوَدِ الشَّعرِ سوداء[٦] ، [ورأسِ الأبيض

---

(١) فيما عدا ل : « يكون » .

(٢) الزرارقة : جمع زرق ، بضم الزاى وفتح الراء المشددة ، وقد جمعته المعاجم على زراريق . فما عدا ل : « الزرارق » . وفى ل : « الزراقة » وهذه محرفة . وانظر ما سبق فى (٢ : ١٨٢) .

(٣) ط فقط : « وقد خبرنا » .

(٤) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامة فى مصر يكسرون باءه . قال الزبيدى : « ضرب من السمك أبيض وهو أفخر الأنواع يكون كثيرا فى النيل » Barbus . والشبوط : سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، يكثر فى دجلة : Carp . فيما عدا ل : « من البنى » تحريف . وانظر ما سبق فى (١ : ١٤٩) ، وهو الموضع الذي يشير إليه الجاحظ .

(٥) الزجر : « ضرب من السمك عظام صغار الحرشف . والجمع زجور . يتكلم به أهل العراق قال ابن دريد : ولا أحسبه عربيا » . انظر اللسان (٥ : ٤٠٧) .

(٦) الزيادة التالية من ل ، س ، هـ .

الشعر بيضاء ، وتـكون خصيفة اللون[1] ، وكالحَبْل الأبرَق[2] إذا كانت في رأس الأشمَط[3]] . وإذا كانت فى رأس الخاضب[4] بالحمرة كانت حمراء ، وإن كان الخاضب ناصلَ الخضاب كان [فى] لونها شُكْلة[5] ، إلا أن يستولِيَ على الشعر النُّصول فتعود بيضاء[6] .

وهذا شيء يعترى القملَ ، كما تعترى[7] الخضرةُ دُودَ البَقْلِ ، وجرادَه وذبابه ، وكلَّ شيء يعيش فيه .

(أثر البيئة فى الحيوان)

وليس ذلك بأعجب من حَرَّة بنى سُلَيم[8] ، فإن من طباع تلك الحرة أن تَسَوِّدَ[9] كل شىء يكونُ فيها : من إنسان ، أو فَرَس ، أو حِمَارٍ ، أو شاة أو بعيرٍ أو طائرٍ ، أو حيّة .

ولم نسمع ببلدة أقوى فى هـذا المعنى[10] من بلاد الترك ، فإنها تصوِّر إبلَهم وخيلَهم ، وجميعَ ما يعيش فيها ، على صورةِ التُّرك .

---

(١) الخصيفة : ما فيها لونان من سواد وبياض . ل : « خصيف » س : « خفيفة » . صوابهما فى هـ .
(٢) فى اللسان : « التهذيب : الخصيف من الحبال ما كان أبرق ، بقوة سوداء ، وأخرى بيضاء » .
(٣) الأشمط : ذو الشمط ، وهو بياض شعر الرأس يخالف سواده .
(٤) فيما عدا ل : « فإذا كانت فى رأس الخضيب » .
(٥) الشكلة ، بالضم : بياض وحمرة .
(٦) تعود : تصير . والعرب تقول : عاد فلان شيخاً ، وهو لم يكن قط شيخاً ، يعنون صار » . انظر سر العربية ٣٨٥ . فيما عدا ل : « فتكون بيضاء » .
(٧) ط ، س : « تعتر » . وفى هـ : « يعترى » وأثبت ما فى ل .
(٨) انظر ما سبق من الحديث عن حرة بني سليم فى (٤ : ٧١) .
(٩) فيما عدا ل : « يسود » بالياء .
(١٠) فيما عدا ل : « من ذلك المعنى » . وانظر الكلام فى أثر البيئة فى (٤ : ٧٠ - ٧٣) .

(تولد القمل)

والقمل يعرِضُ لثياب كلِّ الناس(١) إذا عرض لها الوسخُ والعرق ، والجموم ، إلا ثيابَ المجذَّمين(٢) فإنهم لا يَقْمَلون .

وإذا قَمِلَ إنسانٌ وأفرطَ عليه ذلك ، زأبَقَ رأسه(٣) إن كنّ فى رأسه أو جسده(٤) ، وإن كنّ فى ثيابه ، فموَّتْنَ(٥) .

وقال أبو قطيفة(٦) لأصحابه : أتدرون ما يذْرأ القمل(٧) ؟ قالوا : لا . قال : ذاك والله من قلة عنايتكم بما يصلحُ أبدانكم ؟ يذرأُ القملَ الفُساء(٨) .

فأما ثمامةُ فحدثنى عن يحيى بن خالد البرمكى ، أن شيئين يُورِثان القَمل :

---

(١) فيما عدا ل : « إنسان » .

(٢) يقال رجل أجذم ، ومجذوم ، ومجذم : إذا تهافتت أطرافه من داء الجذام . ل : « المجذومين » : وأثبت مافى سائر النسخ ونهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) .

(٣) زأبق رأسه : طلاه بالزئبق . وفى اللسان : « درهم مزأبق مطلى بالزئبق . والعامة تقول مزبق » . وفى المعرب ١٧٠ : « ودرهم مزأبق ، ولا تقل مزبق » . هـ : « ريق » سـ : « زئبق » تحريفان . ل : « زبق » عامية .

(٤) فيما عدا ل : « وإن كان فى رأسه أو جسده » .

(٥) أى زأبق رأسه فوتن ، أى فماتت القمل . يقال موتت الدواب : كثر فيها الموت . وانظر (٣ : ٣٤٩ س ١٣) . ط ، هـ : « فينتشر » . سـ : « فتنشر » صوابهما فى ل .

(٦) فى البخلاء ٩٥ : « أبو قطبة » وساق هذا الخبر . وذكر له أخوين ، هما الطيل ويابى (؟) من ولد عتاب بن أسيد .

(٧) يذرأ : يكثر ، وبه فسر : (يذرؤكم فيه) فى الآية ١١ من سورة الشورى . ل : « بذر » وفى البخلاء : « يدر » بمعنى يكثر .

(٨) ل : « بذر » وانظر التنبيه السابق . ط ، سـ : « الفا » بدل « الفساء » صوابه فى ل ، هـ والبخلاء .

أحدُهما الإكثار من التِّين اليابس[١] ، والآخر بخار اللُّبان إذا أُلقى على الجمرة[٢] .

وربما كان الإنسان قَمِل الطباع ، وإن تنظَّف وتعطَّر وبدّل الثياب[٣] ، كما عرَض لعبد الرحمن بن عوف ، والزبير بن العوّام ، استأْذَنَا رسول الله
١١٣ صلى الله عليه وسلم ، فى لباس الحرير فأذن لهما فيه[٤] ولولا أنهما كانا فى حدِّ ضرورةٍ لَمَا أذِنَ لهما فيه ، مع ما قد جاء فى ذلك من التشديد .

فلما كان فى خلافة عمر[٥] ، رأى عُمرُ على بعض بنى المغيرة من أخواله ، قميصَ حريرٍ ، فعلَاهُ بالدِّرّة[٦] ، فقال المغيرىُّ : أو ليس عبد الرحمن بنُ عوفٍ يلبسُ الحرير ؟ قال : وأنت مثلُ عبد الرحمن ؛ لا أمَّ لك !

---

(١) فى تذكرة الأنطاكى : « والتين يولد القمل ويضر الكبد الضعيف والطحال » . وفى المعتمد : « واليابس جيد للمبرودين ... وهو يولد القمل » . ط ، س : « الإكثار فى اللبس » هـ : « من اللبس » صوابهما ما أثبت من ل . وقد تكون « اللبس » محرفة عن « البلس » بالتحريك ، وهو التين ، أو شىءٌ يشبهه يكثر باليمن .

(٢) المجمرة والمجمر : ما يوضع فيه الجمر بالدخنة . ط ، هـ : « على الجمر » س : « على المجمر » . وفى ل ، هـ زيادة : « من » قبل : « بخار » .

(٣) فيما عدا ل : « وأبدل الثياب » .

(٤) الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه . ففى صحيح البخارى عن قتادة بن أنس : « أن عبد الرحمن بن عوف والزبير شكوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم – يعنى القمل – فأرخص لهما فى حرير ، فرأيته عليهما فى غزاة » . وعن قتادة عن أنس : « أن النبى صلى الله عليه وسلم رخص لعبد الرحمن بن عوف والزبير فى قميص من حرير ، من حكة كانت بهما » . انظر البخارى (٤ : ٤٢) ومسلم (٢ : ١٥٣ – ١٥٤) ومفتاح كنوز السنة ٤٢٥ .

(٥) فيما عدا ل : زيادة : « رضى الله تعالى عنه » .

(٦) الدرة ، بالكسر : التى يضرب بها . وفى التهذيب : الدرة درة السلطان التى يضرب بها .

(الاحتيال للبراغيث)

واحتاج أصحابنا إلى التسلُّم(١) من عضِّ البراغيث ، أيامَ كنَّا بدمشق ، ودخلنا أنطاكِيَة ، فاحتالوا لبراغيثها بالأسِرَّةِ فلم ينتفعوا بذلك ؛ لأن براغيثهم تمشى .

وبراغيثهم نوعان : الأبْجَل(٢) والبقّ(٣) ، إنما سمّوا ذلك الجنس على شبيهٍ بما حَكَى لى ثُمامةُ عن يحيى بن خالدٍ البرمكىّ ، فإن يحيى زعمَ أن البراغيثَ من الخلق الذى يَعرِضُ له الطيرانُ فيستحيل بقًّا ، كما يعرضَ الطيرانُ للنَّمل ، وكما يعرض الطيرانُ للدَّعاميص ؛ فإن الدعاميصَ إذا انسلخت صارت فَرَاشا(٤) .

فكان أصحابنا قد لَقُوا من تلك البراغيث جَهْدًا ، وكانت لها(٥) بليَّةٌ أخرى : وذلك أن الذى تُسهِرُهُ البراغيث لايستريحُ إلا أن يقتلها(٦) بالعرك والقتْل(٧) ، وإلى أن يقبِضَ عليها فيرمىَ بها [إلى الأرض] من فوق سريره(٨) فيرى أنهنَّ إذا صِرْنَ عشرينَ كان أهون عليه من أنْ يكُنَّ إحدى وعشرين(٩) . فكان الرجلُ إذا رام ذلك من واحدة منها

---

(١) التسلم : السلامة . فيما عدا ل : « التسليم » .

(٢) سم ، هـ : « الأبجل » تحريف . ل : « الأبجل » وأثبت ما فى ط .

(٣) البق : البعوض ، وقيل هى دويبة مثل القملة حمراء منتنة الريح تكون فى السرر والجدر . وبهذا المعنى الأخير تعرف فى مصر . فيما عدا ل : « البرد » تحريف .

(٤) سم : « إن الدعاميص » والكلمتان ساقطتان من ل . سم : « فصارت فراشا » ل ، « إذا انسلخت فراشاً » .

(٥) فيما عدا ل « له » تحريف . والضمير للبراغيث .

(٦) كلمة « لا » ليست فى ل ، س . وفى ل ، هـ : « إلى أن يقتلها » وفى س : « لأن يقتلها » .

(٧) العرك : الدلك . ل : « بالفرك » . وفيما عدا س : « والقتل » بالقاف .

(٨) فيما عدا ل : « السرير » .

(٩) فيما عدا ل : « أن تكون أحدا وعشرين » تحريف .

نَتُنَتْ يده(١) وكانوا مُلوكا ، ومثل هذا شديدٌ عَلَى مثلهم ، فما زالوا فى جهد منها حتى لبِسوا قُمُصَ الحرير الصِّينىّ ، وجعلوها طويلةَ الأردان والأبدان(٢) فناموا مستريحين .

(خروج القمل من جسم الإنسان)

[وخبّرنى كم شئت(٣) من أطبّاء الناس وأصحاب التجارب ، منهم من يقشعر من الكذب ، ويتقزّز منه — أنهم رأوا القمل عِيانا وهو يخرج من جلد الإنسان . فإذا كان الإنسان قَمِلاً كان قمله مستطيلا ، فى شبيه بخلقة الديدانِ الصغار البيض .

ويُذكر أن مثلَ ذلك قد كان عرضَ لأيوبَ النبى ، صلى الله عليه وسلم ، حين كان امتُحِن بتلك الأوجاع حتى سُمِّى : « المبتلَى » .

وخبّرنى شيخٌ من بنى ليث(٤) ، أنه اعتراه جرَبٌ ، وأنه تطلَّى بالمَرْتَك(٥) والدُّهن ، ثم دخل الحمَّام فرأى قملاً كثيراً ، يخرج من تلك الجُلَب(٦) والقروح .

---

(١) فيما عدا ل : « وكان » بدل : « فكان » و « واحد » بدل « واحدة » . « وأنتنت » بدل « نتنت » وهما لغتان يقال : نَتَن ، و نتن ، وأنتَن .

(٢) الأردان : جمع ردن ، بالضم ، وهو أصل الكم ، وأما مقدمه ، أو الكم كله . فيما عدا ل : « طويلة الأبدان والأردان » .

(٣) سبق مثل هذا التعبير فى (٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦) . وانظر ما كتبت فى (٤ : ٤٦) .

(٤) هم بنو ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . والجاحظ ليثى كنانى . انظر ترجمته فى الوفيات .

(٥) المرتك ، هو المرداسنج الذى سبق شرحه فى ص ٣٥٠ . ونفظه فارسى معرب . انظر الجواليقى ٣١٧ . وضبطهما صاحب القاموس كمقعد، ومثله ضبط اللسان . ويقال أيضاً « مَرْتج » بالجيم . قال صاحب القاموس : « معرب مُرْده » لكن فى معجم استينجاس ١٢١٠ أنه معرب « مُرْتَكْ » والمأخذان محتملان .

(٦) الجلب : جمع جلبة ، كغرفة ، وهى القشرة تعلو الجرح عند البرء .

وخبَّرنى أبو موسى العباسىُّ صديقُنا ، أنه كان له غلامٌ بمصر ، وكان الغلام ربما أخذ إبرة ففتحَ بها فتحاً فى بعض جَسَده ، فى الجِلْد ، فلا يلبثُ أن يطلُع من تحت الجلد فى القيحِ[1] قملة] .

(قمل الحيوان)

والقمل يُسرعُ إلى الدّجاجِ والحمام ، إذا لم يغتَسِلْ ويكُنْ نظيفَ البيت[2] . و[هو] يعرض للقرْد ، ويتولَّد من وسَخِ جلد الأسير وما فى رأسِه[3] من الوسخ . ولذلك كانوا يضجُّون ويقولون : أكلَنَا القِدُّ والقمل[4] !

(تلبيد الشعر)

وكانوا يلبِّدون شعورهم ، وذلك العمل هو التلبيد ، والحاجُّ الملبِّد هو هذا . وقال الشاعر :

يا ربَّ ، ربَّ الراقصاتِ عشيَّةً ... بالقومِ بين مِنًى وبين ثَبِيرِ[5]
زُحُفِ الرَّواحِ قد انقضت مُنَّاتُهُمْ ... يحمِلْنَ كلَّ مَلَبَّدٍ مأجُورِ[6]

---

(١) كذا فى الأصل ، وهوهنا ل : وأراها : « الفتح » .
(٢) فيما عدا ل : « إذ لم يغسل ويكون نظيف البيت » تحريف .
(٣) كلمة : « ما » ثابتة فى ط فقط .
(٤) القد . بالكسر : سير من جلد غير مدبوغ . فيما عدا ل : « أكلنى » .
(٥) الراقصات : الإبل تسرع فى سيرها ، رقص البعير يرقص رقصا ، بالتحريك : إذا أسرع في سيره . وثبير ، كأمير : من أعظم جبال مكة ، بينها وبين عرفة .
(٦) زحف ، بضمتين : جمع زحوف ، وهى الناقة أعيت فجرت فرسنها . الرواح ، أى عند الرواح . والمنات : جمع منة ، والمنة كالقوة وزنا ومعنى . والملبد : أراد به الحاج الملبد . ط ، هـ : « وحف الرواح » . س : « وجف » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « تراقصت تمشى بهم » .

وقال عبد الله بن العَجْلان النهدي(١) :

إني وما مارَ بالفُرَيقِ وما ... قَرْقَرَ بالجَلْهَتَيْنِ من سُرُبِ(٢)

[جماعة من القطا وغيره ، واحدتها سُرْبَة . وعبر بها ها هنا عن الحُجَّاج(٣)] .

من شَعَرٍ كالغَليل يُلبَدُ بالـ ... قَمْلِ وما مارَ من دمٍ سَرَبِ(٤)

١١٤ والعِتر عتر النَّسيك يخفر بالـ ... بُدْن لحِلِّ الإحرامِ والنُّصُبِ(٥)

وقال أُمَيَّةُ بن أبي الصَّلت :

شاحينَ آباطَهُمْ لم ينزِعُوا تَفَثاً ... ولَمْ يَسُلوا لهم قَمْلاً وصِئبانا(٦)

ويروى : « لم يقرَبوا تفَثاً » . قال الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا

---

(١) عبد الله بن العجلان النهدى ، شاعر جاهلى ، أحد المتيمين من الشعراء ومن قتله الحب منهم . وكان له زوجة يقال لها هند ، فطلقها ثم ندم على ذلك ، فتزوجت زوجا غيره فمات أسفاً عليها . انظر أخباره فى الأغانى (١٩ : ١٠٢ — ١٠٦) وتزيين الأسواق ٧٦ — ٧٨ . ل : « عبد الله بن عجلان النهدى » .

(٢) الفريق ، بهيئة تصغير فرق : موضع بتهامة . وفيما عدا ط : « الغريف » ولم أجده . وفي المعجم : « الغُرَيق » : واد لبنى سليم . وقد أقسم بدماء الإبل التى تنحر فتمور دماؤها . ط ، هـ : « من شرب » س : « شهب » صوابهما فى ل . والسرب بضمتين وبإسكان الثاني ، كما فى تاج العروس (١ : ٢٩٦ س ٣٩) .

(٣) فى الأصل – وهو هنا – ل « الحمام » . والصواب ما أثبت . وقد عنى بالقرقرة تلبية الحجيج ورفعهم أصواتهم بالدعاء .

(٤) الغليل : القت والنوى والعجين تعلفه الإبل . ط : « كالليل » وفى ل ، هـ : « كالقليل » وأثبت ما فى س . والسرب ، بفتح الراء وكسرها : السائل .

(٥) العتر ، بالكسر : ما عتر أي ذبح . والعتر أيضاً الصنم يعتر له . وفى اللسان والقاموس أن النسيكة الذبيحة . ولم أجد النسيك . و« يخفر » هى فى ل : « يحفر » وفى ط ، هـ : « مجلى الأحزان » وفى س : « مجلى الأحزان » صوابهما فى ل .

(٦) شاحين ، من شحا الرجل فاه شحوا : فتحه . والآباط : جمع إبط . عنى بذلك رفع الحجاج أيديهم بالدعاء . فيما عدا ل : « ساحى أباطلهم » تحريف . والتفث : التشعث . وفى اللسان : « قال أبو منصور : لم يفسر أحد من اللغويين التفث كما فسره ابن شميل ، جعل التفث التشعث » . قلت هذا البيت يشهد لتفسير ابن شميل .

تَفَثَهُم[١] ﴾ . وما أقلَّ ما ذَكَرُوا التَّفَث فى الأشعار[٢] .

والتلبيد : أن يأخذَ شيئاً من خِطْمِيٍّ وآسٍ وَسِدْرٍ[٣] ، وشيئاً من صَمْغٍ ، فيجعله فى أصول شعره[٤] وعلى رأسه ، كى يتلبّد شعرُه ولا يعْرَق[٥] ويدخلَه الغبار ، ويخمَّ فيقمَلَ .

وكانوا يكرهون تسريح الشعر وقتْلَ القمل . فكان ذلك العمل[٦] يقلُّ معه القمل .

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لكعب بن عُجْرة[٧] : « هلْ آذاكَ هَوَامُّ رأسِك ؟ ! » .

(تعيير هوازن وأسد بأكل القرة)

وقال ابنُ الكلبيِّ : عُيِّرَتْ هَوَازنُ وأسدٌ بأكل القُرَّةِ[٨] . وهما

---

(١) من الآية ٢٩ فى سورة الحج .

(٢) البيت حجة على أبى عبيدة إذ يقول : « ولم يجئ فيه شعر يحتج به » . انظر اللسان .

(٣) السدر : النبق البرى . فيما عدا ل : « وسرو » تحريف . وفيما عدا ل أيضاً : « أن نأخذ » .

(٤) ط فقط : « فتجعله فى أصول شعره » .

(٥) فيما عدا ل : « يفرق » بالفاء ، محرف .

(٦) يعنى تلبيد الشعر . س : « وما كان » تحريف . ط ، هـ : « وكان » وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : «القتل» بدل « العمل » محرف .

(٧) هو كعب بن عجرة بن عدى ، وهو صحابى ، وفيه نزلت الفدية ، وقد أخرج ذلك فى الصحيحين من طرق ، منها رواية ابن أبى نجيح عن مجاهد عن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، عن كعب بن عجرة « أن النبى صلى الله عليه وسلم مر به وهو محرم يوقد تحت قدر والقمل يتهافت على وجهه . فقال له : احلق رأسك وأطعم فرقا بين ستة مساكين ... » . مات بالمدينة سنة إحدى وخمسين ، وقيل ثنتين ، وقيل ثلاث ، وله خمس أو سبع وسبعون سنة . الإصابة ٧٤١٣ .

(٨) القرة ، بالضم . وفيما عدا ل : « الهرة » تحريف .

بنو القملة[١] . وذلك أن أهل اليمن كانوا إذا حلقوا رؤوسهم [بِمِنًى وضع كل رجل منهم على رأسِهِ قُبْضَةً من دقيق . فإذا حلقوا رؤوسهم] سقط[٢] ذلك الشعرُ مع ذلك الدقيق[٢] ، ويجعلون الدقيق صدقةً . فكان ناسٌ من الضُّرَكاء[٣] وفيهم ناسٌ من قيس وأسد ، يأخذون ذلك الشعر بدقيقه ، فيرمُون بالشعرِ ، وينتفعون بالدقيق .

وأنشد لمعاويةَ بن أبي معاويةَ الجرْمىّ ، فى هجائهم :

ألم تر جَرْماً أنْجَدَتْ وأبوكم مع الشعر فى قصِّ الملبَّدِ شارِعُ[٤]

إذا قُرَّةٌ جَاءت يقولُ أصبْ بها سِوى القملِ إنى من هَوَازِنَ ضارعُ[٥]

(شعر فى هجو القملين)

وقال بعض العُقيليِّين ، ومرّ بأبى العلاء [العُقيلىّ] وهو يتفلَّى ، فقال :

---

(١) أى هوازن وأسد ، عنى أنهم كانوا يقال لهم : « بنوالقملة » . ط ، س : « وهو سويق القمل » هـ : « وهوشوء القمل » وأثبت ما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « سيط ذلك الشعر بدرمك الدقيق » وهذه العبارة فى ظاهرها تحتمل الصحة ، فإن معنى سيط : خلط . والدرمك : النقى من الدقيق . ولكن النظر إلى التكملة السابقة يقضى بأنها محرفة . وهى على الصواب الذى أثبت فى اللسان (٦ : ٤٠١) .

(٣) الضركاء : جمع ضريك ، وهو الفقير اليابس الهالك سوء حال . قال الكميت :

فغيث أنت للضركاء منا بسيبك حين تنجد أو تغور .

ويجمع أيضاً على ضرائك . فيما عدا ل : « الصوكاء » تحريف .

(٤) أنجدت : دخلت بلاد نجد . ط ، هـ : « وأمجدت » تحريف . وفيما عدا ل : « وابن بجزة » بدل : « وأبوكم » . وما أثبت من ل يوافق رواية اللسان (٦ : ٤٠١) .

(٥) فيما عدا ل : « إذ امرأة جاءت لقول » صوابه فى ل واللسان . وفى س : « شوا القمل » وهـ : « شوآء » صوابهما فى ل ، ط واللسان .

وإذا مررْتَ به مررتَ بقانصٍ متصيِّدٍ فى شَرْقَةٍ مقرورِ (١)
للقملِ حولَ أبى العلاء مَصارِعٌ مِنْ بين مقتول و بينَ عقيرِ (٢)
وكأنهنَّ لدى خُبُون قميصهِ فَذٌّ وتوأمُ سِمسِمٍ مقشورِ (٣)
ضَرِجِ الأنامل من دماء قتيلها حَنِق عَلَى أخرى العدوِّ مُغيرِ (٤)

وقال الحسنُ بنُ هانئ ، فى أيوبَ ، وقد ذهب عنى نسبهُ ، وطالما رأيتهُ فى المسجد :

مَن يَنْأ عنـــه مصادُهُ فمصَــادُ أيوبٍ ثيابهُ
تـكفيه فيهـــا نظرةٌ فتُعَلُّ من عَلَق حِرَابهُ (٥)
يا رُبَّ محترس بخَبْـ ـنِ الدَّرْزِ تـكْنفُهُ صُؤابهُ (٦)
فاشى النِّـكاية غير معلو مٍ إذا دبَّ انسيابهُ

---

(١) الشرقة : المكان الذى يتشرق فيه فى الشتاء . والمقرور : الذى أصابه القر ، بالضم ، وهو البرد . فيما عدا ل : « فى شرقه مغرور » صوابه فى ل والحماسة (٢ : ٣٩٧) ونهاية الأرب (١٠ : ١٧٧) . وحق هذا البيت أن يكون ثانى الأبيات . لكن هكذا وردت الرواية .

(٢) العقير : المعقور . فيما عدا ل : « ما بين مقتول » وهذه ثابتة أيضاً فى نهاية الأرب ومحاضرات الراغب (٢ : ١٣٣) . وما أثبت من ل هو رواية الحماسة وديوان المعانى .

(٣) الخبون : جمع خبن ، وأصل الخبن : خياطة الثوب لتقليصه . فيما عدا ل : « جيوب » والجيب : طوق القميص . وفى الحماسة : « لدي دروز قميصه » . وفى ديوان المعاني ونهاية الأرب : « إذا علون قميصه » . والفذ : الفرد . ديوان المعانى : « فرد » . والتوأم : المزدوج ، وأصله من جميع الحيوان المولود مع غيره فى بطن ، من الاثنين إلى ما زاد ، ذكراً كان أو أنثى ، أو ذكراً مع أنثى . سر : « معشور » محرف .

(٤) الضرج : المصبوغ بالحمرة . فيما عدا ل : « صرح » تحريف صوابه فى سائر المصادر . وقد ضبط بالجر فى ل والحماسة . إنما يستقيم هذا الضبط إذا روى البيت الأول بعد البيت الثاني فيكون صفة لقانص . والوجه الرفع . ومع الرفع الإقواء .

(٥) تعل : من العلل ، وهو الشرب مرة بعد مرة . والعلق ، بالتحريك : الدم . والحراب : جمع حربة . س : « جرابة » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « محترز » والمحترس والمحترز بمعنى . والخبن : خياطة الثوب لتقليصه =

١١٥ أو طامِرٍ واثبٍ لم يُنْجِهِ عنـــه وثابُه[1]

[الطامِرُ : البرغوث ثم قال] :

أهْوَى له بمذلَّقِ الـــغَرْبَين إِصْبَعُه نِصابُه[2]

لله درُّك من أخِي قَنَص أصابِعُه كِلابُه[3]

(أحاديث وأخبار فى القمل)

وفى الحديث أن أكل التفاح ، وسُؤْرَ الفأرةِ ، ونَبْذَ القملة يورث النِّسيان[4] .

وفي حديث آخر أنَّ الذى ينبذ القملة لا يُـكْفَى الهمّ .

والعامة تزعم أن لُبس النِّعال السودِ يورث [الغمّ و] النسيان .

وتناول أعرابىٌّ قملة دبَّتْ عَلَى عُنقه ، ففدَغها[5] ثم قتلها[6] [بين] باطنِ إبهامه وسَبَّابته ، فقيل له : ما تصنعُ ويلك [بحضرة الأمير] ؟ ! فقال :

= وأراد به الموضع . والغرز : موضع الخياطة وفيه يختبئ القمل والصئبان ، ولذلك يقال لها « بنات الدروز » . انظر شفاء الغليل . وفى اللسان أن الزئبر ما يظهر من درز الثوب . أي أن الزئبر هو الأهداب التى تظهر من موضع الخياطة . وقد نصت المعاجم أن « الدرز » فارسى معرب ، وقالت إنه معروف ، فحسب . ومعنى « درز » فى الفارسية : الشق الذى خيط من الثوب : Arend in a garment which has been sewed up أنظر استينجاس ٥١١ . ومنه « درزى » الفارسية بمعنى الخياط ، وهى أصل : « ترزى » فى العامية المصرية . س : « يجير الردن » هـ « بجيرالردن » ط : «بجيب الردن» وأثبت ما فى ل . وفى س : « تـكشفه صؤابه » تحريف .

(١) ل فقط : « لم يغنه » . والوثاب : الوثب . وقد سبق البيت فى ص ٢١٦ .

(٢) مذلق : حاد . والغربين : مثنى غرب ، وهو حد السلاح . فيما عدا ل : « بمزلق » تحريف . وفى ط فقط : « ما بين أصبعيه » صوابه فى سائر النسخ .

(٣) أخو قنص : صاحب صيد . فيما عدا ل : « من أبى قنص » .

(٤) سبق هذا الحديث في ص ٢٦٩ .

(٥) فدغها : شدخها . والفدغ شدخ الشىء الأجوف . فيما عدا ل : « فنزعها » .

(٦) فيما عدا ل « فتل » وفى ل : « قتلها » ووجهه بالفاء كما أثبت .

بأبى أنتَ وأمِّى ، وهل بقى منها إلا خِرشاؤها ؟ يعنى جلدَتَها وقِشرتَها .
وكل وعاء [فهو] خرشاء .

(المأمون وسعيد بن جابر)

وحدثنى [إبراهيمُ بنُ هانئ[١] ، قال : حدّثنى[٢]] سعيدُ بنُ جابر ، قال : لما كادت الأجناد تحيطُ ببغداد[٣] من جوانبها ، قال لنا المخلوع[٤] : لو خرجنا هكذا إلى قُطْرَبُّل[٥] عَلَى دوابنا ، ثم رجعنا من فَورنا ، كان لنا فى ذلك نُشرة[٦] . قال : فلما صرنا هناك هجمنا عَلَى موضِعِ خَمَّارِين ، فرأى أناساً قد تطافروا من بعض تلك الحانات[٧] ، فسأل عنهم ، فإذا هم أصحابُ قِمارٍ ونَرْدٍ [ونبيذٍ] ، فبعث فى آثارهم [فرُدُّوا] وقال لنا[٨] : أشتهى أن أسمع حديثَهم ، وأرى مجلسهم وقِمارهم . قال : فدخلنا

---

(١) إبراهيم بن هانئ أحد معاصري الجاحظ ، قال فيه الجاحظ : « وكان ماجناً خليعاً كثير العبث متمردا » . انظر البيان (١ : ٨٩ — ٨٠) . وروى عنه خبراً فى البخلاء ١٠٦ . وذكره صاحب لسان الميزان (١ : ١١٨) .

(٢) هذه التكملة من ل ، سه .

(٣) فيما عدا ل : « بغداد » بالمهملة فى آخره . وهما لغتان . لكن قال ياقوت : « ويأبى أهل البصرة ولا يجيزون بغداذ فى آخره الذال المعجمة » .

(٤) المخلوع هو الخليفة محمد الأمين .

(٥) قطربل ، بضم فسكون ففتح فباء مشددة مضمومة : قرية بين بغداد وعكبرا ، ينسب إليها الخمر ، وقد ضبط فى اللسان والقاموس بضم الراء ، ولكنه ضبط قلم لا نص . وانظر المعرب ٢٧٣ .

(٦) النشرة ، هى فى أصلها ضرب من الرقية والعلاج يعالج به المجنون والمريض ، سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء ، أى يكشف ويزال . انظر اللسان (٧ : ٥٦) . فيما عدا ل : « تنزه » .

(٧) تطافروا : تواثبوا . والطفر : الوثوب . فيما عدا ل : « تظافروا » بالظاء المعجمة . تظافر القوم عليه وتظاهروا بمعنى . وليس مراداً . وفيما عدا ل : « فرأينا ناساً قد تظافروا فى بعض تلك الحانات » .

(٨) ل ، سه : « أنا » .

إلى موضِعِهم ، فإذا تخْت[١] النَّردِ قطعةُ لِبْد ، و إذا فصوص النَّردِ من طين ، بعضُه مسوَّد و بعضُه متروك ، و إذا الكعبان من عُروة كوز محكَّكة، و إذا بعضُهم يتكئ عَلَى دَنّ خال[٢] وتحتهم بَوارٍ قد تنسَّرت[٣].

قال : فبينا هو يضحك منهم إذ رأيت قملةً تدب عَلَى ذيله ، فتغفَّلتُه وأخذْتها[٤] فرآنى وقد تناولتُ شيئاً ، فقال [لى] : أى شىء تناولتَ ؟ فقلتَ : دوَيْبَّة دبت عَلَى ذيلكَ مِنْ ثيابِ هؤلاء . قال : وأىُّ دابة هى[٥] ؟ قلت : قملة . قال : أرِنيها ؛ فقد واللهِ سمعتُ بها !

قال : فتعجبتُ يومئذ من المقادير[٦] كيفَ ترفَع رجالا فى السماء ، وتحطُّ آخرينَ[٧] فى الثَّرى !

---

(١) التخت ، فى المعاجم العربية : وعاء تصان فيه الثياب ، فارسى معرب : لم يذكروا غير ذلك . وبعيد أن يكون الجاحظ قصد هذا المعنى . وإنما أراد بالتخت اللوح الذي يوضع فوقه النرد . وجاء فى معجم استينجاس ١٣٩٥ فى تفسير (تَخْتِ نَرْدْ) أنه لوح يتخذ للعب النرد : A board for playing at nard . وأراد ، جعلوا قطعة اللبد بدلا من اللوح . فيما عدا ل : « تحت » : ظرف المكان .

(٢) الدن سبق تفسيره فى ص ٢٦٥ . فيما عدا ل : « متكئ على دن حان » محرف .

(٣) البوارى : جمع بارية بتشديد الياء، وهى الحصير المعمول من القصب ، فارسيته (بوريا) . انظر اللسان والمعرب واستينجاس ٢٠٦ . فيما عدا ل : « بوارى » وهى لغة ضعيفة . انظر سيبويه (٢ : ٢٨٨) والهمع (٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦) تنسرت : انتشرت ، يقال تنسر الحبل وانتسر طرفه : أى انتقض وذهب شيئاً بعد شىء . فيما عدا ل : « نشرت » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فتعلقته فأخذتها » تحريف .

(٥) ل : « وأى دابة هذه » .

(٦) المقادير : جمع مقدار ، وهو القدر . فيما عدا ل : « الأيام » .

(٧) ط ، س : « كيف ترفع رجلا فى السماء وتحط آخر » ومثله فى ه ، لكن فيها : « وتحط أخرى » ، وأثبت ما فى ل .

(معارف وخبر فى القمل)

قال : والقردُ يتفلَّى ، فإذا أصاب قملةً رمَى بها إلى فيه[(١)] .

ونساء العوامِّ يعجِبُهُنَّ [صوتُ] قصْع القمل على الأظفار[(٢)] .

ورأيتُ مرةً أنا وجعفر بن سعيد[(٣)] ، بقَّالا فى العتيقة[(٤)] وإذا امرأته جالسةٌ بين يديه ، وزوجها يحدثها وهى تفلى جَيْبَها[(٥)] وقد جمعت بين باطن إبهامها وسَبَّابتها عدَّةَ قمل ، فوضعتها على ظفر إبهامها الأيسر[(٦)] ، ثم قلبت عليها[(٧)] ظفرها الأيمن فشدخَتْها به ، فسمعْتُ لها فَرقعةً[(٨)] ، فقلت لجعفر : فما منعها أن تضَعَها بين حَجَرين[(٩)] ؟ قال : لها لذةٌ فى هذه الفرقعة . والمباشرةُ أبلغُ عندها فى اللذة . قلت : فما تكرهُ مكانَ زوجها ؟ قال : لولا أن زوجها يُعجبُ بذلك لنهاها !

(شعر لابن ميادة)

وقال ابن مَيَّادة[(١٠)] :

---

(١) ط فقط « وإذا أصاب » ط ، هـ : « فى فمه » سه : « في فيه » وأثبت ما فى ل .
(٢) قال أبو عبيد : القصع ضمك الشيء حتى تقتله أو تهشمه . قال : ومنه قصع القملة . فيما عدا ل : « وضع القمل » تحريف .
(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .
(٤) البقال : بائع البقول ، والبقل من النبات ما ليس بشجر . هـ : « بغالا » .
(٥) الجيب : جيب القميص ونحوه ، وهو طوقه . ط ، هـ : « تفلى ثوبها » .
(٦) ط ، هـ : « على ظهر إبهامها الأيسر » تحريف ما أثبت من ل ، سه .
(٧) فيما عدا ل : « لها » .
(٨) سه : « وقعة » .
(٩) ل ، سه : « ما منعها » ... الخ .
(١٠) هو الرماح بن أبرد ؛ سبقت ترجمته فى (٤ : ٣٣١) . ومن أجداده ظالم بن جذيمة بن يربوع بن غيظ بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، وكان يفخر بجده ظالم ، كما فى البيت الأول من الأبيات التالية . وكما فى قوله (انظر الأغاني ٢ : ٨٧) : =

١١٦ سَقَتنى سُقاةُ المجدِ منْ آلِ ظالمٍ   بأرشيةٍ أطرافُها فى الكواكب[1]
وإنَّ بأعْلَى ذى النُّخَيل نسيَّةً   يسيِّرنَ أعياراً شدادَ المناكبِ[2]
يَشُلْنَ بأستاهٍ عليهنَّ دُسْمَة   كما شال بالأذناب سُمْرُ العقاربِ[3]

باب

(القول فى البرغوث)

والبرغوثُ أسودُ أحدبُ نزَّاء[5] ، من الخلق الذى لايمشى [صِرفاً] .

و مما قال بعضهم : دبيبُها من تحتى أشدُّ علَىَّ مِنْ عضِّها .

= أنا ابن أبى سلمى وجدى (ظالم)   وأمى حصان أخلصتها الأعاجم
أليس غلام بين كسرى و (ظالم)   بأكرم من نيطت عليه العمائم
لو ان جميع الناس كانوا بتلعة   وجئت بجدى (ظالم) وابن ظالم
لظلت رقاب الناس خاضعة لنا   سجوداً على أقدامنا بالجماجم

وإنما سقت هذه الأبيات لأبين أن ما فى ل : « وقال ابن مناذر » تحريف ، والصواب نسبتها لابن ميادة .

(١) الأرشية : جمع رشاء، وهو حبل الدلو . وانظر لكلمة « ظالم » التنبيه السابق .

(٢) ذو النخيل ، بهيئة التصغير : موضع قرب مكة . نسية : مصغر نسوة ، وأراد بالتصغير تحقيرهن . والأعيار : جمع عير ، وهو الحمار أهلياً كان أو وحشياً ؛ وهم يتهاجون برعى النساء الحمر ، ومنه قول الراعى :

هن الحرائر لاربات أحمرة   سود المحاجر لا يقرأن بالسور

ط ، س : « أسنة » بدل : « نسية » وهى فى هـ : « لسنه » تحريفان . ط ، هـ : « فعشرين » بدل : « يسيرن » ط : « شدد المناكب » محرفان . وفى س : « سر راعباً أشداد المناكب » بهذا الإهمال والتحريف .

(٣) شالت العقرب بذنبها : رفعته . والدسمة ، بالضم ، أصله ما يشد به خرق السقاء . وانظر لتفسير هذا المعنى شرح الأنبارى للمفضليات ص ٤٧ — ٤٨ . هـ : « دستة » تحريف . وسمر : جمع سمراء . فيما عدا ل : « سم العقارب » تحريف .

(٤) بدله فى ل : « القول فى البرغوث » .

(٥) نزاء : وثاب . نزا ينزو : وثب .

وليس ذلك بدبيب . وكيف يمكنهُ الدَّبيبُ – وهو مُلزَق عَلَى النِّطع[١] بجلد جَنب النائم[٢] ؟ ! ولكنّ البرغوثَ خبيثٌ ، فمتى أرادَ الإنسان[٣] أن ينقلب من جنب إلى جنب ، انقلب البرغوث واستلقى عَلَى ظهره ، ورفع قوائمه فدغدغه [بها] ، فيظنُّ من لاعلم عنده أنه إنما يمشى تحت جنبه[٤] .

وقد ذكرنا من شأنه فى مواضع . ولوكان البابُ يكبر حتى يكون لك مجموعاً ولم تعرفه تكلفت لك جمعه[٥] .

(شعر فى البرغوث)

وقال بعض الأعراب :

ليلُ البراغيث عنّانى وأنْصَبنِى ... لابارك اللهُ فى ليل البراغيث[٦]

كأنهنَّ وجلدى إذْ خَلونَ به ... أيتامُ سَوْءٍ أغاروا فى مواريثِ[٧]

---

(١) النطع ، بالكسر : بساط من الأديم ، أى الجلد .
(٢) ط ، هـ . « بجنب جلد النائم » تحريف ما أثبت من ل ، س .
(٣) فيما عدا ل : « الإنسان » .
(٤) ط ، هـ : « أنها تمشى تحت جنبه » وبإسقاط « أنه » تحريف ، وأثبت ما فى ل . والكلام من : « انقلب البرغوث » إلى هنا ساقط من س .
(٥) ل : « ولوكان الباب يكثره حتى إن لم يكن مجموعا لم تعرفه . فتكلفت لك جمعه » .
(٦) عناه : أنصبه وجشمه العناء . س ، هـ : « عيانى » تحريف . وفى ط : « أعيانى » ، أعياه : أعجزه . وأثبت ما فى ل ، وهورواية محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) .
(٧) أغاروا : فعلوا فعل المغير يهجم على القوم وينهب مالهم . وأغاروا أيضاً : أسرعوا . ط ، س : « قضاة سوء » و : « أعاثوا » محرفان . فيما عدا ل « المواريث » وأثبت ما فى ل مع ما فيه من صرف ما لا ينصرف للضرورة . ورواية ل تطابق رواية محاضرات الراغب .

وقال محبوب بن أبي العشَنَّط النهشليّ (١) :

لروْضة من رِياضِ الحزْن أوطَرَفٌ من القُرَيَّةِ جَرْد غيرُ محروثِ (٢)

للنَّوْرِ فيـه إذا مجَّ النَّدَى أَرَجٌ يشفِى الصُّداعَ ويشفى كلَّ ممْغوثِ (٣)

أملا وأحلَى لعَينِي إنْ مررتُ به

مِن كَرْخ بغدادَ ذِي الرُّمّانِ والتُّوثِ (٤)

الليلُ نِصفان : نصفٌ للهموم فما أقضى الرُّقادَ ، ونصف للبراغيثِ

أبيتُ حين تُسامِينى أوائلُها أنزو وأخلِط تسبيحاً بتغويثِ (٥)

---

(١) العشنط ، بفتح العين والشين وتشديد النون المفتوحة : معناه الطويل جداً ، أو التار الظريف الحسن الجسم . ولم أجد له ترجمة إلا نسبة هـذا الشعر له . وفيما عدا ل : « محمد بن أبي القاسم النهشلي » تحريف ، صوابه فى ل واللسان (٢ : ٣٢٢) ومعجم البلدان (٧ : ٧٦) والخزانة (٤ : ٥٠٤) .

(٢) الحزن ، بالفتح : موضع . س « الحسن » تحريف . والطرف ، بالتحريك : الناحية أو الطائفة من الشيء . فى الأصل : « طرق » صوابه من المصادر السابقة . والقرية قرية بنى سدوس ، وهى أخصب قرى اليمامة . وقد جعلها مصغرة ، وأصلها : « القرية » انظر ياقوت . س ، هـ : « للفرية » تحريف . والجرد ، بالفتح : الذي لا نبات فيه ، عنى أنه قليل النبات . فيما عدا ل : « جود » تحريف صوابه فى ل واللسان والمعجم . وفى الخزانة : « حزن » . وفيما عدا ل : « محدوث » بالدال ، محرفة .

(٣) النور ، بالفتح : الزهر . والممغوث : المحموم . فيما عدا ل : « وينفى كل مبعوث » تحريف . وفى المعجم واللسان : « يشفى الصداع وينقى » بالقاف .

(٤) أملا : تسهيل أملأ ، أى أكثر ملئاً ، أى أتم منظراً وحسناً ، وهو مالئ العين إذا أعجبك حسنه وبهجته . فيما عدا ل : « أحلى وأملى » والمعجم : « أملى وأحلى » واللسان : « أحلى وأشهى » والخزانة : « أشهى وأحلى » . والكرخ : موضع ببغداد ، وفى اللسان : « الكرخ : سوق بغداد نبطية » . وانظر معجم البلدان .

(٥) تساميني : تعاليني . فيما عدا ل : « حتى تساميني » تحريف صوابه فى ل والمعجم . وفى الخزانة : « حيث » . أنزو : أثب وأقفز . والتغويث : أن يصيح : واغوثاه ! استغاث وغوث بمعنى . ط : « أرود أخلط » هـ : « أترود أخلط » صوابه فى ل ، س والمعجم واللسان .

سُود مَدَاليجُ فى الظلماء مُؤْذِيَةٌ ... وليس مُلتَمَسٌ منها بمشْبُوثِ[1]

وقد جعل « التوثَ » بالثاء . ووجه الـكلام بالتاء . وتعجيمها نقطتان [من فوقها] .

وقال آخر :

لقد عَلِمَ البُرغوثُ حين يَعَضنِى ... ببغدادَ أنى بالبلاد غريبُ

وقال آخر[2] :

وَإنَّ امرأً تؤذى البراغيثُ جِلدَه ... ويُخْرِجنَهُ من بيته لذليلُ[3]

ألاَ رُبَّ برغوثٍ ترَكْتُ مجدّلا ... بأبيض ماضى الشفرَتَينِ صَقيل[4]

وقال آخر : ١١٧

لقِيتُ منَ البُرغوثِ جَهْداً ولا أرى

أميراً عَلَى البرغوثِ يقضى ولا يُعْدِى[5]

يقلِّبنى فوقَ الفرَاشِ دبيبهُ ... وتصبح آثارٌ تَبيّنُ فى جِلْدِى[6]

وقال آخر[7] :

---

(١) المداليج : جمع مدلاج ، وهو كثير سفر الليالى بطولها . انظر المفضليات (١ : ٢٧ البيت ١٢ طبع المعارف) . وفي المعجم : « مدالج » . مؤذية : من الإيذاء . ورواية اللسان : « مؤدنة » . قال ابن منظور : « المؤدن ، بالهمز : القصير العنق ، والمودن بغير الهمز : الذى يولد ضاويا . نقلته من حواشى ابن برى » . مشبوث : مأخوذ . شبث الشيء : علقه وأخذه . وفى اللسان : « بمنبوث » منبوث : مستخرج .

(٢) فيما عدا ل : «وقال آخر».

(٣) ل ، سه : « إن أمرأ » بالخرم . فيما عدا ل : « وتخرجه من بيته » .

(٤) مجدلا : ملقياً على الجدالة ، وهى الأرض . والأبيض : السيف ، وإنما عنى أظفاره . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . وهذا البيت وما قبله متقدمان فى ل ، سه على البيت السابق . وفى هذا البيت إقواء .

(٥) أراد : ولا أميرا يعدى . أعداه الأمير علي ظالمه : اقتص له منه ، ونصره ، وأعانه .

(٦) الدبيب : المشى الضعيف على هينة . فيما عدا ل : « وبينه » تحريف .

(٧) جعل الجاحظ البيتين التاليين فى البراغيث ، لكنه جعلهما فيما سيأتى ص ١٣١ فى القردان ، وقال : « و بعضهم يجعلها فى البراغيث . وهذا باطل » !

ألا ياعبادَ الله مَنْ لقبيلة إذا ظهرت فى الأرض شَدَّ مُغِيرُها[(١)]
فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى ولا ذُو سِلاحٍ من مَعَدٍّ يَضِيرُها

وقال يزيد بن نُبَيه الكِلابىّ[(٢)] :

أصبحتُ سالمتُ البراغيثَ بعد ما مَضَتْ ليلة منى وقَلَّ رُقُودها[(٣)]
فياليت شعرى هل أزُورَنَّ بلدة قليلٌ بها أوباشُها وسَنِيدُها[(٤)]
وهل أسمعنّ الدهرَ أصوات ضُمَّر تُطالِع بالركبان صُعْراً خُدُودها[(٥)]
وهل أرَيَنّ الدهرَ ناراً بأرضها بنفسى وأهلى أرضُها ووُفودها[(٦)]
تَرَاطَنُ حوْلى كلما ذَرَّ شارِقٌ ببغداد أنباطُ القُرَي وعبيدُها[(٧)]

وقال آخر :

لا بارك اللهُ فى البرغوثِ ، إن له لذعاً شديداً كلَذْعِ الكىِّ بالنارِ
أقولُ والنجمُ قد غارت أوائله وغَلَّسَ المُدْلِجُ السارى بأسحارِ[(٨)]
لَبُرْقَةٌ مِنْ بِراقِ الحزنِ أعْمُرُها فيها الظِّبَاء تُرَاعى غِبَّ أمْطَارِ[(٩)]

---

(١) ط ، هـ : « أى قبيلة » صوابه فى ل ، س و محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) وانظر نهاية الأرب (١٠ : ١٧٣) . وفى ديوان المعانى (٢ : ١٤٩) : « فيالعباد الله ما لقبيلة » .
(٢) نبيه ، كذا جاء مضبوطاً بهيئة التصغير فى ل . وفى سائر النسخ : « شيبة » .
(٣) ط ، هـ : « وأصبحت » . وفيما عدا ل : « قليل رقودها » .
(٤) الأوباش : الأخلاط من الناس . والسنيد : الدعى . ط : « وسيدها » س ، هـ : « وسبيدها » بالباء ، صوابهما فى ل .
(٥) الضمر : الإبل الضامرة . صعراً : جمع أصعر ، وهو المائل .
(٦) الوفود : جمع وفد . ط ، هـ : « ووقودها » وفي ل : « وعديدها » وأثبتما فى س .
(٧) تراطن : تتراطن ، بحذف إحدى التاءين . والشارق : الشمس . ط : « كما ذر شارق » تحريف . ل : « ببغداذ » بالذال : فى آخره . وانظر ما أسلفت ص ٣٨١ .
(٨) غلس : سار فى الغلس ، وهو ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح .
(٩) البرقة ، بالضم : غلظ فيه حجارة و رمل وطين مختلطة . والبراق ، بالكسر : جمع برقة . أعمرها : أسكنها . فيما عدا ل : « أعمدها » تحريف . تراعى : ترعى مع غيرها . غب أمطار : بعدها . فيما عدا ل : « نبت أمطار » .

أشفى لِدَائى مِنْ دَرْبٍ به نَبَطٌ ... ومَنْزِلٍ بين حَجَّام وجَزّار[1]

مَنْ يَنحرُ الشَّوْلُ لا يُخْطِى قوائمها ... بمُدْية كشرارِ النار بتَّارِ[2]

وقال آخر :

إنَّ هـذا المصلوبَ لاشك فيـه ... هو من بعد صَلْبِهِ مَبْعُوثُ

حلَّ من حيثُ ليس يأكله البَـــقُّ ... ولا يهتدى له البرغوثُ

بينَ حِنْوَىْ مَطيَّةٍ إنْ يسُقها ... سائقاها فذاك سَيْرٌ مكيثُ[3]

فعليهِ الدبارُ والخزْىُ لمَّا ... قلتُ مَنْ ذا فقال لصٌّ خبيثُ[4] ١١٨

وقال أبو الرماح الأسدى[5] :

تطاوَلَ بالفسطاطِ ليلِى ولم يكن ... بحِنْوِ الغَضَا ليـلٌ عَلَىَّ يطولُ[6]

---

(١) الدرب : باب السكة الواسع . والنبط : قوم كانوا ينزلون بالبطائح بين العراقين ، وهم السريانيون . وانظر التنبيه والإشراف ص ٢٨ ، ٣٣ ، ١٥٠ ، ١٥٦ ، ١٦٨ . قال فى ص ٥٠ : « والفرس إلى هذا الوقت تقارب الروم فى هذه التسمية ، فيسمون العراق والجزيرة والشأم سورستان إضافة إلى السريانيين ، الذين هم الكلدانيون . ويسمون سريان ، ولغتهم سورية ، وتسميهم العرب النبط » . ل : « به نمط » وفي سائر النسخ : « بها نبط » والصواب ما أثبت . والحجام : الذى يمتص الدماء بالمحجم . ل : « حمام » هـ : « حمار » .

(٢) الشول : الإبل التى نقصت ألبانها . وكلمة : « من » ليست فى ل . و « يخطى » مهموزة فيما عدا ل . والمدية : الشفرة . والبتار : القطاع . وقد ذكر الوصف ، بتأويل المدية بالسكين ، والسكين مذكر ، وقد يؤنث .

(٣) الحنو بالكسر : كل شىء فيه أعوجاج ، ومنه حنو الرحل والقتب والسرج ، كل عود معوج من عيدانه . والسير المكيث : البطىء . فيما عدا ل : « حثيث » والحثيث : السريع ، تحريف .

(٤) الدبار ، بالفتح : الهلاك ، مثل الدمار . وفى اللسان : « ويقال عليه الدبار أى العفاء ، إذا دعوا عليه بأن يدبر فلا يرجع » . فيما عدا ل : « الدمار » . وفى ط ، هـ : « فقيل لص خبيث » .

(٥) ل : « أخو الرماح » وفى سائر النسخ : « أبو الرياح » وفى ديوان المعانى (٢ : ١٥٠) : « وقد شكاهن الرماح الأسدى » . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٣٠٣) : « فمن ذلك قول أبى الرماح الأسدى » . وقد جمعت بين ما فى النسخ معتمدا ما فى نهاية الأرب . وفى المؤتلف ١٢٤ من اسمه : « الرماح بن نهشل الأسدي » .

(٦) فى نهاية الأرب : « لم أكن » وفى هـ ونهاية الأرب وديوان المعانى : « ليلى على يطول » .

يؤرِّقني حُدْبٌ صغارٌ أذلةٌ   وإن الذى يؤذينَهُ لذليلُ(١)
إذا جُلت بعض الليل منهن جَوْلة   تعلقْنَ بى أو جُلْنَ حيث أجولُ(٢)
إذا ما قتلناهنّ أضْعَفْنَ كَثْرَةً   علينا ولا يُنعى لهنّ قتيلُ(٣)
ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلة   وليس لبرغوث علَيَّ سَبيل(٤)

وقال أبو الشَّمقمق :

يا طولَ يومى وطول لَيلَتيهْ(٥)   إن البراغيثَ قد عَبثْنَ بيهْ
فيهنّ بُرغوثةٌ مُجوَّعَــةٌ   قد عقدَتْ بَنْدَها بفقْحَتِيهْ(٦)

وقال آخر :

هنيئاً لأهل الرَّى طيبُ بلادهم   وأن أميرَ الرَّىِّ يحي بنُ خالدِ(٧)
تطاولَ فى بغدادَ ليــلِى ومن يكُنْ   ببغداذَ يلبثْ ليلَه غيرَ راقدِ(٨)
بلادٌ إذا جُنَّ الظلامُ تقافَزَتْ   براغيثها مِن بين مَثْنَى وَوَاحِدِ(٩)

---

(١) فى نهاية الأرب : « يوقظنه » بدل : « يؤذينه » .
(٢) جال : طاف ودار . وفيما عدا ل : « إذا جال » تحريف . وفى ط ، س : « حول الناس فيهن » و هـ : « بعض الناس منهن » صوابهما ما أثبت من ل .
(٣) أضعفن ، بالبناء للفاعل : كثرن وصرن أضعافاً . و بالبناء للمفعول : أضعفهن غيرهن جعلهن ضعفين .
(٤) فى النهاية وديوان المعانى : « إلى سبيل » .
(٥) ط ، هـ : « ليلته » صوابه فى ل ، س . والبيتان فى محاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) مع تحريف ظاهر .
(٦) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب . و أبو الشمقمق يكثر من استعمال الألفاظ المعربة . فيما عدا ل : « كفها » محرف . وفى محاضرات الراغب : « قد عقدت بندها على جسدي » والقافية محرفة .
(٧) فى الأصل : « لأهل الريف » والوجه ما أثبت من ديوان المعانى (٢ : ١٤٩) .
(٨) « بغداذ » بالذال المعجمة . وانظر ما سبق ص ٣٨١ . وانظر رواية البيت فى معجم البلدان (٢ : ٢٤٣) .
(٩) فيما عدا ل : « تناثرت » وأثبت ما فى ل موافقاً مافى ديوان المعاني، وفى معجم البلدان : « تنافرت » .

ديازِجَةٌ سود الجلود كأنها ... بِغالُ بريد أُرسلتْ في مذاودِ[1]

وقال آخر:

أرّقني الأُسَيْوِدُ الأَسَكُّ[2] ... ليلةَ حَكٍّ ليس فيها شكٌّ[3]

أحُكُّ حتى ماله مَحَكُّ ... أحُكُّ حتى مِرفقي مُنْفَكُّ[4]

وقال آخر:

يا أُمَّ مَثْوَايَ عَدِمْتُ وَجْهَكِ ... أنقذني ربُّ العُلا من مصرعكِ[5]

ولذْعِ برغوث أُراهُ مُهْلِكي ... أبيتُ ليلي دائمَ التحكُّكِ

تحكُّكَ الأجربِ عند المبْرَكِ[6]

وقال آخر:

الحمد لله برغوث يُؤرِّقني ... أُحَيْلِكُ الجلْدِ لا سَمْع ولا بصرُ[7]

---

(١) ديازجة: جمع ديزج، وهو الأخضر، كما فى أدب الكاتب ١٠٥. وفى مبادئ اللغة: «والأخضر الأطخم المسمى بالفارسية الديزج» وهو معرب: «دِيزَهْ». ط، هـ: «زيارحة» س: «ذيارجة» صوابه فى ل وديوان المعانى ومعجم البلدان. وفى معجم البلدان: «شهب البطون». فيما عدا ل: «بغال بريد» صوابه فى ل والمعجم وديوان المعانى. «أرسلت فى مذاود»: أى أطلقت فى معالفها لتأكل. والمذاود: جمع مذود، كمنبر، وهو معلف الدابة. فيما عدا ل: «فى موارد» وفى ل: «من مذاود» وأثبت ما فى معجم البلدان. وفى ديوان المعانى: «فى المزاود» صوابه بالذال. شبهها بتلك البغال القوية المختارة قد أرسلت فى مذاودها فهى لا تألو قضما وخضما.

(٢) الأسيود: تصغير أسود. س: «الأسود». والأسك: الأصم. قال ابن منظور (١٢: ٣٢٤): «يعنى البراغيث، وأفرده على إرادة الجنس». وروايته للبيت: «أسهرني الأسيود الأشك».

(٣) ل فقط: «ليس فيها حك» وما أثبت من سائر النسخ يوافق رواية اللسان.

(٤) س، هـ: «منعك» تحريف. وفى اللسان: «حتى ساعدى منفك».

(٥) ل، هـ: «رب العلى».

(٦) أى تحكك البعير الأجرب عند مبركه.

(٧) أحيلك: مصغر أحلك. والحلكة: شدة السواد.

وقال آخر :

قبيلةٌ في طولها وعَرْضِهَا ... لم يُطْبِقُوا عيناً لهم بغُمْضِهَا[1]

خوْفَ البراغيثِ وخوفَ عضِّها ... كأنّ في جلودها من مَضِّهَا[2]

١١٩ عقاربا ترفضُ من مُرَفَضِّها[3] ... إن دام هذا هربت منْ أرضِها[4]

يارَبِّ فاقْتلْ بعضَها ببعضِها

(معارف في البرغوث)

[قال : والبرغوثُ في صورة الفيل . وزعموا أنها تبيض وتفرخ ، وأنهم رأوْا بيضها رؤيةَ العين . والبراغيث تنَاكَحُ وهي مستدبِرةٌ ومتعاظِلة[5] . وهي من الجنس الذي تطول ساعة كوْمِها .

(استقذار القمل)

وليس الناسُ لشيء مما يَعَضُّهم ويؤذيهم ، من الجرجس ، والبقّ ، والبراغيثِ والذِّبان — أشدّ استقذاراً منهم للقمل . ومن العجب أنّ قرابته أمسُّ . فأما قملة النِّسر ، وهي التي يقال لها بالفارسية : « دَدَه[6] » وهي تكون بالجبل ، فإنها إذا عضّت قتلت] .

---

(١) فيما عدا ل : « لم يطعموا عينا » .

(٢) المض : الحرقة والألم . يقال مضه الهم والجرح وأمضه : آلمه .

(٣) ترفض : تتفرق . والمرفض : اسم الموضع منه . فيما عدا ل : « ترقص » تحريف .

(٤) أي هربت القبيلة فراراً من أذى البراغيث .

(٥) متعاظلة : يركب بعضها فوق بعض .

(٦) دده ، بفتحتين : هي في أصلها بالفارسية اسم لكل حيوان مفترس . انظر استينجاس ٥٠٥ ، ٥٠٦ .

(القول فى البعوض)

حدَّثنى إبراهيم بن السِّنْدىّ[(١)] قال : لمـا كان أبى بالشام والياً ، أحبَّ أن يسوِّىَ بين القَحْطانىِّ والعَدنانى ، وقال : لسنا نقدِّمُكم إلا على الطاعة لله عز وجل ، وللخلفاء[(٢)] وكلُّـكم إخْوة . وليس للنَّزارىِّ [عندى] شىءٌ ليس لليَمانىِّ مثله .

قال : وكان يتغدّى مع جملة من جِلَّة الفريقين[(٣)] ، ويسوِّى بينهم فى الإذن والمجلس . وكان شيخُ اليمانية يدخل عليه معتمًّا ، وقد جذب كَوْرَ عِمامته[(٤)] حتى غطى بها حاجبه[(٥)] وكان لاينزعها فى حر ولا برد ، فأراد فتى من قيس — و [قد] كان أبى يستخليه ويقرِّبه[(٦)] — أن يُسقِطه من عينِ أبى ويوحِشَه منه ، فقال له ذات يوم ووجَدَ المجلسَ خالياً[(٧)] : إنى أريدُ أن أقول شيئاً ليس يُخرِجُه منى إلا الشـكر والُحرية[(٨)] ، وإلا المودة والنصيحة ، ولولا ما أعرفُ من تقزُّزِك وتنطُّسِك[(٩)] وأنك

---

(١) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٤٢٣) . وفى الأصل : « إبراهيم السندى » .

(٢) ل : « لله والخلفاء » .

(٣) جملة : جماعة . فيما عدا س : « جلة من جلة الفريقين » . والجلة ، بالكسر : العظماء ذوو الأخطار .

(٤) الكور ، بالفتح : الدارة من دارات العمامة . هـ : « كورة » س : « كرة » صوابه ما أثبت من ل ، ط . والواو من : « وقد » ليست فى ل .

(٥) ط فقط : « حاجبه » بالإفراد .

(٦) يستخليه ، بالخاء المعجمة : يخلو به وينفرد . ل : « يستحليه » بالمهملة ، تصحيف . وفى هـ ، س : « ويستقربه » بدل : « ويقربه »

(٧) ط ، « ووجه المجلس خال » س ، هـ : ووجـه المجلس خاليا » صوابه ما أثبت من ل .

(٨) الشكر : عرفان الإحسان ونشره .

(٩) ط ، هـ : « وإلا ما أعرف » تحريف التقزز : التنطس والتباعد من الدنس . والتنطس : التقذر والتقزز . ط : « تعزرك وتنشطك » س : « وتقدرك وتنشطك » هـ : « تفرزك وتنشطك » والصواب ما أثبت من ل . وكلمة : « تقذرك » فى س صحيحة .

متى انتبهت على ما أَنا مُلقِيه إليك[1] لم آمَنْ أَن تستغشَّنى[2] ، وإن لم تُظْهِرْه لى . إن هذا اليمانىّ إنما يعتم أبداً ، ويمدُّ طُرَّةَ العمامة[3] حتى يغطِّىَ بها حاجِبَيْهِ ؛ لأن به داءً لو عَلِمْتَ به لم تؤاكِلْهُ !

قال : فقال أبى : فرَمانى والله بمعنى كادَ ينقضُ [عَلَىّ] جميعَ ما بيدى ، وقلتُ : والله لئنْ أكلت معه وبه الذى به إنّ هذا لهو البلاء ولئن منعت الجميع مؤاكلتى لأوحِشَنَّهم جميعاً بعد المباسطة والمباثَّة[4] والملابسة والمؤاكلة . ولئن خصَصْتُه بالمنع [أ]وْ أقعدتُه على غير مائدتى[5] ليغضَبَنّ . ولئن غضِب ليغضبنّ معه كل قَحطانى بالشام . فبتُّ بليلة طويلة . فلما كان الغدُ وجلست ، ودخلوا للسلام ، جرى[6] شىءٌ من ذكر السموم وغرائبِ أعمالها ، فأقبل عَلَىّ [ذلك] الشيخُ فقال : عندى [من هذا] بالمعاينةِ ما ليس عند أحد . خرجت مع ابن [أخى هذا ، ومع ابن[7]] عمِّى هذا ، ومع ابنى هذا ، أريد قَريتى الفُلانية ، فإذا بقُرب الجادّةِ بعير قد نهشَته أفعى ، وإذا هو وافرُ اللحم ، وكل شىء

(١) فيما عدا ل : « وأنت متى انتبهت إلى ما أنا ملقيه عليك » محرف .

(٢) استغشه واغتشه : ظن به الغش . وهو خلاف استنصحه . ﻫ : « تستغشى » وليس لها معنى إلا من استغث الرجل الجرح : أخرج غثيثته أي قيحه . ولا وجه لهذا هنا .

(٣) طرة الشيء : طرفه . فيما عدا ل : « صرة » تحريف .

(٤) المباثة : مفاعلة من البث ، وهو إظهار الحديث والخبر . ط : « الملاينة » س ، ﻫ : « المباينة » والأخيرة محرفة .

(٥) المائدة : الخوان عليه الطعام . فيما عدا ل : « على غير ما يري » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « أجرى » .

(٧) كلمتا : « أخى هذا » تكملة من ل ، س ، ﻫ . وكلمتا : « ومع ابن » تكملة من س ، ﻫ فقط .

حوالَيه من الطيّر والسباع ميت ، فقمنا [منه] على قابِ أرماحٍ(١) [نتعجب(٢)] ، و إذا عليه بعوض كثيرة(٣)

فبينا [أنا] أقول لأصحابى : [يا] هؤلاء ، إنكم لترون العجَب : أولُ ذلك أن بعيراً مثل هذا يتفسَّخ(٤) من عَضةِ شىء لعله أن [لا] يكون فى جسم عرقٍ من عروقه ، أو عَصَبَة من عصَبه ، فما هذا الذى مَجَّه فيه ، وقذفه إليه ؟ ثم لم يرضَ بأن قتلَه وفسَخَه حتى قتلَ كلَّ طائر ذاق منه ، وكلّ سبُعٍ عضّ عليه . وأعجب من هذا قتلُه لأكابر السِّباع والطيرِ ، وترْكُه قتلَ البعوضة ، مع ضَعُفها ومهانتِها !

فبينا نحنُ كذلك إذ هبَّت ريحٌ(٥) من تلقاء الجيفة ، فطيّرَت ١٢٠ البعوض إلى شِقّنا ، وتسقُطُ(٦) بعوضة على جبهتى ، فما هو إلا أن عضتْنى إذ اسْمَأَدَّ وجهى(٧) وتورَّم رأسى ، فكنت لا أضرِبُ بيدى إلى شىء أحكُّه من رأسى وحاجِبى ، إلا انتثر فى يدى . فحُمِلْت إلى منزلى فى مَحمِل(٨)

---

(١) على قاب أرماح : على قدر طول أرماح . ط ، س : « علي قاب أرماحنا » ه : « أرماحنا » تحريف

(٢) هذه التكملة من ل ، س ، ه .

(٣) فيما عدا ل : «كثير» بالتذكير ، وكلاهما جائز .

(٤) س ، ه : «ينفسخ» .

(٥) فيما عدا ل : « فبينما أنا كذلك » . وفى ط فقط : « إذا هبت ريح » .

(٦) ط فقط : « وسقطت » .

(٧) اسمأد : ورم وانتفخ . فيما عدا ل : « إذ قد اسود وجهى » .

(٨) المحمل ، كمجلس ، وضبط فى نسخ المحكم كمنبر وعليه علامة الصحة : شقان على البعير يحمل فيهما العديلان . وأول من اتخذها الحجاج بن يوسف الثقفى : وفيه يقول القائل :

أول خلق عمل المحاملا أخزاه ربى عاجلا و آجلا

انظر تاج العروس (٧ : ٢٨٩) والحيوان (١ : ٨٢) والمعارف ٢٤١ واللسان (١٣ : ١٨٩)

وعولِجْتَ بأنواع العلاجِ ، فبَرَأْتُ[1] بعد دهر طويل . على أنه أبقى[2] عَلَىّ من الشَّين أنه تركنى أقرعَ الرأس ، أمرطَ الحاجبين .

قال : والقومُ يخوضون معه فى ذلك الحديث ، خَوْضَ قوم قد قتلوا[3] تلك القصةَ [يقيناً] .

قال : فتبسمْتُ ، ونكَس [الفتى] القيسىُّ رأسه ، فظن الشيخ أنه قد جرى بيننا فى ذلك ذَرْءٌ[4] من القول ، فقال : إن هذا القَيسىّ خبيث ، ولعله أن يكون قد احتال [لكَ] بحيلة !

قال إبراهيم : فلم أسمعْ فى السموم بأعجبَ من هذا الحديث .

(طلسمات البعوض)

ويزعم أهلُ أنطاكيَة أنهم لايُبْعَضون[5] لِطلَّسمٍ هناك .

---

(١) فى اللسان : « وأهل العالية يقولون برأت أبرأ بَرْأ وبروءاً ، وأهل الحجاز يقولون برأت من المرض برأ بالفتح ، وسائر العرب يقولون : برئت من المرض » . وفيه أيضا : « وغير أهل الحجاز يقولون برئت بالكسر برءاً بالضم » . س فقط : «فبرئت» وهما لغتان كما رأيت .

(٢) فيما عدا ل : « بقى » .

(٣) قتله يقينا : أحاط به علما . وهو أحد تفسيرى قول الله : (وما قتلوه يقينا) فى الآية ١٥٧ من سورة النساء . وفيما عدا ل : « قبلوا » من القبول محرف .

(٤) فى اللسان : « بلغنى ذرء من خبر أى طرف منه ولم يتكامل ، وقيل هو الشىء اليسير من القول » فيما عدا ل : « دور » تحريف . وفى اللسان : (١٨ : ٣١٣) : « ذرو من قول أى طرف منه ولم يتكامل . قال ابن الأثير : « الذرو من الحديث ما ارتفع إليك وترامى من حواشيه وأطرافه » فهما لغتان ، يقال ذرء وذرو ، بالهمزة والواو .

(٥) فيما عدا ل : « وزعم أهل أنطاكية » . وبعض القوم بالبناء للمفعول : آذاهم البعوض . وانظر ماسبق ص ١٩٨ . ط ، ه : « يتبعضون » س : « يبتعضون » صوابه ما اثبت من ل .

ولو ادعى أهلُ عقر الدَّير[١] ، المتوسطة[٢] لأجمةِ مابينَ البصرة وكَسْكَر لكان طِلَّسْمُهُمْ أعجبَ .

ويزعم أهلُ حِمْص أن فيها طِلَّسْماً من أجلِهِ لاتعيشُ فيها العقارب . وإنْ طُرِحَتْ فيها عقربٌ غريبةٌ ماتتْ من ساعتها .

ولَعَمرى إنه ليجوزُ أن تكون [بلدةٌ] تضادُّ ضرباً من الحيوان فلا يعيش فيها ذلك الجنس ، فيدعى كذَّابو أهلها أن ذلك بِرُقْيَة[٣] ، أو دعوة ، أو طِلّسم .

(ألم عضة البرغوث والقملة)

والبرغوثُ إذا عضّ ، وكذاك[٤] القملة ، فليس هناك من الُحرقةِ والألَمَ مالَهُ مدةٌ قصيرةٌ ولا طويلة[٥] .

وأما البعوضُ فأشهدُ أن بعوضةً عضتْ ظهر قدمى ، وأنا بقرب كاذَةَ والعَوْجاء[٦] ، وذلك بعد أن صلى الناسُ المغربَ ، فلم أَزَلْ منه فى أُكالٍ وحُرْقَة ، وأنا أسير فى السفينة ، إلى أن سمِعتُ أذان العِشاء .

ولذلك[٧] يقال : إن البعوضة لو أُلحقت بمقدار جرْم الجرَّارة[٨] — فإنها

---

(١) ط : « عقو الدير » ه : « عقو الدبر » صوابه فى ل ، س .
(٢) س فقط : « المتوسط » .
(٣) فيما عدا ل : « لرقية » .
(٤) فيما عدا ل : « وكذا » .
(٥) أراد أن ألم عضة البرغوث والقملة ليس له مدة تذكر لسرعة زواله .
(٦) كاذة ، بالذال المعجمة : قرية من قرى بغداد . والعوجاء : موضع . فيما عدا ن : « جادة العرجاء » تحريف .
(٧) ط ، ه : « وكذلك » .
(٨) الجرارات : عقارب صغار تجرر أذنابها . فيما عدا : « الجرادة » بالدال ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٥٢ س ١١ — ١٣) . وفى س : « جسم » بدل : « جرم » .

أصغرُ العقارب – ثم زيدت[1] من تضاعيفِ ما معها من السُّمِّ عَلَى حَسَبِ ذلك لـكانت شَرًّا من الدُّوَيْبَّة التى تسمي بالفارسية : «دَذَه[2]» وهى أَكبر من القملة شيئاً ، وتـكون بمهرجان قَذُق[3] . فإنها مع صِغَر جسمها تفسَخُ الإِنسان فى أَسرعَ من الإشارة باليد ، وهى تعضُّ و [لا] تلسع ، وهى من ذوات الأفواهِ ، وهى التى بزعمهم يقال لها[4] «قملة [النَّسر» . وذلك أن النّسر فى بعض الزمان ، إذا سقط بتلك الأرض سقطت منه قملة] تستحيل[5] هذه الدابةَ الخبيثةَ .

والبعوضةُ من ذواتِ الخراطيم .

وحدّثنى محمد بن هاشم السِّدرىّ[6] قال : كنتُ بالزُّطِّ[7] . فـكنت واللهِ أرَى البعوضَةَ تطير عن ظهر الثور[8] فتسقط على الغُصْن[9] من

(١) فيما عدا ل : « زادت » .

(٢) دده ، بدالين مهملتين . انظر ماسبق ص ٣٩٢ . والـكلمة محرفة فى الأصل فهى فى ط : «ذروه» وفى س : « زوه » وفى هـ : « ذرة » وفى ل : « دذه » .

(٣) قال ياقوت : « كورة حسنة ذات مدن وقرى ، قرب الصيمرة من نواحى الجبال ، عن يمين القاصد من حلوان العراق إلى همذان فى تلك الجبال » . وهى مركبة من ثلاث كلمات : « مهر » بالـكسر ، معناه الشمس أو المحبة . و « جان » معناه النفس أو الروح و « قذق » بقاف مفتوحة ، وقد تضم ، وذال معجمة وقاف ، قال يا قوت : « أظنه اسم رجل . فيكون معناه : محبة ، أو شمس نفس قذق » ل : « بمهرجا نَقْذَف » وفى سائر النسخ : « بمهرجان فوق » صوابه ما أثبت من معجم البلدان .

(٤) فيما عدا ل : « إنها » . والـكلمة بعدها ساقطة من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « استحالت » .

(٦) س « فقط » : « السندى » .

(٧) نهر الزط ، بالضم : نهر قديم من أنهار البطيحة ، وهى أرض واسعة بين واسط والبصرة . ط ، س : « بالزلط » . ل : « بأعوط » ولعل صوابه ما أثبت من هـ .

(٨) فيما عدا ل : « من على ظهر الثور » .

(٩) فيما عدا ل : « على غصن » .

الأغصان ، فتقلِسُ[١] مافى بطنها ، ثم تعود .

[و] البعوضة تَنْمِسُ[٢] خرطومها فى جلد الجاموس . كما يغمِسُ الرجلُ أصابعَه فى الثريد .

[ومن العجب أن بين البصرة وواسط شطرين . فالشِّطر الذى يلى الطّفّ وباب طَنج يبيت أهلُه فى عافية ، وليس عندهم من البَعوض ما يذكر ، والشطر الذى يلى زقاق الهِفّة[٣] لا ينامُ أهله من البعوض . فلو كان هذا ببلاد الشام أو بلاد مصر لادَّعَوا الطِّلّسم[٤]] .

وحدثنى إبراهيم النَّظَّام قال : وردنا [فم] زقاق الهفة[٥] ، فى أجمة البصرة ، فأردنا النفوذ فمنعَنا صاحبُ المسْلحة[٦] ، فأرَدْنا التأخُّر إلى الهَوْر[٧] الذى خرَجْنا منه ، فأبى علينا . ووردْنا عليه وهو سكرانُ وأصحابُه سُكارى ، فغضِب عَلَى مَلاَّح نَبَطِىٍّ ، فشدّهُ قِماطاً ، ثم رمى به فى الأجمة ، على موضعِ ١٢١

---

(١) تقلس : تقىء . والقلس ، بالتحريك ، وبالفتح : القىء .

(٢) فيما عدا ل : « فتغمس » .

(٣) الهفة ، ضبطت بالكسر فى الأصل ، وهو هنا ل . وضبطت فى المعجم ضبط قلم بالفتح ، وهى مدينة قديمة كانت فى طرف سواد العراق .

(٤) الطلسم : بكسر الطاء وتشديد اللام وسكون السين المهملة : لفظ يونانى ، قال الخفاجى : « لم يعربه من يوثق به » وقال : « وفى السر المكتوم : هو عبارة عن علم بأحوال تمزيج القوى الفعالة السماوية بالقوى المنفعلة الأرضية لأجل التمكن من إظهار ما يخالف العادة والمنع مما يوافقها » . وقال صاحب كشف الظنون : « ومعنى الطلسم عقد لا ينحل » . وانظر استينجاس ٨١٨ .

(٥) الزقاق : طريق نافذ أو غير نافذ ، ضيق دون السكة . والهفة ، هى فى ط ، س : « الهبة » صوابه فى ل ، هـ . وقد ضبطت فى ل بالكسر . وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٦) انظر لتفسير المسلحة ما سبق فى ص ٣٤٠ .

(٧) الهور ، بالفتح : من قولهم جرف هور أى واسع بعيد ، وقولهم خرق هور أى واسع . فيما عدا ل : « الجوز » . وجوز الشىء : وسطه .

أرض تتصل بموضع أكواخ صاحب المسْلَحَة[١] . فصاح الملاح : اقتلنى أىَّ قتلة شئتَ وأرِحْنى ! فأبى وطرحه ، فصاح ، ثم عاد صياحُه إلى الأنين ، ثم خفَتَ ، وناموا فى كِلَلِهم وهم سكارى[٢] . فجئتُ إلى المقموط ، وما جاوز وقت عتمةٍ[٣] ، فإذا هو [ميتٌ ، وإذا هو] أشد سواداً من الزنجى . وأشد انتفاخاً من الزقِّ المنفوخ ، وذلك كله [بقدر] ما بين العِشاء والمغرب . فقلت : إنها [لمَّا] لسَبَتْه ولسَعته من كلِّ جانب لسْعا عَلَى لسع إن اجتماعَ سمومها [فيه] أَرْبَتْ عَلَى نهشة أفعى بعيداً[٥] . فهى ضررٌ ومِحنةٌ[٦] ، ليس فيها شىءٌ من المرافق .

(نفع العقرب)

والعقاربُ يأكلها مَشويةً من بعينه رِيح السَّبَل[٧] ، فيجدُها صالحة . ويرمَى بها فى الزيت ، حتى إذا تفسَّخت وامتصَّ الزيتُ ما فيها من قُوَاها

(١) المسلحة سبق تفسيرها فى ص ٣٤٠ . والأكواخ : جمع كوخ بالضم ، فارسى معرب ، فارسيته (كوخ) بالضمة المائلة إلى الفتحة ، وهو بيت من قصب بلا كوة . فيما عدا ل : « يتصل بموضع إخراج صاحب المسلحة » محرف .

(٢) فى اللسان : « خفت الصوت خفوتاً : سكن . ولهذا قيل للميت خفت إذا انقطع كلامه وسكت » . والكلة ، بالكسر : ستر رقيق يخاط كالبيت يتوقى به من البعوض . فيما عدا ل : « ثم سكت وناموا كلهم سكارى » .

(٣) العتمة ، بالتحريك : ثلث الليل الأول بعد غيبوبة الشفق ، والعتمة أيضا : مقدار أن ترضع السخلة أمها ثم تحتبس ثم تعود للرضاع . فيما عدا ل : « وما جاء وقت العتمة » تحريف .

(٤) ط ، ه : « وإذا » .

(٥) أربت : زادت ، أربى يربى . والنهش : العض . ط ، ه : « لسعة » وهى صحيحة . وفى اللسان : « يقال لسعته الحية والعقرب » . وبعض اللغويين يجعل اللسع خاصاً بذوات الإبر من العقارب والزنابير ، وأما الحيات فإنها تنهش . بعيداً : أى إرباء بعيداً . بدلها فيما عدا ل : « هذا »

(٦) فيما عدا ل : « وهى ضرر محنة » .

(٧) فى اللسان : « ريح السبل : داء يصيب فى العين . الجوهرى : السبل داء فى العين شبه غشاوة كأنها نسج العنكبوت بعروق حمر » . ط ، ه : « من بعينيه ريح السبل » .

غطلَوْا بذلك الدُّهنِ أُلخصَى التى فيها النفخ[١] ـ فرّق تلك الريح حتى تخمُصَ[٢] الجِلدةُ ، ويذهبَ الوجعُ .

فإذا سمعْتَ بدُهْن العقارب فإنما يعنونَ هذا الدهن .

باب[٣]

في البقّ ، والجِرجس[٤] ، والشُّرّان[٥] ، والفَرَاش ، والأذَى[٩]

وقال الله عز وجل : ﴿ إنَّ اللهَ لا يَسْتَحْيِي أنْ يَضْرِبَ مَثَلاً ما بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا[٧] ﴾ قال : يريد[٨] فما دونها .

وهو قول القائل للرجل يقول[٩] : فلانٌ أسفلُ الناسِ وأنذلُهم !

---

(١) فيما عدا ل : « الذى فيه النفخ » تحريف . والخصى : جمع خصية .

(٢) خمص الجرح يخمص خموصاً ، وانخمص بالخاء : ذهب ورمه ، كحمص وانحمص بالحاء . هـ : « ويحمص » وهي لغة صحيحة . ط ، س : « وتتمحص » تحريف .

(٣) بدلها في ل : « أجناس البعوض » مع إسقاط كلمة : « في » التالية .

(٤) الجرجس ، بجيمين : لغة في القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، هـ : الحرجس تحريف .

(٥) الشران ، بوزن كتان : دواب مثل البعوض ، واحدتها شرانة ، لغة لأهل السواد . وفي التهذيب : هو من كلام أهل السواد ، وهو شيء تسميه العرب ، الأذي ، شبه البعوض يغشى وجه الإنسان ولا يعض . ل : « والسران » بالسين مع ضبطها بالضم . وفيما عدا ل : « السرار » وهما تحريف ما أثبت من القاموس واللسان (٦ : ٦٩ س ٢٣) والمخصص (٨ : ١٨٦ س ٦ — ٧) .

(٦) فيما عدا ل : « الأدى » بالمهملة ، صوابه في الموضعين السابقين من اللسان والمخصص .

(٧) من الآية ٢٦ في سورة البقرة .

(٨) ط فقط : « يزيد » تحريف .

(٩) فيما عدا ل : « وهو كقول القائل الرجل يقال » . وفيه تحريف .

فيقول[١] : هو فوق ذلك ! يضع[٢] قوله [فوق] ، فى موضع : هو شَرٌّ من ذلك[٣] .

قال : وضروب من الطير لاتلتمسُ [أرزاقها[٤]] إلا بالليل ، منها الخُفَّاش ، والبُومة ، والصَّدَى ، والضُّوَع ، وغُرابُ الليل .

وللبعوض بالنهار بعض الأذى[٥] . وإنما سلطانها بالليل . وكذلك البراغيث .

وأما القملُ فأمره فى الحالات مستو . وليس للذِّبَّان[٦] بالليل عملٌ . إلا أنى متى بيَّتَ معى فى القبة[٧] ما صار إليها[٨] ، وسكن [فيها] من الذِّبّان ، ولم أطرُدْها بالعشىِّ [و] بعد العصر ، فإنى لا أجدُ فيها بعوضة واحدة .

(شعر ورجز فى البعوض)

وقال [الرَّاجز] فى خرطوم البعوضة :

مثل السفَاة دائم طَنِينُهَا[٩] رُكِّبَ فى خُرْطُومِها سِكِّينُهَا

---

(١) أي القائل . فيما عدا ل : «فتقول» ، تحريف .
(٢) فيما عدا ل : « تضع » تحريف .
(٣) س : « فى موضع ما هو شر من ذلك » . وكلمة : « من » مقحمة .
(٤) هذه الكلمة ساقطة من ط ، ه . وبدلها فى س : « رزقها » .
(٥) فيما عدا ل : « والبعوض بالنهار تؤذى بعض الأذى » .
(٦) فيما عدا ل : « للذباب » .
(٧) فيما عدا ل : « باتت معى فى المنزل » .
(٨) ط فقط : « إليه » .
(٩) السفاة : واحدة السفا ، وهو شوك البهمى والسنبل ، أو كل الشوك . فيما عدا ل : « السقاة » تحريف ، صوابه فى ل وما سبق فى (٣ : ٣١٦) والأمالى (٣ : ١٢٩) . وانظر رواية الرجز فى حياة الحيوان فى مادة (البعوض) .

وقال الهذلىّ[١] : ١٢٢

كأنّ وغَى الخموشِ بجانبَيْهِ وغَي رَكْبٍ أُمَيْمَ ذَوِى هِيَاطِ[٢]

والخموش : أصناف البعوض[٣] والوغَى : أصوات الملتفة التى لا يُبِين واحدُها عن معنى[٤] ، وهو كما تسمع من الأصوات الجيشين إذا التقيا عَلَى الحرب ، وكما تسمعُ من ضجَّة السوق .

وقال الكُمَيت [وهو] يذكر قانصاً وصاحب قُتْرَة[٥] ـ لأنه لا يَبْتَنِى[٦] بيته إلاّ عند شريعةٍ ينتابها الوحْش[٧] ـ فقال وهو يصف البعوض[٨] :

---

(١) هو المتنخل الهذلى كما فى أشعار الهذليين (٢ : ٩٣) ، وكما فى اللسان (٢٠ : ٢٧٧) حيث أنشد مرتين ، وفيه أيضاً (٨ : ١٨٨) وقد أنشد مرتين .

(٢) الوغى : صوت النحل والبعوض ونحو ذلك إذا اجتمعت . وروى : «كأن وعى الخموش بجانبيه وعى » بالعين المهملة . والوعى : الجلبة والأصوات . والخموش ، بالفتح : البعوض فى لغة هذيل ، واحدته خموشة ، وقيل لا واحد له ، وقيل واحدته بقة من غير لفظه . فيما عدا ل : « الخنوش » صوابه فى ل وأشعار الهذليين واللسان فى الموضعين السابقين والمقصور ١١٤ والمخصص (٨ : ١٨٥) . وأميم : منادى مرخم أميمة . والهياط ، بالكسر : الصياح والجلبة ، كالمهايطة . فيما عدا ل : « هباط » بالموحدة ، تحريف . وفى ط ، هـ : « ذي » بالإفراد ، تحريف أيضاً . وروى فى اللسان مادة (لغط) :

كأن لغا الخموش بجانبيه لغا ركب أميم ذوى لغاط

ورواية الجوهرى والأزهرى ، كما ذكر ابن منظور — وهى كذلك رواية الراغب فى المحاضرات (٢ : ٣٠٦) — :

كأن وغى الخموش بجانبيه مآتم يلتدمن على قتيل

وقبل البيت :

وماء قد وردت أميم طام علي أرجائه زجل الغطاط

(٣) فيما عدا ل : « والخنوش » وفى ط مع ذلك : « أصناف البعوضة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « عن معنى صاحبه » وكلمة « صاحبه » مقحمة .

(٥) القترة ، بالضم : ناموس الصائد . أبو عبيدة : القترة البئر يحتفرها الصائد يكمن فيها .

(٦) فيما عدا ل : « يبنى » .

(٧) الشريعة : مورد الماء . ينتابها الوحش : يقصدها مرة بعد مرة . فيما عدا ل : « يغنى بها الوحش » . يقال غنى بالمكان يغنى : أقام وأطال الإقامة . وهى مع صحتها لا تلائم وجه الكلام .

(٨) فيما عدا ل : « فقال ووصف البعوض » .

به حاضِرٌ من غير جِنٍّ تروعه ... ولا أنسٌ ذو أرْوَنانٍ وذو زَجَلْ[1]

والحاضر : [الذى] لايبرحه البعوض ، لأن البعوض من الماء يتخلَّق[2] فكيف[3] يفارقه ، والماء الراكد لايزال يولدُهُ ؟ ! فإن صار نطاقاً أو ضَحْضَحاً[4] استحال دعاميص ، وانسلخت الدَّعاميص فصارت فراشاً[5] و بعوضاً . وقال ذو الرُّمة :

وأيقنَّ أنَّ القِنْعَ صارتْ نِطافُه ... فَرَاشاً وأن البقْل ذاوٍ و يابسُ[6]

وصَفَ الصَّيف[7] . وقال أبو وجْزَةَ[8] ، وهو يصِفُ القانصَ والشريعةَ والبعوض .

---

(١) أى ليس به أنس ذو أرونان . والأنس ، بالتحريك : السكان وأهل المحل . والأرونان : الصوت . والزجل ، بالتحريك : الجلبة . ط ، س : « من كل جن » صوابه فى ل ، هـ والسان (١٧ : ٥٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . فيما عدا ل : « يروعه » وهما وجهان . ط : « إلا ذوزبان » هـ : « دواديان » س : « دواديان » بإهمال ما بعد الدال الأخيرة . تحريفات صوابهما فى ل واللسان . والشطر الأخير محرف فى المحاضرات .

(٢) س : « تخلق » وفى سائر النسخ : « تخلق » وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فيما عدا ل : « وكيف » بالواو .

(٤) النطاف ، بالكسر : جمع نطفة ، وهى القليل الماء . ل : « رقراقا » وليس فى معناه من لفظه إلا الرقارق ، بضم الراء الأولى وكسر الأخيرة ، وكذا الرق ، بالضم ، وهو الماء الرقيق فى البحر والوادى . والضحضح ، بفتح الضادين ، وكذا الضحضاح : الماء القليل يكون في الغدير وغيره . ل ، س : « ضحضاحا » .

(٥) الفراش ، بالفتح : دواب مثل البعوض . فيما عدا ل : « حواسا » تحريف .

(٦) القنع ، بالكسر : الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء . فيما عدا ل : « النقع » تحريف . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤٨ ، ٣٧١) . وتفسير الفراش في الموضع الأول من الجزء الثالث لا ريب أنه لغير الجاحظ فإنه مخالف للوجه الذى استشهد به ، وهو تخلق الفراش من الماء ، ولكنه أحد وجهى تفسير : « فراشا » ، وهو ثابت فى اللسان (١٠ : ٧٤) حيث أنشد البيت وقال : « والقنعة من القنعان ما جرى بين القف والسهل من التراب الكثير . فإذا نضب عنه الماء صار فراشاً يابسا ، والجمع قنع وقِنَعة » . وقال فى (٨ : ٢٢٠) : « والفراش أقل من الضحضاح » وأنشد البيت لذلك .

(٧) هذا فيما يتعلق بالنطاف والفراش . وإلا فهو فى صفة حمر الوحش .

(٨) أبووجزة ، بالزاي ، سبقت ترجمته فى (١ : ٩٦) . وانظر (٤ : ٢١٦) .

تَبيتُ جارَتَهُ الأفعى وسامِرُه ... رُمْدٌ به عاذِرٌ منهنّ كالجرب[1]

رُمْدٌ[2] فى لونها ، يعنى البعوض ، وهى التى تسامِرُ القانِصَ وتُسْهِره[3] والعاذِر[4] : الأثر . يقول : فى جلده عواذير[5] وآثارٌ كآثار الجَرَب[6] من لسع البعوض ، وهو مع ذلك وسْطَ الأفاعى .

وقال الراجز يصف البَعُوض :

ولَيلةٍ لم أدْرِ ماكَرَاها[7] ... أمارِسُ البَعُوضَ في دُجَاها[8]

كلٌّ زَجُول خَفِقٍ حَشاها[9] ... ستٌّ لدَى إيفائها شَوَاها[10]

---

(١) فيما عدا ل : « يبيت » وأثبت مافى ل موافقاً اللسان (٤ : ١٦٧) والحيوان (٤ : ٢١٦) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) . والرمد ، بضم الراء وسكون الميم : ضرب من البعوض ، مأخوذ من أرمد ورمداء ، وهو ما لونه على لون الرماد . فيما عدا ل : « ربد » بالباء ، تحريف . والعاذر : أثر الجرح . فيما عدا ل : « غادر » تصحيف . وفى ط : « كالحرب » صوابه بالجيم كما فى سائر النسخ .

(٢) فيما عدا ل : «ريد» بالياء ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : «وهى التي تنبه القانص وتسهره » .

(٤) العاذر بالعين المهملة والذال المعجمة . فيما عدا ل : « الغادر» تحريف .

(٥) عواذير : جمع عاذر . وزيادة الياء فى مثله جائزة فى مذهب الكوفيين . فيما عدا ل : « غواد » تحريف .

(٦) ط ، هـ : «الحرب» صوابه بالجيم ، كما فى ل ، س .

(٧) الكرى : النوم ، كرى الرجل ، بالكسر ، يكرى : إذا نام . فيما عدا ل : «طواها» صوابه ما أثبت من ل موافقاً اللسان (٨ : ٣٨٩) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦)

(٨) المراس والممارسة : شدة العلاج . ورواية اللسان : « أسامر » . وانظر بيت أبي وجزة السالف .

(٩) الزجول : الكثير الزجل ، بالتحريك ، وهو الجلبة ورفع الصوت . والخفق الحشا : المضطرب الأحشاء ، وأصله فى الفرس . وفى اللسان : «وربما كان الخفوق من خلقة الفرس ، وربما كان من الضمور والجهد» . فيما عدا ل : « زمول » تحريف . ورواية اللسان : « يتقى شذاها » . والشذا : الشر والأذى .

(١٠) الشوى : اليدان والرجلان ، جمع شواة . إيفائها : أراد إيفاء عددها . وأوفى الشيء : أتمه وأكمله . يقول : شواها ست عند إتمام عدها . ط : « بست أيدها بها سواها » صوابه ما أثبت من ل . وهذا البيت لم يرو فى اللسان ولا فى المحاضرات .

لايطرَبُ السامعُ من غِناهَا حَنّانة أعظَمُها أذَاها[١]

(أرجل الجرادة والعقرب والنملة والسرطان)

وكذلك قوائم الجرادة ، هى ستّ : يدان ، ورجلان ، والميشاران[٢] وبهما تعتمد إذا نَزَت[٣] .

فأما العقرب فلها ثمان[٤] أرجل . وللنملة ست أرجل[٥] .

وللسَّرَطان ثمان[٤] أرجل ، وهو فى ذلك يستعين بأسنانه ، فكأنه يمشى على عشْر[٦] . وعيناه فى ظهره وما أكثر من يشويه ويأكله للشهوة ، لا للحاجة ولا للعلاج[٧] .

(شعر ورجز فى البعوض)

وقال الرَّاجز ، ووصَفَ حالَهُ وحَالَ البَعُوض :

لم أرَ كاليوم ولا مُذْ قَطِّ أطولَ من ليـلى بنهر بَطِّ[٨]
كأنما نجومُه فى رُبْطِ[٩] أبيتُ بينَ خُطَّتَىْ مشتطِّ

---

(١) حنانة : ذات حنين ، وأصل الحنين ترجيع الناقة صوتها إثر ولدها . فيما عدا ل : « جناتة » بالجيم تحريف .

(٢) فى المخصص (٨ : ١٧٤) : « للمخلبين اللذين تحت الساقين المئشاران » . فيما عدا ل : « الحشاون » تحريف .

(٣) نزت : وثبت . فيما عدا ل : « تدب » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ثمانى » وهما لغتان صحيحتان .

(٥) ط : « ستة أرجل » صوابه فى سائر النسخ ، إذ الرجل مؤنثة .

(٦) ل : « عشرة » وهو خطأ .

(٧) ل : « للشهوة لا للعلاج » وكلمة « لا » ساقطة من س .

(٨) نهر بط بالأهواز ، قيل كان عنده مراح البط . فيما عدا ل : « لط » تحريف . وانظر ياقوت .

(٩) فى ربط : أي مربوطة . ويصح أن تقرأ بالضم جمعاً لرباط مع إسكان الباء للشعر . عنى أنها كالثابتة لطول الليل عليه . فيما عدا ل : « ربط » بالياء ، تصحيف .

من البَعُوضِ ومن التغطّي(١) إذا تَغَنَّيْنَ غِناءَ الزُّطِّ(٢) ١٢٣
وهُنَّ منّي بمكانِ القُرْطِ فنِقْ بوقْعٍ مثلِ وقعِ الشَّرْطِ(٣)

وقال أيضاً :

إذا البعوضُ زَجَلت أصواتُها(٤) وأخـذ اللحنَ مغنّياتُها
[لم تطرب السامعَ خافضاتُها(٥)] [وأرّق العينين رافعاتُها(٦)]
كلٌّ زَجُول تُتّقى شَذاتُها(٧) صغيرةٌ ، عظيمةٌ أذاتُها(٨)
تنقُص عن بُغيتها بُغاتُها(٩) ولا تصيبُ أبداً رُماتُها(١٠)
رامحةٌ ، خُرطومُها قناتُها(١١)

---

(١) التغطى : أن يغشى نفسه بغطاء . سه : «التفطى» ط ، ه : « التقطى » صوابهما فى ل.

(٢) الزط ، بالضم : جيل من الهند، معرب « جَتْ » بالفتح ، قال صاحب القاموس : « والقياس يقتضى فتح معربه . وقال الخوارزمى فى الكلام على طبقات الهند : « الزط هم حفاظ الطرق ، وهم جنس من السند يقال لهم : جتان » . انظر مفاتيح العلوم ص ٧٤. وفى معجم استينجاس ٣٥٦ أن « جت » اسم لجنس هندى حقير :
(Name of a despised rece called Jausts in Hindustan) .

(٣) ط ، سه : «توقع منى» ه «يوقع مني» صوابها في ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٦) .

(٤) زجلت ، بالكسر : رفعت الصوت وطربت . فيما عدا ل : « أرى البعوض » صوابه فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٣٠٢) وديوان المعاني (٢ : ١٤٨) ومجموعة المعانى ١٩٦ .

(٥) أي خافضات الأصوات . البيت من ل والمصدرين السابقين .

(٦) هذا البيت من نهاية الأرب وديوان المعانى فقط .

(٧) الشذاة : الأذى والأشر ، ومثله الشذا . ط : « حـداتها » سه : « يتقى جداتها » ه : بالمهملة.

(٨) سه : « أداتها » بالمهملة .

(٩) ط ، سه : « تنعيتها نعاتها » ، ه : « تغيها نعاتها » صوابه فى ل والمصادر السابقة .

(١٠) فيما عدا ل : « ولا تصاب » . وفى نهاية الأرب وديوان المعاني : « ولا يصيب » .

(١١) الرامحة : ذات الرمح ، والرامح : ذو الرمح . القناة : الرمح .

وأنشدنى جعفر بن سعيد[1] :

ظَلِلْتُ بالبصرة فى تَهْوَاشِ[2] وفى براغيثَ أذاها فاشى[3]

من نافر منها وذى اهتماش[4] يرفع جَنْبَىَّ عن الفراش

فأنا فى حَكٍّ وفى تخْراش[5] تترك فى جنبىّ كالخراش[6]

وزوجةٍ دائمةِ الهراش[7] تغلى كَغَلْى المِرْجَلِ النَّشَّاشِ[8]

تأكل ما جمَّعت من تَهباشى[9] بل أمُّ معروف خموشٌ ناشِ[10]

وقال رجل من [بنى] حِمَّانَ ، وقع فى جُنْد الثغور :

أأنصُرُ أهل الشام ممن يكيدُهم وأهلى بنَجْدٍ ساءذلك من نصرِ[11]

---

(١) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٦٩) .

(٢) التهواش : تفعال من الهوش ، وهو الاختلاط ، عنى أنه فى أمر مختلط . فيما عدا ل : « هراش » . والهراش : القتال ، وأصله هراش الكلاب .

(٣) فاش : منتشر . ط : « اذها » صوابه فى سائر النسخ .

(٤) يقال للناس إذا كثروا بمكان فأقبلوا وأدبروا واختلطوا : رأيتهم يهتمشون ، وكذلك الجراد ، وتقول إن البراغيث لتهتمش تحت جنبى فتؤذينى باهتماشها . انظر اللسان . فيما عدا ل : « احتماش » . والاحتماش : أن يلتهب غضبا . ووجهه ما أثبت من ل .

(٥) تخراش : تفعال من الخرش ، والخرش كالخدش وزنا ومعنى ، ومثلهما الخمش ، وهو مزق الجلد والتأثير فيه بالأظفار ونحوها . ط ، س : « فى جد وفى تحراش » هـ : « فى جد وفى تحواش » صوابهما فى ل .

(٦) الخراش : جمع خرش . وانظر التنبيه السابق . ط فقط : « كالخداش » .

(٧) الهراش : القتال ، وأصله الكلاب كما سبق .

(٨) المرجل : القدر . والنشاش : الذي ينش ، أى يصوت عند الغليان .

(٩) التهباش : تفعال من الهبش ، وهو الجمع والكسب . فيما عدا ل : « تهشاش » تحريف .

(١٠) الخموش : البعوض . وناش : ناشىء ، شبهها بالبعوض . ل : يا أم معروف خموش باش » وفيما عدا ل : « بأم معروف خموش ناش » ولعل الصواب فيما أثبت .

(١١) فيما عدا ل : « ذاك حرص على النصر » تحريف .

بَراغيثُ تُؤْذِينى إذا الناسُ نَوَّمُوا ... وبَقٌّ أقاسيه على ساحل البحرِ [(1)]

فإن يك فرضٌ بَعدها لا أعُدْ لَهُ ... وإن بذلوا حُمْرَ الدنانيرِ كالجمْرِ [(2)]

باب
فى العنكبوت

قال الله عز وجل : ﴿ [مَثَلُ] الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً ، وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ[(3)] ﴾ ثم قال على أثر ذلك : ﴿ وتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ[(4)] ﴾ يريد ذكره بالوهَن . وكذلك هو . [و] لم يُرِدْ إحكام الصنعة فى الرِّقَّة والصَّفاقة[(5)] ، واستواء الرقعة[(6)] ، وطول البقاء ، إذا كان لايعمَل فيه تعاوُرُ الأيام[(7)] ، وسَلِمَ من جنايات الأيدِى[(8)] .

---

(١) أرذاه : هزله وأضعفه ، وأرذاه المرض : ثقل عليه . هـ : « يؤذونى » ، تحريف . ط : هـ « تؤذينى » وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : « على جانب البحر » .

(٢) الفرض : جند يفترضون فتكون لهم عطايا مفروضة . والفرض أيضاً : العطية المرسومة . فيما عدا ل : « فإن يك قرصاً بعده لا نعده » محرف .

(٣) الآية ٤١ من سورة العنكبوت .

(٤) الآية ٤٣ من سورة العنكبوت ، وبين هذه الآية وسابقتها آية : (إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شىء وهو العزيز الحكيم) .

(٥) الصفاقة : الكثافة . ل : « الدقة » بدل « الرقة » .

(٦) ط ، هـ : « الرفعة » بالفاء . س : « الرقة » تحريف ماأثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « إذا كان لا يعمل فيه إلا تعاور الأيام » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « من جناة الأيدى » تحريف .

(شعر فى العنكبوت)

وقال الحُدَّانىّ[1] :

يزهِّدُنى فى وُدِّ هارونَ أنه ... غَذَتْهُ بأطْباءٍ مُلَعَّنَةٍ عُكْلُ

١٢٤ كأنّ قفا هارُونَ إذْ قَامَ مُدْبِراً ... قفاعنكبوت سُلّ من دُبْرِها غَزْلُ

ألا ليْتَ هاروناً يسافرُ جائعاً ... وليس عَلَى هارون خفٌّ ولا نعْلُ[2]

وقال مزرِّدُ بنُ ضِرار :

ولو أنَّ شيخاً ذا بَنِينَ كأنما ... على رأسِهِ من شاملِ الشَّيْبِ قَوْنَسُ[3]

ولم يَبْقَ من أضراسه غير واحدٍ ... إذا مَسَّه يَدْمَى مِرَارًا ويَضْرَسُ[4]

تجيِّبت فيه العنكبوتُ بناتِها ... نواشئَ حتى شِبْنَ أوْهُنَّ عُنَّسُ[5]

لظَلّ إليها رَانياً وكأنه ... إذا كشّ ثورٌ من كريص مُنَمِّسُ[6]

---

(١) الحدانى ، بضم الحاء — ويروى بفتحها — وتشديد الدال : نسبة إلى بنى حدان ، وهم بطن من قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وانظر اللسان والقاموس . والمعروف بهذه النسبة أوس بن مغراء القريعى السعدي ، مخضرم شهد الفتوح وبقى إلى أيام معاوية . انظر الإصابة ٤٩٥ وابن سلام ١٧٧ وابن قتيبة فى الشعراء ١٦٢ وتاج العروس (٢ : ٣٣٣) نقلا عن الدارقطنى والحافظ . فيما عدا ل : « الجذامى » .

(٢) فيما عدا ل : « يسافر حافياً » .

(٣) القونس : مقدم بيضة السلاح أو أعلاها . فيما عدا ل : « قرنس » تحريف .

(٤) الضرس ، بالتحريك : خور وكلال يصيب الضرس أو السن عند أكل الشيء الحامض . س : « مدارا » بدل «مرارا» محرف .

(٥) العانس : التى تجاوزت سن الفتاء . جمعه عُنْس وعنوس وعُنَّس .

(٦) رانيا : من رنا يرنو أدام النظر . كش : صوت ، يقال كش الضب والورل والضفدع يكش كشيشاً : صوت . شبه ذلك الشيخ بصوت هذا الحيوان . والثور : القطعة من الأقط ، وهو لبن جامد مستحجر . والكريص : الأقط المجموع المدقوق . والمنمس ، كمحدث : الذى فسد وتغير وأنتن . شبه رائحة فم هذا الشيخ برائحة الأقط الفاسد . يقول : إنه مع شيخوخته ويأس النساء منه ويأسه منهن ، فإنه إذا رأي هذه المرأة فهو لا يزال يرنو إليها ويؤخذ بجمالها . ل : « لظل النهار آنياً » . س : « لظل إليها =

(أجناس العنكبوت ونسيجها)

قال : ومن أجناس العنكبوت[١] جنس ردىء التدبير ، لأنه ينسِجُ سِتره [على وجه] الأرض ، والصخور[٢] ، ويجعله [على ظهر الأرض] خارجا ، وتكونُ الأطرافُ داخلة . فإذا وقع عليه شيءٌ مما يغتذِيه من شكل الذّبّان[٣] وما أشبه ذلك أخذه[٤] .

وأما الدقيق الصَّنعة[٥] فإنه يصعِّد بيته و يمدُّ الشَّعرةَ ناحيةَ القرون والأوتاد[٦] ، ثم يسدِّى من الوسط ، ثم يهيِّئ اللُّحمة ، و يهيِّئ مِصيدَته فى الوسط ، فإذا وقع عليها ذبابٌ وتحرّك ما هنالك ارتبطْ ونشِبت به[٧] ، فيتركه على حاله . حتى إذا وثق بوَهْنِهِ وضَعْفه ، غَلَّه[٨] وأدخَلَه إلى خزانته . وإن كان جائعاً مصّ من رطوبته ورمَى به . فإذا فرَغ رمّ ما تشعَّث من نَسْجه .

وأكثرُ ما يَقعُ عَلَى تلك المصيدة من الصَّيدِ عند غيبوبة الشمس .

= دانياً » . وفيما عدا ل : « إذا كش نور من كريس منمس » تحريف . ونحو هذا البيت قول الطرماح يصف وعلا :

وشاخص فاه الدهر حتى كأنه منمس ثيران الكريص الضوائن

(١) فيما عدا ل : « فذلك من أجناس العناكب » لكن فى هـ : « العناكيب » .

(٢) فيما عدا ل : « ينسج شركه فى الأرض والصخور » . وانظر (٤ : ١٧٧ س ٢) .

(٣) ط فقط : « الذباب » .

(٤) فيما عدا ل : « أكله » .

(٥) ل : « الرقيق الصنعة » بالراء .

(٦) فيما عدا ل : « ويمد الشعر ناحية العروق والأوتاد » .

(٧) فى اللسان (٩ : ١٧٥) : « ارتبط فى الحبل : نشب ، عن اللحياني » . نشبت به : أى علقت المصيدة به . ط ، هـ : « وتنشب فيه . سه : « وتنشب ما فيه » وما فى سه محرف . وأثبت ما فى ل .

(٨) غله : أوثقه وقيده . ل : « حمله » .

وإنما تنسجُ الأنثى . فأما الذكَرُ فإنه ينقُض ويُفسد .

وولدُ العنكبوتِ أعجبُ من الفرُّوج ، الذى يظهر إلى الدنيا كاسباً[(١)] محتالا مكتفياً .

قال : وولد العنكبوت يقومُ عَلَى النسجِ ساعةَ يولد .

قال : والذى ينسِجُ به لايخرجُ من جوفه ، بل من خارج جسده .

وقال الُحذَّانىّ[(٢)] :

كأن قفا هارونَ إذْ قام مُدْبراً قفا عنكبوت سُلَّ من دُبْرها غزْلُ

فالنحل ، والعنكبوتُ ، ودود القزّ ، تختلف من جهات ما يقال إنه يَخْرُج منها[(٣)] .

(العنكبوت الذى يسمى الليث)

ومن العناكبِ جنسٌ يَصيدُ الذُّبابَ صَيد الفهود ، وهو الذى يسمى : « الليث » وله ستُّ عيون[(٤)] . وإذا رأى الذُّبابَ لطِئَ بالأرض ، وسكَّنَ أطرافه . وإذا وثَبَ لم يخطئْ . وهو من آفات الذِّبّان[(٥)] ، ولا يصيدُ إلا ذِبّانَ الناس .

---

(١) كاسباً : يكسب قوته بنفسه . فيما عدا ل : « كاسياً » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « الجذامى » س : « الحذاي » وأثبت ما فى ل . وانظر التنبيه الأول من ص ٤١٠ .

(٣) فيما عدا ل : « فى جهاتها يقال إنها » وبعد ذلك فى ط : « تخرج منها » بالتاء ، تحريف .

(٤) ط ، س : « وليست بعيون » هـ : « وليست عيون » صوابهما فى ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٩١) . وزاد النويرى : « وثمانى أرجل » .

(٥) فيما عدا ل : « الذباب » . وفى ط بعد ذلك : « ولا يصيد إلا ذباب الناس » .

(ذِبّان الأُسد والكلاب)

وذِبّانُ[١] الأُسْدِ عَلَى حِدَة ، [وذِبّانُ الكِلابِ عَلَى حِدَة] ، وليس يقوم لها شىء . وهى أشدُّ من الزنابير ، وأضرُّ من العقارب الطيّارة[٢] . وفيها من الأعاجيب أنها تعضُّ الأُسْدَ ، كما يعضُّ الكلبَ[٣] ذِبّانُ الكَلْب . ١٢٥

وكذلك ذِبّانُ الكَلأ ، لِمَا يغشَى الكَلأ من بعير[٤] وغيرِ ذلك . ولها عضٌّ مُنكَر ، ولا يبلغُ مبلغَ ذِبّانِ الأُسْد .

فمن أعاجيبها سِوى شدةِ عَضِّها وسَمِّها ، أنها[٥] مقصورة عَلَى الأُسْد ، وأنها متى رأت بأسد دماً من جراح أو رمْى[٦] ، ولو فى مقدار الُخديش[٧] [الصغير] فإنها تستجمعُ عليه ، فلا[٨] تقلعُ عنه حتى تقتله .

وهذا شبيهٌ بما يُرْوَى ويُخبَر عن الذَّرّ ، فإن الذَّرّ متى رأتْ بحيَّة خدْشاً لم تقلِعْ عنه حتى تقتله ، وحتى تأكُلَه .

(ولوع النمل بالأراك)

ولقد أردتُ أنْ أغرِسَ فى دارى أراكةً ، فقالوا لى : إن الأراكةَ[٩]

---

(١) ط : « وذباب » .

(٢) فيما عدا ل : « الكبار » .

(٣) فيما عدا ل : « الأسد » تحريف . وكلمة « ذبان » حيثما وردت فى ل فهى بهذا الرسم وأحياناً تتفق معهما بعض النسخ . فاكتفيت إلى نهاية هذا الباب ، بهذا التنبيه .

(٤) فيما عدا ل : « من بعد » محرف .

(٥) فيما عدا ل « وأنها » والواو مقحمة .

(٦) فيما عدا ل : « متى رأت بالأسد دما من خراج أو جرح » .

(٧) الخديش : مصغر الخدش . فيما عدا ل « الخدش » .

(٨) فيما عدا ل : « ولا » .

(٩) فيما عدا ل : « الأراك » . والوجه الإفراد .

إنما تنبت من حبِّ الأراك ، [وفى نباتها عُسْرٌ . وذلك أن حبّ الأرَاك][1] يغرس[2] فى جوفِ طين ، فى قواصِرَ[3] ، ويُسقى الماءَ أياما . فإذا نبتَ الحبُّ وظهر نباتُه فوق الطين ، وُضعت القَوْصَرَة كما هى فى جوف الأرض ولكنها[4] إلى أنْ تصيرَ فى جوف الأرض ، فإن الذرَّ يطالبها[5] مطالبة شديدة . وإن لم تُحفظ[6] منها بالليل والنهار أفسدَتها .

فعمَدْتُ إلى منارات من صُفر[7] من هذه المسارج[8] ، وهى فى غاية الملاسة واللِّين ، فكنتُ أضَعُ القوصَرَة عَلَى التُّرسِ الذى فوق العمود الأملس[9] ؛ فأجد فيها[10] الذرّ الكثير ، فكنتُ أنقُل المنارةَ من مكان إلى مكان ، فما أفلحَ ذلك الحبُّ .

(ضروب العناكب)

قال : والعناكب[11] ضروبٌ : فمنها هذا الذى يقال له الليث ، وهو

---

(١) هذه التكملة من ل ، سه ، ه .

(٢) ل : « يغرق » .

(٣) القواصر : جمع قوصرة ، بفتح القاف والصاد والراء ، وهى لغة فى القوصرة بتشديد الراء . وهى وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البوارى .

(٤) ط فقط : « وتكن » . والكلام من هذه الكلمة إلى كلمة : « الأرض » ساقط من ه .

(٥) فيما عدا ل : « تطلبه » .

(٦) فيما عدا ل : « تتحفظ » تحريف .

(٧) الصفر بالضم ، النحاس الأصفر ، أو الجيد . ه « منكرات من صفر » ، محرف .

(٨) المسارج : جمع مسرجة ، وهى التى فيها الفتيل . فيما عدا ل : « المسارح » تحريف .

(٩) فيما عدا ل : « الذى فيه الأملس » تحريف .

(١٠) أى فى القوصرة . فيما عدا ل : « فيه » والوجه ما أثبت .

(١١) فيما عدا ل ، « العناكب » .

الذى يصيد الذّبّان صيد الفهد [١] ، وقد ذكرنا فى صدر هذا الكلام [٢] حِذقه ورِفْقه ، وتأتّيه وحيلته [٣] .

ومنها أجناس [٤] [طِوَالُ الأرجل ، والواحدةُ منها] إذا مشت عَلَى جِلْد الإنسان تبثّرَ [٥] . ويقال إن العنكبوت الطويلة الأرجل ، إنما [٦] اتخذت بيتاً وأعدَّت فيه المصايد [٧] والحبائل ، والخيوطَ التى تلتفّ على مايدخُل بيتها من أصناف الذّبان وصغار الزنابير — لأنها حين علِمَتْ أنها لابدّ لها من قوت [٨] ، وعرفت ضعفَ قوائمها ، وأنها [٩] تعجزُ عما يقوَى عليه الليث ، احتالت بتلك الحيل [١٠] .

فالعنكبوتُ ، والفأرُ ، والنحلُ ، [والذّرّ] ، والنمل ، من الأجناس التى تتقدم فى إحكام شأنِ المعيشة .

[ومنها جنس ردىء ، مشنوء الصورة [١١] ، غليظ الأرجل ، كثيراً ما يكون فى المكان التَّرِب من الصناديق والقماطر والأسفاط . وقد قيل : إنَّ بينه و بين الحيّة ، كما بين الخنفساء والعقرب [١٢]] .

---

(١) فيما عدا ل : « الفهود » .

(٢) انظر ص ٤١١ — ٤١٢ . فيما عدا ل : « هذا الكتاب » تحريف .

(٣) يقال تأتى لحاجته : إذا ترفق لها وأتاها من وجهها . ط فقط : « وتأنيه » وبعدها فيما عدا ل : « ختله » . والختل : الخداع .

(٤) فيما عدا ل : « جنس » .

(٥) تبثر : ظهرت فيه بثور . وفيما عدا ل ، « إذا مشى على جلد الإنسان سم » .

(٦) ط فقط : « إذا » تحريف .

(٧) هـ : « المصائد » بالهمز « وانظر (٤ : ٤٣ ، ١٤٢ و ٥ : ٢٤٥) . ل : « المصايد » محرفة .

(٨) فيما عدا ل : « من القوت » .

(٩) فيما عدا ل : « وإنما » تحريف .

(١٠) ل : « تلك الحيل » بحذف الباء .

(١١) المشنوء : البغيض المكروه .

(١٢) العقارب تأوى مع الخنافس وتسالمها . انظر (٤ : ٢١٧) وهذا الجزء ص ٣٥٥ .

وإناث العناكب(١) هى العوامل : [تغزل وتنسج] . والذَّكَرُ [أخرق] ينقُضُ ولا ينسِجُ . وإن كان [ما قال صاحب المنطق حقًّا فما أغرَبَ الأعجوبةَ فى ذلك ، وذلك أنه زعم أن العنكبوت تقوَى] على النَّسْج ، وعلى التقدمِ فى إحكام شأن المعاش حين تولد(٢) .

(الكاسب من أولاد الحيوان)

وقالوا : وأشياء من أولاد الحيوان تكونُ عالمةً بصناعتها ، عارفة بما يُعيشها ويُصْلحها ، حتى تكون فى ذلك كأمهاتها وآبائها ، حين تخرجُ إلى الدنيا ، كالفرُّوج من وَلَدِ الدجاج ، والحِسْل من ولد الضِّباب ، وفرخ العنكبوت .

وهذه الأجناسُ ، مع الفأر والجرذان ، [هى] التى من بين جميع الخلق تدَّخِرُ لنفسها ما تعيش به من الطُّعْم(٣) .

١٢٦ جملة القول فى النحل(٤)

زعمَ صاحبُ المنطق أن خليَّةً من خلايا النحل(٥) فيما سلفَ من الزمان ، اعتلتْ ومَرِض ما كان فيها من النحل ، وجاء نحلٌ من خَلِيَّةٍ

---

(١) فيما عدا ل : « العناكيب » .
(٢) فيما عدا ل : « يولد » تحريف . والكلام بعد ذلك إلى كلمة : « العنكبوت » ساقط من ل .
(٣) الطعم ، بالضم : الطعام. فيما عدا ل : « يدخر لنفسه مايعيشه من الطعم » محرف .
(٤) ط ، هـ : « باب فى النحل » س : « باب » فقط . وأثبت مافى ل .
(٥) ل : « من خلايا العسل »

أخرى يقاتلُ هذا النحل حتى أخرجت العسل ، وأقبَل القيِّم على الخلايا يقتل ذلك النحلَ الذى جاء إلى خليته(١) .

قال : فخرج النحلُ من الخليَّة يقاتلُ النحلَ الغريبَ ، والرجل بينها(٢) يطردُ الغريب ، فلم تلسعه نحل(٣) الخليَّة التى هو حافظُها ؛ لدفعه المكروهَ عنها .

قال : وأجودُ العسل(٤) ما كان لونه لون الذهب .

(نظام النحل)

قال : والنحل تجتمع(٥) فتقسم الأعمال بينها ، فبعضها يعملُ الشمع ، وبعضها يَعْمَلُ العسل ، وبعضها يبنى البيوتَ ، وبعضها يَسْتَقِى(٦) الماء ويصبُّه فى الثقْب(٧) ، ويلطخه بالعسل .

ومنه ما يبكِّر إلى العمل . ومن النحل ما يَكُفُّه(٨) حتى إذا نهضَتْ واحدةٌ طارت كلها . يقال : « بكَرَ بُكورَ اليَعْسوب » يريد أمير النحل(٩) لأنها تتبعه غُدوةً إلى عملها .

---

(١) الكلام من : « أخرجت » إلى : « الذى » ساقط من س . وفيما عدا ل : « فأقبل » بدل : « وأقبل » و : « يقاتل » بدل : « يقتل » . خليته : أي خلية القيم . فيما عدا ل : « غير خليته » أى غير خلية هذا النحل الطارئ . فالعبارتان سيان .

(٢) بينها : أى بين النحل جميعاً . فيما عدا ل : « بينهما » أى بين الطائفتين .

(٣) ط فقط : « نحلة » تحريف .

(٤) فيما عدا ل « فأجود العسل » .

(٥) فيما عدا ل : « يجتمع » والأوفق ما أثبت من ل .

(٦) يستقى : يأخذ الماء من النهر والبئر . فيما عدا ل : « يسقى » محرف .

(٧) الثقب ، بالضم . ويقال أيضاً ثقب ، بضم ففتح .

(٨) يكفه : يجمعه . وفى حديث الحسن : « كفه بخرقة » أى اجمعها حوله . وفى الحديث : « المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته » أى يجمع عليه معيشته ويضمها إليه . فيما عدا ل « يكف » .

(٩) الذى يعرفه العلماء أن للنحل أميرة أنثى . ولكن العرب وهمت فى جعلها أميراً للنحل .

ومنها ما ينقل العسل من أطرافِ الشجر[١] ، ومنها ما ينقل الشَّمعَ الذى تَبْنِى به ، فلا تزالُ فى عملها حتى إذا كان الليل آبت إلى مآبها[٢] .

قال : والأَرْى : عمل العسل . يقال : أرت تأرى أرْياً . والأرْى فى غير هذا الموضع : القىء[٣] . وقال أبو ذؤيب :

[بأرْى التى تأرِى إلى كل مَغْرِبٍ ... إذا اصفرّ ليط الشمس حان انقلابُها[٤]

ومغارب : جمع مغرب . وكل شىء واراكَ من شىء فهو مَغرب ، كما جعله أبو ذؤيب . والأصل مغرب الشمس . وقال أبو ذؤيب[٥]] :

فبـــــاتَ بجَمْعٍ ثُمَّ تمَّ إلى مِنًى
فأصبحَ راداً يبتغى المزْجَ بالسَّحْلِ[٦]

المزْجُ[٧] : العسل . والسَّحْل : النقد[٨] .

---

(١) ط : « من الأطراف » . هـ : « من أطراف » بإسقاط كلمة « الشجر » فيهما . وأثبت ما فى ل ، سه .

(٢) ط ، هـ : « أنت إلى مأبها » سه : « أتت إلى ما بها » صوابهما فى ل .

(٣) أى قىء النحل ، وهو العسل الذى تلفظه من أجوافها . ط ، سه : « الغنا » هـ : « الفنا » صوابهما فى ل .

(٤) ليط الشمس : لونها . وأصل الليط القشر اللازق بالشجر . انقلابها : رجوعها . وفى الكتاب : (وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين) . والبيت فى اللسان (٩ : ٢٧٣) وأشعار الهذليين (١ : ٥) .

(٥) يصف رجلا حاجا طلب عسلا . انظر اللسان (٤ : ١٦٩ و ١٣ : ٣٥٠) وأشعار الهذليين (١ : ١١) . وقبل هذا البيت :

فجاء بها كيما يوفى حججه ... نديم كرام غير نكس ولا وغل

(٦) ضمير « بات » للتاجر . وفى الأصل : « فباتت » تحريف . وجمع ، بالفتح ، وهو المزدلفة . وتم : بلغ . وفى اللسان (١٤ ، ٣٣٤) : « يقال تم إلى كذا وكذا أى بلغه » . ط ، هـ : « تتم » تحريف . ورواية اللسان فى الموضع الثانى وكذا المخصص (٢ : ١١٥ ، ١٢ : ٢٩) : « ثم آب » . رادا : من الرود ، وأصله طلب الكلأ . أراد طالباً ، كما فى اللسان (رود) . هـ : « زادا » سه : « زاخا » ط : « زارا » صوابه فى ل وسائر المصادر . والمزج والسحل ، سيفسرها الجاحظ . فيما عدا ل : « المرخ بالسخل » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « المرخ » وإنما هو « المزج » بالزاى والجيم .

(٨) السحل ، بالمهملة . والنقد : واحد النقود . فيما عدا ل : « والسخل المنفرد » محرف .

(ماله رئيس من الحيوان)

ومن الحيوان ما يكون لكل جماعة منها رأس وأمير ، ومنها ما لا يكونُ ذلك له . فأما الحيوان الذى لايجد بدًّا ولا مصلحة لشأنه إلا فى اتخاذ رئيس ورقيب[1] فمثل ما يصنع الناس[2] ، ومثلُ ما تتخذ[3] النحلُ والغَرانيق ، والكَرَاكىّ .

فأما الإبل والحمير والبقر ، فإن الرياسة لفحْل الهجْمة[4] ، ولعَير العانة[5] ، ولثَور الرَّبْرَب[6] . وذكورتها لاتتخذ الرُّقباء من الذُّكورة . ١٢٧

و[قد] زعم ناس أن الكراكىّ لاتُرَى أبداً إلا فُرادَى[7] فكأن[8] الذى يجمعها الذكر ، ولا يجمعُها [إلا] أزواجاً .

ولا أدرى كيف هذا القول ؟ !

والنحل أيضاً تسير بسيرة الإبل[9] والبقر والحمير ، لأن الرئيس هو الذى يورِدُها ويُصْدِرها وتَنْهَضُ بنهوضه ، وتقع بوقوعه[10] . واليعسوب

---

(١) ط ، هـ : « الذى لا تجد بدا » صوابه فى ل ، س . وبعد ذلك فيما عدا ل : « ولا مصاحبة لشأنه إلا باتخاذ رئيس وربيب » تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفى الأصل : « مثل ما يصنع » والوجه إدخال الفاء لتكون فى جواب « أما » .

(٣) فيما عدا ل : « يتخذ » .

(٤) الهجمة : القطعة الضخمة من الإبل ، وقيل ما بين الثلاثين والمائة .

(٥) العانة : جماعة حمر الوحش .

(٦) الربرب : القطيع من بقر الوحش .

(٧) س : « لا تتخذ » بدل « لا ترى » محرف . ل : « فردا » مكان « فرادى » .

(٨) فيما عدا ل : «وكان» بالواو، وبدون همز .

(٩) فيما عدا ل : « والفحل رئيس يسير بسيره الإبل » لكن فى هـ : « بسيرة » تحريف .

(١٠) فيما عدا ل : « ويقعن بوقوعه » .

هو فحلُها[1] . فترى كما ترى ، سائر الحيوان الذى يتخذ رئيساً[2] إنما هى إناث الأجناس ، [إلا الناس] ؛ فإنهم يعلمون أن صلاحهم فى اتخاذِ أمير وسيدٍ ، ورئيس .

وزعم بعضهم أن رياسة اليعسوبِ ، وفحلِ الهجْمة ، والثورِ ، والعَير ، لأحد أمرين : [أحدهما] لاقتدار الذَّكر على الإناث ، والآخر لما فى طباع الإناث من حبّ ذكورتها .

ولو لم تتأمَّرْ [عليها] الفحولُ لكانت هى لحبِّها للفحولِ تغدو بغدوِّها ، وترُوح برَوَاحها .

قالوا : وكذلك الغرانيق والكراكىّ[3] . فأما ما ذكروا من رؤساء الإبل والبقر والجواميس والحمير[4] ؛ فما أبعدهم فى ذلك عن الصواب .

وأما [إلحاقهم] الغرانيقَ والكراكىّ بهذه المنزلة[5] فليس على ما قالوا .

وعلى أنّا لانجدُ بُدًّا من أن نعلم أن ذكورتها أقوى على قَسرِ الإناث وجمعها إليها[6] من الإناث .

وعلى أنه[7] لابد من أن يكون بعض طاعة الإناث لها من جهة مافى طباعها من حبِّ ذكورتها .

---

(١) انظر التنبيه ٩ من الصفحة ٤١٧ .

(٢) فيما عدا ل : « جميع الحيوان الذي تتخذ رئيسا » .

(٣) الكلام بعد هذه إلى كلمة : « الكراكى » التالية ساقط من سه .

(٤) كلمة : « والجواميس » ليست فى ل . وفى ط ، ه : « والحمير والنحل » . وكلمة : « النحل » مقحمة تفسد المعنى .

(٥) ل : « بهذه الرؤساء » .

(٦) إليها : أى إلى الذكورة . وفى الأصل : « إليه » .

(٧) ل : « ولأنه » .

ولو كان اتخاذ الغرانيق والكراكيّ الرؤساء والرُّقباء[١] إنما علته المعرفة — لم يكن للغرانيق والكراكيّ في المعرفة فضلٌ على الذرِّ والنمل، وعلى الذِّئب [والفيل]، و [على] الثعلب والحمام.

أما الغنم فهي أغْثَرُ وأموَقُ[٢] من أن تجرى في باب هذا القول.

وقد تخضع الحياتُ للحية، والكلاب للكلب، والدُّيوك للديكِ، حتى لا تَرَوَّمَه[٣] ولا تحاول مدافعته.

(قصة في خنوع الكلاب)

ولقد خرجتُ في بعض الأسحار في طلبِ الحديث[٤]، فلما صرتُ في مُرَبَّعة[٥] المحلّة، ثار إليّ عِدَّةٌ من الكلابِ[٦]، من ضِخامها، ومما يختارُه الحرّاس. فبينا أنا في الاحتيال لهنّ [وقد غشِينَنى] إذ سَكَتْنَ[٧] سكتةً واحدة معاً، ثم أخذ كلٌّ واحد في شق، كالخائف المستخفي، وسمعت نغْمة إنسان[٨]، فانتهزتُ تلك الفُرصةَ من إمساكهنّ عن النُّباح، [فقلتُ: إنَّ هٰهُنَا

---

(١) فيما عدا ل: «ولو كان اتخاذ الكراكي والغرانيق والرقباء الرؤساء» لكن في سه: «والرؤساء». وفيه تحريف.
(٢) أغثر: أي أشد حمقاً وجهلا. ط «أغر» من الغرارة وهي الغفلة وضعف التجربة. هـ: «أعثر» سه: «أعشر» وهذا التحريف يؤيد صحة النص الذي أثبت من ل.
(٣) يقال رومه وروم به: جعله يطلب. عنى أنها تكفيه مؤونة الطلب.
(٤) سه: «أطلب الحديث».
(٥) المربعة: كأنه يراد به الموضع المربع. انظر ياقوت.
(٦) فيما عدا ل: «ثار إلى من الدار عدة كلاب».
(٧) فيما عدا ل: «سكتوا».
(٨) النغم، محركة وتسكن: الكلام الخفي، الواحدة بهاء. ط: «نفحة» محرف.

لَعِلَّة] ! إذ أقبلَ رجلانِ ومعهما كلبٌ أزبُّ[١] ضخمٌ [دَوسر[٢]] ، وهو فى ساجور[٣] ، لم أرَ كلباً قط أضخم منه فقلت : إنهنّ إنما أمْسَكن عن النُّباح وتسترّن[٤] ، من الهيبة له ! وهى مع ذلك لاتتخذ رئيساً .

(سادة الحيوان)

ورُوِى عن عبّاد بن صهيب[٥] ، عن عوف بن أبى جميلة[٦] ، عن قَسامة بن زُهير قال : قال أبو موسى[٧] : « إن لكل شىء سادة [حتى إن للنمل سادة[٨]] . فقال[٩] بعضهم : سادة النمل : المتقدِّمات .

وهذا تخريج[١٠] ، ولا ندرى ما معنى ما قال أبو موسى[١١] فى هذا .

١٢٨ ولو كان اتخاذُ الرئيس من النحل ، والكراكىّ ، والغرانيق ، والإبل والحمير ، والثيران[١٢] ، لكثرةِ ما معها من المعرفة — لكانت القرود ، [والفيلة] والذرّ ، والثعالبُ ، أولى بذلك . فلا بد من معرفةٍ ، ولا بد من طباعٍ وصَنْعة .

---

(١) أزب : من الزبب ، وهو كثرة الشعر وطوله .
(٢) دوسر : ضخم شديد .
(٣) الساجور : القلادة أو الخشبة التى توضع فى عنق الكلب ، يقال كلب مسوجر .
(٤) فيما عدا ل : « فعلمت أنهن إنما سكتن عن النباح واسترن » .
(٥) عباد بن صهيب البصري ، أحد المتروكين ، يروى عن هشام بن عروة ، والأعمش ، وكان قدريا ، روى عنه أحمد بن روح مائة ألف حديث . وكنيته أبو بكر . ومن الرواة من إذا روى عنه يقول : حدثنا أبو بكر الكلبى . مات قريبا من سنة اثنتى عشرة ومائتين . لسان الميزان (٣ : ٢٣٠ — ٢٣١) .
(٦) عوف بن أبى جميلة ، بفتح الجيم ، تقدمت ترجمته فى (٤ : ١٩) .
(٧) هو أبو موسى الأشعرى ، كما سبق فى الحديث فى (٤ : ١٩) .
(٨) هذه التكملة من ل ومما سبق (٤ : ١٩) .
(٩) فيما عدا ل : « وقال » .
(١٠) تخريج : أى تأويل وتفسير . وفيما عدا ل : « يخرج » محرف .
(١١) فيما عدا ل : « ولا يدرى » وبعده فى ﺳﻤ ؛ ﻫ : « ما معنى أبى موسى » .
(١٢) فيما عدا ل : « والبقر » .

والحمام يُزْجَلْن من لُؤلؤة[(١)] ، وهنّ بَصريّات و بغدادِيّات[(٢)] ، وهنّ جُمّاعٌ من هاهنا وهاهنا[(٣)] ، فلا تتخذ رئيساً .

(طعن ناس من الملحدين فى آية النّحل)

وقد طعنَ ناسٌ من الملحدين ، و بعضُ من لاعلم له بوجوه اللغةِ وتوسُّع العرب فى لُغتها ، وفَهْمِ بعضها عن بعض ، بالإشارة والوحى — فقالوا : قد علمْنا أن الشمع شىء تنقله النحل[(٤)] ، مما يسقط على الشجر ، فتَبنى بيوت العسل منه[(٥)] ، ثم تنقل[(٦)] من الأشجار العسل الساقط عليها ، كما يسقط التَّرَنْجُبين ، والمنُّ[(٧)] ، وغير ذلك . إلا أن مواضعَ الشمع وأبدانه[(٨)]

(١) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس . وانظر (٣ : ٢١٥ س ٣) . يزجلن : يرسلن على بعد . ط ، ﻫ : « يؤجل » سـ : « توحل » بالإهمال ، صوابهما فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « بغداديات » بمهملتين .

(٣) فيما عدا ل : « من ها هنا ومن ها هنا » .

(٤) فيما عدا ل : « ينقله النحل » بالياء .

(٥) فيما عدا ل : « فيبنى بيوت النحل منه » .

(٦) فيما عدا ل : « ثم ينقل » .

(٧) الترنجبين ، بفتح التاء والراء وضم الجيم وفتحها ، وفى ل فقط : « الطرنجبين » : مادة تتجمع فوق بعض النبات شبيهة بالعسل . وهو بالفارسية : « ترنگبين » تأويله العسل المندى ، مركب من « تَرْ » بمعنى مندى ، و« انگبين » بمعنى العسل . وهو مثل « المن » الذى جاء فى قول الله : (وأنزلنا عليكم المن والسلوى) وقد فسر أبو حيان المن فى الآية بأنه الترنجبين ، وقال : « وعليه أكثر المفسرين » وقد فسرت الكتب القديمة الترنجبين والمن بأنهما طل يقع على الأشجار ، وهو تفسير ساذج ؛ وإنما هو إفراز صمغى حلو لبعض النبات . كما فى معجم القرن العشرين : A sweet Juice or gum got from many trees . والمن عبرى الأصل ، ولفظه فى العبرية : « من » . بفتح الميم . انظر سفر الخروج فى النسختين العبرية والعربية (١٦ : ١٣ — ٣٦) . وفيه أن المن « شىء دقيق مثل قشور . دقيق كالجليد على الأرض » و « هو كبزر الكزبرة أبيض وطعمه كرقاق بعسل » و « إذا حميت الشمس كان يذوب » . ومنه أخذت العربية ، والإنجليزية : Manna والفرنسية : Manne .

(٨) ط ، سـ : « وآثاره » . ﻫ : « وأثرائه » صوابهما ما أثبت من ل .

[خفيٌّ . وكذلك العسلُ] أخفى وأقلّ . فليس العسل بقيء ولا رجيع[1] ، ولا دخَلَ للنخلة في بطنٍ[2] قطُّ .

وفي القرآن قول الله عز وجل : ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ . ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ[3] ﴾ .

ولو كان إنما ذهبَ إلى أنه شيء يُلتَقطُ من الأشجار ، كالصَّمْوغ وما يتولد من طِباع الأنداء والأجْواء[4] والأشجارِ إذا تمازجت[5] — لما كان في ذلك عجبٌ إلا بمقدار[6] مانجده في أمور كثيرة .

(دعوى ابن حائط في نبوة النحل)

قلنا : قد زعم ابن حائط[7] وناسٌ من جُهَّالِ الصُّوفيَّة ، أن في النحل أنبياء ؛ لقوله عزوجل: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ . وزعموا أن الحوارِيِّين كانوا أنبياء لقوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ[8] ﴾ .

[قلنا] : وما خالف [إلى] أن يكون في النحل أنبياء ؟! بل يجبُ أن تكون النحل كلها أنبياء ، لقوله عز وجل على المخرج العامّ : ﴿ وَأَوْحَى

---

(١) الرجع : النجو والروث وذو البطن . ط فقط : « الرجيع » وهما بمعنى .
(٢) إلى هنا ينتهي كلام الملحدين ، وما بعده رد الجاحظ عليهم .
(٣) الآيتان ٦٨ ، ٦٩ من سورة النحل .
(٤) الأجواء ، جمع جو . ط ، س : « والأهواء » هـ : « والأحواء » صوابهما في ل .
(٥) فيما عدا ل : « إنما تمازجت » محرف .
(٦) فيما عدا ل : « بقدر » .
(٧) هو أحمد بن حائط المترجم في (٤ : ٢٨٨) . فيما عدا ل : « ابن حائك » تحريف . وقد رسمت في ل : « حايط » بالتسهيل .
(٨) الآية ١١١ من سورة المائدة .

رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ ﴾ ، ولم يخصَّ الأمهات والملوكَ واليعاسيب ، بل أطلقَ القول إطلاقا .

وبعدُ فإن كنتم مسلمين فليس هذا قولَ أحد من المسلمين . وإلاّ تكونوا مسلمين فلِمَ تجعلون(١) الحجة على نبوة النحلِ كلاماً هو عندكم باطل ؟!

(قول فى المجاز)

وأما قوله عز وجل(٢) : « يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ » فالعسلُ ليس بشرابٍ ، (٣) وإنما [هو شىء] يحوَّلُ بالماء شراباً ، أو بالماء نبيذاً . فسماه كما ترى شراباً ، إذ كان يجئ منه الشراب .

وقد جاء(٤) فى كلام العرب أن يقولوا : جاءت السماء اليوم بأمر عظيم . وقد قال الشاعر(٥) :

إذا سقط السماء بأرْضِ قوْمٍ رعيناه وإن كانوا غِضَابَا

فزعموا أنهم يرعَونَ السماء ، وأنّ السماء تسقط(٦) . ١٢٩

ومتى خرج العسلُ من جهةِ بطونها وأجوافها [فقد خرج فى اللغة من بطونها وأجوافها] .

---

(١) فيما عدا ل : « فلم تجعلوا » تحريف .
(٢) ل : « فأما قوله » فقط .
(٣) كلمة « وإنما » ساقطة من هـ ، س .
(٤) فيما عدا ل : « جاز » .
(٥) هو معاوية بن مالك ، معود الحكماء ، من قصيدة له فى المفضليات ، وهو البيت ٢٣ من القصيدة ١٠٥ طبع المعارف . وانظر الخزانة (٤ : ١٧٤) واللسان (١٩ : ١٣٣) . والرواية فيهما : « إذا نزل السماء » .
(٦) س ، هـ : « تسقطه » صوابه فى ل ، ط .

ومَنْ[(١)] حمل اللغة على هذا المركب ، لم يفهم عن العرب قليلا ولا كثيراً وهذا الباب هو مفخرُ العربِ فى لغتهم ، وبه و بأشباهه اتسعت[(٢)] . وقد خاطبَ بهذا الكلام أهل تِهامة ، وهُذيلا[(٣)] ، وضواحِيَ كِنانة[(٤)] . وهؤلاء أصحابُ العسل . والأعرابُ أعرَف بكل صَمْغَة سائلة ، وعَسلة ساقطة ، فهل سمعتم بأحد أنكر هذا الباب[(٥)] أو طعَنَ عليه من هذه الحجة ؟ !

(أحاديث فى العسل)

[حُدِّثَ عن] سفيان الثَّورىّ ، قال حدَّثنا أبو طُعْمة[(٦)] عن بكر ابن ماعز[(٧)] ، عن ربيع بن خُثَيْم[(٨)] قال : « ليس للمريضِ عندى دواء إلا العسل » .

---

(١) فيما عدا ل : « ومتى » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « وبأسبابه » محرف . وقبلها فيما عدا ل : « وبه قال » . و « قال » مقحمة .

(٣) فيما عدا ل : « وهذيل » والصرف ومنعه جائزان .

(٤) ضواحى كنانة ، أى أهل البادية منهم . وفى حديث أبى هريرة : « وضاحية مضر مخالفون لرسول الله » أى أهل البادية منهم . وجمع الضاحية ضواح . انظر اللسان (١٩ : ١١٤ س ١٧ — ١٨) . فيما عدا ل : « ضواحى نجد » .

(٥) فيما عدا ل : « هذا البيان » محرف .

(٦) اسمه هلال ، وهو أبو طعمة الشامى الأموى القاص ، وكان مولى عمر بن عبد العزيز ، حدث عن مولاه ، وعنه ابن لهيعة وغيره . انظر لسان الميزان (٦ : ١٠٨) .

(٧) هو بكر بن ماعز بن مالك ، ممن روى عن كبار التابعين وبعض الصحابة . روى عن الربيع ابن خيثم وعبد الله بن يزيد الخطمى الصحابي ، وروى عنه أبو إسحاق السبيعى ، ويونس ابن أبى اسحاق ، وسعيد بن مسروق . قال العجلى : تابعى ثقة . تهذيب التهذيب (١ : ٤٨٦) .

(٨) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٣) و (٤ : ٢٩٢) . و « خثيم » بالتصغير .

[وعن] هشام بن حسان ، [عن الحسن] أنه كان يعجبه إذا استمشى الرجُل[1] أن يشربَ اللبنَ والعسل .

إبراهيمُ بنُ أبي يحي[2] ، قال : بلغني عن ابن عباس : « أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سُئِل : أيُّ الشرابِ أفضل ؟ قال : الحُلْو البارد » .

و[سفيانُ] الثوريّ عن أبي إسحاق[3] ، عن أبي الأحوص[4] [عن ابن مسعود[5]] قال : [« عليكم بالشفاءين : القرآنِ والعسلِ[6] »] .

[شعبة عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال[7]] : مضى رجل[8]

---

(١) استمشى : شرب المشي ، كفني : الدواء المسهل .

(٢) إبراهيم بن أبي يحي المكي . قال الحاكم : اسمه إبراهيم ، وكنيته أبو إسمعيل . واسم أبيه اليسع ، وكنيته أبو يحي ، ولقبه أبو حية . قال البخاري : منكر الحديث ، وقال النسائي : ضعيف : وقال الدارقطني : متروك . انظر لسان الميزان (١ : ١٢٤ ثم ٥٢) .

(٣) هو أبو إسحاق السبيعي ، واسمه عمرو بن عبد الله الهمداني ، من بطن من همدان يقال لهم السبيع ، بهيئة التصغير ، روى عن جرير البجلي ، وعدي بن حاتم ، وجابر ابن سمرة ، وزيد بن أرقم ، وعنه ابنه يونس ، وقتادة ، وسليمان التيمي ، وأبو الأحوص . ولد في سلطان عثمان لثلاث سنين بقين منه ، ومات سنة سبع وعشرين ومائة وله خمس وتسعون سنة . لسان الميزان (٦ : ٧٨٢) والمعارف ١٩٩ وتهذيب التهذيب (٨ : ٦٣ — ٦٧) .

(٤) هو عوف بن مالك بن نضلة الجشمي ، أبو الأحوص الكوفي ، روي عن أبيه ، وعن علي ، وابن مسعود وأبي مسعود الأنصاري ، وأبي موسى الأشعري وغيرهم . وروى عنه ابن أخيه أبو الزعراء الجشمي ، وأبو إسحاق السبيعي ، ومالك بن الحارث السلمي ، وعطاء بن السائب . تاريخ بغداد ٦٧٣٣ وتهذيب التهذيب (٨ : ١٦٩) .

(٥) هذه التكملة من ل ، س .

(٦) هذه التكملة من ل ، س . والحديث صحيح ، رواه ابن ماجه ، والحاكم في المستدرك عن ابن مسعود . الجامع الصغير ٥٥٣٤ .

(٧) هذه التكملة من ل ، سه . لكن في سه : « عن ابن إسحاق عن ابن الأحوص قال » . محرف .

(٨) ل : « جاء رجل » .

إلى ابن مسعود فقال[(١)] : إن أخي يشتكي بطنَه ، وقد نُعِتَت[(٢)] له الخمر .
فقال : سبحان الله ! ما كان الله ليجعلَ شفاءه[(٣)] في رجس ، وإنما جُعِلَ
الشفاءُ في اثنين : في القرآنِ والعسل .

سعيد بن أبي عَرُوبة ، [عن قتادةَ] ، عن أبي المتوكِّل الناجيّ[(٤)] ،
عن أبي سعيد الخدريّ[(٥)] : « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال[(٦)] :
إن أخي يشتكي بطنَه ، فقال [عليه السلام] : اسقهِ عسلا . ثم أتاه فقال :
قد فعلت . قال[(٧)] : اسقهِ عسلا . ثم أتاه فقال : قد فعلتُ . فقال :
اسقهِ عسلا . ثم أتاه الرابعةَ ، فقال : صدق الله وكَذَبَ بطْنُ أخيك .
اسقه عسلا ! فسقاه فبَرَأَ الرجُل »[(٨)] .

قال : والذي يدلُّ على صحةِ تأويلنا لقول الله عز وجل : « يَخْرُجُ

---

(١) فيما عدا ل : « قال » بدون فاء ، في هذا الموضع والموضع التالي .
(٢) ل : «نعت» .
(٣) ط فقط : « شفاء » .
(٤) هو علي بن داود — ويقال دواد — أبو المتوكل الناجي الساجي البصري ، روى عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة وابن عباس وجابر وعائشة . وعنه ثابت البناني وقتادة وبكر ابن عبد الله المزني وحميد الطويل . مات سنة ١٠٨ أو ١٠٢ . تهذيب التهذيب (٧ ٣١٨) . والناجي : نسبة إلى بني ناجية بن لؤي ، القبيلة التي بالبصرة . انظر تاج العروس (١٠ : ٣٥٩) واللسان (٢٠ : ١٨٠ — ١٨١) .
(٥) هو سعد بن مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر — وهو خدرة بضم الخاء — ابن عوف بن الحارث بن الخزرج ، أبو سعيد الخدري ، صحابي جليل ، استصغر يوم أحد ، واستشهد أبوه بها ، وغزا هو فيما بعدها . روى حديثا كثيرا ، ولم يكن من أحداث الصحابة أفقه منه . مات سنة أربع وسبعين . وقيل سنة ثلاث أو أربع أو خمس وستين . الإصابة (٣١٨٩ والمعارف ١١٦) .
(٦) فيما عدا ل : « قال » .
(٧) فيما عدا ل : « فقال » .
(٨) برأ : شفي . ومثله برِئ . فيما عدا ل : « فبرئ » وهو حديث صحيح رواه البخاري (٧ : ١٢٣) ومسلم (٢ : ١٨٦) وأحمد (٣ : ٩٢) .

مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ » أن المعجونات كلها إنما تكون بالعسل ، وكذلك الأنبجات[١] .

(نفع العسل)

وإذا ألقى فى العسل اللحمُ الغريضُ[٢] فاحتاج صاحبه إليه بعد شهر أخرَجَه طريًّا لم يتغير[٣] .

وإذا[٤] قطَرَت منه قَطْرَةٌ على وجه الأرض ، فإن استدار كما يستدير الزِّئبقُ ، ولم يتفشَّ[٥] ، ولم يختلط بالأرض [والتراب] فهو الصحيح . وأجودُه الذهبيّ .

ويزعمُ أصحابُ الشراب أنهم لم يروا شراباً قطُّ ألذَّ ولا أحسنَ ولا أجمعَ لما يريدون ، من شراب العسل الذى يُنْتَبَذُ بمصر[٦] . وليس فى الأرضِ تجارُ شراب ولا غيرِ ذلك أيسَرَ منهم .

وفيه أعجوبةٌ : وذلك أنهم لا يعملونه إلا بماء النِّيل أكْدَرَ ما يكون . وكلما كان أكدرَ كان أصفى . وإن عملوه بالصافى فسَد .

---

(١) الانبجات ، هى المربيات . قال الخليل : « الأنبج حمل شجرة بالهند يربب بالعسل على خلقة الخوخ ، محرف الرأس ، فى جوفه نواة كنواة الخوخ ، يجلب إلى العراق ، فمن هناك تسمى الانبجات وهى التى ربيت بالعسل ، من الأترج والإهليلج ونحو ذلك » مفاتيح العلوم ١٠٤ . والأنبج معرب « أنبه » . استينجاس ١٠٤ وادى شير ١٥٠ وانظر المعرب ٤٣ .

(٢) الغريض : الطري . فيما عدا ل : « ومتى » بدل : « وإذا » .

(٣) فيما عدا ل : « أخرجه بعد شهر طريا لم يتغير » .

(٤) فيما عدا ل : « وأيما » .

(٥) لم يتفش من التفشى ، يقال تفشى الحبر إذا كتب على كاغد رقيق فتمشى فيه . ل : « لم ينفش » وضبط بالنون الساكنة والشين المشددة . وإنما الانفشاش زوال الانتفاخ من نحو الزق والورم ، فالوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٦) ل : « ينبذ » وهما صحيحتان . وسمى نبيذاً لأنه ينبذ في وعاء أو سقاء ، عليه الماء ، ويترك حتى يفور فيصير مسكراً .

وقد يُلقَى العسلُ على الزّبيب ، وعلى عصير الكرْم[1] فيجوِّدها .

(التشبيه بالعسل)

١٣٠ وهو المَثَلُ[2] فى الأُمور المرتفعة ، فيقولون : ماءٌ كأنه العسل . ويصفُون كلَّ شىء حلوٍ ، فيقولون : كأنه العسل[3] . ويقال : هو معسول اللسان[4] . وقال الشاعر :

لسانُكَ معسولٌ ونفسُكَ شَحَّة ودون الثُّرَيَّا من صديقِك مالُكا[5]

(التنويه بالعسل فى القرآن)

وقال الله عز وجل فى كتابه ، وذكر أنهار الجنة[6] ، فقال : ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ . وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى[7] ﴾ فاستفتح[8] الكلام بذكر الماء ، وختمه بذكر العسل . وذكر الماء

---

(١) فيما عدا ل : « الخمر » .

(٢) فيما عدا ل : « وبه يضربون المثل » .

(٣) الكلام من : « ويصفون » إلى هنا ساقط من ل ، سه .

(٤) ل : « ويقولون هو معسل اللسان » .

(٥) شحة : شحيحة ، والشح : البخل . وقد ساق ابن منظور هذا البيت شاهداً فى اللسان (٣ : ٣٢٦) مع بيت تال ، وهو :

وأنت امرؤ خلط إذا هى أرسلت يمينك شيئاً أمسكته شمالكا

وأنشده الجاحظ فى البيان (١ : ١٤٣) . و« دون » هنا بمعنى فوق . انظر اللسان (١٧ : ٢٣ س ١٣) .

(٦) ل : « فى ذكر أنهار الجنة » .

(٧) من الآية ١٥ في سورة محمد .

(٨) فيما عدا ل : « واستفتح » .

واللبنَ فلم يذكرْهما فى نعتهما ووصفهما[1] إلا بالسلامةِ من الأسَنِ والتغيُّر . وذَكَرَ الخمر والعسلَ فقال : « مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ للشَّاربين » و : « مِنْ عَسَلٍ مُصَفًى » فكان هذا ضرباً من التفضيل[2] ، وذكرها فى مواضعَ أُخَر[3] فنفى عنها عيوبَ خَمْر الدنيا . فقال عز وجل اسمُه : ﴿ لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزَفُونَ[4] ﴾ فكان هذا القولُ الأولُ أظهر دليل على التفضيل[5] .

باب

(القول فى القراد)

يقال : « أسمَعُ من قُراد[6] » و : « ألزَقُ من قُرَاد[7] » و : « ماهُوَ إلا قُراد [ثَفَر[8]] » . وقال الشاعر[9] :

---

(١) «فى نعتهما ووصفهما» ساقط من ل .

(٢) فى الأصل : « فكان هذا ضرب » وفى هـ ، س بعده : « من التفصيل » تحريف . والكلام بعد ذلك إلى آخر هذا الباب ساقط من ل .

(٣) ذكرها ، أى الخمر ، وفى الأصل : « ذكرها » . والمواضع التي يشير إليها الجاحظ هى الآية ٤٧ من الصافات و٢٣ من الطور و١٨ — ١٩ من الواقعة و٥ — ١٧ من الإنسان . وأما العسل ، فلم يذكر صراحة إلا فى الآية الشاهدة . وذكر بلفظ « شراب » في سورة النحل ٦٩ : (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه) .

(٤) الآية ١٩ من سورة الواقعة . وقرئ : (ينزفون) بكسر الزاي ، وبفتحها ، مع ضم الياء فيهما .

(٥) هـ ، س : « التفصيل » بالصاد المهملة ، تحريف .

(٦) وذلك أنه يسمع صوت أخفاف الإبل من مسيرة يوم فيتحرك لها . انظر الدميري والميدانى (١ : ٣١٩) .

(٧) وذلك لأنه يعرض لاست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالحصى . الميداني (٢ : ١٧٩ — ١٨٠) .

(٨) الثفر ، بالتحريك ، ويسكن : مؤخر السرج ، وهو يشد تحت ذنب الدابة .

(٩) هو الحصين بن القعقاع ، كما فى اللسان (٢ : ٤٥٢ و٤ : ٣٤٨) . والحصين : شاعر ذكره الآمدى فى المؤتلف ٨٧ . وفى النقائض ٦٨١ أنه الحصين بن القعقاع بن معبد الدارمى : وأنشد له شعراً ورجزاً فى يوم زبالة ، وكان لبنى أبكر على بنى تميم . وقبل هذا البيت ، فى اللسان (٢ : ٣٥٢) :

جزى الله عنى بحتريا ورهطه بنى عبد عمرو ما أعف وأمجدا

هم السمنُ بالسنُّوتِ لا ألسَ فيهم   وهم يمنعون جارهم أن يُقرَّدَا[(١)]

[السنُّوت ، عند أهل مكة : العسل[(٢)] . وعند آخرين الكمُّون[(٣)]].

وقال الحطيئة[(٤)] :

لَعَمْرُكَ ما قُرَادُ بَنِى كُلَيْبٍ   إذا نُزِعَ القُرَادُ بمستطاع[(٥)]

قال : وذلك أن الفحلَ يَمنعُ أن يُخْطَم[(٦)] . فإذا نزعوا من قُرَاداتِه[(٧)] شيئاً لَذّ لذلك ، وسكَنَ إليه ، ولانَ لصاحبه ، فعند ذلك[(٨)] يلقى الخطامَ فى رأسه .

---

(١) الألس : الخيانة ، ومثله المؤالسة ، قال صاحب اللسان : « أصله الولس » . وهذه المادة واوية وهمزية . ه : « هو السمن » محرف . ه ، سه : « لا أنس » محرف أيضاً . وروى فى اللسان (٢ : ٣٥٢) والمخصص (٣ : ٨٤) : « لا ألس بينهم » . وفى المخصص (٨ : ١٢٢) : « لا ألس عندهم » . فيما عدا ل : « الجار أن يتقردا » صوابه فى ل وسائر المصادر .

(٢) فى اللسان : « والسنوت قيل هو العسل ، وقيل هو الرب » . والسنوت كسنور لغة فيه .

(٣) قيل الكمون يمانية ، وقيل نبت يشبه الكمون ، وقيل الرازيانج ، وقيل الشبث .

(٤) البيت من قصيدة له فى الديوان ٩٢ — ٩٣ يمدح بها بنى رياح وبنى كليب من بنى يربوع . وهو كذلك فى اللسان (٤ : ٣٤٨) قال : « ونسبه الأزهري للأخطل » . وانظر العمدة (١ : ٢١٩) والميداني (١ : ٢٥) والفصول والغايات ٢٦٥ .

(٥) رواية الديوان : « بنى رياح » وهم بنو كليب أولاد يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم . انظر المعارف ٣٥ . فيما عدا ل : « بنى كلاب » تحريف . وروى المعرى : « إذا رِيم القراد » . قال ابن رشيق : « فزعم الحطيئة أن هؤلاء لا يخدعون عن عزهم وإبائهم فيقدر عليهم » .

(٦) يخطم : يوضع على أنفه الخطام .

(٧) فيما عدا ل : « نزع » محرف . وقرادات : جمع قرادة . ولم أجد هذا المفرد إلا فى اللسان مادة (حلم ص ٣٦ س ١٣) ، ففيها : « الحلمة بالتحريك : القرادة الكبيرة » سه « قرادنه » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « حتى » .

قال وأخبرنى فِراس بنُ خَنْدَق[١] ، وأبو بَرْزَة[٢] قال : كان جحدرٌ[٣] إذا نزَلت رُفْقَةٌ قريبا منه ، أخذ شَنَّةً[٤] فجعل فيها قِرْدَاناً ، ثم نثرها بقرب الإبل[٥] فإذا وجدَتِ الإبلُ مَسَّها نهضتْ ، وشدَّ الشَّنَّةَ فى ذنب بعضِ الإبل ، فإذا سمعتْ صوتَ الشَّنَّة ، وعمِلتْ فيها القردانُ نفرت . ثم كان يثبُ فى ذِروة ماندَّ منها[٦] ، ويقول : ارحم الغارَّة الضِّعاف[٧] ! يعنى القِرْدان .

قال أبو بَرْزَة[٨] : ولم تكن هِمَّتُه تجاوزُ بعيراً .

---

(١) فراس بن خندق ، بالخاء المفتوحة وآخره قاف . أحد الرواة العارفين بأيام العرب . روى عنه أبو عبيدة بعض أيام العرب فى النقائض ٣٠٥ ، ٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ وقال فى الموضع الثانى : « حدثنا أبو المختار فراس بن خندق القيسى ، قيس بن ثعلبة » . فيما عدا ل : « خندف » بالفاء ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « أبو بزرة » تحريف .

(٣) جحدر ، هو ضبيعة بن قيس بن ثعلبة . وتجد هذا الخبر الذى ساقه الجاحظ على هذا النحو فى شرح ديوان الأعشى ٦٢ . وجحدر هذا غير جحدر بن معاوية العكلى ، أحد لصوص العرب الشعراء ، كان لصا مبرا فأخذه الحجاج وحبسه ، وله فى ذلك قصيدة رواها القالى فى الأمالى (١ : ٢٨١ — ٢٨٢) . وانظر المؤتلف ١١٠ . فيما عدا ل : « يعلل » تحريف .

(٤) الشنة : القربة الخلق ، وهى أيضا الخلق من كل آنية صنعت من الجلد .

(٥) أي نثر القردان . فيما عدا ل : « فنشرها » بدل : « ثم نثرها » .

(٦) ند : شرد . فيما عدا ل : « ثم تبيت فى ذروة وما ند منها » تحريف .

(٧) الغار : الغافل . ومما هو جدير بالذكر أن القراد يصبر على فقد الغذاء مدة طويلة حتى يهزل . قال ابن زياد الأعرابى : ربما رحل الناس عن دارهم بالبادية ، وتركوها قفاراً ، والقردان منتشرة فى أعطان الإبل وأعقار الحياض ؛ ثم لا يعودون إليها عشر سنين وعشرين سنة ، ولا يخلفهم فيها أحد من سواهم ؛ ثم يرجعون إليها فيجدون القردان فى تلك المواضع أحياء ، وقد أحست بروائح الإبل قبل أن توافى ؛ فتحركت . قال ذو الرمة :

بأعقاره القردان هزلى كأنها ... نوادر صيصاء الهبيد المحطم

إذا سمعت وطء الركاب تنفشت ... حشاشاتها فى غير لحم ولا دم

انظر ديوان ذى الرمة ٦٣٠ والميدانى (١ : ٣١٩) واللسان (٨ : ١٧٢ ، ٢٤٩) ط : « العالة العاف » . والعالة : جمع عيل عن كراع . والعيل : من تعوله . س ، هـ : « العادة » محرف .

(٨) ط : « وأبو قردة » س ، هـ : « وأبو فردة » صوا بهما فى ل . وانظر التنبيه الثانى .

(القراد فى الهجو)

قال رُشَيد بن رُمَيض(١) :

لنـــا عِزٌّ ومأوَانا قريبٌ ومَولى لا يدِب مع القُرَادِ(٢)

١٣١ وهجاهم الأعشَى فقال :

فلسنا لباغى المهمَلاتِ بِقِرْفَةٍ إذا ما طَمَا بالليلِ مُنْتَشِرَاتها(٣)

أبا مِسْمَعٍ أقْصِرْ ، فإن قصيدةً متى تأتِكم تُلْحَقْ بها أخَوَاتُها(٤)

وهجاهم حُضَينُ بن المنذرِ(٥) فقال :

---

(١) هو رشيد بن رميض العنزى ، من بنى عنز بن وائل ، أو من بنى عنزة . انظر تاج العروس (٥ : ٣٧) . والأرجح أنه من بنى عنزة . انظر التنبيه التالى . وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ٢٧٣٣ فيمن أدرك الرسول . و « رشيد » و « رميض » بهيئة التصغير ، كما فى القاموس . فيما عدا ل : « أسيد بن رميض » تحريف .

(٢) الرواية فى أمالى القالى (٢ : ١٢٦) والميداني (٢ : ٣١٩) واللسان (١ : ٣٥٧): ومرمانا قريب » . وفى الأمالى : « قوله : مرمانا قريب ، قال : هؤلاء عنزة . يقول : إن رأينا منكم ما نكره ، أو رابنا ريب ، انتمينا إلى بنى أسد بن خزيمة ». ومثل هذا النص فى اللسان .

(٣) المهملات : الإبل المرسلة بغير رعاء . والقرفة ، بالكسر : الظنة والتهمة ، ويراد بها أيضاً المتهم والظنين . وفي اللسان : «وبنو فلان قرفتى ، أى الذين عندهم أظن طلبتى» . وطما : ارتفع وعلا . ويقال طمى يطمى : إذا مر مسرعاً . فيما عدا ل : « بناعى المهملات بعرفة » صوابه فى ل والديوان ٦٢ واللسان (١٩ : ٢٤١) . وفى الديوان واللسان : « إذا ما طها » . طهت تطهى طهوا : انتشرت وذهبت في الأرض . وفى شرح الديوان : « وطها وطحا — الأخيرة بالحاء — : واحد ، وهو تفرقه وذهابه » .

(٤) فى شرح الديوان : « أبو مسمع : جد المسامعة ، وهو شيبان بن شهاب من بنى قيس » .

(٥) هو الحضين بن المنذر بن الحارث بن وعلة الرقاشي ، أحد بنى رقاش ، فارس شاعر ، وكانت معه راية علي بن أبي طالب يوم صفين دفعها إليه وهو ابن تسع عشرة سنة وفيه يقول علي :

تنازعني ضُبيعةُ أمْرَ قَوْمِي   وما كانتْ ضُبيعةُ للأمورِ [(١)]

وهل كانت ضُبيعةُ غيرَ عبدٍ   ضَمَمناه إلى نسَبٍ شطيرِ [(٢)]

وأوصانى أبى ، فحفظتُ عنهُ   بفكِّ الغُلِّ عن عُنُقِ الأسيرِ

وأوصَى جَحْدَرٌ فوَقى بَنيهِ   بإرسال القُرَادِ على البَعيرِ [(٣)]

قال : وفى القردان[(٤)] يقول الآخر ـ قال : [و] بعضهم يجعلها فى البراغيث . وهذا باطل[(٥)] ـ :

ألا يا عبادَ اللهِ مَنْ لِقَبيلةٍ   إذا ظهرت فى الأرض شدّ مُغيرُها

فلا الدينُ ينهاها ولا هى تنتهى   ولا ذُو سلاحٍ من مَعَدٍّ يَضيرُها

فمن أصناف القِرْدان : الحَمْنان[(٦)] ، والحَلَم[(٧)] ، والقِرشام[(٨)] ، والعَلّ[(٩)] ، والطِّلْح[(١٠)] .

= لمن راية سوداء يخفق ظلها   إذا قيل قدمها حضين تقدما

وكان حضين من كبار التابعين ، مات على رأس المائة . انظر المؤتلف ٨٧ وتهذيب التهذيب (٢ : ٣٩٥) والخزانة (٢ : ٨٩ — ٩٠ بولاق) . و « حضين » بالضاد المعجمة وبهيئة التصغير . وفى الأصل : « حصين » بالمهملة محرف ، وانظر المصادر السابقة والقاموس . قال العسكرى : « ولا أعرف من يسمى حضينا بالضاد المعجمة غيره » .

(١) ضبيعة ، بهيئة التصغير ، هم من بنى قيس بن ثعلبة . والحضين من بنى ذهل بن ثعلبة . ل : « والأمور » بالإقواء .

(٢) الشطير : البعيد والغريب . فيما عدا ل : « شكير » محرف .

(٣) كأنه فيما يرى قد وقى أبناءه من الفقر بوصيتهم هذه الوصاة . فيما عدا ل : « فوفى » وفى محاضرات الراغب (٢ : ٨١) : « قدما » . وانظر التنبيه الثالث من ص ٤٣٣ .

(٤) القردان ، بالكسر : جمع قراد ، بالضم . ط فقط : « القراد » .

(٥) انظر التنبيه ٧ من ص ٣٨٧ ، وقد سبق البيتان هناك .

(٦) الحمنان ، بفتح الحاء وسكون الميم : جمع حمنانة ، وهى من صغار القردان .

(٧) الحلم ، بالتحريك : جمع حلمة ، وهي القرادة الكبيرة .

(٨) القرشام ، بكسر القاف ، وآخره ميم : القراد الضخم ، يقال قرشام وقرشوم ، وقراشم ، بضم القاف فى الأخيرتين . ط : « الفرمان » هـ : « الفرسان » سه : « الفرشان » صوابه ما أثبت من ل .

(٩) العل ، بالفتح : القراد الضخم . فيما عدا ل : « القمل » تحريف .

(١٠) الطلح ، بالكسر : القراد المهزول ، أو العظيم .

(شعر ومثل فى القراد)

وقال الطِّرِمَّاح :

لمّـا وَرَدَتِ الطَّوِىّ والحوضُ كالـ ـصِيرة دَفْن الإزاء ملتبِدُه (١)
سافتْ قليــلاً عَلَى نصائبــه ثم استمرّتْ فى طامسٍ تخِدُه (٢)
وقد لوَى أنفَــهُ بمِشْفَرِها طِلحُ قراشيمَ شاحبٌ جَسَدُه (٣)
عَلٌّ طويلُ الطَّوَى كبالية السُّفْـــعِ متى يلْقَ العُلوّ يَصطعِدُه (٤)

---

(١) وردت ، يعنى الناقة . والبيت مختل الوزن ، وهو من المنسرح ، حذفت فيه نون مستفعلن . وهكذا جاء فى الأصل وديوان الطرماح ص ١١٨ . والطوى : البئر المطوية والصيرة ، بالكسر : حظيرة من خشب وحجارة تبنى للغنم والبقر . والدفن ، بالفتح : المندفن . والإزاء ، بالكسر : مصب الماء من الدلو فى الحوض . والملتبد : المتلبد . يقول : قد اندفن وتلبد بعضه على بعض . فيما عدا ل : «كالصرم دفين الإذاء ملتئده» صوابه فى ل والديوان .

(٢) سافت : شمت ، وفى الأصل : « ساقت » بالقاف ، تصحيحه من الديوان . ونصائب الحوض : ما نصب حوله من الحجارة وجعل كالحائط له . استمرت : مرت فى سيرها . طامس : أراد طريقاً قد اندفن فيه الأثر . تخده : تسير فيه الوخد ، وهو ضرب من السير . فيما عدا ل : « تجده » صوابه فى ل والديوان . وهذا البيت روى فى ط ، هـ بعد البيت التالى ، وقد رددته إلى موضعه الطبيعى معتمداً ما فى ل ، س والديوان .

(٣) الطلح : القراد ، وقيل القراد المهزول . والقراشيم : جمع قرشوم ، كعصفور ، وهو القراد الضخم ، أو شجرة زعمت العرب أنها تنبت القرادن ، لأنها مأوى القردان . وانظر اللسان (طلح ، قرشم) .

(٤) العل ، بالفتح : القراد المهزول : ويقال للضخم أيضاً . وفى الأصل : « على » صوابه فى الديوان . والطوى : الجوع . كبالية السفع ، يريد الحبة من الحنظل التى قد بليت فقد اسودت ، فشبه القراد بها فى قدرها ، والسفع : السود . يصطعده : يصعده . ط ، س « كصالية » هـ : «كتالية» صوابهما فى ل والديوان . ط ، هـ « الشفع » تحريف . وفيما عدا ل بعده : « مع العلوتين تصطعده » محرف ، أثبت صوابه من ل والديوان . لكن فى ل : « علو » بدل : « العلو » وهو تحريف .

وفى لزوق القُرادِ يقولُ الراعى :

نبتتْ مرافقهنَّ فَوْقَ مَزِلَّةٍ لايستطيعُ بها القُرادُ مَقيلا[١]

والعربُ تقولُ : « أَلْزَقُ من البُرَام[٢] ! » كما تقول : « أَلْزَقُ من القُراد ! » . وهما واحدٌ .

(شعر لأمية فى الأرض والسماء)

وذكر أميةُ بنُ أبى الصَّلْتِ ، خَلْقَ السماء ، وإنه ذكَرَ من مَلاَسَتِها[٣] أن القُرادَ لايَعْلقُ بها ، فقال :

والأرضُ مَعْقِلُنَا وكانتْ أمَّنَا فيها مَعاقِلُنَا وفيهـــا نُولَدُ

فيهـــا تلاميذ عَلَى قُذُفاتها حُبِسُوا قياماً فالفرائِصُ تُرْعَدُ[٤]

---

(١) المزلة ، بكسر الزاى وفتحها : اسم موضع من زل يزل ويزل : إذا زلق . والمقيل : القيلولة ، مصدر ميمى . أراد أن هذه النوق ملس الجلود لا يجد القراد فيهن موضعاً يثبت فيه لشدة إملاسهن . س : « ثبتت » هـ : « سنت » والأخيرة محرفة . ورواية البيت فى سيبويه (٢ : ٢٤٧) والمخصص (٩ : ٥٥ ، ١٦ ، ١٢٢) واللسان (١٣ : ٣٢٥) : « بنيت » وفى أمالى المرتضى (٢ : ٦) « تبيت » وهـذه محرفة . وفى ل فقط : « ما يستطيع » .

(٢) البرام ، بضم الباء بعدها راء : القراد . فيما عدا ل : « ألزم » من اللزوم . وفى ط : « البؤام » ، وفى هـ ، س : « البوام » صوابه فى ل والميدانى (٢ : ١٧٩) . وأنشد :

فصادفن ذا قترة لاصقا لصوق البرام يظن الظنونا

(٣) فيما عدا ل : « ملامستها » تحريف .

(٤) فى اللسان : « التلاميذ : الخدم والأتباع ، واحدهم تلميذ » . ولم يذكره صاحب القاموس إلا فى رسم (تلم) . وذكره صاحب اللسان فى الموضعين . وفى المعرب ٩١ : « التلام أعجمى معرب ، قيل هم الصاغة ، وقيل غلمان الصاغة ، وقيل هم التلاميذ » . والقذفات : جمع قذفة بالضم ، وهى النواحى والجوانب . فيما عدا ل : « تلامذ على قدمائها » . محرف . ط ، س : « حسر قياما » هـ : « خسرا » صوابهما فى ل .

فبَنَى الإلهُ عليهمُ مخصوفةً خَلْقَاءَ لاتَبْلَى ولا تتأوَّدُ(١)
فلو انه تَحْدُو البُرَامَ بمَتْنِهَا زلَّ البُرام عن التى لاتَقْرَدُ(٢)

(استطراد لغوى)

١٣٢ قال : القُرَاد أولُ مايكون ــ وهو الذى لايكاد يُرَى من صِغَر(٣) ــ قَمْقَامَة(٤) ، ثم يصير حَمْنَانة(٥) ، ثم يصير قراداً ، ثم يصير حَلَمة .

قال : ويقال للقُرَاد : العَلّ(٦) ، والطِّلْح ، والقَتِين(٧) ، والبُرَام(٨) ، وَالقِرْشَام .

---

(١) مخصوفة : من قولهم خصف النعل يخصفها خصفا : ظاهر بعضها على بعض وخرزها . وكل ما طورق بعضه على بعض فقد خصف . عنى أنها ذات أطباق . خلقاء : ملساء . تتأود : تتثنى وتتعوج . فيما عدا ل : « مخصوفة خلقا » محرف . وفى ط ، ه : « فلا تبلى » والوجه حذف الفاء كما فى ل ، س .

(٢) تحدو : تسوق . فيما عدا ل : « يحدو » . والبرام ، هى فى ط ، س : « البؤام » وفى ه : « البوام » صوابه بالراء ، كما سبق فى التنبيه ٢ ص ٤٣٧ . تقرد : يصيبها القراد ، قرد يقرد من باب تعب . عنى أن السماء ملساء فهى لا يستطيعها القراد . فيما عدا ل : « لبنى وألفاها التى » تحريف .

(٣) ل : « وهو لا يكاد أن يرى صغرا » .

(٤) القمقامة ، بقافين مفتوحتين بينهما ميم ساكنة : واحدة القمقام ، قيل هو القراد أول ما يكون صغيرا ، لا يكاد يرى من صغره . ط ، ه : « فقامة » س : « مقامة » صوابهما فى ل .

(٥) الحمنانة ، بفتح الحاء بعدها ميم ساكنة ثم نونان بينهما ألف ، جمعه حمنان ، ومثله الحمنة ، بالفتح ، جمعها حمن . فيما عدا ل : « حمانة » تحريف .

(٦) العل ، بالفتح . وفيما عدا ل : « القمل » وهو بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة . وفى اللسان : « قال أبو عبيدة : القمل عند العرب الحمنان » . وفيه أيضاً : « وقيل القمل دواب صغار من جنس القردان إلا أنه أصغر منها ، واحدتها قملة ، تركب البعير عند الهزال » . لكن صواب النص ما أثبت من ل ، فإن القمل سيتلو هذا قريباً .

(٧) القتين ، بفتح القاف وآخره نون ، سمى بذلك لقلة دمه ، أو لقلة طعمه ؛ لأنه يقيم المدة الطويلة من الزمان لايطعم شيئاً . فيما عدا ل : « القتير » تحريف .

(٨) البرام ، كغراب ، سبق الحديث عنه فى ص ٤٣٧ . فيما عدا ل : « البؤام » تحريف .

قال : والقُمَّل [واحدتها] قمَّلة ، وهى من جنس القِردان ، وهى أصغر منها .

(تخلق القراد والقمل)

قال : والقِرْدانُ يتخلق[(١)] من عرَقِ البعير ، ومن الوسخ والتلطُّخ بالثُّلُوط[(٢)] والأبوال ، كما يتخلق[(٣)] [من جلد الكلب ، وكما يتخلق[(٤)]] القملُ من عرق[(٥)] الإنسان ووسَخِه ، إذا انطبق عليه ثوبٌ أو شعرٌ أو رِيش .

والحَلَم يعرض لأُذُنَى الكلب[(٦)] أكثرَ ذلك[(٧)] .

(أمثال وأخبار فى القراد)

قال : ويقال : « أقْطَفُ مِنْ حَلمَة[(٨)] » و : « ألزَقُ من بُرَام[(٩)] » و : « أذلُّ من قُرَاد » وقال الشاعر[(١٠)] :

---

(١) ل : « تخلق » بإهمال الحرف الأول . وفيما عدا ل : « يخلق » وما أثبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٢) الثلوط : جمع ثلط ، بالفتح ، وهو الرقيق من الرجع والسلح . ه : « بالبلوط » تحريف .

(٣) ل : « تخلق » بإهمال الحرف الأول .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : «تخلق» بإهمال الحرف الأول .

(٥) فيما عدا ل : « درن » . والدرن : الوسخ .

(٦) ل : « لأذى الكلب » والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٧) فيما عدا ل : « أكثر من ذلك » .

(٨) أقطف : تفضيل من القطف ، وهو تقارب الخطو وبطؤه .

(٩) سبق هذا المثل فى ص ٤٣٧ .

(١٠) هو الحزين الكنانى يهجو كثيرا الشاعر . وللبيت قصة طريفة فى الأغانى (٨ : ٢٨ — ٢٩) . والبيت رواه أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٤٢١) والراغب فى المحاضرات (٢ : ١٢٩) .

يكاد خَليلى من تقارُبِ شَخْصِهِ يَعَضُّ القُرَادُ باسْتِه وهو قائمُ[(١)]

وقال أبو حَنش[(٢)] لقيس بن زهير : « واللهِ لأنْتَ بها أذلُّ من قُراد ![(٣)] » ، فقدَّمه وضَرَبَ[(٤)] عُنقَه .

وقال الراجز :

قِرْدانُه فى العَطَنِ الحَوْلِىِّ[(٥)] بِيضٌ كحَبِّ الحنظَلِ المقلِىِّ[(٦)]
من الخَلاَء ومن الخُوِىِّ[(٧)]

ويقال لحلمة الثدى القراد : وقال [عدىُّ] بن الرِّقاعِ[(٨)] :

---

(١) رواية الحماسة : « أظن خليلى » والمحاضرات : « رأيت خليلى » والأغانى : « قصير القميص فاحش عند بيته » .

(٢) أبو حنش ، هو عصم بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر ، وكان من فرسان يوم الكلاب الأول ، وهو قاتل شرحبيل بن الحارث . وأما قيس ابن زهير بن جذيمة العبسي فهو صاحب داحس والغبراء . وترجمته فى (٤ : ٨٤) . فيما عدا ل : «وأبو الحسن» صوابه فى ل . وانظر النقائض ٤٥٣ — ٤٥٨ والمفضليات (٢ : ١٢ طبع المعارف) .

(٣) يقال أيضاً : « أذل من قراد بمنسم » ، كما فى أمثال الميدانى . قال الفرزدق :
هنالك لو تبغى كليباً وجدتها أذل من القردان تحت المناسم

(٤) ل : « فضرب » .

(٥) العطن ، بالتحريك : مبرك الإبل حول الحوض . الحولى : الذى أتى عليه الحول . فيما عدا ل : « الحول » تحريف .

(٦) بيض : جمع أبيض وبيضاء . ط : « يبض » تحريف . ط : « عب الحنظل » س ، ه : « يحب الحنظل » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « المقل » تحريف .

(٧) الخوى ، بضم الخاء وكسر الواو : الخلاء . فيما عدا ل : « من الحلاء ومن الحول » . محرف .

(٨) هو عدى بن زيد بن مالك بن عدى بن الرقاع العاملى . ونسبه الناس إلى « الرقاع » وهو جد جده لشهرته . وكان شاعرا مقدما عند بنى أمية ، خاصاً بالوليد بن عبد الملك . وجعله ابن سلام فى الطبقة السابعة من شعراء الإسلام . وكان منزله بدمشق ، وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم . وقد تعرض لجرير وناقضه فى مجلس الوليد . الأغاني (٨ : ١٧٢ — ١٧٧) وابن سلام ٢٠٩ — ٢١٣ والمؤتلف ١١٦ والمرزبانى ٢٥٣ .

كأنّ قُرَادَىْ صدرِه طَبعَتْهُمَا ... بِطِينٍ من الجَوْلان كُتّابُ أعْجَمِ (١)

والقُرَادُ يعرِضُ لِأُسْتِ الجملِ . والنمل (٢) يعرضُ للخُصَى . وقال الشاعر (٣) :

وأنتَ مكانُكَ من وائلٍ ... مكانَ القُرَادِ مِنِ اُسْتِ الجَمَلِ (٤)

وقال الممزِّق :

تُنَاخُ طليحاً ما تُرَاعُ من الشَّذَا ... ولو ظَلَّ فى أوصالِها العَلُّ يرتقى (٥)

---

(١) البيت لعدى يمدح به عمر بن هبيرة . وروى أيضاً لملحة الجرمى ، كما فى اللسان (٤ : ٣٤٨) والمعرب ١٠٥ والحماسة (٢ ٣٥١ — ٣٥٢) من أبيات خمسة ، وأنشده فى الاقتضاب ٩٧ مسبوقا بكلمة : « وقال الجرمى » وهو بدون نسبة في المخصص (٢ : ١٤٨) . وضمير : « صدره » عائد إلى الرجل الذى يمدحه . وروى فى جميع المصادر التى أسلفت : « زوره » . والزور ، بالفتح : الصدر . والجولان ، بالفتح : جبل من نواحى دمشق . قال التبريزى : «وطين الجولان إلى السواد» . وروى صاحب الاقتضاب أن الجولان اسم الطين الذى يطبع به . قال : « ويقال للطين الذى يطبع به : ختام وجرجس وجولان » . س : « الحولان » تحريف . وخص كتاب العجم لأنهم كانوا أهل دواوين وكتابة . وفى اللسان : « أنشد الأزهرى هذا البيت ، ونسبه لابن ميادة يمدح بعض الخلفاء ، وقال فى آخره : كتاب أعجما » . ومبلغ الظن أنهما بيتان متشابهان .

(٢) فيما عدا ل : « والقمل » بالقاف ، تحريف . وعند الميدانى (٢ : ١٨٠) « والقراد يعرض لأست الجمل فيلزق بها كما يلزق النمل بالخصى » .

(٣) هو الأخطل من قصيدة له يهجو فيها كعب بن جعيل . انظر ديوانه ٣٣٥ وتنبيهات البكرى ١١٩ والخزانة (١ : ٢٢٠ بولاق) والشعراء ١٥١ والاشتقاق ٢٠٣ . وقبل البيت :

وسميت كعباً بشر العظام ... وكان أبوك يسمى الجعل

(٤) فيما عدا ل : « رأيت » وأثبت ما فى ل والخزانة والتنبيهات . ورواية ابن قتيبة : « وكان محلك من وائل محل » . وابن دريد : « وإن محلك من وائل محل » .

(٥) الطليح : المعيية الحسيرة . والشذا : ذباب أزرق عظيم يقع على الدواب فيؤذيها ، الواحدة شذاة . والأوصال : المفاصل والأعضاء ، جمع وصل ووُصل . والعل ، بفتح العين : القراد الضخم ، أو المهزول . وفى الأصل : « القمل » صوابه فى الأصمعيات ٤٧ . وانظر تعقيب الجاحظ . ط : « تناحى طليحى » س ، ه : « تناح طليحى » صوابهما فى ل والأصمعيات . فيما عدا ل : « ما تراح » و « فى أوطانها » صوابهما فى ل : والأصمعيات .

[ويروَى : « فباتَتْ ثلاثاً لاترَاع »] . يصف شدةَ جزعِها من القردان(١) .

وقال بشَّارُ بنُ بُرد :

أُعادِى الهمَّ منفرداً بشوق عَلَى كَبِدى كما لزق القُرَادُ(٢)

وكانوا إذا خافوا الجدبَ والأزمةَ تقدموا فى عمل العِلهِز . والعِلْهِز : قِرْدَانٌ يُعالَج(٣) بدم الفَصْد مع شىء من وَبرٍ . فيدّخرون ذلك كما يدّخرُ مَن خاف الحِصار(٤) الأكارعَ(٥) والجاوَرْس(٦) .

والشُّعوبيّةُ تهجو العربَ بأكلِ(٧) العِلْهِز ، والفثّ(٨) ، والدُّعاع(٩) ،

(١) « شدة جزعها » كذا جاءت فى الأصل . والذى يفهم من البيت هو صبرها وعدم جزعها . فيما عدا ل : « من القراد » .

(٢) ط ، هـ : « أعاد » ل : « كما لصق » . ولزق ولصق ولسق بمعنى .

(٣) ط فقط : « تعالج » . وفى اللسان : « العلهز وبر يخلط بدماء الحلم كانت العرب فى الجاهلية تأكله . وفى دعاء الرسول على مضر : « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف ! » فابتلوا بالجوع حتى أكلوا العلهز . قال ابن الأثير : هو شىء يتخذونه فى سنى المجاعة ، يخلطون الدم بأوبار الإبل ، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه . قال : وقيل كانوا يخلطون فيه القردان .

(٤) ط ، هـ : « كما يدخرون حافر الحمار » وهو تحريف فكه عجيب . وفى س : « كما يدخر من خافر الحمار » وهو أعجب . صوابهما فى ل .

(٥) الأكارع : جمع كراع ، وهو مستدق الساق . فيما عدا ل : « والأكارع » .

(٦) الجاورس ، بفتح الواو وسكون الراء : حب الدخن بالضم ، وهو الذرة الدقيقة التى تسميها العامة فى مصر : « الذرة العويجة » بضم العين وكسر الواو . وهو بالفارسية :

« گاوَرس » أو « گاوَرسه » استينجاس ١٠٧٣ .

(٧) فيما عدا ل : « يأكل » تحريف .

(٨) الفث ، بفتح الفاء وآخره ثاء مثلثة : حب يشبه الجاورس يختبز ويؤكل . فيما عدا ل : « العب » محرفة .

(٩) الدعاع ، بالضم : حب أسود يأكله فقراء البادية إذا أجدبوا . فيما عدا ل : « الزعاع » تحريف .

والهبيد[١] ، والمغافير[٢] ، وأشباهِ ذلك . وقال حسانُ بنُ ثابتٍ[٣] :

لم يُعَلَّلْنَ بالمغـــافير والصَّمْـ ـغِ ولا شَرْىِ حنظلِ الخُطْبَانِ[٤]

١٣٣ وقال الطِرِمَّاح :

لم تأكلِ الفثّ والدعاعَ ولم تنقُف هَبيداً يَجْنيه مُهتبِدُه[٥]

وقال الأصمعىُّ : قال رجلٌ من أهل المدينة[٦] لرجل : أيسُرُّك

---

(١) الهبيد ، بفتح الهاء وكسر الباء : حب الحنظل . كانوا يستخرجونه وينقفونه لتذهب مرارته ، ويتخذ منه طبيخ يؤكل عند الضرورة .

(٢) المغافير : صمغ العرفط والرمث ، حلو يؤكل . فيما عدا ل : « البرير » . والبرير : ثمر الأراك ، له عجمة صغيرة صلبة أكبر من الحمص قليلا ، وعنقوده يملأ الكف . وفى الحديث : « ما لنا طعام إلا البرير » .

(٣) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤١٤ — ٤١٥ يمدح بها جبلة بن الأيهم . وقبله :

قد دنا الفصح فالولائد ينظمـ ـن سراعا أكلة المرجان

يجتنين الجادى فى نقب الريـ ـط عليهـا مجاسد الكتان

وانظر الأغانى (١٤ : ٦) العقد (١ : ١٩٠) والأزمنة (٢ : ٣٠٣)

(٤) المغافير : جمع مغفور ، وقد سبق شرحه . ل : « بالمعافير » تصحيف . وعلله بطعام : شغله به ليجزأ به عن غيره . والشرى . بالفتح : الحنظل ، أو شجره ، أوورقه . والخطبان ، بالضم ، وقد يكسر : الحنظل يصفر وتصير فيه خطوط خضر . فيما عدا ل : « الحظبان » تحريف . ورواية البيت على هذا النحو توافق رواية المرزوقى فى الأزمنة . وفى الديوان والأغانى والعقد : « ولا نقف حنظل الشريان » . ونقف الحنظل : استخراج حبه . والشريان ، بالكسر والفتح : موضع بعينه ، أو واد . يقول : هن أهل حاضرة ونعمة ، لسن كالبدويات فى خشونة عيشهن ، ورداءة طعمهن .

(٥) البيت فى صفة امرأة ينعتها أنها ليست من أهل البادية . الفث والدعاع قد فسرا فيما سبق . فيما عدا ل : « القت والرعاع » تحريف . والهبيد : الحنظل أو حبه . والنقف : استخراج حبه . والمهتبد : الذى يأخذه من شجرته . فيما عدا ل : « يجنب » موضع « يجنيه » تحريف . ط : « مهتبد » صوابه فى سائر النسخ والديوان ص ١١٦ واللسان (٢ : ٤٨١) وهو فى الأزمنة للمرزوقى (٢ : ٣٠٣) محرفا . وقبله فى الديوان :

فيهم لنا خـلة نواصلها فى غير أسباب نائل تعده

إلا حديثاً رسلا يضلل بالـ ـمزهاة والمستنيع فيه دده

(٦) فيما عدا ل : « البادية » تحريف .

أن تعيشَ حتى تجيء حلَمَةٌ[١] من إفريقية مشياً ؟ قال : فأنتَ يسرُّك ذلك ؟ قال : أخافُ أن يقول إنسانٌ : إنها بمخيض[٢] ، فيُغْشَى علىَّ !

ومخيض[٣] على رأسِ بَريد من المدينة[٤] .

[ويقولون : أمّ القُرَادِ ، للواحدةِ الكبيرة منها . ويتسمَّوْنَ بقرَاد ، ويكتنون بأبي قراد . وقد ذكر ذلك أبو النجم فقال :

للأرض من أمِّ القُرادِ الأطْحَلِ[٥]

وفى العرب بنو قُراد[٦]] .

باب

فى الحبارى

ونقولُ فى الُحبارَى بقول مُوجز ، إن شاء الله تعالى .

قال ابنُ الأعرابىّ : قال أعرابىٌّ : « إنه ليقتُلُ الحبُارَى [هَزْلا[٧]] ظلمُ الناس بعضهم لبعض ! » . [قال] يقول : إذا كثُرت الخطايا منَع اللهُ عز وجل دَرّ السَّحاب . وإنما تُصِيب الطيرُ من الحبِّ ومن الثمر[٨] عَلَى قدْر المَطر .

(١) الحلمة : واحدة الحلم ، وهى القرادة الصغيرة . وهذه الكلمة ساقطة من ط .

(٢) مخيض ، على لفظ المخيض من اللبن ، فسرها الجاحظ وعينها . وانظر ياقوت وابن هشام ٧١٨ جوتنجن . ل : « هى » بدل : « إنها » . ط : « مخيض » س ، هـ : « مختص » صوابهما فى ل .

(٣) ط : « مخيص » س : « محبض » هـ : « مختص » صوابها فى ل . وانظر التنبيه السابق .

(٤) البريد : أربعة فراسخ . والفرسخ ثلاثة أميال . والميل أربع آلاف ذراع . وكلمة : « رأس » ليست فى ل .

(٥) الطحلة : لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد .

(٦) قراد ، وردت فى ل مضبوطة بالضم .

(٧) الهزل ، بالفتح ويضم : الهزال . وفى س ، هـ : « إنه ليقتل الحباري هؤلاء ظلما بظلم » .

(٨) فيما عدا ل : « التمر » بالمثناة ، محرف . وكلمة : من الأخيرة يست فى ل . وفى ل أيضاً : « يصيب » بالياء .

وقال الشاعر[١] .

يسقطُ الطيرُ حيثُ ينْتَثِر الحَـ ـبُّ وتغشَى منازِلُ الكُرَماء[٢]

وهذا مثلُ قوله[٣] :

أَما رأيتَ الألسُنَ السِّلاطاَ[٤] والأذرُعَ الواسعةَ السِّباطا[٥]

إن الندَى حيثُ ترَى الضِّغاطا[٦]

(ماقيل من المثل فى الحبارى)

وقالوا فى المثل : « مات فلانٌ كَمَدَ الُحبارَى[٧] » . [وقال أبو الأسود الدِّيلى .

وزَيدٌ ميِّتٌ كَمَدَ الُحبارَى إذا طعنت هُنيدةُ أو تلمُّ[٨]

ويروى : « ملمّ » وهو اسم امرأة . وذلك أن الطير تتحسَّر[٩]

---

(١) هو بشار ، من قصيدة يمدح فيها عقبة بن سلم . وقبل البيت كما فى الأغانى (٣ : ٤٣) :

إنما لذة الجواد ابن سلم فى عطاء ومركب للقاء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء

(٢) مثل هذه الرواية فى البيان (١ : ١٣٢) . وفى س ، ﻫ : « ويغشى » بالياء .

(٣) فى البيان (١ : ١٣١ — ١٣٢) : « وقال التميمى » .

(٤) السلاط : جمع سليط ، وهو الفصيح الحديد . وفى الأصل : « الملاطا » ولم أجد له وجهاً . وأثبت ما فى البيان .

(٥) السبط : الممتد المستوي . ويقال رجل سبط اليدين : سخى سمح . وفي ل : « والأذرع الطوال والسياطا » وبدله فى البيان : « والجاه والإقدام والنشاطا » .

(٦) الندي : الكرم . والضغاط ، بالكسر : الزحام . وهو من القلب ، أراد : إن الزحام حيث ترى الكرم . وهذا البيت رواه الجاحظ فى البخلاء ٢٠٣ .

(٧) س : « بجمر الحباري » . وانظر الميدانى (٢ : ١٠٥) وثمار القلوب (٣٨٣) .

(٨) صدر البيت فى محاضرات الراغب . (٢ : ٣٠١) . وقد رواه العسكرى فى جمهرة الأمثال ١٣٣ .

وزيد ميت كمد الحباري إذا بانت وجهة (؟) أو ملم

(٩) تتحسر وتنحصر : تخرج من الريش العتيق إلى الحديث .

وتتحسر معها الُحبارى . والُحباري] إذا نُتِفتْ أو تحسّرتْ أبطأ نباتُ ريشها ، فإذا طار صُوَيحباتها[١] ماتت كمدا .

وأما قوله : « أو تُلِمّ » يقول : [أوْ] تقارِب أن تَظْعَن[٢] .

وقال عثمان بن عفان رضى الله عنه : « كلٌّ [شيء] يحبُّ ولدَهُ حتى الُحبارى[٣] ! » . يضرب بها المثل فى الُموق[٤] .

(سلاح الحبارى وغيرها من الحيوان)

قال : وللحبارَى خِزانةٌ بين دُبُره وأمعائه ، له فيها أبداً سَلْحٌ رقيق [لزج[٥]] ، فمتى ألحّ عليها الصقرُ — وقد علمت أن سُلاحها منْ أجود سلاحها[٦] ، وأنها إذا ذرقتْه[٧] بقى كالمكتوف ، أو المدبّقُ[٨] [المقيَّد] — فعند ذلك تجتمع الحباريات على الصقر فينتفن ريشَه كلَّه طاقةً طاقةً[٩] . وفى ذلك هلاكُ الصقر .

---

(١) فيما عدا ل : « صواحباتها » .

(٢) تظعن : ترحل . وفيما عدا ل : « يقارب أن يطعن » محرف .

(٣) انظر الجزء الأول ص ١٩٦ .

(٤) الموق ، بالضم : الحمق فى غباوة .

(٥) الزيادة من ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢١٥) .

(٦) السلاح ، بالضم : النجو ، وبالكسر : ما يدافع به . ط فقط : « فإن سلاحه » تحريف . وبعد ذلك فى ط ، ﻫ : « أجود من سلاحها » وأثبت ما فى ل ، س .

(٧) فيما عدا ل : « وأنه إذا زرقه به » تحريف .

(٨) المدبق : الذى ألزق بالدبق . والدبق ، بالكسر : حمل شجر في جوفه كالغراء يلزق بجناح الطائر فيصاد به . دبق الطير ودبقه . فيما عدا ل : « المربوق » وهو المشدود في الربقة ، وهو خيط يثنى حلقة ثم يجعل رأس الشاة فيه ثم يشد .

(٩) الطاقة : شعبة من ريحان أو شعر ، أو قوة من الخيط أو نحو ذلك . وفيما عدا ل : كافة =

قال : وإنما الُحبارى فى سلاحِها كالظَّرِبانِ فى فُسائها ، وكالثعلب فى سُلاحه[1] ، وكالعقرب فى إبرتها ، والزنبور فى شعرته[2] ، والثورِ فى قرنه[3] ، والدِّيك فى صِيصِيَته[4] ، والأفعى فى نابها [والعُقابِ فى كفِّها]، والتمساح فى ذنبه .

وكلُّ شىء معه سلاحٌ فهو أعلم بمكانه . وإذا عدِم السلاحَ كان أبصَرَ بوجوه الهرب[5] ؛ كالأرنب فى إيثارها للصَّعْداء[6] ؛ لقصر يديها ، ١٣٤
وكاستعمال الأرانب للتوبير[7] والوطء على الزَّمَعات[8] ، واتخاذ اليرابيعِ القاصعاءَ والنَّافقاء ، والدَّامَّاء ، والراهِطاء[9] .

= وبدون تكرير ، تحريف ، صوابه فى ل وثمار القلوب ٣٨٣ .

(١) السلاح بالضم : النجو . فيما عدا ل « بوله » تحريف . وفى مباهج الفكر (الورقة ٦٨ من المخطوطة رقم ٣٢٤ طبيعيات) : « وهو من الحيوان الذى سلاحه سلاحه . وهو أنتن من سلاح الحبارى » . وسبق أيضاً فى الجزء الأول من الحيوان ص ٢٩ : « ومنه ما يكون سلاحه السلح كالحبارى والثعلب » . وانظر التنبيه ٦ من الصفحة السابقة .

(٢) فيما عدا ل : « شعرتها » تحريف . والزنبور مذكر .

(٣) فيما عدا ل : « قرنيه » .

(٤) صيصة الديك : الشوكة التى في رجله . فيما عدا ل : « صئصئه » محرف .

(٥) فيما عدا ل : « وإذا عدم سلاحه صار يهرب بوجوه الهرب » .

(٦) ط ، س : « وكالأرنب » بإقحام الواو . والصعداء ، بالفتح : من قولهم أكمة صعود وذات صعداء يشتد صعودها على الراقى . فيما عدا ل : « الصمداء » . وفى مباهج الفكر : « وليس شىء قصير اليدين أسرع منها حضرا . ولقصرهما يخف عليها الصعود والتوقل » . الورقة ٩٤ من مخطوطة دار الكتب رقم ٣٢٤ .

(٧) التوبير : الوطء على مآخير كفها . فيما عدا ل : « النوبين » محرف . وانظر ص ٢٧٨ .

(٨) الزمعات : جمع زمعة ، بالتحريك ، وهى الشعرة المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب .

(٩) فيما عدا ل : « والراهطاء والداماء » . وانظر ما سبق ص ٢٧٦ ، ٢٧٧ .

(شعر فى الحبارى)

وقال الشاعر[(١)] :

وهم تركوكَ أسْلَحَ مِنْ حُبَارَى ... رأت صقراً وأَشْرَدَ من نعَامِ[(٢)]

يريد : نعامة[(٣)] . وقال قيسُ بن زهير[(٤)] :

متى تتحزَّمْ بالمناطق ظالماً ... لتجرى إلى شَأْوٍ بعيد وتسبحِ[(٥)]

تـكُنْ كالْحبارَى إن أصيبتْ فمثلها ... أُصيبَ وإن تُفْلِتْ من الصَّقْرِ تَسْلَحِ[(٦)]

وقال ابن أبى فَنَنٍ[(٧)] ، يصفُ ناساً من الـكُتَّابِ ، فى قصيدة [له] ذكَرَ فيها خيانتَهم ، فقال :

---

(١) هو أوس بن غلفاء الهجيمى يخاطب يزيد بن الصعق الكلابى . انظر المفضلية رقم ١١٨ من طبع المعارف ، وابن سلام ٦٣ والكامل ٢٧٥ .

(٢) فيما عدا ل : « وهم تركوك أشرد من نعام » وهى أيضاً رواية ابن سلام ، وما أثبت من ل يوافق رواية الضبى والمبرد . وعند الميدانى (١ : ٣٥٤) : « وهم تركوك أشرد من ظليم » ولا تصح أن تكون رواية فى البيت ، لاختلاف الردف ، فإن ردف القصيدة الألف ، ولا يجوز الإرداف بالألف مع الإرداف بسواها من واو أو ياء . فلعله بيت آخر .

(٣) الكلمتان ليستا فى ل .

(٤) قيس بن زهير شاعر جاهلي ، وهو صاحب داحس . المؤتلف ١٦٨ — ١٦٩ والمرزباني ٣٢٢ . وفى ل : « وقال زهير » والبيتان ليسا فى ديوانه .

(٥) المناطق : جمع منطقة ، وهى ما يشد به الوسط . والشأو : الغاية والأمد . يسبح : يسرع فى جريه . ورواية البيت محرفة فيما عدا ل :

متى يتحرك للمناطق ظالما ... ويجرى إلى شأو بعيد ومسمح

(٦) فيما عدا ل : « يكن » والوجه الخطاب ، إلا إن أريد الالتفات . وفيما عدا ل : « فإن تفلت من الصقر » .

(٧) هو أحمد بن أبى فنن ، مولى بنى هاشم . وأبو فنن كنية أبيه ، واسم أبيه صالح بن سعيد كما فى وفيات الأعيان (ترجمة يزيد بن مزيد) . وقد مدح يزيد هذا ، كما مدح أبا دلف القاسم بن عيسى . وانظر طرفا من خبره فى الأغانى (٣ : ١٧٣) فيما عدا ل : « وقال ابن قيس » .

رَأَوْا مالَ الإمامِ لهمْ حَلالا وقالوا الدِّينُ دين بنى صَهارَى(١)

ولو كانوا يحاسبهم أمينٌ لقد سَلَحُوا كما سَلَحَ الحُبارَى(٢)

(الخرب والنهار)

والخَرَب(٣) : ذَكَرُ الحُبارى . والنهارُ : فرْخ الحُبارى(٤) . وفرخها حارض(٥) ساقطٌ لاخير فيه . وقال متمِّمُ بن نويرة(٦) :

وضَيفٍ إذا أرغى طروقاً بعَـيرَه وعانٍ ثوى فى القِدِّ حتى تـكنّعا(٧)

وأرملةٍ تمشى بأشعثَ مُحْثَل كفَرْخ الحُبَارَى رأسُه قدتصوَّعا(٨)

[وقال أعرابىٌّ :

---

(١) صهارى ، كذا وردت مضبوطة بالفتح فى ل . فيما عدا ل : « فقالوا الدين » بالفاء

(٢) فيما عدا ل : « ولوحتى يحاسبهم أمير » تحريف .

(٣) الخرب ، بالخاء المعجمة والتحريك ، فيما عدا ل : « الحرب » تصحيف .

(٤) ومن شعر المعاياة فيما أنشده الحريرى : ورواه غلام ثعلب في كتاب المداخل :

أكلت النهار بنصف النهار وليلا أكلت بليل بهـيم

(٥) الحارض ، بالضاد المعجمة : الضعيف البنية . فيما عدا ل : « حارف » محرف .

(٦) يرثى أخاه مالك بن نويرة . من المفضلية ٦٧ طبع المعارف .

(٧) طروقا ، بالضم : ليلا . قال الأصمعى : « إذا ضل الرجل أرغى بعيره : أى حمله على الرغاء ، لتجيبه الإبل برغائها ، أو تنبح لرغائه الكلاب فيقصد الحى» . والعاني : الأسير . ثوى : أقام . القد : السير من الجلد ، عنى القيد . تـكنع : تقبض ، أراد حتى يبس القيد على جلده . فيما عدا ل : « إذا نادى » ل : «إذا أرعى» صوابه من المفضليات . س ، ط : « بقرة » هـ : «بقفرة» صوابهما فى ل والمفضليات . ل : « توافى القد » وفيما عدا ل : «نعاه القد» صوابهما فى المفضليات . وفيما عدا ل : « تـكتما » بتاء قبل العين ، صوابه فى ل والمفضليات .

(٨) الأرملة : التى مات زوجها . الأشعث : المتلبد الشعر ، عنى ولدها . المحثل ، بفتح الثاء : الذى أسىء غذاؤه . تصوع : تقبض وتشقق . فيما عدا ل : « ريشه قد تصدعا » وأثبت ما فى ل . وفى المفضليات : « رأسه قد تضوعا » بالضاد المعجمة .

أَحبُّ أَن أَصطادَ ضبًّا سَحْبَلا[١] وخَرَبًا يرعى ربيعًا ، أرملا[٢]

فجعل الخرَب أرمَل ، لأن ريشه يكون أكثر . وقد ذكرنا ما فى هذا الباب فيما قد سلف من كتابنا[٣]] .

(خبر فيه ذكر الحبارى)

وقال أبو الحسن المدائنيّ : قال سعيد النّواء[٤] : قَدِمْتُ المدينةَ فلقيتُ علىَّ بنَ الحسين ، فقلت : يا ابنَ رسولِ الله ، متى يُبْعَثُ أميرُ المؤمنينَ علىُّ بنُ أبى طالب ؟ قال : إذا بُعِثَ الناس .

قال . ثم تذاكرْنا أيامَ الجمَل فقال : ليته كان ممنوعًا قبل ذلك بعشرين سنة[٥] — أو كلمةً غير هذه — قال : فأتيت حسن بن حَسَنٍ[٦] ، فذكرتُ له ما قال ، فقال : لَوَدِدْتُ والله أنه كان يقاتلهم إلى اليوم !

قال : فخرجت من فَورى ذلك إلى علىِّ بن الحسين ، فأخبرته بما قال ، فقال : إنه لقليلُ الإبقاء على أبيه .

---

(١) السحبل : الضخم .

(٢) أرمل ، من الرملة ، بالضم ، وأصلها الخط الأسود فى الثور والغزال ونحوهما ، أراد به طرائق الريش . ورواية البيت فى اللسان (١٣ : ٣١٦ ، ٣٥٣) : « رعى الربيع والشتاء أرملا » . وقد فسر الأرمل في الموضع الأول بأنه الذى لا أنثى له ، ليكون سمينًا .

(٣) لم أهتد إلى الموضع الذي يشير إليه الجاحظ . ولعله مما سقط من الكتاب .

(٤) النواء ، هذه النسبة إلى بيع النواة . وجرت عادة أهل المدينة أنهم يبيعون النواة ويعلفون بها . انظر أنساب السمعانى ٥٦٩ . وفى التاج : « النواء كشداد من يبيع نوى التمر . وأشتهر به جماعة من المحدثين » . فيما عدا ل : « النوا » بطرح الهمزة .

(٥) ط : « ممتوعا » بالتاء ، ولا وجه له . وفى ل : « بعشر سنين » . أراد : ليته كان عاجزا عن هذه المغامرات .

(٦) هو حسن بن حسن بن على بن أبى طالب . وفيه وفى أخيه زيد ينحصر عقب والدهما الحسن بن على . ط ، س : « حسن بن حسين » تحريف . وانظر التنبيه والإشراف ٢٥٨ والمعارف ٩٢ — ٩٣ .

قال : وبلغ الخبرُ المختارَ فقال : أيُضَرِّبُ[١] بينَ ابنَى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ! لأقتلنَّه ! فتواريت ما شاء الله ، ثم لم أشعر[٢] إلا وأنا بين يديه ، فقال : الحمد لله الذى أمكننى منك ! [قال] فقلت : أنت استمكنْتَ منِّى ؟ أمَا والله لولا رؤيا رأيتها لَمَا قدَرْتَ علىّ ! قال : ومارأيت ؟ فقلتُ : رأيتُ عثمان بن عفان[٣] فقلت : أنت عثمانُ بنُ عفان ؟ فقال : أنا حُبَارى ، تركتُ أصحابى حَيَارى ، لا يهود ولا نصارى !

فقال : يا أهل الكوفة انظروا إلى ما أرى اللهُ عدُوَّكم ! ثم خلَّى سبيلى. [وقد رُوى هذا الكلامُ عن شُتَيْر بن شَكَل[٤]، أنه رأى معاويةَ فى النوم فقال الكلامَ الذى رُوِى عن عثمان] .

ووجْهُ كلامِ علىِّ بن الحسين الذى رواه عنه سعيدٌ النواء[٥]، إن كان ١٣٥
صادقاً فإنه للذى كان يسمعُ من الغالية[٦] ، من الإفراط والْغُلوِّ والفُحْش .
فكأنه[٧] إنما أرادَ كسرهم ، وأن يحُطَّهم عن الغلوّ إلى القَصْد[٨] ؛

---

(١) يضرب ، من التضريب ، وهو التحريض . انظر اللسان (٢ : ٣٩ س ١٠) .
(٢) ل : « ثم لم يشعر » .
(٣) ل : « قلت رأيت عثمان » مع حذف « ابن عفان » فى هذا الموضع وتاليه .
(٤) شتير ، بهيئة التصغير أوله شين وتاء . وشكل بالتحريك . وهو محدث تابعى ، وذكر بعضهم أنه أدرك النبى . وفى الأصابة : « وهو وأبوه لا نظير لهما فى الأسماء » . لكن ذكر صاحب القاموس « شتير بن نهار » من التابعين أيضاً . ولشتير رواية عن ابن مسعود وحذيفة وعلى وغيرهم . وكنيته أبو عيسي ، وروى عنه الشعبى وأبو الضحى وبلال بن يحي وغيرهم . ومات فى ولاية الزبير أو معصب بن الزبير . انظر القاموس (شتر ، شكل) والإصابة ٣٩٤٧ . وأما والده « شكل » فهو ابن حميد العبسى صحابى ممن نزل الكوفة . انظر الإصابة ٣٩١٢ . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « شنير بن شكل » تحريف .
(٥) انظر التنبيه ٤ من الصفحة السابقة . فيما عدا ل : « النوا » .
(٦) الغالية والغلاة : الذين يغلون ويبالغون فى شأن على وآله .
(٧) ل : « وكأنه » .
(٨) القصد : الاعتدال . والغلو : تجاوز الحد . ط : « العلو » تحريف .

فإن دين الله عز وجل بَيْنَ التقصير[1] [والغلوّ] و إلا فعلىٌّ بنُ الحسين أفْقَهُ فى الدين ، وأَعلمُ بمواضع الإمامة ، من أن يخفَى عليه [فضلُ[2]] مابين علىٍّ و[بين] طلحةَ والزُّبير .

(شعر ومعرفة فى الحبارى)

وقال الكُميت :

وعيدَ الحُبارَى من بعيد تنفَّشَتْ ... لأزْرَقَ مَغْلُولِ الأظافيرِ بالخَضْبِ[3]

والحبارى طائرٌ حسن . وقد يُتَّخَذُ فى الدور .

وناسٌ كثيرٌ من العرب وقريش يستطيبون مَحْسِىَّ[4] الحُبارَى جدًّا .

قال : والحبارى [من[5]] أشدّ الطير طيراناً ، وأبعدها مَسْقَطاً[6] ، وأطولها شوْطاً ، وأقلّها عُرْجة[7] . وذلك أنها تُصْطاد[8] بظهر البَصرة

(١) ط ، هـ : « القصد » س : « التقصد » صوابهما ما أثبت من ل .
(٢) الفضل ، بالمعجمة : الزيادة . وهذا الإكمال من ل ، س .
(٣) وعيد الحبارى ، يضرب مثلا للضعيف يتوعد القوى ، ومن أمثال العرب : « وعيد الحباري الصقر » . انظر ثمار القلوب ٣٨٢ والميدانى (٢ : ٢٨٩) . وذلك أن الحبارى تقف للصقر وتحاربه ولا سلاح لها ، وربما ذرقته . تنفشت : نفشت ريشها . فيما عدا ل : « تنفست » تحريف . والأزرق : البازى ، أو العقاب أو الزرق . انظر ص ٣٣٠ . المغلول ، من قولهم غل شعره بالطيب أدخله فيه . فيما عدا ل : « معلول » عله : سقاه مرة بعد أخرى . والخضب : مصدر خضبه بالخضاب ، عنى به دماء ما يقتنص من الحيوان . ل : « بالحصب » .
(٤) كذا فى ل . وفيما عداها : « محشو » . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٣٥) .
(٥) هذه الزيادة من ل ، س .
(٦) المسقط ، بفتح القاف : السقوط . وبفتحها وكسرها : مسقط الرأس والمولد . فيما عدا ل : « سقطا » تحريف .
(٧) العرجة ، بالضم والفتح ، والتحريك : أن تعرج على المنزل وتحتبس .
(٨) ط ، س : « تصاد » .

عندنا ، فيشقّق[١] عن حواصلها ، فيوجد فيه الحبّة الخضراء[٢] غَضّةً ، لم تتغير ولم تفسُد .

وأَشجار البُطُم[٣] وهى الحبّة الخضراء[٤] بعيدةُ المنابت [مِنَّا] . وهى عُلوية أو ثَغْريّة[٥] ، أو جَبَلِيَّة . فقال الشاعر[٦] :

ترتعى الضّرْوَ من بَرَاقش أو هيلا ن أو يانعاً من العُـتُمِ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « فيشق » .

(٢) سه : « حبة الخضراء » تحريف .

(٣) البطم ، بالضم وبضمتين . وفى اللسان : « وأهل اليمن يسمونها الضرو . والبطم : الحبة الخضراء عند أهل العالية » . وهوشجر فى حجم الفستق والبلوط ، سبط الأوراق والحطب يكثر بالجبال ، وحبه مفرطح فى عناقيد كالفلفل ، وعليه قشر أخضر داخله آخر خشبي يحوى اللب كالفستق .

(٤) فيما عدا ل : « وهى حبة الخضراء » وفى اللسان (١٩ : ٢١٨ س ١٣) : « حبة الخضراء » صوابهما ما أثبت من ل .

(٥) علوية : نسبة إلى عالية نجد ، وهو ما كان من جهة نجد من المدينة إلى تهامة . وما كان من دون ذلك من جهة تهامة فهى السافلة . وثغرية : نسبة إلى الثغر . وهو واحد ثغور الشام . وفى نهاية الأرب (١٠ : ٢١٥) : « ومنابتها جبال الثغور الشامية » . فيما عدا ل : « عودية » تحريف .

(٦) هو النابغة الجعدى ، كما فى الأغانى (٦ : ٦٤ — ٦٥) ومعجم البلدان (براقش ؛ هيلان) وإكليل الهمداني مطبوعة الأب أنستاس ١٢٥ واللسان (١٥ : ٢٧٦ ، ١٩ : ٢١٨ ، ١٤ : ٢٤٠ ، ٨ : ١٥٣) . وانظر رسالة الغفران ٤٠ والقالى (١ : ١٧٣) وشمس العلوم ٦٥ ، ١١٢ .

(٧) ترتعي ، كذا جاءت الرواية . وصوابهما : « يَسْتَنُّ » أى يستاك ، كما فى الأغاني وشمس العلوم فى الموضعين . أو « يُسَنُّ » أى يصقل ويسوك ، فى اللسان (١٤ : ٢٤٠) ورسالة الغفران . وذلك لأن قبله :

كأن فاها إذا تبسم عن طيب مشم وطيب مبتسم

كما فى الأغانى . وفى اللسان (١٤ : ٢٤٠) مثله برواية :

كأن فاها إذا توسن من طيب مشم وحسن مبتسم

وفى سائر المصادر « تستن » وصحة هذه الرواية مبنية على رواية بيت بين البيتين وفيه خبر كأن ، وهو كما فى اللآلى ٤٣١ والألفاظ ٦٣١ :

ركب فى السام والزبيب أقا حى كثيب تندى من الرهم

والضرو ، بفتح الضاد وكسرها . فيما عدا ل : « الشري » تحريف . وفى سائر =

[شجر الزيتون(١)] . والضَّرو(٢) شجر البُطُم ، وهى الحبّة الخضراء(٣) بالجبال شجرتها(٤) . وقال الكَوْدَن العِجْلِيّ(٥) ، [ويروى العُكْلى] : « البطم لايعرفه أهل الجَلْس(٦) » وبلاد نجد هى الجلس(٧) ، [و] هو ما ارتفع . والغور هو(٨) ما انخفض . وبَراقِشُ : واد باليمن ، كان لقوم عاد . وبراقشُ : كلبةٌ كانت تتشاءم بها العرب(٩) . وقال حمزة بن بيض(١٠) :

= المصادر : « بالضرو » . وبراقش ، بالفتح وكسر القاف : مخفد من مخافد اليمن . وهيلان ، بالفتح : جبل باليمن مطل على مأرب من المغرب وعلى براقش والجوف من اليمن . انظر شمس العلوم والإكليل . ويانعاً : ناضراً ، هى فيما عدا ل : « تابعاً » تحريف . وفى الأغاني ومعجم البلدان : « يانع » وفى سائر المصادر : « ناضر » . والعتم ، بضم أو بضمتين أو بالتحريك ، الأخيرة عن اللسان ، وهو الزيتون البرى . وفى حديث أبى زيد الغافقى : « الأسوكة ثلاثة : أراك ، فإن لم يكن فعتم أو بطم » فيما عدا ل : « الغنم » تحريف . وفى شمس العلوم : « السلم » وفى الأغانى : « العنم » هذه محرفة . وفى اللسان (١٩ : ٢١٨) : « ويروى : أو ضامر من العتم » . أقول : هى رواية المعرى فى رسالة الغفران .

(١) هذا تفسير للعتم . وهو وجه فى تفسيره . والوجه الأخر ما أسلفت فى التنبيه السابق .

(٢) فيما عدا ل : « الشرى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « حبة الخضراء » وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . والكلام من : « وهى الحبة الخضراء » إلى كلمة : « البطم » التالية ساقط من هـ .

(٥) فيما عدا ل : « الكوذن » بالذال المعجمة . والمعروف فى أعلامهم بالمهملة . انظر اللسان .

(٦) الجلس ، بفتح الجيم . سه : «الحلس» تحريف .

(٧) ط ، هـ : « وبلاد نجد والجلس » سه : « والحلس » صوابهما فى ل .

(٨) هذه الكلمة ليست فى ل .

(٩) انظر لخبر براقش إكليل الهمدانى ١٢٦ وأمثال الميدانى (١ : ٤٢٢) .

(١٠) حمزة بن بيض الحنفى ، شاعر إسلامى من شعراء الدولة الأموية كوفى خليع ماجن . وكان منقطعاً إلى المهلب بن أبى صفرة وولده ، ثم إلى أبان بن الوليد ، وبلال بن أبى بردة ، واكتسب بشعره مالا عظيما بلغ ألف ألف درهم . ولم يدرك الدولة العباسية . الأغانى (١٥ : ١٤ — ٢٥) والمؤتلف ١٠٠ . و« بيض » بكسر الباء ، وضبطه الحافظ بالفتح ، وقال الفراء : « البيض : جمع أبيض » وهو الصواب . انظر تاج العروس (٥ : ١٤ — ١٥) ويشهد لصحة الضبط بالكسر قول السحيمى له ، كما فى الأغانى =

بل جناها أَخٌ عَلَيَّ كريمٌ ... وعلى أهلِها براقِشُ تجني[1]

القول فى الضأن والمعز

قال صاحب الضَّأن : قال الله تبارك وتعالى: ﴿ ثمانيةَ أزواجٍ مِنَ الضَّأنِ اثنَيْنِ ومِنَ المَعزِ اثنَيْنِ ﴾[2] فقدَّم ذِكرَ الضأن .

وقال عز وجل : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ[3] ﴾ . وقد أَجمعوا على أنه كبشٌ . ولا شيء أعظمُ مما عظَّم الله عز وجلّ ، [ومِنْ شيء فُدِي به نبيٌّ] .

وقال تعالى : ﴿ إنَّ هٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ[4] ﴾ ولم يقل إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون عَنْزاً ولى عنزٌ واحدة[5] ؛ لأن الناس يقولون كيف النعجة ؟ يريدون الزوجة .

وتسمى المها مِنْ[6] بقَر الوحش نعاجاً[7] ولم تسمَّ بعُنُوز . وجَعله[8] الله عز وجل السُّنَّةَ فى الأضاحى . والكبشُ للعقيقة[9] وهديَّة العُرْس

= (١٥ : ١٧) والبيان (٣ : ٢٣٧ — ٢٣٨) :

أنت ابن بيض لعمرى لست أنكره ... حقاً يقينا ولكن من أبو بيض

إن كنت أنبضت لى قوسا لترمينى ... فقد رميتك رميا غير تنبيض

ط ، هـ : « حمدة » صوابه بالزاى كما فى ل ، س .

(١) فيما عدا ل : « هل جنها » وهو تحريف ، إذ أن قبله ، كما فى أمثال الميداني :

لم تكن عن جناية لحقتنى ... لا يسارى ولا يمينى رمتنى

(٢) من الآية ١٤٣ فى سورة الأنعام .

(٣) الآية ١٠٧ من سورة الصافات . وانظر للذبيح ما كتبت فى (٤ : ٨٤) .

(٤) من الآية ٢٣ فى سورة ص . وكلمة « هذا » ساقطة من ط ، س .

(٥) كلمة : « هـذا » ساقطة من ط ، هـ . وفيما عدا ل : « واحد » بدل : « واحدة » تحريف .

(٦) هـ : « وتسمى المهاة » س : « والمهاة » وأثبت ما فى ل ، ط .

(٧) ط ، هـ : « نعجة ونعاجا » س « نعجة ونعاج » وفيهما إقحام وتحريف .

(٨) أي جعل الضأن . فيما عدا ل : « وجعل » تحريف .

(٩) العقيقة : ما يذبح يوم حلق الشعر الذي يولد به الطفل . وفى الحديث أن رسول =

وجعلَ الجذَع من الضأن كالثّنِيِّ من المعزْ[١] فى الأُضْحِيَة .

١٣٦ وهذا ما فضَّل الله[٢] به الضأن فى الكتاب والسُّنّة .

(فضل الضأْن على المعز)

تولَّد[٣] الضأنُ مرة فى السَّنَة ، وتُفْرِد ولا تُتْئِم . والماعزة [قد] تولد[٣] مرتين ، وقد تضعُ الثلاثَ وأكثرَ وأقلَّ .

والبركة والنَّماء والعدَدُ فى الضأن ، والخنزيرةُ كثيرةُ الخنانيص[٤] . يقال إنها تلد[٥] عشرينَ خِنّوصاً . ولا نماء فيها[٦] .

قال : وفضل الضأن على المعز أن الصوف أغلى وأثمنُ وأكثرُ قدراً من الشعر . والمثلُ السائر : «إنما فلانٌ كبشٌ من الكِباش» . وإذا هجَوه

= الله صلى الله عليه وسلم قال : « فى العقيقة عن الغلام شاتان مثلان ، وعن الجارية شاة » . انظر اللسان . والشاة : الواحدة من الغنم يكون للذكر والأنثى . وانظر البخارى (٧ : ٨٤) وجمع الفوائد (١ : ٢١٠ — ٢١٢) .

(١) الجذع ، بالتحريك : يكون إجذاعه من ستة أشهر إلى عشرة . والثنى من المعز : ما كان فى الثالثة .

(٢) فيما عدا ل : « فهذا ما فضل الله عزوجل » .

(٣) ط : « تلد » تحريف ، لا يقال ولدت الشاة بمعنى وضعت . وإنما يقال وَلَّدتها وأولدت هى . انظر هذا الجزء ص ١٤٥ ساسى واللسان (٤ : ٤٨٥ س ١٠) . وإذا قالوا شاة والد أو والدة فإنهم يعنون أنها حامل ، أو بينة الولاد قد عرف منها كثرة النتاج . وجاءت الكلمة على الصواب الذى يراه الجاحظ فى سائر النسخ ، وبالضبط الذى أثبت فى ل فقط . فيصح أن تقرأ : « تولد » ، أولدت هى . ويبدو لى أن هذا قول لبعض اللغويين ، وإلا ففى اللسان (٤ : ٤٨٣ س ١٥) : « وكل حامل تلد » . وانظر المخصص (٧ : ١٧٨ — ١٧٩) .

(٤) الخنانيص : جمع خنوص ، كسنور ، وهو ولد الخنزير .

(٥) فيما عدا ل : « تلد » وانظر التنبيه الثالث من هذه الصفحة .

(٦) أراد أنها مع كثرة ما تضع لا يبقى من ولدها إلا القليل . فيما عدا ل : « لها » وفى العقد (٤ : ٢٥٧) : « ولا نماء فيها ولا بركة » .

قالوا : « إنما هو تيسٌ [من التيوس] » إذا أرادوا النتن [أيضاً] . فإذا أرادوا الغاية فى الغباوةِ قالوا : « ماهو إلا تيسٌ فى سفينة![1] » .

والحُملانُ يلعبُ بها الصبيان ، والجداء لا يُلعبُ بها. ولبنُ الضأن أطيبُ وأخثَرُ[2] وأدسم ، وزُبْده أكثر . ورؤوس الضأن المشويّةُ هى الطيبة المفضلة ، ورؤوس المعْز ليس عندها طائل .

ويقال رؤوس الحُملان ، ولا يقال رؤوس العِرْضان[3] .

ويقال لِلُّوطِيِّ[4] الذى يلعب بالحُدَّر[5] من أولاد الناس : « هو يأكل رؤوس الحُملان ! » [6] ؛ لمكان ألية الحمل ، ولأنه أخْدل وأرطب[7] . ولم يقولوا فى الكناية والتعريض : هو يأكل رؤوس العِرضان .

والشِّواء المنعوتُ شِواء الضأن ، وشحمُه يصير كلُّه إهالةً[8] أوّلُه وآخرُه . والمعْــز[9] يبقى شحمُه على حاله ، وكذلك لحمُه . ولذلك صار الخبّازون[10] الحُذّاقُ قدتركوا الضأن ؛ لأن المعْز يبقى شحمه ولحمه ، فيصلح

---

(١) انظر ما سبق فى (٢ : ١٥٠) . وقد سار المثل بهذا فى شعر أبى الشمقمق يهجو بشارا (انظر الأغانى ٣ : ٤٦ ، ٦٩) :

إن بشــار بن برد تيس اعمى فى سفينه

(٢) الخثورة : نقيض الرقة . ل : « أخثر وأطيب » .

(٣) العرضان ، بالكسر : جمع العريض ، وهو الجدى أتى عليه نحو سنة . والكلمة ليست فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « للزطي » تحريف .

(٥) الحدر ، كركع : جمع حادر ، وهو الغلام الجميل الصبيح ، والسمين الغليظ . وفى اللسان (٥ : ٢٤٤) أنه يجمع على حدرة . فيما عدا ل : « الحرب » تحريف .

(٦) فى كنايات الثعالبى ٢٥ : « فلان يحب الحملان ويبغض النعاج » وأنشد لأبى نواس :

إنى امرؤ أبغض النعاج وقد يعجبنى من نتاجها الحمــل

(٧) الخدل : العظيم الممتلئ . فيما عدا ل : « أجزل » محرف .

(٨) الإهالة ، بالكسر : ما أذيب من الألية والشحم . فيما عدا ل : « إهالة واحدة » .

(٩) ط فقط : « العنز » صوابه فى سائر النسخ .

(١٠) المراد بالخبازين هنا الطهاة الذين يجمعون بين الخبز والطهو . وسبق فى (٤ : =

لأنْ يسخَّن مراتٍ[١] ، فيكونَ أربَحَ لأصحاب العُرس .

والـكباشُ للهدايا وللنطاح[٢] . فتلك فضيلةٌ فى النجدة و[فى] الثقافة[٣] وَمن الملوك من يُرَاهِنُ عليها[٤] ، و يضع السَّبَق عليها[٥] ، كما يراهن على الخيل .

والـكبشُ الـكرازُ[٦] يحمل الراعىَ وأداةَ الراعى . وهو له كالحمار فى الوقير[٧] . ويعيش [الـكرَّازُ] عشرين سنة .

وإذا[٨] شَبِقَ الراعى وَاغتَلَم اختارَ النعجة على العنز . وإذا نعتوا شــكلاً من أشكال مشى البراذِين[٩] [الفُرَّهِ[١٠]] قالوا : هو يمشى مشْى النِّعاج .

= ٧٦) قول الجاحظ : « والعرب تقول للرجل الصانع نجاراً . وتسميه خبازا إذا كان يطبخ و يعجن » وفى البخلاء ١٢٣ — ١٢٤ : « وقرب خباز أسد بن عبد الله إليه ، وهو على خراسان ، شواء قد نضجه نضجاً » . وفى التاج للجاحظ ١٧٣ : ثم يأتيه الخباز بالبزماورد » . وانظر تحقيق العلامة أحمد زكى باشا فى ص ٢٠٩ ، وتحقيقاتى فى (كليلة ودمنة) فى مجلة الرسالة العدد ٤٢٨ .

(١) فيما عدا ل : « فيصلح أن يسمن مرات » تحريف .

(٢) النطاح ، يشير به إلى اللعب بالـكباش والتقامر بنطاحها . انظر (٢ : ٣٦٧ س ٣) فيما عدا ل : « النكاح » محرف .

(٣) الثقافة : الحذق والفطنة والخفة .

(٤) يراهن ، من المراهنة . ط فقط : « براهن » بالباء الموحدة ، تحريف .

(٥) السبق بالتحريك : الخطر الذي يوضع بين أهل السباق . ل : « عنها » .

(٦) الـكراز ، كشداد : الذي يضع عليه الراعى كرزه فيحمله ، ويكون أمام القوم ، ولا يكون إلا أجم ، لأن الأقرن يشتغل بالنطاح . انظر اللسان . والـكرز ، بالضم : الخرج الـكبير يحمل فيه الراعى زاده ومتاعه . فيما عدا ل : « الـكزاز » بزاءين ، محرف .

(٧) الوقير ، كأمير ، قال الرمادى : « دخلت على الأصمعى فى مرضه الذي مات فيه فقلت : يا أبا سعيد ، ما الوقير ؟ فأجابني بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلبها وحمارها وراعيها ، لا يكون وقيرا إلا كذلك » . فيما عدا ل : « الرفق » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « فإذا » ووجهه بالواو .

(٩) البراذين : جمع برذون ، وهو من الخيل ، ما كان من غير نتاج العراب . ط فقط : « البرازين » بالزاى ، تحريف .

(١٠) الفره ، بالضم وتشديد الراء المفترحة : جمع فاره ، وهو النشيط الحاد القوى .

وقال الله عز وجلّ : ﴿ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا[1] ﴾ فقدّم الصُّوف .

والبُخْت هى ضأنُ الإبل[2] ، منها الجمّازات[3] . والجواميس هى ضأن البقر . يقال للجاموس الفارسية : « كاوْماش[4] » .

وَلا يُذْكَرُ الماعزُ بفضيلةٍ إلا ارتفاعَ[5] ثمن جلده ، وغَزَارةَ لبَنه . فإذا صِرْتَ إلى عددِ كثرة النِّعاج[6] وجلودِ النعاج والضأن كلِّها أربَى ذلك على ما يفضُلُ به الماعزُ الضأنَ فى ثمنِ الجلد ، وَالغُزر[7] فى اللبن .

(قول ابنة الخس ودغفل فى المعز)

وقيل لابنة الُخسّ : ما تقولين فى مائة من المعز ؟ قالت : قِنًى[8] !

---

(١) من الآية ٨٠ فى سورة النحل . ولفظ : (وأشعارها) من ل فقط .

(٢) البخت ، بالضم : الإبل الخراسانية تنتج من بين عربية وفالج . والفالج : البعير ذو السنامين . اختلف فى عربيتها ، فقال بعضهم : « أعجمى معرب » . ل : « من ضأن الإبل » .

(٣) الجمازات ، جمع جمازة : وهى التى تجمز ، أى تسرع فى عدوها . وانظر (١ : ٨٣ — ٨٤) .

(٤) هى « كاوميش » بالجاف الفارسية . « كاو » بمعنى البقر . وميش ، بكسر الميم كسر إمالة ، ولذلك ساغ للجاحظ رسمها بالألف ، ومعنى « ميش » الضأن A sheed كما فى معجم استينجاس ١٣٦٢ ، وكما يفهم من عبارة الجاحظ . وانظر المعرب ١٠٤ ومقدمة المعرب ٧ . ومن ذلك تفهم أن العلامة الدكتور عزام قد شاركنى عدم التوفيق فى تخريج الكلمة ، فلماذا ارتضى « النعجة » مع أن « الكبش » من الضأن كان أولى بأن يخرج عليه ؟ ولا ريب أن الجاموس أشبه بالكباش منه بالنعاج ، لكبر قرونه وعظامة جثته .

(٥) فيما عدا ل : « إلا بانتفاخ » وهو تحريف فكه .

(٦) كذا فى الأصل .

(٧) الغزر ، بالضم والفتح : كثرة الدر .

(٨) قنى ، بكسر ففتح : جمع قنية ، بالكسر والضم ، وهو ما اكتسب . ط ، س « فناء » ه : صوابهما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٣ — ٨٤) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

قيل : فمائة من الضأن (١) ؟ قالت : غِنًى (٢) . قيل: فمائه من الإبل .
قالت : مُنًى !

وسئل دَغفل بن حنظلة (٣) عن بنى مخزوم ، فقال: مِعْزَى مَطيرة (٤) ، عليها قُشَعْرِيرة ، إلا بنى المغيرة ؛ فإن فيهم تشادُقَ الكلام ، ومصاهرة الكرام (٥) .

(ماقيل من الأمثال فى العنز)

١٣٧ وتقول العرب : لهو أصْرَدُ من عَنْز جَرْباء (٦) ! » . وتقول العرب : العنز تُبْهِى ولا تُبْنِى (٧) » لأن العنز (٨) تصعَدُ على ظهور الأخبية

---

(١) فيما عدا ل : « الضأن » مع إبدال كلمة : « الإبل » التالية بكلمة : « الضأن » تحريف صوابه فى ل والمرجعين السابقين .
(٢) سه فقط : « غنا » تحريف .
(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٤٨٩) . ط : « عيل بن حنظلة » سه : « عبل » ه : «دعبل» ، صوابهما فى ل والمرجعين السالفين والبيان (١٠ : ٩٤) .
(٤) فى القاموس : « والمعزى قد يؤنث وقد يمنع » . مطيرة : أصابها المطر .
(٥) ل فقط : « ومصاهرة الكتاب » تحريف .
(٦) أصرد : من الصرد ، وهو البرد . وذلك أنها لا تدفأ لقلة شعرها ورقة جلدها ، فالبرد أضر لها . فيما عدا ل : « من عين » تصحيف . ط ، ه : « حرباء » بالحاء ، تصحيف أيضاً . والمثل على الصواب الذي أثبت فى أمثال الميدانى (١ : ٣٧٧) وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) . وانظر فى الأمثال ما قيل في: « أصرد من عين الحرباء » بالحاء . وسيأتى فى (٦ : ١٦) : « أصرد من حية جرباء » .
(٧) تبهى ، من أبهى البيت خرقه . وتبنى من أبنى أي أعان على البناء . وفى اللسان : « الأزهرى : والمعزى فى بادية العرب ضربان : ضرب منها جرد لا شعرعليها ، مثل معزى الحجاز والغور ، والمعزى التى ترعى نجود البلاد البعيدة من الريف كذلك . ومنها ضرب يألف الريف ، ويرجن — لعله يدجن — حوالى القرى الكثيرة المياه يطول شعرها ، مثل معزى الأكراد بناحية الجبل ونواحي خراسان . وكأن المثل لبادية الحجاز وعالية نجد » . وفيه : « وقال القتيبى فيما رد على أبى عبيدة : رأيت بيوت الأعراب فى كثير من المواضع مسواة من شعر المعزى » . ونص المثل فى اللسان (بنى ، بهو) : « إن المعزى تبهى ولا تبنى » . وعند الميداني وكذا فى البلغة ١٢٦ — ١٢٧ مثله مع حذف « إن » . وانظر جمهرة العسكرى ١٨٦ والخصائص (١ : ٣٧) . و « تبهى » جاءت فى ط محرفة برسم : « تهدم » و ه : «تبنى» و سه : « تهمى » . والمثل يضرب لمن يفسد ولا يصلح .
(٨) ل : « لأنها » سه : « لأن المعز » .

فتقطعها بأظلافها ، والنعجةَ لاتفعل ذلك .

هذا . و بيوتُ الأعرابِ إنما تُعْمَلُ من الصوف والوَبَر[1] ، فليس للماعز فيها معونة ، وهى تخرِّقها . وقال الأول[2] :

لو نَزَلَ الغيثُ لأبْنَيْنَ امرأً كانت له قبّةٌ ، سَحْقَ بِجادِ[3]

أبناه : إذا جعل له بناء[4] . وأبنية العرب : خيامهم . ولذلك يقولون : بنى فلانٌ على امرأته البارحة .

(ضرر لحم المـاعز)

وقال [لى] شمْئون الطبيب[5] : يا أبا عثمان ، إياك ولحم الماعز ؛ فإنه يورثُ الهمَّ ، ويحرِّك السّوداء ، ويورثُ النِّسيان ، ويُفسدُ الدمَ ، وهو والله يخبِّل الأولاد !

---

(١) انظر الرد على هذا فى التنبيه رقم ٧ من الصفحة السابقة .

(٢) انظر المخصص (٥ : ١٢٢) والخصائص (١ : ٣٦) وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٠٦) واللسان (٩ : ٤ و١٨ : ١٠٢) .

(٣) الرواية فى المراجع السالفة : « لووصل الغيث » أى لو اتصل وتتابع . والقبة : البيت من الأدم خاصة . السحق ، بالفتح : الخلق . والبجاد ، بالكسر : كساء مخطط . يقول : لو غثنا لأمرعنا وأخصبنا فأشرنا وأغرنا ، فجعلت خيلنا هـذا الرجل العزيز الذى كان يسكن فى قبة من أدم ، يأوى ، إلى خباء من سحق كساء ، وذلك لشدة الإغارة وما يكون فيها من نهب . وقيل معناه : أن هذه الخيل لو سمنها الغيث بما ينبت لها لأغرت بها على ذوى القباب فأخذت قبابهم حتى تكون البجد أبنية لهم بعدها . ضمير : « أبنين » للخيل . و : « سحق » مفعول ثان لأبنين . ط : « لا بنى » ه : « لأسى » س : « لأبثنى » صوابها فى ل . وفى المراجع : «أبنين» بطرح اللام . ه ، س : « وسحق » بإقحام الواو ، تحريف . ه : « نجاذ » تحريف أيضاً .

(٤) ط ، ه : « إنما أراد لجعل له بناد » صوابهما فى ل .

(٥) شمئون الطبيب ، لم أجد له ترجمة إلا فيما يروى الجاحظ عنه . وقد سبقت رواية الجاحظ عنه فى (٣ : ٨ — ٩) . فيما عدا ل : « جشمون » تحريف .

وقال الكلابىُّ[1] « العُنُوق بعد النُّوق[2] » ولم يقل : الحمَل بعد الجمل .

وقال عمرُو بن العاص[3] للشيخ الُجهنىِّ المعترض عليه فى شأن الحكَمين : وما أنتَ والكلامَ[4] ياتيس جُهينة ؟ ! [ولم يقلْ يا كبشَ جُهينة] ؛ لأن الكبشَ مدحٌ[5] والتَّيسَ ذمٌّ .

وأما قوله « إن الظِّلف لا يُرَى مع الُخفّ » فالبقرُ والجواميس والضأنُ والمعْز فى ذلك سواء .

[قال] : وأُتِىَ عبدُ الملكِ بن مرْوَانَ فى دخوله الكوفةَ على موائد بالجِداء[7] ، فقال : فأين أنتم عن العماريس[8] ؟ فقيل له : عماريس الشَّام أطيب !

وفى المثل : « لهو أذَلُّ من النقَد » . والنقَد هو المعز[9] . وقال الكذّابُ الحِرْمازىُّ[10] :

---

(١) ط « الكلانى » ه : « الكلانى » بالإهمال ، صوابهما فى ل ، س .

(٢) العنوق ، بالضم : جمع عناق بالفتح ، وهو الأنثى من ولد المعزى إذا أتت عليها سنة . وهذا جمع نادر . ويجمع أيضاً على أعنق وعنق . والنوق : جمع ناقة . يضرب لمن كانت له حال حسنة ثم ساءت . أى كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق . انظر الميداني (١ : ٤٢٠) واللسان (١٢ : ١٤٨) .

(٣) فيما عدا ل : « العاصى » وانظر ما أسلفت من تحقيق فى التنبيه السابق ص ٢٩٥ .

(٤) فيما عدا ل : « والحكمين » .

(٥) انظر المفضليات (١٧ : ١٤ و ٤١ : ٢٢ طبع المعارف) .

(٦) هذه العبارة من قول عمرو بن العاص فيما يظهر .

(٧) الجداء : جمع جدى . و « على موائد » ساقطتان من ل .

(٨) العماريس : جمع عمروس ، بالضم ، وهو الجدي ، لغة شامية ، كما فى اللسان . وفيه أيضاً : « وفى حديث عبد الملك بن مروان : أين أنت من عمروس راضع ! » .

(٩) هذا التفسير انفرد به الجاحظ . وأعرف الأقوال فى النقد أنه جنس من الغنم قصار الأوجه قباح الوجوه تكون بالبحرين . انظر اللسان (٤ : ٤٣٧) والميدانى (٢ : ٢٦٠) .

(١٠) سبق الرجز ومراجعه فى (٣ : ٤٨٤) وانظر أيضاً الأزمنة للمرزوقى (٢ : ٢٧٧) وفيه نسبة الرجز للعين المنقري .

لو كنتمُ قولاً لـكنتمُ فنَدَا[1] أو كنتمُ ماءً لـكنتمُ زَبَدا
أو كنتمُ شاءً لـكنتم نَقَدَا [أو كنتم عوداً لـكنتم عُقَدا]

(اشتقاق الأسماء من الـكبش)

قال : والمرأة تسمى كَبْشَةَ ، وكُبَيشة . والرجل يكنى أبا كَبْشة ، وقال أبو قُردُودة :

كُبيشة إذ حاولتْ أنْ تَبِـ ـينَ يستبقُ الدَّمعُ منى استبِاقا[2]
وقامتْ تُرِيكَ غَداةَ الفِرَاقِ كَشْحاً لطيفاً وفَخْذاً وساقا[3]
ومُنْسَـدِلاً كمثانى الحِبا لِ تُوسِعه زَنْبقاً أو خِلاقا[4]

[وأول هذه القصيدة

كُبيشة عِرْسى تريد الطلاقا وتسألُنى بعد وهنٍ فراقا]

---

(١) الفند ، بالتحريك : الكذب .

(٢) ط ، هـ : «إذا حاولت تستبين» سـ : « إذ حاولت تستبق يستبق » صوابهما فى ل .

(٣) الكشح : الخصر اللطيف الدقيق . ل : «كفا لطيفاً » . واستعمال « الكف » مذكراً لغة ضعيفة . انظر ما أسلفت فى ص ٢٢١ .

(٤) منسدلا : مسترسلا ، عنى شعرها . والمثانى : جمع مثناة وهو الحبل . والزنبق : دهن الياسمين ، قال الأزهرى : « وأهل العراق يقولون لدهن الياسمين دهن الزنبق » . مأخوذ من « زَنْبَه » الفارسية بمعنى الورد الأبيض . انظر استينجاس ٢٦٣ ، ٢٦٤ . ولم يتعرض أحد لهذا التأصيل فى المعاجم وكتب المعرب . توسعه : تبالغ فى دهنه . والأصل فيه : « أوسعه الشىء : جعله يسعه » . قال امرؤ القيس :

فتوسع أهلها أقطاً وسمناً وحسبك من غنى شبع وري

والخلاق ، بالكسر : ضرب من الطيب ، وهو الخلوق بالفتح . وروايته فى اللسان (١١ . ٣٧٩) : « ومنسدلا كقرون العروس» . ط ، هـ : «ترشفه» سـ « ترشقه » صوابهما فى ل واللسان . وفيما عدا ل : « حلاقا » بالمهملة ، صوابه بالمعجمة كما فى ل ، واللسان .

(قول القصاص فى تفضيل الكبش على التيس)

وقال بعض القُصّاص : ومما فضل الله عز وجل به الكبْش أن جعله مستورَ العورة من قُبُلٍ ومن دبُر ، وممّا أهان الله تعالى به التيسَ أن جعله مهتوكَ الستر ، مكشوف القبُل والدُّبُرِ [1] .

(التيس فى الهجاء)

وقال حسّانُ بن ثابتٍ الأنصاريُّ :

سألت قريشاً كلها فشرارُها بنو عامر شاهتْ وجوهُ الأعابِدِ [2]

إذا جلسوا وسْطَ النَّدِىِّ تجاوبوا تجاوُبَ عِتْدَانِ الربيع السَّوافدِ [3]

١٣٨ وقال آخر [4] :

أعثمانُ بنُ حَيّانَ بنِ أدم عَتودٌ فى مَفارِقِه يبولُ [5]

---

(١) فيما عدا ل : « الدبر والقبل » وأثبت ما فى ل والعقد (٤ : ٢٥٨) وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) .

(٢) بنو عامر ، لعله يعنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر . والنضر هو أبو قريش كلها . فيما عدا ل : « بنو عائد » تحريف . والأعابد : جمع أعبد ، وأعبد جمع عبد . انظر اللسان (٤ : ٢٦٠ س ٥) . فيما عدا ل : « الأعائد » تحريف .

(٣) الندي : النادى ، وهو مجلس القوم . والعتدان ، بالكسر : جمع عتود ، بالفتح ، وهو الجدى الذى قد بلغ السفاد . ويدغم كثيراً فيقال : « عِدّان » . وأنشد أبو زيد :

واذكر غدانة عدانا مزنمة من الحبلق تبنى حولها الصير

ل : « عبدان » س ، هـ « عيدان » صوابهما ما أثبت من ط . والشعر فى الديوان ١٥٢ .

(٤) هو المرار الفقعسي كما فى اللسان (١٦ : ٦٢ س ٩ — ١٠) وهو المرار بن سعيد بن حبيب . شاعر إسلامى كثير الشعر . انظر المؤتلف ١٧٦ والمرزباني ٤٠٨ .

(٥) عثمان بن حيان ، كان والياً على المدينة سنة ٩٤ من قبل الوليد بن عبد الملك ، ==

ولو أنى أشاء قد ارفأنَّتْ   نَعامَتُه ويعلمُ ما أقولُ[(١)]

وقال الشاعر :

سُمِّيتَ زَيداً كى تزيد فلم تزِدِ   فعادَ لك المسْمِى فسَمَّاك بالقَحْرِ[(٢)]

وما القحرُ إلا التّيسُ يعتك بَولُه   عليهِ ويمذى فى اللَّبان وفى النَّحْرِ[(٣)]

(نتن التُّيوس)

فالتَّيس كالكلب ؛ [لأنه] يقزَحُ ببوله[(٤)]، فيريدُ به حاقَّ خَيشومه[(٥)].
وبول التَّيس [من] أخْـثَر البَولِ وأَنتنِهِ ، وريحُ أبدانِ التُّيوس إليها ينتهى

= ثم عزله سليمان بن عبد الملك سنة ٩٦ . انظر الطبرى (٨ : ٩٢ ، ١٠٢). وكان المراد قد طرد طريدة فأخذ معها وهو يبيعها بوادى القرى ، أو ببرمة ، فرفع أمره إلى عثمان بن حيان فحبسه . الأغاني (٩ : ١٥٤).

(١) ارفأنت نعامته : سكنت بعد غضب . ويكنون بالنعامة عن الجهل ، ويقولون : « شالت نعامته و : « ارفأنت نعامته » أي سكن بعد غضبه . انظر اللسان (١٣ : ٤٠٠ س ٣ و ١٦ : ٦٢ س ١٠) . والرواية فيما عدا ل : « ولو أنى أشافهه لشالت » . ورواية سائر البيت فى اللسان : « وأبغض ما أقول » . وقد سبق البيتان محرفين فى (١ : ٢٣٠) .

(٢) القحر: البعير المسن . فيما عدا ل : « بالفجر » تحريف. ورواية صدر البيت فيما عدا ل : « تسمى يزيد كى يزيد فلم يزد». وسبق فى (١ : ٣٣٠) : « دعيت يزيد كى تزيد فلم تزد » وفى ط ، س : « ففألك المسمى » هـ : « فقالك المسمى » صوابهما فى ل .

(٣) يعتك عليه : يغلبه ، من قولهم: عتكت المرأة على أبيها: عصته وغلبته . فيما عدا ل : « وما العى إلا التيس بعبر » تحريف . ويمذى من المذى . فيما عدا ل : « يهذى في لبان وفى نحر » محرف .

(٤) يقزح بالقاف والزاى : أى يرمى به أو يرسله دفعاً . ل : « يقرح » وفيما عدا ل : « يفرح » صوابها ما أثبت .

(٥) الحاق ، بتشديد القاف : وسط الشئ . انظر اللسان (١١ : ٣٤١) . فيما عدا ل : « فيرد حاق خيشومه » تحريف .

المثَلُ . ولو كان هذا [العرَضُ] فى الـكبش لـكان[١] أعذَرَ له ؛ لأن الحموم [واللخَن] ، والعفَن والنَّتْن ، لو عرض لجلدِ ذى الصُّوفِ المتراكم ، الصَّفيق الدقيق ، والملتفِّ المستكثِف ؛ لأن الرِّيح لاتتخلَّله ، والنسيم لايتخرَّقه[٢] ـ لـكان ذلك أشبه .

فقد علِمْنا الآن أن للتيسِ مع تخلخل شعره[٣] ، وبروز جلده[٤] وجُفوف عرَقه ، وتقطع بخارِ بدنه — فضلا [ليس لشىء سواه . والـكلبُ يُوصَفُ بالنَّتْن إذا بلَّه المطَر[٥] . والحيَّات توصفُ] بالنّتن[٦] . ولعل ذلك أنْ يجدَه مَن وَضَع أنفَه على جلودها .

[وبولُ التّيس يخالطُ خيشومَه . وليس لشىء من الحيوان مايشْبِهُ هذا ، إلا ماذكرْنا من الـكلب . على أن صاحب الـكلب قد أنـكرَ هذا .

وجلودُ التُّيوس] ، وجلودُ آباط الزِّنْج مُنتِنَةَ العرَق ، وسائرُ ذلك سَليم . والتيس إبطٌ كله[٧] ، ونتْنه فى الشتاء كنتْنه فى الصيف . وإنا لندخُلُ السكّةَ وفى أقصاها تيَّاس[٨] ، فنجِدُ نتْنها من أدناها ، حتى

---

(١) فيما عدا ل : « كان بطرح اللام . وهما وجهان جائزان كما كتبت فى ص ٣٢١ .

(٢) يتخرقه : أراد يتخلله . ولم أجد نصا على هـذا الفعل إلا ما ورد فى اللسان (١١ : ٣٦٣) : « قال أبوعدنان . المخارق الملاص يتخرقون الأرض، بيناهم بأرض إذا هم بأخرى » . فيما عدا ل : « لا يخرقه » من قولهم خرقت الأرض : جبتها وقطعتها .

(٣) تخلخله : تفرقه . وانظر ما أسلفت فى ص ٥١ وأساس البلاغة (خلل) والألفاظ لابن السكيت ٥١ . فيما عدا ل : « تخلل » تحريف .

(٤) بروزه : أى ظهوره لخفة الشعر الذى يعلوه . فيما عدا ل : « بروق » محرف .

(٥) انظر ما قيل من شعر فى هذا المعنى فى الجزء الأول ص ٢٢٦ .

(٦) فيما عدا ل : « فى النتن » .

(٧) عبارة جاحظية طريفة . عنى أنه منتن البدن كله .

(٨) التياس : صاحب التيوس وممسكها . فيما عدا ل : « التيوس » .

لايكاد أحدُنا[١] يقطعُ تلك السكة إلا وهو مُحمَّرُ الأنف . إلا ما كان مما طبَعَ الله عز وجل عليه البَلَوِيّ[٢] وعليًّا الأسوارى[٣] ؛ فإن بعضَهما[٤] صادقَ بعضاً على استطابة ريح التيوس[٥]. وكانا ربما جلسا على باب التَّيَّاس ؛ ليستنشقا تلك الرائحة ، فإذا مرَّ بهما من يعرفهما[٦] وأنكر مكانهما ، ادّعيا أنهما ينتظران[٧] بعض من يَخرجُ إليهما من بعض تلك الدُّور.

(المكّىّ وجاريته)

فأما المكى فإنه تعشَّقَ جاريةً يقال لها سَنْدَرة[٨] ، ثم تزوجها نَهارية[٩] وقد دعانى إلى منزلها غيرَ مرّة ، وخبرنى أنها كانت ذاتَ صُنان[١٠] ،

---

(١) فيما عدا ل : « أحد منا » .

(٢) البلوى : نسبة إلى قبيلة « بلى » كغنى . ل : « الملوى » بالميم .

(٣) الأسوارى : نسبة إلى الأسوار واحد الأساورة من الفرس ، كانوا نزلوا فى بنى تميم بالبصرة ، واختطوا بها خطة وانتموا إليهم . وهناك نسبة أخرى إلى « أسوارية » بالفتح والضم ، وهى قرية من قرى أصبهان . وعلى الأسوارى كان من معاصرى الجاحظ : وكان أكولا ، روى الجاحظ فى البخلاء ٦٣ أنه « نهش بضعة لحم تعرقا فبلع ضرسه وهو لا يعلم » .وكان من المحمقين . وفى البيان (٢ : ١٨٨) : « قال على الأسوارى : عمر بن الخطاب معلق بشعرة ! قلت : وما صيره إلى ذلك ؟ قال : لما صنع بنصر ابن سيار !! يريد : نصر بن الحجاج » .

(٤) ل ، س : « فإن بعضهم » والوجه التثنية .

(٥) ل : « استبطانه رائحة التيوص » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وإذا مر» . ط ، هـ : « من ينكرهما » وهذه محرفة .

(٧) فيما عدا ل : « ادعوا أنهما منتظران » وفيه تحريف .

(٨) سندرة ، بالراء : من أعلام النساء ، ومنه فى المثل « كيل السندرة » كانت تبيع القمح وتوفى الكيل . والسندرة أيضا : شجرة يعمل منها القسى والسهام . فيما عدا ل : « سندوة » .

(٩) نهارية : نسبة إلى النهار . وانظر الاستدراكات .

(١٠) ط ، هـ : « ذا صنان » تحريف .

وأنه كان معجباً بذلك منها، وأنها كانت تعالجه بالمرتك[١]، وأنه نهاها مراراً حتى غضب عليها فى ذلك. قال: فلما عرفتْ شهوتى كانت إذا سألتْنى حاجة ولم أقضها قالت: والله لأمَرْتَكَنّ، ثم والله لأمرتكنّ، ثمّ والله لأمَرْتَكنّ[٢]! فلا أجِدُ بُدًّا من أن أقضى حاجتها[٣] [كائناً ما كان].

(اشتهاء ريح الكرياس)

وحدّثنى مُوَيس بن عِمران ، وكان هو والكذب[٤] لا يأخذان فى
١٣٩ طريق ، ولم يكن عليه فى[٥] الصدق مؤونة ، لإيثاره له حتى كان يستوى عنده ما يضرُّ وما لا يضر[٦] — قال : كان عندنا رجلٌ يشتهى ريح الكِرْياس[٧] لا يشفيه دونه شيء ، فكان قد أعدَّ مِجْوَبا[٨] أو سكَّة حديد[٩] فى صورة المِبرد ، فيأتى الكراييس[١٠] التى تكون فى الأزقة القليلة

(١) انظر لتفسير « المرتك » التنبيه الخامس من ٣٧٤ ، ٣٥٠ .
(٢) هذا الفعل صناعى لم تعرفه المعاجم .
(٣) فيما عدا ل : « من قضاء حاجتها » .
(٤) س : « والكذاب » .
(٥) ل : « من » .
(٦) فيما عدا ل : « وما ينفع » .
(٧) الكرياس ، بالكسر وبياء مثناة ، قال أبو عبيد : هو الكنيف الذى يكون مشرفاً على سطح بقناة إلي الأرض . قال الأزهري : سمى كرياسا لما يعلق به من الأقذار فيركب بعضه بعضاً ويتكرس مثل كرس الدمن . وهو فعيال من الكرس ، مثل جريال . وهو من الألفاظ المشتركة بين العربية والفارسية : وتفسيره فى الفارسية مثله فى العربية ، وفى معجم استينجاس ١٠٢٦ : (A privy on the roof of house having communication with a subterraneous passage) . ل ، س : « الكرباس » بالباء ، تحريف . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٣٠ س ٣) .
(٨) المجوب ، بالكسر : آلة الجوب وهو القطع . انظر اللسان (١ : ٢٧٧ س ١١ — ١٢) . فيما عدا ل : « وتدا » .
(٩) السكة : أراد بها القطعة من الحديد ، وأصل السكة حديدة المحراث . فيما عدا ل : « من حديد » .
(١٠) ل فقط : « الكرابيس » بالباء ، تحريف . انظر التنبيه السابع .

المارة ، فيخرِق الكِرياس[١] [ولا يبالى ، أ] كان من خزَف أو من خشب ثم يضعُ منخرَيه عليه ، حتى يقضِيَ وطرَه .

قال : فلقى الناسُ من سَيَلانِ كرابيسهم[٢] شرًّا حتى عثَروا عليه ، فما منعهُم من حبسه إلا الرحمة [له] من تلك البليّة ، مع الذى رأوا من حسن هيئته ، [فقال لهم: ياهؤلاء ، لو مررتم بي إلى السلطانِ كان يبلغُ من عقابى أكثر مما أبلغ من نفسى؟ قالوا: لا والله! وتركوه] .

(نتن العنز)

قالوا: وهذا شأنُ التَّيس ، وهو أبو العنز . « ولا تلد الحيّةُ إلا حيّة[٣] » ولابدّ لذلك النّتْن عن ميراث [فى ظاهر] أو باطن . وَأنشدوا لابن أحمر:

إنى وجدْت بنى أعْيَا وجاملهم كالعنز تعطفُ رَوقَيها فترتضعُ[٤]

وهذا عيب لايكون فى النِّعاج .

(مثالب العنز)

والعَــــنز هى التى ترتضع[٥] من خِلفِهَا وهى مُحَفَّلَة[٦] ، حتى تأتى

(١) ل ، س : « الـكرباس » بالباء ، محرف . انظر التنبيه ٧ من الصفحة السابقة .
(٢) ل ، س ، هـ : « كرابيسهم » بالباء ، صوابه من أثبت من ط .
(٣) ط فقط : « وهل تلد الحية إلا حية » .
(٤) أعيا : أبو بطن من أسد ، وهو أعيا أخو فقعس ، ابنا طريف بن عمرو بن الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد . والجامل : قطيع من الإبل معها رعيانها وأربابها . والروق ، بالفتح : القرن . ط ، هـ : « بنى أهبان » س : « وهبان » وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) . ورواية اللسان (٩ : ٤٨٤) والحيوان (١ : ٢٣٠ ، ٣٥٤) : « بنى سهم » ل : « وحاملهم » وفيما عدا ل : « حاملهم » بإسقاط الواو وصوابه بالجيم وإثبات الواو . وفى اللسان : « وعزهم » . والبيت محرف فى العقد (٤ : ٢٥٧) .
(٥) ط ، هـ « ترضع » .
(٦) المحفلة : التى ترك حلبها أياما حتى يجتمع لبنها . فيما عدا ل : « مخلفة » صوابهما =

على [أقصى] لبنِها ، وهى التى تنزع الوتد وتقلِبُ المِعْلَف ، وتنثر ما فيه[(١)] .

وإذا ارتعتِ الضائنة[(٢)] والماعزة فى قصيل[(٣)] ، نبتَ ما تأكله الضائنة[(٤)] ، ولا ينبت ما تأكله الماعزة ، لأن الضائنة تقرِض بأسنانها وتقطع ، والماعزة تقبض عليه فتثيره[(٥)] وتجذبه ، وهى فى ذلك تأكله . [ويضرب بها المثلُ بالموق[(٦)] فى جلْبها حَتْفَها على نفسها] . وقال الفرزدق :

فكانت كعنز السّوءِ قامت بظِلفها إلى مُدْيَةٍ تحت الترابِ تُثيرُها[(٧)]

فى ل : وعيون الأخبار (٢ : ٧٥ س ١٧) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

(١) ط : « وتثير ما فيه » س ، هـ : « وتثير ما فيه » والأولى محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٢) الضائنة : الشاة من الغنم ، يقابلها الضائن وهو الكبش من الغنم . ل ، س ، هـ : « الضانية » وهى صحيحة ، ولكنها ليست مرادة . والضانئة ، بتقديم النون : الكثيرة الولد . وفي اللسان (١ : ١٠٦) : « الكسائى : امرأة ضانئة وماشية معناهما أن يكثر ولدها » . وأثبت صواب النص من ط وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) والعقد (٤ : ٢٥٧) .

(٣) القصيل : ما اقتصل من الزرع أخضر ، سمى قصيلا لسرعة اقتصاله ، من رخاصته . فيما عدا ل : « فصل » وكذا العقد ، تحريف . وفى عيون الأخبار : « قصير » صوابهما ما أثبت من ل .

(٤) كذا على الصواب الذى أثبت فى ط . وفى سائر النسخ : « الضانية » تحريف .

(٥) ل : « فتنثره » من النثر .

(٦) الموق : الحمق . والأوفق : « في الموق » لكن جاءت هكذا .

(٧) قال البحترى فى حماسته ص ٢٨٤ : « يروى عن بعض العرب أنه أصاب نعجة فأراد ذبحها ، ولم يكن معه شىء يذبحها به . فبينا هو يفكر فى ذلك ، وأي شيء يصنع ، إذ حفرت النعجة بأظلافها الأرض ، فأبرزت عن سكين كانت مندفنة فى التراب فذبحها بها ، فضرب العرب المثل » . وروى ثمانية أشعار فى هذا المعنى في الباب ١١٥ . وانظر جمهرة العسكرى ٩٥ والميدانى (٢ : ١٧٨) ومعجم المرزبانى ٣٧٤ س ١٦ . والرواية فيما عدا ل : « وكانت » . وفى ديوان الفرزدق ٢٤٩ : « وكان » . وسيأتى البيت برواية الديوان فى ص ٤٧٥ .

(تيس بنى حمان)

وقال الشاعر :

لعمرُكَ ما تَدْرِى فَوَارِسُ مِنْقَرٍ
أفى الرأس أم فى الْإست تُلْقَى الشَّكائمُ[١]

وألْهى بَنِى حِمَّانَ عَسْبُ عَتودِهم عن المجْد حتى أحرزَتْهُ الأكارمُ[٢]

وذلك أن [بنى][٣] حمَّان تزعم أن تيسهم قرَعَ شاةً بعد أن ذُبح[٤] ، وأنه ألقحها .

(أعجوبة الضأن)

قالوا : فى الضأن أعجوبةٌ ؛ وذلك أن النعجةَ ربما عظُمت أَلْيَتُها حتى تسقطَ على الأرض ، ويمنعها ذلك [من] المشى ، فعند الكبش رِفقٌ فى السِّفاد ، وحِذْقٌ لم يُسْمَعْ بأعجبَ منه ، وذلك أنه يدنو منها[٥] ويقف [منها] موقفاً [يعرِفُه] ، ثم يصكّ أحدَ جانبى الأليةِ بصدره[٦] ، بمقدارٍ من

---

(١) منقر ، هو ابن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . فيما عدا ل : « منقراً » تحريف . والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة المعترضة فى فم الفرس . يقول : ليسوا فرساناً ، إذ لا معرفة لهم بالخيل ولا عهد لهم بها . فيما عدا ل : « أفى الإست أم فى الرأس » .

(٢) حمان ، بكسر الحاء وتشديد الميم ، وهم بنو حمان بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . والعسب ، بالفتح : ضراب الفحل أو ماؤه أو كراء ضرابه . والعتود ، بالفتح : الجدى قد بلغ السفاد . يقول : جعلوا فخرهم فى هذا التيس فألهاهم ذلك عن المجد .

(٣) هذه التكملة من ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « بعد ما ذبح » . وانظر ما سبق ٢١٩ وما سيأتى فى ١٤٧ ساسى .

(٥) ل : « إليها » . وحروف الجر يخلف بعضهن بعضاً . وفى اللسان (١٨ : ٢٩٧) : « دنا عليه » .

(٦) فيما عدا ل : « ثم يصد إحدى ناحيتى الألية بصدره » وفيه تحريف .

الصكّ(١) يعرفه ، فيفرج عن حياها المقدار الذى لايعرفه غيرُه(٢) ، ثم يسفَدُها فى أسرَعَ من اللَّمح .

(فضل الضأن على الماعز)

وقالوا : والضأنُ أحمَلُ للبرد [والجمد(٣)] و لِلرِّيح والمطر .

[قالوا] : ومن مفاخر الضأن على المعز أن التمثيل الذى كان عند كسرى والتَّخييرَ(٤) ، إنما كان بين النعجة والنخلة(٥) ، ولم يكن هناك للعنز ذِكر . وعلى ذلك الناسُ إلى اليوم .

والموتُ إلى المعزَى أسْرَع ، وأمراضها أكثر . و إنما معادِنُ(٦) الغنَم
١٤٠ الكثير الذى عليه يعتمدُ الناسُ ـ الجبالُ ، والمعز لاتعيش هناك . وأصوافُ الكباش أمنَعُ للكباشِ من غِلَظ جُلودِ المعز . ولولا أن أجوافَ الماعز أبردُ ، وكذلك كُلاها ، لَمَا احتَشَتْ من الشَّحم كما تحتشى .

(جمال ذكورة الحيوان وقبح التيوس)

وذكورة كلِّ جنس أتمُّ حُسناً من إناثها . وربما لم يكنْ للإناث شىءٌ من الُحسنِ ، وتكونُ الذكورةُ فى غاية الحسن ؛ كالطواويس

---

(١) الصك : الضرب . فيما عدا ل : « الصلك » تحريف .
(٢) الحيا : الفرج من ذوات الخف والظلف . فيما عدا ل : « فينفرج عن جانبها المقدار الذى لا يراه غيره» ، تحريف .
(٣) الجمد ، بالتحريك : الثلج . والكلمة التى بعدها هى فيما عدا ل : « والريح » .
(٤) التخيير : التفضيل .
(٥) فيما عدا ل : « النحلة » بالحاء المهملة ، تحريف .
(٦) المعادن : المواطن . عدن بالمكان أقام ، وعدنت ، البلد : توطنته .

والتَّدارج(١) . وإناثها [لاتدانيها فى الُحسن ، ولها من الحسن مقدارٌ] ، وربما كُنَّ دونَ الذُّكورة ، ولهنّ من الحسن مقدار ، كإناث الدَّراريج والقَبَج(٢) والدجاج والحمام ، والورشين ، وأشباه ذلك .

[وإذا قال الناس : تيّاس ، عُرِف معناه واستُقْذِرَتْ صناعته . وإذا قالوا : كبَّاش ، فإنما يعنون بيعَ الكباش واتخاذَها للنِّطاح] .

والتُّيوسُ قبيحة جدًّا . وزاد فى قبحها حُسْن الصَّفايا(٣) .

(التشبيه بالكباش والتفاؤل بها)

وإذا وصفوا أعذاق(٤) النخلِ العِظام قالوا : كأنها كِباش .

وقال الشاعر :

كأنَّ كِباشَ السَّاجِسيَّةِ عُلِّقت ... دُوينَ الَخوافى أو غرايرَ تاجرِ(٥)

[وصوّر عُبيدُ الله بن زياد ، فى زقاق قصره(٦) ، أسداً ، وكلباً ، وكبشاً . فقرَنَه مع سَبُعين عظيمَى الشأن : وحشيٍّ ، وأهليّ ، تفاؤلا به] .

---

(١) التدارج : جمع تدرج . انظر ص ٢٠٩ فيما عدا ل : « التداريج » .

(٢) الدراريج : جمع دراج . انظر ص ٢٠٩ . والقبج ، بالتحريك . فسر فى (٣ : ١٧١) .

(٣) الصفايا : جمع صفية . انظر التنبيه الثالث ص ٢٠٩ .

(٤) الأعذاق : جمع عذق ، بالكسر ، وهو العرجون بما فيه من الشماريخ . ط فقط : « أعناق » تحريف .

(٥) الساجسية : ضأن حمر . قال أبو عارم الكلابى (اللسان ٧ : ٤٠٨) :

فالعذق مثل الساجس الحفضاج

والخوافى : السعفات اللواتى يلين القلبة ، وهى لفظة نجدية . وهى فى لغة أهل الحجاز : العواهن . والغراير : جمع غرارة ، وهى الجوالق . فيما عدا ل : « كأن الكباش » وفى ط ، هـ : « دوين أجير » محرفة ، وموضع كلمة : « الغراير » أبيض فى س . وفيما عدا ل : « غدائر » مكان « غرائر » ، تحريف .

(٦) الزقاق ، بالضم : طريق ضيق دون السكة . وقد سبق هذا الخبر بتفصيل فى =

(شعر فى ذم العنز)

ومما[1] ذمُّوا فيه العنز دونَ النعجةِ قولُ أبي الأسودِ الدُّؤَلى[2] :

ولستُ بمعراض إذا مالقيته   يعبِّس كالغَضْبان حين يقولُ
ولا بِسبس كالعنز أطولُ رِسْلها   ورِمّانها يومان ثم يزولُ[3]

وقال أبو الأسود أيضاً[4] :

ومن خيرِ مايتعاطي الرجالُ   نصيحةُ ذى الرَّأى للمجتبِيها[5]
فلا تكُ مثلَ التى استخرَجَتْ   بأظلافها مُدْيةً أو بِفيها[6]
فقام إليهــا بهــا ذابح   ومن تَدْعُ يوماً شَعُوبُ يَجِيها[7]
فظَلَّتْ بأوصالهــا قِدْرُها   تحشُّ الوليدةُ أو تشتَوِيها[8]

= (١ : ٣٢٥) وبلفظ : « فى دهليز قصره » . والدهليز ، بالكسر : ما بين الباب والدار ، فارسى معرب . وانظر الخبر أيضاً فى عيون الأخبار (١ : ١٤٧) .

(١) فيما عدا ل : « وما » .

(٢) هذه الكلمة ليست فى ل . سه : « الدئلى » . وانظر اللسان « دأل » .

(٣) بسبس ، كذا وردت . والرسل ، بالكسر : اللبن . والرِّمان : العطف . وفيما عدا ط : « ثم تزول » .

(٤) يخاطب الحصين بن أبي الحر العنبرى . انظر الأغاني (١١ : ١١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « للمجتليها » . وفى الأغانى : « للمجتنيها » بالنون .

(٦) ط ، هـ : « مثل الذى » تحريف . وانظر قصة المثل فى التنبيه ٧ ص ٤٧٠ .

(٧) شعوب : علم للمنية ، سميت شعوب لأنها تشعب أى تفرق . وشعوب ، مؤنثة معرفة لا تنصرف . فيما عدا ل : « ومن يدع » وفيه أيضاً : « شعوبا » تحريف . يجيها : يجئها . وفى المخصص (٦ : ١٢١ س ٤) : « يجبها » من الإجابة ، تحريف . والبيت كذلك محرفا فى حماسة البحترى ٢٨٥ .

(٨) الأوصال : الأعضاء ، واحدها وصل بالكسر والضم . تحش : أى تحش النار : تجمع إليها ما تفرق من الحب . ط ، هـ : « يخش » سه : « يحس » بالإهمال ، محرفان عما أثبت من ل والأغانى . و« أو » هى فى ط ، سه : « أن » هـ : « إذ » محرفان . وفى جميع نسخ الأصل : « تحتويها » وأثبت ما فى الأغانى .

وقال مسكينٌ الدارىّ[١] :

إذا صَبَّحتْنى من أُناسٍ ثعالبٌ   لترفع ما قالوا مَنَحْتُهم حقرَا[٢]
فـكانوا كعنزِ السَّوءِ تثغو لحَيْنها   وتحفرُ بالأظلافِ عن حتفها حَفرَا[٣]

[وقال الفرزدق :

وكان يُجيرُ الناس من سيف مالكٍ   فأصبح يبغى نفسه من يُجيرُها
وكان كعنز السُّوء قامت بظلفها   إلى مُدْيةٍ تحت التراب تثيرها[٤]]

(أمنية أبى شعيب القلال)

وقال رمضانُ[٥] لأبى شُعيبٍ القَلَّال[٦] — وأبو الهُذَيل حاضر — : أىَّ شىء تشتهي ؟ وذلك [نصفَ النهار] ، فى يومٍ من صَيف البصرة[٧]. قال أبو شعيبٍ : أشتهى أن أجىءَ إلى بابِ صاحب سَقَط[٨] ، وله على باب حانوته أليةٌ معلقة ، من تلك المبزَّرة المشرَّجة[٩] ، وقد اصفرَّت ، ووَدَكُها يقطر من

(١) روى البيت الثانى فى حماسة البحترى ٢٨٦ منسوبا إلى الأعور الشني .
(٢) الحقر ، بالفتح : الاحتقار والاستصغار . سه ، ه : « تغالب » تحريف . وفيما عدا ل : « ليرفع » .
(٣) تثغو ، من الثغاء ، وهو صوت المعز والشاء وما شابههما . والحين : الهلاك . فيما عدا ل : « تبغى لحينها » صوابه فى ل وحماسة البحترى . وصدره فيها : « ولا كائنا كالعنز » .
(٤) انظر البيت ، وقد سبق فى ص ٤٧٠ .
(٥) رمضان ، أحد معاصرى الجاحظ ، وقد أجرى له حديثاً فى البخلاء ١٢٤ .
(٦) القلال : الذى يصنع القلل ، وهى جرار كبيرة . وكان أبو شعيب أديباً . انظر خبره مع الرشيد فى البيان (٢ : ١٨٨) .
(٧) فيما عدا ل : « من الصيف بالبصرة » .
(٨) السقط ، بالتحريك : ما لا خير فيه . لعله أراد به حشوة الذبيحة : أطرافها ، كما يطلق اليوم هذا اللفظ فى العامية المصرية .
(٩) المبزرة : التى وضع فيها البزر ، وهو بالفتح والكسر التابل ، جمع أبزار . وفى اللسان : « بزر القدر : رمى فيها البزر » . والمشرجة : المشققة ، أو التى خالط =

حاقِّ السِّمَن(١) ، فآخُذَ بحِضْنها(٢) ثم أفتح [لها] فمى ، فلا أزال كَدْماً [كدماً] ، ونهشاً [نهشا] ، وودكها يسيلُ على شِدْقِى ، حتى أبلغَ عَجْب الذّنب(٣) ! قال أبو الهذيل : ويلك قتلْتَنى(٤) قتَلتنى !! يعنى من الشهوة .

١٤١

باب

فى الماعز(٥)

قال صاحب الماعز : فى أسماء الماعز وصفاتها ، ومنافعها وأعمالها ، دليلٌ على فضلها . فمن ذلك أن الصفية أحسن من النعجة(٦) . وفى اسمها دليل على تفضيلها(٧) . ولبنها أكثر أضعافا ، [وأولادُها أكثرُ أضعافاً] ، وزُبْدُها أكثرُ وأطيب .

وزعم أبو عبد الله العتبىّ(٨) أن التيس المشْراطىّ(٩) قرع فى يومٍ

= شحمها بعض اللحم فيما عدا ل : « المشرحة » بالحاء ، وهى المقطعة قطعا رقيقة .

(١) حاق السمن : كاله وتمامه . فيما عدا ل : « جانبى السمن » تحريف .

(٢) الحضن ، بالكسر : جانب الشيء وناحيته . ط ، هـ : « بخصيها » س « بخصييها » صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) العجب ، بالفتح : أصل الذنب .

(٤) فيما عدا ل : « فتنتنى » من الفتنة .

(٥) هذا العنوان ساقط من ل . وبدله فى س « باب فى أسماء الماعز وصفاتها ومنافعها وأعمالها » . كما أن الكلام من مبدأ : « قال صاحب الماعز » إلى : « وأعمالها » ليس فى س .

(٦) يريد بالصفية أنثى المعز ، وانظر ما سبق ص ٢٠٩ . ط فقط : « أفضل » بدل : « أحسن » .

(٧) فيما عدا ل : « أسمائها » بدل « اسمها » وفى ط ، هـ : « فضلها » مكان : « تفضيلها » .

(٨) ل : « الغنمى » . وانظر ما سبق ص ٢١٩ .

(٩) فيما عدا ل : « الشراطى » وانظر ما سبق ص ٢١٩ ، وهو هناك بدون ألف بعد الراء .

واحد نيفاً وثمانين قَرْعَة . وكان قاطعَ الشهادة . وقد بِيع[(١)] من نسل المِشْراطىّ وغيره الجدىُ بثمانينَ درهماً[(٢)] . والشاةُ بنحوٍ من ذلك .

وتحلب خمسة مَكاكيك[(٣)] وأكثر . وربما بيع [الجلد] جلد الماعز [فيشيريه الباضُوزكى[(٤)]] بثمانين درهماً وأكثر .

والشاة إذا كانت كذلك فلها غَلَّة نافعة تقوم بأهل البيت .

والنعال البقريّة من السِّبت وغير السِّبت[(٥)] مقسوم نفعها بين الماعز والبقر ، لأن للشُّرُك[(٦)] من جلودها خطَرًا . وكذلك القِبال والشِّسْع[(٧)] .

ووصفَ حُميد بن ثَوْر جلدًا من جلودها ، فقال :

تتابَعَ أعوامٌ علينا أطَبْنها ... وأقبَلَ عامٌ أصلَحَ الناسَ واحدُ[(٨)]

---

(١) ط فقط « يباع » تحريف .

(٢) ل فقط : « دينارا » وبين التقديرين بون شاسع .

(٣) المكوك ، كسفود : مكيال : معروف لأهل العراق ، والجمع مكاكيك ومكاكى على البدل ، كراهية التضعيف . وهو ثلاث كيلجات ، والكيلجة منا وسبعة أثمان منا . والمنا رطلان . فيما عدا ل : « مكاكى » . وفى المصباح : « وربما قيل مكاكى على البدل . ومنعه ابن الأنباري وقال : لا يقال فى جميع المكوك مكاكى ، بل المكاكى جمع المكاء ، وهو طائر » .

(٤) كذا ورد هذا اللفظ فى ل . قال المحقق الكبير الأب أنستاس : « صوابها الباضوركى براء مهملة ، لا بالزاي » . وانظر الاستدراكات .

(٥) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، أو جلود البقر .

(٦) الشرك ، بضمتين : جمع شراك بالكسر ، وهو سير النعل . ط ، س : « للشرط » . هـ : « الشرط » بالطاء فيهما ، تحريف صوابه فى ل .

(٧) قبال النعل ، ككتاب : زمام بين الأصبع الوسطى والتي تليها . وقبلها كمنعها وقابلها وأقبلها : جعل لها قبالين . والشسع ، بالكسر : هو السير الذى يدخل فى الخرت ، وهو الثقب الذى فى صدر النعل . فيما عدا ل : « بذلك » بدل « كذلك » تحريف .

(٨) كذا ورد البيت محرفا فى ل ، وفى سائر النسخ : « علينا لطيبها » . ووجه إنشاده كما فى رسالة الغفران ص ٦٢ :

تتابع أعوام عليها هزلنها ... وأقبل عام ينعش الناس واحد

والبيت فى صفة عجوز كان حميد نزل عليها ، هو وصاحب له يدعى أبا الخشخاش . وقبل البيت :

==

وجاءتْ بذى أوَنين مازالَ شاتُه ... تُعمَّرُ حتى قيل هل ماتَ خالدُ[1]

وقال راشد بن سِهاب[2] :

ترى رائداتِ الخيل حول بيوتنا ... كمِعْزَى الحجاز أعْوَزَتْها الزَّرائبُ[3]

(لحم الماعز والضأن)

ومن منافعها الانتفاعُ بشَحم الثَّرْب والكُلية ، وَهما فوقَ شحمِ الأَلْية .
وإذا مدحوا اللحمَ قالوا : لحم الماعز الخصِيِّ الثَّنِيّ ! وقال الشاعر[4] :

= جلبانة ورهاء تخصي حمارها ... بنى من بغى خيراً إليها الجلامد
إزاء معاش لا يزال نطاقها ... شديدا وفيها سورة وهى قاعد

(١) جاءت ، أي العجوز ، أحضرت وطب اللبن إلى حميد وصاحبه . والأونان : الخاصرتان ، كما فى تاج العروس . على أن هذا الوطب عظيم صنع من جلد هذه الشاة المعمرة ، وذلك أعظم له . فيما عدا ل : « بذي لونين » تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « قد مات خالد » . ورواية المعرى :

فجاء بذوى أونين أعبر شأنه ... وعمر حتى قيل هل هو خالد

صواب صدره : « فجاءت بذى أونين أعبر شاته » أعبر الغنم : تركها عاما لا تجز . والشاة : الواحد من الغنم ، يكون للذكر والأنثى . وانظر لأبيات هذه القصيدة الشعراء ٢٣١ ليدن واللآلئ ٩٦٩ .

(٢) سهاب ، بالسين المهملة المكسورة . وراشد بن سهاب شاعر جاهلى من بنى يشكر ؛ قال صاحب القاموس في ترجمة (س ه ب) : « وليس لهم سهاب بالمهملة غيره » . قال المرتضى فى الشرح : « هكذا ضبطه المفجع البصرى وقال : من قاله بالمعجمة فقد أخطأ » . فيما عدا ل : « وقال وأنشد ابن شهاب » وأثبت الصواب من ل . ولراشد بن سهاب هذا المفضليتان ٨٦ ، ٨٧ طبع المعارف . على أن البيت الذى أنشده الجاحظ منسوبا إلى راشد ، ليس له ، بل هو وهم منه ، فإنه للأخنس ابن شهاب التغلبى من المفضلية ٤١ وهو البيت التاسع عشر .

(٣) الرائدات ، التى ترعى لا تعلف فى البيوت ، فهى ترود المراعى من كثرتها . أعوزتها الزرائب : لم تتسع لها لكثرتها . ط ، ه : « زائرات » س : « زيرات » صوابهما فى ل : والمفضليات . فيما عدا ل : « بيوتها » و : « الفجار » صوابهما فى ل : والمفضليات . ورواية المفضليات : « أعجزتها الزرائب » . وفى س : « أعجبتها » هذه محرفة . والحجاز معروفة بكثرة المعزى ، ومنه قوله (انظر الفصول والغايات ٢٩٢) :

ولا غرو إلا نزوهم من نبالنا ... كما اصعنفرت معزى الحجاز من الشعف

(٤) هو ذو الرمة . كما فى اللسان (نعج) ، ولم يرو فى صلب ديوان ذى الرمة .

كأنَّ القومَ عُشُّوا لحمَ ضأنٍ   فهُمْ نَعِجُون قد مالت طُلَاهم[١]

والمَمْرورون الذين يُصرَعون ، إذا أكلوا لحم الضأن اشتد ما بهم، حتى يصرعَهم ذلك فى غيرِ[٢] أوان الصرْع .

وأوان الصَّرْع الأهِلَّةُ وأنصاف الشهور[٣] .. وهذان الوقتان [هما] وقتُ مدِّ البحر وزيادة الماء . ولزيادة القمر إلى أن يصيرَ بدراً[٤] أثرٌ بيِّنٌ فى زيادة الدِّماء والأدمغة ، و[زيادةِ[٥]] جميع الرطوبات .

(أمثال فى المعز والضأن)

ويقال : « فلانٌ ماعزٌ من الرِّجال[٦] » ، و: « فلانٌ أمْعَزُ مِنْ فلان[٧] » والعِتاق مَعْزَ الخَيْل ، والبراذين ضأنُها .

وإذا وصفوا الرَّجُلَ بالضعف والموق قالوا : « ماهو إلا نعجةٌ من النعاج » . ويقولون فى التقديم والتأخير[٨] : « ماله سَبَدٌ ولا لَبَد » .

---

(١) انظر لشرح هذا البيت وتحقيقه (٤ : ٣٠١) . فيما عدا ل : « بعجون » تحريف .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من ط .
(٣) فيما عدا ل : « وانتصاف الشهور » : بلوغ النصف . وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٤) .
(٤) فيما عدا ل : « حتى يصير بدراً » .
(٥) هذه الزيادة من س .
(٦) فى اللسان : « رجل ماعز ومعز معصوب شديد الخَلْق . . . وفى حديث عمر رضى الله عنه : تمعززوا واخشوشنوا . هكذا جاء فى رواية . أى كونوا أشداء صبراً ، من المعز ، وهو الشدة . . . قال الأزهرى : رجل ماعز إذا كان حازما مانعاً ما وراءه شهماً . ورجل ضائن إذا كان ضعيفاً أحمق » . فيما عدا ل : « هو والله » بدل : « فلان » . وفى س : « لماعز » بدل : « ماعز » .
(٧) انظر التنبيه السابق .
(٨) أى فى تقديم السبد ، وهو شعر المعز ، على اللبد ، وهو بالتحريك أيضاً : الصوف انظر لهذا المعنى ص ١٥١ ساسى . وانظر للمثل جمهرة العسكري ١٩١ والميدانى (٢ : ٢٠٠) واللسان (٤ : ٣٩٢) .

وقال الشاعر :

نَشَبي وما جمّعتُ من صَفَدٍ وحَوَيتُ من سَبَدٍ ومن لَبَدِ[1]

١٤٢ هِمَمٌ تقاذفت الهمومُ بها فنزَعْنَ من بلدٍ إلى بلدِ

يا رَوْحَ منْ حسمَت قناعتُه سَبَبَ المطامع من غَدٍ وغدِ[2]

من لم يكنْ لله متّهماً لم يُمْسِ محتاجاً إلى أحدِ[3]

وهذا شعر رويتُه على وجْه الدهر[4] .

وزعم لى حُسَين بن الضّحّاك[5] أنه له . وما كان لِيَدَّعِيَ ما ليس له[6] .

وقال لى سعدانُ المكفوف[7] : لا يكون : « فنزَعْنَ من بلد إلى بلَد »

بل كان ينبغى أن يقول : « فنازعن[8] » .

---

(١) النشب : المال . والصفد : العطية .

(٢) الروح ، بالفتح : الاستراحة والفرح والسرور . حسمت : قطعت . يقول : يالغبطة من ذهبت به قناعته عن المطامع . ط ، س : « من حسنت » هـ « حشت » صوابهما فى ل . وفى ط ، س : « سب المطامع » هـ : « سيب المطامع » صوابهما فى ل .

(٣) أراد : من لم ييأس من روح الله . وفى ديوان أبى نواس ١٩٣ :

لو لم تكن لله متهما لم تمس محتاجا إلى أحد

(٤) فيما عدا ل : « وهذا الشعر » الخ . ووجه الدهر : أوله .

(٥) حسين بن الضحاك : من شعراء الدولة العباسية ، وأحد ندماء الخلفاء من بنى هاشم ، وكان ماجنا مطبوعا حسن التصرف فى الشعر ، وكان أبو نواس يغير على معانيه فى الخمر ، وعمر عمراً طويلا حتى قارب المائة ، ومات فى خلافة المستعين سنة خمسين ومائتين . انظر الأغانى (٦ : ١٦٥) وتاريخ بغداد ٤١٢٠ والمؤتلف ١١٣ وابن خلكان (١ : ١٥٤) . فيما عدا ل : « حسن بن الضحاك » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وما كان يدعي ما ليس له » . أقول : البيت الأخير من زهدية عددها عشرون بيتاً ، لأبى نواس فى ديوانه ١٩٢ — ١٩٣ .

(٧) سبقت ترجمته فى (١ : ١٥٥) .

(٨) المنازعة : المغالبة والمجاذبة . ونزع من مكان إلى آخر : انتقل .

(فضل الماعز)

وقال : والماعزة قد تُولَّد[1] [فى السنة] مرتين ، إلا ما ألقى منها فى الدِّياس[2] . و [لها فى الدِّياس] نفع[3] موقعُه كبير . وربما باعوا عندنا بطنَ الماعز[4] بثمنِ شاةٍ من الضأن .

قال : والأَقِط[5] للمعز . وقرونُها هى المنتفع بها[6] .

قال : والجدْىُ أطيبُ من الحمل وأكرم . وربما قدموا على المائدةِ الحملَ مقطوعَ الألية من أصل الذَّنْب ؛ ليوهِمُوا أنه جدْى .

وقال عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه — وعقولُ الخلفاء فوقَ عقولِ الرَّعية ، وهم أبْصَرُ بالعيش ، استعملوا ذلك أو تركوه — [فقال] : أتُرَوْنَ أنى لا أعرِفُ الطيبات ؟ لبابُ البُرّ بصغار المِعْزى[7] !

---

(١) ط فقط : « تلد » وانظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ .

(٢) الدياس ، بالكسر : دوس الطعام ودقه ليخرج الحب منه . ط ، س : « الرماس » هـ : « الرياس » صوابهما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « يقع » تحريف .

(٤) أراد ما فى بطنها من الحمل ، وهو بيع فاسد . قال منلامسكين : « وقد كانوا يعتادون ذلك فى الجاهلية » .

(٥) الأقط ، ككتف ، وبالفتح والكسر والضم وبالتحريك ، وكرجل وإبل : شىءٌ يتخذ من اللبن المخيض ، يطبخ ثم يترك حتى يمصل . ولعل الجاحظ قد أراد أن أجود الأقط ما كان من لبن المعز ، ففى اللسان : « قال ابن الأعرابى : هو من ألبان الإبل خاصة » . وهى دعوى من ابن الأعرابى يكذبها قول امرئ القيس فى المعزى :

فتوسع أهلها أقطاً وسمناً ... وحسبك من غنى شبع ورى

وفى القاموس أن الأقط « شىءٌ يتخذ من المخيض الغنمى » . وفى التاج : « وقال غيره : الأقط لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به » .

(٦) كلمة : « قرونها » ساقطة من ط . وبدلها فى هـ : « قدورنا » محرفة . وفى س : « فيها » بدل : « منها » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وصغار المعزى » . وانظر رواية الخبر فى البيان (١ : ٣٢) .

وملوكنا يُحمَل[1] معهم فى أسفارهم البعيدة الصفايا الحواملُ ، المعروفاتُ أزمانِ الحمل والوضع ، ليكون لهم[2] فى كل منزلٍ جِداءٌ مُعَدَّة . وهم يقدرون على الُحملانِ السِّمان بلا مؤونة[3] .

والعَناق [الحمراء] والجِداء ، هى المثل فى المعْز والطِّيب . ويقولون : جِداء البَصرة ، وجِداء كَسْكر[4] .

وسلْخ الماعز على القَصَّاب أهوَن . والنَّجّار يذكر[5] فى خصال السَّاج[6] سَلَسَه[7] تحت القَدُوم والمِثْقب والمِيشار[8] .

(أمارات حمل الشاة)

وقيل لأعرابى : بأى شىء تعرفُ حملَ شاتك ؟ قال : إذا تورَّم حَيَاها[9] ودجَتْ شَعْرتُها[10] واستفاضت خاصرتها .

---

(١) فيما عدا ل : « تحمل » بالتاء .
(٢) فيما عدا ل : « لها » .
(٣) ط : « وهم يقدرون » تحريف . وكلمة : « السمان » ليست فى ل .
(٤) كسكر : كورة من كور فارس . انظر (٤ : ١٥) و (٢ : ٢٤٨) .
(٥) فيما عدا ل : « يركز » تحريف .
(٦) الساج : شجر سبق الحديث عنه فى ص ٨٣ .
(٧) السلس ، بالتحريك : اللين والسهولة . فيما عدا ل : « سلسلة » تحريف .
(٨) فى اللسان : « المئشار بالهمز هو المنشار بالنون . قال : وقد يترك الهمز » . ط ، س : « والمنشار » وهى صحيحة . هـ : « والعسار » محرف . وقد يقال ما ذا أراد الجاحظ بالجمع بين الماعز والساج ؟ فالجواب أنه أراد المقارنة بين سلخ جلد الماعز وقشر سطح الساج ، وثقبه ، ونحته . فكما أن الساج وهو من أنفس أنواع الخشب ، سهل لين فى معالجته ، كذلك تكون سهولة معالجة سلخ جلد الماعز دليلا على نفاسته وعلوه .
(٩) الحيا . الفرج من ذوات الظلف والخف .
(١٠) دجت شعرتها : طال شعرها وركب بعضه بعضاً . وعنز دجواء : سابغة الشعر . ط ، هـ : « وخرجت » س : « وحرجت » مع إسقاط الكلمة التى بعدها .

وللداجي[1] يقال : قد كان ذلك وقد دَجَا ثوبُ الإسلام[2] ، وكان ذلك وثوبُ الإسلام داجٍ .

(المرعزّى وقرابة الماعزة من الناس)

قال: وللماعز المِرْعِزِىُّ[3] ، وليس [للضأن إلا] الصوف .

والكِساء[4] كلها صوفٌ ووبرٌ وريشٌ وشعرٌ ، وليس الصوف إلا للضأن وذواتُ الوبر كالإبل ، والثعالب ، والخُزَز[5] والأرنب ، وكلاب

= والصواب ما أثبت من ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٧٥) : « رجت شعرتها » خطأ فى النص والضبط . وقد سبق هذا الخبر فى (٣ : ٢٥١) .

(١) فيما عدا ل : « والداجى » .

(٢) المعروف : « دجا الإسلام » و« إسلام داج » لكن جاء فى اللسان فى تفسير قول القائل « أبي مذ دجا الإسلام لا يتحنف » : « قال : لج هذا الكافر أن يسلم بعد ما غطى الإسلام بثوبه كل شئ » . وانظر (٣ : ٢٥١) .

(٣) المرعز والمرعزي ويمد إذا خفف ، وقد تفتح الميم فى الكل : شئ كالصوف يخلص من بين شعر العنز . انظر القاموس واللسان (رعز) والجواليقى ٣٠٧ . وفى كتاب التبصر بالتجارة للجاحظ ص ٢١ : « وخير الفرش وأرفعه ثمناً وأجوده المرعزى القرمزى الأرمنى المنير » .

(٤) الكساء ، بالكسر : جمع كسوة بالضم ، وهى الثوب الذى يلبس . انظر القاموس والتاج . قال الزبيدى : « نقله الصاغانى ، ومثله ببرمة وبرام وبرقة وبراق » . س : « الكسا » وتقرأ بالضم . ل : « الكسى » وهو مذهب للكوفيين فى الرسم . وفى المقصور ٦ : « وزعم قوم من أهل الكوفة أن ما كان من المقصور على ثلاثة أحرف ، وكان الحرف الأول مكسوراً أو مضموما فجائز أن يكتب بالياء وإن كان أصله الواو » .

(٥) الخزز : ذكر الأرانب ، يراد به نوع كبير من الأرانب . انظر معجم المعلوف ١٥٠ . وكثيراً ما تطلق المعاجم العربية كلمة « الذكر » على الضرب الكبير من الحيوان . هـ : « الخزر » تحريف . ل : « الخز » بزاء واحدة . وقد اختلف اللغويون والعلماء فى « الخز » اختلافا كبيراً . فذهبت المعاجم العربية إلى أنه ضرب من الثياب الحريرية . انظر اللسان والقاموس وشرحه ونهاية ابن الأثير =

الماء[١] ، والسَّمُّور ، والفَنَك[٢] ، والقاقُم[٣] ، والسِّنجاب ، والدِّباب[٤] .

[والتي] لها شعر[٥] كالبقر والجواميس ، والماعز ، والظباء ، والأُسْد ، والنمور ، والذئاب ، والبُبور ، والكلاب ، والفهود ، والضباع ، والعِتاق ، والبراذين ، والبغالِ ، والْحمير ، وَما أشبه ذلك[٦]

والإنسان الذى جعله الله تعالى فوقَ جميعِ الحيوان فى الجمال والاعتدال ، و [فى] العقل والكرم ، ذو شعر .

فالماعزة بقرابتها من الناس[٧] بهذا المعنى أفخر وأكرم .

= والمخصص (٤ : ٦٨) . وانفرد صاحب المصباح فقال : إنه « اسم دابة ثم أطلق على الثوب المتخذ من وبرها » . وقد رد داود صاحب التذكرة على اللغويين وقال : إن الخزدابة بحرية ذات قوائم أربع فى حجم السنانير لونها إلى الخضرة » ، كما ذكر استينجاس ٤٥٨ أنه شعر الدابة البحرية التى تسمى « كلب الماء » : A five hair of tge beaver

(١) كلب الماء : حيوان طويل الذنب ، قصير القوام والأذنين ، بين أصابعه غشاء يعينه على السباحة ولونه أحمر قاتم : Beaver or Lutra vulgaris

(٢) الفنك بالتحريك : ثعلب صغير ناعم الشعر أغبر اللون ، كبير ، يقال للنوع الإفريقى منه بالإنكليزية : Fennec وللأسيوى منه : Corsac بلفظه التركى . وهو فارسى معرب ولفظه فى الفارسية كلفظه فى العربية . استينجاس ٩٤٠ وادى شير ١٢٢ والمعرب ٢٤٨ .

(٣) القاقم ، بضم القاف الأخيرة : حيوان من فصيلة بنات عرس : Ermine . قال المعلوف : « تركيته قاقم » . قلت : وهو بالفارسية « قاقم » . استينجاس ٩٤٨ . ط : « الغيام » ﻫ : « العيام » صوابهما فى ل ، س .

(٤) الدباب : جمع دب ، ويقال في جمعه أيضاً دببة ، وهو من ذوات الوبر والفراء . ل : « والدنيا » ﻫ : « والديبا » ط : « والذى » س : « والدب » والوجه ما أثبت . وانظر الجزء السادس ص ٨ .

(٥) كلمة : « والتى » ليست فى الأصل . وفى الأصل : « كلها » بدل : « لها » .

(٦) ل : « وأشباه ذلك » .

(٧) فيما عدا ل : « والماعزة لقرابتها من الناس » .

(الماعز التى لا ترد)

وزعم الأصمعىُّ أن لبنى عُقَيلٍ ماعزاً لا ترِد[١] . فأحسِبُ واديَهم أخصبَ وادٍ وأرطبَه[٢] . أليس هذا من أعجب العجَب ؟ !

(جلود الماعز)

ومن جلودها تكون القِربُ ، والزِّقاق ، وآلة المشاعِل[٣] ، وكلُّ نِحْىٍ[٤] ، ١٤٣
وسعْن[٥] ، ووَطْب ، وشُكَيَّة[٦] وسِقاء ، ومَزَادة ، مسطوحةً كانت أو مثلوثة[٧] . ومنها ما يكون الخُون[٨] ، وعِكْمُ السَّلْف[٩] ، والبطائن[١٠]

---

(١) ترد : من ورود الماء . ل : « ماعزة » . والماعزة الواحدة من الماعز .

(٢) انظر هذا الخبر فى (٦ : ٩١) ساسى .

(٣) فيما عدا ل : « والمناكل » تحريف . والمشاعل : جمع مشعل ، وهو شيء من جلود له أربع قوائم ينتبذ فيه . قال ذو الرمة :

أضعن مواقت الصلوات عمدا ... وحالفن المشاعل والجرارا

(٤) النحى ، بالكسر : الزق ، وقيل ما كان للسمن خاصة . فيما عدا ل : « خرج » .

(٥) السعن ، بالضم والفتح : قربة تقطع من أسفلها ويشد عنقها وتعلق إلى خشبة أو جذع نخلة ثم ينبذ فيها . وهو شبيه بدلو السقائين يصبون به فى المزايد . ط ، س : « ثفر » هـ : « ثغر » صوابهما فى ل .

(٦) الشكية : تصغير الشكوة ، وهى بالفتح : وعاء كالدلو أو القربة الصغيرة . ل : « شكوة » س : « شكة » هـ : «شكته» ، والأخيرتان محرفتان .

(٧) الجوهرى : المثلوثة: المزادة تكون من ثلاثة جلود . ل : « مثلوثة » تحريف .

(٨) الخون : بالضم : جمع خوان بالضم والكسر ، وهى المائدة يوضع عليها الطعام . ل : « الحوز » س : « بالحون » محرفتان . ط : « الخوان » وأثبت ما فى هـ . وقد تكون « الجون » بضم ففتح : جمع جونة، وهى سليلة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين .

(٩) العكم والعكام ، بالكسر فيهما : حبل يربط به . والسلف ، بالفتح : الجراب ، أو الضخم منه . وفى الأصل : « لكم السلف » .

(١٠) ل : « الكيسانى » . وفى اللسان : « والكيسانية جلود حمر ليست بقرظية » .

وأُجُرُب . ومن الماعزة تكون أنطاع البُسط[١] ، وجِلال الأثقال فى الأسفار[٢] ، وجِلال قِبابِ الملوك . وبقباب الأَدَم تتفاخر العرب[٣] . والقباب الحمر قالوا : مضر الحمراء[٤] . وقال عَبيد بن الأبرص :

فاذهبْ إليكَ فإنى من بنى أسَدَ ... أهلِ القِباب وأهل الُجردِ والنادى[٥]

(الفخر بالماعز)

وقالوا[٦] : وفخرتم بكبشة وَكبيشة وأبى كبشة ، فمِنَّا عنز اليمامة[٧] ، وعنز وائل[٨] ، ومنا ماعز بن مالك ، صاحب التوبة النَّصوح[٩] .

---

(١) النطع ، بالكسر والفتح وبالتحريك وكعنب : بساط من الأديم . فيما عدا ل : « يكون » .

(٢) فى اللسان (١٣ : ١٢٦ س ٢) : « وجلال كل شىء غطاؤه نحو الحجلة وما أشبهها » . قلت : يبدو لى أنها جمع لا مفرد ، وأن مفردها جل ، وأصله غطاء الدابة .

(٣) ط ، هـ : « يتفاخر العرب » .

(٤) قالوا : إن نزاراً لما حضرته الوفاة جمع أولاده وأوصى لكل منهم ، فأوصى لمضر بقبة حمراء . وانظر حديث هذه الوصية فى بلوغ الأرب (٣ : ٢٦٤ — ٢٦٦) والمفضليات القصيدة ٩٦ : ٢٢ طبع المعارف . فيما عدا ل : « قيل » موضع : « قالوا » .

(٥) الجرد : جمع أجرد ، وهى الخيل القصيرة الشعر . فيما عدا ل : « الجود » تحريف صوابه فى ل والديون ص ٧٠ نقلا عن مختارات ابن الشجرى ١٠٠ . وفى شرح المختارات : « اذهب إليك : زجر . إنما ذكر النادى لأن لهم سادات يجتمعون فيه . ولا للقوم ناد إلا ولهم سيد » .

(٦) فيما عدا ل : « قال » .

(٧) عنز هى المعروفة بزرقاء اليمامة ، كانت أبصر خلق الله على بعد . انظر الميدانى : (أبصر من زرقاء اليمامة) .

(٨) هو عنز بن وائل بن قاسط .

(٩) ماعز بن مالك ، أحد الصحابة ، كان قد زنى فأقر على نفسه ، وانطلق إلى الرسول يطلب إقامة الحد ، وألح فى ذلك إلحاحا بيناً ، فأمر الرسول برجمه فرجم ، فلما عضه مس الحجارة انطلق يسعى ، فاستقبله رجل بلحى جزور ، فضربه به فصرعه

[وقال صاحبُ الماعز : وطعنتم على الماعزة بحفرها عن حتفها ، فقد قيل ذلك للضأن . من ذلك قولُ البكريّ[١] للعنبريّة ، وهي « قَيلة[٢] » وصار معها إلى النبيّ فسأله الدّهناء[٣] ، فاعترضت عنه قيلة ، فقال لها البكريّ : إني وإياك كما قال القائل : « عن حتفها تبحثُ ضأنٌ بأظلافها[٤] ! » فقالت له العنبرية : مَهْلاً ، فإنك ما علمتُ : جواداً بذي الرِّجْل[٥] ، هادياً في الليلة الظلماء ، عفيفاً عن الرفيقة ! فقال : لازلتِ مُصَاحَباً بعد أن أثنيتِ عليّ بحضرة الرسول بهذا !] .

(ضرر الضأن ونفع الماعز)

وقالوا: والنعجة حرَب[٦] ، واتّخاذها خُسران ، إلا أن تكون في نعاجٍ سائمة ، لأنها لا ترفعُ رأسها من الأكل . والنعجةُ آكلُ من الكبْش ،

وقال في شأنه رسول الله : « لقد تاب توبة لو تابها طائفة من أمتي لأجزأت عنهم » و : « والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة يتقمس فيها » . انظر مسند أحمد (٥ : ٢١٧) والسنن الكبرى للبيهقي (٨ : ٢٢٥ — ٢٢٨) ومسلم (٢ : ٣٣ — ٣٥) والإصابة ٧٥٨١ وتأويل مختلف الحديث ٢٣٨ — ٢٤١ .

(١) هو الحارث ، أو حريث بن حسان ، وافد بكر بن وائل ؛ كان صحب قيلة في وفادة على الرسول للمبايعة ، فبايعه حريث على الإسلام وعلى قومه ، ثم قال : يا رسول الله ، اكتب بيننا وبين بني تميم بالدهناء لا يجاوزها إلينا منهم إلا مسافر أو مجاور . فقال : اكتب له يا غلام بالدهناء . فاعترضت قيلة ، فقال : أمسك يا غلام . وانظر القصة مفصلة في الإصابة ٨٩٦ قسم النساء ومجمع الزوائد للهيثمي (٦ : ٩) وفيه تصحيحات قيمة كثيرة لما في الإصابة من التحريف ، والفائق للزمخشري (٢ : ١٢٨) والعقد (١ : ١٨٣ — ١٨٥) .

(٢) هي قيلة بنت مخرمة التميمية العنبرية . ترجمتها في الإصابة .

(٣) الدهناء : واد في بلاد بني تميم ببادية البصرة .

(٤) نص المثل في مجمع الزوائد والعقد والميداني (٢ : ١٧٥) : « حتفها تحمل ضأن بأظلافها » .

(٥) ذو الرجل ، بكسر الراء : موضع في ديار كلب . ورواية المجمع والعقد : « لدى الرحل » .

(٦) الحرب ، بالتحريك : أن يسلب الرجل ماله . فيما عدا ل : « جرب » تحريف .

والحِجْرُ آكَلُ من الفحْل ، والرَّمَكةَ آكَلُ من البِرذَون . والنعجة لايقوم نفعها بمؤونتها[١] . والعنز تمنعُ الحيَّ الجلاء[٢] ، فإن العربَ تقول : إن العُنوق تمنع الحيَّ الجَلاء[٣] .

والصفيَّة من العِرَاب أغزر من بُختيةٍ[٤] [بعيداً[٥]] .

ويقال[٦] : « أحمَقُ من راعِي ضأن ثمانين[٧] ! » .

(كرم الماعز)

وأصناف أجناسِ الأظلاف وكرامها بالمعز أشبه ، لأن الظِّباء والبقر من ذوات الأذناب والشعَر[٨] ، وليست من ذوات الألايا والصوف[٩] . والشُّمُلُ[١٠] ، والتعاويذ والقلائد[١١] ، إنما تُتَّخذ للصفايا ، ولا تُتَّخذ

---

(١) سه : «بمعونها» تحريف .

(٢) الجلاء : النزوح عن الوطن . فيما عدا ل : « الحلا » تحريف .

(٣) العنوق : جمع عناق بالفتح ، وهي أنثى المعزى إذا أتت عليها سنة . والكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ل : « القلوص » وهى الفتية من أولاد الإبل والنعام ، ولا وجه له . وفيما عدا ل : « العلوم » تحريف . وكلمة « الجلاء » هى فيما عدا ل : « الحلا » محرف .

(٤) العراب ، بالكسر : العربية . والبختية : الخراسانية تنتج بين عربية وفالج . ل : « الصفي » فيما عدا ل : « من نجيبة » .

(٥) هذه الزيادة من ل ، هـ .

(٦) ط فقط : « أو يقال » تحريف .

(٧) وذلك لأن الضأن تنفر من كل شيء فيحتاج راعيها إلى أن يجمعها في كل وقت : وروى الميداني في (١ : ٢٠٥) روايتين أخريين عن الجاحظ في هذا المثل : « أشقى من راعي ضأن ثمانين » و « أشغل من مرضع بهم ثمانين » .

(٨) فيما عدا ل : « الأوبار والشعر » وكيف يصح ذلك ؟ !

(٩) الألايا : جمع ألية ، على غير قياس . وبدلها فيما عدا ل : « الأوبار » تحريف .

(١٠) الشمال ، ككتاب : شبه مخلاة يغشى بها ضرع العنز إذا ثقل ، وجمعه شمل .

(١١) القلائد ، جمع قلادة ، وهى ما يجعل في عنق الدابة . ل : « والقلائد والتعاويذ » .

للنعاج ، ولا يخاف عَلَى ضروعها[1] العين والنفْس .

والأشعار التى قيلت فى الشاء إذا تأمَّلتَها وجدْتَ أكثرها فى المعز : فى صفاياها وفى حُوِّها[2] ، وفي تيوسها وفى عُنوقها وجدائها[3] . وقال مُخارِقُ ابنُ شُهابٍ المازنى[4] ـ وكان سيداً كريما ، وكان شاعراً ـ فقال يصفُ تيسَ غنمِه :

وراحت أُصَيلاناً كأن ضُروعَها ... دِلاءٌ وفيها واتِدُ القَرْن لبلَبُ[5]
له رَعَثات كالشُّنُوف وغُرَّةٌ ... شَدِيخٌ ولونٌ كالوذِيلة مُذْهَبُ[6]
وعَينا أحَمِّ القَلَتين وعُصْمَةٌ ... ثُنًى وصْلُها دانٍ من الظِّلف مُكْثِبُ[7]
إذا دَوحةٌ من مُخلِف الضَّالِ أربَلَتْ ... عطاها كما يعطو ذُرَى الضَّال قَرْهَبُ[8]

---

(١) أي ضروع النعاج . فيما عدا ل : « ضروعه » .

(٢) الحو : جمع حواء وأحوى . والحوة : سواد إلى الخضرة . وفي الأصل : « حورها » تحريف . وانظر البيت السادس من الشعر التالى . ومما مدحوا به الحو من المعز قول أوس بن حجر :

يصوع عنوقها أحوى زنيم ... له ظأب كما صخب الغريم

(٣) ل : « وجدائها » .

(٤) فى الإصابة ٨٣١٠ : مخارق بن شهاب بن قيس التميمى ، ذكره المرزبانى ، نقل عن دعبل أنه شاعر إسلامى .

(٥) واتد : ثابت . واللبلب : ذو اللبلبة ، أي الشفقة على المعزى . ل ، س : « راحت » بالحرم . ه : « ضرورها » تحريف .

(٦) رعثتا الشاة : زنمتاها تحت الأذنين . والشنوف : جمع شنف وهو القرط . والغرة الشدخ : السائلة الطويلة . والوذيلة : المرآة ، أو قطعة مجلوة من الفضة . ط ، ه : « رعنات » س : « رعبات » صوابه فى ل ، وعيون الأخبار (٢ : ٧٧) . وفيما عدا ل : « كالوديلة » تحريف .

(٧) العصمة ، بالضم : بياض فى يديه . ثنى : اثنان ، كما فى اللسان (١٨ : ١٢٧) مكثب : قريب . فيما عدا ل وكذا عيون الأخبار : « يواصلها » تحريف . فيما عدا ل : « أهدب » موضع : « مكثب » تحريف .

(٨) المخلف : الذى أخرج الخلفة وهو الورق الذى يخرج بعد ورق . والضال : شجر . ط ، ه : « وفى محذف » س : « من محذف » صوابهما فى ل . وفى عيون الأخبار : « من مخرف » . أربلت : كثر ربلها . والربل ، بالفتح : ورق يتفطر فى آخر القيظ =

تِلادُ رقيق الخدّ إن عُدّ نَجْرُه فصِرْدان نِعْمَ النَّجْر منه وأشعَبُ(١)
أبو الغُرِّ والحُوِّ اللّواتى كأنها من الحسن فى الأعناق جَزْعٌ مثقَّبُ(٢)
١٤٤ إذا طاف فيها الحالبانِ تقابلت عقائلُ فى الأعناقِ منها تحلَّبُ(٣)
ترى ضيفها فيها يَبيتُ بغِبْطَةٍ وضيفُ ابنِ قيس جائعٌ يتحوَّبُ(٤)

قال: فوفد ابن قيسٍ هذا، على النُّعمان، فقال له: كيف المخارقُ فيكم(٥)؟ قال: سيِّدٌ شريف، [من رجل(٦)] يمدح تيسَه(٧)، ويهجو ابنَ عمِّه!

= برد الليل من غير مطر. فيما عدا: «أرجلت» تحريف. عطاها: تناولها متطاولا إليها. فيما عدا ل: «عضاها» تحريف. والقرهب: الثور المسن الضخم.

(١) اتلاد: الذى ولد عندك. ل: «رفيق الخد». والنجر، بالفتح: الأصل والحسب و «صردان» كذا جاء مضبوطاً بالكسر فى ل. ط، هـ: «سمى النجر» سه: «سم النجر» صوابهما ما أثبت من ل. فيما عدا: «أسفب» وهو وصردان من آباء هذا التيس. والبيت لم يروه ابن قتيبة.

(٢) الغر: جمع غراء، وهى ذات الغرة البيضاء فى الجبهة. والحو: جمع حواء. فيما عدا ل: «أبوالقرز الحو» تحريف. وفى عيون الأخبار: «أبوالحوروالغر». وقال مسعود بن خرشة فى هجاء رجل (الأغانى ٢١ : ١٦٦):

له أعنز حو ثمان كأنما يراهن غر الخيل أوهن أنجب

والجزع بالفتح والكسر: خرز فيه سواد وبياض. أراد كأنها جزع مثقب فى أعناق الحسان.

(٣) الحالبان: مثنى حالب. وكان العرب يعتمدون الرعاة والعبيد للحلب، ويتهاجون بحلب النساء. وفى اللسان (١ : ١٣٧): «وفى الحديث: أنه قال لقوم لا تسقونى حلب امرأة. وذلك أن حلب النساء عيب عند العرب يعيرون به. فلذلك تنزه عنه». والأعناق: الجماعات أو السادات. والتحلب: السيلان. عنى غزر لبنها. ل: «طاف منها» ط: «الحالبات» تحريف. وفيما عدا ل: «تقاذفت». والبيت لم يروه ابن قتيبة.

(٤) يتحوب: يتوجع. ل: «يتخوب» بالخاء، فإن صح كان من الخوبة وهى الجوع وفى اللسان أيضاً: «خاب يخوب خوبا افتقر». وانظر العمدة (٢ : ٣٢).

(٥) فيما عدا ل: «عندكم» وأثبت ما فى ل وعيون الأخبار والعمدة.

(٦) التكلة من ل، هـ وعيون الأخبار. وفى العمدة: «حسبك من رجل».

(٧) فيما عدا ل: «نفسه» صوابه في ل والعمدة وعيون الأخبار.

وقال الراجز :

أنعتُ ضاناً أمجرَتْ غِثاثا[١]

والمِجَر : أن تشربَ فلا تروَى . وذلك من مَثالبها .

وقال رجل لبعض ولَدِ سليمان بن عبدِ الملك : « ماتت أمُّك بَغرًا ، وأبوك بَشَماً[٢] ! » :

وقال أعرابى[٣] :

أمَوْلَى بنى تَيمٍ ، ألستَ مؤدِّياً مَنيحتَنا كما تُؤدّى المنائح[٤]
فإنك لو أدَّيْتَ صعدَةَ لم تزلْ بعَلياءَ عندى، ما ابتغَى الرِّبْحَ رابح[٥]
لهـا شعَرٌ داجٍ وجِيدٌ مُقلِّص وخَلْقٌ زُخارىٌّ وضرعٌ مُجالِـح[٦]
ولو أشْلِيَتْ فى ليـلةٍ رجَبِيَّةٍ لأَرْوَاقِها هَطْلٌ من الماء سافح[٧]

---

(١) غثاثا : جمع غثة ، وهى المهزولة . فيما عدا ل : « عيانا » .

(٢) البغر ، بالتحريك ، هو المجر ، وقد مر تفسيره . فيما عدا ل : « مجرا » . والبشم ، بالتحريك : تخمة عن الدسم .

(٣) هو جبيهاء الأشجعى المترجم فى (٤ : ٢٦) . وكان مولى من بنى تيم بن معاوية قد استمنحه عنزا وماطله فى ردها ، فقال هذه الأبيات يتقاضاه المنيحة . انظر المفضلية ٣٣ طبع المعارف والمؤتلف ٧٨ والقالى (٢ : ١٥٢ ، ٢٥٣) وتنبيهات البكرى ١٠٩ والأغانى (١٦ : ١٤٢) .

(٤) أصل المنيحة الناقة يمنحها الرجل صاحبه ليحتلبها ثم يردها . فيما عدا ل : « كما تؤدي » وفى المفضليات والمؤتلف والتنبيهات والأغانى : « فيما » .

(٥) صعدة : اسم العنز التى منحه إياها . ويروى : « عمرة » . العلياء : الرفعة .

(٦) شعر داج : سابغ طويل . وهذه الرواية أيضاً في المؤتلف . وفى المفضليات والأغانى والتنبيهات : « ضاف » . والمقلص ، بكسر اللام المشددة : الطويل . والزخاري ، بالضم : الـكثير اللحم والشحم . ط ، هـ : « رخاوى » سه : « رحاوى » صوابهما ما أثبت من ل والمفضليات والمؤتلف والأغانى . وفى الأمالى (٢ : ١٥٢ ، ٢٥٣) المخصص (١٢ : ٢٣٤) : « خدارى » خطأ نبه عليه البكري . والمجالح : الذى يدر على الجوع والقر . وفى المفضليات والأغانى والمؤتلف : « وضرس مجالح » يجتلح الشجر أى يقشره . وإذا فعل ذلك الحيوان كان أكثر للبنه فى الشتاء .

(٧) أشليت : دعيت ، أى للحلب . رجبية : ليلة من ليالى الشتاء . لأرواقها : أراد =

لجاءت أمامَ الحالبَينِ وضَرْعُها أمامَ صِفاقَيها مُبِدٌّ مُضارِحُ[١]
وويلُ أمِّها كانت نتيجةَ واحد ترامى بها بِيدُ الإكام القراوحُ[٢]

(أصناف الظلف وأصناف الحافر)

ليس سبيلُ أصنافِ الظِّلفِ في التشابه سبيلَ أصناف الحافر ، والخف . [واسمُ النَّعَم[٣]] يشتمل على الإبل والبقر [والغنم[٤] . وبُعْدُ بعضِ الظلف من بعض ، كبعده من الحافر والخف ؛ لأن الظلف للضأن والمعز والبقر] والجواميس والظِّباء والخنازير وبقرِ الوحش ، وليس بين هذه الأجناس تسافد[٥] ولا تلاقح ، لا الغنم [في الغنم[٦]] من الضأن والماعز ، ولا الغنم في سائر الظلف[٧] ولا شيء من سائر تلك الأجناس تسافِدُ غيرها أو تُلاقِحُها[٨] . فهي تختلف

= لسحابها . وخص الشتاء لأن الألبان تقل فيه . هـ : « ولو أسبلت » ط ، ط : « لأروى بها هطل » س : « لأردى بها » تحريفات .

(١) الصفاقان : ما اكتنف الضرع من عن يمين وشمال إلى السرة . مبد : يوسع ما بين رجليها لعظمه. مضارح : من الضرح وهو التنحية والدفع . ط : « وجيد » مكان « مبد » هـ : « وسد » تحريفان . وفي المفضليات : « مكاوح » . كاوحه : قاتله فغلبه . ط ، س : « مطارح » هـ : « مضادح » محرفان .

(٢) ويل أمها : تعجب منها . فيما عدا ل : « وما أمها » صوابه في المفضليات والمؤتلف نتيجة ، كذا في ل . وفيما عدا ل : « منيحة » وفي المفضليات والمؤتلف : « غبوقة طارق » . البيد : جمع بيداء . فيما عدا ل : « بهاتيك » والقراوح : جمع قرواح ، بالكسر ، وهو المنبسط من الأرض لا يستتر منه شيء . فيما عدا ل : « القوادح » تحريف .

(٣) هذه التكملة من ل ، س . والكلمة التي بعدها هي في ط ، هـ : « تشتمل » .

(٤) هذه الكلمة من ل ، س . وسائر التكملة من ل .

(٥) ط ، هـ : « من تسافد » والكلام بعده إلى كلمة : « غيرها » ساقط من هـ .

(٦) هذا التكملة من ل ، س . وقبل ذلك فيما عدا ل : « ولا الغنم » ، بإقحام الواو .

(٧) ط ، هـ : « الظفر » صوابه في ل .

(٨) فيما عدا ل : « من تسافد غيرها وتلاقحها » .

في الصوف والشعر ، وفى الأُنس والوحْشة ، وفى عدم التلاقُح والتسافُد وليس كذلك الحافرُ والخفّ .

(رجَز فى العنْز)

وقال الراجز :

لَهفى على عنْزين لا أنساهما[1] كأنّ ظِلّ حَجَرٍ صُغْرَاهما

وصالِغٌ مُعْطِرةٌ كُبراهما[2]

قوله : صالغٌ[3] ، يريد انتهاء السنّ . والمعطرة : الحمراء . مأخوذة من العِطْر[4] . وقوله : « كأن ظلّ حجَر صُغراها » يريد أنها كانت سوداء ، لأن ظِلّ الحجَر يكونُ أسودَ ، وكلما كان الساتر أشدّ اكتنازاً[5] كان الظلُّ أشدّ سواداً .

(قولهم : أظل من حجر)

وتقول العرب : ليس شيء أظلّ من حجَر[6] ، ولا أدفأ من شجَر ، وليس يكون ظلٌّ أبرَدَ ولا أشدّ سواداً من ظلِّ جبل . وكلما كان أرفع

---

(١) فيما عدا ل : « عنزى » وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٣) واللسان (٦ : ٢٥٩) .
(٢) فيما عدا ل : « ضالع » وفى المحاضرت : « صانع » صوابهما فى ل واللسان .
(٣) فيما عدا ل : « ضالع » تحريف . قال أبو عبيد : « ليس بعد الصالغ فى الظلف سن » .
(٤) العطر : بالكسر : الطيب . فيما عدا ل : « العطرة » تحريف .
(٥) ط ، هـ : « وكل ما » والوجه الوصل . فيما عدا ل : « القائم » بدل : « الساتر » . والاكتناز : الاجتماع والامتلاء . وهذه الكلمة وجملة : « كان الظل أشد » ساقطتان » من هـ .
(٦) فى أمثال الميدانى (١ : ٤١١) : « أظل من حجر » وذلك لكثافة ظله . =

سَمْكاً(١) ، وكان مَسْقِطُ الشمس أبعَد ، وكان أكثر عَرضاً وأشدَّ اكتنازاً ، كان أشدَّ لسواد ظله(٢) .

١٤٥ ويزعم المنجِّمون أن الليلَ ظلُّ الأرض(٣) ، وإنما اشتدَّ جدًّا لأنه ظلُّ كُرةِ الأرض(٤) . وبقدر ما زاد بدنها(٥) فى العِظَم ازدادَ سوادُ ظِلِّها

وقال حُميد بن ثَور :

إلى شَجَرٍ أَلْمَى الظلالِ كأنها رواهبُ أحْرَمْنَ الشرابَ عُذُوبُ

والشَّفة الحمَّاء يقال لها لَمْياء(٧) . يصِفُون بذلك اللِّثة . فجعَل ظِلَّ الأشجار الملتفَّة ألمى .

قال الثعالبى فى ثمار القلوب ٤٤٣ : « لأنه مصمت لا يتخلله خلل » ، وأنشد

كأنما وجهك ظل من حجر

انظر القالى (٢ : ١٢) والتنبيهات ٩٠ وعيون الأخبار (٤ : ٤١) . قال الميدانى : « ليس للظل فعل يتصرف فى ثلاثيه فيبنى منه أفعل التفضيل . وحقه : أشد إظلالا » .

(١) السمك ، بالفتح : العلو والارتفاع . ط ، ه : « وكل ما » بالفك . والوجه الوصل .

(٢) فيما عدا ل : « محله » تحريف صوابه فى ل وتاج العروس (٧ : ٤٢٨ س ١٤) .

(٣) كلمة : « الأرض » ليست فى ل .

(٤) هذه الكلمة ليست فى س .

(٥) فيما عدا ل : « جرمها » .

(٦) ألمى : كثيف أسود ، الأنثى لمياء . وضمير : « كأنها » يعود على : « ركاب » تقدم ذكرها فى بيت قبله ، وهو كما فى اللسان (٢٠ : ١٢٥) :

ظللنا إلى كهف وظلت ركابنا إلى مستكفات لهن غروب

وعندى أنها ضمير : « الشجر » . وفى المصباح ٩٦٨ : « كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء نحو بقر وبقرة فإنه يذكر ويؤنث » وانظر تفصيل اختلاف اللغويين فى هذه المسألة ، فى المخصص (١٦ : ١٠٠ — ٢٠٢) . شبه الشجر بالرواهب . قال أبو حنيفة : « اختار الرواهب فى التشبيه لسواد ثيابهن » . أحرمن الشراب : جعلنه حراما . عذوب : جمع عاذب ، وهو القائم يرفع رأسه فلا يأكل ولا يشرب . ط ، ه « أجرين » ط ، ه ، س : « السراب » صوابهما فى ل : وفى ط ، س : « غروب » ه : « عزوب » صوابهما فى ل . وانظر اللسان (١٥ : ١٤ و ٢٠ : ١٢٥) .

(٧) الحماء : السوداء . فيما عدا ل : « الحسناء » تحريف . ط : « يقول لها » محرف .

(أقط الماعز)

وقال امرؤ القيس بن حُجْر :

لنا غَنَمٌ نُسوِّقها غِزارٌ كأنَّ قُرُونَ جِلَّتِها العِصِيُّ(١)

فدلَّ بصفة القرون(٢) [عَلَى] أنها كانت ماعزة . ثم قال(٣) :

فتملأُ بيتَنا أَقِطاً وسَمْناً وحَسْبُكَ من غِنًى شِبعٌ ورِيّ(٤)

فدلَّ [عَلَى] أن الأقط منها يكون .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لذوات الأظلاف : قد وَلِّدت الشاة(٥) والبقرة ، مضمومة الواو مكسورة اللام مشدودة . يقال هذه شاة تُحلَب قفيزاً ، ولا [يقال] تَحلُب ، والصواب ضم التاء وفتح اللام .

ويقال أيضاً : وضعَتْ ، فى موضع وُلِّدت . وهى شاة رُبًّى(٦) ، من حينِ تضعُ إلى خمسةَ عشرَ يوماً — وقال أبو زيد(٧) : إلى شهرين — مِنْ غنم

(١) ط ، هـ : « غزارا » . والجلة ، بالكسر : المسان . ورواية الصدر فى الديوان ١٦٥ : « ألا إلا تكن إبل فمعزى » . وقال الوزير أبو بكر : « قال الأصمعى : امرؤ القيس لا يقول مثل هذا . وأحسبه للحطيئة » .

(٢) فيما عدا ل : « قوله » موضع : « فدل » تحريف . ط ، س : « يصف » صوابه فى ل ، هـ .

(٣) فيما عدا ل : « فقال » صوابه ما أثبت .

(٤) الأقط : مر تفسيره فى ص ٤٨١ . ورواية الديوان : « فتوسع أهلها » .

(٥) ط ، هـ : « السيلة » س . « السبلة » صوابهما فى ل .

(٦) ربى ، على فعلى ، وجمعها رباب بضم الراء فيهما .

(٧) فيما عدا ل : « أبوزبيد » تحريف . وهوأبوزيد سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري ، اللغوى الثقة ، وكان من شيوخ الجاحظ . توفى سنة ٢١٥ .

رُباب ، مضمومة الرّاء عَلَى فُعال ، كما قالوا: رَجُل ورُجال[1] ، وظئر وظؤار . وهى رُبّى بيّنة الرِّباب والرِّبّة بكسر الرّاء ، ويقال هى فى رِبابها . وأنشد :

حَنِينَ أمِّ البَوِّ فى رِبابها[2]

والرِّباب مصدر . وفى الرُّبى حديث عمر : « دَعِ الرُّبّى والماخِض والأَكولة[3] . وقال أبو زيد : ومثل الرّبّى من الضأن الرّغوث[4] . قال طرَفة:

فليتَ لنا مكانَ المَلْكِ عمروٍ رَغُوثاً حوْلَ قُبّتِنا تَخُور[5]

---

(١) رجل بمعنى راجل يمشى على رجليه . ويفهم من صنيع اللسان (١٣ : ٢٨٥) وتفسير أبي حيان (١ : ٢٤٣) أن رجالا ، بالضم وتخفيف الجيم : جمع راجل . لكن يؤيد صحة ما أثبت من ل ، سه ، ه ما فى تاج العروس (٧ : ٣٤٣) « ورجال جمع رجل الراكب » . وانظر لهذا الجمع العزيز (ليس فى كلام العرب) ص ٢٣ والتاج (٣ : ٣٦٦ ، ٧ : ٣٤٢) . وجاء فى ط : « رخل ورخال » والرخل بالكسر وككتف : الأنثى من أولاد الضأن . وهى صحيحة أيضاً .

(٢) البو : ولد الناقة ، وهو أيضاً جلد ولدها يحشى تبناً أو نحوه لتعطف عليه فتدر . فى ربابها : أراد فى وقت ربابها ، وهو منذ تضع إلى خمسة عشر يوماً أو شهرين ، كما سبق . فيما عدا ل : « حين » ط ، سه : « أم البرق » ه : « أم البر » محرفات صوابها فى ل والمخصص (٧ : ١٧٨) والغريب المصنف ٣٢٧ مخطوطة دار الكتب ، واللسان (١ : ٣٨٩ س ١٧) .

(٣) نصه فى اللسان (١ : ٣٨٧) : « لا تأخذ الأكولة ولا الربى ولا الماخض » ، لكن ورد بنص الجاحظ فى (١٣ : ٢١) . الماخض : التى أخذها المخاض لتضع . فيما عدا ل : « الماحض » صوابه فى ل واللسان (ربب ، مخض ، أكل) . والأكولة : التى تسمن للأكل . قال ابن منظور : « أمر المصدق بأن يعد على رب الغنم هذه الثلاث ولا يأخذها فى الصدقة ، لأنها خيار المال » . اللسان (١٣ : ٢١) . وفى (٢ : ٤٥٨) : « وفى حديث الصدقة أن لا يؤخذ فيها الربى والماخض والرغوث » .

(٤) الرغوث : المرضع من الضأن خاصة ، واستعملها بعضهم فى الإبل . وقيل الرغوث من الشاء التى قد ولدت فقط . ه ، سه : «المرغوب» تحريف .

(٥) تخور : تصيح . والبيت من قصيدة له فى ديوانه ٥ — ٩ يهجو بها عمرو بن هند . وانظر الشعراء ٢٧ والميدانى (١ : ٣٦٥) والكامل ٨٦ والمخصص (٧ : ١٧٨) والألفاظ ٧١ .

وقالوا(١) : إذا وضعت العنز ما فى بطنها قيل سَليل ومَليط . وقال أبو زيد : هى ساعةَ تضعُه(٢) من الضأن والمعز جميعاً ، ذكراً كان أو [أنثى] : سَخْلةٌ ، وجمعُها سَخْل(٣) وسِخَال . فلا يزال ذلك(٤) اسمَه ما رضعَ اللبَن ، ثم هى البَهْمة للذكر والأنثى ، وجمعُها بَهْم . وقال الشاعر :

وليس يزجرُكم ما تُوعَظُون به ... والبَهْمُ يزجُرُها الراعى فتنزجرُ

[ويروى : «يُزْجَر أحياناً»] . وإذا بلغَتْ أربعةَ أشهرٍ وفُصِلتْ عن أمهاتها ، وأكلَتْ من البقل واجترّت(٥) ، فما كان من أولاد المعز فهو جَفْر، والأنثى جَفْرة ، والجمع جِفَار(٦) . ومنه حديث عمر رضى الله عنه ، حين ١٤٦ قضَى فى الأرنبِ يُصِيبها المحرِمُ بجَفْر .

إذا رَعَى وقوِىَ وأتى عليه حولٌ فهو عريض ، وجمعه عِرْضان(٧) .

والعَتُود نحوٌ منه ، وجمعه أعْتِدة وعِتْدان(٨) . وقال يونس : جمعه أعْتِدة

---

(١) ط ، هـ : « وقال » .

(٢) فيما عدا ل : « هى ما تضعه » . وفى اللسان : « المليط : الجدي أول ما تضعه العنز » .

(٣) هـ : « سخلة » وهى صحيحة بكسر ففتح .

(٤) فيما عدا ل : « كذلك » .

(٥) اجترت : استخرجت من كرشها الطعام لتمضغه . ط فقط : « اجتزت » ، تحريف .

(٦) في اللسان والقاموس : « والجمع أجفار ، وجِفار ، وجفرة » . وضبطت : « جفرة » بالتحريك فيهما ضبط قلم . وفى المخصص (٧ : ١٨٦) : « هى الأجفار والجفرة » وضبطت بكسر ففتح ضبط قلم أيضاً ، ومثله في جمهرة ابن دريد (٢ : ٨١) .

(٧) فيما عدا ل : « عرض وجمعها عرضان » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « أعتد » صوابه بالهاء . ويقال فى « عتدان » أيضاً : « عدان » بالإدغام .

وعِتِد[١] . وهو فى ذلك [كلِّه] جدْىٌ ، والأنثى عَناق . وقال الأخطل[٢] :

واذكر غُدَانةَ عِتْـدانًا مُزَنَّمَةً من الحَبَلَّق يُبْنَى حولها الصِّيَرُ[٣]

ويقال [له] إذا تبع أمَّه وفُطِم : تِلْوٌ ، والأنثى : تِلوة ؛ لأنه يتلو أمه .

ويقال للجَدْى : إمَّر والأنثى إمَّرَة[٤] . وقالوا : هِلَّع وهِلَّعة[٥] . والبدرة : العَناق أيضاً[٦] . والعُطعُط : الجدى . فإذا أتى عليه الحولُ فالذكر تيس والأنثى عَنْز[٧] . ثم يكون جذَعا فى السَّنة الثانية ، والأنثى جذَعة . ثم ثَنِيًّا فى الثالثة ، والأنثى ثَنِيَّة . ثم يكون رَباعياً فى الرابعة ، والأنثى رَباعية . ثم يكون سَديساً ، والأنثى سَدِيس أيضاً مثل الذكر بغير هاء . ثم [يكون] صالغاً والأنثى صالغة[٨] . والصالغُ[٩] بمنزلة البازل من الإبل ، والقارح

---

(١) ط ، هـ : « جمعه أعتد » صوابه فى ل ، س . وأما « عتد » فجمع قياسى لم تذكره المعاجم .

(٢) من قصيدته التى مطلعها (انظر الديوان ٩٨ — ١١٢) :

خف القطين فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوى فى صرفها غـير

(٣) غدانة : ابن يربوع بن حنظلة . والمزنم : الذى له زنمتان معلقتان تحت لحيه . والحبلق : غنم صغار . والصير ، بكسر ففتح : جمع صيرة ، بالكسر ، وهى حظيرة من خشب وحجر . ط ، هـ : « عتاده » س : « عدانه » صوابهما فى ل . ط ، هـ : « عتادا » صوابه فى ل . وفى س : « عدانا » بالإدغام . وهى رواية الديوان واللسان (عتد . حبلق ، صير) . ط : « ريمة » هـ : « مريمة » صوابه فى ل ، س والمصادر . ط ، هـ : « من العناق » صوابه فى ل ، س ، والمصادر . ط ، هـ « ساء حولها » محرفة ، س : « شاء حولها » وأثبت ما فى ل . « ويروى » : « تبنى فوقها » فى اللسان (٦ : ١٤٩) و : « تبنى حولها » فى الديوان واللسان (٤ : ٢٧١) والمخصص (٨ : ١١) . ط ، هـ : « الصبر » س : «الضبر» صوابهما فى ل والمصادر .

(٤) الإمر ، بكسر الهمزة وتشديد الميم المفتوحة . فيما عدا ل : « أمر » تحريف .

(٥) فى القاموس : « ماله هاع ولا هلعة كإمر وإمرة : جدى ولا عناق » .

(٦) الذى فى المعاجم أن البدرة بالفتح جلد السخلة .

(٧) ط ، هـ : « عنزة » خطأ صوابه فى ل ، س .

(٨) فيما عدا ل : « ضالعاً والانثى كذلك » تحريف . انظر التنبيه ٢ من ص ٤٩٣ .

(٩) فيما عدا ل : « الضالع » تحريف .

من الخيل . ويقال: قد صَلَغَ يَصْلَغُ صُلوغاً ، والجمع الصُّلَّغ[1] . [وقال رؤبة :

والحربُ شهباءُ الكِباشِ الصُّلَّغ[2]]

وليس بعد الصالغ شيء .

وقال الأصمعيّ : الحُلاّم والحُلاّن[3] من أولاد المعز خاصة . وجاء في الحديث : « في الأرنب يصيبها المحرِمُ حُلاَّم[4] » . قال ابن أحمر :

تُهْدِي إليه ذراعَ البكرِ تكرِمَةً إمّا ذَكِيًّا وإما كان حُلاَّنا[5]

[ويروى : « ذراع الجدي »] ويروى : « ذَبيحا » ، والذبيح هو الذي أدْرَكَ أن يضحَّى به . وقال مهلهل [بنُ ربيعة] :

---

(١) فيما عدا ل : « ضلع يضلع ضلوعا والجمع الضلع » محرف .

(٢) البيت في اللسان (١٠ : ١٢٤) قال : « الكباش : الابطال » . وانظر المفضليات (١٧ : ١٤ ، ٤١ : ٢٢ ، ١١٩ : طبع المعارف). جعل الأبطال شهبا لما عليهم من بياض الحديد والسلاح .

(٣) الحلام ، بضم الحاء وتشديد اللام أو تخفيفها . ط فقط : « الجلام » تحريف . وهذه بكسر الجيم وتخفيف اللام : جمع جلم وهو الجدى ، ولا وجه لها هنا . والحلان مثل الحلام بتشديد اللام . فيما عدا ل : « الحلاق » محرف .

(٤) في اللسان : « وفي حديث عمر أنه قضى في الأرنب يقتله المحرم بحلام ». ط : « جلام » صوابه في سائر النسخ واللسان .

(٥) تهدى ، بالبناء للفاعل . وضبط في اللسان (٣ : ٢٠٤ ، ١٦ : ٢٨٣) وأمالى (٢ : ٩٠) والمخصص (٧ : ١٨٧) : « تهدى » بالبناء للمفعول . وهو خطأ نبه عليه البكرى في التنبيه ١٠٢ ، وذلك لأن فاعله : « عيط » في بيت بعده ، وهو كما رواه البكرى :

عيط عطابيل لثن الرى وابتذلت معاطفاً سابريات وكتانا

يقول : تهدى إليه هؤلاء النساء الذراع تكرمة . يهزأ به، لأن الذراع لا تهدى إلا لمهين ساقط ، لحقارتها وقلتها . البكر ، كذا وردت الرواية في ل واللسان (٢ : ٢٦٤) وضبطت في اللسان بفتح الباء . وأراه بكسر الباء ، وهو أول ولد . والرواية في سائر النسخ والمصادر : « ذراع الجدى» . حلانا ، هو في ط : « جلاما » ه ، س : « حلابا » صوابهما في ل وسائر المصادر . وهو يعرض في هذا البيت برجل كان يشتمه ويعيبه ، يقال له سفيان ، يقول له في أول المقطوعة :

نبئت سفيان يلحانا ويشتمنا والله يدفع عنا شر سفيانا

وقبل البيت الشاهد ، كما في اللسان (١٦ : ٢٨٣) وتنبيه البكرى :

كلُّ قتيلٍ فى كليبٍ حُلاَّمْ حتى ينال القتلَ آلُ هَمامْ[١]

وقالوا فى الضأن كما قالوا فى المعز[٢] ، إلا فى مواضع . قال الكسائى : هو خروف ، فى [موضع] العريض[٣] ، وَالأنثى خروَفة . ويقال له حَمَل ، وَالأنثى من الحُمْلان رِخل وَالجمع رُخال[٤] ، كما يقال ظئر وظؤار[٥] ، وَتوأم[٦] وتؤام. وَالبَهْمة: الضأن وَالمعز جميعاً. فلا يزال كذلك حتى يَصِيف . فإذا أكل وَاجترّ فهو فرير وفُرارة وفُرفور[٧] ، وعُمروس[٨] . وهذا كله حين يسمَنُ ويجتر . وَالجِلاَم ، بكسر الجيم وَتعجيم نقطة من تحت الجيم[٩] . قال الأعشى[١٠] :

= فداك كل ضئيل الجسم مختشع وسط المقامة يرعى الضأن أحيانا
جعل فداء سفيان هذا الراعى الحقير ، تهزؤا به ، واحتقاراً له .

(١) همام هذا ، هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان ، أخو جساس بن مرة . وجساس هو الذى طعن كليب بن ربيعة . والمهلهل صاحب الشعر هو أخو كليب ، وهو الذى طالب بدم أخيه . وروى أن مهلهلا قال :

كل قتيل فى كليب حلان حتى ينال القتل آل شيبان

انظر اللسان (١٦ : ١٨٢) والكنز اللغوى ١٩ . وفى الأغانى (٤ : ١٤٤) :

كل قتيل فى كليب غره حتى ينال القتل آل مره

وهذه الرواية أيضاً فى اللسان (٦ : ٣٢٢) . وقد قتل همام بن مرة فى يوم واردات . وفى أمالى القالى (٢ : ٩٠) : « يقول : كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب ، بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن يذبح للنسك ، حتى ينال القتل آل همام فإنهم وفاء به ». وانظر المخصص (٦ : ٩٦ ، ٧ : ١٨٧) والألفاظ ٢٧٦ .

(٢) فيما عدا ل : « المعزى » .

(٣) انظر التنبيه السابع من ص ٤٩٧ . فيما عدا ل : « الأرض » تحريف .

(٤) س : « رجل والجمع رجال » وانظر ما سبق ص ٤٩٦ .

(٥) الظئر : المرضعة لغير ولدها . س : « طير وطوار » محرف .

(٦) هـ ، س : « توم » ط : « تؤم » تحريف ، صوابه فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « قرقر وقرقار وقرقور » تحريف .

(٨) عمروس ، بضم العين . فيما عدا ل : « عمارس » تحريف . وعمروس يجمع على عمارس وعماريس .

(٩) الجلام ، بالكسر : جمع جلم ، وهو الجدى . وقيل الجلام غنم من غنم الطائف صغار .

(١٠) من قصيدة له فى ديوانه ٦٧ — ٧٢ يمدح بها هوذة بن على الحنفى . وقبل البيت : =

سَوَاهِمُ جِذْعانها كَالجِلام وَأقرحَ منها القيادُ النسورا[1]

[يعني الحوافر] . واليَعْر: الجدى ، بإسكان العين . وَقال البُريقُ الهذلى:[2]

مُقيما بأملاح كما رُبط اليَعْرُ[3]

وَالبذَجُ[4] من أولاد الضأن خاصة . وَقال الراجز[5] :

قد هَلَكَتْ جارتُنامن الهَمَج[6] فإن تجُعْ تأكل عتُوداً أو بَذَج[7] ١٤٧

= جيادك فى الصيف فى نعمة تصان الجلال وتعطى الشعيرا

(١) الساهم : الضامر أو المتغير . والجذعان بضم الجيم وكسرها : جمع جذع ، وهو من الخيل ما استتم سنتين ودخل فى الثالثة . والنسور : جمع نسر ، وهو باطن الحافر . أقرح ، هى فى ط : « أقزع » سه : « أقرع » ه : « أفزع » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « العتاد » بدل « القياد » محرف . ط ، ه : « السبورا » سه : « السنورا » وأثبت الصواب من ل . ويروى : « قد أقرح » . ويروى : « قد أقرح القود » . والقود والقياد بمعنى . انظر اللسان (٧ : ٦٠،١٤٦ . ٣٧٠ والمخصص (٦ : ١٤٥،٧ : ١٨٧) .

(٢) هو عياض بن خويلد الهذلى ،يلقب بالبريق . حجازى مخضرم . وله مع عمر بن الخطاب حديث . انظر معجم المرزبانى ٢٦٨ والإصابة ٦١٢٤ . وقبل هذا الشطر ، كما فى بقية أشعار الهذليين (القصيدة ١٢) ومعجم البلدان واللسان (٧ : ١٦٥) :

وإن أمس شيخاً بالرجيع وولدة ويصبح قومى دون دارهم مصر
أسائل عنهم كلما جاء راكب مقيما بأملاح كما ربط اليعر

قال ابن منظور : « كان قد توجه قومه إلى مصر فى بعث فبكى على فقدهم » .

(٣) أملاح : موضع ، قال ياقوت : « وقد تكرر ذكره فى شعر هذيل ، فلعله من بلادهم » . واليعر ، بالفتح : الشاة أو الجدى تشد عند زبية الذئب ل : « البعير » تحريف ، صوابه فى سائر النسخ والمعجم والمخصص (٧ : ١٨٧) واللسان وبقية أشعار الهذليين .

(٤) البذج ، بالتحريك ، آخره ذال معجمة وجيم : هو من الضأن بمنزلة العتود من أولاد المعز ، وهو الذى بلغ السفاد . ط : « البذخ » سه : « البفح » ه : « البدح » صوابه فى ل .

(٥) هو أبو محرز المحاربى ، واسمه عبيد ، كما فى اللسان (٣ : ٣٣) .

(٦) الهمج ، بالتحريك : الجوع . وهمج : جاع . ط : « البذخ » ه : « البدخ » سه : « البذح » صوابها فى ل واللسان (٣ : ٣٣ ، ٢١٦) والميدانى (١ : ٢٦١) والأضداد ٢٧٩ .

(٧) العتود : الجدى بلغ السفاد . ه : « عنوز » محرف . والبذج : محرف فيما عدا ل . ففى ط : « بذخ » سه : « بدح » ه : « أوح » .

والجمع بِذجَان[1] .

(دعاء أعرابى)

وقال أعرابيّ : اللهمَّ مِيتةً كميتةِ أبى خارجة ! قالوا : وما ميتةُ أبى خارجة ؟ قال : أكل بذَجاً[2] ، وَشرب مِشعَلاً[3] ، ونام في الشمس ، فأتتْه المنيّةُ شبْعانَ ريانَ [دفآن[4]] !.

(تيس بنى حمان)

وفى المثل : « أغلم من تيس بنى حِمّان[5] » . وَ[بنو] حِمّان تزعم أنه قَفَط[6] سبعين عنزاً وقد فُريت أوداجه .

فهذا من الكذِب الذى يدخلُ فى باب الخرافة[7] .

(زعم لصاحب المنطق)

وقد ذكر أرسطوطاليسُ فى كتاب الحيوان ، أنه قد ظهر ثورٌ[8]

---

(١) بذجان ، بالكسر . ط : « بدخان » س : « بذخان » هـ : « بدحان » محرفات .

(٢) ط : « بدخا » س : « بذخا » هـ : « بدحا » صوابه فى ل وعيون الأخبار (٣ : ٢٧٦) . وفى ثمار القلوب ١٠٨ : « ثردا » .

(٣) المشعل ، بالكسر : زق ينتبذ فيه . فيما عدا ل : « عسلا » : وفي عيون الأخبار : « معسلا » . صوابهما ما أثبت من ل وثمار القلوب .

(٤) هذه التكملة من عيون الأخبار وثمار القلوب .

(٥) أغلم : من الغلمة . هـ : « أعلم » تحريف . وانظر ص ٢١٩ و٤٧١ .

(٦) قفط ، بتقديم القاف . والقفط : السفاد . ل : « فقط » تحريف .

(٧) ل : « وهذا من الكذب فى باب الخرافة » .

(٨) فيما عدا ل : « وقد ذكر صاحب المنطق أنه قد أبصر ثوراً » . وانظر ٢٢٠ .

وَثَبَ بعد أنْ خُصى ، فنزا على بقرةٍ فأحبَلها .

ولم يَحْكِ هذا عن مُعاينته[1] . وَالصدورُ تضيق بالردِّ على أصحاب النظر ، وَتضِيق بتصديق هذا الشَّكْل .

(أحاديث فى الغنم)

قال : وَحدَّثنا سعد بن طريف[2] ، عن الأصبغ بن نُباتة[3] قال : سمعت عليًّا يقول : « ما أَهلُ بيت لهم شاةٌ إلا يقدَّسون كلَّ ليلة[4] » .

وَ [قال : حدثنا] عنبسة القطَّان[5] ، قال حدَّثنا [السكن بن] عبد الله بن عبد الأعلى القرشىّ[6] ، عن رجل من الأنصار ، أن رسول الله

---

(١) فيما عدا ل : « ولم نجد هذا من معاينة » اسكن فى س : « عن معاينة » .

(٢) ط فقط : « وحدثنى » . وهو سعد بن طريف الإسكاف الحذاء الحنظلى الكوفى ، روى عن الأصبغ بن نباتة ، وأبى إسحاق السبيعى ، وعكرمة . وعنه خلف بن خليفة ، وعلى بن مسهر ، وابن عيينة ، مفرط فى التشيع ، ورمى بالضعف والوضع . تهذيب التهذيب (٣ : ٤٧٣) . وفى الأصل : « سعيد » تحريف .

(٣) أصبغ بن نباتة التميمى الحنظلى الكوفى ، يكنى أبا القاسم . متروك رمى بالرفض ، وهو من التابعين ، روي عن عمر ، وعلى ، والحسن بن على ، وعمار بن ياسر ، وروى عنه سعد بن طريف ، والأجلح ، وثابت ، وفطر بن خليفة ، ومحمد بن السائب الكلبى . وكان شيعيا . تهذيب التهذيب (١ : ٣٦٣) . ونباتة ، بضم النون ، كما فى ل والخلاصة والقاموس مادة (صبغ) . فيما عدا ل : « ثباتة » بالثاء المثلثة ، تحريف .

(٤) التقديس : التطهير والتبريك . ط فقط : « ما من أهل بيت » بزيادة « من » .

(٥) هو عنبسة بن سعيد القطان الواسطي ، ويقال البصري . روى عن الحسن ، وشهر بن حوشب ، وهشام بن عروة ، وعنه ابن أخيه سعيد بن أبى الربيع وإسماعيل بن صبيح . تهذيب التهذيب (٨ : ١٥٧) .

(٦) لم أجد له ترجمة فيما لدى من المراجع .

صلى الله عليه وسلم قال : [« امسحوا رُعام الشاء[١] ، ونقوا مرابضَها من الشوكِ والحجارة ، فإنها فى الجنة » .

وقال : « مامن مسلمٍ له شاة إلا قُدِّس كلّ يوم مرة . فإن كانت له شاتان قدِّس فى كل يومٍ مرتين » .

قال : وحدثنا عنبسة القطان ، بهذا الإسناد ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال] : « أُوصيكم بالشاء خيراً ، فنقُّوا مرابضَها من الحجارةِ والشوك[٢] فإنها فى الجنة » .

وعن محمد بن عجلان[٣] ، عن وهب بن كَيسان[٤] ، عن [محمد بن] عمرو بن عطاء [العامرى ّ[٥]] من بنى عامر بن لؤَىّ ، أن رجلا مرَّ على أبى هريرة رضى الله تعالى عنه ، وهو بالعقيق ، فقال : أين تريد ؟ قال : أريد غُنَيمة [لى[٦]] . قال : أَمسح رُعامها[٧] ، وأطِبْ مُراحها[٨] ،

---

(١) الرعام ، بالضم والعين المهملة : ما يسيل من أنوفها .

(٢) كلمة : « والشوك » ليست فى ل .

(٣) ط ، هـ : « حدثنى محمد بن عجلان » وأثبت صوابه من ل ؛ إذ أن محمد بن عجلان وقد ترجم فى (٢ : ٢٩٢) قد توفى سنة ثمان وأربعين ومائة . وليس فى س إلا « محمد بن عجلان » فقط .

(٤) وهب بن كيسان القرشى ، مولى آل الزبير ، المعلم ، المكي . روي عن أسماء بنت أبى بكر ، وابن عباس ، وابن عمر ، وابن الزبير ، ومحمد بن عمرو بن عطاء . وعنه هشام بن عروة ، وأيوب ، وابن عجلان ، وابن الماجشون . قال النسائي : ثقة . ووثقه ابن حبان . توفى سنة سبع وعشرين ومائة . تهذيب التهذيب (١١ : ١٦٦) .

(٥) هذه التكملة يقتضيها الكلام . وفى تهذيب التهذيب (٩ : ٣٧٣) : محمد بن عمرو ابن عطاء بن عباس العامرى . روى عن أبى حميد الساعدى ، وابن عباس ، وأبى هريرة وسعيد بن المسيب . وروى عنه أبو الزناد ، وابن عجلان ، وابن أبى ذئب . ثقة صالح الحديث .

(٦) هذه من س فقط.

(٧) الرعام ، سبق تفسيره فى التنبيه الأول . س : « رغامها » تصحيف .

(٨) المراح ، بالضم : الموضع الذى تراح إليه الماشية ليلا . ط : « أطيب » س ، هـ : « اطلب » صوابهما فى ل .

وصلٍّ فى جانبِ مُراحها[1] ، فإنها من دوابِّ الجنة .

و [عن] فرج بن فضالة[2] ، عن معاوية بن صالح[3] ، عن رجل من أصحاب أبى الدرداء ، أنه عَمِلَ طعاماً[4] اجتهد فيه ، ثم دعاه فأكل ، فلما أكل قال : الحمد لله الذى أطعَمنَا الخميرَ ، وألبسنَا الحبيرَ[5] ، بعد الأسودَينِ الماء والتمر : [قال] : وعند [صاحبه] ضائنة له[6] ، فقال[7] هذه لك ؟ قال : نعم . [قال] : أطِبْ مُراحها[8] ، واغسِلْ رُعامها ، فإنها من دوابِّ الجنة[9] ، وهى صفوة الله من البهائم .

[قال : وحدَّثنا] إبراهيم بن يحيى[10] ، عن رجل ، عن عطاء بن

---

(١) هذه العبارة ساقطة من هـ ، ط : « وأصلى » بدل : « وصل » تحريف .

(٢) فرج بن فضالة بن النعمان التنوخى ، روى عن يحيى بن سعيد ، ومسافر ، وهشام بن عروة . وروى عنه ابنه محمد ، وشعبة ، ووكيع ، والنضر بن شميل وغيرهم . سكن بغداد وكان على بيت المال بها . ولمولده سنة ٨٨ حديث فى تاريخ بغداد ٦٨٥٦ ومات ببغداد سنة ١٧٦ . وانظر تهذيب التهذيب (٨ : ٢٦٠) . فيما عدا ل : « فرح » بالمهملة ، صوابه بالجيم .

(٣) هو معاوية بن صالح بن حُدير ، أبو عبد الرحمن الحمصى ، قاضى الأندلس . روى عن مكحول وابن راهويه ، وربيعة بن يزيد ، وعنه الثورى ، والليث ، وابن وهب . وسمع منه الناس حين حج سنة ١٥٤ فكتب عنه أهل مصر والمدينة . وتوفى سنة ١٥٨ . تهذيب التهذيب (١٠ : ٢٠٩) .

(٤) فيما عدا ل : « جعل طعاما » .

(٥) الخمير : الخبز قد خمر عجينه . ط : « الخبز » تحريف . والحبير من البرود : ما كان موشياً مخططاً . فيما عدا ل : « الحبر » . وفى اللسان (٥ : ٢٣٠) نسبة الكلام إلى : « أبى ذر » : وكذا فى نهاية ابن الأثير .

(٦) فيما عدا ل : « عنزة » مكان : « عند » تحريف . والضائنة : الأنثى من الضأن . ل « ضأنة » س ، هـ : « ضانية » صوابهما ما أثبت من ط .

(٧) فيما عدا ل : « قال » .

(٨) المراح ، بالضم : الموضع الذى تراح إليه الماشية ليلا . فيما عدا ل : « أطيب » تحريف .

(٩) الرعام ، مر تفسيره . هـ : « رغامها » تحريف . وفيما عدا ل : « دواب الله » محرف .

(١٠) إبراهيم بن يحيى [بن] محمد بن عباد بن هانئ الشجرى . روى عن أبيه . وعنه البخارى فى غير الصحيح . قال أبو حاتم : ضعيف . تهذيب التهذيب (١ : ١٧٦) .

أبى رباح(1) ، عن أبى هريرة ، عن النبى صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « إن الله عز وجل خَلَقَ الجنة بيضاء ، [وخيرُ الزِّىِّ البياض] » . قال : و بعث إلى الرُّعيان : « من كانت له غنمٌ سُودٌ فليَخْلِطْها بعُفرْ ، فإنَّ دمَ عفراء أزكى من دمِ سَوداوين(2) » .

وحدثنا أبو المقدام(3) قال : حدَّثنا عبد الرحمن بن حبيب(4) ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم دعا بالرُّعاة(5) فجُمعوا [له] ، فقال: « من كان منكم يَرعَى غنما سوداً فليخْلِطْ فيها بِيضاً » . قال : وجاءته(6) امرأةٌ فقالت : يارسول الله ، إنى اتخذت غنما(7)

---

(1) عطاء بن أبى رباح القرشى المكي ، من سادات التابعين علماً وفقهاً . روى عن ابن عباس و ابن عمر ومعاوية وزيد بن أرقم وأبى هريرة وعائشة . مات سنة أربع عشرة ومائة . ورباح ، بفتح الراء بعدها باء موحدة . واسم أبى رباح أسلم . وكان عطاء من المعلمين . انظر تهذيب التهذيب (٧ : ١٩٩) والمعارف ، ١٩٦ ، ٢٣٨ .

(2) العفراء : الخالصة البياض . فيما عدا ل : « أرجى من دم سوداوين » . وأثبت مافى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) .

(3) هو هشام بن زياد بن أبى زيد القرشي ، أبوالمقدام المدنى ، روى عن أبيه ، والحسن البصرى ، وعمر بن عبد العزيز ، وهشام بن عروة ، وعنه وكيع ، وابن المبارك . رمى بالضعف . تهذيب التهذيب (١١ : ٣٨) .

(4) عبد الرحمن بن حبيب بن أدرك المدني ، مولى بنى مخزوم ، روى عن على بن الحسين وعطاء ، وعنه سليمان بن بلال ، وعبد الله بن جعفر بن نجيح ، وأسامة بن زيد الليثى . ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال الحاكم : من ثقات المدنيين . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ١٥٩) .

(5) س ، هـ : « بالرعاء » يقال رعاة ورعاء : جمع راع .

(6) فيما عدا ل : « وجاءت » .

(7) ط ، هـ : « عنزة » تحريف ما فى ل وعيون الأخبار (٢ : ٧٦) . وموضع هذه الكلمة أبيض فى س .

رجوت نسلها ورِسلَها(١) وإنى لا أُراها تنمو(٢) . قال : « فما ألوانها ؟ » قالت : سود . قال : « عفِّرى » . أى اخلطى فيها [بِيضاً (٣)] .

قال : وحدثنا طلحة بنُ عمرو الحضْرَمىّ(٤) ، عن عطاء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الغَنم بركة موضوعة ، والإبلُ جمالٌ لأهلها ، والخيرُ معقود فى نواصى الخيل إلى يوم القيامة(٥) » . ١٤٨

حنظلةُ بن أبى سفيان المكىّ(٦) قال: سمعت طاووساً يقول: « من ههنا أطلعَ الشيطانُ قرنَيه ، من مطلِع الشمس . والجفاء والكِبْرُ فى أهل الخيل والإبل ، فى الفدَّادينَ أهل الوبر(٧) . والسكينةُ فى أهل الغنم » .

---

(١) الرسل ، بالكسر : اللبن . فيما عدا ل : « رسلها ونسلها » .

(٢) س : « لأراها سواء » ط ، هـ : « لا أراها سواء » صوابهما فى ل . وفى عيون الأخبار (٢ : ٧٦) : « وإنها لا تنمو » .

(٣) هذه من ل ، س .

(٤) هوطلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمى المكى ، من كبار أتباع التابعين ، روى عن عطاء وأبى الزبير ، وسعيد بن جبير ، وعنه جرير بن حازم ، والثورى ، والطيالسى ، ووكيع . رووا أنه أملى أكثر من أربعة آلاف حديث عن ظهر قلب . وقد ضعفه البخارى وأبو داود والنسائى وغيرهم . تهذيب التهذيب (٥ : ٢٣) .

(٥) س : « فى نواصى الخير » بالراء .

(٦) حنظلة بن أبى سفيان بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية الجمحى المكي . روى عن سالم بن عبد الله ، وسعيد بن ميناء ، وطاوس ، وعكرمة ، ونافع ، وعطاء . وعنه الثورى ، وابن المبارك ، ووكيع . ذكره ابن حبان فى الثقات . وتوفى سنة ١٥١ . انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٦٠) . ل : « قال وحدثنا حنظلة » بإقحام : « قال : وحدثنا » .

(٧) الفدادون : أصحاب الإبل الكثيرة ، الذين يملك أحدهم المائتين من الإبل إلى الألف وقيل هم الذين تعلو أصواتهم فى حروثهم وأموالهم ومواشيهم وما يعالجون منها . فيما عدا ل : « والفداد فى أهل الوبر » تحريف .

[قال] وحدثنا بكر بن خُنيس[1] ، عن يحيي [بن عُبَيد الله] بن عبد الله بن مَوْهب[2] ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رأسُ الكُفرِ قِبَلَ المشرق ، والفخرُ والُخيلاء فى أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر[3] . والسكينة فى أهل الغنم ، والإيمانُ يمانٍ ، والحكمة[4] يمانية » .

و[عن] عوف بن أبى جَميلة[5] ، عن الحسن ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الفخرُ فى أهل الخيل ، وَالجفاء فى أهل الإبل ، والسكينة فى أهل الغنم » .

و[عن] عثمان بن مقْسَم[6] ، عن نافع ، أن ابنَ عمرَ حدثه أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « السكينةُ فى أهل الغنَم » .

والفدّاد : الجافى الصوتِ والكلامِ . وأنشدنا أبو الرُّدينىّ العكلىّ :

جاءت سُليمٌ ولها فَديدُ[7]

---

(١) بكر بن خنيس ، بالخاء المعجمة والنون وآخره سين مهملة ، مصغرة ، كوفى سكن بغداد ، صدوق له أغلاط . وكان يوصف بالزهد والعبادة . وأرخه الذهبى فى حدود السبعين ومائة . تهذيب التهذيب (١ : ٤٨١) . ط : «جيمس» س ، ه : «جيش» صوابهما فى ل .

(٢) يحيى بن عبيد الله بن عبد الله بن موهب ، بفتح الميم والهاء بينهما واو ساكنة ، التيمى المدني . روى عن أبيه ، وعنه ابن المبارك ، وفضيل بن عياض ، ويحيى بن سعيد القطان . كان يروى المناكير ، ورمى بالضعف . انظر تهذيب التهذيب (١١ : ٢٥٢) فيما عدا ل : « يحى بن عبد الله ، عن وهب » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « فى أهل الإبل والخيل والفداد فى أهل الوبر » تحريف .

(٤) حديث صحيح رواه البخارى ومسلم عن أبي هريرة . انظر الجامع الصغير ٤٣٧٢ .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٤ : ١٩) .

(٦) هو عثمان بن مقسم البرى ، أبوسلمة الكندى البصرى ، حدث عنه أبوسفيان ، وأبوعاصم ، وأبو داود ، وشيبان بن فروخ . وكان ينكر الميزان يوم القيامة ، ويقول : إنما هو العدل . وقد رمى بالكذب والغلط . انظر لسان الميزان (٤ : ١٥٥) . ومقسم ، كنبر . والبرى ، بضم الباء . انظر القاموس (برر) والمشتبه للذهبى ٣٧ .

(٧) فيما عدا ط فقط : « جاءت سليمى » .

(أخبار و نصوص فى الغنم)

وكان من الأنبياء عليهم السلام مَنْ رعى الغنم . ولم يَرع أحدٌ منهم الإبل . وكان منهم شعيب(١) ، وداود ، وموسى ، [ومحمد ، عليهم السلام].

قال الله جل وعز : ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى . قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى(٢) ﴾ .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يرعى غُنَيماتِ خديجة .

والمعْزِبون بنزولهم البُعدَ من الناسِ ، فى طباع الوحش(٣) .

وجاء فى الحديث : « من بَدَا جَفا(٤) » .

ورُعاء الغنم وأربابها أرقُّ قلوباً ، وأبعد من الفظاظة والغلظة(٥) .

وراعى الغنم إنما يرعاها بقرب الناس ، [و] لايُعْزِبُ ، ولا يبدو ولا ينتجع(٦) . [قالوا : والغنم فى النوم غُنْمٌ] .

وقالوا في الغنم : إذا أقبلتْ أقبلتْ ، وَإذا أدبرت أقبلت(٧) .

---

(١) ل : « كان منهم شعيب » . وكلمة : « وكان » ساقطة من سه .

(٢) الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة طه .

(٣) المعزبون : الذين أعزبوا : أى بعدوا بماشيتهم عن الناس فى المرعى ، وهذه الجملة ليست فى ل .

(٤) حديث حسن رواه أحمد عن البراء ، وكذا رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابن عباس . وزاد الطبرانى : « ومن اتبع الصيد غفل ، ومن أتي أبواب السلطان افتتن » . الجامع الصغير ٨٥٥٧ ، ٨٥٥٨ . وانظر البيان (١ : ٢٩) .

(٥) فيما عدا ل : « من الغلظ والجفا » .

(٦) يبدو : يخرج إلى البادية . ط ، هـ : « يبيد » تحريف . سه « يبعد » وأثبت ما فى ل . ينتجع : يطلب الكلأ فى موضعه .

(٧) فى عيون الأخبار (٢ : ٧٦) والعقد (٤ : ٢٥٨) أنه حديث . وبقيته فيهما : « والإبل إذا أدبرت أدبرت وإذا أقبلت أدبرت ، ولا يأتي نفعها إلا من جانبها الأشأم » . وفى الفائق للزمخشري (٢ : ٩٥) ؛ ومثله فى اللسان والنهاية .

(الحامى والسائبة والوصيلة)

وكان لأصحاب الإبل مما يحرمونه على أنفسهم[١] : الحامى والسائبة[٢] . ولأصحاب الشاء الوصيلة[٣] .

(العتيرة والرجَبيَّة والغَذَوِىّ)

والعتيرة أيضاً من الشّاء[٤] . [و] كان أحدهم إذا نذر أن يذبحَ من العتائر[٥] والرجبية كذا وكذا شاة ، فبلغ الذى كان يتمنَّى فى نذره[٦] ،

= (عنن) — : « سئل صلى الله عليه وآله وسلم عن الإبل فقال : أعنان الشياطين ، لا تقبل إلا مولية ، ولا تدبر إلا مولية ، ولا يأتى نفعها إلا من جانبها الأشأم » . قال الزمخشرى : « إن الإبل لكثرة آفاتها فإن من شأنها أنها إذا أقبلت أن يعتقب إقبالها الإدبار ، وإذا أدبرت أن يكون إدبارها ذهاباً وفناء مستأصلا ، ولا يأتى نفعها ، يعنى منفعة الركوب والحلب ، إلا من جانبها الذى ديدن العرب أن يتشاءموا به ، وهو جانب الشمال » .

(١) ط ، ﻫ : « مما يحرمون » ل : « ما يحرمونه » . وأثبت ما فى سه .

(٢) الحامى : الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود — قيل عشرة أبطن — فإذا بلغ ذلك قالوا : هذا حام ، أى حمى ظهره ، فيترك فلا ينتفع منه بشىء ، ولا يمنع من ماء ولا مرعى . والسائبة : كان الرجل فى الجاهلية إذا قدم من سفر بعيد ، أو برىء من علة ، أو نجته دابة من مشقة أو حرب ، قال : ناقتى سائبة ، أى تسيب فلا ينتفع بظهرها ، ولا تحلأ عن ماء ولا تمنع من كلأ ، ولا تركب .

(٣) الوصيلة : كانت الشاة إذا ولدت سبعة أبطن عناقين عناقين ثم ولدت فى الثامنة جدياً وعناقاً قالوا : وصلت أخاها ، فلا يذبحون أخاها من أجلها ، ولا يشرب لبنها النساء وكان للرجال ، وجرت مجرى السائبة . وبين المفسرين واللغويين خلاف فى تحديد معانى الحامى والسائبة والوصيلة . انظر بلوغ الأرب (٣ ، ٣٦ — ٤١) .

(٤) كلمة « من الشاء » ليست فى ط .

(٥) العتائر ، كان العرب فى الجاهلية إذا طلب أحدهم أمراً نذر لئن ظفر به ليذبحن من غنمه فى رجب كذا وكذا . وفي الحديث : « هل تدرون ما العتيرة ؟ هى التى يسمونها الرجبية » . كانوا يذبحون فى شهر رجب ذبيحة وينسبونها إليه . انظر اللسان (رجب) . ل : « من الغنائم » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « قدره » تحريف .

وشحّ على الشاء قال : [و] الظِّباء أيضاً شاء ، وهى تُجْزِى إذا كانت شاء .
فيَجعلُ عتائره من صيدِ الظباء . وقال الحارث بن حِلِزّة :

عَنَتاً باطلا وظُلماً كما تعْـ ـتَرُ عن حَجْرَةِ الرَّبيضِ الظّباء[1]

وقال الطِرِمَّاح[2] :

كلَوْنِ الغَرِىِّ الفَرْدِ أجْسَدَ رأسَهَ عَتائرُ مظلومِ الهَدِىِّ المذَبَّحِ[3]

ومنها الغَدَوِىُّ[4] [والغَذَوِىّ جميعاً . و] قال الفرزدق[5] : ١٤٩

ومهورُ نِسْوَتِهِمْ إذا ما أنكَحُوا غَذَوِىُّ كلِّ هَبَنقَعٍ تِنْبَالِ[6]

---

(١) ل : « عنتا باطنا » سه : « كما تعتري » تحريفان . وقد سبق البيت فى ١٧٦ .

(٢) ط ، سه : « الرماح » صوابه فى ل ، ه . والبيت من قصيدة للطرماح فى ديوانه ١٧٥ .

(٣) الغرى : حجر ينصب يلطخ بالدماء ، كان ذلك فى الجاهلية يفعل به . المجسد : المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران : أراد لطخ رأسه بالدم . والمظلوم : ما ذبح لغير علة . والهدى : ما أهدى إلى مكة من النعم ، ومثله الهدى بفتح الهاء وسكون الدال . وبهما قرئ : (حتى يبلغ الهدى محله) فى الآية ١٩٦ من سورة البقرة . وقال : « المذبح » ولم يقل : « المذبحة » لأن الهدى فى لفظ واحد ، ومعناه معنى الجمع ، فرد المذبح على الهدى . فيما عدا ل : « كأن الغوى » وفى ل : « كلون الغزى » صوابهما فى الديوان . ه : « الهدى المدلج » صوابه فى الديوان وسائر النسخ . وهذا البيت فى صفة ذئب . وقبله :

عملس غارات كأن مسافه قرى حنظب أخلى له الجو مقمح

(٤) الغذوي ، بالغين المعجمة : كل ما فى بطون الحوامل ، وقوم يجعلونه فى الشاء خاصة . فيما عدا ل : « العدوى » بالمهملة ، وهو تحريف نبه عليه الأزهرى . انظر اللسان (١٩ : ٢٦٨) .

(٥) من قصيدة له فى النقائض ٢٧٥ — ٢٩٤ والديوان ٧٢٥ — ٧٣٤ يهجو بها جريراً .

(٦) يعنى نسوة بنى كليب . أنكحوا ، رواه أبو عبيدة بفتح الهمزة والكاف . غذوى ، بالذال المعجمة . وفيما عدا ل : « عدوى بكل » محرف . ويروى : « غدوى » بالدال المهملة . وفى اللسان (٢٠ : ٣٥٥) « منسوب إلى غد ، كأنهم يمنونه ، فيقولون : تضع إبلنا غداً فنعطيك غداً » . والهبنقع : القصير الملزز الخلق . والتنبال ، بالكسر : القصير . فيما عدا ل : « مثقال » صوابه فى ل والنقائض والديوان واللسان « غدو ، غذو ، هبقع) . وفى النقائض : « قال : مهور نسوتهم الحملان ليس يمهرن الإبل » .

(ميل الحيوان على شقه الأيسر)

[و] قال أبو عتَّاب : ليس فى الأرض شاة ولا بعيرٌ ولا أسَدٌ ولا كلْبٌ يريدُ الرُّبوض إلا مال على شِقِّه الأيسر ، إبقاءً على ناحية كبده .

قال : ومتى تفقدتم الصفايا التى فى البيوت[1] ، والنعاجَ ، والجِداء ، والحُملْاَن وجدتموها[2] كذلك .

(معالجة العقاب الفريسة)

قال : والعقاب تستعمل كفها اليمنى إذا أصْعَدَتْ بالأرانب والثعالبِ فى الهواء ، وإذا ضربتْ بمخالبها فى بطون الظِّباء والذئاب . فإذا اشتكت كبدها أحسّت بذلك[3] ، فلا تزال إذا اصطادت شيئاً تأكلُ من كبدِه : [حتى تبرأ . وإن لم تُعاينْ فريسة فربما جلَّت[4] على الحمار الوحشىّ فتنقضُّ عليه انقضاضَ الصخرة ، فَتقدُّ بدابرتها مابين عجْب ذنبه إلى منسِجه[5] . وقد ذكرنا من شأنها فى باب القول فيها ما فيه كفاية[6]] .

(أخذ الحيوان على يساره حين الهرب)

قال : وليس فى الأرضِ هاربٌ من حَرْبٍ أو غيرها استعملَ

---

(١) فيما عدا ل : « البيت » .

(٢) ط فقط : « وجدتموها » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « واشتكت كبدها وأحست بذلك » .

(٤) جلى ببصره تجلية : أغمض عينيه ثم فتحهما ، ليكون أبصر له . فى الأصل : « وربما »

(٥) الدابرة : الإصبع التى من وراء رجله ، وبها يضرب الصيد . والعجب ، بالفتح : الذنب . والمنسج ، كمجلس : ماشخص من فروع الكتفين إلى أصل العنق .

(٦) انظر الجزء الثالث ١٧٩ — ١٨٢ والجزء الثانى ٢ : ٣١٨ — ٣١٩ .

الحُضْر[1] إلا أخَذَ على يساره[2]، إذا ترك عزْمَه وسَوْمَ طبيعته[3]. وأنشد:

تخامَصَ عن وحْشِيِّه وهو ذاهلٌ وفى الجوف نار ليس يخبو ضِرامُهَا[4]

وأنشد الأصمعى للأعشى[5]:

ويسَّر سَهْماً ذا غِرَار يسوقُهُ أمينُ القُوَى فى ضالةِ المترنِّمِ[6]

فمرَّ نَضِيّ السَّهْمِ تحت لبانِه وحالَ على وحْشِيِّهِ لم يعتِّمِ[7]

قال: ووضع: «على» موضع: «عن».

(ميل شقشقة الجمل ولسان الثور)

وفى بابٍ آخرَ يقول أوسُ بن حَجَر ـ وذلك أنه ليس فى الأرض

(١) فيما عدا ل «فاستعمل الحضر» والحضر، بالضم: العدو.

(٢) فيما عدا ل: «عن يساره».

(٣) السوم: التكليف. ل: «وسوء طبيعته» تحريف صوابه فى سائر النسخ وعيون الأخبار (٢: ٦٨).

(٤) تخامص عن الشىء: تجافى. ط، ه: «تحامص». محرف. والوحشى: الجانب الأيمن.

(٥) ل: «وأنشد للأعشى».

(٦) يسر: هيأ. والضمير للصائد الذى يبغى صيد هذه الحمر الوحشية. والغرار، بالكسر: حد السيف والرمح والسهم. أمين القوى، يعنى الوتر. الضالة: عنى بها قطعة الضال التى صنع منها القوس. والمترنم: القوس يترنم عند الإنباض. والقوس يذكر ويؤنث. ط، ه: ولبس» سه: «وليس» موضع: «ويسر» تحريفان. ط، ه: «ذا عذار» سه: «عزار» محرف. وفيما عدا ل أيضاً: «فى حالة». وصواب كل ذلك فى ل وديوان الأعشى ٩٣.

(٧) النضى: نصل السهم. واللبان، بالفتح: الصدر، أو وسطه. حال: تحول. لم يعتم: لم يبطئ. ط: «فريفئ» سه، ه: «يضئ» ط، ه: «تحت عذاره» سه: «لباته» تحريفات صوابها فى ل والديوان واللسان (عتم، نضا، ثمم). ه، سه: «وجال» بالجيم، ومثلها فى المواضع من اللسان، تحريف صوابه فى ل، ط. فيما عدا ل: «لم يعيم» تحريف. ورواية الديوان واللسان فى الموضع الأخير: «لم يثمثم». والثمثمة: التوقف.

جملٌ هاج وأخرج[1] شِقْشِقَتَه إلا عدَلَ بها إلى أحدِ شِقَّي حنَكه . والثورُ إذا عدا[2] عدل بلسانه عن شِقّ شماله [إلى يمينه . و] قال عَبْدَةُ بن الطبيب :

مُستقبِلَ الريحِ يهفو وهو مُبْترِكٌ　　لِسانه عن شِمَالِ الشِّدْقِ معدولُ[3]

وقال أوسُ بن حجر :

أوْ سَرَّكم في جُمادَى أن نصالحكم　　إذِ الشقاشق معدولٌ بها الحنَكُ[4]

(حال الثور عند الكر والفر)

قال : وإذا كر الكلبُ أو الثور [فهو] يصنَعُ[5] خلاف صَنِيعه عند الفرّ[6] . وقال الأعشى :

فلما أضــاء الصبحُ قامَ مُبادِرًا　　وحانَ انطلاقُ الشاةِ من حيثُ يمّما[7]

---

(١) فيما عدا ل : « فأخرج » .

(٢) فيما عدا ل : « إذا عدل » تحريف .

(٣) يهفو : يسرع في خفة . المبترك : المعتمد في سيره لا يترك جهداً . معدول : ممال . ط : « الشرق » س ، هـ : « الشوق » صوابهما في ل والمفضليات (٢٦ : ٤١ طبع المعارف) .

(٤) جمادى ، هو الشتاء كله . ل : « أن يصالحكم » . الشقاشق : جمع شقشقة ، بكسر الشينين ، وهي الجلدة الحمراء التي يخرجها الجمل من حلقه . ط فقط : « الشقاقش » تحريف . وفي الديوان : « إذا الشقاشق » . معدول : ممال . وفي الحديث : « لا تعدل سارحتكم » ، أي لا تصرف ماشيتكم وتمال عن المرعى . ط فقط : « بها الجنبا » تحريف . والبيت من أبيات أربعة في ديوان أوس ، أولها :

زعمتم أن غولا والرجام لكم　　ومنعجاً فاذكروا فالأمر مشترك

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وفي ط ، هـ : « صنع » .

(٦) الفر : الفرار . ط : « العدو » مع إسقاط واو : « وقال » تحريف .

(٧) الشاة : الثور الوحشي . وفي الأصل : « الشاء » صوابه في الديوان ٢٠٢ واللسان (٨ : ٤٠٤ و ١٥ : ٨٤) . والرواية فيهما : « من حيث — خيما » . خيم بالمكان : أقام . ويمم : قصد ، وأحسبها تحريفا .

فَصَبَّحَهُ عندَ الشروقِ غدَيَّةً ... كلابُ الفتى البكريِّ عَوفِ بن أرْقَما(١)

فأطْلَقَ عن مجنوبِها فاتَّبعْنَه ... كما هيَّجَ السامى المعسِّلُ خَشْرَمَا(٢)

فأنحَى عَلَى شُؤْمَى يديهِ فذَادها ... بأظْمأَ من فرعِ الذؤابةِ أسْحَما(٣)

ثم قال : ١٥٠

وأدبَرَ كالشِّعْرَى وُضُوحاً ونُقْبَةً ... يُواعِسُ من حُرِّ الصَّرِيمةُ مُعظَما(٤)

(علة غزو العرب أعداءهم من شق اليمين)

قال : ولعلمِ العرب بأن طبع(٥) الإنسان داعيةٌ إلى الهرب من شِقٍّ

---

(١) يعنى صبح الصائد هذا الثور بكلابه .

(٢) المجنوب : الذى يقاد ، جنبه : قاده إلى جنبه . السامى : الذى يسمو فى الجبل ليأخذ العسل : والمعسل : الذى يشتار العسل ويجمعه من الخلية . والخشرم ، بفتح الخاء والراء : جماعة النحل . يقول : أطلق هـذا الصائد عن كلابه فهجن كما هاج النحل . فى الأصل : « فأطرق » . و« حشرما » بالمهملة ، صوابهما فى الديوان . ل ، سه : « الشامى » بدل : « السامى » .

(٣) أنحى : اعتمد . الشؤمى : نقيض اليمنى . الأظمأ : القرن الصلب . كذا فى شرح الديوان . قلت : الأظمى الرمح الأسمر ، معتل . فهوقد شبه القرن به ثم همزه . وأما تفسير الديوان فلم يرد فى معجم . يقول : ذاد الثور الكلاب عنه بهذا القرن . فيما عدا ل : « فأضحى » و : « فزادها » صوابه فى ل والديوان . ط : « بأضحاء » هـ : « بأضماء » صوابه فى ل و سه والديوان واللسان (١٥ : ٢٠٨) . وقد روى البيت فى اللسان منسوبا إلى القطامى وأوله : « فخر » ومثل هذه النسبة فى المخصص (٢ : ٣ ، ١٥ : ١٩١) . وليس فى صلب ديوان القطامى .

(٤) أدبر : ولى . ط : « أبرز » محرف . والشعرى : نجم . والنقبة ، بالضم : اللون . فيما عدا ل : « وثقبة » تحريف . يواعس : من المواعسة ، وهو ضرب من السير . ورواية الديوان : « يواعن » وفى شرحه : « يواعن : يدخل فى الوعان » . والوعان : خطوط فى الجبال ، جمع وعنة ، وهو بياض في الأرض لا ينبت شيئاً . فيما عدا ل : « يداعس » تحريف . وصريمة الثور : رملته التى هو فيها . وحرها ، بالضم : وسطها وخيرها . والمعظم : العظيم . يقول : أدبر الثور ، بعد أن قتلها ، كالشعرى فى لونه .

(٥) فيما عدا ل : « طباع » . والتاء فى داعية للمبالغة .

الشمال ، يحبُّون أن يأتوا أعداءهم من شِقّ اليمين . قال : ولذلك قال شُتَيم بن خُويلدٍ[(١)] :

فجئناهمُ من أيمنِ الشّق غُدْوَة ... ويأتى الشّقِيَّ الحَيْنُ من حيث لا يدرى

وأما روايةُ أصحابنا [فهى[(٢)]] : « فجئناهم من أيمنِ الشق عندهم » .

(الأعسر من الناس واليَسَر)

وإذا كان أكثرُ عمل الرجُل بيساره كان أعسَر ، [فإذا استَوى عملا بهما قيل « أعسَرُ يسَرَ[(٣)] » ، فإذا كان أعسر مُصْمَتاً فليس بمستوى الخلق[(٤)]] ، وهو عندهم إذا كان كذلك فليس بميمون الخلْق[(٥)] . ويشتقُّون من اليد العُسْرى[(٦)] العُسْر والعُسرة . فلما سمَّوها الشِّمال[(٧)] أجرَوْها فى الشؤم وفى المشؤوم على ذلك المعنى[(٨)] . وسموها اليد اليَسارَ واليدَ اليُسرى على نَفْى العُسر والنكَد ، [كما قالوا : سليم ، ومفازة[(٩)] . ثم أفصحوا بها في موضعٍ فقالوا[(١٠)] اليد الشُّؤمَى] .

---

(١) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٧٢) . ل : « شييم » بياءين ، صوابه ما أثبت من سائر النسخ ، وهوما نص عليه صاحب القاموس فى ترجمة (شتم) . وفيما عدا ل : « ولذا » بدل : « ولذلك » .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) يسر ، بالتحريك . وفى الحديث : « كان عمر رضي الله عنه أعسر أيسر » . قال أبو عبيد : هكذا روى في الحديث . وأما كلام العرب فالصواب أنه أعسر يسر .

(٤) فى الأصل ، وهوهنا ل : « يستوى الخلق » وما أثبت أقرب تصحيح له .

(٥) ل : « بسوى الخلق » فيكون تكراراً لما قبله .

(٦) العسرى ، بالضم والقصر : نقيض اليد اليسري . ل : « العسراء » وهو وصف مؤنث الأعسر . وليس مراداً .

(٧) فيما عدا ل : « بالشمال » .

(٨) ل : « فى السوق » تحريف . وكلمة : « المشؤوم » ساقطة من ل ، وبدلها فى ﻫ : « المشموم » تحريف .

(٩) السليم : اللديغ . والمفازة : البرية القفر .

(١٠) فى الأصل ، وهو هنا ل : « فقال » .

(مما قيل من الشعر فى الشمال)

ومما قالوا فى الشمال قولُ أبى ذُؤيب :

أبِالصَّرمِ من أسماء جدَّ بكَ الذى جرَى بيننا يوم استقلَّتْ ركابُها[(١)]
زجَرْتَ لها طَيْرَ الشِّمالِ فإن يكن هوَاكَ الذى تهوى يُصِبْكَ اجْتِنابُها[(٢)]

وقال شُتيم بن خويلد[(٣)] :

وقلتُ لسيِّدِنا يا حليمُ إنك لم تَأْسُ أسْوًا رفيقاً[(٤)]
[زحَرتَ بها ليلةً كلها فجئتَ بها مُؤْيِداً خَنفقيقا[(٥)]]
أعنْتَ عَدِيًّا على شأوِها تُعادِى فريقاً وتبقى فريقا[(٦)]

---

(١) جد به الأمر : اشتد . اللسان (٤ : ٨٤ س ١١) . استقلت : ارتحلت . فيما عدا ل : « أبا الصرم » صوابه فى ل وأشعار الهذليين (١ : ٤) . وفى أشعار الهذليين وما عدا ل : « حدثك الذى » .

(٢) الزجر : التشاؤم والتيمن بالطير . وفى اللسان (١٣ : ٣٨٨) : « وجرى له غراب شمال أى ما يكره ، كأن الطائر إنما أتاه عن الشمال » وأنشد البيت . ط ، س : « زحرت » تصحيف . وفى أشعار الهذليين واللسان : « فإن تكن » .

(٣) ل : « شيم » بياءين وانظر التنبيه الأول من الصفحة السابقة .

(٤) فيما عدا ل : « أمرا رفيقا » تحريف صوابه فى ل والبيان (١ : ١٣٥) والحيوان (٣ : ٨٢) والأضداد ٢٢٥ . قال الأنباري : « أراد يا حليم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٥) الزحر ، بالحاء المهملة : إخراج الصوت أو النفس بأنين عند عمل أو شدة ، ومنه زحرت المرأة عند الولادة . وضمير « بها » للداهية التي عناها . والمؤيد ، كمؤمن : الأمر العظيم والداهية . والخنفقيق : الداهية . يقول : سهرت للرأى ليلة كلها فجئت بداهية . فى الأصل ، وهوهنا ل وكذا فى جمهرة العسكرى ص ٤٣ : « زجرت » بالجيم ، صوابه فى معجم المرزبانى ٣٩٢ والميداني (١ : ٥٧) والإنصاف ١٨٧ والخزانة (٢ : ٣٥٨ بولاق) . ويروى : « مخضت » في المخصص (٢ : ٨٩) و : « سهرت » فى اللسان (١١ : ٣٨٢) . وروى : « به » فيما عدا المرزبانى والميدانى والبيان والجمهرة . وروى : « مودنا » فى الميدانى والمخصص والخزانة واللسان .

(٦) ل : « وتنفى فريقاً » .

أَطَعْتَ عُرَيِّبَ إِبْطَ الشِّمَالِ   تُنَحِّى لِحِدِ المَوَاسِي الحُلوقا[1]

وقال آخر[2] :

وهوَّنَ وجْدى أننى لم أكنْ لهم   غرابَ شِمَالٍ ينفضُ الرِّيشَ حاتما[3]

وإذا مال شِقُّه قالوا : احْوَلَّ شِقُّه[4] . وقال الأشتر بن عُمارة[5] :

عَشِيَّةَ يدعو مِعْتَرٌ يالَ جَعْفَرٍ   أخوكم أخوكم أحْوَلُ الشِّقِّ مائِلُه[6]

وقال آخر[7] :

---

(١) عريب ، بالضم ففتح فياء مشددة مكسورة : لقب معاوية بن حذيفة بن بدر الفزاري ، كما فى معجم المرزبانى ٣٩٢ . وقد ورد بهذا الضبط فى ل ، وهوما يقتضيه وزن الشعر. فيما عدا ل : « غريب » تحريف . وكان معاوية يلقب أيضاً « إبط الشمال » لقب بهذا البيت . قال المرزبانى فى معجمه : « وكان مشوهاً » صوابه : « مشؤوما » . المواسى : جمع ، موسى ، موسى الحلاق . والحلوق : جمع حلق . على أنه كان يعين على قتلهم واستئصالهم . فيما عدا ل : « بحد » . وفى ط ، هـ : « الحلوقا » وهذه محرفة .

(٢) فيما عدا ل : « وقال آخر » .

(٣) الحاتم : الغراب الأسود ، وهوغراب البين . فيما عـدا ل : « غراب الشمال ينفض الريش جاثما » وفيه تحريف .

(٤) احول : مال ، وأصله فى العين ، يقال حولت واحولت . فيما عدا ل : « حول » وهما صحيحتان .

(٥) لم أعثر له على ترجمة إلا أن شعره كان فى حرب هرأميت ، وهى من الحروب الإسلامية ، كانت فى زمن عبد الملك بن مروان ، فى فتنة ابن الزبير ، وكانت بين الضباب — وهم بنو معاوية بن كلاب — وبين إخوتهم بنى جعفر بن كلاب . وفى هذه الحرب طعن الأجلح الضبابي « معترا » الجعفرى ، ضربه ضربة أشرعت في شقه ، فنادى معتر : يا بنى جعفر إن شددتمونى بثوب فلا بأس على ! فلم يلبث أن مات . فقال فيه الأشتر بن عمارة الضبابى هـذا البيت التالي . انظر النقائض ٩٢٧ — ٩٣١ والعمدة (٢ : ١٦٧) .

(٦) معتر ، بكسر الميم وفتح التاء وآخره راء مهملة ، كما ضبطه فى النقائض ٩٣٠ . ط ، س‍ه: « معمر » ل : « معتز » صوابهما فى هـ والنقائض . فيما عدا ل: « جريح صريع » بدل : « أخوكم أخوكم » صوابه فى ل والنقائض . وفى النقائض : « أجدل » بدل « أحول » .

(٧) هو محمد بن حازم الباهلى ، كما فى العقد (١ : ٣١٨) وسماه « ابن أبي حازم » تحريف . وهو محمد بن حازم بن عمرو الباهلى ، كان من ساكنى بغداد ، مولده =

أيَّ أخٍ كانَ لى وكنتُ له أشفقَ من والدٍ على ولدِ[١]
حتى إذا قاربَ الحوادثُ من خَطْوِى وحلَّ الزمانُ من عُقَدى[٢]
احولّ عنِّى وكان ينظُر مِن عينى ويرمى بِساعِدى ويَدِى[٣]

(الوقت الجيد فى الحمل على الشاء)

قال الأصمعىّ : الوقت الجيِّد فى الحمل على الشاء أن تخلَّى سبعةَ أشهُرٍ بعد ولادها[٤] . ويكون حملها خمسة أشهر ، فتولَّد[٥] فى كل سنةَ مرة . فإن حُمِل عليها فى كل سنة مرتين فذلك الإغمال ، يقال : أمغَل بنو فُلانٍ ١٥١ فهم مُمْغلون ، والشاةُ ممغل .

و إذا وُلدت الشاةُ ومضَى لها أربعةُ أشهر فهى لجبة[٦] ، والجميع

═ ومنشؤه البصرة ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، شاعر مطبوع ، إلا أنه كان كثير الهجاء للناس فاطرح ، ولم يمدح من الخلفاء إلا المأمون . وكان يقول المقطعات الصغيرة فيحسن . وعاتبه يحي بن أكثم على اختصاره الشعر ، فأجابه بأبيات حسان . انظر الأغاني (١٢ : ١٥١ — ١٦٠) والمرزبانى ٤٢٩ ، وتاريخ بغداد ٧٨١ .

(١) ل : « أيا أخا » وفى العقد والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٠٦) : « وصاحب كان » وبعد هذا البيت فى المحاسن بيتان ، ثانيهما فقط فى العقد ، وهما :

وكان لى مؤنساً وكنت له ليست بنا حاجة إلى أحد
كنا كساق تسعى بها قدم أو كذراع نيطت إلى عضد

(٢) فى العقد : « دبت الحوادث فى عظمى » . وفى الأصل : « وشد الزمان من عقدى » والوجه ما أثبت من العقد والمحاسن والمساوى .

(٣) هذا البيت وحده فى عيون الأخبار (٣ : ١١١) . ورواية العقد : « ينظر من طرفى » . وبعد هذا البيت فى المحاسن :

حتى إذا استرفدت يدى يده كنت كمسترفد يد الأسد

(٤) الولاد ، بالكسر : الولادة . فيما عدا سه : « ولادتها » .

(٥) ط فقط : « فتلد » تحريف . وانظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ وص ٤٩٥ س ٨ .

(٦) اللجبة ، مثلثة ، وبالتحريك ، وكعنبة ، وفرحة . فيما عدا ل : « لحبة » بالحاء محرفة .

اللِّجاب واللَّجبات[١] . وذلك حين يأخذ لبنُها فى النقصان .

(استطراد لغوى)

قال : والأير من البعير : المِقْلَم ، ومن الحافر الجُرْدَان ، ومن الظلف كله : القضيب ، ومن الفرَس العتيق : النَّضِىّ[٢] . زعم [ذلك] أبو عبيدة[٣] .

وما أراد من الحافر [الفحلَ] فهو الوِداق ، وهو من الإبل الضَّبَعَة[٤] ، ومن الضأن الحُنُوّ . ويقال[٥] : حنَتَ تحنو [حُنُوًّا] ، وهى نعجة حانٍ كما ترى . وما كان من المعَز فهو الحِرْمَة[٦] . ويقال : عنز حَرْمَى[٧] . وأنكر بعضهم قولهم : « شاةٌ صارف[٨] » وزعم أنه مولد .

قال : وهو من السباع الإجعال ، يقال : كلبةٌ مُجْعِل . فإذا عظُم بطنها قيل أجَحَّتْ فهى مُجِحّ[٩] .

---

(١) ط ، هـ : « اللحاب واللحبات » سـ : « اللحاب و اللحبان » صوابهما فى ل .

(٢) النضى ، بفتح النون وكسر الضاد المعجمة . فيما عدا ل : « المضا » ل : « النصى » صوابهما ما أثبت .

(٣) فيما عدا ل : « وزعم أبو عبيد » . وإنما هو أبو عبيدة . انظر اللسان (٢٠ : ٢٠٥ س ١٦ — ١٧) .

(٤) فى اللسان : « ضبعت الناقة بالكسر تضبع ضَبْعاً وضَبَعَة ، وضبعت ، وأضبعت بالألف ، واستضبعت ، وهى مضبعة : اشتهت الفحل » .

(٥) فيما عدا ل : « وقال » .

(٦) الحرمة بكسر الحاء بعدها زاى . فيما عدا ل : « الحزمة » مصحف .

(٧) حرمى ، على وزان عجلى : وجمعه حرام وحرامى ، كعجال وعجالى . فى الأصل « وقال » ووجهه ما أثبت . وفيما عدا ل : « خزمى » صوابه فى ل ، لكن ضبطت فيها بتشديد الياء ، والوجه القصر .

(٨) فيما عدا ل : « شاء » والوجه بالإفراد . وكلمة : « قولهم » ليست فى سـ .

(٩) بتقديم الجيم على الحاء . وفيما عدا ل « أحجت فهى محج » تحريف .

وما كان من الخف فهو مِشْفَر[١] ، وما كان من الغنم فهو مِرَمّة[٢] ، وما كان من الحافر فهو جَحْفَلَة[٣] .

وإذا قلت لكل ذات حمْل وضعتْ ، جاز . فإذا ميزْتَ قلتَ للخف نُتِجت ، وللظِّلْف ولَدت[٤] . والبقرة تجرى هذا المجرى . وقلت للحافر نتِجَتْ .

ويقال للحافر من بين هذا كله إذا كان فى بطنها ولد : نَتوج . وإذا عظم بطنُ الحافر قيل قد أعقّتْ فهى عَقوق ، والجماعُ عُقُقٌ[٥] ، وبعضهم يقول : عقائق .

ويقال للبقرة الوحشية نعجة . والبقرة تجرى مجرى الضائنة[٦] فى حالها .

وما كان من الخف فصوته بُغام . فإذا ضجّتْ فهو الرُّغاء . فإذا طَرِبت فى إثر ولَدها قيل حنَّتْ . فإذا مدت الحنين قيل سَجرَت[٧] .

قال : والإملاءُ فى السباع وفى الخيل[٨] ، دون البهائم ، وهو أن تشرق ضروعها[٩] .

---

(١) المشفر ، بالكسر : واحد المشافر . ط : « مثفر » س ، هـ : « شفر » صوابهما فى ل .
(٢) المرمة ، بالكسر ، وبالفتح لغة أيضاً ، وضبطت فى ل بفتح فكسر ، وهو خطأ .
(٣) هـ : « جحظة » تحريف .
(٤) انظر التنبيه ٣ ص ٤٥٦ وص ٤٩٥ س ٨ .
(٥) فى اللسان : « جماع الشىء : جمعه ، تقول جماع الخباء الأخبية ؛ لأن الجماع ماجمع عدداً » . ط ، هـ : « والجمع » . والعقق ، بضمتين ، كما فى القاموس . وفيه أيضاً أن جمع الجمع عقاق ، ككتاب .
(٦) ل ، هـ : « الضانية » وهو تحريف نبهت عليه فى التنبيه الثانى ص ٤٧٠ .
(٧) سجرت ، بالسين المهملة . فيما عدا ل : « شجرت » تحريف .
(٨) ط : « من السباع ومن الخيل » ل : « فى الخيل و السباع » ، وأثبت ما فى س ، هـ .
(٩) فى اللسان : « والإملاع فى ذوات الخلب والحافر : إشراق الضرع واسوداد الحلمة باللبن للحمل » . س : « تشرف » تحريف .

[قال : والحروف فى الخيل والضأن ، دون البهائم كلها[1] .

قال]: ويقال للطير : قد قمطها يقمطها . ويقال للتيس والكلب: قد سَفَدَ يُسْفَدِ سِفادا[2] . ويقال فى الخيل: كامها يكُومُها كَوْما، وكذلك فى الحافر كلِّه. و[فى] الحمار وحده : باكها يبُوكها بَوْكاً[3] .

(قولهم : ماله سبَد ولا لبَد)

وتقول العرب : « ماله عندى سَبَدٌ ولا لَبَد » . فقدّموا السَّبَد[4] . فى هذا المعنى [أنهم] قدموا الشَّعر على الصوف[5] .

فإن قال قائل : فقد قدَّموا[6] فى مواضع كثيرةٍ ذِكرَ ما هو أخَسُّ[7] فقالوا : « ماله عندى قليلٌ ولا كثير[8] » ، [و : « العِير والنَّفِير[9] » حتى قالوا : الخلّ والزيت] ، وقالوا : ربيعة ومُضَر ، وسُلَيم وعامر ، والأوس

---

(١) فى سه تكملة تشبه هذه لكنها محرفة وهى : « والحروف فى الحمل والضأن دون البهائم وهو أن تشرف ضروعها » . والحروف فى الخيل: ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . ومنه قول القائل يصف طعنة :

ومستنة كاستنان الخروف قد قطع الحبل بالمرود

(٢) سفد ، كضرب وعلم .

(٣) هذان الفعلان ومصدرهما بالباء الموحدة . فيما عدا ل : « ناكها ينيكها نيكا » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق ص ٤٧٩ س ١١ .

(٥) فيما عدا ل : « ومنها ذا المعنى قدموا الشعر على الصوف » محرف .

(٦) ط ، ه : « فقدموا » صوابه ما أثبت من ل ، سه .

(٧) أخس ، من الخساسة ، وهى الدناءة والحقارة . فيما عدا ل : « أحسن » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « كثير ولا قليل » وهو عكس ما يراد .

(٩) العير ، بالكسر : كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال . والنفير : الجماعة من الناس . أو العير ما كان من قريش مع أبى سفيان ، والنفير ما كان منهم مع عتبة بن ربيعة ، يوم بدر .

والخزرج . [وقال الله : ﴿لاَ يُغادِرُ صَغِيرةً ولاَ كَبِيرةً إلاَّ أحْصَاهَا[(١)]﴾] .

والذى يدلُّ على أن ذلك الذى قلنا كما قلنا[(٢)] قولُ الراعى :

حتى إذا هبَطَ الغيطانَ وانقطعت عنه سلاسل رَمْل بينها عُقَدُ[(٣)]

لاقَى أُطَيْلِسَ مَشَّاءً بأكْلُبِهِ إثْرَ الأوابد مايَنْمِى له سَبَدُ[(٤)]

فقدَّمَ السَّبَدَ . ثم قال :

يُشْلِى سَلُوقِيَّةً زُلاًّ جواعِرُها مِثلَ اليعاسيب فى أصلابها أوَدُ[(٥)]

وقال الراعى : ١٥٢

أما الفقيرُ الذى كانت حَلُوبتُه وَفْقَ العيالِ فلم يُتْرَكْ له سَبَدُ[(٦)]

وهو لو قال: لم يُترك له لَبَد ، و [لو] قال : ما ينمى له لَبَد ــ لقام الوزْنُ ، ولكان له معنى . فدلَّ [ذلك] على أنه إنما أراد تقديم المقدَّم .

(مفاخرة بين صاحب الضأن وصاحب الماعز)

قال صاحب الضأن : فَخَرتم على الضأن بأن الإنسان ذو شعر ، وأنه

---

(١) من الآية ٤٩ فى سورة الكهف . وبعد هذه الآية في الأصل : « والعير و النفير » وهو تكرار لما أثبت فى التكملة السابقة من ل .

(٢) ل : « فالذى يدل على أن الذى قلنا كما قلنا » .

(٣) الغيطان ، جمع غائط ، وهو المطمئن من الأرض الواسع . ل : « فانقطعت » .

(٤) أطيلس : مصغر أطلس ، وهو من الرجال الدنس الثياب الوسخ . وقد عنى به الصائد . فيما عدا ل : « بأكلته أمر الأوابد » بتحريف الكلمتين الأوليين صوابه فى ل واللسان (٧ : ٤٣١) . ورواية صدره فى اللسان : « صادفت أطلس » صوابه : «صادف» والأوابد : الوحش .

(٥) الزل : جمع أزل وزلاء ، وهو الخفيف الوركين ، أو الأرسح . والجاعرة : رأس أعلى الفخذ . واليعسوب : طائر أصغر من الجرادة ، أو أعظم ، طويل الذنب ، لا يضم جناحيه إذا وقع ، تشبه به الخيل في الضمر . والأود : العوج . ﻫ : « ولا » سو« دلأ » ل : « ولى » بدل : « زلا » محرف .

(٦) وفق العيال : أي لها لبن قدر كفايتهم لا فضل فيه . انظر اللسان (١٢ : ٢٦٣) والمخصص (١٢ : ٢٨٥) وأدب الكاتب ٣٢ .

بالماعز أشبه ، فالإنسان ذو أليةٍ ، وليس بذى ذنب ؛ فهو من هذا الوجه بالضأن أشبه .

[قال صاحبُ الماعز : كما فخرتم بقوله : ﴿ ثمانيةَ أزْواجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ[1] ﴾ وقلتم: فقد قدمها ، فقال الله : ﴿ يَامَعْشَرَ الجنِّ والإِنْسِ[2] ﴾ . فإن وجب لضأنك التقديمُ على الماعز بتقديم هذه الآية ـ وجبَ للجنّ التقديمُ بتلك الآية] .

(القول فى الضفادع)

[علَّمك الله علماً نافعاً ، وجعلَ لك من نفسك سامعاً ، وأعاذك من العُجْبِ ، وعرّفك لباسَ التقوي ، وجَعَلك من الفائزين] .

اعلمْ ، رحمك الله تعالى ، أن الله جل وعز[3] قد أضاف ستّ سُوَر من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان الثلاثة ، منها مما[4] يسمونها باسم البهيمة ، وهى سورة البقرة ، وسورة الأنعام ، وسورة الفيل . وثلاثة [منها] مما يعدون اثنتين منها من الهمج ، وواحدةً من الحشرات[5] .

فلو كان موقع ذِكر هذه البهائم ، وهذه الحشرات والهمج ، من الحكمة والتدبير ، موقِعَها من قلوب الذين لايعتبرون ولا يفكرون ، ولا يميزون ،

---

(١) من الآية ١٤٣ فى سورة الأنعام .

(٢) هى أول الآية ١٣٠ من سورة الأنعام و الآية ٣٣ من سورة الرحمن . وفى الكتاب أيضاً : (يا معشر الجن قد استكثرتم) فى الآية ١٢٨ من سورة الأنعام . لم يرد غيرهن بهذا النداء فى الكتاب .

(٣) فيما عدا ل : « عز وجل » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) ل : « اثنين منها من الهمج وواحداً من الحشرات » ويشير بالهمج إلى سورتى النحل والعنكبوت . وبالحشرات إلى سورة النمل .

ولا يحصلون الأمورَ ولا يفهمون الأقدار — لما أضاف هذه السورَ العظامَ الخطيرة ، [و] الشريفة الجليلة ، إلى هذه الأمور المحقَّرة المَسْخِفَة ،[١] والمغمورة المقهورة .

ولأمرٍ مَّا وضعها فى هذا المكان ، ونوَّه بأسمائها هذا التنويه. [فافهم، فإن الأديبَ الفَهِم[٢] ، لايعوِّد قلبَه الاسترسال . وخُذْ نفسَك بالفكرة ، وقلبَك بالعبْرة] .

وأنا ذاكرٌ من شأن الضفدع من القول ما يحضر مثلى . وهو قليلٌ فى جنب ما عند علمائنا . والذى عند علمائنا لايحَسُّ[٣] فى جنب [ما عند غيرهم من العلماء . والذى عند العلماء قليل فى جنب ما عند الأنبياء، والذى عند الأنبياء قليل فى جنبِ] ما عند الله تبارك وتعالى .

من ذلك الضِّفدِع ، لايصيحُ ولا يمكنه الصياح حتى يدخل حنكَه الأسفل [فى] الماء . فإذا صار فى فمه[٥] بعض الماء صاح . ولذلك لاتسمعُ للضفادعِ نقيقاً إذا كُنَّ خارجاتٍ [من] الماء .

والضفادعُ من الحيوان الذى يعيش فى الماء ، ويبيضُ فى الشطّ ،[٦] مثل الرّق[٧] والسُّلحفاة ، وأشباه ذلك .

والضفادعُ تنقّ ، فإذا أبصرت النار أمسكت[٨] .

---

(١) هو من قولهم أرض مسخفة ، كمحسنة : قليلة الكلأ . فيما عدا ل : « السخيفة » .
(٢) الفهم ، ككتف : السريع الفهم .
(٣) فيما عدا ل : « لا يحسن » تحريف .
(٤) فى الأصل : « غيرى » .
(٥) فيما عدا ل : « صار فيه » .
(٦) الشط : الشاطئ . فيما عدا ل : « ويستوطن فى الشط » تحريف .
(٧) الرق ، بالفتح : السلحفاة المائية . فيما عدا ل : « الزق » بالزاي ، تصحيف . وانظر : (١ : ٣٠ / ٢ : ١٢٥ / ٤ : ٤٥ ، ١٠٢) .
(٨) انظر : (٤ : ٤٨٦) .

(زعم فى الضفادع)

والضفادع من الحيوان الذى يُخلقَ فى أرحام الحيوانـ ، وفى أرحام الأرَضين[١] ، إذا ألقحتها المياه[٢] ، لأن اليخّ[٣] بخراسان يُكبس فى الآزَاج[٤] ، ويحالُ بينه و بين الرِّيح والهواء والشمس ، بأحكمِ ما يقدرون عليه وأوثقِه[٥] . ومتى انْخرق فى [تلك] الخزانة خَرْقٌ فى مقدار مَنْخِرِ الثور حتى تدخلَه الريح ، استحال ذلك اليخّ[٦] كله ضفادع .

ولم نعرف[٧] حقَّ هذا وصدقَه من [طريق] حديث الرجل والرجلين ، ١٥٣ بل نجدُ الخبَر عنه كالإطباق ، وكالخبر المستفيض الذى لا معارضَ له .

(أعجوبة فى الضفادع)

وفيها أعجوبةٌ أخرى : وذلك أنا نجد ، من كِبارها وصغارها ، الذى لا يحصى فى غِبِّ المطر[٨] ، إذا كان المطر ديمة[٩] ، ثم نجدُها[١٠] فى

(١) ل : « من » بدل : « فى » فى الموضعين . وفى س ، هـ : « من » فى الثانى فقط .
(٢) فيما عدا ل : « ألقحها المياه » .
(٣) اليخ ، بفتح الياء وتشديد الخاء المعجمة : الثلج ، مأخوذة من الفارسية : « يخ » انظر استينجاس ١٥٢٨ . ولم تتعرض له معاجم اللغة ولا كتب المعربات . ط ، هـ : « البخ » س : « البح » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(٤) الآزاج : جمع أزج بالتحريك ، وهو بيت يبنى طولا . وفى اللسان : « ويقال له بالفارسية أوستان » . ويجمع أيضاً على آزج وإزجة ، كفيلة . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٧١) . ط : « الأبراج » س ، هـ : « الأراج » صوابهما فى ل .
(٥) فيما عدا ل : « وأوثق » .
(٦) ط ، هـ : « البخ » س : « البح » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(٧) س : « لولم يعرف » .
(٨) غب المطر ، بالكسر : أى بعده .
(٩) الديمة ، بالكسر : المطر يدوم .
(١٠) فيما عدا ل : « لم ونجدها » تحريف .

المواضع التي ليس بقربها بحرٌ ولا نهرٌ ، ولا حوضٌ ، ولا غدير ، ولا واد ، ولا بير[١] . ونجدها في الصَّحاصح الأماليس[٢] ، وفوق ظهورِ مساجد الجماعة . حتى زعم كثيرٌ من المتكلفين ، ومن أهل الخسارة[٣] ممن لا يحتفل بسوء الحال عند العلماء ، ولا يكترثُ للشكّ ـ أنها كانت في السحاب . ولذلك طمع بعضُ الكذَّابين[٤] ممن نَكْرَهُ اسمه ، فذكر أن أهل أيذَج[٥] مُطِروا [مرةً] أكبر شبابيطَ في الأرض ، وأسمنَها [وأعذَبها] وأعظمها[٦] ، [وأنهم اشتوَوا ، وملَّحوا ، وقرّسوا[٧] ، وتزوَّدَ منه مسافرُهم] . وإنما تلك الضفادع شيء يخلَق في تلك الحال بمزاوَجَة الزمان ، وتلك المطرة ، وتلك الأرض ، وذلك الهواء .

(معارف في الضفدع)

والضفادعُ من الخلْق الذي لا عظامَ له .

---

(١) كذا بالتسهيل فيما عدا س :

(٢) الصحاصح : جمع صحصح ، وهو الأرض الجرداء المستوية . والأماليس : التي ليس بها شجر ولا يبيس ولا كلأ ولا نبات ولا يكون فيها وحش . الواحد إمليس . فيما عدا ل : « وتجدها في الضحاضح الأمالس » ، محرف .

(٣) الخسارة : الضلال والهلاك . فيما عدا ل : « الجسارة » والواو بعدها ليست في ل .

(٦) فيما عدا ل : « أكثر الكذابين » تحريف . واسم هذا الرجل « حريث » كما مضى في (١ : ١٤٩ س ١١) .

(٥) أيذج ، آخره جيم ، وعلى وزن أحمد : كورة وبلد بين خوزستان وأصبهان . ط ، س : « أبذخ » هـ : « أيذح » صوابهما في ل ومعجم البلدان والقاموس .

(٦) انظر لمطر الشبابيط ما مضى في (١ : ١٤٩) .

(٧) قرسوا : أراد صنعوا القريس ، وهو السمك يطبخ ، ثم يتخذ له صباغ ، فيترك فيه حتى يجمد .

ويزعم أصحاب الغرائب[١] أن العَلاجيمَ منها الذكورةُ السود[٢] .

ويقال : « أرْسَح من ضِفدِع[٣] ! » .

وتزعمُ الأعرابُ أن الضفدِع كان ذا ذنب ، وأن الضَّبَّ سلبه إياه[٤] وذلك فى خُرافة من خرافات الأعراب . [ويقول آخرون : إن الضفدِع إذا كان صغيراً كان ذا ذنب ، فإذا خرجتْ له يدانِ أو رجلانِ سقَطَ[٥]] .

(جملة من الأمثال)

[وتقول العرب[٦]]: « لايكون ذلك حتى يُجمع بين الأرْوَى والنعام[٧] » و : « حتى يُجمع بين الماءِ والنار » و : « حتى يشِيبَ الغُراب » و : « حتى يَبْيضَّ القار » و : « حتى تقع السماءُ على الأرض » .

ومن حديث الأمثال : « حتى يجيء نشيطٌ من مَرْو[٨] » . وهو لأهل

(١) ﻫ ، سه : « الغريب » .

(٢) ل : « الذكور والسود » . قال المعلوف : « ولا شبهة أنهم أرادوا فى قولهم الضفدع الذكر أنه جنس من الضفادع الكبار » . وانظر مادة : (Male) ففيها تحقيق جيد . وانظر لتأييده ما ذكر الجاحظ فى القنفد والدلدل (٦ : ١٢٤ ساسى) .

(٣) الرسح : خفة لحم العجز والفخذين . فيما عدا ل : « أرشح » بالشين ، تصحيف صوابه فى ل وأمثال الميدانى (١ : ٢٨٨ — ٢٨٩) .

(٤) هذه الكلمة ثابتة في ط فقط . وانظر هذه الخرافة فى أمثال الميدانى وفيما سيأتى (٦ : ٣٨ ساسى) .

(٥) أى سقط الذنب . والمراد ضموره وتحوره .

(٦) هذه التكملة من ل بدلها فى سه ، ﻫ : « تقول الأعراب » .

(٧) الأروى ، بالفتح والقصر : جمع أروية بالضم وتشديد الياء . ويروى : « تكلم فجمع بين الأروى والنعام » و : « لا تجمع بين الأروى والنعام » . انظر الميدانى (١ : ١٢٦) واللسان (١٩ : ٧٠) . وذلك لأن الأروى تسكن شعف الجبال ، وهى شاء الوحش ، والنعام تسكن الفيافى ، فلا يجتمعان .

(٨) كان نشيط علاما لزياد بن أبي سفيان ، وكان بناء ، هرب قبل أن يشرف وجه دار زياد ، وكان لا يرضى إلا عمله ، فقيل له : لم لا تشرف دارك ؟ فقال : حتي =

البصرة . و : « حتى يجىء مَصْقلةُ من طَبَرِسْتانَ[١] »، وهو لأهل الكوفة .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ[٢] ﴾ .

وتقول العرب : « لا يكون ذلك حتى يُجمعَ بين الضبِّ والنون » و : « حتى يُجمع بين الضفدِع والضَّبّ ! » . وقال الكميت :

يؤلِّفُ بين ضِفدِعَةٍ وضَبٍّ ... ويَعجبُ أن نَبَرَّ بنى أبينا

وقال فى النون والضبّ :

ولو أنهم جاءوا بشىء مُقارب ... لشىء وبالشكل الموافق للشَّكلِ

ولكنهم جاءوا بحيتانِ لُجّةٍ ... قوامسَ، والمكنىِّ فينا أبا الحِسْلِ[٣]

(معارف فى الضفدع)

وهو من الخلق الذى لا يصاب له عَظْم[٤] . والضفدعُ أجحظ الخلقِ عيناً .

= يجىءُ نشيط من مرو ! فصار مثلا لكل ما لا يتم . انظر الميدانى (١ : ١٩٨) والمعارف ١٧٧ وثمار القلوب ٣٠ . ط فقط : « نسيط » تحريف . وفيما عدا ل : « مرد » صوابه ما أثبت .

(١) هو مصقلة بن هبيرة ، أحد بنى ثعلبة بن شيبان ، كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة ، فضرب الناس به المثل . وفيما عدا ل : « من سجستان » وصوابه ما أثبت من ل ومعجم البلدان (٦ : ٢٠) والمعارف ١٧٧ والطبرى (٨ : ١٢٠ س١٩ — ٢٢) . وانظر ثمار القلوب ٣٠ والحيوان (٢ : ٣١٨) وفيهما : « سجستان » .

(٢) من الآية ٤٠ فى سورة الأعراف .

(٣) قوامس : جمع قامس ، والقمس : الغوص . ط ، هـ : « أوامس » س : « أدامس » تحريف صوابه فى ل . وأبو الحسل : كنية الضب . والحسل ، بالكسر : ولد الضب . فيما عدا ل : « أبو الحسل » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « عظام » . وهذه العبارة لتكرار ما سبق ص ٥٢٧ س ١١ .

والأسدُ تنتابُها فى الشرائع ، وفى مَناقِع المياه ، والآجامِ والغياضِ ، فتأكلها أكلاً شديداً . وهى من الخلق المائىّ الذى يصبرُ عن المـاء أياماً صالحة .

والضفادع تعظُم ولا تسمَن ، كالدُّرّاج والأرنب ، فإنَّ سِمَنهما أن يحتملا اللحم[1] .

وفى سواحل فارس [ناسٌ] يأكلونها .

(قول مسيلمة فى الضفدع)

١٥٤ ولا أدرى ما هيّجَ مسيلمةَ على ذكْرِها ، ولِمَ ساء رأيُه فيها ، حيثُ[2] جعلَ بزعمه فيما نزل عليه من قرآنه : يا ضِفْدَعُ [بِنتَ][3] كَمْ تَنقّين ! نصفُكِ فى الماء ونصفُكِ فى الطين ! لا المـاء تُكدِّرين ، ولا الشارب تمنعين[4] .

(معيشة الضفادع مع السمك)

والضفادعُ من الخلْق الذى يعيشُ مع السمك فى الماء . وليس كل شىء يعيشُ فى الماء فهو سَمَك . وَقد قال الصَّلتانُ العبدِىّ، فى [القضاء الذى

---

(١) ط : « فإنهما لا يحملان لحما » س ، هـ : « فإن سمنا لا يحملان لحما » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) فيما عدا ل : « حتى » .

(٣) هذه الزيادة من اللسان (١٢ : ٢٣٨) .

(٤) ل : « الشراب » بدل : « الشارب » .

قضَى بين جرير والفرزْدق[1] ، و] الفصْلِ[2] [الذى] بينهما :

فإن يكُ بحرُ الحنظَليِّين زاخراً فما تستوى حِيتانُه والضفادعُ[3]

(طاب الحيَّات الضفادع)

والحيات تأتى مناقِعَ الماء[4] ، تطلب الضفادع . والفأر تكونُ بقُرب المياه كثيرةً[5] ، فلذلك تأتي الحياتُ تلك المواضعَ . ولأن صيدها من أسهل الصيد [عليها] ، وهى تعرف صيدْها . ألا تراها تحيدُ عن ابن عُرْسٍ ، وإن رأتْ جُرَذاً أكبر منه لم تنهْنِهْهُ دون أن تبتلعه[6] ؟! وترى الوَرَلَ فتفرُّ منه ، وترى الوَحَرة[7] فتشدُّ عليها ، وترى القُنفُذ ـ وإن صغُر ـ

(١) الصلتان، لقب له . واسمه قُثَم بن خَبِيَّة ، أحد بنى محارب بن عمرو بن وديعة ابن لكيز بن أفصى بن عبد القيس . قالوا : ادعى أن جريراً والفرزدق حكماه بينهما ، فقضى بشرف الفرزدق على جرير ، وبنى مجاشع قوم الفرزدق على بنى كليب رهط جرير ، وقضى لجرير بأنه أشعرهما ، وقال فى ذلك قصيدة مطولة . انظر الخزانة (١ : ٣٠٥ — ٣٠٨ بولاق) والشعراء ١١٩ وأمالى القالى (٢ : ١٤١) والمؤتلف ١٤٥ والمرزبانى ٢٢٩ والنقائض ١٠٥٠ .

(٢) فيما عدا ل : « الفرق » .

(٣) الحنظليين ، هما جرير والفرزدق ، لأن جريراً من كليب بن يربوع بن حنظلة ، والفرزدق من مجاشع بن دارم بن مالك بن حنظلة . انظر الخزانة (١ : ٣٠٧ بولاق). وضبطت فى النقائض بضبط الجمع : « الحنظليين » . والرواية فى الخزانة وفى الأمالي والشعراء : « واحداً » موضع : « زاخرا » .

(٤) فيما عدا ل : « والحيات فى مناقع الماء » .

(٥) فيما عدا ل : « يكون بقرب المياه كثيرا » .

(٦) لم تنهنهه : لم تكفه . لكنه أراد : لم تمهله . وكلمة « رأت » ساقطة من هـ . وبدلها فى ط ، س : « رأي » تحريف .

(٧) الوحرة ، بالتحريك : ضرب من العظاء ، وهى صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين ، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت . فيما عدا ل : « الوكرة » بالكاف ، تحريف .

فلا تجترئُ أنْ تمرّ به خاطفة ، وترى الوَبْرة[1] ، وهى مثلُ ذلك القنفذِ مرتين فتأكلها .

وَلطلبها الضفادعَ بالليل[2] فى الشرائع يقول الأخطل :

ضفادعُ فى ظَلْماء ليــلٍ تجاوبَتْ فدلَّ عليها صوتها حَيَّةَ البحرِ[3]

[وقد سرَق معناه بعضُ الشُّعراء[4] ، فقال ـ وهو يذكر الضفدع ، وأنه لاينقّ حتى يدخل حنَــكه ا اء ـ :

يُدْخِل فى الأشداق ماءً ينصُفُه كيما ينقَّ والنَّقيقُ يُتلفُه]

(شعر فى الضفادع)

وقال زهير[5] :

وقابلٌ يتغنَّى كلمــا قدَرَتْ عَلَى العَرَاقِى يداه قائماً دفقَا[6]

يُحيلُ فى جدولٍ تحبُو ضفادِعُه حَبْوَ الجوارِى ترى فى مائه نُطُقَا[7]

---

(١) الوبرة ، بالفتح : دويبة على قدر السنور ، غبراء أو بيضاء ، من دواب الصحراء ، حسنة العينين ، شديدة الحياء ، وهى من ذوات الحافر . وهو فى لغة العلماء الأوربيين : Hyrax .

(٢) فيما عدا ل : « فى الليل » .

(٣) انظر ما سبق فى شرح (٣ : ٢٦٨) .

(٤) هو الذكوانى ، كما مضى فى (٣ : ٢٦٦) .

(٥) يصف ناقة يستقى عليها من السانية . وقبل البيت الأول ، كما فى الديوان ٣٧ :

وخلفها سائق يحدو ، إذا خشيت منه اللحاق تمد الصلب والعنقا

(٦) القابل : الذى يقبل الدلو ، أى يتلقاها ويأخذها فيصب ما فيها . وفى الأصل : « قائل » صوابه فى الديوان واللسان (١٤ : ٥٩) . والعراقى : جمع عرقوة ، وهى خشبتان تجعلان فى فم الدلو يشد فيهما الحبل . وقدرت : أى وصلت وقبضت . دفق : صب الماء فى الجدول . ل : « دقفا » سه ، هـ : « وفقا » صوابهما فى ط والديوان واللسان .

(٧) يحيل فى جدول : أى يصب ماء الغرب فى جدول ، وهو النهر الصغير . وذكر الضفادع ليخبر أن الجدول دائم الماء ، لكثرة ما تمده هذه الناقة . والنطق =

يَخْرُجْنَ من شَرَبَاتٍ ماؤُها طَحِلٌ   على الجذوعِ يَخَفْنَ الغَمَّ وَالغَرَقا(١)

وقال أَوسُ بن حَجَر :

فباكرن جَوناً للعلاجيم فَوقه   مَجالسُ غَرْقَى لايُحَلَّأُ ناهِلُه(٢)

جَون(٣) [قال] : يريد غديراً كثيرَ الماء . [قال : وإذا كثر الماء] وكثر عُمقُه(٤) اسودَّ فى العين . والعلاجيم : الضفادع السود وجعلها غرقى ، يقول : هى فيما شاءت من الماء ؛ كقولك : فلان فى خير غامر(٥) من قِبَل فلان . وجعل لها مجالس حول الماء وفوقه ، لأن هذه الأجناسَ ـ التى تعيش مع السمك فى الماء وليست بسمك(٦) ـ أكثرُ حالاتهن إذْ لم تكن سمكا خالصاً(٧)

= بضمتين : جمع نطاق ، على الطرائق التى تعلو الماء ، وإنما يكون ذلك مع كثرة الماء وهبوب الريح عليه . ل : « يحتل » وفى سائر النسخ : « يظل » صوابهما فى الديوان واللسان (١٢ : ٢٣٤ / ١٣ : ٢٠٤) . ه ، س : « تجنو » صوابه فى ل ، ط والديوان واللسان .

(١) الشربات ، بفتحتين : جمع شربة بفتحتين أيضاً ، وهى كالحويض يحفر حول النخلة والشجرة ويملأ ماء ، فيكون ريها فتتروى منه . طحل : كدر ، أوكثير الطحلب . فيما عدا ل : « كحل » صوابه فى ل والديوان واللسان (١ : ٤٧٢ / ١٣ : ٤٢٤) والعمدة (٢ : ١٩٥) والموشح ٤٧ . وقد عاب كثير من النقاد هذا البيت ، قالوا : كيف والضفادع لا تخشى الغرق ؟ ! فأجاب ابن رشيق : « لم يرد أنها تخاف الغرق على الحقيقة ، ولكنها عادة من هرب من الحيوان من الماء ، فكأنه مبالغة فى التشبيه ... مع أنا نجد الأماكن البعيدة القعر من البحار لا تقربها دابة خوفاً على نفسها من الهلكة ، فكأنه أراد المبالغة فى كثرة ماء هذه الشربات » . ومثل هذا القول للشنتمرى فى شرح ديوان زهير .

(٢) جونا : بالنون . فيما عدا ل : « جوبا » تحريف . يحلأ : يمنع من ورود الماء . « يخلأ » محرف . ل : « فقط » نائله . وأثبت ما فى سائر النسخ والديوان ، والعمدة (٢ : ١٩٥) .

(٣) فيما عدا ل : « جوب » بالباء ، تحريف .

(٤) ط ، ه : « ولكثرة عمقه » س : « وكراعه » صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « فى غمر عامر » .

(٦) ط ، ه : « ولين بسمك » .

(٧) فيما عدا ل : « إذا » وفى ط : « لم يكن » .

أن تظهر عَلَى شُطوط المياه ، وفى المواضع التى تبيض فيها من الدَّغَل[١] . وذلك كالسَّرطان والسُّلحفاة ، والرَّق ، والضفدع[٢] ، وكلبِ الماء ، وأشباه ذلك.

(استطراد لغوى)

ويُقال[٣] : نقّ الضفدِع ينقُّ نقيقاً ، وأنقضَ ينقِضُ إنقاضاً[٤]

وقال رُؤْبةُ :

١٥٥ إذا دنا منهن إنقاض النُّقُق[٥] فى الماء والساحل خُضخاضُ البَثَق[٦]

(سمع الضفدع)

وقد زعم ناسٌ أن أبا الأخْزَرِ الحِمّانى[٧] حيث قال :

تسمَعُ القِنقْنِ[٨] [صوتَ القنقنِ]

---

(١) الدغل : بالتحريك : ما استترت به . وأصله الشجر الكثير الملتف .

(٢) ل : « وذلك السرطان » بطرح الكاف . والرق : سبق تفسيره فى ص ٥٢٥ . ط ، هـ : « الزق » صوابه فى ل ، سه . فيما عدا ل : « والضفادع » والتساوق يقتضى ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « وقال » .

(٤) أنقض ، بالقاف . وفى ط : « أنفض ينفض إنفاضاً » ، بالفاء ، وفى س ، هـ بالغين المعجمة ، صوابهما فى ل .

(٥) النقق : يروي بضمتين وبضم ففتح : وهما جمع نقوق بالفتح ، وهو الضفدع تنق . س ، هـ : « إنغاص » تحريف .

(٦) الخضخاض ، عنى به الكثير الماء والشجر ، وفى اللسان : « ومكان خضيض وخضاخض : مبلول بالماء . وقيل : هو الكثير الماء والشجر » . والبثق : منبعث الماء حيث ينفجر . وأصله بإسكان الثاء . انظر اللسان (بثق) . وقد أراد به الزرع نفسه . فيما عدا ل : « ضحضاح اليقق » صوابه فى ل وديوان رؤبة ١٠٨ .

(٧) أبو الأخزر . بتقديم الزاي على الراء ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٨٢ / ٣ : ١٤٩) ط ، هـ : « الأخرز » بتقديم الراء ، تصحيف .

(٨) القنقن والقناقن : الذى يعرف الماء تحت الأرض ، وقيل : الذى يسمع =

إنما[1] أراد الضفدع . قالوا : وكذلك الطِّرِمّاحُ حيث يقول :

يخافِتْنَ بعضَ المضغِ من خشيةِ الرّدَى

ويُنْصِتْنَ للصوتِ انتصاتَ القنــاقِنِ[2]

قالوا : لأن الضفدِع جيدُ السمع إذا تركَ النقيقَ وكان خارجاً من الماء . وهو فى ذلك الوقتِ أحذر من الغراب والعصفور والعَقْعَق ، [وأسمعُ من فرَس ، وأسمع من قُراد[3]] ، وأسمع من عُقاب . و بكل هذا جاء الشعر .

ذكر ما جاء في الضفادع فى الآثار

إبراهيم بن [أبى] يحيى[4] ، عن سعيد بن أَبى خالد بن فارض[5] ،

= فيعرف مقدار الماء فى البئر قريباً أو بعيداً . وانظر المعرب ٢٦١ . وقد أتى به الجاحظ شاهداً لجعله بمعنى الضفدع . فيما عدا ل : « تستمع النقنق » .

(١) ط : «فانما» ﻫ : « وإنما » صوابه فى ل ، سـ .

(٢) يخافتن : يخفين الصوت . فيما عدا ل : « تجافين » صوابه فى ل والديوان ١٦٩ واللسان (٢ ، ٤٠٤ / ١٧ : ٢٣٠) . ينصتن : من الإنصات ، وهو السكوت للاستماع . ط ، ﻫ : « ينصبن » صوابهما فى ل والمراجع السابقة . والانتصات : الإنصات . والقناقن : بفتح القاف الأولى وكسر الثانية : جمع القناقن بضم الأولى وكسر الثانية ، والقنقن بكسرهما ، انظر التنبيه ٨ من الصفحة السابقة . ل : « انصيات القناقن » وفيما عدا ل : « انتصاب النقانق » صوابهما في المراجع السابقة . والبيت فى صفة بقر الوحش .

(٣) المثل الأول: تكملة من ل فقط . والثاني : من ل ، سـ .

(٤) سبقت ترجمته فى ٤٢٧ .

(٥) كذا فى الأصل . وفى التهذيب (٤ : ٢٠) : سعيد بن خالد بن عبد الله بن قارظ القارظى الكنانى المدنى حليف بني زهرة . روى عن عمه إبراهيم ، وربيعة بن عباد وأبى سلمة ، وأبى عبيد مولى ابن أزهر ، وإسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي ذئب . وعنه الزهرى ، وابن أبي ذئب ، وابن إسحاق . قال ابن سعد : توفى فى آخر سلطان بنى أمية .

عن سعيد بن المسيب ، عن عبد الرحمن بن عثمان التيمى[(١)] « أن النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن قتل الضفدع[(٢)] » .

قال : وحدَّثنا سعيد عن قتادة[(٣)] قال : سمعت زُرارةَ[(٤)] يحدِّث أنه سمع عبد الله بن عَمْرو[(٥)] يقول : « لاتسبُّوا الضفادع فإنَّ أصواتها تسبيح » .

قال : وحدثنا هشامٌ صاحبُ الدَّستوائى[(٦)] ، عن قتادة ، عن زُرارةَ ابنِ أوفى ، عن عبد الله بن عمرو[(٧)] أنه قال : « لاتقتلوا الضفادعَ ، فإن

(١) هو عبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمى ، نسبة إلى تيم بن مرة ، وأبوه أخو طلحة ابن عبيد الله . وعبد الرحمن صحابي قتل مع ابن الزبير بمكة سنة ثلاث وسبعين . وكان يلقب : « شارب الذهب » . انظر الإصابة ٥١٥١ وتهذيب التهذيب (٦ : ٢٢٧) . ل : « الليثى » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « الضفادع » . وفي الضفدع لغات : كزبرج ، وجعفر ، وجندب ، ودرهم وهذا أقل ، أو مردود .

(٣) سعيد هذا ، هو سعيد بن أبي عروبة ، بفتح العين ، المترجم فى (٤ : ٢٩٣) قال ابن أبي خيثمة : « أثبت الناس فى قتادة سعيد بن أبى عروبة ، وهشام الدستوائى » وقال أبو داود الطيالسى : « كان أحفظ أصحاب قتادة » . ومات سنة ١٥٦ . انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٦٣) . وترجمة قتادة سبقت فى (٣ : ٢١٠) وانظر لها أيضاً تهذيب التهذيب (٨ : ٣٥١) . ل : « شعبة عن قتادة » وروايته عن قتادة صحيحة ؛ فإن شعبة هو شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدى مولاهم ، أبو بسطام الواسطى ثم البصرى ، وقد روى عن أكثر من ثلثمائة رجل عدهم ابن حجر . ومنهم قتادة . انظر تهذيب التهذيب (٤ : ٣٣٨) .

(٤) هو زرارة بن أوفى العامرى الحرشى ، أبو حاجب ، البصرى القاضي . روى عن أبي هريرة ، وعبد الله بن سلام ، وتميم الدارى ، وابن عباس ، وعائشة ، وعنه قتادة وداود بن هند ، وعوف ، وبهز بن حكيم ، وغيرهم . قال ابن سعد : « مات فجأة سنة ٩٣ » . انظر تهذيب التهذيب (٣ : ٣٢٢) .

(٥) هو عبد الله بن عمرو بن العاص ، صحابي جليل ، أسلم قبل أبيه ، وكان من أكثر الصحابة حديثاً ، ومات بالشام سنة خمس وستين . انظر الإصابة ٤٨٣٨ . فيما عدا ل « عبد الله بن محمد » .

(٦) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨) . ل : « صاحب الدستوى » ط : « صاحب الدستوائي » صوابه فى ط ، س .

(٧) فيما عدا ل : « عبد الله بن عمر » . وانظر التنبيه الخامس .

نقيقهُنَّ تسبيح[١] ، ولا تقتلوا الخفاش[٢] ، [فإنه إذا خرب بيتُ المقدس قال : يا ربِّ سلِّطنى على البحر حتى أغرِقهم » .

وعن حماد بن سَلمة ، عن قتادة ، عن زُرارة ، قال : قال عبد الله ابن عمرو[٣] : « لاتقتلوا الخفاش] ، فإنه استأذن البحر[٤] أن يأخذَ من مائه فيطفِئَ بيتَ المقدس حيث حُرِّق[٥] . ولا تقتلوا الضفادع ، فإن نقيقها تسبيح » .

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ذِئب[٦] ، وفى إسناد له : « أن طبيباً ذكر الضِّفدِع عند النبى صلى الله عليه وسلم ، ليُجعَل فى دواء[٧] ، فنهى النبى صلى الله عليه وسلم عن قتل الضفدع[٨] » .

(ما يوصف بجودة الحراسة وشدة الحذر)

[و] العربُ تصف هذه الأصناف التى ذكرناها[٩] بجودة الحراسة وشدة الحذَر[١٠] ، وأعطَوا الثعلبَ والذِّئب أموراً لايبلغها كثيرٌ من الناس .

---

(١) هذا الحديث رواه النسائى ، عن ابن عمرو : وهو حديث ضعيف . الجامع الصغير ٩٨٤٣ .

(٢) ط ، هـ : « وقال لا تقتلوا الخفاش » . والكلام بعده إلى : « أغرقهم » ساقط من س .

(٣) فيما عدا ل : « عبد الله بن عمر » .

(٤) سبق فى (٣ : ٣٥٨) : « استأذن فى البحر » .

(٥) كذا فى ل وفيما سبق (٣ : ٣٥٨)، وفى سائر النسخ : « احترق » .

(٦) سبقت ترجمته فى (١ : ١٧٩) . فيما عدا ل : « أبى ذؤيب » تحريف . وكلمة : « عبد الرحمن بن » ساقط من ل .

(٧) ط ، هـ : « فى الدواء » س : « فى الرواء » وهذه محرفة . وأثبت ما فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « الضفادع » .

(٩) فيما عدا ل : « ذكرنا » .

(١٠) فيما عدا ل : « وشدة الحذر » .

(قول صاحب المنطق فى الغرانيق)

وقال صاحبُ المنطق فى الغرانيق(١) قولا عجيباً ، فزعم أن الغرانيق من الطيور القواطع(٢) ، وليست من الأوابد . وأنها إذا أحسّتْ بتغيُّرِ الزمان اعتزمت(٣) على الرجوع إلى بلادها وأوكارها . وذكر أنها بعيدةٌ سحيقة .
قال : فعند ذلك تتخذ قائداً [وحارساً ، ثم تنهض معاً ، فإذا طارت] ترفعت فى الجواء جدًّا(٤) ، كى لايعرض لها شيء من سباع الطير(٥) ، أو يبلغَها سهمٌ أَو بنْدُق . وإن عاينَتْ غيما [أو مطراً ، أ] و خافَتْ مطرًا ،
١٥٦ أو سقطتْ لطلبِ مالابدَّ لها منه من طُعم(٦) ، أو هجم عليها الليل — أمسكَتْ عن الصياح ، وضمَّتْ إليها أجنحتها . فإذا أرادت النوم(٧) أدخل كل واحد منها(٨) رأسَه تحتَ جناحِه ، لأنه يرى أن الجناح أحمَلُ لما يَرِدُ عليه من رأسه(٩) ، أو بعضِ مافى رأسه : من العين وغير ذلك ، ويعلمُ أنه ليس بعد ذهابِ الرأس حياة . ثم ينام كل واحد

---

(١) الغرانيق : سبق تفسيرها فى (٣ : ٣٢٨) ، وهو نوع من الكراكى ، واسمه العلمى الأوربى Balearica pavonina .
(٢) القواطع : التي تقطع إلى الناس ، أى ترحل إليهم . وذلك فى أوقات معينة . وانظر (٤ : ١٠١ — ١٠٢) .
(٣) فيما عدا ل : « اعترضت » تحريف .
(٤) ترفعت : ارتفعت فى الجو . ط ، هـ : « وتصعد » سه : « ويصمد » صوابهما فى ل .
(٥) فيما عدا ل : « حتى لا » . وفى سه : « له شيء » وهذه محرفة .
(٦) الطعم ، بالضم : الطعام . ل : « لما لا بد منه من طعم » .
(٧) ط ، سه : « فإن رأت النوم » وأثبت ما فى ل ، هـ .
(٨) فيما عدا ل : « منهم » . وقد يجعل ضمير العاقل لغيره .
(٩) أى أن جناحه أكثر تحملا من رأسه . فيما عدا ل : « من المكروه » .

منها وهو قائم[1] على رجليه ، لأنه يظن أنه إن مكّنهما نام إن كان لايحبُّ النوم[2] ، أوْ نام نوما ثقيلا إن كان يحب أن يكون نومُه غرارًا[3] . فأما قائدها وسائقها وحارسُها ، فإنه لاينامُ إلا [وهو] مكشوفُ الرأس . وإن نام فإن نومه يكونُ أقلَّ من الغِشاش[4] . وينظُرُ فى جميع النواحى ، فإن أحسَّ شيئاً صاحَ بأعلى صوته .

(صيد طير الماء)

وسألتُ بعضَ من اصطادَ فى يومٍ واحد مائة طائر[5] من طير المـاء ، فقلت له : كيف تصنعون ؟ قال : إن هذا الذى تراه[6] ليس من صَيْدِ يوم واحد ، وإن كلَّه صِيدَ [فى] ساعة واحدة . [قلت له : وكيف ذاك ؟ قال] : وذلك أنا نأتى مناقِعَ الماء ومواضِعَ الطير ، فنأخذ قَرعةً يابسة صحيحة[7] ، فنرمى بها فى ذلك الماء ، فإذا أبصرها الطير[8] تدنو منه بدفع[9] الرِّيحِ لها فى جهته ، مرة أو مرتين[10] فزِع . فإذا كثر ذلك عليه أنس[11] .

(١) فيما عدا ل : « لأنه ينام كل منها قائماً » ، وفيه تحريف .
(٢) فيما عدا ل : « وإن كان لا يحب النوم » .
(٣) غرارا : أي قليلا خفيفاً . فيما عدا ل : « وإن كان يحب » الخ بإقحام الواو .
(٤) الغشاش ، بالكسر : القليل . ط ، س : « العشاش » صوابه فى ل ، هـ .
(٥) فيما عدا ل : « طير » . ولها وجه ؛ فإن قطربا زعم أن الطير يقع للواحد ، وأجاز ذلك أبو عبيدة . انظر اللسان (٦ : ١٨١ س ٢ — ٤) . هذا إلى أنه قد تميز المائة بالجمع ، نحو مائة رجال . انظر شرح الرضى للكافية (٢ : ١٤٤) وغير ذلك من مطولات النحو .
(٦) فيما عدا ل : « ترى » .
(٧) ل : « ضخمة » .
(٨) فيما عدا ل : « الطائر » .
(٩) ط فقط : « يدفع » بالياء ، تحريف .
(١٠) ط « ومرتين » .
(١١) فيما عدا ل : « عليها » بدل : « عليه » تحريف .

وإنما ذلك الطير طير المـاء والسّمك[١] ، فهى أبدًا على وجه الماء . فلا تزالُ الرِّيح تقرِّبها وتباعدها[٢] ، وتزداد [هى] بها أُنْساً ، حتى ربما سَقَطَ الطائرُ عليها ، والقرعةُ فى ذلك إما واقفةٌ فى مكان ، وإما ذاهبةٌ وجائية . فاذا لم نرها تنفرُ منها أخذنا قَرعة أُخرى ، أو أخذناها بعينها ، وقطعنا موضِعَ الإبريق منها[٣] ، وخرَقْنا فيها موضِعَ عينين ، ثم أخَذَها [أحَدُنا] فأدخلَ رأسَه فيها ، ثم دخل الماء ومشى فيه إليها[٤] مشياً رُوَيْدًا ، فكلما دنا من طائر[٥] قبض على رجليه ثم غمسه فى الماء[٦] ، ودقّ جَناحَه وخَلاّه[٧] ، فبقى طافياً فوق الماء[٨] يسبحُ برجليه ، ولا يطيقُ الطيران ، وسائرُ الطير لا ينكر انغماسه[٩] . ولا يزال كذلك حتى يَأتىَ[١٠] على آخر الطير . فاذا لم يبق منها شىء رَمَى بالقرعة عن رأسه ، ثمّ نلقطها ونجمعها ونحملها[١١] .

(علاج الملسوع)

قال : ومن جيِّدِ ما يُعالجَ به الملسوعُ ، أن يَشُقّ بطنُ الضفدع ،

---

(١) أي طير السمك ، الذى يغتذى بالسمك .

(٢) فيما عدا ل : « وتبعدها » .

(٣) كذا . وأراد به طرفها الدقيق .

(٤) ط : « فيها بينها » س ، هـ : « فيما بينها » صوابه فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « كلما أتى إلى طائر » .

(٦) س ، هـ : « فقبض » ل : « رجله فغمسه » .

(٧) ل : « ثم دق جناحه ثم خلاه » .

(٨) ط فقط : « بين الماء » .

(٩) ل : « لا تنكر انغماسه » .

(١٠) كلمة : « ولا يزال » ليست فى ل . وفى ل : « نأتى » بدل : « يأتى » .

(١١) فيما عدا ل : « ثم لقطها وجمعها وحملها » .

ثم يرفَد به موضع اللسعة[١] . ولسنا نعنى لدغة الحية[٢] ، وإنما نعنى لسعة العقرب .

[والضفدع إذا رأى النار أمسك عن النقيق ، وإذا رأى الفجر.
والأسدُ إذا رأت النار أحجمت عن الإقدام ، وإذا اشتد الأصواتُ] .

(استطراد لغوىّ)

قال : ويقال للضفدع[٣] [نقّ] ينقّ ، و [هدر] يهدِر . وقال الراعى :

فأوردهُنّ قبيلَ الصباحِ عيناً ضَفادعُها تَهْدِرُ

(قول صاحب المنطق فى الضفادع والسمك)

وأما قولُ صاحب المنطق فى أن الضفادع لاتنقّ حتى تُدخِلَ فكها الأسفل فى الماء ؛ لأن الصوت لايجيئها حتى يكون فى فكها ماء[٤] — فقد ١٥٧
قال ذلك ، و [قد] وافقه عليه ناسٌ من العلماء ، وادعوا فى ذلك العِيان .

فأما زعمه أن السمكة[٥] لاتبتلع شيئاً من الطعم إلا ببعض الماء ، فأىُّ عيان دلّ على هذا ؟ ! وهذا عَسِرٌ[٦] .

---

(١) الرفد : وضع الرفادة على الجرح ، وهى الخرقة .
(٢) فيما عدا ل : « لسعة » . والأصح أن اللسع لذوات الإبر من العقارب والزنابير .
(٣) ط ، هـ : « للضفادع » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « فى فيها ماء » .
(٥) ط : « وإنما زعمه بأن السكة » . س ، هـ : « وإنما زعمه بأن السمكة » وأثبت ما فى ل .
(٦) فيما عدا ل : « عسير » .

[القول فى الجراد[١]

أحضِرْنى[٢] على اسم الله ذِهنك ، وفرِّغْ لما أُلقيه إليك قَلْبَكَ ، فربَّ حرْف من حروف الحكم الشريفة[٣] ، والأمثال الكريمة ـ قد عفا أثرُه ، ودثر ذكرُه ، ونبا الطَّرفُ عنه[٤] ، ولم يُشغَل الذهنُ بالوقوف عليه . وربَّ بيتٍ هذا سبيله ، وخطبةٍ[٥] هذه حالها .

ومدارُ الأمر على فهم المعاني لا الألفاظ ، والحقائق لا العبارات . فكم من دارس كتاباً خرجَ غُفْلاً كما دخل ، وكم من متفهِّم لم يفهم ؟ ! ولن يستطيع الفهم[٦] إلا من فرَّغ قلبه للتفهم ؛ كما لا يستطيعُ الإفهام إلا من صحت نيتهُ فى التعليم .

(فضل الإنسان على سائر الحيوان)

فأقول] : إن الفرق [الذى] بين الإنسان والبهيمة ، والإنسان والسبُع [والحشرة[٧]] ، والذى صَيَّرَ الإنسان إلى استحقاق قول الله عز وجلَّ : ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ ما فى السَّمٰوَاتِ وما فى الأرْضِ جَميعاً مِنْهُ[٨]﴾ ليس

---

(١) التكملة التالية من ل ، سه فقط . وبينهما تخالف سأنبه عليه .
(٢) سه : « أحضر » .
(٣) سه : « فرب حروف من حروف الكلم الشريفة » .
(٤) ل : « نبأ » بإسقاط الواو قبلها .
(٥) سه : « وخطة » وجهه ما أثبت من ل .
(٦) الكلام بعد هذا إلى كلمة : « الإفهام » ساقط من سه .
(٧) كلمة : « إن » و : « الذى » و : « الحشرة » ثابتة فى ل فقط وليست فى سه .
(٨) الآية ١٣ من سورة الجاثية . وتمامها : (إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) .

هو الصورة ، وأنه خلِقَ من نطفة وأن أباه خُلق من تراب ، و [لا] أنه يمشى على رجليه ، و يتناول حوائجه بيديه[١] ؛ لأن هذه الخصالَ كلها مجموعة فى البُلْه والمجانين ، والأطفال والمنقوصين .

والفرق الذى هو الفَرقُ إنما هو الاستطاعة والتمكين . [و] فى وجُودِ الاستطاعة وجودُ العقل والمعرفة[٢] . وليس يوجِبُ وجودُهما وُجودَ الاستطاعة[٣] .

وقد شرَّف الله تعالى الجانَّ وفضّله على السَّبُع والبهيمة ؛ بالذى أعطاه[٤] من الاستطاعة الدالة عَلَى وجود العقل والمعرفة[٥] .

وقد شَرَّف [الله] الملائكة وفضلهم عَلَى الجانّ ، وقدمهم عَلَى الإنسان وألزَمهم من التكليف عَلَى حسب[٦] ما خوَّلهم من النعمة . وليست لهم صورة الإنسانِ ولم يُخْلَقُوا من النُّطَف[٧] ، ولا خُلق أبوهم من التراب . وإنما الشأنُ[٨] فى العقل ، والمعرفة ، والاستطاعة .

أفتظنُّ أن الله عز وجل يخصُّ بهذه الخصال بعضَ خلقِه دون بعض ، ثم لايطالبهم إلا كما يطالب بعضَ من أعدمه ذلك ، وأعْراه منه[٩] ؟ ! فلِمَ أعطاه العقل ، إلا للاعتبار والتفكير ؟ ! ولِمَ أعطاه المعرفة ، إلا ليؤثر

---

(١) حوائج ، صحيحة . وانظر التفصيل فى تحقيقها فى اللسان (٣ : ٦٨) .

(٢) ط ، هـ : « وجودة العقل والمعرفة » والكلام من : « والتمكين » إلى كلمة : « الاستطاعة » التالية ليس فى سـ .

(٣) وجودهما . أى وجود العقل والمعرفة . ل : « وجوب الاستطاعة » .

(٤) فيما عدا ل : « من الذي أعطاه » .

(٥) فيما عدا ل : « على الوجود والمعرفة » .

(٦) فيما عدا ل : « على قدر » .

(٧) فيما عدا ل : « وليست لهما صورة الإنسان ولم يخلقا من النطف » .

(٨) فيما عدا ل : « فأشبها الإنسان » .

(٩) ل : « وعراه منه » .

الحقَّ على هواه ؟ ! ولِمَ أعطاهُ الاستطاعة ؛ إلا لإلزام الحجة ؟ !

فهل فكَّرْتَ قطُّ في فصل[1] مابينك و بين [الخلق] المسخَّر لك ، [و بين الخلق الذى جُعِل لك والخلق المسلط عليك] ؟ ! وهل فكَّرت قط فى فصل ما[2] بين ماجعله عليك عاديا ، و [بين] ما جعله لك غاذِيا[3] ؟ ! [وهل فكرتَ قطُّ فى فصل ما بين الخلق الذى جُعل لك عذابا ، والخلق الذى جُعل لك قاتِلاً ، و بين ما آنسه بك[4] و بين ما أوْحَشَهُ منك ، و بين ما صغَّره فى عينك وعظَّمه فى نفسك[5] ، و [بين ما عظَّمه فى عينك و[6]] صغَّره فى نفسك ؟ ! بل هل فكرت[7] فى النحلة والعنكبوت والنملة ، وأنت ترى الله تقدَّس وعز[8] كيف نوَّه بذكرها [ورفع من قدرها ، وأضاف إليها السُّوَر العظامَ ، والآياتِ الجسامَ] ، و [كيفَ] جعل الإخبارَ عنها قرآنا [وفرقاناً[9]] ، حيث يقول ﴿ وَأَوْحَى رَبُّكَ إلى النَّحْلِ ﴾ . فقفْ عَلَى صغر النحلة وضَعْفِ أيْدِها[10] ، ثمّ ارْمِ بعقلك إلى قول الله : ﴿ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً[11] ﴾ فإنك تجدُها

---

(١) الفصل ، بالصاد : الفرق . فيما عدا ل : « فضل » والكلام بعده إلى كلمة : « فصل » التالية ليس فى هـ .

(٢) هذه الجملة ساقطة من ل . وفى الأصل : « فضل » بالضاد ، تحريف .

(٣) كلمة «ما» الأولى « ساقطة » من سه ، هـ وفيما عدا ل : « جعل » بدل : « جعله » فى الموضعين . غاذيا : من الغذاء . فيما عدا ل : « عادياً » فى الموضعين .

(٤) فيما عدا ل : « لك » باللام .

(٥) ط ، هـ : « فى عينك » . وفيما عدا ل : « وما عظمه » بإقحام « ما » .

(٦) هذه الزيادة من ل ، سه .

(٧) فيما عدا ل : « وكيف لم تفكر » .

(٨) فيما عدا ل : « تبارك تعالى» .

(٩) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « وكيف أضاف إليها السور الطوال وكيف » .

(١٠) الأيد ، بالفتح : القوة . ومنه : (واذكر عبدنا داود ذا الأيد) .

(١١) الآية ٦٩ من النحل . وفى الأصل : « ثم اسلكى سبل ربك ذللا » . وهو تحريف شنيع نبهت على أمثاله فى (٤ : ١٥٩،٨ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ : ٩٣ ، ١٣٧) .

أكبر من الطّود ، وأوسعَ من الفضاء . ثم انظر إلى قوله : ﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ ﴾ . فما ترى فى مقدار النملة فى عقل الغبىّ ، وغير الذّكىّ ؟! فانظر كيف أضاف الوادى إليها ، وخبر عن حذرها ونصحها لأصحابها ، وخوفها ممن قد مُكّنَ ، فإنك تجدُها عظيمةَ القدر ، رفيعةَ الذكر] ، قد عظمها فى عقلك ، بعد أن صغَّرها فى عينك

(عجز الإنسان وصغر قدره)

وخبِّرنى عن الله تعالى ، أمَا كان قادراً[٢] أن يعذِّب الكنعانيينَ ، والجبابرة ، والفراعنة ، وأبناء العمالقة : من نَسْلِ عاد وثمود ، وأهلَ العتوِّ والعُنُود[٣] — بالشياطين ثم بالمردَة ، ثم بالعفاريت[٤] ، ثم بالملائكة الذين ١٥٨ وكّلهم الله تعالى بسَوْق السحاب ، وبالمدِّ والجزْر ، وبِقَبْضِ أرواح الخلق ، وبقلب الأرَضين ، وبالماء والريح[٥] ، وبالكواكب والنيران ، وبالأُسْد والنمور [والبُبُور] ، وبالفيَلة والإبل [والجواميس] ، وبالأفاعى والثعابين [وبالعقارب والجرارات] ، وبالعقبان والنسور[٦] ، وبالتماسيح[٧] ، وباللُّخْم[٨] [والدُّلفِين[٩]] .

(١) من الآية ٨٨ فى سورة النمل .
(٢) فيما عدا ل : « يقدر » .
(٣) عند الرجل يعند عنداً وعنوداً وعنداً . عتا وطغى . ط : « العتود » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وبالعفاريت » .
(٥) فيما عدا ل : « وقبض أرواح الخلق وتقليب الأرضين والماء والريح » .
(٦) بدلها فى ط : «والجرذان» وفى س : « والجرارات » و هـ : « والجرادات » .
(٧) ط ، س : «والتماسيح» هـ : « والتماسح» وهذه جمع تمسح ، بكسر التاء وفتح السين .
(٨) اللخم ، بالضم : سمك بحرى يقال له الكوسج ، وهو من السمك الغضر وفى كبير يخشى شره ، وهو بالإنكليزية : Shark . ط : « والرخم » س ، هـ : « واللحم » صوابهما فى ل .
(٩) الدلفين ، بالضم : ضرب من الحيتان ، زعم القدماء أنه ينجى الغريق . والكلمة معربة عن اليونانية . انظر استينجاس ٥٣٢ .

فلِمَ عذَّبهم بالجرادِ والقُمَّل[١] والضفادع ؟ ! وهل يتلقَّى[٢] عقلُكَ قبل التفكير إلا أنه أراد أن يعرِّفهم عجْزهم ، ويذكِّرهم صِغَر أقدارِهم ، ويدُلَّهم على ذلك بأذلِّ خلقه ، ويعرِّفهم أن له فى كل شىء جُنْداً[٣] ، وأن القوىَّ من قوَّاه [وأعانَه] ، والضعيف من ضعَّفه[٤] ، والمنصورَ من نصَره ، والمخذول[٥] من خلَّاه وخذله ؛ وأنه متى شاء أن يقتُل بالعسل الماذِى والماء الزُّلال[٦] [كما يقتلُ بالسمّ السارى ، والسيفِ الماضى] قتل ؟

ولِمَ كان النبىُّ صلى الله عليه وسلم إذا رأى على جسده البَثْرةَ ابتهلَ فى الدعاء وقال : « إن الله تعالى إذا أراد أن يعظمَ صغيراً عظمه » ؟ !

ولِمَ قال لنا : « فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ والجَرَادَ والقُمَّلَ والضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آياتٍ مُفَصَّلَاتٍ[٧] » ؟ ! [فافهمْ عنه تعالى ذكره ، وتقدست أسماؤه قوله : « آيات » ثم قال : « مُفصَّلَات »] . فهل وقفت [قطُّ] عَلَى هذه الآياتِ ؟ ! وهل توهَّمْت [تأويلَ] قوله[٨] : هذا [آية وغيرُ آية] ؟ ! وهل وقفت عَلَى فصل ما بين الآية وغير الآية[٩] ، وإذا كانت مفصَّلات كان ماذا ، وإذا لم تكن مفصلات كان ماذا .

---

(١) القمل ، بضم القاف وتشديد الميم المفتوحة . انظر التنبيه ٦ ص ٤٣٨ و س ١ من ص ٤٣٩ .

(٢) فيما عدا ل : « تلفى » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « جهداً » محرف .

(٤) أضعفه وضعفه : صيره ضعيفاً . اللسان (١١ : ١٠٦) .

(٥) في الأصل : « المقتول » والمقابلة تقتضى ما أثبت .

(٦) الزلال ، بالضم : الصافي الخالص .

(٧) من الآية ١٣٣ فى سورة الأعراف .

(٨) ط فقط : « توهمت قوله » .

(٩) هذه الجملة ليست فى ل . وفى الأصل : « فضل » بالضاد ، تحريف .

فافهم قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ . وما فى الأرض أنقصُ معرفة وعلما ، ولا أضعفُ قوة و بطشاً ، ولا أوْهَنُ رُكْنا وعَظْماً من ضِفدِع . [فقد قال — كما ترى — : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفانَ والجراد والقُمَّل والضَّفَادِعَ والدَّمَ ﴾ ، فقد جعله — كما ترى — أفضل آياته ، والعذابَ الذى أرسله عَلَى أعدائه] .

وقد قال جل وعز : ﴿ فإذَا جَاءَ أمرُنَا وفارَ التنُّورُ[(١)] ﴾ فأظهر الماء [جلّ ثناؤه] من أبعد مواضع الماء من ظنونهم[(٢)] ، وخبَّرَنا بذلك كى لانخلِيَ[(٣)] أنفسنا من الحذر والإشفاق ، [ولنكون علماء بالعلم الذى أعطانا ، ولنكون راجين خائفين ، ليصحّ الاختيار ، ويحسُنَ الاختبار . ﴿ فتبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقِينَ[(٤)] ﴾ . ما أحسنَ ما قدَّر ، وأتقنَ ما برأ] !

وكان السبب[(٥)] الذى سلطه الله تعالى عَلَى العَرِم ، وهو مُسَنَّاة جَنّتَىْ بلادِ سبإٍ ، جُرَذاً ، فهو[(٦)] الذى خَرَقه ، و بدّل نعمتَهم بُؤساً ، ومُلكَهُمْ [يباباً وعِزَّهُمْ ذُلاًّ ، إلى] أن عادوا فقراء . فقال الله[(٧)] : « وَبدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْط وَأَثْل وشَىء مِنْ سِدْرٍ قَلِيل[(٨)] » . هذا بعد

---

(١) من الآية ٢٧ فى سورة المؤمنون . ومثلها الآية ٤٠ من سورة هود : (حتى إذا جاء أمرنا وفار التنور) و ليس غيرهما فى الـكتاب . وقد وقعت الآية محرفة فى الأصل ، ففى ل : « فلما جاء » وفيما عداها : « ولما جاء » . وأثنى على الله الخير لما وفق إلى إصلاح أمثال هذا التحريف . انظر (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ ، ٩٣ ، ١٣٧ ، ٥٤٤) .

(٢) فيما عدا ل : « من أبعد المواضع من ظنونهم » .

(٣) ل : « تخلوا » .

(٤) من الآية ١٤ فى سورة المؤمنون .

(٥) ط ، هـ : « السيل» تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « وهو » .

(٧) فيما عدا ل : « وقال الله عز وجل. » .

(٨) من الآية ١٦ فى سورة سبأ .

أن قال : « لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسَاكِنِهِمْ[(١)] آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وربٌّ غَفُورٌ. فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ[(٢)] » .

(شعر فى سد مأرب)

وقال الأعشى :

فَفِي ذاكَ لِلمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ ومأرِبُ قَفَّى عليه العَرِمْ[(٣)]

رُخامٌ بَنَتْهُ لهم حِمْيَرٌ إذا جاءَ ماؤُهُمُ لم يَرِمْ[(٤)]

وأنشد أبو عمرو بنُ العلاء[(٥)] :

من سَبَأَ الحاضرِينَ مَأْرِبَ إذ يَبْنُونَ مِنْ دونِ سَيلِهِ العَرِمَا[(٦)]

(١) ط ، هـ : « مسكنهم » وهذه قراءة حفص وحمزة ، بفتح الكاف . وقراءة الكسائى وخلف والأعمش بكسر الكاف . وما أثبت من ل ، س هى قراءة الباقين ، بفتح السين وألف وكسر الكاف على الجمع . انظر إتحاف فضلاء البشر ٣٥٨ — ٣٥٩ .

(٢) الآية ١٥ وصدر الآية ١٦ من سورة سبأ . وفيما عدا ل زيادة : (وبدلناهم بجنتيهم) .

(٣) الأسوة : ما يأتسى به الحزين ، أى يتعزى . قفى : عفى ودرس . فيما عدا ل : «أعفى» تحريف . وروى : « عفى » فى معجم البلدان ومروج الذهب (١ : ٣٤٣) . وما أثبت من ل هو رواية الديوان ٣٤ والإكليل للهمدانى ٥٤، ١٣٥ واللسان (٢٠ : ٥٦س٤) .

(٤) الرخام ، بالضم : حجر أبيض معروف . ط ، هـ « رجام » : صخور عظام . ولم أجد ما يصحح هذه الرواية . ل ، ط : « له حمير » . وفى الإكليل : « بناه له » و « بناها لهم » . وما أثبت من س ، هـ يوافق رواية الديوان وياقوت . لم يرم : لم يفارق ولم يبرح .

(٥) البيت للنابغة الجعدي ، كما فى الكامل ٦١١ من قصيدة له فى الشعراء ٥٧ أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

(٦) فى المخصص (١٧ : ٤٢) : « وكان أبو عمرو لا يصرف سبأ يجعله اسماً للقبيلة » . وأنشد البيت . قلت : وبها قرأ هو والبزى فى : (لقد كان لسبأ) وجمهرة القراء على قراءة الصرف ، يجعله اسما للحى .

(معارف فى الجراد)

ثم انظر إلى الجراد . وهذا باب القول فيه . ١٥٩

قال : فأولُ[(١)] مايبدو الجرادُ إذا باض سَرْءٌ ، وَسروُه : بيضُهُ[(٢)] .
يقال : سَرَأتْ تسرأ سَرْءًا .

فانظر الآن ، فكم ترى فيه[(٣)] من أعجوبةٍ ، [ومن آيةٍ بليغة] . فأوّل ذلك التماسُها لبيضها الموضعَ الصَّلْد[(٤)] ، والصخور [الصُّمَّ] المُلْسَ ؛ ثقةً بأنها إذا ضربَتْ بأذنابها فيها انفرجت لها[(٥)] .

(ذنب الجرادة وإبرة العقرب)

ومعلومٌ أن ذنَب الجرادةِ ليس فى خِلْقة المسمارِ ، ولا طرف ذنبها[(٦)] كحدِّ السِّنان ، ولا لها من قوة الأَسْر[(٧)] ، ولذنبها من الصّلابة ما إذا اعتمدَتْ به على الكُدْية والكَذّانة[(٨)] جرح فيهما[(٩)] . فكيف[(١٠)] وهى

---

(١) فيما عدا ل : « وأول » . وكلمة : « قال » ليست فى ل .
(٢) السرء ، بالفتح وبكسر . ويقال أيضاً سرو ، وأصله الهمز . ل : « إذا باض سرء وسرء وبيضه » . وفيما عدا ل : « إذا باض يكون سروا وسروه بيضه » . وقد جمعت بينهما بما أثبت .
(٣) فيما عدا ل : « كم فى الجرادة » .
(٤) الصلد ، بالفتح : الصلب الشديد . فيما عدا ل : « الصلب » .
(٥) فيما عدا ل : « انفجرت » .
(٦) فيما عدا ل : « ذنبه » محرف .
(٧) الأسر ، الفتح : الخلق ، يقال فلان شديد الأسر إذا كان معصوب الخلق غير مسترخ . فيما عدا ل : « الأسود » تحريف .
(٨) الكدية ، بالضم : الصفاة العظيمة الشديدة . والكذانة ، بالفتح : واحدة الكذان ، وهى حجارة كأنها المدر فيها رخاوة . فيما عدا ل : « فى » بدل « على » . ط ، س : « والكداية » هـ : « والكدانة » صوابهما فى ل .
(٩) ط : « خرق فيها » س ، هـ : « خرج فيهما » صوابهما فى ل . وانظر (٤ : ٣١٥) .
(١٠) فيما عدا ل : « وكيف » .

تتعدى إلى ما هو أصلبُ من ذلك ، وليس فى طرف ذنبها كإبرة العقْرب ؟ !

وعَلَى أن العقرب ليس تخرق القمقم[١] من جهة الأيْد وقوةِ البدَن[٢] ، بل إنما ينفرجُ بطبعٍ مجعول هناك . وكذلك انفراجُ الصخورِ لأذناب الجراد .

ولو أن عُقاباً أرادتْ أن تخرقَ فى جلد الحاموس[٣] لما انخرقَ لها إلا بالتكلُّفِ الشديدِ ؛ والعُقابُ هى التى تَنْكدرُ[٤] على الذئب [الأطلس] فتقدّ بدابرتها مابين صَلاهُ إلى موضع الكاهل[٥] .

فإذا غرزَت الجرادة[٦] وألقت بيضها ، وانضمَّتْ عليها تلك الأخاديد التى أحدثَتْها ، وصارت كالأفاحيص لها ، وصارت حافظةً لها ومربِّية ، وصائنة وواقية ، حتى إذا جاء[٧] وقتُ دبيبِ الرُّوح فيها أحدث اللهُ فى أمرها عجباً آخر[٨] . [فسبحان من استخزنها حكمتَه ، وحشاها بالأدلة عليه ، وأنطقَها بأنها مدبرة ، ومُذلَّلة[٩] ميسرة ؛ ليفكر مفكر ، و يعتبر معتبر ! ذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، وتبارك الله ربُّ العالمين[١٠] !

---

(١) القمقم ، بضم القافين : ما يسخن فيه الماء من نحاس وغيره ويكون ضيق الرأس . فيما عدا ل : « ليست تخرق اللحم » تحريف . وانظر مثل هذا الكلام فى (٤ : ٣١٧) .

(٢) الأيد : القوة . فيما عدا ل : « من جهة الأيد فى قوة البدن » محرف .

(٣) ط فقط : « فى جلدة الجاموس » صوابه ما أثبت .

(٤) تنكدر : تنقض . ط : « تنحدر » س ، هـ : « تتحدر » والوجه ما أثبت من ل .

(٥) تقد : تقطع . والدابرة : الإصبع التى من وراء رجلها . فيما عدا ل : « بدائرتها » تحريف . وانظر ص ٢٠٦ . والصلا ، بالفتح : وسط الظهر . والكاهل : مقدم أعلى الظهر .

(٦) غرزت الجرادة وغرزت ، بالتشديد : أثبتت ذنبها فى الأرض لتبيض .

(٧) فيما عدا ل : « كان » .

(٨) فيما عدا ل : « حدث عجب آخر » .

(٩) المذللة : الميسرة . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « مذالة » محرف .

(١٠) فى الآية ٦٤ من سورة غافر . (ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين) . =

(مراتب الجراد)

وقال الأصمعي : [يقال : قد سرأت الجرادة تسرأ سَرْءًا] . فإذا خرجَ من بيضه فهو دَبًا والواحدة دَباة . ويخرج أصهَبَ إلى البياض ؛ فإذا اصفرَّ وتلوَّنت فيه خطوطٌ واسودَّ فهو بُرقان[١] . يقال رأيت دبًا بُرقانا ، والواحدة بُرقانة ؛ فإذا بدت فيه خطوطٌ سُودٌ و بيضٌ وصُفْر فهو المسَيَّح[٢] . فإذا بدا حجْمُ جناحِه فذلك الـكُتْفان[٣] ؛ لأنه حينئذٍ يكتف المشى[٤] ، واحدة كتفانة . قال ابن كناسة[٥] :

يكتِفُ المشْيَ كالذى يتخطَّى ... طُنُبًا أو يشُكُ كالمتمادِى[٦]

يصف فرسًا[٧] . فإذا ظهرت أجنحتُه وصار أحمرَ إلى الغُبْرة فهو الغَوْغاء والواحدة غوغاءة[٨]] ، وذلك[٩] [حينَ] يستقلُّ ويموجُ بعضُه فى بعضِه

= وفى ٥٤ من الأعراف : (تبارك الله رب العالمين) وفى ٩ من فصلت : (ذلك رب العالمين) فما جاء به الجاحظ هو تحميد وتنزيه فحسب .

(١) البرقان ، بالضم . فيما عدا ل : « وتلوت فيه خطوط و اسود فهو » صوابه فى ل . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٣) .

(٢) المسيح ، بتشديد الياء المفتوحة ، وأصل المسيح المخطط . فيما عدا ل : « فإذا صار فيه خطوط صفر وبيض وسود فهو السلح » تحريف صوابه فى ل واللسان (٣ : ٣٢٤) حيث نقل رواية الجاحظ عن الأصمعى . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٣) .

(٣) الـكتفان ، بضم الكاف وفتحها . ط ، س : « فاذا بدأ » بالهمزة ، تحريف . وفى ل : « فهو » بدل : « فذلك » .

(٤) كذا وردت هذه العبارة هنا وفى أصل نهاية الأرب وفى اللسان ، لـكن ضبطت فى اللسان بتشديد التاء . وانظر الشعر التالى . وفى المخصص (٨ : ١٧٢) : « وقيل سمى كتفانا لأنه يكتف المشى ، أي إذا مشى حرك كتفيه » .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٦) الطنب : حبل الخباء والسرادق ونحوها . يشك : يظلع ويغمز فى جريه . والمتمادي : اللجوج . فيما عدا : « أو يشتد للمتباري » .

(٧) هذه الجملة ليست فى ل .

(٨) هذه التكملة من ل ونهاية الأرب واللسان .

(٩) فيما عدا ل : « ولذلك » .

ولا يتوجه جهةً . ولذلك قيل(١) لرعاع الناس غوغاء .

فإذا بدتْ فى لونه الحمرةُ والصفرة ، وبقى بعضُ الحمرة ، واختلف فى ألوانه ، فهو الخيفان ، والواحدة خَيفانة . ومن ثَمَّةَ قيل للفرَس خَيفانة(٢)

فإذا اُصفرّت الذكورةُ واسوّدت الإناثُ ذهبت عنه أسماء [غير(٣)] الجراد . فإذا باض قيل قد غَرَز الجرادُ(٤) ، وقد رزّ(٥) .

فإذا كثُر الجرادُ فى السماء وكثُف فذلك السُّدُّ . ويقال : رأيتُ سُدًّا مِنْ جَرادٍ ، ورأيتُ رِجْلاً من جَرادٍ ، للكثير منه . وقال العجاج :

١٦٠ سَيْرَ الجراد السُّدِّ يرتادُ الخَضِرْ(٦)

(مثل فى الجراد)

و[مما] تقول العرب : « أصْرَدُ منْ جرادة(٧) ! » . وإنما يُصْطاد(٨) الجرادُ بالسَّحَر . إذا وقَع عليه الندى طلبَ مكاناً أرفع من موضعه(٩) ،

---

(١) فيما عدا ل : « يقال » .

(٢) وهى الفرس الخفيفة المتوثبة . ل : « ثم » بدل : « ومن ثمة » وفى المخصص : « ومن ثم قيل للفرس خيفانة » .

(٣) هذه الكلمة ليست فى الأصل . وبدونها لا يستقيم المعنى . وفى نهاية الأرب : « فاذا اصفرت الذكور واسودت الإناث سمى حينئذ جراداً » . وفى المخصص : أبو حنيفة : فإذا طار سقطت عنه هذه الأسماء وسمى جراداً » .

(٤) غرز ، بالتخفيف والتشديد . انظر التنبيه ٦ ص ٥٥٠ .

(٥) يقال أيضاً أرز . ومعناها أثبت ذنبه فى الأرض ليبيض .

(٦) فى ديوان العجاج ١٩ وكذا فى اللسان (٤ : ١٩٢) : « سيل الجراد » قال ابن منظور فى كلمة : « السد » : « إما أن يكون من الجراد فيكون اسماً ، وإما أن يكون جمع سدود ، وهو الذى يسد الأفق ، فيكون صفة » . والبيت فى صفة جيش عمر ابن عبيد الله بن معمر ، ممدوح العجاج . وانظر نظام الغريب ١٨٤ .

(٧) انظر الميدانى (١ : ٣٧٨) .

(٨) ط : « تصاد » هـ : « تصطاد » وأثبت ما فى ل ، س .

(٩) فيما عدا ل : « إذا وقع عليها الندا تطلب مكاناً أرفع من موضعها » تحريف .

فإن كان مع النَّدى بَرَدٌ لبَدَ فى موضعه . ولذلك قال الشاعر :

وكتيبةٍ لبَّسْتُها بكتيبةٍ كالثائر الحيران أشرَفَ للنَّدَى

الثائر : الجراد . أشرف : أتى على شَرَف . للندى : أى من أجْل الندى .

(استطراد لغوى)

ويقال : سخَّتْ الجرادة تسخُّ سَخًّا[1] ، ورزَّت وأرزّت ، وجرادةٌ[2] [رزَّاء] ورازّ ومُرِزّ : إذا غمزت[3] ذنبها فى الأرض . وإذا ألْقَت بيضها قيل سَرأت تَسْرأ سَرْءًا[4] .

ويقال : قد بَشَرَ الجرادُ الأرضَ فهو يبشرها بشراً : إذا حَلقَها[5] فأكل ما عليها . [ويقال : جَرَدَ الجرادُ : إذا وقع على شىء فجردَه] . وأنشدني ابن الأعرابى[6] :

كما جَرَد الجارودُ بكرَ بنَ وائلِ[7]

ولهذا البيت سُمِّى الجارود[8] .

---

(١) فيما عدا ل : « ويقال سبحت تسبح تسبيحاً » تحريف صوابه فى ل واللسان والقاموس .
(٢) فيما عدا ل : « وجراد » .
(٣) ل : « غمرت » بالراء .
(٤) ل : « ويقال سرأت تسرأ سرءاً : إذا ألقت بيضها » .
(٥) حلقها ، بالحاء المهملة والقاف . فيما عدا ل : « خلفها » تحويف .
(٦) فيما عدا ل : « وأنشد ابن الأعرابى » .
(٧) صدر البيت كما فى الروض الأنف (٢ : ٣٤٠) .

* ودسناهم بالخيل من كل جانب *

(٨) الجارود ، صحابى جليل ، وفد على الرسول فى وفد عبد القيس ، وكان نصرانياً ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان له موقف حسن فى الردة . والجارود لقب له ، واسمه بشر بن عمرو بن حنش بن المعلى ، العبدى ؛ من عبد القيس : انظر المعارف ١٤٧ =

[وأنشدنى آخر :

يقولُ أميرٌ : ها جرادٌ وضَبَّةٌ فقد جَرِدَت بيتى و بيت عياليا

وهذا من الاشتقاق(١)]

ومنه قيل ثوبٌ جَرْد ، بإسكان الراء ، إذا كان قد انجرد وأخْلَق .

قالت سُعدَى بنت الشَّمَرْدَل(٢) :

سَبَّاء عادية وهادى سُربةٍ ومُقاتلٌ بطلٌ وليثٌ مِسْلعُ(٣)

أجَعلتَ أسعدَ للرِّماح دريئة هبِلتْكَ أُمُّكَ أىَّ جَرْدٍ ترقَعُ(٤)

(تطيُّر النابغة)

ويدخلُ فى هذا الباب ما حدَّثنا(٥) به الأصمعىّ ، قال : تجهز النابغةُ

= والسيرة ٩٤٤ — ٩٤٥ جوتنجن ، والاشتقاق ١٩٧ . ولقب الجارود لأنه فر بإبله إلى أخواله بنى شيبان ، من بكر بن وائل ، وبإبله داءٌ ، ففشا ذلك الداء فى إبل أخواله ، فأهلكها . انظر المعارف ، والاشتقاق ، والميدانى (١ : ١٧٣) واللسان (٤ : ٨٧) ورواية عجز البيت فيه محرفة .

(١) يريد : اشتق جردت من الجراد . وهذا الاشتقاق الذي عنى الجاحظ ، باب عظيم من أبواب الطيرة والتفاؤل عند العرب ، وهو أصل من أصول هذا الفن لديهم . انظر (٣ ٣٤٧ س ٥/ ٤٤٠ س ٦ / ٤٤١ س ٢ ، ٧ / ٤٤٤ س ٣ / ٤٤٦ س ٢) .

(٢) ل فقط : « السموءل » تحريف . والبيتان من قصيدة لها فى الأصمعيات ص ٤١ ليبسك وحماسة ابن الشجرى ٨١ — ٨٢ ، ترثى بها أخاها أسعد بن مجدعة ، قتلته بنو بهز بن سليم بن منصور .

(٣) سباء : مبالغة من السبى ، وهو الأسر . والعادية : أول من يحمل من الرجالة دون الفرسان . والسربة ، بالضم : الجماعة من الخيل . والمسلع ، بالكسر : الذى يشق الفلاة . فيما عدا ل : « شماء عالية وهاد مشرف » و : « يلسع » بدل : « مسلع » تحريف . ويروى : « سباق عادية وهادى سرية » .

(٤) الدريئة : الحلقة يتعلم عليها الطعن . والجرد ، بالفتح الثوب الخلق . تقول لقاتله : ألم تجد غيره تروز به نفسك وتختبرها ؟! وتقول له : لقد طلبت مالا نفع لك فيه ! فيما عدا ل : « أجعلت سعدى » تحريف . وانظر المخصص (٣ : ٣١ / ١٦ ، ٩٤) وأمثال الميداني (١ : ١٤٠) فى : « ثكلتك أمك أى جرد ترقع ! » . وقد فسر البيت صاحب اللسان (٤ : ٨٦) تفسيرا لا خير فيه .

(٥) ل : « خبرنا » وقد سبق هذا الخبر فى (٣ : ٤٤٧) .

الذبيانىُّ مع زَبَّانَ بنِ سيَّارٍ الفزارىّ ؛ للغزو . فلما أراد الرحيلَ نظرَ إلى جرادة قد سقطتْ عليه ، فقال : « جرادٌ تجرُد ، وذات لونَين[(١)] . غيرى مَنْ خرج فى هذا الوجه : » ولم يلتفتْ زَبّانُ إلى طِيرَتِه وزجْره ، ونفذ لوجهه فلما رجع إلى موضعه الذى كان النابغةُ فارقه فيه ، وذكر ما نال من السلامة والغنيمة ، أنشأ يذكر شأن النابغة فقال[(٢)] :

تخَبَّرَ طيرَهُ فيها زيادٌ لتُخبره وما فيها خَبيرُ[(٣)]
أقامَ كأنَّ لُقمانَ بنَ عادٍ أشارَ له بحكمته مُشيرُ
تعَــلَّمْ أنهُ لا طَيْرَ إلا على متَطيِّرٍ وهو الثُّبورُ[(٤)]
بلى ، شىءٌ يوافقُ بعضَ شىء أحايينًا ، وباطله كثيرُ

واسم النابغة زياد بن عمرو ، [وكنيته أبو ثُمامة[(٥)]] . وأنشدنى أبو عبيدة[(٦)] :

وقائلةٍ ، مَنْ أمَّهَا واهتَدَى لهــا ؟ زيادُ بنُ عمرو أمَّها واهتدى لها[(٧)]

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أبشرت الأرض إبشاراً[(٨)] : إذا بُذِرَتْ فخرج منها ١٦١

---

(١) فى الثالث من الحيوان : « ذات ألوان » وبطرح الواو .
(٢) انظر مراجع الشعر التالى فيما سبق فى الجزء الثالث .
(٣) « تخبر » بالباء الموحدة . وفي الأصل : «طيرة » بالتاء . وفى ل : « ليخبره » وفي ﻫ « لتخبرها » .
(٤) الطير ، بالفتح : اسم من التطير . والثبور : الهلاك .
(٥) فى الشعراء ٧٠ ليدن : « ويكنى أبا أمامة ، ويقال أبا ثمامة » .
(٦) فيما عدا ل : « وأنشد أبو عبيدة » .
(٧) كذا روى الجاحظ عن أبي عبيدة . لكن فى الحماسة نسبة هذا البيت إلى يزيد بن عمرو الطائى ، من أبيات أربعة ، برواية :
وقائلة من أمها طال ليله يزيد بن عمرو أمها فاهتدى لها
(٨) بالباء . وفيما عدا ل : « أنشرت الأرض إنشاراً » تحريف .

بذرها . فعند ذلك يقال : ما أحسنَ بَشرَةَ الأرض[١] .

وقال الكميت ـ وكنية الجراد عندهم : أمُّ عوف . وجناحاها : بُرادها ـ ولذا قال :

تنفِّض بُردَىْ أُمِّ عوفٍ ولم تَطِرْ لنا بارق ، بَخْ للوعيدِ وللرّهبِ[٢]

وأنشدنا أبو زيد[٣] :

كأن رِجْليهِ رجْلا مُقْطِفٍ عَجِلٍ إذا تجاوب من بُردَيه ترنيمُ

يقول : كأنَّ رجلَى الجندب ، حين يضربُ بهما الأرض من شدة الحرِّ والرَّمْضاء ، رِجلا رجُل مُقْطِف . والمقطف : الذى تحته دابةٌ قَطُوف[٤] ، فهو يهمزُها[٥] برجليه .

---

(١) بشرة ، على لفظ بشرة الجسم .

(٢) بردا الجراد والجندب : جناحاه . وبارق : قبيلة من الأزد ، وبارق هو سعد بن عدي ابن حارثة بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء . انظر النقائض ٦٥٩ . وفيهم يقول جرير (ديوانه ٣٠١ والأغانى ٧ : ٤٢) :

قد كان حقك أن تقول لبارق يا آل بارق فيم سب جرير

وبخ : كلمة للتعظيم والتعجب من الشيء ، جعلها للتهكم والسخرية . والرهب بالفتح والضم : الخوف . يقول : إن بارقا كهذه الجرادة فهى تنفض جناحيها ولا تطير ، وتتوعد ولا تفعل ! ل : « ننفض » ﻫ « تنقض » صوابهما فى ط ، س والمخصص (٨ : ١٧٤) واللسان (٤ : ٥٤) والغريب المصنف ١٣٩ . فيما عدا ل : « أم عمرو » صوابه في ل والمراجع . وفى اللسان والمخصص : « ولم يطر » محرف . ط ، س « انا ناروبح » ﻫ : « لنا نارولح » ل : « لنا باذق بخ » صوابهما ما أثبت . ط س : « المذهب » ﻫ : « وللذهب » صوابهما فى ل والمراجع .

(٣) فيما عدا ل : « وأنشدنى أبو زيد » . والبيت لذى الرمة ، كما فى اللسان (١ : ٢٥٠/ ٤ : ٥٤ – ١١ : ١٩٤) والديوان ٥٧٨ ، يصف به الجندب في الرمضاء ، ويشبهه بالمقطف ، وهو صاحب الجمل القطوف فى السير ، فهو ينحزه لا يفتر عنه . وانظر جنى الجنتين ص ٣٣ .

(٤) القطوف : المتقارب الخطو البطيء .

(٥) الهمز : الغمز والضرب والدفع . ل : « يضربها » .

(شعر فى الجندب والجراد)

وقال أبو زيدٍ الطائىّ ، ووصفَ الحرَّ(١) [وشدته ، وعملَ الجندب بكُراعيه] :

أىُّ ساعٍ سعَى ليقطع شَرْبى حينَ لاحَتْ للصابح الجوزاءُ(٢)
واستكَنّ العُصفُورُ كَرْهاً مع الضَّـبِّ وأوفَى فى عودِهِ الحِرباءُ(٣)
ونَفى الجندَبُ الحصَى بكُراعَيـهِ وأذْكَتْ نِيرانَها المعزاءُ

وأنشدنا أبو زيد ، لعوف بن ذِرْوَة(٤) ، فى صفة الجراد :

قد خفت أن يحدَرنا للمصرينْ(٥) ويترِكَ الدين علينا والدَّينْ(٦)
زَحْفٌ من الخَيْفانِ بعد الزّحْفَينْ(٧) مِنْ كلِّ سَفْعاء القفَا والخدَّينْ(٨)

---

(١) فيما عدا ل : « يصف الحر » .

(٢) سبق هذا البيت مشروحاً فى ٢٣١ مع البيتين بعده ، وبعدها رابع . ﻫ : « للصائح » محرف .

(٣) مضي شرح هذا البيت فى ٢٣٢ . ط : « فى عود » تحريف .

(٤) الرجز فى نوادر أبي زيد ٤٨ ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٤) .

(٥) يقال حدرتهم السنة : جاءت بهم إلى الحضر . ومنه قول الحطيئة :

جاءت به من بلاد الطور تحدره حصاء لم تترك دون العصا شذبا

والمصران : البصرة والكوفة . فهو يخشى أن تحدره الأزمة إليهما . ل : « تحدر للمصرين » . فيما عدا ل : « يحدث لى بالمصرين » صوابهما فى النوادر واللسان (١١ : ٢٨) .

(٦) الدين والدين ، أراد بهما الديون الكثيرة . فيما عدا ل : « تترك » تحريف . وفاعله كلمة : « زحف » فى البيت التالى . فيما عدا ل : « وتترك الدين على » تحريف .

(٧) الخيفان ، بالفتح : جمع خيفانة . وانظر ص ٥٥٢ . والزحف الجماعة . وفى المخصص (٨ : ١٧٤) : « أبو حنيفة : إذا كانت قطعة من جراد قدر ميل سميت الرجل . وإذا كان أكثر من ذلك فهو زحف » . قال ابن منظور : « أراد بعد زحفين ، لكنه كره الزحاف فأدخل الألف واللام لإكمال الجزء » . فيما عدا ل : « من الخيفين » صوابه فى ل والنوادر واللسان .

(٨) السفعاء : السوداء . ﺳﻤ : « سعفاء » محرفة .

مَلعونةٍ تسلَخْ لوناً عن لونْ(١) كأنها مُلتفَةٌ فى بُردَينْ(٢)

تُنْحِى على الشِّمراخِ مثل الفأسَينْ(٣)

أو مثلَ مِئشار غليظِ الحرْفَينْ(٤)

أنصَبَهُ مُنصِبهُ فى قِحْفَينْ(٥)

وعلى معنى قوله :

تُنحى عَلَى الشِّمراخ مثلَ الفأسينْ أو مثلَ مِئشار غليظِ الحرفينْ

قال حمادٌ لأبى عطاء(٦) :

فما صفراء تُكنَى أمّ عوفٍ كأنرُجَيْلَتَيْهامِنْجَلانِ(٧)

(تشبيه الفرس بالجرادة)

ويُوصفُ الفرسُ فيشبه بالجرادة ، ولذا قال الشاعر(٨) :

---

(١) فيما عدا ل « لونين » وقد سبقت هذه الرواية فى (٤ : ٢٢٦) وأثبت ما فى ل والنوادر .

(٢) ط ، سه : «متلفة» صوابهما فى ل ، هـ والنوادر .

(٣) يقال أنحى على حلقه السكين : عرضها . الشمراخ : العثكال الذى عليه البسر ، وقد يكون فى العنب ، ولعله عنى به السنابل .

(٤) المئشار ، بالهمز : المنشار . فيما عدا ل : « منشار » . « غليظ » كذا جاءت روايته فى الأصل ومحاضرات الراغب . والرواية فى النوادر : « حديد » بمعنى حاد .

(٥) أنصبه : جعله فى نصاب . والنصاب ، بالكسر : المقبض : فيما عدا ل : « منصبة » تحريف . والقحف ، بالكسر : الفلقة من القصعة إذا انثلمت .

(٦) حماد هذا ، هو حماد الراوية . وأبو عطاء ، لقب لشاعر من مخضرمى الدولتين ، واسمه أفلح بن يسار . وكان أبو يسار سندياً أعجمياً لا يفصح ، وكان فى لسان أبى عطاء لكنة شديدة ولثغة . ومات فى آخر أيام المنصور . انظر الأغانى (١٦ : ٧٨ — ٨٤) . وانظر الخبر الخزانة (٤ : ١٧٠ برلاق) والشعراء ١٧٩ والشريشى (٢ : ١٣٢) . فيما عدا ل : « لأبى العطاء » تحريف .

(٧) عند الشريشى : « كأن سويقتيها » . وقد أجاب أبو عطاء حماداً بقوله :

أردت زرادة وأزن زنا بأنك ما أردت سوى لسانى

أى أردت جرادة وأظن ظناً أنك لن تقصد إلا أن تستخرج رطانتى .

(٨) ل : « ويشبه بالجرادة ولذلك قال الشاعر » .

فإذا أتيتَ أباكَ فاشترِ مِثلها ... إنّ الرِّداف عن الأحبَّة يشْغَلُ[١]

فإِذا رفعْتَ عِنانَها فجرادةٌ ... وإذا وضعْتَ عِنانَها لاتفشلُ

ولم يرض بشرُ بن أبي خازمٍ بأن يشبهه[٢] بالجرادة حتى جعله ذكراً، ١٦٢
حيثُ يقول :

بكلِّ قِيادِ مُسْنِفَةٍ عَنُودٍ ... أضَرَّ بها المسالح والعِوارُ[٣]

مُهارِشَةِ العِنَانِ كأنّ فيها ... جَرادَةَ هَبْوَةٍ فيها اصفرارُ[٤]

فوصفها[٥] بالصُّفرة ؛ لأن الصفرة هي للذكورة[٦] ، [وهي] أخفُّ أبداناً ، وتــكونُ لخفة الأبدانِ أشدّ طيراناً .

(تشبيه مسامير الدرع بحدق الجراد)

ويوصف قَتيرُ الدِّرع ومساميرُها [فيشَبَّه[٧]] بحَدَق الجراد[٨] . وقال قيس بن الخطيم :

---

(١) فيما عدا ل : « فإذا أبيت الردف فاستَرسلَنّها » وهذا البيت مؤخر عن التالى فيما عدا ل.
(٢) فيما عدا ل : « شبهه » .
(٣) المسنفة ، بكسر النون . المتقدمة ؛ وبفتحها : التى شد عليها السناف ، وهو لبب يشد من وراء السرج إلى صدر الفرس لئلا يتأخر السرج . والعنود : التى تعاند الطريق من مرحها ونشاطها . المسالح : المراقب والثغور . والعوار ، بكسر العين المهملة : مصد عاور . والمعاورة : المداولة ، أراد معاورة الطعن والضرب . فيما عدا ل : « فكل » و : «مسبقه» وفي ط ، س : «عتود » و هـ : « عمود »صواب ذلك من ل والمفضليات (٩٨ : ٤٣ طبع المعارف) . ل فقط : « المسايح » . وفيما عدا ل : « العرار » صوابه فى ل . وروايةا لمفضليات : « الغوار »وهو مصدر غاور كالمغاورة .
(٤) المهارشة : المقاتلة . أى تجاذب العنان من شدة المرح . والهبوة : الغبار . وخص جرادة الهبوة لأنها أشد طيراناً .
(٥) أى وصف فرسه . والفرس يذكر ويؤنث .
(٦) فيما عدا ل : « لأن الصفر الذكورة » .
(٧) ليست فى الأصل ، وبها يلتئم الكلام . وانظر س ١٠ من الصفحة السابقة .
(٨) القتير : رءوس مسامير للدرع . وحدقة العين : سوادها الأعظم .

ولما رأيت الحرب حرباً تجرَّدَتْ لبست مع البردَيْنِ ثوبَ المحاربِ (١)
مضاعفةً يغشى الأناملَ فضلُها كأنَّ قتيريْهَا عُيونُ الجنادبِ (٢)

وقال المقنَّع الكِنْدِيّ (٣) :

ولى نَثرةٌ ما أبصَرَتْ عينُ ناظر كصُنعٍ لها صُنْعاً ولا سَرْدِها سَرْدَا (٤)
تلاحَمَ منها سَردُها فكأنما عيونُ الدَّبا فى الأرضِ تجردُها جَرْدا (٥)

وقال عمرُو بن معد يكرِبَ (٦) :

تمنانى ليلقانى أُبَىٌّ ودِدْتُ وأين مامِنِّى ودادِى (٧)
تمنانى وسابغَتِى دِلاصٌ خَروس الحِسِّ مُحكمةُ السِّرادِ (٨)
مَضاعفةٌ تخيَّرها سُلَيمٌ كأنَّ سِكاكَها حَدَقُ الجرادِ (٩)

---

(١) تجردت ، يقال تجرد للأمر : جد فيه ومضى . ط : «تحدرت» سـ ، هـ : « تحددت» صوابهما فى ل وديوان قيس ١٢ ليبسك وحماسة البحترى ٤٠ . ط فقط : «من البردين» تحريف .

(٢) مضاعفة : درع تنسج حلقتين حلقتين . فضلها : زيادتها . ط : « قتيرها » هـ : « قترها » صوابهما فى ل والديوان .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ١٣٨) .

(٤) النثرة ، بالفتح : الدرع الواسعة . والسرد : نسج الدرع .

(٥) تجردها : تأكل نبتها وتحلقه . ط ، هـ : « تجرها » صوابه فى ل ، سـ .

(٦) كان عمرو قد غزا هو وأبى المرادى ، فأصابا غنائم ، فادعى أبى أنه كان مسانداً ، فأبى عمرو أن يعطيه شيئاً ، وبلغ عمراً أنه توعده ، فقال فى ذلك هذا الشعر . انظر الأغانى (١٤ : ٣٢) .

(٧) ما ، فى : « أين ما » زائدة . أراد : أين منى ما أوده من لقائه ؟! ورسمت الكلمة متصلة فى الأغانى وفيما عدا ل .

(٨) السابغة : الدرع الفضفاضة . وعجز هذا البيت وصدر تاليه ليسا فى ل والأغانى ، وفيهما صدر هذا البيت مع عجز البيت التالى . سـ : « خروش الجس » هـ : « خروس الجس » وأثبت ما فى ط .

(٩) سليم : أراد به سليمان بن داود . فاضطره الشعر . وقد أخطأ أيضاً فى نسبة الدرع إلى سليمان ، وإنما أراد داود أبا سليمان . انظر المعرب ١٩١ والعمدة (باب الإحالة والتغيير) . والسكاك ، بالكسر : جمع سك ، بالفتح ، وهو المسمار . قال دريد :

(تشبيه وسط الفرس بوسط الجرادة)

[ويوصفُ وسط الفرَس بوَسط الجرادة . قال رجلٌ من عبد القيس (١) يصف فرَساً :

أما إذا ما استدْبرت فنعامة تنفى سنابكُها رضيضَ الجنْدَلِ (٢)]

(تشبيه الحباب بحدق الجراد)

ويوصفُ حَباب الشراب بحدق الجراد . قال المتلمِّس :

كأنى شاربٌ يومَ استبَدُّوا وحثَّ بهم وراء البِيدِ حادِى (٣)
عُقاراً عُتِّقَتْ فى الدَّنِّ حتى كأنَّ حَبابَها حَدَقُ الجرادِ (٤)

(لُعاب الجندب)

وإذا صفَا الشَّرابُ وراقَ شبَّهوه بلُعاب الجندب. ولذا قال [الشاعر (٥)] :

= بيضاء لا ترتدى إلا إلى فزع من نسج داود فيها السك مقتور
فيما عدا ل وكذا فى الأغانى : « قتيرها » . وفى ل : « شكاكها » بالشين ، صواب هـذه ما أثبت .

(١) هو ابن سنان العبدى ، كما سبق فى (١ : ٢٧٥) .

(٢) صدره فى الأصل ، وهو هنا ل : «إذا استدبرت فنعامة » . وقد أتممته بكلمتى : « أما » و « ما » . وروايته فى الجزء الأول :

أما إذا تشتد فهى نعامة تنفى سنابكها صلاب الجندل

(٣) استبد فلان بأمره وبرأيه : انفرد به . وقال ابن الشجرى فى الحماسة ٢٤٩ : « استبدوا : مضوا برأيهم . وراء البيد : حال دونهم البيد » . ط : « وحثهم » صوابه فى سائر النسخ وحماسة ابن الشجرى والخزانة (٣ : ٧١ بولاق) .

(٤) العقار ، بالضم : التى عاقرت الدن ، أطالت المكث فيه . والحباب ، بالفتح : النفاخات والفقاقيع التى تطفو كأنها القوارير .

(٥) هذه من ل ، س .

صفراء من حَلَبِ الكُرومِ كأنَّها ماءُ المفاصِلِ أو لُعابُ الجُنْدُبِ [(١)]

ولُعاب الجندب سمٌّ عَلَى الأشجار ، لايقع على شيء إلا أحرقه .

(زعم فى الدَّبا)

ولا يزالُ بعضُ من يدَّعى العِلمَ يزعمُ أن الدَّبا يُريد الخُضْرة ، ودونها النهر الجارى [(٢)] ، فيصيرُ بعضه جسراً لبعضٍ ، حتى يعبُرَ إلى الخُضْرة ، وأن تلك حيلةٌ منها .

وليس [ذلك] كما قال : ولكنّ الزَّحف [(٣)] الأول من الدبا يريد الخضرة ، فلا يستطيعها إلا بالعبور إليها ، فإذا صارت تلك القطعة فوق الماء طافيةً صارت تلك [(٤)] لعمرى أرضاً للزحف الثانى الذى يريد الخضرة .

١٦٣ فإن [(٥)] سمَّوا ذلك جسراً استقام . فأما أن يكون الزحفُ الأولُ مهِّد للثانى [ومكَّنَ [(٦)]] له ، وآثَرَه بالكفاية ــ فهذا ما لا يُعرفُ .

ولو أن الزحْفين جميعاً أشرفا على النهر ، وأمسكَ أحدُهما عن تكلُّف العبور إلى أن يمهِّد له الآخر ــ كان ذلك قولا .

(استطراد لغوى)

ويقال فى الجراد : خِرقة من جراد ، والجميع خِرَق [(٧)] . وقال الشاعر :

---

(١) المفاصل : ماء بين السهل والجبل . انظر (٢ : ٣٥٠ — ٣٥١) وثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) ل : « بريد الخضرة » تحريف . وفى ل أيضاً : « ودونه الماء الجارى » .

(٣) الزحف ، بالفتح : الجماعة تزحف .

(٤) هذه الكلمة ليست فى ل .

(٥) ط فقط : « فإذا » .

(٦) هذه من ل ، س ، هـ .

(٧) الخرقة : بكسر الخاء المعجمة ، وجمعها خرق بكسر ففتح . ل : « حزقة » =

كأنها خِرَقُ الحرَا دِيثورُ يومَ غُبارِ [1]

ويقال للقطعة الكثيرة منها رِجْل جراد ، ورجلةٌ من جراد . والثَّوْل [2] : القطعة من النحل .

وتوصف كثرة النَّبْلِ [3] ، ومرورها ، وسرعةُ ذلك بالجراد . [وقال أبو النجم [4] :

كأنما المَعْزاء من نِضالها [5] رِجلُ جرادٍ طار عن حِدَالها [6]

= و « حزق » بالحاء المهملة والزاى ، وهى صحيحة بمعنى الأولى . سه ، ﻫ : « حرفة » و « حرق » تصحيف . وفيما عدا ل : « الجمع » موضع : « الجميع » وهما بمعنى . وينشدون فى الخرقة قول الراجز (اللسان خرق والمخصص ٨ : ١٧٤ وابن دريد ٢ : ٢١٣) :

قد نزلت بساحة ابن واصل خرقة رجل من جراد نازل

(١) هذا بيت من مجزوء الكامل ، وقد أنشده أيضاً صاحب نظام الغريب ١٨٤ . ط فقط « وكأنها » بزيادة واو ، وبذلك تسلم التفعيلة الأولى من الوقص . وأثبت ما فى سائر النسخ ونظام الغريب .

(٢) الثول ، بفتح الثاء ، وآخره لام . وفى اللسان : « الثول جماعة النحل ، يقال لها الثول والدبر . ولا واحد لشىء من هذا من لفظه » . فيما عدا ل : « الثور » بالراء ، تحريف .

(٣) النبل ، بالفتح : السهام . ط ، ﻫ : « السهام » لكن فى سه : « الجراد » محرف .

(٤) يصف الحمر فى عدوها وتطاير الحصى عن حوافرها . انظر اللسان (١٣ : ٢٨٩ س ١٧) .

(٥) المعزاء والأمعز : الأرض الحزنة الغليظة ذات الحجارة .

(٦) الحدال ، بكسر الحاء المهملة : مصدر حادلت الأتن العير أى راوغته . قال ذو الرمة :

من الغض بالأفخاذ أو حجباتها إذا رابه استعصاؤها وحدالها

فى الأصل ، وهو هنا ل : « خدالها » بالخاء المعجمة والدال . وفى اللسان والفائق (١ : ٣٣٣) : « خذالها » بالخاء والذال المعجمتين ، صوابهما ما أثبت . والرجل من الجراد تذكر وتؤنث . قال الزمخشرى فى الفائق : « وقد جمعهما أبو النجم فى قوله وأنشد البيت .

وإذا جاء منه ما يسدُّ الأفق قالوا : رأينا سُدًّا من جراد] . وقال المفضل النُّكرى[1] :

كأنّ النَّبل بينهمُ جرادٌ ... تُهيِّجه شآمِيَةٌ خَرِيقُ[2]

والمرتجل : الذى [قد] أصابَ رِجْل جرادٍ ، فهو يشويه .

وقال بعضُ الرُّجَّاز ، وهو يصفُ خيلاً قد أقبلت إلى الحىّ[3] :

حتى رأينا كدُخانِ المرتجِلْ ... أو شبَهَ الحفَّانِ ، فى سفحِ الجبَلْ[4]

و[لأن] الحفانَ[5] أتمُّها أبداناً ، قال ابنُ الزِّبعرَى[6] :

ليتَ أشياخى ببدرٍ شهدوا ... جزَعَ الخزرجِ من وَقْعِ الأَسَلْ

حينَ ألقَتْ بِقُباءٍ بَرْكَها ... واستحَرَّ القتْلُ فى عبدِ الأشَلّ[7]

---

(١) هو المفضل بن عامر النكرى ، بضم النون ، نسبة إلى نكرة بن لكيز بن أقصى بن عبد القيس . فهو نكرى عبدى ، وهو صاحب القصيدة المنصفة . وهى فى الأصمعيات ص ٥٣ . ومنها البيت التى أنشده الجاحظ . انظر المعارف ٤٢ س ٢ والعينى (٢ : ٢٣٥) . وفى الأصل : « البكرى » بالباء ، تحريف .

(٢) شآمية : ريح من قبل الشأم . والخريق : الباردة الشديدة الهبوب . س : « يهيجه » ط : « خريق » صوابه فى سائر النسخ والأصمعيات والعينى .

(٣) فيما عدا ل : « مقبلة إلى الحى » .

(٤) مما جاء فى دخان المرتجل أيضاً قول لبيد فى معلقته :

فتنازعا سبطاً يطير ظلاله ... كدخان مرتجل يشب ضرامها

(٥) الحفان ، بفتح الحاء وتشديد الفاء : أولاد النعام ، الواحدة حفانة . وهذا البيت الأخير ليس في ل .

(٦) أى أتم أولاد النعام أبداناً . وفيما عدا ل : « وقال ابن الزبعرى » . وهو عبد الله بن الزبعرى بن قيس بن عدى بن سعيد بن سهم القرشى . والزبعرى أبوه ، وهو بكسر الزاى وفتح الباء ، مقصور ، وهو فى اللغة السيئ الخلق والغليظ . كان من أشعر قريش وكان شديداً على المسلمين ثم أسلم فى الفتح سنة ثمان ، واعتذر عن إيذاء المسلمين والرسول . الإصابة ٤٦٧٠ والمؤتلف ١٣٢ . والشعر التالى قاله فى يوم أحد قبل أن يسلم ، من قصيدة فى السيرة ٦١٦ جوتنجن .

(٧) قباء ، بضم القاف : قرية على ميلين من المدينة على يسار القاصد إلى مكة . والبرك ، بالفتح : الإبل الكثيرة . استحر : اشتد . فيما عدا ل : « بفناء » . تحريف . وفى السيرة : « حين حكت » .

ساعــةً ثمَّ استخفوا رَقَصًا رَقَصَ الحفانِ فى سَفحِ الجَبَلْ(١)
وقتلنا الضِّعف مِنْ ساداتِهِمْ وعدلْنا مَيلَ بدْرٍ فاعتدَلْ(٢)

(طيب الجراد الأعرابى)

والجرادُ الأعرابىُّ لايتقدمه فى الطِّيب شىء . وما أُحصِى كم سمِعتُ من الأعراب مَنْ يقول : ماشبِعتُ منه قطُّ ! وما أدعهُ إلا خوفاً من عاقبته أو لأنى أعيا فأتركه !

(أكل الجراد)

واجرادُ يطيب حارًّا وبارداً ، ومشويًّا ومطبوخاً ، ومنظوماً فى خيط ، ومجعولا فى المَلَّة(٣) .

والبيض الذى يتقدَّمُ فى الطيب ثلاثةُ أجناس : بيض الأسبْور(٤) و بيض الدَّجاج(٥) ، [و بيضُ الجراد . و بيضُ الجراد فوقَ بيض الأسبور

(١) الرقص ، بالتحريك : ضرب من الخبب .
(٢) الضعف ، أى ضعف ما قتلوا منا فى يوم بدر . والميل : الفضل والزيادة . يقول : اعتدل ميل بدر ؛ إذ قتلنا مثلهم يوم أحد . انظر أمالى القالى (١ : ١٤٢) . فيما عدا ل : « وقتلنا الصعب » وأثبت ما فى ل والسيرة .
(٣) الملة ، بالفتح : الرماد الحار ، والجمر . ط فقط : « فى أكلة » تحريف .
(٤) الأسبور : سمك بحرى سبق الحديث عنه فى (٣ : ٢٥٩) . فيما عدا ل : «الأشبور» تصحيف . ولعله معرب عن اللاتينية : Sparidae . وفى ط فقط : « وبيض » باقحام الواو .
(٥) ط ، هـ : « فوق بيض الدجاج » محرف . والتكملة التالية مأخوذة من الجمع بين ما فى ل ، س .

فى الطيب[1] . و بيضُ الأسبور فوق بيض الدَّجاج[2]] .

وجاء فى الأثر ، أن الجراد ذُكِرَ عندَ عمر فقال : « ليت لنا منه قَفْعَةً أو قفعتين[3] » .

وهو يؤكل يابساً وغير يابس ، و يجعل أُدْما ونَقْلا[4] .

والجرادُ المأكولُ ضروبٌ ؛ فمنه الأهوازىّ ، ومنه المذنّب[5] ، وأطيبُه الأعرابىّ وأهل خُراسانَ لا يأكلونه[6] .

(قصة فى الولوع بأكل الجراد)

وحدّثنى رَتْبيل بن عمرو بن رَتْبيل[7] قال : والله إنى لجالسٌ[8] على
١٦٤ باب دارى فى بنى صبير ؛ إذ أقبلت امرأةٌ لم أر قط أتمَّ حسناً ومِلْحًا[9]

---

(١) الكلام من : « وبيض الجراد » الأخيرة . إلى هنا من س فقط .

(٢) هذه العبارة مشتركة بين ل ، س . لكن فى س : «الأشبور» فى هذا الموضع وسابقه .

(٣) القفعة ، بفتح القاف بعدها فاء ساكنة : شىء كالقفة واسع الأسفل ضيق الأعلى . ل : « فقعة أو فقعتان » وفيما عدا ل : « فقعة أو فقعتين » صوابهما ما أثبت من اللسان (١٠ : ١٦٣) والفائق (٢ : ١٧٩) .

(٤) الأدم ، بالضم : ما يؤكل بالخبز . والنقل ، بالفتح : ما يعبث به الشارب على شرابه ويتنقل به ، ويقال أيضاً بالضم ، وقيل الضم عامية . وفى جمهرة ابن دريد (٣ : ١٦٤) : « النقل : الذى يتنقل به على الشراب ، مفتوح النون » .

(٥) فيما عدا ل : منه الأهوازى» ط ، س : «وهو المذنب» . والعبارة الأخيرة ساقطة من هـ .

(٦) سبق مثل هذا الكلام فى (٤ : ٤٤ س ١٠) .

(٧) كذا وردت هذه الكلمة فى ل مضبوطة فى هذا الموضع والذى قبله . وفى القاموس : « رتبيل » بضم الراء . وفيما عدا ل : « زبيل » فى الموضعين . وفى س ، هـ : فقط « بن عمرو بن عمرو » بالتكرار .

(٨) فيما عدا ل : «جالس » .

(٩) الملح ، بالكسر : الملاحة والطيب .

وجسما منها ، ورأيت فى مشيها تأوُّداً ، ورأيتها تتلفت . فلم ألبَثْ أن طلعتْ أخرى لا[١] أدرى أيتهما أقدم ، إذ قالت التى رأيتها بديًّا[٢] للأُخرى : مالك لاتلحقينى[٣] ؟ قالت : أنا منذ أيام [كثيرة] أُكثرُ أكلَ هذا الجراد[٤] ، فقد أضعفَنى ! فقالت : و إنك لتحبِّينَه حُبًّا تحتملين له مثلَ ما أرى بكِ من الضَّعف[٥] ؟ قالت : والله إنه لأحبُّ إلىَّ من الحبل ! .

(طرفة فى الجراد)

وقال الأصمعى : قال رجلٌ من أهل المدينة لامرأته : لاجزاكِ الله خيراً ، فإنك غيرُ مُرْعِيَةٍ ولا مبقية[٦] ! قالت : لأنا والله أرْعَى وأبقى من التى كانت قبلى[٧] ! قال : فأنت طالقٌ إن لم أكنْ كنتُ آتيها بجرادةٍ فتطبخُ منها أربعة ألوان ، وتَشْوى جنبَيها[٨] ! فرفعَتْهُ إلى القاضى[٩] فجعل القاضى يفكر و يطلبُ له المخرَج . فقال للقاضى : أصلحك الله أأشكلتْ[١٠] عليك [المسألة] ؟ هى طالقٌ عشرين[١١] !

(١) ط ، سه : « فلا » .
(٢) بديا : بدءاً . فيما عدا ل : « بدءا » . وانظر هذا الجزء ص ١٦ .
(٣) « لا تلحقينى » . بنون واحدة قبل الياء . وهو أحد مذاهب ثلاثة فى نحو : (تأمرونى) والمذهب الثانى إثبات النونين مع الفك ، والثالث إدغام النونين . وقد قرئ بهن فى السبع ، انظر المغنى (حرف النون) و إتحاف فضلاء البشر ٣٧٦ . فيما عدا ل : « تلحقين » .
(٤) ل : « أكل الجراد » بحذف : « هذا » .
(٥) ل : « مثل الذى بك » وكلمة : « من الضعف » ليست فى ل .
(٦) الإبقاء : الرحمة والشفقة ، ومثله الإرعاء .
(٧) فيما عدا ل : « والله إنى لأرعى وأبقى من التى كانت قبلى » .
(٨) فيما عدا ل : « جنبها » بالإفراد .
(٩) رفعته : قربته وقدمته إليه ليحاكمه . فيما عدا ل : « فرفعت » .
(١٠) ل : « أشكلت » بحذف حرف الاستفهام .
(١١) فيما عدا ل : « فهى طالق عشرين » .

(تشبيه الجيش بالدبا)

ووصف الراجزُ حرباً ، فوصفَ دنوَّ الرَّجَّالة من الرَّجَّالة[1] ، فقال :

* أو كالدَّبا دبَّ ضُحًا إلى الدَّبَا[2] *

(قول أبي إسحاق في آية الضفادع)

وقرأ بعضُ أصحابنا بحضرة أبي إسحاق[3] : ﴿وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ . فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ[4]﴾ فقال رجلٌ لأبي إسحاق : انظر كيف قرَنَ الضفادعَ مع ضعفها إلى الطوفان، مع قوة الطوفان وغلبته . قال أبو إسحاق : الضفادعُ أعجبُ في هذا الموضعِ من الطوفان ، وإذا[6] أراد الله تعالى أن يصيِّرَ الضفادعَ أضرّ من الطوفان فعل .

(شعر في تشبيه بالجراد)

وقال أبو الهِنْدِيّ[7] :

---

(١) الرجالة ، بفتح الراء وتشديد الجيم : جمع رجل ، للذى ليس له ظهر يركبه .

(٢) ط ، ھ : « أتوا كالدبا » صوابه فى ل ، س . وفى س : « رب ضحى إلي الربا » محرف .

(٣) هو إبراهيم بن سيار النظام ، شيخ الجاحظ . ھ : « بحضر » تحريف .

(٤) الآيتان ١٣٢ ، ١٣٣ من سورة الأعراف .

(٥) ل : « فى هذه المواضع » .

(٦) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٧) اسمه غالب بن عبد القدوس بن شبث بن ربعى . وقد أدرك الدولتين ، وكان =

لما سمِعتُ الدِّيكَ صاحَ بسُحْرَة   وتوسّطَ النَّسْران بَطْنَ العقرب

وتتابعَتْ عُصَبُ النُّجوم كأنها   عُفْرُ الظِّباء على فُروعِ المَرْقَبِ (١)

وبَدا سُهَيلٌ فى السماء كأنه   ثَورٌ وعارضَه هِجَانُ الرَّبْرَبِ (٢)

نَبَّهْتُ نَدْمَانى فقلتُ له اصطَبِح

يا ابنَ الكرامِ من الشَّراب الأصْهَبِ (٣)

صفراء تنْزُو فى الإناء كأنها   عَيْنُ الجرادةِ أو لُعابُ الجُنْدُبِ

نَزْوَ الدَّبا مِنْ حَرِّ كلِّ ظهيرة   وقَّادَةٍ ، حِرْباؤُها يتقلَّبُ (٤)

وقال أبو الهندىّ أيضاً :

فإنّ هذا الوطْبَ لى ضائرٌ   فى ظاهر الأمر وفي الغامض (٥)

إن كنت تسقينى فمِنْ قهوة   صفراءَ مثلِ المُهْرَةِ الناهضِ (٦)

[تنْزُو الفقاقيعُ إذا شُعْشِعَتْ   نَزْوَ جرَادِ البلدِ الرَّامِضِ (٧)]

وقال الأفوهُ : ١٦٥

بمناقب بيض ، كأن وُجوههم   زَهرٌ قُبيلَ ترَجُّل الشمسِ (٨)

= جزل الشعر ، لطيف المعانى ، وإنما أخمله وأمات ذكره بعده من بلاد العرب ، ومقامه بسجستان وبخراسان . قالوا : وهو أول من وصف الخمر من شعراء الإسلام فجعل وصفها وكده . انظر الأغانى (٢١ : ١٧٧ — ١٨٠) .

(١) ل : « حزق الوحوش » . والحزق : الجماعات .

(٢) الهجان : البيض . والربرب : القطيع من بقر الوحش . ل : « كأنه ثوب » وفى الأغانى : « نور » صوابهما ما فى سائر النسخ .

(٣) الندمان ، بالفتح ، النديم . فيما عدا ل : « مع الشراب » صوابه فى ل والأغانى .

(٤) فيما عدا ل : « تتقلب » .

(٥) الوطب : سقاء اللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه . يقول : لا تسقنى اللبن . وغامض الأمر : باطنه . فيما عدا ل : « وفى العارض » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « إن كنت ساقينا » . والقهوة : الخمر .

(٧) تنزو : تتوثب . شعشعت : مزجت بالماء . والبلد من الأرض : ما كان مأوى للحيوان وإن لم يكن فيه بناء . والرامض : الشديد الحر .

(٨) المناقب : جمع منقبة ، وهى كريم الفعل . وترجل الشمس : ارتفاعها . قال : =

دَبُّوا كمنتشر الجرادِ هَوَتْ بالبطن ، فى دِرعٍ وفى تُرْسِ (١)
وكأنها آجالُ عادِية حطَّتْ إلى إجْل من الخُنْسِ (٢)

(أقوال فيما يضر من الأشياء)

وروى (٣) الأصمعى ، وأبو الحسن ، عن بعض المشايخ قال : ثلاثة أشياء ربما صرعَتْ أهلَ البيت عن آخرهم : أكلُ الجراد ، ولحوم الإبل ، والفُطْر من الكَمْأة (٤)

وقال غيرُهما : [شربُ الماء فى الليل يورث الخبل ، والنظر إلى المحتضر يورث ضعف القلب ، والاطلاع فى الآبار العادِيّة ينقُض التركيب (٥) ، ويُسوِّل مصارعَ السَّوء] . فأما الفُطْر الذى يُخْلَق (٦) فى ظِلِّ شجر الزيتون

= وهاج به لما ترجلت الضحى عصائب شتى من كلاب ونابل
فيما عدا ل ، « وكأن وجوهها » تحريف . س ، هـ : « ترحل » بالحاء ، صوابه فى ل ، ط .

(١) البطن : بطن الوادى . والدرع والترس من السلاح ، أى فى دروعهم وتروسهم . فيما عدا ل : « رفوا » وفى هـ : « لمنتشر » تحريف . فيما عدا ل . « للبطن » . ط ؛ س ، « فى درع وفى برس » ل : « فى زرع وفى برس » . والبرس : القطن . وأثبت ما فى هـ .

(٢) الآجال : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . والعادية : التى تعدو . والخنس : جمع أخنس وخنساء ، وهو الذى قصرت قصبته وارتدت أرنبته إلى قصبته . والبقر كلها خنس . فيما عدا ل : « إقبال غادية حطت إلى حل من الحبس » تحريف .

(٣) هذه الكلمة ليست فى ل ، س .

(٤) الفطر ، بالضم : جنس من الكمأة أبيض عظام . هـ ، س : « الفطير » تحريف .

(٥) العادية : القديمة ، كالمنسوبة إلى عاد . ينقض ، بالضاد المعجمة : يفسد .

(٦) ط ، هـ : « وأما » . والفطر ، سبق تفسيره . هـ فقط : « الفطير » محرف . فيما عدا ل : « يتخلق » .

[فإنما هو حتفٌ قاض ، وسمٌّ ناقع . وكل شىء يخلق تحت ظِلال الشجر يكون رديئاً ، وأردؤه شجر الزيتون] ، وربما[1] قتل ، وإن كان مما اجتنوه من أوساط الصحارى[2] .

قالوا : ومما يقتلُ الحمَّامُ على المِلْأَة[3] ، والجماع على البِطْنة ، و [الإكثارُ من] القديدِ اليابس[4] .

وقال الآخر : شربُ الماء البارد على[5] [الظمإِ الشديدَ — إذا عجّل الكرْعَ ، وعظّم الجرع ، ولم يقطع النفس — يقتُل] .

قالوا[6] : وثلاثٌ تورثُ الهُزال : شرب الماء عَلَى الرِّيق ، والنوم على غير وِطاء[7] ، وكثرة الكلام برفع الصوت ، [والجماعُ على الامتلاء من الطعام ودخوله . وربما[8] خِيف عليه أن يكون قاتل نفسه] .

[و] قالوا : وأربعةُ أشياء تسرعُ[9] إلى العقل بالإفساد : الإكثار مِنَ البَصل[10] ، والباقلَّى ، والجِماع ، والخُمار[11] .

---

(١) ط فقط : « فربما » .

(٢) أوساط : ، جمع وسط . ط ، ﻫ : « أوسط » .

(٣) الملأة ، بالكسر : الامتلاء . ل : « المليئة » وفيما عدا ل : « الملية » صوابهما ما أثبت .

(٤) القديد : ما قطع من اللحم وشرر ، أى بسط فى الشمس ، واللحم المملوح المجفف فى الشمس .

(٥) فيما عدا ل : « على الريق » . وكلمة : « البارد » ليست فى ل . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٧١) .

(٦) ل فقط : « قال » .

(٧) الوطاء ، بالكسر ، والفتح عن الكسائى : خلاف الغطاء . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٧١) .

(٨) هذه الكلمة ليست فى الأصل ، وهو هنا ل .

(٩) فيما عدا ل ، وكذا فى عيون الأخبار (٣ : ٢٧٢) : « تقصد » .

(١٠) فيما عدا ل : « من أكل البصل » .

(١١) الباقلى بشد اللام مع القصر ويخفف ، مثله الباقلاء بتخفيف اللام مع المد : الفول . انظر (٣ : ٣٥٥) . فيما عدا ل : « الباقلا » تحريف . وكلمة : « الجماع » ساقطة من س . والخمار ، بالضم : صداع الخمر وأذاها .

وأما ما يذكرون فى هذا الباب من الهمِّ والوحدة والفِكرة[١] ، فجميع الناس يعرفون ذلك .

وأما الذى لا يعرفه إلا الخاصة فالكفاية التامة[٢] ، والتعظيم الدائم ، وإهمال الفكر ، والأنَفُ من التعلُّم . هذا قول أبى إسحاق .

[وقال أبو إسحاق] : ثلاثة أشياء تخلِق العقلَ ، وتُفسِد الذِّهن : طولُ النظر فى المرآة ، والاستغراقُ فى الضحك ، ودوام[٣] النظر إلى البحر .

وقال مُعمّر[٤] : قُطعت فى ثلاثة مجالس[٥] ، لم أجِدْ لذلك علةً ؛ إلا أنى أكثرتُ فى [أحد] تلك الأيام من أكل الباذنجان ، وفى اليوم الآخر[٦] من [أكْل] الزيتون ، وفى اليوم الثالث مِنْ الباقلَّى[٧] .

وزعم أنه كلم رجلاً من الملْحدين فى بعض العشايا ، وأنه علاه عُلُوًّا ظاهراً قاهراً ، وأنه بَكَرَ على بقيةِ مافى مسألته من التخريج ، فأجْبَلَ وأصْفَى[٨] ، فقال له خصمه : ما أحدثتَ بعدى ؟ قال : قلتُ : ما أتَّهِمُ إلا إكثارى البارحةَ من الباذنجان ! فقال [لى] — وما خالف إلى التُّهمة — : ما[٩] أشكُّ أنك لم تؤتَ إلا منه !

---

(١) ل : « فأما » و : « الكثرة » بدل : « الفكرة » تحريف .

(٢) ل ، س : « فأما ». ط فقط : « بالكفاية » وهذه محرفة .

(٣) كذا فى ل وعيون الأخبار (٣ : ٢٧٢) . وفيما عدا ل : « وطول » .

(٤) هو معمر بن عباد السلمى ، صاحب فرقة المعمرية من المعتزلة . وقد سبق بعض ترجمته فى (٣ : ٣٥٧ — ٣٥٨) . ومعمر بتشديد الميم ، كما هو فى ل ولسان الميزان (٦ : ٧١) .

(٥) قطعه قطعاً : بكته بالحق فانقطعت حجته .

(٦) فيما عدا ل : « وفى يوم آخر » .

(٧) فيما عدا ل : « وفى يوم آخر من الباقلاء » لكن فى س : « الباقلا » وهذه محرفة .

(٨) أجبل : صعب عليه القول ، كأنه انتهى إلى جبل منه . وأصفى الرجل من المال والأدب أى خلا .

(٩) فيما عدا ل : « وما » ، بإقحام الواو .

وقال لى مَن أثقُ به : ما أخذت قط شيئا من البلاذُر [1] فنازعت أحداً إلا ظَهرتُ عليه [2] .

وقال أبو ناضرة [3] : ما أعرف وجهَ انتفاع الناس بالبلاذُر إلا أن يؤخذ للعصَب . قلت : فأى شىء بقى بعد صلاحِ العصب ، وأنتم بأجمعكم تزعمون أن الحسّ للعصب خاصة ؟

(القول فى القطا) ١٦٦

تقول العرب : « أصْدَق من قطاةٍ [4] » و : « أهْدَى من قطاة [5] » .

وفى القطا [6] أعجوبة ، وذلك أنها لا تضعُ بيضها أبداً إلا أفراداً ، ولا يكونُ بيضُها أزواجاً أبداً . وقال أبو وَجْزَة [7] :

وهنَّ يَنْسُبْنَ وهْناً كلّ صادقةٍ ... باتتْ تباشرُ عُرْمًا غير أزواجِ [8]

والعُرم [التى عَنَى [9]] : بيض القطا ؛ لأنها منقَّطة . وقال الأخطل :

---

(١) البلاذر ، و يقال البلادر : ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب ، وفى داخلها مادة إسفنجية بها شىء شبيه بالدم ، ومن أسمائه تمر الفؤاد . انظر (٣ : ٣٥٩) . فيما عدا ل : « البلادر » بالدال المهملة فى هذا الموضع وتاليه .

(٢) ظهرت عليه : غلبته . فيما عدا ل : « فنازعت فيه » بإقحام : « فيه » .

(٣) فيما عدا ل « أبو ناظرة » . وقد سبق فى (٤ : ٩٣ ، ٩٤) : « أبو ناصرة » بالصاد المهملة .

(٤) ط ، ه : « قطا » . وصدقها أن لها صوتا واحداً لا تغيره ، وصوتها حكاية لاسمها تقول : قطاقطا . انظر أمثال الميدانى (١ : ٣٨٦) وثمار القلوب ٣٨١ .

(٥) أهدى ، من الهداية ، وذلك أنها تهتدى فى المجاهل وتعرف مواضع الماء . انظر ثمار القلوب ٣٨٢ . وتقول العرب أيضاً : « أنسب من قطاة » ؛ لأنها تنتسب حين تصوت باسم نفسها . ثمار القلوب ٣٨٢ . و تقول العرب أيضاً : « أقصر من إبهام القطا » كما فى ثمار القلوب .

(٦) فيما عدا ل : « القطاة » .

(٧) أبو وجزة ، سبقت ترجمته فى (١ : ٩٦) . س ، ه : « أبو وجزة » تصحيف .

(٨) وهنا : نحو نصف الليل . ط : « مازلن » ل : « وهل ينسبن » وما فى ل تحريف . وأثبت ما فى س ، ه . ورواية ط توافق رواية اللسان (١٤ ، ٢٨٩) .

(٩) هذه التكملة من ل ، س . وفى ه : « والعرم التى عن بيض » ، بترك فراغ بين : « التى » و : « عن » .

شَفَى النفس قتلى مِنْ سُلَيمٍ وعامر ... ولم يَشْفِها قتلَى غنيٍّ ولا جَسْرِ[1]
ولا جُشَمٍ شرِّ القبائل إنهم ... كبَيْضِ القطا ليسوا بسود ولا حُمْرِ[2]

وقال مَعْقل بن خُوَيلد[3] :

أبا مَعْقِل لاتوطِئَنْكُمُ بغَاضَتي ... رؤوسَ الأفاعى فى مَرَاصِدِها العُرْمِ

يريد : الأفاعى العُرْمِ فى مراصدها . وهى منقَّطة الظهور . وما أكثَرَ[5] ما تبيض العُقاب ثلاثَ بيضات ، [إلا أنها لاتلحم ثلاثه[6] ، بل تخرج منهنَّ واحدة[7] . وربما باضت الحمامةُ ثلاثَ بيضات] ، إلا أن واحدة تفسد لامحالة . وقال الآخرُ[8] فى صفة البيض[9] :

وبيضاء لاتَنْحَاشُ مِنَّا وأُمُّها ... إذا ما رأتْنا زالَ منها زَوِيلها[10]

---

(١) ط : « فى قتلى » وفى سائر النسخ : « من قتلى » صوابهما فى الديوان ١٣٢ والكامل ٤٧٥ . وغنى ، هم غنى بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان . وجسر ، بالفتح ، هم من بنى منبه بن أعصر بن سعد . انظر المعارف ٣٦ .

(٢) هم جشم بن معاوية بن بكر . ورواية الديون والكامل : « إنها » .

(٣) تقدمت ترجمته فى (٤ : ٢١٣) . ط ، هـ : « مقبل » . س : « معبد » صوابهما فى ل .

(٤) انظر لشرح البيت (٤ : ٢١٣) . هـ : « لا يوطئنكم تقاصى » س : « لاحينكم بعاصى » محرفان .

(٥) ط ، هـ : « وإن أكثر » .

(٦) ألحمه : أطعمه اللحم . ثلاثة ، أي من فراخها .

(٧) كذا فى الأصل بالتأنيث ، وهو هنا ل . أراد واحدة من البيض .

(٨) هو ذو الرمة ، كما فى اللسان (٨ : ١٨٠ ، ١٣ : ٣٣٧ ، ٢٠ : ١٦٥) .

(٩) أى بيض النعام .

(١٠) تنحاش : تنفر . يقول : هذه البيضاء لا تنفر ، على حين البيض الحسان ينفرن من الطالب ويتأبين . زال زويلها : ذهب قلبها من الفزع . وفى اللسان والديوان ٥٥٤ : « زيل منها زويلها » ط ، هـ : « لا ينحاش منها وإنها » صوابه فى ل ، س واللسان .

نَتُوجٍ ولم تُقْرِفْ لِمَا يُمتنى له إذا أُنْتِجَتْ ماتَتْ وحَىَّ سَلِيلُها(١)

يعنى البيضة. نَتُوج(٢) : [حامل] . ولم تُقْرِف(٣) : [لم تُدانِ] . لما يُمتنى : أى للضِّراب(٤) . والامتناء : انتظارك الناقة إذا ضُربت ألاقحٌ هى أمْ لا .

وقال ابنُ أحمر :

بتَيْهاءَ قَفْرٍ والمطىُّ كأنها قطا الحَزْنِ قد كانت فِراخاً بُيُوضُها(٥)

وذلك أنها [قد] كانت قبل ذلك [الوقت] تشرَب من الغُدُر ، فلما(٦) أفرخت صافت ، فاحتاجت إلى طلب الماء من مكان بعيد ، فذلك أسْرعُ لها .

---

(١) ط : هـ : « تتوج » س : « تنوح » صوابهما فى ل واللسان (١١ : ١٨٨ ، ٢٠ ١٦٥) والديوان . ط : « يمتنى » والرواية ما أثبت من سائر النسخ و الديوان واللسان . أنتجت ، بالبناء للفاعل : وضعت . وهذه لغة ضعيفة . وإنما يقال نتجت بالبناء للمفعول وبدون همز . وهى رواية اللسان والديوان . س : « ويحى نتيجها » ط ، هـ : « وعاش نتيجها » وهو تحريف ظاهر صوابه فى ل واللسان والديوان .

(٢) ط ، هـ : « تتوج » بتاءين صوابه في ل ، س .

(٣) تقرف ، بكسر الراء وآخره فاء ، من أقرف . فيما عدا ل : « تقرب» تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « أى لم تمتن للضراب » تحريف .

(٥) التيهاء : الأرض التى لا يهتدى فيها . والحزن ، بالفتح : ما غلظ من الأرض ، وأضاف القطا إليه ؛ لأنه يكون قليل الماء ، فيكون قطاه أكثر عطشا ، فإذا أراد الماء كان سريع الطيران « كانت » هنا ، بمعنى صارت . وهذا البيت من شواهد الرضى وانظر الخزانة (٤ : ٣١ بولاق) واللسان (١٧ : ٢٤٩) والأشمونى (١ : ٢٤٤) . والبيوض ، بالضم : جمع بيض . ط : « فبتنا بقفر » س : « بنيها بقفر » هـ : « فبيتها بقفر » . تحريف صوابه فى ل و المصادر السابقة . وقبل البيت كما فى الخزانة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة صحيح السرى والعيس تجرى غروضها

(٦) ط ، هـ : « وكلما » تحريف . وفى الخزانة : « قال الأصمعى و نقله ابن قتيبة فى كتاب أبيات المعانى : أراد أنها شربت من الغدر فى الربيع ، فإذا فرخت ودخلت فى الصيف احتاجت إلى طلب الماء على بعد ، فيكون أسرع لطيرانها . وإنما تفرخ بيضها إذا جاء الحر» .

(تشبيه مشى المرأة بمشى القطاة)

ويشبَّه مشىُ المرأةِ إذا كانت سمينة غير خرّاجة طوّافة بمشى القطاةِ في القرمطة والدَّلِّ[١] . وقال ابنُ ميّادة :

إذا الطِّوال سَدَوْنَ المشىَ فى خَطَلٍ قامت تريكَ قَوَاماً غير ذى أوَدِ[٢]
تمشى كُكُدْرِيَّة فى الجوِّ فاردة تَهْدِى سُروب قطاًيشرَبْنَ بالثّمدِ[٣]

وقال جرانُ العَود :

فلما رأين الصُّبحَ بادَرْنَ ضوءه رَسِيمَ قطا البطحاء ، أوهُنّ أقْطَفُ[٤]

١٦٧ وقال الكميت .

يمشينَ مشىَ قطَا البِطاحِ تأوُّداً قُبّ البُطُونِ رَواجحَ الأكفالِ[٥]

---

(١) ل ، سه : « بمشى القطا » . و القرمطة : تقارب الخطو. والدل ، بالفتح : السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة . فى سه إقحام : «ولا» بعد : «القطا» .

(٢) السدو : التذرع فى المشى و اتساع الخطو . ط ، هـ : « شرن » سه : « شردن» صوابهما فى ل . الأود : العوج . سه : «أمد» محرف .

(٣) الكدرى بالضم : ضرب من القطا قصار الأذناب ، غبر الألوان ، رقش الظهور والبطون ، صفر الحلوق ، وهى ألطف من الجونية . انظر نهاية الأرب (١٠ : ٢٦١). فاردة : منقطعة عن أخواتها ، وذلك بسرعتها . فيما عدا ل : « واردة » . سروب : جمع سرب . والثمد : الماء القليل . يشربن به : أى منه . وفى الكتاب : (عيناًيشرب بها عباد الله) و : (عيناً يشرب بها المقربون) أى منها . الآيتان ٦ من سورة الإنسان و ٢٨ من المطففين .

(٤) ضمير بادرن ، للنسوة التى زارهن ليلا فى رحالهن . والرسيم : ضرب من السير سريع مؤثر فى الأرض . ورواية الديوان ٢٢ : « دبيب » . أقطف : تفضيل من القطف ، وهو تقارب الخطو .

(٥) سبق القول فى هذا البيت ص ٢١٧ من هذا الجزء .

(شعر فى التشبيه بالقطاة)

وقال الآخرُ[(١)] فى غير هذا المعنى :

كأن القلبَ ليلةَ قِيلَ يُغْدَى بليلَى العامريّةِ أو يُراحُ
قطاةٌ غرّها شَرَكٌ فباتت تجاذِبُه وقد علِقَ الجناحُ[(٢)]

وقال آخر :[(٣)]

وكنا كزوجٍ من قَطاً بمفازةٍ
لَدَى خَفْضِ عيش مُونق مُورِق رَغْدِ[(٤)]
فخانهما ريبُ الزمانِ فأُفرِدا ولم تر عيني قطُّ أقبحَ من فَرْدِ[(٥)]

---

(١) هو المجنون ، كما فى الأغانى (٢ : ٣) والأمالى (٢ : ٦١) والموشح ٢٥٠ . ورواهما العسكرى فى ديوان المعانى (١ : ٢٧٠) منسوبين إلى قيس بن ذريح . ويروى أبو الفرج من حديث الشعر ، أن المجنون سمع رجلا من قوم ليلى يقول لآخر : أنت ممن يشيع ليلى ؟ قال : ومتى تخرج ؟ : قال : غدا ضحوة أو الليلة ! فبكى وأنشد الشعر .

(٢) ط ، وكذا فى أمالى القالي وديوان المعاني : « عزها » بمعنى غلبها . وفى ل فقط : « فأضحت » . وانظر تعليق العسكرى على البيتين .

(٣) هو أبو دلامة . وفى الأغانى (٩ : ١٣٥) : « دخل أبو دلامة على المهدى ، وهو يبكى ، فقال له : مالك ؟ قال : ماتت أم دلامة ! وأنشده لنفسه فيها — وذكر البيتين — فأمر له بثياب وطيب ودنانير ، وخرج . فدخلت أم دلامة على الخيزران فأعلمتها أن أبا دلامة قد مات ، فأعطتها مثل ذلك وخرجت . فلما التقى المهدى والخيزران عرفا حيلتهما فجعلا يضحكان لذلك ويعجبان منه . وانظر محاضرات الراغب (١ : ٢٦٣) وأمالى القالى (٢ : ٢١) وبدائع البدائه ٤٩ .

(٤) ط : « حسن رغد » هـ : « مورد عد » وهذه محرفة . وفى الأغانى : « عيش ناعم مؤنق » والأمالى : « عيش معجب مؤنق » والمحاضرات : « عيش مورق ناضر » .

(٥) فى الأمالى : « أصابهما » والأغانى : « فأفردنى ريب الزمان بصرفه » وفى الأمالى المحاضرات : « ولم نر شيئاً قط أوحش » والأغانى : « ولم أر شيئاً قط أوحش » .

(شعر فى صدق القطاة)

وفى صدق القطاة يقولُ الشاعر :

وصادقة ما خـــبّرت قد بعثتُها
طُروقاً وباقى الليل فى الأرض مُسْدِفُ[١]

ولو تركتْ نامتْ ، ولـكنْ أعشّها أذى من قِلاص كالحنىِّ المُعَطَّفِ[٢]

وتقول العرب : « لو تُرِكَ القطا[٣] لنام » . ويقال[٤] : أعششت القوم إعشاشاً[٥] : إذا نزلْتَ بهم وهم كارهون [لك] فتحوّلوا عن منزلهم .

وقال الـكميت :

لاتـكذبُ القوْلَ إن قالت قَطَا صدَقَتْ
إذ كلُّ ذى نِسْبَة لابدّ ينتحلُ[٦]

وقال مُزاحمٌ العُقيلىّ[٧] ، فى تجاوب القطاةِ وفرْخِها :

فنادتْ وناداها ، وما اعوجّ صدْرُها بمثل الذى قالتْ له لم يبدِّلِ[٨]

---

(١) سبق هذا البيت برواية أخرى فى ص ٢٨٧ . ط : « ما خبرت بعد بعثها » ط ، ه : « مشرف » وفى طرة ه : « خ مسدف » أى يروى : « مسدف » فى نسخة أخرى .

(٢) أعشها : من أعش القوم إذا نزل بهم على كره حتى يتحولوا من أجله . ل : « أعمها » تحريف . والقلاص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل . والحنى ، بالفتح : جمع حنية ، وهى القوس ، لأنها محنية . قال ابن منظور : « ويروى كالحنى بكسر الحاء » . وهو جمع حنو بالـكسر والفتح ، وهو عود معوج . ل فقط : « يعطف » . لـكن ورد فى سواها وفى اللسان بهذا الإقواء .

(٣) انظر قصة المثل فى الميدانى (٢ : ١١٠) .

(٤) ط فقط : « ويقول » تحريف .

(٥) ل فقط : « عشاشا » صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ط ، ه : « وإن » سه : « وقد » بدل : « قطا » . فيما عدا ل : « منتحل » .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤١٨) .

(٨) أى ناداها بمثل ندائها إياه لم يبدل منه . سه : « فنادت ونادا » محرف .

والقطاة لم تُرد اسمَ نفسها ، ولـكن الناس سموها بالحروف التى تخرج من فيها[١] ، وزادَ فى ذلك أنها على أبنيةِ كلام العرب[٢] ، فجعلوها صادقةً ومُخْبِرة ، ومُريدة [وقاصدة] .

(استطراد لغوى)

ويقال سِرْبُ نساء ، [وسِربُ قطاً[٣]] ، وسِربُ ظباء . كل ذلك بكسر السين وإسكان الراء . فإذا كان من الطريق والمذهب [قالوا[٤]] : خَلِّ سَرْبَه[٥] . و : فلانٌ خَلِيُّ السَّرْب[٦]] بفتح السين[٧] [وإسكان الراء] . وهذا عن يونس بن حبيب . وقال الشاعر[٨] :

أما القطاةُ فإنى سوفَ أنعتُها نعتاً يوافقُ نعتى بعضَ ما فيها[٩]
سَكَّاء مخطوفَة فى ريشها طَرَقٌ سُودٌ قوادمها صُهْبٌ خوافِيها[١٠]

---

(١) فيما عدا ل : « خرجت » . وفى ط : « من فمها » .
(٢) س : « وزادوا فى ذلك على أبنية كلام العرب » وليس بشىء .
(٣) هذه التكملة من ل ، س .
(٤) هذه الكلمة من ل ، س فقط .
(٥) بدلها فى هـ ، س : « خلا سربه » . وانظر اللسان (١ : ٤٤٧ س ٢ — ٦) .
(٦) هذه من ل ، س ، هـ باتفاق .
(٧) ط فقط : « فهو بفتح السين » باقحام : « فهو » .
(٨) فى الأغانى (٧ : ١٥١) : « الشعر مختلف فى قائله . ينسب إلى أوس بن غلفاء الهجيمى ، وإلى مزاحم العقيلى ، وإلى العباس بن يزيد بن الأسود الكندى ، وإلى العجير السلولى ، وإلى عمرو بن عقيل بن الحجاج الهجيمى ، وهو أصح الأقوال . . . وقد روى أيضاً أن الجماعة المذكورة تساجلوا هذه الأبيات ، فقال كل واحد منهم بعضاً » .
(٩) بعد هذا البيت فى ل : « وما ينبغى لصاحب هذا البيت أن يقول شعراً أبداً ثم قال » . وبعد هذا البيت . فيما عدا ل : « وقال مزاحم العقيلى » وهما عبارتان دخيلتان .
(١٠) السكاء : التى لا أذن لها . مخطوفة : ضامرة . فما عدا ل : « شكاء مخطومة » تحريف وفى الأغانى : « سكاء مخطوطة » .

ويقال فى ريشها فَتَخ ، وهو اللِّين (١) . ويقال فى جناحه طرَق (٢) : إذا
١٦٨ غطّى الرِّيشُ الأعلى الأسفلَ . وقال ذو الرُّمَّة (٣) :

طراقُ الخوافِى واقعٌ فوقَ رِيعَةٍ ... ندَى ليْلِه فى ريشِهِ يترقْرَقُ (٤)

ويقال : اطَّرَقَت الأرضُ : إذا ركب الترابُ بعضهُ بعضاً ، [ولزمَ بعضهُ بعضاً] ، فصار كطِراق النِّعال طَبَقاً طَبَقاً (٥) . وقال العجاج :

فاطَّرَقَتْ إلا ثلاثاً دُخَّسَا (٦)

والطَّرْق ، بإسكان الراء : الضرْب بالحصى ، وهو من فِعال الحُزَاة والعائفين (٧) : وقال [لبيدٌ ، أو] البَعيث :

---

(١) الفتخ ، بالتحريك وآخره خاء معجمة . فيما عدا ل : «فتح» تحريف . ط : «زهر» ه : «ذهر» صوابه في ل ، س . وفى ط فقط : «اللبن» محرف .

(٢) الطرق ، بالتحريك . فيما عدا ل : «طراق» .

(٣) يصف صقراً أو بازياً ، كما فى الكامل ٩٠ والديوان ص ٣٠ واللسان (١٢ : ٨٩) وقبله :

نظرت كما جلى على رأس رهوة ... من الطير أقنى ينفض الطل أزرق

(٤) في اللسان : « طائر طراق الريش : إذا ركب بعضه بعضاً » . وفى شرح الديوان : « يريد مطارَق ، من مطارقة النعل » . والريعة والريع ، بكسر أولهما : المكان المرتفع . ط ، ه : « ربعة » ل ، س : « ربعه » صوابهما ما أثبت . ويروى : « ريعه » بالإضافة ، كما فى اللسان . فيما عدا ل : « لدى » . ط ، سه : « ليلة » تحريفان صوابهما فى المراجع .

(٥) ل : « كطراق النعل » . والطراق ، بالكسر : النعل يطبق على النعل .

(٦) اطرقت : تلبد ترابها بالمطر . والدخس : الأثافى ، كما فى اللسان (٧ : ٣٨٠س١٩) جمع داخس . دخس : اندس . وهى تندس فى الرماد ، كما فىالقاموس . ط ، ه : « ثلثا » صوابه فى ل ، سه والديوان ص ٣١ . سه : « دحسا » تصحيف . وجاء مثله للعجاج أيضاً فى ديوانه ٨٢ :

فاطرقت إلا ثلاثاً عكفاً ... دواخسا فى الأرض إلا شعفا

(٧) الحزاة : جمع حاز ، وهو الكاهن . والعائف : الذى يزجر الطير . فيما عدا ل : « وهو من عمل أهل الزجر » .

لعمركَ ما تدرى الطوارقُ بالحصَى ولا زاجراتُ الطيرِ ما اللهُ صانعُ(١)

قال: ويقال طرَّقت القطاةُ ببيضِها: إذا حان خروجه وتعضَّلت به شيئاً(٢).

قال [أبو عبيد(٣)] ولا يقال ذلك فى غير القطاة(٤). وغرّهُ قولُ العَبْدِىّ(٥):

وقد تخذت رِجلى لدى جَنْبِ غَرزِها نسيفاً كأُفْحوصِ القَطاةِ المطرِّق(٦)

وهذا الشاعرُ لم يقلْ إن التطريق لا يكونُ إلا للقطاة، بل يكونُ لكل بَيَّاضةٍ، ولكلِّ ذاتِ ولد. وكيف يقول ذلك وهم يروُون عن قابلة البادية(٧) أنها قالت لجاريةٍ تسمى «سَحَابة»، وقد ضربها المخاضُ وهى تُطْلَق عَلَى يدها(٨):

أيا سحَابُ طرِّقى بخيرِ وطرِّقى بخُصيةٍ وأيرِ
ولا تُرينا طرَفَ البُظيرِ(٩)

---

(١) البيت فى ملحقات ديوان لبيد ص ٥٥. وبعده:

سلوهن إن كذبتمونى متى الفتى يذوق المنايا أو متى الغيث واقع

(٢) تعضلت، أراد نشب بيضها وتعسر خروجه. والذى فى المعاجم: «عضل» و «أعضل». فيما عدا ل: «تعطلت» بالطاء، تحريف.

(٣) هذه التكملة من اللسان (١٢: ٩٣ س ١١) وفيه هذا النص.

(٤) ط، هـ: «ويقال طرقت القطا» وأثبت صواب النص من ل، سه واللسان.

(٥) هو الممزق العبدى، كما فى اللسان (١١: ٢٤٢ / ١٢: ٩٣)، والمخصص (١٧: ٢٢) والأصمعيات ٤٧ ليبسك من قصيدة أبياتها عشرون. وانظر المخصص (١: ٢١ / ١٢: ٢٧٢ / ١٦: ٩٧، ١٣٤). فيما عدا ل: «ونحوه قال العبدى» تحريف.

(٦) الغرز، بالفتح: هو للجمل مثل الركاب للبغل، وهو ما يدخل فيه قدم الراكب. والنسيف: أثر ركض الرجل بجنبي البعير إذا انحص عنه الوبر. سه: «رحلى» محرف. فيما عدا ل: «إلى جنب» وهى رواية الأصمعيات والمخصص واللسان فى الموضع الأول.

(٧) القابلة: التى تقبل الولد عند الولادة. ل: «خاتنة».

(٨) الطلق، بالفتح: وجع الولادة. وفى اللسان: «وقد طلقت المرأة تطلق طلقا على ما لم يسم فاعله، وطلقت بضم اللام» والأخيرة لغية، كما فى التاج.

(٩) ط فقط: «ولا ترينى».

وقال أوسُ بنُ حجَرَ :

بكلِّ مكان ترى شطْبَةً مولِّيةً ، ربها مسبَطِرّ[١]

وأحمَرَ جعداً عليـه النسو رُوفى ضِبْنِه ثعلبٌ منكسِرْ[٢]

وفى صدره مثلُ جيب الفتا ةِ تشهق حيناً وحيناً تَهِرّ[٣]

فإنا وإخوتَنـا عامراً على مثل ِ ما بيننا نأتمِرْ[٤]

لنـا صرخةٌ ثم إسكاتةٌ كما طرَّقت بنفاسٍ بِكِرْ[٥]

فهذا كما ترى يردُّ عليه .

(ولادة البـكر)

و إنما ذكر أوسُ بن حجرِ البِكرَ دون غيرها ؛ لأن الوِلاد[٦] على

---

(١) الشطبة ، بالفتح : الفرس الطويلة الحسنة الخلق . ربها : صاحبها وفارسها . مسبطر : ممتد ، ومنه قولهم ؛ اسبطرت الذبيحة إذا امتدت للموت بعد الذبح . فيما عدا ل : « مولبة » بالباء ، تحريف .

(٢) أحمر ، أى رجلا أبيض . انظر الأضداد ٣٠٣ . والجعد : المجتمع الشديد . عليه النسور : سقطت عليه لتنال منه . والضبن ، بالكسر : الجنب ، أو الإبط وما يليه . والثعلب : ما دخل من طرف الرمح فى جبة السنان . ط : « صلبه » ه : « صبه » سه : « صه » بالإهمال ، تحريف صوابه فى ل والأضداد ، وديوان أوس ، واللسان (ضبن) .

(٣) الجيب : جيب القميص والدرع . أراد : وفى صدره طعنة هى فى اتساعها كجيب الفتاة . وشهيق الطعنة : أن تدخل الريح فيها فتصوت . وهريرها : قبقبتها . ط ، ه : «جنب» سه : « حنب » تحريف . وفيما عدا سه : « القنا » . ل : « تشقق حيناً وحيناً تهر » محرف . وفيما عدا ل : « يشهق حينا وحينا يهر » ومثله فى الديوان .

(٤) الائتمار : المشاورة . فيما عدا ل : « وإنى » محرف . وفى الديوان : « وإنا » .

(٥) فيما عدا ل : « لها » صوابه فى ل والديوان .

(٦) ط فقط : « الولادة » بالهاء ، وهما سيان .

البِكر أشدّ ، وخروج الولد أعسر ، والمخرج أكزّ وأضيق . ولولا أن البِكر أكثر ما تلدُ(١) أصغرُ جثةً وألطفُ جسما ، إلى أن تتسع الرحم بتمطّى الأولاد فيها(٢) — لكانَ أعسر وأشقّ(٣) .

(أجود قصيدة فى القطا)

وقال [المرّار ، أو العِكَبُّ(٤)] التغلبى ، وهى أجود قصيدةٍ قيلت فى القطا: ١٦٩

بلادٌ مَرَوْراةٌ يحارُ بها القطا ترى الفَرْخَ فى حافاتها يتحرّقُ(٥)

يظلُّ بها فَرخُ القطاةِ كأنهُ يتيمٌ جفا عنهُ مواليهِ مُطرقُ(٦)

بديمومة قد مات فيها وعينُه على موته تغْضى مِرارًا وترمُقُ(٧)

شبيهٌ بلا شىء هنالك شَخْصُه يواريه قَيْضٌ حولَه متفلّقُ(٨)

---

(١) ل : « ما تكون » صوابه فى سائر النسخ .

(٢) الرحم ، مؤنث وقد يذكر . فيما عدا ل : « يتسع الرحم بتمطره الأولاد فيها » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « وأضيق » .

(٤) فى شعراء العرب كثيرون ممن يدعى « المرار » . وأما العكب ، فهو بكسر العين وفتح الكاف وتشديد الباء ، كما جاء مضبوطاً فى ل . وفى اللسان : « والعكب العجلى شاعر » .

(٥) البلد : كل موضع أو قطعة مستحيزة ، عامرة كانت أو غير عامرة . والمروراة : الأرض التى لا يهتدى فيها إلا الخريت . يتحرق : أراد يتضرم جوعا . انظر اللسان (١١ : ٣٢٦ س ٢٤) . فيما عدا ل وكذا فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٦٣) : « ثلاث مرورات يحاذبها » صوابه فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « يناجيه مواليه » محرف .

(٧) الديمومة : الفلاة البعيدة الأرجاء . الإغضاء : إدناء الجفون . يقول : تخاله ميتاً لضعفه ، وهو مع ذلك يغمض عينيه ويفتحهما . فيما عدا ل : « قد بات » ، والمقابلة تقتضى ما أثبت من ل .

(٨) القيض ، بالفتح : قشرة البيضة العليا اليابسة . فيما عدا ل : « فنك » محرف .

له مَحْجِرٌ ناب وعينٌ مريضةٌ ... وشِدقٌ بمثل الزَّعْفرانِ مخلَّقُ(١)

تُعاجيه كَحْلاءُ المدامعِ حُرَّةٌ ... لها ذنبٌ وحْفٌ وجِيدٌ مطوَّقُ(٢)

سِماكيةٌ كُدْرِيَّةٌ عُرْعُرِيَّةٌ ... سُكاكيَّةٌ غبراء سمراءُ عَسْلَقُ(٣)

إذا غادرتْه تبتغي ما يُعيشُه ... كفاها رَذَاياها النَّجاءُ الهبنَّقُ(٤)

غدتْ تستقي من منهل ليس دونه ، ... مَسيرةَ شَهْر للقَطا ، متعلَّقُ(٥)

لأزْغَبَ مطروحٍ ، بجَوْزِ تَنُوفة ... تلظَّى سَمُوماً قيظه ، فهو أورَقُ(٦)

تراه إذا أمسى وقد كاد جلدُه ... من الحرِّ عن أوصاله يتمزَّقُ(٧)

---

(١) المحجر كمجلس ومنبر : ما دار بالعين من العظم الذى فى أسفل الجفن . ناب : مرتفع ، نبا ينبو . مخلق ، من الخلوق ، بالفتح ، وهو الزعفران . ل : « له مثلات منه » محرف .

(٢) أصل المعاجاة ألا يكون للأم لبن يروى صبيها فتعاجيه بشيء تعلله به ساعة . ط : « تناجيه » سه : « نعاجية » ه : « تعاجية » صوابه فى ل . والوحف من النبات والشعر : ما غزر وأثت أصوله واسود . فيما عدا ل : « ساج » .

(٣) سماكية : نسبة إلى السماك أحد السماكين : الأعزل والرامح . أراد أنها علوية . والعرعرية : نسبة إلى العرعرة ، بضم العينين ، وهى أعلى الجبل وأعلى كل شيء . والسكاكية ، بالضم : نسبة إلى السكاك ، وهو الجو والهواء بين السماء والأرض . والعسلق : الخفيف ، والأنثى بهاء ، لكنه جعله للأنثى . ووزنه كجعفر وزبرج . ط : « شكالية عفراء » سه ، ه « سكالية عفراء » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « سملق » .

(٤) الرذايا : جمع رذى ورذية ، وهو الضعيف ، عنى فراخها . والنجاء : السرعة . والهبنق : الأحمق . يقول : يكفيها مؤونة صغارها تلك السرعة الحمقاء التى تحصل بها على طعامهن وشيكا . ط فقط : « رزاياها » تحريف . وفى اللسان (١٢ : ٢٤٤) مع نسبته إلى ذى الرمة :

إذا فارقته تبتغي ما تعيشه ... كفاها رذاياها الرقيع الهبنق

وقال : « قيل أراد بالرقيع الهبنق القمري ، وقيل بل هو الكروان . وهو يوصف بالحمق ، لتركه بيضه واحتضانه بيض غيره » .

(٥) يقول : ليس دون هذا المنهل متعلق للقطا ، مسيرة شهر ، تظل طائرة لا تجد ما تتعلق به . ط فقط : « عدت » بالمهملة ، تحريف .

(٦) الأزغب : فرخها . جوز : وسط . التنوفة : الفلاة . والسموم ، بالفتح : الريح الحارة . والأورق : الذى لونه بين السواد والغبرة .

(٧) الأوصال : المفاصل والأعضاء ، جمع وصل ، بالكسر والضم .

غدت فاستقلَّت ثم ولَّت مُغيرةً ... بهاحِينَ يَزْهاها الجناحان أوْلقُ(١)

تيمِّمُ ضحضاحاً من الماء قد بدتْ ... دعاميصه فالماء أطحَلُ أورقُ(٢)

فلما أتته مقذَحِـــرًّا تغوَّثَتْ ... تغوُّثَ مخنوقٍ فيطفو ويغرقُ(٣)

تُحِـيرُ وتُلقِى فى سِقاء كأنه ... من الحنظَلِ العامىِّ جَروٌ مُفلَّقُ(٤)

فلما ارتوتْ مِن مائه لم يكُنْ لها ... أناةٌ وقدكادَتْ من الرِّىِّ تبصُقُ(٥)

طَمَتْ طَمْوة صُعْداً ومدَّتْ جِرانَها ... وطارت كما طار السَّحابُ المحلِّقُ(٦)

(شعر البعيث فى القطا)

وقال البَعيث :

---

(١) استقلت : نهضت للطيران وارتفعت فى الهواء . والأولق : شبه الجنون . فيما عدا ل : « بها حين تزهاها » محرف .

(٢) تيمم : تقصد . والدعاميص : دويبات صغيرة تكون فى مستنقع الماء . أطحل : رمادى اللون ، ومثله الأورق . سه : « قد غدت » ط فقط : « فى الماء » صوابه فى سائر النسخ . فيما عدا ل : « أطرق » تحريف .

(٣) المقذحر والمقدحر : المتهيئ للشر تراه الدهر منتفخاً شبه الغضبان ، وقد شبه به الماء الثائر فيما عدا ل : « مقدحرا » وهما لغتان . تغوثت : أراد صاحت ، والمعروف غوث واستغاث : صاح واغوثاه ! ط : « تقربت تقرب مجنون » هـ : « تعربت لعرب مجنون » سه : « تعرب مجنون » وجهه فى ل . وفيما عدا ل : « فتطفو وتغرق » .

(٤) أحار : رد وأرجع . فيما عدا ل : « تجر » . وقد عنى بالسقاء هنا حوصلتها تملؤها بالماء لتروى صغارها . والعامى : اليابس أتى عليه عام . والجرو : الصغير من كل شىء حتى الحنظل ، والبطيخ ، والقثاء . ط ، هـ : «جزء» سه : « جزؤ » صوابه ما أثبت من ل . ل : «مفلق» وله وجه . انظر البيت الرابع من المقطوعة التالية . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٠٨) محرفاً منسوباً إلى النمر بن تولب .

(٥) من مائه : من ماء الضحضاح . فيما عدا ل : « من مائها » .

(٦) طمت : ارتفعت . والجران : باطن العنق . والمحلق : المرتفع . ل : «كما طار الشهاب » .

نجتْ بُطوالاتٍ كأنَّ نجاءها ... هُوِىُّ القطا تعرو المناهلَ جُونُها[١]

طَوَين سِقاء الخِمسِ ثُمَّتْ قلَّصت ... لورْدِ المياهِ واستتبَّتْ قُرُونُها[٢]

إذا ما وردْنَ الماءَ في غَلَسِ الضُّحَى ... بللْنَ أداوَى ليس خَرْزٌ يَشِينُها[٣]

أداوَى خفيفاتِ المحامِلِ أشْنِقَتْ ... إلى ثُغَرِ اللَّبّاتِ منها حصينُها[٤]

جَعَلْنَ حَبابَ الماءِ حين حملْنَه ... إلى غُصَصٍ قد ضاق عنها وتينُها

إذا شِئْن أن يسمعنَ والليلُ واضعٌ ... هذاليلَهُ والريحُ تجرى فنُونُها[٥]

تناوُمَ سِرْبٍ في أفاحيصه السَّفا ... ومَيّتةٌ الخِرْشاءِ حَىٌّ جَنينُها[٦]

يروِّين زُغْباً [بالفلاةِ كأنَّها ... بقايا أفانى الصيّفِ، حُمراً بطونُها[٧]

« يروِّين » من قولك : روّيت : أى حملت فى راوية[٨]] .

---

(١) نجت : أسرعت . والطوالات ، بالضم : جمع طوالة ، وهى الطويلة ، وفى اللسان : « هوت الناقة والأتان وغيرهما تهوى هوياً فهى هاوية إذا عدت عدواً شديداً أرفع العدو » فيما عدا ل : « يعلو المناهل » تحريف .

(٢) قلصت : ارتفعت وذهبت . والقرون ، بالفتح : النفس .

(٣) الغلس : أول الصبح ، وهو وقت الورود عند القطا والحمر وغيرها . فيما عدا ل : « فى رونق الضحى » . ورونق الضحى : أوله . والأداوى : جمع إداوة ، بالكسر ، وهو إناء صغير من الجلد يتخذ للماء . يشينها : يعيبها . وقد عنى بالأداوى حواصلهن . ط فقط : « ليس » تحريف .

(٤) ط : « أدوى » تحريف . أشنقت : علقت . ط ، س : « أسقمت » ه : « أسمقت » صوابهما فى ل . والثغر : جمع ثغرة بالضم ، وهى نقرة النحر . واللبات : جمع لبة بالفتح ، وهى وسط الصدر والمنحر . س : « ثقر اللبات » ل : « ثغد » بالدال ، صوابهما فى ط ، ه .

(٥) فيما عدا ل : « واضح » ط ، س : « هدى ليلة » ه : « هدى ليله » وأثبت ما فى ل والهذاليل : التلال الصغار ، جمع هذلول . وقد عنى بها الظلمات المتراكمة .

(٦) الأفحوص : حيث تبيض القطاة . والسفا : شوك البهمى أو أطرافها . والخرشاء ، بالكسر : قشرة البيضة العليا اليابسة . فيما عدا ل : « ومنبته الحرشاء حن حنينها » محرف .

(٧) الأفانى : جمع أفانية ، كثمانية ، وهو عنب الثعلب . فيما عدا ل : « يروين زغباناً » محرف .

(٨) الراوية : المزادة فيها الماء . وفى اللسان (١٩ : ٦٦) : « روى معناه استقى على الراوية » .

[إذا ملأت منها] قطاةٌ سِقاءها فلاتَعكُمُ الأخرى ولا تستعينها(١)

ذكر نوادر وأحاديث وأشعار وكلام يختم بها هذا الجزء(٢)

قالوا : خَرِف النَّمِرُ بن تولب(٣) ، فكان هِجِّيراه(٤) : اصبَحوا(٥) الركْب ، اُغبِقُوا الركْب .

وخرِفت امرأةٌ من العرب فكان هِجِّيراها : زوِّجونى ، زوِّجونى ! فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لَمَا لهِج به أخو عُكل خيرٌ مما لهِجَتْ به صاحبتُكم(٦) !

وحدثنى عبد الله بن إبراهيم بن قُدامة الجمحى(٧) قال : كان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه إذا رأى رجلا يَضرِبُ فى كلامه(٨) قال : أشهدُ أن الذى خلقَكَ وخلقَ عمْرو بنَ العاصِ واحدٌ !

---

(١) فيما عدا ل : « سقاؤها » محرف . عكم : انتظر . وفى الحديث : « ما عكم عنه » أى ما تحبس ولا انتظر . فما عدا ل : « فلا تعكم ولا تستعينها » وإكماله من ل .

(٢) فيما عدا ل : « ذكر نوادر من أشعار وأحاديث وكلام » وبعده فى ط : « نتم به هذا الجزء » وفى ، ﮬ : « يتم به هذا الجزء » .

(٣) سبقت ترجمته فى (١ : ٢٢) والنمر بن تولب عكلى ، من بنى عكل بن عبد مناف .

(٤) هجيراه ، بكسر الهاء والجيم المشددة المكسورة : دأبه ، وشأنه ، وعادته ، وكلامه .

(٥) صبحه يصبحه وصبحه يصبحه ، بالتشديد : سقاه الصبوح ، وهو من اللبن ما حلب بالغداة . وغبقه يغبقه ويغبقه ، بضم باء المضارع وكسرها : سقاه الغبوق ، وهو اللبن يشرب بالعشي . ط فقط : «الراكب» فى الموضعين ، محرف . وانظر محاضرات الراغب (٢ : ٣٢٢) . والخبر أكثر بسطاً فى الأغانى (١٩ : ١٦٠) .

(٦) انظر تفصيل الخبر فى الأغانى (١٩ : ١٦٠) .

(٧) كلمة : « الجمحى » ليست فى ل . ونسبت رواية الخبر إلى محمد بن سلام فى عيون الأخبار (٢ : ١٧١) والبيان (١ : ٤٧) .

(٨) الضرب : الخلط . فيما عدا ل : «إذا رأى» .

وقال علىُّ بنُ أبى طالب رضى الله عنه ، لصعصعة بن صُوحان(١) فى المنذر بن الجارود(٢) : ما وجدْنا عند صاحبك [شيئاً] ! قال : إن قلتَ ذاكَ إنه لنظَّارٌ فى عِطفَيه ، تفَّالٌ فى شِرَاكيه(٣) ، تُعجبه حُمرةُ بردَيه !(٤)

قال : وحدَّثنا جريرُ بنُ حازم القَطَعىّ(٥) قال : قال الحسن : لو كان الرجُل كلما [قال] أصاب ، وكلما عمل أحسنَ(٦) ، لأوشك أن يُجَنّ من العُجْب(٧) .

[عن أبان بن عثمان] قال : سمعتُ أبا بلال(٨) فى جِنازةٍ وهو يقول : كلُّ مِيتةٍ ظَنُونٌ(٩) إلا ميتة الشَّجاء(١٠) . قالوا : وما ميتة الشّجاء ؟ قال :

---

(١) هو صعصعة بن صوحان العبدى ، كان مسلماً في عهد الرسول ولم يره . روى عن عثمان وعلي ، وشهد صفين مع علي، وكان خطيباً فصيحا . ومات بالكوفة فى خلافة معاوية. الإصابة ٤١٢٥ « وصوحان » بضم الصاد . انظر الاشتقاق ١٩٩ .

(٢) سبقت ترجمته فى (١ : ٣٢٧) . ط ، ه : « المنذرين » تحريف .

(٣) ط فقط : « مغال » بدل : « تفال » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « يجبه » .

(٥) هو جرير بن حازم بن عبد الله بن شجاع الأزدى البصرى ، روى عن أبي الطفيل ، وأبي رجاء العطاردي ، والحسن ، وابن سيرين ، وقتادة ، وأيوب ، والأعمش ، وعنه الأعمش وأيوب شيخاه ، وابن المبارك ، ووكيع . مات سنة ١٧٥ . انظر تهذيب التهذيب (٢ : ٦٩) . فيما عدا ل: « العطفى » . والقطعى : نسبة إلى القطيعة واحدة القطائع .

(٦) فيما عدا ل : «كلما أصاب وكلما تجمل أحسن » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « أوشك أن يتزيد من العجب » صوابه فى ل .

(٨) هو أبو بلال مرداس بن أدية ، المترجم فى ص ٢٥ من هذا الجزء .

(٩) الظنون : المتهم وكل ما لا يوثق به ، فعول ، بمعنى مفعول . وقد ورد هذا الخبر فى اللسان (١٧ : ١٤٦) : «وقول أبي بلال مرداس ، وقد حضر جنازة فلما دفنت جلس على مكان مرتفع ثم تنفس الصعداء وقال . كل منية ظنون إلا القتل فى سبيل الله، لم يفسر ابن الأعرابى ظنوناً هنا. قال : وعندى أنها القليلة الخير والجدوى» . وفى أصل اللسان : « أبى بلال بن مرداس » محرف .

(١٠) هى الشجاء الخارجية . ولها خبر مع زياد فى الأمالى (٣ : ١٧٤) وانظر ما سبق فى (١ : ٧٨) . ل : « الثبجاء » فيما عدا ل : « السجا » صوابهما ما أثبت . ==

أخذها زيادٌ فقطع يديها ورجليها، فقيل لها : كيف تَرَيْنَ يا شَجَّاء ؟ فقالت : قد شغلَني هَولُ المُطَّلَع عن بَرْد حَديدِكم هذا[(١)] !

قال : وقيل لرابعةَ القيسيَّة : لو أذِنْتِ لنا كلَّمْنا قومَكِ فجمعوا لك ثمن خادمٍ ، وكان لك في ذلك مَرْفِقٌ[(٢)] وكفَتْكِ الخدمة[(٣)] وتفرَّغت للعبادة . فقالت : والله إني لَأستحيي أن أسأل الدنيا من يملك الدنيا[(٤)] ، فكيف أسأل الدنيا مَن[(٥)] لايملكها ؟ !

والناسكات المتزهدات من النساء المذكورات فى الزُّهد والرياسة ، من نساء الجماعة [وأصحاب الأهواء[(٦)]] . [فمن نساء الجماعة] أمُّ الدرداء[(٧)] ، ومُعاذةُ العدَويّة[(٨)] ، ورابعةُ القَيسيَّة[(٩)] .

= وقد تكرر هذا الخطأ على النحو الذى ذكرت في سائر المواضع التالية ، فاكتفيت بهذا التنبيه .

(١) فى اللسان : « وفى حديث عمر أنه قال عند موته : لو أن لى ما في الأرض جميعاً لافتديت به من هول المطلع ، يريد به الموقف يوم القيامة ، أو مايشرف عليه من أمر الآخرة عقيب الموت فشبهه بالمطلع الذى يشرف عليه من مكان عال » . والبرد : الموت ، برد يبرد برداً مات . فيما عدا ل : « حديثكم » .

(٢) المرفق ، كمنبر ومسجد ومقعد : ما ارتفقت وانتفعت به . . فيما عدا ل : « وكان لك فيها مرفق » .

(٣) فيما عدا ل : « المؤنة » . وهذا الخبر فى أول كتاب الزهد من البيان (٣ : ٧٣) .

(٥) يقال استحى منه واستحياه . فيما عدا ل : « لأستحى » . ط ، س : « ممن » بدل : « من » .

(٥) فيما عدا ل : « ممن » .

(٦) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٧) أم الدرداء ، هى زوج أبي الدرداء . واختلف علماء التراجم فى أم الدرداء ، فبعضهم يجعلها شخصين : أم الدرداء الصغري ، وأم الدرداء الكبرى ، وبعضهم يقول : هما واحدة ، ويختلفون في ذلك اختلافاً . انظر الإصابة ٣٨٤ قسم النساء وتهذيب التهذيب (١٢ : ٤٦٥ — ٤٦٧) .

(٨) معاذة ، بضم الميم ، بنت عبد الله العدوية البصرية ، امرأة صلة بن أشيم ، روت عن عائشة ، وعلى ، وهشام بن عامر ، وعنها أبوقلابة ، وقتادة ، وأيوب ، وعاصم الأحول . وكانت من العابدات . وزوجها صلة بن أشيم كان من نساك البصرة وزهادها .

(٩) جعلها الجاحظ فى البيان (٣ : ١١٦) من نساك البصرة وزهادها .

ومن نساء الخوارج الشّجاء ، وحمادة الصُّفرية[١] وغزالة الشَّيْبانية[٢] قُتِلْنَ جميعاً ، وصُلبت الشجاء وحمادة ، وقتل خالدُ بن عتّاب[٣] غَزَالة ، وكانت امرأةَ صالح بن مُسرِّح[٤] .

ومن نساء الغالية الميلاء[٥] ، وحُمَيدة[٦] ، وليلى الناعظية[٧] .

محمد بن سلام عن أبي جُعْدُبة[٨] قال: ما أبرم عُمر بنُ الخطاب أمراً قط إلا تمثل ببيت شعر[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « الصفوية » ، تحريف . والصفرية ، بالضم ويكسر : قوم من الحرورية الخوارج .

(٢) هي زوج شبيب بن يزيد الخارجي الشيباني، وكانت من الشجاعة والفروسة بالموضع العظيم ، وكان الحجاج قد هرب في بعض الوقائع منها ، فعيره أسامة بن سفيان البجلي بقوله (انظر حماسة البحتري ٣٩٢) :

أسد على وفى الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة فى الضحى ... بل كان قلبك فى جناحى طائر

وانظر ترجمة شبيب فى وفيات الأعيان ، والمعارف ١٨٠ ، وشرح الحيوان (٣ : ٤١) . ل : « الشائبية » تحريف .

(٣) هو خالد بن عتاب بن ورقاء الرياحي ، وانظر خبر قتل غزالة فى الطبرى (٧ : ٢٥٣) .

(٤) صالح بن مسرح التميمي الخارجي ، كان يرى رأى الصفرية ، وقيل إنه أول من خرج من الصفرية ، وكان ناسكا مخبتا مصفر الوجه صاحب عبادة ، وكان زعيما لشبيب الخارجي ، وبعد مصرع صالح آل أمر أصحابه إليه وبايعوه على الخروج . انظر الطبري (٧ : ٢٢١ — ٢٢٢) . ويفهم من قول الجاحظ أن غزالة كانت تحت صالح بن مسرح ثم خلفها عليه شبيب ، وهذا نص نادر . فيما عدا ل : « صالح بن نوح » تحريف . ومسرح ، بضم الميم وفتح السين المهملة وتشديد الراء وكسرها وبالحاء المهملة . ابن الأثير (٤ : ١٦٤) .

(٥) الميلاء حاضنة أبي منصور صاحب المنصوية ، الذى كان يلقب بالكسف . انظر الحيوان (٢ : ١٦٦ / ٦ : ١٣٠) .

(٦) حميدة من أصحاب ليلى الناعظية ، ولها رياسة فى الغالية . انظر الحيوان (٦ : ١٣٠) ل : « حمدة » صوابه فى النسخ . وانظر البيت الثالث من الشعر الذى سبق فى (٢ : ٢٦٦) .

(٧) بنو ناعظظ ، بالظاء المعجمة : بطن من العرب . انظر القاموس واللسان ، والجمهرة (٣ : ١٢١) .

(٨) جعدبة ، بضم الجيم والدال . ط ، س : « أبي جمدة » .

(٩) فيما عدا ل : « إلا تمثل به ببيت شعر » .

وعن أبانَ بن عثمان ، قال عبد الملك : لقد كنت أمشى فى الزَّرْعِ فأتَّقى
الُجندبَ أن أقتله ، و إن الحجاجَ ليكتبُ إلىَّ فى قتلِ فئامٍ من الناس(١) ١٧١
فما أحفِلُ بذلك .

[وقيل له — وقد أمرَ بضرب أعناق الاسَراء — : أقْسَتك الخلافةُ يا أمير المؤمنين ، وقد كنت رءوفاً ! قال : كلا ، ما أقْسَتْنى ، ولكن أقسانى احتمالُ الضغن على الضغن] .

قالوا : ومات يونسُ النحوىُّ سنة اثنتين وثمانين [ومائة] وهو ابن ثمان وثمانين سنة(٢) . [و] قال يونس : ما أكلت شيئا قطُّ فى الشتاء إلا وقد بَرُد ، ولا فى الصيف إلا وقد سخُن .

وحدثنى محمد بن يَسِير(٣) قال : قال أبو عمرو المَدَاينى(٤) : لو كانت البَلايا بالحِصص ما نالنى كل ما نالنى : اختلفت جاريتى بالشاة إلى التيّاس [و بى إلى حملها حاجة] ، فرجعت جاريتى حاملا ، والشاةُ حائلا(٥) .

محمد بن القاسم قال قال جرير: أنا لا أبتدى ، ولكنى أعتَدِى(٦) .

وقال القَينى(٧) : أنا مثل العقرب ، أضرُّ ولا أنفع .

[وقال القينىّ(٨) : أنا أصدُق فى صغار ما يضرُّنى ؛ لأكذب فى كبار ما ينفعنى .

---

(١) فئام : جماعات كثيرة ، لا واحد له من لفظه . فيما عدا ل : « بقتل » .

(٢) تقدمت ترجمته فى (١ : ٣٢٩) . كما فى الخبر فى (٣ : ٤٦٩) .

(٣) ترجمته فى (١ : ٥٩) . فيما عدا ل : « محمد بن بشير » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « المدائنى » . وقد سبق الخبر فى (٣ : ٤٦٩) .

(٥) الحائل : التى لم تحمل . فيما عدا ل : « فرجعت الشاة حائلا والجارية حاملا » .

(٦) فيما عدا ل : « ولكن أعتدى » وقد سبق الخبر فى (٣ : ٩٩) .

(٧) فيما عدا ل : « العتبى » . والخبر سبق فى ص ٣٥٣ وفى (٤ : ٢١٩) .

(٨) الخبر ساقه المبرد فى الكامل ٣٥٦ ليبسك بلفظ آخر ، وعقبه بقول الأعشى :

فصدقتهم وكذبتهم   والمرء ينفعه كذابه

وجاء برواية ثالثة في عيون الأخبار (٢ : ٢٨ س ١٠) .

قال أبو إسحاق : استراح فلانٌ من حيث تعبَ الكرامُ] .

وقال الحجاج: أنا حديدٌ حقود حسود[1] .

وحدثني نُفَيع قال: قال لى القَيْنِي:[2] أنا لا أصدُق ما دام كذبى يخفى .

قال وذُكر شبيب بن شيبة[3] عند خالد بن صفوان[4] فقال خالد[5]: ليس له صديق فى السر، ولا عدوٌّ فى العلانية !

وقال أبو نخيلة[6] فى شبيب بن شيبة:

إذا غدَتْ سعدٌ على شَبيبِها   على فتاها وعلى خَطيبِها
مِنْ مطلع الشمس إلى مغيبِها   عَجِبْتَ مِن كثرتها وطِيبِها

---

(١) سبق الخبر فى (٣ : ٤٧) .

(٢) فيما عدا ل : « خبرنى » و « العتبى » .

(٣) شبيب بن شيبة ، من رهط خالد بن صفوان ، وكان بينهما منافسة شديدة ، وكان من الخطباء المصاقع الفصحاء . وهو شبيب بن شيبة بن عبد الله بن عبد الله بن الأهتم . البيان (١ : ٢٢٨) .

(٤) هو خالد بن صفوان بن عبد الله بن الأهتم . وكان قريعاً لشبيب وعلما من أعلام الخطابة، وقد وفد إلى هشام ، وكان من سمار أبى العباس . وكان مطلاقا ، وكان يقول : « ما من ليلة أحب إلى من ليلة قد طلقت فيها نسائى ، فأرجع والستور قد قلعت ، ومتاع البيت قد نقل ، فتبعث إلى بنتى بسليلة فيها طعامى ، وتبعث إلى الأخرى بفراش أنام عليه » انظر المعارف ١٧٧ . ط فقط . « عن » موضع : « عنده » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « خله » صوابه ما أثبت من ل . وهذا الخبر أورده الجاحظ فى البيان (١ : ٥٢ ، ٢٢٠) وعقب عليه تعقيب إعجاب .

(٦) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٠٠) فيما عدا ل : « أبو بجيلة » تحريف . والرجز فى البيان (١ : ٩٠) والأغانى (١٨ : ١٣٩) . ويروى أبو الفرج من سبب الرجز أن أبا نخيلة رأى على شبيب حلة فأعجبته فسأله إياها ، فوعده ومطله ، فقال فيه :

يا قوم لا تسودوا شبيبا   الخائن ابن الخائن الكذوبا
هل تلد الذيبة إلا الذيبا

قال : فبلغه ذلك فبعث إليه بها ، فمدحه بهذا الرجز .

وقال حسين[١] بن أبى على الكرْخىّ : أنا إنسان لا أبالى[٢] ما استقبلت به الأحرار .

وقال عَمرو بن القاسم : إنما قويت على خصمى بأنى لم أتستَّرْ قطُّ عن شىء من القبيح[٣] ! [فقال أبو إسحاق : نلتَ اللذَّة ، وهتكتَ المروءة ، وغلبتك النفس الدَّنية ، فأرَتْك[٤] مكروهَ عملك محبوباً وسيِّئَ قولك حسناً . ومن كان عَلَى هذا السبيل لم يلتفتْ إلى خير يكونُ منه ، ولم يكترثْ بشرٍّ يفعله] .

وقال الفرزدق :

وكان يُجيرُ الناس من سيفِ مالكٍ فأصبحَ يبغى نفسَه من يُجيرُها[٥]

ومن هذا الباب قول [التُّوت[٦]] اليمانىِّ :

عَلَى أىِّ بابٍ أطلُبُ الإذنَ بعد ما حُجِبْتُ عن الباب الذى أنا حاجبُهُ

ومن هذا الشكل قولُ عدىِّ بن زيد :

لو بغير الماء حَلْقِى شَرِقٌ كنت كالغَصَّانِ بالماء اعتصارِى[٧]

وقال زُهير :

فلما وَرَدْنَ الماءَ زُرْقاً جِمَامُه وضَعْنَ عِصِىَّ الحاضِرِ المتَخَيِّمِ

---

(١) ط ، س : « يحيى » هـ : « حى » وأثبت ما فى ل . على أن الخبر روى منسوبا إلى القينى فى عيون الأخبار (٢ : ٢٨) .

(٢) فيما عدا ل : « ما أبالى » .

(٣) فيما عدا ل : « إنما خصمونى لأنى لم أستتر قط بشىء من القبيح » تحريف .

(٤) فى الأصل ، وهو هنا ل : « فأدتك » .

(٥) انظر الديوان ص ٢٤٩ والبيان (٣ : ١٥١) .

(٦) فى البيان (٢ : ٢٤٦) : « ويروى التوب بالباء والتوت هو الصواب . وهو المعروف بتويت » . وفى الأغانى (٢٠ : ٧٩) : « نويب » بالنون فى أوله والباء فى آخره . « اليمامى » نسبة إلى اليمامة . قال أبو الفرج : « نويب لقب له ، واسمه عبد الملك بن عبد العزيز السلولى . . . أحد الشعراء اليماميين ، من طبقة يحيى بن طالب وبنى أبى حفصة وذويهم . ولم يفد إلى خليفة ، ولا وجدت له مديحاً فى الأكابر والرؤساء ، فأخمد ذلك ذكره ، وكان شاعرا فصيحا ، نشأ باليمامة وتوفى بها » .

(٧) انظر شرح البيت وتحقيقه فى ص ١٣٨ من هذا الجزء .

وكتب سُوَيد بن منجوف(١) إلى مُصعب بن الزبير :

فأبلِغْ مُصْعَباً عنى رسولاً وهل يُلفَى النصيحُ بكل وادِ(٢)

تعلَّمْ أنَّ أكثرَ مَن تُواخى وإن ضحِكوا إليك هم الأعادى(٣)

وحدثنى إبراهيم بن عبد الوهاب ، قال : كتب شيخٌ من أهل الرىّ

١٧٢ عَلَى باب داره : « جزى الله من لايعرفنا ولا نعرفُه خيراً . فأمّا أصدقاؤنا الخاصةُ فلا جزاهمُ الله خيرا(٤) ؛ فإنا لم نُؤتَ قطُّ إلا منهم ! » .

وأنشدنى النهشلىُّ(٥) لأعرابى يصف نَحْلاً(٦) :

[ترى مخارِفَها ثِنْيَىْ جوانبها كأن جانِى بَيضِ النحلِ جانيها(٧)

ووصف آخر نحلا فقال :

إذا علاَ قِمّتَها الرّاقى أهَلّ(٨)

وقال الشاعر(٩)] :

---

(١) سبقت ترجمته فى ص ١٦٢ من هذا الجزء .

(٢) ل : « يلقى » بالقاف ، وهذه الكلمة ساقطة من ه .

(٣) تعلم : اعلم . ل . « تناجى » .

(٤) فيما عدا ل : « فلا جزاهم الله عنا خيراً » .

(٥) فيما عدا ل : « وأنشدنا النهشلى » .

(٦) ل : « نحلا » وفيما عدا ل : « فحلا » صوابهما ما أثبت .

(٧) المخارف : جمع مخرف ، بفتح الميم والراء . وهو الرطب يخرف ، أى يجنى من النخل . وشبه جانيها بجانى بيض النحل لبعد مرقاها وعلوه ؛ إذ أن مواطن النحل شعف الجبال عندهم . ومنه قول القائل (انظر المخصص ٨ : ١٧٨) :

رباء شماء لا يأوى لقلتها إلا السحاب وإلا الأوب والسبل

والأوب : جماعة النحل ، واحدها آئب .

(٨) الراقى : الذى يعتليها . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « الراعى » . أهل : رفع صوته ؛ وذلك لشدة إعجابه بجناها .

(٩) هو مالك بن الحارث الهذلى ، كما فى الشعراء ١٥٧ . وقد نسب البيت الأخير فى اللسان (٣ : ٣٥٩) إلى خالد بن مالك الهذلى ، والأول فيه (١٢ : ١٥٥) إلى أبى سهم الهذلى .

ومن تَقْلِلْ حلوبَتُه ويَنْـكُلْ عن الأعداء يَغْبِقْهُ القَراحُ[(١)]
رأيتُ مَعاشِرًا يُثْنَى عليهم إذا شَبِعوا وأَوجُهُهُمْ قِباحُ[(٢)]
يظَلُّ المُصْرِمُونَ لهمُ سُجُوداً وإن لم يُسْقَ عندهمُ ضَياحُ[(٣)]

وقال الشاعر:

البائتين قريباً من بيوتِهِمُ ولو يشاؤون آبوا الحيّ أوْ طَرَقُوا[(٤)]

يقول: لِرَغبته فى القِرَى، و[فى] طعام الناس[(٥)]، يبيت بهم[(٦)]، ويدَعُ أهلَه. ولو شاء أنْ يبيتَ عندهم لَفعل.

وقال آخر، يمدحُ ضدَّ هؤلاء:

تَقرِى قدورُهم سُرَّاء ليلِهمُ ولا يبيتون دون الحيِّ أضيافا[(٧)]

وقال جرير:

وإنى لأَسْتَحيِي أخِى أن أرى له علىَّ من الحق الذى لا يرَى لِيَا

---

(١) ل: «ومن يقرى» وفيما عدا ل: «ومن يعرى» وأثبت ما فى اللسان (١٢: ١٥٥) والشعراء ١٥٧. وجاء فى شرح البيت فى اللسان: «أى يغبقه الماء البارد نفسه». فيما عدا ل: «يعتقه» تحريف.

(٢) فى الشعراء: «إذا ذكروا».

(٣) المصرم: القليل المال السيء الحال؛ أصرم: افتقر. والضياح، كسحاب، أوله ضاد معجمة ثم ياء مثناة: اللبن الرقيق الكثير الماء. فيما عدا ل: «صباح» صوابه فى ل واللسان (٣: ٣٥٩) والشعراء وعيون الأخبار (١: ٢٤١).

(٤) آبوا الحى: رجعوا إليهم. وآب يتعدى بنفسه وبالحرف. فيما عدا ل:

النائمون قريباً من بيوتهم ولو يشاؤون أى الحى إذ طرقوا

لكن فى هـ: «أتى الحى».

(٥) سه، هـ: «يقول لرغبتهم» تحريف. فيما عدا ل: «إطعام الناس» محرف.

(٦) بهم: أى عندهم. هـ: «عندهم» ط، سه: «عندى» وهذه محرفة.

(٧) السراء: جمع سار، وهو من يسير ليلا. وهذا من الجمع النادر، ومثله غاز وغزاء. ط فقط: «قدودهم» وفيما عدا ل: «مراء ليلهم» و: «أضعافاً» محرفات.

قال : أستحيي أن يكون له عندى يدٌ[١] ولا يرى لى عندَه مثلَها .

وقال امرؤ القيس :

وهلْ يَنعمَنْ إلا خَلِيٌّ منعَّمٌ ... قليلُ الهموم مايبيتُ بأوْجالِ[٢]

قال : وهو كقوله[٣] : « استراحَ من لاعقلَ له ! » . وأنشد مع هذا البيت [قول عمرَ بن أبى ربيعة — ويحكى أن المنصور كان يعجبهُ النصف الأخير من البيت الثانى جدًّا ، ويتمثل به كثيرا ، حتى انتقده بعض من قضى به عليه أن المعنى قدَّمَهُ دهراً ، وكان استحسانه عن فضل معرفته بإحقاقه فيه[٤] ، وصواب قوله] — :

وأعجبَها من عَيشها ظِلُّ غُرْفَةٍ ... وريَّانُ مُلْتَفُّ الحدائق أخْضرُ[٥]

ووالٍ كفَاهَا كلَّ شىء يَهُمُّها ... فليستْ لشىء آخر الدهرِ تَسْهَرُ[٦]

وأنشد :

إذا ابتدر الناس المعالِي رأيتهمْ ... وقُوفاً ، بأيديهم مُسُوكُ الأرانب[٧]

هجاهم بأنهم إنما يعيشون من الصيد . وأنشد :

إذا ابتدرَ الناسُ المكارمَ والعُلاَ ... أقاموا رُتوباً فى النُّهوجِ اللهاجِمِ[٨]

---

(١) اليد : المعروف والنعمة . فيما عدا ل : « استحى أن تكون له عندى يد » .
(٢) نعم ؛ كسمع ونصر وضرب ، فيما عدا ل : « وهل يعمن » . وفى الديوان ٥٠ : « وهل ينعمن إلا سعيد مخلد » .
(٣) فيما عدا ل : « كقوله » . وفى شرح البطليوسى لديوان امرئ القيس : « وقد أنشد الأصمعى هذا البيت فقال : هذا كما يقول : استراح من لا عقل له » .
(٤) الإحقاق : الإحكام . وفى اللسان (١١ : ٣٣٣) : « ويقال أحققت الأمر إحقاقاً إذا أحكمته وصححته » . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « وإخفاقه فيه » تحريف . على أن فى هذه التكملة التى أثبتها من ل اضطرابا ونقصا .
(٥) فيما عدا ل : « كل غرفة » صوابه فى ل وديوان عمر ص ٣ .
(٦) الدهر ، مدة الحياة . ط فقط : « الدهم » صوابه فى سائر النسخ . وفى الديوان : « الليل » .
(٧) المسوك : الجلود ، جمع مسك ، بالفتح .
(٨) الرتوب : الثبات والإقامة . فيما عدا ل : « وقوفاً » .

يخبر أنهم يسألون الناس . والنهج واللهْجم[١] الطريق الواسع .

وقال الآخر[٢] :

لنــا إبلٌ يَروين يوماً عِيالَنا ثلاثٌ وإن يكثُرْنَ يوماً فأربعُ[٣]

ولــكن إذا ما قلَّ شيءٌ يوسَّعُ[٤] تُمِدُّهم بالمــاء لا من هوانهم

وقال الآخر :

من المُهْدَيات الماء بالماء بعدما رمى بالمقادى كلُّ قادٍ ومُعْتَمِ

وقال الآخر : ١٧٣

وَداعٍ دعا والليلُ مُرخٍ سُدولَه رجاء القِرَى يا مُسلمَ بنَ حِمارِ[٦]

دَعا جُعَــــلاً لايهتدى لِمَبيته من اللؤمِ حتى يهتدى ابنُ وبارِ[٧]

وقال الحسنُ بن هانىء :

أضمَرتُ للنِّيــل هِجْراناً ومَقلِيةً إذ قيل لى إنما التِّمساحُ فى النيل[٨]

فمن رأى النِّيل رأْىَ العَينِ من كَثَبٍ فما أرى النِّيلَ إلا فى البواقيل[٩]

---

(١) ط فقط : « والهجم » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « وقال الشاعر » .

(٣) يروين عيالنا ، بما تدره من اللبن . والعيال : جمع عيل ، وهو من تعوله .

(٤) تمدهم بالماء ، عنى أنهم يمزجون لهم اللبن بالماء ليكثر ويتسع لهم . فيماعدا ل : «لا من هواهم » تحريف .

(٥) القادى : القادم من السفر . والمعتمى : القاصد ، وحقه أن يكتب بياء بعد الميم .

(٦) السدول : الستور ، وزنا ومعنى . عنى بها الظلمات .

(٧) الجعل : دويبة سوداء كالخنفساء كنيتها أبو جعران ، وهو بالإنكليزية : Scarb والجعل مثل عند العرب فى الحقارة والدناءة . أراد : دعا بدعائه مسلم بن حمار رجلا ساقط القدر من لؤمه . ط : « جعل » تحريف .

(٨) المقلية : البغض . سه : « مذقيل » .

(٩) من كثب : من قرب . والكلمتان ساقطتان من سه ، هـ . والبواقيل : جمع بوقال ، بضم الباء ، وهو كوز بلا عروة . وقد عبر بذلك عن خوفه من تماسيح النيل ومن قربان النيل لذلك .

وقال ابن ميّادة(١)

أتيتُ ابنَ قشْراء العِجانِ فلم أجِدْ   لدى بابهِ إذناً يسيراً ولا نُزْلاَ(٢)
فإنَّ الذى ولاَّكَ أمْرَ جماعــةٍ   لأنْقَصُ مَن يمشى على قَدَم عقْلاَ(٣)

ومن هذا الباب قوله :

إنى رأيت أبا العوراء مُرتفقاً   بشَطِّ دِجْلَة يَشْرِى التَّمر والسَّمَكا(٤)
كشِرَّةِ الخيــل تبقَى عند مِذْوَدِها   والموتُ أعلم إذْ قَفَّى بمن تَرَكا(٥)
هَذِى مساعيكَ فى آثارِ سادَتِنا   ومن تَــكنْ أنت ساعيه فقد هَلَــكا(٦)

ومن هذا الباب قوله(٧) :

ورِثنا المجــدَ عن آباء صِدق   أسَــأنا فى ديارِهمُ الصَّنيــعا
إذا المجــدُ الرفيعُ تعاورته   وُلاةُ السَّوء أوشكَ أنْ يضيعا(٨)

وقال جِران العَوْدِ :

[أُراقبُ لمحاً من سُهيل كأنه   إذا ما بَدَا فى دُجْيَةِ الليل يطرِفُ(٩)

---

(١) فيما عدا ل : « ابن أحمر » وانظر ما سبق فى (٣ : ٨٢) .
(٢) سبق شرح البيت فى (٣ : ٨٢) . فيما عدا ل ، « حمراء العجان » . وفى سه ، هـ : « أدنى » وهذه محرفة عن « إذنا » وفى سه : « يسير » تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « ولاه » وأثبت ما فى ل وما سبق فى (٣ : ٨٢) .
(٤) ل : « أبا العورات » وفى ط ، سه : « مرتفعاً » تحريف .
(٥) الشرة ، بالكسر : النشاط . ط فقط . « تبغى » تحريف . وفى ط ، سه : « أعلم من يدنى » هـ : « من يعني » صوابهما ما أثبت من ل ومما سبق فى (٣ : ٨١) .
(٦) ل : « تلك » بدل : « هذي » .
(٧) هو معن بن أوس المزنى ، كما فى الأغانى (١٠ : ١٥٨) . والبيتان فى عيون الأخبار (٤ : ١١٣) وقد سبقا فى (٣ : ٨٢) .
(٨) ط : « بنات السوء » تحريف . وفى سه ، هـ : « بناة السوء » جمع بان . ط ، هـ « يوشك » .
(٩) سبق الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٥٢) .

وقال] :

ولم أجـد الموقوذ تُرجَى حياتُه إذا لم يرعْه الماء ساعةَ يُنضَحُ(١)

وكان أبو عبادٍ النُّميرىُّ أتى باب بعض العمال ، يسأله شيئاً من عمل السلطان ، فبعثه إلى أُسْتقَانا(٢) فسرقوا كل شيء فى البيدَر وهو لا يشعر ، فعاتبه فى ذلك ، فكتب إليه أبو عبّاد :

كنتُ بازاً أضربُ الـكُرْ كىّ والطـيرَ العظاما

فتقنَّصْتَ بىَ الصَّعْـوَ فأوهنْتَ القُدَامى(٣)

وإذا ما أُرسلَ البا زِى عَلَى الصعْو تَعَامَى(٤)

أراد قول أبى النجم فى الراعى :

يَمُرُّ بين الغانيات الجُهَّـلِ(٥) كالصقر يجفو عن طِرادِ الدُّخَّلِ(٦)

---

(١) الموقوذ : المضروب ضرباً شديداً ، والشديد المرض الذى أشرف على الموت . فيما عدا ل : « ولم أجد الموفور يرجى جنابه » تحريف . وفى ﻫ : « ينضج » مصحفة بالجيم .

(٢) استقانا ، كذا وردت مضبوطة فى ل . وكلمة : « إلى » قبلها ليست فى الأصل . وفيما عدا ل : « فتبعه أسفار » وفى محاضرات الراغب (١ : ٨٧) : « فولاه أمانة قرية فسرق ما فى البيدر » .

(٣) التقنص : الصيد . والصعو : طائر أصغر من العصفور أحمر الرأس ، وهى بلغة العلم الأوربى : Regulus . ومنه ما يسمى : Goldcrest or Kinglet . والقدامى القوادم ، وهى ريشات أربع فى مقدم الجناح . فيما عدا ل : « بنى الصقر » محرف .

(٤) فيما عدا ل : « على الصقر » تحريف .

(٥) ط فقط : « القانيات » بالقاف .

(٦) الدخل ، بضم الدال وتشديد الخاء المفتوحة : طير صغار أمثال العصافير تأوى الشجر الملتف ، وهى أنواع كثيرة كلها غريد ، يعرف كثير منها عند عامة أهل مصر بالزريقة. وهو بالإنجليزية : Sylvia or Warbler . فيما عدا ل : « تجفو » بالتاء محرفة .

١٧٤ وبات أبو عبّادٍ(١) مع أبي بكر الغِفاريّ ، في ليالي [شهر] رمضان ، في المسجد الأعظم ؛ فدبّ إليه ، وأنشأ يقول :

يا ليــلةً لي بتُّ ألْهُو بها　　مع الغِفاريِّ أبي بكرِ
قمتُ إليــه بعد ما قد مضى　　ثُلْثٌ من الليل على قدْرِ
[في ليلةِ القدْرِ ، فيامَنْ رأى　　أدَبَّ منِّي ليــلةَ القَدْرِ]
ما قام حَمْــدانُ أبو بكرِ　　إلا وقد أفزَعَهُ نَخْري(٢)

وقال في قلْبانَ صديقتِهِ(٣) :

إن قلبانَ قــد بغَتْ　　لشقائي وقــد طغَتْ(٤)
وإذا لم تنَكْ بأيْـ　　ـر عظيم القوى بكتْ

وقال مسكينٌ الدّارمي :

إليك أمير المؤمنين رحَلْتُها　　تثير القطا ليلاً وهنَّ هُجودُ(٦)
لَدَى كلِّ قُرموص كأنّ فراخَه　　كُلًى غير أن كانت لهنّ جُلودُ(٧)

---

(١) هو أبو عباد النميري ، تقدمت ترجمته في (٢ : ١٩٣) . هـ فقط : « أبو بكر عباد »
(٢) النخر ، عنى به النخير ، وهو صوت الأنف . ط : « أقرعه » س : « أفرعه » هـ : « أفرغه » ط ، س : « نحرى » هـ : « بحرى » صواب هذه التصحيفات ما أثبت من ل .
(٣) الصديقة : مؤنث الصديق ، كما في اللسان (٢٢ : ٦٣ س ٤) . والأفصح أن يكون لفظ المؤنث كلفظ المذكر .
(٤) ط : « صفت » س ، هـ : « صغت » صوابهما ما أثبت من ل .
(٥) ل : « فتى كافر بكت » .
(٦) يقوله لمعاوية بن أبي سفيان كما في الشعراء ١٣٢ . وهو من قصيدة سياسية أمره يزيد ابن معاوية أن يصنعها ويؤيد بها ترشيحه للخلافة بعد أبيه . انظر الأغاني (١٨ : ٧١ — ٧٢) .
(٧) القرموص : وكر الطائر حيث يفحص في الأرض . والكلى : جمع كلية ، شبه الفراخ بها لعرى أبدانهن من الريش .

وقال أبو الأسود الدِّيلى (١) ، واسمه ظالم بن عمرو بن سفيان (٢) :

أمِنْتَ على السِّرِّ امرأ غير كاتم ... ولكنه فى النصح غيرُ مُرِيبِ (٣)
أذاع به فى الناس حتى كأنه ... بعَلياء نارٌ أوقِدَتْ بثَقُوبِ (٤)
وكنتَ متى لم تَرْعَ سِرَّك تنتشر ... قوارعُه من مخطئٍ ومُصيبِ (٥)
وما كل ذى لبٍّ بمؤتيك نُصْحَه ... وما كل مؤتٍ نصحه بلبيبِ
ولكن إذا ما استَجْمعا عند واحد ... فحقٌّ له من طاعة بنصيبِ (٦)

وقال أيضاً :

إذا كنت مظلوماً فلا تُلْفَ راضياً ... عن القوم حتى تأخذ النصفَ واغضبِ (٧)
وَإن كنت أنت الظالم القوم فاطَّرِحْ ... مقالتهم وأشْغب بهم كل مَشْغَبِ (٨)
وقارِبْ بذى جهل ، وباعِدْ بعالم ... جَلوبٍ عليك الحقَّ من كل مَجلَبِ

---

(١) ط ، سـ : « الدؤلى » . وانظر ما أسلفت فى ص ٤٧٤ وما سبق فى (٣ : ٥٠) .

(٢) ط ، سـ : « وهو ظالم » وما بعد كلمة : « ظالم » ساقط من سـ . وكان من قصة هذا الشعر أن أبا الأسود خطب امرأة من عبد القيس يقال لها أسماء بنت زياد ، فأسر أمرها إلى صديق له من الأزد ، فحدث به ابن عم لها كان يخطبها ، فدفعه ذلك أن يحتال ويتعجل فى زواجه بها ، وضاعت من أبى الأسود . انظر الأغانى (١١ : ١٠٤ — ١٠٥) .

(٣) ط ، هـ : « امرأ حازم » تحريف . وفى سـ : « عير حازم » بالعين المهملة ، صوابها بالمعجمة . وأثبت ما فى ل . ورواية الأغانى : « أمنت امرأ فى السر لم يك حازما » .

(٤) الثقوب ، بالفتح : ما أثقبت به النار وأشعلتها من دقاق العيدان ، كالثقاب ، بالكسر . فيما عدا ل « لثقوب » صوابه ما أثبت من ل والأغانى .

(٥) فيما عدا ل : « ينتشر » وفى الأغانى : « تلتبس » . والقوارع : الدواهى والنوازل . أراد ينشرها المخطئ والمصيب .

(٦) استجمعا ، أى اللب والنصح . فيما عدا ل : « من ساعة » صوابه فى ل والأغانى .

(٧) النصف ، ويثلث : الانتصاف وأخذ الحق .

(٨) فيما عدا ل : « فإن كنت » . الشغب : تهييج الشر والفتنة والخصام ، وترك القصد إلى العنود . فيما عدا ل : « على كل مشغب » صوابه فى ل والأغانى .

فإن حَدِبوا فاقعَس وإن هم تقاعَسُوا   ليستمسكوا ممـا وراءك فاحدبِ[1]
ولا تُذْعِنَنْ للحقِّ واصبر على التى   بها كنتُ أَقضِى للبعيد على أبى[2]
[فإنى امرؤٌ أخشَى إلٰهى واتقى   مَعادى وقـد جرَّبتُ مالم تجربِ

وقال مَسْلمة بن عبد الملك :

إنى إذا الأصـواتُ فى القوم علَتْ   فى مَوْطِنٍ يَخشى به القومُ العَنَتْ
مُوَطِّنٌ نفسى على ما خيَّلَتْ[3]   بالصَّـبر حتَّى تنجلى عمَّا انجلَتْ

وقال الـكميت :

وبيض رِقاقٍ خفاف المُتُونِ   تسمعُ للبَيْضِ منهـا صريراً[4]
تُشبَّه فى الهـامِ آثارُها   مَشافِرَ قَرْحَى أكلْن البَرِيرا[4]

وأنشدنى أبو عبيدة :

نُصْبِحُها قيساً بلا استبقائها   صفائحاً فيهـا فضولُ مائها
من كلِّ عَضْبٍ عَلَّ من دِمائها   إذا عـلا البيضةَ فى استوائها
رونقُه أوقَدَ فى حِرْبائهـا[6]   ناراً وقد أمخَضَ من ورائهـا

وأنشدنى لرُجل من طيِّئ :

لم أرَ فتيانَ صباحٍ أصـبرَا[7]   منهم إذا كان الرماحُ كِسَرا[8]

---

(١) الحدب : خروج الظهر ودخول البطن والصدر ، وفعله من باب فرح . والقعس : نقيضه ، وهو خروج الصدر ودخول الظهر ، وفعله من باب فرح أيضاً .
(٢) فى الأغانى : « ولا تدعنى للجور » .
(٣) على ما خيلت : أى على كل حال . خيلت : شبهت .
(٥) البيض ، بالكسر : السيوف . والبيض ، بالفتح : جمع بيضة السلاح .
(٥) سبق البيت وشرحه فى (٣ : ٣١٠) .
(٦) رونق السيف : ماؤه وصفاؤه وحسنه . وحرباء البيضة : ظهرها . وفى اللسان : « والحرباء : الظهر » وفيه : « الحرباء مسمار الدرع » .
(٧) فتيان الصباح : الذين يصبحون العدو ، يغيرون عليهم صبحاً .
(٨) الكسر : جمع كسرة ، بالكسر ؛ وهى القطعة المكسورة من الشئ .

سُفْعَ الخدودِ دُرَّعاً وحُسَّرا[(١)] لايشتهونَ الأجلَ المؤخَّرا

وقال ابن مفرِّغ :

قبُّ البطون والهوادى قُودُ[(٢)] إنْ حادتِ الأبطالُ لاتحيدُ

إذا رجعناهنَّ قالت عودُوا كأنما يَعلمن ما نُريد

ومن المجهولات :

عليك سلامُ الله من مَنزلٍ قَفْرِ فقد هِجْتَ لى شوقاً قديماً وما تدرِى

عهدتك من شهر جديداً ولم أخَلْ

صُروفَ النّوى تبلى مغانيك فى شهر

الخُرَيمىُّ أبو يعقوب :

لعمركَ ما أخلقتُ وجهاً بذلتَه إليك ولا عرَّضْتُه للمعايرِ

أى لا أعيِّرُ لقصدك .

فتًى وفَرتْ أيدى المحامدِ عِرضَه عليه وخَلَّتْ مالَه غير وافر

وقال مطيعُ بنُ إياس :

قد كلفتنى طويلة العُنُقِ وحُبُّ طولِ الأعناقِ من خُلُقِى

أقلقُ من بُعدها فإن قربت فالقربُ أيضًا يزيدُ فى قلقى

وقال سهلُ بنُ هارون :

إذا امروٌ ضاق عنِّى لم يضِق خُلُقى من أن يرانى غنيًا عنه بالياسِ[(٣)]

---

(١) درع : جمع دارع وهو لابس الدرع . والحسر : جمع حاسر ، وهو الذى لا درع عليه ولا بيضة على رأسه . وفى حديث فتح مكة ، أن أبا عبيدة كان يوم الفتح على الحسر . وهم الذين لا دروع لهم .

(٢) قب : جمع قباء ، وهى الضامرة البطن مع دقة فى الخصر . والهوادى : الأعناق . قود : جمع قوداء ، وهى الطويلة .

(٣) الياس : اليأس ، بتسهيل الهمزة .

ولا يرانى إذا لم يرع آصرتى   مستمرِيًا دِرَرًا منه بإبساس[1]
لا أطلبُ المالَ كى أُغنَى بفضلته   ما كان مطلبُه فقرًا إلى الناسِ[2]

وقال ليحيى بن خالد :

عدوّ تلادِ المال فيما ينوبه   منوعٌ إذا ما منعُه كان أحزَما
فسِيَّانِ حالاه ، له فضْل منعِه   كما يستحقُّ الفضلَ إن هو أنعَمَا
مذلِّلُ نفس قد أبَتْ غيرأن ترى   مَكارِهَ ما تأتى من الحقِّ مَغْنَما]

وقال أبو الأسود لزياد :

١٧٥ لعمرك ما حشاكَ الله رُوحا   به جشعٌ ولا نفسًا شرِيره[3]
ولكن أنتَ لاشَرِسٌ غليظٌ   ولا هَشٌّ تنازِعُه خُؤُوره[4]
كأنا إذْ أتَيناهُ نزَلْنا   بجانِبِ رَوْضةٍ رَيَّا مَطِيرَه

تمّ المصحف الخامس بحمد الله وعونه ، يتْلوه المصحف السادس من كتاب الحيوان[5] .

---

(١) الآصرة : ما عطفك على رجل من رحم أوقرابة أوصهر أو معروف . الاستمراء : الاستخراج والاستدرار ، والمعروف المرى والامتراء . الدرر : جمع درة بالكسر ، وأصلها فى الأمطار أن يتبع بعضها بعضاً . والإبساس : صويت الراعى تسكن به الناقة عند الحلب .

(٢) فى البخلاء ١٥٣ : « كى أغنى » ولكل منهما وجه .

(٣) الروح : النفس ، يذكر ويؤنث . فيما عدا ل : « نفسا بها » .

(٤) الذى فى المعاجم : « الخؤور » بطرح التاء ، وهو الخور والضعف . لكن جاء فى شعر جرير (انظر اللسان ٢٠ : ٢٤٧) :

وبجاشع قصب هوت أجوافه   لو ينفخون من الخؤورة طاروا

(٥) هذه هى عبارة س . وفى ط : « تم الجزء الخامس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السادس » أو « باب » وليس فى ل ، ه عبارة فاصلة بين هذا الجزء والذى يليه .

فهـــارس

الجزء الخامس من كتاب الحيوان

١ ــ ابواب الكتاب

صفحة

صفحة

٢ — ما يتعلق من الأبحاث بالحيوان

ا

ت

ث

ج

ح

خ

د

ر

ز

س

ش

ص

ض

٣ ـ ما يتعلق من الأبحاث بالأعلام

م

ن

٤ ـ مايتعلق من الأبحاث بالمعارف

ا

ب

ت

ث

ح

خ

ص

ض

ط

ع

٥ ــ ما ترجم من الأعلام فى الشرح

غ

ف

٦ — مراجع الشرح والتحقيق

يضاف إلى المراجع المثبتة فى الأجزاء السابقة :

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
إتحاف فضلاء البشر	أحمد بن محمد الدمياطى	عبد الحميد حنفى	١٣٥٩ ﻫ	مصر
أخبار مكة	الأزرقى	الماجدية	١٣٥٢ ﻫ	مكة
الأزمنة والأمكنة	المرزوقى	دائرة المعارف	١٣٣٢ ﻫ	حيدر أباد
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين	الرازى	لجنة التأليف	١٣٥٦ ﻫ	مصر
الأنساب	السمعانى	بريل	١٩١٢ م	ليدن
الإنصاف	الأنبارى	بريل	١٩١٣ م	«
البحر المحيط	أبو حيّان	السعادة	١٣٢٨ ﻫ	مصر
بدائع البدائه	ابن ظافر الأزدى	بولاق	١٢٧٨ ﻫ	«
تهذيب الألفاظ	ابن السِّكّيت	الكاثوليكية	١٨٩٥ م	بيروت
جمع الفوائد	محمد بن محمد بن سليمان	الخيرية	١٣٤٥ ﻫ	ميرته الهند
الجمهرة	ابن دريد	دائرة المعارف	١٣٥١ ﻫ	حيدر أباد
جَنَى الجنّتين	المحِبّى	الترقى	١٣٤٨ ﻫ	دمشق
الخصائص	ابن جنّى	الهلال	١٣٣١	مصر
دائرة المعارف الإسلامية(١)	(النسخة المعرّبة)	الاعتماد	من ١٣٥٢ ﻫ	«
ديوان قيس بن الخطيم	—	—	١٩١٤ م	ليبسك
ديوان أبى محجن	رواية العسكرى	الأزهار	—	مصر
رسالة الغفران	المعرِّى	هندية	١٩٠٧ م	«
رسائل إخوان الصَّفاء	—	العربية	١٣٤٧ ﻫ	«
الزهرة	الأصفهانى	الآباء اليسوعيين	١٣٥١ ﻫ	بيروت

(١) وضعها جماعة من المستشرقين ونقلها إلى العربية لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية .

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
السنن الكبرى	البيهقي	دائرة المعارف	١٣٥٥ هـ	حيدر أباد
سنن النسائى	النسائى	الميمنيّة	١٣١٢ هـ	مصر
شرح مقامات الحريرى	الشريشى	بولاق	١٣٠٠ هـ	»
شفاء الغرام	الفاسى	—	١٨٦١ م	ليبسك
شمس العلوم	نشوان الحميرى	بريل	١٩١٦ م	ليدن
صحيح البخارى	البخارى	بولاق	١٣١٠ هـ	مصر
صحيح مسلم	مسلم	»	١٢٩٠ هـ	»
الغريب المصنف	أبو عمرو الشيبانى	مخطوطة دار الكتب	—	—
الفائق	الزمخشرى	دائرة المعارف	١٣١٤ هـ	حيدر أباد
الفصول والغايات	المعرى	حجازى	١٣٥٦ هـ	مصر
القراءات الشاذة	ابن خالويه	الرحمانية	١٩٣٤ م	»
الكنز اللغوي (١)	الدكتور أوغست	الكاثوليكية	١٩٠٣ م	بيروت
اللآلى	البكرى	لجنة التأليف	١٣٥٤ هـ	مصر
مجلة الثقافة	—	—	—	»
مجلة المشرق	—	—	—	بيروت
مجمع الزوائد	الهيثمى	مكتبة القدسى	١٣٥٣ هـ	مصر
مجموعة المعانى	(لم يعلم)	الجوائب	١٣٠١ هـ	قسطنطينية
المداخل	غلام ثعلب	(مخطوط)	—	—
مسند أحمد	أحمد بن حنبل	الميمنية	١٣١٣ هـ	مصر
مشارق الأنوار	القاضى عياض	المولوية	١٣٢٩ هـ	فاس
معجم شرف	الدكتور محمد شرف	الأميرية	١٩٢٩ هـ	مصر

(١) نشره الدكتور أوغست هفنر Dr. August Halfner ويشمل كتاب القلب والإبدال لابن السكيت ، والإبل وخلق الإنسان له أيضاً .

الكتاب	المؤلف	المطبعة	التاريخ	البلد
المعرب	الجواليقي	دار الكتب	١٣٦١ هـ	مصر
مفتاح كنوز السنة[١]	ا . ى . فنسنك	مصر	١٣٥٣ هـ	»
المفضليات	الضبي	المعارف	١٣٦٢ هـ	»
المواقف	الإيجي	العلوم	١٣٥٧ هـ	»
نظام الغريب	الرَّبعي	هندية	—	»
الهاشميات	الكميت	بريل	١٩٠٤ م	ليدن
الولاة والقضاة	الكندي	الآباء اليسوعيين	١٩٠٨ م	بيروت

(١) نقله إلي العربية الأستاذ الجليل محمد فؤاد عبد الباقي .

تذييل واستدراك

صفحة	سطر	
٢٠	١٢	« واشتدت منها » كذا فى الأصل . والوجه « واستمدت منها » يؤيد هذا التصحيح قول الجاحظ فى ص ٢١ س ٣ : « وأمده بعض أجزائه » .
٤٦	١٠	« الخبز » كذا فى الأصل . وصوابه « الحِبْر » وجاء فى ص ٥٦ س ٥ : « فاللبن والحبر يتفاسدان » .
٧٧	١٠	« الحصيف » صوابه « الخصيف » بالخاء المعجمة ، وفى اللسان (١٠ : ٣٤٧) « ورماد خصيف : فيه سواد و بياض » . وانظر مافى ٣٧٠ س ١ .
٨٤	٢٤ ش	من أقدم النصوص العربية التى ورد فيها ذكر « البركان » قول المسعودى فى التنبيه والإشراف ٥٢ س ٢١ : « وجزيرة صقلية وما يليها من جبل البركان . و منه تخرج عين النارالتى تعرف بأطمة صقلية ».
١٣٣	٤ ش	« بأطرافها » صوابه : « بأطراقها » .
٢٣٠	٦	« نَدبة » . يقال « نُدْبة » و « نَدْبة » بضم النون وفتحها ، كما فى القاموس . وانظر الخزانة (٤ : ٢٧٢ بولاق) .
٢٣٤	٩ ش	« نور له » . فى اللسان (٧ : ١٠٤) : « هو ينور عليه أى يخيل . وليس بعربى صحيح . الأزهري : فلان ينور على فلان إذا شبه عليه أمرآ . قال : وايست هذه الكلمة عربية . وأصلها أن امرأة كانت تسمى نورة ، وكانت ساحرة ، فقيل لمن فعل فعلها قد نور فهو منور».
٢٥٢	١١–١٣ش	هذا ما بدا لى فى تحقيق هاتين الكلمتين . وكتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى : « صوابها كنك كنك ،ولال لال . وكلتاهما بمعنى الأبكم . أى أن هذه الدويبات صم بكم لا تسمع ولا تتكلم لحسن طعمها ، فطعمها شاهد على لذيذ مافيه ، فهى فى غنى عن الكلام على نفسها . والكلمتان فارسيتان. وأهل عمان وخليج فارس يدخلون ألفاظا فارسية كثيرة فى كلامهم إلى عهدنا هذا ، ويدخلون تلك الكلم فى جميع مرافق حياتهم » .

صفحة	سطر	
٦٤	١٢	« فى النادىّ » لعلها : « فى البادين » جمع بادٍ مقابل الحاضر. وجاء فى (٦ : ٢١) : « تكفى الوليدة والرُّعيان » فى نسخة كوبريلى .
٢٨٦	٢ ش	« بؤس الناس » هى بضم الباء وتشديد الهمزة المفتوحة : جمع بائس . انظر شرح شواهد الشافية للبغدادى ص ٤٨٩ .
٣١٨	١	« سنانير الجيران » كتب إلىّ حضرة العلامة الجليل الأب أَنَستاس مارى الكرملىّ : « هذا أمر مشهور لاينكر ، فقد كان فى بيتنا فى سنة ١٨٧٨ هرٌّ كثيف الشعر ، سمّيناه « مرجان » ، وكنا عوّدناه ألا يأكل من إناء أيا كان ، بل من الأرض فقط ، فكنا نشترى له طحال الغنم فيأكله لأنه حريص عليه ، ونضعه فى وعاء أو قدر بين يديه ، فإذا حاول أخذه ضربناه ضرباً موجعا . ولما كنا نضعه على الأرض كنا نشجعه على أكله . وبعد ممارسات عدة اعتاد الأمر . وكان يمنع جميع الهررة أصدقائه من الدنوّ من لحوم البيت أو طعامه . وكثيراً ما كان يجرى حرب شديدة بينه و بين أصحابه ، حتى إننا كنا نرمى اللحم فى الأوعية ، ونذهب خارج البيت ، تاركين تلك الآنية بلا غطاء عمداً ، معتمدين عَلَى حمايته لها ، فما كان أحد من السنانير يجسر من الدنو منه ؛ لأن « مرجاناً » كان هناك رقيبها الأمين ، وكان بمنزلة « شرشير » فى جهنم . وكان قد اعتاد هرنا هذا أن يتردّد إلى بيوت الجيران ، فإذا رأى فى أحدها فراخ هرة أخذ منها كل يوم فرخا ، وأتى به عَلَى سطح دارنا وأكله ، ورأيت ذلك ثلاثة أيام متواليات ، ثم تركت مراقبته . وفى شهر شباط

صفحة سطر

(فبراير) من هذه السنة أى سنة ١٩٤٢ — رأيت فى ديرنا هراً كبيراً ، كان يأتى بفرخ هرة جيراننا ، ويأكله لا عَلَى سطح دارنا ، بل عَلَى سطح الدار التى يجد فيها الفراخ . ولهذا قالت العرب — على مايبدولى — هو أبر من هرة ، لأنهم ينسبون إلى الهرة لا إلى الهر أكل الفراخ . مع أن الحقيقة التى لا ريب فيها هى أن السنور هو الأثيم . وهذا الأمر معروف فى ديار العراق كلها ، ولا يجهله أحد . أما السبب فلا يعلم إلى الآن . والسلف يقول : إن القط تفعل ذلك براً بأولادها . إذن هذا معنى قول الجاحظ : وذكورة سنانير الجيران تأكل أولاد الهرة » .

٣١٩ ٦ البيت نسبه الجاحظ أيضا فى (٦ : ٩٧) إلى الفرزدق .

٣٢٥ ٢ « سوراسنب » . كتب إلىَّ حضرة المحقق الكبير الأب أنَستاس مارى الكرملىّ : « الصواب : وإلى إقامة سور للسُّنْب . وهما كلمتان فارسيتان معناهما عيد (= سُور) للخَفْض (= للسُّنْب) . وذلك أن نساء المجوس — ويسمى المجوس اليوم فى الهند : پَارسِى Parsis — يقمن حفلة أو عيداً فى يوم تطهير المرأة . وفى يوم آخر يُكرَم صاحب الحائض فى أول يوم من حدوث الطمث لابنته البالغ ؛ لأنه أصبح أباً مستعداً لزيادة البشر . ولهذا تُرَى المرأة معزَّزة ومكرمة غاية الإكرام عند أهل هذه النحلة » .

٣٢٩ ١٣ جاء مثل هذا المعنى فى قول القائل (انظر اللسان ١٧ : ٢٣٧):

خليلى عوجا من صدور الكوادن إلى قصعة فيها عيون الضياون

قال : شبه الثريدة الزريقاء بعيون السنانير، لما فيها من الزيت .

٣٣١ ١١ ش وانظر أيضا الحيوان (٣ : ١٧٤ — ١٧٥) .

صفحة	سطر	
٣٣٩	٤	كانت التجارة فى السنانير من المألوف عندهم ، ولكنها كانت تجارة مستهجنة ، وفى البيان (١ : ٢١٩) : « قال أبو إسحاق : بل كذبت ، إنما هو كقول القائل حين سأله بعض من أراد تزويج حرمه عن رجل ، فقال : هو يبيع الدواب ! فلما نظروا فى أمره وجدوه يبيع السنانير ، فلما سئل عن ذلك قال : ما كذبت ، لأن السنور دابة » . وفى الأغانى (١٢ : ١٥٥) : حدثنا أحمد بن يحيى ، قال : آخر ما فارقت محمد بن حازم أنه قال : لم يبق شىء من اللذات إلا بيع السنانير » . وانظر بقية الخبر فيه .
٣٦٠		صحة هذه العبارة : وسنذكر عقارب الشتاء ، وهى عقارب الحِيران » والحيران : جمع حوار ، بالضم ويكسر ، وهو ولد الناقة إلى أن يفصل عن أمه . ففى القاموس : « وعقرب الحيران عقرب الشتاء ، لأنها تضر بالحوار » .
٣٦٣	٥	انظر للعقارب الطيارة الحيوان (٢ : ٢٣٧ / ٥ : ٤١٣/٧ : ١٦)
٣٧٥	١	(كان له غلام بمصر) كذا فى الأصل ، وهو هنا ل فقط . وأراها : « كان له غلام تَبَثّر » . تبثَّر : ظهرت فيه البثور ، وهى مثل الجدرى يظهر على الوجه وغيره من بدن الإنسان . وانظر هذا الجزء ص ٤١٥ س ٤ .
٣٩٠	٩ ش	أضف إلى ذلك ماورد فى الكامل ٤٣٠ ليبسك : « وكان أبو الشمقمق ربما لحن ، ويهزل كثيرا ، ويجد فيكثر صوابه »
٣٩٢	١٣	وكذلك ٣٩٨ س٢ . كتب إلى حضرة العلامة الجليل الأب

صفحة سطر

أَنَسْتَاس مارى الـكرملىّ ، تعليقا قيِّما جاء فيه : «قلت : صواب الرواية : (دَدْ) أو (دَدَه) بدالين مهملتين ، ثم بدالين مهملتين بلى الأخيرة هاء محضة ساكنة ، كلمتان فارسيتان ، معناهما الأول الحيوان المفترس أو الضارى ، أو الوحش المؤذى ، ثم أطلق على دودة أو قملة تضر الإنسان ضرراً عظيما أعظم من ضرر الوحش له . وقد ذكرها الأقدمون بأسماء مختلفة منها هذا الاسم الفارسى بلغتيه . ومنهم من عربها بصورة (دَدَه) وهى الواردة فى كتب الفصحاء . وذكرها ابن سينا فى القانون المطبوع فى رومة (٢ : ١٤٨) : فصل فى قملة النسر المسماة دذه بالفارسية ، وصملوكى باليونانية ، وطغانوس بالهندية . وهذه هامة كالقملة أو كأصغر الديدان . قال جالينوس : هى صغيرة لا يتوقى منها . وتكاد لا تُبْصَر لسعتُها وهى مما تفجر الدم بولا ورعافا ، ومن المقعدة ، ومن المعدة بالقىء ، ومن الصدر والرئة ، ومن أصول الأسنان . وربما عظم الخطب فيها فلم تقبل الدواء . وقال ياقوت الحموى ، فى معجم الأدباء ، فى ترجمة على بن منصور الحلبى (٥ : ٤٢٧ من طبعة مرجليوث) : واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شَقْفَة ، وهى التى تسمى التراقى ، ويقال لها قملة النسر أيضا ، فمات منها . اهـ . وفى حياة الحيوان (٢ : ٢٩٩ بولاق) : وأما قملة النسر فهى التى تكون فى بلاد الجبل ، وتسمي بالفارسية دره (كذا والصواب دده أو دذه) وهى إذا عضت قتلت ، وهى أعظم من القملة ، وإنما سميت قملة النسر لأنها تخرج منه . قلنا : وهذا خطأ أيضا . والصواب أنها

صفحة سطر

سميت قملة النسر لأنها تفتك بالناس فتك النسر بالطير والدويبات ، إذ لا يفلت من منسريه شيء البتة . أما أنها في النسر فليست فيه إلا شذوذا أو يكاد »

٤٠٢ ٩ فاتني أن أنبه إلى أن العبارة في ل : «لم أطردها» بحذف الواو .

٤٥٨ ٥ ش يضاف إلى هذا التحقيق ما جاء في الحيوان (٦ : ١٧٦ ساسي) من قول الجاحظ : « فاشتريته فإذا هو أحسن الناس خبزاً وأطيبهم طبخا » .

٤٦٧ ١٧ ش الزواج النهاري ، يفهم من لفظه أن كلا من الزوجين لا يلقى صاحبه إلا على نهار ، ويفرغ كل منهما في الليل لما هو بسبيله . وجاء في البخلاء ١٠٤ في قصة تمام بن جعفر : « وقالت له امرأة : ويحك يا أبا القماقم . إني قد تزوجت زوجا نهاريا ، والساعة وقته ، ولست على هيئة ، فاشتر لي بهذا الرغيف آسا ، وبهذا الفلس دهنا ، فإنك تؤجر . فعسى الله أن يلقي محبتي في قلبه ، فيرزقني على يدك شيئا أعيش به » .

٤٧٧ ٨ ش كتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس ماري الكرملي : صوابها الباضوركي ، براء مهملة لا بالزاي . وهذه من خطأ الناسخ . والباضوركي لغة في البازركان . والكلمة فارسية . ويراد به المشتط في السوم والبيع والعراقيون يسمونه اليوم المغلواني ، زنة القلقلاني . ويقول بعضهم المغلواني — أي بضم الميم والغين وإسكان اللام . ويسمى بالفرنسية *Ecorcheur* وبالإنكليزية : Fleecer وأما العرب الفصحاء فكانوا يسمونه في صدر الإسلام : الوغال . قال الأخطل في ص ١٦١ من ديوانه :

فوضعت غير غبيطه أثقاله ... بسباء لا حصر ولا وغال

قال شارحه : الحصر البخيل . والوغال هاهنا البياع الذي يبالغ في الثمن . وجعل الزاي ضاداً من لغة بعضهم في قديم الزمان . وقد أشار إلى ذلك صاحب التاج في مادة (ش ر ض) .

ثم إن بعض فقهاء اللغتين الفارسية والعربية يرون أن الألف والنون الكاسعتين لبعض الكلم الفارسية كما في البازركان ، هي بمنزلة ياء النسب في الآخر عند العرب ولهذا عربوها بقولهم بازركي . وهكذا عرفنا معناها . والأفصح أن يقال الوغال ، أو البازكان ، أو البازركي . وأما (الباضركي) فقبيح . هذا ما بدا لنا وعلمه فوق كل ذي علم » .

منشية البكري غرة المحرم سنة ١٣٦٣ هـ

كتبه

عبد السلام محمد هارون

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء السادس

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم - خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء السادس

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧ م

بسم الله الرحمن الرحيم

باب [1]

بسم الله ، والحمدُ لله ، ولا حولَ ولا قوَّة إلا بالله ، وصلى اللهُ على محمد وعلى آله وصحبه وسلم [2] .

اللهمَّ جنِّبْنا فضول القول ، والثِّقةَ بما عندنا ، ولا تجعلْنا من المتكلِّفين .

قد قلْنا في الخطوط ومَرَافقها [3] ، وفي عموم منافعها ، وكيف كانت الحاجةَ إلى استخراجها ، وكيف اختلفَتْ صُوَرُها على قدر اختلاف طبائع أهلِها ، وكيف كانت [4] ضرورتُهم إلى وضْعها ، وكيف كانت تكون الخَلّة عند فَقْدها [5] .

وقلْنا في العَقْد ولِمَ تَكلَّفوه [6] ، وفي الإشارة ولِمَ اجتلبوها [7] ، ولِمَ شبَّهوا جميع ذلك ببيان اللِّسان ، حتى سمَّوه بالبيان . ولم قالوا : القلم أحدُ اللِّسانين ، والعَين أنَمُّ من اللِّسان .

وقلنا في الحاجة إلى المنطق [وعُموم نفعِه ، وشدة الحاجة إليه] ، وكيف صار أعمَّ نفعا ، [ولجميع هذه الأشكَال أصلًا] ، وصار هو المشتقَّ منه ،

---

(1) هذه الكلمة والبسملة قبلها في ط فقط ، دون سائر النسخ . وبدلهما في س : « أول المصحف السادس من كتاب الحيوان » .

(2) ل : « وصلى الله على رسول الله » .

(3) مرافقها : منافعها . والمرفق ، كمقعد ومجلس ومنبر : ما استعين به . هـ : « موافقها » تحريف . وقد سبق الكلام على الخطوط في (1 : 62 – 71) .

(4) فيما عدا ل : « وكيف صار » .

(5) الخلة ، بالفتح : الحاجة . هـ : « الخلة عند فقده » ، محرفة .

(6) سبق الحديث عن العقد والإشارة في (1 : 33 – 35) . ط ، هـ : « تكلفوها » والعقد مفرد مذكر .

(7) س ، هـ : « اختلبوها » ، صوابه في ل ، ط .

والمحمولَ عليه[١] ، وكيف جعلْنا دلالة الأجسام الصَّامتة نُطْقا[٢] والبرهانَ الذى فى الأجرام الجامدة بياناً .

وذكرنا جملةَ القَول فى الكلب والدِّيك فى الجزأين الأوَّلين ، وذكرْنا جملةَ القول فى الحمام ، وفى الذِّبَّان[٣] ، و [فى] الغربان ، و [فى] الخنافس ، و [فى] الجعلان ، ــ إلَّا مابقى من فضْل القول فيهما[٤] ، فإنّا قد أخَّرنا ذلك ؛ لدخوله فى باب الحشرات ، وصواب موقعهما فى باب القول فى الهمَج ــ فى الجزء الثالث[٥] .

وإذا سمعت ما أودعَها الله تعالى من عظيم الصَّنعة ، وما فطرَها الله تعالى عليه[٦] من غريب المعرفة ، وما أجْرَى بأسبابها من المنافع الكثيرة ، والمِحَن العظيمة ، وما جَعَل فيها من الدَّاء والدَّواء ــ أجلَلْتَها أنْ تسمِّيَها همجا ، وأكبَرْت الصِّنف الآخر[٧] أنْ تسمِّيه حشرة ، وعلمت أنَّ أقدارَ الحيوان ليست على قدر الاستحسان ، ولا على أقْدار الأثمان[٨] .

وذكرنا جملة القَول فى الذَّرّة[٩] والنَّملة ، وفى القرد والخنزير ، وفى الحيَّات والنَّعام ، وبعض القولِ فى النَّار فى الجزء الرابع .

---

(١) فيما عدا ل : « وصار هو الأصل المشتق منه والمحتمل عليه » ، لكن فى ط : « وصاو » تحريف طبع .

(٢) انظر (١ ، ٣٣ — ٣٥) . ل : « تطلقا » ، محرف .

(٣) ط فقط : « الذباب » .

(٤) فيهما : أى فى الخنافس والجعلان . فيما عدا ل : « من فضول القول فيها » محرف .

(٥) أى ذكرنا جملة القول فى الحمام وما بعده ــ فى الجزء الثالث .

(٦) ل : « وما فطرها عليه » .

(٧) ل : « النصف الآخر » .

(٨) ل : « قدر الأثمان » .

(٩) الذرة : واحدة الذر ، وهو ضرب صغار من النمل . ط فقط : « الدرة » بالمهملة ، تصحيف .

والنار – حفظك الله – وإنْ لم تكن من الحيوان ، فقد كان جرى من السَّبَب المتَّصل بذكرها ، ومن القَوْل المضمر بما فيها ، ما أوجَبَ ذِكْرها ٣ والإخبار عن جملة القول فيها .

وقد ذكرنا بقيَّة القول فى النّارِ (١) ، ثمَّ جملةَ القول فى العصافير ، ثمَّ جملة القول فى الجرذان والسَّنانير والعقارب . ولِجَمْعِ (٢) هذه الأجناس فى باب [واحد] سببٌ (٣) سيعرفه من قرأه ، ويتبيّنه (٤) من رآه !

ثمَّ القولَ فى القمل والبراغيث والبعوض ، ثمَّ القولَ فى العنكبوت والنَّحل ، ثمَّ القولَ فى الحُبارَى ، ثمَّ القولَ فى الضَّأن والمعز ، ثم القولَ فى الضَّفادع والجراد ، ثمَّ القولَ فى القطا .

(الإطناب والإيجاز)

وقد بقيتْ – أبقاك الله تعالى – أبوابٌ توجِب الإطالة ، وتُحْوِج إلى الإطناب (٥) . وليس بإطالةٍ ما لم يُجاوزْ مِقْدارَ الحاجة (٦) ، ووقَفَ عند منتهى البغية .

---

(١) كلمة : « قد » ليست فى ل . وفى ط ، هـ : « الفار » بالفاء بدل النون ، تحريف .

(٢) ل : « لجميع » ، فيما عدا ل : « بجميع » ، صوابهما ما أثبت . والمراد : لجمع الجرذان والسنانير والعقارب فى باب واحد .

(٣) فيما عدا ل : « لسبب » ، تحريف .

(٤) ل : « ويثبته » .

(٥) فيما عدا ل : « وتخرج إلى الإطناب » .

(٦) فيما عدا ل : « وليست بإطالة ما لم تجاوز مقدار الحاجة » ، محرف . وكلمة : « مقدار » ليست فى ل .

وإنما الألفاظ على أقدار المعانى[١] ، فكثيرُها لكثيرِها ، وقليلُها لقليلها ، وشريفُها لشريفها ، وسخيفُها لسخيفها . والمعانى المفردةُ ، البائنة بصُورها وجهاتها ، تحتاج من الألفاظ إلى أقلَّ مما تحتاج إليه المعانى المشترَكة ، والجهاتُ الملْتبسة[٢] .

ولو جَهِد جميعُ أهل البَلاغة أن يُخبروا مَن دونَهم عن هذه المعانى ، بكلام وجيز يُغْنِى عن التفسير باللِّسان ، والإشارة باليد والرأس — لَما قَدَرُوا عليه .

وقد قال الأوَّل : « إذا لم يكنْ ما تُريدُ فأرِدْ مايكون[٣] ! » .

وليس ينبغى [للعاقل] أنْ يَسُومَ اللُّغاتِ ما ليسَ فى طاقتها[٤] ، ويَسومَ النُّفوسَ ما ليس فى جِبِلَّتها[٥] . ولذلك صارَ يحتاجُ صاحبُ كتابِ المنطق إلى أنْ يفسِّره لِمَنْ[٦] طلب مِنْ قِبَلِه علم المنطق ، وإن كان المتكلِّم رَفيق اللِّسان[٧] ، حسنَ البيان . إلّا أنِّى لا أشُكُّ على حالٍ أنَّ النفوسَ إذْ[٨] كانَتْ إلى الطَّرائف أحَنَّ ، وبالنَّوادر أشغَف ، وإلى قصار الأحاديثِ أمْيَل ، وبها أصَبَّ — أنَّها خليقةٌ لاستثقال الكثير[٩] ، وإن استحقَّتْ

---

(١) ل : « قدر المعانى » .

(٢) الملتبسة : المختلطة .

(٣) فيما عدا ل : « فرد مايكون » ، صوابه ماأثبت من ل .

(٤) سامه الأمر سوما : كلفه إياه . فيما عدا ل : « ما ليس » ، تحريف .

(٥) الجبلة : الخلقة والطبيعة . وفيها لغات ، فهى الجبلة : مثلثة ومحركة ، مع تخفيف اللام فيهن ؛ والجبلة بكسرتين ولام مشددة ، خمس لغات . هـ : « جلتها » ل : « حيلها » والأخيرة صحيحة . فإن الحيل بفتح الحاء وإسكان الياء : القوة ، كالحول . وفيما عدا ل : « ويسوم النفس » بالإفراد .

(٦) ط ، س : « بمن » هـ : « فمن » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) المتكلم : من صناعته علم الكلام . فيما عدا ل : « المعطر » تحريف . والرفق : الألطف . فيما عدا هـ : « رقيق » .

(٨) فيما عدا ل : « إذا » .

(٩) فى اللسان : فلان خليق لكذا : أى جدير به . وأنت خليق بذلك : أى =

تلك المعانىَ الكثيرة ، وإنْ كان ذلك الطَّويلُ أنفعَ ، وذلك الكثيرُ أردّ[١] .

(رجع إلى سرد سائر أبواب الكتاب)

وسنبدأ بعون الله تعالى وتأييده ، بالقول فى الحشرات والهمج ، وصغار السباع ، والمجهولات الحاملة الذِّكْر من البهائم ، ونجعلُ ذلك كله باباً واحداً ، ونتَّكل ، بعد صُنْع الله تعالى ، على أنّ ذلك الباب إذْ كان أبوابا كثيرة ، وأسماءً مختلفة[٢] ـ أنّ القارئَ لها لايملُّ باباً حتَّى يخرجَه الثَّانى إلى خِلافه ، وكذلك يكون مقامُ الثَّالث من الرَّابع ، والرابع من الخامس ، والخامس من السَّادِس[٣] .

(مقياس قدر الحيوان)

وليس الذى يُعتَمد[٤] عليه من شأن الحيوان عِظم الجثَّة ، ولا كثرة العدد ، ولا ثقل الوزن[٥] !

والغايةُ التى يُجرَى إليها ، والغرض الذى نرمى إليه[٦] غير ذلك ؛

= جدير » . وفيه أيضا : « وإنه لخليق أن يفعل ذلك ، وبأن يفعل ذلك ، ولأن يفعل ذلك ، ومن أن يفعل ذلك » ، فهو يقال باللام والباء ومن . س : « باستثقال » ، وهى صحيحة كما رأيت .

(١) فى اللسان : « هذا الأمر أرد عليه أى أنفع له » . ط ، س : « أورد » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « إذا كان أبوابا كثيرة بأسماء مختلفة » .

(٣) ل : « مقام الثالث من الرابع والسادس من الخامس » ، وهو تحريف ونقص .

(٤) ل : « نعتمد » بالنون .

(٥) ل : « ولا ثقل الوزن ولا كثرة العدد » .

(٦) كلمة : « إليه » ليست فى ل . وفى ط ، س : « يومى » هـ : « يؤمى » ، صوابهما ما أثبت من ل .

لأنّ خَلْق البعوضة وما فيها من عجيب التركيب ، ومن غريب العمل ، كخلق
٤ الذَّرَّة وما فيها من عجيب التركيب[١] ، ومن الأحساس[٢] الصَّادقة ، والتدابير الحسنة ، ومن الرويَّةِ والنَّظر فى العاقبة ، والاختيارِ لكلٍّ مافيه صلاحُ المعيشة ، ومع مافيها من البُرهانات النيِّرة ، والحججِ الظَّاهرة . وكذلك خَلْق السُّرْفة[٣] وعجيب تركيبها ، وصَنْعة كفِّها ، ونظرها فى عواقب أمرها . وكذا خلق النَّحْلة مع مافيها من غريب الحكم ، وعجيب التَّدبير[٤] ومن التقدُّم فيما يُعيشها ، والادِّخارِ ليوم العجزعن كسبها ، وشمِّها مالا يُشَمُّ[٥] ورؤيتها لما لا يُرى ، وحُسْن هدايتها ، والتَّدبير فى التأمير عليها ، وطاعةِ سادتها ، وتقسيط أجْناس الأعمال بينها ، على أقدارِ معارفها وقُوَّة أبدانها . فهذه النَّحلة ، وإن كانت ذُبابةً ، فانظرْ قبلَ كلِّ شيء فى ضروب انتفاع ضُروب الناس فيها ؛ فإنَّك تجـدُها أكبرَ من الجبَل الشَّامخ ، والفضاء الواسع .

وكلُّ شيء وإن كان فيه من العجَب العاجب ، ومن البُرهان النَّاصع ، مايوسِّع فِـكر العاقل ، ويملأ صدْر المفـكِّر ، فإنَّ بعض الأمور أكثرُ أعجوبة ، وأظهر علامة . وكما تختلف بُرهاناتها فى الغموض والظُّهور ، فـكذلك[٦] تختلف فى طبقات الـكثْرةِ ، وإن شمِلَتْها الـكثْرةُ ، ووقعَ عليها اسم البرهان .

---

(١) الـكلام من : « ومن غريب العمل » إلى هنا ساقط من ل .
(٢) الأحساس : جمع حس . وانظر التنبيه ٤ من الحيوان (٢ : ١٠٩) .
(٣) السرفة ، بالضم : دودة القز ، أو دويبة صغيرة مثل نصف العدسة تثقب الشجرة ، ثم تبنى فيها بيتا من عيدان تجمعها وتجعلها مثل غزل العنكبوت ، وبها يضرب المثل فيقال : « أصنع من سرفة » .
(٤) فيما عدا ل : « من غرائب الحكم وعجائب التدبير » .
(٥) ل : « وشمها مايشم » ، محرف .
(٦) س ، هـ : « فيهالك » .

(رجْعٌ إلى سرد سائر أبواب الكتاب)

ولعلَّ هذا الجزء الذى نبتدئُ فيه بذكر مافى الحشرات والهمَج[١] ، أنْ يفضُل من ورقه شئٌ ، فنرفعه ونتِمّه بجملة القول فى الظِّباء والذِّئاب ؛ فإنَّهما بابان يقصُران عن الطوال[٢] ، ويزيدان على القصار[٣] .

وقد بقى من الأبواب المتوسِّطة والمقتصِدة[٤] المعتدلة ، التى قد أخذت من القِصَر لمن طلب القِصَر بحظٍّ ، ومن الطُّول لمن طلب الطُّول بحظّ وهو القولُ فى البقر ، والقولُ فى الحمير ، والقولُ فى كِبار السِّباع وأشرافِها ، ورؤسائها ، وذوِى النَّباهة منها ، كالأسد والنَّمر ، والبَبْر وأشباه ذلك . ممّا يجمعُ قوّة أصْل النّاب[٥] ، والذَّرَب[٦] ، وشَحْو الفم[٧] ، والسَّبُعيّة[٨] وحِدّة البرثن ، وتمكُّنه فى العصَب ، وشِدّة القلب وصرامته عند الحاجة ، ووَثاقةَ خَلْق البدن ، وقوَّته على الوثْب .

وسنذكر تسالُمَ المتسالمةِ منها ، وتعادِىَ المتعادية منها[٩] ، وما الذى

---

(١) فى الأصل : « بذكرها فى الحشرات والهمج » .

(٢) س : « الطول » محرف .

(٣) الكلام من : « ولعل هذا » إلى هنا ساقط من ل .

(٤) هو من قولهم : رجل قصد ومقتصد : ليس بالجسيم ولا الضئيل . والواو قبله ليست فى ط ، ل .

(٥) ط فقط : « الباب » محرف .

(٦) الذرب : الحدة ، ذرب كفرح ذربا وذرابة فهو ذرب .

(٧) شحو الفم : اتساعه وانفتاحه . ل : « شحر » وفيما عدا ل : « شجر » بالجيم ، صوابهما ما أثبت . وانظر (١ : ١٠٣ س ٢) .

(٨) فى الأصل : « السحة » ، وانظر الاستدراكات .

(٩) ل : « المتعادى منها » .

أصلح بَينَها[١] عَلَى السَّبُعيَّة الصِّرف[٢] ، واستواء حالِها فى اقتيات اللُّحمان ، حتَّى رُبَّما استوت فَرِيستُها[٣] فى الجنس .

وقد شاهدْنا غير هذه الأجناس يكون تعادِيها من قِبَل هذه الأمور التى ذكرناها . وليس فيما بين هذه السِّباع بأعيانها تفاوتٌ فى الشِّدَّة ، فتكون كالأسد الذى يطلب الفهد ليأكله ، والفهدُ لايطمع فيه ولا يأكله . فوجدنا التَّكافؤ فى القُوَّة والآلةِ من أسباب التَّفاسُد . وإنَّ ذلك لَيَعملُ فى طباع عقلاء الإنس حتَّى يَخرُجوا إلى تهارُشِ السِّباع ، فما بالها لم تعمل[٤] هذا العمل فى أنفُس السِّباع ؟ !

وسنذكر عِلَّة التسالُمِ وعِلَّة التعادِى ، ولِم طُبعت رؤساء السِّباع على الغفلة[٥] وبعض ما يدخُلُ فى باب الكرَم ، دون صغار السِّباع وسفْلتها ، وحاشيتها وحَشْوِها[٦] ، وكذلك أوساطها ، والمعتدلة الآلة والأَسر [منها[٧]] .

(شواهد هذا الكتاب)

ولم نذكر ، بحمد الله تعالى ، شيئاً من هذه الغرائب ، وطريفة من هذه الطرائف[٨] إلا ومعها شاهدٌ من كتاب مُنْزَلٍ ، أو حديثٍ مأثور ،

(١) فيما عدا ل : « منها » ، محرفة .
(٢) على بمعنى مع . أى مع سبعيتها الصرفة وتوفر أسباب التنافس . وانظر الحيوان (٢ : ٥٠ - ٥٢) .
(٣) ل : « فرايسها » جمع فريسة . هـ ، س : « فرستها » وهذه محرفة .
(٤) ط ، هـ : « فما بالها لم تعمل » ، والوجه ما أثبت من ل ، س .
(٥) ل : « من الغفلة » .
(٦) الحاشية : الصغار ، وأصله فى الإبل وكذلك فى الناس . انظر اللسان (١٨ : ١٩٦) . والحشو : الصغار أيضا . وفى ل : « وحشوتها » والحشوة : بالضم والكسر : الرذالة من الإبل ومن الناس .
(٧) هذه من ل ، س . والأسر ، بالفتح : القوة . س : « والاسم » تحريف .
(٨) ل « وطريفته » س ، هـ : « وطريفة من هذه الطرائق » ، صوابها فى ط .

أو خبرٍ مستفيض ، أو شعرٍ معروف ، أو مثَل مضروب ، أو يكون ذلك ممّا يَشهد عليه الطّبيب[١] ، ومن قد أكثر قراءة الكتب[٢] ، أو بعض من قد مَارَسَ الأسفار[٣] ، وركب البحار ، وسكَنَ الصَّحَارِى واستَذْرَى بالهضاب[٤] ، ودخل فى الغياض[٥] ، ومشى فى بطون الأودية .

وقد رأيْنــا أقواماً يدَّعُون فى كتبهم الغرائبَ الكثيرة ، والأمور البديعة ، ويخاطرون من أجل ذلك بمروءاتهم[٦] ، ويُعرِّضون أقدارَهم[٧] ، ويسلِّطون السُّفهاءَ على أعراضهم ، ويجترُّون[٨] سُــوءَ الظَّنِّ إلى أخبارهم ، ويحكِّمون حُسَّاد النِّعم فى كتبهم ، ويمكِّنون لهم من مقالَتِهم[٩] وبعضهم يتَّكل[١٠] على حُسْن الظَّنِّ بهم ، أو على التسليم لهم ، والتقليد لدعواهم وأحسنهم حالاً مَن يُحِبُّ[١١] أن يُتَفَضَّلَ عليه ببَسْط العُذر له ، ويُتكلَّف الاحتجاجُ عنــه ، ولا يبَالِى[١٢] أن يُمَنَّ بذلك على عقبه ، أو من دان بدينِه[١٣] ، أو اقتبس ذلك العِلم من قِبَل كُتُبه .

---

(١) فيما عدا ل : « يستشهد عليه الطبيب » . وسيأتى فى ص ١٨ : « ويقربه الأطباء » .
(٢) فيما عدا ل : « أو من أكثر من قراءة الكتب » .
(٣) مارس الأسفار : عالجها وجربها : أى سافر كثيرا . فيما عدا ل : « دارس الأسفار » ، ومعنى هذه : قرأ الكتب وتعهدها . يقال : درست الكتب ودارستها وتدارستها وادارستها . والسفر ، بالكسر : الكتاب .
(٤) استذرى بالشجرة والحائط ونحوهما : اكتن وصار فى كنف منها . وفى الأصل : « استذرى الهضاب » .
(٥) ل : « ودخل الغياض » . والغيضة ، بالفتح : مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر .
(٦) ط ، س : « بمروءتهم » .
(٧) فيما عدا ل : « بأقدارهم » والوجه ما أثبت من ل .
(٨) الاجترار والجر بمعنى ، يقال جره واجتره . فيما عدا ل : « ويجرون » .
(٩) فيما عدا ل : « من مقاليدهم » .
(١٠) فيما عدا ل : « ينظر » تحريف .
(١١) ط ، هـ : « يجب » س : « يجب » بالإهمال ، صوابهما فى ل .
(١٢) فيما عدا ل : « ولا ينافى » محرف .
(١٣) ط فقط : « بدنيه » ، تحريف ظاهر .

ونحن حفظك الله تعالى ، إذا استنطقْنا الشّاهد ، وأحَلْنا على المثَل [١] فالخصومة حينئذٍ إنّما هى بينَهم وبينها [٢] ؛ إذْ كنّا نحنُ لم نستشهد إلاّ بما ذكرنا . وفيما ذكرْنا مَقنعٌ عند علمائنا ، إلاّ أن يكون شىءٌ يثبُتُ بالقياس ، أو يبطلُ بالقياس ، فواضعُ الكتاب ضامنٌ لتخليصه وتلخيصه ، ولتثبيتِه وإظهار حجّته [٣] .

فأمّا الأبوابُ الكبارُ فمثــلُ القَوْل فى الإبل ، والقولِ فى فضيلة الإنسان على جميع الحيوان ، كفضل الحيوان على جميع النّامى ، وفضل النّامى على جميع الجَماد .

وليس يدخلُ فى هذا الباب التمولُ فيما قسم الله ، [عزّ وجلّ] ، لبعض البقاع من التّعظيم دون بعض ، ولا فيما [٤] قسم من السّاعات [٥] والليالى ، والأيّام والشُّهور وأشباه ذلك ؛ لأنّه معنًى يرجع إلى المختبَرين بذلك [٦] ، من الملائكة والجنّ والآدميّين .

فمن أبواب الكبار القول فى فصْــل ما بين الذُّكورةِ والإناث [٧] ، وفى فصْل [٨] ما بين الرّجل والمرأة خاصّة

وقد يدخل فى القول فى الإنسان ذكرُ اختــلافِ النّاس فى الأعمار ، وفى طُول الأجسام ، وفى مقادير العقول ، وفى تفاضُل الصِّناعات ، وكيف

---

(١) ل : « وأحلناهم على المثل » .
(٢) أى بين هؤلاء المدعين وبين تلك الشواهد .
(٣) التثبيت : الإثبات . فيما عدا ل : « ولعبيبنه وإظهار خفيه » محرف .
(٤) س ، هـ : « إلا لما » ط ، ل : « ولا لما » ، صوابهما ما أثبت .
(٥) فيما عدا ل : « الساعة » ، صوابه الجمع .
(٦) هـ : « الحيرين » ط ، س : « المخبرين » ، صوابهما فى ل .
(٧) الفصل : الفرق ، فيما عدا س : « فضل » . وفى ل : « الذكور » بدل : « الذكورة » وهما بمعنى . والتاء فى الأخيرة هى ما يسمونها تاء تأكيد الجمع .
(٨) فى الأصل : « فضل » بالضاد المعجمة . وانظر التنبيه السابق .

قال من قال فى تقديم الأوّل[1] ، وكيف قال مَن قال فى تقديم الآخر . ٦

فأمّا الأبوابُ الأُخَر ، كفضلِ المَلَكِ على الإنسان ، وفضلِ الإنسان على الجانّ ، وهى[2] جملة القول فى اختلاف جواهرهم ، وفى أىِّ موضع يتشاكلون ، وفى أىِّ موضع يختلفون — فإن هذه الأبوابَ من الأبواب المعتدلة فى القِصَر والطُّول . وليس من الأبواب بابٌ إلاّ وقد يدخلُه نُتَفٌ من أبوابٍ أُخَرَ على قدْرِ ما يتعلّق بها من الأسباب[3] ، ويعرض فيه من التضمين[4] . ولعلك أن تكون بها أشدَّ انتفاعا .

وعلى أنّى ربما وشّحْت [هذا الكتاب] وفصّلت فيه بين الجُزْء والجزء بنوادِرِ كلامٍ ، وطَرَفِ أخبارٍ[5] ، وغُرَر أشعار ، مع طرف مضاحيك[6] . ولولا الذى نُحاولُ من استعطافٍ على استتمام انتفاعكم[7] لقد كنّا تسخّفْنا وسخّفْنا[8] شأن كتابنا هذا .

وإذا علم الله تعالى[9] موقعَ النّيّة ، وجهةَ القصْد ، أعانَ على السّلامةِ من كلِّ مخُوف

---

(١) جملة « وكيف قال » إلى هنا ساقطة من س .

(٢) ل : « وفى » تحريف .

(٣) س : « على قدرها » . بها : أى بالأبواب . فيما عدا ل : « به » .

(٤) فيه : أى فى الباب . فيما عدا ل : « فيها » . والتضمين ، هى فيما عدا ل : « التضمير » بالراء ، محرفة .

(٥) الطرف : جمع طرفة . س : هـ : « وطرق واخبار » ، تحريف .

(٦) مضاحيك : جمع فات المعاجم ، وتقدير مفرده مضحك أو مضحكة ، وزيدت الياء فى الجمع على طريقة الكوفيين . والمعروف أضحوكة وأضاحيك . فيما عدا ل : «مضاحك» .

(٧) فيما عدا ل : « من استعطافك على استمتاع انتفاعكم » ، محرف .

(٨) التسخف : أراد به الذهاب مذهب السخف ، ولم تذكره المعاجم كما لم تذكر التسخيف . انظر (٣ : ٣٨ س ١٠ / ٥ : ١٧٨ س٦) . ط ، وس : « سخفنا وسجعنا » هـ : « شخصنا شخصنا » ، ل : « بسخفنا وسخفنا » ، صواب ذلك ما أثبت .

(٩) ل : « عز وجل » . وهذه العبارات التنزيهية يتصرف فيها الناسخون كثيرا . كما أن كثيرا من علماء الصدر الأول لايكتبونها إلا نادراً ، يكادون يغفلونها .

(العلة فى عدم إفراد باب للسمك)

ولم نجعلْ لما يسكنُ الملحَ والعذوبةَ والأنهارَ والأوديةَ ، والمناقع والمياهَ الجارية ، من السَّمَك ومَّما يخالف السَّمك ، مّما يعيشُ مع السمك — باباً مجرَّداً[١] ؛ لأنِّى لم أجدْ فى أكثره شِعراً يجمع الشَّاهدَ ويُوثَق منه بحُسْنِ الوصف[٢] ، وينشِّط[٣] بما فيه من غير ذلك للقراءة . ولم يكن الشَّاهد عليه إلاَّ أخبارَ البحْريِّين[٤] ، وهم قومٌ لايعدُّون القولَ فى باب الفِعْل[٥] ، وكلَّما كان الخبرُ أغرب كانوا به أشدَّ عُجْبًا ، مع عبارة غثَّة ، ومخارجَ سَمِجة .

وفيه عيبٌ آخر[٦] : وهو أنَّ معه من الطّول والكثْرة ما لا تحتملونه ، ولو غنَّاكم بجميعه مُخارِق[٧] ، وضربَ عليه زَلْزل[٨] ، وزمَر به

(١) ط فقط : « مجرد » ، تحريف .

(٢) ل فقط : « الرصف » . والرصف : ضم الشىء بعضه إلى بعض ونظمه . والوجهان صالحان .

(٣) فيما عدا ل : « وينشط » ، محرف .

(٤) س : « الأخبار البحريين » ، تحريف .

(٥) أى لايعدون القول موجبا للثواب والعقاب ، كما يوجب الفعل الثواب والعقاب :

(٦) فيه : أى فى باب السمك ، وهذه الكلمة ليست فى ل .

(٧) هو مخارق بن يحيى بن نلوس الجزار ، مولى الرشيد ، وكان قبله لعاتكة بنت شهدة ، وهى من المغنيات المحسنات المتقدمات فى الضرب ، ونشأ بالمدينة ، وقيل : بل كان منشؤه بالكوفة ، وكان أبوه جزارا مملوكا ، وكان مخارق وهو صبى ينادى على ما يبيعه أبوه من اللحم ، فلما بان طيب صوته علمته مولاته طرفا من الغناء ، ثم أرادت بيعه ، فاشتراه إبراهيم الموصلى منها ، وأهداه للفضل بن يحيى ، فأخذه الرشيد منه ثم أعتقه . انظر الأغانى (٢١ : ١٤٣) والبيان (١ : ١٣٢) . ل : « ولقد غناكم » ، تحريف ، ووجهه : « ولو قد غناكم » .

(٨) هو منصور زلزل ، الضارب بالعود ، قالوا : هو أول من أحدث هذه العيدان الشبابيط ، وكانت قديما على عمل عيدان الفرس . وكان هو وبرصوما من سواد أهل الكوفة ، قدم بهما إبراهيم الموصلى سنة حج ، ووقفهما على الغناء العربى وأراهما وجوه النغم . وكانت أخت زلزل تحت إبراهيم ، وقد ولدت منه . وكان الرشيد قد وجد عليه لشىء بلغه عنه ، فحبسه عشر سنين أو نحوها ثم أطلقه . ومات فى خلافة =

بَرْصُوما(١) ، فلذلك لم أتعرَّضْ له .

وقد أكثر فى هذا الباب أرسطاطاليس(٢) ، ولم أجد فى كتابه(٣) على ذلك من الشّاهد إلاَّ دعْواه] .

ولقد قلت(٤) لرجل من البحريِّين : زعم أرسطاطاليس أنّ السَّمكةَ لاتبتلعُ الطُّعْم أبداً إلاّ ومعه شىءٌ من ماء(٥) ، مع سعَة المدخَل ، وشَرَه النفس . فكان من جوابه أنْ قال لى: مايعلم هذا إلاّ مَنْ كان سمكة [مَرَّةً] ، أو أخبرته به سمكة(٦) ، أو حدَّثه بذلك الحواريُّون أصحابُ عيسى ؛ فإنّهم كانوا صيّادين ، وكانوا تلامذَةَ المسيح(٧) .

وهذا البحرىُّ صاحبُ كلام ، وهو يتكلَّف معرفة العِلل(٨) . وهذا كان

= الرشيد . الأغانى (٥ : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٣٣) . وفى القاموس : « وكفدفد زلزل المغنى ، يضرب بضرب عوده المثل . وإليه تضاف بِرْكة زلزل ببغداد » .

(١) كان برصوما قرينا لزلزل ، ونشأ معه ، وطارت شهرته فى الزمر . انظر الأغانى (٦ : ٣٣) . هـ ، س : « ورمز » محرف : وفيما عدا ل . « عليه » موضع : « به » . وبرصوما علم سريانى مركب من « بر » بمعنى ابن ، و « صوما » بمعنى الصوم فمعناه : ابن الصوم .

(٢) ل : « الأرسطاطاليس » فى هذا الموضع والذى يليه .

(٣) أى كتاب الحيوان له .

(٤) فيما عدا ل : « وقد قلت » .

(٥) س : « الماء » .

(٦) هـ : « اختبرته » محرف . والكلام من : « أو أخبرته » إلى هنا ساقط من س .

(٧) تلامذة : كذا وردت فى عبارة الجاحظ ، ولم تذكر المعاجم إلا « التلاميذ » . ولدخول التاء على هذا الجمع وجهان : أحدهما أنه جمع لاسم معرب . وفى شرح الرضى الكافية (٢ : ١٥٢) : « الخامس أن يدخل على الجمع الأقصى كجواربة وموازجة وكيالجة ، دلالة على أن واحدها معرب » . والثانى أن تكون عوضا عن ياء المدة قبل الآخر ، كما قالوا فى جحجاح جحاجحة . قال الرضى فى (٢ : ١٥٢) : « وأما فرازنة وزنادقة ، فيجوز أن تكون عوضا من الياء ، وأن تكون علامة لتعريب الواحد » .

(٨) ل : « الفلك » ، والأوفق ما أثبت من سائر النسخ .

جوابَه[١] : ولكنّى لن أدعَ ذِكْرَ[٢] بعض ما وجدته فى الأشعار والإخبار ، أوْ[٣] كان مشهوراً عند من ينزل الأسيافَ[٤] وشطوط الأودية والأنهار ، ويعرفه السَّمّاكون[٥] ، ويُقِرُّ بهِ الأطبّاء[٦] — بقدر ما أمكن من القول .

(زعم إياس بن معاوية فى الشبُّوط)

وقد رَوى لنا غيرُ واحد من أصحابِ الأخبار ، أنّ إياسَ بن مُعاوية زعم أنَّ الشَّبُّوط كالبغْل ، وأنّ أُمّها بُنِّيّة ، وأباها زَجْرٌ[٧] ، وأنّ من الدّليل على ذلك أنَّ الناس لم يجِدوا فى بطن شَبُّوطة قطُّ بيضاً .

وأنا أخبِرك أنّى قد وجدته فيها مِراراً ، ولكنّى وجدتُهُ[٨] أصغَرَ جُثّةً ، وأبعَد من الطِّيب ، ولم أجِدْه عامًّا كما أجده[٩] فى بطون جميع السمك .

---

(١) فيما عدا ل : « وهذا كله جوابه » ، تحريف .

(٢) ط ، هـ : « لم أقنع بذكر » س : « لم أقنع ذكر » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « إذا » .

(٤) الأسياف : جمع سيف ، بالكسر ، وهو ساحل البحر .

(٥) س : « وتعرفه السماكون » . هـ : « وتعرفه السالكون » ، وهذه محرفة .

(٦) س ، هـ : « وتقر به الأطباء » ل : « وتقربه » ، وضبطت فيها بكسر الراء المشددة ، من التقريب ، وهو خطأ فى الضبط .

(٧) البنية : واحدة البنى ، بضم الباء ، وتشديد النون المكسورة . والزجر ، بفتح الزاى ، وهما ضربان من السمك سبق الحديث عنهما فى شرح (٥ : ٣٦٩) وانظر (١ : ١٤٩ — ١٥٠) . ل ، ط : « برية » هـ : « بقية » صوابهما فى س : وفى ط : « بحرى » هـ ، س : « زخر » بالخاء المعجمة ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٨) فى الأصل : « وجدتها » ، والمتحدث هو الجاحظ . انظر (١ : ١٥١ س ١) .

(٩) ل : « ولم أجده فيها على ما أجده » .

فهذا قول أبي واثلة إياس بن معاوية المزنى[١] الفقيه القاضى ، وصاحب الإزكان[٢] ، وأقْوَف من كُرْز بن علقمة[٣] ، وهو داهية مُضَر[٤] فى زمانه ، ومفخرٌ من مفاخر العرب .

(الشك فى أخبار البحريين والسَّماكين والمترجمين)

فكيف أسكُنُ بعد هذا إلى أخبار البحْريِّين ، وأحاديث السمَّاكين ، وإلى ما فى كتابِ رَجُلٍ لعلَّه أنْ لو وَجَدَ هـذا المترجمَ أن يُقِيمَهُ على المِصْطَبَة[٥] ، ويبرأ إلى النَّاس من كذبه عليـه ، ومن إفساد معانيه بسوء ترجمته .

(فصيلةُ الضبّ)

والذى حضرنى من أسماء الحشَرات ، ممَّا يرجع عمود صُورها إلى

---

(١) هو إياس بن معاوية بن قرة ، المزنى ، من مزينة مضر . وولاه عمر بن عبد العزيز قضاء البصرة . وكان صادق الظن ، لطيفا فى الأمور . وكان لأم ولد ، ومنزله عند السى ، ومات بها سنة اثنتين وعشرين ومائة . وله عقب بالبصرة وغيرها . انظر المعارف ٢٠٥ وتهذيب التهذيب (١ : ٣٩٠) . ل : المدنى » تحريف

(٢) الإزكان : الفطنة والحدس الصادق ، يقال : أزكنت أى ظننت فأصبت . هـ ، ل : « الأركان » س : « الأذكان » ، صوابه بالزاى المعجمة كما أثبت من ط . وانظر (٥ : ٢٢٤ س ٧) .

(٣) أقوف : أشد قيافة . والقيافة : تتبع الآثار ومعرفتها ، ومعرفة شبه الرجل بأبيه وأخيه . ومادتها واوية . فيما عدا ل : « أفوق » محرف . وكرز هو كرز بن علقمة بن هلال الخزاعى ، صحابى أسلم يوم الفتح ، وعمر طويلا ، وعمى فى آخر عمره . وهو الذى استأجره المشركون فقفا أثر النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر حين دخلا الغار . وهو الذى وضع للناس معالم الحرم فى زمن معاوية بعد أن درس بعضها . انظر الإصابة ٧٣٩١ . فيما عدا ل : « كور » بالواو بعدها راء مهملة صوابه ما أثبت من ل . وجاء فى رسائل الجاحظ ١٠٤ ساسى : « وأين كان كرز بن علقمة من مجزز المدلجى » .

(٤) هـ : « مصر » تحريف . وانظر التنبيه الأول .

(٥) المصطبة ، بكسر الميم ، كالدكان يجلس عليه .

قَالبٍ واحد ، وإن اختلفَتْ بعــد ذلك فى أمور . فأوَّل ما نَذكر من ذلك الضبّ[1] .

والأجناسُ التى ترجع إلى صورة الضّبّ : الوَرلُ[2] ، والحِرباء ، والوَحَرَة[3] والحُلْـكَة[4] ، وشحمة الأرض ، [وكذلك العَظاء[5] ، والوزَغ ، والحِرذَون . وقال أبو زيد : وذكر العظاية هو العَضْرَفُوط . ويقال فى أمّ حُبين حُبَيْنة . وأشباهُها ممّا يسكن الماء : الرّقّ ، والسُّلَحْفا[6]] والغيــلم ، والتِّمساح ، وما أشبه ذلك .

(الحشرات)

و [ممّا] نحن قائلون فى شأنه من الحشرات[7] الظربان ، والعُثّ[8] والحُفّاث[9] .

---

(١) فيما عدا ل « يذكر » . وكلمة : « من ذلك » ليست فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « والورل » ، والصواب حذف الواو . وهو خبر « الأجناس » .

(٣) فيما عدا ل « والوحوه » بواو بعد الحاء ، صوابه ما أثبت .

(٤) الحلكة ، بضم الحاء وسكون اللام ، ومثلها الحلكاء ، وبضم فسكون ، وبضم ففتح ، وبفتحتين ، وكذلك الحلــكة بضم ففتح : لغات . وهى ضرب من العظاء . ل : « الحلــكاء » .

(٥) العظاء بالفتح : جمع عظاءة .

(٦) السُّلَحفاة والسُّلَحفاء والسُّلَحفا والسُّلَحفِيَة والسِّلَحفاة : واحدة السلاحف من دواب الماء . وزاد بعضهم السِّلْحَفَا ، بكسر فسكون ففتح . وقد جاءت هنا باللغة الثالثة .

(٧) الحشرة : واحدة صغار دواب الأرض كاليرابيع والقنافذ والضباب ونحوها . ط : « الخضرات » ه : « الحضرات » صوابهما ما أثبت من ل ، س .

(٨) العث ، بضم العين : دويبة تأكل الصوف والجلود . ل : « الفت » محرف .

(٩) الحفاث ، بضم الحاء وتشديد الفاء ، وآخره ثاء : حية . سبق الكلام عليها فى (٤ : ١٤٨) . ل : « الحفات » س : « الخفاش » ط ، ه : « الحفات » صوابها ما أثبت .

والعِرْبِدُ[١] ، والعضرَفوط[٢] ، والوَبْر[٣] ، وأمّ حُبَين[٤] ، والجُعَل ، والقَرَنْبَى[٥] والدَّسَّاس ، والخنفساء ، والحيَّة ، والعقرب ، والشَّبَث[٦] والرُّتَيلاء[٧] والطَّبُّوع ، والحُرقُوص ، والدَّلَم[٨] وقَمْلة النَّسْر[٩] ، والمثل[١٠]

---

(١) العربد ، بكسر العين ، وآخره باء ودال مشددة أو مخففة : حية أحمر أرقش بكدرة وسواد ، لا يظلم إلا أن يؤذى ، لا صغير ولا كبير . ط ، هـ : « المرقد » بالقاف . س : « العرهد » بهذا الإهمال ، صوابهما فى ل . وهو بالإنكليزية : Puff adder .

(٢) العضرفوط ، ثانيه ضاد معجمة ، وهو ضرب من العظاء أعظم من المعروفة فى مصر بالسحلية ، ويعرف فى مصر وسينا بقاضى الجبل . واسمه اللاتينى : Agma وبالإنكليزية : Judge of the desert أى قاضى الصحراء . ط ، هـ : « العطرفوط » س « العضرفوط » ، صوابهما فى ل .

(٣) الوبر ، أوله واو مفتوحة وثانيه باء ساكنة موحدة : دويبة على قدر السنور . س فقط : « الربر » محرف .

(٤) أم حبين : بضم الحاء وفتح الباء . ط ، هـ : « أم حتين » س : « أم حسن » تحريف ما أثبت من ل .

(٥) القرنبى : دويبة شبة الخنفساء ، أو أعظم منها شيئا ، طويلة الرجل . مقصورة . والأنثى بهاء : Long horned beetle .

(٦) الشبث : بالتحريك : العنكبوت أو دويبة ذات قوائم ست طوال ، صفراء الظهر وظهور القوائم ، سوداء الرأس ، زرقاء العين . ط : « الشهت » س ، هـ : « الشيث » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) الرتيلاء ، مقصور وممدود : ضرب من العناكب . ط : « الترتيلا » صوابه فى ل . وفى س ، هـ : « الرتيلا » .

(٨) الدلم ، بالتحريك : دابة يشبه الطبوع ، وليس بالحية .

(٩) انظر لقملة النسر ما سبق فى (٥ : ٣٩٢ س ١٣ و ٣٩٨ س ٢) وكذا الاستدراك فى (٥ : ٦٣٧ — ٦٣٩) .

(١٠) المثل ، كذا فى الأصل ما عدا س ، ففيها : « المعك » . وقد وردت بعد هذه الكلمة فيما عدا ل هذه العبارة : « والضمخ والقنفذ والنمل والفر والدساس تتشاكل من وجوه وتختلف من وجوه كالفأرة والجرذان والرمك والخلد واليربوع وابن عرس وابن مقرض » . وموضع هذه العبارة الطبيعى بعد البيت الذى فى آخره « مدارج الأنبار » كما أثبت من ل .

والنِّبْر ؛ وهى دويْبَّة إذا دبَّتْ على جلد البعير تورَّم [١] . ولذلك يقول الشاعر [٢] ، وهو يصف إبله بالسِّمَن :

كأنَّها من بُدُنٍ واستيقار [٣] دَبَّتْ عليهـا ذربات الأنبار [٤]

وقال الآخر :

[حمر تحقّنت النَّجيلَ كأنما بجلودهن مدارِجُ الأنبـار [٥]]

والضَّمْج [٦] ، والقنفذ ، والنَّمْل ، والذَّرُّ ، والدَّساس [٧] . [ومنها ما [٨]] تتشـاكل فى وجـوه ، وتختلف من وجـوه : كالفأر [٩] والجرذان والزَّبَاب [١٠] ، والخلد [١١] واليربوع ، وابن عِرْس ، وابن مِقرض [١٢]

---

(١) النبر بالكسر . ط ، هـ : « وهى » بدل : « وهو » و : « دب » بدل : « دبت » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٩ . ٣) .

(٢) هو شبيب بن البرصاء ، كما فى اللسان (٢ : ٣٨١ / ٧ : ٤٠ / ١٥ : ٢٨٨) .

(٣) البدن ، بالضم : البدانة ، وضم الدال للشعر . والاستيقار : مصدر استوقرت الإبل ، سمنت وحملت الشحوم ، ط : س : « استيشار » هـ : « استيثار » صوابهما فى ل واللسان (٧ : ٤٠ ، ١٥٣) . ويروى : « كأنها من سمن وإيقار » . ويروى : « واستيفار » بالفاء ، مأخوذ من الشىء الوافر . انظر الموضع الأول من اللسان . ورواه فى (١٥ : ٢٨٨) : « وإيفار » بالفاء وقد نبه على هذه الرواية فى أيضا فى (٢ : ٣٧١ س ٧) .

(٤) الذربات ، الحديدات اللسع . والذرب : الحاد من كل شىء . ل : « دب عليها عارمات الأنبار » . والعارمات : الخبيثات . انظر اللسان (عرم ، وقر) .

(٥) سبق البيت وشرحه فى (٣ : ٣٠٩) . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « تخفنت » و « النخيل » تحريف ، صوابه ما أثبت .

(٦) الضمج ، بفتح الضاد ، وآخره جيم : سبق الكلام عليه فى (٢ : ٢٣٧ / ٤ : ٢٢٦) ط ، ﻫ : « الضمخ » س : « الصمخ » صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) هذا تكرار لما سبق فى السطر الثانى من الصفحة السابقة .

(٨) هاتان الكلمتان ليستا فى الأصل . والكلام محتاج إلى مثلهما .

(٩) فيما عدا ل : « كالفأرة » ، والوجه الجمع .

(١٠) الزباب ، بفتح الزاى : ضرب من الفأر ، سبق الكلام عليه فى (١ : ٢٦٨ / ٣ : ٥١٠ / ٤ : ٤٠٩ / ٥ : ٢٥٤ ، ٢٦١ ، ٤٠٩) . فيما عدا ل : « والرملك » تحريف .

(١١) انظر (٥ : ٢٦٠) .

(١٢) ابن مقرض ، بكسر الميم : حيوان شبيه بابن عرس . وهو بلغة العلماء الأوربيين : Putorius furo . وفيما عدا ل : « ابن مقرص » آخره مهملة ، محرف .

ومنها العنكبوت (١) الذى يقال له مَنُونة (٢)، وهى شرٌّ مِن (٣) الجرّارة والضّمْج (٤).

(ما فيه الوحشى والأهلى من الحيوان)

وسنقول فى الأجناس التى يكون فى الجنس منها الوحشىُّ والأهلىّ ، كالفِيَلة ، والخنازير ، والبقَر ، والحمير ، والسَّنانير .

والظِّباء قد تَدْجُن وتُولّد (٥) على صُعوبةٍ فيها . وليس فى أجناس الإبل جنس وحشىٌّ ، إلاّ فى قول الأعراب .

(ماهو أهلىّ صرف أو وحشى صرف من الحيوان)

ومّما يكون أهليًّا ولا يكون وحشيًّا وهو سبعٌ — الكلاب (٦) وليس يتوحَّش (٧) منها إلاّ الكلب [الكَلِب (٨)] . فَأمّا (٩) الضِّباع والذِّئاب ،

(١) منها : أى من الحشرات . والكلام من هذه الكلمة إلى : « الضمج » التالية ساقط من ل . ط : « العقر » س ، هـ : « العقرب » ، صوابهما ما أثبت .
وفى اللسان (١٧ : ٣٠٧ س ١) : « والمِنَنَة العنكبوت ، ويقال له مَنُونة » .
وفى القاموس : « والمننة كمنبة : العنكبوت كالمَنُونَة » .

(٢) فى الأصل : « متونة » بالتاء وهاء غير منقوطة فى الآخر ، صوابه ما أثبت . انظر التنبيه السابق .

(٣) ط : « شرمق » تحريف ، صوابه فى س ، هـ .

(٤) فى الأصل : « السمخ » ، صوابه ما أثبت . وانظر التنبيه ٦ من الصفحة السابقة .

(٥) دجن يدجن دجونا : أقام بالبيت وألفه . س : « وتوالد » .

(٦) ط ، هـ « فهى كالكلاب » س : « فهى الكلاب » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « ولا يتوحش » .

(٨) هذه التكملة من ل ، س . والكلب : بفتح فكسر : المصاب بداء الكلب .

(٩) ط ، هـ : « وأما » بالواو .

والأسد ، والنمور ، والببور ، والثعالب ، وبناتُ آوى ، فوحشيَّةٌ كلها وقد يقلَّمُ الأسَد وتُنْزَع أنيابه(١) ، ويطول ثَواؤُه مع الناس حتى يَهرم مع ذلك(٢) ، ويُحسّ بعجزِهِ عن الصَّيد ، ثمَّ هو فى ذلك(٣) لا يُؤمَن عُرَامه(٤) ولا شروده ، إذا انفرد عن سـوَّاسـه(٥) ، وأبصَرَ غيضةً قُدّامَها صَحْراء(٦) .

(قصة الأعرابى والذئب)

وقد كان بعضُ الأعرابِ ربّى جروَ ذِئب [صغيراً] ، حتَّى شبَّ ، وظنَّ أنَّه يكونُ أغْنَى غَناءً(٧) من الكلب ، وأقوى على الذَّبِّ عن الماشية ، فلمَّا قوِيَ شيئاً وثَبَ على شاةٍ فذبحها ــ وكذلك يَصنعَ الذِّئب ــ ثمَّ أكل منها ، فلمَّا أبصر الرّجلُ أمرَهُ قال :

أكَلْتَ شوَيهَتِي ورَبِيت فينــا فمن أنباك أنَّ أباكَ ذيب(٨)

---

(١) يقلم : أى تقطع أظافره . فيما عدا ل : « يعلم » بالعين ، تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « وينزع نابه » .

(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من س . وثواؤه : إقامته .

(٣) س : « ثم هو فى ذلك مشرق » .

(٤) العرام ، بالضم : الشدة والحدة . ﻫ ، س : « غرامه » تصحيف . وفيما عدا ل : « يؤمن » بدل : « يؤتمن » .

(٥) السواس ، جمع سائس ، وهو من يسوس الدابة ويروضها . فيما عدا س : « إن انفرد » .

(٦) ط : « صخر » ﻫ : « صخرا » صوابهما فى س ، ﻫ . وفيما عدا ل زيادة « صار فيها » .

(٧) الغناء ، بالفتح : النفع . ل ، س ، ﻫ : « أغنى عنه » ، وكذا فى عيون الأخبار (٢ : ٥) وانظر رواية هذه القصة فى الحيوان (٤ : ٤٨ / ٧ : ٥٦ ، ٨٠) وثمار القلوب ٣١٢ ومحاضرات الراغب (١ : ١٢٣) وغرر الخصائص ٥٥ ، وجمهرة الأمثال للعسكرى ١٣٨ وأمثال الميدانى (١ : ٤٨٠) والمحاسن والمساوى (١ : ٩٦) .

(٨) ربيت فينا : نشأت فى حجرنا . وهو بفتح الراء وكسر الباء . وضبطت سهوا فى =

وقد أنكر ناسٌ من أصحابنا هذا الحديث ، وقالوا[١] : لم يكنْ لِيألفَه ويُقيمَ معه بعد أن اشتدّ عظمُه! ولِمَ [لَمْ[٢]] يذهَبْ مع الذِّئاب والضِّباع[٣] ، ولم تكن الباديةُ أحبَّ إليه من الحاضرة ، والقفارُ أحبَّ إليه من المواضع المأنوسة .

(كيف يصير الوحشىُّ من الحيوان أهليا)

وليس يَصِير[٤] السبعُ من هذه الأجناس أو الوحشىُّ[٥] من البهائم أهليًّا بالمقام فيهم ، وهو لا يقدرَ على الصَّحارى . وإنما يصير أهليًّا إذا ترك منازلَ الوحْش[٦] وهى له مُعْرِضة .

(ما يعترى الوحشىَّ إذا صار إلى الناس)

وقد تتسافد وتتوالد فى الدُّور وهى بعدُ وحشيَّة ، وليس ذلك فيها بعامّ . ومن الوحْش ما إذا صار إلى النَّاس وفى دُورهم ترك السِّفاد ، ومنها مالا يَطْعَم ولا يشربُ البتَّةَ بوجْهٍ من الوجوه ، ومنها ما يُكره على الطُّعْم

= (٤ : ٤٨) بضم الراء . وفى اللسان (١٩ . ١٩) : « وقد ربوت فى حجره رُبُوًّا وَرَبْواً ، الأخيرة عن اللحيانى ، ورَبِيتَ رِباء ورُبِيًّا كلاهما نشأت فيهم » . ل : « ريأت » صواب هذه « ربأت » بالباء الموحدة ، من قولهم ربأت الأرض رباء : زكت وارتفعت . وقرأ أبو جعفر : (فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربأت) فى الآية ٥ من سورة الحج ، و ٣٩ من فصلت . وفى ل أيضا : « فما أدراك » .

(١) فيما عدا ل : « وقال » ، تحريف .

(٢) ليست فى الأصل . وبها يستقيم الكلام .

(٣) ل : « الضياع » بالياء ، تصحيف .

(٤) ط فقط : « يصبر » تحريف .

(٥) ل : « والوحشى » .

(٦) فيما عدا ل : « الوحوش » . وفى س : « يكون » موضع : « يصير » .

ويدخل فى حلقه كالحيّة ، ومنها مالا يسفَد ولا يدْجُن[١] ، ولا يَطعم ولا يَشرب ، ولا يصيحُ حتى يموت . وهذا المعنى فى وحشىِّ الطَّير أكثر .

(السُّورانىُّ ورياضته للوحوش)

والذى يحكى عن السُّورَانى[٢] القَنَّاص الجبَلىّ[٣] ليس بناقض لِمَا قُلنا[٤] ؛ لأنّ الشَّىء الغريبَ ، والنادر الخارجىَّ ، لا يُقاس عليه . وقد زعموا أنّه بلغ من حِذْقه بتدريب الجوارح وتَضْرِيتها أنّه ضرَّى ذئباً حتّى اصطاد به[٥] الظِّباء وما دونها ، صَيداً ذريعاً ، وأنه ألَّفه حتى رجَع إليه من ثلاثينَ فرسخا ، وقد كان بعضُ العُمَّال سَرَقه منه . وقد ذكروا أنّ هذا الذِّئب [قد[٦]] صار إلى العَسكر ، وَأن هذا السُّورَانى ضرَّى أسداً حتّى اصطادَ له الحميرَ فما دونها[٧] صيداً ذريعًا ، وأنه ضرَّى الزَّنابيرَ فاصطاد بها الذِّبان . وكلُّ هذا عجَب ، وهو غريبٌ نادرٌ ، بديعٌ خارجىّ

(١) ل : « يرجن » بالراء ، وهى صحيحة ، يقال دجن ورجن ، وبابهما دخل .

(٢) السورانى : نسبة إلى سورا ، بضم السين والقصر ، وهو موضع بالعراق من أرض بابل . ل : « السودانى » بالدال المهملة . وفى معجم ياقوت : « سوذان » بالذال المعجمة ، قرية من قرى أصفهان .

(٣) الجبلى : نسبة إلى « الجبل » وهى البلاد التى يقال لها الجبال ، وهى ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوين وهمذان والدينور وقرميسين والرى . وفى ياقوت (٣ : ٥٠) عند ذكر على بن جهضم الهمذانى الجبلى ، قال : ونسب كذلك لأن همذان من بلاد الجبل . وقد ذكر الجاحظ هذا السورانى القناص فى (٧ : ٢٥٢) وقال : « من أهل همذان السودانى الجبلى » . ولكن فى ل : « الجيلى » بياء مثناة بعد الجيم ، تحريف .

(٤) ل : « ليس يناقض ما قلنا » هـ : « ليس يناقض لما قلنا » ، وهذه الأخيرة محرفة .

(٥) ل : « له » س : « بها » ، والأخيرة محرفة .

(٦) هذه الكلمة من ل ، س ، هـ .

(٧) س : « الحمير وأوثقها » ، محرف .

وذكروا[١] أنّه من قيس عيلان ، وأنّ حليمة ظِئْر النبى صلى الله عليه وسلم قد وَلَدته .

(الحيوانات العجيبة)

وليس عندى فى الحمار الهندىّ شىء[٢] . وقد ذكره صاحب المنطق .

فأمَّا الدِّباب[٣] ، وفأرة المسك ، [والفنك[٤]] ، والقاقُم[٥] ، والسِّنجاب ، والسَّمُّور ، وهذه الدوابّ ذوات الفِراء[٦] والوبرِ الكثيف النَّاعم ، والمرغوبِ فيه ، والمنتفع به ، فهى عجيبة .

وإنّما نذكر ما يعرفه أصحابنا وعلماؤُنا ، وأهلُ باديتنا . ألا تَرى أنّى لم أذكر [لك] الحريش[٧] ، والدُّخَس[٨] ، ولا هذه السِّباعَ المشتَركة الخلْق ،

---

(١) فيما عدا ل : « وذكر » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) الحمار الهندى ، هو الكركدن ، وهو ما يسمى وحيد القرن . واسمه العلمى الأوربى : Rhinoceros ذكره أرسطو فى كتاب النعوت فقال : « ولم نر من ذوات الحافر ماله قرنان ، لكن هناك حيوانات قليلة جمعت بين الحافر والقرن الواحد ، منها الحمار الهندى » . انظر معجم المعلوف ٢٠٣ — ٢٠٧ .

(٣) الدباب ، بكسر الدال المهملة ، جمع دب ، بضم الدال ، وهو من الحيوان ذى الفرو . انظر (٥ : ٤٨٤ س ١) ، وهذه الكلمة محرفة فى الأصل . فى ط ، هـ : « الذئاب » وفى ل ، س : « الذباب » ، صوابه ما أثبت .

(٤) الفنك ، سبق الحديث عنه فى (٥ : ٤٨٤) .

(٥) القاقم بضم القاف الأخيرة : سبق الحديث عنه فى (٥ : ٤٨٤) ط ، هـ : « القماقم » ل : « الفاقم » أوله فاء ، صوابه ما أثبت من س .

(٦) فيما عدا ل : « دواب الفراء » وله وجه .

(٧) الحريش ، وزان كريم : هو الكركدن ، انظر التنبيه الثانى . ط ، هـ : « الجريش » ، ل : « الحرس » س : « الحرس » بالإهمال التام ، صوابها ما أثبت .

(٨) الدخس ، مثال صرد ، دابة فى البحر تنجى الغريق ، تمكنه من ظهرها ليستعين على السباحة ، وتسمى الدلفين . هذا ما كتبه ابن منظور ، وهو زعم القدماء . وفى معجم استينجاس فى شرح « دخس » وقد أشار إلى أن لفظه فى الفارسية مأخوذ من العربية : a dolphin (said to carry people in danger of being drowned to shore) أى تحمل من أشفى على الغرق إلى

المتولِّدة فيما بين السِّباع المختلفة الأعضاء ، المتشابهة الأرحام ، التى[1] إذا صار بعضُها فى أيدى القرَّادين والمتكسِّبين[2] [و[3]] الطوّافين ، وضعوا
٩ لها أسماء ، فقالوا : مقلاس ، وكيلاس[4] وشلقطير[5] وخلقطير[6] وأشباه ذلك ، حين لَمْ تَكُنْ[7] من السِّباع الأصلية والمشهورة النسب[8] ، والمعروفة بالنّفع والضّرر .

وقد ذكرنا منْها ماكان مثل الضَّبع ، والسِّمع[9] ، والعِسْبار[10] ؛ إذ كانتْ معروفةً عنـد الأعراب ، مشهورة[11] فى الأخبار ، منوَّها بها فى الأشعار .

= الساحل . ط ، ﻫ : « الرجس » س : « الرحس » مهملة ، صوابه ما أثبت من ل . وانظر شرح ٥ : ٥٤٥ .

(١) فيما عدا ل : « الذى » ، والوجه ما أثبت .

(٢) ط : ﻫ : « المكتسبين » .

(٣) هذه من س فقط .

(٤) كذا وردت مضبوطة فى ل . وفيما عدا ل : « كلاس » .

(٥) فيما عدا ل : « سلقطير » بالسين المهملة .

(٦) كذا فى ل . وفى س : « حلقطير » ط : « حلفطير » بالفاء .. ﻫ : « جلفطير » بالجيم والفاء .

(٧) س : « حتى » بدل : « حين » . وفيما عدا ل : « يكن » ، وتقرأ فى هذه بتشديد النون .

(٨) الواو قبل : « المشهورة » ساقطة من ط . وفى س : « بالسب » بدل : « النسب » .

(٩) السمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع . انظر (١ : ١٨١ - ١٨٢ / ٥ : ١٤٩) . ط ، ﻫ : « السبع » بالباء ، صوابه ما أثبت من ل ، س .

(١٠) العسبار : ولد الضبع من الذئب . انظر (١ : ١٨١ - ١٨٢ / ٥ : ١٤٩) س : « العسبان » محرف .

(١١) ل : « معروفة » .

(الاعتماد على معارف الأعراب فى الوحش)

وإنَّما أعتمد فى مثل هذا على ما عندَ الأعراب ، وإن كانوا لم يَعْرِفوا شكلَ ما احتِيجَ إليــه منها[١] من جهة العناية والفِلاَيَة[٢] ، ولا من جهة التذاكر والتــكسُّب . ولـكن هذه الأجناس الـكثيرة ، ماكان منها[٣] سبعاً أو بهيمةً أو مشتَرَكَ الخلْق ، فإنّما هى مبثوثةٌ فى بلاد الوحْش : من صحراءَ ، أو وادٍ ، أو غائط ، أو غيضة ، أو رملةٍ ، أو رأس جبل ؛ وهى فى منازلهم ومناشئهم[٤] ؛ فقد نزلوا كما ترى بينها ، وأقاموا معها . وهم أيضاً من بين النّاس وحشٌ ، أَوْ أشباه الوحش[٥] .

وربّما بلْ كثيراً ما يُبْتَلَون بالنَّاب والمخلب ، وباللدغ[٦] واللَّسع والعضّ والأكل ، فخرَجتْ بهم الحاجةَ إلى تعرُّف حالِ الجانى[٧] والجارح والقاتل ، وحالِ المجنىِّ عليه والمجروحِ والمقتول ، وكيف الطَّلبُ والهرب ، وكيف الداء والدواء[٨] ؛ لطول الحاجة ، ولطول وُقوع البَصر ، مع مايتوارثون من المعرفة بالدَّاءِ والدواء .

---

(١) ل : « ماالحتاج إليه منها » .

(٢) الفلاية ، بكسر الفاء : مصـدر فلا رأسه يفلوه ويفليه : بحثه عن القمل . أراد به البحث عن كنهها . ط ، س : « العلاية والغلابة » ، هـ : « العناية والبلاية » وصواب النص من ل .

(٣) ل : « مايكون فيها » .

(٤) المناشئ : جمع منشأ ، مكان النشوء . فيما عدا ل : « ماشيتهم » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « وأشباه الوحش » .

(٦) فيما عدا ل : « والدغ » ، بطرح الباء .

(٧) ل : « فخرجت لهم الحاجة تعرف حال الجانى » .

(٨) ل ، س : « وكيف الدواء والداء » .

(معرفة العرب للآثار والأنواء والنجوم)

ومن هذه الجهة عَرَفوا الآثارَ في الأرض والرَّمل ، وعرفوا الأنواء ونجومَ الاهتِدَاء ؛ لأنَّ كلَّ من كان بالصَّحاصح الأماليس[١] - حيث لا أمارة[٢] ولا هادىَ ، مع حاجته إلى بعد الشُّقّة[٣] - مضطرٌّ[٤] إلى التماس ما ينجيه ويُؤْديه[٥] .

ولحاجته إلى الغيث ، وفِراره من الجدْب ، وضنِّه بالحياة ، اضطرته الحاجة[٦] إلى تعرُّف شأنِ الغَيث .

ولأنّه في كلِّ حالٍ يرى السَّماء ، وما يجرى فيها من كوكب ، ويرى التَّعاقُب بينها ، والنّجومَ الثوابت فيها ، وما يسير منها مجتمعا وما يسير منها فارداً[٧] ، وما يكون منها راجعًا ومستقيما .

---

(١) الصحصح والصحصحة والصحصحان : الأرض المستوية الواسعة . والأماليس : جمع إمليس ، وهى الأرض الملساء لا شجر بها ولا كلأ ولا نبات . وهى أيضا جمع ملس ، بالتحريك : وفى اللسان : « والملس المكان المستوى والجمع أملاس وأماليس » . فيما عدا ل : « الأمالس » . وحذف الياء من نحو هذا مذهب الكوفيين .

(٢) الأمارة ، بالفتح : العلامة . س : « أثارة » . والأثارة ، بالفتح : العلامة أيضا .

(٣) الشقة ، بالضم والكسر : السفر البعيد ، أى مع حاجته إلى الإبعاد فى السفر . ط فقط : « المشقة » تحريف .

(٤) فى الأصل : « مضطرا » بالنصب . ووجهه الرفع ، فهو خبر أن .

(٥) آداه على كذا يؤديه إيداء : قواه عليه وأعانه . وتقرأ أيضا « يؤديه » من التأدية ، أدى الشئ تأدية : أوصله .

(٦) فيما عدا ل : « الحال » .

(٧) الفارد : المنفرد . فيما عدا ل : « وما يصير منها مجتمعا وما يصير مفترقا » تحريف . وبعد هذه العبارة فيما عدا ل : « وما يصير منها بارداً » لكن فى س : « وما يصير » وهى عبارة مقحمة .

(أقوال لبعض الأعراب فى النجوم)

وسُئلت أعرابيَّة فقيل لها : أتَعرفين النجوم ؟ قالت[١] : سبحانَ الله ؟ أمَا أعرف أشباحًا وُقوفاً علىَّ كلَّ ليلة !

وقال اليقطرىّ[٢] : وصف أعرابىٌّ[٣] لبعض أهل الحاضرة نجوم الأنواء ، ونجومَ الاهتداء ، ونجوم ساعاتِ اللّيل والسُّعودِ والنُّحوس ، فقال قائلٌ لشيخٍ عِباديٍّ[٤] كان حاضراً : أمَا ترى هذا الأعرابىَّ يعرف من النُّجوم مالا نعرف ؟ قال : ويلَ أمِّك ، مَنْ لا يعرف أجذاع بيته[٥] ؟

قال : وقلت لشيخٍ من الأعراب قد خرِفَ ، وكان من دُهاتهم : إنى لا أَرَاكَ[٦] عارفا بالنُّجوم ! قال : أما إنّها لو كانت أكثَرَ لكنتُ بشأنها أبصرَ ، ولو كانت أقلَّ لكنت لها أذْكَر .

وأكثرُ سببِ ذلك كلِّه ــ بعد فَرْط الحاجة ، وطول المدارسة[٧] ــ دِقّةُ الأذهان[٨] ، وجَودة الحِفظ . ولذلك قال مجنونٌ من الأعراب ــ لَمّا قال

---

(١) ل : « فقالت » .

(٢) ل : « البقطرى » بالباء الموحدة . وانظر (١ : ١٢٢ ، ٢٧٠ / ٤ : ٣٤) .

(٣) ط ، هـ : « وصفت أعرابية » تحريف ، صوابه فى س . وفى ل : « وصف الأعرابى » .

(٤) العبادى : نسبة إلى العباد ، بالكسر ، وهم قبائل شتى اجتمعوا على النصرانية بالحيرة .

(٥) الجذع ، بكسر الجيم بعدها ذال : ساق النخلة ، والجمع أجذاع وجذوع ، والمراد بالأجذاع ماجعل منها سقفا للبيت . ط فقط : « أجزاع » بالزاى ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « لا أراك » ، صوابه ماأثبت من ل .

(٧) فيما عدا ل : « المداومة » .

(٨) فيما عدا ل : « رقة الأذهان » بالراء . والوجه ماأثبت من ل .

له أبو الأَصْبَغ بن رِبْعِىّ[١] : أما تعرِف النجوم ؟ قال : ومالى أعرفُ من لا يعرفنى[٢] ؟ !

فلو كان لهـذا الأعرابىِّ المجنونِ مثلُ عُقول أصحابه ، لعرَف مثلَ ما عرَفوا .

(ما يجب فى التعليم)

ولو كان عندى فى أبْدان السَّمُّور ، والفَنَك ، والقَاقُم[٣] ، ما عِندى فى أبدان الأرانب والثّعالب ، دون فرائها ، لذكرتها بما قَلَّ أو كثُر ؛ لـكنّه لا ينبَغى لمن قلَّ علمُه أن يدَعَ تعليم مَن هو أقلُّ منه علما[٤] .

(الدساس وعلة اختصاصه بالذِّكر)

ولو كانت الدَّسّاس[٥] من أصناف الحيّات لم نَخصَّها من بينها بالذِّكر[٦] ، ولـكنّها وإن كانت على قالَب الحيَّات وخَرْطها ، وأفرغت

---

(١) فيما عــدا ل : « أبو الأصبع » بالمهملة فى آخره . وانظر ماسبق فى (٣ : ١٠٩ ، ٢٥٦) .

(٢) ط ، ه : « ومالى لا أعرف » بزيادة : « لا » . وهو تحريف .

(٣) سبق الـكلام على هذه الأجناس فى (٥ : ٤٨٤) ط ، ه : « القماقم » ل : « الفاقم » بالفاء فى أوله ، صوابهما ماأثبت من س . وانظر هذا الجزء ص ٢٧ .

(٤) ل : « من هو أقل علما منه » .

(٥) الدساس ، سبق الـكلام عليها فى (٤ : ٢٢٢) . وهو حية أحمر كالدم محدد الطرفين لايدرى أيهما رأسه ، غليظ ليس بالضخم ، وهو النـكاز . واسمه العلمى الأوربى : Eryx jaculus . س : « ولو كان الدساس » .

(٦) اى : إنما خصصناها بالذكر لأنها ليست من الحيات .

كأفراغها وعلى عُمُودِ صُوَرِها ، [فخصائصها] دون خصائصها(١) ، كما يناسبها في ذلك الخُفّاش(٢) والعِرْبِد(٣) . وليسا من الحيّات ، كما أن هذا ليس من الحيّات ؛ لأنّ الدّسّاس ممسوحة الأذن(٤) ، وهي مع ذلك مما يلد ولا يبيض . والمعروفُ في ذلك أنّ الوِلادة هي في الأشْرَف(٥) ، والبَيْض في الممسوح .

وقد زعم ناسٌ أنّ الولادة لا تُخرج الدّسّاسَ من اسم الحيّة ، كما أن الولادةَ لا تخرِج الخُفّاش من اسم الطير .

وكلّ ولدٍ يخرج من بيضه فهو فرْخ ؛ إلا ولدَ بيض الدّجاج فإنّه فَرُّوج .

والأصناف التي ذكرناها مع ذكر الضّبّ تبيض كلُّها ، وَيسمَّى ولدُها بالاسم الأعمّ فَرْخا(٦) .

وزعم لى ابنُ أبي العجُوز ، أنّ الدّسّاس تَلد . وكذلك خبّرني به محمد ابنُ أيوبَ بن جعفر(٧) عن أبيه ، وخبّرني به الفضل بنُ إسحاق

---

(١) ليست بالأصل ، وبها يلتئم الكلام .

(٢) فيما عدا ل : « الخفات » بالخاء المعجمة والتاء في آخره ، صوابه بالحاء المهملة والثاء المثلثة . وانظر ماسبق في ص ٢٠ .

(٣) انظر ماسبق ص ٢١ .

(٤) أي ليست بظاهرة الأذن . ه : « ممسوخة » بالخاء ، تحريف .

(٥) الأشرف : الظاهر الأذنين . فيما عدا ل : « الأشراف » محرف .

(٦) ط ، ه : « أو يسمى ولدها » تحريف . وفيما عدا ل . « بالأعم » بدل « بالاسم الأعم » .

(٧) أيوب بن جعفر بن سليمان العباسي ، كان من أعلم الناس بقريش ، وبالدولة ، وبرجال الدعوة ، وكان في أول أمره على مذهب أبي شمر ، ثم انتقل من قوله إلى قول إبراهيم ابن سيار النظام . انظر البيان (١ : ٩١ ، ١١٥ ، ٣٤٣) . وأما محمد ولده فلم أجد له خبرا .

ابن سليمان[١] . فإن كان خبرهما عن إسحاقَ فقد كان إسحاقُ من معادن العلم[٢] .

وقد زعموا بهذا الإسناد أنّ الأرْويّة تَضَعُ مع كلِّ ولدٍ وضعَتْه أفعى في مشيمةٍ واحدة .

وقال الآخرون : الأرويّة لا تعرف بهذا المعنى ، ولكنه ليس في الأرض نَمرة إلَّا وهي تضعُ ولدَها وفي عنقه أفعى[٣] في مكان الطَّوق وذكروا أنَّها تنهش[٤] وتعَضّ ، ولا تقتل .

ولم أكتب هذا لتُقِرَّ بِهِ[٥] ، ولكنها رواية أحببت أن تَسمعها[٦] . ولا يعجبنى الإقرارُ بهذا الخبر ، وكذلك لا يعجبنى الإنكار له . ولكنْ ليكنْ قلبُك إلى إنكاره أميَلَ .

---

(١) سبق الفضل بن إسحاق خبر في (٤ : ١٥٧) . وأما أبوه فهو إسحاق بن سليمان ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، أبو يعقوب الهاشمي ، كان من أولى الأقدار العالية ، ولى لهارون الرشيد المدينة والبصرة ومصر والسند ، وولى لمحمد الأمين حمص وأرمينية . ومات ببغداد . انظر تاريخ بغداد ٣٣٧٢ ولسان الميزان (١ : ٣٦٤) . ط ، س : « وخبرني به الفضل عن إسحاق بن سليمان » . وبدل كل هذه العبارة في هـ : « أبي الفضل عن إسحاق بن سليمان » .

(٢) معدن الشيء ، بكسر الدال : موضعه ومكانه الذي يثبت فيه ؛ عدن : أقام وثبت . والمعدن أيضا : أصل الشيء . ومنه في الحديث : « فعن معادن العرب تسألوني ؟ قالوا : نعم » أي أصولها التي ينسبون إليها ويتفاخرون بها . ط ، س : « في معادن العلم » ، والأرفق ما أثبت من ل ، هـ .

(٣) في (٧ : ١٢٨) : « وذلك أنهم يزعمون أن النمرة لاتضع ولدها أبداً إلا وهو متطوق بأفعى » . ط ، هـ : « وفي عنقها » ، صوابه ما أثبت من ل ، س إذ الضمير عائد إلى الولد .

(٤) ل : « تعيش » بدل : « تنهش » .

(٥) فيما عدا ل : « ولم أكتب هذه التقوية » لكن في س : « العقوبة » محرفان .

(٦) س : « ولكنها رؤية أجنبية » ، بدل هذه العبارة جميعها . وفي ط ، هـ : « ولكنها آية أحببت أن تسمعها » ، صوابهما ما أثبت من ل .

(الشك واليقين)

وبعدَ هذا فاعرفْ مواضع الشّكّ ، وحالاتها الموجبةَ له[١] ؛ لتعرف بها مواضع اليقين[٢] والحالات الموجبة له ، وتعلم الشّكّ فى المشكوك فيه تعلُّما . فلو لم يكن [فى] ذلك إلاّ تعرّفُ التوقُّف ثمَّ التثبُّت ، لقد كان ذلك ممّا يحتاج إليه .

ثمّ اعلم أنّ الشكّ فى طبقاتٍ عند جميعهم ، ولم يُجْمعوا على أنّ اليقينَ طبقاتٌ فى القوّة والضّعف .

(أقوال لبعض المتكلمين فى الشك)

ولمّا قال ابن الجهم للمكّىّ : أنا لا أكاد أشكُّ ! قال المكّىّ : ١١
وأنا لا أكادُ أوقن ! ففخر عليه المكىّ بالشّكّ فى مواضع الشّك ، كما فخر عليه ابنُ الجهم باليَقين فى موَاضع اليقين .

وقال أبو إسحاق : نازعتُ [من] الملْحِدين الشاكّ والجاحد[٣] فوجدتُ الشُّكَّاك[٤] أبصرَ بجوهر الكلام مِن أصحاب الجحود .

وقال أبو إسحاق : الشاكُّ أقربُ إليك من الجاحِد ، ولم يكنْ يقينٌ

---

(١) له : أى الشك . فيما عدا ل : « لها » تحريف .

(٢) هذه الكلمة والتى بعدها ساقطتان من ل . وفى ل : « تتعرف » بدل : « لتعرف » .

(٣) فيما عدا ل : « الملحدين والشكاك » .

(٤) ل : « الشاك » بالإفراد . والمقابلة تقتضى الجمع ، كما فى سائر النسخ .

قط حتى كان قبله شكٌّ[١] ، ولمْ ينتقل أحدٌ من اعتقادٍ إلى اعتقاد غيره حتّى يكونَ بينهما حالُ شكٍّ .

وقال ابنُ الجهم[٢] : ما أطمعَنى فى أوْبة المتحيِّر[٣] ! لأنّ كلّ من اقتطعَته عن اليقين الحيرةُ فضالّته التبيُّن[٤] ، ومَنْ وَجد ضالّته فرِح بها .

وقال عمرو بن عُبيد : تقرير لسانِ الجاحد أشدُّ من تعريفِ قلب الجاهل .

وقال أبو إسحاق : إذا أردتَ أن تعرِف مقدار الرّجُل العالِم ، وفى أىّ طبقةٍ هو ، وأردت أن تدخِله الكورَ[٥] وتنفخ عليه ؛ ليظهرَ لكَ فيه الصِّحَّةُ من الفساد ، أو مقدارُه من الصِّحَّة والفَساد ، فكنْ عالمًا فى صورةِ متعلِّمٍ ، ثم اسأله سؤالَ مَن يَطمعُ فى بلوغِ حاجتهِ منه .

(فصل ما بين العوام والخواص فى الشك)

والعوامُّ أقلُّ شكوكاً من الخواصّ ؛ لأنَّهم لايتوقَّفون فى التصديق

---

(١) ط ، هـ : « حتى صار فيه شك » ، وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) هو محمد بن الجهم البرمكى ، المترجم فى (٢ : ٢٢٦) ، ويروى عنه الجاحظ كثيرا فى هذا الكتاب . انظر (١ : ٥٣ ، ٥٤ / ٢ : ١٤٠ ، ٢٢٦ / ٣ : ١٧٣ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٤٩٥ / ٤ : ١١٦ ، ٣١٩ ، ٤٤٢) . فيما عدا ل : « أبو الجهم » ، تحريف .

(٣) أى رجوعه إلى اليقين . س : « رؤية المتحير » ، وليس بصواب .

(٤) التبين : التعرف والتحقق . فيما عدا ل : « فضالته اليقين » .

(٥) الكور ، بالضم ، وهو مجمرة الحداد المبنية من الطين ، التى توقد فيها النار . وفى ل : « وأن يدخله الكير » وهذا تحريف ظاهر ، وفيما عدا ل : « الكير » وهو تحريف أو سهو ؛ فإن الكير ، بالكسر : زق الحداد الذى ينفخ به . وإنما يدخل الشىء الذى يراد امتحانه أو صهره فى الكور .

[والتكذيب] ولا يرتابون بأنفسهم ، فليس عندهم إلاَّ الإقدامُ على التّصديق المجرّد ، أو على التكذيب المجرد[1] ، وألغوا[2] الحال الثالثة من حال الشّكّ التى تشتمل على طبقات الشك ، وذلك على قدر سُوء الظّنّ وحُسن الظّن بأسباب ذلك ، وعلى مقادير الأغلب .

(حرمة المتكلمين)

وسمع[3] رجلٌ ، ممّن قد نظر بعضَ النظر ، تصويبَ العلماء لبعض الشكّ[4] ، فأجرَى[5] ذلك فى جميع الأمور ، حتّى زعم أنّ الأمورَ كلها يُعرف حقها وباطلُها بالأغلب .

وقد ماتَ ولم يخلّف عَقِباً[6] ، ولا واحداً يدينُ بدِينه . فلو ذكرتُ اسمَه مع هذه الحال لم أكنْ أسأت ، ولكنّى على حالٍ أكرهُ التّنويه بذكر من [قد] تحرّم بحُرمة الكلام ، وشارَكَ المتكلّمين فى اسم الصِّناعة[7] ، ولا سيّما إنْ كان ممّن ينتحِل تقْدِيم الاستطاعة[8] .

---

(١) ل : « والتكذيب المجرد » .

(٢) الإلغاء : الإبطال والإسقاط . س : « وألفوا » بالفاء ، محرفة .

(٣) ل : « فسمع » أوله فاء .

(٤) فيما عدا ل : « لبعض الشكاك » .

(٥) ط ، ه : « بإجراء » ، صوابه فى ل ، س .

(٦) العقب : بفتح فكسر ، والعقب بالفتح ، والعاقبة : ولد الرجل وولد ولده الباقون بعده ، ويقصد بهم الذكور فى الأعم الأغلب . ل : « ولم يدع عقبا » ه : « ولم تتخلف عقبا » والأخيرة محرفة .

(٧) ط ، س : « فى أسماء الصناعة » ه : « اسمى الصناعة » ، صوابهما من ل .

(٨) فى اللسان : « فلان ينتحل مذهب كذا وقبيلة كذا : إذا انتسب إليه » . س : « تقديم الصناعة » تحريف ، وأراد بتقديم الاستطاعة ، القول بأن الاستطاعة —

(الأوعال والثياتل والأيايل)

فأمّا القولُ فى الأوعال ، والثَّياتِل[١] ، والأيايل[٢] وأشباه ذلك ، فلم يحضرْنا فيها ما [إن] نجعلُ لذكرها باباً مبوَّبا . ولكننا سنذكرها فى مواضع ذكْرها من تضاعيف هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

الضب

وأنا مبتدئٌ على اسم الله تعالى فى القول فى الضَّبّ .

على أنِّى أذمُّ هذا الكتابَ فى الجملة ؛ لأنَّ الشواهد على كلِّ شىء [بعينه] وقعتْ متفرِّقة غير مجتمِعة . ولو قدَرتُ على جمعها لكانَ ذلك أبلغَ

= مقدمة على الفعل ، وهو أصل من أصول المعتزلة . انظر الفصل (٣ : ٢٦ — ٤٣) وشرح الحيوان (٣ : ٩) . ل : « ولا سيما إذ » . وفى همع الهوامع (١ : ٢٣٤ — ٢٣٥) أن « لاسيما » قد يليها ظرف ، أو فعل ، أو شرط .

(١) الثياتل : جمع ثيتل ، أوله ثاء مفتوحة يليها ياء آخر الحروف ثم تاء . وفى اللسان : « الثيتل من الوعول لايبرح الجبل ، ولقرنيه شعب » . وأما قرنا الوعل فطويلان لاشعب فيهما . واللغويون يختلفون فيه اختلافا ، كما تتضارب أقوالهم فى الوعول والأيايل . وهى كلها أجناس من بقر الوحش تنزل الجبال . وسيأتى فى ص ٣٠٠ من هذا الجزء : « والثيتل شبيه بالوعل . وهو مما يسكن فى رءوس الجبال » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « التنايل » وفيما عدا ل : « التباتل » صوابهما ما أثبت .

(٢) الأيايل ، بياءين بينهما ألف : جمع أيل ، بضم ففتح ، وبكسر ففتح ، وبفتح فكسر ، مع تشديد الياء فيهن جميعا ، وانظر التنبيه السابق واللسان (أول) فى (١٣ : ٣٧) . والياء الثانية مسهلة من الهمزة : فالقاعدة أن تبدل الهمزة من ثانى حرفى اللين اللذين يكتنفان مد مفاعل ، فتقول فى جمع أول ونيف وسيد : أوائل ، ونيائف ، وسيائد . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٢٠) وسيبويه (٢ : ٣٧٣ — ٣٧٤) . وقال الأخفش : « القياس ألا يهمز فى الياءين ، ولا فى الياء والواو » . انظر شرح الرضى للشافية (٣ : ١٣١) .

فى تزكية الشّاهد ، وأنورَ للبُرهان ، وأمْلأ للنَّفس[١] ، وأمْتَع لها[٢] [ب] بحُسْن الرَّصْف[٣] . ١٢

وأحْمَدُه ؛ لأنّ جُملةَ الكتاب على حالٍ مشتملةٍ على جميع [تلك[٤]] الحجَج ، ومحيطة بجميع تلك البرهانات ، وإن وقع بعضُه فى مكانٍ بعضٍ ، وتأخُّر متقدِّم ، وتقدّم متأخر .

(جحر الضب وما قيل فيه من الشعر)

[و] قالوا : [و] من كَيْس الضّبّ أنّه[٥] لايتخذ جُحره إلاّ فى كُدْية — وهو الموضع الصُّلب — أو فى ارتفاعٍ[٦] عن المسيل والبسيط[٧] ، ولذلك تُوجدُ براثنُه ناقصةً كَليلة ؛ لأنّه يحفِر فى الصَّلابة ، ويعمِّق الحَفْر[٨] . ولذلك قال خالدُ بن الطَّيْفان[٩] .

ومَولًى كمولى الزِّبرِقانِ دَمَلْتــه كما دُمِلَتْ سَاقٌ تُهاضُ، بها كَسْرُ[١٠]

---

(١) ط : « وأملأ » س ، هـ : « وأملا » ، صوابهما ما أثبت من ل.
(٢) فيما عدا ل : « وأمتعها » ، تحريف .
(٣) الرصف : ضم الشىء بعضه إلى بعض . ط ، هـ : « الوصف » بالواو .
(٤) هذه من ل ، س .
(٥) الكيس ، بالفتح : العقل . ط ، هـ : « أن لا » بدل : « أنه لا » .
(٦) فيما عدا ل : « الارتفاع » وفى س أيضا : « وفى » مكان : « أو فى » .
(٧) البسيط من الأرض : المنبسط الفسيح .
(٨) ل : « الجحر » .
(٩) الطيفان ، بفتح الطاء وبعد الياء الساكنة فاء ، هى أم الشاعر . وقد سبقت ترجمته فى (٥ : ٢٦) . ل : « الطيقان » بالقاف . وفيما عدا ل : « الصيفان » بالصاد قبل الياء ، صوابهما ماأثبت . وقد سبق إنشاد عجز البيت الأخير من المقطوعة فى (٥ : ٢٦)
(١٠) الدمل ، بالفتح : الإصلاح ، ويقال : ادمل القوم أى اطوهم على مافيهم . فيما عدا ل : « حملته كما حملت » صوابه فى ل والمؤتلف ١٤٩ . تهاض : تكسر بعد الجبور أو بعد ما كادت تنجبر . هـ : « تهاص » تحريف . ورواية اللسان (١٣ : ٢٦٧) =

٢١ إذا ما أحالَتْ والجَبائِرُ فَوْقَها ... مَضَى الحَوْلُ لابُرْءٌ مُبِينٌ ولاجَبرُ(١)
تَرَاه كأنّ اللهَ يَجْدَعُ أنفَه ... وأذْنَيْهِ إنْ مَولاهُ ثابَ له وَفرُ(٢)
تَرَى الشَّرّ قد أفْنَى دوابِرَ وَجْهِهِ ... كَضَبِّ الكُدَى أفْنَى بَراثِنَه الحَفْرُ(٣)

وقال كُثَيِّر :

فإنْ شِئْت قلت له صَادِقاً ... وجَدْتك بالقُفِّ ضَبًّا جَحُولاً(٤)
مِنَ اللاءِ يحفِرْن تحتَ الكُدَى ... ولا يَبْتَغِينَ الدِّماثَ السُّهولاَ(٥)

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة :

وَجَدْنَا أبَا الجبَّار ضَبًّا مورَّشاً ... لَهُ في الصَّفَاة بُرْثُنٌ ومَعاوِلُ(٦)

= « دملته كما اندملت ساق يهاض بها الكسر » .

(١) أحالت : مضى عليها حول . يقول : تظل الساق حولا كاملا ماتبرأ وماتنجبر . ل : « لابرق منير » ، وهو تحريف عجب . س : « لابرأ » محرف كذلك .

(٢) ثاب : عاد ورجع . والوفر ، بالفتح : هو من المال والمتاع الكثير الواسع . والبيت في رواية النحويين : « وعينيه » بدل : « وأذنيه » ، يستشهدون به على إضمار الفعل بعد حرف العطف ، ويقولون : التقدير : « ويفقأ عينيه » . انظر أمالي المرتضى (٤ : ١٦٩) ومجالس ثعلب ٤٦٤ . ويستشهد به أيضا علماء البلاغة في هذه الرواية أيضا . الصناعتين ١٧٤ . وهذه الرواية الأخيرة أيضا في المؤتلف ١٤٩ . ﻫ : « يجذع » و « تاب » بالتاء ، تحريف . وبدلها في أمالي المرتضى : « كان له » .

(٣) الدوابر : جمع دابر ودابرة ، وهو أصل الشيء . وفي قول الله : « أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين » ، يراد به الاستئصال . فيما عدا ل : « دوائر » . ورواية المؤتلف توافق ما أثبت من ل . والكدى : جمع كدية ، وقد سبق تفسيرها في الصفحة السابقة . فيما عدا ل « القرى » صوابه في ل والمؤتلف وثمار القلوب ٣٣٠ مع نسبة البيت في الأخير إلى الحصين بن القعقاع .

(٤) القف بالضم : ماغلظ من الأرض وارتفع . والجحول ، بتقديم الجيم : وصف لم يرد في المعاجم ، وفيها « الجحل » بالفتح ، وهو الضب المسن الكبير ، أو الضخم فيما عدا ل « حجولا » بتقديم الحاء ، تصحيف . والبيت روى في ثمار القلوب ٣٣٠ محرفا .

(٥) الدماث : جمع دمث ، وهو السهل من الأرض . ل فقط : « يتبعن » ، وأثبت ما في سائر النسخ وثمار القلوب .

(٦) المورش ، بصيغة المفعول : من التوريش ، وهو التحريش والإغراء ليخرج من =

له كَذْبَةٌ أعيَتْ على كلِّ قانصٍ ولو كان مِنهُمْ حارشان وحابِلُ[1]

ظَلِلْتُ أراعِي الشَّمْسَ لولا مَلالَتِي تَزَلُّعَ جِلدِي عِنْدَهُ وهو قائِلُ[2]

وأنشد :[3]

وَعَوْرَاء مِنْ قِيلِ امْرِئٍ قد رَدَدْتُها بِسَالِمَةِ العَيْنَيْنِ طالبةٍ عُذْرَا[4]

ولو أنَّنِي إذْ قالَهَا قُلْتُ مِثْلَهَا وأكْثَرَ منها، أورَثَتْ بَيْنَنَا غِمْرَا[5]

فأعْرَضْتُ عنها وانتظرتُ به غَداً لعلَّ غداً يُبدِي لِمُنْتَظِرٍ أمْرَا[6]

لأُخرجَ ضَبًّا كانَ تحتَ ضُلوعِهِ وأقْلِمَ أظفارًا أطالَ بها الحفرَا[7]

= جحره . ل : « مدرسا » وليس له وجه . والصفاة : الصخرة الملساء . هـ : « الصفاة » تحريف . وعنى بالمعاول الأظفار .

(١) الحارش : الذى يحرش الضب ، وحرشه أن يحك الجحر الذى هو فيه ، يتحرش به ، فإذا أحسه الضب حسبه ثعبانا فأخرج إليه ذنبه ، فيصاد حينئذ . والحابل : الذى يصطاد بالحبالة ، وهى بالكسر ، مايصاد بها ، من أى شىء كانت . ل : « حارسان » س : « وحائل » هـ : « وجايل » تحريفات .

(٢) تزلع : تشقق . وفى الحديث : « إن المحرم إذا تزلعت رجله فله أن يدهنها » . قائل : ساكن فى بيته عند القائلة ، أو نائم نومة نصف النهار . والقائلة : الظهيرة . ل : « قابل » بإهمال الحرف قبل اللام . يقول : ظللت أرقبه ، ولولا الملل لتشقق جلدى من لفح الشمس ، على حين قد اتخذ هو لنفسه مقيلا .

(٣) فيما عدا ل : « وأنشد أيضا لدريد بن الصمة » ، وأثبت ما فى ل . والأبيات ليست لدريد بل هى لحاتم طيىء ، كما فى ذيل الأمالى ٦٢ - ٦٣ .

(٤) العوراء : الكلمة القبيحة التى تهوى فى غير عقل ولا رشد . والقيل : القول . سالمة العينين ، عنى الكلمة الحسنة ، جعلها فى مقابل العوراء . وهذه عبارة نادرة . ورواية ذيل الأمالى واللسان (٦ : ٢٩٤) : « وعوراء جاءت من أخ فرددتها » .

(٥) الغمر ، بالكسر والتحريك : الحقد . هـ : « غيرا » محرف . ورواية القالى : « ولم أعف عنها » .

(٦) عند القالى : « فأعرضت عنه » . وروى بيتا بين هذا البيت وتاليه ، وهو :

وقلت له عد للأخوة بيننا ولم أتخذ ما كان من جهله قرا

(٧) ل : « ليخرج » ، ورواية القالى : « لأنزع ضبا كامنا فى فؤاده » .

وقال أوسُ بنُ حَجَر ، فى أكل الصَّخرِ للأظفار [١] :

فأشرَطَ فيها نفسَهُ وهو مُعْصِمٌ والْقَى بأسبابٍ لَهُ وتَوَكَّلا [٢]

١٣ وقد أكلَتْ أظْفارَهُ الصَّخْرُ، كُلَّمَا تَعَايَا عَليهِ طُولُ مَرْقًى تَوَصَّلا [٣]

فَقَد [٤] وصَفُوا الضبَّ كما ترى، بأنه لا يحفِرُ إلاّ فى كَدية، ويُطيلُ الحفْرَ حتّى تفنَى براثنُه ، ويتوخّى به الارتفاعَ عن مجارى [السَّيل و] المياه ، وعن مَدَقّ الحوافر ؛ لكيلا يَنْهَارَ عليهِ بيتُه .

(الموضع الذى يختاره الضبُّ لجحره)

ولمّا عَلِم أنّهُ نَسَّاءٌ سيِّئُ الهِداية ، لم يَحفِر وِجارَه إلاّ عندَ أكَمَة ، أو صخرةٍ ، أو شجرة ؛ ليكونَ متى تباعَدَ من جُحره لطلب الطُّعم ، أو لبعض الخوف [فالتفت و] رآه — أحسن الهداية إلى جُحره [٥] . ولأنّه إذا لم يُقِمْ عَلَمًا [٦] فلعلّه أن يلِجَ على ظَرِبانٍ أو وَرَل [٧] ، فلا يكونَ

(١) س : « للأظفا » بإسقاط الراء ، تحريف . وقد سبق البيت فى (٥ : ٢٣) وانظر تنبيهات البكرى ص ٦٥ .

(٢) فيما عدا ل : « فأشرك » ، تحريف . وانظر الكلام على هذا البيت فى (٥ : ٢٣) واللسان (٩ : ٢٠٣) .

(٣) سبق البيت وشرحه فى (٥ : ٢٤) . س فقط : « عليها » . وفى الأصل : « مرقا » صواب كتابته بالياء . والمرقى : موضع الرقى ، أى الصعود .

(٤) فيما عدا ل : « وقد » .

(٥) فى الأصل : « فأحسن » ، وفيما عدا ل : « الاهتداء » موضع : « الهداية » .

(٦) أى إذا لم ينصب لنفسه علما يهتدى به .

(٧) يلج ، من الولوج ، وهو الدخول . يقول : ربما تشابهت عليه الأجحار وأخطأ فدخل فى جحر به ظربان أو ورل ، وهما مما يفترس الضب ، فكان فى ذلك هلاكه . ط ، هـ : « يلح » بالمهملة . ط فقط : « عليه » بدل : « على » صوابهما ما أثبت .

دون أكله له شيء . فقالت العرب : « خَبٌّ ضَبٌّ[1] » و : « أخبُّ من ضبٍّ » و : « أخْدَع من ضبٍّ » و : « كلُّ ضَبٍّ عِنْد مِرْدَاتِه[2] » .

وإذا خَدَع فى زوايا حفِيرته فقد توثَّق لنفسه عنْدَ نفسه .

(حذر بعض الحيوان)

ولهذه العلّة اتّخذ اليربوع القاصعاء ، والنّافِقاء ، والدّامّاء ، والرّاهطاء ، وهى أبوابٌ قد اتخذها لحفيرته ، فتى أحسَّ بشرٍّ خالف[3] تلك الجهة إلى الباب .

ولهــذا وشِبهه من الحــذَر كان التوبير[4] من الأرانب وأشباهها . والتوبير : أنْ تطأ على زَمَعاتها[5] فلا يعرف[6] الـكلبُ والقائفُ من أصحاب القنص آثار قوائمها .

---

(١) فى اللسان (٢ : ٢٨) : « ورجل خب ضب : منكر مراوغ حرب » .
(٢) المرداة : الصخرة يرمى بها ، يقال رديت فلانا بحجر أرديه رديا إذا رميته . ورواية المثل فى اللسان (١٩ : ٣٣) : « عند جحر كل ضب مرداته » وقال : « يضرب مثلا للشيء العتيد ليس دونه شيء . وذلك أن الضب ليس يندل على جحره إذا خرج منه فعاد إليه إلا بحجر يجعله علامة لجحره ، فيهتدى بها إليه » . ورواية المثل فى جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى المتوفى سنة ٣٩٥ ص ١٦٦ : « كل ضب عنده مرداته » وقال : معناه لا تغتر بالسلامة ، فإن الآفات والأحداث معدة . . . وقيل إنه سيئ الهداية ولا يتخذ جحره إلا عند حجر يجعله علامة ، فإذا خرج أخــذ طالبه الحجر فرماه به » . وكذا النص عند الميدانى المتوفى سنة ٥١٨ . انظر مجمع الأمثال (٢ : ٧١) وقالا أيضا : « يضرب لمن يتعرض للهلـكة » .
(٣) فيما عدا ل : « بشيء » . وفى هـ ، س زيادة واو قبل « خالف » .
(٤) التوبير بالباء الموحدة . ل : « التوتير » بالتاء ، تصحيف . وانظر (٥ : ٢٧٨ ، ٤٤٧) .
(٥) الزمعات : جمـع زمعة ، وهى الشعرات المدلاة فى مؤخر رجل الشاة والظبى والأرنب . ل : « التوتير » بدل : « التوبير » تصحيف . وانظر التنبيه السابق .
(٦) فى الأصل : « فيعرف » .

ولِمَا أشبه هــذا التَّدبيرَ صار الظبي[1] لا يدخل كناسَه إلاّ وهو مستدبر[2]، يستقبل بعينه ما يخافه على نفْسه وخِشْفه[3].

(شعر فى حزم الضب وخبثه وتدبيره)

وقد جمع يحيي بن مَنصورٍ الذُّهليّ[4] أبوابا من حزْم الضب ، وخُبثه ، وتدبيره . إلاَّ أنَّه لم يردْ تفضيلَ الضَّبِّ فى ذلك . ولـكنه بعد أنْ قدَّمه على حَمْـقَى الرِّجال[5]. قال : فـكيف لو فـكّرتم فى حَزْم اليربوع والضبّ[6] .

وأنشدنى فَضَّال[7] :

وبعْضُ النَّاسِ أنقَصُ رأيَ حَزْمٍ   منَ اليربُوع والضبِّ المَـكُونِ[8]

---

(١) هـ : « الضبى » تحريف . وفيما عدا ل زيادة : « هذا » بعد « صار » .

(٢) ط ، س : « مستدير » من الاستدارة ، تحريف . وجاء فى رسالة التربيع ١٤٢ ساسى : « وما بال الظبى لايدخل كناسه إلا مستدبرا » .

(٣) الخشف ، مثلثة : ولد الظبى أول مايولد .

(٤) يحيى بن منصور الذهلى ، أحد من مدح معن بن زائدة ، وفى الأغانى (٩ : ٤٤) : « لما ولى معن بن زائدة اليمن كان يحيى بن منصور الذهلى قد تنسك وترك الشعر ، فلما بلغته أفعال معن وفد إليه ومدحه ، فقال مروان بن أبى حفصة :

لاتعدموا راحتى معن فإنهما   بالجود أفتنتا يحيى بن منصور
لما رأى راحتى معن تدفقتا   بنائل من عطاء غير منزور
ألقى المسوح التى قد كان يلبسها   وظل للشعر ذا رصف وتحبير » .

وله خبر طريف فى تعزية سليمان بن على . انظر البيان (٤ : ٩٧) . وأمالى الزجاجى ٧. وقد سبق شعر له فى الحيوان (١ : ١٩ / ٣ : ٥٣٦) .

(٥) ط ، هـ : « حمقاء » س : « حمقا » صوابهما ماأثبت من ل .

(٦) فى الأصل : « والذئب » . محرف . والكلام يقتضى ما أثبت . ولم يعرف الذئب بالحزم .

(٧) كذا جاء بهذا الضبط فى ل .

(٨) المكون ، بفتح فضم : التى جمعت البيض فى بطنها . وبيضها يسمى المكن . يقال ضبة مكون وضب مكون .

يَرَى مِرْدَاتَه مِن رأسِ مِيلٍ ... وَيأمَنُ سَيْـلَ بارقةٍ هَتُونِ[1]

ويَحْفِرُ فى الكُدَى خوفَ انهيارٍ ... ويجعلُ مَكْوَهُ رأسَ الوَجِينِ[2]

ويَخْدَعُ إنْ أرَدْتَ له احتيالاً ... رَوَاغَ الفَهْدِ من أسَدٍ كَمِينِ[3]

ويُدخِلُ عَقْرَباً تحتَ الذُّنابَى ... ويُعمِلُ كيدَ ذى خدعٍ طَبِينِ[4]

فهذا الضبُّ ليسَ بذى حريمٍ ... مَعَ اليَرْبوعِ والذِّئْبِ اللَّعينِ

وقد ذكر يحيى جميعَ ما ذكرنا ، إلاَّ احتياله بإعداد العقرب لكفِّ المحترش[5] ، فإنه لم يذكر[6] هذه الحيلةَ من عمله . وسنذكر ذلك فى موضعه . والشِّعر الذى يُثبتُ له ذلك كثير[7] .

فهذا شأنُ الضّبّ فى الحفر ، وإحكام شأن مَنزِلِه .

---

(١) المرداة : سبق تفسيرها فى ص ٤٣ . البارقة ، عنى بها السحابة ذات البرق . والهتون : التى مطرها فوق الهطل . هـ : « هنون » تحريف .

(٢) المكو ، بالفتح ، وآخره واو : جحر الثعلب والأرنب ونحوهما . والوجين : قبل الجبل وسنده ، والأرض الغليظة الصلبة . فيما عدا ل : « مكره » بالراء ، وفى س : « الوحين » بالمهملة ، صوابهما ما أثبت .

(٣) الرواغ بالفتح : اسم من راغ يروغ بمعنى مال . قال الراغب فى المفردات : « الروغ الميل على سبيل الاحتيال » . والكمين ، قال الأزهرى : « كمين بمعنى كامن ، مثل عليم وعالم » . س : « رواغ الفهم » تحريف .

(٤) الطبين : وصف من الطبانة ، وهى الخدع وشدة الفطنة . والذى فى المعاجم « طبن » على وزن فطن ، وطابن بوزن اسم الفاعل . ل . « خدع ذى كيد ظنين » والكلمة الأخيرة محرفة ، إذ معناها المتهم ، وليس مرادا .

(٥) المحترش : الذى يحترش الضب ويصيده . فيما عدا ل : « المقارب » مكان « العقرب » .

(٦) ل : « فإنا لم نذكر » ، وفيما عدا ل : « وإنه لم يذكر » ، وجههما ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « الذى يكتب » ، صوابه فى ل ، س . وفى ل أيضا : « ذلك له » .

(الورل وعدم اتخاذه بيتاً)

ومن كلام العرب أنّ الورَلَ إنَّما يمنعه من اتِّخاذ البُيوت أنَّ[١] اتّخاذها ١٤
لا يكونُ إلاَّ بالحفْر ، والورَل يُبقِي [على[٢]] براثنه ، ويعلم أنَّها سلاحُه الذى به يقوى[٣] على ماهو أشدُّ بدناً منه .

وله ذنبٌ يؤكل ويُستطاب ، كثيرُ الشَّحم .

(قول الأعراب في مطايا الجن من الحيوان)

والأعراب لايصيدون يَربوعاً ، ولا قُنفُذاً ، ولا ورَلاً من أول الليل ، وكذلك كل شيءٍ يكونُ عندهم من مَطايا الجنّ ، كالنَّعام والظِّباء .

ولا تكون الأرنبُ والضَّبع من مراكب الجن[٤] ؛ لأنّ الأرنبَ تحيض ولا تغتسل[٥] من الحيض ، والضِّباع تركبُ أيورَ القَتلى والموتى إذا جيَّفَتْ أبدانهم[٦] وانتفخوا وأنعظوا[٧] ثم لاتغتسل عندهم من الجنابة ، ولا جَنابة إلا ما كان للإنسان فيه شِرْك . ولا تمتطى القرودَ[٨] ؛ لأنَّ القرد زانٍ ، ولا يَغْتَسِل من جنابة .

فإنْ قتَلَ أعرابيٌّ[٩] قُنفذاً أو ورَلا ، من أول الليل ، أو بعض هذه

---

(١) فى الأصل : « لأن » .
(٢) هذه التكلة من ل ، س ، ﻫ .
(٣) فيما عدا ل : « التى بها يقوى » .
(٤) س : « من مطايا الجن » .
(٥) ﻫ : « ولا تغسل » ، فى هذا الموضع والذى يليه .
(٦) جيفت : أنتنت . س : « جفت » تحريف .
(٧) ط : « فأعظوا » . والكلمة التى قبلها ساقطة من ل .
(٨) فيما عدا ل : « القرد » بالإفراد .
(٩) فيما عدا ل : « الأعرابى » .

المراكب، لم يأمَنْ على فحل إبله. ومتى اعتَرَاه شيء حكم بأنّه عقوبةٌ من قِبَلهم.

قالوا : ويسمعون الهاتف عند ذلك بالنَّعى ، وبضروب الوعيد .

(قول الأعراب فى قتل الجان من الحيات)

وكذلك يقولون فى الجانّ من الحيّات . وقتلُ الجان عندهم عظيم . ولذلك رأى رجلٌ منهم جانًّا فى قعر بئر ، لايستطيع الخروجَ منها ، فنزل على خَطر شديد[1] حتَّى أخرَجَها ، ثم أرسلَهَا من يده فانسابت ، وغمَّض عَيْنَيه لكيلا يَرى مدخَلَها[2] كأنّه يريد الإخلاص فى التقرُّب إلى الجن .

قال المازنى[3] : فأقبل عليه رجلٌ فقال له : كيف يقدر على أذاك مَنْ لم ينقذه من الأذَى غيرك ؟ !

(ما لا يتم له التدبير إذا دخل الأسراب والأنفاق)

وقال : ثلاثة أشياء لايتمُّ لها[4] التَّدبير إذا دخلت الأسراب ، والأنفاق ، والمكامِن[5] والتَّوالج[6] حتَّى يغصّ بها الخرْق[7] . فمن ذلك :

---

(١) أى مع الخطر الشديد ط ، هـ : « على خطر عظيم » .

(٢) ل : « كيلا يراها ومدخلها » .

(٣) المازنى ، هو بكر بن محمد بن بقية ، أبو عثمان المازنى النحوى ، من أهل البصرة ، وهو أستاذ أبى العباس المبرد . روى عن أبى عبيدة ، والأصمعى ، وأبى زيد الأنصارى . وتوفى سنة ثمان أو تسع وأربعين ومائتين بالبصرة . تاريخ بغداد ٣٥٢٩ وبغية الوعاة ٢٠٢ .

(٤) ط فقط : « بها » محرف .

(٥) المكامن : جمع مكمن ، وهو موضع الاختفاء . فيما عدا ل : « المكان » تحريف .

(٦) التوالج : جمع تولج ، بالفتح ، وهو كناس الظبى أو الوحش الذى يلج فيه ، التاء فيه مبدلة من الواو . والدوالج لغة فيه . داله عند سيبويه بدل من التاء . فهو على هذا بدل من بدل . فيما عدا ل « الموالج » بالميم .

(٧) يغص بها : يضيق . س : « يعض » . هـ : « الفرق » بدل : « الخرق » محرفان .

أن الظَّرِبَان[١] إذا أراد أنْ يأكل حِسَلة الضب[٢] أو ، الضبَّ نفسَه اقتحم جُحرَ الضَّب مستدْبراً ، ثم التَمَسَ أضْيَقَ موضعٍ فيه ، فإذا وجده قد غَصّ[٣] به ، وأيقَنَ أنّه قد حال بينه وبين النسيم ، فسا عليه[٤] ، فليس يجاوز ثلاث فَسَوات[٥] حتَّى يُغشى على الضب فيأكله [كيف شاء] .

والآخر الرجل إذا دخل وِجَارَ الضبع ومعه حَبْل ، فإنْ[٦] لم يسُدَّ ببدنه وبثَوبه جَميعَ المخارِق والمنافِذ ثم وصل إلى الضبع [من الضياء[٧]] بمقدار سَمّ الإبرة[٨] ، وثبَتْ عليه ، فقطَّعته ، ولو كان أشدَّ من الأسد .

والثالث أنّ الضب إذا أراد أن يأكل حُسُوله وقَفَ لها من جحرها[٩] فى أضيق موضعٍ من مَنفَذه إلى خارج ، فإذا أحكم ذلك بدأ فأكل منها ، فإذا امتلأ جوفه انحطَّ عن ذلك المكان شيئا قليلا ، فلا يُفلِتُ منه شىءٌ من ولده إلا بعد أنْ يشبع ويزولَ عن موضعه ، فيجد منفذاً .

وقال بعض الأعراب :

---

(١) الظربان بفتح فكسر : دابة شبه القرد ، طويل الخرطوم ، أسود السراة ، أبيض البطن ، كثير الفسو ، له خط فى وجهه ، وهو صغير القوائم ، مكربس الرأس ، وأذناه كأذنى السنور . وهو من آكلات اللحوم . واسمه بالإنكليزية : Zorilla or Zoril . ط ، ه : « الظرباء » وهى بفتح فكسر ممدودة لغة فى الظربان ، كما فى القاموس . لكن الجاحظ لم يستعملها . ويجمع على ظرابين وظراب . واسم الجمع منه ظربى وظرباء ، بكسر الظاء وإسكان الراء فيهما .

(٢) الحسلة ، بكسر ففتح : جمع حسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . فيما عدا ل : « حسل » .

(٣) غصص : ضاق . ه : « غض » ، تصحيف .

(٤) س : « وما عليه » ، تحريف .

(٥) ه : « فسات » ، تحريف . ط : « فسيات » وتصح إن حملت على جمع المصغر . وأثبت ما فى ل ، س .

(٦) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٧) هذه التكملة من ل ، س .

(٨) سم الإبرة : ثقبها . وهو بفتح السين وضمها . ل : « بقدر سم الإبرة » .

(٩) ل : « من جحره » .

يَنْشَب فى المسلكِ عِنْدَ سَلَّتِه[١] تَزاحُمَ الضبِّ عَصَى فى كُدْيَتِه[٢]

(شعر فى أكل الضبّ ولدَه)

وقال : الدَّليل على أنّ الضّبّ يأكُلُ ولدَه قول عَمَلَّس بن عقيل [ابن عُلَّفَة] لأبيه :

أكَلْتَ بَنِيكَ أكْلَ الضّبِّ حَتّى وَجَدتَ مَرارَةَ الكَلأ الوَبيل
فلو أنّ الأُولَى كانُوا شهوداً مَنَعْتَ فِنَاءَ بَيْتِكَ مِنْ بُجَيلِ[٣]

وأنشد لغيره[٤] :

أَكَلْتَ بَنِيكَ أَكْلَ الضَّبِّ حتَّى تَرَكْتَ بَنِيكَ لَيْسَ لَهُمْ عَدِيدُ[٥]

---

(١) نشب ، كفرح : علق . والسلة : الاستلال .

(٢) عصى يعصى : امتنع ولم يطع . فيما عدا ل : « عصا » تحريف .

(٣) وكذا ورد صدر البيت فى (١ : ١٩٧) . وفيه حذف الصلة ؛ للعلم بها . والتقدير : « الأولى غابوا » ، أو : « الأولى تعرفهم » . وجاء مثله فى قول عبيد ابن الأبرص (انظر مختارات ابن الشجرى ٩١ وهمع الهوامع ١ : ٨٩) :

نحن الأولى ، فاجمع جمو علك ثم وجههم إلينا

أى الأولى عرفت من قديم الدهر . ورواية أبى الفرج (١١ : ٨٩) : فلو كان الأولى غابوا شهودا » . وبجيل : رجل من بنى صرمة . وكان من خبر الشعر أن عقيلا أطرد بنيه فتفرقوا فى البلاد ، وبقى وحده ، ثم إن بجيلا حطم بيوت بنى عقيل بماشيته — ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب بيوت بنى عقيل إلا لقى شرا — فطردت أمة لعقيل ماشية بجيل ، فضربها بعصا كانت معه فشجها ، فخرج إليه عقيل وحده وقد هرم يومئذ وكبرت سنه ، فزجره ، فضربه بجيل بعصاه واحتقره ، فجعل يصيح مستغيثا بأولاده ، يحسبهم لهرمه أنهم معه ، فقال فيه عملس هذا الشعر . والشعر يروى أيضا لأرطاة بن سهية ، كما هو فى الأغانى . ل ، هـ : « من بخيل » ، تحريف .

(٤) بدل هذه العبارة فى (١ : ١٩٧) : « وقال أيضا » .

(٥) العديد : العدد . ويبدو أن هذه الرواية هى صواب ما سبق فى (١ : ١٩٧) . « عديل » باللام . وجاء برواية الدال عند الدميرى (فى رسم ضب) وكذا فى مباهج الفكر ص ١٣٧ مصورة دار الكتب .

وقال عَمرو بن مسافر(١) : عتبت على أبي يوما في بعض الأمر ، فقُلت(٢) :

كيفَ ألومُ أبي طَيْشًا لِيرْحَمَني وجَدُّه الضَّبُّ لم يَترك لَهُ وَلَدا(٣)

وقال خِداش بنُ زُهير :

فإن سمِعْتُمْ بجَيشٍ سالِكًا سَرِفًا أوبَطْنَ قَوٍّ فأخفُوا الجَرْس واكتَتِمُوا(٤)

ثمَّ ارجِعُوا فأكِبُّوا في بُيُوتِكُمُ كمَا أكَبَّ على ذي بَطْنه الهرِمُ

جعله هَرِماً لطول عمره . وذى بَطنه : ولده .

وقال أبو بكر بن أبي قُحافة(٥) [لعائشة ، رضى الله عنهما] : إنّي كنتُ نَحَلْتكِ سبعين وَسْقاً مِن مالى بالعالية(٦) ، وإنَّك لَمْ تَحُوزيه(٧) ، وإنما هو مالُ الوارِث ، وإنما هو أخواك وأختاك . قالت : ما أعرِفُ

---

(١) في لسان الميزان (٤ : ٣٣٠) : عمر بن مساور ، يروى عن أبي حمزة عن ابن عباس . وذكر أن الرواة يختلفون في اسمه ، فقيل عمر بن مسافر ، وعمرو بن مسافر ، وعمرو بن مساور ، وعمر بن مساور . والأخير هو الصواب .

(٢) س . « فقال » ، تحريف .

(٣) س : « ليرجنى » بالجيم . ل : « وحدة الضب لم تترك له ولدا » .

(٤) سالكا بالنصب ، حال من النكرة قبله . وفي همع الهوامع : « واختار أبو حيان مجيء الحال من النكرة بلا مسوغ كثيرا قياسا ، ونقله عن سيبويه ، وإن كان دون الإتباع في القوة » . وسرف ، بفتح فكسر : موضع على ستة أميال من مكة . وقو : واد في طريق القاصد إلى المدينة من البصرة . والجرس ، بالفتح والكسر : الصوت ، أو الخفى منه . س : « فأسمعتم » ، وفيما عدا ل : « سرقا » وهما تحريفان . ط : « الحس » وهي صحيحة ، وبدلها في هـ ، س : « الحدس » ، وفي ل : « الجرس » بالحاء المكسورة ، صوابهما ما أثبت .

(٥) هو الخليفة الأول . وأبو قحافة كنية أبيه عثمان بن عامر ، أسلم أبو قحافة عام الفتح ، ورأسه ولحيته كالثغامة بياضا . قال قتادة : هو أول مخضرم في الإسلام . الإصابة ٥٤٣٤ . ومات أبو بكر قبله ، وتوفى سنة أربع عشرة . المعارف ٧٣ .

(٦) نحلتك : أعطيتك . والوسق ، بالفتح والكسر : مقدار حمل بعير . والعالية : اسم لكل ما كان من جهة نجد من المدينة ، من قراها وعمايرها ، إلى تهامة . وفي طبقات ابن سعد : « وإني كنت نحلتك من أرض بالعالية جداد عشرين وسقا » . ونحوه في كتاب العثمانية للجاحظ ص ٨٧ .

(٧) حازه يحوزه : قبضه وملكه واستبد به . ل : « تحوزيه » . وفي طبقات ابن سعد : « فلو كنت جددتيه تمرا عاما واحدا انحاز لك » .

لى أختاً غيرَ أسماء . قال : إنّه قد أُلقى فى رُوعى أن ذا بطن [بنت] خارجةَ جارية(١) .

قال آخرون : لم(٢) يعنِ بذى بطنه ولدَه ، ولكنّ الضَّبَّ يَرْمى(٣) ما أكل ، أى يقىء ثم يرجعُ فيأكله . فذلك هو ذو بَطْنه . فشبَّهُوه فى ذلك بالكلب والسِّنّور .

وقال عمرو بن مسافر(٤) : ماعنى إلّا أولاده ، فَكأنَّ(٥) خِداشاً قال : ارجِعوا عن الحرب التى لاتستطيعونها ، إلى أكْل الذُّرّيَّة والعيال .

(١) أخوا عائشة هما عبد الرحمن ومحمد . أما عبد الرحمن فشهد بدرا مع المشركين ثم أسلم وحسن إسلامه ، ومات فجأة سنة ثلاث وخمسين . وأما محمد فكان من نساك قريش ، وكان فيمن أعان على قتل عثمان ، ثم ولاه على بن أبى طالب مصر ، فقاتله صاحب معاوية هناك ، وظفر به فقتله . ولأسماء أخ ثالث هو عبد الله بن أبى بكر ، وهذا هلك فى خلافة أبيه . ومما هو جدير بالذكر أن أبا بكر إنما خاطب عائشة بهذا الكلام حينما حضرته الوفاة . انظر روايتى ابن سعد فى الطبقات (٣ : ١٣٨) . وأما أختها الواحدة فهى أسماء ذات النطاقين ، تزوجها الزبير بمكة وولدت له عدة فطلقها ، فكانت مع عبد الله ابنها بمكة حتى قتل ، وبقيت مائة سنة حتى عميت وماتت بمكة . وأما الثانية التى يشير إليها ويتوقعها ، فهى « أم كلثوم » وأمها أخت زيد بن خارجة من الأنصار ، فهى حبيبة بنت خارجة بن زيد . انظر الإصابة ٢١٣١ ، ٢٨٨٨ والمعارف ٧٥ . لكن فى المعارف أن أمها بنت زيد بن خارجة . وفى الإصابة ٢٧١ من قسم النساء : « حبيبة بنت خارجة بن زيد ، أو بنت زيد بن خارجة الخزرجية » . وفى تاريخ الطبرى (٤ : ٥٠) : « وتزوج أيضا فى الإسلام حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبى زهير ، من بنى الحارث بن الخزرج ، وكان نساء ، حين توفى أبو بكر ، فولدت له بعد وفاته جارية سميت أم كلثوم » . فى نسبها خلاف ، الوجه فيه أنها بنت خارجة .

(٢) فيما عدا ل : « ولم » .

(٣) ط : « يوقى » ل ، س : « يرى » ، وأرى صوابهما ما أثبت من ط . أى يلقيه ثم يعود إليه .

(٤) انظر ما سبق فى التنبيه الأول ص ٥٠ .

(٥) ط ، ط : « فكان » س : « وكان » ل : « كأن » بدون واو . وقد صوبتها بما ترى .

(قول أبى سليمان الغَنَوىّ فى أكل الضبّة أولادها)

قال : وقال أبو سُليمانَ الغنوىّ : أبرأ إلى الله تعالى من أنْ[١] تكونَ الضَّبَّة تأكل أولادَها ! ولكنَّها تدفنُهنّ[٢] وتطمُّ عليهنَّ التُّراب[٣] وتتعهدهنّ فى كلِّ يوم حتَّى يُخرَّجن[٤] ، وذلك فى ثلاثة أسابيع . غير أنَّ الثَّعالب والظَّربان[٥] والطَّير ، تحفر عنهنّ فتأكلهنّ[٦] . ولو أفلت منهنّ كلٌّ فِراخ الضِّباب لملأْنَ الأرضَ جميعا[٧] .

ولو أنَّ إنساناً نَحل أمَّ الدَّرداء[٨] ، أو مُعاذةَ العدَويَّة ، أو رابعةَ القيسيَّة ، أنهنَّ يأكلن أولادهنَّ ، لَمَا كان عند أحدٍ من النَّاس من إنكار ذلك ، ومن التكذيب عنهنَّ ، ومن استعظام هذا القول ، أكثر مما قاله أبو سليمانَ فى التَّكذيب على الضِّباب أن تكونَ تأكل أولادَها .

١٦ قال أبو سليمان : ولكن الضبُّ يأكلُ بَعْره ، وهو طيِّبٌ عنده . وأنشد[٩] :

يَعود فى تَيْعِه حِدْثانَ مَوْلِدِهِ   فإنْ أَسنَّ تغدّى نَجْوَهُ كَلِفَا[١٠]

---

(١) ل : « أبرأ إلى الله عز وجل أن » .

(٢) ل : « تدقهن » من الدق . وهذه محرفة . فيما عدا ل : « تدفنهم » ، والوجه ما أثبت .

(٣) طم الشىء بالتراب طما : كبسه . فيما عدا ل : « تضم عليهم » .

(٤) التخريج : التعليم والتأديب والتدريب .

(٥) كذا بالإفراد . وانظر التنبيه الأول من ص ٤٨ .

(٦) ل : « يحفر عنهن فيأكلهن » .

(٧) ل : « جمعا » .

(٨) نحلها : أى نسب إليها . وقد سبقت ترجمتها هى ومعاذة ورابعة فى (٥ : ٥٨٩) .

(٩) ل : « وأنشدوا » .

(١٠) التيع ، بالفتح : القىء . وحدثان الشىء بالكسر : أوله . تغدى ، بالدال المهملة : أكل الغداء ، وهو طعام الغدوة . وتعدية هذا الفعل لم تنص عليه المعاجم ، —

قال : وقال أفَّار بن لقيط (١) : التَّيْع : القيء (٢) . ولكنّا رويناهُ هكذا (٣) . إنما قال : « يعودُ فى رَجْعِه (٤) » . وكذلك الضَّبُّ ، يأكُلُ رجْعَه .

وزعم أصحابُنا أنَّ أبا المنْجُوف السَّدوسيَّ (٥) رَوى عن أبي الوَجيه العُكْليّ قولَه :

وأفطَنَ مِنْ ضَبٍّ إذا خَافَ حَارِشاً أعدَّ لهُ عِنْدَ التلمُّس عقْرَبا (٦)

= وفى اللسان نص على تعدية نظيره : « تمشى » . ففيه (١٩ : ٢٩٢ س ١٠) : « وعشى الإبل ما تتعشاه » . وجاء أيضا فى قول الراجز (انظر اللسان ١٠ : ٣٨١ والمعرب ١١٣) :

إذا تعشوا بصلا وخلا وكنعدا وجوفيا قد صلا

والنجو : الغائط . وقد روى البيت فى اللسان (مادة ثمع) على هذا الوجه :

يعود فى ثمه حدثان موائده وإن أسن تعدى غيره كلفا

والثع : القىء . والشطر الثانى فيه محرف . فيما عدا ل : « تغذى نجوه » ، والقافية فى ل : « كلعا » وهذه محرفة .

(١) أفار ، كشداد ، واشتقاقه من الأفر ، وهو العدو . وفى اللسان : « ورجل أفار ومئفر ، إذا كان وثابا جيد العدو » . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ٦٦ مصر ٤٤ ليبسك ، وعده فى فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء . وقال : « يقال إنه جلس على زبالة عالية (؟) واجتمع إليه أصحابه يأخذون عنه ، فقال : ما هذه القنمة — يعنى خبث الريح — فقال بعضهم : إنك لعلى شيح منها » . فيما عدا ل : « أبان بن لقيط » ، تحريف .

(٢) هـ : « التبع الفئ » ، تصحيف . وانظر التنبيه ١٠ من الصفحة السابقة .

(٣) فيما عدا ل : « ما روينا هكذا » .

(٤) الرجع ، بالفتح : النجو والروث والعذرة ، كالرجيع . س : « رحبه » تحريف .

(٥) أبو المنجوف السدوسى ، روى عنه الجاحظ فى البخلاء ١٣٥ والبيان (٢ : ٢٢٩) وهو أحد الأخباريين . وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست باسم : « المنجوفه السدوسى » ، ولعل اتفاق هذه المصادر يصحح ما فى الفهرست .

(٦) التلمس : التطلب مرة بعد أخرى . فيما عدا ل : « التلبس » ومعنى التلبس الاختلاط والتعلق . وقد روى البيت فى الكامل ١٥٣ ليبسك والميدانى (١ : ٢٣٩) . ورواية صدره فى الأول : « وأخدع من ضب » ، وفى الثانى : « وأخدع من ضب إذا جاء حارش » . وعجزه فيهما : « أعد له عند الزنابة » .

جملة القول فى نصيب الضّباب من الأعاجيب والغرائب

أوّل ذلك طُولُ الذَّماء[1] ، وهو بقيَّة النَّفْس وشدَّةَ انعقاد الحياةِ والرُّوحِ بعدَ الذبحِ وهَشْمِ الرَّأس ، والطَّعنِ الجائف النافذ ، حتَّى يكون في ذلك أعجبَ من الخِنْزِير ، ومن الـكلب ، ومن الخنفساء ، وهذه الأشياء التى قد تفرَّدت بطُول الذَّماء .

ثمَّ شارك الضَّبُّ الوزغةَ والحيَّة ؛ فإنّ الحيةَ تقطعُ من ثلث جسمها ، فتعيش إن سلمت من الذَّرّ[2] . فجمع الضَّبُّ الخَصلتين جميعاً . إلا مارأيت فى دَخَّال الأذن[3] من هذه الخصلة الواحدة ؛ فإنِّى كنتُ أقطعُه بنصفين ، فيمضى أحدُ نِصفه يَمْنةً والآخرُ يَسرة . إلا أنِّى لا أعرفُ مقدار بقائهما بعد أن فاتا بَصَرِى .

ومن أعاجيبه طولُ العمر[4] . وذلك مشهورٌ فى الأشعار والأخبار[5] ، ومضروبٌ به المثلُ . فشاركَ الحيَّات فى هذه الفضيلة ، وشارك الأفعى الرَّمْليَّة والصَّخرية فى أنَّها لاتموتُ حتفَ أنفِها ، وليس إلا أن تُقْتَل أو تصطاد ، فتبقَى فى جُوَن الحوّائين[6] ، تذيلها الأيدى[7] ، وتُـكرَه على

---

(١) س : « الزمار » ، تحريف .

(٢) الذر : ضرب من النمل . س : « وتميش » ﻫ : « إن سلمه » ، محرفة .

(٣) ل : « من الدخال » . وانظر الحيوان (٢ : ١٥٣) .

(٤) ﻫ : « المض » موضع : « العمر » تحريف .

(٥) س : « فى الأخبار والأشعار » .

(٦) الجون ، بفتح فضم : جمع جونة بالضم ، وهى فى الأصل سليلة مستديرة مغشاة أدما تكون مع العطارين . وقال ابن برى : « الهمز فى جؤنة وجؤن هو الأصل والواو فيها منقلبة عن الهمزة فى لغة من خففها » . وانظر ما سبق فى (٥ : ٣٠٧) .

(٧) تذيلها ، من الإذالة ، وهى الإهانة والاستخفاف . ل : « تذللهما » ، س : « تديلهما » ، صوابهما فى ط ، ﻫ .

الطُّعم فى غير أرضِها وهوائها ، حتى تموت ، أو تحتملها[١] السُّيولُ فى الشِّتاء وزمان الزَّمْهرِير ، فما أسرعَ موتَها حينئذ ، لأنَّها صرِدَة .

(مثل فى الحيّة)

وتقول العرب : « أصرَدُ من حيَّة » كما تقول : « أعرَى من حية[٢] » .
وقال القشَيرىّ : والله لهى أصْرَدُ من عنزٍ جرْباء[٣] .

(حُتوف الحيّات)

وحُتوفها التى تَسرع إليها ثلاثة أشياء : أحدها مُرور أقاطيع الإبل والشَّاء ، وهى منبسطةٌ على وجه الأرض ، إما للتشرُّق نهاراً فى أوائل البرد ، وإما للتبرُّدِ ليلا فى ليَالى الصَّيف ، وإمّا لخروجها فى طلب الطُّعم[٤] .

والخَصلة الثانية ما يسلَّط[٥] عليها من القنافذ والأوعال والوَرَل ؛ فإنَّها

---

(١) الاحتمال : الحمل . ط ، ه : « أو تحملهما » .

(٢) أعرى بالراء : من العرى . وهذه رواية ل ، س ؛ وهى إحدى روايتى المثل . والرواية الأخرى : « أعدى » بالدال ، كما جاء فى ط ، ه . قال الميدانى : (١ : ٤٤٩) : « أعدى من الحية هذا من العداء : وهو الظلم . وهو كقولهم : أظلم من حية » . وقد أورد الميدانى أيضا فى (١ : ٤٤٩) : أعرى — بالراء — من إصبع ، ومن مغزل ، ومن حية ومن الأيم ، ومن الراحة ، ومن الحجر الأسود » . والجاحظ إنما يريد رواية الراء . وقد سبق فى (٤ : ٢٠٠ س ٦) : « بإعراء جلدها حتى يقال أعرى من حية » .

(٣) أصرد ، من الصرد ، وهو البرد . وذلك أنها لاتدفأ لقلة شعرها ، ورقة جلدها . وانظر أمثال الميدانى (١ : ٢٧٧) وعيون الأخبار (٢ : ٧٥) وما سبق فى (٥ : ٤٦٠) . فيما عدا ل : « من حية » تحريف . ط : « حرباء » س : « صرفا » ، صوابهما فى ل ، ه والمراجع السالفة .

(٤) ل : « الطلب الطمم » . وانظر ما سبق فى (٤ : ٢١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « ما سلط » .

تطالبها مطالبة شديدة ، وتقوى عليها قوّةً ظاهرة[١] والخنازير تأكلها ؛
١٧ وقد ذكرنا ذلك فى باب القول فى الحيّات .

والخصلة الثالثة : تكسُّب الحوّائين بصيدها . وهى تموت عِندَهم سريعاً .

(ما يشارك الضّبّ فيه الحيّة)

والضّبُّ يشاركُها فى طول العمر ، ثمّ الاكتفاء بالنسيم[٢] والتّعيشِ ببرد الهواء . وذلك عند الهرَم وفناء الرُّطوبات[٣] ، ونَقْص[٤] الحرارات . وهذه كلها عجب .

(عود إلى أعاجيب الضب)

ثم اتخاده[٥] الجحرَ فى الصّلابة ، وفى بعض الارتفاع ، خوفاً من الانهدام ، ومسيل المياه[٦] . ثم لايكون ذلك إلا عند عَلَم يرجع إليه إنْ هو أضلَّ جُحرَه . ولو رأى بالقُرْب تراباً متراكِباً[٧] بقدر تلك المِرداة[٨] والصّخرة ، لم يحفِلْ بذلك . فهذا كله كَيْسٌ وحزْم . وقال الشّاعر :

---

(١) ل : « والورل يطالبها مطالبة شديدة ويقوى عليها قوة ظاهرة » .
(٢) فيما عدا ل : « بالاكتفاء » ، تحريف . وكلمة « ثم » ساقطة من س .
(٣) س : « وقت الرطوبات » ، محرف .
(٤) ل : « وبعض » ، وفيما عدا ل : « وتقصر » ، صوابهما ما أثبت .
(٥) ط ، هـ : « اتخاذ » بطرح الهاء .
(٦) فيما عدا ل : « وسيل » . وانظر ص ٣٩ س ٨ .
(٧) ط ، س : « متراكبا » بالباء ، وهما بمعنى .
(٨) المرداة ، سبق شرحها فى التنبيه ٢ ص ٤٣ . هـ ، ط : « المزادة » تحريف .

سَقَى اللهُ أرضاً يَعْلمُ الضب أنّها عَذِيّة بَطْنِ القاع طَيِّبةُ البَقْلِ[١]
يرودُ بها بيتاً على رأسِ كُدْيةٍ وكلُّ امرئٍ في حِرْفةِ العَيْشِ ذو عَقْلِ[٢]

وقال البُطين[٣] :

وكلُّ شيءٍ مصيبٌ في تعيُّشِه الضبُّ كالنُّون ، والإنسانُ كالسَّبُعِ

ومِن أعاجيبه أنّ له أيرَين ، وللضبة حِرَين . وهذا شيءٌ لايُعْرَف إلاَّ لها . فهذا قولُ الأعراب . وأمَّا قولُ كثير من العلماء[٤] ، ومَن نقّب في البلاد ، وقرأ الكتب ، فإنّهم يزعُمون أنَّ للسَّقَنْقور[٥] أيرين ، وهو الذى يتداوَى به العاجزُ عن النكاح ، ليورثَه ذلك[٦] القوة .

قالوا[٧] : و [إن[٨]] للحِرْذَون أيضا أيرين ، وإنّهم عاينوا ذلك

---

(١) العذية ، بفتح العين المهملة وكسر الذال المعجمة وتشديد الياء — ويقال بتخفيفها أيضا — : الطيبة . ط : « يعلم الله » محرف . فيما عدا ل : « غذية » بالغين المعجمة ، صوابه ما أثبت . وفى (٧ : ٥٦) : « بعيد من الآفات » .

(٢) يرود : يطلب ويختار الأفضل ، وأصله فى الكلأ . فيما عدا ل : « يذود » ولا وجه له . والحرفة ، بالكسر : الصناعة وجهة الكسب .

(٣) فى تاج العروس (٩ : ١٤٢) : البطين ، كزبير : شاعر بصرى . وذكره ابن النديم ١٦٣ ليبسك و ٢٣٢ مصر فى الشعراء المقلين ، قال : « البطين بن أمية الحمصى ، مقل » . وروى له المرزبانى خبرا فى الموشح ١٧٢ قال : « قيل للبطين : أكان ذو الرمة شاعرا متقدما ؟ فقال البطين : أجمع العلماء بالشعر على أن الشعر وضع على أربعة أركان : مدح رافع ، أو هجاء واضع ، أو تشبيه مصيب ، أو فخر سامق . وهذا كله مجموع فى جرير والفرزدق والأخطل . فأما ذو الرمة فما أحسن قط أن يمدح ، ولا أحسن أن يهجو ، ولا أحسن أن يفخر ، يقع فى هذا كله دونا . وإنما يحسن التشبيه ، فهو ربع شاعر » . وانظر الوساطة ١٦٤ .

(٤) ل : « الحكماء » .

(٥) السقنقور : نوع من العظاء كبير ضخم قصير الذنب . ولفظه يونانى معرب : scincus وبالإنكليزية : skink . وفى المعتمد : « حيوان شبيه بالورل يوجد فى الرمال التى تلى نيل مصر . وأكثر ذلك يوجد فى نواحى مصر بالصعيد ، وهو مما يسمى فى البر ويدخل فى ماء النيل . ولذلك قيل إنه الورل المائى » .

(٦) ط : فقط : « تلك » .

(٧) فيما عدا ل : « قال » تحريف .

(٨) زيادة يقتضيها السياق وذلك لورود اسمها منصوبا فى جميع النسخ .

معاينةً . وآخِرُ من زعم لى ذلك موسى بن إبراهيم .

والحِرذون دويبَّة تشبه الحِرباء ، تكون بناحية مِصْرَ وما والاها ، وهى دويبَّة مَليحة موشّاة بألوانٍ ونقط .

وقال جالينوس : الضبُّ الذى له لسانانِ يصلُح لحمه لكذا وكذا . فهذه أيضاً أعجوبة أخرى فى الضبِّ : أن يكونَ بعضه ذا لسانين وذا أيرين[1] .

ومن أعاجيب الضَّبَّة أنّها تأكلُ أولادَها ، وتجاوز فى ذلك خُلُق الهِرَّة ، حتّى قالت الأعراب : « أعقُّ من ضَبّ » .

(احتيال الضب بالعقرب)

وزعمت العرب[2] أنّه يُعِدّ العقربَ فى جُحره ، فإذا سمع صوتَ الحرْش استثْفرها[3] . فألصقها بأصْل عَجْب الذَّنَب من تحتُ ، وضمَّ عليها ؛ فإذا أدخَل الخارشُ يده ليقبض على أصْل ذنبه لسعَتْه العقرب[4] .

وقال علماؤهم : بل يهيِّئُ العقاربَ فى جحرِه[5] ؛ لتلسع المحترِشَ إذا أدخل يدَه .

وقال أبو المنجد بن رويشد[6] : رأيت الضبَّ أخْورَ[7] دابّة فى

(١) فيما عدا س : « وأن » بزيادة واو . وكلمة : « ذا أيرين وذا لسانين » ليست فى ل . وفى ط : « ذا لسانان » محرف . وفى هـ بالتقديم والتأخير .

(٢) س : « وتزعم العرب » .

(٣) الاستثفار ، أصله فى الكلب أن يدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه . س : « استشفرها » ل : « استنفرها » ، صوابهما ما أثبت من ط ، هـ .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفى س : « فإذا دخل الحارش ليقبض » الخ .

(٥) فيما عدا ل . « بل هى تهيىء العقارب فى جحرها » .

(٦) هـ : « أبو النجيد بن رويشد » ، س : « أبو النجدين رويشد » ، ل : « أبو اليحمد ابن رويشد » .

(٧) أخور : أضعف . ط : « أحرز » هـ : « أحوز » ل : « أخون » . وأثبت ما فى س .

الأرض على الحر ؛ تراه أبداً فى شهر ناجر[١] بباب جُحره ، متدخِّلا[٢] يخاف أن يقبض قابضٌ بذنبه[٣] ، فربَّما أتاه الجاهلُ ليستخرجه ، وقد أتى بعقرب فوضَعَها تحت ذنبه بينه وبين الأرض ، يحبسها بعَجْب الذنب ، ١٨
فإذا قَبضَ الجاهلُ على أصلِ ذَنَبه لسعَتْه ، فَشَغِل بنفسه[٤] .

فأما ذو المعرفة[٥] فإنّ معه عُويْداً يحرِّكه هُناك ، فإذا زالت العقرب[٦] قبضَ عليه .

وقال أبو الوجِيه[٧] : كذبَ واللهِ مَن زعم أنّ الضّبّة تستثفر[٨] عقربا ، ولـكنّ العقاربَ مسالمـةٌ للضِّباب ؛ لأنها لاتعرض لبيضها وفراخها . والضّبُّ يأكل الجرادَ ولا يأكلُ العقارب . وأنشَدَ قول التّميميِّ الذى كان ينزل به الأزدىُّ : إنه ليس إلى الطعام يقصِد ، وليس به إلا أنه قد صار به أليفا وأنيساً[٩] ، فقال :

أتأنسُ بِى ونَجْرُك غير نَجْرى كما بينَ العقارب والضِّبابِ[١٠]

---

(١) ناجر : رجب ، أو صفر . انظر اللسان (٧ : ٤٦ — ٤٧) والأزمنة للمرزوقى (١ : ٢٨٠) . وهو بكسر الجيم ، وبعضهم يقوله بفتحها ، كما فى اللسان .

(٢) ط ، ه : « متداخلا » .

(٣) الكلام بعد هذه إلى كلمة : « الذنب » التالية ، ساقط من س .

(٤) ط ، ه : « فيشتغل » .

(٥) ط ، ه : « أهل المعرفة » .

(٦) زالت : انصرفت وبرحت مكانها .

(٧) هو أبو الوجيه العكلى ، أحد فصحاء الأعراب ، كان معاصرا للجاحظ وأبى عبيدة . روى له الجاحظ أخبارا فى الحيوان (١ : ٣٠٠ / ٤ : ١٩٤) والبيان (١ : ١٦٩ ، ١٧٢ / ٣ : ١١٤) .

(٨) س : « تستشفر » ، ل « تستنفر » ، صوابهما فى ط ، ه . وانظر التنبيه رقم ٣ ص٥٨ .

(٩) ط ، ه : « قد صار إلفا وأنيسا » ل : « قد صار به إلفا له » ، وأثبت ما فى س .

(١٠) النجر ، بفتح النون : الطبع والأصل . ه : « تجرك غير تجرى » ، تحريف .

وأنشد :

تَجَمَّعْنَ عِند الضَّبِّ حتى كأنه　　على كلِّ حالٍ أسودُ الجِلدِ خنفُسُ

لأن العقارب تألف الخنافِس . وأنشدُوا للحَكَم بن عمرو البَهْرَانى[١] :

والوزَغُ الرُّقطُ على ذُلِّها　　تُطاعِمُ الحيّاتِ فى الجحرِ

والخُنفَسُ الأسود مِن نَجْره　　مودّةُ العقربِ فى السِّرِّ[٢]

لأنك لا تَراهُما أبداً إلاّ ظاهرتين[٣] ، يَطَّاعمان أو يتسايران[٤] ، ومتى رأيت مكنة[٥] أو اطَّلعْتَ على جُحر فرأيت إحداهما[٦] رأيت الأخرى .

قال : وممّا يؤكِّد القولَ الأوَّل قولُه :

ومُسْتَثْفِرٍ دون السَّوِيّة عقرباً　　لقد جئتَ بَجْرِيًّا من الدَّهْرِ أعوجا[٧]

---

(١) سيأتى حديث الجاحظ عنه فى ص ٨٠ .

(٢) هذا البيت أنشده فى اللسان (٧ : ٣٧٦) محرفا غير منسوب .

(٣) كلمة : « إلا » ليست فى ل .

(٤) ل : « تطاعمان وتسايران » .

(٥) المكنة ، بالفتح ، وبفتح فكسر : واحدة المكن بالفتح وبفتح فكسر ، وهو بيض الضبة . ل : « رفعت مكية » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ط : « أحدهما » تحريف ، صوابه فى ل ، ﻫ . وفى س : « إحديهما » تحريف يقع فيه بعض الكاتبين ، إذ يشبه لهم ذلك بأحد وجهى إعراب « كلا وكلتا » . وإحدى مقصور دائما .

(٧) ل : « ومستنفر » س : « ومستشفر » ، صوابها ما أثبت من ط ، ﻫ . وانظر ما مضى فى ص ٥٨ . والسوية ، كغنية : كساء محشو بثمام ونحوه كالبرذعة . وقد ضبطت فى ل بضم السين وفتح الواو خطأ . وفيما عدا ل : « الثوية » بالثاء ، تحريف . والبجرى ، بضم الباء وسكون الجيم : الشر والأمر العظيم والداهية ؛ وجمعه بجارى ، كقمرى وقمارى . فيما عدا ل : « مجريا » محرف . والدهو ، بالفتح : الدهاء . وفى اللسان : « التهذيب : الدهو والدهى : لغتان فى الدهاء » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « الدها » ، وفيما عدا ل : « الدهر » بالراء ؛ وما أثبت أقرب تصحيح .

يقول(١) : حين لم ترضَ من الدّهاء(٢) والنُّكر(٣) إلاّ بما تخالف عندهُ النّاسَ وتجوزُهم(٤) .

(إعجاب الضب والعقرب بالتمر)

وأنشدنى ابن داحة(٥) لحذيفة بن دأب(٦) عمِّ عيسى بن يَزِيد(٧) ، الذى يقال له ابن دأب(٨) فى حديث طويل من أحاديث العشّاق :

لئن خُدِعتْ حُبَّى بِسبٍّ مُزَعْفَرٍ ... فقدْ يُخْدَعُ الضَّبُّ المخادع بالتّمرِ(٩)

(١) ط ، س : « ويقول » ، والواو مقحمة فيهما .

(٢) فيما عدا ل : « لم يرض من الدهر » ، محرف .

(٣) النكر ، بالضم : الدهاء . فيما عدا ل : « والمكر أعوجا » بالميم ، تحريف وإقحام .

(٤) ل : « إلا بما يخلف الناس ويجوزهم » ، وما أثبت من سائر النسخ مع زيادة الضمير فى : « عنده » .

(٥) ابن داحة ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٨٢) واسمه إبراهيم بن داحة ، كما فى البيان (١ : ٨٤) . وانظر الحيوان (١ : ٦١ ، ٦٢ / ٢ : ١٥٣ / ٣ : ٤٠٢) .

(٦) حذيفة بن دأب ، كان عالما ناسبا ، ذكره الجاحظ فى البيان (١ : ٣٢٤) عند سرده آل دأب . قال الجاحظ : « وفى آل دأب علم بالنسب والخبر » . وبدل كلمة : « لحذيفة » فى ط : « ابن جزيمة » ، وفى س : « لجذيمة » ، تحريف . والكلمة ساقطة من هـ . وكلمة : « دأب » هى فيما عدا ل : « داد » بدالين ، محرفة . ولحذيفة هذا ولد اسمه محمد ، ذكره ابن حجر فى لسان الميزان (٥ : ١٢٠) . والكلام من مبدإ : « عم » التالية إلى كلمة : « دأب » بعدها ساقطة من ل .

(٧) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب ، كان خطيبا ، شاعرا ناسبا . وكان يضع الحديث والشعر كأحاديث السمر ، كان يضع الحديث بالمدينة ، وابن شوكر يضع الحديث بالسند . وفيهما يقول خلف الأحمر :

أحاديث ألفها شوكر ... وأخرى مؤلفة لابن داب

وكان كثير الأدب ، عذب الألفاظ ، صاحب حظوة عند الهادى . وروى عنه شبابة بن سوار ، ومحمد بن سلام الجمحى . انظر تاريخ بغداد ٥٨٤٥ ولسان الميزان (٤ : ٤٠٨) . وفى الأصل : « عيسى بن زيد » ، تحريف .

(٨) فى ط ، س : « دار » ، صوابه فى هـ .

(٩) حبى ، بضم الحاء وتشديد الباء وآخره ألف مقصورة : علم من أعلامهن . وفى الأصل : « حبا » محرف . والسب ، بالكسر : العمامة . والمزعفر : الملون بالزعفران .

لأن الضب شديد العُجْب بالتّمر ، فضرب [الضب[1]] مثلاً فى الخُبْث والخديعة .

والذى يدلُّ على أن الضب والعقربَ يُعجبان بالتّمر عجباً شديداً ، ماجاء من الأشعار فى ذلك[2] .

وأنشدنى ابن الأعرابى ، لابن دَغْماء العِجْلى[3] :

سِوى أنكم دُرِّبْتُم فجريْتم على دُرْبةٍ ، والضبُّ يُحْبَلُ بالتّمْر[4]

فجعل صَيده بالتّمر كصيده بالحِبالة[5] . وأنشدنى القُشَيْرىُّ[6] :

١٩ وماكنت ضبًّا يُخرج التّمر ضِغْنَه ولا أنا مِمّنْ يزدهيهِ وَعيدُ[7]

وقال بِشر بن المعتمر ، فى قصيدته التى ذكر فيها آياتِ الله عز ذكره فى صُنوف خَلْقه ، مع ذكر الإباضيّة ، والرافضة[8] والحشوية[9] ،

---

(١) س ، هـ : « الضرب » ، محرفة . والكلمة ساقطة من ط .
(٢) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفيما عدا ل : « ما جاء فى الأشعار من » .
(٣) ل : « ابن دعما العجلى » ، ما عدا ل : « ابن دعمى » ، صوابه ما أثبت من كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء فى نوادر المخطوطات (١ : ٩٣ - ٩٤) .
(٤) س : « فجزيتموا » تحريف . يقول : جريتم على عادتكم وسنتكم . ويحبل بالباء : أى يصاد بالحبالة . وفيما عدا ل : « يختل » ، ووجه الرواية ما أثبت من ل .
(٥) الحبالة بالكسر : المصيدة من أى شئ كانت .
(٦) س : « وأنشد القشيرى » .
(٧) فيما عدا ل : « وما كنت ممن » .
(٨) ط فقط : « الرفضة » .
(٩) الحشوية ، بفتح الحاء ، وسكون الشين أو فتحهما : طائفة اختلفت العلماء فى تعريفها . فابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ يذكر لنا فى تأويل مختلف الحديث ص ٩٦ أنها من الألقاب التى كان أهل الحديث يلقبون بها ، قال : « وقد لقبوهم بالحشوية والنابتة والمجبرة » . وقال أبو محمد بن الحسن بن موسى النوبختى فى كتاب فرق الشيعة ص ٧ : « والبترية أصحاب الحديث ، منهم سفيان بن سعيد الثورى ، وشريك ابن عبد الله ، وابن أبى ليلى ، ومحمد بن إدريس الشافعى ، ومالك بن أنس ، ونظراؤهم من أهل الحشو والجمهور العظيم ، وقد سموا الحشوية » . ويطلقون هذا اللفظ أيضا على « المشبهة » الذين يشبهون الله بخلقه . وكذا على المجسمة . انظر شفاء الغليل للخفاجى ، فى رسم (الحشوية) .

والنابتة [١] فقال فيها [٢] :

وهِقْلةٌ تَرتاعُ من ظِلِّها لهـا عِرارٌ ولَهَـا زَمْرُ
[تلتهمُ المَرْوَ على شهوةٍ وَحَبُّ شَيءٍ عِندَها الجمرُ]
وضَبّـة تأكلُ أولادها وعُتْرُفانٌ بَطنُـه صِفْرُ
يؤثِر بالطُّعْـمِ وتأذينُه مُنَجِّمٌ ليسَ له فِكرُ [٣]
وظَبيَةٌ تَخْضَمُ فى حَنْظَلٍ وعقربٌ يُعجِبها التمرُ [٤]

وقال أيضاً بشرٌ ، فى قصيدةٍ له أخرى [٥] :

أما تَرَى الهِقْلَ وأمعاءهُ يجمعُ بينَ الصَّخْرِ والجَمْرِ
وفأرة البِيش على بيشِها أحْرَص مِنْ ضبٍّ على تَمْـرِ

وقال أبو دارة — وقد رأيتُه أنا ، وكان صاحبَ قَنْص — :

وما التَّمر إلاّ آفةٌ وبليّـةٌ على جُلِّ هذا الخَلْقِ من ساكنِ البَحْرِ [٦]
وفى البَرِّ من ذِئب وسِمْع وعَقربٍ وثُرمُلةٍ تسْعَى وخُنفسة تَسْرِى [٧]
وقد قيل فى الأمثالِ إن كنتَ وَاعيا عَذِيرَك ؛ إنَّ الضَّبَّ يُحبَلُ بالتمرِ [٨]

---

(١) س : « النابية » ، تحريف . وانظر التنبيه السابق .
(٢) ستأتى هذه القصيدة كاملة فى ص ٢٨٤ — ٢٩١ . وهى ستون بيتا .
(٣) أى يؤثر دجاجته بالطعم على نفسه . وانظر ما سبق فى (١ : ٣١٢ / ٢ : ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١) . والبيت محرف فى الأصل ؛ فى ط ، ل ، هـ : « فلو ترى الضب » . وفى س : « تؤثر الضغم وتأذينه مسحم » ، صوابهما ما أثبت .
(٤) ط : « وظبية » هـ : « وضبة » صوابهما فى ل ، س .
(٥) ستأتى هذه القصيدة كاملة فى ٢٩١ — ٢٩٧ . وهى سبعون بيتا .
(٦) ط ، هـ : « من ساكنى البحر » ، تحريف .
(٧) الثرملة ، بضم الثاء والميم بينهما راء ساكنة : الأنثى من الثعالب . والكلمة محرفة فى الأصل . فى ل ، ط : « تدملة » وفى س : « ندملة » وفى هـ : « ثدملة » .
(٨) فيما عدا ل : « راعيا » بالراء ، تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « يختل » وانظر ما سبق فى نهاية ص ٦٢ س ٦ — ٧ .

وسنفسّر معانى هذه الأبيات إذا كتبْنا القصيدتَين على وجوهها[١] ، بما يشتملان عليه من ذكر الغرائب والحكم ، والتّدبير ، والأعاجيب التى أودع[٢] الله تعالى أصنافَ هذا الخلْق ؛ ليعتبرَ مُعتبر ، ويفكر مفكر ، فيصيرَ بذلك[٣] عاقلاً عالماً ، وموحِّداً مخْلصاً .

(طول ذَماء الضبّ)

والدّليل على ما ذكرْنا من تفسير قولهم : الضبّ أطْولُ شيءٍ ذَماء ، قولهم : « إنَّه لَأحيا مِن ضَبّ » ؛ لأنّ حارشه ربّما ذبحَه فاستقْصى فَرْىَ الأوداج ، ثم يدعُه ، فربما تحرك بعد ثلاثة أيام .

وقال أبو ذُؤيبٍ الهذلى :

ذَكَرَ الوُرُودَ بِهاَ وشاقَى أمْرَهُ شؤماً وأقْبَلَ حينه يتتبَّع[٤]
فأَبَدَّهُنَّ حُتُــوفَهُنَّ فهاربٌ بذَمائِه أو ساقطٌ متَجَعْجِعُ[٥]

وكان النّاس يروون[٦] : « فهاربٌ بدمائه » يريدون من الدم ؛ وكانوا

(١) هـ : « وجودهما » محرف .
(٢) ل : « أودعها » .
(٣) ل : « لذلك » .
(٤) أى ذكر الحمار الورود بهذه العيون . وشاق أمره : فاعله من الشقاء . والحين : الهلاك ، بالرفع فاعل أقبل ، وبالنصب مفعول مقدم لـ « يتتبع » : ل : « وشاقا أمره » وفيما عدا ل : « وأجمع أمره شوقا » ، ط : « حيه يتتبع » ، هـ : « حبيبة يثبت » س : « حبيبة لسب » بهذا الإهمال ، صواب هذه التحريفات من ديوان أبى ذؤيب ص ٢ — ٤ والمفضليات (٤٢٣ ، ٤٢٥ طبع المعارف) .
(٥) أبدهن حتوفهن : الضمير للصائد ، أى أعطى كل واحدة من هذه الحمر الوحشية حتفها على حدة ، لم يقتل اثنين بسهم واحد ، ولم يقتل واحدا ويدع واحدا . ط فقط : « فأبرهن » بالراء ، تحريف . والذماء ، بالفتح : بقية النفس . والمتجعجع : الساقط المتضرب . وهذا البيت هو الخامس والثلاثون ، وبينه وبين سابقه اثنا عشر بيتا .
(٦) ط ، س : « يرون » ، صوابه فى هـ . وفى ل : « يقولون » .

يكسِرون الذال ، حتى قال الأصمعيّ : « بذَمائِه » معجمة الذال مفتوحة .

وقال كثيِّر :

ولقد شَهِدْتَ الخيلَ يَحْمِلُ شِكَّتي متلمِّظٌ خَذِم العِنانِ بَهِيمُ (١)

باقى الذماءِ إذا مَلَكْتَ مُناقِلٌ وإذا جَمَعْتَ به أجشُّ هَزِيمُ (٢)

(خبث الضب)

والضّبّ إذا خَدَع فى جُحره وُصِف عند ذلك بالخُبث والمكر . ولذلك قال الشاعر :

[إنّا مُنِينا بِضَبٍّ من بَنِي جُمَحٍ يرَى الخيانةَ مِثْلَ الماءِ بالعَسَلِ

وأنشَدَ أبو عِصَام (٣)] :

إنّ لنــا شَيخَين لا ينفَعانِنا غنيَّينِ لا يجْدِى علَيْنَا غِناهُما (٤)

---

(١) الشكة ، بالكسر : السلاح . والمتلمظ : الذى يخرج لسانه كتلمظ الآكل . ل : « متلمط » بالطاء المهملة ، تحريف . خذم العنان : أى سريع ، أضاف السرعة إلى العنان . فيما عدا ل : « العتار » تحريف . والبهيم : الخالص السواد : والبهيم من الخيل أيضا : الذى لا شية فيه . فيما عدا ل : « بهيم » ، محرف .

(٢) المناقل : السريع نقل القوائم . والأجش : الغليظ الصهيل ، وهو مما يحمد فى الخيل . والهزيم : الشديد الصوت ، والذى يتشقق بالجرى . ط ، هـ : « مريم » صوابه فى ل ، س . وجاء فى مثل هذا النعت قول النجاشى :

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة أجش هزيم والرماح دوانى

(٣) هذه التكملة من ل ، س . لكن فى س : « إذا مشينا » بدل : « إنا منينا » ، وهو تحريف . وفى س أيضا : « أبو عاصم » . وصاحب الشعر هو أبو أسيدة الدبيرى ، كما فى تهذيب الألفاظ ص ١٢٥ واللسان (يسر) .

(٤) كذا فى ل وتهذيب الألفاظ . وفى سائر النسخ : « وإن لنا » ، وفى س فقط : « غنيان » بدل : « غنيين » . وبعد هذا البيت فى التهذيب :

هما سيدان يزعمان وإنما يسوداننا أن يسرت غنماهما

كأنّهما ضَبَّانِ ضَبًّا مغارةٍ كَبِيرانِ غَيْدَاقانِ صُفْرٌ كُشَاهُما[١]
فإنْ يُحْبَلا لا يوجَدَا فى حِبالةٍ وإنْ يُرصَدَا يوماً يَخبْ راصِداهُما[٢]

ولذلك شبَّهُوا الحِقدَ الكامنَ فى القلْب ، الذى يسرى ضررُه[٣] ، وتدِبُّ عقاربُه بالضَّبّ ، فسمَّوا ذلك الحِقد ضَبًّا . قال مَعنُ بنُ أوس :

ألا مَنْ لِمولًى لا يزالُ كأنّهُ صَفاً فِيه صَدْعٌ لا يُدانيه شاعِبُ[٤]
تدِبُّ ضِبابُ الغِشِّ تحتَ ضُلُوعِه لأهلِ النَّدَى مِن قومِه بالعقاربِ

وقال أبو دَهْبَل الجمحىّ[٥] :

فاعلمْ بأنّى لِمَنْ عاديتَ مضطغنٌ ضَبًّا وإنّى عليك اليومَ مَحْسودُ[٦]

وأنشد ابن الأعرابىّ :

يا رُبَّ مولًى حاسدٍ مُباغِضِ[٧] علىَّ ذِى ضغنٍ وضبٍّ فارِضِ[٨]

---

(١) الغيداق : الضب المسن العظيم . والكشى : جمع كشية ، بالضم ، وهى شحمة صفراء تمتد من أصل ذنبه حتى تبلغ إلى أقصى حلقه . ل : « صمر » تحريف . ورواية ابن السكيت : « صفرا » بالنصب .

(٢) فيما عدا ل : « فإن يختلا » ، تحريف صوابه فى ل وابن السكيت . وفيما عدا ل وابن السكيت : « لا يؤخذا » . قال التبريزى : يقول : هذان الرجلان لا يطمع أحد فى خيرهما ، كما لا يطمع فى اصطياد الضبين اللذين ذكرهما .

(٣) ل : « ضرورة » .

(٤) الصفا : جمع صفاة ، وهى الصخرة الملساء . والشاعب : المصلح . س : « شاغب » تصحيف . وفى البيت الذى يليه إقواء . والبيتان لم يردا فى ديوانه .

(٥) أبو دهبل الجمحى ، من بنى جمح بن عمرو بن هصيص . وقد تقدمت ترجمته فى (٤ : ١٠) . وفيما عدا ل : « الجهنى » . وفى س أيضا : « أبو دعبل » تحريفان . والبيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن عبد الرحمن بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة ابن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وكان يقال له ابن الأزرق وقد روى القصيدة أبو الفرج فى الأغانى (٦ : ١٥٧ - ١٥٨) .

(٦) فيما عدا ل : « واعلم » ، وفى الأغانى : « اعلم » بطرح الواو . وفيما عدا ل : « عليه » بدل : « عليك » صوابه فى ل والأغانى .

(٧) فيما عدا ل : « جاهد » موضع : « حاسد » ، وأثبت ما فى ل واللسان (فرض ٦٩) .

(٨) الفارض ، بالفاء : المسن . ل ، س : « قارض » صوابه فى ه ، ط واللسان ومجالس ثعلب ٣٦٤ .

له قُرُوءٌ كقُروءِ الحائضِ (١)

كأنّه ذهَبَ إلى أنّ حِقده يَخبو تارةً ثمّ يستعر ، ثم يخبو ثم يَستعِر .

وقال ابن ميّادة ، وضرب المثلَ بنفخ الضب وتوثُّبِه (٢) :

فإنّ لقيسٍ من بَغيضٍ أقاصياً   إذا أسَدٌ كَشَّتْ لفخْر ضِبابُها (٣)

وقال الآخر :

فلا يَقْطَع اللهُ اليمينَ التى كَسَتْ   حِجاجَىْ مَنيعٍ بالقَنامن دمٍ سَجْلاَ (٤)

ولو ضبٌّ أعلى ذِى دميثٍ حَبلْتَما   إذًا ظلّ يمطو من حِبالكم حَبْلاَ (٥)

والضب يُوصَف بشدّة الكِبر ، ولاسيّما إذا أخْصَب وأمِنَ وصارَ (٦) ، كما قال عَبْدَة بن الطَّبيب ؛ فإنّه ضربَ الضبّ مثلاً (٧) حيثُ يقول ليحيى ابن هَزّال (٨) :

---

(١) يقول : لعداوته أوقات تهيج فيها ، مثل وقت الحائض .

(٢) ط : « وثبته » ، تحريف .

(٣) كشت : صوتت . ط : « لعجز » س : « لعحر » هـ : « تعجز » صوابها فى ل . وفى هـ أيضا : « فإن نميس من بغيض أقاضيا » محرف .

(٤) الحجاجان ، بالكسر والفتح : العظمان اللذان ينبت عليهما الحاجب . والسجل ، بالفتح : الدلو العظيمة . وكست الحجاجين بالدم : أراد غشتهما به . قال رؤبة يصف الثور والكلاب :

قد كسا فيهن صبغا مروعا

قال ابن منظور : « يعنى كساهن دما طريا » . فيما عدا ل : « طبشت » تحريف . ط ، س : « بالغا » ل : « بالعصا » هـ : « بالفنا » صوابه ما أثبت . والقنا : الرماح .

(٥) حبله : اصطاده بالحبالة . يمطو : يمد . فيما عدا ل : « ولو كنت » و : « رميت » بالراء وفى ط ، هـ : « حبلتها » وفى س : « خبلتها » ، وأثبت ما فى ل . وفيما عدا ل : « يمطو » بدل : « يمطو » .

(٦) فى اللسان : « صار القوم يصيرون : حضروا الماء » . وقال الأعشى :

بمـا قد تربع روض القطا   وروض التناضب حتى تصيرا

(٧) فيما عدا ل : « ضرب به المثل » .

(٨) فى البيان : « يحيى بن هزال » .

لأعرِفنَّك يومَ الوِرْدِ ذَا لَغَطٍ ضَخْمَ الجُزارةِ بالسُّلْمَيْنِ وَكَّارُ(١)

٢١ تَـكْفِى الوليدةَ والرُّعيانَ مؤتَزِراً فاحلُبْ فإنّك حلاَّبٌ وصرّارُ(٢)

ما كُنْتَ أولَ ضَبٍ صاب تَلْعَتَهُ غَيثٌ فأمْرَعَ واسترْخَتْ به الدار(٣)

وقال ابن مَيَّادة :

ترى الضَّبَّ إنْ لم يرهب الضَّبُّ غيْرَهُ

يَكِشُّ لَهُ مُسْتكْبِراً ويُطاولُه(٤)

وقال دَعْلَجٌ عبدُ المِنْجاب(٥) :

إذا كانَ بيتُ الضب وسْطَ مَضَبَّةٍ تَطَاول للشّخص الذى هو حابلُه(٦)

المَضَبَّة : مكان ذو ضباب كثيرة(٧) . ولا تكثر إلاَّ وبقربها حَيَّة(٨) أو وَرَل ، أو ظَرِبان . ولا يكون ذلك إلاَّ فى موضع بعيد من النَّاس . فإذا أمِن وخلا لَهُ جوُّه ، وأخصب ، نفخَ وكشَّ نحو كل شىء يُريده(٩) .

---

(١) سبق هذا البيت والبيتان بعده ومعهما رابع وخامس فى (٥ : ٢٦٣ - ٢٦٤) مع شرحها وتخريجها . وصدر البيت هناك : « ما مع أنك يوم الورد ذو لغط » .

(٢) فيما عدا ل : « يكفى الوليدة ذا الرعيان » ، تحريف . وفى س ، هـ أيضا : « فأخلب فإنك خلاب » ، صوابه فى ط ، ل .

(٣) التلعة بالفتح : ما ارتفع من الأرض وما انهبط ، وهو من الأضداد . صابها الغيث : جادها المطر . استرخت به الدار : جعلته فى رخاء وسعة . س ، هـ : « طاب » وفى هـ أيضا : « تلقته » تحريفان .

(٤) فيما عدا ل : « مستكثرا » ، محرف .

(٥) لم أعثر له على ترجمة . وفى ط ، هـ : « بن عبد المجاب » ، وفى س : « بن عبد المنجاب » .

(٦) حبله : أخذه بالحبالة أو نصبها له . فيما عدا ل : « جاهله » تحريف .

(٧) ط ، هـ : « ذا ضباب كثيرة » محرف .

(٨) كلمة : « إلا » ساقطة من ل .

(٩) ط فقط : « يزيده » بالزاى ، تصحيف .

(ما يوصف بالكِبْر من الحيوان)

ومّما يُوصَف بالكِبْر الثَّوْرُ في حال تشرُّفه ، وفى حالِ مِشيته[1] الخُيَلاء فى الرِّياض ، عند غِبِّ دِيمة . ولذلك قال الكُميت :

كشَبوبٍ ذى كِبرياءَ من الوَحْـدَةِ لا يَبْتَغِى عليها ظَهِيرَا[2]

وهذا كثيرٌ ، وسيقع فى موضعه من القول فى البقر .

ومّما يُوصَف بالكِبْر الجَملُ الفَحْل ، إذا طافت به نوق الهَجمة[3] ، ومرَّ نحو ماءٍ أو كلأ فتبِعنه[4] . وقال الرَّاجز :

فَإنْ تشرَّدْنَ حَوالَيْهِ وَقَفْ قالبَ حِمْلاقَيــهِ فى مثل الجُرُفْ[5]

لو رُضَّ لحدُ عَيْنِهِ لَمَا طَرَفْ[6] كِبراً وإعجاباً وعِـزًّا وَتَرَفْ

والنَّاقة يشتدُّ كِبْرها إذا لَقِحت ، وتزُمُّ بأنفها[7] وتنفرد عن صَحاباتها[8] . وأنشد الأصمعىّ :

---

(١) س : « مشيه » .

(٢) الشبوب ، بالفتح : الشاب من الثيران ، أو المسن .

(٣) الهجمة ، بالفتح : القطعة الضخمة من الإبل ، بين الثلاثين و المائة . ط ، هـ : « أطافت » وهما لغتان ، وفى اللسان : « طاف بالقوم وعليهم طوفا وطوفانا ومطافا وأطاف : استدار وجاء من نواحيه » .

(٤) ط ، : « وكلاء » تحريف . وفيما عدا هـ : « فتبعته » بالتاء .

(٥) الحملاق : بياض العين . فيما عدا ل : « حلا فيه » تحريف . والجرف ، بضمتين وبضمة : ما تجرفته السيول وأكلته من الأرض .

(٦) الرض : الدق والكسر . هـ : « لورس » ط : « يورد » س : « اورد » صوابه فى ل .

(٧) تزم بأنفها : تشمخ به . س ، هـ : « ترم » ، مصحف .

(٨) صحابات : جمع صحابة ، والصحابة ، بالفتح : الأصحاب . وهو فى الأصل مصدر . فيما عدا ل : « صحابتها » . وفى ط أيضا : « وتزم على » ، و س : « وترم على » ، و هـ : « وترم من » .

وهو إذا أراد منْها عِـرْسَا دَهْماء مِرْباعَ اللِّقاح جَلْسَا[١]
عاينَها بعــدَ السِّنان أنسا[٢] حتَّى تلقَّتْهُ مَخَاضا قُعْسَا[٣]
حتَّى احتشت فى كلِّ نفسٍ نَفْسا على الدَّوامِ ضَامِزَاتٍ خُرْسَا[٤]
خُوصاً مُسِرَّاتٍ لِقَاحًا مُلْسَا[٥]

وأمَّا قول الشَّمَّاخ :

جُمَالِيَّة لو يُجعَلُ السَّيفُ عُرْضَها على حَدِّهِ لاستكبرتْ أنْ تَضَوَّرَا[٦]

فليس من الأوَّل فى شىء .

(المذكورون من الناس بالكبر)

« والمذكورون من النَّاس بالـكِبْر ، ثمَّ من قريشٍ : بنو مخزوم ، وبنو أميَّة . ومن العرب : بنو جعفر بن كلاب ، وبنو زرارة بن عُدُس[٧] خاصَّة .

---

(١) الدهماء : السوداء . والمرباع : التى عادتها أن تنتج فى الربيع . والجلس، بالفتح : الناقة الوثيقة الجسيمة .

(٢) السنان ، بالكسر : مصدر سان البعير الناقة يسانها مسانة وسنانا : إذا طردها حتى ينوخها ليسفدها . فيما عدا ل : « السيان » تحريف .

(٣) المخاض ، بالفتح : النوق الحوامل . والقعس ، بالضم : جمع قعساء ، وهى التى مال رأسها وعنقها نحو ظهرها . فيما عدا ل : « حتى تلاقى » .

(٤) ط ، س : « الدوامى » هـ : « الدواق » ل : « الروابى » ، ولعل صوابها ما أثبت . والضامزات ، بالزاى : الساكتات لا تسمع لها رغاء . وفى الأصل : « ضامرات » بالراء ، تحريف .

(٥) الخوص : جمع خوصاء ، وهى الغائرة العينين . فيما عدا ل : « حوط » ، محرف . وفى ل : « مأسا » بدل « ملسا » .

(٦) الجمالية ، بالضم : الناقة : الوثيقة الخلق تشبه الجمل . عرضها ، بالضم : أى فى وسطها . تضور : تتضور ، حذف إحدى التاءين ، أى تصيح وتتلوى . ط فقط : « على حدة » تحريف . وفى ط ، هـ : « أن تصونها » ، وفى هـ : « أن يصورا » صوابهما فى ل والديوان ٢٨ .

(٧) عدس ، بضم العين والدال جميعا . انظر اللسان (عدس) والمزهر (٢ : ٢٨١ - ٢٨٢) .

فأمَّا الأكاسرة من الفرْس فكانوا لا يعُدُّون النَّاسَ إلاّ عبيداً ، ٢٢
وأنفُسَهم إلاّ أربابا .

ولسنا نُخْبِر إلاّ عن دَهماء النَّاس وجُمهورهم كيف كانوا[1] ، من ملوك وسُوقة .

(الكِبر فى الأجناس الذليلة)

والكِبر فى الأجناس الذَّليلة من النَّاس أرسَخُ وأعمُّ . ولكنّ الذلّة والقلّة[2] مانعتانِ من ظهور كِبرهم ، فصار لايعرفُ ذلك إلّا أهْلُ المعرفة ، كعبيدنا من السِّنْدِ، وذِمَّتنا من اليهود .

والجملةُ أنَّ كلّ منْ قَدَر من السِّفْلة والوُضعاء والمحقَّرين أدنَى قدرةٍ ، ظهَر من كِبره على مَنْ تحت قدرته[3] ، على مراتب القدرة، مالا خَفَاء به . فإنْ كان ذمِّيًّا وحَسُنَ بما لَهُ[4] فى صدور النَّاس، تزيَّد فى ذلك، واستظهرت طبيعته[5] بما يظنُّ أنَّ فيه رَقْع ذلك الخَرْق ، وحِياصَ ذلك الفتق[6] ، وسد تلك الثُّلمة .

---

(١) س ، ط : « وكيف » بزيادة واو . هـ : « فكيف »، والوجه ما أثبت من ل.

(٢) ل ، س : « القلة والذلة » .

(٣) ل : « ما تحت قدرته »، وجملة : « على مراتب القدرة » ساقطة من س .

(٤) الذمى : الرجل المعاهد يؤدى الجزية ، من الكتابيين أو غيرهم . ل ، هـ : « فان كان دميما وحسن بماله » . الدميم : القبيح .

(٥) ط ، س : « واستظهرت به طبيعة » .

(٦) المعروف الحياصة ، بالكسر : مصدر حاص الثوب يحوصه حوصا وحياصة ، أى خاطه . وأما الحياص ، بطرح التاء فلم أجده . وفيما عدا ل : « حياض ذلك الفتق » محرف .

فتفقّدْ ما أقول لك ، فإنّك ستجده فاشياً .

وعلى هذا الحسابِ من هذه الجهة ، صار المملوك أسوأ ملكةً[1] من الحرّ .

وشيءٌ قد قتلْته عِلماً ، وهو أنّى لم أرَ ذا كِبْر قطُّ على مَنْ دونَه إلا وهو يذِلُّ لمن فوقَه بمقدارِ ذلك ووَزْنه .

(كبر قبائل من العرب)

فأمّا بنو مخزوم ، وبنو أميَّة ، وبنو جعفر بن كلاب ، وبنو زُرارة ابن عُدُس ، فأبْطرَهُم ما وجَدوا لأنفسهم من الفضيلة . ولو كان فى قُوى عقولهم ودِياناتهم فضلٌ على قوى دواعى الحميّة فيهم ، لكانوا كبنى هاشمٍ فى تواضُعِهم ، وفى إنصافهم لمنْ دونهم .

وقد قال فى شَبيهٍ بهذا المعنى عَبْدةُ بن الطبيب ، حيث يقول :

إن الذين تُرَوْنَهُمْ خلَّانَكُمْ يَشفِى صُدَاعَ رءوسهم أن تُصْرَعوا[2]
فَضَلت عداوتُهم على أحلامِهم وأبتْ ضِبابُ صُدورهم لاتنْزِعُ

(من عجائب الضب)

فأمّا ما ذكروا أنَّ للضَّبِّ أيرَين ، وللضَّبَّة حِرَين ، فهذا من العجب

---

(١) الملكة ، بالكسر وبالتحريك : الملك . وفى اللسان : « فى الحديث : لا يدخل الجنة سيىء الملكة » — محرك — أى الذى يسىء صحبة المماليك . ويقال فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنيع إلى مماليكه » . فيما عدا ل : « ملكا » .

(٢) سبق إنشاد هذا البيت مع آخر فى (٤ : ١٦٧) . وانظر حماسة البحترى ٢٤٠ . فيما عدا ل « تصدعوا » ، تحريف .

[العجيب[1]] . ولم نجدهم يشكُون . وقد يختلفون ثمَّ يرجعون إلى هذا العَمود[2] . وقال الفَزَارىّ[3] :

جبى المالَ عُمَّالُ الخَراجِ وجِبْوَتى محذَّفة الأذْناب صُفْرُ الشَّواكِلِ[4]
رَعَين الدَّبا والبَقْلَ حتَّى كأنما كساهُنَّ سُلطَانٌ ثِيَابَ المَرَاجِلِ[5]
سِبَحْل له نِزكانِ كانا فضيلةً على كُلِّ حَافٍ فى البلاد وناعلِ[6]

(١) هذه الزيادة من ل ، س .

(٢) فى اللسان : عمود الأمر : قوامه الذى لايستقيم إلا به . فيما عدا ل : « العموم » تحريف .

(٣) فى اللسان (ترك ٣٨٨) نسبة الأبيات إلى أبى الحجاج . ونقل عن ابن برى أنها لحمران ذى الغصة ، وكان قد أهدى ضبابا إلى خالد بن عبد الله القسرى . وقال ابن السيد فى الاقتضاب ٣٥٥ : « كان خالد ولاه بعض البوادى فلما جاء المهرجان أهدى كل عامل ما جرت عادة العمال بإهدائه ، وأهدى حمران قفصا مملوءا ضبابا وكتب إليه » ، وأنشد الأبيات . وفى الاقتضاب أيضا : « وذكر أبو عمرو الشيبانى فى كتاب الحروف أن ابن هبيرة استعمل رجلا من أهله على ناحية البادية ، فأهدى إليه فى المهرجان ضببين ، وكتب إليه بهذا الشعر » . وأقول : ابن هبيرة هذا هو عمر بن هبيرة الفزارى . ولى العراقين ليزيد بن عبد الملك ست سنين ، وعزله هشام ١٠٥ . وانظر الحيوان (٤ : ١٥٤) والمخصص (٨ : ٩٧) وعيون الأخبار (٢ : ٩٨) وأدب الكاتب ١٥٤ وأمالى الزجاجى ١١٥ ومعجم الأدباء (٩ : ١٦١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٣) .

(٤) الجبوة ، بالكسر : ما يجبى . ل : « حبوتى » بالمهملة ، محرف . والشواكل : الخواصر ، جمع شاكلة .

(٥) الدبا ، بالفتح : الجراد ، بذا فسره فى البيت ابن السيد . وفى الاقتضاب واللسان بدل : « والبقل » : « والنقد » وهو ضرب من النبت . والمراجل : ضرب من برود اليمن . ل ، هـ : « المراحل » بالحاء المهملة . وهى صحيحة أيضا ، جمع مرحل ، كمعظم وهو ضرب من برود اليمن ، سمى مرحلا لأن عليه تصاوير الرحال .

(٦) السبحل : العظيم المسن من الضباب . هـ : « سيخل » س : « سجل » تحريف . وفى ط « سجل له نزكأن فضله » محرف . ورواية البيت فى الاقتضاب واللسان بعد البيت التالى لا قبله . وأوله فى الاقتضاب : « سجلا » بالنصب .

ترى كلَّ ذَيَّال إذا الشمسُ عارَضَتْ

سَمَا بين عِرْسَيْه سُمُوَّ المخايل(١)

واسم أيره النَّزْك ، معجمة الزَّاى والنون من فوق بواحدة ، وساكنة الزاى . فهذا قول الفزارىّ . وأنشد الكِسائىّ :

٢٣ تفرَّقتمُ لا زِلْتمُ قِرْنَ واحد تفرُّقَ أيْرِ الضّبِّ والأصلُ واحد(٢)

فهذا يؤكِّد ما رواه أبو خالد النميرى(٣) ، عن أبى حيّة النُّميرى . قال أبو خالد(٤) : سئل أبو حيّة عن ذلك ، فزعم أنَّ أير الضبّ كلسان الحيَّة : الأصل واحدٌ ، والفرعُ اثنان .

(زعم بعض المفسِّرين فى عقاب الحية)

وبعضُ أهل التّفسير يزعمُ أنّ الله عزّ وجلّ عاقَبَ الحيَّة — حين أدخلَتْ إبليسَ فى جوفها حتَّى كلّم آدمَ على لسانها — بعشر خصال(٥) ، منها شقُّ اللسان .

قالوا : فلذلك تَرَى الحيّةَ أبدًا إذا ضُربت(٦) لتُقْتل كيف تُخرِجُ

---

(١) الذيال : الطويل الذيل . والمخايل : الذى يخايل غيره يفاخره ويباريه . انظر تاج العروس (٨ : ٣١٥ س ٢٧) . وفيما عدا ل وكذا فى اللسان : « المخائل » ولا وجه له ها هنا .

(٢) القرن ، بالكسر : كفؤك فى الشجاعة . أراد : لا زلتم فى جمعكم وجمهرتكم قرنا لواحد ، دعا عليهم بالضعف .

(٣) سبق مع الخبر فى (٤ : ١٦٤) بلفظ : « أبو خلف النمرى » . وفيما عدا ل : « أبو خلة النميرى » .

(٤) فيما عدا ل : « أبو خلة » .

(٥) انظر ما سبق فى (٤ : ١٦٤ ، ١٩٩ — ٢٠٠) وسفر التكوين (٣ : ١٤ : ١٩) .

(٦) هذه الكلمة وما قبلها ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « طلبت » . وسبق فى (٤ : ١٦٤) : « إذا ضربت للقتل » .

لسانَها ، تلوِيه كما يصنَعُ المسترحِمُ من النّاس بإصبعه إذا ترحَّم أو دعا ؛ لتَرِىَ الظالمَ عقوبةَ الله تعالى لها .

(قول بعض العلماء فى تناسل الضب)

قال أبو خالد[١] : قال أبو حيّة : الأصل واحد ، والفرع اثنان ، وللأنثى مَدْخَلان ؛ وأنشد حُبَّى المدنيَّة[٢] :

وَدِدتُ بأنّه ضبٌّ وأنى كضبَّة كُدْيةٍ وَجَدَتْ خلاءً[٣]

قال : قالت هذا البيتَ لابنها ، حينَ عذَلَهَا ؛ لأنَّها تزوّجتْ ابنَ أمِّ كلاب ، وهو [فتًى] حَدَثٌ ، وكانت هى قد زادت على النَّصَف[٤] ، فتمنَّتْ أنْ يكون لها حِرَانِ ولزوجها أيران .

وقال ابن الأعرابىّ : للأنثى سَبيلانِ ، ولرحِمِها قُرْنَتَان[٥] ، وهما زاويتا الرَّحِم . فإذا امتلأت الزَّاويتان أتأمتْ ، وإذا لم تمتلِئْ[٦] أفردَتْ .

وقال غيرُه من العلماء : هذا لايكون لذوات البَيْض والفراخ ، وإنما

---

(١) أبو خالد ، باتفاق فى جميع النسخ . وانظر التنبيه ٣ من الصفحة السابقة .

(٢) ل : « المدينية » . قال ياقوت : « النسبة إلى مدينة الرسول مدنى مطلقا ، وإلى غيرها من المدن مدينى ، للفرق لا لعلة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضا مدينى » . وفى اللسان ، ونسبه يا قوت إلى الليث : « إذا نسبت إلى المدينة فالرجل والثوب مدنى ، والطير ونحوه مدينى لايقال غير ذلك ... وحمامة مدينية وجارية مدينية » . وقد سبق الحديث فى « حبى المدنية » فى (٢ : ٢٠٠) .

(٣) ل : « ضبية » صواب هذه : « ضبيبة » مصغر ضبة .

(٤) النصف ، بالتحريك : التى قد بلغت خمسا وأربعين ، أو خمسين ، كأنها بلغت نصف العمر . ل : « وقد زادت أم كلاب » ، س : « وقد ذادت هى على النصف » .

(٥) القرنتان ، بضم القاف .

(٦) س ، هـ : « تمتل » ، فيكون قد سهله ثم عامله معاملة المعتل .

هذا من صفة أرحامِ اللواتى يَحْبلن بالأولاد ، ويضَعْنَ خلقاً كخلقهنَّ ويُرْضِعنْ[1] . وكيف تُفرِد[2] الضبّة وهى لم تتمّ قط . وهى[3] تبيض سبعين بيضةً فى كلِّ بيضةٍ حِسْل .

قال : ولهذه الحشرات أيورٌ معروفة ، إلّا أنّ بعضها أحقر[4] ، من بعض . فأما الخُصَى فشىءٌ ظاهرٌ لمن شَقّ عنها .

(تناسل الذباب)

وجَسَر أبو خالد ، فزعم أنه قد أبصر أيرَ ذُباب وهو يَكُوم ذبابَة[5] وزَعم أن اسم أيره المُتْك[6] . وأنشد لعبد الله بن همام السَّلولىّ[7] :

لما رأيْتُ القصْرَ غُلِّقَ بابه وتعلَّقَتْ هَمْدانُ بالأسبابِ[8]
أيقنْتُ أنّ إمارةَ ابنِ مُضاربٍ لم يَبْقَ منها قِيسُ أيرِ ذُبابِ[9]

وهذا شعرٌ لايدلُّ على ما قال .

وقال أصحابنا : إنّما المتك البظْر. ولذلك يقال للعِلْج : يابن المتْكاء[10] ، كما يقال له : يابن البَظْراء .

---

(١) ل : « ويضعن » ، تحريف .
(٢) س : « وكيف لم تفرد » .
(٣) هـ : « وقد » .
(٤) أحقر : أصغر . وفى ل : « أخفى » .
(٥) يـكومها : يسفدها . س : « لا يكوم » و « لا » مقحمة .
(٦) المتك والمتك ، بضم الميم وفتحها .
(٧) سبق الشعر مجردا من النسبة فى (٣ : ٣١٧) . وانظر ثمار القلوب ٣٩٨ .
(٨) فيما عدا ل : « أغلق » . وهمدان ، بالدال المهملة : قبيلة من اليمن .
(٩) قيس ، بالـكسر : أى مقدار .
(١٠) س ، هـ : «المتكى» ، تحريف .

القولُ فيمن استطابَ[1] لحم الضب ومن عافه ٢٤

رُوى أنَّه أُتِى [به] على خوان النبى صلى الله عليه وسلم فلم يأكله، وقال : « ليسَ مِن طعام قومى » .

وأكله خالد بن الوليد فلم يُنكر عليه .

ورووا أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « لا أحِلُّه ولا أحرِّمه[2] » .

وأنكر ذلك ابنُ عباس وقال : ما بَعثَه الله تعالى إلّا ليُحِلَّ ويحرِّم .

وحرَّمه قومٌ ، ورَوَوا[3] أنَّ أُمَّتين مُسِختا ، [أخذَت[4]] إحداهما فى البَرِّ ، فهى[5] الضِّبَاب ، وأخذت الأخرى فى طريق البحْر ، فهى الجِرِّىّ[6] .

ورَوَوْا عن بعض الفقهاء أنَّه رأى رجلاً أكلَ لحم ضَبٍّ ، فقال : اعلمْ أنَّكَ قد أكلتَ شيخاً من مَشيخة بنى إسرائيل[7] .

وقال بعضُ من يعافه : الذى يدلُّ على أنَّه مِسْخ شبَه كفِّه بكفِّ الإنسان .

---

(١) ط ، هـ : « استطاب له » ، محرف .

(٢) انظر تخريج هذا الحديث فى مفتاح كنوز السنة ص ٣٠٦ ، والكلام عليه فى تأويل مختلف الحديث ٣٤٠ - ٣٤٢ .

(٣) ط ، هـ : « ورأوا » تحريف .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) ط ، هـ : « وهى » . والتساوق يقتضى ما أثبت من ل ، س .

(٦) انظر (١ : ٢٣٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٩ / ٤ : ٦٨) .

(٧) المشيخة ، بفتح الميم وإسكان الشين ، وكذا بفتح الميم وكسر الشين : جمع شيخ ، وللشيخ جموع كثيرة . وهذا إشارة إلى ما يروون أن أمة من بنى إسرائيل مسخت دواب فى الأرض . انظر الدميرى فى رسم (الضب) . ونقل ابن قتيبة من أحاديث الجاهلية قولهم إن الضب كان يهوديا عاقا فمسخه الله ضبا . انظر تأويل مختلف الحديث ٣٦٢ .

وقال العُدَاز [١] الأبرص ، نديم أيّوب بنِ جعفر [٢] ، وكان أيّوبُ لا يغبّ أكلَ الضباب ، فى زمانها [٣] . ولها فى المِرْبَد سوقٌ تقوم فى ظلّ دار جعفر [٤] . ولذلك قال أبو فِرعون [٥] ، فى كلمة له طويلة :

سُوقُ الضِبَابِ خَيرُ سوقٍ فى العَرَبْ

وكان أبو إسحاق إبراهيم النظام [٦] [والعُدار] ، إذا كان عند أيوب قاما عن خوانه [٧] إذا وضع [له] عليه ضبّ . وممَّا قال فيه العُدار [٨] قوله :

له كَفٌّ إنسانٍ وخَلْقُ عَظايةٍ وكالقِردوالخنزيرفىا لمسْخِ والغَضَبْ [٩]

(١) كذا فى ل بهذا الضبط . وفى القاموس : « وسموا عدارا وعدرا » بضم العين وتخفيف الدال وتثقيلها . وفيما عدا ل : « العوام » .

(٢) هو أيوب بن جعفر بن سليمان العباسى ، ذكره الجاحظ فى جماعة من خطباء الهاشميين وقال : « هؤلاء كانوا أعلم بقريش وبالدولة وبرجال الدعوة من المعروفين برواية الأخبار » . انظر البيان (١ : ٣٣٥) .

(٣) لايغب : من الغب ، وهو أن يرد يوما ويدع يوما . أراد أنه يواظب على أكلها . وفيما عدا ل : « لايعيب أكل الكلاب فى زمانه » ، تحريف .

(٤) الكلام من مبدإ : « وكان » إلى هنا ساقط من ه . وفيما عدا ل : « يقوم » . والسوق تذكر وتؤنث .

(٥) ذكره ابن النديم فى الفهرست ٢٣٣ مصر ١٦٤ ليبسك فى جماعة من الشعراء المقلين قال : «أبو فرعون الشاسى ، ثلاثون ورقة » . وانظر الشعراء لابن المعتز ٣٧٦ .

(٦) فيما عدا ل : « وكان هو وإبراهيم النظام » . وسقط اسم : « العدار » من سائر النسخ ، والعبارة تستقيم بذلك ، بجعل الضمير للعدار السابق ذكره .

(٧) الخوان بضم الخاء وكسرها : المائدة يوضع عليها الطعام ، والجمع أخونة فى القليل ، وفى الكثير خون ، بضم الخاء وإسكان الواو ، وهو فارسى معرب . انظر المعرب ١٢٩ واستينجاس ٤٨٠ . وقال الجواليقى : إنهما لغتان جيدتان ، وأضاف إليهما ثالثة وهى إخوان . وفى المعيار أن جمع الثالثة أخاوين ، كديوان ودواوين . وجعل ابن قتيبة لغة الضم من لغات العامة . انظر أدب الكاتب ٢٩٣ .

(٨) فيما عدا ل : « فيها » . وفى ط ، ه : « العرار » براءين ، وفى س : « العدار » بالدال المهملة ، صوابه ما أثبت من ل .

(٩) ل : « عظاءة » بالهمز ، وهما لغتان . ه : « عضاية » تحريف . ط ، س : « والعصب » ، ه : « والمضب » ، صوابهما فى ل . وهو إشارة إلى ما فى قول الله : « قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت » ، من الآية ٦٠ من سورة المائدة .

(قول العوامّ في المسخ)

والعوامّ تقول [ذلك] . وناسٌ يزعمون أن الحيّة مِسخ ، والضبّ مِسْخ ، والكلبَ مِسْخ(١) ، والإربيان(٢) مِسخ ، والفأر مسخ .

(قول أهل الكتاب فى المسخ)

ولم أر أهلَ الكتاب يُقِرُّون بأنَّ الله تعالى مسخ إنساناً قط(٣) خنزيراً ولا قرداً . إلاّ أنهم [قد(٤)] أجمعوا أنّ الله [تبارك و] تعالى قد مسَخَ امرأة لُوطٍ حَجَراً ، حين التفتَتْ(٥) . وتزعم الأعراب(٦) : أنَّ الله [عزّ ذكره]

(١) انظر لمسخ الكلب ماسبق فى (١ : ٢٢٢ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨) . والجملة ساقطة من ل .

(٢) الإربيان ، بكسر الهمزة والباء : ضرب من السمك ، يسمى فى الإسكندرية برغوث البحر ، ويعرف عند سائر المصريين بالجمبرى . وهو بالإنكليزية : Shrimp ط ، ﻫ : « الاريال » س : « الارتبان » صوابه فى ل . ونقل ابن قتيبة فى تأويل مختلف الحديث ٢٦٤ زعم أهل الجاهلية أن الإربيانة كانت خياطة تسرق الخيوط . فمسخت .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س . وموضعها فى ط ، ﻫ قبل : « مسخ » . وكلمة : « بأن » هى فيما عدا ل : « أن » .

(٤) هذه الكلمة من س فقط .

(٥) وذلك فيما يروى المفسرون أنها التفتت حين سمعت هدة العذاب ، وقالت : واقوماه ! وفى الكتاب العزيز : « فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » سورة هود ٨١ وتفسير أبى حيان (٥ : ٢٤٨) . وفى سفر التكوين (١٩ : ١٧) : « لا تنظر إلى ورائك ولاتقف فى كل الدائرة » . والخطاب لوط . وفى التكوين أيضا (١٩ : ٢٤ - ٢٦) : « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا وناراً من عند الرب من السماء . وقلب تلك المدن وكل الدائرة وجميع سكان المدن ونبات الأرض . ونظرت امرأته من ورائه فصارت عمود ملح » . وانظر إنجيل لوقا (١٧ : ٣١ - ٣٢) .

(٦) س : « وقالت الأعراب » ط ، ﻫ : « وتقول » ، وأثبت ما فى ل .

قد مسخ كلَّ صاحب مَكْس وجابي خراج وإتاوة ، إذا كان ظالما . وأنه مسخ ماكسين ، أحدهما ذئباً والآخر ضبعاً .

(شعر الحكم بن عمرو فى غرائب الخلق)

وأنشد محمَّد بن السَّكَن المعلِّم النحويّ[(١)] ، للحكم بن عمرو البهرانى ، فى ذلك وفى غيره شعراً عجيباً ، وقد ذكر فيه ضروباً كلُّها طَرِيف[(٢)] غريب ، وكلها باطل ، والأعراب تؤمن بها أجمع .

وكان الحكمُ هذا أتى بَنِي العنبر بالبادية ، على أنَّ العنبر من بَهْراء[(٣)] فنفوه من[(٤)] البادية إلى الحاضرة ، وكان يتفقَّه ويُفتى فُتيا الأعراب[(٥)] ، وكان مكفوفا [و] دهريًّا عُدْمُليًّا[(٦)] ، وهو الذى يقول :

١ إنّ ربِّى لِمَا يشاءُ قديرٌ ... ما لِشىء أرادَهُ مِنْ مَفرِّ

٢ مَسَخَ الماكِسَيْنِ ضَبْعاً وَذئباً ... فلهذا تناجَلاَ أُمَّ عَمْرو

---

(١) ذكره الجاحظ فى البيان (١ : ٢٥٢) .

(٢) فيما عدا ل : « ظريف » ، بالظاء المعجمة .

(٣) بهراء هم بنو عمرو بن الحاف بن قضاعة ، ونسبهم فى اليمن . وأما العنبر فهم من بنى عمرو ابن تميم بن مر بن أد بن طابخة ، ونسبهم فى مضر .

(٤) ل : « عن » .

(٥) فتيا الأعراب : ضرب من الألغاز التى يراد بها إظهار المقدرة اللغوية . ويتجلى هذا الفن بوضوح فى المقامة ٣٢ من مقامات ابن الحريرى ، مثل قوله فيها : « قال أيصلى على رأس الكلب ؟ قال : نعم كسائر الهضب . قال : فهل يجوز السجود على الكراع ؟ قال نعم ، دون الذراع » . وكان الشافعى ممن يفتى هذه الفتيا . « سئل هل تسمع شهادة الخالق ؟ قال : لا ولا روايته » . والخالق هنا بمعنى الكاذب . وانظر المزهر (١ : ٣٦١ – ٣٦٧) .

(٦) العدملى ، بضم العين والميم : الهرم المسن . ط ، س : « مليا » ، محرف .

٣ بَعَثَ النَّمْلَ والجرادَ وقَفَّى   بِنَجيعِ الرُّعافِ فى حيٍّ بكرِ
٤ خرَقَتْ فارَةٌ بأنفٍ ضئيلٍ   عَرِماً مُحْكَمَ الأَساسِ بصخرِ (١)
٥ فجَّرته وكانَ جيلان عنهُ   عاجزاً لو يَرُومُه بعد دَهْرِ (٢)
٦ مَسَخَ الضَّبَّ فى الجدَالة قِدْماً   وسُهَيْلَ السَّماءِ عمداً بصُغْرِ (٣)
٧ والذى كانَ يكتِنى برِغالٍ   جَعَلَ اللهُ قَبْرَهُ شَرَّ قبرِ (٤)
٨ وكذا كلُّ ذى سَفينٍ وخَرْجٍ   ومُكوسٍ وكلُّ صاحبِ عُشْرِ (٥)
٩ مَنكِبٌ كافرٌ وأشراطُ سَوْءٍ   وعريفٌ جَزاؤُه حَرُّ جَمْرِ (٦)
١٠ وتزوَّجْتُ فى الشَّبيبةِ غُولًا   بغزالٍ وصِدْقتى زِقُّ خمرِ (٧)
١١ ثَيِّبٌ إن هَويتُ ذلك مِنْها   ومَتَى شِئْتُ لم أجِدْ غيرَ بِكرِ
١٢ بنتَ عمرو وخالُهَا مِسحَلُ الخيْـــر وخالِى هميمُ صاحبُ عمرِو (٨)
١٣ ولها خُطَّةٌ بأرضِ وَبارٍ   مَسَحُوها فكان لى نصفُ شَطرِ
١٤ أرضُ حُوشٍ وجامل عَكَنانٍ   وعُروج من المؤبَّل دَثْرِ (٩)

---

(١) ط ، ﻫ : « ومسخر » ، صوابه فى ل ، س وثمار القلوب ٣٢٨ .

(٢) جيلان ، هى فيما عدا ل : « غيلان » محرف . وسيأتى تفسير الجاحظ لهذه القصيدة .

(٣) الجدالة ، بفتح الجيم : الأرض . فيما عدا ل : « الحبالة » محرف . الصغر ، بالضم : الذل . ط : « بصقر » س : « بصفر » ، صوابهما فى ل ، ﻫ .

(٤) هو أبو رغال ، بكسر الراء . وسيأتى حديث الجاحظ فيه .

(٥) فيما عدا ل : « وكان صاحب » ، محرف .

(٦) المنكب ، كمجلس : العريف ، أو عون العريف ، أو رأس العرفاء . ل : « وأشراط سوق » ، تحريف .

(٧) الصدقة ، بفتح فضم ، وكغرفة وصدمة ، وبضمتين وبفتحتين ، وككتاب وسحاب : مهر المرأة . ط فقط : « كغزال » ، محرف .

(٨) ط : « مستحل الخير وخالى حميم » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٩) ل : « أرض خص » محرف . والجامل العكنان ، بفتح العين والكاف ، وفى غير هذا الشعر بسكون الكاف أيضا : الإبل الكثيرة العظيمة . س : « وحامل » =

١٥ سَادَةَ الجنّ ليس فيها من الجـ نِّ سوى تاجر وآخرَ مُـكْرِ (١)
١٦ ونَفَوْا عن حريمها كلَّ عِفْرٍ يسرِقُ السَّمْعَ كل ليلة بدرِ
١٧ فى فُتُوٍّ مِنَ الشِّنقناقِ غُرٍّ ونساءٍ من الزوابع زُهْرِ (٢)
١٨ تأكل الفولُ ذا البساطة مِسُياً بَعْدَ رَوْثِ الحمار فى كلِّ فجرِ (٣)
١٩ جَعَلَ اللهُ ذلك الرَّوثَ بيضا من أَنُوقٍ ومِنْ طَرُوقة نَسْرِ (٤)
٢٠ ضُربت فَرْدةً فصارَتْ هباءً فى محاق القُمير آخِرَ شَهْرِ (٥)
٢١ تركَتْ عبدلاً ثِمالَ اليتامَى وأخوه مزاحم كان بكرِى (٦)
٢٢ وَضعَتْ تِسعةً وكانت نَزورا مِن نساء فى أهلها غير نزرِ (٧)
٢٣ غَلَبَتْنى على النَّجَابَةِ عِرْسى بعدماطار فى النَّجَابةِ ذِكْرِى (٨)

= ط ، هـ : « وكامن » صوابهما فى ل . وفى ط ، س : « عكفان » صوابه فى ل ، هـ . والمؤبل : الكثير ، أو الذى جعل قطيعا قطيعا . فيما عدا ل : « المؤمل » تحريف .

(١) المكرى : الذى يكريك دابته . فيما عدا ل : « مكر » .

(٢) الفتو ، بضم أوله وثانيه : جمع فتى . والشنقناق ، بكسر الشين والنون وسكون القاف : رئيس للجن . والزوابع : جمع زوبعة ، وهو اسم شيطان أو رئيس الجن . هـ : « فنون » ل : « فنون من » ، صوابهما فى ط ، س . ط : « الشنقبات » ، هـ : « الشنقبان » س : « الشنقنان » صوابه فى ل . وفيما عدا ل : « من الروائع » محرف .

(٣) المسى ، بالضم والفتح : المساء . ل : « مشيا » . وفى ط ، هـ : « ذا السياطة » بالياء .

(٤) طروقة النسر ، بفتح الطاء : أنثاه . وأصلها فى الإبل . س : « بر » .

(٥) فردة : أى ضربة واحدة . فيما عدا ل : « قردة » تحريف . وفى ط فقط : « فصارت خصبا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٦) ل : « عندلا » بالنون ، و : « مراغم » بدل : « مزاحم » . وفى ط : « كاين بكر » وهذه محرفة . وفى س : « كابن بكر » ، وأثبت مافى ل ، هـ .

(٧) النزور ، بفتح النون وضم الزاى : القليلة الولد ، والجمع نزر بضمتين ، وسكن للشعر . ط : « نذورا » و « نذر » بالذال ، تحريف .

(٨) س : « بعد ماطال » ل : « بعد أن طال » .

٢٤ وأرَى فيهمُ شمائِلَ إنْسٍ   غيْرَ أنَّ النِّجار صُورَةُ عِفرِ
٢٥ وبها كنتُ راكباً حشرات   مُلْجِماً قُنفُذًا ومُسْرِجَ وبْرِ [1] ٢٦
٢٦ كُنتُ لا أركَبُ الأرانب للحيـ   ـض ولا الضَّبْع أنَّها ذاتُ نكْرِ
٢٧ تَركَبُ المقْعَصَ المجيِّف ذا النَّعْـ   ـظِ وتدعُو الضِّباع من كلِّ جُحْرِ [2]
٢٨ جائباً للبحار أهْدِى لعِرْسى   فلفُلا مجتنًى وهضمَةَ عِطْرِ [3]
٢٩ وأحلِّي هُرَيرَ من صَدَفِ البَحْـ   ـرِ وأسْقِى العِيالَ مِنْ نيلِ مِصْرِ [4]
٣٠ ويسنِّي المعقُودَ نَفْثِي وحَلِّي   ثمَّ يخفَى على السَّواحر سِحرِى [5]
٣١ وأجوب البلاد تَحْتِيَ ظَبْيٌ   ضاحِكٌ سِنُّهُ كثِيرُ التَّمرِّى [6]
٣٢ مُولجٌ دُبْرَهُ خوايَةَ مَكْوٍ   وَهوباللَّيلِ في العفاريت يَسْرِى [7]
٣٣ يَحْسَبُ النَّاظِرُون أنِّى ابنُ مَاءٍ   ذاكرٌ عُشَّهُ بضفَّةِ نهرِ
٣٤ ربَّ يوم أكلْتُ من كَبِدِ اللَّيـ   ـثِ وأعقبتُ بَيْنَ ذِئْبٍ ونمرِ [8]
٣٥ ليس ذاكُمْ كمن يبيتُ بَطِيناً   من شِوَاءٍ ومن قَلِيَّةِ جزْرِ

---

(١) ل : « أركب الحشرات » ، ه : « وملجم بدر » ، وهذه محرفة .

(٢) المقعص : الذى ضرب فقتل مكانه . والنعظ : الانتشار . فيما عدا ل : « النفط » تحريف .

(٣) فى الأصل : « جائيا » ، وفيما عدا ل : « مجتنا » ، صوابهما ماأثبت . والهضمة : واحدة الأهضام ، وهى الطيب أو البخور . ط ، س : « هضبة » ه : « هصمة » صوابهما ماأثبت من ل .

(٤) هرير : ترخيم هريرة ، وهو علم من أعلامهن . س فقط : « الهرير » .

(٥) سنى العقد : سهله وفتحه . وفى قول القائل :

وأعلم علما ليس بالظن أنه   إذا الله سنى عقد أمر تيسرا

ط ، س : « ويسىء المعقود » ، ه : « ونسى المقود بعى وحليى » ، صوابهما فى ل .

(٦) ه : « سره » مكان : « سنه » تحريف .

(٧) الخواية ، بالفتح : أراد بها متسع داخل الكناس . وأصل الخواية متسع داخل الرحل . والمكو ، بالفتح وآخره واو : جحر الثعلب والأرنب ونحوهما ، أراد به الكناس . وفيما عدا ل : « جوانة مكر » ، تحريف .

(٨) أعقب بينهما : ركب أحدهما عقب صاحبه . ل : « أعقيت » تحريف .

٣٦ ثمّ لاحَظْتُ خلّتى فى غُدُوٍّ بَيْنَ عَيْنى وعَيْنِها السَّمُّ يجْرى
٣٧ ثم أصبحتُ بعد خَفْضٍ ولَهْوٍ مُدْنَفاً مُفْرَداً محالِفَ عُسْرِ [١]
٣٨ أتراني مَقتٌ مَن ذَبحَ الدِّيـ ـكَ وعادَيْتُ مَن أهابَ بصَقْرِ [٢]
٣٩ وسَمِعْتُ النقيقَ فى ظُلَمِ اللّيـ ـلِ فجاوبْتُه بسِرٍّ وجَهْرِ
٤٠ ثمَّ يُرمَى بِى الجحيمُ جِهاراً فى خمير وفى دراهم قمرِ [٣]
٤١ فلَعَلّ الإلٰه يَرْحَمُ ضَعْفِى ويَرى كَبْرَتى ويَقْبَلُ عُذْرى

(القول فى حل الضب واستطابته)

وسنقول فى الذين استحلوه واستطابوه وقدّموه .

قالوا : الشيء لا يحرم إلاّ من جهة كتابٍ ، أو إجماعٍ ، أو حجةِ عقل ، أو من جهة القياس على أصل فى كتاب [الله عزّ وجلّ] ، أو إجماع . ولم نجدْ فى تحريمه شيئا من هذه الخصال ، وإن كان إنَّما يُترك من قِبلِ التقزز ؛ فقد أكلَ الناسُ الدَّجاجَ ، والشبابيط ، ولحوم الجلاَّلة ، وأكلوا السراطين ، [والعقصير [٤]] ، وفراخ الزّنابير ، والصحناء [٥]

(١) ل : « بين » هـ : « بعض » بدل : « بعد » ، صوابهما ماأثبت من ل ، س .
(٢) ط : « من ذبحى الديك » ، محرف .
(٣) كذا ورد عجزه غامضا . وفى ل : « وفى دويهم » .
(٤) كذا وردت الكلمة فى س . وبدلها فى ل : « العقيصين » وقد رجعت إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى فى تحقيق هذه الكلمة ، فقال : صوابها القنسير أو القنصير ، ولفظه اللاتينى : Cancer وهو ضرب من كبار السراطين ، وهو باليونانية : Karkinos » . قلت : ولعل هذا يصحح ما سبق فى (٤ : ٤٥) من قول الجاحظ : « رأى فيه مالايرى صاحب الكسمير فى كسميره » عند الكلام على أكل السراطين ونحوها . وانظر الاستدراكات .
(٥) سبق تفسيرها فى (٣ : ٢٩٥) وفى ل ، هـ : « الصحناة » وهى لغة صحيحة أيضا .

والرَّبِيثا[١] فكان التقزُّز ممـا يغتذى[٢] العذِرةَ رطْبةً ويابسة ، أولى وأحقَّ من كلِّ شىء يأكل الضروب التى قد ذكرناها وذكرها الرَّاجز حيث يقول[٣] :

يَا رُبَّ ضَبٍّ بين أكنافِ اللِّوَى　　رعى المُرارَ والكَبَاثَ والدَّبا[٤]
حَتَّى إذا ماناصِلُ البُهْمَى ارتمى[٥]　　وأجفِئَتْ فى الأرض أعْرَافُ السَّفَا[٦] ٢٧
ظَلَّ يبارِى هُبَّصاً وَسْطَ المَلاَ[٧]　　وهو بعَيْنَىْ قَانصٍ بالمرْتَبَا[٨]
كانَ إذا أخْفَقَ مِن غيرِ الرعا[٩]　　رازَمَ بالأكباد منها والكُشَى[١٠]

---

(١) الربيثا : ضبط فى مفاتيح العلوم ١٠٠ بضم الراء وفتح الباء مع المد . قال : « الربيثاء والصحناء والصير : السميكات تعمل من السمك الصغار والملح » . ولم ترد هذه الكلمة فى المعاجم ولا فى كتب المعربات . وهى من السريانية : « ربيثا » بفتح أوله وكسر ثانيه مع القصر ، وهو ضرب من صغار السمك . انظر استينجاس ٥٦٩ . فيما عدا ل : « الدشا » تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « يتغذى » .

(٣) ل : « التى قد ذكرها الراجز فقال » .

(٤) المرار بالضم : شجر مر . هـ : « المراد » تحريف . والكباث ، بالفتح : النضيج من ثمر الأراك . والدبا ، بالفتح : الجراد قبل أن يطير .

(٥) نصلت البهمى : ظهر منها نصلها ، وهو ماتبرزه وتندر به من أكنها . وقد مر تفسير البهمى فى (٤ : ٣٣٥) . ط : « ناضل » بالمعجمة ، تحريف .

(٦) أجفئت ، بالبناء للمجهول : أكفئت وأميلت . ل : « واحفات » هـ : « وأجعلت » ط ، س : « وأجفلت » والصواب ما أثبت . والسفا ، بالفتح : أطراف البهمى . وأعرافها : أعاليها .

(٧) يباريها : يعارضها ويسابقها . ل : «يبرى» ، فيما عدا ل : «يلوى» ، صوابهما ماأثبت . هبصا : جمع هابص وهو الحريص على الصيد القلق . ل : « هبطا » تحريف . والملا : المتسع من الأرض . يحدث أنه يعارض كلاب الصائد ويباريها .

(٨) بعينى قانص : أى بحيث يراه . والمرتبأ : المرقب والموضع الذى يشرف عليه .

(٩) كذا فيما عدا ل . وفى ل : « من خير الرعا » ، والكلام محرف .

(١٠) فى اللسان : « المرازمة الموالاة ، كما يرازم الرجل بين الجراد والتمر » . والأكباد : جمع كبد . ط فقط : « بالإكبار » تحريف . والكشى ، جمع كشية ، بضم الكاف فيهما ، وهى شحمة فى ظهر الضب . وقد رسمت فى الأصل بالألف .

فإنْ عفتموه لأكل الدَّبا فلا تأكلوا الجراد ، ولا تستطيبوا بَيضه .

وقد قال أبو حجين المنقريّ[1] :

ألا لَيت شِعرِى هل أبيتنَّ ليلة بأسفل وادٍ ليس فيــه أذانُ[2]
وهل آكُلَنْ ضَبًّا بأسفل تَلْعَةٍ وعَرْفجُ أكماع المَديد خوانى[3]
أقومُ إلى وقْتِ الصَّلاةِ وريحُهُ بكفَّيَّ لم أغسِلْهُمـا بشُنَـانِ[4]
وهل أشرَبَنْ مِنْ ماءِ لِينةَ شرْبةً على عَطَش من سور أمّ أبان[5]

وقال آخر :

لَعَمْرِى لَضَبٌّ بالعُنيزَة صَائف تَضحَّى عَرَاداً فهو يَنْفخ كالقَرِمْ[6]

---

(١) لم أعثر له على ترجمة . وفى ل : « أبو حجير » .

(٢) يعنى البادية ، حيث لامسجد تقام فيه الصلوات . وفى البيت إقواء .

(٣) العرفج : ضرب من النبات سهلى . والأكماع : جمع كمع بالكسر ، وهى أماكن من الأرض ترتفع حروفها وتطمئن أوساطها . والمديد : موضع قرب مكة ، كما فى القاموس . والخوان : مر الكلام عليه فى ص ٧٨ . ط : « عريج » س ، ه : «عريج» صوابهما فى ل . وفى ل « المزيد » تحريف ، صوابه بالمهملتين . فيما عدا ل : « خوانٍ » والوجه الإضافة ، جعل من العرفج خوانا له .

(٤) الشنان ، بالضم : الماء البارد . وأراه أراد « الأشنان » فرخمه . والأشنان بضم الهمزة وكسرها : الحرض الذى تغسل به الأيدى بعد الطعام ، فارسى معرب وهو عشب قلوى يضاف إليه الرماد ثم تغسل به الأيدى والملابس . وفى معجم استينجاس : The herb alkali and the ashes which are made from it, with which they wash clothes and the hands after eating

(٥) لينة ، بالكسر : موضع فى بلاد نجد . وفيما عدا ل : « من سوم ران أبان » لكن فى س : « أبان » بالياء المثناة التحتية .

(٦) عنيزة ، بالتصغير : واد من أودية اليمامة . قال ياقوت : « أدخل بعض الأعراب عليها الألف واللام فقال ... » وأنشد هذين البيتين . صائف : دخل فى زمان الصيف . فيما عدا ل : « ضائف » بالمعجمة ، تحريف . تضحى : أكل فى وقت الضحى ، كما يقال تغدى وتعشى فى الغداء والعشاء . وقد عداه إلى العراد ، ولم ترد هذه التعدية فى المعاجم ، وانظر ما أسلفت من القول فى تعدية : « تعشى » فى حواشى ص ٥٢ — ٥٣ . والعراد ، كسحاب وآخره دال : ضرب من النبات تألفه الضباب . والقرم ، بفتح فكسر : الفحل المتروك المحلة . انظر اللسان (١٥ : —

أَحبُّ إلينا أنْ يجاوِرَ أرْضَنَا   من السَّمَكِ البُنّىّ والسَّلْجَم الوَخِمْ(١)

وقال آخرُ فى تفضيل أكل الضبّ(٢) :

أقولُ له يوماً وقد راح صُحْبتى   وبالله أَبغى صَيْدَهُ وأخاتِلُهْ(٣)
فلمَّا التقتْ كفِّى على فَضْل ذَيلِهِ   وشالت شِمالى زايَلَ الضبَّ باطِلُهْ(٤)
فأصبح محنوذاً نَضِيجاً وأصبحَتْ   تَمَشَّى على القِيزَانِ حُولًا حلائلُهْ(٥)
شديد اصفرار الكُشْيَتَين كأنَّما   تطلَّى بوَرْسٍ بَطْنُه وشواكِلُهْ(٦)
فذلك أشهَى عِنْدَنا من بيَاحِكُمْ   لَحَى اللهُ شارِبِهِ وقُبِّح آكِلُهْ(٧)

= ٣٧٣ س ٨) مع الفائق للزمخشرى (٢ : ١٦٠) . ط : ه : « يضحى » س : « يصحى » ، صوابهما فى ل وياقوت . وفيما عدا ل : «عراراه براين» ، تحريف . وفيما عدا ل أيضا : « بالقرم » ، صوابه فى ل وياقوت .

(١) البنى ، بضم الباء : ضرب من السمك سبق القول فيه فى (٥ : ٣٦٩) . وانظر أيضاً (١ : ١٤٩ ، ١٥١ / ٣ : ١٨) . ورواية ياقوت : « الحريت » صوابه : « الجريث » . والسلجم : ضرب من البقول ، وهو اللفت : A turnip فارسى معرب ، وهو بالفارسية « شلغم » كما فى معجم استينجاس . الوخم : الثقيل الذى لايستمرأ أو لاتحمد مغبته . فيما عدا ل : « الرخم » ، تحريف .

(٢) الشعر فى عيون الأخبار (٣ : ٢١٢) ومحاضرات الراغب (١ : ٢٩٢) .

(٣) فى عيون الأخبار : « ترى أبتغى » .

(٤) شالت : ارتفعت . زايله : فارقه . ط : « زابل » ه : « زائل » تحريف .

(٥) المحنوذ : المشوى . ط : « مجنوزا » تحريف : والقيزان ، بالكسر : جمع قوز ، بالفتح ، وهو الرمل العالى . ل : « القيران » ، تحريف . والحول : بالضم : جمع حائل ، وهى التى لم تحمل . والحلائل : جمع حليلة ، وهى الزوجة .

(٦) للضب كشيتان : وهما شحمتان مبتدئتا الصلب من داخل من أصل ذنبه إلى عنقه ، وقيل على موضع الكليتين ، وهما شحمتان على خلقة لسان الكلب صفراوان عليهما مثل المقنعة السوداء . ط ، س : « الكشتين » ه : « المكشيتن » صوابهما فى ل . تطلى من الطلاء . فيما عدا ل : « يظل » ، تحريف . والشواكل : جمع شاكلة ، وهى الخاصرة .

(٧) البياح ، بكسر الباء مخفف ، وكشداد : ضرب من السمك صغار أمثال شبر . وفى اللسان : « وقيل الكلمة غير عربية » . وجمله المعلوف فى مقابل مايسمى فى مصر : « البورى » وهو بالإنكليزية : Grey mullet أو Mugil وفيما عدا ل : « نتاجكم » . وفى أصل عيون الأخبار : « تياحكم » ، صوابه ما أثبت من ل .

وقال أبو الهِنْدِيّ(١) ، من ولد شبَثِ بن رِبْعِيّ(٢) :

أكَلْتُ الضِّبابَ فما عِفْتُها ... وإنِّى لأهْوَى قديد الغَنَمْ(٣)

ورَكَّبتُ زُبدًا على تَمرةٍ ... فنِعْمَ الطَّعامُ ونِعْمَ الأُدُمْ(٤)

وسَمْنَ السِّلاءِ وكَمْءَ القَصيصِ ... وزينُ السَّديفِ كُبودُ النَّعَمْ(٥)

ولحم الخروف حَنيذاً وقَدْ ... أُتيت به فائراً فى الشَّبِم(٦)

---

(١) تقدمت ترجمته فى (٥ : ٥٦٨) .

(٢) شبث ، بالتحريك ، وهو بالشين المعجمة فالباء الموحدة فالثاء المثلثة . وربعى ، بكسر الراء وسكون الباء . ط ، هـ : « سيب » س : « شيث » ، والصواب فى ل . جعله ابن حجر فيمن له إدراك ورواية . وكان مؤذن سجاح التى ادعت النبوة ، ثم راجع الإسلام ، ثم كان ممن أعان على عثمان ، ثم صحب عليا ، ثم صار من الخوارج عليه ، ثم تاب ، ثم كان فيمن قاتل الحسين ، ثم كان ممن طلب بدم الحسين مع المختار ، ثم ولى شرطة الكوفة ، ثم حضر مقتل المختار . فهو مثل من أمثلة التقلب والتلون . ومات بالكوفة فى حدود السبعين أو الثمانين . انظر الإصابة ٣٩٥٠ وتهذيب التهذيب (٤ : ٣٠٢) .

(٣) فى عيون الأخبار : « لأشهى » . يقال شهيت الشىء ، بكسر الهاء ، أشهاه : أى اشتهيه . والقديد : ما قطع من اللحم وشرر ، وهو أيضا اللحم المملوح المجفف فى الشمس .

(٤) الأدم ، بضم أوله : الإدام ، وهو ما يؤكل به الخبز . وقد ضم الدال للشعر .

(٥) السلاء ، بالكسر : اسم لما يسلأ . سلأ الزبد يسلؤه سلأ : طبخه وعالجه ليخلص منه السمن . وفى الأصل : « السلا » تحريف . والكمء : واحدة الكمأة ، وهو نبات ينقض الأرض فيخرج كما يخرج الفطر . وشذ أبو خيرة وحده ، فجعل الكمء للجميع والكمأة للمفرد . انظر اللسان . والقصيص : جمع قصيصة ، وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة. والسديف : شحم السنام . والكبود : جمع كبد . أى أن كبود النعم تزين السديف . ط : « وكماء » س ، هـ : « وكأ » ، ل : « وكم » ، والوجه ما أثبت . وفى ل : « القميص » تحريف . وفى ل أيضاً : « ودين السديف » محرف . ط ، س : « كبرد النعم » ، صوابه فى ل ، هـ . ولم يرو ابن قتيبة فى عيون الأخبار هذا البيت .

(٦) حنيذا : مشويا . وفائرا : أراد به الحار ، وأصله من القدر تفور ، أى تغلى وتجيش . وفيما عدا ل : « جامدا » ، تحريف . ورواية ابن قتيبة والدميرى : « فاترا » بالتاء ، وهو الذى سكنت حرارته . والشبم ، بالتحريك : البرد ، ل : « الشيم » هـ : « السبم » ، محرفتان .

فأمَّا البَهَطُّ وحِيتانُكُمْ فما زِلْتُ منها كَثِيرَ السَّقَمْ(١)
وقد نِلْتُ ذاكَ كما نِلْتُمُ فلم أَرَ فيها كضَبٍّ هَرِمْ
وما فى البُيُوضِ كبَيْضِ الدَّجاجِ وبَيْضُ الجراد شِفاءُ القَرِمْ(٢) ٢٨
ومَكْنُ الضِّبابِ طَعامُ العُرَيبِ ولا تَشْتَهِيهِ نُفُوسُ العَجَمْ(٣)

وإلى هذا المعنى ذهب جران العود(٤) ، حين أطعَمَ ضيفَه ضَبًّا ، فهجاه ابن عمٍّ له كان يُغمزُ فى نسبِه ، فلما قال [فى] كلمةٍ له :

وتُطْعِمُ ضَيْفَكَ الجَوْعانَ ضَبًّا وتأكُلُ دُونَهُ تَمْراً بزُبْدِ

وقال فى كلمةٍ له أُخْرَى :

وتُطْعِمُ ضَيفَكَ الجَوْعانَ ضَبًّا كأنَّ الضَّبَّ عندهمُ غَرِيبُ

قال جران العود(٤) :

---

(١) البهط ، محركة مشددة الطاء ، الأرز يطبخ باللبن والسمن ، معرب : هنديته « بهتا » كذا فى القاموس ، وفى اللسان : « وهو معرب ، وبالفارسية بتا » ، وأنشد البيت . والحق أن الكلمة هندية الأصل ، ودخلت فى اللغة الفارسية ثم انتقلت منها إلى العربية . وما فى اللسان تحريف ، إذ أن « بتا » وترسم فى الفارسية : « بته » يراد بها الأرز المجفف : « Dried rice » . انظر استينجاس ١٥٥ ، وهى مأخوذة من الهندية . والكلمة تقال بوجهين فى الفارسية : « بهت » و « بهط » وفسره استينجاس بأنه الأرز يطبخ باللبن والسمن : « Rice dressed with milk and butter » وأشار إلى أن كلا اللفظين مأخوذ من الهندية . ط ، س : « النبيط » ، ﻫ : « النبط » صوابهما فى ل وسائر المصادر .

(٢) البيوض : جمع بيض . وانظر ماسبق من الكلام على طيب بيض الجراد فى (٥ : ٥٦٥ — ٥٦٦) . وعند الدميرى : « وبيض الدجاج » . ووجه الرواية ما أثبت من الأصل ، وهى توافق رواية اللسان (٢ : ٧٥) .

(٣) المكن ، بالفتح : جمع مكنة بالفتح ، وهو بيض الجراد والضباب ونحوها . ويقال أيضا مكن ومكنة ، بفتح الميم وكسر الكاف فيهما . وقد أنشد البيت فى اللسان . والعريب ، بهيئة التصغير : العرب ، قال ابن منظور : « صغرهم تعظيما » . وأنشد الأبيات الأربعة الأخيرة فى هذه المادة (٢ : ٧٥) . وهذا البيت الأخير أنشده ابن سيده فى (١٦ : ٨٣ / ١٧ : ١٠) . ورواه ابن منظور فى (٢ : ٧٥) برواية : « لاتشتهيه » بإسقاط الواو ، ومثلها رواية المعرى فى الفصول والغايات ٤٧١ ، وتقرأ هذه الرواية بنقل باء « العريب » إلى أول عجز البيت .

(٤) ل : « سحر العود » .

فلولا أنَّ أصلَكَ فارسىٌّ لَمَا عبْتَ الضِّبَابَ ومَنْ قرَاها[١]
قريتُ الضيفَ من حُبِّى كُشَاها وأىُّ لَوِيَّة إلاّ كُشاها[٢]

واللَّوِيَّة : الطُّعيِّم الطيِّب ، واللَّطف[٣] يرفع للشَّيخِ والصَّبى . و [قد] قال الأخطل[٤] :

فقلتُ لهُمْ هاتوا لَوِيةَ مالكٍ وإنْ كان قد لاقى لَبوساً ومَطْعماَ[٥]

(بزماورد الزَّنابير)

وقال مُويس بن عمران[٦] : كان بشر بن المعتمر[٧] خاصًّا بالفضل

---

(١) أى قراها ضيوفه ، جعلها قرى لهم . فيما عدا ل : « لما عفت » وعاف الشىء يعافه : كرهه . والعائف ، المكاره للشىء المتقذر له . ومنه الحديث : « أنه أتى بضب مشوى فلم يأكله وقال : إنى لأعافه ، لأنه ليس من طعام قومى » .

(٢) فيما عدا ل : « قريت الضيب » . وفى ط ، هـ : « من حر » وفى س : « من حى » وفى ط ، هـ : « إلا كساها » ، والصواب ما أثبت . من حبى : أى من حبى له . والكشى ، بضم ففتح : جمع كشية بالضم .

(٣) اللوية ، بوزن غنية . والطعيم : مصغر الطعام . واللطف ، بالتحريك : التحفة والهدية . وفيما عدا ل : « الطعم الطيب اللطيف » . والطعم ، بالضم : الطعام .

(٤) من قصيدة له فى ديوانه (١٤٣ — ١٥١) . والبيت يقوله فى ضيف نزل به . وقبله :

فنبهت سعدا بعد نوم لطارق أتانا ضئيلا صوته حين سلما

(٥) يقول : إنه بعد أن كسا هذا الطارق وأطعمه أراد أن يبالغ فى بره فطلب له لوية مالك . ومالك هو ابن الأخطل . انظر ابن سلام ١٥٨ مصر ١٠٧ ليدن . وبه كان يكنى . انظر الأغانى (٧ : ١٦١) . ورواية الديوان : « ذخيرة مالك » .

(٦) مويس بن عمران ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٥٨) كما سبق خبر له فى (٥ : ٤٦٨) . فيما عدا ل : « وحدثنى يونس بن عمران قال » .

(٧) بشر بن المعتمر صاحب البشرية ، انتهت إليه رآسة المعتزلة ببغداد ، وانفرد عن أصحابه المعتزلة فى بعض مسائل ، أوردتها فى كتابى : « معجم الفرق الإسلامية » . وكان بشر نخاسا فى الرقيق . توفى سنة ٢١٠ . انظر لسان الميزان (٢ : ٣٣) والملل (١ : ٨١) والمواقف ٦٢٢ ومفاتيح العلوم ١٩ والفرق ١٤١ واعتقادات الرازى ٤٢ . ل : « بكر بن المعتمر » .

ابن يحيى ، فقدِم عليه رجلٌ من مواليه ، وهو أحد بنى هلال بن عامر ، فمضى به [يوماً[1]] إلى الفضْل ، ليكرمَه بذلك ، وحضَرت المائدة ، فذكَروا الضب ومن يأكلُه ، فأفرط الفضْلُ فى ذمِّه ، وتابَعهُ القوم بذلك[2] ونظر الهلالىُّ فلم يرَ على المائدةِ عربيًّا غيره[3] ، وغاظه كلامُهم ، فلم يلبث الفضل أن أُتِىَ بصَحْفةٍ[4] ملآنةٍ من فراخِ الزَّنابير ، ليتّخذ لَه منها بزْماورد[5] — والدَّبْر والنَّحل عند العرب أجناسٌ من الذّبان[6] — فلم يشكّ الهلالىُّ أنَّ الذى رأى من ذِبّانِ البيوت والحشُوش[7] . وكان الفضْلُ حين وَلِىَ خُراسان استظرف [بها[8]] بزماورد الزَّنابير ، فلمَّا قدم العراق كان يتشهَّاها[9] فتُطلبُ له من كلِّ مكان . فشمِت الهلالىُّ به وبأصحابه ، وخرجَ وهو يقول :

---

(١) هذه من ل ، س .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل ، هـ .

(٤) فيما عدا ل : « فلم يلبث إلا أن أتى الفضل بصحفة » .

(٥) البزماورد ، بفتح أوله وسكون ثانيه : كلمة فارسية ، وهى لحوم أوضرب من الحلوى تصنع فى الأعياد والولائم خاصة ، أو ضرب من الشطائر . وفى معجم استينجاس :
Viands or sweetmeats carriad home from feast, a kind of sandwich.
والكلمة فى الفارسية مكونة من « بزم » بمعنى الوليمة أو المأدبة . و « آورد » بمعنى يحضر أو يقدم . ويقال له أيضا : « زماورد » بضم الزاى . قال صاحب القاموس : « طعام من البيض واللحم » . وانظر اللسان (ورد) وشفاء الغليل ٩٨ وكتاب الطبيخ البغدادى ٥٩ وأدى شير ٧٩ والتاج للجاحظ ١٧٣ . وقد سبق الكلام على البزماورد فى (٢ : ٢٤٩ / ٤ : ٤٤) .

(٦) ط فقط : « الزبان » ، تحريف .

(٧) الحشوش : جمع حش بالفتح وبالضم ، وهو موضع قضاء الحاجة . س : « رآه » بدل : « رأى » . ط ، س « من ذباب » .

(٨) هذه من ل ، س . وفى ل قبلها : « استطرف » ، بالطاء المهملة .

(٩) ط فقط : « يشتهيا » ، محرف .

وعِلْج يعافُ الضبُّ لُؤْماً وبطْنةً وبعضُ إدامِ العِلْجِ هَامُ ذُبابِ (١)

ولو أنَّ مَلْـكا فى الْمَلاَ نالكَ أمَّه لقالُوا لقَدْ أُوتيتَ فَصْلَ خِطابِ (٢)

(شعر أبى الطروق فى مَهْر امرأة)

ولمـا قال أبو الطروق الضّبى (٣) :

يقولُون أصْدِقْها جَرَاداً وضَبَّةً فقَدْ جَردَتْ بَيْتى وبَيْتَ عِياليا (٤)

وأبْقَتْ ضِباباً فى الصُّدور جَوائماً فيالكِ من دَعْوَى تُصِمُّ الْمُناديا (٥) ٢٩

وعاديتُ أعمامى وهمْ شَرُّ جِيرةٍ يُدِبُّونَ شَطْرَ اللَّيْلِ نحوى الأفاعِيا (٦)

---

(١) العلج ، بالكسر : الرجل من كفار العجم . ويجعله العرب أيضا لذرية هؤلاء من مسلمى الفرس ، طعنا لهم . والعلج يقال كذلك للرجل الشديد الغليظ . وفى حديث على : « أنه بعث برجلين فى وجه فقال : إنـكما علجان فعالجا عن دينـكما » . والهام : جمع هامة ، وهى الرأس .

(٢) الملأ : الجماعة ، أو أشراف القوم ووجوههم ورؤساؤهم ومقدموهم . ط ، هـ : « فى الورى » وأثبت مافى ل ، س وعيون الأخبار (٣ : ٢١٠) . وفى س أيضا : « ولو أن كلبا » . وفصل الخطاب : أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحـكم وضده . وفى سورة صٓ : (وشددنا ملـكه وآتيناه الحـكمة وفصل الخطاب) .

(٣) أبو الطروق، لم أجد له ترجمة إلا ما قال ابن خلـكان إنه كان شاعرا من شعراء المعتزلة ، وأنه مدح واصل بن عطاء بإطالة الخطب ، واجتنابه الراء على كثره ترددها فى الـكلام — وكان واصل ألثغ شنيع اللثغة — فقال فيه :

عليم بإبدال الحروف وقامع لـكل خطيب يغلب الحق باطله

انظر الوفيات فى ترجمة واصل بن عطاء المتوفى سنة ١٨١ ، وكذا البيان (١ : ١٥ / ٣ : ٣٢٢) . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ٥١٣ فى باب ذكر من غلبت كنيته على اسمه . وفيما عدا ل : « أبو طروق » .

(٤) أصدقها : ساق إليها الصداق ، وهو المهر .

(٥) ط : « وألقت » باللام . وفيما عدا ل : « جرانها » بدل : « جوائما » تحريف .

(٦) يدبون الأفاعى : يحملونها على الدبيب . وفى اللسان : « وأدببت الصبى : أى حملته على الدبيب » . وأراد بالأفاعى المداوات . وشطر الليل ، بالفتح : نصفه . فيما عدا =

وقدْ كانَ فى قعبٍ وقوس وإنْ أشأ ... من الأقْطِ ما بلَّغن فى المَهْرِ حاجيا[1]

فقال أبوها :

فلو كان قَعباً رضّ قَعْبك جندلٌ ... وَلَوْ كان قوساً كانَ للنَّبْلِ أذْكَرا[2]

فقال عمُّها : دعونى والعبد[3] .

(شعر فى الضبّ)

وأنشد للدُّبيرى[4] :

أعامِرَ عبدِ الله إنِّى وجدتُكمْ ... كعَرْفَجَةِ الضّبّ الذى يتذلَّلُ

قال[5] : هى ليّنة ، وعودُها ليّن ، فهو يعلوها إذا حضروا بالقيظ[6] ، ويتشوّف عليها[7] . ولستَ ترَى الضّبّة إلاّ وهى ساميةٌ برأسها ، تنظر وترقب[8] . وأنشد :

= ل : « وناديت » تحريف . ط ، هـ ، « يديرون » س : « يدبرون » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « عندى الأفاعيا » .

(١) القعب ، بالفتح : القدح الضخم الغليظ الجافى . والأقط : شىء يتخذ من اللبن المخيض . وانظر (٥ : ٤٨١) . والحاج : جمع حاجة ، أضافه إلى الضمير . ل : « فى قيس وكعب » ، ط : « فى عقب وقوس » ، صوابهما ما أثبت من س ، هـ .

(٢) ل : « فلو كان كعبا رض كعبك » . وفى ط ، س : « بندل » مكان « جندل » ، وفى هـ : « نهول » تحريف .

(٣) هذه العبارة ليست فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « للزبيرى » .

(٥) ط ، هـ : « وقال » ، بإقحام الواو .

(٦) فيما عدا ل : « فهو يعلوها إذا حضروا بالقيظ » . وفى ط فقط : « إذا حضر » . والعبارة مقحمة ، وانظر البيت التالى .

(٧) هذه الكلمة ليست فى ل . ويتشوف : يتطلع . وفى س : « يشرف » : أى ينظر من شرف ، وهو المكان العالى .

(٨) ل : « تنتظر وتترقب » ، ولعل الكلمة الأولى منهما : « تتنظر » . والتنظر : الانتظار والتوقع .

بلاد يكون الخَيْمَ أظلال أهْلِهَا إذا حَضَرُوا بالقَيْظِ والضَّبُّ نونُسُها (١)

وقال عمرو بن خويلد (٢) :

ركاب حُسَيْلٍ أشهُرَ الصَّيْف بُدَّنٌ وناقةُ عَمرٍو ما يُحَلُّ لهـا رَحْلُ (٣)

إذا ما ٱبتَنَيْنَا بيتَنا لَمعيشَـةٍ يَعُودُ لِمَا نبْنى فيهدمُه حِسْلُ (٤)

ويزعم حِسْلٌ أنّه فَرْعُ قومِـه وما أنت فرعٌ يا حُسيلُ ولا أصْلُ

وَلِدْتَ بحادى النَّجمِ تسعى بسعيه كمَا وَلَدَتْ بالنَّحْسِ دَيَّانهَا عُكْلُ (٥)

---

(١) الخيم ، بالفتح : جمع خيمة ، وهى ثلاثة أعواد أو أربعة ، يلقى عليها الثمام ، ويستظل بها فى الحر . « أظلال » جمع ظل . وفى الأصل : « أطلال » صوابه فى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى ٥٢٩ . وحضر القوم : أقاموا على الماء العد فى القيظ ، ولا يفارقونه حتى يقع ربيع بالأرض يملأ الغدران فينتجعونه .

(٢) لم أعثر له على تعيين أو ترجمة .

(٣) الركاب : الإبل التى يسار عليها ، واحدتها راحلة ، ولا واحد لها من لفظها . بدن : جمع بادن وبادنة ، والبدانة : السمن وكثرة اللحم . ط ، س : « ركيات حسل » ، محرف .

(٤) ط : « لما بنى » س : « لما تبنى » ، والوجه ما أثبت من ل ، هـ .

(٥) النجم : الثريا . وحادى النجم هو الدبران ، وهو كوكب أحمر على إثر الثريا . بين يديه كواكب كثيرة مجتمعة ، من أدناها كوكبان صغيران يكادان يلتصقان ، يقول الأعراب هما كلباه ، والبواقى غنمه ، ويقولون قلاصه . قال المرزوقى فى الأزمنة والأمكنة (١ : ١٨٨) : « ويسمى دبرانا لدبوره الثريا . ويسمى تالى النجم ، وتابع النجم . وقد يطلق فيقال التابع . ويقال أيضا : حادى النجم » . وكان العرب يتشاءمون بالدبران ، قال أسد بن ناعصة :

غداة توخى الملك يلتمس الحيا فصادف نحسا كان كالدبران

انظر الأزمنة والأمكنة (٢ : ٣٤٨) . وقال الأسود بن يعفر يهجو رجلا :

ولدت بحادى النجم يحدو قرينه وبالقلب قلب العقرب المتوقد

انظر الأزمنة وكذا اللسان (١٦ : ٤٦) . ط ، س : « بجول النجم » ، هـ : « بجار » ، ل : « بجارى » ، والصواب ما أثبت . وفيما عدا ل : « لسعيه » . وفى هـ : « يسعى » بالياء . والديان : الحاكم . فيما عدا ل : « ربانها » تحريف .

(استطراد لغوى)

وهم يسمُّون بحسل[١] وحسيل ، وضبّ وضبّة . فمنهم ضَبّة بن أدّ وضبة ابن محض[٢] ، وزيد بن ضبّ . ويقال : حفرة ضب[٣] . وفى قريش بنو حسل[٤] . ومن ذلك ضَبَّة الباب . ويسمَّى حلْب الناقة بخمس[٥] أصابع ضبًّا ، يقال ضبَّها يضبُّها ضبًّا : إذا حلبها كذلك . وضبّ الجرح وبَضّ : إذا سال دماً ، مثل ماتقول : جذب وجبذ[٦] . و : « إنّه لَخَبٌّ ضَبّ[٧] » ، و : « إنه لأخْدع من ضبّ » . والضبُّ : الحقد إذا تمكّن وسَرَت عقاربُه ، وأخنَى مكانه[٨] . والضّبُّ : ورمٌ فى خُفِّ البعير[٩] . وقال الرَّاجز .

* ليس بذى عرك ولا ذى ضَبٍّ[١٠] *

---

(١) فيما عدا ل : « وهم الحسل » .

(٢) ل : « ابن محضر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « حضره » وفى ه : « حفرة » . ولعلها : « جفوة » والضب معروف بالجفاء والعقوق . أو : « جفرة » ، والجفرة بالضم : ما يجمع الصدر والجنبين .

(٤) س : « وفى حسيل قريش بنى أحسل » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « بخمسة » ، وهما صحيحتان ، فإن الإصبع مما يذكر ويؤنث .

(٦) كلمة : « ما تقول » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « جبذ وجذب » .

(٧) فى اللسان : « رجل خب ضب منكر مراوغ حرب » . وفيه أيضا : « ويقال للرجل إذا كان خبا منوها : إنه لخب ضب » .

(٨) فيما عدا ل : « وأخذ مكانه » .

(٩) وقيل هو أن ينحرف المرفق حتى يقع فى الجنب فيخرقه .

(١٠) العرك : أن يحز مرفق البعير جنبه حتى يخلص إلى اللحم ويقطع الجلد بحز الكركرة . وذلك عيب فى الإبل ، وإنما تمدح بأن يكون مرفقاها بائنين ، قال :

قليل العرك يهجر مرفقاها

ل : « بذى عول » ، صوابه فى سائر النسخ واللسان (٢ : ٣٠ س ١١ / ١٢ = ٣٥٣ س ١) .

ويقال ضَبٌّ خَدِعٌ ، أى مراوغ[١] . ولذلك سموا الخزانة المِخْدع[٢] .

وقال راشد بن شهاب[٣] :

أرقتُ فلم تَخدَعْ بعينَىَّ نعسةٌ ... ووالله ما دَهْرِى بعشق ولا سَقَمْ[٤]

وقال ذو الرُّمَّة[٥] :

مناسِمُها خُــثم صِلابٌ كأنّها ... رءوس الضِّباب استخرجَتهاَ الظهائرُ[٦]

(شعر فيه ذكر الضبّ)

ويدلُّ على كثْرةِ تصريفهم[٧] لهـــذا [الاســم] ما أنشدَنَاهُ أبو الرُّدَينىّ[٨] :

لا يعقر[٩] التقبيل إلا زُبِّى ... ولا يُداوِى مِنْ صَمِيم الُحبِّ

---

(١) ل : « مرواغ » ، على صيغة المبالغة .

(٢) الخزانة ، بالكسر : اسم الموضع الذى يخزن فيه الشىء .

(٣) كذا ورد هنا بالشين المعجمة فى جميع النسخ . وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٥ : ٤٧٨) وباقى التحقيق فى المفضليات (٣٠٨ طبع المعارف) . وهذا الكلام وما بعده من البيت جاء فى ط ، ه مؤخراً عن بيت ذى الرمة التالى . والوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) تخدع : تدخل ، كما فسره الأنبارى . ورواية المفضليات : « خدعة » . ويقال ما دهرى بكذا ، وما دهرى كذا ، أى ما همى وغايتى وإرادتى . فيما عدا ل : « لعينى » تحريف . ط : « بعسر » ، س : « يعشو » ، ه : « بعشر » صوابها : « بعشق » كما أثبت من ل والمفضليات .

(٥) البيت من قصيدة فى ديوان ذى الرمة ص ٢٥١ . وهو فى صفة إبل .

(٦) المناسم : جمع منسم ، كمجلس ، وهو خف البعير . خثم : جمع أخثم ، وهو العريض ل : « جثم » ، وفيما عدا ل : « صم » ، صوابهما ما أثبت من الديوان . والضباب : جمع ضب . والظهائر : جمع ظهيرة ، وهى شدة الحر نصف النهار .

(٧) فيما عدا ل : « تصففهم » ، تحريف .

(٨) سبقت ترجمته فى (٥ : ١٥٨) . ط ، ه : « ما أنشدنا » ، س : « ما أنشد » .

(٩) ل ، س : « لا يغفر » ، ه : « لا يعفز » .

والضّبُّ فى صَوَّانِهِ مُجَبُ (١)

وأنشدنا أبو الرُّدينى العُكْلى ، لطارق ، وكنيته أبو السَّمال (٢) :

يا أمَّ سَمَّالٍ ألمَّا تدْرِى (٣) أنِّى على مَيَاسرى وعُسْرِى
يَكفيكِ رِفْدى رجلاً ذَا وَفْرِ ضَخْم المثاليثِ صغير الأَيرِ (٤)
إذا تغدَّى قالَ تَمْرِى تمرى كأنّه بين الذَّرى والكِسْرِ (٥)
ضَبٌّ تَضَحَّى بمكانٍ قَفْرِ (٦)

وقال أعرابىّ :

قد اصطَدتُ يايقظان ضَبًّا ولم يَكُنْ لِيُصْطَاد ضبٌّ مِثْلُه بالحبائِلِ (٧)
يَظَلُّ رِعاءُ الشَّاء يَرْتَمِضُونه حَنِيذاً ويُجْنَى بَعضُه للحَلائِلِ (٨)

---

(١) الصوان ، كشداد : حجارة صلبة . والضب يحفر كديته فى الصلابة . مجب : من التجبية ، وهى الانكباب على الوجه . ط : « مخب » س ، ه : « محب » صوابهما ما أثبت من ل .

(٢) فيما عدا ل : « أبو سماك » .

(٣) فيما عدا ل : « أبو سماك أو لما قدرى » ، تحريف .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س ، ه . والمثاليث ، هى فيما عدا ل : « المثاليب » .

(٥) الذرى ، بالفتح : ما كنك من الريح الباردة ، من حائط أو شجر . وكسر البيت : جانبه ، يقال بفتح الكاف وكسرها .

(٦) تضحى : أكل فى وقت الضحى ، كما يقال تغدى فى الغداة ، وتعشى فى العشاء . وانظر ما سبق ص ٥٢ — ٥٣ . فيما عدا ل : « يضحى » وله وجه ، ففى اللسان (١٩ : ٢١٠) : « وضحى الرجل : تغدى بالضحى ، عن ابن الأعرابى » . وأنشد :

ضحيت حتى أظهرت بملحوب وحكت الساق ببطن العرقوب

يقول : ضحيت لكثرة أكلها ، أى تغديت تلك الساعة ، انتظاراً لها .

(٧) ل : « ضبا مثله » ، وفيما عدا ل : « ضب قبله » ، وقد جمعت منهما الصواب .

(٨) يرتمضونه : أراد يرمضونه ، يقال : رمض الشاة يرمضها : شقها وعليها جلدها وطرحها على الرضفة وجعل فوقها الملة لتنضج . رمض الشاة ، وأرمضها ، ورمضها بالتشديد . وأما الارتماض بهذا المعنى فلم يرد فى المعاجم . والحنيذ : المشوى . يجنى : يجمع . والحلائل : الزوجات ، جمع حليلة . ل : « تظل » و : « بعضهم » فتقرأ « يجنى » مع هذه بالبناء للفاعل .

عظِيمُ الكشى مثلُ الصَّبِيِّ إذا عَدا يفوتُ الضِّبابَ حِسلُه فى السَّحايِلِ[1]

وقال العُمانى :

إنِّى لَأَرْجُو مِن عَطَايا رَبِّى ومِنْ وَلِىِّ العَهد بعد الغِبِّ
رُومِيَّةً أولجُ فيها ضَبِّى لها حِرٌ مُستهدِفٌ كالقعبِ[2]
مُستَحْصِفٌ نِعْم قرابُ الزُّبِّ[3]

وقال الآخر :

إذا اصْطَلَحوا على أمْرٍ تَوَلَّوْا وفى أجوافهم منه ضِبابُ[4]

وقال الزِّبرقانُ بنُ بدر :

ومن الموالى ضَبُّ جَنْدَلةٍ زَمِرُ المروءة ناقص الشَّبرِ[5]

فالأول جعل أيره ضَبًّا ، والثانى جعل الحِقد ضبًّا .

وقال الخليل بن أحمد[6] ، فى ظهر البَصرة مما يلى قَصْر أنَس[7] :

---

(١) س : « إذا غدا » . وحسله : ولده . والسحابل : جمع سحبل ، وهو العريض البطن . أى إن هذا الضب يسبق الضباب فى العدو ، وولده يعد فى ضخام الضباب وعظامها . وفى الأصل : « حسلها » ، وبعده فى ل : « والسحائل » ، وفيما عدا ل : « فى السحائل » ، والوجه ما أثبت .

(٢) المستهدف ، بكسر الدال : العريض المرتفع . والقعب : القدح الضخم الغليظ الجافى . ط ، هـ : « كالعقب » ، تحريف .

(٣) المستحصف ، بكسر الصاد : الضيق . والقراب ، بالكسر : غمد السيف والسكين ونحوهما . ط فقط : « قران » تحريف .

(٤) ل : « منا ضباب » . والضباب هنا : جمع ضب بمعنى الحقد .

(٥) زمر المروءة : قليلها . والشبر ، بالفتح : العطاء ، والقد . ط ، هـ : « زمر المروءة » . وفى شرح القصائد السبع ٤٥٠ : « لحز المروة ظاهر الغمر » .

(٦) الشعر يروى لابن أبى عيينة فى معجم المرزبانى ٢٦٧ وديوان المعانى (٢ : ١٣٨) ويتيمة الدهر (١ : ٩٦) . قال الثعالبى : « ويروى للخليل » . وجاء منسوبا إلى الخليل فى عيون الأخبار (١ : ٢١٧) وثمار القلوب ٤١٨ والأزمنة (٢ : ٣٠٣) . وقد صرح المرزوقى بأن ابن أبى عيينة قد أخذ معنى أبياته — وسيرويها الجاحظ بعد — من قول الخليل ابن أحمد . وروى فى معجم ما استعجم ٦٥٩ للعباس بن الحسن .

(٧) هو قصر ينسب إلى أنس بن مالك خادم رسول الله ، كما فى معجم البلدان (٧ : ٩٩) =

زُرْ وَادِيَ الْقَصْرِ نِعْمَ القَصْرُ والوادِى

٣١ لابُدَّ مِنْ زَوْرَةٍ عَنْ غيرِ مِيعادِ(١)

تَرَى به السُّفْنَ كالظُّلْمانِ واقفةً والضَّبَّ والنُّونَ والمَلاَّحَ والحادِى(٢)

وقال فى مثل ذلك ابنُ أبى عُيَيْنة(٣) :

ياجَنَّةً فاتَتِ الجِنانَ فَمَا يَبْلُغُهَا قِيمَةٌ ولا ثَمَنُ(٤)

أَلِفْتُهَا فاتَّخَذْتُهَا وَطَناً إنَّ فُؤادى لأهْلِها وطَنُ(٥)

زُوِّج حِيتانُها الضِّبابَ بِها فهذه كَنَّةٌ وذا خَتَنُ(٦)

فانظُرْ وفَكِّرْ فيما تُطيف به إنَّ الأريبَ المفكِّرُ الفَطِنُ(٧)

= وفى عيون الأخبار : «وقال الخليل فى ظهر البصرة مما يلى قصر أوس من البصرة». وقصر أوس بالبصرة أيضاً ، وهو أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة بن عكابة وكان سيد قومه ، وكان ولى خراسان فى الأيام الأموية. انظر معجم البلدان . وانظر نسبة الشعر فى الطبرى (١٠ : ١١٩) .

(١) هذه الرواية عينها فى عيون الأخبار والأزمنة . لكن فى ديوان المعانى : « وحبذا أهله من حاضر بادى » ، وفى اليتيمة والثمار ومعجم المرزبانى : « فى منزل حاضر إن شئت أو بادى » . وصحفت فى الثمار : « أو غادى » .

(٢) الظلمان ، بالكسر والضم : جمع ظليم ، وهو الذكر من النعام . وفى ديوان المعانى : « ترق قراقيره والعيس واقفة » . وفى اليتيمة والثمار : « ترق به السفن والظلمان حاضرة » ، وفى معجم المرزبانى : « ترفا به السفن والغلمان واقفة» . وفى عيون الأخبار : « ترفا به السفن والظلمان واقفة » . وفى الأزمنة : « يرفا بها السفن والظلمان واقفة » ، وفى معجم ما استعجم : « تلقى قراقيره بالعقر واقفة » .

(٣) تقدمت ترجمته فى (٥ : ٣١٥) . وانفرد الثعالبى فى الثمار بنسبة الأبيات إلى الخليل ، ولم يروها المرزبانى ولا الثعالبى فى اليتيمة ، ورويت فى الأزمنة وعيون الأخبار وديوان المعانى والشعر والشعراء ٨٥٣ والأغانى (١٨ : ٢١) .

(٤) س : « فاقت » ، وهى أيضا رواية الثمار ، والأزمنة ، والأغانى .

(٥) فى ديوان المعانى والثمار والعيون : « لحبها وطن » .

(٦) الكنة ، بفتح الكاف وتشديد النون : امرأة الابن أو الأخ ، والجمع كنائن . والختن ، بالتحريك : أبو امرأة الرجل ، وأخو امرأته ، وكل من كان من قبل امرأته ، والجمع الأختان .

(٧) تطيف به : تلم به وتقاربه . ط ، هـ : « فيما يطيف به » . وفى الأغانى والثمار « نطقت به » . وفى الأزمنة : « وفكر فيما يطوف به » .

من سُفُنٍ كالنّعامِ مقبلةٍ ومن نَعَامٍ كأنَّها سُفُنُ

وقال عقبة بن مُكَدَّم[١] فى صفة الفَرَس :

وَلَها مَنْخِرٌ إذا رفعَتْه فى المُجاراةِ مثلُ وَجْرِ الضِّبابِ[٢]

وأنشد[٣] :

وأنْتَ لو ذُقْتَ الكُشَى[٤] بالأكْبادْ

لَمَا تَرَكْتَ الضّبَّ يَسْعَى بالوَادْ

وقال أبو حَيّة النُّميرى[٥] :

وَقَرَّبُوا كُلَّ قِنعاس قُراسيَةٍ أبَدَّ ليس به ضَبٌّ ولا سرَرُ[٦]

---

(١) هو عقبة بن مكدم بن عامر بن مالك بن عبد الله بن جعدة ، ويعرف بابن عكبرة الجعدى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٦٢ . ومكدم ، بتشديد الدال المفتوحة . وفيما عدا ل : « مكرم » تحريف . والبيت التالى من قصيدة له فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ١٥٤ — ١٥٦ .

(٢) المجاراة : مصدر جاراه ، أى جرى معه . والوجر ، بالفتح : جحر الضبع والأسد والذئب والثعلب ونحو ذلك ، ومثله الوجار ، بالكسر والفتح . وفى حديث الحسن : « لو كنت فى وجار الضب » ، ذكره للمبالغة ، لأن الضب إذا حفر أمعن .

(٣) انظر عيون الأخبار (٣ : ٢١١) واللسان (٢٠ : ٨٩) . وفى محاضرات الراغب (٢ : ٢٠٣) أن الرجز قاله رجل يعارض به قول القائل (انظر ما سبق ص ٨٩ س ٤) :

ومكن الضباب طعام العريب ولا تشتهيه نفوس العجم

(٤) الكشى : جمع كشية ، وهى شحمة صفراء تمتد من أصل ذنب الضب حتى تبلغ إلى أقصى حلقه . وفى الأصل : « الكشا » ، تحريف .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبقت ترجمة أبى حية فى (٤ : ٣٣٧) .

(٦) القنعاس ، بالكسر : الجمل الضخم العظيم . ط ، ﻫ : « نبقاس » س : « نبعاس » بالإهمال ، صوابه فى ل . والقراسية ، بضم القاف وتخفيف الياء : الضخم الشديد من الإبل ، الذكر والأنثى سواء . والأبد : البعيد ما بين اليدين ، أو الذى فى يديه فتل ، وهو الاندماج . والضب : ورم يكون فى خف البعير أو صدره . والسرر ، بالتحريك : قرح فى مؤخر كركرة البعير يكاد ينقب إلى جوفه ، وقيل ورم يكون فى جوف البعير . فيما عدا ل : « ليس بها ضب ولا شرر » ، محرف .

وقال كثيِّر [١] :

ومحترش ضَبَّ العَدَاوة منهُـم بِحُلْوالرُّقى حرش الضِّباب الخْوادِع [٢]

وقال كثيِّر أيضاً [٣] :

وما زالتْ رُقاكَ تَسُلُّ ضِغْنى وتُخْرِجُ مِنْ مضابئِها ضِبابى [٤]

(شعر فى الهجاء فيه ذكر الضب)

فأما الذين ذمُّوا الضب وأكْلَه ، وضربوا المثل به وبأعضائه وأخلاقه وأعماله ، فكما قال التميمى [٥] :

لَكِسْرَى كان أعْقَلَ مِنْ تميم لَيَالِىَ فَرَّ مِنْ أرضِ الضِّبابِ
فأنزَلَ أهْلَهُ ببلادِ رِيفٍ وأشجارٍ وأنهارٍ عِذابِ
وصار بَنُو بَنِيه بها مُلوكاً وصِرْنَا نحنُ أمثالَ الكِلاب

---

(١) البيت ورد بهذه النسبة فى اللسان (٨ : ١٦٨ / ١٨ : ٢٦٤) والمقصور والممدود ٣٣ ، وبدون نسبة فى اللسان (٩ : ٤١٧) والمخصص (٣ : ٨٠ / ٨ : ٩٧) والفصول والغايات ٢٥٥ .

(٢) فيما عدا ل : « بيننا » بدل : « منهم » تحريف ، صوابه فى جميع المصادر السالفة . والرق : جمع رقية ، وهى العوذة التى يرق بها صاحب الآفة ، كالحمى والصرع وغير ذلك من الآفات ، أريد بها هنا الكلام الطيب . وفى سائر المصادر : « الخلا » وهو الكلام الحسن ، ورسمت فى الفصول وفى اللسان (٨ : ١٦٨) فقط بالياء ، ونص ابن ولاد فى المقصور والممدود على كتابتها بالألف . والخوادع : من خدع الضب : رجع فى جحره فذهب ولم يخرج .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبق البيت فى (٤ : ٢٥٠ ، ٣٠٣) . وانظر الموشح ١٤٣ والصناعتين ٧٢ وزهر الآداب (٢ : ٦٣) وابن سلام ٤٦٤ .

(٤) المضبأ : المخبأ . وفيما عدا ل: « مكامنها » ، وما أثبت من ل يطابق رواية ابن سلام .

(٥) فيما عدا ل : « فكان كما قال التميمى » . وانظر (١ : ٢٥٦) .

فلا رَحِمَ الإلهُ صَدَى تميم   فقد أزْرَى بنا فى كلِّ باب (١)

٣٢ وقال أبو نواس (٢) :

إذا ما تميميٌّ أتاكَ مُفاخراً   فقلْ عدِّ عَنْ ذا كيفَ أكْلُكَ للضَّبِّ

تُفاخِرُ أبناء المُلُوكِ سَفاهــةً   وبَوْلُكَ يَجْرِى فَوق ساقِكَ والكعْبِ

وقال الآخر :

فحبَّذاهُمْ وروَّى الله أرضَهُمُ   مِنْ كلِّ مُنْهمِرِ الأحشاء ذى بَرَد

ولا سقَى الله أياماً غَنِيتُ بها   ببَطْنِ فلْجٍ على اليَنسُوع فالعُقَدِ (٣)

مواطنٌ مِنْ تميم غير مُعجِبة   أهْلِ الجفاءِ وعَيْشِ البُؤْس والصَّرَدِ (٤)

هَمُّ الكرامِ كريمُ الأمْرِ تَفْعلُهُ   وهَمُّ سَعْدٍ بما تُلقَى إلى المِعَدِ (٥)

أصحاب ضَبٍّ ويربوع وحَنْظلةٍ   وعيشةٍ سَكَنُوا منها على ضَمَد (٦)

إنْ يأكلوا الضَّبَّ باتوا مُخْصِبِينَ به   وزَادُها الجُوعُ إن باتَتْ ولم تَصِد (٧)

---

(١) صدى الميت : ما يبقى منه فى قبره ، وهو جثته . انظر اللسان .

(٢) من قصيدة له فى ديوانه ١٥٨ - ١٦٠ يهجو بها تميما وأسدا ، ويفتخر بقحطان .

(٣) غنى بالمكان : أقام به . وفى ط ، س وكذا معجم البلدان (٨ : ٥٢٧) : « عنيت » بالمهملة . وفلج : واد بين البصرة وحمى ضرية . والينسوع ، بفتح الياء وسكون النون بعدها سين مهملة : موضع فى طريق البصرة . ط : « البيوع » هـ : « اليسوع » س : « النيسوع » ، صوابها ما أثبت من ل ومعجم البلدان . والعقد بضم ففتح ، وقيل بفتح فكسر : موضع بين البصرة وضرية.

(٤) فيما عدا ل : « غير معجمة » تحريف . والصرد ، بالتحريك : البرد. وفى ل ، س : « الصلد » .

(٥) المعد ، جمع معدة ، بفتح فكسر فيهما . ويقال أيضا معدة بكسر الميم وسكون العين ، وجمعها معد بكسر ففتح . ط فقط : « بما يلقى » . وهذا البيت فى ل مؤخر عن تاليه .

(٦) حنظلة ، يشير إلى أنهم يأكلون الحنظل . وانظر (٥ : ٤٤٣) . الضمد ، بالتحريك : شدة الغيظ .

(٧) أخصب القوم : نالوا الخصب وصاروا إليه . ط ، هـ : « يأتوا مخضبين » ، والوجه ما أثبت من ل .

لو أنَّ سعداً لها ريفٌ لقد دُفِعَتْ عنه كما دَفعت عن صالح البلدِ[١]

من ذا يقارع سَعْداً عَنْ مفازتها ومَنْ يُنافِسُها فى عَيْشِها النَّكِدِ[٢]

وقال فى مثل ذلك عَمرُو بنُ الأهْتَم[٣] :

وتَرَكْنا عُمَيْرَهُمْ رَهْنَ ضَبْعٍ مُسْلَحِبًّا ورَهْنَ طُلْسِ الذِّئاب[٤]

نَزَلُوا منزلَ الضِّيافة مِنا فقَرَى القَومَ غِلمةُ الأعراب[٥]

ورَدَدْنَاهُمُ إلى حَرَّتَيْهِمْ حَيْث لا يأكُلون غيْرَ الضّباب[٦]

وقالت المرِّيّة[٧] :

جاءُوا بحارشةِ الضِّباب كأنّما جاءوا ببنْتِ الحارث بن عُبادِ[٨]

وقائلة هذا الشعر امرأةٌ من بنى مُرَّة بن عباد .

---

(١) فيما عدا ل : « صلح البلد » .

(٢) ل : « عن عيشها » .

(٣) هو عمرو بن سنان بن سمى بن سنان بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . كان سيدا من سادات قومه خطيبا بليغا شاعراً ، وفد إلى رسول الله فى وفد بنى تميم . والأهتم لقب أبيه سنان . انظر الإصابة ٥٧٦٥ ومعجم المرزبانى ٢١٢ .

(٤) مسلحبا : منبطحا ، أو ممتدا . وفعله اسلحب كاسبطر . والطلس من الذئاب : ما لونها الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد ، ذئب أطلس والأنثى طلساء . يقول : تركنا عميرا تأكله الضباع والذئاب ، وهو ممتد على الأرض صريع. فيما عدا ط : « مسلحيا » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « منها » تحريف . والغلمة ، بالكسر : جمع غلام ، وهو الذى طر شاربه ، وقيل هو من حين يولد إلى أن يشيب . وفى اللسان : « والعرب يقولون للكهل غلام نجيب » . ط فقط : « علة » محرف . وهذا البيت يشبه قول عمرو بن كلثوم يخاطب أعداءه :

نزلتم منزل الأضياف منا فأعجلنا القرى أن تشتمونا

(٦) حرتيهم : مثنى حرة ، والحرة بالفتح : أرض ذات حجارة سود نخرات كأنها أحرقت بالنار . ط : « حرتهم » س : « حربهم » هـ : « حربهم » صوابها فى ل .

(٧) انظر ما سبق فى (٤ : ٣٦٢) .

(٨) سبق شرح البيت فى (٤ : ٣٦٢) .

وقال الحارث الكندى[١] :

لعمرك ما إلى حَسَن أَنَخْنا ولا جِئنا حُسيناً يابن أنس[٢]
ولـكنْ ضَبّ جَنْدلةٍ أتينا مُضِبًّا فى مضابئها يُفَسِّى[٣]
فلمَّا أنْ أتيناهُ وقلْنا بحاجتِنا تَلَوَّنَ لَوْنَ وَرْسِ[٤]
وآضَ بكفِّه يحتكُّ ضِرْساً يُرِينا أنّه وَجِعٌ بضِرْسِ
فقلتُ لصاحبى أَبِهِ كُزازٌ وقلت أُسِرُّه أتراه يُمْسى[٥]
٣٣ وقُمْنَا هاربيْن معاً جميعاً نحاذر أنْ نُزَنّ بقَتْلِ نَفْسِ[٦]

وقالت عائشة ابنة عثمان[٧] ، فى أبان بن سعيد بن العاص[٨] ، حين

---

(١) كذا ورد الاسم فى عيون الأخبار (٣ : ١٥٤) . وسبق فى (١ : ١٥٤) برسم « الحارث بن الكندى » . وقد ورد الاسم هنا محرفا فى النسخ ؛ ففى ط : « الخريم » ل : « الحزين » س : « الحرين » هـ : « الحرير » .

(٢) هذا البيت وتاليه لم يروهما ابن قتيبة . وأوله فى ط ، هـ : « لعمرى » .

(٣) الجندلة : واحدة الجنادل ، وهى الحجارة . وأضب على الشىء : لزمه فلم يفارقه . والمضابئ : جمع مضبأ ، وهو المخبأ . وقد أضافها إلى ضمير « الجندلة » . فيما عدا ل : « مضابيه » تحريف . يفسى ، هى فى ل : « تفسى » ، وفيما عدا ل : « بعس » والوجه ما أثبت .

(٤) الورس : نبت ليس ببرى ، يزرع فيقيم فى الأرض عشر سنين ، ونباته مثل نبات السمسم ، فإذا جف عند إدراكه تفتقت خرائطه فينفض فينتفض منه الورس أصفر اللون ، وموطنه اليمن . انظر اللسان ، وداود ، والمعتمد .

(٥) الكزاز ، بالضم : داء يأخذ من شدة البرد ، وتعترى منه رعدة . أسره : المعروف أسررت إليه الحديث وبالحديث .

(٦) نزن ، بالبناء للمجهول : نتهم .

(٧) فيما عدا ل : « بنت » بدل : « ابنة » . وعائشة هذه هى بنت عثمان بن عفان ، وأمها رملة بنت شيبة بن ربيعة بن عبد شمس . انظر تاريخ الطبرى (٥ : ١٤٨) .

(٨) هو أبان بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد خرج عام الحديبية فى آخر سنة ست ، يريد زيارة البيت ، فأرسل عثمان بن عفان إلى قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب ، فلقيه أبان بن سعيد حين دخل مكة أو قاربها ليجيره من قريش — وكان أبان لايزال على دين قومه — فأجاره حتى بلغ قريشا الرسالة ، ثم أسلم أبان فى غزوة خيبر سنة سبع ، وتوفى فى خلافة =

خطبها ، وكان نزل أَيْلَةَ (١) وترك المدينة :

نَزَلْتَ ببَيتِ الضَّبِّ لا أنت ضائرٌ عَدُوًّا ولا مستنفعاً أنت نافعُ (٢)

وقال جرير (٣) :

وجَدْنا بيتَ ضَبَّةَ فى تميمٍ كبَيْتِ الضَّبِّ ليس له سَوارى (٤)

وقال آخر — وهذا الشعر [يقع] أيضا فى [الضِّباع كما يقع فى] الضِّباب — :

يا ضَبُعَ الأكهافِ ذاتِ الشّعبِ (٥) والوثْب للعَنْزِ وغير الوثبِ (٦)

عِيثى ولا تخشَيْنَ إلاّ سَبِّى (٧) فلستُ بالطّبِّ ولا ابن الطّبِّ (٨)

إنْ لم أدع بيْتَك بيتَ الضّبِّ (٩) يضيق عن ذى القَرَد المكبِّ (١٠)

وقال الفرزدق (١١) :

= عثمان سنة ٢٧ . انظر السيرة ٧٤٥ والاصابة (١ : ١٠) . ط هـ : « سعد » بدل : « سعيد » تحريف . وفيما عدا ل : « العاصى » . وانظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة فى (٥ : ٢٩٥) .

(١) أيلة ، بالفتح : مدينة على ساحل بحر القلزم ، مما يلى بلاد الشام .

(٢) المستنفع : طالب النفع ، عن ابن الأعرابى . وأنشد (انظر اللسان ١٠ : ٢٣٧) :

ومستنفع لم يجزه ببلائه نفعنا ، ومولى قد أجبنا لينصرا

فيما عدا ل : « ولا مستنفع » ، صوابه بالنصب على المفعولية كما فى البيان (٣ : ٣٠١) .

(٣) البيت من قصيدة فى ديوانه (١٩٠ - ١٩٢) .

(٤) السوارى : جمع سارية ، وهى الأسطوانة ، أى العمود . ورواية الديوان : « بيت ضبة فى معد » ، وهو الصواب ، إذ أن ضبة هم بنو أد بن طابخة بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد . وأما تميم فليس أصلا لضبة ، بل هو تميم بن مر بن أد بن طابخة ، فهو ابن أخى ضبة .

(٥) الأكهاف ، لعلها « الأكناف » ، وهى أكناف جبل سلمى .

(٦) ط فقط : « للعتر » .

(٧) عاثت الضبع : أفسدت . وفيما عدا ل : « غنى » ، تصحيف .

(٨) الطب والطبيب ، الحاذق الماهر بعلمه ، وهو بفتح الطاء .

(٩) أى مثل بيت الضب فى ضيقه . ط فقط : « بينك » بالنون ، مصحف .

(١٠) القرد ، بالتحريك : ما تمعط من الوبر والصوف . فيما عدا ل : « العرك المنكب » تحريف .

(١١) البيتان هما الأول والرابع من أبيات خمسة فى ديوانه (ص ٨٨١) .

لحى الله ماءَ حنبلٍ خيرُ أهله ... قَفَا ضَبَّةٍ عند الصَّفَاة مَكُونِ(١)
فلو عَلِمَ الحجَّاجُ عِلمَكَ لم تَبِعْ ... يمينُك ماءً مُسلماً بيَمينِ(٢)

وأنشد :

زَعَمْتَ بأنَّ الضبَّ أعمى ولم يفت ... بأعمى ولكن فاتَ وهْو بصيرُ(٣)
بل الضبُّ أعمَى يوم يخنِسُ بأسته ... إليك بصحراء البياضِ غريرُ(٤)

وقالت امرأةٌ فى ولدها وتهجو أباه :

وُهِبْتُه من ذى تُفالٍ خَبِّ(٥) ... يقْلِبُ عَيْناً مثلَ عينِ الضَّبِّ

---

(١) فيما عدا ل : « ما حسل » . وفى ط ، هـ : « غير أهله » محرفن . ورواية الديوان : « ماء حنبل قيم له » . والقيم : سيد القوم وسائس أمرهم . والمكون : بفتح الميم : التى جمعت مكنها فى بطنها ، والمكن ، بالفتح : بيضها . والمكونة أيضا : التى على بيضها . ل : « عند الصفا » محرف . ورواية الديوان : « تحت الصفاة » .

(٢) بيمين ، اليمين : القدرة و القوة . وفى التنزيل العزيز : (لأخذنا منه باليمين) . يخوفه الحجاج ، يقول له : لو بلغ الحجاج أنك تبيع الناس الماء لأخذ على يدك فما استطعت أن تبيعه الناس بالقدرة والقوة . ورواية الديوان : « بثمين » . وقبل هذا البيت :

إذا ماوردت الماء فادلف لحنبل ... بقعب سويق أو بقعب طحين
أويت لأبناء الطريق من امرئ ... شروب الأداوى الركى دفون

(٣) بأعمى : هو حال من ضمير « لم يفت » ، والباء فى هذا الحال زائدة ، وقد ذكر ابن هشام فى المغنى أن من المواضع التى تزاد فيها الباء الحال المنفى عاملها ، كقوله :

فما رجعت بخائبة ركاب ... حكيم بن المسيب منتهاها

وفى ل : « زعمت بأن الظبى أعمى ولم يمت بأعمى ولكن مات » .

(٤) خنس باسته : تأخر . والضب إذا دخل جحره جعل ذنبه إلى ما يلى باب الجحر . انظر ما سبق فى ص٥٨ — ٥٩ . ل : « يحبس » محرف . والبياض : موضع قرب يبرين ، وأرض بنجد لبنى عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « بصحناء البياض » وفى هـ ، س : « عزير » بدل : « غرير » .

(٥) التفال ، بضم التاء : البصاق . وفى ل : « يقال » ، وفيما عدا ل : « ثقال » ، صوابهما ما أثبت . والخب ، بالفتح وقد يكسر : الخبيث الخداع المنكر .

ليس بمعشوق ولا مُحَبٍّ (١)

وقال رجلٌ من فزارة :

وجدنا كمُ رَأباً بنى أُمِّ قِرفةٍ كأسنانِ حِسْلٍ لا وَفاءٌ ولا غَدْرُ (٢)

وأنشد :

ثلاثون رأبا أو تزيد ثلاثةً يقاتلنا بالقَرْنِ ألفٌ مقنَّعُ (٣)

(٤) والمعنى الأولُ يشبه قوله (٥) :

سَوَاسٍ كأسنان الحمار فلا تَرَى لِذِى شَيْبةٍ منهمْ على ناشئٍ فَضلا (٦)

---

(١) الأكثر فى كلامهم : « محبوب » . قال الأزهرى : وقد جاء المحب شاذا فى الشعر ، قال عنترة :

ولقد نزلت فلا تظنى غيره منى بمنزلة المحب المكرم

ط فقط : « ليس لمعشوق » ، محرف .

(٢) الرأب : أصله السبعون من الإبل ، أراد جماعة . والحسل ، بالكسر : ولد الضب . وسن الحسل لا تسقط حتى يموت . عنى أنهم متساوون كما تتساوى أسنان الحسل لايسقط منها شىء . وهجاهم بالعجز ، حيث لا يستطيعون أن يفوا بما وعدوا ، أو يغدروا إذا أرادوا ، كقول الفرزدق يهجو جريرا :

قبح الإله بنى كليب إنهم لا يغدرون ولا يفون لجار

انظر ديوانه ص ٤٥٠ . ل : « زابا » س ، هـ : « رأيا » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٣) الرأب ، هنا بمعنى السيد الضخم ، وفى تاج العروس : « ومن المجاز الرأب بمعنى السيد الضخم ، يقال فيهم ثلاثون رأبا يرأبون أمرهم » . ل : « زابا » س ، هـ : « رأيا » صوابهما فى ط . والقرن : الجبل الصغير ، واسم موضع . والمقنع ، المتغطى بالسلاح ، أو الذى على رأسه بيضة ، وهى الخوذة ، لأن الرأس موضع القناع .

(٤) هنا فيما عدا ل : « والرأب السواء » وظنى بها أنها من إقحام الناسخين . ولم أجد للرأب سوى المعنيين اللذين ذكرتهما .

(٥) هو كثير ، كما فى تهذيب الألفاظ ص ١٩٨ ، واللسان (سوى) ، وأمثال الميدانى (١ : ٣٠١) .

(٦) يقال هم سواسية وسواس وسواسوة ، الأخيرة نادرة ، كلها أسماء جمع ، أى متساوون . وأسنان الحمار مستوية . ويقال هذا فى الهجاء . ويقولون أيضا : « سواسية كأسنان المشط » .

وأنشد ابنُ الأعرابى[١] :

٣٤ قَبِّحتِ من سالِفَةِ ومن صُدُغْ[٢] كأنَّها كُشْيةُ ضَبٍّ فى صُقُغْ[٣]

أراد صُقْع بالعين فقلب[٤] . وقال الآخر :

أعقّ من ضبٍّ وأفْسَى من ظَرِبْ[٥]

وأنشَد :

فجاءت تَهاب الذَّمَّ ليست بضَبّة ولاسَلفعٍ يَلْقَى مِراساً زَمِيلُها[٦]

---

(١) الرجز لجواس بن هريم ، كما فى الموشح ١٩ ، وبدون نسبة فى العمدة (١ : ١١٠) وأدب الكاتب ٣٧٢ ، واللسان (١٠ : ٧٠ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣) .

(٢) السالفة : صفحة العنق . والصدغ : ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين . قال ابن سيده فى ضم دال صدغ : « لا أدرى للشعر فعل ذلك ، أم هو فى موضوع الكلام ؟ أراد : قبحت يا سالفة من سالفة : وقبحت يا صدغ من صدغ ، فحذف لعلم المخاطب بما فى قوة كلامه » . فيما عدا ل : «صدع»، تصحيف .

(٣) فيما عدا ل : «كأنما »، تحريف . والكشية ، بالضم : شحمة فى ظهر الضب . ط : « كشة » هـ : « كسبة » صوابهما فى ل ، س . والصقغ ، بالغين المعجمة : لغة فى الصقع بالمهملة ، وهو الناحية من الأرض . والتعقيب التالى يؤيد هذه الرواية . وقد وردت فى اللسان (١٠ : ٣٢٣) وأشير إليها فى (١٠ : ٧٠) . وفى الأصل : « صقع » بالعين المهملة ، وفى ل أيضا : « قد » موضع : « فى » ، وأثبت ما يقتضيه التعقيب . ومن رواه بالعين المهملة جعل فى هذا الرجز إكفاء . والإكفاء : اختلاف الحروف فى الروى . انظر الموشح والعمدة ، وكذا اللسان (١ : ١٣٧ — ١٣٨) حيث أورد مثلا عجيبا فى الإكفاء ، وأدب الكاتب ٣٧٠ — ٣٧٢ وسماه « إبدال القوافى » ، وقد ذكر ابن قتيبة أن الخليل كان يسمى هذا الضرب بالإجازة . انظر الشعراء ص ٤٤ . وروى صاحب اللسان (٥ : ٢٢٧) أن الخليل كان يسميه « الإجارة » بالراء المهملة .

(٤) أى قلب العين المهملة غينا . وفيما عدا ل : « أراد صمق »، تحريف .

(٥) أراد من ظربان ، فرخم لغير النداء . والظربان : دابة منتنة . وانظر ما سبق ص ٤٨ .

(٦) فيما عدا ل : « تهاب الدم » بإهمال الدال ، مصحف . والسلفع : السليطة اللسان الجريئة . ل « سلفا »، وفيما عدا ل : « صلفع » ، صوابها ما أثبت . والمراس ، بالكسر : شدة المعالجة . والزميل: الصاحب .

يقول : لا تخدع [كما يخدع[1]] الضبُّ فى جُحْره .

وأنشد ابنُ الأعرابى لحيّان بن عبيد الربعى[2] جد أبى محضة[3] :

يا سهلُ لو رأيْتَهُ يَوْمَ الُجفَرْ[4] إذْ هو يَسْعَى يَسْتَجيرُ للسُّوَرْ[5]
يَرمى عن الصَّفْو ويَرضَى بالكَدَرْ لا زْدَدْتَ منه قذرا على قَذَرْ[6]
يضحكَ عَنْ ثغر ذميم الُمكْتَشَرْ[7] ولِثَةٍ كأنَّها سَيرُ حَوَرْ[8]
وعارِضٍ كعارض الضَّبِّ الذّكَرْ

وأنشد السِّدرى[9] :

هو القَرَنْبَى ومَشْىُ الضَّبِّ تعرفهُ وخُصْيَتَا صَرَصَرانىٍّ من الإبلِ[10]

---

(١) هذه الكلمة والتى قبلها ساقطتان من ط .
(٢) فيما عدا ل : « لجبار بن عبيد الله الدئل » ، لكن فى س : « الديلى » .
(٣) أبو محضة الأعرابى ، روى أبو الفرج فى الأغانى (٧ : ١٠٧ ، ١١١) أنه أنشد قصيدة ليزيد بن الطثرية ، فلما بلغ إلى قوله :

بنفسى من لو مر برد بنانه على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل أمر وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله

طرب وقال : هذا والله من مفنج الكلام !
(٤) الجفر : جمع جفرة ، وهى الحفرة الواسعة المستديرة . والجفر أيضا : خروق الدعائم التى تحفر لها فى الأرض . ل ، س : « الحفر » بالحاء المهملة .
(٥) السور : جمع سورة ، وهى العرق من أعراق الحائط . وفى اللسان (٦ : ٥٣) « قال أبو منصور : والبصريون جمعوا الصورة والسورة وما أشبههما صورا وصورا وسورا وسورا ، ولم يميزوا بين ما سبق جمعه وحدانه وبين ما سبق وحدانه جمعه » .
(٦) فيما عدا ل : « قدرا على قدر » ، مصحف .
(٧) المكتشر : مصدر ميمى ، أو اسم مكان من اكتشر ، ولم يرد هذا المشتق ولا فعله فى المعاجم ، وفيها الكشر وهو بدو الأسنان عند التبسم ، وفعله كشر . والمكاشرة ، يقال كاشره : ضحك فى وجهه وباسطه .
(٨) اللثة ، بالكسر : مغرز الأسنان . والحور ، بالتحريك : الجلد المصبوغ بحمرة ، والعرب إنما يحبون السمرة فى اللثات وفى الشفاه» ، قال طرفة :

سقته إياة الشمس إلا لثاته أسف ، ولم تكدم عليه بإثمد

(٩) هـ : « السدوى » . وهو محمد بن هاشم ، كما سبق فى (٣ : ١١١) .
(١٠) القرنبى ، قال الجاحظ فى (١ ، ٢٣٨) : « دويبة فوق الخنفساء ودون الجعل » =

والخالُ ذو قُحَم فى الجرْى صادقةٍ وعاتِقٌ يتعقّى مأبِضَ الرِّجُلِ (١)

واعلم ، حفظك الله تعالى ، [أنّه (٢)] قد أكتفِى بالشّاهد (٣) ، وتبقى فى الشعر (٤) فَضلةٌ ، ممّا يصلح للمذاكرة ، ولبعض ما بك إلى معرفته حاجة ، فأصِلُه به ، ولا أقطعهُ عنه .

وأنشد لابن لجأ :

وغَنَوى يَرْتمى بأسْهُمِ (٥) يلصق بالصّخْر لصوقَ الأرْقَمِ (٦)

لو سَئِمَ الضبُّ بها لم يَسْأم (٧)

= وانظر (٣ : ٥٢٥) . وهو بالإنجليزية : Long horned beetle وفى معجم وبستر أنها مأخوذة من : Kerambox اليونانية . والصرصرانى : واحد الصرصرانيات ، وهى إبل بين البخاتى والعراب . ل : « تعرفه » ، بالنون .

(١) أى وهو الخال . والخال : المنخوب الضعيف . والقحم : جمع قحمة ، بالضم ، وهى الانقحام فى السير . ط فقط : « فخم »، تحريف . عنى أنه فرار يجبن عند اللقاء . والعاتق : البكر التى لم تبن عن أهلها . ل : « عائق » محرف . يتعقى ، أراد يكره . وفى اللسان : « وعقا يعقو ويعقى ، إذا كره شيئا . والعاقى : الكاره للشىء » . وفيما عدا ل : « يتعفى » بالفاء . والمأبض ، بكسر الباء : كل ما يثبت عليه فخذك . والرجل ، بالجيم : جمع أرجل ، وهو من الخيل الذى فى إحدى رجليه بياض . وفى ل : « الرحل » بالحاء المهملة : جمع أرحل ، وهو من الخيل الذى ابيض ظهره . وضم ثانى الكلمة لضرورة الشعر . يقول : هو كالبكر التى تكره ركوب الخيل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « أنى » .

(٣) فيما عدا ل : « اكتفيت بالشاهد » .

(٤) ل : « بالشعر » .

(٥) الغنوى : الرجل المنسوب إلى قبيلة غنى . ط : « غنوى » تصحيف . ويقال خرج يرتمى إذا خرج يرمى القنص . هـ ، س : « أسهم »، تحريف .

(٦) الأرقم : ضرب من الحيات فيه سواد وبياض . فيما عدا ل : « تلزق » بالتاء تحريف ، وتصح إذا قرئت : « يلزق » . وإنما يلصق بالأرض ليخفى شخصه عن الصيد .

(٧) أى أنه أصبر من الضب على اللصوق بالأرض . ط ، هـ : « سأم » ل : « سيم » صوابهما فى س .

وقال أعرابيٌّ من بنى تميم :

تسخرُ مِنِّى أَنْ رَأَتْنِى أحترِشْ(١) ولو حَرَشْتِ لِكَشَفْتِ عن حِرِشْ(٢)

يريد عن حِرِك .

قال : وقال أبو سَعنَة(٣) :

قَلَهْزَمانِ جعدةٌ لِحَاهما(٤) عاداهما الله وقد عَادَاهُما

ضَبًّا كُدًى قد غُمِّرَتْ كشَاهما(٥)

---

(١) الاحتراش : صيد الضباب . وروى فى اللسان (٨ : ١٦٩ ، ٢٣٣) والخزانة (٤ : ٥٩٤ بولاق) : « تضحك منى » . وفى الفصول والغايات ص ٤٦٤ : « تهزأ منى » وفى ل : « إذ رأتنى » . وإنما ضحكت منه استخفافا به لما رأته يصيد الضب ، لأنه صيد العجزة والضعفاء .

(٢) أراد : « عن حرك » . والحر : هن المرأة ، يقول : لو كنت تصيدين الضب لاستدخلته إعجابا به وإعظاما للذته . وقلب الكاف شينا على الكشكشة ، وهى لغة لقوم من تميم ومن أسد ، يجعلون كاف المؤنث شينا فى الوقف ، ومنهم من يجعل الشين بعد الكاف ، يقولون إنكش وعليكش ، أو يجعل السين بعد الكاف : يقولون إنكس ، وعليكس ، فى إنك ، وعليك . وفى حديث معاوية : « تياسروا عن كشكشة تميم » . انظر اللسان (٨ : ٢٣٣ — ٢٣٤) والخزانة (٤ : ٥٩٤ بولاق) وسيبويه (٢ : ٢٩٥ — ٢٩٦) .

(٣) فى اللسان : « وابن سعنة بفتح السين من شعرائهم » . وفى تاج العروس (٩ : ٢٣٥) : « وابن سعنة شاعر جاهلى ، واسمه معبد بن ضبة » صوابه « واسمه معبد من بنى ضبة » انظر المؤتلف ١٤٣ . فيما عدا ل : « أبو شعبة » تحريف .

(٤) القلهزم : القصير الغليظ . ل : « قلهرمان » بالراء المهملة . ط : « فلهزمان » بالفاء ، صوابهما ما أثبت . والجعد ، هنا : ذو الشعر القصير القطط .

(٥) الكدى ، بضم ففتح : جمع كدية ، وهى الأرض الغليظة المرتفعة ، وقد رسمت فى ط ، هـ بالألف ، وجاءت فى ل : « كد » وفى س : « كذا » محرفتان . غمرت ، من التغمير ، وهو الطلاء بالغمرة ، بالضم ، وهى الزعفران ، وقيل الورس . أراد شدة اصفرار كشاهما . وقد سبق مثل هذا المعنى فى قوله القائل :

شديد اصفرار الكشيتين كأنما تطلى بورس بطنه وشواكله

انظر ص ٨٧ . وفيما عدا ل : « قد عظمت » .

وأنشد الأصمعي [١] :

إنِّى وجدتُك يا جُرثومُ من نَفَرٍ جرثومةِ اللُّؤم لاجُرْثُومةِ الكَرَم [٢]
إنَّا وجَدْنا بنى جَلَّان كلَّهُمُ كسَاعِدِ الضَّبِّ لا طُولٌ ولا عِظَمُ [٣]

وقال ابنُ ميّادة :

إنَّ لِقَيسٍ مِنْ بَغِيضٍ لَنَاصراً إذا أَسَدٌ كَشَّتْ لفخرٍ ضِبابُها [٤]

وفى هذه القصيدة يقول :

ولو أنَّ قَيساً قيسَ عَيْلان أقسَمَتْ على الشَّمْسِ لم يَطْلُعْ عليك حجابها [٥]

وهذا من شكل [قول] بشّار [٦] :

إذا ما غضِبْنا غَضْبةً مُضَرِيّةً
هَتَكْنَا حِجابَ الشَّمسِ أو مَطَرَتْ دمَا [٧]

---

(١) كذا فى ل . وفى هـ ، س : « قال وقال أبو شعبة وأنشدنا الأصمعى » ، وفى ط : « وقال أبو شعبة وأنشدنا الأصمعى » .

(٢) جرثومة كل شىء : أصله ومجتمعه .

(٣) فى القاموس : « جل وجلان : حيان » . وضبطت الجيم فيها ضبط قلم بالفتح . وفى تاج العروس : « وهو جلان بن المتيك بن أسلم بن يذكر بن عنزة بن أسد » . وانظر نهاية الأرب (٢ : ٣٢٨ – ٣٢٩) . وفى أحد هذين البيتين إقواء . وفى الخزانة ٢ : ٢٦٤ : « لا طول ولا قصر » .

(٤) ط : « وإنى . . . تناصر » ، صوابه فى سائر النسخ . كشت : صوتت . ل : « بفخر » .

(٥) حجاب الشمس : ضوءها . هـ ، س : « قيس غيلان » بالغين المعجمة ، تصحيف ، ومثله فى العمدة (٢ : ١١٥) . ط . هـ : « لم تطلع » . وفى ل : « عليها » صوابهما ما أثبت من العمدة .

(٦) مثل هذه النسبة فى الموشح ٢٤٨ والأغانى (٣ : ٣١) والأزمنة (٢ : ٣٥) والعمدة (٢ : ١١٥) . وفى اللسان (٢ : ٢٩٠) نسبة البيت إلى « الغنوى » . وفى المؤتلف ٩٣ أن البيت لابن خمير ، بالخاء المعجمة ، وهو القحيف بن خمير ، من بنى عمرو بن عقيل . قال الآمدى : « أخذ هذا البيت بشار فأدخله فى قصيدته » .

(٧) فى « حجاب الشمس » هنا أقوال ، أصحها ما ورد فى اللسان نقلا عن الأزهرى : أنه « الضوء » . ونقل المرزوقى فى الأزمنة عن ثعلب ، قال : « معناه =

وأنشد لأبى الطَّمَحان (١) :

مَهْلاً نميرُ فإنَّكُمْ أمسيتُمُ   مِنَّا بثَغْرِ ثَنِيَّةٍ لم تستَرِ (٢)
سُوداً كأنَّكُمُ ذُبابُ خَطيطةٍ   مُطِرَ البلادُ وحِرْمُها لم يُمْطَرِ (٣)
يَحْبُون بينَ أجًا وبُرْقَةِ عالجٍ   حبْوَ الضِّبابِ إلى أصول السَّخْبَرِ (٤)
وَتَرَكْتُمُ قصب الشُّرَيفِ طَوامياً   تَهوِى ثَنِيَّتُهُ كعَيْنِ الأعور (٥)

= حتى لم يكن حرب فلم يكن للشمس حجاب ، وحجابها الغبار » . وعن المبرد أنه قال : « اشتدت الحرب أولا ثم سعينا بينهم فأصلحنا ما فسد فسقط الغبار . فكأنهم هتكوا حجاب الشمس » . هـ، ط : « أو قطرت » وهى رواية المرزوقى والمؤتلف . وفى العمدة : « أو أمطرت » وأثبت ما فى ل ، س والموشح واللسان . وعجيب من أمر بشار الفارسى الأصل العقيلى الولاء أن يفخر هذا الفخر ، ونظير هذا قوله يفخر بولاء بنى عقيل :

إننى من بنى عقيل بن كعب   موضع السيف من طلى الأعناق

(١) أبو الطمحان القينى ، سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٧٣) . ل : « لأبى طمحان » .

(٢) نمير : هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « عمير » ، صوابه ما أثبت من ل . ويؤيد هذا التصحيح أن « الشريف » التالى ذكره ، هو أرض بنى نمير . وفى معجم البلدان : « وأرض بنى نمير الشريف ، كلها بالشريف إلا بطنا واحدا باليمامة » . وفى معجم ما استعجم ص ٨٠٨ : « الشريف على لفظ تصغير الذى قبله : ماء لبنى نمير » . والثغر ، بالفتح : موضع المخافة . والثنية : كل عقبة مملوكة .

(٣) الخطيطة : الأرض التى لم تمطر بين أرضين ممطورتين . والحرم بالكسر : الحرام ، أراد به حريمها ، ولم يرد هذا اللفظ بهذا المعنى فى المعاجم . فيما عدا ل : « ضباب حطيطة » ، تحريف .

(٤) أجأ : جبل لطيئ . والسخبر : شجر يشبه الثمام ، له جرثومة وعيدان كالكراث فى الكثرة ، كأن ثمره مكاسح القصب ، أو أدق منها ، وإذا طال تدلت رءوسه وانحنت .

(٥) الشريف ، مر تفسيره فى البيت الأول . والقصب ، هنا : مجارى ماء البئر من العيون . طواميا : قد طما ماؤها وارتفع . قال ياقوت فى الشريف : « وهو أمرأ نجد موضعا » . ل : « ماء الشريف ظواميا » ، تحريف .

(مفاخرة العُثّ للضبّ)

وقال العُثّ ، واسمه زيدبن معروف، للضب غلام رُتْبيل بن غَلاّق[١] :

وقد رأيت من سمّى عَنزاً[٢] وثورا ، وكلْباً ، ويربوعا ، فلم نر منهم أحَداً أشبَهَ العنز[٣] ولا الثّور ، ولا الكلْب ، ولا اليربوع ، وأنتَ قد تقيّلتَ الضّبَّ[٤] حتى لم تغادِرْ منه شيئاً . فاحتمَلَ ذلك عنه ، فلمّا قال :

من كان يدعى بِاسمٍ لايناسِبُهُ ... فأنتَ والاِسْمُ شَنٌّ فَوقَه طَبقُ[٥]

فقال[٦] ضبٌّ لعثّ :

إن كنْتُ ضَبًّا فإنَّالضبَّ مُحْتَبَلٌ ... والضبُّ ذو ثَمَن فىالسُّوق مَعْلُومِ[٧]

وليس للعُثِّ حَبَّالٌ يُرَاوِغُه ... ولسْتَ شَيْئاً سِوَى قرضٍ وتقليمِ[٨]

[وما أكثر مايجىء الأعرابىُّ بقربةٍ من ماء ، حتىيفرغها فىجحره[٩] ،

---

(١) ط : « زنبيل علام »، س ، هـ : « زنبيل بن علان »، وأثبت ما فى ل .

(٢) فيما عدا ل: « من يسمى عيرا » ، والوجه ما اعتمدت .

(٣) ط فقط : « شبه »، وفيما عدا ل : « العير » .

(٤) فى اللسان : « أبو زيد : تقيل فلان أباه وتقيضه ، تقيلا وتقيضا ، إذا نزع إليه فى الشبه » . ط : « تفليت » هـ: « تقليت »، صوابهما ما أثبت من ل ، س .

(٥) هو إشارة إلى المثل : « وافق شن طبقة » يضرب مثلا فى الموافقة . وشن : حى من عبد القيس . وطبقة : حى من إياد . وكانت شن لايقام لها ، فواقعتها طبقة فانتصفت منها ، فقيل : وافق شن طبقة ، أىوافقه فاعتنقه . وقيل كان لهم وعاء فتشنن عليهم فجعلوا له طبقا فوافقه . انظر المثل فى اللسان والميدانى . ط : « ومن دعوه » س : « من كان دعواه » هـ : « من دعواه »، وهذه الأخيرة محرفة. وفيما عدا ل : « شر » بالراء ، محرف .

(٦) فيما عدا ل : « فقال »، تحريف .

(٧) احتبله : صاده بالحبالة ، وهى المصيدة .

(٨) الحبال : الذى يصطاد بالحبالة . فيما عدا ل : « صياد » ، وفى ل: « وتقويم » وهذه محرفة .

(٩) فى الأصل : « فى جحر » .

ليخرج فيصطاده . ولذلك قال الكميت فى صفة المطــر الشديد الذى يستخرج الضِّباب من جِحَرتها ، وإن كانتْ لا تتّخذها إلا فى الارتفاع — فقال :

وعلته بتركها تَحفِش الأُكْـــمَ ويكفى المضبِّبَ التفجيرُ[1]

والمضبِّب هو الذى يَصيد الضِّباب] .

القول فى سن الضب وعُمره

أنشد الأصمعىُّ وغيره[2] :

تعلّقتْ واتّصلت بعَـكْلِ[3] خِطْبى وهَزَّتْ رأسها تسْتبْلى[4]

---

(١) تحفش الأكم : تملؤها .

(٢) هذه الكلمة ليست فى ل . والرجز لرؤبة بن العجاج . انظر الحيوان (٤ : ٨) والبيان (١ : ٤٩) والكامل ٣٤٨ والمخصص (١٢ : ٢٨٧) والميدانى (١ : ٤٥٤ / ٢ : ٨٥) واللسان (فطحل) وتهذيب الألفاظ ص ١٩ . وهو بدون نسبة فى أمالى القالى (١ : ٢٣٤) والأزمنة (١ : ٢٢٩) وثمار القلوب ٢٣٢ ومحاضرات الراغب (٢ : ٣٠٥) والمخصص (١٠ : ١٧١) . وحكى ابن السكيت وكذا ابن سيده فى (١٢ : ٢٨٧) أن رؤبة ورد ماء لعكل ، وعليه فتية تسقى صرمة لأبيها ، فأعجب بها فخطبها ، فقالت : أرى سنا فهل من مال ؟ قال : نعم قطعة من إبل . قالت : فهل من ورق ؟ قال : لا . قالت : يالعكل أكبرا وإمعارا ؟! فقال رؤبة هذا الرجز . فتية : تصغير فتاة . الصرمة : القطعة من الإبل . الإمعار : ذهاب المال .

(٣) رواية ابن السكيت وابن سيده : « تألقت » : أى تلونت وتغيرت . اتصلت ، قال التبريزى : الاتصال أن يعتزى الرجل إلى قبيلته . وقبل هـذا البيت فى تهذيب الألفاظ والمخصص واللسان : « لما ازدرت نقدى وقلت إبلى » .

(٤) خطبى ، هو فاعل تعلقت أو اتصلت ، والخطب ، بالكسر : المرأة المخطوبة ، والرجل الذى يخطبها خطاب أيضا . ط ، س : « حصى » هـ : « حطى » صوابه فى ل . تستبلى : تنظر ما عندى ، كأنها تهزأ به ، يقال : بلوت ما فى نفس فلان : أى استطلعته وعرفته. ط فقط: « تشتبلى » محرف .

تسألُنى من السِّنِينَ[١] كَمْ لى فَقُلْتُ لو عُمِّرتُ عُمْــرَ الحِسْلِ
٣٦ أو عُمرَ نوحٍ زَمَنَ الفِطَحْلِ[٢] والصَّخْرُ مُبْتَلٌّ كطِينِ الوَحْلِ
صِرْتُ رَهِينَ هَرَمٍ أو قَتْلِ

وهذا الشِّعر يدلُّ على طول عُمر الحِسْل ؛ لأنه لم يكن لِيقول :

أو عُمرَ نوحٍ زَمنَ الفِطَحْلِ والصَّخرُ مبتلٌّ كطين الوَحْلِ

إلاَّ وعمر الحِسل عنده [من] أطول الأعمار .

وروى ابن الأعرابى عن بَعض الأعراب أنّ سِنَّ الضبّ واحدة أبدا ، وعلى حال أبدا . [قال[٣]] فكأنه قال : لا أفعله[٤] ما دامَ سِنها كذلك ، لا ينقص ولا يزيد .

وقال زيد بن كَثْوة[٥] : سنّ الحِسْل ثلاثة أعوام . وزعم أن قوله ثَمّةَ[٦] : « لا أفعله سِنَّ الحسلِ » غَلَط . ولكنَّ الضبَّ طويلُ العمر إذا لم يَعرِضْ له أمر .

وسِنُّ الحِسل مِثلُ سنّ القَلوص ، ثلاث سنين ، حتى يلقح[٧] ؛

(١) رواية ابن السكيت وابن سيده والقالى وابن منظور : « عن السنين » .

(٢) زمن الفطحل : زمن نوح. وقيل : سئل رؤبة عن قوله : « زمن الفطحل » فقال : أيام كانت الحجارة فيه رطابا .

(٣) هذه من ل ، س .

(٤) ط ، هـ : « لا أفعلها » . وفى الكلام نقص .

(٥) فى اللسان (٢٠ : ٧٩) : « الجوهرى : وكثوة ، بالفتح : اسم أم شاعر ، وهو زيد بن كثوة ، وهو القائل :
ألا إن قومى لا تلط قدورهم ولكنما يوقدون بالعذرات » .
ط : « كثيرة » هـ : « كثير » س : « كثر » ، صوابها فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « مثلا » ، ورسمت الكلمة فى ل بالتاء المبسوطة : « ثمت » .

(٧) ل : « تلقح » . والقلوص ، بالفتح : الفتية من الإبل .

ولو كانت سنُّ الحِسل على حال(١) واحدة [أبداً] لم تعرف الأعرابُ الفتِىَّ من المُذَكِّى(٢) .

وقد يكون الضّبُّ أعظَمَ من الضّبّ وليس بأكبَرَ منه سِنًّا .

قال : ولقد نظرتُ يوماً إلى شيخٍ لنا يفُرُّ ضَبّا جَحْلاً سِبَحْلاً(٣) قد اصطاده ، فقلت له : لم تفعلُ ذلك ؟ فقال : أرجو أن يكون هرما .

(بيض الضب)

قال : وزعم عمرو بن مسافر أنّ الضّبّة تبيض ستّين بيضة ، فإذا كان ذلك سدَّت عليهن باب الجُحر ، ثم تدعهن أربعين يوما(٤) فيتفقّص(٥) البيض ، ويظهر ما فيه ، فتحفر(٦) عنهنَّ عند ذلك ، فإذا كشفَتْ عنهن أحْضَرْن وأحضرَتْ فى أثرهن تأكلهن(٧) ، فيحفر المنفلتُ منها لنفسه جُحراً ويَرْعَى من البقْل .

---

(١) فيما عدا ل : « حالة » .

(٢) المذكى ، بكسر الكاف المشددة : المسن من كل شىء . ط ، س : « لعرف الأعراب الفتى من الذكى » . وفى هـ : « لعرف الأعراب الغبى من الذكى » صوابهما ما أثبت من ل .

(٣) يفره : يكشف عن أسنانه ليعرف عمره ، وهو بضم الفاء . والجحل ، بتقديم الجيم : الضخم . والسبحل : العظيم المسن . فيما عدا ل : « بقر ضبا حجلا سجلا » ، تحريف .

(٤) ل : « سد » ، و « يدعهن » ، و : « صباحا » بدل : « يوما » .

(٥) تفقست البيضة عن الفرخ : ظهرمنها . ل : « فيقفص » . فقص البيضة . كسرها .

(٦) ل : « فيحفر » .

(٧) ل : « فإذا كشف عنهن أحضرن وأحضر فى آثارهن يأكلهن » .

قال : وبيضُ الضبِّ شبيهٌ ببيض الحمام[١] . قال : وفرخه حين يخرج يخرُج كيِّسا [كاسياً] ، خبيثاً ، مُطِيقاً للكَسْب ، وكذلك ولد العقرب ، وفراخ البطّ[٢] ، وفراريج الدَّجاج ، وولد العناكب[٣] .

(سنّ الضبّ)

وقال زيد بن كَثْوة[٤] ، مَرَّةً بعد ذلك : إنَّ الضب يَنبت سِنُّه معه وتَـكبر[٥] مع كِبر بدنه ، فلا يزال أبداً كذلك إلى أن ينتهى بدنُه مُنتهاه . قال : فلا يُدعى حِسلاً إلاّ ثلاثَ ليالٍ فقط .

وهذا القول يخالف القول الأوَّل[٦] . وأنشَدَ :

مَهَرْتُها بعد المِطَالِ ضَبَّيْنْ ... مِنَ الضِّباب سَحْبَلَيْنِ سَبْطَيْن[٧]

نِعْمَ لعمرُ الله مَهْرُ العِرْسَيْنْ

أنشدنى ابن فَضَّال[٨] : «أمْهَرتها[٩]» ، وزعم أنَّه كذلك سمِعها من أعرابىّ .

---

(١) ل : « وتبيض شبيها ببيض الحمام » .

(٢) ل ، « وكذلك فراخ البط » بإسقاط : « ولد العقرب » .

(٣) ل : « وولد العنكبوت » ، س : « وكذا العناكب » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١١٦ . وفى ط : « كثيرة » س ، هـ : « كثرة » وهو على الصواب الذى أثبت فى ل .

(٥) ل : « تـكبر » بإهمال الحرف الأول . وفيما عدا ل : « يكبر » ، والوجه ما أثبت ، إذ أن « السن » مؤنثة والضمير فى هذا الفعل عائد إليها .

(٦) انظر ما سبق ص ١١٦ س ١٠ .

(٧) السحبل : العظيم المسن من الضباب . ط : « سخبلين » هـ : « سخيلين » صوابهما فى ل ، س . والسبط : الممتد الأعضاء التام الخلق . ل : « شطبين » والشطب والسبط بمعنى .

(٨) ذكر ابن النديم فى الفهرست ٣١٢ ابن فضال ، وقال إنه « أبو على الحسن بن على ابن فضال التيمى ، من ربيعة بن بكر ، مولى تيم الله بن ثعلبة ، وكان من خاصة أصحاب أبى الحسن الرضا » . وأبو الحسن الرضا ، هو على بن موسى الـكاظم المتوفى سنة ٢٠٣ . ل : « ابن فضالة » .

(٩) ل : « أمرتها » .

وقد يكون[١] أن يكون الحسل لا يُثْنِي ولا يُرْبِع[٢] ، فتكون أسنانُه أبداً على أمر واحد ، ويكون قول [رؤبة بن[٣]] العجّاج[٤] فى طول ٣٧ عمره حَقًّا .

ويدلُّ على أنّ أسنانَه على ما ذكروا[٥] قولُ الفزاريّ :

وجدناكُمُ رأباً بنى أمّ قِرفةٍ كأسنانِ حِسْلٍ لا وَفَاءٌ ولا غدْرُ[٦]

يقول[٧] : لا زيادة ولا نقصان .

(قصة فى عمر الضب)

وقال زيد بن كَثْوَة[٨] المزنى : قال[٩] العنبريّ ، وهو أبو يحيى : مكثْتُ فى عنفوان شَبيبتى ، ورَيعانٍ من ذلك ، أُريغُ ضَبًّا[١٠] ، وكان ببعض بلادنا فى وِشاز من الأرض[١١] ، وكان عظيما منها مُنْكراً ، ما رأيتُ

(١) فيما عدا ل : « يمكن » .

(٢) أثنى : صار ثنيا ، والثنى هو من الظلف والحافر ما كان فى الثالثة ، ومن الخف ما كان فى السادسة . وأربع : صار رباعا ؛ والرباع ، كسحاب ، هو من الظلف والحافر ما كان فى الخامسة ، ومن الخف ما كان فى السابعة . فيما عدا ل : « لا يبنى ولا يرفع » ، لكن فى س فقط : « لا يثنى » .

(٣) تكملة يقتضيها السياق .

(٤) فيما عدا ل : « الحجاج » . وانظر ما سبق من ١١٥ من نسبة الرجز اللامى .

(٥) س : « ذكر » وفى س ، هـ إقحام كلمة : « من » بعد هذه الكلمة .

(٦) سبق الكلام على هذا البيت فى ص ١٠٧ . س ، هـ : « رأيا » و « غدرا » فى آخر البيت ، تحريف . وفى ل : « زابا » ، بدل : « وابا » ، تحريف أيضا . وفيما عدا ل : « أم فرقة » ، والصواب ما أثبت .

(٧) ط ، هـ : « يقولون » وإنما يريد الشاعر .

(٨) ط : « كثيرة » س ، هـ : « كثرة » ، صوابه ما أثبت من ل . وانظر التنبيه رقم ٥ ص ١١٦ .

(٩) بدل هذه الكلمة والتى قبلها فى ل : « بن المرقال » .

(١٠) أراغ الصيد ونحوه : طلبه .

(١١) وشاز ، بكسر الواو : جميع وشز ، بالفتح وبالتحريك ، وهو النشز المرتفع من الأرض . وهذا الجمع قياسى وإن لم تنص عليه المعاجم . والذى فيها : « الأوشاز »

مِثله ، فمكثْتُ دهراً أُرِيغه ما أقدر عليه[١] . ثم إنّى هبطت إلى البصرة ، فأقمت بها ثلاثينَ سنةً . ثمَّ إنِّى والله كرَرْتُ راجعاً إلى بلادى ، فمررتُ فى طريقى بموضع الضَّبّ ، معتمدا لذلك[٢] ، فقلت : والله لأعلمنَّ اليوم عِلمَه ، وما دَهْرِى إلاَّ أن أجعل من جلده عُكَّة[٣] ؛ للّذى كان عليه من إفراط العِظَم[٤] ، فوجَّهتُ الرَّواحل[٥] نحوه ، فإذا [أنا] به [والله] مُحْرَنْبِئاً على تَلعة[٦] ؛ فلمّا سمِع حِسّ الرّواحل[٧] ، ورأى سوادا[٨] مقبلاً نحوه ، مَرَّ مسرعاً نحو جُحره ، وفاتنى والله الذى لا إله إلا هو .

(مكن الضَّبة)

وقال ابن الأعرابىّ : أخبرنى ابن فارس[٩] بن ضِبْعان الكلبىّ ، أنَّ الضَّبةَ يكون بيضُها فى بطنها ، وهو مَكْنها ، ويكون بيضُها متَّسِقا ، فإذا أرادَتْ أن تبيضَه حفَرَتْ فى الأرض أُدْحِيًّا مثلَ أُدْحِيِّ النعامة ، ثم

(١) فيما عدا ل : « فما أقدر عليه » .

(٢) يقال عمده وعمد إليه وله وتعمده واعتمده : قصده ، انظر اللسان . وعبارة : « معتمدا لذلك » ليست فى ل .

(٣) ما دهرى بكذا وما دهرى كذا ، أى ما همى وغايتى . والعكة ، بالضم : زقيق صغير يتخذ للسمن ، وهو أصغر من القربة .

(٤) ل : « الكبر » .

(٥) س ، هـ : « العواحل » بالدال ، تحريف ، وإنما هى الرواحل ، وهى الإبل يختارها الرجل لمركبه ورحله على النجابة ، وتمام الخلق ، وحسن المنظر .

(٦) فى اللسان : « احرنبى الرجل : تهيأ للغضب والشر . وفى الصحاح : واحرنبى ، ازبأر والياء للإلحاق بافعنلل ، وكذلك الديك والكلب والهر ، وقد يهمز » ، فيما عدا ل : « محترشا » تحريف . والتلعة ، بالفتح : مجرى الماء من أعلى الوادى إلى بطون الأرض .

(٧) ل : « سوادى » . والسواد : الشخص .

(٨) ل : « ابن جار » .

ترمى بمكنها(١) فى ذلك الأُدْحِىّ [ثمانين مَكنة] ، وتدفنه بالتُّراب ، وتدعُه أربعين يوماً ، ثم تجىءُ بعد الأربعين(٢) فتبحثُ عن مَكْنها ، فإذا حِسَلَةٌ(٣) يتعادين [منها] ، فتأكلُ ماقدَرت عليه . ولو قدَرَتْ على جميعهن(٤) لأكلتهنّ .

قال : ومَكنُها جلدٌ ليّن، فإذا يبست فهى جلد(٥) ، فإذا شويْتَها أو طبخْتَها وجَدْتَ لها مُحًّا كمحّ بيض الدّجاج(٦) .

(عداوة الضَّبة للحية)

قال : والضّبّة تقاتل الحيّة وتضربُها بذَنبها ، وهو أخشن من السَّفَن(٧) وهو سلاحها ،وقد أُعطيت فيه من القُوَّة مثلَ ما أعطيت العُقَاب فى أصابعها(٨) ، فربما قطعتها بضربة ، أو قتلتها ، أو قَدّتها(٩) . وذلك إذا كان الضّبّ ذَيّالا مذنّبا(١٠) .وإذا كان مرائسا قتلته الحية(١١) .

---

(١) المكن ، بالفتح ، وبفتح فكسر : بيض الضبة . ط ، س : « بيضها » هـ : « ببيضها » وأثبت ما فى ل .

(٢) هذه الجملة ليست فى ل .

(٣) الحسلة ، بكسر ففتح : جمع حسل ، بالكسر ، وهو ولد الضب . ل : « حسله »، وفيما عدا ل : « حملته » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) ل : « أجمعهن » تحريف ؛ إذ أن لفظ « أجمع » لا يستعمل فى غير التوكيد .

(٥) ل : « جلدة » .

(٦) المح ، بضم الميم وتشديد الحاء المهملة : صفرة البيض . ل ، س : « مخا كمخ » تصحيف .

(٧) السفن ، بالتحريك : قطعة خشناء من جلد سمكة تحك به السياط والقدحان والسهام والصحاف ، وقد يجعل من جلد الضب أو من الحديد . فيما عدا ل : « وهو أخشن من السفر »، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : «العقارب فى إبرتها » .

(٩) القد : القطع . ل : «فربما قطعها بضربة أو قتلها أو قدها » .

(١٠) الذيال : الطويل الذيل . والمذنب » بتشديد النون المكسورة : الذى أخرج ذنبه من أدنى الجحر ورأسه فى داخله ، وذلك فى الحر .

(١١) المرائس : الذى يخرج من جحره برأسه . ومثله المرئس ، بتشديد الهمزة =

والتّذنيب: أنّ الضبّ إذا أرادت الحيَّةُ الدُّخولَ عليه فى جُحره أخرَج الضبُّ ذنبه إلى فم جُحره ، ثم يضرب به كالمخراق[١] يميناً وشمالا ، فإذا أصاب الحيَّة قطعها ، والحيَّةُ عند ذلك تهرُب منه .

والمراءسة : أن يُخرِجَ الرَّأس ويدَعَ الذَّنَب[٢] ويكون غُمراً[٣] فتعضّه الحيَّة فتقتله .

(استطراد لغوى)

قال : [وتقول[٤]] : أمكنت [الضبّة[٥] و] الجرادة فهى تمكن[٦] إمكانا : إذا جمعت البَيضَ فى جوفها . واسم البَيض المَكن[٧] . والضَّبة مَكُون ، فإذا باضت الضّبة والجرادةُ قيل قد سرأت . والمكن والسَّرء : البيض[٨] ، كان فى بطنها أو[٩] بعد أن تبيضه . وضَبّة

= المكسورة . س : « موابسا » تحريف . وفى ل : « قتله الحية » . والحية يذكر ويؤنث .

(١) المخراق : بالكسر : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف ليفزع به . س : « كالمحراق » بالمهملة ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « تخرج » و « تدع » . وفى س : « المرابسة » بدل : « المرائسة » تحريف .

(٣) الغمر ، بالضم : الجاهل الغر لاتجربة له . ط ، هـ : « غمزا » والغمز ، بالتحريك وآخره زاى معجمة : الضعيف العقل . والغميز والغميزة : ضعف فى العمل ، وفهة فى العقل .

(٤) فى س : « ويقال » ، وإثبات التكملة من ل على هذا النحو أوفق .

(٥) التكملة من ل ، س .

(٦) ل فقط : « تمكن » .

(٧) المكن ، بالفتح ، وبفتح فكسر .

(٨) السرء والسرأة ، بالكسر والفتح فيهما : بيض الجراد ، والضب ، والسمك وما أشبهه . ط : « والسراء » ، وفيما عدا ل : «والبيض» ، كلاهما محرف .

(٩) فيما عدا ل : « أم » .

سرُوء[١] . وكذلك الجرادة تسرأ سرءًا ، حينَ تُلقى بيضها . وهى حينئذ ٣٨
سِلْقة[٢] .

وتقول : رزَّت الجرادةُ ذنبها فى الأرض فهى ترزُّ رزًّا[٣] ، وضربت بذنبها الأَرض ضرباً ، وذلك إذا أرادت أن تلقىَ بيضها[٤] .

(المضافات من الحيوان)

ويقولون : ذئب الخَمَر[٥] ، وشيطان الحماطة[٦] ، وأرنب الخُلّة[٧] ، وتيس الرَّبْل[٨] وضَبّ السَّحا . والسَّحا : بقلة تحسُن حاله عنها[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « سرو » بالتسهيل .

(٢) السلقة ، بكسر السين وسكون اللام وآخرها قاف : الجرادة إذا ألقت بيضها . انظر اللسان (١٢ : ٢٨) والمخصص (٨ : ١٧٣) . ط : « ثقة » ، س ، هـ : « شقة » ل : « سلفة » ، والصواب ما أثبت .

(٣) س ، هـ : « زرت » و : « تزر زرا » محرف .

(٤) س : « ببيضها » .

(٥) الخمر ، بالتحريك : ما واراك من شجر وغيره . ط ، هـ : « ذئبة » بدل : « ذئب » . ط : « السخبر » محرف . وانظر ما سبق فى (١ : ٢٢٠ / ٤ : ١٣٣) . والسخبر إنما تألفه الحيات . ومنه حديث ابن الزبير ، قال لمعاوية : « لا تطرق إطراق الأفعوان فى أصول السخبر » .

(٦) الحماطة ، بالفتح : واحدة الحماط ، وهو شجر التين الجبلى . والشيطان هنا : الحية .

(٧) الخلة ، بالضم : ما فيه حلاوة من المرعى ، وأما ما فيه ملوحة فهو الحمض ، بالفتح .

(٨) الربل ، بالفتح ، ضروب من الشجر إذا برد الزمان عليها وأدبر الصيف تفطرت بورق أخضر من غير مطر . ط ، س : « الريل » س : « الوبل » صوابهما فى ل .

(٩) السحا ، بالفتح : واحدة السحاء ، وهى شجرة شاكة وثمرتها بيضاء ، وهذا النبت يأكله الضب . س : « السجا » بالجيم فى الموضعين ، تحريف . ط ، س : « يحسن » هـ : « يحس » ، وهذه محرفة .

ويقال: هو قنفذ بُرْقة[١] ، إذا أراد أن يصفَه بالخُبث .

(ذكر الشعراء للضب فى وصف الصيف)

وما أكثَرَ مايذكرون الضّبّ إذا ذكَرُوا الصيف[٢] مثل قول الشاعر :

سار أبو مسلمٍ عَنها بصِرْمَتِــهِ والضبُّ فى الجُحْر والعُصفورُ مُجتمعُ[٣]

وكما قال أبو زبيد[٤] :

أىُّ ســاعٍ سَعَى ليقْطَع شرْبى حين لاحت للصَّابح الجوزاءُ[٥]

واستكنَّ العُصفور كَرْهاً مع الضّـ ـبِّ وأوْفَى فى عُــودِهِ الحِرباءُ[٦]

وأنشد الأصمعىّ[٧] :

تجاوَزْتُ والعصفور فى الجُحر لاجئٌ

مع الضَّبِّ والشِّقْذَانُ تَسمُو صدُورُها[٨]

قال : والشِّقذان : الحرَابىّ . قوله : « تسمو » : أى تَرتَفِـعُ[٩] [فى رءوس العيدان] . [الواحد من] الشّقذان ، بكسر الشين وإسكان القاف ، شَقَذ بتحريك القاف[١٠] .

---

(١) البرقة ، بالضم : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة . وتجمع البرقة على براق ، بالكسر . ويقال قنفذ برقة ، كما يقال ضب كدية .

(٢) ل ، س : « الضيف » بالمعجمة ، تحريف .

(٣) الصرمة ، بالكسر : القطعة من الإبل .

(٤) تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٧٤) . س ، هـ : « أبو زيد » تحريف .

(٥) ط : « أى ساع ساع » صوابه فى سائر النسخ ، وقد شرح البيت فى (٥ : ٢٣١) .

(٦) انظر شرح البيت وتخريجه فى (٥ : ٢٣٢) .

(٧) البيت لذى الرمة ، كما فى ديوانه ٣٠٨ واللسان (٥ : ٣٠) .

(٨) سبق البيت وشرحه فى (٥ : ٢٣٢) . ط فقط : « يسمو » .

(٩) ط ، هـ : « يسمو أى يرتفع » .

(١٠) فيما عدا ل : « والشقذان جمع شقذ بكسر الشين وإسكان القاف ، والجمع شقذان بالتحريك » .

(أسطورة الضب والضفدع)

وتقول الأعراب : خاصم الضبُّ الضفدعَ فى الظِّمأ[١] أيُّهما أصبر ، وكان للضفدع ذنَب ، وكان الضبُّ ممسوحاً[٢] ، فلمّا غلبها الضبُّ أخذ ذنبَها ، فخرجا[٣] فى الكلأ ، فصَبرت الضفدع يوماً ويوماً[٤] ، فنادت : ياضبّ ، ورداً ورداً ! فقال الضبُّ :

أصبَحَ قَلْبِى صَرِدَا[٥] لا يشْتَهِى أن يَرِدَا
إلاّ عَــرَادا عَــرِدَا[٦] وصِــلِّياناً بَرِدَا[٧]

فلما كان [فى[٨]] اليوم الثالث نادت : يا ضَبُّ ، وِردا وِردا ! [قال] :

---

(١) فيما عدا ل : « فى الماء » .
(٢) فى اللسان : « والمسح : نقص وقصر فى ذنب العقاب » . وفيه أيضا : « وامرأة مسحاء الثدى ، إذا لم يكن لثديها حجم » . ويقال : مسحه بالسيف مسحا : ضربه أو قطعه . فيما عدا ل : « ممسوح الذنب » .
(٣) ط ، هـ : « فخرج » .
(٤) ط ، هـ : « يومان » ل : « يوما » س : « يوما يوما »، والعل وجهه ما أثبت .
(٥) فى اللسان : « الأزهرى : إذا انتهى القلب عن شىء صرد عنه ، كما قال : أصبح قلبى صردا » .
(٦) العراد ، كسحابة وآخره دال : حشيش طيب الريح . وعراد عرد على المبالغة ، أو أراد أن يقول عراد عارد ، فحذف للضرورة . والعارد : الذى خرج واشتد . هـ : « إلا عررا غردا » ط : « إلا عرارا غردا »، وجههما ما أثبت من ل واللسان (٤ : ٢٨٠) والدميرى (٢ : ١١٠) . وانظر الحيوان (٤ : ١٧٢ — ١٧٣) . وأشطار الرجز فى اللسان (برد، صرد، عرد ، عنكث) .
(٧) الصليان ، بكسر أوله وتشديد اللام المكسورة وتخفيف الياء : شجر من الطريفة ينبت صعدا ، وأضخمه أعجازه وأصوله ؛ والواحدة صليانة . والبرد ، أراد البارد فحذف للضرورة . انظر اللسان (٤ : ٢٨٠) . فيما عدا ل : « لبدا » ، والرواية ما أثبت من ل وسائر المصادر .
(٨) هذه الكلمة من ل ، س .

فلمّا لم يُجِبها بادَرَتْ إلى الماء ، وأتْبعها[١] الضبُّ ، فأخذ ذنبَها . فقاله في تَصْداقِ ذلك ابن هَرْمة[٢] :

أَلم تأرَقْ لضوءِ البَرْ ... قِ في أَسْحَمَ لمّاحِ
كأعنـــاقِ نساء الهِنْ ... دِ قد شِيبَتْ بأَوْضَاحِ[٣]
تُؤَامِ الوَدْقِ كالزّاحِ ... فِ يُزْجَى خَلْفَ أَطْلاحِ[٤]
كأنّ العــازفَ الجِنِّ ... يَّ أو أصواتَ أَنْوَاحِ[٥]
على أرجائهــا الغُـرُّ ... تَهَــدِّيهَا بمِصْبــاحِ[٦] ٣٩

(١) س : « وتبعها » .

(٢) هو إبراهيم بن على بن سلمة بن هرمة الفهرى ، كان من الشعراء المعاصرين لجرير . وكان الأصمعى يقول : « ختم الشعراء بابن هرمة ، وحكم الخضرى ، وابن ميادة ، وطفيل الكنانى ، ودكين العذرى » . وفى الأغانى (٤ : ١١٣) : « ولد ابن هرمة سنة تسعين ، وأنشد أبا جعفر المنصور فى سنة أربعين ومائة ، قصيدته التى يقول فيها :

إن الغوانى قد أعرضن مقلية ... لما رمى هدف الخمسين ميلادى

ثم عمر بعدها مدة طويلة » .

(٣) الأوضاح : جمع وضح ، بالتحريك ، وهو البرص والشية فى الجسد . ل : « قد شبت » ، تحريف .

(٤) الودق : المطر . تؤام : جمع توأم ، وهو المزدوج . والزاحف : البعير أعيا فجر فرسنه . يزجى : يساق ويدفع . والأطلاح ، جمع طلح ، بالكسر ، وهو البعير الذى لحقه الكلال والإعياء . جعل هذه السحب فى تباطئها وثقل سيرها مثل هذه الإبل الحسرى . فيما عدا ل : « يؤم البرق كالراجف » ، وفى ل : « تزجى » بالتاء . والصواب ما أثبت .

(٥) عزف الجن : جرس أصواتها . هـ ، س : « العارف » بالراء المهملة ، تحريف . والأنواح : جمع نوح ، بالفتح ، والنوح : النساء يجتمعن فى مناحة . يقول : كأن صوت الجن أو الأنواح صوت هذا الرعد .

(٦) الغر : البيض . والتهدى : الاهتداء ، يقال تهدى إلى الشىء واهتدى . أى أن هذه السحب الغبر تهتدى فى سيرها بمصباح البرق . وقد تكون « المصباح » هنا مأخوذة من مصباح الإبل ، وهى التى تصبح فى مبركها لا ترعى حتى يرتفع النهار ، وهو مما يستحب من الإبل ، وذلك لقوتها وسمنها . والعرب يشبهون السحاب بالإبل .

فقال الضبُّ للضفدِ ع ِ في بَيداءَ قِرواحِ[1]
تأمّل كيف تنْجُو اليو مَ من كرب وتطْراحِ[2]
فإني سَابحٌ ناجٍ وما أنتَ بسَبَّاحِ
فلمّا دق أنف المُزْ نِ أبْدَى خيرَ إرْواحِ[3]
وسَحَّ الماء من مُستحْ لَبٍ بالماء سَحَّاحِ[4]
رأى الضبُّ من الضفدِ ع عَوماً غيرَ مِنْجاحِ
وحَطّ العُصْمَ يُهوِيها ثَجُوجٌ غير نَشّاحِ[5]
ثَقَالُ المشْيِ كالسَّكرا نِ يمشى خلفه الصَّاحي

ثم قال في شأن الضفدع والضب ، الكميتُ بن ثعلبة :

---

(١) القرواح ، بالكسر ، الفضاء من الأرض .

(٢) التطراح : تفعال من الطرح ، بالتحريك ، وهو البعد . ولم تذكره المعاجم .

(٣) أنف المزن : أوله . والمزن : جمع مزنة ، وهى السحابة البيضاء . فيما عدا ل : « رق » بالراء .

(٤) المستحلب ، بفتح اللام : المستدر . وفى حديث طهفة : « نستحلب الصبير » أى نستدر السحاب . ل : « مستحلف » تحريف ، قد يكون صواب هذه : « مستخلف » . والمستخلف : المستسق . والعرب يزعمون أن السحاب يشرب من ماء البحر . قال :

شربن بماء البحر ثم ترفعت إلى لجج خضر لهن نئيج

(٥) العصم : جمع أعصم ، وهو الذى بإحدى يديه بياض . أراد الوعول ، والوعول عصم . فيما عدا ل : « المظم » ، تحريف . يهويها : يسقطها . وفى قول الله عز وجل : « والمؤتفكة أهوى » أى أسقطها ، يعنى مدائن قوم لوط . والثجوج : الغزير الماء ، وفى اللسان : « وعين ثجوج : غزيرة الماء » . ه : « فجوج » وفى سائر النسخ : « نجوج » ، صوابهما ما أثبت. والنشاح : عنى به القليل الماء ، وفى اللسان : « سقاء نشاح : وشاح نضاح » . ط ، س : « نساح » ولا وجه له .

على أخْذِها يَوْمَ غِبٍّ الوُرُود   وعنــد الحكومة أذْنابَهَا[١]

وقال عُبيد بن أيوب :

ظَلِلت وناقتى نِضْوَىْ فَلاةٍ   كفَرْخِ الضبِّ لا يبغى وُرودَا[٢]

[وقال] أبو زياد[٣] : قال الضبّ لصاحبه :

أهَدَموا بَيْتَكَ لا أبالَـكا   وزعمُــوا أنك لا أخا لَـكا

وأنا أمشى الحَيَـكَى حَوالَـكا[٤]

(قول العرب : أروى من الضب)

وتقول العرب : « أرْوَى من ضبّ[٥] » ؛ لأن الضب عندهم لا يحتاجُ

(١) الغب ، بالكسر : أن يرد يوما بعد يوم . والحكومة : الحكم . فيما عدا ل : « ويوم الحكومة » وأثبت ما فى ل والميدانى (١ : ٢٨٩) .

(٢) فى اللسان : « الفرخ ولد الطائر ، هذا الأصل ، وقد استعمل فى كل صغير من الحيوان والنبات والشجر وغيرها » .

(٣) هو أبو زيد الكلابى الأعرابى ، يزيد بن عبد الله بن الحر بن همام بن دهن بن ربيعة بن عمرو بن نفاثة بن عبد الله بن كلاب بن عامر بن صعصعة . كذا نسبه على بن حمزة البصرى فى التنبيهات على أغاليط الرواة (مخطوطة دار الكتب) . وقال ابن النديم ص ٦٧ : قدم بغداد أيام المهدى حين أصابت الناس المجاعة ، ونزل قطيعة العباس بن محمد ، فأقام بها أربعين سنة . وبها مات ، وكان شاعرا من بنى كلاب بن عامر .

(٤) الحيكى ، بفتح الحاء والياء المثناة : مصدر ، كجمزى ، يقال فى مشيته حيكى ، كجمزى ، إذا كان فيها تبختر ، كما نقله الصاغانى عن المبرد . انظر تاج العروس . وهذه الرواية قد انفرد بها الجاحظ ، وهى فى الأصل : « الحبكا » بالموحدة والألف ، تحريف . والرواية فى سائر المصادر : « الدألى » ، وهو بالتحريك : مشية فيها ضعف وعجلة . انظر اللسان (حول) و (دأل) والكامل ٣٤٧ وسيبويه (١ : ١٧٦) والمقصور والممدود ص ٤٠ وأمالى الزجاجى ٨٣ . وقد أنشد السيوطى فى همع الهوامع (١ : ١٤٥) البيتين الأولين . وحوالكا : أى حولك ، يقال هو حوله وحوليه وحواليه وحواله ، بمعنى . وقد جاء فى ط : « لا أبا للكا » و « أخا للكا » و « حوا للكا » تحريف . وروى سيبويه : « وحسبوا أنك » .

(٥) فيما عدا ل : « من الضب » .

إلى شُرب الماء ، وإذا هرِم اكتفَى بَبرْد النَّسيم ، وعند ذلك تفنى رطوبتُه فلا يبقى فيه شيءٌ من الدَّم ، ولا مما يُشبه الدَّم[١] . وكذلك الحيَّة[٢] . فإذا صارت كذلك لم تقْتُلْ بلعاب ، ولا بمُـجَاج ، ولا بمُـخالطةِ ريق ؛ وليس إلاّ مخالطة عظم السِّنِّ لدماء الحيوان[٣] . وأنشدُوا[٤] :

لُمَيْمَةٌ من حَنَش أعْمَى أصمّْ[٥] قد عَاشَ حتَّى هو لا يمْشِى بدَمْ
فـكلَّما أقْصَدَ منه الجوعُ شَمّْ[٦]

وأمَّا صاحبُ المنطق فإنه قال : باضطرار إنه لا يعيش حيوانٌ إلاّ وفيه دمٌ أو شيء يشاكل الدم[٧] .

(إخراج الضب من جحره)

والضبُّ تذْلقه[٨] من جُحره أمور ، منها السَّيل . وربَّما صبُّوا

(١) فيما عدا ل : « فلا يبقى فيه من الدم ولا مما يشبه الدم شيء » .
(٢) ط ، هـ : « وكذا الحية » .
(٣) ط ، هـ : « الحيوانات » وفى ل : « إلا بمخالطة » .
(٤) فيما عدا ل : «وأنشد». وانظر (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣).
(٥) لميمة : مصغر اللمة ، بفتح اللام وتشديد الميم ، الشدة ، ومنه قول عقيل بن أبى طالب :

أعيذه من حادثات اللمه

انظر اللسان (١٠ : ٢٤) . واللمة أيضا : الشيء المجتمع . ط : « لمهيمة » هـ : « لمهجة » ، صوابهما فى ل ، س .
(٦) أقصده : أصابه إصابة محققة . شم : أى شم الهواء ينال منه ليغتذى به . فيما عدا ل : « فـكل ما » تحريف . وفى الأصل : « أفضل » بدل : « أقصد » صوابه مما سبق فى (٤ : ١١٩) . ل : « سم » بالمهملة ، وبها يفوت الاستشهاد .
(٧) ط ، هـ : « يشاكله الدم » . وقد سبق فى (٣ : ٣٦٩) قول الجاحظ : « وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لابد لجميع الحيوان من دم أو من شيء يشاكل الدم » .
(٨) أذلق الضب واستذلقه وذلقه ، بالتشديد : صب على جحره المـاء حتى يخرج =

في جحره قربةً من ماء فأذْلقوه به[٢] . وأنشد أبو عُبيدة :

يُذلقُ الضبُّ ويَخفيه كما يُذلقُ السَّيلُ يرابيعَ النُّفَقْ[٢]

يَخفيه مفتوحة الياء . وتذلقه[٣] [وقْع[٤]] حوافِر الخيل . ولذلك قال امرؤ القيس [بن حُجْر] :

خَفاهُنَّ مِنْ أنْفاقهنَّ كأنّما خَفاهُنّ وَدْقٌ منسَحابٍ مُركَّبِ

تقول : خَفَيْته أخفِيه خَفْيا : إذا أظهرته . وأخْفيته إخفاءً : إذا سترته .

وقال ابن أحمر[٥] :

فإن تَدْفِنُوا الدّاءَ لا نَخفِهِ وإنْ تبعثُوا الحربَ لا نقعُدِ

ولا بدَّ من أن يكونَ وقعُ الحوافِرِ هدَم عليها، أو يكونَ أفزعَها فخرجَتْ. وأهلُ الحجاز يسمُّون النبّاش المُختفِى[٦] ؛ لأنّه يستخرج الكفَن من القَبْر ويُظهره .

= س ، هـ : « تلزقه » تحريف . وفى ط : « تزلقه » بالزاى ، يقال زلقه ، بتخفيف اللام وأزلقه : إذا نحاه عن مكانه . وفى الكتاب العزيز : (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) قرئ بضم الياء وفتحها . لكن الوجه فيما يقال للضب أن يقال بالذال . انظر اللسان (١١ : ٤٠٠) .

(١) فيما عدا ل : « فأزلقوه » بالزاى . وانظر التنبيه السابق .

(٢) النفق : جمع نفقة ، بضم ففتح ، وهو كالنافقاء إحدى جحرة اليربوع . فيما عدا ل :

يزلق الضب ويخفيه كما تزلق السيل يرابيع النفر

وهو محرف .

(٣) فيما عدا ل : « وتزلقه » بالزاى ، وانظر التنبيه رقم ٨ من الصفحة السابقة .

(٤) هذه التكملة من ل ، س ، هـ .

(٥) كذا . وقد سبقت نسبته فى (٥ : ٣٠٦) إلى امرئ القيس بن عابس الكندى .

(٦) فى اللسان : « والمختفى النباش ؛ لاستخراجه أكفان الموتى . مدنية » . ط : « المخفى » ، تحريف .

وحكَوا عن بَعض الأعراب أنّه قال : « إنَّ بنى عامر[١] قد جعلونى على حِنديرة أعينها ، تريد أن تختَفىَ[٢] دمى » ، أى تظهره وتستخرجه . كأنّها إذا سفحَتْه وأراقته فقد أظهرتْه .

(قول أبى عبيدة فى تفضيل أبيات لامرئ القيس)

وأنشد أبو عبيدة[٣] :

دِيمةٌ هَطْلاءُ فيها وَطَفٌ طَبَقُ الأَرض تَحَرَّى وتَدُرّْ[٤]
تُخرِجِ الضبَّ إذا ما أشجَذَتْ وتُواريه إذا ما تَعْتَكِرْ[٥]
وتَرَى الضّبَّ ذَفيفا ماهراً ثانياً بُرثُنَه ما يَنْعفِرْ[٦]

---

(١) س : « إن بعض بنى عامر » . وانظر ما أسلفت فى حواشى (٥ : ٣٠٧) .

(٢) ط ، س : « على حيدرة » ، وفى هـ : « على حيدى وأعينها يريد أن يختفى » ، وفى ط : « تريد أن تختفى » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الشعر لامرئ القيس من قصيدة فى ديوانه ١٤٣ — ١٤٤ .

(٤) الديمة ، بالكسر : المطر الدائم يوما وليلة . والهطلاء : المتتابعة المطر . والوطف : استرخاء فى جوانبها لكثرة الماء . طبق الأرض ، بالتحريك : أى غشاء لها يعمها . تحرى : تتوخى وتعمد . تدر : تصب . ل ، هـ : « تحرا » س : « نخرا » وفى س ، هـ : « وقدر » محرفات .

(٥) أشجذت : سكن مطرها وضعف . ل : « أسحدت » . وفيما عدا ل : « أسحرت » ، صوابهما ما أثبت من الديوان واللسان (٤ : ٤٧٠ / ٥ : ٢٧ / ٦ : ٩٤) . تعتكر : تشتد . وروى صدره فى الديوان واللسان فى الموضعين الاخيرين : « تخرج الود » بالفتح ، أى الوتد . وقافيته فيهما : « إذا ما تشتكر » أى تحتفل بالماء .

(٦) الذفيف ، بالذال المعجمة : السريع الخفيف . ل « خيفا » وهى رواية الديوان والأمالى (٢ : ٢٩١) فيما عدا ل : « دفيفا » بالدال المهملة ، تصحيف . والماهر : الحاذق بالسباحة . قال الوزير أبو بكر : « تزعم العرب أن الضب من أمهر الحيوان بالسباحة . ألا ترى كيف وصفه ببسطه كفه وضمها إليه كما يفعل السابح إذا بسط كفه ثم قبضها إليه . واستغنى عن ذكر البسط لدلالة ثانيا عليه ، لأن الثنى القبض والضم . ولقوته لاتصيب له إصبع من الأرض فينعفر

وكان أبو عبيدة يقدِّم هذه القصيدة فى الغيث[١] ، على قصيدة عَبيد ابن الأبرص ، أوْ أوس بن حجر[٢] ، التى يقول فيها أحدهما[٣] :

دانٍ مُسِفٌّ فوَيْقَ الأرْضِ هَيْدَبُه ... يَكادُ يَدْفعه مَنْ قَامَ بالرَّاحِ[٤]

فمن بنَجْوَتِهِ كَمَنْ بعَقْوَتِهِ ... والمُسْتَكِنُّ كمَنْ يَمْشِى بقِرْواحِ[٥]

وأنا أتعجَّبُ مِنْ هذا الحكم .

(قولهم : هذا أجلُّ من الحَرش)

ومما يضيفون إلى هـذه الضِّباب من الكلام ، ما رواه الأصمعىُّ فى تفسير المثل ، وهو قولهم : « هٰذَا أجَلُّ من الحَرْش » — أنَّ الضَّبَّ[٦] قال لابنه : إذا سمِعْتَ صَوْتَ الحَرْشِ فلا تَخْرُجَنَّ ! قال : والحَرْش :

— فيها . وقال أبو حنيفة « لا ينعفر : لا يبلغ الأرض لمظم السيول وكثرة المطر » فيما عدا ل : « ما ينعقر » بالقاف ، تحريف .

(١) ط ، هـ « الضب » ، صوابه فى ل ، س .

(٢) فيما عدا ل : « وأوس بن حجر » .

(٣) فيما عدا ل : « قال أحدهما فيها » وبإسقاط كلمة « التى » . والبيتان من قصيدة فى ديوان أوس . وروى البيت الأول فى اللسان (٢ : ٢٧٨) منسوبا لعبيد ابن الأبرص ، وفيه : « قال ابن برى : البيت يروى لعبيد بن الأبرص ، ويروى لأوس بن حجر » . وروى البيت الثانى فى اللسان (٣ : ٣٩٦) منسوبا إلى عبيد . والبيتان أيضا من قصيدة لعبيد بن الأبرص رواها ابن الشجرى فى مختاراته ١٠٠ — ١٠١ . ويحدث كثيرا فى الشعر الجاهلى : أن يصنع شاعران قصيدتين من بحر واحد وروى واحد ، فيختلط أمرهما على الرواة : يدخلون أبياتا فى هذه من تلك ، فتختلط نسبة الأبيات .

(٤) ل : « كان » ! والمسف : الذى قد أسف على الأرض ، أى دنا منها . والهيدب : سحاب يقرب من الأرض كأنه متدل . والراح : جمع راحة . أراد يكاد يمسكه من قام براحته . س ، هـ : « يرفعه » بالراء ، وأثبت ما فى ل واللسان والديوان .

(٥) النجوة : سند الوادى لا يعلوه السيل . والعقوة : الساحة . يقول : إن السيول قد طم حتى علا النجوة فاستوت بالعقوة . والقرواح ، بالكسر : الأرض البارزة للشمس ، أو التى ليس يسترها من السماء شىء .

(٦) فيما عدا ل : « لأن الضب » .

تحريكُ اليدِ[١] عند جُحر الضبِّ ؛ ليخرج ويَرَى أنّه حيَّة . قال : فسمع الحِسْل صَوْتَ الحفْر ، فقال للضَّبِّ : يا أبت[٢] ! هذا الحرش ؟ قال : يا بُنَيّ ، هٰذَا أَجَلُّ من الحَرْش ! فأرسَلَها مثَلا .

(الضب والضفدع والسمكة)

وقال الكميت :

يُؤَلِّفُ بَيْنَ ضِفدِعَةٍ وضَبٍّ ... ويَعْجَبُ أنْ نَبَرَّ بنى أَبِينا

وقال فى الضَّبِّ والنُّون :

ولَوْ أنَّهُمْ جاءُوا بشَىءٍ مُقَارِبٍ ... لِشَىءٍ وبالشَّكْلِ المقَارِبِ للشَّكْلِ ٤١
ولَكِنَّهُمْ جاءُوا بحِيتان لُجَّةٍ ... قَوامِسَ والمكْنِيِّ فينا أبا حِسْلِ[٣]

وقال الكميت :

وما خِلْتُ الضِّبابَ مُعَطَّفاتٍ ... على الحِيتَانِ مِنْ شَبَهِ الحُسُولِ

وقال آخر[٤] :

حتّى يؤلَّف بين الضَّبِّ والنُّون

---

(١) س فقط : « باليد » .

(٢) ل ، س : « يا أبة » صوابه : « يا أبه » بهاء السكت ، وهذا أيضا صواب ماورد فى اللسان (٨ : ١٦٨ س ٤) .

(٣) قس فى الماء : انغمس .

(٤) المفهوم أن المثل التالى نثر لا شعر . انظر الميدانى (١ : ١٩٥) . وفى ثمار القلوب ٣٣١ : « والعرب تقول فى الشىء الممتنع : لايكون ذلك حتى يرد الضب . وفى تبعيد ما بين الجنسين : حتى يؤلف بين الضب والنون ؛ لأن الضب لايريد الماء ولا يرده ، والنون لا يصبر عنه ولا يعيش إلا فيه » . وأنشد الحصرى فى زهر الآداب (١ : ٢٤١) لأبى إسحاق الصابى :

الضب والنون قد يرجى التقاؤهما ... وليس يرجى التقاء اللب والذهب

(استطراد لغوى)

قال : ويقال أضبّت أرض بنى فلان : إذا كَثُرتْ[١] ضِبابُها ، وهذه أرضٌ مَضَبَّة ، وأرضُ بنى فلان مَضبَّة ، مثل فَئِرة[٢] من الفأر ، وجَرِذة من الجِرذان ، ومَحْوَاة [ومَحْياة] من الحيّات[٣] ، وجَرِدة من الجراد ، وسرِفة من السُّرفة ، ومأسَدَة من الأسُود ، ومَثْعلة من الثّعالب ؛ لأن الثَّعلب يسمَّى ثعالة ، والذِّئب ذُؤالة .

ويقال أرضٌ مَذَبَّة من الذُّباب ، مَذْأَبَة[٤] من الذِّئاب .

ويقال فى الضّبِّ : وقَعْنا فى مَضابٍّ منكَرَة ، وهى قطعٌ من الأرض تكثر ضِبابُها[٥] .

قال : ويقال أرضٌ مَرْبَعة ، كما يقال مَضَبَّة . إذا كانت ذاتَ يرابيع وضِباب . واسمُ بيضها المَكْنُ ، والواحدة مَكِنة .

ويقال لفرْخه إذا خرج حِسْل ، والجميعُ حَسَلة ، وأحسال ، وحُسول .

---

(١) ل : « كثر » .

(٢) فئرة ، بفتح فكسر . وفيما عدا ط : « فائرة » ، تحريف . وانظر (٤ : ١٦٥) .

(٣) محواة ، بتقدير أن أصل حية : « حوية » ، ومحياة بتقدير أن أصلها : « حيوة » انظر اللسان (٢٠ : ٢٤١) .

(٤) فى الأصل : « ذئبة » ، والمعروف فى المعاجم : « مذأبة » . وأورد صاحب اللسان أيضا « مذيبة » قال : « قال أبو على فى التذكرة : وناس من قيس يقولون مذيبة ، فلا يهمزون . وتعليل ذلك أنه خفف الذئب تخفيفا بدليا صحيحا ، فجاءت الهمزة ياء ، فلازم ذلك عنده فى تصريف الكلمة » .

(٥) هـ ، س : « يكثر » .

وهو حِسْل ، ثم مُطَبِّخ [١] ، ثم غيداق، ثُمَّ جَحْل [٢] . والسَّحْبَلُ [٣] : ما عظم منها . وهو فى ذلك كلّه ضبٌّ .

وبعضُهم يقول : [يكون [٤]] غَيداقا ، ثم يكونُ مطبِّخا [٥] ، ثمَّ يكون جَحْلا [٦] ، وهو العظيم . ثمَّ هو خُضَرِمٌ [٧] ، ثمَّ يكون ضَبًّا . وهذا خطأ ، وهو [٨] ضَبٌّ قبل ذلك . وقال الرّاجز :

يَنفى الغَيادِيقَ عن الطَّريقِ [٩] قَلَّصَ عنه بيضُهُ فى نِيق [١٠]

(ما يوصف بسوء الهداية من الحيوان)

ويقال : « أضَلُّ من ضَبٍّ » .

والضلال [و] سوءُ الهِداية يكونُ فى الضبِّ ، والوَرَل ، والدِّيك .

---

(١) المطبخ ، بكسر الباء الموحدة المشددة . هـ : « المطيخ » تحريف .
(٢) الجحل ، بتقديم الجيم . وفى الأصل : « الحجل » بتقديم الحاء ، محرف .
(٣) فيما عدا ل : « والحسل السحل » ، وهو إقحام وتحريف .
(٤) التكملة من ل ، س .
(٥) ط ، هـ : « ثم يقول » ، صوابه من ل ، س . وفى هـ : « مطيحا » تحريف . وبعد هذه الكلمة فى ط ، هـ : « ثم يكون ضبا » ، وهى عبارة مقحمة .
(٦) الجحل ، بتقديم الجيم . وفى الأصل : « حجلا » محرف .
(٧) الخضرم ، بضم الخاء وفتح الضاد المعجمتين وكسر الراء . وفى ل : « خصره » و س « حصرم » و ط ، هـ : « حضرم » ، صوابه ما أثبت من اللسان (١٥ : ٧٦) والمخصص (٨ : ٩٦) .
(٨) فيما عدا ل : « وهو » .
(٩) الغياديق : جمع غيداق ، وهو من ولد الضباب فوق المطبخ .
(١٠) قلص : ارتفع . والنيق ، بالكسر : أعلى موضع فى الجبل . ط ، هـ : « يلص » س : « يكص » وفى ل : « قلص عنك » .

(الضب وشدة الحر)

وإذا غيّر الحرُّ لون جلْدِ الضبِّ فذلك أشدُّ ما يكون من الحر

وقال الشّاعر :

وهَاجرةٍ تُنْجِى عنِ الضَّبِّ جِلْدَه ... قَطَعْتُ حَشَاهَا بالغُرَيرِيَّة الصُّهبِ[1]

(أمثال فى الضب)

وفى المثل : « [خلِّ] دَرَج الضبِّ[2] »، وفى المثل : « تَعْلِمنى بضبٍّ أنا حَرَشْتُه[3] ! »، و : « هذا أَجَلُّ من الحَرْش »، و : « أضلُّ من ضَبٍّ » و : « أخَبُّ من ضَبٍّ »، و : « أروَى من ضَبٍّ[4] »، و : « أعَقُّ من

(١) تنجى عنه الجلد : تسلخه . وفى المخصص (٩ : ٧٠) : « ساخ الحر جلده فانسلخ وتسلخ » . وفى ل : « تنهى عن »، وفى سائر النسخ : « تنهى على »، والصواب ما أثبت . والغريرية ، بهيئة المنسوب إلى المصغر : إبل منسوبة إلى الغرير ، وهو فحل معروف . قال ابن منظور : « هو ترخيم تصغير أغر ، كقولك فى أحمد حميد ». وكلمة : « الصهب » ساقطة من س . والصهب : جمع أصهب وصهباء ، وهو الذى يخالط بياضه حمرة .

(٢) درج الضب : طريقه . ورواية الميدانى (١ : ٢٢٢) : « خله درج الضب » الهاء فيه للسكت إلا أنه أجراه مجرى الوصل ، أى خل درج الضب فلا تبحث عنه فإنك لا تجده . وقال أيضا : يجوز أن يراد به التأبيد ، أى خله ما درج الضب . فالهاء فى هذا ضمير المفعول . ويجوز انتصابه على الظرف أيضا : أى خله فى طريق الضب . وروى الميدانى أيضا رواية الجاحظ ، ومعناه خل طريق الضب . ورواه ابن منظور : « خلى » بياء المخاطبة وفسره بقوله : « تحولى وامضى واذهبى » قال الميدانى : « يضرب لمن شوهد منه أمارات الصرم » .

(٣) ط ، هـ : « يعلمنى »، صوابه ما أثبت من اللسان (٨ ، ١٦٨) ومحاضرات الراغب (١ : ٢١). وهذا المثل يقال فى مخاطبة العالم بالشىء من يريد تعليمه .

(٤) فيما عدا ل : « أردى » بالدال. وإنما هو من الرى . انظر ص١٢٨ .

ضَبّ »، و : « أحْيَا من ضَبٍّ »، و : « أطوَلُ ذَماءً من ضَبّ »، و : « كلُّ ضَبٍّ عِندَ مِرْداته(١) » . ويقال : « أقصرُ من إبهام الضّبّ » كما يقال : أقصر من إبهام القطاة » . وقال ابن الطَّثْرِيّةِ(٢) :

ويومٍ كإبهام القَطاة(٣) ٤٢

ومن أمثالهم : « لا آتِيكَ سِنَّ الحِسْل » . وقال العجاج :

---

(١) سبق الكلام على هذا المثل فى ص ٣٣ . وفى س : « عنده مرداته » .

(٢) هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سامة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . والطثرية أمه ، وهى من الطثر ، بالفتح : حى من اليمن . قال ابن خلكان : « الطثرية بفتح الطاء المهملة وسكون الثاء المثلثة » . وضبطها صاحب القاموس بالتحريك . والوجه الإسكان ، كما جاءت مضبوطة به فى طبعة ليدن من الشعراء لابن قتيبة . وكان يزيد جميلا وسيما شريفا متلافا ، يغشاه الدين ، فإذا أخذ به قضاه عنه أخ يقال له ثور . وكان يقول : « من أفحم عند النساء فلينشد من شعرى » . وهو صاحب « وحشية الجرمية » التى سماها الجاحظ فى (١ : ١٥٥) وكذا المبرد فى الكامل ٣٣٣ : « حوشية » . قال أبو الفرج : وقتل يزيد بن الطثرية فى خلافة بنى العباس . وقال ابن قتيبة فى الشعراء ص ٩٩ : « قتلته بنو حنيفة يوم الفلج » . ويوم الفلج هذا غير يوم الفلج الذى كان بينهم فى الجاهلية وذكره أبو الفرج فى الأغانى (٤ : ١٣٤ - ١٣٥ / ١٤ : ١٥٨) وابن الأثير فى الكامل (١ : ٣٩٨) ، بل هو يوم آخر ذكره أبو الفرج فى (٧ : ١١٦) وكان بين بنى حنيفة وبنى كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فى أيام إمارة أبى لطيفة بن مسلم العقيلى على العقيق . وأرخ الزبيدى فى تاج العروس وفاة ابن الطثرية فى سنة ١٢٦ . وذكر ياقوت فى معجم الأدباء (٧ : ٢٩٩) مرجليوث أنه قتل فى الوقعة التى قتل فيها الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة ٣٢٧ . والصواب أن مقتل الوليد كان سنة ١٢٦ كما ذكره الزبيدى ، وأن الوقعة التى قتل فيها ابن الطثرية هى يوم الفلج ، وهى غير الوقعة التى قتل فيها الوليد . انظر لتحقيق ذلك وفيات الأعيان .

(٣) فيما عدا ل زيادة كلمة : « قطعته » وهو إقحام . ورواية البيت فى الأغانى (٧ : ١٠٧) بالنصب ، على الوجه التالى :

ويوما كإبهام القطاة مزينا لعينى ضحاه غالبا لى باطله

وللجرير فى ديوانه ٤٧٨ وثمار القلوب ٣٨٢ بيت مثله ، وهو :

ويوم كإبهام القطاة مزين إلى صباه غالب لى باطله

ثُمَّتَ لا آتيه سِنَّ الحِسْلِ [١]

كأنّه قال ، حتّى يكون مَالا يكون ؛ لأنَّ الحسل لا يستبدل [٢] بأسنانه أسنانا .

(أسنان الذئب)

وزعم [بَعضُهم [٣]] أنّ أَسنان الذِّئب ممطّولة فى فكّيه [٤] . وأنشد :

أنيابه مَمطولةٌ فى فَكّيْنْ

وليس [فى] هذا الشعر دَليلٌ [٥] على ما قال ؛ لأنَّ الشاعر يُشْبع [٦] الصفةَ إذا مَدَح أو هَجا ، وقد يجوز أن يكونَ ما قال حَقًّا .

(ما قيل فى عبد الصمد بن على)

فأما عبد الصَّمَد بن على [٧] فإنه لم يُثغر [٨] ، ودخلَ القبرَ بأسنان الصِّبا .

---

(١) ثمت ، هى ثم ، زيدت فيها التاء فاختصت بعطف الجمل . ط ، س : « ثمة » وفى ل : « لا أرسله » ، كلاهما محرف .

(٢) س : « يتبدل » .

(٣) هذه التكملة مما سبق فى (٤ : ٥٣ س ١) .

(٤) المطل ، أصله السك والطبع . وانظر (٢ : ٢١٤) .

(٥) فيما عدا ل : « وليس هذا الشعر دليلا » .

(٦) فيما عدا ل : « يشنع » بالنون .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٥٢) . فيما عدا ل : « فأما ما قال » و : « ما » مقحمة .

(٨) يقال ثغر ، بالبناء للمفعول ، وأثغر بالبناء للفاعل : سقطت أسنانه . ل : « يتغر » وهى لغة فيه ، يقال اثغر بتشديد الثاء ، واتغر ، بابدالها تاء : أى سقطت أسنانه. وللغويين خلاف طويل فى هذين الفعلين الأخيرين : وقد روى خبر الجاحظ هذا صاحب اللسان (٥ : ١٧٢) برواية ل .

(استطراد لغوى)

وقد يقال للضَّبّ والحيّة والورَل ، وما أشبَهَ ذلك : فح يفح فحيحا . والفحيح : صَوت الحية من جَوْفها ، والكشيش والقشيش : صَوت جِلْدها إذا حكَّت بَعضَها ببعض(١) .

وليس كما قال ، ليس يُسمع صوت احتكاك الجلد بالجلد إلاّ للأفعى فقط .

وقال رؤبة(٢) :

فِحِّى فلا أفْرَقُ أن تَفِحِّى(٣) وأن تُرَحِّى كرَحَى المرحِّى(٤)

[وقال ابنُ ميّادة :

ترى الضبَّ إن لم يرهب الضبَّ غيره

يكِشُّ له مستكبِراً ويطاولُه(٥)]

(حديث أبى عمرة الأنصارى)

ويُكتَب فى باب حبِّ الضّب للتَّمر حديثَ أبى عمرة الأنصارى(٦)

---

(١) فيما عدا ل : « بعضه ببعض » . وانظر حواشى الحيوان (٤ : ٢٣٣) .

(٢) ط ، ھ : « وقد قال رؤبة » .

(٣) ل : « حى فلا » ، صواب هذه الرواية : « يا حى لا » ترخيم حية . انظر حواشى (٤ : ٢٣٢) .

(٤) ھ : « وأن ترجى كذب المرجى » ھ : « وأن يرجى قرب المرجى » ، صوابهما من ط ، ل وما سبق فى (٤ : ٢٣٢) .

(٥) سبق البيت فى ص ٦٨ وكذا فى (٤ : ٢٣٣) . وهذه التكملة من ل ، س ھ . ولكن فى ل : « أو يطاوله » .

(٦) هو أبو عمرة عبد الرحمن بن محصن النجارى . فيما عدا ل : « ابن عمرو » .

رووه[١] من كلِّ وجه . أنّ عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، قالَ لرجل من أهل الطائف : الحُبْلة أفْضَل أم النخلة[٢] ؟ قال : بل الحُبلة ، أتزبّبها وأشَمِّسها[٣] ، وأستظل فى ظلِّها ، وأصلحُ بُرْمَتى منها[٤] . قال عمر : تأبى ذاك عليك الأَنْصار[٥] .

[و] دخل أبو عمرة عبد الرحمن بن مِحْصَن النجّارى[٦] فقال له عمر : الحبلة أفضــل أم النَّخلة ؟ قال : الزبيب إنْ آكلْه أضْرَس ، وإن أتْرُكْه أغرَثْ ! ليس كالصّقر[٧] فى رُءُوس الرَّقل[٨] ، الراسخات فى

(١) فيما عدا ل : « رووه » .

(٢) الحبلة ، بالضم ويحرك : شجر العنب .

(٣) التزبب : أراد به اتخاذ الزبيب منها . وهذا المعنى لم يرد فى المعاجم . فيما عدا ل : « أتربها » صوابه فى ل والتنبيه للبكرى ص ٩٥ . والتشميس : التجفيف فى الشمس . ط : « أتسنها » ولم أجد لها وجها . وفى التنبيه : « وأتربها » يريد بها أصنع منها الرب ، وهو دبس كل ثمرة وسلافة خثارتها بعد الاعتصار والطبخ . والتربب بهذا المعنى لم يرد فى المعاجم ، وفيها ارتب العنب إذا طبخ حتى يكون ربا يؤتدم به .

(٤) البرمة ، بالضم : قدر من حجارة . قال البكرى : « يعنى الخل » أراد يضع من خلها فى القدر ما يصلح طعامها . فيما عدا ل : « وأطبخ برمتى منها » تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « يأبى ذلك » ، ط : « على الأنصارى » ، س ، هـ : « على الأنصار » ، وأثبت الصواب من ل . وفى التنبيه : « لو حضرك رجل من أهل يثرب رد عليك قولك » .

(٦) النجارى : نسبة إلى بنى النجار ، وهم من بنى عمرو بن الخزرج . والأوس والخزرج هم الأنصار . فيما عدا ل : « الأنصارى » .

(٧) الصقر : ما تحلب من العنب والزبيب والتمر من غير أن يعصر . فيما عدا ل : « قال ليس كالبسر » تحريف .

(٨) الرقل بفتح الراء ، وفى اللسان : « الأصمعى : إذا فاتت النخلة يد المتناول فهى جبارة ، فإذا ارتفعت عن ذلك فهى الرقلة . وجمعها رقل ورقال » . وفى الأصل : « الدقل » بالدال ، تحريف ، فإن تمر الدقل أردأ التمر .

للوحل[١] ، المطعمات فى المَحْل[٢] ، خُرْفَة الصائم[٣] وتُحْفَة الكبير[٤] ، وصُمْتة الصغير[٥] وخُرسة مريم[٦] ، ويُحْتَرَشُ به الضِّباب من الصَّلعاء[٧] . يعنى الصحراء .

(دية الضب واليربوع)

قال : ويقال فى الضّب حُلاَّم[٨] ، وفى اليَربوع جفْرة[٩] . والجفْرة :

---

(١) ط فقط : « الراسخات » ، والواو فيه مقحمة .

(٢) المحل ، بالفتح : الجدب والشدة .

(٣) فى اللسان : « والخرفة بالضم : ما يجتنى من الفواكه . وفى حديث أبى عمرة : النخلة خرفة الصائم ، أى ثمرته التى يأكلها . ونسبها إلى الصائم لأنه يستحب الإفطار عليه » . ل : « حرفة » ، وفيما عدا ل : « حرمة » ، صوابهما ما أثبت . وفى أمالى القالى (٢ : ٥٨) : « تحفة الصائم » .

(٤) التحفة : بالضم : ما أتحفت به الرجل من البر واللطف . فيما عدا ل : « نجمة » وما أثبت من ل يوافق رواية اللسان (١٠ : ٣٦٠) والبكرى فى التنبيه .

(٥) الصمتة ، بالضم : ما يصمت به الصبى من تمر أو شىء طريف ، أى إذا بكى أصمت وأسكت بها .

(٦) الخرسة ، بالضم : ماتطعمه المرأة عند ولادها ، أراد قول الله عز وجل : (وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) . وفى الأمالى : « ونزل مريم ابنة عمران » . وفى التنبيه : « وتخرسة مريم بنت عمران » . وفى اللسان : « وقال خالد بن صفوان فى صفة التمر : تحفة الكبير ، وصمتة الصغير ، وتخرسة مريم ، كأنه سماه بالمصدر » . وفى هذا النص نسبة الخبر إلى خالد بن صفوان ، وليس بشىء .

(٧) الاحتراش : صيد الضب . ل : « وتحترش بها » . وفى التنبيه : « ويحترش به الضب من الصلفاء » . رواه بالفاء . الأصمعى : الأصلف والصلفاء ، ما اشتد من الأرض وصلب . قال البكرى : « والضباب لا تتخذ جحرتها إلا فى الغلظ » وفى اللسان : « وفى حديث عمر — كذا ، والصواب أبى عمرة — فى صفة التمر : وتحترش به الضباب من الأرض الصلعاء : يريد الصحراء التى لا تنبت شيئا ، مثل الرأس الأصلع » .

(٨) انظر (٥ : ٤٩٩ س ٥) .

(٩) انظر (٥ : ٤٩٧ س ٩) واللسان (٥ : ٢١٣ س ٩ — ١٠) .

التي قد انتفخ جَنْبَاها وشَدَنَت(١) . والحُلاَّم فوق الجدى وقد صَلُح أن يُذبَح للنُسُك(٢) . والحُلاَّن ، بالنون : الجدى الصغير الذى لايصلح للنُّسك.

وقال ابنُ أحمر :

تُهدِى إليه ذِراعَ الجدْيِ تَكْرِمَةً إمَّا ذَبيحاً وإمَّا كانَ حُلاَّنَا(٣)

والحُلاَّن والحُلوان(٤) جميعاً : رشوة الكاهن . وقد نُهِى عن زَبْدِ المشركين(٥) ، وحُلوان الكاهن . وقال مُهلهِل : ٤٣

كُلُّ قَتِيل فى كُلَيبٍ حُلاَّمْ حَتَّى ينالَ القَتْلُ آلَ هَمَّامْ(٦)

(أقوال لبعض الأعراب)

وقال الأصمعى : قال أعرابىٌّ يَهزأ بصاحبه : اشتر لى شاةً قَفْعاء(٧) ،

---

(١) ط ، س : « جنبانها » هـ : « حنياتها » ، وأثبت ما فى ل . شدنت : يقال شدن الصبى والخشف وجميع ولد الظلف والخف والحافر ، يشدن شدونا : قوى وصلح جسمه وترعرع وملك أمه فشى معها . وفى الأصل : « شربت » بالراء والباء ، صوابه ما أثبت .

(٢) النسك ، بضمتين ، والنسيكة : الذبيحة . وقيل النسك الدم ، والنسيكة الذبيحة . تقول من فعل كذا وكذا فعليه نسك أى دم يهريقه بمكة ، واسم تلك الذبيحة النسيكة .

(٣) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٤٩٩) . س : « يهدى » ، محرف .

(٤) لم تذكر المعاجم لرشوة الكاهن إلا الحلوان . وذكرت من المعانى المقاربة ماروواه صاحب اللسان عن اللحيانى : « أعط الحالف حلان يمينه » ، أى ما يحلل يمينه » .

(٥) الزبد ، بفتح الزاى والباء الموحدة الساكنة : الرفد والعطاء . وفى الحديث : أن رجلا من المشركين أهدى إلى النبى صلى الله عليه وسلم هدية ، فردها وقال : « إنا لا نقبل زبد المشركين » . ط ، س : « زيد » هـ ، « زبر » ، صوابهما فى ل .

(٦) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٥٠٠) .

(٧) القفعاء ، بتقديم القاف : القصيرة الذنب . ط ، هـ : « فلما » س : « فلماء » ل : « فقعاء » بتقديم الفاء ، والصواب ما أثبت .

كأنَّها تضْحَكُ : مندلقةً خاصرتاها[١] ، كأنّها فى مُحْمِيل ، لها ضَرْعٌ أرقَط ، كأنّه ضبٌّ[٢] . قال : فكيف العَفْلُ[٣] ؟ قال : أو لهذه عَفْلٌ[٤] ؟ !

قال : وسأل مَدَنِىٌّ أعرابيًّا قال : أتأكلون الضَّبَّ ؟ قال : نعم . قال : فاليربوع ؟ قال : نعم[٥] . قال : فالورَل[٦] ؟ قال : نعم . قال : أفتأكلون أمَّ حُبَين[٧] ؟ قال : لا . قال : فلْيَهْنِ أمَّ حُبَينٍ العافية ![٨] .

(شعر فى الضب)

[و] قال فِراس بن عبد الله الكلابى[٩] :

لَمَّا خَشِيت الُجوعَ والإرمَالاَ[١٠] ولم أجِـد بشَوْلِهَا بلاَلاَ[١١]

(١) الاندلاق : البروز والخروج .
(٢) ط ، س : « كأنها ضبة » هـ : « كأنها ضب » ، صوابهما ما أثبت من ل .
(٣) العفل ، بالفتح : مجس الشاة بين رجليها لينظر سمنها من هزالها . ل : « العطل » وفيما عدا ل : « وكيف العضل » ، تحريف .
(٤) ل : « عطل » وما عدا ل : « عضل » . وانظر التنبيه السابق .
(٥) سقط من س : « قال فاليربوع قال نعم » .
(٦) فيما عدا ل : « فالقنفذ » . وقد سبق الخبر برواية أخرى فى (٣ : ٥٢٦) . وانظر عيون الأخبار (٣ : ٢٠٩) .
(٧) أم حبين : دويبة تشبه الضب . ط ، هـ : « أم حنين » محرف . وفى ل : « قال فأم حبين » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٥٢٦) .
(٨) ط ، هـ : « أم حنين » ، صوابه فى ل ، س . وفى ل : « فلتهن » .
(٩) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « الكلبى » وفى س : « فارس » بدل « فراس » وفى ل : « عبد » موضع : « عبد الله » .
(١٠) الإرمال : نفاد الزاد .
(١١) الشول : الإبل التى شالت ألبانها ، أى ارتفعت ، جمع شائلة على غير قياس . والبلال ، بالكسر : كل ما يبل به الحلق من الماء واللبن ، ومنه حديث طهفة : « ما تبض ببلال » ، أراد به اللبن . ل : « إبلالا » وفيما عدا ل : « إبالا » .

أبْصَرْتُ ضَبًّا دَحِناً مُخْتالا(١) أوفَدَ فَوْقَ جُحْرِهِ وذالا(٢)
فدَبَّ لى يَخْتِلُنى اختيالاَ حَتَّى رأيتُ دُونِىَ القَذَالا(٣)
ومَيْلةً ما مِلْتُ حينَ مالا فذَهِبَتْ كَفَّاىَ فاستطالا(٤)
مِنِّى فلا نَزْعَ ولا إرسالا فحاجزا وبَرَّأا الأوصالا(٥)
مِــنِّى ولم أرفَعْ بذاكَ بالا لمَّا رأَتْ عَينى كُشًى خِدَالا(٦)
منه وثَنَّيْتُ له الأَكبالا(٧) ورُحت منهُ دَحِناً دَأَلَا(٨)

(١) الدحن ، بكسر الحاء المهملة : السمين المندلق البطن . ل : « دجنا » تحريف . ط ، س : « دخنا » بالخاء المعجمة ، وهو الخبيث الخلق . وأثبت ما فى ﻫ . المختال : المتكبر . والضب يوصف بالكبر . ل ، س : « محتالا » بالحاء المهملة .

(٢) أوفد ، بالفاء : ارتفع وأشرف . وفى الأصل : « أوقد » بالقاف ، محرف . ذال : تبختر أو شال بذنبه . فيما عدا ل : « زالا » تحريف .

(٣) القذال ، بالفتح : جماع مؤخر الرأس . ل : « حتى رأيت والا » !

(٤) ذهب ، بكسر الهاء : أصله أن يهجم فى المعدن على ذهب كثير فيزول عقله ويبرق بصره من كثرة عظمه فى عينه ، أراد به الدهشة . وهذه رواية ل . وفيما عدا ل : « فدهشت » .

(٥) حاجزا ، الضمير للكفين . والمحاجزة : المسالمة : وفى المثل : « إن أردت المحاجزة فقبل المناجزة » . ط : « فجاحد » ، ﻫ : « فجاحدا » ، ل : « فجاحرا » ، س : « فحاجزا » محرفات . الأوصال : المفاصل .

(٦) الكشى : جمع كشية ، وهى شحمة فى ظهر الضب . ل : « كشا » ، وفيما عدا ل : « كسا » ، والصواب ما أثبت . الخدال : جمع خدلة ، وهى الظيمة . فيما عدا ل : « جدالا » بالجيم ، تحريف .

(٧) الأكبال : جمع كبل ، وهو القيد . ط ، ﻫ : « متى ترسيت لها الإقبالا » . س : « حتى ترسيت له الأكبالا » ل : « منه وسببت له الأكالا » ولعل الصواب فيما أثبت .

(٨) الدحن ، بكسر الحاء المهملة : العظيم البطن . ل : « دجنا » ، وفيما عدا ل : « دخنا » والوجه ما أثبت . والدآل : وصف من الدألان ، وهو مشى فيه مقاربة للخطو ، كأن صاحبه مثقل من حمل . يصف نفسه بعد أن شبع من أكل الضب . ط : « ذآلا » ﻫ : « ذالا » ، صوابهما فى ل ، س .

أسماء لعب الأعراب

البُقَّيْرَى (١) ، وعُظَيمُ وَضّاح ، والَخطْرة (٢) ، والدَّارة ، والشّحمة [و] الحلق ، ولُعبة الضبّ .

فالبُقَّيْرَى (٣) : أن يجمع يديه على التراب فى الأرض إلى أسفله (٤) ، ثم يقول لصاحبه : اشْتَهِ (٥) فى نفسك . فيصيبُ ويخطىء .

وعُظَيمُ وَضّاح (٦) : أن يأخذ (٧) بالليل عظماً أبيضَ ، ثم يرمى به واحدٌ من الفَريقين ، فإنْ وجَدَهُ واحدٌ (٨) من الفريقَين ركِب أصحابه الفريقَ الآخر من الموضع الذى يجدونه فيه إلى الموضع الذى رموا به [منه] .

والخطرة (٩) : أن يعملوا مِخْـرَاقاً ، ثم يرمى [به] واحدٌ منهم من خلفه

(١) البقيرى ، أوله باء مضمومة ثم قاف مشددة ، مقصور . فيما عدا ل : « النقيرا » محرف .

(٢) الخطرة ، بفتح الخاء وبعد الطاء راء . ط ، ﻫ : « الخطوة » بالواو ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « فالنقيرا » محرف .

(٤) ل : « إلى سهله » . وفى اللسان : يأتون إلى موضع قد خبىء لهم فيه شىء ، فيضربون بأيديهم بلا حفر يطلبونه » .

(٥) س ، ﻫ : « اشتهى » ، تحريف .

(٦) فى الحديث : « أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يلعب وهو صغير بعظم وضاح » . وهى لعبة لصبيان الأعراب ، يعمدون إلى عظم أبيض فيرمونه فى ظلمة الليل ثم يتفرقون فى طلبه ، فمن وجده منهم فله القمر . ونقل صاحب اللسان أن الصبيان يصغرونه فيقولون « عظيم وضاح » . وأنشد :

عظيم وضاح ضحن الليله   لا تضحن بعدها من ليله

(٧) فيما عدا ل : « تأخذ » .

(٨) س : « أحد » .

(٩) فى القاموس : « ولعب الخطرة : أن يحرك المخراق تحريكاً » . فيما عدا ل : « الخطوة » ، تحريف .

إلى الفريق الآخر ، فإن عجزوا عن أخْذه رموا به إليهم ، فإن أخذوه ركبوهم[١] .

والدّارة ، هى التى يقال لها اَلخرَاج[٢] .

والشّحمة : أن يمضىَ واحدٌ من أحد الفريقَين بغلامٍ فيتنحَّون ناحية[٣] ثم يقبلون ، ويستقبلهم الآخرون ؛ فإن منَعوا الغلامَ حتَّى يصيروا[٤] إلى الموضع الآخر فقد غلبوهم عليه ، ويُدفَع الغلام إليهم[٥] ، وإن هم لم

٤٤ يمنعوه ركبوهم . وهذا كله يكون[٦] فى ليالى الصَّيف ، عن غِبِّ ربيعٍ مُخصِب .

ولُعبة الضّبّ : أن يصوِّروا الضّبَّ فى الأرض ، ثم يحوِّل واحدٌ من الفريقين وجهَه ، ثم يضعَ بعضهم يده على شىءٍ من الضّبِّ ، فيقول الذى يحوِّل وجهه : أنف الضّبِّ ، أو عين الضّبِّ ، أو ذَنب الضّبِّ ، أو كذا وكذا[٧] من الضّبِّ ، على الوِلاء[٨] ، حتّى يفرغ ؛ فإن أخطأ ما وضَع عليه يدَهُ رُكِبَ ورُكِب أصحابه ، وإن أصابَ حوَّل وجهه الذى كان وضع يده على الضّبِّ ، ثم يصيرُ هو السائل .

---

(١) الكلام من مبدإ : « رموا به » ساقط من ل .

(٢) فى اللسان : « خراج — أى كقطام — والخراج وخريج والتخريج ، كله لعبة لفتيان العرب » . قال الفراء : « خراج : اسم لعبة لهم معروفة ، وهو أن يمسك أحدهم شيئا بيده ويقول لسائرهم : أخرجوا ما فى يدى » .

(٣) ل : « فيختبئون » ه : « فينجون بأخيه » ، محرفة .

(٤) ل : « حتى يصير » .

(٥) ل : « إليه » ، محرفة .

(٦) هذه الكلمة ليست فى س .

(٧) ل ، س : « أو كذا أو كذا » .

(٨) الولاء ، بالكسر : مصدر والى بين الأمرين ولاء وموالاة : تابع .

ويقول[١] الأطبَّاء : إنَّ خُرء الضّب صالح للبياض الذى يصير فى العين .

والأعرابُ ربَّما تداوَوْا به من وجَع الظهر .

وناسٌ يزعمون أنّ أكل لحمان[٢] الحيوان المذكور بطولِ العمر ، يزيد فى العمر[٣] . فصدَّق بذلك ابن الخارَكى[٤] وقال : هذا كما يزعمون[٥] أنّ أكل الكُلية جيِّد للكُلية ، وكذلك الكبدُ ، والطِّحال ، والرِّئة ، واللّحم ينبت اللّحم ، والشّحم ينبت الشّحم . فَغَبَرَ سنةً[٦] وليس يأكلُ إلاّ قَديد لحوم الحمر الوحشية ، وإلا الورشان والضِّباب[٧] ، وكلَّ شيء قدَر عليه مما يقضى له بطول العُمر ، فانتقض بدنه[٨] ، وكاد يموت ، فعاد بعدُ إلى غذائه الأوَّل[٩] .

تفسير قصيدة البهرانى

نقول[١٠] فى تفسير قصيدة البَهْرَانى[١١] ، فإذا فرغنا منها ذكرنا ما فى الحشرات من المنافع والأعاجيب والروايات ، ثم ذكرنا قصيدتى[١٢] أبى سهل

---

(١) ل ، س : « وتقول » ، وهما وجهان .

(٢) اللحمان ، بالضم : جمع لحم . فيما عدا ل : « لحم » .

(٣) ل : « ومما يزيد فى طول العمر » .

(٤) الخارَكى : نسبة إلى « خارك » بفتح الراء ، وهى جزيرة فى وسط البحر الفارسى . فيما عدا ل : « الحاركى » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل « تزعمون » بالتاء .

(٦) غبر : مكث . وفيما عدا ل : فغير بذلك سننه « ، أى أبدل طريقته .

(٧) فيما عدا ل : « إلا قديد حمر الوحش والورشان والضباب » .

(٨) ط ، ﻫ : « فانتقض بذلك » .

(٩) ل : « عادته الأولى » . وبعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « بسم الله الرحمن الرحيم » وزادت س : « وبه الإعانة » .

(١٠) ط ، ﻫ : « القول » ، والصواب ما أثبت من ل ، س .

(١١) انظر ص ٨٠ – ٨٤ من هذا الجزء . وقد أشرنا إلى أبيات القصيدة بأرقامها التى سلفت .

(١٢) فيما عدا ل : « قصيدة » ، تحريف .

بشر بن المعتمر فى ذلك ، وفسرناهما وما فيهما(١) من أعاجيب ما أودع الله تعالى هذا الخَلْق وركّبهُ فيهم، إن شاء الله تعالى . وبالله تبارك وتعالى أستعين .

أما قوله :

٢ «مَسَخَ الماكِسَين ضَبْعاً وذئبا فلهذا تناجَلاَ أمَّ عَمْرِو»

فإن ملوكَ العرب كانتْ تأخُذُ من التُّجَّار فى البرِّ والبحر ، وفى أسواقهم المَكْس ، وهو(٢) ضريبةٌ كانت تؤخذ منهم ، وكانوا يظلمونهم(٣) فى ذلك . ولذلك قال التَّغلبى(٤) ، وهو يشكو ذاك(٥) فى الجاهلية ويتوعّد ، وهو قوله :

ألا تَسْتَحِى مِنَّا مُلوكٌ وتَتّقِى مَحَارِمَنَا لا يَبْوُؤُ الدَّمُ بالدَّمِ(٦)

وفى كُلِّ أسْواقِ العراقِ إتاوَةٌ
وفى كلِّ ما باعَ آمروٌ مَكْسُ دِرْهَمِ

والإتاوة والأُرْبان(٧) والخَرْج كله شيءٌ واحد . وقال الآخر(٨) :

---

(١) فيما عدا ل : «وفسرنا ما فيها» ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : «وهى» . وهذا وجه جائز فى العربية .

(٣) ط فقط : «يضمنونهم» ، وله وجه ؛ فإن التضمين بمعنى التغريم .

(٤) هو جابر بن حنى التغلبى ، انظر المفضليات ٢١١ طبع المعارف .

(٥) فيما عدا ل : «ذلك» .

(٦) لايبوؤ : من قولهم باء فلان بفلان إذا كان كفئا له أن يقتل به . فيما عدا ل : «يبرأ» صوابه فى ل والمفضليات .

(٧) أورد صاحب اللسان فى (١٦ : ١٥٥ — ١٨ : ٣٣) كلمة : «الأربان» بفتح الهمزة وبالياء المثناة التحتية ، وقال : «قال ابن الأثير : هو الخراج والإتاوة ، وهو اسم واحد كالشيطان . قال الخطابى : الأشبه بكلام العرب أن يكون بضم الهمزة والباء المعجمة بواحدة : وهو الزيادة عن الحق . يقال فيه أربان وعربان» . قلت : ماتوهمه الخطابى نطق به الجاحظ هاهنا .

(٨) هو يزيد بن الخذاق الشنى العبدى . انظر المفضليات ٢٩٨ .

ألاَ ابنَ المعَلّى خلتنا أمْ حسِبْتَنَا صراريَّ نُعطى الماكسينَ مُكُوسَا[1] ٤٥

وقال الأصمعيُّ ، فى ذكر المكسِ والسُّفنِ التى كانت تُعْشَر ، فى قصيدته التى ذكر فيها مَن أهلك الله عز ذكره ، من الملوك ، وقَصَم من الجبابرة ، وأباد من الأمم الخالية — فقال :

أعْلَقَتْ تُبَّعاً حِبالُ المنونِ وانتحت بعده على ذى جُدُونِ[2]

وأصابتْ مِنْ بعدهم آل هِرْما سَ وعادتْ من بعدُ للسَّاطِرُونِ[3]

مَلِكَ الحضر والفُراتَ إلى دِجْ لة شرقاً فالطورَ من عَبْدِينِ[4]

كل حِمْل يمرُّ فوق بعير فله مكسُهُ ومكسُ السَّفِينِ

والأعراب يزعمون[5] أن الله تعالى عزّ وجلّ لم يَدَع ماكِساً [ظالما] إلا أنزلَ به بليّةً ، وأنَّه مسخَ منهم ضَبُعاً وذئباً . فلهذه القرابةِ

---

(١) أراد : ألا ياابن المعلى . وفى الأصل : « أكابن » ، تصحيحه من المفضليات : والصرارى : الملاحون ، يقال للواحد والجمع . انظر اللسان (٦ : ١٢٤ — ١٢٥) والخزانة (١ : ٨٠ — ٨١) . ط ، هـ : « صوارى » ، س : « سوارى » ، ل : « صرادى » ، صوابه فى المفضليات . وفيما عدا ل : « تعطى » .

(٢) فى اللسان : « قال اللحيانى : الإعلاق وقوع الصيد فى الحبل ، يقال نصب له فأعلقه » . وذو جدون ، أراد به « ذو جدن » ، وهو من أذواء اليمن . انظر اللسان (غذا) . ل : « حذون » هـ : « جرون » ، وليس لها وجه .

(٣) الهرماس ، بالكسر : نهر نصيبين ، مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ ، مسدودة بالحجارة والرصاص ، بنتها الروم لئلا تغرق هذه المدينة . ط ، هـ : « هو ماس » محرف . والساطرون ، بكسر الطاء : ملك من ملوك العجم ، غزاه سابور ذو الأكتاف ، فأخذه وقتله . ل : « للساطون » محرف .

(٤) الحضر ، بالفتح : مدينة بإزاء تكريت فى البرية ، بينها وبين الموصل والفرات كان يمر بها نهر الثرثار ، ومادته من الهرماس نهر نصيبين . هـ : س : « الحصر » ، محرف . وفى الأصل : « فا دجلة » ، صوابه من معجم البلدان (٦ : ٦٩) . وطور عبدين : بليدة من أعمال نصيبين فى بطن الجبل المشرف عليها . فيما عدا ل : « فالطود من عابرين » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « تزعم » .

تَسَافدا وتناجَلا ، وإن اختلفا فى سوى ذلك . فمن ولدهما السِّمع والعِسبار [١] . وإنما اختلفا [٢] لأنّ الأمَّ ربما كانت ضبعا والأبُ ذئباً ، وربما كانت الأمُّ ذئبةً والأبُ ذِيخاً . والذِّيخ : ذَكَر الضِّباع .

(ذكر من أهلك الله من الأمم)

وأمّا قوله :

٣ « بَعَثَ الذَّرَّ والجَرَاد وقفَّى بنَجيع الرُّعافِ فى حَىِّ بَكْرِ »

فإنّ الأعراب [٣] تزعم أن الله تعالى قد أهلك بالذرّ أممًا . وقد قال أميّةُ ابن أبى الصَّلت :

أرسَلَ الذَّرَّ والَجراد عليهمْ وسِنيناً فأهلَكَتْهم ومُورًا [٤]
ذَكَرَ الذَّرِّ إنّه يفعَلُ الشَّـ ـرّ وإنّ الجرادَ كان ثُبورًا

وأما قوله : « وقفّى بنَجيع الرَّعاف فى حىِّ بكر » فإنّه يريد بَكر ابن عبد مناة ، لأنّ كنانةَ بِنزولها مَكّة كانوا لا يزالون يصيبُهم من الرُّعاف ما يصيرُ شبيها بالُموتان [٥] ، وبجارف الطاعون . وكان آخِر مَن مات بالرُّعاف من سادة قُريش هِشام بن المغيرة .

---

(١) فيما عدا ل : « ومن ولدهما » . والسمع والعسبار سبق الكلام عليهما فى (١ : ١٨١) .
(٢) فيما عدا ل : « اختلفتا » .
(٣) هذه الكلمة ساقطة من هـ . وفى س ، ط : « العرب » .
(٤) سبق شرح هذا البيت وتاليه فى (٤ : ١٤) .
(٥) الموتان ، بالضم والفتح : الموت .

وكان الرُّعاف مِنْ منايا جرهُمٍ أيام جرهم ، [ولذلك قال شاعرٌ فى الجاهلية ، من إياد(١) :

وَنحنُ إيادٌ عبادُ الإله ورهط مُناجِيهِ فى سُـلَّمِ
ونحنُ ولاةُ حجاب العتيق زمانَ الرُّعاف على جُرهمِ(٢)

ولهذا المناجى الذى كانَ يناجى الله ، عز وجل ، فى الجاهلية على سُلَّم ـ حديث(٣)] .

(سيل العرم)

فأما قوله(٤) :

« خَرقتْ فأرةٌ بأنفٍ ضئيلٍ عَرِماً مُحكَمَ الأساسِ بصَخْرِ » ٤

[فقد(٥)] قال الله عز وجل : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ ﴾ والعَرِم : المسنّاة التى كانوا أحكموا عملها لتكون حجازاً بين ضِياعهم(٦) وبين

---

(١) هو بشير بن الحجير الإيادى ، كما فى أمثال الميدانى (٢ : ٨٠) . والبيتان رواهما الجاحظ فى البيان (٢ : ١١٠) بدون نسبة .

(٢) ولاة الحجاب ، أى يلون الحجابة ، وهى سدانة البيت وتولى حفظه . والعتيق ، عنى به البيت العتيق ، وهو الكعبة . ورواية الميدانى : « زمان النخاع » ، قال : « يقال إن الله سلط على جرهم داء يقال له النخاع ، فهلك منهم ثمانون كهلا فى ليلة واحدة سوى الشبان » .

(٣) هذا المناجى هو وكيع بن سلمة بن زهير بن إياد ، كان ولى أمر البيت بعد جرهم ، فبنى صرحا بأسفل مكة ، وجعل فى الصرح سلما ، فكان يرقاه ويزعم أنه يناجى الله ، وينطق بكثير من الخبر . انظر الميدانى والبيان .

(٤) فيما عدا ن : « فأما قوله » .

(٥) ليست فى الأصل .

(٦) فيما عدا ل : « ليكون » . والضياع : جمع ضيعة . وفيما عدا ل : « ضيعهم » وهى صحيحة أيضا ، وفى اللسان : « الضيعة : الأرض المغلة . والجمع ضيع ، مثل بدرة وبدر : وضياع » . وقد نقل ياقوت فى معجم البلدان (٨ : ٣٥٨) عبارة الجاحظ هذه بدون تنبيه ، فانظره .

السَّيل ، ففَجرته فارة ، فكان ذلك أعجبَ وأظهر فى الأعجوبة (١) كما أفار الله تعالى عز وجل ماءَ الطوفان من جَوف تَنُّور (٢) ؛ ليكون ذلك أثبتَ فى العِبرة ، وأعجَبَ فى الآية .

٤٦ ولذلك قال خالدُ بنُ صفوان لليمانىّ (٣) الذى فخر عليه عند المهدىّ (٤) وهو ساكت ، فقال المهدى : ومالَكَ لا تقول ؟ ! قال : وما أقول لقوم ليس فيهم إلا دابغُ جلد ، وناسجُ بُرْدٍ ، وسائسُ قرد ، وراكب عَرْد (٥) ؛ غرَّقتهم فارة ، وملَكَتْهم امرأة ، ودلَّ عليهم هدهد .

وأما قوله :

٥ « فجَّرته وكان جَيلان عنه   عاجزاً لو يَرُومُه بَعْدَ دهْرِ

فإنّ جيلان فَعَلة الملوك ، وكانوا من أهل الجَبَل (٦) . وأنشد الأصمعى :

أرسَلَ جَيلان يَنحَتون له   ساتيدَما بالحديدِ فانصدعَا (٧)

(١) ل : « ليكون ذلك أظهر فى الأعجوبة » . ومثلها فى ياقوت .

(٢) الكلام بعد كلمة : « فارة » إلى هنا ساقط من س .

(٣) اليمانى ، المنسوب إلى اليمن . س : « المانى » محرف . وهذا اليمانى هو إبراهيم ابن مخرمة ، كما فى معجم البلدان (٨ : ٥٢٤) .

(٤) رواية ياقوت فى الموضعين وكذا الجاحظ فى البيان (١ : ٣٣٩) أنه « أبو العباس السفاح » .

(٥) العرد ، بالفتح : الحمار . ذكر هذا المعنى صاحب القاموس ، ولم يذكره ابن منظور . ط : « عود » ، صوابه فى سائر النسخ والبيان ومعجم البلدان .

(٦) فى القاموس أن جيلان بالكسر : « إقليم بالعجم ، معرب كيلان ، وقوم رتبهم كسرى بالبحرين » . وذكر صاحب اللسان أن جيلان وجيلان - بكسر الجيم وفتحها - « قوم رتبهم كسرى بالبحرين شبه الأكرة الخرص النخل أو لمهنة ما » . وفرق ياقوت بين الضبطين ، فجعل جيلان بالكسر : اسما لبلاد كثيرة من وراء طبرستان ، وبالفتح : اسما لقوم من أبناء فارس انتقلوا من نواحى إصطخر فنزلوا بطرف من البحرين ، فغرسوا وزرعوا وحفروا وأقاموا هناك ، فنزل عليهم قوم من بنى عجل فدخلوا فيهم .

(٧) ساتيدما ، بفتح الدال : جبل بين ميافارقين وسعرت . ل ، وكذا فى اللسان (١٣ : ١٤٣) نقلا عن الجاحظ « ساتيذما » بالذال المعجمة . ط : « ساتيرما » محرف . وفى ل : « فانصدعوا » .

وأنشد :

وتَبْنِي له جَيلانُ مِنْ نَحتِها الصَّفا قُصوراً تُعَالى بالصَّفيح وتُكْلَسُ [1]

وأنشد لامرئ القيس :

أُتِيحَ له جَيلانُ عنـد جِذَاذِه ورُدّدَ فيه الطَّرْفُ حَتّى تحيَّرَا [2]

يقول : فجَّرته فارةٌ ، ولو أنّ جيلان أرادت ذلك لامتنعَ عليها ؛ لأنَّ الفارةَ إنما خرقته [3] لمـا سخّر الله عز ذكره لهـا من ذلك العَرِم [4] .

وأنشدوا [5] :

مِنْ سَبَأَ الحاضرِينَ مأرِب إذْ يَبْنُون مِنْ دُونِ سَيلِهِ العَرِما [6]

---

(١) ل : « دبت » موضع : « وتبنى » تحريف . وكلمة : « نحتها » محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « تحت » وفيما عدا ل : « تحتها » ، واعتبر هذه الكلمة بكلمة : « ينحتون » فى البيت السابق . والصفيح : جمع صفيحة ، وهى كل عريض من حجارة أو لوح أو نحوهما . وعالاه بالصفيح : علاه ، يقال علا به وأعلاه وعلاه وعالى به . ل : « بحرا يعالا » ، وفيما عدا ل : « قصورا تغالى » ، والوجه فيهما ما أثبت . تكلس : تطلى بالكلس ، وهو بالكسر : ماطلى به حائط أو باطن قصر ، شبه الجص . ل : « ويكبس » محرف .

(٢) الجذاذ ، بالكسر والفتح : صرام النخل ، وهو قطع تمره . ل ، س : « جداده » بدالين مهملتين ، وهو بالكسر والفتح بمعنى الأول . ورواية الديوان ٩٢ : « أطافت به جيلان عند قطاعه » . والقطاع ، بالكسر والفتح ، بمعنى الجداد أيضا .

(٣) فيما عدا ل : « خربتها » ، محرف .

(٤) العرم ، ككتف ، قد فسرها الجاحظ فى ص ١٥١ . وأراد به سيل العرم . فيما عدا ل : « العزم » .

(٥) البيت للنابغة الجعدى كما فى اللسان (١٥ : ٢٩٠) والكامل ٦١١ والشعراء ٢٥٣ وابن سلام ٤٤ . وقد روى ابن سلام خلافا فى نسبة هـذا البيت إلى أمية ابن أبى الصلت .

(٦) سبأ ، ضبطت فى ل بفتح الهمزة ، وهى الرواية الصحيحة فى البيت . وبه استشهد أبو عمرو فى قراءته : (لقد كان لسبأ فى مساكنهم جنتان) . وانظر ماسبق فى (٥ : ٥٤٨) . وقرئ « لسبإ » بالإجراء . فن صرفه أراد به الحى ، ومن منعه الصرف أراد به القبيلة أو البقعة .

ومأرب : اسم لقصر ذلك الملك ، ثم صار اسما لذلك البلد[١] . ويدلُّ على ذلك قول أبى الطَّمحان القينى[٢] :

ألا ترى مَأرِباً ما كان أحصَنَهُ   وما حَوالَيْهِ مِنْ سُورٍ وبُنْيانِ[٣]
ظَلَّ العِبَادِيُّ يُسقَى فوق قُلّتهِ   ولم يَهَبْ رَيْبَ دَهرٍ حقٍّ خوَّانِ[٤]
حتّى تناولَه من بعد ما هَجَعوا   يَرْقَى إليه على أسْبابِ كَتّانِ[٥]

وقال الأعشى :

فَفِى ذَاكَ لِلمُؤْتَسِى أُسْوَةٌ   ومَأرِبُ قَفَّى عليه العَرِمْ[٦]
رخامٌ بَنَتْه لهُ حِمْيَرٌ   إذا جاء مَاؤُهمُ لم يَرِمْ[٧]
فأروَى الحُرُوثَ وأعنابَها   على ساعةٍ ماؤُهمُ إذ قُسِمْ[٨]
فطار الفُيولُ وفَيَّالُها   بِيَهْماءَ فيها سَرابٌ يَطِمّ[٩]

---

(١) ل : « ثم صار اسما البلدة » .
(٢) ل : « أبى طمحان » مع إسقاط الكلمة التى بعده . وترجمته فى (٤ : ٤٧٣) . وقد روى البيت الأول صاحب الإكليل ص ٥٥ . وروى ياقوت فى (٨ : ٣٥٩) هذه الأبيات بدون نسبة .
(٣) هـ : « ما كان أخصبه » .
(٤) هو نظير الحديث : « أمينا حق أمين » ، وفيما عدا ل : « عق خوان » . ورواية ياقوت : « جد خوان » .
(٥) الأسباب : المراقى ، والحبال : جمع سبب .
(٦) سبق الكلام على هذا البيت فى (٥ : ٥٤٨) .
(٧) هـذا البيت ساقط من هـ . وفى ط ، س : « رخاه » ، صوابه فى ل . وانظر (٥ : ٥٤٨) .
(٨) الحروث : الزروع . فيما عدا ل : « فأودى الحدوث وأعنانها » محرف . ط : « على ساقة » س ، هـ : « على ساقه » وأثبت ما فى ل والديوان . والساعة : القليل من الوقت . ورواية الديوان : « على سعة » ، وفيما عدا ل : « ذو قسم » .
(٩) ل : « وكان الفيول » ورواية الديوان : « فطار القيول وقيلاتها » . واليهماء : المفازة لا ماء بها . يطم : يعلو ويغمر ، أو يسرع ويذهب على وجه الأرض . فيما عدا ل : « بتيماء فيها شراب لطم » ، صوابه من ل والديوان .

فكانُوا بذلكمُ حِقْبةً فمال بِهمْ جارفٌ مُنْهدِمْ[١]
فطارُوا سِراعاً وما يَقدِرُو نَ مِنْهُ لشِرْب صَبِىٍّ فُطِمْ

(مسخ الضبّ وسهيل)

وأما قوله : ٤٧

٦ « مَسخَ الضَّبّ فى الجدَالةِ قِدْماً وسُهَيلَ السَّماء عَمْداً بصُغْرِ[٢] »

فإنهم يزعمون أنّ الضّبّ وسُهَيلاً كانا ما كِسَين عَشّارين ، فمسخ الله [عز وجل] أحدهما فى الأرض ، والآخرَ فى السماء . والجدالة : الأرض ، ولذلك يقال : ضربه فجدَّله أى ألْزَقه بالأرض ، أى بالجَدالة[٣] . وكذلك قول عنترة[٤] :

وحَليل غانِيةٍ ترَكْتُ مجدّلاً تَمْكو فريصَتُه كشِدْقِ الأَعْلَمِ[٥]

وأنشد أبو زيدٍ سعيدُ بن أوسٍ الأنصارى :

قد أركب الحالة بعد الحالهْ[٦] وأتْرُك العاجِز بالجَدالهْ[٧]

---

(١) الحقبة : مدة من الدهر . فيما عدا ل : « فكانوا فداء لكم خفية » ، تحريف . ورواية الديوان : « فعاشوا بذلك فى غبطة » ، وفى الديوان أيضا : « فجاربهم » .

(٢) الصغر ، بالضم : الذل والضيم ، كالصغار ، بالفتح . ط ، س : « بصفر » ﻫ : « يصغر » صوابهما فى ل .

(٣) ل : « أى ألزقه بالجدالة » .

(٤) ل : « وكذلك قوله » . والبيت من معلقة عنترة المعروفة .

(٥) الحليل : الزوج ، والمرأة حليلة ، قيل لها ذلك لأن كل واحد منهما يحل على صاحبه . فيما عدا ل : « وخليل » بالمعجمة ، تحريف .

(٦) رواية القالى (٢ : ٢٥٤ ، ٢٦٩) وكذلك ابن سيده (١٠ : ٦٨) وابن منظور (١٣ : ٤١ ، ١٠٩) ، قد أركب الآلة بعد الآله » : والآلة والحالة بمعى . فيما عدا ل : « الحالة بعد الحاله » محرف .

(٧) بعد هذا البيت فى الأمالى : « منعفراً ليست له محاله » ، وفى المخصص : « ملتبسا » .

(أبو رغال)

وأما قوله :

٧ « والذى كان يَكْتَنِي بِرِغال جَعَل الله قَبْرَهُ شَرَّ قَبْرِ
٨ و كذا كلُّ ذى سَفِين وخَرْجٍ ومُكُوسٍ وكلُّ صاحب عُشْر »

فإنما ذكر أبا رِغال (١) ، وهو الذى يرجم الناس قبره إذا أتوا مكة . وكان وجّهه [صالحٌ (٢) النبى صلى الله عليه وسلم] ، فيما يزعمون ، على صدقات الأموال ، فخالف أمره ، وأساءَ السِّيرة ، فوثَب عليه ثقيف ، وهو قَسِيٌّ ابن مُنَبِّه (٣) ، فقتله قتْلاً شنيعاً . وإنما ذلك لسوء سيرته فى أهل الحرم . فقال غيلان بن سلمة (٤) ، وذكر قَسوة أبيه على أبى رغال :

نحنُ قَسِيٌّ وقَسَا أبونا (٥)

وقال أُمَيّة بنُ أبى الصَّلت :

نفَوْا عن أَرضِهمْ عدْنانَ طرًّا وكانوا للقبائل قاهِرِينا
وهم قتلوا الرئيس أبا رغال بنخلة إذ يسوق بها الظعينا (٦)

---

(١) أبو رغال ، بكسر الراء بعدها غين معجمة : كنية له ، واسمه زيد بن مخلف ، كما فى اللسان (١٣ : ٣١٠) .

(٢) وردت كلمة : « صالح » فى هـ ، س بعد كلمة : « يزعمون » .

(٣) هو قسى بن منبه بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . انظر المعارف ٤١ .

(٤) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قسى ، وهو ثقيف . وغيلان شاعر مقل ، أسلم بعد فتح الطائف . وهو الذى وفد إلى كسرى فسأله : أى ولدك أحب إليك ؟ قال : الصغير حتى يكبر ، والمريض حتى يبرأ ، والغائب حتى يقدم . انظر الأغانى (١٢ : ٤٣ — ٤٧) والإصابة ٦٩١٨ .

(٥) البيت فى المعارف ٤١ واللسان (٢٠ : ٤٢) .

(٦) هـ : « الضبينا » س : « الضئينا » ل : « إذ تسق لها الوضينا » ، وأثبت ما فى ط . والظعين : جمع ظعينة ، وهو الجمل يظعن عليه .

وقال عمرو بن دَرَّاكٍ العبدى[١] ، وذكر فُجور أبي رغال وخُبْثَهُ ، فقال :

وإنى إن قطعت حِبال قيسٍ ... وحَالَفْتُ المَزُونَ على تَمِيمِ[٢]

لأعْظَمُ فَجْرةً مِنَ أبِي رِغالٍ ... وأجْوَرُ فى الحكومةِ من سَدُومِ[٣]

وقال مسكينٌ [الدارمىّ] :

وأرجُمُ قَبْرَهُ فى كلِّ عامٍ ... كرَجْمِ النَّاس قَبْرَ أبي رغالِ

وقال عُمرُ بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه ، لغَيلانَ بن سلمَة ، حين أعتق ٤٨
عبده ، وجعلَ ماله فى رِتاج الكعْبة : لئن لم ترْجِعْ فى مالك ثمَّ مُتَّ
لأرجُمَنّ قبرك ، كما رُجم قبرُ أبي رِغال ، وكلاماً غيرَ هذا كلّمه به[٤] .

---

(١) ذكره المرزبانى فى المعجم ص ٢١٧ . وقال : إنه يقال له أيضا : « عمرو بن دراك » بكسر الدال وتخفيف الراء . قال : « ومن قوله يهجو اليمن ويتعصب لنزار . . . » وأنشد البيتين اللذين رواهما الجاحظ . وأنشد له أبياتا يهجو بها سليمان بن حبيب ابن المهلب . ط ، س : « درك » تحريف ، صوابه فى ل ، هـ .

(٢) المزون ، بفتح الميم : اسم من أسماء عمان ، وأهلها من الأزد ، وهم رهط المهلب ابن أبى صفرة . انظر اللسان (مزن) ومعجم البلدان (المزون) . فيما عدا ل : « جبال » تحريف صوابه فى ل ومعجم المرزبانى واللسان (١٥ : ١٧٧) . هـ واللسان : « وخالفت » تحريف أيضا . يقول : لست بقاطع حبال قيس قومى ، ولست أحالف هؤلاء الأزد على تميم ، فإنى إن فعلت ذلك كنت مثلا فى الفجور والجور . والشاعر عبدى ، من عبد القيس بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد ابن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . ويعنى بقيس قيس عيلان بن إلياس بن مضر ابن نزار بن معد بن عدنان . وتميم هم بنو مر بن أد بن طابخة بن إلياس بن مضر . وأما الأزد فهم فى اليمن ، بنو الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان .

(٣) فى أمثال الميدانى (١ : ١٧٤) : « أجور من قاضى سدوم » . وجعل الثعالبى فى ثمار القلوب ٦٥ « سدوم » و « قاضى سدوم » رجلين اثنين . قال : « سدوم كان ملكا فى الزمن الأول جائرا ، وله قاض أجور منه » . ونحوه فى اللسان (١٤ : ١٧٧) : « نقل أهل الأخبار قالوا : كان سدوم ملكا فسميت المدينة باسمه ، وكان من أجور الملوك » . وسدوم : مدينة من مدائن قوم لوط ، ورد ذكرها فى التوراة . وانظر معجم البلدان (سدوم) وأمالى الزجاجى ١٤٨ بتحقيقنا .

(٤) انظر رواية هذا الحديث فى الإصابة (٥ : ١٩٤) ، فإن بين الروايتين تخالفا .

(المنكب والعريف)

وأما قوله :

٩ « مَنْكِبٌ كافرٌ وأشْرَاطُ سَوْءٍ وعَريفٌ جَزاؤُه حَرُّ جَمْرِ »

فإنما[١] ذهبَ إلى أحكام الإسلام . كأنه قد كان[٢] لقى من المَنْكب والعَريف جهْدا . وهم ثلاثة : مَنْكِب[٣] ، ونقيب ، وعَريف . وقال جُبَيْهاءُ الأشجَعىُّ[٤] :

رَعاع عاونَتْ بَكْرًا علَيْه كما جُعِل العَريفُ على النَّقِيبِ[٥]

(الغول والسعلاة)

وأما قوله :

١٠ « وتزوّجْتُ فى الشَّبيبةِ غُولاً بغزال وصَدْقَتِي زقٌّ خَمْرِ[٦] »

فالغُول اسمُ لكلّ شيءٍ من الجن يعرضُ للسُّفّار ، ويتلوّنَ فى ضُروب الصُّور والثياب ، ذكراً كان أو أنثى . إلاّ أنّ أكثر كلامهم[٧] على أنّه أنثى .

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه » .

(٢) فيما عدا ل : « كأنه كان قد » .

(٣) المنكب ، كمجلس : عون العريف .

(٤) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٦) . يقال جبيهاء وجبهاء ، بالتصغير والتكبير . انظر المفضليات ١٦٧ . وكلمة : « جبيهاء » ساقطة من س .

(٥) الرعاع ، بالفتح : أخلاط الناس وسقاطهم . فيما عدا ل : « رباع » .

(٦) ط : فقط : « كغزال » ، محرف .

(٧) ط ، هـ : « إلا أن الأكثر » .

وقد قال أبو المِطْراب [١] عبيدُ بن أيُّوبَ العنبرىّ :

وحالَفْتَ الوُحوشَ وحالَفَـتْنى بقرب عُهودهنَّ وبالبعـادِ [٢]
وأمْسَى الذِّئبُ يرصُـدُنى مِخَشًّا لخفّةِ ضربتى ولضعف آدى [٣]
وغَـولاً قفـرةٍ ذكـرٌ وأنثى كأنّ عَلَيْهِماَ قِطعَ البِجادِ [٤]

فجعل فى الغِيلان الذّكرَ والأُنثى . وقد قال الشَّاعر [٥] فى تلوُّنها :

فما تدوم على حال تـكون بها كما تَلَوَّنُ فى أثوابها الغُولُ [٦]

فالغُول ما كان كذلك ، والسِّعلاة اسم الواحدة [٧] من نساء الجن [إذا لم [٨]] تتغوّل لتفتِنَ السُّفّار [٩] .

قالوا : وإنما هذا منها على العَبث ، أو لعلّها أن تفزّع إنسانا [جميلا]

---

(١) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٨) . ط ، هـ : « أبو المضراب » بالضاد المعجمة ، س : « أبو المطراب » تحريف .

(٢) ل : « بحيث عهودهن » ، هـ ، س : « اقرب عهودهن » .

(٣) يرصده : يرقبه . والمخش ، بكسر الميم وفتح الخاء المعجمة : الماضى الجرىء على هول الليل . ط : « محشا » ل : « محسا » صوابه فى س ، هـ . والآد : القوة ، ومثلها الأيد . ومادته من (أى د) . ل : « بخفة » و : « بضعف » .

(٤) ل : « وغولى قفرة ذكرا » ، ونصبه على أنه مفعول معه . والبجاد : بالكسر : كساء مخطط من أكسية الأعراب .

(٥) هو كعب بن زهير الصحابى ، والبيت من قصيدته المشهورة التى مدح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنشدها بحضرته وحضرة المهاجرين والأنصار . وهذا البيت هو الثامن من القصيدة ، ومطلعها :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول معيم إثرها لم يفد مـكبول

(٦) فى الأصل : « وما تزال » ، وبذلك يتضارب البيت . والوجه ما أثبت من نص القصيدة بشرح ابن هشام ص ٣٢ .

(٧) ل : « والسعلاة الواحدة » ، وفيما عدا ل : « والسعلاة اسم لواحدة » ، وقد جمعت بين الروايتين .

(٨) تكملة من ل ، س .

(٩) لم أجد هذا التقييد فى السعلاة لغير الجاحظ . والتغول : التلون والتخييل . وفى اللسان « كانت العرب تزعم أن الغول فى الفلاة تتراءى للناس فتتغول تغولا ، أى تتلون تلونا فى صور شتى » .

فتغيِّرَ عقله ، فتداخِلَه عند ذلك[١] ؛ لأنّهم لم يُسلَّطوا على الصَّحيح العقل .

ولو كان ذلك [إليهم] لبدءوا بعليّ بن أبي طالب ، وحمزَة بن عبد المطلب وبأبي بكر وعُمر في زَمانهم[٢] وبغيلان[٣] والحسن في دهرهما[٤] وبواصل وعمرو في أيامهما[٥] .

وقد فرَق بين الغُول والسِّعلاة عُبيدُ بن أيُّوبَ ، حيث يقول :

وساحرةٍ مِنِّي ولو أنّ عَينَها رأتْ ما أُلاقيهِ من الهوْلِ جُنّتِ

أزلُّ وسِعلاةٌ وغولٌ بقَفْرةٍ إذا اللّيل وارَى الجنَّ فيه أرنّتِ[٦]

٤٩ وهم إذا رأوا المرأة[٧] حديدة الطّرف والذِّهن ، سريعة الحركة ، ممشوقة ممَحَّصة[٨] قالوا : سعلاة . وقال الأعشى :

---

(١) فيما عدا ل : « فيتغير عقله من أجله عند ذاك » .

(٢) فيما عدا ل : « وأبي بكر وعمر في زمانهما » .

(٣) هو غيلان الدمشقي أبو مروان ، الذي سبقت ترجمته في (٢ : ٧٥) . قال ابن قتيبة في المعارف ٢١٢ : « لم يتكلم أحد قبله في القدر ودعا إليه إلا معبد الجهني » . وذكر ابن حجر في لسان الميزان (٤ : ٤٢٤) أن اسمه « غيلان بن مسلم » .

(٤) ل : « في زمانهما رضوان الله عليهم » .

(٥) هذه العبارة ساقطة من ل . وواصل ، هو واصل بن عطاء البصري المتكلم ، كان من أجلاء المعتزلة ، ولد سنة ثمانين بالمدينة . قال المسعودي : هو قديم المعتزلة وشيخها ، وأول من أظهر القول بالمنزلة بين المنزلتين . ومات سنة إحدى وثلاثين ومائة . انظر لسان الميزان (٦ : ٢١٤ — ٢١٥) . وأما عمرو ، فهو عمرو ابن عبيد المعتزلي ، المترجم في (١ : ٣٣٧) .

(٦) الأزل : الأرسح ، أي الصغير العجز ، وهو من صفات الذئب الخفيف . وأرنت الجن : صوتت .

(٧) فيما عدا ل : « الفتاة » .

(٨) الممحصة : الشديدة الخلق البريئة من الرهل . ومثلها المحصة ، بميم مفتوحة بعدها حاء ساكنة فصاد مهملة . فيما عدا ل : « محضة » .

ورجالٍ قتلَى بجنْبَىْ أريكٍ ونساءٍ كأنهنَّ السَّعالى(١)

(تزاوج الجن والإنس)

ويقولون : تزوّج عمرو بن يربوع السّعلاة . وقال الرّاجز(٢) :

يا قاتَلَ اللهُ بنى السِّعلاةِ

[عمرَو بنَ يَربوعٍ شِرارَ النَّاتِ(٣)]

وفى تلوُّن الغول(٤) يقول عبَّاسُ بنُ مرداسٍ السُّلَمىُّ(٥) :

أصابت العامَ رِعلاً غولُ قومهم

وَسْطَ البُيوتِ ولوْنَ الغُولِ ألوانُ(٦)

وهم يتأوَّلون قوله عز ذكره : ﴿ وَشَارِكْهُمْ فِى الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ ﴾

---

(١) أريك : اسم وادٍ . ل ، س « بجنب أريك » وفى هـ : « قبلى مجتبى » وهذه محرفة . ورواية الزوزنى فى المعلقات ١٩٤ وابن منظور فى اللسان (١ : ٢٩٥) : « وشيوخ حربى بشطى أريك » .

(٢) هو علباء بن أرقم ، كما فى نوادر أبى زيد ١٠٤ واللسان (٢ : ٤٠٧) . وقد روى الرجز أيضا بدون نسبة فى أمالى القالى (٢ : ٦٨) والمخصص (٣ : ١٣/٢٦ : ٢٨٣) والخصائص ٤٥١ والفصول والغايات ٢١٠ ونوادر أبى زيد ١٤٧ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨١) .

(٣) فى المخصص (٣ : ٢٦) : « عمرو بن منصور » ، وورد على الصواب فى (١٣ : ٢٨٣) . وقوله : « النات » أراد « الناس » فأبدل التاء من السين وهو من قبيح الضرورة . وقد ارتكب مثل هذه الضرورة فى قوله فى البيت الثالث وقد روته معظم المراجع : « ليسوا أعفاء ولا أكيات » ، أراد : « أكياس » .

(٤) فيما عدا ل : « السعلاة » .

(٥) هو العباس بن مرداس بن أبى عامر بن حارثة بن عبد قيس بن رفاعة بن الحارث ابن بهثة بن سليم ، أسلم قبل فتح مكة بيسير . وأمه الخنساء الصحابية الشاعرة . انظر ترجمته فى الخزانة (١ : ١٤٥ سلفية) والاستيعاب (٣ : ١٠١) والإصابة ٤٥٠٢ والأغانى (١٣ : ٦٢) .

(٦) رعل : بالكسر : قبيلة من سليم . انظر اللسان والقاموس والمعارف ٣٨ . فيما عدا ل : « أصابت القوم غول جل قومهم » ، تحريف . وانظر السيرة ٨٤٣ .

وقوله عز وجل : ﴿ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ ﴾ . [قالوا] : فلو كان الجانّ لم يُصِب منهنّ قطّ ، ولم يَأتِهنّ(١) ، ولا كان ذلك ممّا يجوز بين الجن وبين النساء الآدميّات — لم يقل ذلك .

وتأوّلوا قوله [عزّ وجل] : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ ﴾ فجعل منهنّ النِّسَاء ؛ إذ [قد] جعلَ منهم الرِّجال ؛ وقوله [تبارك وتعالى] : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ [أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي](٢) ﴾ .

وزعم ابنُ الأعرابيّ قال : دعا أعرابيٌّ ربهُ فقال : اللهم إنى أعوذُ بك منْ عفاريت الجن ! اللهمَّ لاتشْرِكهمْ فى ولدى ، ولا جسدى ، ولا دمى ، ولا مالى ، ولا تُدخلهم فى بيتى ، ولا تجعَلهُمْ لى شركاء فى [شىءٍ من] أمر الدنيا والآخرة .

وقالوا : ودعا زهير بن هُنَيدة(٣) فقال : اللهمَّ لا تُسلطهم على نطفتى ولا جَسَدى(٤) .

قال أبو عبيدة : فقيل له : [لم تدعو بهذا الدُّعاء ؟ قال : وكيف لا أدعو به وأنا أسمعُ أيُّوب النبى والله تعالى(٥) يخبر عنه ويقول : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّى مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ(٦) ﴾ حتى

---

(١) كلمة : « الجان » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « لم يصب فيهن قط ولم تأتهن » .

(٢) وردت الآية محرفة فيما عدا ل بإسقاط فاء : (أفتتخذونه) . وهذه الآية هى الخمسون من سورة الكهف .

(٣) فيما عدا ل : « هنيه » .

(٤) ط ، هـ : « على نطفى ولا على جسدى » .

(٥) ل : « أيوب النبى صلى الله عليه وسلم » و « الله عز ذكره » . وهذه الصلوات والتمجيدات هى فى أكثر ماتكون من صنع الناسخين .

(٦) س : « أن مسنى الشيطان » تحريف لم يقرأ به . وهى الآية ٤١ من سورة ص . وقرئ : (بنصب) بضم النون والصاد ، وفتحهما ، وضم النون وسكون الصاد . وكلها بمعنى واحد ، وهو التعب والمشقة .

قيل له : ﴿ اركُضْ بِرِجْلِكَ هٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴾ . وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله يقول(١) : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ(٢) ﴾ ، وأسمعه(٣) يقول : ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعمَالَهُمْ وَقَالَ لاَ غَالِبَ لَـكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَـكُمْ ﴾ ، فلما [رأى الملائـكة نـكص على عقبيه ، كما قال الله عزّ ذكره : ﴿ فَلَمَّا] تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَـكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْـكُمْ إِنِّى أَرَى مَالاَ تَرَوْنَ ﴾ ، وقد جاءهم فى صُورة الشَّيخ النَّجدى(٤) . وكيف لا أستعيذ بالله منه ، وأنا أسمع الله [عز ذكره] يقول : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ . إِلاَّ مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ(٥) ﴾ . وكيف لا أستعيذ بالله منه وأنا أسمع الله تعالى يقول : ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ثم قال : ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ(٦)

---

(١) بعد كلمة « شراب » فى ل ، س : « وأسمعه يقول » فقط .

(٢) بعد هذه الكلمة فى ل ، س : « وكيف لا أستعيذ بالله منه » .

(٣) ل : « وأنا أسمع الله عز ذكره يقول » .

(٤) يشير إلى ما يروى أصحاب السير من أن إبليس حضر دار الندوة فى هيئة شيخ جليل عليه بت ، وادعى أنه شيخ من شيوخ أهل نجد ، وكان رئيسهم ومدبر مؤامرتهم على قتل الرسول قبيل الهجرة ، فكان كلما أعلنوا رأيا اعترضه وأبان لهم فساده وضعفه ، إلى أن أبدى أبو جهل بن هشام رأيه الذى تفرقوا عنه وهم مجمعون له ، وهو أن يختاروا من كل قبيلة فتى جليدا ، ثم يضربه الفتيان بسيوفهم ضربة واحدة فيتفرق دمه فى القبائل — فحينئذ قال الشيخ النجدى : « هذا الرأى الذى لا أرى غيره » . انظر السيرة ٣٢٣ — ٣٢٦ جوتنجن ، وسيرة ابن سيد الناس (١ : ١٧٧ — ١٨٠) والبداية والنهاية (٣ : ١٧٤ — ١٧٧) .

(٥) هذه الآية لم ترد فى ل . وهما الآيتان ١٧ ، ١٨ من سورة الحجر .

(٦) ل ، س : (كالجوابى) بإثبات الياء ، وهى قراءة ورش وأبى عمرو فى الوصل ، وقرأ ابن كثير ويعقوب بإثباتها فى الحالين . والجوابى : جمع جابية ، وهى الحوض الضخم .

وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ ﴾ . وكيف لا أدعو بذلك[١] وأنا أسمع الله تعالى يقول : ﴿ قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ، وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴾ . وكيف لا أقول ذلك وأنا أسمع الله عزّ وجلّ يقول : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِى إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ . وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ ﴾ .

(تزيُّد الأعراب وأصحاب التأويل فى أخبار الجنّ)

والأعراب يتزيّدون فى هذا الباب . وأشباهُ الأعراب يغلطون فيه .

وبعضُ أصحاب التأويل يجوّز فى هذا الباب[٢] مالا يجوز [فيه] .

وقد قلنا [فى ذلك فى] كتاب النُّبُوّات بما هو كافٍ إن شاء الله تعالى .

(مذاهب الأعراب وشعرائهم فى الجن)

وسيقع هذا الباب[٣] [و] الجواب فيه تامًّا إذا صرنا إلى القول فى الملائكة ، وفى فرق ما بين الجن والإنس . وأما هذا الموضع[٤] فإنما مَغْزانا[٥] فيه الإخبارُ عن مذاهب الأعراب ، وشعراءِ العرب . ولولا العلم بالكلام ، وبما يجوز ممّا لا يجوز[٦] ، لكان فى دون إطباقهم على هذه الأحاديث ما يغلط فيه العاقل .

---

(١) فيما عدا ل : « وكيف لا أستعيذ بالله منه » .

(٢) فيما عدا ل : « يجوز فيه » .

(٣) ط ، هـ : « وسيقع فى هذا الباب » .

(٤) ل : « فأما فى هذا الوضع » .

(٥) المغزى : المقصد والمراد . هـ : « مغزانا » ، محرف .

(٦) ل : « فلولا العلم بالكلام وما يجوز مما لا يجوز » .

قال عُبيدُ بن أيُّوبَ ، و [قد] كان جوَّالاً فى مجهول الأرض ، لمَّا اشتد خوفه وطال تردُّده ، وأبعد فى الهرب :

لقد خِفْتُ حتَّى لو تمُرُّ حَمامَةٌ   لقُلْتُ عَدُوٌّ أو طَلِيعَة مَعْشَرِ
فإن قيل أمْنٌ قلتُ هذِى خديعةٌ   وإن قيل خوفٌ قلتُ حَقًّا فشَمِّرِ
وخِفت خليلى ذا الصَّفاء ورَابَنى   وقيل فلان أو فلانة فاحــذَرِ
فلله دَرُّ الغُول أىُّ رفيقــةٍ   لصاحِبِ قفْر خائِفٍ متقتِّرِ (١)
أرنَّتْ بلحْن بعد لحن وأوقدَتْ   حَــوالىَّ نيراناً تلوح وتزهرُ (٢)
وأصبحت كالوحْشىِّ يَتبَعُ ما خلا   ويترك مَأبُوسَ البلادِ المدَعْثَرِ (٣)

و [قال] فى هذا الباب فى كلمة له ، وهذا أولها :

أذِقنىَ طَعْمَ الأمن أو سَلْ حقيقةً   علىَّ فإن قامتْ ففصِّــل بنانيَا (٤)
خلعتَ فؤادى فاستُطيرَ فأصبَحَتْ   ترامى بى البيدُ القِفارُ تَرَاميا (٥)
كأنى وآجالَ الظِّباء بقَفرَةٍ   لنا نسبٌ نرعاه أصبَح دانيَا (٦)

(١) المتقتر : المتنحى عن الناس . ط ، ه : « متقفر » س : « متنقر » صوابهما فى ل . وسبق فى (٤ : ٤٨٢) : « متقفر » . وهى رواية ديوان المعانى (١ : ١١٣) .
(٢) ل : « بلحن خلف لحن » ، س ، ه : « نيران » . وسبق فى (٤ : ٤٨٢ / ٥ : ١٢٣) : « تبوخ وتزهر » .
(٣) هذا البيت ساقط من ل . وفى الأصل : « ويطلب مأنوس » ، وفى حماسة البحترى ٤١٢ : « ويترك موطوء » . وقد اهتديت برواية البحترى فى تصحيحه . والمأبوس ، بالباء لابالنون كما فى الأصل : المذلل الممهد . والمدعثر : الموطوء . وفى الأصل : «المبعثر» صوابه من البحترى .
(٤) فيما عدا ل عدا : « أوصل حقيقة محل » ، صوابه فى ل والشعراء ٧٥٩ . وفى س : «ففضل» و ه : « بنائيا » محرفتان .
(٥) فيما عدا ل وكذا فى الشعراء : « ترامى به » .
(٦) الآجال : جمع إجل بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش والظباء . ط : « لنا كعب » س ، ه : « كسب » صوابهما من ل والشعراء . و : « دانيا » هى فى ط ، س : « رابيا » ه : « رائيا » صوابهما فى ل والشعراء .

رأين ضئيلَ الشَّخْصِ يَظْهَرُ مَرَّةً   ويَخْفَى مراراً ضامِرَ الجِسم عاريا (١)
٥١ فأجْفَلنَ نفرًا ثم قُلنَ ابنُ بلدةٍ   قليلُ الأذى أمْسى لكُنَّ مُصَافيا (٢)
ألا يا ظِباءَ الوَحْشِ لا تُشْهِرُنَّنِى   وأخفِينِى إذ كنْتُ فِيكن خافِيا (٣)
أكلت عُرُوق الشَّرْيِ مَعْكُنْ والتَّوَى   بِحَلْقِ نَوْرَ القَفْرِ حتَّى وَرانيا (٤)
[وقد لقيتْ منى السِّباعُ بليَّةً   وقد لاقت الغيلانُ مِنِّى الدَّواهيا (٥)
ومنهنَّ قد لاقيت ذاك فلم أكُنْ   جباناً إذا هَوْلُ الجبان اعترانيا (٦)
أذقت المنايا بَعْضَهُنَّ بأسهمى   وقدَّدْن لحمى وامتَشَقْنَ ردائيا (٧)
أبِيتُ ضجيعَ الأسْوَدِ الجَون فى الهُوَى   كثيراً وأثناءُ الحِشاش وسادِيَا (٨)

---

(١) ل : « ضرير الشخص » ، تحريف . ولم يرو البيت فى الشعراء .

(٢) نفرا ، قال ابن سيده : هو اسم جمع لنافر ، كصاحب وصحب ، وزائر وزور ونحوه . انظر اللسان .

(٣) س : « لا تظهرنى » . وفى الشعراء : « لا تحذرنى » وفيما عدا ل : « إن كنت » صواب هذه فى ل والشعراء .

(٤) الشرى ، بالفتح : شجر الحنظل . والنور ، بالفتح : الزهر . وراه : من الورى بفتحتين ، وهو شرق يقع فى قصبة الرئتين فيقتله . أبو زيد : رجل مورى ، وهو داء يأخذ الرجل فيسعل : يأخذه فى قصب رئته . وفى هـ « ورائيا » وفى ط : « روائيا » ، صوابه فى ل ، س والشعراء . ل : « نون القفر » هـ : « بخلى ثور القفر » ، محرفتان .

(٥) هذه التكملة من ل والشعراء .

(٦) ط ، هـ : « قد لا لقيت » صوابه فى ل ، س . وفى الشعراء : « قد لقيت » . والأبيات التالية بعده لم ترو فى الشعراء .

(٧) التقديد : التقطيع والشق . والامتشاق : الاقتطاف والاختلاس والاقتطاع . ل « بأسهم » س : « وقد دق لحمى » .

(٨) الأسود : العظيم من الحيات . والهوى ، بضم ففتح : جمع هوة كقوة ، وهى الوهدة الغامضة من الأرض . والحشاش ، ككتاب : ما يوضع فيه الحشيش . فيما عدا ل : « وأبناء الحشيش » محرف .

إذا هِجْن بى فى جُحْرِهِنَّ اكتنفننى ... فليت سُليمانَ بنَ وَبْرٍ يرانيا(١)
فما زِلتَ مُذكنتُ ابن عشرين حِجة ... أخا الحرب مُجْنيًّا علىَّ وجانيا(٢)

ومما ذكر فيه الغِيلانَ قولُه :

تقول وقد ألممتُ بالإنس لَمَّـةً ... مُخَضَّبةُ الأطرافِ خُرْسُ الخلاخِلِ(٣)
أهذا خليلُ الغول والذِّئب والذى ... يَهِيمُ بِرَبَّاتِ الحِجال الـكَوَاهِل(٤)
رَأَتْ خَلَقَ الأدراس أشْعَثَ شاحباً ... على الجدْب بَسَّاماً كريمَ الشَّمائل(٥)
تعـوَّدَ من آبائه فَتَـكاتِهم ... وإطعامَهُمْ فى كلِّ غبْراء شامِل(٦)
إذا صادَ صيْدا لفَّهَ بضرامِهِ ... وشيكا ولم يَنْظر لنَصْب المَراجل(٧)
ونهْـساً كنَهْس الصقر ثم مِراسهُ ... بكفَّيه رأسَ الشِّيخة المتمايل(٨)

---

(١) اكتنفنه : أحطن به . ط : « اكتشفنى » ل : « اكتفينى » صوابه فى س ، ﻫ .
و « وبر » هى فى ل فقط : « زبر » .

(٢) ل : « ابن عشر وأربع » . والـكلام بعد هذا البيت إلى نهاية المقطوعة التالية ساقط من س .

(٣) خرس الخلاخل ، أراد خرس خلاخلها . وخرس الخلخال كناية عن امتلاء الساق . وفى اللسان (٢ : ٣٦٠) : « وجارية صموت الخلخالين : إذا كانت غليظة الساقين لا يسمع لخلخالها صوت لغموضه فى رجلها » .

(٤) الحجال : جمع حجلة ، وهى بيت كالقبة يستر بالثياب ويكون له أزرار . والـكواهل : جمع كاهلة ، ولم يسمع هذا المفرد ولا الجمع . وإنما سمع « الكاهل » بمعنى الـكهل فى حديث . وقد جاء فى جمع الـكهل كهل كركع . قال الأزهرى فى كلمة كهل : « وأراها على توهم كاهل » . فيبدو من نص الأزهرى ونص هذا البيت أنهم قالوا كاهل وكاهلة فى معنى كهل وكهلة ، وهو الذى انتهى شبابه بعد الثلاثين .

(٥) الأدراس : جمع درس ، بالـكسر والفتح ، وهو الثوب الخلق البالى .

(٦) ﻫ : « تعوذ به من آبائه فبكاهم » ، تحريف . والغبراء : السنة الجدبة .

(٧) لم ينظر : لم ينتظر . والضرام والضرامة : ما اشتعل من الحطب . وقيل الضرام جمع ضرامة . ط : « بطرامة » ﻫ : « ألفه بصرامة » ، محرفتان صوابهما فى ل . و : « لم بنظر » هى فى ط ، ﻫ : « لم ينكر » ، محرفة .

(٨) المراس ، أراد به المسح والدلك . والمعروف مرس يده بالمنديل وتمرس به . وفى ط فقط : « طراسه » محرفة . والشيخة ، بكسر الشين وبالخاء المعجمة : =

فلم يسحب المِنديلَ بين جماعةٍ ولا فارداً مذ صاحَ بَيْن القوابل[١]

ومما قال[٢] فى هذا المعنى :

علام تُرَى ليلى تعذّب بالْمنى أخا قفَراتٍ كان بالذئب يأنس[٣]

وصار خليلَ الغُول بَعْد عداوةٍ صَفيًّا وربّتهُ القفارُ البسابسُ[٤]

وقال فى هذا المعنى :

فلولا رجالٌ يا مَنيعُ رأيتَهم لهم خُلُقٌ عند الجوار حَميدُ

لَنالكمُ مِنِى نكالٌ وغارةٌ لها ذنبٌ لم تدركوه بعيدُ[٥]

أقلَّ بنو الإنسان حتَّى أغرتمُ على من يثير الجنّ وهى هجودُ[٦]

(أخبار وطرف تتعلق بالجن)

وقال ابن الأعرابى[٧] : وَعدت أعرابيَّةٌ أعرابيًّا أن يأتيها ، فكمن

= نبغة ، سميت بذلك لبياضها ، كما قالوا فى الحمض الحرم . يقول : إذا انتهى من طعامه مش يديه فى هذا النبت ، ليزيل ما علق بهما .

(١) فاردا : أى منفردا . يقول : إنه قد تأبد منذ ولد فلم يسلك سبيل الإنس ولم يلزم عاداتهم .

(٢) أى عبيد بن أيوب العنبرى . انظر حماسة البحترى ٤١١ . س : « قيل » . ويروى البيتان أيضا لعبيد بن ربيعة التيمى . انظر حماسة البحترى فى الموضع المتقدم .

(٣) فى حماسة البحترى : « أخا قفرة قد كاد بالغول » .

(٤) فى حماسة البحترى . « وأضحى صديق الذئب » . ل : « صفاء وربته » . وفى حماسة البحترى : « وبغض وربته القفار الأمالس » .

(٥) فيما عدا س : « أنا لكم » ، محرف . وفى ل : « عن تذكروه بعيد » محرف أيضا .

(٦) فيما عدا ل : « بنو الإحسان » . وفى ل : « على من يراعيكم » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) ه : « وقال » فقط .

فى عُشَرَةٍ[١] كانت بقربهم[٢] ، فنظر الزّوجُ فرأى شَبَحًا فى العُشَرَة ، فقال ٥٢
[لامرأته]: يا هَنَتاهُ[٣] إنّ إنساناً لَيُطالعنا من العُشَرة ! قالت : مَهْ يا شيخ ،
ذاكَ جانُّ العُشَرة ! إليك عنّى وعن ولَدِى ! ! قال الشيخ : وعنّى يرحَمُك
الله ! [٤] قالت[٥] : وعن أبيهم إن هو غطّى رأسه ورقد[٦] . [قال] : ونام
الشّيخ ، وجاء الأعرابى[٧] فسَفَع برجليها[٨] ثمّ أعطاها حتى رضيت .

وروى عن محمّد بن الحسن ، عن مُجالِد[٩] أو [عن] غيره وقال : كنّا
عند الشّعبى[١٠] جُلوساً ، فمرَّ حمّـالٌ على ظهره دَنّ خَلٍّ، فلما رأى الشّعبىَّ وضع
الدّنّ وقال للشعبى : ما كان اسمُ امرأة إبليس ؟ قال : ذاك نـكاحٌ ما شهدناه!

---

(١) ل : « فتكن » وأنا فى ريب منها ، وفى س : « فتمكن » بإهمال الحرف الثانى محرفة . والعشرة ، بضم ففتح : واحدة العشر ، وهو من كبار الشجر له صمغ حلو وفيه حراق مثل القطن يقتدح به ، وهو عريض الورق ، وله سكر يخرج من شعبه ومواضع زهره .

(٢) أى بقرب أهلها وعشيرتها · ط ، س : « بقربها » ه : « بقربهن » .

(٣) يا هنتاه : كناية عن المنادى المؤنث الذى لا تريد التصريح باسمه ، تقوله بالتحريك مع إسكان الهاء فى آخرها أو كسرها أو ضمها . انظر اللسان (٢٠ : ٢٤٢ — ٢٤٦) وهمع الهوامع (١ : ١٧٨) . وفيما عدا ل : « ياهناه » محرفة ، إنما تقال للمنادى المذكر تكنى عنه .

(٤) ل : « رحمك الله » .

(٥) س : « فقالت » .

(٦) ط فقط : « فما هو إلا أن غطى رأسه فرقد » ، صوابه فى سائر النسخ . وفيما عدا ل : « فرقد » .

(٧) ل : « وجاء الآخر » .

(٨) سفع بناصيته ورجله يسفع سفعا : جذب وأخذ وقبض . وفى الكتاب : (لنسفعا بالناصية) . فيما عدا ل : « ورفع رجليها » .

(٩) هو مجالد بن سعيد بن عمير الهمدانى ، أبو عمرو الكوفى ، يروى عن الشعبى وعن مسروق . انظر البيان (٣ : ٨١ ، ١٢٩ ، ٢٨٩) . ومات سنة ١٤٤ . انظر تهذيب التهذيب (١٠ : ٤٩ — ٤٠) والمعارف ٢٣٤ .

(١٠) سبقت ترجمته فى (٥ : ١٣٧) .

وأبو الحسن عن أبى إسحاق المالِكى قال : قال الحجَاج ليحيى بن سعيد بن العاص[١] : أخبرنى عبدُ الله بن هلال صديق إبليس ، أنّك تشبه إبليس ! قال : وما ينكر أنْ يكون سيد الإنس يُشبه سيد الجنِّ !

وروى الهيثم عن داود بن أبى هند[٢] ، قال : سئل الشّعبى عن لحم الفيل ، فتلا قولَه عز ذكره : ﴿ قُلْ لاَ أَجِدُ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ [إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ] ﴾ إلى آخر الآية . وسُئل عن لحم الشّيطان فقال : نحن نرضى منه بالكَفَاف[٣] . فقال له قَائل : ما تقولُ فى الذِّبّان ؟ قال : إن اشتهيتَه فكُلْهُ .

وأنشدوا قول أعرابى لامرأته[٤] :

ألا تمُوتين إنا نبتغى بدلا إن اللواتى يموِّتن الميامين[٥]

[أم أنت لازلتِ فى الدنيا معَمَّرَةً كما يُعَمَّر إبليسُ الشَّياطِين[٦]]

وقال أبو الحسن وغيرُه : كان سعيدُ بن خالد بن عبد الله بن أسيد تصيبهُ مُوتة[٧] نصف سنة ، ونصفَ سنةٍ يصح ، فيحبو ويُعطى ، ويكسُو

---

(١) ط ، هـ : « بن العاصى » بإثبات الياء . وهما مذهبان . انظر ما أسلفت من تحقيق فى حواشى (٥ : ٢٩٥) .

(٢) هو داود بن دينار . وأبو هند كنية أبيه دينار . كان داود مولى لبنى قشير ، وكان من أهل سرخس ، ومات فى طريق مكة سنة تسع وثلاثين ومائة . انظر المعارف ٢١١ . وروى الجاحظ فى البيان (١ : ٢٩١) حديثا له مع الفضل بن عيسى الرقاشى .

(٣) الكفاف ، بالفتح : هو ما كان بقدر الحاجة ، لا فضل فيه ولا نقص .

(٤) ل : « قول الأعرابى لا مرأته » .

(٥) موت ، بالتشديد ، مثل مات . والميامين : جمع ميمون ، مقابل المشئوم .

(٦) فى الأصل ، وهو هنا ل : « أم أنت لا زال » تحريف . وفى هذا البيت إقواء

(٧) الموتة ، بالضم : الغشى وجنس من الجنون والصرع يعترى الإنسان ، فإذا أفاق عاد إليه عقله .

ويَحمِل . فأراد أهلَه أنْ يعالُجِوه . فتكلّمت امرأةٌ على لسانه [فقالت] . أنا رُقيّة بنت ملْحان(١) سيِّد الجنِّ ، والله أنْ(٢) لو علِمتُ مكانَ رجل أشرَف منه لعلِقْتُه ! والله لئن عالجتموه لأقتُلنّه ! فتركوا علاجه .

وتقول العرب : شيطانالحمَاطة ، وغولالقَفْرَة ، وجانُّالعُشَرة (٣) .وأنشد :

فانصَلَتَتْ لى مِثْلَ سِعلاةِ العُشَرْ   تروح بالوَيْل وتَغْدُو بالغِيَرْ (٤)

وأنشد :

يأيُّها الضاغب بِالغُمْلولْ(٥)   إنّك غُولٌ ولدَتْكَ غولْ

الغُملول : الخمر من الأرض اختبأ(٦) فيه [هذا] الرجل ، وضغب ضغية الأرنب(٧) ؛ ليفزعه ويوهمه أنّه عامر لذلك الخمر(٨) .

---

(١) ل : « ابنة ملحان » .

(٢) كلمة « أن » ليست فى ل ، وهى ثابتة فى سائر النسخ . و « أن » هذه زائدة زيدت بين لو وفعل القسم المتروك ، كقوله :

أما والله أن لو كنت حرا   وما بالحر أنت ولا العتيق

انظر المغنى (١ : ٣٢) .

(٣) سبق الكلام على العشر فى ص ١٦٩ .

(٤) فيما عدا ل : « تروح بالليل » وفى ل : « وتغدو بالعبر » . والويل : الهلاك . والغير : غير الدهر ، وهو تغير حاله من صلاح إلى فساد .

(٥) فيما عدا ل : « يأيهذا الصاحب » ، صوابه فى ل واللسان (١٤ : ١٩) . وفى جميع النسخ : « الغملول » بإسقاط الباء . والصواب إثباتها كما فى اللسان .

(٦) فيما عدا ل : « يختبئ » .

(٧) ضغيب الأرنب : صوتها . فيما عدا ل : « ويضغب » ، وفى س : « ويضغب ضغيب » .

(٨) الخمر ، بالتحريك : ما سترك من شجر أو بناء أو غيره . ل : « لتفزعه وتوهمه أنه عامر ذلك الخمر » .

٥٣ باب

من ادعى من الأعراب والشعراء أنهم يرون الغيلان ويسمعون عزيف الجان(١)

وما يشبهون بالجن والشياطين ، وبأعضائهم وبأخلاقهم(٢) وأعمالهم .

وأنشد :

كأنّه لمّا تدانى مَقْرَبُه(٣) وانقطعت أوْذُمُه وكُرَبُهْ(٤)
وجاءت الخيلُ جميعاً تَذنِبُهْ(٥) شيطان جنٍّ فى هواه يرقبهْ
أذنب فانقضَّ عليه كوكبُهْ

وأنشد :

إنّ العُقَيلىَّ لا تلقى له شَبَهَا ولو صَبرْتَ لتلقاه على العِيسِ
بَيْنَا تَرَاهُ عليه الخزُّ متَّكِئاً إذ مَرَّ يهدج فى خَيش الكرابيس(٦)

---

(١) العزيف : صوت الجن . ل : « أصوات عزيف الجان » ، س : « أصوات الجان » .
(٢) ل : « بأعضائهم وأخلاقهم » .
(٣) المقرب ، بفتح الميم : السير أو سير الليل .
(٤) الأوذام : جمع وذم بالتحريك ، وهو السير من الجلد يقد طولا . والكرب ، بالتحريك : الحبل يشد على عراق الدلو ثم يثنى ثم يثلث . عنى به حبل الفرس . وإنما تنقطع الأوذام والكرب فى شدة العدو .
(٥) تذنبه بكسر النون وضمها : تتبعه ، كأنها تتلو ذنبه ، وقد استشهد صاحب اللسان بهذا البيت فى (١ : ٣٧٥) مع نسبته إلى الكلابى .
(٥) الهدج والهدجان : مشى رويد فى ضعف . والخيش ، بالفتح : ثياب رقاق النسج غلاظ الخيوط تتخذ من مشاقة الكتان ومن أردئه ، وربما اتخذت من العصب ، وهو ضرب من برود اليمن يعصب ثم يصبغ ثم يحاك فيأتى موشيا . والكرابيس : جمع كرباس ، بالكسر ، وهو ، كما تقول المعاجم العربية ثوب من القطن الأبيض . لكن فى معجم استينجاس أنه ثوب من القطن الأبيض ، أو نسج رقيق من الكتان . والنص فيه ص ١٠٢١ : (Awhite cotton garment, fine linen, muslin)

وقد تكنَّفَهُ غُرَّامُه زَمَناً أشباهَ جِنٍّ عُكوفٍ حَوْلَ إبليسِ [١]

إذَا المفاليسُ يوماً حاربُوا مَلِكا تَرَى العُقيلىَّ منهمْ فى كَرادِيسِ [٢]

وهو الذى يقول [٣] :

أصبحتَ مَالكَ غيرُ جِلْدِكَ تَلْبَسُ قَطرَ السَّماء وأنْتَ عارٍ مُفْلِسُ [٤]

وقال الخطَفى [٥] :

يَرْفَعْن بالليل إذا ما أسْدَفَا أعْنَاقَ جِنَّانٍ وهَاماً رُجَّفَا

وَعَنَقاً بعد الرسيم خَيْطَفَا

= ولفظه الفارسى « كرباس » بفتح الكاف . ط : « إذا مر » محرف . « وخيش » هى فيما عدا ل : « حش » بحاء مهملة وشين معجمة ، صوابهما فى ل .

(١) الغرام : جمع غريم وهو صاحب الدين . قال ابن الأثير : هو جمع غريب ، وروى فيه حديث جابر : « فاشتد عليه بعض غرامه فى التقاضى » . ط فقط : « عرامه » بالمهملة ، تصحيف .

(٢) الكراديس : جمع كردوس ، بالضم ، وهى الكتيبة من الخيل .

(٣) كذا . ولم يسبق تعيين اسم شاعر .

(٤) فيما عدا ل : « أضحت ثيابك » ، محرف .

(٥) الخطفى ، بفتحات ، هو حذيفة بن بدر بن سلمة بن عوف بن كليب بن يربوع . وهو جد جرير بن عطية بن الخطفى . وإنما سمى حذيفة بالخطفى للأبيات التى أنشدها الجاحظ . انظر البيان (١ : ٢٦٦) والأغانى (٧ : ٣٥) والخزانة (١ : ٧٩ سلفية) والنقائض ص ١ . ولكن فى اللسان (١٠ : ٤٢٤) أن اسم الخطفى « عوف » ، ونسب القول بأن اسمه « حذيفة » إلى أبى عبيدة . فيما عدا ل : « أبو الخطفى » تحريف .

(٦) هذا البيت ساقط من س . والعنق بالتحريك : ضرب من السير المنبسط . والرسيم : ضرب من السير سريع ، يؤثر فى الأرض من شدة الوطء . والخيطف : سرعة انجذاب السير كأنه يختطف فى مشيه عنقه ، أى يجتذبه . ل « بعد الكلال » وهى رواية الأغانى وإحدى روايتى اللسان . وروى فى البيان والخزانة والنقائض : « باقى الرسم » . هـ : « وزعفانا فى الرسيم » ، محرفة . والقافية فى الخزانة : « خطفى » قال : « ويروى خيطفا » . وفى اللسان والأغانى : « خيطفا » ، وفيهما : « ويروى خطفى » .

وأنشد ابنُ الأعرابي :

غناءً كليبياً تَرَى الجنَّ تبتغى صَدَاهُ إذا ما آب للجنِّ آيبُ (١)

وقال الحارث بن حلزة :

ربُّنا وابننا وأفضل منْ يَمْـ شِي ومَنْ دونَهُ ما لَدَيْه الثَّناءُ (٢)

إرَمِيٌّ بمِثْلِه جَالَتِ الجِـ نُّ فآبَتْ لِخَصْمها الأَجْلاءُ (٣)

وقال الأعشى :

فإنى وما كلفتمونى وربِّكم ليعلم من أمْسى أعقَّ وأحْوَبا (٤)

لَكالثَّور والجِنيُّ يضربُ ظهْرَهُ وَما ذنْبُه أنْ عافَتِ الماءَ مَشْرَبا ٥٤

---

(١) فيما عدا ل : « غناء كليبى يرى الجن يبتغى » .

(٢) الرب هنا بمعنى الملك ، وفى اللسان : « وقد قالوه فى الجاهلية للملك » . قال الحارث ابن حلزة :

وهو الرب والشهيد على يو م الحيارين والبلاء بلاءُ » .

ل : « ربنا قاهر » هـ : « رسا وأسا » وأثبت مافى س . وجاء فى ط : « ملك مقسط » ولا إخالها إلا من تصرف الناشر ليوافق بذلك رواية المعلقات . يقول : عنده من الخير والمعروف أكثر مما نصف ونثنى . ط ، هـ : « ومن دونه مالديه » محرفة .

(٣) إرمى : نسبة إلى إرم عاد ، أى ملكه قديم كان على عهد إرم . وقيل : كأن هذا الممدوح من إرم عاد فى الحلم ، لأنه يروى أنه كان من أحلم الناس . وقيل ذهب إلى أن جسمه وشدته يشبهان أجسام عاد وشدتهم . وجالت : فاعلت من المجالاة وهى المكاشفة . والأجلاء : جمع جلا ، وهو الأمر المنكشف . يقول : بمثل عمرو بن هند كاشفت الجن الناس فرجعت وقد فلج خصمهم . أى أن من كاشف بفخر هذا الملك انكشف أمره وتبين ، لأن فخره لايخفى على أحد . س : « أوحى » بدل « أرمى » محرف . وفى هـ : « لخضبها » بدل : « لخصمها » محرفة أيضا .

(٤) كذا ورد البيت فى ل والديوان ص ٩٠ . وفيما عدا ل :

فإنى وما كلفتمونى اتباعه ليعلم ربى من أعق وأحوبا

لكن فى هـ : « فإنى فما تلقبتمونى » محرف . وسبق فى (١ : ١٩ ، ٣٠١) « لأعلم من أمسى » . وهو يخاطب بهذا الشعر بنى سعد بن قيس ، ذكرهم فى بيت سابق من هذه القصيدة وهو :

فأبلغ بنى سعد بن قيس بأننى عتبت فلما لم أجد لى معتبا

وقال الزَّفَيان العُوَافيُّ (١) واسمه عَطاء بن أَسِيد (٢) أحد بنى عُوَافةَ (٣) ابن سعد :

بَيْنَ اللَّها منه إذا ما مدًّا (٤) مثلُ عَزِيف الجن هَدَّتْ هَدًّا (٥)

وقال ذو الرُّمَّة :

قد أعسِفُ النَّازحَ المجهُولَ مَعْسِفُه في ظل أغْضَفَ يَدْعو هَامَهُ البُومُ (٦)

للجِنِّ باللّيل في حافاتها زَجَلٌ كما تَنَاوَحَ يوم الريح عَيشومُ (٧)

---

(١) الزفيان ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٥) . والعوافى ، بضم العين : إلى نسبة بنى عوافة ، وهم بطن من بنى سعد بن زيد مناة ، قال صاحب القاموس : « منهم الزفيان أبو المرقال عطية بن أسيد الراجز » ، والصواب : « عطاء بن أسيد » كما نص الجاحظ ، وكما نص صاحب القاموس فى مادة (رقل) . وقد ذكر ابن قتيبة فى المعارف ٣٥ أنهم بنو الحارث بن سعد بن زيد مناة بن تميم . ط ، هـ : « الرقيانى » س : « الرقبانى » ، صوابه بالزاى والفاء والياء المثناة التحتية محركات . وأسيد ، بفتح فكسر ، كما ضبط فى القاموس فى الموضعين .

(٢) انظر التنبيه السابق .

(٣) فيما عدا ل : « عواف » تحريف . وانظر التنبيه الأول .

(٤) اللها ، بالفتح والقصر : جمع لهاة ، وهى اللحمة المشرفة على الحلق .

(٥) الهد والهدد : الصوت الغليظ . والهديد : الدوى ، وصوت شديد تسمعه من سقوط ركن أو حائط أو ناحية جبل .

(٦) العسف : ركوب المفازة وقطعها بغير قصد ولا هداية ، ولا توخى صوب ولا طريق مسلوك ، يقال عسفها يعسفها عسفا ، وتعسفها ، واعتسفها . والمعسف، بكسر السين : اسم المكان منه . والأغضف : الليل ، ويقال أغضف الليل : أى أظلم واسود . وفيما عدا ل : « فى ظل أخضر » وهى رواية فى اللسان (٥ : ٣٣٢ / ١١ : ١٥٠ / ١٣ : ٤٤٢ / ١٦ : ١١٠) وأثبت ما فى ل وديوان ذى الرمة ٥٧٤ ، وهى إحدى روايتَى اللسان (١١ : ١٥٠) وفى اللسان : (١٣ : ٤٤٢) : « وهو استعارة ، لأن الظل فى الحقيقة إنما هو ضوء شعاع الشمس دون الشعاع ، فإذا لم يكن ضوء فهو ظلمة وليس بظل » . والهام : جمع هامة ، وهو ذكر البوم ، وهو مايسمى الصدى .

(٧) التناوح : التقابل . والعيشوم : شجر له صوت مع الريح . فيما عدا ل : « فى أرجائها » وفيما عدا ل : أيضا « بين الريح » ، وأثبت ما فى ل والديوان واللسان (١٥ : ٢٩٦) . وفى الديوان : « كما تجاوب » وفيما عدا ل : « عيسوم » بالمهملة ، محرفة .

داويّةٍ ودُجَى ليل كأنَّهما يَمٌّ تراطَنُ فى حافاته الرُّومُ (١)

وقال :

وكَمْ عَرَّستْ بعد السُّرى من مُعَرَّس به من كَلام الجن أصواتُ سامِرِ (٢)

وقال :

كمْ جُبْتُ دُونَكَ من يَهْماء مُظْلِمةٍ تِيهٍ إذا ما مُغَنِّى جِنَّةٍ سَمَرَا (٣)

وقال :

ورَمل عزيف الجنِّ فى عَقِدَاته هَرِيرٌ كتَضْراب المغنِّين بالطَّبْلِ (٤)

وقال :

---

(١) الداوية : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة . ورواية ط ، س والديوان : « دوية » وهما لغتان . واليم : البحر . والرطانة ، ماليس بعربى من اللغات .

(٢) التعريس : النزول فى آخر الليل للاستراحة . ورواية الديوان ٢٩٢ : « بعد الدجى » . وفى الأصل : « من معرس بها » والوجه تذكير الضمير كما فى الديوان . ط ، س : « من صداء الجن » ه : « ومن الأصداء » ، صوابهما ماأثبت من ل والديوان .

(٣) جبت : قطعت . والضمير فى « دونك » عائد إلى عمر بن هبيرة ، يقول فيه فى بيت سابق :

أقول للركب إذ مالت عمائمهم شارفتم نفحات الجود من عمرا

انظر ديوان ذى الرمة ص ١٩٠ . واليهماء ، أوله ياء مثناة مفتوحة : الفلاة لا يهتدى فيها للطريق . فيما عدا ل : « بهماء » بالموحدة ، تحريف . ورواية الديوان : « تيهاء » . والجنة : الجن . ط ، س : « جنه » ، صوابه فى ل ، ه . ورواية الديوان : « جنها » . سمر : من السمر ، وهو حديث الليل .

(٤) العقدات : جمع عقدة ، بفتح فكسر ، وهى المتراكم من الرمل . والهرير : أصله صوت الكلب . وفى اللسان (٧ : ١٢٢) : « وقد يطلق الهرير على صوت غير الكلب ، ومنه الحديث : « إنى سمعت هريرا كهرير الرحى أى صوت دورانها » ورواية الديوان ص ٤٨٨ : « هدوءا » أى بعد ساعة من الليل . وفى شرح الديوان : « ويروى هزيز » . والهزيز أيضا : الصوت . وفى اللسان (٧ : ٢٩١) : « وفى الحديث : « إنى سمعت هزيزا كهزيز الرحى ، أى صوت دورانها » . وبعد البيت :

قطعت على مضبورة أخرياتها بعيدة ما بين الخشاشة والرحل

ط ، ه : « لعزف » ، وفى س : « كعرف » ، وهذه محرفة .

وتِيهٍ خَبَطْنَا غَوْلَهَا وارتَمَى بنا أبو البعد من أرجائها المتطاوحُ(١)

فلاةٌ لِصَوت الجنِّ فى مُنْكَراتها هريرٌ ، وللأبوام فيها نوائحُ(٢)

وطولُ اغتماسى فى الدُّجى كلما دعت من اللّيل أصداءُ المِتَانِ الصوائحُ(٣)

وقال ذو الرّمة :

بلادًا يبيتُ البومُ يدعُو بناتِه بها ومن الأصداءِ والجنِّ سامرُ(٤)

وقال أيضاً(٥) :

وللوحشِ والجِنّانِ كُلَّ عشيةٍ بها خِلْفَةٌ من عازف وبُغام(٦)

وقال الراعى :

ودَاوِيّةٍ غبراءَ أكثرُ أهْلِها عَزِيفٌ وبُومٌ آخِرَ اللّيل صائحُ(٧)

---

(١) التيه : المفازة يتاه فيها . والخبط : السير على غير هدى . والغول : بالفتح : بعد الأرض . فيما عدا ل : « من أرجائه » صوابه فى ل والديوان ١٠١ .

(٢) المنكرات : المجهولات من الأرض . والهرير : الصوت . والأبوام : جمع بوم ، كما فى اللسان . وفى الديوان : « هزيز » بزاءين معجمتين ، وهما بمعنى .

(٣) يسبق هذا البيت فى الديوان ١٠٢ - ١٠٣ بيتان يرتبط هو بهما . وهما :

نهزن العنيق الرسل حتى أملها عراض المثانى والوجيف المراوح

وترجاف ألحيها إذا ما تنصبت على رافع الآل التلال الزراوح

والأصداء : جمع صدى ، وهو ذكر البوم . والمتان ، بالكسر : جمع متن ، وهو ما ارتفع من الأرض واستوى . فيما عدا ل : « وطول اغتمامى فى الدجى كلما رعت » ، صوابه فى ل والديوان . وفيما عدا ل أيضا : « المثانى » تحريف .

(٤) فى الأصل : « بلاد » وإنما هى بالنصب ، كما فى الديوان ٢٥٢ . وقبله :

إلى ابن أبى موسى بلال طوت بنا قلاص أبوهن الجديل وداعر

(٥) ل : « وقال ذو الرمة » .

(٦) الخلفة ، بالكسر : كل شىء يجىء بعد شىء . من عازف : أى من صوت عازف . والعزيف : صوت الجن فيما تزعم العرب . والبغام : أصله صوت الإبل . وفى اللسان : « ما كان من الخف خاصة فإنه يقال لصوته إذا بدا البغام ، لأنه يقطعه ولا يمده . وبغم الثيتل والأيل يبغم : صوت . وربما استعمل البغام فى البقرة » . ط ، س : « بعام » هـ : « نعام » ، صوابه فى ل والديوان ص ٦٠٠ .

(٧) ل : « ودوية » ، وهما لغتان .

أقرَّ بها جاشِي تأوُّل آيةٍ وماضِي الُحسَام غِمدُه متصايحُ[١]

٥٥ (لطيم الشيطان)

ويقال لمن به لَقوة أو شَتَر[٢] ، إذا سُبَّ : [يا] لطيم الشيطان .

وكذلك قال عُبيدالله بن زياد ، لعمرو بن سعيد ، حين أهوى بسيفه[٣] ليَطعُنَ فى خاصرة عبد الله بن معاوية ، وكان مستضعفاً ، وكان مع الضّحّاك فأسِرَ ، فلمّا أهوى له السيفَ[٤] وقد استردفه عبيدُ الله ، واستغاث بعبيد الله ؛ قال عبيد الله لعمرو[٥] : يدكَ يا لطيمَ الشيطان !

(قولهم : ظل النعامة ، وظل الشيطان)

ويقال للرَّجُل المفْرط الطّول : ياظلَّ النّعامة ! وللمتكبّر الضخم : ياظلَّ الشّيطان ! كما قال الحجّاج لمحمد بن سَعْد بن أبي وقاص : بينا أنت ، يا ظلَّ الشّيطان ، أشدُّ النَّاس كِبْرًا إذْ صِرتَ مؤذّنا[٦] لفلان !

---

(١) الجأش : رواع القلب . والتأول : التحرى والطلب . والآية : العلامة . يقول : أذهب ما بى من فزع أنى اهتديت إلى علامة بها أعرف الطريق . فيما عدا ل : « أقربها جأشا بأول آية » ، محرف . وحسام السيف : طرفه الذى يضرب منه . والمتصايح : المتشقق . وفى اللسان : « وتصايح غمد السيف : إذا تشقق » . يقول : هو سيف قديم مأثور ، أو أبلى غمده لكثرة استعماله فى الضراب والقتال . فيما عدا ل : « متطايح » بالطاء ، صوابه بالصاد المهملة .

(٢) اللقوة ، بالفتح : داء يكون فى الوجه يعوج منه الشدق . والشتر ، بالتحريك : انقلاب جفن العين من أعلى وأسفل وتشنجه .

(٣) س : « أهوى إليه بسيفه » ، وكلمة « إليه » مقحمة .

(٤) فيما عدا ل : « وكان مع الضحاك فلما أسر أهوى إليه بالسيف » .

(٥) فيما عدا ل : « قال » ، وكلمة : « لعمرو » ليست فى ل .

(٦) ط فقط : « مؤدبا » ، صوابه من سائر النسخ والطبرى (٨ : ٣٤) وثمار القلوب ٥٩ . ويعنى بفلان عمر بن أبى الصلت ، كما فى الطبرى .

وقال جريرٌ فى هجائه شَبَّةَ بنَ عِقال(١) ، وكان مُفْرِطَ الطّول :

فَضَح المنابرَ يَوْمَ يَسْلَحُ قائماً ‏ ‏ ظِلُّ النّعامةِ شَبّةُ بنُ عِقالِ(٢)

(قولهم : ظل الرمح)

فأما قولهم : « مُنِينا بيوم كظلِّ الرمح » فإنّهم(٣) ليس يريدون به الطول فقط ، ولكنّهم يريدون أنّه مع الطول ضيق(٤) غيرُ واسع .

وقال ابن الطَّثْرِيّة(٥) :

ويَوْمٍ كظِلِّ الرُّمح قَصَّرَ طُوله ‏ ‏ دَمُ الزِّقِّ عنّا واصطِفاقُ المَزاهِرِ(٦)

قال : وليس يُوجد لظلِّ الشّخص نهاية مع طلوع الشّمس .

(التشبيه بالجن)

قال : وكان عمر بن عبد العزيز أوّلَ مَنْ نَهَى النّاسَ عن حمل

---

(١) هو شبة بن عقال المجاشعى ، من مجاشع رهط الفرزدق ، وهو زوج جعثن أخت الفرزدق ، كما فى النقائض ص ٨٥٥ . روى ابن سلام ١٥٩ مصر ١٠٧ ليدن ، أنه بعث بدراهم وحملان وكسوة وخمر إلى الأخطل ، وذلك ليفضل الفرزدق على جرير ويسبه . وكان شبة شاعرا وكان خطيبا . روى الجاحظ فى البيان (١ : ١٢٧) أنه قال عقب خطبته عند سليمان بن على بن عبد الله بن عباس :

ألا ليت أم الجهم والله سامع ‏ ‏ ترى حيث كانت بالعراق مقامى

عشية بذ الناس جهرى ومنطقى ‏ ‏ وبذ كلام الناطقين كلامى

(٢) انظر ثمار القلوب ٣٥١ . ورواية الديوان ٤٧١ والنقائض :

فضح الكتيبة يوم يضرب قائما ‏ ‏ سلح النعامة شبة بن عقال

ويروى : « فضح السرية » .

(٣) ط ، هـ : « فإنه » . وانظر ثمار القلوب ٥٠٢ .

(٤) فيما عدا ل : « يريدون مع الطول أنه ضيق » .

(٥) سبقت ترجمته فى ص ١٣٧ . وكذلك النسبة فى ثمار القلوب ، ونسب فى الحماسة ١٢٦٩ بشرح المرزوقى إلى شبرمة بن الطفيل ، وفى كتاب العصا (نوادر المخطوطات ١ : ٢٠٥) إلى ابن الدمينة .

(٦) دم الزق ، عنى به الخمر ، فى حمرتها . والمزاهر : جمع مزهر ، كمنبر ، وهو العود الذى يضرب به .

الصِّبيانِ على ظُهور الخيل يوم الَحلبة(١) ، وقال : « تحمِلُون الصِّبيان على الجنَّان ؟ » .

وأنشد(٢) فى تشبيه الإنس بالجن لأبى الجُوَيْرِيَة العَبْدى(٣) :

إنسٌ إذَا أمنوا جِنٌّ إذا فزعوا ... مُرَزَّءون بهاليلٌ إذا حَشَدُوا(٤)

وأنشدوا :

وَقُلتُ والله لنَرحَلَنّا ... قَلائِصاً تَحسَبهنَّ جِنّا(٥)

وقال ابن ذِى الزوائد(٦) :

وَحَوْلِىَ الشَّوْلُ رُزَّحاً شُسُباً ... بَكِية الدَّرِّ حِينَ تَمْتَصِرُ(٧)

---

(١) الحلبة : الدفعة من الخيل فى الرهان .

(٢) س : « وأنشدوا » .

(٣) هو عيسى بن أوس بن عصية ، أحد بنى عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك ابن عامر بن الحارث بن أنمار بن عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى بن (عبد القيس بن) دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . ونسبته إلى عبد القيس . أنشد له الآمدى ٧٩ والمرزبانى ٢٥٨ شعرا فى رثاء الجنيد ابن عبد الرحمن المرى والى خراسان المتوفى سنة ١١٥ أو ١١٦ . انظر ابن الأثير (٥ : ٧١ - ٧٢) . وكان الجنيد من الأجواد الممدحين . وأبو الجويرية هذا غير أبى الجويرية العنزى المترجم فى المؤتلف ص ٨٠ .

(٤) فزعوا : أغاثوا غيرهم . مرزءون : يرزؤهم الناس يصيبون من مالهم . والبهاليل : جمع بهلول ، بالضم ، وهو العزيز الجامع لكل خير . حشدوا : خفوا فى التعاون ، أودعوا فأجابوا مسرعين . يقال حشدوا وتحاشدوا أيضا .

(٥) القلائص : جمع قلوص ، وهى الفتية من الإبل . رحلها : شد عليها الرحال . س : « لترحلنا » و « تحبسهن » تحريف . وهذا الرجز والكلمة التى قبله ساقطان من ه .

(٦) ابن ذى الزوائد ، ويقال أيضا ابن أبى الزوائد ، شاعر مقل من مخضرمى الدولتين ، اسمه سليمان بن يحيى ، كان قد وفد إلى بغداد فى أيام المهدى . انظر الأغانى (١٢ : ١٦٣) . فيما عدا ل : « ابن الزوائد » .

(٧) الشول : الإبل ارتفعت ألبانها . رزحا : جمع رازح ، وهو الذى سقط من الإعياء . والشسب : جمع شاسب ، وهو النحيف اليابس من الضمر ، جمع على غير قياس . بكية : تسهيل بكيئة بالهمز ، وهى التى قل لبنها . تمتصر : يحتلب ما بقى =

ولاذَ بِيَ الكَلْبُ لا نُباحَ له　　يهِرُّ مُحْرنْجِماً وينجَحِرُ(١)

مُجُورُ خَفْضٍ لمنْ ألمَّ بهِمْ　　جِنٌّ بأرماحِهِمْ إذا خطَرُوا(٢)

وأنشدُوا :

إنِّى امروٌ تابَعنِى شيطانِيَه(٣)　　آخيتهُ عُمْرِى وقد آخانِيَه

يَشْرَبُ فى قَعْبِى وقد سقانِيَه　　فالحمدُ لله الذى أعطانِيَه

قرْماً وخُرْقاً فى خُدودٍ واضِيه(٤)　　تربَّعَتْ فى عقد فالمـاويه(٥) ٥٦

بقلا نَضِيداً فى تِلاعٍ حَاليه(٦)　　حَتّى إذا ما الشّمْسُ مَرّتْ ماضيَه

قام إليها فِتيــةٌ ثمانيــه　　فثوَّروا كلَّ مَرِىٍّ ساجِيَه(٧)

= فى ضرعها من لبن . ط : « رجا » ، س ، ه : « درجا » ، صوابهما فى ل . ط ، ه : « شيئا » صوابها فى ل ، س . وفى ط ، ه : « بطية » ، صوابها فى ل ، س . وفى ط ، ه : « تهتصر » ل : « تمتطر » صوابهما فى س .

(١) الهرير : نباح الكلب . احرنجم : انقبض وتجمع . انجحر : دخل جحره . ه : « ولا ذى » ل : « ولان ذا » صوابهما فى ط ، س . وفيما عدا ل : « وينحجر » صوابه بتقديم الجيم .

(٢) الخفض : لين العيش وسعته .

(٣) هذا ما فى س ، ه . وفى ل : « تابعى » ، تحريف . وفى ط : « تابعتى » ، وهى صحيحة ، فى اللسان (تبع) : والتابعة : الرائى من الجن .

(٤) القرم ، تقرأ بالفتح ، وهو الفحل الذى يترك من الركوب والعمل ويودع للفحلة وتقرأ بالضم جمعا لأقرم ، والأقرم كالقرم . والخرق ، بالضم : جمع أخرق وخرقاء ، وهى التى يقع منسمها بالأرض قبل خفها انجابتها . فيما عدا ل « بدنا وجوفا » . والواضية ، من الوضاءة ، وهى الحسن والبهجة . فيما عدا ل : « فى جدور راضية » ، تحريف .

(٥) عقد ، قال نصر : بضم العين وفتح القاف والدال : موضع بين البصرة وضرية . قال ياقوت : وأظنه بفتح العين وكسر القاف . والماوية ، لعلها تخفيف الماوية بتشديد الياء ، ماء على طريق البصرة من النباج . ط ، س : « فالمارية » ل : « كالبارية » ، وأثبت ما فى ه .

(٦) البقل من النبات : ما ليس بشجر . ل : « بعلا » . ه : « نفلا » ، صوابه فى ط ، س . والتلاعة ، بالفتح : ما انهبط من الأرض ، أو ما ارتفع . حالية : حليت بالنبت . فيما عدا ل : « خالية » تحريف .

(٧) ثوروها : بعثها بعد بروكها . والمرى : الناقة التى تدر على من يمسح ضروعها . والساجية : الساكنة . فيما عدا ل : « فبرزوا » تحريف . س « كل دباء » =

أخلافها لِذِى الأَكف مالِيَه(١)

(جَبل الجن)

وقال ابنُ الأعرابى : قال لى أعرابى مَرّة [مِن غَنِىٍّ(٢)] وقد نزلت [به] ، قال : وهو أخفُّ ما نزلتُ به وأطيَبُه ، فقلت(٣) : ما أطيب ماءكم هذا ، وأعْذَى منزلكم(٤) ! قال : نعم وهو بعيدٌ من الخير كله ، بعيد من العراق واليمامة والحجاز ، كثير الحيات ، كثير الجنَّان ! فقلت : أتَرَونَ الجن؟ قال : نعم ! مكانُهم فى هذا الجبل ـ وأشارَ بيدِه إلى جبل يقال له سُوَاج(٥) . قال : ثمَّ حدَّثَنى بأشياء .

(شعر فيه ذكر الجن)

وقال عبيد بن أوس الطائى(٦) فى أخت عَدى بن أوس :

= ط ، هـ : « كل ربايا » ، صوابهما فى ل . وفى ل : « ساحية » بالمهملة ، تحريف .

(١) الأخلاف : جمع خلف ، بالكسر ، وهو الضرع . ل : « خلوفها » وهو جمع خلف أيضا . لذى الأكف : أى لهذه الأكف . وفى هـ : « لد » وفى ل : « لدى » .

(٢) أى من قبيلة غنى . س ، « من عى » . وأثبت هذه التكملة على الصواب من ل .

(٣) ط : « فقالت » هـ : « فقال » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) العذاة ، والعذى بالكسر : الأرض الطيبة التربة البعيدة من المياه والسباخ . ط ، هـ : « أعدى » بالدال المهملة ، تحريف .

(٥) سواج ، بضم أوله ، وآخره جيم : جبل من جبال غنى . فيما عدا ل : « سواح » محرف .

(٦) الشعر يروى لعمر بن أبى ربيعة كما فى اللسان (٣ : ٦١) والأغانى (١ : ٧٥) وشواهد المغنى ١١٠ . ويروى أيضا لجميل بن معمر ، كما صوبه ابن برى فى اللسان وكما فى ابن خلكان (١ : ١١٦) . وقال السيوطى فى شرح شواهد المغنى : « وقد رأيتها فى ديوانه » . ويروى أيضا لعروة بن أذينة كما فى حواشى الكامل ١٦٥ ليبسك .

هَلْ جَاءَ أوساً ليلتى ونعيمُها ومقامُ أوْسٍ فى الخِباءِ المُشْرَجِ (١)
ما زِلتُ أطوى الجِنّ أسمع حِسَّهُمْ حَتّى دَفَعْتُ إلى ربيبة هودج (٢)
فوضعت كَفِّى عندَ مَقْطَع خَصْرِها فَتَنَفَّسَتْ بُهْرا ولَمَّا تنهج (٣)
فتناولتْ رَأْسِى لِتَعرفَ مَسّهُ بمخَضّبِ الأطرافِ غيرِ مُشَنّج (٤)
قالتْ بعَيْشِ أخِى وحُرمة وَالِدِى لَأُنَبِّهَنَّ الحىّ إنْ لم تخرج (٥)
فخرجتُ خِيفةَ قومها فتبسَّمَتْ فعلِمْتُ أنْ يمينَها لم تلجَجِ (٦)
فلثِمْتُ فاهَا قابضاً بقُرونِها شُرْبَ النَّزيفِ ببَرْدِ ماءِالحشْرَجِ (٧)

وأنشدنى آخر (٨) :

---

(١) المشرج : الذى أدخل بعض عراه فى بعض .
(٢) ل : « أطوى البحر » ، محرف . وفى الوفيات : « أبغى الحى أتبع فلهم » ، وفى الكامل : « أبغى الحى أتبع ظاهم » . فيما عدا ل : « إلى رواق المروج » تحريف .
(٣) البهر ، بالضم : انقطاع النفس من الإعياء ، ويقال : نهج ينهج نهجا وأنهج إنهاجا : إذا تواتر نفسه من شدة الحركة . ل : « تنفج » محرفة .
(٤) المشنج : المتقبض .
(٥) ل والوفيات والأغانى : « ونعمة والدى » ، وفى اللسان : « وعيش أبى وحرمة إخوتى » . وفى الكامل : « وعيش أبى وأكبر إخوتى » .
(٦) فى الكامل والوفيات واللسان : « خيفة قولها » ، وفى الأغانى وشواهد المغنى : « خوف يمينها » ، وفى ل ، س : « خيفة أهلها » . تلجج ، من اللجج ؛ وهو التمادى والإصرار . وجاءت هذه الرواية أيضا فى الوفيات ، لكن فى سائر المراجع : « لم تحرج » . والحرج : الإثم .
(٧) الرواية فى سائر المصادر : « آخذا بقرونها » . والقرون : الضفائر من الشعر ، الواحدة قرن . والنزيف : الذى عطش حتى يبست عروقه وجف لسانه ، أو المحموم الذى منع الماء . والحشرج : الماء الجارى على الحجارة ، والحشرج أيضا : كوز صغير لطيف .
(٨) الشعر لموسى بن جابر الحنفى . انظر الحماسة (١ : ١٤٠) واللسان (١٦ : ٢٤٦) .

ذَهَبْتُمْ فعُذْتم بالأمير وقُلْتُمُ ... تركْنا أحاديثاً ولَحماً مُوضَّعَا[1]

فما زادَنى إلّا سَناءً ورِفعةً ... ولا زادَكُمْ فى القَوم إلّا تخشُّعا

فما نفرَتْ جِنّى ولا فُلَّ مِبرَدِى

وما أصبحت طيرِى من الخَوْفِ وُقَّعَا[2]

وقال حسّانُ بنُ ثابت ، فى معنى قولِه : « واللهِ لأضربنّه حتّى أنزعَ من رأسِه شيطانه » ، فقال[3] :

ودَاوِيةٍ سَبْسَبٍ سَمْلَقٍ ... مِنَ البِيدِ تَعْزِفُ جنّانُها[4]

قَطَعْتُ بِعَيْرانةٍ كالفَنِيـ ... ـقِ يَمْرَحُ فى الآلِ شَيْطانُها[5]

[فجمع فى هذا البيت تثبيت عزيف الجن ، وأنَّ المراح والنشاط والخُيَلاء والغرب[6] هو شيطانُها] .

---

(١) ط ، س : « وعدتم » هـ : « فعدتم » ، والصواب من ل . عاذ به : التجأ إليه . وفى الحماسة : « فلذتم » . والموضع : المنضد بعضه على بعض . يقول : لجأتم إلى الأمير وقلتم تركنا قوما يقولون ولا يفعلون ، فهم كاللحم المنضد يطمع فيه الناس .

(٢) س : « ولا أصبحت » . قال ابن منظور : أراد بالجن القلب ، وبالمبرد اللسان .

(٣) هنا فى ط ، هـ زيادة : « فقال » :

(٤) الداوية : الفلاة البعيدة الأطراف المستوية الواسعة . والسبسب : القفر البعيدة . والسملق : المستوية الجرداء . وعزيف الجن : أصواتها . ط ، س : « تعرف » صوابه من ل ، هـ .

(٥) العيرانة من الإبل : الناجية فى نشاط ، شبهت بالعير فى سرعتها ونشاطها . والفنيق : الفحل المكرم من الإبل . والآل : السراب . وقال يونس : « تقول العرب الآل منذ غدوة إلى ارتفاع الضحى الأعلى ، ثم هو سراب سائر اليوم » . والبيتان لم يرويا فى ديوان حسان .

(٦) الغرب ، بالفتح : الحدة والنشاط والتمادى .

وأبينُ منهُ[١] قول منظور بن رواحة[٢] :

٥٧ أتانِي وأهْــلى بالدِّماخ فغمرةٍ مَسبُّ عويفِ اللؤم حَىَّ بنى بدر[٣]

فلمَّــا أتانى ما يَقــول ترقّصت شَياطينُ رَأْسِي وانْتَشْينَ من الخَمْرِ[٤]

(من المثل والتشبيه بالجن)

ومن المَثَل والتّشبيه قولُ أبي النَّجم :

وقام جِنّىُّ السَّنام الأمْيَلِ[٥] وامْتَهَد الغاربُ فِعْلَ الدُّمَّلِ[٦]

وقال ابن أحمر :

بهَجْلٍ من قَساً ذفِرِ الخُزَامَى تداعَىَ الجِرْبياءُ به الحَنِينا[٧]

---

(١) ل : « من ذلك » .

(٢) سبق البيتان فى (١ : ٣٠٠ – ٣٠١) .

(٣) الدماخ بكسر أوله وآخره خاء معجمة : جبال بنجد . ل : « بالدماج » ، وفيما عدا ل : « بالرماح » ، صوابهما ما أثبت . وغمرة : جبل . ط : « وغمرة » س ، ه : « بغمرة » صواب روايته وفى ل . فى ط ، ه : « عريف اللؤم حتى » ، ل : « عزيف اللؤم جن » ، صوابهما من س . نسب عويفا إلى اللؤم . وحى معمول مسب ، وهو مصدر ميمى .

(٤) فيما عدا ل : « ما تقول تقلصت » ، تحريف .

(٥) أنشد البيت فى اللسان (١٦ : ٢٥٣) برواية : « وطال » . وقال : « أراد تموك السنام وطوله » . والأميل : المائل . وجاء شبيه هذا البيت فى اللسان (١٣ : ٥٠٧) وهو : « واعتدلت ذات السنام الأميــل » . وجاء فى شرحه : « اعتدال ذات السنام الأميل : استقامة سنامها من السمن بعــد ما كان مائلا » .

(٦) الغارب : أعلى مقدم السنام . وامتهاد السنام : انبساطه وارتفاعه . والدمل واحد الدماميل ، وهى تلك القروح . ونصب « فعل » على التشبيه : أى مثل فعل الدمل . وقد أنشد هذا البيت فى اللسان (مهد ، دمل) .

(٧) سبق الــكلام فى البيت وتخريجه فى (٣ : ١٠٨) . ل : « بجو » ، فيما عدا ل : « من فسا » بالفاء ، محرف . ط : « زفر » محرف . ط : « تهادى الجربياء » وهى رواية أخرى .

تكسَّرَ فوقه القَلَعُ السَّوارِى وجُنَّ الخازِبازِ به جُنونا(١)

وقال الأعشى :

وإذا الغيثُ صَوْبُه وَضَع القِدْ حَ وجُنَّ التِّلاعُ والآفاقُ(٢)

لم يزدهم سَفاهَةً شُرْبُ الْخَمْ رِ ولا اللَّهوُ بينهُمْ والسِّباقُ(٣)

وقال النابغة :

وخَيِّس الجنَّ إنِّى قد أَذِنْتُ لَهُمْ يَبْنُونَ تَدمُرَ بالصُّفَّاحِ والعَمَدِ(٤)

(ما يزعمون أنه من عمل الجن)

وأهلُ تدمُر يزعمون أنّ ذلك البناءَ قبل زمن سليمان ، عليه السلام ، بأكثَرَ مِمّا بيننا اليومَ وبينَ سليمان بن داودَ عليهما السلام . وقالوا : ولكنّكم إذا رأيتُمْ بنياناً عجيباً ، وجهِلتم موضع الحِيلة فيه ، أضفْتُموه إلى الجنِّ ، ولم تُعانوه بالفكر .

وقال العَرْجىُّ :

سدّتْ مَسامِعها لقرع مراجِل مِنْ نَسْج جنٍّ مثله لا يُنْسَجُ(٥)

---

(١) البيت ساقط من ل . وقد سبق شرحه وتخريجه فى (٣ : ١٠٩) . ه : « قلع السوارى » .

(٢) سبق البيت فى (٣ : ١٠٩) . صوب الغيث : مطره . القدح ، هو بالكسر : واحد أقداح الميسر ؛ وكانوا ينحرون ويضربون بالقداح فإذا أخصبوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون فى الجدب . وجنت التلاع : حسن نباتها . ورواية الديوان ص ١٤٣ : « فإذا جادت الدجى وضعوا القدح » الدجى : جمع دجية ، وهى الأمطار .

(٣) فى (٣ : ١٠٩) : « نشوة الخمر » ، وفى الديوان : « شربة الكأس » . وهو لم يرد زيادة السفاهة ، وإنما على أنها لا تكون منهم .

(٤) التخييس : التذليل والحبس . والصفاح ، بالضم وتشديد الفاء : جمع صفاحة وهى كل عريض من حجارة أو لوح .

(٥) المراجل : جمع مرجل ، وهو القدر من النحاس . وأراد بالنسج الصنع . ط فقط : « مراحل » بالمهملة ، محرف .

وقال الأصمعيُّ : السيوف المأثورة هى التى يقال إنها من عمل الجن والشياطينِ [١] لسليمان بن داود عليهما السلام . فأمَّا القوارير والحمامات، فذلك مالا شك فيه [٢] . وقال البَعيث :

بَنَى زِيادٌ لذِكْرِ اللهِ مَصْنَعَةً ... من الْحِجارة لم تُعمَلْ من الطِّينِ [٣]
كأنَّهـا ، غير أنّ الإنسَ ترفَعُها ... ممّا بنَتْ لسليمانَ الشياطينُ

وقال المقنَّع الـكِنْدىُّ :

وفى الظّعائِنِ والأحْداج أمْلَحُ مَنْ ... حَلَّ العِرَاقِ وَحَلَّ الشامَ واليَمَنا [٤]
جِنِّيَّةٌ مِنْ نِساءِ الإنْسِ أحسَنُ مِنْ ... شَمْسِ النّهارِ وبَدْرِ اللّيلِ لو قُرِنَا [٥]
مَـكتومة الذكرِ عِندِى ماحَيِيتَ لها ... وَقَدْ لَعَمْرِى مَلِلتَ الصَّرمَ والحَزَنَا

وقال أبو النَّجم :

أدرك عقلا والرهان عمـله [٦] ... كأنّ تُرْبَ القاعِ حِينَ تَسْحَلُه [٧]
صِيقُ شَياطِينَ زَفَتْهُ شَمْأَلُه [٨]

---

(١) كذا فى س . وقد سقطت : « الجن » من ل ، وسقطت : « الشياطين » من ط ، هـ .

(٢) س : « فذلك بلا شك » فقط .

(٣) المصنعة : ما تصنعه الناس من الآبار والأبنية والقصور . ورواية ثمار القلوب ٤ : « لعمر الله » . وفى البيت التالى إقواء .

(٤) الظعينة : الهودج تكون فيه المرأة . والأحداج : جمع حدج بالكسر ، وهو مركب من مراكب النساء نحو الهودج والمحفة . ل : « أصلح » ، وفى الشعراء ٧١٦ : « أحسن » .

(٥) كذا الرواية فى ل والشعراء . وفيما عدا ل : « أملح من » ، و : « قد قرنا » .

(٦) هـ : « والدهان » .

(٧) الترب ، بالضم : التراب . والقاع : الأرض السهلة الواسعة المطمئنة . يسحله : يقشره وينحته . ل : « يسجاه » ، وفيما عدا ل : « تسحله » صوابهما ما أثبت .

(٨) الصيق ، بكسر الصاد المهملة : الغبار . ط ، س : « ضفن » هـ : « ضن » ل : « ضيق » ، والصواب ما أثبت . زفته : طردته واستخفته . =

وقال الأعشى فى المعنى الأوّل[١] ، من بناء الشياطين لسليمان بن داود عليهما السلام :

أرى عَادِيًا لَمْ يمنع المَوْتَ رَبُّه ووَرْدٌ بتيماء اليهـودىّ أبلقُ[٢]
بَناهُ سُليمانُ بنُ داودَ حِقْبةً له جَنْدَلٌ صُمٌّ وطَىٌّ موثَّقُ[٣]

(مواضع الجن)

وكما يقولون: قُنفذ بُرْقة ، وضَبُّ سَحًا ، وأرنب الخلَّة ، وذئب خَمَر[٤] فيفرقون بينها وبينَ ما ليست كذلك[٥] إمَّا فى السِّمَن ، وإمَّا فى الخُبث ، وإمَّا فى القوة — فكذلك[٦] أيضاً يفرقون بين مواضع الجن . فإذا نَسبُوا[٧] الشَّكل منها إلى موضعٍ معروف ، فقد خَصُّوه[٨] من الخَبث والقُوة والعَرامة بما ليس لجملتهم وجمهورهم . قال لبيد[٩] :

= والشمأل : ريح الشمال . ل : « شمله » ، والشمل بالتحريك : لغة فى الشمال ، ويقال لها أيضا الشمول والشيمل والشومل والشمل ، بالفتح .

(١) فيما عدا ل : « فى هذا المعنى الأول » .

(٢) عاديا ، هو جد السموءل بن غريض بن عاديا اليهودى ، وإليه ينسبون بناء حصن تيماء ، وإن كان الأعشى هنا قد نسب بناءه إلى سليمان بن داود ، وقد نبه على ذلك ياقوت فى معجم البلدان (١ : ٨٨ / ٢ : ٤٤٢) . « وبه » كذا وردت فى الأصل ، أى لم يستطع رب هذا الحصن أن يمنع عن نفسه الموت . ورواية الديوان ص ١٤٥ وكذا معجم البلدان : « ماله » . والورد ، بفتح الواو : الأحمر الذى تضرب حمرته إلى صفرة حسنة ، عنى به الحصن ، قال ياقوت « وإنما قيل له الأبلق لأنه كان فى بنائه بياض وحمرة » . وقد نسب تيماء إلى اليهودى .

(٣) فى الديوان : « داؤد » بالهمز .

(٤) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ١٢٣ وماسيأتى فى ٤ : ١٣٣ .

(٥) فيما عدا ل : « ما ينسب لذلك » . وفى ثمار القلوب ١٨٧ : « ما ليس كذلك » .

(٦) س : « وكذلك » ط ، هـ : « كذلك » بإسقاط الفاء . وأثبت ما فى ل .

(٧) ل : « نسق » .

(٨) ل : « حضره » .

(٩) ط ، هـ : « وقال لبيد » ، بزيادة واو .

غُلْبٍ تَشَذَّرُ بالذُّحـولِ كأنّها جنُّ البَدِيِّ رواسِيًا أقدامُها (١)

وقال النّـابغة :

سهكِينَ مِنْ صَدَإِ الحديدِ كَأَنَّهُـمْ تَحتَ السَّنَوَّرِ جِنَّةُ البَقّـارِ (٢)

وقال زهير :

عَلَيْهِنَّ فِتْيانٌ كَجِنّةِ عَبقَرٍ جديرُونَ يوماً أن يُنيفوا فَيَسْتعلوا (٣)

وقال حاتم :

عليهنّ فِتْيانٌ كَجِنّة عَبقر يَهُزّون بالأيدِى الوَشِيجَ المقوّمَا (٤)

ولذلك قيل لـكلِّ شيء فائق ، أو شديدٍ : عبقرى .

(١) غلب : غلاظ الأعناق ، جمع أغلب . تشذر : أى يوعد بعضهم بعضا . والذحول . جمع ذحل ، وهو الحقد والثأر . والبدى : البادية ، أو موضع بعينه ، وقال ابن الأنبارى : واد لبنى عامر . والبيت من معلقة لبيد . وقبله :

وكثيرة غرباؤها مجهولة ترجى نوافلها ويخشى ذامها

(٢) السهك : ريح صدإ الحديد . والسنور ، بفتح السين والنون وتشديد الواو : جملة السلاح ، وخص به بعضهم الدروع . والبقار ، بفتح الباء : واد ، أو رملة ، أو جبل ، قال ياقوت : وينشد :

. . . كأنهم تحت السنور قنة البقار

وقد روى البيت فى اللسان (٦ : ٤٧) بدون نسبة و (١٢ : ٣٣٠) والكامل ٢١٢ ، ٣١٦ وقال : « وكانت العرب تألف الطيب ، وتطرح ذلك فى حالتين : فى الحرب والصيد » .

(٣) كذا ورد صدر البيت فى الأصل . وصواب روايته كما فى الديوان ١٨ وثمار القلوب ١٨٨ واللسان (٦ : ٢٠٩) ومعجم البلدان (٦ : ١١٣) . «بخيل عليها جنة عبقرية » . وعبقر : أرض ينسبون إليها الجن . الإنافة : الارتفاع والإشراف والزيادة . والرواية فى سائر المصادر : « أن ينالوا » . ل : « أن يغيثوا ويشبعوا » ، هـ : « أن يتقون فيستغلوا » س : « أن ينيفوا ويشغلوا » ، والوجه ما أثبت من ط . وقبل البيت :

إذا فزعوا طاروا إلى مستغيثهم طوال الرماح لا ضعاف ولا عزل

(٤) البيت ساقط من س . وفى ط : « عبقرا » ، محرف . والوشيج : الرماح . والبيت لم يرو فى ميمية حاتم من ديوانه ص ١٠٧ — ١٠٩ .

وفى الحديث، فى صفة عمر رضى الله عنه: «فلم أر عبقريًّا يفرِى فَرِيّه[١]».

وقال أعرابى: ظلمنى والله ظلماً عبقريًّا.

(مراتب الجن والملائكة)

ثمَّ ينزلون الجن فى مراتب. فإذا ذكروا الْجِنِّىَّ سالماً قالوا: جنى. فإذا أرادوا أنّه ممّن سكن مع النَّاس قالوا: عامر، والجميع عُمّار. وإنْ كان ممن يعرض للصبيان فهُمْ أرواح[٢]. فإن خبُث أحدُهم وتعرَّم فهو شيطان، [فإذا زاد على ذلك فهو مارد. قال الله عز ذكره: ﴿وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ﴾]. فإن زاد على ذلك فى القوّة فهو عفريت، والجميع عفاريت[٣]. قال الله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾.

وهم فى الجملة جنٌّ وخَوافى[٤]. قال الشاعر[٥]:

* ولا يُحَسُّ سوَى الخافِى بها أثرُ[٦] * ٥٩

---

(١) فى اللسان: «يقال فلان يفرى الفرى – بتشديد الياء – إذا كان يأتى بالعجب فى عمله. وروى فريه، بسكون الراء والتخفيف. وحكى عن الخليل أنه أنكر التثقيل وغلط قائله». وفيه أيضا: «وقال النبى صلى الله عليه وسلم، فى عمر رضى الله عنه ورآه فى منامه ينزع عن قليب بغرب: فلم أر عبقريا يفرى فريه. قال أبو عبيد: هوكقولك يعمل عمله». ل: «فلو أن عبقريا»، صوابه فى سائر النسخ واللسان (٦: ٢٠٩ / ٢٠: ١٢) وثمار القلوب ١٨٨.

(٢) ل: «فهو أرواح».

(٣) فيما عدا ل: «والجمع عفاريت».

(٤) كذا جاء بإثبات الياء فى جميع النسخ، وهو لغة قوم. والخوافى: جمع خاف.

(٥) هو أعشى باهلة، كما فى جمهرة أشعار العرب ص ١٣٦ واللسان (١٨: ٢٥٨) وصدره:

يمشى ببيداء لايمشى بها أحد

(٦) ل: «لا يحس سوى الخوافى بها أثرا»، محرف. ل: «سوى الحافى» بالمهملة، تحريف. ورواية الجمهرة: «ولا يحس خلا الخافى».

فإنْ طَهَرَ الجنى ونَظُف ونَقِىَ (١) وصار خيراً كلُّه فهو مَلَك ، فى قوله مَنْ تأول قوله [عز ذِكره] : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ على أنّ الجنّ فى هذا الموضع الملائكة .

وقال آخرون : كان منهم على الإضافة إلى الدّار والدّيانة ، لاعلى أنّه كان من جنْسهم . وإنّما ذلك على قولهم سليمان بن يزيد العدوى (٢) ، وسليمان بن طَرْخان التّيمى (٣) ، وأبو على الحرمازِى (٤) ، وعَمْرو بن فَائد الأسوارى (٥) ؛ أضافوهم إلى المحالّ ، وتَركوا أنسابَهم فى الحقيقة .

وقال آخرون : كلُّ مُسْتَجِنٍّ فهو جِنِّىٌّ ، وجانّ ، وجنين (٦) . وكذلك الولدُ قيل له جَنينٌ لكونِه فى البطْن واستجنانه (٧) . وقالوا (٨) للمّيت الذى فى القبر جَنين . وقال عَمْرُو بنُ كُلثوم :

---

(١) نَقِى ينقى نقاوة : نظف . ط ، هـ : « فإذا ظهر » س : « فإن ظهر » محرفان . ط : « واتقى » ، صوابهما فى ل ، س . وقد سقطت هذه الكلمة من هـ .

(٢) ذكره الجاحظ فى البيان (١ : ٣٦) مثالا لأصحاب اللثغة ، وعده فى الشعراء . وقد روى له القالى شعرا فى (٣ : ٢٨) .

(٣) سليمان بن طرخان : ويقال ابن طهمان . وكان طرخان عبدا مكاتبا لبنى مرة . ونسب سليمان إلى بنى تيم لأن منزله ومسجده فيهم ، وكان من رجال الشيعة ؛ وكانت امرأته بنت الفضل بن عيسى الرقاشى القاص . وولدت له المعتمر بن سليمان. توفى سليمان بالبصرة سنة ١٤٣ . انظر المعارف ٢٠٩ ، ٢٥٨ ، ٢٦٨ . فيما عدا ل : « صوحان » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « العبدرى » .

(٥) عمرو بن فائد الأسوارى ، قال العقيلى : كان يذهب إلى القدر والاعتزال ، وكان منقطعا إلى محمد بن سليمان أمير البصرة ، وأخذ عن عمرو بن عبيد ، وله معه مناظرات ومات بعد المائتين بيسير . انظر لسان الميزان (٤ : ٣٧٢ - ٣٧٣) . ونسبته إلى نهر الأساورة بالبصرة . فيما عدا ل : « قائد » بالقاف : محرف . وفى ل : « الأساورى » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٦) ل : « وجن » .

(٧) ل : « واستخفائه » .

(٨) ط ، س : « وقال » ، محرف .

وَلاَ شَمْطاءُ لم تَدَعِ المنَـايا لَهَـا منْ تِسْعَةٍ إلاّ جنينا[١]

يُخبر أنّها قد دفنتْهُم كلَّهم .

قالوا : وكذلك الملائكة ، من الحَفَظة ، والحمَلة ، والكَرُوبيِّينَ[٢] .

فلا بدّ من طبقات . وربُّما فُرِّقَ بينهم بالأعمال ، واشتُقَّ لهم الاسمُ من السَّبَب[٣] كما قالوا لواحِدٍ من الأنبياء : خليل الله ، وقالوا لآخر : كليم الله ، وقالوا لآخر : روح الله .

(مراتب الشجعان)

والعرب تُنزل الشُّجَعاء[٤] فى المراتب . والاسمُ[٥] العامُّ شجاع ، [ثمَّ بَطَلَ[٦]] ، ثم بُهْمة ، [ثم] ألْيَس . هذا قول أبي عبيدة .

فأمّا قولهم : شَيطان الحمَاطة ، فإنّهم يعنون الحيّة . وأنشد الأصمعى[٧] :

تَلاعِبُ مَثْنَى حَضْرَمِيٍّ كأنَّهُ تَعمُّجُ شيطان بِذِى خِرْوَعٍ قَفْرِ[٨]

---

(١) ل : « لم يترك شقاها » .

(٢) الكروبيون بفتح الكاف : سادة الملائكة ، منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل ، وهم المقربون ، وأنشد شمر لأمية بن أبى الصلت :

* كروبية منهم ركوع وسجد *

والكلمة عبرية الأصل ، ولفظ مفردها فى العبرية « كيروب » بكسر الكاف ، وجمعه فيها « كيروبيم » . وانظر عجائب المخلوقات ٥٧ وسفر الخروج (٢٥ : ١٨ / ٢٦ : ٣١ / ٣٦ : ٨ ، ٣٥) والمزامير (١٨ : ١٠) وحزقيال (١١ : ٢٢) .

(٣) فيما عدا ل : « الأسماء من السبب » .

(٤) الشجعاء : جمع قياسى لشجيع ، وفيما عدا ل : « الشجعان » ، وهو من شواذ الجمع .

(٥) فيما عدا ل : « والاسم » .

(٦) التكملة من ل ، س .

(٧) البيت لطرفة بن العبد كما فى الحيوان (٤ : ١٣٣) . وقد سبق بدون نسبة فى (١ : ١٥٣) . وأنشده فى اللسان (٣ : ١٥٣ / ١٧ : ١٠٥) والمخصص (٨ : ١٠٩) .

(٨) عنى أن هذه الناقة تلاعب زمامها . والحضرمى : المنسوب إلى حضرموت . والتعمج : التلوى . بذى خروع : أى مكان ينبت فيه الخروع .

وقد يُسَمُّون[١] الكِبر والطغيانَ ، والخُنْزُوانة ، والغَضبَ الشّديدَ شيطاناً ، على التّشبيه . قال عمر بن الخطاب ، رضى الله تعالى عنه : « والله لأنزِعَنّ نُعَرَتَه ، ولأضربنَّه حتى أنزع شيطانه من نخرته[٢] » .

(مراتب الجن)

والأعراب تجعل الخوافِيَ والمستجِنّات ، من قبل أن ترتِّب المراتب ، جنسين[٣] ، يقولون جِنّ وحنّ[٤] ، بالجيم والحاء . وأنشدوا[٥] :

أبيتُ أهْوِى فى شَياطِينَ تُرِنّ[٦] مختلِفٍ نَجواهمُ حِنٌّ وجنْ[٧]

ويجعلون الجنّ فوق الحنّ[٨] . وقال أعشى سُلَيم :

فما أنا منْ جِنٍّ إذا كنتُ خافياً

ولستُ من النَّسْناسِ فى عنصُرِ البَشَرْ

(١) ط ، هـ : « يسمعون » ، تحريف .

(٢) النعرة ، بضم ففتح : الذباب الأزرق ، وهو يتولع بالبعير ويدخل فى أنفه فيركب رأسه ، ثم استعيرت للنخوة والأنفة والكبر . وروى فى اللسان : « لا أقلع عنه حتى أطير نعرته » ، وروى فيه وفى الحيوان (١ : ١٥٣) « حتى أنزع النعرة التى فى أنفه » . والنخرة ، بالضم وكهمزة : مقدم الأنف . فيما عدا ل : « من نحرته » بالحاء المهملة ، محرف .

(٣) ط ، هـ : « جنين » .

(٤) فيما عدا ل : « تقول » . وفى هـ : « جن وجان » ط ، س : « جن رجان » والوجه ما أثبت من ل .

(٥) الرجز لمهاصر بن المحل ، كما فى اللسان (١٦ : ٢٨٩) .

(٦) الإرنان : التصويت .

(٧) فى اللسان : « قال أبو إسحاق : النجوى فى الكلام : ما ينفرد به الجماعة والاثنان سرا كان أو ظاهرا » . ل : « نجراهم » بالراء ، صوابه بالواو كما فى اللسان . وفيما عدا ل : « نجارها » ، والنجار ، بالكسر : الأصل . وفى اللسان : « جن وحن » بتقديم ما أوله جيم .

(٨) فيما عدا ل : « الحن فوق الجن » بتقديم ما أوله حاء ، وهو تحريف .

ذهب إلى قول من قال : البشّر ناسٌ ونسناس ، والخوافى جنّ وجنّ[١] - يقول : أنا من أكرم الجِنسَين[٢] حيثما كنت[٣] .

(شيطان ضعفة النُّسّاك والعُبّاد)

٦٠ وضَعَفة النسّاك وأغبياءُ العُبّاد ، يزعمون أنّ لهم خاصّةً شيطاناً قد وُكِّل بهم ، ويقال له « المُذهِب[٤] » يُسْرِج لهم النِّيران ، ويُضىء لهم الظُّلْمة ليفتنهم وليريَهم العجب[٥] إذا ظنُّوا أنَّ ذلك من قِبَل الله تعالى .

(شيطان حفظة القرآن)

وفى الحديث أنّ الشَّيطانَ الذى قد تفرَّد بحفظَة القرآن يُنْسِيهم القرآن ، يسمى خَنْزَب[٦] ، وهو صاحب عثمان بن أبى العاص[٧] .

---

(١) ل : « جن وحن » ، بتقديم ما أوله جيم .

(٢) فيما عدا ل « ويقول » بإقحام الواو . وفى ط : « الحيين » وفى س ، هـ : « الجنين » . وأثبت ما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « كانت » تحريف .

(٤) قال صاحب القاموس : « وكسرهائه الصواب ، ووهم الجوهرى » ، يعنى ضبطه ضبط قلم بفتح الهاء . وذكر الزبيدى أن الذى جزم به القرطبى وجماعة من المحدثين أنه بفتحها . وفى اللسان : « قال ابن دريد : لا أحسبه عربيا » .

(٥) ل : « ويورثهم العجب » .

(٦) خنزب ، بفتح الخاء المعجمة بعدها نون ساكنة وزاى مفتوحة . وفيما عدا ل : « حنوب » ، محرف .

(٧) هو عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد بن دهمان بن عبد الله بن همام الثقفى . أبو عبد الله ، نزيل البصرة . أسلم فى وفد ثقيف ، واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على الطائف ، وأقره أبو بكر ثم عمر ، ثم استعمله عمر على عمان والبحرين . ثم سكن البصرة وأقطعه عثمان اثنى عشر ألف جريب . ومات فى خلافة معاوية . انظر السيرة ٩١٥ والإصابة ٥٤٣٣ والمعارف ١١٦ - ١١٧ .

(الخابل والخبل)

قال : وأما الخابل والخَبَل ، فإنما ذلك اسمٌ للجنّ الذين يخبلون [النّاسَ بأعيانهم ، دونَ غيرهم . وقال الشّاعر [(١)] :

* تناوح جِنّان بهنّ وخُبَّلَ *

كأنّه أخْرج الذين يخبلون] ويتعرّضون ، ممّن [(٢)] ليس عنده إلاّ العَزيف والنّوح . وفصل أيضاً لبيدٌ بينهم فقال :

أعاذِلُ لو كان النِّداد لقُوتِلوا ولـكنْ أتانا كلُّ جنٍّ وخابلِ [(٣)]

و [قد] زعم ناسٌ أنّ الخَبَل والخابل ناس [(٤)] . قالوا : فإذا [(٥)] كان ذلك كذلك ، فكيف يقول أوسُ بن حجر :

* تناوح جِنّان بهن وخبّلُ [(٦)] *

(استطراد لغوى)

قالوا : وإذا تعرّضت الجنّيّة وتلوَّنَتْ وعبِثت [(٧)] فهى شيطانة ، ثم غُول . والغُول فى كلام العرب الدّاهية . ويقال : لقد غالَتْهُ غول . وقال الشاعر :

---

(١) هو أوس بن حجر ، كما سيأتى . وانظر ديوانه ص ١٨ .

(٢) س : « لمن » ، تحريف .

(٣) النداد ، هى كما فى المعاجم : المخالفة ، ناددت فلانا : إذا خالفته . وأراها هنا بمعنى التماثل فى العدد والكثرة ، من الند بمعنى المثيل والنظير . وفيما عدا ل : « البذاذ » . وفى القاموس فقط : « باذذته : بادرته » .

(٤) ل : « الناس » . والخبل ، هنا بالتحريك : اسم جمع للخابل .

(٥) ل : « فإن » .

(٦) فيما عدا ل . « وخابل » ، والخبل فى الشعر جمع لخابل . وصدر البيت ، كما فى الديوان :

* تبدل حالا بعد حال عهدته *

(٧) س : « وغشت » .

تقول : بيتى فى عِزٍّ وفى سعَـةٍ فقدْ صَدَقْتَ ولـكنْ أنتَ مدخولُ (١)
لا بأسَ بالبَيْتِ إلاَّ ما صنعت به تَبْنِي وتَهْـدِمُه هدًّا له غولُ (٢)

وقال الرَّاجز :

والحربُ غولٌ أو كشِبه الغُولِ تُزَفُّ بالرَّاياتِ والطُّبـول (٣)
تَقْلِبُ للأوتارِ والذُّحُـولِ حِمْلاَقَ عَيْنٍ ليسَ بالمكْحُولِ (٤)

(زواج الأعراب للجن)

ومن قول الأعراب أنهم يظهرون لهم ، ويكلِّمونهم ، ويناكحونهم.
ولذلك قال شمر بن الحارث الضّبّى (٥) :

ونارٍ قد حَضَأْتُ بُعَيْدَ هَدْءٍ بدار لا أُريدُ بهـا مُقـامَا (٦)
سِـوَى تَحْليلِ راحلةٍ وعَين أُكالِئُها مَخَافَةَ أنْ تَنَامَا (٧)

---

(١) المدخول : من فى عقله أو حسبه دخل ، وهو الفساد .
(٢) فيما عدا ل :

لا بأس بالبيت إلا ما فعلت به تبنى وتهدمه هدما لك الغول

(٣) ه : « ترف بالرايات » ، محرف .
(٤) الأوتار : جمع وتر ، بالكسر ، وهو الثأر . وفى اللسان : « الجوهرى : الوتر بالكسر الفرد ، والوتر بالفتح الذحل ، هذه لغة أهل العالية . فأما لغة أهل الحجاز فبالضد منهم ؛ وأما تميم فبالكسر فيهما » . والذحول : جمع ذحل ، بالفتح ، وهو الثأر . وحملاق العين ، باطن أجفانها . ط ، ه : « تغلب » محرف . ط ، س : « والدحول » ه : « والدخول » صوابهما فى ل .
(٥) انظر ما سبق من تحقيق فى هذا الاسم فى (٤ : ٤٨١ — ٤٨٢) . ل : « سمير » .
(٦) سبق شرح البيت فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، ه : « حطأت » محرف ، وفيما عدا ل : « بعيدن » .
(٧) سبق شرحه فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، ه : « سوى تجليل » بالجيم ، تحريف .

أَتَوْا نَارِى فقُلتُ مَنونَ قالوا ‏ ‏ ‏ سراةُ الجنِّ قلتُ عِمُوا ظَلَامَا[١]

فقُلْتُ إلى الطَّعامِ فَقَالَ مِنْهُمْ ‏ ‏ ‏ زَعِيمٌ: نحسد الإنْسَ الطَّعامَا[٢]

وذكر أبو زيدٍ عنهم أنّ رجلا منهم[٣] تزوج السِّعلاة، وأنها كانت عنده زَمانا، وولدت مِنْه[٤]، حتّى رأت ذاتَ ليلةٍ بَرْقاً على بلاد السَّعالى، فطارَتْ إليهنّ، فقال[٥]:

رَأَى بَرْقاً فأَوْضَعَ فَوقَ بَكْرٍ ‏ ‏ ‏ فلا بِكِ ما أَسَال وما أغامَا[٦]

فمن هذا النِّتاج المشْتَرَك، وهذا الخلْقِ المركَّب عندهم: بنو السِّعلاة، من بنى عمرو بن يربوع، وبِلقيسُ ملكة سَبأ. وتأوَّلوا قولَ الشاعر: ٦١

---

(١) سبقت رواية هذا البيت وتاليه فى (١ : ١٨٦)، وسلفت روايتهما وشرحهما فى (٤ : ٤٨٢). فيما عدا ل: « منون أنتم فقالوا الجن ».

(٢) ل: « فقمت » و: « تحسد ».

(٣) ل: « أن فلانا » فقط. وفى س: « أن رجلا » فقط. وانظر ما سيأتى فى الشرح.

(٤) ل: « منهم ».

(٥) القائل هو عمرو بن يربوع بن حنظلة، الذى تزوج السعلاة. وفى نوادر أبى زيد ١٤٧: « قال المفضل: بلغنى أن عمرا هذا تزوج السعلاة، فقال له أهلها: إنك تجدها خير امرأة ما لم تر برقا، فستر بيتك ما خفت ذلك. فمكثت عنده حتى ولدت له بنين، فأبصرت ذات يوم برقا فقالت:

الزم بنيك عمرو إنى آبق ‏ ‏ ‏ برق على أرض السعالى آلق »

وقد نقل هذه القصة المعرى فى الفصول والغايات ص ٢١٠ وزاد قوله: « وانصرفت فكان آخر العهد بها. فى ذلك يقول عمرو بن يربوع وهو يتأسف على فراق حبيب . . . » وأنشد البيت.

(٦) رأى، جعل الضمير للضيف فى بيت قبله، وهو:

ألا لله ضيفك يا أماما

وإنما يعنى بالضيف السعلاة. وهذا الشطر مما لم يعرف عجزه وضاع. انظر النوادر. أوضع: سار الإيضاع، وهو ضرب من السير. والبكر، بالفتح: الفتى من الإبل. بك: جعله ابن جنى فى الخصائص ٤١٩ من رد واو القسم إلى أصلها، وهو الباء، إذا كان المقسم به ضميرا. وقال ابن سيده فى المخصص =

لاهُمَّ إنَّ جُرْهُماً عِبادُكا النَّاسُ طِرْفٌ وهُمُ تِلادُكا[1]

فزعَموا أن أبا جُرهمٍ من الملائكة الذين كانوا إذا عصَوا فى السَّماء أُنزِلوا إلى الأرض ، كما قيل فى هاروت وماروت . فجعلوا سُهيلاً عشّاراً مُسِخ نجما ، وجعلوا الزُّهرة امرأةً بَغِيًّا مُسِخت نجما ، وكان اسمها « أناهيد »[2] .

وتقول[3] الهند فى الكوكب الذى يسمَّى « عُطارِدَ » شبيهاً بهذا .

(المخدومون)

ويقول الناس : « فلانٌ مخـدوم » يذهبون إلى أنّه إذا عزَم على الشياطينِ والأرواح والعُمَّار أجابوه وأطاعوه . منهم عبد الله بن هلال الحميرىّ[4] ، الذى كان يقال له صديق إبليس . ومنهم كرباش الهندىّ[5] ، وصالح المديبرى[6] .

= (١٤ : ٥٢) : « وكذلك الواو إذا دخلت على اسم مضمر ، ردت إلى أصلها وهو الباء ، فقيل به لأفعلن . أنشد أبو زيد :

رأى برقا فأوضع فوق بكر فلا بك ما أسال ولا أغاما »

لا أسال : أى لا أسال الماء . وأغام هو : حدث فيه الغيم . أى أنه برق فحسب ، ولم يسقط مطرا ولم يتكاثف سحابه . فيما عدا ل : « فلأيا ما أسال » تحريف . ط ، س : « وما أعاما » ، هـ : « وما أعانا » صوابهما ما أثبت من ل .

(١) الطرف ، بالكسر : أصله المستحدث من المال ، عنى أنهم مستحدثون . والتلاد : أصله ما ورثته عن الآباء قديما . وقد سبق الرجز فى (١ : ١٨٧) . وانظر المحاسن والمساوى (١ : ٧٨) . وهو لعمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى ، كما سبق فى الحواشى .

(٢) أناهيد : كلمة فارسية ، ويقال أيضا « ناهيد » بطرح الألف ، كما فى الموضعين من معجم استينجاس . ل : « أناهيذ » بالذال المعجمة .

(٣) ل : « وقد تقول » .

(٤) سبقت ترجمته فى (١ : ١٩٠) .

(٥) ط ، هـ : « كدياس » س : « كرباس » وأثبت ما فى ل . وفى رسائل الجاحظ ١٣٠ : « كردباس » .

(٦) المديبرى : نسبة إلى مديبر ، تصغير مدبر ضد المقبل ، وهو موضع قرب الرقة . =

(شروط إجابة العامر للعزيمة)

وقد كان عبيد [مُجّ[١]] يقول : إن العامِر[٢] حريصٌ على إجابة العزيمة ، ولكنّ البدنَ إذا لم يصلُحْ أن يكون [له] هيكلاً لم يستطعْ دخولَه . والحيلةُ فى ذلك أن يتبخَّر باللبان الذّكر ، ويراعىَ سَيْرَ المشترى ، ويغتسلَ بالماء القراح[٣] ، ويدع الجماع وأكل الزُّهُومات[٤] ، ويتوحَّش فى الفيافى ، ويُكثِرَ دخول الخرابات[٥] ، حتى يرق ويلطف[٦] [ويصفوَ] ويصير فيه مشابِهُ من الجنّ ، فإن عزَم عند ذلك[٧] فلم يُجَب فلا يعودَنّ لمثلها[٨] فإنّه مِمّن لا يصلح أن يكون بدنُه هيكلاً لها[٩] ، ومتى عاد خَبِطَ[١٠] فربّما جُنّ ، وربّما مات .

= وقد ذكره ابن النديم فى الفهرست ص ٣١٠ ليبسك ٤٣٢ مصر ، مع عبد الله ابن هلال ، وعقبة الأزرعى ، وأبى خالد الخراسانى ، فى جماعة المعزمين ، وقال : « هؤلاء يعملون بالطريقة المحمودة » . ط ، هـ : « صالح الموسوى » ، س : « المرسوى » صوابه ما أثبت من ل والفهرست ورسائل الجاحظ ١٣٠ ساسى .

(١) كذا وردت هذه التكملة بهذا الضبط فى ل . ولم أعثر له على ترجمة . وجاء فى رسائل الجاحظ : « وأبن عبيد مج من البطيخى » . وضبطت مج فيها بضم الميم أيضا .

(٢) فيما عدا ل : « العامرى » ، تحريف .

(٣) الماء القراح ، بالفتح : الذى لم يخالطه شىء .

(٤) أراد بالزهومة ما فيه زهومة ، وهو ريح اللحم السمين المنتن .

(٥) كذا وردت فى جميع النسخ . والمعروف : « خربات » جمع خربة بكسر ففتح ». وانظر ما سبق فى حواشى (٣ : ٣٢٥) .

(٦) ل : « حتى يلطف ويرق »، س : « حتى يدق ويلطف » .

(٧) ل : « بعد ذلك » .

(٨) ل : « فلا يعد »، هـ : « فلا يعود »، وهذه محرفة .

(٩) فيما عدا ل : « فإنه ليس من يكون بدنه هيكلا لها » .

(١٠) خبط : أى خبطه الشيطان : مسه بأذى وأفسده . ط ، هـ : « خبطه »، محرف .

قال : فلو كنتُ ممَّن يصلُح أن يكون لهم هيكلاً[1] لـكنت فوق عبد الله بن هلال .

(رؤية الجن)

قال الأعراب[2] : وربما نزلنا بجمعٍ كثير ، ورأينا خياماً وقباباً ، وناساً ، ثم فقدناهم من ساعتنا .

والعوامّ ترى أنّ ابن مسعود ، رضى الله عنه ، رأى رجالاً من الزُّطِّ[3] فقال : « هؤلاء أشبه من رأيت بالجنّ ليلة الجنّ[4] » .

قال : وقد رُوى عنه خلافُ ذلك .

وتأوَّلوا قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقاً[5] ﴾ . ولم يُهلك الناس كالتأويل[6] .

ومما يدلُّ على ما قلنا قولُ أبي النّجم ، حيث يقول :

* بحيثُ تَستَنُّ مع الجنّ الغُول[7] *

فأخرج الغول من الجنّ ؛ لِلَّذِى بانَتْ[8] به [من] الجنّ .

---

(١) ل : « ممن يكون لهم هيكلا » .

(٢) ل ، س : « الأعرابى » .

(٣) انظر للزط ما سبق فى (٥ : ٤٠٧) . ط ، هـ : « رأى رجلا » .

(٤) ط ، ل : « هو لأشبه » تحريف . ط ، هـ : « من رأيت من الجن ليلة الجن » صوابه فى ل ، س .

(٥) هذه الـكلمة وما قبلها ليستا فى ل ، هـ .

(٦) فيما عدا ل : « شيئا كالتأويل » ، بإقحام : « شيئا » .

(٧) استنّ فى عدوه : مضى على وجهه . هـ : « تشتق » س : « تشنّ » محرفتان . وفى ل : « يستنّ » .

(٨) ط ، هـ : « فأخرج الجن من الغول الذى باتت به » ، محرف .

وهكذا[1] عادتهم : أن يُخرجوا الشيء من الجملة بعد أنْ دخَلَ ذلك الشيء فى الجملة ، فيُظهَرَ لأمر خاصّ .

وفى بعض الرِّواية أنهم كانوا يسمعون فى الجاهلية من أجواف الأوثان هَمهمةً ، وأن خالد بن الوليد حين هَدَم العُزَّى رمَته بالشَّرَر حتى احترقَ عامَّةُ فخذه ، حتى عادهُ[2] النبى صلى الله عليه وسلم .

وهذه فتنةٌ لم يكن الله تعالى ليمتحنَ بها الأعرابَ [وأشباهَ الأعراب] من العوامّ . وما أشك أنه [قد] كانتْ للسَّدَنة حِيَلٌ وألطاف[3] ٦٢
لمكان التكسُّب .

ولو سمِعتَ أو رأيت بعض ما قد أعدّ الهِنْدُ من هذه المخاريق[4] فى بيوت عباداتهم ، لعلمت أنّ الله تعالى قد مَنَّ على جملة[5] الناس بالمتكلِّمين ، الذين قد نشؤوا[6] فيهم .

(افتتان بعض النصارى بمصابيح كنيسة قمامة)

وقد تَعْرِف مافى عجايز النصارى[7] وأغمارهم[8] ، من الافتتان بمصابيح

---

(١) فيما عدا ل : « وهذا » .

(٢) عاده ، من عيادة المريض . فيما عدا ل : « عوذه » . وانظر خبر هدم العزى ، فى السيرة ٨٣٩ — ٨٤٠ والطبرى (٣ : ١٢٣) فى حوادث السنة الثامنة .

(٣) ألطاف : جمع لطف ، بالضم ، وهو : الرفق فى العمل . ل : « حيلا وكينا » ، محرف .

(٤) انظر التنبيه العاشر من (٥ : ٣٥٢) ، والسادس من (٤ : ٣٧٨) .

(٥) فيما عدا ل : « جهلة » .

(٦) فيما عدا ل : « نشوا » ، تحريف .

(٧) ل : « نعرف » ه : « يعرف » . وفيما عدا ل : « ما فيه عجاز النصارى » ، تحريف . والعجايز ، بالتسهيل : جمع عجوز .

(٨) الأغمار : جمع غمر ، مثلث ، وهو الذى لم يجرب الأمور . ه : « وأعمادهم » ، محرف .

كنيسة قمامة(١) . فأما علماؤُهم وعقلاؤُهم فليسوا بمتحاشِين من الكذب الصِّرف(٢) ، والجراءةِ على البُهتان البَحْت . وقد تعوَّدُوا المكابرة حتى دربوا بها الدَّرَب الذى لا يفطن له(٣) إلا ذو الفِراسة الثَّابتة ، والمعرفة الثّاقبة .

(إيمان الأعراب بالهواتف)

والأعرابُ وأشباهُ الأعراب لا يتحاشَوْن من الإيمان بالهاتف ، بل يتعجَّبون ممن ردَّ ذلك(٤) . فمن ذلك حديث الأعشى بن نبّاش بن زرارة الأسدى(٥) ، أنه سمع هاتفاً يقول :

لقد هَلَكَ الفيَّاضُ غيثُ بنى فِهْرِ ... وذُو الباعِ والمجْدِ الرَّفِيعِ وذو الفخر(٦)

قال : فقلتُ مجيباً له :

ألا أيُّها الناعى أخا الجود والنّدَى ... مَنِ المَرْءُ تَنْعاهُ لَنا من بنى فِهْرِ

فقال :

نَعيْتَ ابن جدْعَان بن عمروٍ أخا النَّدَى ... وذا الحسَب القُدْمُوس والحسب القهرِ(٧)

---

(١) انظر ما أسلفت من تحقيق كنيسة القمامة فى (٤ : ٤٨٣) ، وانظر أيضا ما كتبت فى مجلة الثقافة فى العدد ١١٠ ص ٣٣ — ٣٤ .

(٢) ل : « فليس يتحاشون . الخ » والكلام من : « بمصابيح » إلى : « والجراءة » ساقط من س .

(٣) فيما عدا ل : «حتى دربوا به الدرب ولا يفطن له».

(٤) ل : « ممن رده » .

(٥) ويقال أيضا التميمى ، من بنى أسد بن عمرو بن تميم ، ترجم له فى المؤتلف ٢٠ بلفظ : « أعشى بن النباش بن زرارة » وذكره ابن هشام فى السيرة ٦٣٦ ، ٦٤٥ بلفظ : « الأعشى بن زرارة بن النباش » بتقديم زرارة . هـ : « الأعشى بن وزادة الأسدى »، ط ، س : « الأعشى بن ماش بن زرارة الأسدى »، صوابه فى ل والاشتقاق ٨٨ حيث أورد القصة بتفصيل .

(٦) ط ، هـ : « وذو القدر » ، وأثبت ما فى ل ، س وآكام المرجان ١٤٠ .

(٧) القدموس : القديم . فيما عدا ل : « والمنصب القصر » : وأثبت ما فى ل . —

وهذا الباب كثير .

قالوا : ولنقل الجنّ الأخبارَ علمَ الناس بوفاةِ[١] الملوك ، والأمور المهمة ، كما تسامَعُوا بموت المنصور [بالبصرة[٢]] فى اليوم الذى تُوفِّىَ فيه بقرب مكة . وهذا الباب أيضاً كثير .

(من له رَئِىٌّ من الجن)

وكانوا يقولون : إذا ألف الجنّى إنسانا وتعطَّف عليه[٣] ، وخبّره ببعض الأخبار ، وجد حِسّه[٤] ورأى خياله ، فإذا[٥] كان عندهم كذلك قالوا : مع فلان رَئِىٌّ من الجن[٦] . وممن يقولون ذلك فيه عمرو بن لُحَىّ بنَ قَمَعَة[٧] والمأمُور الحارثى[٨] ، وعتيبة بن الحارث بن شهاب ، فى ناسٍ معروفين من ذوى الأقدار ، من بين فارس رئيس ، وسيِّد مُطاع .

= وفى آكام المرجان : « والمنصب القهر » . وقد أثبت صاحب آكام المرجان بقية الحديث ، وأتى الجاحظ به مختصرا .

(١) فيما عدا ل : « وفاة » .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) ل : « تعطف عليه » بإسقاط الواو .

(٤) ل : « ووجد حسه » بزيادة واو .

(٥) فيما عدا ل : « وإذا » .

(٦) الرئى ، بفتح الراء وكسرها وآخره ياء مشددة . وكسر الراء لغة تميم ، كما يقولون سعيد وبعير بكسر أولها .

(٧) لحى ، بالحاء المهملة وبهيئة التصغير ، كما فى تاج العروس . ل : « لجى » بالجيم ط : « الخاء » ، هـ ، س : « لحا » ، صوابها ما أثبت . وقمعة ، بالتحريك . وهو عمرو بن لحى بن قمعة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . انظر السيرة ٥٠ — ٥١ جوتنجن . وفيه ورد حديث : « رأيت عمرو بن لحى يجر قصبه فى النار » .

(٨) اختلف فى اسمه ، فقيل هو الحارث بن معاوية ، قال ابن دريد فى الاشتقاق ٢٦٩ : وكان من فرسان مذحج وكانت فى أمره تتقدم وتتأخر » ، وقيل هو معاوية بن الحارث.=

فأما الكهّان : فمثل حارثة جهينة (١) ، وكاهنة باهلة ، وعُزّى سلمة (٢) ، ومثل شِقّ (٣) ، وسَطيح (٤) ، وأشباههم .

وأما العرّاف ، وهو دون الكاهن ، فمثل الأبلق الأسدى (٥) ، والأجلح الزهرى ، وعروة بن زيد الأسدى (٦) ، وعرّاف اليمامة رَبَاح بن كَحْلَة (٧) ،

= انظر الأمالى (٣ : ١٤٩) وقيل : هو المأمور بن تبراء . انظر معجم المرزبانى ٤٧٢ . أو هو المأمور بن زيد . انظر القالى (٣ : ١٤٩) . ونسبته إلى بنى الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج ، كما فى النقائض ٦٠٠ . وأورد له الأصبهانى خبرا فى يوم الكلاب الثانى فى (١٥ : ٧٠) وانظر النقائض ١٤٩ .

(١) كذا فى هـ ، س . لكن فى ل : « جارية جهينة » وفى ط : « حارثة ابن جهينة » . وفى البيان والتبيين (١ : ٢٨٩) : « حازى جهينة » والحازى : الكاهن . وفى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) : « حارثة بنت جهينة » ، وفى ثمار القلوب ٨١ : « أخبارية جهينة » .

(٢) عزى سلمة : كاهن ذكر له الميدانى فى الأمثال قصة فى قولهم : « إلا ده فلا ده » . ط : « عنز سلمة » س ، هـ : « عزا سلمه » صوابه فى ل والميدانى ورسائل الجاحظ ١٣٠ . وجاء فى البيان (١ : ٢٨٩) : « قالوا : أكهن العرب وأسجعهم سلمة بن أبى حية ، وهو الذى يقال له عزى سلمة » .

(٣) هو شق بن أنمار بن نزار ، زعموا أنه كان شق إنسان ، له يد واحدة ، ورجل واحدة ، وعين واحدة . انظر بلوغ الأرب (٣ : ٢٧٨ — ٢٨١) وعجائب المخلوقات ٣١٠ .

(٤) هو سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب . انظر السيرة ٤٧ جو تنجن .

(٥) ذكره ابن خلدون فى المقدمة ٩٤ قال : « وعراف نجد الأبلق الأسدى » . وفيه يقول عروة بن حزام :

جعلت لعراف اليمامة حكمه ... وعراف نجد إن هما شفيانى

وانظر مروج الذهب (١ : ٣٣٧) ورسائل الجاحظ ١٣٠ . فيما عدا هـ : « الأسيدى » تحريف .

(٦) ذكره المسعودى فى مروج الذهب (١ : ٣٣٧) .

(٧) هـ ، ل وثمار القلوب ٨١ : « رياح » بالمثناة التحتية . وفى ل وثمار القلوب : « كحيلة » بالتصغير ، وأثبت ما فى سائر النسخ ومروج الذهب . وجاء فى الرسائل : « كهيلة » ، وفى مقدمة ابن خلدون ، « عجلة » .

وهو صاحب [بنت[١]] المستنير البلتعى ، وقد قال الشاعر[٢] :

فقلت لعراف اليمامة داوِنى ... فإنَّك إنْ أبْرَأْتَنى لَطبِيبُ[٣]

وقال جُبَيهاء الأشْجَعىّ :

أقامَ هَوَى صفيَّةَ فى فؤادى ... وقد سيَّرتُ كلَّ هوى حَبيبِ[٤] ٦٣
لكِ الخيراتُ كَيْفَ مُنِحتِ وُدِّى ... وما أنا مِنْ هَوَاكِ بذى نَصِيبِ
أقول وعُروةُ الأسدىُّ يَرقى ... أتاكَ برُقْيةِ المَلِقِ الكذوبِ[٥]
لَعَمْرُكَ ما التّثاؤبُ يا ابنَ زيدٍ ... بشافٍ منْ رُقاك ولا مُجيبِ[٦]
لَسَيْرُ النّاعجاتِ أظنُّ أشْفَى ... لما بى منْ طَبيب بنى الذّهوبِ[٧]

وليس البابُ الذى يدّعيه هؤلاء من جِنس العِيافة والزّجر ، والخطوط ، والنّظر فى أسرار الكفّ ، وفى مواضع قَرض الفار ، وفى الخيلان فى الجسد ، وفى النظر فى الأكتاف ، والقضاء بالنجوم ، والعلاج بالفكر[٨] .

وقد كان مُسيلِمة يدّعى أن معه رَئيًّا فى أوّل زمانه ، ولذلك قال الشّاعر ، حين وَصَفَ مخاريقَه وخُدَعه :

---

(١) س : « بيت » . وفى مروج الذهب : « وكهند صاحب المستنير » ، جعله شخصا آخر . و « هند » من الأعلام المشتركة . وفى اللسان : « وهند من أسماء الرجال والنساء » .

(٢) هو عروة بن حزام العذرى ، من قصيدة فى ديوانه المحفوظ بدار الكتب المصرية .

(٣) ل فقط : « فقلت » .

(٤) ل : « سترت » ، وما أثبت من سائر النسخ أشبه .

(٥) ل : « ترقى أخاك » محرف .

(٦) ابن زيد ، هو عروة بن زيد الأسدى الكاهن .

(٧) الناعجات : جمع ناعجة ، وهى البيضاء من الإبل ، أو الخفيفة الحسنة اللون ، أو السريعة ، نعجت فى سيرها : أسرعت . والذهوب ، بالفتح : اسم امرأة ، كما فى اللسان والقاموس . ل : « أبى الذهوب » .

(٨) انظر ما سبق فى (٥ : ٣٠٣) .

بِبَيْضةِ قارورٍ ورَاية شادِنٍ وخلةِ جِنّيّ وتوصيل طائر (١)

ألا تراه ذكر خُلَّة الجنى .

(ظهور الشقّ للمسافرين)

ويقولون : ومن الجنِّ جنسٌ صورةُ الواحدِ منهم على نصف صورة الإنسان ، واسمُه شِقّ (٢) ، وإنّه كثيراً ما يعرض للرّجُل المسافر إذا كان وحْدَه ، فربّما أهلَكه فزَعا ، وربّما أهلَكه ضرْباً وقتْلا .

قالوا : فمن ذلك حديثُ عَلقمةَ بن صفْوانَ بن أميَّة بن محرِّث الكنانى (٣) ، جدّ مروان بن الحكم ، خرج فى الجاهلية (٤) وهو يريد مالاً له بمكة (٥) ، وهو على حمار ، وعليه إزارٌ ورداء ، ومعه مِقْرعة ، فى ليلةٍ إضْحِيانة (٦) ، حتى انتهى إلى موضعٍ يقال له حائط حزْمان (٧) ، فإذا هو بشقّ له يدٌ ورجل ، وعينٌ ، ومعه سَيف ، وهو يقول :

عَلْقَمَ إنى مقتولْ وإنَّ لحمى مَأكولْ

---

(١) سبق نظير هذا البيت فى (٤ : ٣٦٩ ، ٣٧٤) . وقد كشف الجاحظ عن أمر « البيضة » فى ص ٣٧٠ . والشادن : الظبى قد قوى جسمه وترعرع . وقد فسر الجاحظ هذه الإشارة فى ٣٧٣ . وتوصيل ريش الطائر فى ٣٧١ - ٣٧٣ .

(٢) انظر عجائب المخلوقات ٣١٠ وحياة الحيوان للدميرى .

(٣) محرث ، كمحمد ، كما فى القاموس . وفى اللسان (٢ : ٤٤١) : « قال ابن الأعرابى هو اسم جد صفوان بن أمية بن محرث . وصفوان هذا أحد حكام كنانة » . ط : « حرب » هـ : « محرب » ، والصواب ما أثبت من ل ، س .

(٤) كلمة : « خرج » ساقطة من س . وفى ط ، هـ : « فى الجاهلية خرج »

(٥) ل : « يريد ماله بمكة » بدل : « وهو يريد مالا له بمكة » .

(٦) يقال ليلة ضحياء وضحيا ، وضحيان وضحيانة ، وإضحيان وإضحيانة بالكسر : مضيئة لاغيم فيها .

(٧) فيما عدا ل : « جرمان » ، ولم أجد واحدا منهما . وفى آكام المرجان ٤٢ : « خرج حاطب بن أبى بلتعة ، من حائط يقال له قران ، يريد النبى صلى الله عليه وسلم » ، وساق الخبر بوجه آخر .

أَضْرِبُهُمْ بالهَذْلولْ[١] ضربَ غلامٍ شُمْلولْ[٢]

* رحبِ الذِّراع بُهلولْ[٣] *

فقال علقمة :

يا شِقَّها مالى ولك[٤] اغمِدَ عنِّى مُنصلَكْ[٥]

* تَقْتُل مَنْ لا يقتلك *

فقال شِقٌ[٦] :

عَبَيت لك عَبَيتُ لك[٧] كيما أُتيحَ مَقْتَلك[٨]

* فاصبر لما قَدْ حُمَّ لَكْ * ٦٤

[قال] : فضرب كلٌّ واحدٍ منهما صاحبَه، فخرَّا ميِّتين، فمِمَّن قتلت الجنّ علقمةُ بن صفوان هذا، وحَرْب بن أميَّة[٩] ، قالوا : وقالت الجنّ :

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قفر وليس قُرْبَ قَبْرِ حَرْبٍ قَبْرُ

---

(١) الهذلول ، عنى به سيفه . وفى اللسان : « الهذلول : اسم سيف كان لبعض بنى مخزوم » .

(٢) أراد بالشملول الخفيف السريع . والمعروف فى كلامهم : « شمليل » الناقة الخفيفة السريعة .

(٣) البهلول ، بالضم : العزيز الجامع لكل خير ، والحيى الكريم .

(٤) أى ياشق هذه الأرض . ورسمت فيما عدا ل : « ياشق ها » مفصولة . ل : « شق مالى ولك » .

(٥) اغمد ، أراد اغمدن ، بالنون الخفيفة ، فحذفها للشعر ، كما قال طرفة :

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

انظر شرح شواهد المغنى ٣١٥ . والمنصل ، بضم الميم والصاد : السيف .

(٦) ط ، هـ : « قال شق » .

(٧) عبيت : تسهيل عبأت ، فى لغة من يقول فى قرأت قريت . وعبأ له : استعد وهيأ . ط ، هـ : « غنيت » ، س « عنيت » ، صوابهما فى ل .

(٨) فيما عدا س : « أبيح » . والمقتل : مصدر ميمى من القتل . ل : « معتلك » س : « مقبلك » هـ : « تقتلك » صوابها فى ط .

(٩) هو حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ، والد أبى سفيان بن حرب . انظر المعارف ٣٣ ، وقصة مقتله فى معاهد التنصيص (١ : ١٢ - ١٣) .

قالوا : ومن الدَّليل [على ذلك ، وعلى] أنَّ هذين البيتين من أشعار الجن أن أحدًا لا يستطيع أن ينشِدَهما ثلاث مراتٍ متصلة ، لا يَتَتَعْتع فيها[1] ، وهو يستطيع أن يُنشِد أثْقَل شعر فى الأرض وأشقَّه عشْر مرّات ولا يَتَتَعْتَعُ .

(ذكر من قتلته الجنّ أو استهوته)

قال : وقتلت مِرْداسَ بنَ أبى عامر ، أبا عبَّاس بن مرداسٍ[2] ، وقتلت الغَريضَ خنْقاً بعد أن غنَّى بالغناء الذى كانوا نَهَوْه عنه[3] ، وقتلت الجْنُّ سعدَ بنَ عبادة بن دُلَيم[4] ، وسمعوا الهاتف يقول :

(١) التعتعة فى الكلام : أن يعيا بكلامه ويتردد من حصر أوعى ، وقد تعتع فى كلامه ، وتعتعه العى فهو متعتع ، ويقال أيضا تتعتع بتاءين فى أوله ، ومنه الحديث : « الذى يقرأ القرآن ويتتعتع فيه » . ط ، هـ : « يتعتع » فى هذا الموضع وتاليه ، وهما صحيحتان كما رأيت . وفى البيان (١ : ٦٥) : « فلا يتتعتع ولا يتلجلج » . والجاحظ فى البيان يصرح بنفى نسبة هذين البيتين إلى الجن .

(٢) قصته فى معاهد التنصيص فى الموضع المتقدم .

(٣) الغريض : لقب له ، واسمه عبد الملك ، وكان من الموالى ، وكان خياطا فأخذ الغناء عن ابن سريج ، وكانت بعض موليات ابن سريج تعلمه النياحة فبرز فيها ، ويروون أن الجن نهته أن يغنى فى لحنه :

وما أنس مل أشياء لا أنس شادنا بمكة مكحولا أسيلا مدامعه

لأنه فتن طائفة منهم فانتقلوا عن مكة من أجل حسنه . وروى أبو الفرج خبر من شهده وهو يتغنى فى هذا اللحن بقوله :

تشرب لون الرازقى بياضه أو الزعفران خالط المسك رادعه

وحدث عن ابن الكلبى عن أبى مسكين قال : « إنما نهته الجن أن يتغنى بهذا الصوت ، فلما أغضبه مواليه تغناه ، فقتلته الجن فى ذلك » . انظر الأغانى (٢ : ١٢٤ - ١٤٣) . وانظر كتاب البغال للجاحظ ص ٣٧٣ بتحقيقنا .

(٤) هو سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبى حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج ابن ساعدة بن كعب بن الخزرج . وكان سيد الخزرج وممن له بلاء حسن فى الإسلام وكان يكتب فى الجاهلية ، ويحسن العوم والرمى . وتوفى بحوران لسنتين ونصف من خلافة عمر . المعارف ١١٢ والسيرة ٢٩٨ والاشتقاق ٢٦٩ . و « دليم » بهيئة التصغير ، وفى الاشتقاق : « ودليم تصغير أدلم ، والأدلم : الأسود » . وفى الأصل : « ديلم » ، صوابه فى المعارف والسيرة .

قد قَتَلْنا سيِّدَ الخزْرَ ج سَعْدَ بن عُبادَه[1]
وَرَمَيْنـاه بِسَهمين فَلَمْ نُخطِ فُؤَادَهْ[2]

واستهووْا سِنانَ بن أبي حارثة[3] ليستفحلوه ، فمات فيهم . واستهووا طالب بن أبي طالب ، فلم يوجد له أثرٌ إلى يومنا هذا .

واستهووا عَمْروبنَ عَدِيٍّ اللَّخميّ الملك ، الذي يقال فيه[4] : « شَبَّ عَمْرٌو عن الطَّوق[5] » ، ثمَّ ردُّوه على [خاله[6]] جذيمة الأبرش ، بعد سنين [وسنين[7]] .

---

(١) فيما عدا ل : « نحن قتلنا » ، وهى رواية نص عليها ابن رشيق فى العمدة (١ : ٩٣) وذكر أن فى البيت الخزم ، بالزاى المعجمة ، زيد فى أوله ثلاثة أحرف ، هى « نحن » . ومثل هذه الرواية فى العقد (٣ : ٦٤) . وعلى رواية « قد » يكون قد زيد فى أوله حرفان ، وهى أيضا رواية المعارف وآكام المرجان ١٣٧ . والشعر من بحر الهزج .

(٢) كذا ورد البيت مزيدا فى أوله الواو ، وذلك فيما عدا س . وهو ما يسميه العروضيون « الخزم » بالزاى . وجاء مجردا من الخزم فى العمدة ، والعقد ، وكذلك فى س فقط ، أى برواية : « رميناه » . وفى س ، ه : « فلم تخط » ، محرف . ونخط ، هى نخطىء ، سهلت ثم عوملت معاملة المعتل .

(٣) هو والد هرم بن سنان ممدوح زهير . وتجد زعم استهوائه فى الحيوان (٣ : ٤٩٠) والأغانى (٩ : ١٤٤) . وقد سقطت كلمة : « أبى » من ل .

(٤) ل : « له » . وكلمة : « الملك » ساقطة من س .

(٥) قد أورد المثل بهذا اللفظ فى العمدة (٢ : ١٧٩) . وساقه الميدانى فى الأمثال (٢ : ٧٥) ، وكذا صاحب القاموس فى مادة (طوق) بلفظ : « كبر عمرو عن الطوق » .

(٦) هذه التكملة من س . وأم عمرو هذا هى رقاش أخت جذيمة الأبرش بن مالك ابن فهم بن عمرو بن دوس بن الأزد . انظر العمدة (٢ : ١٧٨) .

(٧) التكملة من ل ، ه .

واستهوَوْا عمارة بن [الوليد بن[1]] المغيرة ، ونفخوا فى إحليله فصار مع الوحش[2] .

ويروون عن عبد الله بن فائد[3] بإسنادٍ له يرفعه ، أنّ النبى صلى الله عليه وسلم قال : « خرافة رَجُل من عُذْرةَ استهوَتْه الشّياطين » ، وأنّه تحدَّث يوما بحديثٍ فقالت امرأةٌ من نسائه : هذا من حديث خُرافة ! قال : « لا ، وخُرافةُ حقٌّ[4] » .

(طعام الجن وشرابهم)

ورووا عن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه ، أنّه سأل المفقود[5] الذى استهوته الجن : ما كان طعامهم ؟ قال : الفول[6] . قال : فما كان شرابهم ؟ قال : الجدَف[7] .

---

(١) هذه التكملة من ل ، س . وعمارة بن الوليد هذا هو الذى مشت به قريش إلى أبى طالب وقالوا له : « يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد أنهد فتى فى قريش وأجمله ، فخذه فلك عقله ونصره ، واتخذه ولدا فهو لك ، وأسلم إلينا ابن أخيك » يعنون رسول الله . انظر السيرة ١٦٩ جوتنجن . وقد وهم فيه بعض المفسرين فرووا عند قوله تعالى : (ذرنى ومن خلقت وحيدا) أنه أسلم . وقال ابن حجر فى الإصابة ٦٨١١ : « الصواب أنه مات كافرا ؛ لأن قريشا بعثوه إلى النجاشى فجرت له معه قصة ، فأصيب بعقله وهام مع الوحش » .

(٢) ل : « فطار مع الوحش » .

(٣) سبق الحديث بهذا الإسناد فى (١ : ٣٠١) . ل : « بن قتادة » . وهذا الحديث رواه الترمذى وأبو يعلى وأحمد ، عن عائشة . انظر كشف الخفا للعجلونى (١ : ٣٧٧) .

(٤) ل : « ألا وخرافة حق » .

(٥) ه ، س : « سئل المفقود » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل « الروث » تحريف . وسبق فى الجزء الأول : « الفول والرمة » وفى نهاية ابن الأثير : « الفول وما لم يذكر اسم الله عليه » .

(٧) الجدف ، بالتحريك : ما لايغطى من الشراب ، وفسره ابن الأثير فى هذا الحديث بأنه نبات يكون باليمن لايحتاج آكله معه إلى شرب ماء . وقال أبو عمرو : =

ورووا أن طعامَهم الرِّمة وما لم يذكر اسمُ الله عليه .

ورووا عن النبى صلى الله عليه وسلم — والحديث صحيح — أنه قال : «خَمِّرُو آنيتكم[١] ، وأوكُوا أسقيتكم[٢] وأجيفُوا الأبواب[٣] ، وأطفئوا المصابيح ، واكْفِتُوا صِبيانكم[٤] ؛ فإن للشّياطين انتشاراً وخَطْفة[٥] » .

(رءوس الشياطين)

وقد قال الناس فى قوله تعالى: ﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِى أَصْلِ الْجَحِيمِ . طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾ ، فزعم ناس أنّ رءوس الشياطين[٦] ثمر شجرةٍ تكون ببلاد اليمن ، لهَا منظر كريه[٧] .

والمتكلّمون لايعرفون هذا التّفسير ، وقالوا : ما عنى إلاّ رءُوس

= « الجدف لم أسمعه إلا فى هذا الحديث ، وما جاء إلا وله أصل ، ولكن ذهب من كان يعرفه ويتكلم به ، كما قد ذهب من كلامهم شىء كثير » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « البول » وفى س : « الحرف » وفى ل : « الحدف » صوابه بالجيم .

(١) التخمير : التغطية . ل : « جمروا » بالجيم محرف وقد سبق الحديث فى (٥ : ١٢١) . وانظر (٤ : ٢٩١) .

(٢) أوكاه بالوكاء : شده به . والوكاء : كل سير أو خيط يشد به فم السقاء أو الوعاء . ط ، س : « أوكئوا » تحريف . والفعل من المعتل لا المهموز .

(٣) أجاف الباب : رده عليه . فيما عدا ل : « وأغلقوا الأبواب » .

(٤) فى اللسان (٢ : ٣٨٥) : « اكفتوا » بالتاء . قال أبو عبيد : يعنى ضموهم إليكم واحبسوهم فى البيوت ، يريد عند انتشار الظلام . س : « اكتفوا » محرفة . وفى ط ، هـ : « وكفوا صبيانكم » .

(٥) س : « وحطفة » ، هـ : « وحفظة » ، صوابهما فى ل ، س واللسان .

(٦) هذه العبارة ليست فى هـ .

(٧) هذا ما فى ط ، س لكن فى س : « من شجرة » . وجاء فى ل : « شجر يكون ببلاد اليمن له منظر كريه » . وفى هـ : « من شجر تكون ببلاد اليمن له منظر كريه » . وفى تفسير أبى حيان (٧ : ٣٦٣) : « هو شجر =

الشياطين المعروفين(١) بهذا الاسم ، من فَسَقة الجن ومَرَدتهم . فقال أهل الطَّعن والخلاف : كيف يجوز أنْ يضرب المثل بشيء لم نَرَه فنتوهَّمَه ، ولا وُصِفت(٢) لنا صورته فى كتابٍ ناطق ، أو خبر صادق . ومخرج الكلام يدلُّ على التخويف بتلك الصُّورة ، والتفزيع منها(٣) . وعلى أنّه لوكان شيءٌ أبلغَ فى الزَّجر من ذلك لذكَرَه . فكيف يكون الشّأن(٤) كذلك ، والناس لا يفزعون إلاَّ من شيء هائل شنيعٍ ، قد عاينوه ، أو صوَّرَه لهم واصفٌ صدوقُ اللسان ، بليغٌ فى الوصف . ونحن لم نعاينْها ، ولا صوَّرها لنا صادق . وعلى أنَّ أكثر الناس من هذه الأمم التى لم تعايشْ أهل الكتابين(٥) وحَمَلة القرآن من المسلمين ، ولم تسمع الاختلاف لا يتوهَّمون ذلك ، ولا يقفون عليه(٦) ، ولا يفزعون منه . فكيف يكون ذلك وعيداً عاما ؟ !

قلنا : وإن كنَّا نحن(٧) لم نر شيطاناً [قطّ] ولا صوّر رءوسَها لنا

= خشن مر منكر الصورة سمت ثمره العرب بذلك . . . . وقيل هو شجرة يقال لها الصوم » . وفى اللسان : « الصوم شجر على شكل شخص الإنسان ، كريه المنظر جدا ، يقال لثمره رءوس الشياطين » . وفيه أيضا : « رءوس الشياطين نبت معروف قبيح يسمى رءوس الشياطين » . فقد رأيت أن الاسم يطلق على النبات حينا وعلى الثمرة آخر .

(١) فيما عدا ل : « شياطين معروفين » ، بالتنكير .

(٢) فيما عدا ل : « وصف » .

(٣) ل ، س : « والتفريع » بالراء المهملة ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « إنسان » محرف .

(٥) عايشه : عاش معه وعاشره . والمراد بأهل الكتابين اليهود والنصارى . وكلمة : « التى » من ل فقط . وفى هـ ، س : « لم تعاين أهل الكنائس » ، وفى ط : « لم يعاين أهل الكنائس » ، تحريف .

(٦) فى ط زيادة واو قبل : « لايتوهمون » ونقصها قبل : « لايقفون » ، والصواب من سائر النسخ .

(٧) هذه الكلمة من ل . وفى س : « قلنا : نحن وإن كنا » .

صادقٌ بيده ، ففى إجماعهم على ضرْب المثل بقُبح الشيطان ، حتَّى صاروا يَضَعُون[١] ذلك فى مكانين : أحدهما أن يقولوا : « لهو أقبح من الشيطان » ، والوجه الآخر أن يسمَّى الجميلُ شيطانا[٢] ، على جهة التطيُّر له[٣] : كما تُسمَّى الفرسُ الكريمةُ شَوهاء ، والمرأة الجميلة صَمّاء ، وقرناء[٤] ، وخَذْساء ، وجَرباء[٥] وأشباه ذلك ، على جهة التطيُّر له[٣] . ففى إجماع المسلمين والعرب وكلٍّ من لقِيناهُ على ضرْب المثل بقُبْح الشيطان، دليلٌ على أنه فى الحقيقة أقبحُ من كل قبيح .

والكتابُ إنَّما نزل على هؤلاء الذين [قد] ثبّت فى طبائعهم بغاية التثبيت[٦] .

وكما يقولون : « لهو أقبحُ من السحر[٧] » ، فكذلك يقولون[٨] ، كما قال عمر بن عبد العزيز لبعضٍ من أحسَنَ الكلام فى طلب حاجته — : « هذا والله السِّحر الحلال » .

وكذلك أيضاً ربَّما قالوا : « ما فلانٌ إلا شَيطان » على معنى الشَّهامة والنَّفاذ وأشباه ذلك[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « يصفون » .

(٢) ل : « بشيطان » .

(٣) فيما عدا ل : « به » .

(٤) بدلها فى ل : « بخراء » .

(٥) ط ، هـ : « حرباء » ، وفى ل : « جربى » .

(٦) فيما عدا ل : « التثبت » وفى ثمار القلوب ٥٧ : « ثبت فى طبائعهم غاية الثبات » .

(٧) فيما عدا ل : « لهو أفصح من السحر الحلال » محرف .

(٨) فيما عدا ل : « وكذلك يقولون » .

(٩) فيما عدا ل « وما أشبه ذلك » . وزاد فى ثمار القلوب : « ولذلك قالوا لأبى حنيفة شيطان خرج من البحر » .

(صفة الغول والشيطان)

والعامّة تزعم أنَّ الغول تتَصوَّر فى أحسن صورة[١] إلاّ أنّه لابدَّ أن تكون رِجلُها رجلَ حمار .

وخبَّروا عن الخليل بن أحمد ، أنّ أعرابيًّا أنشده :

وحافر العَير فى ساقٍ خَدَلَّجةٍ
وجَفنِ عين خلاف الإنس فى الطولِ[٢]

وذكروا أنّ العامَّة تزعم أنّ شقَّ عين الشيطان بالطول . وما أظنُّهم أخذوا هذين المعنيين إلاّ عن الأعراب .

(ردّ على أهل الطعن فى الكتاب)

وأما إخبارهم عن هذه الأمم ، [و] عن جهلها[٣] بهذا الإجماع [والاتِّفاق[٤]] والإطباق ، فما القول فى ذلك إلاّ كالقول فى الزَّبانِيَة وخزنةِ جهنَّم ، وصُورِ الملائكة الذين يتصوَّرون فى أقبح الصُّور إذا حضروا لقبْض أرواحِ الكفار ، وكذلك فى صور مُنكر ونكير[٥] ، تَكون[٦] للمؤمن

٦٦ على مِثال ، وللكافر[٧] على مثال .

(١) ط فقط : « يتصور » ، تحريف . والغول مؤنثة ، انظر المخصص (١٧ : ٥) . فيما عدا ل : « أحسن الصورة » محرف .
(٢) الخدلجة : الضخمة الممتلئة . ل : « ولحد عين » .
(٣) فيما عدا ل : « جهلنا » محرف .
(٤) هذه التكملة من س .
(٥) فيما عدا ل : « وكذلك فى صور منكر ونكير » .
(٦) فيما عدا ل : « يكون » .
(٧) ط ، هـ : « وللكفار » .

ونحن نعلم[١] أنّ الكفار يزعمون أنهم لا يتوهّمون الكلام والمحاجّة من إنسان ألقى فى جاحِمِ أتُّون[٢] فكيف بأن يُلقَى فى نار جهنّم ؟ ! فالحجّة على جميع هؤلاء[٣] ، فى جميع هذه الأبواب ، من جهةٍ واحدة . وهذا الجوابُ قريبٌ . والحمد لله .

وشَقُّ فم العنكبوت بالطول . وله ثمانى أرجل[٤] .

(سكنى الجن أرض وَبارِ)

وتزعم الأعرابُ أن الله عزّ ذكره حينَ أهلك الأُمة التى كانت تسمَّى وَبارِ ، كما أهلك طسْمًا ، وجَدِيساً ، [وأَمِيما[٥] ، وجاسما[٦] ،] وعملاقا ، وثموداً وعاداً[٧] — أنَّ الجنّ سكنت فى منازلها[٨] وحمتْها من كلِّ مَنْ أرادَها ؛ وأنَّها أخصبُ بلاد الله ، وأكثرُها شجراً ، وأطيبُها ثمراً ، وأكثرها حَبًّا وعنبا[٩] ، وأكثرها نخلا ومَوزاً . فإنْ دنا اليومَ إنسانٌ من تلك البلاد[١٠] ، متعمِّدًا ، أو غالطاً ، حثَوا فى وجهه التراب ، فإنْ أبى الرُّجوعَ خبلوه ، وربَّما قتلوه .

---

(١) فيما عدا ل : « نزعم » .

(٢) فيما عدا ل : « تنور » . والجاحم : المكان الشديد الحر .

(٣) ل : « هؤلاء » .

(٤) العنكبوت يؤنث ويذكر . انظر حواشى (٦ : ٢٦٥) . وفيما عدا ل : « ولها ثمانية أرجل » محرف .

(٥) أميم ، هو ابن لاود بن إرم بن سام بن نوح . المعارف ١٣ ونهاية الأرب (٢ : ٢٩٢) .

(٦) جاءت هذه الكلمة دون سابقتها فى س برسم : « جاهما » ، محرفة .

(٧) ل : « وعادا وثمودا » .

(٨) ط ، هـ : « منازلهم » .

(٩) ل : « سيحا وعنبا » .

(١٠) ل : « فإن دنا اليوم من تلك البلدة إنسان » .

والموضع نفسه باطل . فإذا[1] قيل لهم : دُلُّونا على جهته ، ووقِّفونا[2] على حدِّهِ وخَلاكُم ذمٌّ – زعموا أنّ من أراد ألوَى على قلبه الصَّرْفة ، حتّى كأنهم أصحابُ موسى فى التِّيه . وقال الشاعر[3] :

وداعٍ دعا واللَّيلُ مرخٍ سُدولَه رَجاءَ القِرَى يا مُسْلِمَ بنَ حِمارِ
دعا جُعَلاً لا يَهتدِى لِمَقيله من اللؤم حتَّى يَهْتَدِى لوَبَارِ[4]

فهذا الشاعرُ الأعرابىُّ جعل أرضَ وَبَارِ مثلا فى الضلال . والأعراب يتحدّثون عنها كما يتحدّثون عمّا يجدونه بالدَّوِّ والصَّمّان ، والدهناء ، ورمل يبرين . وما أكثر ما يذكرون أرضَ وَبارِ فى الشِّعر ؛ على معنى هذا الشاعر .

قالوا : فليس اليومَ فى تلك البلاد إلاَّ الجنُّ ، والإبلُ الحُوشيَّة .

(الحوشية من الإبل)

والحوشُ من الإبل عندهم هى[5] التى ضَرَبَتْ فيها فحولُ إبل الجن . فالحوشِيَّة من نَسْل إبلِ الجن[6] . والعِيديَّة[7] ، والمَهْرية[8] ، والعَسْجديّة[9] ، والعُمانية ، قد ضربت فيها الحُوش . وقال رُؤْبة :

(١) فيما عدا ل : « فإن » .
(٢) ط ، س : « وأوقفونا » ، صوابه فى ل ، هـ .
(٣) سبق البيتان فى (٥ : ٥٩٧) كما سبق شرحهما .
(٤) سبق برواية : « ابن وبار » .
(٥) هذه الكلمة ليست فى س . وبدلها فى ل : « الإبل » .
(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .
(٧) العيدية : بكسر العين وبعدها ياء مثناة تحتية : نسبة إلى العيد ، وهم حى من أحياء العرب ، أو فحل منجب ، أو منسوبة إلى عاد بن عاد ، أو عادى بن عاد على الشذوذ . وفى الأصل : « العبدية » بالموحدة ، تحريف .
(٨) المهرية : نسبة إلى مهرة بن حيدان ، أبو قبيلة . وهو بفتح الميم .
(٩) العسجدية : نسبة إلى فحل كريم يقال له عسجد .

جَرَّت رَحَانا من بلاد الحوشِ[١]

وقال ابن هريم[٢] :

كأنّى على حوشيَّةٍ أو نَعامةٍ لها نَسبٌ فى الطَّيرِ وهو ظلِيمُ[٣]

وإنما سمَّوا صاحبةَ يزيد بن الطَّثرية « حُوشِيّة » على هذا المعنى .

(التحصُّن من الجنّ)

وقال بعضُ أصحاب التفسير[٤] فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فزَادُوهُمْ رَهَقاً ﴾ : إنَّ جماعة من ٦٧
العرب كانوا إذا صارُوا فى تِيهٍ من الأرض ، وتوسَّطوا بلادَ الُحوش ، خافوا عَبث الجنَّانِ والسَّعالِى والغيلان والشياطين ، فيقوم أحــدهم فيرفع صوته[٥] : إنّا عائذون بسيِّد هذا الوادى ! فلا يؤذيهم أحدٌ ، وتصير لهم بذلك خَفارة[٦] .

(أثر عشق الجن فى الصرع)

وهم يزعمون أن المجنون إذا صرعَتْه الجنّيّة ، وأنّ المجنونةَ إذا صرعها الجنىّ — أنَّ ذلك إنما هو على طريق العشْق والهوى ، وشهوة النِّـكاح ،

---

(١) سبق البيت فى (١ : ١٥٥) . ط ، س : « حوت رجالا » ، هـ : « حوتا رجالا » ، صوابه فى ل وديوان رؤبة ٧٨ . يقول : ساقت تلك السنة الجدبة إبلنا الكثيرة من بلاد الحوش .

(٢) ط فقط : « ابن هرمة » . وقد روى البيت بدون نسبة فى معجم البلدان (٨ : ٣٩٣) .

(٣) فى معجم البلدن : « لها نسب فى الطير أو هى طائر » .

(٤) ط ، هـ : « بعض أهل أصحاب التفسير » بإقحام : « أهل » .

(٥) ل : « فيقول » .

(٦) الخفارة : الذمة . هـ : « حفارة » محرف .

وأنّ الشيطان يَعشق المرأة منّا ، وأنّ نَظْرته[1] إليها من طريق العُجْب بها أشدُّ عليها من حُمَّى أيام ، وأنّ عَين الجانّ أشدُّ من عين الإنسان .

قال : وسمع عمرو بن عُبيد ، [رضى الله عنه] ، ناساً من المتكلّمين يُنْكِرون صَرْع [الإنسان للإنسان ، واستهواء الجنّ للإنس ، فقال وما ينكرون من ذلك وقد سمعوا قول الله عزّ ذكره فى أَكَلَة الرِّبا ، وما يصيبهم يوم القيامة ، حيث قال : ﴿ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِى يَتَخَبَّطُهُ] الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ﴾ . ولو[2] كان الشيطانُ لم يَخْبِطْ أحداً لَمَا ذكر الله تعالى به أَكَلَة الرّبا .

فقيل له : ولعلّ ذلك كان مرّةً فذهب . قال : ولعله قد كثُر فازداد أضعافا[3] . قال : وما يُنكرون[4] من الاستهواء بعد قوله تعالى : ﴿ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ [فِى الأرض حَيْرَانَ ﴾ .

(زعم العرب أن الطاعون من الشيطان)

قال] : والعرب تزعم أن الطاعونَ طعنٌ من الشّيطان ، ويسمُّون[5] الطّاعون رماح الجنّ . قال الأسديُّ للحارث الملك الغسّانى[6] :

---

(١) فيما عدا ل : « نظره » .

(٢) ط : « فقال لو » بإقحام : « فقال » . وإثبات الواو من ل ، س .

(٣) ل : « فلعله كثر وازداد أضعافا » .

(٤) فيما عدا ل : « وما تنكرون » بالخطاب .

(٥) ط ، هـ : « ويسمى » .

(٦) ط ، س : « للحارث الغسانى ملك غسان » . والأشبه بقصة الشعر ما روى أبو الفرج فى الأغانى (١٠ : ٦١) عن الطوسى ، قال : « أغار ملك من ملوك غسان يقال له عدى . وهو ابن أخت الحارث بن أبى شمر الغسانى ، على بنى أسد ، —

لَعَمْرِكَ ما خَشِيتَ على أُبَىٍّ   رِماحَ بنى مُقَيِّدةِ الحمارِ [١]

ولكنِّى خَشِيتُ على أُبَىٍّ   رِماحَ الجنِّ أو إياكَ حارِ [٢]

يقول : لم أكن أخاف على أُبىّ مع منَعته وصرامته ، أن يقتله الأنذال [٣] ، ومن يرتبط العير دونَ الفرَس ، ولكنى إنما كنت أخافك عليه ، فتكونُ أنت الذى تطعَنه أو يطعَنه طاعونُ الشّام .

وقال العُمانىّ [٤] يذكر دولةَ بنى العبّاس [٥] :

قد دَفَع اللهُ رِمَاح الجنِّ [٦]   وأذهبَ العَذابَ والتَّجنِّى [٧]

وقال زيد بن جُندب الإيادىّ :

ولولا رِماحُ الجنِّ ما كان هزمهم   رِماحُ الأعادى من فصيحٍ وأعجمِ [٨]

= فلقيته بنو سعد بن ثعلبة بن دودان بالفرات ، ورئيسهم ربيعة بن حذار ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، فقتلت بنو سعد عديا ، اشترك فى قتله عمرو وعمير ابنا حذار ، أخو ربيعة ، وأمهما امرأة من كنانة يقال لها تماضر ، إحدى بنى فراس بن غنم ، وهى التى يقال لها مقيدة الحمار ، فقالت فاختة بنت عدى . . . » . وأنشد البيتين برواية « عدى » بدل : « أبى » . ونحو هذه القصة والرواية فى ثمار القلوب ٥٣ .

(١) اختلف فى « مقيدة الحمار » ففسرها بعضهم بما فسرها به الجاحظ . وقال آخرون : مقيدة الحمار هى الحرة من الأرض ، لأنها تعقل الحمار ، فكأنها قيد له ، وبنو مقيدة الحمار : العقارب ، لأنها تألف الحرار . انظر اللسان (٣ : ٢٧٩ / ٤ : ٣٧٥) . والأشبه بالحق ما فسرته القصة التى أسلفتها ، أن مقيدة الحمار لقب لتماضر والدة عمرو وعمير ابنى حذار . وقد جاء البيت وتاليه برواية : « أبى » فى الموضع الأول من اللسان ومجالس ثعلب ٦٤٢ وكذا آكام المرجان ١١٦ ، وبرواية « عدى » فى الموضع الثانى منه وكذا فى ثمار القلوب .

(٢) قال أبو الفرج : « تمنى الحارث بن أبى شمر خاله » .

(٣) فيما عدا ل : « تقتله الأنذال » .

(٤) سبقت ترجمته فى (٢ : ١٦٦) .

(٥) وفى ثمار القلوب ٥٣ : « وفى ذلك يقول العمانى للرشيد » .

(٦) ل : « قد رفع » بالراء . وفى ثمار القلوب : « قد أذهب » .

(٧) فى ثمار القلوب : « وأذهب التعليق والتجنى » قال : « يريد ما كان بنو مروان يفعلونه من مطالبة الناس بالأموال وتعذيب عمال الخراج بالتعليق والتجريد » .

(٨) فيما عدا ل : « هزمهم » .

ذهب إلى قول أبى دؤاد :

سُلِّط الموتُ والمَنونُ عليهم   فلهم فى صَدَى المقابرِ هامُ[١]

يعنى الطاعون الذى [كان[٢]] أصاب إياداً .

وجاء فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم أنَّه ذكر الطَّاعون فقال : « هو وَخْزٌ من عَدُوِّكم » : وأنَّ عَمْرو بن العاص[٣] قام فى النَّاس فى طاعون عَمَوَاس[٤] فقال « إنّ هذا الطاعون قد ظهر ، وإنما هو وخْزٌ من الشَّيطان ، ففِرُّوا منه فى هذه الشِّعاب » .

٦٨ وبلغ مُعاذ بنَ جبَلٍ ، فأنكر [ذلك القول] عليه[٥] .

(تصور الجنّ والغيلان والملائكة والناس)

وتزعم العامَّة أنّ الله تعالى قد مَلَّك الجن والشياطين والعُمَّار والغِيلانَ أنْ يتحوَّلوا فى أيِّ صورة شاءوا ؛ إلّا الغُول ؛ فإنَّها تتحوَّل فى جميع صُورة المرأة ولِباسها ، إلّا رجليها ، فلا بُدَّ من أن تكونا رجلَىْ حمار[٦] .

---

(١) الصدى ، هو ما يزعم العرب أنه طائر يخرج من رأس الميت إذا بلى . والهام : جمع هامة ، وهوالصدى ، أو الأنثى منه . وروى البيت منسوبا فى اللسان (١٩ : ١٨٦) وبدون نسبة فيه (١٦ : ١٠٩) .

(٢) هذه التكملة من ل ، س .

(٣) ط ، هـ : « العاصى » بإثبات الياء ، وهما وجهان . انظر التحقيق فى (٥ : ٢٩٥) .

(٤) قال ياقوت : « رواه الزمخشرى بكسر أوله وسكون الثانى ، ورواه غيره بفتح أوله وثانيه ، وآخره سين مهملة ، وهى كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس » . وقد ابتدأ بها الطاعون فى أيام عمر بن الخطاب ثم فشا فى أرض الشام ، فمات فيه خلق لا يحصى من الصحابة وغيرهم . وذلك فى سنة ١٨ للهجرة . وفى هذه السنة كان عام الرمادة بالمدينة أيضا .

(٥) فيما عدا ل : « وبلغ ذلك ابن جبل فأنكر عليه » .

(٦) ط ، هـ : « فلا بد أن يكونا رجل حمار » .

وإنما قاسُوا تصَوُّر الجن على تصوُّر جبريل عليه السلام فى صورة دَحْية بن خليفة الكلبى[١] ، وعلى تصوُّر الملائكة الذين أتوا مَريم ، وإبراهيم ، ولوطاً ، وداود [عليهم السلام] فى صورة الآدميِّين[٢] ؛ وعلى ما جاء فى الأثر من تصوُّر إبليسَ فى صورة سُراقة بن مالك [بن جعْشُم[٣]] ، وعلى تصوّره فى صورة الشيخ النجدى[٤] . وقاسوه على تصوُّره مَلَكَ الموت إذا حضر لقبض[٥] أرواح بنى آدم ؛ فإنه عند ذلك يتصوّر على قدر الأعمال الصالحة والطالحة .

قالوا : وقد جاء فى الخبر أنّ من الملائكة مَن هو فى صورة الرِّجال ، ومنهم من هو فى صورة الثِّيران ، ومنهم من هو فى صورة النسور[٦] . ويدلُّ

---

(١) دحية ، بكسر الدال وفتحها ، كما فى القاموس . وهو صحابى مشهور شهد أحدا والخندق واليرموك ، وكان رجلا جميلا . وفى حديث ابن عباس : « كان دحية إذا قدم المدينة لم تبق معصر إلا خرجت تنظر إليه » . وعاش إلى خلافة معاوية . انظر المعارف ١٤٤ والإصابة ٢٣٨٦ . وقد جاء جبريل على صورته فى غزوة بنى قريظة . انظر السيرة ٦٨٥ . وأهدى إليه رسول الله جاريتين هما بنتا عم صفية . السيرة ٧٥٨ ، وأرسله بكتاب إلى قيصر الروم . السيرة ٩٧١ .

(٢) فيما عدا ل : « المؤمنين » .

(٣) هذه التكملة من ل ، س . لكن فى س : « جشقم » محرفة . وسراقة هذا هو الذى حاول إدراك النبى صلى الله عليه وسلم فى هجرته إلى المدينة . وقد أسلم عام الفتح . ولما أتى عمر بسوارى كسرى ومنطقته وتاجه ، دعا سراقة فألبسه إياها ، وقال له : ارفع يديك وقل : الله أكبر ، الحمد لله الذى سلبهما كسرى بن هرمز ، وألبسهما سراقة الأعرابى ! مات سراقة فى خلافة عثمان سنة أربع وعشرين . الإصابة ٣١٠٩ .

(٤) انظر الكلام على الشيخ النجدى فى حواشى ص ١٦٣ . ل ، س : « وفى تصوره فى صورة الشيخ النجدى » ، محرف .

(٥) ل : « ليقبض » .

(٦) س : « أن من الملائكة من هو فى صورة النسور » فقط . وقد سقطت : « من هو » الثانية والثالثة من ل .

على ذلك تصديقُ النبى صلى الله عليه وسلم لأميّة بن أبى الصّلت ، حين أُنشِد[1] :

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحت رِجْلِ يمينه والنَّسْر للأُخرى ولَيْثٌ مُرْصَدَ[2]

قالوا : فإذْ[3] [قد] استقام أن تختلف صُورهم وأخلاط أبدانهم ، وتتفق عقولهم وبيانهم[4] واستطاعتهم ، جاز أيضا أن يكون إبليس[5] والشّيطان والغول أن يتبدلوا فى الصُّوَر من غير أنْ يتبدلوا فى العقل[6] والبيان والاستطاعة .

قالوا : وقد حوَّل الله تعالى جعفر بن أبى طالب طائرا ، حتى سماه المسلمون الطّيّار ، ولم يخرجْه ذلك من أن نراه غدا[7] فى الجنة ، وله مثلُ عقل أخيه على [رضى الله عنهما] ، ومثل عقل عمه حمزة رضى الله تعالى عنه[8] ، مع المساواة بالبيان والخلق .

---

(١) س : « أنشده » تحريف . ل : « أنشدوه » . وفى الإصابة ٥٤٩ عن ابن عباس ، أن النبى صلى الله عليه وسلم أنشد هذا البيت فقال : « صدق . هكذا صفة حملة العرش » . وفى العقد (٣ : ٣٨٤) عن ابن عباس قال : « أنشدت النبى صلى الله عليه وسلم أبياتا لأمية بن أبى الصلت يذكر فيها حملة العرش ، وهى :

رجل وثور تحت رجل يمينه و النسر للأخرى وليث ملبد
والشمس تطلع كل آخر ليلة فجرا وتصبح لونها يتوقد
تأبى فما تطلع لهم فى وقتها إلا معذبة وإلا تجلد

فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم ، كالمصدق له » .

(٢) فى الإصابة : « زحل » تحريف ، اجتلبه ذكر الثور .

(٣) فيما عدا ل : « فإذا » .

(٤) فيما عدا س : « ونياتهم » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « إبليس لعنة الله عليه » .

(٦) ل : « فى العقول » .

(٧) يصح أن تقرأ على الظرفية ، أو على أنها فعل . ل : « من أن تراه » بالتاء .

(٨) فيما عدا ل : « عنهم » .

(أحاديث فى إثبات الشيطان)

قالوا : وقد جاء فى الأثر النهى عن الصّلاة فى أعطان الإبل ؛ لأنّها خلقت من أعنان الشياطين [١] .

وجاء أنّ النبىَّ صلى الله عليه وسلم نَهَى عن الصَّلاة عند طلوع الشَّمس حتى يتتامَّ طلوعُها [٢] ؛ فإنّها تطلع بين قرنَى شيطان .

وجاء أنَّ الشياطين تُغَلّ فى رمضان [٣] .

فكيف تنكر ذلك مع قوله تعالى [فى القرآن [٤]] . ﴿ وَالشَّيَاطِينَ كلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاص . وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى الْأَصْفَادِ ﴾ .

[و] لشهرة ذلك فى العرب ، فى بقايا ما ثبتُوا عليه من دين إبراهيم [عليه السّلام] ، قال النابغة الذبيانى :

إلّا سُليمانَ إذْ قال الإلهُ لَهُ ... قُمْ فى البَرِيَّةِ فاحْدُدْها عن الفَنَد

وخَيِّس الجنَّ إنِّى قَدْ أَذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بالصُّفَّاح والعَمَدِ [٥]

فَمَنْ عَصَاكَ فعاقِبْهُ مُعاقَبةً ... تنهى الظَّلومَ ولا تقْعُدعلى ضَمَدِ [٦] ٦٩

وجاد فى قتل الأسود البَهيم من الكلاب [٧] ، وفى ذى النُّكتتين [٨] ،

---

(١) سبق الحديث وشرحه فى (١ : ١٥٢) . ل : « أعيان » ، وفيما عدا ل : « أعناق » ، والصواب ما أثبت .

(٢) ط ، س : « يتم » ، هـ : « تتام » فتقرأ مصدر التتام .

(٣) فيما عدا ل : « أن الشيطان يغل فى رمضان » . (٤) التكملة من ل ، س .

(٥) سبق الشعر فى ص ١٨٦ من هذا الجزء .

(٦) الضمد : الغيظ والغضب . والبيت ساقط من ل . وفى هـ ، س : « صمد » بالمهملة ، محرف .

(٧) ل : « فى قتل الكلب الأسود البهيم » .

(٨) ف (٢ : ٢٩٣) : « اقتلوا من الحيات ذا الطفيتين والكلب الأسود البهيم ذا الغرتين » . والغرتان : نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

وفى الحية ذات الطُّفْيتين[١] ، وفى الجانّ[٢] .

وجاء : « لاتشرَبوا من ثُلمة الإناء ، فإنَّه كِفْل الشَّيطان[٣] » .

وفى العاقد شعره فى الصلاة : إنَّه كِفْل الشيطان[٤] . وأن النبى صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « تراصُّوا بينكم فى الصلاة ، لاتتخللكم الشَّياطين كأنَّها بنات حَذَف[٥] » . وأنَّه نهى عن ذبائح الجن .

ورووا : « أن امرأة أتتْ إلى النبى[٦] صلى الله عليه وسلم فقالت : إنّ ابنى هذا ، به جُنونٌ يصيبه عند الغداء والعَشَاء . قال : فمَسَحَ النبىُّ صلى الله عليه وسلم صدْرَه ، فثَعَّ ثعة[٧] فخرج من جوفه جروٌ [أسودَ] يسعى » .

قالوا : وقد قضى ابن عُلاثة القاضى[٨] بينَ الجنّ ، فى دم كان بينهم ، بحكمٍ أقنَعهم .

---

(١) الطفيتان : خطان أسودان فى ظهر الحية .

(٢) فى اللسان (١٦ : ٢٥٠) : وفى الحديث أنه نهى عن قتل الجنان » . قال : هى الحيات التى تسكون فى البيوت ، واحدها جان ، وهو الدقيق الخفيف . فيما عدا ل : « فإنها جان » محرف .

(٣) فى اللسان : « وفى حديث إبراهيم : لا تشرب من ثلمة الإناء ولا عروته فإنها كفل الشيطان . أى مركبه ، لما يكون من الأوساخ . كره إبراهيم ذلك » . والكفل ، بكسر الكاف .

(٤) فى اللسان : « وفى حديث أبى رافع قال : ذاك كفل الشيطان . يعنى مقعده » . والكفل من مراكب الرجال : وهى شىء مستدير يتخذ من خرق أو غير ذلك ويوضع على سنام البعير . فيما عدا ل : « إنها » .

(٥) الحذف : بالتحريك وأوله حاء مهملة : غنم سود صغار تسكون بالحجاز أوباليمن . وفى رواية : « كأولاد الحذف » . وروى صدر الحديث أيضا : « سووا الصفوف » كما فى اللسان . فيما عدا ل : « الخذف » محرفة .

(٦) ل : « أتت النبى » .

(٧) ثع : قاء . ل : « فثغ به ثغة » محرف . والحديث فى اللسان .

(٨) يعنى علقمة بن علاثة بن الأحوص ، وكانت من حكام الجاهلية ، وكانت —

(عود إلى تفسير قصيدة البهرانى)

ثم رجع بنا القولُ إلى تفسير قصيدة البَهْرانى[1] :

[أما قوله :

١٠ « وتزوّجْتُ فى الشبيبة غولًا بغزال وصَدْقتى زِقُّ خمرِ[2] »]

فزعم أنه جعل صَداقها غزالا وزِقَّ خمر ؛ فالخمر لطيب الرائحة ، والغزالُ لتجعله مَرْكباً ؛ فإنّ الظِّباء من مَراكب الجنّ .

وأما قوله :

١١ « ثَيِّبٌ إن هَوِيتُ ذلك منْها ومتى شئتُ لم أجِدْ غيرَ بِكرِ »

كأنه قال : هى تتصوَّر فى أىِّ صورةٍ شاءتْ .

(شياطين الشعراء)

وأما قوله :

١٢ « بنت عَمْرٍو وخالها مِسحَل الخيـ ـر وخالى هُمَيمُ صاحب عَمْرٍو[3] »

فإنهم يزعمون أنّ مع كلِّ فحل من الشعراء شيطانا يقول ذلك الفحلُ على لسانه الشعر[4] ، فزعم البهرانى أنّ هذه الجنّية بنت عمرو صاحب

= منافرته لعامر بن الطفيل أشهر منافرة فى الجاهلية . وقد أسلم علقمة ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام . انظر الإصابة ٥٦٦٩ والخزانة (٣ : ٤٩٢ بولاق) والأغانى (١٥ : ٥٠ — ٥٦) .

(١) س : « ثم رجعنا إلى شرح قصيدة البهرانى » .

(٢) هذه التكملة من س فقط .

(٣) ط ، هـ : « مسعر الخير » ، صوابه فى ل ، س .

(٤) هذه التكملة ساقطة من ل .

المخبَّل[1] ، وأن خالَها مِسْحل شيطان الأعشى . وذكر أن خاله هُمَيم ، وهو همّام . وهمّام [هو[2]] الفرزدق . وكان غالبُ بن صعصعة إذا دعا الفرزدقَ قال : ياهميم .

وأما قوله : « صاحب عمرو » فكذلك أيضاً يقال إن اسمَ شيطان الفرزدق عمرو . وقد ذكر الأعشى مِسْحلا[3] حين هَجاه جُهُنَّام[4] فقال :

دَعَوْتُ خليلى مِسْحَلاً ودعَوْا له جُهُنّامَ جَدْعًا للهجين المذَمَّمِ[5]

وذكره الأعشى فقال :

حباني أخي الجنِّيُّ نفسى فداؤُه بأفْيَحَ جيَّاشِ العَشِيّات مِرْجَمِ[6]

وقال أعشى سُلَيم[7] :

(١) المخبل لقب له ، واسمه ربيع بن مالك بن ربيعة بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، شاعر مشهور عمر فى الجاهلية والإسلام عمرا طويلا : ومات فى خلافة عمر ، أو عثمان . انظر المؤتلف ١٧٧ والخزانة (٢ : ٥٣٦ بولاق . وهو صاحب المفضلية ٢١ من طبع المعارف . فيما عدا ل : « شيطان المخبل » .

(٢) هذه الكلمة من ل ، س .

(٣) ط ، هـ : « مسحل » .

(٤) جهنام ، بضم الجيم والهاء ، كما فى نص القاموس؛ وضبط بكسرهما فى الاشتقاق ٢١٣ . وهو اسم عمرو بن قطن ، من بنى سعد بن قيس بن ثعلبة . أو اسم تابعته . انظر اللسان والمؤتلف ٢٠٣ . وفى الموشح ٥٠ أنه عمرو بن عبد الله بن المنذر ، وأنه ابن عم الأعشى .

(٥) جدعا له : قطعا له . فيما عدا ل : « بجهنام يدعى » ،صوابه فى الديوان ٩٥ والمؤتلف واللسان . هـ : « الهجين المدم » تحريف .

(٦) الأفيح : الواسع ، أراد سعة خطوه . والمرجم : الذى يرجم الأرض بشدة وقع حوافره . انظر المفضلية (٩٩ : ١٩) طبع المعارف . وبعد البيت كما فى الديوان :

فقال ألا فانزل على المجد سابقا لك الخير قلد إذ سبقت وأنعم

وفى الأصل : « بأقبح » و : « مرحم » محرفتان . وفى الديوان : « جياش من الصدر خضرم » .

(٧) أعشى سليم لم أجد له ترجمة إلا ما روى أبو الفرج فى الأغانى (٣ : ٥٩) من خبر دخوله على بشار بن برد . واسمه سليمان ، وكنيته أبو عمرو كما يفهم من شعر له قاله فى دحمان المغنى ، وهو :

كانوا فحولا فصاروا عند حلبتهم لما انبرى لهم دحمان خصيانا
فأبلغوه عن الأعشى مقالته أعشى سليم أبى عمرو سليمانا =

وما كان جِنّىُّ الفَرَزْدَقِ قدوةً ... وما كان فيهم مِثْلُ فَحْلِ المخبَّلِ (١)
ومَا فى الخوافِى مثلَ عَمْرو وشيخِهِ ... ولا بعدَ عَمرٍو شاعرٌ مثلُ مِسْحَلِ

وقال الفرزدق ، فى مديح أسَد بنِ عبد الله (٢) : ٧٠

لَيُبلغنّ أبا الأشبال مِدْحتَنَا ... مَنْ كان بالغُورِ أو مَرْوَىْ خُرَاسانا (٣)
كأنَّها الذَّهَب العِقْيانُ حَبَّرها ... لسانُ أشْعَر خَلْقِ الله شَيطانَا (٤)

وقال :

فَلو كنْتَ عِنْدِى يوم قوٍّ عَذَرْتَنِى ... بيوم دهَتْنِى جِنُّهُ وأخابلُه (٥)

فمن أجْل هذا البيت ، ومن أجْل قول الآخَر :

إذا ماراعَ جارتَه فَلاقَى ... خَبَالَ الله مِنْ إنس وَجِنٍّ (٦)

زعموا أنّ الخابل النّاس .

— قولوا يقول أبو عمرو لصحبته ... ياليت دحمان قبل الموت غنانا
وأورد له الجاحظ خبرا فى الرسائل ٧٥ ساسى . وذكر الجاحظ فى الحيوان (٢ : ٨٥) انه رأى رجلا من أبناء هذا الأعشى

(١) فيما عدا ل : « أسوة » . وانظر الديوان ٢٨٣ . وفى ثمار القلوب ٥٦ : « قدوة » كما أثبت من ل .

(٢) هو أسد بن عبد الله القسرى ، أخو خالد بن عبد الله . كان خالد على العراق ، وما يليه من الأهواز وفارس والجبال ، وأخوه أسد على خراسان ، وكان بدء ولايتهما فى سنة ١٠٦ وعزلا سنة ١٢٠ . انظر الطبرى .

(٣) المروان ، هما مرو الشاهجان ومرو الروذ ، فمرو الشاهجان : هى قصبة خراسان ، ومرو الروذ : مدينة قريبة منها . والغور : بالضم : جبال وولاية بين هراة وغزنة وإليها ينسب بعض الملوك . وهراة من أمهات مدن خراسان . فيما عدا ل : « لتبلغن » محرفة . ورواية الديوان ٨٧٥ : « لتبلغن لأبى الأشبال » . فيما عدا ل : « طودى خراسانا » ، صوابه فى ل والديوان .

(٤) العقيان : الخالص . ورواية الديوان : « أشعر أهل الأرض » .

(٥) فيما عدا ل : « يوم قرء » . ط ، س : « خبائله » ، هـ : « وأخايله » ، وهذه محرفة .

(٦) ط ، س : « زاع جارية » ، هـ : « زاغ جارية » ، صوابهما فى ل .

ولما قال بشّار الأعمى(١) :

دعانى شِنِقْناقٌ إلى خَلْفِ بَـكْرَةٍ   فقلتُ : اتركَنّى فالتفرُّدُ أحمدُ(٢)

يقول : أحمدُ فى الشعر أن لايكون لى عليه معين(٣) ــ فقال أعشَى سُلَيم يردُّ عليه :

إذا ألِفَ الجنِّيُّ قِرْدًا مُشَنَّفًا   فقل لخنازيرِ الجزيرةِ أبْشِرِى(٤)

فجزِع بشّارٌ من ذلك(٥) جزعاً شديداً ، لأنّه كان يعلم مع تغزُّله أنَّ وجهَه وجْهُ قردٍ . وكان أوّل ما عُرِف من جزعه من ذكر القِرد ، الذى رأوا منه حِين أنشدوه بيت حمّاد(٦) :

ويا أقبحَ مِن قِرْدٍ إذا ما عَمِىَ القِرْدُ

وأما قوله :

١٣ « ولها خِطَّةٌ بأرض وَبار   مسَحُوها فـكانَ لى نِصْفُ شَطرِ »

فإنما ادّعى الرُّبع من ميراثها(٧) ، لأنه قال :

---

(١) فيما عدا ل : « بشار بن برد » .
(٢) شنقناق ، بكسر الشين والنون وسكون القاف : رئيس من رؤساء الجن . والبكرة بالفتح : الفتية من الإبل ، كأنه دعاه ليردفه خلفه . ط : «شقنان»، س ، هـ : « شقناق »، صوابهما فى ل. وفى هـ ، س ؛ « جلد بكرة » محرفة . وفى ل : « حلف بكره » والكلمة الأولى محرفة ، وتصح الثانية ، فإنها مذكر البكرة من الإبل أضيف إلى الضمير . ل وكذا ثمار القلوب ٥٥ : « اتركانى » ، جعل الضمير لشنقناق والبكر .
(٣) فيما عدا ل : « أحمد لى فى الشعر من أن يكون لى عليه من معين » .
(٤) كان بشار يلقب « المرعث » لأنه كان فى أذنه وهو صغير رعاث ، والرعثة : القرط . والشنف ، بالفتح : القرط ، أو القرط يلبس فى أعلى الأذن . ط ، هـ : « فقولوا لخنزير »، س : « فقولن لخنزير »، وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٥٥ . فيما عدا ل : « أبشر » .
(٥) ط ، هـ : « عند ذلك » .
(٦) فيما عدا ل : « حتى أنشد قول حماد عجرد »، وكلمة : « حتى » محرفة .
(٧) إنما استحق ربع ميراث زوجته ، لأنها ولدت له .

تركْتُ عَبْدلاً ثِمالَ اليتامى ... وأخوه مُزاحم كان بكرى[١]

وَضَعَتْ تِسْعةً وكانتْ نَزُوراً ... من نِساءٍ فى أهْلِها غير نُزْرِ[٢]

وفى أنَّ مع كلِّ شاعر شيطاناً يقول معه ، قول أبى النجم[٣] :

إنى وكلّ شاعر من البشَرْ ... شَيطانه أنْثَى وشَيطانى ذَكَرْ

وقال آخر :

إنى وإن كنتُ صغيرَ السِّنّ ... وكان فى العَين نُبُوٌّ عنِّى

فإنّ شيطانى كبير الجنِّ[٤]

(كلاب الجن)

وأما قول عمرو بن كُلثوم : ٧١

وقد هَرَّتْ كلابُ الجِنِّ منا ... وشَذَّبْنَا قتادةَ مَن يلينا

فإنهم يزعمون أنَّ كلاب الجنِّ هم الشعراء .

(أرض الجن)

وأما قوله :

١٤ «أرض حُوشٍ وجاملٍ عَكنَانٍ ... وعُروجٍ من المؤبّلِ دَثْرِ[٥] »

---

(١) ل : « عندلا » و : « مراغم » .

(٢) النزور ، بالزاى : القليلة الولد ، والجمع نزر ، بضمتين ، وسكن للشعر . ط ، س : « نذورا » هـ ، س : « غير نذر » محرفتان . وفى الأصل : « فى أهلنا »، صوابه مما سبق ص ٨٢ .

(٣) ل : « يقول أبو النجم » . وانظر ثمار القلوب ٥٦ والشعراء ٥٨٥ وديوان المعانى (١ : ١١٣) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨٠) .

(٤) بعده فى الخصائص (١ : ٢٢٥) وثمار القلوب ٥٦ :

يذهب بى فى الشعر كل فن ... حتى يزيل عنى التظنى

(٥) ط : « لأرض »، س : « وحاملى » ، محرفتان .

فأرضُ الحوش هى أرضُ وَبارِ . وقد فسَّرنا تأويل الحوش . والعَكنَان: الكثير الذى لايكون فوقه عدد . وقوله : « عروج » جمع عَرْج . والعَرْج : ألفٌ من الإبل نقص شَيْئاً أوْ زاد شيئاً[1] . و « المؤبَّل » من الإبل ، يقال إبل مؤبَّلة ، ودراهم مُدَرهمة ، وبدَر مبدَّرة[2] ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ ﴾ . وأما قوله : « دثْر » فإنهم يقولون : مال دَثْر ، [ومالٌ دَبْر[3]] ومال حَوْم[4] : إذا كان كثيراً[5] .

(استراق السمع)

وأما قوله :

١٦ « ونَفَوْا عَنْ حريمها كلَّ عِفْر   يسرقُ السَّمعَ كلَّ ليلةِ بَدْرِ »

فالعفْر هو العفريت . وجعله لايسرق السمع إلا جهارا فى أضوإ ما يكون البدر ، من شدَّة معاندته ، و [فرط] قوته .

(الشنقناق والشيصبان)

وأما قوله :

١٧ « فى فُتُوٍّ من الشَّنقناق غرٍّ   ونساء من الزَّوابعِ زُهْرِ »[6]

---

(١) ط : « وزاد شيئا » ، محرف .

(٢) البدرة ، بالفتح : كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم . ولم تذكر المعاجم « المبدرة » .

(٣) الدبر ، بالفتح والكسر : المال الكثير الذى لا يحصى كثرة ، واحده وجمعه سواه ، يقال : مال دبر ، ومالان دبر ، وأموال دبر. قال ابن سيده : هذا الأعرف . قال : وقد كسر على دبور .

(٤) الحوم ، بفتح الحاء : القطيع الضخم من الإبل ، أكثره إلى الألف ، قال رؤبة :

ونعما حوما بها مؤبلا

فيما عدا ل : « جرم » ، محرف .

(٥) الكلام من بعد : « المقنطرة » إلى هنا ساقط من س

(٦) سبق الكلام على البيت فى ص ٨٢ . ل : « فى فنون » محرف . فيما عدا ل : « الشمقمان » ، صوابه فى ل .

الزوابع : بنو زوْبعة الجنّىّ ، وهم أصحاب الرَّهج والقَتام [والتّثوير .

وَ] قال راجزهم :

إنّ الشياطين أتَوْنى أربعهْ   فى غَبَش الليل وفيهم زَوبعه[١]

فأما شِنقناق[٢] وشَيْصَبان ، فقد ذكرهما أبو النجم :

* لابن شِنِقْناق وشَيْصَبَانِ[٣] *

فهذان رئيسان ومن آباء القبائل . وقد قال شاعرهم[٤] :

إذا ما ترَعْرَعَ فينا الغلامُ   فليس يقال له من هُوَهْ[٥]

إذا لم يَسُدْ قبل شدِّ الإزار   فذلك فينا الذى لا هُوَهْ

ولى صاحبٌ من بنى الشَّيصبا   ن فطوراً أقولُ وطوراً هُوَهْ

وهذا البيت [أيضاً[٦]] يصلح أن يلحق[٧] فى الدَّليل على أنهم يقولون :

إن مع كلِّ شاعر شيطانا . ومن ذلك قولُ بشَّار الأعمى :

دَعانى شِنِقْناقٌ إلى خَلْف بَكرَة   فقلت : اترُكَنِّى فالتَّفرُّدُ أحمدُ[٨]

(شياطين الشام والهند)

قال : وأصحاب الرُّقى والأُخَذ[٨] والعزائم ، والسِّحر ، والشَّعْبذة ، ٧٢

---

(١) زوبعة : هو الجنى الذى صنع لسليمان صرحا ممردا من قوارير . انظر التيجان ١٦١ .

(٢) فيما عدا ل : « شنقنان » محرف .

(٣) فيما عدا ل : « لأنى شنقنان وشيصبان » ، محرف .

(٤) هو حسان بن ثابت ، كما فى اللسان (شصب) وثمار القلوب ٥٥ . وقصة الشعر فى اللسان وفى ديوانه ص ٤٢٢ .

(٥) فى اللسان والديوان : « فما إن يقال له » .

(٦) هذه الكلمة من س . وفى ل ، « وهذا البيت يلحق » .

(٧) ط فقط : « شنقنان » ، محرف . وفى ل : « اتركانى » . وقد سبق الكلام على البيت فى ص ٢٢٨ .

(٨) الأخذ : جمع أخذة بالضم : وهو ما يؤخذ به الرجال عن النساء ، يحبسونهم عنهن .

يزعمون أنّ العدد والقوّة(١) فى الجنّ والشياطين لنازلة(٢) الشـام والهند ، وأنّ عظيم شياطين الهند يقال له : تنكوير(٣) ، وعظيم شياطين الشام يقال له : دركاذاب(٤) .

وقد ذكرهما أبو إسحاق فى هجائه محمد بن يَسِير(٥) ، حين ادّعى هذه الصناعة فقال :

قدْ لَعَمْرى جمعت مِلْ آصَفِيّا تِ ومن سِفْر آدم والجراب ِ(٦)

وتفرّدْتَ بالطوالق والهيـ كل والرُّهنَبَاتِ من كلٍّ باب

(١) ل : « والقدر » .

(٢) ط فقط : « لنزالة » محرف .

(٣) ط : « سكويرك » ، س ، هـ : « سكويك » ، ل : « مكوير » ، وأثبت ما سبق فى (١ : ٣٠٨) . وانظر آخر الشعر التالى .

(٤) ط : « دركاراب » س ، هـ : « دركارب » ، وأثبت ما فى ل ، وهو ما سبق فى (١ : ٣٠٨) .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) . وفى الأصل : « محمد بن بشير » تحريف . ومما يعين تقييد اسمه ماروى أبو الفرج فى (١٢ : ١٣٢) ، من أن الخليفة المعتصم تفاءل باسمه وقال : « أمر محمود وسير سريع » .

(٦) فيما عدا ل : « من أصمياب * ثم من شعر آدم والخراب » . مل آصفيات : أى من الآصفيات . والآصفيات : نسبة إلى آصف كاتب سليمان عليه السلام . قال ابن منظور . « وهو الذى دعا الله بالاسم الأعظم ، فرأى سليمان العرش مستقرا عنده » . وآصف بوزن هاجر ، أى بفتح الصاد ، كما هو نص القاموس . وهو ابن خالة سليمان . انظر ابن النديم ٤٣٠ .

(٧) الهيكل ، لم يعرفه صاحبا اللسان والقاموس . ووجدت فى شفاء الغليل : « وأما التعاويذ التى يسمونها الهيكل والهياكل فليست فى كلام العرب . قاله الصاغانى فى العباب » . وجاء فى معجم استينجاس ١٥٢١ أن الهيكل تعويذة أو تميمة مكتوبة بحروف سحرية ، تعلق حول الجسم ، لتكون وقاية لحاملها من السحر والمكروه : (an amulet or talisman inscribed with magic figures' hung round the body as a defence against fascination or misfortue والرهبنات كذا وردت فى ل بضم الراء بعدها هاء ونون مفتوحة وباء . وفيما عدا ل : « والدهنات » ، ولم أقف على تحقيقه .

وعلِمتَ الأسمــاء كَيْمَا تُلاقى زُحَلاً والمِرِّيخَ فوق السَّحابِ [1]

واستَثَرْتَ الأرْوَاح بالبَحْر يأتيــنَ لصرعِ الصَّحيح بَعْدَ المُصَابِ [2]

جامعاً من لطـائف الدَّنْهَشِيَّا تِ كبوسا نَمَّقتَها فى كِتابِ [3]

ثم أحكمت متقن الكرويّا ت وفعل الناريس والنجابِ [4]

ثمَّ لم تعْيك الشعابيذ والخِد مةُ والاحتفاء بالطلابِ [5]

بالخواتيم والمناديل والسَّعْـ ىِ بتنكوير ودركاذابِ [6]

(قتل الغول بضربة واحدة)

وأما قوله :

٢٠ « ضرِبَتْ فَردةً فصارت هَباءً فى مَحاقِ القُميرِ آخرَ شَهْرِ » [7]

فإنَّ الأعرابَ والعامّةَ تزعُم أنَّ الغول إذا ضربت ضَربةً ماتت ، إلاّ أن يُعيد عليها[8] الضّارب قبل أن تقْضِىَ ضربة أخرى ، فإنّه إن فعل ذلك لم تمُتْ . وقال شاعرهم :

---

(١) ل : « وتعلمت الاسماء » بوصل همزة « الأسماء » .

(٢) ل : « بأتى لصرع » ، وفيما عدا ل : « يأتين لصرح » ، وقد جمعت بينهما .

(٣) ل : « غامضا » محرف . والدنهشيات : نسبة إلى دنهش ، وهو أحد آباء الجن . انظر ابن النديم ٣٤١ . ط ، س : « الدهمسيات » ، هـ : « الدلهسيات » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « كنوسا نعتها » .

(٤) ل : « ثم أتقنت محكم » . و : « وفعل النارانى المجاب » ، والكلمتان الأخيرتان فى البيت غامضتان .

(٥) لم تعيك : لم تعجزك . ط ، س : « تفتك » ، هـ : « تغنك » ، صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « السعاية » موضع : « الشعابيذ » وفى ل : « والاختفا عن الطلاب » وهذه محرفة .

(٦) المناديل : جمع منديل . وفى ل : « المنادل » جمع مندل ، وهو عود الطيب . وفيما عدا ل : « بسكوبرك ودركاراب » .

(٧) المحاق : مثلثة : آخر الشهر .

(٨) فيما عدا ل : « عليه » ، محرف .

فَغَنِّيتُ وَالمِقْـدارُ يحرُسُ أَهْلَهُ   فَلَيْتَ يمينى قبل ذلك شَلّتِ

وأنشدوا لأبى البلاد الطُّهَوى (١)

لهـَانَ عَلَى جهيـنةَ ما أُلاقى   من الرَّوعاتِ يومَ رَحَى بِطان (٢)
لَقِيتُ الغول تَسْرِى فى ظلامٍ   بسهبٍ كالعبـاية صَحْصَحَانِ (٣)
فقلتُ لها كلانا نِقض أرْض   أخُو سَفَرٍ فصُدِّى عن مَكانى (٤)
فَصدَّتْ وانتحَيْتُ لهـا بعَضْبٍ   حُسامٍ غَيْرِ مُؤْتَشَبٍ يمَانِى (٥)
فقَدَّ سَراتَها والبرك منهـا   فخرّتْ لليـدَين وللجِرانِ (٦)
فقالت زِدْ فقلتُ رُوَيْدَ إنِّى   على أمثالهـا ثَبْتُ الجَنَان (٧)
٧٣ شَدَدْتُ عِقالَهَا وحطَطتُ عنها   لأنظُرَ غُـدوةً ماذا دَهانى
إذا عينان فى وَجْـهٍ قبيحٍ   كوَجه الهِرِّ مشقوق اللسانِ (٨)
ورِجْلا مُخْدَجٍ ولسان كَلبٍ   وجِلدٌ من فِرَاءٍ أو شِـنانِ (٩)

---

(١) أبو البلاد : كنية أخرى لأبى الغول الطهوى . وقد سبق الكلام عليه فى (٣ : ١٠٦). قال فى المؤتلف : « يكنى أبا البلاد ، وقيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها » . والشعر التالى يروى نحوه لتأبط شرا ، فكأن هذا ترجمة شعرية له . انظر الأغانى (١٨ : ٢١٠ ، ٢١٢) ومعجم البلدان (٨ : ٢٣١) .

(٢) رحى بطان : موضع فى بلاد هذيل . ل : « على جهيمة » .

(٣) السهب : ما بعد من الأرض واستوى فى طمأنينة . العباية : تسهيل العباءة ، أو العباءة لغة فى العباية . انظر اللسان (عبى) ، شبه السهب بالعباءة فى استوائه . فيما عدا ل : « بسهم كالعباية » محرف . والصحصحان : ما استوى من الأرض .

(٤) النقض ، بالكسر : المهزول قد نقضه السفر . فيما عدا ل : « نضو » ، وهو بوزن الأول ومعناه .

(٥) المؤتشب ، بفتح الشين : المخلوط ، عنى أنه خالص الحديد ، أو خالص النسب .

(٦) السراة ، بالفتح : الظهر . والبرك ، بالفتح : الصدر . فيما عدا ل : « البرد » محرف . والجران ، بالكسر : باطن العنق.

(٧) الثبت ، بالفتح : الثابت . والجنان ، بالفتح : القلب .

(٨) ل : « مسترق اللسان » .

(٩) المخدج ، بفتح الدال : الناقص الخلق . والفراء : جمع فرو . فيما عدا ل : « قراب » . =

وأبو البلاد هـذا الطهوى [١] كان من شياطين الأعراب ، وهو كما ترى يكذِب وهو يَعلَم ، ويُطيل الـكذِب ويُحَبِّره [٢] . وقد قال كما ترى :

فقالت زِدْ فقلتُ رُوَيْد إنّى ... على أمثالها ثَبْتُ الجَنـــانِ

لأنّهم هكذا يقولون ، يزعمون [٣] أنّ الغول تستزيد بعد الضَّرْبة الأولى ، لأنّها تموت من ضربةٍ ، وتعيشُ من ألْف ضرْبة .

(مناكحة الجنّ ومحالفتهم)

وأمّا قوله :

٢٣ « غلبتْنى على النَّجابة عرسى ... بعد أنْ طَالَ فى النجابة ذكرى [٤]

٢٤ وأرى فِيهِمُ شمـائِلَ إنسٍ ... غيرَ أنّ النِّجارَ صُورةُ عِفرِ » [٥]

فإنّه يقول : لما تركّب الولدُ منّى ومنها [٦] كان شبهُها فيه أكثر .

وقال عبيد بن أيُّوب [٧] :

أخو قَفَراتٍ حَالَفَ الجنَّ وانتفى ... مِنَ الإنْسِ حَتّى قدتَقَضَّتْ وسائلُهْ [٨]

= والشنان : جمع شن ، وهو القربة الخلق . ورواية البيت فى المؤتلف ١٦٣ والخزانة (٣ : ١٠٨ بولاق) :

بعينى بوهة وشواة كلب ... وجلد فى قرا أو فى شنان

(١) ط ، س : « وأبو البلاد الطهوى هذا » .

(٢) التحبير : التحسين . فيما عدا ل : « ويجيزه » ، محرف .

(٣) هذه الـكلمة ساقطة من س .

(٤) ل : « فـكرى » ، محرف .

(٥) النجار ، بالـكسر والضم : الأصل .

(٦) ط ، هـ : « منها ومنى » .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٨٢) . ط ، هـ : « بجير بن أيوب » ، محرف .

(٨) ل : « أخا قفرات » . ورواية المبرد ١٩٣ ليبسك : « أخو فلوات صاحب الجن » . هـ : « وانتهى من الإنس » ، وفيما عدا ل : «رسائله» ، محرفتان .

له نَسَبُ الإنسىّ يُعرَفُ نَجْلُه ... وللجِنِّ منـه خَلْقه وشمائلُه (١)

وقال (٢) :

وصارَ خليلَ الغُول بَعْدَ عَداوةٍ ... صَفِيًّا وربَّتْه القِفَارُ البسابسُ

فَليس بِجِنِّىٍّ فيُعْرَفَ نَجْـله ... ولا أَنَسِىٍّ تحتـويه المجالِسُ (٣)

يظلُّ ولا يبدو لشىءٍ نهـارَه ... ولٰكِنّه يَنْباعُ واللَّيْلُ دامِسُ (٤)

قال : وقال القَعقاع بنُ مَعْبَد بن زُرارة ، فى ابنه عَوف بن القعقاع : والله لَمَا أرى من شمائل الجنّ فى عوف (٥) أكثرُ ممّا أرَى فيــه من شمائل الإنس !

وقال مَسلمة بنُ محارب : حدَّثنى رجلٌ من أصحابنا قال : خرجنا فى سَفرٍ ومعنا رجُلٌ ، فانتهينا إلى وادٍ ، فدعَوْنا بالغَدَاء ، فمدّ رجلٌ يدَه إلى الطعام ، فلم يقدر عليه — وهو قَبْلَ ذلك يأكلُ مَعَنا فى كلِّ منزل — فاشتدّ اغتمامُنا لذلك ، فخرجنا نسأل عن حاله (٦) ، فتلقّانَا أعرابىٌّ (٧) فقال : مالَـكم ؟ فأخبرناه خبَرَ الرَّجُل ، فقال : ما اسم صاحبكم ؟ قلنا : أسد

---

(١) النجل : مصدر نجله نجلا ولده . ورواية المبرد : « نجره » ، والنجر : الأصل . وفى الكامل أيضا : « شكله وشمائله » . وقد روى المبرد أبياتا من هذا الشعر ، وهما أيضا فى ديوان المعانى (١ : ١١٣) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٨١).

(٢) فيما عدا ل : « وقال الآخر » . والصواب نسبة الشعر إلى عبيد بن أيوب كما سبق فى ص ١٦٨ .

(٣) فيما عدا ل : « وهو إنس » محرف . والأنسى ، بالتحريك . وفى اللسان (٧ : ٣٠٨) : « والإنس البشر ، الواحد إنسى وأنسى أيضا بالتحريك » . وما أثبت من ل هو أيضا رواية البحترى فى الحماسة ص ٤١١ .

(٤) فيما عدا ل : « ولا يبدى » ، تحريف . ينباع : ينطلق ، انباع الرجل : وثب بعد سكون . ط : « ينتاع »، س ، هـ : « يبتاع » ، صوابهما فى ل .

(٥) فيما عدا ل : « والله لما أرى فى عوف من شمائل الجن » .

(٦) ل : « نسأل عن حاله » هـ : « نسأله عنه وعن خاله » وهذه محرفة .

(٧) ط ، هـ : « فتلقاني أعرابى » ، محرف .

قال : هذا وادٍ قد أخِذَتْ سباعه[١] فارحلوا ، فلو قد جاوزتم الوادىَ استمرَى[٢] [الرَّحْل] وأكَل .

(مراكب الجن)

وأمَّا قوله :

٢٥ « وبها كنتُ راكباً حشراتٍ مُلجِمًا قُنفُذًا ومُسْرِجَ وَبْرِ[٣] ٧٤
٣١ وأجوبُ البـلادَ تحتِىَ ظَبىٌ ضاحكٌ سنُّـه كثيرُ التمرِّى[٤]
٣٢ مُولجٌ دُبْرَهُ خَوَايَةَ مَـكْوٍ وهو باللَّيل فى العفاريتِ يَسرِى »[٥]

فقد أخبرْنا فى صدر هذا الـكتاب بقول الأعراب فى مطايا الجن من الحشرات والوحش[٦] .

وأنشد ابنُ الأعرابىّ لبعض الأعراب :

كلَّ المطايا قد ركبنَا فلم نجـد ألَذَّ وأشهى مِنْ مذاكى الثَّعالبِ[٧]
وَمِنْ عنظوان صعبـةٍ شمَّـريّة تَخُبُّ برِجْليها أمامَ الرَّكائبِ[٨]

---

(١) ﻫ : « وادى إذا أجدبت سباعه » ، ط ، س : « واد قد أجدبت سباعه » ، صوابهما فى ل . أى أخذتهم الشياطين .

(٢) استمرى : مسهل استمرأ ، واستمرأ الطعام : ألفاه هنيئا مريئا . ل فقط : « استمر » ، محرفة .

(٣) ل : « أركب الحشرات ملجم » .

(٤) ط : « تحت ظبى » ، محرف .

(٥) ط ، س : « خزانة مكر » ﻫ : « خزانة مكو » ل : « خواية مكن » والصواب ما أثبت . ﻫ : « فى المقارات » س : « بالمفارت » . وقد سبق البيت فى ص ٨٣ .

(٦) انظر ص ٤٦ — ٤٧ .

(٧) فيما عدا ل : « قد ركبت فلم أجد » . وفى اللسان (سرب) :

ركبت المطايا كلهن فلم أجد ألذ وأشهى من جناد الثعالب

والمذاكى : جمع المذكى بتشديد الـكاف المـكسورة ، وهو المسن . ط ، س : « من مطايا الثعالب » ل : « من مذاب » صوابه فى ﻫ .

(٨) عنظوان ، وكذا وردت ، وهى فيما أرى : « عضرفوط » كما وردت فى الشعر =

ومنْ جُرَذٍ سُرْح اليـدين مفرَّج   يعوم برَحْلى بين أيدِى المراكب[١]
ومنْ فارةٍ تزداد عِتْقاً وحِـدَّةً   تبرِّح بالخوصِ العِتاقِ النَّجائِبِ[٢]
ومنْ كلِّ فتْلاء الذِّراعَيْنِ حُرَّة   مُدَرَّبة من عافيات الأرانبِ[٣]
ومنْ وَرَل يغتـالُ فَضْلَ زِمامِهِ   أضَرَّبِه طول السُّرَى فى السَّباسِبِ[٤]

قال ابنُ الأعرابى[٥] : فقلت له : أترى الجن كانت تركبُها ، فقال : أحلِفُ بالله لقد كنتُ أجِدُ بالظِّباء التَّوقيعَ فى ظهورها[٦] ؟ والسِّمة فى الآذان . وأنشد :

= التالى . والعضرفوط : ضرب من العظاء ، وهى من مراكب الجن ، كما سيأتى وكما فى القاموس . وبعدها فى س : « صبعة » وفى ط ، هـ « صيفة » ، صوابهما فى ل . والشمرية ، بفتح الشين وتشـديد الميم المفتوحـة ، وبكسرها وتشديد الميم المـكسورة : التى تمضى اوجهها وتركب رأسها لا ترتدع .

(١) السرح ، بضمتين : المنسرح السهل . انظر المفضليات (٥٨ س ٥ طبع المعارف) . وسكن الراء للشعر . فيما عدا ل : « معرج » بدل : « مفرج » يعوم : يسرع فى سيره . وفى اللسان : « قال ابن سيده : وعامت الإبل فى سيرها على المثل . . . وعامت النجوم عوما : جرت . وأصل ذلك فى الماء » . ط ، س : « يقوم » ، هـ : « يعرم » ، صوابهما فى ل . والرحل : واحد رحال الإبل ، وهو ما يركب عليه . ل : « برجلى » محرف . بين أيدى المراكب : أى أمامها . فيما عدا ل : « المواكب » ، والمواكب : الجماعة من الناس ركبانا ومشاة .

(٢) العتق : السبق ، وفى اللسان : « عتقت الفرس تعتق ـــ بكسر التاء ـــ وعتقت بضم التاء ـــ : سبقت الخيل فنجت . وفرس عاتق : سابق » . ل : « عنقا » بالنون محرفة . والحدة : النشاط والسرعة والمضاء . ط ، س : « جلة » ، محرفة . تبرح بها : تجهدها . والخوص : جمع أخوص وخوصاء ، وهى الإبل قد غارت عيونها .

(٣) الفتلاء : التى بان ذراعها عن جنبها . العافيات : الطويلات الشعر . وفى حديث عمر : « إن عاملنا ليس بالشعث ولا العافى » .

(٤) فيما عدا ل : « يعتام » ، وفى ط ، هـ : « زمانه » ، محرفتان .

(٥) فى ط ، هـ زيادة واو قبل : « قال » .

(٦) التوقيع : سحج فى ظهر الدابة . ل : « مع ظهورها » ، محرف .

كلّ المطايا قد ركبنا فلم نجِدْ ألذَّ وأشهَى من رُكوب الجنادِبِ [1]

ومنْ عَضْرفوطٍ حَطَّ بى فأقمتهُ يبادِرُ وِرداً من عَظَاءٍ قوارِبِ [2]

وشَرُّ مطايا الجنِّ أرْنَبُ خُلّةٍ وذِئبُ الغضا أوقٌ على كلِّ صاحبِ [3]

ولم أر فيها مِثْلَ قُنفُذِ بُرْقةٍ يَقُودَ قطاراً منْ عظام العناكبِ [4]

وقد فسَّرنا قولهم فى الأرانب، لِمَ لا تركب، وفى أرنب الخلّة، وقنفذ البُرْقة [5].

وحدثنى أبو نُواس قال: بكرتُ إلى المِربَد، ومعى ألواحى [6] أطلبُ أعرابيًّا فصيحاً، فإذا فى ظلّ دار جعفر [7] أعرابىٌّ لم أسمع بشيطان أقبَحَ منه وجهاً، ولا بإنسان أحسنَ منه عقلا [8]. وذلك فى يومٍ لم أر كبرده برداً، فقلت له: هلاَّ قعدت فى الشمس! فقال: الخلْوة أحبُّ إلىّ! فقلت له

---

(١) فيما عدا ل: «كل المطايا قد ركبت فلم أجد»، وأثبت ما فى ل ومحاضرات الراغب (٢: ٢٨١).

(٢) العضرفوط: ضرب من العظاء. وانظر ما سبق. وفى اللسان (سرب): «فزجرته يبادر سربا». والعظاء، بالفتح: جمع عظاية وعظاءة، وهى دويبة على خلقة سام أبرص. والورد: بالكسر: ما ورد من جماعة الطير والإبل. وفى اللسان: «وإنما سمى النصيب من قراءة القرآن وردا من هذا». والقوارب: جمع قارب، وهو طالب الماء ليلا. فيما عدا ل: «حط من فاقيه» و: «من قطار قوارب»، لكن فى هـ: «قوادب» وكلها محرفة.

(٣) الخلة، بالضم: ما فيه حلاوة من المرعى، وما فيه ملوحة فهو الحمض، بالفتح. وانظر (٤: ١٣٣) وص ١٢٣ من هذا الجزء. والأوق، بالفتح: الثقل والشؤم. ط، س: «أربى على»، هـ: «أو فى على»، صوابهما فى ل.

(٤) البرقة، بالضم: غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلفة. فيما عدا ل: «من عظيم».

(٥) فى الأصل: «برقة».

(٦) الألواح: جمع لوح، بالفتح، وهو صفيحة من صفائح الخشب، والكتف يكتب عليها. ط، هـ: «الوالى» ل، س «الواحى» بدون همزة. والصواب ما أثبت.

(٧) هو جعفر بن سليمان العباسى. انظر ص ٧٨.

(٨) ل، «أقبح وجها منه ولا بإنسان أحسن عقلا منه».

مازحا : أرأيت القنفذَ إذا امتطاه الجِنِّىُّ وعلا به فى الهواء ، هل القنفذ[١] يحمل الجنىّ أم الجنى يحمل القنفذ؟ قال[٢] : هذا من أكاذيب الأعراب[٣] ، وقد قلت فى ذلك شعراً . قلت [فأنشِدْنيه[٤]] . فأنشَدَنى بعد أن كان قال لى: قلت هذا الشعر وقد رأيت ليلة قنفذاً ويربوعا بتلمسان[٥] [بعض] الرِّزق :

فما يُعجبُ الجنَّانَ منك عَدِمتَهم   وفى الأُسْد أفراسٌ لهم ونجائبُ[٦]
أتُسرِجُ يربوعا وتُلجِم قُنفذًا   لقَدْ أعوزَتهُمْ ماعلمْتَ المراكِبَ[٧]
فإن كانت الجنّانُ جُنّت فبالحَرى   ولا ذَنْبَ للأَقدار والله غالبُ[٨]
وما الناس إلا خادعٌ ومخــدَّعٌ   وصاحبُ إسْهَابٍ وآخر كاذب

قال : فقلت له : قد كان ينبغى أن يكون بين البيت الثالث والرابع بيتٌ آخر[٩] . قال : كانت والله أربعين بيتاً ، ولـكنَّ الحطمة[١٠] [والله] حَطمتها[١١] . قال: فقلت: فَهلْ قلت فى هذا الباب[١٢] [غير هذا] ؟ قال:

---

(١) دخول « هل » على الاسم ، مختلف فى جوازه وقبحه وامتناعه ؛ ومذهب الـكسائى جوازه ، انظر همع الهوامع (٢ : ٧٧) والمغنى . ل ، س : « القنفذ » بدون : « هل » .

(٢) س : « فقال لى » .

(٣) ط ، هـ : « تـكاذيب الأعراب » .

(٤) هذه التـكملة من ل . وبدلها فى س : « فأنشدنى » .

(٥) ل : « أو يربوعا بتلمسان » . وكلمة : « ليلة » ساقطة من س .

(٦) يخاطب القنفذ أو اليربوع .

(٧) الضمير فى : « تسرج » للجنان . يعجب لها أن تركب هذين مع قدرتها على ما هو خير منهما .

(٨) فبالحرى : أى فهى جديرة أن تفعل هذا . ل : « ولا ذنب للأقوام » .

(٩) ط ، هـ : « بيتا آخر » محرف .

(١٠) الحطمة ، بالفتح والضم : السنة والجدب .

(١١) ط ، س : « احتطمتنيها » ، هـ : « احتطنتنيها » ، صوابهما فى ل .

(١٢) ط ، هـ : « فهل » ، وفيما عدا ل : « فى غير هذ الباب » محرف .

نعم ، شيءٌ قلتُهُ لزوجتى[١] ، وهو والله عندها أصدقُ شيءٍ قلتُه لها[٢] :

أراه سَميعاً للسِّرار كقنفذٍ لقد ضاع سِرُّ الله يا أمَّ مَعْبدِ[٣]

[قال] : فلم أصبر أن ضحِكْتُ . فغضب وذهب .

(شعر فيه ذكر الغول)

ويكتب مع شعر أبى البِلاد الطُّهوى[٤] :

فمن لا مَنِى فيها فَوَاجَهَ مِثلَها على غِرَّةٍ ألقتْ عِطافاً ومئزَرَا[٥]

لها ساعِدَا غُولٍ ، ورِجلا نعامةٍ ورأسٌ كِمِسْحَاةِ اليَهُودِىِّ أزْعَرَا[٦]

وبَطْنٌ كأثناء المزادةِ رَفّعتْ جوانبُه أعكانَه وتَكَسَّرَا[٧]

(١) ط ، هـ : « شيء قلت لزوجتى » . وحذف العائد على الموصوف ، أقل من حذف العائد على الموصول ، ودونهما حذف العائد على المبتدإ . ومما ورد من حذف العائد على الموصوف قول جرير :

أبحت حمى تهامة بعد نجد وما شيء حميت بمستباح

انظر سيبويه (١ : ٤٥) والمغنى (باب حذف الفعل وحده أو مع مضمر) .

(٢) ل : « أصدق منى فقلت لها » محرف .

(٣) السرار بالكسر : المسارة بالحديث . ل : « أتراه يستمع » محرف . وكلمة : « كقنفذ » محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « لقنفذ » ، وفى ل ، س : « بقنفذ » .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ٢٣٤ .

(٥) يدعو على من لامه فى بغض هذه المرأة أن يلقى مثلها على غرة وقد خلعت عطافها ومئزرها . والعطاف ، بالكسر : الرداء وكل ثوب تعطفت به ، أى ترديت . فيما عدا ل : « فما لامنى فيها بواجد مثلها » ، محرف .

(٦) المسحاة : المجرفة من الحديد .

(٧) هذا البيت ساقط من ل . وأثناء المزادة : مطاويها وما تعوج منها . ط ، هـ : « كأنثار » ، صوابه فى س . والأعكان ، جمع عكنة ، وهى طى فى البطن . ط : « أغماسه » ، هـ : « أغوابسة » ، س : « أغباسه » ، ولم أجد لأحدها وجها .

وثدْيان كالُخرْجين نيطت عُرَاهُما

إلى جُؤجُؤٍ جانى الشراسيف أزْوَرَا[(١)]

قال[(٢)] : كان أبو شيطان ، واسمه إسحاق بن رَزِين ، أحد بنى السِّمط سِمْط جعدة بن كعب[(٣)] ، فأتاهم أميرٌ فجعل يَنْكُب عليهم جَوراً[(٤)] ، وجعل آخرُ من أهل بلده ينقب عليهم[(٥)] : أى يكون عليهم نقيباً ، فجعل يقول :

ياذا الذى نَكَبَنَا ونَقَبَا[(٥)] زَوَّجَهُ الرَّحمنُ غُولا عقْرَبا

جَمّع فيهـا ماله ولبْلَبا لبالب التّيس إذا تَهَبْهَبَا[(٦)]

حَتَّى إذا ما استطربَتْ واستَطرَبَا عَاينَ أشنا خَلقِ رَبِّى زَرْنَبَا[(٧)]

* ذات نواتين وسَلْعٍ أُسْقِبَا[(٨)] *

---

(١) الجؤجؤ : الصدر . والجانى ، من الجنأ ، رجل أجنأ بمعنى أقعس ، وهو الذى خرج صدره ودخل ظهره . هـ ، س : « ناتى » وهى صحيحة . ط : « نائى » محرفة . والشراسيف : أطراف أضلاع الصدر . وفيما عدا ل : « الترائب » . والأزور من الزور ، بالتحريك ، وهو ميل فى وسط الصدر

(٢) ط ، هـ : « وقال » .

(٣) هم جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . فيما عدا ل : « الشميط شميط جعدة بن كعب » .

(٤) نكب عليهم نكابة ونكوبا : صار منكبا . والمنكب ، كمجلس : العريف أو عون العريف . ل : « يكتب » محرفة .

(٥) نقب عليهم نقابة : صار نقيبا . والنقيب : كالعريف على القوم ، المقدم عليهم ، الذى يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم ، أى يفتش .

(٦) لبالب الغنم : جلبتها وصوتها . ولبلب التيس عند السفاد : نب . وفى اللسان : « هبهبته : دعوته لينزو فتهبهب » . وفيما عدا ل : « لبلبة » . وكلمة : « تهبهب » محرفة فى الأصل . فهى فى ل : « تهببا » وفيما عدا ل : « تهيبا » والوجه ما أثبت .

(٧) أشنأ : أى أقبح منظرا . وقد سهل الهمزة . وبدلها فى ل ، ط : « منها » وفى هـ : « منهما » ، والصواب ما أثبت من س . والزرنب ، بالفتح : فرج المرأة ، أو فرجها إذا عظم ، أو لحم ظاهره . انظر اللسان والمخصص (٢ : ٨٨) . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « ذنبا » ، وفيما عدا ل : « ربا » .

(٨) السلع ، بالفتح : الشق يكون فى الجلد ، عنى به الهن . أسقبا : أى قرب كل منهما من صاحبه . أسقبه : قربه .

يعنى فرجها ونوَاتها . يقول . لم تُختَن .

(جنون الجن وصرعهم)

وأما قوله :

* فإنْ كانت الجِنّان جُنّتْ فبالحَرَى[١] *

فإنهم قد يقولون فى مثل هذا[٢] . وقد قال دَعْلجُ بن الحكم :

وكيف يُفِيق الدهرَ كعبُ بن ناشبٍ
وشيطانُه عِنـدَ الأهِلَّة يُصْرَعُ[٣]

(شعر فيه ذكر الجنون)

وأنشدنى عبد الرحمن بن منصور الأُسَيْدى[٤] قبل أن يُجَنَّ :

جُنونكَ مجنونٌ ولستَ بواجِـدٍ طَبِيباً يُداوِى منْ جُنونِ جُنونِ[٥] ٧٦

وأنشدنى يومئذ[٦] :

أتَونى بمجْنون يَسِيلُ لُعابُهُ وما صاحِبِى إلا الصَّحيحُ المسَلَّمُ

وفيما يشبه الأولَ يقولُ ابن ميَّادة[٧] :

---

(١) انظر ما سبق ص ٢٤٠ .

(٢) ل : « قد يقولون مثل هذا » .

(٣) فى الشعراء ٦٧٧ والخزانة (٣ : ٤٤٦ بولاق) : « سعد بن ناشب » . وانظر للصرع عند الأهلة (٥ : ٤٧٩) .

(٤) فيما عدا ل : « الأسدى » .

(٥) سبق إنشاد البيت فى (٣ : ١٩٠) .

(٦) ف (٣ : ١٠٩) : « مما أنشدنيه أبو الأصبع بن ربعى » .

(٧) س : « ويشبه الأول قول ابن ميادة » . وفى ط ، ﻫ : « وما يشبه الأول » وفى ط ، س : « قول » بدل : « يقول » .

فلما أتانى ما تقولُ محاربٌ تَغَنَّتْ شياطينى وجُنَّ جُنونُها[1]

وحاكَتْ لهـا مِمَّا أقول قصائداً ترامَتْ بها صُهْبُ المَهارَى وجُونُها[2]

وقال فى التَّمثيل[3] :

إن شَرخَ الشَّبابِ والشَّعَرَ الأَسْـ ـوَدَ ما لم يُعاصَ كان جُنونا[4]

وقال الآخر[5] :

قالت عَهِدْتُكَ مجنوناً فقلتُ لها إنّ الشّبابَ جُنونٌ بُرؤُه الكِبَرُ

وما أحسنَ ما قال الشّاعر حيث يقول[6] :

فدقّت وجلّت واسبكرّت وأُكمِلت

فلو جُنَّ إنسانٌ من الُحسْن جُنّتِ[7]

---

(١) ط فقط : « شياطين » . والبيتان من قصيدة له يهجو بها الحكم الخضرى . انظر الأغانى (٢ : ١٠١) وثمار القلوب ص ٥٦ .

(٢) حاكت من الحوك ، أو من المحاكاة . وفى الأصل : « وحكت » ل : « لهم مما أقول قصيدة * تعالا » ، وجه هذه : « تعالى » . والصهب : جمع أصهب وصهباء ، وهو من الإبل ما كان باطن شعره أسود وظاهره أحمر . والجون ، بالضم : جمع جون بالفتح ، وهو الذى يخالط سواده حمرة .

(٣) يوهم أن القائل ابن ميادة . والبيت من أبيات سبعة فى ديوان حسان ٤١٣ — ٤١٤ . وقد سبق فى (٣ : ١٠٨) نسبتها إلى حسان ، أو ابنه عبد الرحمن ابن حسان .

(٤) يعاص ، من المعاصاة ، وهى العصيان . هـ : « يعاس » ط ، س : « يعاض » صوابهما فى ل . وقد سبق الكلام على البيت فى (٣ : ١٠٦) .

(٥) هو المتبى ، وقد اختار ابن الشجرى هـذا البيت مع بيت سابق له ، فى موضعين من حماسته ، هما ص ١٨٤ ، ٢٤٥ . والبيت الأول :

لمـا رأتنى هند قاصرا بصرى عنها وفى الطرف عن أمثالها زور

والبيت بدون نسبة فى البيان (٣ : ١٨٣) . وانظر الاستدراكات .

(٦) كلمة : « حيث يقول » ليست فى ل . والبيت للشنفرى ، كما سبق فى (٣ : ١٠٨) . وانظر المفضليات ١٠٩ .

(٧) فيما عدا ل : « دقت » بالخرم . و : « اسبطرت » بالطاء ، وهما بمعنى . وفى ط ، س : « وأكلمت » محرفة . وهذا البيت والسطر الذى قبله ساقط من س .

وما أحسن ماقال الآخر [١] :

[حمراء تامِكةَ السَّنام كأنّها جَملٌ بهودج أهلِه مظعونُ [٢]]
جادَتْ بها عند الغداةِ يمينُه كِلتا يَدَىْ عَمْرو الغَداةَ يمينُ [٣]
ما إنْ يَجُودُ بمثلها فى مثلها إلاّ كريمُ الخِيمِ أو مجنونُ [٤]

وقال الُجمَيح [٥] :

لو أنّنى لم أنَلْ مِنكم مُعاقَبةً إلاّ السِّنَان لذاقَ الموتَ مظْعونُ [٦]
أوْ لاختطبتُ فإنى قد هَممتُ به بالسَّيْفِ إنّ خطِيبَ السَّيف مجنونُ [٧]

---

(١) ط ، هـ : « وما أحسن ما قال الشاعر حيث يقول » ، وفى س : « وما أحسن قول الآخر » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) سبق شرحه فى (٣ : ١٠٧) . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « بهودج أهلها » صوابه بما سبق .

(٣) ل : « بها عمر الغداة » و : « يدى عمر » محرفان . وسبق فى (٣ : ٢٠٧) « بها يوم الوداع » .

(٤) ل : « بمثله فى مثله » محرفة . وفى ط ، هـ : « بمثلها فى مثله » ، وأثبت ما فى س . وفى الصناعتين ٣٥٧ : « ما كان يعطى مثلها فى مثله » .

(٥) الجميح ، بالتصغير : لقب له . واسمه منقذ بن الطماح بن قيس بن طريف ابن عمرو بن قعين بن طريف بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة ، أحد فرسان الجاهلية يوم جبلة ، وفيه قتل . وأبوه الطماح صاحب امرئ القيس . انظر معجم المرزبانى ٤٠٣ واللآلئ ٨٩٥ والمفضليات الخمس ٢٨ . فيما عدا ل : « وقال الجمحى » . على أن البيتين رويا فى (٣ : ١٠٧) منسوبين إلى ابن الطثرية .

(٦) فى ط زيادة واو فى أول البيت . ط : « بذات الموت » هـ : « يذاق » س : « بذان » صوابه فى ل . وفى الأصل : « مطعون » بالطاء المهملة . محرف .

(٧) فى اللسان : « الجوهرى : خطبت على المنبر خطبة ، بالضم . وخطبت المرأة خطبة بالكسر . واختطب فيهما » ، أى يقال خطب واختطب فى المعنيين . ل : « لا ستمت » ط : « لا خطبت » س : « لا حتطفت » هـ : « لاختطفت » تحريفات ، صوابها ما أثبت .

وأنشد[1] :

هُمُ أَحْمَوا حِمى الوَقَبى بضربٍ يؤلفُ بَيْنَ أشتاتِ المنُونِ[2]

فنَكَّبَ عنهم دَرءَ الأعادى وداوَوْا بالُجنون من الُجنونِ[3]

وأنشدنى جعفر بن سعيد[4] :

إنَّ الجنونَ سِهامٌ بين أربعةٍ الرِّيحِ والبَحْرِ والإنسانِ والجَملِ[5]

وأنشدنى أيضاً :

٧٧ احْذَر مغايِظ أقوام ذَوى حَسَب إنّ المغيظ جَهولُ السَّيف مجنون[6]

وأنشدنى أبو تمام الطائىّ[7] :

منْ كلِّ أصلَعَ قد مالَتْ عِمامتُه كأنّه من حِذار الضَّيمِ مجنون

وقال القطامىّ :

يَتْبعْنَ سَامِيَةَ العَينين تَحْسَبُها مجنُونةً أو تُرَى مالا تُرَى الإبلُ[8]

---

(١) القائل هو أبو الغول الطهوى كما سبق فى الحيوان (٣ : ١٠٦) وكما فى أمالى القالى (١ : ٢٦٠) والحماسة (١ : ٧) ومعجم البلدان (رسم الوقبى) . ويروى الشعر لأبى الغول النهشلى كما فى الشعراء ٣٩٥ .

(٢) أحميت المكان : جعلته حمى . ل : « هم منعوا » ، وهى الرواية فى سائر المصادر . وفيما عدا ل : « حمى الرقبى » محرف .

(٣) نكب : نحى ، وضمير الفعل عائد إلى الضرب فى البيت السابق . والدرء : أصله الدفع ، ثم استعمل فى الخلاف ، لأن المختلفين يدافعان . انظر شرح التبريزى للحماسة .

(٤) انظر له (٣ : ٤٦٩) . فيما عدا ل : « وأنشد جعفر بن سعيد » .

(٥) السهام : جمع سهم ، وهو هنا النصيب والحظ .

(٦) فيما عدا ل : « مغائظ » بالهمزة ، وهو خطأ ، إذ لايقلب من ذلك إلى الهمز إلا ما كانت ياؤه زائدة ، كصحيفة وصحائف .

(٧) البيت للأشهب بن رميلة كما سبق فى (٣ : ١٠٥ - ١٠٦) .

(٨) سامية : عالية . يقول : كأنها ترى شيئا لا تراه الإبل فتفزع منه من نشاطها . والبيت فى ديوان القطامى ص ٤ .

وقال فى المعنى الأوّل الزَّفَيَانُ العُوافىّ[1] :

أنا العُوَافِىُّ فمَنْ عادانى   أذقتُه بوادِرَ الهوان[2]

* حتّى تَرَاهُ مُطرِقَ الشَّيطانِ[3] *

وقال مرْوانُ بن محمد[4] :

وإذا تجنّنَ شاعرٌ أو مُفْحَمٌ   أَسعطْتُه بمرارة الشيطانِ[5]

وقال ابن مُقْبِل :

وعِنْدِى الدُّهَيم لو أُحُلَّ عِقالهَا   فتُصْعِدُ لمتَغْدَم منِ الجْنِّ حادِيا[6]

وقد صغَّر[7] « الدُّهَيم » ليس على التحقير ، ولـكن هذا مثل قولهم : « دبَّت إليهم دُوَيهِيَة الدهر » .

(أحاديث الفلاة)

[و] قال أبو إسحاق : وأما قول ذى الرُّمَّة :

---

(١) الزفيان ، سبقت ترجمته فى (٢ : ١٥) وهذا الجزء ص ١٧٥ . ط : « الرقيان » هـ : « الوقبان » س : « الرقبانى » والصواب فى ل .

(٢) ط ، هـ : « أذيقه » .

(٣) هـ : « مطوق الشيطان » محرف . وبعده فى ثمار القلوب ٥٦ :

علمنى الشعر معلمان

قال الثعالبى : « يعنى معلما من الإنس ومعلما من الجن » .

(٤) هو الشاعر المعروف بأبى الشمقمق ، المترجم فى (١ : ٢٢٥) .

(٥) المفحم : الذى لا يقول الشعر . فيما عدا ل : « مقحم » بالقاف ، تحريف .

(٦) فى اللسان : « أصعد فى العدو : اشتد » وفى العمدة (٢ : ١٣٦) : « فتصبح » ، محرفة . قال ابن رشيق : « شبه القصيدة التى لو شاء هجاهم بها بالدهيم ، وهى الداهية . وأصل ذلك أن الدهيم ناقة عمرو بن زبان الذهلى التى حملت رءوس بنيه معلقة فى عنقها فجاءت بها الحى ، فضرب بها المثل للداهية » . وانظر الميدانى فى : (أثقل من حمل الدهيم) و : (أشأم من خوتعة) وثمار القلوب ٢٨٣ . والقافية فيما عدا ل : « خازنا » تحريف . والبيت من أبيات على الياء آخر الحروف ، رواها ابن رشيق فى العمدة .

(٧) ل : « قال » . وكلمة : « هذا » التالية ساقطة من ل .

إذا حَثَّهُنَّ الرَّكبُ فى مُدْلِهِمَّة أحاديثها مثلُ اصطِخاب الضَّرائرِ[١]

قال أبو إسحاق : يكون[٢] فى النّهار ساعات ترى الشّخص الصَّغيرَ فى تلك المهامِهِ عظيماً ، ويُوجَد الصَّوت الخافضُ رَفيعاً ، ويُسمع الصَّوتَ الذى ليس بالرَّفيع[٣] مع[٤] انبساط الشّمس غدوة من المكان البعيد ؛ ويُوجَد لأوساط الفَيافى والقِفار والرِّمال والحِرار ، فى أنصاف النّهار ، مثلُ الدّوىّ ؛ من طبع ذلك الوقت وذلك المكان ، عند ما يعرض له . ولذلك قال ذو الرُّمَّة :

إذا قال حادينا لتَشْبِيهِ نَبأةٍ صَهٍ لم يكُنْ إلا دوىٌّ المسامع[٥]

قالوا : وبالدَّوىّ سمِّيت دَوِّيّه وداوية ، وبه سمِّى الدوّ دَوًّا[٦] .

(تعليل ما يتخيله الأعراب من عزيف الجنان وتغوُّل الغيلان)

وكان أبو إسحاق يقول فى الذى تذكر الأعرابُ من عزيف الجنان ،

---

(١) المدلهمة : المفازة لا أعلام بها . أحاديثها : أى أحاديث ما بها من جن . وجواب « إذا » فى بيت بعده ، وهو كما فى الديوان ص ٢٩٦ :

تياسرن عن حذو الفراقد فى السرى ويسامن شيئا عن يمين المغاور

(٢) ل : « تكون » .

(٣) فيما عدا ل : « وتسمع الصوت الذى ليس بالرفيع رفيعا » .

(٤) فيما عدا ل : « من » .

(٥) النبأة ، بالفتح : الصوت الخفى . والتشبيه : الاشتباه والالتباس . وفى اللسان : « وأمور مشتبهة ومشبهة : مشكلة يشبه بعضها بعضا » . وفى حديث حذيفة فى الفتنة : « تشبه مقبلة وتبين مدبرة » . وصه : اسم فعل بمعنى اسكت . ط ، هـ : « صدى » س : « صد » ، صوابهما ما أثبت من ل واللسان (١٧ : ٤٠٦) .

(٦) الداوية ، تقال بتشديد الياء وتخفيفها . وانظر نقد ابن برى لكلام الجاحظ فى اللسان (١٨ : ٣٠٤) . ويرد قول ابن برى أن الجاحظ لم يرد الاشتقاق =

وتغوُّل الغيلان[١] : أصلُ هذا الأمر وابتداؤُه ، أنّ القوم لمّا نزلوا بلاد
الوَحْش[٢] ، عملتْ فيهم الوَحْشة[٣] . ومن انفردَ وطال مُقامُه فى البلاد ٧٨
والخلاء[٤] ، والبعد من الإنس — استوحَش[٥] . ولا سيَّما مع قلة الأشغال[٦]
والمذاكرين .

والوَحدة لا تقطع أيامهم إلا بالُمنى أو بالتفكير[٧] . والفكرُ ربما كان من أسباب الوَسوَسة . وقد ابتلى بذلك غيرُ حاسب[٨] ، كأبى يَس[٩] ، ومُثَنَّى ولد القُنافر[١٠] .

وخبَّرنى الأعمش أنه فكَّر فى مسألة ، فأنكر أهله عقله ، حتى حَمَوه وداووه .

= الصرف البحت ، وإنما أراد ما يسمونه الاشتقاق اللغوى ، الذى يرجع مفردات المادة إلى مورد واحد من المعانى .

(١) زيد فى ل بعد هذه الكلمة لفظ : « قال » ، وفى س : « فإن » .

(٢) فيما عدا ل : « ببلاد الوحش » .

(٣) الوحشة ، بالفتح : الفرق والخوف من الخلوة والهم . ل : « الوحشية » محرفة .

(٤) البلد من الأرض : ما كان مأوى الحيوان وإن لم يكن فيه بناء ، وفى الحديث : « إنى أعوذ بك من ساكن البلد » . ل : « فى بلاد الخلاء » محرف .

(٥) استوحش : لحقته الوحشة والخوف والهم .

(٦) ط ، هـ « الاشتغال » .

(٧) ل . « أيامها » ، وفى س : « إلا بالمنى والتفكير » .

(٨) ل : « حاسد » محرفة .

(٩) أبو يس الحاسب ذكره فى البيان (٢ : ٢٢٥) فى جماعة المجانين والموسوسين وقال فى (٢ : ٢٢٨) : « وأما أبو يس الحاسب فإن عقله ذهب بسبب تفكره فى مسألة ، فلما جن كان يهذى أنه سيصير ملكا . . . وكان أبو نواس والرقاشى يقولان على لسانه أشعارا على مذاهب أشعار ابن عقب الليثى ، ويرويانها أبا يس إذا حفظها لم يشك أنه هو الذى قالها » . وأنشد الجاحظ شعرا لأبى نواس مما صنعه لأبى يس . ط ، هـ : « كأبى ياسر » وفى س : « كأبى ياسير » محرفتان . وكلمة « يس » رسمت فى ل كاملة هكذا « ياسين » .

(١٠) القنافر : بالضم : معناه القصير . ط ، س : « الفنافر » بفاء فى أوله . ل : =

وقد عرض ذلك لكثير من الهند .

وإذا استوحشَ الإنسانُ تمثّل[١] له الشّيء الصغيرُ فى صورة الكبير ، وارتاب ، وتفرَّق ذهنُه ، وانتقضت أخلاطُه ، فرأى مالا يُرى ، وسمع مالا يُسمع[٢] ، وتوهم على الشيء اليسير[٣] الحقير ، أنه عظيمٌ جليل .

ثمَّ جعلوا ما تصوَّر لهم من ذلك شعرا تناشدوه[٤] ، وأحاديث توارثوها فازدادوا بذلك إيماناً ، ونشأ عليه الناشئ ، ورُبّى به الطِّفل ، فصار أحدهم حين[٥] يتوسَّط الفيافِىَ ، وتشتملُ عليه الغيطان فى اللّيالى الحنادس — فعند أوّل وحْشةٍ وفزْعة[٦] ، وعند صياح بوم ومجاوَبة صدًى[٧] ، وقد[٨] رأى كلَّ باطل ، وتوهَّم كلَّ زُور ، وربما كان فى أصل الخلْق والطبيعة[٩] كذّاباً نفّاجاً[١٠] ، وصاحبَ تشنيعٍ وتهويل ، فيقولُ فى ذلك من الشِّعر على حسب هذه الصِّفة ، فعند ذلك يقول : رأيتُ الغيلان ! وكلّمت السِّعلاة !

= « القنافذ » هـ : « القنافد » . وفى ل : « وشى » بدل : « ومشى » و « وأبى » بدل : « ولد » .

(١) فيما عدا ل : « مثل » .

(٢) فيما عدا ل : « فيرى مالا يرى ويسمع مالا يسمع » .

(٣) كذا وردت : « على » فى جميع النسخ . والمستعمل : « فى » . فيما عدا ط : « ويتوهم على الشيء الصغير » مع سقوط كلمة : « الشيء » من س فقط .

(٤) ل : « فتناشدوه » ، س : « فأنشدوه » .

(٥) كلمة : « حين » ليست فى س .

(٦) فيما عدا ل : « أو فزعة » .

(٧) الصدى ، يكون الذكر من البوم ، ويكون رجع الصوت . وكلا المعنيين محتمل . ل : « صداء » ، وفيما عدا ل : « صداً » محرف .

(٨) ل : « قد » بدون واو .

(٩) ط : « فى الجنس وأصل الطبيعة » ، هـ : « فى أصل الطبيعة » فقط . س : « فى أصل الجنس والطبيعة » ، وأثبت ما فى ل .

(١٠) النفاج : الذى يفخر بما ليس عنده . ط ، س : « نفاحا كذابا » محرفة . وقد سقطت كلمة : « نفاجا » من هـ . وأثبت الصواب من ل .

ثمَّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول قتلتها ، ثمَّ يتجاوزُ ذلك إلى أن يقول : رافَقتها !
ثمَّ يتجاوز ذلك إلى أن يقول : تزوَّجتها ! !

قال عُبيد بن أيُّوب :

فللّه دَرُّ الغُولِ أيُّ رَفيقةٍ ... لصاحبِ قفْرٍ خائفٍ متقتّرِ [1]

وقال :

أهذا خَليلُ الغولِ والذئبِ والذى ... يهيمُ بربَّاتِ الحجالِ الهَرَاكِلِ [2]

وقال[3] :

أَخُو قَفَرَاتٍ حَالَفَ الجنّ وانتَفَى ... مِنَ الإنْسِ حَتَّى قدتقضّت وسائله [4]

له نَسَبُ الإنْسىِّ يُعْرَفُ نجله ... وللجنِّ منهُ خَلْقُه وشمائله [5]

ومِمَّا زادهم فى هذا الباب ، وأغراهم به ، ومدَّ لهم فيه ، أنهم ليس يلقون بهذه الأشعار وبهذه الأخبار إلا أعرابيًّا مثلهم ، وإلا عَامِّيًّا[6] لم يأخُذْ نفسه قط بتمييز ما يستوجب[7] التّكذيب والتّصديق ، أو الشّكّ ، ولم يسلُك سبيلَ التوقف والتثبُّت فى هذه الأجناس قطّ . وإمَّا أن يَلقوْا رَاوِيَةَ شعر ،

(١) سبق شرحه فى ص ١٦٥ . فيما عدا ل : « متنفر » ، تحريف .

(٢) الهراكل : جمع هركلة بالفتح ، وكعلبطة وسبحلة ، وهى الحسنة الجسم ، أو العظيمة الوركين . وقد سبق البيت برواية : « الكواهل » فى ص ١٦٧ . ط ، هـ : « أهذا رفيق » . وما أثبت من ل ، س يطابق ما سلف فى ص ١٦٧ .

(٣) فيما عدا ل : « وقال آخر » وهو خطأ ، إذ أن البيتين لعبيد نفسه ، كما سبق فى ٢٣٥ .

(٤) ل : « أخا قفرات » .

(٥) انظر ما كتبت فى هذا البيت وسابقه ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(٦) فيما عدا ل : « غبيا » ، وما أثبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ . وانظر الحاشية الأولى من تقديم مكتبة الجاحظ ص ٨ .

(٧) فيما عدا ل : « لتمييز ما يوجب » . وإنما يقال أخذ نفسه بالشىء .

أو صاحب خبَر ، فالرَّاوِية[1] كلّما كان الأعرابىُّ أكذبَ فى شعره كان أطْرَف عِنْده[2] ، وصارت روايته أغلبَ ، ومضاحيكُ حديثه أكثر[3]

٧٩ فلذلك صار بعضهم يدّعى رؤية الغُول ، أو قتلها ، أو مرافقتها ، أو تزويجها؛ وآخرُ يزعم أنّه رافقَ فى مفازةٍ نمراً ، فكان يطاعمه ويؤاكله[4] فمن هؤلاء خاصّة القَتّال الكِلابى[5] ؛ فإنّه الذى يقول :

أيرسِلُ مَرْوانُ الأميرُ رسالة ... لِآتِيَهُ إنى إذاً لَمَضلَّلُ[6]

وما بى عِصْيَانٌ ولا بُعْدُ منزل ... ولكنّنى من خَوْف مَرْوانَ أوجلُ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « فالرواية عندهم » ، لكن فى ه : « فالرواية » وهذه محرفة . وكلمة : « عندهم » مقحمة .

(٢) أطرف : من الطرافة . فيما عدا ل : « أطرف عندهم » بالمعجمة .

(٣) انظر لتحقيق كلمة : « مضاحيك » ما سبق فى التنبيه ٦ ص ١٥ .

(٤) ل ، س : « ويواكله » وإبدال الهمزة واوا فيه لغة عامية ، أو ضعيفة . انظر أدب الكاتب ٢٧٠ وبحر العوام ١٠٢ . وفى اللسان (١٣ : ٢٠) : « ولا تقل واكلته بالواو » . وفيه أيضا : « وآكل الرجل وواكله أكل معه ، الأخيرة على البدل » .

(٥) القتال : لقب غلب عليه لتمرده وفتكه ، واسمه عبد الله بن مجيب بن المضرحى ابن عامر الهصان بن كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة . وكان من خبره أن ابن هبار القرشى خرج فى تجارة فاعترضه جماعة فيهم القتال الكلابى فقتلوه وأخذوا ماله ، وشاع خبره ، فاتهم جماعة من بنى كلاب وغيرهم من فتاك العرب ، فأخذوا وحبسوا ، أخذهم عامل مروان بن الحكم فوجههم إليه وهو بالمدينة ، فحبسهم ليبحث عن الأمر ، ولكنه تمكن هو ومن كان معه فى السجن من الهرب . انظر المؤتلف ١٦٧ والأغانى (٢ : ١٥٨ — ١٦٦) . وقد نسب الشعر للعباس بن مرداس فى حماسة البحترى ١٤ ، ولقران بن يسار فى المحبر ٢١٦ — ٢١٧ .

(٦) مروان ، هو الخليفة الأموى ، مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس والد عبد الملك بن مروان . ولى الخلافة سنة ٦٤ وتوفى سنة ٦٥ وله إحدى وستون سنة . انظر التنبيه والإشراف ٢٦٦ . وفى الشعراء ٦٨٧ : « أيرسل مرداس الأمير » إنما هو « مروان » كما فى الحاشية السابقة .

(٧) فيما عدا ل : « بعد منهل » . وفى معجم البلدان : « بعد مزحل » و : « من سجن مروان » . وهذا البيت هو والأبيات ٧ — ٩ لم يروها ابن قتيبة . وروى أبو الفرج الأبيات ٤ ، ٩ ، ٥ ، ٨ ، ٦ ، ٧ فقط على هذا الترتيب . وروى ياقوت بعض الأبيات فى (١ : ١٥٧ / ٦ : ٢١٩ ، ٢٣٢) .

وفى باحة العَنْقاء أو فى عَمايةٍ ... أو الأُدْمَى من رَهْبةِ الموتِ موئلُ (١)

ولى صاحبٌ فى الغارِ هَدَّكَ صاحباً ... هُو الجَونُ إلّا أنه لا يعلّلُ (٢)

إذا ما التقَينا كان جُلّ حديثِنا ... صُماتٌ وطرْفٌ كالمَعابلِ أطْحَلُ (٣)

تَضَمَّنَتِ الأرْوَى لنا بطعامِنا ... كِلانا له منها نَصيبٌ ومأكلُ (٤)

فأغلِبُه فى صَنْعـةِ الزّادِ إنّنى ... أُميطُ الأذَى عنه ولا يتأمَّلُ (٥)

---

(١) الباحة : الساحة . فيما عدا ل : « ساحة » . ورواية الشعراء هى رواية ل . والعنقاء وعماية والأدمى : مواضع . والأدمى بضم أوله وفتح ثانيه مقصور . ل : « الأدما » وفيما عدا ل : الأودما » ، محرف صوابه فى الشعراء ومعجم البلدان .

(٢) تقول : مررت برجل هدك من رجل ، وبامرأة هدتلك من امرأة ، كما تقول : كفاك وكفتك . ل : « يعدل صاحبه » . ورواية الأغانى : « يعدل صاحبا أبا الجون » ، وقال : « أبو الجون صديق له كان يأنس به فشبهه به . وفى رواية عمر بن شبة : أخى الجون ؛ فإن القتال كان له أخ اسمه الجون فشبهه به » . وصاحبه الذى عناه ، هو النمر كما ذكر الجاحظ وأبو الفرج وياقوت ، لا الذئب كما روى صاحب اللسان (٤ : ٤٤) . وفى اللسان (جون) : « وأبو الجون : كنية النمر » . وأنشد البيت .

(٣) الصمات ، بالضم : الصمت . وفى الأغانى : « كان أنس حديثنا صمات » ، وفى البلدان : « كان أنس حديثنا سكوت » . والكلمة محرفة فى الأصل ، فهى فى ل : « صهاب » وفى ط ، هـ : « صماتا » . وفى س : « صمانا » وأثبت ما فى الشعراء . والمعابل : جمع معبلة ، وهى النصل الطويل العريض . والأطحل : ما لونه الطحلة ؛ وهو لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل . وفيما عدا ل : « أكحل » والكحل ، بالتحريك : سواد فى أجفان العين خلقة . وكلمة : « جل » تقرأ بالنصب على أنها خبر مقدم لـكان ، وبالرفع على لغة من يرفع الاسمين بعد كان ، قال :

إذا مت كان الناس صنفان شامت ... وآخر مثن بالذى أنا صانع

(٤) الأروى : اسم جمع للأروية ، وهى أنثى الوعول . قال أبو الفرج : « كان النمر يصطاد الأروى فيجىء بمـا يصطاده فيلقيه بين يدى القتال ، فيأخذ منه ما يقوته ويلقى الباقى للنمر فيأكله » . تضمنت : تكفلت . فيما عدا ل : « تضمنت » ، صوابه فى ل والشعراء والأغانى . وفى الأغانى : « كلانا له منها سديف مخردل » . المخردل : المقطع .

(٥) أميط : أزيل : وفى الأغانى : « وما إن يهلل » ، قال أبو الفرج : « أى ما يسمى الله عند صيده » . وصدره فى الأغانى : « فأغلمه فى صنعة الود » محرف .

وكانتْ لنا قَلتٌ بأرض مَضَـلَّةٍ ... شريعتُنا لأيِّنا جاءَ أوَّلُ[١]

كلانا عدُوٌّ لو يرى فى عَدُوِّه ... مَحزًّا وكلٌّ فى العداوةِ مُجْمِلُ[٢]

وأنشد الأصمعىّ[٣] :

ظَلِلْنَا معاً جارَيْن نحترسُ الثَّأَى ... يُسَائِرُنى من نُطفةٍ وأسائِرُهْ[٤]

ذكر سبعاً ورجُلا ، قد ترافقا[٥] ، فصار كلٌّ واحدٍ منهما يدَعُ فَضْلاً من سُؤره ليشرَبَ صاحبه . والثَّأَى : الفساد . وخبَّر أنّ كلَّ واحد منهما يحترسُ من صاحبه[٦] .

وقد يستقيمُ أن يكونَ شعر النابغة فى الحية ، وفى القتيلِ صاحب القَبْرِ ، وفى أخيه المصالح للحيةِ أن يكون إنما جعل ذلك مثلا . وقد أثبتناه فى باب الحيات[٧] ، فلذلك[٨] كرهنا إعادتَه فى هذا الموضع .

فأمّا جميعُ ما ذكرناه عنهم فإنما يخبرون عنه من جهة المعاينَة والتّحقيق ، وإنما المثل فى هذا مثل قوله :

---

(١) القلت : النقرة فى الجبل تمسك الماء . ط ، هـ : « طب » س : « قلب » صوابهما فى ل . وأرض مضلة بفتحتين وبفتح فكسر : يضل فيها ولا يهتدى فيها للطريق . قال أبو الفرج : « كان القتال إذا ورد الماء قام عليه النمر حتى يشرب ثم يتنحى عنه ويرد النمر ، فيقوم عليه القتال حتى يشرب » . ط ، هـ : « لأى من » س : « لا ينأ » ، صوابهما فى ل والأغانى والبلدان .

(٢) المجمل : المتئد المعتدل لا يفرط فيما عدا ل : « محمل » محرف .

(٣) نسب القالى البيت فى (١ : ٢٣٦) إلى الغنوى .

(٤) يسائرنى ، من السؤر ، وهى بقية الشراب . والنطفة : الماء الصافى ، أو قليل ماء يبقى فى دلو أو قربة . أى يرد قبلى فيشرب فيبقى لى ، وأرد قبله فأبقى له . ل : « يسايرنا من نطفة ونسايره » ، وفيما عدا ل : « يشاربنى من فضلة وأشاربه » . صوابهما ما أثبت من الأمالى .

(٥) ط ، هـ : « توافقا » .

(٦) قد عدى « احترس » فى البيت بغير الحرف ، والمعروف تعديته به .

(٧) انظر الجزء الرابع ص ٢٠٣ — ٢٠٥ .

(٨) س : « ولذلك » .

قد كان شيطانك منْ خُطّابها   وكان شيطانِيَ مِنْ طُلاَّبِها

* حيناً فلمَّا اعترَكا ألْوَى بها *

(الاشتباه في الأصوات)

والإنسان يجوع فيسمع فى أذنه مثل الدوىّ[١] . وقال الشاعر :

دوىّ الفَيَافِى رَابَه فكأنّه   أَمِيمٌ وسارِى اللَّيلِ للضُّرِّ مُعْوِرُ[٢]

مُعْوِر : أى مُصْحِر[٣] .

وربما قال الغلام لمولاه : [أ] دعوتنى ؟ فيقول [له] : لا . وإنما اعترى مسامعه ذلك لعرضٍ ، لا أنَّه سمِع صوتا[٤] . ٨٠

ومن هذا الباب قول تأبَّط شرًّا ، أو قول قائل فيه[٥] فى كلمة له :

---

(١) فيما عدا ل : « كالدوى » .

(٢) الأميم : الذى أصيب فى أم رأسه . معور ، هو من أعور الفارس إذا بدا فيه موضع خلل للضرب . أراد أنه معرض للضرر . ل ، ﻫ : « القوافى » س : « الفوافى » صوابهما فى ط . وفيما عدا ط : « راسه » بدل : « رابه » تحريف . وفيما عدا ل : « للضوء يعود » محرف .

(٣) مصحر : منكشف ، من قولهم أصحر الرجل إذا خرج إلى الصحراء ، أو برز إلى فضاء لا يواريه فيه شىء . و « معور » ساقطة من ل . وهى فى الأصل : « يعود » محرفة . وفيما عدا ل : « أى يضجر » ، تحريف .

(٤) إلى هنا ينتهى المجلد الخامس من نسخة كوبريلى المشار إليها بالرمز « ل » . وكتب فى آخره « آخر الجزء الخامس ، يتلوه إن شاء الله : ومن هذا الباب قول تأبط شرا أو قول قائل فيه كلمة له . والحمد لله وصلى الله على نبيه محمد وعلى آله وسلم » . ومن هنا إلى نهاية هذا الجزء تقتصر المقابلة على الشنقيطية ونسخة دار الكتب الأزهرية .

(٥) فيما عدا ل : « أو قول القائل » فقط . والذى تنسب إليه هذه الأبيات أيضا هو السليك بن السلكة أحد غرابيب العرب . انظر التيجان ٢٤٢ . وجاءت الأبيات منسوبة إلى تأبط شرا فى الحماسة (١ : ٢٢ – ٢٣) وأمالى القالى (٢ : ١٣٨) وزهر الآداب (٢ : ١٨) والصناعتين ٢٨٩ .

يَظَلُّ بمَوْماةٍ ويُمسِي بقَفْرَةٍ جَحِيشاً ويَعرَوْرِى ظُهورَ المهالِكِ(١)
ويَسْبِقُ وفْدَ الرِّيحِ من حَيثُ ينْتحِى
بمنخَرِقٍ من شَدِّهِ المتدارِكِ(٢)
إذا خاطَ عَينَيه كَرى النَّوم لم يزَلْ له كالِئٌ من قَلبِ شَيْحانَ فاتكِ(٣)
ويجعلُ عينَيه رَبيئةَ قلبِهِ إلى سَلَّةٍ من حَدِّ أخْضَرَ باتكِ(٤)
إذا هزَّه فى عَظم قِرْنٍ تَهلَّلتْ نواجذُ أفواهِ المنايا الضَّواحكِ(٥)
يَرى الإنس وحْشِىَّ الفَلاة ويهتدى
بحيث اهتدتْ أمُّ النجومِ الشّوابكِ(٦)

(نزول العرب بلاد الوحش والحشرات والسباع)

ويدلُّ على ما قال أبو إسحاق ، من نزولهم فى بلاد الوحْش(٧)

---

(١) الجحيش : المنفرد المتنحى عن الناس . يعرورى : يركب : من قولهم اعرورى فرسه : ركبه عريا .

(٢) وفد الريح : أولها . ينتحى : يعتمد . المنخرق : السريع . الشد : العدو . المتدارك : المتلاحق .

(٣) فى الحماسة والصناعتين : « وحاص » . وحاص وخاط بمعنى . والكالىء : الحافظ . والشيحان : الجاد فى كل أمر . وفى الأصل : « شبحان » بالموحدة ، تحريف .

(٤) الربيئة : الرقيب . والسلة : المرة من سل السيف . أخضر ، كذا جاءت روايته فى الأصل والتيجان ، والعرب تجعل الحديد أخضر . انظر الحيوان (٣ : ٢٤٦) واللسان (٥ : ٣٢٨) . وفى الحماسة : « من حد أخلق صائك » ، وفى الأمالى والصناعتين : « من صارم الغرب باتك » ، وفى الزهر : « من صارم العزم فاتك » .

(٥) القرن ، بالكسر : كفؤك ونظيرك . تهللت : تلألأت وأشرقت . ط ، س : « تذللت » ، ه : « تدللت » ، صوابهما فى سائر المصادر .

(٦) فى الحماسة والأمالى وزهر الآداب وثمار القلوب ٢٠٤ والصناعتين ٣١٠ : « يرى الوحشة الأنس الأنيس » . وأم النجوم : المجرة لأنها مجتمع النجوم ، وقيل الشمس . والمعنى أنه لا يضل فى قصده كما لا تضل المجرة . والكلام بعد هذا البيت إلى نهاية البيت الأخير من المقطوعة التالية ، موقعه فى س بعد كلمة : « لا يقيم نسبه » فى ص ٢٥٩ .

وبينَ الحشَراتِ والسِّباع، ما رواه لنا أبو مُسْهِرٍ[١]، عن أعرابيٍّ من بنى تميم، نزل ناحية الشَّام، فكان لا يَعْدِمُهُ فى كلِّ ليلة[٢] أن يعضه أو يعضَّ ولده[٣] أو يعضَ حاشيته سبعٌ من السباع، أو دابّةٌ من دوابِّ الأرض، فقال:

تعاوَرَنى دَينٌ وذُلٌّ وغُربةٌ ومَزّقَ جلدى نابُ سَبْعٍ ومِخْلبُ
وفى الأرض أحناشٌ وسَبْعٍ وحاربٌ ونحن أُسارَى وَسْطَهَا نتقلبُ[٤]
رُتَيْلا وطَبُّوعٌ وشِبْثان ظُلْمةٍ وأرقَطحُرْقُوصٌوضَمْجٌوعَقْربُ[٥]
ونمل كأشخاصِ الخنافس قُطَّبٌ وأرْسالُ جِعلانٍ وهَزْلى تَسَرَّبُ[٦]
وعُثٌّ وحُفّاثٌ وضَبٌّ وعِربِدٌ وذَرٌّ ودَحّاس وفَارٌ وعَقْربُ
وهِرٌّ وظِرْبانٌ وسِمْعٌ ودَوْبَلٌ وثُرْمُلَةٌ تجرِى وسِيدٌ وثَعلبُ[٧]

(١) سبقت ترجمته فى (٥ : ١٦٦).
(٢) لا يعدمه: لا يعدوه. وكلمة: «فى» ليست فى س.
(٣) ط، هـ: «أو يعض ولده».
(٤) الحارب: المشلح، وهو الذى يقطع الطريق ويعرى الناس ثيابهم.
(٥) الشبثان بالكسر: جمع شبث بالتحريك. انظر ص ٢١. وفى الأصل: «شبتان» بالتاء المثناة، محرف. والضمج، سبق الكلام عليه فى ص ٢٢. وفى الأصل: «صمخ» محرف.
(٦) الأرسال: الجماعات، يقال: جاءت الخيل أرسالا، أى قطيعا قطيعا. والجعلان، بالكسر: جمع جعل. والهزلى: الحيات. وفى اللسان: «الأزهرى: العرب تقول للحيات الهزلى، على فعلى، جاء فى أشعارهم، لا يعرف لها واحد. قال:
وأرسال شبثان وهزلى تسرب
وفى الأصل: «هزل»، صوابه ما أثبت. وفى هـ: «يسرب» محرف.
(٧) الدوبل، بفتح الدال المهملة: الذئب الخبيث، وذكر الخنازير. وبه لقب الأخطل دوبلا، وفيه يقول جرير:
بكى دوبل لا يرقئ الله دمعه ألا إنما يبكى من الذل دوبل
وفى الأصل: «ذوبل» بالمعجمة، تحريف. والثرملة، بضم الثاء المثلثة والميم: من أسماء الثعالب. وفى الأصل: «ترملة» محرفة. والسيد، بالكسر: الذئب.

ونمر وفَهْدٌ ثُم ضبعٌ وجَيْأَلٌ   وليثٌ يجُوس الأَلف لا يتهيّبُ[١]

ولم أرَ آرى حيثَ أسمعُ ذِكرَه   ولا الدُّبَّ إنّ الدُّبَّ لا يتنسَّبُ

فأما الرُّتَيلا والطَّبُّوع ، والشَّبَث[٢] ، والحُرقوص[٣] ، والضّمجُ[٤] ، والعنكبوت ، والخُنفساء ، والجُعَل ، والعُثّ ، والحُفّاث[٥] ، والدّحّاس[٦] والظّرِبان ، والذِّئب ، والثّعلب ، والنمر ، والفَهْد ، والضّبع ، والأسد — فسنقول[٧] فى ذلك إذا صرنا إلى ذكر هذه الأبواب ، وقبل ذلك عند ذِكر الحشرات[٨] . فأما الضّبُّ والورَلُ ، والعقرب ، والجُعَل ، والخنفساء ، والسِّمْع — فقد ذكرنا ذلك[٩] فى أوّل الكتاب . وأما قوله : « وهَزْلَى تسرب[١٠] » فالهزْلَى[١١] هى الحيات ، كما قال جَرير :

---

(١) جيأل ، معرفة بغير ألف ولام ، وقال كراع : هى الجيأل ؛ فأدخل الألف واللام : اسم للضبع . وفى الأصل : « حنبل » ولا وجه له . يجوس ، قال الأصمعى : تركت فلانا يجوس بنى فلان ويحوسهم ، أى يدوسهم ويطلب فيهم . هـ : « يحوس» ، محرفة .

(٢) فى الأصل : « والشبت » ، بتاء مثناة فى آخره ، تحريف .

(٣) الحرقوص ، بالضم : دويبة سوداء مثل البرغوث أو فوقه .

(٤) انظر الضمج ما سبق فى ص ٢٢ . وفى س : « والصمخ » ، وفى ط ، هـ : « وذر الصمخ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) الحفاث ، بضم الحاء المهملة وتشديد الفاء ، حية سبق الكلام عليها فى (٤ : ١٨٤ / ٦ : ٢٠) . ط : « الجفات » س : « الخفات » هـ : « الخفاش » صوابها ما أثبت .

(٦) الدحاس ، ويسميها ابن سيده « الدحاسة » : دودة تحت التراب صفراء صافية . لها رأس مشعب ، دقيقة ، تشدها الصبيان فى الفخاخ لصيد العصافير .

(٧) ط : « وسنقول » محرفة . س : « فنقول » وأثبت ما فى هـ .

(٨) ط ، هـ : « عند ذى الحشرات » ولعل الصواب ما أثبت . وفى س : « عند الحشرات » .

(٩) ط ، هـ : « فقد ذكرناها » .

(١٠) ط ، س : « وهزل تشرب » هـ : « وهزل تشرب » ، صوابهما ما أثبت .

(١١) جاءت على هذا الصواب فى ط فقط . وفى س ، هـ : « فالهزل » .

* مَزَاحف هَزْلَى بينها متباعدُ[١] * ٨١

وكما قال الآخر[٢] :

كأنَّ مَزَاحِفَ الهَزْلى عليها   خدودُ رصائعٍ جُدِلَتْ تُوَّامَا[٣]

وأما قوله :

* ولم أرَ آوَى حيثُ أسمع ذِكرَه *

فإنّ ابنَ آوى لا ينزِلُ القفار ، وإنّما يكونُ حيث يكونُ الريف .

وينبغى أن يكون حيث قال هذا الشّعر توهَّم أنّه ببياض نجد .

وأمَّا قوله :

* ولا الدبَّ إنَّ الدبَّ لا يتنسَّبُ *

فإنّ الدبَّ عندهم عجمىٌّ ، والعجمىُّ لا يقيم نسبَه .

(مُلح ونوادر)

ورَوَوْا فى المُلَح أنَّ فتًى قال لجارية له ، أو لصديقة له : ليس فى الأرض أحسنُ منّى : ولا أملحُ منّى . فصار عندها كذلك[٤] ، فبينا هو عِندها على

---

(١) صدره كما سبق فى (٤ : ١٧٦) :

ومن ذات أصفاء سهوب كأنها

والبيت لم يرد فى ديوان جرير . والذى فى الجزء الرابع : « قال جرير أو غيره » وقد ورد البيت بدون نسبة فى اللسان (١٩ ، ٢٠٦) وأوله : « ومن ذات أصواء » . والأصواء : الأحجار تجعل علامة فى الطريق .

(٢) هو ثمامة الكلبى ، كما سبق فى (٤ : ١٧٥) .

(٣) هـ : « الهذل » و « حدود » محرفتان . و « رصائع » هى فى ط ، س : « رواضع » وفى هـ : « رضايع » صوابه ما أثبت . وفى الأصل أيضا : « خذلت » ، وإنما هى من الجدل ، كما سبق فى (٤ : ١٧٥) .

(٤) هذه الجملة ساقطة من س . وهى فى ط ، هـ : « فصارت عنده كذلك » والوجه ما أثبت .

هذه الصّفة إذْ قرع عليها البابَ إنسانٌ يريدُه ، فاطَّلعت عليه من خَرق الباب ، فرأت فتًى أحسنَ النّاس وأملحَهم ، وأنبلَهم وأتمّهم ، فلمَّا عاد صاحبُها إلى المنزل قالت له : أوَ ما أخبرتنى أنَّكَ أملحُ الخلْقِ وأحسنُهم ؟ قال : بلى ! وكذلك أنا ! فقالت : فقد أرادك اليومَ فلانٌ ، ورأيتُه من خَرق الباب ، فرأيتُه أحسنَ منك وأملَح ! قال : لعَمْرى إنَّه لَحَسنٌ مَليح ، ولكنَّ له جنّيّة تصرعه فى كلِّ شهرٍ مرَّتين ! وهو يريدُ بذلك أن يسقطه من عينها — قالت : أوَ ما تصرعه فى الشّهر إلاَّ مرّتين ؟ ! أمَا والله لو أنِّى جنّيَّة لصرعْتُه فى اليوم ألفَين !

وهذا يدلُّ على أنّ صرْع الشّيطان للإنسان ليس هو عند العوامِّ إلاَّ على جهة ما يعرفون من الجماع .

ومن هذا الضَّرب من الحديث ما حدَّثنا به المازنىُّ ، قال : ابتاع فتًى صَلِفٌ بَذّاخ[1] جاريةً حسناء بديعةً ظريفة ، فلمّا وقع عليها قال لها مراراً : ويلكِ ، ما أوسَعَ حِرَك ! فلمّا أكثَرَ عليها قالت : أنت الفداءُ لمن كان يملؤُه !

فقد سمع هذا كما ترى من المكروه[2] مثلَ ما سمِع الأوّل .

وزعموا أنّ رجلاً نظرَ إلى امرأةٍ حسْناء ظريفةٍ ، فألَح عليها ، فقالت : ما تنظر ؟ قُرَّةَ عينِك ، وشىءُ غيرك !

---

(١) الصلف ، بفتح فكسر ، من الصلف ، وهو الغلو فى الظرف ، والزيادة على المقدار مع تكبر ، ومنه قولهم : « آفة الظرف الصلف » . وفى س : « صلت » ، تحريف . والبذاخ ، بفتح الباء وتشديد الذال المعجمة : المتطاول المتكبر الفخور . ط ، هـ : «مداخ» س : « بداخ » صوابهما ما أثبت .

(٢) س : « فقد سمع هذا من المكاره » .

وزعم أبو الحسن المدائنى[1] أن رجلاً تبع جاريةً لقوم ، فراوغَتْه فلم ينقطع عنها ، فحثّتْ فى المشى فلم ينقطع عنها ، فلمّا جازَتْ بمجلس قومٍ قالت : يا هؤلاء ، لى طريقٌ ولهذا طريق ، ومولاىَ[2] ينيكنى ؛ فسَلُوا هذا ما يريدُ منى ؟

وزَعَم أيضاً[3] أن سياراً البرقىّ قال : مرّت بنا جاريةٌ ، فرأينا فيها الـكِبْرَ والتجبُّر ، فقال بعضنا : ينبغى أن يكون مولى هذه الجارية ينيكها ! ٨٢
قالت : كما يكون !

فلم أسمع بكلمة عامّية أشنع ولا أدلّ على ما أرادت ، ولا أقصَر — من كلمتها هذه .

وقد قال جحشويهِ[4] فى شعر شبيهاً بهذا القول ، حيث يقول[5] :

تواعدُنى لتنـكِحنى ثلاثاً ولـكن يا مَشُوم بأىِّ أيْرِ

فلو خَطِبَتْ فى صفة أيرٍ[6] خُطبةٌ أطوَلُ من خطبة قيس بن خارجة بن سنان فى شأن الحمالة[7] — لما بلغ مبلغَ [قول[8]] جحشويه : « ولـكن يا مَشُوم بأىِّ أير » ، وقول الخادم : « كما يكون » .

---

(١) فى الأصل : « أبو الحسين » تحريف .
(٢) ط فقط : « ومولى » .
(٣) ليست فى س وبدلها فى ط ، هـ : « لنا » .
(٤) ط فقط : « قالت » وفى ط ، هـ : « جحشوية » محرفتان .
(٥) كلمة : « حيث » ساقطة من هـ . وفى ط ، هـ : « تقول » محرفة .
(٦) س : « فلو خطب » . وفى الأصل أيضا : « فى صفة أيره » . وهذه محرفة .
(٧) الحمالة ، بالفتح : الدية والغرامة يحملها قوم عن قوم . ويعنى بها الجاحظ حمالة داحس والغبراء ، قال فى البيان (١ : ١١٦) : « فخطب يوما إلى الليل فما أعاد كلمة ولا معنى » . وقد نوه الجاحظ مرة أخرى بخطابة قيس بن خارجة ، وذكر أن له خطبة تسمى العذراء . انظر البيان (١ : ٣٤٨) .
(٨) تـكملة يفتقر إليها الـكلام .

وزعموا أن فتًى جلس إلى أعرابيّة ، وعلمت أنّه إنما جلس لينظر إلى محاسن ابنتها ، فضربت بيدها على جنبها[1] ، ثم قالت :

عَلَنْداة يئِطُّ الأيرُ فيها أطِيطَ الغَرْزِ فى الرَّحْل الجديدِ[2]

ثم أقبلت على الفتى فقالت :

ومالَكَ منها غيرَ أنَّكَ ناكحٌ بعينَيكَ عَينيها فهل ذاكَ نافعُ[3]

ودخل قاسم[4] منزل الخوارزمى النخّاس[5] ، فرأى عنده جارية كأنها جانّ ، وكأنها خُوط بانٍ[6] ، وكأنّها جَدْل عِنان[7] ، وكأنها الياسمين ؛ نَعْمةً وبياضاً ؛ فقال لها : أشتريك ياجارية ؟ فقالت : « افتحْ كِيسَك تسرَّ نفسَك » ! ودخلت الجارية منزل النخّاس ، فاشتراها وهى لا تعلم ، ومضى إلى المنزل ، ودفعها الخوارزمىُّ إلى غُلامه ، فلم تشعر الجارية إلا وهى معه فى جَوف بيت ، فلما نظرتْ إليه وعرفتْ ما وقعَتْ فيه قالت له : ويلَكَ ! إنك والله لن تَصِل إلىَّ إلا بعد أن أموت ! فإن كنت تجسُرُ على نَيك من قد أدرجوه فى الأكفان فدونَك ! واللهِ إن زلتُ مُنذ رأيتك ، ودخلتُ إلى الجوارى ، أصف [لهنّ] قبحك وبليَّةَ امرأتِك بك ! فأقبل عليها يكلِّمها بكلام المتكلمين ، فلم تقبل منه ، فقال[8] : فلم

(١) س : « إلى جنبها » .
(٢) علنداة : عظيمة طويلة . يئط : يصوت . و« الغرز » بالفتح ، هو للناقة مثل الحزام للفرس . ﻫ : « الفرز» محرف . ط : « فى الرخل » س : « فى الرجل » ﻫ : « فى المرحل » صوابهما ما أثبت .
(٣) انظر روايته فى العقد (٦ . ٤١٤) .
(٤) لعله يعنى به قاسما التمار .
(٥) ﻫ : « النحاس » محرف .
(٦) الخوط ، بالضم : الغصن الناعم .
(٧) يعنى ما جدل من العنان ، سماه بالمصدر . س : « حذل عنان » ﻫ : « جذل عناق » صوابهما فى ط . وانظر مفاخرة الجوارى والغلمان من رسائل الجاحظ .
(٨) العبارة بعد كلمة : « المتكلمين » إلى هنا ساقطة من ﻫ .

قلتِ لِي : « افتحْ كيسَك تسرّ نفسَك » ؟ وقد فتحت كيسى[١] فدَعِينى أسُرُّ نفسى ! وهو يكلِّمها وعينُ الجاريةِ إلى الباب ، ونفسُها فى توهُّم الطَّريق إلى منزل النخّاس[٢] . فلم يشعر قاسمٌ حتّى وثبَتْ وثبةً إلى الباب كأنّها غزال[٣] ، ولم يشعر الخوارزمىّ[٤] إلاّ والجارية بين يدَيه مَغشىٌّ عليها[٥] . فكرَّ قاسمٌ إليه راجعاً وقال : ادفعْها إلىَّ أشفِ نفسى منها . فطلبوا إليه ، فصفَح عنها ، واشتراها فى ذلك المجلسِ غلامٌ أملحُ منها ، فقامت إليه فقبَّلت فاه ، وقاسمٌ ينظُر ، والقومُ يتعجَّبون ممّا تهيأ له[٦] وتهيَّأ لها !

وأما عيسى بن مروان[٧] كاتب أبى مروان عبد الملك بن أبى حمزة فإنّه كان شديدَ التغزُّل والتّصندل[٨] ، حتى شرب لذلك النبيذَ وتَظرَّف[٩] ٨٣
بتقطيع ثيابه[١٠] وتغنَّى أصواتاً ، وحفظ أحاديثَ من أحاديث العُشّاق [و[١١]] من الأحاديث التى تشتهيها النساء وتفهمُ معانِيهاَ . وكان أقبحَ خَلْق الله تعالى أنفاً ، حتَّى كان أقبحَ من الأخنَس ، ومن الأفطس ، والأَجدع ، فإمّا أن يكون صادَقَ ظريفةً ، وإما أنْ يكونَ تزوَّجها ، فلما خَلاَ[١٢] معها

---

(١) ط ، هـ : « ففتحت كيسى » .
(٢) هـ : « النحاس » ، محرف .
(٣) ط ، هـ : « كالغزال » .
(٤) س : « النحاس » .
(٥) هـ : « مغشية عليها » محرف .
(٦) فى الأصل : « مما تهيأ عليه لها » .
(٧) س : « على بن مروان » .
(٨) فى القاموس : « تصندل : تغزل مع النساء » . وفى الأصل : « بالتصندل » محرف .
(٩) تظرف : تكلف الظرف . وفى الأصل : « ظرف » .
(١٠) انظر الاستدراكات .
(١١) هذه من س .
(١٢) ط ، هـ : « فلما جاء » .

فى بيتٍ وأرادها على ما يريد الرَّجُل من المرأة ، امتنعت[١] ، فوهب لها ، ومنَّاها ، وأظهر تعشقها ، وأرَاغَها بكلِّ حيلة[٢] . فلما لم تُجب قال لها : خبِّرينى ، ما الذى يمنعُك ؟ قالت : قبح أنفِك وهو يَستقبِلُ عينى [وقتَ الحاجة[٣]] ، فلو كان أنفُك فى قفَاكَ لكان أهونَ علىَّ ! قال لها : جُعِلْت فِداك ! الذى بأنفى ليسَ هو خِلقةً وإنّما هو ضربةٌ ضُربتُها فى سبيل الله تعالى . فقالت وَاستغربَتْ ضحِكًا : أنا ما أبالى ، فى سبيل الله كانَتْ أو فى سبيل الشَّيطان[٤] . إنَّما بِىَ قبحُه[٥] . فخذْ ثوابَك على هذه الضَّربة من الله[٦] . أمَّا أنا فلا[٧] .

(باب الجِدِّ من أمْرِ الجِنّ)

ليس هذا ، حفِظك الله تعالى ، من الباب الذى كُنَّا فيه ، ولكنّه كان مُستراحاً وجِماما . وسنقول فى باب مِن ذكر الجنّ ، لتنتفع فى دِينك أشد الانتفاع . وهو جِدٌّ كلُّه .

والكلام الأوّل وما يتلوه من ذكر الحشرات ، ليس فيه جِدٌّ إلاّ وفيه خَلْطٌ من هزْل ، وليس فيه كلامٌ صحيح إلاّ وإلى جنبه خرافة ، لأن هذا الباب هكذا يقع .

وقد طَعن قومٌ فى استراق الشَّياطينِ السمعَ بوجوهٍ من الطَّعن ، فإذْ

---

(١) ط ، ﻫ : « فامتنعت » .
(٢) أراغها ، أرادها وطلبها . وفى الأصل : « أراعها » بالمهملة ، تحريف.
(٣) هذه التكملة من س .
(٤) س : « أم فى سبيل الشيطان » .
(٥) ﻫ : « فى قبحة » ط : « هو قبحة » صوابهما فى س .
(٦) ط ، ﻫ : « من الله تعالى » .
(٧) بدل هذه العبارة فى ﻫ : «إنما يجمل بك الموت ».

قد جرى لها من الذّكر فى باب الهزْل ما قد جرى ، فالواجبُ علينا أن نقوله فى باب الجدّ ، وفيما يرد على أهل الدِّين بجملة[١] ، وإن كان هذا الكتابُ لم يُقصَد به[٢] إلى هذا الباب حيثُ ابتَدئ . وإن نحنُ استقصيناه كنّا قد خرجْنا من حدِّ القول فى الحيوان . ولكنّا نقول بجملةٍ كافية . والله تعالى المعين على ذلك .

(ردٌّ على المحتجّين لإنكار استراق السمع بالقرآن)

قال قوم : قد علمنا أن الشياطينَ ألطَفُ لطافةً ، وأقلُّ آفَةً ، وأحدُّ أذهاناً ، وأقلُّ فُضولاً ، وأخفُّ أبداناً ، وأكثرُ معرفةً ، وأدَقُّ فِطنةً منّا . والدّليلُ على ذلك إجماعُهم على أنّه ليس فى الأرض بِدعةٌ بديعةٌ ، دقيقةٌ ولا جليلة ، ولا فى الأرض مَعصِيةٌ من طريق الهوى والشّهوة ، خفيّةً كانت أو ظاهرة ، إلاّ والشَّيطانُ هو الدَّاعِى لها ، والمزيِّنُ لها ، والذى
٨٤ يفتحُ بابَ كلِّ بلاء ، ويَنصِب كلَّ حِبالةٍ وخدعة[٣] . ولم تَكن لتَعرِف[٤] أصناف جميع الشروز[٥] والمعاصى حتى تَعرف[٦] جميعَ أصناف الخير والطّاعات .

ونحن قد نجدُ الرَّجلَ إذا كان معه عقْل ، ثمّ علِم أنّه إذا نقب حائطاً قُطِعتْ يدُه ، أو أسمع إنساناً كلاماً قطِع لسانه ، أو يكونُ متى رام

(١) فى الأصل : « بجملة » .
(٢) س : « تقصر » .
(٣) ط : « حبالة خدعة » .
(٤) ط ، هـ : « ولم يكن ليعرف » .
(٥) هـ : « الشرز » محرفة . ط : « الشر » وأثبت ما فى س .
(٦) ط ، س : « يعرف » .

ذلك حِيلَ دونَه ودونَ ما رام مِنْهُ[١] ــ أنّه لا يتكلّف ذلك ولا يرُومه ، ولا يحاولُ أمرًا قد أيقَنَ أنهُ لا يبلغهُ .

وأنتم تزعمون أنّ الشّياطين الذين هم على هذه الصِّفة كلّما صعِد منهم شيطانٌ ليسترِقَ السّمعَ قُذِف بشِهابِ نار ، وليس له خواطئ ، فإمّا أن يكون يصيبه ، وإمّا أنْ يكون نذيراً صادقاً أو وعيداً إنْ يقدمْ عليه رُمى به . وهذه الرُّجوم[٢] لا تكون إلا لهذه الأمور . ومتى كانت فقد ظهر للشّيطان إحراق المستَمِع والمسترِق ، والموانع دون الوصول[٣] ثمَّ لا نرى الأوَّلَ ينهى الثّانىَ ، ولا الثّانىَ ينهى الثّالث ، ولا الثّالثَ ينهى الرّابع فى هذا الدّهر الطويل . فإن كان المحرَق المصابُ هو الذى يعود ، فهذا عَجَب[٤] . وإن كان الذى يعود غيرَه فكيف خفى عليه شأنهم ، وهو ظاهر مكشوف ؟ !

وعلى أنّهم لم يكونوا أعلَمَ منّا حتّى ميّزوا جميع المعاصى من جميع الطاعات . ولولا ذلك لدعوا إلى الطّاعة بحساب المعصية[٥] ، وزيّنوا لها الصَّلاح وهم يريدون الفساد[٦] . فإذا كانوا ليسوا كذلك[٧] فأدنى حالاتهم أن يكونوا قد عرفوا أخبار القرآن وصدقوها[٨] ، وأنّ الله تعالى محقِّق ما أوعَدَ

---

(١) رام : طلب وأراد . هـ : « مادام عنه » س : « ما رام عنه »، صوابهما فى ط .

(٢) س : « الوجوه » .

(٣) ط ، هـ : « أو الموانع». وفى س ، هـ : « دون الأصول » وهذه محرفة .

(٤) س : « أعجب » .

(٥) ط ، هـ : « المعاصى » .

(٦) ط فقط : « العناد » . وفى س : « يرون » بدل: « يريدون » .

(٧) فى الأصل : « ليس كذلك » .

(٨) ط ، هـ : « وصدقوا » .

كما يُنجز ما وعد . وقد قال الله عز وجل : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وجَعَلْنَاهَا رُجُوماً للشَّيَاطِينِ [١] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ . وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ [٢] ﴾ وقال تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ [٣] ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ [٤] ﴾ مع قولِ الجنّ : ﴿ أَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا [٥] ﴾ ، وقولهم [٦] : ﴿ أَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيدًا وَشُهُبًا . وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا [٧] ﴾ . فكيف يسترق السَّمع الذين شاهدوا الحالَتين جميعاً ، وأظهروا اليقين بصحَّة الخبر بأنَّ للمستمع بعد ذلك القذفَ بالشُّهب ، والإحراقَ بالنار ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ [٨] ﴾ وقوله تعالى : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ٨٥

(١) الآية ٥ من سورة الملك .

(٢) الآيتان ١٦ ، ١٧ من سورة الحجر .

(٣) الآيتان ٦ ، ٨ من سورة الصافات .

(٤) الآيات ٢٢١ — ٢٢٣ من سورة الشعراء .

(٥) الآية ١٠ من سورة الجن . ولفظ الآية : (وأنا لا ندرى أشر . . .) الخ ، ولكنهم يصنعون مثل هذا فى الاقتباس من القرآن . انظر الحاشية رقم ٣ صفحة ٥٧ من رابع الحيوان .

(٦) المراد حكاية قولهم . وفى س ، ه : « وقوله » .

(٧) الآيتان ٨ ، ٩ من سورة الجن . ولفظ الأولى : (وأنا لمسنا السماء . . .) الخ وانظر الحاشية الخامسة .

(٨) الآية ٢١٢ من سورة الشعراء .

دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ[1] ﴾ فى آيٍ غيرِ هذا كثير . فكيف يعُودُون إلى استراق السَّمع ، مع تيقنهم بأنَّه قد حُصِّن بالشهب[2] . ولو لم يكونوا مُوقِنِين من جهةِ حقائق الكِتاب ، ولا من جهةِ أنَّهم بَعْدَ قعودِهم مقاعدَ السَّمْع[3] لَمسُوا السَّماء فوَجَدوا الأمرَ قد تغيَّر ــ لكانَ فى طول التَّجْرِبة والعِيان الظَّاهِر ، [و[4]] فى إخبار بعضِهم لبعض ، ما يكونُ حائلاً دُونَ الطَّمَع ، وقاطعاً دون التماس الصُّعود .

وبعد فأيُّ [عاقل يُسرُّ بأنْ يسمع خبراً وتُقطعَ يدهُ فضْلاً عن أن تحرِقه النَّار ؟ ! وبعد فأيُّ[5]] خبر فى ذلك اليوم ؟ ! وهل يصِلُون إلى النَّاس حتَّى يجعلوا ذلك الخبرَ سبباً إلى صرْف الدَّعوَى ؟ قيل لهم : فإنّا نقول بالصَّرْفة فى عامَّة هذه الأصول ، وفى هذه الأبواب ، كنحو ما أُلقى على قلوب بنى إسرائيل وهُم يجُولون فى التِّيهِ ، وهم فى العدد و [فى[6]] كثْرة الأدِلاَّء والتجّار وأصحاب الأسفار ، والحمّارين[7] والُمكارينَ ، من الكـثْرَة على ما قد سمعتُم به وعرَفْتُموه ؛ وهم مع هذا يمشُون حتَّى يُصبِحوا ، مع شِدّة الاجتهاد فى الدَّهر الطَّويل ، ومع قُرْب ما بينَ طرَفى التِّيه . وقد كان طريقاً مسلوكا . وإنّما سمَّوه التِّيه حين تاهوا فيه ؛ لأنَّ الله تعالى حينَ أرادَ أن يمتحِنَهم ويبتلِيهم[8] صرَف أوهامَهم

---

(١) الآيات ٧ ــ ٩ من الصافات . س : « وحفظناها » محرف .

(٢) هـ ، س : « مع يقينهم بأنه قد خص بالشهب » .

(٣) ط ، س : « للسمع » .

(٤) ليست فى الأصل .

(٥) الكلام من مبدإ : « عاقل » إلى هنا ساقط من س .

(٦) هذه من س .

(٧) سبق فى (٤ : ٨٧) : « الجمالين » . وفى س : « الحمالين » بالحاء المهملة ، محرفة

(٨) س : « أن يبتليهم ويمتحنهم » .

ومثل ذلك صنيعُه فى أوهام الأُمة التى كان سُليمان مَلِكَها ونبيَّها ، مع تسخير الريح[١] والأعاجيبِ التى أُعطِيَها . وليس بينهم وبين مِلكهم ومملكتهم وبين مُلك سَبأ ومملكةِ بِلقِيس مَلِكتهم بحار لا تُركب ، وجبالٌ لا تُرام . ولم يتسامَعْ أهل المملكتَين ولا كان فى ذِكرهم مكانَ هذه المِلكة .

وقد قلنا فى باب القول فى الهدهُد ما قلنا[٢] ، حين ذكرنا الصَّرْفة ، وذكرنا حالَ يعقوبَ ويوسف وحالَ سليمانَ وهو معتمِدٌ على عصاه ، وهو مَيِّتٌ والجنُّ مُطِيفةٌ به وهم لا يشعُرون بموته ، وذكرنا من صَرْف أوهامِ العرَب عن مُحاولةِ معارضةِ القرآن ، ولم يأتوا به مضطرِباً ولا مُلَفَّقا[٣] ولا مُستكرَها ؛ إذا كان فى ذلك لأهْل الشَّغب متعلّق ، مع غير ذلك ، ممّا يُخالَف فيه طريقُ الدُّهريّة ؛ لأنّ الدّهرىّ لا يُقر إلاّ بالمحسوسات والعادات ، على خلاف هذا المذهب .

ولعمرى ما يستطيعُ الدّهرىّ[٤] أن يقولَ بهذا القول ويحتجَّ[٥] بهذه الحجّة ، ما دام لا يقول بالتّوحيد ، وما دام لا يعرف إلا الفَلَك وعمَلَه ، وما دام يرى أن إرسال الرسُل يستحيل ، وأن الأَمر والنَّهى ، والثوابَ

(١) ط ، هـ : « الرياح » .

(٢) انظر الجزء الرابع ص ٧٧ — ٩٣ . ويوهم قوله أنه أجرى حديثا لذلك فى باب الهدهد من الجزء الثالث ص ٥١٠ — ٥١٩ » . والحق أنه ذكره عرضا فى الموضع الذى أشرت إليه .

(٣) فى الأصل : « ولا متفقا » .

(٤) ط ، هـ : « لايستطيع الدهرى » .

(٥) ط ، هـ : « ويجتمع » محرف .

والعقاب على غير ما نقول[١] ، وأنّ الله تعالى لا يجوزَ أن يأمر من جهة
٨٦ الاختبار إلا من جهة الحزْم[٢] .

وكذلك نقول ونزعم[٣] أن أوهامَ هذه العفاريت تُصرف عن الذكر لتقع المِحْنة ، وكذلك نقول[٤] فى النبى صلى الله عليه وسلم أنْ لو كانَ فى جميع تلك الهزاهز[٥] مَنْ يذكر قوله تعالى : ﴿ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ لسَقَطَ عنه من المِحنة أغلظها . وإذا سقطَت المحنة لم تكن الطاعة والمعصية . وكذلك عظيم الطاعة مقرونٌ بعظيم الثّواب[٦] .

وما يصنع الدهرى وغير الدّهرى بهذه المسألة وبهذا التسطير[٧] ؟ .

ونحن نقول : لو كان إبليس[٨] يذكر فى كلّ حال قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ وعلم فى كلّ حالٍ أنه لا يُسْلِمُ [لوَجَبَ[٩]] أن المحنة كانت تسقط عنه[٩] ، لأن من عِلم يقيناً أنّه لا يمضى غدا إلى السوق ولا يقبض دراهمَه من فلان ، لم يطمَعْ فيه . ومن لم يطمَعْ فى الشيء انقطعت عنه أسباب الدواعى إليه . ومن كان كذلك فمُحالٌ أن يأتىَ السُّوق .

---

(١) س : « تقول » بالتاء .

(٢) ط ، س : « الحزر » .

(٣) س ، هـ : « تقول وتزعم » محرف .

(٤) س ، هـ : « تقول » محرف .

(٥) الهزاهز : الفتن يهتز فيها الناس . وفى الأصل : « الهزأهزية » محرفة .

(٦) س : « وعظيم الطاعة مقرون بعظم الثواب » .

(٧) التسطير : زخرفة الأقاويل وتنميقها ، وأن يأتى بأساطير وأحاديث تشبه الباطل .

(٨) س : « إن إبليس لو كان » .

(٩) بمثل هذه الكلمة تلتئم العبارة . وانظر ما مر قريبا س ٦ من هذه الصفحة وكذا (٤ : ٨٨ س ١ - ٤) .

فنقول فى إبليس: إنه يَنْسى ؛ليكون مُختَبراً [ممتَحناً[١]]. فليعلموا أن قولنا فى مسترِقِ السَّمع كقولنا فى إبليس ، وفى جميع هذه الأمور التى أوْجَبَ علينا الدِّينُ أن نقولَ فيها بهذا القول .

وليس له أن يدفَع هذا القولَ على أصل ديننا . فإن أحبَّ أن يسأل عن الدين[٢] الذى أوجب هذا القول علينا فليفعَلْ . والله تعالى المعين والموفِّق .

وأما قولهم : « مَنْ يُخاطر بذَهابِ نَفْسِهِ لخبر يستفيده » ، فقد علِمْنا أن أصحابَ الرِّياساتِ وإن كان متبيَّنا كيف كان اعتراضهم[٣] على أنّ أيسر ما يحتملون فى جَنْب تلك الرِّياسات القتل .

ولعلّ بعض الشَّياطين أن يكون معه من النَّفْخ[٤] وحُب الرِّياسة ما يهوِّن عليه أن يبلغ دُوَين المواضع[٥] التى إن دنا منها أصابه الرَّجْم ، والرَّجمُ إنما ضمن أنه مانع من الوصول ؛ ويعلم أنه إذا كان شهاباً أنه يُحرقه ولم يضمن أنه يتلف عنه . فما أكثر مَن تخترقه الرِّماح فى الحرب ثم يعاودُ ذلك المكان ورزقه ثمانون دِينارًا ولا يأخذ إلا نصفه ، وَلا يأخذه إلا قمحاً . فلولا أن مع قَدَم هذا الجنديِّ ضروباً ممـا يهزُّه وينجِّده[٦] ويدعو إليه ويُغْريه ـ ما كان يعود إلى موضعٍ قد قُطعت فيه إحدى يديه ، أو فقئت إحدى عينَيه .

---

(١) هذه من س .

(٢) ه : « على الدين » .

(٣) كذا وردت هذه العبارة .

(٤) النفخ ، بالفتح : الكبر ، قال صاحب اللسان : « لأن المتكبر يتعاظم ويجمع نفسه ونفسه فيحتاج أن ينفخ » . ه : «القمح» محرفة .

(٥) س : « ما يهون معه أن يبلغ دون المواضع » .

(٦) ينجده ، أى يجعله ذا نجدة . والنجدة : الشجاعة .

ولِمَ وقع عليه إذاً اسمُ شيطان ، ومارِدٍ ، وعفريتٍ ، وأشباه ذلك ؟!
ولِمَ صار الإنسان يُسمَّى بهذه الأسماء ، ويوصَف بهذه الصِّفات إذا كان فيه الجزء الواحد من كلٍّ ما هُمْ عليه ؟ !

وقالوا فى باب آخر من الطّعن غير هذا ، قالوا فى قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَصَدًا ﴾ فقالوا : قد دلَّ هذا الكلام على أن الأخبار هناك كانت مُضَيَّعةً[1] حتّى
٨٧ حُصِّنت بعد . فقد وصفْتُم الله تعالى بالتَّضييع والاستِدْراك !

قلنا : ليس فى هذا الكلام دليلٌ على أنهم سمَعوا سِرًّا قط[2] أوْ هجموا على خبر إن أشاعوه فسد به شيءٌ من الدِّين[3] . وللملائكةِ فى السَّماء تسبيحٌ وتهليلٌ وتكبيرٌ وتلاوة ، فكان لا يبلغُ الموضعَ الذى يُسمَع ذلك منه إلا عفاريتُهم .

وقد يستقيم أن يكون العفريتُ يكذب ويقولُ : سمعت ما لم يَسْمع[4] .
ومتى لم يكن على قوله برهانٌ يدلُّ على صِدقه فإنما هو فى كذبه من جنس كلِّ متنبيءٍ وكاهن . فإن صدَّقه مصدِّقٌ بلا حُجَّة فليس ذلك بحجّةٍ على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم .

(المحتجون بالشعر لرجم الشياطين قبل الإسلام)

وذهب بعضهم فى الطّعن إلى غير هذه الُحجّة ، قالوا : زعمتم[5] أن

(١) س : « كانت هناك مضيعة » .
(٢) ط ، هـ : « دليل أنهم سمعوا سرا قط » س : « دليل على أنهم سمعوا شرا قط » صوابهما ما أثبت .
(٣) ط : « فسد به من شيء الدين » ، والصواب فى س ، هـ .
(٤) أى أن يدعى سماع ما لم يسمعه . وفى الأصل : « ما لم أسمع » .
(٥) ط ، هـ : « وزعمتم » .

الله تعالى جعل هذه الرَّجومَ للخوافى حُجّة للنبى صلى الله عليه وسلم ، فكيف يكون ذلك رَجْماً ، وقد كان قبل الإسلام ظاهراً مرْئيًّا ، وذلك موجودٌ فى الأشعار . وقد قال [بشر (1)] بن أبى خازم فى ذلك (2) :

فجاءها من أقرب الرِّىِّ غُدوة وَلَمَّا يسكِّنْهُ من الأرْضِ مَرْتعُ (3)

بأكْلِبةٍ زُرْقٍ ضَوارٍ كأنّها خَطاطِيفُ من طول الشّريعة تلمعُ (4)

فجال على نَفْر كما انقضَّ كوكبٌ وقدحَالَ دُونالنّقْعِ والنّقْعُ يَسْطَعُ (5)

فوصف شَوْط الثّور هارباً من الكِلاب بانقضاض الكَوكبِ فى سُرعته وحُسْنه ، وبريق جلده . ولذلك قال الطِّرِمّاح :

يَبْدُو وتُضْمِرُه البلادَ كأنّهُ سيفٌ عَلَى شَرَفٍ يُسَلُّ ويُغْمَدُ (6)

وأنشد أيضاً قولَ بِشْر بن أبى خازِم :

وتشُجُّ بالعِير الفَلاة كأنّهَا فَتْخَاءُ كاسِرةٌ هَوَتْ من مَرْقَبِ (7)

والعَـير يُرْهِقُها الخَبَارَ وجَحْشُها

ينقضُّ خَلْفَهُما انْقِضاضَ الكَوْكب (8)

(1) هذه من س . وقد تقدمت ترجمة بشر فى (٤ : ٤٠٥) .
(2) هذه الكلمة وسابقتها ساقطتان من س .
(3) جأجأها وجأجأ بها : دعاها إلى الشرب ، قال لها : جئْ جئْ . يسكنه ، فى اللسان « يقال مرعى مسكن إذا كان كثيرا لايحوج إلى الظعن ، كذلك مرعى مربع ومنزل » . وضبطت هذه الكلمات الثلاث ، بضم أولها وكسر ثالثها مع التخفيف . فلعل مأخذها واحد .
(4) لم أجد هذا الجمع فى جموع الكلاب التى نصت عليها المعاجم . وزرق ، أراد بها زرق العيون . والخطاطيف : جمع خطاف ، بالضم ، وهو كل حديدة حجناء .
(5) النفر والنفار : الشرود . والنقع ، بالفتح : الغبار الساطع . سطع : انتشر وتفرق .
(6) انظر الكلام على هذا البيت فى (٣ : ٤٦٥) . س : « شرق يسيل » ، محرف .
(7) ط ، هـ : « وتشيخ » س : و« تشبح » ، صوابهما من ديوان بشر ص ٣٦ .
(8) الخبار ، كسحاب : أرض لينة رخوة تسوخ فيها القوائم . وفى الأصل : « يرهقها الحمار » صوابه من الديوان .

قالوا : وقال الضّبّى :

يَنَالُهـا مهتك أشْجارها ... بذى غُرُوب فيه تحريبُ[١]
كأنّهُ حِينَ نَحَا كوكبٌ ... أو قَبَسٌ بالكَفِّ مشبوبُ[٢]

وقال أوس بن حَجَر :

فانقَضَّ كالدُّرِّىِّ يَتْبَعُهُ ... نَقْع يثُورُ تخالُه طُنُبَا[٣]
٨٨ يَخْفَى وأحياناً يلوحُ كما ... رَفَعَ المشـيرُ بكفِّهِ لهبَا

ورووا قوله :

فانقضَّ كالدّرّى من مُتَحدِّر ... لَمْعَ العقيقةِ جُنْحَ لَيلٍ مُظْلِمِ[٤]

وقال عَوْف بن الَخرِع[٥] :

---

(١) مهتك ، كذا وردت فى الأصل . والأشجار : جمع شجر ، بالفتح ، وهو مفرج الفم ، أوما انفتح من مطبق الفم . وغروب الأسنان : مناقع ريقها ، وقيل أطرافها وحدتها وماؤها . والتحريب : التحديد ، يقال سنان محرب مذرب إذا كان محددا مؤللا . ه : « نباالها » و : « بذى عزوب » .

(٢) نحا : قصد . ط ، ه : « لحا » ، صوابها ما أثبت من س ، وليس بين البيتين ارتباط . وهكذا يصنع الجاحظ حينا : أن يختار من القصيدة ما لا يرتبط بعضه ببعض .

(٣) الدرى : الكوكب الثاقب المضىء . يقال بضم الدال وكسرها . وفى الكتاب : (كأنها كوكب درى) . والبيت فى صفة ثور وحشى . ورواه صاحب اللسان (١ : ٦٧) : « كالدرىء » بكسر الدال وآخره همزة ، وهو الكوكب المنقض يدرأ على الشيطان . والنقع ، بالفتح : الغبار . وروى فى اللسان : « يثوب » بالباء ، يقال ثاب الماء : إذا اجتمع فى الحوض . وفى اللسان أيضا : « وقوله تخاله طنبا يريد تخاله فسطاطا مضروبا » .

(٤) العقيقة : البرق إذا رأيته وسط السحاب كأنه سيف مسلول .

(٥) الخرع ، ككتف ، جده لا أبوه . وقد جرى الجاحظ على هذه التسمية أيضا فى (٣ : ٣٤٦) حيث ترجمة عوف بن عطية بن الخرع . ط ، س : « الجذع » ه : « الجزع » محرفتان .

يردُّ علينا العَيْرَ من دون أَنْفه أو الثَّوْرَ كالدُّرّى يتْبَعُهُ الدَّم[١]

وقال الأفوه الأودى[٢] :

كشِهاب القَذْفِ يَرمِيكُمْ به فارسٌ فى كفِّه للحَرْبِ نارُ

وقال أُميَّةُ بن أَبى الصَّلْت :

وترى شَياطِيناً تَرُوغُ مُضَافَةً ورَوَاغُها شتَّى إذا ما تُطْرَدُ[٣]

يُلْقَى عليها فى السَّماءِ مَذلَّة وكواكبٌ ترمَى بها فتعرِّدُ[٤]

قلنا لهؤلاء القوم : إن قَدَرتم على شعرٍ جاهليٍّ لم يُدرِكْ مَبعث النبىّ صلى الله عليه وسلم ولا مَولِدَه فهو بعضُ ما يتعلَّق به مثلُكم ؛ وإن كان الجوابُ فى ذلك سيأتيكم إن شاء الله تعالى . فأما أشعار المخضْرمِين والإسلاميّين فليس لكم فى ذلك حُجَّة . والجاهلىُّ ما لم يكن أدرَكَ المولد ، فإنَّ ذلك ممَّا ليس ينبغى لكم أن تتعلَّقوا به . وبِشرُ بنُ أبى خازم فقد أدرك الفِجَار[٥] ،

---

(١) يصف فرسا ، يقول : إنه يصيد حمار الوحش وقد جدع أنفه ، والثور وقد خضبه بالدم . س : « من دون ألفه » محرف .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ١٦٨) . س : « الأزدى » محرف . والبيت من قصيدة أثبتها الشنقيطى فى نهاية نسخته من الديوان ، منقولة عن الحماسة البصرية . وقبل البيت :

إن يجل مهرى فيكم جولة فعليه الكر فيكم والفرار

(٣) تروغ : تحيد وتميل ، والاسم الرواغ بالفتح . والمضاف : الخائف الملجأ . شتى ، فى اللسان : « يقال وقعوا فى أمر شت وشتى » . وفى الأصل : « تروع مصاعبا » صوابه فى محاضرات الراغب (٢ : ٢٨) . وفى الديوان ص٢٤ : « تروغ مضاعة » من الإضاعة . وفى الأصل أيضا : « ورواعها » بالعين المهملة ، صوابها فى المحاضرات والديوان .

(٤) فى الديوان والمحاضرات : « تلقى » . وتعرد ، من التعريد ، وهو الإحجام والفرار . وفى الأصل : « فتقدد » . والتقديد : التقطيع . والوجه ما أثبت من الديوان والمحاضرات .

(٥) زيادة الفاء فى مثل هذا مذهب الأخفش . قال ابن هشام فى المغنى : « وأجاز الأخفش زيادتها فى الخبر مطلقا ، وحكى : أخوك فوجد » . والفجار ، بكسر الفاء : أيام وقائع كانت بين العرب ، تفاجروا فيها بعكاظ فاستحلوا الحرمات ، وكانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قيس عيلان فى الجاهلية . انظر اللسان والأغانى –

والنبى صلى الله عليه وسلم شهِد الفِجار ، وقال : شهدتُ الفجار ، فكنْتُ أنبل على عمومتى وأنا غلام[١] » .

والأعلام ضروب ، فمنها ما يكون كالبشارات فى الكتب[٢] ؛ لكون الصِّفة إذا وافقت الصِّفة التى لا يقع مثلُها اتفاقاً وعَرَضاً لزمتْ فيه الحجة . وضروبٌ أُخَرُ كالإرهاص للأمر ، والتأسيس له ، وكالتعبيد والترشيح[٣] ؛ فإنَّه قلَّ نبىٌّ إلّا وقد حدثت عند مولده ، أو قُبيلَ مولِده ، أو بعد مولده أشياءُ لم يكنْ يحدُث مثلُها . وعِند ذلك يقول الناس : إنّ هذا لِأَمرٍ ، وإنّ هذا لِيُراد به أمرٌ وقع ، أو سيكون لهذا نبأ . كما تراهم يقولون عند الذوائب[٤] التى تحدث لبعض الكواكب فى بعض الزمان[٥] . فمن الترشيح والتأسيس والتَّفخيم شأنُ عبد المطلب عند القُرعة[٦] ، وحين خروج

= (٩ : ١٢ / ١٩ : ٧٣ - ٨١) والعقد (٣ : ٣٦٨) والكامل ٣٨٥ والعمدة (٢ : ١٦٩) وأمثال الميدانى (٢ ، ٣٥١) والخزانة (٢ : ٥٠٤ بولاق) .

(١) يقال نبلته أنبله بضم العين ، وأنبلته ونبلته ، بالتشديد : إذا ناولته النبل ليرمى .

(٢) البشارة والبشارة بالكسر والضم : ما بشرت به ، وهما أيضا : ما يعطاه المبشر بالأمر. س : « بالبشارات » .

(٣) التعبيد : التمهيد والتذليل . ط : « وكالتعبير » س : « وكالتبعيد » صوابهما فى هـ . والترشيح : التهيئة للشىء ، ومنه فلان يرشح للوزارة ، أى يربى ويؤهل لها . هـ : « والتوشيح » محرف .

(٤) هى ما تعرف بالمذنبات . ويسميها القزوينى فى عجائب المخلوقات ٩٠ : « ذوات الأذناب » . وفيها يقول أبو تمام (ديوانه ص ٧) :

وخوفوا الناس من دهياء مظلمة　　إذا بدا الكوكب الغربى ذوالذنب

(٥) س : « فى بعض الأزمان » .

(٦) وذلك حين أشارت عليه الكاهنة أن يضرب بالقداح بين ولده عبد الله وبين عشر من الإبل ، فمازال يزيد فى الإبل عشرا وعشرا حتى استمرت القرعة على الإبل فافتدى بها ولده متحللا من نذره أن ينحر أحد بنيه العشرة . انظر السيرة ٩٧ - ١٠٠ .

الماء من تحت رُكْبةِ جملة[١] ، وما كان من شأن الفيل والطيرِ الأبابيل[٢] وغير ذلك ، ممـا إذا تقدم للرّجل زاد فى نبله وفى فَخامة أمره . والمتوقَّع أبدا معظّم .

فإن كانت هذه الشهب فى هذه الأيام أبداً مرئيّة فإنما كانت من التأسيس والإرهاص ، إلا أن يُنْشِدُونا مثل شعر الشعراء الذين لم يدركوا المولد ولا بعد ٨٩
ذلك[٣] ؛ فإنّ عددهم كثير ، وشعرهم معروف .

وقد قيل الشِّعر قبل الإسلام فى مقدار من الدهر أطولَ ممّا بيننا[٤] اليومَ وبين أوّل الإسلام ، وأولئـكم عندكم أشعَرُ ممّن كان بعدهم .

وكان أحدهم لا يدع عظماً منبوذاً بالياً ، ولا حجراً مطروحا ، ولا خُنفساء ولا جُعَلاً ، ولا دودة ، ولا حية ، إلا قال[٥] فيها ، فـكيف لم يتهيّأ من واحدٍ منهم أن يذكر الـكواكب المنقضّةَ مع حُسْنها وسُرعتها والأعجوبة فيها[٦] . وكيف أمسَـكُوا بأجمعهم عن ذكرها إلى الزَّمان الذى يحْتَجُّ[٧] فيه خصومُـكم .

وقد علمْنا أنّ النبى صلى الله عليه وسلم حين ذ كِر له يوم ذى قار قال : « هذا أوَّلُ يومٍ انتصفَتْ فيه العربُ [من العجم[٨]] ، وبى نُصروا » .

---

(١) الذى ذكره ابن هشام فى السيرة ٩٣ أن عبد المطلب تقدم إلى راحلته « فركبها ، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب » . وانظر القصة بتمامها فى باب (ذكر حفر زمزم) .

(٢) ط ، هـ : « والطير والأبابيل » والواو مقحمة .

(٣) س : « كما بعد ذلك » محرف .

(٤) فى الأصل : « ما بيننا » ، والوجه ما أثبت .

(٥) س ، هـ : « إلا قالوا » .

(٦) فى الأصل : « منها » .

(٧) ط ، هـ : « يجتمع » ، وأثبت ما فى س .

(٨) التكملة من س .

ولم يكن قال لهم قَبْل ذلك إنّ وقْعةً ستكون ، من صِفَتها كذا ، ومن شأنها كذا ، وتُنصرون على العجَم ، وبى تنصرون .

فإن كان بشرُ بنُ أبى خازمٍ وهؤلاء الذين ذكرتُم قد عايَنوا انقضاضَ الكواكب[1] فليس بمستنكَرٍ أنْ تكون كانت إرهاصاً لمن لم يُخبِر عنها ويحتجُّ بها لنفسه . فكيف وبشر بن أبى خازم[2] [حىٌّ[3]] فى أيّام الفِجار ، التى شهدها النبىُّ صلى الله عليه وسلم بنفسه ، وأنّ كنانةَ وقُريشاً بهِ نُصِرُوا .

وسنقول فى هذه الأشعار التى أنشدتموها ، ونخبِر عن مقاديرها وطبقاتها . فأما قوله[4] :

فانقضَّ كالدُّرِّىِّ من متحدِّرٍ لَمْعَ العقيقةِ جُنْحَ ليل مُظلِمِ[5]

فخبّرنى أبو إسحاق أن هذا البيت فى أبياتٍ أخر كان أسامة صاحب رَوْح ابن أبى هَمّام ، هو الذى كان ولّدها[6] . فإن اتّهمت خبرَ أبى إسحاق فسَمِّ الشّاعرَ ، وهات القصيدة ؛ فإنّه لا يُقبَل فى مثل هذا إلّا بيتٌ صحيح[7] صحيح الجوهرِ ، من قصيدةٍ صَحيحة ، لشاعر معروف . وإلّا فإن كلَّ من يقول الشِّعر يستطِيعُ أن يقول خمسين بيتاً كل بيت منها أجودُ من هذا البيت .

(١) ط ، هـ : « الكوكب » بالإفراد .
(٢) س ، هـ : « حازم » بالحاء المهملة ، تحريف .
(٣) التكملة من س .
(٤) س ، هـ : « وأما قوله » .
(٥) انظر البيت فى ص ٢٧٤ .
(٦) ط : « لأسامة » بدل : « كان أسامة » و : « وهو الذى » بدل : « هو الذى » .
(٧) فى الأصل : « إلا بيتا صحيحا » .

وأسامة هذا هو الذى قال له رَوْحٌ :

اِسقِنِى يا أُسامَهْ مِنْ رَحيق مُدامَهْ

اِسْقِنيها فإنِّى كافرٌ بالقيامَهْ[١]

وهذا الشعر هو الذى قتَله . وأمّا ما أنشدتم من قول أوس بن حجر :

فانقضَّ كالدُّرِّىّ يتبعه نَقْعٌ يثُور تخالُه طُنُبَا[٢]

وهذا الشِّعر ليس يَرويه لأوسٍ إلّا من لايَفْصِل بين شعر أوس بن حجر ، ٩٠
وشُرَيح بن أوس[٣] . وقد طعنَت الرُّواة فى هذا الشِّعر الذى أضفْتموه إلى بِشر بن أبى خازم[٤] ، من قوله :

والعــير يرهقها الحمار وجَحْشها

ينقَضُّ خلفهما انقضاضَ الـكوكب

فزعموا أنه ليس من عادَتهم أن يصِفوا عَدْو الحمار بانقضاض الـكوكب[٥] ، ولا بَدَن الحمار ببَدَن الـكوكب . وقالوا : فى شعر بشر مصنوعٌ كثير ، ممّا قد احتملتْه كثيرٌ من الرُّواة على أنّه من صحيح شعره . فمن ذلك قصيدتُه التى يقول فيها :

---

(١) البيتان من مجزو الخفيف ، عروضه وضربه مجزوان مقصوران مخبونان . وهــذا الوزن مما استدرك به بعضهم لهــذا البحر . أو تــكون عروض الأول إنما جاءت مقصورة مخبونة لمــا فيها من التصريع ، والتصريع يجيز أن تــكون العروض موافقة للضرب . س : « فإننى » فيكون هــذا البيت الثانى عروضه مجزوة صحيحة وضربها مجزو مخبون مقصور .

(٢) سبق شرح البيت فى ص ٢٧٣ . ط ، س : « تخله » ، صوابه فى ه .

(٣) شريح بن أوس ، أورد له الجاحظ فى (١ : ٢٦٨ ، ٣١٩) بيتا يهجو به أبا المهوش الأسدى الشاعر المخضرم .

(٤) س ، ه : « حازم » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٥) الـكلام بعد البيت إلى هنا ساقط من س .

فرجّى الخيرَ وانتظِرى إيابى إذا ما القارِظُ العَنَزِىُّ آبا(١)

وأما ما ذكرتم من شعر هذا الضّبّى، فإنَّ الضّبّى مخضرم :

وزعمتم أنّكم وجدتُم ذِكْر الشُّهب فى كتب القُدماء من الفلاسفة، وأنّه فى الآثار العُلْوِيّة لأرسطاطاليس، حين ذكر القول فى الشُّهب، مع القول فى الكواكب ذوات الذوائب(٢)، ومع القول فى القَوس، والطَّوق الذى يكون حول القَمَر بالليل. فإن كنتم بمثل هذا تَستعِينونَ، وإليه تفزعون، فإنّا نوجِدكم من كذب التَّراجمة وزياداتهم(٣) ومن فساد الكِتاب، من جهة تأويلِ الكلام، ومن جهة جهْل المترجِم بنقل لغةٍ إلى لغة، ومن جهة فَسادِ النَّسخ، ومن أنه قد تقادَمَ فاعترضَتْ دونه الدُّهورُ والأحقاب، فصار لا يؤمن عليه(٤) ضروبُ التّبديل والفساد. وهذا الكلام معروفٌ صحيح.

وأما ما رويتم من شعر الأفوه الأودىّ(٥) فلعمرى إنّه لجاهلىّ، وما وجدْنا أحداً من الرُّواة يشكُّ فى أن القصيدة مصنوعةٌ. وبعد فمِنْ أين علم الأفْوَاهُ أنّ الشهب التى يراها إنما هى قذْفٌ ورجْم، وهو جاهلىٌّ،

---

(١) يشير إلى القصيدة التى مطلعها :

أسائلة عميرة عن أبيها خلال الجيش تعترف الركابا

رواها ابن الشجرى فى مختارات شعراء العرب ص ٨١ .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٢٧٦ فى الحاشية الرابعة .

(٣) فى اللسان (٤ : ٤٥٨) : « وأوجده إياه : جعله يجده . عن اللحيانى » . وقد سبق فى (١ : ٢٤٣) قول حماد عجرد : « فليس يوجدنيه غير إضمارى » . وكلمة : « زياداتهم » ساقطة من هـ . وفى ط : « زيادتهم » بالإفراد .

(٤) كلمة : « عليه » تكملة من س فقط . وفى ط ، هـ : « لا يأمن » محرفة . وانظر ما سبق فى (١ : ٧٥ - ٧٧) .

(٥) س : « الأزدى »، محرف .

ولم يدَّع هذا أحدٌ قَطُّ إلّا المسلمون ؟ فهذا دليلٌ آخر على أن القصيدة مصنوعة .

(رجع إلى تفسير قصيدة البهرانى)

ثم رجعَ بنا القولُ إلى تفسير قصيدة البهرانىّ :

وأما قوله :

٢٨ « جائِباً للبحار أُهدى لِعِرْسِى فُلفلاً مجتنًى وهَضْمة عِطْر[١]

٢٩ وأحلّى هُرَيْرَ مِنْ صدَف البَحْـ ـر وأسْقِى العِيالَ من نِيل مِصرِ »

فإن[٢] الناس يقولون : إن السَّاحر لا يكون ماهراً حتى يأتى بالفُلْفُل الرّطْب من سرنديب . وهُريرة : اسم امرأته الجِنّيّة .

وذكر الظّبى الذى جعله مَرْكَبه إلى بلاد الهند ، فقال :

٣١ « وأجوبُ البلادَ تحتِىَ ظبىٌ ضاحكٌ سِنُّــه كثيرُ التَّمرِّى

٣٢ مُولج دُبْرَهُ خَوَايَة مَـكْو وهو باللّيل فى العفاريت يَسْرِى »[٣] ٩١

يقول : هذا الظّبى الذى من جُبْنِهِ[٤] وحَذره ، من بين جميع الوَحْش ، لا يدخل حَرَاه إلا مستدبِراً[٥] ؛ لتـكون عيناه تلقاء ما يخاف أن يغشاه[٦] :

---

(١) ط ، هـ : « جائيا » و : « مجتنا » صوابهما فى س . وفى هـ : « هصمة » بالمهملة ، محرفة . انظر ما سبق ص ٨٣ س ٥ .

(٢) فى الأصل : « لأن » .

(٣) ط ، س : « خرانة مكر » هـ : حوانة بكر » صوابهما مما سبق فى ٨٣ .
ط ، هـ : « بالعفاريت » وأثبت ما فى س موافقا ما سبق .

(٤) ط فقط : « خبثه » . والأشبه ما كتبت من س ، هـ .

(٥) الحرا ، بالفتح والقصر : مأوى الظبى وكناسه . وفى الأصل : « إلا مستديرا » من الاستدارة . صوابه بالباء كما يقتضيه نص الشعر .

(٦) س : « ليكون عيناه تلقى ما يخاف أن يغشاه » .

هو الذى يَسرى مع العفاريت بالليل ضاحِكًا بى هازئا إذا كان تحتى[١] .

وأما قوله :

٣٣ « يحسَبُ النَّاظِرُونَ أنى ابنُ ماءٍ ذاكرٌ عُشَّهُ بضَفَّةِ نَهْرِ »

فإن الجنىّ[٢] إذا طار به فى جوِّ السماء ظنَّ كلُّ مَن رآه أنَّه طائر ماء[٣] .

(قولهم : أروى من ضبّ)

وأما قولهم فى المثل : « أروى من ضَبّ » فإنى لا أعرفه ؛ لأن كل شىء بالدوّ[٤] والدَّهْناء والصَّمَّان ، وأوساط[٥] هذه المهامه والصحاصح [فإن[٦]]جميع ما يسكنُها من الحشَرات والسِّباع لا يرِدُ الماء ولا يريدُه ، لأنه[٧] ليس فى أوساط هذه الفيافى فى الصَّيف كله فى القَيظ جميعاً مَنْقَع ماء[٨] ، ولا غَدير ، ولا شريعة ، ولا وَشَل[٩] . فإذا استقام أن يمرَّ بظبائها وأرانبها وثَعالبها وغير ذلك منها الصَّيفةَ كلَّها ، والقيظ كله ، ولم تذق فيها قطرةَ

(١) ط فقط : « إذا كان تحتى » .

(٢) فى الأصل : « لأن » تحريف . وفى س : « الظبى » بدل : « الجنى » ، ولا وجه له .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) فى الأصل : « الدو » ، والباء أو نحوها ضرورية فى الكلام .

(٥) س ، ه : « والأوساط » ، محرف .

(٦) هذه التكملة من س ، ه .

(٧) س ، ه : « لأن » .

(٨) المنقع ، بالفتح : الموضع يستنقع فيه الماء ، أى يجتمع ويثبت . وكلمة : « ماء » ساقطة من س .

(٩) الوشل ، بالتحريك : الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة . وفى الأصل : « وعل » محرف .

ماء ، فهى له فى الشتاء أَتْرَك ، لأنَّ من اقتاتَ اليبَس[١] إذا لم يشرب الماء [فهو[٢]] إذا اقتات الرَّطب أترَك .

وليس العجبُ فى هذا ، ولـكنّ العجَب فى إبلٍ لا ترِد الماء .

وزعم الأصمعيُّ أنَّ لبنى عقيل ماعِزاً لم يرد الماء قَطّ[٣] . فينبغى على ذاكَ[٤] أنْ يكون واديهم لا يزالُ يكونُ فيه من البقْل والورَق ما يُعيشُها بتلك الرُّطوبة التى فيها .

ولو كانت ثعالبُ الدَّهْناء وظباؤُها وأرانبُها ووحْشُها تحتاج إلى الماء لَطَلَبَتْه أشدّ الطلَب ؛ فإن الحيوانَ كلَّه يهتدى إلى ما يُعيشه ، وذلك فى طبْعه ، وإنما سُلِب هذه المعارفَ الذين أُعطُوا العقلَ والاستطاعة فوُكِلوا إليهما .

فأمَّا من سُلِبَ الآلةَ التى بها تـكون الرَّويّة[٥] والأداةَ التى يكون بها التصرُّف ، وتخرج أفعاله من حد الإيجاب إلى حد الإمكان ، وعَوِّض[٦] التمـكينَ ، فإن سبيلَه غيرُ سبيل من مُنِـح ذلك[٧] . فقَسَم الله تعالى لتلك الـكفايةَ ، وقسمَ لهؤلاء الابتلاءَ والاختبار .

(قصيدتا بشر بن المعتمر)

أوّل ما نبـدأ قبل ذكر الحشرات[٨] وأصناف الحيوان والوحش

---

(١) اليبس ، بفتح وبفتحتين : اليابس .

(٢) التكملة من س .

(٣) سبق هذا القول فى (٥ : ٤٨٥) .

(٤) فى الأصل : « على حال » .

(٥) الروية فى الأمر : أن تنظر ولا تعجل . ط ، هـ : « الرؤية » تحريف .

(٦) س : « وعود » محرف .

(٧) فى الأصل : « من منع ذلك » ، والصواب ما أثبت .

(٨) س : « بذكر الحشرات » .

بشِعْر بشرِ بن المعتمر ، فإن له فى هذا الباب قصيدتين ، قد جمع فيهما كثيراً من هذه الغرائب والفرائد[1] ، ونبَّه بهذا على وجوهٍ كثيرةٍ من الحكمة العجيبة ، والموعظةِ البليغة . وقد كان يمكننا أن نذكر من شأن هذه السِّباع والحشرات بقَدْر ماتتسع له الرواية ، من غير أن نكتبهما ، فى هذا الكتاب ، ولكنهما يجمعان أموراً كثيرة . أمّا أوّل ذلك فإن
٩٢ حفظ الشّعر أهونُ على النَّفس ، وإذا حُفِظ كان أعلَقَ وأثبت ، وكان شاهداً . وإن احتيج إلى ضرْب المثَل كان مثلا . وإذا قسمنا ما عندنا فى هذه الأصناف ، على بيوت هذين الشِّعرين ، وقعَ ذكرها مصنّفا[2] فيصير حينئذ آنَقَ فى الأسماع ، وأشدَّ فى الحفْظ .

(القصيدة الأولى)

قال بشرُ بن المعتمر :

١ الناس دأباً فى طلاب الغنى ... وكُلهُمْ مِنْ شأنه الختَرُ[3]

٢ كأذؤبٍ تنهشُها أذؤُبٌ ... لهـا عُوَاءٌ ولها زَفْرُ[4]

٣ تراهُمُ فَوضَى وأيدِى سَبَاَ ... كُلٌّ لَهُ فى نَفْثِه سِحرْ[5]

٤ تبارك الله وسُبْحانَه ... بيْنَ يديهِ النَّفْعُ والضَّرُّ

(١) ط ، هـ : « الفوائد » بالواو .

(٢) هـ ، س : « مصفا » .

(٣) الختر : الغدر . وفى اللسان (٣ : ٢٦٩) : « فى طلاب الثرا » .

(٤) فى اللسان : « تنهسها » بالسين المهملة .

(٥) النفث : شبيه بالنفخ . والنوافث : السواحر حين ينفثن فى العقد بلا ريق . فى س ، هـ وكذا اللسان : « فى نفسه » والوجه ما أثبت من ط .

٥ مَنْ خَلْقُه فى رزقهِ كلُّهُمْ ... الذِّيخُ والثَّيتلُ والغُفرُ[١]

٦ وساكنُ الجوِّ إذا ماعَلاَ ... فيه ، ومَنْ مَسْكَنُهُ القفرُ[٢]

٧ والصَّدَع الأعصَمُ فى شاهِق ... وَجَابةٌ مَسْـــكَنها الوَعْرُ

٨ والحيَّةُ الصَّماءُ فى جُحْرها ... والتَّتْفلُ الرائغُ والذَّرُّ[٣]

٩ وإلقةٌ تَرْغِثُ رُبَّاحها ... والسَّهْلُ والنَّوفَلُ والنضرُ[٤]

١٠ وهِقْلةٌ تَرْتَاعُ من ظِلِّها ... لها عِـــرارٌ ولها زَمْرُ[٥]

١١ تلتهم المرْوَ على شَهْـوةٍ ... أحبُّ شىءٍ عِنْدَها الجمرُ[٦]

١٢ وضَبة تأكلُ أولادَها ... وعُترُفانٌ بَطْنُهُ صِفرُ[٧]

١٣ يُؤْثِر بالطَّعْم ، وتأذينهُ ، ... مُنَجِّمٌ ليس له فكرُ

---

(١) الذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع ، والأنثى ذيخة . س : « الديخ » محرف . والثيتل ، بفتح الثاء المثلثة فى أوله . ط ، س : « التهتل » هـ : « التبتيل » صوابهما ما أثبت . والغفر ، بالضم وبالفتح فى لغة قليلة : ولد الأورية ، والجمع أغفار ، وغفرة ، بكسر ففتح ، وغفور . وقيل الغفر اسم للواحدة منها والجمع . ط : « العفر » بالعين المهملة ، وهو اسم للظباء التى يعلو بياضها حمرة . وصواب الرواية ما أثبت من س واللسان كما يقتضيه الشرح ف ٣٠٠ .

(٢) هـ : « إذا ما غلا فيه » . غلا : ارتفع مثل علا .

(٣) التتفل ، كتنفضب وقنفذ ودرهم وجعفر وزبرج وجندب وسكر : الثعلب . هـ : « والتيتل الرابع » محرفة .

(٤) الإلقة ، بالكسر : القردة . والرباح ، كرمان : القرد ، وهو هنا ولدها . وترغثه أى ترضعه ، وفعله أرغث ، وقد رغثها هو وارتغثها . والسهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . هـ : « والقنفذ يرعب » هـ ، س : « رياحها » هـ : « والبصر » صوابها ما أثبت .

(٥) الهقلة ، بالكسر : الفتية من النعام والنعامة مضرب المثل فى الخوف والفزع . وفى الأصل : « من ظلمنا » صوابه ما أثبت . وعرارها ، بكسر العين : صياحها ؛ وكذلك الزمر . وأصل العرار للظليم . وانظر ما سبق ف (٤ : ٣٨٥) .

(٦) المرو : حجر أبيض براق . وقد سبق الكلام على ابتلاعها الحصى ف (٤ : ٣١٠ — ٣١٣) . ط : « النار » س : « المرأ » صوابها ف هـ . وانظر لابتلاعها الجمر (٤ : ٣٢٠) .

(٧) العترفان ، بضم العين والراء : الديك .

١٤ وكيف لا أعجبُ من عالمٍ حُشوتُهُ التأبِيس والدَّغْرُ (١)
١٥ وحكمةٌ يبصرها عاقلٌ ليس له مِنْ دُونها سِـترُ
١٦ جرادةٌ تَخْرِقُ مَتْنَ الصَّفَا وأبْغَثٌ يَصْطادُهُ صَقرُ (٢)
١٧ سِلاحه رمحٌ فما عُذْرُه وقد عراه دُونَه الذُّعرُ (٣)
١٨ والدُّبُّ والقِرد إذا عُلِّمَا والفِيلُ والـكَلْبَةُ واليَعْرُ (٤)
١٩ يحجم عن فَرْطِ أعاجِيبها وعَنْ مَدَى غاياتِها السِّحْرُ (٥)
٢٠ وظبية تَخْضِمُ فى حَنْظلٍ وعَقْرَبٌ يُعْجِبُها التَّمْرُ
٢١ وخُنْفُسٌ يَسعى بجعلانِهِ يَقُوتها الأَرْواثُ والبَعْرُ (٦)
٢٢ يقتُلها الوردُ وتَحيا إذا ضُمَّ إليها الرَّوث والجعْرُ ٩٣
٢٣ وفارة البِيش إمامٌ لها والخُلدُ فيه عجبٌ هِتْرُ (٧)

---

(١) التأبيس : الإغاظة ، والترويع ، والتعيير ، والتخويف . والدغر : توثب المختلس ودفعه نفسه على المتاع ليختلسه . ط : « خشوته » بالهاء الصريحة ، س ، هـ : « خشونة » ووجههما ما أثبت . ط ، س : « النابس » هـ : « الوابس » وفى الأصل أيضا : « والذعر » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(٢) س : « ثنى الصفا » ، و : « يصطاده الصقر » .

(٣) ط ، هـ : « سلاحه سلح » صوابه من س ومما سيأتى فى ٣١٥ حيث يعين النص والتفسير ما أثبت . س ، هـ : « وقد عداه » بالدال ، ولها وجه .

(٤) اليعر ، فسرها الجاحظ – فيما سيأتى – بصغار الغنم . وفى اللسان : « اليعر واليعرة : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد » . وفيه أيضا : « اليعر : الجدى » ط : « والبغر » س : « والنقر » هـ : « والنغر » صوابها بالياء المفتوحة والعين الساكنة المهملة .

(٥) س : « عن فرط » .

(٦) الجعلان ، بالكسر : جمع جعل ، بضم ففتح . ط ، هـ : « تسعى بجعلانة » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٣٤٩) . وانظر اللسان لضبط « خنفس » عند أهل البصرة .

(٧) الخلد ، بالضم : ضرب من الفأر . وانظر (٢ : ١١٢ / ٣ : ٣٣٦ / ٤ ، ١٠٦ ، ٢٩٦ / ٥ : ٢٦٠) . هـ : « والجلد » بالجيم ، صوابه بالخاء المعجمة والهتر ، بالكسر : العجب . ويقال هتر هاتر ، على المبالغة .

٢٤ وقنفذٌ يسرى إلى حيَّةٍ ... وحيَّةٌ يُخْلَى لَهُ الجحرُ[١]

٢٥ وعَضْرَفُوطٌ ماله قِبْلَةٌ ... وهُدهُدٌ يُكفِره بكرُ

٢٦ وفَرّة العقرب مِن لَسْعِها ... تُخبِرُ أَنْ لَيْسَ لها عُذْرُ[٢]

٢٧ والبَبْر فيه عَجَبٌ عاجِبٌ ... إذا تلاقى اللّيثُ والببْرُ[٣]

٢٨ وطائرٌ أشْرَفُ ذو جَرْدَة ... وطائرٌ لَيْسَ له وَكْرُ[٤]

٢٩ وثُرْمُلٌ تأوى إلى دَوْبَل ... وعَسْكَرٌ يَتْبَعُه النَّسرُ[٥]

٣٠ يُسالِمُ الضَّبْعَ بذى مِرَّة ... أبْرَمهما فى الرَّحِم العُمْرُ[٦]

٣١ وتِمْسَحٌ خَلَّلَهُ طائِرٌ ... وسابحٌ ليسَ له سحْرُ[٧]

---

(١) ط ، هـ : « لها الجحر » . والحية مما يذكر ويؤنث . وفى اللسان (١٨ : ٢٤١) : « والعرب تذكر الحية وتؤنثها ، فإذا قالوا الحيوت عنوا الحية الذكر » . وانظر لإخلاء الجحر له ما سبق فى (٤ : ١٦٩) .

(٢) سيأتى فى ٣٢٠ : « فإن العقرب متى لسعت فرت من خوف القتل ، وهذا يدل على أنها جانية » . وقد استضأت بهذه العبارة فى تصحيح ما جاء فى الأصل ؛ إذ فى الأصل : « وقوة العقرب » . هـ : « غدر » محرف .

(٣) س : « والبئر » محرف .

(٤) الجردة ، بالضم : التجرد ، أى متجرد من الزغب والريش كما سيأتى فى التفسير . س : « حودة » هـ : « جودة » صوابهما فى ط . والبيت محرف فى اللسان (شرف) .

(٥) الثرمل : بضم الثاء والميم : « دابة » ، عن ثعلب ، ولم يحلها » كما فى اللسان . وفى القاموس أنها : « دابة » ولم يزد . وأما الدابة التى وصفتها المعاجم فهى الثرملة ، والثرملة : الأنثى من الثعالب ، كما سيأتى فى تفسير الجاحظ وكما فى اللسان ، أو هى اسم من أسماء الثعالب ، كما فى القاموس واللسان أيضا . ويبدو لى أن تلك الدابة المطلقة هى هذه الدابة المقيدة . س « ترمل » هـ : « تزمل » صوابهما فى ط . والدوبل هنا : الذئب العرم ، وانظر (٢ : ١٨٢ س ٧ – ٨) . س : « ذوبل » هـ : « دونك » صوابهما ما أثبت .

(٦) ط ، س أثرمها . هـ : « أتزمها » ، محرفتان . وفى الأصل : « الغمر » ، صوابه بالمهملة .

(٧) التمسح ، بكسر التاء : لغة فى التمساح . والسحر ، بالفتح : الرئة .

٣٢ والعُثّ والحُفّاثُ ذو فحفحٍ وخرنقٌ يَسْفَدُهُ وَبْرُ[١]
٣٣ وغائص فى الرمل ذو حدَّة ليس له نابٌ ولا ظُفْرُ
٣٤ حِرباؤُها فى قيظِها شامِسٌ حَتَّى يوافى وَقْتَهُ العَصْرُ[٢]
٣٥ يَميل بالشِّقِّ إليها كما يَميلُ فى رَوْضَتِهِ الزَّهْرُ[٣]
٣٦ والظَّرِبانُ الوَرْدُ قد شَفَّه حُبُّ الكُشَى، والوَحَرُ الحُمْرُ[٤]
٣٧ يلوذُ منه الضَّبُّ مُذْلولِياً ولو نَجَا أهلَكَهُ الذُّعرُ[٥]
٣٨ وليس يُنْجيه إذا ما فسا شىءٌ ولو أحْرَزَهُ قَصْرُ[٦]

(١) العث ، بضم العين المهملة . ط : « والفث » س ، هـ : « والفث والجفاف » محرفتان . والحفاث ، بالحاء المهملة وتشديد الفاء وآخره مثلثة . والخرنق ، بكسر الخاء المعجمة والنون . ط ، هـ : « وخربق » س : « وحربق » محرفتان . وانظر ما سيأتى من التفسير فى ص ٣٤٥ . والفحفح : يريد به الفحفحة ، وهى فحيح الأفعى . ولم أجد الفحفح ، ولا هى مما يقتضيه قياس المصادر ، ولكنها محرفة فى الأصل ، فهى فى ط ، هـ : « مخبج » وفى س : « فخفخ » محرفتان ، يقال فحت الأفعى وفحفحت .

(٢) الحرباء مذكر ، والأنثى حرباءة . والقيظ ، حمارة الصيف . ط ، س : « قطعها » هـ : « قطها » صوابهما ما أثبت . شامس : المعروف « متشمس » يقال تشمس أى تعرض للشمس وانتصب لها . ويبدو أن بشرا صاحب القصيدة ليس ثقة فى لغته .

(٣) الشق ، بالكسر : الجانب . س ، هـ : « تميل » وإنما الحرباء مذكر .

(٤) الورد ، بالفتح : ما لونه الوردة ، وهى حمرة تضرب إلى صفرة حسنة . شفه الحب لذع قلبه ، وقيل أنحله ، وقيل أذهب عقله . والكشى : جمع كشية ، وهى شحمة الضب . س : « قد شقه حب الوجا » محرف . والوحر ، بفتح الواو والحاء المهملة : جمع وحرة ، وهى ضرب من العظاء . ط ، س : « الوجر » بالجيم محرف .

(٥) اذلولى : ذل وانقاد ، عن ابن الأعرابى . واذلولى أيضا : أسرع . ومنه حديث فاطمة بنت قيس : « ما هو إلا أن سمعت قائلا يقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذلوليت حتى رأيت وجهه » ، أى أسرعت . ويقال اذلولى الرجل : أسرع مخافة أن يفوته شىء .

(٦) ريح الظربان مضرب المثل فى حدة نتنه . انظر (١ : ٢٤٨ ، ٢ / ١٥٥ ، ٣ / ٥٠٠) . ل ، هـ : « فشا » محرفة .

٣٩ وهَيشة تأكلها سُرْفةٌ وسِمْعُ ذئبٍ همُّه الحُضْرُ(١)

٤٠ لاتَرِدُ الماءَ أفاعِي النَّقَا لَكِنَّما يعجبُها الخَمْرُ(٢)

٤١ وفى ذَرَى الحَرْمَلِ ظِلٌّ لها إذا غَلا واحْتَدَمَ الهَجْرُ(٣)

٤٢ فبعضها طُعْمٌ لبعض كما أعطَى سِهامَ المَيْسِر القَمْرُ(٤)

٤٣ وتِمْسَحُ النِّيل عُقَابُ الهَوَا واللَّيثُ رأسٌ وله الأَسْرُ(٥)

٤٤ ثلاثةٌ ليس لها غالبٌ إلاَّ بما ينتقِض الدَّهْرُ(٦)

٤٥ إنِّى وإن كنتُ ضعيفَ القُوى فاللهُ يَقْضِى ولهُ الأمرُ

٤٦ لست إباضِيًّا غَبِيًّا ولا كرافِضِىٍّ غَرَّهُ الجَفْرُ(٧) ٩٤

---

(١) الهيشة ، بالفتح : أم حبين . وفى الأصل : « هرسة » . وقد أنشد البيت فى اللسان (٨ : ٢٦٠) على الصواب الذى أثبت . والسرفة ، بالضم : دويبة فى تفسيرها عشرة أقوال . انظر اللسان . س : « عرسة » محرف . والسمع ، بالكسر : ولد الذئب من الضبع : ولذا أضافه إليه . والحضر بالضم : اسم من أحضر إحضارا ، وهو الارتفاع فى العدو . وفى الأصل : « الحصر » بمهملتين ، تحريف .

(٢) انظر لولوع الحيات بالخمر ما سيأتى فى ٣٩٩ . ط ، ﻫ : « يخنقها الحمر » س : « يحنقها الحمر » ، محرفتان .

(٣) الذرى ، بفتح الذال والراء ، كنف الشىء وظله وكل ما استترت به . والحرمل : نبت . والهجر ، بالفتح : الهاجرة ، وهى نصف النهار عند اشتداد الحر . ط ، ﻫ : « علا » بالعين المهملة . ﻫ ، س : « واحتذم » بالذال المعجمة ، وهذه محرفة .

(٤) القمر ، بالفتح : الغلبة والفوز فى القمار . ﻫ : « السر القمر » ، س : « النمر العمر » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٥) الهوا ، مقصور : الهواء . وفى الأصل : « الهوى » .

(٦) ﻫ : « ليس لهم » . وفى الأصل : « الأمر » بدل : « الدهر » صوابه مما سيأتى فى ص ٤٠٤ .

(٧) الجفر : جلد جفر يقول الرافضة إن الإمام كتب لهم فيه كل ما يحتاجون إلى علمه وكل ما يكون إلى يوم القيامة . انظر تأويل مختلف الحديث ص ٨٥ . وأصل الجفر ولد الشاة إذا عظم واستكرش .

٤٧ كما يغُرُّ الآلُ فى سَبْسَبٍ   سَفْرًا فأودَى عنده السَّفْرُ[١]
٤٨ كلاهما وسَّع فى جَهْل ما   فعالُه عندهما كُفْرٌ
٤٩ لسنا من الحشْو الُجفاة الأُلى   عابُوا الذى عَابُوا ولم يَدْرُوا
٥٠ أنْ غِبْتَ لم يُسْلِمْكَ من تُهْمَةٍ   وإنْ رَنَا فلحظُهُ شزْرُ[٢]
٥١ يُعرِضُ إن سالَمته مُدْبرًا   كأنما يلسَبُه الدَّبْرُ[٣]
٥٢ أَبْلَهَ خِبٌّ ضَغِنٌ قلبُه   له احْتيالٌ وله مَكْرُ[٤]
٥٣ وانتحلُوا جماعةً باسمها   وفارقوها فهُمُ اليَعْرُ[٥]
٥٤ وأهوجَ أعوجَ ذُو لُوثةٍ   ليس له رَأىٌ ولا قَدْرُ[٦]
٥٥ قد غرَّه فى نفسه مثلُه   وغرَّهم أيضاً كما غرُّوا
٥٦ لاتنجع الحكمةُ فيهم كما   يَنْبُو عن الجَرْولة القَطْرُ[٧]
٥٧ قلوبُهُمْ شَتَّى فما مِنهم   ثلاثةٌ يجمعُهمْ أمرُ

---

(١) الآل : السراب ، أو ما يكون ضحى كالماء بين السماء والأرض ، يرفع الشخوص ويزهاها . والسفر ، بالفتح : جماعة المسافرين . أودى : هلك . ط ، س : « يفر » صوابه بالغين ، من الغرور كما فى هـ .

(٢) التهمة : الظنة وما يتهم به الرجل . وهى فعلة من الوهم ، تقال بضم التاء مع سكون الهاء وفتحها . وفى الأصل : « بهمة » بالباء ، تحريف . رنا : نظر فى سكون وإدامة . هـ : « دنا » من الدنو .

(٣) لسبه : لسعه ، وفعله كمنع وضرب . والدبر ، بالفتح : النحل والزنابير . فى الأصل : « يلبسه » بتقديم الباء ، محرف .

(٤) ط ، هـ : « له اختيال » ، والأوفق ما أثبت من س .

(٥) اليعر ، بفتح الياء المثناة التحتية : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . وفى المثل : « هو أذل من اليعر » . وفى الأصل : « النعر » بالنون ، ولا وجه له » .

(٦) اللوثة ، بالضم : الاسترخاء والحمق . س : « لدنة » ، محرف .

(٧) الجرولة ، بفتح الجيم : واحدة الجرول ، وهى الحجارة ، أو الحجارة أملاء الأكف . وفى الأصل : « الخزولة » بخاء معجمة وزاى ، محرفة .

٥٨ إلاّ الأذى أو بَهتَ أهْلِ التقى　　وأنَّهم أعيُنَهمْ خُزْرُ[١]

٥٩ أولئك الدَّاءُ العُضالُ الذى　　أعيا لديه الصَّابُ والمقْرُ[٢]

٦٠ حيلة من ليستْ له حيلةٌ　　حُسْنُ عَزاءِ النَّفس والصَّبرُ[٣]

(القصيدة الثانية)

قال : [و[٤]] أنشدنى أيضا :

١ ما ترى العالَم ذا حُشْوةٍ　　يقصُرُ عنها عَدَدُ القَطْرِ

٢ أوابد الوحْشِ وأحْناشُها　　وكلُّ سَبْعٍ وافِرِ الظُّفْرِ[٥]

٣ وبعضُه ذو همَجٍ هامجٍ　　فيه اعتبارٌ لذَوى الفِكرِ

٤ والوزَغُ الرُّقْطُ على ذُلِّها　　تطاعِمُ الحيَّاتِ فى الجُحْرِ

٥ والخِنْفِسُ الأَسْوَدُ فى طَبْعه　　مَودَّة العقرب فى السِّرِّ

٦ والحشراتُ الغُبْرُ منْبَثَّةٌ　　بين الوَرَى والبَلدِ القفْرِ

٧ وكلها شَرٌّ وفى شَرِّها　　خيرٌ كثير عند من يَدرِى[٦]

٨ لو فكَّرَ العاقل فى نفسه　　مُدَّةَ هذا الخلق فى العُمْرِ

٩ لم يرَ إلاَّ عجباً شامِلا　　أو حُجَّةً تُنقَشُ فى الصَّخْرِ ٩٥

١٠ فكم ترَى فى الخلق من آيةٍ　　خَفِيَّةِ الجُسْمان فى قعْرِ[٧]

---

(١) الخزر : جمع أخزر وخزراء ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه . وعدو أخزر العين : ينظر عن معارضة .

(٢) الصاب والمقر : نبتان مران .

(٣) ط : « من ليس له حيلة » . وما فى سائر النسخ يطابق البيان (٤ : ٢٢) .

(٤) هذا الحرف من س .

(٥) الأحناش : جمع حنش. وانظر ص ٤٠٦ ساسى . ط : « أجناسها » س ، ه : « أحناسها » محرفتان .

(٦) ه : « فى كلها شر » .

(٧) س : « الجثمان » بالثاء المثلثة ، وهما سيان . يقال : جسم وجسمان وجثمان .

١١ أبرزها الفكر على فكرةٍ   يحارُ فيها وضَحُ الفَجْرِ
١٢ لله درُّ العقْلِ من رائدٍ   وصاحبٍ فى العُسْرِ واليُسْر
١٣ وحاكمٍ يَقضى على غائب   قضيَّةَ الشَّاهدِ للأمْرِ
١٤ وإنَّ شيئاً بعضُ أفعاله   أنْ يفصِلَ الخيرَ من الشَّرِّ
١٥ بذى قوًى ، قد خصَّه ربُّه   بخالص التَّقديس والطُّهْرِ (١)
١٦ بل أنت كالعينِ وإنسانها   ومخرج الخَيْشُوم والنَّحْرِ
١٧ فشرُّهم أكثرهم حيلةً   كالذِّئب والثَّعلب والذَّرِّ
١٨ واللَّيث قد بلَّده علمُه   بما حَوَى من شِدَّة الأسر (٢)
١٩ فتارة يَحْطمُهُ خابطاً   وتارة يَثنيه بالهَصْرِ (٣)
٢٠ والضعفُ قد عَرَّف أربابَه   مواضع الفرِّ من الكرِّ (٤)
٢١ تعرف بالإحساس أقدارَها   فى الأسر والإلحاح والصَّبْرِ (٥)
٢٢ والبخْت مقرون فلا تجهلنْ   بصاحِبِ الحاجة والفَقْرِ
٢٣ وذُو الكِفايات إلى سَكْرةٍ   أهون منها سَكْرةُ الخَمْرِ (٦)
٢٤ والضَّبُعُ الغَثْراء مَعْ ذِيخها   شَرٌّ من اللَّبوة والنَّمْرِ (٧)

(١) أى يفصل بين الخير والشر بفكر ذى قوى . وجملة : « خصه ربه » هى خبر إن .

(٢) بلده : جعله يبلد ، يقال بلد بالمكان بلودا : أقام ولزمه . ﻫ : « جلده » تحريف . وانظر ص ٤٠٧ .

(٣) ط : « تحطمه خابطا » ﻫ : « تخطمه خائطا » وأثبت ما فى س .

(٤) أربابه : أصحابه . فى س : « أرهابه » محرفة . وفيها أيضا : « مواضع الكر من الفر » على التقديم والتأخير .

(٥) الأحساس : جمع حس . والأسر : القوة ، وفى الأصل : « فى الاسم والجارح » محرف .

(٦) ط : « وذا الكفايات » ﻫ : « وذى الكفايات » ، صوابهما فى س .

(٧) الغثراء ، بفتح الغين المعجمة : التى لونها الغثرة ، وهى لونان من سواد وصفرة . —

٢٥ لو خُلِّىَ اللَّيثُ ببطن الورى والنَّمرُ أو قد جِىء بالبَبْر

٢٦ كان لها أرْجَى ولو قَضقَضت ما بين قَرنَيهِ إلى الصَّدْر(١)

٢٧ وَالذئب إن أفلت من شره فبعد أَن أبلغ فى العُذْر

٢٨ وكلٌّ جنس فله قالَبٌ وعُنْصرٌ أعراقُهُ تَسرِى

٢٩ وتصنع السُّرفة فيهم على مِثلِ صَنيع الأرض والبَذْرِ(٢)

٣٠ والأضعف الأصغَرُ أحْرَى بأن
يحتال للأكبر بالفكرِ(٣)

٣١ متى يرى عدوّه قاهِرا أحوجَهُ ذاك إلى المَكْرِ

٣٢ كما ترى الذئب إذا لم يُطِقْ صاحَ فجاءت رَسَلًا تجرِى(٤)

٣٣ وكلٌّ شىءٍ فعلى قدْره يُحجم أو يُقْدِمُ أو يجرِى

٣٤ والكَيْس فى المكسَب شَمْلٌ لَهُمْ
والعندليبُ الفَرْخُ كالنَّسْرِ(٥)

= ويقال للضبع أيضا « غثار » كقطام . وفى الأصل : « العثراء » بالعين المهملة ، محرفة . والذيخ ، بالكسر : الذكر من الضباع .

(١) القضقضة : أن يحطم عظام الفريسة وأعضاءها . وفى الأصل : « فضفضت » بفاءين ، محرفة . والقرن : واحد قرون الرأس ، وهى نواحيها . يقول : إن الضبع تحرص على ضبعها حتى بعد أن تقضقضه هذه السباع .

(٢) السرفة ، سبق الكلام عليها فى ص ١٠ . ط : « الترفة » س ، هـ : « النزفة » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) هـ : « والأضعف الأصغر الأحوى » ، س : « بأن يختال للأكثر » ، وصوابهما فى ط .

(٤) الرسل ، بفتحتين : القطيع من كل شىء . يقال : جاءت الخيل أرسالا : أى قطيعا بعد قطيع . هـ : « وسلا » س : « رسل » ، صوابهما ما أثبت من ط .

(٥) العنداليب ، سبق الكلام عليه فى (٥ : ١٤٩) . وهو مثل فى صغر الجثة والضعف . هـ : « شمل لكم » .

٣٥ والخُلْد كالذِّئب على خُبْثِه ... والفيلُ والأعْلم كالوَبْرِ [١]
٣٦ والعبدُ كالحرِّ وإن ساءَه ... والأبغَثَ الأغثر كالصّقر [٢]
٣٧ لكنَّهم في الدِّين أيدِي سَبَا ... تفاوَتوا في الرَّأى والقَدْرِ [٣]
٣٨ قد غَمرَ التَّقليدُ أحلامَهُمْ ... فناصَبُوا القَيَّاسَ ذا السَّبْرِ [٥]
٣٩ فافهَمْ كلامى واصطَبِرْ ساعةً ... فإنَّما النُّجح مع الصَّبْرِ
٤٠ وانظر إلى الدُّنيا بعين امرئٍ ... يكره أن يجرى ولا يَدْرِى
٤١ أما ترى الهِقْلَ وأمعاءه ... يجمعُ بين الصَّخْرِ والجَمْرِ [٦]
٤٢ وفارة البيش على بِيشها ... طيِّبةٌ فائقة العِطرِ
٤٣ وطائر يسبح في جاحمٍ ... كماهِر يسبَحُ في غَمْرِ
٤٤ ولَطعَة الذِّئب على حَسْوِهِ ... وصنعة السُّرْفة والدَّبْرِ [٧]
٤٥ ومَسْمَع القِرْدَان في مَنْهَل ... أعجبُ ممَّا قِيلَ في الحِجْرِ [٨]

---

(١) الأعلم : البعير ؛ سمى بذلك لأنه مشقوق الشفة العليا ، والعلم : الشق فى الشفة العليا . وانظر الوبر ص ٢١ من هذا الجزء . وسيأتى فى ٤١٠ : « على كسبه » بدل : « خبثه » .

(٢) الأبغث : من طير الماء ، لونه كلون الرماد ، طويل العنق . والأغثر : مالونه الغثرة ، وهى قريبة من الغبرة . ط ، س : « الأعثر » بالمهملة ، تحريف .

(٣) هـ : « والغدر » ، محرف .

(٤) القياس : من يستعمل القياس . والسبر : مصدر سبر الجرح سبرا : نظر مقداره وقاسه ليعرف غوره ، والمسبار : ماسبر به . وفى الأصل : « ذا الشر » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٥) هـ : « يحرى » بالحاء ، بدل : « يجرى » .

(٦) س : « تجمع » وضمير هذه للأمعاء .

(٧) س : « ولطفة » س : « على حسره » محرفتان .

(٨) انظر لسمع القراد ما سبق فى (٥ : ٤٣١) . وأما الحجر فهى بالكسر : الأنثى من الخيل وانظر لتفسير البيت ما سيأتى فى ص ٤٣٨ . والعرب يقولون : « أسمع من فرس » . هـ : « الجحر » بتقديم الجيم ، محرفة

٤٦ وظبية تَدْخِلُ فى تَوْلجٍ مُؤْخِرَها من شِدَّة الذُّعرِ (١)
٤٧ تأخذ بالحزْم على قانصٍ يُريغُها من قِبَلِ الدُّبْرِ (٢)
٤٨ وَالمُقرَمُ المعْـــلم ما إنْ له مَرارةٌ تُسْمَعُ فى الذِّكْرْ (٣)
٤٩ وخُصْيةٌ تنصُلُ من جَوفِه عِندَ حُدوثِ الموتِ والنَّحرِ (٤)
٥٠ ولا يَرَى مِن بَعْدِها جازرٌ شِقْشِقةً مائلة الهَدْرِ (٥)
٥١ وليس للطِّرْفِ طِحالٌ وقد أشاعه العالِمُ بالأمرِ
٥٢ وفى فؤاد الثور عَظمٌ وقد يعرفه الجازِر ذو الخُبْرْ (٦)
٥٣ وأكثرُ الحيتانِ أعجوبةً ما كان منها عاشَ فى البحرْ
٥٤ إذْ لا لسانٌ سُقِى مِلحَهُ ولا دِماغُ السَّمك النَّهرى (٧)
٥٥ يدخُل فى العذب إلى جَمِّـه كفِعلِ ذى النُّقلةِ فى البرِّ (٨)

---

(١) التولج ، بفتح التاء فى أوله : كناس الظبى أو الوحش . ويقال فيه أيضا : « دولج » وفى الأصل : « مولج » محرف . وانظر ما سبق فى ص ٤٧ . وقد مضى الكلام على دخول الظبى كناسه مستدبرا فى ص ٢٨١ .

(٢) أراغ الصائد القنص : طلبه . وفى الأصل : « يريعها » بالعين المهملة ، تحريف .

(٣) المقرم ، بزنة اسم المفعول : البعير المكرم الذى لا يحمل عليه ولا يذلل ولكن يكون للفحلة والضراب . وفى الأصل : « المقدم » محرفة . والمعلم : الذى جعلت له علامة وسمة . وهذه الكلمة موضعها بياض فى س . وبدلها فى ط ، ه « أخر » وصوابها مما سيأتى فى شرح الجاحظ .

(٤) تنصل : تزول وتختفى ، كما ينصل الخضاب . س ، ه : « تنطل » محرفة ، وفيهما أيضا : « من خافه » . وانظر شرح الجاحظ ص ٤٣٩ ساسى .

(٥) س : « جارز » س ، ه : « مائلة الهزر » محرفتان .

(٦) س : « الحاذر » : محرفة . ط : « ذا الخبر » . وقد سقط صدر هذا البيت وعجز سابقه من س ، وركب صدر سابقه على عجزه .

(٧) ط ، س : « إذ لا لبان » صوابها فى ه . ط ، ه : « السمك الدهرى » صوابه فى س .

(٨) العذب ، أراد به ماء الأنهار العذبة . وجم الماء : معظمه . وأراد بذى النقلة قواطع الطير التى تقطع إلى الناس فى أزمان معينة من السنة ، كالسمانى والخطاطيف =

٥٦ تدير أوقاتاً بأعيانها على مثال الفلك المجرى

٥٧ وكلُّ جنسٍ فلهُ مُدَّةٌ تَعاقُبَ الأنْواء فى الشَّهْر

٥٨ وأكبُدٌ تَظْهَرُ فى ليلها ثم تَوارَى آخرَ الدَّهْرِ (١)

٥٩ ولا يُسيغ الطُّعْمَ مالم يكُنْ مِزاجه ماءً على قَدْرِ (٢)

٦٠ ليس له شىء لإزلاقِه سِوَى جرابٍ واسع الشَّجْرِ (٣)

٦١ والتتفل الرائغ إمَّا نَضَا فشَطر انبوب على شَطرِ (٤)

٦٢ متى رأى اللَّيثُ أخا حافر تجدْه ذا فَشٍّ وذا جَزْرِ (٥)

٦٣ وإن رأى النِّمْرَ طعاماً له أطعَمَه ذلك فى النِّمْرِ (٦)

= يشير إلى أن فى السمك ما ينتقل من الماء الملح إلى الماء العذب فى أزمان معينة ، كما أن فى حيوان البر ما ينتقل من البرارى ويقطع إلى الناس فى أوقات معلومة ، والبيت مشوه فى الأصل ، فى س ، هـ : « يدخل فى الغرب إلى جسمه » ط : « يدخل فى العزب إلى جسمه » وفى جميع النسخ : « كفعل ذى العلة » محرف . وانظر لقواطع السمك والطير ما سبق فى (٣ : ٢٥٩ / ٤ : ١٠٢ / ٥ : ٢٠٣ ، ٥٣٨) .

(١) انظر شرح البيت فى ص ٤٢٢ ساسى . وقد جاء محرفا فى الأصل هكذا :

والبدر مذ يظهر فى ليلها ثم يوارى آخر الدهر

(٢) فى الأصل : « مزاجه الدهر » ، وانظر ما سيأتى فى الشرح .

(٣) الشجر ، بفتح الشين وسكون الجيم : مفرج الفم . ط ، س : « الشحر » بالحاء المهملة ، تحريف .

(٤) التتفل : الثعلب . وانظر ما سبق فى ٢٨٥ . وقد فسر الجاحظ هذا البيت عرضا فى أثناء تفسيره البيت الثانى من القصيدة الأولى لبشر . انظر ص ٣٠٥ . وفى اللسان : « أبو عبيدة : نضا الفرس ينضو نضوا إذا أدلى، فأخرج جردانه » .

(٥) أخا الحافر : أى ماله حافر من الحيوان . والفش : الأكل ، قال جرير :

فبتم تفشون الخزير كأنكم مطلقة يوما ويوما تراجع

(٦) النمر ، هو فى ط ، س : « الخثرى » هـ : « الخثر » وذلك فى الموضع الأول من البيت . وجاءت فى الموضع الثانى « الخبر » فى كل من ط ، س وحرفت فى هـ فجاءت : « الختر » . و « أطعمه » هى فى الأصل : « أطممه » محرفة .

٦٤ وإن رأى مخلَبَهُ وافياً ونابَه يَجْرَح فى الصَّخْرِ (١)
٦٥ منهرتَ الشِّدقِ إلى غَلْصَمٍ فالنِّمْر مأكولٌ إلى الحشْرِ (٢)
٦٦ وما يُعادِى النِّمرُ فى ضَيْغَمٍ زئيرُه أصبر من نمْـر (٣)
٦٧ لولا الذى فى أصْلِ تركيبِه من شِدَّةِ الأضلاع والظَّهْرِ
٦٨ يبلغُ بالجسْر على طبعه ما يَسْحَر المختالَ ذا الـكبر (٤)
٦٩ سُبحانَ ربٍّ الخلقِ والأَمْرِ ومُنْشِر الميْتِ من القبرْ
٧٠ فاصبرْعلى التفَّـكير فيما ترَى ما أقرَبَ الأجْرَ من الوِزْرِ

(تفسير القصيدة الأولى)

نقول بعون الله تعالى وقُوته فى تفسير قصيدتَى(٥) أبى سهل بشر ابن المعتمر ، ونبدأ بالأولى المرفوعة ، التى ذكر فى آخرها الإباضية ، والرافضة ، والنابتة(٦) فإذا قلنا فى ذلك بما حضرَنا قلنا فى قصيدته الثانية إن شاء الله تعالى .

(ما قيل فى الذئب)

أمّا قوله :

٢ « كأذْؤُبٍ تنهشُها أذؤبٌ لَها عُواءٌ ولها زَفرُ »

(١) هـ : « ونابه يخرج » ، تحريف .
(٢) المعروف « الغلصمة » ، وهى اللحم الذى بين الرأس والعنق . وانظر حواشى ص ٤٤٨ — وفى الأصل : « فالعير » .
(٣) أصبر من نمر ، كذا وردت فى الأصل .
(٤) الجسر : الرجل الماضى الشجاع . ط فقط : « بالجر » .
(٥) فى الأصل : « قصيدة » .
(٦) س : « والثانية » محرف .

فإنّها قد تَهارَشُ على الفَريسة ، ولا تبلغ القَتْل ، فإذا أدْمَى بعضُها بعضاً وثَبَتْ عليه فمزّقته وأكلته . وقال الرّاجز (١) :

فلا تكونى يا ابْنَةَ الأَشَمِّ (٢) وَرقاءَ دَمَّى ذئبَها المدمِّى (٣)

وقال الفرزدق (٤) :

وكنْتَ كذئْب السَّوْءِ لمّا رأى دَمًا
بصاحبه يوماً أحالَ على الدَّم (٥)

نعم حَتّى رُبَّما أقبَلا على الإنسان إقبالاً واحداً ، وهما سواءٌ على عداوتِه
٩٨ والجَزْم على أكله ، فإذا أُدْمِيَ (٦) أحدُهما وثَب على صاحبه المدْمَى فمزّقه وأكلَه ، وترك الإنسان وإن كان أحدهما قد أدماه .

---

(١) هو رؤبة بن العجاج ، من أرجوزة يمدح فيها الحارث بن سليم ، كما فى ديوانه ١٤٢ وثمار القلوب ٣١١ والفصول والغايات ٣٣٢ والميدانى (١ : ٤٥٢) واللسان (١٢ : ٢٥٧ / ١٨ : ٢٩٤) . وانفرد البكرى فى التنبيه بنسبته إلى العجاج ، وقال فى تفسيره : « يقول لامرأته : إذا رأيت الناس قد ظلمونى فلا تكونى على معهم ، كما تفعل هذه الذئبة بذكرها » .

(٢) فى الثمار والتنبيه : « ولا تكونى » ، ووجه الرواية بالفاء كما فى الديوان وسائر المصادر .

(٣) الورقاء : ما لونها الورقة ، وهى لون بين السواد والغبرة ، كلون الرماد ، عنى بها الذئبة . وفى الأصل : « زرقاء » محرفة . وفى ثمار القلوب : « حمقاء » دماه تدمية : ضربه حتى خرج منه الدم . وفى الأصل : « دمى دمها » تحريف :

(٤) انظر ابن سلام ١٢٧ والحيوان (٥ : ٣١٩) وثمار القلوب ٣١١ وعيون الأخبار (٢ : ٨٢) والفصول والغايات ٣٣٢ والعقد (٤ : ٢٦١) وتنبيه البكرى ٣٦ وجمهرة العسكرى ١٤٨ والميدانى (١ : ٤٥٢) والأغانى (٤ : ٤٨ / ٥ : ١٥٧) ومحاضرات الراغب (١ : ١٧٤ / ٢ : ٣٠٨) واللسان (١٣ : ٣٠٤ / ١٨ : ٢٩٥) . والبيت فى ديوان الفرزدق ٧٤٩ . وانظر قصة انتحال الفرزدق هذا البيت فى الأغانى (٥ : ١٥٧) .

(٥) رواية اللسان : (١٣ : ٢٠٤) : « فكان كذئب السوء » . وقبل البيت :

فلو كنت صلب العود أو ذا حفيظة لوريت عن مولاك فى ليل مظلم
لجرت بهاد أو لقلت لمداج من القوم لما يقض نعسته نم

(٦) س : « فإن أدمى » .

ولا أعلمُ فى الأرض خَلقاً ألأمَ من هذا الخلق، ولا شرًّا منه[١] . ويحدث عند رؤيته الدَّم له فى صاحبه الطمَع ، ويحدث له فى ذلك الطمع فضلُ قوة ، ويحدث للمدمَّى جبنٌ وخوف ، ويحدث عنهما ضعف واستخذاء[٢] ، فإذا تهيأ ذلك منهما لم يكن دونَ أكله شىء . والله أعلم حيثُ لم يُعطِ الذئبَ قُوةَ الأسد ، ولم يعط الأسد جُبنَ الذئب الهارب بما يرى فى أثر الدّم من الضعف . مثل[٣] ما يعترى الهر والهرة بعد الفراغ من السِّفاد ، فإن الهر قبل أن يفرُغ من سِفاد الهرة أقوى منها كثيراً ، فإذا سَفِدها ولّى عنها هارباً واتبعته طالبةً له[٤] ، فإنها فى تلك الحال إن لحقَتْه كانت أقوى منه كثيراً . فلذلك يقطع الأرض فى الهرَب ، وربّما رمى بنفسه من حالق . وهذا شىءٌ لا يعدَمانِه فى تلك الحال .

ولم أرهم يقِفُون على حدِّ العلة فى ذلك . وهذا بابٌ سيقَعُ فى موضعه من القول فى الذئب تامًّا ، بما فيه من الرِّواية وغير ذلك .

(الذيخ والثيتل والغفر)

وأمّا قوله :

٥ مَنْ خَلقه فى رزقِهِ كلُّهُمْ   الذِّيخُ والثّيْتل والغُفر[٥]

---

(١) كلمة : « ولا شرا منه » ليست فى س .

(٢) الاستخذاء : الخضوع . ط ، هـ : « واسترخاء » .

(٣) أى وهذا مثل .

(٤) هـ : « فإذا سفدها وولى عنها هاربا اتبعته طالبة له » .

(٥) سبق الكلام على هذا البيت فى حواشى ص ٢٨٥ . فى الأصل : « والتيتل » بالتاء المثناة فى أوله ، تحريف . ط ، س : « والعفر » بالعين المهملة .

الذِّيخ : ذكر الضّبع . والثَّيتل شَبيهٌ بالوَعل[1] ، وهو ممَّا يسكن فى رؤوس الجبال ، ولا يكون فى القُرى . وكذلك الأوعال . وليس لها حُضر ولا عملٌ محمود على البسيط[2] ، وكذلك ليس للظباء حُضْر[3] ولا عملٌ محمود فى رؤوس الجبال

وقال الشاعر[4] :

وخَيلٍ تـكَردِسُ بالدارِعِينَ كمشى الوُعولِ على الظاهرةْ[5]

وقال أيضاً[6] :

والظَّبيُ فى رأس اليَفَاع تَخالُه عِنْدَ الهضَاب مُقَيَّدًا مشْكولا[7]

والغفْر[8] : ولد الأُروية : واحدِ الأرْوَى[9] ، والأرْوَى : جماعةٌ من إناث الأوعال .

---

(١) فى الأصل : « والتيتل » محرفة . هـ : « شبيهة » تحريف .

(٢) الحضر ، بالضم : الارتفاع فى العدو . ط « حفر » محرفة . والبسيط من الأرض : المنبسط الفسيح . انظر (٣ : ٥٣٢ س ٢ / ٦ : ٣٩ س ٨) وفى الأصل : « التبسط » محرف .

(٣) ط فقط : « حفر » ، تحريف . وانظر التنبيه السابق .

(٤) هو مهلهل ، كما فى اللسان (ظهر ، كدس) ، أو عبيد بن الأبرص كما فى تهذيب الألفاظ ٢٧٩ واللسان (كدس) .

(٥) سبق الكلام على البيت فى (٤ : ٣٥٣) وفى الأصل : « الظاهر » ، صوابه ما سبق . وقبل البيت كما فى تهذيب الألفاظ :

ألا أيها الملك المرسل الـ قوافى وذو الأمر والنائره
هل لك فينا وما عندنا وهل لك فى الأدم الوافره

(٦) س : « وقال الشاعر » .

(٧) اليفاع ، كسحاب : المشرف من الأرض . هـ : « البقاع » محرف . والمشكول : الذى قيد بالشكال ، وهى حبل تشد به قوائم الدابة . وانظر شبيه هذا البيت فى (٥ : ٦٦) .

(٨) فى الأصل : « العفر » بالمهملة ، تحريف .

(٩) التحقيق أن الأروى ، بفتح أوله مع فتح الواو والقصر : اسم جمع الأروية . وأما جمعها فهو الأراوى على وزن أفاعيل . انظر اللسان (١٩ : ٦٩) .

(الصَّدَع والجأب)

وأما قوله :

٧ « والصَّدَعُ الأعصمُ فى شاهق وجَأبةٌ مسكنُها الوعْـــرُ »

فالصَّدَع : الشّاب من الأوعال . والأعصم : الذى فى عصمته بياضُ[1] وفى المِعْصم منه سوادٌ ولونٌ يخالفُ لونَ جسدِه، والأُنْثَى عَصماء . والجأب : الحمار الغليظ الشَّديد . والجأبة : الأتَان الغليظة . والجأب أيضاً ، مهموز : الَمغرة[2] . وقال عنترة :

فنجا أمامَ رِماحِهنّ كأنَّهُ فَوْتَ الأسِنة حافر الجأبِ[3]

شبَّهه بما عليه من لُطوخ الدِّماء برجُل يحفر فى معدن الَمغْرة . والَمغرة أيضاً ٩٩ المَكْر[4] . ولذلك قال أبو زُبيد[5] فى صفة الأسد المخمر بالدماء :

يعاجيهم للشّرِّ ثانِىَ عِطْفِهِ عنايته كأنّما باتَ يُمْكرُ[6]

---

(١) أراد موضع العصمة . انظر اللسان (١٥ : ٣٠٠ س ١٣) . والعصمة بالضم : بياض فى ذراعيه .

(٢) المغرة ، بالفتح والتحريك : طين أحمر يصبغ به . ه : « المعزة » محرف .

(٣) فوت الأسنة ، أى فائتا الأسنة ، مصدر وقع حالا .

(٤) المكر ، بالفتح ، وهو عين المغرة التى يصبغ بها ، ثوب ممكور : مصبوغ بالمكر .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ٢/٣٥٢ : ٢٧٤) . وزبيد ، بهيئة التصغير . قال ابن دريد فى الاشتقاق ٣٣١ : « ومنهم أبو زبيد الشاعر ، وهو حرملة بن المنذر . وزبيد تصغير زبد ، والزبد العطاء » .

(٦) يعاجيهم ، من المعاجاة ، وهى المعالجة والمعاناة . ط ، ه « يناجيهم » صوابه فى ه . ثانى عطفه : أى لاويا عنقه ، وهذا يوصف به المتكبر . انظر اللسان (١١ : ١٥٦) . عنايته ، كذا وردت فى ط ، ه . وفى س : « عنت » . يمكر ، بالبناء للمفعول : يصبغ بالمكر ، وهو المغرة كما سبق .

(الحية والثعلب والذر)

وأما قوله :

٨ « والحيـة الصماء فى جُحرها والتَّتفل الرائغ والذَّرُّ[١] »

فالتتفل[٢] هو الثّعلب ، وهو موصوفٌ بالرَّوَغان والُخبث ، ويُضرب به المثلُ فى النَّذالة والدناءة ، كما يضرب به المثلُ فى الُخبْث والرَّوَغان .

وقال طَرَفة[٣] :

وصاحبٍ قد كنتَ صاحبْتُه لا تَرَكَ اللهُ لهُ واضِحَه[٤]

كلُّهمُ أرْوَغُ مِن ثَعلبٍ ما أشبَهَ اللَّيلةَ بالبارحَهْ[٥]

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة[٦] :

---

(١) س : « والتنفل الرائع فى الذر » تحريف .

(٢) س : « فالتنفل » ، محرف .

(٣) البيتان من أربعة فى ديوانه ٤٣ يهجو بها عمرو بن هند ، ويلوم أصحابه فى خذلاهم . وهما بتلك النسبة فى أمثال الميدانى (١ : ٢٩٠) وبدون نسبة فى جمهرة العسكرى ١٦ واللسان (٣ : ٤٧٤) والتاج (وضح) ، وقد روى الميدانى ثانيهما أيضا فى (٢ : ٢٠٤) بدون نسبة .

(٤) الواضحة : الأسنان التى تبدو عند الضحك ، صفة غالبة . ورواية الديوان والعسكرى والميدانى واللسان : « كل خليل » وفى اللسان أيضا : « كنت صافيته » .

(٥) أروغ : أفعل من الروغان ، وهو الميل . وعجز البيت مثل يضرب فى تساوى الناس فى الشر والخديعة . يعنى أنهم من اللؤم فى نصاب واحد . وأول البيت عند العسكرى : « فكلهم » .

(٦) هو دريد بن الصمة — واسم الصمة معاوية — بن الحارث بن معاوية بن بكر بن علقة — ويقال علقمة — بن جداعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر ابن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان . وأمه ريحانة بنت معد يكرب ، أخت عمرو بن معد يكرب . ودريد شاعر فحل ، وكان سيد جشم وفارسهم وقائدهم ، وكان مظفرا ميمون النقيبة ، وغزا نحو مائة غزوة ما أخفق فى واحدة منها . وأدرك الإسلام فلم يسلم ، وخرج يوم حنين مظاهرا =

ومُرَّة قد أدركتُهم فتركتُهمْ يروغُونَ بالغَرَّاء رَوْغ الثَّعالب (١)

وقال أيضاً :

ولستُ بثعلبٍ ، إن كان كونٌ يدُسُّ برأسهِ فى كُلِّ جُحْرِ (٢)

ولَمَّا قال أبو مِحْجَنٍ الثَّقَفى لأصحاب النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، من حائط الطائف ما قال ، قال له عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه : « إنما أنتَ ثعلبٌ فى جُحْرٍ ، فابرُزْ من الحِصْن إن كنتَ رجُلا » !

ومما قيل فى ذِلة الثعلب ، قال بعضُ السَّلَف (٣) ، حين وجد الثُّعلبانَ بال على رأس صنمه :

= المشركين فقتل يومئذ على شركه . انظر المؤتلف ١١٤ والأغانى (٩ : ٢ — ١٩) والخزانة (٤ ، ٤٤٤ — ٤٤٧ بولاق) والموشح ٤١ والسيرة ٨٤٠ — ٨٤١ ، ٨٥٢ — ٨٥٣ .

(١) البيت من قصيدة له فى الأصمعيات ص ١١١ — ١١٣ . وروايته فيها .

ومرة قد أخرجتهم فتركتهم يروغون بالصلعاء روغ الثعالب

الضمير للخيل . لكن وردت الرواية هنا وفى معجم البلدان (٥ : ٣٨١) وحماسة ابن الشجرى ص ١٤ : « قد أدركتهم » بضمير المتكلم . ط ، ھ : « قد أركتهم » صوابه فى س والمعجم . وفى المعجم وحماسة ابن الشجرى : « فرأيتهم » بدل : « فتركتهم » . والغراء ، بفتح الغين المعجمة : موضع فى دار بنى أسد بنجد ، وهى فى الأصل « بالعراء » بالعين المهملة تحريف . ورواية الأصمعيات والمعجم وابن الشجرى « بالصلعاء » وهو موضع بنجد ،

(٢) الكون : الحدث .

(٣) هو غاوى بن ظالم السلمى ، أو أبو ذر الغفارى ، أو عباس بن مرداس السلمى ، انظر الاقتضاب ٣٢١ واللسان (١ : ٢٣٠) . أما صاحب القاموس فنسبه إلى غاوى بن عبد العزى الذى أسلم ، وسماه النبى صلى الله وسلم : « راشد ابن عبد ربه » . وفى الإصابة ٥٢١٣ نسبته إلى غاوى بن ظالم الذى سماه الرسول : راشد بن عبد الله » . وكان من قصة البيت على ما روى صاحب القاموس أنه « كان غاوى بن عبد العزى ، سادنالصنم بنى سليم ، فبينما هو عنده إذ أقبل ثعلبان يشتدان حتى تسنماه فبالا عليه ، فقال البيت ثم قال : يا معشر سليم ، لا والله لا يضر ولا ينفع ، ولا يعطى ولا يمنع . فكسره ولحق بالنبى » . وقد ساق هذه القصة أيضا صاحب الاقتضاب . ونحوها فى الإصابة .

إلٰه يبــول الثُّعلُبانُ برأسِــه ... لقد ذَلّ مَنْ بالَتْ عليه الثَّعالبُ (١)

فأرسلها مثلاً . وقال دُرَيدٌ فى مثل ذلك (٢) :

تمنَّيْتَنى قيْسَ بنَ سعدٍ سَفَاهةً ... وأنتَ امرؤٌ لا تحتويك المقانبُ (٣)

وأنت امروٌ جَعْدُ القَفَا مُتَعَكِّسٌ ... من الأَقِطِ الحولِىِّ شبعان كانبُ (٤)

إذا انتسبُوا لم يعرِفوا غيرَ ثَعْلَبٍ ... إليهم ، ومن شَرِّ السِّباع الثعالبُ

وأنشدوا فى مثل ذلك :

ما أعجبَ الدَّهْرَ فى تصرُّفِهِ ... والدَّهْرُ لا تنقضى عجائِبُهُ

يبسُــط آمالَنَــا فنبسُطها ... ودونَ آمالِنَــا نوائِبُــهُ

وكم رأيْنَا فى الدَّهر من أسَــدٍ ... بالتْ على رأســهِ ثعالبُهُ

---

(١) رواية اللسان والقاموس والإصابة و س : « أرب » بدل : « إله » . وقراءة « الثعلبان » على الإفراد بضم الثاء واللام هى ما يقتضيه كلام الجاحظ . وبهذه الرواية أيضا جاء فى صحاح الجوهرى . وقال صاحب القاموس فى نقد الجوهرى : « غلط صريح ، وهو مسبوق فيه . والصواب فى البيت فتح الثاء ؛ لأنه كان غاوى بن عبد العزى . . . . » ، وذكر القصة على ما رويت فى التنبيه السابق ورواية عجز البيت فى الاقتضاب والإصابة : « لقد هان من بالت عليه الثعالب » .

(٢) بدل هــذه العبارة فى س : « وأنشدوا فى مثل ذلك » . والبيت الأول والثانى فى الخزانة (٣ : ١٦٦ بولاق) والثانى فقط فى الأصمعيات ص ١٢ ورواه ابن منظور فى اللسان (٢ : ٢٢٣) . وأما الثالث فلم أجده فى غير الحيوان . ويبدو لى أن هذه الأبيات الثلاثة هى لدريد من قصيدة أخرى غير التى سبق بيت منها فى الصفحة السابقة .

(٣) س : « تمنينى » تحريف . وفى الخزانة : « زيد بن سهل » و : « مقانب » . والمقانب : جمع مقنب ، بالكسر ، وهو من الخيل ما بين الثلاثين إلى الأربعين ، وقيل زهاء ثلثمائة ، أو هو جماعة الخيل والفرسان .

(٤) الجعد : القصير . والمتعكس : المتثنى غضون القفا . والأقط : لبن مجفف يابس مستحجر . والحولى : الذى مضى عليه الحول . والكانب : الغليظ . وفى شرح الأصمعيات : « أى أنت سمين وأنت صاحب غنم » . وفى الأصل : « من اللاقط » و : « كاقب » محرفتان ، صوابهما من الأصمعيات واللسان . وكلمة : « شبعان » هى فى ط : « ثعبان » س : « سعبان » ، صوابهما فى هـ والأصمعيات واللسان .

ففى الثعلب جلدُه ، وهو كريم الوَبر . وليس فى الوَبر أغلى من الثعلب الأسود . وهو ضروبٌ ، ومنه الأبيضُ الذى لا يُفْصَل بينه وبين الفَنَك [١] ومنه الخلنْجىّ [٢] ، وهو الأعمّ .

ومن أعاجيبه أن نَضِيَّهُ ، وهو قضيبه [٣] فى خِلقة الأنبوبة ، أحد شَطْريه عظْمٌ فى صورة المِثقب ، والآخر عصبٌ ولحم ، ولذلك قال بشرُ ابنُ المعتمر :

والتّتفل الرائغُ إمَّا نضا فشَطْرُ أُنبوبٍ على شطْرِ [٤]

وهو سَبُعٌ جبانٌ جدًّا ، ولكنّه لفرط [٥] الخبثِ والحيلة يجرِى مع كبار السِّباع .

وزعم أعرابىٌّ ممن يُسمَعُ منه ، أنّه طاردَهُ مرَّةً بكلابٍ له ، فراوغَه حتّى صار فى خَمَر [٦] ، ومرَّ بمكانه فرأى ثعلبا ميّتا ، وإذا هو قد زَكَر بطنه [٧] ونفخه ، فوهّمه أنّه قد مات من يوم أو يومين . قال : فتعدّيته

---

(١) سبق الكلام على الفنك فى (٥ : ٤٨٤ / ٦ : ٢٧) .

(٢) انظر الخلنجى (٥ : ٢٧٢) . س : « الخليجى » محرف .

(٣) النضى ، كغنى ، قال فى اللسان : إنه « ذكر الرجل ، وقد يكون للحصان من الخيل – وعم به بعضهم الخيل . وقد يقال أيضا للبعير . وقال السيرافى : هو ذكر الثعلب خاصة » . ه « ومن أعاجيبه أن قضيبه » وفيه سقط . س ، ط : « أن نصه وهو قضيبة » ، والصواب ما أثبت .

(٤) سبق الكلام على البيت فى ٢٩٦ . س ، ه : « والتنفل الرابع » صوابها فى ط . وفى الأصل : « نضى » بالياء ، صوابه بالألف . وفى اللسان : « أبو عبيدة : نضا الفرس ينضو نضوا : إذا أدلى فأخرج جردانه » .

(٥) س : « بفرط » بالباء .

(٦) الخمر ، بالتحريك : ما وراك من الشجر والجبال ونحوها . يقال : توارى الصيد عنى فى خمر الوادى ؛ وخمره : ماواراه من جرف أوحبل من حبال الرمل أوغيره .

(٧) زكر بطنه : ملأه بالهواء . وهو من زكر السقاء وزكره بالتشديد : إذا ملأه .

وشمَّ رائحة الكلاب[1] فوثب وثْبةً فصارَ فى صحراء .

وفى حديث العامَّة أنَّه لما كثُرت البراغيثُ فى فرْوته[2] ، تناوَل بفيه إمَّا صُوفةً وإمَّا ليقة[3] ، ثم أدخل رجْليه فى الماء ، فترفَّعَتْ عن ذلك الموضع[4] ، فما زال يغمسُ بدنَه أوَّلاً فأوَّلاً حتَّى اجتمعن فى خَطْمه ، فلمَّا غمَس خَطمَه أوَّلا فأوَّلا اجتمَعْنَ فى الصُّوفة ، فإذا علم أنّ الصُّوفة قد اشتملت عليهنَّ تركها فى الماءِ وَوَثَبَ ، فإذا هو خارجٌ عن جميعها[5] .

فإن كان هذا الحديثُ حَقًّا فما أعجبَه . وإن كان باطلا فإنّهم لم يجعلوه له إلاّ للفضيلة التى فيه ، من الُخبْثِ والكَيْس .

وإذا مشى الفرَسُ مشْياً شبيهاً بمشْى الثعلب قالوا : مشَى الثّعلبيَّة[6] .

قال الراعى[7] :

وَغَمْلَى نَصِىٍّ بالمِتَانِ كأنّها ... ثعالبُ مَوْتَى جلدُها قد تسَلَّعا[8]

---

(١) س ، هـ : « وشمت » تحريف.

(٢) س : « بفروته » .

(٣) الليقة ، بالكسر : صوفة الدواة ، يقال : لاق الدواة جعل لها ليقة .

(٤) ط ، هـ : « من ذلك الموضع » ، وأثبت ما فى س .

(٥) ط ، هـ : « من جميعها » .

(٦) س : « مشى مشية ثعلبية » .

(٧) البيت التالى فى أمالى القالى (١ : ١١٥ / ٢ : ١٨٥) والمخصص (١١ : ١٧٧) واللسان (زلع ، غمل) .

(٨) غملى ، بفتح الغين المعجمة : جمع غميل ، وهو من النصى ماركب بعضه بعضا . والنصى ، كغنى : نبت سبط أبيض ناعم من أفضل المرعى . والمتان : جمع متن ، وهو ما ارتفع من الأرض واستوى . تسلع : تشقق . وروى فى اللسان والمخصص والأمالى فى الموضع الأول : « تزلعا » . وتزلع مثل تسلع ، وزنا ومعنى . ونص صاحب اللسان فى (زلع) على رواية السين ، والقالى فى الموضع الثانى على رواية الزاى . ط ، هـ : « وخيل » س : « وقل » ، صوابهما ما أثبت من جميع المصادر . وفى الأصل : « نضى بالمثان » محرفتان .

وقال الأصمعىُّ : سرق هذا المعنى من طُفيلٍ الغنَوىّ ولم يُجِدِ السَّرَق [١] :

وفى تشبيهِ بعضِ مِشيته قال المرَّار بن مُنقِذ [٢] :

صِفَةُ الثَّعلَبِ أدنَى جَرْيِهِ   وإذا يُرْكَضُ يَعْفُورٌ أشِرْ [٣]

وقال امرؤ القيس :

له أيْطلاَ ظَبْىٍ وساقا نَعَامَةٍ   وإرخاءُ سِرْحَانٍ وتَقْرِيب تَتْفُلِ [٤]

والبيت الذى ذكره الأصمعىُّ لطفيل الغنَوى ، أنّ الرَّاعى سرَق معناه هو قوله [٥] :

وغمْلَى نَصِىٍّ بالمتـان كأنّها   ثَعالبُ مَوَتى جِلْدُها لم ينزَّعِ [٦] ١٠١

وأنشدوا فى جُبْنِه قولَ زُهيرِ بنِ أبى سُلمى [٧] :

---

(١) سرق سرقا ، محركة وككتف ، وسرقة محركة وكفرحة ، وسرقا بالفتح .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ٤٦٥). والبيت من قصيدة فى المفضليات ٨٢ — ٩٣ وانظر الخيل لأبى عبيدة ٥٧ ، ١٥٧ .

(٣) اليعفور : الظبى . والأشر : النشيط . ورواية أبى عبيدة : « وهو إن يركض فيعفور » .

(٤) البيت من معلقة امرئ القيس . انظر التبريزى ٤٣ والزوزنى ٣٤ وديوانه ٣٩ . س : « تنفل » محرفة .

(٥) س ، هـ : « وهو قوله »، والواو مقحمة .

(٦) البيت لم يرو فى ديوان طفيل الغنوى ، ولا فى ملحقاته . ولم أجد له مرجعا . وانظر لشرح هذا البيت ما سبق فى شرح بيت الراعى . وفى الأصل : « وعجل نضى » محرف ، وفى ط ، س : « بالمثان » هـ : « بالمجان » صوابهما ما أثبت .

(٧) الأبيات من قصيدة رواها ثعلب فى ديوان زهير ص ٢٦٥ — ٢٦٨ طبع دار الكتب المصرية ، ولم يروها الشنتمرى فى ديوان زهير . قال ثعلب : « وقال زهير أيضا ، ورواها أبو عمرو الشيبانى ، وهى متهمة عند المفضل » . وأنشد القصيدة .

وبَلدةٍ لا تُرَامُ خائفةٍ زَوراءَ مُغْبَرَّةٍ جوانبُها (١)

تسمَعُ للجنِّ عازِفِينَ بها تَصِيحُ مِنْ رَهْبَةٍ ثعالبُها (٢)

كلّفتُها عِرْمِسًا عُذافِرَةً ذَاتَ هِبابٍ فُعماً مناكبُها (٣)

تُرَاقِبُ المُحْصَدَ المُمَرَّ إذا هاجرةٌ لم تَقِلْ جَنادبُها (٤)

والذى عندى أنَّ زُهيراً قد وصفَ الثّعلبَ بشدَّة القلْب ؛ لأنهم إذا هَوَّلُوا بذكر الظُّلْمة الوحشيَّة والغيلان ، لم يذكُروا إلاَّ فزِعَ من لايكاد يفزَع ؛ لأنَّ الشاعر قد وصف نفسَه بالجراءة (٥) على قطع هذه الأَرض فى هذه الحال (٦) .

وفى استنذاله وجُبنه قالت أمُّ سالم لابنها مَعْمَر :

أرى مَعْمرا لا زَيّنَ اللهُ مَعْمَرًا ولا زَانَهُ مِنْ زائرٍ يتقرّب

---

(١) البلدة : الأرض . وقال ثعلب : « لا ترام : لايقدر عليها . وخائفة : ذات خوف ، كقولك : عيشة راضية : ذات رضا . وزوراء : ليس طريقها بمستقيم ولا هى القصد . ومغبرة من الجدب . وجوانبها : نواحيها ». وفى الأصل : « جابية » مكان : « خائفة » تحريف .

(٢) رواية الديوان : « تضح » . قال ثعلب : « تضبح : تصيح » .

(٣) كلفتها : يريد كلفت تلك البلدة المخوفة عرمسا . والعرمس بكسر العين والميم : الناقة الشديدة . والعذافرة ، بضم العين : الضخمة الشديدة الخلق . والهباب ، بالكسر : النشاط ما كان . قال لبيد :

فلها هباب فى الزمام كأنها صهباء راح مع الجنوب جهامها

والفعم : جمع أفعم ، وهو الممتلىء . وفى الأصل : « ذات هنا فقم » صوابه من الديوان .

(٤) تراقب : ترقب السوط بشق عينها من الخوف أن تضرب به . والمحصد : الشديد الفتل ، يعنى السوط . والممر : المفتول ، أمر : فتل . لم تقل من القائلة ، يريد من شدة الحر . والجندب ، كما يقول ثعلب : « هو راجل الجراد الذى ليس له جناحان يطير بهما » . والراجل : الذى يمشى على رجليه . وانظر الجندب (٤ : ١٠٧) .

(٥) هـ : « بالجرأة » .

(٦) س : « فى هذه الحالة » .

أعاديْتَنا عادَاك عــزٌّ وذِلّةٌ كأنك فى السِّرْبالِ إذْ جئتَ ثعلبُ [(١)]
فلم ترَ عينى زائرا مِثلَ مَعْمَر أحقَّ بأن يُجنَى عليه ويُضْرَبُ

وقال عَقيل بن عُلَّفة [(٢)] :

تأمَّل لما [قد] نَال أمَّكَ هِجرِسٌ فإنَّكَ عَبْـدٌ يا زُمَيلُ ذَليلُ [(٣)]
وإنى مَتى أضرِبْكَ بالسَّيفِ ضَرْبة أُصبِّحْ بَنِى عَمْرٍو وأنتَ قَتيلُ [(٤)]

الهِجْرس : ولد الثَّعلب [(٥)] . قال : وكيف يَصْطادُ وهو على هذه الصِّفَة [(٦)] ؟ فأنشد شعر ابن ميَّادَة :

ألم تَرَ أنَّ الوَحْشَ يَخْدَعُ مَرَّةً ويُخْدَعُ أحياناً فيُصطاد نُورها [(٧)]
بَلَى، وضَوارِى الصَّيدِ تُخْفِقُ مَرَّةً وإنْ فرُهَتْ عِقبانُها ونُسورها [(٨)]

قال : وسألت عنه بعض الفقهاء فقال : قيل لابن عبَّاس [(٩)] : كيف تزعمون أن سليمانَ بن داود عليهما السلام كان إذا صار [(١٠)] فى البرارى ، حيث [(١١)]

(١) أراها تدعو عليه بالهلاك ، فلا يكون له عز ولا ذلة . ﻫ : « عزا » محرف .
(٢) هو عقيل بن علفة بن الحارث بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن غيظ ابن مرة بن سعد بن ذبيان ، شاعر مجيد مقل من شعراء الدولة الأموية . انظر الأغانى (١١ : ٨١ — ٨٩) والخزانة (٢ : ٢٧٨) . قال البغدادى « وعقيل بفتح العين وكسر القاف . وعلفة : بضم العين المهملة وتشديد اللام المفتوحة بعدها فاء . وهو علم منقول من واحد العلف وهو الطلح » . وفى الأصل: «علقمة» تحريف .
(٣) كلمة : « قد » ليست فى الأصل .
(٤) صبحهم : أتاهم صبحا بخير أو شر . وفى الأصل : « أصبح » .
(٥) ط ، ﻫ : « من ولد الثعلب » بإقحام « من » .
(٦) من البين أن فى الكلام هنا سقطا .
(٧) النور ، بالضم ، جمع نوار ، كسحاب ، وهو النفور من الظباء والوحش وانظر (٥ : ٧٨ س ٥) . وفى الأصل : « ثورها » بالثاء المثلثة ، تحريف .
(٨) فرهت ، بضم الراء ، تفره فراهة وفراهية : حذقت . س : « فوهت » بالواو ، محرفة .
(٩) الذى سأل ابن عباس هو نجدة الحرورى ، أو نافع بن الأزرق ، كما فى ثمار القلوب ٣٨٤ والحيوان (٣ : ٥١٢) .
(١٠) س : « سار » بالسين .
(١١) ط ، س : « وحيث » .

لا ماءَ ولا شجر ، فاحتاج إلى الماء ، دلّه على مكانه الهدهُد ، ونحن نغطّى له الفخَّ بالتراب الرَّقيق ، ونُبرز له الطُّعم ، فيقع فيه جَهْلاً بما تحت ذلك التراب ؛ وهو يدلُّ على الماء فى قعر الأَرض الذى لا يُوصَل إليه إلاّ بأن يَحفر عليه[1] القيِّم الكيِّس ؟

قال : فقال ابنُ عبَّاس رضى الله عنهما : « إذا جاءَ القدَرُ لم ينفع
١٠٣ الحذَر[2] ! » .

وأنشدوا :

خير الصديق هو الصَّدوق مَقالةً وكذاك شَرُّهم المَيُون الأكذبُ[3]
فإذا غدَوْتَ له تريد نجازَهُ بالوَعْدِ رَاغَ كما يروغُ الثَّعلبُ[4]

وقال حَسَّان بن ثابت رضى الله تعالى عنه[5] :

بنى عابدٍ شاهَتْ وجُوهُ الأعابِد بِطاءٌ عن المعروف يوم التَّزَايُدِ[6]

---

(١) المعروف فى كلامهم : حفر عنه .

(٢) سبق فى (٣ : ٥١٣) : « إذا جاء القدر عمى البصر » ، وهى رواية الثعالبى فى ثمار القلوب .

(٣) الميون ، فعول من المين ، وهو الكذب . وفى اللسان : « ورجل ميون وميان كذاب » . ﻫ : « المؤن » تحريف .

(٤) أراد بالنجاز الوفاء بالوعد . وهذا اللفظ لم يرد فى المعاجم ، والمعروف الإنجاز . ومنه المثل : « أنجزحر ما وعد » . ﻫ : « عدوت له تريد فجاره » محرفة .

(٥) البيتان فى ديوانه ص ١٥٢ .

(٦) بنو عابد ، هم بنو عبد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، كما فى الديوان ١٤٢ ومختلف القبائل ومؤتلفها لمحمد بن حبيب ٤٤ طبع جوتنجن سنة ١٨٥٠ وأنساب السمعانى الورقة ٣٧٧ . قال : « العابدى بالعين المهملة والباء المكسورة المنقوطة بواحدة وكسر الدال المهملة ، هذه النسبة إلى عابد (بن عبد الله) بن عمر بن مخزوم » . وفى هجوهم وهجو رفيع بن صيفى بن عابد يقول حسان أيضا :

فإن تصلح فإنك عابدى وصلح العابدى إلى فساد

فما كان صَيفىٌّ يفِى بأمانة قفا ثعلب أعْيَا ببَعْضِ المراصِدِ(١)

وأنشد :

ويشْرَبُه مَذْقا ويَسْقِى عِيالَه سَجَاجا كأقرابِ الثَّعالبِ أوْرَقا(٢)

وقال مالك بن مِرْداس(٣) :

يا أيُّهاذا الموعِدى بالضرِّ لا تلعبنَّ لعِبةَ المغترِّ

أخافُ أنْ تكونَ مثلَ هرِّ أو ثَعْلبٍ أُضيعَ بعد حُرِّ(٤)

= وضبط البغدادى فى الخزانة (٢ : ٥٣٩ بولاق) عابدا « بموحدة بعدها دال غير معجمة » . وفى بنى مخزوم أيضا « عائذ » وهم من ولد عمران بن مخزوم . انظر السمعانى ٣٧٩ . ولذا اختلط الأمر على أبى الفرج فى الأغانى (١ : ٩٤) فجعل عابد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم : « عائذا » بالذال المعجمة . وليس صوابا . والأعابد : جمع أعبد ، وأعبد جمع عبد . انظر ما سبق فى (٥ : ٤٦٤) ط : « بنى عائد » س ، ﻫ : « بنى عائذ » ط ﻫ : « وجوه الأعائد » س : « الأعائذ » ، والوجه فيه ما أثبت . ورواية الديوان ١٥٢ :

سألت قريشا كلها فشرارها بنو عابد شاه الوجوه لعابد

(١) صيفى بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة التحتية وكسر الفاء وتشديد التحتية ، كما ضبطه البغدادى فى الخزانة (٢ : ٥٣٩ بولاق) . وهو والد رفيع بن صيفى ابن عابد . ط ، ﻫ : « ضيفى إذ يفى بأمانه » س : « صيفى إذ يفى بأمانه » كلاهما محرف ، كما أن كلمة : « إذ » مقحمة فيهما . وفى الديوان : « وما كان صيفى ليوفى ذمة » . قفا ثعلب ، أى قفا ثعلب ولى بعد أن أعيته الحيل .

(٢) المذق ، اللبن الممزوج بالماء . والسجاج بفتح السين المهملة بعدها جيم مخففة : اللبن الذى يجعل فيه الماء ، أرقما يكون ، وقيل هو الذى ثلثه لبن وثلثاه ماء ، واحدته سجاجة . ط ، س : « ثجاجا » صوابه فى ﻫ واللسان (سجج ، مذق ، ورق) . والأقراب : جمع قرب ، بالضم ، وهو الخاصرة . والأورق : اللبن الذى ثلثاه ماء وثلثه لبن ، كما فى اللسان (١٢ : ٢٥٦) عند إنشاد البيت . وفى الأصل : « أزرقا » ، ووجه روايته ما أثبت من اللسان فى المواضع الثلاثة ورواية أوله فى المواضع الأول والثالث من اللسان : « ويشربه محضا » لا : « مذقا » كما فى الموضع الثانى .

(٣) لم أعثر له على ترجمة .

(٤) الحر ، بالضم : من الصقور شبه البازى ، يضرب إلى الخضرة ، أصفر الرجلين والمنقار ، صائد . وقيل بل الحر : الصقر والبازى . انظر المخصص (٨ : ١٥٠) .

هاجَتْ به مخيلة الأظفر[١] عَسراء فى يوم ِ شمَال قَرٍّ[٢]

يجول منها لثق الذعر[٢] بصرَدٍ ليس بذى محجر[٤]

تنفض أعلى فرْوِهِ المغبرِّ[٥] تنفضُ منها نابها بشزر[٦]

نفضا كلون الشره المخمر[٧]

المخيلة : العقاب الذّكر الأشبث[٨] . صرد : مكان مطمئنّ[٩] .

وقال اليقطرى : كان اسمُ أبى الضّريس[١٠] ديناراً فقال له مولاه : يادنينير ! فقال : أتصغِّرنى وأنتَ من بنى مخيلة[١١] ، والعقاب الذّكر بدرهم ، والأنثى بنصف درهم ، وأنا ثمنى عشرة دراهم[١٢] .

(سلاح الثعلب)

ومن أشدِّ سِلاح الثّعلب عندكم[١٣] الرَّوَغان والتّماوُت ، وسُلاحه أنتنُ وألزَجُ وأكثَرُ من سَلاح الحبارى .

---

(١) كذا ورد هذا البيت . وفى س : « مخلبة » .

(٢) العسراء : العقاب التى فى جناحها قوادم بيض . انظر المخصص (٨ : ١٤٥) واللسان (٦ : ٢٤١) . وفى الأصل : « عراء » ، وما أثبت أقرب وجه لتصحيحها . يوم شمال : أى تهب فيه ريح الشمال . والقر ، بالفتح : اليوم البارد ، وكل بارد قر .

(٣) كذا جاء البيت .

(٤) الصرد ، بالفتح ويحرك ، كما فى القاموس ، هو المكان المرتفع من الجبال . ه : « بصدر » محرف . وكلمة : « محجر » موضع نظر .

(٥) ط ، ه : « فروة » س : « قروه » صوابهما ما أثبت .

(٦) كذا . وفى ه : « بأنها » بدل : « نابها » .

(٧) س : « المخمر » . ه : « بعضا كلون الشره المحمر » . والبيت محرف .

(٨) كذا وردت هذه العبارة .

(٩) انظر ما سبق فى الحاشية الرابعة .

(١٠) ضبط فى ه بتشديد الراء .

(١١) كذا فى الأصل . ولم أجده فى قبائلهم .

(١٢) هذه الجملة ساقطة من ه . وفى ط : « وأنا اثنى عشر درهما » محرفة . وكأنه يقول لمولاه : إن ثمنى هذا الحقير أعلى من ثمنك .

(١٣) كذا وردت هذه الكلمة .

وقالت العرب : « أدهى [من الثعلب[1]] » ، و : « أنتن من سُلاح الثَّعلب » .

وله عجيبةٌ فى طلب مقتل القنفذ ؛ وذلك [أنّه[2]] إذا لقيه فأمكنَهُ من ظهره بالَ عليه . فإذا فعل ذلكَ به ينْبَسط[3] فعند ذلك يقبضُ على مَرَاقٍّ بطْنه .

(أرزاق الحيوان)

ومن العجَب فى قسمة الأرزاق أنَّ الذِّئبَ يصيد الثَّعلب فيأكلُه ، ويصيد الثّعلبُ القنفذَ فيأكلُه ، ويُريغ القنفذ الأفعَى فيأكلها[4] . وكذلك صنيعُه فى الحيَّات مالم تعظُم الحيَّة . والحيَّة تصيدُ العصفورَ فتَأكلُه ، والعصفور يصيد الجراد فيأكله ، والجراد يلتمس فِرَاخَ الزّنابير وكلّ شىء ٢٠٣ يكون أفحوصُهُ على المستوِى ، والزُّنبور يصيد النّحلةَ فيأكلُها ، والنَّحلة تصيد الذبابة فتأكلها ، والذبابة تصيدُ البعوضةَ فتأكلها .

(الإلقة والسهل والنوفل والنضر)

وأمَّا قوله :

٩ « وإلقة تُرْغِثُ رُبَّاحَها والسَّهْـلُ والنَّوْفَلُ والنضْرُ[5]

فالإلقة هاهنا القردة . تُرْغِث[6] : ترضع . والرُّبَّاح : ولد القِردة .

---

(١) ليست فى الأصل ، والكلام مفتقر إليها .

(٢) تكملة يستقيم بها الكلام .

(٣) س : « تبسط » وهما صحيحتان ، يقال بسطه ، بالتخفيف ، فانبسط ، وبسطه بالتشديد فتبسط .

(٤) أراغها : طلبها وأرادها .

(٥) ط ، هـ : « ترعث » تحريف . وانظر ما سبق ص ٢٨٥ .

والسَّهْـل : الغراب . والنَّوفل : [البحر[1]] . والنَّضْر : [الذهب [1]] . وكلُّ جَرِيَّةٍ[2] من النِّساء وغيرِ ذلك فهى إلْقةٌ . وأنشدنى بشرُ بنُ المعتمِر لرؤبة :

* جَدّ وجَدّت إلقةٌ من الإِلَقْ[3] *

وقد ذكرنا الهِقْلَ وشأنَه فى الجمر والصّخْر ، وأكلَ الضّبِّ أولادَه ، فى موضعه من هذا الكتاب[4] وكذلك قوله فى العُتْرُفان[5] ، وهو الديك الذى يؤثِر الدَّجاج بالحبّ ، وكأنّه منجِّم أو صاحبُ أَسْطُرلاب[6] . وذكرنا أيضاً مافى الجراد فى موضعه[7] . ولسنا نُعيدُ ذكر ذلك ، وإن كان مذكوراً فى شعر بشر[8] .

(الأبغث)

وأمّا قوله :

---

(١) ليست فى الأصل ، وبها يتم الكلام .

(٢) جرية : مهمل جريئة . وفى اللسان : « قال الليث : الإلقة توصف بها السعلاة والذئبة والمرأة الجريئة لخبثهن » . ط : « حرية » س : « حرمة » صوابهما فى هـ .

(٣) البيت من أرجوزة لرؤبة فى ديوانه ١٠٧ يصف فيها الفلاة . وهذا البيت فى صفة صائد وزوجه . وقبله :

يأوى إلى سفعاء كالثوب الخلق ... لم ترج رسلا بعد أعوام الفتق

إذا احتسى من لومها مر اللعق ... جد وجدت إلقة من الإلق

وفى الأصل : « حتى وجدت » ، صوابه من الديوان ومما سبق فى (٢ : ٢٨٥) .

(٤) انظر لأكل النعام الجمر والصخر ما سبق فى (١ : ١٤٧ / ٤ : ٣١٠ ، ٣٢٠) ولأكل الضب ولده (١ : ١٩٧ / ٦ : ٤٩) .

(٥) انظر (١ : ٢١٣ / ٢ : ١٤٨ ، ١٥٠ ، ١٥١) .

(٦) انظر (٣ : ٢٤٢) . س : « الأصطرلاب » .

(٧) انظر (٥ : ٥٤٩ — ٥٥٠) .

(٨) استغنى الجاحظ بهذه الإشارات عن إنشاد الأبيات رقم ١٠ — ١٦ من هذه القصيدة .

١٦ • « وأبْغَثُ يَصطادُه صَقرُ[١] » •

ثم قال :

١٧ « سِلاحُه رُمْحٌ فما عُذْرُه   وقد عَرَاه دُونَه الذعرُ »

يقول : بدنُ الأبغَث أعظمُ من بدن الصقر ، وهو أشدُّ منه شِدَّة ، ومِنقارُه كسنان الرُّمْح فى الطول والذَّرَب . وربَّما تجلى له الصَّقرُ والشّاهينُ فَعَلِقَ الشَّجر والعَرَار[٢] ، وهتك كلَّ شيء . يقول : فقد اجتمعت فيه خصالٌ فى الظَّاهر معينةٌ له عليه . ولولا أنّه على حال يعلم أنَّ الصَّقرَ إنَّما يأتيه [قُبُلاً و[٣]] دُبُرًا ، واعتراضاً ، ومن عَلُ[٤] ؛ وأنّه قد أعطى فى سِلاحه وكفِّه فضلَ قوَّة[٥] لما استخذى له[٦] ، ولَمَا أطعمه بهرَبِه ، حتَّى صارت جُرأته عليه بأضعاف ما كانت .

قال بعضُ بنى مرْوان فى قتل عبد الملك عَمْرَو بنَ سَعيد[٧] :

كأنَّ بنى مَرْوانَ إذ يقتلونه
بغاثٌ من الطَّيرِ اجتمعن على صَقْر

(مايقبل التعليم من الحيوان)

وأمَّا قوله :

---

(١) صدر هذا البيت : « جرادة تخرق متن الصفا » .
(٢) العرار ، بالفتح : شجر عظيم جبلى لا يزال أخضر ، تسميه الفرس السرو .
(٣) تكملة يقتضيها السياق . وكلمة : « إنما » هى فى ط فقط : « بما » محرفة .
(٤) هـ : « من على » ، وهى إحدى لغاتها . وفى اللسان : « وأتيته من على بياء ساكنة » .
(٥) فضل : زيادة . س ، هـ : « فضلة » ، وإنما الفضلة البقية من الشىء .
(٦) استخذى ، بالذال المعجمة : خضع . ط ، هـ : استخزى » محرفة .
(٧) هو عمرو بن سعيد الأشدق .

١٨ « والدُّبُّ والقِرد إذا عُلِّما والفيل والكَلْبَةَ واليَعْر[١] »

فإنّ[٢] الحيوان الذى يَلْقَن ويَحْكِى ويَكِيسُ ويُعلَّم فيزداد بالتَّعليم فى هذه التى ذكَرنا[٣] ، وهى الدّبّ والقِرد ، والفِيل ، والكلب ؛

وقوله : اليعر[٤] ، يعنى صغار الغنم[٥] . ولعمرِى أنَّ فى المكّيّة والحبشيَّة لعباً . ١٠٤

(حب الظبى للحنظل، والعقرب للتمر)

وأمَّا قوله :

٢٠ « وظبيةٌ تخضَمُ فى حَنْظل وعَقْرَبٌ يُعْجِبُها التَّمرُ »

ففى الظَّبى[٦] أعاجيبُ من هذا الضرب ؛ وذلك أنَّه ربَّما رَعَى الحنظل[٧] ، فتراه يقبِضُ ويعَضُّ على نِصف حنظلةٍ فيقدُّها قد الحَسْفَة[٨] فيمضَغُ ذلك النِّصفَ وماؤُه يسيلُ من شِدقيه ، وأنت ترى فيه الاستلذاذَ له ، والاستحلاءَ لطَعمه .

وخبرنى أبو محجن العنزىّ ، خالُ أبى العميثل الرَّاجز ، قال : كنت

---

(١) اليعر ، بفتح الياء التحتية المثناة : الشاة أو الجدى يشد عند زبية الذئب أو الأسد . وسيفسرها الجاحظ فيما يلى . وفى الأصل : « البغر » محرف.

(٢) فى الأصل : « أن » ، والفاء واجبة .

(٣) ط فقط : « فهذه التى ذكرنا » .

(٤) ط ، ه : « البغر » محرفة .

(٥) ط فقط : « صفار الغنم » محرفة . وانظر التنبيه الأول .

(٦) ط ، ه : « وفى » صوابها فى س .

(٧) فى الأصل : « رعت الحنظل » .

(٨) الحسفة ، بالفتح : واحدة الحسف ، وهو الجوز الذى يؤكل . انظر اللسان (١٠ : ٤١٦) . ط ، ه : « الحصفة » س : « الحصف » ، صوابهما ما أثبت . أراد أنه يقسم الحنظلة قسمين متساويين كما تنقسم الجوزة .

أرى بأنطاكِيَة الظَّبى يَرِدُ البحْر ، [و[1]] يشربُ المالحَ الأجاج[2] .

والعَقْرب ترمى بنفسها فى التَّمر[3] . وإنّما تطلب النَّوى المُنْقَع فى قعر الإناء .

فأىُّ شىء أعجبُ من حيوانٍ يستعذِب مُلوحةَ البحْر ، ويستحْلِى مَرَارةَ الحنظَل .

وسنذكر خِصالَ الظَّبى فى الباب الذى يقع فيه ذِكرُه إن شاء الله تعالى . ولسنا نذكر شأنَ الضبِّ والنَّمل ، والُجعل والرَّوث [والورد[4]] لأنّا قد ذكرناه مرّة.

(فأرة البيش)

وأمّا قوله :

٢٣ وفأرة البِيْش إمامٌ لها والخلْدُ فيه عجَبٌ هتْر »

فإن فأرة البِيش دُويْبّةٌ تشبه الفأرة ، وليست بفأرة ، ولكن هكذا تسمَّى : وهى تسكون فى الغِياض والرِّياض ومنابت الأهضام[5] . وفيها سمومٌ كثيرة ، كقرون السُّنْبل ، وما فى القُسْط[6] . فهى تتخلَّل تلك الأهضام[7] ،

---

(١) هذه من س .

(٢) الأجاج ، بالضم : الشديد الملوحة والمرارة . ط ، ه : « والأجاج » .

(٣) ط فقط : « والعفر » محرفة . وفى ط ، ه : « فى الغمر » ، صوابهما فى س .

(٤) هذه التكملة من س ، ه .

(٥) أى المنابت التى فى الأهضام . والأهضام : جمع هضم ، بالكسر ، وهو المطمئن من الأرض ، أو أسفل الوادى .

(٦) القسط ، بالضم : عود يتبخر به .

(٧) س ، ه : « تخالل » .

وتطلب السُّمومَ وتغتذِيها . والبِيش : اسمٌ لبعض السُّموم . وهذا ممّا يُعجَب منه .

وقد ذكرنا شأنَ القنفُذ والحيَّة فى باب القول فى الحيَّات [١] .

(العضرفوط والهدهد)

وأمّا قوله :

٢٥ * « وعضرفوطٌ ماله قِبْلة » *

فهو[٢] أيضاً عندَهم من مطايا الجنّ . وقد ذكره أيمنُ بن خُرَيم[٣] فقال :

وخيـــلُ غزالَةَ تَنْتَابُهُمْ تَجُوب العِراقَ وتَجْبى النَّبِيطَا[٤]
تَـكُرُّ وتُجْحِر فُرسانَهُـمْ كما أجْحَرَ الحيَّةُ العَضْرَفُوطا[٥]

---

(١) انظر ما سبق فى (٤ : ١٦٩) .

(٢) فى الأصل : « وهو » محرف .

(٣) هو أيمن بن خريم بن الأخرم بن عمرو بن قاتك ، من شعراء الدولة الأموية ، ولأبيه صحبة برسول الله ورواية عنه . وقد جعله أبو الفرج فى الأغانى (٢١ : ٥) شيعيا . ولكن المسعودى فى التنبيه والإشراف ٢٥٣ عده عثمانيا . وبذلك يكون قد اضطرب بين التيارين . والشعر التالى من قصيدة قالها لما طالت الحرب بين غزالة وأهل العراق وهم لا يغنون شيئا ، فقالها يستحثهم ويستثير حميتهم . انظر الأغانى (٢١ : ٨) . وانظر الكلام على غزالة ما سبق فى (٥ : ٥٩٠) .

(٤) تنتابهم : تقصدهم وتأتيهم مرة بعد مرة . تجوب : تقطع . والنبيط : جيل كانوا ينزلون سواد العراق . تجبيهم : تأخذ منهم الجباية . والبيت محرف فى الأصل ، فإن صدره فيه : « دخلنا غزالة بنيانهم » محرف ، وفى الأغانى : « وخيل غزالة تسبى النساء » . س . « تجوز العراق وتجبى النبيطا » محرف . وفى ط : « نجوب العراق ونجبى النبيطا » صوابهما فى ه . ورواية عجزه فى الأغانى : « وتحوى النهاب وتحوى النبيطا » ، صوابه : « وتجبى النبوطا » . وقبل البيت فى الأغانى :

ألا لايستحى الله أهل العرا ق أن قلدوا الغانيات السموطا

(٥) تكر ، أى الخيل تكر هى وتجحر فرسان أهل العراق . تجحرهم بتقايم الجيم : تدخلهم الجحر ، أراد تحملهم على الفزع والهرب . وفى الأصل : « نكر ونحجر فرسانهم كما أحجر » محرف . وهذا البيت لم يروه أبو الفرج . وروى =

لأنّ العضرفوط دويْبّة صغيرةٌ ضعيفة ، والحيّات تأكلها وتغصِبُها أنفسَها .
وأنشدوا على(١) ألسنة الجنّ :

ومن عَضْرَفوطٍ حَطَّ بى فأقمته   يبادِرُ وِرْداً مِنْ عَظاءٍ قَوارِبِ(٢)

وأمّا قولُه :

* « وهدهدٌ يُكفِرُهُ بكرُ(٣) » *

فإنّما ذلك لأنّه كان [حاجَّ(٤)] بكرَ ابنَ أختِ عبد الواحد(٥) [صاحبَ(٦)] البكريَّةِ ، فقالَ له(٧) : أَتخبرُ عن حال الهدهُدِ بخبَر(٨) ؟
إنه كان يعرفُ طاعة الله عزَّ وجل مِن مَعصيته ، وقد ترك موضِعَه وسار ١٠٥ ب
إلى بلاد سبأ ، وهو وإن أطرفَ سليمانَ(٩) بذلك الخبر وقبِلَه منه فإنَّ ذنْبَه فى ترْك موضعه الذى وُكِّل به ، وجوَلانِه فى البُلدان على حاله .
ولا يكون ذلك مما يجعل ذنبه السابق(١٠) إحسانا . والمعصيةُ لاتنقلِبُ

= فى اللسان (٩ : ٢٢٥) :

فأجحرها كرها فيهم   كما يجحر الحية العضرفوطا

(١) فى الأصل : « عن » .
(٢) سبق الكلام على البيت فى ص ٢٣٩ . وفى الأصل : « من فاقية » و : « من قطار » ، صوابهما مما سبق . وفى س : « غوارب » بدل : « قوارب » محرفة .
(٣) هذا هو عجز البيت رقم ٢٥ من القصيدة الأولى لبشر .
(٤) تكملة يلتئم بها الكلام .
(٥) هو بكر ابن أخت عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد . ذكره ابن حزم فى جملة الخوارج . وقد فصلت مذهبه ورأيه فى مؤلفى : « معجم الفرق الاسلامية » . وانظر لسان الميزان (٢ : ٦٠) والفرق بين الفرق ٢٠٠ والفصل (٤ : ١٩١) .
(٦) تكملة يستقيم بها الكلام . أى صاحب الفرقة البكرية .
(٧) أى قال له بشر . وانظر ما سيأتى فى الصفحة التالية .
(٨) كذا فى س . لكن فى ط ، ه : « بخير » .
(٩) زيدت بعد كلمة : « سبأ » فى ه كلمة : « وهوازن » مقحمة . وفى س بدل : « وهو وإن » : « وهوارن » تحريف .
(١٠) س : « السالف » .

طاعة[1] ، فلم لا تشهد عليه بالنِّفاق ؟ قال : فإنى أفعل ! قال : فحكى ذلك عنه فقال : أمّا هو فقد كان سلم على سُليمان وقد كان قال : ﴿ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾ فلمَّا أتاه بذلك الخبر ، رأى أنَّه قد أدلى بحجّة ، فلمْ يعذِّبْه ، ولم يذبَحْه . فإن كان ذنبُه على حاله ، فكيف يكون ما هجَم عليه ممّا لم يُرسَل فيه ولم يقْصِد له حُجَّة ؟ وكيف يُبْقِى هذا عليه .

وبكر يزعم أن الأطفال والبهائم لا تأثَم ، ولا يجوز أن يُؤثِّم الله تعالى إلاَّ المسيئين . فقال بشرٌ لبَكْر : بأىِّ شىءٍ تستدلُّ على أنّ المسىء يعلمُ أنه مسىء ؟ قال : بخجله ، واعتذاره بتوبته[2] . قال : فإنّ العقربَ متى لسعت فرَّتْ من خوف القتْل ، وهذا يدلُّ على أنَّها جانية ، وأنت تزعمُ أنّ كلَّ شىءٍ عاص كافرٌ ، فينبغى للعقرب أن تكون كافرة ، إذا لم يكن لها عذرٌ فى الإساءة .

(الببر والنمر)

وأمّا قوله :

٢٧ « والبَبْرُ فيه عجبٌ عاجبٌ إذا تلاقى الليث والنَّمْرُ »

لأنّ الببر مسالِمٌ للأسد ، والنَّمر يطالبه ، فإذا التقيا[3] أعان الببر الأَسَد

(١) س : « لاتقلب طاعة » .

(٢) س : « واعتذاره وهربه » .

(٣) س ، ه : « التفت » محرف .

(الخفاش والطائر الذى ليس له وكر)

وأما قوله :

٢٨ « وطائرٌ أشرَفُ ذو جُرْدة وطائرٌ ليس له وكرُ[(١)] »

فإنَّ الأشرفَ من الطَّير الخفاش ؛ لأنَّ لآذانها حجماً ظاهراً . وهو متجرِّدٌ من الزَّغب والرِّيش ، وهو يلد .

والطَّائر الذى ليس له وكرٌ ، هو[(٢)] طائرٌ يخبر عنه البحريُّون أنّه لايسقُط إلاّ ريثما يجعَلُ لبيضه أُدحيًّا من تراب ، ويغطِّى عليه ، ويطير فى الهواء أبداً حتّى يموت . وإن لقى ذكرٌ أنثَى تسافَدا فى الهواء . وبيضه يتفَقَّص[(٣)] من نفسه عند انتهاء مُدّته ، فإذا أطاق فرخُه الطَّيران كان كأبويه فى عاداتهما .

(الثعالب والنسور والضباع)

وأما قوله :

٢٩ « وثُرْمُلٌ تأوى إلى دَوْبَلٍ وعسكرٌ يتبعه النسرُ[(٤)]

٣٠ يُسالم الضّبْعَ بذى مرّةٍ أبرمها فى الرّحم العُمْرُ »[(٥)]

---

(١) الجردة ، بالضم : التجرد . هـ ، س : « جودة » تحريف .

(٢) ط ، هـ : « وهو » بإقحام الواو .

(٣) يقال : تفقصت البيضة عن الفرخ وانفقصت ، أى انكسرت وانفضخت . ويقال : فقص الطائر البيضة وفقصها بالتشديد . ويقال أيضا فقسها بالتخفيف ، والصاد فيه أعلى . س ، هـ : « ينفقص » وهى صحيحة ، كما مر .

(٤) ط ، هـ : « تتبعه » والصواب ما فى س .

(٥) فى الأصل ، « يسالم الظبى » وإنما هو : « الضبع » كما سيأتى فى تفسير الجاحظ ص ٣٣٣ س ٦ .

فالثُّرمُلة : أنثى الثَّعالب ، وهى مسالِمة للذّوبَل(١) . وأمَّا قوله :

* وعسكر يَتبعه النَّسر(٢) *

فإن النسور تتبع العساكر ، وتتبع الرِّفاق ذواتِ الإبل ، وقد تَفعل(٣)

١٠٦ ذلك العِقبان ، وتفعله الرَّخم . وقد قال النابغة(٤) :

وثِقتُ له بالنّصرِ إذ قيل: قد غدَتْ ... كتائبُ من غسَّانَ غيرُ أشائِب(٥)

بنو عمِّه دُنيَا ، وعمرُو بن عامر ... أولئك قومٌ بأسُهم غيْرُ كاذبِ(٦)

إذا ما غزَوْا بالجيشِ حلَّقَ فوْقَهُمْ ... عَصائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِى بعَصَائبِ(٧)

جَوانحُ قد أيْقَنَّ أنَّ قَبيلَه ... إذا ما التقَى الجمْعانِ أوّلُ غالبِ(٨)

تراهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزراً عُيُونُها(٩) ... جُلوسَ الشُّيوخ فى مُسُوك الأرانب(١٠)

---

(١) الدوبل : الذئب الهرم ، والثعلب .

(٢) ط ، ه : « تتبعه » والصواب ما س .

(٣) ط ، ه : « يفعل » .

(٤) من قصيدة فى ديوانه ٢ - ٩ من مجموع خمسة دواوين من أشعار العرب .

(٥) فى الديوان : « قد غزت » قال الوزير أبو بكر : « ويروى : إن قيل [قد] غدت » . والأشائب : جمع أشابة ، بالضم ، وهم الأخلاط من الناس . ط ، ه : « قبائل من غسان » وهى رواية اللسان (١ : ٢٠٨)

(٦) قال الوزير أبو بكر : « عمرو بن عامر من الأزد . وقوله : دنيا ، أراد الأدنين من القرابة . وإذا كسر أوله جاز فيه التنوين ، وإذا ضم لم يجز فيه إلا ترك الصرف لأن فعلى لا يكون إلا المؤنث . وهو منصوب على المصدر إذا نون ، كما تقول هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إذا كانت ألفه للتأنيث » . وفى اللسان : « وقالوا هو ابن عمى دنية ودنيا منون ودنيا غير منون — أى بكسر الدال فى الثلاثة — ودنيا مقصور — أى بضم الدال — إذا كان ابن عمه لحا » . ط : « دينا » صوابه فى س ، ه والديوان .

(٧) العصائب : الجماعات ، جمع عصابة .

(٨) جوانح : مائلات للوقوع .

(٩) الخزر : جمع أخزر ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه . ط ، ه : « خزر » صوابه فى س والديوان .

(١٠) المسوك : جمع مسك ، وهو الجلد . وفى الأصل : « فى ثياب المذانب » تحريف ، =

والأصمعى يروى : « جُلوسَ الشيوخ فى ثياب المرانِب[1] » .

وسباع الطير كذلك فى اتباع العساكر . وأنا أرى ذلك من الطمع فى القتلى ، وفى الرَّذايا والحَسْرَى ، أو فى الجهيض[2] وما يُجْرَح .

وقد قال النّابغة :

سَمَاماً تُبارِى الرِّيحَ خُوصًا عُيونُها   لَهُنَّ رذَايا بالطَّرِيقِ ودائِـعُ[3]

وقال الشاعر[4] :

يشُقُّ سَمَاحِيقَ السَّلَى عن جَنِينِها   أَخو قَفْرَةٍ بادِى السَّغابَةِ أَطْحَلُ[5]

= وأثبت ما سيأتى فى الجزء السابع . قال القتيبى : « خص الشيوخ لأنهم ألزم للبس الفراء لرقة جلودهم وقلة صبرهم على البرد . والأرانب لينة المس » .

(١) قال الوزير أبو بكر : « وقال الأصمعى : فى ثياب المرانب ، هى ثياب يقال لها المرنبانية ، إلى السواد ما هى ، شبه ألوان النسور بها » . س : « المراتب » محرف .

(٢) الرذايا : جمع رذية ، وهى الهزيلة الهالكة التى لا تستطيع براحا ولا تنبعث . س : « الرزايا » بالزاى ، محرفة . والحسرى : جمع حاسر وحاسرة ، وهى التى تعبت ، وأعيت . والجهيض : ما تلقيه الناقة من الولد إذا أجهضت لغير تمام ، يقال للسقيط جهيض ومجهض .

(٣) السمام ، بالفتح : ضرب من الطير نحو السمانى ، شبه الإبل بها . تبارى : تعارض . خوصا : غائرة . والرذايا : سبق تفسيرها . س : « رزايا » محرفة .

(٤) هو الأخطل ، من قصيدة له اختار منها ابن الشجرى فى الحماسة (١٩٨ — ١٩٩) . والبيت فى ديوان الأخطل ص ٧ .

(٥) البيت فى صفة ناقة . وقبله :

ترى العرمس الوجناء يضرب حاذها   ضئيل كفروج الدجاجة معجل

السماحيق : جمع سمحاق ، وهى جليدة رقيقة تكون على الولد . والسلا ، بالفتح : هو الجلد الرقيق الذى يخرج فيه الولد من أمه ملفوفا فيه . قال ابن السكيت : « السلى سلى الشاة ، يكتب بالياء . وإذا وصفت قلت شاة سلياء » . وقد رسمت فى الأصل بالألف . والسغابة ، بالفتح : مصدر سغب يسغب — من بابى فرح ودخل — سغبا ، بالفتح والتحريك ، وسغابة وسغوبا ومسغبة : جاع . والأطحل : ما لونه الطحلة ، وهى لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد . وقد جاء البيت محرفا فى الأصل ، فى ط ، هـ : « تشق هماحيق » هـ : =

وقال حُميد بن ثَور فى صفة ذئب[١] :

إذا مابَدَا يوماً رأيتَ غَيايةً من الطير ينظرْنَ الذى هو صانع[٢]

لأنّه لا محالة حينَ يسعى[٣] وهو جائع ، سوف يقع على سبع أضعف منه أو على بهيمةٍ ليس دونها مانع .

وقد أكثر الشّعراءُ فى هذا الباب حتى أطنب بعضُ المحدَثين وهو مسلم بن الوليد[٤] بن يزيد[٥] فقال :

يكسو السيوفَ نفوسَ الناكثين به ويَجْعَلُ الهامَ تِيجان القَنَا الذُّبُلِ[٦]

= « تشق مماحيق » . هـ : « أخو فقرة » . وفى جميع النسخ : « بادى السماية » والصواب ما أثبت .

(١) س : « يصف ذئبا » . والبيت من أبيات اختارها ابن الشجرى فى الحماسة ٢٠٧ — ٢٠٨ .

(٢) بدا ، كذا جاءت فى الأصل . وفى الحماسة : « غدا » ، وفى زهر الآداب (٤ : ١٣٦) : « هوى » من الهواء . والغياية ، بالياء المثناة قبل الآخر ، قال الأعرابى : « الغياية تكون من الطير الذى يغيى على رأسك أى يرفرف » . وفى الأصل : « غيابة » تحريف . يقول : إن الطير تتبع هذا الذئب لتنال مما ينال .

(٣) ط : « لأنه لا محالة يسعى » س ، هـ : « لأنه لا محالة سمى يسعى » واهل الوجه ما أثبت .

(٤) مسلم بن الوليد الأنصارى ، ويلقب صريع الغوانى ، وأبوه مولى أسعد بن زرارة الخزرجى ، شاعر من شعراء الدولة العباسية ، مولده ومنشؤه الكوفة ، ويعدونه أول من أشاع صنعة البديع فى الشعر . وكان مسلم أستاذ دعبل ، وعنه أخذ ومن بحره استقى . وقد نزل مسلم بغداد فمدح هارون والبرامكة ، وكانت وفاته بجرجان وهو يتولى بها عملا . انظر تاريخ بغداد ٧٠٨٤ ومعاهد التنصيص (٢ : ١٠ — ١٥) . ومما هو جدير بالذكر أن ترجمته وأخباره سقطت من الجزء الخامس من الأغانى ، فاستدرك ذلك المستشرق « دى غويه » (De Ceje) ونشرها فى نهاية ديوان مسلم الذى طبعه فى ليدن سنة ١٨٧٥ .

(٥) كذا وردت هذه النسبة ، ولم أجد من ساق نسبه على هذا النحو . فلعلها : « أبو الوليد » ؛ وهى كنية مسلم كما فى تاريخ بغداد ومعاهد التنصيص .

(٦) البيتان من قصيدة له فى ديوانه ٥٨ — ٦٢ يمدح بها يزيد بن مزيد الشيبانى . =

قد عَوَّدَ الطَّيرَ عاداتٍ وثِقنَ بها فهُنَّ يتبْعْنَه فى كلِّ مُرْتحلِ

ولا نعلم أحداً منهم أسرَفَ فى هذا القول وقال قولاً يُرغَبُ عَنه[1] إلّا النابغة ؛ فإنّه قال :

جَوانحُ قدْ أيقَنَّ أنَّ قبيلهُ إذا ما التقى الجمعانِ أوّلُ غالب

وهذا لانُثْبته . وليس عند الطَّير والسِّباع فى اتّباع الُجموع إلاَّ مايسقط من ركابهم ودوابِّهم وتوقّع القتلِ ؛ إذْ كانوا قد رأوا من تلك الُجموع مرَّةً أو مِرارا . فأمّا أن تقصد بالأمل واليقين إلى أحد الجمعين ، فهذا مالم يقلْه أحدٌ .

(نسر لقمان)

١٠٧ وقد أكثر الشُّعراءُ فى ذكر النسور ، وأكثر ذلك قالوا فى لُبَد[2] . قال النَّابغة :

أَضحَتْ خَـــلاءً وأمْسَى أهلُها احتَمَلُوا
أخْنَى عَلَيْها الذى أخْنَى على لُبَدِ

= والنفس هاهنا : الدم ، ومن شواهده قوله السموأل :

تسيل على حد الظبات نفوسنا وليست على غير الظبات تسيل

وهذه رواية الجاحظ والأغانى (٣ : ١٣٤) . ورواية الديوان : « دماء الناكثين به » . ط ، هـ : « يكسى » محرفة . وفى الأصل : « الماكثين » بالميم ، وإنما هى : « الناكثين » بالنون ، أى الناقضين للعهد . والذبل : جمع ذابل ، وهو القنا الدقيق اللاصق الليط ، أى القشر .

(١) س : « فيه » وهو عكس ما يراد .

(٢) فى الأصل : « وأكثرت ذلك » محرفة . ولبد : هو نسر لقمان . انظر حديثه فى التيجان ٧٥ — ٧٨ والمعمرين ٣ — ٤ وثمار القلوب ٣٧٦ - ٣٧٧ والميدانى (١ : ٣٩٣ - ٣٩٤) .

فضربه مثلاً فى طُول السَّلامة . وقال لَبيد :

لمـا رأى صُبْحٌ سَوادَ خليلِه مِنْ بين قائمِ سَيفِه والمِحْمَلِ (١)

صَبَّحْنَ صُبْحًا يوم حُقَّ حِذَارُه فأصاب صبحاً قائماً لم يُعقَلِ (٢)

فالتفَّ مُنقصِفاً وأضحَى نَجمُه

بين الترابِ وبين حِنْو الـكلـكل (٣)

ولقد جرى لُبَدٌ فأدرك جَرْيَه رَيبُ الزَّمانِ وكان غير مُثَقَّلِ (٤)

لمـا رأى لُبَدُ النسورَ تطايَرَتْ رَفَعَ القوادمَ كالفقيرِ الأعزَلِ (٥)

---

(١) صبح : رجل من العماليق . وفى معجم البلدان : « قال هشام : سميت أرض صبح برجل من العماليق يقال له صبح ، وأرضه معروفة ؛ وهى بناحية اليمامة » . وأنشد صدر البيت . والسواد : الشخص . والخليل : الكبد ، كما فى اللسان عند إنشاد البيت . وقائم السيف وقائمته : مقبضه . والمحمل ، كمنبر : علاقة السيف . وفى التيجان وديوان لبيد ٣٤ : « ولقد رأى » ، وفى التيجان أيضا : « ما بين » .

(٢) صبحن ، أى الخيل . أصاب ، الضمير لخليل صبح . يعقل ، يقال عقل البعير وعقله واعتقله : ثنى وظيفه مع ذراعه وشدهما جميعا فى وسط الذراع ، وذلك الحبل هو العقال . وفى الأصل : « فاتقا » ط ، هـ : « لم يقفل » س : « لم يذبل » وفى التيجان : « أصبحن صبحا قائما لم يعقل » ، صواب هذه : « فأصبن » أى الخيل . وفى الديوان : « قائف لم يغفل » .

(٣) انقصف : انكسر ، كما ينقصف العود . وفى س : « منقصما » فإن صحت كانت من القصم ، وهو — كما قال أبو عبيد — ضمك الشىء على الشىء حتى تقتله أو تهشمه . والمعروف أن يقال : انقعص ، بتقديم العين ، وانقعص وانقعف ، وانقرف ، إذا مات . والكلكل : ما بين محزم الفرس إلى ما مس الأرض منه . والحنو ، بالكسر والفتح : كل ما فيه اعوجاج من البدن . أراد أن نجم هذا الصريع قد هوى فصار بين التراب وكلا كل الخيل . وفى الأصل : « حد الكلكل » ، وفى الديوان : « جنو » ووجههما ما أثبت .

(٤) فى الأصل : « منقل » بالنون ، صوابه فى الديوان والتيجان وثمار القلوب.

(٥) القوادم : أربع ريشات فى مقدم الجناح ، الواحدة قادمة ، وفى الأصل : « ربع القوائم » تحريف . والفقير : المكسور الفقار ، وهى ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب . والأعزل : هو من الخيل المائل الذنب فى أحد الجانبين .

مِنْ تحتِهِ لُقمانُ يرجــو نفعه ولقَدْ رَأى لُقمانُ أن لم يأتلِ[١]

وإن أحسنت الأوائل فى ذلك فقد أحســن بعض المحْدَثين وهو الخزرجى[٢] فى ذكر النَّسر وضرب المثَل به وبلبَد[٣] وصِحَّــة بدَنِ الغراب ، حيثُ ذكَرَ طولَ عمر مُعاذِ بن مُسلم بن رجاء[٤] ، مولى القعقاع ابن شَور[٥] . وهو قوله :

إنَّ مُعاذَ بنَ مُسْلِمٍ رَجلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طولِ عمرِهِ الأَبَدُ

قدشابَ رأسُ الزّمانِ واختَضَبَ الـــدَّهْرُ وأثوابُ عُمْـرِهِ جُدَدُ[٦]

يانَسْرَ لقمانَ كمْ تعيشُ وَكَمْ تَلْبَسُ ثَوْبَ الحياةِ يا لبَدُ[٧]

---

(١) فى الديوان والمعمرين ٤ وأمثال الميدانى (١ : ٣٩٣) : « يرجو نهضه » . والنهض بالفتح : النهوض . وفى الثمار : « نهضة » وفى التيجان : « سعيه » . ائتلى : قصر وأبطأ . وفى ط ، هـ : « إن لم يأتلى » س : « إن لم تأتل » صوابهما ما أثبت . وفى سائر المصادر : « أن لا يأتلى » أى أن لقمان ألتى نفسه لم يقصر فى استبقاء النسور والحرص عليها ، ولــكن القدر غلبه على أمره .

(٢) هو أبو السرى سهل بن أبى غالب الخزرجى ، كما نص عليه ابن خلكان فى ترجمة معاذ بن مسلم . وقد سبقت ترجمة الرجلين فى شرح الحيوان (٣ : ٤٢٣) . على أن الشعر التالى روى فى العقد (٢ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبا إلى محمد بن مناذر ، وبدون نسبة فى عيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ والحيوان (٣ : ٤٢٣) .

(٣) هـ : « ولبد » .

(٤) ذكره بهذه النسبة أيضا فى بغية الوعاة .

(٥) شور ، بفتح الشين المعجمة ، وفى القاموس أن القعقاع بن شور تابعى . وترجم له فى لسان الميزان (٤ : ٤٧٤) وقال : من كبار الأمراء فى دولة بنى أمية وفيه يقول الشاعر :

وكنت جليس قعقاع بن شور ولا يشقى بقعقاع جليس

وفى الأصل : « سور » تحريف .

(٦) فى سائر المصادر : « واكتهل الدهر » .

(٧) فى سائر المصادر : « تسحب ذيل الحياة » ، وفى س : « وكم تخلق ذيل الحياة » .

قدْ أصبحَتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ ... وأنتَ فيها كأنَّك الوَتِدُ(١)

تَسألُ غِربانَها إذا حَجَلَتْ ... كيفَ يكونُ الصُّداعُ والرَّمَدُ(٢)

(شعر وخبر فيما يشبه بالنسور)

وما تعلق بالسَّحاب من الغيم يشبَّه بالنَّعام ، وما تراكَبَ عليه يُشبَّه بالنسور . قال الشاعر(٣) :

خَليلىَّ لا تستسلما وادعُوَا الذى ... له كلُّ أمرٍ أنْ يَصُوبَ ربيعُ

حَياً لبلادٍ أنفذَ المَحْلُ عُودَها ... وجَبْرٌ لعَظْمٍ فى شَظاهُ صُدوعُ(٤)

بمنتصر غُرُّ النَّشاصِ كأنَّها ... جِبالٌ عليهِنّ النسورُ وُقوعُ(٥)

عسى أن يَحلّ الحىُّ جِزْعاً وإنها ... وعَلَّ النوى بالظَّاعِنِينَ تَريعُ(٦)

---

(١) الوتد يبقى فى الدار من مخلفات القوم .

(٢) زاد الثعالبى والميدانى بعد هذا البيت أربعة أخرى ، منها ثلاثة فى وفيات الأعيان .

(٣) سبقت الأبيات الثلاثة الأولى فى (٤ : ٣٥٠) ، والأبيات ماعدا ثالثها فى كتاب الزهرة ص ٢٠٣ — ٢٠٤ .

(٤) الحيا : الخصب وماتحيا به الأرض والناس . ط ، هـ : « فيالبلاد » س : « خبا لبلاد » محرفتان . أنفذه : جعله نافذا ، أى تركه أجوف منخوبا . هـ : « أنفد » . والشظى : عظم لازق بالذراع ، أو عظم لاصق بالركبة . والصدوع : الشقوق . وجبر ، أى وهو جبر . وفى الزهرة : « وجبرا » أى جابرا ، وفى ط ، هـ : « شطاه » صوابه بالظاء المعجمة كما فى س والزهرة .

(٥) بمنتصر ، كذا وردت فى ط ، س وفى هـ : « مسطر » والذى فى المعاجم : نصر الغيث البلد : إذا أعانه على الخصب والنبات . غر النشاص ، أى غر نشاصه . والغر : البيض . والنشاص ، بالفتح : السحاب المرتفع أو الذى يرتفع بعضه فوق بعض . ط : « غب النشاط » هـ ، س : « عر النشاط » ، صوابهما ما أثبت . وانظر (٥ : ٣٣٥ س ٣) .

(٦) الجزع ، بالكسر : منحنى الوادى ، وقيل لايسمى جزعا حتى تكون له سعة تنبت الشجر ونحوه . وكلمة « وأنها » كذا وردت فى الأصل . ولعلها : « وليتها » أو « وليتما » ، وفى س : « جرعاء وأنها » محرفة . وعل هى مخفف لعل . والنوى : الدار والنية والبعد . تريع : ترجع وتعود : وفعله ثلاثى ، وعجزه فى شروح سقط الزند ٨٨٩ .

وشبّه العُجير السّلوليّ (١) شُيوخاً على باب بعضِ الملوك بالنسور ، فقال :

فمِنهن إسآدِى على ضوءِ كَوكبٍ … له من عمانىّ النُّجوم نظيرُ (٢) ١٠٨

ومنهن قرْعِى كلَّ بابٍ كأنّما … به القَومُ يرْجُونَ الأذِينَ نُسورُ (٣)

إلى فَطِنٍ يستخرج القلبَ طرْفُه … له فوقَ أعوادِ السَّريرِ زئيرُ (٤)

وذكرت امرأةٌ من هُذيلٍ (٥) قتيلاً فقالت :

تمشى النسورُ إليه وهى لاهِيَةٌ … مشْىَ العَذارَى عَلَيْهِنَّ الجلابيبُ

تقول : هى آمنةٌ أنْ تُذعَر (٦) .

ومدح بعضُ الشُّعراء عبدَ العزيزِ بنَ زُرارةَ الكلابىّ (٧) فقال :

وعند الكلابىِّ الذى حَلَّ بيْتُه … بجوٍّ شِخَابٌ ماضِرٌ وصَبُوحُ (٨)

ومكسورةٌ حُمْرٌ كأنَّ مُتونَها … نُسورٌ إلى جَنْبِ الخِوانِ جُنُوحُ (٩)

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٣٣٧) .

(٢) الإسآد : سير الليل كله . ط : « آساد » صوابه فى س ، ه .

(٣) الأذين : الزعيم والكفيل . وأراد بالباب باب الملك .

(٤) الفطن ، بالفاء : الفهم الذكى . ط ، ه : « قطن » محرف . يستخرج طرفه القلب ، أى هو ألمعى يصل بفطنته إلى البواطن .

(٥) هى جنوب أخت عمرو ذى الكلب الهذلى ، ترثى أخاها . انظر حواشى الحيوان (٢ : ١٨٥) واللسان (١ : ٢٦٥) .

(٦) هذا تفسير لكلمة « لاهية » . وفى اللسان : « معنى قوله وهى لا هية ، أن النسور آمنة منه لا تفرقه لكونه ميتا » .

(٧) هو أحد أشراف العرب وشعرائهم ، روى له الجاحظ شعرا فى (٣ : ٨٤) والبيان (٤ : ٥٤) وروى له فى البيان (٢ : ٧٥) خبرا مع معاوية. وذكر أبو الفرج فى الأغانى (١ : ٦٨) أنه الذى تكفل بدفن توبة ابن الحمير . وتوفى فى زمن معاوية كما فى جمهرة ابن حزم ٢٨٣ .

(٨) جو : موضع . وكلمة : « شخاب » موضعها بياض فى س . والشخاب بالكسر اللبن ، يمنية . والماضر : اللبن الحامض . والصبوح : هو من اللبن ما حلب بالغداة . ط ، ه : « سماء » والوجه ما أثبت .

(٩) جنوح : مائلات ، جنح : مال . وفى المحاضرات (٢ : ١٦١) : « لدى جنب الخوان » .

مكسورة : يغنى وسائد مثنيَّة . وقال ابن مَيَّادة :

ورَجَعْتُ مِنْ بَعْدِ الشَّبابِ وعَصرِه
شيــــخاً أزَبَّ كأنَّه نَسْرُ(١)

وقال طرفة :

فلأمنعنَّ مَنَــابِتَ الضُّ ـمران إذ منع النســـور(٢)

وفى كتاب كليلة ودمنة : « وكُنْ كالنَّسْرِ حَوْلَهُ الجِيفُ ، ولا تَكنْ كالجِيفِ حولها النسور(٣) » . فاعترض على ترجمـة ابن المقفَّع بعضُ المتكلِّفين من فِتيان الكتَّاب فقال : إنما كان ينبغى أن يقول : « كُنْ كالضِّرس حُفَّ بالتُّحَف ، ولا تكنْ كالهَبْرة(٤) تطيف بها الأَكَلة » . وأظنّه [أراد(٥)] الضُّروس فقال الضِّرس . وهـذا من الاعتراض عجبٌ .

ويوصف النسر بشدّة الارتفاع ، حتَّى ألحقوه بالأَنوق ، وهى الرَّخمة .

وقال عدىُّ بن زيد :

---

(١) الأزب ، من الزبب ، وهو كثرة شعر الذراعين والحاجبين والعينين . ورجع هنا بمعنى صار . ومثلها فى هذا الاستعمال « عاد » بمعنى صار . انظر سر العربية ٢٨٥ .

(٢) لم يرو البيت فى ديوان طرفة صنع الشنقيطى . والضمران بفتح الضاد المعجمة وضمها وبعد الميم راء : ضرب من الشجر . وفى الأصل : « الصمدان » . وليس له وجه . ومثله فى اللسان :

نحن منعنا منبت الحلى ومنبت الضمران والنصى

(٣) انظر كليلة ودمنة (باب الأسد والثور) وتجد النص فى ص ٨٣ من الطبعة التذكارية لدار المعارف . ولفظه : « فإنه قيل : إن خير السلطان من أشبه النسور حولها الجيف ، لا من أشبه الجيف حولها النسور » .

(٤) الهبرة ، بالفتح : البضعة من اللحم .

(٥) هذه من س .

فوقَ عَلْياءَ لا يُنَـال ذُرَاها يَلْغَبُ النّسرُ دُونَها والأَنوقُ [١]

وأنشدوا فى ذلك :

أهل الدّناءةِ فى مَجالِسهِـمْ والطَّيْشِ والعَوراءِ والهَـذْرِ [٢]
يَدْنُون ما سألوا وإن سُـئِلوا فهُمُ مَعَ العَيُّـوقِ والنَّسْرِ

وقال زيد بن بِشْر التّغلبى ، فى قتل عمير بن الحباب [٣] :

لا يجُوزَنَّ أرْضَـنَا مُضَرِىٌّ بخفـير ولا بغَـيرِ خَفـيرِ [٤]
طَحَنَتْ تغلبُ هَوازِنَ طَحْناً وألَحَّتْ على بنى مَنْصورِ
يَومَ تَرْدِى الكُماةُ حول عمير حَجَلَانَ النسورِ حَوْلَ جَزُورِ [٥]

وقال جميل [٦] : ١٠٩

وما صائبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ به يدٌ ومُمَرُّ العُقْدَتَيْنِ وَثِيقُ [٧]

---

(١) اللغوب : التعب والإعياء ، يقال : لغب يلغب من باب دخل ، ولغب بالكسر لغة ضعيفة . وفى الأصل : « يلعب » ، بالمهملة محرفة .

(٢) س : « فى منازلهم » . العوراء : الكلمة القبيحة .

(٣) هو عمير بن الحباب السلمى ، قتلته بنو تغلب بالحشاك — وهو إلى جانب الثرثار بالقرب من تكريت — فى يوم من أيام قيس وتغلب فى الإسلام . انظر الأغانى (١١ : ٥٥ — ٦٠) ، والحشاك ياقوتا فى معظم البلدان ، والميدانى فى الأمثال (٢ : ٣٦٧) .

(٤) الخفير : المجير ، وخفير القوم : مجيرهم الذى يكونون فى ضمانه ماداموا فى بلاده .

(٥) ردى يردى رديانا ، أى عدا واشتد فى مشيه .

(٦) الأبيات فى الكامل ٢ ؛ وحماسة ابن الشجرى ١٤٨ والأغانى (٧ : ٨٨) .

(٧) الصائب : هو من قولهم صاب السهم يصوب صوبا : قصد نحو الرمية ، وبذا فسره المبرد ، ووجدت فى اللسان (٢ : ٢٤) : « وصاب السهم القرطاس صيبا لغة فى أصابه » ، والنابل : صاحب النبل ، بالفتح ، وهى السهام ، لا واحد لها من لفظها ، وقال بعضهم : واحدتها نبلة ، وفى الأصل : « نائل » بالهمز ، محرف . وممر العقدتين يعنى وترا . والممر : الشديد الفتل .

له مِنْ خَوافِى النَّسْرِ حُمٌّ نظائرٌ ... ونَصْلٌ كنَصْلِ الزَّاعِبِىِّ رَقيقُ (١)

على نَبْعَةٍ زَوْرَاءَ أمّا خِطامُها ... فمَتْنٌ وأمّا عُودُها فعَتيقُ (٢)

بأوْشَكَ قتلاً منكِ يومَ رمَيْتِنِى ... نوافِذَ لم تَظْهَرْ لهن خُرُوقُ (٣)

فلمْ أرَ حَرْباً يابُثَينَ كحَرْبِنَا ... تَكَشَّفُ غمّاها وأنتِ صَدِيقُ (٤)

(مسالمة النسر للضبع)

وأما قوله :

٣٠ « يُسالِمُ الضَّبْعَ بذى مِرَّةٍ ... أبْرَمَها فى الرَّحِمِ العُمُرُ » (٥)

---

(١) هذا البيت ساقط من ﻫ . وفى الكامل : « قوله من خوافى النسر حم نظائر ، يريد ريش السهم . الحم : السود ، وذلك أخلصه وأجوده ، وجعلها نظائر فى مقاديرها لأنه أقصد للسهم » . وخوافى النسر : ريشات إذا ضم جناحيه خفيت . وحم : جمع أحم وحماء . والزاعبى : الرمح ، منسوب إلى رجل من الخزرج يقال له زاعب . وكان الأصمعى يقول : الزاعبى هو الذى إذا هز فكأن كعوبه يجرى بعضها فى بعض للينه وتثنيه . و « رقوق » هى فى سائر المصادر : « فتيق » . قال المبرد : « فتيق يعنى حادا رقيقا » وفى الأصل : « فى خواف » محرف . وفى س أيضا : « كنصل الراعبى » صوابه بالزاى المعجمة .

(٢) على نبعة ، أراد القوس ؛ وأجود القسى ما كان من النبع . وخطام القوس : وترها . الزوراء : المعوجة ، وكلما كانت القوس أشد انعطافا كان سهمها أمضى . والمتن : القوة والصلابة . وفى اللسان : « وجلد له متن أى صلابة وأكل وقوة » . عتيق ، يصف كرم هذه القوس وعتقها . قال المبرد : « ويحمد منها أن تترك ، ولحاؤها عليها ، بعد القطع ، حتى تشرب ماءه » . ﻫ ، س : « تبعة » محرفة ، ط نقط : « فثنى » محرف ، وفى س : « ففتيق » بالفاء ، محرف . وروى المبرد : « أيما خطامها » و : « وأيما عودها » . وأيما لغة فى أما .

(٣) بأوشك : بأسرع : وفى الأصل : « بأوشك قتل » محرف . وفى س ، ﻫ : « عنك » بدل : « منك » محرف . نوافذ : أى بنوافذ من السهام ، نصبه بنزع خافضه ، أو أراد : رميات نوافذ ، فنصبه على أنه مفعول مطلق . ﻫ ، س : « لم يظهر » وفى الكامل وابن الشجرى : « لم تعلم » .

(٤) غمى الحرب : شدتها . والصديق مما يذكر ويؤنث .

(٥) س . « الغير » ﻫ : « الغبر » محرفتان .

لأنَّ النسر طيرٌ ثقيلٌ ، عظيمٌ شرِهٌ رغيبٌ نَهِم ، فإذا سَقط على الجيفة وتملَّأ لم يستطِع الطَّيرانَ حتَّى يثبَ وثَبات ، ثمّ يدور حولَ مسقطِهِ مِراراً ، ويسقُط فى ذلك ، فلا يزالُ يرفع نفسَه طبقةً طبقة فى الهواء حتَّى يُدخِلَ تحتَه الرِّيح[1] . فكلٌّ من صادفه وقد بَطِنَ وتملأ ، ضَرَبه إن شاء بعصاً ، وإن شاء بحجر ، حتَّى ربما اصطاده الضَّعيفُ من الناس .

وهو مع ذلك يشارك الضَّبع فى فريسة الضبع ، ولا يثبُ عليه ، مع معرفته بعجْزه عن الطَّيران .

وزعَمَ[2] أنّ ثقته بطول العمر هو الذى جرَّأه على ذلك .

(استطراد لغوى)

ويقال[3] هوت العُقاب تهوى هُوِيّا[4] : إذا انقضّت على صيدٍ أو غيره ما لم ترغه ، فإذا أراغتْه[5] قيل أهوت له إهواءً . والإهواء أيضاً التَّناول باليد . والإراغة أن يذهب بالصيد[6] هكذا وهكذا .

ويقال دوَّم الطائر فى جوّ السَّماء ؛ وهو يدوِّم تدويما : إذا دار فى السماء ولا يحرك جناحَيه .

---

(١) فى نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٧) : « حتى تدخل تحته الريح » . س : « تحت الريح » محرفة .

(٢) أى زعم بشر فى هذا الشعر . س : « وزعموا » .

(٣) ط ، هـ « وقال » .

(٤) يقال بضم الهاء وفتحها . ويقال هو بالضم : ما كان من أعلى إلى أسفل ، وبالفتح ما كان من أسفل ، وقيل بالعكس .

(٥) هـ : « راغته » محرفة .

(٦) فى الأصل : « الصيد » وليست الإراغة من فعل الصيد . وإنما هى من الصائد . ويقال أيضا راغ الصيد : ذهب هاهنا وهاهنا .

ويقال نسره بالمِنْسَر[١] . وقال العجّاج :

شاكى الكَلاليب إذا أهْوَى ظَفَرْ[٢]

كعَابِرَ الرءوس منهـا أو نسَرْ[٣]»

[والنسر ذو منسر[٤]] ، وليس بذى مخلب ، وإنما له أظفارٌ كأظفار الدَّجاج .

وليس له سلاحٌ ، إنما يقوَى بقوَّة بدنه[٥] وعِظَمه . وهو سبعٌ لئيمٌ عديم السِّلاح ، وليس من أحرار الطير وعِتاقها .

(ولوع عتاق الطير بالحمرة)

ويقال إنّ عتاقَ الطير تنقَضُّ على عمُـود الرّحل وعلى الطِّنفسة والنمرق[٦] فتحسبه لحمرته لحماً . وهم مع ذلك يصفونها[٧] بحدَّة البصر ولا أدرى كيف ذلك .

(١) المنسر ، كمنبر ، هو لسباع الطير بمنزلة المنقار لغيرها . وبعد هذه الكلمة فى كل من ط ، ه جاءت هذه العبارة : « وليس بذى مخلب وإنما له أظفار كأظفار الدجاج » . وإنما موضعها بعد الرجز التالى كما أثبت من س .

(٢) الكلاليب : مخاليب البازى ، والواحد كلوب . والشاكى مأخوذ من الشوكة وهو من المقلوب ، أى حاد . ظفر : غرز ظفره فأحدث أثرا . ورواية اللسان « اظفر » على وزن افتعل ، أى أعلق ظفره . وفى الديوان ص ١٧ : « اطفر » بالطاء المهملة .

(٣) الكعابر : رءوس العظام ، واحدها كعبرة . ط ، ه : « كفابرى » س : « كفاترى » ، صوابهما ما أثبت من الديوان واللسان (٦ : ٤٥٨) .

(٤) التكملة من س .

(٥) س : « يديه » .

(٦) الطنفسة مثلثة الطاء والفاء ، وبكسر الطاء وفتح الفاء ، وبالعكس : النمرقة فوق الرحل ، وقيل هى البساط الذى له خمل رقيق . والنمرق : الوسادة الصغيرة ، أو الطنفسة فوق الرحل ، ومثلها النمرقة .

(٧) س : « وهم يصفونها مع ذلك » .

وقال غيلان بن سَلَمة (١) :

فى الآلِ يَخفِضها ويرفَعُها   رَيْعٌ كأنَّ مُتونَه السَّحلُ (٢)
عَقْلاً ورَقْماً ثمَّ أردَفَه   كِلَلٌ على ألوانها الخَمْلُ (٣)
كدَم الرُّعافِ على مآزرها   وكأنَّهنَّ ضوامراً إجلُ (٤)

وهذا الشِّعر عندنا للمسيَّب بن عَلَس (٥) . وقال علْقمة بن عَبَدَة :

ردَّ الإماءُ جِمالَ الحىِّ فاحتمَلُوا   وكلُّهَا بالتَّزِيدياتِ مَعْكُومُ (٦)

---

(١) هو غيلان بن سلمة بن معتب بن مالك الثقفى ، أدرك الإسلام فأسلم بعد فتح الطائف ، ومات بالشام فى طاعون عمواس . وهو شاعر مقل ، وأحد حكام العرب فى الجاهلية . انظر الأغانى (١٢ : ٤٣ - ٤٧) والإصابة ٦٩١٨ .

(٢) الريع بالكسر والفتح : الطريق المنفرج من الجبل ، أو هو الطريق . ط ، ص : « ريغ » بالغين المعجمة ، صوابه بالمهملة . متونه : ظهوره . والسحل ، بالفتح : الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن . والبيت فى صفة ظعن ، وقبله ، كما فى اللسان (١٣ : ٣٤٩) وجمهرة أشعار العرب ١١١ :

ولقد أرى ظعنا أبينها   تحدى كأن زهاءها الأثل

ورواية اللسان فى الموضع السالف ، وفى (٩ : ٤٩٩) : « ريع يلوح كأنه السحل » .

(٣) العقل ، بالفتح : ثوب أحمر يجلل به الهودج . والرقم : ضرب من البرود . والكلل : جمع كلة : بالكسر ، وهى من الستور ما خيط فصار كالبيت . والخمل : الطنفسة ، وهدب القطيفة ونحوها مما ينسج وتفضل له فضول . وفى الجمهرة : « على أطرافها الخمل » .

(٤) ضوامر : جمع ضامر وضامرة ، وقد عنى الإبل . والإجل ، بالكسر : القطيع من بقر الوحش . وفى الأصل : « ضوامر أجل » محرف . وهذا البيت لم يرو فى جمهرة أشعار العرب .

(٥) بهذه النسبة ورد البيتان الأولان فى اللسان فى الموضعين المذكورين . والقصيدة بتمامها منسوبة إلى المسيب فى الجمهرة ص ١١١ - ١١٢ .

(٦) التزيديات : برود فيها خطوط ، منسوبة إلى تزيد بن حيدان بن عمران ابن الحاف بن قضاعة . وفى الأصل : « اليزيديات » ، صوابها بالتاء المثناة الفوقية . والمعكوم ، من قولهم عكم المتاع : شده بثوب .

عَقْلاً ورَقْماً بظلُّ الطَّيرُ يتبعُه
كأنّه من دَمِ الأجوافِ مَدْمُومُ[١]

(شعر فى العقاب)

وقال الهذلىّ[٢] :

ولقد غَدَوْتُ وصاحِبِى وحشيَّةٌ تحتَ الرِّداء بصيرةٌ بالمشرف[٣]
حتَّى أتيتُ إلى فِراش عَزِيزةٍ سَوداء،رَوْثَةُ أنفِها كالِمخْصَفِ[٤]

يعنى عقابا . وقوله : « بصيرة بالمشرف » يريد الرّيح مَن أشرَفَ لها أصابتْه .

وقال الآخرُ فى شبيهٍ بهذا :

فإذا أتتْكُمْ هٰذِه فتلبَّسُوا إن الرِّماح بصيرة بالحاسِرِ[٥]

وقال آخر[٦] :

---

(١) المدموم : المطلى . والبيتان هما الرابع والخامس من المفضلية ١٢٠ طبع المعارف.

(٢) هو أبو كبير الهذلى . انظر اللسان (٢ : ٤٦٢ / ٣ : ٢٤٢ / ١٤ ٢٦٢ / ١٠ : ٤١٩) والمخصص (١ : ١٢٩ / ٨ : ١٤٧) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٧) .

(٣) غدوت من الغدو . ط فقط : « عدوت » محرفة . وعنى بالوحشية ريحا دخلت تحت ثيابه . بصيرة بالمشرف ، يعنى الريح ، أى من أشرف لها أصابته وضربته ودخلت تحت ثيابه .

(٤) قال ابن سيده : « فراشها عشها ووكرها » . عزيزة ، يعنى العقاب ، جعلها عزيزة لامتناعها وسكناها أعالى الجبال . وروثة الأنف ، عنى به المنقار . والأصل فى الروثة أن تكون أرنبة الأنف . والمخصف : المثقب والإشفى .

(٥) تلبسوا ، أى البسوا السلاح ، والحاسر : الذى لاسلاح عليه . ط : « فتلبثوا » هـ : « فتلتبوا » صوابهما فى س .

(٦) هو أبو خراش الهذلى . انظر أشعار الهذليين (٢ : ٥٧) واللسان (٢ : ١٦ / ١٤ : ٣٥٩) . يذكر عقابا شبه فرسه بها .

كأنّى إذْ عَدَوْا ضَمَّنْتُ بَزِّى ... مِن العِقْبانِ خَائِتَةً طَلُوبا[١]

جريمةَ ناهضٍ فى رأس نيق ... تَرَى لعِظامِ ما جَمَعَتْ صَليبا[٢]

وقال طُفيل الغَنَوىّ :

تبيتُ كعِقْبان الشُّرَيف رجاله ... إذا مانَوَوْا إحداثَ أمْرٍ تعطّفوا[٣]

أى أمهلوا . وقال دُرَيد :

تعلّلتُ بالشّطّاء إذْ بانَ صاحبى ... وكلُّ امرئٍ قد بانَ إذْ بان صاحبُه[٤]

كأنى و بَزِّى فوقَ فَتْخَاءَ لِقْوةٍ ... لها ناهضٌ فى وَكْرها لاتُجانبُه[٥]

---

(١) عدوا ، من العدوة ، وهى الحملة فى الحرب . والبز ، بالفتح : السلاح . والخائتة : التى تنقض على الصيد لتأخذه فتسمع لجناحيها صوتا . ضمنتها البز : أودعتها إياه . والبيت محرف فى الأصل هكذا :

كأنى إذ غدوت ضمنت برى ... من العقبان حانية طلوبا

وأول القصيدة :

عدونا عدوة لا شك فيها ... وخلناهم ذؤيبة أو حبيبا

(٢) الجريمة : الكاسبة ، يقال هو جريمة أهله أى كاسبهم . والناهض : فرخها . والنيق بالكسر : أرفع موضع فى الجبل ، أو شمراخ من شماريخ الجبل . والصليب : الودك ، أو ودك العظام . وفى الأصل : « كريمة ناهض » صوابها بالجيم .

(٣) هكذا رواه الجاحظ . لكن روايته فى الديوان ص ٤ :

تبيت كعقبان الشريف رجاله ... إذا ما نووا إحداث أمر معطب

ومثل هذه الرواية فى صفة جزيرة العرب للهمدانى ص ١٧٣ والقافية فيها : « معقب » . وفى معجم البلدان : « لعقبان » . والبيت من قصيدة بائية . والشريف : بهيئة التصغير : موضع تنسب إليه العقبان . وأحداث ؛ تقرأ بفتح الهمزة وكسرها . وفى شرح الديوان : « أحداث جمع حدثة » .

(٤) هـ : « بالشطآء » س : « بالشطاء » ولم أهتد إلى تحقيقهما . ولم أجد فى أسماء أفراسهم لدريد بن الصمة إلا « عجلى » . انظر المخصص (٦ : ١٩٦) .

(٥) البز : السلاح . ط ، هـ : « وترى » س : « ورى » صوابها بالزاى كما أثبت . والفتخاء : العقاب ، وأصل الفتخ اللين ، وذلك للين جناحيها . واللقوة ، بالكسر والفتح : العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف . والناهض : فرخها . س : « لا تجامبه » هـ : « لا تحاسبه » ، صوابهما فى ط .

فباتَتْ عليه ينفُضُ الطَّلَّ ريشُها   تُراقِبُ ليلاً ماتغورُ كواكبُهُ(١)

فلما تجلَّى اللَّيلُ عنها وأسفرَتْ

تُنفِّض حسرى عن أحَصَّ مناكبُه(٢)

رأتَ ثَعْلباً من حَرَّةٍ فهوَتْ لهُ   إلى حَرَّةٍ والموتُ عَجْلانُ كاربُه(٣)

فخَرَّ قتيلاً واستمرَّ بسَحْره   وبالقَلْب يَدْمَى أنفُه وترائبُه(٤)

(جفاء العقاب)

زعم صاحبُ المنطق أنّه ليس شيءٌ فى الطَّير أجفى لفِراخه من العُقاب

١١١ وأنّه لابدّ من أن يُخْرِجَ واحداً ، وربما طردَهُنَّ جميعاً حتى يجىء طائرٌ يسمَّى « كاسر العظام » فيتكفّل به .

ودريدُ بن الصِّمَّة يقول :

كأنى وبَزِّى فوقَ فتْخاءَ لقْوَةٍ   لها ناهضٌ فى وكْرها لاتجانِبُه(٥)

(مايعترى العقاب عند الشبع)

وقد يعترى العُقابَ ، عند شِبَعها من لحم الصَّيد ، شبيهٌ بالذى ذكرنا فى النسر . وأنشد أبو صالحٍ مسعود بن قنْد(٦) ، لبعض القيسيِّين :

(١) غارت الكواكب : غربت .

(٢) أسفرت : أصبحت . والأحص : الأجرد أو القليل الريش ، وفى الأصل : « أخص » بالمعجمة محرف .

(٣) كاربه : دان منه وكل دان قريب فهو كارب .

(٤) السحر ، بالفتح : الرئة . والترائب : جمع تريبة ، وهى عظام الصدر .

(٥) ط : « وتربى » : « ويرفى » ه : « لا تحاشيه » تحريف أسلفت تحقيقه فى نهاية الصفحة السابقة .

(٦) قند ، بفتح القاف بعدها نون ساكنة . ط فقط : « قيد » .

قَرَى الطَّيرَ بعدَ اليأس زيد فأصبحَتْ
بوحْفاء قَفْرٍ ما يدِبُّ عُقابُها(١)

وما يتخطَّى الفَحلَ زيدٌ بسَيفِهِ ولا العِرْمِسَ الوَجناءَ قد شَقَّ نابُها(٢)

وإن قيلَ مَهْلا إنَّها شدَنِيَّةٌ يقطِّع أقرانَ الحِبالِ جِذابُها(٣)

خبَّرَ أنَّه يعترى العُقابَ من الثِّقل عند الطيران ، من البِطْنة ، ما يَعترى النَّسر .

(شعر فى العقاب)

وقال امرؤُ القيس — إن كان قالَه(٤) — :

كأنَّها حِين فاض الماءُ واحتُمِلَتْ فَتخاءُ لاحَ لها بالقَفْرَةِ الذِّيبُ(٥)

---

(١) الوحفاء : الأرض السوداء ، وفى الأصل : « بوجفاء » صوابه بالحاء المهملة .

(٢) مايتخطى الفحل والعرمس ، أى إنه ينحرهما لا يعبأ بكرمهما ولا يتخطاهما إلى الرذال ، فهو يهين لضيفه كرائم المال . والعرمس ، بكسر العين والميم : الناقة الصلبة الشديدة . والوجناء : الضخمة . وشق ناب البعير يشق شقوقا : طلع .

(٣) أى هو ما يتخطاها وإن قيل له مهلا . والشدنية : إبل منسوبة إلى شدن ، وهو موضع ، أو فحل باليمن . والأقران : جمع قرن بالتحريك ، وهو الحبل يقرن به البعيران .

(٤) الأبيات التالية لم ترو فى ديوانه رواية الوزير أبى بكر . وقد ذكر البغدادى فى الخزانة (٢ : ١١٣) فى الكلام على البيت السادس أنه ثابت فى ديوان امرىء القيس ، ونسب الشنتمرى هذا البيت فى شرح شواهد سيبويه (١ : ٣٥٣) إلى امرئ القيس ، وفى (٢ : ٢٧٢) إلى النعمان ابن بشير .

(٥) الماء ، هنا : العرق ، وذلك لشدة الركض . والعرق محمود فى الخيل ، انظر المفضليات ٣٤٣ . احتملت ، بالبناء للمفعول : استخفت من النشاط . انظر اللسان (١٣ : ١٩١ س ٢٢) . وفى الخزانة : « واختلفت » أى استقت ماء ، يريد كأنها استقت ماء من شدة عرقها ، أو اختلفت بمعنى ترددت . والفتخاء : العقاب ، اللين جناحيها . وفى الخزانة : « صقعاء » وهى العقاب البيضاء الرأس .

فأبصرت شَخْصَهُ مِن فوقِ مَرْقَبَةٍ ودُون مَوْقِعِها مِنهُ شَناخِيبُ (١)
فأقبلَتْ نَحوَهُ فى الجوِّ كاسرةً يَحُثُّها من هَوىٍّ اللُّوح تصويبُ (٢)
صُبَّتْ عليه ولم تنصبّ من أَمَمٍ إنَّ الشَّقاء على الأَشقَين مصبوبُ (٣)
كالدَّلْو بُتَّتْ عُراها وهى مُثْقلةٌ إذْ خانها وَذَمٌ منها وتكريبُ (٤)
لا كالتى فى هَواء الجوِّ طالبةً ولا كهذا الذى فى الأرض مطلوب (٥)
كالبرْق والريح مَرْآتاهما عجبٌ مافى اجتهادٍ على الإصرار تغبيبُ (٦)
فأدركتْهُ فنالتْهُ مَخَالِبُهَا فانْسَلَّ من تحتها والدَّفُّ مثقوبُ (٧)

---

(١) المرقبة : الموضع العالى يراقب منه العدو . والشناخيب : رءوس الجبال ، واحدها شنخوب ، وشنخوبة وشنخاب ، وفى الأصل : « سناجيب » محرف .

(٢) كاسرة : تضم جناحيها للسقوط . والهوى بفتح الهاء : هبوب الريح ، قال :

* كأن دلوى فى هوى ريح *

واللوح ، بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال اللحيانى : هو اللوح ، واللوح ، لم يحك فيه الفتح غيره . والتصويب : الخفض .

(٣) من أمم : من قرب .

(٤) بتت ، من البت ، وهو القطع . وفى الأصل : « ثبت » تحريف . والعرى : جمع عروة . والوذم ، بفتح الواو والذال المعجمة : السيور التى بين آذان الدلو وأطراف العراق . والتكريب : شد الكرب ، وهو بالتحريك : الحبل الذى يشد فى وسط العراق ، ثم يثنى ثم يثلث ليكون هو الذى يلى الماء فلا يعض الحبل الكبير . والعراق : جمع عرقوة ، وهى العيدان المصلبة تشد من أسفل الدلو إلى قدر ذراع أو ذراعين من حبل الدلو مما يلى الدلو . شبه هوى العقاب بسرعة هوى الدلو الملأى إذا انقطع حبلها . فى الأصل : « ودم » تحريف .

(٥) الطالبة : العقاب ، والمطلوب : الذئب . ط ، هـ : « لا كالذى » ، صوابه فى س والخزانة .

(٦) المرآة ، بفتح الميم : المنظر ، حسنا كان أو قبيحا . فى الأصل : « كالبز » صوابه فى الخزانة . والتغبيب : الفتور والتقصير ، يقال غبب فى الحاجة إذا لم يبالغ فيها . وفى الأصل : « تغييب » محرف .

(٧) الدف ، بالفتح : الجنب . مثقوب ، هى فى الأصل : « معقوب » والصواب من الخزانة .

يلوذُ بالصَّخر منها بَعْدَ ما فتَرَتْ منها ومنه على الصَّخْرِ الشآبيب(١)
ثمَّ استغاثت بمَتْنِ الأرض تعفُرُهُ وباللِّسان وبالشِّدقين تتريب(٢)
ما أخطأتْه المنايا قِيسَ أَنْمُلَةٍ ولا تحرَّزَ إلَّا وهو مكثُوبُ(٣)
يَظَلُّ منجحِراً منها يُراقِبُها ويرقب اللَّيلَ إنَّ اللَّيلَ محبوبُ(٤)

وقال زهير :

تَنبذ أفلاذَها فى كلِّ مَنْزِلةٍ تَنتِخُ أعيُنَهَا العِقبانُ والرَّخَمُ(٥)

١١٢ تنتِخ : أى تنزع(٦) وتستخرج . والعرب تسمِّى المِنقاش المِنتاخ .

ويقال : نقَّت الرَّخَمُ تنِقُّ نقيقاً . وأنشد أبو الجرَّاح :

حديثا من سماع الدَّلِّ وعر كأنَّ نَقيقَهُنَّ نقِيقُ رُخم(٧)

والنقيق مشترك(٨) . يقال : نقَّ الضفدع ينِقُّ نقِيقاً .

---

(١) الشآبيب : جمع شؤبوب ، وهو من كل شىء حده .

(٢) متن الأرض : ظهرها . تعفره : تلقيه فى العفر ، وهو ظاهر التراب .

(٣) قيس أنملة ، بكسر القاف : قدرها . مكثوب : أى كثبته العقاب : قاربته أو تلته تتلوه . ط ، هـ : « مكتوب » ووجهها ما أثبت . وفى س : « مكروب » .

(٤) منجحرا ، بتقديم الجيم على الحاء : من أجحره فانجحر ، أى أدخله الجحر فدخله . ط ، س : « منجحر » صوابه فى هـ .

(٥) الأفلاء ، جمع فلو ، كعدو وأعداء ، وهو المهر الصغير . يقول : تلقى أولادها من الجهد ودءوب السير فتقع عليها العقبان والرخم فتنتخ أعينها ، أى تنزعها وتستخرجها . فى الأصل : « أفلاذها » ، والوجه ما أثبت من الديوان ٥٦ وطبعة دار الكتب ص ١٥٤ واللسان (٢٠ : ٣١) . وفى اللسان : « تبقر أعينها » لكن رواه فى (٤ : ٢٧) : « تنتخ » . ورواية الديوان طبع دار الكتب : « ينقر أعينها » .

(٦) س : « تفترع » ووجه هذه « تنتزع » .

(٧) الرخم ، بالضم : جمع رخمة ، بالتحريك ، وهى طائر أبقع على شكل النسر خلقة ، إلا أنه مبقع بسواد وبياض . وصدر البيت محرف ، وفى هـ : « الذل » .

(٧) فى الأصل : « يشترك » .

ويقال : « أعزُّ مِن الأبْلَق العَقُوق » و : « أبعَدُ من بَيض الأنوق » .

فأمَّا بَيض الأنوق فربَّما رُئِى . وذلك أنَّ الرَّخَم تختارُ أعالِىَ الجبال ، وصُدُوعَ الصَّخر ، والمواضِعَ الوحشيّة . وأمَّا الأبلق فلا يكون عَقوقاً . وأما العقوق البلْقاء فهو مَثَلٌ (١) . وقال :

ذكرْناكِ أن مَرَّتْ أمامَ ركابنا　　من الأُدْمِ ، مِخْماصُ العشىِّ سَلوبُ (٢)
تدلَّتْ عليها تَنفُضُ الرِّيشَ تحتَها　　براثِنُها وراحُهُنَّ خَضيبُ (٣)
خُدارِيَّة صَقْعاء دُونَ فِراخِها　　من الطَّودِ فأْوٌ بينها ولهوبُ (٤)
إذا القانِص المحروم آبَ ولم يُصِبْ　　فمَطْعَمُهُ جُنْحَ الظَّلامِ نَصيبُ (٥)
فأصبحت بعد الطير مادون فارة　　كما قام فوق المنْصِتين خطيبُ (٦)

وقال بشرُ بن أبى خازم :

---

(١) انظر ما سبق فى (٣ : ٥٢٢) .

(٢) الركاب الأدم : الإبل يخالط بياضها سواد . المخماص : وصف من الخمص وهو الجوع . وصفها بالخمص فى المشيات . وقد عنى بذلك العقاب . والعشى ، هى فى الأصل : « القسى » محرفة . ط : « مخماض » ه : « ممخاض » صوابهما فى س .

(٣) الضمير فى « عليها » للركاب . وفى الأصل : « عليه » . والبراثن ، هى للسباع كالأصابع من الإنسان . والراح : جمع راحة ، وهى الكف ، والضمير للبراثن .

(٤) الخدارية : السوداء والصقعاء : التى فى رأسها بياض . والفأو : مهواة بين جبلين . انظر مبادئ اللغة ٢٥ واللسان . وفى الأصل : « دار » وما أثبت أقرب توجيه . واللهوب : جمع لهب ، بالكسر ، وهو وجه من الجبل كالحائط لا يستطاع ارتقاؤه ، وهو أيضا المهواة بين الجبلين .

(٥) ط فقط : « إن القانص » . يقول : إنها تصيد مالا يستطيع صيده القانص المحروم ، فهى تصيد فى الظلام حيث يتعذر الصيد على الناس . نصيب ، أى يصير ما عجز عن صيده نصيبا لها .

(٦) فى الشطر الأول من هذا البيت تحريف .

فما صَدَعٌ بِخُبَّةَ أو بشَرْقٍ على زَلَق زوالق ذى كِهاف(١)
تَزِلُّ اللِّقْوة الشَّغْواء عَنها مخالبُها كأطْرافِ الأشافِى(٢)

وقال بشر أيضاً :

تداركَ لَحمِى بعدَ ما حَلّقتْ به مع النَّسْر فَتخاءُ الجناح قَبوضُ(٣)
فإنْ تجْعلِ النَّعماءَ منك تمَامَهُ ونُعماك نعمَى لا تزال تفيضُ
تَكنْ لكَ فى قومى يدٌ يشكرُونَها وأيدِى النَّدَى فى الصالحين قُروض(٤)

وعلى شبيهٍ بهذا البيت الآخر . قال الحطيئة :

مَنْ يفعَل الخيرَ لايَعدَمْ جوَازيَهُ لايذْهَبُ العُرْفُ بينَ اللهِ والنَّاسِ

---

(١) الصدع ، بالتحريك : وعل بين الوعلين ، وهو الوسط منها ليس بالعظيم ولا الصغير . وخبة : من أرض طيىء . وفى الأصل : « بحية » ، صوابه من مختارات ابن الشجرى ٧٧ ومعجم ما استعجم ٤٨٦ . وشرق : موضع فى جبل طيىء . والزلق ، بالتحريك : المكان المزلقة لا تثبت عليه قدم . « زوالق » هى فى معجم ما استعجم « زمالق » . والكهاف : جمع كهف ، وهو كالمغارة فى الجبل . وفى الأصل : «ذى كهاب» ، وهو من قصيدة فائية فى مختارات ابن الشجرى .

(٢) اللقوة ، بفتح اللام وكسرها : العقاب الخفيفة السريعة الاختطاف . والشغواء : العقاب ، قيل لها ذلك لفضل فى منقارها الأعلى على الأسفل ، أو لتعقف منقارها . وفى الأصل : « الشعواء » محرفة . عنها : أى عن الكهاف . والأشافى : جمع الإشفى ، وهو المثقب يستعمل فى الأساقى والمزاود والقرب وأشباهها ، نظير المخصف للنعال . وفى الأصل : « الأشاب » ، صوابه من مختارات ابن الشجرى .

(٣) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح . قبوض : تقبض جناحيها وتجمعهما . وفى الكتاب : (ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن) .

(٤) القروض : جمع قرض ، وهو ما يتجازى به الناس بينهم ويتقاضونه من إحسان أو إساءة . وفى الأصل : « فروض » بالفاء ، صوابه بالقاف كما أثبت .

وقال عقيل بن العرندس[١] :

حَبيبٌ لقرطاس يؤدِّى رسالة فيالكِ نفسا كيفَ حانَ ذُهولها[٢]
وكنت كفَرْخ النسْر مُهِدّ وَكْرُه بملتفَّة الأفنان حَيلٌ مَقيلها[٣]

(التمساح والسمك)

١١٣ وأما قوله :

« وتِمْسَحٌ خَلَّلَهُ طائرٌ وسابحٌ ليسَ له سَحْرُ »

فالتمساح مختلفُ الأسنان ، فينشَبُ[٤] فيه اللحم ، فيغمُّه فيُنتِن عليه ، وقد جُعل فى طبعه أن يخرُج عند ذلك إلى الشط ، ويشحا فاه لطائر يعرفه بعينه[٥] ، يقال إنه طائرٌ صغير أرقط [مليح[٦]] ، فيجىء مِن بَين الطير حتى يسقط بين لحييه ثم ينقرُه بمنقاره حتّى يستخرجَ جميعَ ذلك اللحم ، فيكونُ غذاءً له ومعاشاً[٧] ، ويكونُ تخفيفاً عن التِّمساح وترفيهاً . فالطائر الصغير يأتى ما هنالك[٨] يلتمس ذلك الطُّعم ، والتمساح يتعرَّض له ؛ لمعرفته بذلك منه :

وأما قوله : « وسابحٌ ليس له [سَحْر[٩]] » ، فإن السمك كلَّه لا رئةَ

---

(١) ذكره المرزبانى فى معجمه ٣٠٢ . ط : « عقيل بن العرنوس » ، ه : « عقيل ابن الحوحرس » . س : « يزيد بن العرندس » ، وقد استخرجت الصواب من بينهما مطابقا لما فى معجم المرزبانى .

(٢) ط ، ه : « صبيب لقرطاس » ، وأثبت ما فى س .

(٣) الحيل ، بالفتح : الماء المستنقع فى بطن واد . ط : « خبل » س : « حبل » ، وأثبت ما فى ه .

(٤) س : « فينبت » تحريف .

(٥) يقال شحا فاه يشحوه وشحاه شحوا ، وشحاه يشحاه شحيا : فتحه ، فهو يائى واوى . ط ، ه : « يشحى » س : « إلى طائر » .

(٦) هذه من س .

(٧) س : « غذاء ومعاشا له » .

(٨) س : « ما هناك » .

(٩) التكملة من س ، ه .

له . قالوا[١] : وإنما تـكون الرِّئة لمن يتنفس . هذا ، وهم يَرون منخرَى السَّمك ، والخَرق النَّافذ فى مكان الأنف منه ، ويجعلون مايرون من نَفسه إذا أخرجوه من الماء[٢] أن ذلك ليس بنفَس يخرُج من المنخرَين ، ولـكنه تنفس[٣] جميع البدَن .

(العث والحفاث)

وأما قوله :

٣٢ « والعُث والحُفّاث ذو نفخةٍ وخرنِقٌ يسفِده وَبْرُ[٤] »

فإنَّ الحُفَّاث[٥] دابّة تشبه الحيّة وليست بحيّة ، وله وعيدٌ شديدٌ ، ونفْخ وتوثُّب ، ومَن لم يعرفه كان له[٦] أشدَّ هيبةً منه للأفاعى والثّعابين . وهو لا يضر بقليل ولا كثير ، والحيَّات تقتله . وأنشد[٧] :

أيفايِشون وقد رَأَوْا حُفَّاثَهم قَدْ عضَّه فقَضَى عليه الأسود[٨]

والعثُّ : دويْبَّة تقرض كلَّ شىء ، وليس له خطرٌ ولا قوّة ولا بدن .

قال الرَّاجز :

---

(١) س : « قال » .
(٢) س : « عن الماء » .
(٣) س : « يتنفس » تحريف .
(٤) هـ : « والفث » س : « والحفاث » ، وفى جميع النسخ : « ذو فخفخ » ، تحريف ، وانظر ماسيأتى من شرح الجاحظ . ط ، هـ : « وخربق » س : « وخرنق » صوابهما ما أثبت .
(٥) س : « الخفاث » صوابه بالحاء المهملة .
(٦) س : « منه » .
(٧) روى نظير هذا البيت بقافية « الأشجع » لجرير فى اللسان (٨ : ٢٢٤) . وانظر ديوانه ص ٢٢٤ .
(٨) الفياش والمفايشة : المفاخرة . والأسود : أخبث الحيات وأعظمها . والأشجع فى قافية بيت جرير : ضرب من الحيات . س ، هـ : « ويعايشون » ط ، هـ : « أخفاثهم » س : « خفاثهم » ، صوابهما ما أثبت .

يحُثُّنى وَرْدانُ أىَّ حثٍّ وما يحثُّ من كبيرٍ عَثٍّ(1)

* إهابُه مثلُ إهاب العُثّ *

وأنشد :

وعَثٍّ قدْ وَكَلْتُ إليــه أهْلِى فطاحَ الأهْلُ واجتِيحَ الحريمُ

وما لاهى به طرف فيوحى ولا صَكٌّ إذا ذكر القَضِيمُ(2)

[وأنشد آخر(3)] :

فإن تشتمونا على لُؤْمِكُمْ فقد يقرض العُثُّ مُلْسَ الأديمِ(4)

وقالوا فى الحُفَّاث ، هجا الـكروبى أخاه(5) فقال :

١١٤ حُبارى فى اللِّقاء إذا التقينا وحُفَّاثٌ إذا اجتمعَ الفريقُ

وقال أعرابى :

ولست بحفَّاثٍ يُطاوِلُ شَخْصَهُ وينفخ نَفْخَ الـكِيرِ وهو لَئِيمُ

وقع بينَ رجلٍ من العرب ورجل من الموالى كلامٌ ، فأربى عليه المولى ، وكان المولى فيـه مَشابهُ من العرَب والأعراب ، فلم يشكَّ ذلك العربىُّ

---

(1) العث ، بالفتح : الضئيل الجسم .

(2) كذا ورد صدره محرفا . وظنى بكلمة « طارف » أنها « طرس » والطرس : الصحيفة . والقضيم ، بالضاد المعجمة : الرق الأبيض الذى يكتب فيه . وفى الأصل : « القصيم » محرف .

(3) هذه التكملة من س . وصاحب البيت التالى هو المخبل ، كما فى أمثال الميدانى (١ : ٤٣٤) ، وقد روى فى رسم (العثة) من حياة الحيوان غير منسوب ، وكذا رواه الزمخشرى فى الفائق (٢ : ٥٩) .

(4) رواية الميدانى والدميرى : « فقد تقرم العث » والزمخشرى : « فقد يلحس العث » . والعث جمع ، واحدته عثة . وقال صاحب اللسان : « وقد يجوز أن يعنى بالعث الواحد » . وقد ضرب الجلد الأملس مثلا لعرضه فى براءته من العيوب .

(5) بدلها فى س : « هجا الـكرد يعنى أخاه » .

أن ذلك المولى عربىٌّ ، وأنَّه وسط عشيرتِه ، فانخزل عنه[1] فلم يكلمْه ، فلما فارقَه وصار إلى منزله علم أنه مولًى ، فبكَر عليه غُدوةً ، فلما رأى خِذْلانَ جُلسائه له ذلَّ واعتذر ، فعند ذلك قال العربىُّ فى كلمةٍ له :

ولم أدْرِ ما الحفاثَ حتَّى بلوتُه ولانَفْضِ للأشْخاصِ حتَّى تَـكشَّفَا[2]

وقد أدركتُ هذه القضية[3] وكانت فى البحْرَين ، عند مسحر بن السكن عندنا بالبصرة[4]. فهو قوله : « والعثّ والحفّاث ذو نفخةٍ[5] » لأن الحفاث له نفْخ وتوثُّب ، وهو ضخمٌ شنيعُ المنظر ، فهو يُهول من لايعرفه .

وكان أبو ديجونة مولى سليمان ، يدَّعى غاية الإقدام والشَّجاعة والصَّرامة[6] ، فرأى حُفَّاثاً وهو فى طريق مكة ، فوجده وقد قتله أعرابىٌّ ، ورآه أبو ديجونة كيف ينفخ ويتوعَّد ، فلم يشك إلا أنه أخبثُ من الأفعى ومن الثعبانِ ، وأنه إذا أتى به [أباه[7]] وادعى أنه قتله سيقضى له بقتل الأسد والبَبْر والنمر فى نِقاب[8] ، فحملَه وجاء به إلى أبيه وهو مع أصحابه ، وقال : ما أنا اليومَ إلا ذِيخ[9] وما ينبغى لمن أحسَّ بنفسه مثــل الذى أحِس[10] أن يُرمى فى المهالك والمعاطب ، وينبغى أن يستبقِيهاَ[11] لجهادٍ

---

(١) انخزل عنه ، بالزاى : انقطع وانفرد .

(٢) هـ : « ولا نقص » ط ، س : « ولا نقض » وجههما : « ولا نفض » . والنفض : أن ينظر جميع ما فى الشىء حتى يعرفه .

(٣) ط ، هـ : « القصة » .

(٤) كذا وردت العبارة .

(٥) فى الأصل : « فحفح » ، وانظر ما سبق فى ٣٤٥ .

(٦) س : « والعرامة » .

(٧) التـكملة من س .

(٨) فى نقاب : أى دفعة واحدة ، كأنها جعلت فى نقاب واحد . والنقاب : البطن ، يقال فى المثل فى الاثنين يتشابهان : « فرخان فى نقاب » .

(٩) الذيخ ، بالـكسر : الذكر من الضباع الـكثير الشعر .

(١٠) هـ : « لمن أحسن بنفسه مثل الذى أحسن » ، تحريف .

(١١) س : « يستبقها » محرفة .

أو دفعٍ عن حُرْمة وحريمٍ يذُبُّ عنه ! وذلك أنى هجمْتَ على هذه الحيّة ، وقد مَنَعَت الرِّفاقَ من السُّلوك ، وهَرَبت منها الإبل ، وأمعَنَ فى الهرب عنه كلُّ جَمَّالٍ ضخم الجُزارة(١) ، فهزتنى(٢) إليه طبيعة الأبطال ، فراوغْتها حتى وهب الله الظَّفَر . وكان من البلاء أنها كانت بأرضٍ ملساء ما فيها حصاة(٣) ، وبصُرْتُ بفهر على قاب غَلوة ، فسعيت إليه — وأنا أسوارٌ كما تعلمون — فو الله ما أخطأتُ حَاقَّ لِهزْمته(٤) حتّى رزق الله عليه الظَّفر . وأبوه والقومُ(٥) ينظرون فى وجْهه ، وهم أعلم النَّاس بضعْف الخفّاث ، وأنّه لم يؤذِ أحداً قط ، فقال له أبوه : ارم بهذا من يدك ، لعنَك الله ولعنَهُ معك ، ولعَنَ تصديقى لك ما كنْتَ تدَّعيه من الشَّجاعة والجراءة ! فكبّروا عليه وسمَّوه قاتل الأسد .

(هجاء فيه تشبيه بالعث)

١١٥ ومما هجوا به حين يشبِّهون الرَّجل بالعث ، فى لُؤْمه وصِغَر قَدرِه(٦) قول مُخارق الطائى ، حيث يقول :

وإنى قد علمت مكان عُثٍّ ... له إبْلٌ مُعَلّسَةٌ تَسُومُ(٧)

---

(١) الجزارة : اليدان والرجلان . وانظر ما سبق فى (٥ : ٢٦٣) .

(٢) هـ : « فهزنى » .

(٣) س : « ليس فيها حصاة » .

(٤) اللهزمة ، بكسر اللام والزاى : واحدة اللهازم ، وهى أصول الحنك . وحاقها : وسطها . وقد جاء ضمير « الحية » فى القصة تارة مؤنثا وأخرى مذكرا والحية مما يذكر ويؤنث .

(٥) س : « وأتوه القوم » ، وهى صحيحة فى لغة .

(٦) فى الأصل : « قده » .

(٧) معلسة : تنال ما ترعى ، يقال ما علسوا ضيفهم بشىء : أى ما أطعموه . والسائمة : الراعية .

عَن الأضْيافِ والجيرانِ عزب فأودت والفتَى دنِسٌ لئيمُ (١)

وإنى قد عَلمت مكان طِرْفٍ أغـرَّ كأنَّه فرسٌ كريمُ (٢)

له نَعَمٌ يعـام المحلُ فيها ويَرْوَى الضَّيفُ ، والزِّقُّ العظيمُ (٣)

(الوبر والخرنق)

وأما قوله :

* « وخِرنقٌ يسفِدُه وبْرُ » *

فإنَّ الأعراب يزعمون أنَّ الوبْر يشتهِى سِفاد العِكرشَة — وهى أنثى الأرانب — ولـكنّه يعجِز عنها ، فإذا قدَر على ولدِها وثَبَ عليه . والأنثى تسمى العِكرِشة ، والذَّكر هو الخُزَز ، والخِرنِق ولدُهما . قال الشاعر :

قَبَحَ الإلٰهُ عِصابةً نادمتُهم فى جحجحان إلى أسافِلِ نقنقِ (٤)

أخذُوا العِتَـاق وعرَّضُوا أحسابَهُمْ لمجَرَّبٍ ذَكَرِ الحديدِ مُعـرِّقِ (٥)

---

(١) عزب ، كذا وردت فى ط ، س . وفى هـ : « غرب » . أودت : هلـكت ، عنى أنها سوف تهلك . وفى الأصل : « فأدوت » ولا وجه له . يقول : ستهلك الإبل فى غير كرم ، فلا يعود على صاحبها منها فضل .

(٢) الطرف بالـكسر والفتح : الحرق الـكريم من الفتيان والرجال .

(٣) عنى بالزق زق الخمر ، أراد أنه يسقى ضيفه اللبن والخمر . ط ، س : « الزف » صوابه فى هـ .

(٤) جحجحان ونقنق : لعلهما موضعان ، ولم أجدهما فيما لدى من المراجع .

(٥) العتاق ، عنى بها الـكرام من الإبل . عيرهم بأخذهم الدية . ط ، هـ : « العناق » بالنون ، وأثبت ما فى س . والمحرب ، بالحاء المهملة : المحدد المذرب . ط فقط : « لمجرب » بالجيم . ومعرق : يعرق اللحم عن العظم . والذى فى اللسان : « يقال عرقت ما عليه من اللحم بمعرق — وضبطت كنبر — اى بشفرة » .

ولقدْ قرعتُ صَفاتَكمْ فوجدْتُكم
مُتشبِّثين بزاحفٍ متعلِّــــــقِ
ولقد غَمَزْتُ قناتَكم فوجدتَها خَرْعاءَ مَكْسِرُها كعُودٍ مُحرَقِ
ولقد قبَضْتُ بقلبِ سَلْمَةَ قَبضة قَبْضَ العُقابِ على فؤاد الخِرنقِ
ثمَّ اقتحَمْتُ لِلَحْمِه فأكلتَه فى وكرِ مرتفعِ الجَناب معلَّقِ [١]

قالوا : إنه قالها أبو حبيب بعد أن قال جُشَمُ ماقال ، وقد قدَّم إليه طعامه .

(ما يشبه الخرز)

ووصف أعرابىٌّ خَلْقَ أعرابىٍّ فقال : كأن فى عَضَلته خُرَزًا ، وكأنَّ فى عضده جُرَذاً [٢] .

وأنشدوا لماتحٍ ووصفَ ماتحا ، ورآه يستقى على بئرِه [٣] ، فقال [٤] :

أعدَدْت للوِرد إذِ الوِردُ حَفزْ [٥] دَلواً جَرُوراً وجُلالاً خُزَخِزْ [٦]
وماتِحاً لا ينْثَنى إذا احتجَزْ كأنَّ تحتَ جِلْدِه إذا احتفَزْ [٧]
* فى كلِّ عضوٍ جُرَذين أو خُزَزْ *

---

(١) الجناب : الناحية . وفى الأصل : « الجناح » تحريف .
(٢) ط ، هـ : « كان » فى الموضعين ، تحريف . والعضلة : واحدة العضل ، وهى كل عصبة معها لحم غليظ . هـ : « غفلته » ، صوابهما فى س .
(٣) ط : « وراءه » تحريف .
(٤) سبق الكلام على هذا الرجز فى (٥ : ٢٥٩) .
(٥) سبق فى (٥ : ٢٥٩) : « إذا الورد » .
(٦) ط ، هـ : « دلو » تحريف . وسبق فى الخامس : « غربا » . فى الأصل : « جروزا » وفى هـ ، س : « وحلالا » ، وفى الأصل : « حزحز » تحريفات .
(٧) سبق فى الخامس : « كأن جوف جلده » .

وسنقول فى الأرنب بما يحضرنا إن شاء الله تعالى .

[القول فى الأرانب[١]]

قال الشاعر[٢] :

زَعَمتْ غُدانة أن فيها سيِّداً ضَخماً يوازِنه جَناحُ الجنْدبِ[٣]

يُرويه ما يُروِى الذُّبابَ فينتَشِى سُكراً ويُشبِعه كراعُ الأرنب[٤] ٩١٦

وإنما ذكرَ كراعَ الأرنبِ من بين جميع الكراعات[٥] لأنَّ الأرنب هى الموصوفة[٦] بقصر الذِّراع وقصر اليد[٧] . ولم يُرد الكُراع فقط ، وإنما أراد اليدَ بأسْرها . وإنما جعل لها ذلك بسببٍ نحن ذاكرُوه إن شاء الله تعالى .

والفرس يُوصف بقِصر الذِّراع فقط :

(التوبير)

والتَّوبير[٨] لكلِّ محتالٍ من صِغار السِّباع ، وإذا طَمِع فى الصيد

---

(١) هذا العنوان الأصيل من س فقط .

(٢) هو الأبيرد الرياحى كما فى الأغانى (١٢ : ١٠) يهجو حارثة بن بدر الغدانى كما سبق فى (٣ : ٣٩٨) وكما فى الأغانى وثمار القلوب ٣٢٥ . والأبيرد شاعر فصيح بدوى من شعراء الإسلام وأول دولة بنى أمية . وترجمته فى الأغانى (١٢ : ٩ — ١٥) والمؤتلف ٢٤ ، وقد رواهما الجرجانى فى الكنايات ١٢٩ منسوبين إلى زياد الأعجم .

(٣) سبق التنبيه على رواية : « يواريه » فى (٣ : ٣٩٨) ، وهى رواية الأغانى .

(٤) فى الأصل : « فينثنى » ، صوابه من الأغانى ومما سبق فى الجزء الثالث .

(٥) كذا ورد هذا الجمع .

(٦) س : « لأن الأرنب موصوفة » .

(٧) ط ، هـ : « وصغر اليد » ، وأثبت ما فى س .

(٨) هـ : « والتدبير » محرفة .

أو خاف[1] أنْ يُصاد ، كالثّعلب ، وَعَناقِ الأرض ، [و[2]] هى التى يقال لها التُّفَة ، وهى دابّة نحو الكلْب الصَّغير ، تصيد صَيداً حسناً ، وربَّما واثبَ الإنسانَ فعقَرَه . وهو أحسن صيداً من الكلْب . وفى أمثالهم : « لأَنْتَ أغنَى من التفَةِ عن الرُّفة[3] » وهو التِّبن الذى تأكله الدوابُّ والماشية من جميع البهائم

والتُّفة سبعٌ خالصٌ لا يأكل إلا اللحم .

والتَّوبير : أن تَضمَّ بَرَاثِنها فلا تطأ على الأرض إلا ببطن الكفِّ ، حتى لا يُرَى لها أثر براثِنَ وأصابع . وبعضها يطأ على زمَعاته[4] وبعضها لا يفعل ذلك . وذلك كله فى السهل ، فإذا أخذت فى الحُزونة والصَّلابة ، وارتفعت عن السَّهل حيث لا تُرَى لها آثارٌ ـــ قالوا : وظلفت الأثرَ تظلفه ظلْفا . وقال النُّميرى : أظلفَت الأثر إظلافا .

(بعض ما قيل فى الأرنب)

وعن عبد الملك بن عُمير[5] ، عن قَبِيصة بن جابر[6] : « ما الدُّنيا

---

(١) ط ، هـ : « وخاف » ، صوابه فى س .

(٢) ليست فى الأصل .

(٣) الرفة ، بضم الراء وتخفيف الفاء المفتوحة : التبن ، وهى كلمة يمانية . وروى فى اللسان (١٩ : ٤٧) أن تشديد التفة والرفة لغة فيهما .

(٤) الزمعات : هنات شبه أظفار الغنم ، فى كل قائمة زمعتان كأنما خلقت من قطع القرون .

(٥) هو عبد الملك بن عمير بن سويد بن حارثة القرشى ـــ ويقال الفرسى ـــ أبو عمرو الكوفى ، المعروف بالقبطى ، روى عن الأشعث بن قيس ، وجابر بن سمرة ، والمغيرة ، والنعمان بن بشير ، وعنه ابنه موسى ، وشهر بن حوشب ، والأعمش . توفى سنة ١٣٦ . انظر تهذيب التهذيب (٦ : ٤١١ - ٤١٣) . وفى الأصل : « عبد الملك بن نمير » تحريف . وانظر التنبيه التالى .

(٦) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك بن عميرة الأسدى . روى عن جماعة من الصحابة . وعنه الشعبى وعبد الملك بن عمير والعريان بن الهيثم وغيرهم . وفى تهذيب التهذيب (٨ : ٣٤٥) : « قال عبد الملك بن عمير عن قبيصة بن جابر : ـــ

فى الآخرةِ إلّا كنَفْجة أرنب[1] » .

ويقال حذفته بالعَصا كما تَحذَف الأرنب[2] .

وقال أبو الوَجيه العُكْلى : « لو كانت والله الضبّة دجاجةً لكانت الأرنب دُرَّاجة » . ذهب إلى أنّ الأرانب[3] والدُّرَّاج لا تستحيل لحومها[4] ولا تنقلبُ شحوماً[5] وإنّما سِمَنها بكثرة اللّحم . وذهب إلى ما يقول المعجَبون منهم بلحْم الضّبّ ؛ فإنّهم يزعُمون أنّ الطّعمين متشابهان . وأنشد :

وأنتَ لو ذُقْتَ الكُشى بالأكبادْ   لما تَرَكْتَ الضَّبَّ يَسعَى بالواد

قال : والضبّ يعرض لبيض الظّليم ؛ ولذلك قال الحجّاج لأهل الشّام : « إنّما أنا لكم كالظّليم الرَّامح عن فراخه[6] ، ينفِى عنها المَدَر[7] ، ويباعدُ عنها الحجَر ، ويُكِنُّها من المطَر ، ويحميها من الضِّباب ، ويحرُسُها من

= الا اخبركم بمن صحبت ؟ صحبت عمر فما رأيت أحدا أفقه فى كتاب الله منه ، وصحبت طلحة فما رأيت أحدا أعطى للجزيل منه ، وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت أتم ظرفا منه ، وصحبت معاوية فما رأيت أكثر حلما منه ، وصحبت زيادا فلم أر أكرم جليسا منه ، وصحبت المغيرة فلو أن مدينة لها أبواب لا يخرج من كل باب منها إلا بالمكر لخرج من أبوابها كلها » .

(١) فى اللسان : « نفج الأرنب إذا ثار » . وقد روى هذا الحديث فيه بلفظ : « عند الآخرة » . وعقب عليه بقوله : « أى كوثبته من مجثمه . يريد تقليل مدتها » . وفى الأصل : « كنفخة » بالخاء ، صوابه بالجيم . وانظر البيان (٣ : ١٥٧) .

(٢) س : « بالعصا » . وفى اللسان : « ويقال للعصا عصاة ، بالهاء ، يقال أخذت عصاته » . قال : « ومنهم من كره هذه اللغة » ثم قال : « وقال الفراء : أول لحن سمع بالعراق هذه عصاتى بالتاء » .

(٣) فى الأصل : « الأرنب » .

(٤) ط ، هـ : « تستحل » ، صوابه فى س .

(٥) ط : « شحومها » ، صوابه فى س ، هـ .

(٦) فى اللسان (٣ . ٢٧٨) : « والعرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع » . س : « الرائح » صوابه فى ط ، هـ والبيان (٢ : ١٤٠) .

(٧) المدر : قطع الطين اليابس . وفى الأصل : « القذر » ، وصواب النص من البيان .

الذِّئاب . يا أهلَ الشّام أنتم الجُنّة والرِّداء[1] ، وأنتم العُدّة والحذاء » .

(ما يشبه بالأرنب)

ثم رجع [بنا[2]] القول إلى الأرانب. فممَّا في الخيل مما يُشبِه الأرنب[3] قول الأعشى[4] :

أمّا إذا استقبلتَه فكأنّه جِذعٌ سَمَا فوقَ النَّخيلِ مشذَّبُ
١١٧ وإذا تصفَّحَه الفَوارِسُ مُعْرِضاً فتقولُ سِرْحَانُ الغَضَى المتنصِّبُ[5]
أمّا إذا استدبرتَه فتسوقُه ساقٌ يُقمِّصُها وظِيفٌ أحْدَبُ[6]
مِنْـه ، وجاعرةٌ كأنّ حمَاتَها كَشَطتْ مَكان الجلِّ عَنْهَا أرْنَبُ[7]

وقال عبد الرَّحمن بن حسّان :

كأنّ حَمَاتَيْهِمَا أرْنَبَا ن غيضتنا خيفةَ الأذؤبِ

---

(١) الجنة ، بالضم : ما واراك من السلاح واستترت به . وفي الأصل : « الجبة » ، وهو من مستطرف التصحيف .

(٢) هذه الزيادة من س .

(٣) س : « الأرانب » .

(٤) لم ترد الأبيات في ديوان الأعشى طبع جاير . وإنما أثبتت في ملحقاته . والصواب نسبتها إلى المرار العدوى كما في كتاب الخيل لأبي عبيدة ص ٩٩ — ١٠٠ . وقد سبقت ترجمة المرار في (٤ : ٤٦٥) . وانظر المفضليات ٧٢ .

(٥) السرحان ، بالكسر : الذئب . المتنصب : المتنصب القائم . وفي الأصل : « المتصبب » بمعنى المتحدر ، ولا وجه له . وانظر لهذا المعنى البيت ١٩ من المفضلية ١٧ والبيت الثاني من المفضلية ٧٣ طبع المعارف .

(٦) الوظيف لكل ذي أربع : ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق . يقمصها : أراد يحملها على القمص ، وهو أن يرفع الفرس يديه ويطرحهما معا . ط ، هـ : « يقنصها » س : « يقبضها » ، وصواب الرواية من كتاب أبي عبيدة . وكلمة : « ساق » محرفة في الأصل ، فهي في ط : « سوقا » وفي س ، هـ : « سوق » صوابهما في كتاب الخيل .

(٧) الجاعرة : حرف الورك المشرف على الفخذ . والحماة : اللحمة المجتمعة في ظاهر الساق من أعلى .

(طول عمر الأغضف والأرنب)

وأنشد الأثرم :

بأغْضَفِ الأُذْنِ الطَّوِيل العمر   وأرنب الخُلّة تِلْوُ الدَّهرِ (١)

قد سمعتُ من يذكر أنّ [كِبَرَ (٢)] أذنِ الإنسان دليلٌ على طول عمره ، حتّى زعمُوا أنّ شيخاً من الزّنادقة ، لعنهم الله تعالى ، قدّموه لتضرب عنقه فَعَدَا (٣) إليه غلامٌ سعديٌّ كان له ، فقال : أليسَ قد زعمتَ يا مولاىَ أنّ من طالت أذُنه طالَ عمره ؟ قال : بلى ! قال : فهاهم يقتلونك ! قال : إنما قلت : إن تركوه !

وأنا لا أعرف ما قال الأثرم ، ولا سمعتُ شِعراً حديثاً ولا قديماً يُخبِرُ عن طول عُمر الأرنب . قال الشّاعر :

مِعْبلة فى قِدْحِ نَبْعٍ حادِرْ (٤)   تسقى دَم الجوفِ لظفرِ قاصر (٥)

إذ لا تزالِ أرنبٌ أو فادِرْ (٦)   أو كروانٌ أو حُبارى حاسِرْ (٧)

* إلى حمار أو أتان عاقر (٨) *

---

(١) الأغضف الأذن : المسترخيها . وفى الأصل : « بأعصف » محرفة . وانظر الأرنب الخلة (٤ : ١٣٤ / ٦ : ١٢٣) . وتلو الدهر : ولده . وأصل التلو ، بالكسر : ولد الناقة الذى يتلوها .

(٢) التكملة من س ، هـ .

(٣) ط : « فعدى » صوابه فى س ، هـ .

(٤) المعبلة : النصل الطويل العريض . والحادر : الغليظ . وفى اللسان : « ورمح حادر : غليظ . والحوادر من كعوب الرماح : الغلاظ المستديرة » . وفى الأصل : « حازر » ، ولا وجه له .

(٥) كذا ورد البيت . ولم أجد لهذا الرجز مرجعا .

(٦) الفادر : المسن من الأوعال . وفى الأصل : « فازر » ، تحريف .

(٧) الحاسر : التى تحسر مع الطير أيام التحسير ، وذلك أن تلقى ريشها . انظر اللسان (٥ : ٢٣٢ س ٢٠) . وفى الأصل : « كاسر » ، ولا وجه له .

(٨) س : « وأتان عاقر » .

(لبن الأرنب)

قال : ويزعمون أنّه ليس شيءٌ من الوحْش ، فى مثل جسم الأرنب أقلَّ لبناً ودُرُوراً على ولَدِ منها . ولذلك يُضرَبُ بدَرِّها المثل . فممَّن قال فى ذلك عَمرو بن قَميئة ، حيث يقول :

ليس بالمطعم الأرانبَ إذْ قلَّ ص دَرُّ اللِّقاح فى الصِّنَّبْرِ (١)
ورأيتَ الإماء كالجِعْثِن البا لى عُكوفاً على قُرارة قِدْر
ورأيتَ الدُّخانَ كالوَدع الأه جَنِ يَنباع مِنْ وراء السِّتر (٢)
حاضرٌ شرُّكُمْ وخَيْرُكمُ دَ رُّ خَرُوسٍ من الأرانب بِكر (٣)

(قصر يدى الأرنب)

والأرنب قصير اليدين ؛ فلذلك يخفُّ عليه الصَّعْداء(٤) والتوقُّل فى الجبال . وعَرف أنّ ذلك سهلٌ عليه ، فصرَفَ بعضَ حِيله إلى ذلك ، عند إرهاق الـكلاب إيَّاه . ولذلك يُعجَبون بكلِّ كلبٍ قصير اليدين ، لأنه إذا كان كذلك كان أجدر أن يلحقها .

(من أعاجيب الأرنب)

١١٨ وفى الأرانب من العجب أنها تحيض ، وأنها لا تسمن ، وأن قضيب الُخزَزِ ربَّما كان من عظمٍ ، على صورة قَضيب الثّعلب(٥) .

---

(١) سبق شرح هذه الأبيات فى (٥ : ٧٣ — ٧٤) . وفى الأصل هنا : « فى الصبر » تحريف . وانظر رسائل الجاحظ (٢ : ٣٥٧) من تحقيقى .
(٢) فى الأصل : « ورأيت الرجال كالورم الأضخم » ، وأثبت صوابه من الخامس .
(٣) فى الأصل : « دم جرو » ، تحريف .
(٤) أراد الأرض ذات الصعداء ، بفتح الصاد وسكون العين ، « وهى التى يشتد صعودها على الراقى .
(٥) انظر ما سبق فى هذا الجزء ص ٣٠٥ .

ومن أعاجيبها أنّها تنامُ مفتوحةَ العَين ، فربَّما جاء الأعرابيُّ حتّى يأخذها[1] من تلقاء وجهها ، ثقةً منه بأنَّها لا تبصر .

وتقول العرب : هذه أرنبٌ ، كما يقولون : هذه عُقاب ولا يذكّرون . وفيها التَّوبير الذى ليس لشىءٍ من الدوابِّ التى تحتال بذلك ، صائدةً كانت أو مصيدةً ، وهو الوطْء على مؤخّر القوائم ، كى لا تعرفَ الكلابُ آثارَها ، وليس يعرفُ ذلك من الكِلاب إلّا الماهِر . وإنَّما تَفعل ذلك فى الأرض اللَّيِّنَةِ . وإذا فعلَتْ ذلك لم تسرع فى الهرَب . وإن خافت أن تُدرَك انحرفت إلى الُحزونة والصَّلابة . وإنما تستعمل التَّوبير قبل دنوِّ الكلاب .

وليسَ لشىءٍ من الوَحْش ، ممّا يُوصَف بِقصَر اليدَينِ ما للأرنَب من السرعة . والفرس يوصف[2] بقصر الكُراع فقط .

(تعليق كعب الأرنب)

وكانت العربُ فى الجاهليَّة تقول : مَن عُلّق عليه كعبُ أرنَب لم تصبْهُ عينٌ ولا نفسٌ ولا سِحر ، وكانت عليه واقيةٌ ؛ لأَنّ الجنَّ تهرب منها ، وليست من مطاياها[3] لمكان الحيض .

وقد قال فى ذلك امرؤ القيس :

يا هِنْدُ لا تَنْكحى بُوهَةً عليه عَقِيقَتُه أَحْسَبَا[4]

---

(١) ط ، هـ : « أن يأخذها » ، صوابه فى س .

(٢) س : « توصف » ، والفرس يذكر ويؤنث .

(٣) انظر لمطايا الجن ما سبق فى ص ٤٦ .

(٤) البوهة ، بالضم : الرجل الضعيف . والعقيقة : الشعر الذى يولد به الطفل ، والأحسب : الذى ابيضت جلدته من داء ففسدت شعرته فصار أحمر وأبيض . يقول : كأنه لم تحلق عقيقته فى صغره حتى شاخ .

مُرَسَّعَةٌ بينَ أرساغه ... به عَسَمٌ يبتغى أرْنبا[1]

ليجْعَل فى يَدِهِ كَعْبَهَا ... حِذَارَ المنيَّة أنْ يَعْطَبَا

وفى الحديث : « بكى حتَّى رسعت عينه » مشَدَّدة وغير مشدَّدة ، أى قد تغيَّرت[2] . ورجلٌ مرسَّع وامرأة مرسَّعة .

(تعشير الخائف)

وكانوا[3] إذا دخل أحدُهم قريةً خاف من جِنِّ أهلها ، ومن وباء الحاضرة ، أشدّ الخوف ، إلَّا أن يقِف على باب القَرية فيعشِّرَ كما يعشِّرُ الحمارُ فى نهيقه[4] ، ويعلِّق عليه كعبَ أرْنب . ولذلك قال قائلهم :

ولا ينفع التَّعشيرُ فى جَنْبِ جِرْمَة ... ولا دَعدعٌ يُغْنِى ولا كَعْبُ أرْنبِ[5]

الجِرمة[6] : القطعة من النَّخل . وقوله : « دعدع » كلمةٌ كانوا يقولونها عند العِثار . وقد قال الحادِرة[7] :

ومَطِيَّةٍ كلَّفْتُ رَحْلَ مَطِيَّةٍ ... حَرَجٍ تُنَمُّ من العِثَارِ بدَعْدَعِ[8]

---

(١) المرسعة : بكسر السين المشددة : الفاسد العين . وأنثه إتباعا للفظ البوهة . وقيل : المرسعة : الذى لا يبرح من منزله ، زادوا الهاء للمبالغة . ويروى : « مرسعة » بالرفع وفتح السين ، وهى رواية الأصمعى ، وقال : والمرسعة كالمعاذة ، وهو أن يؤخذ سير فيخرق فيدخل فيه سير فيجعل فى أرساغه دفعا للعين . والعسم : يبس فى المرفق يعوج منه الكف . يقول : به عسم بين أرساغه .

(٢) فى اللسان : « يعنى فسدت وتغيرت والتصقت أجفانها » .

(٣) ط ، هـ : « وكان » ، وأثبت ما فى س .

(٤) عشر الحمار ، تابع النهيق عشر نهقات ، ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه .

(٥) الجرمة ، بكسر الجيم : ما جرم وصرم من النخل . ط : « خرمة » هـ : « حزمة » ، صوابهما فى س .

(٦) ط : « الخرمة » هـ : « الحزمة » ، صوابهما فى س .

(٧) الحادرة ، لقب غلب عليه . واسمه قطبة بن أوس بن محصن . وهو من شعراء الجاهلية . انظر الأغانى (٣ : ٧٩) .

(٨) الحرج : الناقة الجسيمة الطويلة على وجه الأرض . تنم من النم ، وهو الإغراء . =

وقالت امرأةٌ من اليهود(١) :

وليس لوالدةٍ نَفْثُهَا ولا قَوْلُهَا لابنها دَعْدَعِ(٢)

تداری غراء أحــواله وربُّك أعْلَمُ بالمصْرَعِ(٣) ١١٩

وقد قال عُروة بن الوَرد ، فى التَّعشير ، حين دخل المدينةَ فقيل له : إن لم تعشِّرْ هلكت ! فقال :

لَعمْرِى لَئن عشَّرْتُ من خِيفة الرَّدَى

نُهاقَ الحمير إنّنى لَجزوعُ(٤)

(نفع الأرنب)

وللأرنب جلدٌ وَوَبَرٌ يُنتَفَع به ، ولحمه طيِّب(٥) ؛ ولا سيَّما إنْ جُعل مَحْسِيا(٦) ؛ لأنّه يجمع حُسنَ المنظر ، واستفادة العلم مما يرون من تدبيرها وتدبير الـكلاب(٧) ، والانتفاع بالجلد وبأكل اللَّحم . وما أقلَّ ما تجتمع هذه الأمورُ فى شىء من الطَّير .

= يقول : إذا أنضى مطية فى سفر حمل رحلها على غيرها . ط : « حل مطية » س ، ه : « وحل » س : « جرح » ، صواب هذه التحريفات ما أثبت من المفضليات ٤٧ والديوان ص ٤ مخطوطة الشنقيطى بدار الـكتب المصرية .

(١) ونسب فى الأغانى (٢١ : ٨٩) إلى الشنفرى ، وأنه أول ما قاله من الشعر .

(٢) نفث الراقى : تفل حين الرقية . ه : « تفثها » محرف . يقول : ليس ينفعها شىء من ذينك .

(٣) كذا فى ط . وفى س ، ه : « تدارى عزآء » .

(٤) انظر القصة مفصلة فى معجم البلدان (روضة الأجداد) . والبيت من أبيات فى ديوانه ٩٩ . وانظر المخصص (٨ : ٤٩) ومحاضرات الراغب (١ : ٧٤) والميدانى فى قولهم : (عشر والموت شجا الوريد) .

(٥) ه : « رطيب » تحريف .

(٦) فى الأصل : « محشيا » ، وانظر ماسبق فى (١ : ٢٣٥ و ٥ : ٤٥٢) .

(٧) كذا وردت هذه العبارة على ما بها من تحريف ونقص . ولعل صواب آخرها : « مما يرون من تو بيرها قبل دنو الكلاب » . انظر ص ٣٥٧ .

وأما قوله[١] :

إذا ابتدَرَ النّاسُ المعالى رأيتَهم قياماً بأيديهم مُسوكُ الأرانبِ

فإنّه[٢] هجاهم بأنّهم لاكسبَ لهم إلّا صيدُ الأرانبِ وبيع جلودها .

(الحُلَـكاء)

وأمّا قوله :

٢٣ « وغائصٌ فى الرمل ذو حدَّةٍ ليس له نابٌ ولا ظُفْرُ »

فهذا الغائص هو الحلكاء . [والحلكاء[٣]] : دويْبّة تغوصُ فى الرمل ، كما يصنع الطّائر الذى يسمَّى الغمّاس[٤] فى الماء .

وقال ابن سُحيم فى قصيدته التى قصَد فيها للغرائب[٥] :

* والحُلَـكاء التى تَبْعَج فى الرمل[٦] *

(شحمة الرمل)

وممّا يغوص فى الرَّمل[٧] ، ويسبح فيه سباحةَ السَّمكة فى الماء ، شحْمةُ الرَّمل ، وهى شحمة الأرض ، بيضاءُ حَسَنَةٌ يشبّه بها كفُّ المرأة . وقال ذو الرُّمَّة فى تشبيه البَنان بها :

---

(١) فى الأصل : « قولهم » .

(٢) هذه الكلمة ليست فى ط ، هـ . ووردت فى س محرفة برسم : « فباءته » .

(٣) التكملة من س ، هـ . وانظر ما سبق فى ص ٢٠ .

(٤) فى اللسان والقاموس : « الغماسة » . وقال صاحب القاموس : « جمعه غماس » . س : « القماس » ، وله اشتقاق صالح ، ولكنهم لم يذكروه فى الطير . والقمس : الغوص .

(٥) س : « الغرائب » .

(٦) البعج : الشق . ط : « يبعج » هـ : « ينعج » محرفتان . وهو قطعة من بيت من بحر البسيط .

(٧) هذه العبارة ساقطة من س . وفى ط ، هـ : « فى الماء » صوابه : « فى الرمل » .

خرَاعيب أمْثالٌ كأنّ بنانَها بَنَاتُ النقا تَخْفَى مِراراً وتظهرُ[١]

وقال أبو سليمان الغَنَوى : هى أعرض من العظاءة[٢] بيضاء [حسنةٌ[٣]] منقّطة بحمرة وصُفرة ، أحسنُ دوابِّ الأرض .

وتشبّه أيضاً أطرافُ البنانِ بالأساريع وبالعَنَم ، إذا كانت مُطَرَّفة[٤] .

وقال مرقّش :

النَّشْرُ مِسْكٌ والوُجوهُ دنا نيرُ وأطرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ[٥]

وصاحب البلاغة من العامَّة يقول : «كأنّ بَنانها البَيَّاح[٦] والدُّواج[٧] ، ولها ذِراعٌ كأنها شَبُّوطة[٨] » .

ويشبه أيضاً بالدِّمقس :

(شعر فيه خرافة)

ومن خرافات أشعار الأعراب ، يقول شاعرهم[٩] :

أشكو إلى الله العليِّ الأَمجدِ عشائراً مثلَ فراخ السرهدِ[١٠]

---

(١) الخراعيب : جمع خرعوبة ، وهى الشابة البيضاء اللينة الجسيمة الدقيقة العظم . أمثال : أشباه . وانظر ديوان ذى الرمة ٢٦٦ والمعانى الكبير ٦٧٩ .

(٢) العظاءة : واحدة العظاء ، بالفتح ، وهو دويبة على خلقة سام أبرص . ط : « العظاة » س : « الغطاة » ﻫ : « العضاة » ، وفى ثمار القلوب ٤٠٣ نقلا عن الجاحظ : « العضابة » ، صوابها ما أثبت .

(٣) التكملة من س .

(٤) يقال طرفت الجارية بنانها ، إذا خضبت أطراف أصابعها بالحناء .

(٥) البيت من قصيدة فى المفضليات ٢٣٧ — ٢٤١ .

(٦) البياح : ضرب من السمك صغار أمثال شبر . انظر ما سبق فى ٨٧ . وفى الأصل : « البياج » بالجيم ، محرف .

(٧) الدواج كرمان وغراب : لحاف يلبس . وانظر ما سبق فى (٥ : ٣٢٢) . ط ، ﻫ : « الدراج » س : « الرواج » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) الشبوط : سمك دقيق الذنب عريض الوسط صغير الرأس ، يكثر فى دجلة : Garp .

(٩) س : « بعضهم » .

(١٠) ط ، س : « عسابرا » . وأثبت ما فى ﻫ . وفى ﻫ أيضا : « مثل مراح » .

عشائراً قد نَيَّفوا بفَدفَد[١]   قد ساقَهُمْ خبث الزمان الأنْكَد
وكلّ حِرباء وكل جُدْجُد[٢]   وكلّ رامٍ فى الرِّمال يهْتَدِى
١٢ وكل نفاض القفا ملهّد[٣]   ينصِبُ رِجْلَيه حِذَارَ المعتدِى[٤]
وشحْمة الأَرض وفَرْخ الهُدهُدِ   والفَار واليَرْبُوع مالم يسفَدِ
فنارُهم ثاقبـةٌ لم تَخْمُـد   شِوَاء أحناشٍ ولم تفرّدِ[٥]
من الُحبَينِ والعَظاء الأَجردِ[٦]   يبيتُ يَسْرِى مادنا بفـدفد[٧]
وكلٍّ مقطوع العرا معلـكد[٨]   حَتَّى ينـالوه بعود أوْ يَدِ
منها وأبصار سَعَالٍ جُهَّـدِ   يغدون بالجهـد وبالتشرُّدِ[٩]

* زَحْفاً وحَبْوًا مثل حَبْوِ الُمقْعَدِ *

---

(١) فى الأصل : « عشائرا » ، تحريف . س : « بعرفد » ط ، ه : « بفرقد » صوابهما ما أثبت .

(٢) الجدجد : دويبة على خلقة الجندب تصر بالليل . وقال العدبس : هو الصدى . ط : « حرجد » ه : « جرجد » صوابهما فى س . ولعل الكلام : « لكل حرباء » أى ساقهم لهذه الأشياء .

(٣) الملهد : المستضعف الذليل .

(٤) س : « حذا » . ويمنى بتلك الدابة أم حبين ، إذا طردها الصبيان وأدركها الإعياء وقفت على رجليها ونشرت لها جناحين أغبرين على مثل لونها ، وإذا زادوا فى طردها نشرت أجنحة كن تحت ذينك الجناحين لم ير أحسن لونا منهن ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض .

(٥) س ، ه : « سواء » . » . ط : « ولم تغرد » .

(٦) الحبين ، كأنه عنى به جمع الحبينة . والحبينة لغة فى أم حبين . وفى الأصل : « من الجبين » ولا وجه له . والعظاء : جمع عظاءة . ط ، ه : « الغطاء » س : « القطاء » ، صوابهما ما أثبت .

(٧) ما دنا ، هى فى س : « مذنا » . وفى ه : « بفرقد » .

(٨) المعلكد ، من العلكدة ، وهى الغلظ . ومقطوع العرا ، لعلها : « مفطوح الفرا » .

(٩) ط ، ه : « يغدون بالجهد وبالتشدد » .

(الحـرباء)

وأمّا قوله :

٣٤ « حِرباؤها فى قيْظها شَامِسٌ   حَتَّى يوافِى وَقتَهُ العَصْرُ

٣٥ يَميـل بالشِّقِّ إليها كما   يميل[1] فى رَوْضَتِهِ الزَّهْرُ »

قال : والحِرباء دويْبَّة أعظَم من العظاءة[2] أغبَرُ ما كان فرخاً ، ثم يصفرّ . وإنّما حياتُه الحر . فتراه أبداً إذا بدت جَونة[3] يعنى الشَّمس ، قد لجأ بظَـهْره إلى جُذَيل[4] ؛ فإن رمضت الأرضُ ارتفع . ثم هو يقلّب[5] بوجهه أبداً معَ الشَّمس حيث دارت ، حتَّى تغرب ، إلا أنْ يخاف شيئا . ثم تراه شَابحاً بيدَيه[6] ، كما رأيت من المصلوب . وكلما حميت عليه الشَّمس رأيتَ جلدَه قد يخضرّ . وقد ذكره ذو الرُّمَّة بذلك فقال :

يظَـلُّ بها الحِرباءُ للشَّمسِ ماثِلاً   على الجِذل إلاّ أنَّه لا يكبِّرُ[7]

---

(١) ط : « يمل » ، صوابه فى س ، هـ .

(٢) فى الأصل : « العظاة » محرف .

(٣) جونة ، علم للشمس ، كما يقال لها ذكاء ، وإلاهة ، والضح ، والجونة ، والغزالة والجارية ، والبيضاء ، ويوح . وفى الأصل : « أبدا أبدت جونة » .

(٤) الجذيل : مصغر جذل ، وهو من العيدان ما كان على مثال شماريخ النخل ، وما عظم من أصول الشجر المقطع . ط ، س : « جديل » صوابه فى س .

(٥) س : « ينقلب » .

(٦) شبح يديه : مدهما . وفى اللسان : « وشبحه : مده كالمصلوب » وقال جرير :

وعليك من صلوات ربك كلما   شبح الحجيج الملبدون وغاروا

ويقال تشبح الحرباء على العود : امتد . وفى الأصل : « سابحا بيديه » ، تحريف .

(٧) فى الأصل : « إلى الحول إلا أنه لا يكفر » ، صوابه من الديوان ٢٢٩ وحماسة ابن الشجرى ٢٢٦ . ورواية صدره عند ابن الشجرى : « يصلى بها الحرباء » .

إذا حَوَّلَ الظِّلُّ العشِيُّ رأيتَـه حَنيفاً وفى قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ(١)
غَدَا أصفرَ الأعْلَى وراحَ كأنَّهُ من الضِّحِّ واستقبالهِ الشَّمْسَ أخضَرُ(٢)

(خضوع بعض الأحياء للشمس)

وكذا الجمل أيضاً يستقْبل بهامته الشَّمس ، إلاّ أنه لا يدور معَها كيف دارَت كما يفعل الحرباء(٣) .

وشقائقُ النُّعمان والخِيرِيّ يصنع ذلك ، ويتفتَّحُ بالنهار ، وينضمُّ بالليل(٤) . والنِّيلُوفر الذى ينبت فى الماء(٥) يغيب الليل كلَّه ويظهر بالنهار(٦) . والسَّمك الذى يقال له الكَوسج(٧) ، فى جوفه شحمةٌ طيِّبة ، وهم يسمُّونها

---

(١) حول ، يتعدى ولا يتعدى ، ويروى بيت ذى الرمة برفع الظل ونصب العشى : أى تحول فى وقت العشى . ويروى بنصب الظل ورفع العشى على أن يكون العشى هو الفاعل والظل مفعول به . قال ابن برى : « يقول : إذا حول الظل العشى وذلك عند ميل الشمس إلى جهة المغرب صار الحرباء متوجها للقبلة فهو حنيف . فإذا كان فى أول النهار فهو متوجه للشرق ، لأن الشمس تكون فى جهة المشرق فيصير متنصرا ، لأن النصارى تتوجه فى صلاتها جهة المشرق » . انظر اللسان (١٣ : ٢٠٦) .

(٢) الضح ، بالكسر : ضوء الشمس على الأرض . وفى الديوان واللسان (٣ : ٣٥٦) : « غدا أكهب الأعلى » . والكهبة : لون غير خالص فى الحمرة .

(٣) ط ، هـ : « كما تفعل الحرباء » . وإنما الحرباء مذكر ، والأنثى حرباءة .

(٤) انظر ما سبق فى (٥ : ١٠٣) .

(٥) النيلوفر ، ضبطه صاحب القاموس بفتح النون واللام ضبط قلم . والكلمة مولدة وهى فارسية الأصل . انظر شفاء الغليل والألفاظ الفارسية لادى شير ١٥٥ . وفيه فى الفارسية لغات : يقال نِيلُفَر ، ونِيلُوبَرْگ ، ونِيلوپَر ، ونِيلوفَر ، ونِيلوفَل ، ونينوفر . انظر استينجاس ١٤٤٤ . ط ، هـ : « ينبت بالماء » ، وأثبت ما فى س .

(٦) وفيه يقول الشاعر الفارسى :

كر بكذر شبى بباغى كش نيلوفر ميان آبست
نيلوفر زآب برآرد بندارد رويت آفتابست

يقول لمعشوقه : لو مررت ذات ليلة فى بستان ، وصدر النيلوفر غارق فى وسط الماء ، لرفع النيلوفر رأسه من الماء ، إذ يخال وجهك الشمس .

(٧) انظر ما سبق فى (٤ : ٤٥ ، ١٠٢) .

الكَبِد ، فإن اصطادُوا هذه السَّمكة ليلاً وجدوا هذه الشَّحمةَ فيها وافرةً ، وإن اصطادُوها نهاراً لم تُوجَد . وقد ذكر الحطيئة (١) دوَرانَ النَّبات مع الشمس حيث يقول :

بمستأسدِ القُرْيانِ حُوٍّ تِلاعُه ... فنُوَّاره مِيلٌ إلى الشَّمس زَاهِرُه (٢) ١٢١

وقال ذو الرُّمَّة :

إذا جَعَلَ الحِرباءُ يغْبرُّ لونُه ... ويخضرُّ من لَفْحِ الهَجير غَباغِبُه (٣)

ويَشْبَحُ بالكفَّينِ شَبْحاً كأنَّه ... أخو فجرةٍ عالَى بِهِ الجذعَ صالبُه (٤)

وقال ذو الرُّمَّة أيضاً :

وهاجرةٍ من دُونِ مَيَّةَ لم يَقِلْ ... قلُوصِي بها والُجندبُ الجَوْنُ يَرْمحُ (٥)

إذا جعَل الِحرباءُ ممَّا أصابَه ... من الحرِّ يلوِى رأسَه ويرنِّحُ (٦)

وقال آخر (٧) :

كأنّ يدَىْ حِربائها متشَمِّساً ... يَدَا مُجرمٍ يَستغفِرُ اللهَ تائب

وقال آخر :

---

(١) هذا يصحح ما سبق من نسبة البيت فى (٥ : ١٠٣) .

(٢) سبق الكلام مفصلا على هذا البيت فى (٥ : ١٠٣) .

(٣) الغباغب : جمع غبغب ، وهو الجلد الذى تحت الحنك .

(٤) يشبح بيديه : يمدهما . وفى الأصل : « ينسج بالكفين نسجا » ، صوابه فى الديوان ٤٧ . يقول : كأنه رجل فجر فرفعه صالبه فوق الجذع .

(٥) يقل ، من القيلولة ، وهى النوم فى القائلة نصف النهار . وفى الديوان ٨٦ : « لم تقل » بالتأنيث . والقلوص : الفتية من الابل . قال ثعلب : « الجون هاهنا الأبيض والجون الأسود ، وهو من الأضداد . يرمح : يضرب برجله الأرض من شدة الحر . والجندب شبه الجراد فى ظهره نقط » .

(٦) رنح وترنح : تمايل من السكر وغيره .

(٧) هو ذو الرمة ، لا آخر . انظر ديوانه ص ٣٠ .

لظًى يلفَحُ الحِرباءَ حتَّى كأنَّه   أخو حَرَبَاتٍ بُزَّ ثَوْبيه ، شابحُ[1]

وأنشدوا :

قد لاحَها يَومٌ شموسٌ مِلهابْ   أبْلجُ ما لشمسه منْ جلبابْ[2]

يرمى الإكام من حصاة طبطاب[3]   شال الحَرَابِىُّ له بالأذْنابْ[4]

وقال العباس بن مرداس :

على قُلُصٍ يعلو بها كلَّ سَبْسَبٍ   تخالُ به الحِرباءَ أنشط جالِسَا

وقال الشّاعر[5] :

تجاوزت والعُصفورُ فى الجُحْرِ لاجئٌ

مع الضَّبِّ والشِّقْذانُ تَسمُو صُدورُها[6]

وقال أبو زُبَيْد :

واستَكَنَّ العُصفورُ كَرْهاً مع الضـ

بِّ وأوفَى فى عُودِهِ الحِرْباءُ[7]

والشِّقْذان[8] : الحرابىّ . وقوله : « تسمُو » [أى ترتفع[9]] فى الشجرة .

---

(١) الحربات : جمع حربة ، وهى المرة من حربه حربا بالتحريك : سلبه ماله . بزثوبيه أى بزه اللص ثوبيه ، يقال بزه ثيابه وابتزه ثيابه أى سلبهما . وقد أراد أثوابه فعبر بالمثنى عن الجمع ، وكذلك يفعلون . وشبح الداعى : مد يده للدعاء . كأنه يدعو على من صنع به ذلك . ط ، س : « شائح » هـ : « شايح » صوابهما بالباء الموحدة ؛ كما أثبت .

(٢) الأبلج : المشرق المضىء . وفى الأصل : « أهلج » ، تحريف .

(٣) كذا ورد هذا البيت .

(٤) الحرابى : جمع حرباء . شالت بأذنابها : رفعتها . هـ : « الحرانى » س : « الحرانى » ، صوابهما فى ط .

(٥) هو ذو الرمة ، كما سبق فى (٥ : ٢٣٢) .

(٦) فى الأصل : « والشقدان » . وقد مضى الكلام على البيت فى الجزء الخامس .

(٧) سبق البيت مع ثلاثة أخرى فى (٥ : ٢٣١ - ٢٣٢) .

(٨) فى الأصل : « الشقدان » ، تحريف .

(٩) التكملة من س .

وعلى رأس العود . والواحِد [من] الشِّقْذَان بإسكان القاف وكسر الشِّين [شَقَذ بتحريك القاف [1]] .

وأنشد :

فَفِيها إذا الحِرباءُ مَدَّ بكفِّـه وقام مَثِيـلَ الرَّاهبِ المتعبِّـدِ

وذلك أنّ الحِرباء إذا انتصفَ النّهار فعَلاَ فى رأسِ شجرةٍ صار كأنَّه راهبٌ فى صومعتِه .

وقال آخر [2] : ١٢٢

أنَّى أُتيحَ لَـكُمْ حِرباءُ تنضبةٍ لا يترُكُ السَّاقَ إلاَّ مُمْسكاً سَاقَا [3]

(التشبُّه بالعرب)

قال : وكان مولًى لأبى بكر الشَّيبانى ، فادَّعى إلى العرب مِنْ لَيلته ، فأصبحَ إلى الجُلوس فى الشمس . قال : قال لى محمد بن منصور : مررْتُ بِه

(١) الشقذ كما قيدت هنا : أحد مفردات الشقذان . وانظر لسائر المفردات ما سبق فى حواشى (٥ : ٢٣٢) . وفى الأصل : « والوجه الشقذان باسكان القاف وكسر الشين » ، واستضأت لتصحيحها وإكمالها بما سبق فى (٦ : ١٢٤) .

(٢) البيت لأبى دواد الإيادى من أبيات رواها العسكرى فى الجمهرة ٢١٢ . وقبله :

زموا بليل جمال الحى وانجذبوا لم ينظروا باحتمال الحى إشراقا
يحثهم بطش ذو نجدة شرس أوصى ليزعجهم بالظعن سواقا

وقد روى منسوبا أيضا فى اللسان (١ : ٢٩٧) وبدون نسبة فيه (١٢ : ٣٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٩٢) وأمثال الميدانى (١ : ٢٠٢) وديوان المعانى (١ : ١٣٨) والمخصص (٨ : ١٠٣) .

(٣) تعجب كيف أتيح لتلك الظعن هذا السائق المجد الحازم . والساق ، هاهنا : الغصن من أغصان الشجرة . والحرباء لا يترك ساق شجرة حتى يمسك بساق أخرى ولذا يقال فى المثل : « أحزم من حرباء » . و : « لكم » هذا التفات منه ؛ يخاطب الظعن . وهذه هى أيضا رواية ابن سيده . ويروى : « له » كما فى اللسان وعيون الأخبار . وتعقبها ابن برى فى اللسان (حرب) قال : « هكذا أنشده الجوهرى ، وصواب إنشاده : أنى أتيح لها . لأنه وصف ظعنا ساقها وأزعجها =

فإذا هو فى ضاحيةٍ[1] ، وإذا هو يحكُّ جلده بأظفاره خمْشا وهو يقول : إنما نحن إبل !

وقد كان قيل له مرَّة : إنَّك تتشبّه بالعرب ، فقال : ألِى يقال هذا ؟ أنا والله حِرباء تنضُـية ، يشهدُ لى سوادُ لَونى ، وشَعاثَتِى ، وغَوْر عينى[2] وحُبِّى للشَّمس .

(نفخ الحرباء والورل)

قال : والحِرباء ربَّما رأى الإنسان فتوعَّدَه ، ونفَخَ وتطاول له[3] حتَّى ربَّما فزِع منه مَن لم يعرفْه . وليس عندَه شرٌّ ولا خير .

وأمَّا الذى سمعناه من أصحابنا فإن الورَل السَّامد[4] هو الذى يفعل ذلك . ولم أسمعْ بهذا فى الحِرباء إلاّ من هذا الرجل .

قال : والحِرباء أيضا : المسمار الذى يكون فى حَلقة الدِّرع[5] ، وجمعه حرابى.

(استدراك لما فات من ذكر الوبر)

وقد كنا غفلنا أنْ نذكر الوَبْر فى البيت الأول[6] . قال رجلٌ من بنى تغلب :

= سائق مجد » . قلت : يدفع قول ابن برى أنه يجوز هنا عود الضمير على : « بطش » فى البيت الذى قبله . تعجب كيف أتيح لذلك الحادى البطش ذاك السواق المجد .

(١) الضاحية : الأرض البارزة الشمس .

(٢) يقال غارت عينه غوراً ، وغؤورا بالضم على فعول .

(٣) س : « تطاول » فقط .

(٤) السامد : الرافع رأسه . س : « السائد » تحريف . ط ، هـ : « إن الورل » ، وأثبت الصواب من س .

(٥) ط ، هـ : « حلق » ، وأثبت ما فى س .

(٦) يريد بالأول الذى سبق ، وهو يشير إلى البيت رقم ٣٢ الذى مضى فى ٣٤٥ ولم يعرض فيه للكلام عليه إلا باشارة يسيرة فى ٢٤٩ .

إذا رَجَوْنَا ولداً من ظَهْرِ (١)   جاءَتْ بِهِ أسْوَد مِثْلَ الوَبر

* من بارد الأدنَى بعيدِ القَعْرِ (٢) *

وقال مُخارقُ بن شِهاب (٣) :

فيارا كباً إمَّا عرَضْتَ فبلِّغَنْ   بنى فالج حيثُ استقرَّ قرارُها (٤)

هلُمُّوا إلينا لا تكونوا كأنَّكم   بلاقعُ أرضٍ طار عنها وِبارُها

وأرض التى أنتم لقيتم بجوِّها   كثيرٌ بها أوعالُها ومدارها (٥)

فهجا هؤلاء بكثرة الوِبار فى أرضهم ، ومدح هؤلاء بكثرة الوعول فى جبَلهم . وقال آخر (٦) :

هل يشتمنّى لا أبا لَكُمُ   دنِسُ الثِّيابِ كطابخ القِدْرِ (٧)

جُعَلٌ تمطّى فى غَيابتِهِ   زَمِرُ المروءةِ ناقص الشِّبْرِ (٨)

لِزَبابةٍ سَوداءَ حَنْظَلةٍ   ولعاجز التَّدبيرِ كالوَبْرِ (٩)

ويُضرب المثل بنتْن الوبْر ؛ ولذلك يقول الشاعر :

(١) فى اللسان : « فلان من ولد الظهر ، أى ليس منا » .
(٢) ﮬ : « إلا دنا » س : « الادنا » .
(٣) ذكره القالى فى ذيل الأمالى ص ٥٠ . وقال : « أحد بنى خزاعى بن مالك ابن عمرو بن تميم » وروى له شعرا . وفى الإصابة ٨٣١٠٠ : مخارق بن شهاب ابن قيس التميمى ، ذكره المرزبانى ، نقل عن دعبل أنه شاعر إسلامى . لكن الخبر الذى ساقه الجاحظ فى (٥ : ٤٨٩) ينفى أنه شاعر إسلامى .
(٤) ﮬ : « ياراكبا » بالخرم . وانظر وقعة صفين ٤٣٨ .
(٥) كذا وردت كلمة « مدارها » فى الأصل .
(٦) هو جواس بن القعطل يقوله فى حسان بن بحدل ، كما سبق فى (٣ : ٥٠٩) .
(٧) فى الجزء الثالث : « هل يهلكنى » .
(٨) الغيابة : المنهبط من الأرض . ﮬ : « عيابته » تحريف . زمر المروءة : قليلها . والشبر ، بالفتح العطاء والقد . وفى الأصل : « الشر » تحريف .
(٩) سبق الكلام على البيت فى (٣ : ٣٠٩ — ٥١٠) .

تَطَــلَّى وهْى سيِّئــةُ الْمُعَرَّى بوضْرِ الوَبْرِ تحسَبُه مَلابَا[١]

ونتن الوبر هو بوله[٢] .

(مما يتمازح به الأعراب)

ومما تمازح[٣] به الأعراب ، فمن ذلك قول الشاعر :

١٢٣ قد هدَمَ الضِّفدِعُ بيتَ الفَارَهْ فجاءت الرُّبْيــة والوِبارَهْ[٤]

* وحَــلَمٌ يَشُدُّ بالِحجاره[٥] *

وهذا مثلُ قولهم :

اختلط النَّقْـد على الجِعلانْ[٦] وقد بقِى دريهمٌ وثلْثـانْ

(١) تطلى : أى هى تتطلى ، فحذف إحدى التاءين . والمعرى ، بفتح الراء المشددة : أى المجرد . ومعارى المرأة : ما لابد لها من إظهاره ، وهى يداها ورجلاها ووجهها . ط : « سيبة المقرأ » س : « سينة المقرأ » ﻫ : « سيبة المعزاء » والصواب ما أثبت . والملاب ، كسحاب : طيب ، أو هو الزعفران ، ومادته (ملب) و (لوب) . ﻫ : « بوصر الوبر يحسبه » ، محرف . وفى ط ، ﻫ : « ملايا » صوابه بالباء الموحدة كما فى س .

(٢) فى الأصل : « قوله » .

(٣) س : « يتمازح » .

(٤) الربية بضم الراء وسكون الباء : دويبة بين الفأرة وأم حبين ، عن ابن سيده . انظر الدميرى . وفى القاموس : « الربية كزبية ضرب من الحشرات ، والسنور » . فى الأصل : « الرعية » محرف . والوبارة ، بكسر الواو : أحد جموع الوبر ، بالفتح . ويقال أيضا فى الجمع وبور ووبار وإبارة .

(٥) الحلم ، بالتحريك : ضرب من القردان . يشد : يسرع فى عدوه ، يقال شد فى العدو واشتد : أسرع وعدا .

(٦) ط فقط : « واختلط » . والجعلان بالكسر : جمع جعل .

(الظَّرِبان)

وأمَّا قوله :

٣٦ « والظَّربانُ الوَرْدُ قد شفَّه حُبُّ الكشى والوحَرُ الْحُمْرُ[١]

٣٧ [يلوذ منه الضبُّ مذلولياً ولو نجا أهلكه الذُّعْرُ[٢]]

٣٨ وليس يُنْجِيهِ[٣] إذا مافَسَا شيءٌ ولَوْ أحرَزَهُ قَصْرُ »

قال أبو سليمان الغنَوِىّ : الظَّرِبان أخبثُ دابَّةٍ فى الأرض وأهلَكُه لفراخ الضَّبَّة .

قال : فسألت زَيدَ بن كثْوَة[٤] عن ذلك فقال : إى والله وللضَّبّ الكبير !

والظَّرِبان دابّة فسّاءَة ، لا يقوم لشَرِّ فسْوها شىءٌ . قلت : فكيف يَأخذها[٥] ؟ قال : يأتى جُحرَ الضَّبِّ ، وهو ببابه يستَروِح ، فإذا وجد الضبُّ ريحَ فسْوه دخلَ هارباً فى جُحره ، ومَرَّ هو معه من فوق الجُحر مستمعاً حَرْشَه ، وقد أصغَى بإحدى أُذُنيه من فوق الأرض نحوَ صوته — وهو أسمع دابَّةٍ فى الأرض — فإذا بلغ الضبُّ مُنتهاه ، وصار إلى أقصى جُحره

(١) الوحر ، بالتحريك : جمع وحرة ، وهى ضرب من العظاء ، صغيرة حمراء تعدو فى الجبابين ، لها ذنب دقيق تمصع به إذا عدت . س : « قد شقه » ، و « الوجر » ، محرفتان .

(٢) هذا البيت لم يرد فى الأصل ، وإثباته ضرورى لالتئام الكلام .

(٣) فى الأصل : « ينسيه » ، صوابه مما سبق فى ص ٢٨٨ .

(٤) سبقت ترجمته فى ص ١١٦ . وفى الأصل : « زيد بن كثرة » تحريف .

(٥) أى يأخذ الظربان الضب . وأنث الضمير لما أنه جعل الضب دابة .

وكفَّ حَرشَه استدبَرَ جُحره ، ثم يَفسُو عليه[1] من ذلك الموضع — وهو متى شمَّه غُشِيَ عليه — فيأخذه .

قال : والظَّرِبان واحدٌ ، والظَّرْبان : الجميع ، مثل الكَرَوان للواحد والكِرْوان للجميع . وأنشد قولَ ذى الرُّمَّة :

مِنَ آلِ أبي مُوسَى تَرَى القَوْمَ حَوْلَهُ
كأنَّهُمُ الكِرْوَانُ أبصَرْنَ بازِيا[2]

والعامّة لا تشكُّ أنَّ الكَرَوان ابنُ الحُبارَى ؛ لقول الشاعر :

ألم تَرَ أنَّ الزُّبْدَ بالتَّمْرِ طَيِّبٌ وأنّ الحُبارَى خالَةُ الكَرَوانِ[3]

وقال غيره : الظَّرِبان يكونُ على خِلقة هذا الكلب الصِّينِيِّ ، وهو منتنٌ جدًّا ، يدخل فى جُحر الضبِّ[4] فيفسو عليه ، فيَنْتن عليه بيته ، حتى يُذلق الضبَّ من بَيته[5] ، فيصيده .

والضِّباب الدلالى[6] أيضاً ، التى يدخُل عليها السَّيلُ فيخرجها . وأنشد :

يا ظَرِبَاناً يتعشّى ضَبَّا رَأى العُقاب فَوْقهُ فخَبَّا
كأنَّ خُصْيَيه إذا أكبَّا فَرُّوجتان تطابان حَبَّا
* أوْ ثَعْلبَانِ يَحْفِزان ضبًّا[7] *

---

(١) فى الأصل : « ثم حفر عليه » ، محرفة .

(٢) فى الديوان ٥٦٤ : « ويروى : كأنهم الخربان . والخربان ذكور الحبارى ، الواحد خرب » . وانظر أمالى الزجاجى ٥٨ بتحقيقنا .

(٣) ط : « خاله » هـ : « ناله » صوابهما ، فى س ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٩) .

(٤) كلمة : « فى » ليست فى هـ .

(٥) فى الأصل : « يزلق » بالزاى المعجمة ، والأولى أن يقال : « يذلق » بالذال المعجمة . انظر شرح الحيوان (٦ : ١٢٩ - ١٣٠) .

(٦) كذا وردت هذه الكلمة فى ط ، هـ . وفى س : « الدلاف » .

(٧) حفزه : دفعه من خلفه . والحفز أيضا : الحث والسوق . ط ، هـ : « يحضران » س : « يخفران » ، والوجه ما أثبت .

وأنشد الفرزدق[1] :

أبوك سليمٌ قَدْ عَرَفْنا مكانهُ وأنتَ بجيرىٌّ قصـير قوائمُـه[2] ١٢٤
ومَن يجعل الظِّرْبَى القصارَ ظُهورُها
كمَنْ رفَعَتْهُ في السماء دعائمُـه[3]

(سلاح بعض الحيوان)

قال : والظَّرِبان يعلم أَنَّ سِلاحه فى فسائه ، ليس شىءٌ عندَه سواه .

والحبارى تعلم أنَّ سِلاحها فى سَلْحها ليس لها شىءٌ سواه . قال : ولهـا فى جوفها خِزانةٌ لهـا فيها أبداً رَجْعٌ مُعَدٌّ[4] فإذا احتاجتْ إليه وأمكنَها الاستعمال استعملَتْه ، وهى تعلم أنَّ ذلك وقايةٌ لها ، وتعرف مع ذلك شدَّةَ لَزَجه ، وخُبث نَتْنِه ، وتعلم أنها تساور بذلك الزُّرَّق[5] ، وأنها تُثقله فلا يصيد .

ويعلم الدِّيك أنَّ سلاحه فى صيصيته[6] ، ويعلم أنَّ له سلاحا ، ويعلم أنَّه تلك الشوكة ، ويدرى لأىِّ مكانٍ يعتلج ، وأىَّ موضعٍ يطعن به .

---

(١) يهجو خالد بن صفوان . وأمه أروى بنت سليم مولى زياد . انظر الديوان ٨١٤ .

(٢) فى الديوان : « وأنت لحيرى » . وقبل البيت :

وما خالد إلا كمن كان قبله من الهتم حباق غليظ لهازمه

(٣) الظربى ، بكسر الظاء والقصر : جمع ظربان . ولم يجىء من الجموع على هذا الوزن إلا هذا الحرف وقولهم فى جمع الحجل حجلى . وللمتنبى قصة فى هذين الجمعين انظر الدميرى (الظربان) . ط : « الظرب » هـ : « الظربان » س : « الظربا » ، والصواب ما أثبت . وفى الديوان : « فى البناء دعائمه » .

(٤) الرجع والرجيع : النجو والروث . س ، هـ : « رفع » ، تحريف .

(٥) الزرق ، بضم الزاى وتشديد الراء المفتوحة : طائر بين البازى والباشق يصاد به . وفى الأصل : « الورق » ، تحريف .

(٦) الصيصية : الشوكة التى فى رجل الديك . يقال صيصية وصيصة بحذف الياء الثانية . انظر شرح الحيوان (٣ : ١٢٦) . وفى س ، ط : « صنصنة » هـ : « صيصة » ، صوابهما ما أثبت . وانظر (٥ : ٤٤٧) .

والقنافذ تَعلم أنّ فروتها جُنّة[١] وأنّ شوك جلدها وقايةٌ . فما كان منها مثل الدُّلدل ذوات المدارى[٢] فإنها ترمى فلا تُخْطِئُ ، حتى يمرَّ مُرُورَ السهم المسدَّد . وإن كانت من صِغارها قبضَتْ على الأفعى وهى واثقةٌ بأنّه ليس فى طاقة الأفعى لها من المكروه شىء . ومتى قبضتْ على رأس الأفعى فالخطب فيها يسير . وإن قبضَتْ على الذنَبِ أدخلَتْ رأسها فقرضَتها وأكلتها أكلا ، وأمكنَتها من جسمها ، تصنع ما شاءت ؛ ثقةً منها بأنّه لا يصل إليها بوجهٍ من الوجوه .

والأجناس التى تأكل الحيَّاتِ : القنافذُ ، والخنازير ، والعِقْبانُ ، والسّنانيرُ ، والشاهمُرْك[٣] . على أن النّسور والشاهمرك لايتعرّضان للكبار.

ويعلم الزُّنبور أن سلاحه فى شَعْرته فقط ، كما تعلم العقربُ أن سلاحها فى إبرتها فقط . وتعلم الذِّبان[٤] والبعوضُ والقَملة ، أن سلاحها فى خراطيمها . وتعلم جوارحُ الطَّير أن سِلاحها فى مخالبها . ويعلم الذِّئبُ والكلبُ أنّ سلاحهما فى أشداقهما فقط . ويعلم الخنزير والأفعَى أنّ سلاحهما فى أنيابهما فقط .

ويعلم الثّور أنّ سِلاحه قرنُه ، لا سلاحَ له غيره . فإن لم يجد الثّورُ

---

(١) الجنة ، بالضم : الوقاية . س ، ه : « يعلم » .

(٢) المدارى : جمع مدرى ، أراد بها الشوك الطويل . والمدرى : شىء يعمل من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط .

(٣) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد فى المخصص (٨ : ١٥٣) : كل طائر طويل الساقين . انظر ما سبق فى (٣ : ٣٣٦) .

(٤) ه : « الزبان » تحريف . وفى ط : « الذباب » .

والكبشُ والتّيس قُروناً ، وكانت جُمًّا[١] ، استعملتْ باضطرار مواضع القُرون .

والبرذون يستعمل فمه وحافرَ رجله .

ويعلم التِّمْساح أنّ أحدَّ أسلحته وأعْونَها[٢] ذَنبُه . ولذلك لايعرِض إلّا لمن وجَدَه على الشّريعة ؛ فإنّه يضربه ويجمعُه إليه حتى يُلقيَه فى الماء .

وذَنَب الضبّ أنفع من براثنه .

(لُجوء بعض الحيوان إلى الخبث)

وإنما تفزع هذه الأجناس إلى الُخبث ، وإلى مافى طبعها من شدّة الُحضْر[٣] إذا عَدِمت السِّلاح ؛ فعند ذلك تستعمل الحيلَة : مثلَ القُنفذِ فى إمكان عَدوِّهِ من فرْوته ، ومثلَ الظَّبى واستعمال الحضْر فى المستوِى ، ومثل الأرنب واستعماله الُحضْر فى الصَّعْداء[٤] .

وإذا كان ممن لايرجع إلى سلاحه ولا إلى خبثه كان إمَّا أن يكون ١٢٥
أشدَّ حُضْرًا ساعة الهرَبِ من غيره ، وإمَّا أن يكون مِّمن لايمكنه الُحضْر ويقطَعُه الجبْن ، فلا يبرح حتَّى يؤخَذَ .

(ما يقطعه الجبن من الحيوان)

وإنما تتقرَّب الشّاة بالمتابعة والانقياد للسَّبع ، تظنُّ أن ذلك ممّا ينفعها ؛ فإن الأسد إذا أخذ الشّاة [و[٥]] لم تتابعه ، ولم تعِنْه على نفسها ،

---

(١) الجم : جمع أجم وجماء ، وهو الذى لا قرن له .

(٢) ط : هـ : « وأعونه » ، صوابه فى س .

(٣) الحضر ، بالضم : الارتفاع فى العدو . س : « الحصر » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق فى ص ٣٥٦ .

(٥) ليست فى الأصل .

فربما اضطُرّ الأسد إلى أن يجرَّها إلى عرينه . وإذا أخذها الذّئب عدَتْ معه حتّى لا يكونُ عليه فيها مَؤُونة[1] ، وهو إنما يريد أن ينحِّيَها[2] عن الراعى والكلب ، وإن لم يكن فى ذلك الوقت هناك كلبٌ ولا راع ، فيرى أن يجرى على عادته . وكذلك الدَّجاج إذا كُنَّ وُقَّعا على أغصان الشَّجر[3] ، أو على الرُّفوف ، فلو مرَّ تحتها كلُّ كلبٍ ، و[كلُّ[4]] سنَّور ، وكلُّ ثَعلب ، وكلُّ شيءٍ يطالبها ، فإذا مرَّ ابن آوى بقُربها لم يبق منها واحدةٌ إلَّا رمت[5] بنفْسها إليه . لأنّ الذِّئبَ هو المقصودُ به إلى طباع الشَّاة . وكذلك شأنُ ابن آوى والدَّجاج ، يخيَّلُ إليها أن ذلك مما ينفعُ عنده . وللجُبن تفعل كلّ هذا .

ولمثل هذه العلَّة نزل المنهزِم عن فرسه الجوادِ ؛ ليُحْضر ببدنه ، يظنُّ اجتهادَه أنْجَى[6] له ، وأنّه إذا كان على ظهر الفرَس أقلُّ كَدًّا ، وأنَّ ذلك أقرب [له[7]] إلى الهلاك .

ولمثل[8] هذه العلَّة يتشبَّثُ الغريق بمن أراد إنقاذه حتَّى يُغرقَه ويُغرِقَ نفسَه ، وهما قبلَ ذلك قد سمعا بحال الغريق[9] والمنهزم ، وأنهما إنما هما

---

(١) هـ : « منها مؤنة » .

(٢) ينحيها : يبعدها . وفى الأصل : « يحميها » ، وليس بالذئب حماية .

(٣) س : « الشجرة » .

(٤) هذه من س .

(٥) س : « يُبق » ، رسمت كذلك لتقرأ بالتاء وبالياء . وفيها أيضا : « إلاورمت » . وانظر مامضى فى (٢ : ٥٤) .

(٦) فى الأصل : « أنجاله » .

(٧) هذه من س .

(٨) س : « وبمثل » .

(٩) الكلام بعد لفظ : « الغريق » الأول إلى هنا ساقط من س .

فى ذلك كالرجل المعافَى[1] الذى يتعجَّب ممن يشرب الدَّواء من يد أعلم النَّاس به ، فإن أصابتْه شقيقة[2] ، أو لسعة عقرب ، أو اشتكى خاصِرته ، أو أصابه حُصْر أو أُسْر[3] شرب الدَّواءَ من يد أجهل الخليقة ، أو جَمع بين دواءين متضادَّين .

فالأشياء التى تعلم أنَّ سِلاحها فى أذنابها ومآخرها[4] الزُّنبور والثَّعلب ، والعقرب والحُبارى ، والظَّرِبان . وسيقع هذا البابُ فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وليس شىءٌ من صنف الحيوان[5] أردأَ[6] حيلةً عند معايَنة العدُوِّ من الغنم ؛ لأنها فى الأصل موصولةٌ بكفايات النَّاس ، فأسندت إليهم فى كل أمْرٍ يصيبها ، ولولا ذلك لخرَّجت لها الحاجةُ ضروباً من الأبواب التى تعينها . فإذا لم يكن لها سلاحٌ ولا حيلة ، ولم تَكن[7] ممن يستطيع الانسياب إلى جُحرٍ أو صدع صخرة[8] ، أو فى ذرْوة جبل[9] ، كانت مثلَ الدَّجاجة ، فإنَّ أكثر ماعندها من الحيلة إذا كانت على الأرض أن ترتفع إلى رَفٍّ . وربما كانت فى الأرض ، فإذا دنا المغرب[10] فزعت إلى ذلك .

---

(١) رسمت فى الأصل : « المعافا » .
(٢) الشقيقة : صداع يأخذ فى نصف الرأس والوجه .
(٣) الحصر : احتباس الغائط . والأسر : احتباس البول . كلاهما مضموم الأول .
(٤) س : « ومواخرها » .
(٥) ﻫ : « من الحيوان » .
(٦) أراد : تسهيل أردأ . ورسمت فى الأصل : « أردى » .
(٧) ط ، ﻫ : « لم يكن » ، تحريف .
(٨) الصدع : الشق . ط فقط : « وصدع صخرة » .
(٩) فى الأصل : « وكافت » .
(١٠) س : « المغر » .

(ماله ضروب من السلاح)

وربما كان عند الجنس من الآلات ضروبٌ[١] ، كنحو زبرة
الأسد ولبدته[٢] ، فإنَّه حَمولٌ للسِّلاح إلَّا فى مراقٍّ بطنه[٣] فإنَّه من هناك ١٢٦
ضعيفٌ جدًّا. وقال التغلبى[٤] :

تَرى النَّاسُ مِنَّا جلدَ أسْودَ سالخٍ
وزُبْرَةَ ضِرْغامٍ من الأُسْدِ ضَيغَمِ[٥]

وله مع ذلك بَعدُ الوثبةُ واللُّزوقُ بالأرض . وله الحبس باليد[٦] ، وله الطَّعن بالمخلب ، حتى ربما حبَسَ العَيرَ بيمينه[٧] وطعن بِمِخْلب يساره لبَّته[٨] وقد ألقاه على مؤخره ، فيتلقّى دَمَه شاحيا فاه[٨] وكأنه ينصبُّ من فوَّارَة ، حتى إذا شربه واستفرغَه صار إلى شَقِّ بطنه .

وله العضُّ بأنيابٍ صلاب حِداد ، وفكٌّ شديد ، ومنخر واسع . وله مع البُرثُن والشكِّ بأظفاره[١٠] دقُّ الأعناق ، وحطم الأصلاب . وله أنه أسرعَ حُضْرًا من كلِّ شيء أعمَلَ الحُضْرَ فى الهرب منه . وله من الصَّبر

---

(١) س : « ضروب من الآلات » .
(٢) الزبرة ، بالضم : ما بين كتفى الأسد من الوبر ، وهى اللبدة أيضا .
(٣) مراق البطن : مارق منها فى أسفلها .
(٤) هو جابر بن حنى التغلبى . والبيت آخر قصيدة له فى المفضلية رقم ٤٢ طبع المعارف .
(٥) رواية المفضليات : « يرى الناس » و : « وفروة ضرغام » . يريد أن الناس يهابونهم هيبتهم الأفعى والأسد .
(٦) ط ، ه : « الجس باليد » ، صوابه من س .
(٧) ه فقط : « جس » محرفة . وفى ط ، ه : « البعير » بدل « العير » .
(٨) اللبة ، بالفتح : وسط الصدر والمنحر .
(٩) شحافاه : فتحه . س : « شاحبا » ، تحريف .
(١٠) ط ، س : « والشدة بأظفاره » .

على الجوع ومن قلّة الحاجة إلى الماء ما ليس مع غيره ، وربما سار فى طلب الملح[١] ثمانين فرسخاً فى يوم وليلة[٢] . ولو لم يكن له سلاحٌ إلّا زئيره ، وتوقُّد عينيه ، وما فى صدور النّاس له لَكفاه .

وربما كان كالبعير الذى يعلم أنّ سِلاحه فى نابيه وفى كِركِرته[٣] .

والإنسان يستعملُ فى القتال كفّيه فى ضروبٍ ، ومرفقيه ورِجليه ومنكبيه وفمه ورأسَه وصدرَه ، كلٌّ ذلك له سلاحٌ ويعلم مكانه ، يستوى فى ذلك العاقلُ والمجنونُ ، كما يستويان فى الهداية فى الطّعام والشراب إلى الفم .

(سلاح المرأة)

والمرأة إذا ضعُفت عن كل شىءٍ فزعت إلى الصُّراخ والولولة ، التماساً للرَّحمة ، واستجلاباً للغياث من حُماتِها وكفاتها ، أو من أهل الحسبة[٤] فى أمرها

باب

قال : ويقال[٥] لولد السَّبع الهِجرِس[٦] والجمع هجارس ، ولولد الضبع

(١) ط ، ﻫ : « الماء » تحريف . وانظر لشهوة الأسد الملح ما سبق فى (٣ : ٢٦٠ / ٥ : ٢٠٦) ، ولقلة رغبته فى الماء ما مضى فى (٢ : ٥٦ / ٣ : ٣١٨) .

(٢) س : « فى يوم أو ليلة » .

(٣) الكركرة ، بكسر الكافين : رحى زور البعير أو الناقة .

(٤) ﻫ : « الخشية » .

(٥) س : « وقد يقال » .

(٦) الهجرس ، بكسر الهاء والراء . والذى فى المعاجم أنه القرد ، أو الثعلب ، أو ولده ، أو الدب . وقيل الهجْرس جميع ما تعسس من السباع مادون الثعلب وفوق اليربوع .

الفرعُل والجمع فراعل[1] . قال ابن حبناء[2] :

سلاحين منها بالرّكوب وغيرها إذا مارآها فُرعُل الضَّبع كَفَّرا[3]

قال : والدَّيسم ولد الذِّئب من الكلبة .

وسألت عن ذلك أبا الفتح صاحبَ قطرب[4] فأنكر ذلك وزعم أنَّ الدَّيسمة الذَّرة . واسم أبي الفتح هذا ديْسم[5] .

ويقال إنَّه دويْبَّة غيرُ ما قالوا .

ويقال لولد اليربوع والفأر دِرص ، و[الجمع[6]] أَدْرَاصٌ . ويقال لولد الأرنب خِرنِق ، والجمع خرانق[7] ، قال طرفة :

إذا جَلَسوا خَيَّلتَ تحت ثيابهم خَرانقَ تُوفى بالضَّغيبِ لها نَذْرا[8]

أشعارٌ فيها أخلاط من السباع والوحش والحشرات

قال مسعود بن كبير الجرمى ، من طيِّء[9] ، يقولها فى حمارٍ اشتراه فوجدَه

١٢٧ على خلاف ما وصفه به النخَّاس[10] :

---

(١) الفرعل ، بضم الفاء وسكون الراء وضم العين المهملة . ط ، س : « الفوغل والجمع فواغل » ، صوابه فى ﻫ .

(٢) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٦) .

(٣) لم أجد مرجعا لهذا البيت . ط ، س : « فوغل ، صوابه فى ﻫ .

(٤) سبقت ترجمة قطرب فى (٢ : ٣٥٢) .

(٥) هو ديسم العنزى . وقد مضى هجاء بشار له فى (١ : ١٨٣) قال أبو الفرج فى (٣ : ٢٧) : « كان بشار كثير الولوع بديسم العنزى ، وكان صديقا له وهو مع ذلك يكثر هجاءه » .

(٦) ليست فى الأصل . وفى س : « ويقال اولاد اليربوع والفأر درص » فقط .

(٧) « والجمع خرانق » ليس فى س .

(٨) خيلت ، بالبناء للفاعل ، بمعنى ظننت . يعنى أن خصاهم عظيمة وأنها تصوت . ومن أبيات هذه القصيدة قبل هذا البيت (الديوان ١٤) :

فما ذنبنا فى أن أداءت خصاكم وأن كنتم فى قومكم معشرا أدرا

(٩) جرم ، بنو حرمز بن لبيد بن سنبس بن معاوية بن جرول بن ثعل بن عمرو ابن الغوث بن طيىء . انظر نهاية الأرب (٢ : ٣٠٠) .

(١٠) ﻫ : « وضعه » تحريف . س : « وسفه النخاس » .

إنَّ أبا الخرشن شيءٌ(١) هِنْبُ(٢) ... معجِبٌ ما يحتويه العُجُبُ(٣)
قد قلتُ لما أنْ أجدّ الرَّكبُ(٤) ... واعـتر القوم صحار رحب(٥)
يا أجْنح الأُذنِ ألا تخبّ(٦) ... أهانك الله فبئسَ النَّجْبَ
ما كان لى إذ أشتريك قلبُ ... بَلى ولـكنْ ضاع ثَمَّ اللُّبُّ
إن الذى باعك خَبٌّ ضَبُّ ... أخبرَنى أنك عَيْرٌ نَدْبُ(٧)
وشرُّ ما قال الرِّجالُ الْـكذبُ ... صَبَّ عليهِ ضُبُعٌ وذِئبُ(٨)
سِرْحانَةٌ وجَيْأَلٌ قِرْشَبٌّ(٩) ... ذِيخٌ عَدتْهُ رَمْلةٌ وهضبٌّ(١٠)

---

(١) ط ، ھ : « شيخ » بدل : « شىء » التى أثبت من س .

(٢) فى اللسان : « ابن الأعرابى : المهنب الفائق الحمق . قال : وبه سمى الرجل هنبا » فى الأصل : « هلب » باللام ، ولا وجه له .

(٣) معجب : يحمل على العجب . ما يحتويه العجب : أى هو عجب جدا حتى ما يستطيع العجب أن يحتويه . والعجب ، بالضم ، هو العجب . فى الأصل : « محبب » والوجه ما أثبت .

(٤) ط ، ھ : « قد كنت » ، صوابه فى س .

(٥) كذا ورد البيت فى ط ، ھ . وفى س : « واعتر للقوم » .

(٦) أجنح ، إن صحت كانت من الجنوح وهو الميل . ھ : « جنح » . والخبب : ضرب من السير السريع . س : « ألا تحب » تحريف .

(٧) العير ، بالفتح : السيد والملك . والندب ، بالفتح : الخفيف فى الحاجة الظريف النجيب .

(٨) فى اللسان : « صب ذؤالة على غنم فلان إذا عاث فيها » . وذؤالة : الذئب . وفيه أيضا : « وصبت الحية عليه إذا ارتفعت فانصبت عليه من فوق » . فى الأصل : « ودب » تحريف . وهذا يذكرنا بدعاء ذاك الأعرابى على غنمه إذ يقول :

تفرقت غنمى يوما فقلت لها ... يارب سلط عليها الذئب والضبعا

دعا عليها بأن يقتل الذئب أحياءها ، وتأكل الضبع موتاها . انظر اللسان (١٠ : ٨٦) .

(٩) السرحانة : أنثى السرحان ، بالكسر ، وهو الذئب . وجيأل وجيألة : الضبع ، معرفة بغير ألف ولام . وفى ط ، س : « حسل » وفى ھ : « رحيبل » تحريف . وجيأل ترد فى الرسم القديم هكذا « جيئل » فلذا تيسر تصحيفها . والقرشب : الأكول ، والرغيب البطن ، والمسن .

(١٠) الذيخ : بالكسر : ذكر الضباع الكثير الشعر . عدته ، بالعين المهملة : صرفته عنها ، أى أنه جاوز الرمال والهضاب ليعيث فى البلاد .

كأنّه تحت الظَّلام سَقْبُ (١) يأخذ منه مَن رآه الرُّعْبُ
أبو جِراءٍ مَسَّهُنَّ السَّغْبُ (٢) حَتَّى يقال حيث أفضى السحبُ (٣)
وأنت نَفَّاقٌ هناك ضَبُّ (٤) وصبَّحَ الراعى مُجَرًّا وَغبُ (٥)
ورخمات يَنْهُنَّ كَعبُ (٦) وأكْرُعُ العَيْرِ وفَرْثٌ رطْبُ (٧)

يقول : أدنونى إلى شرائه ، ويقال ثُربة لقيك (٨) لغة طائيَّة (٨)

وقال قِرْواش بن حَوْط (٩) :

نبئتُ أن عقالاً بنَ خويلدٍ بِنعافِ ذى عدَمٍ وأنَّ الأعلما (١٠)

---

(١) السقب ، بالفتح : ولد الناقة .

(٢) الجراء : جمع جرو ، وهن صغاره . وفى الأصل : « أبو جراد » تحريف . والسغب ، بالفتح : الجوع ، كالسغب بالتحريك والسغابة والسغوبة والمسغبة والسغبة . وفى ط : « السقب » ، صوابه فى س ، ه .

(٣) كذا فى ط . وفى س ، ه : « أقصى » بالقاف .

(٤) يقال نفق اليربوع ونحوه تنفيقا ونافق : أى دخل فى نافقائه . ط ، س : « نفاق » صوابه فى ه .

(٥) مجرا : تسهيل مجرأ ، وهو الجرئ . ط : « مجرى » تحريف . الوغب : اللئيم الوغد ، عنى به الذئب . ط ، س : « غب » ، ه : « عب » وجههما ما أثبت .

(٦) الرخم مما يقع على الجيف . والكعب ، هو كما فى اللسان : « العظم لكل ذى أربع » . وفى الأصل : « كلب » ، وليس له وجه .

(٧) العير ، بالفتح : الحمار . والفرث بفتح الفاء : ما فى الكرش من المرجين . ط فقط : « قرث » تحريف .

(٨) كذا فى ط . وفى ه : « ربه » وفى س : « ربه » بالإهمال . وكلها محرف .

(٩) قرواش ، بالكسر ، ابن حوط ، بالفتح ، ابن أنس بن صرمة بن زيد بن عمرو ابن عامر بن ربيعة بن كعب بن ثعلبة بن سعد بن ضبة ، شاعر جاهلى . والأبيات التالية يخاطب بها رجلين توعداه ، كما فى معجم المرزبانى ٣٣٩ . وقد رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ١٩٤) .

(١٠) النعاف : جمع نعف ، وهو أنف الجبل . وذو عدم : موضع بنواحى المدينة ، وفى الأصل : « ذى عدم » ، صوابه فى معجم البلدان والحماسة ١٤٥٩ بشرح المرزوقى . وصدر البيت محرف فى الأصل هكذا : « نبئت أنك يا عقال حويله » ، وعجزه فى ط : « بشقاف دنى » س : « سعاورى »

صَبُعًا مجاهَرةٍ وليثًا هُدنةٍ وثُعَيلِبًا خَمَرٍ إذا ما أظْلَمَا[١]
لاتسأمانى من دَسِيسِ عَداوَةٍ أبداً فلستُ بسائمٍ إنْ تسأمَا[٢]
غُضَّا الوَعيدَ فما أكونُ لموعِدِى فيئاً ولا أكلاً له متخَضَّمَا[٣]
فَمَتى ألاقِكما البرازَ تُلاقِيا عَرِكًا يفلُّ الحدَّ شاكا مُعْلِمَا[٤]

(الوَحَـــر)

قال : وقال العَدَبّس الكنانىّ[٥] : والوَحَرة دوَيْبَّة كالعَظاءة[٦] حمراء[٧] إذا اجتَمَعَتْ تَلصق بالأرض، وجمع وحَرَة وحَرٌ ، مفتوحة الحاء ، ومنه قيل وَحَرُ الصَّدرِ ، كما قيل للحِقد ضَبٌّ ؛ ذهبوا إلى لزوقه بالصَّدر كالتزاق الوَحَرة بالأرض، وأنشدَ[٨] :

= بهذا التحريف والإهمال . ه : « بثقاف ذى عدم » ، وفى الجميع : « ولى لا أعلما » والصواب من الحماسة ومعجم المرزبانى .

(١) أى هما عند المجاهرة كالضبع فى الجبن ، وعند الهدنة ، أى الصلح ، كالأسد . والخمر : ما واراك من شجر ونحوه . أظلما : دخلا فى الظلام . ط ، ه : « صيفى محامدة وليثى هدنة تقتلنى حمرا » س « صنى محامدا ولمسى عذبه نفيلى حمرا » بهذا الإهمال . والصواب من الحماسة ومعجم المرزبانى وعيون الأخبار (١ : ١٦٦)

(٢) الدسيس : الإخفاء . وفى الأصل : « رسيس » ، محرفة .

(٣) غضا وعيدكما : أى كفا عنه وارجعا . والفىء : الغنيمة . ورواية الحماسة والمعجم : « قنصا » ، والقنص : الصيد . والأكل ، بضمتين : الأكل . والمتخضم : الذى يؤكل بسهولة .

(٤) البراز ، أى متبارزين . والعرك : الشديد العلاج والبطش فى الحرب. والشاك : الشائك السلاح ، وهو ذو الشوكة والحد فى سلاحه .

(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٣٣٥) . ط ، ه : « العديس » محرف . وفى والأصل: « الكلابى » .

(٦) فى الأصل : « كالعظاة » تحريف .

(٧) فى الأصل : « خضراء » ، تحريف . وانظر لحمرة الوحرما مضى فى ص ٣٧١ .

(٨) ط ، ه : « وأنشدوا » . والبيتان رويا فى المخصص (١٦ : ١٣٢) ، وثانيهما فى اللسان (٩ : ١٥٦) .

بئسَ عَمْرَ اللهِ ، قوم طُرِقُوا فَقَرَوْا أضيافهُمْ لَحْماً وَحِرِ[١]
وسَقَوْهم فى إناءٍ مقـرفٍ لبَناً من دَرِّ مِخراطٍ فَئِرْ[٢]

يقال لحم وَحِر : إذا دبّت عليه الوَحرة . مقرف : مُوبِىء[٣] . ويقال
١٢٨ فئر : إذا وقعتْ فيه فارةٌ . وقال الحَكَمىّ[٤] :

بأرضٍ باعَـدَ الرَّحْمَـ نُ عَنْهَا الطَّلْحَ والعُشَرَا
ولم يَجْعلْ مَصَايِدَهَا يَرَابِيعاً ولا وَحَـرا

(الهَيْشَــة)

وأما قوله :

٢٩ « وَهَيْشةٌ تأكلها سُرْفَةٌ وَسِمْعُ ذِئْبٍ هَمُّـهُ الحُضُرُ »

فالهيشة أم حبين[٥] . وأنشد :

أشكو إليكَ زماناً قدْ تعرَّقنا كما تعرَّق رَأسَ الهَيْشَة الذِّيبُ[٦]

وَأمُّ حُبَيْنٍ وأمُّ حُبَيْنَة سواءٌ ، وقد ذكرنا شأنها[٧] فى صدر هذا الكتاب

---

(١) ط : « طوقوا » تحريف . وطرقوا : طرقهم الضيف ليلا . وفى الأصل : « لحم وحر » ، صوابه فى المخصص .

(٢) هذه أيضا هى رواية اللسان . وفى المخصص : « كلع » وهو المتشقق الوسخ . والمخراط : الناقة يخرج لبنها متعقدا كقطع الأوتار ومعه ماء أصفر . وفى الأصل : « من ذى مخيراط » ، صوابه فى المخصص واللسان .

(٣) فى الأصل : « مبول » ، ولا وجه له . وفى اللسان : « أقرف الجرب الصحاح : أعداها . والقرف : مقارفة الوباء » .

(٤) هو أبو نواس الحسن بن هانئ .

(٥) ﻫ : « أم حنين » ، تحريف . وفى ط ، ﻫ بعد هذه الكلمة : « وحبينة سواء وقد ذكرنا شأنهما » ، والصواب إثبات هذه العبارة بعد البيت التالى كما ورد فى س .

(٦) التعرق : برى اللحم عن العظم . س ، ﻫ : « تعرفنا كما تعرف » ، صوابهما بالقاف كما فى ط . وفى الأصل : « رأس الحية » ، والصواب من اللسان (٨ : ٢٦١) كما يقتضيه الاستشهاد :

(٧) س ، ﻫ : « شأنهما » .

ويقال إنَّها لاتقيم بمكانٍ تكونُ فيه هذه الدُّودة التى يقال لها السُّرْفة ، وإليها ينتهى المَثل فى الصَّنْعة ، ويقال : « أصْنَعُ من سُرْفة [1] » . ويقال إنها تقوم منْ أمِّ حُبَين [2] مَقامَ القراد من البعير، إذا كانتْ أمُّ حُبَيْنٍ [3] فى الأرض التى تكون فيها هذه الدُّودة .

(ذكر من يأكل أمَّ حُبين والقَرَنْبَى والجرذان)

قال : وقال مَدَنِىٌّ لأعرابى : أتأكلون الضَّبَّ ؟ قال : نعم . قال : فاليربوع ؟ قال : نعم . قال : فالوَحَرة ؟ قال : نعم . حتَّى عدَّ أجناساً كثيرةً من هذه الحشَرات . قال أفتأكلون أمَّ حُبَيْنٍ ؟ قال : لا . قال : « فلْتَهْنِ أمَّ حُبَينٍ العَافيةُ [4] » .

قال ابنُ أبى كريمة [5] : سألَ عمرُو بنُ كريمةَ أعرابيًّا — وأنا عنده — فقال : أتأكلونَ القرَنْبَى ؟ قال : طال والله ما سال ماؤُه على شِدقى !

وزعم أبو زيدٍ النحوىُّ سعيدُ بنُ أَوْس الأنصارىُّ ، قال : دخلتُ على رُؤبة وإذا قُدَّامَه كانونٌ ، وهو يَمُلُّ على جَمْرِهِ جُرذاً من جُرذان البيت ، يُخرج الواحدَ بعد الواحد فيأكله ، ويقول : هذا أطْيَبُ من اليربوع ! يأكل التَّمْر والجُبْن ، ويحسو الزَّيْت والسَّمْن [6] .

---

(١) ط : « ويقال إنها أصنع من سرفة » وكلمة « إنها » مقحمة .

(٢) ط : « مع أم حبين » صوابه ، فى س و هـ .

(٣) هـ : « حنين » فى هذا الموضع وسابقه ، تحريف .

(٤) سبقت هذه القصة فى ص ١٤٣ . هـ : « حنين » فى الموضعين ، تحريف .

(٥) هـ : « ابن أبى كدية » .

(٦) سبقت هذه القصة فى (٤ : ٤٤ / ٥ : ٢٠٣) .

وأنشد :

تَرَى التَّيْمِىَّ يزحفُ كالقرنْبى إلى تَيْميَّة كقفا القَدُوم[1]

وقال آخر[2] :

يدِبُّ عَلَى أحشائها كُلَّ لَيْلَةٍ دَبيبَ القَرْنبى بات يَعْلونقاً سهلا[3]

(اليربوع)

قال : واليربوع دابَّة كالجُرذ ، منْكبٌّ على صدره ؛ لقِصرِ يديه طويلَ الرِّجلين ، له ذنبٌ كذنب الجرذ يرفعه فى الصَّعْداء[4] إذا هَرْوَلَ وإذا رأيتَه كذلك رأيتَ فيه اضطرابا وعجباً . والأعراب تأكله فى الجَهْد و [فى[5]] الخِصب .

(أخبث الحيوان)

١٢٩ قال : وكلُّ دابّةٍ حشاها الله تعالى خُبْثاً فهو قصيرُ اليدين ، فإذا خافت شيئاً لاذت بالصَّعداء[6] فلا يكاد يلحقُها شيء .

---

(١) يروى هذا البيت برواية : « كعصا المليل » منسوبا إلى جرير فى ديوانه ٤٣٨ وعيون الأخبار (٤ : ٤٢) واللسان (٢ : ١٦٥) وفى (١٤ : ١٥٢) بدون نسبة . وانظر المخصص (١٦ : ٧) .

(٢) هو الأخطل يصف جارية وبعلها . انظر الدميرى فى رسم (القرنبى) . وقبله :

ألا يا عباد الله قلبى متيم بأحسن من صلى وأقبحهم بعلا

ينام إذا نامت على عكناتها ويلثم فاها كالسلافة أو أحلى

انظر الدميرى والكامل ٢٧٢ .

(٣) فى الكامل : « يقرونقا » اى يقصده . وهذا البيت وإنشاده ساقط من س .

(٤) أرض ذات صعداء : يشتد صعودها على الراق . وفى الأصل : « يرفعه الصعداء » .

(٥) هذه من س .

(٦) س : « فإذا خاف شيئا لاذ بالصعداء » .

(أكل المسيب بن شريك لليربوع)

قال : وأخبرنى ابنُ أبى نُجَيح[١] وكان حجَّ مع المسيّب بن شريك[٢] عامَ حجّ المهدىُّ فى [صُحْبة[٣]] سَلسَبيل ، قال : زاملْت المسيِّب فى حَجَّته تِلك ، فبينا نحنُ نَسير[٤] إذ نظرنا إلى يربوع يتخلل فرَاسِن الإبل[٥] ، فصاحَ بغلمانه : دونَكم اليَربوع ! فأحضَرُوا فى إثره فأخذُوه ، فلمَّا حططْنا قال : اذبَحوه . ثمَّ قال : اسلخُوه واشوُوه وائتونى به فى غَدَائى . قال : فأُتى به فى آخر الغَداء ، على رغيف قد رَعَّبوه فهو أشـدُّ حمرة من الزَّهوة[٦] — يريد البُسْرة — فعطَف عليه فثنى الرَّغيف[٧] ثم غمزه بين راحتيه[٨] ثم فَرَج الرغيف[٩] ، فإذا هو قد أخَذَ من دَسمه ، فوضَعه بين يديه ، ثمَّ تناول

(١) هو عبد الله بن أبى نجيح ، واسم أبى نجيح يسار . قال ابن حجر : « ثقة رمى بالقدر وربما دلس . . مات سنة إحدى وثلاثين — يعنى ومائة — أو بعدها » انظر تهذيب التهذيب والتقريب .

(٢) هو المسيب بن شريك أبو سعيد التميمى الكوفى ، وهو ممن أخذ عن الأعمش . انظر لسان الميزان .

(٣) بمثل هذه الكلمة تلتئم العبارة . وسلسبيل هذه هى أم ولد لأخى المهدى ، جعفر ابن أبى جعفر المنصور . انظر المعارف ١٦٥ .

(٤) س : « يسير » .

(٥) الفراسن : جمع فرسن ، بكسر الفاء والسين ، وهو من البعير بمنزلة الحافر من الدابة . وفى الأصل : « فراسخ » ، تحريف .

(٦) الترعيب : التقطيع . والزهوة ، بالفتح : واحدة الزهو ، وهو البسر إذا ظهرت فيه الحمرة . س : « الزهرة » ، تحريف .

(٧) هـ : « يثنى الرغيف » .

(٨) ط : « غمره » ، تحريف .

(٩) فرجه : فتحه وباعد بين شقيه . ط ، هـ : « قرع » ، صوابه فى س .

اليربوعَ فنزع فخذا منه ، فتناولها ثم قال : كل يا أبا محمد ! فقلت : مالى به حاجة ! فضحك ثم جعلَ يأتى عليه عُضواً عضواً .

(أم حبين)

قال : وأمّا أمُّ حُبين فهى الهَيشة (١) ،وهى أم الحبين (٢) ، وهى دويْبَّةٌ (٣) تأكلُها الأعراب مثل الحرباء ، إلاّ أنّها أصغر منها . وهى كدْرَاءُ لِسوادٍ (٤) بيضاءُ البطن . وهو خلافُ قول الأعرابىِّ للمدنى :

(وَصاَة أعرابى لسهل بن هارون)

وقال أعرابىٌّ لسهل بن هارون ، فى توارِى سهلٍ من غُرمائه وطلبهم له طلباً شديداً ، فأوصاه الأعرابىُّ بالحزْم وتدبير اليَربوع ، فقال :

انزل أبا عمرو على حَـــدِّ قريةٍ ... تَزيغ إلى سَهْلٍ كثير السَّلائقِ (٦)
وخُذْ نَفَقَ اليربوع واسْلُكْ سبيلَه ... ودَعْ عنك إنى ناطقٌ وابنُ ناطق
وكنْ كأبِى قُطْنٍ على كلِّ زَائغ ... له منزلٌ فى ضيق العَرْض شاهقِ (٧)

---

(١) فى الأصل : « الهدسة » ، تحريف . وانظر ما مضى فى ص ٣٨٤ .
(٢) هـ : « حنين » ، تحريف .
(٣) س : « دابة » ، والوجه ما أثبت من ط ، هـ .
(٤) أى تميل إلى السواد . وفى س : « السواد وبيضاء البطن » ، تحريف .
(٥) انظر ما مضى فى ص ٣٨٥ .
(٦) تزيغ : تميل ، يقال زاغ يزيغ زيغا وزيغانا . والكلمة محرفة فى الأصل ، فى ط : « تريغ » س ، هـ : « تريع » ، وفى عيون الأخبار (١ : ٢٥٥) : « تربع » والصواب ما أثبت . والسلائق : أثر الأقدام والحوافر فى الطريق . وإنما أوصاه بذلك ليضيع أثر قدمه فى هذه الآثار فلا يهتدى إليه .
(٧) فى عيون الأخبار : « كأبى قطب » بالباء . وسبق فى (٢ : ٢٦٧) : « أبو قصبة » . ويقال زاغ عن الطريق : عدل عنه . وفى الأصل والعيون : « رائغ » ، ولا وجه له . ط ، هـ : « ضيق الأرض » ، وأثبت ما فى س . ورواية ابن قتيبة : « له باب دار ضيق العرض سامق » .

وإنما قال ذلك لاحتيال اليربوع بأبوابه التى يخرج من بعضها ، إذا ارتاب بالبعض الآخر . وكذا كانت دار أبى قطنــة الخناق[١] بالكوفة فى كندة ، [و[٢]] يزعمون أنَّه كان مولًى لهم . وأنشد أبو عُبيدة قال: أنشدنى سفيان بن عيينة[٣] :

إذ ما سَرَّكَ العَيشُ فلا تَمرُرْ على كِنْدَهْ[٤]

وقد قُتل أبو قُطْنة وصُلِب .

(الخناقون)

وممَّن كان يخنُق النّاس بالمدينة عَدِيَّةُ المدنيّــةُ الصَّفراءُ ، وبالبصرة رادويْه[٥] . والمرميُّون بالخنق من القبائل وأصحاب النِّحَل والتأويلات ، هم الذين ذكَرَهم أعشى هَمْدان فى قوله :

إذا سِرْتَ فى عِجْلٍ فسِرْ فى صَحابةٍ وكِنْدَةَ فاحذَرْهَا حِذَارَكَ للخَسْفِ
وفى شــيعة الأعمى خِناقٌ وغِيــلة وقَشْبٌ وإعمال لجندلة القذفِ[٦]
وكلُّهُمُ شَرٌّ ، على أنَّ رأسهــم حميدةُ والميلاءُ حاضِنة الكِسْفِ[٧] ١٣٠

(١) ط ، هـ : « الخفاف » ، وإنما هو « الخناق » كما فى س . وانظر ما سبق فى (٢ : ٢٦٦ — ٢٧١) .

(٢) هذه من س ، هـ .

(٣) سبقت ترجمته فى (٣ : ٨٠) .

(٤) فى (٢ : ٢٦٧) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٧) : « فلا تأخذ على كنده » قال ابن قتيبة : « يريد أن الخناقين من المنصورية أكثرهم بالكوفة من كندة » .

(٥) هـ : « وادوية » ، تحريف .

(٦) سبق الكلام على البيت فى (٢ : ١٦٦) . وفى الأصل : « وأعمال لجندلة القذف » ، صوابه ما أثبت .

(٧) هـ : « والبلاء خاصة الكهف » ، تحريف .

مَتى كُنْتَ فى حَيَّىْ بَجيلةَ فاستمعْ فإنَّ لها قصفاً يدلُّ على حَتْفِ [١]
إذا اعتزموا يوماً على قَتْلِ زائر تداعَوْا عَلَيــه بالنُّباح وبالعَزْفِ

وذلك أن الخناقين لا يسيرون إلاّ معاً ، ولا يقيمون فى الأمصار إلاّ كذلك . فإذا عزَم أهلُ دارٍ على خنْق إنسانٍ كانت العلامةُ بينهم الضرب على دُفٍّ أوْ طبلٍ ، على ما يكون فى دُور الناس . وعندهم كلابٌ مرتَبَطة ، فإذا تجاوَبُوا بالعزْف ليختفى الصَّوت [٢] ضربوا تلك الكِلاب فنبحَتْ . وربّما كان منهم معــلِّم يؤدِّب فى الدّرب ، فإذا سمع تلك الأصوات أمَرَ الصِّبيانَ برفع الهجاء والقِراءة والحساب .

وأما الأعمى فهو المغيرة بن سعيدٍ [٣] صاحبُ المغيرية ، مولى بجيلة ، والخارج على خالد بن عبد الله القَسرى . ومن أجل خُروجه عليه قال : « أطعمونى ماء » ، حتى نَعَى عليه ذلك يحيى بنُ نوفل ، فقال :

تقولُ من النَّوَاكَة أطعمُونى شَراباً ثُمَّ بُلتَ على السَّرير [٤]
لأعــلاجٍ ثمــانيةٍ وشَيخ كَليلِ الحدِّ ذى بصر ضَرير [٥]

وأمَّا حميدة ، فكانت من أصحاب لَيلى الناعطية [٦] ، ولهــا رياسة

---

(١) ف (٢ : ٢٦٦) : « فإن لهم قصفا » .

(٢) س : « ليخفى الصواب » .

(٣) هو المغيرة بن سعيد العجلى . وفى الملل (٢ : ١٣) أنه كان مولى لخالد بن عبد الله القسرى . وانظر لتفصيل مذهبه المالل ومفاتيح العلوم ٢٠ والمواقف والفرق بين الفرق ٢٢٩ — ٢٣٣ . وفى الأصل : « المغيرة بن شعبة » ، تحريف .

(٤) انظر ما سبق ف (٢ : ٢٦٧ — ٢٦٨ / ٤ : ٣٢٢ — ٣٢٣) . وفى البيان (٢ : ٢٦٦) : « تقول لما أصابك » . والنواكة : الحمق .

(٥) الرواية فى جميع الأرقام السابقة وكذا فى البيان (٣ : ٢٠٥) والموشح ٢٣٥ : « وشيخ * كبير السن » .

(٦) انظر ما سبق فى حواشى (٥ : ٥٩٠) . س : « الناعطة » ، تحريف .

فى الغالية[١] . والمَيْلاء حاضنة أبى منصور صاحب المَنْصوريَّة ، وهو الكِسْف ، قالت الغاليَة : إيَّاه عَنَى [الله[٢]] : ﴿وَإِنْ يَرَوْا كِسْفاً مِنَ السَّماءِ سَاقِطاً يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ . وإيَّاه عنى مَعْدَانُ الأعمى حيثُ يقول :

إنَّ ذا الكِسْفِ صَدَّ آل كُمَيل ... وكميلٌ رَذْلٌ من الأرْذَالِ[٣]

تَرَكا بالعِــراق دَاءً دوِيًّا ... ضَلَّ فيـه تلطُّف المحتالِ

(تفســـير بيت)

وأمَّا قوله :

إنزل أبا عمرو على حَــدٍّ قريةٍ ... تَزيغ إلى سَهْلٍ كثيرِ السَّلائقِ[٤]

فأرادَ الهرب ؛ لأنه متى كان فى ظهرٍ فظٍّ[٥] كثيرِ الجوَادِّ والطرائق[٦] كان أمكرَ وأخفَى . وما أحسن ما قال النابغةُ فى صفة الطّريق إذا كان يتشعَّبُ ، حيث يقول :

وناجيــةٍ عدَّيتُ فى ظهر لاحبٍ ... كَسَحْلِ اليمانى ، قاصداً للمناهِلِ[٧]

---

(١) أى الغلاة . س : « العالية » ، تحريف .

(٢) التكملة مما سبق فى (٢ : ٢٦٨) .

(٣) س : « زول من الأزوال » . وانظر ما سبق فى (٢ : ٢٦٩) .

(٤) فى الأصل : « تريغ » . وانظر ما سبق فى ص ٣٨٨ .

(٥) الظهر ، بالفتح : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٦) الجواد : جمع جادة ، وهى الخطة المستقيمة الملحوبة فى الطريق . والطرائق : جمع طريقة ، وهى الخطوط . س : « الطرق » ، محرف .

(٧) الناجية : الناقة السريعة . واللاحب : الطريق الواضح . والسحل ، بالفتح ، الثوب الأبيض من الكرسف من ثياب اليمن . وقال المسيب بن علس :

فى الآل يخفضها ويرفعها ... ريع يلوح كأنه سحل

وصدر البيت فى الأصل : « وماحية أو عزبر فى ظهيرة كثل اليمانى » ، وصوابه فى الديوان ٦٣ مجموع خمسة دواوين . وفى الديوان أيضا : « قاصد للمناهل » فتكون صفة للطريق ، وهى ها هنا حال . انظر البيتين ١٥ ، ١٦ من المفضلية ١١٩ طبع المعارف .

لهُ خلجٌ تَهْوِى فُرادى وترعوِى   إلى كلِّ ذى نِيرَينِ بادِى الشَّواكلِ (١)

وهذا موضعُ اليربوع فى تدبيره ومَكره .

(أرجوزة فى اليربوع وأكل الحشرات والحيات)

١٣١ وقال الآخر (٢) فى صفة اليربوع ، وفى حيلته ، وفى خَلْقه ، وفى أكل الحشَرات والحيات (٣) :

يارُبَّ يَربوع قَصيرِ الظَّهرِ   وشاخِصِ العَجْبِ ذليلِ الصَّدْرِ
ومُحكمِ البيتِ جَميع الأمْرِ (٤)   يَرْعَى أُصولَ سَلم وسِدْرِ
حتى تراهُ كمِداد العكرِ (٥)   باكرتُه قبلَ طُلوع الفَجْرِ
بكلِّ فيَّاض اليَدين غَمْرِ   وكلِّ قَنَّاصٍ قليلِ الوَفْرِ
مُرْتفع النَّجم كريم النَّجْرِ (٦)   فعاذ مِنِّى ببعيد القَعْرِ (٧)
مختلفِ البَطْنِ عجيبِ الظَّهرِ   وتَدْمُرِىٌّ قاصعٌ فى جُحرِ (٨)

---

(١) ذو النيرين ، يعنى به الطريق . وأصل النير العلم فى الثوب . قال :

على ظهر ذى نيرين أما جنابه   فوعث وأما ظهره فوعس

والشواكل : الخواصر . وقد أراد به جوانبه وأطرافه التى هى منه بمنزلة الخواصر من الناس . انظر البيت ٣٣ من المفضلية ٤٠ طبع المعارف . وفى الأصل : « له حجل يهوى فرادى ويرعوى » . وفى ط ، هـ : « ذى تبريق » س : « ذى بيرين » ، وأثبت صوابه من الديوان .

(٢) س : « قال آخر » .

(٣) فى الأصل : « والنبات » ، والوجه ما أثبت كما يقتضيه الرجز .

(٤) جميع الأمر : أى أمره مجتمع لم يتفرق عليه .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) النجر ، بالفتح : الأصل .

(٧) عاذ به : التجأ . ط ، هـ « فعاد منى » ، صوابه فى س .

(٨) التدمرى ، بفتح التاء وضمها وضم الميم : هو الماعز من اليرابيع ، وفيه قصر وصغر ولا أظفار فى ساقيه ، وضأن اليرابيع هو الشفارى ، بالضم . قصع اليربوع فى جحره : لزمه .

فى العُسر إنْ كان وبعدَ العُسْرِ — أطيبُ عِندِى من جَنِىِّ التّمرِ (١)

وشَحْمةُ الأرضِ طعامُ المُثرِى — وكلِّ جبارٍ بعيد الذِّكْرِ

وهَيْشَة أرفعها لفطْرِى (٢) — ليوم حَفْل وليوم فخرِ

وكلُّ شئٍ فى الظلام يَسْرِى — من عقْرَبٍ ، أو قُنفذ ، أو وَبْرِ

أو حيّةٍ أمُلُّها فى الجمْر (٣) — فتلك هَمِّى وإليها أجرِى

فى كلِّ حالٍ من غنًى وفَقْرِ — وكلُّ شئٍ لقَضاءٍ يجرى

وكلُّ طيرٍ جاثم فى وَكْرِ — وَكلُّ يَعسوبٍ وكلُّ دَبْرِ

والذِّيخُ والسِّمْعُ وذِئبُ القَفْرِ — والكلبُ والتَّتْفل بعد الهِرِّ (٤)

والضّبُّ والحوتُ وطيرُ البَحْر — والأعورُ النّاطقُ يومَ الزّجْرِ (٥)

آكُلُهُ غيرَ الحرابى الخُضْرِ (٦) — أو جُعَل صَلَّى ، صلاةَ العَصْرِ

يشكر إن نالَ قِرًى من جَعْرِ (٧) — ياويلَه من شاكرٍ ذى كُفْرِ

* أفسدَ واللهِ علىّ شُكرِى *

فزعم أنّه يستطيبُ كلَّ شئٍ إلاّ الحِرباء الذى قد اخضرَّ من حرِّ الشّمس.

---

(١) الجنى : المجتنى ما دام طريا ؛ فعيل بمعنى مفعول . ه : «خبى» ، تحريف .

(٢) الهيشة ، سبق الكلام عليها فى ص ٣٨٤ . وفى الأصل : «هدسة» تحريف .

(٣) مل الشىء يمله : أدخله فى الملة بالفتح ، وهى الرماد الحار والجمر . ه : «وحية» .

(٤) التتفل : الثعلب . وانظر ما مضى فى ص ٢٨٥ . ه ، س : «التنفل» ؛ محرف .

(٥) الأعور : الغراب ، سمى بذلك للتشاؤم به ، والأعور عندهم مشؤوم . أو سمى بذلك لحدة بصره كما يقال للأعمى أبو بصير ، وللحبشى أبو البيضاء . وانظر ما مضى فى (٣ : ٤٣٩) .

(٦) انظر لخضرة الحرباء ما سبق فى ص ٣٦٣ س ١٠ .

(٧) الجعل مولع باقتيات النجو والعذرة . والقرى ، بالكسر : طعام الضيف . ه : «فرا» ط ، س : «قرا» ، والصواب ما أثبت .

وإلاّ الجُعَل الذى يصلّى العصر . وزَعَمَ أنّه إنما جَعَل ذلك شكراً على ما أُطعِم من العَذِرة ، وأنّ ذلك الشُّكر هو اللُّؤم والكُفر .

ولا أعرِفُ معنى صلاة الجعَل . وقد روى ابنُ الأعرابى عن زاهر قال : « يا بُنَىّ لا تصلِّ فإنما يصلّى الجُعَل ، ولا تَصُمْ فإنما يصوم الحِمار » . وما فهمتُه بعد[1] .

وأراه قد قدّم الهَيْشَة[2] ، وهى أمُّ حبين ، وهذا خلافُ ما رووا عن الأعرابى والمدنى[3] .

(اليرابيع)

وأمّا قوله :

١٣٣ * وَتَدْمُرِىٌّ قاصعٌ فى جُحْرِ *

فقد قال الشاعر[4] :

وإنّى لأَصطادُ اليَرابيعَ كُلّها　　شُفَارِيَّها والتَّدْمُرِىَّ المقَصَّعَا[5]

(١) أرى أن قوله : « يصلى الجعل » هنا من قولهم صلى الفرس إذا أتى مصليا ورأسه على صلا السابق . والجعل يصلى أى يتبع كلّ من ذهب لقضاء حاجته يأتى خلفه كما يأتى المصلى من الخيل خلف السابق . وانظر (١ : ٣٣٥ - ٢٣٧ / ٣ : ٥٠٣) . وقوله : « يصوم الحمار » أى يقف . وصيام الخيل والحمير : وقوفها على أربعها . قال ربيعة بن مقروم (المفضليات ١٨٢) فى صفة حمر :

وبالماء قيس أبو عامر　　يؤملها ساعة أن تصوما

أبو عامر : اسم القانص . يؤملها أن تقف ساعة ليرميها . فقد وضح المبهم إن شاء الله .

(٢) فى الأصل : « الهدسة » ، تحريف . وانظر ما سبق ص ٣٨٤ .

(٣) انظر ما سبق فى ص ٣٨٥ . والقصة هناك تدل على أن أم حبين آخر ما يؤكل من الحشرات . س . « ابن الأعرابى والمدنى » وكلمة « ابن » مقحمة .

(٤) ط ، هـ : « فقال الشاعر » . والبيت روى فى اللسان (دمر ، شفر) والمخصص (١ : ٨٦ / ٨ : ٩١) .

(٥) المقصع : الذى سد باب جحره ، أو الذى دخل فى قاصعائه .

واليرابيع ضربان : الشُّفَاريُّ والتَّدمُرى ، مثل الفَتِيِّ والمذكِّي [1] .

وقال جريرٌ حينَ شبَّــه أشياءَ من المرأة بأشياءَ من الحشَرات وغيرها وذكر فيها الجُعَل فقال :

تَرَى التَّيمىَّ يَزْحَفُ كالقرنَبى ... إلى تيميَّةٍ كعَصَا المَليلِ [2]

تشينُ الزَّعفرانَ عَروسُ تَيْمٍ ... وتمْشى مِشْيَةَ الجُعَلِ الدَّحُولِ [3]

يَقولُ المجتَلون عروسَ تَيمٍ ... شَوَى أمِّ الحُبَين ورأسُ فيل [4]

(شعر فيه ذكر اليربوع)

وقال عُبيد بن أيُّوبَ العنبرى ، فى ذكر اليربوع :

حَمَلْتُ عليها ما لو انَّ حمامةً ... تُحَمَّلُه طارتْ به فى الخفاخفِ [5]

---

(١) الفتى : الشاب . والمذكى : المسن من كل شىء . وقد سبق فى ص ١١٧ : « ولو كانت سن الحسل على حال واحدة أبداً لم تعرف الأعراب الفتى من المذكى » . وفى الأصل : « القوى والمذكى » ، والصواب ما أثبت .

(٢) سبق إنشاد نظير هذا البيت فى ص ٣٨٦ . والقصيدة فى ديوان جرير (٤٣٦ — ٤٣٩) . والأبيات الثلاثة فى عيون الأخبار (٤ : ٤٢) . والمليل : مايمل فى الرماد الحار أوفىالنار من خبزأو لحم. والبيت فى اللسان(٢ : ١٦٥ / ١٤ : ١٥٢) والمخصص (١٦ : ٧) . ورواية ابن سيده : « إلى سوداء مثل عصا المليل » .

(٣) الدحول : هو من قولهم : ناقة دحول تعارض الإبل متنحية عنها . وفى الديوان : « الزحول » ؛ زحلت الناقة تأخرت فى سيرها . ط : « يشف الزعفران » س ، هـ : « يشق الزعفران » ، صوابهما ما أثبت من الديوان وعيون الأخبار .

(٤) اجتلى العروس : نظر إليها . س : « المحتاون » تحريف . والشوى : الأطراف . ط : « سوى » س : « سواء » هـ : « سوا » تحريف . وفى ط ، هـ : « أم الحنين » صوابه فى س .

(٥) أى حمل نفسه وأنطاعه ونسوعه على الناقة . وفى الشعراء ١٨٣ : « وهو القائل فى نحول جسمه » وأنشد البيتين الأولين . والخفاخف : جمع خفخفة وهى الصوت ، وأصله فى الحيوان للحبارى والضبع والخنزير . ط : « للحفاحف » س ، هـ : « فى الحفاحف » صوابه فى الشعراء .

نطوعا وأنساعاً وأشــلاءَ مُدْنَفٍ

تَرى جِسمَه طولُ السُّرَى فى المَخاوِفِ[1]

فرُحْنَا كما راحَتْ قَطاةٌ تَنوَّرَتْ لأزْغَبَ مُلْقًى بين غُبْرٍ صَفاصِفِ[2]

ترى الطّير واليربوعَ يبحثْن وطأَهَا وينقرنَ وطْءَ المنسِمِ المتقاذِفِ[3]

وقال ابنُ الأعرابىّ ، وهو الذى أنشدَنيه[4] : « ترى الطير واليربوع » يعنى أنهما يبحثانِ فى أثر خُفِّها[5] ملجأ يلجآن إليه ، إمَّا لشدَّة الحر ، وإما لغير ذلك . وأنشد أصحابُنا عن بعض الأعراب وشعرائهم[6] أنَّه قال فى أمِّه :

فمــا أمُّ الرُّدينِ وإن أدلَّتْ بعالمةٍ بأخْــلاقِ الــكرامِ[7]

---

(١) النطوع : جمع نطع ، وهو بساط من الأديم . والأنساع : جمع نسع : وهو سير ينسج عريضا تشد به الرحال . والأشلاء : الأعضاء . وقد عنى بالمدنف نفسه ؛ والمدنف ، بفتح النون وكسرها : الذى براه المرض حتى أشرف على الموت . ط : « نرى رسمه » ھ : « يرى جسمه » ، صوابهما فى س . والمخاوف : مواضع الخوف . س ، ھ : « المخارف » تحريف . ورواية الشعراء : « أضربه طول السرى فى المخارف » .

(٢) التنور : التبصر والنظر من بعيد . وأصل التنور فى النار ، وقد جعله هاهنا للماء ، فهى تبحث عن ماء لفرخها . والأزغب : ذو الزغب ، وهو الريش القصير . ط ، ھ : « لأرغب » ، صوابه فى س . والغبر : جمع أغبر وغبراء . والصفاصف : الأماليس المستوية ، جمع صفصف . وفى الأصل : « بين عير » ، تحريف .

(٣) وطأها : أى مواضع وطء هذه الناقة . والمنسم ، كمجلس : خف البعير .

(٤) ھ : « أنشد فيه » .

(٥) ط فى الأصل : « يحسبان فى أثر حفهما » ، لكن فى ط : « آثر » ، وصواب العبارة ما أثبت .

(٦) هذه الكلمة ليست فى ھ .

(٧) أدلت : انبسطت ، أو وثقت بمحبته فأفرطت عليه . ط ، ھ : « أجلت » س : « أحلت » ، صوابه مما سبق فى (٥ : ٢٧٧) واللسان (١٢ : ٢٣٧) .

إذَا الشّيطانَ قصَّعَ فى قَفَاهَا   تَنَفّقْنَاه بالحَبْلِ التؤَامِ[1]

يقول : إذا دخل الشّيطان فى قاصعاءِ قفاها تنفقناه ، أى أخرجْناه من النافقاء ، بالحبل المثنى[2] . وقد مَثَّل و [قد[3]] أحسن فى نعت الشِّعر وإن لم يكن أحْسَنَ فى العُقوق . وأنشد فى قَوس[4] :

لا كزَّة السَّهم ولا قلوعُ[5]   يدرُج تحت عَجْسها اليربوعُ[6]

القَلوع من القِسِى : التى[7] إذا نُزِع فيها انقلبت على كفِّ النازع .

وأما قوله :

تخالُ به السِّمعَ الأزلَّ كأنّه   إذا ما عـــدا[8] (البيت)

(قيام الذئب بشأن جراء الضبع)

ويقولون : إن الضبع إذا هلكَتْ قام بشأنِ جرائها الذِّئب[9] .

وقال الكُميت :

---

(١) سبق شرح البيت فى (٥ : ٢٧٧) . س : « بالحيل » تحريف .

(٢) س : « بالحيل المثنى » ، تحريف . والمثنى : المجمول من اثنين .

(٣) هذه من س .

(٤) أى فى صفة قوس . ط ، هـ : « وأنشدنى قوس » ، والصواب ما أثبت من س . وفى اللسان (١٠ : ١٦٦) : « وأنشد ابن الأعرابى » وروى الرجز .

(٥) فى اللسان (٧ : ٢٦٧) : « وقوس كزة : لا يتباعد سهمها من ضيقها . أنشد ابن الأعرابى : لا كزة السهم ولا قلوع » . وانظر شبيه هذا البيت فى المخصص (٦ : ٤١)] .

(٦) عجس القوس ، مثلثة : مقبضها الذى يقبضه الرامى منها . وفى الأصل : « عجبها » صوابه فى اللسان .

(٧) فى الأصل : « الذى » . والقوس مؤنثة .

(٨) كذا ورد هذا البيت مقحما محرفا فى كلام ناقص ، وفى س : : « كأنما » بدل : كأنه » و « الخ » بدل : « البيت » وفى هـ : « الحذروف » بدل : « البيت » . ومهما يكن فإن حفظى فى البيت : « إذا ما علا نشزا حصان مجلل » .

(٩) س : « أجرائها » . والأجراء والجراء : جمع جرو .

١٣٣ كما خامَرَتْ فى حِضْنها أمُّ عامر

لِذى الحَبْل حتَّى عالَ أوسٌ عِيالَها[١]

وأنشد أبو عُبيدةَ فى ذلك شعراً فسَّر به المعنى ، وهو قوله :

والذِّئبُ يغذُو بناتِ الذِّيخ نافلةً

بلْ يَحْسَبُ الذِّئْبُ أنَّ النَّجْل للذِّيبِ

يقول : لكثرة ما بين الذئاب والضِّباع من التّسافُد يظن الذِّئبُ أنّ أولادَ الضبع أولادُه .

(أكل الأعراب للسباع والحشرات)

والأمرُ فى الأعراب عجَبٌ[٢] فى أكل السِّباع والحشَرات : فمنهم من يظهر استطابتها ، ومنهم من يفخَر بأكلها ، كالذى يقول :

يا أم عمرو مَنْ يَكُنْ عُقْرُ داره جِوَارَ عَدِيٍّ يَأكل الحشَراتِ[٣]

(ما تحبه الأفاعى وما تبغضه)

وأمَّا قوله :

٤٠ « لا تَرِدُ الماءَ أفاعِي النَّقا لٰكِنَّها يُعْجِبُها الخمْرُ[٤]

---

(١) خامرت : استترت . وذو الحبل : الصائد . وفى الأصل : « لدى النخل » ، صوابه من (١ : ١٩٨) والمحاسن والمساوى (٢ : ٢٢٧) . وفى اللسان (أوس) وعيون الأخبار (٢ : ٧٩) : « لدى الحبل » . والحبل : حبل الرمل . وفى ثمار القلوب ٣١٣ : « لدى الختل » .

(٢) ط ، س : « عجيب » .

(٣) كذا بالجزم فى س ، هـ . وفى ط : « أيام أم عمرو » . وفى الأصل : « جرام عدى » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٤) س ، هـ : « لا ترد الماء » .

٤١ وفى ذَرَى الحَرْمَلِ ظِلٌّ لها إذا علا واحْتَدَم الهَجْرُ »

فإنّ من العجَب[1] أنّ الأفعى لا تَرِدُ الماءَ ولا تريدُه ، وهى مَعَ هذا إذا وجدت الخَمر شربَت حتّى تَسكر ، حتَّى ربَّما كان ذلك سبب حتفها[2] .

والأفاعى تكره ريح السَّذَاب والشِّيح ، وتستريحُ إلى نبات الحَرمَل . وأمَّا أنا فإنِّى ألقيْتُ على رأسها وأنفها من السَّذابِ ما غمرها فلم أر على ما قالوا دليلاً .

(أكل بعض الحيوان لبعض)

وأمَّا قوله :

٤٢ « وبعضها طُعْمٌ لبعضٍ كما أعْطَى سِهام المَيْسِرِ القَمْرُ »

فإنّ الجرذ يَخرُج يلتمسُ الطُّعم ، فهو يحتالُ لطُعمه ، وهو يأكل ما دونَه فى القُوَّة ، كنحو صغارِ الدَّوابِّ والطَّير ، وبيضِها وفراخِها[3] ، ومما لا يسكن فى جُحْر ، أو تكونُ أفاحيصُه على وجْه الأرض ، فهو يحتال لذلك ، ويحتال[4] لمنْع نفسه من الحيّات ومن سِباع الطَّير .

والحيّة تُريغ الجرَذ لتأكله[5] ، وتحتال أيضاً للامتناع من الورَل والقنفذ ، وهما عليه أقْوى منه عليهما . والوَرل إنما يحتال للحية ، ويحتال للثَّعلب ، والثعلب يحتال لما دُونه .

قال : وتخرج البعوضة لطلب الطُّعمِ ، والبعوضة تعرف بطبعها أنّ الذى

---

(١) فى الأصل : « قال : ومن العجب » ، والوجه ما أثبت .

(٢) انظر لسكر الحيات ما سبق فى (٢ : ٢٢٩) .

(٣) س : « وبيضهما وفراخهما » ، تحريف .

(٤) ط فقط : « ويحتاج » .

(٥) تريغه : تطلبه وتريده .

بعيشها الدم ، ومتى أبصرتِ الفيلَ والجاموسَ وما دونهما ، علمت أنّما خُلِقت جلودهما لها غذاءً ، فتسقطُ عليهما وتطعُنُ بخرطومها ؛ ثقةً منها بنفوذ سلاحها ، وبهجومها على الدَّم . وتخرجُ الذُّبابة ولها ضروبٌ من المطعَم ، والبعوضُ من أكبرها صيدها وأحبُّ غذائها إليها . ولولا الذِّبان[1]
١٣٤ لكان ضررُ البعوض نهاراً أكثر . وتخرج الوزَغَةُ والعنكبوتُ الذى يقال له[2] اللَّيث فيصيدان الذُّباب بألطف حِيلة ، وأجودِ تدبير ، ثم تذهب تلك أيضاً كشأن غيرهما[3] . كأنه يقول : هذا مذهب[4] فى أكل الطيِّبات بعضها لبعض . وليس لجميعها بُدٌّ من الطُّعم ، ولا بدّ للصائد أنْ يَصطاد ، وكلُّ ضعيفٍ فهو يأكُلُ أضعَفَ منه ، وكلُّ قوىٍّ فلا بدَّ أن يأكلَه مَن هو أقوى منه ، والنّاسُ بعضُهم على بعض[5] شبيه بذلك ، وإن قصروا عن دَرْك المقدار ؛ فَجَعل الله عزّ وجلّ بعضها حياةً لبعض ، وبعضها موتا لبعض .

(شعر للمنهال فى ذلك)

وقال المنهال[6] :

وَوَثْبــة من خُــزَزٍ أعفرٍ وخِرنِقٍ يلعَبُ فَوْقَ التُّرابْ[7]

(١) ط ، س : « الذباب » .

(٢) انظر ما سبق فى (٣ : ٣٧) .

(٣) فى الأصل : « بشأن غيرها » .

(٤) فى الأصل : « هذا ذهب » .

(٥) ط ، هـ : « عن بعض » .

(٦) فى معجم المرزبانى ٤٤٧ : « المنهال الشيبانى الخارجى البصرى يقول :

إنى لأروع فى الهيجاء مختلف كالليث يسكنه الطرفاء والأسل

(٧) الأعفر : الأبيض وليس بالشديد البياض . وفى الأصل : « أعصر » ، ولا وجه له .

وَعَضرَفُوطٍ قـد تقوَّى على مُحْلوْلِكِ البقة مثـل الحباب[١]
وظالم يَعْـدُو على ظالمٍ قد ضَجَّ منه حَشَرَاتُ الشِّعاب

وهذان الظَّالمان اللذان عَنى : الأسودُ ، والأفعَى ؛ فإنَّ الأسودَ إذا جاعَ ابتلعَ الأفعى .

(أكل الأسود للأفعى)

وشكا[٢] إلىّ حَوّاءٌ مرةً فقـال : أفقرَنى هذا الأسود ، ومنَعنى الـكَسْبَ ؛ وذلك أنّ امرأتى جهلت[٣] فرمَتْ به فى جُونةٍ فيها أفاعِى[٤] ثلاثٌ أو أربعٌ ، فابتلعهُنّ كلّهن . وأرانى حَيَّةً مُنْـكَرَةً . لايبعد ما قال[٥] .

والعرب تقول للمسىء : « أظْلَمُ من حيَّة » . وقد ذكرنا [ذلك[٦]] فى موضعه من هذا الـكتاب[٧] .

ولا يستطيع أنْ يروم ذلك من الأفعى إلاّ بأن يغتالها ، فيقبضَ على رأسها وقَفاها ؛ فإنّ الأفعى تنفذُ فى الأسْود ، لـكثرة دمه .

(وصف سم الحية)

وإذا وصفوا سمّ الحيّة[٨] بالشدّة والإجهاز خبّروا عنها أنّه لم يَبقَ فى بدنها دمٌ ولا بِلّة[٩] ، ولذلك قال الشاعر :

---

(١) البقة ، كذا وردت فى الأصل .
(٢) س : « شكى » . وفى القاموس : « شكيت لغة فى شكوت » .
(٣) س : « جهلته » .
(٤) كذا وردت بإثبات الياء . وهو مذهب جائز فى العربية .
(٥) هـ : « لا تبعد ما قال » .
(٦) التـكملة من س ، هـ .
(٧) انظر ما سبق فى (٤ : ١٤٩ ، ٢٠٠) .
(٨) فى الأصل : « اسم الحية » ، تحريف .
(٩) البلة ، بالـكسر : البلل . ط : « فلة » س ، هـ : « قلة » ، وقد أثبت ما يقتضيه الشعر .

لو حُزّ ما أخرجَتْ منه يَدٌ بَللاً ولو تَـكَنَّفَهُ الراقون ما سَمِعَا[١]

وقال آخر :

لُسيمةٌ من حَنَشٍ أعْمَى أصمّْ قد عاش حَتّى هو مايمشى بِدَمْ[٢]

(سلاح الحيوان)

والشأن فى السِّلاح [أنّه[٣]] كلما كان أقلَّ كان أبلغَ ، وكلما كان أكثرَ عَدَداً[٤] وأشـدَّ ضرراً كان أشجع وآخَذَ[٥] لـكلِّ من عَرَف أنه دونَه . وأنشد أبو عبيدة[٦] :

مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجاءَ مُفْظِعَةٍ له سلاحانِ أنيابٌ وأظفارُ[٧]

كالأسد له فم الذِّئب — وحسبك بفم الذِّئب — وله فضلُ قوة المخالب . وللنّسر مِنْسرٌ وقُوَّة بدَن يكون بهما فوقَ العقاب . ولذلك قال ابن مُناذر[٨] :

---

(١) الحز : قطع الشىء فى غير إبانة . وفى الأصل : « حزت » تحريف . ط ، ﻫ : « بدلا » س : « مللا » ، ووجههما ما أثبت . تـكنفه الراقون : أحاطوا به . وفى الأصل : « تـكشفه » تحريف . وقد سبق فى (٤ : ١٨٢ — ١٨٣ ، ٢٨١ — ٢٨٢) مقاطيع يحتمل أن يكون هذا البيت من إحداها .

(٢) سبق الـكلام على هذا الرجز فى ص ١٢٩ . وانظر (٤ : ١١٩ ، ٢٨٣) فى الأصل : « حتى ما هوه يمشى » .

(٣) بهذه اللفظة يلتئم الـكلام .

(٤) فى الأصل : « عدوا » تحريف .

(٥) آخذ : أى أشد أخذا . وفى الأصل : « وأجبن » .

(٦) البيت للخنساء من قصيدة لها فى رثاء أخيها صخر ، مطلعها :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار

(٧) السبنتى ، مقصور : النمر ، وقيل الأسد . ط : « السلبتى » س : « السبنت » ﻫ : « السبنتا » . والمفظعة ، بضم الميم وكسر الظاء : الشديدة الشنيعة . وفى الأصل : « مقطعة » تحريف . وفى الأغانى (١٣ : ١٣٢) : « معضلة » . الضمير فى « له » للسبنتى . وفى الأصل : « لها » ، تحريف .

(٨) هو محمد بن مناذر ، مولى بنى صبير بن يربوع . وكان إماما فى علم اللغة وكلام العرب ، وكان فى أول أمره ناسكا ملازما للمسجد كثير النوافل جميل الأمر ، إلى أن فتن بعبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفى ، فتهتك بعد ستره ، وفتك بعد نسكه . وكان معاصرا للأصمعى وخلف الأحمر وأبى العتاهية وأبى نواس . ومناذر ، بضم الميم . وله أخبار حسان فى الأغانى (١٧ : ٩ — ٣٠) .

أَتجعــل ليثاً ذا عرينٍ تَرَى له نُيوباً وأظْفَاراً وعِرساً وأشبُلاَ
كآخَرَ ذا نابٍ حديدٍ ومِخْـلَبٍ ولم يتَّخذ عِرْساً ولم يَحْمِ مَعْقِلاَ

وذلك أن فتيين تواجَئَا بالخناجر ، أحدهما صُبَيْرىٌّ(١) والآخر كلْبىٌّ ، فَحُمِلا إلى الأمير ، فَضرب الصُّبيرىَّ مائةَ سوط ، فلم يحمَدوا صبره(٢) ، وشُغل عن الـكلبى فضربه يوم العَرْض خَمسمائةِ سوط ، فصبر صبراً حِمدوهُ ، فَفَخرَ الْـكَلبىُّ بِذٰلِك على الصُّبيرى .

وابن مناذر مولى سُليمان بن [عبيد(٣) بن] علاّن بن شَمَّـاس الصُّبيرى . فقال هذا الشعر . ومعناه أنَّ شُجَاعاً لو لقى الأسَد(٤) وهو مسلَّح ، بأرضٍ هوَ بها غريبٌ وليس هو بقرب غيضتِهِ(٥) وأشباله ، لمـا كان معه ، ممَّـا يتخذه ، مثلُ الذى يكون معــه فى الحال الأخرى . يقولُ : وإنَّمـا صَبَرَ صاحبُـكم لأنّه إنمـا ضُرِبَ بحضرة الأكْفاء والأصدقاء والأعداء ، فـكان هذا ممَّا أعانه على الصّبر . وضُربَ صاحبُنا فى الخلاء ، وقد وُكِل إلى مقدار جَودة نَفْسه ، وقطعت المـادةُ بحضور البَطالة .

---

(١) نسبة إلى بنى صبير ، بالضم ، من بنى يربوع بن حنظلة .

(٢) ﻫ : « فلم يجدوا صبره » .

(٣) التكملة من س . وفى الأغانى (١٧ : ٩) : « قال الجاحظ : كان محمد بن مناذر مولى سليمان القهرمان ، وكان سليمان مولى عبيد الله بن أبى بكرة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو بكرة عبدا لثقيف . ثم ادعى عبيد الله بن أبى بكرة أنه ثقفى ، وادعى سليمان القهرمان أنه تميمى ، وادعى ابن مناذر أنه صليبة من بنى صبير بن يربوع . فابن مناذر مولى مولى مولى ، وهو دعى مولى دعى وهذا مالا يجتمع فى غيره فقط ممن عرفنا » .

(٤) فى الأصل : « الأسود » .

(٥) س : « غيضة » ، تحريف .

(حمدان وغلامه)

وسمعتُ حمدانَ أبا العقب ، وهو يقولُ لِغلامٍ له : وكيف لا تستطيل عليَّ وقد ضربُوك بين النَّاسِ خمسِينَ سَوطاً فلم تنطِق ؟ ! فقلت[1] : إذا ضَرَبه السَّجَّانُ مائةَ قنــاةٍ فى مكانٍ ليس فيـه أَحَـدٌ فصبَرَ فهو أصبرُ النَّاسِ .

(تفسير بيت الخنساء)

وأمَّا قوله : « مَشْيَ السَّبَنْتَى » ، [فَإن السَّبَنْتَى[2]] هوالنمر ؛ [ثمَّ] صار اسماً لكلِّ سبع جرىء ، ثم صاروا يسمُّونَ الناقةالقوية سَبَنْتَاة[3] . قال[4] الشاعرُ :

* مَشْيَ السَّبنتى وجَدَ السَّبَنْتَى[5] *

(رؤساء الحيوان)

وأمَّا قولُهُ :

٤٣ « وَتِمْسَحَ النِّيلِ عُقاب الهوا وَاللَّيْثُ رَأسٌ وله الأَسْرُ[6]

٤٤ ثلاَثَةٌ لَيْسَ لَهُــمْ غالبٌ إلاَّ بِمَا يَنْتَقِضُ الدَّهْــرُ »

(١) فى الأصل : « فقال » .

(٢) هذه التكلمة من س ، هـ . وقد رسمت « السبنتى » فى هذا الموضع وسابقه بالألف ، تحريف .

(٣) هذه الكلمة ليست فى س ، هـ ، وفيهما : « ثم صاروا يسمون بها الناقة القوية » . وفى ط : « سبنتى » ، والوجه ما أثبت .

(٤) التكلة من س ، هـ .

(٥) رسمت السبنتى فى الموضعين بالألف فى كل من س ، هـ .

(٦) الأسر ، بالفتح ، القوة وشدة الخلق . وفى الأصل : « الأمر » ، صوابه مما سبق فى ص ٢٨٩ .

فإنّهمْ يزعُمونَ أنَّ الهواءَ للعُقاب ، والأرض للأسَد[1] ، والمـاءَ للتِّمساحِ . وليسَ للنَّـارِ حَظٌّ فى شىءٍ من أجناس الحيوان : فـكَأَنَّهُ سلّم الرياسةَ على جميع الدُّنيا للعُقاب والأسَدِ والتمساح .

ولم يَمُـدّ الهَوَاءَ ؛ وقصْرُ الممدودِ أحْسَنُ من مدِّ المقصورِ .

(رواية المعتزلة للشعر)

وروَت المعتزلةُ المذكورونَ[2] كلُّهمْ روايةَ عامَّةِ الأشعارِ ، وكان بِشرٌ أرواهم للشِّعر خاصَّةً .

(الهوائى والمـائى والأرضى)

وقولهم : الطائرُ هوائىٌّ ، والسمك مائىٌّ ، مجازُ كلام ؛ وكلُّ حيوان فى الأرض فهو أرضىٌّ قبـل أن يكونَ مائيًّا أو هوائيا ؛ لأنَّ الطَّائرَ وإنْ طارَ فى الهواء فإنّ[3] طيرانَهُ فيه كسِباحةِ الإنسانِ فى المـاء ، وإنّمـا ذلك على التكلفِ والحيلة . ومتى صار فى الأرض ودلّى نفسَه لم يجدْ بُدًّا من الأرض .

(بقية قصيدة بشر الأولى)

وأمّا بَقِيَّةُ القصيدةِ التى فيها ذكر الرَّافضة والإباضيَّةِ والنَّابتة فليس ١٣٦
هذا موضعَ تفسيرِه .

---

(١) س : « للنسر » ، تحريف .

(٢) هذه الـكلمة ساقطة من س .

(٣) س : « فإنما » .

وسنقولُ فى قصيدته الأخرى ، بما أمكنَنا من القول إن شاء الله تعالى .

انقضت قصيدةُ بشر بن المعتمر الأولى .

(تفسير القصيدة الثانية)

وأمَّا قولُهُ :

« أوابِدُ الوَحْشِ وأحناشِهاَ »

فإن الأوابدَ المقيمة(١) ، والأحناشُ الحيّات ، ثم صارَ(٢) بعدُ الضب والوَرَلُ والحِرباء والوحَرة وأشباه ذلك — من الأحناش .

وأما قوله :

« وكلُّهَا شَرٌّ وفى شَرِّها خيرٌ كثيرٌ عند مَنْ يدرِى »

يقولُ : هى وإن كانَتْ مؤذِيَةً وفيها قواتل فإن فيها دواءً ، وفيها عبرةً لمن فكّر ، وأذاها محنة واختبارٌ . فبالاختبار يُطيع النَّاسُ(٣) ، وبالطاعة يدخلونَ الجنّةَ .

وَسئِلَ على بن أبى طالب ، كرم الله وجههُ ، غيرَ مرَّةٍ فى عِللٍ نالته فقيل لهُ : كيف أصبحت ؟ فقال: بشرٍّ . ذَهَبَ إلى قوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ .

وأمَّا قوله :

١٧ « فَشَرُّهُمْ أكثرُهُمْ حِيلةً كالذِّئْبِ والثَّعْلَبِ والذَّرِّ »

---

(١) أى المقيمة بالقفر . من قولهم : أبد بالمكان أبودا : أقام به ولم يبرحه .

(٢) فى الأصل : « مما صار » .

(٣) فى الأصل : « يطمع » ، والوجه ما أثبت .

فقد فسرهُ لك فى قوله :

١٨ « واللَّيث قد بلّده عِلْمُهُ   بما حوَى من شدَّةِ الأسْرِ[١] »

وهكذا كلُّ من وثِقَ بنفسه ، وقلَّت حاجته .

ويزعم أصحاب القَنص أنَّ العُقاب لا تكادُ تراوغ الصَّيد ولا تعانى[٢] ذلك ، وأنَّها لا تزال تكونُ على المرقَبِ العالى ، فإذا اصطاد بعضُ سِباع الطيرِ شيئاً انقَضَّتْ عليه[٣] فإذا أبصرها ذلك الطائرُ لم يكن همه إلاّ الهربَ وتركَ صيدِه فى يدها ، ولكنها إذا جاعت فلم تجدْ كافياً لم يمتنعْ عليها الذِّئْبُ فما دونَه . وقد قال الشّاعرُ :

مُهَبَّلٌ ذئبها يوماً إذا قَلَبَتْ   إليه من مُسْتَكَفٍّ الجَوِّ حِملاقَا[٤]

وقال آخر :

كأنَّها حينَ فاض الماءُ واحْتَمِلَتْ   صَقْعاءُ لَاحَ لها بالقَفرَةِ الذِّيبُ[٥]

صُبَّتْ عليه ولم تنصبٌ من أَمَم   إنَّ الشَّقاء على الأشقَيْنَ مصبوبُ

وأمَّا قوله :

٢٢ « تَعرِفُ بالأحساسِ أقدارها   فى الأسْرِ والإلحاح والصَّبرِ » ١٣٧

---

(١) بلده : جعله يبلد . بلد بالمكان بلودا : أقام ولزمه . ط ، ه : « قد جلده ». وانظر ما يلى من شرح الجاحظ .

(٢) س : « تعانى فى ذلك » .

(٣) ط ، ه : « عليها » .

(٤) مهبل : أى مكتسب مغتنم . والمستكف : موضع الاستكفاف ، وهو الاستيضاح . الجوهرى : استكففت الشىء : استوضحته ، وهو أن تضع يدك على حاجبك كالذى يستظل من الشمس تنظر إلى الشىء هل تراه .

(٥) انظر ما أسلفت من الكلام على نسبة هذا الشعر فى ص ٣٣٩ .

يقول : لا يخفى على كلِّ سبع ضعفُه وتجلدُه وقوته ؛ وكذلك البهيمةَ الوَحْشيَّةُ لا يخفى عليها مقدارُ قوةِ بدنِها وسلاحها ، ولا مقدارُ عَدْوِهَا فى الكرِّ والفر . وعلى أقدار هذه الطّبقات تظهر أعمالها .

وأمّا قوله :

٢٤ « والضَّبُع الغَثْراء مع ذيخها ... شرٌّ مِنَ اللَّبْوَة والنَّمرِ[1]

٣٢ كما ترَى الذِّئبَ إذا لم يُطِق ... صَاحَ فَجَاءَت رَسَلاً تجرى

٣٣ وكُلُّ شيءٍ فَعَلَى قَدْرِهِ ... يُحْجِمُ أو يُقْدِمُ ، أو يَجْرِى »

فإنَّ هذه السِّباعَ القَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ ذواتِ الرِّياسةِ : الأُسْدَ والنُّمُورَ والبُبُورَ — لا تعرِض للنَّاس إلاَّ بعدَ أن تَهرَم فتعجزَ عن صيد الوَحْش . وإن لم يَكُنْ بها جوعٌ شديدٌ فمرَّ بها إنسانٌ لم تَعْرِضْ لَه ، وليس الذِّئبُ كذلك ، لأَن[2] الذِّئْبَ أشدُّ مطالبةً ، فإن خاف العجز عوى عُوَاء استغاثَة[3] فتسامعت الذِّئاب وأقبلَتْ ، فليس دون أكل ذلك الإنسانِ شيءٌ .

وقسّمَ الأَشياء فقال : إنَّما هو نكوصٌ وتأخُّر ، وفِرَارٌ ، وإحجام وليس بفرار ولا إقدام[4] . وكذلك هو .

---

(١) ط ، هـ : « العشراء » س : « العثراء » ، صوابهما فى ٢٩٢ .

(٢) هذه من س .

(٣) س : « استغاث » .

(٤) أى أن الإحجام ليس بفرار ولا إقدام .

(العندليل والنسر)

وأمّا قوله :

٣٤ « والكَيْسُ في المكسبِ شَمْلٌ لَهُمْ   والعندليل الفرخ كالنَّسْرِ (١) »

فالعندليل (٢) طائرٌ أصغر من ابن تمرة (٣) ، وابنُ تمرة هو الذى (٤) يُضرب به المثلُ فى صغَر الجسم . وَالنَّسر أعظمُ سباع الطَّير وأقواها بدناً .

وقال يونسُ النحويُّ وذكر خلفاً الأحمرَ فقال : « يضربُ ما بين العندليل إلى الكُركيّ (٥) » . وقد قال فيه الشّاعر :

ويضربُ الكركى إلى القُنبُرِ   لا عانساً يبقى ولا مُحْتَلِمْ

وقال :

وبما أقولُ لصاحِبِى خَلفٍ   إيهاً إليك تَحَذّرَنْ خَلَفُ
فلوَ أنّ بيتَك فى ذُرَى عَلمٍ   من دُونِ قُلَّةِ رأسِهِ شَعَفُ (٦)
لخشيتُ قدرك أن يبيتها   إن لم يكن لى عنه مُنصَرَفُ (٧)

وفى المثل : « كلُّ طائرٍ يصيدُ على قَدْرِه » .

---

(١) فى الأصل : «شمل له » ، صوابه مما سبق فى ٢٢٣ . والعندليل ، بلامين بينهما ياء ، كما فى اللسان والقاموس ، وفى الأصل « العندبيل » ، ولم أر معتمدا لصحته .

(٢) فى الأصل : « فالعندبيل » . وانظر التنبيه السابق .

(٣) ابن تمرة : طائر أصغر من العصفور ، قيل سمى بذلك ، لأنك لا تراه أبدا إلا وفى فيه تمرة . وفى الأصل : « ابن نمرة » ، تحريف . وانظر ما سبق فى (٥ : ١٤٩) .

(٤) فى الأصل : « وأصغر من ابن فرة وهو الذى » .

(٥) ط ، س : « العندبيل » ، وأثبت الصواب من هـ .

(٦) الشعف : جمع شعفة بالتحريك ، وهى رأس الجبل .

(٧) يبيتها ، موضعها أبيض فى س . وفى هـ : « بيتنا » .

(كسبُ الذّئبِ وخبثه)

وأمّا قوله :

٣٥ « والخُلد كالذِّئب على كَسْبِهِ والفيلُ والأعـلَمُ كالوَبْرِ[١] »

١٣٨ فإنّهُ يقالُ : « أغدرُ مِن ذئب » ، و : « أخبث من ذئب » ، و :
« أكسبُ من ذئب »، على قول الآخر :

* أكسَبُ لِلْخَيْرِ مِنَ الذِّئبِ الأَزَلْ *

والخير عنده فى هذا الموضع ما يُعيش ويَقُوتُ ،والخير فى مكانٍ آخر : المالُ بِعينه[٢] على قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إنْ تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ[٣] ﴾ وعلى قوله : ﴿ وَإنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾ ، أى إنّه من أجل حبِّ المال لبخيلٌ عليه ، ضنين به[٤] ، متشدِّد فيه .

والخير فى موضعٍ آخر : الخِصب وكثرةُ المأكول والمشروب ، تقول : ما أكثرَ خير بيتِ فلان . والخير المحض : الطّاعة وسلامة الصّدر .

وأمّا قوله : « أَخْبَث من ذِئْبِ خَمَر » فعلى قول الرّاجز :

أمَا أتاك عَنِّىَ الحديثُ إذْ أنا بالغائط أستغيثُ
والذِّئْبُ وسط أعنُزى يَعِيثُ[٥] وصحتُ بالغـائط يا خَبِيثُ[٦]

وقالوا فى المثل : « مُستودع الذئب أظلم » .

---

(١) سبق فى ٢٩٤ : « على خبثه » .
(٢) ط : « يعينه » ، تحريف .
(٣) من الآية ١٨٠ فى سورة البقرة .
(٤) ط ، ﻫ : « ضيق به » ، وصوابه فى س .
(٥) الأعنز : جمع عنز . وفى الأصل : « عنزى » تحريف . وانظر (١ : ٣٠٦) .
(٦) بالغائط ، أى فى الغائط وهو المتسع من الأرض فى طمأنينة .

(الخُلد)

والخُلد دويْبَةٌ عمياءُ صماءُ ، لا تعرف ما يدنُو منها إلاَّ بالشّمِّ ، تخرُجُ من جُحرها ، وهى تعلم أن لا سمعَ ولا بصَرَ لها ، وإنما تَشْحَا فَاهَا[١] ، وتقفُ على باب جُحرها فيجىء الذُّباب فيسقط على شِدقها ، ويمرُّ بين لَحيَيها[٢] فتسدُّ فمها عليها وتستدخلها بجذْبة النَّفَس ، وتعلمُ أنّ ذلك هو رِزقُها وقَسْمها . فهى تعرِض لها نهاراً دون اللّيل ، وفى السّاعات من النهار التى يكون فيها الذباب أكثر[٣] ، لا تفرِّط فى الطَّلب ، ولا تقصِّر فى الطّلب ، ولا تخطئُ الوقْتَ ، ولا تغلط [فى] المقدارِ[٤] .

وللخَلد أيضاً ترابٌ حوالىْ جُحره ، هو الذى أخرجه من الجُحر ، يزعمون أنّه يصلُحُ لصاحب النِّقرِس[٥] إذا بُلّ بالماء وطُلى به ذلك المكان .

(الأعلم)

وأمّا قوله :

* والفيل والأعلم كالوَبْر *

فالفيل معروف ، والأعلم : البعير ، وبذلك يسمّى ؛ لأنّه أبدا مشقوقُ الشَفة

(١) تشحا فاها : تفتحه ؛ يقال شحا فاه يشحوه ويشحاه .

(٢) ه : « فتجىء الذبان فتسقط على شدقها وتمر بين لحييها » .

(٣) ه : « التى تكون فيها الذبان أكثر » .

(٤) التكملة من س .

(٥) النقرس ، بالكسر : ورم ووجع فى مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين : (Arthritism) .

العليا ، ويسمّى الإنسان إذا كان كذلك به .

ويدل على أن الأعلم والبعير سواءٌ قولُ الراجز[١] :

إنى لمن أنكَرَ أو توسَّما أخو خَنَاثِيرَ أقود الأَعلمَا[٢]

وقال عنترة :

١٣٩ « وحَليل غانيةٍ تركْتُ مجدَّلاً تمْكُو فريصَتُه كشِدْق الأَعْلَمِ[٣]

يريد شِدْق البعير فى السَّعة . وقال الآخر :

كم ضربةٍ لكَ تحْكِى فاقراسِيَةٍ من المَصاعِبِ فى أشْدَاقِهِ عَلَمُ[٤]

(بعض ما قيل من الشعر فى الضرب والطعن)

وقال الكميت :

* مَشافِرَ قَرْحَى أكلْنَ البَرِيرا[٥] *

وقال آخر :

بضربٍ يُلقِحُ الضِّبْعانُ مِنْهُ طَرُوقَتَه ويأتنِفُ السِّفادا[٦]

وقال [الشاعر] الباهلىّ[٧] :

بضَرْبٍ كآذانِ الفِراء فُضُولُه وطَعْنٍ كإيزاغِ المَخَاضِ تَبُورُها[٨]

---

(١) سبق الرجز فى (٤ : ٤٠٠) .

(٢) ط : « ابن جياش أقود » س ، هـ : « ابن حياش » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) الحليل : الزوج . هـ : « وخليل » ، تحريف .

(٤) سبق مثل هذا البيت فى (٣ : ٣١٠) برواية : « فى أشداقه علم » . وفى الأصل : « فافراسية » ، صوابها : « قراسية » بالقاف .

(٥) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٣١٠) . وفى الأصل : « البريدا » تحريف .

(٦) الضبعان ، بالكسر : ذكر الضباع . وطروقته ، بالفتح : أنثاه . يأتنف السفاد : يبتدئه . فى الأصل : « السفار » تحريف .

(٧) التكملة من س . وهذا الباهلى هو مالك بن زغبة الباهلى ، كما فى اللسان (فرأ) و (بور) . وانظر الكامل ١٨١ وديوان المعانى (٢ : ٧٣) .

(٨) سبق الكلام على البيت فى (٢ : ٢٥٦) . وفى الأصل : « ثبورها » ، تحريف .

كأنّه ضربَه بالسَّيف ، فعلِقَ عليه من اللّحم كأمثال آذان الحَمير .

وقال بعضُ المحدثين ، وهو ذو اليمينَين :

ومُقْعَص تشْخُبُ أوداجُه قد بانَ عن مَنْـكِبِه الـكاهلُ[1]
فصارَ ما بينهما هُــوَّةً يَمشِى بها الرَّامحُ والنَّابِلُ[2]

وفى صفات الطَّعنة والضَّربة أنشدنى ابنُ الأعرابىّ :

تمنَّى أبو اليَقظانِ عِندى هَجْمَةً فسهَّـل مأوى لَيلها بالـكَلاكِل
ولا عَقْلَ عندىَ غـيرُ طعنٍ نوافذٍ
وضربٍ كأشداق الفِصَال الهوادِلِ[3]
وسَبٍّ يود المرءُ لو ماتَ دُونَه كوقْعِ الهضابِ صُدِّعَتْ بالمعاوِلِ

وقال الآخر[4] :

جَمَعْتُ بها كفِّى فأنْهَـرْتُ فَتْقَها تَرى قائماً مِن خلفها ماوَرَاءَها[5]

وقال البَعيث :

أنْ أمرَعَت مِعْزَى عَطِيَّة وَارتَعتْ تِلاعاً من المرُّوت أحْوَى جميمُها[6]

---

(١) المقعص : الذى ضرب فمات مكانه . ورواية البيت فى الموشح ٧٩ ، ٢٤٥ :
ضربته فى الملتقى ضربة فزال عن منكبه الـكاهل

(٢) الرامح : ذو الرمح . والنابل : ذو النبل ، وهى السهام . وفى الموشح ٧٩ بدل « هوة » : « فجوة » وفى ٢٤٥ : « رهوة » .

(٣) الفصال : جمع فصيل ، وهو ولد الناقة . س : « العضال » ، تحريف . والهوادل : العظام المشافر كما فى البيان (١ : ١٥٧) من تفسير الجاحظ . وفى الأصل : « الهوازل » ، تحريف .

(٤) هو قيس بن الخطيم كما فى ديوانه ص ٣ ، والحماسة (١ : ٥٣ — ٥٦) ، واللسان (نهر) وديوان المعانى (٢ : ٥١) .

(٥) أنهر الطعنة : وسعها . أى ترى ما وراءها قائما من خلفها . وروى أبو عمرو : « يرى قائم » بالرفع وبناء الفعل للفاعل ، وهى رواية الحماسة واللسان وديوان المعانى . أى يرى القائم من دونها ما يكون وراءها .

(٦) عطية هو والد جرير بن عطية بن الخطفى . ارتعت : رعت . ط : « وأرتعت » تحريف . والمروت ، كسفود : اسم موضع . يقول : جميمها أحوى . والجميم : النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم . والأحوى : الذى يضرب إلى السواد من شدة خضرته ، وهو أنعم ما يكون من النبات . هـ ، س : « حميمها » تحريف .

تَعَرَّضْتَ لى حتّى ضَرَبتُك ضربةً على الرَّأس ، يكبو لليدَين أَميمها[(١)]
إذا قاسها الآسِي النِّطاسيُّ أُرْعِشَتْ أناملُ آسِيها وجاشَتْ هُزُومُها[(٢)]

وقال الآخر :

١٤٠ ونائحة رافعٍ صَوْتُها تَنُوحُ وقد وَقَعَ المِهْذَمُ[(٣)]
تَنُوحُ وتُسْبَرُ قَلّاسَةً وقد غابَت الكفُّ والمِعْصَمُ[(٤)]

وقال آخر :

ومُستَنَّةٍ كاستنانِ الخَرُو فِ قدْ قَطَعَ الحبلَ بالمِرْوَدِ[(٦)]
دفوعِ الأصابع ضَرْحَ الشَّمُو سِ نجلاءَ مُؤْيسةِ العُوَّدِ[(٧)]

وقال محمد بن يَسير[(٨)] :

(١) الأميم : الذى أصيب فى أم رأسه .

(٢) الآسى : الطبيب . والهزوم : الصدوع والشقوق . يقول : تجيش بالدم يتدفق منها . وفى الأصل : « هرومه » تحريف . وفى اللسان (٨ : ١١٨) : « أدبرت غثيثتها وازداد وهيا هزومها » .

(٣) النائحة ، يعنى بها الطعنة تصيح بشدة خروج الدم منها . والمهذم : السيف القاطع . وفى الأصل : « المرزم » ، ولا وجه له هاهنا .

(٤) تسبر : تختبر بالمسبار ليدرك غورها . قلاسة : قذافة . وأصل القلس القذف بالطعام وغيره . وفى اللسان : « وقلست الكأس : إذا قذفت بالشراب لشدة الامتلاء » . ويعنى بالكف والمعصم كف الآسى الذى يسبرها ومعصمه . يقول : غابا لشدة غورها .

(٥) أنشده فى اللسان (خرف) لرجل من بنى الحارث .

(٦) المستنة : الطعنة فار دمها باستنان ، وهو المضى على الوجه . والخروف : ولد الفرس إذا بلغ ستة أشهر أو سبعة . بالمرود ، أى مع المرود . والمرود : حديدة توتد فى الأرض يشد فيها حبل الدابة . ط : « كاستبال » صوابه فى س ، هـ واللسان والمخصص (٦ : ١٣٧ / ٩ : ١٤٢) .

(٧) دفوع الأصابع : أى أنها لشدة قذفها بالدم تدفع أصابع من يسبرها . ضرح الشموس أى كضرح الدابة النفور برجلها . نجلاء : واسعة . مؤيسة : تحمل على اليأس . والعود : جمع عائد المريض . ط : « رفوع » هـ : « وقوع » تحريف . ط ، س : « ضوء الشموس » هـ : « ضوح » ، صوابهما ما أثبت . ط : « مؤسية » محرفة . وفى هـ : « مويسة » بالتسهيل .

(٨) سبقت ترجمته فى (١ : ٥٩) . ط : « محمد بن بشير » س ، هـ : =

وطعن خَليسٍ كفَرْغ النّضِيح أُفْرِغَ مِنْ ثَعَبِ الحاجِرِ[1]
تُهالُ العـوائدُ من فَتْقِهـا تردُّ السِّبارَ على السَّابِرِ[2]

وأنشدُوا لرجلٍ من أزْد شنوءة :

وطَعْنَ خَليسٍ قد طعنت مُرِشَّةٍ يقطِّعُ أحشاءَ الجَبانِ شهيقُها[3]
إذا باشَرُوها بالسِّبار تقطَّعَتْ تقطع أم السكر شيب عقوقُها[4]

ورُوى للفِنْد الزِّمَّانى[5] ولا أظنُّه له :

كَففْنا عن بنى هنـدٍ وقلنا : القـومُ إخْـوانُ[6]

= « محمد بن بشر »، محرفتان . وانظر التنبيه الخامس من ص ٢٣٢ . وقد روى البيت الثانى فى تهذيب الألفاظ ٥٤٢ مع سابق له منسوبين إلى خداش بن زهير العامرى .

(١) فى اللسان : « طعنة خليس : إذا اختلسها الطاعن بحذقه ». وفى الأصل : « حليس » بالمهملة ، محرف . يفخر بطعنه تلك الطعنة الخليس . والنضيح : الحوض . وفرغه : مخرج الماء منه . وفى الأصل : « كفرخ النطيح » محرف . والثعلب : الماء السائل . والحاجر ، هنا : مايحبس ماء الحوض مما يستدير به . هـ ، س : « تعب » محرف .

(٢) تهال : تفزع . والسبار : ما يسبر به الجرح . يقول : إنها تنفى المسابير لفوران الدم . وقال التبريزى . « ترد السبار ، لأن الذى يريد علاجها إذا رأى سمتها علم أن السبار لا يبلغ أقصاها فلم يدخله فيها » . وعجز هذا البيت فى المخصص (٥ : ٩٣) ، واللسان (سبر) .

(٣) المرشة : التى ترش الدم . فى الأصل : « وطعن حليس »، محرف. وانظر ما مضى فى التنبيه الأول . وقد جعل الطعن شهيقا، وهو صوت تدفق الدم منها .

(٤) كذا ورد البيت محرفا .

(٥) الفند ، بالكسر : لقب غلب عليه ، شبه بالفند من الجبل ، وهو القطعة منه . واسمه شهل – بالشين المعجمة – بن شيبان بن ربيعة بن مازن بن مالك ابن صعب بن على بن بكر بن وائل . وقد شهد حرب بكر وتغلب وقد قارب المائة سنة فأبلى بلاء حسنا . والزمانى : نسبة إلى زمان – بكسر الزاى المعجمة وتشديد ثانيه – بن مالك بن صعب بن على بن بكر بن وائل . انظر الأغانى (٢٠ : ١٤٣ – ١٤٤) والاشتقاق ٢٠٧ ونهاية الأرب (٢ : ٣٣١) ط ، س : « الرمانى »، تحريف ، صوابه فى هـ .

(٦) وكذا وردت الرواية فى الأغانى (٢٠ : ١٤٣) وحماسة البحترى ٧٤ . وروى : =

عَسَى الأَيَّامُ ترْجِعْهمْ جَمِيعاً كالذى كانوا (١)
فلمَّا صَرَّحَ الشّرُّ وأضْحَى وهو عُرْيانُ (٢)
شَدَدْنَا شَدَّةَ اللّيْثِ عَدَا واللَّيْثُ غضبانُ (٣)
بضَرْبٍ فيه تفجيعٌ وتوهينٌ وإرنانُ (٤)
وطعن كفَم الزِّقِّ وَهَى والزِّقُّ ملآنُ (٥)

وأنشد السَّدرىُّ لرجل من بلحارث :

أتيت المحرم فى رحله فشمَّر رحلى بعَنْسٍ خَبُوبْ (٦)

= « صفحنا عن بنى ذهل » فى حماسة أبى تمام (١ : ٦) وأمالى القالى (١ : ٢٦٠) . قال التبريزى : « ويروى صفحنا عن بنى هند ، وهى هند بنت مر ابن أد ، أخت تميم . وهى أم بكر وتغلب ابنى وائل » . وذهل هم بنو ذهل ابن شيبان بن ثعلبة بن صعب بن على بن بكر بن وائل .

(١) فى حماسة أبى تمام والأغانى والأمالى : « عسى الأيام أن يرجعن قوما » وفى حماسة البحترى : « عسى الأيام أن ترجع قوما » .

(٢) فى الحماسة والأمالى : « فأمسى » والأغانى : « وأمسى » والبحترى : « فأضحى » .

(٣) فى الأمالى وحماسة أبى تمام : « مشينا مشية الليث » ، قال أبو على القالى : « يروى عدا وغدا بالعين والغين . ويروى : شددنا شدة الليث . فمن روى : شددنا فالأجود عدا بالعين غير المعجمة . ومن روى مشينا فالأجود غدا بالغين المعجمة » . وقال التبريزى : ومن روى عدا بالعين غير معجمة على أن يكون من العدوان فليست روايته بحسنة » . ويعجبنى هنا ذوق أبى على . ط : « غدا » بالمعجمة ، هـ : « غذا » بمعجمتين ، وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) التفجيع : تفعيل من الفجيعة ، وهى المصيبة . والتوهين : تفعيل من الوهن ، وهو الضعف . والإرنان : التصويت . أبو تمام والقالى : « توهين وتخضيع وإقران » البحترى : « تأييم وإيتام وإرنان » ، أبو الفرج : « تفجيع وتأييم وإرنان » .

(٥) وهى : ضعف . أبو تمام : « غذا » بالذال المعجمة ، أى سال ، والغذوان : السيلان . وفى سائر المصادر : « غذا » .

(٦) شمر إبله وأشمرها : إذا أكشها وأعجلها . والعنس : الناقة الصلبة . والخبوب : وصف من الخبب ، وهو ضرب من العدو . س ، هـ : « خيوب » ، تحريف .

تذكّرَ منِّى خُطوباً مَضَتْ ... ويومَ الأباء ويومَ الكُثيبْ

ويَوْمَ خَزَازَ وَقَدْ أَلْجَمُوا ... وأشرطت نَفْسى بأن لا أثُوبْ (١)

ففرَّجْتُ عنهم بنفّاحةٍ ... لها عانِدٌ مثلُ ماء الشعِيبْ (٢)

إذا سَبَرُوها عوى كلبُها ... وجاشَتْ إليهم بآنٍ صَبيبْ (٣)

وقال آخر : ١٤١

طعْنَةً ما طَعَنْتُ فى جُمَحِ الذَّ ... مِّ هِلَالٍ وأين منِّى هِلالُ (٤)

طعنة الثأْر المصمِّم حتى ... نجم الرُّمْحُ خَلْفَه كالخِلَالِ (٥)

وقال الحارث بن حِلِّزَة :

لا يُقيم العزيز بالبَلدِ السَّهْـ ... ـلِ ولا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النَّجَاءُ (٦)

حَوْلَ قَيْسٍ مستلئمين بكبشٍ ... قَرَظىٍّ كأَنَّهُ عبلاءُ (٧)

---

(١) خزاز ، كسحاب ، وخزازى : جبل كان به يوم من أيامهم . انظر ياقوت والعقد (٣ : ٣٦٥) والكامل (١ : ٣١٠) والعمدة(٢: ١٦٦) والميدانى (٢ : ٣٥٣) . ألجموا : أى ألجموا الخيل . س : « الزموا » . والإشراط : أن يجعل لنفسه علامة يعرف بها . ثاب يثوب : رجع . كأنه قد جعل علامته بين الفرسان أنه الذى يقدم لا يرجع ولا يحجم . س : « بأن لأتوب » ، محرفة .

(٢) النفاحة : الشديدة الدفع ، عنى الطعنة . والعاند : الدم يسيل فى جانب . ط ، هـ : «عائد» ، صوابه فى س. والشعيب : المزادة المشعوبة . ط : « الزبيب » . هـ : «الذبيب» .

(٣) الآنى : الذى انتهى واشتد فى حرارته . وفى الكتاب : (يطوفون بينها وبين حميم آن) .

(٤) ط ، س : « جمح للذم هلالا » .

(٥) الثائر : طالب الثأر . نجم : ظهر . والخلال : العود يخل به الشىء .

(٦) النجاء : الهرب . والأبيات من معلقته .

(٧) المستلئم : لابس اللأمة ، وهى الدرع . والكبش : رئيس القوم . قرظى : منسوب إلى البلاد التى ينبت فيها القرظ ، وهى اليمن . والعبلاء هاهنا : هضبة بيضاء . ط : « متلثمين » س : « مستسلمين بكيس فرطى » هـ : « ممتسلمين بكبش قوطى » ، والصواب ما أثبت .

فَرَدَدْنَاهُمْ بِضربٍ كما يَخْــرُجُ من خُرْبة المَزَادِ المـاءُ(١)
وفَعَلْنا بِهِــمْ كما عَلِمَ اللهُ وما [إنْ] للحَائنين دِماءُ(٢)

وقال ابن هَرْمة :

بِالمشرفيّة والمظاهَر نَسْجُها يَوْمَ اللِّقاء وكلّ وَرْدٍ صاهِلِ(٣)
وبكلِّ أرْوَعَ كالحريق مُطاعِنٍ فمسايفٍ فمعانقٍ فمُنازِلِ(٤)

ويروى : « فعاذل » .

(الإفراط فى صفة الضرب والطعن)

وإذْ قد ذكرنا شيئاً من الشِّعرِ فى صفة الضرب والطعن(٥) فقد ينبغى أنْ نذكرَ بعضَ ما يشاكلُ هذا الباب مِن إسرافِ من أسْرَفَ ، واقتصادِ من اقتصد . فأما من أفْرَط فقول مُهلهل :

فلولا الرِّيحُ أُسْمِعُ مَنْ بحَجْرٍ صليلَ البَيض تُقْرَعُ بالذُّكور(٦)

---

(١) قال التبريزى : « الخربة هاهنا : عزلاء المزادة ، وهو مسيل الماء منها » . س : « حربة » ، هـ : « حرته » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) كلمة : « إن » ساقطة من ط ، هـ . والحائن ، بالمهملة : الهالك . أى من عصى فقد حان أجله ويهدر دمه . وفى الأصل : « الخائنين » ، تحريف .

(٣) عنى بالمظاهر نسجها الدروع قد طورقت . وفى الأصل : « المشرفية » ، وزدت الباء فى أوله .

(٤) س : « فسابق فعانق » ، تحريف . تسايفوا : تقاتلوا بالسيوف .

(٥) س : « الطعن والضرب » .

(٦) انظر نقد الشعر لقدامة ٨٤ وحواشى البيان (١ : ١٢٤) . وقال المرزبانى فى الموشح ٧٤ : « عن دعبل بن على قال : أكذب الأبيات قول مهلهل :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تقرع بالذكور

قال : وكان منزله على شاطئ الفرات من أرض الشام . وحجر هى قصبة اليمامة » . وضبطها ياقوت بفتح أولها .

وقال الهذلى (١) :

والطعن شَغْشَغَةٌ والضَّرْبُ هَيْقَعة | ضَرْبَ المعوِّل تحتَ الدِّيمةِ العَضَدا (٢)
وللقسِىِّ أزاميلٌ وغَمْغَمَةٌ | حِسَّ الجَنُوبِ تسوق الماءَ والقَرَدا (٣)

ومن ذلك قول عنترة :

بِرَحيبة الفَرْغين يَهدِى جَرْسُها | بالليْل مُعْتَسَّ السِّباع الضُّرَّمِ (٤)

وقال [أبو] قيس بن الأسلَت (٥) :

قد حَصَّت البيضةُ رأسى فما | أَطْعَمُ نوماً غيرَ تَهجَاعِ (٦)

وقال دُريد بن الصِّمَّة :

أعاذِلُ إنَّما أفْنَى شَبابِى | رُكوبِى فى الصَّريخ إلى المنادِى (٧)

---

(١) انظر ما سبق من الكلام على قائله فى (٤ : ٤٠٦) .

(٢) فى الأصل : « شعشعة » و « هبقعة » ، والوجه ما أثبت . وقد مضى الكلام بتفصيل فى شرح هذا البيت وتفصيل رواياته .

(٣) الأزاميل : رنين القسى ، جمع أزمل وأزملة . وفى الأصل : « أراميل » محرف . الجنوب : ريح تقابل الشمال ، وحسها ، بالكسر : رنتها وصوتها . ط : « حين الجنون » ، س ، ه : « حين الجنوب » ، صوابهما ما أثبت من اللسان (حسس ، زمل) . والقرد ، بالتحريك : هنات صغار تكون دون السحاب لم تلتئم ، كما فى القاموس ؛ وككتف : السحاب المنعقد المتلبد . ورواية اللسان فى موضعيه : « والبردا » . ورواية صدره فى (زمل) : « أهازيج وأزملة » .

(٤) الفرغ : مفرغ الدلو . والجرس : الصوت . واعتس الذئب والسبع : طلب الصيد وبغاه . والضرم : الجياع ، مفردها ضارم ولم يتكلم به ، بل قالوا الجائع « ضرم » كفرح . فى الأصل : « الفرعين » ، ط : « معبس السباع » ، س ، ه : « مقبس السباع اللزم » ، تحريف .

(٥) تقدمت ترجمته فى (٣ : ٤٥) . وكلمة « أبو » ساقطة من الأصل .

(٦) هذا السطر وتاليه ساقطان من ه . وفى ط : « البيضة » بالمهملة ، صوابه فى س . والبيت من قصيدة له فى المفضليات (٢٨٤) . وفيها : « فما أطعم غمضا » .

(٧) الصريخ : المغيث ، عنى الجماعة الذين ينهضون لإغاثة من ينادى بالاستغاثة .

١٤٢ مَعَ الفِتيان حَتّى خلّ جِسْمِى وأَقْرَحَ عاتِقِى حَمْلُ النِّجَادِ[١]

وممّا يدخُل فى هذا الباب قولُ عنترة :

رُعْناهُم والخيلُ تَرْدِى بالقَنَا وبكُلِّ أبْيَضَ صارمٍ قَصَّالِ[٢]

وأنَا المنيّةَ فى المواطِنِ كلِّها والطَّعْنُ مِنّى سابِقُ الآجالِ

وأمّا قوله[٣] :

إنّ المنيَّةَ لَوْ تُمَثَّلُ مُثِّلَتْ مِثْلى، إذا نَزَلُوا بِضنْكِ المنزِلِ[٤]

وقال نَهشَل بن حَرِّىّ[٥] :

وما زال رَكْنِى يرتقى من ورائه

وفارسُ هَيجا ينفض الصَّدرَ واقفُ[٦]

فوصف [نفسه[٧]] بأنّه مجتمع القلب ، مرير[٨] لايبرح .

---

(١) خل الجسم : وهن وفسد . س : « حل » تحريف . وأقرحه : أحدث به قروحا ، وهى الجراحات . ط فقط : « وأقرع » ، محرف .

(٢) رعناهم ، من الروع ، وهو الخوف والفزع . س « رغناهم » تحريف . تردى بالقنا : تعدو بالرماح ؛ والرديان : ضرب من العدو . والأبيض : السيف . والقصال ، بالقاف : القطاع . هـ : « فصال » ، محرف . والبيت من قصيدة له فى ديوانه ١٩٣ — ١٩٨ يقولها فى إغارته على بنى ضبة .

(٣) هو عنترة أيضا من قصيدة له فى ديوانه ١٧٧ — ١٨٠ .

(٤) عجز البيت ساقط من هـ .

(٥) سبقت ترجمته فى (١ : ١٩) . وفى الأصل : « نهشل بن حوى » ، محرف .

(٦) أركان كل شىء : جوانبه التى يستند إليها .

(٧) تكملة يقتضيها السياق .

(٨) المرير : القوى ذو المرة ، أو الشديد القلب . انظر اللسان (مرر) والمخصص (٣ : ٥٧ — ٥٨) . ط ، هـ : « مدبر » س : « مدبرا » صوابهما ما أثبت .

وقد كان حُميد بن عبد الحميد[١] يوصف بذلك ؛ لأنّه كان لا يرمى بسَهْمٍ ، ولا يطعنُ برُمحٍ ، ولا يضربُ بسيفٍ ، ولكن التصبير[٢] والتّحريض والثّبات ، إذا انهزَمَ كلُّ شُجاع .

باب

مَنْ نذَر فى حَمِيّة المقتول نذْراً فبلغ فى طلب ثأره الشفاء

قال العَبسىّ :

دَعَوْتُ اللهَ إذْ قدِنَا إليهمْ لِنَلْقَى مِنْقَرًا أو عَبْدَ عَمْرِو
وكانَتْ حَلْفَةً حُلِفَتْ لِوِتْرٍ وشاءَ اللهُ أنْ أَدْرَكْتُ وِتْرِى
وإنِّى قد سَقِمْتُ فكان بُرْئى بقِرْواش بن حارثةَ بن صَخْرِ

والأعرابُ تعدُّ القَتْلَ سُقماً وداءً لا يبرئه أخذ ثأره دون أخ أو ابن عَمٍّ[٣] ، فذلك الثّأْرُ المنيم . وممّن قال فى ذلك صبَّار بن التوأم اليشكُرى[٤] ، فى طلب الطّائلة وأنّ ذلك داءٌ ليس له بُرء ، وكانوا قتلوا أخاه إساف بن عباد ، فلما أدرك ثأرَه قال :

---

(١) هو أبو غانم حميد بن عبد الحميد الطوسى ، أحد أمراء الدولة العباسية وقوادها وأجوادها ، وهو أحد من وطد الخلافة للمأمون بهزيمة إبراهيم بن المهدى . ولأبى العتاهية وعلى بن جبلة وأبى تمام مدائح فيه ، كما رثاه أبو تمام ، وأكثر من رثاء بنيه محمد وقحطبة وأبى نصر ، الذين قال فيهم :

كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر فليس لعين لم يفض ماؤها عذر

انظر الأغانى (١٩ : ١٠٠ — ١١٤) والطبرى (٩ : ٢٤٥ — ٢٥٤) وقد قتل بشربة صنعها له جبريل بن بختيشوع سنة ٢١٠ . انظر كتاب أسماء المغتالين من الأشراف ص ٧٢ — ٧٤ .

(٢) التصبير : الأمر بالصبر . س : « الصفر » هـ : « الصفير » ، صوابهما فى ط .

(٣) فى الأصل : « إلا أخذ ثأره دون أخ أو ابن عم » . وكلمة « إلا » مقحمة .

(٤) لم أعثر له على ترجمة . وفى شعرائهم « الصنان بن النار بن عبادة اليشكرى » =

أَلَمْ يأتِها أنِّى صَحَوْتُ وأنَّنى شَفانى من الدَّاء المُخامِرِ شاف
فأصبحْتُ ظَبياً مُطْلقاً من حِبالةٍ صَحيحَ الأديم بَعْدَ داءٍ إساف
وكنتُ مغطًّى فى قِناعِىَ حِقْبةً
كَشَفْتُ قِناعى واعتَطَفْتُ عِطافِى (١)

وفى شبيهٍ بهذا المذهبِ مِنْ ذكر الدَّاء والبُرء قال الآخر (٢) :

١٤٢ قالتْ عهِدتُكَ مجنوناً فقلتُ لها إنَّ الشَّبابَ جُنونٌ بُرؤهُ الكِبَرُ

وفى شبيهٍ بالأوّل قول الشّيخ الباهلىِّ ، حين خرجَ إلى المبارزَةِ (٣) على فرس أعجف ، فقالوا : « بالٍ على بالٍ ! » . فقال الشّيخ :

رَآنِى الأشْعَرِىُّ فقالَ بالٍ على بالٍ ولم يعرِفْ بَلائى
ومثلَكَ قد كَسَرْتُ الرُّمْحَ فيه فآبَ بدائه وشفَيْتُ دائى

وقالت بنتُ المنذر بن ماء السَّماءِ (٤) :

بعَيْنِ أُباغَ قاسَمْنا المَنايَا فكان قَسِيمُها خَيْرَ القَسِيم
وقالوا فارسُ الهَيْجاءِ قلنا
كذاك الرُّمح يَكْلَفُ بالكَرِيمِ (٥)

= انظر المؤتلف ٧٠ والقاموس (نور) ، ط ، س : « ابن السوام اليشكرى » ، وأثبت ما فى هـ .

(١) العطاف ، بالكسر : الرداء ، جمعه عطف وأعطفة .

(٢) هو العتبى كما ذكرت فى ص ٢٤٤ .

(٣) هـ : « المبارزة » .

(٤) قالته فى مقتل أبيها المنذر بن ماء السماء فى يوم عين أباغ ، وكان بينه وبين الحارث ابن الأعرج الغسانى . ويروى الشعر أيضا لابنة فروة بن مسعود ترثى أباها وكان قد قتل بعين أباغ . انظر معجم البلدان (١ : ٦٨) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٢٥) والعقد (٣ : ٣٧٣) .

(٥) س : « يلهج بالكريم » . وصدره فى المعجم : « وقالوا سيد منكم قتلنا » .

وقال الأسدى :

رفعْنـا طَريفًا بأرْماحنـا وبالرَّاح مِنَّا فلم يدفَعونَا[١]

فطاحَ الوَشيظَ ومَالَ الجُمُوحُ ولا تأكلُ الحَرْبُ إلا السَّمينا[٢]

وقال الخرَيمى[٣] :

وأعددتُه ذُخْراً لـكلّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المَنايَا بالذخائر مُولَعُ[٤]

وقال السموءلُ بنُ عاديا :

يقرِّبُ حُبُّ الموتِ آجالَنَا لنَا وتَـكْرَهُهُ آجالهُمْ فتَطُولُ

لأَنّا أُناسٌ لا نرَى القَتْلَ سُبَّةً إذا ما رأتْه عامرٌ وسَلولُ[٥]

وقال أبو العَيزار[٦] :

---

(١) ط ، ه : « طريقا » بالقاف .

(٢) الوشيظ ، بالمعجمة فى آخره : الدخلاء فى القوم ليسوا من صميمهم ، وحليف القوم . وفى الأصل : « الوسيط » ، محرف .

(٣) الخريمى ، بالراء المهملة . وفى الأصل : « الخزيمى » ، تحريف . وهو أبويعقوب إسحاق بن حسان ، الذى تقدمت ترجمته فى (١ : ٢٢٤) .

(٤) فى الأصل : « مولع بالذخائر » ، ووجه الرواية ما أثبت مطابقا لما مضى فى (٣ : ١٤٨) ولما فى الكامل ٧٠٣ ليبسك . ومن أبيات هذه القصيدة ما أنشده المبرد :

ولو شئت أن أبكى دما لبكيته عليه ولـكن ساحة الصبر أوسع

(٥) الرواية السائرة : « وإنا لقوم لا نرى القعل » . انظر الحماسة (٢ : ٢٩) والبيان (٤ : ٦٨) . وقصيدة الأبيات فى الحماسة وأمالى القالى (١ : ٢٦٩) .

(٦) فى ط ، ه : « الغيران » ، س : « العيران » ، وأثبت ما فى البيان (١ : ٤٠٦) . وقد قال الجاحظ هناك : « وذكر أبو العيزار جماعة من الخوارج بالأدب والخطب » . وقبل البيت الأول :

ومسوم للموت يركب ردعه بين القواضب والقنا الخطار

وبعد الثانى :

أدباء إما جئتهم خطباء ضمناء كل كتيبة جرار

يَدْنُو وَتَرْفَعُهُ الرِّماحُ كأنّهُ شِلْوٌ تَنَشَّبَ فى مَخالِبِ ضارِى
فَتَوَى صَرِيعاً والرِّماحُ تَنُوشُه إنَّ الشُّرَاةَ قَصيرةُ الأَعمارِ (١)

وقال آخر وهو يُوصِى بلُبْس السِّلاح :

فإذا أتَتْكُمْ هذِهِ فتلبَّسُوا إنَّ الرِّماحَ بَصِيرَةٌ بالحاسِرِ (٢)

وقال الآخر :

يا فارسَ الناس فى الهيجا إذا شغِلَتْ
كِلتا اليدَينِ كَرُوراً غيْرَ وَقّافِ (٣)

قوله « شَغِلَتْ » يريد بالسَّيف والتُّرس . وأنشد أبو اليقظان (٤) :

١٤٤ * وكان ضروباً باليدينِ وباليَدِ (٥) *

أمَّا قوله : « ضروباً باليَدَين » ، فإنّه يريد القِداح ، وأمَّا قوله : « باليد » فإنّه يريد السَّيف :

وأمّا قول حسَّان لقائده حينَ قرَّبوا الطّعام لبعض الملوك : « أطعام يَدَين أم يد (٦) ؟ » [فإنه] قال هذا الكلامَ يومئذ وهو مكفوفٌ .

وإن كان الطعام حَيْسا أو ثريداً أو حريرة (٧) فهو طعام يدٍ ، وإن كان شواءً فهو طعام يدَين .

(١) ثوى ، من الثوى ، وهو الهلاك . وفى الأصل : « فترى » تحريف . وفى البيان : « فثوى » بالمثلثة ، وهى صحيحة كتلك . قال كعب :

فن للقوافى شأنها من يحوكها إذا ما ثوى كعب وفوز جرول

(٢) سبق البيت فى ص ٣٣٦ . وفى الأصل : « إن السلاح » ، محرف .
(٣) ط ، هـ : « بالهيجا » ، وأثبت ما فى س .
(٤) اسمه عامر بن حفص . وقد ترجم فى (٢ : ١٠) .
(٥) صدره كما فى الحيوان (٧ : ٢٦٠) والميسر والقداح ص ١٤٠ :

* أعينى ألا فابكى عبيد بن معمر *

(٦) انظر الحيوان (٧ : ٢٦٠) .
(٧) الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم . س ، هـ : « حريرا » ، تحريف .

(من أشعار المقتصدين فى الشعر)

ومن أشعار المقتصدين فى الشِّعر أنشدنى قطرب :

تَرَكْتَ الرِّكابَ لأربابِها فأجْهَدْتُ نفسى على ابن الصَّعِق[1]
جَعَلْتُ يَدَىَّ وِشـــاحاً له وبعضُ الفوارِسِ لا يعتنقْ

ومِمّن صدَق على نفسه عمرُو بن الإطنابة ، حيثُ يقول :

وإقْدَامِى على المَكْرُوهِ نَفْسِى وضَرْبِى هَامَةَ البطَلِ المُشِيحِ[2]
وقولى كُلَّمَا جَشَأَتْ وجَاشَتْ مَكانَكِ تُحْمَدِى أَوْ تَسْتَرِيحى

وقال آخر :

وقلتُ لِنفسى إنّمــا هــو عامرٌ
فلا ترهَبِيه وانظُرى كيف يركبُ[3]

وقال عَمرو بن مَعْدِ يكرب[4] :

ولمّـا رَأيتُ الخيلَ زُوراً كأنّها
جَدَاوِلُ زَرْعٍ أُرْسِلَتْ فاسْبَطَرَّتِ[5]
فَجَاشَتْ إلىَّ النَّفْسُ أَوَّل مَرَّةٍ
فَرُدَّتْ على مَكْرُوهِها فاسْتَقَرَّتِ[6]

---

(١) فى البيان (٣ : ٢٤٦) : « وأكرهت نفسى » .

(٢) المشيح : الجد ؛ والمشيح أيضا : المقبل إليك أو المانع لما وراء ظهره .

(٣) هـ : « أين يركب » س : « كيف تركب » .

(٤) وهذه النسبة أيضا فى الحماسة (١ : ٤٣ — ٤٥) . لـكن نسب فى الأصمعيات ١٧ — ١٨ إلى دريد بن الصمة .

(٥) الزور : جمع أزور وزوراء ، وهو المعوج العنق . والجداول : جمع جدول ، وهو النهر الصغير . اسبطرت : امتدت .

(٦) جاشت : اضطربت من الفزع .

وقال الطّائىُّ :

ودَنَوْنا ودَنَوْا حتَّى إذا   أَمْكَنَ الضَّرْبُ فَمَنْ شاءَ ضَرَبْ

رَكَضَتْ فِينَا وفِيهِمْ سَاعةً   لَهْذَمِيَّاتٌ وَبِيضٌ كالشُّهُبْ[1]

تَرَكُوا القاعَ لنا إذْ كَرِهُوا   غَمَراتِ الموتِ واختارُوا الهَرَبْ[2]

وقال النَّمْر بنُ تَوْلَب :

سَمَوْنا لِيَشْكُرَ يَوْمَ النِّهابِ   نهزُّ قَنًا سَمْهرِيًّا طِوَالاَ[3]

فلمّا التقَينا وكانَ الجِلاَدُ   أَحَبُّوا الحياةَ فولَّوْا شِلاَلاَ[4]

وكما قال الآخر :

هُم المقْدِمُونَ الخَيلَ تَدْمَى نُحورُها

إذا ابيضَّ من هَوْل الطِّعان المسالِحُ[5]

١٤٥ وقال عَنترة :

إذْ يتَّقُون بِىَ الأسِنَّة لم أَخِمْ   عَنْها ولٰكنى تَضَايَقَ مُقْدَمِى[6]

وقال قَطَرِىُّ بن الفُجاءة :

وقولى كلّما جَشَأَتْ ، لنفسى   مِنَ الأبْطالِ وَيْحَكِ لا تُرَاعِى

---

(١) الهذم : السنان القاطع ، وأراد بالهذميات هاهنا : الرماح . والبيض : السيوف .

(٢) س : « عمرات » ، تحريف .

(٣) فى الأصل : « تهرقنا » ، والوجه ما أثبت . والقنا : الرماح . والسمهرية : الرماح المنسوبة إلى سمهر .

(٤) الشلال ، بالكسر : المتفرقون . قال ابن الدمينة :

أما والذى حجت قريش قطينة   شلالا ومولى كل باق وهالك

(٥) المسالح : جمع مسلحة ، وهم القوم ذوو السلاح .

(٦) خام يخيم : نكص وجبن .

فإنَّكِ لَوْ سَأَلْتِ حَياةَ يومٍ ... سِوَى الأجَلِ الذى لَكِ لم تُطاعِى

وقالت الخنْساء :

يُهِينُ النُّفوسَ وهَوْنُ النفوس ... غَدَاةَ الكريهةِ أبقى لهـا

وقال عامر بن الطُّفيل :

أقولُ لنفسٍ لا يُجادُ بمثلِها ... أقِلِّى المِرَاح إنَّنى غيرُ مُقْصِرِ (١)

وقال جرير :

إنْ طارَدُوا الخيْلَ لم يُشْوُوا فوارِسَها

أو نازَلوا عانَقُوا الأبطَالَ فاهتصروا (٢)

وقال ابن مقروم الضَّبِّى (٣) :

وإذا تُعلِّل بالسِّياطِ جِيادُها ... أعطاك ثائبةً ولم يَتَعَلَّلِ (٤)

فدعَوا نَزَالِ فكنتُ أوَّلَ نازلٍ ... وعَلامَ أرْكَبُهُ إذا لم أنزلِ

---

(١) المراح : المرح ، وهو شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره ، أو التبختر والاختيال . وفى الأصل : « المزاح » ، صوابه من المفضليات ٣٦٢ .

(٢) يشووا من الإشواء ، وذلك إذا رمى فأصاب الأطراف ولم يصب المقتل . ط : « يشؤا » . وفى الديوان ٢٥٩ : « يشووا » بفتح الياء ، والوجه ما أثبت . والاهتصار : الجذب والإمالة . وفى الأصل : « فاقتصروا » ، وأثبت الصواب من الديوان .

(٣) هو ربيعة بن مقروم الضبى ، وقد سبقت ترجمته فى (١ : ٤٣٧) . وفى الأصل : « ابن مقرم » تحريف . وبعض أبيات قصيدته فى الحماسة (١ : ١٣ — ١٤) والأغانى (١٩ : ٩٢ — ٩٣) والخزانة (٣ : ٥٦٥ — ٥٦٦) والخيل لأبى عبيدة ١٧٢ .

(٤) التعليل : تفعيل ، من العل وهو متابعة الضرب . وضمير « جيادها » للخيل ، أى الفوارس فى بيت سابق . وهو :

ولقد شهدت الخيل يوم طرادها ... بسليم أوظفة القوائم هيكل

=

وقال كعب الأَشقرى(١) :

إليهم وفِيهم مُنتهَى الحزْم والنَّدَى
والكَرْبِ فيهم والخصَاصةِ فاسِحُ
ترَى عَلَقاً تَغْشَى النفوس رَشاشُه
إذا انفرجت مِن بَعْدِهِنَّ الجوانحُ(٢)
كأنّ القَنَا الخطِّىَّ فينا وفِيهمُ أشاطينُ بِئْرٍ هيَّجَتْها المواتحُ(٣)
هناك قذَفْنَا بالرِّماح فنائلٌ هُنالِك فى جَمْع الفَرِيقَين رَانحُ(٤)
ودُرْنا كما دارتْ على قُطْبها الرَّحَى ودارَتْ على هامِ الرِّجالِ الصَّفائِحُ

= ثائبة : أى دفعة راجعة من الجرى . ثاب : رجع . وفى الأصل : « أعطى كتائبها » تحريف ، وأثبت صوابه من الخزانة . ورواية الأغانى : « أعطاك نائبة » . وفى كتاب الخيل :

وإذا يعلل بالسياط جيادنا أعطاك نائله ولم يتعلل

(١) هو كعب بن معدان الأشقرى . والأشاقر : حى من الأزد . وهو من شعراء خراسان ، وقد استفرغ شعره فى مدح المهلب وولده . وروى عن الفرزدق أنه كان يقول : « شعراء الإسلام أربعة ، أنا ، وجرير ، والأخطل ، وكعب الأشقرى » . انظر معجم المرزبانى ٢٤٦ والأغانى (١٣ : ٥٤ — ٦١) .

(٢) أى رشاش العلق : وهو الدم الغليظ . ﻫ ، س : « رشاشة » ، تحريف .

(٣) أشاطين : أريد بها الحبال ، وهى جمع أشطان ، والأشطان : جمع شطن . وفى الأصل : « شياطين » ، ولا وجه له ، وإنما صححتها بذلك قياسا على ما قالوا فى جمع أنعام أناعيم . والعرب يشبهون الرماح بالأشطان ، قال عنترة :

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر فى لبان الأدهم

وقال سلامة بن جندل فى المفضلية (٢٢ : ٢٨) :

كأنها بأكف القوم إذ لحقوا مواتح البئر أو أشطان مطلوب

(٤) فى القاموس : « الرنح : الدوار » . ط ، ﻫ : « فما يرى هنالك فى جمع الفريقين رامح » .

وقال مهلهل :

وَدَلَفْنا بجمعِنا لبنى شَـيْـ ـبانَ إن الخليلَ يبغِى الخليلاَ(١)

لم يُطِيقوا أن ينزلوا ونَزَلْنا وأخُو الحرب من أطاقَ النُزولا

وقال عبدة ، وهو رجلٌ من عبد شمس :

ولمــا زجَرْنا الخيلَ خاضَتْ بنا القَنا
كما خاضَت البُزْلُ النِّهاءَ الطَّوامِيَا(٢)

رمَوْنَا برَشْقٍ ثُمَّ إنَّ سيوفَنا ورَدْنَ فأنـكرن القبيل المراميا(٣)

ولم يكُ يَثْنِي النَّبلَ وَقْعُ سُيوفِنا إذا ما عقدنا للجلادِ النَّواصيا

باب

فى ذكر الجُبن ووَهل الجبان

قال الله عزَّ وجل : ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ(٤) ﴾ . ويقال إن جريراً من هذا أخذ قولَه :

ما زلتَ تحسَبُ كُلَّ شيءٍ بعدَهُمْ خيلاً تـكرُّ عليـكم ورِجالا(٥)

---

(١) انظر القصيدة فى ٥٣ بيتا فى حرب البسوس ٧٨ — ٨٠ وبعضها فى العقد (٥ : ٢١٦ — ٢١٧) .

(٢) النهاء : جمع نهى ، بالكسر والفتح : وهو الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء . وفى الأصل : « إليها الطواميا » ، تحريف .

(٣) القبيل : الجماعة من أقوام شتى . وفى الأصل : « القتيل » .

(٤) من الآية الرابعة فى سورة المنافقين .

(٥) ط ، هـ : « تـكر عليهم » تحريف . وانظر ما سبق من الكلام على البيت فى (٥ : ٢٤٠) .

وإلى هذا ذهب الأوَّل[١] :

ولو أنّها عصفورةٌ لحسبتَها مُسَوَّمةً تدعُو عُبيداً وأزْنما[٢]

وقال جران العَود[٣] :

يومَ ارْتحلت برَحْلِي قَبْلَ برذَعتى
والقَلْبُ مُسْتَوْهِلٌ للبَيْنِ مشغولُ[٤]

ثُمَّ اغترزتُ على نِضْوى ليحمِلنى
إثرَ الْحُمولِ الغوادِى وهو مَعقولُ[٥]

وهذا صفة وهَل الجبان . وليس هذا من قوله :

كملقى الأعِنّةِ من كَفِّهِ وقادَ الجيادَ بأذنابها[٦]

وقال الذّكوانى[٧] أو زمرة الأهوازىُّ، ففسَّر ذلك حيث يقول :

يَجعلُ الخيلَ كالسَّفِينِ ويَرْقَى عَادياً فوقَ طِرْفِهِ المشْكُولِ[٨]

لأنهم ربَّما تنادَوا فى العَسكر : قد جاءوا ، ولا بأس ! فيُسرج الفارسُ

(١) هو العوام بن شوذب الشيبانى ، كما حققت فى (٥ : ٢٤٠) .

(٢) أزنم ، بالزاى . وفى الأصل : « أرنما » ، تحريف .

(٣) من قصيدة له فى ديوانه ٣٤ — ٤٢ . وتروى القصيدة أيضا لابن مقبل ، ولقحيف العقيلى ، ولحكم الخضرى .

(٤) المستوهل : الفزع . وفى الديوان : « دون برذعتى » .

(٥) اغترزت : وضعت رجلى فى الغرز . وهو الركاب ، ركاب الرحل . والنضو : البعير الذى أنضاه السفر . الحمول : الإبل . معقول : مشدود بالعقال ، وإنما لم يحلل عقاله دهشا وفزعا . وفى الأصل : « اغتورت » ، تحريف .

(٦) انظر عيون الأخبار (١ : ١٦٥) .

(٧) انظر (٣ : ٢٦٦ / ٥ : ١٨) . وفى الأصل : « الزكوانى » تحريف .

(٨) الطرف : الفرس الكريم الطرفين . والمشكول : المشدود بالشكال ، وهو العقال تشد به قوائم الدابة .

فرسه وهو مشكولٌ ثم يركبه ويحثُّه بالسَّوط ، ويضربُه بالرِّجل ، فإذا رآه لا يُعطيه ما يريدُ نزَل فأَحْضَرَ على رِجايه ، ومِنْ وهَل الجُبان أن يُذْهَل عن موضع الشِّكال فى قوائم فرسه(١) . وربّما مضى باللِّجام إلى عَجْب ذنبه(٢) . وهو قوله : « يجعل الخيْلَ كالسَّفين » لأنّ لجام السفينة الذى يغمزها به والشِّكالَ(٣) هو [فى] الذَّنَب .

وقال سهلُ بن هارون الكاتب فى المنهزِمَة من أصحاب ابن نهيك(٤) بالنَّهروان(٥) من خيل هَرْثمة بن أعْيَن(٦) :

يُخيِّلُ للمهزومِ إفراطُ رَوْعِه
بأنّ ظهورَ الخيلِ أدنَى من العَطَبْ

لأنّ الجُبْنَ يُريه أنّ عَدْوَه على رِجله أنجى له ؛ كأنّه يرى أنّ النَّجاة إنّما تكونُ على قدر الحمل للبدن . ١٤٧

---

(١) فى الأصل : « فى قوائمه » ، والوجه ما أثبت من س .

(٢) العجب ، بالفتح : أصل الذنب . ط ، هـ : « عجم ذنبه » ، صوابه من س .

(٣) أى ما هو للسفينة بمنزلة اللجام والشكال . ط : هـ : « والسكان » ، وسكان السفينة : ما تسكن به وتمنع من الحركة والاضطراب .

(٤) ابن نهيك : هو على بن محمد بن عيسى بن نهيك قائد محمد الأمين . وكان محمد قد عقد نحوا من أربعمائة لواء لقواد شتى ، وأمر على جميعهم على بن محمد بن عيسى ابن نهيك ، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين ، فساروا فالتقوا بجللتا ، على أميال من النهروان ، فهزمهم هرثمة ، وأسر على بن محمد بن عيسى بن نهيك وبعث به هرثمة إلى المأمون ، وزحف هرثمة فنزل النهروان . انظر الطبرى (٩ : ١٧٢) .

(٥) فى الأصل : « النهروان » .

(٦) هرثمة بن أعين قائد عباسى ولاه الرشيد مصر ثم أفريقية ، ثم عقد له على خراسان . ثم قاد الجيوش للمأمون أيام الفتنة ثم حبسه حتى مات سنة ٢٠٠ . النجوم الزاهرة والطبرى فى حوادث سنة ٢٠٠ .

وقال آخر (١) حِينَ اعْتَلَّ عَلَيه قومُه (٢) فى القتال بالوَرع :

كأنّ ربَّك لم يَخْلُقْ لِخَشيتِه   سِواهُمُ مِنْ جَميعِ النّاس إنسانَا

وقال آخر (٣) :

كأنّ بلادَ الله وهى عريضةٌ   على الخائفِ المطلوبِ كِفّةُ حَابِلِ (٤)

وقال الشّاعر (٥) :

يروِّعه السِّرارُ بكُلِّ أرضٍ   مخافة أنْ يكونَ به السِّرارُ

وأنشدنى ابن رُحَيم القَراطيسىّ الشاعر (٦) ورمى شاطِراً بالُجبن ، فقال :

رأى فى النّـوم إنساناً   فوارَى نَفْسَهُ شهرَا (٧)

ويقولون فى صفة الحديد إذا أرادُوا أنّه خالص . فن ذلك قول هِمْيان :

* يمشُون فى ماء الحديدِ تنكُّبا (٨) *

---

(١) هو قريط بن أنيف العنبرى ، وكان ناس من بنى شيبان قد أغاروا عليه فأخذوا ثلاثين بعيرا . فاستنجد قومه فلم ينجدوه . انظر أول حماسة أبى تمام .

(٢) ط : « جنى فاعتل عليه قومه » ، س ، ه : « حين اعتل على قومه » ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو عبد الله بن الحجاج ، أحد الخارجين مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان . ولما قتل عبد الملك بن مروان عمرا خرج مع نجدة بن عامر الحنفى ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متنكرا ، واحتال عليه حتى أمنه . وقد قال الشعر التالى فى هربه حين ضاقت عليه الأرض من شدة الطلب . انظر الأغانى (١٢ : ٢٤ - ٢٦) .

(٤) سبق البيت مع قرين له فى (٥ : ٢٤٠ - ٢٤١) . وانظر الكامل ٥٠٨ ومجموعة المعانى ١٣٨ .

(٥) هو بشار كما سبق فى (٥ : ٢٤١) .

(٦) ه : « ابن رحم القراطيسى ، الشاعر » .

(٧) س ، ه : « أشهر » .

(٨) التنكب : المشى فى شق على انحراف ، وهو من صفة المتطاول الجائر . انظر اللسان (٢ : ٢٧١ - ٢٧٢) .

وقال ابنُ لَجَإٍ (١) .

* أخضر من ماءِ الحديد جمجم (٢) *

وقال الأعشى فى غير هذا :

وإذا مَا الأكَسُّ شبه بالأرْ وق عند الهيجَا وقَلَّ البُصاقُ (٣)

وقال الأعشَى :

إذْ لاَ نُقَاتِـل بالعِصِـى ولا نُرامِى بالحِجـارَه (٤)

وقال الأخطَل :

وما تَرَكَتْ أسـيافُنا حِينَ جُرِّدَتْ

لأعدائنا قيسِ بنِ عيلان من عُذْر

وأنشد الأصمعىُّ [للجعدىّ (٥)] :

وبنـو فزارة إنَّهـا لا تُلْبثُ الحَلَبَ الحلائبْ (٦)

---

(١) هو عمر بن لجأ ؛ سبقت ترجمته فى (١ : ٣٤٩ / ٢ : ٢١٢) وفى ط ، س : « ابن نجا » ‌هـ : « ابن لحاء » ، صوابهما ما أثبت .

(٢) كذا . ولعله : « خضم » أو « مصمم » ، وهو القاطع .

(٣) الأكس : القصير الأسنان الصغيرها ، يقابله الأروق ، وهو الطويلها . يقول : كلح الأكس من شدة الحرب فبدت أسنانه عند العبوس ظاهرة كأنها أسنان الأروق . ومثل هذا المعنى فى قول القائل :

إذا ما كان كس القوم روقا وحالت مقلتا الرجل البصير

انظر المخصص (١ : ١٠١) واللسان (كسس ، روق) . والبصاق إنما يقل عند الفزع . س : «الأكش» ، تحريف . وفى الأصل : « بالأزرق » ، محرف . وانظر ديوان الأعشى ١٤٤ طبع جاير .

(٤) فى ديوانه ص ١١٥ : « لسنا نقاتل » ، وفى س ، ‌هـ : « تقاتل » و « ترامى » محرفتان .

(٥) التكملة من س . وهذه النسبة كذلك فى اللسان (١ : ٣١٩) .

(٦) فى الأصل : « الحلاب » . والحلاب ، بالكسر : اللبن ، وما يحلب فيه . ولا وجه له ، وصواب إنشاده من اللسان ومما يقتضيه التعليق .

يقول[١] : لا تُلْبِثُ الحلائِبَ[٢] حَلَباً حَتى تَهْزِمَهُمْ[٣] .

(السَّنْدل)

وأمّا قوله :

٤٣ « وطائر يسبح فى جَاحِمٍ كماهرٍ يسبَحُ فى غَمْرِ »

فهذا[٤] طائرٌ يسمَّى سَنْدل[٥] ، وهو هِنْدِىٌّ ، يدخل فى أتون النّار ويخرج ولا يحترق له ريشة[٦] .

(ذكر مالا يحترق)

وزعم ثُمامة أنّ المأمون قال : لو أخذ إنسانٌ هذا الطُّحلب الذى

١٤٨ يكون على وجْه الماء ، فى مناقع المياه ، فجفَّفه فى الظلّ وألقاه فى النّار لَمَا كان يحترق[٧] .

(١) ط : « يقولون » ، صوابه فى س ، هـ .
(٢) الحلائب : جمع حلوبة ، وهى ما يحلب من النوق . ط ، س : « حلاب » صوابه فى هـ .
(٣) أى تهزم الأعداء .
(٤) فى الأصل : « هذا » .
(٥) السندل : لغة فى السمندل ، وقد سبق الكلام عليه فى (٢ : ١١١ / ٥ : ٣٠٩) قال الدميرى : « السندل هو السمندل » . وقال ابن منظور : « والسندل طائر يأكل البيش عن الحائط » ، صوابه : « عن الجاحظ » . وفى الأصل : « سنهبيل » تحريف .
(٦) كلمة : « ويخرج » ليست فى س . وفى هـ : « ولا تحترق له ريشة » .
(٧) ط : « ما ألقاه فى النار وكان يحترق » ، هـ : « فجففه فى الظل أنه كان لايحترق » ، وصواب العبارة من س . وقد سبقت هذه القصة فى (٥ : ٣١٠) .

وزعموا أنّ الفلفل لا يضرُّه الحرق ، ولا الغرَق . والطَّلَق لا يصير جمراً أبداً[1] . قال : وكذلك المَغْرة[2] .

فكأنّ هذا الطّائر في طباعه وفي طباع رِيشه مزَاجٌ من طِلاء النّفاطين[3] . وأظنُّ هذا من طَلَق وحَفَاً[4] ومَغْرة .

وقد رأيْت عُوداً يُؤْتَى به من ناحية كِرْمان لا يحترق . وكان عندنا نَصرانيٌّ في عنقه صليبٌ منه ، وكان يقول لضُعفاء النّاس : هذا العود من الخشبة التي صُلِب عليها المسيح ، والنّار لا تعمل فيها . فكان يكتسب بذلك[5] ، حتّى فُطن له وعُورِض بهذا العُود .

(المـاهر)

وأمّا قوله :

* كماهِرٍ يَسبحُ في غَمْرٍ[6] *

(١) في ط ، س : « ولا الطلق ولا يصير جمرا أبدا » تحريف . وفي هـ : « ولا الطلق لا يصير جمرا أبدا » .

(٢) المغرة ، بالفتح : طين أحمر يصبغ به . وفي الأصل : « الحمرة » تحريف .

(٣) أي ما يتطلى به النفاطون ، وهم العاملون في استخراج النفط .

(٤) الحفأ : البردي . وفي الأصل : « وحطى » محرفة . ومما يمهد لتصحيف كلمة « حفأ » بكلمة « حطى » أن يخطىء الكاتب فيرسمها مسهلة بالياء . والبردي لا تعمل فيه النيران ، كما سبق في (٥ : ٨٣ س ٥ — ٦) .

(٥) ط ، هـ : « يكسب بذلك » ، وأثبت ما في س . والكسب والاكتساب : طلب الرزق . وقد مضى هذا الكلام بعبارة أخرى في (٥ : ٣١٠) .

(٦) ط : « سبح في غمر » ، صوابه في س ، هـ .

فالماهر هو السَّابح الماهر . [وقال الأعشى :

مِثلَ الفرَاتِىّ إذا ما طَمَا يقذِفُ بالبُوصِىِّ والماهِرِ[١]]

وقال الربيع بن قَعْنَب[٢] :

وتَرَى المـاهِرَ فى غَمْرَتِه مِثْلَ كلْبِ الماءِ فى يومٍ مَطِرْ[٣]

(لطعة الذئب ، وصنعة السرفة والدبر)

وأمّا قوله :

٤٤ « ولَطْعَةَ الذِّئب على حَسْوِهِ وصَنْعَةَ السُّرْفَة والدَّبْرِ[٤] »

قال : فإنّ الذِّئب يأتى الجمل الميِّت[٥] فيُفضى بغَمغَمته[٦] ، فيعتمِدُ على حجاج عينه[٧] فيلْحَسُ عَينَــه بلسانه حَسْياً[٨] ؛ فـكأنّما قُوِّرت عينه تقويراً ؛ لِمَـا أُعطِىَ من قوَّة الرَّدَّة[٩] . وردُّه لسانَه أشــدُّ مَرًّا

(١) التكملة من س ، هـ . والفراتى : عنى به ماء الفرات . س : « العرابى » هـ : « الفرانى » ، صوابهما ما أثبت من الديوان ص ١٠٥ ، واللسان (بوص) والخزانة (٢ : ٤١ — ٤٢ بولاق) . والبوصى : ضرب من السفن ، فارسى معرب ، وقد يفسر بأنه الملاح . لـكن أصله الفارسى يرجح تفسيره الأول . وهو فى الفارسية « بوزى » كما فى المعرب ٥٤ واستينجاس ٢٠٦ . وقد فسره بقوله . ' A boat, Skiff ' أى قارب ، أو زورق عريض القاع . وقبل البيت :

ما يجعل الجد الظنون الذى جنب صوب اللجب الماطر

(٢) الربيع بن قعنب الفزارى ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٢٥ ، وروى أبو الفرج فى (١١ : ١٣٩) مهاجاة بينه وبين أرطاة بن سهية . وقد سبقت ترجمة أرطاة فى (٣ : ٣٩١) .

(٣) المطر : ذو المطر ، ومثله « المطير » . ط ، س : « مطير » ، وأثبت ما فى هـ .

(٤) هـ : « على حسوة » .

(٥) هـ : « الحمل الميت » .

(٦) أى يفضى إليه وهو يغمغم . ط ، س : « فيقبض » ، هـ : « فيقضى » بالقاف .

(٧) الحجاج : العظم المستدير حول العين . ط ، ه : « حجاجى » تحريف .

(٨) ط ، هـ : « عنه » س : « منه » والوجه ماأثبت . وفى س ، هـ : « حاسياً » .

(٩) الردة : المرة من الرد ، أى ترديد لسانه فى لحسه . وفى الأصل : « الودة » .

فى اللَّحم والعَصَب[1] من لِسان البقَر فى الخَلَى[2] . فأمَّا عضَّتُه ومصَّتُه فليس يقعُ على شيء عظماً كان أو غيرَه إلاّ كان له بالغا بلا معاناةٍ ، من شدّة فكّيه .

ويقال : إنّه ليس فى الأرض سبعٌ يَعضُّ على عظمٍ إلاّ ولكسْرته[3] صَوْتٌ بين لَحيَيه ، إلاّ الذئب ؛ فإنّ أسنانَه توصَف بأنّها تبرِى العظمَ بَرْىَ السَّيفِ المنعوت بأنّ ضربتَه من شِدّة مُرورها فى العظم ، ومِن[4] قلّة ثبات العظْم له ، لا يكونُ له صوت . قال الزُّبير بن عبد المطَّلب[5] :

ويُنْبِى نَخْـوةَ المخْتال عَنِّى
غَموضُ الصَّوتِ ضَرْبَتُه صَمُوتُ[6]

ولذلك قالوا فى المثل : « ضربه ضربةً فكأنما أخطَأَهُ » لسرعة المرِّ؛ لأنّه لم يكن له صوت . وقال الرَّاجز فى صفة الذِّئب[7] :

---

(١) ط : « مراق اللحم والعصب » ، س ، هـ : « مراق اللحم والعصب » والوجه ما أثبت .

(٢) الخلى ، مقصورة : الرطب من النبات ، واحدته خلاة . وقد رسمت الكلمة فى الأصل بالألف ، وهى يائية .

(٣) س : « إلا وتكسر » ، تحريف . والكلام بعدها إلى كلمة « من شدة » التالية ساقط من س .

(٤) فى الأصل : « من » ، والكلام مفتقر إلى الواو .

(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٩٣) حيث أنشد البيت وفسر .

(٦) ط ، س : « وينهى » هـ : « وسهى نحوه » ، صوابه ما أثبت من (٤ : ٣٩٣) .

(٧) انظر البيان (١ : ١٥١) والكامل ٢٠٨ وجمهرة العسكرى ١٩ ومحاسن البيهقى (٢ : ١١٩) وديوان المعانى (٢ : ١٣٤) . وقد اتفقت المراجع على أن الرجز فى صفة ذئب . وانفرد البيهقى بقوله : ونظر أعرابى إلى صياد فقال » .

أطلس يخفى شخصَه غُبارُه[١]   فى شِدْقِه شَفرته ونارُه[٢]

وسنأتى على صفة الذئب ، فى غير هذا البابِ[٣] من أمره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وأمَّا ذِكر صَنْعة السُّرْفة والدَّبْر[٤] ، فإنّه يعنى حكمَها فى صنعة بيوتها[٥] ، فإنّ فيها[٦] صنْعَةً عجيبةً .

(سمع القُراد والحِجر)

١٤٩ وأمَّا قوله :

٤٤ « ومَسْمَع القِرْدَان فى مَنْهَلٍ   أعجبُ ممَّا قيل فى الحِجْرِ »

فإنهم[٧] يقولون : « أسمَعُ مِنْ فَرَسٍ » ، ويجعلون الحِجْر فرساً بلا هاء ، وإنّما يعنون بذلك الحِجْر ، لأنها أسمع[٨] .

قال : والحِجْر وإن ضُرِبَ بها المثل[٩] ، فالقُرَادُ أعْجَبُ منها ،

(١) الأطلس : ما لونه الطلسة ، وهى غبرة إلى سواد . وقد أراد أنه يسرع العدو فيثير من الغبار ما يخفى شخصه . كلمة « شخصه » ساقطة من س ، هـ . وفى ط : « عينه » صوابه من جميع المراجع .

(٢) الشفرة : السكين العريضة العظيمة . عنى أنه قد استغنى بأنيابه عن معالجة مطعمه بالشفرة ثم بالنار . وفى الأصل : « صفرته » ، تحريف .

(٣) ط ، هـ : « وعلى غير هذا الباب » .

(٤) الدبر ، بالفتح والكسر : النحل .

(٥) س : « البيوت »

(٦) س : « لهـا » .

(٧) ط : « لأنهم » ، صوابه فى س ، هـ .

(٨) ط : « فانه » ، هـ : « لأنه » صوابه فى س .

(٩) فى الأصل : « به المثل » والوجه ما أثبت . وهم يبالغون فى صفة سمع الفرس حتى ليقولون إنه يسقط منه الشعر فيسمع وقعه على الأرض . انظر شروح سقط الزند (١ : ٧٧ طبع دار الكتب) . وأمثال الميدانى (١ : ٣١٨) .

لأنها تكون فى المَنهَل فتموج ليلةَ الوِرْد ، فى وقتٍ يكونُ بينها وبين الإبل التى تريد الورودَ أميالٌ . فتزعمُ الأعرابُ أنها تسمعُ رغاءها وأصوات أخفافها ، قبلَ أنْ يسمعَها شىء .

والعرب تقول : « أسمَعُ مِنْ قُرَاد » . وقال الرَّاجز :

* أسمع مِنْ فَرْخِ العُقابِ الأسحمِ (١) *

(ما فى الجمل من الأعاجيب)

وأمّا قوله :

٤٨ « والمقْرَم المعْـلِم ما إن له ... مَرارةٌ تُسْمَـعُ فى الذِّكْرِ

٤٩ وخَصيةٌ تنصُلُ من جَوفِه ... عِنْدَ حُدُوث الموتِ والنَّحْرِ (٢)

٥٠ ولا يَرَى بعـدَهما جازرٌ ... شِقشِقـةً مائلـة الهَـدْرِ (٣) »

فهذا بابٌ قد غلِط فيه مَن هو أَعْنَى (٤) بتعرُّف أعاجيب ما فى العالَم من بِشْر .

ولقد تنازعَ بالبَصرة ناسٌ ، وفيهم رجلٌ ليس عندنا [بالبصرة (٥)] أطيَبُ منه (٦) ، فأطبقوا جميعاً على أنَّ الجملَ إذا نُحِرَ وماتَ فالتُمست خُصْيته وشقشقتُه أنهما لا توجدان . فقال ذلك الطيِّب (٧) : فلعلَّ مرارةَ الجمل أيضاً

(١) سبق فى (٤ : ٢٤٥) .

(٢) س : « وخصية تبطل » ، هـ : « وخصيته تنطل من جوفه » ، تحريف .

(٣) أى بعد الموت والنحر . س : « بعدها » .

(٤) يقال عنى بالشىء : بالبناء للمفعول ، وهذه لا يكون منها التفضيل . ويقال أيضا عَنِى بالشىء وفيه ، بوزن رضى ورضى . فمن هذين يصح التفضيل . انظر اللسان (١٩ : ٣٤٠) .

(٥) التكملة من س .

(٦) أطيب ، من الطيب ، وهو المزح والفكاهة .

(٧) ط ، هـ : « الطبيب » ، ووجهه من س .

كذلك ، ولعلّه أن تكون له مرارة ما دام حيًّا ، ثمّ تبطل عند الموت والنّحر . وإنّما صرنا نقول : لا مرارَةَ له ، لأنّا لا نصلُ إلى رؤية المرارة إلاّ بعد أ ؛ تفارقَه الحياة . فلم أجد ذلك عمِلَ فى قلبى ، مع إجماعهم على ذلك ، فبعثْت إلى شيخٍ من جزّارِى باب المغيرة فسألته عن ذلك ، فقال : بلى لعمرى إنهما لتوجدان(١) إن أرادهما مريد . وإنّما سمعت العامَّة كلمةً ، وربّما مزَحْنا بها ، فيقول [أحدنا(٢)] : خُصية الجمل لا توجد عند مَنْحَره ! أجلْ والله ما توجَدُ عند منحره ، وإنما توجد فى موضعها(٣) . وربّما كان الجمل خياراً جيّداً فتلحق خصيتاه(٤) بكليتَيه ، فلا توجدان(٥) لهذه العلّة . فبعثت إليه رسولا : إنَّه ليس يَشفينى إلاَّ المعاينة . فبعث إلىَّ بعدذلك بيومٍ أويومين مع خادمى نَفِيس ، بشقشِقةٍ وخُصية .

ومثل هذا كثيرٌ قد يغلط فيه مَن يشتدُّ حرصُه على حكاية الغرائب ،

(ما فى الفرس والثور من الأعاجيب)

وأمَّا قوله :

١٥٠ ٥١ « وليس للطِّرْفِ طِحالٌ وقد أشـاعَهُ العـالمُ بالأمر

٥٢ وفى فُؤَادِ الثَّورِ عَظْمٌ وَقَدْ يعرِفُه الجازِرُ ذُو الخـبر »

(١) س : « ليوجدان » .

(٢) التـكلة من س .

(٣) المنحر : موضع النحر ، وهو أيضا مصدر ميمى من النحر .

(٤) فى الأصل : « خصيته » ، والوجه التثنية .

(٥) ط ، هـ : « يوجدان » .

وليس عندى فى الفَرس أنّه لا طِحال له ، إلاّ ما أرى فى كتاب الخيل لأبى عبيدة[١] والنَّوادر لأبى الحسن ، وفى الشِّعر لبشر . فإن كان جوفُ الفرَس كَجَوف البرذَون ، فأهلُ خُراسان من أهل هذا العسكر[٢] ، يذبحون فى كلِّ أسبوع عِدَّة براذين .

وأمَّا العظْم الذى يوجَد فى قلب الثَّور[٣] فقد سمعنا بعضهم يقول ذلك ، ورأيتُه فى كتاب الحيوان لصاحب المنطق .

(أعجوبة السمك)

وأمَّا قوله :

٥٣ « وأكثرُ الحيتان أعجوبةً ما كان منها عاشَ فى البَحْر

٥٤ [إذ لا لسانٌ سُـقى ملحه ولا دماغ السمك النهرى[٤]] »

فهو كما قال ، لأنّ سمك البحر كلّه ليس له لسانٌ ولا دِماغ .

(القواطع من السمك)

وأصنافٌ من حِيتان البحْر تجئ فى كلِّ عام ، فى أوقاتٍ معلومةٍ ، حتَّى تدخل دِجلة ، ثم تجوز إلى البطاح . فمنها الأشبور[٥] ، ومنها البرَسْتوك[٦]

(١) ذكر المستشرق الفاضل سالم كرنـكو فى تعليقه على كتاب الخيل لأبى عبيدة ١٧٨ أن الجاحظ نقل هذا النص من كتاب آخر لأبى عبيدة فى الخيل سماه « كتاب الديباجة » .

(٢) ط ، ه : « فى أهل هذا العسكر » .

(٣) ه : « وجدوا » ، ط : « ربما وجد » ، والصواب من س .

(٤) تكملة يقتضيها السياق .

(٥) انظر (٣ : ٢٥٩) . وفى ط ، ه : « الأشبور » س : « الأشسول » ، صوابهما ما أثبت .

(٦) انظر ماسبق من التحقيق فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « البرسول » ، تحريف .

ووقته[1] ومنها الجُوَاف[2] ووقته[1] . وإنما عرفتُ هذه الأصناف بأعيانها وأزمانها لأنها أطيبُ ذلك السَّمك . وما أشكّ أنّ معها أصنافاً أُخَر يَعلَم منها أهلُ الأُبلّة مثلَ الذى أعلم أنا من هذه الأصناف الثلاثة .

(كبد الكوسج)

وأمّا قوله :

٥٨ « وأكبُدٌ تَظْهَر فى ليلِها ثمَّ تَوَارى آخرَ الدهر

٥٩ ولا يُسيغ الطُّعمَ ما لم يكنْ مِزاجُه ماءً على قَدْر

٦٠ ليس له شىءٌ لإزْلاقه سوى جِرابٍ واسِعِ الشَّجْرِ[3] »

فإنّ سمكا يقال له الكوسج غليظ الجلد ، أجرد ، يشبه الجِرّىَّ ، وليس بالجِرِّىّ ، فى جوفها[4] شحمةٌ طيِّبة ، فإن اصطادُوها ليلا وجدوها وإن اصطادوها نهاراً لم يجدوها . وهذا الخبر شائعٌ فى الأُبُلّة ، وعند جميع البحريِّين ، وهم يسمُّون تلك الشَّحمة الكبد[5] .

وأما قولهم : السَّمكة لا تسيغ طعمَها إلاّ مع الماء ، فما عند بِشْرٍ ولا عندى إلاّ ما ذكر صاحبُ المنطق . وقد عجِبَ بشرٌ من امتناعها من بلْع الطَّعم ، وهى مستنقعة فى الماء[6] ، مع سعة جِرابٍ فيها .

---

(١) كذا جاءت هذه الكلمة .

(٢) سبق الكلام عليه فى (٣ : ٢٥٩) . وفى الأصل : « الجراف » ، محرف .

(٣) ط : « لازلاقه » ، تحريف . والشجر ، بفتح الشين وسكون الجيم : مفرج الفم . ط : « السحر » س ، هـ : « الشحر » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) س : « جوفه » .

(٥) انظر ص ٣٦٤ — ٣٦٥ .

(٦) استنقع فى الماء : ثبت فيه . وفى الأصل : « منقعة » ، تحريف .

والعرب تسمِّى جوفَ البئر من أعلاه إلى قعره جراب البئر .

وأمَّا ما سوى هذه القصيدةِ فليس فيها إلاّ ما يُعرَف ، وقد ذكرناه فى موضعٍ غيرِ هذا من هذا الجزء خاصَّة .

(الضبع)

وسنقول فى باب الضّبع والقنفذ والحرقوص والورَل وأشباهِ ذلك ما أمكن[1] إنْ شاء الله تعالى .

قال أبو زياد الكلابىّ : أكلتِ الضّبع شاةَ رجلٍ من الأعراب ، فجَعل يخاطبُها ويقول : ٩٥١

ما أنا يا جَعارِ من خُطّابِكْ　　علىَّ دَقُّ العُصْلِ من أنيابكْ[2]

* عَلَى حِذَا جُحْرِكِ لا أهابُكْ *

جَعَارِ : اسمُ الضبع ؛ ولذلك قال الشاعر[3] :

يأيُّها الجَفْر السَّمين وقَومُه　　هَزْلَى تجرُّهُمُ ضِباعُ جَعارِ[4]

ثم قال الأعرابىّ :

ما صَنَعَتْ شاتى التى أكلْتْ　　مَلأْتَ مِنها البَطْنَ ثُمَّ جُلْتْ

* وخُنْتِنِى وبئْسَ ما فَعَلْتْ *

* * *

(١) ط ، هـ : « مما أمكن » .
(٢) العصل : جمع أعصل وعصلاء ، وهى الملتوية .
(٣) فى الأصل : « الراجز » .
(٤) الجفر : العظيم الجفرة وهى بالضم ، ما يجمع البطن والجنبين . وفى الأصل : « الجعر » تحريف . هزلى : جمع هزيل . ط : « هزلان » س ، هـ : « هزلن » ، صوابهما ما أثبت . وضباع جعار يعنى أولادها . وفى الأصل : « تحوهم ضباع جمار » صوابه « تجرهم » . وسيأتى فى ص ٤٤٩ : « خذينى فجرينى جعار » .

قالت له : لا زلت تَلقى الهَمَّا وأرسـل الله عَليكَ الحمَّى
لقد رَأَيْت رجلاً معمّاً

* * *

قال لهـا : كذبتِ يا خَباثِ قد طالما أمسيْتُ فى اكترات [1]
أكلتِ شاةَ صبيةٍ غِرَاثِ

* * *

قالت له والقولُ ذو شُجونِ : أسهَبْتَ فى قولك كالمجنونِ
أمَا وربِّ المرْسَلِ الأمينِ لأفْجَعَنْ بِعَـيرِكَ السَّمينِ [2]
وأمِّــهِ وجَحشِه القَرين حَتَّى تـكونَ عُقْلَةَ العُيُونِ

* * *

قال لهـا وَيْحَكِ حذِّريني [3] واجتهدى الجهد وواعديني [4]
وبالأمــانىّ فعـلّليني لأَقطَعَنَّ مُلتَقى الوتينِ
مِنْكِ وأشفى الهمَّ مِنْ دَفِيني فصـدّقِيني أو فـكذّبيني
أو اتركى حَقّى وما يَليني إذًا فشلّتْ عنـدها يَميني
تعرَّفى ذٰلِك باليَقينِ

* * *

---

(١) الاكترات : الحزن ، اكترث له : حزن .

(٢) العير : الحمار . ط : « بعترك » س ، هـ : « بعنزك » ، صوابهما ما أثبت .

(٣) هـ : « وجرديني » .

(٤) هـ : « وأعديني » .

قالت : أبالقتلِ لنا تهدَّدَ وأنت شيخٌ مُهْتَرٌ مفنَّدُ[1]
قولُكَ بالجُبْنِ عليكَ يشهدُ منك وأنت كالذى قد أعهَدُ

* * *

قال لهــا : فأبشِرِى وأبشرى إذا تجردتُ لشأنى فاصبرى[2]
أنتِ زعمتِ قد أمنتِ منكرى أحلفُ باللهِ العَلِىِّ الأَكبر ١٥٢
يمين ذى ثُرية لم يكفُر[3] لأخْضِبَنَّ منكِ جَنْبَ المنحَر
برَمْيةٍ من نازِعٍ مذَكَّرِ[4] أو تتركين أحْمرِى وبَقرِى

* * *

فأقبلَتْ للقــدَر المقــدَّر فأصبحَتْ فى الشَّرَكِ المزعفَرِ
مكبوبةً لوَجْهِها والمنخرِ والشَّيخُ قد مالَ بغربِ مجْزَرِ[5]
ثمَّ آشتوى من أحمرٍ وأصفرِ منها ومقدورٍ وما لم يُقْدَرِ[6]

---

(١) المهتَر : الذى فقد عقله من الكبر وصار خرفا . ط ، س : « عثر » ﻫ : « عتر » وليس لهما وجه . والمفند : الذى كثر كلامه من الخرف ، يكثر خطؤه لذلك فيفنده الناس .

(٢) ط ، ﻫ : « لشاق » .

(٣) س : « ذى قرية » .

(٤) النازع : الذى ينزع فى القوس ، أى يجذب وترها بالسهم . ط ، ﻫ : « س بارع » .

(٥) الغرب : الحد . والمجزر : آلة الجزر . وفى الأصل : « بقرب مجهر » .

(٦) المقدور : ما طبخ فى القدور ، ومثله القدير .

(جلد الضبع)

وقال الآخر (١) :

يا ليتَ لى نَعلَينِ من جِلد الضَّبُعْ وشُرُكاً من آستِها لا تَنْقَطِعْ (٢)

* كُلَّ الحذاءِ يحتذِى الحافى الوَقِعْ (٣) *

وهذا يدلُّ على أنّ جلدَها جلدُ سَوء .

وإذا كانت السَّنةُ جَدبةً تأكلُ المـال ، سمّتها العربُ الضّبع .

قال الشّاعر (٤) :

أبا خُراشَةَ أمَّا كُنْتَ ذا نفَرٍ فإنّ قَوْمِىَ لم تأكلْهم الضّبعُ (٥)

(تسمية السنة الجدبة بالضبع)

وقال عُمير بن الحباب (٦) :

---

(١) هو أبو المقدام ، واسمه جساس بن قطيب ، كما فى اللسان (وقع) . وانظر البيان (٣ : ١٠٩) والقالى (١ : ١١٥) وجمهرة الأمثال ٢٢٠ والميدانى (٢ : ٧٤) والعقد (١ : ٨٠ ، ٢٧٠) وشرح ابن الأنبارى للقصائد السبع ٥٦٤ .

(٢) الشرك : جمع شراك ، وهو سير النعل . فى الأصل : « لا ينقطع » ، صوابه من البيان وسائر المراجع .

(٣) الوقع : الذى مشى فى الوقع ، بالتحريك ، وهى الحجارة ، فحفيت رجله . قال الأزهرى : « معناه أن الحاجة تحمل صاحبها على التعلق بكل شىء قدر عليه » . وجعله صاحب العقد مضربا لمن ابتلى بشىء مرة فخافه أخرى .

(٤) هو العباس بن مرداس السلمى . انظر الخزانة (٢ : ٨٠ بولاق) وسيبويه (١ : ١٤٨) وشرح شواهد المغنى ٤٣ واللسان (ضبع) .

(٥) يخاطب أبا خراشة خفاف بن ندبة الصحابى . يقول : لست أعز نفرا منى .

(٦) هو عمير بن الحباب بن جعدة بن إياس بن حزابة بن محارب بن مرة بن هلال بن فالج ابن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم . شاعر إسلامى قتلته بنو تغلب يوم سنجار . انظر معجم المرزبانى ٢٤٥ . وإياه يعنى الأخطل بقوله :

ألا سائل الجحاف هل هو ثائر بقتلى أصيبت من سليم وعامر

انظر الأغانى (١١ : ٥٨) .

فبشِّرِى القَيْنَ بطَعْنٍ شَرْجِ[1] يشبعُ أولادَ الضباعِ العُرْجِ
ما زال إسدائى لهمْ ونَسْجِى حَتّى اتَّقَوْنى بظُهُورٍ ثُبْجِ[2]
* أَرَيْنَنَا يَوْماً كيوم المَرْجِ[3] *

(مما قيل من الشعر فى الضباع)

وقال رجلٌ من بَنِى ضَبَّة[4] :

يا ضَبُعاً أكلت آيارَ أحْمِرةٍ ففى البطون وقد راحَتْ قراقيرُ[5]
ما منكم غير جِعْلانٍ بِمَمْدَرةٍ دُسْمُ المرافِقِ أنذالٌ عَواويرُ[6]
وغيرُ هَمْزٍ ولمزٍ للصَّديق ولا تَنْكِى عدوَّكُم منكم أظافيرُ
وإنَّكم ما بَطِنْتُم لم يزلْ أبداً مِنكم على الأقربِ الأدنى زنابيرُ[7]

---

(١) القين ، يعنى به الفرزدق .
(٢) الثبج : جمع أثبج ، وهو الأحدب . ط : « شج » هـ : « شبج » ، صوابهما فى س .
(٣) هـ : « البرج » تحريف . وهو يعنى مرج الكحيل ، لامرج راهط . وقد أبلى فيه عمير بلاء حسنا . وفى ذلك يقول زفر بن الحارث (انظر الأغانى ١١ : ٥٦) :
فلو نبش المقابر عن عمير فيخبر عن بلاء أبى الهذيل
غداة يقارع الأبطال حتى جرى منهم دما مرج الكحيل
(٤) نسبه فى اللسان (أير) إلى جرير الضبى . وانظر المخصص (١٨ : ١٠٩) .
(٥) ضبعا ، بفتح الضاد . حمله على الجنس فأفرده . ورواه أبو زيد فى النوادر ٨٦ : « ضبعا » بضمتين . ويروى : « يا أضبعا » . وانظر المخصص (٨ : ٦٩) وسيبويه (٢ : ١٨٦) واللسان (ضبع) .
(٦) الجعلان ، بالكسر : جمع جعل . والممدرة ، بكسر الميم وفتحها : موضع فيه طين حر . وفى الأصل : « ممددة » ، صوابه من اللسان (أير) ، ففيه : « هل غير أنكم جعلان ممدرة » . والعواوير : جمع عوار ، بضم العين وتشديد الواو ، وهو الجبان . وفى الأصل : « غوارير » محرف .
(٧) بطن : شبع وامتلأ من الطعام امتلاء شديدا . والناس إذا شبعوا أشروا وسعى بعضهم إلى بعض بالسلاح . وإنما يغيرون فى الخصب لا فى الجدب . قال :
يا ابن هشام أهلك الناس اللبن فكلهم يسعى بقوس وقرن

وأنشد :

القوْمُ أمثالُ السِّباع فانشَمِر[١] فمِنهُمُ الذِّئب ومنهم النَّمِرْ

* والضَّبُع العَرجاءُ واللَّيث الهصِرْ[٢] *

١٥٣ وقال العلاجم :

معاورِ حلباته الشخص أعم[٣] كالذِّيخ أفنى سِنّه طول الهرمْ

وأنشد :

فجاوز الُحرض ولا تشمِّمه[٤] لسابغ المِشفر رحبٍ بلعمه[٥]

سالت ذفاريه وشاب غلصمُه[٦] كالذِّيخ فى يومٍ مُرشٍّ رِهَمه[٧]

= وقال :

قوم إذا نبت الربيع لهم نبتت عداوتهم مع البقل

انظر تنبيه البكرى على أمالى القالى ١٨ — ١٩ . وفى الأصل : « بطشتم » ، تحريف . والزنابير : عنى بها الأذى والشر والغارة . وفى الأصل : « دنانير » والوجه ما أثبت .

(١) يحذره ويحرضه على الأعداء . وفى الأصل : « ألفوه » .

(٢) الهصر ، بضم ففتح ، وبفتح فكسر ، هو الشديد الغمز .

(٣) كذا ورد محرفا .

(٤) الحرض ، بالضم : شجر الأشنان ، وهو من الحمض . ولا تشممه ، هى لاتشممه بالجزم ثم أتى حركة الهاء على ما قبلها ، كما قال الآخر :

يا عجبا والدهر جم عجبه من عنزى سبنى لم أضربه

(٥) السابغ : الطويل . ط ، ه : « لسائغ » س : « بسامع » تحريف . البلعم والبلعوم : مجرى الطعام فى الحلق . ه : « ملغمه » .

(٦) الذفارى : جمع ذفرى ، وهو الموضع الذى يعرق من البعير خلف الأذن . وسالت الذفرى استطالت وعرضت . أو سالت : عرقت . س : « شالت » وفى الأصل : « دفاريه » محرفتان . والغلاصم : جمع غلصمة ، وهى اللحم الذى بين الرأس والعنق . وهذا الجمع فى هذا المعنى لم أجده فى المعاجم ، لكن فى اللسان « ابن السكيت : إنه لفى غلصمة من قومه أى فى شرف وعدد . قال أبو النجم :

أبى لجيم واسمه ملء الفم فى غلصم الهام وهام الغلصم »

(٧) الذيخ ، بالكسر : ذكر الضباع . والمرش : الذى يأتى بالرش ، وهو —

يقول : وبَرُ لَحيِها كثيرٌ كأنّه شعر [ذِيخ(١)] قد بلّه المطر . وأنشد :

لما رأينَ ماتِحاً بالغَرْب(٢) تخَلَّجَتْ أشداقُها للشُّربِ(٣)

تخْلِيجِ أشداقِ الضِّباع الغُلْبِ(٤)

يعنى من الحرص والشَّرَهِ . وتمثّل ابنُ الزُّبير(٥) :

خُــذِينى فَجُرِّينى جَعارِ وأبشِرى

بلحْمِ امرئٍ لم يَشْهَد اليومَ ناصرُه(٦)

= المطر القليل . والرهم : جمع رهمة ، بالكسر ، وهى المطر الضعيف الدائم الصغير القطر . س : « فالذيخ » ، تحريف . ط ، س : « مرس » هـ : « ملمس » ، صوابهما ما أثبت .

(١) تكملة يقتضيها الكلام .

(٢) الماتح : المستقى من أعلى البئر . والغرب : الدلو العظيمة ، والضمير فى « رأين » للإبل وف . وفى الأصل : « لما رأيت قائما » تحريف .

(٣) التخلج : التحرك والاضطراب . هـ : « تحلجت » . وقال ابن الأثير فى التحلج : إن أصله من الحلج ، وهو الحركة والاضطراب .

(٤) هـ : « تحليج » ، وانظر التنبيه السابق . والغلب : جمع أغلب وغلباء ، وهو الغليظ الرقبة . وفى الأصل : « القلب » تحريف .

(٥) فى الكامل ٤٣١ : « وقال عبد الله بن الزبير لما أتاه قتل مصعب بن الزبير : أشهده المهلب بن أبى صفرة ؟ قالوا : لا ، كان المهلب فى وجوه الخوارج . قال : أفشهده عباد بن الحصين الحبطى ؟ قالوا : لا . قال : أفشهده عبد الله بن خازم السلمى ؟ قالوا : لا . فتمثل عبد الله بن الزبير فقال » ... البيت . وقد نقل هذه القصة الميدانى فى (١ : ٤٢١) . وروى الطبرى فى (٧ : ١٨٥) أن الذى تمثل بهذا البيت هو عبد الله بن خازم . وفهم الشنقيطى فى حواشى المخصص أن ابن خازم هو قائل الشعر ، وإنما هو تمثل منه بالشعر .

(٦) جعار ، كقطام : اسم للضبع ، لكثرة جعرها . ط : « ضباع » س ، هـ : « الضباع » ، صوابهما ما أثبت . لم يشهد : لم يحضر . ورواية صدره فى اللسان (جعر) والمخصص والكامل والميدانى :

* فقلت لها عيثى جعار وجررى *

هـ : « فحرينى » محرفة . س : « فجربنى » و « ... فأبشرى » . ورواية اللسان : « لم يشهد القوم » . والبيت محرف فى التمثيل والمحاضرة ٣٥٧ .

وإنّما خصّ الضِّباع ؛ لأنّها تنبش القُبور ، وذلك من فَرط طَلَبها لحَوم النَّاسِ إذا[1] لم تجدْها ظاهرة . وقال تأبَّط شرًّا[2] :

فلا تَقْبُرُونِى إنَّ قَبْرِى مُحَرَّمٌ عليكمْ ولكن خامِرِى أمَّ عامِرِ[3]
إذا ضَرَبُوا رأسِى وفى الرَّأْسِ أكثَرِى
وغُـودر عِنْـد الملتقَى ثَمَّ سائرى[4]
هُنالِكَ لا أبْغِى حياةً تسرُّنى سَمِيرَ اللّيالِى مُبْسَلاً بالجَرائرِ[5]

(إعجاب الضباع بالقتلى)

قال اليقطرى : وإذا بقى القتيلُ بالعَراء انتفخ أيره[6] ؛ لأنّه إذا ضربت عنقه يكون منبطحاً على وجهه ، فإذا انتفخ انقلب ، فعند ذلك تجىء الضّبع فتركبُه فتقضى حاجتَها ثمَّ تأكله .

---

(١) ط ، س : « إذا » صوابها فى هـ .

(٢) كذا . وإنما الشعر للشنفرى الأزدى قاله فى قصة رواها أبو الفرج فى (٢١ : ٨٩) وابن قتيبة فى مقدمة الشعراء ٢٦ . وانظر العقد (١ : ٥٣ / ٤ : ٢١٩) والأزمنة والأمكنة (١ : ٢٩٣) — وفيها نسبة البيت الأخير إلى تأبط شرا — والحماسة (١ : ١٨٨) والمخصص (١٣ : ٢٥٨) والمقاييس (خمر) .

(٣) رواية الحماسة والأغانى : « أبشرى أم عامر » . وقد نقد صاحب العقد رواية « خامرى أم عامر » بقوله : « وهذا اللفظ بعيد من المعنى » .

(٤) العقد : « إذا حملت » . وفى (٤ : ٢١٩) منه : « إذا نزعوا » . الحماسة : إذا احتملوا » ، الأغانى : « إذا احتملت » ، الشعراء : « إذا حملوا » .

(٥) العقد أيضا : « لا أبغى » ، وفى سائر المصادر : «لا أرجو » . سمير الليالى : أى آخر الدهر . العقد والحماسة والأغانى : « سجيس الليالى » أى أبدا . والمبسل : المسلم ؛ أبسلته بجريرته : أسلمته بها .

(٦) ط ، هـ : « وانتفخ » ، والواو مقحمة .

وكانت مع عبد الملك جارية شهِدَت معه حربَ مُصعَب ، فنظرت إلى مصعبٍ وقد انقلَبَ وانتفخ أيره وورم وغَلظ ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما أغلظَ أُيورَ المنافقين !

فلطمها عبد الملك .

(حديث امرأة وزوجها)

ابنُ الأعرابى : قالت امرأةٌ لزوجها ، وكانت صغيرة الرَّكَب ، وكان زوجُها صغير الأير : ما للرّجل فى عِظَم الرَّكَب منفعة ، وإنّما الشّأن فى ضِيق المدخَل ، وفى المصِّ والحرارة ، ولا ينبغى أن يلتفت إلى ما ليس مِن هذا فى شىء . وكذلك الأير ، إنّما ينبغى أن تنظر المرأةُ إلى حَرِّ جلدته ، وطيب عُسَيلته[1] ، ولا تلتفت إلى كِبَره وصِغَره[2] . وأنعظ الرجُل على حديثها إنعاظاً شديداً ، فطمع أن ترَى أيرَه فى تلك الحال عظيما ، فأراها ١٥٤ إيَّاه ، وفى البيت سِراجٌ ، فجَعل الرَّجلُ يشير إلى أيره ، وعينُها طامحةٌ إلى ظلِّ أيره فى أصْل الحائط[3] ، فقال : يا كذابة ، لشدَّة شهوتك فى عظم ظلِّ الأير لم تفهمى عَنِّى شيئاً ! [قالت[4]] : أما إنَّكَ لو كنتَ جاهلاً كان أنعَمَ لبالك ! يا مائق ، لو كان منفعةُ عِظَم الأير كمنفعة عِظَم الرَّكَب لما طمَحَتْ عينى إليه[5] . قال الرجل : فإنَّ للرَّكَب العظيم حَظًّا فى العَين ، وعلى ذلك تتحرَّك له الشَّهوة . قالت : وما تصنَع بالحركة ، وشكٍّ يؤدِّى

---

(١) العسيلة : كناية عن حلاوة الجماع ، وفى الحديث : « حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك » . ط : « عسلته » س ، ﻫ : « غسلته » ، محرف .

(٢) س : « إلى كبر وصغر » .

(٣) أصل الحائط : أسفله . وفى الأصل : « ظل الحائط » .

(٤) التكملة من س ، ﻫ .

(٥) ط فقط : « عينك إليه » .

إلى شكٍّ ؟ الأيرِ إنْ عَظُم فقد ناك جميعَ الحِرِ ، ودخَل فى تلك الزَّوايا التى لم تزل تنتظمُ من بعيد ، وغيرِها المنتظمِ دونَها ، وإذا صغُر ينيكُ ثُلثَ الحِرِ ونصفَه وثلثيه . فمَنْ يسرُّه أن يأكل بثُلث بطْنه ، أو يشرب بثُلث بطنه ؟

قال اليقطرى : أمكنَها واللهِ مِنَ القول ما لم يمكنه .

(حديث معاوية وجاريته الخراسانية)

وقال : وخلا معاوية بجاريةٍ له خراسانيّة ، فلما همَّ بها نظر إلى وصيفةٍ فى الدّار ، فترك الخراسانيّة وخلا بالوصِيفة ثمَّ خرج فقال للخراسانيّة : ما اسم الأسد بالفارسيَّة ؟ قالت : كَفْتار(١) . فَخرج وهو يقول : ما الكَفتار ؟ فقِيلَ له : الكَفتار الضّبع . فقال : مالها قاتلَها الله ، أدركَتْ بثأرها ! والفُرْسُ إذا استقبحت وجه الإنسان قالت : رُوىِ كَفْتَار ، أى وجه الضبع .

(كتاب عمر بن يزيد إلى قتيبة بن مسلم)

قال : وكتب عمر بن يزيد بن عمير الأسيِّدىّ إلى قتيبة بن مسلم ، حين عزل وكيع بن سُودٍ عن رِياسة بنى تميم ، وولاَّها ضِرار بن حسين الضّبى : « عزَلْتَ السِّباعَ وولَّيت الضِّباع » .

---

(١) كفتار ، بفتح الكاف بعدها فاء ساكنة فتاء . وفسرها استينجاس فى ص ١٠٣٧ بقوله : « A hyena » أى الضبع . وكذا وردت فى كتاب السامى فى الأسامى للميدانى المتوفى سنة ٥١٨ وهو معجم عربى فارسى منه ثلاث نسخ بالمكتبة التيمورية . انظر ص ٢٣٦ من النسخة رقم ٢٤ . وفى الأصل : « كنعان » فى المواضع الأربعة من هذا النص ، تحريف . وأما الأسد فهو بالفارسية « شير » .

(شعر فيه ذكر الضبع)

وأنشد لعبّاس بن مِرداسٍ السُّلَميّ :

فلو ماتَ مِنهمْ مَنْ جَرَحْنا لأصْبحتْ
ضباعٌ بأكناف الأراك عرائسا[1]

[و[2]] قال جريبة بن أشْيَمَ[3] :

فمَنْ مبلغٌ عنّى يساراً ورافعاً   وأسلم إنَّ الأوهنين الأقاربُ[4]
فلا تدفِنُنّى فى ضَرًا وادْفِنَنّنى   بديْمُومَةٍ تنزو علىَّ الجنادِبُ[5]
وإنْ أنتَ لم تعقرْ علىَّ مطيّتِى   فلاقام فى مالٍ لكَ الدّهْرَ حالبُ[6]
فلا يأكُلنّى الذِّئبُ فيما دفنتنى   ولا فُرْعُلٌ مثل الصَّريمة حَاربُ[7]

---

(١) عرائس : جمع عروس . يشير إلى ما يكون من الضباع من ولوعها بركوب القتلى . والبيت من قصيدة فى الأصمعيات ٢٠٤-٢٠٧ .

(٢) هذا الحرف من س ، ه .

(٣) هو جريبة — بالجيم الموحدة مصغرا — ابن الأشيم بن عمرو بن وهب بن دثار ابن فقعس الأسدى ثم الفقعسى ، كان أحد شياطين بنى أسد وشعرائها فى الجاهلية ثم أسلم . ط ، ه : « خراشة بن أشيم » ، س : « خرشة بن أشيم » صوابهما ما أثبت . انظر المؤتلف ٧٧ والإصابة ١٢٨٠ .

(٤) ط : « الأوهيين » س ، ه : « الأوهين » ، ووجهه ما أثبت .

(٥) الضرا : مقصور الضراء ، بالفتح ، وهو الشجر الملتف فى الوادى . ط : « صرى » س ، ه : « صرا » ، والوجه ما أثبت . والديمومة : الفلاة .

(٦) كانوا فى الجاهلية يعقرون عند القبر مطية ، ويسمون تلك العقيرة البلية ، ويزعمون أن الناس يحشرون يوم القيامة ركبانا على البلايا ، ومن لم يكن له بلية حشر ماشيا . انظر اللسان (١٨ : ٩٢) . وفى هذا المعنى يقول جريبة بن الأشيم أيضا مخاطبا ولده – وأنشده الشهرستانى فى الملل (٣ : ٢٣٠) :

لا تتركن أباك يعثر راجلا   فى الحشر يصرع لليدين وينكب
ولعل لى مما تركت مطية   فى القبر أركبها إذا قيل اركبوا

(٧) فيما دفنتنى ، لعلها : « إما دفنتنى » . والفرعل بضم الفاء وسكون الراء وضم العين المهملة : ولد الضبع . ط : « فرغل » س ، ه : « فوعل » صوابهما ما أثبت . والصريمة : الليل ، شبهه به لسواده . والحارب : السالب .

أزَلُّ هَلِيبٌ لا يزال مآبطاً   إذا ذربت أنيابُه والمخالبُ[1]

وأنشد :

تركُوا جارَهُمُ تأكلُهُ   ضَبُعُ الوادِى وترميه الشَّجرْ

١٥٥ يقول : خذَلوه حتّى أكله ألأم السِّباع ، وأضعفها . وقوله : وترميه الشَّجر ، [يقول : حَتّى[2]] صار يرمِيه من لا يرمى أحداً .

(بقية الـكلام فى الضبع)

وقد بقى من القَول فى الضَّبُع ما سنكتبه فى باب القول فى الذئب[3] .

(الحرقوص)

وأمّا الُحرقوص فزعموا أنّه دويْبَّة أكبر من البُرغوث ، وأكثرُ ما ينبت له جناحان بعد حينٍ ، وذلك له خير[4] .

وهذا المعنى يعترِى النّمل — وعند ذلك يكون هلاكه — ويعترى الدَّعاميصَ إذا صارت فَرَاشاً ، ويعترى الِجعلان .

والُحرقوص دويْبَّة عضُّها أشـدُّ من عضّ البراغيث . وما أكثر

---

(١) الأزل : الأرسح الصغير العجز . والهليب ، من الهلب ، وهو كثرة الشعر . ولم أجد هذا الوصف فى المعاجم . « مآبطا » كذا وردت فى ط ، وفى هـ : « مابطا » وفى س ، « ماءبطا » ولعلها : « مبالطا » ، والمبالطة : المجاهدة والمجالدة . هـ : « إذا دربت » س : « إذا دريت » .

(٢) كلمة : « يقول » ليست فى الأصل .وأثبت كلمة « حتى » من س ، هـ .

(٣) لم يفرد الجاحظ فيما سيأتى بابا للذئب . وقد يكون عدل عن هذه العدة بتأليفه كتاب « الأسد والذئب » .

(٤) هـ : « عير » س : « عد » ، وأثبت ما فى ط . ولعله يقابل هذا بما يكون من هلاك النمل فى مثل تلك الحالة .

ما يَعَضُّ أحراحَ النساء والُحصَى . وقد سمِّى بحرقوص [من] مازنٍ[١] أبو كابية بن حُرقُوص ، قال الشّاعر :

أنتم بنِى كابيةَ بن حُرقُوصْ[٢] كلهمُ هامَتَه كالأُفْحُوصْ[٣]

وقال بشرُ بن المعتمر ، فى شعره المزاوج[٤] ، حين ذكر فضلَ علىٍّ على الخوارج ، وهو قوله :

ماكان فى أسلافهم أبو الحسنْ[٥] ولا ابنُ عبَّاسٍ ولا أهلُ السُّنَنْ
غُرٌّ مصابيحُ الدُّجَى مَناجِبُ أولئك الأعلامُ لا الأعاربُ
كمثلِ حُرْقوصٍ ومَنْ حُرْقوصُ فَقْعةُ قاعٍ حَولَها قَصيصُ[٦]
ليس من الحَنظل يُشْتارُ العَسَلْ[٧] ولا من البُحورِ يُصطادُ الورَلْ
هيهاتَ ما سافلةٌ كعالِيَه ما مَعدِنُ الحكمة أهلَ الباديَهْ

قال : والحرقوص يسمى بالنُّهيك[٨] . وعضَّ النُّهيك[٩] ذلك الموضعَ من امرأةِ أعرابىٍّ فقال :

---

(١) أى من قبائل بنى مازن . وكلمة « من » ليست فى الأصل . و « مازن » جاءت فى ط ، هـ بالراء المهملة ، تحريف . وفى الاشتقاق ١٢٥ : « فن قبائل بنى مازن حرقوص » . ثم قال : « فن قبائل الحرقوص بنو معاوية . . . وبنو كابية » .

(٢) س فقط : « بنو كابية » .

(٣) أفحوص القطاة : مبيضها . وهو مثل فى الصغر ، يهجوهم بصغر هاماتهم .

(٤) ط ، هـ : « المزاوخ » صوابه فى س .

(٥) ط ، هـ : « ما كان من » هـ : « إسلاهم » وهذه محرفة .

(٦) وهم بشر فى جمع فقع على فقعة بالفتح ، أو فى ظنه أنها مفرد الفقع . وإنما يقال للأبيض الرخو من الكمأة فقع بالفتح والكسر ، ويجمعان معا على فقعة بوزن عنبة . وهذا مثل يضرب للرجل الذليل ، وذلك لأن الدواب تنجل الفقع بأرجلها . والقصيص : جمع قصيصة ، وهى شجرة تنبت فى أصلها الكمأة .

(٧) اشتيار العسل : استخراجه . يقال شاره شورا وأشاره ولشتاره واستشاره .

(٨) هـ : « الهنيك » س « بالهنيك » ، صوابهما بتقديم النون كما أثبت .

(٩) س ، هـ : « الهنيك » تحريف .

وما أنا لِلحُرقوص إنْ عَضَّ عَضةً لها بَيْنَ رِجلَيها بِجِدٍّ عَقُورِ[١]
تَطِيب بنَفْسِي بعدَ ما تستفزُّنِي مَقَالتُها إنَّ النُّهيك صَغِيرُ[٢]

والذين ذهبوا إلى أنّه البرغوث نفسُه قالوا : الدَّليل على ذلك قول الطِّرِمَّاح :

ولو أنّ حُرقوصاً على ظَهْرِ قَمْلة يَـكرُّ على صَفَّيْ تميمٍ لوَلّتِ[٣]

قالوا : ولو كان له جناحانِ لما أركبه ظَهْر القملة . وليس في قول الطِّرِمَّاح دليلٌ على ما قال .

وقال بعضُ الأعراب ، وعضَّ الحرقوص خُصيتَه[٤] :

لقدْ مَنَعَ الحراقيصُ القَرَارَا فلا ليلًا نَقَرُّ ولا نَهارَا[٥]
يُغالِبْنَ الرِّجالَ على خُصاهم وفى الأحراحِ دَسًّا وانجِحارا[٦]

وقالت امرأةٌ تَعْنِى زوجَها[٧] :

[يغارُ من الحرقوصِ أنْ عَضَّ عَضةً
بفخذِيَ منها ما يَجُذُّ ، غيـورُ[٨]

---

(١) فى الأصل : « وما أنا والحرقوص » ، صوابه من اللسان (نهك) والمخصص (٨ : ١١٩) . وفى الأصل : « بجد عقور » صوابه فيهما .

(٢) س : « يطيب بنفسى » ، ورواية اللسان والمخصص : « تطيب نفسى » .

(٣) رواية الصناعتين ٣٥٠ وحماسة ابن الشجرى ١٢٦ : « ولو أن برغوثا على ظهر قملة » . س : « على ظهر نملة يكون على صفنى تميم » ، تحريف . ه : « على صفنى » ، محرفة .

(٤) فى نهاية الأرب (١٠ : ٣٠٥) : « خصيتيه » .

(٥) قر يقر ، بالفتح والكسر : ثبت وسكن . وفى الأصل : « يقر » تحريف .

(٦) الانجحار : أصله الدخول فى الجحر . س : « انحجارا » ، تحريف .

(٧) ط ، ه : « تغر » ، تحريف . وفى نهاية الأرب : « تشير إلى زوجها » .

(٨) غيور ، فاعل يغار ، تعنى به زوجها . وهذا البيت من نهاية الأرب .

لقد وقَعَ الُحرقوصُ مِنِّى موقِعاً أرَى لَذّةَ الدُّنيا إليه تصير ٤٥٦

وأنشدوا لآخر :

بَرَّحَ بى ذُو النُّقطتين الأملسُ يَقْرُصُ أحياناً وحينا ينهَسُ(١)

فقد وصفَه هذا كما ترى . وهذا يصدِّق قول الآخر ، ويردُّ على من جعل الحراقيص من البراغيث . قال الآخر :

يَبيت باللّيل جوّاباً على دَمِثٍ ماذا هُنالك من عَضِّ الحراقيصِ(٢)

(الورل)

وسنقول فى الورَل بما أمكنَ من القول إن شاء الله تعالى . وعلى أنَّا قد فرَّقنا القولَ فيه على أبوابٍ قد كتبناها قبل هذا .

قالوا : الورَل يقتل الضَّبَّ ، وهو أشدُّ منه ، وأجودُ سلاحاً وألطفُ بدناً . قالوا : والسَّافِد منها يكون مهزولا(٣) وهو الذى يَزِيف إلى الإنسان(٤) وينفخ ويتوعَّد .

قال(٥) : واصطدت منها واحداً فكسرت حجراً ، وأخذتُ مَرْوةً

(١) س : « يعرض » ، هـ : « ينهش » ، محرفتان .

(٢) الدمث : اللين السهل ، يعنى به الأحراح والخصى . وفى الأصل : « رمث » تحريف .

(٣) ط : « والسافر منا يكون مسرورا » ، هـ : « والسافر منا يكون مسرولا » . والوجه ما أثبت من س .

(٤) زاف يزيف فى مشيته : تبختر ، أو أسرع فى تمايل . وفى الأصل : « يريف » بالمهملة ، تحريف .

(٥) يبدو أن هنا نقصا فى الكلام ، وأن هناك قائلا غير الجاحظ .

فذبحته بها[١] ، حتّى قلت قد نخعته[٢] . فاسبطرَّ لحينِه[٣] فأردت أن أصغىَ إليه وأشرْتُ بإبهامى فى فيه[٤] ، فعضَّ عليها عضةً اختلعَت أنيابَه[٥] ، فلم يخلِّها[٦] حتى عضضْت على رأسِه .

قال : فأتيتُ أهلى فشققْتُ بطنَه ، فإذا فيها[٧] حيّتان عظيمتان إلّا الرّأس .

قال : وهو يشدخ رأسَ الحيَّة ثمّ يبتلعُها فلا يضرُّه سمُّها . وهذا عنده أعجب ما فيه . فكيف لو رأى الحوَّائين عندنا ، وأحدُهم يُعطَى الشيءَ اليسير ، فإن شاء أكل الأفْعى نِيًّا[٨] ، وإن شاء شِواءً ، وإن شاء قَديداً ، فلا يضرُّه[٩] ذلك بقليلٍ ولا كثير .

وفى [الورَل[١٠]] أنه ليس شىءٌ من الحيوان أقوَى على أكل الحيّات وقتلها منه[١١] ، ولا أكثر سفادا ، حتى لقد طمّ فى ذلك على التَّيس[١٢] ، وعلى الجمل ، وعلى العُصفور ، وعلى الخِنزير ، وعلى الذِّبَّانِ[١٣] فى العدد ، وفى طُول المكث .

---

(١) المروة : واحدة المرو ، وهو حجر أبيض براق يجعل منه المظار : يذبح بها .
(٢) نخعه : جاوز منتهى الذبح ، فأصاب نخاعه . ه : « نجعته » ، تحريف .
(٣) اسبطر : امتد . ط ، س : « فاسبط لحيته » ، صوابهما فى ه .
(٤) ط فقط : « فى فه » .
(٥) فى الأصل : « اختلفت » .
(٦) لم يخلها : أى لم يخل الإبهام ، والإبهام مؤنثة وقد تذكر . س : « فلم يحلها » .
(٧) ط ، س : « فى قانصته » ، وإنما القانصة للطائر . وأثبت ما فى ه .
(٨) نيا ، بالكسر : لم ينضج . والأفعى يذكر ويؤنث . وفى المخصص (١٦ : ١٠٥) : « الأفعى تقع على المذكر والمؤنث » .
(٩) س : « ثم لا يضره » .
(١٠) هذه من س .
(١١) س : « تقتل الحيات وأكلها » .
(١٢) طم : زاد وغلب .
(١٣) ط فقط : « الذباب » .

وفيه أنه لايحتفر لنفسه بيتاً ، ويغتصب كلَّ شيء [بيته[1]] ؛ لأنها أيّ جُحر دخلته[2] هربَ منه صاحبُه . فالورَل يغتصب الحيَّة بيتَها[3] كما تغتصب الحيَّةُ بيوت سائر الأحناش[4] والطير والضَّب .

وهو أيضا من المراكِب[5] . وهو أيضاً مما يُستطاب ، وله شَحمة ، ويَستطيبون لحمَ ذنبه . والورل دابَّة خفيفُ الحَركة[6] ذاهبا وجائيا ، ويمينا وشمالا . وليس شيء بعد العَظَاءة[7] أكثر تلفُّتا منه وتوقفا .

(زعم المجوس فى العظاءة)

وتزعم المجوس أنَّ أهْرِمن[8] ، وهو إبليس ، لمَّا جلس فى مجلسه فى أوَّل الدهر ليقسِّم الشَّرَّ والسُّموم ــ فيكون ذلك عُدَّةً على مناهضة صاحب الخير إذا انقضى الأجل بينهما[9] ، ولأنَّ من طباعه أيضاً فعلَ الشر على كلِّ حال[10] ــ كانت العظاءة[11] آخِرَ من حَضَر ، فحضَرَتْ وقد قسم ١٥٧
السمَّ كلَّه ، فتداخلها الحسرةُ والأسف . فتراها إذا اشتدّت وقفَتْ وِقْفة

(١) التكملة من س .
(٢) ط ، هـ : « دخلت » .
(٣) ط ، هـ : « نفسها » ، صوابه فى س .
(٤) س : « الأجناس » .
(٥) أى مراكب الجن . انظر ما سبق فى ص ٤٦ .
(٦) س : « خفيفة الحركة » .
(٧) ط ، هـ : « العظاة » ، س : « القَطاة » ، والوجه ما أثبت .
(٨) انظر ما سبق فى (٤ : ٢٩٦) .
(٩) ضربت الملائكة ــ فيما يقول الكيومرثية ــ لأهرمن أجلا قدره سبعة آلاف سنة ثم يخلى العالم ويسلمه ليزدان إله الخير . انظر الملل (٢ : ٧٣ ــ ٧٤) .
(١٠) ط ، س : « على حال » .
(١١) فى الأصل : « العظاة » ، تحريف .

تذكُّرٍ لما فاتَها من نصيبها من السُّم ، ولتفريطها فى الإبطاء حتى صارتْ لاتسكن إلّا فى الخرابات والحُشُوش(١) ؛ لأنها حين لم يكن فيها من السمّ شيءٌ لم تطلبْ مواضعَ الناس كالوزَغةِ التى تسكنُ معهم البيوت ، وتكرَع فى آنيتهم الماء وتمجُّه ، وتُزاقُّ الحيَّات وتهيِّجها عليهم . ولذلك نفرت طباعُ النَّاس من الوزَغة ، فقتلوها تحت كلِّ حجر ، وسلمت منهم [العظاءَة تسليما منهم(٢)] . ولم أر قولاً أشدَّ تناقضاً ، ولا أموق من قولهم هذا ؛ لأنّ العظاءَة لم يكن ليعتريَها من الأسف على فوت السمّ على ما ذكروا [أوَّلا(٣)] إلّا وفى طبعها من الشَّرَارة(٤) الغريزيَّة أكثرُ ممَّا فى طبع الأفعى.

(شعر فيه ذكر الورل)

قال الرَّاجز فى معنى الأوَّل :

ياورَلًا رَقْرَقَ فى سَرَابِ ... أكانَ هذا أول الثَّوَاب

قال : ورقرقتُه : سُرعتُه ذاهباً وجائيا ويميناً وشمالا .

قال أبو دُؤاد(٥) الإيادىّ ، فى صفة لسان فرسه :

عَنْ لسان كَجُثَّة الورَل الأحْـــمَرَ مَجَّ الثَّرَى عليه العَرارُ(٦)

وقال خالد بن عُجْرة :

---

(١) الحشوش : جمع حش ، بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٢) هذه من س ، ه . وكلمة « العظاءة » وردت بدون همزة فيهما .

(٣) هذه من س فقط .

(٤) الشرارة : مصدر شر يشر شرا وشرارة . ه : « الشره » تحريف .

(٥) س : « أبو داود » تحريف .

(٦) الثرى : الندى . س : « السرى » ه : « مج السدى » ، صوابهما فى ط . والعرار ، بالفتح : نبت طيب الريح ، وقد سبق البيت فى (١ : ٢٧٢) . وروى فى اللسان (ورل) منسوبا إلى عدى بن الرقاع . وفيه : « كجثة الورل الأصفر »

[كأنّ لسانه ورلٌ عليه ، بِدارِ مَضِنّةٍ ، مَجُّ العرارِ [1]]

ووصف الأصمعيُّ حمرته فى بعض أراجيزه [2] ، فقال :

فى مَغرٍ ذى أضرُسٍ وصَاكٍّ [3] يعرج [4] منه بعد ضيق ضَنْكِ

(فروة القنفذ)

قد قلنا فى القُنفذ ، وصنيعِه فى الحيَّات و [فى [5]] الأفاعى خاصَّة ، وفى أنه من المراكب [6] ، وفى غير ذلك من أمره ، فيما تقدم هذا المكانَ من هذا الكتاب [7]

ويقول من نزَع فروته [8] بأنها مملوءة شحيمة [9] . والأعراب تستطيبُ أكله ، وهو طيِّب للأَرواح [10]

---

(١) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأكلته مما سبق فى الجزء الأول .

(٢) ط ، س : « حوافى » ، هـ : « حوافى » ، والوجه ما أثبت .

(٣) المغر : المصبوغ بالمغرة وهو صبغ أحمر . ط ، هـ : « فى قمر » س : « فى معر » ، صوابهما ما أثبت . ط : « دن » بدل : « ذى » . وفى الأصل : « ضرس » .

(٤) لعلها : « يفرج » .

(٥) هذه من س .

(٦) انظر ما سبق فى ص ٤٦ .

(٧) ط : « فيما تقدم فى هذا الكتاب » هـ : « فيما تقدم هذا المكان » ، وأثبت ما فى س .

(٨) س : « ويقولون » س ، هـ : « من نزعت » ، صوابهما فى ط .

(٩) شحيمة : ذات شحم . وفى الأصل : « شحمة » ، محرفة .

(١٠) كذا فى الأصل .

(شعر فى القنفذ)

والقنفذ لا يظهر إلا بالليل ، كالمستخفى ، فلذلك شبه به[١] ، قال أيمن ابن خُريم[٢] :

كقنفذ الرَّمل لا تخفى مدارِجُه خَبٌّ إذا نام عنهُ النّاسُ لم يَنَم[٣]

وقال عَبْدَة بن الطبيب :

قوم إذا دَمَسَ الظَّلامُ عليهمُ حَدَجُوا قَنافِذَ بالنّمِيمةِ تَمْزَعُ[٤]

وقال[٥] :

شَرَيْتَ الأُمور وغالَيْتُها فأَوْلَى لَكُمْ يا بَنِى الأعرجِ[٦]

تدبُّون حــول رَكِيَّاتِكُمْ دَبِيبَ القنافِذِ فى العَرْفَجِ[٧]

وقال الآخر فى غير هذا الباب :

١٥٨ كأنَّ قِيراً أو كُحيلا ينعصِرْ[٨] ينحطُّ من قَنفذِ ذِفراه الذَّفِرْ[٩]

---

(١) أى يشبه به النمام والمداخل والدسيس ، كما سبق فى (٤ : ١٦٦) .

(٢) وكذا جاءت النسبة فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) . وقد تقدمت ترجمة أيمن فى ص ٣١٨ . هـ : « خزيم » تحريف . وفى (٤ : ١٦٨) نسبته إلى الأودى .

(٣) الخب ، بالفتح ويكسر : الخداع .

(٤) سبق البيت مع غيره فى (٤ : ١٦٦ — ١٦٧) . فى الأصل : « خرجوا قنافذ بالنميمة تمرع » ، تحريف .

(٥) روى البيت الثانى فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٤) منسوبا إلى جرير ، ولم أجده فى ديوانه .

(٦) فى الأصل : « شربت » . غاليتها : أنفقت فيها ثمنا غاليا . س : « عاينتها » .

(٧) س : « يدبون » . والركيات : جمع ركية : وهى البئر . وفى الأصل : « من حول ركيانسكم » ، صوابه من ديوان المعانى .

(٨) القير ، بالكسر : شىء أسود تطلى به الإبل . ط ، هـ : « سرا » س : « بترا » بالإهمال ، والوجه ما أثبت . والكحيل ، بالتصغير : طلاء للإبل الجرب .

(٩) قنفذ الذفرى : مسيل العرق من خلف أذنى البعير . والذفر ، بالذال المعجمة : الخبيث الريح . وفى الأصل : « الزفر » تحريف .

وقال عبّاس بن مِرداس السُّلَمِىُّ ، يَضرب المَثَلَ به وبأذنيه في القلّة والصِّغَر :

فإنَّك لم تك كابن الرَّشيدِ ولكنْ أبوك أبو سَالِمِ
حَمَلْتَ المنير وأثقالها على أذنى قنفُذٍ وارِمِ[1]
وأشبهْتَ جَدَّكَ شرَّ الجدودِ وَالعِرْقَ يَسْرِى إلى النّائمِ[2]

وأنشدنى [أبو الرُّدينىّ[3]] الدَّلْهُ[4] بن شهاب ، أحد بنى عوف ابن كنانة ، من عُكل ، قال : أنشدنيه نفيع بن طارق[5] فى تشبيه رَكَب المرأة إذا جَمَّمَ[6] بجلد القنفذ :

عُلِّقَ من عنائه وشِقْوته وقد رأيتَ هَدَجاً فى مِشْيَتِه[8]
وقد جلاَ الشَّيبُ عِذارَ لِحْيته[9] بِنْتَ ثمانى عَشْرَةٍ من حِجَّتِه[10]
يَظُنُّها ظَنَّا بغير رُؤيتِه تمشى بجَهْمٍ ضِيقهُ من هِمَّتِه[11]

(١) المنير ، كذا جاءت فى ط ، ﻫ . وفى س : « الممر » بالإهمال . ولعلهما : « المئين » يعنى تطاول عمره .
(٢) ط ، س : « والعدو » ﻫ : « والعرو » ، صوابهما ما أثبت .
(٣) التكملة من الخزانة (٣ : ١٠٥ بولاق) وقد صرح بالنقل من كتاب الحيوان .
(٤) ط ، س : « نديم » ، ﻫ : « بدهم » ، وأثبت ما فى الخزانة .
(٥) س : « أنشدنيه ابن طارق » .
(٦) جمم : ظهر فيه الشعر ولم يغزر . وأصله من الجميم ، وهو النبت الذى طال بعض الطول ولم يتم .
(٧) فى الأصل : « على من » ، صوابه فى الخزانة .
(٨) الهدج : مشية الشيخ .
(٩) جلاه : جعله واضحا أبيض . ط ، س : « جلى » ، الخزانة : « حكى » صوابهما ما أثبت .
(١٠) يستشهد به النحويون على إضافة النيف إلى العشرة . وفى الأصل : « عشر » تحريف .
(١١) ط ، س : « ليس بجهم » ، ﻫ : « يمسى بجهم » ، والوجه ما أثبت من الخزانة . أراد حراً جهما ذا عكن كالوجه الجهم . ضيقه من همته : أى إن حرها ضيق كضيق همته . ط ، ﻫ : « صفة من همته » ، س : « صنمة » ، محرفتان .

لم يُخزِهِ اللهُ بِرُحْبِ سَعَتِه[1] جَمَّمَ بَعْدَ حَلْقِهِ ونورَتِه[2]
كقنفذ القُفِّ اختفى فى فَرْوَتِه[3] لا يبلغ الأيرُ بنزعِ رَهوته[4]
ولا يكرُّ راجعًا بكرَّتِه كأنّ فيه وهَجاً من مَلَّته[5]

(من تسمى بقنفذ)

ويتسمَّون بالقَنافذ . وذو البرة الذى ذكره عَمرو بن كلثوم هو الذى يقال له : بُرة القُنفذ ، وهو كعب بن زهير ، وهو قوله :

وذو البُرَة الذى حُدِّثتَ عَنْه بهِ نُحْمَى وَنَشْفِى الْمُلْجَئِينَا[6]

(كبار القنافذ)

ومن القنافذ جنس وهو أعظم من هذه القنافذ[7] ؛ وذلك أنّ لها شوكاً كصَياصى الحاكة[8] ، وإنما هى مدارَى قد سُخِّرَتْ لها وذلّت

(١) فى الأصل : « لم يجزه » ، صوابه فى الخزانة .

(٢) سبق تفسير التجميم قبل الرجز . وفى الخزانة : « حجم » ، وفسرها بقوله : « برز . . من حجم الرجل إذا فتح عينيه كالشاخص » . وقد ألجأ البغدادى إلى هذا التكلف نسخته من كتاب الحيوان . والنورة ، بالضم : مسحوق يطلى به فيذهب بالشعر . وفى الأصل : « بعد خلقه » ، وفى ط ، س : « وبزته » س : « وبرته » صوابهما ما أثبت .

(٣) القف ، بالضم : ما غلظ من الأرض وارتفع .

(٤) الرهوة : مستنقع الماء . والنزع ، مأخوذ من نزع الماتح بالدلو من البئر . ه : « لا يبلغ الأير » س : « لا تبع الأير يمرع دهوته » . وفى الخزانة : « لا يقنع الأير بنزع زهرته » ، وأثبت ما فى ط .

(٥) الملة ، بالفتح : الرماد الحار والجمر .

(٦) رواية المعلقات : « وذا البرة » عطفا على المنصوب قبلها . وما هنا رفع على الاستئناف . الزوزنى : « ونحمى المحجرينا » ، التبريزى : « ونحمى الملجئينا » .

(٧) س : « جنس هو أعظمها » .

(٨) الصياصى : جمع صيصية ، وهى الشوكة التى يستعملها الحائك .

تلك المغارِز والمنابت ؛ ويكون متى شاء أن ينصل منها رمى به الشخصَ الذى يخافُه ، فَعلَا[١] حتّى كأنّه السهم[٢] الذى يخرجه الوتر .

ولم أر أشبه به فى الحذف من شَجر الخِرْوع ؛ فإنّ الحبَّ إذا جفَّ فى أكمامه ، وتصدَّع عنه بعضَ الصَّدع ، حذف به بعضُ الغصون ، فربّما وقع على قاب الرُّمح الطويل[٣] وأكثر من ذلك .

(تحريك بعض أعضاء الحيوان دون بعض)

والبرذون يسقُط على جلدِهِ ذبابةٌ فيحرِّك ذلك الموضعَ ؛ فهذا عامٌّ فى الخيل . فأمَّا النَّاس فإن المخنَّث ربما حرَّك شيئاً من جسَده ، وأىَّ موضعٍ شاء من بدنه .

والكاعانى ، وهو اسم الذى يتجنّن أو يتفالج فالج الرِّعدة والارتعاش ، فإنّه يحكى من صَرْع الشَّيطان ، ومن الإزباد ، ومن النَّفضة ، ما ليس ١٥٩
[يصدرُ[٤]] عنهما . وربما جمعهما فى نِقابٍ واحد[٥] ، فأراك الله تعالى [منه[٦]] مجنونا مفلوجا يجمع الحركتين جميعاً بما لا يجىء من طباع المجنون .

(حكاية الإنسان للأصوات وغيرها)

والإنسان العاقلُ وإن كان لا يحسُن يبنى[٧] كهيئة وَكْر الزُّنبور ، ونسج العنكبوت ، فإنّه إذا صار إلى حكاية أصوات البهائم وجميع الدوابّ

(١) فى ط ، ھ : « فعل » ، محرفة . والكلمة ساقطة من س .
(٢) ط ، ھ : « حتى كأنه يخرج كالسهم » .
(٣) قاب الرمح : قدره .
(٤) بمثلها يلتئم الكلام . والضمير فى « عنهما » لما فهم من يتجنن ويتفالج .
(٥) أى مرة واحدة . وأصل النقاب : البطن .
(٦) ليست فى الأصل .
(٧) حذف « أن » قبل الفعل . وقد سمع ، فقال البصريون : إنه شاذ . وذهب =

وحكاية العُمْيان والعُرْجان ، والفأفأة[1] ، وإلى أنْ يصوِّر أصنافَ الحيوان بيده ــ بَلَغ من حكايته الصُّورةَ والصوت والحركة مالا يبلغه المحكىّ .

(الحركات العجيبة)

وفى النَّاس من يحرِّك أذنَيه من بين سائر جسده[2] ، وربما حرَّك إحداهما[3] قبل الأخرى . ومنهم من يحرِّك شعر رأسه ، كما أنَّ منهم من يبكى إذا شاء ، ويضحَك إذا شاء .

وخبَّرنى بعضهم أنَّه رأى من يبكى بإحدى عينيه ، وبالتى يقترحُها عليه الغَير .

وحكى المكىّ عن جَوارٍ باليمن ، لهنَّ قُرونٌ مضفورةٌ من شَعر رءوسهن[4] وأنْ إحداهنَّ تلعب وترقُص على إيقاعٍ موزون ، ثمَّ تُشخِص قرناً من تلك القرون ، ثمَّ تلعب وترقص ، ثمَّ تُشخِص من تلك الضَّفائر المرصَّعة واحدةً بعد أخرى ، حتَّى تنتصب كأنها قرونٌ أوَابدُ[5] فى رأسها .

فقلت له : فلعلَّ التَّضفير والتَّرصيع أن يكون شديد الفتْل ببعض

= الكوفيون وبعض البصريين إلى القياس عليه : وأجازه الأخفش بشرط رفع الفعل . انظر همع الهوامع (٢ : ١٧) والإنصاف لابن الأنبارى ٢٣٢ - ٢٣٥ والتصريح شرح التوضيح (٢ : ٢٤٥) واللسان (ريث) والمغنى (٢ : ١٧٢) والرسالة للشافعى ١٦٨ ، ٧٣١ ، ١٧٣٢ والخزانة (٣ : ٦٢٣)

(١) هذه الكلمة ليست فى س .

(٢) كلمة « بين » ليست فى س .

(٣) ط ، هـ : « إحديهما » ، وألفه إنما هى ألف القصر لا التثنية .

(٤) س : « شعور رءوسهن » .

(٥) أوابد : منفردات . وأصل الأوابد الوحش . هـ : « وأبر » .

الغِسْل والتّلبيد[1] ، فإذا أخرجَتْه بالحركة التى تُثْبِتُها[2] فى أصل تلك الضفيرة شخَصت . فلم أره ذهبَ إلى ذلك ، ورأيته يحقّقه ويستشهد بأخيه .

(نوم الذئب)

وتزعمُ الأعرابُ أنّ الذّئب ينامُ بإحدى عينيه ، ويزعمون أنّ ذلك من حاقِّ الحذر[3] . وينشد[4] شعر حُمَيد بن ثَوْرٍ الهلالىّ ، وهو قوله :

يَنامُ بِإحدى مُقْلَتَيْهِ وَيتَّقِى الـ ... ـمَنَايا بأُخْرَى فهو يَقظانُ هاجعُ[5]

وأنا أظنُّ هذا الحديث فى معنَى ما مُدِح به تأبَّط شرًّا[6] :

إذا خَاط عينيه كَرَى النّوم لم يَزَلْ ... له كالئٌ من قلب شَيْحَانَ فاتكِ[7]

ويجعَلُ عَيْنَيه رَبِيئَةَ قلْبِهِ ... إلى سَلّةٍ منْ حَدِّ أخْضَرَ باتكِ[8]

---

(١) الغسل ، بالكسر : ما يغسل به الرأس من خطمى وطين وأشنان . ط ، هـ : « العسل » ، صوابه فى س .

(٢) س : « ثبتتها » .

(٣) حاق الحذر : شدته .

(٤) ط ، هـ : « وينشر » ، صوابه فى س .

(٥) روى البيت مع أبيات أخرى فى حماسة ابن الشجرى ٢٠٨ وأمالى المرتضى (٤ : ١٢٢) ومع قرين له فى ديوان المعانى (٢ : ١٣٤) ، وروى مفردا منسوبا فى جمهرة العسكرى ١٠٢ والشعراء ٣٥٢ والميدانى (١ : ٢٠٧ ، ٢٣٣) ، وبدون نسبة فى رسائل الجاحظ ١٤٢ ساسى . وفى س : « فهو يقظان نائم » وهى رواية العقد (٤ : ٢٦١) مع نسبته إلى حميد بن ثور . وهو بهذه الرواية الأخيرة بدون نسبة فى ثمار القلوب ٣١٢ ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٩٧) . والبيتان يبدو أنهما من قصيدتين له على قافيتين مختلفتين . وللسليك بن السلكة بيت يشبهه ، وهو كما فى التيجان ٢٤٢ :

ينام بإحدى مقلتيه ويتقى ... بأخرى المنايا من خلال المسالك

(٦) انظر ما سبق فى ص ٢٥٦ .

(٧) فى الأصل : « كأنى من عينيه شجعان » ، صوابه مما سبق .

(٨) هـ : « رئيسة » محرفة ، س : « ربية » . وفى الأصل : « أحضر » ، هـ : « بائك » صوابهما ما أثبت .

(قولهم: أسمع من قنفذ ومن دلدل)

ويقال: «أسمعُ من قُنْفُذ». وقد ينبغي أن يكون قولهم: «أسمعُ من الدُّلدُل» من الأمثال المولّدة.

(المتقاربات من الحيوان)

وفرق مابين القَنفذِ والدُّلدُل، كفرقِ مابين الفأْر والجُرذان، والبقر والجواميس، والبَخَاتيّ والعِراب. والضّأن والمعز، والذّر والنّمل، والجوَاف والأسبور[1]، وأجناس من الحيّات، وغير ذلك؛ فإنّ هذه الأجناس منها مايتسافد ويتلاقح، ومنها مالا يكون ذلك فيها.

(قولهم: أفحش من فاسية)

ويقال: «إنّه لأفْحَشُ من فاسية»، وهى الخنفساء؛ لأنها تفسو

١٦٠ فى يد من مَسَّها[2]. وقال بعضهم: إنه عنى الظَّربان؛ لأنّ الظّربان يفْسُو فى وسْط الهجْمة[3]، فتتفرَّق الإبل فلا تجتمع[4] إلا بالجهد الشّديد.

---

(١) الجواف، بالواو وبوزن غراب: ضرب من السمك، قال صاحب عجائب المخلوقات ١١٤: «ووصفه مثل وصف الأسبور». والأسبور: سمك بحرى مشهور، منه المعروف بالمرجان. وانظر ما سبق فى (٣: ٢٥٩/٥: ٥٦٥). ط، ﻫ: «والحراف». ط: «والاثبل» س، ﻫ: «والأشبل»، والوجه ما أثبت.

(٢) س: «مسكها»، وإنما يقال مسك به وأمسك به.

(٣) الهجمة، بالفتح: القطعة الضخمة من الإبل.

(٤) س: «ولا تجتمع».

(قولهم : ألج من الخنفساء)

ويقال : « ألجُّ من الخنفساء » . وقال خَلفٌ الأحمرُ وهو يهجو رجلا[١] :

ألجُّ لجَاجاً مِن الخُنفساء ... وأزْهَى إذا مامَشَى مِنْ غُرابِ

(رجز فى الضبع)

وأنشد أبوالرُّدينى ، عن عبدالله بن كُراع ، أخى سُويد بن كُراع[٢] ، فى الضّبع :

مَنْ يجن أولاد طريفٍ رَهْطا[٣] ... مُرْداً أوله شُمْطاً[٤]

رَأَى عَضاريط طِوالاً ثُطًّا[٥] ... كأضْبعٍ مُرْطٍ هَبطْنَ هَبْطا[٦]

ثم يفسِّنَ هَزِيلاً مَرْطَا[٧] ... إنَّ لكم عندى هناءً لَعْطَا[٨]

* خطْماً على آنفِكُمْ وَعَلْطَا[٩] *

---

(١) هو أبو العيناء كما فى معجم الأدباء (١٦ : ١٦١) ، أو العتبى كما فى حياة الحيوان . وقد سبق البيت مع قرين له فى (٣ : ٥٠٠) .

(٢) سويد بن كراع العكلى جاهلى إسلامى . انظر الشعر والشعراء ٦١٦ وفيه مراجع ترجمته .

(٣) كذا فى ط ، س . وفى ه : « منى يجنى » .

(٤) مردا : جمع أمرد . وشمطا : جمع أشمط ، وهو الذى اختلف شعره بلونين من سواد وبياض . وفى الأصل : « سمطا » تحريف . وفى البيت نقص بيض له بعد كلمة « مردا » فى ه .

(٥) العضاريط : جمع عضروط ، وهم التباع والخدم ونحوهم . وفى الأصل : « وأى » ط : « عضايط » س : « عصاريط » ه : « عضاتكل » ، تحريف ما أثبت . والثط : جمع أثط ، وهو القليل شعر اللحية والحاجبين . وفى الأصل : « سبطا » ولا وجه له لأنه مفرد مذكر .

(٦) أضبع : جمع ضبع . س : « كأصبع » تحريف . ومرط : جمع أمرط ومرطاء ، وهو الخفيف شعر الجسد والحاجبين والعينين . وفى الأصل : « المزط » . هبطن ، بالبناء للفاعل والمفعول : هزلن .

(٧) هجاهم بضعف الفساء . ومثل هذا ما سبق فى (٤ : ٤١٢) من قول التيمى :

حبقت عجيفا محثلا ولو اننى ... حبقت لأسمعت النعام المشردا

ط : « يغنين هديلا » ه : « يقيسن هديلا » ، صوابهما فى س . والمزط : الإسراع .

(٨) الهناء ، ككتاب : ضرب من القطران تطلى به الإبل . عنى به وسمهم بميسم الهجاء . واللعط : الكى بالنار . ه : « لغطا » تحريف .

(٩) يقال خطم فلانا بالسيف : إذا ضرب حاق أنفه ، أى وسطها . وفى الأصل : =

(قصة أبي مجيب)

وحكى أبو مجيب[1] ، ما أصابه من أهله[2] ، ثمَّ قال : وقد رأيت رؤيا عبَّرتها : رأيتُ كأنى طردت أرنباً فانجحرتْ[3] ، فحفرتُ عنها[4] حتَّى استخرجتها ، فرجوت أن يكون ذلك ولداً أُرزقه ، وإنه كانت[5] لى ابنة عمٍّ هاهنا ، فأردتُ أن أتزوَّجها ؛ فما ترى ؟ قلت: تزوَّجْها على بركة الله تعالى . ففَعل ؛ ثمَّ استأذننى أنْ يقيم عندنا أيَّاما ؛ فأقام ثم أتانى فقلت : لا تخبرْنى بشيءٍ حتى أنشدَك . ثمَّ أنشدْتُه هذه الأبيات :

يالَيتَ شِعْرِى عَن أبي مجيبِ ‏ ‏ إذْ باتَ فى مَجَاسِدٍ وطِيبِ[6]

= « حطما » بالمهملة ، تحريف . والآنف : جمع أنف . ط ، هـ : « أنفسكم » صوابه فى س . والعلط : الوسم بالعلاط ، والعلاط ، بالكسر : سمة فى عرض عنق البعير . هـ : « وغلطا » ، تحريف .

(١) هو أبو المجيب الربعى ، أحد فصحاء العرب الذين روى عنهم ابن الأعرابى . انظر فهرست ابن النديم ١٠٣ .

(٢) يفهم من القصة أن الرجل الذى حاور أبا المجيب هو الجاحظ نفسه . لكن جاء فى الأغانى (٥ : ٨٥) : « عن إسحاق – يعنى ابن إبراهيم الموصلى – قال : كان أبو المجيب الربعى فصيحا عالما فقال لى : يا أبا محمد ، عزمت على التزويج فأعنى وقونى . قال : فأعطيته دنانير وثيابا، فغاب عنى أياما ثم عاد ، فقلت : يا أبا مجيب ، ها هنا فاسمعها . فقال : هاتها . فقلت . . ». وأنشد الأبيات . وإسحاق هذا كان راوية الشعر حافظا للأخبار شاعرا له تصانيف . ولد فى سنة ولادة الجاحظ وتوفى سنة ٢٣٥ . وفيات الأعيان ١ : ٦٥ ومعجم الأدباء ٦ : ٥ .

(٣) انجحرت : دخلت الجحر . وفى الأصل : « فانحجرت » ، تحريف .

(٤) س : « ففرت عنها » ، تحريف .

(٥) ط ، هـ : « وقد كانت » .

(٦) المجاسد : جمع مجسد ، بضم الميم وفتح السين ، وهو الثوب المصبوغ بالجساد ، أى الزعفران .

مُعانِقاً للرَّشـأ الرَّبيبِ أأقْحَمَ المِحفارَ فى القَلِيبِ[1]

* أمْ كانَ رِخْواً يابسَ القَضيبِ *

قال : بلى كان والله رِخْواً يابسَ القضيب ، والله لـكأنّكَ كنتَ معنا ومُشاهِدَنا !

(خصال الفهـد)

فأمّا الفهد فالذى يحضُرنا من خصاله أنّه يقال إن عظام السِّباع[2] تشتهى ريحَه ، وتستدلُّ برائحته على مكانهِ وتُعجَب بلحمه أشدّ العجَب . وقد يصادُ بضروبٍ ، منها الصَّوت الحسَن ؛ فإنّه يُصغِى إليـه إصغاءً حسناً . وإذا اصطادوا المسنَّ كان أنفعَ لأهله فى الصَّيد من الجرو الذى يربُّونه ؛ لأنَّ الجرو يخرج خَبًّا[3] ، ويخرج المسنُّ عَلَى التأديب صَيُودا[4] غيرَ خِبٍّ ولا مُوَاكِلٍ[5] فى صيده . وهو أنفع من صيدِ كلِّ صائد[6] ، وأحسن فى العين . وله فيه تدبيرٌ عجيب .

---

(١) فى الأغانى : « أأحد المحفار » ، أى وجده حيدا .

(٢) ط : « أن يقال إنه عظام السنام » ، س : « أنه يقال إن عظام الصنام » ، هـ : « أنه يقال إن عظام السنام » ، والوجه ما أثبت مطابقا لمـا فى مباهج الفـكر ٥٣ من مصورة دار الـكتب رقم ٣٢٤ طبيعيات . ففيها : « وقال أرسطو : والسباع تشتهى رائحة الفهد وتستدل بها على مكانه وتعجب بلحمه أشد العجب ، فهو يتغيب عنها لذلك » . وقد سبق أيضا فى (٤ : ٢٢٨) نقل الجاحظ عن أرسطو قوله : « والسباع تشتهى رائحة الفهود والفهد يتغيب عنها » . وقد جاءت الأفعال التالية فى الأصل مبدوءة بالياء ، ووجهه بالتاء .

(٣) الخب : بالفتح ويكسر : الخداع الخبيث . وانظر (٤ : ٤٨) .

(٤) فى الأصل : « صبورا » .

(٥) المواكل : الثقيل ذو البطء والبلادة . ط ، س : « مرتـكل » صوابهما ما أثبت . وقد سبق فى (٤ : ٤٨) عند الـكلام على الصغير من الفهود : « خرج جبينا مواكلا » .

(٦) ط ، هـ : « طائر » ، وأثبت ما فى س .

وليس شىءٌ فى مثل جِسْم الفَهد إلاّ والفَهد أثقلَ منه ، وأحطمُ لظهر
١٦١ الدابَّة التى يَرتَقى على مؤخَّرها .

والفهد أنْوَم الخلق ، [وليس نومه كنوم الكلب ؛ لأن الكلب نومه نعاس واختلاس[١]] ، والفهد نومهُ مُصْمَت[٢] : قال أبو حيَّة النُّميرى :

بعـذاريها أناسا نام حلمهم   عَنّا وعنك وعنها نومة الفَهَدِ[٣]

وقال حُميد بن ثَورٍ الهِلالىّ :

ونمتَ كنَوم الفَهْدِ عن ذِى حَفيظةٍ   أكلْتَ طعاماً دونه وهو جائعُ[٤]

(أرجوزة الرقاشى فى الفهد)

وقال الرقاشىُّ[٥] فى صفة الفهد :

قد أغتدِى واللَّيلُ أحْوَى السُّدِّ[٦]   والصُّبحُ فى الظَّلماء ذو تَهَدِّى

مثل اهتزازِ العضب ذى الفرنْدِ   بأهـرَتِ الشِّـدقَين ملتئد[٧]

أربدَ مَضْبُورِ القرَا عِلَّكْدِ[٨]   طاوِى الحشا فى طىِّ جسمٍ مَعْدِ[٩]

(١) التكملة من أمثال الميدانى (٢ : ٢٨١) عند قولهم : (أنوم من فهد)، وكذلك من ثمار القلوب ٣١٩ مع تصريحه بالنقل عن الجاحظ .

(٢) مصمت : خالص . وأصل المصمت فى الألوان ما كان منها خالصا لاشية فيه.

(٣) كذا ورد صدره محرفا فى ط ، هـ . وفى س : « بعدا رها » بالإهمال . والبيت من قصيدة له يمتدح فيها المنصور ويهجو بنى حسن . انظر الأغانى (١٥ : ٦٢) .

(٤) أنشد هذا البيت فى ثمار القلوب ٣١٩.

(٥) هو الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٦١) .

(٦) السد : الحاجز ، وكل بناء سد به موضع .

(٧) كذا فى ط . وفى س : « ملسد » بالإهمال . وفى هـ : « مولند » .

(٨) الأربد : ما لونه الربدة ، وهى لون إلى الغبرة . وفى الأصل : « أدبر ». والمضبور : المكتنز اللحم . والقرا ، بالفتح : الظهر . وهو واوى ، ورسم فى ط بالياء . والعلكد : الغليظ الشديد .

(٩) المعد ، بالفتح : الضخم ، ومثله المغد بالغين المعجمة .

كَزِّ البراجيمِ هصور الجِـدِّ(١) برامز ذِى نُكَتٍ مُسْوَدِّ(٢)
وسحر اللجين سحر وردِ(٣) شَرَنبثٍ أغلبَ مُصْمَعِدِّ(٤)
كالليث إلا نُمْـرَةً فى الجلد(٥) للمح الحـائل مستعدِّ(٦)
حَتَّى إذا عايَنَ بعدَ الجهـدِ عَلَى قَطاة الرِّدف ردف للعبد(٧)
سر سرعتنا بحس صـلد(٨) وانقضَّ يأدُو غيرَ مجرهِدِّ(٩)
فى مُلْهَبٍ منـه وخَتْلٍ إدِّ(١٠) مثل انسياب الحيَّـة العربدِّ(١١)

وقوله: «مثل انسياب الحيَّة العربدِّ(١١)» ، هذه الحيَّة عين(١٢) الدابّة التى

---

(١) الكز : الصلب الشديد اليابس . والبراجيم : هى البراجم زيدت فيها الياء ، جمع برجمة ، وهى مفاصل الأصابع . وفى الأصل : «كز الوفاحم» . والهصور ، من الهصر ، وهو الافتراس والكسر . وفى الأصل : «عضور» .

(٢) برامز ، كذا وردت فى س . وفى ط ، هـ : «برامد» .

(٣) هـ : «وسحر اللحى» ، س : «اللحى» بالإهمال .

(٤) الشرنبث : الغليظ الكفين . والأغلب : الغليظ الرقبة . والمصمعد : الذاهب فى الأرض الممعن .

(٥) النمرة ، بالضم : أن تكون فيه نكت بيضاء وأخرى سوداء . ط : «إلا يمر» س : «إلا عرة» ، هـ : «إلا يمره» ، والوجه ما أثبت .

(٦) كذا ورد هذا البيت . ولم أجد لهذه الأرجوزة مرجعا أستأنس به .

(٧) القطاة : مقعد الردف من الدابة خلف الفارس .

(٨) كذا فى ط ، هـ . وفى س : «سرسر عسا» بالإهمال .

(٩) يأدو : يمشى بين المشيتين ليس بالسريع ولا البطىء ، ويأدو أيضا : يختل . والمجرهد : المسرع المستمر فى السير . وفى ط ، هـ : «باد واغبر» ، س : «باد واغبر» ، ووجههما ما أثبت .

(١٠) ملهب : أى جرى ملهب ، يقال ألهب الفرس : إذا اشتد فى عدوه حتى يثير الغبار . ط ، هـ : «لهب» س : «لغب» ، وليس لهما وجه . والختل : الخداع . والإد ، بالكسر : العجيب . فى الأصل : «وحبل» .

(١١) هـ : س : «العرند» .

(١٢) يريد أنها تقال بتشديد الدال وتخفيفها ، لغتان . وفى الأصل : «غير» .

يقال لها العربِد . وقد ذكرها مالك بن حريم[١] [فى قوله[٢]] لعمْرو ابن معد يكرب :

يا عَمــرُو لو أبصرتنى لرَفَوتَنى فى الخيــل رَفْوا[٣]
والبِيضُ تلمعُ بينهم تعصُو بها الفُرْسانُ عَصْوَا[٤]
فلقيت منى عِرْبِداً يقْطو أمامَ الخيلِ قَطْوَا[٥]
لمَّـا رأيتُ نساءَهم يدخُلْنَ تحت البيت حَبْوَا[٦]
وسَمعْتُ زَجْرَ الخيل فى جوفِ الظَّلام هَبِى وهبوَا[٧]
فى فَيلقٍ ململومةٍ تسطو على الخِبَرَات سَطْوَا[٨]

---

(١) مالك بن حريم ، بفتح الحاء المهملة وكسر الراء المهملة . وقد تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢١٠) . ط ، س : « خريم » هـ : « حزيم » محرفتان . ولم أجد للأبيات التالية مرجعا إلا فى لباب الآداب لأسامة بن منقذ ص ٢٠٣ .

(٢) تكملة يلتئم بها الكلام .

(٣) رفاه يرفوه : سكنه من الرعب . يقول : إن ذاك الموقف للحرب يخيل لمشاهده أن الأبطال فى حالة فزع وذعر ، وذلك لهول القتال ، وليس الأمر كذلك . فى الأصل : «فى الليل » ، تحريف .

(٤) البيض : السيوف . فى لباب الآداب : « تلمع بيننا » . وفى الأصل : « نلمع خلفهم » ، تحريف . وعصاه بالسيف يعصوه ويعصيه ويعصاه : ضربه به . س : « نعضوا بها الفرسان عضوا » ، تحريف .

(٥) ط : « وقلقت » س : « قلمت » هـ : « فلقت منى عرندا » ، تحريف . وفى لباب الآداب : « للقيت منى » . وقطا يقطو : تقارب مشيه من النشاط .

(٦) نساءهم ، عنى نساء قومه . وفى لباب الآداب : « نساءنا » ، يعنى أنه يدافع عن الحريم .

(٧) هبى ، بكسر الباء : زجر للخيل ، أى توسعى وباعدى . وفى الأصل : « هبا » تحريف . وهبوا : زجر أيضا ، ولم أجد هذا اللفظ فيما لدى من مراجع اللغة .

(٨) الفيلق : الكتيبة العظيمة . والململومة : المجتمعة . تسطو : تسرع الخطو ؛ وفرس ساط : بعيد الشحوة . والخبرات ، بفتح فكسر : جمع خبرة ، وهى الأرض كثر خبارها ، والخبار بالفتح : ما استرخى من الأرض وتحفر . وفى الأصل : « تعطو على الخيرات عطوا » ، وفى لباب الآداب : « تعطو على النجدات عطوا » كلاهما محرف . وبقية الشعر فى لباب الآداب :

أقبلت أفلى بالحسا م معا رؤوس القوم فلوا

وقال الرَّقاشى أيضاً فى الفهد :

لما غدا للصَّيْدِ آلُ جَعْفَرِ رَهْطُ رسولِ الله أهلُ المفْخَرِ

بفَهْدَةٍ ذات قَراً مُضَبَّرِ (١) وكاهلٍ بادٍ وعُنْق أزْهر ١٦٢

ومُقْلةٍ سال سَوادُ المحجِر منها إلى شِدقٍ رُحابِ المفْغَرِ (٢)

وذنبٍ طالَ وجلْدٍ أنْمَرِ (٣) وأيْطلٍ مستأسد غضنفر (٤)

وأذنٍ مكسورةٍ لم تجْبر فَطْساءَ فيها رَحَبٌ فى المنخر (٥)

مثل وجار التَّتْفل المقوَّر (٦) أرثها إسحاق فى التعذر (٧)

* منها على الخدَّين والمُعذَّر (٨) *

(نعت ابن أبى كريمة للفهد)

وقال ابنُ أبى كريمة (٩) فى صفة الفَهْد :

كأنَّ بناتِ القَفْرِ حين تشعَّبَتْ غدوت عليها بالمنايا الشواعِبِ (١٠)

---

(١) القرا : الظهر . والمضبر : الذى ازرت عظامه واكتنز لحمه . وفى اللسان : « الضبر شدة تلزيز العظام واكتناز اللحم . وجمل مضبر الظهر » . وفى الأصل : « ذات شرار مضبر » ، تحريف . واعتبر هذا بما مضى فى قول أبى نواس : (٢ : ٦٢) :

* من كل مضبور القرا عارى النسا *

(٢) الرحاب ، بالضم : الرحب الواسع . والمفغر : المفتح ، فغرفاه : فتحه . ط ، ﻫ : « المغفر » بتقديم الغين . وفى س : « وحاب المقفر » محرفتان .

(٣) ط ، ﻫ : « فى ذنب » تحريف . والأنمر : ما فيه نقط سواد وبياض .

(٤) الأيطل : الخاصرة . وسائر البيت محرف . وفى ﻫ : « مستأصر » .

(٥) فطساء ، من صفة الفهدة ، والفطس : انخفاض قصبة الأنف وانفراشها .

(٦) التتفل : الثعلب . المقور : الموسع . ﻫ : « التنفل » تحريف . س ، ﻫ : « المغور » .

(٧) ﻫ : « أريتها إسحاق فى التقذر » .

(٨) المعذر : المقذ ، وهو أصل الأذن .

(٩) هو أحمد بن زياد بن أبى كريمة كما سبق فى (٢ : ٣٦٧) .

(١٠) الشواعب : المفرقات . وفى الأصل : « الشواغب » ، تحريف . وقد مضى شرح هذه الأبيات فى (٢ : ٣٧١ — ٣٧٣) .

بذلك نَبغى الصيد طوراً وتارةً بمُخْطفة الأحشاء رحْبِ الترائب [١]

مُوَقَّفة الأذناب ، نُمْرٍ ظهورها مخطّطة الآماق غلبِ الغَوَارب [٢]

مُوَلَّعةٍ فُطْح الجِباهِ عوابسٍ تخالُ على أشْداقها خطّ كاتِب [٣]

فوارسُ مالم تلقَ حَرْباً ورَجلةً

إذا آنسَتْ بالبيد شُهبَ الكتائب [٤]

تضَاءَلُ حتّى ما تكاد تُبينُها عيونٌ لدى الصَّرَّاتِ غيرِ كواذب [٥]

توسّد أجيَادَ الفرائس أذرُعاً مُرمَّلةً تحْكى عِناقَ الحبائب [٦]

(مايضاف إلى اليهود من الحيوان)

قال : والصِّبيان يصيحون بالفَهد إذا رأوه : يا يهودىّ !

وقد عرفنا مَقالهم فى الجِرِّىّ [٧] .

---

(١) نبغى : نطلب . ط ، س : « يبغى » هـ : « نعنى » ، وفى (٢ : ٣٧١) : « أبغى الصيد » .

(٢) التوقيف : بياض وسواد . وفى الأصل : « مرقفة » ، تحريف . س : « لأطراف نمر ظهورها » تحريف كذلك .

(٣) ط ، هـ : « قطع الحياة » س : « وطمح الحياة عوانس » ، بإهمال الكلمة الأولى ، تحريف .

(٤) فى الأصل : « ما تلقين حربا وحلة » ، تحريف .

(٥) ط ، س : « الصرات » صوابه فى هـ .

(٦) ط : « أجناد » س : « العوانس » ط ، هـ : « القوانس » ط : « أدرعا » . وفى الأصل : « مزملة » ط ، هـ : « عتاق الجنائب » س : « عنان الجنائب » تحريفات .

(٧) الجرى ، بكسر الجيم وتشديد الراء المكسورة والياء : ضرب من السمك . ط : « معناهم فى الحرابى » س ، هـ : « معناهم فى الحرى » تحريف والصواب ما أثبت . وانظر لمسخ الجرى ما سبق فى (١ : ٢٣٥ ، ٢٩٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ و ٦ : ٧٧) .

والعامَّة تزعم أن الفأرة كانت يهوديَّةً سحّارة . والأَرَضَةُ يهودية أيضا عندهم ؛ ولذلك يلطِّخون الأجذاع بشَحمِ الجَزُور[١] .

والضبّ يهوديٌّ ؛ ولذلك قال بعضُ القصَّاص لرجل أكل ضبًّا : اعلمْ أنّك أكلت شيخاً من بنى إسرائيل[٢] .

ولا أراهم يضيفون إلى النّصرانية شيئاً من السِّباع والحشرات .

ولذلك قال أبو علقمة : كان اسم [الذئب] الذى أكل يوسفَ رجحون[٣] . فقيل له : فإنّ يوسف[٤] لم يأكُلْه الذِّئب ، وإنما كذبوا على الذئب ؛ ولذلك قال الله عزَّ وجلّ : ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قال : فهذا اسمٌ للذئب الذى لم يأكلْ يوسف .

فينبغى أن يكونَ ذلك الاسمُ لجميع الذِّئاب ، لأنَّ الذئابَ كلهالم تأكله .

(زعم المجوس فى لبس أعوان شُوتَن)

وتزعمُ المجوسُ أنّ شَوتَن[٥] الذى ينتظرون خروجه ، ويزعُمون أنّ الملك يصيرُ إليه ، يخرج على بقرةٍ ذاتِ قرون ، ومعه سبعون رجلا عليهم جلود الفهود ، لايعرفُ هرًّا ولا بِرًّا[٦] حتى يأخذ جميع الدنيا .

---

(١) الجزور : البعير أو الناقة المجزورة . والإبل من الحيوانات المحرمة على اليهود . وفى سفر اللاويين (١١ : ٤) : « إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف : الجمل لأنه يجتر ، ولكنه لا يشق ظلفا فهو نجس لكم » . وفى الأصل : « لحم الجزور » تحريف .

(٢) انظر ما سبق فى ص ٧٧ .

(٣) هـ : « رحجون » بتقديم الحاء . وفى العقد (٦ : ١٥٦) مع نسبة الخبر إلى أبى دحية القاص ، أن اسم الذئب « هملاج » .

(٤) ط ، هـ : « إن يوسف » .

(٥) س : « سوق » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ط ، س : « لا يقول هرا وبرا » هـ : « لايقول هرا وبزا » ، والوجه ما أثبت . يقال « لا يعرف هرا من بر » أى لا يعرف من يهره ، أى يكرهه ، ممن يبره . أراد أنه يأخذ الناس بالغشم ، لا يميز بين مواليه ومعاديه .

(الهرّ والبرّ)

١٦٣ وكذلك إلغازهم[١] فى الهرّ والبرّ . وابن الكلبى يزعم عن الشّرقى ابن القطامىّ ، أنّ الهرّ السنّور ، والبرّ الفارة[٢] .

(جوارح الملوك)

والباز والفَهد من جوارح الملوك : والشاهين ، والصَّقر ، والزُّرَّق ، واليؤيؤ[٣] .

وليس ترى شريفاً يستحسِنُ حملَ البازى – لأنّ ذلك من عمل البازيار –[٤] ويستهجن حمل الصُّقور والشواهين وغيرها من الجوارح ، وما أدرى علّة ذلك إلا أنّ البازَ عندهم أعجمىّ ، والصَّقر عربىّ .

ومن الحيوان الذى يدرّب فيستجيب ويَكِيس وينصَح[٥] العَقْعَقُ ، فإنهُ يستجيبُ من حيثُ تستجيبُ الصُّقور . ويُزْجر فيعرف ما يُرَادُ منه ويخبأ الحَلْى فيُسأل عنه ويُصاح به فيمضى حتى يقفَ بصاحبه على المكان الذى خبَّأهُ فيه[٦] ، ولكن لا يلزم البحث عنه[٧] .

وهو مع ذلك كثيرا ما يُضِيع بيضه وفِراخَه .

---

(١) فى الأصل : « ألفاظهم » .

(٢) انظر لاختلاف اللغويين فى تأويلهما اللسان والقاموس وكتب الأمثال .

(٣) اليؤيؤ : طائر شبيه بالباشق ، من جوارح الطير . وفى الأصل : « البوبو » ، تحريف .

(٤) البازيار والبازدار : لفظان فارسيان ، ومعناهما واحد ، وهو القائم بأمر البازى ، ويعرب أيضا فيقال « البيزار » . انظر ماسبق فى (٤ : ٤٣٠) .

(٥) من النصيحة ، وهى الإخلاص والصدق . ط ، س : « فيصيح » ، ه : « ويصيح » ، والوجه ما أثبت .

(٦) ط : « خبأ فيه » .

(٧) موضع كلمة « يلزم » بياض فى س .

(مخبئات الدراهم والحلى)

وثلاثة أشياء تُخَبِّي الدَّراهم والحَلْيَ ، وتَفْرَحُ بذلك من غير انتفاع به ، منها العَقعقُ ؛ ومنها ابن مِقْرَض[1] : دويْبّةٌ آلَقُ[2] من ابن عِرْس ؛ وهو صعبٌ وحْشيٌّ ، يحبُّ الدَّراهم ، ويفرَحُ بأخذها[3] ، ويخبيها ، و [هو مع ذلك[4]] يصيد العصافير صيداً كثيراً ، وذلك أنّهُ يُؤْخَذ فيُربَطُ بخيطٍ شديد الفتْل ، ويُقابَلُ به بيت العُصفور ، فيدخُلُ عليه فيأخذه وفراخَه ، [و[5]] لايقتلها حتى يقتلها الرّجل[6] ، فلا يزال كذلك ولو طاف به على ألف جُحْر . فإذا حلّ خيطه ذهَب ولم يقُم .

وضرب من الفار يسرق الدَّراهِمَ والدنانير والحَلْي ويفرح به ويُظْهِرهُ ويغيِّبه فى الُجحر وينظُر إليه ويتقلّبُ عليه .

(ذنب الوزغة)

قال : وخطب الأشعث فقال : « أيُّها الناسُ إنه مابقى من عدوِّكم إلا كما بقى من ذَنَب الوزغَة تَضرِب به يميناً وشمالا ثم لاتلبث أن تموت »[6] .

---

(١) ابن مقرض ، بكسر الميم ، سبق فى ص ٢٢ من هذا الجزء . ه : « ابن مقرص » تحريف .

(٢) آلق : أخبث ، وتسمى الذئبة إلقة لخبثها . وفى الأصل : « آلف » تحريف .

(٣) س : « ويفرح بها » .

(٤) هذه من س .

(٥) ط ، ه : « الوجل » بالواو ، صوابه فى س .

(٦) فى الأصل : « يضرب به يمينا وشمالا ثم لا يلبث أن يموت » .

فمر به رجلٌ من قشير فسمع كلامه فقال : قَبَّح الله تعالى هذا ورأيَه ، يأمر أصحابَه بقلَّة الاحتراس ، وتركِ الاستعداد !

وقد يُقطَع ذنَبُ الوزَغةِ من ثلثها الأسفل[1] ، فتعيش إن أفلتَتْ من الذَّرّ .

(أشد الحيوان احتمالاً للطعن والبتر)

وقد تحتمل الخنافسُ والكلابُ من الطَّعْن الجائف[2] ، والسَّهم النَّافذ ، مالا يحتملُ مثلَه شيء[3] . والخُنفسَاءُ أعْجبُ من ذلك . وكفاك بالضّبِّ !

والجمل يكون سَنامُه كالهدف[4] ، فيُكشَف عنه جلدُه فى المجهدَة[5] ثمَّ يُجتث من أصله بالشِّفار ، ثمَّ تعاد عليه الجلدةُ ويُداوَى فيبرأ ، ويحتمل ذلك ، وهو أعْجَب فى ذلك من الكبش فى قطع أليته من أصل عَجْب ذنَبه ، وهى كالتُّرس ، وربما فعل ذلك به وهو لايستطيع أن يقُلَّ أليته[6] إلَّا بأداةٍ تتَّخذ . ولكنَّ الألية على كلِّ حال[7] طرف زائد ، والسَّنام قد طبِّقَ على جميع مافى الجوف .

---

(١) س ، هـ : « تلثيها الأسفل » ، تحريف .

(٢) الجائف : الذى يبلغ الجوف .

(٣) ط : « ما لا يحتمله شىء » ، هـ : « ما لا يحتمله منه شىء » ، صوابهما فى س .

(٤) الهدف : ما رفع وبنى من الأرض للنضال .

(٥) المجهدة : الإعسار والحال الشاقة .

(٦) يقل : يحمل ويرفع . يقول : عظمت حتى لا يستطيع أن يقلها إلا بطريق الصناعة . وفى الأصل : « ينقل » .

(٧) فى الأصل : « على حال » .

(ذكاء إياس)

ونظر إياسُ بن معاوية فى الرَّحْبة بواسط إلى آجُرَّة ، فقال : تحت هذه الآجُرَّة دابّة . فنزعوا الآجُرَّة فإذا تحتها حيَّة متطوِّقة . فسُئِل عن ذلك ، فقال : لأنِّى رأيتُ مابينَ الآجُرَّتين نَدِيًّا من جميع تلك الرَّحْبة ، فعلمتُ أن تحتها شيئاً يتنفّس . ١٦٤

(هداية الكلاب فى الثلوج)

وإذا سقط الثّلج فى الصحارى صار كلّه طبقاً واحداً ، إلّا ما كان مقابلاً لأفواه جِحَرة[1] الوحْش والحشرات ؛ فإنّ الثّلج فى ذلك المكان يَنْحسر ويرقّ لأنْفاسها من أفواهها ومَناخِرِها ووهَج أبدانها[2] ، فالكلابُ فى تلك الحال يعتادها الاسترواح حتى تقفَ بالكلَّابين على رءوس المواضع التى تنبت الإجْرِدّ والقَصِيص[3] ، وهى التربة[4] التى تُنبت الكَمْأة وتربيها .

(تعرُّف مواضع الكمأة)

وربما كانت الواحدةُ كالرُّمانة الفخْمة ، ثم تتخلّق من [غير[5]] بزر ، وليس لها عرقٌ تمصُّ به من قُوى تلك الأرض ، ولكنها قُوًى اجتمعَت

(١) جحرة ، بكسر ففتح : جمع جحر . وفى ط ، هـ : « أجحرة » ، صوابهما ما أثبت . وانظر لاستعمال الجاحظ كلمة « الجحرة » (٢ : ١٦٤ / ٤ : ١٥ ، ١٥٠ / ٥ : ٢٣١) .

(٢) سبق نظير هذا الكلام فى (٢ ، ١١٩) .

(٣) الإجرد : نبت يدل على الكمأة . والقصيص : شجر ينبت فى أصله الكمأة ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الكمأة كما يقتص الأثر . ط ، هـ : « الاجرد » صوابه فى س .

(٤) ط : « كالتربة » صوابه فى س ، هـ .

(٥) تكملة يقتضيها السياق .

من طريق الاستحالات ، كما يَنطبخُ فى أعماق الأرض ، من جميع الجواهر . وليس لها بدٌّ من تربةٍ ذلك من جوهرها[١] ، ولا بد لها من وسْميّ[٢] . فإذا صار جانِيها[٣] إلى تلك المواضع ـ ولا سيما إن كان اليومُ يوماً لِشمسه وَقْعٌ[٤] ـ فإنه إذا أبصر الإجرِدَّ والقَصيص استدلَّ على مواضعها بانتفاخ الأرض وانصداعها .

وإذا نظر الأعرابىُّ إلى موضع الانتفاخ يتصدَّعُ فى مكانه[٥] فكان تفتُّحه[٦] فى الحالاتِ مستويا ، علم أنَّه كمأة ، وإن خَلَطَ فى الحركَة والتصدُّع علم أنّه دابّة ، فاتّقى مكانَها .

باب
(نوادرَ وأشعار وأحاديث)

قال الشّاعر[٧] :

وعَصَيتِ أمْرَ ذوِى النُّهى   وأطعْتِ رأىَ ذَوِى الجَهالَهْ
فاحتلتُ حِينَ صَرَمْتِنِى   والمرءُ يَعْجَزُ لا المَحالَه[٨]

---

(١) كذا وردت هذه العبارة.
(٢) الوسمى : مطر أول الربيع ، وهو أوان الكمأة .
(٣) جانيها : جامعها . وفى الأصل : « جانبها » ، تحريف .
(٤) وقع : أى شدة ، وأصله من وقع المطر ، وهو شدة ضربه الأرض . فى الأصل : « بشمسه وقع » ، والوجه ما أثبت .
(٥) س : « ينصدع » ، مع إسقاط الكلمتين بعده .
(٦) ط : « بفتحه » س ، هـ : « يفتحه » ، والوجه ما أثبت.
(٧) هو أبو دؤاد الإيادى ، يعاتب امرأته [وقد لامته] فى سماحته بماله ، كما فى اللسان (١٣ : ١٩٧) . والبيت الثانى مع ثلاثة فى البيان (٣ : ٣٧) .
(٨) المحالة ، بالفتح : الحيلة . قال الميدانى : « أى لاتضيق الحيل ومخارج الأمور إلا على العاجز » . ط ، س : « محالة » وهى خطأ فى الرواية . ومن أبيات هذا الشعر ما أنشده فى البيان :

والعبد يقرع بالعصا   والحر تكفيه المقاله

وقال بشّار :

وصاحب كالدُّمَّل المُمِدِّ(١) حَمَلْتُه فى رُقْعَةٍ من جِلدِى

الحُرُّ يُلْحَى والعصا للعَبْدِ وليس للملحِفِ مثلُ الرَّدِّ

وقال خليفة الأقطع(٢) :

العبـد يُقْرَعُ بالعصـا والحُرُّ تـكفيه المَلامَهْ

باب

(من القول فى العُرْجان)

قال رجلٌ من بنى عِجْل(٣) :

وشَى بِىَ واشٍ عندَ لَيْلَى سَفاهةً فقالت له ليلَى مَقالةَ ذى عَقْل ١٦٥

وخبَّرَها أنّى عَرِجْتُ فلم تـكُنْ كَوَرْهاءَ تجترُّ المَلاءةَ للبَعْلِ(٤)

وما بِىَ مِنْ عَيبِ الفتى غَيْرَ أنّنى جَعَلْتُ العَصَا رِجلاً أقيمُ بهارِجلِى

وقال أبو حَيَّة فى مثل ذلك(٥) :

وقد جَعَلْتُ ، إذ ما قُمْتُ ، يُوجِعُنِى

ظَهْرِى فَقُمت قِيامَ الشّارِبِ السَّكِرِ(٦)

---

(١) الممد : الذى صارت فيه المدة ، وهى ما يجتمع من القيح . س : « المعد » تحريف .

(٢) كذا . وإنما هو ليزيد بن مفرغ ، كما فى البيان (٣ : ٣٧) . قال : أخذه من الصلتان الفهمى حيث قال :

العبد يقرع بالعصا والحر تـكفيه الإشارة

(٣) الأبيات فى البيان (٣ : ٧٦) .

(٤) الورهاء : الحمقاء . تجتر : تجر وتجتلب . ط : « تخبو » ه : « يحبو » س : « يحو » بالإهمال ، صوابه من البيان .

(٥) ويروى الشعر أيضا لعمرو بن أحمر الباهلى ، كما فى الموشح ٨٠ .

(٦) السكر : السكران . وفى الأصل : « أوجعنى » ، وأثبت صوابه من الخزانة (٤ : ٩٥) نقلا عن الحيوان .

وكنتُ أمْشى على رِجلَيْنِ مُعْتَدِلاً

فصرتُ أمشِى على أخرَى من الشجرِ[١]

وقال أعرابىٌّ من بنى تميم :

وما بىَ مِنْ عيب الفتى غَـيْرَ أنّنى

أَلِفْتُ قناتى حِينَ أوجَعنِى ظَهْرِى[٢]

وكان بنُوا الحَذّاءِ عُرْجاناً[٣] كلّهم، فهجاهُم بعض الشّعراء[٤] فقال :

لله درُّ بَنِى الحَذّاءِ مِنْ نَفَرٍ وكلُّ جارٍ على جِيرانِهِ كَلِبُ[٥]

إذا غَدَوْا وعصِىُّ الطّلْحِ أرجُلُهُمْ

كما تَنَصَّبُ وَسْطَ البِيعَةِ الصُّلُبُ[٦]

وإنّما شبه أرجلهم بعصىّ الطّلح ، لأنّ أغصانَ الطلح تَنْبت معوجّة .

لذلك قال مَعْدَانُ الأعمى[٧] :

والذِى طفّفَ الجدار من الذّعـ ـر وقد بات قاسِمَ الأنفالِ[٨]

---

(١) فى الخزانة : « على رجل معتدلا » ، وفى الموشح : « على رجلين متئدا » . ويروى : « على رجل من الشجر » كما فى الخزانة والبيان . يعنى بها العصا .

(٢) البيت فى البيان (٣ : ٧٦) .

(٣) فى الأصل : « عرجان » .

(٤) هو بشر بن أبى خازم ، كما فى البيان . وقد سبق البيتان فى (١ : ٣١٦) .

(٥) ورد هذا البيت فى الأصل مؤخرا عن تاليه . وترتيب البيتين مما سبق ومن البيان .

(٦) فى الأصل : « إذا عدوا » بالعين المهملة ، صوابه من البيان ومن الجزء الأول من الحيوان .

(٧) معدان ، بالميم ، كما سبق فى (٢ : ٢٦٨ ، ٢٧٠ / ٦ : ٣٩١). وفى الأصل : « سعدان » تحريف .

(٨) طفف الجدار : علاه ورفعه . وفى اللسان : « وطف الحائط طفا علاه » . والأنفال : الغنائم . فى الأصل : « خفف الحذار » . ط ، هـ : « وفات قاسم الأنعال » س : « قال قاسم الأثقال » ، وصواب البيت من البيان .

فغدا خامعاً بأيدِى هَشِيمٍ وبِسَاقٍ كعُودِ طَلحٍ بالِ[1]

وله حديثٌ :

(عصا الحكم بن عبدل)

وكان الحكمُ بن عبدل أعرجَ ، وكان بعد هجائه لمحمد بن حسّان ابنِ سعد[2] لا يبعث إلى أحدٍ بعصاه التى يتوكأُ عليها وكتبَ عليها حاجَته إلاّ قضاها كيفَ كانت ، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد ابن الخطاب[3] ، وهو أميرُ الكوفة ، وكان أعرجَ ، وكان صاحبُ شُرطته أعرَج - فقال ابن عَبْدَل[4] :

ألقِ العَصَا ودَعِ التَّعَارُجَ والتمِسْ عَملاً فهذِى دَولَةُ العُرجانِ[5]

(١) فى الأصل : « فهدا » ، صوابه فى البيان . خامعا : أعرج ؛ والخمع والخماع : العرج . ط ، هـ ، س : « جامعا » : « حامعا » ، صوابه ما أثبت . ط ، س : « بأيد » وفى البيان : « بوجه » . والهشيم : الشجر اليابس البالى . ط ، س : « الطلح » صوابه فى هـ .

(٢) هو محمد بن حسان بن التيمى ، كان على خراج الكوفة . فكلمه الحكم بن عبدل فى رجل من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهما من خراجه ، فقال : أماتنى الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئا ! فهجاه الحكم بقصيدة دالية قال فيها :

يقول أماتنى ربى ، خداعا أمات الله حسان بن سعد

وما زال ابن عبدل يزيد فى قصيدته هذه الدالية حتى مات ، وهى طويلة جدا ، واشتهرت حتى إن كان المكارى ليسوق بغله أو حماره فيقول : « عد . أمات الله حسان بن سعد » . انظر الأغانى (٢ : ١٤٨) . ط ، هـ : « محمد بن حبان ابن ثابت » س : « محمد بن حسان بن ثابت » ، والصواب ما أثبت .

(٣) كان أمير الكوفة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز . انظر المعارف ١٥٩ .

(٤) يبدو من القصة هنا أن ابن عبدل يخاطب نفسه بهذا الشعر . وفى الأغانى (٢ : ١٤٥) أن ابن عبدل خرج إلى عبد الحميد ، فلقى سائلا أعرج وقد تعرض للأمير يسأله .

(٥) التعارج : حكاية مشية الأعرج . وفى الأغانى (٢ : ٤٠٦ طبع دار الكتب) : « التخامع » وهو التعارج . وفى البيان (٣ : ٧٦) « التخادع » ، صوابها « التخامع » . وفى الأصل ها هنا : « التعرج والتمس عقلا » ، محرف .

فأميرُنا وأميرُ شُرطَتِنَا مَعاً يا قومنا لـكليهما رِجلانِ[1]
فإذا يكونُ أميرُنا ووزيرُه وأنا فإنّ الرّابعَ الشيطانُ

وقال آخر ووصفَ ضَعفه وكِبَر سنّه:

آتِى النديَّ فلا يُقرَّب مجلِسِى وأقودُ للشرَف الرفيع حمارِيا[2]

(عرجان الشعراء)

١٦٦ وكان من العُرجان والشعراء أبو ثعلب[3] ، وهو كليب بن [أبى[4]] الغول . ومنهم أبو مالك الأعرج[5] . وفى أحدهما يقول اليزيدى[6] .

[أبو ثعلبٍ للناطقِ مؤازِرٌ على خبثه والناطقُ غيورُ
وبالبغلة الشهباء رِقّةُ حافرٍ وصاحبُنا ماضى الجَنَان جَسورُ
ولاَ غرْوَ أنْ كان الأعيرجُ آرَهَا وما الناسُ إلا آيِرٌ ومَثيرُ[7]]

---

(١) فى البيان والأغانى وعيون الأخبار: « لأميرنا »، وتقرأ بفتح اللام وكسرها .

(٢) البيت فى البيان (٣ : ٢٦٣) . والندى : مجلس القوم .

(٣) ه : « أبو تغلب » . وفى هامش أصل معجم المرزبانى ٣٥٤ نقلا عن الحيوان : « أبو تغلب » . وفى اللسان (١ : ٩٨) نقلا عن الحيوان « أبو ثعلب » . كما أثبت من ط ، س .

(٤) التكملة من اللسان وحواشى المرزبانى نقلا عن الجاحظ .

(٥) هو أبو مالك النضر بن أبى النضر التيمى ، وفد على الرشيد ومدحه . انظر الأغانى (١٩ : ١٥٠ - ١٥١) .

(٦) هو أبو محمد يحيى بن المبارك ، المترجم فى (٥ : ٢٩٥) . وفى اللسان أنه يهجو عنان جارية الناطفى ، وأبا ثعلب الأعرج الشاعر .

(٧) هذه التكملة من لسان العرب (١ : ٩٨) نقلا عن الجاحظ . آرها يؤورها ويئيرها : جامعها .

(البدء والثُّنيان)

وقال الشاعر[١] :

تَلَقَى ثِنَانَا إذا ما جاء بَدَأَهُمُ ... وبَدْؤُهم إنْ أتانا كان ثُنْيانَنا[٢]

فالبدء أضخم السَّادات[٣] ؛ يقال ثِنًى وثنيان[٤] ، وهو اسم واحد . وهو تأويلُ قولِ الشَّاعرِ[٥] :

يَصُدُّ الشَّاعِرُ الثُّنْيَانُ عَنِّى ... صُدُودَ الْبَكْرِ عَن قَرْمٍ هِجَانِ[٦]

لم يمدح نفسه بأن لا يغلب الفحل[٧] [وإنّما يغلب الثُّنيانَ[٨]] . وإنما

---

(١) هذه العبارة من ﻫ فقط ، على أنها وردت فى ﻫ بدل كلمة : « وفى أحدهما يقول اليزيدى » السابقة . والشاعر هذا هو أوس بن مغراء السعدى ، كما فى اللسان (بدأ ، ثنى) والمخصص (١٥ : ١٣٨) والقالى (٢ : ١٧٦) والعمدة (١ : ٧٦) . وقد ورد البيت بدون نسبة فى المخصص (٢ : ١٥٩) . وورد نظيره فى محاضرات الراغب (١ : ٧٧) وهو قول حجر بن خالد :

يسود ثنانا من سوانا وبدؤنا ... يسود معدا كلها ما تدافعه

(٢) الثنى ، بالكسر والقصر : هو من بعد السيد . وفى الأصل : « تلقا ثنايا إذا ما جاء ندهم » محرف . ط : « وبدهم » س ، ﻫ : « وبدأهم » والصواب ما أثبت من جميع المراجع . والثنيان ، بالضم ، هو الثنى . وصدر البيت فيما عدا اللسان (بدأ) : « ترى ثنانا » ، وفى اللسان (بدأ) : « ثنياننا إن أتاهم » . وذكر فى مادة (ثنى) أنها رواية الترمذى .

(٣) ط ، ﻫ : « فالبدا ضخم السادات » ، صوابه فى س .

(٤) فى الأصل : « ثناويان وثنيان » .

(٥) هو النابغة الذبيانى يهجو يزيد بن الصعق ، والبيت من قصيدة فى ديوانه ٧٦ . وانظر العمدة (١ : ٧٦ / ٢ : ١٥٢) .

(٦) البكر ، بالفتح : الفتى من الإبل ، بمنزلة الغلام من الناس . والقرم ، بالفتح : هو الفحل من الإبل . والهجان ، بالكسر : الأبيض . ط ، س : « قرم الهجان » ﻫ : « قوم الهجان » ، صوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « لأن يغلبه الفحل » ﻫ : « لا يغلبه الفحل » .

(٨) التكملة من س . وعبارة ابن رشيق : « لم يرد أنه يغلب الثنيان ولا يغلب الفحل ، لكن أراد التصغير بالذى هاجاه » .

أراد أنْ يصغِّر بِالذى هَجَاه ، بأنه ثنيان(١) ، وإن كان عندَ نفسِه فحلا .
وأما قول الشَّاعر(٢) :

وَمَنْ يَفْخَرْ بمثل أبى وجَدّى   يجئْ قبل السّوابِقِ وهو ثَانِ(٣)

فالمعنى ثانٍ عنانه(٤) :

أحاديث من أعاجيب المماليك

أتيتُ باب السَّعدانىّ ، فإذا غلامٌ له مليحٌ بالباب كان(٥) يتْبع دابَّته ، فقلت له : قلْ لمولاك ، إن شئتَ بكَرتَ إلىَّ ، وإن شئتَ بكَرتُ إليك . قال : أنا ليس أكلِّم مولاى — ومعى أبو القنافذ — فقال أبو القنافذ : ما نحتاج مع هذا الخبَرِ إلى معايَنَة .

وقال أبو البصير المنجِّم ، وهو عند قثم بن جعفر(٦) ، لغلامٍ له مليحٍ صَغيرِ السِّنّ : ما حَبَسك يا حَلَقِىّ ؟ — والحلقىُّ : المخنث — ثمّ قال : أمَا والله

(١) ط ، هـ : « وبأنه ثنيان » ، والواو مقحمة .
(٢) البيت فى العمدة (٢ : ١٥٣) واللسان (١٨ : ١٢٥) .
(٣) هـ : « ومن يعجز » ، تحريف .
(٤) فى اللسان : « يقال للفارس إذا ثنى عنق دابته عند شدة حضره : جاء ثانى العنان . ويقال للفرس نفسه : جاء سابقا ثانيا : إذا جاء وقد ثنى عنقه نشاطا ، لأنه إذا أعيا مد عنقه ، وإذا لم يعى ولم يجهد وجاء سيره عفوا غير مجهود ثنى عنقه » . وأنشد البيت ، وعقب عليه بقوله : « أى يجىء كالفرس السابق الذى ثنى عنقه . ويجوز أن يجعله كالفارس الذى سبق فرسه الخيل ، وهو مع ذلك قد ثنى من عنقه » . فى الأصل : « أى » بدل : « فالمعنى » ، والوجه ما أثبت . س ، هـ : « ثانى عنانه » .
(٥) س ، هـ : « فكان » .
(٦) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ، كان أميرا للبصرة ، وكانت داره مألف كثير من الشعراء منهم أبو العتاهية وسلم الخاسر . انظر الأغانى (٢١ : ٧٧) والمعارف ١٦٤ .

لئن قمتُ إليك يا حلَقىٌّ لتَعلمنَّ ! فلمَّا أكثر عليه من هذا الكلام [بكى و(١)] قال : أدعو الله(٢) على مَنْ جعلَنى حَلَقيًّا .

حدَّثنى الحسن بنُ المرْزُبانِ قال : كنتُ مع أصحابٍ لنا ، إذ أُتِينا بغلامٍ سِندىٍّ يُباع ، فقلت له : أشتريك ياغلام ؟ فقال : حتَّى أسألَ عنك !

قال المكىّ : وأُتِىَ المثنّى بن بِشرٍ بِسِنْدىٍّ(٣) ليشتريه على أنّه طبّاخ ، فقال له المثنَّى : كَمْ تحسنُ يا غلامُ من لونٍ ؟ فلم يُجبْه ، فأعاد عليه ، وقال : يا غلامُ كَمْ تحسنُ من لون ؟ فكلَّمَ غيرَه وتركه ؛ فقال المثنّى فى الثالثة : ما له لا يتكلم ؟ يا غلام ، كَم تحسنُ من لون ؟ فقال السندى : كم تحسن من لون ! كم تحسن من لون ! وأنت لا تحسن ما يكفيك أنت(٤) ؟ قال : حسبُك الآن : ثم قال المثنّى للدّلّال : امضِ بهذا ، عليه لعنةُ الله !

وحدَّثنى ثُمامة قال : جاءنا رجلٌ بغلام سِندىّ يزعمُ أنّه طباخٌ حاذق ، فاشتريتُه منه ، فلمَّا أمرتُ له بالمال قال الرَّجل : إنه قد غاب عنا غيبةً ، فإن اشتريتَه عَلَى هذا الشّرط ، وإلاّ فاتركْهُ . فقلت للسندى : أكنتَ أبقْتَ قطّ ! قال : والله ما أَبقْتُ قطّ ! فقلت: أنت الآن قد جمعتَ مع الإباق الكذب(٥) ! قال : كيف ذلك ؟ قلتُ : لأنّ هذا الموضعَ لا يجوز أنْ يكذِب فيه البائع . قال : جعلنى الله تعالى فِدَاءَك(٦) ! أنا والله أخبرك ١٦٧
عن قصّتى : كنت أذنبْتُ ذنباً كما يُذْنِبُ هذا وهذا ، جميعُ غلمان النَّاس

(١) التكملة من س .
(٢) س : « ادعوا » بغير همز ، على الأمر .
(٣) ط ، هـ : « بشيخ سندى » ، وليس يصح مع سائر الكلام .
(٤) فى الأصل : « وأنا لاتحسن مايكفيك أنت » .
(٥) الإباق : هرب العبد من سيده . أبق يأبق ، من بابى ضرب ونصر ، أبقا وإباقا .
(٦) س : « جعلت فداك » .

فحلفَ بكلِّ يمينٍ لَيضرِبَنّي أربَعمائة سَوط ، فكنتَ ترى لي أن أقيم[١] ؟ قلت : لا الله ! قال : فهذا الآن إباق ؟ قلتُ : لا . قال : فاشتريته فإذا هو أحسنُ النّاس خبْزاً وأطيبُهم طبخاً[٢] .

وخبَّرني رجلٌ قال : قال رجلٌ لغلام له ذاتَ يوم : يا فاجر ! قال : جعلني الله فِداك ، مَولى القوم منهم !

وزعم رَوح بن الطائفية – وكان رَوْحٌ عَبداً لأخْت أنَس بن أبي شيخ[٣] ، وكانت قد فوَّضَت إليه كلَّ شيءٍ من أمْرها – قال : دخلتُ السُّوق أريدُ شراءَ غلامٍ طبَّاخ ، فبينا أنا واقفٌ إذ جيءَ بغلامٍ[٤] يُعرَض بعشرة دنانير ، ويساوِي على حُسْن وجهه وجَودة قدِّه ، وحداثةِ سنِّه ، دونَ صناعته – مائةَ دينار . فلمَّا رأيته لم أتمالك أنْ دنوتُ منه فقلت : ويحك[٥] أقلُّ ثمنِك على وجْهك مائةُ دينار . والله ما يبيعُك مولاكَ بعشْرَة دنانيرَ إلاَّ وأنت شرُّ النّاس ! فقال : أمَّا لهم فأنا شرُّ النّاس ، وأمَّا لغيرهم فأنا أساوي مائةَ ومائةَ . قال : فقلت : التزيُّنَ بجمالِ هذا وطيبِ طَبْخِه يَوما واحدا عند أصحابي خَيرٌ من عشرة دنانير[٦] . فابتَعته ومضيتُ به إلى المنزل ، فرأيتَ من حِـذقه وخِدمته ، وقِلّة تزيُّده ما إنْ بعثتُه إلى الصيرفيِّ ليأتيني من قِبَله بعشرين ديناراً ، فأخذَها ومضَى على وجْهه

---

(١) ط ، هـ : « ترانى أن أقيم » ، صوابه فى س .

(٢) ط ، هـ : « وأطبخهم قدرا » ، صوابه فى س .

(٣) كان أنس بن أبي شيخ من البلغاء الفضلاء ، وكان كاتبا البرامكة ، وقتله الرشيد على الزندقة سنة سبع وثمانين ومائة ، وهى سنة نكبة البرامكة . انظر لسان الميزان ، والبداية والنهاية لابن كثير (١٠ : ١٩٠ – ١٩١) .

(٤) س : « إذ أتى بغلام » .

(٥) ط ، هـ : « ويلك » .

(٦) ط ، هـ : « ويساوى عشرة دنانير » .

فو الله ما شعَرت إلاّ والنّاشد قد جاءنى[1] وهو يطلب جُعْله ، فقلت : لهذا وشبْهه باعك القَومُ بعشرة دنانير ! قال: لولا أنّى أعلم أنّك لا تصدِّق يمينى [و[2]] كيف طُرَّت الدّنانير من ثَوبى [3] . ولـكنّى[4] أقولُ لك واحدة : احتبِسنى واحترسْ منّى ، واستمتعْ بخدِمتى ، واحتسِبْ[5] أنّك كنت اشتريتَنى بثلاثين ديناراً . قال : فاحتبسته لهواىَ فيه ، وقلت[6] لعلّه أنْ يكونَ صادقا . ثمَّ رأيتُ والله من صَلاحه وإنابته[7] وحُسْن خِدمته ، ما دَعانى إلى نِسيان جميع قصّته ، حتى دفعتُ إليه يَوْماً ثلاثين ديناراً ليوصلها إلى أهلى ، فلمّا صارت إلى يده ذهَبَ على وجهه ، فلم ألبثْ إلاّ أيّاما حتى ردّه النّاشد ، فقلت له : زَعمتَ أنَّ الدَّنانير الأولَى طُرَّتْ منك ، فما قولك فى هذه الثانية ؟ قال: أنا ، واللهِ ، أعلم أنّك لا تقبل لى عُذْراً ، فدَعْنى خارجَ الدار ، ولا تجاوِزْ بى خدمةَ المطبخ ؛ ولو كان الضَّرْبُ يردُّ عليك شيئاً من مالِك لأشرتُ عليك به ، ولـكنْ قد ذهبَ مالُك ، والضّرب ينقُص من أجْرك ، ولعلِّى أيضاً أموتُ تحتَ الضّرب فتندمَ وتأثمَ وتفتضحَ

---

(١) الناشد ، يقال للذى يطلب الضالة وينادى بها ، ويقال أيضا للذى يعرف بالضالة ، كما جاء فى قول أبى دواد :

ويصيخ أحيانا كما اسـ ـــتمع المضل لصوت ناشد

وأراد الجاحظ بالناشد المعرف . ط ، هـ : « قد جاء » وأثبت مافى س .

(٢) بها يلتئم الـكلام .

(٣) أى لأخبرتك بما حدث . طرت : اختلست .

(٤) س : « ولـكن » .

(٥) الاحتساب : الحساب والظن ، وبهما فسر الأزهرى قوله تعالى : (ويرزقه من حيث لايحتسب) أى من حيث لايظن ويقدر ، أو من حيث لايعده فى حسابه . س : « واحسب » .

(٦) ط ، هـ : « فقلت » .

(٧) الإنابة : التوبة والرجوع إلى الطاعة . س ، هـ : « إنابته » ، صوابه فى س .

ويطلبَك السلطان . ولكنْ اقتصِرْ بى على المطْبخ فإنِّى سأسُرُّك فيـه ،
١٦٨ وأوفره عليك ، وأستجيد ما أشـتريه[١] وأستصلحه لك . وعُدَّ أنك
اشتريتَنى بستِّين دينارًا ! فقلت له : أنت لا تفلحُ بعد هذا ! اذهبْ فأنتَ
حرٌّ لوجه الله تعالى ! فقال [لى[٢]] : أنت عبدٌ فكيف يجوز عِتقُك : قلت
فأبيعُك بمـا عزَّ أوْهانَ[٣] ! فقال : لاتَبِعْنى حَتَّى تُعِدَّ طبَّاخا[٤] ، فإنَّك
إنْ بعتنى لم تتغذَّ غِذاءً[٥] إلاَّ بخبزٍ وباقِلاء[٦] . قال : فتركته ومَرَّتْ
بعد ذلك أيامٌ[٧] فبينا أنا جالسٌ يوماً إذ مرَّت علىَّ شاةٌ لبونٌ كريمة ،
غزيرة الدَّرّ[٨] كنا فرَّقْنا بينها وبين عَناقها فأكثرَتْ فى الثُّغاء ، فقلت
كما يقول النَّاس ، وكما يقول الضَّجِر : اللهمَّ العَنْ هذه الشاة ! ليت أنَّ الله
بعثَ إنساناً ذبحها أو سرَقها ، حتى نستريحَ من صِياحها ! قال : فلم ألبثْ
إلاَّ بقدْر ما غاب عن عينى[٩] ، ثمَّ عاد فإذا فى يده سِكِّين وسَاطور[١٠] ،
وعليه قَميصُ العَمَل ، ثمَّ أقبلَ علىَّ فقال : هذا اللَّحم ما نصنع به[١١] وأىُّ
شىءٍ تأمرنى به[١٢] ؟ فقلت : وأىُّ لحم ؟ قال : لحم هذه الشاة . قلت :

(١) هـ : « واستحييك » تحريف . س : « ما أشترى » .
(٢) التكملة من س .
(٣) أى بأى ثمن كان . وفى الأصل : « بما عز وهان » .
(٤) س ، هـ : « لاتبيعنى » .
(٥) ط : « لاتتغذى » مع إسقاط الكلمة بعدها . س : « لاتتغذى غداء » هـ : « لم يتعمدك عدا » ، وقد أثبت ما يجمع صواب تلك الروايات .
(٦) الباقلاء : الفول ، يقال باقلاء بالتخفيف والمد ، وباقلى بالتشديد والتخفيف . هـ : « وباقلى » .
(٧) ط فقط ، « وصبرت بعد ذلك أياما » .
(٨) كلمة « كريمة » ليست فى س . ط ، هـ : « غزير الدر » صوابه فى س .
(٩) س : « إلا بقدر ماغاب عنى » ، تحريف .
(١٠) الساطور : سيف القصاب . هـ : « وساطرد » محرف .
(١١) س ، هـ : « ماتصنع به » بالخطاب.
(١٢) ط ، هـ : « تأمر به » .

وأيُّما شاةٍ[1] ؟ قال : التى أمرتَ بذبحها . قلت : وأى شاةٍ أمرْت بذَبْحِها ؟ قال : سبحان الله ! أليس [قد[2]] قلت السّاعة : ليت أن الله تعالى قد بعث إليها مَن يذبحها أو يسرقها ، فلما أعطاك الله تعالى سُؤلك صرتَ تتجاهل ! قال روح : فبقِيت والله لا أقدرُ على حَبسه ولا على بيعه[3] ولا على عِتقه .

(أشعارٌ حِسَان)

[و[4]] قال مسكين الدّارمىّ :

إنَّ أبانا بِكْرُ آدم ، فاعلموا ، وحَواء قَرْمٌ ذو عَثانِين شارفُ[5]

كأنّ على خُرطومه متهافِتاً من القُطن هاجته الأكفُّ النوادفُ[6]

وللصَّدأُ المُسْوَدُّ أطيبُ عندَنا من المِسكِ دَافته الأكُفُّ الدوائفُ[7]

---

(١) س : « وأى شاة » .

(٢) هذه من س .

(٣) ط ، هـ : « على بيعه ولا حبسه » .

(٤) هذه من س .

(٥) القرم ، بالفتح : الفحل . والعثانين : جمع عثنون ، وهى شعيرات طوال تحت حنك البعير . وفى اللسان : « يقال بعير ذو عثانين ، كما قالوا لمفرق الرأس مفارق » . ط ، س : « ذو عنانين » هـ : « عيائين » . والصواب ما أثبت من العيون (٤ : ١٦٥) والشارف : المسن من الإبل والمسنة .

(٦) المتهافت : المتطاير المتساقط . شبه اللغام على مشافر ذلك القرم بقطن متهافت تطيره أيدى النادفين ، شبهه به فى بياضه .

(٧) داف الطيب : خلطه . يقول : رائحة الصدأ من حديد السلاح أطيب عندنا من المسك المدوف . س : « ذاوته الأكف الذوائف » ، تحريف .

ويُصْبِح عِرفان الدُّرُوعِ جلودَنا إذا جاء يومٌ مُظلِمُ اللَّونِ كاسفُ

تعلق فى مثْل السّوارِى سُيوفُنا وما بينها والكعب مِنَّا تَنائفُ (١)

وكلُّ رُدَيْنِىٍّ كأنَّ كُعوبَه قَطاً سابقٌ مستورِدٌ الماءَ صائفُ (٢)

كأنَّ هِلالاً لاحَ فوقَ قَناتِهِ جلا الغَيْمَ عنه والقتامَ الحَراجِفُ (٣)

له مثلُ حُلقومِ النَّعامة حلّة ومثل القدامى ساقها متناصفُ (٤)

وقال أيضاً مِسكينٌ الدَّارِمىّ (٥) :

وإذا الفاحشُ لاقى فاحِشاً فهنا كُمْ وافقَ الشَّنُّ الطبَقْ (٦)

إنَّما الفُحشُ ومنْ يعتادُه كغُرابِ البَيْنِ ما شاءَ نَعَقْ (٧)

أو حمارِ السَّوء إنْ أشبعْتَهُ رَمَحَ النَّاسَ وإنْ جاعَ نَهَقْ (٨)

---

(١) مثل السوارى ، عنى بها أعناق الرجال . والسارية : الأسطوانة من أساطين البيوت ونحوها . والتنائف : جمع تنوفة . وهى المفازة ، وهذه مبالغة ظاهرة أن يجعل مابين أعناقهم وكعوبهم تنائف . وفى المقاييس (نف) : « نفانف » . والبيت من شواهد النحويين فى العطف .

(٢) الردينى : الرمح المنسوب إلى ردينة ، جعل كعوبه كالقطا فى ضآلتها ؛ ويستحب من الرمح قصر كعوبه .

(٣) شبه سنان ذلك الرمح بالهلال فى بياضه ولمعانه وتقوسه ، فى الأصل : « فوق فنائه » تحريف ، ونظير هذا ماجاء من قول المزرد فى المفضليات ٩٩ :

له فارط ماضى الغرار كأنه هلال بدا فى ظلمة الليل ناحل

الغيم : السحاب . والقتام : الغبار . والحراجف : جمع حرجف ، وهى الريح الباردة اليابسة ، يقول : كأنه الهلال المجلو فى تلك الليالى الباردة التى ينتفى فيها الغيم والغبار .

(٤) كذا ورد هذا البيت .

(٥) س : « وقال أيضا » فقط .

(٦) انظر ماسبق فى ص ١١٤ .

(٧) فى الخزانة (١ : ٤٦٧) : «ونفق» بالمعجمة . يقال نعق ونغق بمعنى .

(٨) س ، هو : « وإن شاء » ، صوابه فى ط والخزانة والشعراء ١٢٣ .

أو غُلامِ السَّوءِ إنْ جوَّعتَه   سَرَق الجارَ وإن يشْبَع فَسَق ٦٩

وقال ابن قيس الرقيات(١) :

مَعقِل القوم من قُريشٍ إذا ما   فازَ بالجهلِ مَعْشَرٌ آخرُونا(٢)

لا يَؤُمُّون فى العَشِـــيرةِ بالسَّو   ء ولا يُفسِدُون ما يَصْنَعُونا(٣)

وقال ابنُ قيس أيضاً ، واسمُه عبد الله(٤) :

لو كانَ حَولى بنو أميّــةَ لم   ينطِقْ رجالٌ إذا هُمُ نَطَقُوا

إنْ جَلَسُوا لم تَضِقْ مجالسهُم   أو ركِبوا ضاقَ عنهمُ الأُفُقُ

كَمْ فيهم من فَتًى أخِى ثِقَةٍ   عن مَنْكِبَيْه القميصُ منخرقُ(٥)

تحبُّهم عُـــوَّذ النِّساء إذا   ما احمرَّ تحت القوانِسِ الحَدَقُ(٦)

وأنكرَ الكَلْبُ أهلَه ورأى الشَّـــرَّ   وطاحَ المروَّع الفَرِقُ(٧)

وقال النّابغة :

سَهكِينَ مِنْ صَدَإِ الحديدِ كأنَّهمْ   تحتَ السَّنَوَّرِ جِنّةُ البقّارِ(٨)

---

(١) سبقت ترجمته فى (٢ : ٦). س : « ابن الرقيات » ، تحريف .

(٢) ط : « مقل القوم » ، صوابه فى س ، هـ .

(٣) يؤمون : يقصدون . ط : « يأمون » س : « يؤمنون » هـ : « يؤبون » . صوابه ما أثبت .

(٤) انظر ماسبق من الخلاف فى اسمه ولقبه فى (٢ : ٦) .

(٥) فى ديوانه : « عن منكبيه السربال » .

(٦) العوذ : جمع عائذة ، وهى التى تلجأ إلى غيرها تعتصم به . ط ، هـ : « تحسبهم عذر » . س : « تحسبهم غدر » ، صوابهما من الديوان . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى بيضة الحديد . س : « الفرايس » تحريف .

(٧) فى الديوان : « وأتى الشر » برفع الشر . والفرق : الخائف الفزع . وهذه الأبيات من قصيدة فى ديوان ابن قيس الرقيات ١٤٨ — ١٥٣ ، وترتيبها على هذا النحو : ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٨) الجنة : الجن . والبقار ، بفتح الباء وتشديد القاف : جبيل لبنى أسد . =

وقال بشار بن برد :

يطيِّبُ ريحُ الخيزُرَانَةِ بينَهمْ على أنّها ريحُ الدِّماء تضُوعُ[١]

(القول فى الشهب واستراق السمع)

وسنقول فى الشُّهُب ، وفى استراق السَّمع[٢] . وإنّما تركْنا جمعَه فى مكانٍ واحد ، لأنّ ذلك كان يطولُ على القارئ . ولو قد قرأ فضْل الإنسانِ على الجانّ ، والحجَّةَ على مَن أنكرَ الجانّ — لم يستثقِلْه ، لأنّه حينئذٍ يقصد إليه على أنّه مقصورٌ على هذا الباب ، فإذا أدخلناه فى باب القول فى صِغار الوحش ، والسِّباع ، والهَمج ، والحشراتِ ، فإذا[٣] ابتدأ القراءة على ذلك استطال كلَّ قصير إذا كان من غير هذا المعنى .

قالوا : زعمتم أنّ الله تعالى قال : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ[٤] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ[٥] ﴾ وقال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ[٦] ﴾ ونحنُ لم نجدْ قطُّ كوكباً خلا مكانُه ، فما ينبغى أنْ يكون واحدٌ من جميع

= س : « حنة » هـ : « حنته » صوابهما فى ط . ويروى : « قنة البقار » كما أنشده ياقوت فى البلدان (٢ : ٢٥٠) . وانظر ماسبق من الكلام على البيت فى ص ١٨٩ من هذا الجزء من الحيوان .

(١) روى الصدر برواية أخرى فى حماسة ابن الشجرى ١١٣ وشروح سقط الزند ٧٠٠ ، ٧٠٨ ، ٨٥٧ . وعجزه فى المقاييس (ضوع) .

(٢) انظر ماسبق من الكلام على الشهب واستراق السمع فى ص ٢٦٤ — ٢٨١ .

(٣) س : « وقد » .

(٤) من الآية ١٥ فى سورة الملك .

(٥) الآية ١٧ من سورة الحجر .

(٦) كذا وردت هذه الآية مكررة فى ط ، هـ . على أن الكلام من بعد كلمة : « الشياطين » الأولى إلى هنا ساقطة من س .

هذا الخلق[١] ، من سكّان الصحارى ، والبِحار[٢] ، ومن يُراعِى النُّجوم للاهتداء ، أو يُفكِّر[٣] فى خلق السموات أن [يكون[٤]] يرى كوكباً واحداً زائلاً[٥] ، مع قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ .

قيل لهم : قد يحرِّك الإنسانُ يدَه أو حاجبَه أو إصبَعه ، فتضافُ تلك ١٧٠
الحركةُ إلى كلِّه ، فلا يشكُّون أنَّ الكلَّ هو العاملُ لتلك الحركة . ومتى فَصَل شِهابٌ[٦] من كوكب ، فأحرق وأضاء فى جميعِ البلاد[٧] ، فقد حكَم[٨] كلُّ إنسانٍ بإضافة ذلك الإحراق إلى ذلك الكوكب . وهذا جواب [قريبٌ[٩]] سهل . والحمد لله .

ولم يقلْ أحد : إنّهُ يجبُ فى قوله ﴿ وَجَعَلْنَاهَا رُجُوماً لِلشَّيَاطِينِ ﴾ أنّه يَعْنِى الجميع . فإذا كان قد صحّ أنّه إنّما عَنَى البَعض فقد عَنَى نُجُوم المجرَّة[١٠] ، والنجومَ التى تظهر فى ليالى الحنادس ؛ لأنّه محال أن تقعَ عينٌ على ذلك الكوكبِ بعينه فى وقت زَواله حتَّى يكون الله عزّ وجلّ لو أفنى ذلك الكوكبَ من بين جميع الكواكب الملتفّة ، لعرف هذا المتأمِّلُ

(١) س : « من جمع سكان هذا الخلق » . وكلمة « سكان » مقحمة .

(٢) س : « والتجار » .

(٣) ط ، هـ : « وأنكر » س : « وينكر » ، ولعل الوجه ما أثبت .

(٤) ليست بالأصل . وقد كررت « أن يكون » لطول الفصل بينها وبين سابقتها .

(٥) فى الأصل : « قائلا » ، والوجه ما أثبت . وسيأتى فى س ١٢ قوله : « فى وقت زواله »

(٦) فى الأصل « ومن فضل شعاع » ، صوابه ما أثبت .

(٧) س : « العيان » ، تحريف .

(٨) فى الأصل : « وفى حكم » .

(٩) هذه الكلمة من س .

(١٠) فى الأصل : « فى غب نجوم المجرة » .

مكانَه ، ولوَجدَ مَس فقدِه . ومن ظَنَّ بجهله أنَّه يستطيع الإحاطةَ بعدد النُّجوم[1] فإنه متى تأمَّلها فى الحنادس ، وتأمَّلَ المجرَّة وما حولَها ، لم يضرِب المثلَ فى كثرة العدَد إلاّ بها[2] ، دونَ الرّمل والتّراب وقَطْر السَّحاب .

وقال بعضُهم[3] : يدنو الشِّهاب قريباً ، ونراه يجىء عَرْضاً لا مُنْقَضّاً[4] ، ولو كان الكوكبُ هو الذى ينقَضُّ لم يُرَ كالخيط الدَّقيق[5] ، ولأضاء جميعَ الدُّنيا ، ولأَحرق كلَّ شىء مما على وجْه الأرض . قيل له : قد تكون الكواكب[6] أفقيّة ولا تكونُ علوية[7] ؛ فإذا كانت كذلك فصَل الشِّهابُ منها عَرْضا . وكذلك قال الله[8] تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ[9] ﴾ وقال الله عزَّ وجلّ : ﴿ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ[10] ﴾ فليس لكم أن تَقضوا بأَنَّ المباشرَ لبدَن الشيطان هو الكوْكبُ[11] حتى لا يكون غير ذلك ، وأنتم تسمعونَ الله تعالى يقول[12] :

(١) ط ، س : « بعد النجوم » ، وأثبت ما فى هـ .
(٢) فى الأصل : « إلا أنها » ، والوجه ما أثبت .
(٣) فى الأصل : « فيقال بعضهم » .
(٤) فى الأصل : « ولا منقضا » والواو مقحمة .
(٥) فى الأصل : « الرقيق » بالراء .
(٦) فى الأصل : « الجبال » .
(٧) ط فقط : « وتكون علوية » ، تحريف .
(٨) الكلام من هنا إلى لفظ الجلالة التالى ساقط من س .
(٩) الآية ١٠ من سورة الصافات .
(١٠) من الآية ٧ فى سورة النمل . وقد وردت الآية محرفة فى الأصل بلفظ : « لعلى آتيكم » . وأما الآية التى تلتبس بهذه الآية فهى قول الله تعالى : (لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى) من الآية ١٠ فى سورة طه . وقد سبق كثير من التحريفات القرآنية فى (٤ : ٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ / ٥ : ٣٢ : ٩٣ ، ١٣٧ ، ٥٤٤ ، ٥٤٧) . وانظر تحقيق النصوص لعبد السلام هارون ص ٤٥ .
(١١) أى هو جميع الكوكب . وفى الأصل : « من الكوكب » .
(١٢) فى الأصل : « وأنتم تسمعونه والله تعالى يقول » .

﴿ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ والشِّهاب معروفٌ فى اللغة ، وإذا لم يُوجِبْ عليها ظاهرَ لفظ القُرآن[1] لم ينكر أنْ يكون الشِّهابُ كالخطّ أوكالسهم لا يضىءُ إلاّ بمقدار ، ولا يقوَى على إحراق هذا العالَم . وهذا قريبٌ والحمد لله .

وطعن بعضهم من جهة أخرى فقال : زعمتم أنّ الله تبارك وتعالى قال : ﴿ وَحِفْظاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ . لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ[2] ﴾ وقال على سَنَنِ الكلام : ﴿ إِلاّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾ قال : فكيف تكون الخطفة من المكان الممنوع ؟ قيل له : ليس بممنوعٍ من الخطفة ، إذ كان لا محالة مرميًّا بالشِّهاب[3] ومقتولا ، على أنّه لوكان سَلِمَ بالخطْفة لما كان استفادَ شيئاً للتكاذيب والرِّياسة . وليس كلُّ مَن كذبَ على الله وادَّعى النبوَّة كان على الله تعالى أنْ يُظهر تكذيبه ، بأنّ يخسِفَ به الأرض ، أو ينطِقَ بتكذيبه فى تلك السَّاعة . وإذا وجبَ 171
فى العُقول السَّليمة ألاّ يصدق فى الأخبار لم يكن معه بُرهان . فكفى بذلك .

ولوكان ذلك لكانَ جائزاً ، ولكنّه ليس بالواجب[4] . وعلى أنَّ

---

(١) أى إذا لم يتأول لفظ القرآن على ظاهره .

(٢) الآيات ٧ – ٩ من سورة الصافات .

(٣) ط ، هـ : « مؤمنا بالشهاب » س : « هو منا بالشهاب » . ووجههما ما أثبت .

(٤) ط ، هـ : « ليس بالجواب » .

ناساً من النحويِّين لم يُدخلوا قوله تعالى : ﴿ إلاَّ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ ﴾ فى الاستثناء ، وقالوا[1] : إنّما هو كقوله[2] :

إلاّ كخارجة المكلِّفِ نفسَه وابنَى قبيصة أن أغِيبَ ويَشْهَدا[3]

وكقوله أيضاً[4] :

إلا كناَشرة الذى كَلّفتمُ كالغُصْنِ فى غلوائه المتَنَبّتِ[5]

---

(١) ط ، هـ : « وقال » س : « قال » .

(٢) هو الأعشى ، والبيت فى ديوانه ص ٣٤ طبع جاير من قصيدة طويلة . وقبل البيت :

من مبلغ كسرى إذا ماجاءه عنى مآلك مخمشات شردا
آليت لانعطيه من أبنائنا رهنا فنفسدهم كمن قد أفسدا
حتى يفيدك من بنيه رهينة نعش ويرهنك السماك الفرقدا

وبعد البيت :

إن يأتياك برهنهم فهما إذا جهدا وحق لخائف أن يجهدا

(٣) خارجة : رجل من بنى شيبان كما فى شرح الديوان ، وقد ورد عجز البيت محرفا : « وأبى قبيصة أن أغيب وتشهدا » ، وصوابه الذى أثبت من الديوان .

(٤) هو عنز بن دجاجة المازنى . كما فى كتاب سيبويه (١ : ٣٦٨) . وقبل البيت :

من كان أشرك فى تفرق فالج فلبونه جربت معا وأغدت

وفالج هذا هو فالج بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم ، سعى عليه بعض بنى مازن وأساء إليه حتى رحل عنهم ولحق ببنى ذكوان بن بهثة بن سليم بن قيس عيلان فنسب إليهم . وكان بنو مازن قد ضيقوا على رجل منهم يسمى ناشرة حتى انتقل عنهم إلى بنى أسد ، فدعا هذا الشاعر المازنى عليهم حيث اضطروه إلى الخروج عنهم ، واستثنى ناشرة منهم لأنه لم يرض فعلهم ، ولأنه قد امتحن بهم محنة فالج بهم . انظر شرح شواهد سيبويه للشنتمرى . والبيتان بدون نسبة فى اللسان (نبت) . وورد البيت منسوبا إلى الأعشى فى المخصص (١٦ : ٦٨) ، وليس فى ديوانه ، وإنما أوقع ابن سيده فى هذا الوهم تشابه مابين الصدرين .

(٥) الكاف فى « كناشرة » زائدة ، أو غير زائدة لأنه أراد ناشرة ومن كان مثله ، كما تقول : مثلك لا يرضى بهذا ، أى أنت وأمثالك . فى الأصل : « كباشرة » محرف . كلفتم ، أى أمرتموه بما يشق عليه . والرواية فى جميع المراجع : « الذى ضيعتم » . وفى الأصل : « كالعضو » . والغلواء : النماء والارتفاع ؛ وأصله فى الشباب ، أوله وسرعته . ط ، هـ : « علوائه » س : « عليائه » تحريف . والمتنبت ، بفتح الباء المشددة : المنمى المغذى ، ويروى بكسر الباء ومعناه النابت النامى . هذا قول الشنتمرى . ولم أجد تنبت =

وقال الشّاعر فى باب آخر ، ممّا يكونُ موعظةً له من الفكر والاعتبار . فمن ذلك قوله (١) :

مهما يَكن ريبُ المَنُون فإننى ... أرى قَمَر اللّيلِ المعَذَّرَ كالفتَى (٢)

يَكُونُ صغيراً ثمَّ يعظُم دائباً ... ويرجعُ حتّى قيلَ قدمات وانقضى

كذلك زَيدُ المرءِ ثمَّ انتقاصُه ... وتكراره فى إثرِه بعد ما مَضَى (٣)

وقال آخر :

ومستنْبَتٍ لا باللّيالى نَباتُه ... وما إن تلاقِى ما به الشّفتَانِ (٤)

= متعدية فيما لدى من المعاجم . وقال ابن منظور : « وقيل المتنبت هنا المتأصل » يعنى المتنبت بكسر الباء المشددة . وفى الأصل : « المتثبت » تحريف .

(١) هو حسان السعدى ، أو حنظلة بن أبى عفراء الطائى . انظر حواشى (٣ : ٤٧٨) حيث الكلام على نسبة الشعر وتخريجه وتفسيره .

(٢) فى الأصل : « فإلا تكن » و : « المقدر » بدل : « المعذر » . وانظر ما سبق فى (٣ : ٤٧٨) .

(٣) فى الأصل : « كذاك يزيد المرء » ، تحريف .

(٤) ط ، س : « ومستثبت لا بالليالى ثباته » ، والوجه ما أثبت من ه . ط ، ه : « تلاقت به » ، س : « تلاقت به » بترك بياض بين الكلمتين . ولعل الوجه ما أثبت . عنى أن الطريق كلما سار به السابلة ازداد اتساعا وطولا ونماء ولا أثر لليالى فى ذلك ، وإنما هو من فعل السالكين ، ومع أنه نبت فإن أحدا لا تلاقى شفتاه ما به لتطعمه . وقد روى هذا البيت فى المخصص (٩ : ٢٨) وتهذيب الألفاظ ٤٠١ :

وما شامة سوداء فى حر وجهه ... مجللة لا تنجلى لزمان

لكن فى المخصص : « وذى شامة » . وفى شرح التهذيب : « قال أبو محمد — يعنى أبا محمد يوسف بن الحسين بن عبد الله بن المرزبان القيسرانى : كما فى مقدمة الكتاب — : الذى عندى أنه أراد : وما شىء فى حر وجهه شامة سوداء ؟ ويكون سؤاله عن القمر إلا أنه ألغز . وإن حمل الكلام على ظاهره كان السؤال عن الشامة ماسببها » .

وآخر في خمسٍ وتسعٍ تَمامُه ويُجْهَد في سَبْعٍ معا وثمانِ[1]
الأوّل الطّريق والثاني القمر .

(ما قيل في إنقاص الصحة والحياة)

وقال أبو العتاهية :

* أسرَعَ في نقْضِ امرئٍ تمامُه[2] *

وقال عبدُ هند[3] :

فإنّ السِّنان يركبُ المرءُ حَدّه من العارِ أو يعدُو على الأسدِ الوَرْدِ
وإنّ الذي ينها كُمُ عن طِلاَبِهَا يُناغِي نِساءَالحيِّ في طُرّةالبُرْدِ[4]
يُعَلّلُ والأيّامُ تنقص عمرَهُ
كما تنقُصُ النِّيرَانُ من طَرَفِ الزَّندِ[5]

وفي أمثال العرب : «كلُّ ما أقامَ شَخَص[6] ، وكلُّ مَا ازداد نقص ؛ ولو كان يُميتُ النّاسَ الدَّاء ، لأعاشهم الدّواء » .

---

(١) المخصص : « ويدرك في خمس وتسع » ، والتهذيب : « ويدرك في ست وتسع » يجهد ، من قولهم جهده المرض والتعب الحب يجهده جهدا : هزله . ورواية المخصص والتهذيب : « ويهرم » .

(٢) في عيون الأخبار (٢ : ٣٣٢) : « في نقص » بالصاد المهملة ، وهو الأوفق في المقابلة .

(٣) كذا ورد في جميع النسخ . وقد سبق في (٣ : ٤٧٩) بهذه النسبة أيضا في نسخة كوبريلي . وفي (٣ : ٤٨) : « عمرو بن هند » ، كما ورد بهذه النسبة الأخيرة في ط ، س من (٣ : ٤٧٩) .

(٤) في الأصل : « فان الذي » ، صوابه من الموضعين السابقين والبيان (٣ : ٣٤) .

(٥) في الأصل : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت ما في المواضع السابقة .

(٦) شخص : سار من بلد إلى بلد . وفي ط ، هـ : « كل ما قام » س : « كلما قام » والوجه « مع فصل « كل » عن « ما » . وانظر البيان (١ : ١٥٤) .

وقال حميد بن ثور :

أرى بَصَرِى قد رَابَنِي بَعْدَ صحّةٍ وحَسْبُكَ داءً أن تصحَّ وتسلما

وقال النَّمر بنُ تَولب :

يُحبُّ الفَتَى طُولَ السَّلَامَةِ والبقا فكَيْفَ تَرَى طُولَ السَّلامةِ يفعَلُ[1]

(أخبار فى المرض والموت)

وقيل للمُوبَذ[2] : متى أبنك يعنى أبنك[3] قال : يوم ولِد . ١٧٢

وقال الشّاعر :

تصرّفتُ أطوارًا أرى كُلَّ عِبْرَةٍ وكان الصِّبَا مِنِّى جَديدا فأخْلَقا[4]

وما زادَ شيءٌ قطُّ إلا لنقصِه وما اجتمع الإلفان إلاَّ تفرَّقا[5]

وقيل لأعرابى فى مرضه الذى مات به : أىَّ شىءٍ تشتكى ؟ قال : تمام العِدَّة ، وانقضاء المدّة[6] !

وقيل لأعرابىّ[7] ، فى شَكَاته التى ماتَ فيها : كيف تجِدُك ؟ قال : أجدُنى أجدُ مالا أشتهى ، وأشتهى مالا أجِد !

---

(١) انظر البيان (١ : ١٥٤) والمعمرين ٦٣ والأغانى (١٩ : ١٥٩) وشرح شواهد المغنى ٢١٥ .

(٢) هـ : « المؤيد » تحريف .

(٣) كذا فى ط . وفى س : « متى ابنك يعنى أباك » بإهمال الكلمة الأخيرة ، هـ : « متى أتيك يعنى أينك » .

(٤) أخلق : بلى . ط : « تعرفت أطوارا » .

(٥) ط ، هـ : « وما اجتمعا » ، صوابه فى س .

(٦) هذا الخبر ساقط من هـ .

(٧) سبق الخبر فى (٣ : ١٣٢) . وفى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) : « عن أبي زيد قال : دخلنا على أبى الدقيش وهو شاك ، فقلنا له : كيف تجدك ؟ قال : أجدنى أجد مالا أشتهى وأشتهى مالا أجد ، ولقد أصبحت فى شر زمان و شر ناس ؛ من جاد لم يجد ، ومن وجد لم يجد » .

وقيلَ لعَمرو بن العاصى فى مَرْضَته التى ماتَ فيها[1] : كيف تجدك ؟ قال : أجِدُنى أذوب ولا أثُوب[2] .

وقال مَعْمَرٌ : قلتُ لرجلٍ كان معى فى الحبْس ، وكان مات بالبطْن : كيفَ تجدُك ؟ قال : أجدُ روحى قد خرَجَتْ من نصفى الأسفل ، وأجدُ السَّماء مُطْبِقةً علىَّ ، ولو شئتُ أنْ ألمَسَها بيدِى لفعلت ، ومهما شككتُ فيه فلا أشكُّ أنَّ الموت بَرد ويُبس ، وأنَّ الحياةَ حرارة ورطوبة .

(شعر فى الرثاء)

وقال يعقوبُ بن الرَّبيع[3] فى مرثية جاريةٍ كانتْ له :

حَتَّى إذا فَتَرَ اللِّسانُ وأصبحَتْ ... للموتِ قد ذَبَلَتْ ذُبول النَّرجسِ
رَجَعَ اليقينُ مطامعِى يأساً كما ... رَجَعَ اليقينُ مطامِعَ المتلمِّس[4]

---

(١) س : « فى مرضه الذى مات فيه » .

(٢) أثوب ، بالمثلثة : أرجع . س : « آتوب » تحريف . وتمام الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ٤٩) : « وأجد نجوى أكثر من رزقى ، فما بقاء الشيخ على هذا ! » .

(٣) هو يعقوب بن الربيع الحاجب مولى المنصور ، شاعر محسن أنفد شعره فى مراثى جاريته « ملك » بضم الميم ، وكان طلبها سبع سنين يبذل فيها ماله وجاهه حتى ملكها فأقامت عنده ستة أشهر ثم ماتت ، فرثاها بشعر كثير . انظر معجم المرزبانى ٥٠٤ والكامل ٧٧٣ - ٧٧٤ . ومن قوله فيها :

يا ملك نال الدهر فرصته ... فرمى فؤادا غير محترس
كم من دموع لا تجف ومن ... نفس عليك طويلة النفس

(٤) رجع المطامع يأسا : جعلها يأسا لا أمل فيها . ويشير إلى ما كان من طمع المتلمس الشاعر بما فى صحيفته ، ثم ضياع ذلك الأمل حين عرضها على أحد أبناء الحاضرة فعرف ما فيها من المكيدة . وبين هذا البيت وسابقه :

وتسهلت منها محاسن وجهها ... وعلا الأنين تحثه بتنفس

وقال يعقوبُ بن الربيع :

لئن كانَ قُرْبُكِ لى نافعاً   لَبُعْدُك قد كان لى أنفعاَ

لأنى أمِنْتُ رَزَايَا الدُّهور   وإنْ جلَّ خطبٌ فلن أجْزَعاَ

وقال أبو العتاهية[1] :

وكانَتْ فى حياتِكَ لى عِظَاتٌ   فأنتَ اليوم أوْعَظُ منك حَيَّا

وقال التيميُّ :

لقَد عَزَّى رَبيعَةَ أنَّ يوماً   عليها مِثلَ يومكَ لا يعودُ

ومِنْ عَجبٍ قَصَدْنَ له المنايا   على عَمْدٍ وهُنَّ له جُنُودُ[2]

وقال صالحُ بنُ عبد القدُّوسِ :

إن يكنْ ما أصِبت فيه جليلا   فذهاب العَزاء فيه أجَلُّ

ونظر بعضُ الحكماء إلى جنازة الإسكندر ، فقال : « إنَّ الإسكندرَ كان أمسِ أنطقَ منه اليوم ، وهو اليومَ أوعَظُ منه أمس » .

وقال حسان :

ابيضَّ مِنِّى الرَّأسُ بعدَ سوادِه   ودَعَا المشيبُ حَليلَتِى لِبعادِ[3] ٩٧٣

واستُنفِدَ القَرْنُ الذى أنا مِنْهُمُ   وكَفى بذلك علامةً لَحصادِى[4]

وقال أعرابى :

---

(١) يرثى على بن ثابت الأنصارى، كما فى معاهد التنصيص (٢ : ١٨٥) ، أو ولدا له كما فى العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليبسك وذيل الأمالى ص ٢ والحيوان (٣ : ٩١) وحواشى أمالى الزجاجى ٩٣ من تحقيقنا .

(٢) فى الأصل : « بنود » .

(٣) س : « خليلاتى لبعادى » .

(٤) استنفدهم : أنفدهم وأفناهم . ط ، س : « واستنفذ » هـ : « وستنفذ » صوابهما ما أثبت . ط ، هـ : « وكنى بذلك » ، صوابه فى س .

إذا الرِّجالُ ولدَتْ أولادُها ... واضطربَتْ من كِبَرٍ أعضادُها
وَجَعَلتْ أسقامُها تعتادُها ... فهى زُروعٌ قد دَنا حَصادُها

وقال ضِرارُ بنُ عمرو[1] : « مَنْ سرَّه بَنُوهُ ساءتْه نفسُه » .

وقال عبدُ الرحمن بن أبي بكرة . « مَنْ أحَبَّ طُولَ العُمُر فليُوطِّنْ نفسَه على المصائب » .

وقال أخو ذِي الرُّمَّة[2] :

ولم يُنسِنِى أوْفَى المُلِمَّاتُ بعدَه ... ولكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوْجَعُ

(بعض المجون)

وقال بعض المُجّان[3] :

نُرقِّع دُنْيانا بتمزيقِ دِينِنا ... فلا دِينُنا يَبْقَى ولا ما نرقِّعُ

وسُئل بعضُ المُجَّان : كيف أنتَ فى دينك ؟ قال : أخرِّقه بالمعاصى ، وأرقّعه بالاستغفار .

---

(١) فى عيون الأخبار (٢ : ٣٢٠) : « رأى ضرار بن عمرو الضبى له ثلاثة عشر ذكرا قد بلغوا ، فقال » .

(٢) هو مسعود ، كما فى الشعراء ١٢٧ والأغانى (١٦ : ١٠٧) يرثى بهذا الشعر أخاه ذا الرمة ويذكر « أوفى » الذى مات قبل ذى الرمة . وأوفى هذا هو أوفى ابن دلهم ، ابن عم ذى الرمة ، وكان أحد رواة الحديث الثقات ، ترجم له ابن حجر فى تهذيب التهذيب . وذكر ابن قتيبة أن « أوفى » هذا أخ لذى الرمة والصواب أنه ابن عمه لا أخوه وقبل البيت :

نعى الركب أوفى حين آبت ركابهم ... لعمرى لقد جاءوا بشر فأوجعوا
نعوا باسق الأخلاق لا يخلفونه ... تكاد الجبال الصم منه تصدع
خوى المسجد المعمور بعد ابن دلهم ... فأضحى بأوفى قومه قد تضعضعوا
تعزيت عن أوفى بغيلان بعده ... عزاء وجفن العين ملآن مترع

(٣) البيت منسوب إلى إبراهيم بن أدهم فى العقد (٢ : ١١٥) . وفى محاسن البيهقى (٢ : ٤٧) : « وكان إبراهيم بن أدهم ينشد » ، وفى عيون الأخبار (٢ : ٣٣٠) : « كان إبراهيم بن أدهم العجلى يقول » . ويبدو أنه كان يتمثل بهذا البيت كما فى البيان (١ : ٢٦٠) .

(شعر فى معنى الموت)

وأنشدُوا لعُروة بن أذينة :

تُراع إذا الجنائزُ قابلتْنَا ويحزُننا بُكاءُ الباكياتِ [1]
كرَوْعةِ ثَلَّةٍ لُمغارِ سَبْعٍ فلما غابَ عادَتْ راتِعَاتِ [2]

وقال أبو العتاهية :

إذا ما رأيتم مَيِّتِينَ جزعتمُ وإن لم تَروا مِلتم إلى صَبَواتِها [3]

وقالت الخنساء :

تَرتَعُ ما غَفَلَتْ حتَّى إذا ادَّكرت فإنَّما هى إقبالُ وإدبارُ [4]

وكان الحسنُ لا يتمثَّل إلا بهذين البيتين ، وهما :

يسرُّ الفتى ما كان قدَّمَ من تُقًى إذا عَرَفَ الدَّاءَ الذى هو قاتلُه

والبيتُ الآخر :

ليس مَنْ ماتَ فاستراح بمَيْتٍ إنَّما الميْتُ ميِّتُ الأحياء [5]

---

(١) فى عيون الأخبار (٣ : ٦٢) : « ونلهو حين تخفى ذاهبات » .

(٢) الثلة ، بالفتح : جماعة الغنم . والمغار : مصدر ميمى من أغار . وفى الأصل : « ليعار » ، صوابه من عيون الأخبار والبيان (٣ : ٢٠١) والرواية فى الأخير : « لمغار ذئب » .

(٣) أى صبوات الدنيا . والصبوة ، بالفتح : جهلة الفتوة والهو من الغزل .

(٤) من مرثية الخنساء فى أخيها صخر . والبيت فى صفة ناقة ثكلت ولدها . وقبله :

فما عجول على بو تطيف به قد ساعدتها على التحنان أظآر

العجول ، أراد بها ناقة ثكولا . والبو : جلد ولد الناقة إذا مات حين تلده أمه يحشى تبنا ويدنى منها فتشمه وترأمه . ما غفلت : أى عن ذكر ولدها . فى الأصل : « ذكرت » والرواية : « ادكرت » بتشديد الدال : أى تذكرت . جعلتها لكثرة ما تقبل وتدبر كأنها تجسمت من الإقبال والإدبار . انظر الخزانة (١ : ٢٠٧ بولاق) والبيان (٣ : ٢٠١) .

(٥) البيت لعدى بن الرعلاء الغسانى ، كما فى الخزانة (٤ : ١٨٧) وحماسة ابن الشجرى ٥١ .

وكان صالحٌ المُرّىّ (١) يتمثّل فى قصصه بقوله :

فباتَ يُروِّى أصولَ الفسيلِ ‌ ‌ ‌ فعاشَ الفَسيلُ ومات الرجلْ

١٧٤ وكان أبو عبد الحميد المكفوف ، يتمثّل فى قَصَصه بقوله :

يا راقدَ اللّيلِ مَسروراً بأوّله ‌ ‌ ‌ إنّ الحوادثَ قد يطرُقن أسحارَا (٢)

ونظر بكرُ بن عبد الله المُزَنىّ (٣) إلى مُوَرِّقٍ العِجلىّ (٤) ، فقال :

عندَ الصَّباحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى ‌ ‌ ‌ وتنجلى عنهمْ غَياباتُ الكَرَى (٥)

وقال أبو النجم (٦) :

---

(١) هو صالح بن بشير بن وادع المرى ، بضم الميم وتشديد الراء ، أبو بشر البصرى القاضى الزاهد ، أحد رواة الحديث العباد البلغاء . توفى سنة ١٧٢ . تهذيب التهذيب والبيان والتبيين (١ : ٧٨) . وفى الأصل : « صالح المدنى » تحريف ، وقد جاء اسمه على الصواب فى البيان .

(٢) لأبى العتاهية فى ديوانه ١٢٠ . ونسب إلى ابن الرومى فى تفسير سورة طارق عند القرطبى . وانظر البيان (٣ : ٢٠٢) .

(٣) بكر بن عبد الله المزنى : نسبة إلى مزينة ، أبو عبد الله البصرى ، ثقة ثبت جليل من الثالثة ، مات سنة ست ومائة . تقريب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧١) . س : « المدنى » تحريف .

(٤) مورق — بضم الميم وفتح الواو وتشديد الراء المكسورة — بن مشمرج ، بضم الميم وفتح الشين وسكون الميم بعدها راء مكسورة فجيم ، ابن عبد الله العجلى ، أبو المعتمر البصرى ، ثقة عابد من كبار الثالثة ، مات بعد المائة . ط : « مؤرق » بالهمز ، تحريف ، صوابه فى س ، هـ وتقريب التهذيب وصفة الصفوة (٣ : ١٧٣) والقاموس (ورق) .

(٥) البيتان من أرجوزة نسبت فى أمثال الميدانى (١ : ٤٢٢) إلى خالد بن الوليد . وهى بدون نسبة فى معجم البلدان (رسم سوى ، وقراقر) وتاريخ الطبرى (٤ : ٤٥) . ومهما يكن فإنها قيلت فى رافع بن عميرة الطائى ، دليل خالد بن الوليد حين أراد السير مفوزا من قراقر — وهو ماء لكلب — إلى سوى — وهو ماء لبهراء — بينهما خمس ليال ، فالتمس دليلا ، فدل على رافع واستنقذ بذلك جيشه الذى أرسل مددا من العراق إلى الشام فى زمن أبى بكر . وقبل البيتين :

لله عينا رافع أنى اهتدى ‌ ‌ ‌ فوز من قراقر إلى سوى
خمسا إذا ماساروها الجيش بكى ‌ ‌ ‌ ما سارها قبلك إنسى يرى

(٦) ورد بدون نسبة فى البيان (٣ : ١٩٤) .

كلنا يأمُلُ مدًّا في الأجلْ والمنايا هيَ آفاتُ الأملْ

فأمَّا أبو النجم فإنَّه ذهَب في الموت مذهبَ زهير حيث يقول[1] :

إنَّ الفتى يُصْبِحُ للأسقامِ كالغَرَضِ المَنْصُوبِ للسِّهامِ

* أخطاهُ رامٍ وأصاب رامِ[2] *

وقال زهير :

رأيتُ المنايا خَبْطَ عَشْوَاءَ مَنْ تُصِبْ تُمِتْهُ وَمَنْ تُخْطِئْ يُعَمَّرْ فَيَهْرَمِ

(مقطعات شتى)

وقال الآخر[3] :

وإذا صَنَعْتَ صَنيعةً أتممتها بيدَين ليس نَداهُما بمكدّرِ

وإذا تباعُ كريمةٌ أو تُشْتَرَى فسواك بائعُها وأنت المُشْتَرِي[4]

(١) أى حيث يقول أبو النجم .

(٢) هـ : « أخطأ رام » .

(٣) هو ابن المولى ، واسمه محمد بن عبد الله بن المولى ، شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين ، قدم على المهدى وامتدحه فأجازه بجوائز سنية ، ووفد على يزيد ابن حاتم بن قبيصة بن المهلب فامتدحه بقوله :

يا واحد العرب الذى أضحى وليس له نظير
لو كان مثلك آخر ما كان فى الدنيا فقير

انظر الأغانى (٣ : ٨٥) . والبيتان العاليان من أبيات له فى الحماسة يمدح بها يزيد ابن حاتم ، وقد رويا فى الأغانى (٩ : ٦٧) بدون نسبة .

(٤) روى هذا البيت فى الحماسة والأغانى سابقا لما قبله . ط هـ : « فإذا تباع » بالفاء ، وأثبت ما فى س والحماسة والأغانى .

وقال الشاعر :

قصيرُ يدِ السِّربالِ يَمْشِي معرِّدًا وشرُّ قريشٍ فى قريشٍ مُرَكَّبا (١)

وقال الآخر (٢) :

بعثتَ إلى العراقِ ورافِدَيه فزَارِيًّا أحَذَّ يدِ القَمِيصِ (٣)
تفيْهق بالعراق أبو المثنَّى وعلَّمَ قومه أكلَ الخبيصِ (٤)

وقال الآخر :

حَبَّـذا رَجْعُها إليَّ يَدَيها بيدَىْ دِرعِها تحـلُّ الإزارا

وأنشد :

طَوَتْهُ المنايا ، وهو عنهنَّ غافلٌ بمنخَرِق السِّربالِ عارِى المناكبِ (٥)
جرىءٍ على الأهوال يَعْدِل دَرْأَهَا بأبيضَ سَقَّاطٍ وراءَ الضَّرائبِ (٦)

---

(١) السربال : القميص ، ويده : كمه . معردا ، من التعريد ، وهو الأحجام . ط ، هـ : « معرجا » . والتعريج : الإمالة . وأثبت ما فى س . والمركب : الأصل والمنبت . وفى الأصل : « وشق قريش فى قريش مركنا » تحريف .

(٢) هو الفرزدق يخاطب يزيد بن عبد الملك ويشكو إليه عمر بن هبيرة الفزارى والى العراق ، وكان يكنى أبا المثنى . انظر ما سبق فى (٥ : ١٩٧) .

(٣) الأحذ : السريع اليد الخفيفها ، أراد خفة يده فى السرقة ، وقد سبق البيتان محققين مفسرين مع أخوين لها فى (٥ : ١٩٧) . ط : « أخذ » س : « أحد » هـ : « أجد » . صوابهما ما أثبت .

(٤) هـ : « يفيق » س : « يمعق » بالإهمال . وانظر ما سلف من الروايات فى هذا البيت .

(٥) أراه زاد الباء فى « بمنخرق » ، والمعروف زيادتها فى الحال المنفى عاملها ، كما سبق فى ص ١٠٦ . أى طوته المنايا فى هذه الحال . وانخراق السربال ، إنما هو لإدمانه السفر ودؤوبه فى السير .

(٦) الدرء : العوج والميل ، قال المتلمس :

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من درئه فتقوما

ط : « يعدل ذروه » س : « يعدل دوه » هـ : « بعد درؤه » والصواب ما أثبت . والأبيض : السيف . والسقاط : السيف يسقط من وراء الضريبة يقدها حتى يصل إلى الأرض بعد أن يقطع .

وقال جرير[١] :

تركتُ لكم بالشّامِ حَبْلَ جماعةٍ
مَتِينَ القُوَى مُسْتَحْصِدَ الْفَتْلِ باقيا[٢]

وجدْتُ رُقَى الشَّيطانِ لا تستفزُّه وقدكان شَيطانى من الجِنِّ راقيا[٣]

وقال الأسديّ[٤] :

كثير المناقب والمكرمات يجود مجداً وأصلاً أثيلا
ترى بيديه وَراء الكميِّ تباله بعـد نصال نصولا

---

(١) البيتان لم يرويا فى ديوان جرير . وكان من خبر الشعر أن عمر بن عبد العزيز حين استخلف جاءه الشعراء فجعلوا لايصلون إليه ، فجاء عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وعليه عمامة قد أرخى طرفيها ، فدخل فصاح به جرير وقال :

يأيها القارئُ المرخى عمامته هذا زمانك إنى قد مضى زمنى
أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه أنى لدى الباب كالمصفود فى قرن

فدخل على عمر فاستأذن له فأدخل عليه وأنشده مديحا ، ولكن عمر لم يبض له بقطرة ، فخرج من عنده على أصحابه — وفيهم الفرزدق — فسألوه : ما صنع بك أمير المؤمنين ؟ قال : خرجت من عند رجل يقرب الفقراء ويباعد الشعراء ، وأنا مع ذلك عنه راض . ثم وضع رجله فى غرز راحلته وأتى قومه ، فقالوا : ما صنع بك أمير المؤمنين يا أبا حزرة ؟ فأنشد هذا الشعر . انظر الأغانى (٧ : ٥٤) .

(٢) عنى بحبل الجماعة عمر بن عبد العزيز ، به يجتمع شمل المسلمين وبه يستمسكون . والقوى : طاقات الحبل ، واحدها قوة . الأغانى : « أمين القوى » . والمستحصد ، بكسر الصاد : المحكم الشديد الفتل . س : « يستحصد » هـ : « يستحضر القول » ، صوابهما فى ط . وفى الأغانى : « مستحصد العقد » .

(٣) رقى الشيطان : عنى بها بديع الشعر . راقيا ، أى كأن شيطانه يرقى الناس ويعوذهم بما يلقيه على لسانه من الشعر . يقول : لم تفلح فيه تلك الرقى .

(٤) وردت الأبيات التالية محرفة فى الأصل ، وكلمة : « نصال » فى البيت الثانى —

تمنى السفاه ورأى الخنـا وضَلَّ وقد كان قِدْمًا ضَلولا
فإن أنت تنزع عن وُدِّنا فما أن وجـدت لقلبى محيلا

كمل المصحف السَّادسُ من كتاب الحيوان ولله الحمدُ والِمنَّة ، يتلوه أول المصحف السابع : القول فى أحساسِ أجناس الحيوان[1] .

= ساقطة من ﻫ ، وموضعها بياض فى س . والبيت الرابع ساقط من ﻫ . ولم أجد لها مرجعا أعتمد عليه فى تحقيقها .

(١) كذا فى س . وفى ط : « تم الجزء السادس من كتاب الحيوان ويليه الجزء السابع ، وأوله القول فى أحساس أجناس الحيوان » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

١١ ٩ « والسعة » كذا فى الأصل . وصوابها : « والسبُعية » وهو مصدر صناعى ، جاء نظيرهُ فى قول الجاحظ فى (٤ : ١٣٠) : « بالجاموسية والخنزيرية التى فيها » .

٦٢ ٥ دغماء هى أمه ، وهى دغماء بنت مرة أخت جعونة بن مرة ، كما جاء فى كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء .

٨٤ ١٣ « العقصير » وجدت فى القاموس (٢ : ٩٤) : « العقيصير مصغرا دابة يتقزز من أكلها » .

٢٤٤ ٦ نسب البيت فى عيون الأخبار (٢ : ٢٢٠) إلى ابن أبى فنن خطأ ، إذ أن البيت الذى أوله « قالت عهدتك » مقحم على النص فى عيون الأخبار ، وموضعه بعد الخبر الذى يليه .

٢٦٣ ١٠ « بتقطيع ثيابه » تقطيع الثياب : تقصيرها ، أو وشيها وشياً مقطَّعًا . والمقطَّعات : الثياب القصار ، وبرود عليها وشى مقطّع .

٤٤٧ ٥ أنشد ياقوت فى معجم الأدباء (٨ : ٢٥٦) للشاعر النهرجورى :

هل أرين شوتنا وأمته   راكبة حوله على البقر

ثم قال : شوتن عند المجوس يجرى مجرى المهدى ، ويزعمون أنه يخرج

وقدامه أربعون نفسا ، على كل منهم جلد النمر » فيعيدون دين النور » . ونقل هذا النص عنه الخفاجى فى شفاء الغليل فى نهاية حرف الشين . وانظر الحيوان (٧ : ٢٤٦) .

كتبه

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة فى { ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م

أبواب الكتاب

صفحة

شركة مكتبة ومطبعة
مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء السابع

ومعه القسم الأول من الفهارس العامة لجميع أجزاء الكتاب

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء السابع

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

القول فى أحساس أجناس الحيوان ٢

اللهم إنَّا نَعوذ بك من الشَّيطان الرجيم ، ونسألك الهداية إلى صراطك المستقيم [١] ، وصلّى الله على سيدنا محمد خاصَّة [٢] وعلى أنبيائه عامَّة . ونعوذ بالله أن تدعوَنا المحبَّةُ لإتمام هذا الكتاب إلى أنْ نَصِل الصِّدْقَ بالكذب ونُدْخِل الباطلَ فى تضاعيف الحقّ ، وأن نتكثّر بقول الزور ونلتمس تقوية ضعفِه [٣] باللفظ الحسن ، وستر قبحه بالتأليف المونِق [٤] ، أو نستعينَ على إيضاح الحقِّ إلا بالحق ، وعلى الإفصاح بالحجَّة إلاّ بالحجة [٥] ، ونستميلَ إلى دراسته واجتبائه [٦] ، ونستدعى إلى تفضيله والإشادة [٧] بذكره ، بالأشعار المولّدة ، والأحاديث المصنوعة [٨] ، والأسانيد المدخولة ، وبما لاشاهد عليه إلاّ دعوى قائله ، ولا مصدِّق له إلاّ مَن لا يُوثَق بمعرفته . ونعوذُ بالله من فتنة القول وخَطَله ، ومن الإسهاب وتقحُّم أهله [٩] . والاعتمادُ فيما بيننا

---

(١) فيما عدا ل : « إلى الصراط المستقيم » .

(٢) ط ، هـ : « محمد النبى الأمى وعلى آله وصحبه وسلم خاصة » .

(٣) س ، هـ : « صفته » ل : « ويلتمس تمويه ما فيه » .

(٤) هـ : « وشر » تحريف . ل : « قبيحة » . المونق : المعجب . س : « الموفق » .

(٥) فيما عدا ل : « وعلى إيضاح الحجة إلا بالحجة » .

(٦) الاجتباء : الاختيار والاصطفاء . ط : « واقتنائه » س ، هـ : « واحتبائه » صوابهما فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « والإشارة » ل : « والإسادة » ، صوابهما ما أثبت .

(٨) ط ، س : « الموضوعة » ، وأثبت ما فى ل ، هـ .

(٩) ل ، هـ : « وتفحم » س ، ط : « خطئه » .

وبين كثيرٍ من أهل هذا الزمان على حسن الظنّ[١] ، والاتّكالُ فيهم على
العُذر ؛ فإنّ كثيرًا ممّن يتكلّف قراءة الكُتب ، ومدارسةَ العلم ، يقِفون
من جميع الكتب[٢] على الكلمة الضعيفة ، واللّفظة السّخيفة ، وعلى موضع
من التأليف قد عرض له شيءٌ من استكراهٍ[٣] ، أو ناله بعضُ اضطراب[٤] ،
أو كما يعرض في الكتب من سَقَطات الوهْم ، وفَلَتات الضَّجَر ، ومن خَطأ
النّاسخ ، وسوء تحفُّظ المعارِض[٥] على معنًى لعله لو تدبَّره بعقلٍ غير مفسَدٍ ،
ونظرٍ غير مدخول ، وتصفّحَه وهو محترِسٌ من عوارض الحسد ، ومن عادة
التسرُّع[٦] ، ومن أخلاقِ من عسى أن يتّسِع في القول بمقدار ضيق
صَدره ، ويُرسل لسانَه إرسالَ الجاهل بكُنْه ما يكون منه . ولو جعلَ بدلَ
شغله بقليلِ ما يرى من المذموم شغْلَهُ[٧] بكثيرِ ما يرى من المحمود — كانَ
ذلك أشبهَ بالأدبِ المرضيِّ والخيم الصَّالح ، وأشدَّ مشاكلَةً للحكمة ، وأبعد
من سلطان الطَّيش ، وأقربَ إلى عادة السَّلف[٨] وسيرة الأوَّلين ، وأجدَرَ ٣
أن يَهَبَ الله له السَّلامةَ في كُتبه ، والدِّفاعَ عن حُجَّته يومَ مناضلةِ خصومه[٩]
ومقارعةِ أعدائه .

---

(١) ط : « على من حسن الظن » هـ : « على ظن من حسن الظن » ، محرفتان .
(٢) فيما عدا ل : « من جميع هذا الكتاب » .
(٣) س : « الاستكراه » .
(٤) فيما عدا س : « وناله بعض الاضطراب » .
(٥) س : « المعاند » .
(٦) فيما عدا ل : « ومن عارض » ط فقط : « التبرع » تحريف .
(٧) ط ، س : « تنقله » هـ : « ينقله » صوابهما في ل .
(٨) ط ، هـ : « الصلف » تحريف .
(٩) ط ، هـ : « يوم مناضلته خصومه » .

وليس هذا الكتابُ — يرحمك الله — في إيجاب الوَعد والوعيد فيعترض عليه المرْجِئُ ، ولا في تفضيل عليٍّ فينصب له العثمانيّ[1] ، ولا هو في تصويب الحكَمَين ، فيتسخّطَه الخارجيّ ، ولا هو في تقديم الاستطاعة فيعارضَه من يُخالف التقديم ، ولا هو في تثبيت الأعراض فيخالفَه صاحبُ الأجسام ، ولا هو في تفضيل البَصرة على الكوفة ، ومكة على المدينة ، والشّام على الجزيرة ، ولا في تفضيل العجَم على العرب ، وعدنانَ على قَحْطان ، وعمرٍو على واصل[2] فيردّ بذلك الهذيلي عَلَى النّظّامي[3] ، ولا هو في تفضيل مالكٍ على أبي حنيفة ، ولا هو في تفضيل امرئ القيس على النّابغة ، وعامر ابن الطفيل على عمرو بن معد يكرب ، وعباد بن الحُصين[4] على عبيد الله ابن الحُرّ ، ولا في تفضيل ابن مُريج على الغَرِيض ، ولا في تفضيل سيبويه على الكسائيّ ، ولا في تفضيل الجعفريّ على العقيليّ[5] ، ولا في تفضيل حِلْم الأحنف على حِلم معاوية ، وتفضيل قتادة على الزّهري ، فإنّ لكلّ

---

(١) يقال نصب لفلان نصبا : إذا قصده وعاداه وتجرد له ، ومنه النواصب والناصبية وأهل النصب المتدينون ببغضة علي عليه السلام . فيما عدا ل : « فينصب » ، وصواب النص من ل .

(٢) عمرو : هو عمرو بن عبيد المترجم في (١ : ٣٣٧) وهو صاحب العمرية . انظر الفرق بين الفرق ١٠٠ — ١٠٢ .

(٣) الهذيلي : واحد الهذيلية ، وهم أتباع أبي الهذيل محمد بن الهذيل المعروف بالعلاف ، المعتزلي . انظر الكلام على مذهبه في الفرق بين الفرق ١٠٢ والملل (١ : ٦٢) والمواقف ٦٢١ ومفاتيح العلوم ١٨ . فيما عدا ل : « الهذلي » تحريف .

(٤) سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٤) وترجمة عبيد الله بن الحر في (٢ : ١٠٣) ط ، هـ : « بن الحسين » صوابه في س . وفي ل : « بن حصين » وهو وجه جائز في العربية .

(٥) ل : « والجعدي على القافلاني » .

صِنفٍ من هذه الأصناف شيعةً ، ولـكلِّ رجلٍ من هؤلاء [الرجال] جُنداً وعدداً يخاصمون عنهم . وسفهاؤهم المتسرعون منهم كثير [١] ؛ وعلماؤهم قليل وأنصاف علمائهم أقلّ .

ولا تنكر هذا — حفظكَ الله — أنا رأيت رجُلين بالبصرة على باب مُويس ابن عِمران ، تنازعا فى العنب النَّيروزىِّ والرازقىِّ ، فجرى بينهما اللاعين [٢] حتى تواثبا ، فقطع الكوفىُّ إصبع البصرىِّ ، وفقأ البصرىُّ عينَ الكوفىّ ، ثم لم ألبث إلّا يسيراً حتى رأيتهما متصافيَين متنادمين لم يقعا قطّ على مقدار ما يُغضب مِن مقدار ما يُرضى [٣] ، فكيف يقَعَانِ على مقادير طبقات الغضب والرضا [٤] ؟ ! والله المستعان .

وقد ترك هذا الجمهورُ الأكبر ، والسَّوادُ الأعظمُ ، التوقفَ عند الشبهة ، والتثبُّتَ عند الحكومة جانبا ، وأضربوا عنه صَفْحًا [٥] ، فليس إلّا لا أو نعم . إلّا أنَّ قولهم « لا » موصول منهم بالغضب ، وقولهم « نعم » موصولٌ منهم بالرِّضا . وقد عُزلت الحرِّيَّة [٦] جانبا ، ومات ذِكرُ الحلال والحرام ، ورُفض ذكر القَبيحِ والحسن .

قال عَمرو بن الحارث : « كنَّا نُبغض من الرِّجال ذا الرياء والنَّفج [٧] ، ونحن اليوم نتمنَّاهما » .

---

(١) فيما عدا ل : « من مخاصميهم وسفهائهم والمتسرعون منهم كثير » .

(٢) أى الشيطان . ل : « العنّ » تحريف .

(٣) ل : « لم يقعا قط على مايغضب من ما يرضى » .

(٤) فيما عدا ل : « مقدار طبقات الغضب » .

(٥) فيما عدا ل : « وأعرضوا عنه صفحا » .

(٦) فيما عدا ل : « وقد عزل الحق جانبا » .

(٧) النفج : أن يفتخر بما ليس له . ماعدا ل : « النفخ » تحريف .

قد كتبْنا من كتاب الحيوان ستّةَ أجزاء ، وهذا الكتابُ السابع هو الذى ذكرنا فيه الفِيل بما حضَرنا من جُمْلة القولِ فى شأنه، و [فى] جملة أسبابه ، والله الموفق .

وإنما اعتمدنا فى هذه الكتب على الإخبار عمّا فى أجناس الحيوان[١] من الحجج المتظاهِرة ، وعلى الأدلة المترادفة[٢] ، وعلى التنبيه على ماجلَّلها الله تعالى من البرهانات[٣] التى لاتعرف حقائقُها إلا بالفكرة[٤] ، وغشَّاها من العلامات التى لا تُنال منافعها إلا بالعبرة ، وكيف فرَّق فيها من الحكم العجيبة[٥] ، والأحساس الدقيقة ، والصنعة اللطيفة ، وما ألهمها من المعرفة وحشاها[٦] من الُجبن والجرأة ، وبصَّرها بما يُقيتها[٧] ويُعيشها ، وأشعرها من الفِطنة لما يحاول منها[٨] عدوُّها ، ليكونَ ذلك سببا للحذر ، ويكونَ حذرُها سبباً للحِراسة ، وحراستُها سبباً للسلامة ، حتى تجاوزت فى ذلك مقدارَ حراسة المجرِّب من الناس ، والخائفِ المطلوب من أهل الاستطاعة والروِيَّة[٩] ، كالذى يروى من تحارُس الغرانيق والكراكى ، وأشكالٍ من ذلك كثيرة ، حتّى صار الناسُ لايضرِبون المثلَ إلا بها ، ولا يذمّون

(١) فيما عدا ل : « وإنما اعتمادنا فى هذا الكتاب على أخبار ما فى أجناس الحيوان » .

(٢) ل : « من الحجج الظاهرة والأدلة المترادفة » . وكلمة : « الظاهرة » محرفة .

(٣) جللها : كساها . وفيما عدا ل : « خلفها » ، تحريف .

(٤) ط ، ه : « لايعرف » . وفيما عدا ل : « إلا من الفكرة » .

(٥) فيما عدا ل : « من الحكمة » .

(٦) حشاها : ملأها ، على المثل . وأنشد ثعلب :

ولا تأنفا أن تسألا وتسلما ... فما حشى الإنسان شرا من الكبر

فيما عدا ل : « كساها » تحريف .

(٧) فى الأصل : « يقيمها » .

(٨) فيما عدا ل : « بما تحاذر بها عدوها » .

(٩) س ، ه : « والرؤية » تحريف .

ولا يمدحون إلا بما يجدون فى أصناف الوَحْش من الطَّير وغير ذلك ، فقالوا : أحذر من عقْعَق ، وأحذَر من غراب ، وأحذَر من عصفور ، وأسمع من فَرْخ العُقاب[١] ، وأسمع من قُراد ، وأسمعُ من فَرَس ، وأجْبَنُ من صِفْرِد[٢] ، وأسخَى من لافِظَة[٣] ، وأصنع من تنَوِّطٍ ، وأصْنَع من سُرْفة ، وأصنع من دَبْر ، وأهدى من قَطاة ، وأهدى من حمامٍ ، وأهدَى من جمل [وأزهى من غراب[٤]]، وأزهى من ذباب[٥] ، وأجرأ من اللّيث ، وأكسب من الذِّئب ، وأخدع من ضَبٍّ ، وأرْوَغ من ثعلب ، وأَعقّ من ضَبّ ، وأبر من هِرَّة ، وأسْرع من سِمْع ، وأظلم من حيَّة ، وأظلم من وَرَلٍ ، وأكذبُ من فاختِة ، وأصدق من قطاة ، وأمْوَق من رَخمة ، وأحزَم من فَرْخ العُقاب .

ونبَّهنَا تعالى وعزّ على هذه المناسبة ، وعلى هذه المشاركة[٦] ، وامتَحَن ماعندنا بتقديمها علينا فى بعض الأمور ، وتقديمنا عليها فى أكثر الأمور[٧] وأراد بذلك ألاّ يُخْلِينَا من حُجة ، ومن النَّظر إلى عبرةٍ ، وإلى مايعود عند الفكرة[٨] موعظة . وكما كره[٩] لنا من السهو والإغفال ، ومن

---

(١) فيما عدا ل : « وأحذر من فرخ العقاب » . وانظر ما سيأتى فى ص ١٥ ، وأمثال الميدانى فى قولهم : « أسمع من حية . . . » الخ ، كما أنه سبق فى (٦ : ٤٣٩) قول الراجز :

* أسمع من فرخ العقاب الأسحم *

(٢) ط ، هـ : « صافرة » تحريف . وفى س : « صافر » وهذه صحيحة ؛ فإن الصافر مما يضرب به المثل فى الجبن . انظر لجبن الصافر (٣ : ٤٠٥) ولجبن الصفرد (١٠ : ٢١٣ س ٢)

(٣) ويقال أيضا : « أسمع من لافظة » . وانظر المثل فى (٢ : ١٤٨ — ١٤٩) .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) هذا المثل ساقط من س .

(٦) فيما عدا ل : « عن هذه المناسبة وعن هذه المشاركة » .

(٧) فيما عدا ل : « ببعض الأمور وتقديمها علينا فى أكثر الأمور » ، تحريف .

(٨) ط ، هـ : « عند الفطنة » .

(٩) فى الأصل : « ولما » .

البطالة والإهمال ، فجعلنا فى كلِّ أحوالنا لاتُفتَح أبصارُنا إلا وهى واقعةٌ على ضربٍ من الدلالة ، وعلى شكل من أشكال البرهانات ، وجعل ظاهرَ مافيها من الآيات داعيا إلى التفكير فيها ، وجعل ما استخزنها من أصناف الأعاجيب يُعرف بالتكشيف عنها[1] ؛ فمنها ظاهرٌ يدعوك إلى نفسه[2] ، ويشير إلى مافيه ، ومنها باطنٌ يَزيدك بالأمور ثقةً إذا أفضيتَ إلى حقيقته ، لتعلم أنَّك مع فضيلة عقلِك ، وتصرُّف استطاعتِك إذا ظهر عجزُك عن عمل ماهو[3] أعجز منك — أنّ الذى فضَّلك عليه بالاستطاعة والمنطق ، هو الذى فضَّله عليك بضروبٍ أُخَر ، وأنكما ميسَّران لما خلِقتُما له ، ومُصرَّفان لما سُخِّرْتما له ، وأن الذى يعجِز عن صَنعة السُّرْفة ، وعن تدبير العنكبوت فى قلتهما ومَهانتهما وضُعفهما وصِغَر جُرمهما[4] ، لاينبغى أن يتكبّر فى الأرض ولا يمشِيَ الُخيَلاء ، ولا يتهكَّمَ فى القول ، ولا يتألَّى ولا يستأمر[5] . وليعلم أنَّ عقله منيحة من ربه[6] ، وأن استطاعتَه عاريَّةٌ عنده ، وأنه إنما يستبقى النِّعمة بإدامة [الشُّكْر[7] ، والتعرُّض لسلبها بإضاعة] الشكر .

ثم حبَّب إليها طلب الذَّرء والسِّفاد الذى يكون مَجْلَبَةً للذرء[8] ، وحبَّب إليها أولادَها ونجلَها وذَرءها ونسلها ، حتى قالوا : أكرم الإبل أشدُّها حنيناً ، وأكرم الصَّفايا أشدُّها حبًّا لأولادها . [وزاوَجَ بين أكثرها]

---

(١) فيما عدا ل : « بالكشف عنها » .
(٢) ل : « نصه » .
(٣) فيما عدا ل : « من هو » .
(٤) فيما عدا ل : « صورهما » .
(٥) ل : « يستثنى » .
(٦) فيما عدا ل : « منحة من ربه » .
(٧) فى الأصل ، وهو هنا ل : « الشكر » .
(٨) فيما عدا ل : « للولد » .

وجعل تألُّفَها معَ بعضها من الطَّروقة[١] إذا لم يكن الزِّواج لها خَلقا ، وجعل إلف العِرْس لها عادةً ، وقوَّاها على المسافَدة ، لتتمَّ النعمة ، وتعظُم المنة[٢] ، وألهمها المبالغةَ فى التربية ، وحُسْنَ التعبُّد ، وشدَّة التفقُّد ، وسوَّى فى ذلك بين الجنس الذى يُلَقِّم أولاده تلقيما ، وبين الذى يُرْضِعُها إرضاعا ، وبين الذى يزقُّه زَقًّا ، وبين مايحضُن ومالا يحضن . ومنهاما أخرجها من أرحام البَيض وأرحام البطون كاسيةً ، ومنها ما أخرجها كاسيةً كاسِبة ، وأمتَعَها والدَّها[٣] ، وجعلها نِعمةً على عباده ، وامتحانا لشكرهم ، وزيادةً فى معرفتهم ، وجِلاءً لما يتراكم من الجهل على قلوبهم . فليس لهذا الكتاب ضدٌّ من جميع مَن يشهد الشهادة ، ويصلِّى إلى القبلة[٤] ، ويأكل الذَّبيحة ولا ضدٌّ من جميع الملحدين ممَّن[٥] لايقرُّ بالبعث ، وينتحل الشرائع وإن ألْحَدَ فى ذلك وزاد ونقص ، إلا الدَّهريَّ ، فإن الذى ينفى الربوبيَّة[٦] ، ويُحيل الأمرَ والنَّهىَ ، ويُنكر جواز الرِّسالة ، ويجعل الطِّينة قديمة ، ويَجحد الثوابَ والعِقاب ، ولا يعرف الحلالَ والحرام ، ولا يقرُّ بأن فى جميع العالَم برهانا يدلّ على صانعٍ ومصنوع ، وخالق ومخلوق ، ويجعلُ الفلك الذى لايعرف نفسه من غيره ، ولا يفصل بين الحديث والقديم ، وبين المحسن والمسىء ، ولا يستطيع الزيادةَ فى حركته ، ولا النُّقصانَ مِن دورانه ،

(١) الطروقة ، بالفتح : الأنثى التى بلغت الضراب . ل : « وكثر لبعضها من الطروقة » .

(٢) فيما عدا ل : « وتتم المنة » .

(٣) فيما عدا ل : « وأمتعها وأولادها » .

(٤) فى الأصل : « ويصلى القبلة » .

(٥) ط ، هـ : « من » .

(٦) ط ، هـ : « الرب » ل : « الربوبة » وهذه محرفة .

ولا مُعاقبةً للسُّكون بالحركة[١] ، ولا الوقوفَ طرْفَةَ عين ، ولا الانحرافَ عن الجهة — هو[٢] الذى يكون به جميع الإبرام والنَّقض ، ودقيقُ الأمور وجليلها ، وهذه الحِكمُ العجيبة ، والتدابير المتْقنة ، والتأليف البديع[٣] ، والتَّركيب الحكيم ، على حسابٍ معلوم ، ونسَق معروف ، على غايةٍ من دقائق[٤] الحكمة ، وإحكام الصَّنعة . ٦

ولا ينبغى لهذا الدهرىِّ أيضاً أن يعرِض لكتابنا هذا وإن دلَّ على خلافِ مذهبه ، ودعا إلى خِلافِ اعتقاده ، لأن الدَّهرىَّ ليس يرى أنَّ فى الأرض ديناً أو نِحلةً أو شريعة أو مِلة ، ولا يرى للحلال حُرْمَةً ولا يعرفه ولا للحرام نهايةً ولا يعرفه ، ولا يتوقَّع العقابَ على الإساءة ، ولا يترجَّى[٥] الثوابَ على الإحسان . وإنما الصواب عنده والحقُّ فى حُكْمه ، أنه والبهيمةَ سِيّانِ ، وأنه والسَّبُعَ سِيّان ، ليس القبيحُ عنده إلاّ ما خالف هواه [وليس الحسَن عنده إلاّ ما وافق هواه] ، وأن مدار الأمر على الإخفاق والدَّرَك ، وعلى اللذّة والألم ، وإنما الصواب فيما نال من المنفعة[٦] ، وإن قتلَ ألفَ إنسانٍ صالحٍ لِمَنالةِ درهم ردىء[٧] . فهذا الدهرىّ لا يخاف إن ترك

---

(١) ل : « السكون الحركة » .

(٢) هو ، أى الفلك ، الذى تقدم ذكره .

(٣) فيما عدا ل : « والتآليف البديعة » .

(٤) فيما عدا ل : « من حقائق » .

(٥) فيما عدا ل : « يتوخى » : تحريف .

(٦) س : « نال به منفعة » .

(٧) ط : « لنالة » س ، هـ : « لناله » صوابهما فى ل . والمنالة : الحصول على الشىء ، مصدر ميمى .

الطّعْن على جميع الكتب عقابا ولا لائمة ، ولا عذاباً [دائما] ولا منقطعا ولا يرجو إنْ ذمّها ونَصَب لها[١] ثواباً فى عاجل ولا آجل .

فالواجبُ أن يسلم هذا الكتابُ على جميع البريّة ، إذ كان موضِعُه على هذه الصِّفة ، ومُجراه إلى هذه الغاية . والله تعالى الكافى الموفِّق بلطفه وتأييده[٢] ، إنه سميع قريب ، [فعال لما يريد] .

ثم رجع بنا القولُ إلى الإخبار عن الحيوان ، وبأىِّ شىء تفاضلتْ وبأىِّ شىء خُصَّت ، وبماذا أبينتْ[٣] . وقد عرَفنا ما أعطيت فى الشَّمِّ والاستِرْواح . قال الرَّاجز[٤] وذكر الذئب :

يستخبِرُ الرِّيحَ إذا لم يسمَع بمِثل مِقْرَاعِ الصَّفا الموقَّعِ[٥]

وقد عرفنا كيف شمُّ السّنانيرِ والسِّباع والذئاب . وأعجبُ من ذلك وِجدانُ الذَّرّة لرائحةِ شىءٍ لو وضعْتَه على أنفك لَمَا وجدْتَ له رائحةً كرِجل جرادةٍ يابسة منبوذةٍ ، كيف تجدُ رائحتها من جوف جُحرها حتّى تخرج إليها ، فإذا تكلّفَتْ حملَها فأعجزَتْها كيف تستدعى إليها سائر الذَّرِّ وتستعينُ بكلِّ ما كان منها فى الجُحر ، ونحوِ شمِّ الفَرَس رائحةَ الحِجْر

(١) نصب لها : عاداها وتجرد لها . انظر ما سبق فى التنبيه الأول من ص ٧ . ط ، س : « نصب إليها » ، ﻫ : « لقب لها » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « والموفق بتأييده » .

(٣) فيما عدا ل : « أنست » .

(٤) هو أبو الرديني العكلي ، كما سبق فى (١ : ٣٤) والبيان (١ : ٨٢). وانظر الحيوان (٤ : ١٣٢) .

(٥) الموقع : المحدد . فيما عدا ل : « المرقع » تحريف . وروايته فى اللسان (خر) : « يستخبر » : استخبر الريح : قابلها بأنفه ليكون أروح لنفسه .

من مَسيرة ميل . والفرس يسير قدما[١] والحجر خلفه بذلك المقدار ، من غير تلفّتٍ ولا معايَنةٍ من جهة من الجهات . وهذا كثيرٌ ، وقد ذكرناه فى غير هذا الموضع[٢] .

فأمّا السَّمع فدعنا من قولهم : « أسمعُ من فَرس » و : « أسمع من فرْخ العقاب » وأسمع من كذا ، وأسمع من كذا . ولكنّا نقصد إلى الصّغير الحقير فى اسمه وخطَره ، والقليلِ فى جسمه وفى قدْره

وتقول العرب : « أسمع من قُراد » ، ويستدلون بالقِردان التى تكون حَوْل الماء[٣] والبئر . فإذا كان ليلة ورود القَرَب[٤] ، وقد بعث القومُ من يصلح لإبلهم الأرشيةَ وأداةَ السقى ، وباتت الرجال [عند الماء[٥]] تنتظر ٧
مجىء الإبل ، فإنها تعرف قربَها منهم فى جوف الليل بانتفاش القِرْدان[٦] وسرعة حركتها وخشخشتها ، ومرورها نحو الرعاء ، وزجر الرعاء[٧] ، ووقع الأخفاف على الأرض ، من غير أن يُحسّ أولئك الرجالُ حسًّا[٨] أو يشعروا بشىء من أمرها . فإذا استدلوا بذلك من القِردان نهضوا [فتلبَّبوا] واتزرُوا[٩] وتهيئوا للعمل .

---

(١) سار قدما : مضى لم يعرج ولم يثن . ط ، س : « قدما » .

(٢) انظر ما سبق فى (٢ : ١٤١ / ٤ : ٤٠٢) .

(٣) فيما عدا ل : « المياه » .

(٤) القرب ، بالتحريك : أن يسير القوم إبلهم وهم فى ذلك يسيرون نحو الماء ، فإذا بقيت بينهم وبين الماء عشية عجلوا نحوه ، فتلك الليلة ليلة القرب . ط ، س : « العرب » تحريف .

(٥) هذه التكملة من ل ، س . وفى س زيادة « لما » فى آخر هذه العبارة .

(٦) ل : « بانتعاش للقردان » .

(٧) فيما عدا ل : « نحو الراعى وزجر الراعى » .

(٨) فيما عدا ل : « تحس أولئك الرجال حسها » .

(٩) التلبب : أن يتحزم بثوبه عند صدره . والاتزار : لبس الإزار ، فى لغة —

فأمّا إدراك البصر[١] فقد قالوا: «أبصر من غراب» و: «أبصر من فرس»، و: «أبصر من هدهد» و: «أبصر من عقاب».

والسَّنانير والفأرُ والجِرذان والسِّباع تُبصر بالليل كما تبصر بالنهار؛ فأمّا الطُّعم فيظنّ أنها بفرط الشَّرَه والشّهوة[٢] وبفرط الاستمراء وبفرط[٣] الحرص والنَّهم، أن لذتها تكون على قَدْر شرهها وشهوتها، وتكون على قدر ماترَى من حركتها[٤]، وظاهر حرصها. ونحن قد نرى الحمار إذا عاين الأتان، والفرس إذا عاينَ الحِجْر والرمكة[٥]، والبغلَ والبغلةَ، والتيسَ والعنز[٦] فنظن [أن اللذة] على قدر الشهوة، والشهوة على قدر الحركة، وأن الصِّياحَ على قدر غلبة الإرادة. ونجد الرجال إذا اعتراهم ذلك لايكونون كذلك إلاّ فى الوقت الذى هم فيه أشدّ غُلْمة وأفْرَط شهوة.

فإن قال قائل: إن الإنسان يغشى النِّساء[٧] فى كلّ حالٍ من الفصلين والصَّميمين[٨]، وإنما هَيْجُ السِّباع والبهائم فى أيام من السنة[٩]

= من يدغم الهمزة فى التاء، كما تقول اتّمنه فى ائتمنه. فيما عدا ل: «وبرزوا». وانظر العلاقة بين الإبل والقردان ما مضى فى (٥: ٤٣٣).

(١) فيما عدا ل: «درك البصر».

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل. ط، هـ: «فيظنون أن لفرط الشهوة» س: «فظن أنه لفرط الشره فى الشهوة».

(٣) فيما عدا ل: «ولفرط».

(٤) فيما عدا ل: «ويكون» تحريف. ط، هـ: «ما يرى».

(٥) فيما عدا ل: «والرمك».

(٦) أى إذا عاين البغل البغلة والتيس العنز. اكتفى بالفعل المتقدم.

(٧) فيما عدا ل: «يعشق النساء» تحريف. وانظر ما سبق فى (٥: ٢١٨).

(٨) يراد بالصميمين الصيف والشتاء فى أشد حالاتهما. انظر (٢: ٢٣٥).

(٩) فيما عدا ل: «فى فصل معلوم».

[ثم يسكن] هيج التَّيس والجمل . فالإنسان(١) المداوم أحسن حالا .

قلنا : إنّا لم نَـكن(٢) فى ذكر المخايَرة بين نصيب الإنسان فى ذلك مجموعًا ومفرَّقا ، وبين نصيب كلِّ جنسٍ من هذه الأجناس مجموعا ومفرَّقا ، وإنما ذكرنا نفس المخالطة فقط(٣) . ومايدريكم أيضاً لعلها أنْ تَسْتَوْفِىَ(٤) فى هذه الأيَّام اليسيرة أضعافَ ما يأتِى الإنسان فى تلك الأيَّام الكثيرة .

وعلى أنَّا قد نرى ممّا يعترى الحمارَ والفرسَ والبغلَ وضروباً كثيرة إذا عاينوا الإناث فى غير أيام الهيج . وها هنا أصنافٌ تُديم ذلك كما يُديمه الإنسان ، مثل الحمام والدِّيَكَةِ وغير ذلك . وقد علمنا أنّ السَّنانيرَ وأشباهَ السنانير لها وقتُ هيجٍ ، ولـكنَّ ذلك يكون مرارًا فى السَّنة على أشدَّ من هَيج الإنسان ، فليس الأمر على ما يظنّون . فإن كان الإنسانُ موضعُ ذهنهِ من قلبه أو دماغه يكونُ أدقَّ وأرقَّ وأنفذَ ، وأبصر ، فإنّ حواسَّ هذه الأشكال أدقّ وأرقّ وأبصر وأنفذ . وإن كان الإنسانُ يبلغُ بالرويّة والتصفُّح ، والتحصيل والتمثيل ما لا يبلغه شىءٌ من السِّباع والبهائم ، فإنّ لها أمورًا تدركها ، وصنعةً تحذقها تبلغُ منها بالطبائع سهوًا وهويًّا(٥) ما لا يبلغ(٦) الإنسان فى ما هو بسبيله ٨
إلا أن يُـكرِه نفسَه على التفكير ، وعلى إدامة التنقير والتكشيف والمقاييس فهو يستثقله .

(١) فيما عدا ل : « والإنسان » .

(٢) فيما عدا ل : « إذا لم يكن » .

(٣) الـكلام بعد هذا إلى نهاية البيت الذى صدره : « وإن قيل احملى » فى ص ٢٠ ساقط من ل .

(٤) ط ، هـ : « تستوى » ، صوابهما فى س .

(٥) الهوى : السقوط . عنى به الوقوع على الصنعة بدون إرادة وإدراك .

(٦) ط ، هـ : « ما لا يبلغ » .

ولكلِّ شيءٍ ضربٌ من الفضيلة وشكلٌ [من[١]] الأمور المحمودة، لينفىَ تعالى وعز عن الإنسانِ العُجْب ، ويقبِّح عنده البَطر ، ويعرِّفه أقدار القَسْم .

وسنذكر من فطن البهائم وأحساس الوَحْش وضروب الطير أمورًا تعرفون بها كَثْرَةَ ما أودعها الله تعالى من المعارف ، وسخَّر لها من الصنعة[٢] . ثم لا نذكر من ذلك فى هذا الموضع إلاّ كلَّ طائر[٣] منسوبٍ إلى الموق ، وإلاّ[٤] كلَّ بهيمةٍ معروفةٍ بالغثاثة ، بعِدَّةِ ما فيه أشكالها من المعرفة والفطنة . ولو أردنا الأجناسَ المعروفةَ بالمعارف الكثيرةِ ، والأحساسِ اللَّطيفة ، لذكرنا الفيلَ والبعير ، والذَّرة والنملة ، والذئب ، والثعلب ، والغرنوق ، والنحلة ، والعنكبوت ، والحمامَ والكلب .

وسنذكر علَى اسم الله تعالى بعضَ ما فى البهائم والسِّباع والطير من المعرفة ، ثم نخصُّ فى هذا الكتابِ المنسوباتِ إلى الُموق ، والمعروفاتِ بالغباوةِ وقِلة المعرفة ، كالرَّخمة والزنبور ، والرُّبَع من أولاد الإبل ، والنَّسر من عظام الطير .

وقال المفضَّل الضبىّ : قلت لمحمد بن سهل راوية الكميت : ما معنى قول الكميت فى الرَّخمة :

وذات اسمين والألوانُ شَتَّى ... تُحمَّق وهى كيِّسة الحَويل[٥]

لها خِبٌّ تلوذُ به وليست ... بضائعة الجَنين ولا مَذُول[٦]

---

(١) هذه من س .

(٢) ط ، هـ : « وسخرها فى الصنعة » .

(٣) فى الأصل : « إلا من كل طائر » .

(٤) هذه الكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط ، هـ : « وإلى » .

(٥) فى اللسان : « حاولت الشىء : أى أردته ؛ والاسم الحويل » . وأنشد هذا البيت .

(٦) المذول : وصف من المذل : بالتحريك ، وهو الضجر والقلق . س : « بضايعة » ، هـ : « الحنين » محرفتان .

قال[١] : كأنَّ معناه عندى حفظُ فراخها ، أو موضع بيضها ، وطلب طعمها، واختيارها من المساكن ما لا يَطُوره سبع طائر[٢] ولا ذو أربع . قال: فقلتُ : فأىُّ كيس عند الرَّخمة إلاّ ما ذكرت ، ونحن لا نعرف طائرا الأم لؤما ولا أقذر طُعْمةً ، وَلا أظهر مُوقا منها ، حتى صارت فى ذلك مثلا ؟ ! فقال محمد بن سهل : « وماحمقُها وهى تحضن بيضها ، وتحمى فِراخها ، وتحبُّ ولدها ، ولا تمكِّنُ إلاَّ زوجها ، وتقطع فى أوّل القواطع وترجِع فى أوّل الرواجع ، [ولا تَطير فى التحسير ، ولا تغترّ بالشكير ، ولا تُرِبُّ بالوكور ولا تسقط على الجفير » .

أما قوله : « تقطع فى أول القواطع ، وترجع فى أوّل الرواجع[٣] »] فإنَّ الرُّماة وأصحابَ الحبائلِ والقُنّاصَ إنّما يطلبون الطير بعد أن يعلموا أنَّ القواطع قد قَطَعَتْ ، فبِمَقطع الرّخمة يستدلُّون . فلا بدَّ للرَّخَمَةِ مِنْ أن تنجوَ سالمةً إذا كانت أوَّلَ طالعٍ عليهم .

وأمَّا قوله : « ولا تُرِبُّ بالوُكور[٤] » [فإنّه[٥]] يقول: الوكر لا يكون إلا فى عُرْض الجبل ، وهى لا تَرضى إلا بأعالى الهضاب ، ثم مواضعِ الصّدوع وخِلالِ الصخور ، وحيث يمتنعُ على جميع الخلقِ المصيرُ إلى فراخها . ولذلك قال الكميت :

---

(١) فى الأصل : « قال المفضل » ، وإنما القائل هو محمد بن سهل .

(٢) يطوره : يقرب ويدنو منه . ط ، هـ : « طائرا » ، صوابها فى س .

(٣) هذه التكملة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) حيث نقل من الحيوان .

(٤) وأما قوله ، ساقطة من هـ . وفى ط ، س : « وأما قولهم » تحريف . وترب ، من قولهم أرب بالمكان يرب به إربابا : أقام به فلم يبرحه . وفى الأصل : «تراب»، تحريف .

(٥) ليست فى الأصل .

ولا تجعلونى فى رَجائىَ وُدَّكم كراجٍ على بيضِ الأنوق احتبالَهَا[١]

والأنوقُ هى الرّخمة . وقال ابن نوفل[٢] :

وأنتَ كساقط بينَ الحشايا يَصِيرُ إلى الخبيثِ مِن المَصيرِ

ومثلُ نَعامةٍ تُدعَى بعـيرًا تعاظَمِها إذا ما قيل طِيرِى[٣]

وإن قيل احمِـلى قالت فإنِّى من الطَّيرِ المُربَّة فى الوكورِ[٤]

وأما قوله : [ولا تطير فى التَّحسيرِ[٥]] ، ولا تغترُّ بالشّكير[٦] » فإنها [تدعُ الطيرانَ أيام التحسير ، فإذا نبت الشّكير - وهو أول ما ينبت من الريش - فإنها] لا تَنهض[٧] حتى يصير الشكير قَصَبا . وأمَّا قوله : « ولا تسقط عَلَى الجفِير » ، فإنمـا يعنى جعبة السِّهام[٨] ، [يقول : إذا رأته علمت أنّ هناك سهاماً ، فهى لا تسقط فى موضـع تخاف فيه وقع السِّهام[٩]] .

---

(١) الاحتبال : أخذ الصيد بالحبالة ، وهى المصيدة . وفى الأصل : «احتيالها» صوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) .

(٢) هو يحيى بن نوفل . انظر الحيوان (٢ : ٢٦٧/٤ : ٣٢٢) .

(٣) انظر روايات البيت فى (٤ : ٣٢٢) .

(٤) روى فى (٤ : ٣٢٢) : « بالوكور » .

(٥) هذه التكملة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) .

(٦) فيما عدا ل : « تغير » ، صوابه فى ل ونهاية الأرب .

(٧) فيما عدا ل : « تنهض بالشكير » . وكلمة « بالشكير » مقحمة .

(٨) الجعبة ، بالفتح : كنانة النشاب فى أعلاها اتساع ، يفرج أعلاها لئلا ينتكث ريش السهام . والوفضة أصغر منها ، وأعلاها وأسفلها مستو . فيما عدا ل : « قائما عنى » .

(٩) كلمة « فيه » ليست فى الأصل ، وهو هنا ل ؛ وإثباتها من نهاية الأرب .

(اتباع الرخم والنسور والعقبان للجيوش)

والرَّخم والنّسور والعِقبان تتبع الجيوشَ لتوقع القتال وما يكون لها من الجيف ، وتتبع أيضا الجيوشَ والحُجَّاج لما يسقط من كَسير الدَّواب [١] ، وتتبعها أيضاً فى الأزمنة التى تكون فيها الأنعام والحُجور حواملَ ، لِمَا تؤمِّل من الإجهاض والإخداج [٢] . قال النابغة [٣] :

وثِقت له بالنَّصْرِ إذْ قِيلَ قد غَدَتْ ... كتائبُ من غَسّان غير أشائِبِ [٤]

بنو عمِّــه دُنْيا وعمرُو بن عامر ... أولئك قومٌ بأسهُم غير كاذب

[إذا ما غَزَوْا بالجيش حَلَّقَ فوقهمْ ... عصائب طيرٍ تَهتدى بعصائب]

جوانح قــد أيقنَّ أنّ قبيله ... إذا ما التقى الجمعان أوّلُ غالبِ

تراهُنَّ خَلْفَ القَوْمِ خُزْرًا عيونُها ... جُلوس شيوخٍ فى مُسوك الأرانبِ [٥]

فأخذ هذا المعنى حميد بن ثور الهلالى فقال :

إذا ما غزا يوما رأيتَ عِصابةً

من الطّير ينظُرْنَ الذى هو صانِــعُ [٦]

(١) الكسير : المكسور . وفى نهاية الأرب : « كسرى » وهو جمع كسير ، وفى ل : « حسرى » وهو جمع حسير ، أى مجهد معى . وفى س ، ه : « كثير » وهذه محرفة .

(٢) الإخداج : أن تجىء بولدها ناقص الخلق .

(٣) من أول قصيدة فى ديوانه يمدح بها عمرو بن الحارث الأصغر .

(٤) ل : « وثقت لهم بالنصر إذ قيل قد غزوا » . وفى الديوان : « وثقت له بالنصر إذ قيل قد غزت » . الأشائب : الأخلاط من الناس ، جمع أشابة بالضم .

(٥) هذه رواية ل . وفيما عدا ل : « الشيوخ فى ثياب المرانب » . وانظر ما مر من الكلام على هذه الأبيات فى (٦ : ٣٢٢ - ٣٢٣) .

(٦) انظر ما مضى فى (٦ : ٣٢٤) . والبيت ساقط من ل .

وقال آخر [١] :

يكسُو السيوفَ نفوس النَّاكثين به ... ويجعل الرُّوسَ تِيجَانَ القَنا الذبُلِ

قد عوَّدَ الطَّيْرَ عاداتٍ وَثِقن بها ... فهُنَّ يَتْبَعْنَهُ فى كلِّ مُرْتَحَل

فقال الكميت كما ترى [٢] :

* تحمّق وهى كيِّسةُ الحويلِ *

[فزعم أن النَّاس يحمقونها وهى كيِّسة] .

(قول بعض الأعراب)

وقال بعضُ أصحابنا : قيل لأعرابىٍّ : أتحسن أنْ تأكُل الرَّأسَ ؟ قال : نعم . قيل : وكيف تصنع به ؟ قال : « أبخصُ عينيه [٣] ، وأسْحَا خدَّيه [٤] ، وأعفص أذنيه [٥] ، وأفكُّ لحيَيْه ، وأرْمى بالمخِّ [٦] إلى مَن هُو أحوجُ منِّى إليه » . قيل له : إنك لأحمق من رُبَع [٧] . قال : و « ماحمق الرُّبَع ؟ ! والله إنه لَيَجْتَنِبُ العُدَوَاء [٨] ويتبع أمّه فى المرعى ، ويُرَاوِحُ بين الأطْباء ، ويعلم أن حَنينها رُغاء ، فأين حمقُهُ » .

---

(١) هذا الإنشاد ساقط من ل . والبيتان لمسلم بن الوليد كما سبق فى (٦ : ٣٢٤)

(٢) ل : « كما مر » . وانظر ص ١٨ س ١٦ .

(٣) بخص عينه يبخصها ، بفتح الخاء : قلعها مع شحمتها . فيما عدا ل : « أعض عينيه » ، تحريف .

(٤) سحاه يسحوه ويسحيه ويسحاه ، سحوا وسحيا : قشره . وهذه العبارة ساقطة من ل .

(٥) العفص : الثنى والعطف . ط ، س : « أعقص » بالقاف ، صوابه بالفاء . والخبر رواه صاحب اللسان فى مادة (عفص) . وهذه العبارة وتاليتها ساقطة من ل .

(٦) فى الأصل : « بالدماغ » ، والوجه ما أثبت من اللسان .

(٧) الربع ، بضم ففتح . يقال فرس ذو عدواء إذا لم يكن ذا طمأنينة وسهولة . فيما عدا ل : « ليجنب » تحريف ، و « العدوى » تحريف كذلك .

(قتل المكاء للثعبان)

وحدث ابنُ الأعرابيِّ عن هشام بن سالم ، وكان هشام من رهْط ذي الرُّمّة ، قال : أكلتْ حَيّةٌ بيضَ مُكّاء[١] فجعل المُكّاءُ يشرشِر على رأسها ويدنُو منها ، حتى إذا فتحت فاها تريده [وهمّتْ به] ألقى فيه حَسَكة ، فلم يزل يُلقي فيه حسكةً بعد حسكة[٢] ، فأخذَتْ بحلقها حتى ماتت .

وأنشد ابن الأعرابيِّ عند هذا الحديث قولَ الشاعر :

كأنَّ لكلِّ عند كُلِّ سخيمةً ... يُريد بتخْريق الأدِيم اسْتلالَهَا

وأنشد أبو عمرو الشيباني بيت شعر ، وهو هذا المعنى بعينه ، وهو قول الأسديِّ الدُّبيريّ[٣] :

إنْ كنتَ أبصَرْتَني فذًّا ومُصْطَلَمًا ... فرُبّما قَتَلَ المُكّاءُ ثُعبانَا[٤]

يقول : قد يظفر القليل بالكثير[٥] . والقليلُ الأعوانِ بالكثير الأعوان ؛ والمُكّاء من أصغر الطير وأضعفِه ، وقد احتال للثُّعبان حتّى قتله .

---

(١) المكاء ، بالضم والتشديد : طائر مثل القنبرة إلا أن في جناحيه بلقا ، سمي بذلك لأنه يمكو ، أي يصفر صفيرا حسنا . والمكاء مخفف : الصفير ، وفي التنزيل العزيز : (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) .

(٢) الكلام من : « فلم يزل » إلى هنا ليس في ل .

(٣) الدبيري : نسبة إلى « دبير » وهو أبو قبيلة من أسد ، كما في القاموس (دبر) : ط ، هـ : « الزبيري » س : « الزبيدي » صوابهما في ل .

(٤) الفذ : الفرد : ط ، ل : « قذا » س : « فظا » ، صوابهما في هـ .

(٥) ط ، هـ : « قد يظهر » ، تحريف .

(قول جالينوس فى معرفة أنثى الطير)

وقال جالينوس فى الإخبار عن معارف البهائم والطير ، وفى التعجُّب من ذلك وتعجب الناس منه : قولوا لى : مَن علَّمَ النسرَ الأنثى إذَا خافت على بيضها وفراخها الخفافيش أن تفرِش ذلك الوَكْر بورق الدُّلْب[١] حَتى لاتقربه الخفافيش . وهذا أعجب[٢] ، والأطباء والعلماء لايتدافعونه . والنُّسور هى المنسوبة إلى قلّة المعرفة والكيس والفطنة .

(حزم فرخ العقاب)

وقال ابن الأعرابىّ وأبو الحسن المدائنى : قال رجلٌ من الأعراب : « كان سنان بن أبى حارثة أحزَم من فرخ العقاب[٣] » . وذلك أنَّ جوارح الطير تتخذ أوكارها فى عُرْض الجبال[٤] ، [فربّما] كان الجبلُ عموداً ، فلو تحرّك الفرخ إذا طلب الطعم وقد أقبل إليه أبواه أو أحدهما وزادَ فى حركته شيئاً من موضع تَجثِمه هَوَى من رأس الجبل إلى الحضيض ، وهو يعرف مع صِغره وضُعْفه وقلّة تجربته ، أنّ الصواب فى ترك الحركة .

(١) الدلب ، بالضم : شجر يعظم ويتسع ولا نور له ولا ثمر ، وهو مفرض الورق واسعه ، شبيه بورق الكرم . وقال داود : « يعظم عند المياه جدا ، حتى رأيت شجرة منه تظل نحو عشرين فارسا . وورقه كورق التين لكنه أدق ، وأحسنه وجهيه مزغب » .

(٢) ط ، ل : « أعجب » .

(٣) انظر المثل فى كتاب البغل ص ٣٧٥ والميدانى ١ : ٢٠٢ .

(٤) ل : « الجبل » .

(اختلاف عادات صغار الحيوان)

ولو وُضِع فى أوكار الوحشيَّاتِ فرخٌ من فراخ الأهليَّات لتهافتن تهافتاً كفراخ القطا والحجَل والقَبج والدُّرَّاج والدَّجاج ؛ لأنَّ هذه تدرج على البَسيط[1] وذلك لها عادة ، وفراخ الوحشيّة لا تجاوز الأوكار ؛ لأنها تعرِف وتعلم أنّ الهلَكة فى المجاوزة . وأولادُ الملاّحين للذين وُلِدوا فى السفن الكبار ، والمنشآت العظام[2] لا يخاف الآباءُ والأمّهات عليهم إذا درجوا ومَشوا أنْ يقعوا[3] فى الماء . ولو أن أولاد سُكان القصور والدّور صاروا مكان أولادِ أرباب السفن لتَهافتوا[4] . ولكلِّ شيء قَدر ، وله موضعٌ وزمانٌ ٦١ وجهةٌ وعادةٌ .

فإذا استوى قصب ريش [فرخ] العقاب ، وأَحَسَّ بالقوة طار .

وأبَوَا فَرخ الخطّاف يعلمانه الطيرانَ تعليما .

(الختان عند اليهود والمسلمين والنصارى)

وزعم ناسٌ من أطبَّاء النصارى وهم أعداءُ اليهود ، أن اليهود[5] يختِنون أولادَهم فى اليومِ الثّامن ، وأن ذلك يَقَع[6] ، ويوافِق أَنْ يكون

---

(١) تدرج : تمشى . والبسيط : المنبسط من الأرض . فيما عدا ل : « تدر على البسيط » تحريف .

(٢) المنشآت ، بفتح الشين : السفن المرفوعة الشرع ؛ وبكسرها : الرافعة الشرع . وبهما قرئ قول الله عز وجل : (وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام) . ل : « والشاهرات » تحريف .

(٣) ط : « أن يقع » ل : « أن يقعوا » ، صوابهما فى س ، هـ .

(٤) فيما عدا ل : « تهافتوا » .

(٥) فيما عدا ل : « أنهم » .

(٦) ط ، س : « نفع » صوابها فى ل ، هـ .

فى الصَّميمين ، كما يوافق الفصلين[١] ، وأنّهم لم يروْا قطّ يهوديًّا أصابه مكروه من قِبَل الختان ، وأنهم قد رأوْا من أولاد المسلمين والنصارى ما لا يُحصى مِمَّنْ لقى المكروهَ فى ختانه[٢] إذا كان[٣] ذلك فى الصَّميمين من ريح الحمرة[٤] ، ومن قطع طَرَف الكمرة ، ومن أن تكون المُوسَى حديثةَ العَهْد بالإحداد وسَقْى الماء ، فتشيط[٥] [عند] ذلك الكَمَرة ويعتريها بَرَص . والصبىّ[٦] ابن ثمانية أيام أعسر [ختاناً] من الغُلام الذى قد شَبَّ وشدن وقَوِىَ ؛ إلاّ أنْ ذلك البرصَ لا يتَفشى[٧] ولا يعدو مكانَه ؛[وهو فى ذلك] كنحو البرص الذى يكون من الكىّ وإحراق النار ، فإنهما يفحشان ولا يتسعان[٨] .

(ختان أولاد السفلة وأولاد الملوك وأشباههم)

ويختن من أولاد السِّفْلة والفقراء [الجماعة الكثيرة] فيؤمَن عليهم خطأُ الخاتن ، وذلك غير مأمون على أولاد الملوك وأشباهِ الملوك ، لفرط الاجتهاد و [شدّة] الاحتياط ، ومع ذلك يَزْمَعُ[٩] ، ومع الزَّمَع[١٠]

---

(١) سبق الكلام على الصميمين فى ص ١٦ . فيما عدا ل : « كما وافق » .

(٢) فيما عدا ل : « ممن لا يحصى من لقى من المكروه فى ختانه » .

(٣) فيما عدا ل : « إن » .

(٤) الحمرة : داء يعترى الناس فيحمر موضعها ، وهو من جنس الطواعين .

(٥) شاط يشيط : هلك ، واحترق . فيما عدا ل : « فيسقط » .

(٦) فيما عدا ل : « ويظن أن » .

(٧) يتفشى : ينتشر . فيما عدا ل : « برص لاينفشر » تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « وإن كان لا ينبتان » لكن فى هـ : « لا ينسقان » ، والصواب ما أثبت من ل .

(٩) أى يز مع الخاتن . والزمع : الدهش ، ورعدة تعترى الإنسان إذا هم بأمر . فيما عدا ل : « زيع » ، تحريف .

(١٠) فيما عدا ل : « الزيع » ، تحريف .

والرِّعدة بمَعُ الخطأَ ، وعلى قدر رعدة اليد[1] ينال القلب من الاضطراب على حسَب ذلك .

(حسن التدبير فى الختان)

وليس من التدبير أن يحضُر الصبىّ والخاتنَ إلاّ سفلة الخدم ، ولا يحضره من يهاب .

(قدم ختان العرب)

وهذا الختان فى العرب فى النِّساء والرجال من لدُنْ إبراهيم وهاجر إلى يومنا هذا . ثم لم يُولَد صبىٌّ مختونٌ قط[2] أو فى صورةِ مختون .

(ختان الأنبياء)

وناسٌ يزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم وعيسى بن مريم وُلِدَا مختونين . والسَّبيلُ فى مثل هذا الرُّجوعُ إلى الرواية الصحيحة ، [والأثر القائم] .

(أثر الختان فى اللذة)

قال : والبظراء تجد من اللذة ما لا تجدُه المختونة ، فإنْ كانت مُستأصَلة مستوعَبةً كان على قدر ذلك . وأصل ختان النساء لم يُحاوَلْ به الحسنُ دونَ التماس نُقصان الشهوة ، فيكون العفاف عليهنَّ مقصورًا[3] . قال :

---

(١) فيما عدا ل : « وعلى قدر الاحتياط إليه » ، تحريف .

(٢) ل : « قط مختونا » .

(٣) ل : « مقصورا عليهن » .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم [للخاتنة] : « يا أم عطيّة أشمّيه ولا تَنْهَكِيه [١] ، فإنه أَسْرَى للوَجْه [٢] ، وأحظَى عند البعل » . كأنه أراد النبيُّ صلى الله عليه وسلم أن ينقُص من شهوتها بقدر ما يردّها إلى الاعتدال ؛ فإن شهوتها إذا قلّتْ ذهبَ التمتّع ، ونقَصَ حُبُّ الأزواج ، وحبُّ الزّوج قَيْدٌ دون الفجور [٣] : والمرأة لا تكونُ في حالٍ من حالات الجماع أشدَّ شهوةً منها للكَوْم الذي لقحت منه [٤] .

وقد كان رجلٌ من كبار الأشراف عندنا يقول للخاتنة : لا تقرضي
١٢ إلاّ ما يظهر فقط .

(أثر الختان في العفاف والفجور)

وزعم جَناب بن الخشخاش [٥] القاضي ، أنه أحصى في قرية [واحدة] النساء المختونات والمُعْبَرات [٦] ، فوجد أكثر العفائفِ مستوعَبات [٧] وأكثر الفواجر مُعْبَرات [٨] ، وأن نساء الهند والروم [٩] وفارس إنما صار الزنى وطلبه

---

(١) الإشمام : أن تأخذ منه قليلا . فيما عدا ل : « شميه » تحريف .
(٢) أسرى : أجلى . ط : « أسر » هـ : « أسرا » . ويروى : « أضوأ للوجه » .
(٣) فيما عدا ل : « فيه دون الفجور » .
(٤) ط ، هـ : « للكرم » .
(٥) جناب بن الخشخاش العنبري ، ترجم له في لسان الميزان (٢ : ١٣٨) وقال : « روى عنه عبد الله بن معاوية الجمحي » . وذكره الذهبي في المشتبه . ل : « جناب بن الخشقاش » محرف ، كما حرف في سائر النسخ ، ففي ط : « حباب بن حسان » س : « حباب بن جساس » هـ : « حباب بن حساس » .
(٦) معبرة ، بفتح الباء المخففة : لم تخفض . فيما عدا ل : « مبظرات » ، وهو خلاف الصواب ؛ إذ أن المبظرات المختونات المخفوضات .
(٧) ل ، س : « موعبات » .
(٨) فيما عدا ل « مبظرات » . وانظر التنبيه السادس .
(٩) فيما عدا ل : « الروم والهند » .

الرِّجال فيهنّ أعم ، لأنّ شهوتهنّ للرجال أكثر ، ولذلك اتخذ الهند دوراً للزَّواني ، قالوا : وليس لذلك علّة إلاّ وفارةَ البَظْر[١] والقُلْفة .

والهند توافِق العربَ في كلّ شيء إلاّ في ختانِ النِّساء والرجال . ودعاهم إلى ذلك تعمُّقهم في توفير حظ الباه . قالوا : ولذلك اتخذوا الأدوية ، وكتبوا في صناعة الباه كتباً ودَرَّسُوها الأولاد[٢] .

(السَّحْق)

قالوا : ومن أكبر[٣] ما يدعو النساء إلى السحق [أنهنّ] إذا ألصقن موضع مَحَزِّ الِختان وجَدْنَ هناك لذّةً عجيبة ، وكلما كان ذلك منها أوفرَ كان السَّحقُ ألذّ . قال : ولذلك صار حُذّاق الرِّجالِ يضعون أطراف الكمرويعتمدون بها على محزّ الختان ، لأنّ هناك مجتمَعَ الشهوة .

(ظمأ الأيِّل إذا أكل الحيات)

ومن هذا الباب الذى ذكرنا فيه صِـدقَ إحساس الحيوان ثم اللاتى يضاف منها إلى المُوق وينسب إلى الغثارة[٤] . قال داود النبي عليه السلام في الزبور : « شـوقى إلى المسيح مثل الأيِّل إذا أكل الحيّات[٥] »

---

(١) فيما عدا ل : « قارة البظر » ، وإنما هى الوفارة بمعنى التمام والوفرة .

(٢) فى اللسان : « ابن جنى : ودرسته إياه وأدرسته . ومن الشاذ قراءة ابن حيوة : (وبما كنتم تدرسون) .

(٣) فيما عدا ل : « أكثر بالثاء » .

(٤) الغثارة : الحمق ، ولم تصرح المعاجم بهذا المصدر ، لكن فيها : الأغثر : الأحمق الجاهل . فيما عدا ل : « الغباوة » وليس يريدها الجاحظ .

(٥) النص فى المزامير (٤٢ : ١) : « كما يشتاق الأيل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسى إليك يا الله » .

[والأَيِّل إذا أكل الحيّات[١]] فاعتراه العطش الشديد تراه كيف[٢] يدور حَول الماء ويحجزه من الشرب [منه] علمُه بأنَّ ذلك عطبُه ، لأن السموم حينئذٍ تجرى مع [هذا] المـاء ، وتدخل مداخلَ لم يكن لِيبلغها الطَّعامُ بِنفسه[٣] . وليس علم الأيِّل بهذا كان عن تجربةٍ متقدِّمة[٤] ، بل هذا يوجد[٥] فى أوّل ما يأكل الحيّاتِ وفى آخِره[٦] .

(تعلُّق رؤوس الحيات فى بدن الأيّل)

وربما اصطيد الأيِّل فيجد القَنّاصُ رؤوس الأفاعى وسائرِ الحياتِ ناشبةَ الأسنان فى عنقه وجلد وجهه ؛ لأنه يريدُ أكلها فربّما بدرته الأفعى والأسود وغيرهما من الحيات فتعضُّه ، وهو يأكلها ويأكل ما ينال منها [ويفوته ما تعلق به منها] بالعضِّ ، فتبقى الرُّءوس مع الأعناق معلَّقةً عليه إلى أن تنقطِـع .

(نصول قرن الوعل)

[قالوا: وليس شىءٌ من ذوات القرون ينصل قرنه[٧] فى كلِّ عام إلا الوعل ، فإذا علم أنَّه غير ذى قرن ، وأنه عديم السلاح ، لم يظهر من مخافة السباع . فإذا طال مُكثُه فى موضعه سمن ، فإذا سمن علم أن حركته تفقد

(١) بمثل هذه يلتئم الكلام .
(٢) فيما عدا ل : « فكيف تراه » .
(٣) ط ، ه : « نفسه » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وليس علمى بهذا علما عن تجربة » ، تحريف.
(٥) فيما عدا ل : « هكذا يوجد » .
(٦) فى الأصل : « وفى آخرها » .
(٧) ينصل قرنه : يسقط . وفى الأصل ، وهو هنا ل : « ينصب » تحريف .

وتمطى ، فزاد ذلك فى استخفائه وقلّة تعرُّضه ، واحتالَ بألاَّ يكون أبدا على علاوة الريح ، فإذا نجم قرنه[١] لم يجد بُدًّا من أن يمظِّعه[٢] ويعرِّضه للشمس والريح ، حتى إذا أيقن أنه قد اشتد أكثر المجىء والذهاب التماسا أن يذهب شحمه ، ويشتد لحمه ، وعند ذلك يحتال فى البعد من السِّباع ، حتى إذا أمكنه استعمال قرنيه فى النزال[٣] والاعتماد عليهما ، والوثوب من جهتهما ، رجَع إلى حاله من مراعيه وعاداته . ولذلك قال عصام بن زفر :

تَرجو الثَّوَاب من صبيح يا حَمَلْ   قد مصَّه الدهر فما فيه بَلَلْ
إن صبيحًا ظاعِنٌ فمحتَمِلْ   فلائذٌ منك بشِعبٍ من جَبَلْ
* كما يلوذ من أعاديه الوَعِلْ *

فضرب به المثل كما ترى فى الاحتيال والهربِ من أعدائه . وقال الراجز :

لما رأيتُ البرقَ قد تبسَّما   وأخرج القَطْرُ القَرُوعَ الأعصَما

قال ابن الأعرابىّ : إنما سمَّوا الوعلَ القَروع لأنه يقرع عَجْب ذنبه من الناحيتين جميعاً] .

(بيوت الزنابير)

وقال ابن الكلبى : قال الشرقى بن القطامى ذات يوم : أرأيتم لو فكَّر رجل منكم عُمرَه الأطولَ فى أن يتعرَّف الشىء الذى تتَّخذ الزنابيرَ بيوتها المخرَّقة بمثل المجاوب[٤] ، المستوية فى الأقدار ، المتحاجزة بالحيطان ، السخيفة

---

(١) نجم قرنه : ظهر . وفى الأصل : « لحم » تحريف .

(٢) يمظعه : يعرضه للشمس ، وفى الأصل : « يمطعه » بالمهملة ، تحريف ، قال أوس :

فظامها حولين ماء لحائها   تعالى على ظهر العريش وتنزل

(٣) فى الأصل : « النزول » .

(٤) س ، هـ : « الحلقة » ط : « المحلقة » . ط ، س : « بمثل المجالس » هـ : « المجارف » تحريف . والمجوب ، بكسر الميم : آلة الجوب وهو الخرق والقطع .

فى المنظر ، الخفيفة فى المحمل ، المستديرة المضمر بعضها ببعض ، المتقاربة الأجزاء . وهى البيوت التى تعلم أنها بُنيت من جوهرٍ واحد وكأنها من ورق أطباق صِغار الكاغد المزرّرة[1] . قولوا لى : كيف جمعته ؟ ومن أى شىء أخذته ، وهو لا يشبه البناء ولا النَّسجَ ولا الخياطة .

١٣ ولم يفسر ابن الكلبىّ والشرقىُّ فى ذلك شيئا ، فلم يصِرْ فى أيدينا منهما[2] إلا التعجُّب والتعجيب . فسألت بعد ذلك مشايخ الأَكَرَة[3] فزعموا أنها تلتقطه من زَبَد المُدود[4] . فلا يدرى أمِن نَفْس الزَّبَدِ تأخذ ، أم مِن شىء يكون فى الزَّبد .

والذى عرَّف الزنابير مواضع تلك الأجزاء ، ودلها على ذلك الجوهر هو الذى علَّمَ العنكبوتَ ذلك النسج . وقد قال الشاعر :

كأنَّ قفا هارون إذ يَعْتَلُونَهُ قفا عَنْكَبُوتٍ سُلَّ من دُبْرِها غَزْلُ

وقد قال بلا علم .

وأما دودة القزّ فلا نشك[5] أنها تخرجه من جوفها .

(معرفة الحُقنة من الطير)

وتزعم الأطباء أنهم استفادوا معرفة الحُقنة من قِبل الطائر الذى إذا أصابه الحُصْر أتى البحرَ فأخَذَ بمنقاره من الماء المالح ، ثم استدخَلَه فمجَّه فى جوفه ، وأمكنَه ذلك بطول العنق والمنقار ، فإذا فعل ذلك ، ذَرَق فاستراحَ

(١) انظر للكاغد ما مضى فى (٤ : ٣٧٤) .
(٢) فيما عدا ل : « منها » ، والضمير لابن الكلبى والشرقى .
(٣) الأكرة ، بالتحريك : جمع أكار ، كشداد ، وهو الحراث .
(٤) المدود : السيول ، جمع مد . فيما عدا ل : « الممدود » تحريف .
(٥) ل : « فبلا شك » .

(ما يتعالج به الحيوان)

والقنفذ وابن عِرسٍ إذا ناهشا الأفاعيَ والحيَّاتِ الكبارَ تعالَجا بأكل الصَّعتر [1] البرّىّ .

والعقاب إذا اشتكت كبدَها من رَفْعها الأرنبَ والثعلبَ فى الهواء وحَطِّها لها مِرَارًا فإنها لا تأكل إلاّ من الأكباد حتى تبرأَ من وجَع كبدها .

(رغبة الثعلب فى القنفذ)

[قال : وسألتُ القُنَّاصَ : ما رغبة الثعلب فى أكل القنفذ وإن كان حشو إهابه شحماً سميناً ، وفى [2] ظاهر جلده شوك صلابٌ حدادٌ متقاربٌ كتقارُب الشعر فى الجسد ؟ فزعموا أنَّ الثعلبَ إذا أصابه قلبَه لظهره ثم بال على بطْنه فما بين مغرِز عَجْبه إلى فكَّيه ، فإذا أصابه ذلك البولُ اعتراه الأَسَنُ [3] فأسبَطَ [4] وتمدَّد ، فينقر عن بطنه . فمن تلك الجهة يأكل جميعَ بدنه ومسلوخِه الذى يشتمل عليه جلدهُ .

(صيد الظربان للضب)

وقالوا : وبشبيهٍ بهذه العلّة يصيد الظَّربانُ الضبَّ فى جوف جُحْره حتّى يغتصبه نفسَه ، وذلك أنّه يعلم أنّه أنتن خلق الله فَسوة ، فإذا دخل

---

(١) الصعتر ، ويقال أيضا « السعتر » : نبت من خواصه طرد الهوام . ط : « الصقر » ل : « الصمير »، صوابهما فى س ، ه .

(٢) هذه الكلمة ليست فى الأصل ، وهو هنا ل .

(٣) الأسن ، بالتحريك : الدوار والغشى ، ويقال للذى غشى عليه من رائحة البئر أسن ، قال زهير :

يغادر القرن مصفرا أنامله ... يميد فى الرمح ميد المائح الأسن

(٤) أسبط إسباطا : امتد على وجه الأرض وانبسط ؛ ومثله اسبطر .

عليه جُحره سَدَّ خَصاصَه وفُروجَه ببدنه ، وهو فى ذلك مستدبِرٌ له ، فلا يفسو عليه ثلاثَ فَسَوَاتٍ حتى يُغْطِىَ بيده فيأكله كيفَ شاءَ .

قالوا : وربّما فسا وهو بقرْب الهَجْمة وهى باركةٌ فتتفرّق فى الصحراء فلا يجمعُها راعِيها إلاّ بجهد شديد ، ولذلك قال الشاعر :

لاتمنحـوا صقـرًا ، فما لمنيحةٍ
أتت آلَ صقرٍ من ثوابٍ ولا شُكْرِ
فما ظَرِبانٌ يُؤْبِسُ الضبَّ فَسْوُهُ بِأَلْأَمَ لؤما قد علمناه مِن صقْر[1]

ولذلك قال الراجز ، وهو يذكر تكسُّب الظربان بفسوه لِطُعْمِهِ[2] وقوته ، كما يتكسَّب الناس بالصِّناعات والتِّجارات ، فقال :

باتا يُحَكَّان عراصِيفَ القَتَبْ[3] مستمسِكَيْنِ بالبِطانِ وَالحقَبْ[4]
كما يُحَكُّ القِينُ أطرافَ الخشَبْ[5] وابن يزيدَ حَرَبٌ من الحَرَبْ[6]
لاينفع الصاحبَ إلاّ أن يَسُبّ كالظَّربان بالفُسَاء يكتسِبْ

(١) يؤبسه : يقهره . وفى الأصل : « يؤنس » تحريف . وفى اللسان : « وأبسه أبسا : قهره . عن ابن الأعرابى . وأبسه : غاظه وروعه » . وفى الأصل : « بآلم لؤما » .

(٢) فى الأصل : « وطعمه » ، تحريف .

(٣) العراصيف : أربعة أوتاد يجمعن بين رءوس أحناء الرحل ، الواحد عرصاف وعرصوف ، وتسمى أيضا العصافير ، واحدها عصفور . انظر المخصص (٧ : ١٤٠) واللسان (١١ : ١٤٨ – ١٤٩) . وفى الأصل : « غضاريف » تحريف .

(٤) البطان ، بالكسر : حزام الرحل . والحقب ، بالتحريك : حبل يشد به الرحل فى بطن البعير لئلا يؤذيه التصدير .

(٥) فى الأصل : « كما يحل » ، تحريف .

(٦) الحرب : الخصومة والغضب ، وصفه بالمصدر .

(ما قيل فى بلاهة الحمام)

قال ابن الأعرابىّ : قلت لشيخ من قريش : مَن علّمك هذا ، وإنما يُحسِن من هذا أصحابُ التجارات والتكسُّب ، وأنتَ رجلٌ مكفىٌّ مودّع[1] ؟ قال : علّمنى الذى علم الحمامةَ على بَلَهها تقليبَ بيضها كى تعطى الوجهين جميعاً نصيبَهما من الحَضْن ، ولخوف طباع الأرض إذا دام على الشِّقِّ الواحد.

والحمام أبله ؛ ولذلك كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « كونوا بُلْهًا كالحمام » . ألا ترى أنّ الحمام فى الوجه الذى ألهمه الله مصالح ما يُعيشه ، ويُصْلِح به شأنَ ذَرْئه ونسله — ليس بدونِ الإنسان فى ذرئه ونسله ، مع ما خُوِّل من المنطق ، وأُلهم من العقل ، وأُعطى من التّصريف فى الوجوه[2]] ؟ !

(حيلة الفأرة للعقرب)

وإذا جَمَعَ بعضُ أهل العَبث وبعضُ أهل التّجرِبة بين العقرب وبين الفأرة فى إناءِ زجاج ، فليس عندَ الفأرة حيلةٌ أبلغُ من قرض إبرة العقرب فإمّا أنْ تموتَ من ساعتها ، وإمّا أنْ تتعجل السَّلامةَ منها ، ثم تقتلَها كيف شاءت ، وتأكلَها كيف أحبّت .

(علم الذرة)

قال : ومَن علَّم الذّرّة أن تفلق الحبّةَ فتأكل[3] موضع القِطمير لئلا

(١) المكفى : الذى كفى أموره ، وفى الأصل : « يتكفى » تحريف . والمودع : المرفه ، يقال ودعه توديعا فهو مودع ، ومودوع على غير قياس .
(٢) إلى هنا تنتهى التكملة التى بدأت فى ص ٣٣ س ٧ .
(٣) فيما عدا ل : « وتأكل » .

تنبتَ فتفسُدُ . فإذا كانت الحبَّة من حبّ الـكزبُرة[١] ففلقتها أنصافا لم ترض[٢] حتى تفلِقها أرباعا ؛ لأن الـكُزبُرة من بين جميع الحبّ[٣] تنبُت وإنْ كانت أنصافا . وهذا عِلْمٌ غامضٌ إذَا عرَفه الشّيخُ الفلّاح المجرِّب ، والفاشـكار[٤] الرئيس والأكَّار الحاذِق ، فقد بلغوا النهاية فى الرِّياسة .

(معرفة الدبّ)

وقال جالينوس[٥] : ومن علْم الدبّ الأنثى إذا وضعت ولدَها أنْ ترفعَه فى الهواء أياما تهرُب به من الذَّرِّ والنمل ، لأنها تضعه كفِدْرة[٦] من لحم ، غيرَ متميِّز الجوارح ، فهى تخاف عليه الذَّرَّ ، وذلك له حتفٌ . فلا تزالُ رافعةً له وراصدة ، ومُتفَقِّدَةً وَمُحَوِّلةً [له[٧]] من موضع إلى موضع ، حتى يشتد وتنْفرج أعضاؤُه .

(شعر لبشار)

وقال بشّار الأعمى :

أما الحيَاة فـكلُّ النَّاسِ يحفظُها وفى المعيشةِ أبلاءٌ مناكيرُ[٨]
وكلُّ قسمٍ فللعقبان أكثَرُهُ والحظُّ شيءٌ عليه الدهر مقصورُ

(١) فيما عدا ل : « وإذا أخذت الحبة من حبة الـكزبرة » .
(٢) فيما عدا ل : « فلقتها أنصافا فلم ترض » .
(٣) فيما عدا ل : « البزور » .
(٤) الفاشكار ، لفظة فارسية معربة ؛ مأخوذة من « بشكارى » الفارسية ، بمعنى الزراعة والفلاحة : (Agriculture, tillage) . انظر استينجاس ١٨٩ .
(٥) س ، ه : « الجالينوس » .
(٦) الفدرة ، بالـكسر : القطعة من اللحم إذا كانت مجتمعة. فيما عدا ل : « كجذوة » ، تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « وتفقده وتحوله » .
(٨) فيما عدا ل : « أما الجياد » تحريف . والأبلاء : جمع بلو ، بالـكسر ، يقال رجل بلو شر وبلو خير ، أى قوى عليه . فيما عدا ل : « أشياء » موضع : « أبلاء » .

(أُمْنِيَّة بشر أخى بشار)

وقال بشر أخو بشّار — وكانوا ثلاثةً ، واحد حنفىٌّ ، وواحد سدوسىٌّ ١٤
وبشّار عُقيلىّ ، وإنما نزل فى بنى سدوس لسبب أخيه[1] — وقد كان قيل لأخيه : لو خيَّرك الله أنْ تكون شيئاً من الحيوان أىَّ شيءٍ كنتَ تتمنى أن تكون ؟ قال : عُقاب . قيل : ولِمَ تمنّيت ذلك ؟ قال : لأنّها تَبيتُ حيثُ لاينالها سَبُعٌ ذو أربعٍ ، وتَحِيدُ عنها سباعُ الطَّير .

(معرفة فى العقاب)

وهى لاتعانى الصَّيد إلّا فى الفَرْط ، ولكنّها تسلُب كلّ صَيُودٍ صَيْدَه . وإذا جامع[2] صاحبُ الصقر وصاحبُ الشّاهين وصاحبُ البازى [صاحبَ العقاب ، لم يرسلوا أطيارهم خوفاً من العُقاب . وهى طويلة العمر ، عاقّة بولدها] . وهى لاتحمِل على نفسها فى الكَسْبِ ، و [هى] إنْ [شاءتْ] كانت فوقَ كلِّ شيءٍ ، وإن شاءتْ كانت بقُرْبِ كلِّ شيء ، وتتغدّى بالعِراق وتتعشّى باليمن . وريشُها الذى عليها هو فَروُها فى الشتاء ، وخَيْشُها فى الصيف . وهى أبصرُ خلق الله .

هذا قولُ صاحب المنطق فىعُقوق العقاب وجفائها بأولادها ، فأمَّا أشعار العرب فهى تدلُّ على خلاف ذلك ، قال دريد بن الصِّمَّة[3] :

---

(١) فيما عدا ل : « فى بنى عقيل لمكان أخيه » . وفى الأغانى (٣ : ٥٣) : « وكان بشار مجاورا لبنى عقيل وبنى سدوس فى منزل الحيين » .

(٢) فيما عدا ل : « وإذا رآها الجامع » ، تحريف .

(٣) كذا ، والمعروف نسبة الشعر إلى المعقر البارق ، واسمه سفيان بن أوس ، وبالبيت الثانى سمى « معقرا » . انظر الأغانى (١٠ : ٤٤ – ٤٥) والمزهر (٢ : ٢٧٣) . وقصيدته فى الأغانى . وقبل البيتين :

فقرج عنا كــل ثغر مخافة *** مسح كسرحان القصيمة ضامر

وكلُّ لَجُوجٍ فى العِنانِ كأنَّها إذا اغتمست فى الماءِ فَتْخَاءُ كاسِرُ (١)
لها ناهض فى الوكر قد مَهَدَتْ له كما مَهَدَتْ لِلبَعْلِ حسناءُ عاقرُ (٢)

(الحمق من الحيوان)

والحيوان المحمّق الرَّخَمة والحُبارَى . قال عثمان بن عفّان رضى الله عنه : « كلٌّ [شىءٍ] يحبُّ ولدَه حتّى الحبارى » .

وأنثى الذئاب ، وهى التى تسمَّى جَهِيزة (٣) ، والضبع ، والنّعجة والعنز (٤) ، هذه من الموصوفات بالُموق [جدًّا] .

قال : ومن الحيوان ماليس عنده إلّا الجمالُ والحسن [كالطاوس ؛ وهو من الطير المحمَّق] ، وكذلك التُّدْرُجُ (٥) مع جماله وحُسنه وعجيب وَشْيه ، والزرافةُ ، وهى أيضا موصوفة بالُموق ، وليس عندها إلا طَرَافة الصُّورة (٦)

---

(١) عنى الفرس . اغتمست فى الماء أى عرقت عرقا شديدا من الجرى . والفتخاء : العقاب ، سميت بذلك للين جناحيها . والكاسر : المنقضة . فيما عدا ل : « فى العناق » تحريف . وفى الأغانى واللسان (١٤ : ٨) : « وكل طموح » وفى اللسان : « إذا اغتسلت بالماء » قال : « ويقال للفرس إذا عرق قد غسل وقد اغتسل » .

(٢) الناهض : فرخ العقاب الذى وفر جناحاه ونهض للطيران . ل : « ناحض » ، وفيما عدا ل : « ناهد » ، صوابهما ما أثبت من الأغانى والمزهر والمقاييس (عقر) . قال أبو الفرج : « وإنما خص العاقر لأنها أقل دلا على الزوج من الولود فهى تصنع له وتداريه » . وبعد البيت :

تخاف نساء يبتدرن حليلها محردة قد حردتها الضرائر

(٣) فيما عدا ل : « جهيرة » صوابه بالزاى . وجهيزة علم ممنوع من الصرف ، لكن نقل فى اللسان عن الجاحظ أنه مصروف ، وهو نقل عجيب ؛ إلا أن يكون اعتمد الناقل فى ذلك على نسخة من الحيوان ، وليست النسخ بحجة فى الضبط .

(٤) فيما عدا ل : « والبقر » تحريف . وانظر ماسبق فى (١ : ٣٥٤ / ٥ : ٤٧٠) .

(٥) انظر حواشى (٥ : ٢٠٩) .

(٦) الطريف : العجيب ، يقال طرف طرافة . فيما عدا ل : « ظرافة » وهى صحيحة أيضا ، وفى القاموس : « ظرف ككرم ظرفا وظرافة قليلة » . وانظر ما سبق فى (٣ : ١٦٢) .

وغرابة النِّتاج . وهى من الخَلْق العجيب مَواضِع الأعضاء ، ويتنازعها أشباهٌ كثيرة .

والفيل عجيب[١] ظريف ، ولكنه قَبيحٌ مَسيخ[٢] ، وهو فى ذلك بهىٌّ [نبيلٌ] ، والعين لاتكرهه . والخنزير قبيح مَسيخٌ ، والعين تكرهه[٣] . والقرد قَبيحٌ مليح .

وعند البَبْغاء[٤] والمُكَّاء والعندبيل[٥] وابن تَمْرة[٦] مع صغر أجْرامها ولَطافة شُخوصها ، وضَعْف أسْرِها[٧] ، من المعرفة والكَيس والفِطنة والخُبث ماليسَ عند الزَّرافة والطاووس. والببغاء عجيب الأمر[٨] .

ويقولون : عندليب[وعندبيل[٩]] ، وهو [من] أصغر الطير .

(ماقيل فى حمق الأجناس المائية وفطنتها)

فأما الأجناس المائية من أصناف السَّمك ، والأجناس التى تُعايش[١٠] السَّمك ، فإنَّ جماعتَها موصوفَةٌ بالجهل والُموق وقِلَّة المعرفة ، وليس فيها خُلُقٌ مذكور ، ولا خَصْلة من خِصال الفِطَن ، إلا كنحو ما يروى من صَيد الجرِّىِّ

---

(١) ط ، س : « عجب » .

(٢) المسيخ : الذى لاملاحة له ؛ وقد مسخ مساخة . فيما عدا ل : « سمج » .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « نسخ » هى فى الأصل « سمج » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ل : « السقاء » .

(٥) انظر (٥ : ١٤٩ / ٦ : ٢٩٣ ، ٤٠٩) . ولم أجد معتمدا لصحة هذه الكلمة . وفيما عدا ل : « عندليب » .

(٦) سبق الكلام عليه فى (٥ : ١٤٩ / ٦ : ٤٠٩) . فيما عدا ل : « ابن غرة » تحريف .

(٧) الأسر ، بالفتح : القوة . فيما عدا ل : « أمرها » .

(٨) ل : « والسقاء عجيبة الأمر » .

(٩) هذه الكلمة من ل ، س ، هـ . وانظر التنبيه الخامس .

(١٠) فيما عدا ل : « تعاشر » .

للجِرْذان ، وحَمْل تلك الدابة للغَرْقى حتّى تؤدِّيَهم إلى الساحل[1] .

(شدة بدن السمكة والحية)

والسمكة شديدة البدن ، وكذلك الحيّة . وكلُّ شيء لايستعينُ بيدٍ ولا رجلٍ ولا جَنَاحٍ ، وإنما يستعمل أجزاءَ بدنه معاً فإنه يكونُ شديد البدن .

(حيلة الشبوط فى التخلص من الشبكة)

وخبَّرنى بعضُ الصيّادين أنَّ الشبوطة تنتهى فى النهر[2] إلى الشَّبكة فلا تستطيع[3] النفوذ منها ، فتعلم أنها لايُنجيها إلا الوثوب فتتأخّر قدرَ قابِ رُمح[4] ، ثم تتأخَّر جامعةً لجراميزها[5] حتّى تثِب ، فربّما كان ارتفاعُ وثْبتِها فى الهواء أكثرَ من عَشرِ أذرُع . وإنما اعتمدَتْ على ماوصفنا[6] . وهذا العملُ أكثرُ ما روَوْه من معرفتها ، وليس لها فى المعرفة نصيبٌ مذكور .

---

(١) لم يذكر الجاحظ اسم تلك الدابة البحرية ، وقال أيضا فى ص ١٣٠ : « وقد ذهب عنى اسمه » . وتلك الدابة هى « الدخس » . انظر الحاشية التاسعة من (٥ : ٥٤٥) والثامنة من (٦ : ٢٧) .

(٢) فيما عدا ل : « إلى النحيز » تحريف .

(٣) ط : « نستطيع » س : « يستطيع » محرفتان .

(٤) القاب : القدر . وكلمة « قدر » ليست فى ل . وإضافة الاسم إلى مرادفه وردت كثيرا فى كلام العرب . وفى قول الله : (ولدار الآخرة) و : (حق اليقين) و : (حب الحصيد) . وانظر شرح الأشمونى للألفية (٢ : ٢٣٨) .

(٥) الجراميز : الجسد والأعضاء ، يقال جمع جراميزه ، إذا تقبض ليثب . فيما عدا ل : « بجراميزها » تحريف .

(٦) ل : « على ماء » ، ولها وجه .

(مايغوص من السمك فى الطين)

وأنواعٌ من السمك يغوصُ فى الطِّين ، وذلك أنها تَنْخَر[١] وتتنفّس فى جوفه ، وتلزم أصول النبات إذا لم يرتفع[٢] ، وتلتمس الطُّعم والسِّفاد .

ونحن لم نر قَطُّ فى بطن دِجلةَ والفراتِ وجميع الأودية والأنهار ، عند نضوب الماء ، وانكشاف الأرض وظهور [وجه] الطين وعند الجزْر والنُّقصان فى الماء فى مَوَاخِرِ الصَّيْف[٣] وأيّامِ مجاورة الأهلّة والأنْصاف[٤] جُحْرًا قَطُّ ، فضلاً على مايقولُون[٥] ، أنّ لها فى بُطونِ الأنهار بيوتاً .

(جحرة الوحش)

ورأيتُ عجَبا آخرَ ، وهو أنّى فى طَولِ مادخلت البَرارىَّ ، ودخلت البُلدان ، فى صحارى جزيرة العرب والرُّوم والشّام والجزيرة وغير ذلك ، ما أعلمُ أنّى رأيتُ على لَقَمِ طريقٍ[٦] أو جادّةٍ ، أو شَرَكٍ مُصَاقِبٍ ذلك[٧]

---

(١) ل : « لها مسخر » س ، هـ : « أنها تسخر » ط : « أنها تسحر » والوجه ما أثبت .

(٢) ل : « إذا لم ترتع » من الارتعاء ، وهو الرعى .

(٣) جمع مؤخر بالتسهيل . وفى ل : « أواخر » .

(٤) أى أنصاف الشهور . ط ، هـ : « وما نأمن مجاورة الأبلة » س : « وما أنا من محاورة الأبلة » مع إسقاط كلمة : « والأنصاف » . وانظر المد والجزر ماسبق فى (١ : ٤٧ س ٣ — ٤ / ٥ : ٢٨٧ ، ٤٧٩) .

(٥) فيما عدا ل : « فضلا عما يقولون » .

(٦) لقم الطريق ، بالتحريك : متنه ووسطه ومعظمه .

(٧) شرك الطريق : جواده ، وقيل هى الطرق التى لاتخفى عليك ولا تستجمع لك ، فأنت تراها وربما انقطعت ، غير أنها لاتخفى عليك . والمصاقب : المجاور . فيما عدا ل : « سرك » وفى ل : « شراك » صوابهما ما أثبت . ط ، هـ : « مصافت » ، محرفة ، وفى ل : « يصاقب » .

أو إذا جانبتَ الطُّرُق[١] ، وأمعنْتَ فى البَرارى ، وضربتَ إلى الموْضِع[٢] [الوحشى – جُحرا واحدًا يجوز أن يدخله ضبع أو تيس ظباء ، أو بعض هذه الأجناس] الوحشيّة . وما أكثر ما أرَى الجِحَرَةَ ، ولكنى لم أرَ شَيْئاً يتسعُ للثّعلب[٣] وابنِ آوى ، فضلا على هذه الوحوش الكِبار[٤] مما هو مذكور بالتَّوْلَج والوِجار ، وبالكِناس والعَرِين .

وجُحْرالضبّ يسمَّى عريناً ، وهو غيرالعَرِين الذى يضاف إلى الشَّجَر[٥] .

(حيلة الضب واليربوع)

وأمَّا حِفظ الحياةِ والبصَر بالكَسْبِ ، والاحتراسُ مِنالعدوّ والاستعدادُ بالحِيَل ، فكما أعدَّ الضبُّ واليَربوع[٦] .

(أوقات اختفاء الفهد والأيل)

والفهد إذا سمِنَ عَرَفَ أنه مطلوب ، وأنّ حركته قد ثقُلت ، فهو يُخفى نفسَه بجهده حتى ينقضِيَ ذلك الزمان الذى تسمن فيه الفهود ، ويعلم أنّ رائحة بدنه شهيَّةٌ إلى الأسد [والنَّمِر . وهو ألطفُ شمًّا لأرابيح السباع

(١) فيما عدا ل : « وأنا جاريت الطرق » .

(٢) فيما عدا ل : « المواضع » .

(٣) فيما عدا ل : « يسع الثعلب » .

(٤) فيما عدا ل : « عن » موضع « على » .

(٥) إذ العرين جماعة الشجر والشوك والعضاه ، كان فيه أسد أو لم يكن .

(٦) أما الضب فانه يعد لمحترشه عقربا . انظر (٦ : ٤٥ ، ٥٨) . وأما اليربوع فانه يحتال بالنافقاء . انظر (٥ : ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٤٤٧) .

القويّة من شمّ السباع للرائحة الشهيّة] ، فهى لاتـكاد تـكون [إلّا] على عُلاوةِ الريح[1] :

والأيِّلُ ينصُل قَرْنُه فى كلّ عام ، فيصير كالأجَمّ ، فإذا كان ذلك الزمانَ استخفَى وهربَ وَكَمَن ، فإذا نبت قرنُه[2] عرَّضَهُ للرِّيح والشَّمْسِ فى الموضع الممتنعِ ، ولا يظهرُ حتى يَصْلُب قرنه ويَصيرَ سلاحًا يمتنع به . وقرنُه مُصمَتٌ ، وليس فى جوفه تجويفٌ ، ولا هو مصمتَ الأعْلَى أجوف الأسفل .

(معرفة الإبل بما يضرها وما ينفعها)

والبعير يدخل الرَّوضة والغيضة ، وفى النبات ماهو غذاءٌ ، ومنه[3] ١٦
ماهو سمٌّ عليه خاصة ، و [منه] ما يخرج من الحالين[4] جميعاً ، ومن الغِذاء ماريده فى حالٍ [ولا يريده فى حالٍ] أخرى ، كالحَمْضِ وَالخَلَّة ، ومنه مايغتذيه غيرُ جِنسِهِ فهو لايقرَبُه وإن كان ليس بقاتل ولا مُعْطِب . فمن تلك الأجناس مايَعرفه برؤية العين دون الشمّ ، ومنها مالا يَعرفه حتّى يَشمَّه ، وقد تغلَطُ فى البِيش فتأكلُه ، كصُنْع الحافرِ فى الدِّفْلَى[5] .

---

(١) يقال : كن فى علاوة الريح أو سفالتها. فعلاوتها : أن تـكون فوق الصيد ، وسفالتها : أن تـكون تحت الصيد لئلا يجد الوحش رائحتك . فـكلمة « إلا » التى أثبتها ضرورية لاستقامة الـكلام .

(٢) فيما عدا ل : « شب قرنه » .

(٣) فيما عدا ل : « فيعرف مايغذوه من النبات و » .

(٤) فيما عدا ل : « الحالتين » .

(٥) انظر ماسبق فى (٥ : ٣١١ — ٣١٢) .

(معرفة الإبل بالزجر)

والناقة تعرفُ قولَهم : حَل ، والجمل يعرف قولهم : جاه . قال الراجز وهو يحمِّق رجلاً هَجاه :

يقولُ للنـاقة قَوْلاً للجمَلْ   يقُولُ جَاهِ ثم يَثْنِيهِ بحَلْ[1]

(قدرة الحيوان على رفع اللبن وإرساله)

وممَّا فضلت به السِّباعُ على بنى آدمَ أنَّ الله جعَلَ فى طِباع إناث السباع والبهائم ، من الوحشيَّة والأهلية ، رَفْعَ اللَّبن[2] وإرسالَه عند حضور الولد ، والمرأةُ لاتقدر أن تدرّ على ولدها وترفَعَ لبنها[3] فى صدرها إذا كان ذلك المُقَرَّبُ منها غيرُ ولدِها[4] .

والذى أعطى الله البهائم من ذلك مثل ماتعرف به المعنى وتتوهَّمه[5] .

اعلم أَنّ الله تعالى قد أقدر الإنسانَ[6] على أن يحبس بولَه وغائطه إلى مقدارٍ ، وأن يخرجهما ، مالم تكن هناك عِلَّةٌ من حُصْرٍ وأُسْر ، وإنما يخرج منه بولُه ورَجِيعه بالإرادة والتوجيه والتهيؤ لذلك[7] . وقد جعل الله حبْسَه

(١) انظر كتاب البغال ٢٧٤. وحل ، بإسكان اللام وبكسرها منونة .

(٢) فى الأصل : « فى رفع اللبن » وكلمة « فى » مقحمة .

(٣) فيما عدا ل : « ولدها » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « إذا كان القرب منها لغير ولدها » .

(٥) ل : « والذى أعطى الله البهائم فى ذلك مثل تعرف به المعنى فتوهمه » .

(٦) فيما عدا ل : « قدر » صوابه « أقدر » وفى ل : « قد أمكن » .

(٧) ل : « ورجعه » ؛ والرجع والرجيع : النجو . ط ، هـ : « والتوجه » ، وأثبت ما فى س ، ل .

وإخراجَه وتأخيرَه وتقديمَه على ما فسَّرْنا . فعلى هذا الطريق [طوْقُ[1]] إناثِ السِّباع والبهائم ، فى رفْع اللّبَن .

(حشر الحيوان فى اليوم الآخر)

وقد قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ . فالكلمة فى الحشر مطلقة [عامّة] ، ومرسلةٌ غيرُ مستثنًى منها . فأوجب فى عموم الخبرَ على [الطَّير[2]] الحشْرَ[3] ، والطير أكثر الخلق . والحديث[4] : « إنَّ أكثرَ الخلْقِ الجراد » .

(مايطرأ عليه الطيران)

ومن العقارب طيَّارة قاتلة . وزعم صاحب المنطق أنَّ بالحبشَة حياتٍ لها أجنحةٌ .

وأشياءُ كثيرةٌ تطيرُ بعد أن لم تكن طيَّارة ، مثل الدعاميص ، والنَّمْلِ ، والأَرَضةِ ، والجِعلانِ .

والجرادُ تنتقل فى حالاتٍ قبلَ نبات الأجنحة .

(جعفر الطيار)

قالوا : وحين عظَّم الله شأن جعفر بن أبى طالب ، خلق له جناحين

---

(١) الطوق : القدرة والإطاقة .

(٢) هذه من ل ، س .

(٣) ط ، هـ : « الشر » تحريف .

(٤) كذا فى الأصل ، ولها وجه .

يطير بهما فى الجنّة ، كأنه تعالى ألحَقَه بشبه الملائكة فى بعض الوُجوه (١) .

(مايطير ولايسمى طيرا)

وذكر الله الملائكةَ فقال ﴿ أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

ولا يقال للملائكة طيرٌ ، ولا يقال إنها من الطَّير ، رفعاً لأقدارها .

ولا يقال للنمل والدعاميص والجِعلان والأَرَضةِ إذا طارت : من

١٧ الطَّير ، كذلك لايقال للجِرجِس والبَعُوضِ وأجناس الهَمَج إنها من الطير ، وضعاً لأقدارها عن أقدار ما يسمَّى طَيْرًا . فالملائكةُ تطير ولايسمُّونها طيْرًا لرفْع أقدارِها عن الطير . [والهمج يطير (٢)] ولا يسمّى طيْرًا لوضع أقدارها عن الطَّير .

(ملائكة العرش)

وفى الرواية أنَّ النبى صلى الله عليه وسلم أُنْشِدَ قولَ أميّةَ بن أبى الصَّلْت :

رَجُلٌ وثورٌ تحتَ رِجْلِ يَمينِه … والنَّسرُ للأُخرَى وليثٌ مُرْصِدُ (٣)

فقال : «صدَق (٤)» . وقوله «نسر» يعنى فى صورة نسر ، لأنَّ الملَكَ لايقال له نَسْرٌ ولا صقرٌ ولا عُقَابٌ ولا بازٍ .

---

(١) انظر ماسبق فى (٣ : ٣٨ ، ٢٣٣ / ٦ : ٢٢٢) .

(٢) التكملة من س ، هـ . والكلام من : « والهمج » إلى كلمة « الطير » الثانية ساقط من ل .

(٣) فيما عدا ل : « موصد » ، تحريف . وانظر الخزانة (١ : ١٢٠) .

(٤) فى الخزانة : « صدق . وهذه صفة حملة العرش » . ونقل عن شرح ديوانه لمحمد ابن حبيب : يقال إن حملة العرش ثمانية : رجل ، وثور ، ونسر ، وأسد . هذه أربعة ، وأربعة أخرى ، فأما اليوم فهم أربعة ، فإذا كان يوم القيامة أيدوا بأربعة أخرى .

(ما جاء فيه الأثر من الطير)

وذكروا غرابَ نوح وحمامة نوح[1] : وهدهد سليمان[2] ، والنحل والدرّاج[3] ، وما جاء من الأثر فى [ذلك] الديكِ الذى يكون فى السماء[4] .

وقال الناس : غراب نوح ، وهدهد سليمان ، وحمامة نوح : وروَوْا فى الخطاف والصُّرَد[5] .

(أشرف الخيل والطير)

ولا نعرف شيئاً من الحيوان أشْرَفَ اسماً من الخَيل والطَّير ، لأنّهم يقولون فرس جواد ، وفرس كريم ، [وفرسٌ وسيم] ، وفرس عَتيق ، وفرس رائع . وقالوا فى الطير لذوات المخالب المعقَّفة ، والمناسر المحـدَّبة : أحرار ، ومَضْرَحيَّات[6] ، وعِتاق ، وكواسب ، وجوارح . وقال لبيدُ بنُ ربيعةَ :

فانتضَلْنَا وابنُ سَلْمَى قاعـدٌ ... كَعتيقِ الطَّير يُغْضِى ويُجَلّ[7]

---

(١) فيما عدا ل : « وذكروا أن » وكلمة . « أن » مقحمة . وانظر لغراب نوح مامضى فى (٢ : ٣٢٥) ، ولحمامة نوح ماسبق فى (١ : ٢٩٨ / ٣ : ١٩٥ / ٤ : ١٩٧) .

(٢) انظر لهدهد سليمان مامضى فى (١ : ٩٧ ، ٢٩٨/٣ : ٥١٣/٤ : ٧٧/ ٦ : ٣١٠) .

(٣) ل : « والرماح » .

(٤) انظر مامضى فى (٢ : ٢٥٩) .

(٥) بعدها فى ل : « والضوضية » .

(٦) المضرحيات ، بالضاد المعجمة ، وأصل معناه فى الناس السيد الكريم والطويل . ومما جاء فى تسمية عتاق الطير بالمضرحية قول طرفة :

كأن جناحى مضرحى تـكنفا ... حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

ل : « المصرحيات » وفيما عدا ل : « المصرحات » ، والوجه ما أثبت .

(٧) ابن سلمى ، هو النعمان بن المنذر . وجل ببصره تجلية ، إذا رمى به كما ينظر الصقر إلى الصيد . انظر اللسان (٢٠ : ١٦٤) وديوان لبيد ١٩٥ .

وقال الشّاعر :

حُرٌّ صَنَعْنَاهُ لتُحْسِنَ كفُّهُ عَمَلَ الرفِيقة واستلابَ الأخْرقِ[١]

ولولا أنا قد ذكرنا شأن الهدهُد والغراب والنمل وما ذكرها به القرآنُ ، والخصالَ التى فيهـا من المعارف ومِنَ القَوْلِ والعمَل[٢] ، لذكرناه فى هذا الموضع .

[[٣] ما جاء فى ذكر الطير

قال الله جل ثناؤه : ﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّى أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللهِ﴾ . وقال الله : ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَائِرًا بِإِذْنِى[٤] وَتُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِى﴾ . وقال : ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ . وقال الله : ﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ﴾ . وقال : ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ . أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ .

(١) الرفيقة : الطيفة الصنعة الحسنتها . وفيما عدا ل : « الرقيقة » بقافين ، تحريف .

(٢) كلمة : « لولا » ساقطة من ل .

(٣) انفردت نسخة كوبريلى بإثبات هذا السقط الذى يبدأ هنا وينتهى فى ص ٥٤ .

(٤) هذه قراءة نافع وأبى جعفر ويعقوب ، وزاد أبو جعفر فقرأ : (كهيئة الطائر) ، وقرأ سائر القراء : (فتكون طيرا) .

﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ﴾ . وقال الله : ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾ .

ولم يذكر منطق البهائم والسباع والهمج والحشرات .

وقال الله : ﴿فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾ ؛ لأنك حيثما تجد المنطقَ تجد الرُّوح والعَقل والاستطاعة .

وقالوا : الإنسان هو الحيُّ الناطقُ . وقال الله : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هٰذَا إِلٰهُكُمْ وَإِلٰهُ مُوسَى﴾ . وقال : ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ ، ثم قال : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ ولم يذكر شيئاً من جميع الخلق . وقد كان الله سخّر له جميعَ ذلك . ثم قال : ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَالِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾ .

ولم يتفقد شيئًا مما سخّر له ، ولا دلَّ سليمانَ على مَلِكة سبأ إلّا طائرٌ .

وقال الله : ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ﴾ . وقال الله : ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ . فلما ذكر داود قال : ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ . وقال الله : ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ . وقال : ﴿وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ .

وقالوا : « مَنطِق الطير » ، على التشبيه بمنطق الناس ، ثم قالوا بعدُ : الصَّامت والناطق ، ثم قالوا بعد للدار : تنطق .

وقال الله : ﴿يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا

تَسْتَغْفِرُونَ اللهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ . قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَنْ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴾ .

وقال اللهُ : ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآيَاتِنَا لاَ يُوقِنُونَ ﴾ .

وكان عبدُ الله بن عبّاسٍ يقول : ليس يعنى بقوله : تُكَلِّمُهُمْ من الكلام ، وإنما هو من الكَلْم والجِراح . وجمع الكَلْم كُلوم ، ولم يكن يجعلُه من المنطق ، بل يجعله من الخُطوط والوسم ، كالكتاب والعلامة اللذين يقومان مقام الكلام والمنطق .

وقال الآخرون : لاندعُ ظاهرَ اللفظ والعادةَ الدالّة فى ظاهر الكلام ، إلى المجازات ، قالوا : فقد ذكر الله الدابّة بالمنطق ، كما ذكروا فى الحديث كلام الذئب لأهبان بن أوس[1] . وقولُ الهدهد مسطورٌ فى الكتاب بأطول الأقاصيص ، وكذلك شأن الغراب[2] .

وقال الله : ﴿ وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللهُ الَّذِى أَنْطَقَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾ ، وجعل الله مقالة النملة قرآنا ، وقال : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ ، وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَافَرَّطْنَا فِى الْكِتَابِ مِنْ شَىْءٍ ﴾ . وقال فى مكان آخر : ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴾ . وقال : ﴿ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ . وذكر الملائكة فقال : ﴿ أُولِى أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلاَثَ وَرُبَاعَ ﴾ .

---

(١) انظر الإصابة ٣٥٠ والحيوان (١ : ٢٩٨ / ٣ : ٥١٣ — ٤ : ٨٠) . وفى الأصل : « لأوس بن أهبان » ، تحريف .

(٢) انظر لكلام الغراب مع الديك ما سبق فى شعر أمية بن أبى الصلت (٢ : ٣٢٥) .

وأنشدوا النبيَّ صلى الله عليه وسلم قول أميّة بن أبي الصَّلت[١] :

رَجُلٌ وَثَوْرٌ تحتَ رِجْلِ يَمِينِهِ   والنَّسْرُ لِلأُخْرَى وَلَيْثٌ مُرْصَدُ

فقال : « صدق » .

وخلق الله لجعفرٍ جناحَين في الجنّة عوضاً من يديه المقطوعتين في سبيل الله[٢] .
قالوا : ولو كانت في الأرض يدٌ تفضل الجناحَ لجعلها الله بدل الجناح .
وسمّاه المسلمون « الطيّار » .

ويقال : « ما هو إلا طائر » ، إذا أرادوا مديح الإنسان في السُّرعة .

وقال الفرزدق :

جاءُوا مع الرِّيح أو طارُوا بأجنحةٍ   وخَلَّفوا في جُوَاثَا سيِّدَىْ مُضَرَا[٣]

والأمم كلُّها تضرب المثلَ بعَنقاء مُغْرِبٍ . وقد جاء في نسر لقمان ما قد جاء من الآثار والأخبار . وقال الخزرجي[٤] :

إنَّ مُعاذَ بنَ مُسلمٍ رَجُلٌ   قد ضجَّ مِن طُول عُمره الأبَدُ
قد شابَ رأسُ الزَّمانِ وَاختَضَبَ الـ   ـدَّهْرُ وأثوابُ عُمْرِه جُدُدُ
يا نَسْرَ لقمانَ كَمْ تَعيشُ وكم   تسحَبُ ذيلَ الحياةِ يا لُبَدُ
قد أصبحتْ دارُ آدمٍ خَرِبَتْ   وأنتَ فيها كأنّكَ الوتِدُ
تسألُ غرْبانَها إذا حجَلَتْ   كيفَ يكونُ الصُّداعُ والرَّمدُ

وقال النابغة :

أضْحَتْ خَلاءً وأضْحَى أهلُها احْتَمَلوا   أخنَى عليها الذى أخنى عَلَى لُبَدِ

---

(١) انظر ماسبق في ص ٤٦ .

(٢) انظر مامضى في (٣ : ٢٣٣) .

(٣) جؤاثا : موضع بالبحرين . وفي الأصل : « مضر » تحريف . والبيت ملفق من بيتين . انظر الديوان ٣٨٦ .

(٤) في الأصل : « الخارجي » ، تحريف . وانظر ماسبق من التحقيق في حواشي (٣ : ٤٢٣ / ٦ : ٣٢٧) .

وقال الله : ﴿ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ ، لأن ذلك الصنم كان على صورة النَّسر .

وقالوا : أحرار فارسَ ، وأحرار الرَّياحين ، وأحرار البقول ، وأحرار الطير . وهي الأحرار ، والعتاق ، والكواسبُ ، والجوارح ، والمضرحيّات .

وقال الله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَـكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ﴾ .

أسماء ما في النجوم والبروج

والفَرَسِ والنّاس وغير ذلك ، من أسماء الطير

مما يُعدّ في الفَرَسِ من أسمـاء الطير : الفَرَاش وهو المنخر[١] . والذُّباب ، وهو ذُباب العَين . والصُّلْصُل ، وهو الدائرة في الجبهة[٢] . والعصفور ، وهو الجلدة تحت الناصية والحدأة ، وهو أصـل الأذن . والهامة ، وهو الجلدة التي فيها الدماغ والفَرْخ موضع الفَهْقَة[٣] . والنّاهضان في المنكبين . والصُّرَد : عرق تحت اللسان . والسَّمامة[٤] : الدائرة في عرض العنق والقَطاة : موضع الرِّدف . والغرابان : العظمان

(١) كذا . والذى فى المعاجم أن الفراش طرائق دقاق من القحف ، وقيل هى العظام التى تخرج من رأس الإنسان إذا شج وكسر .

(٢) والصلصل فى الطير طائر تسميه العجم الفاختة .

(٣) الفهقة : عظم عند مركب العنق ، وهو أول الفقار .

(٤) السامة : واحدة السمام ، بالفتح ، وهو ضرب من الطير نحو السمانى دون القطا فى الخلقة .

الناتئان بين الوركين ؛ ويقال الغُراب طرف الوَرِك . والساق : ساق الفرس ، وهو ذكر الحمام . والُخطَّاف : موضع الرِّكاب من جنبه . والرُّخَمة : البَضْعة الناتئة فى ظهر الفخذ . والأصقع : الأبيض الناصية[1] .

وقال الله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلاً يَا جِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴾ .

وفى السماء النَّسر الطائر ، والنَّسر الواقع .

وفى الأوثان القديمة وَثَنٌ كان يسمَّى نَسرا ، ويزعمون أنه كان على صورة نسر . وقال الله : ﴿ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴾ . وقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ . إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ . وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴾ .

وفى أسماء الناس : غُراب ، وصُرَد ؛ وفى أسماء النساء : فاختة وحمامة ؛ وفى أسماء الناس : يَمام ويمامة ، وسَمَامة ، وشاهين ؛ وفى أسماء النِّساء : عقاب ، وقطاة ، وقُطَيَّة ، ودَجاجة يكون للرِّجال والنساء . ويسمُّون بعصفور ، ونقّاز ، وحَجَل[2] ، ويسمُّون الرجال بِقُطَامِىّ ، مثل أبى الشرقِىّ ابن القُطامى الشاعر[3] . وإذا كانت امرأةً قالوا قَطامِ مثل حَذَامِ . وقال امرؤ القيس بن حجر :

---

(١) الأصقع : طائر كالعصفور فى ريشه ورأسه بياض . وانظر الكلام على ساق الفرس من أسماء الطير ، كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ٤٦ .

(٢) فى الأصل : « حجاف » .

(٣) أى مثل ماسمى والد الشرق بن القطامى . وفى الأصل : « أبو الشرق » . وقد سبقت ترجمة الشرق فى (٥ : ٢٠٢) .

وأنا الذى عرَفَتْ مَعدٌّ فضْلَه   ونشدتُ حُجرًا ابنَ أُمِّ قَطَامِ (١)

ويسمون بمضرحِيٍّ . وكبار الطير هى المضرحِيَّة (٢) ؛ وأكثر ما يستعمل ذلك فى عِتاق الطير وأحرارها ، ويسمون بحُرّ ، وليس الحر من الطير إلاّ العتيق . وقال الشاعر :

حُرّ صَنعناه لتَحْسِنَ كَفُّهُ   عَمَلَ الرَّفِيقَةِ وَاسْتِلاَبَ الأَخْرَقِ (٣)

ويسمُّون صَعْوة وسُمَانَى ، وسَمامَة ، ويسمُّون بجَناح ، ويلقّبون بمنقار ، ويسمون بفرخ وفرَيخ ، وصقر وصُقير وأبى الصَّقر ، وطاوُس وطويس . وفى الألقاب يُؤْيُؤ وَزُرَّق (٤) وفى الأسماء حَيْقَطان وهو الدُّرَّاج الذَّكر ، ويسمُّون بحَذَف (٥) وَحُذَيفة ، وأبى حذيفة ، وفى الألقاب أبو الكراكىّ ، وفى الصفات الغرانيق والغُرنوق (٦)] .

---

(١) حجر بن أم قطام ، هو والد امرئ القيس . وقد سجل هذه النسبة الحارث ابن حلزة فى معلقته إذ يقول :

ثم حجرا أعنى ابن أم قطام   وله فارسية خضراء

وفى الأصل : « حجرا وابن أم قطام » ، تحريف . وفى الديوان : « ونشدت عن حجر بن أم قطام » . قال الوزير أبو بكر : « يروى أشدت ، أى رفعت ذكره وناديت به وفخرت به وشهرته . . . وخص معدا من بين العرب لأن امرأ القيس من اليمن . ولا نسبة بينه وبين معد ، فإذا أقرت البعداء بفضله واعترفت به ، فسائر العرب أقرب إلى ذلك وأجدر به » .

(٢) فى الأصل : « بمضرجى » ، و « المضرجية » ، صوابهما بالحاء المهملة.

(٣) سبق البيت فى ص ٤٨ .

(٤) فى الأصل : « درق » تحريف . وانظر الزرق فى (٣ : ١٨٢ / ٤ : ٢٢٩ / ٥ : ٣٦٩) .

(٥) فى القاموس : « الحذف محركة طائر ، أو بط صغار : وغنم سود صغار حجازية أو جرشية بلا أذناب ولا آذان ، والزاغ الصغير الذى يؤكل » . والزاغ : غراب صغير إلى البياض .

(٦) الغرنوق فى الصفات ، هو الشاب الأبيض الجميل . وهو طائر من طيور الماء . انظر مامضى فى (٥ : ٤١٩ ، ٥٣٨) .

وإلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٤٨ س ٦ .

(نطق الطير)

وقال أميَّة أبى الصَّلْت :

فاسمَعْ لِسانَ اللهِ كيفَ شُكُولُه عجبٌ ويُنْبيكَ الذى تَسْتَشْهِدُ
والوحشُ والأنعامُ كيفَ لُغاتُها والعلمُ يُقْسَمُ بينهمْ وَيُبَدَّدُ[1]

وقال الله عزّ وجل مخبرًا عن سليمان [أنّه قال] : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ وقال الشاعر[2] :

يا لَيلةً لى بحُوَّارِينَ ساهرَةً حَتَّى تَكَلَّمَ فى الصُّبح العَصَافيرُ

وقال الشَّاعر :

وَغَنَّتِ الطَّيرُ بعدَ عُجْمَتِها واستوفَت الخمرُ حَوْلَها كَملا[3]

وقال الكميت :

١٨ كالناطقاتِ الصادقا تِ الواسِقاتِ من الذَّخائِرْ[4]

(تدبير الحيوان)

قال : ولكلِّ جنسٍ من أجناس الحيوان احتراف[5] وتكسُّب ، وَرَوَغانٌ من الباغى عليه ، واحتيالٌ لما أراد صيده ؛ فهو يحتالُ لما [هو]

---

(١) يبدد : يفرق .

(٢) هو كلثوم بن عمرو العتابى ، كما سبق فى (٢ : ٢٩٦ / ٥ : ٢٢٧) . وانظر العمدة (١ : ١٧٩) والموشح ٢٩٣ .

(٣) حول كمل ، بفتح الكاف والميم : أى كامل . وفيما عدا ل : « بعد ما كملا » تحريف .

(٤) انظر (٥ : ٢٨٧) والعمدة (٢ : ٢٣) .

(٥) فيما عدا ل : « احتراس » ، تحريف

دونه ، ويحتال في الامتناع مما فوقه[١] ، ويختار الأماكنَ الحصينةَ ما احتملته[٢] ، والاستبدالَ بها إذا أنكرَها .

(منطق الطير)

ولها منطقٌ تتفاهم بها [حاجاتِ بعضها إلى بعض . ولا حاجة بها إلى أن[٣]] يكونَ لها في منطقها فضْلٌ لا تحتاج إلى استعماله . وكذلك معانيها [في[٤]] مقادير حاجاتها .

(بعض ما قيل في العقل)

وقيل لرجل من الحكماء[٥] : متى عقَلْتَ ؟ قال : ساعةَ وُلِدْتُ . فلما رأى إنكارَهم لكلامه قال : أمّا أنا فقد بكيت حِينَ خِفْت ، وطلبت الأكل حين جُعْتُ ، وطلبت الثّدى حين احتَجْت ، وسكتُّ حين أُعطيت . يقول : هذه مقاديرُ حاجاتي . ومن عَرَف مقادير حاجاته إذا مُنِعَها ، وإذا أُعْطِيَها ، فلا حاجة به في ذلك الوقت إلى أكثرَ من ذلك العقل . ولذلك قال الأعرابيّ :

سَقَى اللهُ أرضاً يعلم الضّبُّ أنّها بَعِيدٌ من الآفات طيبةُ البَقْلِ[٦]

---

(١) فيما عدا ل : « لما فوقه » .

(٢) في ط بعد « يختار » : « به حاجات بعضها ولا بد أن » . وهو كلام مقحم . وفيما عدا ل : « من الأماكن الحصينة وما احتمله » بزيادة « من » . وفي ل : « مما حمله » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في س بدل هذه التكملة : « حاجات بعضها ولا به أن » ؛ وما أثبت من ل أكمل وأقوم .

(٤) التكملة من ل ، س .

(٥) ل : « الخطباء » .

(٦) سبق البيت في (٦ : ٥٧) برواية : « عذبة بطن القاع » .

بنى بيتَه منهـا علَى رأس كُدْيةٍ
وكلُّ امرئٍ فى حِرْفة العَيش ذُو عَقْلِ[١]

(منطق الطير وعقله)

فإن قال قائل : ليس هذا بمنطق ، قيل له : أما القرآن فقد نطَق بأنّه منطِقٌ ، والأشعارُ قد جعلته مَنطِقا ، وكذلك كلامُ العرب ، فإن كنتَ إنما أخرجتَه من حدِّ البيان ، وزعمتَ أنّه ليس بمنطقٍ لأنّك لم تَفهم عنه ، فأنتَ أيضاً لا تفهم كلامَ عامّةِ الأمم ؛ وأنتَ إن سمَّيْتَ كلامَهم رَطانةً وطَمْطمة فإنّك لا تمتَنِعُ[٢] من أن تزعم أنّ ذلك كلامُهم ومنطقُهم ، وعامّة الأمم أيضا لا يفهمون كلامَك ومنطِقَك ، فجائزٌ لهم أن يُخرِجوا كلامَك من البيان والمنطِق . وهل صـار ذلك الـكلامُ منهم بياناً ومنطقاً [إلاّ لتفاهمهم حاجةَ بعضهم إلى بعض ، ولأنّ ذلك كان صوتاً مؤلّفا خرج من لسانٍ وفمٍ ، فهلاّ كانت أصواتُ أجناس الطير والوحش والبهائم بياناً ومنطقاً] إذْ قد عامتَ أنّها مقطعة مصوّرة ، ومؤلّفة منظمة[٣] ، وبها تفاهموا الحاجات ، وخرجت من فمٍ ولسان ، فإن كنتَ لا تفهم من ذلك إلاّ البعض ، فكذلك تلك الأجناس لا تفهَمُ من كلامك إلاّ البعض . وتلك الأقدارُ من الأصوات المؤلّفة هى نهايةُ حاجاتِها والبيان عنها ، وكذلك أصواتُك المؤلَّفةُ هى نهايةُ حاجاتك وبيانِك عنها . وعلى أنّك قد تعلِّم الطّيرَ

(١) ف (٦ : ٥٧) : « يرود بها بيتا » .
(٢) ط فقط : « تمنع » .
(٣) فيما عدا ل : « منطقة » .

الأصواتَ فتتعلّم ، وكذلك يُعلَّم الإنسانُ الكلامَ فيتكلَّم[١] ، كتعليم الصبىِّ والأعجمىّ . والفرقُ بين الإنسان والطير أنّ ذلك المعنى معنًى يسمَّى منطقاً وكلاما على التشبيه بالنَّاس ، وعلى السبب الذى يجرى[٢] ، [و] النَّاسُ ذلك
١٩ لهمْ على كلّ حال .

وكذلك قال الشاعر الذى وصفَها بالعقل ، وإنما قال ذلك على التَّشْبيه ، فليس للشاعر إطلاق هذا الكلام لها ، وليس لك أن تمنعها ذلك من كلِّ جهةٍ وفى كلّ حال . فافهم فهَّمك الله ، فإنَّ الله قد أمرك بالتفكّر والاعتبار ، وبالتعرُّف والاتِّعاظ .

وقد قال الله عزَّ وجلَّ مخبِرًا عن سليمان : ﴿ يـٰأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ ﴾ فجعل ذلك منطقا ، وخصَّ الله سليمانَ بأنْ فهَّمه معانىَ ذلك المنطق ، وأقامه فيه[٣] مقامَ الطَّير ؛ وكذلك لو قال عُلِّمنا منطقَ البهائم والسِّباع ، لكان ذلك آيةً وعلامة .

وقد علَّم اللهُ إسماعيلَ منطِق العرَب بعد أن كان ابنَ أربعَ عشرةَ سنة ، فلما كان ذلك على غير التلقين والتأديب والاعتياد[٤] والترتيب[٥] والمنشأ ، صار ذلك برهانا ودلالةً وأُعجوبةً وآية .

وقال ابنُ عبّاس — وذكر عمرَ بن الخطاب فقال — : « كان كالطائر الحذِر » ؛ فشبَّه عزْمَ عمرَ وتخوُّفَه من الخطأ ، وحذَره من الُخدعِ بالطائر[٦] .

---

(١) ل : « فيتعلم » .
(٢) ل : « وعلى السبب يجرى » ، أى الذى يجرى .
(٣) فيما عدا ل : « فيهم » ، تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « والاعتبار » .
(٥) هذه الكلمة ساقطة من ﻫ . ولعلها : « التربيب » ، أى التربية .
(٦) فيما عدا ل : « كالطائر » ، تحريف .

(ما قيل فى تجاوب الأصداء والديكة)

وقال ابن مقبل :

فلا أقومُ عَلَى المَوْلَى فأشتُمه   ولا يخرِّقه نابى ولا ظفَرِى
ولا تَهَيَّبُنى المَوْماةُ أركبُهــا   إذا تجاوبت الأصداءُ بالسَّحَرِ [١]

فجعلها تتجاوب . وقال الطرِمّاح بنُ حكيم — وذكر تجاوب الدِّيَكة كما ذكر ابنُ مقبلٍ تجاوبَ الأصْدَاء — فقال :

فيا صُبْحُ كَمِّشْ غُبَّرَ اللَّيْلِ مُصْعِدًا   بِبَمٍّ ونبِّهْ ذا العِفَاء الموشَّحِ [٢]
إذا صاح لم يُخْذَلْ وجاوَبَ صوتَهُ   حِماشُ الشَّوَى يصدَحْنَ مِنْ كلِّ مَصْدَحِ [٣]

(ما قيل فى ضبحة الثعلب وقبعة القنفذ والقرنبى)

وحدَّث أبوعبيدةَ عن أبى عمرو بن العلاء قال : خطب ابن الزبير [خطبة] فاعترض له رجلٌ فآذاه بكلمة ، ثم طأطأ الرَّجلُ رأسَه ، فقال ابنُ الزُّبير : أين المتكلم ؟ فلم يجبْه فقال : « قاتله الله ، ضبح ضَبْحَةَ الثَّعلب [٤] وقبَعَ قِبْعةَ القُنفذ » . وقال ابن مقبل :

ولا أتبَعُ الجاراتِ باللَّيْلِ قابعاً   قُبُوعَ القَرَنْبَى أخلفَتْهُ مجاعِرُهْ [٥]

---

(١) فى اللسان (٢ : ٢٨٩) : « قال ثعلب : أى لا أتهيبها أنا ، فنقل الفعل إليها . وقال الجرمى : «لاتهيبنى الموماة ، أى لاتملؤنى مهابة » . ل : « تجهضنى » ، وفيما عدا ل : « تجهمنى » ، صوابهما ماأثبت من اللسان .

(٢) سبق البيت وتحقيقه فى (٢ : ٢٥٤ ، ٣٤٦) . فيما عدا ل :
« كمش لى عن الليل مصعداً   ينم ونبه ذا العناء الموشح »
تحريف ، صوابه من اللسان (٣ : ٤٧٣ س ٢٥) والديوان ٦٩ .

(٣) فيما عدا ل : « حماس الصدا » ، محرف . وانظر ماسبق فى (٢ : ٢٥٤) .

(٤) الضباح : صوت الثعلب . والخبر فى اللسان (٣ : ٣٥٥ س ٤) . فيما عدا ل : « صاح صيحة الثعلب » .

(٥) ط ، هـ : « أخلقته » تحريف . والمجاعر : جمع مجعر ، وهو الدبر . والقرنبى =

باب[1]

ما جاء فى الشعر من إحساس

الطّير وغير ذلك من الحيوان

قال أبو عبيدة : تسلَح الحُبارَى على الصّقر ، وذلك من أحدِّ سِلاحها ، وهى تعلم أنّها تدبّق جناحَيه وتكتِفُه ، حتى تجتمع عليه الحُبارَيات فينتفن ريشه طاقةً طاقة ، فيموت الصَّقْر .

والحبارَى إذا تحسَّرتْ فأبطأ نبْتَ ريشِها ، وهى لا تنهض بالشَّكير[2] ، فربّما طار صُوَيحباتها إذا تقدَّمَ نبْتُ ريشها قبل نبْت ريش تلك الحُبارى ، فعند ذلك تَكْمَد حزناً حتى تموت كمداً ؛ ولذلك قال أبو الأسود الدُّئِلىّ :

وزيدٌ ميّت كَمَدَ الحُبارى إذا ظعنَتْ مَليحة أو تُلِمُّ[3]

وليس فى الطَّيْر أسرعُ طيراناً منها ، لأنها تَصَادُ عِندنا بظهر البصرة ، فيوجَد فى حواصلها حبَّة الخضراء غضّةً طريَّة ، وبينها وبين مواضع ذلك الحبِّ بلادٌ وبلاد . ولذلك قال بشر بن مروان[4] ، فى قتل عبد الملك عَمرو ابنَ سعيدٍ[5] :

كأنّ بنى مروانَ إذ يقتلونه بُغاثٌ من الطَّيْرِ اجتمَعْنَ على صَقْرِ

وبُغَاث الطَّيْر ضعاف الطير وسَفِلَتها من العِظام الأبدان ، والخشاش مثلُ

= معروفة بتتبع الناس إلى الغائط ، لولوعها بالجعر . وفى الأصل : « محاجره » تحريف ، صوابه مما سبق فى (١ : ٢٣٨ ، ٣١٧) :

(١) من هنا يبتدئ سقط كبير ؛ فات النسخ جميعها ، وأثبته من ل .

(٢) الشكير : مانبت من صغار الريش بين كباره .

(٣) سبق الكلام على البيت فى (٥ : ٤٤٥) .

(٤) سبق فى (٦ : ٣١٥) : « بعض بنى مروان » . ولم يعرف بشر بن مروان بشعر .

(٥) هو عمرو بن سعيد الأشدق . انظر ماسبق فى حواشى (٦ : ٣١٥) .

ذلك إلا أنها من صغار الطّير ، وأنشد أبو عبيدة قول الشاعر :

سألتُ النّاسَ عن أنسٍ فقالوا بأندَلُسٍ وأندَلسٌ بعيــدُ[١]
كأنّى بعد سكن مَضرِحىٌّ أصابَ جَناحَه عنَتٌ شديدُ[٢]
فقد طمِعت عِتاقُ الطّيرِ فيه وكانت عن عَقِيرَتِه تحيدُ[٣]

وقال الذّكوانىّ :

بُغَاثُ الطّير تعرِف قانِصِيهاَ وكلٌّ مكبَّدٍ منها لِهَيدِ[٤]

يقول : لكلِّ جنس من الجوارح ضربٌ من الصيد ، وضربٌ من الطلب فالمصيد منها يعرف ذلك ، فيجعل المهرب من الآخر ، ثم ذكر أنها تعرف الصائد المعتلّ من الصحيح . وهو معنى الخرّيمى[٥] حيث يقول :

ويعلم ما يأتى وإنْ كان طائرًا ويعلم أقدارَ الجوارحِ والبُغْثِ

وقوله البُغْث[٦] يريد به جمع أبغث ، وقال الأوّل[٧] : —

بُغاث الطّيْرِ أكثرها فروخاً وأمُّ البازِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[٨]

وأنشدنى ابن يسير :

---

(١) أنشده ياقوت فى معجم البلدان (رسم الأندلس) مستشهدا به على جواز حذف (أل) منها . وانظر شرح همزيات أبى تمام ص ١٧ .

(٢) كذا وردت كلمة « سكن » فى البيت .

(٣) العقيرة : الصوت .

(٤) الهيد ، أصله فى الإبل أن يصيب جنبها ضغطة من حمل ثقيل فتورثها داء يفسد عليها رئتها .

(٥) الخريمى ، هو إسحاق بن حسان بن قوهى الخريمى . انظر (١ : ٢٢٤ ، ٣٥٤). وفى الأصل : « الحزيمى » ، تحريف .

(٦) فى الأصل : « وليس قوله البغث » وكلمة « ليس » مقحمة .

(٧) هو العباس بن مرداس ، كما فى الحماسة (٢ : ٢١) . ونسب فى اللسان (٢ : ٣٧٧) إلى كثير عزة .

(٨) الفروخ : جمع فرخ . ورواية الحماسة : « فراخا » . والمقلات : التى لايبقى لها ولد . وفى الأصل : « مقلاة » ، تحريف . والنزور : القليلة الولد .

وبالجَـدّ طوراً ثم بالجِدّ تارةً

كذلك جميعُ الناس فى الجَدِّ والطَّلَبْ(١)

والجد مفتوح الجيم . يقول : الطير كالناس ، فمرَّةً تصيد بالحظّ وبما يتفق لها ، ومرَّةً بالحيلة والطَّلب . وقال بشّار بنُ برْد :

* وبجَدِّهِ يتقلّبُ العصفور *

قال : وقال زاهر(٢) لصبيانه : « يرزقكم الذى يرزُق عصافير الدوّ » . وقال صالح المُرّىّ(٣) : «تغدو الطّيرُ خِماصاً وتَرُوحُ شِباعًا ، واثقة بأنّ لها فى كلِّ غدْوَةٍ رزقاً لا يفوتُها . والذى نَفْسى بيده أنْ لو غدوتُم على أسواقكم على مثل إخلاصها ، لرُحتم وبطونُكم(٤) أبطنُ من بطون الحوامل » .

وقال أعشى هَمْدان :

قالت تعاتبنى عِرْسى وتسألُنى : أين الدَّراهم عَنّا والدَّنانيرُ
فقلتُ : أنفقتُها واللهُ يُخْلِفُها والدَّهر ذو مرَّةٍ عسرٌ وميسورُ
إنْ يرزقِ اللهُ أعدائى فقد رُزِقَتْ من قبلهم فى مَراعيها الخنازيرُ
قالت : فرزقُك رزقٌ غيرُ متّسعٍ وما لَدَيْكَ من الخيرات قِطميرُ
وقد رضيتَ بأن تحيا على رَمَقٍ يوماً فيوماً ، كما تحيا العصافير(٥)

---

(١) فى الأصل : « ثم بالحس » ، ولا وجه له .
(٢) زاهر ، يروى عنه ابن الأعرابى . انظر (٦ : ٣٩٤ س ٣) .
(٣) صالح المرى ، أحد زهاد البصرة وعبادها ، وكان مملوكا لامرأة من بنى مرة ابن الحارث ، من بنى عبد القيس ، فأعتقته ، وإليها ينسب . انظر صفة الصفوة لابن الجوزى (٣ : ٢٦٥ — ٢٦٦) . وقد سبقت ترجمته فى (٦ : ٥٠٨) . وفى الأصل : « صالح المروى » ، تحريف .
(٤) فى الأصل : « لرجمتم ودينكم » .
(٥) الرمق : القليل من العيش الذى يمسك الرمق ، أى بقية الحياة . وفى الأصل : « رنق » . والرنق : الكدر ، ولا وجه له .

وإنما خصَّ العصافير بقلّة الرِّزق ، لأنها لا تتباعد فى طلب الطعم ؛ وإلا فإنّ السِّباعَ ووحشَ الطَّير كلَّها تغدو خِماصاً وتروح بطاناً .

وقال لبيد :

فإنْ تسألينا فيم نحنُ فإنّنا عصافيرُ من هذا الأنام ِ المُسحَّرِ[1]

وقال[2] :

عصـافيرٌ وذِبّانٌ ودودٌ وأجرأُ من مجلِّحة الذئابِ[3]

ولولا أنّ تفسير هذا قد مرَّ فى باب القول فى العصافير فى كتاب الحيوان لقلنا فى ذلك .

باب
ذكر اختلاف طبائع
الحيوان وما يعتريها من الأخلاق

الذئب لا يطمع فيه صاحبُه ، فإذا دَمِىَ وثب عليه صاحبُه فأكلَه ، وإذا عضَّ الذِّئْبُ شاةً فأفلتتْ منه بضربٍ من الضروب ، فإنَّ عادة الغنم إذا وجدَتْ ريحَ الدَّم ِ أن تَشمَّ موضع أنياب الذئب ، وليس عندها عند ذلك إلاّ أن ينضمَّ بعضها إلى بعض ؛ ولذلك قال جريرٌ لعَمر بن لجأ التَّيمىّ :

فلا يضغمَنَّ اللَّيْثُ تَيما بِغِرَّةٍ وتَيمٌ يَشَمُّونَ الفَرِيسَ ا لَمنَيَّبا[4]

---

(١) انظر ما سبق من الكلام على نسبة هذا البيت فى (٥ : ٢٢٩) . والبيت فى ديوان لبيد برواية الطوسى ص ٨١ .

(٢) أى لبيد . انظر الحيوان (٥ : ٢٢٩) . لكن البيت فى شعر امرئ القيس ١٣٢ ، واللسان (٣ : ٢٤٩ — ٢٥٠) .

(٣) المجلحة : الجريئة .

(٤) الفريس : المفترس ، كالفريسة . والمنيب : المعضض بالأنياب . وانظر البيان (٣ : ٢٢٣) .

تذكر أنّهم كالغنم فى العجز والجُبن . وإذا دَمِيَ الحمارُ ألقى نفسَه إلى الأرض وامتنع ممن يريده بالعضّ وبكلِّ ما قدر عليه ، غير أنه لا ينهض ولا يبرحُ مكانَه . وإذا أصاب الأسدَ خَدْشٌ أو شَحْطَة[1] بعد أن يَدْمَى مكانَه فإنَّ ذبَّان الأسد تلحُّ عليه ، ولا تُقْلع عنه أبدا حتى تقتله .

وللأُسود ذِبَّانٌ على حدة ، وكذلك الكلاب ، وكذلك الحمير ، وكذلك الإبل ، وكذلك الناس .

وإذا دَمِيَ الإنسانُ وشمَّ الذئبُ منه ريحَ الدَّم فما أَقَلَّ من يَنْجُو منه وإن كان أشدَّ الناس بدَناً وقلباً ، وأتَمَّهم سِلاحا ، وأثقفَهم ثقافة .

وإذا دَمِيَ الببرُ استكلب فخافه كلُّ شيء كان يسالمُه مِن كبار السِّباع كالأسود والنُّمور ، والببر على خلاف جميع ما حكينا .

وإذا أصاب الحية خدْشٌ فإنَّ الذرَّ يطالبه أشدَّ الطلب ، فلا يكاد ينجو ، ولا يعرف ذلك إلا فى الفَرْط .

وإذا عضَّ الإنسانَ الكلبُ الكلِبُ فإنَّ الفأر يطالبه ليبولَ عليه ، وفيه هَلَكتُهُ ، فهو يحتال له بكلِّ حيلة .

وربما أغَدَّ البعير فلا يعرف ذلك الجمَّالُ حتى يرى الذِّبّانَ يطالبه .

وإذا وضعت الذِّئبةُ جَرْوَها فإنه يكون حينئذ ملتزقَ الأعضاء أمْعَطَ كأنه قطعة لحم ، وتعلم الذِّئبة أنَّ الذرَّ يطالبه ، فلا تزال رافعةً له بيديها ، ومحوِّلةً له من مكانٍ إلى مكان ، حتى تفرج الأعضاء ، ويشتدّ اللحم .

وإذا وضعت الهرَّة جروَها فإنْ طرَحُوا لها لحما من ساعتها أو رُوبة[2]

---

(١) الشحطة : أثر سحج يصيب جنبا أو فخذا أو نحوهما .

(٢) الروبة بالضم : القطعة من اللحم . وفى الأصل : « ربة » ، تحريف .

أو بعض ما يشبه ذلك فأكلته ، لم تكد تأكل أجراءها ، لأنّ الهرة يعتريها عند ذلك جُوعٌ وجُنون وخفة .

والأجناس التى تحدث لها قوّةٌ على غير سبب يعرف فى تقدير الرأى منها الذِّئبُ الضعيف الواثبُ على الذِّئب القوىّ إذا رأى عليه دما ، والهِرّةُ إذا سفِدها الهرُّ ، فإنها عند ذلك تشدُّ عليه وهى واثقةٌ باستخذائه لها ، وفضْل قوّتها عليه ، والجُرذ إذا خصِى فإنّه يأكل الجرذان أكلا ذريعاً ولا يقوم له شىءٌ منها .

فأمّا الفيل والكركدَّنَ والجمل ، عند الاغتلام وطلَب الضِّراب ، فإنها وإن تركت الشُّرْبَ والأكلَ الأيّامَ الكثيرة فإنّه لا يقوم لشىءٍ منها شىء من ذلك الجنس وإن كان قويًّا شابًّا آكلا شاربا .

وأمّا الغيرانُ والغَضبان والسَّكران والمُعاين للحرب ، فهم يختلفون فى ذلك على عللٍ قد ذكرْناها فى القول فى فضيلة المَلَك على الإنسان ، والإنسانِ على الجانّ . فإنْ أردتَه فالتمِسْهُ هناك . فإنَّ إعادة الأحاديث الطوال والكلامَ الكثيرَ مما يُهجَر فى السَّماع ، ويهجِّن الكتب[1]] .

باب

ما يستدل به فى شأن الحيوان على حسن صنع الله

وإحكام تدبيره ، وأن الأمور موزونة مقدرة[2] . قالوا : الأشياء البيّاضة طائر ، ومشترك ، وذو أربع ، ومُنْساح . فمنها ما يبيض فى صُدوع الصَّخر وأعالى الهِضاب . ومنها ما يعيش فى الجَحَرة كسائر الحيات[3] .

(١) إلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٦٠ .

(٢) فيما عدا ل : « وأحكامه وتدبيره ، وأن أموره موزونة مقدرة » .

(٣) فيما عدا ل : « مايبيض فى الأجحرة » ، تحريف . والجحرة ، بتقديم الجيم : جمع جحر .

وأما الدَّسَّاس منها فإنّها تلد ولا تبيض ، و [هى] لا تُرضِع ولا تُلقِم. والْخفّاش تَلد ولا تبيض وترضع ، وهذا مختلف .

والدّجاج والحجَل والقَطا وأشباه ذلك من الدّرَاريج وغيرِها أفاحيصُها فى الأرض .

والحمام منها طُورانىّ[1] جبَلِىّ ، ومنها ألوفٌ أهلىّ . فالجبلىُّ تبيض فى أوكارٍ لها[2] فى عُرْض مقاطع الجبال ، والأهلىُّ منها يبيض فى البيوت . والعصافير بيوتُها[3] فى أصول أجذاع السُّقُف . والخطاطيف تتّخذ بيوتَها فى باطن السقف فى أوثق ذلك وأمْنَعِه[4] . والرّخَم لا ترضَى من الجبال إلا بالوحشىّ[5] منها ، ومن البعيد إلا فى أسحَقِها[6] وأبعدها عن مواضع أعدائها ، ثم من [الجبال إلاّ فى رءوس هضابها ، ثم من] الهضاب[7] إلا فى صدوع صخورها[8] . ولذلك يُضرَب بامتناع بيضِها المثل .

وأما الرّقّ والضِّفدِع والسُّلَحفاة والتّمساح ، وهذه الدوابّ المائية ، فإنها تبيض فى الأرض وتحضن . وأمَّا السَّراطِين فإنَّ لها بيوتاً فى عَرْض شُطوط الأنهار والسّواقى ، تمتلئ مرةً ماءً وتخلو مرة .

---

(١) يقال طورانى وطورى : منسوب إلى طور سيناء ، وقيل منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ . وفيما عدا ل : « طورى » .

(٢) س : « فى أوكارها » .

(٣) ط ، هـ : « والعصافير فى بيوتها » .

(٤) فيما عدا ل : « فى باطن البيوت فى أوساطه وأمنعه » ، وأثبت ما فى ل . وكلمة « أوثق » هى فى الأصل : « أوسع » فأبدلتها بما يناسب « وأمنعه » .

(٥) ط ، هـ : « لا تبيض من الجبال إلا فى الوحشى » .

(٦) أسحقها : أشدها بعدا . فيما عدا ل : « ومن أبعدها » .

(٧) ط فقط : « الهضبات » .

(٨) ل : « رءوس صدوعها » .

ومن الحيوان مالا يجثم ، كالضبّة فإنها لا تجثُم على بيضها ، ولكن تغطّيها[1] بالتراب وتنتظر أيّام انصداعها .

(مواضع الفراخ والبيض)

فإذا كان مواضع الفِراخ والبيض من القطا وأشباه القطا فهو أفحوصة ، وإذا كان من الطير الذى يهيّئ ذلك المجثَمَ[2] من العِيدان والرِّيش والحشيش فهو عُشّ ، وإذا كان من الظّليم فهو أُدْحِيّ . ذكر[3] ذلك أبو عبيدة والأصمعى . وكلّها وُكور ووكون ، ووُكنات ووَكَرات[4] .

(أكثر الحيوان بيضاً وأقلّه)

فالذى يبيض[5] الكثيرَ من البيض [الذى] لا يجوزه شىءٌ فى الكثرة السَّمَك ، ثم الجراد ، ثم العقارب ، ثم الضبّة ، لأن السَّمَكَ لا تزقّ ولا تلقِم ولا تُلحِم ولا تحضُن ولا تُرضِع * فحين كانت كذلك كثّر الله تعالى ذَرْءَها وعددَ نسلِها ، فكان ذلك على خلاف شأن الحمام الذى يُزاوِج أصنافَ الحمام. ومثل العصافير والنَّعام ، فإنها لا تزاوج .

فأما الحمام فلما جعله الله يزقّ ويحضُن ، ويحتاج إلى ما [يغتذيه[6] و] يغذو به ولده ، ويحتاج إلى الزَّقّ ، وهو ضربٌ من القيء ، وفيه عليها وهْنٌ

---

(١) فيما عدا ل : « تغطيه » .

(٢) يقال جثم وجثم ، بفتح الثاء وكسرها . وفعله من بابى دخل وضرب .

(٣) فيما عدا ل : « يذكر » .

(٤) وكرات : جمع وكرة ، بالفتح ، يقال وكر ووكرة .

(٥) فيما عدا ل : « فالتى تبيض » .

(٦) التكملة من ل ، ه .

وشدّة[١] ، ولذلك لا يُزْجَل[٢] إذا كان زاقًّا . فلما [أن] كان كذلك لم يحمل عليها أكثر من فرخين وبيضتين .

ولما كانت الدَّجاجة تحضُن ولا تزُقّ ، وهى تأكل الحبَّ وكلَّ ما دبّ ودَرَجَ ، زاد الله فى بيضها ، وعدد فراريجها ، ولم يجعل ذلك فى عدد أولاد السَّمك والعقارب والضِّباب التى لا تحضُن البتّةَ ولا تزُقّ ولا تُلقِم .

ولمَّا جعَلَ الله أولادَ الضبّ لها معاشاً ، زاد فى عدد بيضِها وفراخها ، وصار ما يسلمُ كثيرا غير متجاوزٍ للقدر .

٢١ وكذلك الظَّليم ، لما كان لا يزقّ ولا يحضُن اتسَع عليه مطلبُ الرِّزق من الحبوب وأصول الشَّجر[٣] .

وجعلها تبيض ثلاثينَ بيضةً وأكثر . [وقال ذو الرمة :

أذاك أم خاضبٌ بالسِّىِّ مَرْتَعُه أبو ثلاثين أمسى فهو منقلبٌ[٤]

و] بيضها كبارٌ ، وليس فى طاقتها أن تَشتمل وتجثم [إلاّ] على القليل منها . وكذلك الحيَّة تضع ثلاثين بيضةً ، ولها ثلاثون ضِلعا ، وبيضها وأضلاعها عدد أيام الشَّهر ؛ ولذلك قويَت أصلابها لكثرة عددالأضلاع ، وحمل عليهافى الحضن بعض الحمل[٥] إذ كانت لا ترضع .

(أثر الإلقام والزق فى الحيوان)

والطائر الذى يُلقِم فرخَه يكون أقوى من الطائر الزاقّ ، وكذلك من البهائم المرضِعة .

---

(١) فيما عدا ل : « وهن شديد » .

(٢) زجل الحمام : إرساله على بعد . وفيما عدا ل : « لا يرحل » ، تحريف .

(٣) ل : « أصول الأشجار » .

(٤) سبق البيت فى (٤ : ٣١١ ، ٣٢٨) .

(٥) فيما عدا ل : « بعد الحضن » .

ولما كانت العصافير تصيد الجراد والنمل والأرَضَة إذا طارت : وتأكل الحبَّ واللَّحم ، وكانت مع هذا تُلقم ، لم تكثِّر من البيض كتكثير الدجاج ولم تقلِّل كتقليل الحمام .

(ما يزاوج من الحيوان)

والعصافير فيها زِوَاجٌ ، وكذلك النَّعام . وليس فى شىءٍ من ذوات الأربع زِواج ، وإنما الزِّواج فى اللاتى[1] تمشِى على رِجْلين ، كالإنسان والطَّير والنَّعام ، وليس [هو] فى الطير بالعامّ ، وهو فى الحمام وأصناف الحمام[2] من هذه المغنيات والنوائح عامٌّ . وسبيل الحجل والقَبَج[3] سبيلُ الدِّيكة والدَّجاج .

والدَّجاجة تمكن كلَّ ديك ، والدِّيك يثِبُ على كلِّ دَجاجة . وربَّما غَبَر [الحمام[4]] الذَّكَر حياتَه كلَّها لا يقمط غير أنثاه ، وكذلك الأنثى لا تدعو إلا زوجَها ، وربَّما أمكنت غيره. وفى الحمام فى هذا الباب من الاختلاف ما فى النساء والرجال . فأما الشِّفْنين[5] فإنّه لا يقمُط غيرَ أنثاه ، وإن هلكت الأنثى لم يزاوِجْ أبدا ، وكذلك الأنثى للذكر .

(عجائب البيض)

فأمَّا العلة فى وضع القطا بيضَها أفراداً ، وخروجِ البيضة من جهة أوسع الرَّأسين ، واستدارةِ بيض الرّقّ ، واستطالة بيض الحيات ، وما يكون

---

(١) فيما عدا ل : « التى » .
(٢) هاتان الكلمتان ساقطتان من ط .
(٣) ط : « والفتخ » س : « والفتح » ، صوابهما فى ل ، هـ .
(٤) التكملة من ل ، س .
(٥) فيما عدا ل : « السفنين » محرف . وانظر (٣ : ٥١٦) .

منها أرقطَ وأخضَر وأصفر وأبيض [وأكدر] وأسود ، فإنّى لم أرْضَ لهم فى ذلك[1] جواباً فأحْكِيَه لك .

(معارف فى البيض)

قالوا : وإنما يعظُم البيض على قدر جُثّة البيّاضة . وبيضُ الأبكارِ أصغر . فأمّا كثْرة العدد فقالوا[2] إنه كلما كان أكثرَ سِفاداً كانَ أكثَرَ عدداً . وليس الأمرُ كذلك ؛ لأنّ العصفور أكثَرُ سِفاداً من أجناسٍ كثيرةٍ هى أقلّ بيضاً منه .

والجرادُ والسَّمَك لا حضنَ وَلا زَقَّ ولا رَضاعَ ولا تَلقيمَ[3] عليهن ، فحين جَعَل الفراخَ كثيرةَ العدد ، وكانت الأمّهات والآباءُ عاجزةً عنها ، لم يَجْعلْها محتاجةً إلى الأمّهات والآباء .

فتفهَّمْ هذا التدبيرَ اللطيفَ ، والحكمةَ البالغة .

(أقل الحيوان نسلا وأكثره)

قالوا : والأقلّ فى ذلك البازى ، والأكثر فى ذلك الذّرّ والسَّمك . قال الشاعر[4] :

بغاثُ الطَّيْرِ أكثرها فُروخا وأمُّ البازِ مِقْلاتٌ نَزُورُ[5]

---

(١) فيما عدا ل: « بذلك » ، تحريف .
(٢) س : « فقال » ، صواب هذه « فيقال » كما فى ل .
(٣) ط ، س : « ولا يلقم » ه : « ولا تلقم » ، صوابهما من ل .
(٤) هو العباس بن مرداس ، كما فى الحماسة (٢ : ٢٠ — ٢١) . ونسب فى اللسان (٢ : ٣٧٧) إلى كثير عزة .
(٥) فيما عدا ل : « فراخا » كما فى الحماسة . وفيما عدا ل أيضا : « وأم الصقر » و « مقلات » هى فيما عدا ل : « مقلاة » ، محرفة .

وقال صاحب المنطق : نسل الأسد أقلُّ[1] لأنه يَجرح الرحم فيُعْقَم . ٢٢
قالوا : والفِيَلة تضعُ فى سبع سنين. وأقلُّ الخلْق عدداً وذَرْءًا الكركَدَّن ؛ لأنّ الأنثى تكون نَزُورًا ، وأيامُ حملها كثيرة [جِدًّا[2]] ، وهى من الحيوان الذى لايلد إلاّ واحداً ؛ وكذلك عِظامُ الحيوان وهى مع ذلك تأكل أولادَها ، ولا يكاد يسلم منها إلاّ القليل ؛ لأنّ الولد يَخرجُ سوِيًّا نابتَ الأسنانِ والقرنِ ، شديدَ الحافر .

ما جاء فى الفيلة

من عجيب التركيب ، وغريب التأليف ، والمعارف الصحيحةِ ، والأحساس اللطيفة ، وفى قبولها التثقيفَ والتأديبَ وسرعَتِها إلى التَّلقين والتقويم ، وما فى أبدانها من الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة[3] .

بسم الله الرحمن الرحيم

[والحمد لله ولاحول ولاقوة إلا بالله] ؛ وصلى الله على سيدنا محمدخاصَّة وعلى أنبيائه عامّة ، ونسأله التأييدَ والعصمة ، ونعوذ به من كلِّ سبب جانَبَ الطَّاعَة ، ودعا إلى المعصية ، إنه قريبٌ مجيب ، فعَّالٌ لما يريد .

قد قلنا فى أول هذا الجزء ، [وهو الجزء السابع] ، من القول فى الحيوان فى أحساس أجناسها المجعولة فيها[4] ، وفى معارفها[5] المطبوعة عليها ، وفى أعاجيب ما رُكِّبَتْ عليه من الدَّفع عن أنفُسها ، والتقدُّم فيما يُحيِيها

---

(١) فيما عدا ل : « يقل » .

(٢) التكملة من ل ، س .

(٣) من مبدأ « ما جاء فى الفيلة إلى هنا ليس فى ل .

(٤) فيما عدا ل : «منها» ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « صغارها » ، محرف .

وفى تحسُّسِها عواقبَ أمورها وكلٍّ ما خوَّفت(١) من حوادث المكروه عليها بقدر ما ينوبُها من الآفات ، ويعتريها من الحادِثات(٢) وأنَّها تُدْرِك ذلك بالطَّبع من غير رَوِيَّة ، وبحِسِّ النَّفس من غير فِكرة ؛ ليعتبرَ مُعْتَبِرٌ ، ويفكِّرَ مفكِّر ، ولينفىَ عن نفسه العُجب ، ويعرفَ مقدارَه من العجز ، ونهاية قُوَّته ، ومبلغَ نفاذِ بصَرِهِ ، وأنه مخلوق مدبَّر ومصرَّف وميسَّر ، وأنَّ الأعجمَ من أجناس الحيوان ، والأخرسَ من تلك الأشكال ، يبلغ فى تدبير معيشته ، ومصلحةِ شأنهِ ، وفى كلٍّ ماهو بسبيله ، مالا يبلغه ذو الرَّوِيَّة التامّة ، والمنطقِ البليغِ ، وأنَّ منها ما يكون ألْطفَ مَدخلاً ، وأدقَّ مسلكا ، وأصنَعَ كَفّا ، وأجودَ حنجرة ، وأطبَعَ على الأصوات الموزونة ، وأقْوَم فى حفظ ما يُعيشُه طريقةً ، إلَّا أنَّ ذلك منها مفرَّق(٣) غـيرُ مجموع ، ومنقطعٌ غير منظوم .

والإنسان ذو العقل والاستطاعة ، والتصرُّف والروية ، إذا علم علماً
٢٣ غامضاً ، وأدرَكَ معنًى خفيّا ، لم يكَدْ يمتنع عليه ما دونَه إذا قاس بعض أمْرِهِ على بعض .

وأجناسُ الحيوانِ قد يعلَّم بعضُها(٤) علماً ، ويصنع بكفِّه صنعةً يفوقُ بها الناس(٥) ، ولا يهتدِى إلى ماهو دونَ [ذلك بطبعٍ ولا رويّة . وعلى أنَّ الذى عجز عنه فى تقدير العقول دون] الذى قَدَرَ عليه .

---

(١) فى الأصل : « وفى تحصينها عواقب أمورها وكلما خوفت » .
(٢) ل : « من الحاجات » .
(٣) فيما عدا ل : « مفترق » .
(٤) ط : « بعضه » .
(٥) ل : « الإنسان » .

وأنا ذاكرٌ إن شاء الله ، ما جاء في الفيلة من عجيب التركيب ، وغريب التأليف ، والمعارفِ الصَّحيحة ، والأحساس اللطيفة ، وفي قَبولها التّثقيف والتّأديب ، وسُرعتها إلى التلقين والتّقويم ، وما في أبدانها من الأعضاء الكريمة ، والأجزاء الشريفة ، وكم مقدارُ منافِعها ، ومبلغُ مضارِّها ، وبكم فَضَلَتْ أجناسَ الحيوان ، وفاقَتْ تلكَ الأجناسَ ، وما جعل الله تعالى فيها من الآيات والبرهانات ، والعلامات النيِّرات ، التي جَلاها لعيُون خلْقه وعَرَّف بينها وبين عُقول عباده ، وقيَّدَها عليهم ، وحفِظَها لهم [ليكثِّر لهم[1]] من الأدلة ، ويزيدَهم في وضوح الحُجَّة ، ويسخِّرَهم لتمام النِّعمة ، والذي ذكرها الله به في الكتاب الناطق[2] ، والخبر الصادق ، وما في الآثار المعروفة ، والأمثال المضروبة ، والتجارب الصحيحة[3] ، وما قالت فيها الشعراء ، ونطقَتْ به الخطباء ، وميَّزَتْه العلماء ، وعجّبت منه الحكماء ، وحالِها عند الملوك وموضعِ نفعِها في الحروب ، ومهابتها في العيون ، وجَلالتها في الصُّدُور ، وفي طُول أعمارها ، وقوّة أبدانِها ، وفي اعتزامها وتصميمها ، وأحْقادها[4] ، وشدَّة اكترائها ، وطلبها بطوائلها ، وارتفاعها[5] عن مِلْك السُّقّاط والحشْوة ، وعن اقتناءِ الأنذال والسَّفِلة ، وعن ارتخاصها في الثمن وارتباطها على الخسْف ، وابتذالها وإذالتها ، وعن امتناع طبائعها ، وتمنُّع غرائزها[6] أن تَصلُحَ أبدانُها ، وتَنْبُتَ أنيابُها ، وتعظُمَ جوارحُها ، وتتسافَد

(١) التكملة من س ، هـ ل . لكن في ل : « ليكرر » .

(٢) فيما عدا ل : « وما ذكرها الله بها في الحديث الناطق » .

(٣) فيما عدا ل : « والتجارب الصحيحة » .

(٤) ط ، هـ : « وإخفارها » س : « وإخفادها » ، صوابهما في ل .

(٥) فيما عدا ل : « وارتداعها » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « غوائرها » ، محرف .

وتتلاقَحَ إلّا فى معادنها وبلادها ، وفى منابتها ومَغارس أعراقها ، مع التماس الملوك ذلك منها ، حتى أعجَزَت الحِيل ، وخرجَتْ مِن حدّ الطَّمَع(١) ، وعن الإخبار عن حْماها ووضْعِها ، ومواضع أعضائها ، والذى خالَفتْ فيه الأشكالَ الأربعةَ التى تُحيط بالجميع ممّا ينْساح أو يعوم ، أو يمشى أو يطير ، وجميعِ ما ينتقل عن أوَّليَّةِ خَلْقه ، وما يبقى على الطّبائع الأُوَل من صُورته وعمّا يتنازَعُه من شِبه الحيوان ، أو ما يخالِفُ فيه جميعَ الحيوان ، وعن القول فى شدّة قلبه وأسْرِه ، وفى جرأته على ماهو أعظَمُ بدَناً وأشدُّ كلَباً ، وأحدُّ أظفاراً ، وأذْربُ أنيابا ، وهربِه(٢) ممّا هو أصغَرُ منه جِرْماً وأكلُّ حدًّا ، وأضعَفُ أسْرًا ، وأخملُ ذِكراً ، وعن الإخبار عن خصاله المذمومة ، وأموره المحمودة ، وعن القول فى لَوْنه وجِلده وشَعره ، ولحمه وشحمه وعظمه ، وبَوْله ونَجْوه ، وعن لسانه وفمه(٣) ، وعن أذنه وعينه ، وعن خرطومه

٢٤ وغُرموله ، وعن مَقاتِلهِ وموضع سلاحه ، وعن أدوائه ودوائه ، وعن القول فى أنيابه وسائرِ أسنانه ، وسائر عظامه ، وفرْقِ مابين عِظامه وعظام غيره ، وعن مَوَاضع عجزه وقوّته ، والقَوْل فى ألبانها وضُروعها ، وعدد أخْلافها وأماكن ذلك منها ، وعن سياحتها ومشْيها وحُضْرها وسُرعتها ، وخِفّة وطئها ولين ظهورها ، وإلذاذ راكبها ، وعن ثباتِ خُفِّها فى الوَحل والرَّمل ، وفى الحَدَر والصَّعْداء ، وعن أمْن راكبها من العِثار ، وكيف حالها(٤) عند اهتياجها واغتلامِها ، وعن(٥) سكونها وانقضاء هَيَجانها عند حملها ،

(١) فيما عدا ل : « خرجت عن الطبع » .
(٢) فيما عدا ل : « ونفرته » .
(٣) فيما عدا ل : « وفيه » .
(٤) فيما عدا ل : « واحتيالها » ، تحريف .
(٥) ل : « وعنه » ، محرف .

وعن طربها وطاعتها لسُوّاسها ، وفهمها لما يُراد منها ، وكيف حِدّةُ نَظرها والفَهمُ الذى يُرَى فى طَرْفِها ، مع الوقار والنُّبل ، والإطراق والسُّكون ، وَلِمَ[1] اجتمعت الملوكُ عَرَبُها وعجمُها[2] وأحمرُها وأسودها على اقتنائها[3] والتزيُّنِ بها ، والفخرِ بكثرةِ ماتهيّأ لهم منها ، حتى صارت عندهم من أكرم الهدايا ، وأشْرَف الألطاف ، وحتى صار اتخاذُها مُرُوءةً وعَتاداً وعُدّة ، ودليلًا على أنّ مُقْتَنِيَها[4] صاحبُ حرب ؛ وفى تفضيل [خصال] الفيل على خصال البعير ، وفى أىِّ مكانٍ يكون أنفعَ فى الحرب[5] من الفَرَس ، وأصبرَ عند القتال من النَّمر ، وأقْتَلَ للأسد من الجاموس ، وأكلَبَ من الببر إذا تعرَّم[6] ، وأشدَّ من الكَرْكَدَّنِ إذا اغتلم ، حتى لايبلُغه مقدارُ ما يكون من تماسيح [الخلجان ، وخيل] النِّيل ، وَعِقبان الهواء ، وأُسْدِ الغياض .

(قصيدة هارون مولى الأزد فى الفيل)

وقد جمع هارونُ مولى الأزد الذى كان يرُدُّ على الكميت ويفخر بقحطان ، وكان شاعرَ أهل المُوْلتَان[7] ، ولا أعرف من شأنه [أكثر من

(١) فيما عدا ل : « ولو » ، تحريف .

(٢) س : « عربيها وعجميها » .

(٣) ل : « اجتلابها » .

(٤) فيما عدا ل : « يقتنيها » .

(٥) فيما عدا ل : « الحرب » .

(٦) تعرم : صار صاحب عرامة ؛ وهى الشراسة والشدة . وفيما عدا ل : « تعرض » محرفة .

(٧) المولتان ، بضم أوله وسكون ثانيه واللام ، يلتقى فيه ساكنان ، بذلك ضبطه ياقوت ، ثم قال : « وأكثر ما يسمع فيه ملتان بغير واو ، وأكثر ما تكتب كما هنا » وهى بلد فى بلاد الهند على سمت غزنة » . فيما عدا ل : « وكان شاعرا موالدا » .

اسمه] وصناعته . وقد قال فى صفات الفيل أشعاراً كثيرة ، ذكر فيها كثيراً ممّا قدَّمْنا ذِكرَه[١] . فمن ذلك قولُه :

أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ له فِطَنُ الإنْس فى جِرْم فيل

وأنشد [نى] هذا البيت صفوانُ بن صفوانَ الأنصارىّ ، وكان من رُواة داود بن مزيد[٢] :

« أليس عجيباً بأنْ خِلقةٌ له فِطَنُ الإنس فى جِرْمِ فيلِ »
وأظرف مِنْ قِشَّةٍ زَولة بحِلْمٍ يجلُّ عن الخنشَلِيل[٣]
وأوقصُ مختلفٌ خَلْقُــهُ طويلُ النُّيُوب قصير النَّصِيلِ[٤]
ويلقى العدُوَّ بنابٍ عظيم وجَوفٍ رَحيب وصوتٍ ضَئيلِ
وأشبــهُ شىءٍ إذا قِسْتَه بخنزيرِ بَرٍّ وجاموسِ غِيلِ
تَنازَعَــهُ كلُّ ذِى أربَع فما فى الأنام له مِن عَدِيلِ
ويخضعُ للَّيثِ لَيْثِ العَــرِينِ بأنْ ناسَبَ الهِرَّ ، من رأس مِيلِ[٥]
ويعصِفُ بالبَبْر بعد النُّمورِ كما تعصف الرِّيح بالعندبيلِ[٦]

---

(١) فيما عدا ل : « ذكرتها فى ما قدمنا ذكره » ، تحريف .
(٢) ل : « وكان منزوار داود بن يزيد » . والأبيات فى مروج الذهب (٢ : ١٠ - ١١) .
(٣) القشة : بالكسر : الأنثى من القرود . والزولة : الظريفة . فيما عدا س : « وأكرم » ، محرف . وفى نهاية الأرب (٩ : ٣١١) : « وأطرف » بالطاء المهملة . ط : « ذولت » هـ : « زولت » صوابهما فى ل ، س ونهاية الأرب والخنشليل : الماضى، والمسن القوى . وبه لقب أحد العلماء . انظر نهاية الفهرست لابن النديم . فيما عدا ل : « الخشنبيل » ، صوابه فى ل والنهاية .
(٤) الأوقص : القصير العنق . ط ، س : « رواقص » صوابه فى ل ، هـ والنهاية . والنصيل : ما تحت العين إلى الخطم . ط فقط : « النميل » ، محرفة .
(٥) أى يخاف الأسد لمشابهته الهر فى الصورة .
(٦) كذا وردت « العندبيل » بباء بعد الدال . والذى فى المعاجم أنه بلام بعد الدال .

وشخصٍ تَرَى يَدُه أنفَه ... فإن وصَلوه بسيفٍ صَقِيلِ[١]
وأقبلَ كالطَّوْدِ هادِى الخميسِ ... بِهَوْلٍ شديدٍ أمامَ الرَّعِيلِ[٢]
ومرَّ يَسِيلُ كَسَيْلِ الأَتىِّ ... بخطوٍ خفيفٍ وجِرْمٍ ثقيلِ[٣]
فإن شِمْتَــه زادَ فى هــوله ... شناعةُ أُذْنَينِ فى رأسِ غولِ[٤]
وقد كنتُ أعدَدْتُ هِرًّا لهُ ... قليلَ التهيُّبِ للزَّندَبيلِ[٥]
فلما أحسَّ به فى العَجاجِ ... أتانَا الإلهُ بفتحٍ جميــلِ
فطارَ وَرَاغَــمَ فَيَّــالَهُ ... بقلبٍ نجيبٍ وجسمٍ نبيلِ
فسبحانَ خالقِــهِ وحْــدَه ... إلٰهُ الأنامِ وربُّ الفُيــولِ

(احتيال هارون بالهر لهزيمة الفيل)

وذكر صفوانُ بن صفوان أنّ هارون هذا خبَّأ معه هرًّا[٦] تحت حِضْنِه ، ومشى بسيفِه إلى الفيل ، وفى خرطومه السَّيف ، والفيالونَ يَذْمُرُونه[٧] ، فلما دنا منه رمى بالهرِّ فى وجهه ، فأدبَرَ هارباً ، وتساقط كلُّ مَن كان فوقَه ، وكبَّر المسلمون ؛ وكان ذلك سببَ الهزيمة .

وسنذكر الهرَّ فى هذا الشِّعر كما كتبتُه لك .

---

(١) ط ، هـ : « فإن وصفوه » . ط : « بسيف ثقيل » .
(٢) هدى الخميس ، أى تقدم الجيش ، والهادى : المتقدم .
(٣) الأتى : السيل لا يدرى من أين أتى . فيما عدا س : « يسيل كسيلى » .
(٤) شمته : رأيته ، يقال شامه يشيمه . فيما عدا ل ونهاية الأرب : « فإن سمته ذاك » ، تحريف .
(٥) ط : « ثقيل التثبت » س ، هـ : « فقيل التثبت » ، صوابهما فى ل .
(٦) ط : « جاء معه هر » س ، هـ : « جاء معه بهر » ، وأثبت ما فى ل .
(٧) الذمر : بالذال المعجمة : الحض والحث . فيما عدا ل : « يدمرونه » ، تحريف . انظر (٢ : ٦٥ س ١) . والخبر مروج الذهب (٢ : ٩ - ١٠) .

(استطراد لغوى)

وأمّا قوله :

* بحِلمٍ يَجِلُّ عن الخنْشليل[١] *

فقد قال الأنصارىُّ فى صفة النَّخل[٢] :

تُليصُ العِشاءَ بأذنابها وفى مَدَرِ الأرضِ عنها فُضُولُ[٣]
ويشبعها المصُّ مصُّ الثَّرَى إذا جاعت الشَّاةُ والخنْشلِيلُ[٤]

وهذا غير قوله :

قد علمتْ جاريةٌ عُطبولُ أنِّى بنَصْلِ السيف خنْشلِيلَ[٥]

(العندبيل)

وأما العَندبيل فهو طائرٌ صغيرٌ جدًّا ؛ ولذلك قال الشاعر :

وما كان يَوْمَ الرِّيح أوَّلَ طائر
يَرُوحُ كَرَوْحِ العَندبيل إلى الوكْرِ[٦]

لأنَّ الرِّيح تعصِف به من صِغره ، فهو يعرفُ ذلك من نفسِه ، فإذا قويت الرِّيح دخلَ جُحْره . ويقولون عندليب وعَندبيل[٧] وكلٌّ صواب ، ولذلك قال هارون :

---

(١) فيما عدا ل : « الخنشبيل » تحريف . وانظر ما مضى فى ص ٧٦ .
(٢) فى الأصل : « النحل » ، وثانى البيتين يمين أنه « النخل » إذ جماها تمص الثرى .
(٣) تليص بذنبها : تديره وتحركه . المدر : قطع الطين اليابس . فيما عدا ل : « تمص العشايا ذناباتها » .
(٤) الخنشليل من الإبل : المسن البازل . فيما عدا ل : « الخنشبيل » محرف .
(٥) البيتان فى اللسان (١٣ : ٢٣٦) .
(٦) العندبيل ، كذا وردت . ولم أجد إلا « العندليل » بلامين .
(٧) عندبيل ، كذا فى الأصل . وانظر التنبيه السابق .

ويعصِفُ بالبَبْرِ بَعْدَ النّمورِ كما تعصِفُ الرِّيح بالعنديلِ

وسنخبر عن تقرير مافى هذه القصيدة مفرّقا ، إذ لم نقْدِرْ عليه مجموعاً ٢٦
متّصلا . ولو أمكن ذلك لكان أحسن للكِتاب ، وأصَحَّ لمعناه ، وأفهَمَ
لمنْ قرَأه(١) .

باب

مايدخل فى ذكر الفيل

وفيه أخلاط من شعر وحديث وغير ذلك

قال رؤبةُ فى صفة الفيل :

أَجْرَدُ كالحِصْنِ طويلُ النّـابَيْنْ مُشَرَّفُ اللَّحْيِ صغيرُ الفقْمَيْنْ(٢)

* عليه أُذْنَانِ كفضْلِ الثَّوْبَيْنْ *

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

هو البعوضةَ إنّ كلّفتَه كَرَمًا والفيل فى كلِّ أمرٍ أصلُه لُومُ(٣)

وقال أعرابىٌّ وَوَصَف امرأةً له(٤) :

* لو أكلتْ فِيلين لم تَخْشَ البَشَمْ *

وقال أعرابىٌّ ، [وتروى] لبعض الأكْرِياء(٥) :

---

(١) فيما عدا ل : « وأوضح وأفهم لمعناه » .

(٢) الفقمان : بالضم : الحيان . فيما عدا ل : « العينين » ، وأثبت ما فى ل ومباهج الفكر (٣ : ٧٩) مصورة دار الكتب .

(٣) ط ، هـ : « إذ كلفته » .

(٤) ل : « فى وصف امرأة له » .

(٥) الأكرياء ، جمع كرى ، وهو المكارى الذى يكريك دابته . ل : « وقال أعرابى لبعض الأكرياء » . وفيما عدا ل : « وقال الأعرابى يصف الأكرياء » ، وقد جمعت من بينهما الصواب زائدا كلمة « وتروى » .

لو تركبُ البُختِيَّ مِيلاً لاَنْحَطَمْ(١)   أو تركبُ الفِيلَ بها الفيلُ رَزَمْ(٢)

وحمل ناسٌ أبا الحلال الهَدَادى(٣) على الفيلِ أيَّام الحجَّاج ، فتمنَّع وأنشأ يقول :

أأرْكَبُ شيطاناً ومِسْخًا وهَضْبَةً   إلا إنّ رأيِى قبل ذاك مُضَلَّلُ(٤)

فقالوا له : لو علوتَه ما كانَ عندَك إلاّ كالبغْل ! فلما علاه صاحَ : الأرْضَ الأرضَ ! فلما خافوا أنْ يرْمِيَ بنفسه وهو شيخٌ كبير ، أنزلوهُ ، فقال بعد ذلك فى كلمة له :

وما كان تحتِى يومَ ذلك بَغْـلةٌ   ولـكِنَّ جُلْبًّا مِنْ رَفِيعِ السَّحائبِ(٥)

وقال بعض [المتحدّثين و] المُملِّحين(٦) فى بعض النساء :

أرادت مرَّةً بيتاً لهـا فيـه تماثيلُ
فلما أبصرَتْ سِتْرًا لوجْهَيْـهِ تهاويلُ
وفيه الفيلُ منقوشاً وفى مِشْفَرِهِ طُولُ
قالت : انزعُوا الستر فلا يأكلْنىَ الفِيلُ(٧)

---

(١) فيما عدا ل : « انحطم » .

(٢) رزم البعير والرجل وغيرهما يرزم رزوما ورزاما ، إذا كان لا يقدر على النهوض رزاحا وهزالا . ط : « تهى الفيل ورم » ، س ، هـ : « نها الفيل ورم » صوابهما فى ل .

(٣) الهدادى : نسبة إلى هداد كسحاب : حى من اليمن . فيما عدا ل : « الهداهدى » وهداهد ، بضم أوله وكسر رابعه : حى من اليمن أيضا .

(٤) فيما عدا ل : «وأسلم إنى قبل ذاك فعلل » ، محرف .

(٥) الجلب ، بالكسر والضم : السحاب الذى لا ماء فيه . ط ، هـ : « ولـكن تحتى » س : « ولـكن حتى » ، صوابهما فى ل . والرفيع : المرتفع . ل : « رجيع » ، ولا وجه له .

(٦) فى اللسان والقاموس : « ملح الشاعر ، إذا أتى بشىء مليح » . ل : « المتملحين » .

(٧) فى البيت ما يسميه العروضيون الخرم .

وقال خَلَف بن خليفةَ الأقطع ، حين ذكر الأشرافَ الذين يدخلون على ابن هُبيرة :

وقامتْ قريشٌ قريشُ البِطاح   مع العُصَبِ الأُوَلِ الدَّاخِلَهْ[1]
يقودهم الفِيلُ والزَّنْدَبِيلُ   وَذُو الضِّرْسِ والشَّفَةِ المـائلهْ

٢٧ الفيل والزَّنْدَبيل : أبان والحكم ، ابنا عبد الملك بن بشر بن مَرْوان[2] . وذو الضِّرس : خالد بن سَلَمة المخزومى الخطيب ، وهو ذو الشَّفة ، قتل مع يزيد ابن عُمَر بن هبيرة[3] فيمن قتل .

وقد فَصَلَ خلف بن خليفة الفيلَ من الزَّنْدَبِيل ، ولم يفسِّر[4] . وقد اختلفوا فى ذلك ، وسنذكرهُ إذا جرّ سببه[5] إن شاء الله تعالى .

(طرائف من اللغات والأخبار فى الفيل)

[[6] الفيلُ ، المعروف بهذا الاسم . ويقال رجلٌ فِيلٌ إذا كان فى رأيه فِيَالة ؛ والفِيَالة : الخطأ والفساد . ويسمُّون أيضاً الرَّجلَ بفيل ، منهم فيلٌ

(١) قريش البطاح : الذين ينزلون أباطح مكة وبطحاءها . وقريش الظواهر : الذين ينزلون ما حول مكة . وأكرمهما قريش البطاح . فيما عدا ل : « هى القضب » موضع : « مع العصب » .

(٢) فى المعارف ١٥٥ أن بشر بن مروان ، « أول أمير مات بالبصرة ، وله عقب » . فيما عدا ل : « بشر بن عبد الملك » . وليس لعبد الملك بن مروان ولد يسمى بشرا . انظر المعارف ١٥٦ وجمهرة ابن حزم ٨٩ والطبرى (٩ : ١٤٥ س ١٦) .

(٣) يزيد بن عمر بن هبيرة ، ولاه مروان بن محمد بن مروان بن الحكم على العراق ، وقتله أبو جعفر المنصور بعد حصاره له فى واسط تسعة أشهر فى شوال سنة ١٣٢ . وانظر الفيل والزنديبل جمهرة ابن حزم ١٠٧ بتحقيقنا . وانظر المعارف ١٦٢ . فيما عدا ل : « يزيد بن عمرو » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ولم يقصر » ، محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « وسنذكر شبهه » .

(٦) من هنا يبدأ سقط كبير انفردت بإثباته نسخة كوبريلى .

مولى زياد وحاجبُه : وفى أنهار الفرات بالبصرة نهر يقال له فيل بانان ، وموضعٌ آخر يقال له فِيلان[١] .

وقد يعرض بقدم الإنسان ورَم جاسٍ حتَّى تعظم له قدمُه وساقُه ، وصاحبُه لايبرأ منه ، ويسمَّى ذلك الورمُ داءَ الفيل .

ويسمَّى الرَّجُل بدَغْفَلٍ ، وهو ولد الفِيل[٢] ، ولا يسمُّون بزَنْدبيل . وبعض العرب يقول للذَّكر من الفيلة فِيل وللأُنثى فِيلة ، كما يقولون أسد وأسدة ، وذئب وذئبة ، ولا يقولون مثل ذلك فى ثعلب وضبع ، وأمورٍ غير ذلك ، إلاّ أن يكون اسماً لإنسان .

وبعث رجلٌ من العرب بَديلاً مكانَه فى بعض البعوث ، وأنشأ يقول :

إذا ما اختَبَتِ الشَّقْرَاءُ مِيلاً　　فهانَ عَلَىَّ ما لقِىَ البَدِيلُ[٣]

يشنِّفُها ويحسِبُها بعِيرًا　　قليلٌ علمه بالخيل فِيلُ[٤]

وأنشدنا الأصمعىّ :

يفرُّون والفيل الجبان كأنَّه　　أَرَبُّ خَصِىٌّ نفَّرتْه القَعاقِعُ

قال سَلَمة بن عَيَّاش[٥] : قال لى رؤبة : « ما كنت أجد أن أرى فى رأيك فِيالة » .

---

(١) فيلان : بلد وولاية قرب باب الأبواب من نواحى الخزر . عن ياقوت .

(٢) ممن سمى بذلك دغفل بن حنظلة الشيبانى النسابة، المترجم فى (٣ : ٤٨٩).

(٣) اختبت : سارت الخبب ، وهو ضرب من العدو . قال :

مذكرة الثنيا مساندة القرى　　جمالية تختب ثم تنيب

والشقراء : فرسه .

(٤) الفيل هنا : الضعيف الرأى .

(٥) سلمة بن عياش : شاعر بصرى من مخضرمى الدولتين ، وكان منقطعا إلى جعفر ومحمد ابنى سليمان بن على بن عبد الله بن عباس يمدحهما . ترجم له أبو الفرج فى (٢١ : ٨٤ — ٨٦) . وفى الأصل : « بن عباس » ، محرف .

وبالكوفة باب الفيل ، وبواسط باب الفيل .

ومنهم فِيلُويَه ، وهو أبو حاتم بن[1] فِيلُويه . وكان أبو مسلم ربَّى أبا حاتم حتّى اكتهل . وهُما سقَيا أبا مسلم السمّ حتى عُولج بالترياق فأفاق ، فقتلهما أبو مسلم بعد ذلك ، وكانا على شبيهٍ بدِين الخُرّميّة .

ويقولون عنبسة الفِيل ، وهو النحويّ ، وهو أحد قدماء النحويِّين الحذّاق . وهو عنبسة بن مَعْدَانَ ، وكان معدانُ يروض فيلاً لزياد ، فلما أنشد عنبسةُ بنُ معدانَ هجاء جريرٍ للفرزدق قال الفرزدق :

لقد كان فى مَعْدانَ والفِيلِ زاجرٌ ... لعنبسةَ الرَّاوِى عَلَيَّ القصائدا

فلمَّا تناشَدَ النّاسُ بعد ذلك هذا الشعرَ قال عنبسةُ : إنَّما قال الفرزدق :

* لقد كان فى مَعْدانَ واللُّؤْمِ زاجرٌ *

فقالوا : إنَّ شيئاً فررتَ منه إلى اللُّؤم لَناهِيكَ به قُبحًا ! فعند ذلك سُمِّى « عنبسةَ الفيل[2] » .

وغيلان الراجز كان يقال له « غيلانُ راكبِ الفيل » ، كان الحجّاج ابن يوسف ربَّما حَمَله على الفيل .

وسَعْدُويه الطُّنبوريّ ، وكان يقال له : « سعدويه عين الفيل » .

قال أبو عبيدة : حدَّثنى يونس قال : لما بنى فِيلٌ مولى زيادٍ دارَه وحَمَّامَه بالسَّبابجة[3] ، عمل طعاما لأصحاب زياد ، ودعاهم إلى داره ، وأدْخلهم

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وهى تكملة يستقيم بها الكلام .

(٢) كان عنبسة تلميذ أبى الأسود . وانظر القصة فى بغية الوعاة ٣٦٨ .

(٣) السبابجة ، أراد به موضعا كان ينزله السبابجة بالبصرة ، والسبابجة قوم من السند كانوا بالبصرة جلاوزة وحراس السجن . انظر معرب الجواليقى ١٧٣ . وكان كثير من خطط البصرة وغيرها يسمى بأسماء الطوائف والقبائل النازلة فيها .

حمّامه ، فلمّا خرجوا منه غدّاهم ، ثم ركِب وغَبَّر فى وجوههم ، فقال أبو الأسود الدُّئلى :

لَعَمْرُ أبيكَ مَا حمّامُ كِسرى   على الثُّلُثَيْنِ من حمّام فيلِ

وقال الجارود بن أبى سَبرة :

وما إرقاصنا خَلْفَ الموالى   كَسُنَّتِنا عَلَى عهدِ الرسولِ[1]

وأنشد الأصمعى وغيره :

خلافا علينا من فَيالة رأيه

كما قيل قبلَ اليوم خالفْ فَتُذْكَرا[2]

ويقال للرّجُل إذا عُنّف عند الرأى يراه : لِمَ تفيِّلُ رأيَكَ ؟ وقد فَالَ رأىُ فلان .

وحدَّثنا عبد الله بن بكر ، عن حميد ، عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لمّا انتهيت إلى السِّدْرَة إذا ورَقُها أمثالُ آذانِ الفِيَلة ، وإذا ثمرها أمثالُ القِلال[3] ، فلما غشِيَها من أمر الله ما غشِيها تحوَّلت ياقوتا » .

وقال صاحب الكيمياء فى جرير بن يزيد :

مهلاً أبا العبَّاس رِفقاً ولا   تكنْ خَصِيمَ المَعْشَرِ الخُونِ

هيهاتَ هيهاتَ لما رُمْتَه   أو يُولَدَ الفيلُ من النُّونِ

أنت إذا ماعُدَّ أهلُ الحِجا   والحِلْمِ كالأحنف فى سينِ[4]

(١) فى اللسان : « أرقص القوم فى سيرهم إذا كانوا يرتفعون وينخفضون » . وفى الأغانى (٢١ : ٣٠) : « وما إيجافنا » ، مع نسبة الشعر إلى حارثة بن بدر .

(٢) فى الأصل : « خالف تذكر » ويأباه الشعر ، وصوابه فى البيان (٢ : ١٨٧) . وانظر المثل فى الميدانى (١ : ٢١٣) .

(٣) القلة : الجرة العظيمة .

(٤) كأنه أراد : هما فى الاستواء كاستواء أسنان حرف السين .

(الفرخ والفروخ)

وكلُّ طائرٍ يخرُج من البيض وكلُّ ولدٍ يخرج من البيض وإن لم يكن طائراً ، فإنما يسمَّى فرخاً ، كفرخ الحمام والوزغة والعظاءة والرقّ والسُّلحفاءِ والحُلَكاء ، وبنات النَّقا ، وشحمة الأرض ، والضب ، والجِرْذون ، والورل ، والحرباء ؛ إلا مايخرج من بيض الدجاج فإنه يقال له « فرّوج » ولا يقال له فرخ. إلاّ أنَّ الشعراءَ يتوسَّعون في ذلك . قال شمَّاخ بن أبي شداد(١) :

ألا مَن مبلغٌ خاقان عَنّا ... تأمَّلْ حين يضربُك الشِّتاءُ
أتجعلُ فى عيالك من صغيرٍ ... ومن شيخٍ أضرَّ به الفَناءُ
فراخَ دجاجةٍ يتبعْن دِيكًا ... يلُذْنَ به إذا حَمِسَ الوغاءُ

وقال الآخر :

أحبُّ إلينا من فراخ دجاجة ... ومن ديك أنباط تنوسُ غَباغبُهْ(٢)

وإذا سمَّى أهل البصرة إنساباً بفيل فأرادوا تصغيره قالوا فِيلويه ، كما يجعلون عمرا عَمرويه ، ومحمداً حمدويه . وكان محمد بن إبراهيم الرَّافقى الفارسُ النَّجيد قتيل نصر بن شَبَث ، مولى بنى نصر بن معاوية ، له كنيتان : أبو الفيل وأبو جعفر ؛ ولم يكن بالجزيرة أفْرَسُ من داود بن عيسى ، وأبى الفيل وعيسى بن منصور من ساكنى الرافقة(٣)] .

---

(١) سبق فى (١ : ٢٠٩) نسبة الشعر إلى الشماخ بن ضرار . ويبدو أن ماهنا صوابه ، إذ أن الأبيات لم ترو فى ديوان الشماخ . والشماخ بن أبى شداد الغياثى ، ذكره الآمدى فى المؤتلف ١٣٨ وروى له شعرا .

(٢) قبله كما سبق فى (١ : ١٩٩) :

لعمرى لأصوات المكاكى بالضحى ... وسود تداعى بالعشى نواعبه

(٣) الرافقة : بلدة كانت متصلة البناء بالرقة على ضفة الفرات ، قال ياقوت : « فأما الآن فإن الرقة خربت وغلب اسمها على الرافقة ، وصار اسم المدينة الرقة » .. وإلى هنا ينتهى السقط الذى بدأ فى ص ٨١ .

(حمل الفيل وعمره)

وذَكَرَ بعضُ الفيّالين أنّ الفيَلة تضعُ لِسبع سنينَ ولدًا مستوىَ الأسنان ، وأنهم يرصدون ذلك الوقتَ من الوحشية منها[(١)] ، ويحتالون فى أخْذ الولد ، وأن ذلك الولدَ يعيش فى أيديهم[(٢)] مابين الثمانين سنةً إلى المائة ، وأنّ عُمر الوحشية أطولُ ، وأنّ كلَّ شىء منها اليومَ بالعَسْكر إناث ، وأنّ الموتَ بالعراق إلى الذُّكورة أسرعُ ، وأنَّ نابَه لايطول عندنا ، وأنّهم يَعْملون من جلودها التِّرَسَة[(٣)] أجودَ من جلود الجواميس ، ومن الخيزُران[(٤)] ، ومن الدّرق والحَجَف التى تتخذ من جلود الإبل[(٥)] ، ومن هذه المعقّبة [المطليّة] ، ومن جميع مايؤلَّف من أنواع الخشَب والجلودِ التى قد أطيلَ إنقاعَها فى اللّبن ، ومن كلِّ تَبْنِىّ وصينى[(٦)] .

(مروج الفيلة)

وذكر أن لها مُروجاً ، وأن المروجَ أصلَحُ لها من القُرى ، ومواضِعَها من الوحش أصلحُ لها من المُروج .

---

(١) فيما عدا ل : « بها » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « فيهم فى أيديهم » . وكلمة « فيهم » مقحمة .

(٣) الترسة : جمع ترس . س ، ه : « أترسة » . وفى اللسان : « قال يعقوب : ولا تقل أترسة » .

(٤) فيما عدا ل : « الحيوان » .

(٥) الحجف بتقديم الحاء : الترس من جلود ليس فيه خشب ولا عقب . فيما عدا ه : « الجحف » محرف ، وفى ل : « المتخذة من جلود الإبل » .

(٦) فيما عدا ل : « ومن كل شىء رصين » .

(فهم الفيلة)

وذكر رسولٌ لى إلى سائسها أنه قد اتّبعها إلى دجلة ، وأنّ بعض الغَوغاء صاح بها : ياحجّام بابَك ! وهذا الكلامِ اليومَ ظاهرٌ على ألسنة الجهّال ، وأن فيلًا منها ركلَه برجله رَكْلةً صكّ بها الحائط [١] حتّى خيف عليه منها ، وأنه رأى منها الإنكارَ لذلك القول ، وأنّ الفيّالَ كان يحثّها على الانتقام لمّا صاحَ بها .

وإذا عرفَ الكلبُ اسمه ، وكذلك السنّور ، وكذلك الشّاة والفرس ، والطفل والمجنون المصْمَت الجنون ، وعرفت النّاقةُ [فصْل] ما بين حَلْ وجاهٍ [٢] ، وعرَف الحمارُ الصَّوتَ الذى يُلْتَمَسُ به وقوفُه ، والذى يلتمس به سيرُه ، وعرف الكلبُ مخاطبةَ الكلّاب ، والببْغاءُ مناغاةَ المُكَلِّم له [٣] ، فجائزٌ أن يكون الفيلُ بفضْل فِطنته [أنْ [٤]] يفهم أضعافَ ذلك . فإذا أمره بضرب إنسانٍ عند ضروبٍ من الكلام استعاد [ذلك] وأدامَه ، لم ينكر أنْ يعرفَه على طول الترداد .

(فائدة نجو الفيل)

قالوا : وإذا احتملت [٥] المرأةَ شيئا من نَجْو الفيل بعد أن يُخْلَطَ به شيءٌ [٦] من عسَل فإنها لا تحبَل أبدًا [٧] .

---

(١) ل : « لها الحائط » .

(٢) جاه ، بالجيم ، وهو مبنى على الكسر ، وربما قالوه بالتنوين : انظر اللسان (١٨ - ٣٨٠) . وفى الأصل : « حاه » بالمهملة ، تصحيف .

(٣) فيما عدا ل : « المتكلم له » ، ولها وجه .

(٤) هذه من ل ، س .

(٥) فيما عدا ل : « حملت » وحمل واحتمل بمعنى .

(٦) فيما عدا ل « تخلط به شيئا » .

(٧) فيما عدا ل : « لاتحمل أبدا » بالميم ، وهما بمعنى .

قالوا : ومما يؤكّد ذلك أنّك لو علّقتَ على شجرةٍ من نَجْوه شيئاً «
أنَّ تلك الشجرةَ لاتَحمِلُ فى تلك السنة .

قالوا : وزوانى الهند[1] يفعلن ذلك استبقاءً للطّراء[2] [وللشّباب] «

٢٨ ولأنها إذا كانت موقوفةً على جميع الأجناس من الرِّجال كانت أسرَعَ إلى الحبَل[3] لأنها لاتعدَم موافقاً لطبعها . وإذا حملت ووضعت مرارا بطلت .

(ضروب من الدواء)

وليس هذا بعجيب ؛ لأنهم يزعمون أنَّ صاحب الحصاة إذا أخذَ روثَ الحمار حين يَرُوثه حارًّا فعصرَه وشرب ماءه أنه كثيراً مايبول تلك الحصاة . وفى [ماء] روثِ الحمارِ أيضاً دواءٌ للضِّرس المأكول .

وقال الأصمعىّ : سألتُ بعضَ الأكلة ممن كان يقدَّم على مَيْسرة التّرّاس[4] : كيف تصنعُ إذا جَهَدتك الكِظّة ؟ والعرب تقول : إذا كنت بطيناً فعدِّلْ نفسَك زَمِناً[5] . فقال : آخذ روْثَ حمار حارًّا فأعصرُه وأشرب ماءه[6] فأختلف عنه مراراً[7] ، فلا أثبت[8] أنْ يلْحَقَ بطنى بصُلْبى ، فأشتهى الطّعامَ .

---

(١) ل : « وزوانى اليد بالهند » .
(٢) الطراء ، بالفتح : النضرة ، والطرى خلاف الذاوى . فيما عدا ل : « الطراق » ، وهو بالكسر : الضراب . والأوفق ما أثبت من ل ليلائم مابعده .
(٣) فيما عدا ل : « فى الحبل » .
(٤) فيما عدا ل : « التياس » .
(٥) كلمة « نفسك » ليست فى ل . وفيما عدا ل : « فعد » .
(٦) ل : « روثا حارا فأعصره ثم أشرب ماءه » .
(٧) الاختلاف : أن تصيبه الخلفة ، فيختلف إلى المتوضأ . فيما عدا ل : « عليه مرارا » .
(٨) هى بمعنى « لا ألبث » .

والمرأة من نسائنا اليومَ إذا استُحِيضَت استفَّتْ مثقالاً من الإثمد ؛ لأنها عندهن إذا فعلت ذلك لم تَلِد .

وأنا رأيتُ امرأة [قد] فعلتْ ذلك ثم ولدت .

وخُرء الكلب إذا كان الجعرُ أبيضَ اللَّوْن ، وكان غذاءُ الكلب العظامَ[1] دون اللحم ، فهو عجيبٌ لصاحب الذُّبحة ، وكذلك رَجِيع الإنسان[2] .

وخرء الفار يكونَ شِيافاً[3] للصِّبيان ، يحملونه إذا استوكى بطنُ أحدهم[4] وإن كان من خرء الجرذان وكان عظيماً كان الواحد منه هو الشِّياف .

ويصلح أيضاً خُرْء الفار[5] لداء الثَّعلب ، وهو القَرَع الذى يعرض لشَعر الرَّأس .

وخرء الحمام الأحمر يصلحُ ، من المَبْوَلات للرَّمْل[6] والحصَى ، يُقمَح منه وزن درهم مع مثله من الدَّارصيني[7] .

(شعر فى الفيل)

وقال بعض المُحْدَثين :

يالحيةً طالت على نَوكها   كأنها لِحيةُ جِبريلِ[8]

(١) ل : « وكان من أكل الكلب العظام » .

(٢) ل : « رجع الإنسان » .

(٣) فى القاموس : « والشياف ، ككتاب : أدوية العين ونحوها » .

(٤) استوكى بطنه : لم يخرج منه نجوه . فيما عدا ل : « يجعلونه » ، محرفة . ل : « إذا استرخى » وفيما عدا ل : « إذا استوكأ » ، صوابهما ما أثبت .

(٥) فيما عدا ل : « خرء الكلب » .

(٦) مبولة : يحمل على البول . وفيما عدا ل : « من الهيولات من الرمل » ، محرف .

(٧) يقال قمح السويق ونحوه — من باب علم — واقتمحه ، إذا استفه . س : « يقتمح » . ل : « دار صينى » بطرح اللام .

(٨) النوك : الحمق . فيما عدا ل : « على كونها » ، صوابه فى ل وعيون الأخبار (٤ : ٥٥) .

لَوْ كانَ ما ينصَبُّ من مائها   نَهْرًا إذًا طَمَّ على النِّيلِ
أو كان ما يقطر من دُهْنها   كَيْلًا لَوَفَّى ألفَ قِنديلِ
فلو ترَاها وهى قد سُرِّحَتْ   حسبْتَها بَنداً على فيلِ [(١)]

وأنشد أبو عمرو الشيبانىّ لبعض المولّدين :

إذا تلاقَى الفُيولُ وازدحَمتْ   فكيفَ حالُ البَعوضِ فى الوَسَطِ

وأنشد على بن محمد [(٢)] :

وما الفِيلُ أحمِلُه مُوقَرا   رَصاصاً بأثْقَلَ من معْبَدِ
ولا قِرْمِلىٌّ عليه الغَبيطُ   ينوء بِعِدْلَين من إثْمِدِ [(٣)]
وجاموسةٍ أُوقِرَتْ زِئبقاً   بأثْقَلَ منه ولا أنْكَدِ

٢٩ وقال آخر :

بابٌ يرى ليس له داخلٌ   إلاّ خِرًا جُمِّع فى الزَّاويه
إن جئت فالفيلُ على هامتى   ومثله نِيطَ بأوصالِيَهْ

ووصف [(٤)] مرَّة بن مَحْكان [(٥)] قِدراً فقال :

---

(١) البند : العلم الكبير ، فارسى معرب . فيما عدا ل : « نبذا » ، صوابه فى ل وعيون الأخبار .
(٢) فيما عدا ل : « وقال » فقط .
(٣) القرملية من الإبل : الصغار الكثيرة الأوضار ، وهى إبل الترك . فيما عدا ل : « قزملى » ، صوابه بالراء المهملة . والغبيط : الرحل . فيما عدا ل : « العبيط » محرف .
(٤) فيما عدا ل : « ورأى » .
(٥) محكان ، بفتح الميم ، كما ضبط بالقلم فى اللسان والقاموس (محك) . وضبط بالقلم =

ترمى الصُّلاةَ بنَبْلٍ غيرِ طائشةٍ وَفْقاً إذا آنست من تحتِها لهبا(١)

زيَّافة مثل جوفِ الفِيل مُجفَرة لو يُقذَف الرَّألُ فى حيزومها ذَهَبا(٢)

وقال بعض الأكرياء فى امرأة كان حَمَلَها :

بيضاء من رُفقةِ عِمْرانَ الأصمّْ لاثَعلٌ فى سِنِّها ولا قَصَم(٣)

بَهْكَنَة لو تَركب الفيلَ رَزَمْ(٤) كأنَّها يوم تُوَافِى بالحَرَمْ

* غمامَةٌ غرَّاءُ عَنْ غِبِّ رِهَمْ(٥) *

وقال رؤبةُ بن العجّاج :

= فى الاشتقاق ١٥١ بكسر الميم . وفى حواشى المبهج لابن جنى ص ٦١ : « فى حاشية الأصل : حكى السكرى محكان ومحكان ، بالكسر والفتح فى اسم هذا الشاعر » . وفى معجم المرزبانى ٣٨٣ : « مرة بن محكان السعدى من بنى عبيد أحد اللصوص . هجا الفرزدق » . وأنشد له الأبيات البائية التى رواها أبو تمام فى الحماسة (٢ : ٢٥٣). وترجم له أبو الفرج فى (٢٠ : ٩ — ١٠) .

(١) الصلاة ، بالضم : جمع صال ، وهو الذى يصطلى بالنار . وفقا : متوافقات . وفيما عدا ل : « وقما » .

(٢) زيافة ، هى من قولهم : زافت المرأة فى مشيها تزيف ، إذا رأيتها كأنها تستدير . فيما عدا ل : « زرافة مثل جوف الليل » محرف . والمجفرة : الواسعة ، يقال ناقة مجفرة عظيمة الجفرة ، والجفرة ، بالضم : الوسط . والرأل : فرخ النعام . فيما عدا ل : « لم يقذف » ، تحريف .

(٣) الثعل : تراكب الأسنان بعضها على بعض . والقصم : انقصام الثنية إذا كان منكسرها من النصف . ط : « لاتقل » س ، هـ : « لانقص » ؛ وأثبت ما فى ل .

(٤) البهكنة : الجارية الخفيفة الروح الطيبة الرائحة المليحة الحلوة . فيما عدا ل : « بهنكة » تحريف . و « رزم » فسرت فى ص ٨٠ . فيما عدا ل : « ورم » محرف .

(٥) الرهم : جمع رهمة ، بالكسر ، وهو المطر الضعيف . فيما عدا ل : « وهم » ، محرف .

إنَّ الرُّدافى والـكرىَّ الأرْقَبا(١) يكفيكَ دَرْءَ الفِيل حتى تَرْكَبا(٢)

ثم قال :

يشقَى بى الغِيرانَ حتَّى أُحْسَبا(٣) سِيداً مُغِيراً أو لياحاً مُغْرَبا(٤)

(ماورد فى كليلة ودمنة من الأمثال في شأن الفيل)

ومما قرأه الناسُ من الأمثال فى شأن الفيل التى وجدوها فى كتاب كليلة ودمنة ، فمن ذلك(٥) قوله : « أفلَا تَرَى أنَّ الكلب يُبصبِصُ بذنبه مِراراً حتّى تُلقَى له الكِسرة ، وإنَّ الفيلَ المغتلِم لَيعرِفُ قوّتَه وفضله ، فإذا قُدِّمَ إليه عَلَفُه مُكرَّما(٦) لم يأكلْ حتّى يُمَسح(٧) ويُتملّق » .

---

(١) الردافى : الحداة ، جمع حاد . والـكرى : الذى يكريك دابته . والأرقب : الغليظ الرقبة .

(٢) دره الفيل : دفعه وكفه . أراد أن ركوب الإبل يغنى من ركوب الفيل وعن الحاجة إلى درئها قبل اعتلائها . فيما عدا ل : «ون الفيل» ، محرف .

(٣) الغيران ، بالكسر : جمع غور ، وهو المطمئن من الأرض . فيما عدا ل : « سمارى العيران حتى أجنبا » ، لكن فى ط « سمادى » ، والصواب ما أثبت من ل . يقول : تشقى به الأغوار من شدة سيره .

(٤) السيد ، بالكسر : الذئب . واللياح ، بالفتح والكسر : الثور الأبيض . والمغرب ، بفتح الراء : الأبيض . فيما عدا ل : « شرا معيرا ولياحا ممربا » ، محرف .

(٥) فى أوائل باب (الأسد والثور) . انظر ص ٤٧ من الطبعة التذكارية لدار المعارف .

(٦) ط فقط : « مكرها » ، تحريف صوابه فى سائر النسخ وكتاب كليلة ودمنة .

(٧) فى كليلة ودمنة : « حتى يمسح رأسه » .

قال(١) : « وقيل فى أعمال ثلاثة(٢) لايستطيعها أحدٌ إلا بمعونةٍ من ارتفاع هِمّة(٣) ، وعظيم خطر ، منها عملُ السلطان ، وتجارة البحر ، ومناجزة العدوّ . [و] قالت العلماء فى الرَّجُل الفاضل : إنّه لاينبغى أن يُرَى إلا فى مكانَين ، ولا يليق به غيرهما(٤) إمّا مع الملوك مُكرَّماً ، وإمّا مع النُّسَّاك متبتِّلا ، كالفيل إنما بهاؤه وجماله فى مكانَين : إمّا فى بريّة وحشيًّا ، وإما مَرْكَباً للمُلوك » .

[قال(٥)] : « وقد قيل فى أشياءَ ثلاثةٍ فضْلُ ما بينها متفاوِت : فضل المقاتل على المُقاتل ، و [فضل] الفيلِ على الفيلِ ، و [فضل] العالم على العالم(٦) » .

وقال فى كلام آخر(٧) : « فإن لم تنجَع(٨) الحيلة فهو إذًا القَدَرُ الذى لايُدفَع ؛ فإنَّ القدرَ هو الذى يسلُب الأسَدَ قوَّتَه حَتى يُدْخِله التَّابُوت ، وهو الذى يَحمِل الرَّجُل الضَّعيف على ظهر الفيل المغتلِم(٩) ، وهو الذى يسلِّط الحوّاء على الحيَّة ذات الحُمَة فينزِعُ حُمَتَها ويلعبُ بها .

(١) فى باب (الأسد والثور) انظر ص ٥٠ — ٥١ من النسخة السالفة الذكر .

(٢) فى كليلة ودمنة : « وقد قيل فى أمور » فقط . والوجه حذف كلمة « ثلاثة » .

(٣) ط ، هـ : « ابداع همة » س : « إبداع » صوابهما فى ل والكتاب .

(٤) فيما عدا ل : « به إلا أحدهما » وأثبت ما فى ل وكليلة ودمنة .

(٥) فى باب (الأسد والثور) . انظر ص ٥٢ — ٥٣ من الكتاب .

(٦) فى كليلة ودمنة تأخير : « وفضل الفيل على الفيل » .

(٧) فى باب (الأسد والثور) انظر ص ٧٧ — ٧٨ من كليلة ودمنة .

(٨) فيما عدا ل : « تجمع » محرفة . وبدله فى كليلة ودمنة : « فإن لم يكن هذا » .

(٩) فيما عدا ل زيادة : « فيضربه الفيل بأذنه فيهلك » وكلمة « المغتلم » لم ترد فى نسخة كليلة ودمنة . وأما هذه الزيادة فقد وردت فى موضع بعد هذا من كليلة =

[قال[١] : « ومَن لم يرضَ من الدُّنيا بالكَفاف الذى يُغْنيه ، وطمحت عيناه إلى ما فوق ذلك ، ولم ينظر إلى مايتخوّف أمامه ، كان مثله مثل الذباب الذى ليس يرضى[٢] بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل المغتلم ، فيضربه بأُذنهِ فيهلك »] .

وقال[٣] : « فأقام الجملُ مع الأسد حتى إذا كان ذاتَ يوم توجّه الأسد نحو الصَّيد ، فلقِيَه فيلٌ فقاتلَه قتالاً شديداً ، وأفلَتَ الأسدُ مُثْقَلاً يسيل دَمًا ، قد جرحه الفيل بأنيابه ، فكان لايستطيع أن يطلُبَ صيداً . فلبث الذئبُ والغرابُ وابنُ آوى أياماً لايجدون مايعيشون به من فضول الأسد » .

وقال[٤] : « وكيف يرجو إخوانُكَ عندك وفاءً وكرَمًا[٥] وأنتَ قد صَنَعت بملكك الذى كَرَّمك وشَرَّفك ما صَنعتَ . بل مَثَلُك فى ذلك كما قال التاجر : إنَّ أرضًا يأكلُ جُرذانها مائةَ مَنٍّ من حديد ، غيرُ مستنكَرٍ أن تخطِف بُزاتها الفِيَلة » .

= ودمنة فى ص ٧٨ - ٧٩ فى كلام آخر نصه : « كان كالذباب الذى ليس يرضى بالشجر والرياحين حتى يطلب الماء الذى يسيل من أذن الفيل المغتلم ، فيضربه الفيل بأذنيه فيقتله » . وسيأتى فى التكملة التالية .

(١) انظر ص ٧٨ - ٧٩ من باب الأسد والثور .

(٢) فى الأصل : وهو هنا ل : « لم يرض » ، وأثبت ما فى كليلة ودمنة .

(٣) من باب الأسد والثور ص ٧٩ - ٨٠ .

(٤) فى باب الأسد والثور ص ٩٤ .

(٥) فيما عدا ل : « وكيف يرجو إخوانك عندنا كرما » ، تحريف ونقص . وفى كليلة ودمنة : « وكيف يرجو إخوانك وفاءك لهم » .

[قال[١]] : « وقال الجرذُ للغراب : أشدُّ العداوةِ عداوةَ الجوهر. وعداوةُ الجوهر عداوتان ، منها عداوة متجازيَة[٢] كعداوة الفيل والأسد ، [فإنّه] ربّما قتل الفيلُ الأسد ، وربّما قتل الأسدُ الفيل . ومنها عداوةٌ إنما ضرَرُها من أحد الجانبين [على الآخر] كعداوة ما بيني وبين السنّور ، فإنّ العداوة بيننا ليست لضرٍّ منّي عليه ، ولكن لضرٍّ منه عليّ » .

وقال[٣] : « إن الكريم إذا عَثَر لم يستعنْ إلا بالكريم ، كالفيل إذا وَحِل لم يستخرجْه إلا الفيلة » .

(ضروب العداوات)

وسنذكرُ عداوة الشيطان للإنسان ، [والإنسان للشيطان : وهما عداوتان مختلفتان — وعداوة الله للكافر ، وعداوة الكافر لله ، وهاتان العداوتان غير تينك ، وهما في أنفسهما مختلفتان ، وهما والتي قبلها مخالفة لعداوة العقرب للإنسان] ، وعداوةُ العقرب مخالفةٌ لعداوة الحيّة ، [وعداوة الإنسان لهما مخالفة لعداوة كلٍّ منهما للإنسان] ، وعداوة الذئب والأسد

---

(١) انظر باب (الحمامة المطوقة) ص ١٢٩ — ١٣٠ .

(٢) فيما عدا ل : « متجارية » تحريف . وفي كليلة ودمنة : « منها عداوة من يجتزيان » . وفي نظم كليلة ودمنة لابن الهبارية المسمى « نتائج الفطنة » ص ١٢٩ :

« وهو التجازي لاسواه إنما ماجانب الفرد يصير لازما »

(٣) من باب الحمامة المطوقة ص ١٤٢ .

[والأسد] والإنسان خلاف عداوة العقرب والحية ، وعداوة النمر للأسد والأسد للنمر مخالفةٌ لجميع ما وصفنا. ومسالمة البَبر للأسد غير مسالمة الخنفساء والعقرب . وشأن الحيات والوزغِ خلافُ شأنِ الخنافس والعقارب . وعداوة الإنسان للإنسان خلافُ عداوة ذلك كلِّه . وابن عِرْس أشدُّ عداوةً للجُرذان من السنَّور . وعداوةُ البعير للبعير ، والبرذون للبرذون والحمار للحمار شكل واحد . وعداوة الذِّئب للذئب خلاف ذلك . والشَّاةُ أشدُّ فَرَقا منه منها من الأسد والنمر والببر ، وهى أقوى عليها من الذِّئب . وفَرَق الدَّجاج من ابن آوى أشدُّ من فَرَقها من الثَّعلب . والحمام أشدُّ فرَقاً من الشاهين منه من الصَّقر والبازى .

(عداوات الناس)

وأسباب عداوات النَّاس ضروبٌ : منها المشاكلة فى الصناعة ، ومنها التقارُب فى الجِوار ، ومنها التقارب فى النَّسب . والكثرة مِن أسباب التَّقاطع فى العشيرة والقبيلة ، والسَّاكن عدو للمُسْكِن ، والفقير عدوٌّ للغنى وكذلك الماشى والراكب ، وكذلك الفحل والخصىّ ؛ و « بَغْضاء السُّوَق موصولةٌ بالملوك » ، وكذلك [المعتق عن دُبُر[1]] ، والموصَى له[2] بالمال الرغيب ، وكذلك الوارث والموروث . ولجميع هذا تفسيرٌ ولكنه يطول .

(١) س : « وكذلك المعين » وباقى التكملة من ل . والمعتق عن دبر ، هو ما يسميه الفقهاء : « المدبر » ، وهو الذى تعلق حريته بموت مالكه ، يقول له : أنت حر بعد موتى .

(٢) فيما عدا ل : « الوصلة » ، محرفة .

(عداوات الحيوان)

وذكر صاحب المنطق عداوةَ الغرابِ للحمار . والنَّحويون ينشدون فى ذلك ٣١
قولَ الشَّاعر :

عاديتَنا لازِلْتَ فى تَبابِ[(١)] عَـداوَةَ الْحِمارِ للغُرَابِ

[ولا أدرى من أينَ وقعَ هذا إليهم] .

وذكر أيضاً عداوةَ البُوم للغراب[(٢)] ، وكذلك عصفور الشَّوك للحمار ؛ وفى هذا كلامٌ كثيرٌ قد ذكرنا بعضه فى أوَّل كتابنا [هذا] من الحيوان[(٣)] .

(نصوص من كَليلة ودمنة)

ثم رجعنا إلى الإخبار عن الأمثال .

قال[(٤)] : وأكيس الأقوام[(٥)] مَن [لا] يلتمس الأمر[(٦)] بالقتال ماوجد عن القِتال مَذْهبا[(٧)] ؛ فإن القتال إنما النفقة فيه من الأنفس[(٨)] ،

---

(١) التباب : الهلاك . ل : « عاديتنى » . والرجز مضى فى (٢ : ٥٢ / ٣ : ٤٥٨) برواية : « عاديتنا » .

(٢) ل : « والغداف » . والغداف : ضرب من الغربان .

(٣) انظر لعداوة عصفور الشوك للحمار مامضى (٢ : ٥١ - ٥ : ٢٢٥) .

(٤) انظر ماسبق فى ص ٩٢ . والنص التالى من باب البوم والغربان فى كليلة ودمنة ص ١٥٠ .

(٥) فيما عدا ل : « القوم » ، وما أثبت من ل يطابق مافى كليلة ودمنة .

(٦) فيما عدا ل : « الأمن » ؛ صوابه فى ل وكليلة ودمنة .

(٧) فى كليلة ودمنة : « من لم يكن يلتمس الأمر بالقتال ما وجد إلى غير القتال سبيلا » .

(٨) فيما عدا ل : « فإنما القتال النفقة فيه من الأنفس » .

وسائر الأشياء إنما النَّفقة فيها من الأموال . فلا يكوننَّ[1] قتالُ البوم من رأيك ، فإنَّ من يُرَاكل الفيل يُرَاكل الحَيْن[2] .

قال[3] : فأجابه الجرذ فقال : إنّه رُبَّ عداوةٍ باطنةٍ ظاهرُها صداقة[4] ، وهى أشدُّ ضَرَرًا من العداوة الظاهرة[5] ، ومن لم يَحترسْ منها وقَعَ موقِعَ الرَّجُلِ الذى يَركب نابَ الفيل المغْتَلِم ثمَّ يغلبُه النُّعاس .

قال[6] : واعلم أنَّ كثيراً من العَدوّ لايستطاع بالشدَّةِ والمكابرة[7] حتّى يُصادَ بالرِّفق والملاينة ، كما يصاد الفيل الوحشىُّ بالفيل الأهلىّ[8] .

وقال[9] : إنّ العُشب كما رأيتَ فى اللِّين والضَّعف ، وقد يُجْمَعُ[10] منه الكثيرُ فيصنع منه الحبلُ [القوىُّ[11]] الذى يوثق به الفيل المغتلم .

[قال] : وقالوا : نريد أحبَّ بَنيك إليك[12] ، وأكرمهم عليك ،

---

(١) فيما عدا ل : «يكون» ، وما أثبت من ل يطابق كليلة ودمنة .

(٢) المراكلة : مفاعلة من الركل ، وهو الضرب بالرجل . ط ، هـ : «يؤاكل» س ، وكليلة ودمنة : «يواكل» من الأكل . وفى نظم ابن المبارية :

فإن من واكل فيلا هائلا   فللبلاء والشقاء واكلا

(٣) انظر باب السنور والجرذ ص ٢٣٤ من كليلة ودمنة .

(٤) بعدها فيما عدا ل : «قال» ، وهى كلمة مقحمة .

(٥) ل : وكليلة ودمنة : «أشد ضرا» ل : «من عداوة الظاهر» .

(٦) انظر ص ٢٤٠ من (باب الملك والطير قبرة) فى كليلة ودمنة .

(٧) كذا فى ل وكليلة ودمنة . وفى ط ، س : «والمكايدة» ، هـ : «والمكابدة» .

(٨) فى كليلة ودمنة : «بالفيل الداجن» .

(٩) انظر ص ٢٥٥ من باب الأسد وابن آوى فى كليلة ودمنة .

(١٠) فيما عدا ل : وكليلة ودمنة : «يجتمع» .

(١١) هذه الكلمة من كليلة ودمنة .

(١٢) انظر ص ١٩١ من باب إيلاذ وإيراخت من كليلة ودمنة . ط : «ربيبك» س ، هـ : «ربيبك» ، والوجه ما أثبت من ل . وفى كليلة ودمنة : «من تريدون ؟ قلنا له : إيراخت امرأتك وابنها جوير ، وابن أخيك ، وإيلاذ صاحب أمرك» .

ونريد[١] كال الكاتب[٢] صاحب سرك[٣]، والسيف الذى لايوجد مثله[٤]، والفيل الأبيض الذى لاتلحقه الخيل [الذى] هو مَركَبُكَ فى القتال، ونريد[٥] الفيلين العظيمين اللذين يكونان مع الفيل الذَّكَر.

(الفيلة فى الحروب)

وقد سمعنا فى هذا الحديثَ والأخبارَ عن أيام القادسيَّة[٦] ويوم جسر مِهْرَان[٧]، وقُسِّ النَّاطف[٨]، وجَلولاء، ويومِ نَهاوَند، بالفيل الأبقع، والفيل الأسود، والفيل الأبيض. والناس لم يَرَوْا بالعراق فِيلاً أَوْبَرَ، ولا فيلاً أشْعَرَ.

(١) ط : «ويريبك» س، هـ : «يربيك»، صوابهما فى ل.

(٢) فيما عدا ل : «اكتب الكتاب» بدل «كال الكاتب». وانظر تعليق الدكتور عزام فى حواشى كليلة ودمنة ص ٢٩٧.

(٣) فى كليلة ودمنة : «كاتبك ولسانك».

(٤) هذه العبارة ليست فى كليلة ودمنة. وقد أحسن الجاحظ فى تتبعه المواضع التى ذكر فيها الفيل فى كتاب كليلة ودمنة.

(٥) القادسية : بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر فرسخا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال. وكان يوم القادسية بين سعد بن أبى وقاص والمسلمين والفرس فى أيام عمر بن الخطاب فى سنة ١٦ من الهجرة. وكانت القادسية أربعة أيام : أولها أرماث والثانى يوم أغواث، والثالث عماس، والرابع القادسية. وكان الفتح للمسلمين، ولم يقم للفرس بعده قائمة. انظر ياقوت وكتب التاريخ فى سنة ١٦. وفيما عدا ل : «يوم القادسية».

(٦) مهران : نهر بالسند.

(٧) قس الناطف : موضع قريب من الكوفة على شاطىء الفرات الشرقى، كانت به وقعة بين الفرس والمسلمين فى سنة ١٣ فى خلافة عمر بن الخطاب، وأمير المسلمين أبو عبيد بن مسعود بن عمرو بن عمرو الثقفى. وكان النصر للفرس، ويعرف هذا اليوم أيضا بيوم الجسر.

(الفيلة المستأنسة)

والفيلة التى كانت مع الفرس ، حُكمُها حكمُ الفِيَلة التى كانت عند[١] أمير المؤمنين المنصور ، وعند سائر الخلفاء [من بَعدِه] ، وكلها جُردٌ مُغَضّبة[٢] ، ولم نلْقَ أحداً رآها وحشيّةً قبل أن تصير فى القُرَى والمواضع التى يذكرها[٣] .

(تبدل حال الحيوان إذا أخرج من موطنه)

وقد علمنا[٤] أنّ الطائر الصَّيود من الجوارح ، لو أقام فى بلاده مائة عام لم يحدُثْ لمنسره[٥] زوائد ، وعَيْرَ العانة إذا أقام فى غير بلاده احتاجَ إلى الأخذ من حافره ، وإلى أن يُختَلَف به إلى البَيطار[٦] ، والطائر الوحشىّ من هذه المغنِّيات والنوائح ، لو أقام عندنا دهراً طويلاً لم يُصَوِّتْ إذا أخذناه وقد كُرِّز[٧] . وكذلك المزاوجة والتعشيش والتَّفريخ .

---

(١) فيما عدا ل : « مع » .

(٢) مغضبة ، من التغضيب : وليس فى المعاجم . وهو من الغضاب : وهو الجدرى . وكلمة « جرد » فى ل فقط . ط ، س « معصمة » ﻫ : « مغصمة »

(٣) ط ، ﻫ : « تنكرها » س: « ينكرها » ، صوابهما فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « فقد » .

(٥) فيما عدا ل : « بمنسره » .

(٦) ط ، س : « إلى من يختلف به إلى البيطار » .

(٧) كرز الطائر ، بالبناء للمجهول : إذا سقط ريشه . فيما عدا ل : « لو أقامت عندنا دهرا طويلا لم تصوت إذا اتخذناها وقد كبرت » .

(التكاثر بالفيلة)

[قال] : وكلُّ مَلكٍ [كان] يصلُ إلى أن تكون عنده فِيَلة فإنّه[١] كان لايَدَعُ الاستكثار منها والتجمل بها[٢] ، والتَّهويل بمكانها عنده ، ٣٢ ولا يَدَعُ ركوبَها في الحروب ، وفي الأعياد ، وفي يوم الزِّينة .

(الفيل في الشعر)

و [قد] كانت عند حِمير والتبابعة والمقَاول والعباهلة[٣] من ملوكهم ، وأبى اليكسوم من ملوك الحبشة[٤] ، وعند ملوك سبأ ، مقرَّبة مكرَّمة . يدلّ على ذلك الأشعارُ المعروفة ، والأخبارُ الصحيحة . ألا ترى أن الأعشى ذكر مأرِب[٥] وملوك سَبأ وسَيلَ العرِم ، فقال[٦] :

---

(١) فيما عدا ل : « الفيلة فإن » ، محرف .

(٢) ل : « الاستكبار منها » ط ، ه : « الإكثار منها » ، وفيما عدا ل : « والتجمل منها » .

(٣) العباهلة : هم ملوك الجن الذين أقروا على ملكهم لايزالون عنه . فيما عدا ل : « والعاهلة » تحريف .

(٤) أبو اليكسوم : بتقديم الياء على الكاف ، كنية أبرهة الملك الحبشى صاحب الفيل الذى وجه لهدم الكعبة . وفى السيرة ص ٤١ جوتنجن : « فلما هلك أبرهة ملك الحبشة ابنه يكسوم بن أبرهة ، وبه كان يكنى » . وقال لبيد :

لو كان حى فى الحياة مخلدا ... فى الدهر ألفاه أبو يكسوم

يعنى أبرهة . ط ، ل : « والكيسوم » س ، ه : « واليكسوم » ، صوابهما « أبو اليكسوم » فإنه هو الذى يعنيه الجاحظ .

(٥) فيما عدا ل : « وقال الأعشى لما ذكر حضرموت » ، محرف .

(٦) انظر الأبيات فى ديوان الأعشى ص ٢٤٥ ، والسيرة ٩ جوتنجن ، ومعجم البلدان (مأرب) .

فَفِى ذاكَ للمؤتسِى أُسْوَةٌ ومأرِبُ عَفَّى عليها العَرِمْ
رخَامٌ بنَتْه له حِمْـيَرٌ إذا جاء ماؤُهُمُ لم يَرِمْ (١)
فأروى الحروثَ وأعنابَها على ساعة ماؤهم قد قسِم (٢)
وطار الفُيُولُ وفيَّالهـا بتَيْهَاء (٣) فيها سَرابٌ يَطُمّ (٤)

وكان الأقيبِل (٥) القينيّ مع الحجاج يقاتل ابنَ الزُّبير ، فلما رأى البيتَ يُرْمَى بالمنجنيق أنشأ يقول :

ولم أرَ جَيْشًا غُرَّ بالحجِّ قبلنا (٦) ولم أرَ جَيْشًا مِثْلَنَا كلُّهم خرس (٧)
دَلَفْنَا لِبَيْتِ اللهِ نَرْمِى سُتُورَه بأحجارِنَا نَهْبَ الولائد للعُرْسِ (٨)
دَلَفْنَا لهمْ يَوْمَ الثلاثاءِ مِنْ مِنًى بجيش كصَدْرِ الفيلِ ليس له رأسُ (٩)

فلما فزِعَ وعاذ بقبر مروان (١٠) ، وكتبَ له عبدُ الملك كتابا إلى الحجَّاج يخبره فيه ، وفوَّض الأمرَ إليه ، قال (١١) :

---

(١) لم يرم : لم يبرح . ط ، هـ « رجام » صوابه فى ل : س والسيرة والديوان والمعجم . فيما عدا ل : « بنته لنا » ، وفى السيرة والمعجم والديوان : « لهم » .
(٢) فيما عدا ل : « فأردى الحروث وأعيانهم » ، محرف . وفى الديوان والسيرة : « على سعة ماؤهم » .
(٣) التيهاء : المفازة . ط ، س : « بتيماء » هـ : « بيما » صوابهما فى ل . وفى الديوان والمعجم : « بيهماء » .
(٤) طم السراب : ارتفع وعلا كما يرتفع الماء .
(٥) سبقت ترجمته فى (٤ : ٢٥٣) . فيما عدا ل : « وكان العتبى » ، تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « بالحج مثلنا » .
(٧) العرس ، بالضم وبضمتين : طعام الوليمة فى الزواج . ل : « فى العرس » هـ : « للمرس » وهذه محرفة ، وفى هذا البيت إقواء .
(٨) فيما عدا ل : « دلفناهم » ، محرفة .
(٩) فيما عدا ل : فلما فرغ وعاد تغيب مروان » ، صوابه فى ل والمؤتلف ٢٣ .
(١٠) فى المؤتلف ٢٤ : « فأمنه عبد الملك وكتب إلى الحجاج ألا يعرض له وجعله فى ذمته » . فلعل الوجه : « يجيره فيه » .
(١١) فيما عدا ل : « فقال » .

وقد علمتُ لو أنَّ الْعِلْمَ يَنْفَعُنى … أَنَّ انْطِلاَقِى إلى الحجَّاج تغرِيرُ
مُستَحْقِبًا صُحُفًا تَدْمَى طَوَابعُها … وفى الصَّحائف حَيَّاتٌ مَناكيرُ
لَئِنْ رَحَلتُ إلى الحجَّاج معتذِرًا … إنِّى لَأَحْمَقُ مَنْ تَخْدِى بِه العِيرُ [١]

(لسان الفيل)

وكلُّ حيوانٍ فى الأرض ذو لسانٍ فأصْلُ لسانِه إلى داخل ، وطرفه إلى خارج ؛ إلاّ الفيل ، فإنّ طَرَف لسانه إلى داخل ، وأصلَه إلى خارج .

(بعض خصائص الحيوان)

وتقول الهند : إنّ لسان الفيل مقلوب ، ولولا أنّه مقلوب ثمَّ لقن الكلامَ لتكلم [٢] .

وكلُّ سمكٍ يكون فى الماء العذب فإنّ له لساناً ودِماغا ، إلاّ ما كان منها فى [الماء] الملح ، فإنّه ليس لسمك البحر لسانٌ ولا دِماغ .

وكلُّ شىءٍ يأكل بالمضغ دون الابتلاع فإنّه إنما يحرِّك فكه الأسفلَ ، إلاّ التمساح فإنّه إنّما يحرِّك فكّه الأعلى .

وكلُّ ذى عينٍ من ذوات الأربع من السِّباع [٣] والبهائم الوحشية والأهلية ، فإنما الأشفار لُجفونها الأعالى إلاّ الإنسان ، فإنّ الأشفار الأعالى ٣٣
والأسافل .

وكلُّ حيوانٍ ذى صَدْرٍ فإنّه ضيِّق الصَّدْر ، إلاّ الإنسانَ فإنّه واسعُ الصَّدْر

(١) فيما عدا ل : « تجرى » ، وفى المؤتلف والحيوان (٤ : ٢٥٤) : « تحدى » .
(٢) فيما عدا ل : « تـكلم » .
(٣) فيما عدا ل : « والسباع » .

وليس لشيء من ذُكورةِ جميع الحيوان [وإناثها] ثدىٌ فى صدره إلا الإنسان والفيل[١] . وقال ابن مُقبل :

وليلةٍ مثل ظَهْرِ الفِيلِ غُبَّرُها ... طُلْسُ النُّجُوم إذا اغبرّ الدياميمُ[٢]

(ضخم الفيل وظرفه)

والفيل أضخم الحيوان[٣] وهو مع ضِخَمه أملَحُ وأظْرَف وأحْكَى[٤] وهو يفوق فى ذلك كلَّ خفيفِ الجسم ، رشيق الطبيعة .

وإنّما الحكاية من جميع الحيوان فى الكلب والقِرد والدُّبّ والشاة المكّيّة[٥] . وليس عند الببْغاء إلّا حكايةُ صورِ الأصوات ، فصار مع غلظه [وضِخَمه] وفخامته أرشقَ مَذهباً[٦] ، وأدقَّ ظرفا ، وأظهرَ طرَبا . وهذا[٧] من أعجب العَجَب . وما ظنُّكم بِعِظَم خَلْقٍ ربّما كان فى نَابَيْهِ[٨] أكثر من ثلاثمائة مَنٍّ[٩] .

---

(١) فيما عدا ل : « وليس شىء من ذكور الحيوان له ثدى فى صدره إلا الإنسان والفيل » .

(٢) غبرها ، بضم أوله وتشديد الباء ، أى بقيتها ؛ وغبر كل شىء : بقيته . وفى الأصل : « غيرها » محرفة . طلس النجوم ، أى نجومها طلس ، والطلسة ، غبرة إلى سواد .

(٣) ط ، هـ : « حيوان » .

(٤) أى أكثر حكاية . وفيما عدا ل : « وأخطر » ، محرفة .

(٥) انظر ما سبق فى (٢ : ١٧٩ / ٥ : ٢٨٧ / ٦ : ٣١٦) .

(٦) فيما عدا ل : « ذهبا » .

(٧) فيما عدا ل : « فهذا » .

(٨) فيما عدا ل : « نابه » ، تحريف . وانظر ما سيأتى فى ص ١١٧ .

(٩) المن ، ويقال أيضا المنا : بالفتح والقصر : رطلان .

(أعظم الحيوان فى قول المتعصبين على الفيل)

فقال من يعارضهم[١] : قد أجمعوا على أنّ أعظمَ الحيوان خَلْقًا السمكةُ والسرَطان . وحكَوْا عن عِظَم بعض الحيَّات ، حتى ألحقوه[٢] بهما ، وأكثروا فى [تعظيم] شأن التّنّين ؛ فليس لكم أنْ تَدَّعُوا للفِيل ما ادّعيتم .

(رد صاحب الفيل على خصمه)

قال صاحبُ الهند والمعبِّرُ عن خصال الفيـل : [أمَّا الفيل] وعلوُّ سَمْـكه ، وعِظَم جُفْرته ، واتِّساع صَهْوَته ، وطولُ خُرطومه ، وسعَـةُ أذنه وكِبر غُرموله ، مع خِفّة وطئه[٣] ، وطول عُمره ، وثقل حمله ، وقلة اكترائه لِما وُضع على ظهره ، فقد عايَنَ ذلك من الجماعات مَن لا يستطيعُ الردَّ عليهم إلاّ جاهلٌ أو مُعاند . وأمَّا ما ادّعيتم من عِظَم الحيَّة وأنّا[٤] متى مسَحْنا طولَها وثخنها ، وأخذنا وَزْنها كانت أكثرَ[٥] من الفيل ، فإنّا لم نَسْمَعْ هذا إلا فى أحاديث الرقّائين و [أكاذيب] الحوّائين ، وتزيُّد البحريين .

وأما التنِّين فإنّما سبيلُ الإيمان به[٦] سبيلُ الإيمان بِعَنْقَاءِ مُغْرِب . وما رأيتُ مجلِسا قطُّ [جَرَى] فيــه ذكر التنِّين إلاَّ وهم ينكرونه[٧]

---

(١) ط فقط : « يعارضه » .

(٢) فيما عدا ل : « وقد ألحقوه » .

(٣) فيما عدا ل : « مع خفته وطيشه » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فإنه » ، محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « أكبر » .

(٦) فيما عدا ل : « فيه » .

(٧) فيما عدا ل : « خبر التنين إلا وهم ينكرون » .

ويكذِّبون المخبِر عنه ، إلاّ أنّا فى الفَرْط ربَّما رأينا بعضَ الشاميِّين يزعمُ أنَّ التِّنِّين إعصارٌ فيه نار يخرج من قِبَل البحر فى بعض الزَّمان ، فلا يمرُّ بشيءٍ إلاَّ أحرَقه ، فسمَّى ذلك ناسٌ « التِّنّين » ، ثمَّ جعَلوه فى صورة حيّة .

وأما السَّرَطان فلم نرَ أحداً قطُّ ذكرَ أنّه عايَنَه ، فإنْ كنّا إلى قول بعض البحريِّين نرجع ، فقد زَعَم هؤلاء أنَّهم ربما قَرُبوا إلى بعض جزائر البحر[١] ، وفيها الغِياض والأَودية واللَّخَاقيق[٢] ، وأنَّهمْ فى بعض ذلك أوقدُوا ناراً عظيمة ، فلما وصلَتْ إلى ظهر السرطان هَاجَ بهم[٣] وبكلِّ ماعليه من النَّبات ، حتَّى لم ينْجُ منهم إلا الشريد .

٣٤ وهذا الحديثُ قد طمَّ على الخُرافات والتُّرَّهات[٤] وحديث الخَلْوَة[٥] .

وأمّا السَّمك فلعمرى إنَّ السمكة التى يقال لهـا « البالُ » لفاحشة العظم[٦] . وقد عاينوا[٧] ذلك عياناً ، وقتلوه يقيناً . ولـكن احسَبوا[٨] أنَّ

---

(١) ل : « بعض الجزائر » .

(٢) اللخاقيق : جمع لخقوق ، بالضم ، وهو الشق والخد فى الأرض ، ومثله الأخقوق ، بالضم . ولم يعرفه الأصمعى إلا باللام . ل : « الأخافيق » وفيما عدا ل : « اللحاقيق » ، صوابهما ما أثبت وما نبهت عليه .

(٣) فيما عدا ل : « ساح بهم » .

(٤) الترهات : الأباطيل . فيما عدا ل : « التهورات » .

(٥) ل : « الخلق » .

(٦) فيما عدا ل : « الفاحشة » وفى ط : « البالسة » س ، ه « البالينة » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « عاينا » محرفة . وفى ط : « فقد » .

(٨) ط فقط : « احسب » .

الشأن فى البال[١] على ما ذكرتم ، فهل علمتم[٢] أن فيه[٣] من الحسّ والمعرفة ، واللّقَن والحكاية ، والطَّرَبِ[٤] وحسن المؤاتاة[٥] وشدّة القتال ، والتمهّد[٦] تحتَ الملوك ، وغير ذلك من الخصال ، كما وجدنا ذلك وأكثر منه[٧] فى الفيل .

وهل رغبتْ فى صيده الملوكُ واحتالت له التجار[٨] ، أو تمنَّى الظَّفَرَ بأجزائه[٩] بعض الأطبّاء . وهل يَصلح لدواءٍ أو غذاءٍ أو لبْس[١٠] ، إنّما غاية البحريّين أنْ يسلَمُوا من عبثه إن هجموا عليه نائماً أو غافلا ، حتّى ينفر ويفزع وينبّه[١١] بقَرْع العصا ، واصطكاك الخشب .

وإنما قَدَّمْنا خصالَ الفيل على خِصال الحيوان الذى فى كفِّه ومنقاره الصنعةُ العجيبة ، أو يَكون فيه من طريف[١٢] المعرفة ، وغريب الحسّ ، وثقوب البصر[١٣] ، أو بعض مافيه من الجمال والحُسْن ، ومن التفاريج ومن التّحاسين ، والوشى والتلاوين[١٤] ، بالتأليف العجيب ، والتّنضيد

(١) ط : « البالة » هـ ، س : « البالينة » صوابهما فى ل .
(٢) ط : « عرفتم » .
(٣) فيما عدا ل : « فيها » .
(٤) فيما عدا ل : « والظرف » .
(٥) ط ، هـ : « المؤاتاة » بالهمز .
(٦) فيما عدا ل : « والتصمد » ، محرفة .
(٧) فيما عدا ل : « منه » ، تحريف .
(٨) فيما عدا ل : « صيدها » و « لها » .
(٩) فيما عدا ل : « أو حث على الظفر بأجزائها » .
(١٠) فيما عدا ل : « أو ليس » .
(١١) فيما عدا ل : « من عينها نائمة أو غافلة حتى تفزع وتنفر » .
(١٢) فى الأصل : « من طوف » .
(١٣) س ، هـ : « نكوب » محرفة . ط : « نقوذ » ، وأثبت ما فى ل .
(١٤) فيما عدا ل : « والتساوى » .

الغريب ، أو بعض ما فى حنجرته[١] من الأصوات الملحّنة ، والمخارج الموزونة ، والأغانى الدّاخلة فى الإيقاع ، الخارجة من سبيل الخطأ ، ممّا يجمع الطّرَب والشّجا ، ومما يفوق النوائح ويروق كلَّ مغنّ ، حتى يُضرب بحسن تخريجه [وصفاء صوتِه] وشجَا مخرَجه المثلُ ، حتى[٢] يشبَّه به صوتُ المزمار والوَتر .

وأما [بعض] مايُعرف بالمكر والحِيَل، والكَيْس والرَّوغان ، وبالفِطنة بالخديعة ، والرِّفق والتكسُّب ، والعلم بما يُعيشُه[٣] والحذَر ممّا يُعْطِبُه[٤] ، وتأتِّيه لذلك وحِذقه [به] ؛ وأمّا بعضُ مايكون فى طريق الثِّقافة يوم الثِّقافة[٥] [والبصر] بالمشاولة[٦] ، والصَّبر على المطاولة ، والعزم[٧] والرَّوغان والكرّ والجَوَلان ، ووضْع تلك التدابير فى مواضعها[٨] حتى لاتردَّ له طعنة ولا تخطئ له وثْبة ، وأما بعضُ ما يَعرَف بالنّظر فى العاقبة[٩] وبإحكام شأن المعيشة[١٠] والأخذ لنفسه [بالثقة] ، وبالتقدُّم فى حال المُهْلة والادِّخار ليوم الحاجة ، والأجناسُ التى تدَّخر لأنفسها ليوم العجْز عن

(١) ط ، هـ : « وما فى خلقه » ، صواب هذه : « حلقه » . س : « صوته » ، محرفة . وأثبت ما فى ل .
(٢) ط فقط : « وحتى » .
(٣) فيما عدا ل : « يعنيه » .
(٤) فيما عدا ل : « والحذر بالمشاولة والصبر على المطاولة مما يعطبه » ، وفيه إقحام وتحريف .
(٥) ل : « الثقاف » .
(٦) المشاولة : المطاعنة بالرماح .
(٧) فيما عدا ل : « والقدم » ، محرف .
(٨) ط ، هـ : « موضعها » ط ، هـ : « حيث » س : « بحيث » .
(٩) فيما عدا ل : « والعاقبة » ، تحريف .
(١٠) فيما عدا ل : « شأن الحال والمعيشة » .

الطلب والتكسُّب ـ فَمِثْلُ الذَّرَّة ، والنملة ، والجُرَذ والفأرة ، وكنحو العنكبوت والنَّحل .

فإذا كان ليس للفيل إلا عِظَمُه وإن كان العظَم قد يدخل في باب من أبواب المفاخرة ، فلا ينبغي لأحد أن يُنَاهِد[1] به الأبدانَ التي لها الخصال [الشّريفة] ، ويناضلَ به ذواتِ المفاخر العظيمة . فما ظنُّكَ ببدنٍ قد جمع مع العِظَم من الخصال الشريفة ما يُفنِي الطَّوامرَ الكثيرة ، ويستغرق الأَجلاد[2] الواسعة . وقد علمت أنَّ مِنْ[3] جَهْلِ هذه السمكة بما يُعيشُها ويُصْلِحُها أنَّها شديدةُ الطّلب والشَّهوة لأكل العَنبر . والعنبرُ أقتَلُ للبال من الدِّفْلَى للدوابّ ، فإذا أصابوه ميِّتاً استخرجوا من جَوفه عنبراً كثيراً فاسداً .

وما فيه من النفْع إلاّ أنّ دهنَه يَصْلُح لتمرينِ سُفُن البحرين[4] .

(تعصب غانم الهندى على الفيل)

فسمِعَنِي[5] غانمُ العبد يوماً وأنا أحكى هذا الكلامَ ، وكان منْ أَمْوَقِ الناس وأرْقَعهم رَقاعةً ، مع تِيهٍ شَدِيدٍ وعُجْب ورِضاً عن نفسه ، وسُخْط على النَّاس . فمِن حُمْقه أنه هنديٌّ وهو يتعصَّب على الفيل ، فقال [لى] : ماتقول الهند فى الحوت الذى يحمل الأرض ، أليس أعمَّ نفعاً وأعْلَى أمراً ؟ قلت :

---

(١) المناهدة : المناهضة. وفى الأصل : « يشاهد » ، محرفة .

(٢) فيما عدا ل : « الجلود » .

(٣) ل ، ط : « من أن » ، صوابه فى س ، هو .

(٤) ل : « البحر » .

(٥) فيما عدا ل : « فرآنى » .

له : ياهالكُ ، إنَّ مدارَ هذا الكلام إنما يقع على الأقسام الأربعة من بين جميع الحيوان المذكورة فى الماء وفى الأرض وفى الهواء ، كالذى ينساح من أجناس [١] الحيَّات والدِّيدان ، وكالذى يمشى من الدوابّ والنَّاس ، وكالذى يَطير مِن أحرار الطير وبغاثها وخَشاشها وهَمَجها ، وكالذى يعوم كالسَّمك وكلِّ ما يعايش السمك .

فأمَّا الحوت الذى تكون الأرض على ظهره [٢] فقد علمْنا أنَّ فى الملائكة مَن هو أعظمُ من هذا الحوت مراراً . ولولا مكانُ مَن قد حضَرَنا لكان ممن لايستأهِلُ الجواب [٣] ، وهذا مقدارُ معرفته .

(قوة الفيل)

قالوا : والفيل أقوى مِن جميع الحيوان إنْ حُمِّل الأثْقال [٤] . ومن قوة عظْمه وعصَبِه [٥] أنه يمرُّ خلفَ القاعد مع عِظَم بَدَنه ، فلا يشعر بوطئه ، ولا يُحسُّ بِمَرِّه [٦] لاحتمال بعض بدَنه لبعض . وهذه أعجوبةٌ أخرى .

(طول مدة حمل الفيلة)

وليس فى حوامل إناث الحيوان أطولُ مدَّةَ حبَل [٧] من الفيل

(١) فيما عدا ل : « من جميع » .
(٢) فيما عدا ل : « يكون على وجه الأرض » ، محرف .
(٣) ط ، س : « يتساهل » هـ : « يساهل » ، صوابهما فى ل . وفى ط ، هـ : « بالجواب » محرف .
(٤) ط : « فى حمل الأثقال » .
(٥) فيما عدا ل : « وعظمه » ، محرف .
(٦) س ، هـ « سيره » ط : « بسيره » .
(٧) فيما عدا ل : « حمل » .

والكركَدَّن ، فإنه مذكورٌ فى هذا الباب ، والفيلُ يزيد عليه فى قول بعضهم[١] .

فأمَّا الهِنْدُ ففتنتهُم بالكركدَّن أشدُّ مِن فِتنتهم بالفيل .

فأما ما كان دون ذلك من أجناس الحيوان فأطولها حملاً الحافر والخفّ ، ولا يزيدان على السَّنَة إلا أن تُسحَب الأنثى وتُجرَّ[٢] أيَّاما . فأمَّا الظِّلف فعلى ضربين ، فما كان منها من البقر فإنّ مدَّة حَمْلها وحمل النساء[٣] تسعة أشهر ، وما كان من الغنم فإنّ حملها خمسةُ أشهر .

وقد ذكرنا [حال] أجناس الحيوان فى ذلك فيما سلف من كتابنا هذا .

(صولة الفيل)

قالوا : والفيلة هَوْلها فى العين ، فاحْذَر أنْ تتخذ ظهورها[٤] كالمناظر والمسالح والأرصاد .

وللفيل قتالٌ وضرب [بخرطومه] ، وخَبْطٌ بقوائمه . وكانت الأكاسرة ربما قتلت الرَّجلَ بوَطْءِ الفيلة ، [وكانت] قد درَّبت على ذلك وعُلِّمَتْه ، فإذا ألقوا[٥] إليها الرّجل تركت العلَف وقصدَتْ نحوه فداسَتْه . ولذلك أنشد

(١) فيما عدا ل : « فى بعض قوته » .
(٢) فيما عدا ل : « وتزيد » .
(٣) فيما عدا ل : « السمكة » .
(٤) فيما عدا ل : « واحد وإن فتحت ظهورها » ، لكن فى س : « وإن قبحت » .
(٥) فيما عدا ل : « ألقى » .

٣٦ العباس[١] بن يعقوب العامرىّ ، لناهِض بن ثومة[٢] العامرى قوله :

أنا الشّاعرُ الخطّارُ مِن دون عامرٍ وذو الضَّخْم إذْبعضُ المحامينَ ناهشُ[٣]
بخبطٍ كخَبْط الفيلِ حتى تركته أمِيماً به مُسْتَدْمِياتٌ مَقارشُ[٤]

وأنشد الأصمعى وأبو عمرو لتميم بن مقبل[٥] :

بنى عامر ما تأمُرُون بشاعر تَخَيَّرَ آياتِ الكتاب هِجائيا[٦]
أأعفُو كما يعفُو الكريمُ فإنّنى أرَى الشّعب فيما بينَنا متدانِيا
أمَ آخبِطُ خبْطَ الفيل هامةَ رَأسِه بِجَرْدٍ فلا أُبقى مِن الرأس باقيا[٧]

(بعض من رمى تحت أرجل الفيلة)

وكانت الأكاسرة — وهى الكُسُور[٨] — تؤدِّبها وتعوِّدها وطْءَ الناس وخَبْطهم إذا أُلقىَ تحت قوائمها بعضُ أهلِ الجنايات ، فكان ممنْ رُمِىَ

(١) فيما عدا ل : « أبو العباس » .
(٢) ل : « نومة » ، فيما عدا ل : « بوصة » : صوابه ما أثبت من القاموس (مادة نهض) .
(٣) ل : « المحابين ناهس » ، محرف .
(٤) الأميم : الذى بلغت طعنته أم الدماغ . ل : « مستدميان مفارس » ، تحريف . وفيما عدا ل : « مفارش » صوابه بالقاف كما أثبت ، يقال أقرشت الشجة فهى مقرشة إذا صدعت العظم ولم تهشم .
(٥) فيما عدا ل : « وأبو محمد لتميل بن مقبل » ، تحريف . والأبيات فى العمدة (٢ : ١٣٦) .
(٦) ط : « يحبر بآيات » س : « يحير بآيات » ه : « يخير بآيات » ، صوابه فى ل والعمدة . وفى اللسان (بوب) : « تخير بابات » . وفسر البابات بأنها السطور .
(٧) الجرد : أخذ الشىء عن الشىء عسفا وجرفا . وفى س : « بجرد » والجرد : « الغضب » . وفى العمدة : « بمبرد روى يقط النواحيا » . فيما عدا ل : « من الريش » ، محرف .
(٨) الكسور : جمع كسرى ، كما سبق فى (٤ : ٣٧٧) .

به تحتَ أرجل الفِيَلة النُّعمانَ بن المنذر . وقال فى ذلك الشاعر :

إنَّ ذا التّاجِ لا أبا لَكَ أضْحَى ... وَذَرَى بَيْتِهِ بِجَوْزِ الفُيُولِ (١)
إنَّ كِسْرَى عَدَا على الملك النُّعْـمَانِ حَتَّى سقاه أُمَّ البَليلِ (٢)

(كتاب ملك الصين)

وذكر الهيثم بن عدىّ ، عن أبى يعقوب الثّقفىّ ، عن عبد الملك بن عمير قال : رأيت فى ديوان معاوية [بعد موته] كتاباً مِنْ ملك الصين [فيه : « من ملك الصِّين] الذى على مَرْبِطه ألفُ فيل ، وبُنيت دارُه بلبِن الذهب والفضة ، والذى تخدمه بناتُ ألفِ ملكٍ ، والذى له نهرانِ يسقيان الألُوَّة (٣) . إلى معاوية » .

قالوا : ولمّا أراد كِسرى قتلَ زيوشت (٤) المغنِّى ، لقتله فهلبذ (٥) المغنى ، وأمر أن يرمى [به] تحت الفيلة [وقال : قتلتَ أحسنَ النّاس غِناءً، وأجودَهم إمتاعاً للملِك ، حسداً له . فلمّا سحبوه نحو الفيلة] التفت إلى كسرى وقال : إذا قتلتَ زيوشت المغنى ، وقد قتل زيوشت فهلبذ فمن يُطربك (٦) ؟ فقال كسرى : المدة التى بقيت لك [هى (٧)] التى أنطقَتْكَ ، خلُّوا سبيله .

---

(١) ل : « نحور النيول » .

(٢) أم البليل ، من كنى الداهية ، كما فى مقاييس اللغة لابن فارس (١ : ٢٦) .

(٣) الألوة : العود الذى يتبخر به . أراد يسقيان منابته . ط : « ينشفان اللؤلؤ » ، هـ ، س : « ينشمان اللؤلؤ » ، صوابهما فى ل .

(٤) فيما عدا ل : « روشك » فى جميع المواضع .

(٥) ط ، هـ : « فلهوذ » س : « فلهيذ » ، وأثبت ما فى ل .

(٦) ل : « مطربك » .

(٧) هذه من ل ، هـ .

(تأديب الهند الفيلة)

وقال صفوان بن صفوان الأنصاريّ ، وكان عند داود بن يزيد بالمولتان[١] : الهند تؤدّب الفيلة بأنواع[٢] من التّأديب ، وبضروب من التقويم ، فمنها آدابُ الحروب[٣] ، حتى ربَّما رَبَطُوا السَّيف [الهُذَام[٤]] الرَّغيب ، الشَّديد المتن ، الحديد الغَرْب ، التّام الطول[٥] ، الطَّويل السِّيلان[٦] ، فى طرَف خُرطوم الفيل ، وعلموه[٧] كيف يضرب به قُدُمًا ، يميناً وشمالا[٨] ، وكيف يرفعُه بخرطومه حتى يكونَ فوقَ رؤوس الفَيَّالين القعودِ على ظهره .

(شعر هارون فى الفيل)

قال : وأنشدنى هارون بن فلان[٩] المولى ، مولى الأنصار ، قصيدته التى ذكر فيها خروجَه فى الحرب إلى فيلٍ فى هذه الصفة ، فمَشى إليه ، فلما كان حيثُ ينالُه السَّيفُ وثَبَ وَثْبَةً أعجلَه بها عن الضَّربة ، ولصق[١٠] ٣٧
بصدْر الفيل ، وتعلّق بأُصول نابيَه — وهما عندهم[١١] قرناه — فجال به الفيلُ

---

(١) فيما عدا ل : « المرزبان » . والمولتان : بلد بالهند .

(٢) ل : « بأشكال » .

(٣) فيما عدا ل : « ويدربونهم على أنواع آداب الحروب » .

(٤) الهذام ، كغراب : القاطع . فيما عدا ل : « اللهذم » . واللهذم ، بالفتح : الحاد .

(٥) فيما عدا ل : « الصقل » .

(٦) سيلان السيف : ما يدخل فى نصابه .

(٧) فيما عدا ل : « وعلمن » .

(٨) فيما عدا ل : « قداما ويمينا وشمالا » .

(٩) كذا ، وفى نهاية الأرب (٩ : ٣٠٤) : « هارون بن موسى » .

(١٠) ل : « ولزق » .

(١١) فيما عدا ل : « عنده » .

جوْلة كاد يحطِمُه مِن شدَّة ما جال به ، وكان رجلاً شدِيد الخلْق ، رابط الجأش . قال : فاعتمدتُ وأنا فى تلك الحال ـ وأصولُ الأنياب جُوف ـ فانقلعا من أصلِهما ، وأدبَرَ الفيلُ ، وصار القرنان فى يَدَىَّ ، وكانت الهزيمة وغَنِم المسلمون غنائمَ كثيرة . وقلت فى ذلك :

مشيتُ إليه وادعاً متمهِّلا وقد وصَلُوا خُرطومَه بحُسَامِ
فقلتُ لِنفسى : إنّه الفيلُ ضاربٌ بأبيضَ مِن ماءِ الحديد هُذَامِ (١)
فإنْ تَنْـكلى عنْه فعذْرُكِ واضحٌ لَدَى كلِّ منخُوب الفُؤَادِ عَبامِ (٢)
وعندَ شُجاع القومِ أكلفُ فاحمٌ كظُـلمة لَيْلٍ جُلِّلت بقَتامِ (٣)
فناهَشْتُه حَتى لَصِقتْ بصدْره فلما هوى لازَمْتُ أىَّ لِزامِ (٤)
وَعذْتُ بِقرْنَيْهِ أُرِيدُ لَبانَهُ وذلك مِن عادات كلِّ محامِى (٥)
فجَال وهِجِّيراهُ صوتُ مُخَضْرَمٍ وَأُبْتُ بقرْنَىْ يَذبُلٍ وشَمامِ (٦)

وقال هارون :

ولمَّا أتانى أنّهُـم يَعقِدُونه بقائمِ سَيفٍ فاضِلِ الطُّولِ والعَرضِ (٧)
مَرَرتُ ولم أحْفِلْ بذلك منهمُ إذا كانَ أنفُ الفيلِ فى عَفَرِ الأرضِ (٨)

---

(١) الهذام : القاطع ، كما سبق فى ص ١١٤ .
(٢) العبام ، بالفتح : العيى الأحمق .
(٣) ل : « خللت بقتام » .
(٤) فيما عدا ل : « فما هو أن لازمت » ، محرف .
(٥) عذت : لجأت . وفى الأصل : « فعدت » بالعين المهملة . والقرنان ، عنى بهما نابيه ، كما تقدم الكلام عليه قبل الشعر . فيما عدا ل : « ابانة » وإنما هى « لبانه » بمعنى صدره .
(٦) فيما عدا ل : « فحال » . والمخضرم : المقطوع نصف أذنه . ويذبل وشمام : جبلان . وفيما عدا ل : « بشام » محرفة .
(٧) ط ، س : « يحتدونه » ، هـ : «يفتدونه» ، صوابهما فى ل .
(٨) ل : « سررت » بدل « مررت » .

وحين رأيتُ السَّيفَ يَهتَزُّ قائماً ... ويَلمعُ لَمعَ الصُّبْحِ بالبَلَدِ المفْضِى[١]

وصارَ كمخراقٍ بِكَفٍّ حَزَوَّرٍ ... يُصرِّفهُ في الرَّفعِ طوراً وفى الخفْضِ[٢]

فأقبلَ يَفرِى كلَّ شيءٍ سَما لَهُ ... وصرتُ كأنِّى فَوْقَ مَزْلَقَةٍ دَحْضِ[٣]

وأهوى لجارِى فاغتنمْتُ ذُهولَهُ ... فلاذَ بقرنيه أخو ثقةٍ محضُ[٤]

فجال وجَالَ القَرْن فى كفِّ ماجدٍ ... كثيرِ مِراسِ الحربِ مجتنبِ الخفْضِ[٥]

فطاحَ وَوَلَّى هارباً لايَهيـده ... رطانةُ هِندىٍّ برفعٍ ولا خفضِ[٦]

(نابا الفيل)

والهندَ تزعمُ أنّ نابَى الفِيل يخرجان مستبطِنين حتى يخرِقا الحنك ويخرجا أعقَفين ، وإنما يجعلهما نابين مَن لايفهمُ الأمور . قالوا : والدَّليل على ذلك أنّ لهما أصلين فى [موضع] مخارج القرون ، يُوجَد ذلك عند سَلْخ جلده ، ولأنّ القرن لايكون [إلاّ مصْمت الأعلى مجوَّف الأسفل وكذلك صفةُ هذا الذى يسمِّيه مَن لاعلمَ له] ناباً . ومع ذلك إنّا لانجد
الفيل يعضُّ كعضِّ الأسد للأكل[٧] ، ولا كعضِّ الجمل الصَّؤُول ٣٨

---

(١) يقال مكان فاض ومفض ، أى واسع . فيما عدا ل : « لمع البرق بالبلد الغض » محرف .

(٢) المخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به . والحزور : الغلام الذى قد شب وقوى.

(٣) ط فقط : « وأقبل سفرى » محرف . وسما : ارتفع وشخص . ط ، هـ : « شماله »، صوابه فى ل ، س .

(٤) ط ، س : « وأهوى نجاتى »، هـ : « بجالى »، صوابهما فى ل . وفى ط ، هـ : « ولم يقترب عنه » س : « منه » وفى ل : « فلذ بقرنيه » وأثبت ما فى ل مصححا . وفى البيت إقواء.

(٥) س ، هـ : « وحال القرن » . وفى ل : « مراس الكف » .

(٦) لا يهيده : لا تزعجه ولا يكترث لها . فيما عدا ل : « لاتهيده » .

(٧) فيما عدا ل : « الأكول » .

للقتل[١] ، ولا كعضِّ الأفعى لإخراج السمّ ، ولا تراه يصنع به ويستعمله إلاّ [على شبيهٍ] بما تستعمله ذوات القرن[٢] عند القِتال والغضب .

فقال لهم بعضُ من يردُّ عليهم : أمّا قولكم إنّ القرنَ لايكون إلاّ مجوَّفَ الأصل ، فهذا قرنُ الأيِّل مُصمَت من أوّله إلى آخره ، وهو ينصل[٣] فى كلِّ سنة ، فإذا نبتَ حديثاً لم يظهَرْ حتى يستحكِم فى يُبسه وصَلابته. وإذا علم أنه قد بلغ [ذلك] ظهَرَ . وأكثرُ القُرُونِ الجُوفِ يكون فى أجوافها قرونٌ ، وليس ذلك لقرن الفِيل[٤] .

قالوا : ولم نجد هذا القرنَ فى لون القُرون ، ووجدناه بسائر أسنانه[٥] وأضراسه أشبهَ ، للبياض واليبس[٦] . وليس كذلك صفةُ القرون .

وتقول الهند[٧] : فم الأيِّل صغير ، وهو أفقَم ، ولا يجوز أن يكون مثلُ ذلك اللَّحى والفكِّ ينبُتُ فيه ومنــه نابان يكون فيهما ثلاثمائة مَنٍّ . وقد رأيتُ قرونًا كثيرة الأجناس ، بِيضاً ، وبُرْشا ، وصُهْبا[٨] . وهذه أيضا من أعاجيب الفيل[٩] .

وقرن الـكركَدَّن أغلظُ من مقدار ذراع ، وليس طولُه على قدر غِلَظه[١٠] ، وهو أصلب وأكرم مِن قرنَى الفيل .

---

(١) فيما عدا ل : « للعمل » .
(٢) فيما عدا ل : « كما يستعمله ذو القرن » .
(٣) ينصل : يسقط . فيما عدا ل : « يتنقل » ، محرفة .
(٤) فيما عدا ل : « كقرن الفيل » .
(٥) فيما عدا ل : « لسائر أسنانه » .
(٦) فيما عدا ل : « والسمرة » ، محرف .
(٧) فيما عدا ل : « ووجدناه يقول » .
(٨) ط ، س : « بيضاء وبرشاء وصهباء » .
(٩) فيما عدا ل : « عجائب الفيل » .
(١٠) فيما عدا ل : « إلا على قدر غلظه » ، تحريف .

(أعضاء التناسل لدي الحيوان)

ويقال [إنّ] أكبر أُيور الحيوان أيْر الفيل(١) ، وأصغرَها قضيبُ الظبي . وقضيب البطّ لايذكر مع هذه الأشكال(٢) ، وليس شيءٌ على قَدْره ومقدار جسمه أعظمُ أيراً من البغل(٣) .

وقد علمنا(٤) أنّ للضب أيرَين ، وكذلك الجِرذَون والسَّقَنْقُور(٥) ، وعرفنا(٦) مقدارَ ذلك ، ولكنَّه لايدخل فى هذا الباب [لضَعفٍ لايخفَى] .

(خرطوم الفيل)

ولو لم يكن من أعاجيب الفيل إلاّ خرطومُه الذى هو أنفُه وهو يدُه ، وبه يوصِل الطعامَ والشَّرابَ إلى جوفه ، وهو شيءٌ بَيْنَ(٧) الغُضروف [واللحم] والعصبِ ، وبه يقاتِل ويضرِب ، ومنه يصيح ، وليس صياحُه فى مقدارِ جرْم بدنه . ويضرِبُ به الأرضَ ويرفعُه فى السَّماء ويصرِّفه كيف شاء ، وهو مَقتلٌ من مقاتله . والهند تربِط فى طرَفه سيفاً شديدَ المتْن فيقاتِلُ به ، مع مافى ذلك من التهويل على من عايَنه(٨) .

---

(١) فيما عدا ل : « قرن الفيل » . وانظر كتاب البغال ص ٣٢١ .

(٢) فيما عدا ل : « الأشياء » . وانظر كتاب البغال .

(٣) فيما عدا ل : « الفيل » تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « علمت » .

(٥) بعدها فى ل : « نظير الحمار » ، وهى كلمة مقحمة .

(٦) ط ، هـ : « وقد عرفنا » .

(٧) فيما عدا ل : « من » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « من التهويل على العدو » .

(سباحة الفيل والجاموس والبعير)

وهو مع عِظم بدَنه جيِّد السِّباحة إلاّ أنه يخرج خرطومه ويرفعُه فى الهواء صُعُدًا[١] لأنّه أنفه . ألا ترى أنّ الجاموسَ يغيب جميعُ بدنِه فى المـاء إلاّ منخريه .

والبعير قبيح السِّباحة : لأنه لايسبح إلاّ على جنبه[٢] فهو فى ذلك بطىءٌ ثقيل . والبعير [مما] يُعايَر بينه وبين الفيل[٣] ، فلذلك ذكرناه .

(مايغرق من الحيوان)

وقد علمنا أنّ الإنسان يغرق فى الماءِ مالم يتعلَّم السِّباحة . فأمّا الفرَس الأعسرُ والقِرد فإنّهما يغرقان البتّة ، والعقرب تقُومُ[٤] وسطَ الماء لا طافيةً ولا لازقة بالأرض[٥] .

(أشراف السباع وساداتها)

٣٩ وأشراف السِّباع وساداتها وكبارها ورؤساؤها ثلاثة : الكَرْكدَّن والفِيل والجاموس . قال : ولعلّ بعضَ مَن اعتاد الاعتراض[٦] على الكتب

(١) ل ، س : « صعداء » ، تحريف .
(٢) ل : « لأنه يسبح على جنبه » والعبارتان بمعنى . وفى س ، ﻫ : « لا يسبح على جنبه » ، وهذه محرفة .
(٣) يعاير بينهما ، أى يقابل ويوازن . وفى ل : « يغاير » . والمغايرة المعاوضة فى البيع والمبادلة وليست مرادة . وفيما عدا : « يخاير » . وانظر ما سبق فى ٢ : ١٤٥ .
(٤) ط ، ﻫ : « يقوم » س : « يعوم » ، صوابهما فى ل .
(٥) فيما عدا ل : « فى الأرض » .
(٦) ط : « أغرى بالاعتراض » . وفى س ، ﻫ : « اغترى بالاعتراض » ، وهذه محرفة .

يقول : وأينَ الخيل والإبل ، وفيها من خصال الشَّرَف والمنافع والغَناء في السَّفر والحضَر ، وفي الحرْب والسّلم ، وفي الزِّينة والبهاء ، وفي العُدَّة والعتاد ، ماليس عند الكَرْكدَّنِ ولا عندَ الفيل ولا عند الجاموس .

قال القوم : ليس إلى هذا الباب ذَهبْنا ، ولا إليه قصدنَا ، ولا ذلك البابُ ممَّا يجوز أن نُدخله في هذا الباب . ولكنَّا ذَهبْنا إلى المحاماة والدَّفع عن الأنفس[١] والقتال دون الأولاد ، وإلى الامتناع من الأضداد بالحيلة اللطيفة ، وبالبطش الشديد ، وليس عند الخيل والإبل إذا صادفت[٢] الأُسد والنُّمور والبُبُور ، ماعند الجاموس والفيل[٣] . فأمّا الكركَدَّن فإن كلَّ شيء من الحيوان يقصِّر عن غايته التقصيرَ الفاحش[٤] .

(إنكار الكركدن والعنقاء)

وما أكثر مَن ينكر أن [يكون] في الدنيا حيوانٌ[٥] يسمَّى الكَرْكدَّن ، ويزعمون أنَّ هذا وعَنْقاءَ مُغْرِبٍ سواء ، وإنْ كانوا يرون صُورة العَنقاء مصوَّرَةً في بُسُط الملوك، واسمها عندهم بالفارسيَّة « سِيمَرْكْ[٦] » كأنه قال: [هو] وحدَه ثلاثون طائرا ، لأنَّ قولهم بالفارسية« سي »هو ثلاثون

---

(١) فيما عدا ل : «على الأنفس» ، محرفة .

(٢) ل : « صافت » وفيما عدا ل : « صادمت » ، وقد جمعت بينهما في التصحيح .

(٣) فيما عدا ل : « والفيل والكركدن » .

(٤) ط فقط : « عنه غاية التقصير الفاحش » .

(٥) فيما عدا ل : « حيوانا » .

(٦) كذا في جميع النسخ ، مع تساهل في النطق ، أو بعض التصرف في التعريب . وإلا فلفظها في الفارسية (سيمرغ) كما يفهم من البيان التالى ، وكما في معجم استينجاس ٧١٨ .

بالعربية[١] ، ومرغ[٢] بالفارسيَّة هو الطائر بالعربية . والعرب إذا أخبرت عن [هلاك] شيءٍ وبطلانه قالت : « حلّقت به فى الجوِّ عنقاءُ مغرب[٣] » . وفى [بعض] الحديث : أنّ بعضَ الأمم سألوا نبيَّهم وقالوا : لن نؤمن لك حتى تفعل كذا وتفعل كــذا ، أو تلقى فى فم العنقاء اللِّجام ، وتردَّ اليومَ أمسٍ » .

(شعر فى العنقاء)

قال أبو السّرىّ الشَّميطى[٤] ، وهو مَعْدان المـكفوف المديبرىّ[٥] :

يا سَمِىَّ النبىِّ والصادقَ الوَعـ ـدِ وَجَدَّ الصبىِّ ذى الخَلخالِ
صاحب التُّومة التى لم يشِنْها بعد حَرْسٍ مَثاقبُ اللآلِ[٦]
مَهَدتْه العنقاءُ وهِى عقيمٌ رُبَّ مهدٍ يكون فوقَ الهلالِ

---

(١) ل : « لأن سى بالفارسية ثلاثون » .

(٢) ل : « مرع » وإنما هو بالغين فى الفارسية . ط ، س : « وبرك » . وانظر التنبيه السابق . وفى هـ : « سيمرك » ، تحريف .

(٣) ومنه قول القائل (انظر اللسان : حلق ، عنق) :

ولولا سليمان الخليفة حلقت به من يد الحجاج عنقاء مغرب

ويروى :

ولولا سليمان الأمير لحلقت به من عتاق الطير عنقاء مغرب

(٤) فيما عدا ل : « أبو الهندى » ، تحريف . وانظر ماسبق فى (٢ ، ٢٦٨ / ٥ : ٢٣٦) . والشميطى ، بالشين المعجمة . ل : « الشمطى » وفيما عدا ل : « السميطى » . صوابهما ما أثبت . وانظر حواشى (٢ : ٢٦٨) .

(٥) المديبرى : نسبة إلى « المديبر » على هيئة تصغير مدبر ضد المقبل ، وهو موضع قرب الرقة . فيما عدا ل : « المريدى » ، تحريف . وقد سبق بعض أبيات القصيدة التالية فى (٢ : ٢٦٩) .

(٦) التومة ، بالضم : اللؤلؤة ، وجمعها توم ، بالضم ، وتوم بضم ففتح . فيما عدا ل : « صاحب اللؤلؤ الذى لم يشنه » . بعد حرس : أى بعد دهر . وفى ط ، هـ : « خرز » ، س : « حرز » ، صوابهما فى ل .

يومَ تُصغِى له النَّعامة والأحْـ ناشُ طُرًّا لِشدّة الزّلزال[١]

فأهل هذه النِّحلةُ يثبتون العنقاء ، ويزعمون أنها عقيم .

وقال زُرارة بن أعْيَن ، مولى بنى أسعد بن همام ، وهو رئيس الشميطيَّة[٢] ، وذكر هذا الصَّبيَّ الذى تكفُله العنقاء ، فقال :

وأوّلُ مايحيَا نِعَاجٌ وأكبُشٌ ولو شاءَ أحيا ربها وهو مذنبُ[٣]
ولكنّه ساعَى بأمٍّ وجَدّةٍ وقال سَيكفِينِى الشقيقُ المقرّبُ[٤]
وآخِرُ برهاناتِه قلبُ يومكم وإلجامُه العنقاءَ فى العين أعجبُ[٥]
يَصِيفُ بسَاباطٍ ويشتُو بآمدٍ وذلك سِرٌّ لو علمناه معجبُ[٦]
أماع له الكِبريتَ والبحرُ جامدٌ ومَلَّكَه الأبراجَ والشَّمْسُ تُجْنَبُ[٧]
فيومئذٍ قامت شماط بقدرها وقام عسِيبُ القفر يُثْنِى ويَخْطُبُ[٨]
وقام صبىٌّ دَرْدَقٌ فى قِماطِهِ عليهم بأصناف اللِّسانَيْنِ مُعْرِبُ[٩]

---

(١) النعامة والأحناش معروفان بالصمم . وفى ل : « والأخفاش »، محرفة .
(٢) ل : « النسمية »، وفيما عدا ل : « التيمية »، والوجه ما أثبت . وهو نسبة إلى أحمر بن شميط . انظر حواشى (٢ : ٢٦٨) .
(٣) ربها ، أى صاحبها . وفيما عدا ل : « قرنها » .
(٤) المساعاة : تكليف الأمة أن تسعى على مولاها فتكسب له بضريبة خاصة . فيما عدا ل : « ساع » وفى ل : « وقال سيلقينى الشفيع » .
(٥) ل : « قلب نيلكم » .
(٦) فيما عدا ل : « سر ما علمنا مغيب » .
(٧) أماع : أذاب . وفيما عدا ل : « أماغ »، محرف . تجنب : تقاد إلى جنب .
(٨) ل : « شمال بعذبها » ط : « سماط بقدرها » هـ : « سماط بعذرها »، وأثبت ما فى س . وفى البيت غموض .
(٩) الدردق : الصغير . والقماط ، بالكسر : خرقة عريضة يلف بها الصبى . فيما عدا ل : « درنق فى حماطه » و : « بأصناف البساتين يغرب »، تحريف .

فثبّت زرارة بنُ أعيَنَ قولَ أبى السَّرِىِّ فى العنقاء ، وزادنا [تثبيت] الكِبريت الأحمر . ولا أعلمُ فى الأرض قومًا يُثَبِّتون العنقاءَ على الحقيقة غيرَهم .

(الكركدن)

قال : والذى يثبت الكركَدَّن أن داود النبى صلى الله عليه وسلم ذكره فى الزّبور حتّى سمّاه [١] .

وقد ذكره صاحب المنطق (فى كتاب الحيوان) إلاّ أنه سمَّاه بالْحِمار الهندىّ ، وجعل له قرناً واحداً فى وسْط جبهته . وكذلك أجمع [عليه] أهلُ الهند كبيرُهم وصغيرُهم . وإنما صار الشكُّ يعرِضُ فى أمْرِهِ من قِبَل أنّ الأنثى منها تكون نَزُوراً [٢] ، وأيام حَمْلها ليست بأقل من أيام حمل الفيلة [٣] فلذلك قلَّ عددُ هذا الجنس .

وتزعم الهندَ أنّ الكركَدَّن إذا كانت ببلاد [٤] ، لم يَرْعَ شىءٌ من الحيوان شيئاً من أكناف تلك البلاد ، حتى يكونَ بينه وبينها [٥] مائةَ فرسَخٍ من جميع جهات الأرض ؛ هيبةً له ، وخضوعا له ، وهرباً منه .

وقد قالوا فى ولَدها وهو فى بطنها قولاً لولا أنّه ظاهرٌ على ألسِنَة الهند لكان أكثرُ النّاس ، بل كثيرٌ من العلماء ، يُدْخلونه فى باب الخرافة

---

(١) فيما عدا ل : « قال فيثبتون الكركدن ذكر النبى داود عليه السلام فى الزبور حين سماه » ، محرف .

(٢) النزور ، بالفتح : القليلة الولد . فيما عدا ل : « أن الأنثى منها مايكون نزورا » تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « ليست أقل من أيام حمل الفيل » .

(٤) ل : « أنه إذا كانت الكركدن ببلاد » .

(٥) ل : « وبينه » .

وذلك أنهم يزعُمون أنَّ أيامَ حَمْلها إذا كادت أن تتم ، وإذا نضجت، وسُحِبتْ[١] [وجرّت] وجرى وقت الولادة ، فربما أخرجَ الولدُ رأسَه من طَبْيَتِها[٢] فأكل من أطراف الشجر ، فإذا شبع أدخَلَ رأسَه ، حتَّى إذا تمّت أيامُه وضاق به مكانَه وأنكرته الرَّحِم ، وضعَتْه مُطِيقاً قويًّا على الكسب والحُضْر والدفع عن نفسه[٣] ، بل لا يَعْرِضُ له شيءٌ من الحيوان والسِّباع .

(ولد الفيل)

وقد زعم صاحبُ المنطق أنَّ ولد الفيل يخرُج من بطن أمّه نابتَ الأسنان ، لطول لبثه فى بطنها[٤] .

وهذا جائزٌ فى ولد الفيل غيرُ مُنكر ، لأن جماعةَ نساءٍ معروفاتِ الآباء والأبناء ، قد ولدْنَ أولادَهنَّ ولهم أسنانٌ نابتة : كالذى روَوْا فى شأن مالك ابن أنس ، ومحمد بن عَجْلاَن[٥] وغيرهما .

(أعاجيب الولادة)

وقد زعم ناسٌ من أهل البصرة أنَّ خاقانَ بنَ عبد الله بن الأهتم استوفى فى بطن أُمِّه ثلاثةَ عشر شهراً ، وقد مُدِح بذلك وهُجِىَ ، وليس

(١) س : « وسخنت » ط ، هـ : « وشحنت » ، وأثبت ما فى ل . والكلمة التى بعدها تكملة من ل ، س ، هـ .

(٢) الطبية : الحياء من المرأة وكل ذى حافر . ط ، هـ : « باطنها » س : « طنيها » وهذه محرفة .

(٣) بعدها فى ل : « ممتنعا من العدو » .

(٤) فيما عدا ل : « مكثه فى بطنها » .

(٥) سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٩٢) .

٤١ هذا[١] بالمستنكر ، وإنْ كنت لم أرَ قطُّ قابلةً تُقرّ بشىء من هذا الباب وكذلك الأطبّاء . وقد رووْه كما علمت ، ولكنَّ العجبَ كلَّ العجَب ماذكروا من إخراج ولَد الكركدَّن رأسَه واعتلافَه ، ثم إدخاله رأسَه[٢] بعد الشِّبع والبِطْنة . ولا بدَّ — أكرمك الله[٣] — لِمَا أكَلَ مِنْ نَجْوٍ فإن كان بقى [ذلك] الولدُ يأكل ولا يرُوث فهذا عجبٌ ، وإن كان يروث فى جَوْفها فهذا أعجب .

وإنما جعلناه يروثُ حيثُ سمَّوه حماراً ، وهذا ممّا ينبغى لنا أن نذكرَه فى خصال الحمير إذا بلغْنا ذلك الباب[٤] .

ولا أُقِرُّ أنّ الولدَ يُخرج رأسه من فرج أمِّه[٥] حتى يأكل شبِعَه ، ثمَّ يدخل رأسَه [من فَرْج أمّه] ، ولستُ أُراه مُحالا ولا ممتنعاً فى القُدرة ، ولا [ممتنعاً] فى الطبيعة ، وأرى جَوازَه مَوْهُومًا[٦] غيرَ مستحيل ، إلاّ أنَّ قلبى ليس يقبلُه ، وليس فى كونه ظُلْمٌ ولا عَبَثٌ[٧] ولا خطأ ولا تقصير فى شىء من الصفات المحمودة ، ولم نجد القرآنَ يُنكره، و [لا] الإجماعَ يدفعُه ، والله هو القادر دون خَلْقه ، ولست أبتُّ بإنكاره وإن كان قلبى شديدَ الميل إلى ردِّه ، وهذا ممّا لايعلمه النّاسُ بالقياس ، ولا يعرفونه إلاّ بالعيان الظاهر[٨] ، والخبر المتظاهر .

---

(١) فيما عدا ل : « ذلك » .
(٢) فيما عدا ل : « ثم إدخالها » .
(٣) ل : « يرحمك الله » .
(٤) فيما عدا ل : « خصال الخصال إذا بلغ ذلك الباب » .
(٥) فيما عدا ل : « من بطن أمه » .
(٦) موهوما : يذهب إليه الوهم . فيما عدا ل : « مرهوبا » ، تحريف .
(٧) فيما عدا ل : « عيب » .
(٨) فيما عدا ل : « ولا يعرف إلا بالعيان البادر » .

(عجيبة الدسَّاس)

وليس الخبر عنهُ مثلَ الخبرِ عن الدَّسَّاس التى تَلِدُ ولا تَبيض[١] . وإنما أنكر ذلك ناسٌ لأنَّ الدَّسّاس ليس بأشرف كالخُفَّاش ، بل هو من الممسوح[٢] كسائر الطير . وكاللواتى يبضْن[٣] من ذوات الأربع من المائيَّات والأرضيَّات .

(عجائب الدلفين واللُّخم والكوسج)

وليس الخبر عن الكركدَّن أيضا كالخبر عن الدُّلفين أنَّها تَلِد وعن اللُّخْم مثل ذلك ، وأنَّ الكَوسج يتولَّد من بين اللُّخْم وسمكةٍ أخرى ، وهذا كلُّه غيرُ مستحيل ، إلاّ أنِّى لا أجعلُ الشىءَ الجائزَ [كونُه] كالشىء الذى تثبِّته الأدلَّة ويخرِجه البرهان من باب الإنكار . والواجبُ فى مثل هذا الوقفُ[٤] ، وإن كان القلبُ إلى نقض ذلك أمْيَل .

والَميْل أيضا يكون فى طبقات[٥] ، وكذلك الظن [قد] يكون داخلا فى باب الإيجاب[٦] ، وربَّما قصَّر عن ذلك [شيئاً] .

---

(١) فيما عدا ل : « التى لاتبيض ولا تلد » ، تحريف . وانظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٣) .

(٢) الممسوح : أى الذى خفيت أذنه . انظر (٦ : ٣٣ ، ١٢٥) . فيما عدا ل : « بل هو كالممسوح » .

(٣) فيما عدا ل : « تبيض » .

(٤) فيما عدا ل : « الرفيق » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « من طبقات » .

(٦) ل : « باب الأغلب » .

(زعم ولادة السمك)

وقد زعم ناسٌ من أهل العلم أنَّ السَّمَكَ كلّه يلِد ، وأنهم إنما سمَّوْا ذلك [الحَبِّ] بيضا على التشبيه والتمثيل ، لأنّه لا قشر له هناك ولا مُحَّ ولا بَياضَ ، ولا غِرْقِئَ[١] ، وأنّ السمكةَ لاتخرج أبداً[٢] إلاَّ فارغةَ الْبَطْنِ أو محشوَّة ، ولم نر الحَبَّ الذى بقرب مَبالها[٣] أعظمَ ، ولم نَرها ألقَتْ إحدى تلك الطّوامير[٤] [وبقّت الأخرى . وإنما غلط فى ذلك ناسٌ من قِبَل ضيق السبيل والمَسْلَك ، فظنوا أنَّ خرق المبال يضيق عن عِظَم ذلك الجسم العظيم المجتمع من الحبِّ الصغار . قالوا : فإنما تُخرج تلك الطواميرَ] واحداً فواحداً ، وأوّلا فأولاً .

(عجائب الولادة)

وما ذلك بأعجبَ ولا أضيقَ من حَياء الناقة والسَّقبُ والحائلُ يخرجان منه خروجًا سَلِسا إذا أذن الله بذلك[٥] . وكذلك المرأة وولدها ، [والفِيلةُ] والجاموسة[٦] والرَّمَكةُ ، والحِجْر والأتان ، والشاة فى ذلك كلِّه مثلُ السمكة .

وقالوا : لابُدَّ للبيض من حَضْن ، ومتى حَضَنَت السمَكةُ بيضَها لاتلتفت إلى بيضها وفراخها .

---

(١) الغرقئ : قشر البيض الذى تحت القيض . ل : « ولا سره » . والسرء : البيض .
(٢) فيما عدا ل : « لاتوجد أبدا » .
(٣) فيما عدا ل : « عند مثالها » ، تحريف .
(٤) أصل معنى الطومار الصحيفة . وأراد بها ما يتجمع فى جوف السمكة من البيض ، ويسمى بالعامية المصرية : « البطارخ » .
(٥) ل : « سليما إذا أذن الله فى ذلك » .
(٦) فيما عدا ل : « والجاموس » .

(زعم العوام فى الكركدن)

والعوامُّ تضرِبُ المثلَ فى الشدّة والقوّة بالكركدَّن ، وتزعم أنه ربما نطحَ الفيلَ فرفعه بقرنه الواتِد فى وسْط جَبْهته[1] ، فلا يشعرُ بمكانه ولا يحسّ به حتّى ينقطع على الأيّام .

وهذا القولُ بالخرافة أشبَه .

(مزاعم فى ضروب من الحيوان)

وأعجبُ من القول فى ولد الكركدَّن مايخبرنا به ناسٌ من أهل النظر والطبّ[2] وقراءة الكتب ، وذلك أنّهم يزعمون أنّ النمرة لاتَضَعُ ولدَها أبداً إلاّ وهو متطوِّق بأفعى[3] ، وأنها تعيش وتنهش ، إلاّ أنها لاتقتل . ولو كنتُ أجسُر فى كتبى على تكذيب العلماء وَدَرَّاسِى الكتب[4] ، لبدأت بصاحب هذا الخبر .

وليس هذا عندى كزعمهم أنّ الأفعى تلد وتبيض ، لأنَّ تأويل [ذلك أنَّ] الأفعى تتعضَّلُ ببيضها[5] ، فإذا طرَّقتْ بالبيض تلوّت فحطمَتْه فى جَوفها ، ثم ترمى بتلك القشور والحَرَاشِىّ[6] أوّلاً فأولا ، كما لابدّ[7] لكلِّ ذات حملٍ أن تُلْقِىَ مشيمتَها .

---

(١) الواتد : الثابت المنتصب . فيما عدا ل : « الواحد الذى فى وسط جبهته » .

(٢) فيما عدا ل : « أهل النظر والأدب » .

(٣) انظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٤) .

(٤) فيما عدا ل : « ودراس الكتب » .

(٥) تعضلت ببيضها : عسر عليها إخراجه . فيما عدا ل : « ينفصل ببضها » : محرف .

(٦) الحراشى : جمع خرشاء ، وهى جلدة البيضة الداخلة ، فيما عدا ل : « الحراشى » محرقة .

(٧) فيما عدا ل : « ولابد » .

ويزعم كثيرٌ من الأعراب أنّ الكَمْأة تتعفَّن ، ويتخلّق منها أفاعٍ[١] . فهذا الخبرُ وإن كنت لا أتسرَّعُ[٢] إلى ردّه فإنّى على أصحابه ألْيَن كَنَفًا[٣] .

(قرن الكركدن)

وأمّا قَرْن الكَرْكَدَّن فخبّرَنى من رآه[٤] ممّن أثِقُ بعقْله ، وأسكن إلى خبَره ، أنّ غِلَظَ أصله وسَعةَ جسمه يكونُ نحواً من شِبرين ، وليس طولُه على قدْرِ ثِخَنه . وهو محدَّد الرأس ، شديدُ الملاسة ، ململوم الأجزاء مُدْمج[٥] ، ذو لدونةٍ وعُلوكة فى صلابة ، لايمتنع عليه شىءٌ . ويُجهز مِنْ عِندنا بالبصرة[٦] إلى الصين ؛ لأنّه[٧] يقع إلينا قبلهم ، فإذا قطعُوه[٨] ظهرت فى مقاطعه صُوَرٌ عجيبة[٩] . وفيه خصال غير ذلك ، لها يطلب[١٠] .

(خيل النهر)

وقد كنا نزعُم أنّ الهواء للعقاب ، والماء للتمساح ، والغياض للأسَد حتى زعم أصحابُنا أنّ فى نيل مصر خُيولاً تأكل التماسيح[١١] أكلاً ذريعا

---

(١) فيما عدا ل : « أفاعى » ، على لغة من يثبت الياء فى المرفوع والمجرور . انظر همع الهوامع (٢ : ٢٠٥ — ٢٠٦) .

(٢) فيما عدا ل : « أسرع » .

(٣) الكنف : الجانب . وفيما عدا ل : « كفا » ، محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « من رأى قرنه » .

(٥) ط فقط : « مدبج » ، تحريف .

(٦) إثبات كلمة « من » من ل . فيما عدا ل : « ويحضر عندنا بالبصرة » .

(٧) فيما عدا ل : « إلا أنه » .

(٨) فيما عدا ل : « فإذا ظهر » .

(٩) فيما عدا ل : « صورة عجيبة » .

(١٠) فيما عدا ل : « لما يطلب » .

(١١) فيما عدا ل : « التمساح » ، محرفة .

وتقوى عليها قوةَ ظاهرة ، وتغتصِبُها أنفسَها فلا تمتنع عليها ، وعارَضوا مَن أنكر خيلَ الماء ، بخنازير الماء وبكلابِ الماء ، وبدُخَّس الماء(١) .

(إنقاذ بعض حيوان البحر للغريق)

ولم أجدْهم يشكُّون أن بعضَ الحيوان الذى يكون فى البحر ممّا ليس بسمك [وهو يعايش السمك] — وقد ذهبَ عنِّى اسمُه(٢) — [أنَّه] متى أبصر غريقا(٣) عرَض له وصار تحت بَطنه وصَدْره ، فلا يزال كالحامل له والمُزْجى والمعين ، حتى يقذفَ به إلى جزيرة ، أو ساحلٍ ، أو جبل .

وأصنافُ سَمك البحر ، وأجناسَ ما يعايش سمكَ البحر [لاتكون فى أوساط اللُّجج وفى تلك الأهوَار العِظام ، مثل لجَّة سُقُوطْرَا ، وهركند ، وصنجى(٤) . وكذلكَ أهلُ البحرِ] إذا عاينُوا نباتاً أو طيراً ، أيقَنُوا بقرب الأرض(٥) إلاَّ أنّ ذلك القريب قد سمِّىَ بعيداً ، فلذلك سَلِم ذلك الغريقُ بمعونة ذلك الحيوان .

(مسالمة الأسد للببر ومعاداته للنمر)

٤٣ فأمّا الأسَد والبَبْر فَمُتسالمان ، وأما الأسد والنمر فَمُتَعاديان(٦) والظَّفَر بينهما سِجال . والنَّمر وإن كان ينتصف من الأسد فإنّ قُوَّتَه على سائر

---

(١) انظر الدخس ما مضى فى (١ : ٣١ / ٥ : ٥٤٥ / ٦ : ٢٢ / ٧ : ٤٠) . فيما عدا ل : « وبديس الماء » ، محرف .

(٢) انظر حواشى إشارات الأرقام التى فى التنبيه السابق .

(٣) فيما عدا ل : « إذا أبصر غريقا » .

(٤) سقوطرا ، أوسقطرى ، بضم السين والقاف فيهما : جزيرة كبيرة ، فيها عدة قرى ومدن تناوح عدن . وهركند : بحر فى أقصى بلاد الهند والصين ، فيه جزيرة سيلان . وأما « صنجى » فلم أجدها فيما لدى من المراجع .

(٥) فيما عدا ل : « أيقنوا بالأرض » .

(٦) فيما عدا ل : « فيتسالمان » و « فيتعاديان » .

الحيوان دون قوّته على الأسد[١] ، وبدنه فى ذلك أحملُ لوَقْع السِّلاح . ولا يعرِضُ له البَبْر[٢] ، وقد أيقنا أنَّهما ليسا من بابته ، فلا يعرض لها ، لسلامة ناحيته وقلة شرِّه ، وهما لايعرضان له لمـا يعرفان من أنفسهما من العَجْز عنــه . وأمَّا البهائم الثلاث اللواتى[٣] ذكَرْناها فإنَّها فوق الأسد والنمر .

والبَبْر هندىٌّ أيضا مثل الفيل ، و [أمَّا] الـكركدَّن فلا يقوم له سبعٌ ولا بهيمة ، ولا يطمع فيه ، ولا يَرومُ ذلك منه .

(مبارزة الجاموس للأسد)

وأمَّا الجاموس والأسَد فخبَّرنى محمد بن عبد الملك أنَّ أميرَ المؤمنين المعتصمَ بالله ، أبرَزَ للأسد جاموسَيْن فغلبَاه[٤] ، ثم أبرز له جاموسةً ومعها ولدُها فغلبته وحمَتْ ولدَها منه ، وحَصَّنته ، ثم أبرز له جاموساً وحْدَه فواثَبَه ثم أدبر عنه[٥] .

هذا وفى طبع الأسد الجرأة عليه ، [لأنَّه يعدّ الجاموسَ من طعامه ، والجاموسُ يعرف نفسَه بذلك ، فمع الأسد من الُجرأة عليه على حسَب ذلك

(١) فيما عدا ل : « دون قوة الأسد » .
(٢) فيما عدا ل : « ولا يعرض النمر البر » .
(٣) فيما عدا ل : « التى » .
(٤) فيما عدا ل : « جاموستين فغلبتاه » .
(٥) فى نهاية الأرب (١٠ : ١٢٤) : « وليس ما حكى عن المعتصم فى أمر الجاموس وغلبته للأسد بعجيب ، فإن الجواميس بالأغوار تقاتل الأسد وتمانعه وتدفعه ، فلا يقدر على قهرها . وأصحاب الجواميس هناك منهم من يغلف قرونها بالنحاس ويحددون أطرافه ، يقصدون بذلك إعانته على حرب الأسد وقتاله » .

ومع الجاموس من الخوف على قَدْر ذلك . وفى معرفة الأسد أنّ له فى فمه من السِّلاح ماليس لشىء سواه ، وفى معرفة الجاموس بعدم ذلك السِّلاح منه ، فمعه من الجرأة عليه] بمقدار مامع الجاموس من التهيُّب له ، فيعلم أنّه قد أعطى فى كفِّه ومخالبه من السلاح ماليس لشىء سواه . ويعلم الأسَد والجاموسُ جميعاً أنّه ليس فى فم الجاموس ويده[١] وظِلْفه من السِّلاح قليلٌ ولا كثير ، فمع الأسد من الجراءة عليه ، ومع الجاموس من الخوف منه ، على حَسب ذلك . ويَعلمُ الأسدُ أنّ بدنَه يَمُوج[٢] فى إهابه ، وأنّ له مِن القوَّة على الوثوب والضَّبْر[٣] والحُضْر ، والطَّلَب والهرَب ، ماليس فى الجاموس ، بل ليس ذلك عند الفَهْد فى وثوبه ، ولا عند السِّمْع[٤] فى سرعة مَرِّه ، ولا عند الأرنب فى صَعْدَاء ولا هَبُوط[٥] ، ولا يبلُغُه نَقَزان الظَّبى إذا جَمَعَ جراميزهُ ، ولا رَكْضُ الخيلِ العِتاق إذا أُجيد إضمارُها . والجاموسُ يعرف كلَّ ذلك منه ، ومع الجاموس من النُّكوص عنه بقَدْر مامع الأسد من الإقدام عليه ، ويعلم أنّه ليس له إلّا قرنُه وأنّ قرنَه ليس فى حدّة قُرون[٦] بقَر الوحْش ، فضلاً عن حِدّة أطراف مخالب الأسَد وأنيابه

---

(١) فيما عدا ل : « ويديه » .

(٢) ط ، س : « يتموج » .

(٣) الضبر ، بالضاد المعجمة : جمع القوائم فى العدو . وفى الأصل : « الصبر » .

(٤) فيما عدا ل : « السبع » ، تحريف . انظر (١ : ١٨٢) حيث ذكر أنه أسرع من الطير والريح .

(٥) ط ، هـ : « صعد » . والصعد ، بالتحريك : مقابل الهبوط ، والهبوط ، بالفتح : الانحدار والانخفاض . وأما « الصعداء » وهى التى وردت فى ل ، س فهى اللفظة التى يختارها الجاحظ فى مثل هذا . انظر (٥ : ٤٤٧ / ٦ : ٣٥٦ ، ٣٧٥ ، ٣٨٦) .

(٦) فيما عدا ل : « قرن » .

وأن قرنه مُبْتَذَلٌ[١] ، لا يصان عن شيء . ومخالب الأسد في أكمام وَصِوان[٢] .

وإذا قوى الجاموسُ مع هذه الأسباب المجبِّنة[٣] على الأسد مع تلك الأسباب المشجِّعَة[٤] حتى يقتله أو يعرِّدَ عنه[٥] ، كان قد تقدَّمه تقدُّمًا فاحشاً ، و [قد] علاه عُلوًّا ظاهرا . فلذلك قدَّمنا الجاموسَ وهو بهيمة ، وقدَّمنا رؤساء البهائم على رؤساء السباع . هذا سِوى ما فيها من المرافق والمنافع والمَعاون[٦] .

والجاموس أجْزَعُ خلْق الله مِن عَضِّ جِرجِسةٍ[٧] وبعوضةٍ ، وأشدُّهُ هرباً مِنْهُما إلى الماء[٨] . وهو يمشي إلى الأسد رَخِيَّ البال[٩] ، رابط ٤٤
الجأش ، ثابت الجنان . فأمَّا الفيلُ فلم يولِّد الناسُ عليه وعلى الكركدَّن ما ولَّدُوا من إفراط القُوَّة[١٠] والنَّجدة والشَّهامة ، إلّا والأمرُ بينهما متقاربٌ عندهم :

---

(١) ط ، هـ : « معبذل » ، تحريف .

(٢) الصوان ، بالضم والكسر : ما يصان به الشيء . وفيما عدا ل : « مران » تحريف . انظر ما مضى في (٤ : ٢٨٤ / ٥ : ٣٤٦) .

(٣) ط : « المخففة » س ، هـ : « المخيفة » ، صوابهما في ل .

(٤) فيما عدا ل : « الأنياب المستحقة » ، تحريف .

(٥) التعريد : الإحجام والنكول والفرار . فيما عدا ل : « يعرض » .

(٦) المعاون : جمع معونة ، وهي الإعانة .

(٧) الجرجس : صغار البعوض . فيما عدا ل : « خرشنة » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « وأشد هربا » . منهما ، متعلق بـ « هربا » ، أي هربه من الجرجسة والبعوضة . فيما عدا ل : « منها » .

(٩) ط فقط : « رضي البال » .

(١٠) ط فقط : « فرط القوة » .

(مغالبة الفيل للأسد)

والهندُ أصحابُ البُبور والفُيول ، كما أنَّ النُّوبةَ أصحابُ الزَّرافات دونَ غيرهم من الأُمم . وأهلُ غانةَ إنما صار[١] لباسُهم جلودَ النمور [لكثرة النمور] بها . إلا أنّها على حالٍ موجودةٍ فى كثيرٍ من البُلدان .

وقد ذكَرُوا بأجمعهم قُوّةَ الفِيل الوحشىِّ على الأسد ، وقالوا فى الفِيَلة الأَهليَّة إذا لقِيتْ عندنا بالعِراق الأُسْد وجمعنا بينهما[٢] . قالوا : أما واحدة فإنّ ذُكور الفِيَلة لاتكاد تعيشُ عندكم ، وأنيابُها التى هى أكبَرُ سلاحِها لاتنبُت فى بلادكم[٣] ، ولا [تعظُم ولا] تزيدُ على ما كانت عليه ما أقامت فى أرضكم ، وهى أيضا لاتتناتج عندكم ، وذلك من شدّة مُخالَفة البلدة لِطبائعها[٤] ونقضِها لقواها . وإنما أسْرَعَ إليها الموتُ عندكم للذى يعتريها من الآفات والأعراض فى دُوركم ، فاجتمعت عليها خصال ، أوّل ذلك أنّها مع الوحش[٥] [و] فى صميم بلادها أجرأ وأقوى ، وأشهَمُ نفسًا وأمضى ، فلمّا اصطَدْناها بالحِيَل[٦] ، وصيَّرْناها مقصورة[٧] أهليَّة بعد أنْ كانت وحشيَّةً وفى غير غذائها ، لأنّها كانت تشرب إذا احتاجت ، وتأكل إذا احتاجت وتأخذ من ذلك على مقادير ما تعرف من مَوقع الحاجة[٨] ، فلما صارت

---

(١) ط : « ما صار » تحريف .

(٢) ل : « بينها » .

(٣) فيما عدا ل : « أكثر سلاحها لاتنبت ببلادكم » ، وفيه تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « وطبائعها » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « من الوحش » ، تحريف .

(٦) ط : « بالجبل » ، محرفة .

(٧) مقصورة : محبوسة . وفيما عدا ل : « مقهورة » .

(٨) فيما عدا ل : « من ذلك مقدار ماتعرف من توقع الحاجة » ، محرف .

إلى قيام العبيد عليها ، والأجَراء بشأنها[١] ، والوكلاء بما يصلحها دخل ذلك من النقض[٢] والخوَر ، والخطأ والتقصير ، على حسب ما تَجِدُ[٣] فى سائر الأشياء ، ثم لم نَرْض بذلك حتّى نقلناها من تلك البلدة على إنكارها لتلك البلدة[٤] ، فصيّرْناها إلى الضدّ بعد أن كانت فى الخلاف .

وقد علمنا أنَّ سبيلَها سبيلُ سائر الحيوان ، فإنّ الإبلَ تموت ببلاد الروم وتَهلكُ وتسوءُ حالُها[٥] ، والعقارب تموت [فى مدينة حِمْص] ، والتماسيح تموت إن نُقلت إلى دِجلة والفرات ، والنّاس يصيبهم الجلاءُ فيموتون ويتهافتون . وقد علمنا أنَّ الزّنج إذا أُخرجوا من بلادهم فما يحصل[٦] بالبصرة عندنا منهم [إلاّ اليسير] : وكذلك لو نقلوا إليكم بزر الفُلفُل والسّاج والصَّندل والعُود ، وجميعَ تلك الأهضام[٧] ، فما امتناعُ نباتِ العاج ببلادكم إلاّ كامتناعْ نباتِ الآبنوس ، وإن كان ينبت فى حيوان والآخر[٨] فى أرض .

فلا يفتخرنَّ مفتخر فى الأسد فى هذه البلدة إذا قاوم الفيل[٩] . والأسد هاهنا فى بلاده وفى الموضع الذى تتوفّر أموره عليه ، لأنَّ أُسْد العراق هى الغاية ، وأقواها أُسْد السّواد ثم أُسْد الكوفة[١٠] . ولأنّ الفِيَلَة عندكم أيضاً

---

(١) فيما عدا ل : « لسواسها » .

(٢) س ، هـ : « النقص » بالصاد المهملة .

(٣) ل : « يجد » بالياء .

(٤) فيما عدا ل : « حتى نقلنا ما كانت تجده من إنكارها لتلك البلدة » .

(٥) انظر ما سبق فى (٤ : ٧١) .

(٦) فيما عدا ل : « إذا خرجوا من بلادهم كما يحصل » ، وفيه تحريف .

(٧) الأهضام : الطيب ، وقيل البخور ، واحده هضم ، بالكسر ، وهضم وهضمة بالفتح .

(٨) ط ، هـ : « والأرضى » س : « والأرض » ، صوابهما فى ل .

(٩) ط ، هـ : « قام الفيل » س : « أقام الفيل » ، صوابهما فى ل .

(١٠) ل : « أسود » فى هذا الموضع وسابقه .

٤٥ تَرَى عندَكم السَّنانير ، وقد جَعَل اللهُ فى طَبْع الفيل الهربَ من السِّنَّور والوَحشةَ منه ، كما أنَّ بعضَ شُجعانِكم يمشى إلى الأسد ، ويقبض على الثُّعبان ، ولا يستطيع النَّظَرَ إلى الفأر والجرذان ، حتى يهرُب منها كلَّ الهرب ، ويعتريه من النَّفضة[١] واصفرار اللَّوْن مالا يعترى المصبور على السَّيف[٢] ، وهو يلاحِظُ بريقَه عند قفاه .

(خوف عبد الله بن خازم من الجرذ)

وذكر علىّ بن محمد السميرى[٣] قال : بينما عبد الله بن خازم السُّلَمىّ[٤] عند عبيد الله بن زياد ، إذ أُدْخِلَ على عبد الله[٥] جرذ أبيض ليُعجَّبَ منه[٦] ، فأقبل عبيدُ الله على عبد الله فقال : هل رأيتَ يا أبا صالحٍ أعجبَ من هذا الجرذ [قط] ؟ وإذا عبد الله قد تضاءَل حتى صار كأنه فرخٌ ، واصفرَّ حتى [صار] كأنَّه جرادة [ذَكَرٌ[٧]] ، فقال عبيد الله : أبو صالحٍ يَعصِى الرَّحمن ، ويتهاوَنُ بالشيطان ، ويقبض على الثعبان ، ويمشى إلى الأسد ، ويَلقَى الرِّماح بوجهه ، وقد اعتراه من جُرَذ ماترون ؟ ! أشهَدُ[٨] أنَّ الله على كلِّ شىءٍ قدير .

---

(١) فيما عدا ل : « القبض » .
(٢) المصبور : الذى يحبس ويمسك للقتل . ل : « الصبور » ، محرف .
(٣) ل : « السمرى » .
(٤) فى الأصل : « حازم » ، صوابه بالخاء المعجمة ، كما فى المعارف ١٨٤ .
(٥) فى الأصل : « إذ دخل » ، وفيما عدا ل : « إذ دخل عليه » .
(٦) فيما عدا ل : « ليقبل منه » .
(٧) انظر لصفرة ذكور الجراد ما مضى فى (٣ : ٤٢ - ٤ : ١٧٤ - ٥ : ٥٥٩) .
(٨) ط ، هـ : « اشهدوا » .

(خوف الفيل من السنور)

وإذا عاين الفيلُ الأسدَ رأى فيه شَبَه السّنّور ، فيظنُّ أنه سنّور عظيم فلا يبلغ [منه] مقدارَ تلك المناسبة ، وذلك الشّبه ، ومقدارَ ذلك الظنّ مايبلغ رؤيةُ السِّنّور نفسِه . وليس هربُه منه مِن جهةِ أنّه طعامٌ له ، وأنّه إن ساوَرَه خافه على نفسه(١) ، وإن كان في المعنى يرجع إلى أنّه طعامٌ لصغار السِّباع وكبارها . وهَلْ قتل أسدٌ(٢) قطُّ فيلاً ، ومتى أكله ؟ !

وإنَّه مع ذلك لَرُبَّما رَكَله الرَّكْلة ، فإمّا أنَ يقتُلَه ، وإمَّا أنْ يذهبَ عنه هارباً فى الأرض ، وإمَّا أن يُجْلِيَهُ(٣) .

وأيّة حُجَّة على الفيل فى أن يرى سنوراً [فينفر منه ؟ ! فالأسـدُ يُشار إليه بِشُعلةٍ من نار ، أو يُضرَب له بالطَّسْتِ فيهربُ منه ، فإنما هذا كنحو تفزُّع الفَرَس من كلِّ شيءٍ يراه فى الماء وهو عطشانُ فيأباه .

ويزعم ناسٌ من أصحاب الخيل أنّ الفَرَس ليس يضرب بيديه فى المـاء الصافى ليثوِّره ، لأنَّ المـاء الـكدرَ أحبُّ إليه ، وما هو إلا كالثّور الذى يحبُّ الصافى ويختاره ، ولـكنه إذا وقف على المـاء الصافى رأى فيه ظِلّه وظلّ غيرِه من الأشخاص] ، فيفزعه ذلك ، فلمعرفته بأنَّ المـاء الـكدرَ لاتتصوَّر فيه الصُّوَر يضرِب بيديه . هذا قول هؤلاء(٤) . وأمَّا صاحبُ

(١) فيما عدا ل : « غلبه على نفسه » .

(٢) فيما عدا ل : « الأسد » .

(٣) ل : « يجليه » فيما عدا ل : « يخليه » ، ولعل وجهه ما أثبت .

(٤) فيما عدا ل : « بعضهم » .

المنطق وغيرُه ممَّن يدَّعى معرفةَ شأنِ الحيوان فإنّه يزعُم أنَّ الفرسَ بالماء الكدِر أشدُّ عُجْباً منه بالماء الصافى ، كما أنَّ الإبلَ لا يُعجِبها الماءُ إلاَّ أنْ يكونَ غليظاً ، وذلك هو الماءُ النَّمير عندهم . وإنَّما تصلُح الإبل عندَهم على الماء الذى تصلُح عليه الخيل .

(تداوى الحبشة والنوبة بأضراس خيل الماء وأعفاجها)

ويزعُم مَنَ أقام ببلاد السُّودان أنَّ الذين يسكُنون شاطئ النيل من الحبشة والنُّوبة ، أنهم يشربون الماء الكدر ، ويأكلون السَّمك النِّىء فيعتريهم طحالٌ شديد[1] ، فإذا شدُّوا على بطونهم ضِرْسا من أضراس خَيل الماء وجدُوه صالحا لبعض ما يعرض من ذلك . ويزعمون أن أعفاج هذا الفرس تُبْرِئُ من الصَّرْع الذى يكون فى الأهِلَّة[2] .

(دفاع صاحب الأسد)

وقال بعض من يَنْصُرُ الأسَد[3] : إن الأُسْدَ فى الهند أضعَفُ ، بل هى ضعيفةٌ جدًّا ، والفيل فى بلادهم أقوى ، والوحشى منها [أجرأ] ، والمغتلم لايقوم له إلا الكركدَّن ؛ وإنه ليهجُم عليه[4] فيحجم عنه حتى ٤٦

(١) إنما هو الطحل ، بالتحريك ، وهو وجع الطحال ، بالكسر . ويحتمل أن يكون الجاحظ قد قاسه على الكباد ، بالضم ، وهو وجع الكبد .

(٢) انظر للصرع عند الأهلة ما مضى فى (٥ : ٤٧٩ - ٦ : ٢٤٣) .

(٣) فيما عدا ل : « يبصر بالأسد » تحريف .

(٤) ط ، هـ : « ليقحم » س : « ليفحم » ، وهذه محرفة . وأثبت ما فى ل .

تذهب عنه سَكْرة الغلْمة ، فيرجعُ إلى معرفةِ حال الكركدَّن فلا يَطور طوَارَه[١] ، ولا يحلُّ بأَداني أرضه[٢] .

وأما الفيل فإذا كان غيرَ هائجٍ والأسدُ في غير أيَّام هِيَاجِه[٣] ثم يكونُ الأسَدُ عِراقيًّا ويكونَ سَوادِيًّا ويكون من أجَمَة أبْزيقيا[٤] فإنَّ الفيلَ لايقوم له .

(قول صاحب الفيل)

وقال صاحب الفيل : الفيل لايُعاينُ أسداً أبْزيقيًّا[٥] حتى تفسَخَه البلْدة ، وتَهدِمَهُ الوحشة[٦] ، ويُمرضه الغِذاء ، ويُفسده الماء . وهو لايصل إلى ذلك المكان حتى يجمع بينه وبين [ذلك] الأسـد ، وحتى يَسْمَع تجاوُبَ السَّنانير وتَضاغِيَها[٧] — وهو أسمَـعُ من قُراد — فيغِبّ ذلك في صدره[٨] ، وتتزايد[٩] تلك الوَحشةَ في نفسه ، فمتى رأى أسداً قائماً فربَّما دعَته الوحشة[١٠] منه ، والبغض المجعُول[١١] [فيه] ، إلى الصُّدُود والذَّهاب

---

(١) لايطور طواره : لايقرب منه . والطور والطوار : ما كان على حذو الشيء أو بحذائه . فيما عدا ل : « طوره » .

(٢) فيما عدا ل : « ولا يخليه » ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « سفاده » .

(٤) فيما عدا ل : « أفريقيا » .

(٥) فيما عدا ل : « أفريقيا » .

(٦) فيما عدا ل : « وتوهنه الوحشة » .

(٧) تضاغيها : تصايحها ، وهو الضغو والضغاء . فيما عدا ل : « وتضفاطها » ، محرف .

(٨) يغب في صدره : يقع فيه . انظر اللسان (٢ : ١٢٧) . فيما عدا ل : « فيثبت » .

(٩) هـ : « وتزايد » ل : « وتتراد » .

(١٠) فيما عدا ل : « حلته الدهشة » .

(١١) ط ، س : « المجبول » .

عنه . فيظنُّ كثيرٌ من الناس أنَّ ذَهابَه هرَب ، وأنّ صدودَه جُبْن ، وإنَّما هو من الوَحشة منه ، والكَراهة لمنظَرَته[١] . وربَّما اضطرَّهُ الأسدُ بخَرْقه حتى يُنقَضَ حِلمُه ، ويُغلَب وقارُه ، فيخبطُه خَبطةً لايُفلح بعدها أبداً .

(فخر صاحب فرس الماء)

قال صاحبُ الفرَس : زعمتم أنَّ الأسدَ فى الأرض كالعقاب فى الهواء ، وكالتمساح فى الماء ، وأنَّ تمساحا وأسداً اعتلجا على شريعةٍ فقتَلَ كلُّ واحدٍ منهما صاحبه ، وكأنَّ التمساح ضرب [الأسد] بذنبه فى الشريعة ، وضغَمَ الأَسدُ رأْسَه فماتا جميعاً .

قال : والفرَسُ المائىُّ بالنِّيل يقتُلُ التّماسيحَ ويقهرُها ويأكلها ولا يُساجلُها الحرب ، ولا تقَعُ بينهما مغالَبةٌ ومجاذَبة ، وتكون الأيام بينهما دُوَلاً . فهذه فضيلةٌ ظاهرة على الأَسد ، وشرفُ فرَس الماء راجعٌ إلى فرس الأَرض ، فإنْ كان فرسُ الأرض لايقوى على الأَسَد ولا على النَّمر ولا على البَبْر ، فإن ابنَ عمِّه وشكلَه فى الجنْسِ قد قوِىَ على التِّمساح وهو رئيسُ سُكان الماء .

قالوا : أمَّا واحدة فإن التمساح ليس برئيسِ سُكان الماء إلا أن تَريد[٢] بعضَ سكان الأَودية والأَنهار والخُلجان والبُحَيْرات[٣] فى بعض

---

(١) فيما عدا ل : « لمنظره » . وانظر لاستعمال الجاحظ « المنظرة » ماسبق (٣ : ٣٩٥ / ٥ : ٤٨ ، ١٦٠) .

(٢) فيما عدا ل : « يريد » .

(٣) البحيرات : جمع بحيرة ، وهو البحر الصغير ، أدخلوا الهاء فيه على توهم « بحرة » . فيما عدا ل : « المتحيزات » .

المياه العذبة . والكوسج واللُّخْم والسَّرَطان والدُّلْفِين وضُرُوبٌ من السباع[1] مما يعايشُ السَّمك ليس التمساح من بابه[2] . وعلى أن التمساح إنما[3] يأكله ذلك الفرسُ وهو فى الماء ، وليس للتمساح فى جوف الماء كبيرُ عملٍ إلا أن يحتمل شيئاً بذنبه ويحتجنَه إليه[4] ، ويدخله الماء ؛ وربَّما خرج إلى الأرض للسِّفاد ولحضْن البيض ، فلا يكونُ على ظهر الأرض شيءٌ أذلَّ منه . وذلُّه على [ظهر] الأرض شبيهٌ بذُلِّ الأسَد فى وسط الماء الغَمْر . ولَعمرى أَنْ لو عَرَض له هذا الفرسُ فى الشرائع فغلبه[5] لقد كان ذلك من مفاخره ، فلذلك لم تُذْكَر[6] الخيل فى باب الغلبة ، والقتال والمساجلة ، ٤٧ والانتصاف من الأعداء .

والفرَس قد يُقاتل الفرسَ فى الْمُرُوج إذا أراد أن يحمِىَ الْحجور ، كما يحمِى العيرُ العانة ويقاتل دونها[7] كلَّ عيرٍ يريد مشاركتَه فيها ، وهذا شىءٌ يعرض لجميع الفُحولة فى زمن الهيج .

وقد يصاوِلُ الجملُ الجملَ فربَّما قتلَ أحدُهما صاحبَه ، ولكنَّ هذه الفَحولةَ لاتعرِض لشىءٍ من الحيوان فى غير هذا الباب .

---

(١) أى سباع البحر . وفيما عدا ل : « من السمك » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « ينهش التمساح من بابه » ، محرف .

(٣) فيما عدا ل : « ربما » .

(٤) الاحتجان : الضم والإمساك ؛ وأصله أن يجذب الشىء بالمحجن ، وهو عصا معقفة الرأس . فيما عدا ل : « ويلحجه إليه » ، وهى صحيحة أيضا . يقال ألحجه إليه ، أى أماله .

(٥) فيما عدا ل : « فقتله » .

(٦) فيما عدا ل : « لم نذكر » .

(٧) فيما عدا ل : « عليها » .

وإن أرادَ الفرسَ أسدٌ ، فليس عنده من إحراز نفسه وقَتْل عدوِّه ماعند الجاموس ، فإنْ فضَلَه الجاموسُ بقرنيه ، فإن السِّلاح الذى فى فَم الفَرس[1] لو استعمله لكان سِلاحا ، ولو استدْبَرَ الأسدَ فركله ورَمَحه وعَضّه بفيه ، لكان ذلك ممَّا يدفع عنه ويحمِى لحمَه .

وليس للجاموس فى أظلافه وفى [يديه و] رجليه وفى فمه سلاح ، فقد دلّت الحالُ على أنّ مدارَ الأمر إنَّما هو [فى] شَجاعة القلب .

وفى هذا القياس أنّ الصَّقْر إنَّما[2] يواثِبُ الكُرْكىَّ لمكان سلاحه دون شجاعة القلب[3] التى يقوى بها الضَّعيف ، و بخلافها يضعُف القوىّ .

وسأقرّب ذلك عندك[4] ببعض ماتعرِفه ، لانَشكّ[5] أنّ الهرّ أقوى من الهرّة فى كلِّ الحالات ، حتى إذا سفِدها فحدثَتْ بينهما بغضاء ومطالبة[6] حدثت للهرّة شجاعةٌ وللهرِّ ضَعف ، فصارت الهرَّةُ فى هذه الحال أقوى منه ، وصار الهرُّ أضعف . ولولا أنّه يُمعِن فى الهرب غايةَ الإمعان ثمَّ لحقته ، لقطَّعته وهو مستخْذٍ .

ومثل ذلك[7] أنَّ الجُرذ يُخْصَى ، ويرمى به فى أنابِير التّجّار[8]

(١) فيما عدا ل : « فإن البيان الذى فى القرن » محرف .
(٢) ل : « لم » .
(٣) ل ، س : « قلبه » .
(٤) فيما عدا ل : « وسأقرو لك ذاك » لكن فى هـ : « وسافر » ؛ وهذه محرفة .
(٥) فيما عدا ل : « لاتشك » بالتاء .
(٦) فيما عدا ل : « حدث بينهما بغض ومطالبة » مع زيادة واو أول الكلام بعدها .
(٧) فيما عدا ل : « ومثال ذلك » .
(٨) الأنابير : جمع أنبار ، والأنبار : جمع نبر بالفتح . والأنبار : أهراء الطعام ، وهى البيوت الكبيرة الضخمة التى يجمع فيها طعام السلطان . س : « أبابين » ، بالإهمال . هـ : « أبابين » محرفتان . انظر ما سبق فى (٥ : ٣٦٠) .

وفى الأقرِحَة(١) والبيادر ، فلا يدَعُ جُرذًا ضخْما قد أعيا المرّ(٢) وابن عِرْس إلاَّ قَتَلَه ، وإنْ كان أعظمَ منه وأشدّ .

والخَصىُّ من كلِّ شيءٍ أضعَفُ قوَّةً من الفَحْل إلّا الجرذ ، فإنه إذا خُصى أحدث له الخصاء(٣) شجاعةً وجَراءة ، وأحدثَتْ له الشَّجَاعة قوَّة وأحدث علم الجرذان بحال الخصاء لها(٤) جُبْنا ، وأحدَثَ الجُبنُ لها ضعْفاً .

والرَّجُلُ الشّدِيدُ الأسر قد يَفْزَعُ فتنحلُّ قُوَاهُ(٥) ، ويسترخى عصبُه حتّى يضربه الصبىُّ . والذِّئبُ القوىُّ من ذئاب الخَمَر(٦) يكون معه الذئبُ الضعيف [من ذئاب البرارى] ، فيصيب القوىَّ خدشٌ يسيرٌ(٧) ، فحينَ يَشَمُّ ذلك الذئبُ الضعيف رائحةَ الدَّم وثب عليه(٨) ، فيعترى ذلك القوىَّ عند ذلك من الضّعف بمقدار ما يعترى الضعيفَ من القُوَّة حتى يأكله كيف شاء .

---

(١) الأقرحة : جمع قراح ، كقذال وأقذلة . والقراح : الأرض المخلصة لزرع أو لغرس ، وكل قطعة على حيالها من منابت النخل وغير ذلك . ط ، س : « الأبرجة » هـ : « الأبرحة » ، صوابهما فى ل . وانظر ماسبق فى (٥ : ٣٢٣) .

(٢) ل : « قد غلب الهر » .

(٣) فيما عدا ل : « الخصى » ، وهو تحريف كتابى .

(٤) لها ، أى الجرذان التى لم تخص . وفى س : « له » أى بحال الخصاء الجرذ . أقحمت كلمة « له » بعد « أحدث » فى كل من ط ، هـ .

(٥) فيما عدا ل : « قوته » .

(٦) الخمر ، بالتحريك : ماواراك من شجر وغيره . انظر لذئب الخمر ما سبق فى (١ : ٢٢٠ / ٤ : ١٣٣ ، ١٣٤ / ٦ : ١٢٣ ، ١٧١ ، ١٨٨ ، ٤١٠) . فيما عدا ل : « ذئب المحم » تحريف .

(٧) بدلها فيما عدا ل : « فإن رمى القوى أحدث ذلك الضعيف طمما » .

(٨) وثب عليه ، كذا وردت فى جميع النسخ ، على الحكاية . فيما عدا ل : « فعند ما يرى الدم وثب عليه » .

والأسَد الذى يعتريه الضَّعف فى الماء الغَمْر حتّى يركبَ ظهرَه الصبىُّ ثم يقبضَ على أذنيه فيُغُطّه [1] كيف شاء .

وقد يفعل به ذلك غِلمان السَّوَادِ وشاطىء الفرات ، إذا احتملت
٤٨ المدودُ الأسَدَ لاتملك من أنفُسها شيئاً ، وهو مع ذلك يشدُّ على العسكر حتى يفرقه فَرْقَ الشعَر [2] ، ويطويه طىَّ السِّجِل ؛ ويهارِشُ النمرَ عامّة يومه [3] لايقتلُ أحدُهما صاحبَه ، وإنْ كان الجمل الهائجُ باركا أتاه [4] فضرب جنبَه ليثنِيَ إليه عنقَه ، كأنه يريد عضّهُ [5] فيضربُ بيساره إلى مشْفره [6] فيجذبه جذبةً يفصل بها [بين] دَأيات عنُقه ، وإن ألفاه قائماً وثب وثبة [7] فإذا هو فى ذروة سنامه [8] ، فعند ذلك يصرفه كيف شاء ، ويتلعَّب [9] به كيف أحبّ .

ونحن لانشكُّ أنّ للفَرَس تحتَ الفارس غَناءً فى الحرب لايُشْبهه غَناء ، ولذلك فُضِّل فى القَسْم . وإنما ذلك بتصرِيف راكِبه له ، وقتالِه عليه . فأمَّا هو نفسهُ فإنه إذ كان [10] أوفرَ سلاحا من الجاموسِ

(١) غطه فى الماء يغطه ، بضم غين المضارع وكسرها : أى غمسه . ل : « فيعطيه » ، محرفة .

(٢) فيما عدا ل : «حتى يفرق تفريق الشعر » .

(٣) اليوم : النهار . فيما عدا ل : « عامة نهاره » .

(٤) فيما عدا ل : « أتى » .

(٥) ط ، هـ : « غصته » .

(٦) س : « مشرفة » محرفة ط ، هـ : « مشفر فه » ، وأثبت ما فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « وثب به »

(٨) فيما عدا ل : « على ذروة سنامه » .

(٩) فيما عدا ل : « ويلعب » .

(١٠) فيما عدا ل : « فأما هو فى نفسه فإن كان » ، محرف .

وخام عن قِرنه (١) ، واستسلم لعدوِّه ؛ فإنه من هاهنا لايقدم (٢) [على غيره . ولم يكن اللهُ ليجعلَ [انحصارَ] [جميع] أقسام الخير فى شخصٍ واحد ، ولكن [لمَّا] أن كان [الفَرَس] عليه تقاتل الأنبياءُ وأتْباع الأنبياء ، ملوكَ الكفّار (٣) [وأتْباعَ مُلوك الكفّار] حتّى يقمَعَ اللهُ الباطلَ ويُظْهِر الحقّ ؛ فلذلك قدَّمناه على جميع البهائم والسِّباع ؛ وإنما نُقَدِّمه على الوجه الذى قدَّمه اللهُ فيه .

(الرد على صاحب فرس الماء)

واعترضَ على أصحاب فرَس الماء معترِضون فقالوا : الفرسُ لايكون إلاّ بهيمة ، والبهائم لاتصيد وتأكل صَيدَها ، وإنما طعامُ الفرسِ النَّباتِ وليس اللَّحمُ لها بطعام . وقال النمر بن تولب :

والخيلُ فى إطعامها اللّحمَ ضرَرٌ نُطعِمُها اللّحمَ إذا عَزَّ الشَّجَرْ (٤)

فى كلمته التى يقول فيها :

* اللهُ من آياته هذا القمرْ *

وقد تُعلَف فى تلك الحالاتِ اللّحمَ اليابس وهسيسَ السَّمك (٥) . فأمّا الهسيس (٦) فلخُيول أهل الأسياف خاصّة .

---

(١) خام عنه يخيم : نكص وجبن . ط : « وفر عن قرنه » ﻫ : « والبقر عن قرنه » تحريف . والكلمة التى قبل « قرنه » موضعها بياض فى س .

(٢) فيما عدا ل : « لايقدر » .

(٣) فيما عدا ل : « وملوك الكفار » ، والواو مقحمة .

(٤) كتاب البغال ٣٢٩ والشعراء ٢٦٨ والأغانى (١٩ : ١٥٩) واللسان (لحم) .

(٥) الهسيس : المدقوق من كل شىء . فيما عدا ل : « حشيش السمك » ، تحرف .

(٦) فيما عدا ل : « الحسيس » . وانظر التنبيه السابق .

(الانتصار لصاحب فرس الماء)

قيل لهؤلاء المعترضين على فَرَس الماء : وقد يكون فى الخلْق المشترك وغير المشترك ما يأكلُ اللَّحمَ والحَبّ . فالمشترك مثلُ الإنسانِ الذى يأكل الحيوان والنبات . و [هذا] العصفور من الخلق [المشترك[1]] لأنّه يأكل الحبّ[2] ، ويصطاد النمل الطيّار والأَرَضة فيأكُلها ، ويأكل اللّحم . والدَّجاجُ تأْكل اللَّحمَ والدِّيدان ، وتحسُو الدّمَ وتلقُط الحبّ . والغراب لايَدَعُ شيئاً إلّا أكله .

وما خرج من حدِّ المشترك وهو[3] كنحو الذِّئب والضَّبع ، وكنحو الشَّاهين والصَّقر ، فإنّ هذه وأشباهَها لاتعرفُ إلا اللَّحم . [والحمامُ] وضروبٌ من الطيرِ لا تعرِف إلّا الحبَّ والنَّبات . والمشتركُ أجمَعُ[4] مما هو غير مشترك .

والسّمكة تأكل الطِّين[5] والنّبات ، وتأكل الجيف التى تصيب
٤٩ فى الماء ، وتُصاد بضروبٍ من الحيوان تُجعل لهـا فى الشُّصوص[6] ، ثم ينصبون لـكلِّ ضربٍ [من السَّمك بضربٍ] من الطُّعم[7] .

والجِرِّىُّ يأكل الجرذانَ ويصيدُها ، وهو آكلُ لها من السّنانير

---

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط .
(٢) فيما عدا ل : « يأكل اللحم والصيد » .
(٣) ل : « فهو » .
(٤) أجمع : أى أكثر جمعا لضروب الطعام
(٥) فيما عدا ل : « الطير » ، تحريف .
(٦) الشصوص : جمع شص . وفيما عدا ل : « الشطوط » ، محرف .
(٧) فيما عدا ل : « من الطعام » .

والحيّات والكلابِ السَّلوقية ، ويأكلُ الجَرِّيَ جميعَ جِيفِ الموتى .
والسَّمك يأكل السّمكَ ويأكلُ من كلّ حَبّ ونبات يسقط فى الماء .

وإن استفهَمَ مستفهِمٌ ، أو اعترض معترضٌ فقال : وكيف يأكل الجِرِّىُّ الجرذان ، والجرذانُ أرضيَّةٌ بيوتيَّة ، والجِرِّىُّ مائى ؟ قيل له : يخبِّرنا جميعُ مَن يبيتُ فى السُّفن وفى المشارع ، فى فيض[١] البَصرة عندنا ، أنّ جرذان الأنابير[٢] تخرُج أرسالاً بالّليل كأنّها بناتُ عِرْس ، والجِرِّىُّ قد كَمَنَ لهنَّ وهو فاتحٌ فاه ، فإذا دنا الُجرذُ من الماء فعبَّ فيه التهمه[٣] ليس دون ذلك شىء ، بشَجْر فمٍ واسع[٤] يَدخُل فى مثله الضبُّ الهرم . وإنما يضَع بخطمه على الشَّريعة[٥] .

(شىء من الطرف والحكم والأشعار)

[وسنذكر شيئاً من الطُّرَف والحِكم والأشعار ، إذْ كُنَّا قد ذَكَرْنا من الكلام فى الحيوان صدراً صالحا ، وأبوابا جامعة ، ثم نعود فى ذكر الفيل إنْ شاء الله ، واللهُ الموفِّق . قال الشَّاعر[٦] :

وَنحنُ أناسٌ لاحجازَ بأرْضِنا ... معَ الغَيْثِ مانَلْقَى ومَن هو غالبُ[٧]

(١) ط فقط : « فيض » تحريف . وفيما عدا ل : « وفى » .
(٢) الأنابير ، سبق تفسيرها فى (٥ : ٣٦٠) . س : « الأيابير » بالإهمال . ه : « أيابير » صوابهما فى ل ، ط .
(٣) فيما عدا ل : « التقمه » .
(٤) شجر الفم : مفرجه . فيما عدا ل : « بسحر » ، محرف .
(٥) بعد هذه الكلمة فى نسخة كوبريلى المرموز إليها بالرمز « ل » تكلة كبيرة تبدأ من المعقف التالى . وسأنبه إلى موضع انتهائها فيما بعد . وموقع هذه الزيادة فى نسخة كوبريلى مابين صفحتى ١٤٥ ، ١٥٧ ثم مابين صفحتى ١٢ ، ١٥ . وسننبه إلى نهايتها فى ص ١٦٧ .
(٦) هو الأخنس بن شهاب التغلبى ، من قصيدة له فى المفضليات (٢٠٤ - ٢٠٨) .
(٧) أى نلتق مع الغيث : كلما وقع فى بلد صرنا إليه وغلبنا عليه أهله .

وإن قصُرَت أسيافُنا كان وصلُها ... خُطانا إلى أعدائنا فنضارب[1]
ترى كلّ قومٍ ينظرون إليهمُ ... وتقصُر عمّا يبلغون الذّوائبُ

مثل قول الآخر :

لكلّ أناسٍ سُلّم يَرْتَقَى به ... وليس إلينا فى السَّلاليم ِمطلعُ
ومنزلُنا الأعلَى حجازٌ لمن به ... وكلُّ حجازٍ إن هبطناهُ بلقعُ
وينفِر منا كلُّ وحشٍ وينتمِى ... إلى وَحْشِنا وحشُ البِلاد فيَرْبعُ

وقال حسَّان بن ثابت :

ونَدْمانِ صِدقٍ تقطر الخيرَ كفُّه ... إذا راح فَضْفاضَ العشيَّاتِ خِضْرِما[2]
وصلتُ به كفّى وخالَطَ شِيمَتى ... ولم أكُ عِضًّا فى الندامى مُلوّما[3]
لنـــا حاضرٌ فعمٌ وبادٍ كأنّه ... شماريخُ رَضْوَى عِزّةً وتكرُّما
ولدْنا بنى العَنْقاء وابْنَىْ محرِّقٍ ... فأكرِمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابنما
لنا الجفَناتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فى الضُّحَى ... وأسيافُنا يقطُرْنَ من نجدةٍ دَما

وقال أعرابىٌّ غزلىّ :

بنفسى وأهلى مَن إذا عَرَضُوا له ... ببَعض الأذَى لم يَدْرِ كيف يُجيبُ[4]
ولم يعتذِرْ عُذْرَ البرىء ولم تَزَلْ ... به سَكْتةٌ حتّى يُقَالُ مُريبُ

وقال أعرابىٌّ من هُذيل :

رَعاكِ ضمانُ اللهِ يا أمَّ مالكٍ ... ولله أن يَسْقِياكِ أولَى وأوسَعُ[5]
يُذكِّرُنيكِ الخيرُ والشرُّ والذى ... أخافُ وأرجو والذى أتوقَّعُ

---

(١) انظر تاريخ هذا المعنى فى شرح المفضليات (٢ : ٧) .
(٢) رواية الديوان ٣٧٠ : « بمطر الخير » و : « فياض العشيات » .
(٣) العض ، بالكسر : السيىء الخلق . وعجز هذا البيت فى اللسان والمقاييس (عضض).
(٤) وكذلك ورد البيتان بدون نسبة فى الحماسة (٢ : ١١٨) .
(٥) البيتان بدون نسبة فى البيان (٣ : ٣٣٠) والحماسة (٢ : ١١١)

قطعة من أشعار الاتماظ

قال الشاعر :

عليك من أمرِكَ ماتستطيع ... ومااليس يُغْنِيك عنه فَذَرْ
ولَلصَّمْتُ أجْمَلُ فى حِينِهِ ... مِنَ القَوْلِ فى خَطَلٍ أوْ هَذَرْ
وكم غائبٍ كَانَ يَخشَى الرَّدَى ... فعادَ وَأوْدَى الذى فى الحضَرْ
وبينا الفَتى يُعْجِبُ النَّاظرِي ... نَ مال إلى عِطْفِه فانقعَرْ
وبعضُ الحوادث إن يُبْقِهِ ... فإنَّ الفَنَـا شأنُهُ وَالـكِبَرْ
وكم من أخى نجدة ماهرٍ ... تعلَّقَه الدَّهْرُ حتى عثَرْ
وكم من أخى عثرة مُقْـتِرٍ ... تأتَّى لهُ الدَّهرُ حَتى انجَبَرْ

وقال علقمة بن عبدة (١) :

وكلُّ قومٍ وإن عزُّوا وإنْ كَثُرُوا ... عَرِيفُهُمْ بأثافى الشَّرِّ مرجومُ
والحمدُ لا يُشْتَرَى إلا لهُ ثمنٌ ... مِمَّا يَضَـنُّ به الأقوامُ معلومُ
والجهلُ مَنْقَصَةٌ شَيْنٌ لصاحبهِ ... والحِلْمُ آونَةً فى النَّاس مَعْدُومُ(٢)
وكلُّ حِصْنٍ وإنْ طالَتْ سلامَتُهُ ... على دعائمه لابدَّ مَهدومُ
ومَنْ تَعَرَّضَ للغرْبانِ يَزْجُرُهَا ... عَلَى سَـلامَتِهِ لابُدَّ مشئومُ
وَمُطْعَمُ الغُنْمِ يَوْمَ الْغنمِ مُطْعَمُهُ ... أنَّى تَوَجَّهَ والمحرومُ مَحْرُومُ

وقال عدىُّ بن زيد العبادىّ ، وهو أحدُ من قدحُمِـل عَلَى شعره الحَمْلُ الـكثير ، ولأهل الحِيرة بشعره عنايةٌ ، وقال أبو زيدٍالنحوىّ : « لَو تمنَّيت أنْ أقولَ الشِّعر ماقلتُ إلا شعرَ عدىٍّ بن زَيد » :

---

(١) انظر ديوانه ١٢٩ والمفضليات (٤٠١) .

(٢) الحلم : نقيض الجهل . وفى الأصل : « والعلم » ، صوابه فى الديوان والمفضليات .

كَفَى زاجراً للمرء أيَّامُ عُمْـرِهِ   تَرُوح له بالواعظاتِ وتغتدى
فنفسَك فاحفَظْها من الغىِّ والرَّدَى   مَتَى تُغْوِها تُغْوِ الذى بك يَقتَدِى
فإنْ كانتِ النَّعماءُ عندَك لامرئٍ   فمثلاً بهاَ فاجْزِ المُطالب أوزِدِ[١]
عن المرْء لاتَسألْ وأبصِرْ قرينَه   فإنَّ القرين بالمقارَنِ مُقتدِى[٢]
ستُدرِك مِن ذى الجَهْل حقَّك كله   بحلمك فى رِفْق وَلَمَّا تَشَدَّدِ
وظُلم ذوِى القُرْبَى أَشـدُّ عداوةً   على المرء من وَقْع الحُسام المهنَّدِ[٣]
وفى كثرة الأيدى عن الظُّلمِ زاجرٌ   إذا خَطَرَتْ أيدى الرِّجال بمشهَـدِ

قال المهلب بن أبى صُفرة : « عجِبْتُ لمن يشترى المماليكَ بمالِهِ كيف لايشترى الأحرارَ بمعروفه » .

وقال عبد الله بنُ جعفرٍ لرجلٍ يُوصِيه : « عليك بصُحبةِ مَنْ إنْ صحِبْتَهُ زَانَك ، وإنْ تركتَه شانَكَ ؛ إن سألتَه أعطاك ، وإن تركتَه ابتداك ؛ إنْ رأى منك سيِّئة سدَّها ، وإن رأى حسنةً عدَّها ؛ إن وَعَدَك لم يُجْرِضْك[٤] وإن ألجئْتَ إليه لم يرفُضْك » .

وسأل يزيدَ بنَ المهلَّب رجلٌ من أصحابه حاجةً وذَكَرَ له خَلَّة ، فقال : أُوجِّهُ بها إليك . ثمَّ حَمَلَ إليه خمسين ألفَ درهم ، ثم كتب إليـه : « قد وجَّهتُ إليك بخمسينَ ألفَ دِرهم ، لم أذكُرْها تمنُّنا ، ولم أدَعْ ذكرها تجبُّرا ، ولم أقْطَعْ بها لك رَجاء ، ولم أُرِدْ بها منك جزاء » .

(١) فى الأصل : « فمثلاتها فاجز المطالب أورد » . وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى حماسة البحترى ٢٥٣ .
(٢) فى حماسة البحترى ٣٣٦ : « وسل عن قرينه » .
(٣) نسب هذا البيت إلى طرفة فى معلقته . وقال التبريزى : « قيل إن هذا البيت لعدى بن زيد العبادى وليس من هذه القصيدة » .
(٤) أجرضه : أغصه بريقه بالهم والحزن . وفى الأصل : « لم يعرضك » والإعراض : الإفساد .

وقيل(١) ليزيد : ما أحسَنُ مامُدِحتَ به ؟ قال : قول زياد الأعجم :

فتًى زادهُ السُّلطانُ فى الحمدِ رَغبةً إذا غَيَّرَ السلطانَ كلَّ خليلِ(٢)

شبيهٌ بقول الآخَر :

فتى زادَهُ عِزُّ المَهابةِ ذِلَّةً وكلّ عزيزٍ عندَه متواضعُ

وقال الآخر ، وهو يدخل فى باب الشكر :

شوقى إليك يا أبا العبّاسِ طيَّرَ ما أبْلَيْتَنى نُعاسِى(٤)

إنّى لمعروفك غير ناسِ والشُّكرُ قِدْمًا فى خيار النَّاسِ

أبيات لبعض الشعراء العميان

أنشدنى ابنُ الأعرابىّ لرجلٍ من بنى قُريع يَرْثى عينَه ويذكر طبيبا :

لقد طُفتُ شرقَ البلادِ وَغَرْبَها فأعْيــا عَلَىَّ الطِّبُّ والمتطَبِّبُ

يقولون إسماعيلُ نَقّابُ أعيُنٍ وما خير عَيْنٍ بعد ثَقْبٍ بمثقبِ

يقولون ماءٌ طيِّبٌ خان عينَه وما ماءُ عينٍ خانَ عيناً بطيِّبِ

ولكنّه أيّامَ أنْظُرُ طيِّبٌ بعينَىْ قُطامىٍّ علا فوقَ مَرْقبِ(٥)

أحَمَّ حديدِ الطَّرْف ماخال عينَه شآبيبُ ماءِ المُزْنة المتصبِّبِ

كأنَّ ابنَ حَجلٍ مدَّ فضلُ جناحه على ماء إنسانيهما ماءَ طُحلبِ

وقال الخُرَيمىّ :

كفى حزَناً أن لا أزورَ أحبّتى من القرب إلاّ بالتّكلُّفِ والجهدِ

---

(١) فى الأصل : «فقيل» .

(٢) فى البيان (١ : ٧١) : « فى الود رفعة » . وفى الكامل ٣٦٦ : « فى المدح رغبة » وفى الحماسة بشرح المرزوقى ١٧٩١ : « فى الحمد رغبة » ، مع نسبته فى الحماسة إلى حبيب ابن عوف .

(٣) البيت فى البيان (٢ : ٢٣٣) .

(٤) أبلاه : صنع به صنيعا . قال زهير :

جزى الله بالإحسان مافعلا بكم فأبلاهما خير البلاء الذى يبلو

(٥) القطامى ، بضم القاف وفتحها : الصقر .

وأنّى إذا حُيِّيتُ ناجَيتُ قائدِى ليَعدِلَنى قبل الإجابة فى الردِّ[1]
إذا ماأفاضُوا فى الحديث تقاصَرَتْ بىَ النَّفْسُ حتى ماأحِيرُ وما أُبْدِى
كأَنّى غريبٌ بينهم لستُ منهمُ فإنْ لم يحولوا عن وفاءٍ ولا عَهدِ
أقاسى خطوبا لايقوم بثِقْلها من الناسِ إلا كلُّ ذِى مِرَّةٍ جَلْدِ

باب
فى الحاجة

قال ابنُ الأعرابىّ : قيل للأحنف : أتيناك فى حاجةٍ ، لاتَرْزَؤُك ولا تنكؤك . فقال : « ليس مِثلى يُؤْتى فى حاجةٍ لاتَرْزأ ولا تَنكأ » .

وقال أعرابىٌّ لرجل : « إنى لم أصُنْ وجْهى عن الطَّلب إليك ، فصُنْ وجهَك عن رَدِّى ، وأنزِلْنى مِنْ كرمك بحيثُ وَجْهى مِنْ رجائك » .

وقال أبو عقيل بن دُرُسْت : « لم يقْضِ ذِمامَ التَّأميل ، ولم يَقم بحُرمة الرَّجاء إلّا مَن أعطاها حقَّها ، ووقّاها حظَّها ، وعرَف قدْرَها ، وكيف يستبقى النِّعمة فيها ، وكيف الشُّكرُ على أداء حقِّها ، بالبِشْر عند المسألة ، وقلّةِ التَّضجُّر عند المعاودة ، وتوكيد الضَّمان عند العِدَة ، وانتهازِ الفرصة عند القُدرة . ويكونُ النُّجح المعجل أحبَّ إليه من عُذْر المَصْدَق[2] ، وحتّى يرى أنَّ حقّك عليه فى بذل وجهك إليه أكثرُ من حقّه عليك فى تحقيق

(١) يقول : لاأعرف من أين يصدر صوت التحية ، وذلك لثقل السمع ، فأطلب من قائدى أن يوجهنى إلى جهة من حياق لأرد تحيته . ومثله قول ذى الإصبع فى المعمرين ٩٠ :

لاأسمع الصوت حتى أستدير له ليلا وإن هو ناغانى به القمر

(٢) المصدق : الصدق ، مصدر ميمى .

أملك فيه . ثم إيجاب سترها ، فإنَّ سَتْرَها هو المخبر عنها ، والدالُّ عليها ، والزَّائد فى قدرها ، والمتوَلّى لنَشرِها(١) » .

وقال الشاعر :

فإنَّ إحياءَها إماتَتُها وإنَّ مَنًّا بِهَا يكدِّرَها(٢)

باب فى الوعد والوفاء به والخلف له

قال عمرو بن الحارث : « كنتَ متى شئتُ أن أجِدَ صفةَ من يَعِد ويُنجز وجدتُه ، فقد أعيانى من يعدُ ولا ينجز(٣) » .

وقال أبو إسحاق النَّظام : « كنَّا نلهو بالأمانى ، ونَطيب أنفسنا بالمواعيد ، فَذَهَبَ مَنْ يَعِدُ ، وقطعَتْنا الهمومُ عن فضُول الأمانى » .

وقال الشّاعر :

قد بَلَوناك بحمد اللـــه إن أغنى البلاءُ(٤)
فإذا جُـلُّ مواعيـــدِكَ والجَحدُ سواءُ

وقال أعرابىٌّ : «وعْدُ الـكريم نقدٌ وتعجيل ، ووعد اللئيم مَطلٌ وتعطيل» .

(١) فى الأصل : « لبشرها » محرف .

(٢) البيت لعروة بن أذينة ، كما فى عيون الأخبار (٣ : ١٧٣) . وقبله :

لاتتركن ، إن صنيعة سلفت منك وإن كنت لاتصغرها
إلى امرئ ، أن تقول إن ذكرت عندك فى الجد لست أذكرها

(٣) الخبر فى عيون الأخبار (٣ : ١٤٤) وبعده : « قال : وكانوا يفعلون ولا يقولون فقد صاروا يقولون ويفعلون ، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون ، ثم صاروا لايقولون ولا يفعلون » .

(٤) البيتان بدون نسبة فى البيان (٢ : ٣٥٥) وعيون الأخبار (٣ : ١٤٥) .

وذمّ أعرابيٌّ رجلاً فقال : « إذا أَوْعَدَ [١] صدق ، وإذا وَعَدَ كذب ، ويغضَبُ قبل أن يُشتَمَ ، ويجزِم قبلَ أن يَعْلَم » .

وقال عبدُ الله بنُ قيس الرقيَّات [٢] :

اخْتَرْتُ عبدَ العزيزِ مرتغِبا والله لِلمرْءِ خيرُ مَنْ قَسَمَا
مِن الهاليل مِنْ أميَّةَ يَزْ دادُ إذا ما مَدَحْتَه كرَما
جاءت به حُرَّةٌ مهذَّبةٌ كلبيَّةٌ كان بيتُها دِعَما
هُنَّ العَرانينُ من قضاعةَ أَمْـ ـثالُ بنيهنَّ تمنع الذِّمما [٣]
تُكِنُّهُ خِرْقةُ الدِّرَفْس من الشَّمْـ ـسِ كلَيْثٍ يُفرِّج الأَجَما [٤]
يقُوتُ شِبْلَين فى مَغارِها قد ناهَزا للفِطام أو فُطِما [٥]
لم يأتِ يومٌ إلا وعندَهُما لحمُ رجال أو يَوْلَغان دَما [٦]
فذاك أشبَهْتَهُ ابنُ ليْلَى ولـ ـكنَّ ابنَ ليلَى يفوقُه شِيَما [٧]

---

(١) فى الأصل : « وعد » .

(٢) من قصيدة فى ديوانه ص ٢٥٣ — ٢٦٠ يمدح بها عبد العزيز بن مروان ، مطلعها :

طرقته أسمــاء أم حلما أم لم تــكن من رحالنا أمما

(٣) فى الأصل : « بينهن » ، صوابه من الديوان .

(٤) فى شرح الديوان : « يريد الراية » يعنى خرقة الدرفس .

(٥) فى الديوان : « شبلين عند مطارقة » . وفى الأغانى (٤ : ١٦٠) : « وترضع شبلين وسط غيلهما » . وفى اللسان (ولغ) : « مرضع شبلين » . وقد نسب البيت وتاليه فى اللسان إلى ابن هرمة ؛ قال : « ونسبه الجوهرى لأبى زبيد الطائى » . وهذا وهم فى النسبة والرواية .

(٦) يقال ولغ يولغ ، مثل وجل يوجل . وروى : « يألغان دما » ، ولذلك قصة ذكرها صاحب الأغانى . ورواية الأغانى واللسان : « ما مر يوم إلا وعندهما » .

(٧) هذا على الالتفات . ورواية الديوان : « فذاك شبهته ابن ليلى » ؛ يقال شبهه إياه وشبهه به .

مَنْ يَهَبُ البُخْتَ والولائد كالـ غِزْلانِ والخيلَ تعلكُ اللجُما
يُنكر « لا » إنّ « لا » لمنكرةٌ مِنْ فيه إلّا مُحالِفاً نَعَما

وقال زيادَة بن زيد[1] :

إذا فُرْجَةٌ سدّتْ عليكَ فروجَها فأنتَ مُلاقٍ لا محالةَ مَذْهَبا[2]
فلم يجعلِ اللهُ الأُمورَ إذا اغتدت عليك رِتاجًا لايُرامُ مُضبّبا
كفاكَ الغِنى يوماً إذا ما تقلّبتْ به صَيرفيّاتُ الأمورِ تقلبا
وإنى لمزْوَرٌّ قليلٌ تقلُّبى لوجهِ امرىءٍ يوماً إذا ما تجنّبا[3]
قليلٌ ليوم الشَّرِّ وَيْلَكَ تعرُّضى فإنْ حَلّ يوما قلتُ للشَّرِّ مَرْحَبا
مَلَكْنا ولم نُملَكْ وقُدْنا ولم نُقَدْ وكان لنا حقًّا على الناسِ تُرْتُبَا[4]

وقال هُدْبة العُذْرِىّ[5] :

فأُبْ بى إلى خيرٍ فقد فاتنى الصِّبا وصِيحَ برَيْعانِ الشَّبابِ فنُفِّرا[6]
أمُورٌ وألوانٌ وحالٌ تقلّبتْ بنا وزمانٌ عُرْفُه قد تنكّرًا
أُصِبْنا بما لو أنّ سَلْمى أصابَهُ لَسُهِّلَ من أركانه ما توعّرا[7]

---

(١) فى الأصل : « زياد بن زيد » ، تحريف . وزيادة بن زيد ، هو ابن أخت هدبة ابن الخشرم ، كما فى اللسان (رتب) . وقد قتله هدبة كما فى الأغانى (٢١ : ١٧٢) .
(٢) فى الأغانى (٢١ : ١٧٢) : « وإن جهة سدت عليك فروجها » .
(٣) فى حماسة البحترى ٨٥ والأغانى : « وإنى لمراض قليل تعرضى » .
(٤) ترتبا ، أى ثابتا ، كما فى اللسان (رتب) عند إنشاد البيت . ويروى كما فى اللسان : « فضل على الناس ترتبا » ومعناه فى هذه الرواية : على الناس جميعا . ورواية الأغانى : « كان لنا حقا » .
(٥) هو هدبة بن خشرم ، شاعر فصيح من بادية الحجاز ، وكان راوية الحطيئة . وهو وإخوته حوط وسيحان والواسع ، وأمه حية بنت أبى بكر بن أبى حية ، شعراء جميعا . وكان بينه وبين زيادة بن زيد مناقضات ومهاداة بالأشعار انتهت بقتل هدبة لزيادة . انظر الأغانى (٢١ : ١٦٩ — ١٧٣) .
(٦) فى الأصل : « فأوبنى إلى خير » ، تحريف .
(٧) سلمى : أحد جبلى طيىء ، وهما أجأ وسلمى .

فإن ننجُ من أهوالِ ماخاف قومُنا ... علينــا فإنّ اللهَ ماشاء يَسَّرَا
وإنْ غالَنا دهرٌ فقد غال قبلَنا ... ملوكَ بنى نَصْرٍ وكِسرى وقَيْصَرَا (١)
وذى نَيربٍ قد عابَنى لينالَنى ... فأعيا مَداهُ عن مَدَاىَ فقَصَّرَا (٢)
فإن يكُ دَهرٌ نالنى فأصابَنى ... برَيْبٍ فإنْ تَشْوِى الحوادثُ مَعْشَرا (٣)
فلستَ إذا الضَّرَّاءُ نابَتْ بجُبَّإٍ ... ولا جَزِعٍ إنْ كان دَهرٌ تغيَّرَا

وكان هُدبةُ هذا من شياطين عُذْرة ، وهذا شعرُه كما ترى ، وقد أُمِرَ بضرب عنقه وشَدِّ خِناقه . وقليلاً ماترى مثلَ هذا الشّعر عند مثل هذه الحال ؛ وإنَّ آمرأً مجتمعَ للقلب ، صحيحَ الفكر ، كثير الرين (٤) ، عَضْبَ اللّسان فى مثل هذه الحال ، لَتَناهِيكَ به مطلقاً غير موثق ، وادِعًا غير خائف . ونعوذ بالله من امتحان الأخيار .

وهو القَائلُ فى تلك الحال :

فلا تعذُلينى لا أرى الدَّهرَ مُعْتِبًا ... إذا ما مضى يومٌ ولا اللّوْمُ مُرْجِعا
ولـكنْ أرى أنَّ الفتى عُرْضةُ الرَّدَى ... ولاقِى المنايا مُصعِدا ومفرِّعا (٥)

---

(١) فى العمدة (٢ : ١٧٨) عند ذكر عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة اللخمى أحد ملوك الحيرة : « ويقال إن نصرا هذا هو الساطرون صاحب الحضر . وهو جرمقانى من أهل الموصل ، وقيل هو من أشلاء قنص بن معد بن عدنان ».

(٢) النيرب ، بالفتح : الشر والنميمة . وفى الأصل : « وذى يثرب »، محرف .

(٣) تشوى : تخطئ ولا تصيب . و « إن » قبلها نافية . وبين النحويين خلاف فى نحو هذا التعبير ، فقال بعضهم : لاتأتى إن النافية إلا وبعدها « إلا » . ورد عليهم بقوله تعالى : (إن أدرى أقريب) ، (وإن أدرى لعله فتنة) ، و (فيما إن مكناكم فيه) . انظر ابن هشام فى المغنى .

(٤) كذا فى الأصل . ولعلها : « الزبن » أى الدفع .

(٥) مفرعا ، هنا بمعنى منحدرا . وفى الأصل « مفزعا » تحريف . والتفريع من الأضداد ؛ يقال فرعت فى الجبل ، إذا صعدت ، وفرعت أى انحدرت . انظر اللسان (فرع ١١٩) والأضداد ٢٧٥ .

وإن التُّقَى خيرُ المتاع وإنما ... نَصيبُ الفتَى مِن ماله ماتمَتّعا[١]
فلا تَنْـكِحِى إنْ فرَّقَ الدَّهرُ بيننا ... أغمَّ القَفا والوجهِ ليس بأنْزَعا[٢]
ضروبا لِلَحْيَيه على عَظْمِ زَوْرِه ... إذا القوم هَشُّوا للفَعَال تقنَّعا[٣]
وأُخرى إذا مازارَ بيتَك زائرٌ ... زيالك يومًا كان كالدَّهرِ أجمَعا[٤]
سأذكرُ من نفسى خلائقَ جمَّةً ... ومَجْـدًا قديماً طالما قد ترفَّعا
فلم أَرَ مثْـلى كاوياً لدوائِه ... ولاقاطعًاعِرقًا سَنُونا وأخْدَعا[٥]
وما كنت ممَّن أرَّثَ الشرَّ بينَهم ... ولا حين جدَّ الشَّرُّ ممَّنْ تخشَّعا
وكنتُ أرى ذا الضِّغنِ ممَّن يكيدنى ... إذا ما رآنى فاترَ الطَّرْفِ أخْشَعا

وما قرأتُ فى الشِّعر كشعر عبد يغوث بن صَلاءَة الحارثىّ ، وطرفة ابن العَبْد ، وهدبة هـذا ، فإنّ شِعرَهم فى الخوف لا يقصِّر عن شِعرهم فى الأمْن[٦] . وهذا قليلٌ جدًّا .

---

(١) البيت فى حماسة البحترى ٢٥٠ .

(٢) البيت فى اللسان (١٠ : ٢٣٠) . وقد روى فى حماسة البحترى ١٨٩ من بيتين هما :

فلا تنكحى إن فرق الدهر بيننا ... أكيبد مبطان الضحى غير أروعا
كليلا سوى مانال من أمر ضرسه ... أغم القفا والوجه ليس بأنزعا

وللشعر قصة فى الأغانى (٢١ : ١٧٥) والخزانة (٤ : ٨٤ — ٨٨) . وبعض الأبيات فى عيون الأخبار (٤ : ١٥) بدون نسبة .

(٣) فى الأصل : « لحييه » ، صوابه فى حماسة البحترى ١٨٩ . وبعد البيت فى حماسة البحترى :

أصيهب لايرضيك فى الحى قاعدا ... إذا مشى أو قال قولا تبلتعا
وكونى حبيسا أو لأروع ماجد ... إذا ضن أوباش الرجال تبرعا
وصول وذى أكرومة وحمية ... وصبر إذا ماالدهر عض فأوجعا

(٤) كذا فى الأصل .

(٥) فى الأصل : « عرفا » بالفاء ، تحريف . والسنون ، بالفتح : وصف من سن الماء أى أرسله من غير تفريق ؛ فإذا فرقه بالصب قيل « شن » بالشين المعجمة . والسنون ، لم يذكر فى المعاجم .

(٦) نحو هذا الكلام فى البيان والتبيين (٢ : ٢٦٨) . أما شعر عبد يغوث =

من أشعار الأعراب

أنشدنى ابنُ الأعرابىِّ فى معنى قوله :

* كمَخْض الماءِ ليس له إتَاءُ[1] *

وما كان مثلى يعتريكَ رجاؤُه ... ولكن أساءتْ هِمّةً مِن فتى مَحْضِ
وإنّى وإشرافى إليك بهمَّتى ... لكالمُرْتجى زُبداً من الماء بالمخضِ

وقال الآخر فى مثل قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة :

فلولا اتّقاءُ الله قلتُ مقـالةً ... تَسِير مع الرُّكبان أبْرَدُها يَغْلِى
أبِنْ لى فكنْ مِثْلِى أوَ ٱبْتغ صاحباً ... كمثلكَ ، إنى مُبْتغٍ صاحبًا مِثْلى[2]
ولا يلبثُ الأصحابُ أن يتفرّقوا ... إذا لم يؤلّف رُوح شكلٍ إلى شكلِ

فقال :

لكلِّ ٱمرئٍ شكلٌ يقرُّ بعينِه ... وقُرَّةُ عينِ الفَسْل أن يتبع الفَسْلا[3]
وتعرف فى جُودِ ٱمرئٍ جُودَ خالِه ... ويَنذُلُ أنْ تلقَى أخَا أمِّهِ نَذْلا[4]

وفى غير هذا الباب يقول الجَرَنفَس اللص[5] :

= فإنه يعنى به القصيدة اليائية التى رواها الضبى فى المفضليات (١٥٥ - ١٥٨) . وانظر الأمالى (٣ : ١٣٢) والأغانى (١٥ : ٧٢) والنقائض ١٥٣ . وأما شعر طرفة فلم أقف عليه .

(١) عجز بيت للربيع بن أبى الحقيق رواه الجاحظ فى البيان (٣ : ٢٠٣) والحيوان (٣ : ٦٨) . وصدره كما فيهما وكما فى اللسان (١٨ : ١٩) :

* وبعض القول ليس له عناج *

(٢) فى الأصل : « أو اتبع . . . فإنى متبع » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الفسل ، بالفتح : الرذل النذل الذى لا مروءة له ولا جلد . وفى الأصل : « الفيل أن يتبع الفيلا » ، تحريف ، وقد جاء على الصواب الذى أثبت فى اللسان (١٤ : ١٧٩) .

(٤) فى الأصل : « ويبذل أن تلقى » ، صوابه ما أثبت مطابقا ما فى اللسان .

(٥) الجرنفس ، بالجيم والراء المفتوحين وآخره سين مهملة ، ذكره ابن دريد فى الاشتقاق ٢٣٣ .

أبلغ بنى ثعلٍ عنِّى مُغَلغَلةً فقدْ أتى لكَ مِنْ نِىءٍ بإنْضاجِ
أمَّا النهارَ ففى قَيْدٍ وسِلسلةٍ
والليلَ فى جوفِ منحُوتٍ من السَّاجِ

وقال بعضُ اللصوص :

أقيْدٌ وَحَبْسٌ واغْترابٌ وفرقةٌ وهَجْرُ حبيبٍ ، إنَّ ذا لَعظيمُ[1]
وإنَّ امرأً دَامت مَواثِيقُ وَدِّهِ عَلَى عُشْرِ مابى إنَّه لَكريمُ

ومن المراثى المستحسَنة قولُ حارثة بن بدر الغُدانىّ ، يرثى زيادَ ابنَ أبيه[2] :

أبَا المغيرةِ والدُّنيا مغيِّرةٌ[3] وإنّ مَن غَرّت الدُّنيا لَمغْرُورُ
قد كانَ عِندكَ للمعروف مَعرِفةٌ وكان عندك للنَّكْراء تنكيرُ
وكنتَ تُؤتَى فتؤْتِى الخيرَ من سعةٍ إن كان قبرُك أمْسَى وهو مهجورُ[4]
صَلَّى الإلهُ على قبرٍ بِمَحْنِيةٍ دُونَ الثَّويّة يسفِى فوقَه المورُ[5]

وأنشد ابنُ الأعرابىّ :

وما حسَبُ الأقوامِ إلا فِعالهم ورُبَّ حسيبِ الأصلِ غيرُ حَسيبِ

---

(١) البيتان فى البيان (٤ : ٦٢) . وهما فى الحماسة (٢ : ١١١) برواية أخرى .
(٢) الأبيات فى زهر الآداب (٤ : ٥٧) والأغانى (٢١ : ١٩) ومعجم البلدان (الثوية) .
(٣) فى زهر الآداب فقط : « مفجعة » . وفى معجم البلدان : « وإن من غر بالدنيا » .
(٤) فى زهر الآداب : « وكنت تغشى تتوّق المال فى سعة » وفى الأغانى : « تؤتى فتعطى الخير عن سعة » ، وفى زهر الآداب : « فالآن بابك أمسى » ، وفى الأغانى : « فاليوم بابك دون الهجر مهجور » .
(٥) الثوية ، بفتح الثاء وضمها : موضع قريب من الكوفة . وفى معجم البلدان وزهر الآداب : « على قبر وطهره * عند الثوية » . وفى الأغانى :

إن الرزية فى قبر بمنزلة يجرى عليها بظهر الكوفة المور

وقال الآخرُ فى مثله :

ليس الكريمُ بمَنْ يدنِّسُ عِرضَه ... وَيَرَى مُرُوءتَه تكون بمَنْ مضَى

حتَّى يَشِيدَ بناءهم ببنائِه ... وَيَزِينَ صالحَ ماأتَوْه بما أتَى

وقال عبد الله بن مُعاوِيةَ بنِ عبد الله بن جعفر :

لَسْنا وإنْ كرُمَتْ أوائلُنا ... يومًا على الأحسابِ نَتَّكِلَ

نَبْنِى كما كانت أوائلُنا ... تَبْنِى ونَفْعَلُ مِثْلَ مَافعَلوا[1]

وقال عُمر بنُ الخطّاب : « كفى بالمرء عيباً أن تكون فيه خَلةٌ من ثلاث : أن يبدو له مِن أخيه مايخفى عليه من نفسه ، أو يَعيبَ شيئاً ثم يأتىَ مثله ، أو يؤذِىَ جليسَه فيما لايعنيه » .

ووصف أعرابىٌّ رجُلا فقال : « آخذَ النَّاسِ بما به أمَرَ ، وأتْرَكُهم لما عنه زَجَر » .

من هجا امرأته

قدِم أعرابىٌّ فحلَفَ بطلاقِ امرأتَيه على شىء فحنِث ثم هربَ فقال :

لو يعلم الغرَماءُ منزلَتَيْهما ... ما خوَّفونى بالطّلاقِ العاجلِ

قد مَلَّتا وَمَلِلْتُ من وجْهَيهما ... عجفاءُ مرضِعةٌ وأُخرَى حاملُ

وقال الأقرع بن مُعاذ القُشَيرىّ :

لَعمرُك إنّ المسّ من أُمِّ خالدٍ ... إلىَّ وإنْ ضاجَعْتُها لَبغيضُ

إذا بُزَّ عنها ثوبُها فكأنما ... على الثَّوْب نملٌ عاذمٌ وبَعوضُ[2]

---

(١) البيتان رويا فى حماسة أبى تمام (٢ : ٣٦٥) منسوبين إلى المتوكل الليثى .

(٢) فى الأصل : « إذا فرشتنا » . عاذم : ذو عض . وفى الأصل : « عازم » .

وقال أعرابىٌّ يتألّه، لامرأته ؛ وما الأعرابُ وهذا المذهبُ ، ولكن كذا وقعَ ، والله أعلمُ بكثيرٍ من الرِّواية :

لولا مخافةُ ربّى أنْ يُعاقِبَنى   وأنَّها عِدَّةٌ تُقْضَى وأوتارُ
لقد جعلْتُ مكانَ الطَّوقِ ذا شُطَبٍ   وتُبْتُ بعدُ فإنّ اللهَ غفَّارُ

وقال بعض المولَّدين :

تجهَّزى للطَّلاقِ وانصرِفى   ذاكِ جزاءُ الجوامِحِ الشُّمُسِ (١)

[فأجابتْه المرأةُ (٢)] :

لَليْلَتِى حين بِتُّ طالقةً   ألذُّ عِنْدِى مِنْ لَيلة العُرُسِ

وأنشدنى ابنُ الأعرابىِّ لأعرابى :

قد قَرَنُونى بعجوزٍ جَحْمَرِشْ   ناتيةِ النَّابِ كَزُومٍ قَنْفَرِشْ (٣)
كأنما دَلاهــا على الفُرُشْ (٤)   مِنْ آخرِ اللَّيلِ كلابٌ تهترِشْ
وجلدُها مِنْ حَكِّها القَملَ بَرِشْ   كأنّ طىَّ بَطْنِها طىُّ كَرِشْ
فَقْماءُ فى حِضْنِ الضَّجيعِ تهتَمِشْ   تَخَشْخشَ الضَّبِّ دنا للمُحْتَرِشْ

وقال رجلٌ من بنى نُميرٍ لامرأته ، وكانت حضَرية :

لَعمرِى لَأعرابيّــةٌ بدويةٌ   تظلُّ بِرَوْقَىْ بَيتِها الرِّيحُ تَخفقُ
أحبُّ إلينا من ضِنَاكٍ ضِفَنَّةٍ   إذا رُفِعَت عنها المراويحُ تعرقُ (٥)
كبِطِّيخةِ البُسْتان ظاهرُ جِلدها   صحيحٌ ويبدُو داؤها حين تُفْتَقُ

---

(١) جمحت المرأة : خرجت من بيت زوجها إلى أهلها قبل أن يطلقها . وفى الأصل : « الحوائج » تحريف . والشمس : جمع شموس ، وهى النفور .

(٢) ليستا فى الأصل . وبهما يصح الكلام .

(٣) الكزوم : الهرمة المسنة . والقنفرش : العجوز الكبيرة .

(٤) دلاها ، أى مايظهر لها من صوت حين تبدى دلاها .

(٥) الضناك ، بالكسر : الضخمة الثقيلة العجيزة . والضفنة : الرخوة الضخمة .

وأنشدنى محمد بن يَسِير[١] فى امرأته أو فى غيرها :

أُنْبِئْتُ أَنَّ فتاةً كنتُ أخطبُها عُرقوبُها مِثلُ شَهر الصَّوم فى الطول
أسنانُها مائةٌ أو زِدْن واحدةً كأنَّها حين يبدو وَجْهُها غُولُ

وإنما أكتب لك من كلّ بابٍ طَرَفاً ، لأنّ إخراجَك مِن بابٍ إلى بابٍ أبقى لنشاطك ، ولو كتبتُه بكمالِه لـكان أكملَ وأنبل ، ولـكن أخافُ التَّطْويل ، وأنتَ جديرٌ أن تعرف بالجملةِ التّفصيلَ ، والآخرَ بالأوّل .

مَن هجته زوجته

قالت عصيمة الحنظليّة :

كأنَّ الدّارَ حين تـكونُ فيها علينا حُفْــرَةٌ مُلِئَتْ دُخانا
فليتَك فى سَفين بنى عِبادٍ فتصبِـحَ لانَرَاك ولا تَرانا[٢]
فلو أنّ البُــدور قَبِلْنَ يوماً لقَــد أعطيتُها مائةً هِجانا

وقالت امرأةٌ من بنى ضبة لزوجها :

تراهُ أهْوَجَ ملعوناً خليقتُه يمشى على مِثْل معوَجِّ العراجين
وما دعوتُ عليه قطُّ ألعنُه إلّا وآخَــرُ يَتْلُوهُ بآمِين
فليتَه كان أرضُ الرُّوم مَنْزِلَه وأنّنى قبلَه صُيِّرتُ بالصِّينِ[٣]

وقالت جمرة الأزدية لزوجها أبى وائل :

---

(١) فى الأصل : « بشير » ، تحريف . وانظر البيت الأول مما يلى فى عيون الأخبار (١ : ٣١٧) .

(٢) فى الأصل : « فتصبح لايزال » ، محرف .

(٣) إلى هنا ينتهى القسم الأول من التكملة وهو نهاية ص ١٥٦ من نسخة كوبريلى . وتبدأ بعده بقية التكملة من منتصف ص ١١ من نسخة كوبريلى إلى مايقرب من نهاية ص ١٧ . وعلة هذا الاضطراب تهاون الناسخ أو جامع نسخة أصل الناسخ . وقد رددت الوضع إلى نصابه بهذا الترتيب .

لعمرك ما إن أبو وائل إذا ذُكِرَ القومُ بالطائلِ
فياليتنى لم أكنْ عِرْسَه وعُوجِلْتُ بالحدَث العاجلِ

وقالت امرأةٌ من بنى زياد الحارثى[١] :

فلا تأمُرُونى بالتزوُّج إنَّنى أريد كرامَ النَّاس أو أتبتَّلُ
أريد فتًى لايملأُ الهَوْلُ صدرَه يُريحُ عليه حلمُه حين يجهلُ
كمثل الفتَى الجعْدِ الطَّويل إذا غَدا كعالية الرُّمح الطويل أوَ اَطوَلُ

وقالت امرأةٌ من باهلة[٢] :

أحبُّ الفتى ينفى الفواحشَ سمعُه كأنَّ به كلِّ فاحشةٍ وَقْرَا
سليمُ دَوَاعِى الصَّدْرِ لاباسطٌ أذًى ولا مانع خيراً ولا قائلٌ هُجْرا
كمثل الفتَى الذُّهْلِىِّ تحسَبُ وجهَه إذا مابدا فى ظلمةٍ طالعاً بَدْرا

وقال لبيد بن ربيعة :

إنما يحفظُ التقَى الأبرارُ وإلى الله يستقرُّ القَرَارُ
وإلى الله تُرْجَعُونَ وعِنْدَ اللهِ وِرْدُ الأمورِ والإصدارُ
إنْ يَكنْ فى الحياة خيرٌ فقد أُنْ ظِرتَ لو كان ينفع الإنظارُ
عشْتُ دهراً فلن يدوم على الأيَّـــامِ إلَّا يَرَمْرَمٌ وتِعَارُ[٣]

وأنشدنى الأصمعىُّ قال : أنشدنى رجلٌ ، ولم يُسمِّهِ :

إذا مابَدَا عمرٌو بدَتْ منه صورةٌ تدلُّ على مكنُونِهِ حين يُقْبِلُ
بياضُ خُراسانٍ ولُكْنَةُ فارسٍ وَجُثَّةُ رُومىٍّ وشَعْرٌ مُفَلْفَلُ
لقد ألَّفَتْ أعضاءُ عمرٍو عِصابَةً يدُلُّ عليها آخِرَ القَوْمِ أوَّلُ

---

(١) كذا فى الأصل .

(٢) الأبيات نسبت فى الحماسة (٢ : ١٦) إلى سالم بن وابصة .

(٣) الأبيات فى ديوان لبيد ص ١٠ — ١٣ طبع فينا سنة ١٨٨٠ . ويرمرم وتعار بكسر التاء : جبلان فى بلاد بنى قيس . وفى الأصل : « يدمدم ويمار » تحريف .

وقالت أخت ذى الرُّمَّةِ ترثيه(١) :

تعزَّيتَ عن أوفَى بغَيلانَ بعدَه عَزاءً وجفنُ العَينِ مَلآنُ مُترَعُ
ولَمْ تُنْسِنِي أوفَى المصيباتُ بَعْدَهُ ولٰكنَّ نَكْءَ القَرْحِ بالقَرْحِ أوجَعُ

وذو الرُّمَّة القائل : «إذا قلت كأنَّ فلم أجِدْ مَخْرَجًا فقَطَعَ اللهُ لِسَانِى(٢)».

وأنشد :

لا أتَّقِى حَسَكَ الضَّغائنِ بالرُّقَى فِعْلَ الذَّليلِ ولو بَقِيتَ وحِيدا
لٰكن أعِدُّ لها ضغائنَ مِثلَها حتَّى أُداوِىَ بالحُقود حُقودا
كالخمرِ خَيْرُ دوائها منها بها تَشْفِى السَّقِيمَ وتُبْرِئُ المنجودا(٣)

فأخذ الحَكَمىُّ هذا فقال :

وكأْس شرِبْتُ على لذَّةٍ وأخرَى تداوَيْتُ منها بها(٤)

وقال ابنُ هَرْمة :

إنَّ أياديك عندى غيرُ واحدةٍ جَلَّتْ عن الوَصْفِ والإحصاء والعددِ
وليس منها يدٌ إلَّا وأنْتَ بها مُستوجِبُ الشُّكرِ مِنِّى آخِرَ الأبَدِ

وقال الآخر :

سأشكُرُ ما أبْقانىَ اللهُ خالِدًا كشُكْرِى، ولا يَدْرِى، علىَّ بن ثابتِ
حمَلْتُ عليه مُثْقِلاً فأطاقَهُ وحَمَّلَنى مِن شكرِه فوقَ طاقَتى

ورأى رجلٌ من النبيط الحجَّاج بعد موته فى منامه فقال : ياحجَّاج ،

---

(١) الشعر منسوب فى الحماسة (١ : ٣٢٨) إلى هشام بن عقبة ، يرثى أخويه : أوفى ، وذا الرمة . والتحقيق أنه لمسعود أخى ذى الرمة يرثى ذا الرمة وابن عمه أوفى بن دلهم . انظر حواشى (٦ : ٥٠٦) .

(٢) يعنى بذلك قدرته على التشبيه .

(٣) المنجود : المكروب ، والمعيى .

(٤) انظر العقد (٦ : ٣٧٨) .

إلامَ صيَّرك ربُّك ؟ فقال : وماذا عليكَ يا ابنَ الزَّانية ، فقال : ماسلِمْنا مِن قَولك مَيْتاً ، ولا مِن فِعْلك حَيًّا .

وقال الأشهب – رجلٌ من أهل الكوفة – يهجو نُوح بن دَرَّاج :

إنَّ القيامة فيما أحسَبُ اقتربت ... إذ صار حاكمنا نوحُ بنُ درّاج

لو كان حَيًّا لَهُ الحجَّاجَ ماسَلِمَتْ ... صَحيحةً يدهُ من نَقْش حَجَّاجِ

وكان الحجَّاج يَشِمُ أيدىَ النَّبَط علامةً يُعْرَفُون بها .

وقال رجلٌ من طيِّء لرجلٍ من فَزارة ، وكان الرجل يتوعّده :

فإن كان هذا يافزارُ تجلُّباً ... لنَخْشَى فما نرتاع للجلباتِ

أألآن لما أنْ علا الشَّيبُ مَفرِقى ... وصارت نُيُوب العَوْدِ مختلفاتِ

فلو أنَّ سافى الريحِ يحمِلُكم قَذًى ... لأعيُنِنا ما كنتمُ بقَذاةِ

ألستَ فزاريًّا تبيَّنُ لؤمُهُ ... إذا قام بين الأنْفِ والسَّبَلاتِ

ترى الخيلَ تستحيي إذا ماركبْتَمَ ... عليها حَياءَ البُدَّنِ الخفِرَاتِ

وقال أبو عبيدة : « ما ينبغى أن يكون فى الدُّنيا مثل النظّام : سألتُه وهو صبىٌّ عن عَيب الزُّجاج ، فقال : سريع الكَسْرِ ، بطىء الجبر » .

ومَدَحوا النَّخلةَ عِندَه ، فقال : « صعبةُ المرتقَى ، بعيدةُ المَهْوَى ، خشِنة المسّ ، قليلة الظلِّ » .

وذكر النظّام الخليلَ بنَ أحمدَ فقالَ : « توحَّدَ به العُجْبُ فأهلَكه ، وصَوَّر له الاستبدادُ صوابَ رأيه فتعاطَى مالا يحسنُه ، ورامَ مالا يناله ، وفتنَتْه دوائرُه التى لايحتاج إليها غيره[1] » .

---

(١) يعنى دوائر العروض .

وكان أبو إسحاق إذا ذكر الوهمَ لم يشكَّ فى جُنونه ، وفى اختلاط عقله . وهكذا كان الخليلُ ، وإن كان قد أحسَنَ فى شىء .

وكان[1] النظّام كثيراً ماينشد :

فلو كنت أرضَى لا أبالَكَ بالذى ... به الخامل الجَثَّامُ فى الخفْض قانع
قُصرْتُ عَلَى أدْنى الهموم وأصبحَتْ ... عَلَىَّ وعندى للرِّجال صنائعُ

وقال المَرِيسىُّ[2] لأبى الهُذيل بحضرة المأمون ، بعد كلامٍ جرى : كيف ترى هذه السِّهام ؟ قال : ليِّنة كالزُّبد ، حُلْوة كالشُّهد ، فكيفَ ترى سِهامَنا ؟ قال : ما أحسستُ بها ، قال : لأنَّها صادفَتْ جَمادا .

وأُنشِدَ أبو الهذيل :

فإذا توهَّمَ أنْ يراهَا ناظرٌ ... تركَ التَّوهُّمُ وجْهَها مَكلوما

فقال : « هذِهِ تُنَاكُ بأيرٍ من خاطر » .

وأنشدنى أبو الهذيل بعد أن أنشد هذا البيت :

اسجُدْ لقِرد السَّوء فى زمانِهِ ... ولا تُسَائِلْ عن خَبِيءِ شَانِهِ[3]

وقال آخر :

كم من كريم ضعْضَعَ الدَّهرُ حالَهُ ... وكم مِنْ لئيمٍ أصبَحَ اليومَ صاعِدَا
وقد قال فى الأمثال فى النَّاسِ واعظٌ ... بتجربةٍ أهْدَى النَّصيحةَ جاهِدا

---

(١) فى الأصل : « فكان » .

(٢) هو بشر بن غياث المريسى ، صاحب المريسية ، من مرجئة بغداد . ونسبته إلى « مريس » : قرية بصعيد مصر ، أخذ عن أبى يوسف الفقه ، فلما أظهر قوله بخلق القرآن هجره أبو يوسف . توفى سنة ٢١٨ . انظر الفرق بين الفرق ١٩٢ ولسان الميزان (٢ : ٢٩) والسمعانى ٥٢٣ — ٥٢٤ وتاريخ بغداد ٣٥١٦ .

(٣) انظر شبيه هذا الرجز فى الحيوان (١ : ٣٥٥) واللسان (٢٠ : ٣٦) .

إذا دولةٌ للقِرد جاءت فكُنْ لهُ   وذلك من حُسن المداراة، ساجداً (١)
بذاك تداريهِ ويُوشِكُ بعدَها   تَراه إلى تُبَّانهِ الرَّثِّ عائدا

وأنشدنى الأصمَعىُّ فى معنى قول الفرزدق :

* بهِ لابظبى بالصَّريمةِ أعفرا (٢) *

لرجل من بنى القَين :

أقولُ لصالحٍ لمَّا دَهَتْــهُ   بَنات الدَّهرِ وَيْحَكَ مادَهَاكا
شجاك العَزْل ، لا بأخِى نَوالٍ   منَ الفتيــان كُرْبةُ ماشجاكا
أتيتُك زائراً فرجَعتُ صِفْرًا   كذاك تكونُ أوبةَ من أتاكا
أحبُّ لك السلامة يا ابنَ أُمِّى   وإنْ كنتَ امرأ بخِلَتْ يَدَاكا
حِفاظاً للعشــيرة لا بِعُرْفٍ   فإنَّ العُرف مَنَّ بِهِ سِواكا

وقال الفرزدق :

ألا خبِّرُونى أيُّها الناس إنّنى   سألتُ ومن يَسْأَلْ عن العِلم يَعْلَمِ
سؤالَ امرئٍ لم يُغْفِلِ العلمَ صدرُه   وما العالمُ الواعى الأحاديثَ كالعَمِى

وقال أيضا :

ألم تعلموا يا آل طَوْعــةَ أنما   يَهِيجُ جَليلاتِ الأمور دقيقُها
سَأُثْنِى عَلَى سعدٍ بما قد عَلِمْتُهُ   وخير أحاديثِ الرِّجال صدوقُها (٣)]

---

(١) انظر الحاشية السابقة .

(٢) صدره كما فى الديوان ٢٤٦ :

* أقول له لما أتانى نعيه *

يخاطب مسكينا الدارمى ، وكان مسكين قد رثى زياد بن أبيه . وقبل البيت :

أتبكى امرأ من أهل ميسان كافرا   ككسرى على عدانه أو كقيصرا

(٣) إلى هنا تنتهى التكملة التى بدأت فى ص ١٤٧ .

قال أبو عثمان : ومما أكتب لك من الأخبار العجيبة[١] التى لايجسُر عليها إلا كلُّ وَقَاحٍ أخبارُ بعضِ العلماء وبعضِ من يؤلِّف الكُتب ويقرؤها ويدارس أهل العبر[٢] ويتحفَّظها .

زعموا أنّ الضبع تكون[٣] عامًا ذكراً وعاماً أنثى . وسمعتَ هذا من جماعةٍ منهم ممَّنْ لا أستجيز تسميته[٤] .

قال الفضل بن إسحاق : أنا رأيتُ العَفْص والبَلُّوط فى غصن واحد .

قال : ومن العفْص مايكونُ مثلَ الأُكَر . وقد خبَّرنى بذلك غيرُه ، وهو يشبه[٥] تحوُّلَ الأنثى ذكراً والذَّكرِ أنثى .

وقد ذكرت العربُ فى أشعارها الضِّباعَ والذِّئابَ والسِّمعَ والعِسبار ، وجميعَ الوحوش والحشرات والأحناش[٦] ، وهم أخْبَرُ الخلقِ بشأن الضَّبع ، فكيف تركَتْ ماهو أعجبُ وأطرَفُ[٧] .

وقد ذكرت العلماء الضِّباعَ فى مواضعَ من الفُتْيا لم نرَ أحداً ذكَرَ ذلك . وأولئك بأعيانهم هم الذين زعموا[٨] أن النمر الأنثى[٩] تضع فى مشيمةٍ واحدةٍ جرواً وفى عنقه أفعى قد تطوَّقَتْ به[١٠] . وإذا لم يأتِنا فى تحقيق

---

(١) فيما عدا ل: « ومما لا أكتبه لك من الأجناس العجيبة » محرف .

(٢) فيما عدا ل : « أهل البصرة » .

(٣) فيما عدا ل : « يكون » .

(٤) فيما عدا ل : « منهم من لاأستجيز تسميته » .

(٥) ل : « وهذا لايشبه » .

(٦) ل : « والأخفاش » ، صوابها ماأثبت . وفيما عدا ل: « والأجناس » .

(٧) فيما عدا ل: « وأظرف » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « يزعمون » .

(٩) ط : « النمر » س ، هـ : « النمرة » .

(١٠) انظر ماسبق فى (٤ : ٢٢٢ / ٦ : ٣٤) .

[هذه] الأخبارِ شعرٌ شائع ، أو خبرٌ مستفيض ، لم نلتفِتْ لِفْتَه[١] ، وقد أقرَرْنا أن للسَّقَنْقُور أيرَين ، وكذلك الحِرْذَون والضبّ[٢] ، حين وجَدْناه ظاهراً على ألسنة الشُّعراء وحكاية الأطِبّاء .

(خرطوم الفيل)

والخرطوم للفيل هو أنفُه ويقومُ مقام يده ومقام عنقه[٣] ، والخَرْق الذى هُوَ فيه لاينفذ ، وإنما هو وعاءٌ[٤] إذا ملأه الفيل من طعام أو ماء أولجه فى فيه[٥] ؛ لأنّه قصير العُنق لاينال ماء ولا مرعى . وإنما صار ولدُ البُخْتِيِّ من البُخْتِيّة جَزُور لحمٍ لقِصَر عنقه ، ولعجْزه عن تناوُل الماء والمرعَى .

(خرطوم البعوضة)

وللبعوضة خرطومٌ ، وهى تُشَبَّهُ بالفيل[٦] إلاَّ أنّ خرطومها أجوفُ فإذا طَعَنَ به فى جوف الإنسان والبهيمة فاستقَى به الدَّمَ من جوفه قذفت به إلى جوفها[٧] ، فهو لها كالبلعوم والحلقوم .

وللذبابة خرطومٌ تخرِجُه إذا أرادَتِ الدَّم ، وتُدْخِلُه إذا رَوِيَتْ . فأمّا

---

(١) فيما عدا ل : « لم نلتفت إليه » .

(٢) انظر مامضى فى (٤ : ١٦٣ ، ١٦٤ / ٦ : ٥٧ ، ٧٢ ، ٧٥) .

(٣) كلمة « ومقام » ساقطة من ط .

(٤) فيما عدا ل : « وإنما هو وغل » مع زيادة واو بعدها ، تحريف .

(٥) ط : « أو فى لجه فيه » ، س : « أو لحه فيه » ، هـ : « أو لجه فيه » والصواب من ل .

(٦) فيما عدا ل : « وهو أشبه بالفيل » ، تحريف .

(٧) جعل للضمير فى صدر العبارة مذكرا ، عنى البعوض ، وفى آخرها مؤنثا ، أراد البعوضة .

مَنْ سَمَّى(١) خطمَ الخنزيرِ والكلبِ والذِّئبِ خرطوما فإنما ذلك على التشبيه . وكذلك يقولون لكلِّ طويل [الخطم(٢)] قصير اللَّحيَيْن .

وقد يقال للخَطْم خرطوم [على قوله : ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾] . وأنشد [نا] ابنُ الأعرابي لفتًى من بنى عامر :

ولا أقومُ على شيخى فأشتُمُهُ ... ولا أمرُّ على تلك الخَراطيمِ

جعل سادةَ عشيرته فى النَّادى [والمجالس] كالخراطيم والمقاديم والهوادى ، وعلى ذلك قالوا : بنو فلانٍ [أنفُ بنى فلانٍ و] رؤوسُهم وخَراطيمُهم ، ومعنى العامريِّ الذى ذهب إليه فى شعره كأنَّه عظّم المشيخَة أن يمرّ بهم(٣) ، وقد قال الشاعر :

* هم الأنفُ المقدَّمُ والسَّنامُ(٤) *

والفِيلُ والببْرُ ، والطَّاوس والببْغا ، والدّجاج السِّنديُّ ، والكركدَّن ، مما خصّ الله به الهندَ . وقد عدَّد ذلك مطيعُ بن إياس ، حين خاطب جاريةً له [كانت] تسمى « رُوقَة » ، فقال :

رُوقَ أىْ رُوقَ كيف فيكِ أقولُ ... سادسنا دونى وأرمائيل(٥)

---

(١) فيما عدا ل : « يسمى » .

(٢) تكملة يفتقر إليها الكلام .

(٣) المشيخة : الشيوخ . فيما عدا ل : « الشيخة » وهى صحيحة أيضا ، جمع شيخ ، وتقرأ كعنبة وشيمة . وللشيخ جموع أخر .

(٤) لعله رواية فى بيت حسان بن ثابت :

فلا تفخر فإن بنى قصى ... هم الرأس المقدم والسنام

(٥) فيما عدا ل : « صار بيننا ورد ورمل ونيل » . وما أثبت من ل محرف أيضا . وأرمائيل : لغة فى أرمثيل ، وهى مدينة كبيرة بين مكران والديبل من أرض السند .

وبعيدٌ مَنْ بَيْنَهُ حيثُما كا نَ وبينَ الحبيب قَنْدَابيلُ(١)
[رُوقَ يا رُوقُ لو ترينَ مَحَلِّى ببلادٍ معروفها مجهولُ]
ببلاد بها تبيض الطواويـ سُ وفيها يُزاوجُ الزّندَبيلُ
وبها البَبَّغاء والصُّفْرُ والعو دُ لهُ فى ذَرَى الأراك مَقيلُ(٢)
والخموعُ العَرْجاءُ(٣) والأيِّلُ الأقْ رَنُ والليْثُ فى الغِياضِ النَّسُولُ(٤)

وقال أبو الأصلع الهندىُّ ، يفخر بالهند وما أخرجت بلاد الهند(٥) :

لقد يَعذِلُنى صحبى وما ذلك بالأمثَلْ
وفى مِدْحَتِى الهندَ وسهمُ الهنْدِ فى المَقْتَلْ
وفيه السّاجُ والعاجُ وفيه الفيلُ والدَّغْفَلْ(٦)
وإنَّ التّوتِيا فيه كمثل الجبل الأطْوَلْ
وفيه الدَّارُ صينِىٌّ وفيه ينبتُ الْفُلْفُلْ(٧)

والمتشابه(٨) عندهم من الحيوان [الفيل و] الخنزير ، والبعوضة ، والجاموس . وقال رؤبة :

ليث يَدُقّ الأسَدَ الهَمُوسَا(٩) والأَقْهَبَيْنِ الفيلَ والجاموسا(١٠)

---

(١) قندابيل : مدينة بالسند . فيما عدا ل : « وبين الحبيب بين وبيل » .

(٢) الصفر ، بالضم : ضرب من النحاس . ط ، هـ : « والصقر والعرد » س : « والصقر والعود » ل : « والصفرد والعود » ، والوجه ماأثبت . ط ، هـ : « ذرى الاياط » هـ : « ذرى الأباط » ، وأثبت ماقى ل . وذرى الأراك ، بفتح الذال : كنفه .

(٣) الخموع العرجاء ، أى الضبع .

(٤) النسول : وصف من النسلان ، وهو السرعة . فيما عدا ل : « الشبول » محرفة .

(٥) فيما عدا ل : « وما أخرجت ببلادها » .

(٦) فيما عدا ل : « وفيه العود والدغفل » . والدغفل : ولد الفيل .

(٧) ل : « وفيها منبت » .

(٨) ل : « والمتشابهة » .

(٩) الهموس : الخفى الوطء . فيما عدا ل : « الهاموسا » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (همس ، قهب) .

(١٠) الأقهب : ماكان لونه إلى الكدرة مع البياض السواد . ط ، هـ : « والأقهمين » =

(هجاء أبى الطروق لامرأته)

٥١ ولما هجا أبو الطّروق(١) الضبىُّ امرأتَه ، وكان اسمها شعفرَ(٢) [بالقُبح والشناعة فقال :

جاموسة وفيلةٌ وخَــنزرُ   وكلُّهنَّ فى الجمالِ شَعْفرُ

جعل الخنزير خَنزَرًا(٣) ، فجمعها كما ترى للتّشابه . وقال الآخر :

كأنّ الذى يَبْدُو لنا من لِثامِها   جَحافلُ عَيْرٍ أو مَشافِر فِيلِ(٤)

(شعر فى الفيل)

والفيل يوصف [بالفَقَم] ، ولذلك قال الأعرابىّ :

قد قادنى أصحَبِىَ المعَمَّمُ(٥)   ولم أكن أُخْدَعُ فيما أعْلَمُ

إذ صُفِقَ البابُ العريضُ الأعظمُ(٦)

وأُدْنِىَ الفيــلُ لنَا وترجموا(٧)

وقيل إنّ الفيلَ فِيلٌ مِرْجَمُ(٨)   خُبَعْثِنٌ قد تمَّ منه الحزمُ(٩)

= هـ : « والأفهمين » صوابه فى ل والديوان واللسان (قهب ، همس) .

(١) فيما عدا ل : « أبو طروق » .

(٢) فيما عدا ل : « سعفير » .

(٣) ل : « خنزر » وفيما عدا ل : « خنزيرات » ، والوجه ماأثبت .

(٤) فيما عدا ل : « أشافر » ، محرفة .

(٥) الأصحب : الذى يضرب لونه إلى الحمرة . وقد عنى به قائد الفيل . فيما عدا ل : « ياصاحبى المعصم » .

(٦) صفق الباب : فتحه . فيما عدا ل : « إذ يصفق الناب » محرفة .

(٧) أدنى : قرب . ط ، س : « وأذنى » محرف . ط : « له أو ترجم » س : « له أو ترحم » هـ : « له أو تزحم » ، والصواب فى ل .

(٨) المرجم : الشديد ، كأنه يرجم به . هـ : « مزجم » محرف .

(٩) الخبعثن : الضخم الشديد . ط : « خنفش » : س : « خنفش » هـ =

أجردُ أعلى الجسمِ منه أَصَحَمُ[١] يجرُّ أرحاءَ ثِقالاً تَحْطِمُ[٢]
ماتحتها من قَرْضِها وتهشِمُ[٣] وحنكٌ حينَ يُمَدُّ أفقمُ[٤]
ومشفرٌ حين يُمَدُّ سَرْطَمُ[٥] يَردُّهُ فى الجوف حين يطعَمُ[٦]
لو كان عندى سَبَبٌ أو سُلَّمُ نَجَّيتُ نفسى جاهداً لا أظلِمُ

وقال آخر :

مَنْ يركبِ الفيلَ فهذا الفيلُ إنّ الذى يركَبُهُ محمــولُ
على تهاويلَ لهــا تهويلُ كالطَّودِ إلَّا أنّهُ يجــولُ
* وأُذنٌ كأنها مِنديلُ *

وقال عمارة بن عقيل[٧] يضرب المثل بقوَّة الفِيل :

إذا أتانا أميرٌ لم يقلْ لهمُ هَيْداً وجالتْ بنا منه الأحابِيلُ[٨]

= « حنفص » والصواب فى ل . والمحزم : موضع الحزام من الدابة . ل : « المحرم » وفيما عدا ل : « المخزم » ، صوابهما ماأثبت .

(١) الأصحم : مالونه الصحمة ، وهى لون من الغبرة إلى سواد قليل . فيما عدا ل : « الضخم » تحريف .

(٢) الأرحاء : جمع رحى ، وهى تلك التى يطحن بها الحب ، شبه بها أخفافه . س : « أرخاء » وفى سائر النسخ « أرجاء » بالجيم ، والوجه ماأثبت .

(٣) ﻫ : « من قوضها » ل : « من فوقها » . فيما عدا ل : « مبهسم » بدل : « وتهشم » محرف .

(٤) الفقم : أن يخرج أسفل اللحى ويدخل أعلاه . ط ، س : « أفهم » ﻫ : « أقعم » صوابهما فى ل .

(٥) السرطم ، بفتح السين والطاء : الطويل .

(٦) فيما عدا ل : « حتى » تحريف . ﻫ : « يمطم » ط : « يعظم » صوابهما فى ل ، س .

(٧) هو عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير بن عطية بن الخطفى ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان النحويون البصريون يأخذون عنه اللغة . انظر الأغانى (٢٠ : ١٨٣ - ١٨٨) . وفيما عدا ل : « عمارة بن الوليد » تحريف .

(٨) العرب تقول : « هيد مالك » إذا استفهموا الرجل عن شأنه . فيما عدا ل : « لم يقم لهم هذا وجاءت بنامنه الأحاييل » ، محرف .

وعَضَّ مجهودنا الأقصَى وحَمَّله   مِنَ المظالم مالا يحمِلُ الفِيلُ[١]

وقال أبو دَهْبَلٍ[٢] يمدح أبا الفيل الأشعريّ :

إنّ أبا الفيل لاتحصى فضائله   قدعَمَّ بالعُرْفِ كلَّ العُجْمِ والعَرَبِ

ونظر ابن شهلة المدينيّ[٣] إلى خُرطوم الفيل وإلى غُرموله فقال :

ولم أرَ خُرطومَينِ فى جسمٍ واحدٍ   قد اعتدَلاَ فى مَشْرَبٍ ومَبال

فقد غلِط لأنّ الفيلَ لايشرَبُ بخرطومه ولكن به يُوصِلُ الماءَ إلى فمه . فشبَّه غُرمولَه بالخرطوم . وغرمولُه يشبَّه بالجَعْبة والقنْديل[٤] والبَرْبخ[٥] .

وقال المخبَّل فى تعظيم شأن الفيل :

أتهزأ مِنّى أمُّ عمرة أنْ رأت   نهارًا وليلاً بَلَّيانى فأسْرَعَا[٦] ٥٢

فإن أكُ لاقيتُ الدَّهاريسَ منهما   فقد أفْنيا النُّعْمان قبلى وتبَّعا[٧]

ولا يلبثُ الدَّهرُ المفرِّق بَيْنَهُ   على الفيل حتى يستدير فيصْرَعا

وقال مروان بن محمد وهو أبو الشَّمَقْمَق – [و] حدّثنى صديقٌ لى قال سألتُ أبا الشَّمقمقِ عن اسمه ونسبه[٨] . فقال : أنا مَرْوَان بن محمد ، مولى مروانَ بنِ محمد : –

---

(١) فيما عدا ل : « وعض مجهولنا الأفعى » .

(٢) ط : « الهذين » س ، هـ : « أبو الهذيل » ، وأثبت ما فى ل.

(٣) فيما عدا ل : « ابن أبى سلمة المدنى » .

(٤) فيما عدا ل : « والمنديل » .

(٥) ل : « الربخ » وفيما عدا ل : « النزع » ، ولعل الوجه ما أثبت.

(٦) فيما عدا ل : « أم عزة » وفيه أيضا « أبلياني » وهى صحيحتان . وشاهد المضعف قول العجير :

وقائلة هذا العجير تقلبت   به أبطن بلينه وظهور

(٧) فيما عدا ل : « فقد أبليا » .

(٨) فيما عدا ل : « وكنيته » تحريف . وقد سبقت ترجمة أبى الشمقمق فى (١ : ٢٥٥) .

ياقوم إنِّى رأيتُ الفِيلَ بعدَكُم فبارَكَ اللهُ لى فى رُؤْيةِ الفيلِ
[رأيت بيتاً له شئٌ يحرّكه فكدتُ أصنعُ شيئاً فى السراويلِ
وقالت دودةَ لأمِّها :
ياأمِّ إنّى رأيتُ الفِيلَ مِن كَثَبٍ لابارَكَ اللهُ لى فى رؤية الفيلِ]
لمّا بصُرْتُ بأيرِ الفِيل أذْهَلنى عن الحميرِ وعن تلك الأباطيلِ[١]

(خطبة بدوى فيها ذكر الفيل)

وقال الأصمعى : جَنَى قومٌ من أهل اليمامة [جناية] فأرسل إليهم السُّلطانُ جنداً من مُخاريّةِ ابن زياد[٢] ، فقام رجلٌ من أهل البادية يُذمِّرُ أصحابَه[٣] فقال : « يامعشرَ العرب ، ويابنى المحصَنات ، قاتِلُوا عَن أحسابكم ونِسائكم . والله لَئِنْ ظَهرَ هؤلاء القومُ عليكم لا يَدَعُون بها لِينَةً حَمْراءَ[٤] ، ولا نخلةً خضراء[٥] إلّا وضعُوها بالأرض . ولا أُغُرُّكم مِن نُشّابٍ معهم[٦] ، فى جِعاب كأنَّها[٧] أيور الفِيَلة ، يَنزِعُون فى قِسِيٍّ كأنّها العَتَلُ[٨]

---

(١) الأباطيل : جمع الباطل . ل : « البواطيل » وهى صحيحة فى مذهب الكوفيين الذى يجيزون زيادة الياء فى مثل هذا الجمع .

(٢) فيما عدا ل : « من غازية ابن زياد » .

(٣) التذمير والذمر : الحض والحث . فيما عدا ل : « من أصحابه » ، تحريف .

(٤) اللينة ، بالكسر : الدقل من النخل . فيما عدا ل : « فيها لبنة حمراء » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « ولا كلة خضراء » ، تحريف .

(٦) النشاب ، بالضم وتشديد الشين : السهام ، واحدها نشابة .

(٧) فيما عدا ل : « كأنه » ، تحريف .

(٨) النزع : جذب الوتر بالسهم . والعتل : جمع عتلة ، وهى الهراوة الضخمة . فيما عدا ل : « الفيل » ، تحريف .

تئط إحداهُنّ أطِيطَ الزُّرنُوق(١) ، يَمْغَطُ أحدُهم فيها حتى يتفرّق شعرُ إبطَيْه(٢) ، ثم يُرْسِل نُشَّابةً كأنها رِشاءٌ منقطع(٣) ؛ فما بينَ أحَدِكم وبين أن تفضخ عينه(٤) أو يُصدَع قلبُه منزلةٌ » .

قال : فخلَعَ قلوبَهم فطارُوا رُعْبًا .

(الزندبيل)

قالوا : الفِيَلة ضربانِ : فيلٌ وزندبيل . وقد اختلفوا فى أشعارهم وأخبارهم . فبعضهم يقول كالبُخْت والعراب ، والجواميس والبقَر ، والبَراذين والخيل ، والفأر والجِرذان ، والذّرّ والنمل . وبعضهم يقول : إنما ذهبوا إلى الذَّكرِ والأُنثى .

قال خالدٌ القَنَّاص ، فى قصيدته تلك المزَاوَجَةِ [والمخمَّسة] ، التى ذكر فيها الصَّيد(٥) فأطنَبَ فيها ، فقال حينَ صار إلى ذِكْر الفيل :

ذاك الذى مِشفَرُهُ طويلُ　　وهو من الأَفيال زَنْدَبيلُ

---

(١) الزرنوق : واحد الزرنوقين ، وهما دعامتا البئر . فيما عدا ل : « الزربوق » محرفة .

(٢) يقال معط الوتر يمعطه ، بفتح العين المهملة ، ومغطه بفتح الغين المعجمة ، أى أغرق فى نزعه ، ويقال فيه أيضا مخطه يمخطه . فيما عدا ل : « يمعط » بالمهملة وهما صحيحتان . وفيما عدا ل : « حتى يعرق شعر إبطيه » .

(٣) الرشاء : الحبل . فيما عدا ل : « رشأ » محرف .

(٤) الفضخ : كسر كل شىء أجوف ، نحو الرأس والبطيخ . والكلمة محرفة فى الأصل : فى ل : « تفضح » بالحاء المهملة ، وفيما عدا ل : « تنضح » ، والوجه ماأثبت .

(٥) فيما عدا ل : « الضبة » ، تحريف ، ولعل سبب التحريف كلمة « فيها » التالية فإن الضمير فيها القصيدة لا لشىء آخر .

فذهب إلى العِظَم[1] . [وقال الذَّكوانى :

* وفيلة كالطَّوْدِ زندبيل *]

وقال الآخر :

* مِن بين فِيلاتٍ وزَنْدَبِيلِ[2] *

فجعل الزَّنْدَبِيل هو الذكر . وقال أبو اليقظان[3] سحيم بن حفص[4] : إنّ الزَّنْدَبيلَ هو الأُنثى . فلم يقِفُوا مِن ذا على شىءٍ[5] .

(الجنّ والحن)

وبعض النّاس يقْسِم الجنَّ على قِسْمين فيقول : هم[6] جِنّ وحِنّ ، ويجعل التى بالحاء أضعفَها . وأما الرّاجزُ[7] فقال :

أَبِيتُ أَهْوِى فى شَيَاطِينَ تُرِنّْ مُختلفٍ نَجْرَاهُمُ جِنٌّ وحِنّ[8] ٥٣

ففرق هذا بين الجنسين .

---

(١) فيما عدا ل : « الفطس » تحريف .

(٢) الفيلات : جمع فيلة ، وهى أنثى الفيل . فيما عدا ل : « فيلان » محرف .

(٣) ط : « أبو يقطان » ، صوابه فى ل ، س . وفى هـ : « أبو يقظان » . وانظر ماسبق فى حواشى (٢ : ١٠) .

(٤) هذا ماذكره الجاحظ أيضا فى (٢ : ١٥٥ / ٣ : ٢١١) . وانظر للخلاف فى اسمه ماسبق فى (٢ : ١٠) .

(٥) فيما عدا ل : « من ذلك على شىء » .

(٦) بدلها فيما عدا ل : « فيكون » ، تحريف .

(٧) الرجز للمهاصر بن المحل ، كما فى اللسان (١٦ : ٢٨٩) . وانظر ماسبق فى (٦ : ١٩٢) .

(٨) النجر : الطبع والأصل والشكل والهيئة . ط ، هـ : « نجراهم » ، وهى رواية اللسان . وفى س : « نجوهم » .

(الناس والنسناس)

وسمع بعضُ الجهّال قولَ الحسَن: « ذهبَ النّاسُ وبَقِيتُ فى النّسناس » فجعَلَ النّسناس جنساً على حِدَة . وسمع آخرون [هم] أجهلُ من هؤلاء قولَ الكميت : * نِسناسهم والنَّسانسا *

فزعموا أنَّهمْ ثلاثةُ أجناسٍ : ناس ، ونِسْناس، ونَسانِسُ [١] هذا سوى القول فى الشِّق ، وواق [واق] ، وذوال باى [٢] ، وفى العُدَار [٣] ، وفى أولاد السَّعالِى من الناس ، وفى غير ذلك مما ذكرناه فى موضعه من ذكر الجنّ والإنس .

وقد علم أهلُ العقلِ أنّ النّسناس [إنما] وقَعَ على السِّفْلة والأوغاد والغَوْغاء ، كما سمّوا [الغوغاء] الجراد إذا ألقَى البيضَ وسخُف وخَفّ وَطار [٤] .

(هياج الفيل)

قال : وإذا اغْتَلَمَ الفيلُ قَتَلَ الفِيَلَة والفيّالين وَكلَّ مَن لقِيَه من سائر النّاس ، ولم يقمْ له شيءٌ ، حتى لا يكونُ لسُوَّاسِه هَمٌّ إلّا الهرَبُ ، وإلّا الاحتيالُ لأنفسهم .

---

(١) النسناس : بفتح النون ويكسر . أما النسانس ، بفتح أوله ، فهم الإناث من النسناس ، أوهم أرفع قدرا ، أوهم يأجوج ومأجوج ؛ أو خلق على صورة الناس وخالفوهم فى أشياء وليسوا منهم . انظر القاموس .

(٢) فيما عدا ل : « والزوال » . وانظر ماسبق فى (١ : ١٨٩) .

(٣) فى القاموس (عدر) : « وكغراب : دابة تنكح الناس باليمن ، ونطفتها دود . ومنه ألوط من عدار » . ط ، س : « فى أولاد العراق » ، هـ : « فى العراق » . صوابهما فى ل .

(٤) ل : « وطاش » .

وتزعُم الفُرس أنّ فِيلاً من فِيَلة كِسرى اغتلمَ ، فأقبَلَ نحوَ النّاس فلم يقمْ له شيءٌ ، حتى دنا من مَجلس كِسرى فأقشَعَ عنه جُندُه[1] ، وأسلمتْهُ صنائعُه ، وقَصَد إلى كسرى ولم يبقَ معه إلاّ رجلٌ واحدٌ من فرسانِه[2] كان أخصَّهم به حالاً ، وأرفعَهم[3] مكاناً . فلمّا رأى قُرْبَه[4] من الملك شَدّ عليه بِطَبْرَزِينٍ[5] كان فى يده فضرَبَ به جبهتَه ضربةً غابَ لها جميعُ الحديدة[6] فى جبهته ، فصدَفَ عنها[7] وارتدع ، وأبَى كِسرَى أن يزُولَ من مكانه ، فلمّا أيقَنَ بالسّلامة قال لذلك الرجل : ما أنا بما وَهَبَ اللهُ لى من الحياةِ على يدك[8] بأشدَّ سروراً منّى بالذى رأيتُ من هذا الجلَد والوفاء والصَّبْر[9] فى رجلٍ من صنائعى[10] ، وحين لم تخطئْ فِرَاسَتى ، ولم يَفِلْ رأيى[11] فهل رأيت أحداً قطُّ أشدَّ منك ؟ قال : نعم . قال : فحدِّثْنى عنه . قال : عَلَى أن تؤمِّننى . فأمّنه فحدَّث عن بَهْرام جُوبين[12] بحديثٍ شقَّ على الملِك وكرِهَه ، إذْ كان عدُوَّه على تلك الصِّفة .

---

(١) أقشعوا : تفرقوا ، كانقشعوا وتقشعوا . فيما عدا ل : « فانسع عنه جنده » تحريف .

(٢) ط ، ﻫ : « من فرسانهم » .

(٣) ط فقط : « وأرفقهم » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « فلما قرب » .

(٥) الطبرزين : فأس يعلقها الفارس فى سرج جواده . انظر المعرب للجواليقى ١٩٤ وأدى شير ١١١ . وفى معجم استينجاس : « تبرزين : A battle-axe (usually fixed to the saddle) . أى فأس القتال ، وهى تعلق عادة فى السرج .

(٦) فيما عدا ل : « الحديد » .

(٧) فيما عدا ل : « عنه » .

(٨) فيما عدا ل : « مما وهب الله لى من الحياة على يديك » .

(٩) فيما عدا ل : « والظفر » .

(١٠) فيما عدا ل : « صنائعنا » .

(١١) فال رأيه يفيل فيالة وفيولة : أخطأ وضعف . ل : « ولم يزل رأيى » ، تحريف .

(١٢) ط ، ﻫ : « سوبين » س : « سومن » بالإهمال . وأثبت ما فى ل . وفى =

قال : إذا اغتَلَمَ الفِيلُ وصَالَ وغَضِبَ وخَمِطَ(١) خلاَّهُ الفيَّالون والرُّوَّاضُ ، فربَّما عادَ وحشيًّا .

(أهليُّ الفيلة ووحشيُّها)

والفيلة من الأجناس التي يكون فيها الأهليُّ والوحشيّ ، كالسّنانير والظِّباء والحمير وما أشْبَهَ ذلك . وأنشد الكِرمانيّ لشاعر المُولْتانِ(٢) قولَه :

فـكنتَ فى طلبى مِنْ عندِه فرَجًا
كراكب الفيل وَحْشِيًّا ومُغْتَلِمَا(٣)

وهذه القصيدة [هى] التى يقول فيها :

قد كنت صَعَّدْتُ عن بُغْبُورُ مغترِباً حتى لقيت بها خِلْفَ النَّدَى حَكَمَا(٤)

٥٤ قَرْمٌ كأنَّ ضيـاءَ الشَّمْسِ سُنَّتُـه
لو نَـاطَقَ الشَّمْسَ ألقَتْ نحـوه الـكَلِمَا(٥)

= التنبيه والإشراف ٨٩ عند ذكر ملوك الساسانيين : « والعشرون هرمز بن أنو شروان ، ملك اثنتى عشرة سنة ، وخالف عليه بهرام جوبين الرازى ، فآل ذلك إلى أن سمل هرمز . ولا يعلم فيمن قبله وبعده من ملوك الفرس من سمل غيره ». وانظر التنبيه والإشراف ص ١٣٣ ومعجم استينجاس ٢١١ . وفى الاشتقاق ٢٣١ « بهرام شوبين » .

(١) خمط : مثل غضب وزنا ومعنى . ل : « وخبط » .

(٢) المولتان ، سبق القول فيها فى ص ٧٥ . ط ، « لمومان » س : « المولمان » هـ : « المومان » ، صوابها ما أثبت من ل .

(٣) فيما عدا ل : « من عنده كرما » .

(٤) بغبور ، بضم أوله : لقب ملك الصين ، كما فى القاموس . ط ، هـ : « يعبور » ، صوابه فى ل . وصدر البيت ساقط من س .

(٥) ل : « قرما » . والسنة ، بالضم : الوجه ، أو حره ، أو دائرته ، أو الجبهة والجبينان .

(خصائص كسرى)

وتقول الفُرْس : أُعْطِيَ كسرى أبْرَوِيزَ[١] ثمانِ عشْرَةَ خَصْلةً لم يُعطها ملكٌ قطّ[٢] ولا يعطاها أحدٌ أبداً ؛ من ذلك [أنّه] اجتمعَ له تِسْعُمائة وخمسون فيلاً ، وهذا شيءٌ لم يجتمعْ عندَ ملكٍ قطّ . ومن ذلك أنّه أنْزَى الذُّكورةَ على الإناث ، وأنّ فِيلةً منها وضعَتْ عنده ، وهي لاتتلاقح[٣] بالعراق ، فكانت أوّل فِيلةٍ بالعراق وآخِرَ فيلةٍ تضع .

قالوا : ولقِيَ رُسْتَمُ الآزَرِيّ[٤] المسلمين يوم القادسيّة ومعه [من الفيلة] عشرون ومائة فيل ، [وكنّ] من بقايا فِيَلة كِسرى أبرويز[٥] .

قالوا : ومن خصاله أنّ النّاس لم يَرَوْا قط أمَدَّ قامةً ، ولا أتمَّ ألواحًا ولا أبرَعَ جمالا منه ، فلما مات فرسُهُ الشَّبْدِيز[٦] كان لايحمله إلّا فِيلٌ من فِيَلته ، وكان يجمع وَطاءةَ[٧] ظَهْر الفِيل وثَبات قوائمه ، ولِينَ مِشيته وبُعْدَ خَطوِه ، وكان ألطفَها بدَناً ، وأعدلها جسما[٨] .

---

(١) ل : « أبرواز » وهي إحدى لغات تعريبه . وأبرويز ، بكسر الواو وفتحها .

(٢) فيما عدا ل : « ملك مضى » .

(٣) فيما عدا ل : « لاتتناتج » .

(٤) الآزرى : نسبة إلى آزر ، كهاجر ، وهي ناحية بين الأهواز ورامهرمز . انظر القاموس (أزر) ومعجم البلدان (١ : ٥٧) والتنبيه والإشراف ٧٦ . فيما عدا ل : « الأدنى » تحريف .

(٥) ل : « أبرواز » . وانظر ما مضى في التنبيه الأول من هذه الصفحة.

(٦) ل : « الشبذار » وفيما عداها : « الصيد » ، صوابه ما أثبت من معجم استينجاس ٧٣١ . قال ماتفسيره : « اسم فرس مشهور لكسرى » .

(٧) س : « وطا » ، وفي سائر النسخ : « وطاء » ، والوجه ما أثبت .

(٨) فيما عدا ل : « ألطفها لدنا وأعدلها خيما » ، تحريف .

(أكثر خلفاء المسلمين فيلة)

قالوا : ولم يجتمع لأحدٍ من ملوك المسلمين[١] مِن الفِيَلة ما اجتمع عندَ أمير المؤمنين المنصور ، اجتمعَ عنده أربعون فيلا ، فيها[٢] عشرون فحلاً .

(شرف الفيل)

قالوا : والفِيل أشرَفُ مراكب الملوك ، وأكثرُها تصرُّفاً ، ولذلك سأل وَهْرِز الأسْوارُ[٣] عن صاحبِ الحبشة ، حين صافَّهم في الحرب ، فقيل له : هاهو ذاكَ على الفيل . فقال : لا أرميه [وهو على مركب الملوك[٤]] . ثم سأل عنه فقيل له : قد نزل عنه ورَكِبَ الفرَس . قال : لا أرميه وهو على مركب الحُمَاةِ . قيل : قد نزَل عنه وركب الحمار . قال : قد نزل عن مَرْكبِه لِحمارٍ ! فدعَا بعِصابةٍ رَفَع بها حاجِبَيْه — وكان قد أسنَّ حتى سقط[٥] حاجباه على عينيه — ثم رماه فقتلَه .

(ذكاء الفيل)

وكان سهلُ بنُ هارونَ يتعجَّبُ مِنْ نَظَر الفيلِ إلى الإنسان ، وإلى كلّ شيء يمرّ به[٦] . وهو الذى يقول :

ولمَّا رأيتُ الفيلَ ينظُرُ قاصداً ... ظننْتُ بأنّ الفيلَ يلزمُه الفرضُ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « الإسلام » .
(٢) فيما عدا ل : « منها »
(٣) الأسوار ، بالضم والكسر : قائد الفرس . فيما عدا ل : « والذلك » .
(٤) هذه التكملة من ل ، س . وكلمة « هو » ليست في س . وانظر البغال ٣٤٦ .
(٥) فيما عدا ل : « سقطت » ، تحريف .
(٦) فيما عدا ل : « إلى كل مايمر به » .
(٧) لعله يعنى أنه موضع للتكليف والمطالبة بالفرض . س : « العرض » .

قال أبو عثمان : وقد رأيتُ أنا فى عَين الفِيل من صحّة الفَهْم والتأمُّلِ إذا نظرَ بها ، و [ما] شبهت نظرَه إلى الإنسان [إلاّ] بنظرِ ملكٍ عظيم الكِبْر راجح ِالحِلم . وإذا أردْتَ أن ترَى من الفيل ما يُضحِك ، وترَاهُ فى أسخَفِ حالاته [وأجهلِهِ] فألق إليه جوزةً ، فإنّه يريد أن يأخذ[١] بطرَف خُرطومِه ، فإذا دنا منها تنفَّسَ ، فإذا تنفَّس طارت الجَوزة من بين يديه ، ثم يدنو ثانيةً ليأخذَها فيتنفسُ أخرى ، فتبعد [عنه] ، فلا يزال ذلك دأبَه .

(فضله فى الحرب)

قالوا : ويفضُل الفيلُ الفرسَ فى الحرب أنّ الفيل يحمِى الجماعة كلهم ، ويقاتل ويَرمِي ويزجّ بالمزاريق[٢] ، وله من الهول ماليس للفرسِ[٣] ، وهو أحسن مطاوعةً ، ولا يُعْرَفُ بجماحٍ ولا طِماحٍ ولا حِران .

والخيولُ العِتاقُ ربَّما قتلَت الفُرسانَ بالحِرانِ مَرَّةً وبالإقدام مَرّة ، ٥٥
وبسُوء الطّاعة وشدّة الجزع ، وربَّما شبَّ الفرسُ بفارسه حتى يلقِيَه بين الحوافر والسُّيوف ، للسَّهم يصيبه والحجرِ يقع به[٤] .

وما يُشبه ظهرُ الفرَسِ مِن ظهره ، وظهرُ الفيل منظرةٌ من المناظر[٥] ومَسْلَحَةٌ من المسالح .

---

(١) فيما عدا ل : « فإنه يأخذها » .
(٢) المزراق : رمح قصير . فيما عدا ل : « المذاريق » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « وليس له من الهول ماللفرس » ، وهو عكس مايريد .
(٤) فيما عدا ل : « لسهم يصيبه ولحجن يقع به » .
(٥) فيما عدا ل : « قنطرة من القناطر » ، تحريف .

(عمر الفيل)

وفى الفِيَلةِ عجبٌ آخَرُ ، وذلك أنّ قِصَر الأعمارِ مقرونٌ بالإبلِ والبراذين وبكلِّ خَلْقٍ عظيم . وكلُّ شىء يعايشُ النَّاسَ فى دُورهم وقُراهم ومَنازلهم فالناس أطولُ أعماراً منها ، كالجمل ، والفَرَس والبرذَوْن ، والبغل والحِمار ، والثَّوْر والشَّاة ، والكلْب والدَّجاج ، وكلٍّ صغيرٍ وكبيرٍ ؛ إلاّ الفيل فإنّه أطولُ عمراً .

والفيلُ أعظم مِن جميع الحيوان جسماً وأكثرُ أكلاً ، وهو يعيشُ مائة السنة ومائتى السَّنة [١] .

وزعم صاحبُ المنطق فى كتاب الحيوان أنّه قد ظهَرَ فيلٌ عاش أربَعمائة سنة . فالفيل فى هذا الوجه يشارك الضِّباب والحيَّات والنُّسُور ، وإذا كان كذلك فهو فوقَ الوَرَشان وعَيْر العانة — وهو من المعمَّرين وفوقَ المعمَّرين — وهو مع ذلك أعظم الحيوان [٢] بدنًا ، وأطولُها عمراً .

(الأسد والفيل)

وقال بعض من يستفهم ويحب التَّعلمَ [٣] : مابال الأسد إذا رأى الفيلَ عَلِم أنَّه طعام له ، وإذا رأى النَّمر والبَبْر لم يكونا عنده كذلك ؟ وكيف وهو

(١) فيما عدا ل : « المائة سنة والمائتى سنة » بتعريف العدد وتنكير المضاف إليه ، وهو وجه جائز مع قبح ، حكاه ابن عصفور . قال الخفاجى فى شرح درة درة الغواص (١٣٥) : « ووقع فى صحيح البخارى : وأتى بالألف دينار » . ونقل الخفاجى عن التسهيل : « إذا قصد تعريف العدد أدخل حرفه على الآخر إن كان مضافا ، أو عليهما شذوذا لاقياسا ، خلافا للكوفيين » . فما أثبت من ل هو الوجه المرتضى .

(٢) فيما عدا ل : « أطول الحيوان » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « العلم » .

أعظمُ وأَضْخَم وأشْنَع وأهْوَل ؟ فإن كانَ الأسدُ إنما اجترأ عليه لأنّه [من] لحمٍ ودمٍ ، واللّحْمُ طعامُه والدَّم شرابُه ، فالببر والنَّمر من لحمٍ ودم ، وهما أقلُّ من هؤلاء وأقمأ جسما .

قال القوم : ومَتَى قَدَّرَ الأسدُ فى الفيل أنه إذا قاتله غلبه ، [وإذا غلبه قَتله] ، وإذا قتلَه أَكلَه ؟ وقد نَجِدُ البَبْرَ فوقَ الأسد وهو لايعْرِض له ، والأسد فوق الكلب وهو يشتهى لحمه ، و [يشتهى] لحم الفهد[١] بأكثر مّما يشتهى لحمَ الضَّبع والذئب ، وليست علَّته المواثبة[٢] التى ذهبتم إليها .

(معرفة الحيوان)

فأمَّا عِلْم جميعِ الحيوانِ بمواضع ما يُعيشها[٣] ، فَمنْ علّم البعوضةَ أنّ مِن وراء[٤] ظاهرِ جلد الجاموس دَمًا ، وأنّ ذلك الدمَ غذاءٌ لها ، وأنّها مَتَى طعنَتْ فى ذلك الجلدِ الغليظ الشَّثْن[٥] ، الشديد الصُّلبِ ، أن خرطومَها ينفذ فيه على غير مُعاناة[٦] . ولو أن رجلا منَّا طعَنَ جلدَه بشوكةٍ لانكسرت الشَّوكةُ قبل أن تصل إلى موضع الدم . وهذا بابٌ يُدْرَك بالحسِّ وبالطّبع وبالشبه وبالخِلْقة[٧] . والذى سخّر لخرطوم البَعوضةِ جلدَ الجاموس ، هو الذى سخَّر الصخرةَ لذنَب الجرادة ، وهو الذى سخَّر قمقُمَ النُّحاس لإبرة العقرب[٨] .

---

(١) فيما عدا ل : « القنفذ » ، تحريف . وانظر لولوع الأسد بلحم الفهد ماسبق فى (٤ = ٢٢٨ / ٦ : ٤٨١) .

(٢) فيما عدا ل : « تحله المواثبة » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « بالمواضع التى تعيشها » .

(٤) فيما عدا ل : « أن بين » .

(٥) الشثن : الغليظ . ل فقط : « المتين » .

(٦) فيما عدا ل : « من غير معاناة » .

(٧) ل : « وبالبنية والخرقة » ، تحريف .

(٨) انظر ماسبق فى (٥ : ٥٥٠) .

(علة عدم تلاقح الفيلة بالعراق)

وقال بعض خصماء الهند (١) : لوكانت الفيَلة لاتتلاقَحُ عندنا بالعِراق لأنها هنديَّة لتغيُّر الهواءِ والأرض ، فعَقَر ذلك أرحامَها ، وأعْقَمَ أصلابَها
٥٦ لـكان ينبغى للطواويس أن لاتتزَاوج عندنا(٢) ولا تبيض ولا تُفرخَ(٣) . ونحن قد نَصيد البلابِل والدباسىّ(٤) ، والوراشين ، والفواخت والقَمارىَّ [والقَبَجَ] والدُّرَّاج ، فلا تتسافَدُ عندنا فى البيوت ، وهى من أطيار بساتيننا وضِياعنا ، ولا تتلاقَحُ إذا اصطَدْناها [كرارزة(٥)] ، بل لاتصوِّت ولا تغنِّى ولا تَنُوح ، وتبقى عندَنا وحشيّةً كمِدةً ماعاشت ، فإن أخذْناها فراخاً زاوَجَتْ وعَشَّشتْ وباضت وفرّخت ، فلعلَّـكم أن تـكونوا لو أهديتم إلينا(٦) أولادَها صغاراً فنشأت عندنا وذهب عنها وحشة [الخَلاء ، وجدَتْ] أُنسَ الأهلىّ ؛ فإنَّ الوحشة هى التى أكْمَدَتْها ، ونقضَتْ قوّتَها(٧) ، وأفنت شهْـوَتَها .

---

(١) خصماء : جمع خصيم ، وهو المخاصم . فيما عدا ل : « بعض الحـكماء » وليست بشىء .

(٢) فيما عدا ل : « للطاوس أن لايتزاوج عندنا ».

(٣) فيما عدا ل : « وأن لايبيض ولا يفرخ » .

(٤) الدباسى : جمع دبسى ، وهو ضرب من الحمام سبق الـكلام عليه فى (١ : ١٩٤ ، ٢٨٨ / ٣ : ٢٠١ ، ٢٤٣) . فيما عدا ل: « الدناسى »، تحريف .

(٥) الـكرارزة : جمع كرز ، بضم الـكاف وتشديد الراء ، وهو من الطير الذى قد أتى عليه حول .

(٦) فيما عدا ل : « إليها »، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ونقصت » بالمهملة .

(وفاء الشفنين)

وقد نجِد الشِّفْنينَ الذَّكرَ تهلِكُ أنثاه فلا يُزاوِج غيرَها أبداً ، في بلادها كان ذلك أوفى غير بلادها . ونحن لو جِئْنا بالأُسْد والذِّئاب والنُّمور والبُبُور فأقامَتْ عِندنا الدَّهرَ الطَّويلَ لم تتلاقح .

(قصة الذئب والأعرابى)

وقد أصاب أعرابىٌّ جروَ ذئبٍ فربّاه ورجَا حراستَه وأن يألفَه ، فيكونَ خيراً [له] من الكلب ، فلما قوِىَ وثب على شاةٍ له فأكلها [١] ، فقال الأعرابى :

أكلْتَ شُوَيْهَتِي ورَبِيتَ فينا فما أدراك أنَّ أباكَ ذِيبُ [٢]

(تسافد حمير الوحش)

وقد تتسافد عندنا [حمير الوحش [٣]] . وقد تلاقحتْ عندَ بعض الملوك .

(تلاقح الظباء فى البيوت)

وكان جعفرُ بنُ سليمانَ أحضَرَ على مائدته بالبَصرة يوم زارَهُ الرّشيدُ ألبانَ الظّباء وزُبْدَها وسِلاها [٤] ولبَأها ، فاستطاب الرشيدُ جميعَ طُعومِها

(١) ل : « على جمل له فأكله » ، والشاهد يأباه . وقد سبقت القصة فى (٤ : ٤٨ / ٦ : ٢٤) . وانظر ثمار القلوب ٣١٢ وعيون الأخبار (٢ : ٥) وجمهرة العسكرى ١٣٨ وغرر الخصائص ٥٥ ومحاضرات الراغب (١ : ١٢٢) وأمثال الميدانى (١ : ٤١) والمحاسن والمساوى للبيهقى (١ : ٩٦) .

(٢) فيما عدا ل : « وربيت عندى فما أدراك » .

(٣) موضع هذه التكملة بياض فى س .

(٤) أراد السلاء ، وهو بالكسر والمد : السمن ، والجمع أسلئة .

فسأل عن ذلك[١] وغَمَزَ جعفرٌ بعضَ الغِلمان فأطلَقَ عن الظِّباء ومَعَها خِشْفانُها[٢] ، وعليها شُمُلُها[٣] ، حتى مَرَّتْ فى عَرْصةٍ تُجاهَ عينِ الرَّشيد ، فلما رآها على تلك الحال وهى مقرَّطة مخضَّبة[٤] استخفَّه الفرح والتعجُّب[٥] حتى قال : ماهذه الألبان ؟ وما هذه السُّمْنان واللِّبأ والرَّائب والزُّبد الذى بينَ أيدينا ؟ ! قال : مِن حَلَبِ هذه الظِّباء أُلِّفَتْ[٦] وهى خِشْفانٌ فتلاقحتْ وتلاحقت[٧] .

(استنتاج الذئاب والأسد بالعراق)

ولو أطلقوا الذِّئابَ والأُسْد فى مُرُوجِ العراق ، وأقاموا لها حاجاتِها لتسافدَتْ وتلاقحت . فلعلَّهم لو تقدَّموا فى اصطناع أولاد الفِيَلة واقتنائها صغاراً أن تأنس[٨] حتى تتسافَدَ وتتلاقح .

وقد زعمتم أنَّ كسرى أبرويز[٩] استنْتج دَغْفَلاً واحداً[١٠] .

---

(١) ل : « فاستطاب الرشيد جميع ذلك » .

(٢) الخشفان : أراد به جمع خشف ، وهو ولد الظبية . والمعروف فى هذا الجمع « خشفة » كقردة . وقد سبق استعمال الجاحظ للخشفان فى (٤ : ٤٢٨ س ٢) .

(٣) الشمل : جمع شمال ، ككتاب ؛ وهو شىء كخلاة يغطى به ضرع الشاة إذا ثقلت . فيما عدا ل : « سملها » تحريف .

(٤) مقرطة : ذات أقراط ، ه : « مفرطة » ، تحريف . وفيما عدا ل : « مخصية » .

(٥) فيما عدا ل : « استخفه الطرب » .

(٦) فيما عدا ل : « اقتنيت » .

(٧) ط ، س : « فتسافدت وتلاقحت » ه : « فتلاحقت وتلاحقت » ، وأثبت ما فى ل .

(٨) فيما عدا ل : « لم تلبث » .

(٩) ل : « أبرواز » . وانظر ماسبق فى حواشى ص١٨١ .

(١٠) الدغفل : ولد الفيل ، وهو بفتح الدال والفاء .

(احتجاج الهندى)

قال الهندىّ : تكفينا هذه الحُجَّة ، وهى بيننا وبينكم . أوَ ليس قد جَهد فى ذلك جميعُ الملوك من جميع الأمم فى قديم الدهر ، فلم يستنتجوا إلا واحدا . وعلى أنَّ[1] هذه الأحاديثَ من أحاديث الفُرْس ، وهم أصحاب نَفْجٍ وتزيّد[2] ولا سيَّما فى كلِّ شىء ممـا [يدخل] فى باب العصبيَّة ، ويزيد فى أقدار الأكاسرة ، وإن كانوا كذلك فهم أظِنَّاءُ[3] ، والمتهم لاشهادة له[4] .
ولكن هل رأيتم قطُّ هندياً أقرَّ بذلك ، أو هل أقرَّت[5] بقايا [سائر] ٥٧
الأمم للفرسِ بهذا الأمر للفيلِ المعروفِ بهذا الاسم[6] .

(استطراد لغوى)

ويقال رجل فيلٌ إذا كان فى رأيه فِيَالة ، والفِيَالة : الخطأ والفساد . وهم يسمُّون الرَّجُلَ بفيل . منهم فِيلٌ مولى زِياد . ويكنون بأبى الفيل ، منهم أبو الفِيل الأشعرىّ الذى امتدحه أبو دَهْبَل[7] . وقال : الرَّاجز غَيْلان

---

(١) فيما عدا ل : « واعلم أن » :

(٢) النفج : الفخر والكبر . ط ، س : « نفخ » هـ : « نقع » ، صوابهما فى ل .

(٣) أظناء : جمع ظنين ، وهو المتهم الذى تظن به التهمة . فيما عدا ل : « أطباء » تحريف .

(٤) ط ، هـ : « وأئمتهم لاشهادة له » س : « وأيمنهم لاشهادة له » ، صوابهما من ل :

(٥) فيما عدا ل : « أم هل أقر » .

(٦) مابعد كلمة « الأمر » إلى هنا ساقط من ل . والكلام بعد هذه الكلمة إلى : « أضحى » فى ص ١٩٠ ليس فى ل . وقد سبق متصلا بكلام آخر فى التكملة التى مضت فى ص ٨١ - ٨٥ .

(٧) سبقت ترجمته فى (٤ : ١٠) س ، هـ : « أبو ذهيل » ، تحريف .

يقال له راكبُ الفِيل : ومنهم عَنْبَسة الفيل ، وكذلك يقال لأبيه مَعدَان. وله حديث . وقال الفرزدق :

لقد كان فى مَعْدانَ والفيلِ زاجرٌ   لعَنْبسةَ الرّاوِى علىَّ القصائدَا

وقال الأصمعىّ : إذا كان الرجلُ نبيلاً جباناً قِيلَ هذا فِيلٌ ، وأنشد :

يقولون للفِيلِ الجبان كأنّه   أزبُّ خَصِىٌّ نَفَّرتْهُ القَعاقِعُ

وقال سَلمة بن عَيَّاش[1] : قال لى رؤبة : « ماكنتُ أرَى فى رأيك فِيالة » . ويقول الرَّجلُ لصاحبه : لم يَفِلْ رأيُك . وهو رأىٌ فائل ، ورجلٌ فِيل . وبالكوفة بابُ الفيل ، ودار الفِيل فى السبابجة[2] ، وكذلك حمَّام فيل ؛ وفى حمَّام فِيل يقول بعضُ السَّلَف :

لَعمْرُ أبيكَ ما حمَّامُ كِسرَى   على الثلثينِ من حمَّامِ فِيلِ

[وقال الجارود بن أبى سبرة[4]] :

وما إرْقاصُنا خَلْفَ المَوالِى   كسنَّتنا على عهد الرّسولِ[5]

وأبو الفيل محمد بن إبراهيم الرافقىّ[6] كان فارس أهل العراق . وفِيلويه السّقطى هو الذى كان يُجرى لأمّه كلَّ أضحى دِرهما . فحدثتنى امرأةٌ قالت قلتُ لأمّ فِيلُويَهْ : أوَ ما كان يجرى فِيلويَه فى كلِّ أضْحَى إلا درهمًا ؟ قالت : إى والله ، و ربّما أَدْخلَ أضْحى فى أَضحى !

---

(١) فى الأصل : « سلمة بن عباس » ، تحريف . وقد سبقت ترجمته فى ص ٨٢ .

(٢) سبق الكلام على « السبابجة » فى حواشى ص ٨٣ . هـ : « السابجة » ط : « الساحة » س : « بالسابجة » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصل : « على البانين » ، صوابه مما سبق فى ص ٨٤ .

(٤) التكملة مما سبق فى ص ٨٤ .

(٥) فى الأصل : « ولم أر قاصيا خلف الموالى كنسبتنا » ، تصحيحه مما سبق فى ص ٨٥ .

(٦) فى الأصل : « الرافعى » ، تحريف . وانظر ماسبق فى ص ٨٥ .

(مثالب الفيل)

وقال بعضُ من يخالف الهند : الفيل لا يُنْتَفع بلحمه ولا بلبَنه ، ولا بسمْنِه ولا بزبده ، ولا بشَعره ولا بوَبَره ولا بصوفه ، عظيم المؤُونة في النفقَة [١] ، شديد التَّشزُّن على الرُّوَّاض [٢] ، [و] إن اغتلم لم تفِ جميعُ منافعه في [جميع] دهرِه بمضرَّة ساعةٍ واحدة . وهو مرتفعٌ في الثمن ، وإن أخطئوا في تدبير مَطعَمِه وَمَشربه ، وتعلُّمه وتلقنه [٣] هلَكَ سريعا ، ولا يتصرَّف كتصرُّف الدَّوابّ ، ولا يُركَب في الحوائج والأسواق [٤] و [في] الجنائز والزِّيارات . ولو أنَّ إنسانا عادَ مريضًا أو اتَّبع جنازةً على فِيلٍ لصارَ شُهرةً ، وتركَ الميِّتَ آية .

(رؤيا الفيل)

وسُئِل ابنُ سِيرينَ عن رجلٍ رأى فيما يَـرَى النَّائم كأنه راكبٌ على فيل ، فقال : أَمرٌ جسيمٌ لا منفعة له [٥] .

قالوا : وقال رجلٌ للحجَّاج [بن يوسف] : رأيتُ في المنامِ رجلاً مِن عُمَّالك قدَّمَ فيلاً فضرَب عُنقَه . فقال : إن صدقَتْ رُؤْياك هلك دَاهَر ٥٨
ابن بصبهرى [٦] .

---

(١) ط ، ل : « في المنفعة » .
(٢) التشزن : التحرف والاعتراض . فيما عدا ل : « التحرف على الرياض » ، تحريف .
(٣) ل : « وتقلبيه وتنقله » .
(٤) فيما عدا ل : « في الأسواق » .
(٥) فيما عدا ل : « فقال له أمر جسيم لامنفعة فيه » .
(٦) في القاموس : « داهر » كهاجر : ملك الديبل قتله محمد بن القاسم الثقفي » . فيما عدا ل : « زاهر » تحريف . وفي ل : « داهر بن صصصة » .

(حكم أكل لحمه)

وسئل الشَّعبىُّ عن أكل لحم ِ الفيـــل ، فقال : ليس هو من بهيمة الأنعام .

(خرطوم الفيل)

وخرطومُه ، الذى هو سلاحُه والذى به يبطِشُ وبه يعيش ، مِنْ مَقاتِله .

وقال زَهْرة بن جُوَيَّة[1] يوم القادسية : أمَا لهذه الدابة مقتل ؟ قالوا : بلَى ، خُرطومه ، فشدَّ عليهم حتى خالَطَهم ، ودنا من الفيل ، فحمَلَ كلٌّ واحدٍ منهما على صاحبه فضرَبَ خرطومَه فبَرَك وأدبر القوم .

(بعض صفة الفيل)

قال : والفيل أفقَمُ قصير العنق[2] ، مقلوبُ اللسان ، مشوَّه الخَلْق ، فاحش القُبْح ، ولم يفلِحْ[3] ذو أربع ٍ قطُّ قصير العُنق فى طلبٍ ولاهرب . ولو [لا] أنَّ مسلوخَ الثَّور[4] يجول فى إهابه ، ولولا سعته وغَبَبُه ، لما خطَا[5]

---

(١) زهرة ، بفتح الزاى ، كما فى القاموس (زهر) . وجؤية ، أوله جيم ، كما فى ل وتاج العروس (زهر) قال : « وهو الصواب . ويقال فيه زهرة بن حوية بالحاء المهملة المفتوحة وكسر الواو . وقيل إنه تابعى ، كما حققه الحافظ . وقيل صحابى » . انظر الإصابة ٢٨١٥ . وفيما عدا ل : « حيوة » تحريف . وجاء فى نسخة القاموس المطبوعة : « بن جويرية » .

(٢) فيما عدا ل : « صغير العنق » .

(٣) فيما عدا ل : « ولم يصلح » .

(٤) فيما عدا ل : « سلاح الثور » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « ولولا سعته لما خطا » .

مع قِصَر عنقه ، ولذلك قال الأعرابى[١] : «[ومن جَعَل الأوْقَص كالأعْنق والمطبِّق كالضابع[٢] » . و] قال الشَّاعر فى غَبَبِ الثَّور[٣] ، وهو إسحاق ابن حسان الخُرَيمىّ[٤] :

وأغلبَ فضفاض جلد اللَّبَانِ يُدافع غَبْغَبَه بالوظِيفِ

وليس يُؤْتَى البَعيرُ فى حُضره[٥] مع طول عنقه إلاّ من ضِيقِ جلْده . والفيلُ ضئيل الصَّوت ، وذلك من أشدّ عيوبه . والفيل إذا بَلَغَ فى الغلمة أشدَّ المبالغ[٦] أشبَهَ الجملَ فى تَرْك الماء والعلَف حتى تنضمَّ أيْطلاه ويتورَّم رأسه[٧] . وقد وصف الرَّاجزُ الجملَ الهائج فقال :

سامٍ كأنّ رأسَه فيه وَرَمْ[٨] إذْ ضَمَّ إطْليْه هَياجٌ وقَطَمْ[٩]

* وآضَ بعد البُدْنِ ذَا لحمٍ زِيَمْ[١٠] *

---

(١) ط : « أعرابى » . وبعد هذه الكلمة موضع بياض فى كل من س ، هـ وأصل المطبوعة .

(٢) الأوقص : القصير العنق . والأعنق : الطويلها . والمطبق : الذى يثب فتقع قوائمه بالأرض معا . والضابع : الذى يمد ضبعيه فى سيره ، والضبع : العضد .

(٣) الغبب : الجلد المتدلى تحت الحنك . فيما عدا ل : « عيب الثور » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « بن حبان » تحريف . وكلمة « الخريمى » ساقطة من ل . وهى فى سائر النسخ « الجريمى » ، والصواب ما أثبت . وقد سبقت ترجمة إسحاق الخريمى فى (١ : ٢٢٤ — ٢٢٥) .

(٥) فيما عدا ل : « فى ظهره » .

(٦) ط ، هـ : « المبالغة » ، وكلمة « أشد » ساقطة من ل .

(٧) فيما عدا : « وترم رأسه » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « ودم » ، تحريف .

(٩) الإطل ، بكسرتين وبكسرة ، والأيطل أيضا : الخاصرة . والقطم : شهوة الضراب . فيما عدا ل : « أيطلا هياج فقطم » ، تحريف .

(١٠) زيم : متفرق ليس بمجتمع . فيما عدا ل : « ودم » ، تحريف .

ولو لم يكنْ فى الفِيَلة من العيب[١] إلا أن عِدَّةَ أيام حملها[٢] كعمر بعض البهائم ، لكان ذلك عيباً .

وقد[٣] ترك أهلُ المدينة غِراسَ العَجْوة ، لمَّا كانت [لا] تطعِمُ إلّا بعد أربعين سنة .

(قدرته على حمل الأثقال)

قال : وليس شىءٌ يحمل من عدد الأرطال ما يحمِل الفِيلُ ؛ لأنّ الذى يفضُل [فيما] بين حِمْل الفيل وحِمْل البُخْتىّ أكثرُ مِن قَدْرِ مايفضل بين جسم الفيل على جسم البُخْتى .

وقد قال الأعرابىُّ الذى أُدخِلَ[٤] على كِسرى ليَعْجب[٥] من جفائه وجَهْله ، حين قال له : أىُّ شىء أبعَدُ صوتاً ؟ قال : الجمل . قال : فأىُّ شىءٍ أطيَبُ لحماً ؟ قال : الجمل . [قال : فأىُّ شىء ينهض بالحِمل ؟ قال : الجمل] . قال كسرى : كيف يكون الجملُ أبعَدَ صوتًا ونحن نسمَعُ صوتَ الكُرْكىِّ من كذا وكذا ميلاً ؟ قال الأعرابى : ضَعِ الكرْكىَّ فى مكان الجمل ، وضَعِ الجملَ فى مكان الكُركىَّ حتى يُعرفَ[٦] أيُّهما أبعَدُ صوتاً . قال : وكيف يكون لحمُ الجملِ أطيبَ من لحم البطّ والدَّجاج والفِراخ

(١) فيما عدا ل : « عيب » .
(٢) فيما عدا ل : « عدد أيام عمرهم » ، تحريف .
(٣) فيما عدا ل : « ولو » ، تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « دخل » .
(٥) فيما عدا ل : « ليتعجب » .
(٦) فيما عدا ل : « حتى تعلم » .

والدُّرَّاج والنَّوَاهِض والجِداء(١) ؟ قال الأعرابىّ : يُطبَخ لحمُ الدَّجاج بمــاء ٥٩
ومِلح ، ويُطبخ لحم الجملِ بمــاء وملح ، حتى يُعرَف(٢) فَضْل مابين اللّحمَين . قال كِسرى : فكيف تزعُم أنّ الجملَ أحْمَلُ للثِّقْل(٣) من الفيل والفيلُ يحمل كذا وكذا رطلا ؟ قال الأعرابىّ : ليبرِكِ الفِيلُ ويَبرِكِ الجمل ، وليُحمَل [على] الفيل حِمْل الجْمل ، فإنْ نهض به فهو أحْمَلُ للأثقال .

قال القوم : ليس فى استطاعة الجْمال النهوضَ بالأحمال(٤) مايوجب لها فضيلةً [على حَمْلِ ماهو أثقل. ولعمرى ، إنّ للجمل بِلِينِ أرساغه وطُول عنقِه لفضيلةً فى] النُّهوض بعد البروك(٥) ، فأمَّا نفس الثقل(٦) فالذى بَينهما أكثر من أن يقع بينهما الخيار .

قالوا : وبِفارِسَ ثِيرانٌ تحمِل حِمْلَ الجْملِ باركةً ثم تنهض به(٧) . فهذا باب الذمّ .

(مناقب الفيل)

[فأمَّا باب الحْمدِ] فقد حُدِّثنا عن شَرِيكٍ ، عن جَابر الُجعْفى ، قال : رأيت الشعبىَّ خارجاً فقلت له : إلى أينَ(٨) ؟ قال : أنظُرُ إلى الفيل .

قال : وسألتُ أبا عبيدةَ فقلتُ : ما لونُ الفيل ؟ قال : جَوْن .

---

(١) الجداء : جمع جدى . وانظر لطيب لحمه مامضى فى (١ : ٢٣٣ / ٢ : ٢٤٩ / ٤ : ٤٥ / ٥ : ٤٨١ — ٨٤٢) . فيما عدا ل : « الجوازل » : جمع جوزل ، وهو فرخ الحمام .

(٢) فيما عدا ل : « حتى تعرف » .

(٣) فيما عدا ل : « للثقيل » .

(٤) فيما عدا ل : « الجمل للنهوض بالأحمال » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « النزول » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « الفيل » .

(٧) فيما عدا ل : « ثم ناهضة » .

(٨) بدله فيما عدا ل : « فقلت له أين تريد » .

(ما يحث به الفيل)

ومن أعاجيب الفيل [أن] سَوطه الذى به يُحَثُّ ويصَرَّف[١] ، مِحجَنُ حديدٍ[٢] طرفُه فى جبهته ، والطَّرَف الآخَر فى يد راكبه ، فإذا أراد منه شيئاً غمَزَ تلك الحديدةَ فى لحمه ، على قَدْر إرادته لوجوهِ التصرُّف .

(قصة الفيل)

وقد ذكر [ذلك] أبو قيس بن الأسلت فى الجاهليَّة . وهذا الشِّعر حجَّة فى صَرْفِ الله الفيلَ والطَّيرَ الأبابيل ، وصدِّ أبى يَكسوم[٣] عن البيت . وسنذكر من ذلك طرفاً إن شاء الله تعالى . قال أبو قيس[٤] :

ومِن صُنْعِه يومُ فِيل الحُبو ... شِ إذْ كلّما بَعثُوه رَزَمْ[٥]
محاجِنُهم تحتَ أقرابِهِ ... وقد كَلَمُوا أنفَه فانْخَرَمْ
وقد جعلوا سَوْطَهُ مِغْوَلاً ... إذا يمَّمُوهُ قَفَاهُ كَلِمْ[٦]
فأرسَلَ من فوقِهم حاصِبًا ... يلفُّهمُ مثلَ لَفِّ القَزَمْ[٧]

---

(١) فيما عدا ل : « ويضرب » .
(٢) ط ، هـ : « بمحجن حديد » ، تحريف .
(٣) أبو يكسوم كنية أبرهة ملك الحبشة الذى وجه الفيل لهدم البيت . انظر ماسبق فى حواشى ص ١٠١ . ل : « وجند الكيسوم » ، تحريف .
(٤) أنشد هذه الأبيات ابن إسحاق فى السيرة ٣٩ جوتنجن . قال ابن هشام : « وهذه الأبيات فى قصيدة له . والقصيدة أيضا تروى لأمية بن أبى الصلت » .
(٥) فى الأصل والسيرة : « كل ما » . ورزم : لم يقدر على النهوض رزاحا وهزالا . فيما عدا ل : « وزم » تحريف .
(٦) ل : « وقد جعلوا وسطه » س : « صوته » ، صوابهما فى ط ، هـ والسيرة .
(٧) ل : « فوقهم صاحبا » فيما عدا ل : « من ربهم حاصب » . وتصح هذه الأخيرة ببناء الفعل للمجهول . وأثبت ما فى السيرة . والقزم ، بالتحريك : صغار الغنم . فيما عدا ل : « القرم » ، صوابه فى ل والسيرة .

[و] قال أيضًا صَيْفِيُّ بنُ عامر ، وهو أبو قيس بن الأسلت ، وهو رجلٌ [يمان] من أهل يثرب ، وليس بمكيّ [ولا] تَهامٍ[١] ولا قُرَشِيّ ولا حَليفِ قرشيّ ، وهو جاهليّ :

قُومُوا فصلُّوا ربَّكم وتعوَّذُوا
بأركان هذا البيتِ بين الأخاشبِ[٢]

فعندكمُ منه بَلاءٌ مُصدَّقٌ غداةَ أبي يَكْسُومَ هادِي الكتائبِ
فلمّا أجازُوا بطن نُعمانَ رَدَّهُم جُنُودُ الإلٰه بين سافٍ وحاصبِ
فولَّوْا سِرَاعًا نادِمِينَ ولم يَؤُب إلى أهله مِلْحُبْشِ غيرُ عصائِبِ[٣]

ويدلُّ على صحّة هذا الخبرِ قول طُفيل الغَنَوِيّ ، وهو جاهليّ ، وهذه الأشعارُ صحيحةٌ معروفةٌ لايرتاب بها[٤] أحدٌ من الرُّواة ، وإنما قال[٥] ٦٠ ذلك طُفيلٌ لأنَّ غَنِيًّا[٦] كانت تنزل تِهامة ، فأخرجتها كِنانةُ فيمن أخرجَتْ ، فهو قوله :

تَرْعَى مَذَانِبَ وَسْمِيٍّ أطاعَ له بالجِزْعِ حيثُ عَصَى أصحابَه الفِيلُ[٧]

---

(١) تهام ، بالفتح : نسبة إلى تهامة بالكسر . فيما عدا ل : « تهامى » ، وهذه بكسر التاء نسبة قياسية .

(٢) الصلاة هنا : بمعنى الدعاء . والأخاشب ، أراد بهما الأخشبين ، وهما جبلا مكة : أبو قبيس والأحمر . والأبيات في السيرة ٣٩ — ٤٠ جوتنجن .

(٣) ط ، س : « ملجيش » ، ل : « مل جيش » ، هـ : « ملحبس » ، والوجه ماأثبت من السيرة .

(٤) فيما عدا ل : « فيها » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من س . وفي ط ، هـ : « ذكر » .

(٦) فيما عدا ل : « تحتها » .

(٧) المذانب : جمع مذنب ، وهو مسيل مابين كل تلعتين . فيما عدا ل : «مذالف» ، تحريف . وانظر ديوان طفيل ص ٣٠ .

قال أبو الصَّلت ، واسمه ربيعة ، وهو أبو أميَّة بن أبى الصَّلت ، وهو ثَقَـفِيٌّ طائفيٌّ ، وهو جاهليٌّ ، وثقيفٌ يومئذ أضداد بالبلدة وبالمال وبالحدائق والجِنان(١) ، ولهم اللّاتُ والغَبْغَب(٢) ، وبيتٌ له سَدَنة يضاهِئُون(٣) بذلك قريشا . فقال [مع اجتماع] هذه الأسباب(٤) التى توجب الحسدَ والمنافسة :

إنَّ آياتِ ربِّنا بيِّناتٌ ما يمارِى فيهنَّ إلاَّ الكَفُورُ(٥)
حَبسَ الفِيلَ بالمغمَّس حَتَّى ظَلَّ يَحْبُو كأنَّه مَعْقورُ(٦)
واضعًا حَلْقَةَ الجِرَانِ كما قُطِّ رَ صخرٌ من كَبْكَب محدُورُ

وقال بعضهم(٨) لأبْرَهَةَ الأشرم :

أينَ المفرُّ والإلٰه الطالبْ والأشرمُ المغلوبُ غير الغالبْ

وقال عبد المطَّلب [يوم الفيل] وهو على حِراء :

لاهُمَّ إنَّ المـــرءَ يمـ نَعُ رَحْلَه فامْنَعْ حِلالَكْ(٩)

---

(١) فيما عدا ل : « وبالجفان » ، تحريف .
(٢) الغبغب ، بتكرار الغين المعجمة ، ويقال أيضا بتكرار المهملة .
(٣) المضاهاة والمضاهأة : المشاكلة والمعارضة . وقرئ (يضاهئون) و(يضاهون) . فيما عدا ل : « يضاهون » .
(٤) فيما عدا ل : « الأشياء » .
(٥) الأبيات مع زيادة فى السيرة ٤٠ جوتنجن . وتنسب أيضا إلى أمية بن أبى الصلت كما فى السيرة ومعجم البلدان (المغمس) .
(٦) المغمس ، بتشديد الميم المفتوحة : موضع قرب مكة فى طريق الطائف ، مات فيه أبو رغال . ل فقط : « ظل يكبو » .
(٧) الجران : باطن عنق البعير . فيما عدا ل : « خلفه الجوار » . قطر : أى ألقى على قطره ، وهو جانبه . فيما عدا ل : « فطر » تحريف . وكبكب : جبل خلف عرفات .
(٨) هو نفيل بن حبيب ، كما فى السيرة ٣٦ .
(٩) الحلال : بالكسر : متاع الرحل . فيما عدا ل : « رحالك » ، وما أثبت من ل هو رواية السيرة ٣٥ .

لايغلبنَّ صليبُهُـــمْ وَمِحَالُهُمْ أَبَدًا مِحالَكْ(١)
إنْ كنتَ تاركَهُم وَقِبْـــلَتَنا فأمْرٌ ما بَدَا لَكْ

وقال نُفَيْل بن حَبيب الخثعميّ ، وهو جاهليٌّ شهِدَ الفيلَ وصُنْعَ اللهِ في ذلك اليوم(٢) :

ألاَ رُدِّى جِمالَكِ يارُدَيْنَا نَعِمْنَاكُم مع الإصْباحِ عَيْنَا(٣)
فإنَّكِ لو رأيتِ وَلَنْ ترَيْهِ لدى جنْبِ المحصَّبِ مارأيْنَا(٤)
أكلُّ الناسِ يَسْأَلَ عن نُفيل كأنّ عَلَيَّ للحُبْشَانِ دَيْنَا
حَمِدْتُ اللهَ أنْ عاينْتُ طيرًا وحَصْبَ حجارة تُلْـقَى علينا(٥)

وقال المغيرة بنُ عبدِ الله المخزوميّ :

أنتَ حبستَ الفيلَ بالمغمَّسْ حبَسْتَه كأنَّهُ مُكَرْدَسْ
* مُحْتَبَسٌ تزهَقُ فيه الأنفُسْ *

قال الله تبارك وتعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ(٦) . ٦١
أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ . وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ . تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ . فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ . وأنزل هذه السورة وقريشٌ يومئذٍ مُجْلبون(٧) فى الردِّ على النبى صلى الله عليه وسلم ، وما شىءٌ

(١) س ، ل : « جهلا وما جمعوا محالك » .
(٢) فيما عدا ل : « وصنع الله عز وجل فى ذلك اليوم » .
(٣) الجمال : جمع جمل . ل ، س : « حمالك » بالمهملة ، جمع حمل . ورواية السيرة ٣٦ ، ومعجم البلدان (٨ : ١٥٤) : « ألا حييت عنا ياردينا » . « نعمناكم » قال السهيلى فى الروض الأنف ٤٦ : « دعاء ، أى نعمنا بكم ، فعدى الفعل لما حذف حرف الجر . وهذا كما تقول : أنعم الله بك عينا » .
(٤) فيما عدا ل : « إلى جنب المحصب » .
(٥) ل : « وخصب » تحريف . وفى السيرة ومعجم البلدان : « وخفت » .
(٦) بعدها فيما عدا ل : « إلى آخر السورة » .
(٧) ط ، هـ : « مجلبة » ، تحريف . وفى س : « مجلبة » ، وأثبت ما فى ل .

أحبُّ إليهم مِن أن يَرَوْا له سَقطةً أو عَثْرَةً أو كِذْبة ، أو بعضَ مايتعلَّقُ به مثلُهم ، فلولا أنّه كان أذكَرَهم أمراً لايتدافعونه[1] ولا يستطيع العدوُّ إنكارَه ، لِلذى يُرى من إطباق الجميع عليه ، لوجدوا أكبرَ المقال[2] . فهذا بابٌ يكثر الكلام فيه ، وقد أتينا عليه فى (كتاب الحُجَّة) .

وقال[3] : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ مثل قوله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ ﴾ وقال ﴿ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ . وهذا كلُّه ليس من رؤية العين لنا .

(استطراد لغوى)

وباب آخرُ من هذا ، وهو قوله : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ . ويقول الرجُل : رأيتُ الرجلَ قال كذا وكذا ، وسمعتُ اللهَ قال كذا وكذا ، وفلانٌ يرى السَّيف ، وفلان يرَى رأىَ أبى حنيفة ، وقد رأيت عَقْلَهُ حسنا . وقال ابن مُقبل :

سَلِ الدَّارَ مِنْ جَنْبَىْ حِبِرٍّ فَوَاهِبٍ بحَيْثُ يَرَى هَضْبَ القليب المضيَّحُ[4]

(١) فيما عدا ل : « يتدافعون » .

(٢) فيما عدا ل « أكثر المقال » .

(٣) الكلام من هنا إلى نهاية قول الكميت فى ص ٢٠١ : « خطاف ومسرحة والأجدل » موضعه فيما عدا ل بعد كلمة « تصرف يدى الفيل » الواردة فى ص ٢٠٨ س ٦ . وورد قبلها فيما عدا ل : « يوصل هذا الموضع بالباب الذى فيه ألم تر كيف فعل ربك » وهى عبارة إلحاق لمسودة الأصل .

(٤) فيما عدا ل : « حين جبير براهب » ، تحريف . وقد سبق البيت فى (٢ : ٢٥٣) .

وإذا قابل الجبلُ الجبلَ فهو يراهُ ، إذْ قام منـه مقام الناظر الذى ينظر إليه .

وتقول العرب : دارُ فلانٍ تَنْظر إلى دار فلان ، ودُورُ بنى فلان تتناظر [1] .

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : « أنا برىءٌ من كلّ مسلمٍ مع مشرك » قيل : ولم يارسول الله ؟ قال : « لاتتراءى ناراهما [2] » .

ويقولون : إذا استقمت [3] تلقاءَ وجهك فنظَرَ إليك الجبلُ فَخُذْ عن يمينك . وقال الكميت :

وفى ضِبْنِ حِقْفٍ يَرَى حِقْفَهُ   خَطافٍ وسَرْحَةَ والأحْدَلُ [4]

(جسامة الفيل)

قال أبو عثمان : خرجتُ يومَ عيدٍ ، فلما صِرت بعيساباذ [5] إذا بتَلٍّ مُجَلَّلٍ بقطوع ومقطَّعات [6] ، وإذا رِجالٌ جلوسٌ ، عليهم أسلحَتُهم [7]

---

(١) فى الأصل : « ودور فلان تتناظر » تحريف ، وفى (٢ : ٢٥٤) : « ودورنا تتناظر » .

(٢) سبق الحديث فى (٢ : ٢٥٣) .

(٣) فيما عدا ل : « استقبلت » .

(٤) سبق البيت فى (٢ : ٢١) . وهذا البيت فى ل فقط وليس فى سائر النسخ . والضبن ، بالكسر : الناحية ، يقال أخذ فى ضبن من الطريق ، أى ناحية منه . وفى الأصل : « ضين » تحريف . والحقف ، بالكسر : ما اعوج من الرمل ، جمعه أحقاف . والأحدل ، بالحاء المهملة : اسم كلب ، كما فى القاموس (حدل) ، وفى الأصل : « الأجدل » تحريف .

(٥) عيساباذ : محلة كانت بشرق بغداد ، منسوبة إلى عيسى بن المهدى ، ومعنى « باذ » بالفارسية العمارة . ط ، س : « بقساد » ه : « بمساد » ، صوابهما فى ل .

(٦) فيما عدا ل : « وإذا فيل مجلل بمقطوع ومقطعات » ، تحريف . وفى اللسان (١٠ : ١٥٦) : « والقطع — يعنى بالكسر — : ضرب من الثياب الموشاة ، والجمع قطوع . والمقطعات : برود عليها وشى مقطع » .

(٧) فيما عدا ل : « الأسلحة » .

فسألتُ بعضَ مَن يشهَدُ العيد(١) فقلتُ : مابال هذه المَسْلَحة فى هذا المكان وقد أحاطَ النّاس(٢) بذلك التّلّ ؟ فقال [لى] : هذا الفيلُ ! فقصدتُ نحوَه ومالى هَمٌّ إلاّ النّظرُ إلى أذنيه [فرجعتُ عنه بعد طول تأمُّل وأنا أتوهّم عامَّة أعضائه بل جميعَ أعضائه إلّا أذنَيه] ، وما كانت لى فى ذلك عِلَّةٌ إلَّا شَغْلَ قلبى بكلِّ شيءٍ هجمتُ عليه منه ، وكلُّه كان شاغلاً [لى] عن أذنه التى إليها كان قَصْدى ، فذاكرتُ فى ذلك سَهيل بنَ هارون ، فذكر لى أنَّه ابتُلِىَ بمثلها ، وأنشد [نى] فى ذلك بيتين من شعره ، وهما قوله :

أتيتُ الفيل محتسِبا بقَصْدى   لأُبصِرَ أُذنَه ويطولَ فِكْرِى

فلم أرَ أذْنَه ورأيتُ خَلْقاً   يقرِّب بين نِسيانى وذِكرِى

(أعجب الأشياء)

قال : وقال رجلٌ مرَّة : أخزى الله الفيل [فما أقبحه] . فقال بكر ابن عبد الله [المزَنىّ] : لاتشتم شيئًا جعلَه الله آيةً فى الجاهليّة ، وإرهاصاً للنبوَّة .

وقال سعدان الأعمَى النحوى(٣) : قلتُ للأصمعىّ : أىُّ شيءٍ رأيت أعجبُ ؟ قال(٤) : الفيل .

---

(١) فيما عدا ل : « من شهد العيد » .

(٢) فيما عدا ل : « اختلط الناس »

(٣) هو أبو عثمان سعدان بن المبارك الضرير ، كان مولى عاتكة مولاة المهدى ، وكان من رواة العلم والأدب البغداديين ، يروى عن أبى عبيدة . انظر نزهة الألباء وبغية الوعاة وتاريخ بغداد ٤٧٨١ .

(٤) فيما عدا ل : « فقال » ، وكذا زيدت الفاء على « قال » فيما عدا ل فى سائر هذه المجموعة من الأخبار .

وقيل لابن الجهم[١] : أيُّ أمورِ الدنيا أعجب ؟ قالَ : الشمّ .

وقيل لإبراهيم النظّام : أيُّ أمور الدُّنيا أعجب[٢] ؟ قال : الرُّوح .

وقيل لأبى عقيل بن دُرُسْت : أيُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال : النَّوْم واليقَظة .

وقيل لأبى شمر : أيُّ أمورِ الدُّنيا أعجب ؟ قال : النِّسْيان والذِّكر .

وقيل لسلم الخلاَّل[٣] : أيُّ أمور الدُّنيا أعجب ؟ قال : النار .

وقيل لبَطْلَيْمُوس : أيُّ أمور الدنيا أعجب ؟ قال : بَدَنُ الفلك[٤] .

وقال مرَّة أخرى : الضِّياء .

وقيل لأبى [علىٍّ] عمرو بن فائدٍ الأُسْوارىّ[٥] : أىّ شىءٍ [ممّا رأيت] أعجب ؟ قال : الآجال والأرزاق .

وكان إبراهيم بن سيَّارٍ النَّظامُ شديدَ التعجُّب من الفيل[٦] .

وكان مَعْبَدُ بنُ عُمَر[٧] يقول : إنَّ السرطان والنعامة أكثر عجائبَ من الفيل . وهذا [كله] تفسير[٨] .

---

(١) هو محمد بن الجهم البرمكى ، سبقت ترجمته فى (٢ : ٢٢٦) . فيما عدا ل : « لأبى الفيل » .

(٢) الكلام بعد كلمة « أعجب » الأولى ، إلى هنا ساقط من ل .

(٣) فيما عدا ل : « لسالم الخلال » .

(٤) فيما عدا ل : « بطن الفلك » .

(٥) سبقت ترجمته فى (٦ : ١٩١) . فيما عدا ل : « عمرو بن فايل » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « فى الفيل » .

(٧) فيما عدا ل : « سعيد بن عمرو » .

(٨) فيما عدا ل : « وهذا تفسير » .

(قول الخضر فى بعض الدواب)

أبو عقيل السوّاق ، عن مُقاتل بن سليمان ، قال : قال مُوسى للخضر[١] : أى الدوابِّ أحبُّ إليك ، وأيُّها أبغَض ؟ قال : أُحِبُّ الفرسَ
٦٢ والحمارَ والبعيرَ ؛ لأنّها [من] مراكب الأنبياء ، وأُبغِض [الفيل و[٢]] الجاموسَ والثَّور .

فأمّا البعير فمركب هُودٍ وصالحٍ وشعيب والنبيِّين عليهم السلام . وأما الفرَس فمركب أُولِى العزْم من الرُّسل وكلٍّ من أمرَهُ الله بحمل السِّلاح وقتالِ الكفّار . وأمّا الحِمار فركب عيسى بنِ مَريم وعُزَير وبَلعَم[٣] . وكيف لا أحبُّ شيئاً أحياه الله بعدَ موته قبل الحشْر[٤] .

قال : ولمّا نظر الفضلُ بن عيسى الرَّقاشىُّ إلى سَلْم بن قُتيبة[٥] على حمارٍ يريد المسجد قال : قِعْدة نَبِىٍّ وبِذْلة جبّار[٦] .

وأُبغض الفيل لأنَّه أبوالخنزير[٧] ، وأبغض الثَّور لأنّه يشبه الجاموس ، وأبغض الجاموسَ لأنّه يشبه الفيل .

وأنشد [نى] فى هذا المعنى جَعفرٌ ابنُ أختِ واصل ، فى منزل الفضل ابن عاصم الباخَرزىّ[٨] :

---

(١) الخضر النبى صاحب موسى الذى التقى معه بمجمع البحرين . وهو بفتح فكسر . وفى اللسان : « يجوز فى العربية الخضر — أى بالكسر — كما يقال كبد وكبد . قال الجوهرى : « وهو أفصح » .

(٢) هذه التكملة من ل ، س .

(٣) ل : « بعلوم » .

(٤) إشارة إلى قصة الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ، فأماته الله هو وحماره مائة عام ثم بعثهما . انظر التفاسير للآية ٢٥٩ من سورة البقرة .

(٥) فيما عدا ل : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف . وانظر البيان (١ : ٣٠٧) .

(٦) البذلة و بالكسر ، هو من الثياب مايلبس ويمتهن ولا يصان .

(٧) ط ، هـ : « الخنازير » .

(٨) فيما عدا ل : « الناجورى » .

ما أبْغَضَ الحَضرُ فيلاً منذُ كان ولا ... أحبَّ عيرًا وذاكم غايةُ الكَذبِ
[وكيف يُبغِض شيئاً فيه مُعتبرٌ ... وكان فى الفُلك فَرّاجًا من الكُرَبِ]
والفيلُ أقْبَلُ شىء لو تُلقِّنُه ... حاجاتِ نفسِك مِن جِدٍّ ومن لعِبِ
ولو تَتوَّجَ فينا واحدٌ فرأى ... زىَّ الملوكِ لقد أوْفَى على الرُّكبِ (١)
يُغْضِى وَيرْكَعُ تعظيماً لهيبته ... وليس يعدِلُه النَّشْوانُ فى الطربِ (٢)
[وليس يَجْذَل إلّا كلُّ ذِى فَخَرٍ ... حُرٍّ ومَنبِته مِن خالص الذَّهبِ
مثل الزُّنوج فإنّ الله فضَّلهم ... بالجود ... والتَّطويل فى الخطب]

قال : أنشدنيها يونس لابن رباح الشارزنجىّ (٣) . فمدَحَ الفيل (٤) كما ترى بالطَّرب والحِكاية ، وأنّه قد أُدِّب وعُلِّم السجودَ للملوك .

(سجود الفيل الملك)

وزعموا أنّ أوّلَ شيءٍ يؤدّبونَه بهِ السجُودُ للملك (٥) ؛ قالوا : خرج كِسرى أبرويز (٦) ذات يومٍ لبعض الأعياد ، وقد صَفّوا له ألفَ

---

(١) ط ، س : « منها » ، وفيما عدا ل : « واحد لرأى رأى الملوك ولو أوفى » . وفى ل : « عن الركب » . يقول : إذا توج أحدنا فرأى الفيل عليه زى الملوك وشارة السلطان أوفى الفيل على ركبه ساجدا ، وذلك أن الفيلة قد علمت السجود للملوك .

(٢) فيما عدا ل : « النسوان » .

(٣) فيما عدا ل : « أنشدنيها يونس بن رياح » تحريف . وقد سبق بعض تحقيق هذا العلم فى (١ : ٢٧٠) . وقد اختلف فى اسمه ، فقيل سنيح بن رباح ، كما سبق فى الجزء الأول . وقيل رياح بن سنيح كما فى الكامل ٤١٥ ليبسك ، وقيل رياح بن سبيح ، وسبيح بن رياح كما فى اللسان (طول) . وقال ابن الأثير فى الكامل (٤ : ١٦١) فى ذكر فتنة الزنج أيام مصعب بن الزبير : « وجعلوا عليهم رجلا اسمه رباح ، ويلقب شيرزنجى ، يعنى أسد الزنج » .

(٤) فيما عدا ل : « وهو يمدح الفيل » .

(٥) فيما عدا ل : « أن أول شىء يؤذنونه بالسجود للملك الفيل » .

(٦) ل : « أبرواز » . انظر ماسبق من التنبيه فى ص ١٨١ .

فيل[١] ، وقد أحدق[٢] [به و] بها ثلاثونَ ألفَ فارِس ، فلما بصُرَتْ به الفِيَلةُ سجدتْ له ، فما رفعَتْ رأسَها حتى جُذِبَت بالمحاجن وراطَنَها الفيَّالون، وقد شهد ذلك المشهدَ جميعُ أصـناف الدوابِّ : الخيلُ فما دونها[٣] ، وليس فيها شيءٌ يفصِل بين الملوكِ والرعيَّة[٤] ، فلما رأى ذلك كسرى قال : ليت أنّ الفيلَ كان فارسيًّا ولم يكن هنديًّا ، انظُروا إليها وإلى سائر الدوابِّ ، وفضِّلوها بقدر ماترَون من فَهْمها وأدبها .

وأما ماذَكَرَ بهِ الزِّنجَ[٥] من طول الخُطب فـكذلك همْ فى بلادهم وعند نوائبهم ، ولـكنَّ معانيَهم لاترتفع عن أقدار الدوابِّ إلّا بما لايذكر[٦] .

(ما قيل فى تعظيم شأن الفيل)

وأنشدوا[٧] فى تعظيم شأن الفيل وصحة نظره وجَودة تحديقه وتأمُّله وسكونِ طرْفه ، [والشِّعر لبعض المتـكلّمين] :

إذا مارأيت الفيل ينظر قاصـداً ظننت بأنّ الفيلَ يلزمُه الفَرْضُ[٨]

[وقد قيل إن الشِّعر لسهل بن هارون] .

---

(١) فيما عدا ل : « وقد وضعوا له ألف فيل » .

(٢) ل : « أحدقت » .

(٣) فيما عدا ل : « والخيل فما دونها » بزيادة واو .

(٤) يفصل : أى يميز ويعرف الملوك من غيرهم . فيما عدا ل : « الملك » .

(٥) إشارة إلى البيت الذى سبق فى ص ٢٠٥ س٧ . ل : « ماذكره الزنج » ، وفيما عدا ل : « ماذكرته الزنج » ، والوجه ما أثبت .

(٦) فيما عدا ل : « إلا مالا يذكر » .

(٧) فيما عدا ل : « وأنشدنا » .

(٨) سبق البيت فى ص ١٨٢ .

(مثل النون والضب)

وقال عبد الأعلى [القاصّ[1] : يقال] في المثل : إنّ النون قال للضبّ[2] حينَ رأى إنساناً في الأرض : إني قد رأيتُ عجبًا . قال : وماهو؟ قال : ٦٣
رأيتُ خَلْقًا يمشي على رجليه ، ويتناول الطعام بيديه [فَيُهْوِي به] إلى فيه. قال : إنْ كان ماتقولُ حَقا فإنّه سيُخرجُني من قعر البحر ويُنزِلُك من وَكْرك من [رأس] الجبل .

(تناول الفيل والقرد طعامه)

والفيل أعجَبُ منه ، لأنَّ أنفَه[3] ، وأيدي البهائمِ والسِّباع على حال عاملة شيئًا[4] ، والقِردُ يأكل بيديه ويَنْقِي الجَوزة [5] ويتفلَّى ويَفْلِي أُنثاه[6] . وليس شيءٌ يكرَع بأنفه ويُوصِلُ الطعامَ إلى فيه بأنفه غير الفيل .

(إطعام الدب ولدها)

والدب الأنثى تُقيم أولادَها تحت شَجرةِ الجوز ، ثم تصعَد الشّجرة فتجمَع الجوزَ في كفِّها ، ثم تضرب باليمنى على اليسرى فتحطم ذلك الجوز فترمي به إلى أولادها ، فلا تزال كذلك حتى إذا شبعْنَ نزلَتْ .

---

(١) في الأصل — وهو هنا ل — : « القاضي » تحريف . وقد سبق بعض خبره في (١ : ١٠٧ / ٥ : ٢٢٥) .

(٢) كذا . والوجه « قال له الضب » .

(٣) فيما عدا ل : « لأن يده فمه » ، تحريف .

(٤) كذا في ل . وفيما عدا ل : « على ذلك عاملة شيئا » .

(٥) ينقيها : يستخرج لبها من القشر ، يقال نقّى العظم نقيا : استخرج نقيه . فيما عدا ل : « الجوز » .

(٦) بدله فيما عدا ل : « ويفلي ثيابه » ، تحريف .

وربّما قطع الدّبُّ من الشجرة الغُصْن [العَبْل] الضّخمَ الذى لايقطعه صاحب الفأس إلّا بالجهد [الشَّديد] ، ثم يشدّ به على الفارس قابضاً عليه [(١)] فى موضع مقبض العصا [(٢)] فلا يصيبُ شيئاً إلّا هتَكه .

(كثرة تصرف يدى الفيل)

قال صاحب المنطق : ليس شىءٌ من ذوات الأربع إلاّ وتصرُّف يديهِ فى الجهات أقلُّ من تصرُّف يَدَى الفيل [(٣)] .

(شعر فى وصف جلد الفيل والجاموس)

وقال أبو عثمان : ويوصف جِلدُ الفيل و [جلدُ] الجاموس بالقوَّة ، قال جميل :

إذا ماعلَتْ نَشْزًا تمدُّ زِمامَهـا ... كما امتدّ نِهىُ الأصْلَفِ المترقرقِ [(٤)]
وما يبتغِى مِنّى العُـداةُ تفاقدوا ... ومِن جِلدِ جاموسٍ سمينٍ مطرَّقِ [(٥)]
وأبيضَ مِن ماءِ الحديدِ اصطفيتُه ... له بعد إخلاص الضريبة رَوْنَقُ [(٦)]

---

(١) فيما عدا ل : « عليها » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « قبض العلماء » ، تحريف .

(٣) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل عبارة مقحمة تبتدئ من (ألم تر كيف فعل ربك) . وتنتهى إلى « فخذ عن يمينك » . وقبلها إشارة إلحاق نصها : « نوصل هذا الموضوع بالباب الذى فيه . . » وقد تنبه كاتب نسخة كوبريلى إلى هذه الإشارة فرد هذه العبارة إلى موضعها فيما سبق . انظر ص ٢٠٠ — ٢٠١ .

(٤) النهى ، بالكسر : الغدير وكل موضع يجتمع فيه الماء . والأصلف : ماشتد من الأرض وصلب . فيما عدا ل : « جلد الأصلف » ، تحريف .

(٥) تفاقدوا : دعاء عليهم ؛ أى فقد بعضهم بعضا . المطرق ، عنى به الغليظ ، كأنه طراق فوق طراق . ل : « جاموس بسبتين مطرق » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « من ماء الحديد مهند له بعض إخلاص ضريبة رونق » . و« ضريبة رونق » تحريف ، صوابه فى ل مع مافيه من الإقواء .

(شعر فيه ذكر الفيل)

وقال كعبُ بن زهير في اعتذاره إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

لقد أقوم مقامًا لو يقوم به   أرى وأسمعُ ما لوْ يَسْمَعُ الفيلُ (١)
لظَلَّ يُرعَدُ إلاّ أن يكون له   مِن الرّسول بأمر الله تنويل (٢)

وذكر أمية بن أبي الصلت سفينةَ نوح فقال :

تصرخ الطَّيرُ والبريَّة فيها   مَعْ قوىِّ السِّباعِ والأفيالِ
[حينَ فيها من كلِّ ماعاشَ زوجٌ   بين ظَهرَيْ غوارب كالجبالِ]

وقال أميَّة أيضاً :

خَلَقَ النَّخْل مُعْصِرَاتٍ تَرَاها   تَعْصِف اليابسات والمخْضُورا (٣)
والتماسيحِ والثَّيَاتِل والأيِّ   لَ شَتَّى والرِّيمَ واليعفورا (٤)
وصِوارًا من النَّواشط عِيناً   ونعَامًا خواضباً وحَميرا (٥)

---

(١) انظر توجيه ابن هشام لإعراب هذا البيت في شرح بانت سعاد ٧٦ . فيما عدا ل : « مايقوم به » ، تحريف . وفي ل : « مالا يسمع الفيل » : محرف .

(٢) في بانت سعاد : « بإذن الله تنويل » والتنويل : العطية . ل : « بإذن الله تنزيل » ، وهذه الكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) في اللسان : « الخضر والمخضور : اسمان للرخص من النبات » ط ، ﻫ : « والمحظورا » صوابه في ل ، س .

(٤) الثياتل : جمع ثيتل ، وهو الوعل . ط ، ﻫ : « والرتائل » س : « والسنابيل » صوابهما في ل . والرئم : الظبي الخالص البياض . واليعفور : الظبي الذي لونه كلون العفر ، وهو التراب . فيما عدا ل : « والمصفورا » ، تحريف . وقد ورد البيت محرفا في اللسان (ثتل) .

(٥) الصوار ، بالكسر والضم : القطيع من البقر . والنواشط : جمع ناشط ، وهو الثور الوحشي يخرج من أرض إلى أرض . والخواضب : جمع خاضب ، وهو الظليم قد احمرت ساقاه . ط ، س : « ضواحيا » ﻫ : « صواحبا » ، صوابه في ل .

وأســوداً عوادِيا وفُيولاً وسِباعاً والنَّمرَ والخِنزيرا[(١)]

(طيب عرق الفيل)

وتزعم الهند أنّ جبهة الفيل فى بعض الزمان تَعرق[(٢)] عرَقًا غليظاً غيرَ سائل ، يكون أطيبَ رائحة من المِسْك . وهذا شىءٌ يعتريه كلَّ عام . وموضعُ ذلك الينبوعِ فى جَبْهته .

(فأرة المسك والإبل)

والنّاسُ يجدُون ريحَ المسك فى بيوتهم فى بعض الأحايين ، وهى ريح فارةٍ يقال لها فارة المِسْك . [والذى يكون فى ناحية خراسان الذى يقال له فأر المسك] ليسَ بالفأر[(٣)] ، وهو بالخِشْف حين تضعُه الظّبيةُ أشبَه .

وتقول العرب فى فارةِ الإبلِ صادرةً : إنَّ أرَجَ ذلك العرقِ أطيبُ من المسك الأذفَر فى ذلك الزمان ، وفى ذلك الوقت من اللّيل والنّهار .

قال الراعى :

لها فارةٌ ذَفْرَاءُ كلَّ عشيَّةٍ كمَا فتَقَ الـكافورَ بالمسكِ فاتقُه

قال الأصمعىّ : قلت لأبى مهدية[(٤)] ، [أو قيل لأبى مهدية] : كيف تقول لاطِيب إلا المسك ؟ [قال : فأين أنت عن البان . قال : فقيل له :

---

(١) عواديا : من العدو أو من العدوان . ط : « عواريا » ، تحريف . فيما عدا ل : « والنمل » بدل « والنمر » ، تحريف .

(٢) ط ، س : « بهيمة الفيل فى بعض الزمان يعرق » ، صوابه فى ل ، س .

(٣) فيما عدا ل : « وليس به » .

(٤) فى الأصل : « لابن مهدية » ، تحريف . وانظر ماسبق فى (٥ : ٣٠٩) .

فقل : لاطيب إلا المساك والبان . قال : فأين أنت عن أدهانٍ بَحَجْر . قالوا له : فقل : لاطيبَ إلَّا المسك] والبانُ وأدهانٌ بَحَجْر . قال : فأين أنتم عن فارة الإبل صادرة ؟

قالوا : وربّما وجَدَ النّاسُ فى بيوتهم الجُرذَ يضرب إلى السَّوَاد ، يجدونَ من بدَنه إذا عَدا إلى جُحْره رائحةً تشبه رائحةَ المسك ، وبعضُ النّاس يزعم أنّ هذا الجنسَ هو الذى يَخْبأ الدَّنانير والدراهمَ والحُلىّ ، كما يصنع العَقْعق والغُرَابُ . وهذا الجرذُ غير فأرة المسك التى تكون بخُراسان ، وتلك بالخِشْف الصَّغير أشبه ، وإنما يأخذون سُرَّتَه وهى ملأى[1] من دمٍ عَبيط .

(الآية فى الفيل)

قالوا : وقد جعل الله الفيلَ من أكبر الآيات وأعظم البُرْهانات للبيت الحرام ولقِبْلة الإسلام ، وتأسيساً لنبوَّة النبىّ صلى الله عليه وسلم ، وتعظيماً لشأنه ولما أجْرَى[2] من ذلك على يَدَىْ جدِّه عبد المطلب ، حين غدَت الحبشةُ لِتهدمَ البيتَ الحرام وتُذِلَّ العرب[3] ، فلم يذكر اللهُ منهم ملِكاً ولا سُوقةً باسمٍ ولا نسَب ولا لقب[4] وذكرَ الفيلَ باسمه المعروف ، وأضاف السورةَ التى ذكر فيها[5] [الفيل إلى الفيل] ، وجعل فيه[6] من الآية أنهم

(١) فيما عدا ل : « ملآنة » ، وهما صحيحتان ، يقال ملآنة وملأى .

(٢) فيما عدا ل : « وما أجرى » .

(٣) ل : « حين غزت الحبشة لهدم البيت الحرام وإذلال العرب » .

(٤) فيما عدا ل : « نعت » .

(٥) ط فقط : « وأضاف إليه السورة التى ذكره فيها » .

(٦) فيما عدا ل : « فيها » .

[كانوا] إذا قصدُوا به نحوَ البيت تعَاصَى وبَرَكَ[١] ، وإذا خلَّوه وسَوْمَه[٢] صَدَّ عنه وصَدَف . وفى أضعاف ذلك التقَمَ أذنَه نُفيل بن حَبِيب ، وقال : « ٱبرُكْ محمود[٣] »، وكان ذلك اسمَه .

(الطعن فى قصة الفيل)

وقد طعن فى ذلك ناسٌ فقالوا : قد يستقيم أن ينصرف عنه ويَحْرِدَ[٤] دونَه ، كلّ ذلك بتصريف الله له[٥] . وكيف يجوز أن يَفْهَمَ كلامَ العرب ويعرفَ معنى قول نُفيل ؟ فإن قلتم[٦] : [قد] يفهم الفيل عن الفَيّال جميعَ الأدب والتقويم ، وجميعَ مايريد منه[٧] عنـد الحَطِّ والرَّحيل ، والمُقام والمسير . قلنا : قد يَفهم بالهنديّة كما يعرف الـكلبُ اسمَه ، ويعرفُ قولَهم ٱخسَا . وقد يعرِف السّنورُ اسمَه ويعرف الدُّعاءَ والزَّجْر ، وكذلك الطِّفلُ والمجنون ، وكذلك الحمارُ والفرس إذا كنَّ قد عُوِّدْن تلك الإشارة ، وسماعَ تلك الألفاظ . فأمّا الفيل وهو هنـديٌّ جلبَه[٨] إلى تلك البلْدة حبشيٌّ ، فخرجَ من عُجْمة إلى عجمة ، كيف يفهمُ مع ذلك لسانَ العرب[٩] وسِرار نُفَيل بن حَبيب بالعربيّة ؟

---

(١) ل : « تعصى وبرك » يقال ، تعصى الأمر اعتاص .

(٢) يقال خلاه وسومه ، أى تركه وما يريد . فيما عدا ل : « وشأنه » .

(٣) ط ، س : « جمهور » هـ : « حهور »، والصواب ماأثبت من ل مطابقا مافى السيرة ٣٥ جوتنجن .

(٤) يحرد : يتنحى . س ، هـ : « يحرر »، تحريف . ل : « يحزن » صواب هذه « يحرن » .

(٥) ل : « بتعريف الله له » .

(٦) ط ، س : « قلت » فقط ، تحريف . هـ : « قال قلتم » ، الصواب فى ل .

(٧) فيما عدا ل : « ما يراد منه » .

(٨) فيما عدا ل : « جاء به » .

(٩) ط فقط : « كلام العرب » .

قلنا : قد يستقيم أن يكون قال له كلامًا بالهنديّة كان قد تعوَّدَ سَماعه من الفيّالين ، فيكونَ ترجمتُه بالعربيّة هذا الكلامَ الذى حكَوْه ، وقد يكون الذى أنطقَ الذِّئبَ لأُهبانَ بنِ أوس ، وجعل عود المنبر يحنّ[1] إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يصوِّر لوهم الفيل إرادةَ نُفَيل بن حبيب . وقد يستقيم مع لَقَن الفيل وذَكائه وحكايته[2] ومُؤاتاته ، أن يعرف ذلك كلَّه وأكثرَ منه ، لطول مُقامه فى أرض الحبَشة واليمن ، وليس يبعُد أن يكون بأرض الحبشة جماعةٌ كثيرةٌ من العرب من وافد وباغٍ وتاجر ، وغيرِ ذلك من الأصناف ، فيسمع ذلك منهم الفيلُ [فيعرفه] ، وليس هذا المقدار بمستنكَرٍ من الفيل ، مع الذى قد أجمَعُوا عليه من فَهم الفيل ومَعرفته .

وكان منكه المتطبّب[3] الهندىّ صحيح الإسلام ، وكان إسلامُه بعد المناظرة والاستقصاء والتثبُّت ، قالوا : فسمع مَرَّةً من رجل[4] [وهو] يقرأ : ﴿أفلاَ يَنْظُرُونَ إلَى الإبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ، وسمع بعضَ الجهال يقول : فكيف لو رأى الفيل ؟ فعذلَه قوم ، فقال منكه : لاتَعْذُلُوه فإنّه لاشكَّ أنَّ خَلْقَ الفيل أعجَبُ ، فقيل له : فكيف[5] لم يضرب به الله تعالى المثلَ دونَ البعير ؟ فقال [أبو إسحاق إبراهيم بن سيّار النظام : فقلت له : ليس الفيلُ بأعجبَ من البعير . واجعَلْه يعجِّب من البعير . وهو[6]]

(١) فيما عدا ل : « عود الهيثم يجىء » ، تحريف .

(٢) ط ، هـ : « وحكاياته » .

(٣) فيما عدا ل : « الطبيب » . ومنكه هذا أحد أطباء الهند الذين اجتلبهم يحيى بن خالد . انظر البيان (١ : ٩٢) .

(٤) فيما عدا ل : « رجلا » .

(٥) فيما عدا ل : « قيل له كيف » .

(٦) هذه الكلمة من ل ، س هـ ، والكلام قبلها تكملة من ل .

٦٦ إنما خاطب العرب ، وهم الحجةُ على جميع [أهل] اللغات ، ثم تصير [تلك] المخاطبةُ لجميع الأمم بعد الترجمة على ألسنة هؤلاء العرب ، الذين بهم بَدَأت المخاطبة لجميع الأمم[1] . وكيف يجوز أن يعجِّب جماعةَ الأمم من شيء لم يروْه قطّ ، ولا كانَ على ظهرها يوم نَزلَتْ هذه السورة رجلٌ واحد [كان] قد شهـد الفيلَ والحبشة[2] . وعلى أنَّ الفيلَ وافَى مكَّةَ وما بها أحدٌ إلاّ عبدُ المطلب فى نفير[3] من بقيَّة النَّاس ، ولا كانوا حيث يتأمّلون [الفيل] .

و [قد] قال ناسٌ : كان النَّاسُ رَجلين[4] ، رجلٌ قد سمِع بهذا الخبر من رِجالات قريش الذين يجترُّون إلى أنفسهم[5] بذلك التَّعظيم ، كما كانت السَّدنةُ تـكذِب للأوثان[6] والأصنام [والأنصاب] ، لتجترَّ بذلك المنافع[7] ، ورجلٌ لم يكن عندَه علمٌ بأنّ هذا الخبرَ باطل فلم يتقدَّم[8] على إنـكار ذلك الخبر ، وجميعُ قريش تثبِّته .

قيل لهم : إنَّ مكَّة لم تَزَل دارَ خُزاعة[9] وبقايا جُرهم[10] [وبقايا

---

(١) لجميع الأمم : ليست فى ل .

(٢) فيما عدا ل : « الفيل من الحبشة » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « نفر » .

(٤) فيما عدا ل : « كرجلين » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « يحقرون أنفسهم » ، محرف .

(٦) فيما عدا ل : « تـكذب الأوثان » ، محرف .

(٧) فيما عدا ل : « لتحقر بذلك التابع » ، تحريف .

(٨) فيما عدا ل : « ولم يتقدم » .

(٩) فيما عدا ل : « لم تزل وإن خزاعة » ، محرف .

(١٠) فيما عدا ل : « وبقايا جرهم بها » .

الأمم البائدة ، وكانت كنانة منها النَّسَأة ، وكانت مرّ بن أدّ من رهط صُوفة والرَّبيط[١] منها أصحاب المزدلفة ، وإليهم كانت السِّدانة ، وكانت عَدْوان وأبو سيّارة عَمِيلة بن أعزَل ، تدفع بالنّاس] ، وقد كان بين خزاعة وبقايا جرهم ما كان[٢] حتى انتزعوا البيت منهم[٣] ، وقد كان بين ثقيف وقُريش لقُرب الدار والمصاهرة ، والتَّشابه في الثروة[٤] والمشاكَلة في المجاورة[٥] تحاسدٌ وتنافر[٦] ، وقد كان هنالك فيهم الموالي والحُلفاء والقطّان[٧] والنازِلة ، ومَن يحجُّ في كلِّ عام ، وكان البيت مَزُوراً على وجْه الدهر ، يأتونه رجالاً ورُكبانا وعلى كل ضامرٍ يأتينَ من كلِّ فجٍّ عميق ، وبشِقٍّ الأنفس ، كما قال الله تعالى : ﴿ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ ﴾ ، وكانوا[٨] بقرب سُوق عُكاظ وذى المجاز ، وهما سوقان معروفانِ ، وما زالتا قائمين حتى جاء الإسلام ، فلا يجوز أن يكون السَّــالب والمسلوب ، والمفتخر [به والمفتخرَ] عليه ، و [الحاسد و] المحسود ، والمتديِّن به والمنكر له ، مع

---

(١) صوفة : أبو حى من مضر ، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة ، كانوا يخدمون الكعبة ويجيزون الحاج في الجاهلية ، أي يفيضون بهم من عرفات . وكان أحدهم يقوم فيقول : أجيزى صوفة . فإذا أجازت قال : أجيزى خندف ، فإذا أجازت أذن الناس كلهم في الإجازة . وأما الربيط ، فلقب الغوث أيضا ، كما في القاموس (ربط) ، قالوا : سمى بذلك لأن أمه كانت لا يعيش لها ولد ، فنذرت لئن عاش هذا لتربطن برأسه صوفة ولتجعلنه ربيط الكعبة .

(٢) فيما عدا ل : « وقد كان بينهم ما كان » .

(٣) ط ، هـ : « بينهم » ، وأثبت ما في ل ، س .

(٤) فيما عدا ل : « والمشابهة والثروة » .

(٥) أي مجاورة البيت . فيما عدا ل : « التجارة » .

(٦) فيما عدا ل : « وتصاقب » .

(٧) ط ، هـ : « وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان » ، تحريف . س : « وقد كان بينهم هنالك أموال والحلفاء والسكان » ، وأثبت ما في ل .

(٨) فيما عدا ل : « وكان » .

اختلاف الطبائع وكثرة العلل ، يُجْمِعُون كلهم على قَبول هـذه [الآية] وتصديق هذه السُّورة ، وكلهم مُطْبِقٌ[1] على عداوة النبي صلى الله عليه وسلم ، والكُفْر به .

والمحِلُّون من العرب ممّن كان لا يرى للحَرَم ولا للشّهر الحرام حُرمةً : طيِّئٌ كلها ، وخثعمٌ كلُّها ، وكثيرٌ من أحياء قُضاعة ويَشْكُرَ والحارثِ ابن كعب ، [و] هؤلاء كلُّهم أعداءٌ [في] الدِّين والنَّسَب . هذا مع[2] ما كان في العرب من النّصارى[3] الذين يخالفون دِينَ مُشركي العرب كلَّ الخلاف ، كتغلبَ ، وشيبانَ ، وعبدِ القيس ، وقضاعةَ ، وغَسَّان ، وسَليح[4] ، والعِباد ، وتَنوخَ ، وعاملةَ ، ولخمٍ ، وجُذَامَ ، وكثيرٍ من بَلحارث بن كعب ؛ وهم خُلَطاء وأعْداء ، يُغاوِرون[5] ويَسبُون ، ويُسْبَى منهم ، وفيهم الثُّؤُور[6] والأوتار والطوائل ، وهي العربُ[7] وألسنتُها الحِداد ، وأشعارُها التي [إنما] هي مَياسِم[8] ، وهِمَمُها البعيدة[9] ، وطلبُها للطّوائل ، وذمُّها لكلِّ دقيقٍ وجليلٍ من الحسَن والقبيح ، في الأشعار

---

(١) فيما عدا ل : « وهم مطبقون » .

(٢) فيما عدا ل : « إلى » .

(٣) فيما عدا ل : « في العرب والنصارى » ، تحريف .

(٤) سليح بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، كما في الاشتقاق ٣٦٤ . وفي القاموس (سلح) : « وكجريح قبيلة باليمن » . وفي العمدة (٢ : ١٧٧) : « سليح ، وهم من غسان ، وقيل من قضاعة » . فيما عدا ل : « وسليم » ، تحريف .

(٥) المغاورة : أن يغير بعضهم على بعض . ط ، س : «يغاررون» ، تحريف .

(٦) الثؤور : جمع ثأر . فيما عدا ل : « الشرور » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وهم العرب » .

(٨) ل : « ميسم » .

(٩) ط ، س : « همها البعيدة » هـ : « وهمها البعيده » ، صوابهما في ل .

والأوجاز [والأسجاع] ، والمزدوِج والمنثور ، فهل سمعْنا[1] [بأحد] من جميع هؤلاء الذين ذكرْنا[2] أنكَرَ[3] شأنَ الفيلِ ، أو عَرَضَ[4] فيه ٦٧ بحرف واحد .

(كلام الفيل والذئب)

ورَزِينٌ العَروضىُّ — وهو أبو زهير[5] — لم أر قطُّ أطيبَ منه احتجاجاً ، ولا أطيب عبارة قال فى شعرٍ له يهجو ولدَ عقبةَ بنِ جعفر[6] ، فكان فى احتجاجه عليهم وتقريعِه لهم[7] أن قال :

تِهتُمْ علينا بأنَّ الذِّئبَ كلّمكمْ ... فقد لعمرى أبُوكُم كَلَّمَ الذيبا

فكيفَ لو كلمَ اللّيث الهصورَ ، إذاً ... تركتمُ الناس مأكولا ومَشرُوبا

هذا السُّنَيدىُّ لا أصلُ ولا طرف ... يكلّم الفيلَ تصعيداً وتَصويبا

ولو كان ولد أُهبان بن أوسٍ ادَّعَوا أنّ أباهم كلم الذئب ، كانوا مجانين. وإنما ادَّعوا أنّ الذئبَ كلّمَ أباهم ، وأنّه ذُكِرَ ذلك للنبىِّ صلى الله عليه وسلم وأنّه صَدَّقه .

والفيلُ ليس يكلِّم السندىّ ، ولم يدَّعِ ذلك السندىّ قطُّ ، وربَّما كان السِّندِىُّ[8] هو المكلّم له ، والفيل هو الفَهِمَ عنه[9]

---

(١) فيما عدا ل : « فما سمعنا » .

(٢) فيما عدا ل : « ذكرنا أحدا » .

(٣) ل : « إنكار » ، ولا يلتئم بما بعده .

(٤) فيما عدا ل : « أو عرف » ، تحريف.

(٥) فيما عدا ل : « أبو وهب » .

(٦) فيما عدا ل : « عتبة بن جعفر »

(٧) فيما عدا ل : « وتمرينه لهم » .

(٨) فى ثمار القلوب ٣١٠ نقلا عن الحيوان : « وإنما السندى » .

(٩) فيما عدا ل : « المتفهم عنه » .

فذهب رَزِين العَرُوضىُّ من الغَلَط(١) فى كل مذهب .

(ما يكلَّم من ضروب الحيوان)

والنَّاس [قد] يكلِّمون الطيرَ والبهائم والكلابَ والسَّنانير والمَرَاكب(٢) ، وكلَّ ما كان تحتَهم من أصناف الحيوان للتى قد خوِّلوها وسُخِّرَتْ لهم ، وربَّما رأيتَ القرَّادَ يكلم القِرد بكلِّ ضرب من الكلام ، ويُطيعه القِرد فى [جميع] ذلك ، وكذلك ربَّما رأيتَه يلقِّن الببغاء ضروباً من الكلام ، والبَبْغاء تحكيه ، وإنّ فى غراب البَيْنِ لَعَجَباً(٣) ، وكذلك كلامهم للدب [والكلب] والشاة المكِّيَّة ، وهذه الأصنافِ التى تَلْقَن وَتَحْكِى .

(تكليم الأنبياء للحيوان)

وقد رَوَى الناسُ عن النبى صلى الله عليه وسلم فى كلام السِّباع والإبل ضروباً ، ولم يذهبوا إلى أنها نطقَتْ بحروفٍ مقطّعة ، ولكنّ النبى صلى الله عليه وسلم إما أن يكون [الله] أوحَى إليه بحاجاتها ، وإمّا أن تكون فِراسته وحِسّه وتثبُّته فى الأمور ، مع مايُحْضِرُهُ الله(٤) من التوفيق ، بَيَّنَ له معانيَها وجَلاّها له ، واستدلَّ بظاهرٍ على باطنٍ ، وبهيئةٍ(٥) وحركةٍ على

---

(١) هـ ، ط : « التغليط » محرف ، إذ التغليط أن تقول لصاحبك : غلطت .

(٢) أى مايركب من الدواب .

(٣) فيما عدا ل : « تعجبا » ، تحريف .

(٤) ط فقط : « يحضر الله » .

(٥) فيما عدا ل : « ونبهه » ، تحريف .

موضع الحاجة ، وإمّا أن يكون الله ألهمه ذلك إلهاماً : وأمّا جِهةُ سليمان ابن داود ، صلى الله على نبينا وعليه ، فى المعرفة بمنطق الطير ومَنطِق كلِّ شيء ، فلا ينبغى أن يكون ذلك إلاّ أن يقوم منها فى الفهم عنها مَقامَ بعضِها من بعض ، إذ كان الله قد خصَّه بهذا الاسم ، وأبانَه بهذه الدّلالة . وأعلام الرُّسُل لا يكثُر عددُها ، ولا تَعظم أقدارها(١) على أقدار فضائل الأنبياء(٢) ؛ [لأن أكثر الأنبياء] فوقَ سليمان بن داود ، وأدنى ذلك أنّ داود فَوْقه ؛ لأن الحكم فى الوارث والمورِّث ، والخليفة والذى استخلفه ، أن يكون الموروثُ أعلى ، والمستخلِف أرفَعَ . كذلك ظاهر هذا الحكم ٦١
حتى يخصّ ذلك برهانٌ حادث . وإنما تكثُر العلامات وتعظُم على قدْر طبائع أهل الزمان ، وعلى قدر الأسباب التى تتّفق وتهيّأ لقومٍ دون قوم ، وهو أن يكونوا جبابرةً عُتاةً ، أو أغبياءَ مَنقوصين ، أو علماءَ معاندين ، أو فلاسفةً محتالين ، أو قوماً [قد] شملهم من العادات السيِّئة وتراكَمَ على قلوبهم من الإلف للأمور المرْدية(٣) ، [مع طول] لبثِ ذلك فى قلوبهم ، أو تكون(٤) نِحْلتهم وملتهم ودَعوتهم تحتمل من الأسْباب والاحتيالات(٥) أكثَرَ ممّا يحتملُ غيرها من ذلك ، فإنّ(٦) من الكفر ما يكون عند المسألة ، والجواب أسرَع انتشاراً وأظهرَ انتقاضاً ، ومنه ما يكون أمْتَنَ(٧)

(١) فيما عدا ل : « ولا يعظم قدرها » .
(٢) فيما عدا ل : « فضل الأنبياء » .
(٣) المردية : المهلكة . وفى ل : « الردية » .
(٤) فيما عدا ل : « أن تكون » .
(٥) فيما عدا ل : « والأحساب » .
(٦) فيما عدا ل : « إن » .
(٧) فيما عدا ل : « أمتن شيئا » .

شيئاً ، وإن كانَ مصيرُ الجميع إلى الانتقاض وإلى الفساد . ومنه شيء يحتاج من المعالجة إلى أكثَرَ وأطولَ ، وإنما يتفاضَلُ العلماءُ عند هذه الحال ، وقد يكون أن ينقدح(١) فى قلوب الناس عداواتٌ وأضغانٌ سَبَبُها التَّحاسُد(٢) الذى يقع(٣) بين [الجيران و] المتفقين فى الصِّناعة(٤) ، وربما كانت العداوةُ من جهة العصبيَّة ، فإنَّ عامَّةَ مَن ارتاب بالإسلام إنما كان [أوَّل] ذلك رأى الشُّعوبية والتمادى [فيه] ، وطول الجدال المؤدِّى إلى القتال ، فإذا أبغض شيئاً أبغضَ أهلَه ، وإنْ أبغَضَ تلك اللغةَ أبغض تلكَ الجزيرةَ ، [وإذا أبغض تلك الجزيرةَ أحبَّ مَن أبغض تلك الجزيرة] . فلا تزال الحالاتُ تنتقل به حتى ينسلخ من الإسلام ؛ إذ كانت العرب هى التى جاءت به ، وكانوا السَّلف [والقدوة] .

(أثر الغُلمة فى الجسم والعمر)

وتزعم الهندُ أنّ شِدّةَ غلْمة الفيل وطولَ أيَّامه فيها(٥) وهجرانَه الطَّعامَ والشرَابَ ، وبقيَّة تلك الطبيعة ، وعملَ ذلك العرقِ السَّارى ، هو الذى يمنع الفيل أن يصير فى جسمه مَرَّتين ، لأنّ ذلك مِن أمتن أسباب الهُزَال . وإذا تقادَمَ ذلك فى بدن وغَبَّ فيه(٦) ، عمِل فى العظْم والعصَب ،

(١) ل : « يتقدم » .

(٢) ط ، هـ : « شبيها بالتحاسد » س : « شبيهات بالتحاسد » ، صوابهما فى ل .

(٣) فيما عدا ل : « يكون » .

(٤) فيما عدا ل : « الصناعات » .

(٥) فيما عدا ل : « وطول إقامته فيها » .

(٦) فيما عدا ل : « فى بدنه » وفى الأصل : « وعب فيه » . والوجه ما أثبت .

بعْدَ الشَّحم[1] واللّحم . وإذا كان[2] رفعُ الصوت والصِّياحُ وكثرةُ الكلام والغضبُ والحدّة ، [إنما صار] يورثُ الهُزال لأنّ البدن يسخُن عن ذلك ، [و] إذا شاعَت فيه الحرارة أحرقَتْ وأكلَتْ وشربت ، ولذلك صار الخصيُّ من الدُّيوكِ والأنعامِ أسمَنَ .

وزعَمُوا أنّه ليس [فيما] يعايش الناس من [أصناف] الحيوان أقصرُ عمراً من العصفور ، ولا أطْوَلُ عمراً من البغل . وللأمور[3] أسبابٌ ، فليس يقع الظنُّ إلاّ على قلّة سِفاد البغل وكثرة سفاد العُصفور .

قالوا : ونجد العمرَ الطَّويلَ خاصا في الرُّهبان ، فنظنّ أيضاً [أنّ] تركها الجْماعَ من أسباب ذلك .

قالوا : وإذا اغتلم الذكرُ من الحيوان فهو أخبَث ما يكون لحماً ، وإذا كثُر سِفادُه تضاعَفَ فيه ذلك ، وصار لحمه أيبَسَ ودمُه أقلَّ[4] . ٦٩

قال الشاعر :

أُحِبُّ أنْ أصطادَ ضَبًّا سَحْبَلاَ أو جُرَذًا يرعى رَبيعاً أرْمَلاَ[5]

فجعله أرْمَلَ لازوجةَ له ليكون[6] أسمَنَ له ؛ لأنَّ كثرةَ السفاد [مما] يورث الهزال[7] ، ولا يكثر سفاده إلاّ من شدّة غلْمته .

---

(١) ط : « ونفذ في الشحم » ، س : « ونفد الشحم » ، هـ : « ونعد الشحم » ، محرفات .
(٢) ط ، هـ : « وإن كان » .
(٣) فيما عدا ل : « وللبغل » .
(٤) فيما عدا ل : « أيبس منه » فقط .
(٥) فيما عدا ل : « ظبيا سحبلا » تحريف . وفي اللسان (رمل) :
* رعى الربيع والشتاء أرملا *
(٦) فيما عدا ل : « فيكون » .
(٧) فيما عدا ل : « يورثه الهزال » ، تحريف .

وهجا أعرابىٌّ صاحبَه حين أكل لحمَ سَوْءٍ غَثٍّ (١) فقال :

أكلته من غَرَثٍ ومن قَرَمْ (٢)   كالورد السافد يَغْنَى بالنَّسَمْ (٣)

لأنّ [لَحْمَ] الورلِ [لا] يشبه لحم الضبّ ، وهم لا يرغبون فى أكله (٤) لأنه عَضِلٌ مَسِيخٌ (٥) ، ولأنهم كثيراً ما يجدون فى جوفه الحيَّاتِ والأفاعى . وله ذنبٌ سمينٌ ، وذلك [عامٌّ فى الأذناب ، وإنْ رأيتَها فى العين كأنها عَضَل . فإذا كان لحمُها كذلك ، ثم كان فى زمن هيجه وسِفاده كان] شرًّا له (٦) .

وللورَل فى السِّفاد ما يجوز به حَدَّ الجملِ والخنزير (٧) .

قال : والنسم هو النَّسيم فى هذا المكان (٨) .

وقالت [أمُّ] فَرْوَة القرنية (٩) :

نفى نَسَمُ الرِّيح القَذَى عن مُتونِه   فما إنْ به عيبٌ تراه لشاربِ

وأنا أعلمُ أنى لو فسَّرْتُ لك معانىَ هذه الأشعار وغريبَها ، لكان أتمَّ للكتاب وأنفعَ لمن قرأ هذه الأبواب ، ولكنى أعرف مَلالَة الناس للكتاب إذا طال . قال الشاعر (١٠) يهجو من قَرَاه لحمَ كلب (١١) :

---

(١) فيما عدا ل : « سوعث » ، محرف .

(٢) الغرث : الجوع . فيما عدا ل : « من عوث » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « يغرى » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « فيه » .

(٥) ط ، س : « متشنج » وفى هـ : « متسبح » ، تحريف ، وأثبت ما فى ل .

(٦) ط فقط : « شر له » .

(٧) هـ : « غذا الجمل والخنزير » ، محرفة . وفى ل : « حال الجمل والخنزير » .

(٨) فيما عدا ل : « والنسم والنسيم فى هذا الموضع واحد » .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . وقد سبق فى (٣ : ٥٤) : « الغطفانية » حيث أنشد الشعر . وقد أعاده ثانية فى (٥ : ١٤٢) .

(١٠) هو اللعين المنقرى كما سبق فى (١ : ٢٦٦) .

(١١) كذا ، وقد سبق قول الجاحظ فيما مضى : « وقال اللعين فى بعض أضيافه يخبر أنه قراه لحم كلب . وقد قال ابن الأعرابى : إنما وصف تيسا » .

فجاءَ بِخِرْشَاوَىْ شَعيرٍ عليهما كَرَادِيسُ من أوصالِ أعقدَ سافِدِ[١]

فلم يرضَ أنْ جعله كلباً حتى جعله سافداً . فأمَّا ابنُ الأعرابيِّ فزعم أنّه إنما عَنَى تيساً . وقد أبطَلَ ، وعلى أنَّ المعنى فيهما سواء[٢] .

(أثر الخصاء فى اللحم)

قالوا : وإنما صار الخصيُّ من كلّ جنسٍ[٣] أسمنَ لأنّه لا يَسْفَد ولا يَهِيج .

(السقنقور)

قالوا[٤] : والسقنقور إنما ينفَعُ أكلُه إذا اصطادوه فى أيام هَيْجه وسِفاده ؛ لأنَّ العاجز عن النِّساء[٥] يتعالج بأكل لحمه ، فصار لحمُ الهائج[٦] أهْيَجَ له .

---

(١) الخرشاء : كل شىء أجوف فيه انتفاخ وخروق وتفتق . فيما عدا ل : « بخرشاوى » تحريف . والكراديس : جمع كردوس ، وهو كل عظم تام ضخم . والأعقد : الملتوى الذنب . ط ، هـ : « أعقر » س : « أعفر » ، صوابهما فى ل . وأول البيت فى (١ : ٢٦٦ ، ٣١٩) : « فجاءا » على التثنية ، لأن قبله :

فقلت لعبدى اقتلا داء بطنه وأعفاجه اللاتى لهن زوائد

(٢) فيما عدا ل : « واحد » .

(٣) فيما عدا ل : « كل شىء » .

(٤) فيما عدا ل : « قال » .

(٥) فيما عدا ل : « السفاد » .

(٦) فيما عدا ل : « الهياج » .

(أبو نواس والحرامِيُّ)

أقبل أبو نواسٍ ومعه الحرَامِيّ(١) الـكاتب ، وكان أطْيَبَ الخَلْق ، وقد كانا قبل ذلك [قد] نظرا إلى الفيلة فأبصرا(٢) غُرمولَ فيل منها وعلم الحَرَامىّ(١) أنّ غُرمولَ الفيلِ يُوصَفُ بالجَعْبة ، فوصف لنا غرمولَه ، وأنشدنا فيه شعراً لنفسه :

كأنّه لَمَّا بَدَا للسفْدِ(٣) ... جَعْبَةُ تُرْكىٍّ عليها لِبْدُ

قلنا له : أقْوَيْتَ واجتلبتَ ذِكر اللِّبد عن غير حاجة(٤) ، قال : فإنى قد قلتُ غيرَ هذا . قلنا : فأنشِدْنا . فقال :

كأنه لمَّا دنا للشـدِّ(٥) ... شمعةُ قَيلٍ لُفِّفَتْ فى لِبْدِ(٦)

٧ قلنا : فلا نرى لك بُدًّا من اللِّبد على حال ؟ قال : قال أبو نواس: فإنى أقولُ عنك بيتين . قال : فهاتِهما(٧) . فقال :

كأنه لما دَنَا للوثْبَه(٨) ... أُيورُ أعيارٍ جمعن ضَرْبَهْ

(١) فيما عدا ل : « الخزامى » ، وفى البخلاء ٤٧ : « الحزامى » . ولم أعرف له ترجمة إلا ما ذكر الجاحظ فى البخلاء أن اسمه عبد الله بن كاسب ، كاتب مؤنس ، وكاتب داود ابن أبى داود . وإن صحت نسبته فهى إلى بنى حرام : خطة كبيرة بالبصرة منها أبو محمد قاسم بن على الحريرى الحرامى صاحب المقامات » .

(٢) ط ، هـ : « وقد كان قبل ذلك نظر إلى الفيلة فأبصر » ، بالإفراد .

(٣) ل : « للعد » .

(٤) فيما عدا ل : « وأجريت ذكر اللبد على غير حاجة » .

(٥) فيما عدا ل : « بدا للصفد » .

(٦) فيما عدا ل : « جعبة فيل » .

(٧) فيما عدا ل : « هاتهما » .

(٨) فيما عدا ل : « لما بدا الوثبه » .

قال الحَرَامى[1] لأبى نواس : هَبهُما لى على أن لاتدَّعيهما ، فعسى [أن] أنتحِلَهما . قلت له[2] : وما ترجو من هذا الضَّرب [من الأشعار] ؟ قال : قد رأيتُ غُرمولَه ، فما عُذْرى عند الفيل إنْ لم أقُلْ فيه شيئاً .

(فهم الفيل الهندية)

وحدَّثنى صديقٌ لى قال : رأيتُ الفيَّالينَ على ظهر فيلٍ من هذه الفِيَلة ، وأقبل[3] صبىٌّ يريد السِّندىَّ الرّاكب ، فكلَّمَ الفيلَ بالهنديَّة فوقف ، ثم كلَّمه فمدّ يدَه رافِعَها[4] فى الهواء حتى رَكِبَها الغلامُ ، ثم رفع يدَه حتى مدَّ السندىُّ يدَه ، فأخذ بيد الصبىِّ .

(أخلاف الحيوان وأطْباؤه)

وللبقر والجواميس أربعةُ أخْلافٍ فى مُؤخّر بُطونها . وللشاة خِلفان ، وللناقة أربعة فى مؤخّر البطن[5] . وللمرأة والرّجُل والفِيل ثديانِ فى الصدر ، وثَدْىُ الفيل يصغُر جدًّا إذا قرنته إلى بدنه[6] . وللسِّنّور ثمانيةُ أطْباءٍ ، وكذلك الكلْبةُ فى جميع بطونها[7] . والخنزيرة كثيرةُ الأطْباء . وللفَهدةِ

(١) فيما عدا ل : « الخزامى » . وانظر ماسبق فى ص ٢٢٤ .
(٢) فيما عدا ل : « قال » فقط .
(٣) فيما عدا ل : « فأقبل » .
(٤) فيما عدا ل : « رافعا » .
(٥) فيما عدا ل : « مواخر البطن » .
(٦) فيما عدا ل : « إلى الفيل » .
(٧) فيما عدا ل : « بطنها » .

فى بطنها أربعةَ أطْباء[١] : واللَّبؤة[٢] طبْيانِ لايصغُران عن مقدار بَدَنِها والبقرة والأتان[٣] والرَّمَكة والحِجْر فى ذلك سواءٌ إلاّ أنّها من الحافر أطْباء ، ومن الظِّلْف أخلاف . والسِّباعُ فى ذلك والحافرُ[٤] سواءٌ .

(عضو الفيل)

وقال صاحبُ المنطق : غُرمول الفِيل يصغُر عن مقدار بَدَنِه ، وخُصيتُه لاحقةٌ بكُلْيته لاتُرَى ، ولذلك يكونُ سريع السِّفاد .

وزعم الهندىُّ صاحبُ (كتاب الباهِ) أنَّ أعظمَ الأُيور أيْرُ الفِيل ، وأصغرها أيرِ الظّـبى .

(الفيل فى كتاب الحيوان)

وما أعجَبَ ما قرأتَ فى كتاب الحيوان لصاحب المنطق[٥] ، وجدتُه قد ذكر [رأس الفيل و] قِصَر عنقه ، ولم يذكر انقلابَ لسانه . وذلك أعجَبُ مافيه ، ولم يذكر[٦] فى كم يَضَعُ ، ولا مقدار وزن أعظم الأنياب[٧] وكيف يخرج من بطن أمّه نابت الأسنان .

---

(١) الكلام من « وكذلك » إلى هنا ساقط من س .

(٢) فيما عدا ل : « والمرأة » ، تحريف .

(٣) ط فقط : « والإنسان » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « والحوافر » .

(٥) فيما عدا ل : « لصاحب الحيوان فى كتاب المنطق » ، تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « ينظر » .

(٧) فيما عدا ل : « ولا مقدار مدة حمله » ، فيكون تكراراً لما سبق .

(خصائص الفيلة)

والفِيَلةَ لاتلِد التؤام . قال : وهى تفذُّ وتُفْرِد . قال : وقال بعضُ العلماء : لايقال أفذّت ولا أفرَدَت إلاّ لما يجوز أن يُتْئِم .

قال : وأمراضُها أقلُّ من أمراضِ غيرها ، إلاّ أنّ النّفْخَ والرِّياحَ يعرِضُ لها كثيراً ويُؤْذيها أذًى شديداً ، وعامَّةُ أمراضِها من ذلك ، [حتى ربَّما مَنَعها البولَ وغير ذلك . قال : وإذا أكلت التُّراب ضرَّها ذلك] ، ولا سيَّما إذا أكثرَتْ منه فعاودَتْه .

(علاج الفيلة)

قال : وربَّما ابتلعت [منه] الحجارة . قال : وإذا أصابَها استطلاقٌ سُقيت الماءَ الحارَّ وعُلِفَت الحشيشَ المعْسول[1] . وإذا أتْعَبُوها اعتراها السَّهَر ، فتعالجَ عند ذلك بأنْ تُدْلَكَ أكتافُها بزيتٍ [وماءٍ حار . قال] : وبعضها يشرب الزّيتَ شُرْباً ذَريعاً .

(تذليل الفيل)

٧١ قال : وإذا تصعَّب الفيل وكانَ فى حِدْثان مااقتطعُوه من الوحْش فإنهم يُنْزُون عليه فِيلاً مثلَه ، ويحتالون له فى ذلك ؛ فما أكثرَ مايَجِدُونه بعد ذلك قد لاَنَ .

قال : وهو مادامَ راكبُه عليه فهو ألينُ من كلِّ ذى أربع ، وأحسَنُ طاعة ، ولكن لبعضها صعوبةٌ عند نزُوله عنه ، فإذا شدُّوا مقاديمَ قوائمها بالحبال شَدًّا قويًّا لانَتْ .

---

(١) المعسول : المخلوط بالعسل . وفى الأصل : « المغسول » .

قال : وهى على صعوبتها تأنَسُ سريعاً وتَلقَنُ سريعاً ، فأوّلُ مايعلَّم السُّجودُ للملك ؛ فإذا عرَفَه فكلما رآه سجَدَ له .

(صدق حس الفيل)

فأمَّا صِدْقُ الحسِّ فهو يفوقُ فى ذلك جميعَ الحيوان ، وهو والجمل سواءٌ إذا علِما ، لأنّ الأنثى إذا لَقِحت لم يعاوِدَاها للضِّراب . فهذه فضيلةٌ مذكورة فى حسِّ الجمل ، وقد شاركهُ الفيلُ فيها وبايَنه فى خصالٍ أخر .

(بعض خصائص الفيل)

وإناثُ الفِيَلة وذكورُها متقاربة فى السنّ[1] ، وكذلك النِّساء والرِّجال ، وهو بحرىّ الطِّباع ، ونَشأ فى الدِّفاء[2] ، وهو[3] أجردُ الجلد ، فلذلك يشتدُّ جزعه منَ البرْد . فإنْ كان أجْرَدَ الجلدِ ، فما قولهم فى أحاديثهم : طلبوا من الملك الفيلَ الأبيضَ والفِيل الأبقَع ، وجاء فلانٌ على الفيل الأسود .

(حقد الفيل)

[قال] : وأخبرَنى رجلٌ من البَحْرِيِّين لم أر فيهم أقْصَد ولاَ أسدّ ولا أقلَّ تكلُّفا منه ، قال : لم أجِدْهم يشُكُّون أنَّ فيَّالاً ضربَ فِيلاً فأوجَعَه فألحَّ عليه ، وأنَّهم عند ذلك نَهَوْه وخوّفوه وقالوا : لاتَنمْ حيثُ

(١) فيما عدا ل : « السمن » ، تحريف .
(٢) فيما عدا ل : « فى الريف » .
(٣) فيما عدا ل : « فهو » .

بمنالك ؛ فإنه من الحيوان الذى يَحقِد ويُطالِب . ولمَّا أراد ذلك السائسُ القاتلةَ شدَّه إلى أصل شجرةٍ وأحكم وَثاقَه ، ثم تنحَّى عنه بمقدارِ ذراعٍ ونام ، ولذلك السائس جُمَّـة . [قال] : فتناولَ الفيلُ بخُرطومه غصناً كان مطروحاً ، فوطِئ على طَرَفه حتى تشعَّث ، ثم أخذَه بخرطومه ، فوضع ذلك الطَّرَف على جُمَّة الهندى ، ثم لواها بخُرْطومه ، فلما ظنَّ أنها [قد] تشبَّـكت به وانعقدَت ، جذبَ العود جَذبةً فإذا الهندىُّ تحت قوائمه[1] ، فخبطه خبطة كانت نَفْسُه فيها .

فإنْ كان الحديثُ حقًّا فى أصل مخرَجِه فـكفاك بالفيل معرفةً ومكيدةً . وإنْ كان باطلاً فإنهم لم يَنْحَلُوا الفيلَ هذِه النِّحْلة[2] دونَ غيره من الدوابّ إلاّ وفيه عندهم مايحتمل ذلك[3] ويليق به .

(طيب عرق الفيل)

قال : والعرَق الذى يسيل من جَبْهته فى زمنٍ من الزّمان يضارِع المِسْكَ فى طيبه ، [و] لايعرِض له وهو فى غير بلاده .

(أثر المدن فى روائح الأشياء)

وقد علمنا أنّ لرائحة الطِّيب فضيلةً إذا كان بالمدينة ، وأنّ الناسَ إذا وجَدُوا ريح النَّوى المنقَعِ[4] بالعِراق هرَبوا منه . وأشراف أهل المدينة[5]

(١) فيما عدا ل : « جذب الهندى فإذا هو تحت رجليه » .

(٢) ل : « مثل هذه الحيل » .

(٣) فيما عدا ل : « يحتمل عليه » .

(٤) فيما عدا ل : « النقيع » وهما بمعنى .

(٥) فيما عدا ل : « وإن أهل المدينة » .

ينتابُون المواضِعَ التى يكون فيها ذلك ، التماساً لِطيب تلك الرائحة .

ويزعم تُجّار التُّبَّتِ ممن قد دخل الصِّين والزَّابِج[1] ، وقلّب تلك

٧٢ الجزائر ، ونقّب فى البلاد ، أنّ كلَّ من أقام بقصبة تُبَّت اعتراه سُرورٌ لايدرى ماسببُه ، ولا يزال مبتسما ضاحكا من غير عَجَب حتى يخرجَ منها .

ويزعمون[2] أنّ شِيرازَ من بين[3] قُرى فارس ، لها فغمَةٌ[4] طيِّبة . ومَن مَشَى واختلف فى طُرقات مدينة الرَّسول صلى الله عليه وسلم ، وجَدَ منها عَرْفاً طيِّباً وَبَنّةً عجيبَةً[5] لاتخفَى على أحدٍ ، ولا يستطيع أنْ يسمِّيَها .

ولو أدخلتَ كلَّ غالية وكلَّ عطر ، من المعجونات وغير المعجونات ، قَصبة الأهواز أو قصبة أنطاكِية[6] لوجدتَه قد تغيَّر وفسَد ، إذا أقام فيها[7] الشَّهرين والثّلاثة .

(أثر بعض التمر فى العرق)

وأجمعَ أهلُ البَحْرين أنَّ لهمْ تمراً يسمى النَّابجِيَّ[8] ، وأنّ مَن

---

(١) الزابج ، بفتح الباء وكسرها : جزيرة فى أقصى بلاد الهند ، وراء بحر هركند فى حدود الصين . وفى الأصل : « الزانج » ، تحريف . وقبلها فيما عدا ل : « قد حصل الصين » .

(٢) فيما عدا ل : « وزعموا » .

(٣) فيما عدا ل : « جميع » .

(٤) فى اللسان : « وفغمة الطيب رائحته » . ط ، هـ : « نبته » س : « نية » صوابهما فى ل .

(٥) البنة ، بالفتح : الرائحة الطيبة . فيما عدا ل : « نبتة » محرفة .

(٦) فيما عدا ل : « بقصبة الأهواز وقصبة أنطاكية » .

(٧) فيما عدا ل : « فيه » ، تحريف .

(٨) النابجى ، كذا وردت فى ل . وفيما عدا ل : « المانحى » ، ولم أجد لأحدهما ذكرا فى كتب اللغة .

نضحه وجعله نبيذاً ثمّ شربه وعليه ثوبٌ أبيض ، صبغَهُ عرقه ، حتى كأنه ثوب أتحمىٌّ[١] .

(استعمال الفيلة)

وزعم لى بعضُ البحريِّين أنها بالهند تكون نَقّالةً وعوامِلَ كعوامل البقر والإبل[٢] . والنّقالة التى تكون فى الـكَلاَّءِ والسُّوق[٣] . وأنها تذلّ لذلك] وتُسامِح وتُطاوع ، وأنّ [لها] غلاَّتٍ[٤] من هذا الوجه .

وزعم لى أنَّ أحَدَ هذه الفِيَلَةِ التى رأيناها بُسرّ من رأى ، أنّه كان لقَصّارٍ بأرض سَنْدان[٥] ، يحملُ عليه الثِّيابَ إلى الموضع الذى يغسلُها فيه[٦] . ولا أعلَمُه إلا الفيلَ الذى بعثَ به ماهانُ أو زكريا بن عطية[٧] .

(العاج)

قالوا : وعظامُ الفيل كلها عاجٌ ، إلاّ أنّ جوهَرَ النّاب أثمنُ وأكرم . وأكثَرُ ماترَى[٨] من العاج الذى فى القِباب والحِجال والفُلْك والمَداهن إنما هو من عظام الفيل[٩] ، يعرَفُ ذلك بالرّزانة والملاسة .

---

(١) فى ل : « سحمى » . وفيما عدا ل : « سخمى » بالخاء المعجمة ، صوابهما ماأثبت . والأتحمى من البرود هو الأحمر .
(٢) ل : « كعوامل الإبل » فقط .
(٣) الـكلاء ، كشداد : مرفأ السفن . وفى الأصل : « الـكلا » . وفى ل : « والنوق » تحريف .
(٤) فيما عدا ل : « وأنها غلات » .
(٥) سندان ، بالفتح : مدينة فى ملاصقة السند ، بينها وبين الديبل والمنصورة نحو عشر مراحل .
(٦) فيما عدا ل : « المواضع التى يغسلها فيه » .
(٧) ل : « أو بكر بن عطية » .
(٨) فيما عدا ل : « مايرى » .
(٩) فى الأصل : « الإبل » .

والعاجُ مَتْجر كبير ، [و] يتصرّف فى وجوهٍ كثيرة ، ولولا قَدْرُهُ لما فخر الأحنفُ بن قيس فيما فخر به على أهل الكوفة ، حيث قال : « نحن أكثرُ منكم عاجاً وساجاً ، وديباجاً وخراجاً » . ويقال إنّه من كلام خالد بن صفوان ، ويقال إنه من كلام أبى بكر الهذلى .

(موت الذباب)

[وإذا خفق بأذنه الفيلُ فأصاب ذُباباً أو يعسوباً أو زنبوراً لم يُفلِحْ] . والفرسُ الكريم تقعُ الذُّبابة على مُوقَىْ عينيه ، فيَصْفِق[1] بأحَدِ جفنَيه ، فتخرُّ الذُّبابة ميّتة . وقال ابن مُقْبل :

كأنّ اصطفاقَ مَأْقِيَيْهِ بِطرْفِهِ صِفاق أديمٍ بالأديمِ يُقابِله[2]

ويصيح الحمار فتصعق [منه] الذبابة فتموت . قال العَبْشَمِىّ[3] :

مِنَ الحمير صَعِقاً ذِبَّانُهُ بكلِّ مَيْثاء كتغريد المغَنّْ[4]

وقال عُقبة بن مكدَّم التَّغلبى[5] :

وتَرَى طَرْفَها حديداً بعيداً أعْوَجيًّا يُطنُّ رأسَ الذُّباب[6]

---

(١) صفق عينه : غمضها . فيما عدا ل : « بإحدى جفنيه » ، تحريف .

(٢) فيما عدا ل : « مآقيه بطرفته » ، وبه يختل الوزن .

(٣) فيما عدا ل : « العبسى » .

(٤) فيما عدا ل : « صعق ذبابه » .

(٥) هو المعروف بابن مكبرة الجهدى ، ومكبرة أمه . وهو عقبة بن مكدم بن عامر بن مالك ابن عبد الله بن جعدة . ذكره الآمدى فى المؤتلف والمختلف ١٦٢ . ومكدم ، بفتح الدال المشددة . وفيما عدا ل : « مكرم » تحريف .

(٦) يقال أطن ذراعه بالسيف فطنت : ضربها به فأسرع قطعها . وفيما عدا ل : « الطن » محرف .

وقال ابن مُقبل : ٧٣

ترى النُّعَرَاتِ الُخضْرَ تحتَ لَبَانِهِ فرَادَى وشَتَّى أصعقَتْهَا صواهِلُه[1]

وقال[2] فى غير هذا الباب :

وإنّى لقاضٍ بين شيبان وائل ويَشْكُرَ إنّى بالقضاء بصيرُ[3]

[وجدنا بنى شيبانَ خُرطوم وائل ويَشْكُرُ خنزيرٌ أَدَنُّ قصيرُ[4]

وليس هذا موضع هذين البيتين . وأنشد :

أمسى الَمضَاءُ ورهطُهُ فى غِبطةٍ ليسُوا كما كان الَمضَاءُ يقولُ[5]

لا تَخْرَأُ الذِّبان فوقَ رؤُوسِهم فاليومَ تَخرَأُ فوقَها وتبولُ

(قول زياد فى بناء داره)

أبو الحسن قال : قال زياد ودخلَ دارَه[6] ، وكان بناها [له] فيلٌ مولاهُ ، فلم يرضَ بناءَها ، فقال : ادعُوا [لى] فيلا . فلم يجِدُوه . فقال : ليتَها فى بطن فيل ، وفيلٌ فى البحر .

(قصة فيل مولى زياد)

وكان فيلٌ مولى زيادٍ شديدَ اللُّكْنة ، وأهدى بعضُهم إلى زيادٍ حمارَ وحش ، فقال فيل : أصلح الله الأمير ، [قد] أهدَوْا لنا هِمارَ وَهْش !

(١) النعرات : جمع نعرة كهمزة : وهى ذبابة تسقط على الدواب فتؤذيها . وفيما عدا ل : « اليعرات » ، تحريف . والرواية فى اللسان (نعر) : « أحاد ومثنى » .

(٢) فيما عدا ل : « وأنشد » .

(٣) ل : « إنى لقاض » بالجزم .

(٤) الأدن : الذى يداه قصيرتان وعنقه قريبة من الأرض . وفى الأصل وهو هنا ل : « أذب » ، محرف .

(٥) فيما عدا ل : « أمسى المضاء وأهله » .

(٦) فيما عدا ل : « وقال أبو الحسن قال دخل زياد داره » ، تحريف

فقال : أيُّ شيءٍ تقول ويْلَك ؟ قال : أهْدَوْا لنا أيراً . يريد عيراً[1] فقال زياد : الأوَّل أمثل .

(العيثوم)

وكان أبو مالكٍ يقول : العيثوم الفيلَ الأنثى . وذهب إلى قول الشاعر :

* وطِئَتْ عليك بخُفِّها العيثومُ *

ويدلّ[3] قولُ علقمةَ بن عَبْدَة على أنّ العيثومَ من صفات الفيل [العظيم الضَّخْم] . وقال :

تَتْبعُ جُوناً إذا ماهيِّجَتْ زَجَلَتْ ... كأنّ دُفًّا عَلَى العَلياءِ مَهزُوم[4]

إذا تزغَّمَ من حافاتها رُبَعٌ ... حَنَّت شعاميمُ من أوساطها كُومُ[5]

يَهْدِى بها أسْجَحُ الخدَّين مُخْتَبرٌ ... من الجِمال شديدُ الخلْق عَيثُومُ[6]

---

(١) فيما عدا ل : « يعني أيرا » . والقصة في البيان والتبيين (٢ : ٣١٢) .

(٢) من بيتين للأخطل في اللسان (عثم) لم يرويا في ديوانه . وصدر الأول :

* وملحب خضل النبات كأنما *

وصدر الثاني : * تركوا أسامة في اللقاء كأنما *

(٣) في الأصل : « فدل » . وإنما يعني الجاحظ الأبيات التالية وهي في ديوانه ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ .

(٤) ط ، س : « يتبع » ط ، س : « حدبا » ه : « حوبا » ، وفيما عدا ل : « كأن رفا » والصواب في ل والديوان والمفضليات . أي تتبع هذه الفرس الإبل لتسقى من ألبانها ، وهذه الإبل إذا هيجت الورد سمعت لها صوتا عاليا لكثرتها كأنه صوت دف مشقوق على مكان مرتفع .

(٥) تزغم : حن حنينا خفيا . ط ، س : « تزعم » ه « نزعم » ، والصواب في ل والديوان والمفضليات . والشماميم : المسان التوام . وفيما عدا ل : « سماميم » صوابه في ل . وفي المفضليات : « شغاميم » وهي بالغين المعجمة لغة في الشماميم .

(٦) الأسجح : السهل الطويل القليل اللحم . وفي المفضليات والديوان : « أكلف الخدين » . والمختبر ، بكسر الباء : المجرب ، وبفتحها المعروف بالنجابة .

(ضرب المثل ببعد ما بين الجنسين)

وقد أكثروا فى ضرب المثل ببُعدِ مابين الجِنْسين . وقال عبد الرحمن ابن الحكم[١] :

أتغضَبُ أن يقالَ أبوك عَفٌّ ... وتَرْضَى أنْ يقال أبوك زَانِى
وأشهدُ أنْ رحمك من زيادٍ ... كرحم الفيلِ من ولد الأتانِ[٢]

فجعل معاويةَ من نسل الفيل لشرفه ، وجعل زياداً من نسل الحمار لَضَعَتِه[٣] . ولعمرى لقد باعد ؛ [لأنّ الغنم وإن كانت من النعَم من ذوات الجِرّة والكروش فإنّ مابين الغنم والإبل بعيد] .

وكذلك قول الكميت :

وما خِلتُ الضِّبابَ معطَّفاتٍ ... على الحيتان من شَبَهِ الحُسُولِ[٤]

قال : فهذا أبْعَد وأبعد ، لأنه وإن [ذهب إلى أنّ] ولدَ نزارٍ عربٌ فهم فى معنى الضِّباب[٥] وساكنى الصَّحارَى ، وأولئك عَجَم ، فجعلهم كالسَّمك ٧٤

---

(١) وكذا وردت هذه النسبة فى الحيوان (١ : ١٤٦) والخزانة (٢ : ٥١٨). ونسب أيضا إلى يزيد بن مفرغ كما فى الشعراء ٧٩ والموشح ٢٧٣ . وإلى عبد الرحمن بن حسان ، كما فى العقد (٤ : ١٨٢) . وقد رسم فى شفاء الغليل ١٧٣ « كرحم الفيل من ولد الأتان » . وقال : « هذا فى شعر للكميت » .

(٢) فيما عدا ل : « أن آلك من قريش كآل » . وهى تحريف رواية : « إلك من قريش كإل » . قال الخفاجى فى شفاء الغليل : « وأصله كما فى كتاب أفعل لابن حبيب ، أن فيلا أتى واديا فرأى به حمارا فطرده ، فقال له : لم تطردنى وبينى وبينك رحم ؟ فقال : ماهى ؟ فقال : إن غرمولى يشبه خرطومك . فصدقه . وهذا مما يحكى على ألسنة الحيوانات لضرب المثل » .

(٣) فيما عدا ل : « لضعفه » تحريف .

(٤) فى الأصل : « وما خفت » ، صوابه مما سبق فى (٦ : ١٣٣). وفى س ، ط : « على الحيات » ، صوابه فى ل ، هـ وما سبق .

(٥) فيما عدا ل : « الذئاب » محرف .

الذى يعيش فى الماء . ألا ترى أنّ معاويةَ بنَ أبى سفيانَ بن يزيد ابن معاوية[١] ، لمّا قتلَتْه ضبّةٌ دسّت فى آسته سَمَكة .

وقال جرير :

ما بين تيم وإسماعيلَ مِن نَسبٍ   إلاّ قرابةُ بَيْنِ الزِّنْجِ والرُّوم[٢]

فقال قطرب : الصّقالبة أبعد . قيل له : إنّ جريراً لايفْصِل[٣] بين الصّقالبة والرُّوم .

وعلى معنى الكميت قال الآخر[٤] :

* حتى يؤلفَ بين الضبِّ والنّونِ[٥] *

وتقول العرب : « لايكون ذاك[٦] حتى يجمع بين الأروَى والنّعام » لأنّ الأرْوَى جبليَّة والنعامَ سُهْلية . و [قد] قال الكميت :

يؤلِّف بين ضِفْدِعَة وضَبٍّ   ويعجبُ أنْ نبرَّ بنى أبينا[٧]

وهذا هو معناه الأوّل . وأبعَدُ من هذا قولُ الشاعر :

* حَتّى يؤلّف بين الثّلجِ والنّارِ *

---

(١) فى الأصل : « بن معاوية بن يزيد » وليس لمعاوية بن يزيد بن معاوية عقب ؛ كما فى المعارف ١٥٤ . والذى له عقب هو أبوه يزيد بن معاوية بن أبى سفيان . وقد ذكر ابن قتيبة فى أولاد يزيد بن معاوية « أبا سفيان بن يزيد بن معاوية » .

(٢) البيت من قصيدة له فى ديوانه ٤٨٨ يهجو بها التيم .

(٣) ط فقط : « يفضل » ، تحريف .

(٤) بدله فيما عدا ل : « إنما هو على معنى قول الكميت » ، محرف . وانظر ماسبق فى (٦ : ١٣٣) .

(٥) نظيره لحارثة بن بدر فى البيان (٤ : ٦٦) :

لاتحسبن فؤادى طائرا فزعا   إذا تحالف ضب البر والنون

(٦) فيما عدا ل : « ذلك » ، وقد سبق المثل ونظائره فى (٥ : ٥٢٨) .

(٧) مضى البيت فى (٥ : ٥٢٩ / ٦ : ١٣٣) .

(قصة الجارية وأمها)

وقال أبو الحسن المدائنى[١] : قال أبو دهمان الغلاّبى عن الوقّاصى[٢] قال وحدثنى بذلك الغَيْدَاقىّ عن الوقّاصى قال : قالت جارية لأمّها ليلةَ زَفافها : يا أُمَّهْ ، إن كان أيرُ زوجى مثلَ أير الفيل كيف أحتال حتى أنتفع به ؟ قال : فقالت الأم : أى بُنَيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أمىّ فذكرتْ أنّها سألتْ عنها أمَّها فقالت : لايجوز إلا أن يجعلَكِ اللهُ مثلَ امرأةِ الفيل . قال : فسكتَتْ حولاً ثم قالتْ لأمّها : يا أمَّه ، فإنّى إنْ سألتُ ربِّى أن يجعلَنى مثلَ امرأةِ الفيل أنطمعين[٣] أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : يابُنَيَّـة ، قد سألتُ عن هذه المسأله أمِّى فذكرَتْ أنها سألَتْ عنها أمَّها فقالت : لايجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ اللهُ جميعَ نساءِ الرِّجال مثلَ نساءِ الفيلة . قال : فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت : فإن سألتُ ربّى أن يَجْعَلَ نساءَ جميعِ الرِّجالِ مثـلَ نساء الفيلة أتطمعين[٣] أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : يابنَيَّة ، قد سألتُ عن مثل هذه أمِّى فذكرت أنها سألَتْ أمَّها عنها فقالت : لايجوز [ذلك] إلا أن يجعلَ الله جميعَ رجال النساء مثلَ رجالِ نساء الفيلة . قال : فسكتَتْ عنها حولاً ثم قالت : فإنْ سألتُ

---

(١) فيما عدا ل : « المديني » ، تحريف .

(٢) ل : « قلت لأبى دهمان للغلابى عن الوقاصى » ، وفيما عدا ل : « قال أبو البرهان العلائى ثم الوقاصى » ، وقد جمعت منهما الصواب . وأنشد الجاحظ فى البيان (٢ : ٢٩١) لأبى دهمان الغلابى :

لئن مصر فاتتنى بما كنت أرتجى ... وأخلفنى منها الذى كنت آمل

فـما كل مايخشى الفتى بمصيبه ... وما كل ما يرجو الفتى هو نائل

فـما كان بينى لو لقيتك سالما ... وبين الغنى إلا ليـال قلائل

(٣) فيما عدا ل : « أتطمعى » .

ربِّى أنْ يجعلَ جميعَ رجالِ النساء مثلَ جميع نســاء الفِيَلة أتطمعين أن يَفْعَل ذلك ؟ قالت : يابُنيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنّها [قد] سألَتْ أمَّها عنها ، وأنّها قالت : يا بُنَيّة ، إنّ الله إنْ جعلَ جميع النّاسِ فِيلةً لم تجد امرأةُ الفيل مع عِظَمِ بدنها من اللّذة إلا مثلَ ماتجدين أنتِ اليومَ مع زوجك من اللذّة ، ثم تذهب عنك لذّةُ الشَّمِّ والتّقبيل والضمّ [والتقليب] ، والعِطْر والصِّبْغ ، والحَلْى والمِشطة (١) والعِتاب والتفدية وجميع مالكِ اليومَ . [قال] : فسكتَت حَولاً ثم قالت : يا أمَّهْ ، إنْ سألتُ ربِّى أن يجعلَ أير الفِيل أعظمَ أتطمعينَ أن يفعلَ ذلك ؟ قالت الأمّ : أىْ بُنيَّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنها سألَتْ عنها أمّها ، وأنها قالت : أىْ بُنيَّة ، إنّ الله إنْ جعَل أير الفيل أعظمَ ، جعل (٢) حِرَ امرأةِ الفيل أوسَع وأعظمَ ، فيعودُ الأمرُ كلُّه إلى الأمر الأوَّل . قال : فسكتَتْ [عنها] حولاً ثم قالت : يا أمّه ، فإنْ سألتُ ربِّى أن يجعل أَير الفيل أشدَّ غلْمة (٣) فيصير عددُ أكوامه أكثرَ أتطمَعين أن يفعل [ذلك] ؟ قالت : أى بُنَيّة ، قد سألتُ عن هذه المسألة أمِّى فذكرَتْ أنها سألَتْ أمَّها عنها ، وأنها قالت : أىْ بُنَيّة سَلِى اللهَ أن يجعل زوجَك أشدَّ غُلْمةً مما هو عليه ، ولكن لاتسأليه ذلك حتى تسأليه أن يزيدك (٤) فى غلمتك . قالت : يا أُمَّه ، فإن سألْتُ ربِّى أن يجعلَه فى غُلْمة

(١) المشطة ، بالكسر : الضرب من الامتشاط ، فيما عدا ل : « الممشطة » وهو مصدر ميمى .

(٢) فيما عدا ل : « وجعل » . وإنما هو جواب « إن » .

(٣) فيما عدا ل : « أعظم غلمة » .

(٤) فيما عدا ل : « يزيد » .

التيس أتطمعين أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : أىْ بُنَيَّة ، قد سألتُ عن مثل هذه المسألة أُمِّى فذكرَتْ أنها سألت عنها أُمَّها ، وأنها قالت : لايجوز أن يجعلَه فى غُلمة التِّيس حتى يجعلَه تَيساً ، قالت : يا أُمَّه فإنْ سألتُ ربِّى أن يجعله تيساً [أتطمعين فى ذلك . قالت : أى بنيَّة ، إنه لايجعله تيساً حتى يجعلَك عَنْزاً . قالت : أىْ أُمَّه ، فإنْ سألتهُ أن يجعله تيساً] ويجعلنى عنزاً أتطمعين أن يفعلَ ذلك ؟ قالت : أىْ بنيّة قد سألتُ عن هذه المسألة أُمِّى فذكرَتْ أنها زارَتْ أُمَّها لتسألها عن هذه المسألة فوجدَتْها فى آخرِ يومٍ من الدّنيا وأوّلِ يومٍ من الآخرة ، وما أشكُّ أن يَوْمى قد دنا (١) .

فلم تلبَثِ [الأمُّ] إلا أياماً حتى ماتت (٢) .

بـاب الظلف

وهى الظِّباء وهى مَعْزٌ ، والمعزُ أَجناسٌ . والبقرُ الوحشىُّ ذاتُ أظلافٍ وهى بالمعْز أشبَهُ منها بالبقر الأهلىّ ، و [هى] فى ذلك تسمَّى نعاجا . وليس بينها وبين الظِّباء ،وإن كانت ذواتِ جرّةٍ وكرُوشٍ وقُرونٍ وأظلافٍ تَسافدٌ ولا تلاقح . وهى تُشْبهها فى الشعَر ، وفى عَدَم السّنام .

ومن الظِّلْف الوَعِل ، والثَّيتَل ، والتّامور (٣) ، والأيّل . جَبَليات كلُّها ، لا أدرى كيفَ التّسافد والتلاقح منها .

---

(١) ل : « أن أجلى قد دنا » .

(٢) بعد هذه الكلمة فيما عدا ل : « معناها فى تسويف اللذة ودفعها بالحيلة » ، ولا إخالها من كلام الجاحظ .

(٣) فى اللسان (أمر) : « التامور جنس من الأوعال أو شبيه بها ، له قرن واحد متشعب فى وسط رأسه » . فيما عدا ل : « النامور » ، محرف .

ومن الظّلف الخنازيرُ وهى بلا كَرِشٍ ولا جِرّة ولا قَرْنٍ (١) . وليس بينهما موافقةٌ إلا فى الظّلف .

وفى الخنازير ما ليس ظِلفه بمنشقٍّ ، فذاك(٢) هو المخالفُ بالنّاب وبعدم(٣) [هذه] الأشياءِ كلِّها .

وتُشاكلُ(٤) المعْزَ والبقرَ والظباءَ بالشَّعَر وقِصَر الذَّنب ، وتُخالف(٥) البقر والجواميسَ فى طول الذَّنَب ، وفى عدد أيّام الحَمْل . ٧ ب

ومن الظلف الضأنُ والمَعْز ، وقد يكون بينهما(٦) تسافدٌ وتلاقح إلا أنها تُلقيه مَلِيطاً قبل أن يُشْعِر(٧) ، وذلك أقلُّ من القليل .

ومن الظلف البقر الأهليُّ ، والجواميس ، وهى أهليةٌ أبداً ، وهى موافقةٌ للضأن فى القرن(٨) وفى عدم النّاب ، و[فى] الجِرَّة والكَرِش . وتخالف الضأنَ فى الصُّوف والسنام(٩) وتوافق المعز فى الشعر وتخالف [فى] السنام(٩) ، وتخالف جميعَ الغنم فى الحَمْل ؛ لأن الغنمَ تضع لخمسة أشهر . والبقر تضَعُ كما تضعُ المرأةُ فى تسعة أشهر . وليس تُشْبه المرأة فى غير ذلك ، إلا مايذكرون من الغَبَب ونُتُوِّ الكاهل ، فإنهما ربما كانا فى بعض النساء ، وأكثر ذلك فى نساء الدَّهاقين .

---

(١) فيما عدا ل : « وهى لا كرش ولا جرة ولا قرون » ، محرف .

(٢) فيما عدا ل : « فيقال » .

(٣) فيما عدا ل « وتقدر » ، محرف .

(٤) أى الخنازير . وفى ل : « تتشاكل » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « ويخالف » ، محرف .

(٦) ل : « بينها » .

(٧) المليط : الذى لاشعر عليه . ويقال أشعر الجنين فى بطن أمه ، وشعر بالتشديد ، واستشعر ، أى نبت عليه الشعر .

(٨) فيما عدا ل : القرون » .

(٩) كذا وردت هذه الكلمة .

(القول فى الزرافة)

قالوا : وللزّرافة تكون فى أرض النّوبة فقط . قالوا : وهى تسمَّى بالفارسية أُشترْ كَاوْ بلنك[1] كأنه قال : بعير ، بقرة ، نمر[2] . لأنّ كاوْ هو البقرة ، وأُشتُر [هو[3]] الَجمل ، وبلنك هو النَّمر[4] .

فزعموا أنّ الزرافةَ ولدُ النمرة[5] من الجمل . فلو زعمتم أنّ الجَملَ يكوم الضَّبُعَ ويكوم [بعض] ماله ظِلفٌ ما كان إلا كذلك . والمسافدةُ فى أجناس المخلب والخُفّ والحافر أعمُّ ، فلو جعلوا الفحلَ هو ا لنمر ، والأنثى هى الناقة ، كان ذلك أقرَبَ فى الوهم .

وليس كل ذكر يكومُ[6] أنثى يُلقِحُها . وقد يكومُ الإنسانُ الدابَّةَ بشهوةٍ منهما جميعاً ولا يكون تَلاقُح كما اتّفقا فى المسافدة . وإنّ الرّاعىَ يكومُ الغنمَ وغيرَ الغنم .

وانظرْ ، كم مِنْ ضَرْبٍ ادَّعَوْا مّما لا يُعرَف : فواحدةٌ أنّ بهيمةً[7]

---

(١) أشتر ، بضم الهمزة والتاء . وفى ط ، ه : « شتر » وهى صحيحة أيضا ، تقال بضم الشين والتاء . وبلنك ، هى فى الفارسية بالباء المفخمة .

(٢) ط ، س : « كأنه يعنى بقرة » ه : « كأنه يعنى بقرة جمل » ، وأثبت النص كاملا من ل .

(٣) هذه من ه فقط .

(٤) الذى فى ل بعد كلمة « نمر » السابقة : « لأن بلنك نمر » . وكلمة « النمر » هى فيما عدا ل : « الضبع » وهو يوافق مامضى فى (١ : ١٤٣) ، والصواب ما أثبت . أما الضبع بالفارسية فهى « كفتار » كما سبق التحقيق فى (٦ : ٤٥٢) .

(٥) فيما عدا ل : « النمر » .

(٦) الكوم : الضراب . ط فقط : « يكون » ، محرف .

(٧) فيما عدا ل : « بهيما » ، تحريف .

ذكراً اشتهى سبعاً أنثى ، وهو من أصعب السِّباع . ثم الثانية أنه ألقح[١] - والثالثة أنّ أرحامَ النمور لا تتّسع لأولاد الإبل .

قالوا : نمورُهم عِظامٌ وإبلُهم لِطاف . وقد تتّسِع أرحامُ القِلاص العربيَّة لفوالج[٢] كِرْمان ، فتجيء بهذه الجَمَّازات[٣] . ولولا أنه فسَّرَ[٤] لجازَ أن يكونَ النَّمِرُ يكومُ النّاقةَ فتتَّسع أرحامُها لذلك .

قالوا : وفى أعالى بلاد النُّوبة تجتمع سباعٌ ووحوشٌ ودوابُّ كثيرة ، فى حَمَارَّةِ القَيظ إلى شرائعِ المياه ، فتتسافَدُ هناك فيَلْقَح منها ما يَلْقَح ، ويمتنعَ ما يمتنع ، فيجيءُ من ذلك خلقٌ كثيرٌ[٥] مختلفُ الصُّورة والشكل والقَدْر ، منها الزَّرَافة .

وللزّرافةُ خَطْمُ الجمل ، والجِلد للنَّمِر[٦] ، والأظلاف والقرن للأيِّل[٧] ، والذَّنَب للظَّبْى ، والأسنان للبقَر ، فإنْ كانت أمُّها ناقة فقد كامَها نمِرٌ وظبىٌ وأيِّل فى تلك الشرائع . وهذا القولُ يدلُّ على جَهْلٍ شديد .

والزّرافة طويلةَ الرِّجْلين ، منحنية إلى مآخيرها[٨] ، وليس لرجلَيْها ركبتان ، وإنما الرُّكبتانِ ليديها ؛ وكذلك البهائم كلُّها . وعَسَاهُ إنما أرادَ ٧٧

---

(١) ط فقط : « أن ألقح » .

(٢) الفالج : الجمل الضخم ذو السنامين . فيما عدا ل : « للوافح » ، محرف .

(٣) الجمازات : جمع جمازة ، وهى التى تجمز ، أى تسرع فى عدوها . وانظر (١ : ٨٣ - ٨٤ / ٥ : ٤٥٩) . وفيما عدا ل : « الجبارات » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ولولا أنه سبع » .

(٥) ل : « عظيم » .

(٦) أى جلد الزرافة يمت إلى النمر بسبب وشيه .

(٧) بدلها فى ل : « والرأس والأظلاف للأيل » ، والوجه ما أثبت من سائر النسخ .

(٨) فيما عدا ل : « إلى أواخرها » .

الثفِنات[١] . والإنسانُ رُكبتاه فى رجلَيه .

ويقولون : « أُشْتُرْ مُرْك[٢] » للنَّعامة ، على التَّشبيه بالبعير والطَّائر ، يريدون تشابُهَ الخلق ، لا على الولادة .

ويقولون للجاموس « كاوماش[٣] » على أن الجاموس يُشْبه الكبشَ والثَّوْر ، لا على الولادة ، لأنّ كاو بقرة ، وماش[٤] [اسمٌ للضأن .

وقال آخر : تضع أمُّ الزَّرافة ولدَها من بعض السِّباع ، ولا يشعرُ النَّاسُ بذلك الذَّكر . قالوا : كاوماش] على شَبَه الجواميس بالضّأن ، لأنَّ البقرَ والضأنَ لا يقع بينهما تلاقحٌ . والتّفليس[٥] الذى فى الزَّرافة لا يُشْبه الذى فى النَّمر ، وهو بالبَبْر[٦] أشبَه ، وما النمرُ بأحقَّ به[٧] من هذا الوجه من الفَهْد .

(تسافد الأجناس المختلفة)

وقد يمكن أن تُسْمِحَ الضَّبعُ للذِّئب[٨] ؛ [والذِّئبة للذِّيخ] ، والكلبةُ للذِّئبِ وكذلكَ الثعلبُ والهرَّةُ ، وكذلِكَ الطَّيْرُ وأجْناس الحمامِ كالوَرْدَانىِّ

(١) كذا وردت هذه العبارة فى ل . وبدلها فى ط : « وعصاها إن أرادت القيام » ، وفى س ، ه : « وعصاها إذا أرادت القيام » لكن فى س : « فمساها » وهاتان عبارتان مقحمتان ، وأما ماجاء فى ل فهو إما دليل على سقط قبله ، أو هو دخيل على الكتاب من تعليق قارئ أو ناسخ .

(٢) مرك ، والأصح فيه « مرغ » بضم الميم وآخره غين معجمة كما فى معجم استينجاس ١٢١٦ ، وكما سبق (١ : ١٤٣ / ٤ : ٣٢١) . لكن سبق نظير هذا التساهل فى النطق فى ص ١٢٠ وقد نبهت عليه . وفيما عدا ل : « اشترمك » محرف .

(٣) فيما عدا ل : « كاوماس » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ماس » ، تحريف .

(٥) التفليس : أراد به اللمع التى تشبه الفلوس .

(٦) فيما عدا ل : « بالليث » ، تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « وما الليث أحق به » ، محرف .

(٨) فيما عدا ل : « للأرنب » ، تحريف .

والوَرَشان والحمام ، وكالشِّهرىّ من بين الحِجْر والبِرْذَوْن ، والرَّمَكة والفَرَس ، والبغلِ من بين الرَّمَكة والحمار .

فأمَّا بُروك الجمل على النَّمرة ، والجملُ لابدَّ أنْ تكون طَرُوقته باركةً ، فكيف تبركُ النَّمرة للجمل ، والسِّباع إنما تتسافد وتتلاقح قائمةً ، وكذلك الظِّلف والحافر ، والمِخْلَب ، والخُفّ . والإنسانُ والتِّمْساح يتبطَّنان الأنثى . والطيرُ كلُّه إنما يتسافَدُ ويتلاقح بالأستاه من خلف[1] وهى قائمة .

(شواذ السفاد)

وزعموا أنَّ الغرابَ يُزَاقُّ[2] . والحُمَّرُ والقَبَج ربَّما ألقحا الإناث[3] إذا كانا على عُلاَوَة الرِّيح[4] . ولا تكونُ الولادةُ إلاّ فى موضع[5] إلقاء النُّطفة [والشىء الذى يلقح منه] .

وأمَّا السَّمكةُ فقد عايَن[6] قومٌ مُعارضَةَ الذكر للأُنْثَى ، فإذا سَبَح الذكَرُ إلى جنب الأنثى عَقَفَ ذنبَه وعقفَتْ ذَنَبها ، فيلتقى المبالان[7] فتكونُ الولادة [من] حيث يكون التلقيح ، لا يجوزُ غير ذلك .

والذين يزعمون[8] أن الحجَلةَ تلقَحُ من الحجَل إذا كانَتْ فى سُفَالة

---

(١) هاتان الكلمتان ليستا فى ل .
(٢) أى يكون لقاحه الأنثى بالتزاق . انظر لهذا المعنى ماسبق فى (٣ : ١٧٧) .
(٣) فيما عدا ل : « الحجل و القبج فربما ألقحا الإناث » ، تحريف .
(٤) علاوة الريح بالضم : أعلاها ، ويقابلها السفالة بالضم أيضا .
(٥) فيما عدا ل : « مواضع » .
(٦) فيما عدا ل : « باين » ، محرفة .
(٧) فيما عدا ل : « الحياءان » .
(٨) فيما عدا ل : « زعموا » .

الرِّيح ، من شيءٍ ينفصل من الذَّكر[1] . فإنما شبَّهوا الحجَل بالنَّخْل ، فإن[2] النخلةَ ربما لقِحَتْ من ريح كافورِ الفُحَّالِ[3] إذا كانت تحتَ الرِّيح .

(المخايرة بين ذوات القرون والجم)

[قال] : وسئل الشَّرْقيّ عن مخايرةِ[4] مابين [ذوات] القرون والُجمّ فقال : الإبل والخيل من [الخفّ و] الحافر . والبرثُن والِمخْلب والقدَم التي هي للإنسان[5] . [قال] : فمن خصال ذى القرن أنَّ منه [وإليه ينسب] ذو القرنين[6] الملكُ المذكورُ في القرآن ، ويزعم بعضُهم أنه الإسكَنْدَر . وقال أميَّة بن أبي الصَّلْت :

رَجُلٌ وثَوْرٌ تحتَ رجل يمينهِ والنَّسْرُ للأُخْرى ولَيْثٌ مُرْصَدُ[7]

(استطراد لغوى)

وَيقالُ ضَرَبَه على قَرْنه . وقَرْنٌ من دم ، كما يقال قرنٌ من عرَقٍ[8] . والقَرْن : أمَّة بعد أمَّة . والقَرَنُ[9] : شيءٌ يصيب فُروج النساء يُشْبِه العَفَلة[10] .

---

(١) ط : « في شيء لنقصان مني الذكر » س ، هـ : « في شيء لنقصان من الذكر » صوابهما في ل .

(٢) فيما عدا ل : « وإن » .

(٣) الفحال ، بالضم : ذكر النخل . فيما عدا ل : « النخال » ، محرفة .

(٤) فيما عدا ل : « محاجزة » ، تحريف .

(٥) كذا وردت هذه العبارة .

(٦) فيما عدا ل : « ذا القرنين » .

(٧) سبق البيت والكلام عليه في (٦ : ٢٢٢) .

(٨) القرن : الدفعة من العرق ، يقال عصرنا الفرس قرنا أو قرنين . قال زهير :

تضمر بالأصائل كل يوم تسن على سنابكها القرون

(٩) هو بسكون الراء اسم العفلة ، وبفتحها اسم العيب .

(١٠) العفلة ، بالتحريك هي للنساء شبه الأدرة التي للرجال في الخصية . قالوا : والعفل =

(ذوات القرون)

٧٨ والفيل من ذوات القرون ، وفى الحيَّات والأفاعِى مالها قرون ، وإنما ذلك الذى تسمع أنه[١] قرن إنما هو شيءٌ يقولونه على التَّشبيه ، لأنّه من جنس الجِلْد والغضروف . ولو كان من جنس القُرون لكانت الحيّة صلبةَ الرأس ، والحية أضعفُ خَلق الله رأسًا[٢] ، ورأسُه هو مَقْتلُه ؛ لأن كلَّ شيءٍ له قرنٌ فرأسُه أصْلَب ، وسلاحُه أتمّ . والقَرْنُ[٣] سلاحٌ عَتِيدٌ غير مُجْتَلبٍ[٤] ولا مصنوع ، وهو لذَوات القُرون فى الرؤوس . وللكرْكدَّن قرنٌ فى جبهته ، والجاموس أوثق بقَرْنِه من الأسد بمخْلبه ونابه .

وتقول المجوس : يجيء شُوتَن[٥] على بقرةٍ ذاتِ قُرون .

وظهرت الآية فى شأن داودَ وطالوتَ فى القَرْن . وشَبُّورُ اليَهود من قَرْن[٦] . والبُوق فى الحُروب مُذ كانت الحَرْب[٧] إنما كان قرناً .

= لايكون فى الأبكار ، ولا يصيب المرأة إلا بعد ماتلد . ط : « يشبه بالعقلة » س : « لشقه بالعفلة » ، هـ : « لشفه بالعفلة » ، والوجه ماأثبت من ل .

(١) ط ، هـ : « سمع به » ل ، س : « تسمع به » والوجه ماأثبت .

(٢) فيما عدا ل : « أضعف شيء رأسا » .

(٣) فيما عدا ل : « والقرون » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « غير مختلف » ، تحريف .

(٥) ل : « بشوثن » وفيما عدا ل : « سرقين » . وانظر ماسبق فى (٦ : ٤٧٧) واستدراكات الجزء السادس .

(٦) انظر للشبور مامضى فى (٤ : ٥٢٥) .

(٧) فيما عدا ل : « التى منها كانت الحرب » ، تحريف .

[وبُوق الرَّحَى قرنٌ . والأيّل يَنْصُل قَرنَه فى كلّ عامٍ . وكان سِنان رُمح الفارس فى الجاهليَّة رَوقَ ثَور] .

(مايسمى بروق)

ويسمَّى الرَّجلُ بِرَوق ، والرَّوْق كالشىء يعاقب الشىء[1] . وقال بشّار فى التَّعَاقُب[2] :

أعقَبَتْه الجَنُوبُ رَوْقاً من الأزْيَبِ [3]

وفى العرَب رَوْق وأبو رَوْقٍ[4] . وقال ابن مَيّادة :

دَانَ له الرَّوقانِ من وائلٍ ... وَقَبْلَهُ دَانَتْ له حِمْـيَرُ[5]

الرَّوْقانِ : بكرٌ وتَغلِب[6] .

(استطراد لغوى)

ويقال قَرْنُ الضُّحى ، وقَرْنُ الشّمس ، [وقُرون الشَّعَر] ، وقَرْنَ الـكَلأ[7] ، وقرون السُّنْبل ، وأطرافُ عذوق النّخْل وأطراف عروق الحَلْفاء[8] وإبرةُ العقرب كلُّها قُرون .

---

(١) فيما عدا ل : « كل شىء يضاف إلى شىء » .

(٢) فيما عدا ل : « اليعاقيب » تحريف .

(٣) كذا ورد البيت منقوصا . وفيما عدا ل : « أعقبه » . والأزيب : النكباء التى تجرى بين الصبا والجنوب . ط ، س « الأريب » وفى ل ، هـ : « الأرنب » ، صوابهما ما أثبت .

(٤) وردت هذه الجملة فى ل قبل « وقال بشار » .

(٥) فيما عدا ل : « دان له حمير » .

(٦) كذا . وقد ذكر المحبى فى جنى الجنتين ٥٦ أنهما مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب ، وقال فى ٥٣ : « الرأسان مالك وجشم ابنا بكر بن حبيب ، وهما الروقان أيضا » .

(٧) ط فقط : « قرن الـكلام » ، محرف . وفى اللسان : « وقرن الـكلأ أنفه الذى لم يوطأ ، وقيل خيره ، وقيل آخره . وأصاب قرن الـكلأ ، إذا أصاب مالا وافرا » .

(٨) ل : « عروق » فى الموضعين . وفيما عدا ل : « عذوق » فى الموضعين . ولعل الوجه فيما أثبت .

(علاقة القرون واللحى بالذكور)

والأجناس التى [تكون] لها القرون تكون قرونُها فى الذُّكور منها . وقد يكون الفحلُ أجمَّ ، كما أن اللِّحَى عامٌّ فى الرِّجال . وقد يكون فيهم السِّناط[١] .

(أنواع القرون)

وقد تَتَشعَّبُ[٢] قرونُ الظباء إذا أسنَّتْ .

وقرونُ الظِّباء وبقَرِ الوحْش شِدادٌ جدًّا ، وإنما تعتمد الأوعالُ فى الوُثوب[٣] وفى القذْف بأنفسها مِن أعالى الجبال على القُرون . والأغلب على القُرون أن تكون اثنَيْن اثنَين[٤] . وقد يكون لبعض الغنم قرون عِدّة .

(استخدام القرون)

والجواميسُ تمنَعُ أنفسَها وأولادَها من الأُسْد بالقُرون ، وبقَر الوحش تمنَع أنفسَها وأولادَها من كِلاب القُنَّاص ومن السِّباع التى تُطيف بها ، بالقُرون . قال الطِّرِمَّاح :

أكَلَ السَّبْعُ طَلاَها فما   تَسْألُ الأشباحَ غَيرَ انهزَامْ[٥]

---

(١) السناط ، بكسر السين وضمها . ويقال أيضا « السنوط » كصبور : الذى لا لحية له . ط : « السنباط » صوابه فى س ، هـ . وفى ل : « السوط » صواب هذه « السنوط » . وكلمة « فيهم » هى فيما عدا ل : « منهم » .

(٢) فيما عدا ل : « تشعب » .

(٣) فيما عدا ل : « وإنما تعتمد الأوعال فى السلاح والوثوب » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « اثنتين اثنتين » ، محرف .

(٥) البيت فى ديوان الطرماح ١٠٧ . فيما عدا ل : « فما تسل الإسلام » صوابه =

(قصة فى سفاد الخنزير)

وقال ابن النُّوشَجانىّ(١) : أقبلت من خراسان فى [بعض] طُرُق الجِبال(٢) فرأيتُ أكثرَ من مِيلَين [متّصلينِ] فى مواضعَ كثيرةٍ من الأرض ، أثر ستِّ أرجل ، [فقلت فى نفسى : ما أعرف دابّة لها ستُّ أرجُل] ! فاضطرَّنى الأمر(٣) إلى أنْ سألتُ المُكارِىَ ، فزعَم أنَّ الخنزيرَ الذّكرَ فى زمان الهَيْج يركب الخنزيرة وهى ترتَع أو تذهَبُ نحوَ مَبيتِها ، ٧٩ فلا يَقْطعُ سفادَه أميالاً ، ويداه على ظَهْرها ورجلاهُ خَلْف رجليها ، فمَنْ رأى تلك الآثار(٤) ، رأى ستّ أرجل ، لايدرى كيفَ ذلك .

(مايعرف بطول السفاد)

قال : فالخنزير فى ذلك على شَبيهٍ(٥) [بحال] الذباب [الذكر] إذا سقط(٦) على ظهر الأنثى ، فى طول السِّفاد .

وإنّ الجملَ فى ذلك لعجيب الشّأن ، فأمّا العدد فالعصفور(٧) ، ويُحكَى أنَّ للورَل فى ذلك ما ليس لشىءٍ ، يعنى فى القوة ، وأنشد أبو عبيدةَ :

= فى ل والديوان . وفى شرح الديوان : « هذا مثل . يقول : لاتسأل الأشياح مما بها من الفزع ... غير انهزام : غير أنها تغدو وهى منهزمة » .

(١) النوشجانى : نسبة إلى نوشجان ، بضم النون وفتح الشين ، وهى مدينة بفارس . وفى ط ، س : « النوسحاد » ، وفى هـ : « البرسحار » ، صوابهما ماأثبت من ل وكتاب البغال ص ٣١٧ من رسائل الجاحظ .

(٢) فيما عدا ل : « طروف الجبال » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « فاضطرنى ذلك » ، محرف .

(٤) فيما عدا ل : « ذلك الأثر » .

(٥) فيما عدا ل : « شبه » .

(٦) فيما عدا ل : « سقطت » ، تحريف

(٧) فيما عدا ل : « والعدد فى العصفور » .

فى عُظْمِ أيرِ الفيل فى رَهْز الفرَسْ[1]
وطولِ عَيْسٍ جَمَــل إذا دَحَسْ[2]

(فرس المـاء)

قال عَمْرُو بنُ سعيد : فرس الماء يأكل التِّمساح . قال : ويكون فى النِّيل خُيول ، وفى تلك البحور – يعنى تلك الخُلْجان – مثلُ خيول البرّ ، وهى تأكل التماسيح أكلاً شديداً[3] ، وليس للتماسيح فى وسط الماء سلطان[4] شديد[5] إلاّ على ما احتمَلَه بذنَبه من الشَّريعة .

قال : وفرس الماء[6] يؤْذِن بطلوع النِّيل ، بأثر وطْء حافرِه ، فحيث وجدَ أهلُ مِصرَ أثرَ تلك الأرجل عرَفُوا أنّ [ماء] النيل سيَنتهى[7] فى طلوعه إلى ذلك المـكان .

وهذا الفَرَس ربّما رعَى الزُّرُوع[8] ، وليس يبدأُ إذا رَعَى فى أدْنَى الزَّرْع إليه ، ولـكنّه يحزِرُ منه قدْرَ ما يأكل[9] ، فيبدَأُ بأكله[10] من

(١) ط : س : « الفيل وهو قوس » ، هـ : « وهو موس » ، وأثبت ما فى ل . وفى كتاب البغال ٣١٥ : « أير البغل » .
(٢) العيس ، بالفتح : الضراب . وفيما عدا ل : « وطول حبس إذا حبس » .
(٣) فيما عدا ل : « التمساح أكلا ذريعا » .
(٤) هذه الجملة ساقطة من هـ . وفيما عدا ل : « ولا للتمساح فى وسط المـاء سلطان » ، تحريف .
(٥) هذه الـكلمة ساقطة من س . وبدلها فى ط ، هـ : « يظهر » .
(٦) فيما عدا ل : « وفرس البحر » .
(٧) فيما عدا ل : « ينتهى » .
(٨) فيما عدا ل : « الزرع » .
(٩) الحزر : تقدير الشىء بالحدس والظن . فيما عدا ل : « يحرز منه بقدر ما يأكل » تحريف .
(١٠) ط ، هـ : « يبدأ فيأكل بأكله » س : « فيبدأ فيأكل بأكله » ، ووجهه ما أثبت من ل .

أقصاه ، فيرعى مُقْبِلا إلى النِّيل ، وربَّما شرب [هذا الفرس] من الماء ، بعد المَرْعَى (١) ثم قاءه في المكان الذي رَعى فيه (٢) ، فينبت أيضاً .

والطَّير عندنا يأكلُ التُّوت ويَذرُقه (٣) ، فينبت من ذَرْقه شجَر التُّوت .

قالوا : وإذا أصابُوا من هذه الخيل فِلْوًا صغيراً (٤) ربّوه مع نسائهم وصبيانهم في البيوت ، ولم يزِدْ على هذا الكلام [شيئا] .

قال : وفي سنّ من أسنانه شفاءٌ من وجع المَعِدة .

(التداوى بفرس الماء وبنات عرس)

قال : والنُّوبةُ وناسٌ من الحبَشة يأكلون الحيتان (٥) نِيَّةً بغير نار ، ويشربون الماءَ العكر فيمرَضُون (٦) ، فإذا علَّقوا سنّ هذا [الفرس] أفاقوا ، قال : وأعفاج هذا الفرس تُبرئ من الجنون والصَّرْع الذى يعترِى مع الأهلَّة (٧) .

قال : وكذلك لحومُ بنات عِرْسٍ صالحة لِمَنْ به هذه العِلّة .

---

(١) فيما عدا ل : « بعد الرى » ، تحريف .

(٢) ط ، هـ : « ثم قاء » . وفيما عدا ل : « يرعى فيه »

(٣) فيما عدا ل : « تأكل التوت وتذرقه » والأمثل ما كتبت من ل .

(٤) الفلو : الجحش والمهر إذا افتلى وفطم . يقال بكسر الفاء ، وبضمها مع اللام وتشديد الواو ، وبفتحها مع ضم اللام وتشديد الواو .

(٥) فيما عدا ل : « الحية » .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفيما عدا ل : « الماء العطن » .

(٧) انظر لهذا ماسبق في ص ١٢٨ .

(صيد الذئب للإنسان)

قال : وإنما يكونُ الإنسان من مصايد الذِّئب إذا لقيه والأرض ثَلْجاء(١) ، فإنّه عند ذلك يَحْفِش وجْهَ الأرض(٢) ويجمعُه ، ويضرب وجهَ الرجل(٣) فارساً كان أو راجلاً . قال : ودُقاق(٤) الثَّلج وغُباره إذا صَكَّ وجهَ الفارس سَدِرَ واسترْخَى وتحيَّر بَصَرُه ، فإذا رأى ماقد حلَّ به فربّما بَعَجَ بطنَ الدَّابّة ، وربما عضَّها ، فيقبضُ على الفارس فيصرعُه ولا حَرَاكَ به ، فيأكله كيف شاء ، إلا أن يكون الفارس مجرباً ماهراً ، فيشدُّ عليه عند ذلك بالسِّلاح ، وهو فى ذلك يَسيرُ ويقطعُ المفازةَ ، ولا يدعَه(٥) حينئذٍ يتمكَّن من النفر عليه .

(تعليم الذئب وتأليفه)

وزَعَم عبويه أنّ الخصىّ للعبدى الفقيه من أهل هَمَدان ، السودانىّ(٦)
٨٠ الجَبَلّى ، وهو رجل من العرب قد ولدته حليمةُ ظئرُ النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، وهو من بنى سعد بن بكر ، فزعَم أنَّ السُّودانى أشبَهُ خلْق الله بجارحةٍ ، وأحكمُهمْ بتدبير ذئبٍ وكلبٍ وَأسدٍ ونَمر ، وتعليم وتثقيف ، وأنّه

(١) لم أجد هذا الوصف فيما لدى من المعاجم .

(٢) يحفشه : يقشره . ط : « يخفش » ، صوابه بالحاء كما أثبت من س . وفى هـ : « يحنش » تحريف .

(٣) ط فقط : « وجه الأرض » تحريف .

(٤) الدقاق ، بالضم . ط ، هـ : « دقائق » .

(٥) الكلام بعد هذا اللفظ إلى « منحتكم المودة من فؤادى » التى ستأتى فى ص ٢٥٦ لم أعثر على موضعها فى نسخة ل .

(٦) انظر ماسبق فى حواشى (٦ : ٢٦) .

بلغ من حذقه ورفقه أنّه ضَرّى ذئباً وعلّمه، حتى اصطاد له الظِّباء والثّعالبَ وغيرَ ذلك من الوحوش، وأنّ هذا الذئبَ بعينه سَرَّحَه فرجع إليه من ثلاثين فرسخا، وذكر أنّ هذا الذئبَ اليومَ بالعسكر، وحدّثني بهذا الحديث في الأيام التي قام بها أميرُ المؤمنين المتوكِّلُ على الله، وذكر أنّه ضَرَّى أسداً حتى ألِف وصار أهليًّا صَيُوداً، حتى اصطادَ الحميرَ والبقرَ وعِظامَ الوحش صيداً ذريعا، إلا أنَّ الأسَد بعد هذا كله وثَب على ولدٍ له فأكلَه، فقتَلهُ السوداني.

والذي عندنا في الذِّئب أنه يألف. ولو أخذ إنسانٌ جرواً صغيراً من جرائه ثمَّ ربَّاه، لما نَزَعَ إلا وحشيًّا غَدُورًا مُفْسداً. ولذلك قال الأعرابي:

أكلْتَ شُوَيهتي ونَشَأْتَ فينا   فمن أنباك أنَّ أباكَ ذيبُ[1]

فالذي حكى عبويه من شأن هذا الذِّئب والأسد من غريب الغريب.

(مصارعة كلبة لثعلب)

وأخبرني عبويه صاحب ياسر الخادم قال: أرسلتُ كلبة لي فحاصرَتْ ثعلبا، فوالله إنْ زالا كذلك حتى خرَّا ميّتين، قال: فقلت: أكرِمْ بهما صيداً ومَصيداً، وطالبا ومطلوبا.

(من خصائص الكبار والفلاسفة)

قال: وإذا أسنَّ القرشيُّ رَحَل إلى الحجاز.

وقال: ما احتنَك رجلٌ قطُّ إلا أحبَّ الخلوة، وقالوا: مافكَّر فيلسوفٌ قط إلا رأى الغُربةَ أجمَعَ لهمِّه وأجوَدَ لخواطره.

---

(١) سبق البيت والخبر وتخريجهما في ١٨٧.

(قول بكر المزنى فى الأَرَضَة)

قال : وشتم رجلٌ الأَرَضَة فقال بكر بن عبد الله المُزَنى : « مَهْ ، فهى التى أكلَتْ جميع الصَّحيفةِ التى تعاقَدَ المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا ذِكرَ رسول الله ، وبها تبيَّنت الجنُّ أن لو كانوا يعلمون الغيبَ ما لبثوا فى العذاب المهين ، وبها تـكشَّف أمرُها عند العوّام بعد الفتنة العظيمة عندهم ، وكان على الخاصّة من ذلك أعظم المحن » .

(طول ذماء الضب)

وخبَّرَنى رجلٌ من بنى هاشمٍ كان منهوماً بالصَّيدِ لَهِجاً به ، أنَّه ضَرَبَ وَسَطَ ضَبٍّ بالسَّيفِ فقطعه نِصفَين ، فتحرَّك كلُّ واحدٍ منهما على حِيالِه ساعةً من نهار ثمَّ سَكَنا .

(الورل والضب)

وأخبرنى أنهم كانوا يُهارِشون بين الضَّبِّ والوَرَل ، فيُلْغِبُه الورلُ حتى يقتله (١) .

وحكَى أنَّ الورلَ يقتل الضبَّ على معنى الصائد والطالب ، وأن الضبَّ يقاتل على معنى المُحْرَج ، وأنّه هارَشَ بين الورَل والحيَّة فوجد الورَلَ يقتل الحيّة ويأكلها ، ويقتل الضبَّ ولا يأكله ولـكن حُسُوله (٢) . ٨١

---

(١) ألغبه : أنصبه وأتعبه . واللغوب : التعب والإعياء . س ، هـ : « فيغلبه » تحريف صوابه فى ط .

(٢) الحسول : جمع حسل ، وهو ولد الضب . وفى الأصل : « ولـكنه » .

(علة عدم قتل الأعراب للورل والقنفذ)

وزعم أنّه وجَدَ مشايخَ الأعرابِ لايقتلون وَرَلاً ولا قنفُذًا ولا يدَعُون أحداً يصطادهما ، لأنهما يقتلان الأفاعىَ ، ويُريحانِ الناسَ منها .

(نوادر من الشعر والخبر)

وأنشد أبو عبيدة لأبي ذؤيب :

وسَوَّدَ ماءُ المَرْدِ فاها فلَونُه ... كلَوْنِ النَّؤُورِ وهى بيضاءُ سَارُها (١)

وأنشد شبيها به للنابغة :

يَتَحَلَّبُ اليعضيد من أشداقها ... صفرًا مَناخِرُها من[الجرجار] (٢)

وأنشد شبيها بذلك لإبراهيم بن هَرْمة :

كأنَّها إذْ خُضِبت حِنًّا وَدَمْ (٣) ... والُحرضِ والعـ..ن والهَرْمِ العُصُمْ (٤)

وأنشد أيضاً :

تعلّم الأكل أولاد الظباء بها ... فمـا يحسّ بها سِيدٌ ولا أسَدُ

---

(١) المرد : الغض من ثمر الأراك . ط ، س : « المزن » صوابه فى هـ . وفى الأصل : « منها » بدل « فاها » صوابه فى ديوان أبى ذؤيب ٢٤ . وسارها ، أراد سائرها . ورواية الديوان « أدماء سارها » .

(٢) اليعضيد : بقلة زهرها أشد صفرة من الورس . وفى الأصل : « يتجلب » ، تحريف . وفى ط ، س : « ليصيد » هـ : « التعصيد » ، صوابهما ماأثبت من الديوان ٣٨ واللسان (عضد ، جرر) . وكلمة « الجرجار » ساقطة من الأصل ، كما أن كلمة « من » قبلها ثابتة فى س فقط .

(٣) ط : « حنا ورم » ، س : « بحنا ورم » ، هـ : « بحنا أودم » ، والوجه ما أثبت .

(٤) ط ، هـ : «من حرص» ، وأثبت ما فى س والكلمة التى بعدها ساقطة من ط ، وبدلهما بياض فى هـ ، لكن هكذا وردت مبتورة فى س . والحرض : الأشنان تغسل به الأيدى على أثر الطعام . والهرم ، بالفتح : البقلة الحمقاء ، أو ضرب من الحمض فيه ملوحة . والعصم : جمع أعصم .

وأنشد :

ذكرتُكِ ذِكْرةً فاصطدت ظبياً   وكُنْتُ إذا ذكرتُكِ لا أخِيبُ

منحتُكم المودَّة مِن فؤادِى   ومالى فى مودَّتكم نصيب

وقال ابن مُقبل :

وكم من عَدُوٍّ قد شققنا قميصَهُ   بأسمرَ عَسَّالٍ إذا هُزَّ عاملُهْ[1]

وقال أيضاً :

ولم أصطبِح صهباءَ صافية القَذَى   بأكْدَرَ من ماءِ اللِّهابة والعَجْب[2]

ولم أسْرِ فى قومٍ كرامٍ أعِزَّةٍ   غَطارفةٍ شُمِّ العَرانِين من كلْبِ

اللِّهابة[3] والعَجْب : ماءان من مياه كلب موصوفانِ بالعُذوبة ، وهى فى ذلك كَدِرة . وأنشد ابن مَزْرُوع[4] لعدىِّ بن غُطيفٍ[5] الكلبىّ ، وكان جاهليًّا :

أهلكَنا اللّيلُ والنهارُ مَعا   والدَّهر يَعدُو عَلَى الفَتَى جَذَعا[6]

والشَّمسُ فى رأسِ فُلْكةٍ نُصِبَتْ   رَفَّعها فى السماءِ مَن رَفَعا

أمرٌ بلِيطِ السماءِ مُكْتَتَمٌ   والنَّاسُ فى الأرض فُرِّقوا شِيَعا[7]

---

(١) فيما عدا ل : « شققت » . والعسال : الرمح المضطرب اللدن . ط ، س : « عزال » ه : « عنآل » ، صوابه فى ل .

(٢) صافية القذى ، أى قد صفت من القذى . واللهابة ، بالكسر . فيما عدا ل : « اللهاءة » تحريف . والعجب ، هنا بالفتح .

(٣) فيما عدا ل : « اللهاءة » ، تحريف .

(٤) فيما عدا ل : « ابن مروع » .

(٥) فيما عدا ل : « عطيف » ، تحريف . وقد ذكره المرزبانى فى معجمه ص ٢٥٢ .

(٦) فيما عدا ل : « أكلن الليل » ، تحريف . والدهر يسمى جذعا لأنه أبدا جديد ، كأنه فتى لم يسن . وفى الأصل : « جزعا » ، تحريف . انظر اللسان (جذع ٣٩٤ — ٣٩٥) .

(٧) أصل الليط ليط العود ، وهو القشر الذى تحت القشر الأعلى .

كما سَطَا بالآرامِ عادٌ وبالحِجْـ ـرِ وأرْكَى لتُبَّعٍ تبعـا[١]

فليس ممّـا أصابنى عجب إن كنتَ شَيباً أنكرتَ أو صَلَعَا[٢]

قال : هو عاد بن عُوص بن إرم[٣]. وسَطَا بالحِجْر ، أى بأهل الحِجْر[٤] .
وأرْكَى أى أخَّر. والإركاء[٥] : التأخير . ٨٢

وقال كعبُ بنُ زهير :

فَعْمٌ مُقلَّدُها عَبْلٍ مقيَّدُها في خَلْـقِها عن بَنات الفَحْل تَفضِيلُ[٦]

حَرْفٌ أخوها أبوها من مُهَجَّنةٍ وعمُّها خالُها قَوداءُ شِمْليـلُ[٧]

[وكما قال ذو الرّمّة :

* أخوها أبوها والضَّوَى لا يضيرُها[٨] *]

---

(١) فى القاموس (أرم) : « وذو آرام : حزن به آرام جمعتها عاد » . فيما عدا ل : « بالأنام » تحريف . وأركى : أخر . وفى اللسان « أركيت الدين ، أى أخرته » . فيما عدا ل : « أرجا » بالجيم فى البيت وفى التفسير بعده . وهما بمعنى .

(٢) فيما عدا ل : « إن كنت شيئا أنكرت أو صنما » ، تحريف .

(٣) فيما عدا ل : « بن أيد » ، صوابه فى ل والاشتقاق ٥٢ .

(٤) فيما عدا ل : « أى أتى بأهل الحجاز » ، تحريف .

(٥) فيما عدا ل : « والإرجاء » وهما بمعنى ، كما سبق فى التنبيه الأول .

(٦) يروى أيضا : « ضخم مقلدها » . والضخم والفعم بمعنى . انظر شرح بانت سعاد لابن هشام ٥١ .

(٧) قال ابن هشام : « يحتمل لمعنيين : أحدهما التشبيه ، أى إن أخاها يشبه أباها فى الكرم وعمها يشبه خالها فى ذلك . والثانى التحقيق ، وإنها من إبل كرام ، فبعضها يحمل على بعض حفظا للنوع . ولهذا النسب صور ، منها أن فحلا ضرب بنته فأتت ببعيرين فضرب أحدهما فأتت بهذه الناقة . وقال الفارسى فى تذكرته : صورة قوله أخوها أبوها أن أمها أتت بفحل فألقى عليها فأتت بهذه الناقة . وأما عمها خالها فيتجه على النكاح الشرعى : تزوج أبو أبيك بأم أمك فولد لها غلام فهو عمك وخالك إلا أنه عم لأب وخال لأم . صورة أخرى : تزوجت أختك من أمك أخاك من أبيك فولد لها ولد فأنت عم هذا الغلام أخو أبيه وخاله ، لأنك أخو أمه من أمها » . ثم قال ابن هشام : « ولا ينطبق تفسير أبى على رحمه الله على ما ذكرت فى البيت ، لأن الشاعر لم يصف الناقة بأحد النسبين بل بهما معا » .

(٨) عجزه كما فى ديوان ذى الرمة ١٧٥ . * وساق أبيها أمها اعتقرت عقرا *

وقال سالم بن دارة :

حَدَوْتُ بهم حتّى كأنّ رِقابَهُمْ
من السَّير فى الظّلماء خيطان خِرْوَعِ

وقال بعض المحدَثين :

وقد شَرِبُوا حتى كأنّ رِقابَهُمْ   من اللِّين لم تُخلق لهنَّ عظامُ

وقال آخر(٢) :

كأنّ هامَهُمُ والنَّوْمُ واضِعُها   على المناكِبِ لم تُعْمَدْ بأعناقِ

وقال الكميت :

وفى اللَّزَباتِ إذا ما السِّنُو   نَ أُلْقِيَ مِن بَرْكِها كلكل(٣)
لعامٍ يقولُ له المُؤْلِفُو   نَ هذا المُعِيمُ لنا المُرْجِلُ(٤)

وقال أيضاً :

الطَّيِّبُو   تُرْبِ المَغَارِ   سِ والمنابتِ والمكَاسِرْ(٥)
والساحِبُـــون اللاحفُو   نَ الأرضَ هُدّابَ المآزِرْ(٦)

---

(١) ل : « وقال آخر » .
(٢) ل : « وقال بعض المحدثين » .
(٣) اللزبات : الشدائد من السنين . والبرك : الإبل الكثيرة . وفى الأصل : « برقها » .
(٤) المؤلفون ، لعله عنى بهم أصحاب الإيلاف ، وهم هاشم وعبد شمس والمطلب ونوفل . المعيم : الشديد العيمة ، وهى شهوة اللبن . والمرجل : الذى يجعل القوم لا مركوب لهم فيصيرون راجلين . وفى الأصل : « المقيم » صوابه فى السيرة ٣٨ واللسان (عيم) . وفى ط ، س ، هـ : « المرحل » ول : « الموجل » ، صوابهما فى السيرة واللسان .
(٥) المكاسر : جمع مكسر ، وهو من الشجرة أصلها حيث تكسر منه أغصانها . ويقال فلان طيب المكسر إذا كان محمودا عند الخبرة .
(٦) فيما عدا ل : « اللاحقون » ، تحريف . ويلحفون الأرض : يغطونها . ومثله لطرفة :
ثم راحوا عبق المسك بهم   يلحفون الأرض هداب الأزر
والمآزر : جمع مئزر . فيما عدا ل : « المآسر » ، تحريف .

أنتم معادِنُ للخلافة كابراً مِن بَعْدِ كابرْ
بالتِّسْعة المتتابعين خلائفاً وبخير عاشرْ

وقال أيضاً :

ولا يكن قوله إلا لرائدها
أعشَبْتَ فانزِلْ إلى معشوشب العشبِ [١]

ذهب إلى قوله :

مستأسد ذِبَّانُه فى غَيطلٍ [٢] يقُلْنَ للرّائد أعشَبْتَ انزِلِ

ولكن ٱنظُرْ كمَ بين الدِّيباجتَين . وفى الأوَّل ذَهَبَ إلى قول الأعشى :

إذا الحِبَرَاتُ تَلوَّتْ بهِمْ وجرُّوا أسافِلَ هُدّابها

قال : كان [٣] أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم يقولون «كونوا بُلْهًا كالحمام» ولقد كان الرّجل منهم يدعو لصاحبه يقول : أقلَّ الله فِطْنتاك . ٨٣

قال : وهذا يخالف قول عمرَ رضى الله عنه ، حين قيل له : إنّ فلاناً لايعرف الشَّرّ . قال : ذلك أجْدَرُ أن يقَعَ فيه .

وقال النابغة الذبيانى :

ولايحسَبونَ الخيرَ لا شَرَّ بَعْدَه ولايحسبون الشَّرَّ ضربةَ لازبِ

---

(١) صدره فيما عدا ل : « مكرم قوله لزائرين له » ، وفى ط : « معلوبة العشب » ، س ، هـ : « مقلوبة » ، والوجه ماأثبت من ل .

(٢) ل : « مستأسداً » ط : « ذئابه » تحريف . والرجز لأبى النجم من أرجوزة له طويلة نادرة عدد أبياتها ١٩١ وقد نشرت بمجلة المجمع العلمى العربى بدمشق (٨ : ٤٧٢ – ٤٧٩) سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها أم الرجز . انظر ماسبق فى (٣ : ٣١٤) .

(٣) فى الأصل : « فإن » . وانظر مامضى من الكلام على الخبر التالى فى حواشى (٣ : ١٨٩) .

وقال الآخر :

ولا تعذِرانى فى الإساءة إنّه شِرَارُ الرجال مَن يسىء فيُعذَرُ (١)

وقالت امرأة ترثى عُمَير (٢) بنَ مَعْبَـد بن زُرارة :

أعَيْنُ ألا فابكى عُميرَ بن مَعبدٍ وكان ضروباً باليدينِ وباليدِ (٣)

تقول : بالسَّيف وبالقداح ، لأنَّ القداح تُضرَبُ باليدين جميعاً . وقال ابن مقبل :

وللفؤاد وجيب عند أبهَرِهِ لَدْمَ الوليدِ وراءَ الغيبِ بالحجَرِ

وقال ابن أحمر :

* وفؤادُه زَجِلٌ كعَزفِ الهُـدْهُـدِ (٤) *

وكان حسّان يقول لقائده [إذا شهد طعاماً : « أ] طعامُ يدٍ أم طعام (٥) يدين ؟ » . طعام يدين : الشِّواءُ وما أشبه ذلك ، وطعام اليد : الثرائد (٦) [وما أشبَهَها] .

وقال بعض السَّلاطين لغلامٍ من غِلمانه وبين يديه أسيرٌ : اضربْ .

(١) سبق البيت فى (٣ : ٤٨٢) .

(٢) ل : « امرأة فى عمير » .

(٣) سبق عجز البيت فى (٦ : ٤٢٤) وأنشده ابن قتيبة فى الميسر والقداح ١٤٠ بدون نسبة ، وبرواية : « عمير بن معمر » .

(٤) صدره كما سبق فى (٣ : ٥٣٣) :

* إذ صبحته طاويا ذا شرة *

وفى اللسان (٤ : ٤٤٦) .

* ثم اقتحمت مناجدا ولزمته *

فيما عدا ل : « وجل » ، تحريف . والزجل : ذو الصوت . والهدهد ، يروى بضم الهاءين ، وهو ذاك الطائر . ويروى بفتحهما ، وهو أصوات الجن ، ولا واحد له .

(٥) سبق الخبر برواية أخرى فى (٦ : ٤٢٤) .

(٦) فيما عدا ل : « الثريد » .

قال : بيدٍ أو يدين ؟ قال : بيَد . فضرَبَه بالسِّياط . قال : اذهبْ فأنتَ حُرٌّ[١] . وزوَّجَه وأعطاه مالاً .

[وسارَّ رجلاً من الملوك بعضُ السُّعاة بابنٍ له ذكر أنَّه بموضع كذا وكذا يشرب الخمر مع أصحابٍ له ، فبعثَ غلاماً له يتعرَّف حالَه فى الشراب ، فلمَّا رجع وجَدَ عنده ناسا فكره التفسير ، فقال له : مَهْيَمْ[٢] . قال : كان نَقْـلُه جُبْنا . قال : أنت حُرٌّ . لأنَّ مُعاقِرى الخمرِ يتنقلون بالجبن لأسبابٍ كثيرة] .

وكان فرجٌ الحجَّام مملوك جعفر بن سليمان[٣] ، إذا حَجَمه أو أخذَ من شَعره[٤] لم يتكلَّم ولم يتحرَّك ، ولم يأخذ فى شيء من الفضول ؛ فقال جعفر[٥] ذاتَ يومٍ : [والله لأمتحننَّه ، فإن كان الذى هو فيه من عَقْلٍ لا يَنْتَهُ ، وإن كان كالطَّبيعة والخِلْقة لأحمدَنَّ الله على ذلك فقال له يوماً] : ما اسمك ياغلام[٦] ؟ قال : فرَج . قال : وما كُنْيتُك ؟ قال : لا أكتني بحضْرَة الأمير . قال : فهل تحتجِم ؟ قال نعم . قال : متَى ؟ قال : عند هيجه[٧] . قال : وهل تعرفُ وقتَ الهيج ؟ قال : فى أكثر ذلك . قال : فأىَّ شيءٍ تأكلُ على الحجامة[٨] ؟ قال : أما فى الصَّيف فسِكْباجةٌ محمَّضَة

(١) فيما عدا ل : « أحسنت فأنت حر » .

(٢) مهيم ، بفتح الميم والياء وسكون الهاء وآخره ميم : كلمة يمانية معناها : ما أمرك وما شأنك . وقد ورد فى أكثر من حديث .

(٣) فيما عدا ل : « مولى جعفر بن سليمان » .

(٤) فيما عدا ل : « وأخذ من شعره » .

(٥) فيما عدا ل : « فقال له جعفر » ، وكلمة « له » مقحمة .

(٦) فيما عدا ل : « ياحجام » .

(٧) أى عند هيج الدم . وفيما عدا ل : « عند الهيج » .

(٨) فيما عدا ل : « عند الحجامة » .

عذبة(١) ، وأمّا في الشتاء فدبجيراجة(٢) خاثرةٌ حُلوة . فأعتقه وزَوَّجه ، ووهَبَ له مالاً

وكان قاطعَ الشهادة ، ولم يكنْ أحدٌ من مواليه [يطمع] أن يُشهِدَه إلاّ على شيء [لا] يختلف فيه الفقهاء(٣) . وهو الذى ذكره أبو فِرْعون(٤) فقال :

خَلُّوا الطَّريق زَوْجتِي أَمامى أنا حمــيمُ فَرَجٍ الحجَّام(٥)

وكان أهل المربد(٦) يقولون : لانرى الإنصاف إلا فى حانوتِ فرجٍ الحجّام ، لأنّه كان لايلتفت إلى مَن أعطاه الكثيرَ دونَ من أعطاه القليل ، ويقدِّم الأوّل ثم الثانى ثم الثالث أبداً(٧) حتى يأتىَ على آخرهم ، على ذلك يأتيه من يأتيه ، فكان(٨) المؤخَّر لا يغضَب ولا يشكُو .

وقال ابن مقْروم الضَّبى(٩) :

---

(١) سبق الكلام على السكباجة فى (٢ : ٢٥٠) ، ويقال لها أيضا « الخلية » نسبة إلى الخل . فيما عدا ل : « محضة » تحريف . وقد وردت كلمة « عذبة » فى ط ، ﻫ بعد « سكباجة » .

(٢) فيما عدا ل : « فدا كراجة » . وجاء فى كتاب الطبيخ للبغدادى ص١٢ : « ديكبريكة » وذكر محققه العلامة داود الجلبى أنه يظنه من الآرامية بمعنى الديك المبارك . وكتب البغدادى فى صفته « ومن الناس من يحليه بقليل سكر » .

(٣) فيما عدا ل : « إلا على مايختلف فيه الفقهاء » ، محرف .

(٤) ترجمته سبقت فى (٦ : ٧٨) .

(٥) فيما عدا ل : « أنا حام » تحريف .

(٦) فيما عدا ل : « المدينة » تحريف .

(٧) فيما عدا ل : « ويقدم الأول فالأول » .

(٨) فيما عدا ل : « وكان » .

(٩) هو ربيعة بن مقروم الضبى ، سبقت ترجمته فى (١ : ٤٢٧) . ط ، ﻫ : « ابن مقوم » محرف . والبيت الأول والثانى مضيا فى (٦ : ٤٢٥) . وانظر بعض أبيات قصيدته فى الحماسة (١ : ١٣ - ١٤) والأغانى (١٩ ، ٩٢ - ٩٣) والخزانة (٣ : ٥٦٥ - ٥٦٦) والخيل لأبى عبيدة ١٧٢ .

وإذا تُعلَّل بالسِّياط جِيادُنا　　أعطاكَ ثائبــةً ولم يتعلّل (١)
فدعَوْا نَزَالِ فكنتُ أوّلَ نازلٍ　　وعَلامَ أركَبُهُ إذا لم أنْزِلِ
ولقد أفَدْتُ المالَ مِن جَمْع امرئٍ　　وظَلفْتُ نفسى عن لئيم المأكلِ (٢)
ودخلتُ أبنيــةَ الملوكِ عليهمُ　　ولَشَرُّ قولِ المرءِ مالم يفعَلِ
وشهدتُ مَعْرَكةَ الفُيولِ وحَولَها　　أبناءُ فارسَ بَيْضُها كالأعْبَلِ (٣)
متَسَرْبِلى حَاقِ الحديدِ كأنّهُمْ　　جُرْبٌ مُقارِفَةٌ عَنِيّةُ مُهْمِلِ (٤)

تم المصحف السابع من كتاب الحيوان ، وبتمامه تم الكتاب [بعون الملك الوهاب (٥)] ، والحمد لله على حسن الختام . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الكرام (٦) .

---

(١) البيت سقط من ل . وفى الأصل : « ثنية » ، تحريف . والثائبة : الدفعة الراجعة من الجرى ، ثاب : رجع .

(٢) ظلفت : منعت وكففت . ط : « وعففت » هـ : « وكلفت » س : « وظلقت » صوابهما فى ل . وفيما عدا ل : « عن كريم المأكل » ، تحريف .

(٣) الأعبل والعبلاء : حجارة بيض . وأنشد فى صفة ناب الذئب :

* يبرق نابه كالأعبل *

(٤) العنية : هناء الإبل . والمهمل : الذى يهمل الإبل فى الرعى يخلى بينها وبين نفسها . ط ، هـ : « متاذفة » ، صوابه فى ل ، س . وفى ط ، هـ : « الشحم الحنظل » ، وفى س : « بشحم الحنظل » ، صوابهما فى ل .

(٥) هذه من س .

(٦) جاء فى ختام ل : « تم الجزء السابع من كتاب الحيوان بحمد الله ومنه ، وهو آخر الكتاب » . وفى نهاية هـ : « ووافق الفراغ من كتابته يوم الثلاثاء لتسع خلت من شهر رجب الأصم المعظم عام إحدى عشر وثلثمائة وألف من هجرة من له كمال العزة والشرف . على يد كاتبه الفقير إلى رحمة الله تعالى محمد بن عبد الله الزمرانى غفر الله ذنوبهما ، وستر عيوبهما ، وفعل ذلك بكافة المسلمين والمسلمات . وكتب بالمحروسة العامرة حفظها الله وحرسها . والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . آمين » .

الفهارس العامة

لكتاب الحيوان

صنع وترتيب

عبد السلام محمد هارون

الفهرس الأول

فهرس أنواع الحيوان

القصد من هذا الفهرس أن يتمكن القارئ من جمع معارف منظّمة فى كلّ نوع من أنواع الحيوان ، على أسلوب علمى ، بحيث لا يلقى صعوبة فى البحث . وقد وجدت أن أفضل طريقة لتنظيم هذه المعارف أن تكون على الترتيب التالى بقدر الإمكان :

١ — تسمية الحيوان وبيان جنسه وأنواعه وأشباهه .

٢ — الكلام فى أعضائه وتطوراته وألوانه .

٣ — بيان طعامه وشرابه وسلاحه وصوته وصنعته ونفعه وضرره .

٤ — الكلام فى تناسله وطباعه وتعليمه وأمراضه وعمره .

٥ — بيان موطنه وأثر الطبيعة فيه وعلاقته بغيره من الحيوان .

١ – فهرس انواع الحيوان

ا

---

(١) انظر أيضا : (بخت ، بهونية ، جمل ، عراب ، عسجدية ، فالج ، مهرية ، ناقة) .

(١) انظر : (حمار) .

ب

(١) انظر أيضا : (إبل ، جمل) .

ت

ث

ج

(١) انظر أيضا : (إبل) .

(١) انظر أيضا : (شيطان ، عبقرى ، عمار) .

ح

(١) انظر أيضا : (أتان) .

(١) انظر أيضا : (دبسى ، راعبى ، ساق حر ، شفنين ، فقيع) .

(١) انظر : (جن) .

(٢) انظر : (إبل) .

(٣) انظر أيضا : (أجدهانى ، أسود ، أصلة ، أفعى ، أيم ، تنين ، ثعبان ، دساس ، شجاع ، عربد ، هندية) .

خ

(١) انظر أيضا : (برذون ، فرس) .

(١) انظر : (جراد) .

(٢) انظر أيضا : (ديك ، فروج) .

---

(١) انظر : (قملة النسر) .
(٢) انظر : (قنفذ) .

---

(١) ذكر استينجاس فى معجمه ٥٣٦ هذا الجنس من البشر وقال ماترجمته : دوال باى . . . اسم لقوم من الهند يقال إن لهم سيقانا دقيقة قابلة للتثنى كأنها السيور المتخذة من الجلد . وهم يتظاهرون بالعرج . فإذا رأوا جماعة من المسافرين طلبوا إليهم أن يحملوهم على ظهورهم فإذا استجابوا لهم أعملوا فيهم الخنق بضم أرجلهم عليهم .

ذ

(١) انظر أيضا : (ضبع) .

ز

س

(١) انظر أيضا : (فيل) .

---

(١) انظر أيضا (بنى : ربيثاء ، زجر ، شبوط ، شلقة ، صحناء) .

ش

(١) انظر أيضا : (ضأن ، غنم) .

---

(١) انظر أيضا : (جن) .

ص

ض

(١) انظر أيضا : (شاة ، غنم)

---

(١) انظر أيضا : (ذيخ) .

---

(١) هو ما يسمى بالفارسية : دو برادران

(١) انظر أيضا : (بغاث ، خشاش) .

ظ

ع

(١) انظر أيضا : (حمار) .

غ

---

(١) انظر : (ظبى) .
(٢) انظر أيضا : (بنات حذف ، حمل ، شاة ، ضأن ، كبش) .

ف

(١) انظر أيضا : (خيل) .

ق

(١) انظر أيضا : (رباح) .

ك

(١) انظر أيضا : (دلدل) .

(١) انظر أرقام الكلاب السلوقية ثم كلاب الصيد فى نهاية هذا الرسم .

ل

م

ن

(١) انظر أيضا : (ظليم) .

(١) انظر أيضا : (ذر) .

هـ

ى

(١) انظر أيضا : (أروى).

الفهرس الثانى

فهرس أعلام الحيوان

أ

ب

ج

ح

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ع

غ

ق

ك

ل

م

ن

و

الفهرس الثالث

فهرس سائر الأعلام

١ ــ ما وضع من الأعلام بين معقفين فهو مما ورد فى الحواشى فقط .

٢ ــ ما وضع بإزائه نجم فهو مما ورد فى الشعر فقط .

٣ ــ الأرقام الكبيرة تدل على مواضع التراجم .

٣ — فهرس سائر الأعلام

ا

ب

ت

ث

ج

(١) هذه رواية الأغانى (١٩ : ١٥٩) . وفى الأصل واللسان (غلل) : « حمرة ابنة نوفل » .

ح

خ

د

ذ

ر

ز

(١) انظر لاستلحاق معاوية زيادا ما فى الخزانة (٢ : ٥١٧ — ٥١٩) .

س

ش

ص

ط

(١) قال ابن دريد في الاشتقاق ١٤٩ في ذكر رجال مجاشع : « ومن رجالهم ضمرة بن ضمرة . وكان من رجال بني تميم في الجاهلية لسانا و بيانا ، وكان اسمه شق بن ضمرة فسماه بعض ملوك الحيرة ضمرة ».

ظ

ع

(١) بفتح العين ، انظر حواشى وقعة صفين ١٢٩ .

غ

ف

ق

ك

(١) إذا أطلق كسرى ، أريد به غالبا كسرى أبرويز ، الذى أرسل إليه رسول الله كتابا فمزقه . وقد ملك ثمانيا وثلاثين سنة ، وقتله ابنه شيرويه . وفى المعارف لابن قتيبة ٢٩٣ : « أبرويز بن هرمز ، ويعرف بكسرى ». على أنه قد يطلق ويراد به أى ملك للفرس كان . لذلك آثرت أن أفرد له رسما إلا ماتيقنت أنه كسرى أبرويز فإنى أضفت أرقامه إلى الرسم الآخر .

ل

م

(١) المحلق هذا ، أحد الولاة الإسلاميين ، ولاه الحكم بن أيوب الثقفي سفوان . انظر الخزانة (٣ : ٢١٤) . وهو غير المحلق ممدوح الأعشى في الجاهلية .

(١) فى تاريخ الطبرى (٩ : ٥٦) أنه كان صهرا للأبرش بن الوليد .

(١) هو أبو معقل عبد الله بن عتيبة .

ن

و

ى

الفهرس الرابع

فهرس القبائل والطوائف

٤ ـ فهرس القبائل والطوائف

أ

خ

(١) انظر فهرس أجناس الحيوان ص ٣١٠ .

(١) في الأصل : « نمير » ، صوابه من الاشتقاق ١٢٤ .

(١) قال السمعاني في الأنساب : « والقبيلة المعروفة هي كلاب بن عامر بن صعصعة » .

ل

م

ن

الفهرس الخامس

فهرس البلدان والمواضع

٥ — فهرس البلدان والمواضع

ت

ث

ج

ح

خ

ز

س

ش

ع

نهاية الجزء السابع

يتلوه الجزء الثامن وفيه بقية الفهارس العامة

مكتبة الجاحظ

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

١٥٠ - ٢٥٥

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الكتاب الأول

الحيوان

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ — ١٩٥٠]

الجزء الثامن

يحتوى على القسم الثانى من الفهارس العامة لجميع أجزاء الكتاب

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

محمود الحلبى وشركاه - خلفاؤ

كتاب الحيوان

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ

الجزء الثامن

بتحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

١٣٨٩ هـ = ١٩٦٩ م

الفهرس السادس

فهرس الأمثال

٦ ـــ فهرس الأمثال

ب

ق

ك

ل

الفهرس السابع

فهرس الأشعار

١ — ما وضع قبله نجم من القوافى أو الأرقام فهو ماورد عجزه فقط .

٢ — ماجعل من القوافى بين قوسين فهو ما ورد صدره فقط وأمكن معرفة قافيته .

٣ — وضعت القوافى المتشابهة متتالية ، وفيما عدا ذلك فأرقام القوافى متسلسلة بترتيب الصفحات فى مجموعاتها المتماثلة .

٧ - فهرس الأشعار

أ

ب

د

ش

ص

ض

ط

ع

ف

ك

ل

---

(١) اعتبرت الكاف رويا فى كل قافية مختتمة بها ؛ جريا على مذهب بعض علماء القافية .

م

ن

هـ

أجزاء الأبيات

---

(١) انظر البيت بتمامه فى ٦ : ٢٤٠ .

(٢) انظر البيت بتمامه فى ٦ : ٢٩١ .

(٢) قافيته (عقرا) كما فى الحواشى .

الفهرس الثامن

فهرس الأرجاز

٨ – فهرس الأرجاز

(١) هذه الأرجوزة من المزاوج .

ك

ل

(١) أرجوزة من المزاوج .

الفهرس التاسع

فهرس اللغة

التى فسَّرها الجاحظ أو أشار إلى تفسيرها

يشتمل هذا الفهرس على فصلين :

١ – ماهو عربى أو فى حكم العربى من المعربات .

٢ – ماهو غير عربى ، كالفارسى واليونانى والعبرى.

٩ — فهرس اللغة

التى فسرها الجاحظ أو أشار إلى تفسيرها

١ — العربية وما فى حكمها

(١) لعلها : « تربة لقيك » .

ح

ز

ش

ص

غ

ف

ك

ى

ب — غير العربية

(١) كذا زعم الجاحظ . وانظر التحقيق فى تذييل الجزء الرابع ص ٥٣٥ .

الفهرس العاشر

فهرس اللغة التى فسرها شارح الحيوان
فى الحواشى أو الاستدراكات

يشتمل هذا الفهرس على فصلين :

١ ـــ ماهو عربى أو فى حكم العربى من المعربات

٢ ـــ ماهو غير عربى كالفارسى واليونانى والعبرى

١٠ — فهرس اللغة

التى فسرها شارح كتاب الحيوان

ا — الألفاظ العربية وما فى حكمها(*)

(*) ماوضع من الكلمات أو من الأرقام بين معقفين هكذا [ ] فهو مما ورد فى الحواشى فقط وليس فى صلب الكتاب .

خ

د

ز

س

ص

ض

ف

ك

ل

م

و

ب ـ الألفاظ غير العربية

الفهرس الحادى عشر

فهرس الكتب

وهى الكتب التى ذكرها الجاحظ . فما قرن منها بنجم فهو من تأليف الجاحظ . ومالم يقرن فهو لغيره .

١١ — فهرس الكتب

الفهرس الثانى عشر

فهرس أيام العرب

١٢ — فهرس أيام العرب

ف

ق

ك

م

ن

هـ

و

الفهرس الثالث عشر

فهرس المعارف العامة

١٣ — فهرس المعارف العامة

خ

د

ذ

ر

ز

س

ش

ص

ض

ط

ك

ن

هـ

الفهرس الرابع عشر

فهرس المباحث الكلامية

١٤ — فهرس المباحث الكلامية

أ

ب

ت

الفهرس الخامس عشر

فهرس مقابلة نسخة كوبريلى من الجزء السابع
بنسخة الساسى

تخالف نسخة كوبريلى « المرموز لها برمز ـ ل » سائر نسخ الحيوان فى ترتيبها . لذلك اعتمدت ترتيب سائر النسخ التى توافق نسخة الساسى فى نظامها . وهذا الفهرس المقارن يوضح هذا التخالف البين .

نسخة الساسى	نسخة كوبريلى
٢	١ – ٢
٣	٢ – ٣
٤	٣ – ٥
٥	٥ – ٧
٦	٧ – ٨
٧	٨ – ٩
٨	–
٩	٧١ – ٧٢
١٠	٦٣ – ٦٤ + ٧٢
١١	٦٤ – ٦٦
١٢	٦٦ – ٦٨
١٣	٦٨ – منتصف ٦٩
	+ سقط من ٦٩ – ٧١
	+ منتصف ٧٢ – ٧٣
١٤	٧٣ – ٧٤
١٥	٧٤ – ٧٦
١٦	٧٦ – ٧٨
١٧	٧٨ – ٧٩
	+ سقط من ٧٩ – ٨٤
	+ ٨٤ – ٨٥
١٨	٨٥ – ٨٧
١٩	٨٧ – ٨٨
	+ سقط من ٨٨ – ٩٣
٢٠	٩٣ – ٩٥
٢١	٩٥ – ٩٦
٢٢	٩٦ – ٩٨
٢٣	٩٨ – ٩٩
٢٤	٩٩ – ١٠١

نسخة الساسى	نسخة كوبريلى
٢٥	١٠١ – ١٠٢
٢٦	سطران من ١٠٣ +
	١١٧ – ١١٩
٢٧	١٠٣ – ١٠٤ +
	سقط من ١١٩ – ١٢٢
٢٨	١٠٤ – ١٠٥ +
	١٢٢ – منتصف
	١٢٣
٢٩	١٠٥ – ١٠٦
٣٠	١٠٦ – ١٠٨
٣١	١٠٨ – ١١٠
٣٢	١١٠ – ١١١
٣٣	١١١ – ١١٣
٣٤	١١٣ – ١١٥
٣٥	١١٥ – ١١٦
٣٦	١١٦ – ١١٧
	+ ١٢٤
٣٧	١٢٤ – ١٢٦
٣٨	١٢٦ – ١٢٧
٣٩	١٢٧ – ١٢٩
٤٠	١٢٩ – ١٣٠
٤١	١٣٠ – ١٣٢
٤٢	١٣٢ – ١٣٤
٤٣	١٣٤ – ١٣٦
٤٤	١٣٦ – ١٣٨
٤٥	١٣٨ – ١٤٠
٤٦	١٤٠ – ١٤١
٤٧	١٤١ – ١٤٣
٤٨	١٤٣ – ١٤٥

نسخة الساسي	نسخة كوبريلي
٤٩	١٥ — ١٦
	+ سقط من ١٤٥ —
	١٤٧ + ١١ — ١٥
٥٠	١٦ — ١٨
٥١	١٨ — ١٩
٥٢	١٩ — ٢١
٥٣	٢١ — ٢٣
٥٤	٢٣ — ٢٥
٥٥	٢٥ — ٢٦
٥٦	٢٦ — ٢٨
٥٧	٢٨ — ٢٩
٥٨	٢٩ — ٣٠
٥٩	٣٠ — ٣٢
٦٠	٣٢ — ٣٣
٦١	٣٣ — ٣٥
٦٢	٣٥ — ٣٧
٦٣	٣٣ — ٣٤ + ٣٨
٦٤	٣٨ — ٤٠
٦٥	٤٠ — ٤١
٦٦	٤١ — ٤٣

نسخة الساسي	نسخة كوبريلي
٦٧	٤٣ — ٤٥
٦٨	٤٥ — ٤٦
٦٩	٤٦ — ٤٨
٧٠	٤٨ — ٥٠
٧١	٥٠ — ٥١
٧٢	٥١ — ٥٢
٧٣	٥٢ — ٥٤
٧٤	٥٤ — ٥٦
٧٥	٥٦ — ٥٧
٧٦	٥٩ — ٦١
٧٧	٥٧ — ٥٩
٧٨	٦١ — ٦٢
٧٩	١٠ — ١١ + ٦٢
	٦٣
٨٠	—
٨١	منتصف ١٥٧ — ١٥٨
٨٢	١٥٨ — ١٥٩
٨٣	١٥٩ — ١٦٢
٨٤	١٦٢

الفهرس السادس عشر

فهرس مراجع الشرح والتحقيق

١٦ — فهرس مراجع الشرح والتحقيق

آكام المرجان ، للشبلى . السعادة ١٣٢٥ .
إتحاف فضلاء البشر ، للدمياطى . حنفى ١٣٥٩ .
الأحكام السلطانية ، للماوردى . السعادة ١٣٢٧ .
أخبار الأول ، للإسحاقى . الأزهرية ١٣١١ .
إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، للقفطى . السعادة ١٣٢٦ .
أخبار الظراف والمتماجنين ، لابن الجوزى . دمشق ١٣٤٧ .
أخبار عبيد بن شرية . حيدر أباد ١٣٤٧ .
أخبار مكة ، للأزرقى . الماجدية بمكة ١٣٥٢ .
أخبار أبى نواس ، لابن منظور . الاعتماد ١٣٤٣ .
أدب الدنيا والدين ، للماوردى . الأميرية ١٣٤٣ .
أدب الكاتب ، لابن قتيبة . السلفية ١٣٤٦ .
أدب الكتاب ، للصولى . السلفية ١٣٤١ .
أراجيز العرب ، للبكرى . القاهرة ١٣١٣ .
الإرشاد الشافى ، للدمنهورى = حاشية الدمنهورى .
الأزمنة والأمكنة ، للمرزوقى . حيدر أباد ١٣١٨ .
أساس البلاغة ، للزمخشرى . دار الكتب ١٣٤١ .
أساس التقاويم ، لجرجس فيلوثاؤس . المصرية ١٣٣٣ .
الاستيعاب ، لابن عبد البر . حيدر أباد ١٣١٨ .
أسد الغابة ، لابن الأثير . الوهبية ١٢٨٩ .
أسماء المغتالين ، لابن حبيب . مخطوط دار الكتب المصرية ٥٧ ش أدب .
الاشتقاق ، لابن دريد . جوتنجن ١٨٥٣ م .

أشعار الهذليين ، رواية السكرى . لندن ١٨٥٤ م .
الإصابة ، لابن حجر . السعادة ١٣٢٣ .
إصلاح المنطق ، لابن السكيت . المعارف ١٣٦٨ .
الأصمعيات ، للأصمعى . ليبسك ١٩٠٢ .
الأصمعيات ، للأصمعى . المعارف ١٣٧٥ .
الأصنام ، لابن الكلبى . دار الكتب ١٣٤٢ .
الأضداد ، لابن الأنبارى . الحسينية ١٣٢٥ .
اعتقادات فرق المسلمين والمشركين ، للرازى . لجنة التأليف ١٣٥٦ .
إعجاز القرآن ، للباقلانى . السلفية ١٣٤٩ .
إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، لابن خالويه . دار الكتب ١٣٦٠ .
الأغانى ، لأبى الفرج الأصبهانى . التقدم ١٣٢٣ .
الاقتضاب ، لابن السيد . بيروت ١٩٠١ م .
الإكليل ، للهمدانى . بغداد ١٩٣١ م .
الألفاظ الفارسية المعربة ، لأدى شير . بيروت ١٩٠٨ .
أمالى الزجاجى . السعادة ١٣٢٤ .
أمالى ابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٩ .
أمالى القالى . دار الكتب ١٣٤٤ .
أمالى المرتضى . السعادة ١٣٢٥ .
الإمتاع والمؤانسة ، لأبى حيان التوحيدى . التأليف ١٣٧٣ .
إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطى . دار الكتب ١٣٦٩ .
إنجيل متى .
الأنساب ، للسمعانى . ليدن ١٩١٢ م .
الإنصاف ، لابن الأنبارى ، الاستقامة ١٣٦٤ .
الأوراق ، للصولى . الصاوى ١٩٣٦ .
أوضح المسالك ، لابن هشام . السعادة ١٣٦٨ .

أيمان العرب ، للنجيرمى . السلفية ١٣٤٣ .
بحر العوام ، لابن الحنبلى ، ابن زيدون بدمشق ١٣٥٦ .
البحر المحيط ، لأبى حيان . السعادة ١٣٢٨ .
البخلاء ، للجاحظ . الساسى ١٣٢٣ .
بدائع البدائه لابن ظافر الأزدى . بولاق ١٢٧٨ .
البداية والنهاية ، لابن كثير . السعادة ١٣٢٨ .
البغال ، للجاحظ . فى رسائل الجاحظ تحقيق عبد السلام هارون .
بغية الوعاة ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٦ .
بقية أشعار الهذليين . برلين ١٨٨٤ م وليبسك ١٩٣٣ .
بلوغ الأرب ، للآلوسى . الرحمانية ١٣٤٣ .
البيان والتبيين ، للجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٦٩ .
التاج ، للجاحظ . الأميرية ١٣٣٢ .
تاج العروس ، للزبيدى . الخيرية ١٣٠٦ .
تاريخ الأمم الإسلامية ، للخضرى . عيسى الحلبى ١٣٢٦ .
تاريخ الأمم والملوك ، للطبرى . الحسينية ١٣٢٦
تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطى . المقتطف ١٩٢٥ م .
تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى . السعادة ١٣٤٩ .
تاريخ ابن الوردى . الوهبية ١٢٨٥ .
تأويل مختلف الحديث ، لابن قتيبة . كردستان ١٣٢٦ .
التبصر بالتجارة ، للجاحظ . الرحمانية ١٣٥٤ .
التجريد الصريح ، لأحاديث الجامع الصحيح ، للزبيدى . الأزهرية ١٣٣٣ .
تحقيق النصوص ونشرها ، لعبد السلام هارون . التأليف ١٣٧٤ .
تذكرة أولى الألباب ، لداود الأنطاكى . الشرفية ١٣١٧ .
تزيين الأسواق ، لداود الأنطاكى . الأزهرية ١٣٢٨ .
التصريح بمضمون التوضيح ، للشيخ خالد . الأزهرية ١٣٤٤ .
تفسير أبى حيان = البحر المحيط .

تفسير الفخر الرازى ، الشرفية ١٣٢٧ .
تقريب التهذيب ، لابن حجر . الهند ١٣٢٠ .
التنبيه على أمالى القالى ، للبكرى . دار الكتب ١٣٤٤ .
التنبيه على شرح مشكلات الحماسة ، لابن جنى . مصورة خاصة عن مخطوط أحمد الثالث .
التنبيه والإشراف ، للمسعودى . الصاوى ١٣٥٧ .
التنبيهات ، لعلى بن حمزة . مخطوط خاص .
تنزيل الآيات ، شرح شواهد الكشاف ، لمحب الدين أفندى . عبد الرحمن محمد ١٣٤٤ .
التهذيب ، للمزى . مخطوط دار الكتب المصرية .
تهذيب الألفاظ ، للتبريزى . بيروت ١٨٩٥ م .
تهذيب التهذيب ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٢٧ .
التيجان ، لوهب بن منبه . حيدر أباد ١٣٤٧ .
تيسير الوصول ، لابن الديبع الشيبانى . التجارية ١٣٥٥ .
ثمار القلوب ، للثعالبى . الظاهر ١٣٢٦ .
الجامع الصغير ، للسيوطى . حجازى ١٣٥٢ .
جرزة الحاطب ، وليم رايت . ليدن ١٨٥٩ م .
الجماهر ، للبيرونى . حيدر أباد ١٣٥٥ .
جمع الجواهر ، للحصرى . الرحمانية ١٣٥٣ .
جمع الفوائد ، لمحمد بن محمد بن سليمان . الخيرية بالهند ١٣٤٥ .
الجمهرة فى اللغة ، لابن دريد . حيدر أباد ١٣٥١ .
جمهرة أشعار العرب ، للقرشى . بولاق ١٣٠٨ .
جمهرة الأمثال ، للعسكرى . بمباى ١٣٠٦ .
جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم . دار المعارف ١٣٨٢ .
جنى الجنتين ، للمحبى . الترقى بدمشق ١٣٤٨ .

جواهر الألفاظ ، لقدامة . السعادة ١٣٥١ .
حاشية الدمنهورى على الكافى . الحلبى ١٣٤٤ .
حاشية الصبان على الأشمونى . عيسى الحلبى ١٣٦٦ .
حلبة الكميت ، للنواجى . إدارة الوطن ١٢٩٩ .
حماسة البحترى . الرحمانية ١٩٢٩ م.
حماسة أبى تمام . السعادة ١٣٣١ .
حماسة ابن الشجرى . حيدر أباد ١٣٤٥ .
حياة الحيوان ، للدميرى . صبيح بدون تاريخ .
الحيوان ، للجاحظ . الحميدية ١٣٢٣ والتقدم ١٣٢٤ .
خمسة دواوين العرب = مجموع خمسة دواوين .
الخيل ، لأبى عبيدة . حيدر أباد ١٣٥٨ .
دائرة المعارف الإسلامية (النسخة المعربة) . الاعتماد من ١٣٥٢ .
درة الغواص ، للحريرى . الجوائب ١٢٩٩ .
ديوان الأخطل . بيروت ١٨٩١ م .
« الأعشى . فينا ١٩٢٧ م .
« امرئ القيس . هندية ١٣٢٤ والمعارف ١٩٥٨ م .
« أمية بن أبى الصلت . بيروت ١٣٥٣ .
« أوس بن حجر . فينا ١٨٩٢ م .
« بشر بن أبى خازم . دمشق ١٣٧٩ م .
« جران العود . دار الكتب المصرية ١٣٥٠ .
« جرير . الصاوى ١٣٥٣ .
« الحادرة . مخطوطة الشنقيطى ٣٤ أدب ش .
« حسان بن ثابت . الرحمانية ١٣٤٧ .
« الحطيئة . التقدم ١٣٢٣ .
« ابن الدمينة . المنار ١٣٣٧ .

ديوان ذى الرمة . كمبردج ١٩١٩ م .
« زهير . دار الكتب ١٣٦٣ .
« سحيم عبد بنى الحسحاس . دار الكتب ١٣٦٩ .
« الشماخ . السعادة ١٣٢٧ .
« طرفة . قازان ١٩٠٩ م .
« الطرماح . لندن ١٩٢٧ م .
« طفيل الغنوى . لندن ١٩١٣ م .
« عبيد الله بن قيس الرقيات . فينا ١٩٠٢ م .
« أبى العتاهية . بيروت ١٩١٤ م .
« عروة بن حزام . مخطوطة الشنقيطى ٧٠ أدب ش .
« عمر بن أبى ربيعة . السعادة ١٣٧١ .
« عنترة . الرحمانية بدون تاريخ .
« الفرزدق . الصاوى ١٣٥٤ .
« القطامى . ليدن ١٩٠٢ م .
« قيس بن الخطيم . ليبسك ١٩١٤ .
« كثير . الجزائر ١٩٢٨ م .
« لبيد . فينا ١٨٨٠ ، ١٨٨١ م .
« أبى محجن الثقفى . الأزهار بدون تاريخ .
« مسلم بن الوليد . المعارف ١٣٧٦ .
« المعانى ، للعسكرى . القاهرة ١٣٥٢ .
« أبى نواس . العمومية ١٨٩٨ م .
رحلة ابن بطوطة . الخيرية ١٣٢٢ .
الرسالة للشافعى . الحلبى ١٣٥٨ .
رسالة الغفران ، للمعرى . هندية ١٩٠٧ م .
رسائل إخوان الصفا . العربية ١٣٤٧ .

رسائل الجاحظ . الساسى ١٣٢٤ .
رسائل الجاحظ ، بتحقيق عبد السلام هارون . السنة ١٣٨٤ .
رغبة الآمل ، للمرصفى . النهضة ١٣٤٦ .
الروض الأنف ، للسهيلى . الجمالية ١٣٣٢ .
زهر الآداب ، للحصرى . الرحمانية ١٩٢٥ م .
الزهرة ، للأصفهانى . بيروت ١٣٥١ .
السامى فى الأسامى ، للميدانى . مخطوط دار الكتب المصرية ٥ لغة م .
سر الفصاحة ، لابن سنان الحلبى . الرحمانية ١٣٥٠ .
سراج القارئ ، لابن القاصح . الشرفية ١٣٠٤ .
السعيديات ، لمحمد سعيد . الحسينية ١٣٢٧ .
سمط اللآلى ، للراجكوتى . لجنة التأليف ١٣٥٤ .
السنن الكبرى ، البيهقى . حيدر أباد ١٣٥٥ .
سنن النسائى . الميمنية ١٣١٢ .
السيرة ، لابن هشام . جوتنجن ١٨٥٩ م .
شذرات الذهب ، لابن العماد الحنبلى . القدسى ١٣٥١ .
شرح بانت سعاد ، لابن هشام . الميمنية ١٣٢١ .
« درة الغواص ، للخفاجى . الجوائب ١٢٩٩ .
« ديوان الحماسة للتبريزى . بولاق ١٢٩٦ .
« ديوان الحماسة ، للمرزوقى . لجنة التأليف ١٣٧٢ .
« ديوان المتنبى ، للعكبرى . الشرفية ١٣٠٨ .
« الشافية ، للرضى . حجازى ١٣٥٦ .
« شواهد المغنى ، للسيوطى . البهية ١٣٢٢ .
« القصائد العشر ، للتبريزى . السلفية ١٣٤٣ .
« الكنز ، لمنلا مسكين . محمد منير ١٩٢٨ — ١٩٣١ م .
« المفضلات ، لابن الأنبارى . بيروت ١٩٢٠ م .

شرح مقامات الحريرى ، للشريشى . بولاق ١٣٠٠ .
شروح سقط الزند ، لجنة أبي العلاء . دار الكتب ١٩٤٥ م .
الشعر والشعراء ، لابن قتيبة . الحلبي ١٣٧٠ .
شفاء الغرام ، للفاسى . ليبسك ١٨٦١ م .
شفاء الغليل ، للخفاجي . السعادة ١٣٢٥ .
شمس العلوم ، لنشوان الحميرى . ليدن ١٩١٦ م .
الصاحبي ، لابن فارس . المؤيد ١٣٢٨ .
صبح الأعشى ، للقلقشندى . دار الكتب ١٣٤٠ .
الصحاح ، للجوهرى . بولاق ١٢٨٢ .
صحيح البخارى . بولاق ١٣١٣ .
صحيح مسلم . بولاق ١٢٩٠ .
صفة جزيرة العرب ، للهمدانى . ليدن ١٨٩١ م .
صفة الصفوة ، لابن الجوزى . حيدر أباد ١٣٥٦ .
الصيدنة ، للبيرونى . القاهرة بدون تاريخ .
الضرائر ، للآلوسى . السلفية ١٣٤١ .
طبقات الشعراء ، لابن سلام . السعادة ١٩٢٠ م .
الطبقات الكبرى ، لابن سعد . ليدن ١٩٠٥ — ١٩٢١ م .
الطبيخ ، للبغدادى . الموصل ١٣٥٣ .
طراز المجالس ، للخفاجي . الوهبية ١٢٨٤ .
الطرائف الأدبية ، للميمنى . لجنة التأليف ١٩٣٧م .
العثمانية ، للجاحظ . دار الكتاب العربى ١٣٧٤ .
عجائب المخلوقات ، للقزوينى . المعاهد بالقاهرة .
العقد الفريد ، لابن عبد ربه . لجنة التأليف ١٣٧٠ .
العمدة ، لابن رشيق . هندية ١٣٤٤ .
عمدة القارى فى شرح صحيح البخارى ، للعينى . محمد منير ١٣٤٨ .

عيون الأثر ، لابن سيد الناس . القدسى ١٣٥٦ .
عيون الأخبار ، لابن قتيبة . دار الكتب ١٣٤٣ .
عيون الأنباء ، لابن أبى أصيبعة . الوهبية ١٢٩٩ .
غرر الخصائص الواضحة ، للوطواط . بولاق ١٢٨٤ .
الغريب المصنف ، لأبى عبيد . مخطوط دار الكتب ١٢١ لغة .
الغيث المنسجم ، بشرح لامية العجم ، للصفدى . الأزهرية ١٣٠٥ .
غيث النفع ، للسفاقسى . العامرة الشرفية ١٣٠٤ .
الفاخر ، للمفضل بن سلمة . ليدن ١٩١٥ .
الفائق ، للزمخشرى . عيسى الحلبى ١٣٦٧ .
الفراسة ، لفليمون الحكيم . حلب ١٣٤٧ .
فرق الشيعة ، للنوبختى . الدولة بالقسطنطينية ١٩٣١ م .
الفرق بين الفرق ، للبغدادى . المعارف ١٣٢٨ .
الفصل فى الملل والنحل ، للشهرستانى . الأدبية ١٣١٧ .
الفصول والغايات ، للمعرى . حجازى ١٣٥٦ .
فقه اللغة ، للثعالبى . الحلبى ١٣٥٧ .
الفهرست ، لابن النديم . الرحمانية ١٣٤٨ .
فوات الوفيات ، لابن شاكر . بولاق ١٢٨٣ .
القاموس الإنجليزى الفارسى العربى . ج . ريتشاردسن . ليدن ١٨١٠ م .
قاموس الأعلام ، للزركلى . العربية ١٣٤٥ .
القاموس العصرى ، لإلياس أنطون إلياس . العصرية ١٣٤٠ .
قاموس القرن العشرين . إدنبره .
القاموس المحيط ، للفيروزابادى . الحسينية ١٣٣٢ .
القراءات الشاذة ، لابن خالويه . الرحمانية ١٩٣٤م .
الكامل ، لابن الأثير . بولاق ١٢٩٠ .
الكامل ، للمبرد . ليبسك ١٨٦٤ م .

الكتاب ، لسيبويه . بولاق ١٣١٦ .

الكشاف ، للزمخشرى . البهية ١٣٤٤ .

كشف الخفا ، للعجلونى . القدسى ١٣٥١ .

كشف الظنون ، لكاتب جلبى . تركيا ١٣١٠ .

كليلة ودمنة ، ترجمه ابن المقفع . المعارف ١٣٦٠ .

الكنايات ، للثعالبى . السعادة ١٣٢٦ .

الكنايات ، للجرجانى . السعادة ١٣٢٦ .

الكنز اللغوى ، للدكتور أوغست . بيروت ١٩٠٣ م .

اللآلئ = سمط اللآلئ .

لباب الآداب ، لأسامة بن منقذ . الرحمانية ١٣٥٤ .

لسان العرب ، لابن منظور بولاق ١٣٠٧ .

لسان الميزان ، لابن حجر . حيدر أباد ١٣٣٠ .

ما اتفق لفظه ، للمبرد . السلفية ١٣٥٠ .

مبادئ اللغة ، للإسكافى . السعادة ١٣٢٥ .

مباهج الفكر ، للوطواط . مخطوط دار الكتب ٣٢٤ طبيعيات .

مجالس ثعلب . دار المعارف ١٣٦٩ .

مجالس العلماء ، للزجاجى . الكويت ١٩٦٢ .

مجلة الثقافة . القاهرة .

« الرسالة . القاهرة .

« الرياضة البدنية . القاهرة .

« المجمع اللغوى . القاهرة .

« المشرق . بيروت .

مجمع الأمثال ، للميدانى . البهية ١٣٤٢ .

مجمع الزوائد ، للهيثمي . القدسى ١٣٥٣ .

مجموع خمسة دواوين . الوهبية ١٢٩٣ .
مجموعة المعانى ، لمجهول . الجوائب ١٣٠١ .
المحاسن والأضداد ، للجاحظ . الجمالية ١٣٣٠ .
المحاسن والمساوى ، للبيهقى . السعادة ١٣٢٥ .
محاضرات الأدباء ، للراغب الأصفهانى . الشرفية ١٣٢٦ .
محاضرة الأوائل ، ومسامرة الأواخر ، للبسنوى على دده . بولاق ١٣٠٠ .
المحبر ، لابن حبيب . حيدر أباد ١٣٦١ .
المختار من شعر بشار ، للخالديين . الاعتماد ١٣٥٣ .
مختارات شعراء العرب ، لابن الشجرى . بولاق ١٣٠٦ .
مختصر تهذيب الألفاظ ، لابن السكيت . بيروت ١٨٩٧ م .
مختلف القبائل ومؤتلفها ، لابن حبيب . جوتنجن ١٨٥٠ م .
المخصص ، لابن سيده . بولاق ١٣١٨ .
مخطوطات الموصل ، لداود جلبى . الفرات ببغداد ١٩٢٧ م .
المداخل ، لغلام ثعلب . مخطوط دار الكتب ١٦٦ مجاميع م .
مرآة الجنان ، لليافعى . حيدر أباد ١٣٣٩ .
مروج الذهب ، للمسعودى . السعادة ١٣٦٧ .
مزامير داود .
المزهر ، للسيوطى . الحلبى ١٣٦١ .
المستدرك ، للحاكم . الهند ١٣٣٤ .
المستطرف ، للأبشيهى . المعاهد ١٣٥٤ .
مسند أحمد . دار المعارف ١٣٦٥ — ١٣٧٥ .
مشارق الأنوار ، للقاضى عياض . السعادة ١٣٣٢ .
المشتبه ، للذهبى ، ليدن ١٨٨١ م .
المصون ، لأبى أحمد العسكرى . الكويت ١٩٦٠ م .
المعارف ، لابن قتيبة . الإسلامية ١٣٥٣ .

معانى الشعر ، للأشناندانى . الترقى بدمشق ١٣٤٠ .
معانى القرآن ، للفراء . دار الكتب ١٣٧٤ .
المعانى الكبير ، لابن قتيبة . حيدر أباد ١٣٦٨ .
معاهد التنصيص ، للعباسى . البهية ١٣١٦ .
المعتمد ، لابن رسولا الغسانى . الميمنية ١٣٢٧ .
معجم الأدباء ، لياقوت . دار المأمون ١٣٢٣ ومرجليوث ١٩٢٣م .
معجم أسماء النبات ، لأحمد عيسى . الأميرية ١٣٤٩ .
معجم البلدان ، لياقوت . السعادة ١٣٢٣ .
معجم الحيوان ، للمعلوف . المقتطف ١٩٣٢ م .
معجم شرف . الأميرية ١٩٢٩ م .
معجم الشعراء ، للمرزبانى . القدسى ١٣٥٤ .
المعجم الفارسى الإنجليزى ، لاستينجاس . لندن ١٩٣٠ م .
المعجم الفارسى الإنجليزى ، لبالمر . لندن ١٩١٤ م .
معجم الفرق الإسلامية ، لعبد السلام هارون . مخطوط .
معجم ماستعجم ، للبكرى . لجنة التأليف ١٣٧١ .
معجم المطبوعات العربية ، لسركيس . سركيس ١٣٤٦ .
المعرب ، للجواليقى . دار الكتب ١٣٦١ .
المعلقات بشرح الزوزنى . السعادة ١٣٤٠ .
المعمرين ، للسجستانى . السعادة ١٣٢٣ وليدن ١٨٩٩ .
معيار اللغة ، للشيرازى . طهران ١٣١٦ .
مفاتيح العلوم ، للخوارزمى . محمد منير ١٣٤٢ م .
مفتاح كنوز السنة (ا . ى . فنسنك) ترجمة محمد فؤاد عبد الباقى . مصر ١٣٥٣ .
المفردات ، للراغب الأصفهانى . الميمنية ١٣٢٤ .
المفضليات ، بشرح أحمد شاكر وعبد السلام هارون . المعارف ١٣٦١ .
المفضليات الخمس ، لعبد السلام هارون . المعارف ١٩٤٢ م .

المقابسات ، لأبى حيان التوحيدى . الرحمانية ١٣٤٧ .
مقاييس اللغة ، لابن فارس . عيسى الحلبى ١٣٦٦ .
المقدمة ، لابن خلدون . البهية ١٩٢٧ م .
المقصور والممدود ، لابن ولاد . السعادة ١٣٢٦ .
مقطعات مراث . ليدن ١٨٥٩ م .
الملاحن ، لابن دريد . السلفية ١٣٤٧ .
الملل والنحل ، للشهرستانى . الأدبية ١٣١٧ .
من نسب إلى أمه من الشعراء ، لابن حبيب . (فى نوادر المخطوطات) .
المنتظم ، لابن الجوزى . حيدر أباد ١٣٥٩ .
منهاج الدكان ، لأبى المنى الإسرائيلى . القاهرة ١٣٥١
الموازنة بين أبى تمام والبحترى ، للآمدى بيروت ١٣٣٢ .
المواقف ، للعضد . العلوم ١٣٥٧ .
المواقف ، للعضد بشرح السيد . بولاق ١٢٦٦ .
المؤتلف والمختلف ، للآمدى . القدسى ١٣٥٤ .
الموشح ، للمرزبانى . السلفية ١٣٤٣ .
الميسر والأزلام ، لعبدالسلام هارون . دار الفكر ١٩٥٣ م .
الميسر والقداح ، لابن قتيبة . السلفية ١٣٤٣ .
نبراس المدارس . للشيخ مسعود السنندجى . السعادة ١٣٤٦ .
نتائج الفطنة ، لابن الهبارية . اللبنانية ١٩٠٠ م .
نثار الأزهار ، لابن منظور . الجوائب ١٢٩٨ .
النجوم الزاهرة ، لابن تغرى بردى . دار الكتب ١٣٨٤ .
نخب الذخائر ، لابن الأكفانى . العصرية ١٩٣٩ م .
نزهة الألباء ، لابن الأنبارى . القاهرة ١٢٩٤ .
نسب الخيل ، لابن الكلبى . ليدن ١٩٢٨ م .
نسب عدنان وقحطان ، للمبرد . التأليف ١٣٥٤ .

نسب قريش ، للمصعب الزبيرى . المعارف ١٩٥٣ م .
نظام الغريب ، للربعى . هندية ١٩١٣ م .
النقائض ، رواية أبي عبيدة .ليدن ١٩٠٥ م .
نقد الشعر ، لقدامة . الجوائب ١٣٠٢ .
نقد النثر ، لقدامة . لجنة التأليف ١٣٥٦ .
النقود العربية وعلم النميات ، للأب أنستاس مارى الكرملى . العصرية ١٩٣٩م .
نكت الهميان ، للصفدى . القاهرة ١٩١٠م
النهاية ، لابن الأثير . العثمانية ١٣١١ .
نهاية الأرب ، للنويرى . دارالكتب ١٣٤٢ .
النوادرفى اللغة ، لأبى زيد الأنصارى. بيروت ١٨٩٤م .
النوادر ، لأبى على القالى . دار الكتب ١٣٤٤ .
نوادر المخطوطات ، لعبد السلام هارون . لجنة التأليف ١٣٧٠— ١٣٧٤ .
الهاشميات ، للكميت . شركة التمدن ١٣٣٠ .
همع الهوامع ، للسيوطى . السعادة ١٣٢٧ .
الوزراءوالكتاب ، للجهشيارى . الحلبى ١٣٥٧ .
الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للجرجانى .صيدا١٣٣١ .
وفيات الأعيان ، لابن خلكان . الميمنية ١٣١٠ .
وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم . عيسى الحلبى ١٣٦٥ .
الولاة والقضاة ، للكندى . بيروت ١٩٠٨ م .
يتيمة الدهر ، للثعالبى . دمشق ١٣٠٣ .

الفهرس السابع عشر

فهرس الفهارس

خاتمــة

تم بعون الله وحمده هذا الجزء الثامن من كتاب الحيوان فى طبعته الثانية ، وبه تم الكتاب الأول من مكتبة الجاحظ ، التى نصبت نفسى لتحقيقها وتوضيحها . وكان الكتاب الثانى هو كتاب البيان والتبيين ، وقد أخرجته كذلك إلى الآن فى طبعات ثلاث . والكتاب الثالث كتاب العثمانية ، وقد تم طبعه وتحقيقه بدار الكاتب العربى سنة ١٣٧٤ . يلى ذلك سبعة عشر كتابا ورسالة نشرتها محققة فى مجلدين بعنوان (رسائل الجاحظ) . وأرجو إن مد الله سبحانه فى الأجل أن أنشر مجلدين آخرين يشتملان على (الفصول المختارة) اختيار عبيد الله بن حسان ، عن نسختين تزيدان كثيرا على ما فى النسخة المنشورة على هامش كامل المبرد .

وإنى حين أختتم هذه الطبعة المنقحة من كتاب الحيوان ، لأحمد الله سبحانه كل الحمد على نعمته السابغة وتوفيقه ، وأكل إليه الجزاء على ما قدمت من عمل ، وما أسلفت من بر .

(الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى هَدَانَا لِهٰذَا ، وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللّٰهُ)

عبد السلام محمد هارون

مصر الجديدة فى { ١٩ جمادى الثانية سنة ١٣٨٩ هـ
أول سبتمبر سنة ١٩٦٩ م }

معجم

مقاييس اللغة

لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا

٠٠٠ – ٣٩٥

تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون

شرعت الدار فى إصدار طبعة حديثة من هذا المعجم بها إضافات وتعليقات ، مع زيادة فى الضبط والتنقيح بقلم الأستاذ المحقق، وستصدر بعون الله ومشيئته فى ستة مجلدات على ورق ممتاز وطباعة أنيقة .

محققات ومؤلفات أخرى للمؤلف

تطلب من

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر

عدد المجلدات :

١	الميسر والأزلام (بحث تاريخى ، اجتماعى ، أدبى ، لغوى)	
١	تهذيب سيرة ابن هشام	
٢	تهذيب إحياء علوم الدين	
١	تهذيب الحيوان ، للجاحظ	
١	حول ديوان البحترى	
١	الأساليب الإنشائية فى النحو العربى	(بحث مبتكر)
٦	الألف المختارة من صحيح البخارى	(اختيار وشرح وتخريج)
٧	الحيوان ، للجاحظ	شرح وتحقيق
٤	البيان والتبيين ، للجاحظ	» »
١	العثمانية ، للجاحظ	» »
٢	رسائل الجاحظ	» »
٦	مقاييس اللغة ، لابن فارس	» »
٢	مجالس ثعلب	» »
٤	شرح ديوان الحماسة ، للمرزوقى	» »
١	وقعة صفين ، لنصر بن مزاحم	» »
١	المفضليات الخمس	» »
١	همزيات أبى تمام	» »
١	المصون ، لأبى أحمد العسكرى	» »
١	مجالس العلماء ، للزجاجى	» »

عدد المجلدات			
١	أمالى الزجاجى		شرح وتحقيق
٢	نوادر المخطوطات (فى ثمانية أجزاء)		» »
١	الأغانى ، لأبى الفرج (ج ١٥)		» »
١	جمهرة أنساب العرب ، لابن حزم		» »
٢	الاشتقاق ، لابن دريد		» »
٢	تهذيب اللغة ، للأزهرى (الجزء الأول والتاسع)		» »
٢	كتاب سيبويه والباقى تحت الطبع (فى أربعة أجزاء)		» »
٤	خزانة الأدب » » » (فى ١٢ مجلدا)		» »
١	شرح القصائد السبع الطوال ، لابن الأنبارى		» »
١	فهارس المخصص لابن سيده		
١	المفضليات	(بالاشتراك مع الشيخ أحمد شاكر)	شرح وتحقيق
١	الأصمعيات	(» » » » »)	» »
١	إصلاح المنطق	(» » » » »)	» »
١	تعريف القدماء	(بالاشتراك مع لجنة أبى العلاء)	» »
٥	شروح سقط الزند	(» » » » »)	» »
٣	تهذيب الصحاح للزنجانى	(بالاشتراك مع الأستاذ أحمد عطار)	» »
٦	صحاح الجوهرى	(» » » » »)	» »